المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحّاس

المتوفى سنة ٣٣٨ هـ



تحقيق

الشيخ محمد علي الصابوني

الأستاذ بجامعة أم القرى

أبو جعفر النحّاس

« أبو جعفر النحّاس ، إمامُ العربيَّة ، صاحبُ التصانيف ، كان يُنظَّر في زمانه بابـن الأَنْبَـاريِّ ، وبِنِفْطَويـهِ للمصرييِّـن » .

[الذهبي]

« أبـو جعفـــر المصريُّ النحـــويُّ ، اللغـــويُّ ، المفسِّر ، الأديب ، له مصنفاتٌ كثيرة مفيدة ، في التفسير وغيره ، لقي أصحاب المبرِّد ، وسمع الحديث عن النسائي وانتفع الناس به » .

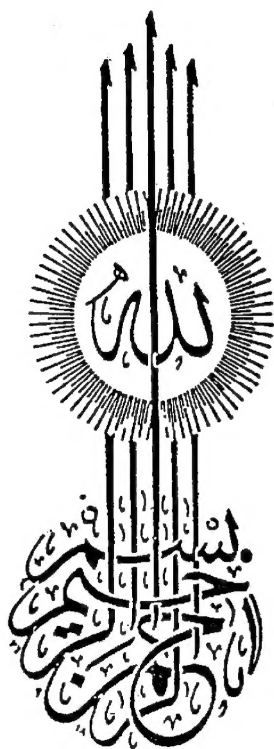
[الحافظ ابن كثير]

« أبـو جعفـــر النحـــوي ، رحـــل إلى بغـــداد ، وقـــرأ كتـاب سيبويـه على الزجـاج واشتغـل بالتصنيـــف في علـــوم القـرآن والأدب ، ولم تكـن له مشاهـــدةً ، وإذا خلا بقلمـــه جوَّد وأحسن ، وتصانيفُـــه تزيـــد على خمسين مصنَّفـــاً » .

[الصَّفَدي]

إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، كيف
يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه

« الإمام الطبري »


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله الذي قال له رب العالمين : ﴿ لا تُحرِّكْ به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ .

وبعـــد :

فهذا كتاب جديد من كتب التفسير المبارك ، الذي نهض به علماء صالحون وأئمة متقون ، أفنوا أعمارهم في فهم آيات الكتاب الكريم ، وتمحيص الرواية في التفسير ، وجمع شواهد اللغة التي يحتج بها في بيان معاني مفردات القرآن .

والمؤلف إمام من أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، انتفع بمعارفه اللغوية الواسعة في مجال التفسير ، فوجَّه أقوال المفسرين بما يتفق مع ما نقل عن العرب ، ونظر إلى الروايات الشاذة بهذا المنظار فردَّ منها ما لا تعرفه العرب .

والعجب أن هذا الكتاب النفيس لم يحظ بالعناية قديماً ، مما يدل عليه ندرة نسخه ، إذ لم يصل إلينا غير نسخة واحدة منه ، فيها سقط ومحو في بعض المواضع ، مما اضطر المحقق إلى ترك فراغ مكانها أو محاولة ملئها بنقول من كتب التفسير .

وقد كلف مركز إحياء التراث الإسلامي فضيلة الشيخ « محمد علي الصابوني » بتحقيق هذا الكتاب الجدير بالنشر ، فقام بما عهد إليه ، ثم راجعه أساتذة فضلاء من جامعة أم القرى ، هم الأساتذة الدكاترة : محمد المختار المهدي ، وعبد المجيد محمود ، وعبد الوهاب فايد ، وعبد الباسط بلبول . فكان لهم ملاحظات واستدراك واقتراحات ، انتفع بها الكتاب . فجزاهم الله خير الجزاء . وهذا الجزء من مراجعة الدكتور محمد المختار المهدي .

هذا والمحقق الفاضل يميل إلى كثرة النقول من كتب التفسير ؛ توضيحاً للنص وشرحاً له ، وقد حاولنا التخفيف من هذه النقول حتى لا تزاحم النص ، ورغبنا إليه أن يختصر فيها ، فاستجاب مشكوراً في كثير من المواضع ، وأبقى ما يراه ضرورة لتوضيح المقصود .

وها هو « الجزء الأول » من هذا الكتاب المبارك بين أيدي الباحثين والدارسين ، ونرجوهم ألا يضنوا بتصويب أو استدراك يرونه ليمكن التنويه به في ختام الكتاب .

وليس هناك جهد بشري يخلو من نقص أو قصور ، والفاضل من تُعَدُّ هفواته وتُحْصَى أخطاؤه .

فشكراً للمحقق ، وشكراً للمراجعين ، وشكراً للقارئين المعقبين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ.د مصطفى عبد الواحد
مدير مركز إحياء التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة المحقِّق

• الحمد لله منزل الكتاب ، تبصرةً وذكرى لأولى الألباب ، والصَّلاةُ والسلام على السِّراج المنير ، من أعطاه الله الحكمة وفَصْلَ الخِطاب ، سيِّدنا محمد النبيِّ الأميِّ ، الهاشميِّ العربيِّ صاحب المعجزات ، وعلى آله وذريته وسائر الأصحاب ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الحساب ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

• فلقد ترك أسلافنا ـ رحمهم الله ـ كنوزاً ثمينة ، وثروة علميَّةً عظيمة ، في شتَّى أنواع العلوم والمعارف ، ولم تقتصر جهودهم الجبَّارة على علوم الشريعة والدين ، بل تعدَّتها إلى سائر العلوم والفنون « العلوم الإنسانية ، والاجتماعية ، والعربية ، والدينية » فما من علم من العلوم ، ولا فنّ من الفنون ، إلَّا خاضوا عُبابه ، واستخرجوا منه الدرر والجواهر ، وألَّفوا فيه الموسوعات ، وما وصل إلينا من علومهم ومؤلفاتهم ، إنما هو قطرة من البحر الزاخر ، الذي تركوه ثروةً للأبناء والأحفاد ، فعَبِثَتْ به يد الفساد ، وعدت عليه عاديات الزمان ، في عصور الظلم والطغيان[1] ، فبدَّدته

---

(1) في عصر المغول والتَّتار المجلّل بالسواد والشَّنار ، حوصرت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، من قبل هولاكو الجبار وجنوده سنة ٦٥٦هـ وبعد أن فتحوها نهبوا وسبَوْا وسلبوا ، وعاثوا في الأرض فساداً ، واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد أربعين يوماً ، وألقوا الكتب في نهر دجلة حتى =

وجعلته أيدي سبأ ، ومع كل ما ذهب واندرس ، فقد بقيت بقيَّة من تراث سلفنا ، تحتاج إلى سواعد الرجال ، لترى النور وتخرج إلى حيِّز الوجود ، بعد طول ركودٍ ورقود[1] .

= صار لون الماء أسود من المداد ، وأحرقت كتب أخرى كثيرة حتى صار ليل بغداد نهاراً من شدة اللهب ، وقد قتل من العلماء والفضلاء وأهل السنة جمعٌ غفير لا يحصون عدداً ، يزيدون على (٨٠٠) ثمانمائة ألف ، واستولى هولاكو الطاغية على بغداد وقتل الخليفة المعتصم بالله ، وانظر النجوم الزاهرة ٧/٥٠ .

(١) توجد مخطوطات نفيسة ، وعديدة متنوعة ، في التفسير وعلوم القرآن ، تحتاج إلى من يزيل عنها الغشاوة ، ويخرجها إلى عالم النور ، بعد أن عفا عليها الزمان ، منها مخطوطات مصورة في بعض مكتبات البلاد العربية ، والبلاد الأوربية والأجنبية ، وقد قرأت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي ٦/٣٩٤ أنه قرأ وطالع ما يزيد على مائة تفسير ، وشيخ الإسلام ــ كما هو معلوم ــ عاش في منتصف القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري ، فهو يعتبر إذاً من المتقدمين ، فأين هذه التفاسير التي ذكر أنه قرأها وطالعها ؟! إنه لا يوجد الآن بين أيدينا من المطبوع من تفاسير القرآن العظيم ربع هذا المقدار ، وقد ألَّف بعده علماء كثيرون في علم التفسير ، بلغت أضعاف ما ذكره ابن تيمية رحمه الله ، فأين هذه الكتب والموسوعات ؟ إن منها من قد مات ، ومنها من قد بات حبيس الظلمة بين أطباق الجدران ، أو طيَّات الكتب والمخطوطات ، ولا بدَّ لها من سواعد قوية وفتيَّة ، حتى تظهر إلى حيز الوجود ، ويستفيد منها المسلمون ، وفي مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بعض لهذه المخطوطات النفيسة ، تريد من يمسح غبرتها ، ويكفكف دمعتها ، ويطلق أسرها من سجن الضياع والتشتت ، لترى بصيص النور ، وها هي الدوحة الوارفة الظلال في قطر ، تزيح الستار عن كتاب نفيس ، من أبدع كتب التفسير ، هو كتاب « المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » للشيخ عبد الحق بن عطية ، في خمسة عشر مجلداً ، وهو جهدٌ مشكور ، نسأل الله أن يأجر العاملين على إخراجه ، ويثيبهم عليه خير الجزاء ، وها هو تفسير « معاني القرآن الكريم » للإمام أبي جعفر النحاس يخرجه مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى . وبذلك تكون الجامعة قد خطت خطوات جليلة في خدمة الكتاب العزيز .. « وأول الغيث قطر ثم ينهمر » .

- وقد حظي القرآن الكريم ، بنصيب وافر من هذه المعارف ، فكانت هناك كتبٌ ومؤلفات ، ورسائل ، ومعاجم ، وموسوعات ، في شتَّى علوم القرآن ، منها المُسْهَب والموجز ، ومنها ما يعزُّ مناله ، ويصعُب حمله ، على العُصْبَةِ أُولي القُوَّة من الرجال ، فقد بلغ بعض الكتب مائة جزء أو تزيد .

- وكَتَبَ في علم التفسير رجال عِظام ، من أساطين العلماء ، وفحول النبغاء ، كلٌّ أدلى بدلوه ، في خدمة الكتاب العزيز ، فمنهم من أَلَّف في غريبه ، ومنهم من أَلَّف في ناسخه ومنسوخه ، ومنهم من كانت همَّته في جمع الأخبار ، وتنقيح الآثار ، وآخرون بذلوا جهوداً جبَّارة ، في إيقاد قرائحهم ، لاستنباط الأحكام من آيات القرآن ، واستخراج ما فيها من دقائق المعرفة وأصول الأحكام .

- ومن هؤلاء الأئمة الأجلاء ، والجهابذة الأعلام ، الذين لهم باع طويل في خدمة التنزيل ، العَلَم الأجلُّ — شيخ العربية — الإمام أبو جعفر[1] النحَّاس ، صاحب كتاب « معاني القرآن الكريم » الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذه المقدمة .

- ومع كل ما صنَّف العلماء وأَلَّفوا ، وتبحَّروا فيه ، خدمةً للكتاب العزيز ، فإن علم التفسير لا يزال بحراً لُجِّياً ، زاخراً بالدرر والنفائس ، يحتاج إلى من يغوص في أعماقه ، ليستخرج منه الدّرر واللآلىء الثمينة ، وكلُّ علم شاط واحترق إلا علم التفسير ، فإنه لا يزال غضًّا طريًّا ، يحتاج إلى بحث وتنقيب ، ودراسة وتمحيص ، لاستخراج كنوزه الدفينة ، والاستفادة من

---

(١) انظر مراجع ترجمة الإمام النحاس في الصفحة الآتية رقم (٣٧) .

أحكامه الثمينة ، وها نحن نتناول هذا السِّفر القيِّم ، بالتحقيق والتدقيق ، لإمام من أئمة اللغة ، وعالم من مشاهير علماء الإسلام ، ذلكم هو الإمام الهُمام ، الشيخ « أبو جعفر النحَّاس » من علماء القرن الرابع الهجري ، المتوفى سنة ٣٣٨هـ ثمان وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان .

نسبه ولقبه

- هو الإمام أبو جعفر « أحمد بن محمد ، بن إسماعيل ، بن يونس ، المرادي » المفسِّر المصريُّ النحويُّ ، المعروف بالنحّاس أو بابن النحّاس ، ويُعرف أيضاً بالصفَّار ، ولكنَّ لقب « النحّاس » هو الأشهر الذي عُرف به ، وهو الذي طار في الآفاق ، حتى صار عَلَماً له . و « النَّحَّاسُ » نسبة إلى من يصنع الأواني النحاسية ، كالقدور ، والأواني ، وغير ذلك ، ويظهر أن أجداده كانوا يشتغلون بهذه الصَّنعة ، وأمّا أبو جعفر فقد طلب العلم منذ حداثة سنه ، ولم يُنقل عنه أنه اشتغل بهذه الحِرفة ، صنعةً أو بيعاً ، وسُمِّي بالصفَّار أيضاً نسبة إلى « الصُّفْرِ » وهو النحاس أيضاً .
- قال في المصباح : « الصُّفْرُ مثلُ قُفْلٍ : النُّحاس ، وكسرُ الصَّاد لغةٌ فيقال : صِفْرٌ ، وصُفْرٌ . وهو النحاس ، ويُقال : بيت صِفْرٌ أي خالٍ من المتاع ، وهو صِفْرُ اليدين أي ليس فيهما شيء »[1] .
- وقال السمعاني في الأنساب : « النَّحَّاس بفتح النون وتشديد الحاء ، نسبة إلى عمل النحاس . وأهلُ مصر يقولون لمن يعمل الأواني الصُّفرية ويبيعها

(١) انظر المصباح المنير مادة صفر ، والصحاح للجوهري ٢/٧١٤ .

النَّحّاس ، وقد اشتهر بهذا الاسم جماعة ، منهم : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحّاس »[1] .

مولدُه ووَفاتُه

- ولد الإمام أبو جعفر النحاس في مصر ، وعاش فيها ردحاً من الزمن ، ولا يعرف على وجه الضبط سنة ميلاده ، فالمراجع التي بين أيدينا كلها لا تذكر سنة مولده ، ولا أطوار نشأته الأولى ، ولكنها متفقة على أنه ولد في مصر وتوفّي فيها ، وإن كان يغلب على الظن أنَّ ولادته كانت سنة ٢٦٠هـ كما ذكر بعض العلماء .
- وأما وفاته فالمراجع متفقة على أنها كانت سنة ٣٣٨هـ ثمان وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية .

الحياة العلميّة في عصر النحاس

- في الفترة التي عاش فيها « أبو جعفر النحّاس » كانت قد دبَّت في مصر روح النشاط العلمي ، وأخذت تتنافس مع بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، وقبلة العلم والعلماء آنذاك .. لا سيما بعد أن وفد إليها نخبةٌ من العلماء الأفذاذ كأحمد بن جعفر الدِّينَوَري ، وعلي بن سُليمانَ الأَخْفَش ، ومحمد بن يحيى اليزِيديّ ، وغيرهم من أكابر العلماء ، ممن حطَّ عصا التَّسيار في ربوع الكِنانة ، وطاب له المقام في دارٍ من ديار الإسلام ، وبذلك دبَّت روح التنافس والتسابق العلمي ، في عواصم البلدان

(١) انظر كتاب الأنساب للسمعاني ١٣/٤٤ واللُّباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣/٣٠٠ .

الإسلامية ، وأصبحت مصر في « النصف الثاني من القرن الثالث الهجري » موئل أهل العلم ، وكهف أهل الفضل والعرفان ، وأضحت متهيئة لتعطي ثمارها المباركة ، بعد أن ظهر فيها العلماء ، ونبغ فيها المحدِّثون والفقهاء من أمثال الإمام أحمد بن محمد الطحاوي ، الذي قال عنه الذهبيُّ في سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧ : « الطحاوي هو الإمام العلامة الحافظ الكبير ، محدِّث الديار المصرية وفقيهها ، أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة ، المصريُّ الطَّحاوي الحنفيُّ ، صاحب التصانيف الشهيرة .. » وأمثاله من أهل الفضل والعلم كثيرون ، ممن لا يتسع المجال إلى ذكرهم ، وأمَّهَا طلاب العلم من شتّى الديار والأقطار ، وبذلك أضحى التنافس والتسابق بين « بغداد » و « القاهرة » يشتدُّ ويمتدُّ ، ويسير بخُطًى حثيثة نحو أوج الارتقاء والكمال .

نشأته العلميّة

• نشأ الإمام أبو جعفر النحاس ، في عصر مواكبة النهضة العلميّة ، شغوفاً دؤوباً على طلب العلم ، محبًّا للعلماء ومجالستهم ، والاستفادة منهم ، لم يمنعه فقرُه وإعسارُه ، عن مواصلة الطلب ، لأنه شعر أن هذا هو طريق المجد والسؤدد ، فأخذ يجدُّ ويجتهد ، ويواصل الليل بالنهار في طلب العلم ، ولم تقتصر همَّته أن ينهل من معين شيوخه في مصر فحسب ، بل دفعه حبُّه وشغفه بالعلم ، أن يرحل إلى بغداد ، لينال من جهابذتها وعلمائها ما يشفي طموحه ، لا سيما وقد تألَّق في سماء بغداد كواكبُ مضيئة ، من أمثال المبَرِّد ، والأخفش الصغير ، ونِفْطَوَيْهِ ، والزجَّاج ، في علوم العربية ، وأمثال « أحمد بن محمَّد الحجَّاج المَرْوَزِي » و « أبي حاتم

الرَّازي » و « إبراهيم بن إسحاق الحَرْبي » و « أبي داود السجستاني » في الحديث الشريف ، وأمثال الإمام « أبي جعفر محمد الطبري » و « بَقِيّ ابن مَخْلَد» في التفسير وعلوم القرآن ، فأخذ عن علمائها فنون المعرفة وأنواع العلوم ، ثم رجع إلى مصر ، ولم ينقطع عن مواصلة العلم على شيوخ أجلاء ، حتى صار إماماً يُشار إليه بالبنان ، في علوم العربية ، والتفسير ، والحديث ، وقد سمع الإمامَ المحدِّث الحافظ البارع « أحمد بن شعيب بن علي بن سنان » أبا عبد الرحمن النسائي صاحب السنن ، أخذ عنه النحاس الحديث الشريف ، وروى عنه في كتابه « إعراب القرآن » و « الناسخ والمنسوخ » .

شيوخ النحاس

- ونذكر هنا بإيجاز الشيوخ الذين تلقى عنهم الإمام النحّاس علومه ، وتلامذته الذين استفادوا من علمه ، وكان له تأثير عظيم في سلوكهم وحياتهم .
- فمن شيوخه الذين تتلمذ عليهم ، وأثَّروا في بناء شخصيته :

١ ـ الإمام الزجَّاج ، وهو « أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل » الإمام اللغوي الشهير ، صاحب كتاب « معاني القرآن » المتوفى سنة ٣١١هـ أحد تلامذة الإمام المبرِّد ، أخذ عنه النحَّاس ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، كما ذكر النحاس ذلك صراحةً في كتابه « إعراب القرآن » حيث قال : هكذا قرأتُ على أبي إسحَاق الزجَّاج في كتاب سيبويه ، أن يكون « دِفَاعُ » مصدر دفع ، كما

تقول : حسبت الشيء حساباً ، ولقيتُه لقاءً ، فيكون دفاعٌ ودفع مصدرين .

٢ — ومن شيوخ النحاس « أبو بكر بن الأنباري » المتوفى سنة ٣٢٨هـ صاحب كتاب « المشكل في معاني القرآن » وهو من أصحاب ثعلب ، ذكره الزبيدي في طبقات النحويين ص ١٥٣ .

٣ — ومن شيوخه أيضاً ابن كيسان « أبو الحسن محمد بن أحمد الكيساني » المتوفى سنة ٢٩٩هـ أخذ عن ثعلب والمبرِّد ، وكان نحوياً بارعاً ، يحفظ أقوال الكوفيين والبصريين ، قال النحاس عنه في كتابه إعراب القرآن ١٣٦/١ : « قال ابن كيسان ، وهو النحويُّ ، فكلما قلنا قال ابن كيسان ، فإياه نعني ، يجوز غِشْوة وغُشوة ، فإن جمعتَ غَشَاوة تحذف الهاء فتقول غَشَاوٍ » .

٤ — ومن شيوخه كذلك « نِفْطويه » وهو « إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي » المتوفى سنة ٣٢٣هـ قال عنه الزبيدي في الطبقات ص ١٥٤ : « كان أديباً متفنناً في الأدب ، يحفظ لجرير ، والفرزدق ، وشعر ذي الرّمة وغيرهم من الشعراء ، وكان يروي الحديث » وهو من النحويين الكوفيين ، ومن أصحاب ثعلب .

٥ — ومن شيوخ النحاس « الأخفش الصغير » وهو « أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل » المتوفى سنة ٣١٥هـ الذي تلقى عن ثعلب والمبرِّد ، وانظر ترجمته في طبقات الزبيدي ص ١١٥ .

٦ — ومن شيوخه أيضاً « محمد بن الوليد بن ولَّاد » المصري التميمي

النحوي المتوفى سنة ٢٩٨هـ، وأبو بكر « أحمد بن شُقير » البغدادي المتوفى سنة ٣١٥هـ، وابن رستم « أحمد بن محمد الطبري » المتوفى سنة ٣٠٤هـ .

٧ ــ ومن شيوخه في الحديث الشريف ، الإمام « أبو عبد الرحمن » « أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان » النسائي ، صاحب السنن المشهور بـ « سنن النسائي » المتوفى سنة ٣٠٣هـ، وهو أحد أعلام الدِّين ، وقد ترجم له الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ١٢٣/١١ بأنه الإمام في عصره ، والمقدَّم على أشكاله وفضلاء دهره ، رحل إلى الآفاق ، واجتمع بالأئمة الحُذَّاق .

تلامذة النحاس

● أما تلامذة النحاس فلا يكادون يُحصون عدداً ، نذكر منهم خشية الإطالة :

١ ــ منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي المتوفى سنة ٣٣٥هـ .

٢ ــ محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري المتوفى سنة ٣٧١هـ .

٣ ــ عمر بن محمد بن عراك الحضرمي المصري المتوفى سنة ٣٨٨هـ .

٤ ــ سليمان بن محمد الزهراوي ، ذكره في بغية الوعاة ٦٠٢/١ .

٥ ــ محمد بن يحيى الأزدي القرطبي النحوي المتوفى سنة ٣٥٨هـ .

٦ ــ محمد بن علي الأدفوي المصري المتوفى سنة ٣٨٨هـ .

٧ ــ عبد السلام بن السمح بن نابل المتوفى سنة ٣٨٧هـ .

٨ ــ فضل بن سعيد الكُزَني من أهل قرطبة المتوفى سنة ٣٣٥هـ .

٩ ــ أبو بكر بن إسحاق بن منذر المتوفى سنة ٣٦٧هـ .

١٠ــ أبو عبد الله محمد بن خراسان النحوي المتوفى سنة ٣٨٦هـ .

● وآخرون يضيق عن ذكرهم المقام ، وكلهم من البارزين الأعلام .

النَّحَّاسُ نَحَّاةٌ وَنَقَّادٌ

● مما سبق يتضح لنا أن الإمام النحَّاس ، جهبذ من جهابذة علماء اللغة ، ورائد من أكابر رُوَّاد العربية ، أَلَّف كتابه « معاني القرآن الكريم » وعرض فيه أقوال العلماء والمفسرين ، عرضاً دقيقاً شاملاً ، على منهج اللغة العربية ، فتراه يحكي في تفسيره أقوال بعض أئمة التفسير ، ويوجِّه منها السديد الصائب ، ويُفنِّد الضعيف الذي لا تعضده لغةُ العرب ، وحجَّته في ذلك أن القرآن ، نزل بأفصح لسان وأوضح بيان ، على أسلوب العرب في تخاطبهم وكلامهم ، فيجب فهمه على منهاج اللسان العربي الفصيح .

● ونجده يؤكد على هذا أشدَّ التأكيد في مؤلفاته وكتبه ، فيقول في إعراب القرآن ٢٥٨/١ : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾ قال أبو عُبيدة : هو مخفوضٌ على الجوار . قال أبو جعفر ــ يعني النحَّاس ــ « لا يجوز أن يُعرب شيءٌ على الجوار في كتاب الله عز وجل ، وإنما الجوارُ غلطٌ ، وإنما وقع في شيء شاذ ، وهو قولهم : « هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » والدليل أنه غلطٌ قول العرب في التثنية : هذان جُحْرا ضبٍّ خربان ، **ولا يحمل شيءٌ من كتاب الله عزَّ وجل على هذا ، ولا يكون إلَّا بأفصح اللغات وأصحها** » .

● ويحكي النحَّاس أقوال الفراء أحياناً ، ويردُّ منها ما لا يتفق مع اللغة ، فقد

قال- عند قوله تعالى في سورة الصافات -: ﴿فأقبلوا إليه يَزِفُّون﴾ وقُرِئ « يَزْفُون » بالتخفيف ، وأكثر أهل اللغة لا يعرفه ، وقُرِئ « يُزْفَون » بضم الياء ، وأكثر أهل اللغة لا يعرفه أيضاً .

- كما يوجّه آراء المفسرين بما يتفق مع اللغة ، فيقول عند قوله تعالى: ﴿ وأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ بعد نقله آراء المفسرين : « وهذا الذي قاله مجاهد هو الذي تعرفه العربُ ، يقع على القرع ، والبطيخ ، والحنظل ، وأنشد سيبويه :

وَرَبِّ هَذَا البَلَدِ المحَرَّمِ   قَوَاطِناً مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِي

- كما ينقل آراء السلف فيؤيدها أو يفنّدها ويردُّها لأنها تتوافق أو تتعارض مع اللغة العربية التي أنزل بها القرآن .

النحاس إمام محقق

- وباختصار فالإمام النحاس ، إمامٌ محقِّق ، يأتي بالحجج الناصعة ، والدلائل الواضحة على صحة ما يذهب إليه ، وأحياناً يُخطئه الحظُّ فيرجِّح القول الضعيف من أقوال المفسرين ، وهذا دليلُ ضعف البشر ، إذ لا كمال إلا لله جل وعلا ، ولا عصمة إلا لأنبيائه ورسله الكرام ، وقد ألّف كتابه معاني القرآن الكريم قبل تأليف « إعراب القرآن » لذا وردت إحالات كثيرة في الإعراب عليه ، وقد يذكر ذلك صراحة فيقول : وقد ذكرناه أولاً في كتابنا الأول « المعاني » وهذا أوضح دليل على أن كتابه « معاني القرآن » قد ألّفه قبل كتابه الآخر « إعراب القرآن » .

شواهد من كلام النحاس في كتابيه الإعراب والمعاني

- ومما يؤيد ما قلناه أن أبا جعفر النحاس بحَّاثة ونقاد ، وأنه متمكن في اللغة العربية ما ذكره في كتابه إعراب القرآن ٢٩٦/١ :

- قال أبو جعفر : « مَيْسَرَة » أفصحُ اللغات ، وهي لغة أهل نجد .

- و « مَيْسُرَة » وإن كانت لغة أهل الحجاز فهي من الشواذِّ ، لا يوجد في كلام العرب مَفْعُلة إلّا حروفٌ معدودة شاذة ، ليس منها شيء إلّا يُقال فيه مَفْعَلَة ، وأيضاً فإن الهاء زائدة ، وليس في كلام العرب « مَفْعُل » البتة ، وقراءةُ من قرأ « إلى مَيْسُرَة »(١) لحنٌ لا يجوز . اهـ . إعراب القرآن للنحاس ٢٥٥/١ .

- ويقول في الردِّ على الفراء في معانيه عند قوله تعالى:﴿ **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ** ﴾ يحتمل « مثلَيهم » ثلاثة أمثالهم .. إلخ . يقول : وهذا بابٌ الغَلط فيه غلطٌ بيِّنٌ في جميع المقاييس ، إنَّا إنما نعقل مثل الشيء مساوياً له ، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين ، واللغة على خلاف ما قال الفراء .

- ويقول عند قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم ٢١٤ ما نصُّه : ﴿ **وزُلْزِلُوا حتى يَقُولُ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَه مَتَى نَصْرُ اللهِ** ﴾ ؟ هذه قراءة أهلِ الحرمَيْنِ ، وقرأ أهلُ الكوفة والحسن وأبو عمرو:﴿ **حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ** ﴾(٢) بالنَّصبِ ، وهو اختيارُ أبي عُبَيد ، وله في ذلك حجتان :

---

(١) الآية في سورة البقرة ٢٨٨ ، وهي قوله تعالى ﴿ وإن كان ذُو عُسْرةٍ فَنَظِرةٌ إلى مَيْسَرةٍ ﴾

(٢) قرأ نافع وحده « حتَّى يَقُولُ » بالرفع ، وقرأ الباقون « حتى يقولَ » نصباً ، وقد كان الكسائي يقرأها دهراً رفعاً ، ثم رجع إلى النصب . عن كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٨١ .

- **إحداهما** : عن أبي عمروٍ قال « زُلْزِلُوا » فعلٌ ماضٍ و « يقولَ » فعلٌ مستقبل ، فلمَّا اختلفا كان الوجهُ النصب .

- **والحجة الأخرى** : حكاها عن الكسائي قال : إذَا تطاولَ الفعلُ الماضي ، صار بمنزلة المستقبل .

- **قال أبو جعفر** : أما الحجة الأولى بأنَّ « زُلزلوا » ماضي ، و « يَقُول » مستقبلٌ ، فشيءٌ ليس فيه علَّة الرفع ولا النصب ؛ لأن « حتَّى » ليست من حروف العطف في الأفعال ، ولا هي البتَّة من عوامل الأفعال ، وكأن هذه الحجة غلط .

- وحجة الكسائي بأن الفعل إذا تطاول صار بمنزلة المستقبل .. كلا حُجَّة ، لأنه لم يذكر العِلَّة في النصب ، ولو كان الأول مستقبلاً لكان السؤال بحاله ، ومذهبُ سيبويه في « حتَّى » أن النصب فيما بعدها من جهتَين ، والرفع من جهتَين ، تقول : « سرت حتى أدخُلَهـا » ، على أن السير والدخول جميعاً قد مَضَيا أي سرتُ إلى أن أدخلها ، وهذا غاية ، وعليه قراءة من قرأ بالنصب .

- والوجه الآخر في النصب ــ في غير الآية ــ سرتُ حتى أدخُلَها أي كي أدخلها .

- والوجهان في الرفع « سرتُ حتى أدخُلُها » أي سرتُ فأدخلُها ، وقد مضيا جميعاً أي كنتُ سرتُ فدخلتُ ، ولا تعمل ها هنا بإضمار « أن » .لأن بعدها جملة ، كما قال الفرزدق :

فيا عجباً حتَّى كُلَيْبٌ تَسبُّني   كأن أباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ

● فعلى هذه القراءة بالرفع وهي أبينُ وأصحُّ معنى ، أي وزلزلوا حتى الرسولُ يقول:أي هذه حالُه ، والنصبُ على الغاية ليس فيه هذا المعنى . اهـ . إعراب القرآن ٢٥٦/١ .

آراؤه العلمية وانتقاداته الجريئة

● مما يشير إلى إمامته ، وجلالة قدره ، وسعة باعه في علوم العربية أنه ينقد آراء علماء اللغة في بعض الأحيان ، فيصوِّب الصحيح ، ويُخطِّيء الخطأ ، حتى ولو كان الذين ينتقدهم أساطين علماء اللغة ، كالفراء ، والأخفش ، وابن قتيبة ، والكسائي ، وغيرهم من العلماء الأفذاذ .

(أ) انظر إليه وهو يخطيء الفراء في قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ[1] ﴾ قال : « ورُوي عن أبي رجاء وطلحة أنهما قرءا « أَئِذَا ضَلِلْنَا » وهي لغة شاذة ، وروى الفراء عن الحسن « أَئِذَا صَلِلْنَا » بالصاد ، وزعم أنها تُروى عن علي بن أبي طالب ، ولا يُعرف في اللغة « صَلِلْنا » ولكن يُعرف « صَلَلْنا » يُقال : صلَّ اللحمُ وأصلَّ ، وخَمَّ وأخمَّ إذا أنتن »[2] . إعراب القرآن ٢٩٣/٣ .

(ب) وكذلك يُخطئه في قوله تعالى في سورة المؤمن ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ﴾[3] قال الفراء : ليس في القيامة غدوٌّ ولا عشيٌّ ، ولكنْ مقدارُ ذلك .. فيقول النحاس : قال أبو جعفر : التفسير على خلاف ما قال الفراء ، وذلك أن التفسير على أن

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة السجدة .
(٢) إعراب القرآن ٢٩٣/٣ . قال في الصحاح : خَمَّ اللحمُ يَخِمُّ بالكسر : إذا أنتن .
(٣) وتسمى سورة غافر ، الآية : ٤٦ .

هذا العرض إنما هو في أيام الدنيا ، والمعنى أيضاً بيِّنٌ أنه على ذلك ، لأنه قال جل وعَزَّ: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا** ﴾، ثم دلَّ على أن هذا قبل يوم القيامة بقوله : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1] فدلَّ على أن الأول بمنزلة عذاب القبر[2] . « معاني النحاس » .

(جـ) وفي قوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾[3] لم يرتض قول الفراء : أتينا بمن فينا طائعين ، قال : والأحسن في هذا ــ وهو مذهب جِلَّة النحويِّين ــ أنه جلَّ وعز لمَّا أخبر عنها بأفعال ما يعقل ، جاء فيها بما يكون لمن يعقل ، كما قال تعالى : ﴿ **إني رأيتُ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين** ﴾[4] فأما الكسائي فأجاز في كل شيء ، أن يُجمع بالواو والنون ، وبالياء والنون ، قال : وهذا لا يُعرَّج عليه[5] . « معاني النحاس » .

(د) كما نراه يرجح بين أقوال السلف ، بما يتفق مع قواعد اللغة العربية .. انظر إليه وهو ينقل آراء السلف في قوله سبحانه ﴿ **ريحاً صَرصراً في أيام نحسات** ﴾[6] فيقول : قال مجاهد : « صرصراً » شديدة السموم ، وقال قتادة : باردة . وقولُ قتادة أبينُ ، وكذا قال عطاء ، لأنَّ « صرصراً » مأخوذ من صِرٍّ ، والصِرُّ في كلام العرب : البردُ ، كما قال الشاعر :

(١) سورة غافر الآية : ٤٦ .
(١) معاني القرآن الكريم للنحاس سورة غافر ، وتسمى أيضاً سورة المؤمن .
(٣) الآية رقم ١٠ من سورة فصلت .
(٤) سورة يوسف الآية : ٤ .
(٥) معاني القرآن الكريم ، سورة فصِّلت .
(٦) سورة فصلت الآية : ١٦ .

لَهَا غُدُرٌ كَقُرُونِ النِّسَا ءِ رُكِّبْنَ في يَوْمِ رِيحٍ وَصِرٍّ

قال : وليس القولان بمتناقضين ، لأنه يروى أنها كانت ريحاً باردة تُحرق كما تُحرق النَّارُ . وقال أبو عُبيدة: « صَرْصَرٌ » : شديدة الصوت عاصف[1] . « معاني النحاس » .

(هـ) كذلك يُخطِّئ أبو جعفر ابن قتيبة ـــ وهو من كبار علماء اللغة ـــ في تفسير آية في سورة الشورى وهي قوله عز وجل : ﴿ **يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** ﴾[2] حيث قال ابن قتيبة : يذرؤكم فيه أي في الزوج .. قال أبو جعفر : كأن المعنى عنده يخلقكم في بطون الإناث ، ويكون قوله « فيه » أي في الرَّحِم ، قال : وهذا خطأ لأن الرحم مؤنثة ، ولم يجر لها ذكر .

والمعنى : أي يخلقكم ويكثركم في الجعل ـــ أي بسبب التوالد ـــ لأنه لما قال : ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ دلَّ على الجَعْل ، كما يُقال : من كذب كان شرًّا يعني الكذب[3] .. إلخ « معاني النحاس » .

(و) كما نراه ينتقد الفراء في قوله سبحانه في سورة الشورى: ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرضِ وما بثَّ فيهما** ﴾[4] حيث يقول : قال الفراء : أراد بثَّ في الأرض دون السماء كما قال سبحانه ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجانُ** ﴾[5] وإنما يخرج من المِلح دون

(١) نفس المرجع السابق ، سورة فصّلت .
(٢) الآية رقم ١١ من سورة الشورى .
(٣) نفس المرجع السابق ، سورة الشورى .
(٤) الآية رقم ٢٩ من سورة الشورى .
(٥) سورة الرحمن ، الآية : ٢٢ .

العـذب .. ولا يكتفـي بانتقـاده بل يقـول : هذا غَلَـطٌ ، ويـروي أبو جعفر عن مجاهد ما يدلُّ على خطأ قول الفـراء فيقـول : رُوِي عن مجاهد ﴿ وما بثَّ فيهما من دابة ﴾[1] يريـد النَّـاسَ والملائكـةَ ، يعني وما نشر وفرَّق في الأرض من الناس ، وفي السماء من الملائكة ، ويُعقِّب على ذلك بقوله : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنه يُقال لكـل حيٍّ دابـة ، من دبَّ فهـو دابٌّ ، والهاء للمبالغـة كما يُقـال : راويـة ، وَعَلَّامة[2] .

- ولو أردنا أن نستـقصي ما انتقـده النحـاس ، وخطَّـأ به آراء من سبقـه من علماء اللغـة ، وأهـل التـفسير ، لطـال بنـا الحديث ، ولكـن ضربنـا بعض الأمثلة ، كنموذج على إمامته في اللغة ، ومعرفته بالغثِّ والسمين من أقـوال المفسريـن ، فهـو يُصوِّب ويُخَطِّـىء ، ويدلِّـل ويُعَلِّـل لما يراه الأرجـح من الأقـوال ، وهـذا يدل على أن أبـا جعفـر النحـاس ذو باع طويـل في علـوم العربية ، وعلى أنه ناقد متمكن ، وبحَّاثة قدير ، جمع بين علوم اللغة وعلوم الدين ، وعلى أنه إمامٌ من أئمة الأدب وأئمة التفسير ، كما قال عنه الحافـظ ابن كثير . وقد اعتمد على كتابه « معاني القرآن الكريم » الإمـام القرطبـي في تفسيره « الجامـع لأحكـام القـرآن » كما يراه القـارىء الكـريم ، ممَّـا ساعدنا في تحقيق المخطوطة الوحيدة .

مؤلفات النحاس

- وللإمام أبي جعفر النحـاس مؤلفـات كثيرة ، ومصنفـات شهيرة في مختلـف

(١) سورة الشورى ، الآية : ٢٩ .
(٢) معاني القرآن الكريم ، سورة الشورى .

أنواع المعرفة ، تزيد على خمسين مصنفاً ، كما ذكره ياقوت في معجم الأدباء ٢٢٨/٤ حيث قال : « وأبو جعفر النحاس ، صاحب الفضل الشائع ، والعلم المتعارف الذائع ، يستغني بشهرته عن الإطناب في صفته ، قال الزُّبيدي عنه : « ولم تكن له مشاهدة ، فإذا خلا بقلمه جوَّد وأحسن ، وكان لايتكبَّر أن يسأل أهل النظر والفقه ، ويفاتشهم عمَّا أشكل عليه في تصانيفه »[1] .

- ثم قال ياقوت :«وصنَّف كتباً حِساناً مفيدة ــ وسمعتُ من يحكي أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً ــ منها :

١ ــ كتاب الأنوار .

٢ ــ كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل .

٣ ــ كتاب معاني القرآن الكريم . وهو هذا التفسير الذي نقوم بتحقيقه .

٤ ــ كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين ، سمّاه « المقنع » .

٥ ــ كتاب أخبار الشعراء .

٦ ــ كتاب أدب الكُتَّاب

٧ ــ كتاب الناسخ والمنسوخ .

٨ ــ كتاب الكافي في النحو .

٩ ــ كتاب صناعة الكُتَّاب .

١٠ــ كتاب إعراب القرآن .

---

(١) انظر كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر الزُّبيدي الأندلسي صفحة (٢٢٠) . ومراده بقوله:« ولم يكن له مشاهدة فإذا خلا بقلمه جوَّد وأحسن » أن قلمه أحسن من لسانه .

١١ــ كتاب شرح السَّبع الطِّوال .
١٢ــ كتاب شرح أبيات سيبويه .
١٣ــ كتاب الاشتقاق .
١٤ــ كتاب معاني الشعر .
١٥ــ كتاب التفاحة في النحو .
١٦ــ كتاب أدب الملوك .

● وأبو جعفر من أهل مصر ، رحل إلى بغداد ، فأخذ عن المبرِّد ، والأخفش عليّ بن سليمان ، ونِفْطَويه ، والزَّجَّاج وغيرهم ، ثم عاد إلى مصر فأُقام بها إلى أن مات »[1] .

وَفاة الإمَام النّحاس

● توفي أبو جعفر النحاس بحادثةٍ عجيبة غريبة ، لا تكاد تصدَّق ، ذكرها المترجمون لحياته ، الذين تحدثوا عنه في كتبهم ومؤلفاتهم ، وهي «أن أبا جعفر النحاس خرج ذات يوم من بيته ، وقصد نهر النيل ، ليستنشق الهواء العليل ، ويُروِّح عن نفسه ، وجلس على درج المقياس على شاطىء النيل ــ وهو في أيام زيادته ــ وأخذ يُقَطِّع بالعروض شيئاً من الشِّعر « مِسْتَفْعِلُن ، فَاعِلُنْ ، فَاعِلَاتُنْ » يريد وزن الشعر ومعرفة بحوره ، فمرَّ به بدويٌّ أحمق ، فسمعه يقول كلاماً غير مفهوم ، فقال : هذا الرجل ساحرٌ يسحر النيل حتى لا يزيد ماؤه ، فتغلو الأسعار ، فجاءه من خلفه ، ورفسه برجله فسقط في النهر فغرق ، ولم يُعثر له على خبر » .

(١) انظر معجم الأدباء ٢٢٤/٤ ــ ٢٢٨ .

- وتكاد تجمع الروايات أن هذه القصة هي سبب وفاته .
- رحم الله الإمام النحاس رحمةً واسعة ، فقد ذهب شهيد علم العروض ، وقاتل الله الجهل فهو سبب نكبة وبلاء العلماء[1] .
- وكانت وفاته رحمه الله سنة ٣٣٨هـ ثمان وثلاثين وثلاثمائة من هجرة سيد المرسلين .

ثناء العلماء عليه

- أثنى على الإمام النحاس علماء فطاحل ، عرفوا قدره وفضله ، وأشادوا بمآثره ومناقبه ، فقد قال عنه الإمام الذهبي : العلامة أبو جعفر إمامُ العربية ، كان يُنظَّر في زمانه بابن الأنباري وبنفطويه للمصريِّين .
- وقال عنه الحافظ ابن كثير : هو الإمام اللغويُّ ، المفسِّرُ ، الأديب ، له مصنفات كثيرة ومفيدة ، في التفسير وغيره ، لقي أصحاب المبرِّد ، سمع الحديث عن النسائي ، وانتفع الناس به وبعلومه .
- وقال عنه الزبيدي : كان واسع العلم ، غزير الرواية ، كثير التأليف ، وإذا خلا بقلمه جوَّد وأحسن ، وله كتب في القرآن مفيدة ، وكان لا يتكبر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر ، عمَّا أشكل عليه في تأليفاته .
- رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

---

(١) ذكر هده الحادثة ابن خَلِّكان في وفيات الأعيان ١٠٠/١ والذهبي في سِيَر أعلام النبلاء ٤٠٢/١٥ وابن كثير في البداية والنهاية ٢٢٢/١١ وأحمد زاده في مفتاح السعادة ٨٣/٢ والصَّفدي في كتابه الوافي بالوفيات ٣٦٢/٧ .

المخطوطة وحيدة

• والمخطوطة التي بين أيدينا ، هي المخطوطة الوحيدة ، التي أمكن العثور عليها في معاني القرآن للإمام النحاس في التفسير ، إذ لا يوجد ـ حسب علمنا واطلاعنا ـ نسخة أخرى لهذه المخطوطة ، فهي من نوادر المخطوطات ، وهي نسخة ملفَّقة أيضاً ، قسمٌ منها قد صُوِّر من دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٣٨٥ وهي النصف الأول من تفسير القرآن الكريم ، إلى نهاية سورة مريم ، وفيها نقصٍ لبعض الآيات من سورة البقرة ، كما في بعض اللوحات طمسٌ وخروم ، ولكنها ـ بحمد الله ـ قليلة ، وخطُّها قديم مقروء وعدد أوراقها ٢٣٨ مزدوجة ، ومتوسط عدد السطور فيها (٢٣) سطراً ، وعددُ كلمات كلِّ سطر في حدود خمس عشرة كلمة .

• أما النصف الثاني من التفسير ، فقد صُوِّر من مخطوطة وحيدة أيضاً بمكتبة كوبريلي بتركيا ، وهي تبدأ من أول سورة الحج ، إلى نهاية سورة الأحقاف؛وقد كتبت بخطٍّ نفيس ممتاز ، في غاية الوضوح والجمال ، تدلُّ على عناية فائقة بكتاب الله العزيز ، في عهد السلاطين والخلفاء العثمانيين ، وقد لاقينا كثيراً من المتاعب والمصاعب في القسم الأول من المخطوطة بشكل خاص ، وفي الكتاب بشكل عام ، بسبب أنها المخطوطة الوحيدة التي بين أيدينا ، ولكنَّ الله عز وجل أعاننا ـ بفضلٍ منه وإنعام ـ على تذليل الصعاب ، ومعرفة أماكن الخطأ ، بكثرة المراجع التي بين أيدينا ، والاهتداء إلى أماكن الصواب فيها ، رحم الله الإمام أبا جعفر النحاس رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، بما قدَّم من خدمةٍ جليلة لكتاب الله العزيز ، وبما أسدى للأمة الإسلامية من معارف وعلوم ، وجمعنا وإياه في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر .

عملنا في هذه المخطوطة

- سلكنا في تحقيق هذه المخطوطة الفريدة الطرق الآتية :

- **أولاً** : التثبت من أقوال السلف بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير كالطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والدر المنثور ، وغيرها من كتب التفسير التي تزيد على ستة عشر مرجعاً .

- **ثانياً** : تخريج الأحاديث الشريفة التي أوردها المصنف ، فقد عملنا على تخريجها من مصادرها في الكتب الستة وغيرها ، وبيَّنا وجه التوافق والتطابق بين لفظ المصنف ، وبين الروايات الثابتة التي ذكرها المحدِّثون ، فقد يورد الشيخ الحديث باللفظ ، وقد يورده بالمعنى ، فنذكر ذلك مع بيان درجة الحديث الشريف .

- **ثالثاً** : الأشعار التي استشهد بها المصنف ، رجعنا إلى دواوين الشعر ، وذكرنا قائلها والمحال التي ذُكرت فيها ، والكتب التي ذكرت فيها هذه الأشعار كشواهد .

- **رابعاً** : بالنسبة لأقوال أئمة اللغة كالزجاج ، والفراء ، والأخفش في تفسير الآيات الكريمة فقد رجعنا إلى كتبهم التي نقل الإمام النحاس عنها ، وأشرنا إلى الأجزاء ورقم الصفحات فيها ، وبالنسبة للمعاني اللغوية رجعنا إلى قواميس اللغة كاللسان ، والصحاح ، وتهذيب اللغة ، والقاموس المحيط ، وتاج العروس .. وغيرها .

- **خامساً** : وضعنا بعض التعليقات الضرورية على بعض الأقوال التي ذكرها المصنف تأييداً أو تفنيداً ، فقد يذكر المصنف رأياً ضعيفاً لا بدَّ من

مناقشته فيه ، وتبيين الوجه الصحيح كما أورد عن مجاهد أن «القردة والخنازير» مسخٌ من بني إسرائيل ، وهذا قول غير صحيح ، ويعارض ما ورد في الأحاديث الصحيحة .

- **سادساً** : وضعنا على الهامش الجانبي أرقاماً للآيات الكريمة التي تناولها المصنف بالدراسة تسهيلاً على القارئ ، كما قمنا بترقيم الآيات حسب المصحف الشريف .

- وهناك وجوه أخرى يراها القارئ الألمعي بثاقب بصره ، مما في هذا التحقيق من جهدٍ لا يكتشفه إلّا من مارس عمل التحقيق بعلمٍ وأمانة ، والله ولي التوفيق .

شكرٌ .. وثناء

- ولا يفوتني وأنا أقدّم هذا المخطوط النفيس ، أن أنوّه بالجهد المشكور الذي توليه الجامعة لهذا المعهد الفتي « معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي » من عناية فائقة ، ورعاية خاصة ، وقد تولّى عمادته الأخ الشاب الطموح الدكتور حمزة الفعر ، الذي يولي المعهد كل اهتمام وتشجيع للوصول به إلى الغاية المنشودة .

- كما نشكر الأخ الكريم الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الذي تولى رئاسة مركز إحياء التراث الإسلامي على جهوده في خدمة المركز ، ورفع مستواه ، وحرصه على إخراج تلك الكنوز الدفينة إلى عالم الوجود من آثار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، فإن العناية بالتراث الإسلامي من أوجب الواجبات في هذا الزمان .

- ولا أنسى أن أخصَّ أخي الدكتور « عبد الرحمن العثيمين » مدير المركز السابق الذي دلني على هذا المخطوط ، وشجعني على تحقيقه ، وكان له الفضل في ظهور هذا الكتاب ، حيث خصني بالمخطوطة النادرة التي كان يمتلكها لنفسه ، وهي مخطوطة تركيا التي أكملَتْ القسم الأخير من الكتاب الموجود في المركز ، وهي المخطوطة المصورة من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، فله جزيل الشكر والثناء .

- وفي الختام نتقدم لجميع العاملين في الجامعة بالشكر الجزيل ، والثناء العاطر ، لرعايتهم لهذا المعهد الفتي الذي يسعى لإحياء تراثنا الإسلامي ، وعلى رأس العاملين معالي مدير الجامعة الأخ الدكتور راشد الراجح الذي سعى لتوحيد المراكز العلمية بالجامعة في هذا المعهد الكبير .

- والله نسأل أن يبارك في جهود العاملين المخلصين ، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خدمة العلم والدين ، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، إنه هو البر الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه
خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني
مكة المكرمة - جامعة أم القرى

مراجع ترجمة النحاس

١ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان	٩٩/١
٢ ــ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي	٣٤٦/٢
٣ ــ سِيَر أعلام النبلاء للذهبي	٤٠١/١٥
٤ ــ الوافي بالوفَيَات للصفدي	٣٦٢/٧
٥ ــ إنباه الرواة للقفطي	١٠٢/١
٦ ــ معجم الأدباء لياقوت	٢٢٤/٤
٧ ــ النجوم الزاهرة للأتابكي	٣٠٠/٣
٨ ــ حسن المحاضرة للسيوطي	٣٠٦/١
٩ ــ نزهة الألباء للأنباري	٢١٨
١٠ ــ البداية والنهاية لابن كثير	٢٢٢/١١
١١ ــ بغية الوعاة للسيوطي	٣٦٢/١
١٢ ــ طبقات النحويين للأندلسي	٢٢٠
١٣ ــ مفتاح السعادة كبري زادة	٨٣/٢
١٤ ــ اللباب في تهذيب الأنساب للجزري	٣٠٠/٣
١٥ ــ الأعلام للزركلي	١٩٩/١
١٦ ــ إعراب القرآن تحقيق زهير زاهر	١١/١
١٧ ــ الأنساب للسمعاني	٤٤/١٣



صورة عن لوحة غلاف نسخة دار الكتب المصرية برقم ٣٨٥ تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي

قال الحمد لله الذي من علينا بالهدى [illegible] من الضلالة

وأرشدنا إلى سبيل النجاة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

المرتضى وعلمنا ما لم نكن نعلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

على خلقه بما بين فيه [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

من الأمم العربية [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن [illegible]

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره

كالأعرابي يهذ الشعر [illegible] فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني والغريب

وأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة [illegible]

[illegible] من العلماء [illegible]

[illegible] من القرآن ما يحتاج إلى تفسير معناه [illegible]

[illegible] من الإعراب وما احتج به العلماء في مسائل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سورة الحمد وهي مكية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أبي ذئب عن المقبري [illegible]

صورة عن اللوحة الأولى لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٨٥ تفسير وفيها طمس لبعض الكلمات .

صورة عن اللوحة الثانية لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٨٥ تفسير

[illegible]

تم الجزء الأول وصلى الله على خير خلقه محمد نبيه وعلى آله وسلم

صورة عن اللوحة الأخيرة لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٨٥ تفسير

أخبرنا الشيخ الإمام [illegible] قال أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي المصري رحمه الله
أبو الحسن علي بن محمد ... قال أخبرنا أبو ... أحمد ... قال أخبرنا أبو جعفر النحاس

بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا رب

سورة الحج

قال أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد سألت ابن عباس فقال سورة الحج
نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها فإنهن نزلن بالمدينة في ستة
نفر من قريش ثلاثة منهم مؤمنون وثلاثة كافرون فأما المؤمنون
فهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحرث رضي الله
عنهم دعاهم للبراز عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة
فأنزل الله جل وعز ثلاث آيات مدنيات وهن هذان خصمان اختصموا
في ربهم إلى تمام الآيات الثلاث من ذلك قوله جل وعز يا أيها الناس
اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم روى سفيان عن منصور عن
إبراهيم عن علقمة قال هو قبل يوم القيامة ثم قال جل وعز يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تسلو عنه وتتركه وتحير
لصعوبة ما هي فيه وبين الله جل وعز ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه
في أي موطن يكون هو يوم القيامة حدثنا أحمد بن عبد الخالق قال
حدثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدي قال حدثني أبي قال حدثنا عاصم بن طلق
عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه في حجري فقطرت دموعي على خده فاستيقظ

صورة عن اللوحة الثانية لنسخة مكتبة أورخان غازي رقم ٣٥٠ بمدينة بورسه بتركيا وهي بخط نفيس

تفسير النحاس هو ابو جعفر بن محمد النحوي المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وقصد في الاعراب كتبي ذكر القراءات التي يحتاج الى ان يبين اعرابها والعلل فيها وما يحتاج فيه من المعاني من اساني كتب

صلى الله عليه فقال ما يبكيك فقلت ذكرت القيامة وهولها فهل
تذكرون أهاليكم يا رسول الله فقال يا عائشة ثلاثة مواطن
لا يذكر فيها إلا نفسه عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم
يثقل وعند الصحف حتى يعلم ما في صحيفته وعند الصراط حتى
يجاوزه. وقوله جل وعز وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
أي وترى الناس سكارى من العذاب والخوف وما هم بسكارى
من الشراب وقرأ أبو هريرة وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وتُرى الناس
أي تظنهم لشدة ما هم فيه حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة
قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وأبان عن أنس بن مالك
قال نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم
إلى قوله ولكن عذاب الله شديد قال نزلت على النبي صلى الله عليه
وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال أتدرون
أي يوم هذا هذا يوم يقول الله جل وعز لآدم يا آدم قم فابعث بعث
أهل النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى
الجنة فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه سددوا وقاربوا
وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب
البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة. وإن معكم لخليقتين ما كانتا

صورة عن اللوحة الأولى لنسخة مكتبة أورخان غازي رقم ٣٥٠ بمدينة بورسه بتركيا وهي بخط نفيس

ابن مسعود قال هي القرع وقال مجاهد هي كل شجرة على وجه
الارض لا ساق لها قال ابو جعفر وهذا الذي قاله مجاهد هو الذي
تعرفه العرب يقع للقرع والحنظل والبطيخ ولكل ما لم يكن
على ساق وكان اشتقاقه من قطن بالمكان اي اقام به وانشد
سيبويه قواطنا مكة من ورق الحمى ثم قال
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال ابو جعفر في معنى او اربعة
اقوال قال ابو عبيدة والفراء هي بمعنى بل وهذا خطا عند
اكثر من النحويين الحذاق ولو كان كما قالا لكان الى
اكثر من مائة الف واستغنى عن او ولا يجوز ان يقع الغلط ولا
النسيان في كتاب الله تعالى وقال القتبي او بمعنى الواو وهذا
ايضا خطا لان فيه بطلان المعاني وقيل او للاباحة وقال محمد
ابن يزيد او على بابها والمعنى ارسلناه الى جماعة لو رايتموهم لقلتم
مائة الف او اكثر وروى عن ابن عباس قال ارسل الى مائة
الف وثلاثين الفا قال ابو مالك اقام في بطن الحوت اربعين
يوما قال ابن طاوس انبت الله عليه شجرة من يقطين وهي الدبا
وكانت تظله من الشمس وياكل منها فلما سقطت بكى عليها
فاوحى الله جل وعز اليه اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف او

صورة عن لوحة رقم ٢٦٦ لنسخة أورخان غازي بمدينة بورسه بتركيا وهي بخط نفيس وهي نسخة وحيدة

عن أنس قال نباته فروخه قال أبو عبيدة يقال أشطأ الزرع إذا أخرج
فراخه قال الفراء الحبة تخرج العشر والسبع والثماني من السنبل
ثم قال جل وعز فآزره قال مجاهد أي شدده أعانه وقال الضحاك
هم أصحاب النبي صلى الله عليه كانوا قليلا فكثروا وضعفاء
فقووا ثم قال فاستغلظ فاستوى على سوقه جمع ساق يعجب
الزراع مثل ليغيظ بهم الكفار قال قتادة أي ليغيظ محمد صلى
الله عليه وأصحابه الكفار ثم قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما يجوز أن يكون من هاهنا
لبيان الجنس كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ويجوز أن يكون
للتبعيض أي وعد الله الذين ثبتوا على الإيمان منهم مغفرة وأجرا عظيما

آخر السورة والحمد لله وحده

وهو آخر المجلد الثالث ويتلوه في الذي يليه إن شاء الله
وبه العون والقوة سورة الحجرات

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله وصحبه وسلم

سمع جميع هذا المجلد وما قبله بعض على الشيخ [illegible]
أبو الفضل محمد بن ناصر محمد [illegible]
الشيخ العالم أبي الفضل أحمد صالح بن شافع الجيلي [illegible]
[illegible]
والفضل مسعود [illegible] على عبد الله [illegible]

صورة من اللوحة الأخيرة لنسخة مكتبة أورخان غازي برقم ٣٥٠ بمدينة بورسه بتركيا وهي بخط نفيس ، وقد كُتب على هامش الصفحة الأخيرة : جُعل وقفاً لمكتبة أورخان غازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مُقدِّمة

أخبرنا أبو جعفر أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ النَّحـوِي[المعروف بالنحَّاس] قال : « الحمد للهِ الذي مَنَّ علينا بهدايتِهِ ، واستنقَذَنا من الضلالـةِ بشريعتـهِ[1] وأرشَدَنا إلى سبيل النَّجـاةِ بنبيِّـهِ صلَّى الله عليـه وسلـم ، ووَفَّقَنـا[لانتهاجِ سَبِيلِه] المرتَضَى ، وعلَّمنا ما لم نكنْ نعلـمُ ، من كتابـهِ الـذي جَعَلـه فَرْقـاً[2] بيـنَ الحقِّ [والباطِل]، وأَذَلَّ به الجَاحِدِينَ عند عجزهِـمْ عن الإتيـانِ بسورةٍ مثلِـهِ ، وجعلـه الشِّفَاءَ والحُجَّةَ على خَلْقِهِ ، بما بيَّـن فيـه ، فقـال جلَّ وعـزّ : ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[3] وقـال : ﴿ **قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾[4] وقـال : ﴿ **وَهَـٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا** ﴾[5] .

---

(1) يوجد نقصٌ في المقدمة لبعض الكلمات التي سقطت تدرك من السياق وهي مابين المعكوفين .

(2) يعني فارقاً بين الحقّ والباطل ، قال في الصحاح : فرقتُ بين الشيئين أفرقُ ، فَرْقـاً ، وفُرْقَانـاً .

(3) الشعراء آية رقم ١٩٥ والمراد باللسان : اللغة أي أنزلناه بلغةٍ عربيةٍ واضحة .

(4) الزمر آيـة رقـم ٢٨ ومعنـى ﴿ غير ذي عوج ﴾ أي لا اختـلاف فيـه بوجـهٍ من الوجـوه ، ولا تعارض ولا تـناقض .

(5) الأحقاف آيـة رقـم ١٢ وتمامهـا ﴿ لِيُنْـذِرَ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِيـنَ ﴾ أي مصدِّق للكتب السماوية التي سبقته ، وهو بلسانٍ عربي فصيح واضح .

فدلَّ على أن معانيه إنما وردتْ من اللغة العربيـة . وقـال ﷺ : «أَعْرِبُوا القرآنَ والتمسوا [غَرَائِبَه]»[1] .

وروى سعيـد بن جبير عن ابـن عبـاس قال : «الـذي يقـرأُ القـرآنَ ولا يُحْسِنُ تفسيرَه ، كالأعرابي يَهُذُّ الشِّعْرَ هَذًّا»[2] .

فقصدتُ في هذا الكتاب تفسيرَ المعاني ، والغريبَ ، وأحكـامَ القـرآن ، والنَّـاسِخ والمنسوخ عن المتقـدمين من الأئمـة ، وأذكـرُ من قول الجِلَّـــة[3] من العلماء باللغة ، وأهلِ النَّظَر مـا حضرني ، وأُبَيِّنُ من تصريِف الكلمةِ واشتقاقها ـ إن علمتُ ذلك ـ وآتي من القـراءات بما يحتـاج إلى تفسير معنـاه ، ومـا احتـاجَ

(١) الحديث أخرجه ابـن أبي شيبـة ، والحاكم في المستـــدرك ، والبيهقـــي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ، وهو ضعيف ، قال العراقي : سندُه ضَعيفٌ ، وقال الهيثمي فيه متروك .
وقال الحاكم : صححه جماعة ، وردَّ هذا القول الذهبـي وقـال : مجمـعٌ على ضعفـه ، وانظـر فيض القدير للمناوي ٥٥٨/١ ومعنى قوله « أعربـوا القرآن » أي تعرفوا على ما فيه من بدائـع العربيـة ودقائقهـا وأسرارهـا ، وليس المراد الإعـراب المصطلـح عليـه عنـد النحـويين « والتمسوا غَرَائِبَهُ » أي اطلبوا ألفاظه التـي تحتـاج إلى البـحث عنها في اللغـة ، لتفهمـوا أسراره ، وتدركـوا مقاصده ، فإن القرآن إنما نزل بأساليب العرب ، وعلى نهجهم في الكلام .

(٢) الأثـر ذكـره الطبري عن سعيـد بن جبير ٣٦/١ بلفـظ «مـن قرأ القـــرآن ثم لم يفسِّره ، كـان كالأعمى أو كالأعـرابي» وحكاه أبـو حيـان في البحـر ١٣/١ وابـن الأثير في النهايـة عن ابـن مسعـود قال له رجـل : قرأتُ المفصَّل اللَّيلـة ، فقـال : أَهَذًّا كهـذِّ الشِّعـر ؟ أراد أتهذُّ القـرآن هذّا ، فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ؟ قال : والهذُّ : سـرعة القطـع . النهـاية لابـن الأثير ٢٥٥/٥ .

(٣) الجِلَّة : العلماء الأجلاء ، قال في الصحاح : والجلَّـة : جمع جليـل ، مثـل صبـيٍّ ، والجليـلُ : العظيـمُ ، ومَشْيَخَـةٌ جِلَّـةٌ أي مَسَانٌّ ، وجـلال الله : عظمتُـه ، وانظـر الصحـاح ١٦٥٨/٤ ، والمصباح المنير مادة جَلَل .

إليه المعنى من الإِعرابِ ، وبما احتجَّ به العلماءُ في مسائلَ سأل عنها المجادلون[1] ، وأبيِّنُ ما فيه حذفٌ ، أو اختصارٌ ، أو إطالةٌ لإفهامه ، وما كان فيه تقديمٌ أوتأخيرٌ ، وأشرحُ ذلك حتَّى يتبيَّنه المتعلِّمُ ، وينتفعَ به كما ينتفعُ العالم بتوفيقِ اللهِ وتسديده .

فأوَّلُ ذلك :

---

(١) العبارة في المخطوطة ليست واضحة ، فتحتمل أن تكون « المجادلون » وأن تكون « المحدِّثون » وقد اخترنا الأولى لعمومها ، مع أن هناك اعتراضات أوردها بعض المحدِّثين على التفسير ، ووفَّق الشيخ بين ما وَرَد في الآية الكريمة وما ورَدَ في الحديث الشريف ، والله أعلم بالحقيقة ، لأنه لايوجد نسخة ثانية للمخطوطة ، فلا بدَّ في مثل هذا الأمر من الاجتهاد ، وتوجد كلمات مطموسة يراها القارئ في صور بعض اللوحات ، ونسأل الله التوفيق والسَّداد .

تفسير سورة الفاتحة

مكية

وآياتها سبع باتفاق

سُورَةُ الحَمْد

وهي مكيَّةٌ على قول ابن عبَّاس(١) .

وقال مجاهد : هي مدنيَّةٌ(٢) .

اعلمْ أنَّ لها أربعةَ أسماءٍ هي : [سورة الحمد](٣) و « فاتحَـةُ الكِتَـابَ » و « أمُّ القُـرآنِ » وهـذا روي عن النبي ﷺ من حديث عمـر ، وعلي ، وابـن عباس(٤) .

ورَوَىٰ ابنُ أبي ذئب عن المقبريِّ ، عن أبي هريـرةَ عن النبـي ﷺ قال :

---

(١) قول ابن عباس إن السورة مكيـة ، هو المشهـورُ والراجـح ،وهو مروي أيضاً عن علي، والحسن ، وأبي العالية ، وقتادة ، وقـد أخـرج الواحـدي في أسبـاب النـزول ص ١٢ عن علي رضي الله عنـه قال : « نزلتْ فاتحةُ الكتاب بمكة من كنزٍ تحت العرش » الدر المنثور للسيوطي ٢/١ وانظـر زاد المسير لابن الجوزي ١٠/١ .

(٢) القول بأنها نزلت في المدينة ، ذكره ابن أبي شيبة ، والطبراني في الأوسط عن مجاهد ، وانظـر الـدر المنثور ٣/١ وهو قول مرجوح ، قال القرطبي ١١٥/١ : اختلفوا أهي مكية أم مدنية ، فقال ابن عباس وقتادة مكية ، وقال مجاهد وعطاء : مدنيـة ، والأول أصح لقولـه تعـالى : ﴿ ولقـد آتينـاك سَبْعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ والحجر مكية : بإجماع .

(٣) سقط من المخطوطة لفظ « سورة الحمد » ولم يذكر المصنف إلا ثلاثة أسماء ، وقد أثبتناها من الدر المنثـور ٣/١ وجامـع الأحكـام للقرطبـي ١١١/١ قال : لأن فيها ذكـر الحمـد كما قال : سورة الأعراف ، والأنفال ، والتوبة .

(٤) أخرجه الدارقطني والبيهقـي في السنـن مرفوعاً بلفـظ « إذا قرأتم الحمـد فاقرءوا بسم الله الـرحمن الرحيم ، إنها أُمُّ القرآن ، وأمُّ الكتاب ، والسَّبْعُ المثاني .. » الدر المنثور ٣/١ وأخرجه أبـو داود في الصلاة رقـم ٤٥٧ والترمـذي في التـفسير برقـم ٣١٢٣ بلفـظ « الحمـد لله رب العالمين »، أمُّ القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

« فاتحة الكتابِ هي السَّبْعُ المَثانِي »[1] .

والاسم الرابع أنه يقال لها:« السبعُ من المثاني »[2] رَوَى ذلك سفيانُ عن السُّدِّي ، عن عبدِ خَيْرٍ عن عليٍّ رضي الله عنه .

ورَوَى إسماعيلُ بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه،عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ عليه : « أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ » فاتحة الكتابِ ، فقال : « والذي نفسي بيدِهِ ، ما أُنزِلَ في التَّوراةِ ، ولا في الإِنجيل ، ولا في الزَّبورِ ، ولا في الفُرقانِ مثلُها ، إنها السَّبْعُ من المَثاني ، والقرآنُ العظيم الذي أُعْطِيتُه »[3] .

وقيل لها : فاتحةُ الكتابِ ، لأنه يُفْتَتَحُ بها المصحف ، ويُفْتتح بها القرآنُ [وتُقرأ] في كلِّ ركعةٍ[4] .

وقيل لها : « أمُّ القرآنِ » لأن أمَّ الشَّيْءِ ابتداؤُهُ وأصلُه[5] ، فسمِّيت

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٤٨ وابن مردويه ، ولفظه أنه ﷺ قال عن أمّ القرآن:« هي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » الدر المنثور ١/٣ .

(٢) هذا موافق لقوله تعالى في سورة الحجر:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقرآنَ العظيمَ ﴾ .

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند ٢/٣٥٧ وأخرجه الترمذي برقم ٢٨٧٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم صحَّحه ، بألفاظ متقاربة ، وبأوسع منه ، وانظر الحديث بطوله في جامع الأصول في أحاديث الرَّسول ، لابن الأثير الجزري ٨/٤٦٧ و ٤٦٨ .

(٤) قال ابن جرير ١/٤٧ : وسميت « فاتحة الكتاب » لأنها يفتتح بكتابتها المصاحفُ ، ويقرأ بها في الصلوات ، وذكر القرطبي في جامع الأحكام لهذه السورة اثني عشر اسماً .

(٥) قال الجوهري في الصّحاح ٥/٨٦٢ أمُّ الشيء : أصله ، ومكَّةُ أمُّ القُرى ، والأمُّ الوالدةُ ، والجمعُ أمّاتٌ وأمَّهاتٌ ، وقيل : الأمّهات للناس ، والأمّات للبهائم ، وأصل الأمِّ أمَّهة لذلك تُجمع على أمهات ، قال قُصَيّ :

« أُمَّهَتِي خِنْدِفُ والْيَاسُ أبي » .

بذلك لابتدائهم لها في أول القرآن فكأنها أصلٌ وابتداء ، ومكة « أمُّ القُرَى » لأن الأرض دُحِيتْ من تحتها[1] .

وقال العَجَّاجُ : « مَا فِيهِمُ مِنَ الكِتَابِ أُمُّ »[2] أي أصلٌ من الكتاب .

ورَوَى : إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هُريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ عليه أُبَيٌّ فاتحة الكتاب فقال : « والَّذِي نَفْسي بيدِهِ ، ما أُنْزِلَ في التَّوراةِ ، ولا في الإنجيلِ ، ولا في الزَّبورِ ، ولا في الفُرْقَانِ مثلُها ، إنَّها السَّبْعُ من المثاني ، والقرآنُ العظيمُ الَّذي أُعْطِيتُه »[3] .

وقيل لها : السَّبْعُ المثاني لأنها سبعُ آيات ، تُثْنَى[4] في كل ركعةٍ ، من ثَنيتُه إذا رَدَدْته

وفي هذا قولٌ آخرُ غريبٌ ، وله إسناد حسن قويٌّ ، عن جعفر بن محمَّد الفَارَيَابِيٌّ[5] ، عن مُزَاحِم بن سَعِيدٍ قال : حدَّثنا ابنُ المبارِكِ ، قال : حدثنا

---

(١) قال في اللسان مادة أمم : « وأمُّ القرى » مكة شرَّفها الله ، لأنها توسطت الأرض — فيما زعموا — وقيل : لأنها قبلةُ جميع النَّاس يَؤُمُّونها ، وقيل : سُمِّيت بذلك لأنها كانت أعظم القرى شأناً . اهـ .

(٢) هذا من أرجاز العَجَّاج ، وهو في ديوانه ص ٤٢٦ :

خَوَادِيَا أَهْوَنُهُنَّ الأُمُّ ... مَا فِيهِمُ مِنَ الكِتَابِ أُمُّ

يريد أنهم يضربون ضرباً منكراً على الرأس ، وليس لهم أصلٌ لأنهم كلهم طَغَام ، والأَمُّ ، الضرب على الرأس .

(٣) الحديث تقدَّم قريباً وذكرنا تخريجه ، فارجع إليه في الصفحة قبله .

(٤) في المصباح المنير : ثنيتُ الشيء أَثْنِيه ثنياً من باب رَمَى : إذا عطفته ورددته ، وثنيتُه عن مرادِهِ : إذا صرفته عنه .

(٥) في الأنساب ٤٠٦/٢ : الفَارَيَابِي بفتح الفاء وسكون الألف وفتح الراء والياء المثناة .

ابنُ جُريج ، قال : أخبرني أبي أنَّ سعيــدَ بن جُبَير أخبره ، قال : قلتُ لابــنِ عبَّاس : ما المَثَاني ؟ قالَ : هي أمُّ القُرآن ، استثناها الله تعالى لأمةِ محمـد ﷺ في أُمِّ الكتابِ ، فادَّخرهَا[1] لأمة محمد ﷺ حتى أخرجها لهم ، ولم يعطهـا أحـداً قبـل أمَّة محمد ﷺ[2] .

وقيـل : إن من قال : السبــع من المثـــاني ، ذهب إلى أن مِنْ زائــدة للتوكيد ، وأجودُ من هذا القول أن يكون المعنى أنها السبع من القـرآن الـذي هو مثانٍ[3] .

تفسير البسملة

وممَّا قصدنا له قوله عز وجل : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال أكثر الـــبصريين : المعنـــى : أولُ ما أَفتَتِـــحُ بـ « بسم اللهِ » وأوَّلُ كلامي « بِسْمِ اللهِ »[4] .

---

(١) ذكر هذا المعنى القرطبي في جامع الأحكـام ١/١١٢ ولفظـه : من أسمائهـا المثـاني سميت بذلك لأنها تثنَّى في كل ركعة ، وقيـل : سميت بذلك لأنها استُثْنِيَت لهذه الأمـة ، فلـم تنـزل على أحـدٍ قبلها ذخراً لها .

(٢) ورد هذا الأثر عن ابن عباس في جامع البيـان للـطبري ١٤/٥٧ بسنـده عن ابـن جريج عن أبيـه عن سعيد بن جُبير ، وذكره النيسابوري في غرائب القـرآن ١/٨٠ بالمعنـى . وذكـره الألـوسي في روح المعاني ١/٣٨ .

(٣) انظر تحقيق القول في جامع البيان للطبري ١٤/٥٩ وما رجحه الإمام ابن جرير رحمه الله .

(٤) قال الطبري ١/٥٠ معنى قول القائل : بسم الله الـرحمن الـرحيم أي أقـرأ باسم الله ، وأقـوم باسم الله ، وأقعد باسم الله ، وكذلك سائر الأفعال ، فقولـه ينبـئ عن مراده . اهـ. وعلى هذا تكـون الجملة متعلقة بفعل محذوف مقدّر يناسب المقام . اهـ. وقال القرطبي : معنى قولـه « بسم الله » يعني بدأتُ بعون الله وتوفيقه وبركته ، وهذا تعليم من الله عبـاده ليذكـروا اسمه عنـد افتتـاح القـراءة وغيرها ، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل .

قال سيبويه[1] : معنى الباء : الإلصاق[2] .

قال الفراء[3] : موضعُ الباءِ نَصْبٌ ، والمعنى : بدأتُ باسمِ اللهِ ، وأبدأُ باسم الله[4] .

وفي اشتقاق « اسم » قولان :

أحدهما : من السُّمُوِّ ، وهو العُلُوِّ ، والارتفاعُ ، فقيل : اسمٌ لأَنَّ صاحبَه بمنزِلة المرتفِع بِهِ .

وقيل : وهو من وَسَمْتُ ، فقيل : اسمٌ لأنَّه لصاحبه بمنزلة السِّمَةِ ، أي يُعْرفُ به .

والقول الثاني خطأ ، لأنَّ السَّاقطَ منه لامُه ، **فصحَّ** أنَّه من سَمَا يَسْمُو[5] .

---

(١) سيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر ، فارسيُّ الأصل ، إمام النحاة . توفي سنة ١٨٠هـ عن نيِّف وأربعين سنة ، وانظر ترجمته في معجم البلدان ١٠/٨ والأعلام للزركلي ٢٥٢/٥ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ٢١٧/٤ ومغني اللبيب لابن هشام ٩٥/١ فقد قال : الباء للإلصاق وهو معنى لا يفارقها ، ولهذا اقتصر سيبويه عليه ، ثم الإلصاقُ حقيقي كأمسكتُ بزيد إذا قبضتُ على شيء من جسمه ، ومجازي كمررت بزيد ، وانظر معاني القرآن للزجاج ٣/١ فقد وضح فيه مذهب سيبويه .

(٣) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، إمام الكوفة في النحو واللغة ، صاحب كتاب « معاني القرآن » المتوفى سنة ٢٠٧هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٧٨/٩ .

(٤) اختلف علماء اللغة في الباء هل دخلت على معنى الأمر ؟ والتقدير : أبدأ باسم الله ، أو على معنى الخبر ؟ والتقدير : ابتدأت باسم الله قولان : أحدهما للفراء ، والثاني للزجاج ، « فبسم » في موضع نصب على التأويلين . اهـ. القرطبي ٩٩/١ .

(٥) قال في المصباح المنير : الاسم من السموّ وهو العلوّ ، والدليل عليه أنه يردُّ إلى أصله في التصغير ، وجمع التكسير ، فيقال : سُمَيٌّ ، وأسماء ، وذهب بعض الكوفيين إلى أن أصله =

قال أحمد بن يحيى[١] : يُقال : سِمٌ ، وسَمٌ ، ويُقال : إسْمٌ بكسر الألف ، ويُقال : بضمِّها .

فمن ضمَّ الألف أخذه من سموتُ أسمو .

ومن كسر أخذه من سَمَيْتُ أسمي[٢] .

قال الكسائي والفَرَّاءُ : معنى « بسم اللهِ » باسم الإله ، وتركوا الهمزة وأدغموا اللَّام الأولى في الثانية ، فصارت لاماً مشدَّدة ، كما قال جلَّ وعز ﴿ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾[٣] ومعناه : « لَكِنْ أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي » كذلك قرأها الحسن[٤] .

ولسيبويه في هذا قولان :

أحدهما : أن الأصل إلهٌ ، ثم جيء بالألف واللام عوضاً من الهمزة ، وكذلك الناسُ عنده الأصلُ فيه أُناسٌ[٥] .

= وَسَمَ ، لأنه من الوسم وهو العلامة ، فحذفت الواو وعُوِّض عن الهمزة ، قالوا : وهذا ضعيف . اهـ.

(١) « أحمد بن يحيى » هو ثعلب هو إمام الكوفيِّين في النحو واللغة ، أبو العباس ، المعروف بثعلب ، المتوفى سنة ٢٩١هـ ، وانظر تذكرة الحفاظ ٢/٢١٤ والأعلام ١/٢٥٢ .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١/١٠٠ قال : وفيه أربع لغات : إِسْمٌ بالكسر ، واسْمٌ بالضم ، وسِمٌ ، وسُمٌ ، وأنشدوا :

والله أَسْمَاكَ سُمًى مُبَارَكا ... آثَرَكَ اللهُ بِهِ إيثَارَكَا

(٣) سورة الكهف آية ٣٨ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/١ .

(٤) هذه قراءة أُبيّ بن كعب والحسن ، وهي من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢/٢٩ .

(٥) تفسير القرطبي ١/١٠٢ واللسان مادة « إله » .

والقول الآخر : هو أيضاً قول أصحابه ، أن الأصل لَاهٌ ، ثم دخلت عليه الألفُ واللامُ ، وأنشدوا :

لَاهِ ابنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي(١)

ويُسأَل عن التكرير في قوله عز وجل : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

فرُوي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ اسمان رقيقان ، أحدهما أرقُّ من الآخر ، فالرحمنُ الرَّقيقُ ، والرَّحيمُ العاطفُ على خلقه بالرزق(٢) .

قال محمد بن كعب القُرَظي : « الرَّحمنُ » بخلقه « الرحيم » بعباده فيما ابتدأهم به ، من كرامته ، وحُجَّته(٣) .

---

(١) البيت لذي الإصبع العُدْواني ، من قصيدة مطلعُها :

يا مَن لِقَلْبٍ شَدِيدِ الهَمِّ مَحْزُونِ ... أَمْسَىٰ تَذَكَّر « رَيَّا » أُمَّ هَارُونِ

وهو من شواهد المغني ٤٣٠/١ وفي الأغاني ٩٩/٣ وخزانة الأدب ١٧٣/٧ وابن عقيل ٢٤٢/١ والأمالي ٩٣/١ وابن الشجري ٣٦٣/١.وجامع الأحكام للقرطبي ١٠٢/١ والشاهد فيه « لَاهِ » أي للهِ ابن عمك .

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس كما في الدر المنثور للسيوطي ٩/١ وذكره ابن جرير في جامع البيان ٥٧/١ ورجَّح أن « الرحمن » و « الرحيم » ليسا بمعنى واحد ، فالرحمن فيه زيادة معنى على قوله « الرحيم » في اللغة ، فالرحمنُ الموصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه ، والرحيمُ الموصوف بالرحمة لعباده المؤمنين ، وذكر القرطبي عن ابن عباس ١٠٥/١ قال : هما اسمان رقيقان ، أحدهما أرقُّ من الآخر أي أكثر رحمة .

(٣) على هذا القول لا يكون ثمة تفريق بين لفظ « الرحمن » و « الرحيم » ويكون للتأكيد ، وهذا خلاف ما رجحه الطبري ، وخلاف المشهور عند علماء اللغة .

وقال عطاء الخراساني : كان الرحمن ، فلما اختزل الرحمنُ من أسمائه صار « الرحمن الرحيم »[1] .

وقال العَرْزَمِيُّ[2] : « الرحمن » بجميع الخلق « الرحيم » بالمؤمنين[3] .

وقال أبو عبيدة : هما من الرحمة . كقولهم : ندمان ونديم[4] .

وقال قطرب[5] : يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد . وهذا قولٌ حسنٌ ، وفي التوكيد أعظم الفائدة ، وهو كثير في كلام العرب ، يستغني عن الاستشهاد[6] .

---

(١) وضَّح هذا الإمام الطبري في جامع البيان ٥٧/١ فقال : مراده أن « الرحمن » كان من أسماء الله تعالى التي لا يتسمَّى بها أحد من خلقه ، فلما تسمَّى به « مسيلمة الكذاب » وهو اختزاله إياه يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه ، أخبر جلَّ ثناؤه أن اسمه « الرحمن الرحيم » ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمى بأسمائه . اهـ.

(٢) العَرْزَمِيُّ : هو عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة العَرْزَمِيُّ ، صَدُوقٌ من الطبقة الخامسة توفي سنة ١٤٥ وانظر تقريب التهذيب ٥١٩/١ وقد ذكره الطبري في جامع البيان ٥٥/١ بلفظ « العَرْزَمِي » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه كما نصَّ عليه ابن حجر في التقريب .

(٣) يريد أن لفظ « الرحمن » يشمل جميع الخلق ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وأن « الرحيم » خاصٌّ بالمؤمنين ، ففي الآية عموم وخصوص من وجه ، وهذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ٥٦/١ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١/١ فاللفظان عنده بمعنى واحد كما يُقال : نديم وندمان ، وقد ردَّه ابن جرير وبيَّن ضعفه .

(٥) قُطْرب : هو محمد بن المستنير البصري « أبو علي » المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦هـ وهو لغوي نحوي أخذ النحو عن سيبويه انظر وفيات الأعيان ٦٢٥/١ ومعجم المؤلفين ١٥/١٢ .

(٦) هذا القول مرجوح أيضاً ، وجمهور المفسرين على التفرقة بينهما ، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة الشاملة للمؤمن والكافر ، والبرِّ والفاجر ، و « الرحيم » خاصٌّ بالمؤمنين كما قال سبحانه « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » وانظر البحر المحيط لأبي حيان ١٧/١ .

والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد[1] : إنه تفضّلٌ بعد تفضّلٍ ، وإنعامٌ بعد إنعام ، وتقويةٌ لمطامع الداعين ، ووعدٌ لا يخيب آمله[2] .

وقول العَرْزَمِيِّ أيضاً حسن ، لأنَّ « فَعْلَان » فيه معنى المبالغة[3] ، فكأنه ــ والله أعلمُ ــ الرحمنُ بجميع خلقه ، ولهذا لم يقع إلَّا للَّهِ تعالى ، لأن معناه : الذي وسِعت رحمتُه كلَّ شيءٍ .

ولهذا قُدِّم قبل « الرحيم » .

وصار « الرحيمُ » أولى من الراحم ، لأن « الرحيم » ألزمُ في المدح ، لأنه يدل على أن الرحمةَ لازمة له ، غيرُ مفارقةٍ ، والرَّاحمُ يقع لمن رحمَ مرَّةً واحدة[4] .

---

(١) محمد بن يزيد هو أبو العباس المشهور بالمبرّد ، المتوفى سنة ٢٨٦هـ وهو من كبار علماء اللغة ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٥/٨ .

(٢) انظر المقتضب للمبرد ٢٢١/٣ .

(٣) هذا هو المشهور عند علماء اللغة ، أن « الرحمن » جاء على صيغة « فعلان » وهذه الصيغة تفيد المبالغة كما تقول : فلانٌ غضبان ، وعطشان ، وسكران ، للذي اشتدَّ غضبه ، واشتدَّ عطشه ، وأكثر من شرب الخمر حتى غلب على عقله ، فالرحمن كما قال أبو علي الفارسي : اسم عام في جميع أنواع الرحمة ، يختصُّ به الله سبحانه ، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين ، قال في البحر ١٦/١ : الرحمن أكثر مبالغة ، كان القياس الترقّي كما تقول : عالمٌ نِحْريرٌ ، وشجاعٌ باسلٌ ، لكنْ أردف الرحمن ــ الذي يتناول جلائل النعم وأصولها ــ بالرحيم ، ليكون كالتَّتِمة والرديف ، ليتناول ما دقَّ منها ولطف ، واختاره الزمخشري . اهـ.

(٤) توضيح هذا أن صيغة « فعيل » تدل على الصفات اللازمة ، كما تقول : « كريم » لمن كانت صفة الكرم متأصلة ولازمة فيه ، وتقول : فلان بخيل ، لمن كان البخل من سجاياه ، وأما صيغة « فاعل » فلا تدل على اللزوم والثبات ، فلو قيل : الرحمن الراحم لما أفاد اللفظ أن الرحمة لازمة له تعالى غير مفارقة ، فتنبه له فإنه دقيق .

وقال أحمد بن يحيى : « الرحيمُ » عربيٌّ ، و « الرَّحْمَنُ » عبرانيٌّ ، فلهذا جُمع بينهما[1] .

وهذا القولُ مرغوبٌ عنه .

ورَوَى مطرٌ عن قتادة في قوله : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال : مَدَح نفسَهُ . وهذا قول حسن[2] .

قال أبو العباس : النَّعْتُ قد يقع للمدح ، كما تقول : قال جريرٌ الشَّاعر[3] .



(١) حكاه الزجاج في معاني القرآن عنه ، وهو قول ضعيف لا يُعوَّل عليه ، لأن جميع ما في القرآن عربي ، فكيف يُقال : الرحمن عبرانيٌّ ، وقد ضعَّفه الزجاج ، وأبو جعفر النحاس ، حين قال : وهذا القول مرغوب عنه ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠٤/١ .

(٢) هذه آية في كتاب الله عز وجل نزلت للفصل بين السور ، فقد أخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال : « كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل « بسم الله الرحمن الرحيم » فإذا نزلت عرفوا أن السورة قد انقضت » كذا في الدر المنثور للسيوطي ٧/١ وفيها مديح وثناء على الله ، وتعليمٌ للعباد أن يذكروا اسم الله في جميع أقوالهم وأفعالهم ، فقد ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل ، كالأكل ، والشرب ، والنحر ، والطهارة وغيرها من الأعمال ، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل .

(٣) يريد الإمام المبرِّد أن لفظة « الرحمن » و « الرحيم » قد ذُكرتا بعد لفظ الجلالة ، لذكر أوصافه الجليلة فهي للثناء والمدح ، كأنه يقول : ابدأ بذكر اسم الله العظيم الجليل ، الموصوف بالرحمة الكاملة الذي وسعت رحمته كل شيء ، فهو نعت على وجه المدح .

تفسير سورة الفاتحة

١ ــ **وقولُه تعالى** : ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ الفرقُ بين الحمد والشكر : أنَّ الحمدَ أعمُّ لأنه يقع على الثناء ، وعلى التحميد ، وعلى الشكرِ والجزاء[1] .

والشكر مخصوصٌ بما يكون مكافأةً لمن أَوْلاكَ معروفاً ، فصار الحمدُ أثبتَ في الآية ، لأنه يزيد على الشكر .

ويُقال : الحمدُ خبرٌ ، وسبيلُ الخبرِ أن يُفيد ، فما الفائدة في هذا ؟

والجوابُ عن هذا : أن سيبويه قال : إذا قال الرجل : الحمدُ للهِ بالرفع ، ففيه من المعنى مثلُ ما في قوله : حِمْدتُ اللهَ حَمْداً[2] ، إلّا أن الذي يرفعُ الحمدَ ، يُخْبِر أنَّ الحمد منه ، ومن جميع الخلق لله تعالى[3] ، والذي ينصبُ الحمدَ ، يخبر أن الحمد منه وحدَه لله تعالى[4] .

---

(١) ذهب الإمام ابن جرير الطبري إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد ، وخالفه جمهور المفسرين فقالوا : الحمد أعمُّ من الشكر ، لأن الحمد يقع على الثناء ، وعلى التحميد ، وعلى الشكر ، فهو ثناءٌ على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسانٍ ، وأما الشكر فهو ثناءٌ على المشكور بما أولى من الفضل والإحسان ، فالحمد مطلقُ الثناءِ والمدح ، سواء قدّم المحمود إحساناً أو لا ، والشكر إنما يكون مقابل النعمة ، كما ذكره المصنف ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٩٩/١ وتفسير الطبري ١٣٣/١.

(٢) انظر كتاب سيبويه لابن قنبر ٣١٩/١ ، ٣٢٨ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ٦٢/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٥/١ .

(٤) قراءة الجمهور ﴿ الحمد للهِ رب العالمين ﴾ بالرفع ، وعلى ذلك القُرّاء السبعة ، وأما قراءة النَّصب « الحَمْدَ للهِ » فهي قراءة ابن عُيينة ، ورؤبة بن العجّاج ، وهي من الشواذ كما ذكره ابن خالويه في شواذ القرآن ، وانظر المحتسب لابن جني ٣٧/١ .

قال ابن كيسان[1] : وهـــذا كلام حسنٌ جداً ، لأن قولك : الحمدُ للهِ مَخْرجُهُ في الإعراب ، مَخْـرج قولك : المالُ لزيـدٍ ، ومعنـاه : أنك أخبرتَ به ، وأنت تعتمـد أن تكـون حامـــداً ، لا مُخبراً بشيءٍ ، ففي إخبار المخبرِ بهذا ، إقرار منه بأن الله تعالى مستوجبُـهُ على خلقـه ، فهو أحمد من يَحمده ، إذا أقرَّ بأن الحمد له ، فقـد آل المعنـى المرفـوع إلى مثل معنى المنصوب[2] ، وزاد عليها بأن جعل الحمـد الـذي يكـون عن فعلِه ، وفعل غيرِه لله تعالى .

وقـال غير سيبويه : إنما يُتكلـم بهذا تعـرضاً لعفـو الله تعـــالى ومغفرته وتعظيماً له وتمجيداً ، فهو خلاف معنـى الخبر[3] ، وفيـه معنـى السؤال .

وفي الحديث : « من شُغِلَ بذكري عن مَسْأَلَتي ، أعطيتُه أفْضَل

---

(١) ابن كَيْسَان هو أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩هـ عالم بالعربيـة لغة ونحواً ، أخذ عن المبرِّد وثعلب ، من كتبـه المهـذَّب في النحـو ، وغـريب الحديث ، ومعـاني القرآن ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ وشذرات الذهب ٢٣٢/٢ .

(٢) قال النحاس في إعراب القرآن ١١٩/١ : « والرفعُ أجودُ من جهة اللفـظ ، ومـن جهـة المعنـى ، فأمَّا اللفظ : فلأنَّه اسم معرفة خبِّري عنه ، وأما المعنـى فإنك إذا رفـعت أخبرتَ بأن حمدك وحمد غيرك لله جلَّ وعزَّ ، وإذا نَصَبْتَ لم يَعْـدُ حَمْـدَ نفسِك » اهـ. وانظـر جامـع الأحكـام للقرطبـي ١٣٥/١ .

(٣) قال الفراء في معانيه ٣/١ : « اجتمع القراء على رفع « الحمد » وأمَّا أهل البَدْوِ فمنهم من يقول : « الحَمْـدَ للهِ » فأمَّـا من نَصَب فإنـه يقـول : « الحمـدَ » ليس باسم وإنما هو مصدرٌ ، يجوز أن يقول مكانه : أحمدُ اللهَ ، فإذا صَلَح مكان المصدر جاز فيه الـنَّصْبُ ، كقولـه تعـالى ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ يصلح مكانها فاضربوا الرقاب ، وكقوله « مَعَـاذَ الله » يصلـح أن تقـول : نعـوذُ بالله ، ومنه قول العرب : سَقْياً لك ورَعْياً لك » اهـ.

ما أُعطي السائلين »[1] .

وقيل : إن مَدْحه نفسه جلَّ وعز وثناءه عليه ، ليُعلم ذلك عباده ، فالمعنى على هذا : قولوا : الحمد لله[2] .

وإنما عِيبَ مدحُ الآدمي نفسه لأنه ناقص[3] ، وإن قال : أنا جوادٌ فثمَّ بُخْلٌ ، وإن قال : أنا شُجاع فَثَمَّ جُبنٌ ، والله تعالى مُنَزَّه من ذلك ، فإن الآدمي إنما يمدح نفسه ليجتلب منفعة ، ويدفع مضرَّة ، والله تعالى غنيٌّ عن هذا .

٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ .**

قال أهلُ اللغة : الربُّ : المالكُ وأنشدوا :

وَهُوَ الرَّبُّ والشَّهِيدُ عَلَى يَوْ
مِ الحِيَارَيْنِ وَالبَلَاءُ بَلَاءُ[4]

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في فضائل القرآن بلفظ « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » وقال الترمذي : حديث حسن غريب . تحفة الأحوذي ٢٤٤/٨ .

(٢) قال الطبري ٦١/١ : ﴿ الحمدُ للهِ ﴾ : « ثناءٌ أثنى به على نفسه ، وفي ضمته أمر عباده أن يثنوا به عليه ، فكأنه يقول : قولوا الحمد لله ، وقولوا إياك نعبد » وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٠٠/١ .

(٣) الكمال لله وحدة ، وقد نُهي الإنسان أن يمدح نفسه لئلا يدخل إليه الغرور ، ومهما رق الإنسان في سُلَّم الفضائل فهو ناقص ، وقد قال سبحانه ﴿ فلا تُزَكُّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ .

(٤) البيت للحارث بن حِلِّزة ، أطلق فيه لفظ الربِّ على المَلِكِ ، والحِيَارانِ : موضعٌ غزا فيه أهلَه المنذر بن ماء السماء ، وهو في الصحاح للجوهري ١٣٠/١ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٦/١ .

وأصلُ هذا أنه يُقال : رَبَّه ، يَرُبُّه ، رَبّاً ، وهو رَابٌّ ، وربٌّ : إذا قام بصلاحه[1] .

ويُقال على التكثير : رَبَّاه وربَّبَهُ ، ورَبَّتَه .

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ قال : الجنُّ والإنسُ[2] .

وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال : الجنُّ عَالَم ، والإنس عالم ، وسِوَى ذلك ، للأرض أربعُ زوايا في كل زاوية ألف وخمس مائة عَالَمٍ خلقهم الله لعبادته[3] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ ربِّ العَالَمِينَ ﴾ أي المخلوقين[4] .

وأنشد العجاج : « فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هَذَا العَالَمِ »[5] .

---

(١) قال الهروي : يُقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه : قد ربَّهُ ، يَرُبُّه فهو ربٌّ له ورابٌّ ، وفي الحديث : (هل لك من نعمةٍ تَرُبُّها عليه) ؟ أي تقوم بها وتصلحها ، وانظر الصحاح مادة رب .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٦٣/١ عن ابن عباس ، والقرطبي في جامع الأحكام ١٣٨/١ ، وذكر القرطبي عن الفراء وأبي عُبيدة : أن العَالَم عبارةٌ عمن يعقل ، وهم أربعة أُممٍ « الإنسُ ، والجنُّ ، والملائكة ، والشياطين » ولا يُقال للبهائم عالَم ، لأن هذا الجمع جمعُ مَنْ يَعقِل خاصَّة . اهـ.

(٣) الأثر عن أبي العالية ذكره ابن جرير في جامع البيان ٦٣/١ والقرطبي في جامع الأحكام ١٣٨/١ والسيوطي في الدر المنثور ١٣/١ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢/١ وهو على رأيه يشمل جميع الخلق ، العاقل وغير العاقل .

(٥) ديوان العجاج بتحقيق عزة حسن ص ٢٩٩ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢/١ وتفسير القرطبي ١٣٨/١ .

والقول الأول : أجلُّ هذه الأقوال ، وأعرفها في اللغة لأن هذا الجمع إنما هو جمعُ ما يعقل خاصة[1] .

و « عَالَمٌ » مشتقٌّ من العلامة .

وقال الخليل : العَلَمُ ، والعَلامةُ ، والمَعْلَمُ ، ما دلَّ على الشيء ، **فالعالَم** دالّ على أنَّ له خالقاً ومدبِّراً[2] .

٣ ــ **وقوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ويُقْرأ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾**[3]

واختار أبو حاتم[4] (مَالِكِ) ، قال : وهو أجمع من (مَلِكِ) ، لأنك تقول : إن الله مالكُ النَّاسِ ، ومالكُ الطير ، ومالك الريح ، ومالك كل شيء من الأشياء ، ونوعٍ من الأنواع ، ولا يقال : الله مَلِكُ الطَّيْرِ ، ولا مَلِكُ الريح ، ونحو ذلك وإنما يحسُنُ « مَلِكُ » النَّاس وحدهم[5] .

---

(١) في الصحاح : العَالَم : الخَلْق ، والجمعُ عوالم ، والعالَمون : أصناف الخلق .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١/١٠٢ ورجح هذا القول القرطبي ١/١٣٩ .

(٣) قرأ عاصم والكسائي (مَالِكِ يومِ الدين) بألِف ، وقرأ الباقون « مَلِكِ » وكلاهما من القراءات السبع المتواترة وانظر السبعة لابن مجاهد ص ١٤٠ .

(٤) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السِّجِسْتاني نحويٌّ لغويٌّ مشهور ، أخذ عنه المبرِّد ، وابن دريد توفي سنة ٢٥٥هـ ، وانظر معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ ، وطبقات القراء ١/٣٢٠ .

(٥) اختلف العلماء أيهما أبلغ « مَلِك » و « مالك » ؟ فقيل : مَلِكٌ أعمُّ وأبلغ من مالك ، إذ كلُّ مَلِكٍ مالكٌ ، وليس كلُّ مالكٍ مَلِكاً ، وهذا قول أبي عبيدة والمبرِّد ورجحه ابن جرير الطبري ، وقيل : « مَالِك » أبلغُ لأنه يكون مالكاً للناس وغيرهم ، فالمالكُ أعظم تصرفاً وأبلغ ، وهذا ما ذهب إليه أبو حاتم ، ورجحه القاضي أبو بكر بن العربي ، وانظر تفصيل الموضوع في جامع الأحكام للقرطبي ١/١٤٠ .

وخالفه في ذلك جِلّةُ أهل اللُّغة ، منهم « أبو عُبيد »[1] وأبو العباس « محمدُ بن يزيد »[2] واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾[3] ؟ والمُلْكُ : مصدرُ المَلِكِ ، ومصدر المالِكِ « مِلْكٌ » بالكسرِ ، وهذا احتجاج حسن .

وأيضاً فإنَّ حجَّة « أبي حاتم » لا تلزم ، لأنه إنما لم يُستعمل مَلِكُ الطَّيْرِ ، والرياحِ ، لأنه ليس فيه معنى مدحٍ .

وحدَّثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبي داود بن الأنباري قال : حدثنا محمد بن إسماعيل قال : حدثنا عمرو عن أسباط عند السُّدّيِّ — وهو إسماعيلُ بن عبد الرحمن بن أبي مالك — عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مُرَّة الهَمَداني عن ابن مسعود وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ « يومُ الدِّينِ » : هو يوم الحساب[4] .

---

(١) أبو عبيد : هو القاسم بن سلام الهروي الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٤هـ من كبار علماء الحديث والأدب ، وله كتاب غريب القرآن انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٥/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٧ .

(٢) محمد بن يزيد هو الإمام « المبرِّد » وقد تقدمت ترجمته ، وانظر ص٥٥ وانظر رأي المبرد وأبي عبيد في جامع الأحكام للقرطبي ١٤٠/١ .

(٣) سورة المؤمن آية رقم ١٦ . والشاهد في الآية أنها جاءت من المُلْك الذي هو مصدرٌ مأخوذ من الملك .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ٦٨/١ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٤/١ وهو قول جمهور المفسرين ، وقد أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال ﴿ يَوْمُ الدِّين ﴾ : يومُ حساب الخلائق ، وهو يوم القيامة ، يُدينهم الله بأعمالهم — أي يجازيهم — إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، الدر المنثور ١٤/١ .

وقال مجاهد : ﴿ الدِّينُ ﴾ الجزاءُ[1] ، والمعنيان واحد ، لأن يوم القيامة يوم الحساب ، ويوم الجزاء .

والدين في غير هذه الطَّاعة ، والدِّينُ أيضاً العادةُ ، كما قال :

« أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً ودِينِي »[2] ؟

والمعاني متقاربة ، لأنه إذا أطاع فقد دان[3] .

والعادةُ تجري مَجْرى الدِّينِ ، وفلانٌ في دينِ فلانٍ : أي في سلطانِهِ وطاعَتِهِ .

فإن قيل : لم خُصَّت القيامة بهذا ؟

فالجواب : أن يوم القيامة يومٌ يضطر فيه الخلائقُ إلى أن يعرفوا أن الأمر كله لله تعالى .

وقيل : خصَّه لأن في الدنيا ملوكاً وجبَّارين ، ويوم القيامة إنما يرجع الأمر كلُّه إلى الله تعالى[4] .

---

(١) دان في اللغة بمعنى : حَاسَبَ ، وجَازَى ، ومنه الحديث الشريف « اعملْ ما شئْتَ كما تَدِينُ تُدَان » أي تُجازى ، وانظر المصباح المنير مادة دين .

(٢) هذا شطر بيت للمثقب العبدي يذكر فيه ناقته ويتحدث بلسانها ، وتمامه كما في الصحاح للجوهري ٥/١١٨ :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي

يريد أن الناقة تقول إذا بسطتُ لها الحزام لأشدَّه عليها : أهذه عادته وشأنه ، وعادتي وشأني ؟ وذكره في جامع الأحكام للقرطبي ١/١٤٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/١٠ .

(٣) في الصحاح : والدِّين : الطاعة ، ودان له أي أطاعه ، قال عمرو بن كلثوم :

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أن نَدِينا

(٤) انظر القرطبي ١/١٤٢ والبحر المحيط ١/٢٢ .

٤ ـ **وقوله تعالى** : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ ولم يقل « نَعْبُدكَ » لأن هذا أوكدُ[١] .

قال سيبويه : كأنهم إنما يُقدِّمون الذي بيانُه أهَمُّ إليهم ، وهم ببيانِه أعْنَى ، وإن كانا جميعاً يَهُمَّانهم ويَعْنيانهم[٢] .

والعبادة في اللغة : الطَّاعة مع تذلُّل وخضوع[٣] ، يُقال : طريقٌ معبَّدٌ : إذا كان قد ذُلِّل بالوَطْءِ ، وبعيرٌ معبَّدٌ : إذا طُلي بالقطران ، أي امتُهن كما يُمْتهن العبدُ ، قال طرفة :

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا
وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ[٤]

ويُقال : عَبِدَ من كَذَا ، أي أَنِفَ منه ، كما قال الشاعر :

« وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ »[٥]

---

(١) تقديم المفعول يفيد التخصيص ، ففيه زيادة تأكيد ، كأنه قال : نخصُّك بالعبادة ، ونخصُّك بطلب الإعانة ، فقدِّم اهتماماً ولئلا يتقدم ذكر العبادة على المعبود ، والله أعلم .

(٢) انظر كتاب سيبويه لابن قنبر ٣٥٥/٢ وعلى هذا شأن العرب تقديم الأهمِّ ، ومنه قولُه تعالى ﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ قَدَّم المعبود على العبادة وقال العَجَّاج : « إِيَّاكَ أَدْعُو فَتَقَبَّلْ مَلَقِي » و « إيَّاكَ » في الآية مفعول مقدَّم للفعل بعده .

(٣) وهكذا قال علماء اللغة ، ففي لسان العرب لابن منظور : عَبَدَ اللهَ عبادةً : تألَّه له ، وأصلُ العبودية : الخضوع والتذلُّل . اهـ.

(٤) البيت لطَرَفَة بن العبد كما في ديوانه ص ٣١ يريد أنه أعيا أهله على إنفاق المال وشرب الخمر ، حتى تحامَى عنه القوم والعشيرة ، كما يتحامى البعير الأجرب ، الذي طُلي بالقطران ، لئلا يُعدي صحاحَ الإبل ، وذكره ابن منظور في لسان العرب مادة عَبَد .

(٥) هذا عجز بيت للفرزدق ، وتمامه كما في لسان العرب :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ ... وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيباً بِدَارِمِ

أي آنف أن أهجو كليباً بدارم ، وذكره الجوهري في الصحاح ، وابن جني في المحتسب ٢٥٨/٢ والبيت غير موجود في ديوانه .

٥ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وإيَّاك نَسْتَعِينُ ﴾ .

فأعاد « إيَّاكَ » توكيداً ، ولم يقل « ونستعين » كما يُقال : المالُ بين زيد وبين عمروٍ ، فتعاد « بين » توكيداً ، وقال : ﴿ إيَّاكَ ﴾ ولم يقل : إيَّاه ، لأن المعنى : قل يا محمد « إيَّاكَ نَعْبُدُ » .

على أن العرب ترجع من الغِيبة إلى الخطاب[1] ، كما قال الأعشى :

عِنْدَهُ الحَزْمُ وَالتُّقَى وَأَسَى الصّرْ
عِ وَحَمْلٌ لمضْلِعِ الأَثْقَالِ[2]

ثم قال : ورجع من الغَيْبَةِ إلى الخطاب :

ووفاءٌ إذَا أَجَرْتَ فما غُرَّ
تْ حبالٌ وصَلْتَها بحبالِ[3]

وقال تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً ﴾[4] .

ثم قال : ﴿ إنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ .

وعكسُ هذا أن العرب ترجع من الخِطَاب إلى الغيبة ، كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ ، وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[5] .

---

(١) هذا ما يسمى في البلاغة « الالتفات » .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ص ٩ من قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي ، والبيت من الخفيف .

(٣) المرجع السابق من ديوان الأعشى ص ٩ أيضاً ، والشاهد أنه رجع من الحديث عن الغائب إلى مخاطبته .

(٤) سورة الدهر آية رقم ٢١ .

(٥) سورة يونس آية رقم ٢٢ .

وفي الكلام حذفٌ والمعنى : وإياكَ نستعين على ذلك .

٦ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .**

وهم على الهُـدى ، أي ثبِّتنا ، كما تقولُ للقـائم : قُمْ حتَّـى أعـودَ إليكَ ، أي اثبت قائماً .

ومعنـى ﴿ اهدِنَـا ﴾ : أَرْشِدْنَـا ، وأصلُ هَدَى أرشد ، ومنـه : ﴿ وَاهْدِنَـا إِلَـى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[1] . ويكـون هَدَى بمعنـى : بَيَّـن ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[2] ، ويكون هدى بمعنى أَلْهَـمَ ، كما قال تعـالى : ﴿ الَّـذِي أَعْطَـى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَـهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[3] أي ألهمه مصلحته .

وقيل : إتيانُ الأنثى[4] .

ويكون هدى بمعنى دعـا ، كما قال : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[5] أي نبيٌّ يدعوهم .

وأصلُ هذا كلـه : أرشد ، والمعنـى : أرشدنـا إلى الصراط المستقيم .

---

(١) سورة صٓ آية رقم ٢٢ .

(٢) سورة حٓمٓ السجدة آية رقم ١٧ .

(٣) سورة طٰه آية رقم ٥٠ .

(٤) هذا قول مرويٌّ عن السُّدِّي ، أن المراد هَدَى الذَّكَر من الأنعام إلى إتيان الأنثى ، حتى لا ينقطع النسل ، وروى الطبري عن ابن عباس أنه قال : « خلق لكل شيء زوجه ، ثم هداه لمنكحه ، ومطعمه ، ومشربه ، ومسكنه ، ومولده » الطبري ١٧٢/١٦ وخلاصته : أنه تعالى خلق كل مخلوقٍ ثم هداه لما يُصْلِحه .

(٥) سورة الرعد آية رقم (٧) .

حدثنا محمد بنُ جعفر الأَنْباريُّ ، قال : حدَّثني هاشم بن القاسِمِ الحَرَّانِيُّ ، قال : حدَّثنا أبو إسحق النَّحْويُّ عن حمزة بن حبيبٍ عن حُمْرَان بن أَعْيَنَ[1] ، عن أبي منصور بن أخي الحارث ، عن الحارثِ عن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ الصِّرَاطُ المستقيمُ ﴾ : كتابُ الله[2] .

وروى مسْعَرٌ[3] عن منصور عن أبي وائِلٍ عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾ قال : كتابُ الله .

وروى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : هو الإسلام[4] .

والصِّرَاطُ في اللغة : الطريقُ الواضحُ ، وكتابُ الله بمنزلةِ الطريق الواضح ، وكذلك الإسلام ، وقال جرير :

---

(١) في المخطوطة غير واضح ، وقد ضبطناه من تقريب التهذيب لابن حجر ١٩٨/١ ومن تهذيب التهذيب ٢٥/٣ قال : حُمْرَانُ بنُ أَعْيَنَ الكوفيُّ مولى بني شيبان .. إلخ .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه ١٤٩/٢ عن « الحارث بن عبد الله » عن علي رضي الله عنه . وأخرجه عن عليٍّ الطبري في جامع البيان ٧٤/١ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٥/١ .

(٣) « مِسْعَر بن كِدَام » هو أبو سلمة الكوفي أحد الأعلام ، ثقةٌ ثبتٌ في الحديث توفي في سنة ٥٥هـ قال عنه ابن المبارك :

مَنْ كانَ مُلْتَمِساً جَلِيساً صَالحاً ... فَلْيأْتِ حَلْقَةَ « مِسْعَرِ بنِ كِدَامِ »

ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ وقد ورد في المخطوطة « مِسْعَد » وهو تصحيف .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٧٤/١ وهو قول ابن عباس والجمهور .

أَمِيــرُ المُؤْمِنِيـــنَ عَلَـــى صِرَاطٍ
إِذَا اعْــوَجَّ المَــوَارِدُ ، مُسْتَقِيــمِ
أَمِيــرَ المُؤْمِنِيــنَ جَمَــعْتَ دِينــاً
وَحِلْماً فَاضِلاً لِذَوِي الحُلُومِ[1] .

٧ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

رَوى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس « الذيــنَ أنعــم عليهم » : النبيُّون[2] .

وقال غيره : يعني الأنبياء والمؤمنين[3] .

وقيل : هم جميع النَّاسِ .

ثم قال تعالى : ﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

ورُوِيَ عن عُمَـر أنــه قرأ « صراطَ منْ أنعــمتَ عليهم غيــرِ

---

(١) ديوان جرير ص ٤١١ يمدح هشام بن عبد الملك ، والبيت الثاني مقدَّم على الأول في ديوانه ، وجملة « إِذَا اعْـوَجَّ المَـوَارِدُ » جملةٌ اعتراضية بين الموصوف والصفة ، أي على صراط مستقيم واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز ١١٨/١ والقرطبي في جامع الأحكام ١٤٧/١ . وهو في معاني الزجاج ١٢/١ .

(٢) الأثر أخرجه ابن حُميد عن الربيع بن أنس كما في الدر المنثور للسيوطي ١٦/١ ورواه ابن جرير في جامع البيان ٧٦/١ .

(٣) الأثر في الطبري ٧٦/١ والدر المنثور ١٦/١ والقرطبي ١٤٨/١ . وهذا ما ذهب إليه ابن عباس كما حكاه الطبري عنه ٧٦/١ حيث قال : قال ابن عباس : « أي طريق من أنعمت عليهم من الملائكة والنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبدوك » .

المغضوب عليهم وغير الضَّالينَ »[1] .

وحدثنا محمد بن جعفر بن محمد الأنباري ، قال : حدثنا محمد ابن إدريس المكيُّ قال : أخبرنا محمد بن سعيد ، قال : أخبرنا عَمْروٌ عن سماكٍ عن عبَّاد عن عَدِيّ بن حاتم عن رسول الله ﷺ قال : « اليهودُ » مغضوبٌ عليهم ، و « النَّصَارى » ضالُّون ، قال : قلت : فإني حنيفٌ مسلمٌ ، قال : فرأيتُ وجهَه تبسَّمَ فرحاً ﷺ »[2] .

وروى بديلٌ العقيلي عن عبد الله بن شقيق — وبعضهم يقول عمَّن سمع النبي ﷺ — وبعضُهم يقول « إن النبي ﷺ قال وهو بوادي القرى وهو على فرسه ، وسأله رجلٌ من بني القَيْن ، فقال يا رسول الله : من هؤلاء المغضوب عليهم ؟ فأشار إلى اليهود ، قال : فمن هؤلاء الضالُّون ؟ **قال** : هؤلاء الضالون ، يعني النصارى »[3] .

فعلى هذا يكون عامًّا يراد به الخاصُّ ، وذلك كثيرٌ في كلام العرب ، مستغنٍ عن الشواهد لشهرته[4] .

---

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع ، بل هي شاذة ، وذكرها القرطبي وغيره ، والإجماع على أنها سبع آيات وعلى هذه القراءة تصبح السورة أكثر من سبع فتنبه .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٨٣/١ عن عدي بن حاتم ، والحديث رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٦/١ والسيوطي في الدر المنثور ١٦/١ وانظر القرطبي ١٤٩/١ .

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري ٨٣/١ والدر المنثور للسيوطي ١٦/١ ، وابن كثير ٤٦/١ .

(٤) يريد المصنف أن اللفظ عام يشمل كل مغضوب عليه وكل ضال ، ويراد به الخاصُّ وهم اليهود والنصارى ، كقوله تعالى : ﴿ الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ﴾ اللفظ عام ويراد به الخاص وهو الزاني البكر الذي لم يتزوج ، وأمثلته كما قال المصنف كثيرة .

تَفْسِيرُ سُورَةِ البَقَرَةِ

مَدَنيّة وَآياتها ٢٨٧ آية

سُورَةِ البَقَرَةِ

سورة البقرة ، وهي مدنية[1] ، من ذلك :

١ ــ **قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ .**

اختلف أهلُ التفسير ، وأهلُ اللُّغةِ في معنى ﴿ الٓمٓ ﴾ وما أشبهها . قال : فحدثنا عبد الله بن إبراهيم البَغداديُّ بالرَّمْلَة[2] قال : حدثنا حفصُ بن عمر بن الصباح الرَّقِّي[3] أبو عمروٍ ، قال : حدثنا أبو نُعَيم ، قال : حدثنا شريكٌ عن عطاءٍ ، عن أبي الضُّحى ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ قال : أَنَا اللهُ أعلمُ ﴿ الٓمٓ ﴾ أنا اللهُ ، أَرَى ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أنا اللهُ ، أَفْصِلُ[4] .

وروى أبو اليقظان عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، مثلَهُ .

---

(١) هذا القول بأن السورة مدنية هو قول الجمهور ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ١٩/١ : « هي أول ما نزل بالمدينة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل ، وذكر قومٌ أنها مدنية سوى آية ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ رقم (٢٨١) فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع . اهـ . وكذلك ذكر القرطبي في جامع الأحكام ١٥٢/١ .

(٢) الرَّمْلَةُ : هي محلة على نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد ، كذا في معجم البلدان ٦٩/٣ .

(٣) الرَّقِّي : بفتح الراء وتشديد القاف نسبة إلى الرَّقَّة وهي مدينة على طرف الرقة ، وانظر في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣٤/٢ .

(٤) الأثر ذكره ابن جرير الطبري ٨٨/١ وهو في الدر المنثور ٢٢/١ عن ابن عباس قال : وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٥٥/١ من رواية أبي الضحى عن ابن عباس ، واختار هذا القول الزجَّاج . وانظر زاد المسير ٢٠/١ .

وشرحُ هذا القول إن الألف تؤدِّي عن معنى « أنا » واللَّام تؤدِّي عن اسم الله جل وعز ، والميم تؤدي عن معنى « أعلم » .

ورأيت أبا إسحق[1] يميل إلى هذا القول ، ويقول : أذهب إلى أنَّ كل حرف منها يؤدِّي عن معنى[2] .

وحدثنا بكر بن سَهْلٍ قال : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ آلمص ﴾ و ﴿ كهيعص ﴾ و ﴿ طه ﴾ و ﴿ طس ﴾ و ﴿ طسم ﴾ و ﴿ يس ﴾ و ﴿ ص ﴾ و ﴿ حم عسق ﴾ و ﴿ ق ﴾ و ﴿ ن والقلم ﴾ وأشباه هذا ، هو قَسَمٌ أقسمَ الله به وهنَّ من أسماءِ الله تعالى[3] .

وروى ابن عُلية عن خالد الحَذَّاء ، عن عكرمة قال :

---

(١) أبو إسحاق : هو الإمام الزَّجَّاج اللغوي الشهير « إبراهيم بن السَّرِيّ » المتوفى سنة ٣١١هـ صاحب معاني القرآن الكريم وإعرابه ، وانظر ترجمته في إنباه الرواة ١٥٩/١ والأعلام ٣٣/١ .

(٢) انظر معاني القرآن الكريم ٢٤/١ وجامع الأحكام للقرطبي ١٥٥/١ قال : وقد تكلمت العرب بالحروف المقطَّعة ، نظماً ووضعاً ، كقول الشاعر : « قلنا : قِفي لنا ، فقالَتْ : قاف » أي قالت : وقفتُ ، وفي الحديث (من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة ..) وهو أن يقول في « اقْتُل » أُقْ (لقي الله مكتوبٌ بين عينيه : آيِسٌ من رحمة الله) رواه ابن ماجه وأحمد ، أقول : وفي إسناده ضعف ، وانظر فيض القدير ٧٢/٦ .

(٣) ذكر هذا الأثر الطبري ٨٧/١ وابن كثير ٥٧/١ وفي الدر المنثور ٢٢/١ وذكر القرطبي ١٥٦/١ مثله عن ابن عباس والكلبي ، ثم قال : وردَّ بعض العلماء هذا القول ، فقال : لا يصحُّ أن يكون قسماً ، لأن القسم معقودٌ على حروف مثل « إنَّ » و « قد » و « لقد » و « ما » ولم يوجد ههنا حرف من هذه الحروف ، فلا يجوز أن يكون يميناً . قال والجواب أن يقال : موضع القسم « لَا رَيْبَ فيه » فثبتَ أن قول الكلبي وابن عباس سديد صحيح .

﴿ الٓمٓ ﴾ قسم[1] .

وحدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، في قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، قال : اسمٌ من أسماء القرآن[2] .

ورُوِيَ عن مجاهد قولان :

قال أبو عُبيد : حدثنا أبو مهدي عن سفيان عن خُصَيف أو غيره ــ هكذا قال عن مجاهد ــ قال : في كلّه ، هي فواتِح السور[3] .

والقولُ الآخر : حدثنا به محمد بن جعفر الأنباري قال : حدثني محمد بن بحر ، قال : حدثنا موسى عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن[4] .

---

(١) الأثر في الطبري ١/٨٨ والدر المنثور ١/٢٢ وذكره ابن الجوزي ١/٢٠ عن ابن عباس وعكرمة ، ونقل عن ابن قتيبة قوله : يجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها ، واقتصر على ذكر بعضها ، كما يقول القائل : تعلَّمتُ « أ ، ب ، ت ، ث » وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأتُ الحمد ، وهو يريد فاتحة الكتاب ، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ، ولأنها مباني كتبه المنزَّلة . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري عن قتادة ١/٨٧ والسيوطي في الدر المنثور ١/٢٢ قال : وأخرجه عبدُ بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٣) الأثر في الطبري ١/٨٧ عن مجاهد ولفظه : قال « آلم » فواتح يفتتح الله بها القرآن .

(٤) هذا قول آخر عن مجاهد ، ذكره الطبري ، وابن كثير ، والسيوطي في الدر المنثور ، فتلخص أنه ورد عن مجاهد روايتان : الأولى أنها فواتح افتتح الله بها القرآن العظيم ، والثانية أنها اسمٌ من أسماء سور القرآن . وانظر ابن كثير ١/٥٦ و ٥٧ .

قال أبـو العبـاس[1] ــ وهـو اختيـاره ــ رُوي عن بعض أهـل السلف أنه قال : هي تنبيه[1] .

وقال أبو عبيدة والأخفش : هي افتتاح كلام[2] .

وقطـربٌ[3] يذهب إلى أنها جيء بها لأنهم كانـوا ينفـرون عنــد استماع القرآن ، فلما سمعـوا ﴿ الٓـمٓ ﴾ و ﴿ الٓـمٓصٓ ﴾ استنكـروا هذا اللفـظ ، فلمـا أنصتُـوا له ﷺ أقبـل عليهم بالقـرآن المؤلـف ليثبت في أسماعهم وآذانهم ، ويقيمَ الحجَّةَ عليهم .

وقال الفراء : المعنى هذه الحروف يا محمد ذلك الكتاب[4] .

وقال أبو إسحق[5] : ولو كان كما قال : لوجب أن يكون بعـده أبداً ﴿ ذَٰلِكَ الكِتَابُ ﴾ أو ما أشبهه .

وهذه الأقوال يَقْـربُ بعضهـا من بعض ، لأنـه يجوز أن تكـون أسماء للسُّورة ، وفيها معنى التَّنبيه .

---

(١) « أبو العباس » كنية المبرِّد وقد تقدم

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨/١ ومعاني القرآن للأخفش ١٧٠/١ .

(٣) « قُطْرُب » هو محمد بن المستنير ، من علماء الأدب واللغة ، لقَّبه أستاذُه سيبويه بقطـرب فلزمـه توفي سنة ٢٠٦هـ . من كتبه « معاني القرآن » وانظر ترجمته في الأعـلام للـزركلي ٣١٥/٧ وقولـه هذا يماثل قول المبرِّد ، وانظر معاني الزجاج ١٩/١ فقد نقله عن قطرب ، وكذا في جامع الأحكام ١٥٥/١ وابن عطية في المحرر الوجيز ١٣٩/١ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١٠/١ .

(٥) تقـدَّم فيمـا مضى أن « أبـا إسحـاق » هو كنيـة الإمـام الزجـاج اللغـوي الشهير المتـوفى سنـــة ٣١١هـ .

فأمَّا القَسَم فلا يجوز ، لعلَّةٍ أوجبتْ ذلك من العَرَبية[1] .

وأبينُ هذه الأقوال :

قولُ مجاهد الأول : إنها فواتح السور ، وكذلك قول من قال : هي تنبيه ، وقول من قال : هي افتتاح كلامٍ ، ولم يَشرْحوا ذلك بأكثر من هذا ، لأنه ليس من مذهب الأوائل[2] .

وإنما باقي الكلام عنهم مجملاً ، ثم يتأوله أهل النَّظر ، على ما يوجبه المعنى[3] .

ومعنى افتتاح كلام وتنبيه : أنها بمنزلة « ها » في التنبيه و « يا » في النداء ، والله تعالى أعلم بما أراد .

وقد توقَّف بعض العلماء عن الكلام فيها وأشكالها ، حتى قال الشعبي : للهِ تعالى في كل كتابٍ سِرٌّ ، وسِرُّه في القرآن فواتحُ السُّور[4] .

---

(١) أراد المصنف أن حروف القسم معروفة ، وحروف التأكيد التي تَرِدُ مع القسم كإنَّ ، وقد ، ولام التوكيد ، ليست موجود في مثل « آلم » و « طه » و « صٓ » فلا يجوز أن يُقال إنها قسم ، وانظر تفصيل هذه الأقوال في معاني الزجاج ٢١/١ — ٢٥ .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٥٤/١ . وتفسير ابن كثير ٥٩/١ حيث اختار القول بأنها تتضمن بيان إعجاز القرآن وقال : ولهذا كل سورةٍ افتتحت بالحروف ، فلا بدَّ أن يُذكر فيها الانتصارُ للقرآن ، وبيانُ إعجازه وعظمته ، وهذا معلوم بالاستقراء كقوله تعالى ﴿ آلم . ذلك الكتابُ ﴾ و ﴿ آلمص . كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ و ﴿ آلر . كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ و ﴿ حمٓ تَنْزِيلٌ من الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وغير ذلك من الآيات .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٢/١ وتفسير ابن كثير ٥٩/١ .

(٤) الأثر في القرطبي ١٥٤/١ وتفسير ابن عطية ١٣٨/١ والتسهيل لعلوم التنزيل ٦٠/١ .

وقال أبو حاتم[1] : لم نجدِ الحروف المقطَّعة في القرآن ، إلَّا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله تعالى بها ؟

٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آية ٢] .

رَوَىٰ خَالدٌ الحَذَّاءُ عن عِكْرِمَةَ قال : ﴿ ذَٰلِكَ الكِتَابُ ﴾ هذا الكتابُ ، وكذا قول أبي عُبيدة[2] ، وأنكره أبو العباس قال : لأن « ذَٰلِكَ » لِما بَعُدَ ، و « ذَا » لِما قَرُبَ ، فإنْ دخلَ واحدٌ منهما على الآخر ، انقلبَ المعنى ، قال : ولكنَّ المعنى : هَذَا القرآنُ ، ذلكَ الكتابُ الذي كنتم تستفتحون به على الَّذينَ كفروا[3] .

وقال الكسائي : كأنَّ الإشارة [إلى القرآنِ الذي في

(١) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السجستاني نحويٌّ لغويٌّ مقرئ توفي سنة ٢٥٥هـ وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ ، فقد ذهب إلى أن هذه الحروف مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلا يجب الخوض في تفسيرها كما حكاه عنه القرطبي ١٥٤/١ .

(٢) جامع الأحكام للقرطبي ١٥٧/١ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٨/١ قا : والعرب تخاطبُ الشاهد مخاطبة الغائب ، كما قال خُفافُ بنُ نِدْبة :

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ   تَأَمَّلْ خِفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَٰلِكَا

أي أنا هذا ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣/١ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والكسائي ، وفي البخاري : وقال معمرٌ ﴿ ذلك الكتاب ﴾ : هذا القرآن ﴿ هدى للمتقين ﴾ بيان ودلالة ، لقوله : ﴿ ذلكم حكمُ الله يحكم بينكم ﴾ أي هذا حُكم الله .

(٣) يرى الإمام المبرِّد أي الإشارة بقوله : « ذلك »باقية على بابها وهي الإشارة إلى غائب ، وأن تقدير المعنى : هذا القرآن الذي بين أيديكم يا معشر المشركين ، هو الكتاب الذي كنتم تطلبون النصر به على أعدائكم . وانظر رأي المبرد في جامع الأحكام ١٥٨/١ .

السَّمـاء][1] والقـولَ من السَّمـاءِ ، والكتـابَ ، والـــرسولَ في الأرض ، فقال : ذلكَ الكتابُ يا محمَّدُ .

قال ابن كيسان[2] : وهذا حَسَنٌ .

قال الفراء : يكون كقولك للرجل وهـو يُحـدِّثُك : ذلكَ واللّـهِ الحقُّ ، فهو في اللفظ بمنزلة الغائب ، وليس بغائب .

والمعنى عنده : ذلكَ الكتابُ الذي سَمِعْتَ بِهِ[3] .

وقيل ﴿ كِتَابٌ ﴾ لِمَا جُمِعَ فيـه ، يقـال : كتـبتُ الشَّيْءَ أي جمعتُه ، والكَتْبُ : الخَـرْزُ ، وكتـبتُ البَغْلَـةَ منـه أيضاً ، والكتيبـةُ : الفِرْقَةُ المجتمعُ بعضُها إلى بعضٍ .

٣ ـ **ثم قال تعـالى** : ﴿ **لاَ رَيْبَ فِيـهِ** ﴾ . قال قتـادة : لا شكَّ فيـــه[4] . وكذا هو عند أهل اللغة[5] .

قال أبو العباس : يقال : رَابَنِي الشَّيْءُ إذا تبيَّـنْتُ فيـه الريبـةَ ،

---

(١) سقط من المخطوطة ما بين الحاصرتين ، وأثبتنـاه من القرطبـي ، وانظـر رأي الـكسائي في جامـع الأحكام ١٥٨/١ .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن أحمد الكيساني المتوفى سنة ٢٩٩هـ ، وانظر ترجمتـه في الأعـلام للزركلي ١٩٧/٦ وانظر معاني الفراء ١٠١/١ فقد وضَّح أقوال العلماء حول هذه المسألة .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٠/١ و ١١ فقد أسهبَ في ذكر الأمثلة .

(٤) يقال : كتبتُ البَغْلَةَ : إذا جمعتَ بين شُفْريها بحَلْقَةٍ أو سَيْرٍ ، أفاده الجوهري في الصحاح .

(٥) في الصحاح : الرَّيْبُ : الشكُّ ، والاسم الرِّيبة بالكسر وهي التُّهمـة والشكُّ ، ورابنـي فلانٌ : إذا رأيتَ منه ما يُريبك وتكرهه . اهـ.

وأرابني إذا لم أتبيَّنْها منه[1] .

وقال غيره : أرابَ في نفسه ، ورابَ غيرَه ، كما قال الشاعر :

وَقَــدْ رَابَنــي قَوْلُهَـــا يَا هَنَـــا
هُ ، وَيَــحْكَ أَلْحَــقْتَ شَرّاً بِشَرٍّ[2]

ومنه « دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ »[3] ومنه ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾[4] أي حوادث الدهر ، وما يُستراب به .

وأخبر تعالى أنه ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ ثم قال بعدُ ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾[5] .

فالقولُ في هذا أنَّ المعنى : وإن كنتم في قولكم في ريبٍ ، وعلى

---

(١) هذا قول المبرد وأبي زيد ، وأبو زيد هو : « سعيد بن أوس الأنصاري » أحد أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة قال : يُقال رابني فلانٌ : إذا علمتُ منه الريبة ، وأرابني : أوهمني الريبة ، وهُذَيْلٌ تقول : أرابني فلانٌ ، وقولُ أبي زيد أحسنُ . اهـ .

(٢) البيت لأمرئ القيس كما في ديوانه ص ١٦١ ومرادها : لقد كنت يا هذا متهماً من قبلُ عند الناس ، فلما جئتني ألحقت تهمةً بتهمة . اهـ . وانظر لسان العرب مادة « هنا » وقال : هذه الهاء هاءُ السَّكْتِ ..

(٣) طرف من حديث شريف أخرجه النسائيُّ في سننه ١٧٩/٨ ورواه الترمذي برقم ٢٥٢٠ وأحمد في المسند ١٥٣/٣ ونصُّه كما في الترمذي (دع ما يريبك إلا ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) تحفة الأحوذي ٢٢١/١ .

(٤) الآية في سورة الطور رقم (٣٠) وتمامُها : ﴿ أم يقولون شاعرٌ نتربَّص به رَيب المنون ﴾ أي ننتظر به حوادث الدهر وفواجعه حتى يهلك فنستريح منه .

(٥) يريد المصنف أنه تعالى قال هنا : ﴿ لا ريب فيه ﴾ فكيف الجمعُ والتوفيق بينهما ؟ والجواب أنه أراد هنا أن هذا القرآن في علوِّ الشأن وسطوع البرهان ، بحيث لا يرتاب فيه العاقل ، ولا يعارضه شكُّ السفهاء .

زعمكم وإنْ كنا قد أتيناكم بما لا ريب فيه ، لأنهم قالوا كما قال الذين من قبلهم ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[1] .

٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [آية ٢] .

والهُدَى : البيانُ والبصيرةُ[2] .

ثم قال تعالى ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي الَّذين يتَّقون ما نُهُوا عنه .

والتقوى : أصلُها من التوقّي ، وهو التستُّر من أن يُصيبه ما يُهْلِك به[3] .

٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... ﴾** [آية ٣]

أصلُ الإيمانِ التصديقُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾[4] .

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم (٩) .

(٢) الهُدى في كلام العرب معناه : الرُّشْدُ والبيان ، وهو قسمان : هُدَى دلالة ، وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم كما قال سبحانه : ﴿ ولِكل قوم هادٍ ﴾ أي رسول يهديهم ويرشدهم إلى السعادة وإلى طريق الجنة ، وهُدَى إيمان ، وقد تفرَّد سبحانه وتعالى به فقال : ﴿ ويَهْدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقال لرسوله : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ قال القرطبي : معناه التوفيق وخلق الإيمان في القلب . اهـ .

(٣) قال القرطبي ١٦١/١ : التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه ، بما تجعله حاجزاً بينك وبينه ، كما قال النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا باليَدِ

(٤) سورة يوسف آية (١٧) يقول إخوةُ يوسف لأبيهم : لستَ بمصدِّق لنا ولو كنا صادقين في كلامنا .

يُقال : آمنتُ بكذا أي صَدَّقتُ به .

فإذا قلتَ مؤمنٌ ، فمعناه مُصَدِّقٌ بالله تعالى لاغيرُ[1] .

ويجوز أن يكـــون مأخـــوذاً من الأَمَانِ[2] ، أي يُؤَمِّـــنُ نفسه بتصديقه وعمله . واللَّهُ المُؤْمِنُ[2] : أي يُؤَمِّنُ مطيعَه من عذابه[3] .

ورَوَى شَيْبانُ عن قتادةَ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي آمنـوا بالبعث ، والحساب ، والجَنَّةِ ، والنَّار ، فصَدَّقوا بموعود الله تَعالى[4] .

قال أبو رُزين في قوله تعالى ﴿ وَمَـا هُوَ عَلَـى الغَـيْبِ بِضَنِيـنٍ ﴾ يعني القرآن[5] .

---

(١) إذا أُطلق لفظ الإيمان فيُــراد به الإيمان بالله عز وجـــل كما قال ﷺ « الإيمان أن تُؤمـــن بالله وملائكته .. » الحديث .

(٢) في البحر ٣٨/١ : الإيمان التصديقُ ، وأصلُه من الأَمْـن أو الأَمانـة ومعنـاهما الطمأنينـة ، أَمِنَـه : صدَّقه ، وأَمِـنَ به : وَثِـقَ به . اهـ . وفي لسان العـرب : الأَمان والأَمانـة بمعنـى ، والأَمانـة ضدُّ الخيانة ، والإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق ، ومنـه قول إخـوة يوسف : ﴿ ومـا أنت بمؤمِنٍ لنا ﴾ أي بمصدِّقٍ .

(٣) أشار إلى قولـه تعـالى ﴿ هو الله الـذي لا إلـه إلا هو الملك القـدُّوس ، السلام ، المؤمـن ﴾ قال الـطبري : أي الذيـن يؤمِّـن خلقـه من ظلمـه . قال ابـن قتيبـة في غريب القـرآن ص ٩ : أصـل الإيمان : التصديق. يقال : ما أومن بشيء مما تقـول : أي ما أصدق بذلك ، وقـد يكـون المؤمـن من الأَمان أي لا يأمن إلا من أمَّنه الله . اهـ .

(٤) الطبري عن قتادة ١٠١/١ وابن الجوزي ٢٤/١ والدر المنثور ٢٥/١ وهو قول الربيـع بن أنـس قال الطبري ١٠٢/١ : وأصل الغيب : كلُّ ما غاب عنك من شيء ، من قولك : غاب فلانٌ يغيبُ غيباً . اهـ .

(٥) ذكره الطبري وعزاه إلى ابن زيد ٨٢/٣٠ قال : الغـيبُ : القـرآنُ ، لم يضنَّ به الـرسول على أحـد من الناس ، أدَّاه وبلَّغه .

قال ابن كَيْسَانَ : وقيل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي بالقَدَر[1] .

والغيبُ في اللغة : ما اطمأنَّ من الأرض ، ونزل عمّا حوله يستتر فيه مَنْ دَخَله[2] .

وقيل : كل شيءٍ مستترٍ غيبٌ ، وكذلك المصدرُ .

٦ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ .. ﴾ [آية ٣] .

أي يُؤدُّون الصَّلاةَ المفروضةَ ، تقول العربُ : قامتِ السُّوقُ وأَقَمْتُها ، أي أَدَمْتُها ولم أُعَطِّلها ، وفلانٌ يقومُ بعملِهِ ، منه .

ومعنى إقامةِ الصلاة : إدامتُها في أوقاتها وتركُ التفريطِ في أداء ما فيها من الرُّكوع والسُّجود .

وقيل : الصَّلاةُ مشتَّقَةٌ مِنَ الصَّلَوَيْنِ ، وهما عرقانِ في الرِّدف يُنَحَّيان في الصلاة[3] .

وقيل : الصلاةُ : الدعاءُ فيها ، وذلك معروفٌ ، قال الأعشى .

---

(١) و (٢) قال ابن عطية : اختلفتْ عبارةُ المفسرين في تمثيل الغيب ، فقالت فرقة : الغيب في هذه الآية : الله عز وجل ، وقال آخرون : القضاء والقدر ، وقال آخرون القرآن وما فيه من الغيوب ، وقال آخرون : الحشر ، والصراط ، والميزان ، والجنة ، والنار .. إلخ . وهذه الأقوال لا تتعارض ، بل يقع الغيب على جميعها ، والغيب في اللغة : ما غاب عنك من أمر ، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله » اهـ . المحرر الوجيز ١/١٤٦ .

(٣) في الصحاح : الصَّلَا : ما عن يمين الذَّنَب وشماله ، وهما صَلَوان ، وفي المصباح : الصَّلَا وِزَان العَصَا ، مفرز الذَّنب من الفَرَسِ ، والتثنية : صَلَوان ، ومنه قيل للفرس الذي بعد السابق : المصَلِّي ، لأن رأسه عند صَلَا السابق .

تَقُولُ بِنْتِـي وَقَـدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحَـلاً
يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ والوَجَعَـا
عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي
نوْمَـاً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَـرْءِ مُضْطَجَعَـاً[1]

والصَّلاةُ من اللَّهِ تعالى الرحمةُ ، ومن الملائكةِ الدُّعَاءُ ، ومن الناس تكون الدعاءَ ، والصلاةَ المعروفة .

٧ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾** [آية ٣] .

أي يتصدَّقون ويُزكُّون ، كما قال تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ، فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[2] !!

قال الضحاك : كانت النَّفقةُ قرباناً يتقربون بها إلى الله تعالى ، على قدر جِدَتِهِمْ[3] ، حتى نزلت فرائض الصدقات والنَّاسخات في

---

(١) البيتان للأعشى « ميمون بن قيس » في ديوانه الكبير ص ١٠١ من قصيدة يمدح فيها هوذة الحنفي ، ومطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ وأمسَى حَبْلُها انْقَطَعا   واحتلَّت الغَمْر ، فالجُدَّين فالفَرَعا

يريدُ بذلك : أدعو الله لك مثل ما دعوت لي أن يُجنبك الله الأسقام والأوجاع .

واستشهد به ابن عطية في تفسيره ١٤٧/١ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦٨/١ .

(٢) سورة المنافقين آية رقم (١٠) فقد جاء الإنفاق في الآية عاماً يشمل الصدقة ، والزكاة ، والإحسان .

(٣) أي على قدر طاقتهم وغناهم ، قال في القاموس : وجد المال يجدُه وَجْداً وجِدَةً : استغنى ، والوَجْدُ : الغِنَى ، وذكر القرطبي في جامع الأحكام ١٧٩/١ قول الضحاك بلفظه إلا أنه قال : على قدر جهدهم .. إلخ .

براءة[1] .

٨ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴾** [آية ٤]

أي لايؤمنون ببعضٍ ، ويكفرون ببعضٍ ، كما فعله اليهود والنصارى[2] .

٩ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾** [آية ٤]

سُمِّيت آخرة لأنها بعد أُوْلَى ، وقيل : لتأخرها من الناس ، وجمعُها أواخر[3] .

١٠ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ٥]

روى إبراهيم بن سعيد عن محمد بن إسحاقَ ، قال : على نورٍ من ربِّهم ، واستقامةٍ على ما جاءهم من عند الله[4] .

---

(١) ذكره الطبري عن الضحاك ١٠٤/١ وابن كثير ٦٥/١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ ومراد الضحاك بقوله : « فرائض الصدقات والناسخات ببراءة » الآيات التي فرض الله فيها الزكاة ، ونسخ بها حكم الإنفاق والتطوع ، وهي قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقاتُ للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ﴾ .

(٢) انظر ما ذكره الطبري عن ابن عباس ١٠٥/١ .

(٣) قال في اللسان : والآخرةُ : دَارُ البَقَاء ، وتُسَمَّى الأُخْرَى والآخرة ، وجاء أخيراً وبآخِرَة أي آخر كل شيء ، والجمع أواخر ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ٤١/١ : والآخرة تأنيث الآخِر مقابل الأول ، وأصلُ الوصف « تلكَ الدَّارُ الآخرة » ثم صارت من الصفات الغالبة .

(٤) هذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ذكره عنهم الطبري ١٠٧/١ وابن كثير ٦٨/١ من رواية محمد بن إسحاق ، قال ابن كثير ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ أي نور وبيان وبصيرة من الله ، وبرهان وسداد ، بتسديد الله إيَّاهم ، وتوفيقه لهم .

١١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾** [آية ٥] .

قال ابن إسحاق : أي الذين أدركوا ما طلبوا ، ونَجَوْا من شرٍّ ما منه هَرَبُوا[١] .

وأصلُ الفلاح في اللغة : البقاءُ ، وقيل للمؤمنِ : « مُفْلِحٌ » لبقائه في الجنة .

وقال عَبِيد :

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرَكُ بالضَّعْفِ وقد يُخْدَعُ الأَرِيبُ[٢]

أي ابقَ بما شئتَ من كَيْسٍ وحُمقٍ ، ثم اتُّسِعَ في ذلك ، حتى قيل لكل من نالَ شيئاً[٣] من الخير : مُفلِحٌ .

١٢ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾** [آية ٦]

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٠٨/١ عن ابن عباس ، وقد ذكره أيضاً عنه الحافظ ابن كثير في تفسير معنى الفلاح ٦٨/١ واعتمده .

(٢) البيت لعَبِيد بن الأبرص كما في ديوانه ص ٧ وهو في تهذيب اللغة مادة « فلح » ٧٢/٥ بلفظ « فقد يُبْلَغُ » وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠/١ وفي الجمهرة ١٧٧/٢ وفي اللسان ، والطبري ١٠٨/١ والقرطبي ١٨٢/١ ومراد الشاعر أن يقول : عشْ ما شئتَ من عَقْلٍ وحُمقٍ ، فقد يُرْزَقُ الأحمقُ ويُحْرَمُ العاقلُ ، قال القرطبي : فمعنى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي الفائزون بالجنة ، الباقون فيها . اهـ .

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن ٣٩/١ : يُقال لكل من أصاب خيراً مفلح ، وقال عز وجل : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ وقال : ﴿ قد أفلح من زكّاها ﴾ . وقال القرطبي ١٨٢/١ : والفَلَحُ أصله في اللغة : الشقُّ والقطع ، ومنه قول الشاعر : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أي يُشَقُّ ، ويُستعمل في الفوز والبقاء .

هم الكفار الذين ثبتَ في علمِ الله تعالى أنهم كفارٌ ، وهو لفظ عامٌّ يراد به الخاص[1] ، كما قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ ..﴾ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

١٣ ـ ثم قال تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ .. ﴾
[آية ٧]

[أي طبع اللَّهُ على قلوبهم وعلى أسماعهم وغطَّى عليها][2] على جهة الجزاء بكفرهم وصدِّهم الناسَ عن دين الله .

[وهؤلاء الكفَّارُ هم الذين سبق] في علمه من أنهم لايؤمنون ، ويكون مثل قولهم : أهلكه المالُ ، وذهبَ المالُ بعقله أي هلك فيه ، وبسببه ، فهو كقوله ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلاَّ

---

(١) وضَّح هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧/١ فقال : هذه الآية وردت بلفظ العموم ، والمراد بها الخصوص ، لأنها أخبرت بأن الكافرين إنذاره لا يؤمن وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم ، ولو كانت على ظاهرها في العموم لكان خبرُ الله على خلاف مخبره ، فوجب نقلها إلى الخصوص . اهـ. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥٢/١ : اتفقوا على أنها عامة لوجود كفار قد أسلموا بعدها ، فقيل : هي فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن ، وأراد الله أن يُعلم أن في الكفار من هذه حالة ، دون تعيين أحد .

(٢) ما بين الحاصرتين فيه طمس في الأصل ، وقد أثبتناه من ابن الجوزي والقرطبي بما يتفق مع المعنى والسياق .

الأَشْقَى ﴾ فإن ذلك من الله عن فعلهم في أمره[1] .

١٤ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٧]

قال سيبويه : « غِشَاوَةٌ » : أي غطاء .

١٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ..﴾** [آية ٨]

رَوَى إسماعيل السدي عن ابن عباس قال : هم المنافقون[2] .

قال أهل اللغة : النِّفاقُ مأخوذٌ من نافقاء اليَرْبُوعُ ، وهو جُحْرٌ يخرج منه اليَرْبُوع إذا أُخِذ عليه الجُحْر الذي يدخل فيه .

فقيل « منافقٌ » لأنه يدخل بالإسلام باللفظ ، ويخرج منه بالعقد[3] .

(١) وضح هذا المعنى القرطبي في تفسيره فقال : وفي هذه الآية أدلُّ دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال ، والكفر والإيمان ، وقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة فمتى يهتدون ؟ وكان فعل الله ذلك عدلاً فيمن أضلَّه وخذ له ، إذ لم يمنعه حقاً وجب له فتزول صفة العدل ، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم ، لا ما وجب لهم . القرطبي ١٨٦/١ . وانظر تفسير الطبري ١١٢/١ وتفسير ابن كثير ٧١/١ .

(٢) الطبري عن ابن عباس ١١٦/١ وابن الجوزي ٢٩/١ وابن كثير ٧٣/١ قال : وكذا فسَّرها بالمنافقين أبو العالية ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

(٣) كلام الإمام النحاس هو كلام ابن قتيبة نفسه في تفسير غريب القرآن ص ٢٩ حيث قال : شبَّه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب ، وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد . ثم قال : والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه . اهـ.

١٦ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ٨] .

فنفى عنهم الإيمان لأنهم لا اعتقاد لهم ولا عمل(١) .

١٧ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ..﴾** [آية ٩] .

المخادعةُ في اللغة : إظهارُ خلاف الاعتقاد ، وتسمَّى التقيَّةُ خِداعاً ، وهو يكونُ من واحدٍ(٢) .

قال ابنُ كَيْسَان(٣) : لأن فيه معنى راوغْتُ ، كأنه قابل شيئاً بشيءٍ .

١٨ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ .. ﴾** [آية ٩]

أي إنَّ عقوبة ذلك ترجع عليهم(٤) .

---

(١) قال الطبري ١١٧/١ : نفى عنهم جلَّ ذكره اسم الإيمان ، وقد أخبر عنهم أنهم قالوا بألسنتهم آمنا ، فكذَّبهم تعالى فيما أخبروا عن اعتقادهم ، وأخبر أن الذي يُبدونه بأفواههم خلافُ ما في ضمائر قلوبهم . اهـ . وقال الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥٠/١ : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ دخلت الباء مؤكدة لمعنى النفي ، لأنك إذا قلت : « ما زيدٌ أخوك » فقد يظن السامع أنك موجب ، فإذا قلت : ما زيد بأخيك ، و « ما هم بمؤمنين » علم السامع أنك تنفي ، وكذلك جميع ما في القرآن .

(٢) في اللسان مادة : خدع : الخَدْعُ إظهارُ خلاف ما تخفيه ، يُقال : خَدَعه ، يَخْدَعه ، خِدْعاً ، وخَدْعاً ، وخَدِيعة ، وخَادَعَه مُخَادعةً ، قال الله عز وجل ﴿ يُخادعونَ الله ﴾ جاز «يُفاعل» لغير اثنين ، لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد ، نحو عاقبتُ اللصَّ ، وطارقتُ النَّعْلَ . اهـ .

(٣) « ابن كَيْسَان » هو محمد بن إبراهيم بن كَيْسَان ، أديب نحوي ، لغوي توفى سنة ٢٩٩هـ كذا في معجم المؤلفين ٢١٣/٨ ، قال النحاس في إعراب القرآن ١٣٦/١ : ابن كيسان هو النحويُّ ، فكلما قلنا : قال ابن كيسان ، فإيَّاه نعني . اهـ.

(٤) قال ابن عطية ١٦٠/١ : مخادعتهم : تحيُّلهم في إفشاء الرسول والمؤمنين لهم أسرارهم ، وقال=

وفرَّق أهلُ اللغة بين « خَادَعَ » و « خَدَعَ » فقالوا : خَادَعَ أي قَصَد الخَدْع ، وإن لم يكن خَدَعٌ ، وخَدَعَ معناه : بلغ مراده[1].

والاختيارُ عندهم « يُخَادِعُونَ » في الأولى ، لأنه غير واقعٍ ، والاختيارُ في الثاني « يَخْدَعُونَ » لأنه أخبر تعالى أنه واقع بهم ، لِمَا يَطَّلع عليه من أخبارهم ، فعادَ ما ستروه وأظهروا غيره وَبَالاً عليهم .

وقال **محمد بن يزيد**[2] : يجوز في الثاني « وَمَا يُخادِعُونَ » أي بتلك المخادعة بعينها ، إنما يخادعون أنفسهم بها ، لأن وبالها يرجع عليهم .

١٩ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾** [آية ٩] .

أي وما يشعرون بذلك .

[**والمعنى** : ما تَحِلُّ عاقبة الخدع إلاَّ بهم][3] .

٢٠ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً .. ﴾** [آية ١٠]

[روى السُدِّي عن أبي مالك ، وأبي صالح عن ابن عباس قال

= جماعة : بل يخادعون الله والمؤمنين ، وذلك بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما أبطنوا من الكفر ، ليحقنوا دماءهم ، ويُحرزوا أموالهم ، ويظنون أنهم قد نُجّوا وخدعوا وفازوا ، وإنما خدعوا أنفسهم لحصولهم في العذاب .

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٩٤/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٩/١ .

(٢) هو الإمام المبرِّد كما أسلفنا .

(٣) طمس في الأصل وأثبتناه من تفسير القرطبي الذي ينقل كثيراً عن الإمام النحاس ٩٥/١ .

يقول : في قلوبهم شكٌّ][1] .

[وقـــال غـيره : المرضُ : النفـــاقُ والريـــاء ، والمرضُ في الجسد ، كما أن العمى في القلب ، ويُقال : مَرض فلانٌ : أصابتـه عِلَّـةٌ في بدنه .

فإن قيل : بم أصابهم المرض ؟ قيل : فُعل هذا بهم عقوبة ،

وقيـل : بإنـزال القـرآن أصابهم المرض ، كما قال تعـالى ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانَـاً ؟ فَأَمَّـا الَّذِيـنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانَـاً وَهُـمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّـا الَّذِيـنَ فِي قُلُوبِهِـمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَاً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[2]] .

٢١ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آية ١٠]

يُقال : آلـمَ إذا أَوْجـع ، وهـو مُؤْلِـمٌ وأَلِيـمٌ ، والألـمُ : الوَجَـعُ ، وجمعُ « أليم » آلامَ كأشراف ، والأَلِيمُ : الشَّديدُ الوَجعِ[3] .

٢٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [آية ١٠] .

قال أبـو حـاتم[4] : أي بتكـذيبهم الـرُّسُلَ ، وردِّهـم على اللـهِ ،

---

(١) طمسٌ في الأصل وأثبتناه من تفسير الطبري ١٢١/١

(٢) في الأصل طمسٌ في كلمـاتٍ عديـدة في هذه الصفحـة ، وقـد توصلنـا إلى معرفتــه على وجــه التقريب بعد جهد جهيد ، بالاستعانة بالسياق تارة ، وبالمراجع الكثيرة التـي بين أيدينـا كتـفسير الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، ومعاني القرآن للزجاج ، وتـفسير غريب القـرآن لابن قتيبة ، وإعراب القرآن للمصنف « الإمام النحاس نفسه » وعلى الله قصد السبيل .

(٣) انظر المصباح المنير ٢٤/١ والصحاح للجوهري ٨٦٣/٥ ولسان العرب لابن منظور ٢٢/١٢ .

(٤) « أبو حاتم » هو الإمام النحـوي اللغـوي الشهير « سَهْـل بن محمـد السِّجستـاني » المتـوفى سنـة =

وتكذيبهم بآياته ، قال : ومن خفَّفَ فالمعنى عنده : بكذبهم وقولهم آمنا ولم يؤمنوا ، فذلك كذبٌ[1] .

٢٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [آية ١١] .

فيه قولان :

أحدهما : أنهم قالوا : إنما نحن مصلحون فليس من عادتنا الإفسادُ[2] .

والآخر : أنهم قالوا : هذا الذي تسمونه فساداً هو عندنا صلاحٌ[3] .

٢٤ ــ وقولُه تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آية ١٢] .

معنى « أَلَا » التَنْبيهُ[4] ، كما قال الشاعر :

= ٢٥٥هـ أخذ عنه المبرد والفراء وكلامه هذا نقله القرطبي في جامع الأحكام ١٩٨/١ عن أبي حاتم ، ممَّا ساعدنا على معرفة الطمس ، وانظر ترجمته في معجم المؤلفين .

(١) قال الزجاج في معانيه ٥٢/١ : يُقرأ « يَكْذِبُون » و « يُكَذِّبُون » فمن قرأ بالتخفيف ، فإن كذبهم قولهم أنهم يؤمنون قال الله ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ وأما بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي ﷺ ٢٨٥/٤ .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢/١ تقدير الكلام : ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد ، وقال ابن عطية ١٦٧/١ : « هو جحدٌ أنهم يفسدون ، وهذا استمرارٌ منهم على النفاق » .

(٣) هذا القول مروي عن مجاهد وانظر الطبري ٢٠٤/١ .

(٤) « أَلَا » أداة استفتاح وتنبيه ، كأنه يقول : انتبهوا أيها القوم فإن هؤلاء القوم في ضلال مبين .

أَلا إِنَّ هَذَا الدَّهْـــــرَ يومٌ وَلَيْلَـــــةٌ
وَلَيْسَ عَلَـى شَيْءٍ قَوِيـمٍ بِمُسْتَمِـرّ[1]

٢٥ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ﴾** [آية ١٢] .

قال ابـن كيسان : يُقـال : ما (على من)[2] لم يعلـم أنـه مفسدٌ من الذمِّ ، إنما يُذمُّ إذا علم أنه مفسدٌ ثم أفسد على علمٍ ! .

قال ففيه جوابان :

أحدهما : أنَّهم كانوا يعملون الفسادَ ، ويُظهرون الصلاح ، وهم لا يشعرون أن أمرهُمْ يَظْهرُ عند النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم .

والوجـهُ الثـاني : أن يكـون فسادُهـم عندهـم صلاحـاً ، وهـم لايشعرونَ أن ذلك فسادٌ ، وقد عَصَوْا اللَّهَ ورسولَه في تركهم تبيـنَ الحقِّ واتِّباعَهُ[3] .

٢٦ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا أَنُؤْمِـنُ كَمَا آمن السُّفَهَاءُ ..﴾** [آية ١٣] .

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت فيما بين يديَّ من المراجع الشعرية واللغوية .

(٢) سقط من المخطوطة كلمة « عَلَى مَنْ » فاختـلَّ المعنـى ، وأثبتناهـا من كلام ابـن كيسـان الـذي نقله عنه القرطبي ٢٠٤/١ .

(٣) هذا الوجهان ذكرهما الإمام الزجاج في تفسيره معاني القرآن ٥٢/١ حيث قال ما نصُّه :
قولُه تعالى ﴿ إنَّما نحن مُصْلِحُون ﴾ يحتمل ضربين من الجواب :
الأول : أنهم يظنون أنهم مصلحون .
الثاني : أن يُريدوا أنَّ هذا الذي يسمونه إفساداً هو عندنا إصلاحٌ . اهـ الزجاج .

قال ابن عباس : النَّاسُ ههنَا أصحابُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم[1] .

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ .. ﴾ ؟ [آية ١٣] .

قال أبو إسحاق : أصلُ السَّفهِ في اللغة : رقَّةُ الحِلْمِ[2] ، يُقال : ثوبٌ سفيهٌ أي بالٍ رقيقٌ[3] .

٢٧ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ١٣] .

أي لايعلمون أن وبال ذلك يرجع عليهم .

ويُقال : إذا وُصفوا بالسَّفهِ ، فلمَ لا يكون ذلكَ عُذْراً لهم ؟

فالجوابُ : إنه إنما لحقهم ذلك إذْ عابوا الحقَّ ، فأُنْزِلوا أنفسَهم تلكَ المنزلةَ ، كما قال تعالى ﴿ إنْ هُمْ إلاَّ كَالْأَنْعَامِ ﴾ لصدِّهم وإعراضهم ، إذْ بعده ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[3] لأن الأنعام قد

---

(١) ذكره الطبري عن ابن عباس ١٢٨/١ وابن الجوزي ٣٣/١ وتفسير ابن كثير ٧٦/١ .

(٢) في اللسان : الحِلْمُ بالكسر : الأَنَاةُ والعقل ، وجمعه أحلامٌ ، وحلومٌ ، وفي التنزيل ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلَامُهُم بِهَذَا ﴾ ؟ .

(٣) أبو إسحاق هو الزجاج ، وهكذا هو في كتابه معاني القرآن ٥٣/١ قال ابن عطية في المحرر ١٦٨/١ : السَّفَهُ الرقَّة الداعية إلى الخفة ، يقال : ثوب سفيه إذا كان رقيقاً هَلْهَلَ النسج . اهـ .

(٤) الآية في سورة الفرقان رقم (٤٤) وتمامُها ﴿ أم تحسب أنَّ أكثرهم يَسْمَعون أو يعقلون ؟ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ .

يَصْرِفها راعيها كيفَ شاء ، وهؤلاء لا يهتدون بالإنذار والعظة[1] .

وأيضاً فإذا سفَّهوا المؤمنين ، فهم في تلك الحال مستحقون لهذا الاسم[2] .

٢٨ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ١٣]

الجوابُ عنه كالجوابِ عن ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] .

٢٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ..﴾** [آية ١٤] .

رَوَى أَسْباطٌ عن السُدِّي : أَمَّا شياطينُهم فهم رُؤساؤهم في الكفر[4] .

---

(١) في المخطوطة « والعضه » وهو تصحيف ، وصوابُه « والعِظَة » كما أثبتناه وكما هو مقتضى السياق .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط ٦٨/١ : « وإنما قال هناك ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ وقال هنا ﴿ ولكن لا يَعْلمون ﴾ لأن المثبت لهم هناك هو الإفساد ، وهو مما يُدرك بأدنى تأمل ، لأنه من المحسوسات ، التي لا تحتاج إلى فكر كثير ، فنفى عنهم ما يُدرك بالمشاعر وهي الحواسُّ مبالغة في تجهيلهم ، وهو أن الشعور الثابت للبهائم منفيٌّ عنهم ، والمثبت هنا السَّفه ، والأمر بالإيمان يحتاج إلى إمعان فكر واستدلال ونظر تام ، يُفضي إلى الإيمان والتصديق ، ولم يقع منهم المأمور به ، فناسب ذلك نفي العلم عنهم ، ولأن السفه هو خفة العقل ، والجهل بالأُمور ، والعلم نقيضُ الجهل فقابله بقوله ﴿ ولكن لا يعلمون ﴾ . اهـ وكلامه في غاية الجودة والإبداع .

(٣) مفعول « لا يشعرون » محذوفٌ لفهم المعنى ، تقديره : ولكنْ لا يشعرون أنهم مفسدون ، وكذلك هنا ﴿ ولكن لا يعلمون ﴾ أنهم سفهاء .

(٤) ذكره الطبري ١٣٠/١ وابن الجوزي ٣٥/١ وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وعليه الجمهور .

ويُبيِّن ما قال ، قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ شَيَاطِينَ الإنْسِ وَالجِنِّ ﴾[1] .

و « شَيْطَانٌ » مشتقٌّ من الشَّطَنِ وهو الحَبْلُ .

أي هو ممدودٌ في الشَّرِّ ، ومنه بئرٌ شَطُونٌ[2] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية ١٤] .

فأخبر سبحانه بما يكتمون[3] .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ .. ﴾ [آية ١٥] .

فيه أجوبة :

أصحُّها أن معناه : يجازيهم على استهزائهم ، فسمَّى جزاء الذنب باسمه ، لازدواج الكلام[4] ، وليعلم أنه عقابٌ عليه ، وجزاءٌ به ،

---

(١) سورة الأنعام آية (١١٣) .

(٢) الشيطان سُمِّي شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده ، يُقال : بئر شَطُونٌ أي بعيدة القعر ، والشَّطَن : الحَبلُ لبعد طرفيه وامتداده ، ووصف أعرابي فرساً جَموحاً فقال : كأنه شيطان في أشْطَان أي في حبال شُدَّت عليه ، وكل عاتٍ متمرد من الجن ، والإنس والدواب شيطان . قال جرير :

أيَّام يدعونني الشيطانَ من غَزَلي وهنَّ يَهْوَيْنَني إذْ كنتُ شيطانَا

(٣) هذا القول إنما كانوا يقولونه في الخفاء ، فأطلع الله عليه نبيَّه والمؤمنين ، وقرَّر أن السَّفه إنما هو صفة لهم .

(٤) المراد بازدواج الكلام الاتفاق والانسجام اللفظي ، وهذا ما يسمَّى في علم البلاغة « المشاكلة » أي المماثلة وهو اتفاق الكلمتين في اللفظ ، واختلافهما في المعنى . قال الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهلينا

فسمَّى انتصاره جهلاً ، والجهل لا يفتخر به ذو عقل ، وإنما قاله ليزدوج الكلام فيكون أخفَّ على اللسان .

كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[1] .

وقيل : هو ما رُوِيَ في الحديث أنَّ المؤمنين[2] يُعْطَون نُوراً ، فيُحَالُ بينهم وبينه .

وقيل : هو أنَّ اللَّهَ[3] أظهر لهم من أحكامه ، خلافَ مالهم في الآخرة ، كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسَرُّوا[4] .

واستشهد صاحب هذا القول بأن بعده ﴿ وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

وقيل : هو مِثْلُ ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] .

وهذه الأقوالُ ترجع إلى الأول لأنها مجازاةٌ[6] أيضاً .

ومن أحسن ما قيل فيه ، ما بيَّنه أن معنى « يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » يصيبهم[7] ، كما قال تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ .. ﴾[8] .

---

(١) سورة الشورة آية رقم (٤٠) .

(٢) في المخطوطة (أن المؤمنون ﴾ وهو خطأ من الناسخ ، والحديث ذكره القرطبي مفصلاً في جامع الأحكام ١/٢٠٨ .

(٣) سقط من المخطوطة لفظ « الله » وأثبتناها لضرورة السياق .

(٤) هو قول الزجاج في معاني القرآن ١/٥٥ وذكر نحوه أبو حيان في البحر ١/٧٠ .

(٥) سورة القلم آية ٤٤ .

(٦) في المخطوطة « مجاراة » بالراء وهو تصحيف ، وصوابه (مجازاةٌ) بالزاي كما أثبتناه .

(٧) هذا قريب من قول ابن عباس ﴿ يستهزئ بهم ﴾ : يسخر بهم للنقمة منهم ، حكاه الطبري عنه ١/١٣٤ وابن كثير ١/٧٨ .

(٨) سورة النساء آية رقم (١٤٠) .

٣٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [آية ١٥] .

أي يمدُّهم[١] في تجاوزهم متحيرين ، قال تعالى ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ ﴾[٢] .

وقال مجاهد : « يَعْمَهُونَ » : يَتَردَّدُون[٣] .

والمعنى على قوله : يترَدَّدُونَ في ضلالتهم .

وَحَكَى أهلُ اللغةِ : عَمِهَ ، يَعْمَهُ ، عُمُوهاً ، وعَمَهَاً ، وعَمَهَاناً فهو عَمِهٌ ، وعَامِهٌ : إذا حَارَ[٤] .

٣٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَىٰ .. ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : آمنوا ثم كفروا[٥] .

ويُقال : كيف قال « اشْتَرَوْا » وإنما يُقال : اشتريتُ كذا

---

(١) أصل المدّ في اللغة : الزيادة ، قال تعالى : ﴿ ونمُدُّ له من العذاب مدًّا ﴾ أي نزيد له من العذاب ، قال القرطبي ٢٠٩/١ : يقال : مدَّ له في الشر ، وأمدَّ له في الخير ، قال تعالى ﴿ وأمْدَدْنَاكُم بأموالٍ وبنين ﴾ و ﴿ أمْدَدْنَاهُم بفاكِهةٍ ﴾ .

(٢) سورة الحاقة آية رقم (١٢) .

(٣) هذا قول ابن عباس والضحاك أيضاً كما ذكره الطبري ١٣٥/١ وابن كثير ٧٩/١ .

(٤) قال الجوهري : العَمَهُ : التحيُّر والتردُّد ، وقد عَمِه بالكسر فهو عَمِهٌ وعامِهٌ والجمع عُمَّهٌ . قال رؤبة : « أعْمَى الهُدَى بالجَاهِلِين العُمَّه » اهـ الصحاح .

(٥) الطبري عن مجاهد ١٣٧/١ وابن كثير ٧٩/١ قال القرطبي ٢١٠/١ : والشراء هنا مستعار ، والمعنى : استحبوا الكفر على الإيمان ، وقال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، ومعناه : استبدلوا واختاروا الكفر على الإيمان . اهـ.

بكذا ، إذا دفعتَ شيئاً وأخذتَ غيره[1] ؟ .

والجوابُ عن قول مجاهـد ، أنهم كفـروا بعـــد الإيمان ، فصار الكفر لهم بدلاً من الإيمان ، وصاروا بمنزلة من باع شيئاً بشيءٍ[2] .

وقيـل : لَمّـا أعطَوْا بألسنتهم الإيمانَ ، وأبَـوْهُ بقلـوبهم ، فباعـوا هذا الذي ظهـر بألسنتهم ، بالـذي في قلوبهم ، والـذي في قلـوبهم هو الحاصلُ لهم ، فهو بمنزلة العِوَضِ ، أُخرج من أيديهم[3] .

وقيل : لمَّا سمعوا التذكرة والهُدَى ، ردُّوهـا واختـاروا الضلالـة ، فكانوا بمنزلة من دُفع إليه شيءٌ فاشترى به غيره .

قال ابنُ كَيْسَانَ[4] : قيل : هو مثلُ قولِهِ تعالى ﴿ وَمَا خَلَـقْـتُ الجِـنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُـدُونِ ﴾[5] فلمَّـا كان خَلْقُهـم للعبـــادة ، صار

---

(١) في المخطوطة « وأخذت عشرة » وهو خطأ من الناسخ ، وصوابه ما أثبتناه « وأخذتَ غيره » .

(٢) توضيح هذا أنـه جواب عن سؤال وارد وهـو : كيـف قيـل : اشتـروا الضلالـة بالهدى ، وهـم ما كانـوا على هدى ؟ والجواب أنهم لما تركـوا الإيمان مع تمكنهم منـه ، واستحبـوا الضلالـة ، صاروا كأنهم استبدلوا شيئاً بشيء ، فصحَّ إطلاق الشراء عليه ، وهو مجاز بديع .

(٣) لا حاجة إلى هذا التأويل ، لأنه بعيد ، والأَوْلى كما في البحر ١/٧١ : الاشتـراء هنـا مجاز كُنِّـي به عن الاختيار ، لأن المشتري للشيء مختار له ، فكأنه قال : اختاروا الضلالـة على الهدى ، وجُعـل تمكنهم من اتِّباع الهدى كالثمن المبذول في المشتَرى . ومنه قول أُبي ذؤيب :

فإنْ تَزْعُميـني كُنتُ أجْهَـلُ فِيكُــمُ ... فَإنِّـي شَرَيْتُ الحِلْمَ بَعْدَكِ بالجَهْـلِ

(٤) هو الإمام النحوي محمد بن أحمد الكيساني « أبو الحسن » المتوفى سنة ٢٩٩هـ كما في الأعـلام ، قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ١/١٣٦ : ابن كَيْسَان هو النحوي ، فكلما قلنا : قال ابن كيسان فإياه نعني . اهـ . وانظر ترجمته في الأعلام ٦/١٩٧ .

(٥) سورة الذاريات آية رقم (٥٦) .

ما خالفها مبدلاً عنها ، بصدِّهم عمَّا خُلقوا له[1] .

وأصلُ الضَّلالةِ : الحَيْرةُ[2] ، وسُمِّي النِّسيانُ ضلالةً[3] لما فيه من الحَيْرة ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[4] أي النَّاسينَ .

ويُسمَّى الهَلاكُ[5] ضَلالة ، كما قال عز وجل ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[6] ؟ .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [آية ١٦] .

فأُنزلوا منزلة من اتَّجر ، لأَن الربح[7] والخسران إنما يكونان في التجارة ، **والمعنى** : فما ربحوا في تجارتهم ، ومثلُه قولُ العربِ : خَسِرَ

---

(١) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر وضعَّفه ٧٢/١ لأنه لو خلقهم لطاعته لما كفر أحد منهم .

(٢) الحَيْرة : بفتح الحاء وسكون الياء قال في القاموس : حَارَ ، يَحَارُ ، حَيْرةً ، فهو حَيْرَان وحائر ، والحِيرة : بالكسر بلد بقرب الكوفة .

(٣) أشار المصنف إلى قوله تعالى ﴿ أن تَضِلَّ إحْداهما فتُذَكِّر إحداهما الأخرى ﴾ أي تنسى إحداهما فتذكِّرها الأخرى .

(٤) سورة الشعراء آية رقم (٢٠) .

(٥) في المخطوطة « ويسمى الهلال ضلالة » وهو تصحيف وصوابه ما ذكرناه ويسمى الهَلاك ضلالة بالكاف لا باللام .

(٦) سورة السجدة آية رقم (١٠) .

(٧) سقط من المخطوطة لفظ « الربح » وهو ضروري لحرف العطف ، ولقوله « إنما يكونان » .

بَيْعُه[1] ، لأنه قد عُرِفَ المعنى .

٣٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .**

أي بفعلهم الذي فعلوه من إيثار الضلالة [على الهدى][2] .

ويجوز : وما كانوا مهتدين في علمِ الله عز وجلَّ[3] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً .. ﴾** [آية ١٧] .

قال ابن كيسان : استوقد بمعنى أَوْقَد[4] ، ويجوز أن يكون استوقدها من غيره ، أي طَلَبها من غيره .

قال الأخفش ــ هو سعيد[5] ــ ﴿ الَّذِي ﴾ في معنى جمع .

---

(١) أسند تعالى الربح إلى التجارة ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ على عادة العرب في قولهم : ربحَ بيعك ، وخسرت صفقتكَ ، وقولهم : ليله قائم ، ونهاره صائم ، قال الشاعر :

نَهَارُكَ هَائِمٌ ، ولَيْلُكَ نَائِمٌ ... كَذَلِكَ في الدُّنْيا تَعِيشُ البَهَائِمُ

(٢) سقطت جملة « على الهدى » وقد أثبتناها بين الحاصرتين .

(٣) هذا قولٌ مرجوح ، ذكره القرطبي بصيغة التضعيف ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٨١/١ . قال الطبري : وما كانوا راشدين في اختيارهم الضلالة على الهدى ، واستبدالهم الكفر بالإيمان ، واشترائهم النِّفاق بالتصديق . اهـ .

(٤) أشار بهذا القول إلى أن السين والتاء زائدتين مثل استحاب بمعنى أجاب ، ومنه قول الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى ... فلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مجيب

أي لم يُجبه .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢٠٩/٣ واسمه « سعيد بن مسعدة » المتوفى سنة ٢١٥هـ ، نحوي عالم باللغة والأدب ، أخذ العربية عن سيبويه .

قال ابن كيسان : لو كان كذلك لأعاد عليه ضميرَ الجمع[1] ، كما قال الشاعر :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ
هُمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[2]

قال : ولكنه واحدٌ شُبِّه به جماعة ، لأن القصد كان إلى الفعل ، ولم يكن إلى تشبيه العين بالعين[3] ، فصار مثل قوله تعالى ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ فالمعنى : إلا كبعثِ نفسٍ واحدة ..

وكإيقاد الذي استوقد ناراً .

٣٧ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ .. ﴾** [آية ١٧]

ويجوز أن يكون « ما » بمعنى « الذي » وأن تكون زائدة ، وأن تكون نكرة .

---

(١) أي لو كان لفظ « الذي » بمعنى « الذين » لجمع الفعل فقال : استوقد ناراً ، ليطابق الفعل الفاعل .

(٢) البيت للأشهب بن رُمَيلة ، يرثي قوماً من أصحابه قُتلوا في الفلج ، وهو موضع بقرب البصرة ، وانظر لسان العرب ، وقد استشهد به الطبري في جامع البيان ١/١٤١ وابن عطية في المحرر ١/١٨٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١/٢١٢ .

(٣) وضَّحه الفراء في معانيه ١/١٥ فقال : إنما ضُرب المَثَلُ للفعل لا لأعيان الرجال ، وإنما هو مَثَل للنفاق فقال : « كمثل الذي » ولم يقل : الذين استوقدوا ، وهو كقوله تعالى ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة ﴾ ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعاً .

والمعنى : أضاءت له فأبصر الذي حوله ....

....

....

....

....

....

....

.... (١)

٣٨ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ .. ﴾** [آية ١٨٩] .

سبب نزول هذه الآية أن بعضَ المسلمينَ ، سأل النبيَّ ﷺ : لِمَ خُلِقَتْ هذه الأهلة[٢] ؟ فأنزل اللهُ عزَّ وجل ﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ .. ﴾

فجعلَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ مواقيتَ لحجِّ المسلمين ، وإفطارِهم ، وصومهم ، ومناسكِهم ، ولعِدَّة نسائهم ، ومحلِّ دَيْنِهم ، واللهُ أعلمُ بما يُصْلِح خلقهَ[٣] .

(١) يوجد في المخطوطة سقط من الآيات ، لا يمكن تداركه لأنه لا يوجد إلا مخطوطة واحدة .

(٢) سقطت بعض الكلمات من المخطوطة وأثبتناها من القرطبي وغيره ، وفي المخطوطة « لو خلقت هذه الأهلة » وصوابه : لم خُلقت هذه الأهلة ؟ وانظر الطبري ١٨٥/٢ .

(٣) هذا قول قتادة كما في الطبري ١٨٥/٢ عنه قال : « جعل الله الأهلَّة لصوم المسلمين ، ولإفطارهم ، ولمناسكهم ، وحجِّهم ، ولعدَّة نسائهم ، ومحلِّ دَيْنهم ، والله أعلم بما يصلح خلقه » .

قال أبو إسحاق[1] : هلالٌ مشتقٌ من استهلَّ الصبيُّ : إذا بكى ، وأهلَّ القومُ بحجةٍ وعُمرةٍ : أي رفعوا أصواتهم بالتلبية ، فقيل له : هلالٌ ، لأنه حين يُرَى يُهِلُّ الناسُ بذكره .

وأُهِلَّ ، واستهلَّ ـــ ولا يُقال : أهلَّ ، ويُقال : أَهْلَلنا أي رأينا الهلالَ ، وأهللنا شهر كذا وكذا[2] ـــ إذا دخلنا فيه .

وسُمِّي شهراً لشهرته وبيانه[3] .

قال الأصمعي : ولا يُسمَّى هِلَالاً حتَّى يُحجِّر ، وتَحْجيرُه أن يَسْتديرَ بخطة دقيقة[4] .

وقيل : لِلَيْلتينِ وثلاثٍ .

وقيل : حتى يغلب ضوءُه ، وهذا في السابعة .

قال أبو إسحاق : والأجودُ عندي أن يُسمَّى هلالاً لليلتَيْنِ ، لأنه في الثالثة يتبيَّنُ ضوءُه[5] .

---

(١) قال الزجاج ٢٤٦/١ : ومعنى الهلال واشتقاقه من قولهم : استهلَّ الصبيُّ : إذا بكى حين يولد ، أو صَاحَ ، وإنما قيل له هلال لأنه حين يُرَى يُهِلُّ الناس بذكره ، وأهلَّ القوم بالحجِّ والعمرة : أي رفعوا أصواتهم بالتلبية . اهـ .

(٢) يوجد نقص بعض الكلمات ، أثبتناها من معاني القرآن للزجاج ٢٤٧/١ .

(٣) قال الأزهري : سُمِّي الشهر شهراً لشهرته وبيانه ، وهو قول الزجاج ، وقال غيره : سُمِّي شهراً باسم الهلال إذا أهلَّ شهراً ، والعربُ تقول : رأينُ الشهر أي رأيت هلاله . تهذيب اللغة ٨٠/٦ .

(٤) أي تحاط دائرته بخط دقيق يُحدِّدها ، ولم تُضِيءْ بعد .

(٥) قال الزجاج في معانيه ٢٤٧/١ : وقد اختلف الناس في تسميته هلالاً ، ومتى يُسَمَّى قمراً ، فقال بعضهم : يُسمَّى هلالاً لليلتين من الشهر ثم لا يُسمَّى هلالاً . وقال بعضهم : يسمى =

٣٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَيْس البِرَّ بَأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى ، وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا .. ﴾** [آية ١٨٩] .

رَوَى شُعْبَةُ عن أبي إسحاقَ قال : سمعتُ البَـرَاءَ بنَ عَازِبٍ يقولُ : نزلت فينا هذه الآية ، كانت الأنصار إذا حَجُّوا فجاءوا ، لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، ولكنْ من ظهورها ، فجاء رجلٌ من الأنصار فدخل من قِبَل بابه ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَيْسَ البِرَّ بأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا .. ﴾[١] الآية .

٤٠ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا .. ﴾** [آية ١٩٠] .

قيل : أي ولا تقاتلوا مَنْ عاهدتم وعاقدتم[٢] .

وقيل : لا تقاتلوا من لم يقاتلكم[٣] .

= هلالاً إلى أن يَبْهَر ضَوْءُه سواد الليل ، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة ، والذي عندي ــ وما عليه الأكثر ــ أنه يُسمَّى هلالاً ابن ليلتين ، فإنه في الثالثة يَبين ضوؤه . اهـ. وإلى هذا ذهب الأزهري في تهذيب اللغة ، وابن منظور في لسان العرب .

(١) أخرجه البخاري في العمرة ٩/٣ ومسلم في التفسير ٦٠٩/٢ ولفظه عن البراء « كانت الأنصار إذا حجُّوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها .. » الحديث .

(٢) قول لبعض المفسرين مذكورٌ ، لأنه لا يجوز قتال من بيْننا وبينه عهد ، إلا إذا نقض العهد .

(٣) هذا قول سعيد بن جبير ، وأبي العالية ، وابن زيد كما في تفسير ابن الجوزي ١٩٧/١ ، رُوي أن رسول الله ﷺ لمَّا صُدَّ عن البيت ، ونحر هَدْيه بالحديبية ، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل ، رجع ، فلما تجهَّز في العام المقبل ، خاف أصحابه أن لا تفي لهم قريش بذلك ، وأن يصدُّوهم ويقاتلوهم ، فنزلت الآية .

قال ابن زيد : ثم نُسخ ذلك فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أي وجدتموهم ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ يعني مكة[1] .

٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ .. ﴾** [آية ١٩١] .

قال مجاهد : ارتدادُ المؤمنِ أشدُّ عليه من أن يُقتل[2] .

والفتنةُ في الأصلِ : الاختبارُ ، فتأويلُ الكلام : الاختبارُ الخبيثُ الذي يؤدي إلى الكفر ، أشدُّ من القتل ، وفَتَنَتْهُ فُلانةٌ : أي صارتْ له كالمختَبِرةِ ، أي اخْتُبِرِ بجمالِها ، وَفَتَنْتُ الذَّهبَ في النَّار : أي اختبرتُه لأعلمَ خالصٌ هو ، أم مشوب[3] ؟ .

وقيل لهذا السبب لكلِّ ما أحميتَه في النَّارِ : فتنتُه ، لأنه بذلك كالمختبر[4]

---

(١) قال الطبري : لا تقتلوا النساء ، ولا الصبيان ، ولا الشيخ الكبير ، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم ، وانظر الطبري ١٨٩/١ والقرطبي ٣٤٨/٢ وابن كثير ٣٢٧/١ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١٩١/١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/١ وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٨/١ قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٨/١ : أي الكفر أشدُّ من القتل في الأشهر الحرم . اهـ .

(٣) قال القرطبي ٣٥٤/٢ : « وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان ، مأخوذ من فتنت الفضَّة : إذا أدخلتها في النار ، لتميِّز رديئها من جيِّدها » . اهـ .

(٤) في الصحاح : الفتنة : الامتحان والاختبار ، وافْتُتِنَ الرجل وفُتِنَ فهو مفتون ، إذا أصابته فتنةٌ فذهب ماله أو عقله ، وفتَنَتْهُ المرأة : إذا دَلَّهته ، وقال الخليل : الفتنُ : الإحراق . اهـ .

وقيل في قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[1] هو من هذا أي يُشْوَوْن .

قال أبو العباس[2] : والقول عندي ــ واللهُ أعلم ــ إنما هو يُحرقون بفتنتهم ، أي يُعذَّبون بكفرهم ، من فُتِنَ الكافرُ .

وقيل : يُخْتَبرون ، فيقال : (مَا سَلَكَكُمْ في سَقَر) ؟ وأَفْتَنُه العذابُ أي جزاه بفتنته ، كقولك كَرَبَ ، وَأَكْرَبَهُ[3] ، والعلمُ للَّهِ تعالىٰ .

يقال : فَتَن الرجلُ ، وفُتِنَ ، وأَفْتَنْته[3] ، أي جعلتُ فيه فتنةً كقولك : دَهَشْتُه ، وكَحَلْتُه ، هذا قول الخليل ، وأفتنتُهُ : جعلتُه فاتناً ، وهذا خَضِرٌ فَتِنٌ .

وقال الأخفش في قوله عز وجل : ﴿ بأَيِّكُم المَفْتُون ﴾ قال : يعني الفتنة[4] ، كقولك « خُذْ مَيْسُوره ، وَدَعْ مَعْسُورَه »[5] .

---

(١) سورة الطور آية رقم (١٣) .

(٢) هو الإمام المبرِّد وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ من هذا الجزء .

(٣) يريد المصنف أنه يستعمل لازماً ومتعدِّياً ، فيقال : فَتَن ، وأَفْتَنْتُه ، مثل : كَرَب ، وأكربتُه . وانظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة للأزهري ، مادة فتن .

(٤) لم يذكره الأخفش في معانيه ، وإنما اكتفى بقوله ﴿ بأَيِّكم المَفْتُون ﴾ يريد أيكم المَفْتون ؟

(٥) قال في الصحاح : العُسْر نقيض اليُسْر ، وعَسُرَ عليه الأمر فهو عسير ، وقال سيبويه : هما صفتان ، ولا يجيء المصدر على وزن المفعول البتَّة ، ويتأول قولهم « دَعْه إلى مَيْسوره وإلى مَعْسوره» أي : دَعْه إلى أمرٍ يُوسَر فيه ، وإلى أمرٍ يُعْسَر فيه . الصحاح للجوهري ، وانظر كتاب سيبويه ٤/٩٧ .

وكان سيبويه يأبىٰ أن يكون المصدر على مفعول ، ويقول : المعتمدُ خُذْ ما يُسِّرَ لكَ مِنهُ .

٤٢ ـ **وقوله عزَّ وجل : ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُم عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيْه .. ﴾** [آية ١٩١] .

قال قتادة : ثم نسخ ذلك بعد فقال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[1] .

قال ابن عباس : أي شرك[2] ، قال : ﴿ وَ يَكُونَ الَّدينُ لِلَّهِ ﴾ ويَخْلُص التوحيدُ للَّهِ .

ثم قال : ﴿ فإنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إلَّا عَلَى الظَّالِمينْ ﴾ [آية ١٩٢] .

قال قتادة : والظَّالمُ الذي أبىٰ أن يقول « لا إله إلا الله »[3] .

٤٣ ـ **ثم قال عز وجل : ﴿ الشَّهْرُ الحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ والحُرُمَاتُ قِصَاص .. ﴾** [آية ١٩٤] .

---

(١) الطبري عن قتادة ١٩٢/١ ، وذكره ابن الجوزي ١٩٩/١ ، وفي البحر ٦٧/٢ ، قال القرطبي ٣٥١/٢ : للعلماء في هذه الآية قولان : أحدهما : أنها منسوخة ، والثاني : أنها محكمة ، قال مجاهد : الآية محكمة ، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ، وهو الصحيح . اهـ .

(٢) الطبري ١٩١/١ وابن كثير ٣٢٩/١ وهو قول أبي العالية ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) ذكره في البحر ٦٩/٢ عن عكرمة وقتادة . وقال الأخفش : المعنى : فإن انتهى بعضهم فلا عدوان إلا على من لم ينته وهو الظالم . اهـ .

أي قتالُ الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام.[1]

قال مجاهد : صدَّتْ قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عن البيت الحرام في الشهر الحرام « ذي القعدة » فأَقصَّه الله منهم من قابل ، فدخل البيتَ الحرام في الشهر الحرام ، ذي القعدة وقضىٰ عُمْرةً[2] .

وقال غيره : قال عزَّ وجل : ﴿ والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ فجمع ، لأنه جلَّ ثناؤه أراد الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، وحُرْمة الإحرام[3] .

٤٤ ــ **ثم قال عزَّ وجل : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ١٩٤] .

قال مجاهد : أي من قَاتَلكُم فيه ، فاعتدوا عليه فقاتلوه فيه ،

---

(١) هذا قول الزجاج ١/٢٥٣ ، وابن الجوزي ١/٢٠١ .

(٢) قال ابن الجوزي ١/٢٠١ : اختلفوا في نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : أن النبي ﷺ أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهَدْيُ ، فصدَّهم المشركون ، فصالحهم نبيُّ الله على أن يرجع ثم يعود في العام المقبل . فأقصَّه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردُّوه فيه ، فقال : ﴿ الشَّهْر الحَرامُ بالشهرِ الحرامِ والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ .. ﴾ وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء .

والثاني : أن مشركي العرب قالوا للنبي عليه السلام : أَنُهيتَ عن قتالنا في الشهر الحرام ؟ قال : نعم ، وأرادوا أن يُفتِّروه في الشهر الحرام ، فيقاتلوه فيه ، فنزلت هذه الآية ، وهذا قول حسن ، واختاره الزجاج . اهـ .

(٣) هكذا فسره ابن جرير الطبري ٢/١٩٨ قال : ﴿ والحرمات قصاص ﴾ جمعَ ، لأنه أراد الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، وحرمة الإحرام .

سُمّي الثاني اعتداءً ، لأنه جزاء الأول[1] .

٤٥ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وأَنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللّه ، وَلَا تُلْقُوا بأَيْدِيْكُم إلىٰ التَّهْلُكَةِ .. ﴾** [آية ١٩٥] .

أصحُّ ما قيل في هذا أن سعيد بن جبير روىٰ عن ابن عباس « لاتُمسِكُوا النَّفَقةَ في سبيلِ اللَّهِ فتهلِكُوا »[2] .

وحدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال : حدثنا عبدالله بن يحيىٰ قال : حدثنا عاصم قال : حدثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن شقيق قال قال حذيفة : التهلكةُ : تركُ النفقة[3] .

وقال البراء والنُّعْمان بنُ بشير : هو الرجلُ يُذنب الذَّنبَ ، فيُلقي بيدهِ ، ثم يقول : لا يُغْفَر لي[4] .

---

(١) قال الفراء ١١٧/١ : « العدوانُ من المشركين ظُلم ، في اللفظ وفي المعنى ، والعدوان الذي أباحه الله إنما هو قصاص ، فلا يكون ظلماً ، لأنه جزاء ، ومثله ﴿ وجزاء سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مِثْلُها ﴾ » .

(٢) الطبري عن ابن عباس ٢٠١/١ وابن كثير ٣٣٢/١ والدر المنثور ٢٠٧/١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٣/٦ عن حذيفة قال ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ نزلت في النفقة . ورُوِيَ أن رجلاً من المسلمين حمل على جيش الروم ، حتى دخل فيهم ، ثم خرج إلينا ، فصاح النَّاسُ : سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، حين أعزَّ الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، قلنا فيما بيننا : لو أقمنا في أموالنا فأصلحناها ، فأنزل الله الآية ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها ، وترك الجهاد في سبيل الله » وانظر سنن أبي داود ١٢/٣ والطبري ٢٠٤/٢ وابن كثير ٣٣١/١ .

(٤) الطبري ٢٠٢/٢ والقرطبي ٣٦٢/٢ وابن كثير ٣٣٢/١ عن النعمان بن بشير ، والدر المنثور ٢٠٨/١ .

وقال عبيدة : هو الرجلُ يعملُ الذنوبَ والكبائر ثم يقول : ليس لي توبةٌ ، فيلقي بيديه إلى التهلكة(١) .

وقال أبو قلابة : هو الرجل يصيب الذنب فيقول : ليس لي توبة فينهمك في الذنوب(٢) .

قال أبو جعفر : والقولُ الأول أَوْلىٰ ، لأن أَبَا أيوب الأنصاري يروي قال : نزلت فينَا معاشرَ الأنصار ، لمَّا أعزَّ اللهُ دينه ، قلنا ــ سِرّاً من رسول الله ﷺ ــ إن أموالَنَا قد ضاعتْ ، فلو أَقَمْنَا فيها وأصلَحْنا منها ما ضَاعَ ، فأنزلَ اللَّهُ في كتابه ، يردُّ علينا ما هممنا به :

﴿ وأَنْفِقُوا في سَبِيلِ اللَّهِ ولا تُلْقُوا بأَيْدِيكُم إلىٰ التَّهْلُكَة ﴾

فكانت التهلكةُ في الإقامة ، التي أردنا أن نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأُمرنا بالغزو(٤) .

قال أبو جعفر : فدلَّ على وجوب الجهاد على المسلمين(٥) .

وقيل أيضا : معنىٰ ﴿ وأَحْسِنُوا ﴾ : وأنفقوا(٦) .

---

(١) و (٢) و (٣) هذه الآثار رويت كلُّها عن السلف ، كما في جامع البيان ٢٠٣/٢ وابن كثير ٣٣٢/١ والقرطبي ٣٦٢/٢ . وأصحُّ الأقوال فيها أن المراد بالتهلكة الاشتغال بالدنيا ، وترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله ، كما بيَّنه حديث أبي أيوب الأنصاري .

(٤) راجع الطبري ٢٠٣/٢ وابن كثير ٣٣٢/١ والدر المنثور ٢٠٨/١ .

(٥) وجه الوجوب أن الله تعالى أمر بالإنفاق في سبيل الله ــ والمراد بسبيل الله الجهاد ــ فدلَّ على وجوبه على المسلمين .

(٦) هذا قول زيد بن أسلم كما في المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٨/٢ والأولى العموم أي أحسنوا في أعمالكم ، وإنفاقكم ، وطاعتكم ، وهو اختيار الطبري . وابن كثير ٣٣٣/١ .

قال أبو إسحاق : وأحسِنُوا في أداء الفرائض[1] .

وقال عكرمة : أي أحسنوا الظنَّ باللَّهِ[2] .

وقال ابن زيد : عُودُوا على من ليس في يده شيء[3] .

والمعنىٰ في قوله : ﴿ ولا تُلْقُوْا بأَيْدِيْكُم إلىٰ التَّهْلُكَةِ ﴾ .

علىٰ ما تقدَّم أي إن امتنعتُمْ من النفقةِ في سبيل الله ، عَصَيْتُم اللَّهَ فهلكتم ، ويجوز أن يكون المعنى : قوَّيتُمْ عدوَّكم ، فهلكتم .

٤٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرةَ لِلَّهِ** .. ﴾ [آية ١٩٦] .

يُرْوَىٰ عن عمر أن إتمامهما تركُ الفسخ ، لأن الفسخ كان جائزاً في أول الإسلام[4] .

وقال عبدالله بن سلمة سألتُ علياً عن قوله تعالى ﴿ وَأَتِموُّا الحَجَّ والعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ما إتمامهما ؟ قال : أن تُحرم بهما من دُويرة أهلك[5] .

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٥٥/١ والقرطبي ٣٦٥/٢ .

(٢) و (٣) انظر الطبري ٢٠٦/٢ والقرطبي ٣٦٥/٢ .

(٤) ذكره في البحر المحيط ٧٢/٢ والقرطبي عن الشعبي وابن زيد قالا : من أحرم بنسُكٍ وجَبَ عليه المضيُّ ولا يفسخه ، جامع الأحكام ٣٦٥/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٤/١ عن ابن عباس .

(٥) رواه ابن جرير الطبري عن علي ٢٠٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٨/١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ورواه الحاكم في المستدرك ٢٧٦/٢ وصححه ، والبيهقي في السنن ٣٠/٥ عن علي ، كما روي عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ وقال : فيه نظر .

قال أبو جعفر : وذهب إلى هذا جماعةٌ من الكوفيين ، وقال : وجُعِل الميقاتُ حتى لايتجاوز ، فأمَّا الأفضلُ فما قال عليٌّ .

ورَوَى علقمة عن عبدالله قال : لا يجاوز بهما البيت[1] .

وقال مجاهد وإبراهيمُ : إتمامُهُمَا أن يُفْعَل ما أُمِرَ بِهِ فِيهما[2] .

وهذا كأنه إجماع ، لأن عليه أن يأتي المشاعر ، وما أُمِرَ به ، وبذلك يتمُّ حجُّهُ .

فأما الإحرام من بَلَده ، فلو كان من الإتمام لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وقد قال الحسن : أحرم عِمْرانُ بنُ الحصين من البلد الذي كان فيه ، فأنْكر ذلك عُمَرُ عليه ، وقال أيُحرِمُ رجلٌ من أصحاب

---

(١) قال القرطبي ٣٦٦/٢ : وما رُوي عن عليٍّ ــ وفَعَله عمران بن الحصين ــ في الإحرام قبل المواقيت ، فقد قال به عبد الله بن مسعود وجماعة من السَّلف ، وثبت عن عمر أنه أهلَّ من إيلياء ، ورخَّص فيه الشافعي ، وكره مالكٌ أن يُحرم أحد قبل الميقات ، لأن الرسول ﷺ لم يُحرم من بيته ، بل أحرم من الميقات .. إلخ .

(٢) الدر المنثور عن مجاهد ٢٠٨/١ وزاد المسير ٢٠٤/١ .

قال الزجاج : الحج والعمرة لهما مواقف ومشاعر ، كالطواف والموقف بعرفة وغير ذلك ، فإتمامُها تأدية كل ما فيهما وهذا بيِّنٌ . اهـ .

(٣) هذا ما ذهب إليه مالك رحمه الله ، فقد قال : يكره أن يُحرم أحدٌ قبل الميقات ، لأن رسول الله ﷺ وقَّت المواقيت وعيَّنها ، فصارت بياناً لمجمل الحج ، ولم يُحرم ﷺ من بيته لحجته ، بل أحرم من ميقاته الذي وقَّته لأمته ، وما فعله ﷺ فهو الأفضل إن شاء الله ، وكذلك فعل الصحابة والتابعون بعده . اهـ .

رسول الله من داره[1] ؟ .

وقيل : « إتمامهما » أن تكون النفقة حلالاً[2] .

وقال سفيان : « إتمامهما » أن يُحرم لهما قاصداً ، لا لتجارة[3] .

وقرأ الشعبي : (والعُمْرةُ للَّهِ) بالرفع ، وقال : العمرةُ تطوُّعٌ[4] . والناسُ جميعاً يقرءونها بالنصب ، وفي المعنىٰ قولان :

قال ابن عمر ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وطاووس ، وعطاء ، وابن سيرين : هي فريضة .

وقال جابر بن عبدالله ، والشعبي : هي تطوع[5] .

وليس يجب في قراءة من قرأ بالنَّصبِ أنها فرض ، لأنه ينبغي لمن دخل في عملٍ هو لله أن يُتمَّه[6] .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢/٣٦٦ عن عمر أنه أنكر على عمران بن حصين إحرامه من البصرة .

(٢) ذكره الزجاج في كتابه معاني القرآن ١/٢٥٥ ولم يعزه إلى أحد من السلف .

(٣) ذكره الطبري ٢/٢٠٨ ولفظه : قال سفيان : أن تخرج من أهلك لا تريد إلا الحجَّ والعمرة ، وتُهلَّ من الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة أو لحاجة ، حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت : لو حججتُ أو اعتمرتُ !!

(٤) الطبري ٢/٢٠٨ وابن الجوزي ١/٢٠٤ وتكون الجملة ﴿ والعمرُة لله ﴾ مبتدأ وخبر ، والجمهور على قراءة النصب ﴿ وأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ للهِ ﴾ .

(٥) و (٦) اختلف العلماء في العمرة هل هي فرض كالحج ، أو سنة ؟ فذهب الشافعي وأحمد إلى الوجوب استدلالاً بالآية ﴿وأتموا الحجَّ والعُمْرةَ لله﴾ فقد قرنها بالحج وهو فريضة ، وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أن العمرة تطوع ، وقالا : إن إتمامهما المراد به أن يكملهما بعد الشروع بهما ، فمن دخل في نُسك فعليه إتمامه ، لأن الشروع ملزم ، واستدل هذا الفريق بقوله تعالى ﴿ ولله =

قيل : معنى الحج مأخوذ من قولهم : حججتُ كذا أي تعرفت كذا فالحاج يأتي مواضع يتعرَّفها .

قال الشاعر :

يَحُـجُّ مَأْمُومـة في قَعْرِهَـا لَجَـفٌ
فَاسْتُ الطَّبيبِ قَذَاهَـا كَالْمَغَارِيـدِ[1]

٤٧ ــ **وقوله عز وجل** : ﴿ **فإنْ أُحْصِرْتُم** ..[2]﴾ يعني مُنِعْتُم عن إتمامهما .

وفي الإحصار قولان :

أحدهما : قاله ابن عمر ، وهو مذهب أهل المدينة ، قال : لايكون إلاَّ من عدوّ[3] .

= على الناس حج البيت ﴾ ولم يذكر العمرة ، واستدلوا بما أخرجه الشافعي وعبد الرزاق أن رسول الله ﷺ قال (الحج جهاد والعمرة تطوع) وبما رواه الترمذي وصححه عن جابر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن العمرة : « أواجبة هي ؟ » قال : (لا ، وأن تعتمروا خير لكم) ولكل قول جماعة من الصحابة والتابعين ، وقد فصَّل الشوكاني في فتح القدير ١٩٥/١ الأقوال والأدلة أبدع تفصيل ، وذكر أدلة كل من الفريقين ، وقال بعد أن ذكر حديث جابر الصحيح : أنه ينبغي تأويل الآية بأنها واجبة بعد الشروع جمعاً بين الأدلة ، وهذا ما ذهب إليه المصنف رحمه الله .

(١) البيت لا يكاد يُقرأ في المخطوطة ، وقد أصلحناه من تاج العروس ، ولسان العرب مادة « حجَّ » وهو لعذار بن دُرَّة الطائي ، والمراد بقوله « يحجُّ مأمومة » أي يُصلح شجَّةً بلغت أمَّ الرأس ، قال ابن دريد : يصف الشاعر طبيباً يداوي شجَّةً بعيدة القعر ، فهو يجزع من هولها ، والقذى يتساقط من استه ، والمغاريد : جمع مغرود وهو صمغ معروف .

(٢) و(٣): اختلف أهل اللغة في معنى الإحصار ، فذهب أبو حنيفة إلى أن الإحصار يكون من كل مانع ، يَحْبس الحاجَّ عن إكمال نسكه ، من مرض أو عدو ، أو خوف من قاطع طريق ، أو ضياع النفقة ، أو ضلال الراحلة ، أو موت محرم الزوجة ، وغير ذلك من الأعذار المانعة ، وحجته ظاهر الآية ﴿ فإن أحصرتم ﴾ ولم يقل : حُصِرتم ، وذهب الجمهور ــ مالك ، =

قال أبو جعفر : والقول الآخر قاله ابن مسعود ، وهو قول أهل الكوفة ، أنه من العدوِّ ، ومن المرض ، وأن من أصابَه من ذَيْنِك شيءٌ بَعثَ بهدي ، فإذا نُحِرَ حلَّ[1] .

ورَوَى سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله[2] .

ورَوَى طاووس عن ابن عباس مثل الأول ، قال : وتلا (فإذَا أَمِنْتُم) قال نهل الأمن إلا من خوف[3] ؟ .

فقد صار في الآية إشكال ، لأنّ الإحصار عند جميع أهل اللغة إنما هو من المرضِ ، الذي يَحْبِسُ عن الشيء .

فأما مِنَ العدوِّ ، فلا يقال فيه إلاَّ : « حُصِرَ »[4] .

= والشافعي، وأحمد ــ إلى أن الإحصار لا يكون إلا بالعدو ، لأن الآية نزلت في إحصار النبي ﷺ عام الحديبية عندما منع من دخول مكة هو وأصحابه وكانوا محرمين بالعمرة ، واستدلوا بقول ابن عباس : لا حصرَ إلَّا حصر العدو .. وما ذهب إليه أبو حنيفة أيسر وأوفق بسماحة الإسلام ويسره ، وهو الذي يتفق مع قول أهل اللغة ، فقد قال أبو عبيدة والكسائي والخليل : يُقال : أُحْصِر بالمرض ، و « حُصِر » بالعدو ، قال الزجاج : هو كذلك عند جميع أهل اللغة ، وانظر لسان العرب ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥٦/١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٩/١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٧٨/١ وتفسير الشوكاني ١٩٥/١ .

(١) (٢) انظر المرجع السابق .

(٣) الأثر في الطبري ٢١٤/٢ وابن كثير ٣٣٥/١ وفي الدر المنثور ٢١٣/١ .

(٤) قال الجوهري : أحصره المرضُ : إذا منعه من السفر أو من حاجةٍ يريدها ، وقد حصره العدو يحصرونه إذا ضيَّقوا عليه وأحاطوا به ، وحاصروه محاصرةً وحصاراً . الصحاح للجوهري وقال ابن قتيبة : ﴿ فإن أحصرتم ﴾ من الإحصار ، وهو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض ، أو كسر ، أو عدو . يُقال : أحصر الرجل إحصاراً فهو محصَرٌ ، فإن حُبس في سجن أو دار يُقال : حُصِر فهو محصور . اهـ . غريب القرآن ٧٨/١ .

يقال : حُصِرَ ، حَصْراً ، وفي الأول : أُحْصِرَ ، إحْصاراً .

والقول في الآية على مذهب ابن عمر أنه يقال « أَقْتَلْتُ الرَّجُلَ » أي : عرّضْتُه للقتل ، و « أَقْبَره » جعل له قبراً ، وأُحْصرتُه — على هذا — عرَّضْتهُ للحصر ، كما يقال : أحبستُه أي عرَّضْتُه للحبس ، وأُحْصر أي أصيب بما كان مسبباً للحصر ، وهو فوت الحج[1] .

وقد رُوِي عن عكرمة عن الحجاج بن عَمْرو الأنصاري قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من عَرِجَ ، أو كُسِر ، فقد حلَّ ، وعليه حَجَّةٌ أخرىٰ »[2] .

قال : فحدَّثْتُ بذا ابنَ عبَّاس ، وأبا هريرة ، فقالا : صَدَقَ .

وإنما رَوَىٰ هذا عن عكرمةَ حجَّاجُ الصَّوَّافُ .

ورَوَىٰ الجِلَّةُ خلاف هذا .

روىٰ سفيان عن عَمْرو بن دينار عن ابن عباس وابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس « لا حَصْرَ إلاَّ من عَدُوٍّ »[3] .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة حصر ٢٧٠/٥ ومعاني القرآن للفراء ١١٧/١ و ١١٨ .

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٩٤٠ وحسَّنه ، وأبو داود في المناسك برقم ١٨٦٢ والنسائي في الحج ١٩٨/٥ وفي سنده يحيى بن أبي كثير وهو ثقة ، لكنه يدلِّسُ ويرسل كما قال الحافظ في التقريب ، ولكنْ له شاهد ولذلك حسنه الترمذي . وانظر الطبري ٢٢٧/٢ والقرطبي ٣٧٦/٢ .

(٣) الطبري ٢٤٤/٢ والقرطبي ٣٧٤/٢ وابن كثير ٣٣٥/١ .

ورَوَى أبو نجيح عن عكرمة أنّ المحصر يبعث بالهدي ، فإذا بلغ الهديُ مَحِلَّه حلَّ ، وعليه الحج من قابِل[1] .

٤٨ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ .. ﴾** [آية ١٩٦] .

قال ابنُ عمر وابنُ الزبير وعائشةُ : من الإبل والبقر خاصَّةً ، شيءٌ دون شيءٍ[2] .

وروى جعفر عن أبيه عن علي رضوان الله عنه : (فما اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدْي) شاةٌ[3] .

وقال ابن عباس : يكون من الغنم ، ويكون شِرْكاً في دم ، وهو مذهب سعد[4] .

---

(١) ذكره الطبري عن مجاهد بنحو قول عكرمة ٢/٢١٣ ثم قال الطبري ٢/٢١٤ : وسئل مالك عمَّن أُحصِر بعدوٍّ ، وحيل بينه وبين البيت ، فقال : يحلُّ من كل شيء ، وينحر هديه ، ويحلق رأسَه حيثُ يُحْبَس ، وليس عليه قضاء إلا أن يكون لم يحجَّ قطٌّ ، فعليه أن يحج حجة الإسلام ، قال : والأمر عندنا فيمن أُحصر بغير عدوٍّ ، بمرض أو ما أشبهه ، أن يبدأ بما لا بد منه ، ويفتدي ، ثم يجعلها عمرة ، ويحج عاماً قابلاً ويُهدي .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ٢/٢١٨ عن ابن عمر ، وهو قول عائشة ، وعروة بن الزبير .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢/٢١٦ وهو قول مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، قال الطبري : « والصواب قول من قال « فما استيسر من الهَدْي » شاةٌ ، لأن الله جل ثناؤه إنما أوجب ما استيسر من الهَدْي ، وذلك على كلِّ ما تيسَّر للمُهْدي أن يهديه ، كائناً ما كان ذلك الذي يُهْدَى » .

(٤) قال ابن كثير ١/٣٣٦ : وما ذهب إليه ابن عباس هو مذهب الأئمة الأربعة ، والدليل على صحة قول الجمهور أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي ، والهديُ من بهيمة الأنعام ، وهي « الإبل ، والبقر ، والغنم » كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن عبد الله بن عباس . اهـ .

٤٩ ـــ **ثم قال تعالى :** ﴿ **وَلا تَحلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ [آية ١٩٦] .

قال مجاهد : يعني يوم النحر(١) .

وقال خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد : حتى يُنْحَر(٢) .

وقال أكثر الكوفيين : يُنْحر عنه الهديُ في أيِّ يومٍ شاءَ في الحرم(٣) .

وقال الكسائي في قوله : ﴿ مَحِلَّهُ ﴾ : إنما كُسِرت الحاء لأنه من حَلَّ يَحِلُّ ، حيث يَحِلُّ أمرُه ، ولو أراد حيث يَحُلُّ لكان مَحَلَّه ، وإنما هو على الحلال(٤) .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٢/٢٢٤ وتفسير ابن كثير ١/٣٣٦ .

(٢) أي لا يباح له أن يتحلل من إحرامه حتى ينحر الهَدْي ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه كما في الطبري ٢/٢٢٩ قال : من اشتد مرضه ، أو آذاه رأسه وهو محرم ، فعليه صيام ، أو إطعام ، أو نسكٌ ، ولا يحلق رأسه حتى يقدِّم فديته قبل ذلك . اهـ .

(٣) المراد بالكوفيين أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، وهذا مذهب الأئمة الحنفيَّة قالوا : إذا أُحصِر الحاجُّ بَعَثَ بالهدي ، فإذا نُحِر عنه حلَّ ، ولا يَحِلُّ حتى ينحر هديه ، وانظر الطبري ٢/٢٢٣ .

(٤) في اللسان : المحَلُّ بفتح الراء : الموضع الذي يَحُلُّ فيه ، وهو من حَلَّ يحُلُّ أي نزل ، وإذا قلت : المَحِلُّ بكسر الحاء ، فهو من حَلَّ أي وجب يجب ، وقوله عز وجل ﴿ حتى يبلغ الهدي مَحِلَّه ﴾ أي الموضع أو الوقت الذي يحلُّ فيه نحره . اهـ. وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٧٨ : المَحِلُّ : الموضع الذي يحلُّ به نحره ، من حلَّ يحِلُّ .

٥٠ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كانَ مِنكُم مَرِيضاً أو بِهِ أَذىً مِنْ رأْسِهِ .. ﴾ [آية ١٩٦] .

رَوَىٰ مجاهد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه لمَّا كان مع رسول الله ﷺ ، فآذاه القمـلُ في رأسه ، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه ، وقال : « صُمْ ثلاثة أيامٍ ، أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين مُدَّان ، أو انسُكْ بِشَاةٍ »(١) .

قال أبو جعفر : أيَّ ذلكَ فعلت أجزأ عنك .

وقال عطاء : هذا لمن كان به قملٌ ، أو صُدَاعٌ ، أو ما أشبههما(٢) .

قال أبو جعفر : وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : فحَلقَ ، أو اكتحل ، أو تَدَاوَى بشيءٍ فيه طيبٌ ، فعليه فديةٌ(٣) .

---

(١) اتفق المفسرون على أن الآية نزلت في الصحابي « كَعْب بن عُجْرَة » رضي الله عنه ، والحكم فيها عام ، والحديث أخرجه البخاري ١٣/٣ ولفظه (حُمِلتُ إلى النبي ﷺ والقملُ يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنتُ أرى أنَّ الجَهْدَ بلغ بكَ هذا ! أما تجد شاةً ؟ قلت : لا ، قال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعمْ ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من طعام ، واحلق رأسك ، فنزلت فيَّ خاصةً وهي لكم عامة) ورواه مسلم ٨٦٠/٢ ، وأبو داود في سننه ١٧٢/٢ والنسائي ١٥٣/٥ . والرواية التي ذكرها المصنف رواها ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد ، وانظر الطبري ٢٣٣/٢ .

(٢) قال الطبري ٢٢٩/٢ : فأما المرضُ الذي أبيح معه العلاج بالطيب وحلق الرأس ، فكل مرض يكون صلاح صاحبه بحلق رأسه ، والجراحات التي تكون بجسد الإنسان ، ونحو ذلك من القروح والعلل .

(٣) هكذا قال المفسرون إن في الآية مجازاً بالحذف ، أي فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ، فحلق أو اكتحل ، قال الزجاج : وإنما عليه الفدية إذا حلق رأسه ، وحلَّ من إحرامه .

٥١ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ، فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ ، فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ .. ﴾ [آية ١٩٦] .

قال الربيع بن أنس : « إذا أمن من خوفه ، وبَرَأ من مرضه »[١] أي من خوف العدوِّ ، والمرضِ .

وقال علقمة : إذا برأ من مرضه[٢] .

٥٢ ـ ثم قال تعالى ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ ..﴾ [آية ١٩٦] .

التمتُّعُ عند الفقهاء المَدَنيِّين والكُوفيِّين : أن يعتمر الذي ليس أهلُه « حاضري المسجد الحرام » في أشهر الحج ، ويحلَّ من عمرته ، ثم يَحُجَّ في تلك السَّنَة ، ولم يرجع إلى أهله بين العمرة والحج ، فقد تمتَّع من العُمرة إلى الحج ، أي انتفع بما ينتفع به الحلالُ[٣] .

والمتعةُ ، والمَتَاعُ في اللغة : الانتفاعُ[٤] ، ومنه قوله تعالى

---

(١) الطبري عن الربيع ٢٤٣/٢ قال الطبري : وهذا القول أشبه بتأويل الآية ، لأن الأمن هو خلاف الخوف . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن علقمة ٢٤٣/٢ وابن الجوزي ٢٠٦/١ واختار الطبري والقرطبي قول الربيع بن أنس المتقدم .

(٣) سُمِّي المعتمر في أشهر الحج « متمتعاً » لأنه يتحلل بعد عمرته ، ويستمتع بما يستمتع به أهل مكة من اللباس ، والطيب ، والنساء ، وغير ذلك ، فلما كان ينتفع بما ينتفع به الحلالُ سمِّي « متمتعاً » ويشترط لوجوب دم التمتع خمسة شروط : الأوّل : تقديم العمرة على الحج . الثاني : أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج . الثالث : أن يحج في العام نفسه . الرابع : ألا يكون من أهل مكة . الخامس : أن يُحرم بالحج من مكة ، وكل هذه الشروط أخذت من الآية الكريمة .

(٤) قال في المصباح مادة متع : المتاعُ في اللغةِ : كلُّ ما ينتفع به ، وأصل المتاع ما يُتبَلَّغ به من الزاد ، =

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ ﴾[1] .

وقال أهل المدينة : وكذلك إذا اعتمر قبل أشهر الحج ، ثم دخلت عليه أشهر الحج ولم يَحِلَّ ، فحلَّ في أشهر الحج ، ثم حجَّ بعدُ فهو متمتِّعٌ[2] .

وقال الكوفيون[3] : إن كان طاف أكثر طواف العمرة ، قبل دخول أشهر الحج ، فليس بمتمتع ، وإن كان قد بقي عليه الأكثر فهو متمتِّعٌ .

وقال طاووس : من اعتمر في السنة كلِّها ، في المحرَّم فما سواه من الشهور ، فأقام حتى يحجَّ فهو متمتِّعٌ[4] .

= ومتعةُ الطلاق من ذلك لأنها تنتفع به وتتمتع به ، ومنه متعة الحج ، وتمتَّع بالعمرة إلى الحج : إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج ، وبعد تمامها يُحرم بالحج ، فإنه بالفراغ من أعمالها ، يحلُّ له ما كان حرُم عليه ، فمن ثمَّ يُسَمَّى متمتعاً . اهـ . المصباح المنير .

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٦) .

(٢) يراد بأهل المدينة مذهب الإمام مالك رحمه الله ، وفي هذه الصورة خلاف بين الفقهاء ، ارجع إليه في جامع الأحكام للقرطبي ٣٩٧/٢ .

(٣) هم أتباع مدرسة « إبراهيم النخعي » وهم أصحاب أبي حنيفة رحمه الله ، فإنَّ الحنفية يقولون : الحكم للأكثر ، فإن كان قد طاف أكثر الأشواط ــ أربعة فأكثر ــ قبل دخول شهر شوال فليس بمتمتع ، وإن طاف شوطاً أو شوطين فهو متمتع ، لأن الأكثر عندهم له حكم الكلِّ .

(٤) هذا القول رُوي عن طاووس ، ولكنه ضعيف لا يُعَوَّل عليه ، وهو مخالف لآراء الأئمة المجتهدين ، ومخالف لظاهر النصِّ القرآني ، الذي بيَّن أن المتمتع هو : الذي أتى بالعمرة في أشهر الحج ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ وقد فسرها ترجمان القرآن « ابن عباس » بأن التمتع هو الإحرام بالعمرة في أشهر الحج ، وبه أخذ الجمهور ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٦٠/٢ : وقال طاووس : « من اعتمر في غير أشهر الحج ، ثم أقام حتى حجَّ من عامه فهو متمتع » وقال ابن أبي الحسن : « من اعتمر بعد يوم النحر في بقية العام فهو متمتع » قال : وهذان القولان شاذان ، لم يوافقهما أحد من العلماء .

ورَوَى ابن أبي طلحة عن ابـن عبـاسٍ ﴿ فَمَـنْ تَمَتَّـعَ بِالعُمْـرَةِ إِلَى الحَجِّ ﴾

يقول : من أحرم بالعمرة في أشهر الحجِّ[1] .

ورَوَى عنه عطاء : العمرةُ لمن أُحْصِر ، ولمن خُلِّيت سبيلُه ، أصابتهما هذه الآية .

وروى عنـه سعيـد بن جبير : على من أُحصِر الحجُّ في العـام القابل ، فإن حجَّ فاعتمر في أشهر الحج ، فإن عليه الفديةَ[2] .

فهذه الأقوال عن ابن عباس متفقة ، وأصحُّها ما رواه سَعيـدُ بنُ جُبَيْـرٍ ، لأن اتِّساق الكـلام على مخاطبـة من أُحْصِر ، وإن كان ممن لم يُحْصَر فتَمتَّع ، فحكمه هذا الحكم[3] .

فعلى هذا يصحُّ ما رواه عطاءٌ عنـه ، وكـذلك ما رواه علـيُّ بنُ أبي طلحة ، غير أن نصَّ التأويل على المخاطبة لمن أحصر[4] .

---

(١) هذا هو الصحيح في تعريف المتمتع بأنه الـذي أحـرم بالعمـرة في أشهـر الحج ، ثم حجَّ في العـام نفسه ، وبه أخذ الأئمة المجتهدون .

(٢) قول عطاء وسعيد بن جبير عن ابن عبـاس ذكـرهما الـطبري ٢/٢٤٥ والقرطبـي ٢/٣٦٨ ورجـح الطبري ما رواه سعيد بن جبير .

(٣) ما رجحه المصنف هو ما اختاره شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الـطبري في تفسيره جامـع البيـان ٢/٢٤٦ .

(٤) يريد المصنف أن جميع الروايات التي وردت عن ابـن عبـاس رضي الله عنـه صحيحـة ، ويشملهـا النصُّ القـرآني ، فالآية وردت فيمـن أُحْصِر ، وفيمـن دخـل بالعمـرة في أشهـر الحج ، فالجميـع عليهم الفداء ، لأن اسم التمتع يشمل الجميع . والله أعلم .

وقال عبدالله بنُ الزُّبير : ليس التمتع الذي يصنعه الناس اليوم ، يتمتَّعُ أحدهم بالعمرة قبل الحجِّ ، ولكن الحاجُّ إذا فاته الحجُّ ، أو ضلَّتْ راحلتُه ، أو كُسِر حتى يفوته الحجُّ ، فإنه يجعله عمرةً ، وعليه الحج من قابل ، وعليه ما استيسر من الهدي(١) .

فتأويل ابن الزبير أنه لا يكون إلاَّ لمن فاته الحجُّ ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بالعُمْرَة إلَى الحَجِّ ﴾ فوقع الخطابُ لمن فاته الحجُّ بالحصر ،

وخالفه في هذا الأئمة ، منهم « عُمَرُ بنُ الخَطَّاب » و « عليُّ بنُ أبي طالب » و « سَعْدٌ » فقالوا : هذا للمُحْصَرِينَ وغيرِهم(٢) .

ويدلُّك على أن حكم غير المُحْصَرِ في هذا كحكم المُحْصَرِ ، قولُه تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ ، فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ فهذا للمحْصَر وغيرِه سواءٌ ، وكذلك التمتُّعُ(٣) .

٥٣ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ .. ﴾** [آية ١٩٦] .

قالت عائشة وابنُ عمرَ : الصِّيامُ لمنْ تِمتَّع بالعُمرةِ إلى

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤٤/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٤/١ والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، أن من اعتمر في أشهر الحج ، ثم حجَّ في العام نفسه ، فهو متمتع يجب عليه الهَدْيُ .

(٢) هذا هو الصحيح وهو رأي الجمهور أن التمتع ليس خاصاً بالمحصر ، بل يشمل المُحْصَرَ والمعتمر في أشهر الحج ، وانظر جامع البيان ٢٤٣/٢ والقرطبي ٣٨٧/٢ وابن كثير ٣٣٩/١ .

(٣) هذا استدلال لطيف ، فإن الآية وردت عامة في المحصر وغيره ، فكذلك آية التمتع ليست قاصرةً على المُحْصر .

الحجِّ ، ممَّنْ لم يجِدْ هَدْياً ، مابينَ أن يُهِلَّ بالحجِّ إلى يوم عَرَفة ، ومن لم يَصُمْ صَامَ أَيَّامَ منىً[1] .

وكان ابنُ عمر يستحبُّ أن يصومَ قبلَ يوم التروية يوماً ، ويوم الترويةِ ، ويومَ عرفةَ[2] .

وقال الشعبيُّ ، وعطاءٌ ، وطاووسٌ ، وإبراهيم : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ ﴾ قبل يوم التروية يوماً ، ويوم التروية ، ويوم عرفة[3] .

٥٤ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ .. ﴾ [آية ١٩٦] .

رَوَى شعبةُ عن محمد بن أبي النَوَّار[4] عن حَيَّان السُّلَمي قال : سألتُ ابن عمر عن قوله تعالى ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ قال : إذا رجعتم إلى أهليكم[5] .

---

(١) أخرج الدارقطني في سننه ١٨٦/٢ بسنده عن ابن عمر قال : « رخّص رسول الله ﷺ للمتمتّع إذا لم يجد الهَدْي أن يصوم أيام التشريق » قال الدارقطني : يحيى بن سلام ليس بالقوي ، وقد أورد أحاديث أخر بإسناد صحيح ترخّص بالصوم للمتمتع إذا لم يجد الهدي منها عن عائشة قالت : لم يُرَخَّص في صوم أيام التشريق ، إلا لمتمتع لم يجد الهدي » وروى البيهقي عن عائشة وابن عمر في السنن الكبرى ٢٩٨/٤ أنهما قالا : « لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد هدياً » والحديث رواه البخاري في صحيحه ٥٦/٣ في كتاب الصوم .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٤٧/٢ . والدر المنثور ٢١٥/١ .

(٣) هذا هو الأشهر والأظهر ، وهو الذي عليه أكثر الفقهاء ، وهو موافق لقول ابن عمر ، وانظر الطبري ٢٤٧/٢ وتفسير ابن الجوزي ٢٠٦/١ والدر المنثور ٢١٥/١ .

(٤) في المخطوطة « الشوار » وهو تصحيف ، وقد صححناه من كتاب الجرح والتعديل للرازي ١١١/٨ قال : محمد بن أبي النَوَّار سمع حيَّان السُّلمي . اهـ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٣/٢ قال مجاهد : هنَّ رخصة إن شاء صامها في الطريق ، وإن شاء صامها بعدما يرجع إلى أهله . قال أحمد : يجزيه أن يصوم في الطريق ولا =

ورَوَى : سفيانُ عن منصور عن مجاهد قال : إن شاء صامها في الطريق ، إنما هي رخصةٌ[1] . وكذا قال عكرمة والحسن .

والتقدير عند بعض أهل اللغة : إذا رجعتم من الحج أي إذا رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل الإحرام من الحِلِّ[2] .

وقال عطاء : إذا رجعتم إلى أهليكم ، وهذا كأنه إجماع[3] .

٥٥ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ .. ﴾ [آية ١٩٦] .

وقد عُلم أنها عشرة ، وأحسنُ ما قيل في هذا أنه لو لم يقل : (تِلْكَ عَشَرَة كَامِلَة) جاز أن يَتوهَّم السامع أنه إنما عليه أن يصوم ثلاثةً في الحج ، أو سبعةً إذا رجع ، لأنه لم يقل : وسبعةً أخرى[4]

= يشترط أن يصل إلى أهله ووطنه ، وهذا قول مجاهد ، وقال أبو حنيفة ومالك : المراد من الرجوع الفراغ من أعمال الحج . وهذا أيسر الأقوال وأسهلها ، وهو ما رجحه الإمام الطبري ٢/٢٥٣ .

(١) (٢) انظر المرجع السابق .

(٣) يعني أن هذا أمرٌ مجمعٌ عليه ، لم يخالف فيه أحد من الفقهاء ، وإنما الخلاف في غيره ، قال ابن جرير ٢/٢٥٣ : قوله تعالى ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : فمن لم يجد ما استيسر من الهدي ، فعليه صيام ثلاثة أيام في حجه ، وصيام سبعة أيام إذا رجع إلى أهله ومصره .

(٤) هذا قول الزجاج ذكره في معانيه ١/٢٥٨ قال : وقال بعضهم : « كاملة » أي تكمِّل الثواب ، ولكنه لما جاز أن يتوهَّم المتوهِّم أن الفرائض ثلاثة أيام في الحج ، أو سبعة في الرجوع ، أعلم الله عز وجل أن العشرة مفترضة كلها » اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٧٠ : العرب تؤكد الشيء وقد فرغ منه ، فتعيده بلفظ غيره تفهيماً وتأكيداً . وقال الحافظ ابن كثير ١/٣٤٠ : قيل : تأكيد ، كما تقول العرب : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، وقيل معنى (كاملة) أي مجزئة عن الهدي ، وقيل (كاملة) : الأمر بإكمالها وإتمامها ، واختاره ابن جرير . اهـ .

كما يقول : أنا آخذ منك في سفرك درهماً ، وإذا قدمتَ اثنين ، أي لا آخذُ إذا قدمتَ إلاَّ اثنين .

وقال محمد بن يزيد[1] : لو لم يقل : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ) جاز أن يتوهم السامع أن بعدها شيئاً آخر ، فقولُه : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ ﴾ بمنزلة قولك في العدد : فذلك كذا ، وكذا[2] .

وأما معنى ﴿ كامِلَةٌ ﴾ فروىٰ هُشَيْمٌ فيه عن عبَّادِ بن راشد ، عن الحسن قال : ﴿ كَامِلَةٌ ﴾ من الهَدْيِ ، أي قد كملت في المعنىٰ الذي جعلت له ، فلم يُجعل معها غيرُها ، وهي كاملةُ الأَجْرِ ككمال الهَدْيِ[3] .

٥٦ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَام .. ﴾** [آية ١٩٦] .

قال مجاهد : أهل الحرم[4] .

وقال الحسن وابراهيم والأعرج ونافع : هم أهل مكة

---

(١) هو الإمام اللغوي المشهور بالمبرد ، وقد تقدم .

(٢) حكاه القرطبي في جامع الأحكام عن المبرِّد ولفظه : « عشرة » دلالة على انقضاء العدد ، لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقي منه شيء بعد ذكر السبعة ، وقيل : هو توكيد قال الشاعر ــ يريد الفرزدق ــ :

ثَلاثٌ وَٱثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ　　وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إلى شِمَامَ

(٣) انظر جامع البيان ٢٥٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٤٠٢/٢ والدر المنثور ٢١٦/١ .

(٤) وقع خلاف بين السلف في المراد بحاضري المسجد الحرام ، وملخصه كما في البحر المحيط ٨١/٢ : قال ابن عباس ومجاهد : أهل الحرم كلّه ، قال الحافظ وهو الظاهر ، وقال عطاء ومكحول : من كان دون المواقيت من كل جهة ــ يعني مواقيت الإحرام ــ وقال قوم أهل الحرم =

خاصة[1] .

وقال عطاءٌ مكحول : هم أهل المواقيت ومن بَعْدَهم إلى مكة[2] .

قال أبو جعفر : وقولُ الحسن ومن معه أولى ، لأنَّ الحاضرَ للشيء هو الذي معه ، وليس كذا أهلُ المواقيت ، وأهل مِنًى ، وكلامُ العربِ لأهل مكة أنْ يقولوا : هم أهلُ المسجد الحرام .

قال أبو جعفر : فتبيَّن أن معنىٰ ﴿ حَاضِرِي المَسْجِد ﴾ لأهل مكة ، ومن يليهم ، ممَّن بينه وبين مكة مالا تُقصر فيه الصلاةُ ، لأن الحاضرَ للشيءِ هو الشاهد له ولنفسه ، وإنما يكون المسافرُ مسافراً ، لشخوصِهِ إلى ما يُقْصر فيه ، وإن لم يكن كذلك لم يستحقَّ اسْمَ غَائِبٍ[3] .

= ومن كان من أهل الحرم على مسافة تُقصر فيها الصلاة ، وهو مذهب الشافعي ، وقال قوم : هم أهل المواقيت فمَن دونها إلى مكة ، وهو مذهب أبي حنيفة . أقول : والظاهر ما قاله الحسن وإبراهيم النخعي أنهم أهل مكة خاصة ، فإنهم حاضروا المسجد الحرام . والله أعلم .

(1) (2) انظر المرجع السابق .

(3) هذا ما رجحه الطبري حيث قال بعدما سرد الأقوال ٢/٢٥٦ : « وأولى الأقوال عندنا في الصحة ، قول من قال : إن حاضري المسجد الحرام : هو من حولَه ممَّن بَيْنه وبينه من المسافة ما لا تُقصر فيه الصلوات ، لأن حاضر الشيء في كلام العرب هو الشاهد له بنفسه ، ومن لم يكن كذلك لم يستحقَّ اسم غائب عن وطنه ومنزله . اهـ . قال ابن الجوزي ١/٢٠٨ ومعنى الآية : أن هذا الفرضَ لمن كان من الغرباء ، وإنما ذُكر « أهله » وهو المراد بالحضور ، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهلُه يسكنون . اهـ .

٥٧ ــ وقولُه تعالى : ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ .. ﴾ [آية ١٩٧] .

حدثنا محمدُ بنُ جعفرَ الأنباريُّ قال : حدَّثنا عبدالله بن يحيىٰ ، قال : أخبرنا حجَّاج بنُ محمد ، قال ابن جريج : قلتُ لنافع مولى ابن عمر : أَسَمِعْتَ ابن عمر سَمَّىٰ أشهر الحج ؟

قال : نعم كان سمَّى شوالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة(١) .

وقال ابن عباس : شوالٌ ، وذو القعدة ، وعشرٌ من ذي الحجة(٢) .

وقال أبو جعفر : والقولان يرجعان إلى شيءٍ واحد ، لأن ابن عمر إنَّما سمَّىٰ ذا الحجة لأن فيه الحج ، وهو شهر حَجٍّ(٣) .

٥٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ .. ﴾ [آية ١٩٧] .

قال ابن مسعود وابن عمر : (فَرَضَ) : لَبَّىٰ(٤) .

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٥٨/٢ بهذا اللفظ ، وأخرجه الشافعي في الأم ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن نافع عن ابن عمر ، كما في الدر المنثور ٢١٨/١ .

(٢) الطبري ٢٥٨/٢ عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٢٠٩/١ قال : وهو قول ابم مسعود والضحَّاك ، وابن عباس ، وابن الزبير ، والحسن ، وعطاء ، وغيرهم ، وهو قول أبي حنيفة ، وأحمد ، والشافعي .

(٣) قال الشوكاني : « وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم النحر ، فمن قال : إن ذا الحجة كله من الوقت لم يلزمه دم التأخير ، ومن قال : ليس إلا العشر منه قال : يلزم دم التأخير » . فتح القدير ٢٠٠/١ . قال الفراء ١١٩/١ : وإنما قال « الحج أشهرٌ » هو شهران وعشر من ذي الحجة ، على عادة العرب يقولون : له اليوم يومان لم أره ، وإنما هو يومٌ وبعض يوم .

(٤) الطبري ٢٦١/٢ والقرطبي ٤٠٦/٢ والشوكاني ٢٠٠/١ قال ابن الجوزي ٢١٠/١ : قال =

وعن ابن عباس : أحرم[1] ، **وقيل** : معنى أحرم أوجب على نفسه الإحرام بالعزم وإن لم يُلَبِّ .

قال أبو جعفر : وحقيقتهُ في اللغة أنَّ (فَرَضَ) : أوجبَ[2] .

والمعنى : أوجب فيهن الحج بالتلبية [أو بالنية . واحتمل أن يكون معناه من أوجب على نفسه الحج بالتلبية][3] فيهن ، فتكون التلبيةُ والحجُّ جميعاً فيهنَّ .

واحتمل أن يكون المعنى : منْ أوجبَ على نفسه الحج فيهن بالتلبية في غيرهن[4] .

إلا أن محمد بن جعفر الأنباري حدثنا قال : حدثنا عبدالله بن يحيى ، قال : أخبرنا حجاج بن محمد قال ابن جريج : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لاينبغي لأحد أن يُحرم بالحج إلاَّ في أشهر الحج ، من أجل قول الله تعالى : ﴿ اَلْحَجُ أَشْهُرٌ

= ابن مسعود : هو الإهلال بالحج والإحرام به ، وقال طاووس وعطاء هو أن يلبي ، ونصَّ الإمام أحمد بالنيَّة ، قيل له : يكون محرماً بغير تلبية ؟ قال : نعم إذا عزم على الإحرام ، وهذا قول مالك والشافعي ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز الدخول بالإحرام إلا بالتبية . اهـ . زاد المسير ١/٢٠٠ . المرجع السابق .

(١) في المصباح المنير : فَرَضَ القاضي النفقة : قدَّرها وحكَمَ بها ، وفرضَ الله الأحكام : أوجبها ، والفَرْضُ : المفروض .

(٣) سقط ما بين القوسين من الأصل ، ونقلناه من الهامش ، وهو ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) هذا يدل على قول من يرى أنه يجوز الإحرام بالحج في غير شهور الحج ، لمن جاء من بلاد بعيدة ماشياً كما قال تعالى ﴿ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ أي يأتوك مشاة أو ركباناً ، وهو مذهب أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١/٢١٠ .

مَعْلومَات فَمَنْ فَرَض فيهِنَّ الحَجَّ ﴾ فلا ينبغي لأحد أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرضٍ »[1] .

٥٩ ـ ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾ [آية ١٩٧] .

روى سفيانُ بن حُصَيْف عن مقسم عن ابن عباس قال : الرفثُ : الجماع ، والفسوقُ السِّبابُ . والجدال أن تماريَ صاحبك حتىٰ تغضبه[2] .

وكذا قال ابن عمر .

وروى طاووس عن ابن عباس وابن الزبير : الرَّفَثُ : التعريضُ ، أي يقول : لو كنَّا حَلَالَيْنِ لكان كذا وكذا[3] .

وقال عطاء وقتادة : الرفثُ : الجماعُ ، والفسوقُ : المعاصي ، والجدالُ : أن يماريَ بعضهُم بعضاً حتَّى يُغضِبه[4] .

---

(١) أخرجه الشافعي في الأم عن ابن عباس ، ورواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، ورواه البيهقي والحاكم وصححه بنحوه ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٢١٨/١ وتفسير ابن كثير ٣٤٢/١ .

(٢) الطبري ٢٦٥/٢ والقرطبي ٤٠٧/٢ والبحر المحيط ٨٧/٢ والدر المنثور ٢١٩/١ .

(٣) هذه رواية أخرى عن ابن عباس ذكرها الطبري ٢٦٣/٢ ولفظه : عن ابن طاووس عن أبيه قال : سألتُ ابن عباس عن الرفث في قول الله تعالى ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ قال : هو التعريض بذكر النكاح ، وهو أدنى الرفث ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٩/١ وابن كثير ٣٤٥/١ .

(٤) الطبري ٢٦٨/٢ والبحر المحيط ٨٧/٢ وابن كثير ٣٤٥/١ قال الزجاج في معاني القرآن ٢٥٩/١ : والرَّفث : كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله ، والفسوق أي لا يخرج عن شيء من أمر الحج ، والجدال أن يجادل أخاه فيخرجه الجدال إلى ما لا ينبغي . اهـ.

وروى أبو يحيى عن مجاهد في الجدال كما قال عطاء .

ورَوَىٰ [عنه][1] ابن أبي نجيح : لا جدال ولا شك فيه وهو مذهب أبي عمرو بن العَلَاءِ[2] .

وعلى ذلك قرأ برفع « رَفَثٌ وفَسُوقٌ » وفَتْح « جِدَالَ » .

وهذه الأقوال متقاربة ، لأن التعريض بالنكاح من سببه ، والرفثُ أصله : الإفحاش ثم يكنى به عن الجماع[3] ، ويبين لك أنه يقع للجماع قوله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُم)[4] .

والفسوق في اللغة : الخروج عن الشيء[5] .

فَسِبَابُ المسلم خروجٌ عن طاعة الله .

وقد رَوَىٰ ابن مسعود عن النبي ﷺ : « سِبَابُ المسلمِ فِسْقٌ ، وقتاله كفرٌ »[6] .

---

(١) هذه الكلمة لا توجد في الأصل وهي من الهامش .

(٢) « أبو عمرو بن العلاء » اسمه زَبَّان المازني النحوي القارىء من كبار علماء اللغة توفي سنة ١٥٤ وانظر ترجمته في تقريب التهذيب ٢/٤٥٤ . وقراءة الرفع ﴿ فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ﴾ هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ١٨٠ .

(٣) في المصباح : رَفَث في منطقه يرفُثُ : أفحشَ فيه ، والرَّفَث : النكاح ، وقوله تعالى ﴿ أحلَّ لكم ليلة الصِّيام الرَّفَث ﴾ المراد به الجماع ، وقوله تعالى ﴿ فلا رفثَ ﴾ قيل : فلا جماع ، وقيل : فلا فحش من القول . المصباح المنير .

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٨٧) .

(٥) أصل الفسق في اللغة : الخروج عن الشيء يقال : فسقت الرطبة : إذا خرجت من قشرها ، وفي الشرع هو الخروج عن طاعة الله عز وجل . قال تعالى ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ قال القرطبي : والمراد بالآية جميع المعاصي وهو قول ابن عباس والحسن .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٤٣٩ ورواه البخاري ٨/١٨ في الأدب بلفظ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ومسلم في الإيمان ١/٨١ برقم ١١٦ عن ابن مسعود مرفوعاً .

وقيل : قول عطاء وقتاده : الفُسوقُ : المعاصي ، حسنٌ جداً[1] .

على أنه قد رَوى عبد الله بن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن نافع عن ابن عمر قال:الفُسوق : إتيان معاصي الله في الحرم ، أي من صيد وغيره[2] .

فهذا قول جامعٌ ، لأن سِبَابَ المسلمِ داخلٌ في المعاصي ، وكذلك الأشياء التي مُنع منها المحرم وحده ، والتي مُنع منها المحرم والحلال[3] .

ومعنى قول مجاهد : « لاشك فيه » أنه في ذي الحجة[4] ، أنَّ النَّسَأَةَ كانوا ربَّما جعلوا الحج في غير ذي الحجة ، ويقف بعضُهُم بجمعٍ[5] ، وبعضهم بعرفة ويتمارون في الصواب من ذلك . وقال

---

(١) هذا ما رجحه ابن عطية في المحرر الوجيز ١٦٩/٢ حيث قال : وعمومُ جميع المعاصي أولى الأقوال ، والقرطبي في جميع الأحكام ٤٠٧/٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر ، ورواه ابن جرير في جامع البيان ٢٦٩/٢ .

(٣) هذا القول جمع جميع المنكرات والمخالفات الشرعية ، فكل معصية لله فإنهافسوق وخروجٌ عن طاعة الله ، وقد اعتضد بحديث « سباب المسلم فسوق » وهو قول جمهور السلف كما ذكره الحافظ ابن كثير .

(٤) هذا القول عن مجاهد مشهور ، ذكره الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير وغيرهم ، قال ابن الجوزي ٢٢/١ : ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ فيه قولان : أحدهما : أن معناه : لا يمارينَّ أحدٌ أحداً ، فيخرجه الجدال إلى الغضب .. وهو قول الجمهور . والثاني : أن معناه : لا شك في الحج ولا مراء فيه ، فإنه قد استقام أمره ، وعُرِف وقتُه ، وزال النسيء ، قاله مجاهد .

(٥) المراد بوقوفهم بجمع أي الوقوف بمزدلفة ، وهو عمل الحُمْسِ ـــ أشراف قريش ـــ كانوا يقولون : نحن أهل بيت الله وسُكَّان حرمه فلا نخرج من الحرم ، فكان الناس يقفون بعرفة وهم يقفون بمزدلفة لأنها من الحرم ، وانظر صحيح البخاري .

النبي ﷺ : « إنَّ الزمان قد استدار كهيئتِه يوم خلق الله السموات والأرض ، وأن الحج في ذي الحجة »[1] .

وقال أبو زيد[2] : قال أبو عمرو : أراد فلا يكونَنَّ رفثٌ ، ولا فسوقٌ في شيء يُخْرِجُ من الحج[3] .

ثم ابتدأ النفيَ فقال : ﴿ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

فأخبر أن الأول نهيٌ .

٦٠ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ** ﴾ [آية ١٩٧] .

رَوَى سفيان عن عمروٍ عن عِكرمةَ قال : « كان أناسٌ يقدمون مكة في الحج بغيرِ زادٍ ، فأُمروا بالزاد »[4] .

وقال مجاهد : كان أهلُ اليمنِ يقولون : لاتتزوَّدُوا فَتَتَوصَّلُون من الناس ، فَأُمروا أن يتزودوا[5] .

---

(١) أخرجه البخاري ٦/١٠ ومسلم رقم (١٦٧٩) وأحمد في مسنده ٣٧/٥ ، وهو جزء من حديث طويل وليس فيه « والحج في ذي الحجة » .

(٢) أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت ، أحد أئمة اللغة والأدب المتوفى سنة ٢١٥هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٣) هذا على قراءة أبي عمرو ﴿ فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ﴾ أي لا يكوننَّ رفثٌ أو فسوق ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ تكون على النَّفي وهي بالفتح عند الجميع .

(٤) الأثر ذكره الطبري ٢٧٩/٢ وابن كثير ٣٤٧/١ والقرطبي ٤١١/٢ وقال القرطبي : ﴿ وتزودوا ﴾ أمر باتخاذ الزاد ، نزلت في طائفة من العرب كان تجيء إلى الحج بلا زاد ، ويقول بعضهم : كيف نحجُّ ببيت الله ولا يطعمنا ؟ فيبقون عالةً على الناس ، فنُهوا عن ذلك وأُمروا بالزاد .

(٥) الأثر أخرجه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس ولفظه قال : « كان أهلُ اليمن يحجُّون ولا =

وقال قتادة نحواً منه .

٦١ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوىٰ ﴾ [آية ١٩٧] .

أي فمن التقوى ، أنْ لا يتعرَّضَ الرجلُ لما يَحرُم عليهِ من المسألة(١) .

٦٢ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [آية ١٩٧] .

أي العقول ، ولبُّ كل شيءٍ خالصُهُ(٢) .

٦٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم .. ﴾ [آية ١٩٨] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال : حدَّثنا الرماديُّ قال : أخبرنا عبدالرزاق قال : أخبرنا سفيان عن عمر بن دينار ، قال : قال ابن عباس : كان ذُو المَجَاز ، وعُكَاظُ ، متجراً للنَّاس في الجاهلية ، فلمَّا كان الإسلام كرهوا ذلك ، حتىٰ نزلت : ﴿ ليس عليكم جناح أَنْ

= يتزوَّدون ويقولون : نحن المتوكّلون !! فإذا قدموا مكة سألوا النَّاس ، فأنزل الله ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ . انظر القرطبي ٢/٤١١ .

(١) نبَّه المصنف إلى أن من تمام التقوى وكمالها : اتقاء كل ما فيه إثم ، ومن ذلك إراقة ماء الوجه بالاستجداء من الناس ، والتطلع إلى ما في أيديهم ، مع التملق والتذلل لهم ، قال ابن الجوزي : وقد لبَّس إبليس على قوم يدَّعون التوكل ، فخرجوا بلا زاد ، وظنوا أن هذا هو التوكل ، وهم على غاية الخطأ . قال رجل لأحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة متوكلاً على الله بغير زاد ، فقال له أحمد : اخرج في غير قافلتنا ، فقال : لا ، إلا معهم ، قال : فعلى جُرُب الناس ــ أي على أوعيتهم وأزوادهم ــ توكَّلتَ » ٢/٤١١ .

(٢) في المصباح : لبُّ كل شيء خالصُه ، واللب العقلُ ، والجمعُ ألباب ، كقفل وأقفال .

تَبْتَغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم ﴾ في مواسم الحجّ[1] .

٦٤ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَإذا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفات ﴾ أي اندفعتم[2] .

ويقال : فاضَ الإناءُ ، إذا امتلأ ينصبُّ من نواحيه .

ورجل فيَّاضٌ : أي يتدفق بالعطاء .

قال زهير :

وَأَبْيضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمامةٌ
عَلى مُعْتَفِيهِ ما تُغِبُّ نَوَافِلُهُ[3]

وحديثٌ مستفيضٌ : أي متتابع[4] .

---

(١) أخرجه أبو داود ، والحاكم وصحَّحه ، ورواه البيهقي من طريق عُبيد بن عُمير عن ابن عباس ، كما في الدر المنثور ٢٢/١ ورواه البخاري عن ابن عباس بلفظ (كانت عكاظ ، ومَجَنَّة وذو المَجَاز ، أسواقَ الجاهلية ، فلمَّا جاء الإسلام تأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم ، فنزلت ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فَضلاً من ربكم ﴾ في موسم الحج) انظر تفسير ابن كثير ٣٤٩/١ ، والدر المنثور ٢٢٢/١ .

(٢) ﴿ أفضتم ﴾ أي اندفعتم ، قال الراغب : فَاضَ الماء إذا سال مُنصبَّاً ، والفيضُ : الماء الكثير ، ويُقال : « هذا غَيْضٌ من فَيْض » أي قليل من كثير ، وقوله ﴿ أفضتم من عرفات ﴾ دفعتم منها بكثرة ، تشبيهاً بفيض الماء . اهـ . المفردات للراغب .

(٣) لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ص ١٣٩ من قصيدته التي مطلعها :

صَحَا القَلْبُ عن سَلْمَى وأَقْصَرَ باطِلُه ....

يمدح فيها « حصين بن حذيفة الفَزَاريّ » يقول : إن يديه تمطران بالعطاء كما تمطر الغَمَامة ، و « المُعْتَفُون » الذين يأتونه يطلبون ما عنده ، و « نوافله » يريد بها عطاياه أي أنها دائمة لا تنقطع ، وفي بعض الروايات « ما تغبُّ نَوَاضِلُه » كما في جامع الأحكام للقرطبي ٤١٤/٢ .

(٤) في المصباح : فاضَ الخيرُ : كثر ، وفاضَ الماء : جرى ، واستفاض الحديث : شاع في الناس وانتشر ، فهو مستفيض ، ولا يُقال : حديث مستفاض ، وقد أنكره الحُذَّاق : الفراء ، والأصمعي ، وابن السكيت ، وهو عندهم لحن . اهـ .

ورَوَى أبو الطفيل عن ابن عباس قال : « انما سُمِّيَتْ عرفات لأن جبريل كان يقول لإبراهيم عليهما السلام : هذا موضع كذا . فيقول : عرفتُ ، وقد عرفتُ ، فلذلك سُمِّيت عرفات »[1] .

وقال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء ونُعَيْم بن أبي هند : نحواً منه .

وقال ابن المسيب : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بعث الله جبريل إلى ابراهيم صلى الله عليهما حتى [إذا] أتى عرفات قال : قد عرفت . وكان قد أتاها من قبل ذلك ، ولذلك سميت عرفة[2] .

٦٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَاْذكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ المشْعرِ الحَرامِ .. ﴾ [آية ١٩٨] .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير : ما بين الجبلين مَشْعر[3] .

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن عباس ، وهو في الدر المنثور للسيوطي بلفظه ٢٢٢/١ وذكره ابن الجوزي ٢١١/٢ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٥١/١ عن علي رضي الله عنه قال : « بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام فحجَّ به ، حتى إذا أتى عرفة قال : عرفتُ ، فلذلك سميت عرفة » وقال القرطبي في جامع الأحكام ٤١٥/٢ : « قيل سميت تلك البقعة « عرفات » لأن الناس يتعارفون بها . وقيل : لأن آدم لما هبط وقع بالهند ، وحواء بجُدَّة ، فاجتمعا بعد طول الطلب بعرفات يوم عرفة وتعارفا ، فسمي اليوم عرفة ، والموضع عرفات ، قاله الضحاك » . وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧٤/٢ هذه الآثار ثم قال : والظاهر أن « عرفات » اسم مرتجلٌ كسائر أسماء البقاع . اهـ.

(٣) يريد جَبَلَيْ مزدلفة ، قال ابن عطية : والمشعر الحرام : جمعٌ كله ، وهو ما بين جبلي المزدلفة ، من حدّ مأزمَيْ عرفة إلى بطن محسّر ، قال ذلك ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، فهي كلها مشعر ، إلَّا بطن محسِّر ، كما أن عرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة ، لما رواه مالك في الموطأ (عرفة =

قال قتادة : هي جمعٌ[2] ، قال : وإنما سميت جمعاً ، لأنه يُجمع فيها بين صلاة « المغرب والعشاء » .

قال أبو اسحق[3] : المعنى : واذكروه بتوحيده ، والمعنى الثناء عليه (وإِنْ كُنتُم مِنْ قَبْلِه) أي من قبل هدايته .

٦٦ ـ وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ .. ﴾ [آية ١٩٩].

قالت عائشة وابن عباس : « كانت العرب تقف بعرفاتٍ ، فتتعظَّم قريش أن تقف معها ، فتقف قريشٌ بالمزدلفة ، فأمرهم اللّهُ أن يُفيضُوا من عَرفاتٍ مع النَّاسِ[3] » .

وقال الضحاك : الناس إبراهيم صلى الله عليه وسلَّم[4] .

قال أبو جعفر : والأول أولىٰ .

= كلها موقف إلا بطن عرنة ، والمزدلفة كلها مشعر وارتفعوا عن بطن محسر) المحرر الوجيز ١٧٤/٢ .

(١) « جَمْعٌ » اسم لمزدلفة ، وقد سُمِّي بذلك بنص الحديث الشريف (وجمعٌ كلها موقف إلا محسِّراً) وانظر الطبري ٢٨٩/٢ .

(٢) هو الإمام الزجاج ، ولفظه كما في معانيه ٢٦٣/١ : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ : أي اذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم ، وجزاءً لهدايته إياكم ، واذكروا بتوحيده ، والثناء عليه ، والشكر له .

(٣) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٢٩١/٢ وابن الجوزي ٢١٣/٢ والسيوطي في الدرر ٢٢٦/١ : وأخرجه البخاري ، ومسلم ، ولفظ البخاري ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحمس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ البخاري ٣٥/٦ وانظر الدر المنثور ٢٢٧/١ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٩٣/٢ عن الضحاك ، والقرطبي ٤٢٧/٢ وهو قول مرجوح كما بينه الطبري .

رَوَى ابـن عيينـة عن عَمْـرو بن دينار ، عن محمد بن جبير بنِ مطعـم ، عن أبيـه قال : « خرجت في طلـب بعيـرٍ لي بعرفـة ، فرأيت رسول الله ﷺ قائماً بعرفة مع الناس ، قبل أن يُبعث ، فقلت : واللـهِ إن هذا من الحُمْس ، فما شأنُه واقفاً ها هنا »[1] ؟ .

قال أبو جعفر : الحُمْسُ[2] : الذين شدَّدوا في دينهم ، والحماسةُ الشدَّةُ [ويُقال « ثُمَّ »][3] في اللغة تدل على الثاني بعد الأول ، وبينهما مهلـة .. وقـد قال اللـه تعـالى بعـدُ ﴿ فَٱذْكُـرُوا ٱللَّـهَ عِنْـدَ ٱلمَشْعَـرِ ٱلحَرَامِ ﴾

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ .

وإنما الإفاضةُ من عرفات ، قبل المجيءِ إلى المشعر الحرام[4] ؟ .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج ١٩٩/٢ ولفظه : « أضللتُ بعيراً لي فذهبتُ أطلبه يوم
(٢) عرفـة ، فرأيت رسول الله ﷺ واقفـاً مع النـاس بعرفـة .. » الحديث ، ورواه مسلم والنسـائي ، وانظر الدُّرَ المنثور ٢٢٧/١ .

(٣) الحُمْسُ : هم قريش سكـان الحرم ، كانـوا يأنفـون أن يجتمعـوا مع الناس بعرفـة ويقولـون : نحن سكان الحرم ، فينبغي علينا أن نعظِّم الحرم ، ولا نعظِّـم شيئـاً من الحل ، فكانـوا لا يخرجـون من الحرم ، ويقفون بمزدلفة ، وبقية الناس يقفون بعرفة ، فأمروا أن يقفـوا مع النـاس بعرفـة ، ويُفـيضوا منها كسائر الناس ، وفي هذا التوجيه الإلهي ، إبطال لما كانت تصنعه قريش ، من الوقـوف عنـد طرف الحرم ، بحجة أنهم أهل بيت الله وسكان حرمه الأمين ، وفيه تطبيـق لقاعـدة المساواة التـي أرسى الإسلام دعائمها ، والتـي هي من أقـوى البراهين على أن الإسلام ديـن إنساني عالمي ، ينشر العدالة ، ويلغي الفروق والامتيازات بين طوائف البشر .

(٣) ما بين القـوسين غير موجـود في الأصل ، وأثبتنـاه من الهامش وهـــو غير ضروري ، ومـــراده أن (ثمَّ) في أصل اللغة : للترتيب مع التراخي ، الذي عبَّر عنه بالعطف مع المهملة .

(٤) غرضه أن النزول إلى مزدلفة إنما يكون بعد الإفاضة من عرفات ، فكيف عطـف تعـالى بـ « ثمَّ » التي تدل على الترتيب مع التراخي بعد قوله ﴿ فاذكـروا الله عنـد المشعـر الحرام .. ثم أفيضوا من =

وفي هذا جوابان :

أحدهما : أن (ثُمَّ) بمعنى الواو .

والجواب الثاني : وهو المختار أن (ثُمَّ) على بابها ، والمعنى ثم أُمِرْتُم بالإفاضة من عرفات من حيث أفاض الناس .

وفي هذا معنى التوكيد لأنهم أُمِرُوا بالذكر عند المشعر الحرام ، وأفاضوا من عرفات ثم وكِّدت عليهم الإفاضة من حيث أفاض الناس ، لا من حيث كانت قريش تفيض .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ ﴾[1] ، ويقال فلان كريم ، ثم إنه يتفقدنا ، وفلان يقاتل الناس ثم إنه رديء في نفسه ، أي ثم أزيدك في خبره .

وفي الآية قول آخر حسن على قول الضحاك:﴿النَّاسُ﴾: ابراهيم عليه السلام ، فيكون المعنى من حيث أفاض ابراهيم الخليل وهو المشعر الحرام[2] .

= حيث أفاض الناس ﴾ مما يدل على أن النزول من عرفات يكون بعد الوقوف في مزدلفة ؟ وقد أجاب عنه المصنف بجوابين : أن « ثُمَّ » ليست هنا للتراخي ، وإنما هي بمعنى الواو لمجرد العطف . والثاني : أن « ثُمَّ » للتراخي ، فهي على بابها ، والمراد الإفاضة من عرفات كما يفيض المسلمون ، لا كما كانت تفيض قريش من مزدلفة ، فتكون الآية كالتأكيد لما سبق .

(1) سورة الأنعام آية رقم (١٥٥) وقد وردت هذه الآية بعد قوله تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مُستقيماً فاتَّبعوه ﴾ والمراد بالصراط دين الإسلام ، وموسى عليه السلام وبعثُه وكتابُه كان قبل ظهور الإسلام ، فمعنى « ثم » في الآية أي ثم أخبرك بأننا كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن .

(2) قال الطبري ٢/٢٩٣ : « والمخاطبون بقوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا ﴾ المسلمون كلهم ، والمعنيُّ بقوله تعالى ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وهو قول الضحاك ثم قال =

ويكون هذا مثل (الذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّـاسُ)[1] وذلك « نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِي » .

وقد رُوي : عنـه أنـه قال : (ثُمَّ أَفَـيضوا مِنْ حَيْثُ أَفَـاضَ النَّاسِي) يعني آدم ، وهذه قراءة شاذة[2] .

٦٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٠٠] .

قال مجاهد : إراقة الدماء[3] .

٦٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُـم آباءَكُـم أَوْ أَشَدَّ ذِكْـرا .. ﴾ [آية ٢٠٠] .

رَوَى أبو مالك وأبـو صالح عن ابـن عبـاس : « كانت العـرب

= ابن جرير : وأولى التأويلين بتأويل الآية ــ لولا إجماع من وصفت إجماعـه ــ قول الضحـاك ، أن الله عنى بقوله ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ إبراهيم ، لأن الإفـاضة من عرفـات ، قبـل الإفـاضة من مزدلفة ، فكان معلوماً أنه لم يأمـر بالإفـاضة إلا من الموضع الـذي لم يُفيضوا منـه ، دون الموضع الذي قد أفاضوا منه » . اهـ. باختصار .

(١) سورة آل عمـران آيـة رقـم (١٧٣) وقـد اتفـق المفسرون على أن المراد بالنـــاس هو « نُعَيم بن مسعود » قاله تثبيطاً لعزائم المؤمنين ، وانظر زاد المسير ١/٥٠٤ والإصابة ٦/٤٦١ .

(٢) قراءة الجمهور ﴿ ثم أَفيضوا من حيثُ أفـاض النَّـاسُ ﴾ أي انصرفـوا من حيث نزل المؤمنـون من عرفات ، لا من المزدلفـة ، أمـا على القـراءة الثانيـة ﴿ من حيث أفـاض النَّاسي ﴾ فالمراد به آدم عليه السلام ، وهي قراءة شاذة كما نبَّه المصنـف ، قال ابـن جنـي في المحتسب في شواذ القـراءات ١/١١٩ : « من حيث أفاض النَّاسي » يعـني آدم عليـه السلام لقولـه تعـالى ﴿ فنَسِيَ ولم نجد له عزماً ﴾ .

(٣) قال ابـن الجوزي ١/٢١٥ : المنـاسكُ : المتعبَّـدات ، وفي المراد بها ههنـا قولان : أحـدهما : أنها جميع أفعال الحج ، قاله الحسن : والثاني : أنها إراقة الدماء ، قاله مجاهد . اهـ. وكذلك روى ابـن جرير عن مجاهد أنها إراقة الدماء .

إذا قضت مناسكها وأقاموا بمنى ، فيقوم الرجل فيسأل الله فيقول : اللهم إن أبي كان عظيم الجَفْنَةِ ، عظيم القُبَّة ، كثير المال ، فأعطني مثل ما أعطيتَهُ »[1] .

أي ليس يذكرُ اللَّهَ تعالى ، إنما يذكُر أباه ، ثم يَسْأَلُ أن يُعْطَى في الدنيا .

٦٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ، وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾** [آية ٢٠٠] .

قال ابن عباس : (الخَلَاقُ) النصيبُ[2] ، والمؤمنون يقولون (رَبَّنا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال : المالُ ﴿ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ قال : الجنةُ[3] .

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عباس كما حكاه في الدر المنثور ٢٣٣/١ عنه ، ورواه ابن جرير عن السدي ٢٩٨/٢ بلفظه ، وأخرج ابن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم : كان أبي يُطعم الطعام ، ويحمل الحمالات ــ يعني الديات عن الناس ــ ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم ، فأنزل الله على محمد ﷺ ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً ﴾ وروي عن السلف نحو هذا » . وانظر تفسير ابن كثير ٣٥٥/١ .

(٢) في الصحاح : الخَلاقُ : النصيبُ ، يُقال : لا خلاق له في الآخرة أي لا نصيب له من رحمة الله ، وكذلك قال الطبري ٤٦٦/١ في قوله تعالى ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ﴾ قال : الحظُّ والنصيب .

(٣) كل هذه الآثار وردت عن السلف ، والأشهر أن الحسنة في الدنيا : المال ، وفي الآخرة الجنة ، قال ابن الجوزي ٢١٦/١ : « وفي الحسنة في الدنيا سبعة أقوال : أحدها : المرأة الصالحة ، والثاني : العبادة ، والثالث : العلم مع العبادة ، والرابع : المال ، والخامس : العافية ، =

وقال هشام عن الحسن : (آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : العلم والعبادةُ ، (وفي الآخِرَةِ حَسَنَة) قال : الجَنَّةُ[1] .

وروى مَعْمرٌ عن قَتَادةَ قال : في الدنيا عافية ، وفي الآخرة عافية .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد ، إلى أن الحسنة والنعمةَ من الله .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقِنَا ﴾ أي اصرف عنَّا .

يقال منه : وقيتُه كذا : أَقِيهِ ، وَقَايةً ، وَوِقَايةً ، وَوَقَاءً . وقد يُقَالُ : وقَاكَ اللَّهُ وَقْياً[2] .

= والسادس : الرزق الواسع ، والسابع : النعمة ، والحسنة في الآخرة : الجنة ، أو الحور العين ، أو العفو والمعافاة » قال النووي : وأظهر الأقوال : « أنها في الدنيا : العافية والعبادة ، وفي الآخرة : الجنة والمغفرة » وقال ابن عطية ٢/١٨٠ : « حسنة الدنيا : العافية في الصحة ، وكفافُ المال ، وقيل : المال ، وقيل : المرأة الحسناء ، وقيل : العلم والعبادة ، واللفظة تقتضي هذا كلَّه ، وجميع محابِّ الدنيا ، وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع » . اهـ. وقال الحافظ ابن كثير ١/٣٥٥ : « جمعت هذه الآية كل خير في الدنيا ، وصرفت كل شرٍّ ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب من عافية ، ودار رحبة ،، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ومركب هنيء .. إلخ . وأما الحسنة في الآخرة : فأعلاها دخول الجنة ، والأمن من الفزع الأكبر ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة » . اهـ.

(١) المرجع السابق .

(٢) في الصحاح : وقاه الله وِقاية بالكسر أي حفظه . والوَقَايةُ بالفتح لغة ، وفي اللسان : وقاه : صانه ممَّا يكره ، ووقَّاه حماه منه ، والتخفيف أعلى ﴿ فَوَقَّاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ والوِقاء ، والوَقَاء ، والوَقاية : كلُّ ما وقيت به شيئاً .

٧٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [آية ٢٠٢] .

أي قد علم ما للمحَاسَبِ ومَا عليــه ، قبــل توقيفــه على حسابه[٢] ، وهو يحاسبه بغير تذكُّرٍ ، ولا رَوِيَّة ، وليس الآدميُّ كذلك .

٧١ ــ ثم قال تعالى ﴿ واذْكُرُوا اللَّهَ في أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ .. ﴾ [آية ٢٠٣] .

أي بالتوحيــد والتعــظيم ﴿ في أَيَّــامٍ مَعْـــدُودَاتٍ ﴾ أي مَحْصِيَّات[٣] .

أُمِرُوا بالتكبير أدبار الصلوات ، وعنـد الرمي مع كل حصاة من حصىٰ الجمار .

ورَوَى سفيانُ عن بُكَيْـر بن عطـاءٍ ، عن عبدالـرحمن الـدَّيْلي قال : قال رسول الله ﷺ : (أيامُ مِنىٰ ثلاثةُ أيـام « أيـام التَّشريـقِ » فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه[١]) .

ورَوَىٰ نافـع عن ابـن عمـر : الأيـام المعلومـــاتُ والمعـــدوداتُ

(١) هذا كلام الزجاج في معانيه ١/٢٦٥ قال : والفائدة في الحساب علم حقيقتـه ، وقـد قيـل : إن حساب العبـد أسرع من لمح البـصر . اهـــ. وقـــال القرطبـــي ٢/٤٣٤ : الحسابُ مصدرٌ كالمحاسبة ، وهو العدُّ ، والمعنى أن الله سبحانه سريعُ الحساب ، لا يحتاج إلى عدٍّ ، ولا عقد ، ولا إعمـال فكـر ، ولهذا قال سبحانـه ﴿ وكفـى بنـا حاسبين ﴾ وقيـل لعلي رضي الله عنـه : كيـف يحاسب الله الناس على كثرتهم.؟ قال : كما يرزقهم على كثرتهم في يوم ، يحاسبهم في يوم .

(٢) قال ابن جرير الطبري ٢/٣٠٢ ﴿ واذكـروا الله في أيـام معـدودات ﴾ أي اذكـروا الله بالتوحيـد والتعـظيم في أيـام محصيَّـات ، وهـي أيـام رمـي الجمـار ، وعنـد الرمـي مع كل حصاة مع حصى الجمار ، وهي أيام منـى ، وأيـام رمـي الجمـار ، لتظاهـر الأخبـار عن رسول الله ﷺ في ذلك . اهـ.

(٣) أيام التشريق هي : اليوم الثاني ، والثالث ، والرابع من أيام عيد الأضحى ، أمـا اليـوم الأول فهـو يوم النحر ، وسميت أيام التشريق ، لأن الناس يشرحون لحوم الأضاحي شرائح يجففونها .

جميعهن أربعةُ أيامٍ ، فالأيامُ المعلوماتُ : يومُ النحر ، ويومان بعده ، والمعدوداتُ : ثلاثةُ أيام بعد يوم النحر[1] (وَاذْكُرُوا اللَّه في أَيَّامٍ مَعْدُوْدَات فَمَنْ تَعجَّل في يَوْمَين فَلا إِثْمَ عَلَيْه وَمَنْ تأخَّر فَلا إِثْم عَلَيه)[2] .

ورُوي عن عبدالله بن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس (فَلَا إِثْمَ عَلَيه) مغفورٌ له[3] .

وقال عطاءٌ ، وابراهيمُ ، ومجاهدٌ ، وقتادة (فَمَنْ تَعجَّل في يَوْمَيْن فلا إثْم عَلَيْه) في تعجيله ، ﴿ وَمَنْ تأخَّر فلا إِثْمَ عَلَيْه ﴾ في تأخيره[4] .

---

(١) الحديث ذكره ابن جرير عن مجاهد بلفظ ﴿ في أيام معدودات ﴾ قال : هي أيام التشريق بمنى ، وأخرجه مسلم والنسائي عن نُبَيْشَةَ الهُذَلي قال : قال رسول الله (أيام التشريق أيام أكل وشرب ، وذكرٍ للّهِ) صحيح مسلم ٢/٨٠٠ والدر المنثور ١/٢٣٥ .

(٢) الأثر في جامع البيان ٢/٣٠٣ وجامع الأحكام ٣/٢ والدر المنثور للسيوطي ١/٢٣٤ وعزاه إلى ابن عباس في رواية ابن أبي حاتم عنه قال : « الأيام المعدودات أربعة هي : يوم النحر ، وثلاثة أيام بعده » .

(٣) الأثر في الطبري ٢/٣٠٧ عن ابن عمر رضي الله عنه ﴿ فلا إثم عليه ﴾ قال : رجع مغفوراً له ، ومثله عن ابن مسعود ، والحسن ، وابن عباس ، قال : وروي عن ابن عباس : قد غُفر له ، إنهم يتأولونها على غير تأويلها ، إن العمرة لتكفِّر ما معها من الذنوب ، فكيف بالحج ؟ اهـ. وانظر أيضاً الدر المنثور ١/٢٣٦ .

(٤) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ، ومثله عن ابن عمر ١/٢٣٦ وذكره بنحوه ابن الجوزي في زاد المسير ١/٢١٨ قال : فإن قيل إنما يخاف الإثم المتعجِّل فما بال المتأخر أُلحق به ، والذي أتى به أفضل ؟ فعنه أجوبة : أحدها : أن المعنى : لا إثم على المتعجِّل ، والمتأخر مأجورٌ ، وإنما نفى الإثم عنه لتُوافق اللفظة الثانية الأولى كقوله تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ والثاني : أن المعنى فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة ، والثالث : طرح الإثم عنهما بشرط التقوى ﴿ لمن اتقى ﴾ . اهـ.

٧٢ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ لِمَنِ اتَّقَى .. ﴾** [آية ٢٠٣] .

قال عبدالله بن عمر : أُبيح ذا لِتَعْجِيلِ من اتَّقىٰ .

فالتقدير على هذا : الإباحةُ لمن اتَّقَىٰ(١) .

وقال ابن مسعود : إنها مغفرة للذنوب لمن اتَّقىٰ في حجه(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا القول مثل قوله الأول ، وأما قول إبراهيم(٣) : (وَمَنْ تَأَخَّر فَلاَ إِثْمَ عَلَيْه) في تأخيره ، فتأويلٌ بعيدٌ ، لأن المتأخر قد بلغ الغاية ، ولا يقال : لا حرج عليه !! .

وقد قيل : يجوز أن يقال : لا حرج عليه ، لأن رُخَصَ الله يُحسن الأخذُ بها ، فَأَعْلَمَ اللهُ تبارك وتعالى أنه لا إثم عليه في تركه الأخذ بالرُّخَص(٤) .

---

(١) و (٢) هذا قول ابن زيد ، وابن مسعود وابن عباس كما في الطبري ٣٠٨/٢ قال ابن زيد : لمن اتقى بشرط ، وقال ابن عباس : لمن اتَّقى معاصيَ الله عز وجل ، وقال ابن مسعود : لمن اتَّقى الله عز وجل .

(٣) المراد به « إبراهيم النخعي » أبو عمران المتوفى سنة ١٩٦هـ وهو من كبار فقهاء التابعين كما في تقريب التهذيب ٤٦/١ وقوله هنا لم يرتضه المصنف ، لأن المتأخر إلى اليوم الرابع محسنٌ ، وهو أفضل ممن تعجَّل ، فلا يقال : لا إثم عليه في تأخره ، إنما المراد لا إثم عليه في ترك الرخصة .

(٤) هذا وجه من الوجوه في تأويل الآية ذكره المفسرون ، وهو مرويٌّ عن عطاء كما في البحر ١١٢/٢ وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨٤/٢ وجهاً آخر أقرب وأظهر قال : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ الآية . قال ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، ومجاهد : المعنى : من نفر في اليوم الثاني من الأيام المعدودات فلا حرج عليه ، ومن تأخَّر إلى الثالث ــ يعني من أيام التشريق ــ فلا حرج عليه ، فمعنى الآية : كلُّ ذلك مباحٌ ، وعبَّر عنه بهذا التقسيم اهتماماً وتأكيداً ، إذ كان من العرب من يذمُّ المتعجل ، وبالعكس ، فنزلت الآية رافعةً للجناح في كل ذلك . اهـ.

ويدل على صحة قول ابن مسعود حديث شُعبَةَ عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من حج فلـم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أُمُّهُ »[1] .

والمعنـي على هذا : من حج فاتَّقـى في حجـه ما يُنْقِصه فلا إثم عليه من الذنوب الخالية .

أي قد كفّر الحَجُّ عنه[2] .

والتقدير : تكفير الإثم لمن اتقى .

حدثنـا محمـد بن جعفـر الأنبـاري قال : حدثنـــا حاجب بن سليمان قال : حدثنا وكيـع قال : حدثنـا سفيـان الثـوري عن سميّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول اللــه ﷺ : « الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنة »[3] .

قال أبو جعفر : وقول أبي العالية : (لا إِثْمَ عَلَيْـهِ) ذهب إثمه كلُّه إن اتقىٰ الله فيما بقي أي من عمره[4] .

---

(١) الحديث أخرجه البخـاري ١٤/٣ ومسلـم ٩٨٣/٢ ولفـظ البخـاري « من حج فلـــم يَرْفُث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » .

(٢) هذا القول يؤيد ما ذهب إليه ابن مسعود أن المراد بالآية مغفرة الذنوب لمن اتقـى الله عز وجـل في حجـه ، وفي سائـر أعماله ، بدليـل الحديث الشريـف « من حج فلـــم يرفث ولم يفسق .. » الحديث .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ٢/٣ ومسلم برقم ١٣٤٩ والترمـذي برقـم ٩٣٣ في الحج ، ومـالك في الموطأ ٣٤٦/١ ولفظُ الشيخين « العمرة إلى العمرة كفّـارة لما بينهمـا ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز عن أبي العاليـة ١٨٤/٢ وأبـو حيـان في البحـر المحيـط ١١٢/٢ والشوكاني في فتح القدير ٢٠٧/١ .

٧٣ ـــ وقولُه تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٠٤] .

قال ابن عباس : علانيتهُ (وَيُشهِدُ اللَّهَ) في الخصومة أن ما يريد الحق ، ولا يطلب الظلم (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ) ظالم(١) .

وقال محمد بن كعب : هم المنافقون(٢) .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٣١٥/٢ وذكر نحوه ابن الربيع قال : « هذا عبد كان حسن القول ، سيِّء العمل ، يأتي رسول الله ﷺ فيحسن له القول ﴿ وإذا تولَّى سَعَى في الأرض ليُفسد فيها ﴾ » .

(٢) قال ابن كثير ٣٥٩/١ : نزلت في « الأخنس بن شريق » جاء إلى رسول الله ﷺ وأظهر الإسلام ، وفي باطنه خلاف ذلك ، وعن ابن عباس أنها نزلت في نفر من المنافقين ، وقيل : بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد ، والربيع وهو الصحيح .

أقول : ما ذكره ابن كثير أن الآية نزلت في « الأخنس بن شَرِيق » هو قول جمهور المفسرين « الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والشوكاني » وغيرهم ، وهو قول السدي ، قال الطبري في روايته عنه : نزلت في « الأخنس بن شريق الثقفي » أقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة ، فأظهر له الإسلام ، فأعجبَ النبي ﷺ منه ، وقال : إنما جئتُ أُريدُ الإسلام ، والله يعلم أني صادقٌ ، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحمر ، فأَحرق الزرع ، وعَقَر الحُمر ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل ﴾ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨٦/٢ بعد أن ذكر هذه الرواية : ما ثبت قطُّ أن الأخنس أسلم ، واعترضه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٨/١ فأثبت إسلامه ، وقال في ترجمته : « الأخنس بن شَرِيق الثقفي » أبو ثعلبة ، حليف بني زهرة ، اسمه أُبَيٌّ وإنما لقِّب الأخنس لأنه رجع بقومه من بدر ، لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجى بالعير ، فقيل : خنِسَ الأخنس ، فسمِّي بذلك ، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنيناً ، ومات في أول خلافة عمر ، وما قاله ابن عطية أنه لم يُسْلِم قطُّ ، غير مسلَّم ، فقد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره ، ولا مانع أن يُسلم ثم يرتدُّ ، ثم يرجع إلى الإسلام . اهـ. كلام ابن حجر ، وكذا عدَّه ابن الأثير في أسد الغابة ٦٠/١ من الصحابة . والله أعلم .

وقرأ ابن محيصن : (وَيَشْهَدُ اللَّهُ) بفتح الياء والهاء والرفع[1] ـ ومعناه : ويَعلمُ اللهُ .

٧٤ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَهُو أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾ .

قال مجاهد : أي ظالمٌ لا يستقيمُ[2] .

وقال قتادة : شديدُ جدلٍ بالباطل[3] .

والأَلَدُّ في اللغةِ : الشديدُ الخصومة ، مشتقٌّ من اللَّدِيدَيْنِ وهما صَفْحتا العُنُقِ[4] .

أي في أي جانبٍ أخذ من الخُصومة غلب ، كما قال الشاعر :

إنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَزْماً وجوداً
وَخَصِيمَا أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ[5]

ويُروى « مِعْلاق » ويُقال : هو من لديديْ الوادي ، أي جانبيه .

---

(١) هذه ليست من القراءات السبع ، ذكرها الطبري في جامع البيان ٢/٣١٥ وابن كثير ١/٣٥٩ والشوكاني ١/٢٠٧ .

(٢) (٣) جامع البيان ٢/٣١٥ والبحر المحيط ٢/١١٤ والدر المنثور ١/٢٣٩ .

(٤) في الصحاح ٢/٥٣٥ : رجلٌ ألَدُّ : بيِّنُ اللَّدد ، وهو الشديد الخصومة ، وقوم لُدٌّ « وتُنْذِرَ به قَوْماً لُدّاً » ولَدَّه يلُدُّه : خَصَمه فهو لَادٌّ ، ولَدُودٌ ، واللَّديدان : صفحتا العُنق . اهـ. الجوهري .

(٥) البيت للمهلهل من قصيدة يرثي بها كُلَيباً ، وقد استشهد به السيوطي في الدر ١/٢٣٩ والقرطبي في جامع الأحكام ٣/١٦ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/١٨٩ وهو في اللسان ، وتهذيب اللغة بلفظ « ذا مِعْلَاق » بالعين ، قال : ومعلاقُ الرجل : لسانُه إذا كان جَدِلاً . اهـ. تهذيب اللغة .

فَصَاحِبُ هذه الصفة ، يأْخُذُ من جانب ويدع الإستقامة ، واللُّدُودُ في أحد الشقين .

وقال أبو إسحق(١) : الخِصامُ جمعُ خصْمٍ .

٧٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ .. ﴾** [آية ٢٠٥] .

أي إذا فارقك أسرع في فساد الحَرْثِ والنَّسل(٢) .

وروى أبو مالك عن ابن عباس « نزلت في الأخنس بن شَرِيق ، خرج من عند النبي ﷺ ، فَمرَّ بزرعٍ لقومٍ من المسلمين وحُمُر ، فأحرق الزرع ، وعَقَر الحمر(٣) .

ورَوَى أبو اسحق عن التميمي عن ابن عباس(٤) قال : الحَرْثُ حَرْثُ الناس ، والنَسْلُ نَسْلُ كلِّ دابَّة(٤) .

---

(١) هو الإمام الزجاج وعبارته كما في كتابه معاني القرآن ٢٦٧/١ : « ومعنى خَصْمٌ أَلَدُّ : الشديد الخصومة والجدل ، يُقال : رجلٌ أَلدُّ ، وامرأةٌ لَدَّاء و « خِصَامٌ » جمع خَصْم ، لأن فَعْلاً يجمع إذا كان صفةً على فِعَالٍ ، نحو صَعْبٍ ، وصِعَاب » . اهـ. وقال الخليل : الخِصَام في الآية مصدر خاصَمَ ، وفي الحديث : (إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ) رواه البخاري .

(٢) معنى الآية : إذا انصرف عنك عاثَ في الأرض فساداً ، فأهلك الزرع والضَّرع ، وأتلف نتاج الحيوان .

(٣) ذكره ابن جرير ٣١٢/٢ والقرطبي ١٤/٣ من رواية السدي ، وابن كثير ٣٥٩/١ وفي الدر ٢٣٨/١ .

(٤) في المخطوطة « عن ابن العباس » وصوابه كما في جامع البيان للطبري ٣١٨/٢ عن التميمي قال : سألتُ ابن عباس قلت : أرأيت قوله تعالى ﴿ وَيُهْلِكَ الحرث والنَّسل ﴾ ؟ قال : الحرثُ حرثكم ، والنَّسل : نسلُ كل دابة » . وانظر الدر المنثور ٢٣٩/١ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد .

قال قتادة : الحرثُ الزرعُ : والنَّسْلُ : نسلُ كل شيءٍ[1] .

وحدثنا محمد بن شعيب قال : أخبرني أحمد بن سعيد قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي عن علي بن الحكم عن الضحاك : أمَّا قوله : (وَيُهْلِكَ اَلْحَرْثَ والنَّسلَ) فالناس وكلُّ دابة ، وأما الحرثُ فهي : الجِنَانُ ، والأصلُ النابت[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربةُ المعاني ، والمعنى : يُحَرِّقُ وَيُخَرِّبُ ويقتل[3] .

٧٦ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وإذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّه أَخذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾ .
[آية ٢٠٦] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال : حدثنا أحمد بن عبدالجبار قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحق عن سعيد بن وهب قال : قال عبدالله « كفى بالرجل إثماً أن يقول له أخوه : اتَّقِ الله ، فيقول : عليكَ نَفسَكَ ، أأنتَ تأمرني »[4] ؟ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣١٨/٢ .

(٢) ذكره ابن جرير عن الضحاك ٣١٨/٢ وابن الجوزي ٢٢١/١ قال ابن كثير ٣٦٠/١ : « فهذا المنافق ليس له همَّةٌ إلا الفساد في الأرض ، وإهلاك الحرث ، وهو محل نماء الزروع والثمار ، والنَّسلُ وهو إنتاج الحيوانات ، اللَّذين لا قِوَام للناس إلا بهما » .

(٣) قال في البحر ١١٦/٢ : « والفساد ضدُّ الصلاح ، ويكون بأنواع من الجور ، والقتل ، والنهب ، والسبي ويكون بالكفر ، ويدخل تحت الفساد إهلاك الحرث والنسل ، ولكنه خصَّهما بالذكر ، لأنهما أعظم ما يُحتاج إليه في عمارة الدنيا ، فكان إفسادهما غاية الإفساد » .

(٢) أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود ، وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٩/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٩/١ عن ابن مسعود بلفظ (إن من أكبر الذنب عند الله ، أن يقول الرجل لأخيه اتَّقِ الله ..) إلخ .

٧٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضاتِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢٠٧] .

أي يبيع ، ومعنى يبيع نفسه : يَبْذُلُها في الله[1] .

قال سعيد بن المسيب : أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتَّبعه نفر من قريش من المشركين ، فنزل عن راحلته ، فانتثر ما في كنانته ، وأخذ قوسه ، ثم قال : يا معشر قريش : لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وايمُ اللَّهِ لا تَصِلون إليَّ حتى أرمي بما في كِنَانَتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا : دُلَّنا على بيتك ومالك بمكة ، ونُخلِّي عنك[2] !!

وعاهدوه ففعل ، فلما قدم على النبي ﷺ قال : أبا يحيى ربح البيعُ [ربح البيع][3] فأنزل اللَّهُ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ اِبْتِغاء مَرْضَاتِ اللَّه ﴾

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٨١ ﴿ يشري نفسه ﴾ أي يَبيعها ، يُقال : شريتُ الشيء إذا بعته ، وشريته إذا اشتريته فهو من الأضداد ، وكذا قال الزجاج : يشري نفسه أي يبيع نفسه ، ومعنى بيعه نفسه : بذلها في الجهاد في سبيل الله » وقال القرطبي ٢١/٣ : يشري معناه يبيع ، ومنه قوله تعالى ﴿ وشروه بثمنٍ بخس ﴾ أي باعوه .

(٢) الأثر ذكره ابن جرير عن صهيب ٣٢١/٢ والقرطبي ٢٠/٣ وابن كثير ٣٦١/١ وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/١٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن عساكر ، وأبي نُعيم في الحلية .

(٣) سقطت الجملة الثانية « ربح البيع » وأثبتناها من تفسير ابن كثير ، ومن الدر المنثور ، فقد وردت عنهما الرواية هكذا « فلما قدم على النبي ﷺ قال له : ربح البيعُ ، ربح البيعُ » وانظر ابن كثير ٣٦١/١ .

وقال قتاده : هم المهاجرون والأنصار(١) .

٧٨ ــ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلوا في السِّلْمِ كَافَّةً .. ﴾ [آية ٢٠٨] .

قال مجاهد : يعني الإسلام(٢) .

وروى أبو مالك عن ابن عباس قال : يقول في الإسلام جميعاً(٣) .

قال أبو جعفر : وأصل السِّلْمِ : الصُلْح والمسالمة(٤) ، فيجوز أن يكون المعنى اثبتوا على الإسلام ، ويجوز أن يكون المعنى لمن آمن بلسانه(٥) .

---

(١) ابن جرير عن قتادة ٣٢٠/٢ قال : نزلت في المهاجرين والأنصار ، وحكاه في الدر المنثور ٢٤٠/١ قال ابن كثير ٣٦١/١ : وأما الأكثرون فقد حملوا الآية على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله ، كما قال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .. ﴾ الآية .

(٢) و (٣) الطبري عن مجاهد وابن عباس ٣٢٣/٢ والمعنى : ادخلوا في الإسلام جميعاً ، في جميع شرائعه وأحكامه ، وكذا في ابن الجوزي ٢٢٥/١ قال ابن كثير ٣٦١/١ : يأمر الله عباده المؤمنين أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك .

(٤) قال الكسائي : السِّلْمُ والسَّلْمُ بمعنى واحد ، وهما جميعاً يقعان للإسلام والمسالمة ، وقد حكى البصريون : بنو فلانٍ سِلْمٌ ، وسَلْمٌ بمعنى واحد ، قال الجوهري : والسِّلْمُ : الصلح يُفْتح ويُكسر ، وأصله من الاستسلام والانقياد ، ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الإسلام . من القرطبي ٢٣/٣ .

(٥) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٥/١ فقال : ويحتمل أن يكون أمراً للمؤمنين بألسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم .

وقد رُوِي أن قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تحريم السبت ، فأمرهم الله أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام[1] .

٧٩ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .. ﴾ [آية ٢٠٩] .

قال الضحَّاك : هي الخطايا التي يأمر بها .

قال أبو اسحاق : أي لا تَقْفُوا آثاره ، لأنَّ ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتباعٌ للشيطان[2] .

٨٠ ـــ ثم قال تعالى ﴿ فإن زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ .. ﴾ [آية ٢١٠] .

أي تنحيَّتم عن القَصْد[3] .

(فَاعْلموا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا تعجزونه ولا يُعجزه شيء (حَكِيمٌ) فيما فطركم عليه وشَرَع لكم من دينه[4] .

---

(١) هذا القول روي عن عكرمة ، وذكره المفسرون « الطبري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن كثير » وغيرهم ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٩٨/٢ : « وقال عكرمة المخاطب من آمن بالنبي ﷺ من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره ، وذلك أنهم ذهبوا إلى تعظيم يوم السبت ، وكرهوا لحم الجمل ، وأرادوا استعمال شيء من أحكام التوراة ، وخلط ذلك بالإسلام ، فنزلت الآية فيهم تأمرهم بالتمسك بجميع أجزاء الشرع » . اهـ. وانظر الطبري ٣٢٤/٢ .

(٢) كذا قال الزجاج في معانيه ٢٧١/١ وهو « أبو إسحاق » : والمعنى : لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان .

(٣) قال القرطبي : أصل الزَّلل في القدم ، ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك يُقال : زلَّ يزلّ : أي دَحضَت قدمه ، والمعنى : إن تنحيتم عن طريق الاستقامة . اهـ. القرطبي ٢٤/٣ .

(٤) هذا ما فسَّره به الإمام الزجاج في معاني القرآن ٢٧١/١ ونقله عنه المصنف ، وأصل العزيز في اللغة من العِزَّة بمعنى الغَلَبة ، ومنه قول العرب « مَن عَزَّ بَزَّ » أي من غلب عدوَّه سلبه ما يملك .

٨١ ـ ثم قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ .. ﴾ [آية ٢١٠] .

قال مجاهد : إن الله يأتي يوم القيامة في ظُلَلٍ من الغمام(١) .

وقيل : (هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ) بما وعدهم من الحسنات والعذاب

(فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) أي بخذلانه إياهم .

وهذا قول أبي إسحق(٢) .

وقال الأخفش سعيد(٣) : (أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ) يعني أمرَه(٤) .

لأن الله تعالى لايَزُولُ ، كما تقول : خشينا أن تأتينَا بنو أميَّةَ ، وإنما تعني حكمهم(٥) .

---

(١) ذكره الطبري عن مجاهد ٣٢٨/٢ قال : « هو غير السحاب ، لم لكن إلّا لبني إسرائيل ، في تيههم حين تاهوا ، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة » وذكره عنه ابن كثير ٣٦٣/١ .

(٢) هكذا فسَّره الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢٧١/١ قال : « يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب كما قال تعالى ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ أي أتاهم بخذلانه إياهم » .

(٣) قيَّده المصنف بقوله « الأخفش سعيد » لينبِّه على الأخفش الأوسط ، وهو « سعيد بن مسعدة » المتوفى سنة ٢١٥هـ ، وهو شيخ الكسائي ، وقد أخذ العربية عن سيبويه ، وله كتاب معاني القرآن ، وهناك من تسمَّى بالأخفش غيره فلذلك وضَّحه المصنف .

(٥) هذا مذهب الخَلَف ، من المفسرين ، الذي أوَّلوا الإتيان بمعنى إتيان الأمر والحكم ، والأولى في مثل هذا مذهب السلف أنه إتيان يليقُ بجلاله ، من غير تمثيل ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، كما فسره ابن كثير ٣٦٢/١ حيث قال : ﴿ إلا أن يأتيهم الله ﴾ يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين ، فيجازى كل عامل بعمله كما قال تعالى ﴿ وجاء بك والمَلَكُ صفاً صفاً ﴾ . اهـ. هذا هو الحق في مثل آيات الصفات .

(٥) كذا في معاني القرآن للأخفش ٣٦٥/١ .

﴿ وقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أي فُرِغ لهم ما كانوا يوعدون[1] .

٨٢ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ وإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الأُمُوْر ﴾ [آية ٢١٠] .

وهي راجعة إليه في كل وقت[2] .

قال قطرب[3] : المعنى إن المسألة عن الأعمال ، والثوابُ فيها والعقابُ يرجع إليه يوم القيامة ، لأنهم اليوم غير مسؤولين عنها[4] .

وقال غيره : وقد كانت في الدنيا أمور إلى قوم يجورون فيها فيأخذون ما ليس لهم ، فيرجع ذلك كلُّه إلى الله ، يحكم فيه بالحق .

وبعده : ﴿ وَقُضِي الأَمْرُ ﴾ أي فُصِلَ القضاء بالعدل بين الخلق[5] .

---

(١) المعنى المراد : أنه قد انتهى أمر الخلائق ، وفُرِغ من حسابهم بالفصل بينهم ، فريقٌ في الجنة وفريق في السعير .

(٢) وضَّح هذا المعنى ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٢٠١ . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢/١٢٦ : وفي الآية الاختصاص بقوله ﴿ وإلى الله ﴾ فاختصَّ بذلك لانفراده فيه سبحانه بالتصرف ، والحكم ، والملك . اهـ.

(٣) « قطرب » هو أبو علي محمد بن المستنير ، البصري المتوفى سنة ٢٠٦هـ أخذ النحو عن سيبويه وله كتاب في معاني القرآن ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٦٢٥ وشذرات الذهب ٢/١٥ .

(٤) يريد أن هذه الدنيا دار العمل ودار التكليف ، وأما الآخرة فهي دار الجزاء والتشريف ، فهنا عمل ولا حساب ، وهناك حسابٌ ولا عمل . فرجوعهم إلى الله في تلك الدار ، التي لا محاسب فيها غيره جل وعلا .

(٥) المقصود من الآية تصوير عظمة يوم القيامة ، وهَوْله وشدته ، وبيان أن الحاكم فيه هو مَلِكُ الملوك ، رب العالمين جل وعلا ، الذي لا رادَّ لقضائه ، ولا معقِّب لحكمه ، وهو أحكم الحاكمين ، لأنه لا يحكم إلا بالعدل .

٨٣ ـ ثم قال تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ .. ﴾ [آية ٢١١] .

أي في تصحيح أمرِ النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

وقال مجاهد : ما ذُكر منها من القرآن ، وما لم يُذكر ، قال : وهم يهود[٢] .

٨٤ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ . [آية ٢١١] .

قال مجاهد : أي يكفُرْ بها ، وقيل لهم هذا لأنهم بدَّلوا ما في كتبهم[٣] .

٨٥ ـ ثم قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢١٢]

قال أبو إسحق : أي زيَّنها لهم إبليس ، لأن اللَّهَ قد زهَّد فيها ، وأَعلَمَ أنَّها متاعُ الغُرُورِ[٤] .

وقيل : معناه إنَّ اللهَ خلق الأشياء المُعْجِبَةَ ، فنظر إليها الذين

---

(١) قال ابن عطية ٢٠٢/٢ : أي كم جاءهم في أمر محمد ﷺ من آية مُعَرِّفة به ، دالة عليه ، فبدلوها بالتحريف وجَحْدِ أمره ﷺ ؟

(٢) ذكره الطبري عن مجاهد ٣٣٢/٢ .

(٣) ذكره ابن جرير عن مجاهد ٣٠٣٣/٢ أن المراد بتبديل نعمة الله : هو الكفر بما جاء في التوراة أن محمداً نبيٌّ ورسول .

(٤) قال الزجاج : يعني به في هذا الموضع ، حُججُ الله ، الدالة على أمر نبيه ﷺ وانظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٣/١ .

كفروا بأكثرَ من مقدارها[1] .

٨٦ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾** [آية ٢١٢] .

قال : أي في ذات اليد[2] .

قال ابن جريج : يسخرون منهم في طلب الآخرة .

قال قتادة : ﴿ فَوْقَهُم ﴾ أي في الجنة .

٨٧ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ واللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾** [آية ٢١٢] .

ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه ، ولا يرزق الكافر على قدر كفره .

---

(١) هذا المعنى ذكره الزجاج في معانيه ٢٧٣/١ قال : ويُستدل له بقوله تعالى ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين .. ﴾ الآية .
أقول : للمفسرين في هذه الآية قولان :
أحدهما : أن المزيِّن هو الشيطان ، وحجتهم في ذلك قوله تعالى ﴿ وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم ﴾ .
والثاني : أن المزيِّن هو الله سبحانه للابتلاء ، وحجتهم قوله تعالى ﴿ إنَّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملاً ﴾ وقوله : ﴿ كذلك زيَّنا لكل أمة عملهم ﴾ .

(٢) أي يسخرون منهم لفقرهم وإقلالهم ، وكانوا يقولون ﴿ نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذَّبين ﴾ .

(٣) ذكره الطبري عن ابن جريج ٣٣٣/٢ والقرطبي ٢٩/٣ .

(٤) هذا القول نقله المصنف عن الزجاج في معانيه ٢٧٣/١ وقال الطبري : يعطي من شاء من خلقه ، غير خائف نفاذ خزائنه ، ولا انتقاص من ملكه بعطائه .

أي ليس يُحاسب في الرزق في الدنيا على قدر العمل[1] .

وقال قطرب : المعنى ــ والله أعلم ــ أنه يُعطي [العباد من الشيء المقسوم][2] لا من عدد أكثر منه أخذه منه ، كالمعطي من الأدميين الألف من الألفين .

قال : ووجهٌ آخر أن من أنفق شيئاً لايُؤاخذ به ، كان ذلك بغير حساب[3] .

٨٨ ــ **وقوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً .. ﴾** [آية ٢١٣] .

قال مجاهد : آدمُ أُمةٌ واحدة[4] .

ورَوَى سعيد بن جبير عن قتادة قال يقول : « كانوا على شريعةٍ من الحقّ كلُّهُمْ »[5] .

---

(١) مراده أن الله تعالى لا يرزق العباد على حسب أعمالهم الصالحة ، فقد يعطي الكافر ، ويحرمُ المؤمن ، لحقارة الدنيا على الله ، كما قال ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء) .

(٢) العبارة غير واضحة في المخطوطة ، وفيها بعض طمسٍ ، ولعل ما أثبتناه بين القوسين هو الصحيح بقرينة السياق .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن بعض المفسرين ٢٢٨/١ قال : وفي الآية قولان : أحدهما : أنه يرزق من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيِّق ، والثاني : يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة .

(٤) الطبري ٣٣٥/٢ عن مجاهد ، قال ابن جرير : وهذا كما يُقال : فلان أمة واحدة أي يقوم مقام الأمة لاجتماع أخلاق الخير فيه .

(٥) ذكره الطبري عن قتادة ٣٣٤/٢ وهو قول ابن عباس أيضاً ، ولفظه (كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيِّين مبشرين ومنذرين) وانظر الدر المنثور ٢٤٢/١ .

ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم يعمل بطاعة الله على الهدى ، وعلى شريعة الحق ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فبعث الله نوحاً[1] .

قال أبو جعفر : (أُمَّة) من قولهم : أَمَمْتُ كذا أي قَصَدْتُه .

فمعنى (أُمَّة) أنَّ مَقْصَدهم واحد ، ويقال للمنفرد « أمَّة »[2] أي مَقْصَده غير مَقْصَد الناس .

والأُمَّة القامةُ ، كأنها مقصد سائر البدن ، والإِمَّة ـ بالكسر ـ النِّعْمَة[3] ، لأن الناس يقصدون قصدها ، وقيل : إمام ، لأن الناس يقصدون قصد ما يفعل .

٨٩ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وأَنْزَلَ مَعَهُم الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيْه ﴾** [آية ٢١٣] .

أي يفصل الكتابُ بالحكم[4] .

---

(١) الأثر رواه ابن أبي حاتم ، وعبدُ بن حُميد ، عن قتادة ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٤٣/١ .

(٢) قال تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿ إن إبراهيم كان أمَّةً قانتاً لله حنيفاً ﴾ أي لا نظير له بين الناس .

(٣) في الصحاح : الأمَّة : الجماعة ، وهو في اللفظ وفي المعنى جمع ، والإمة بالكسر : النِّعْمة ، والإِمَّةُ لغة في الأُمَّة وهي الطريق والدين ، وأُمَّةُ الرجل : وجهه وقامته ، والإمام : الذي يُقتدى به ، وجمعُه أَئِمَّةٌ .اهـ. باختصار ، وانظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٤/١ .

(٤) الكتاب هنا اسم جنس أي أنزل تعالى الكتب السماوية لهداية البشرية ، ولتحكم شريعة الله الناس في أمور دينهم ودنياهم ، وليحكم كل نبي بكتابه الذي أنزله عليه ، قال الشوكاني=

وقرأ **الجحدري** : (لِيُحْكَم) بضم الياء وفتح الكاف[1] .

وقال الفرزدق :

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا
وقَضَىٰ عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ[2]

٩٠ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ وما اخْتَلَفَ فِيْهِ إلاَّ الَّذِينَ أُوْتُوه ﴾** [آية ٢١٣] .

أي وما اختلف في الكتاب إلاَّ الذين أُعْطُوه[3] .

قال أبو إسحق : أي وما اختلف في حقيقة أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلاَّ الذين أُعطوا علم حقيقته عليه الصلاة والسلام[4] .

= ٢١٣/١ : وأسند الحكم إلى الكتاب ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ وهو مجاز ، مثل قوله تعالى ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم ﴾ وقيل : إن المعنى ليحكم كل نبي بكتابه . اهـ.

(١) هذه من القراءات العشر ، ذكرها القرطبي ٣٢/٣ وابن عطيَّة ٢١٠/٢ . والمعنى : ليحكم الله بين الناس ، وقد ذكر ابن الجوزي في النشر ٢٢٧/٢ أنها قراءة أبي جعفر .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ من قصيدته المشهورة ، في الفخر والاعتزاز ومطلعها :

إنَّ الذي سَمكَ السَّماءَ بَنَى لنا ... بَيتاً دَعَائمُه أعَزُّ وأطْوَلُ

فنسبة الحكم إلى الكتاب مجاز ، أي ليحكم الكتاب ، كما أن نسبة القضاء إليه مجاز مشهور .

(٣) هذا ذم وتشنيع من الله عز وجل على « اليهود والنصارى » الذين جعلوا الكتاب الهادي المنير ، المنزل لإزالة الاختلاف ، وجَمْع الكلمة ، سبباً للتنازع والخلاف ، فعكسوا الأمر ، حيث جعلوا ما أُنزل لسعادة الإنسانية وإزالة الاختلاف ، سبباً لاستحكام الخلاف ورسوخه ، بسبب بغيهم وعدوانهم ، ولهذا ختم الله الآية بقوله « بغياً بينهم » .

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٧٦/١ وهذا القول مروي عن ابن مسعود كما في زاد المسير ٢٣٠/١ والقول الأول أرجح وهو رأي الجمهور .

﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ أي للبغي ، أي لم يوقعوا الاختلاف إلاَّ للبغي ..

٩١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ .. ﴾** [آية ٢١٣] .

ورَوَى أبو مالك عن ابن عباس : اختلف الكفار فيه ، فهدى اللهُ الذين آمنوا للحق من ذلك(١) .

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« نحنُ الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة ، نحن أوَّلُ النَّاسِ دخولاً الجنة ، بَيْد أنَّهم أُوْتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنا ، وأُوتيناهُ من بعدِهِمْ ، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اختلفوا فيه من الحقِّ ، فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه [فهدانا اللهُ له] فالنَّاس لنا فيه تَبَعٌ ، فَغَداً لليهودِ ، وبعد غدٍ للنَّصارى »(٢) .

وفي بعض الحديث : « هَدَانا الله ليوم الجمعة »(٣) .

---

(١) يريد المصنف أن أهل الزَّيغ اختلفوا في الحق الذي جاءهم من عند الله ، وهدى الله أُمة محمد ﷺ إليه ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٢١٠ وجامع الأحكام للقرطبي ٣/٣٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ٢/٢ ومسلم في الجمعة أيضاً ٢/٥٨٥ وفي لفظ لمسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .. » الحديث ، وفي رواية أخرى لمسلم « أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، والمقضيُّ لهم قبل الخلائق » ورواه النسائي في سننه ٣/٨٧ وقد سقط من المخطوطة ما بين الحاصرتين وأثبتناه من رواية مسلم .

(٣) هذه رواية مسلم في صحيحه ، وانظر جامع الأصول ٩/١٨٣ .

وقال زيد بنُ أسلم : اختلفوا ، فاتخذت اليهودُ السبتَ ، والنَّصارى الأحدَ ، فهدى اللهُ أُمَّةَ محمدٍ للجُمعة[1] .

واختلفوا في القِبْلة ، واختلفوا في الصلاة ، والصيام ، فمنهم من يصوم عن بعض الطعام ، ومنهم من يصوم بعض النهار[2] .

واختلفوا في « إبراهيم »[3] فهدى الله أُمَّةَ محمدٍ للحقِّ من ذلك.

قال أبو زيد : واختلفوا في عيسى ، فجعلته اليهود لِفِرية[4] ، وجعلته النصارى ربّاً ، فهدى الله المؤمنين .

قال أبو إسحق : ﴿ بإذْنِهِ ﴾ أي بعلمه .

٩٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّة .. ﴾** [آية ٢١٤] .

(أَمْ) ههنا للخروج من حديث إلى حديث .

(١) هذا على القول بأن الأمر الذي اختلفوا فيه هو « يوم الجمعة » وهو قول لبعض علماء السلف وانظر زاد المسير ٢٣١/١ .

(٢) النصارى يصومون صياماً غريباً ، يأكلون ما لذَّ وطاب من أنواع الأطعمة ، والأشربة ، ويمتنعون عن أكل اللحم والدَّسم ، وعن كلِّ ما يخرج من الحيوان ، لمدة محدودة هي خمسون يوماً ، ويزعمون أن هذا الصيام هو الذي أمرهم اللهُ تعالى به !

(٣) اختلافهم في إبراهيم هو زعم اليهود أن إبراهيم كان على دينهم وملتهم ، كان يهودياً ، وزعم النصارى أنه كان نصرانياً ، وقد كذَّب القرآن الفريقين ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ .

(٤) قوله « لفرية » أي إنه ابن زنى ، وهذا قول اليهود عليهم لعنة الله ، حكاه عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وبكفرهم وبقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ أي اتهامهم لها بالزنى ، فاليهود جعلوا عيسى عليه السلام ابن زنى ، والنصارى جعلوه ابن الله ، أو هو الله ، فكانوا بين إفراط وتفريط ، وهدى الله أمة محمد إلى الحقِّ في شأنه ، وهو أنه عبدٌ لله ورسول من رسله الكرام ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ .

٩٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلمَّا يأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُم .. ﴾ [آية ٢١٤] .

حكى النَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ أنَّ « مَثَل » يكون بمعنى « صفة » .

ويجوز أن يكون المعنى : ولمَّا يُصبْكم مِثْل الذي[1] أصاب الذين من قبلكم . و (خَلَوْا) أي مَضَوْا .

(مَسَّتْهُم البَأْسَاء والضرَّاء) أي الفقرُ والمرضُ[2] .

(وزُلْزِلُوا) خُوِّفوا وحُرِّكوا بما يؤذي .

قال أبو إسحق : أصل الزلزلة من زلَّ الشيءُ عن مكانه ، فإذا قلتَ : زَلْزَلْتُهُ فمعناه : كَرَّرتَ زَلْزَلتَه[3] من مكانه .

٩٤ ــ ثم قال تعالى : ﴿ حتَّى يقولَ الرَّسُولُ والذِين آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّه ﴾ ؟ [آية ٢١٤] .

أي بلغ الجهدُ بهم حتى استبطأوا النَّصر[4] .

---

(١) في المخطوطة « مِثْل الذين » وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه « مثل الذي » أي مثل ما أصاب من سبقكم .

(٢) قال الطبري ٢/٢٤١ : « البأساء : هو شدة الحاجة والفاقة ، والضرَّاء : هي العلل والأوصاب ، وكان هذا يوم الخندق .

(٣) في المخطوطة « كرَّرتَ زَلَلَه » وصوابُه من معاني القرآن للزجاج ١/٢٧٧ قال : وكلُّ ما فيه ترجيع ، كرَّرت فيه فاء التفعيل ، مثل : صلَّ ، وصَلْصَلَ ، وصرَّ ، وصَرْصَرَ ، فعلى هذا قياس هذا الباب .

(٤) ذكره ابن الجوزي ١/٢٣٢ قال : ومعنى الآية أن البلاء والجهد ، بلغ بالأمم المتقدمة ، إلى أن استبطأوا النصر ، لشدة البلاء ، وقد دلت الآية على أن طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء ،

وقال اللّه تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ أي هو ناصرُ أوليائِهِ لا مَحَالة[1].

٩٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُون .. ﴾ ؟ [آية ٢١٥] .

أي يَتَصدَّقون ويُعْطون[2] .

﴿ قُلْ ما أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْن ، والأَقْرَبِيْن ، واليَتَامَى ، والمساكِينِ ، وابن السَّبِيْل .. ﴾ [آية ٢١٥] .

قيل : كانوا سألوا على من ينبغي أن يُفْضِلوا[3] ؟ .

فقيل : أولى من أُفْضِلَ عليه هؤلاء[4] .

قالت عائشة : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرٍّ ــ أي حنطة ــ حتى مضى لسبيله » وفي الحديث « إن الله ليحمي المؤمن من الدنيا ، كما يحمي المريض أهله من الطعام » . اهـ.

(١) قال الزجاج : أعلمَ أولياءَه أنه ناصرُهم لا محالة ، وأن ذلك قريب منهم كقوله تعالى ﴿ وإنَّ جُنْدَنَا لهُم الغالِبُون ﴾ معاني القرآن ١/ ٢٧٨ .

(٢) قال المفسرون : نزلت هذه الآية لمَّا قال بعض الصحابة يا رسول الله : ماذا ننفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزلت الآية ، وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس ، كما حكاه الجوزي في زاد المسير ٢٣٣/١ .

(٣) يُفضِلوا : أي يُحسنوا إليه بالعطاء والنفقة ، وفي الصحاح : الإفضال : الإحسان ، يُقال : أفضل عليه ، وتفضَّل عليه ، بمعنىً ، والفَضْلَةُ والفُضَالة : ما فَضَل من شيء . اهـ. وانظر معاني الزجاج ٢٧٩/١ .

(٤) قال ابن جرير في جامع البيان ٣٤٢/٢ : المعنى : « يسألك أصحابك يا محمد ، أيَّ شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به ؟ وعلى من ينفقون ويتصدقون به ؟ فقل لهم : ما أنفقتم من أموالكم وتصدَّقتم به ، فاجعلوه لآبائكم وأمهاتكم ، وأقربيكم ، ولليتامى منكم ، والمساكين ، وابن السبيل » . اهـ.

٩٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[آية ٢١٥] .

أي يُحْصِيه ، وإذا أحصاه جازى عليه[١] .

٩٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم القِتَالُ وَهو كُرْهٌ لَكُم .. ﴾ [آية ٢١٦] .

أكثرُ أهل التفسير على أن الجهاد فرض ، وأن المعنى : فُرِض عليكم القتالُ ، إلا أن بعضهم يكفي من بعض[٢] .

قال الله تعالى : ﴿ وقاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ ﴾[٣] .

قال أبو طلحة في قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾[٤]

ما سمعت اللَّهُ عَذَرَ أَحَداً .

إلاَّ أن سفيان الثَّوريَ قال : الجهادُ تطوعٌ ، ومعنى ﴿ كُتِبَ

---

(١) المراد بالعلم ﴿ فإن الله به عليم ﴾ الإحصاء وعدم الضياع أي إنه تعالى يحفظه لكم ولا يضيعه ، ليجازيكم عليه في الآخرة أحسن الجزاء ، فالآية إجمال بعد تفصيل ، لبيان الأجر الجزيل .

(٢) هذا هو الصحيح وهو قول الجمهور أن الجهاد فرض على المسلمين ، لقوله تعالى ﴿ كُتِبَ ﴾ أي فُرض ، لكنه فرضٌ على الكفاية إذا قام به البعض ، سقط عن الباقين ، كصلاة الجنازة فرض كفائي ، قال في الفتوحات الإلهية ١٧١/١ : وهو فرض عين ، إذا دخل الكفار بلادنا ، وفرض كفاية إن كانوا ببلادهم » قال ابن عباس : لمَّا فرض الله على المسلمين الجهاد ، شقَّ عليهم وكرهوه ، فنزلت هذه الآية .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٩٠) واستشهد المصنف بهذه الآية على الفرضية لأنه قوله ﴿ وقاتلوا ﴾ أمر ، وهو يدل على الوجوب .

(٤) سورة التوبة آية رقم (٤١) والآية كذلك شاهد على وجوب النفير للجهاد في سبيل الله ، قال ابن جرير ١٣٧/١٠ قال أبو طلحة ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ أي كهولاً وشباناً ، ما أسمعُ الله عذر أحداً ، فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات .

عَلَيْكُم الْقِتَالُ ﴾ على تَفْضِيله[1] .

ثم قال : ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [آية ٢١٦] .

قال أبو إسحق : التأويل وهو ذو كره لكم ، وكرهتُ الشَّيءَ كُرْهاً ، وكَرْهاً ، وكَرَاهَةً ، وكَرَاهِيَةً[2] .

وقال الكسائي : كأنَّ الكُرْه من نفسك ، والكَرْه ــ بالفتح ــ ماأُكْرِهْتَ عليه[3] .

﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم ﴾ [آية ٢١٦] .

أي إن قُتِلَ كان شهيداً ، وإن قَتَلَ أُثِيبَ وغَنِمَ ، وهَدَمَ أمر الكفر ، واستدعى بالقتال دخولَ من يقاتله في الإسلام .

﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً ﴾ القعودَ عن القتال[4] .

---

(١) هذا قول عطاء والأوزاعي أيضاً ، حكاه ابن جرير ، قال : سئل الأوزاعي عن الآية ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ أواجب الغزو على الناس كلهم ؟ قال : لا ، ولكن لا ينبغي للأئمة والعامة تركه ، قال الطبري : وعامة علماء المسلمين على أنه واجب على كل واحد ، حتى يقوم به من في قيامه الكفاية ، فيسقط فرض ذلك عن باقي المسلمين ، كالصلاة على الجنائز ، وهو الصواب عندنا .

(٢) انظر معاني الزجاج ٢٨٠ قال : وكلُّ ما في كتاب الله من الكُره فالفتحُ جائز فيه .

(٣) في الصحاح مادة كره : الكُره بالضمِّ المشقة ، يُقال : قمتُ على كُرهٍ أي على مشقة ، ويُقال : أقامني فلانٌ على كَرْه بالفتح إذا أكرهك عليه ، وكان الكسائي يقول : الكَرْهُ والكُرْهُ لغتان . اهـ. والاختيار ما ذكره المصنف من التفرقة قال القرطبي : قال ابن عرفة : الكُره المشقة ، والكَرْه : ما أُكرهت عليه ، هذا هو الاختيار .

(٤) قال المفسرون : إن القتال مكروه للنفوس ، ولكن قد تكره النفوس شيئاً ، وفيه كل الخير والنفع ، ففي هذا القتال النصرُ والغنيمة ، أو الأجر والشهادة ، وقد تحب النفوس شيئاً ، وفيه الضرر =

٩٨ ــ وقولُه تعالى : ﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ .. ﴾ [آية ٢١٧] .

رَوَى سعيد عن قتادةَ قال : فكانَ القتالُ فيه كبيراً ــ كما قال تعالى ــ ثم نُسخ في براءة : ﴿ وَقَاتِلُوا المُشْرِكين كَافَّة كَمَا يُقَاتِلونَكُم كافَّةً ﴾[١] .

رَوَى أبو السيَّار عن جُنْدِب بن عبدالله أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً ، وبعث عليهم أبا عُبَيْدةَ بنَ الحَارِثِ ــ أو عبيدة بن الحارث[٢] ــ فلمَّا ذهب لينطلق بكى صَبَابَةً[٣] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث « عبدَاللَّهِ بنَ جَحْشٍ » وكتب له كتاباً ، وأمره لا يقرأ الكتاب حتَّى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : لا تكرِهَنَّ أصحابَك على المسير ، فلمَّا بلغ المكان قرأ الكتابَ فاسترجع ، وقال : سمعاً وطاعةً للَّهِ ورسوله ، قال : فرجع رجلانِ ، ومضى بقيتهم ، فلقُوا ابن الحضرَميِّ فقتلوه ، ولم يَدْرُوا أنَّ ذلك اليوم من

= والشر المستطير ، ففي ترك الجهاد الذل « وما تركت أمةٌ الجهاد إلَّا ذَلَّتْ » فالنفس تؤثر السلامة ، وقد يكون فيما تشتهيه العطب ، قال الحسن البصري : « لا تكرهوا الملمَّات الواقعة ، فلربَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر تحبه فيه عطبك » وأنشد أبو سعيد الضرير :

ربَّ أمرٍ تَتَّقيه ... جرَّ أمراً ترتضيه
خفيَ المحبوب منه ... وبدا المكروه فيه

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٥/١ والطبري في جامع البيان ٣٥٣/٢ والقرطبي ٤٣/٣ .

(٢) ما بين المعترضتين من هامش المخطوطة ، وفي الطبري بدون « أو » : بعث أبا عبيدة ، وفي ابن كثير ٣٦٨/١ : بعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح .

(٣) بكى صَبَابةً أي شوقاً وحنيناً إلى رسول الله ﷺ من ألم الفراق .

رجب ، فقال المشركون : قتلتُم في الشهر الحرام !! فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ ﴾[1] الآية .

وقيل : إن لم يكونوا أصابوا وِزْراً ، فليس لهم أجرٌ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمنوا والَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[2] إلى آخر الآية .

قال مجاهد : (قُلْ قِتالٌ فِيه كَبِيرٌ) أي عظيم[3] .

وتم الكلام . ثم ابتدأ فقال : (وَصَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ) أي باللَّهِ[4] (وَالَمْسجِدِ الحَرامِ) أي وصدٌ عن المسجد الحرام .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ، والطبراني ، والبيهقي ، بسند صحيح ، ورواه ابن جرير ، وابن المنذر ، وهو في جامع البيان ٣٥٠/٢ وزاد المسير ٢٣٦/١ والدر المنثور ٢٥٠/١ وتفسير ابن كثير ٣٦٨/١ .

(٢) الدر المنثور ٢٥٠/١ وزاد المسير ٢٣٦/١ وخلاصة القصة أن النبي ﷺ بعث سريَّة وأمَّر عليهم « عبد الله بن جحش » ليترصَّدوا عيراً لقريش ، فيها « عمرو بن الحضرمي » وثلاثة معه ، فقتلوه وأسروا اثنين ، واستاقوا العير بما فيها من تجارة وأموال ، وكان ذلك في أول يوم من رجب ، وهم يظنونه من شهر جمادى الآخرة ، فبلغ الخبر قريشاً فقالوا : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، شهر يأمن فيه الخائف ، وعظم ذلك على المسلمين فنزلت الآية الكريمة ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .. ﴾ الآية .

(٣) قال الطبري ٣٤٦/٢ : يعني القتال في الشهر الحرام كبير ، أي عظيم عند الله استحلاله ، وسفك الدماء فيه ، وإنما قال : ﴿ قل قِتال فيه كبير ﴾ لأن العرب كانت لا تقرع فيه الأسِنَّة ، فيلقى الرجل قاتل أبيه ، وأخيه فلا يهيجُه تعظيماً له ،، وتسمِّيه مضر « الأصم » لسكون أصوات السلاح وقعقته فيه » . اهـ.

(٤) هكذا فسَّره الطبري ٣٤٧/٢ أن الضمير في قوله ﴿ وكفرٌ به ﴾ أي بالله ، فهو يعود على لفظ الجلالة المذكور في قوله ﴿ وصدٌّ عن سبيل الله ﴾ وهو الأظهر والأشهر ، وقال القرطبي ٤٥/٣ : ﴿ وكفرٌ به ﴾ أي بالله . وقيل ﴿ وكفرٌ به ﴾ أي بالحج والمسجد الحرام . اهـ. والأول أظهره ، والله أعلم .

(وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) يعني المسجد الحرام (أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ) من القتل في الشهر الحرام[1]

﴿ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ ﴾ .

قال الشعبي : أي الكفر[2] ، والمعنى : أفعالكم هذه كفرٌ . والكفرُ أكبرُ من القتلِ في الشهرِ الحرام .

٩٩ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَلا يَزالونَ يُقاتِلونَكُم حَتَّى يرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُم إنِ اسْتَطاعُوا .. ﴾** [آية ٢١٧] .

قال مجاهد : يعني كفار قريش .

وقوله تعالى : ﴿ أولئك يرجون رحمة الله .. ﴾ [آية ٢١٨] .

ومعنى (يَرْجَونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) وقد مدحهم ؟! أنَّهم لا يَدْرون ما يُخْتَمُ لهم به[3] .

١٠٠ ــ **وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ .. ﴾** [آية ٢١٩] .

---

(١) قال المبرِّد : أي أعظم إثماً من القتال في الشهر الحرام ، قال القرطبي : وهو الصحيح لطول منع الناس عن الطواف بالكعبة المشرَّفة .

(٢) الطبري ٣٥٢/٢ عن الشعبي وهو أيضاً قول قتادة قال : ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ أي الشرك بالله أكبر من القتل .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٢٨٣/١ : « وإنما قيل في المؤمنين المجاهدين أنهم « يَرْجُونَ رحمةَ الله » لأنهم عند أنفسهم غيرُ بالغين ما يجب لله عليهم ، ولا يعلمون ما يَخْتمون به أمرهم » . اهـ. وقال القرطبي ٥٠/٣ : « وإنما قالوا ﴿ يَرْجون ﴾ وقد مدحهم ، لأنه لا يعلم أحدٌ في هذه الدنيا أنه صائرٌ إلى الجنة ، ولو بلغ في طاعة الله كلَّ مبلغ لأمرين : أحدهما : لا يُدْرى بما يُختم له ، والثاني : لئلا يتَّكل على عمله . اهـ. وهو كلام نفيس .

رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاس ﴾ ثم أنزل : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُم سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَموا ما تَقُولونَ .. ﴾[1] [فكانوا يَدَعونها][2] فإذا صلُّوا العِشاء شربوها ، فلا يُصبحون حتى يذهب عنهم السُّكْرُ ، فإذا صلُّوا الغداة[3] شربوها ، فما يأتي الظهر حتى يذهب عنهم السُّكْرُ ، ثم إن ناساً شربوها ، فقاتل بعضهم بعضاً ، وتكلَّموا بما لايرضي اللَّهَ ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّما الخمرُ والميسرُ ، والأَنْصَابُ ، والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ .. ﴾[4] .

فحرَّم الله الخمر ونهى عنها ، وأمر باجتنابها ، كما أمر باجتناب الأوثان[5] .

ورَوَى أبو توبة[6] عن ابن عمر : أُنزلت (إِنَّما الخَمْرُ) إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهونْ) فقال رسول الله ﷺ : حُرِّمَتْ[7] .

---

(١) سورة النساء آية (٤٣) .

(٢) سقط من المخطوطة ما بين القوسين ، وقد أثبتناه لربط الكلام من بعض التفاسير .

(٣) المراد بالغَدَاة صلاة الفجر ، لأنها تكون في أول النهار من طلوع الفجر . عن المصباح المنير .

(٤) سورة المائدة آية (٩٠) .

(٥) أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وانظر الدر المنثور ٢٥٣/١ .

(٦) أبو توبة : الربيعُ بن نافع الحلبي سكن طرطوس ، قال أبو حاتم : ثقةٌ صدوق ، توفي سنة ٢٤١هـ عن تهذيب التهذيب ٢٥١/٣ .

(٧) أشار المصنف إلى أن الخمر لم تحرَّم بهذه الآية ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ وإنما حُرِّمت بآية المائدة ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

وقال عمرو بن شرحبيل : فقال عمر : انتهينا ، فإنها تُذهِبُ المالَ ، والعقل[1] .

وأهلُ التفسير يذهبون إلى أن المُحرِّمَ لها هذا .

وقال بعض الفقهاء : المُحرِّمُ لها آيتان :

إحداهما : (قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبّي الفَواحِشَ ما ظَهَر مِنْها وما بَطَنَ وَالإِثْم)[2] .

قال أبو اسحق : الخمر هذه المجمعُ[3] عليها ، وقياس كل ما تحمِلِ عَمَلها أن يقال له خمر ، وأن يكون بمنزلتها في التحريم ، لأن

الشيطان فاجتنبوه ﴾ ولهذا لما نزلت آية المائدة ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ قال عمر : انتهينا ربَّنا انتهينا ، مسند أحمد ٥٣/١ وانظر الرواية التالية .

(١) أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وصحَّحه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « اللهم بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً ، فإنها تُذهب المال والعقل » فنزلت ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ ودُعِي عمر فقرئت عليه ، فقال : « اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً » فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى : أن لا يقربنَّ الصَّلاة سكران ، فدُعي عمر فقرئت عليه ، فقال : « اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً » فنزلت الآية التي في المائدة ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان .. ﴾ إلى قوله : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ ؟ فقرئت عليه ، فلما بلغ ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ قال عمر : (انتهينا ، انتهينا) مسند أحمد ٥٣/١ والدر المنثور ٢٥٢/١ وتفسير ابن كثير ٣٧٢/١ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (٣٣) وإلى هذا القول ذهب ابن جزي في كتاب التسهيل ١٤٠/١ حيث قال : الآية نص في التحريم لأن الإثم حرام ﴿ قل فيهما إثم كبير ﴾ خلافاً لمن قال : حرمتها آية المائدة .

(٣) في المخطوطة « المجتمعُ عليها » وصوابه : المجمع عليها كما في النحاس ٢٨٣/١ .

إجماع العلماء أن القمار كله حرام . وإنما ذكر الميسر من بينه ، فجعل كله قياساً على الميسر ، والميسر إنّما يكون قماراً في الجُزُر[1] خاصة ، وكذلك كل ما كان كالخمر فهو بمنزلتها[2] .

وتأويلُ الخمر في اللغة : أنه ما ستَر على العقل ، يُقال لكل ما ستَر الإنسانَ من شَجَرٍ وغيره : خَمر ، وما ستَره من شجر خاصة الضَّرَا مقصور[3] .

ودخل في « خُمَارِ النَّاسِ » أي في الكثير الذي يُستتر فيه .

وخِمارُ المرأة قِنَاعُها ، لأنه يغطّي [الرأسَ][4] والخمرةُ التي يُسْجَدُ عليها ، لأنَّها تستر الوجه عن الأرضِ . وكلُّ مسكرٍ خمرٌ ، لأنه يخالط العقل ويُغطّيه ، وفلانٌ مخمورٌ من كل مُسْكِرٍ[5] .

---

(١) الجُزُر : بضمتين جمع جزور وهو الناقة أو الجمل .

(٢) هذا هو الصحيح أن الخمر ليس قاصراً على ما يستخرج من عصير العنب أو الرطب ، بل كل شراب مسكر يسمّى خمراً ، وحكمُه حكم الخمر ، في التحريم والحدّ ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٥١/٣ : « الخمر مأخوذة من خَمَرَ إذا ستر ، ومنه خِمَار المرأة ، وكل شيءٍ غطّى شيئاً فقد خَمَره ، ومنه الحديث ﴿ خمّروا آنيتكم ﴾ فالخمر تغطي العقل وتستره ، وما خامر العقل من غير ماء العنب فهو في حكمه ، لأن إجماع العلماء أن القمار كلّه حرام ، وإنما ذُكر الميسر ، وهو إنما كان قماراً في الجُزُر خاصة ، فكذلك كل ما كان كالخمر فهو بمنزلتها » . اهـ. وكذلك قال في المصباح المنير : الخمر اسم لكل مسكر خامَر العقل أي غطّاه .

(٣) هكذا وُجد في المخطوطة « الضَّرَى » مقصور ، وفي هامش المخطوطة ذكر أن الصواب ممدود ﴿ الضَّراء ﴾ أقول : وهو الصحيح ، قال الجوهري : الضَّرَاء بالفتح ، الشَّجر الملتف في الوادي ، يُقال : توارى الصيد في ضَرَاء . الصحاح ٤٠٩/٦ .

(٤) لفظة « الرأس » سقطت من المخطوطة ، وقد أثبتناها من المصباح المنير ، قال : الخمار : ثوبٌ تُغطّي به المرأة رأسها .

(٥) انظر الصحاح للجوهري مادة « خمر » ولسان العرب لابن منظور أيضاً .

قال سعيد بن جبيرٍ ومجاهد : الميسرُ القمارُ كلُّه[1].

فأمَّا الإثم الذي في الخمر فالعداوة والبغضاءُ ، وتَحُولُ بين الإنسان وبين عقله الذي يُميِّزُ به ، ويَعْرِفُ به ما يجب لخالقه .

والقِمَارُ يورث العداوة ، لأن مال الإنسان يصير إلى غيره بغيرِ جزاء يأخذه عليه .

والمنافع : لذةُ الخمر ، والربحُ فيها ، ومصيرُ الشيء إلى الإنسان في القمار بغير كدٍّ[2] .

وقال الضحَّاك : منافعهما قبل التحريم ، وإثمُهما بعد التحريم[3] .

١٠١ ــ وقولُه تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذا يُنْفِقُونَ ؟ قُلِ العَفْوَ .. ﴾
[آية ٢١٩] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٣٥٧/٢ قال : « كلُّ القمار من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز » وكذلك قال القرطبي ٥٢/٣ .

(٢) قال ابن جرير ٣٥٩/٢ : ﴿ قل فيهما إثْمٌ كبير ومنافع للناس ﴾ أما الإثم الكبير في الخمر ، فهو زوال عقل شارب الخمر ، حتى يعزب عنه معرفة ربه ، وذلك أعظم الآثام ، والرجل يشرب فيسكر فيؤذي الناس ، وأما في الميسر فما فيه من الشغل عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، ووقوع العداوة والبغضاء بين المتقامرين بسببه ، وأما منافع الخمر ، فهي أثمانها قبل تحريمها ، وما يصلون إليه بشربها من اللذة ، كما قال الشاعر :

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وأُسْداً لَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

(٣) جامع البيان عن الضحاك ٣٦١/٢ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً ، وانظر الدر المنثور ٢٥٣/١ .

قال طاووس : اليسير من كل شيء[1] .

وقال خالد بن أبي عمران : سألت القاسِمَ وسالماً فقالا : فَضْلُ المالِ : ما يُصَدَّق به عن ظهر غنى[2] .

وقال قتادة : هو الفضلُ[3] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى شيءٍ واحد ، لأن العفو في اللُّغَة : ما سَهُلَ .

يقال : خُذْ ما عَفَا لك : أي ما سَهُلَ لك .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : (أفضلُ الصدَّقةِ ما تُصُدِّق بهِ عن ظَهْرِ غِنَى)[4] .

فعلى هذا تأويل قول القاسم وسالم . وفي المعنى قول آخر .

قال مجاهد : هي الصدقة المفروضة[5] ، والظاهر يدلُّ على

---

(١) و (٢) و (٣) هذه الآثار ذكرها الطبري ٣٦٤/٢ وفي الدر المنثور ٢٥٣/١ وأجمع هذه الأقوال ما قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٩/٢ : والعفو : ما ينفقه المرءُ دون أن يُجهد نفسَه ومالَه ، مأخوذٌ من عفا الشيء : إذا كثر ، فالمعنى : أنفقوا ما فَضَل عن حوائجكم ، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة » . اهـ. وانظر البحر المحيط ١٥٨/٢ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري ٢٣٤/٣ في الزكاة ولفظُهُ (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً ، وابدأْ بمن تعول) . وفي سنن النسائي (أفضل الصدقة ما ترك غنىً ، واليدُ العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة : إما أن تُطعمني وإما أن تُطلقني ..) الحديث . سنن النسائي ٦٢/٥ وسنن أبي داود رقم الحديث ١٦٧٦ .

(٥) ذكره عن مجاهد الطبري ٣٦٧/٢ وابن الجوزي ٢٤٢/١ والدر المنثور ٢٥٣/١ قال ابن جرير : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : «إن العفو هو الفضْل من مال الرجل ، وما زاد عن نفسه وأهله ، فلا ينبغي لذي ورع ودين أن يتجاوز في صدقات التطوع ما أدبهم به نبيه ﷺ » .

القول الأول[1] .

١٠٢ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَبِيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآياتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرونَ فِي الدّنْيا وَالآخِرَة ..﴾** [آية ٢١٩] .

قال أبو جعفر : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال : حدثنا سَلَمةُ بن شبيب قال : حدثنا عبدالرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُم تَتَفكَّرون فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة) .

قال : يقول : لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا[2] .

قال أبو جعفر : والتقدير على قول قتادة لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا والآخرة .

وقيل : هو على التقديم والتأخير أي كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون[3] !! .

---

(١) قال الحسن : « العفو » ألّا تُجهد مالك ثم تقعد تسأل الناس ، وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك ، فإن فضل شيء عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن قتادة كما في الدر المنثور ١/٢٥٥ وروى نحوه ابن كثير عن ابن عباس ١/٢٧٤ قال : قال ابن عباس : ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾ « في زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها » ، وقال الحسن : ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ، ثم دار بقاء » .

(٣) هذا القول ذكره الزجاج في معانيه ١/٢٨٦ وهو قول مرجوح ، والراجح ما قاله الجمهور : لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا والآخرة ، فتعلموا أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، فتعملوا لما هو أصلح ، والعاقل من آثر ما يبقى على ما يفنى .

١٠٣ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ .. ﴾** [آية ٢٢٠] .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لمَّا نزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلونَ أَمْوَالَ اليَتَامى ظُلْماً .. ﴾ إلى آخرها ، قالوا : هذه موجبة[1] ، فاعتزلوهُمْ وتَرَكُوا خِلْطَتهم ، فشقَّ ذلك عليهم ، فقالوا للنبي ﷺ : إن الغنمَ قد بقيت ليس لها رَاعٍ ، والطعامَ ليس له من يَصْنَعه ، فنزلت : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ .. ﴾[2] إلى آخرها .

١٠٤ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ .. ﴾** [آية ٢٢٠] .

أي يعلم من يخالطهم للخيانة ، ومن لا يريد الخيانة .

١٠٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ .. ﴾** [آية ٢٢٠] .

---

(١) أي موجبة لسخط الله وعقابه ، ودخول نار جهنم .

(٢) أخرجه ابن المنذر عن سعيد ابن جبير ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٥٥/١ ، وروى نحوه الطبري في جامع البيان ٣٧١/٢ عن سعيد بن جبير ، وابن عباس ، ولفظه « لما نزلت ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ و ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ انطلق مَنْ عنده يتيم ، فعزل طعامه عن طعامه ، وشرابه عن شرابه ، فجعل يفضل له الشيء من طعامه ، فيُحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ،فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن اليتامى .. ﴾ الآية ، فخلطوا طعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم » قال الحافظ ابن كثير ٣٧٥/١ رواه أبو داود ، والنسائي وابن أبي حاتم ، والحاكم في المستدرك ، وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد ، وعطاء ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف .

قال مجاهد : أي لو شاء لم يُطْلِق لكم مخالَطتَهم ، في الأُدْمِ والمَرْعَى(١) .

ورَوَى الحكم عن مقسم عن ابن عباس (وَلَوْ شَاءَ اللَّهَ لأَعْنَتَكُمْ) قال : لو شاء لجعل ما أحببتم من أموال اليتامى مُوبِقاً(٢) .

وقال أبو عبيدة : ﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ لأهلكَكُمْ(٣) .

قال أبو اسحق : حقيقته لكلَّفكم ما يشتد عليكم فتعنتون(٤) .

قال : وأصلُ العَنتِ في اللغة : من قولهم « عَنِتَ البعير عَنَتاً » إذا حدث في رجلِه كَسْرٌ بعد جَبْر ، لايمكنه معه تصريفها(٥) .

---

(١) أعنتكم : أوقعكم في الحرج والمشقة ، وأصل العَنَت كما قال أهلُ اللغة : المشقَّة وما يصعب على الإنسان تحمله ، قال ابن كثير : « أي لو شاء الله لضيَّق عليكم وأحرجكم ، ولكنه وسَّع عليكم ، وخفَّف عنكم ، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن » . اهـ. والأثر عن مجاهد ذكره الطبري في جامع البيان ٣٧٤/٢ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣٧٥/٢ والقرطبي في جامع الأحكام ٦٦/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٦/١ عن ابن عباس ، ومعنى قول المصنف ﴿ لجعل ما أصبتم موبقاً ﴾ أي سبباً لهلاككم ودماركم .

(٣) انظر كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٣/١ .

(٤) كذا في معاني القرآن للزجاج ٢٨٧/١ .

(٥) قال الزجاج : ويقال : أَكَمةٌ عَنُوتٌ ، إذا كان لا يمكن أن يُجازَ بها ــ أي يمرَّ بها ــ إلا بمشقة . وفي الصحاح « مادة عنت » العَنَتُ : الوقوع في أمر شاق ، ويُقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهاضه ــ أي كسره ــ قد أعنتَه فهو عَنِتٌ ، ومُعْنتٌ . اهـ الجوهري .

(إِنَّ اللَّـهَ عَزِيـزٌ) أي يفعـل بعزَّتـه ما يحب ، لا يدفعـه عنـه أحد .

(حَكِيمٌ) ذو حكمة فيما أمركم به ، من أمر اليتامى وغيره .

١٠٦ ــ وقولُه تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَـاتِ حَتَّـى يُؤْمِـنَّ .. ﴾ [آية ٢٢١] .

أكثر أهـل العلـم على أن هذه الآية منسوخـة ، نسخهـا : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـاتُ ﴾ إلى قولـه ﴿ وَالْمُحْصَنَـاتُ مِنَ الَّذِيـنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[1] .

هذا قول ابن عباس ومكحول ، وهـو مذهـب الفقهـاء « مالك وسفيان والأوزاعي »[2] .

ورَوَى سفيـان عن حماد قال : سألت سعيـد بن جبير عن نكاح اليهودية والنصرانيـة فقـال : لابـأس به ، قال : قلت : فإن اللـه يقول : (وَلاَ تَنْكِحوا الْمُشْرِكات حَتَّى يُؤْمِنَّ) فقـال : أهـل الأوثـان

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٥) وهي صريحة في جواز نكـاح الكتابيـات العفيفـات كما هو مذهب الجمهور .

(٢) هذا قول جمهور علماء السلف والخلف ، وهو الذي رجحه ابن جرير ، وابن كثير ، والقرطبي ، وغيرهم من مشاهير المفسرين ، قال ابن كثير ٢٧٥/١ : هذه الآية تحريم من الله عز وجل على المؤمنين ، أن يتزوجوا المشركات من عَبَدة الأوثان ، وقد استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب ، وهكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومكحول ، والحسن ، والضحـاك ، وزيد بن أسلم ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

والمجوس[1] .

ورَوَى معمر عن قتادة : (وَلاَ تَنْكِحوا الـمُشْرِكاتِ) قال : المشركات ممن ليس من أهل الكتاب ، وقد تزوج حذيفةُ يهوديةً أو نصرانية[2] .

فأما (المُحْصَنـاتُ مِنَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الكِتـابَ مِنْ قَبلِكُـم) فقيل : هنَّ العفائف ، والإماءُ .

١٠٧ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا .. ﴾ [آية ٢٢١] .

أي : لا تُزَوِّجُوهُمْ[3] بمسلماتٍ ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ أي : وإن أعجبكم أَمْرُهُ في الدنيا ، فمصيرُهُ إلى النار .

---

(١) الطبري ٣٧٧/٢ والقرطبي ٦٨/٣ وزاد المسير ٢٤٦/١ والدر المنثور ٢٥٦/١ .

(٢) قصة تزوج حذيفة بيهودية أخرجها عبد الرزاق والبيهقي عن شقيق ، وانظر الدر المنثور ٢٥٦/١ ولفظُه « تزوج حذيفة يهودية ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه : خلِّ سبيلها ، فكتب إليه أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها !! فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهنَّ » .

(٣) جاء اللفظ الأول ﴿ ولا تَنْكِحُوا المشركات ﴾ بفتح التاء والثاني ﴿ ولا تُنْكِحُوا المشركين ﴾ بضم التاء ، فالأول ماضيه ثلاثي « نكح » بمعنى تزوج ، والثاني ماضيه رباعي « أنكح » بمعنى زوَّج غيره ، ولهذا جاء التفريق بينهما في اللفظ ، والآية نصٌّ صريحٌ في تحريم تزويج غير المسلم بالمسلمة ، لأن الجميع كفار « مشركون » ، وأما إباحة التزوج بالكتابيات ، فقد جاءت به آية أخرى ، هي من أواخر ما نزل ، فهي تخصيص للحكم واستثناء من الأصل ، وقد زعم صاحب تفسير المنار « رشيد رضا » أن تحريم زواج المسلم باليهودي أو النصراني لم يثبت بنص القرآن ، وهو زعم باطل ، فُتن به بعض المعاصرين ، وربما جرَّ هذا القول إلى خطر جسيم ، فالتحريم قاطع بنص الكتاب لا بغيره .

﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ .

أي : يعملون بأعمال أهلها ، فيكونُ نَسْلُكُمْ يتربَّى مَعَ مَنْ هذِهِ حالُهُ[1] .

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ .. ﴾ [آية ٢٢١] .

[أي يدعوكم إلى أعمال أهل الجنة][2] .

﴿ وَالمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ .

قيل : أي بعلمه ، أي ما دعاكم إليه وُصْلَةٌ إليهما[3] .

وقيل : بما أمركم به ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ ﴾ أي علاماته .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ليكونوا على رجاء التذكر[4] .

١٠٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذًى .. ﴾ [آية ٢٢٢] .

---

(١) قال ابن عطية ٢٤٩/٢ : « إن صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط إلى كثير من هواهم ، مع تربيتهم النسل ، فهذا كله دعاء إلى النار » .

(٢) ما بين القوسين من هامش المخطوطة ، وساقط من الأصل .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢٨٩/١ . وقال ابن كثير : أي بشرعه وما أمر به ، وما نهى عنه . اهـ. وهذا أصرح وأوضح مما ذكره المصنف .

(٤) لعلَّ في أصلها للترجي ، والترجِّي من الله تعالى غير وارد ، لأنه يكون من الضعيف إلى القوي ، فالمراد به ترجِّي البشر ، ولهذا فسَّره المصنف بما ذُكر ، وهذا معنى قول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢٨٩/١ : ﴿ لَعَلَّهم يَتَذَكَّرون ﴾ أي ليكونوا هم راجين أيتذكرون أم لا ، ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم . اهـ.

قال قتادة : أي قَذَرٌ[1] .

ورَوَىٰ ثابتٌ عن أنسٍ (أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، فلم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، ولم يجامعوها[2] في بيتٍ ، فَسُئِلَ النبي ﷺ عن ذلك ، فأنزل اللهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذَىً ، فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾ الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « جامعوهنَّ في البيوت[3] ، واصنعوا كل شيء إلاَّ النِّكاحَ »[4] .

فتبيَّن بهذا الحديث معنى ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾ أنَّ معناهُ فاعتزلوهنَّ في الجماع فقط .

١١٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ .. ﴾ [آية ٢٢٢] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٣٨١/٢ قال الطبري : والأذى ما يؤذي ، وهو هنا أذىً لنتن ريحه ، وقذره ونجاسته ، وهو جامع لشتى أنواع الأذى .

(٢) أي لم يجتمعوا معها ولم يسكنوا معها في غرفة واحدة ، فهو من الاجتماع لا من الجماع .

(٣) أي اجلسوا معهن من البيوت ، فلا حرج في اللقاء بالحائض والاجتماع بها ، ويدل عليه الرواية الأخرى « فأمرهم النبي ﷺ أن يؤاكلهنَّ ، ويشاربوهنَّ ، ويكونوا معهن في البيوت » وانظر تفسير ابن الجوزي ٢٤٧/١ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٣٢/٣ ومسلم في صحيحه ٢٤٦/١ ولفظه : عن أنس رضي الله عنه « أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي فأنزل فيه ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ : (اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه .. » الحديث . وانظر الدر المنثور ٢٥٨/١ .

أي حتَّى ينقَطِع[1] الدَّمُ عنهنَّ .

وقرأ أهلُ الكوفة : ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ أي : يغتسِلْنَ[2] .

وكذا معنى ﴿ يَتَطَهَّرْنَ ﴾ ، قرأَ به ابنُ مسعودٍ ، وأُبَيٌّ .

وقد عاب[3] قومٌ ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ ـــ بالتخفيف ـــ قالوا : لأنه لا يَحِلُّ المسِيسُ حتى يَغْتَسِلْنَ .

قال أبو جعفر : وهذا لايلزم ، فيجوز أَنْ يكون معناه كمعنى ﴿ يطَّهَّرْنَ ﴾ ، ويجوز أن يكون معناه حتى يحلَّ لهنَّ أن يتطَهَّرْنَّ ، كما يقال للمطلقة إذا انقضت عدتها : قد حَلَّتْ للرجال ، وقد بيَّن ذلك بقوله : ﴿ فإذا تَطَهَّرْنَ ﴾[4] .

١١١ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ .. ﴾** [آية ٢٢٢] .

قال مجاهد : من حيث نُهُوا عنه في محيضهن[5] .

---

(١) في المخطوطة « يتقطَّع » وهو تصحيف ، وصوابه : « ينقطع » لأن تقطُّع تزول الدم لا يبيح معاشرتهن .

(٢) قراءة التخفيف والتشديد كلاهما من القراءات السبع ، قرأ الجمهور ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف ، وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٧ .

(٣) لا يُقال عن قراءة صحيحة من القراءات السبع : إنها معيبة ، لأن ما ورد عن رسول الله ﷺ بطريق التلقي ، وثبت عنه بوجه صحيح متواتر ، فعلى الرأس والعين ، ولا يقال : إن هذه قراءة خطأ أو معيبة .

(٤) رجح الإمام ابن جرير قراءة التشديد ﴿ حتى يَطَّهَّرْنَ ﴾ وقال : هي بمعنى يغتسلن .

(٥) ذكره الطبري عن مجاهد ٣٨٨/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٩/١ وهو بعيد ، لأنه يحتاج إلى تأويل أي من حيث نُهيتم عنه وهو محل الحيض .

وقال إبراهيم : في الفرج[1] .

وقال ابن الحنفية : من قِبَل التزويج ، من قِبَل الحلال[2] .

وقال أبو رزين : من قِبَل الطُّهْرِ[3] .

قال أبو العالية : ﴿ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ من الذنوب [4].

وقال عطاءُ : بالماءِ[5] .

قال أبو جعفر : وقول عطاءٍ أولى ، للحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال — لأهل مسجد قباء — : « إنَّ الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً ، أفلا تخبرونني ؟ قالوا : يارسول الله نَجِدُهُ مكتوباً علينا في التوراة : الاستنجاءُ بالماء . »[6] .

وهذا لما نزل : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾[7] .

---

(١) ذكره الطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم وهو الصحيح .

(٢) انظر الطبري ٤٨٩/٢ والقرطبي ٩١/٣ .

(٣) أي ائتوهن في حال الطهر لا في حال الحيض ، ذكره عنه الطبري ٣٨٩/٢ والقرطبي ٩١/٣ . قال الطبري : أي ائتوهنَّ طاهرات غير حُيَّض . اهـ.

(٤) و (٥) كلٌّ من القولين وجيه ، وله شواهد تدل على صحته ، وقد رجح ابن كثير قول أبي العالية فقال : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ أي المتنزهين عن الأقذار والأذى ، وما نُهوا عنه من إتيان الحائض أو غير المأتيّ ، أما ابن جرير الطبري فقد رجح قول عطاء فقال ٣٩١/٢ : « وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال ﴿يحب التوابين﴾ من الذنوب﴿ ويحب المتطهرين ﴾ بالماء للصلاة ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه .. » إلخ . وهو ما رجحه الإمام النحاس .

(٦) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان ٣١/١١ بدون الواو ، وفي المخطوطة بزيادة الواو وهو خطأ ، وأخرجه أحمد ٦/٦ عن شهر بن حوشب بهذا اللفظ بدون واو .

(٧) سورة التوبة رقم (١٠٨) .

١١٢ ــ **وقوله تعالى** : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ** .. ﴾ [آية ٢٢٣] .

أي موضعُ حرثٍ لكـم(١) ، كما تقـول : هذه الـدار منفعـة لك ، أي مكانُ نفعٍ لك ، فالمعنى : أنكم تحرُثون منهُنَّ الولدَ .

١١٣ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** .. ﴾ [آية ٢٢٣] .

أصحُ ما رُوِيَ في هذا أن مالكَ بن أنسٍ ، وسُفْيـانَ ، وشُعْبـةَ ، رَوَوْا عن محمـد بن المنكـدر ، عن جابـر ، أن اليهود قالـوا : « منْ أتى امـرأةً في فَرْجِهـا مِنْ دُبُرِهـا ، خرج ولدُهـا أَحْـوَلَ ، فأنـزل الله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾(٢) .

وكذلك قال مجاهدٌ : « قائمةً ، وقاعدةً ، ومُقْبِلَة ، ومُدْبِـرَةً ، في الفرج »(٣) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٣٦ ورواه السيوطي في الدر المنثور ١/٢٦١ وعزاه إلى الترمذي وابن ماجه ، وانظر تفسير ابن كثير ١/٣٨١ .

(٢) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٨٤ : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ كناية ، وأصلُ الحرث : الزرعُ ، أي هنَّ للولد كالأرض للزرع » أقول : الآية وردت على التشبيه ، شبَّه المرأة كالأرض ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج من الأرض ، فالحرث إذاً بمعنى المحترث ، سُمِّي به على سبيل المبالغة ، ودلت الآية على أن الغرض الأصلي هو طلب النسل ، لا مجرد قضاء الشهوة .

(٣) أخرجه في الدر المنثور عن مجاهد ١/٢٦٣ وعزاه إلى أبي داود ، وابن جرير ، والطبراني ، والحاكم ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : « كان هذا الحيُّ من الأنصار ، لا يأتـون النساء إلا على حرف ، وذلك أستر ما تكون المرأة ، وكان هذا الحيُّ من قريش يشرحون النساء شرحاً ، ويتلذذون منهن ، مقبلات ومدبرات ، ومستلقيات ، فلما قدم المهاجـرون المدينـة ، تزوج رجـل منهم امـرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه ، وقـالت : إنما كنـا نُؤتى على حرف واحد ، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني ، فبلغ أمرهما رسول الله ﷺ ، فأنـزل الله ﴿ نساؤكم حرث =

وروى أبو إسحاق عن زايدة عن عُميرة قال : « سألتُ ابنَ عباسٍ عن العَزْلِ فقال : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ إنْ شئْتَ فاعْزِلْ ، وإن شِئْتَ فلا تَعْزِلْ » .

قال أبو جعفر : وقال الضحاك : ﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ متى شئتم[1] .

ومعناه من أين شئتم ، أي من أي الجهات شئتم[2] .

قال أبو جعفر : وأصل الحرث ما يخرجُ ممَّا يُزرعُ ، والله تعالى يخلق من النُّطفةِ الولدَ .

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فدلَّ على العِظَةِ[3] في أن لا يُجاوِزوا هذا[4] .

١١٤ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ** ﴾ [آية ٢٢٣] .

أي الطَّاعةَ .

وقيل : في طلب الولد[5] .

= لكم فأْتوا حرثكم أنَّى شئتم ﴾ يقول : مقبلاتٍ ، ومدبرات ، بعد أن يكون في الفرج » وانظر ما أورده الحافظ ابن كثير عند هذه الآية الكريمة من روايات عديدة في تفسيره ٣٨١/١ .

(١) انظر الطبري ٣١/١١ والدر المنثور ٢٦١/١ .

(٢) الأثر رواه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٧/١ وعزاه إلى الطبري والحاكم ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، عن الضحاك ٣٩٤/٢ وقد ضعَّفه ابن جرير .

(٣) أي الموعظة من الله تعالى .

(٤) أي لا يتعدَّى المكان الذي أباحه الله لهم وهو مكان الحرث يعني الفرج .

(٥) هذا قول مقاتل كما ذكره عنه ابن الجوزي ٢٥٣/١ في تفسيره والمعنى : قدِّموا لأنفسكم ماينفعكم من الذُّريَّة والأولاد ، وأما القول الأول : وقدِّموا الطاعة فهو قول الزجَّاج كما حكاه ابن الجوزي ، والأرجح منهما ما قاله ابن عباس : وقدِّموا لأنفسكم من العمل الصالح ما ينقذكم من عذاب الله .

١١٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ .. ﴾ [آية ٢٢٤] .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : وهذا لفظُ سعيدٍ ـ هو الرَّجُلُ يحلفُ أن لايَبَرَّ ، ولا يُصَلِّي ، ولا يُصْلِحُ ، فيُقالُ له : بَرَّ فيقول : قد حلفتُ[١] .

والتقدير في العربية : كراهَةَ أن تبرُّوا[٢] .

١١٥ ـ وقوله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمانِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٢٥] .

فيه أقوال :

قال أبو هريرة ، وابنُ عباس ، وهذا لفظ أبي هريرة : لَغْوُ اليمينِ : حلفُ الإنسانِ على الشيء ، يظنُّ أنه [كما][٣] حلف عليه ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن ابن جرير ٤٠٠/٢ وابن كثير ٣٩٠/١ والدر المنثور ٢٦٨/١ والقرطبي ٩٧/٣ قال في البحر ١٧٦/٢ : نزلت في « عبد الله بن رواحة » وخَتَنِه ـ أي صهره ـ « بشير بن النعمان » كان بينهما شيء ، فحلف عبد الله ألّا يدخل عليه ، ولا يُصلح بينه وبين زوجته ، وجعل يقول : حلفت بالله ، فلا يحلُّ لي إلّا برُّ يميني » .

(٢) هذا قول المهدوي حكاه في البحر ١٧٧/٢ وقال المبرِّد : لترك أن تبرُّوا ، قال الزجاج في معانيه ٢٩٢/١ : « وكانوا يعتلُّون في البر بأنهم حلفوا ، فأعلم الله أن الإثم ، إنّما هو في الإقامة على ترك البر والتقوى ، وأن اليمين إذا كُفِّرت فالذنب فيها مغفور » . وقال أبو حيان في البحر ١٧٦/٢ : والحكمة في النهي عن تكثير الأيمان بالله ، أن ذلك لا يُبقي لليمين في قلبه وَقْعاً ، ولا يُؤْمَنُ من إقدامه على اليمين الكاذبة ، واسم الله أجلُّ من أن يبتذل في الأغراض الدنيوية .

(٣) سقط من المخطوطة لفظة « كما » وقد أثبتناها من تفسير ابن الجوزي ٢٥٥/١ والدر المنثور ٢٦٩/١ وهي ضرورية .

فإذا هو غير ذلك[1] .

وقال الحسن بهذا القول ، ومجاهدٌ ، ومنصور ، ومالك .

ورَوَى مالكٌ ، وشعبةُ ، عن هشامِ بن عُروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت « لغوُ اليمين قولُ الإنسان : لا واللَّهِ وبلىٰ والله »[2] وقال بهذا الشعبيُّ .

وقال سعيد بن جبير : هو الرجل يحلف في الأمر الحلال يحرِّمه[3] .

وقال زيد بن أسلم قولاً رابعاً قال : وهو قول الرجل : أَعْمىٰ اللهُ بَصَري إنْ لم أفعلْ كذا أخرجني اللَّهُ من مالي إنْ لم آتِك غداً ، فلو آخَذَه بهذا لم يترك له شيئاً[4] .

---

(١) هذا مذهب أبي حنيفة ومالك أن يحلف معتقداً لشيء فيظهر بخلافه ، قال مالك : أحسنُ ما سمعتُ في اللغو أنه حَلِفُ الإنسان على الشيء ، يستيقن أنه كذلك ، ثم يوجد الأمر بخلافه ، فلا كفارة فيه » وهذا مروي عن ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد .

(٢) الحديث أخرجه البخاري عن عائشة ٦/٦٦ قالت : « أنزلت هذه الآية ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ في قول الرجل : لا والله ، وبَلَى والله » وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ ، والبيهقي في سننه ، وهو مذهب الشافعي وأحمد ، وانظر الطبري ٢/٤٠٦ والقرطبي ٣/٩٩ والدر المنثور ١/٢٦٩ .

(٣) الأثر رواه الطبري في جامع البيان ٢/٤١٠ ولفظه : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها ، قال القرطبي ٣/١٠٠ : هو كالذي يُقسم ليشربنَّ الخمر ، أو ليقطعنَّ الرحم ، فبرُّه ترك ذلك الفعل ، ولا كفارة عليه ، قال : وروي عن سعيد بن جبير : هو تحريم الحلال ، فيقول : ما لي عليَّ حرامٌ إن فعلت كذا ، والحلال عليَّ حرام .

(٤) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٢/٤١٢ عن زيد بن أسلم ، وابن كثير ١/٣٩٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٣/١٠٠ .

﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ .

قال : نحو قولِ الرجل : هو كافرٌ ، هو مشركٌ[1] ، لا يؤاخذه حتى يكون ذلك من قِبَلِه .

قال أبو جعفر : وأَوْلى هذه الأقوال قولُ عائشة ، لأن يحيى القطان قال : حدثنا هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة ، في قوله : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ قالت : نزلت في قول الرجل : لا واللهِ ، وبلى واللهِ .

فهذا إخبارٌ منها عن علمها بحقيقة ما نزلت فيه هذه الآية[2] .

واللغوُ في اللغة ما يُلْغَى ، فيقول الرجل عند الغضب والعجلة : لا والله ، وبلى والله ، مما لم يعقده عليه قلبه[3] .

وقول أبي هريرة وابن عباس غيرُ خارجٍ من ذا أيضاً ، لأن

---

(١) أي أن تقول : هو كافر ، هو مشرك ، هو ابن زنى إن فعل كذا .. وهذا وجه آخر في معنى اللغو مروي عن زيد بن أسلم ، كما في القرطبي ٣/١٠٠ .

(٢) مارجحه المصنف ـ وهو ماأخرجه البخاري عن عائشة ـ هو الأشهر والأظهر ، وهو مااختاره الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال : والمعنى : « لا يعاقبكم ولا يُلزمكم بما صَدَر منكم من الأيمان اللاّغية ، وهي التي لا يقصدها الحالف ، بل تجري على لسانه عادة ، من غير تعقيد ولا تأكيد » انظر تفسير ابن كثير ٣٩١/١ .

(٣) في المصباح مادة لغا : « لغا الرجل : تكلم باللغو ، وهو أخلاط الكلام ، ولَغَا به : تكلَّم بـه ، واللَّغو في اليمين : ما لا يعقد عليه القلب ، كقول القائل : لا والله ، وبلى والله » وكذلك قال الجوهري في الصحاح .

الحالف إذا حلف على الشيء ، يظن أنه الذي حلف عليه فلم يقصده إلى غير ما حلف عليه ، فيحلف على ضدِّه ، واليمينان لغوٌ[1] ، واللهُ أعلم .

فأما قول سعيد بن جبير فبعيد ، لأن ترك ما حلف عليه من حلال يُحرِّمه ، إذا كَفَّر فليس مذنباً معفواً عنه ، بل مثاباً [قابلاً][2] أمر الله .

وقول زيد بن أسلم محالٌ ، لأن قول الرجل : أعمى الله بصري دعاءٌ وليس بيمين .

وقيل : اللغو قد أُلغي إثمه[3] .

---

(۱) جمع الإمام ابن جرير بين قول ابن عباس وقول عائشة ، ورجَّح أن اللغو يشملهما فقال ٤١٣/٢ : « واللغو في كلام العرب : كل كلام كان مذموماً ، وفعل لا معنى له مهجوراً ، يُقال : لغا فلان في كلامه يلغو لَغْواً : إذا قال قبيحاً من الكلام ، فإذا كان اللغو ما وصفت ، وكان الحالف بالله ما فعلت كذا وقد فعل ، على سبيل سبق لسانه ، والقائل : لا يفعل كذا ، على غير تعمد حلف على باطل ، جميعهم حالفون بألسنتهم ، ما لم يتعمد فيه قلوبهم الإثم ، كانوا لغاةً في أيمانهم لا تلزمهم كفارة » .

(۲) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وهو في الهامش مثبت ، وهو ضروري ليستقيم الكلام ، أما وجه تضعيف المصنف لهذا القول ، فإن الحالف إذا كفَّر عن يمينه لم يكن لاغياً ، ولم يكن مذنباً ، بل هو مثاب ومأجور ، لأنه سارع إلى الكفارة طلباً لرضى الله فلا يدخل في الآية .

(۳) اليمين ثلاثة أقسام : الأوّل : لغو لا كفارة فيه ولا إثم ، لأنه لا قصد فيها ولا كسب للقلب . الثاني : يمين غموس ، وهي اليمين الكاذبة ، التي تغمس صاحبها في نار جهنم وفيها الإثم . الثالث : اليمين المنعقدة ، وهي اليمين على فعل شيء أو تركه في المستقبل ، كأن يحلف ألا يكلم فلاناً ، أو لا يدخل بيت فلان ، فإن لم يفعل برَّ في يمينه ولا إثم عليه ، وإن فعل حنث وعليه الكفارة ، وليس عليه إثم إن كفَّر عن يمينه .

١١٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آية ٢٢٥] .

أي غفر لكم يمين اللغو ، فلم يأمركم فيها بكفارة ، ولا ألزمكم عقوبةً . ﴿ حليمٌ ﴾ في تركهِ المعاجلةَ بالعقوبة لمن حلف كاذباً[1] ، والله أعلم .

١١٧ ــ وقوله تعالى ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ .

قال ابن جريج : قلتُ لعطاءٍ : قلتُ لشيءٍ أعمدهُ : واللَّهِ لا أفعَلُهُ ؛ ولم أعقِدْهُ ؛ قال : وذلك أيضاً مما كسبت قلوبكم ، وتلا : ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ . قال عطاء : والتعقيدُ « واللهِ الذي لا إله إلا هو »[2] .

ففسَّر عطاءٌ أن قوله « والله لا أفعل » مما اكتسبه القلبُ ،

---

(١) قال الخطابي : الحليمُ : الصفوح مع القدرة ، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة ، ولا يستحقُّ اسم الحليم من سامح مع العجز عن المجازاة . اهـ. زاد المسير ١/٢٥٥ .

(٢) الأثر ذكره ابن جرير عن عطاء ٢/٤١٥ ولفظه : قال عطاء : لا تؤاخذُ حتى تقصد الأمر ، ثم تحلف عليه بالله ، الذي لا إله إلا هو ، فتعقد عليه يمينك ، وقد ردَّ ابن جرير هذا القول ، حيث قال : « والصواب من القول أن الله تعالى أوعد عباده أن يؤاخذهم بما كسبتْ قلوبهم من الأيمان ، فالذي تكسبه قلوبهم هو ما قصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة ، وذلك على وجهين : أحدهما : على وجه العزم بما يكون به آثماً ، وبفعله مستحقاً للمؤاخذة ، كالحلف على الشيء الذي فعله أنه لم يفعله ، والشيء الذي لم يفعله أنه قد فعله ، قاصداً للكذب ، فهذا لا كفارة عليه في العاجل ، لأنها ليست من الأيمان التي يحنث فيها ، وهو في مشيئة الله يوم القيامة ، إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه . والثاني : إيجاب عقد اليمين على وجه العزم ، فذلك مما لا يؤاخذ به صاحبه ، حتى يحنث فيه بعد حلفه ، فتجب عليه الكفارة .

وفيه الكفارة ، وأن تعقيد اليمين « والله الذي لا إله إلا هو » . .

وروَى ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ قال : بما عقَّدتُم عليه[1] .

١١٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .. ﴾ [آية ٢٢٦] .

قال أبو جعفر : والتقدير في العربيّة : للذين يُؤْلون[2] من اعتزال نسائهم ، أي أن يعتزلوا نساءَهم .

رَوَى عطاءٌ عن ابن عباس قال : « كان إيلاءُ أهل الجاهلية ، السَّنَةَ والسنين ، وأكثر من ذلك ، فَوَقَّتَ الله لهم أربعةَ أشهر ، فمن كان إيلاؤه منهم أقلَّ من أربعة أشهر ، فليس بإيلاء »[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٤١٥/٢ وزاد المسير ٢٥٥/١ قال ابن عطية ٢٦٤/٢ : قال مالك وجماعة من العلماء : الغموسُ لا تكفَّر ، هي أعظم ذنباً من ذلك ، وسميت غموساً لأنها غمست صاحبها في الإثم ، والمؤاخذة فيما تُرك تكفيره مما فيه كفارة .

(٢) يؤلون : أي يحلفون ، والإيلاءُ : الحلف . قال في المصباح : آلى إيلاءً مثل آتى إيتاءً : إذا حلف ، والأَلِيَّة : الحَلِف والجمع أَلايا مثل عطيّة وعطايا . اهـ. هذا في اللغة ، وأما في الشرع فهو اليمين على ترك وطء الزوجة ، يقال : آلى من زوجته أي حلف ألا يقربها ، قال ابن كثير ٣٩٤/١ : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ أي يحلفون على ترك الجماع من نسائهم ، فيُنتظر الزوج أربعة أشهر . اهـ.

(٣) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٦/١ عن ابن عباس ، والقرطبي في جامع الأحكام ١٠٣/٣ .

وفي حديث ابن عباس أنهم كانوا يفعلون ذلك ، إذا لم يريدوا المرأة ، وكرهوا أن يتزوَّجها غيرُهم ، آلَوْا أي حلفوا أن لايقربوها[1] فجعل الله الأجل الذي يُعْلِمُ به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر ، وإذا تمَّت ولم يفِيء ــ أي لم يرجعْ إلى وَطْءِ امرأته ــ فقد طَلُقَتْ في قول ابن مسعود وابن عباس[2] .

وقَرَأَ أُبيٌّ بنُ كعبٍ : ﴿ فَإِنْ فَاءوا فِيهِنَّ ﴾[3] .

وقال قومٌ : لا يكون مولياً حتى يحلف على أكثر من أربعة أشهر ، فإذا تمَّتْ له أَرْبَعَةٌ ، ولم يجامعْ فيحنث في يمينه ، أُخِذَ بالجماع أو الطلاق[4] .

---

(١) قال الزجاج في تفسيره معاني القرآن ٢٩٤/١ : معنى الإيلاء في هذا الموضع أن الرجل كان لا يريد المرأة ، فيحلف ألَّا يقربها أبداً ، ولا يحبُّ أن يزوِّجها غيره ، فكان لا يتركها لا أَيِّماً ولا ذات زوج ، كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والإسلام ، فجعل الله الأجل نهاية أربعة أشهر ، فإذا تمَّت ثم لم يرجع الرجل إلى امرأته ، فقد بانت منه ــ في قول بعضهم ــ ذكر الطلاق بلسانه أم لم يذكره .

(٢) بهذا أخذ الإمام أبو حنيفة رحمه الله ، أنه إذا مضت أربعة أشهر قبل أن يفيء فقد بانت منه بتطليقة ، واستند على فتوى ابن عباس وابن مسعود ، واحتج أيضاً بالآية ، فإن الله تعالى قال : ﴿ فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطَّلاق فإن الله سميع عليم ﴾ ووجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى حدَّد المدة للفيء بأربعة أشهر ، فإن لم يرجع فقد أراد طلاقها وعزم عليه ، ولم تشترط الآية أن يطلّق فعلاً .

(٣) ليست من القراءات السبع بل هي شاذة ، وقد ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦٩/٢ وفي البحر المحيط ١٨٢/٢ .

(٤) هذا مذهب الجمهور أن المرأة لا تطلق بمضيِّ مدة الإيلاء ، وإنما يؤمر الزوج بالجماع ، أو بالطلاق ، فإذا امتنع الزوج عن ذلك طلَّقها الحاكم عليه ، قال القرطبي ١٠٨/٣ : « وأما فائدة توقيت الأربعة الأشهر ــ فيما ذكر ابن عباس عن أهل الجاهلية ــ فمنَعَ الله من ذلك ، وجعل=

ورُوِي هذا عن عمر وعلي وأبي الدرداء . رواهُ مالكٌ عن نافع عن ابن عمر .

وقال مسروق والشعبيُّ : الفيءُ:الجماعُ[1] .

قال أبو جعفر : والفيءُ في اللغة : الرجوعُ ، فهو على هذا الرجوعُ إلى مجامعتها ، والطلاقُ مأخوذٌ من قولهم : أطلقتُ الناقةَ فَطَلَقَتْ إذا أرسلتَها من عقالٍ أو قيْدٍ ، وكأنَّ ذات الزوج موثقةٌ عند زوجها ، فإذا فارقها أطلقها من وثاقٍ[2] .

ويدلُّ على هذا : أُمْلِكَ فلانٌ ، معناه : صُيِّر يملكُ المرأةَ ، إلاَّ أن المسْتعمَل : أُطْلِقَتِ النَّاقَةُ فَطَلَقَتْ ، وطُلِّقَتِ المرأةُ فَطَلُقَتْ ، وطَلَقَتْ[3] .

= للزوج مدة أربعة أشهر في تأديب المرأة بالهجر لقوله تعالى ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ وقد آلى النبي ﷺ من أزواجه شهراً تأديباً لهن » .

(1) هذا قول الفقهاء جميعاً أن الفيء هو الحنث في يمينه وجماع امرأته ، قال ابن المنذر : أجمع كل من يُحفظ عنه من أهل العلم على أن الفيء الجماع لمن لا عذر له من مرض أو سجن أو غير ذلك ، وقال الفراء : الفيء أن يرجع إلى أهله فيجامع . اهـ. معاني القرآن ١/١٤٥ .

(2) قال ابن الأنباري : الطلاق من قول العرب أطلقتُ النَّاقة فطلَقَتْ : إذا كانت مشدودة فأزلتَ الشدَّ عنها وخلَّيتها ، فالمرأة كانت متصلة الأسباب بالرجل ، فلما طلَّقها قطع الأسباب . اهـ. زاد المسير ١/٢٥٨ . وقال الزجاج في معانيه ١/٢٩٥ : يُقال : طَلَقتِ المرأة طلاقاً فهي طالق ، وقد حَكَوْا طَلُقَتْ ، وقد زعم قوم أن تاء التأنيث حذفت من « طالقة » لأنه للمؤنث ، ولا حظَّ للمذكَّر فيه ، وهذا ليس بشيء .

(3) أنكر الأخفش الضم « طَلُقَتْ » قال الجوهري في الصحاح مادة طلق : طلَّق الرجل امرأته تطليقاً ، وطَلَقَتْ هي بالفتح تَطْلُق طَلاقاً ، فهي طالق ، وطالقة أيضاً ، قال الأعشى :

أجَارَتَنَا بِينِي فَإنَّكِ طَالِقَة   كَذَاكِ أُمورُ النَّاس غَادٍ وَطَارِقَهْ

وقال الأخفش : لا يُقال طَلُقَت بالضم .. ورجلٌ مطلاق أي كثير الطلاق للنساء . اهـ. الصحاح .

١١٩ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ .. ﴾ [آية ٢٢٨] .

وقال عُمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى : ثلاثَ حِيَضٍ[1] .

وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر : ثلاثةَ أطهار[2] .

ويُحتج للقول الأول بأن عدَّة الأَمَةِ حيضتان ، وإنما عليها نصف ما على الحُرَّة ، وقد قال عمر : « لو قدرتُ أن أجعلها حيضةً ونصف ــ حيضةٍ[3] ــ لفعلتُ » .

---

(١) و (٢) الأثر في الطبري ٤٣٩/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٥٩/١ وتفسير ابن كثير ٣٦٩/١ والقرطبي ١١٣/٣ . وسبب الاختلاف بين الفقهاء ، أن القُرْءَ في اللغة العربية يطلق على الحيض ، ويطلق على الطُّهْر ، فهو من الأضداد ، قال الجوهري في الصحاح : « القَرْء بالفتح : الحيضُ ، والجمع أقراء ، وقروء ، والقَرْءُ أيضاً : الطُّهْر ، وهو من الأضداد . فمن الأول ما جاء في الحديث (دعي الصلاة أيام أقرائك) يعني أيام الحيض ، ومن الثاني قول الأعشى :

مُوَرِّثَةً مالاً وفي الأَصْلِ رفعةً ... لِمَا ضَاعَ فيهَا من قُروءِ نسائِكَا

وأقرأت المرأة : حاضت فهي مقرئ ، وأقرأت : طَهُرت ، والقَرْء : انقضاء الحيض » اهـ. الصحاح . قال ابن الجوزي ٢٥٩/١ : « واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين : أحدهما : أنها الحِيَضُ ، رُوي ذلك عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه قال : قد كنتُ أقول : القروءُ : الأطهار ، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحِيَض . والثاني : أنها الأطهارُ ، روي عن ابن عمر ، وعائشة ، والزهري ، ومالك بن أنس ، والشافعي » اهـ. وانظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٧/١ ففيه تفصيل عن أهل اللغة دقيق .

(٣) في المخطوطة سقطت لفظة « حيضة » ولا بد منها لصحة الكلام ، لأنه لا يصح لغة أن تكون « نصف » مرفوعة فإما أن تقول : حيضةً ونصفاً ، أو حيضة ونصف الحيضة ،وحديث «طلاقُ الأمة تطليقتان ، وقُرْؤُها حيضتان» أخرجه الترمذي في الطلاق برقم ١١٨٢ وأبو داود برقم ١١٨٩ وانظر جامع الأصول ٦١٢/٧ .

والقُرْءُ عند أهلِ اللُّغةِ : الوقتُ ، فهو يقع لهما جميعاً .

قال الأصمعيُّ : ويُقال : أقرأتِ الريحُ ، إذا هبَّت لوقتها .

وحدثني أحمد بن محمد بن سلمة ، قال : حدثنا محمود بن حسان النحوي ، قال : حدثنا عبدالملك بن هشام ، عن أبي زيد النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : من العرب من يسمي الحيض قُرْءاً ، ومنهم من يسمي الطُّهْرَ قُرْءًا ، ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمي الحيض مع الطهر قُرْءاً .

١٢٠ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَلَايَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ .. ﴾** [آية ٢٢٨] .

قال ابن عمر ، وابن عباسٍ : يعني الحَبَل ، والحَيْضَ[١] .

وقال قتادة : عُلِمَ أن منهن كواتم ، يَكْتُمْنَ ويَذْهَبْنَ بالولد إلى غيره ، فنهاهُنَّ اللهُ عن ذلك[٢] .

١٢١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾** [آية ٢٢٨] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٤٧/٢ وذكره في الدر المنثور ٢٧٦/١ وقال : أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٢٧٥/١ وقد عزاه إلى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة قال : « كانت المرأة تكتم حملها حتى تجعله لرجل آخر ، فنهاهنَّ الله عن ذلك » وأما الرواية التي ذكرها المصنف ، فقد أخرجها عُبد بن حُميد عن قتادة ، كما هو في الدر

فليس هذا على أنه أبيح لمن لا يؤمن أن يكتم[1] ، وإنما هذا كقولك : إن كنت مؤمناً فاجتنب الإثم ، أي فينبغي أن [يحجزك][2] الإيمان عنه لأنه ليس من فعل أهل الإيمان .

١٢٢ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾**[آية ٢٢٨]

وقال [إبراهيم][3] وقتادة : في الأقراء الثلاثة[4] ، والتقديرُ في العربية : الأجلُ[5] .

١٢٣ ـ **ثم قال تعالى ﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً .. ﴾** [آية ٢٢٨]

أي إن أراد الأزواجُ بردِّهِنَّ الإصلاح ، لا الإضرار[6] .

ورَوَى يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا طلَّق امرأتَهُ فهو أحقُّ برجعتها وإن طلقها ثلاثاً ، فنسخ ذلك فقال : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ

---

(١) هذا ليس بقيد حتى تخرج الكتابيات ، بل هو للتهييج ، وتعظيم الأمر ، وتهويله في نفوسهنَّ ، وهذا من أساليب العرب في الخطاب ، يقول الرجل : إن كنت مؤمناً فلا تؤذ أباك ، وإن كنت مسلماً فلا تغشَّ الناس ، ومنه قوله تعالى ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ وإلى هذا نبه المصنف .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتناها من الهامش .

(٣) المراد به إبراهيم النخعي ، وقد ذكر في الهامش ، وأما في الأصل فلم يرد ذكر اسم « إبراهيم » وانظر تفسير الطبري ٤٥١/٢ .

(٤) الأثر في جامع البيان للطبري ٤٥٢/٢ وزاد المسير ٢٦٠/١ والدر المنثور ٢٧٦/١ .

(٥) يعني أزواجهن أحقُّ برجعتهن ما دامت المطلَّقة في العدَّة ، فالمراد بالأجل العدَّة .

(٦) كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الإضرار بامرأته ، طلَّقها واحدةً وتركها ، فإذا قارب انقضاء عدتها راجعها ، ثم تركها مدة ثم طلقها ، يفعل ذلك للإضرار بها ، فحرَّم الله ذلك على المؤمنين .

فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ ﴾[1] .

١٢٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ .. ﴾ [آية ٢٢٨] .

رَوَى عكرمة عن ابن عباس ، في قوله عزَّ وجَّل : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ، قال : إني لأُحِبُّ أن أتزيَّن للمرأة كما أُحِبُّ أن تتزيَّن لي[2] .

وقال ابن زيد : يتَّقُون اللَّهَ فيهنَّ ، كما عليهن أَنْ يَتَّقِيْنَ اللهَ فيهم[3]

---

(١) الأثر في الطبري ٤٥٦/٢ وابن كثير ٣٩٩/١ والبحر المحيط ١٩١/٢ وأما سبب نزول الآية فهو ما رواه مالك والترمذي عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « كان الرجل إذا طلّق امرأته ، ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها ، كان ذلك له وإن طلَّقها ألف مرة ، فعمد رجل إلى امرأته فطلقها ، حتى إذا ما جاء وقت انقضاء عدتها ارتجعها ثم طلَّقها ، ثم قال لها : والله لا آويك إليَّ ولا تحلِّين لأحدٍ أبداً ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك ، فكلما همَّت عدتك أن تنقضي راجعتك ، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها ، فسكتت عائشة ، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته ، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن ﴿ الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً ، من كان طلَّق ومن لم يُطلق » الدر المنثور ٢٧٧/١ .

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ٢٧٦/١ وأخرجه ابن جرير ، وذكره ابن الجوزي ٢٦١/١ عن ابن عباس قال : إني أحبُّ أن أتزيَّن للمرأة ، كما أحبُّ أن تتزين لي ، هذه الآية ﴿ ولهنَّ مثلُ الذّي عليهنَّ بالمعروف﴾ .

(٣) الأثر رواه ابن جرير عن ابن زيد ٤٥٣/٢ قال في التسهيل ١٤٤/١ : أي من الاستمتاع وحسن المعاشرة ، قال ابن عطية ٢٧٤/٢ : وقال الضحاك وابن زيد : « في حسن العِشرة ، وتقوى الله ، وحفظ بعضهن لبعض » والآية تعمُّ جميع حقوق الزوجية .

١٢٥ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ .. ﴾ [آية ٢٢٨] .

قال مجاهد : هو ما فضَّله الله به عليها من الجهاد ، وفضلِ ميراثه على ميراثها ، وكل ما فُضِّل به عليها[١] .

وقال أبو مالك : له أن يطلقها ، وليس لها من الأمر شيءٌ[٢] .

١٢٦ ــ **وقوله تعالى :** ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ .. ﴾ [آية ٢٢٩] .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ قال : إذا طلَّق الرجلُ امرأتَه تطليقتين ، فَلْيَتَّقِ الله في التطليقة الثالثة ، فإمَّا يُمْسِكها بمعروف ، فيُحسِنَ صحابتها ، وإمَّا يُسَرِّحَها بإحسان ، فلا يظلمها من حقَّها شيئاً[٣] .

وقال عروة بن الزبير : كان الرجل يطلق امرأته ويرتجعها قبل أن تنقضي عدَّتُها ، وكان ذلك له ، ولو فعله ألفَ مرة ، ففعل ذلك

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير عن مجاهد ٤٥٤/٢ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٥/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/١ .

(٢) الأثر في الدر المنثور ٢٧٧/١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/١ وذكر في البحر المحيط وجوهاً عديدة في تفسير الدرجة ، فارجع إليها هناك ١٩٠/٢ والله يرعاك .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٤٥٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٨/١ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

رجلٌ مراراً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ فاستقبل النَّاسُ الطَّلاقَ جديداً من يومِئِذٍ ، من كان منهم طلَّق ، أو لم يُطلِّق[1] .

والتقديرُ في العربية : الطَّلاقُ الذي لايملك مع أكثر منه الرجعة مرَّتان[2] .

ويُروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ : فأين الثالثة ؟ فقال : التسريحُ بإحسان[3] .

١٢٧ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ .. ﴾** [آية ٢٢٩] ..

أي : فالواجب عليكم إمساكٌ[4] بما يُعرف أنه الحقُّ .

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير عن عروة بن الزبير بنحوه ٤٥٦/٢ ولفظَه : « كان الرجل يُطلّق ما شاء ثم إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدتها كانت امرأته ، فغضب رجل من الأنصار على امرأته فقال : لا أقربك ، ولا تحلين مني !! قالت له : كيف ؟ قال : أطلِّقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك ، ثم أطلقك حتى إذا دنا أجل راجعتك ، قال : فشكت ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أن تسريح بإحسان .. ﴾ الآية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور عن عروة بن الزبير ، وقال : أخرجه الترمذي ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، والحاكم وصححه ، وانظر الدر ٢٧٧/١ .

(٢) العبارة هنا غير واضحة ، والأولى ما قاله الزجاج في معانيه ٣٠١/١ : الطلاق الذي تُملك فيه الرجعة مرتان ، وكذلك في غريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٨ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، والبيهقي عن أبي رُزين الأسدي ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/١ ورواه ابن جرير في جامع البيان ٤٥٨/٢ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٠٠/١ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم .

(٤) أشار المصنف إلى أن قوله تعالى ﴿ فإمساك بمعروف ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي فعليكم إمساكهن بالمعروف ، أو تطليقهن بالإحسان ، ويقدَّر الخبر قبله ، لأجل تسويغ الابتداء بالنكرة ، وقدَّره الطبري في جامع البيان ٤٦٠/٢ بقوله : فالأمر الواجب حينئذٍ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وعلى كل فالخبر محذوف .

﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ .

أي يُسهِّل أمرها بأن يطلِّقها الثالثة[1] .

والسَّرْحُ[2] في كلام العرب : السَّهْلُ .

١٢٨ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾** [آية ٢٢٩] .

هذا في الخلع الذي بين الزوجين .

قال أبو عبيدة : الخَوْفُ ههنا : بمعنى اليقينِ[3] .

قال أبو إسحق : حقيقته عندي أن يكون الغالب عليهما الخوف من المعاندة[4] .

قال ابن جريج : كان طاووس يقول : يحلُّ الفداء ، قال الله

---

(١) قال ابن عطية ٢/٢٧٧ : والإمساك بالمعروف : هو الارتجاع بعد الثانية إلى حُسن العِشرة ، والتزام حقوق الزوجية ، والتسريح يحتمل معنيين : أحدهما تركها تتم العدة من الثانية فتملك نفسها ، أو يطلقها الثالثة فيسرِّحها بذلك .

(٢) في المخطوطة : والتسريح ، وما أثبتناه من الهامش وهو الصواب ، لأنه هو الذي يقابل السهل ، وفي الصحاح : تسريح المرأة تطليقُها ، والاسم السَّراح . اهـ.

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٧٤ وعبارته ﴿ فإن خفتم ﴾ ههنا : فإن أيقنتم . اهـ.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٣٠٢ ولفظه : أن يكون الأغلب عليهما ــ على ما ظهر منهما من أسباب التباعد ــ الخوف من ألّا يقيما حدود الله ، وحدود الله : ما حدَّه جلَّ وعزَّ مما لا تجوز مجاوزته إلى غيره . اهـ. وفي المخطوطة « ألا يكون الغالب » وصوابه أن يكون الغالب .. إلخ .

تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾[1] ولم يكن يقول قولَ السفهاء : لاتحلُّ حتى تقول : لا أغتسلُ من جنابة[2] ، ولكنه كان يقول : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حدودَ اللَّهِ ﴾ فيما افترض لكل واحد منهما على صاحبه ، في العِشْرَة ، والصُّحبةِ .

والمعنى على هذه القراءة : إلا أن يخاف الزوجُ والمرأةُ[3] .

وقرأ الأعمشُ ، وأبو جعفر ، وابن وثابِ ، والأعرجُ ، وحمزة : ﴿ إِلاَّ أَنْ يُخَافَا ﴾ ، بضم الياء[4] .

وفي قراءة عبدالله[5] : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَخَافُوا ﴾ بالتاء .

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير في جامع البيان ٤٦٥/٢ وترجم له بقوله : « وقال آخرون : الذي يبيح له أخذ الفدية ، أن يكون خوف ألّا يقيما حدود الله منهما جميعاً ، لكراهة كلٍّ منهما صحبة الآخر » ثم ذكر رواية طاووس ، وذكر عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ قال : إلا أن يكون النشوز وسوء الخلق من قِبَلها ، فتدعوك إلى أن تفتدي منك ، فلا جناح عليك فيما افتدت به .

(٢) أشار إلى قول الحسن « إذا قالت المرأة لزوجها : لا أبرُّ لك قَسَماً ، ولا أطيع لك أمراً ، ولا أغتسل لك من جنابة ، فقد حل له مالها » أخرجه ابن جرير ٤٦٤/٢ فطاووس يرى أن الفدية تجوز إذا كان سوء العشرة من جهتهما ، ولا يشترط أن يكون من جهتها فقط ، كما قال الحسن البصري والشعبي .

(٣) هذا على قراءة الجمهور ﴿ إلا أن يَخَافَا ﴾ أي يخاف كلٌّ من الزوج والمرأة .

(٤) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة ويعقوب وأبي جعفر ﴿ إلا أن يُخافا ﴾ بضم الياء ، وقرأ الباقون بفتح الياء على البناء للمعلوم ، وانظر النشر في القراءات العشر للجزري ٢٢٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ١٨٢ .

(٥) يعني ابن مسعود رضي الله عنه ، وهذه القراءة ذكرها القرطبي ١٣٨/٣ وابن عطية ٢٧٩/٢ وليست من القراءات السبع .

وقيــل : المعنــى على هاتين القــراءتين : إلاَّ أن يَخــافُ السلطانُ ، ويكون الخلع إلى السلطان[1] .

وقد قال بهذا الحسن ، قال شعبة : قلت لقتادة : عنْ مَنْ أخذ الحسنُ قولَه : لا يكون الخلع دون السلطان ؟ . فقال : أخذه عن زيادٍ ، وكان والياً لعمرَ وعليٍّ رضي الله عنهما .

قال أبو جعفر : وأكثرُ العلماء على أن ذلك إلى الزوجين[2] .

١٢٩ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ ، وقد قال في موضعٍ آخر : ﴿ فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئَاً ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانَاً وإِثْماً مُبِيناً ﴾ ؟[3]

ورَوَى معمر عن الزهري قال : لا يحلُّ لرجل أن تختلع امرأتُهْ ، إلاَّ أن يُؤتَى ذلك منها ، فأما أن يكون يؤتى ذلك منه ،

---

(١) قال القرطبي ٣/١٣٨ وفي هذه القراءة حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين .. ثم ردَّ هذا القول فقال : وقد صحَّ عن عمر وعثمان وابن عمر جوازه دون السلطان ، وكما جاز الطلاق والنكاح دون السُّلطان ، فكذلك الخُلُع ، وهو قول الجمهور من العلماء ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١/٢٦٥ .

(٢) هذا هو الصحيح وهو قول الجمهور ، فإن الله تعالى يقول ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ ويقول مخاطباً الأزواج ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ فقد جعل الأمر للزوجين ، لا للسلاطين والحكام .

(٣) خلط المصنف بين آية وآية ، ففي سورة البقرة ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ﴾ وفي سورة النساء آية (٢٠) ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً ، فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ فأتى بجزء من آية البقرة وجزء من آية النساء ، ولا توجد آية بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف رحمه الله ، وقد أثبتنا الصحيح .

يضارُّها حتى تختلع منه ، فإن ذلك لايصلح[1] .

وقال أهل الكوفة[2] : حَظَر عليه ما كان ساقَهُ إلى المرأة من الصّداق في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ ثم أطلقه ﴿ إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ فلا يحلُّ له أن يأخذ أكثر مما ساقه إليها[3] .

وليس في الآية ما يدل على أنه لايحل له أكثر مما أعطاها[4] .

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير عن الزهري ٢/٤٦٣ ولفظه : قال الزهري : « لا يحل للرجل أن يخلع امرأته إلا أن يرى ذلك منها ، فأما أن يكون يضارُّها حتى تختلع فإن ذلك لا يصلح ، ولكنْ إذا نشزت فأظهرت له البغضاء ، وأساءت عِشرته ، فقد حلَّ له خلعها » .

(٢) يريد أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، فقد اشتهرت مدرستهم بالكوفة ، وسمُّوا أصحاب الرأي .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/٢٦٥ : « وهل يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها ؟ فيه قولان : أحدهما : يجوز ، وبه قال عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، ومالك ، والشافعي . والثاني : لا يجوز وبه قال ابن المسيب ، وعطاء ، والشعبي ، وطاووس ، وابن جبير ، والزهري ، وأحمد بن حنبل . اهـ.

(٤) هذا ما رجحه الطبري واختاره ، حيث قال في جامع البيان ٢/٤٧٢ : « وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال : إذا خيف من الرجل والمرأة ألا يقما حدود الله على سبيل ما قدمنا البيان عنه ، فلا حرج عليهما فيما افتدت به المرأت نفسها من زوجها ، من قليل ما تملكه وكثيره ، وإن أتى ذلك على جميع ملكها ، لأن الله تعالى ذكره لم يخصَّ ما أباح لهما من ذلك ، على حد لا يجاوز ، بل أطلق ذلك في كل ما افتدت به ، غير أني أختار للرجل استحباباً لا تحتيماً ، إذا تبيَّن من امرأته أن افتداءها منه لغير معصية الله ، بل خوفاً منها على دينها أن يفارقها بغير فدية ، فإن شحت نفسه بذلك ، فلا يبلغ بما يأخذ منها جميع ما آتاها » . اهـ.

وقولُ الزهري بيِّنٌ[1] ، ويكون قوله : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ يبيِّن قوله : ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ﴾

أي : لا تأخذوا منهن شيئاً غَصْباً[2] .

ومعنى ﴿ حُدُودِ اللَّهِ ﴾ ما مَنَعَ منه ، والحدُّ مانعٌ من الاجتراء على الفواحش ، وأحدَّت المرأة امتنعت من الزينة ، ورجل محدودٌ ممنوعٌ من الخير[3] ، [والبوَّابُ حدَّادٌ][4] أي مانعٌ .

ومعنى ﴿ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾ فلا تتجاوزوها .

١٣٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ [آية ٢٣٠] .

المعنى : فإن طلقها الثالثة[5] .

---

(١) قد تقدَّم أن الزهري يرى حرمة الخلع إلا إذا كان النشوز من جهة الزوجة .

(٢) هذا هو الصحيح أن الآية محمولة على مضارة المرأة وإيذائها لتفتدي منه بما أعطاها ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٣٠٢/١ : « أصلُ الحدِّ في اللغة : المنعُ ، يُقال : حددت الدار أي بيَّنت الأمكنة التي تمنع أن يدخل فيها غيرها ، وحددتُ الرجلَ : أقمت عليه الحدَّ ، وأحدت المرأة : إذا امتنعت عن الزينة ، والعرب تقول للحاجب ، والبوَّاب ، وصاحب السجن : الحدَّاد ، لأنه يمنع من يدخل ومن يخرج » اهـ. بشيء من الاختصار .

(٤) في الأصل « والحداد بوَّاب » والصواب ما أثبتناه من الهامش .

(٥) هذا اتفاق من المفسرين على أن المراد بالطلاق هنا « الطلقة الثالثة » وذلك لمن طلق اثنتين ، لأن الله تعالى قال : ﴿ الطَّلاق مرتان ﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بَعْدُ ﴾ فقد شرط أن تتزوج زوجاً آخر ، وهذا لايجبُ إلا في البينونة الكبرى ، بعد الطلقة الثالثة ، وهو بيان صريح .

وأهل العلم على أن النكاح ههنا الجماع[1] ، لأنه قال : ﴿ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ فقد تقدمت الزوجية ، فصار النكاحُ الجماعَ .

إلاَّ سعيدَ بن جبير فإنه قال : النكاحُ ههنا التزويجُ الصحيح ، إذا لم يُرِدْ إحلالها[2] .

قال أبو جعفر : ويُقوِّي القول الأوَّل حديثُ النبيِّ ﷺ : « لا تحلُّ له حَتَى تَذُوقَ العُسَيْلَةَ »[3] .

---

(١) هذا إجماع من أهل العلم كما يقول الإمام الطبري في جامع البيان ٤٧٥/٢ حيث قال : « فإن قيل : إنَّ ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله تعالى ، فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟ قيل : الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعاً على أن ذلك معناه ، كما دلَّ عليه أيضاً بوحيه إلى رسوله ، وبيان ذلك على لسانه لعباده ، كما روت عائشة قالت : سُئل رسول الله ﷺ عن رجل طلَّق امرأته فتزوجت رجلاً غيره ، فدخل بها ثم طلَّقها قبل أن يواقعها ، أتحلُّ لزوجها الأول ؟ فقال : لا تحل حتى يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته » . اهـ. وهذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائي ، ورواه مسلم بنحوه .

(٢) هذا قول مرفوض لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي شرطت الجماع بقوله (حتى تذوق عسيلته) وخرقه للإجماع كما نبَّه عليه الطبري وغيره ، وبخاصة بعد بيان الرسول ﷺ ذلك صراحة لامرأة رفاعة و « لا عطر بعد عروس » كما يقولون .

(٣) الحديث روي بروايات متعددة ، وخرَّجه الأئمة الثقات ، ومن أشهر وأصح رواياته ما أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت : إني كنتُ عند رفاعة ، فطلَّقني فبتَّ طلاقي ، فتزوجني عبد الرحمن بن الزَّبير ، وما معه إلا مثلُ هُدْبة الثوب ــ تعني ما يقدر على معاشرة النساء ــ فتبسَّم النبي ﷺ ، فقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوقي عُسيلته ، ويذوق عُسيلتك » .

أقول : عبد الرحمن بن الزَّبير بفتح الزاي هو غير عبد الرحمن بن الزُّبير بن العوام فهذا بضم الزاي ، وقد نبَّه على ذلك ابن حجر في كتاب « الإصابة في معرفة أسماء الصحابة » حيث قال ٣٠٥/٤ : « عبد الرحمن بن الزَّبير » بفتح الزاي وكسر الموحدة ابن باطيا القرظي من بني قريظة ، ويُقال : =

وعن علي : حتى يَهُزَّهَا بِهِ[1] .

١٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا .. ﴾ [آية ٢٣٠] .

روى منذر الثوري عن محمد بن علي ، عن عليٍّ رضوان الله عليه

قال : ما أُشْكَلَ عليَّ شيءٌ ما أشْكَلَتْ هذه الآيةُ في كتاب الله : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾ ، فمازلتُ أدرسُ كتاب اللَّهِ حتى فهمتُ ، فعرفتُ أن الرجل الآخر إِذَا طَلَّقها ، رجعتْ إلى زوجها الأوَّل ، إن شاء[2] .

١٣٢ ــ ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢٣٠] .

قال طاووس : « إِنْ ظَنَّا » أنَّ كل واحد منهما يُحسنُ عِشْرَةَ

= هو ابن الزَّبير بن زيد ، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث عائشة .. » اهـ. بإيجاز . وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره ٤٧٦/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/١ أحاديث كثيرة متنوعة وبروايات متعددة حول هذا الموضوع فارجع إليهما . قال الجوهري في الصحاح مادة عسل : « والعُسيلة في الجماع ، شُبِّهت تلك اللذة بالعسل ، وصُغِّرت بالهاء لأن الغالب على العسل التأنيث » .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه ولفظه قال : « لا تحل له حتَّى يَهُزَّها هزيز البكر » وروي عن ابن مسعود قال : لا تحل له حتى يُقَشْقِشَها به » ذكرهما في الدر المنثور ٢٨٤/١ .

(٢) أخرجه عبد الرحمن بن حميد ، وابن أبي حاتم عن محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/١ ولم أر هذا الأثر في الطبري .

صاحبه[1] .

وقال مجاهد : إنْ عَلِمَا أن نكاحهما على غير دُلْسَةٍ[2] .

١٣٣ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آية ٢٣٠] .

أي يعلمون أن أمْرَ اللهِ حقٌّ لا ينبغي أن يُتجاوز[3] .

١٣٤ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾ [آية ٢٣١] .

« أَجَلُهنَّ » : وقتُ انقضاء العدة[4] .

ومعنى ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ على قرب البلوغ ، كما تقول : إذا بلغتَ مكَّة ، فاغتسِلْ قبل أن تدخلها[5] .

---

(١) زاد المسير ٢٦٦/١ عن طاووس قال : « ما فَرَض الله على كل واحد منهما من حسن العِشرة والصحبة » . وقال في البحر ٢٠٣/٢ : إن ظنَّ كل واحد منهما أنه يحسن عشرة صاحبه ، وقوله ﴿ إن ظنَّا ﴾ شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله ، فيكون جواز الرجوع موقوفاً على شرطين : أحدهما طلاق الزوج الثاني ، والآخر ظنهما إقامة حدود الله .

(٢) الطبري عن مجاهد ٤٧٨/٢ والدر المنثور ٢٨٥/١ ومعنى الدُّلْسَة : الظلام ، والمراد أن يُخفيا ما في قلبيهما من البغض ، أو سوء النيَّة .

(٣) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ٣٠٣/١ قال ابن عطية : وخصَّ الذين يعلمون بالذكر ، تشريفاً لهم ، لأنهم هم الذين ينفعون بما بُيِّن ، أي بما نُصب للعبرة من قول أو صنعة .

(٤) سُمِّي أجلاً لأن المرأة إذا انتهت عدتها ملكت نفسها ، ولم يكن للرجل سلطان على رجعتها .

(٥) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٥٥/٣ : معنى « بلغن أجلهن » أي قَاربنَ بإجماع من العلماء ، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار في الإمساك » وقال الشوكاني في فتح القدير ٢٤٢/١ :

١٣٥ ــ ثم قال تعــالى : ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُــنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَــدُوا .. ﴾ [آية ٢٣١] .

رَوَىٰ أبو الضحاك عن مسروق : ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا ﴾ .

قال : يُطَلِّقُها ، حتى إذا كادت تنقضي عدتها ، راجعها أيضاً ولا يريد إمساكها ، ويحبسها[1] ، فذلك الذي يُضَارُّ ، ويتخذُ آيات الله هزواً[2] .

وقال مجاهد وقتادة نحوه[3] .

البلوغ إلى الشيء معناه الحقيقي : الوصول إليه ، ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازاً ، لأن المرأة إذا خرجت من العدة ، لم يبق للزوج عليها سبيل .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : « كان الرجل يطلق امرأته ، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ، ثم يطلِّقها ، يفعل بها ذلك يضارها ويعضلها ، فأنزل الله تعالى ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلَهُنَّ فلا تعضلوهن .. ﴾ الآية . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٠٧/٢ : « نزلت في ثابت بن يسار طلَّق امرأته ، حتى إذا بقي من عدتها يومان أو ثلاثة ، وكادت أن تبين ، راجعها ثم طلقها ، ثم راجعها ثم طلقها ، حتى مضت سبعة أشهر مضارة لها ، ولم يكن الطلاق يومئذ محصوراً ، فنزلت الآية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٨٥/١ .

(٢) المراد في مخالفة شريعة الله ، وعدم التقيد بأوامر الله ونواهيه ، إهمال لها وعدم اكتراث بها ، فهو كأنه استهزاء وسخرية بها ، ولا يليق ذلك بالمؤمن .

(٣) انظر الأثر في الطبري ، والدر المنثور ، وابن كثير ، ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن ماجه والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام يلعبون بحدود الله ، يقول : قد طلَّقتك ، قد راجعتك ، قد طلقتك ، قد راجعتك ، ليس هذا طلاق المسلمين ، طلِّقوا المرأة في قِبَل عدتها » الدر المنثور ٢٨٦/١ .

١٣٦ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ .. ﴾ [آية ٢٣١] .

أي عَرَّضَها لعذابِ الله .

١٣٧ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً .. ﴾ [آية ٢٣١] .

يُروَىٰ عن الحسن : أن الرجل كان يُطلِّق ، ثم يقول : إنما كنتُ لاعباً ، فنزل هذ[1] .

ورَوَىٰ أبو هريرة عن النبي ﷺ :

« ثلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ ، وهَزْلُهُنَّ جِدٌّ : الطَّلاق ، والعَتَاقُ ، والرَّجْعةُ »[2] .

وقيل : من طلَّق امرأَتَهُ [فوق][3] ثلاثة [فقد][4] اتَّخذ

(١) الأثر ذكره الطبري عن الحسن ٢/٤٨٠ وابن الجوزي ١/٢٦٧ وابن عطية ٢/٢٨٨ وفي الدر المنثور ١/٢٨٦ .

(٢) الحديث رواه أبو داود في الطلاق رقم ٢١٩٤ والترمذي رقم ١١٩٥ ولفظه عندهما « ثلاث جدهن جدٌّ ، وهزلهنَّ جدٌّ ، النكاح ، والطلاق ، والرجعة » قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، أقول : في سنده « عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك » وهو مختلف فيه ولهذا قال عنه الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه الحاكم وصححه ، رواه السيوطي في الدر المنثور ١/٢٨٦ وأخرجه ابم ماجه في سننه برقم ٢٠٣٩ وقوله « جِدٌّ » بكسر الجيم ضد الهزل ، أي هي أمر ثابت محقَّق ، حادثٌ كما قال ، وانظر لسان العرب ، والمصباح المنير .

(٣) و(٤) نقلنا ما بين القوسين من هامش المخطوطة ، والمصنف يشير إلى ما رواه مالك والبيهقي عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : « إني طلقت امرأتي ألفاً ـــ وفي رواية مائة ـــ فقال له ابن عباس :=

آياتِ الله هزواً[1] .

ورُوي عن عائشة أن الرجل كان يُطلِّق امرأَتَهُ ثم يقول : « والله لا أُوَرِّثُكِ ولا أَدَعُك ، قالت : وكيف ذاك ؟ قال : إذا كِدْتِ تقضين عِدَّتَك راجعتُكِ ، فنزلت : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوْا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوَاً ﴾[2] .

قال أبو جعفر : وهذا من أجود هذه الأقوال لمجيئها بالعلة التي أُنزلتْ من أجلها الآية . والأقوال كلها داخلةٌ في معنى الآية ، لأنه يقال لمن سَخِرَ من آيات الله : اتَّخذها هُزُواً[3]، ويقال ذلك لمن كفر بها ، ويقال ذلك : لمن اطَّرَحَهَا ولم يأخذْ بها وعمل بغيرها ، فَعَلَىٰ هذا تدخُل هذه الأقوال في الآية[4] .

= ثلاثة تحرِّمها عليك ، وبقيتهن وزرٌ ، اتَّخذت آيات الله هُزُواً » الدر المنثور ٢٨٦/١ .

(١) المرجع السابق .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في الطلاق برقم ١٢٠٣ والحاكم وصححه ، والبيهقي في سننه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ولفظ الترمذي : « كان الناس والرجل يطلِّق امرأته ما شاء أن يطلِّقها ، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة أو أكثر .. » ثم ذكر الحديث .

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن ٣٠٤/١ : « كان الرجل يُطلِّق ويُعتق ويقول : كنتُ لاعباً ، فأعلم الله عز وجل أن فرائضه لا لعب فيها ، وقال قوم : معنى ﴿ لا تتخذوا آيات الله هُزُواً ﴾ أي لا تتركوا العمل بما حدَّد الله لكم ، فتكونوا مقصِّرين لاعبين ، كما تقول للرجل الذي لا يقوم بما يُكلَّفه ويتوانى فيه : إنما أنت لاعبٌ » .

(٤) هذه أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزواً ﴾ إذ لا يُتصور من المؤمن أن يهزأ بآيات الله ، فلا بدَّ إذاً من تأويل الآية بهذه الوجوه التي ذكرها أهل التفسير ، قال الإمام القرطبي ١٥٦/٣ : ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزواً ﴾ معناه : لا تأخذوا أحكام الله تعالى في

وآيات اللَّهِ دلائله ، وأمرُهُ ، ونَهْيُهُ .

١٣٨ ـــ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ .. ﴾ [آية ٢٣٢] .

رَوَىٰ سِمَاكُ بن حرب عن ابن أخي مَعْقِل عن « مَعْقِل بن سِنَانٍ » أو يسارٍ ، وقال لي الطحاويُّ : وهو « مِعْقِل بنُ سنان »[١] أنَّ

= طريق الهزء ، فإنها جدٌّ كلها ، فمن هزأ فيها لزمته ، قال أبو الدرداء : كان الرجل يُطَلِّق في الجاهلية ويقول : إنما طلَّقت وأنا لاعب ، وكان يعتق وينكح ويقول : كنت لاعباً ، فنزلت هذه الآية ، ورُوي عن ابن عباس أن رجلاً قال له : إني طلَّقت امرأتي مائة مرة ، فماذا ترى عليَّ ؟ فقال ابن عباس : طلقت منك بثلاث ، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزواً . ثم قال القرطبي : والأقوال كلها داخلة في هذه الآية ، لأنه يقال لمن سخر من آيات الله : اتخذها هُزُواً ، ويقال ذلك لمن كفر بها ، ويُقال لمن طرحها ولم يأخذ بها » . اهـ .

(١) جمهور المفسرين على أنه « معقل بن يسار » كما ذكره البخاري وغيره . فقد روى الحافظ ابن كثير ٤١٥/١ أنها نزلت في « مَعْقِل بن يَسَار » وأختِه ، وقال : روى البخاري في كتابه الصحيح عند تفسير هذه الآية بسنده عن معقل بن يسار قال : كانت لي أخت تخطب إليَّ .. إلخ . وروى البخاري بسنده عن الحسن أن أخت « مَعْقِل بن يَسَار » طلَّقها زوجها ، فتركها حتى انقضت عدتها . فخطبها فأبى معقل فنزلت ﴿ فلا تعضلوهن أن يَنْكِحْنَ أزوَاجَهُنَّ ﴾ قال ابن كثير : وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير من طرق متعددة عن الحسن عن « معقل بن يسار » .. إلخ . فالآراء تكاد تكون متفقة على أنه « معقل ابن يسار » وهكذا رواه الترمذي ولفظه : « عن معقل بن يسار أنه زوَّج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ ، فكانت عنده ما كانت ، ثم طلقها تطليقةً لم يراجعها حتى انقضت العدة ، فهويهَا وهويته . ثم خطبها مع الخُطَّاب ، فقال له : يا لُكَع ـــ أي يا لئيم ـــ أكرمتك بها وزوجتكها فطلَّقتها !! والله لا ترجع إليك أبداً ، آخر ما عليك ـــ أي هذا آخر ما عليك من نكاحها ـــ قال : فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل الله ﴿ وإذا طلقتم النساء .. ﴾ الآية . فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربي وطاعة ، ثم دعاه فقال : أزوجك وأكرمك » . وانظر أيضاً البخاري ٣٦/٦ .

أُخْتَهُ كانت عند رجل فطلَّقها ، ثم أراد أَنْ يُراجعَها فَأَبَى عليه مَعْقِلٌ ، فنزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالمَعْرُوفِ ﴾ [آية ٢٣٢] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ لَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ في اللغة : لاتحبسوهن .

وحكى الخليل : دَجَاجَةٌ مُعَضِّلٌ : أي قد احْتُبِسَ بيضُها[1] .

وقد قيل في معنى هذه الآية : أن النهي للأزواج ، لأَنَّ المخاطَبَةَ لهم ، مثلُ قوله : ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً ﴾ .

وقد يجوز أن يكون للأولياء ، وخوطبوا بهذا لأنهم ممّن يقع لهم هذا ، وقد تقدَّم أيضاً نَهيُ الأزواج .

والأجودُ أن يكون لهما جميعاً ، ويكون الخطابُ عامّاً ، أي : يا أيها الناسُ إذا طلقتم النساء فلا تَعْضُلوهنَّ[2] .

---

(١) قال الزجاج في معانيه ٣٠٥/١ : « أصل العضل من قولهم : عضَّلت الدجاجة فهي معضِّلٌ : إذا احتبس بيضها ونشِب فلم يخرج » اهـ. وهكذا قال في اللسان وفي الصحاح مادة عضل .

(٢) هذا الرأي اختاره صاحب الكشاف وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨٩/٢ حيث قال : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ﴾ الآية ، خطاب للمؤمنين ، الذين منهم الأزواج ، ومنهم الأولياء ، لأنهم المراد بقوله : ﴿ فَلا تعضلوهن ﴾ وقد قيل : إن المراد بـ « تعضلوهن » الأزواج ، وذلك بأن يكون الارتجاع ــ مضارة ــ عضلاً عن نكاح الغير .. إلخ .

أقول : الخطاب إن كان للأزواج ــ كما هو الظاهر ــ فيكون معنى قوله ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ أي : لا تمنعوهن من الزَّواج بغيركم لحمية الجاهلية ، كما يقع ذلك كثيراً من الخلفاء ، والأمراء ، =

قال أبو جعفر : وحقيقةُ ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ فلا تُضَيِّقوا عليهن ، بِمَنْعِكُمْ إياهنَّ ــ أيها الأولياء ــ في مراجعة أزواجهن .

تقول : عَضَل يَعْضُل ، وعَضِل يَعْضَل ، ومنه الدَّاءُ العُضَال الذي لايطاق علاجُه ، لضيقه عن العلاج[1] .

ومعنى ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ أي : ما لكم فيه الصلاح .

١٣٩ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ .. ﴾** [آية ٢٣٣] .

لَفْظُهُ لَفظُ الخَبَرِ ، ومعناه معنى الأَمْرِ ، لِما فيه من الإِلزامِ[2] .

ورَوَى ابن أبي ذئبٍ عن يزيدَ بنِ عدالله بن قُسَيْطٍ[3] ، عن

= والولاة ، غيرةً على من كنَّ تحتهم من النساء ، أن يصرن تحت غيرهم ، فلايتركونهنَّ أن يتزوجن من شئن من الأزواج ، وإن كان للأولياء ــ كما يدل عليه سبب النزول ــ فلا بدَّ من تأويل قوله تعالى ﴿ وإذا طلقتم النساء ﴾ بمعنى إذا تسببتم في طلاقهن ، عندما رفعن إليكم أمرهن ، لأن الولي لا يستطيع أن يطلِّق بل الطلاق في يد الزوج ، وقد أطنب أبو حيان في البحر المحيط في هذا الموضوع فأجاد في كلامه وأفاد ، وانظر تفصيل القول في البحر المحيط ٢/٢٠٩ .

(١) قال في الصحاح : وداء عُضَال : أي شديد أعيا الأطباء ، وأعضل الأمر : أي اشتد واستغلق ، وأمرٌ معضِلٌ : لا يُهتدى لوجهه . اهـ.

(٢) هذا كقوله تعالى ﴿ والمطلقات يتربصن ﴾ فهو خبر معناه الأمر ، لكنه أمر ندب لا إيجاب ، إذ لو كان أمرَ إيجاب لما استحقت الأجرة ، أفاده صاحب البحر ٢/٢١٢ .

(٣) قُسَيْطٌ ضبطه في كتاب : « المغني في ضبط أسماء الرجال » ص ٢٠٤ فقال : قُسَيط بضم القاف ، وفتح المهملة ، وسكون الياء ، وطاء مهملة .

بَعْجَةَ الجُهَنِيِّ[1] قال : « تزوَّج رجلٌ امرأةً ، فولَدَتْ لستَّةِ أشهرٍ ، فأتىٰ عثمانَ بنَ عفان ، فذكر ذلك له ، فأمر برجمها ، فأتاه عليٌّ رضي الله عنه وقالَ : إن اللَّهَ يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرَاً ﴾ وقال : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾[2] !!

وقال ابنُ عباس : فإذا ذهبت رضاعته ، فإنما الحملُ في ستة أشهر[3] .

---

(١) اختلف في « بَعْجَة الجُهَني » هل هو صحابي أم تابعي ؟ فقد ذكره في تهذيب التهذيب ٤٧٣/١ فقال : « بَعْجَة بن عبد الله بن بَدر الجهني » روى عن أبيه وله صُحبة ، قال النسائي : ثقة ، وقال البخاري : مات قبل القاسم بن محمد ، ومات القاسم سنة ١٠١هـ وأرَّخ ابن حبان في الثقات وفاته سنة ١٠٠هـ وذكره مسلم في الطبقة الأولى من أهل المدينة . اهـ. وذكر في الإصابة في معرفة أسماء الصحابة ٢٦٣/١ فقال : « بَعْجة بن عبد الله الجُهني » ذكره عَبْدان ، وأورد له حديثاً مرسلاً من طريق أسامة بن زيد عن بعجة الجهني عن النبي ﷺ قال : « يأتي على الناس زمان ، خير الناس فيه رجل آخذ بعنان فرسه .. » الحديث .

قال عبدان : لا نعلم لبعجة صحبة ولا رؤية ، وإنما الصحبة لأبيه ، قال ابن حجر ٢٦٣/١ قلت : وهو كما قال : والحديث المذكور في صحيح مسلم من رواية بَعْجة المذكور عن أبي هريرة ، فكأنَّ أبا هريرة سقط من تلك الرواية ، وبَعْجة تابعي مشهور ، وثَّقه النسائي وغيره . اهـ.

أقول : أما عبدان فهو الحافظ الإمام « عبد الله الأهوازي » المتوفى سنة ٣٠٦هـ كان يحفظ مائة ألف حديث ، ترجم له السيوطي في طبقات الحفاظ برقم ٦٨٧ ص ٢٩٩ .

(٢) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وعبد الرزاق عن ابن عباس ولفظه « أُتي عثمان بامرأة ولدت في ستة أشهر ، فأمر برجمها ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : ليس عليها رجم ، قال الله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ وستة أشهر ، فذلك ثلاثون شهراً . وقد أخرج هذا الأثر ابن جرير الطبري في جامع البيان ٤٩١/٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٨/١ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٤٩١/٢ والدر المنثور للسيوطي ٢٨٨/١ وقد روي أن الحادثة وقعت في زمن عمر بن الخطاب ، فأمر برجمها ثم رجع عن ذلك ، ويحتمل أنهما حادثتان وقعتا في زمن عمر ، وعثمان رضي الله عنهما .

والفائدةُ في ﴿ كَامِلَيْنِ ﴾ أنَّ المعنى كامِلَيْن للرضاعة[1] كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ أي من الهَدْي ، وقال تعالى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[2] لأنه قد كان يجوز أن يأتيَ بعد هذا شيءٌ آخرُ ، أو تكون العَشَرةُ ساعاتٍ[3] .

١٤٠ ـ ثم قال تعالى : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ .. ﴾[4] [آية ٢٣٣] .

أي ذلك وقتٌ لتمام الرضاعة ، وليس بعد تمامِ الرَّضَاعةِ رضاعٌ[5] .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٦١/٣ : « قيَّد بالكمال ﴿ حولين كاملين ﴾ لأن القائل قد يقول : أقمتُ عند فلان حولين وهو يريد حولاً وبعض حول آخر ، كما قال تعالى ﴿ فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه ﴾ وإنما يتعجل في يوم وبعض الثاني . اهـ وقال ابن جرير ٤٩٠/٢ : إن العرب قد تقول أقام فلان بمكان كذا شهرين أو يومين ، وإنما أقام به شهراً وبعض آخر ، ويوماً وبعض آخر ، فقيل ﴿ حولين كاملين ﴾ ليعرف سامع ذلك أن الذي أريد به حولان تامان ، لا حول وبعض حول » اهـ.

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٤٢) .

(٣) قال في البحر ٢١٢/٢ : « وصف الحولين بالكمال ، دفعاً للمجاز الذي يحتمله لفظ « حولين » إذ يقال : أقمت عند فلان حولين وإن لم يستكملها ، وهي صفة توكيد كقوله تعالى ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ .

(٤) في المخطوطة « إن أراد أن يتم الرضاعة » والنصُّ القرآني ما أثبتناه « لمن أراد .. » .

(٥) هذا قول الجمهور أن مدة الرضاع حولان لا تزيد عنه ، فالرضاعة التي يثبت لها ما يثبت من النسب ، من تحريم النكاح ، ونفقة المرضع ، هي ما كانت في الحولين ، ولو رضع بعد العامين لم يحدث تحريم لما روي عن ابن عباس مرفوعاً « لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين » وانظر الدر المنثور ٢٨٨/١ والقرطبي ١٦٢/٣ .

١٤١ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ **وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ** ﴾ أي على الأب الذي وُلِدَ له ﴿ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ أي رزقُ الأمهاتِ[١] ﴿ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾ أي لاتقصيرَ في النفقة ، والكسوة ، ولاشَطَطَ .

١٤٢ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ **لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا** ﴾ **على النهي**[٢] .

وقرأ أَبانُ عنِ عاصِمٍ : ﴿ لا تُضَارِرْ وَالِدَةٌ ﴾ بكسرِ الراءِ الأُولى[٣] .

وقيل : المعنى لا تَدَعُ رَضَاعَ ولدها لِتُضِرَّ بِهِ غيظاً على أبيه[٤] .

وقَرَأَ أبو عمرو وابنُ كثيرٍ : ﴿ لاَ تُضَارُّ وَالِدَةٌ ﴾ بالرفع على الخبر الذي فيه معنى الإلزام[٥] .

---

(١) في الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد ، لأن الولد ضعيف عاجز ، ولما كان الغذاء لا يصل إليه إلا عن طريق الدم أو المرضع ، أوجب الله النفقة لهن من الطعام والكسوة على الوالد .

(٢) هذه قراءة الجمهور « لا تُضارّ » بفتح الراء على النهي ، والمعنى : لا تأبى الأم أن ترضعه إضراراً بأبيه ، ولا تطلب أكثر من أجر مثلها ، وأصله لا تُضَارَرْ ، أُدغمت الراء الأولى في الثانية لالتقاء الساكنين ، ثم فتحت لأن ما قبلها مفتوح ، وهكذا يُفعل بكل مضاعف إذا كان قبله فتح أو ألف ، كما تقول : عَضَّ يا رجل .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ١٦٧/٣ وفي المخطوطة « أبانُ بن عاصم » وصوابه « أَبان عن عاصم » كما هو في القرطبي وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/١ .

(٤) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ٣٠٨/١ قال : « لا تترك إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فتضرَّ به » اهـ.

(٥) هذه من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ١٨٣ وفي النشر لابن الجزري ٢٢٧/١ قال ابن عطية ٢٩٤/٢ « وهو خبر معناه الأمر » أي يأمرها تعالى ألا تضر بالولد غيظاً على =

ورَوَى يونس عن الحسن قال : يقـول : « لا تُضَارَّ زوجَهـا ، فتقـول : لاأُرضِعـه ، ولايُضارُّهـا فينزعُـهُ منها ، وهـي تقـولُ : أنـا أُرضِعُهُ »[1] .

١٤٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [آية ٢٣٣] .

رَوىٰ مجاهـد عن ابـن عبـاس قال : « وعلى الـوارث أن لا يُضارَّ »[2] .

وكذلك رُوي عن الشعبي والضحاك[3] .

ورُوي عن عُمَـر ، والحسين بنِ صالح ، وابـنِ شبرمـة : ﴿ وَعَلَىٰ الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ أي الكسوةُ والرضاع[4] .

ورُوي عن الضحـاك : الـوارثُ : الصبـيُّ ، فإن لم يكـن له

= أبيه ، ومجيء الأمر على لفظ الخبر كثير كقوله تعالى : ﴿ لا يمسُّه إلا المطهرون ﴾ خبر قصد به الأمر بالطهارة عند مس المصحف ، فهو أمر إلزام كما نبه المصنف .

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان عن الحسن البصري ٤٩٨/٢ وهـو قول ابـن جبير أيضاً قال : لايَحْمِلَنَّ المطلقة مضارَّةُ الزوج أن تلقي إليه ولده .

(٢) الأثر في الطبري عن مجاهد ٥٠٤/٢ وابن كثير ٤١٨/١ والشوكاني ٢٤٧/١ وعـزا هذا القـول إلى ابن عباس قال : وأخرجه ابن المنـذر ، وابـن أبي حاتم ، والبيهقـي ، وكـذلك هو في الـدر المنثـور للسيوطي ٢٨٩/١ .

(٣) الأثر في الطبري ٥٠٤/٢ والدر المنثور ٢٨٩/١ وابن كثير ٤١٨/١ .

(٤) هذا هو المشهور والأظهر ، أن المراد : وعلى الوارث مثـل ما على والـد الطفـل ، من الإنفـاق على الأم ، ودفع أجرة الرضاع لها ، وعدم الإضرار بها ، والقيام بحقوقها ، وهذا ما رجحـه الحافـظ ابـن كثير وبيّـن أنـه قول الجمهـور حيث قال ٤١٨/١ : « وقيـل عليـه مثـلُ ما على والـد الطفـل من الإنفـاق على والـدة الطفـل ، والقيـام بحقوقهـا ، وعـدم الإضرار بها ، وهـو قول الجمهـور ، وقـد استقصى ابن جرير ذلك في تفسيره » اهـ.

مالٌ فعلى عَصَبَتِه ، وإلاَّ أُجبرت المرأة على رضاعه[1] .

[قال أبو جعفر][2] : وزعم محمد بن جرير الطبري أن أَوْلى[3] الأقوالِ بالصواب قولُ قَبِيصَةَ بن ذؤيب ومن قال بقوله : إنه يُراد بالوارثِ المولودُ ، وأن يكون ﴿ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ معنى مثلُ الذي كان على والده ، من رزق والدته ، وكسوتها بالمعروف ، إن كانت من أهل الحاجة ، وهي ذاتُ زمانة ، ولا احتراف لها ، ولا زوج ، وإن كانت من أهل الغِنَى والصحة ، فمثل الذي كان على والده لها ، من أجر الرضاعة ، ولا يكون غير هذا إلا بحجةٍ واضحة ، لأن الظاهر كذا[4] .

قال أبو جعفر والقولُ الأوَّلُ أَبْيَنُ ، لأن الأب هو المذكور بالنفقة في المواضع ، كما قال : ﴿ وإنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾[5] ، وكذا تجب عليه النفقة على وَلَدِه مادامَ صغيراً ، كما

---

(١) لفظ الضحاك كما في الطبري ٢/٥٠٤ : « وعن الضحاك قال : وعلى الوارث عند الموت مثلُ ما على الأب للمرضع ، من النفقة والكسوة » قال : ويعني بالوارث : الولد الذي يُرْضع ، أن يُؤخذ من ماله — إن كان له مال — أجر ما أرضعته أمه ، فإن لم يكن للمولود مال ، ولا لعصبته ، فليس له أجر ، وتجبر أن تُرضع ولدها بغير أجر » .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٣) في الأصل « أن أول الأقوال » وهو خطأ وصوابه : أولى الأقوال .

(٤) انظر نصَّ كلام ابن جرير بكامله في تفسيره جامع البيان ٢/٥٠٥ فقد سقط منه بعض الألفاظ هنا ، كما ورد في المخطوطة عبارة « من أجل الرضاعة » وهو تصحيف ، وصوابه « من أجر الرضاعة » كما في الطبري .

(٥) سورة الطلاق آية رقم (٦) والشاهد في الآية أن الخطاب للأب وليس للولد ، كما ذكر المصنف ، وهذا الذي ذهب إليه الإمام النحاس هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير ١/٤١٨ .

تجب عليه مادام رضيعاً[1] .

ثم قال أبو حنيفة وأصحابُه : ﴿ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ أي الرضاعُ ، والكسوةُ ، والرزقُ ، إذا كان ذا رَحِمٍ مُحَرَّمَةٍ . وليس ذلك في القرآن[2] .

١٤٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُر .. ﴾ [آية ٢٣٣] .

قال مجاهدٌ وقتادةُ : أي فِطَامَاً دون الحَوْلَيْنِ[3] .

قال أبو جعفر : وأصلُ الفصالِ في اللغة التفريقُ ، والمعنى ﴿ عن تراضٍ ﴾ من الأبوين ومُشَاوَرَةٍ ، ليكون ذلك عن غير إضرارٍ

---

(١) وقع تقديم وتأخير في المخطوطة نبّه عليه الناسخ في الهامش ، وقد أثبتناه كما هو في الهامش ، لِيَتَّسِقَ الكلامُ .

(٢) هذا استنباط دقيق من الآية الكريمة ، ذهب إليه الحنفية والحنابلة ، وهو أن كل من يرث من ذوي العصبات ، عليه أن ينفق على قريبه إذا كان فقيراً ، لأن الغُرم بالغنم ، فكما يرثه إذا مات ، كذلك عليه أن يُنفق عليه في حياته إذا أعسر ، قال الحافظ ابن كثير ٤١٨/١ : « وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنبلية ، إلى وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف ، ويرشح ذلك بحديث الحسن عن سمرة مرفوعاً « من مَلَكَ ذا رحم محرم عُتِق عليه » وانظر تفسير ابن كثير ٤١٨/١ .

(٣) هذا قول جميع المفسرين أن المراد بالفصال الفِطَام ، قال القرطبي ١٧١/٣ : « فِصَالاً » معناه فطاماً عن الرضاع ، أي عن الاغتذاء بلبن أمه إلى غيره من الأقوات ، والفِصال ، والفَصْل : الفِطام ، وأصله التفريق ، فهو تفريق بين الصبي والثدي ، ومنه سمي الفصيل ، لانفصاله عن أمه . اهـ .

منهما بالولدِ[1] .

ثم قال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ أي فلا إثم .

١٤٥ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٣٣] .

أي تَسْتَرْضِعُوهُمْ قَوْماً[2] .

قال أبو إسحاق : أي لأولادكم غير الوالدة[3] .

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ ﴾ أي سلمتم ما أعطيتم من ترك الإضرار[4] .

---

(١) قال في البحر ٢١٧/٢ « الضمير في ﴿ أَرَادَا ﴾ عائد على الوالدة والمولود له ، والفِصال : الفِطام قبل تمام الحولين ، إذا ظهر استغناؤه عن اللبن ، فلا بدَّ من تراضيهما ، فلو رضيَ أحدهما وأبى الآخر لم يُجبر ، وتحرير القول : أنه قبل الحولين لا يكون إلا بتراضيهما ، وألَّا يتضرَّر المولود ، وأما بعد تمامهما فمن دعا إلى الفصل فله ذلك » اهـ. وقال الحافظ ابن كثير ٤١٨/١ : « أي فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ، ورأيا في ذلك مصلحةً له ، وتشاورا في ذلك ، وأجمعا عليه ، فلا جناح عليهما في ذلك ، فيُؤْخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز من غير مشاورة الآخر » .

(٢) يريد أن يستأجر لها مرضعاً غير الأم ، بسبب عجزها ، أو إرادتها الزواج بغيره بعد طلاقها منه ، فلا إثم في ذلك ولا حرج .

(٣) هذا قول الزجاج كما في كتابه معاني القرآن ٣٠٩/١ قال : معناه تسترضعوا أولادكم غير الوالدة ، فلا إثم عليكم . اهـ.

(٤) العبارة هنا غير واضحة ، وأظهر منه ما قاله مجاهد وسفيان أن المعنى : إذا سلَّمتم إلى الأمهات أجرهنَّ ، وسلَّمتم إلى المسترضعة أجرها بالمعروف ، وهذا ما اختاره ابن كثير حيث قال : « لا جناح عليهما إذا سلَّمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن ، واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف » ابن كثير ٤١٨/١ .

وقال مجاهدٌ : إذا سَلَّمْتُمْ حساب ما أُرْضِعَ بِهِ الصَّبِيُّ[1] .

١٤٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً .. ﴾ [آية ٢٣٤] .

رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قَرَأَ :

﴿ والذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُم ﴾[2] ، بفتح الياء فيهما جميعاً ، ومعناه يَتَوَفَّوْنَ أعمارهم ، أي يستوفونها ، واللهُ أعلم .

١٤٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً .. ﴾[3] [آية ٢٣٤] .

العشر عدَدُ الليالي ، إلاَّ أنه قد عُلم أن مع كل ليلةٍ يومَها .

قال محمد بن يزيد[4] : المعنى وعَشْرُ مُدَدٍ ، وتلك المدةُ يومٌ وليلةٌ .

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير عن مجاهد ٥٠٩/٢ والقرطبي ١٧٣/٣ والشوكاني ٢٤٧/١ .

(٢) هذه القراءة رواها عبد الرحمن السُّلَمي عن علي بن أبي طالب ، وعدَّها ابن جني في المحتسب ١٢٥/١ من القراءات الشاذة ، قال ابن مجاهد : ولا يُقرأ بها ، وانظر تفسير ابن عطية ٣٠٢/٢ .

(٣) « وعَشْراً » ولم يقل : وعشرة تغليباً لحكم الليالي ، إذ الليلة أسبق من اليوم ، والأيَّام في ضمنها ، وعشر أخف في اللفظ ، والمعنى : وعشر ليال ، لسبق الليلة على اليوم ، وانظر المحرر الوجيز ٣٠٢/٢ ومعاني القرآن للفراء ١٥١/١ .

(٤) هو الإمام المبرِّد ، وقد نقل عنه هذا القول الإمام القرطبي في جامع الأحكام ١٨٦/٣ فقال : وقال المبرِّد : إنما أنَّثَ العشر ، لأن المراد به المدة ، المعنى : وعشر مدد ، كل مدَّة من يوم وليلة ، فالليلة مع يومها مدة معلومة من الدهر . اهـ.

وقيل : إنما جُعلت العدةُ للمُتوفَّى عنها زوجها أربعةَ أشهرٍ وعشراً ، لأنه يتبيَّنُ حملُها إن كانت حاملاً[1] .

قال الأصمعيُّ : ويقال : إنَّ وَلَد كلِ حاملٍ يرتكض في نصف حملها ، فهيَ مُرْكَضٌ .

وقال غيرُهُ : أرْكَضَتْ فهي مُرْكِضَةٌ[2] ، وأنشد :

وَمُـــرْكِضَةٌ صَرِيحِـــيٌّ أَبُوهَـــا
تُهَـــانُ لَهُ الغُـــلاَمَةُ وَالغُـــلاَمُ[3]

١٤٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [آية ٢٣٤] .

قال الضحاك : ﴿ أَجَلهُنَّ ﴾ انقضاءُ العدة[4] .

---

(١) قال الثعالبي في الجواهر الحسان ١/١٨١ : جعل الله تعالى « أربعة أشهر وعشراً » في العدة عبادة ، فيها استبراء للحمل ، إذ فيها تَكْمُل « الأربعون ، والأربعون ، والأربعون » حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ، ثم يُنفخ فيه الروح ، وجعل تعالى العشر تكملة ، إذ هي مَظِنةٌ لظهور الحركة بالجنين ، وذلك لنقص الشهور أو كمالها . اهـ.

(٢) قال في اللسان مادة ركض : وقال أبو عبيد : أَرْكَضَتِ الفَرَسُ فهي مُرْكِضَةٌ ومُرْكِضٌ : إذا اضطرب جنينها في بطنها .

(٣) البيت لأوس بن غلفاء الهُجَيْمي يصفُ فرساً ، واستشهد به القرطبي ٣/١٨٦ وصاحب اللسان ٩/١٨ قال : ويروى « ومِرْكَضَةٌ » بكسر الميم نَعتَ الفرس أنها ركَّاضة تركض الأرض بقوائمها إذا عَدَتْ ، وذكره في تهذيب اللغة ١/٣٨ . وصريحي نسبة إلى صريح وهو فحل منجبٌ .

(٤) الأجل : المدَّة ، والمراد به هنا انقضاء العدة ، وعلى هذا جميع المفسرين ، فلا يجوز للمتوفى عنها زوجها أو المطلَّقة أن تتزوج حتى تنقضي عدتها من الوفاة أو من الطلاق ، وانظر الطبري ٢/٥١٦ والدر المنثور ١/٢٩٠ .

ورَوَىٰ ابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهد ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : النكاحُ الحلالُ الطيِّبُ[1] .

١٤٩ـ وقوله تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ .. ﴾ [آية ٢٣٥] .

رَوَىٰ مجاهد عن ابن عباس قال : هو أن يقول : أُريدُ أن أتزوج ، وكره أن يقول : « لا تسبقيني بنفسك » في العدَّة[2] .

وقال القاسم بن محمد : هو أن يقول الرجل للمرأة ، وهي في عدتها من وفاة زوجها : إنَّكِ عليَّ لكريمةٌ ، وإني فيكِ لراغبٌ ، وإن الله لسائقٌ إليك خيراً ورزقاً ، ونحو هذا من القول[3] .

(١) الطبري عن مجاهد ٥١٦/٢ والبحر المحيط ٢٢٥/٢ وقال القرطبي في جامع الأحكام ١٨٧/٣ ﴿ فيما فَعَلْنَ في أنفسهنَّ بالمعروف ﴾ يريد به التزوج ، فما دونه من التزيُّن ﴿ بالمعروف ﴾ أي بما أذن فيه الشرع عن اختيار الأزواج ، وتقدير الصَّداق ، دون مباشرة العقد ، لأنه حقٌّ للأولياء . اهـ.

(٢) رواه الطبري عن ابن عباس ٥١٧/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٠/١ وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٥/٢ قال : وقد كره مجاهد أن يقول : « لا تسبقيني بنفسك » ورآه في المواعدة سراً . اهـ.

أقول : والتعريض هو أن يتكلم بكلام فيه إيماء وتلميح بالخطبة ، وهو ضدُّ التصريح ، فيحرم التصريح ويجوز التلميح ، قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٨٩ : « هو أن يُعرِّض للمرأة في عدتها بتزويجه لها ، من غير تصريح بذلك ، فيقول لها : والله إنك لجميلة ، وإنك لشابة ، وإن النساء لمن حاجتي ، ولعل الله أن يسوق لك خيراً ، هذا وما أشبه » .

(٣) هذه العبارات والألفاظ ، من التعريض الذي يجوز ذكره للمعتدة ، وأما قوله : « وإني فيك لراغبٌ » فيكاد يكون من الصريح ، والأولى أن يقول لها : إنَّكِ لمرغوب فيك ، أو يقول : أنا أرغب في امرأة ذات دين ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٦/١ : التعريضُ : الإيماءُ والتلويح من غير كشف ، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر ، ومثَّل له ابن عباس بقوله : إني أريد أن أتزوج ، وقال مجاهد : أن يقول : إنك لجميلة ، وإنك لحسنة ، وإنك لإلى خير .

وقالت **سُكَيْنَةُ** بنتُ حَنْظَلةَ(١) :ـ وكانت تحت ابنِ عمٍّ لها فتوفِّي ـ فدخل عليَّ « أبو جعفر محمد بن علي »(٢) وأنا في عِدَّتي ، فَسَلَّم ثم قال : كيف أصبحت ؟ فقلتُ : بخيرٍ ، جَعَلَكَ اللهُ بخير ، فقال : « أنا مَنْ قَدْ عَلِمْتِ قرابتَهُ من رسول الله ﷺ وقرابتَهُ من عليٍّ ، وحقِّي في الإسلام ، وشرفي في العرب » !!

قالت : فقلتُ له : غَفَرَ اللهُ لك يا أبا جعفر ، أنت رَجُلٌ يُؤخَذُ منك ، ويُروى عنك ، تخطبني في عدَّتي ؟! .. قال : ما فعلتُ ، إنما أخبرتُكِ بمنزلتي من رسول الله ﷺ »(٣) ثم قال : « دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ على أمِّ سَلَمَة بنت أبي أُميَّة بن المغيرة

---

(١) قال في أعلام النساء ٢/٢٢٤ : « سُكَيْنة بنت حَنْظَلة » محدِّثة حدثت عن أبيها ، وروى عنها عبد الرحمن ين سليمان بن الغسيل . اهـ. أعلام النساء لعمر كحالة ، وذكر أنه من الاستدراك على تراجم رواة الحديث لابن نقطة وهو مخطوط .

(٢) أبو جعفر هو : « محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » وهو المشهور بأبي جعفر الباقر ، أمه بنتُ الحسن بن علي ، روى عن أبيه وجدَّيه « الحسن والحسين » قال العجلي : مدني تابعي ثقة ، وذكره النسائي في فقهاء أهل المدينة من التابعين ، توفي سنة ١١٤هـ . عن تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٣٥٠ باختصار .

(٣) القصة ذكرها الطبري في جامع البيان ٢/٥١٩ والقرطبي في جامع الأحكام ٣/١٨٨ وأشار إليها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٣٠٥ فقال : « وأجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها ، وتنبيه عليه لا يجوز ، وكذلك بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز ، وجُوِّز ما عدا ذلك .. وجائز أن يمدح نفسه ، ويذكر مآثره على جهة التعريض بالزواج ، وقد فعله « أبو جعفر محمد بن علي بن حسين » واحتجَّ بأن النبي ﷺ فعله مع أم سلمة . اهـ.

أقول : الحديث رواه الدارقطني ٣/٢٢٤ من طريق عبدالرحمن بن سليمان بن الغَسِيل عنها ، وهو حديثٌ منقطع ، لأن « محمد بن عليّ » هو الباقر ، ولم يُدرِكِ النبيَّ ﷺ ، وانظر نيل الأوطار للشوكاني ٦/١٢٣ .

المخزومية ، وتَأَيَّمَتْ من أبي سَلَمة بن عبدِ الأسدِ ـ وهو ابن عمِّها ـ فلمْ يَزَلْ [يذكر][1] منزلتَهُ من الله ، حتَّى أثَّر الحصيرُ في يده ، من شِدَّةِ ما يعتمد عليه بيده ، فما كانت تلك خِطْبَةٌ »[2] .

١٥٠ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **أو أَكْنَنْتُمْ[3] فِي أَنْفُسِكُمْ** .. ﴾ [آية ٢٣٥] .

قيل : مِنْ أَمْرِ النِّكاحِ .

١٥١ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ** .. ﴾ [آية ٢٣٥] .

قال الحسن : أي في الخِطْبَةِ[4] .

وقال مجاهدٌ : أي في نَفْسِهِ[5] .

١٥٢ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ..﴾ [آية ٢٣٥] .

قال سعيد بن جبير : السرُّ أن يُعاقِدَهَا على أَنْ لا تتزوَّجَ

---

(١) سقطت من المخطوطة ، وأثبتناها من الهامش ، وهي ضرورية ليتلاءم الكلام وينسجم .

(٢) روى الدارقطني أن النبي ﷺ « دخل على أم سلمة ، وهي متأيمة من أبي سلمة ـ أي أرملة بموت زوجها ـ فقال : « لقد علمتِ أني رسول الله وخيرته ، وموضعي من قومي» ، وكانت تلك خطبة وانظر جامع الأحكام ١٨٩/٣ والمحرر الوجيز ٣٠٥/٢ .

(٣) أكننتم أي سترتم من أمر التزوج بها ، والإكنان : التستر والإخفاء ، يقال : أكننته وكَنَنْتُهُ بمعنى واحد . اهـ . القرطبي .

(٤) و(٥) الأثر عن مجاهد والحسن ذكرهما الطبري في جامع البيان ٥٢١/٢ والقرطبي في جامع الأحكام ١٩٠/٣ والبحر المحيط ٢٢٦/٢ قال أبو حيان : « وهذا عذرٌ في التعريض ، لأن الميل متى حصل في القلب عَسُر دفعه ، فأسقط الله الحرج في ذلك ، وفيه طَرَفٌ من التوبيخ ، لأنهن يُذكرن عندما انفصلت حبالهن من أزواجهن بالموت ، وتتوق إليهن الأنفس ، ويُتمنَّى نكاحهنَّ ، وقال الحسن : معنى : « ستذكرونهنَّ » « ستخطبونهنَّ » . اهـ.

غيرَهُ[1] .

وقال **مجاهدٌ** : هو أن يقول : لا تُفَوِّتيني بِنَفْسِكِ[2] .

وقال **أبو مجلزٍ** وإبراهيمُ والحسنُ : هو الزِّنا[3] .

وقال **أبو عبيدة** : هو الإفصاحُ بالنكاح[4] .

قال محمدُ بنُ يزيدَ : قومٌ يجعلون السِّرَّ زِناً ، وقومٌ يجعلونَهُ الغِشْيَانَ ، وكلا القَوْلَيْن خطأٌ ، إنما هو الغِشْيَانُ مِنْ غير وجهِهِ[5] ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لاَ تُواعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ فليس هذا موضعُ الزنا .

قال أبو جعفر : الذي قال محمد بن يزيد مِنْ أَنَّ السرَّ الغشيان من غير وجهه ، عند أهل اللغة كما قال ، إلا أنَّ الأَشْبَهَ في الآية ما قال سعيدُ بن جبير أنَّ المعنى لا تُواعِدُوهُنَّ نكاحاً[6] ،

---

(١) و(٢) الأثران ذكرهما الطبري عن ابن جبير ومجاهد ٥٢٣/٢ وابن كثير ٤٢٢/١ قال : هو أن يأخذ ميثاقها ألَّا تتزوج غيره .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن أبي مجلز ٥٢٣/٢ والقرطبي ١٩١/٣ واختار هذا القول الطبري ، واستشهد عليه بقول الشاعر :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ... وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

والبيت للحطيئة ومراده بالسرِّ : الوطء الحرام ، ومراده بأنف القِصاع : أول ما يؤكل منه ، فالضيف يأكل أولاً ، وما بقي يقدَّم لغيره .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٧٥/١ .

(٥) هذا كلام الإمام المبرِّد ، ومراده أن السرَّ هنا ليس هو الزنا ، ولا الغشيان مطلقاً ، إنما هو الغشيان المحرَّم ، فقد يكون بالمواعدة بالزنا ، وقد يكون النكاح حال العدة ، وكله غير جائز .

(٦) قول سعيد بن جبير هو الأظهر والأشهر ، والمعنى : لا تواعدوهن بالنكاح سِرًّا إلا بطريق التعريض والتلويح ، وبالمعروف الذي أقرَّه لكم الشرع ، وقول ابن جبير ذكره الطبري ٥٢٥/٢ =

فسمّى النكاحَ سِرّاً ، لأن الغشيانَ يكونُ فيه[1] ، وزعم محمد بن جرير أن أَوْلَى الأقوال بالصواب أنَّ السِّرَّ الزِّنَا ، ولا يصحُّ قولُ مَنْ قال : السِّرُّ أن يقول لها « لا تسبقيني بنفسك »[2] لأنه قولُ علانيةٍ ، فإنْ أراد أنه يقال سراً ، قيل له : فهو إذاً مطلقُ علانيةٍ ، وهذا لايقوله أحدٌ ، ولا يكون السرُّ النكاحَ الصحيحَ ، لأنه لايكون إلاَّ بوليٍّ[3] وشاهدَيْن ، وهذا علانيةٌ[4] .

ومعنى ﴿ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ ستذكرون خِطْبَتَهُنَّ ﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ يقول لها : قد ذكرتك في نفسي وقد صرْتِ زوجتي ، فيغُرّها بذلك ، حتى يصل إلى جماعها زِناً[5] .

= وابن الجوزي ٢٧٧/١ والقرطبي ١٩٠/٣ ولفظه : السِرُّ قيل معناه : النكاح أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني ، بل يُعرِّض إن أراد ، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألّا تنكح غيره ، في استمرار وخفية ، هذا قول ابن عباس ، وابن جبير ، ومالك وأصحابه ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدِّي ، وجمهور أهل العلم . اهـ.

(١) قال ابن جرير ٥٢٤/٢ : « إن العرب تسمي الجماع وغشيان الرجل المرأة سراً ، لأن ذلك مما يكون بين الرجال والنساء في خفاء ، غير مطَّلع عليه ، فيسمى لخفائه سراً ، من ذلك قول رؤبة ابن العجّاج :

فَعَفَّ عن أَسْرَارِها بَعْدَ الغَسَقْ ... ولم يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكٍ وعَشَقْ

يعني عفَّ عن غشيانها بعد طوال ملازمته ذلك . اهـ.

(٢) أي لا تتزوجي قبل أن تخبريني فتفوِّتي عليَّ الفرصة ، وهذا شبه التصريح .

(٣) في المخطوطة « لا يكون إلا وليّ » وصوابه ما أثبتناه : لا يكون إلّا بولي .

(٤) هذا من تتمة كلام ابن جرير الطبري ، وقد نقله المصنف باختصار وبالمعنى ، وانظر جامع البيان ٥٢٥/٢ فقد فصَّل ابن جرير الكلام فيه بالإسهاب .

(٥) عبارة الطبري ٥٢٦/٢ : « علم الله أنكم ستذكرون خطبتهن وهنَّ في عُدَدهنَّ ، فأباح لكم التعريض بذلك ، ولكن حرَّم عليكم أن تواعدوهن جماعاً ، بأن يقول لها في عدتها : قد تزوجتك =

١٥٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَقُولُوْا قَوْلاً مَعْرُوفاً .. ﴾ [آية ٢٣٥] .

قال مجاهدٌ : هو التعريض(١) .

وقال **سعيد بن جبير** : أنْ يقول لها : إني لأرجو أن نجتمع ، وإنّي إليك لمائلٌ(٢) .

وروى **عطاءٌ** الخراسانيُّ عن ابن عباس ﴿ وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ حتى تنقضيَ العِدَّةُ(٣) .

والتقدير في اللغة : حتى يبلغَ فرضُ الكتابِ ، ويجوزُ أن يكون الكتابُ بمعنى الفرضِ تمثيلاً(٤) .

= في نفسي ، وإنما أنتظر انقضاء عدَّتك ، فيسألها بذلك القول إمكانه من نفسها الجماع والمباضعة » اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٧/١ : ﴿ ولكن لا توعدوهن سراً ﴾ فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بالسر : النكاح قاله ابن عباس ، قال ابن قتيبة : استُعير السر للنكاح لأن النكاح يكون سراً ، فالمعنى : لا تواعدوهن بالتزوج وهنَّ في العدة تصريحاً .

والثاني : أن المواعدة سراً أن يقول لها : إني لك محبٌّ ، وعاهديني على ألا تتزوجي غيري .. إلخ . روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أن المراد بالسر : الزنى ، قاله الحسن ، وقتادة ، والضحاك .

والرابع : أن المعنى : لا تنكحوهن في عدتهن سراً ، فإذا حلَّت أظهرتم ذلك ، قاله ابن زيد .

(١) و(٢) ذكرهما الطبري ٥٢٦/٢ عن مجاهد وابن جبير ، وابن الجوزي ٢٧٨/١ قال : وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والشعبي ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

(٣) الطبري عن عطاء ٥٢٧/٢ وابن كثير ٤٢٣/١ قال : ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ يعني : لا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة ، ومقاتل ، وعطاء الخراساني ، والضحاك .

(٤) هذا قول الزجاج حكاه عنه المصنف ، وهو في معانيه ٣١٣/١ قال معناه : حتى يبلغ فرضُ الكتاب أجله ، ويجوز أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض ، فيكون المعنى : حتى يبلغ

١٥٤ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ .. ﴾ [آية ٢٣٥] .

أي يعلم ما تحتالون به .

١٥٥ ــ وقوله عز وجل : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ .. ﴾ [آية ٢٣٦] .

قال ابنُ عباسٍ : الجماعُ[1] .

﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ الفريضةُ ههنا : المَهْرُ[2] .

قال أبو جعفر : وأصلُ الفرض الواجبُ[3] ، كما قال :

« كانت فريضَةُ ما تقولُ [قطيعتي][4] » .

= الفرض أجله ، وإنما جاز أن يقع « كُتِب » في معنى « فُرِض » لأنه ما يكتب يقع في النفوس أنه ثبت . اهـ. معاني الزجاج .

(١) المراد بالمساس هنا الجماع باتفاق ، قال ابن عباس : « إن الله حييٌّ ستِّيرٌ يكني » فالتعبير عن الجماع بالمِساس هو من الكنايات اللطيفة التي استعملها القرآن ، قال أبو مسلم : « وإنما كنَّى تعالى بقوله ﴿ تمسُّوهنَّ ﴾ عن المجامعة ، تأديباً للعباد ، في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به » اهـ. التفسير الكبير للرازي ١٤٧/٦ .

(٢) سُمِّي المهر فرضاً لأنه مفروض بأمر الله ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نِحلة ﴾ أي عطية عن طيب نفس ، فإن ذُكر المهر عند العقد ، وجبَ المذكور ولو كان قليلاً ، وإن لم يُذكر صحَّ العقد ووجب مَهْر المثل ، قال الزجاج في معانيه ٣١٤/١ : « أعلم الله في هذه الآية أن عقد التزويج بغير مهر جائز ، لقوله تعالى : ﴿ ما لم تمسوهن أو تفرضوا لَهُنَّ فريضة ﴾ وأنه لا إثم على من طلَّق من تزوج بها من غير مهر ، كما أنه لا إثم على من طلَّق من تزوَّج بمهر ، وأمر أن تُمتَّع المتزوَّجُ بها بغير مهر ، إذا لم يدخل بها » اهـ.

(٣) قال الأزهري : الفرضُ مصدر كل شيء تفرضه فتوجبه على إنسان ، والاسم الفريضة . اهـ. تهذيب اللغة .

(٤) لم أعثر على الكلمة الساقطة بين المعكوفين ، ولعلها « قطيعتي » وهذا شطر بيت لا يُعرف قائله .

ومنه : فَرَضَ السلطانُ لفلان .

١٥٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ ﴾ وهو الغنيُّ ﴿ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ وهو الفقيرُ[١] .

قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ومُجاهِدٌ والضحاكُ : وهذا معنى قولهم في المُطَلَّقَةِ قبلَ الدخول بها ، ولم يُفرضْ لها صداقٌ ، لها المُتْعةُ واجبةٌ[٢] .

وقال شريحٌ : لا يُقْضَى عليه[٣] ، لأنه قال : ﴿ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

١٥٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ .. ﴾ [آية ٢٣٧] .

فقال قومٌ : لها المتعةُ مع ذلك ، كما رُوِي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ــ رضي الله عنه ــ والحسنِ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ :

---

(١) الموسِع : الذي وسَّع الله عليه في الرزق ، وهو الغني . والمقتر : الذي ضُيِّق عليه في الرزق ، وهو الفقير ، وهكذا قال أهل اللغة والتفسير .

(٢) هذا قول الجمهور أن المتعة واجبة لمن لم يُفرض لها مهر ، وأما التي فُرض لها مهر فتكون المتعة مستحبة ، لأن الله أوجب لها نصف المهر بقوله : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ .

(٣) أي لا يُلزم بها ولا تجب عليه لأن الله تعالى لم يفرضها على جميع الأزواج وإنما قال ﴿ على المحسنين ﴾ أي من كان من أهل الفضل والإحسان فليؤدِّ لها المتعة ، وفي المخطوطة « لا يُفْضَى » بالفاء وهو خطأ وصوابه « لا يقضى » .

لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ[1] .

وقال آخرون : لا مُتْعَةَ لها .

رُوِيَ ذلك عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ وسعيدِ بنِ المسيِّب وعطاء والشعبيِّ[2] .

١٥٨ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ إلاَّ أَنْ يَعْفُوْنَ .. ﴾** [آية ٢٣٧] .

قال الزهريُّ والضحاكُ : [المرأةُ][3] إذا طلقتْ تَدَعُ النصف الذي جُعل لها[4] .

---

(١) خلاصة القول في هذا أن بعضهم قال : إن المتعة واجبة لكل مطلقة ، وهو مذهب الحسن البصري ، وقال مالك : إنها مستحبة للجميع وليست واجبة ، وذهب الجمهور « الحنفية والشافعية والحنابلة » إلى أنها واجبة للمطلقة التي لم يُفرض لها مهر ، ومستحبة لمن لها مهر ، قال القرطبي ٣/٢٠٠ : قوله تعالى ﴿ ومتعوهنَّ ﴾ حمله ابن عمر ، وعلي ، والحسن ، وابن جبير ، وقتادة ، والضحاك على الوجوب ، وحمله مالك وأصحابه والقاضي شُرَيح على الندب ، تمسك أهل القول الأول بمقتضى الأمر ، وتمسك أهل القول الثاني بقوله « على المحسنين » و « على المتقين » ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين ، والقول الأول أولى ، لأن عموم الأمر بالإمتاع في قوله ﴿ ومتعوهنَّ ﴾ أظهر في الوجوب منه في الندب » اهـ.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢/٥٣ وجامع الأحكام للقرطبي ٣/٢٠٤ والبحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٣ .

(٣) سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٤) ذكره الطبري ٢/٥٤١ والمعنى : أنه يجب لها نصف المهر إذا طُلقت قبل الدخول ، إلا إذا عفت عن ذلك وأسقطت حقها ، فأعاد الضمير على النساء ، قال الزجاج في معاني القرآن ١/٣١٥ : ومعنى عفو المرأة أن تعفو عن النصف الواجب لها من المهر ، فتتركه للزوج ، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل . اهـ. وانظر البحر المحيط ٢/٢٣٥ فقد قال ﴿ إلَّا أن يعفونَ ﴾ المعنى إلا أن يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج ، والفرق بين قولك الرجال =

١٥٩ ـ ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ .. ﴾ [آية ٢٣٧] .

حدثنا محمد بن إدريس بن أسود قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال : حدثنا عبيدالله بن عبدالمجيد قال : حدثنا جرير وهو ابن حازم قال : حدثنا عيسى بن عاصم عن شُرَيحٍ قال : سألني علي بن أبي طالب عن ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ .

قال : قلتُ : هو الوَلِيُّ . قال : لا ، بل الزَّوجُ[1] .

وكذلك قال جبير بن مطعم ، وسعيد بن جبير ، ورواه قتادة عن سعيد بن المسيّب .

وقال ابن عباس : وعلقمة وإبراهيم : هو الوَلِيُّ ، يَعْنُوْنَ الأَبَ خاصّةً[2] .

= يعفون ، والنساء يعفون ، بأن الواو في الأول ضمير الجمع ، والنون علامة الرفع ، والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن ، والفعل مبنيٌّ لا أثر في لفظه للعامل . اهـ.

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن عيسى بن عاصم الأسدي عن شريح ٥٤٥/٢ وابن كثير ٤٢٦/١ وروى ابن جرير ٥٤٤/٢ عن الشعبي « أن رجلاً تزوّج امرأةً ، فوجدها دميمةً ، فطلقها قبل أن يدخل بها ، فعفا وليُّها عن نصف الصَّداق ، قال : فخاصمته إلى شريح ، فقال لها شريح : قد عفا وليُّك ، ثم إنه رجع بعد ذلك ، فجعل ﴿ الذي بيده عقدة النكاح ﴾ : الزوج » .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨١/١ : « وفي قوله تعالى ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الزوج ، وهو قول علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهم ، وهو قول الشافعي وأحمد . =

قال أبو جعفر : حديثُ عَليٍّ إنما رواه عن شريح « عيسى بن عاصم » ورواه الجِلَّةُ عن شريح من قوله ، منهم الشعبـيُّ ، وابـن سيريـن ، والنخعـيُّ .

وأصحُّ ما رُوِيَ فيـه عن صحـابي قولُ ابـن عباسٍ[1] .

قُرِىءَ على عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام عن أبي الأزهـر أحمد بن الأزهـر ، قال : حدثنـا رَوْحُ بن عبـادة قال : حدثنـا ابـن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، قال : سمعتُ عكرمة يقـول : قال ابـن عبـاس : إن اللـه رَضِيَ العَفْـوَ ، وأَمَـرَ بِهِ[2] ، فإنْ عَفَتْ فذلك ، وإن عفـا وليُّهـا « الـذي بيـده عقـدةُ النكـاحِ » وضَنَّتْ ، جازَ ، وإنْ أَبَتْ[3] .

= والثاني : أنه الوليُّ ، رُوي عن ابن عباس ، والزهري ، والسدي في آخرين .

والثالث : أنه أبو البكر ، روي عن ابن عباس ، والزهري ، والسدي في آخرين .

والأول أصح ، لأن عقـدة النكـاح خرجت من يد الـولي ، فصارت بيـد الـزوج ، والعفـو إنما يُطلق على ملك الإنسان ، وعفوُ الولي عفـوٌ عمـا لا يملك ، ولقولـه تعـالى ﴿ ولا تَنْسَوا الـفَضل بينكم ﴾ والفضل في هبة الإنسان مال نفسه ، لا مال غيره . اهـ.

(١) ابن عباس حَبْر الأمة ، وترجمان القـرآن ، لأن النبـي ﷺ دعـا له بقولـه : « اللهـم فقِّهـه في الدين ، وعلِّمه التأويل » فهو أعلم الصحابة بكتاب الله عز وجل ، وأشهرهم وأجلُّهم .

(٢) هذا الأثر أخرجـه ابن جرير في جامـع البيـان ٥٤٥/٢ والحافـظ ابـن كثير في تفسيره ٤٢٦/١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٩/١ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي .

(٣) قال ابن كثير ٤٢٦/١ : « والوجه الثاني عن ابن عباس ، أن الذي بيده عُقدة النكاح : أبوها أو أخوها ، أو من لاتُنْكَح إلا بإذنه، وهذا مذهب مالك ، وقـول الشافعي في القـديم ، ومأخـذه أنَّ الوليَّ هو الذي أكسبها إياه ، فله التصرُّف فيه ، بخلاف سائر مالها ، ثم ذكـر الأثـر عن عكرمة =

قال أبو جعفر : والذي يدلُّ عليه سياقُ الكلامِ ، واللغةُ أنه الوليُّ ، وهو الذي يجوز أنْ يعقدَ النكاح على المرأة بغير أمرها[1] ، كما قال : ﴿ وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ ، وإنَّما بِيَدِ الزَّوجِ أنْ يُطلِّق[2] .

فإنْ قيلَ : « بيدِهِ عقدةُ نكاحِ نفسه »[3] فذا لا يُناسبُ الكلامَ الأول ، وقد جرى ذِكْرُ الزوج في قوله : ﴿ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً ﴾ فَلَوْ كان للزوج لَقِيْل : أو تعفوا ، وهذا أشبه بسياق الكلام[4] .

= « أذن الله في العفو وأمر به .. » إلخ . ثم قال : وهذا يقتضي صحة عفو الولي ، وإن كانت رشيدة ، وهو مروي عن شريح ، لكن أنكر عليه الشعبيُّ فرجع عن ذلك ، وقال إنه الزوج ، وكان يباهل على ذلك » اهـ.

(١) يريد إذا كانت صغيرة دون البلوغ ، فلوليِّها تزويجها بغير أمرها ، أما إذا كانت بالغة أو ثيِّبة فلا بدَّ من إذنها ورضاها لقوله ﷺ (لا تُنكح الأيِّمُ حتى تُستأمر ، ولا تُنكح البكرُ حتى تُستأذن ، وإذنها سكوتها) وفي رواية (وإذنها صُماتها) رواه البخاري ٩/١٦٤ .

(٢) أي ليس للزوج أن يتزوج بدون الولي ، ولكنْ له أن يُطلِّقها بدون إذنه ، فهو يملك حق الطلاق لا النكاح ، فلا يصح أن يقال إن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج .. هذا من وجهة نظر أبي جعفر النحاس .

(٣) هكذا تأوَّلها « جُبير بن مطعم » فقد روى الدارقطني عنه « أنه تزوج امرأة فطلَّقها قبل أن يدخل بها ، فأرسل إليها بالصداق كاملاً ، وقال : أنا أحقُّ بالعفو منها » قال القرطبي تأول قوله تعالى ﴿ الذي بيده عُقدة النكاح ﴾ يعني نَفْسَه ، وأصلُها : عقدة نكاحه ، فلما أدخل اللام حذف الهاء كقوله تعالى ﴿ فإنَّ الجنة هي المأوى ﴾ أي مأواه . اهـ. جامع الأحكام ٣/٢٠٦ .

(٤) يريد المصنف أنه لو أراد به الزوج لجاء النص بهذه الصيغة : وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهنَّ ــ وقد فرضتم لهن فريضة ــ فنصفُ ما فرضتم إلا أن يَعْفُون أو تَعْفوا » أي تعفوا أنتم يا معشرَ الأزواج ، ولكنَّ اللفظ جاء بغير هذا ﴿ إلَّا أَنْ يَعْفُونَ أو يَعْفُوَ .. ﴾ الآية .

وإن كان يجوز تحويل المخاطبةِ إلى الإخبار عن غائبٍ[1] .

فأما اللُّغةُ فتوجب إذا أُعطي الصَّدَاقُ كاملاً أنْ لا يُقال له : عافٍ ، ولكنْ يُقال له : واهبٌ ، لأن العفْوَ إنما هو تَرْكُ الشيء وإذهابُهُ . ومنه : عَفَتِ الديارُ ، والعافيةُ دُرُوسُ البلاءِ وذهابُهُ ، ومنه : عَفَا اللهُ عنكَ[2] .

١٦٠ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وأنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقْوىٰ .. ﴾** [آية ٢٣٧] .

قيل : يُعْنَى به الأزواجُ ، وقيل : يُعْنَى به الذي بيده عقدةُ النكاح ، والنِّسَاءُ جميعاً[3] .

هذا قولُ ابنِ عباسٍ ، وهو حَسَنٌ ، لأنه لم يقُلْ : (وأن

(١) يجوز في اللغة العربية العدول عن المخاطب إلى الغائب ، ويسمى « الالتفات » كقوله تعالى : ﴿ هو الذي يسيِّركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ﴾ ورد جميعه بلفظ الخطاب ثم قال تعالى ﴿ وجرين بهم ﴾ بلفظ الغائب ، ولو جرى على الأصل لقال : « وجرين بكم بريح طيبة » كما يجوز العكس ، وهي ناحية بلاغية .

(٢) نلاحظ أن المصنف يريد أن يضعِّف القول بأن « من بيده عقدة النكاح » هو الزوج ، ويقوِّي القول بأنه وليُّ المرأة ، من الناحيتين : الشرعية واللغوية ، وقد تقدَّم معنا أن قول الجمهور هو الزوج وهو الذي رجحه شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري حيث قال : « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى به الزوج ، وذلك لإجماع الجميع على أن ولي بكرٍ أو ثيِّب ، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه إيَّاها ، أو عفا له عنه ، أن إبراءه وعفوَه باطل ، وأن صداقها عليه ثابت .. » إلخ . وذكر حججاً أخرى لا مجال لسردها ، وانظر جامع البيان ٥٤٩/٢ .

(٣) ذكر القولين ابن جرير رحمه الله في تفسيره ٥٥١/٢ ورجح قول ابن عباس أنه خطاب للرجال والنساء معاً ، كما ذكره القرطبي ٢٠٨/٣ فقال : وهو خطاب للرجال والنساء في قول ابن عباس ، فغُلِّب الذكور ، واللام بمعنى « إلى » أي أقرب إلى التقوى . اهـ.

تَعْفُونَ) فيكون للنساء ، (وأن يَعْفُو) فيكون للذي بيده عقدةُ النكاح .

١٦١ ــ **وقَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ حافِظُوا على الصَّلواتِ .. ﴾** [آية ٢٣٨] .

قال مسروقٌ : على وقتها .

﴿ والصَّلاة الوُسْطَىٰ .. ﴾[1] [آية ٢٣٨] .

رَوَىٰ جابر بن زيد ، ومجاهدٌ ، وأبو رجاءٍ عن ابن عباس قال : هي صلاة الصبح[2] .

وكذا رَوَىٰ [عنه] عكرمةُ ، إلا أنه زاد عنه : يُصَلِّي بَيْنَ سواد الليل وبياض النهار[3] .

---

(١) ﴿ حَافِظُوا ﴾ الخطابُ لجميع الأمة ، والآية أمرٌ بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها ، بجميع شروطها ، و ﴿ الوسطى ﴾ تأنيث الأوسط ، ووسط الشي. خيرُه وأعدله ، قال أعرابي يمدح النبي ﷺ :

يَا أَوْسَطَ النَّاسِ طُرًّا في مَفَاخِرِهِمْ ... وَأَكْرَمَ النَّاسِ أُمًّا بَرَّةً وَأَبَا

وأفرد الصلاة الوسطى بالذِّكر ــ وقد دخلت في عموم الصلوات ــ تشريفاً لها . اهـ. جامع الأحكام للقرطبي ٢٠٩/٣ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري عن ابن عباس ٥٦٤/٢ والقرطبي ٢١٠/٣ عنه وقال : أخرجه الترمذي عن ابن عمر وابن عباس تعليقاً ــ أي من غير ذكر السند ــ وأخرجه في الموطأ بلاغاً ــ أي قال مالك : بلغني عن علي وابن عباس ــ اهـ. وكذلك قال ابن كثير ٤٢٧/١ وروى عن رجاء العطاردي قال : « صلَّيت خلف ابن عباس الفجر ، فقنَتَ فيها ورفع يديه ، وقال : هذه هي الصلاة الوسطى .. » .

(٣) انظر جامع البيان ٥٦٥/٢ والبحر المحيط ٢٤٠/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٨٣/١ .

وقيل : لأنها بين صلاتين من صلاة الليل ، وصلاتين من صلاة النهار[1] .

ورَوَىٰ قتادةُ عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال : هي الظهرُ[2] .

وفيها قولٌ ثالثٌ هو أَوْلَاهَا[3] :

حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرَ الأنباريُّ قال : حدَّثنا حاجب بن

---

(١) قال القرطبي ٣/٢١٠ : « قيل : إنها الصبح ، لأن قبلها صلاتي ليل يُجهر فيهما ، وبعدها صلاتي نهار يُسَرُّ فيهما . ولأن وقتها يدخل والناس نيام ، والقيام إليها شاق في زمن البرد ، وفي زمن الصيف لِقِصَرِ الليل » .

(٢) الأثر في الطبري ٢/٥٦٢ والقرطبي ٣/٢٠٩ وابن الجوزي ١/٢٨٣ .

(٣) أي هو الأحقُّ والأصوب ، وهو أن الصلاة الوسطى « صلاة العصر » لأن النهار يبدأ بالفجر ، وينتهي بالعشاء ، فتكون الصلاة الوسطى هي العصر ، قبلها « الصبح والظهر » وبعدها « المغرب والعشاء » قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/٢٨٣ : وفي « الصلاة الوسطى » خمسة أقوال :

أحدها : أنها العصر ، لما رواه مسلم عن النبي ﷺ ، أنه قال يوم الأحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً) وهذا قول علي ، وابن مسعود ، وأبيّ ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وعائشة .. إلخ وهو رأي الجمهور .

والثاني : أنها الفجر ، رُوي عن عمر ، ومعاذ ، وجابر ، وزيد بن أسلم ، وعكرمة ، وابن عباس في رواية أبي رجاء .

والثالث : أنها الظهر ، رُوي عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ، وغيرهم .

والرابع : أنها المغرب ، روي عن قبيصة بن ذؤيب .

الخامس : أنها العشاء الأخيرة ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في تفسيره ، ثم رجح ابن الجوزي أنها صلاة العصر ، وهو رأي الجمهور .

سليمان قال : حدثنا محمد بن مصعب ، قال : حدثنا أبو جَزْءٍ[1] عن قتادَةَ عن الحسَنِ عن سَمُرَةَ قال : قال رسول الله ﷺ ، في قول الله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ : هي صلاةُ العَصْرِ[2] .

ورَوَىٰ عبيدَةُ ويحيى بنُ الجَزَّارِ وَزِرٌّ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رِضْوانُ الله عليه قال : قاتَلْنا الأحزابَ ، فَشَغَلُونَا عن العَصْرِ ، حتى كربت[3] الشمسُ أن تغيبَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ امْلَأْ قلوبَ الذين شغلونا عن الصلاة الوُسْطَى ناراً ، وامْلَأْ بيوتهم ناراً ، وامْلَأْ قبورهم ناراً »[4] .

قال زِرٌّ : قال عليٌّ : كُنَّا نَرَىٰ أنها صلاةُ الفجر[5] .

---

(١) أبو جَزْء بفتح الجيم وسكون الزاي « نَصْر بن طريف الباهلي » القصاب البصري ، وانظر الأسماء والكُنى للنيسابوري مخطوطة لوحة ٦٠ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ٥٦٠/٢ وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٠٤/١ وقال : رواه الترمذي وصححه ، وأحمد في المسند ، والطبراني ، والبيهقي ، عن سَمُرة بن جندب .

(٣) في المصباح : كَرَبَ أن يقطع أي حانَ له ، وكَرَبت الشمس : إذا دنت للمغيب . اهـ. المصباح المنير مادة كرب .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤٣٨/١ من حديث علي رضي الله عنه . ورواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وانظر الدر المنثور ٣٠٣/١ .

(٥) في الكلام سقط ، وتمامه كما في الدر المنثور ٣٠٣/١ عن زرٍّ قال : قلت لعبيدة : سلْ علياً عن الصلاة الوسطى ، فسأله فقال : كنا نراها الفجر ، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر .. الحديث .

وقيل لها : الوُسْطى لأنها بين صلاتين من صلاة الليل ، وصلاتين من صلاة النهار[1] .

١٦٢ ـ **ثم قال تعالى** ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

قال ابنُ عباس والشعبيُّ ﴿ القنوتُ ﴾ : الطَّاعَةُ[2] .

وقال مجاهدٌ : القُنُوتُ السكوتُ[3] .

قال أبو جعفر : وهذان القولان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، لأن السكوتَ في الصلاة طاعةٌ[4] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ جعفرَ الأنباريُّ قال : حدثنا عبدالله بنُ

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب القرآن (٩١) : الصلاة الوسطى : صلاة العصر ، لأنها بين صلاتين في النهار ، وصلاتين في الليل ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٣١/٢ : وعلى هذا القول الجمهور ، وبه أقول .

(٢) الطبري عن ابن عباس ٥٦٩/٢ وابن الجوزي ٢٨٤/١ .

(٣) هذا قول زيد بن أرقم ، والسُدِّي ، وعكرمة ، قال زيد : « كنَّا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ فأُمرنا بالسكوت ، ونُهينا عن الكلام » رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وذكر ابن الجوزي عن مجاهد ٢٨٤/١ أن القنوت هو الطاعة ، وذكر عنه الطبري ٥٧١/٢ أن القنوت هو الخشوع والخشية قال : وكان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ إذا قام أحدهم إلى الصلاة لم يلتفت ، ولم يُقلِّب الحَصَى أو يعبث بشيء .. إلخ . واختار الحافظ ابن كثير قول مجاهد فقال ٤٣٤/١ : أي قوموا لله خاشعين ، ذليلين ، مستكينين بين يديه ، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٥٧١/٢ ، والبحر المحيط ٢٤٢/٢ قال : « والأظهر حمله على السكوت ، إذ صحَّ أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ فأُمروا بالسكوت ، والمعنى : وقوموا في الصلاة .

يحيى ، قال : حدثنا يحيى أخبرنا يَعْلَىٰ هو ابنُ عُتبة قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالدٍ عن الحارث بن شُبَيْلٍ[1] عن أبي عَمْرو الشيبانيّ عن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلَّمُ في الصلاة ، فيُكلمُ أحدُنا صاحبَهُ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَهُ حتى نزلت هذه الآية : ﴿ حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى وقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِيْنَ ﴾ فَأُمِرْنَا بالسكوتِ[2] .

وقيل : هو القنوت في الصبح ، وهو طول القيام[3] .

وروى الجعفي عن ابن وهْبٍ ،عن عمرو بن الحارث ،عن دَرَّاجٍ عن أبي الهَيْثَم عن أبي سعيد ــ يعني الخدري ــ عن النبي صلّى اللَّهُ عليه وسلم قال : « كلُّ حرفٍ في القرآنِ من القنوتِ ، فهو

(١) ورد اسمه في الطبري « الحارث بن شِبل » والصواب ما جاء في المخطوطة « الحارث بن شُبَيْل » بالتصغير ، وقد فرَّق بينهما المحدثون ، فقد جاء في تهذيب التهذيب ١٤٣/٢ : الحارث بن شُبَيْل ابن عوف البَجَلي أبو الطفيل ، قال النسائي : ثقة ، وفي التقريب ١٤١/١ : بالمعجمة والموحَّدة مصغراً أبو الطفيل البَجَلي ثقة من الطبقة الخامسة . اهـ.

وأما الحارثُ بن شِبْل فقد قال عنه في التهذيب : بصريٌّ ضعيف من الطبقة السادسة ، والحارث بن شُبَيْل كوفي ثقة ، وانظر المغني في الأنساب ص ١٤٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٥٩/٣ ومسلم برقم ٥٣٩ ولفظه « كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة ، يكلِّم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة ، حتى نزلت ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ فأُمرنا بالسكوت ، ونُهينا عن الكلام ».

(٣) روي هذا عن أبي رجاء قال : صليتُ مع ابن عباس الغداة في مسجد البصرة ، فقنت بنا قبل الركوع .. » الطبري ٥٧١/٢ . وروى الترمذي وابن ماجه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلاة صلاة القنوت » رواه مسلم برقم ٧٥٦ والترمذي برقم ٤٨٧ في الصلاة .

الطَّاعَةُ »[1] .

١٦٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فإنْ خِفْتُم فرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً .. ﴾ [آية ٢٣٩] .

رَوَىٰ أبو مالك عن ابن عباس : أمَّا ﴿ رِجَالاً ﴾ فعَلَىٰ أَرْجُلِكُمْ إذا قاتلتم ، يُصَلِّي الرجل يُومِي بِرَأْسِهِ أينما توجَّهَ[2] .

قال مجاهدٌ : وكيف قدَر[3] .

١٦٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَىٰ الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾** .

رَوَىٰ حبيب بنُ الشهيد ، عن ابن أبي مُلَيْكةَ ، عن ابن الزبير قال : قلت لعثمانَ : « الآيةُ التي في البقرة : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ لِمَ أَثْبَتَّها ؟ وقد نَسَخَتْها الآيةُ الأُخرى ؟ قال : يا ابن أخي لا أُغيِّرُ شيئاً عَنْ مكانه »[4] .

ورَوَىٰ حميد عن نافعٍ عن زينبَ بنتِ أُمِّ سلمةَ : كانت

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ٥٦٩/٢ : « كلُّ حرفٍ من القرآن فيه القنوت ، فإنما هو الطاعة » وأخرجه أحمد في المسند ٧٥/٣ بلفظ « فهو الطاعة » .

(٢) الأثر رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير ٤٣٦/١ ورواه ابن جرير الطبري عن السدي ٥٧٤/٢ .

(٣) الأثر في الدر المنثور عن مجاهد ٣٠٨/١ قال : وأخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٦/٦ من حديث ابن أبي مُليكة عن ابن الزبير وأخرجه البيهقي في سننه ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/١ .

المـرأةُ إذا تُوُفِّيَ زوجُهـا دخـلـتْ جِفْشَاً[١] ، ولَـبِسَـتْ شَرَّ ثيـابها ، ولم تمسَّ طيباً ، حتى تمرَّ سَنَةٌ ، ثُمَّ تُعْطَى بَعْرَةً فَتَرمي بها[٢] ، فأنـزل اللـه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ويَـذَرُون أَزْوَاجَـاً وَصِيَّـةً لِأَزْوَاجِهِـمْ مَتَاعَاً إِلَى الحَوْلِ ﴾ يعني لنسائهم ، وكان للمرأة أن تَسْكُـنَ في بيت زوجها سنةً ، وإن شاءتْ خَرَجَتْ فاعتـدَّتْ في بيت أهلها ، أو سكنتْ في وصيتها إلى الحول ، ثم نُسِخَ بأربعةِ أشهرٍ وعَشْرٍ .

ورَوَىٰ يزيد النحويُّ عن عكرمة عن ابـن عبـاس ، في قولـه : ﴿ والذين يُتَوَفَّـوْنَ منكـم ويـذرون أزواجـاً وصيـةً لأزواجهـم متاعـاً إلى الحَوْلِ ﴾ فَنَسَخَ ذلك بآية الميراثِ ، بما فرضَ الله من الرُّبُـعِ والثمـنِ ، ونَسَخَ أَجَلَ الحَوْلِ بأنْ جَعَلَ أَجَلَها أربعةَ أشهرٍ وعَشْراً[٣] .

---

(١) الحِفْشُ : البيت الصغير المظلم وانظر الصحاح للجوهري ١٠٠٢/٣ .

(٢) هذا طَرَفٌ من حديث رواه الشيخـان عن أم سَلَمـة « أن امـرأة قالت يا رسول الله : إن ابنتـي توفِّي زوجها ، وقد اشتـكـت عيْنُها أفنكْحَلُهـا ؟ فقـال: لا ، مرَّتين أو ثلاثـاً ، كلُّ ذلك يقـول : لا ، ثم قال : إنما هي أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكنَّ في الجاهلية تمكث سنة .. قالت زينب بنتُ أم سلمة : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها ، دخـلـت حِفْشـاً ، ولبست شرَّ ثيـابها ولم تمسَّ طيبـاً ولا شيئـاً ، حتـى تمرَّ بها سنـة ، ثم تخرج فتُعطـى بعـرةً فترمـي بها ، ثُمَّ تؤتى بدابة ــ حمار أو شاة أو طير ــ فتفـتضُّ به ، فقلَّمـا تَفْـتَضُّ بشيء إلا مات) انظـر صحيـح مسلـم ٢٠٢/٤ .

قال ابن قتيبة : ذكروا أن المعتدة كانت لا تمس ماءً ، ولا تقلِّم ظُفُراً ، ولا تزيـل شعـراً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتضُّ بطائر ــ أي تمسح به فرجها ــ فلا يكـاد يعـيش من نتنها ، والمراد من الرمي بالبعرة الإشارة إلى أن تلك السُّنَة عندها بمنزلة البعرة تعظيماً لحق زوجهـا . اهــ. وانظر لسان العرب مادة فضض .

(٣) الأثر ذكره في الدر المنثور عن ابن عباس ٣٠٩/١ وابن جرير في جامع البيان ٥٨٠/٢ .

وفي حديث « الفُرَيْعَةِ »[1] فقال النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم :

« امكثي في منزلك حتى يبلغ الكتابُ أَجَلَهَ »[2] .

١٦٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٢٤٢] .

أي لعلكم تجتنبون ما ليس بمستقيم ، كأنَّ العاقل الذي يعقل نَفْسَهُ عما ليس بمستقيم[3] .

١٦٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ ﴾ [آية ٢٤٣] .

---

(١) الفُريعة : هي أخت أبي سعيد الخدري ، قال في الإصابة ٧٣/٨ : فُرِيعة بنتُ مالك بن سنان الخُدرية ، أخت « أبي سعيد الخدري » وأمها « حَبيبة بنت عبد الله بن أُبي » . اهـ.

(٢) الحديث أخرجه مالك في الموطأ ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٣٩/١ وتمامه : « أن الفُريعة بنت مالك بن سنان ، جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها ، في بني خدرة ، فإن زوجها خرج في طلب أعبد ــ أي عبيد ــ له أَبَقُوا ، حتى إذا كانوا بطرف القَدُوم ــ مكان قريب من المدينة ــ لحقهم فقتلوه ، قالت : فسألتُ رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة ، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة ، فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقالت : فانصرفتُ ، حتى إذا كنتُ في الحُجْرة ، ناداني رسول الله ، فقال : كيف قلتِ ؟ فرددتُ عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي ، فقال : امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتابُ أجله ، قالت : فاعتددتُ فيه أربعة أشهر وعشراً ، فلما كان عثمان بن عفان أرسل إليَّ ، فسألني عن ذلك فأخبرته ، فاتَّبعه وقضى به » ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) قال الزجاج : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ حقيقة هذا أن العاقل هو الذي يعمل بما افتُرِض عليه ، لأنه إن فهم الفرض ولم يعمل به ، فهو جاهل ليس بعاقل ، وحقيقة العقل هو استعمال الأشياء المستقيمة متى عُلِمت . اهـ. معاني الزجاج ٣١٧/١ .

قال ابن عباس : كانوا أربعةَ آلافٍ ، خرجوا فراراً من الطاعون ، وقالوا : نأتي أرْضاً ليس بها مَوْتٌ ، فأَمَاتَهُم الله ، فمرَّ بهم نبيٌّ ، ودعا اللهَ فأحياهم[1] .

وقيل : إنهم ماتوا ثمانية أيامٍ[2] .

قال الحسن : أماتهم الله قبل آجالهم عقوبةً ، ثم بعثهم إلى بقيَّةِ آجالهم[3] .

وقال الضحاك : خرجوا فراراً من الجهاد ، فأماتهم الله ، ثم أحياهم ، ثم أمرهم أن [يرجعوا][4] إلى الجهاد .

---

(١) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبري ٥٨٦/٢ وابن كثير ٤٤٠/١ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٠/١ وروى ابن كثير عن ابن عباس قولاً آخر ، أنهم كانوا أربعين ألفاً ، قال ابن عطية : والرؤية في قوله تعالى ﴿ ألم تر ﴾ رؤية القلب بمعنى : ألم تعلم ، وهي تفيد التنبيه إلى أمر هؤلاء القوم .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٨/١ ولم يذكر إسناده ، وهو قول مستبعد غريب لأنه ورد في بعض الآثار التي ذكرها المفسرون ، أنهم لما وقع فيهم الوباء ، وخرجوا فراراً منه ، أماتهم الله ، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله إليهم « حزقيل » النبي عليه السلام ، فدعا الله فأحياهم ، كما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٤/٢ والطبري في جامع البيان ٥٨٨/٢ حيث قال : فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة .. إلخ . ولا يمكن أن يحدث هذا في أيام محدودة كسبعة أو ثمانية أيام .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٥٨٩/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣١١/١ وهو مروي عن قتادة أيضاً ، وفي الدر « أنهم فرُّوا من الطاعون ، فأماتهم الله قبل آجالهم ، عقوبة ومقتاً ، ثم أحياهم ليكمِّلوا بقية آجالهم » . قال ابن العربي : « أماتهم الله تعالى مدَّةً عقوبةً لهم ، ثم أحياهم ، وميتة العقوبة بعدها حياة ، وميتة الأجل لا حياة بعدها » .

(٤) في المخطوطة « أن يخرجوا » وصوابه « أن يرجعوا » كما في الهامش ، ويؤيده رواية الطبري « فأمرهم فرجعوا » .

١٦٧ ـ وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] [آية ٢٤٤] .

قال أبو جعفر : وفي رواية ابن جريج : ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أنهم أربعون ألفاً ، وهذا أشْبَهُ ، لأن أُلوفاً للكثير ، وآلافاً للقليل ، وإن كان يجوز في كل واحدٍ منهما ما جاز في الآخر[2] .

وأما قول ابن زيد : ﴿ أُلُوفٌ ﴾ مؤتلفةٌ قلوبُهم ، فليس

---

(١) الأثر عن الضحاك ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣/٢٣٠ وأشار إليه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٨/١ وفي سبب الفرار قولان : أحدهما : أنهم خرجوا هاربين من الطاعون ، والثاني : أنهم فرُّوا من الجهاد . ويؤيد القول الثاني قوله تعالى ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ فقد جاءت الآية عقيها ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٣/٢٣٠ : قيل : إنهم فرُّوا من الجهاد ، لمَّا أمرهم الله به على لسان « حِزْقيل » النبي عليه السلام ، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرِّفهم أنه لا يُنجيهم من الموت شيء ، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله تعالى ﴿ وقَاتِلوا في سبيل الله ﴾ قاله الضحاك . وقيل : هم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرجوا منها هاربين ، فنزلوا وادياً فأماتهم الله تعالى ، فمرَّ بهم نبي فدعا الله فأحياهم ، وهو قول ابن عباس والحسن .

(٢) هناك اختلاف كبير بين المفسرين ، في عدد هؤلاء الألوف ، فقد قال بعضهم : كانوا ستمائة ألف ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، وقال ابن عباس : أربعين ألفاً ، وقال أبو مالك : ثلاثين ألفاً ، وقال عطاء : كانوا سبعين ألفاً ، قال القرطبي : والصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى ﴿ وهُم أُلوف ﴾ ولا يقال في عشرة فما دونها ألوف » . انتهى جامع الأحكام للقرطبي ٣/٢٣١ .
وهذا الذي رجحه القرطبي سبقه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٦/٢ والطبري في جامع البيان ٥٩٠/٢ حيثُ قال «إن الله تعالى أخبر أنهم كانوا ألوفاً ، وما دون العشرة آلاف لا يُقال لهم ألوف ، وإنما يُقال : هم آلاف » .. إلخ .

بمعروفٍ[1] .

والقياسُ في جَمْعِ أَلْفٍ : « آلُفٌ ؛ كأفلس[2] » ، إلا أنهم يُشَبِّهون فَعْلاً بِفَعَلٍ ، فيما كان في أَوَّلِهِ أَلِفٌ أَوْ وَاوٌ ، نحو وَقْتٍ وأَوْقَاتٍ .

وكذلك [الياء][3] ، نحو يومٍ وأيامٍ ، وقد قيل : آلُفٌ .

١٦٧ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً .. ﴾** [آية ٢٤٥] .

أصلُ القَرْضِ[4] ما يُفعلُ ليُجازَى عليه ، كما قال :

وَإِذَا أُجْزِيتَ قَرْضاً فَاجْـــزِهِ
إنما يَجـزِي الفَتَـى غَيْـرُ الجَمَـلْ[5]

---

(١) حكى قول ابن زيد ابن عطية ٣٤٦/٢ والقرطبي ٢٣١/٣ والطبري ٥٩٠/٢ وضعَّفه ، واختار أنه من العدد وليس من الائتلاف ، قال لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية ، ولا يُعارض بالقول الشاذ إذا ما استفاض عن الصحابة والتابعين .

(٢) أي مثل قولنا : فلسٌ وأفْلُسٌ ، قال في تهذيب اللغة : الألف من العدد معروف ، وثلاثة الآلاف إلى العشرة ، ثم ألوف جمع الجمع ، قال الله تعالى ﴿ وهم ألوف حذر الموت ﴾ . اهـ.

(٣) سقطت كلمة « الياء » من الأصل ، وأثبتناها من الهامش .

(٤) في المخطوطة « الفرض » وهو تصحيف وصوابه : « القَرْض » بالقاف لقوله ﴿ من ذا الذي يُقْرِض ﴾ .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه (١٧٩) وهو في شواهد سيبويه ص ١٣٣ كما في الديوان بلفظ :

وإذَا أُقْــرِضْتَ قَرْضاً فَاجْـــزِهِ   إنَّمـا يَجْـزِي الفَتَـى غَيْـرُ الجَمَـلِ

وانظر مجالس ثعلب ٤٤٧/٢ وخزانة الأدب ٢٩٦/٩ والمقتضب ٤١٠/٤ ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٠/١ ومراده أن القرض معناه : ما سلف من إحسان أو إساءة كما قال أمية بن الصلت : =

١٦٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾[آية ٢٤٥]

أي يُقتِّر ، ويُوسِّعُ .

وقيل : يسلُبُ قوماً ما أَنْعَمَ بِهِ عليهم ، ويوسِّعُ على آخرين .

وقيل : يَقْبِضُ الصدقاتِ ويُخْلِفها بالثواب ، أو في الدنيا[١] .

١٦٩ ــ **وقولُه عزَّ وجلَّ** : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى** .. ﴾[آية ٢٤٦] .

قال مجاهد : هم الذين قال الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾[٢] .

= كلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَناً ... أو سَيِّئاً ومَدِيناً كالَّذي دَانَا

ومعنى قول لبيد في ما استشهد به المصنف : جازِ من عَامَلَكَ بمثل ما يستحقُّ ، فإن الذي يَجْزِي بما يُعامل به من حَسَن أو قبيح ، هو الإنسان لا البهيمة ، وقال الزمخشري : الفتى : السيِّد اللبيب ، والعرب تقول للجاهل : يا جمل ، أي إنما يجزي اللبيب لا الجاهل ، يُضْرب في الحث على مجازاة الخير والشر . اهـ. خزانة الأدب ٩/٣٠١ .

(١) القول الأول هو المشهور عند المفسرين أن المراد بالقبض والبسط : التضييق والتوسعة ، أي يقتِّر على من يشاء في الرزق ، ويوسِّع على من يشاء ، وهو قول الجمهور ، وأما القولان الآخران فقد ذكرهما الزجاج في معانيه ١/٣٢١ وأشار بالقول الأخير إلى قوله تعالى ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه ﴾ .

(٢) سورة النساء آية رقم (٧٧) وقول مجاهد هذا ضعيف ، لأن المشهور أن قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفُّوا أيديكم ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ﴾ إنما نزلت في بعض الصحابة من المسلمين ، حينما استأذنوا رسول الله ﷺ في قتال المشركين وهم بمكة ، فلم يأذن لهم لأن الجهاد لم يحن وقته بعد ، وهذه الآيات في بني إسرائيل » .. إلخ . وانظر الطبري ٥/١٧٠ ومختصر ابن كثير ١/٤١٣ .

قال الضحاك : وأما قوله : ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ ﴾ فذلك حين رُفِعت التوراةُ ، واستُخرِجَ الإيمانُ[1] ، وسُلِّطَ على بني إسرائيلَ عدُوُّهُمْ ، فبعث طالوت ملكاً ، ﴿ فَقَالُوا : أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنا ﴾ ؟ لأن المُلْكَ كان في سِبْطٍ بِعَيْنِه ، لا يكون في غيره ، ولم يكن طالوتُ منه ، فلذلك وقع الإنكارُ[2] .

١٧٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ [آية ٢٤٨] .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال : حدثنا عبدالرزاق قال : أخبرنا الثوريُّ عن سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ عن أبي الأَحْوصِ عن عَلِيٍّ قال : السكينةُ : لها وجهٌ كَوَجْهِ الإنسان ، وهي بَعْدُ رِيحٌ هَفَّافَةٌ[3] .

ورَوَىٰ خالدُ بنُ عَرْعَرَةَ ، عن عليّ قال : أرسل اللهُ السكينةَ إلى إبراهيم ، وهي ريحٌ خَجُوجٌ لها رأسٌ[4] .

(١) الأثر عن الضحاك أخرجه الطبري ٥٩٨/٢ ولفظه : واستخرج أهل الإيمان ، وهذه الرواية أصحُّ وأوضح ، قال الطبري : « كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على بني إسرائيل ، فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم .. » إلخ القصة كما رواها ابن جرير الطبري .

(٢) انظر تفصيل القصة في الطبري ٥٩٨/٢ وتفسير ابن كثير ٤٣/١ والبحر المحيط ٢٥٤/٢ .

(٣) الأثر أخرجه الصبري عن علي رضي الله عنه ٦١١/٢ وابن كثير ٤٤٥/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٩٤/١ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري من رواية خالد بن عَرْعَرة عن علي٦١١/٢ ومعنى « الخَجُوج » الريح الشديدة الهبوب ، وفي رواية الطبري « ريح خَجُوج ولها رأسان » بالتثنية ، وذكره ابن كثير ٤٤٥/١ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٤/١ وقال : وفي « السكينة » سبعة أقوال ثم عدَّها ، ومعظمها ضعيف .

ورَوَىٰ الضحـاك عن ابـن عبـاس قال : السكينـةُ دابَّةٌ قدْرُ الهِرِّ ، لها عينان ، لهما شُعاعٌ ، فإذا التقى الجمعان أخرَجَتْ يَدَهَـا ، ونَظَرتْ إليهم ، فينهزِمُ الجيشُ من ذلك الرعب(١) .

وقال الضحاك : السكينةُ : الرحمةُ ، والبقيَّةُ : القتال(٢) .

ورُوِيَ عن ابـن عبــاسٍ : السكينـــة طسْتٌ من ذهبٍ من الجنة ، كانت تغسَلُ فيها قلوبُ الأنبياء(٣) .

ورَوَىٰ إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالـحٍ : ﴿ وَبَقِيَّـةٌ مِمَّـا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ قال : عَصا موسى ، وثيـــابُ هارون ، ولوحان من التوراة(٤) .

---

(١) هذا الأثر رواه ابن كثير ١/٤٤٥ عن وهب بن منبِّه ، ورواه الطبري أيضاً عنـه ٢/٦١٢ . وهـذا التفسير الغريبُ للسكينـة بأنها ريح لها رأسان ، أو رأس هرة ميتـة ، أو أنها طست من ذهب .. إلخ . من الأخبار الإسرائيلية التي لا يوثق بها ، ولا ينبغي التعويل عليها ، ولهذا نجد ابن جرير رحمه الله يُرجِّح ما رواه عطاء من أنها الطمأنينـة التـي تحلُّ في القـلب فيقـول : وأولى الأقـوال بالحق في معنـى السكينـة ، ما قالـه عطـاء بن أبي ربـاح من الشيء تسكـن إليـه النفـوس من الآيات التي تعرفونها .. إلخ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٢/٦١٥ وأما تفسير السكينة بالرحمة فقد ذكره عن الربيـع بن أنس ، ونقل عن قتادة أنه الوقار ، وكذلك حكاه ابن الجوزي عن الربيع ١/٢٩٥ .

(٣) الأثر في الطبري عن ابن عباس ٢/٦١٢ وابن الجوزي ١/٢٩٤ وابن كثير ١/٤٤٥ والدر المنثور ١/٣١٧ .

(٤) الأثر في الدر المنثور للسيوطي عن أبي صالح ١/٣١٧ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابـن أبي حاتم ، ولفظه : « كان في التابوت عصا موسى ، وعصا هارون ، وثياب موسى ، وثياب هارون ، ولوحـان من التوراة ، والمنُّ ، وكلمـة الفَـرَج « لا إلـه إلا الله الحليم الكـريم ، وسبحـان الله رب السمـوات السبع ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » » ، وهو في الطبري ٢/٦١٤ وابـن الجوزي في زاد المسير ١/٢٩٥ .

وقال أبو مالك : السكينة : طَسْتٌ من ذهب ألقى فيها موسى الألواح والتوارة وعصاهُ ، والبقية : رُضَاضَةُ[1] الألواح التي كتب فيها التوراة[2] .

وقُرىء على عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام عن أبي الأزهر عن رَوْح بن عبادة قال : حدثنا محمد بن عبدالملك عن أبيه قال : قال مجاهد : أما السكينةُ فما تعرفون من الآيات التي تَسْكُنون إليها ، قال : والبقيَّةُ العلم والتوراة[3] .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ من أحسنها وأجمعها ، لأن السكينة في اللغة فَعِيلَةٌ من السكون ، أي آيةً يسكون إليها[4] .

---

(١) قال في تاج العروس : رُضَاضُ الشيء : فُتَاتُه . اهـ.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٦١/٢ بعد أن روى تلك الآثار : « والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك ، وتأنس به وتقوى .. » إلخ . وانظر ما كتبه العلامة الشوكاني في فتح القدير ٢٦٧/١ في رده الروايات الإسرائيلية في التعليق الآتي رقم (٤) .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦١٢/٢ وعزاه إلى عطاء ، والدر المنثور ٣١٧/١ وقال أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن .

(٤) قال الشوكاني في فتح القدير ٢٦٧/١ : « وهذه التفاسير المتناقضة ، لعلَّها وصلت إلى أولئك الأعلام ، من جهة اليهود أقمأهم الله ـ أي أذلَّهم وصغَّرهم ـ فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم والتشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً ، وتارة حماراً ، وتارة شيئاً لا يعقل ، كقول مجاهد : كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر ، وجناحان وذنب مثل ذنب الهرِّ ، وهكذا كلُّ منقول عن بني إسرائيل يتناقض ، ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي ﷺ ، ولا رأياً رآه قائله ، فهم أجلُّ قدراً من التفسير بالرأي ، وبما لا مجال للاجتهاد فيه . إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسِّفة المتناقضة » انتهى . أقول : وهذا ما رجحه الإمام النحاس في هذا الموطن .

وبيَّنَ معنى ﴿ تَحْمِلُهُ المَلآئِكَةُ ﴾ أنه رُوِيَ أن جالوت وأصحابَهُ كان التابوت عندهم ، فابتلاهُم الله بالناسور ، فعلموا أنه من أجل التابوت ، فحملوه على ثور ، فساقَتْهُ الملائكة ، فهذا مثل قولهم :

حملتُ متاعي إلى موضع كذا[1] .

١٧١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ إنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴾** [آية ٢٤٨]

أي إن في رَدِّ التابوت بعد أن أخذه عدوكم ، لآيةً لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِين .

١٧٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ .. ﴾** [آية ٢٤٩] .

معناه : مختبركم ، والفائدةُ في ذلك ، أن يُعْلَم من يُقاتل ، ممن لا يقاتِل ..

قال عكرمة وقتادة : هو نَهْرٌ بين الأرْدُنِّ وفِلَسْطِيْنَ[2] .

---

(١) على هذا القول يكون معنى « تحمله الملائكة » أي تسوقه الملائكة ، وإلى هذا المعنى جنح الزجَّاج في كتابه معاني القرآن ٣٢٦/١ حيث قال : « وجائز أن يقال : « تحمله الملائكة » أي تسوقه الملائكة ، لأنها إنما كانت تسوق ما يحمله ، كما تقول : حملتُ متاعي إلى مكة : أي كنتُ سبباً لحمله إلى مكة » . اهـ. وانظر تفسير ابن الجوزي ٢٩٧/١ .

(٢) قال المفسرون : هو نهر الشريعة المشهور ، الواقع بين الأردن وفلسطين ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٤٦/١ .

وقال قتادة : كان الكفار يشربون فلا [يَرْوَوْنَ][1] وكان المسلمون يَغْتَرفون غرْفةً فَيُجزِئُهم ذلك[2] .

قال أبو جعفرٍ : الغُرْفَةُ في اللغةِ : مِلْءُ الكفِّ أو المِغْرفةُ . والغَرْفَةُ الفَعْلَةُ الواحِدَةُ[3] .

ومعنى ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّيْ ﴾ فإنه من أصحابي[4] .

وحكى سيبويه : أنتَ مني فرسخين .

٣٧٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ **فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيْلاً مِنْهُمْ ..** ﴾ [آية ٢٤٩] .

رَوَىٰ أبو إسحاق عن البراء : « كنا نتحدث أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ كانوا ثلاثَ مائةٍ وبضعةَ عَشَرَ ،

---

(١) من الهامش ، وفي الأصل : يشربون فلا يَرْوْن ، وهو خطأ وصوابه « يَرْوَوْن » كما في الطبري .

(٢) الأثر في الطبري ٦٢٠/٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣١٨/١ وروى عن ابن عباس قال : « لما انتهوا إلى النهر ، كرع منه عامة الناس فشربوا ، فلم يزد من شرب إلَّا عطشاً ، وأجزأ من اغترف غرفة بيده ، وانقطع الظمأ عنه » ورُوِيت روايات عديدة في الطبري عن السلف في هذا الموضوع .

(٣) في المصباح : الغُرْفة بالضم : الماء المغروف باليد ، والجمع غِرَاف كبُرْمة وبِرَام ، والغَرْفة بالفتح : المرة ، وغرفت الماء غرفاً واغترفته ، والمِغْرَفَة بكسر الميم : ما يُغرف به الطعام ، والجمع مغارف . اهـ. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٧٧/١ : الغَرْفة مصدر ، والغُرْفة ملءُ الكف .

(٤) قال المفسرون : أي ليس من أصحابي ولا أتباعي في هذه الحرب ، ولم يُخرجهم بذلك عن الإيمان ، ومثل هذا قول النبي ﷺ (من غشنا فليس منا) وقوله : (ليس منا من شقَّ الجيوب ولطم الخدود) وقال النابغة :

إذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً ... فإنِّي لَسْتُ منكَ وَلَسْتَ مِنِّي

على عدَّةِ أصحاب طالوتَ ، مِمَّـنْ جَازَ معـه النهر يوم جالـوت ، ومـا جاز معه إلاَّ مؤمن »[1] .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ﴾ يعنـي النهر ، ورَأَوْا كَثْـرَة أصحـاب جالـوت وقِلّتهم[2] ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوْا اللَّهِ ﴾ أي يوقنون[3] .

وقيل : يتوهمون أنهم يُقْتَلُون في هذه الوَقْعَة لِقِلَّتِهِمْ[4] .

والفِئَةُ : الفِرْقَةُ ، من فَأَوْتُ رَأْسَهُ ، وفَأَيْتُهُ[5] .

﴿ فَهَزَمُوهُمْ ﴾ أي كَسَرُوهم ورَدُّوهم ، يُقالُ : سِقَاءٌ مُهَزَّمٌ ، إذا كان مُنْثَنِياً جَافّاً .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن البراء بن عازب ٦٢١/٢ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣١٨/١ وابن كثير في تفسيره ٤٤٦/١ وأخرجه البخاري في صحيحه ٩٤/٥ ولفظه عن البراء (كنا أصحاب محمد نتحدث أن عدّة أصحاب بدر ، على عدَّة أصحاب طالوت ، الذين جاوزوا معه النهر ، ولم يُجاوز معه إلّا مؤمن ، بضعة عشر وثلاثمائة) .

(٢) معطوفة على « كثرة » والمعنى : لمَّا رأوا كثرة عدوِّهم ، ورأوا قلّة عددهم أمام الأعداء خافوا وهابوا .

(٣) و(٤) الظنُّ هنا بمعنى اليقين أي قال الذين يوقنون بلقاء الله ، ولو شكُّوا بلقائه لكفروا ، وهذا كثير في القرآن ، ومنه قوله تعالى ﴿ إنّي ظننت أني ملاق حسابِيَهْ ﴾ وقوله ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ وكذلك حكى الزجاج في معانيه ٣٢٧/١ . قال : ولو كانوا شاكّين لكانوا ضُلَّالاً كافرين ، وظننت في اللغة بمعنى أيقنت موجود . وقيل : معنى ﴿ يَظُنُّون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ أي أنهم كانوا يتوهمون أنهم في هذه الموقعة يُقْتلون لقلَّة عددهم وهو ضعيف .

(٥) في اللسان : الفِئة : الفرقة من الناس ، من فأَوتُ أي فرَّقت وشققت ، وحُكي : فأوت فأْواً وفأْياً ، وفي تهذيب اللغة : الفِئة : الفرقة من الناس ، من فأيت رأسه أي شققته ، وهو في الأُصل : فِئوة بوزن فعلة فنَقص . اهـ.

١٧٤ ــ وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [آية ٢٥١] .

رَوَىٰ ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال : يقول : لولا دَفْعُ اللهِ بالمؤمنينَ الفجَّارَ ، ودَفْعِهِ بِتَقِيَّةِ أخلاقِ الناسِ بعضَهم ببعضٍ ، لفسدت الأرضُ بهلاكِ أهلها[1] .

قال أبو جعفر : وهذا الذي عليه أكثرُ أهل التفسير . أي : لولا أنَّ الله يدفع بمن يُصَلِّي عَن مَنْ لا يُصَلِّي ، وبمن يَتَّقِي عن مَنْ لا يتَّقي ، لأُهْلِكَ الناسُ بذنوبهم[2] .

وقيل : « لولا أن اللَّهَ أمرَ بحربِ الكُفَّار ، لَعَمَّ الكُفْرُ ،

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٦٣٣/٢ . ورواية المصنف أخرجها عبد بن حميد بهذه الصيغة كما في الدر المنثور ٣٢٠/١ .

(٢) هذا القول ذكره ابن عطية في المحرر ٣٧٢/٢ عن مكي ، وردَّه حيث قال : وليس هذا معنى الآية ، ولا هي منه في وَرَد ولا صدر ، والحديث الذي رواه ابن عمر صحيح ، وما ذكره مكي من احتجاج ابن عمر بالآية لا يصحُّ عندي ، لأن ابن عمر من الفصحاء » .

أقول : أراد ابن عطية بما رُوي عن ابن عمر قوله ﷺ (إن الله ليدفع بالمسلم الصالح ، عن مائة من أهل بيته وجيرانه البلاء) ثم قرأ ابن عمر ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ ومراد ابن عطية ، أن كون الحديث من رواية عبد الله بن عمر صحيح ، وأما احتجاجه بالآية ، فليس بصحيح عنده ، لأن ابن عمر من الفصحاء ، الذين لا يقولون بمثل ذلك التفسير ، الذي لا يتلاءم مع سياق الآية ، لأن الآية الكريمة وردت في بيان رحمة الله بالعباد ، بدفع شر الظلمة ، والكفرة ، والفجرة ، عن الناس ، بما يُسَلِّط به بعضهم على بعض ، فيدفع بجهاد الأخيار شرَّ الأشرار ، ولولا ذلك لكان الخراب والدمار . وحديث ابن عمر ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٤٧/١ وقال : هذا إسناد ضعيف .

فأهلكَ جميعَ الناس »[1] .

وذا راجعٌ إلى الأول .

وقيل : لولا أن الله أمر بحرب الكفار ، لكان إفسادهم على المسلمين أكثر[2] .

ويُقْرأُ : ﴿ وَلَوْلَاْ دِفَاعْ اللَّهِ ﴾[3] .

حكى أبو حاتمٍ[4] أن العرب تقول : أحسنَ اللهُ عنكَ الدِّفاعَ والْمُدَافَعَة[5] . مِثْلُ : نَاوَلْتُكَ الشيءَ .

١٧٥ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٢٥٣] .

---

(١) هذا قول مروي عن قتادة ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١/٣٠٠ .

(٢) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ١/٣٢٩ حيث قال : لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين ﴿ لفسدت الأرض ﴾ أي كثر الكفر ، فنزلت بالناس السَّخطة ، واستؤصل أهل الأرض . وقال الزمخشري : أي لولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ، ويكف بهم فسادهم ، لغلب المفسدون ، وفسدت الأرض ، وبطلت منافعها ، وتعطلت مصالحها ، من الحرث ، والنسل ، وسائر ما يعمر الأرض » قال أبو حيان : وهو كلام حسن .

(٣) هذه قراءة نافع ، وقرأ عاصم ، وابن عمر ، وحمزة ، والكسائيُّ ﴿ ولَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ ﴾ بغير ألف ، وانظر السبعة لابن مجاهد (١٨٧) والنشر لابن الجوزي ١/٢٣٢ .

(٤) أبو حاتم : هو « سهل بن محمد بن عثمان السِّجِسْتاني » نحوي ، لغوي ، مقرئ ، أخذ عنه المبرد وابن دريد ، توفي سنة ٢٥٥هـ وانظر ترجمته في سير النبلاء ١٢/٢٦٨ . وإنباه الرواة ٢/٥٩ والوافي ١٤/٥ .

(٥) في المصباح : دَفَعْتُه دَفْعاً : نحَّيته فاندفع ، ودفعتُ عنه الأذى ودافعت عنه ، مثل حاججت . اهـ .

قال مجاهد : يقول : كلّمَ موسَىٰ[1] .

١٧٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** .. ﴾ [آية ٢٥٣] .

قال مجاهد : أرسل محمداً صلى الله عليه وسلَّم إلى الناس كافَّة[2] .

١٧٧ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وآتَيْنَا عِيسَىٰ بن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ** .. ﴾ [آية ٢٥٣] .

---

(١) يريد أنه كلَّمه مشافهة ، بغير واسطة ملك ، كما قال سبحانه ﴿ وكلم موسى تكليماً ﴾ وهذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٣/١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٢/١ وعزاه إلى أبي حاتم وعبد ابن حميد ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد قال : كلَّم الله موسى ، وأرسل محمداً إلى الناس كافة .

(٢) الأثر في الطبري ٣/١ والدر المنثور ٣٢٢/١ وزاد المسير ٣٠١/١ قال ابن عطية : والآية نصٌّ في التفضيل ، فقد رفع الله مكانة محمد ﷺ ، فبعثه إلى الناس كافة ، وختم به النبوات ، وهو أعظم الناس أمة ، وأُعطي الخمس التي لم يعطها أحد قبله . وقال الزجاج في معانيه ٣٣٠/١ : « جاء في التفسير أنه يُعْنى به محمد ﷺ ، أُرسل إلى الناس كافة ، وليس شيء من الآيات التي أُعطيها الأنبياء إلّا والذي أُعطي محمد ﷺ أكثر منه ، لأنه ﷺ كلَّمته الشجرة ، وأطعم من كفِّ التمر خَلْقاً كثيراً ، وأَمَرَّ يده على شاة أمِّ معبد ، فدرَّت وحلبت بعد جفاف ، ومنها انشقاق القمر ، والإسراء فإنه رأى الآيات في الأرض ، ورآها في السماء ، ومن أعظم الآيات القرآن ، الذي أتى به العرب ، وهم أعلم قوم بالكلام ، لهم الأشعار ، ولهم السَّجع والخطابة ، وكلُّ ذلك معروف في كلامها ، فقيل لهم : ائتوا بعشر سور فعجزوا عن ذلك ، وقيل لهم : ائتوا بسورة ، ولم يشترط عليهم فيها أن تكون كالبقرة وآل عمران ، وإنما قيل : ائتوا بسورة فعجزوا عن ذلك ، وقد ذكرنا جملة من الآيات ، لنبيِّن بها فضل النبي ﷺ فيما أتى به من الآيات ، فهذا معنى قوله تعالى ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ . اهـ. وانظر ما كتبه جار الله في الكشاف حول هذه الآية ١٥١/١ فقد أجاد وأفاد .

أي الحُجَجَ الواضحة[1] .

﴿ وَأَيَّدْنَاهُ ﴾ [أي قَوَّيْنَاهُ][2] ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ .

قال الضحاك : جبريل صلى الله عليه وسلم[3] .

١٧٨ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ .. ﴾** [آية ٢٥٣] .

فيه قولانِ :

أحدُهما : أنَّ المعنى لو شاء اللهُ ما أُمَرَنا بالقتالِ بعد وضوحِ الحُجَّةِ ، وإظهار البراهين[4] .

---

(١) المراد بالبيِّنات : المعجزات الواضحات الساطعات التي تدل على صدق نبوة عيسى عليه السلام ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأعمى ، والأبرص ، والإخبار عن المغيبات ، ونفخ الروح في الطين فتصبح طيراً بإذن الله ، ونزول المائدة من السماء .. إلى غير ما هنالك من معجزات .

(٢) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش ، قال الطبري ﴿ وأيّدناه ﴾ أي قوّيناه وأعنّاه بروح القدس . اهـ .

(٣) « روح القدس » هو جبريل عليه السلام ، في أصح الأقوال ويؤيده قوله تعالى ﴿ قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ﴾ وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت : « اهجهم وروح القدس معك » والأثر عن مجاهد ذكره الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، ومعنى « القدس » الطهارة . وانظر تفسير ابن عطية ٣٨٦/١ .

(٤) حكاه الزجاج في معانيه ٣٣١/١ وهو قول مرجوح لأنه خلاف الظاهر ، والأظهر أن المعنى : لو شاء الله ما اقتتل الذين جاءوا بعد الرسل ، من بعد الحجج الباهرة ، والبراهين الساطعة ، التي جاءتهم بها الرسل .. إلخ . وهو قول جمهور المفسرين وانظر الطبري ٢/٣ .

وقيل : لو شاء الله أنْ يَضْطَرَّهُم إلى الإيمان لفعل[1] ، كما قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[2] .

١٧٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ .. ﴾[3] [آية ٢٥٤] .

قوله ﴿ أَنْفِقُوا ﴾ تصدَّقوا[4] ، والخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ[5] .

١٨٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ لَاْ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آية ٢٥٥] .

أي لا إله للخلقِ إلاَّ هو[6] .

﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ أي القائمُ بخلقِه ، المُدَبِّرُ لهم .

ورُوي عن ابن عباس : ﴿ القَيُّومُ ﴾ الذي لايزولُ[7] .

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه ٣٣٢/١ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (٣٥) .

(٣) سقط ذكر الآية من المخطوطة وأثبتناها ، لأن المصنف فسَّر بعض ألفاظها .

(٤) قال ابن الجوزي ٣٠١/١ : هذه الآية تحثُّ على الصَّدقات ، والإنفاق في وجوه الطاعات ، وقال الحسن : أراد الزكاة المفروضة . قال في البحر ٢٧٥/٢ : والأكثرون أن الآية عامة في كل صدقة واجبة ، أو تطوُّع . اهـ. كذلك قال ابن عطية ٣٧٧/٢ : والظاهر أن المراد بها جميع وجوه البر .

(٥) قال علماء اللغة : الخُلَّةُ : الصَّدَاقة ، والمودَّة ، سميت بذلك لأنها تتخلَّل الأعضاء أي تدخل خلالها ، ومنه الخليل .

(٦) معنى الإله : المعبود . والمعنى : لا معبود بحقٍّ إلا الله الواحد الأحد ، وتقييده بحقٍّ لأن هناك من عُبِد الباطل .

(٧) الأثر في القرطبي عن ابن عباس ٢٧١/٣ قال : قال ابن عباس معناه الذي لا يحول ولا يزول ، وهو قول أبي عبيدة في معانيه ٧٨/١ .

وقرأ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه : ﴿ القَيَّامُ ﴾[1] .

وقرأ علقمة : ﴿ « الحَيَّ » القيِّمُ ﴾[2] .

قال ابن كيسان[3] : القَيُّومُ « فَيْعُولٌ » من القيام ، وليس بفَعُّوْلٍ ، لأنه ليس في الكلام فَعُّوْلٌ من ذوات الواو .

ولو كان ذلك لَقِيْلَ : قَوُّوْمٌ[4] .

والقَيَّامُ « فَيْعَالٌ » أصلُه القَيْوَامُ .

وأصلُ القَيُّومِ القَيْوُوْمُ . وأصلُ القَيِّمِ في قول البصريين

(١) و(٢) نسب البخاري في صحيحه هذه القراءة إلى عمر ٩/٦٢ ولفظه قال مجاهد : القيوم : القائم على كل شيء ، وقرأ عمر « القيَّام » وكلاهما مدح . اهـ. وذكرها ابن الجوزي ١/٣٠٢ ولفظه : وفي القيُّوم ثلاث لغات : « القيوم » وبه قرأ الجمهور ، و « القيَّام » وبه قرأ عمرو بن مسعود ، و « القيِّم » وبه قرأ أبو رزين وعلقمة . اهـ. وذكرها أيضاً ابن كثير ١/٤٥٥ وقد عدَّهما ابن جني في المحتسب ١/١٥١ من القراءات الشاذة .

(٣) « ابن كيسان » هو الإمام أبو الحسن محمد بن أحمد الكيساني النحوي ، من أئمة علماء العربية ، أخذ عن المبرِّد وثعلب توفي سنة ٢٩٩هـ . وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/٢٣٢ .

(٤) قال الزجاج « القيُّوم » و « القَيَّام » في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى : القائم بتدبير أمر خلقه ، في إنشائهم ، ورزقهم ، وعلمه بأمكنتهم ، وقال الفراء : صورة « القيُّوم » الفيعول ، وصيغة « القيَّام » الفَيْعال ، وهما جميعاً مدح ، وأهل الحجاز يقولون للصوَّاغ صَيَّاغ . اهـ. لسان العرب . وقال الطبري ٣/٥ : « القيُّوم » فيعول من القيام ، وأصله القيووم ، سَبَق عين الفعل ـ وهي واو ـ ياء ساكنة ، فاندغمتا ، فصارتا ياء مشددة ، وكذلك تفعل العرب في كل واو سبقتها ياء ساكنة ، ومعنى القيُّوم : القائم برزق ما خلق وحفظه كما قال أمية « قَدَّرُهُ المُهَيْمِنُ القيُّوم » . اهـ. وانظر زاد المسير ١/٣٠٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢/٣٨٠ .

القَيْوِمُ[1]

وقال الكوفيون : الأصلُ القَوِيم[2] .

قال ابن كيسان : ولــو كان كذا في الأصلِ ، لم يجز فيــه التغيير ، كما لا يجوز في « طويل » و « سويق » .

١٨١ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ .. ﴾ [آية ٢٥٥] .

قال الحسن وقتادة : نَعْسَةٌ[3] .

وأنشد أهلُ اللغة :

وَسْنَــانُ أَقْصَدَهُ النُّعَــاسُ فَرَنَّــقَتْ
فِي عَيْنِـهِ سِنَـــةٌ وَلَــيْسَ بِنائِــمِ[4]

والمعنىٰ : لا يفضُل عن تدبير أمر الخلق[5] .

(١) قال في اللسان : قال سيبويه : « قيِّم » وزنه فَيْعل ، وأصله قَيْوِم ، فلما اجتمعت الياء والواو ، والسَّابق ساكن ، أبدلوا من الواو ياء ، وأدغموا فيها الياء ، فصارتا ياء مشددة ، ومثله : سيِّد ، وجيِّد ، وهيِّن . اهـ.

(٢) هذا قول الفراء كما في لسان العرب ، وأصله : قويم مثل سيد سويد ، وجيد جويد ، بوزن ظريف ، وكريم ، وقد ردَّ هذا القول ابن كيسان ، واختار قول سيبويه .

(٣) السِّنة بكسر السين : الغمضة الخفيفة التي تسبق النوم ، والأثر ذكره الطبري ٧/٣ .

(٤) البيت لعدي بن الرِّقاع كما في اللسان وهو شاعر إسلامي ، ومعنى « وسنان » أي نعسان « أقصده النعاس » أي رماه بسهم « فَرَنَّقَتْ » أي خالطت عينيه غمضة من النوم ، يصف فيه الشاعر امرأة بفتور النظر ، ويُشبهها بظبي أخذه النعاس ، فجعل يخالط عينيه ، وليس بنائم ، وهو في الطبري ٦/٣ وابن الجوزي ٣٠٣/١ وتفسير ابن عطية ٣٨١/٢ .

(٥) هذا تأويل الزجاج في معانيه ٣٣٣/١ وفي البحر ٢٧٧/٢ أقول : ويؤيده ما ورد في الصحيح (إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القِسْطَ ويرفعه ، يُرْفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل ..) الحديث وانظر ابن كثير ٤٥٥/١ .

ثم قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإذْنِهِ .. ﴾ [آية ٢٥٥] .

لمَّا قالوا : الأصنام شفعاؤُنا عند الله(١) .

فأعلم اللهُ أن المؤمنين إنما يُصَلُّون على الأنبياء ، ويَدْعون للمؤمنين ، كما أُمِروا وأُذِنَ لهم(٢) .

١٨٢ ـ ثم قال تعالى : ﴿ يَعْلَم مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ما تَقدَّمهم من الغيب ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ مايكون بعدهم .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنَ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [آية ٢٥٥].

لا يعلمون من ذلك شيئاً إلا ما أراد أن يطلعهم عليه ، أو يُبلِّغه أنبياؤُه تثبيتاً لنبوتهم(٣) .

---

(١) مراد المصنف أن الآية ردٌّ على المشركين حين زعموا أن الأصنام التي عبدوها تشفع لهم يوم القيامة ، ومعنى الآية : لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد ، إلا إذا أذن له الله تعالى له قال ابن كثير ٤٥٦/١ : وهذا بيان لعظمته وجلاله وكبريائه ، بحيث لا يتجاسر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله . اهـ. وانظر البحر المحيط ٢٧٨/٢ ففيه كلام نفيس .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٣٤/١ فقد نقل عنه المصنف بإيجاز ، وكلام الزجَّاج أظهر وأوضح .

(٣) عبارة الزجاج في معانيه ٣٣٤/١ : « لا يعلمون الغيب ، لا مما تقدَّمهم ، ولا مما يكون من بعدهم ، إلا بما أنبأ به ، ليكون دليلاً على تثبيت نبوتهم » وقال القرطبي ٢٧٦/٣ : « العلم هنا بمعنى المعلوم ، أي ولا يحيطون بشيء من معلوماته ، وهذا كقول الخضر لموسى : « ما نقص علمي وعلمك من علم الله ، إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر » وانظر المحرر الوجيز ٣٨٤/٢ .

١٨٣ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ .. ﴾ [آية ٢٥٥] .

وحكى يعقوب الحَضْرَمِيُّ : وُسْعُ كُرْسِيِّهِ السَّمَواتُ والأرضُ ، ابتداءٌ وخبر(١) .

ورَوَى سفيان وهُشَيْمٌ عن مُطَرِّف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جُبَيْرٍ عن ابن عباس في قوله :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَواتِ والأَرْضَ .. ﴾ [آية ٢٥٥] .

قال : علمه(٢) ، ألا ترى إلى قوله ﴿ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ ؟!

وقد استُشْهِدَ لهذا القول ببيت لا يُعْرف ، وهو : « ولا يُكَرْسِئُ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقُ »(٣) .

---

(١) هذه ليست قراءة ، وإنما هي وجه من وجوه اللغة تحتمله الآية ، فيكون لفظ « وُسْع » على أنه مصدر مرفوع بالابتداء وخبرُه السموات والأرض ، ويُستأنس له بحديث « ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة » أخرجه ابن جرير والسيوطي في الدر ٣٢٨/١ ، فإذا كان هذا شأن الكرسي ، أنه أحاط بالسموات والأرضين ، فكيف بالعرش العظيم ، الذي أحاط بالكرسي ، وبالسموات السبع ؟!

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ٩/٣ ورجَّحه ، وقال : « أصل الكرسي العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم : كُرَّاسة ، ومنه يقال للعلماء « الكراسي » لأنهم المعتمد عليهم كما يُقال : أوتاد الأرض . وحكاه ابن كثير ٤٥٧/١ وابن الجوزي كذلك ٣٠٤/١ وفي الدر ٣٢٧/١ .

(٣) هذا شطر بيت لا يُعرف قائله ، وقد ذكره أبو حيان في البحر ٢٨٠/٢ ولم يعزه لأحد من الشعراء ، وروايته كما في البحر : =

أي لا يعلم علمَ اللهِ مخلوق ، وهو أيضاً لَحْنٌ ، لأن الكرسيَّ غيرُ مهموزٍ[1] .

وقيل : ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ قدرتُهُ التي يمسك بها السمواتِ والأرض[2] ، كما تقول : اجعل لهذا الحائط كُرسياً ، أي ما **يَعْمِدُهُ** . وهذا قريب من قول ابن عباس .

وقال أبو هريرة : الكرسيُّ بين يدي العرش .

وفي الحديث : « ما السَّمواتُ والأرضُ في جَوْفِ الكرسِي إلا كَحَلَقَةٍ في أرض فلاة »[3] .

واللهُ جلَّ وعزَّ أعلمُ بما أراد ، غير أن الكرسيَّ في اللغة الشيء

= مَا لِي بِأَمْرِكَ كُرْسِيٌّ أُكَاتِمُهُ ... وَلَا بِكُرْسِيِّ عِلْمِ اللهِ مَخْلُوقُ

وقد ذكره المصنف بلفظ « يُكَرْسِئ » أي يعلم ، وأوضَحَ خطأه من حيث اللغة ، وقال : إنه لحن .

(١) إنما كان لحناً لأن الكرسيَّ ليس مهموزاً ، ويكرسئ مهموز ، قال في الصحاح مادة كَرَسَ : والكرسيُّ واحد الكراسي ، وربما قالوا كِرْسي ، بكسر الكاف . اهـ . ولم يرد في قواميس اللغة أن الكرسيَّ مأخوذ من كَرْسَأ ، لذلك كان لحناً وخطأً ، وانظر تاج العروس ٢٣٢/٤ .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر بصيغة التضعيف « وقيل » وذكره القرطبي ٢٧٧/٣ والشوكاني في فتح القدير ٢٧٢/١ وهو قول ضعيف لأنه على هذا القول مجاز ، والأصل في اللفظ الحقيقة ، وهو ما ذهب إليه الأكثرون .

(٣) الحديث أخرجه ابن جرير ١٠/٣ وأبو الشيخ في العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، كما في الدر المنثور ٣٢٨/١ عن أبي ذرٍّ أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ما السموات السبع عند الكرسي ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإنَّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفَلاة في تلك الحلقة » . اهـ. وانظر ابن كثير ٤٥٨/١ والشوكاني ٢٧٣/١ .

الذي يُعتَمَدُ عليه ، وقد ثبتَ ولَزِمَ بعضه بعضاً ، ومنه الكُرَّاسَةُ ، والكِرْسُ : ما تلبَّدَ بعضه على بعضٍ .

وقال الحسن : الكرسيُّ : هو العرشُ[1] .

ومال محمد بن جرير إلى قول ابن عباس ، وزعم أنه يَدُلُّ على صحته ظاهر القرآن ، وذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾[2] .

وقال جَلَّ وعزَّ إخباراً : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمَاً ﴾[3] .

فأخبر أن علمه وسعَ كلَّ شيء ، وكذا وسع كرسيُّه السمواتِ

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٣/١٠ عن الحسن البصري ، وابن كثير ٤٥٨/١ ثم قال : « والصحيح أن الكرسيَّ غير العرش ، والعرش أكبر منه ، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار ، وقال : وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك ، وعندي في صحته نظر ، والله أعلم . اهـ.

(٢) ما رجحه ابن جرير رده أهل التحقيق ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٨٢/٢ « إن المراد بالكرسي حقيقته ، والذي تقتضيه الأحاديث ، أن الكرسي مخلوق عظيم ، وبَيْنَ يدي العرش ، والعرش أعظم منه » وقال الأزهري : « والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الذهبي بسنده عنه أنه قال : الكرسي موضع القدمين ، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدرُه ، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها ، ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل » . اهـ. من تاج العروس ٢٣٢/٤ وكذلك قال في البحر ٢٧٩/٢ : « والكرسي جسم عظيم يسع السموات والأرض » وانظر ما كتبه الإمام الشوكاني في فتح القدير ٢٧٢/١ فقد أجاد وأفاد .

(٣) سورة غافر آية رقم (٧) والشاهد فيها أنها تؤيد ما قاله ابن عباس ان الكرسي : العلم ﴿ وسع كرسيه ﴾ وهناك قال ﴿ وَسِعْتَ كل شيء رحمة وعلماً ﴾ وهذا القول مرجوح ، والراجح ما قاله ابن عطية ، وابن كثير ، والشوكاني .

والأرض .!!

والضميرُ الذي في ﴿ حِفْظُهُمَا ﴾ للسَّمواتِ والأرض[1] .

١٨٤ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلاَ يَؤُودُه حِفْظُهُمَا .. ﴾ [آية ٢٥٥] .

قال الحسن وقتادة : لا يُثْقِل عليه[2] .

قال أبو إسحاق[3] : فجائزٌ أن تكون الهاءُ للَّهِ جلَّ وعز ، وجائِزٌ أن تكون للكرسيِّ ، وإذا كانت للكرسيِّ ، هو من أمرِ اللَّهِ .

١٨٥ ــ وقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. ﴾ [آية ٢٥٦] .

حدثنا أحمد بن محمد بن سلمة يعني الطحاوي قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال : حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ، قال : كانت المرأةُ من الأنصارِ لا يكاد يعيشُ لها ولد ، فتحلِفُ لئن عاشَ ولد لَتُهَوِّدَنَّهُ ، فلما أُجلِيَتْ « بنو النَّضِيرِ » إذا فيهم ناسٌ من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار : يارسول الله أبناؤنا ،

(١) أي لا يُثقله حفظ السموات والأرض ، فالضمير يعود إليهما .

(٢) قال في المصباح : آدَه يَئُوده ، أوْداً : أثقله ، وانآد وزان انفعل : أي ثقل به . اهـ.

(٣) انظر معاني الزجاج ٣٣٥/١ وعلى الاحتمال الثاني يكون المعنى : ولا يثقل على الكرسي حفظ السموات والأرض ، وأسند الحفظ إليه لأنه من خلق الله وأمره ، وهذا القول خلاف الظاهر ، وفيه بُعد ، قال في البحر ٢٨٠/٢ : والهاء تعود على الله تعالى ، وقيل : تعود على الكرسي ، والظاهر الأول لتكون الضمائر متناسبة لواحد ولا تختلف ، ولبعد نسبة الحفظ إلى الكرسي » . اهـ.

فأنزل الله : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[1] .

قال سعيد بن جبير : فمن شاء لحق بهم ، ومن شاء دخل الإسلام[2] .

قال أبو جعفر : أي وأقام[3] .

(١) ذكره الطبري عن ابن عباس ١٤/٣ وابن كثير ٤٥٩/١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٩/١ وعزاه إلى أبي داود ، والنسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
قال الشوكاني في فتح القدير ٢٧٥/١ : اختلف أهل العلم في قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ على أقوال :
الأول : أنها منسوخة ، لأن رسول الله ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ، والناسخ ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾ وإليه ذهب أكثر المفسرين .
الثاني : أنها ليست بمنسوخة ، وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة ، وأنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية ، وإلى هذا ذهب الشعبي والحسن وقتادة .
الثالث : أنها نزلت في الأنصار خاصة ، وذلك أن المرأة من الأنصار تكون مقلاة ـــ لا يكاد يعيش لها ولد ـــ وذكر الرواية .
الرابع : قال ابن كثير : أي لا تُكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بيِّنٌ واضح جلي ، دلائله وبراهينه لا تحتاج أن يُكره أحد على الدخول فيه . وذكر أقوالاً أخرى .. إلخ . ورجَّح أنها ليست على العموم ، وكذلك قال ابن جرير ١٧/٣ : وأولى الأقوال بالصواب ، قول من قال : نزلت هذه الآية في خاصٍّ من الناس ، وهم أهل الكتابين والمجوس ، وكلُّ من أخذت الجزية منه ، بقوله تعالى ﴿ حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ وانظر ما قاله ابن عطية في تفسيره ٣٨٩/٢ حول هذه الآية .

(٢) أي من شاء من الأبناء ، لَحِقَ ببني النَّضير ، ومن شاء دخل الإسلام وأقام في بلده دون جلاء ، وانظر جامع البيان ١٤/٣ .

(٣) أي يبقى في المدينة ، دون أن يُجلى إلى خيبر ، وإنما أجلى النبي بني النضير لأنهم نقضوا العهد .

وقال الشعبي : [هي][1] في أهل الكتاب خاصة ، لا يُكْرهون إذا أدُّوا الجزية[2] .

وقال سليمان بن موسى : نَسَخها ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾[3] وتأوَّلها عمر على أنه لا يُكرهُ المملوكُ على الإسلام .

وقيل : لا يُقال لمنْ أسلَمَ من أهل الحرب : أسلمْتَ مُكْرَهاً ، لأنه إذا ثبتَ على الإسلام ، فليس بمكره[4] .

١٨٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ** .. ﴾ [آية ٢٥٦] .

رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال : الطاغوتُ : الشيطانُ[5] ، والجِبْتُ : السِّحْرُ .

وقال الشعبي ، وعكرمةُ ، والضحَّاكُ : الطاغُوتُ : الشيطان[6] .

وقال الحسن : الطاغوت : الشياطين[7] .

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتناها من الهامش .

(٢) هذا الأثر حكاه الشوكاني ٢٧٥/١ والقرطبي ٢٨٠/٣ ورجحه الطبري .

(٣) انظر الأثر في القرطبي ٢٨٠/٣ وفتح القدير للشوكاني ٢٧٥/١ .

(٤) انظر الشوكاني ٢٧٥/١ والقرطبي ٢٨١/٣ والبحر المحيط ٢٨١/٢ .

(٥) و(٦) و (٧) الآثار في الطبري ١٨/٣ وابن الجوزي ٣٠٦/١ وابن عطية ٣٩٢/٢ والفرقُ بين هذه الأقوال أن من السلف من جعل الطاغوت مفرداً فقال « الشيطان » ومنهم من جعله جمعاً فقال : الطاغوت « الشياطين » قال ابن عطية ٣٩١/٢ : « الطاغوت بناء مبالغة ، من طَغَى يَطْغى ، إذا جاوز الحد ، ومذهب سيبويه أنه اسم مذكر مفرد ، كأنه اسم جنس ، يقع على الكثير والقليل ، ويوصف به الواحد والجمع ، وكل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت » . اهـ

وحدثنا سَعيدُ بنُ موسى بقرقيسيا[1] قال : حدثنا محمد بن مالك عن يزيد عن محمد بن سلمة عن خصيف قال : الجِبْتُ : الكاهن[2] ، والطاغوت : الشيطان .

وقال الشعبيُّ وعكرمة والضحاك : الطاغوتُ : الشيطان .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾[3] : هو « كعبُ بنُ الأشرفِ[4] » .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، وأصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان ، يؤدِّي عن معناه من غير اشتقاق ، كما قيل : الَّلآل[5] من اللؤلؤ .

قال سيبويه : وأما الطاغوت فهو اسمٌ واحدٌ مؤنثٌ ، يقع

(١) قال في معجم البلدان ٣٢٨/٤ : بلد على نهر الخابور ، عند مصب الخابور في الفرات ـــ قرب العراق ـــ أنفذَ لها سعد بن أبي وقاص جيشاً وهو بالمدائن سنة ١٦هـ برِئاسة «عمرو بن مالك» فنزلوا على حكمه ، وفيهم يقول :

وَسِرْنَا عَلَى عَمْدٍ نُرِيدُ مَدِينَةً ... بِقَرْقِيسْيَا سَيْرَ الكُمَاةِ المَسَاعِرِ

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالجِبْتِ والطاغوت ﴾ من سورة النساء ، وقد اختلف المفسرون في معنى الطاغوت ، فقيل : هو الشيطان ، وقيل : هو الساحر ، وقيل : هو الكاهن ، وقيل : ما عُبد من دون الله .. إلخ . قال الجوهري : الطاغوت : الكاهن والشيطان ، وكل رأس في الضلال ، وقد يكون واحداً ، قال تعالى ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ وقد يكون جمعاً قال تعالى ﴿ أولياؤهم الطاغوت ﴾ والجمع الطواغيت . اهـ. الصحاح .

(٣) الآية من سورة النساء رقم (٦٠) والأثر في الطبري ١٤٠/٥ .

(٤) كعب بن الأشرف من رؤساء اليهود المنافقين ، وهو الذي سماه الله عز وجل في الآية بالطاغوت .

(٥) الَّلآل : بائع اللؤلؤ ، وكتب في المخطوطة : « لأأل » وصوابه ما أثبته كما في المعجم الوسيط ٨١٦/٢ .

على الجمع[1] .

فعلى قول سيبويه إذا جُمِعَ فعلُه ذُهِبَ به إلى الشياطين ، وإذا وُحِّدَ ذُهِبَ به إلى الشيطان[2] .

قال أبو جعفر : ومن حَسَنِ ما قيل في الطاغوت : أنَّه مَنْ طَغَىٰ على الله ، وأصله « طَغَوُوتٌ » مثلُ جَبَرُوتِ . من طغى ، إذا تجاوز حدَّهُ ، ثم تقلبُ اللام فتُجعل عَيْناً وتُقلب العَيْنُ فتُجعلُ لاماً ، كجَبَذَ ، وجذَبَ ، ثم تُقلبُ الواو ألفاً لتحرُّكها وتحرُّكِ ما قبلها ، فتقول : طاغوت[3] .

والمعنى : فمن يجحدْ رُبُوبيَّة كلِّ معبودٍ من دونِ الله ، ويُصَدِّق بالله[4] .

---

(١) في المخطوطة : يقع على الجميع وهو تصحيف ، وصوابه يقع على الجمع .

(٢) قال في تاج العروس ٢٢٥/١٠ : الطاغوت : الشيطان ، وكل رأس ضلال ، ومن الأصنام كلُّ ما عُبد من دون الله ، يكون للواحد ، والجمع ، ويُذكَّر ، ويؤنَّث ، وشاهد الجمع ﴿ أولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم ﴾ وشاهد التأنيث ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ . اهـ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٣٣٧/١ : الطاغوت واحد في معنى جماعة ، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة . قال الشاعر :

بها جِيَفُ الحَسْرَى ، فأمَّا عِظَامُهَا فبِيضٌ ، وأمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

جلدها : في معنى جلودها . اهـ .

انظر القاموس المحيط مادة « طغى » وتهذيب اللغة ، ولسان العرب ، وجامع البيان للطبري ١٩/٣ .

(٤) هكذا فسَّره الطبري في جامع البيان ١٩/٣ وبنحوه قال ابن كثير والشوكاني .

وأصلُ الجِبْتِ في اللغة : الذي لاخيرَ فيه[1] .

وقال قطرب : أصله الجبسُ[2] ، وهو الثقيلُ الذي لا خير فيه .

وقال أبو عبيدة : الجبتُ والطاغوتُ كلُّ ما عُبِدَ من دون الله[3] .

قال أبو جعفر : وهذا غير خارج مما قلنا ، وخالف « محمد بن يزيد »[4] سيبويه في قوله : هو اسمٌ واحدٌ ، فقال : الصوابُ عندي أنه جماعةٌ .

---

(١) في القاموس : الجِبْتُ بالكسر : الصَّنم ، والكاهن ، والساحر ، والذي لا خير فيه ، وكل ما عبد من دون الله . اهـ . وفي الصحاح : الجبتُ : كلمة تقع على الصنم ، والكافر ، والساحر ، وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذَوْلَقِيّ . اهـ.

أقول : الحروف الذُّولقية كما في القاموس هي : اللام والراء والنون ، وقوله « ليس من محض العربية » فيه نظر ، فإن كل ما في القرآن ــ على أصح الأقوال ــ عربي فصيح ، لقوله تعالى ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ .

(٢) في المعجم الوسيط ١٠٥/١ : الجِبْسُ : حجارة تحرق وتطحن وهو من مواد البناء ، والجامد الثقيل الروح ، واللئيم ، والغبي ، والمتبختر . اهـ. وكذلك قال في اللسان .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٩/١ ولفظه : كلُّ معبود من حجر ، أو مدر ، أو صورة شيطان ، فهو جبت وطاغوت .

(٤) هو الإمام المبرد وقد تقدمت ترجمته ، وقول المبرد : إن لفظ الطاغوت جمع ردَّه ابن عطية ٣٩٢/٢ فقال : وقال المبرِّد : هو جمع ، وذلك مردود ، ونقل ابن الجوزي في تفسيره ٣٠٦/١ عن ابن قتيبة أن الطاغوت واحد ، وجمع ، ومذكر ، ومؤنث ، واستدل بقوله تعالى ﴿ أولياؤهم الطاغوت ﴾ وقوله ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ وقد قدمنا عن أهل اللغة أن الطاغوت اسم جنس ، يشمل القليل والكثير .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ ﴾ أي الإيمان[١] .

قال سعيد بن جبير : عن ابن عباس : ﴿ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ لا إله إلا الله[٢] .

١٨٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ لاَ انْفِصَامَ لَهَا .. ﴾ [آية ٢٥٦] .

قال مجاهد : أي « لا يُغيِّر اللهُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم »[٣] أي لا يزيل عنهم اسم الإيمان حتى يكفروا .

يُقال : فَصَمْتُ الشيءَ أي قطعتُهُ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٠/٣ وابن كثير ٤٦٠/١ وأبو حيَّان في البحر المحيط ٢٨٢/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٠/٣ عن سعيد بن جبير ، والقرطبي ٢٨٢/٣ وابن كثير ٤٦٠/١ قال والطبري: «والعروة الوثقى» : مَثَلٌ للإيمان الذي اعتصم به المؤمن ، فشبَّهه في تعلقه وتمسكه به بالمتمسك بعروة الشيء ، التي هي أوثق عُرى الأشياء » .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ٢١/٣ وهو يشير إلى الآية الكريمة ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وليس قول مجاهد تفسيراً لقوله ﴿ لا انفصام لها ﴾ فإن معنى الآية : لا انقطاع لها ، ولا زوال ، كما قال المفسرون ، وإنما هو استشهاد على المعنى ، فإن من استمسك بشرع الله ، حفظه الله من الكفر والضلال . وقد وضَّح ذلك ابن كثير ٤٦١/١ فقال : قال مجاهد وسعيد بن جبير ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ ثم قرأ ﴿ إن الله لا يغير .. ﴾ الآية ، قال : والمعنى : فقد استمسك بالدين بأقوى سبب ، وشبَّه ذلك بالعروة القوية ، التي لا تنفصم ، فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية .

(٤) في المخطوطة : قصمت الشيء بالقاف ، وصوابها : « فصمت » لأن الآية ﴿ لا انفصام لها ﴾ وأصل الفصم : الكسر ، قال ابن قتيبة ٩٣/١ : أي لا انكسار ، يُقال : فصمت القدح ، إذا كسرته وقصمته . اهـ.

١٨٨ ـ ثم قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .. ﴾ [آية ٢٥٧] .

قال الضحاك : الظلماتُ : الكفرُ ، والنورُ : الإيمان ، ومُثِّل الكفر بالظلماتِ ، والإيمانُ بالنورِ(١) .

قُرِىءَ على أحمدَ بنِ شُعيبٍ ، عن محمد بن عبدالأعلى ، قال : حدثنا المعتمر قال : سمعت منصوراً يحدث عن رجل عن عَبَدَة ابن أبي لبابة ، في هذه الآية : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ إلى قوله : ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، قال : هم أناسٌ كانوا آمنوا بعيسى ، فلما جاء محمد كفروا به . قال : وكان ناسٌ قد كفروا بعيسى ، فلما جاء محمد آمنوا به ، فنزلت هذه الآية فيهم(٢) .

---

(١) الطبري عن الضحاك ٣/٢٢ قال الطبري : والمعنى يخرجهم من ظلمات الكفر ، إلى نور الإيمان ، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلاً ، لأن الظلمات حاجبة للأبصار ، عن إدراك الأشياء ، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب ، عن حقائق الإيمان . اهـ.

أقول : الآية وردت بطريق الاستعارة ، حيث شبه الكفر بالظلمات ، والإيمان بالنور ، فالكفر كالظلمة لا يبصر فيها القاصد الطريق ، والإيمان كالنور يهتدي به الحائر . والمعنى : يخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور الهدى والإيمان . وهذا من أحسن الاستعارات البيانية .

(٢) الأثر في الطبري ٣/٢٢ والدر المنثور ١/٣٣٠ وعزاه إلى ابن المنذر والطبراني ، قال ابن الجوزي في تفسيره ١/٣٠٧ : « فإن قيل : متى كان المؤمنون في ظلمة ؟ ومتى كان الكفار في نور ؟ فعنه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن عصمة الله للمؤمنين من مواقعة الضلال ، إخراج لهم من ظلام الكفر ، وتزيين الشيطان للكفار إخراج لهم من نور الهدى .

والثاني : أن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر نور لهم ، وكُفرهم به بعد أن ظهر خروج إلى الظلمات . =

قال أبو عبد الرحمن : رواه جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهد .

فإن قيل : ما معنى ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ ؟ ولم يكونوا في نورٍ قط ؟ .

فالجواب : أنه يقال : رأيت فلاناً خارج الدار ، وإن لم يكن خرج منها ، وأخرجتُهُ من الدار ، جعلتُهُ في خارجها ، وكذا أخرجه من النور ، جعله خارجاً منه ، وإن لم يكن كان فيه .

وقيل : هذا تمثيلٌ لما صرفوا عنه ، كانوا بمنزلة من أُخرج منه كما يقال : : لِمَ أخرجتني من مِلَّتِكَ[1] .

وقيل : لما وُلدوا على الفطرة ، وهي أخذ الميثاق ، وما فُطروا عليه من معرفة الله جَلَّ وعزَّ ، ثم كفروا ، كانوا قد أُخرجوا من

= والثالث : أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ ، كان المخالف له خارجاً من نور قد عَلِمه ، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم . اهـ. زاد المسير ٣٠٧/١ .

(١) حاصل القول في هذه المسألة ، أنه ورد هنا إشكال في الآية وهو : كيف يَخْرج الكفار من النور ، مع أنهم لم يكونوا في نور ؟ والجواب عنه : أن اللفظ جاء للمقابلة ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ قابل به اللفظ الأول ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ أو لأن إيمان أهل الكتاب بالنبي ﷺ قبل أن يظهر ، كان نوراً لهم ، وكفرهم به بعد ظهوره ، خروج منه إلى ظلمات الكفر ، وقد اختار الإمام الطبري أن لفظ الإخراج يراد به الحرمان ، كقول الرجل : أُخرجني والدي من ميراثه ، إذا أنفق المال في حياته وحرمه منه ، وكقول القائل : أخرجني فلان من كتيبته يعني لم يجعلني من أهلها . اهـ.

النور[1] .

قال الأخفش : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ يحكم بأنهم كذلك ، تقول : « قد أخرجكم الله من هذا الأمر »[2] . ولم تكونوا فيه قط .

قال أبو إسحاق[3] : ليس هذا بشيء ، إنما هو يزيدهم بإيمانهم هدىً ، وهو وليُّهم في حجاجهم وهدايتهم ، وفي نصرهم على عدوِّهم ، ويتولَّى ثوابهم[4] .

١٨٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٢٥٨] .

وهذه ألف التوقيف[5] ، وفي الكلامِ معنى التعجب ، أي

---

(١) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٢٨٣/٢ بصيغة التضعيف فقال : وقيل : يخرجهم من فطرة الإسلام ، وقيل من نور الإقرار بالميثاق .. إلخ .

(٢) ذكره الأخفش في معانيه ٣٨٠/١ فقال : وهذا كما تقول : قد أخرجك الله من ذا الأمر ، ولم تكن فيه قط ، وتقول : أخرجني فلان من الكتيبة ، ولم تكن فيها قط ، أي لم يجعلني من أهلها ولا فيها . اهـ. ولم يرتضه الزجاج .

(٣) يريد به الإمام الزجاج ، اللغوي الشهير وقد تقدمت ترجمته .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٣٣٧/١ : « وقال قوم : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » : أي يحكم بأنهم خارجون من الظلمات إلى النور .. وهذا ليس قول أهل التفسير ، ولا قول أكثر أهل اللغة ، إنما قاله الأخفش وحده ، والدليل على أنه يزيدهم هدى ، قوله عز وجل ﴿ فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً .. ﴾ .

(٥) يريد المصنف بقوله « ألف التوقيف » التنبيه على الأمر ، كأنه يقول : قف على هذه القصة ، فأمرها يستدعي الانتباه واليقظة ، والأصل في الهمزة أنها للاستفهام ، ولكن قد تخرج عن =

اعجبوا له .

قال ابن عباس ومجاهد : هو نُمْرُوْذُ بن كَنْعَان(١) .

قال سفيان : فدعا برجلين ، فقَتَل أحَدَهما ، واستحيا الآخر(٢) .

قال سفيان : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ فَسَكَتَ فلم يُجِبْهُ بشيء .

وقرىءَ : ﴿ فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾(٣) .

أي : فَبَهَتَ إبراهيمُ الذي كفر .

= الاستفهام الحقيقي إلى معان ثمانية ، منها التعجب ــ كما في مغني اللبيب ١٥/١ ــ ومعنى الآية : ألا تعجب أيها السامع من أمر هذا المجادل المعاند في قصته الغريبة ؟

(١) هذا رأي جمهور المفسرين ، ذكره الطبري ٢٣/٣ والقرطبي ٢٨٣/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٧/١ وروى عن ابن عباس قوله : « ملك الأرض شرقها وغربها مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان : فسليمان بن داود ، وذو القرنين ، والكافران : نمروذ ، وبختنصر » . اهـ. قال الطبري : وهو أول جبار تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

(٢) قال المفسرون : لمَّا قال إبراهيم للنمروذ ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ قال ذلك الطاغية : وأنا أيضاً أحيي وأميت ، ودعا برجلين كان قد حكم عليهما بالإعدام ، فأخرجهما من السجن ، فقتل أحدهما فقال : هذا قتلته ، وأمر بإطلاق الآخر فقال : هذا أحييته ، فلما رأى الخليل حماقته ومشاغبته في الدليل ، انتقل إلى دليل آخر مفحم ، أجدى وأروع وأنفع ﴿ قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذي كفر .. ﴾ أي أُخرس الفاجر بالحجة الدامغة ، وأصبح منقطعاً متحيراً دهشاً لا يدري ما يقول .

(٣) هذه قراءة « ابن السُّمَيْفَع » وهي من القراءات الشاذة ، كما نبَّه على ذلك ابن جني في المحتسب ١٣٤/١ .

١٩٠ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ [آية ٢٥٩] .

رَوَىٰ علي بن الحكم عن الضحاك قال : يُقال : هو عُزَيْرٌ ، والقريةُ بيتُ المقدسِ[1] .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ فكان أوَّل شيءٍ حَيِيَ منه رَأْسُهُ ، فجعل ينظر إلى كلِّ ما يُخلق منه ، وإلى حماره .

قال سعيد عن قتادة : وذُكِرَ لنا أنه عُزَيْرٌ أتى على بيت المقدس بعدما خَرَّبَهُ بَخْتَنَصرٌ[2] قال : فقال : أَنَّى تُعْمرُ هذه بعد خَرَابها[3] ؟

ثم قال تعالى : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾

ذكر لنا أنه مات ضُحىً ، وبُعِثَ قبل غيبوبةِ الشمس بعد مائة عامٍ فقال : لبثتُ يوماً أو بعض يوم !! .

---

(١) حكاه الطبري عن الضحاك ٣/٢٨ والقرطبي ٣/٢٨٩ وابن كثير ١/٤٦٤ وابن عطية ٢/٤٠٢ .

(٢) هو بختنصر البابلي المجوسي ، وكان والياً على العراق ، وقد ذكر قصته مطوَّلة الطبري ٣/٣٣ وفيها قال : « ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشامَ وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرَّب بيت المقدس .. » إلخ .

(٣) لم يقل ذلك عزيرٌ إنكاراً لقدرة الله أو شكاً في البعث ، وإنما قاله استعظاماً وتعجباً من حال تلك المدينة ، وما هي عليه من الخراب ، فأراه الله ذلك عياناً ليزداد بصيرة ويقيناً ، أراه الحياة بعد الموت في نفسه ، ثم في حماره ، وذلك أعظم برهان على قدرة الرحمن ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٩٢ .

وقال كعبٌ : هو عُزَيْرٌ[1] .

قال مجاهد : هو رجلٌ من بني إسرائيل[2] .

قال عبدالله بن عبيد بن عمير : هو أَرْمِيًا ، وكان نبياً[3] .

والخاويةُ : الخاليةُ[4] .

قال الكسائي : يقال خَوَت خُوِيًّاً ، وخَوَاءَ ، وخَوَايَةً .

والعروشُ : السقوفُ ، أي ساقطةٌ على سقوفها[5] .

قال أبو عبيدة : ويقال : خَوَتْ عُرُوشُها : بُيُوتُها .

والعروشُ الخيامُ ، وهي بيوت الأعراب[6] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤٦٤/١ : « وهذا القول هو المشهور ، رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وسليمان بن بريدة » وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٨٩/٣ .

(٢) حكى هذا القول مكيٌّ عن مجاهد قال : إنه رجل من بني إسرائيل غير مسمًّى ، قال النقاش : ويُقال هو غلام لوط عليه السلام ، وهذا خلاف المشهور الذي تقدم عن جمهور السلف ، وانظر تفسير ابن عطية ٤٠٢/٢ .

(٣) هذا القول أيضاً مرجوح ، ذكره الطبري عن وهب بن منبه ٢٩/٣ والقرطبي ٢٨٩/٣ وابن عطية ٤٠٣/٢ والمشهور الذي عليه الجمهور أنه « عزير » عليه السلام .

(٤) في المصباح : خوت الدار : خلت من أهلها ، وخَوت النُّجوم : سقطت ، وانظر الصحاح أيضاً ٣٣٢/٦ والذي يناسب السياق القول الثاني أي وقد سقطت جدرانها على سقوفها ، وهو قول السدي ، وقال الطبري : وهي خالية من أهلها وسكانها .

(٥) قال ابن عطية ٤٠٣/٢ : أي سقطت السُّقُف ، ثم سقطت الحيطان عليها ، وهو قول السدي .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٠/١ .

قال الكسائي والفراء : الكاف في قوله : ﴿ أَوْ كَالَّـذِي ﴾ عطفٌ على معنى الكلام ، أي هلْ رأيتَ كالـذي حاجَّ إبراهيم[1] ، أو كالذي مَرَّ على قريةٍ .

وقيل : هي زائدة[2] ، كما قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

١٩١ ـ وقوله تعالى : ﴿ لم يَتَسَنَّهْ .. ﴾ [آية ٢٥٩] .

قال عكرمة وقتادة : لم يتغيَّر[3] .

وقال مجاهد : لم يُنْتِنْ[4] .

قال بعض أهل اللغة : لم يَتَسَنَّ من قولهم : آسَنَ الماءُ إذا أَنْتَنَ[5] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٧٠/١ فقد قال : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم ﴾ إدخال العرب « إلى » في هذا الموضع على جهة التعجب ، كما تقول للرجل : أما ترى إلى هذا ! والمعنى ـ والله أعلم ـ هل رأيت مثل هذا ، أو رأيت هكذا ؟ والدليل على ذلك أنه قال : ﴿ أو كالذي مرَّ على قرية ﴾ فكأنه قال : هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه ، أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ؟

(٢) هذا قول الأخفش ، نصَّ عليه في كتابه معاني القرآن ٣٨٠/١ فقال : الكاف زائدة ، والمعنى ـ والله أعلم ـ ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾ « أو الذي مر على قرية » والكاف زائدة ، وفي كتاب الله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ يقول : « ليس كهو » ـ أي ليس كالله ـ لأن الله ليس له مثل . اهـ.

(٣) و(٤) انظر هذه الآثار في الطبري ٣٨/٣ وفي الدر المنثور للسيوطي ٣٣٣/١ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣١١/١ .

(٥) ذكره الغرناطي في التسهيل لعلوم التنزيل ١٦١/١ وذكره ابن جرير عن بعضهم ٣٩/٣ وردَّه فقال : « فإن ظنَّ ظان أنه من الأسن ، من قولك : أسِنَ هذا الماء يأسَن أسناً كما قال تعالى=

وقال أبو عمرو الشيباني[1] : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ : لم يَتَغَيَّرْ ، من قوله تعالى ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[2] ثم أبدل من إحدى النونين ياءً ، كما قيل : تقصَّيْتُ وتظنَّيْتُ ، وقصَّيْتُ أظفاري[3] .

قال أبو جعفر : والقولان خطأ ، لو كان من قولهم : أَسِنَ الماءُ إذا أنتن ، لكان يَتَأَسَّنُ[4] .

قال أبو إسحاق : وليس من مَسْنُونٍ ، لأن مَسْنُونَاً مصبوب على سُنَّةِ الأرض[5] .

قال أبو جعفر : والصحيحُ أنه من السَّنَةِ ، أي لم تُغَيِّرْهُ السِّنونَ[6] .

= ﴿ من ماء غير آسن ﴾ لكان الكلام « لم يتأسَّن » ولم يكن « يَتَسَنَّه » ومن قال إنه من قوله تعالى ﴿ من حمأ مسنون ﴾ بمعنى المتغير الريح بالنتن .. إلخ . وقد بيَّنت أنه ليس كذلك .

(١) « أبو عمرو الشيباني » من كبار اللغويين ، اسمه إسحاق بن مِرار ، كان نبيلاً فاضلاً ، حافظاً لأشعار العرب ولغاتها توفي سنة ٢٠٦هـ قال عنه ثعلب : كانه معه من العلم والسماع أضعاف ما كان مع أبي عُبيدة ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٤٥٥/٢ وتهذيب التهذيب ١٨٢/١ .

(٢) سورة الحجر آية رقم (٢٨) .

(٣) ذكره في اللسان ٣٩٧/١٧ عن أبي عَمْرو الشيباني قال : هو من قولهم : سَنِهَ الطعام إذا تغير ، من قولهم « حمأ مسنون » فأبدلوا من يتسنَّن كما قالوا : تظنَّيت ، وقصَّيت أظفاري ، أبدلت النون ياء ، لما كثرت النونات ، وتظنيت أصله الظن ، ثم قال : ونرى والله أعلم أن معناه مأخوذ من السَّنة أي لم تغيره السنون . اهـ اللسان .

(٤) هذا ما ذهب إليه أبو عبيدة أيضاً في مجاز القرآن ٨٠/١ حيث قال : ﴿ لم يتسنه ﴾ أي : لم تأت عليه السنون فيتغير ، وليست من الأسن : المتغير ، لو كانت منها لكانت : ولم يتأسَّن . اهـ .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤١/١ فقد ردَّ هذا القول ، وتابع جمهور المفسرين فأجاد .

(٦) انظر جامع البيان للطبري ٣٩/٣ ومعاني القرآن للفراء ١٧٢/١ ففيهما القول الفصل .

١٩٢ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ٢٥٩] .

قال سفيانُ عن الأعمشِ قال : رَجَع إلى بنيهِ شيوخاً ، وهو شابٌّ(١) .

قال الكسائي : لا يكون الكلام إلاَّ بإضمارِ فِعْلٍ(٢) .

والمعنى عنده : فَعَلْنَا هذا لنجعلك دليلاً للناس ، وعَلَماً على قدرتنا ، ومثلُه ﴿ وَحِفْظَاً ﴾(٣) .

١٩٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وانْظُرْ إلىٰ العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا .. ﴾ [آية ٢٥٩] .

أي نحييها ﴿ ونُنْشِزُهَا ﴾ بالزاي مُعجمةً(٤) أي نُرَكِّبُ بعضَ

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٣ وفي البحر المحيط ٢٩٣/٢ عن الأعمش ، وذكره ابن جزي في التسهيل ١٦١/١ فقال : « إنه قام شاباً على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخاً » وذكر الفراء في معانيه ١٧٣/١ : « أنه حين بُعث كان أسود اللحية والرأس ، وبنو بنيه شيب ، فكان آية لذلك » . اهـ. وانظر البحر المحيط ٢٩٣/٢ .

(٢) مراده أن اللام متعلقة بفعل محذوف تقديره : فعلنا بك ذلك لنريك قدرتنا ، ولنجعلك آية للناس أي شاهداً وبرهاناً على قدرتنا ، فأضمر الفعل لبيان معناه ، وانظر معاني الفراء ١٧٣/١ والبحر ٢٩٣/٢ .

(٣) يشير إلى الآية الكريمة ﴿ وحفظاً من كل شيطان مارد ﴾ أي حفظناها حفظاً فهي مفعول مطلق لفعل محذوف .

(٤) في الآية قراءتان سبعيتان مشهورتان ، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عَمرو ﴿ نُنْشِرُها ﴾ بالراء وبضم النون ، وقرأ الجمهور « عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي » ﴿ نُنْشِزُها ﴾ بالزاي كما في السبع لابن مجاهد ص ١٨٩ والنشر ٢٣١/١ فعلى قراءة الراء المعنى : نحييها ، يُقال : أنشر الله الميت أي أحياه ومنه النشور ، وعلى قراءة الزاي المعنى : كيف نرفع بعضها على بعض فنركِّبها للإحياء .

العظامِ على بعضٍ ، ونرفعُ بعضَها إلى بعض .

والنَّشْزُ ، والنَّشَزُ : ما ارتفع من الأرض(١) .

ومَنْ قرأ : ﴿ قَالَ : أَعْلَـمُ أَنَّ اللَّـهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْـرٌ ﴾ [آية ٢٢٩] .

فقال قتادة : في قراءَتِهِ أنـه جعـلَ ينظُـرُ ، كيـف يُوصَلُ بعضُ عظامه إلى بعضٍ ، لأن أول ما خُلِقَ منه رأسُهُ ، وقيـل : له : انْظُـرْ ، فقال عن ذلك هذا(٢) .

ورَوَىٰ طاووس عن ابن عباس : ﴿ قَالَ اعْلَمْ ﴾ على الأمـر ،

---

(١) يعني بسكون السين وتحريكها يقال : النَّشْزُ والنَّشَز ، ومعناه الارتفـاع ، ومنـه قولـه تعـالى ﴿ وإذا قيـل انْشُزُوا فانْشُزُوا ﴾ أي قومـوا وارتفعـوا من أماكنكـم ، فانهضوا ، قال الزجـــاج ٣٤١٣١ : والنَّشَز في اللغة ما ارتفع من الأرض ، والمعنى : نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزة ، يركـب بعضهـا فوق بعض . وانظر المصباح المنير مادة « نشز » .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ٤١/٣ ولفظه قال : « ذُكر لنا أنه أول ما خلق الله منه رأسه ، ثم ركـبت فيه عيناه ، ثم قيل له : انظر ، فجعـل ينظـر ، فجعـلت عظامـه تواصل بعضهـا إلى بعض وهـو يراهـا ، فقـال : أعلـم أن الله على كل شيء قديـر . وهـذا ما رجحـه الـطبري وذهب غيره إلى أن الضمير في الآية يرجع إلى الحمار لسبق ذكره ﴿ وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام ﴾ أي إلى عظـام الحمـار ، والمعنـى : تأمـل في عظـام حمارك النخـرة ، كيـف نركـب بعضها فوق بعض وأنت تنظر ، ثم نكسـوها لحماً بقدرتنا ، وهذا ما رجحه ابن كثير ، وروى عن السدي وغيره قال : تفرَّقت عظام حماره حوله يميناً ويساراً ، فنظر إليها وهـي تلـوح من بياضهـا ، فبعث الله ريحاً فجمعتها من كل موضع ، ثم ركّب كل عظم في موضعه ، حتـى صار حماراً قائمـاً من عظام ، ثم كساها الله لحماً وعصباً وجلداً ، ثم نفخ ملك في منخري الحمـار ، فَنَهَـق بإذن الله عز وجـل ، وذلك كلـه بمرأى من « عزيـر » فعنـد ذلك قال : أعلـــم أن الله على كل شيء قدير » وهذا القول هو الأظهر والأشهر .

وإنما قيل له ذلك .

قال هارون في قراءة عبدالله : ﴿ قيل : اعْلَمْ ﴾ على وَجْهِ الأمْرِ(١) .

وقد يجوز أن يكون خاطب نَفْسَهُ بهذا .

١٩٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وإذْ قال إبراهِيمُ رَبِّ أَرِني كيفَ تُحْيِي المَوْتَىٰ ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .. ﴾** [آية ٢٦٠] .

فيه قولان :

أحدُهما : أن المعنى ليطمئنَّ قلبي للمشاهدة ، كأنَّ نفسَهُ طالبَتْهُ برؤية ذلك ، فإذا رآه اطمأنَّ ، والإنسان قد يعلمُ الشيءَ من جهةٍ ، ثم يطلبُ أن يعلمه من غيرها .

وهذا القولُ مذهبُ الجِلَّةِ من العلماء ، وهو مذهب ابن عباس ، والحسن(٢) .

---

(١) قراءة ﴿ اعْلَم ﴾ على الأمر هي قراءة حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون ﴿ قال أعلم ﴾ بقطع الألف وكلا القراءتين سبعية كما في السبعة لابن مجاهد ص ١٨٩ والنشر ٢٣/١ قال الأخفش في معانيه ٣٨٢/١ : ﴿ قال أعلم ﴾ عنى نفسه ، وقال بعضهم ﴿ قال اعْلَم ﴾ جزم على الأمر ، كما يقول : اعلم أنه قد كان كذا وكذا ، كأنه يقول ذاك لغيره ، وإنما يُنبِّه نفسه ، والجزم أجود في المعنى ، إلا أنه أقلُّ في القراءة ، والرفع قراءة العامة ، وبه نقرأ . اهـ. وانظر الطبري ٤٥/٣ فقد بيَّن أن قراءة الأمر ، قراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، ورجحها .

(٢) سؤال الخليل عليه السلام كان عن الكيفية ، ولم يكن عن الإمكان ، ولهذا جاء السؤال ﴿ أرني كيف تحيي الموتى ﴾ ؟ ولم يقل : أيمكن إحياء الموتى ؟ أو : أتقدر على إحياء الموتى ؟ فالخليل إبراهيم سأل عن الكيفية ، مع يقينه الجازم بالقدرة الربانية ، فكان يريد أن يَرى بالعيان ، ما كان

قال الحسن : ولا يكون الخَبَرُ عند ابنِ آدَمَ كالعَيَانِ[1] .

والقول الآخر : أن المعنى ﴿ وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قلبي ﴾ بأنَّني إذا سألتُكَ أجبتَني[2] .

كما رَوَىٰ سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قال : ﴿ أَوَلَمْ تُؤمِنْ ﴾ بالخُلَّةِ ، قال : توقن بالخلَّة .

ورَوَىٰ أبو الهيثم عن سعيد بن جبير : ﴿ وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ : ليزداد[3] .

= يعتقده بالوجدان ، وروي أن إبراهيم رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير ، فسأل ربه كيفية إحيائه إياها ، مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء ، وسباع الأرض ، ليرى ذلك عياناً ، فيزداد يقيناً برؤية صنع الله ، وعلى هذا قول الجمهور ، وانظر البحر المحيط ٢٩٧/٢ وصفوة التفاسير ١٦٧/١ .

(١) ذكره الطبري عن الحسن ، والضحاك ، وابن جريج ، ولفظه « بلغني أن إبراهيم بينا هو يسير في الطريق ، إذ هو بجيفة حمار ، عليها السباع والطير ، قد تمزَّع لحمها وبقي عظامها ، فلما ذهبت السباع ، وطارت الطير على الجبال والآكام ، وقف وتعجَّب ثم قال : ربِّ قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير ﴿ ربِّ أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ﴾ ولكن ليس الخبر كالمعاينة . اهـ. الطبري ٤٧/٣ فأراد أن يرى بعينه ما آمن به بقلبه .

(٢) توضيحه أن إبراهيم عليه السلام ، لمَّا جاءته البشارة من الله بأن الله اتخذه خليلاً ، سأل ربه أن يريه علامة على أنه اصطفاه لنفسه خليلاً ، فطلب أن يريه إحياء ميِّت ، ليوقن أنه خليل الرحمن ، والمعنى على هذا القول ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ حتى أعلم أني خليلك ﴿ قال أولم تؤمن ﴾ أي أولم تصدق بأنك خليلي ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي صدَّقت ولكن لأرى هل تجيبني إلى ما طلبته ؟ وهذا القول مروي عن السدي ، وسعيد بن جبير ، وانظر الطبري ٤٨/٣ والبحر المحيط ٢٩٧/٢ والقول الأول هو الأصح والأشهر .

(٣) رواه الطبري عن سعيد بن جبير ٥١/٣ وهو قول مجاهد وإبراهيم قالا : لأزداد إيماناً مع إيماني ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٥/١ وعزاه إلى ابن المنذر ، والبيهقي ، وسعيد بن منصور .

١٩٥ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ فَخُذْ أربعةً مِنَ الطَّيرِ ﴾ [آية ٢٦٠] .

حدثنا عبدالباقي بن أحمد بن محمد بن عبدالعزيز الأموي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا يحيى بن عبدالله بن بُكَيْرٍ ، حدثنا عبدالله بن لَهِيعةَ ، عن عُبيدِ اللهِ بن هُبَيْرَةَ السَّبِيني عن حَنَشٍ الصنعاني عن عبدالله بن عباس ، في قول الله جلَّ وعَزَّ : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً من الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إليك ﴾ ، قال : هو الحَمَامُ ، والطاووسُ والكُرْكِي ، والدِّيْكُ[1] .

وروَىٰ الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : « أَخَذَ الديكَ ، والطاووس ، والغُرابَ ، والحَمَامَة »[2] .

قال مجاهد : ﴿ فَصُرْهُنَّ ﴾ انْتِفْهُنَّ بريشهنَّ ، ولُحُومِهنَّ[3] .

قال أبو عُبيدة : صِرْتُ : قطعْتُ ، وصُرْتُ : جَمَعْتَ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق حنش عن ابن عباس ، وذكره في الدر ٣٣٥/١ ، والكركي كما في حياة الحيوان ٤٨١/٢ طائر كبير معروف ، طويل الساقين ، وإنما أخذ هذه الأصناف الأربعة لمخالفة أجناسها وألوانها ، ليكون أظهر وأبهر في القدرة ، قال ابن كثير ٤٦٦/١ : وقد اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي ؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها ، إذ لو كان في ذلك مهم لنصَّ عليه القرآن . اهـ.

(٦) حكاه الطبري عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ٥١/٣ وذكره ابن كثير ٤٦٦/١ وابن الجوزي ٣١٤/١ .

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حميد عن قتادة ، وذكره ابن جرير عن مجاهد ٥٦/٣ وانظر الدر المنثور للسيوطي ٣٣٥/١ .

وَحَكَى **أبو عبيدة** : صُرْتُ عُنُقَهُ : أُصُورُهَا ، وصِرتهَا أصِيْرُهَا أَمَلْتُهَا ، وقد صَوِرَ[1] .

يُقْرَأُ بالضم والكسر ، وأكثر القراء على الضم[2] .

قال الكسائي : من ضمَّها جعلها من صُرْتُ الشيء أَمَلْتُهُ وضَمَمْتُهُ إليَّ ، قال : وَصُرْ وَجْهَكَ إليّ أي أَقْبِلْ بِهِ .

والمعنى على هذه القراءة : فَضُمَّهُنَّ إليك وقَطِّعْهُنَّ ، ثم حُذِفَ « وقطِّعْهُنَّ » لأنه قد دَلَّ عليه ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ﴾[3] .

ومن قرأ : ﴿ فَصِرْهُنَّ ﴾ بالكسر ففيه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى الأول .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٨٠ وانظر الصحاح للجوهري ٢/٧١٧ .

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص ١٩٠ : اختلفوا في ضم الصاد وكسرها ، فقرأ حمزة وحده ﴿ فَصِرْهُنَّ ﴾ بكسر الصاد ، وقرأ الباقون بالضم .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ١/٤٦٦ : « فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ، ثم قطعهن ونتف ريشهن ، ومزّقهن وخلط بعضهن في بعض ، ثم جزأهن أجزاء ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً ، وأخذ رءوسهن بيده ، ثم أمره الله أن يدعوهن فدعاهن ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء يتصل بعضها إلى بعض ، حتى قام كل طائر على رجليه ، وأتينه يمشين سعياً ، لكونه أبلغ في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام ، فإذا قدَّم غير رأسه يأباه ، فإذا قدم رأسه تركَّب مع بقية جثته ، بحول الله وقوته . اهـ.

والآخر : أن أبا مالكٍ والضحاك قالا : فَقَطِّعْهُنَّ[1] .

قال أبو حاتم[2] : هو مِنْ صَار ، إذا قَطَعَ . قال : ويكون حينَئِذٍ على التقديم والتأخير ، كأنه قال : فَخُذْ أربعةً من الطير إليك فَصِرْهُنَّ .

قال غيره : ومنه قيل للقطيع من بقر الوحش : صِوَارٌ وصُوَارٌ ، أي انقطعَتْ فانفردتْ ، ولذلك قيل لِقَطَعَ المِسْكِ : أَصْوِرَةٌ ، كما قال :

« إِذَا تَقُومُ يضُوع المِسْكُ أَصْوِرَةً »[3] .

قال أبو جعفر : وأولى ما قيل في معنى « فَصِرْهُنَّ » وَصُرْهُنَّ : أنهما بمعنىً واحدٍ ، بمعنى القطع ، على التقديم

---

(١) خلاصة القول ما قاله ابن عطية ٤٢٣/٢ ﴿ فصُرْهن إليك ﴾ تأول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع ، وبمعنى الإمالة ، وفي الكلام متروك يدل عليه الظاهر تقديره : فأَمِلْهُنَّ إليك وقطعهن ، وقرأ قوم « فصِرهن » بكسر الصاد ومعناه : صَيِّحهن من قولك : صرَّ الباب إذا صوَّت . اهـ. بإيجاز .

(٢) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السجستاني النحوي اللغوي المقرئ ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ أخذ عنه المبرد ، وابن دريد .

(٣) هذا صدر بيت للأعشى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٤٥ :

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ

يصف فيه محبوبته بأنها إذا قامت فاحت منها رائحة المسك ، حتى يمتلئ الطريق برائحتها العبقة حين تسير ، مختلطاً برائحة الياسمين ، الذي يعطِّر أردانها ويعمُّ كل جسدها .. واستشهد به في اللسان ١٤٧/٦ على أن الصُّوار بكسر الصاد وضمها : الرائحة الطيبة ، وقِطَع المسك ، وجمعه أصورة ، وذكره ابن جنى في الخصائص ١١٧/٢ .

والتأخير[١] ، أي : فَخُذْ إليك أربعةً من الطير فَصِرْهنَّ .

ولم يوجد التفريقُ صحيحاً عن أحدٍ من المتقدمين[٢] .

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ .

قال ابن عباس : تَعَالَيْنَ بإذن الله[٣] ، فطارَ لحمُ ذَا إلى لحم ذا ، ﴿ سَعْيَاً ﴾ أي عَدْوَاً على أرجلهن ، ولا يقال للطائر إذا طار : سَعَى[٤] .

﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أي لايمتنع عليه ما يريد .

---

(١) مراد المصنف بقوله « على التقديم أو التأخير » أن معنى « فصِرهنَّ » أي قطعهن ، فيكون قوله تعالى ﴿ فصُرهن إليك ﴾ أي خذ أربعةً من الطير إليك فقطعهن ، فيكون من المؤخر الذي هو في المعنى المقدم ، وهو ما اختاره الطبري ورجحه ٣/٥٤ حيث قال : « والضمُّ والكسر سواء بمعنى واحد ، وأنهما لغتان معناهما في هذا الموضع « فقطعهن » وأن معنى « إليك » تقديمها قبل « فصُرهن » من أجل أنها صلة قوله « فَخذْ » . اهـ.

(٢) ما ذهب إليه المصنف من عدم التفريق بين الضم والكسر ، هو مذهب الطبري كما ذكرناه ، وبه قال الزجاج في معانيه ١/٣٤٣ والفراء ١/١٧٤ وابن قتيبة في غريب القرآن ص ٩٦ .

(٣) ذكره الطبري ٣/٥٨ عن مجاهد قال : أي قل لهن : تعالين بإذن الله يأتينك سعياً ، وهذا مثل آتاه الله إبراهيم فكما بعث الله هذه الطيور من الجبال ، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها .

(٤) قال في البحر ٢/٣٠٠ : « السعي هو الإسراع في المشي ، ولا يُقال : سعى الطائر ، إلا على سبيل المجاز ، وكان إتيانهن مسرعات في المشي أبلغ في الدلالة ، إذ إتيانهن إليه من الجبال يمشين مسرعات ، هو على خلاف المعهود لهن من الطيران ، وليظهر بذلك عظم الآية ، فقد جعل سيرهن إليه سعياً ، إذ هو مشية المجدِّ الراغب فيما يمشي إليه ، لإظهار جدِّها في إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام » . اهـ.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يُدبِّر .

فلمَّا قَصَّ ما فيه البراهينُ حَثَّ على الجهاد ، وأَعلَمَ أنَّ من جاهد بعد هذا البرهان ، الذي لايأتي به إلا نبيٌّ ، فله في جهاده الثوابُ العظيمُ(١) .

١٩٦ ــ **فقال تعالى : ﴿ مثلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** [آية ٢٦١] .

أي جَوادٌ ، لا ينقصه ما يتفضَّلُ به من السَّعَةِ(٢) ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أين يَضَعهُ .

١٩٧ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا لَا تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾** [آية ٢٦٤] .

أي لا تَمْتَنُّوا بما أُعْطَيتم ، وتعتدُّوا به ، وكأنكم تقصدون ذلك ،

---

(١) عبارة الزجاج في معانيه أوضح من عبارة المصنف ، حيث قال : ٣٤٤/١ : « فشاهد إبراهيم عليه السلام ما كان يعلمه غيباً رأيَ عين ، وعلم كيف يفعل الله ذلك ، فلما قصَّ الله ما فيه البرهان ، والدلالة على أمر توحيده ، وما آتاه الرُّسل من البيِّنات ، حثَّ على الجهاد ، وأعلن أن من عانده بعد هذه البراهين ، فقد ركب من الضلال أمراً عظيماً ، وأن من جاهد من كفر بعد هذا البرهان ، فله ــ في جهاده ونفقته فيه ــ الثواب العظيم .
أقول: وهذا ما يسمَّى « وجه المناسبة » بين السابق واللاحق من الآيات الكريمة ، وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٣٠٣/٢ وجه المناسبة .

(٢) هذا تفسير لمعنى قوله تعالى ﴿ واسع ﴾ فهو تعالى واسع الفضل والعطاء ﴿ عليم ﴾ بنيَّة المنفق ، وبمن يصلحه العطاء ، وانظر ابن كثير ٤٦٩/١ .

والأذى : أن يُوَبِّخَ المُعَطَى[1] .

فأَعْلَمَ أنَّ هذين يُبطلان الصدقة ، كما تَبطُلُ صدقةُ المنافق الذي يُعطِي رياءً ، لِيُوهِمَ أنه مؤمن[2] .

١٩٨ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي فَمَثَلُ نفقتِهِ ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ وهو الحجر الأملس[3] ، والوَابِلُ : المطرُ العظيمُ القَطْرِ .

﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدَاً ﴾ [آية ٢٦٤] .

قال قتادة : ليس عليه شيءٌ[4] .

والمعنى : لم يقدروا على كسبهم وقت حاجتهم ، ومُحِقَ فَأُذْهِبَ ، كما أُذْهِبَ المطرُ الترابَ على الصَّفا ولم يوافق في الصفا

(١) المنُّ : أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه ، وأن يذكِّره النعمة التي أولاها له على سبيل التطاول والتفضل عليه ، كأن يقول له : أحسنت إليك فلم تشكرني ، وجبرت حالك وأنت محتاج فضيعت المعروف ، وأمثال ذلك ، والأذىٰ أن يُخبر به الناس فيؤذي به قلب الفقير ، وقد أحسن من قال :

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ مَا أَسْدَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/١ ومعنى الآية : « أي لا تُبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس ، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما قصده مِدْحة الناس ، أو شهرته بالصفات الجميلة ، ليشكر بينهم » .

(٣) الصفوان : الحجر الأملس الكبير ، وهو جمع واحدته صفوانة ، كذا قال الأخفش في معانيه ٣٨٥/١ وقيل : هو اسم جنس كالحجر والتمر .

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٢/١ : الصَّلْدُ : التي لا تُنْبت شيئاً أبداً من الأرضين والرءوس ، وانظر الطبري أيضاً ٦٦/٣ .

مثبتاً[1] .

١٩٩ ـ ثم قال : ﴿ وَمَثَلُ الذين يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ وتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ [آية ٢٦٥] .

أي وينفقونها مُقِرِّيْنَ ثَابِتينَ ، أنها مما يثيبُ الله عليه[2] .

قال الحسن : إذا أراد أن ينفق تَثَبَّتَ ، فإن كان الله أَمْضَىٰ ، وإلاَّ أَمْسَكَ[3] .

وقال قتادة : ﴿ تَثْبِيتاً ﴾ أي احْتِسَاباً[4] .

وقال مجاهد : يَتَثَبَّتُون أين يضعون أموالهم ؟ أي زكواتهم[5] .

وقال الشعبي : تصديقاً ويقيناً[6] .

---

(١) هذا ضرب مثل للمرائي في إبطال ثوابه ، مثَّل تعالى له بالحجر الأملس ، الذي عليه شيء من التراب ، فإذا أصابه مطر غزير شديد ، أذهب عنه التراب ، فيبقى صلداً أملس ليس عليه شيء من الغبار والتراب أصلاً ، كذلك هذا المرائي تبطل نفقته بالمنِّ والأذى ، وانظر معاني الزجاج ٣٤٥/١ .

(٢) في المخطوطة « أنها مما يثبت الله عليه » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه « أنها مما يثيبُ الله عليه » ويوافقها ما جاء في معاني القرآن للزجاج ٣٤٦/١ من قوله : أي ينفقونها مقرِّين أنها مما يُثيب الله عليه » . اهـ.

(٣) هذا الأثر عن الحسن ذكره الطبري ٧٠/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/١ ولفظه : قال : « لا يريدون سمعة ولا رياء » .

(٤) و(٥) و (٦) ذكر هذه الآثار عن قتادة ، ومجاهد ، والشعبي ، ذكرها الطبري في جامع البيان ٧٠/٣ وابن كثير في تفسيره ٤٧١/١ وابن الجوزي في زاد المسير ٣١٨/١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/١ وقد ردَّ ابن جرير الطبري قول مجاهد والحسن فقال : وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن ، تأويل بعيد المعنى ، وذلك أنهم تأولوا قوله تعالى « وتثبيتاً » بمعنى وتثبتاً ، فقالوا =

قال أبو جعفر : ولو كان كما قال مجاهد لكان و« تثبُّتاً » من تَثَبَّتُّ كَتَكَرَّمْتُ تَكرُّماً[1] .

وقولُ قتادةَ : « واحتساباً » لايُعرفُ ، إلاَّ أَنْ يُرَادَ به أنَّ أنفسهم تُثَبِّتُهُمْ مُحْتَسِبَةً ، وهذا بَعيدٌ[2] .

وقولُ الشعبي حَسَنٌ ، أي تَثْبِيْتاً من أنفسهم لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله جَلَّ وَعَزَّ ، يُقالُ : ثَبَّتُّ فلاناً في هذا الأمر ، أي صَحَّحْتُ عَزْمَهُ وقَوَّيْتُ فيه رأيه ، أُثَبِّتُهُ تَثْبِيْتاً ، أي أَنْفُسُهُمْ موقنةٌ مصدِّقَةٌ بوعد الله ، على تَثْبِيتِهِمْ في ذلك[3] .

٢٠٠ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **كَمَثَل جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ** .. ﴾ [آية ٢٦٥] .

قال مجاهد : هي الأرضُ المرتفعةُ المستويةُ أضْعَفتْ في

= كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم .. إلخ . ولو كان التأويل كذلك لكان « وتثبتاً من أنفسهم » لا « وتثبيتاً من أنفسهم » وإنما معناه ما قاله الشعبي : تصديقاً ويقيناً ، لأنهم أنفقوها عن يقين ، وتصديق بوعد الله عز وجل .. إلخ . وما رجحه واختاره الطبري هو ما ذهب إليه الإمام النحاس ، والله أعلم .

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣/٧٠ وتفسير ابن كثير ١/٤٧١ .

(٢) ذكره ابن جرير عن قتادة ٣/٧٠ ثم قال : « وهذا القول أيضاً بعيد المعنى ، لأن التثبيت لا يُعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب ، إلا أن يكون أراد مفسِّره أن أنفس المنفقين كانت محتسبة في تثبيتها أصحابها .. » إلخ .

(٣) ما رجحه المصنف واختاره هو الذي عوَّل عليه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٣٨ حيث قال : « قال الشعبيُّ ، والسدي ، وقتادة : ﴿ وتثبيتاً ﴾ معناه وتيقناً ، أي أن نفوسهم لها بصائر متأكدة ، فهي تثبِّتهم على الإنفاق في طاعة الله تثبيتاً ، وقال مجاهد والحسن : معنى « وتثبيتاً » أي أنهم يَتَثَبتون أين يضعون صدقاتهم ، وقال الحسن : كان الرجل إذا همَّ بصدقة تثبَّت ، فإن كان ذلك لله أمضاه ، وإن خالطه شكٌّ أمسك ، ثم قال : والقول الأول أصوب .

ثمرها[١] .

قال قتادة : ﴿ بِرَبْــوَةٍ ﴾ ، يقــول : بِنَشَزٍ[٢] من الأرض ، قال : وهذا مَثَلٌ ضربه الله لعمل المؤمن ، يقول : ليس لخيرِهِ خُلْفٌ ، كما أنه ليس لخير هذه الجنـة خُلْـفٌ على أيِّ حالٍ كان إنْ أَصَابَهَـا وابِلٌ » وهو المطر الشديد ، وإن أصابها « طَلٌّ »[٣] .

قالَ مجاهد : [هو] النَّدى[٤] .

وقيل : مطرٌ صغيرٌ في القَدْرِ يَدُوْمُ[٥] .

قال محمد بن يزيد[٦] : أي فالطَّلُّ يَكْفِيْهَا .

---

(١) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن مجاهد ، كذا في الدر المنثور ١/٣٣٩ .

(٢) النَّشْزُ : بالفتـح والسكـون المرتفـع من الأرض ، ومنـه ﴿ وإذا قيـل انشزوا فانشزوا ﴾ أي ارتفعـوا وانهضوا ، قال في المصباح المنير : وأصل النشز الارتفاع يقال : نَشَزَ من مكانه إذا ارتفع عنه .

(٣) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٠ عن قتادة بهذا اللفظ ، وذكره الطبري عنـه ٣/٧٣ وحكاه ابن الجوزي بالمعنى ١/٣١٩ فقال : ومعنى هذا المثـل أن صاحب هذه الجنـة لا يخيب ، فإنها إن أصابها الطلُّ حَسُنَت ، وإنها أصابها الوابـل أَضْعَفَت ، فكـذلك نفقـة المؤمـن المخلص . اهـ. زاد المسير ١/٣٢٠ .

(٤) ما بين الحاصرتين من الهامش ، وهذا تفسير للطل فقد فسره مجاهـد بالنـدى ، قال ابـن عطيـة : والطلُّ : المستدقُّ من القطر الخفيف ، قالـه ابـن عبـاس وغيره ، وهـو مشهـور في اللغـة ، وقـال قوم : الطل : الندى ، وهذا تجوز وتشبيه . اهـ. المحرر الوجيز ٢/٤٤١ .

(٥) قال الزجاج : الوابل : المطر العظيم القطر ، والطل : المطر الدائم الصغار القطر ، الذي لا تكاد تسيل منه الجداول .

(٦) قول المبرِّد هذا ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٤٢ قال : تقديره فطـلٌّ يكـفيها قالـه المبرد ، وقال غيره : فالذي أصابها طَلٌّ .

أقول : إنما قدَّره المبرِّد بذلك ليكون جوابُه جملة هي خبر المبتدأ . وكونـه جواب الشرط هو المسوِّغ للابتـداء بالنكرة .

٢٠١ ـ ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تكونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ إلى قولـه : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ [آية ٢٦٦] .

قال ابن أبي مليكة : عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ : سألهم عمرُ عن هذه الآية ، وذَكَرَها ، فقالوا : اللَّهُ أعلم ، فغضب عمر وقال : قولوا نَعْلَمُ أو لا نَعْلَمُ ، قال : فقال ابن عباس : « إن في نفسي منها شيئاً ، فقال : قُلْ ولا تحقِرْ نفسَك . قال : ضُرِبَ مَثَلاً للعمل ، قال : أيُّ العمل ؟ قال : فقال عمر : هذا رَجُلٌ كان يعمل بطاعة الله ، فبُعِثَ إليه الشيطانُ ، فعمل بالمعاصي ، فأحرقَ الأعمالَ[1] .

ورُوِيَ عن ابن عباس بغير هذا الإسناد : هذا مَثَلٌ ضَرَبه الله للمُرَائِيْنَ بالأعمال ، يُبطلها اللهُ يومَ القيامة أحوجَ ما كانوا إليها ، كمثل رجلٍ كانت له جَنَّةٌ ، وَكَبِرَ ، وله أطفالٌ ، لاينفعونه ، فأصابَ الجَنَّةَ إعصَارٌ ، ريحٌ عاصفٌ فيها سَمُومٌ شديدةٌ ، فاحترقت ، ففقدها

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٩/٦ ولفظه : « قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ : فيمَ ترون هذه الآية نزلت ﴿ أيَودُّ أحدكم أن تكون له جنة .. ﴾ ؟ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم ، أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تَحْقِر نفسك ، قال ابن عباس : ضُربت مَثَلاً لعمل ، قال عمر : أي عمل ، قال ابن عباس: لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله » . اهـ. رواه ابن جرير الطبري من حديث ابن أبي ملكية ٧٦/٣ .

أَحْوَجَ ما كان إليها[1] .

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : الإعصارُ : الريحُ الشديدةُ[2] .

قال أبو جعفر : والإعصارُ هي التي يُسَمِّيها الناسُ الزَّوْبَعَةَ[3] .

٢٠٢ ــ ثم قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ .. ﴾ [آية ٢٦٧] .

أي تَصَدَّقُوا بِالْجَيِّدِ[4] .

---

(١) ذكره ابن جرير بنحوه ٣/٧٥ عن السدي فقال : « هذا مَثَلٌ لنفقة الرياء ، أنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء ، فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله ، واحتاج إلى جنَّته ، جاءت ريح فيها سموم فأُحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئاً ، فكذلك المنافق رياء » . اهـ. وانظر أيضاً الدر المنثور ١/٣٤٠ .

(٢) الطبري عن ابن عباس ٣/٧٨ والدر المنثور ١/٣٤١ وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٤٤ : الإعصار : الريح الشديدة العاصف ، التي فيها إحراق لكل ما مرَّت عليه ، يكون ذلك في شدة الحر ، ويكون في شدة البرد » . اهـ.

(٣) هذا كلام الزجاج في معانيه ١/٣٤٧ ولفظه : الإعصار : الريح التي تهبُّ من الأرض كالعمود نحو السماء ، وهي التي يُسمِّيها الناس الزوبعة ، وهي ريح شديدة ، لا يُقال إنها إعصار حتى تهب بشدة ، قال الشاعر :

« إن كنت ريحاً فقد لاقيت أعصاراً »

(٤) هذا قول جمهور المفسرين أن المراد بالطيبات : الجيِّد غير الرديء ، كما نقله في التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٦٥ وقال الحافظ ابن كثير ١/٤٧٣ قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال ، وأجوده ، وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق برُذالة المال ودنيِّه ــ وهو خبيثه ــ فإن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً .. » . اهـ. ابن كثير .

وحدَّثَنا أحمد بن محمد بن سلامة قال : حدثنا بكارٌ قال : حدَّثَنا مُؤَمّل ، قال : حدَّثنا سفيان ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبي مالكٍ ، عن البراء ، قال : « كانوا يجيئون في الصَّدَقاتِ بأَرْدَإِ تمرِهم ، وأردإِ طعامهم ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَات مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوْا فِيْهِ ﴾ [آية ٢٦٧] .

قال : لو كان لكم فأعطاكم لم تأخُذُوهُ ، إلاَّ وأنتم تَرَوْنَ أنه قد نَقَصكم من حقِّكم[١] .

قال أبو إسحاق[٢] في قوله تعالى ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ ﴾ أي لم يأمركمْ أنْ تَصَّدَّقوا من عَوَزٍ ، ولكنه بَلاَ[٣] أخبارَكم ،

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن البراء ٨٢/٣ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/١ عن البراء وقال أخرجه الترمذي وصححه ابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقي ولفظه : « قال نزلت فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل ، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلّته ، وكان الرجل يأتي بالقِنْوِ ــ عنقود البلح ــ والقِنوين فيعلّقه في المسجد ، وكان أهل الصُّفَّة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع أتى القِنْوَ فضربه بعصاه ، فيسقط البُسْرُ والتمر ، فيأكل ، وكان ناسٌ ممن لا يرغب في الخير ، يأتي بالقنو فيه الشِّيصُ والحَشَف ــ أي الرديء من التمر ــ فيعلّقه ، فنزلت الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم .. ﴾ الآية ، ﴿ ولا تيمموا الخبيثَ منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أُعطى ، لم يأخذه إلا عن إغماض وحياء ، قال : فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده » . اهـ.

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ .

(٣) بَلاَ أخبارَكُمْ:أي ابتلاكم وامتحنكم بالأمر بالإنفاق ، ومعنى الفوز : الحاجة والفقر ، قال الزجاج ٣٤٨/١ : ومعنى الآية : « لا تقصدوا إلى رديء المال والثمار ، فتتصدَّقوا به ، وأنتم لا تأخذونه ﴿ إلا أن تغمضوا فيه ﴾ أي لا تأخذونه إلا بالإغماض فيه ، يقول : لا تأخذونه إلا بوكس ونقص ، فكيف تعطونه في الصدقة ؟ » .

فهو حميدٌ على ذلك وعلى جميع نِعَمِه .

٢٠٣ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ .. ﴾** [آية ٢٦٨] .

أي بالفقر[١] ، يُخوِّفُكُمْ حتى تُخرجوا الرَّدِيءَ في الزَّكاة[٢] ﴿ ويَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ بأن لا تتصدقوا، فتعصوا ، وتتقاطَعُوا .

﴿ واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ﴾ [آية ٢٦٨] .

أي بأن يجازيَكم على صدقاتكم بالمغفرةِ ، والخُلْفِ[٣] .

﴿ واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ﴾ .

يُعْطِي من سَعَةٍ ، ويعلم حيث يضع ذلك ، ويعلم الغيبَ والشَّهادة .

٢٠٤ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقدْ أُوْتِيَ خيْرَاً كَثِيْرَاً .. ﴾** [آية ٢٦٩] .

= أقول : المراد أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتساهلوا بأخذه ، وتغمضوا في أمره ، من قولك : أغمضَ فلان عن بعض حقِّه : إذا تركه ولم يستوفه ، وغضَّ بصره عمَّا فيه من نقص .

(١) أراد المصنف أن « الفقر » منصوب بنزع الخافض أي يأمركم بالفقر كما قال الشاعر :

« أمرتُكَ الخَيْرَ فَافْعَل ما أُمِرْتَ بِهِ »

أي أمرتك بالخير ، وهذا من شواهد الزجاج في معانيه ٣٤٩/١ .

(٢) هذا قول الزجاج حكاه عنه المصنف ، والأظهر ما قاله ابن عباس أن المعنى : الشيطان يخوفكم من الفقر ، إن تصدَّقتم ، ويغريكم بالبخل ومنع الزكاة ، يقول : لا تنفق مالك ، وأمسكه عليك ، فإنك تحتاج إليه . اهـ. وانظر الطبري ٨٨/٣ .

(٣) المراد بالخُلْف : الإخلاف على المنفق ، والمعنى أن الله جل وعلا يعدكم على إنفاقه في سبيله ، المغفرة للذنوب ، وخَلَفاً لما أنفقتموه زائداً على الأصل .

رَوَىٰ عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس ﴿ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قال : المعرفةُ بالقرآنِ ، ناسخِهِ ، ومنسُوخِهِ ، ومُحْكمِهِ ، ومُتَشَابِهِهِ ، ومُقدَّمِهِ ، ومُؤَخَّرِهِ ، وحَلَالِهِ ، وحَرَامِهِ ، وأَمْثَالِهِ[1] .

قال مجاهد : العقلُ والعفَّةُ ، والإصابةُ في القَوْلِ[2] .

وقال زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : الحكمةُ : العقلُ في دينِ الله[3] .

وقال الضحاك : الحكمةُ : القرآن[4] .

وقال قتادة : الفَهْمُ[5] .

قلتُ : وهذه الأقوالُ متفقَةٌ ، وأصل الحكمة مايُمْتَنَعُ به من السَّفَهِ ، فقيل لِلْعِلْمِ حِكْمَةٌ لأنه به يُمْتَنَعُ ، وبه يُعْلَمُ الامتناعُ من السَّفَهِ ، وهو كلُّ فعلٍ قبيح ، وكذا القرآنُ ، والعَقْلُ ، والفَهْمُ[6] .

وقال إبراهيم النَّخعي : الفهمُ في القرآن[7] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٣/٨٩ وابن كثير ١/٤٧٥ والدر المنثور ١/٣٤٨ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٣/٩٠ وقد رجَّح هذا القول ابن جرير فقال : فتأويل الكلام : يؤتي الله الصواب في القول والفعل من يشاء ، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً . اهـ.

(٣) و(٤) و (٥) هذه الآثار عن التابعين في معنى الحكمة ذكرها أئمة علماء التفسير ، الطبري ٣/٩٠ وابن كثير ١/٤٧٦ والدر المنثور ١/٣٤٨ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٥٧ قال ابن عطية : « وهذه الأقوال كلُّها ــ ما عدا قول السدِّي ــ قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام ، وهو الإتقان في عمل أو قول ، وكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكره فهو جزء من الحكمة » . اهـ. ومراده بقول السدي أنه فسَّر الحكمة بالنبوة .

(٦) و(٧) ما ذهب إليه المصنف هو ما اختاره المفسرون : الطبري ، والقرطبي ، وابن عطية ، وابن =

٢٠٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴾ [آية ٢٦٩] .

أي وما يُفكِّرُ فكْراً ، يَذَّكَّرُ بِهِ مَا قصَّ من الآيات ، إلا ذَوُو العقولِ ، ومَنْ فَهِمَ عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، أَمْرَهُ ونَهْيَهُ[١] .

٢٠٦ ــ ثم قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفقَةٍ .. ﴾ [آية ٢٧٠] .

قال أبو إسحاق : [أي][٢] في فرضٍ ، لأنه ذكر صدقة الزكاة[٣] .

﴿ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ﴾ .

= كثير ، وغيرهم قال الزجاج في معانيه ٣٥٠/١ : معنى « يؤتي » يعطي ، والحكمة فيها قولان : قال بعضهم : هي النبوة ، ويُروى عن ابن مسعود أن الحكمة هي القرآن ، وكفى بالقرآن حكمة ، لأن الأمة به صارت علماء بعد جهل ، وهو وصلة إلى كل علم يُقرِّب من الله عز وجل ، وذريعة إلى رحمته ، ولذلك قال تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ . اهـ. وقال الحافظ ابن كثير ٤٧٦/١ : « والصحيح أن الحكمة ــ كما قال الجمهور ــ لا تختص بالنبوة ، بل هي أعمُّ منها ، وأعلاها النبوة ، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير ، على سبيل التبعية ، كما جاء في بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه ، غير أنه لا يوحى إليه » . اهـ.

(١) المعنى « وما ينتفع بالموعظة والذكرى ، إلا من له لبٌّ وعقل ، يعي به الخطاب ومعنى الكلام » ابن كثير ٤٧٦/١ .

(٢) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش ، وأبو إسحاق هو الإمام الزجاج كما تقدم .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٥١/١ ووجهة نظر الزجاج أن الله تعالى عَطف على النفقة النذر الواجب ، فيكون المراد من النفقة الزكاة ، وخالفه في ذلك الجمهور فقالوا : الآية عامة في كل صدقة أنفقها الإنسان ، في طاعة أو معصية ، وانظر البحر المحيط ٣٢٢/٢ والطبري ٩١/٣ .

كل ما نوى الإنسان أن يتطوَّع به فهو نَذْرٌ[1] .

وقيل : المعنى ما أنفقتم من نفقةٍ من غير نذْرٍ ، أَوْ نَذَرْتُمْ ثم عقدتم على أنفسكم إنفاقَهُ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ أي لا يخفى عليه ، فهو يُجازي بِهِ .

قال مجاهد : ﴿ يَعْلَمُهُ ﴾ أي يُحْصِيْه[2] .

٢٠٧ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ** .. ﴾ [آية ٢٧١] .

أي تُظْهِرُوهَا .

وفي الحديث : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ »[3] .

وقيل : كان هذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَّا اليَوْم فَالنَّاسُ يُسِيئُون الظَّنَّ[4] .

---

(١) قال القرطبي ٣٣١/٣ : « كانت النذور من سيرة العرب تكثر منها ، فذكر تعالى النوعين : ما يفعله المرء متبرعاً ، وما يفعله بعد إلزامه لنفسه ، وفي الآية معنى الوعد والوعيد ، أي من كان خالص النيَّة فهو مثاب ، ومن أنفق رياءً أو لسمعة فهو ظالم ، يذهب فعله باطلاً ، ولا يجد له ناصراً » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٩٢/٣ والقرطبي ٣٣١/٣ والبحر المحيط ٣٢٢/٢ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة ٣٢٩/٣ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي وزاد فيه (وتدفع ميتة السوء) وأخرجه الطبراني عن معاوية بن حَيْدة بلفظ « إنَّ صدقة السر تُطفيء غضب الرب » وانظر الدر المنثور ٣٥٤/١ وفيض القدير للمناوي ١٩٣/٤ .

(٤) أراد المصنف أن الناس يسيئون الظن بالإنسان إذا أخفى الزكاة ، فيظنون أنه لا يزكِّي ، فإظهارها أفضل ، وهذا ما قاله الزجاج في معاني القرآن ٣٥٣/١ : « كان الإخفاء في إيتاء الزكاة على عهد رسول الله ﷺ أحسن ، فأما اليوم فالناس يسيئون الظنَّ ، فإظهار الزكاة أحسن ، فأما التطوع فإخفاؤه أحسن » .

قال الحسن : إظهار الزكاة أَحْسَنُ ، وإخفاءُ التطوعِ أفضلُ ، لأنه أَدَلُّ على أنه يُرادُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَحْدَهُ(١) .

وقال الضحاك : كان هذا يعمل به ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً ﴾ فلما نزلت « براءة » بفريضة الصَّدقةِ وتفصيلِهَا ، انتهت الصدقةُ إليه(٢) .

---

(١) ذكره القرطبي عن الحسن البصري ٣٣٢/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٦/١ ثم قال : وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين :
أحدهما : يرجع إلى المعطي ، وهو بعده عن الرياء ، وقربه من الإخلاص ، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية .
والثاني : يرجع إلى المُعطَى ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال ، لأنه في العلانية ينكسر .
قال الحافظ ابن كثير ٤٧٧/١ : وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها ، لأنه أبعد عن الرياء ، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة ، من اقتداء الناس به ، فيكون أفضل من هذه الحيثية ، وفي الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند ١٥١/٤ : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية ، ولما ثبت في الصحيحين « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وروى ابن أبي حاتم عن عامر الشعبي قال : أُنزلت الآية ﴿ إن تبدوا الصدقات .. ﴾ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، أما عمر فجاء بنصف ماله ، فقال له الرسول : ما خلَّفت لأهلك يا عمر ؟ قال : خلَّفت لهم نصف مالي ، وأما أبو بكر فجاء بماله كلِّه ، يكاد أن يخفيه من نفسه ، فقال له النبي ﷺ : ما خلَّفت وراءك لأُهلك يا أبا بكر ؟ قال : عِدَة الله وعدة رسوله أي ما وعد الله به من الإخلاف على المنفق ـــ فبكى عمر وقال : بأبي أنت يا أبا بكر ، والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقاً » ابن كثير ٤٧٨/١ . وقال الطبري ٩٣/٣ : السرُّ في صدقة التطوع أفضل ، وأجمع الجميع على أن إظهار الواجب أفضل ، والآية على العموم . اهـ.

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. ﴾ نسخت جميع الصدقات التي في القرآن ، وهو قول الضحاك .

٢٠٨ ــ **وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ .. ﴾** [آية ٢٧٢] .

رَوَىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس : كانوا يكرهون أنْ يَتَصَدَّقُوا على أقربائهم من المشركين ، فرُخِّصَ لهم في ذلك ، فنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ إلى آخر الآي[١] .

٢٠٩ ــ **وقولُه عزَّ وجل ﴿ للفُقَرَاءِ الَّذِيَنَ أُحْصِرُوْا في سَبِيْلِ اللَّهِ .. ﴾** [آية ٢٧٣] .

قال مجاهدٌ : يعني مهاجري قريش الذين كانوا بالمدينة[٢] .

وقال غيره : معنى ﴿ أُحْصِرُوا فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ ﴾ مَنَعَهُمْ فَرْضُ الجهادِ من التصرُّفِ[٣] .

وقيل : شَغَلَهُمْ عَدُوُّهُمْ بالقتال عن التصرُّف .

قال أبو جعفر : واللغةُ توجبُ أنَّ ﴿ أُحْصِرُوْا ﴾ من المرضِ ، إلاَّ أنه يجوز أن يكون المعنى : صودفوا على هذه الحَالِ[٤] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٩٤/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٣٧/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/١ وعزاه إلى النسائي والطبراني والحاكم وقال : وصححه الحاكم .

(٢) الطبري عن مجاهد ٩٦/٣ والدر المنثور ٣٥٨/١ .

(٣) هذا قول قتادة واختاره الطبري في جامع البيان ٩٦/٣ .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٣٥٦/١ : ذكروا في قوله تعالى ﴿ أُحصروا في سبيل الله ﴾ قولين :

١ ــ قالوا : أحصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف .

٢ ــ وقالوا : أحصرهم عدوُّهم لأنه شغلهم بجهاده .

ومعنى « أحصروا » صاروا إلى أن حَصَروا أنفسهم للجهاد ، كما تقول : رابط في سبيل الله . اهـ.

٢١٠ ـ ثم قال تعالى ﴿ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ ضَرْبَاً فِيْ الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٧٣] .

قيل : قد أُلْزِمُوا أَنْفُسَهم الجهادَ ، كما يقال : لاأستطيع أن أعصيك ، أي قد ألزمتُ نفسي طاعتَك[1] .

٢١١ ـ ثم قال تعالى ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَعَفُّفِ .. ﴾ [آية ٢٧٣] .

ليس الجهلُ ها هنا ضِدَّ العَقْلِ ، وإنما هو ضِدُّ الْخِبْرَةِ[2] .

٢١٢ ـ ثم قال تعالى ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْأَلُوْنَ النَّاسَ إِلْحَافَاً ﴾ [آية ٢٧٣] .

يقالُ : أَلْحَفَ في المسْأَلَةِ ، وأَحْفَىٰ ، و أَلَحَّ ، بِمَعْنىً واحِدٍ[3]

(١) هذا قول الزجاج نقله باختصار عنه المصنف ، ونصُّه في معانيه ٣٥٦/١ ﴿ لا يستطيعون ضرباً في الأرض ﴾ أي قد ألزموا أنفسهم أمر الجهاد ، فمنعهم ذلك من التصرف ، وليس لأنهم لا يقدرون أن يتصرفوا ، وهذا كقولك : أمرني المولى أن أقيم ، فما أقدر على أن أبرح ، فالمعنى : إني قد ألزمت نفسي طاعته ، ليس أنه لا يقدر على الحركة وهو صحيح سوي » . اهـ.

(٢) يريد المصنف أن معنى « الجاهل » في الآية ليس السفيه الأحمق ، إنما معناه الذي يجهل حالهم ولا يعرفه ، والمعنى : يظنهم الذي لا يعرف حالهم أنهم أغنياء موسرون ، من شدة تعففهم ، وما ذكره المصنف هو كلام ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٩٨ حيث قال : لم يرد الجهل الذي هو ضدُّ العقل ، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة ، يقول : يحسبهم من لا يخبر حالهم . اهـ.

(٣) هكذا ذهب أهل اللغة إلى أن الإلحاف معناه : الإلحاح ، قال في الصحاح : ألحف السائل : ألحَّ ، ويقال : « ليس للمُلْحِف مثل الرد » وانظر لسان العرب ، وقد قال بشار بن بُرد :

الحرُّ يُلْحَى والعَصَا لِلْعَبْدِ ... وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أَرْبَعُوْنَ دِرْهَمَاً فَقَدْ أَلْحَفَ »[1] .

قال أبو إسحاق : معناه فقد شَمِل[2] بالمسألة . ومنه اشتق اللِّحاف ، قال : ومعنى (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافَاً) لايكون منهم سؤالٌ ، فيكون إلحافٌ ، كما قال الشاعر :

على لَاحِبٍ لايُهْتَدَىٰ بِمَنَارِهِ
إذَا سَافَهُ العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا[3]

أي ليس به مَنَارٌ فَيُهْتَدَىٰ به[4] .

٢١٣ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَموَالَهُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. ﴾ [آية ٢٧٤] .

---

(١) الحديث نقله في اللسان ، وصاحب التهذيب عن الزجاج ، وهو في معاني الزجاج ٣٥٧/١ ولم أره بهذا اللفظ ، وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بلفظ (من سأل وله أوقية أو عِدْلها ، فقد سأل إلحافاً) قال في المصباح : والأُوقيَّة عند العرب أربعون درهماً . اهـ. فيكون الحديث قد روي هنا بالمعنى ، وانظر الدر المنثور ٣٥٩/١ ومسند أحمد ٣٦/٤ وقد رُوي فيه بأوسع من هذا .

(٢) يريد الزجاج أن المعنى أَلْحَفَ : أَلحَّ إلحاحاً شديداً ، كأنه اشتمل بالمسألة ، كاللحاف الذي يشمل الإنسان بالتغطية .

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٧٢ ، وذكره الزجاج في معانيه ٣٥٧/١ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٢/٢ ومعنى اللَّاحب : الطريق ، يصف الشاعر أنه طريق غير مسلوك ، وليس فيه عَلَمٌ يُهتدى به ، إذا شمَّه المسنُّ من الإبل ، صوَّت ورغا من مشقته وشدة بعده ، وانظر شرح ديوان امرئ القيس ص ٦٦ .

(٤) مراد الشاعر أن يصف الطريق بأنه لا منار له ، فلا هداية به ، وليس المراد أن هناك مناراً لا يُهتدى به ، فاستشهد به المصنف على أن المراد بالآية أنهم لا يسألون الناس مطلقاً ، لا أنهم يسألون ، ولكن بدون إلحاح ، فتنبَّه للآية فإن المعنى فيها دقيق ، أي لا يسألون بإلحاح ولا بغيره .

حدثنا أحمدُ بن محمد بن نَافع ، قال : حدَّثَنا سَلَمةُ قال : حدثنا عبدالرَزَّاق قال : أخبرنا عبدالوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ بِالليلِ والنهارِ سِرًّاً وَعَلَانِيَةً ﴾ ، قال : « نزلتْ في عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، كانت معه أربعة دراهم ، فأنفق بالليل دِرْهَماً ، وبالنهار درهماً ، وسِرَّاً درهماً ، وعلانيةً درهماً »(١) .

٢١٤ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .. ﴾ [آية ٢٧٥] .

المعنى ﴿ الَّذِيْنَ يأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ في الدنيا ﴿ لا يَقُومُونَ ﴾ في الآخرة(٢) ﴿ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، عن مجاهد عن ابن عباس كما في الدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/١ وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٠/١ أنها نزلت في علي .. إلخ . وذكره ابن كثير ٤٨٢/١ وعزاه إلى ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف .

أقول : لم أره في تفسير ابن جرير ، والراجح أن الآية على العموم في كل من أنفق ماله بالليل والنهار والسر والجهار ، ابتغاء وجه الله عز وجل ، وهذا قول قتادة ، فقد قال رضي الله عنه : « هذه الآية في المنفقين في سبيل الله ، من غير تبذير ولا تقتير » وانظر المحرر الوجيز ٤٧٧/٢ .

(٢) هذا قول متفق عليه بين المفسرين ، أنهم لا يقومون من قبورهم يوم البعث والحساب ، إلا كالمصاب بالخَبَلِ والجنون ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي ، وابن زيد ، قال في التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٧/١ : « أجمع المفسرون أن المعنى : لا يقومون من قبورهم في البعث ، إلا كالمجنون ، يتخبَّطه الشيطان من المسِّ وهو الجنون » .

أقول : الآية وإن كانت تحتمل تشبيه حال المرابي في الدنيا بالمجنون ، الذي فقد الشعور والإدراك كما ذهب إليه بعضهم ، إلا أن ما ورد عن السلف ، وتظاهرت عليه أقوال المفسرين ، =

قال قتادة : أي الجنون[1] .

وقال غيره : هذا علامةٌ لهم يوم القيامة ، يخرج الناس من قبورهم مسرعين ، كما قال تعالى ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً ﴾[2] . إلا أَكَلَةُ الرِّبا ، فإنهم يقومون ويسقُطون ، أَرْبَى اللهُ الربا في بطونهم يوم القيامة ، حتى ثَقَّلَهُمْ ، فهم ينهضون ويسقطون ، ويريدون الإسراعَ فلا يقدرون[3] .

= يضعف هذا التأويل ، قال ابن عطية ٢/٤٨٠ : « قال المفسرون : يُبعث المرابي كالمجنون عقوبة له ، وتمقيتاً عند جمع المحشر ، ويقوِّي هذا التأويل المجمع عليه ما ورد في قراءة ابن مسعود « لا يقومون من قبورهم » .

(١) هذا تعريف المسِّ ، وأصله من المسِّ باليد ، كأن الشيطان يمسُّ الإنسان فيحصل له الجنون ، وانظر البحر المحيط ٢/٣٣٤ .

(٢) سورة المعارج آية رقم (٤٣) وتمامها : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سِرَاعاً كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفضون ﴾ .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/٣٣٠ : « الناس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا ، إلا أكلة الربا ، فإنهم يقومون ويسقطون ، لأن الله تعالى أربى الربا في بطونهم يوم القيامة ، حتى ثقلهم ، فلا يقدرون على الإسراع ، وقال سعيد بن جبير : تلك علامة أكل الربا إذا استحله يوم القيامة » . اهـ. قال الزجاج : ذكر أهل التفسير أن ذلك علم لهم في الموقف ، يعرفهم به أهل الموقف ، يُعلم أنهم أَكَلَة الربا في الدنيا . وقال الحافظ ابن كثير ١/٤٨٢ : « أخبر تعالى عن آكلي الربا أنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة ، ألا كما يقوم المصروع حال صرعه ، وتخبط الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً » ، قال ابن عباس : «آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق » رواه ابن أبي حاتم ، وعنه أيضاً أنه قال : « يُقال يوم القيامة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، وقرأ الآية ﴿ لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ﴾ وذلك حتى يقوم من قبره » . اهـ.

٢١٥ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ .. ﴾ [آية ٢٧٥] .

قال سفيان : يعني : القرآن(١) .

ومعنى : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ مغفورٌ له(٢) .

٢١٦ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ .

قال أبو إسحاق : أي اللهُ جَلَّ وعَزَّ وَلِيُّهُ(٣) .

قال غيره : (وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) في عصمته وتوفيقه ، إنْ شاء عصمه عن أكله ، وإن شاء خذله عن ذلك(٤) .

وقال بعضُ أهل التفسير : ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ في المستقبل .

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن السدي ١٠٤/٣ ولفظه : « أمَّا « الموعظة » فالقرآن ، وأما « ما سلَف » فله ما أكل من الربا » . اهـ.

أقول : المراد بالموعظة ههنا : التذكير والتخويف بآيات القرآن ، وما فيه من الوعيد والتهديد ، وليس المراد به مجرد القرآن ، ولهذا قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : المعنى : « من بَلَغه نهيُ الله عن الرِّبا . فانتهى حال وصول الشرع إليه ، فله من سلف من المعاملة » . اهـ.

(٢) يريد أنه لا يؤاخذه الله عز وجل بما أخذه من مال الربا قبل التحريم ، فيغفر له زلَّته ، ويصفح له عما سلف .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٥٨/١ وقال غيره : « أي أمره موكول إلى الله ، في أن يثيبه على الانتهاء ، أو يعذِّبه على المعصية في الربا » وهذا اختيار البيضاوي ، والنحاس ، والقرطبي ، وهو الأظهر ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٦١/٣ .

(٤) هذا قول سعيد بن جبير ذكره ابن الجوزي ٣٣١/١ والقرطبي ٣٦١/٣ والبحر ٣٣٦/٢ .

وهـذا قولٌ حسنٌ بيِّـنٌ ، أي وأمـرُه إلى اللَّـهِ في المستقبـل ، إن شاء ثبَّته على التحريم ، وإن شاء أباحه(١) .

٢١٧ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَمَـنْ عَادَ فَأُولَـئِكَ أَصْحَـابُ النَّـارِ هُمْ فِيهَـا خَالِدونَ** ﴾ [آية ٢٧٥] .

قال سفيان : من عاد فعمل بالربا حتى يموت(٢) .

وقال غيره : من عاد فقال إنما البيعُ مثل الربا فقد كفر(٣) .

٢١٨ ـ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا** .. ﴾ [آية ٢٧٨]

قال مجاهد : كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدَّيْنُ فيقول : لك كذا وكذا وتؤخِّر عني ، فيؤخِّر عنه ويزيده(٤) .

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٣/٢ ولم يعزه لأحد من أئمة السلف ، وذكـره القرطبي أيضاً ٣٦١/٣ وذكر أن هذا أحد أربع تأويلات في الآية الكريمة ، وفي البحـر ٣٣٥/٢ ذهب إلى أن الأظهر في الآية أن الضمير يعود إلى المنتهي ، وهو بمعنى التأنيس له ، وبسط أمله في الخير .

(٢) البحر ٣٣٦/٢ والقرطبي ٣٥٨/٣ عن سفيان والزجاج في معاني القـرآن ٣٥٨/١ قال : والمعنـى أن من عاد إلى استحلال الربا فهو كافر ، لأن من أحلَّ ما حرَّم الله فهو كافر .

(٣) وضَّح هذا ابن عطية في المحرر ٤٨٣/٢ فقال : والمعنـى : فمـن عاد إلى فعـل الربـا والقـول « إنما البيع مثل الربا » وإن قدَّرنا الخلود في كافر ، فالخلود خلود تأبيد حقيقي ، وإن لحظناها في مسلم عاص ، فهو خلود على معنى المبالغة ، كما يقـول العـرب : ملك خالـد : عبـارة عن دوامٍ ما ، لا على التأبيد الحقيقي .

(٤) ذكره الطبري عن مجاهد ١٠١/٣ عند قوله تعالى ﴿ الذيـن يأكلـون الربـا .. ﴾ وهـو قول قتـادة أيضاً قال : فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده وأخر عنه . اهـ.

أقول : هذا ما يسمى بالربا المركب في زماننا نعوذ بالله منه .

٢١٩ ـ **وقوله جلّ وعزَّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .. ﴾** [آية ٢٧٩] .

أي فأَيْقِنوا ، يُقال : أَذِنْتُ بالشيء ، فأنا أذينٌ به[1] ، كما قال :

« فَإِنِّي أَذِينٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً »[2]

ومعنى « فآذِنُوا »[3] : فأَعلِمُوا غيركم أنكم على حربهم .

٢٢٠ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لاتَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾** [آية ٢٧٩] .

---

(١) قال في اللسان : أَذِنَ بالشيء إِذْناً وأَذَناً : عَلِمَ ، وفي التنزيل « فأذنوا بحرب » أي كونوا على علم ، ومن قرأ « فآذنوا بحرب » أي أعلموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله . اهـ.

(٢) هذا صدر بيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٧٣ وذكره الجوهري في الصحاح ، وابن منظور في اللسان بلفظ :

وإنّي أذِينٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً ... بِسَيْرٍ تَرَى فِيهِ الفُرَانِقَ أَزْوَرَا

وهو في الديوان بلفظ « وإني زعيم » وفي اللسان والصحاح « أذينٌ » ومعناه زعيم ، والزعيم هو الكافل والضامن ، يقول : إن عاد لي ملكي بعد هذه الرحلة ، فأنا كفيل بأن أسير سيراً شديداً ، ترى منه الأسد مائل العنق من شدته .

(٣) هذه قراءة حمزة ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ١٩٢ قال ابن الجزري في كتابه النشر ٣٥٩/١ : قرأ حمزة وأبو بكر بقطع الهمزة ممدوة وكسر ذال ﴿ فآذِنوا ﴾ وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة ﴿ فَأْذَنوا ﴾ . اهـ. قال الزجاج ٣٥٩/١ : من قرأ ﴿ فَأْذَنوا ﴾ فالمعنى : أيقنوا ، ومن قرأ ﴿ فآذِنوا ﴾ كان معناه فأعلِمُوا كل من لم يترك الربا أنه حرب لله ورسوله . اهـ.

ثم قال الضحَّاك : كانوا في الجاهلية يتبايعون بالرِّبا ، فجاء الإسلامُ وقد بقيَتْ لهم أموال ، فأُمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم ، ولا يأخذوا الربا الذي كانوا أربَوْا به ، وأُمروا أن يتصدقوا على من كان معسراً[١] .

٢٢١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ .. ﴾ [آية ٢٨٠] .

قال ابراهيم : نزلت في الربا[٢] .

قال الربيع بن خُيْثم : هي لكل مُعْسِرٍ يُنْظَرُ[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ حسن ، لأن القراءة بالرفع[٤] بمعنى : وإن وقَعَ ذو عُسْرة من الناس أجمعين ، إن كان فيمن تطالبون ، أو تبايعون ذو عسرةٍ .

---

(١) الأثر أخرجه عبد بن حميد عن الضحاك ، كما في الدر المنثور ٣٦٨/١ ورواه ابن جرير الطبري ١٠٩/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٢/١ بنحوه .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن إبراهيم النخعي ، وهو قول مجاهد عن ابن عباس أيضاً كما في الطبري ١١٠/٣ والدر المنثور ٣٦٨/١ وروى الطبري عن ابن سيرين ، أن رجلاً خاصم رجلاً إلى شريح ، فقضى عليه وأمر بحبسه ، فقال رجل : إنه معسر ، فقال شريح : إنما ذلك في الربا ، والله يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها .

(٣) هذا قول الجمهور أن الآية عامة في جميع الناس ، فكل من أعسر ولم يجد وفاء لدَيْنه ، ينبغي إمهاله وإنظاره ، وهذا قول أبي هريرة ، والحسن ، وعامة الفقهاء ، كما ذكره الطبري ٣٧٢/٣ .

(٤) هذه قراءة الجماعة ﴿ ذُو عُسْرَة ﴾ وعلى ذلك تكون « كان » تامَّة بمعنى وُجِدَ أو حصل ، وقُرِئ ﴿ وإن كان ذَا عسرة ﴾ أي إن كان الذي أخذ الربا ذا عُسرة ، فينبغي انتظاره إلى أن يوسر ويصبح غنياً ، وقد وردت في مصحف عثمان رضي الله عنه ، ولكنها ليست من القراءات السبع المعتمدة .

ولو كان في الربا خاصة ، لكان النَّصْبُ الوجهَ ، بمعنى وإن كان الذي عليه الربا ذا عُسْرة .

على أن المعتمر قد رَوَىٰ عن حجَّاج الورَّاق قال : في مصحف عثمان « وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَة » والمعنى : فعليكم النَّظرِة أي التأخير إلى أن يوسِرَ .

وَرُوِيَ عن عطاء أنه قرأ « فَنَاظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ » على جهة الأمر[1] .

٢٢٢ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٢٨٠] .

قال ابراهيم : أي برأسِ المال[2] .

قال الضحاك : وأن تَصَدَّقوا من رأس المال ، خيرٌ من النَّظرِة[3]

---

(١) و (٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جنى ١٤٣/١ وهي عنده بالهاء ﴿ فناظِرُهُ ﴾ وقال الزجاج في معانيه ٣٥٩/١ : ﴿ فَنَاظِرَةٌ إلى ميسرة ﴾ فاعلة من أسماء المصادر ، نحو ﴿ ليس لوقْعَتها كاذبة ﴾ ونحو ﴿ تظن أن يُفعل بها فاقرة ﴾ وانظر أيضاً المحرر الوجيز لابن عطية ٤٥٩/٢ .

(٢) و (٣) الأثران ذكرهما الطبري ١١٣/٣ واختار أن المعنى : وأن تصدَّقوا بأصل المال خير لكم ، وذكر أنه قول قتادة ، والسدي ، والربيع ، قال الربيع : إن تصدقت عليه برأس مالك فهو خير لك ، والحاصل أن الفارق بين قول إبراهيم والضحاك ، أن الأول يذهب إلى أن ترك مطالبة المعسر ، بالتصدق عليه بترك رأس المال والربح ، فلا يطالبه بشيء ، وعلى قول الضحاك : يُسقط عنه الربا ويترك عنه شيئاً من رأس المال ، قال الزجاج ٣٦٠/١ : أمرهم الله بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا ، إذا كان المطَالَبُ معسراً ، وأعلمهم أن الصدقة برأس المال عليه أفضل .

ورَوَىٰ عليُّ بنُ الحَكَمِ عن الضَحَّاكِ قال : « زعم ابنُ عباس أنَّ آخر آيةٍ نزلت من القرآن ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢٨١] .

قُرِىء على أحمد بن شعيب عن محمد بنِ عقيل ، عن عليِّ بنِ الحُسَيْن . قال : حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ .. ﴾ الآية أنها آخر آيةٍ أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

٢٢٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى فَاكْتُبُوهُ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

في معناها أقوال :

١ ــ منها أن هذا على الندب ، وليس بحتم[2] .

---

(١) هذا هو المشهور عند الجمهور ، أن قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله .. ﴾ هي آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ، قال ابن عباس : وتُوفي رسول الله ﷺ بعدها بواحدٍ وثمانين يوماً ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٤/١ والدر المنثور للسيوطي ٣٧٠/١ والبحر المحيط لأبي حيان ٣٤١/٢ وقيل : توفي بعد نزولها بتسع ليال ، ورجحه ابن جرير .

(٢) أمر تعالى بكتابة الدَّين لأن ذلك أوثق ، وآمَنُ من النسيان ، وأبعد من الجحود ، فهو أمر ندب وإرشاد ، وهو قول الجمهور ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي ائتمن أمانته .. ﴾ الآية . وذهب الطبري وأهلُ الظاهر إلى أنه للوجوب ، لأن أمر الله فرضٌ لازم ، والجمهور كما بينا على أنه للندب ، لئلا يقع التجاحد أو النسيان ، قال الحافظ ابن كثير ٤٩٦/١ : ﴿ فاكتبوه ﴾ أمرٌ منه تعالى بالكتابة للتوثقة والحفظ ، فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب كما ذهب إليه بعضهم ، قال : وروي عن الشعبي ، والربيع ، والحسن ، وابن جريج ،=

٢ ــ ومنها أن أبا نضرة ، روى عن أبي سعيد الخدري ، أنه تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ .. ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ قال : نَسَخَتْ هذه الآية ما قبلَها[١] .

٣ ــ **وقيل** : إنَّ هذا واجبٌ في الأجلِ ، والإشهَادُ في العاجل ، وإنما الرخصةُ في الرهن[٢] .

ويُقال : دَايَنتُ الرجلَ : إذا أقرضتُه واستقرضتُ منه ، وكذلك تداينَ القومُ .

وأدنتُ الرجلَ : بعتهُ بدينٍ ، ودِنْتُ ، وادَّنْتُ أي أخذتُ بدين ، وأنا دائنٌ ، ومُدَّانٌ .

والمُدِينُ : المَلِكُ ، إذا دانَ الناسُ له ، أي سمعوا وأطاعوا[٣] .

= وغيرهم ، أن ذلك كان واجباً ثم نُسخ بقوله تعالى ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً .. ﴾ الآية . ثم ذكر حديث الذي استلف ألف دينار ، فقال : ائتني بشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيداً ، فقال ائتني بكفيل ، قال : كفى بالله كفيلاً ، فدفعها إليه .. » إلخ . وهو من رواية البخاري .

(١) المرجع السابق .

(٢) يريد المصنف ــ والله أعلم ــ أن يقول : إن كتابة الدين في السَّلم والدَّين إلى أجل واجب ، أما إذا كان البيع حالاً فالإشهاد ندب ، وإنما رُخّص عدم الكتابة والإشهاد في الرهن لوجود القبض فيه ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ .

(٣) في الصحاح : دِنتُ الرجل : أقرضته فهو مدين ومديون ، ودانَ دَيْناً : استقرض وصار عليه دين فهو دائن ، وادَّان : استقرض ، وتداينوا : تبايعوا بالدَّين ، والدِّين : الطاعة ، ودان له أي أطاعه . اهـ.

ومما يُسأل عنه أن يُقال : ما وجهُ « بِدَيْنٍ » وقد دلَّ « تَدَايَنْتُمْ » على الدَّيْن ، فهل تكون مداينةٌ بغير دين ؟ .

فالجوابُ أن العرب تقول : « تداينَّا » أي تجازينا « وتعاطينا » الأخذ والإعطاء ، فجاء « بِدَيْنٍ » مبيناً للمعنى المقصود[1] .

٢٢٤ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ .. ﴾** [آية ٢٨٢] .

قال السدي : بالحقِّ ، أي لا يكتب لصاحب الحق أكثر ممَّا له ، ولا أقلَّ[2] .

٢٢٥ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٢٨٢] .

قيل : كما علَّمه اللَّهُ من الكتابة بالعدل[3] .

---

(١) قال في البحر ٣٤٣/٢ : وإنما ذكر تعالى قوله ﴿ بدين ﴾ وإن كان مفهوماً مِنْ «تَدَايَنْتُمْ » لإزالة اشتراك تَدَاين ، فإنه يُقال : تداينوا أي جازى بعضهم بعضاً ، فلما قال ﴿ بدين ﴾ دلَّ على غير هذا المعنى ، أو للتأكيد على أي دين كان صغيراً أو كبيراً ، وعلى أيِّ وجه كان من سَلَم ، أو بيع إلى أجل مسمى . اهـ. وقال الطبري ١١٧/٣ : إن العرب تقول : تداينَّا بمعنى تجازينا ، فأبانَ الله بقوله ﴿ بدين ﴾ أن المراد حكم الدين لا حكم المجازات .

(٢) قال الطبري ١١٩/٣ : ﴿ بالعدل ﴾ يعني بالحق والإنصاف ، بما لا يحيف ذا الحق حقه ، ولا يبخسه ، ولا يوجب له حجة بباطل ، ولا يُلزمه ما ليس له عليه . اهـ. وقال الزجاج في معانيه ٣٦٢/١ : أي يكتب بالحقِّ ، لا يكتب لصاحب الدَّين فضلاً على الذي عليه الدَّين ، ولا يُنقصه من حقه ، فهذا العدل .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣٦٢/١ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٧/١ .

وقيل : كما فضَّله اللهُ بعلم الكتابة[1] .

٢٢٦ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْه الحَقُّ سَفِيَهاً ، أَوْ ضَعِيفاً ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ .. ﴾** [آية ٢٨٢] .

قال ابن وهب : أخبرني يونس أنه سأل ربيعة : ما صفة السفيه ؟

فقال : الذي لا يُثمِّر مالَه في بيعه ولا ابتياعِهِ ، ولا يمنع نفسه لذَّةً ، يسقط في المال سقوط من لايعدُّ المال شيئاً ، الذي لايُرَىٰ له عقلٌ في مالٍ[2] .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : السَّفيهُ : الجاهلُ بالإملاءِ ، والضعيفُ : الأخرقُ[3] .

وقال أبو إسحاق : السَّفيهُ : الخفيفُ العقل ، ومن هذا تَسَفَّهتِ الريحُ الشيءَ إذا حركته واستخفَّته[4] ، ومنه :

---

(١) هذا قول سعيد بن جبير ، واختاره الطبري في جامع البيان ٣/١١٩ وكذلك أبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٤٤ فقال ﴿ كما علَّمه الله ﴾ أي مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق ، لا يبدِّل ولا يغيِّر ، وفيه تنبيه على المنة عليه بتعليم الله إيَّاه .

(٢) خلاصة هذا القول أن السفيه هو الأحمق المبذِّر لماله ، الذي لا يعرف قدر المال ، ولا يرغب في تثميره ، وانظر البحر ٢/٣٤٤ .

(٣) حكاه الطبري عن ابن عباس ٣/١٢٣ وابن الجوزي ١/٣٣٧ وقال القرطبي٣/٣٨٥ : السَّفيه : المهلهل الرأي في المال ، الذي لا يحسن الأخذ لنفسه ولا الإعطاء ، شُبِّه بالثوب السَّفيه وهو الخفيف النسج ، وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٥٠٥ والشوكاني في فتح القدير ١/٣٠٠ .

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٣٦٣ .

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ
أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[1]

وحكىٰ **غيرُه** أن السَّفَه : كلُّ ما يقبح فعلُه أي هو فعلٌ ليس بمحكم ، من قولهم : ثوبٌ سفيهٌ إذا كان متخلخلاً[2] .

فأما الضعيف فهو ــ واللهُ أعلمُ ــ الذي فيه ضعفٌ ، من خَرَسٍ ، أو هَرَمٍ ، أو جنون[3] .

٢٢٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

في معنى هذا قولان :

رَوَىٰ **سفيانُ** عن يونس عن الحسن ﴿ فلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾

قال الضحاك : وليُّ السفيه الذي يجوز عليه أمره ، فهو وليُّه

(١) البيت لذي الرُّمة كما في ديوانه (٦١٦) يصف نساءً يمشين بخفة ورشاقة مشية المدلَّهات الغانيات ، ومراده بالرماح : الأغصان : وتسفَّهت : أمالت ، وهو في اللسان « سفه » وفي معاني الزجاج ٣٦٣/١ وفي القرطبي ٣٨٦/٣ والشوكاني ٣٠٠/١ وفي تفسير ابن عطية ٥٠٥/٢ .

(٢) في الصحاح : السفه : ضد الحلم ، وأصله : الخفَّة والحركة ، يُقال : تسفَّهت الريح الشجر : أي مالت به ، وسفه فلان بالضم سفاهاً وسفاهة ، أي صار سفيهاً ، وفي المصباح : السفه : نقص في العقل .

(٣) هذا قول ابن عباس كما في البحر ٣٤٤/٢ قال : هو العاجز ، والأخرس ، ومن به حمق ، وقال الطبري : الضعيف : هو العاجز عن الإملاء لعيٍّ أو لخرس ، وإن كان شديداً رشيداً . اهـ. جامع البيان ١٢٢/٣ .

أي يقوم بأمره ﴿ بِالعَدْلِ ﴾ هو الذي يُملي الحقَّ[1] .

والقولُ الآخرُ عن ابن عباس أن المعنى : فَلْيُمْلِلْ وليُّ الذي هو عليه .

واحتجَّ بهذا القول من ذهب إلى نفي الحَجْر عن الأحرار ، البالغين العقلاء ، وهو مذهبُ محمد بن سيرين ، وإبراهيم النَّخعي[2] .

٢٢٨ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

قيل : من أهل ملتكم[3] .

---

(١) و(٢) القول الأول هو الأصح وهو الراجح ، وهو قول الضحاك ، وابن زيد : واختاره الزجاج ٣٦٣/١ وعاب القول الآخر فقال : كيف يُقبل قول المدَّعي ؟ وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد إذا كان القول قوله ؟ وقال القرطبي ٣٨٨/٣ : « ذهب الطبري إلى أن الضمير في « وليُّه » عائد على « الحق » وأسند في ذلك عن الربيع وابن عباس ، وقيل : هو عائد على « الذي عليه الحق » وهو الصحيح ، وما رُوي عن ابن عباس لا يصح ، وكيف تشهد البيِّنة على شيء ، وتُدخل مالاً في ذمة السفيه ، بإملاء الذي له الدين ؟ هذا شيء ليس في الشريعة » . اهـ. وهذا القول قد سبقه به ابن عطية ٥٠٦/٢ فضعَّف ما نسب إلى ابن عباس ، والخلاصة أن قوله تعالى ﴿ فليملل وليه بالعدل ﴾ أي إن كان الذي عليه الحق لا يستطيع الإملاء بنفسه ، لعي ، أو خرس فليملل وكيله بالعدل من غير زيادة أو نقص . والله أعلم .

(٣) أي من أهل دينكم فهو المراد بقوله ﴿ من رجالكم ﴾ أي من المسلمين الذكور ، إذ لا تُقبل شهادة الكافر على المسلم ، قال أبو حيان في البحر ٣٤٥/٢ : « لفظ « شهيد » للمبالغة ، وفيه إشارة إلى العدالة ، لأنه لا يتكرر ذلك من الشخص عند الحُكَّام، إلا وهو مقبول عندهم ، والخطاب للمؤمنين ، وهم المصدَّر بهم الآية ، ففي قوله تعالى ﴿ من رجالكم ﴾ دلالة على أنه لا يُستشهد الكافر » . اهـ. وهو الصحيح ، ورُوي عن مجاهد أنه قال ﴿ من رجالكم ﴾ أي الأحرار ، وانظر الطبري ١٢٣/٣ .

٢٢٩ ــ ثم قال تعالى : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

أي ممَّن ترضون مذهبه[١] .

قال إبراهيم : ممَّن لم تظهر له ريبةٌ[٢] .

٢٣٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ .. ﴾ [آية ٢٨٣] .

أي أن تَنْسىٰ إحداهما فتذكِّرها الأخرى[٣] .

ورُوي عن الجحدري ﴿ أنْ تُضَلَّ ﴾ أي تُنَسَّى ، كما يقال : أُنسيتُ كذا[٤] .

فأما ما رُوي عن ابن عُيينة من أنه قال : تُصيِّر شهادتهما بمنزلة شهادة الذكر ، فلا يعرفه أهل اللغة ، وهو أيضاً خطأ ، لأنه لو كان إنما معناه : نجعلها بمنزلة الذَّكر ، لم يُحتجْ إلى « أَنْ تَضِلَّ » لأنها

---

(١) قال ابن عباس ﴿ ممن ترضون من الشُّهداء ﴾ أي من أهل الفضل والدين ، وقال الطبري : يعني من العدول ، المرتضى دينُهم وصلاحهم .

(٢) المراد بإبراهيم : « إبراهيم النخعي » رضي الله عنه ، وقوله هذا أنه لا يرتاب بأمره في فسق ، ولا كذب ، ولا فجور ، وانظر البحر ٣٤٧/٢ .

(٣) الضلال هنا معناه النسيان ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، والسدي ، والربيع ، وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٣/١ وابن قتيبة في غريب القرآن ص ٩٩ حيث قال : ﴿ أن تَضِل ﴾ أي تنسى إحداهما الشهادة ، فتذكِّرها الأخرى ، ومنه قول موسى ﴿ فعلْتُها إذاً وأنا من الضالين ﴾ أي من الناسين . اهـ.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٥١٢/٢ والبحر المحيط ٣٤٩/٢ والقرطبي ٣٩٧/٣ وهذه القراءات ليست من القراءات السبع .

كانت تجعلها بمنزلة الذَّكر ، ضَلَّتْ أو لم تَضِلَّ .

ولا يجوز أن تصيِّرها بمنزلة الذَّكر وقد نسيت شهادتها[1] .

وأما فتح « أَنْ » فنذكره في الإعراب إن شاء الله[2] .

٢٣١ ــ **ثم قال عزَّ وجل** : ﴿ **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَادُعُوا** .. ﴾

روى ابن نجيح عن مجاهد قال : إذا دُعي ليشهدَ وقد كان أُشْهِد[3] .

وقال الحسن : وإذا ما دعوا ابتداءً للشهادة ، ولا يأبوا إذا دُعوا لإقامتها[4] .

---

(١) وضح هذا المراد ابن عطية في تفسيره ٥١٢/٢ فقال : « وأما من قال « فتُذْكِر » بتخفيف الكاف أي تردُّها ذكراً في الشهادة ، لأن شهادة امرأة نصف شهادة ، فإذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر ، فهذا تأويل بعيد غير فصيح ، ولا يحسن في مقابلة الضلال إلا الذكر » . اهـ. وهو كلام واضح الدلالة .

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/١ فقد جاء فيه : « وقال سيبويه ﴿ أن تضل إحداهما ﴾ انتصب لأنه أمر بالإشهاد ، لأن تُذَكِّر ، ومن أجل أن تذكر ، فإن قال إنسان : كيف جاز أن تقول « أن تَضِل » ؟ ولم يُعدَّ هذا للإضلال والالتباس ؟ قلت : هذا كما يقول الرجل : أعددته أن يميل الحائط فأدعمه .. » إلخ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٧/٣ وابن الجوزي ٣٣٩/١ وابن كثير ٤٩٨/١ ولفظه : قال مجاهد : إذا شهِدتَ فدعيت فأجب .

(٤) الطبري عن الحسن ١٢٧/٣ والبحر المحيط ٣٥٠/٢ والقرطبي ٣٩٨/٣ قال الحسن : هو ألَّا تأبى إذا دعيت إلى تحمل الشهادة ، ولا إذا دعيت إلى أدائها ، قال الزجاج في معانيه ٣٦٥/١ : وهذا الذي قال الحسن هو الحق ، لأن الشهداء إذا أبوا أن يشهدوا ، تَوِيَتْ ــ أي ضاعت ــ حقوقهم ، وبطلت معاملاتهم ، فيما يحتاجون إلى التوثيق فيه » . اهـ. وهذا ما رجحه الإمام النحاس ، أما الحافظ ابن كثير فقد رجح ما ذهب إليه الطبري فقال ٤٩٨/١ : « معناه إذا

قال أبو جعفر : قيل : قولُ الحسن أشبهُ ، لأنه لو كان ذلك لهم لتويت الحقوق ، ولأن بعده ﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ﴾ أي لا تملُّوا أن تكتبوا الحقَّ ، كان كثيراً أو قليلاً ، كما يُقال : لأعطينَّك حقَّك ، صَغُرَ أو كَبُر .

وقال الأخفش : ﴿ أَنْ تَكْتُبُوهُ ﴾ فأضمر الشاهد ، قال وقال ﴿ إِلَى أَجَلِهِ ﴾ أي إلى الأجل الذي تجوزُ فيه شهادته ، والله أعلمُ .

هذا في كلام الأخفش نصاً[1] .

قال أبو جعفر : واختار محمدُ بن جريرٍ قول مجاهد ، أنَّ المعنى ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ أن ذلكَ ، إذا كانت عندك شهادةٌ فدعيتَ ، وهو قولُ سعيد بن جبير ، وعطاء ، وعكرمة ، والشعبي ، والنَّخعي[2] .

= دُعوا فعليهم الإجابة ، وهو قول قتادة والربيع بن أنس ، ومن هذه الآية استفيد أن تحمُّل الشهادة فرض كفاية ، وقيل ــ وهو مذهب الجمهور ــ أن المرادَ بقوله ﴿ ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ﴾ للأداء ، لحقيقة قوله « الشهداء » والشاهد حقيقة فيمن تحمَّل ، فإذا دُعي لأدائها ، فعليه الإجابة إذا تعيَّنت ، وإلَّا فهو فرض كفاية » . اهـ. وهذا ما ذهب إليه الطبري في ترجيحاته ١٢٩/٣ .

(١) انظر معاني القرآن للأخفش ٣٩٣/١ قال في البحر ٣٥٠/٢ : « لمَّا نهى عن امتناع الشهود إذا ما دُعوا للشهادة ، نهى أيضاً عن السآمة ــ أي الملل ــ في كتابة الدين ، كل ذلك ضبط لأموال الناس ، وتحريض على ألَّا يقع النزاع ، لأنه متى ضُبط بالكتابة والشهادة ، قلَّ أن يحصل فيه وهم أو إنكار ، ونصَّ على الأجل للدلالة على وجوبه » . اهـ.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٢٩/٣ وتفسير ابن كثير .

قال محمد بن جرير : « لأن الله قد ألزمهم اسم الشهداء ، وإنما يلزمهم اسم الشهداء إذا شهدوا على شيءٍ قبل ذلك ، وغيرُ جائزٍ أن يُقال لهم « شهداء » ولم يشهدوا .

ولو كان ذلك لكان الناس كلهم شهداء ، بمعنى أنهم يشهدون ، فصار المعنى : إذا مادُعوا ليؤدُّوا الشهادة ، وأيضاً فدخول الألف واللّام يدل على أن المعنيَّ بالنَّهي شخصٌ معلوم »[(١)] .

٢٣٢ ــ ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

قال سفيان : معناه أعدلُ[(٢)] ، ثم قال ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ أي أثبتُ ، لأن الكتابَ يُذكِّر الشاهدَ ما شهد عليه .

٢٣٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

---

(١) هذا خلاصة رأي الإمام الطبري ، وقد ذكره ابن جرير في تفسيره بأوسع من هذا ١٢٩/٣ وعلّل له ودلّل ، واختاره ابن كثير كما تقدم ، ورجح القاضي أبو يعلى قولاً وسطاً فقال : « إنما يلزم الشاهد أن لا يأبى ، إذا دُعي لإقامة الشهادة ، إذا لم يوجد من يشهد غيره ، فأما إن كان قد تحملها جماعة ، لم تتعين عليه ، وكذلك في حال تحملها ، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد » . اهـ. تفسير ابن الجوزي ٣٣٩/١ .

(٢) هذا تفسير قوله « أقْسطُ » وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه لأن عدم الكتابة ظلم ، والمعنى : ذلكم هو القسط عند الله ، أي العدل ، يُقال : أقْسَطَ بمعنى عدل ، وقسطَ بمعنى ظلم ، قال تعالى ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وقال ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ فالثلاثي ﴿ قسط ﴾ يأتي اسم الفاعل منه قاسط ، والرباعي ﴿ أقسَطَ ﴾ يأتي مُقْسِط ، وبذلك تتم التفرقة بينهما .

أي لا تَشُكُّوا[1] .

ثم رخّص في ترك الكتابة فيما يجري بين الناس كثيراً ، فقال تعالى : ﴿ إلاَّ أَنْ تكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾[2] [آية ٢٨٢] .

٢٣٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

فيه أقوال :

١ ـ منها أن المعنى ـ على قول عطاء ـ لايمتنعا إذا دُعيا[3] .

كما رَوَىٰ ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن عِكْرمة قال : كان عمر يقرأ « وَلاَ يُضَارِرْ كَاتِبٌ ولا شَهِيدٌ »[4] .

وقال طاووس : لا يُضارِرُ كاتبٌ فيكتب ما لم يُمْلَلْ

---

(١) معنى الآية : ما أمرناكم به من كتابة الدين ، أعدل في حكمه تعالى ، وأثبت للشهادة ، وأقرب لنفي الشك ، للشاهد والحاكم ، وما ضُبطَ بالكتابة والإشهاد ، لا يكاد يقع فيه شك ، ولا لبس ، ولا نزاع ، فما أجل حكمه الله !!

(٢) هذا فيما وقعت المبايعة فيه بالنقد بالدين ، والمعنى : إلا إذا كان البيع حاضراً يداً بيد ، والثمن مقبوضاً ، قال في البحر ٣٥٣/٢ : « ما بيع نقداً يداً بيد ، لا يكاد يحتاج إلى كتابة ، إذ مشروعية الكتابة إنما هي لضبط الديون ، وهذا مفقود هنا » .

(٣) ذكر هذا الأثر عن عطاء الطبري في جامع البيان ١٣٥/٣ وأبو حيان في البحر ٣٥٣/٢ وابن عطية في المحرر الوجيز ٥١٧/٢ .

(٤) انظر القرطبي ٤٠٥/٣ وتفسير ابن عطية ٥١٨/٢ والمحتسب لابن جني ١٤٨/١ قال : والإدغام لغة تميم ، والإظهار لغة الحجازيين . اهـ.

عليه[1] .

وقال الحسن : ولا يُضاررُ الشهيد أن يزيد في شهادته[2] .

٢ ـ ورُوي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ قالا : نُهي أن يُجاء إلى الشاهد والكاتب ، فيُدْعَيا إلى الكتابة والشهادة ، وهما مشغولان ، فيُضَارَّا، فيقال : قد أمَرَكا اللَّهُ ألَّا تمتنعا ، وهو مستغنٍ عنهما[3] .

---

(١) و (٢) و (٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ١٣٧/٣ والقرطبي ٤٠٥/٣ وابن عطية ٥١٨/٢ وأبو حيان في البحر ٣٥٣/٢ وابن كثير ٤٩٩/١ والسيوطي في الدر ٣٧٢/١ وغيرهم ، والحاصل أن في معنى الآية قولين مشهورين : الأول : أن المعنى : لا يضرُّ الكاتب في الكتابة ، فيكتب خلاف ما يُملي عليه ، ولا الشاهد فيزيد في شهادته ، أو يُنقص منها ، أو يشهد بخلاف ما سمع ، أو يكتمها بالكلية وهو قول عطاء والحسن ، وهذا ما رجحه الزجاج . والثاني : أن المعنى لا يضر صاحب الحق الكاتب والشاهد ، فيدعوهما للشهادة أو للكتابة وهما مشغولان ، فإذا اعتذرا أحرجهما وعنَّفهما وقال : خالفتما أمر الله ، وآذاهما بالكلام ، فلا يجوز له ذلك ، لأنه إضرار بهما ، وهذا ما رجحه الطبري ، وهو مروي عن مجاهد وابن عباس . قال الطبري ما خلاصته : إن الخطاب من أول الآيات إنما هو للمكتوب له ، وللمشهود له ، وليس للشاهد والكاتب خطاب تقدم ، فالنهي لهم أبين ألا يضرُّوا بالكاتب والشهيد فيشغلونهما عن شغلهما ، وهم يجدون غيرهما ، قال : ومِمَّا يرجح هذا القول أنه لو كان خطاباً للكاتب والشهيد لقيل : وإن تفعلا فإنه فسوق بكما لأنهما اثنان ، والآية وردت ﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ بصيغة الجمع .. » إلخ . وأما الزجاج فقد قال في معانيه ٣٦٧/١ ما خلاصته : ﴿ لا يَضار ﴾ أصله لا يُضَارر ، أدغمت الراء في الراء ، وفتحت لالتقاء الساكنين ، والمعنى : لا يكتب الكاتب إلا بالحق ، ولا يشهد الشاهد إلا بالحق ، وقال قوم ﴿ لا يُضار كاتب ولا شهيد ﴾ أي لا يُدعى الكاتب وهو مشغول ، لا يمكنه ترك شغله ، إلَّا بضرر يدخل عليه ، وكذلك لا يُدعى الشاهد ، ومجيئه للشهادة يضر به .. ثم قال : والأول أبين ، لقوله تعالى : ﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ فالفاسق أشبه بغير العدل ، وبمن حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد ، ودعا كاتباً ليكتب ، وهو مشغول ، فليس يسمى هذا فاسقاً ، ولكن يسمى من كذَبَ في الشهادة ، ومن حرَّف في الكتاب » . اهـ. معاني الزجاج . =

والتقدير على هذا القول « ولا يُضَارَرْ » وكذا قرأ ابنُ مسعود .

فنهى اللهُ جلَّ وعزَّ عن هذا ، لأنه لو أطلقه لكان فيه شغلٌ عن أمر دِينهِما ، ومعاشِهما .

٢٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨٢] .

قال سفيان : ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ قال : معصيةٌ .

٢٣٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبَاً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ .. ﴾ [آية ٢٨٣] .

وقرأ ابن عباس « كتاباً »[1] .

وقال : قد يوجد الكاتبُ ولا توجد الصحيفة .

وكذا قرأ أبو العالية ، وعكرِمة ، والضحَّاكُ ، ومجاهد .

= أقول : ما ذهب إليه الطبري من حيث اللفظ والمعنى أصح وأرجح ــ وإن كان ما ذهب إليه الزجاج مقبولاً وصحيحاً ــ وذلك لأن الخطاب من أول الآية إلى آخرها مع أصحاب الحقوق ، من الدائنين والمتبايعين ، فقد أمرهم الله تعالى بكتابة الدين وتوثيقه بالشهود ، ضماناً لحقوقهم ، والكُتَّاب والشهود ، ما هم إلا عون لمعرفة الحق ووصوله إلى صاحبه ، وهم في كتابتهم وشهادتهم محسنون ، فلا ينبغي أن يلحقهم ضرر من غيرهم ، إذ ما على المحسنين من سبيل ، فكأنه تعالى يقول : لا تضرُّوا بمن كان محسناً من كاتب أو شهيد ، فتلزموه الحضور للشهادة مع شغله إذا رأيتم غيره ، والله أعلم .

(١) ذكر هذه القراءة القرطبي ٤٠٨/٣ وابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٢/٢ وهي ليست من القراءات السبع ، وقد حملها النحاس ومكي على أن المعنى : إن عُدمت الدواة ، والقلم ، والصحيفة ، وقال مكي : كتاب جمع كاتب كقائم وقيام ، وانظر المحرر الوجيز ٥٢٢/٢ .

وقيل : إن كِتَاباً جمعُ كاتب ، كما يُقال : قايمٌ ، وقيام .

وقيل : هما بمنزلة اثنين[1] .

٢٣٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ .. ﴾ [آية ٢٨٣] .

قرىء « فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ »[2] رُهُن جمعُ رهـانٍ ، ويجوز أن يكـون جمعَ رَهْنٍ ، مثل سَقْفٍ ، وسُقُفٍ .

٢٣٨ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ .. ﴾ آية ٢٨٤] .

فيها أقوال :

رُوي عن ابن مسعود ، وأبي هريرةَ ، وابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾[1] .

إلاَّ أن عليَّ بنَ أبي طلحة روى عن ابن عباس أنه قال : لم تُنسخ ، ولكنْ إذا جمع اللهُ الخلائق يقول : إني أخبركم بما أكننتم في

(١) يريد المصنف أن لفظ كاتب يقتضي وجود الكتاب ، ولفظ الكتاب يقتضي وجود الكاتب ، فهما في اللفظ واحد ، وفي المعنى اثنان .

(٢) قرأ الجمهور ﴿ فَرِهَان مقبوضة ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمروٍ ﴿ فَرُهُنٌ مقبوضة ﴾ وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٢/٢٣٧ والسبعة لابن مجاهد ١٩٤ .

(٣) هذا القول روي عن عِدَّة من الصحابة والتابعين ، أن الآية منسوخة ، نسختها الآية التي بعدها ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ذكره الطبري ٣/١٤٤ والقرطبي ٣/٤٢١ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٥٣١ وأبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٦٠ ورواه البخاري في صحيحه ٦/٤١ فقال ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم .. ﴾ الآية . عن ابن عمر أنها نُسخت . وانظر أيضاً الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧٤ .

أنفسكم ، فأما المؤمنون فيخبرهم ، ثُمَّ يغفرُ لهم .

وأمَّا أهلُ الشكِّ والرَّيب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب ، فذلك قولُه عز وجل ﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾(١) [آية ٢٨٤] .

وهو قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾(٢) من الشكِّ والنفاق .

وحدثنا أحمد بنُ شعيب ، قال : أخبرنا محمود بنُ غيلان ، قال حدثنا وكيعٌ ، قال حدثنا سفيانُ ، عن آدمَ بن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « لما نزلت هذه الآيةُ ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ دخل قلوبَهم منها شيء لم يدخلها من قبلُ ، فقال النبي ﷺ : قولوا : سمعنا وأطعنا ، وسلَّمنا !! فألقى اللهُ الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾ الآية وأنزل ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا](٣) قال : قد فعلتُ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾

---

(١) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، ورواه ابن جرير ١٤٧/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٧٥/١ وزاد فيه بعد قوله « ﴿ ما أكننتم في أنفسكم ﴾ مما لم تطَّلع عليه ملائكتي .. » إلخ .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٥) .

(٣) ما بين الحاصرتين من صحيح مسلم ، وقد سقط من المخطوطة .

قال : قد فعلتُ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، واعْفُ عَنَّا ، واغْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ قال : قد فعلتُ »[1] .

ورَوى إسماعيلُ بنُ أبي[2] خالد عن الشعبي قال : « نسختها الآية التي بعدها ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا .. ﴾[3] .

ورَوى مِقْسَمٌ عن ابنِ عباس : نزلت في الشهادة ، أي في

(١) الحديث أخرجه مسلم ١/١١٥ وأحمد في المسند ١/٢٣٣ والترمذي ٨/٣٣٨ وقال حسن صحيح والسيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٤ عن ابن عباس ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة بلفظ : « لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ، وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله .. ﴾ الآية اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا : أيْ رسول الله ! كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها ، قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا !؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه .. ﴾ الآية . فلما فعلوا ذلك ، نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا — قال نعم — ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا — قال نعم — ﴾ إلى آخر السورة ، قال نعم » صحيح مسلم ١/١١٥ وانظر الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧٤ . ومعنى « قد فعلت » أي قد استجبت ، وفي رواية مسلم : « قال : نعم » أي أجبتكم إلى ما طلبتم .

(٢) في المخطوطة « إسماعيل بن خالد » وصوابه « إسماعيل بن أبي خالد » الأحمسي ، كما في التهذيب ١/٢٩١ .

(٣) هذا الأثر عن الشعبي ذكره الطبري ٣/١٤٥ وابن عطية ٢/٥٣٠ وفي الدر المنثور ١/٣٧٧ .

إظهارها وكتمانها[1] .

وقال مجاهد : هذا في الشكِّ واليقين[2] .

ورَوَى حمَّاد بنُ سَلَمةَ عن علي بن زيد ، عن أُمَيَّة أنها سألت عائشة عن هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ وسألتْها عن هذه الآية ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ فقالت عائشة : ما سألني عنهما أحدٌ منذُ سألتُ عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عائشة : هذه معاتبةُ[3] اللَّهِ العبدَ بما يصيبه [من الحُمَّى ، والنكبة ، والشوكة ، حتى البضاعة يضعها في كمه][4] فيفقدها ، فيفزَعُ لها ، فيجدها في ضبنه ، حتى إن المؤمن ليخرجُ من ذنوبه ، كما يخرج التِّبر الأحمرُ من الكير »[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٤٣/٣ ومراده أن الآية ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ نزلت فيمن شهد بالحق ، أو كتم الشهادة ، وليست فيما يخطر للإنسان من خواطر ، أو تُحدِّثه به نفسه من أعمال ، فإنه لا يؤاخذ بها .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ قال : من اليقين والشك » ومراده أن الله يغفر لأهل الإيمان واليقين ، ويعذِّب أهل الشرك والنفاق ، فمن كان شاكاً في الله أو مرتاباً في رسله ، فهو الهالك المخلَّد في النار .

(٣) في المخطوطة « متابعة » وهو تصحيف ، وصوابه « معاتبة » كما في الترمذي ، وقد فسرها الشارح بقوله أي مؤاخذة العبد بما اقترف من الذنب .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من الهامش ، كما هو مذكور في رواية الطبري أيضاً ١٤٩/٣ .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي ، وانظر تحفة الأحوذي ٣٣٧/٨ والدر المنثور ٣٧٥/١ وقال الترمذي : حسن غريب ، وقد ورد في المخطوطة لفظ « عن آمنة » وصوابه « عن أمية » كما في سنن الترمذي (عن علي بن زيد عن أمية أنها سألت عائشة) وقال المباركفوري في التحفة ٣٣٦/٨ :

وقال الضحاك : « يُعلِمُهُ اللّهُ يومَ القيامةِ بما كان يُسِرُّه ، ليعلَمَ أنه لم يَخْفَ عليه »[1] .

وقيل : لا يكون في هذا نسخٌ لأنه خبرٌ[2] ، ولكنْ يُبيِّنُهُ ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[3] .

فالمعنى ــ واللهُ أعلمُ ــ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه من الكبائر ، والذي رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ حسنٌ ، والله أعلم بما أراد .

فأمَّا ما رُوي عن ابن عباس من النسخ ، فممَّا يجب أن يوقف على تأويله[4] ، إذْ كانتِ الأخبارُ لا يقع فيها ناسخٌ ولا منسوخ .

= أمية بالتصغير ويقال لها : أمينة ، قال في التهذيب « أمية بنت عبد الله » عن عائشة ، وعن ربيبُها علي بن زيد بن جدعان . اهـ. تحفة الأحوذي ٣٣٦/٨ .

(١) الطبري ١٤٨/٣ الضحاك عن ابن عباس قال : المحاسبة أن الله يخبرهم بما كانوا يسرون مما تطلَّع عليه الحفظة ، وذكره في الدر المنثور من طريق الضحاك بنحوه ٣٧٥/١ .

(٢) هذا ما اختاره الطبري ١٤٩/٣ فقد رجح أن الآية محكمة غير منسوخة ، وقال : إن الله وعد المؤمنين أن يعفو لهم عن الصغائر باجتنابهم الكبائر ، واستشهد بالآية ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه .. ﴾ وكذلك ابن عطية ٥٣٢/٢ حيث قال : وما ذهب إليه الطبري هو الصواب ، ثم قال : ومما يدفع أمر النسخ ، أن الآية خبر ، والأخبار لا يدخلها النسخ » .

(٣) سورة النساء آية رقم (٣١) .

(٤) أي مما يجب أن يُفهم على وجه الصحيح ، وهو أن مراده بقوله نسختها الآية الثانية ليس حقيقة النسخ المتعارف ، وإنما المراد أن حكمها مرفوع عن المؤمنين ، ليعرِّفهم فضله وإنعامه عليهم ، كما ورد في الصحيح (يُدني الله عبده المؤمن يوم القيامة ، حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بسيئاته ، ثم يقول له : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) وانظر الحديث في الطبري ١٥٠/٣ .

فإن صحَّ فتأويلُه أن الثاني مثلُ الأول ، كما تقول : نسختُ هذا من هذا .

وقيل : فيه قولٌ آخرُ ، يكون معناه : فأُزيلُ ما خالَطَ قلوبَهُمْ من ذلك وبُيِّن .

١٣٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ورُسُلِهِ .. ﴾ [آية ٢٨٥] .

أي كلُّهم آمنَ باللَّهِ .

وقرأ ابن عباس ﴿ وَكِتَابِهِ ﴾[1] وقال : كتابٌ أكثرُ من كُتُب ، يذهب إلى أنه اسمٌ للجنس[2] .

٢٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ .. ﴾ [آية ٢٨٥] .

رُوِي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، ويحيىٰ بنِ يَعْمُر ، أنهم

---

(١) هذه من القراءات السبع ، قرأ حمزة والكسائي ﴿ وكِتَابِهِ ﴾ بالإفراد وقرأ الجمهور ﴿ وَكُتُبِه ﴾ بالجمع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ١٩٥ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٣٧/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٥/١ .

(٢) يريد المصنف أن لفظ « كتاب » ليس للدلالة على كتاب واحد ، بل هو اسم جنس ، يراد به جنس الكتب التي أنزلها الله ، قال الزجاج في معانيه ٣٦٩/١ : وهذا كما تقول : كَثُر الدرهم في أيدي الناس ، أي الدراهم . اهـ.

أقول : مثاله في القرآن ﴿ وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تُحصوها ﴾ أراد نعم الله ، ومثاله في السنة « منعت العراق قفيزها ودرهمها .. » رواه أحمد .

قرءوا ﴿ لاَ يُفَرِّقُ ﴾[1] بمعنى : كلٌّ لا يُفَرِّقُ ، أي لا يُفرِّق الرسولُ والمؤمنون ، بينَ أحدٍ من رسله .

ومن قرأ بالنون فالمعنى عنده : قالوا : لانُفرِّق بين أحدٍ من رسله ، أي لانؤمنُ ببعضٍ ، ونكفُر ببعضٍ[2] .

ويدلُّ على النون « رَبَّنَا » .

٢٤١ ـ ثم قال تعالى ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [آية ٢٨٦] .

ومعنى « غُفْرَانَكَ » اغفرْ لنا غفراناً[3] .

٢٤٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [آية ٢٨٦] .

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر ٥٣٨/٢ وذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٥/٢ والطبري ١٥٢/٣ ولم أرها في القراءات السبع ، قال ابن جرير : والقراءة التي لا نستجيز غيرها بالنون ﴿ لا نُفرِّق ﴾ وهو خبر عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك ، ففي الكلام متروك لدلالة الكلام عليه ، وتأويل الآية : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون : لا نفرِّق بين أحد من رسله .. وترك ذكر « يقولون » لدلالة الكلام عليه ، كما تُرك ذكره في قوله تعالى ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم ﴾ أي يقولون سلام عليكم .

(٢) هذا تفسير للتفريق الذي ورد في الآية ﴿ لا نفرِّق بين أحد من رسله ﴾ أي لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض ، كما فعل اليهود والنصارى ، بل نؤمن بجميع الرسل . اهـ.

(٣) ﴿ غفرانك ﴾ مصدر منصوب بإضمار فعل من جنسه أي نستغفرك غفراناً ، كما يُقال : غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك ، قال الزجاج في معانيه ٣٧٠/١ : « فُعلان » من أسماء المصادر نحو السُّلوان والكفران ، أي اغفر غفرانك .

« وُسْعَهَـا » أي طاقتها[1] ، أي لايكلفهـــا فرضاً من الفـــروضِ لاتُطيقه .

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

قال محمد بن كعب : لها ما كسبت من الخير ، وعليها ما اكتسبتْ من الشرِّ[2] .

وقال غيره : معناه لايُؤَاخذُ أحدٌ بذنبِ أحد .

٢٤٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَـا .. ﴾ [آية ٢٨٦] .

قال قطرب[3] : النسيانُ ههنا : التَّركُ ، كقول الرجل للرجل : لا تَنْسَنِي من عطيَّتِكَ أي لا تتركني منها .

---

(١) في الصحاح : الوُسْع والسَّعَة : الجِدَة والطاقة ، والتوسيع خلاف التضييق . اهـ . وفي المصباح : الوُسْعُ : بضم الواو ، يُقال : في وُسْعه أي في طاقته وقوَّته ، ومنه ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ومعنى الآية : لا يكلف الله نفساً فوق قدرتها وطاقتها ، ولا يُحمِّلها ما لا قدرة عليه ، بل كل تكاليفه في حدود المستطاع .

(٢) فرَّق بعض المفسرين بين لفظ « كَسَبَ » و « اكْتَسَبَ » فقال : كسب في الخير ، واكتسب في الشر ، وهذا قول قتادة والسدي كما في الطبري ١٥٤/٣ وإليه ذهب كثير من المفسرين ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٧/٢ : « والصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد ، والقرآن ناطق بذلك ، قال الله تعالى ﴿ كل نفس بما كسبتْ رهينة ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ وقال : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة ﴾ وقال ﴿ بغير ما اكتسبوا ﴾ . اهـ.

(٣) « قطرب » هو الإمام اللغوي النحوي « محمد بن المستنير » أبو علي المتوفى سنة ٢٠٦هـ أخذ النحو عن سيبويه وله كتاب معاني القرآن ، انظر وفيات الأعيان ٦٢٥/١ وشذرات الذهب ١٥/٢

قال : « أو أخطأنا » أي خَطِئْنا وأذنبنا ، ليس على الخطأ .

قال أبو جعفر : الذي قال قُطْرب في « نَسِينَا » معروفٌ في اللغة ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[1] .

وقد يجوز أن يكون من النسيان ، لأن النِّسيانَ قد يكون سببُه الإقبالُ على ما لا يَحِلُّ ، حتى يقعَ النسيانُ .

والذي قال في ﴿ أَخْطَأْنَا ﴾ : لايعرفه أهلُ اللغة ، لأنه إنما يُقال : « خَطِينا » أي تعمَّدنا الذَّنب ، و « أخطأنا » : إذا لم نتعمده ، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر ، ولا يكون معنى « أخطأنا » : دخلنا في الخطيئة[2] ، كما يُقال : أظلمنا ، وأصبحنا ، وأنجدنا ! .

٢٤٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرَاً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا .. ﴾ [آية ٢٨٦] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٦٧) ومعنى الآية : تركوا طاعته فتركهم الله من رحمته وفضله ، وجعلهم كالمنسيين ، والشاهد في الآية أن النسيان هنا جاء بمعنى الترك ، وليس بمعناه المعروف لأن الله لا ينسى ﴿ لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى ﴾ .

(٢) فرّق علماء اللغة بين « أخطأ » وخَطِىء ، فقالوا « خطىء » إذا تعمد الذنب فهو خاطىء ، ومنه ﴿ لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ أي الآثمون ، المتعمدون لمقارفة الذنوب ، و « أخطأ » إذا أراد الصواب فصار إلى غيره ، فيقال له : مخطىء لا خاطىء ، وانظر المصباح المنير ، فما قاله النحاس هو الصواب ، قال الشاعر :

النَّـاسُ يَلْحَـوْنَ الأَمِيـرَ إذَا هُمْ   خَطِئُوا الصَّوَابَ ، وَلَا يُلَامُ المُـرْشِدُ

قال الأصمعي : أخطأ : سَهَا ، وخطىء : تعمّد ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٢/٣٦٨ .

قال مجاهد : الإصرُ : العهدُ[1] .

قال سعيد بن جبير : الإصرُ : شدَّةُ العمل ، وما غُلِّظَ على بني إسرائيل ، من البَوْلِ ونحوِه[2] .

وروي عن النبي ﷺ قال : (إنَّ اللَّه تَجَاوزَ لأمتي عَمَّا حدَّثَتْ به أَنْفسَهَا ، ما لم تعملْ بهِ ، أو تكلَّمْ به)[3] .

قال الضحاك : كانوا يُحمَّلون أموراً شداداً[4] .

قال مالك : الإصرُ : الأمر الغليظُ[5] .

قال أبو عبيدة : الإصرُ : الثِّقلُ[6] .

---

(١) و (٢) انظر الأثر في الطبري ١٥٨/٣ وابن الجوزي ٣٤٧/١ وابن عطية ٥٤٦/٢ ومراده بما «غُلِّظ على بني إسرائيل» التكاليف الشاقة التي كُلِّفوا بها كقطع الثوب في النجاسة ، وكشط الجلد إذا أصابه البول ، وقتل أنفسهم في التوبة ، وغير ذلك مما حصل لهم عقوبة على بغيهم ، قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٠٠/١ : الإصر : الثِّقْل أي لا تثقل علينا من الفرائض ما ثقَّلته على بني إسرائيل .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتابه الإيمان ١١٦/١ وابن ماجه ٣٧٧/١ وأحمد في المسند ٢٥٥/٢ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٦/١ وعزاه إلى الشيخين وأصحاب السنن .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٥٨/٣ وابن الجوزي ٣٤٧/٢ ولفظه : ما يصعب ويشق من الأعمال ، وذكر أنه قول الضحاك ، والسدي ، وابن زيد ، والجمهور ، وأحرجه في الدر عن الضحاك ٣٧٧/١ قال : ﴿ لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ أي لا تحمّلنا من الأعمال ما لا نطيق .

(٥) الأثر ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٤٦/٢ عن مالك رحمه الله ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٦٩/٢ ، والقرطبي ٤٣٠/٣ .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٤/١ قال : وكل شيء عطفك على شيء ، من عهد ، أو رَحِم ، فقد أصرَك عليه . اهـ.

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد .

أي لا تأخذ عهدنا بما لا نقوم به إلاَّ بثقل ، أي لا تحمل علينا إثم العهد ، كما قال تعالى ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾[1] وما أُمروا به فهو بمنزلة ما أُخِذ عهدهم به ، ومعنى « ما تَأْصِرُني على فلان آصِرَة » أي ما يُعطِّفني عليه عهد ولا قرابة[2] .

٢٤٥ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾** [آية ٢٨٦] .

معنى ﴿ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ : ما يَثقُل ، نحو ﴿ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفَاً مِنْ فِضَّةٍ ﴾[3] كما يقال : لا أطيق مجالسة فلان : أي ذلك يَثقُل عليَّ .

والإِصرُ : ثِقَلُ العهد ، والفرضِ ، و « مَالَاطَاقَةَ لَنَا بِهِ » : ما يثقل بالإضافة ، وقد يجوز أن يخفَّ على غيرنا[4] .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٨١) .

(٢) هكذا رُوي عن الزجاج أن قول العرب : « ما تأصرني على فلان آصرة » أي لا تعطفني عليه قرابة ولا منة ، واستشهد بقول الحطيئة :

عَطَفُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ آ … صِرَةٍ فَقَدْ عَظُمَ الأَوَاصِر

ديوانه ص ١٧٤ .

(٣) سورة الزخرف آية رقم (٣٣) وأول الآية ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا .. ﴾ الآية .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٣٧٢/١ ومعنى الآية : لا تمتحنا بمحنة تثقل علينا ، ولا تحملنا ما يثقل علينا ، فإن قال قائل : فهل يجوز أن يُحمِّل الله أحداً ما لا يطيق ؟ قيل له : إن أردت ما ليس في قدرته البتَّة فهذا محال ، وإن أردت ما يثقل ويَخِفُّ ، فللهِ عز وجل أن يفعل من ذلك ما أحبَّ ، لأن الذي كلَّفه بني إسرائيل من قتل أنفسهم يثقل ، وهذا كقول القائل : ما أطيق كلام فلان ، فليس المعنى ليس في قدرتي أن أكلمه ، ولكن معناه في اللغة يثقُلُ عليَّ . اهـ.

٢١٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ، وَاغْفِرَ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا ، فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٢٨٦] .

﴿ **وَاعْفُ عَنَّا** ﴾ أي امحُ عنَّا ذنوبنا ، والعافي : الدَّارِسُ المحيُّ ، والعافيةُ : دروسُ البلاء .

﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ أي غطِّ على عقوبتنا واسترها[1] .

وقيل : أي امحُ عنا ذنوبنا .

﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ أي وَليُّنا وناصرنا ، وقال لبيد :

فَغَـدَتْ كِلاَ الفَرْجَيْـنِ تَحْسِبُ أَنَّـهُ
مَوْلَـى المَخَافَـةِ خَلْفُهـا وَأَمَامُهَـــا[2]

• • •

« تمت سورة البقرة »

---

(١) في المصباح : غفَرَ له ، صفح عنه ، والمغفرة : اسم منه ، وأصل الغفر : السِّتر ، ومنه يُقال : الصِّبغ أغفر للوسخ أي أستر .

(٢) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة (٤٣٧) يصف فيه بقرة فقدت ولدها ، وهي تجري تبحث عنه ، وأوحست خيفة من صائد ، فهي حذرة في خوف ، تخال كلا الطريقين من خلفها وأمامها ، ثغرة له يسلك منها إليها ، والبيت من شواهد سيبويه ٤٠٧/١ وشرح القصائد السبع (٥٦٥) والمقتضب للمبرد ١٠٢/٣ وشرح المفصَّل لابن يعيش ٤٤/٢ وهمع الهوامع ٢١٠/١ وشذور الذهب لابن هشام ١٦١ .

تفسير سورة آل عمران

مدنية وآياتها مائتا آية

سورة آل عمران

قال ابن عباس : نزلتْ بالمدينة[1] .

١ ـ من ذلك قوله عزّ وجل : ﴿ آلـم . اللَّـهُ لاَ إِلَـهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ ﴾ [آية ٢]

رُوي عن ابن عباس : ﴿ الحيُّ ﴾ الذي لايموت ، و﴿ القيُّومُ ﴾ الذي لايزول[2] .

قال مجاهد ﴿ القَيُّومُ ﴾ القائم على كل شيءٍ[3] ، أي القائم على تدبير كل شيءٍ ، من رِزْقٍ ، وحياةٍ ، وموتٍ .

وقد شرحناه بأكثر من هذا ، ومعنى (آلـمّ) في سورة البقرة[4] .

---

(١) قال القرطبي ٤/١ : هذه السورة مدنية بإجماع ، وحَكى بعضهم أن اسمها في التوراة « طيبة » وقال ابن عطية : إنها مدنية بإجماع ، وصدرُ هذه السورة إلى ثلاث وثمانين آية نزل في وفد نصارى نجران .

(٢) هذا قول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن ٧٨/١ ولفظه : « القيوم » القائم وهو الدائم الذي لا يزول ، وقال الخطابي ، القيوم : هو القائم الدائم بلا زوال ، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء ، وقيل هو القائم على كل شيء بالرعاية .

(٣) قول مجاهد ذكره الطبري ١٦٥/٣ وهو قول الربيع أيضاً فقد قال : القيوم : القائم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه .

(٤) انظر أول سورة البقرة من معاني النحاس، فقد ذكر فيه أقوال المفسرين مفصَّلة ، والرأي الذي عليه أهل التحقيق والنظر ، أن الحروف المقطعة في أوائل السور ، للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأن هذا الوحي المعجز ، منظوم ، من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر تفسير ابن كثير ٥٧/١ .

حدثنا أحمد بن شعيْبٍ ، قال أخبرني عمرانُ بن بكّار ، قال حدثنا إبراهيمُ بنُ العلاء ، قال حدثنا شُعَيبُ بنُ إسحَاقَ قال حدثنا هارونُ عن محمد بن عَمْروِ بنِ علقمة عن يحيى بن عبدالرحمن عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه صلّى صلاة العشاء ، فاستفتح آل عمران فقرأ « آلم اللّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ »[1] فقرأ في ركعة بمائة آية ، وفي الثانية بالمائة الباقية .

وسنذكر الأصل في الإعراب إن شاء الله[2] .

٢ ــ ثم قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ .. ﴾ [آية ٣] .

قال ابن كيسان[3] : فيه وجهان : أي ألزمكَ ذلك باستحقاقه إياه عليكَ ، وعلى خلقه .

قال : ويكون ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي بما حقّ في كتبه من إنزاله عليك[4] .

---

(١) في الأصل « الحيُّ القيَّام » وهي قراءة شاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب عن عمر وعثمان ١٥١/١ والأثر المرويّ عن عمر رواه ابن المنذر ، والحاكم وصحّحه ، وذكره السيوطي في الدر ٢/٢ والقرطبي في تفسيره ٢/٤ .

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٠٧/١ ومراده بالأصل : قراءة ﴿ آلمٓ . ٱللَّهُ ﴾ هل تُقْرأُ بسكون الميم ، وقطع الألف ؟ أم بالتحريك بالفتح والوصل « آلمَ اللهُ » وقد ذكره أبو جعفر مفصلا هناك ، وكلامه يوضّح أن كتابه « معاني القرآن » ألّفه قبل كتابه إعراب القرآن .

(٣) ابن كيسان هو الإمام النحوي « محمد بن أحمد الكيساني » أبو الحسن ، المتوفى سنة ٢٩٩هـ . انظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٤) الأوْلَى أن يُفسَّر قوله تعالى ﴿ بالحقِّ ﴾ أي أنزله متلبساً بالحق ، متضمناً الحق في أخباره وأحكامه ، كما ذكره الغرناطي في التسهيل ١٧٧/١ وقد ذكر ابن عطية وجهين في تفسير الآية في =

وكأنَّ هذا الوجه أوضحُ ، لقوله ﴿ مُصَدِّقاً ﴾ أي في حال تصديقه لما قبله من الكتب ، وما عبَّد اللهُ به خلقه من طاعته[1] .

قال مجاهد : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْه ﴾ لما قبله من كتابٍ ، أو رسول[2] .

٣ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ ، هُدَى للنَّاس .. ﴾** [آية ٤] .

أي من قبل القرآن[3] .

والتوراة من وَرَىٰ ، ووَرَيْتُ ، فقيل : تَوْرَاةٌ أي ضياءٌ ونورٌ[4] .

قال البصريُّون : توراةٌ أصلُها « فَوْعَلة » مثل حَوْقَلة ،

= المحرر الوجيز ٣/٨ فقال : « يحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون المعنى ضمَّن الحقائق ، من خبره ، وأمره ، ونهيه ، ومواعظه . والثاني : أن يكون المعنى أنه نزَّل الكتاب باستحقاق أن ينزل ، لما في من المصلحة الشاملة ، وليس ذلك على أنه واجب على الله تعالى ، بل له الحق أن يفعله » . اهـ.

(١) أي ما تعبدهم به من لزوم طاعته ، والاستمساك بكتابه ودينه كما قال سبحانه « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل .. » سورة النساء آية رقم (١٧٥) .

(٢) أخرجه الفريابي وابن جرير عن مجاهد كما في الدر المنثور ٢/٣ وقال الزجاج في معانيه ١/٣٧٤ : ﴿ مُصدِّقاً لما بين يديه ﴾ أي الكتب التي تقدمته ، والرسل التي أتت بها . اهـ.

(٣) عبارة الطبري ٣/١٦٦ : يعني أنزل التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، من قبل الكتاب ، الذي نزَّله عليك ﴿هُدَىً للنَّاس﴾ أي بياناً من الله للناس فيما اختلفوا فيه من توحيد الله .

(٤) يدل عليه قوله تعالى في سورة المائدة ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ .

ومصدرُ فَوْعَلْتُ فَوْعَلَة[1] ، والأصلُ عندهم « وَوْرَيَةٌ » فقلبت الواوُ الأولىٰ تاءُ ، كما قلبت في تَوْلَج[2] ، وهو فَوْعَلٌ من وَلَجْتُ ،

وفي قولهم : تالله ، وقلبت الياءُ الأخيرةُ ألفاً ، لتحركها وانفتاح ما قبلها .

وقال الكوفيون : (تَوْرَاةٌ) يصلح أن تكون تَفْعَلة وتَفعِلَة ، قُلبت الىٰ تَفْعَلَة ، ولا يجوز عند البصريِّين في تَوْقِية تَوْقَوَة ، ولا يكاد يوجد في الكلام تَفْعَلة إلاَّ شاذاً[3] .

و « إنْجِيل » من نَجَلْتُ الشيءَ أي : أخرجتُه ، فإنجيل خَرَجَ به دَارِسٌ[4] من الحقِّ ، ومنه قيل لواحد الرجل : نَجْلُه كما قال :

---

(١) قال القرطبي ٤/٥ : « التوراة معناها الضياء والنور ، مشتقة من وَرى الزند إذا خرجت ناره ، وأصلها « تورية » على وزن تفعلة ، وتحركت الياء ، وقبلها فتحة فقلبت ألفاً . اهـ.

(٢) التَّولج : كناس الظبي وبيته الذي يدخل فيه ..

(٣) هذا النزاع والخلاف بين البصريين والكوفيين ، منشؤه أن « التوراة » و « الإنجيل » لفظان عربيان لهما اشتقاق ، فالتوراة مشتقة من ورى الزند بمعنى قدحه ، أو من التورية بمعنى التعريض ، والإنجيل مشتق من النَّجل وهو ظهور الماء على وجه الأرض ، وقد توسَّع الزجاج والقرطبي وبعض النحاة في بيان أصل الاشتقاق توسعاً لا حاجة له ، لأنهما لفظان أعجميان على الرأي المشهور ، كما قال الغرناطي في التسهيل لعلوم التنزيل ١٧٧/١ : « التوراة والإنجيل أعجميان فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما » . وقال ابن الجوزي ٣٤٩/١ : قال شيخنا أبو منصور اللغوي : « والإنجيل أعجمي معرَّب » وفي البحر المحيط ٣٧٨/٢ « وقرأ الحسن ﴿ والأَنجيلَ ﴾ بفتح الهمزة ، وهذا يدل على أنه أعجمي ، لأن أَفْعِيلا ليس من أبنية كلام العرب . اهـ.

(٤) أراد المصنف أن الله عز وجل بالإنجيل قد أظهر الحقَّ وأخرجه بعد أن كان عافياً مندرساً .

إلىٰ مَعْشَرٍ لم يُورِثِ اللُّؤْمَ جَدُّهُمْ
أَصَاغِرَهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلُ[1]

قال ابن كيسان : إنجيل إفعيل من النَّجْل ، ويقال : نَجَلَه أبوه أي : جاء به ، ويقال : نجلتُ الكلأ بالمنجل ، وعينٌ نجلاءُ : واسعة ، وكذا طعنةٌ نَجْلَاءُ ، وجمع الإنجيل أناجيل ، وجمع التوراة توارٍ[2] .

٤ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وأَنْزَلَ الفُرْقَانَ** ﴾ أي الفارق بين الحقِّ والباطل .

كما قال بعض المفسرين : « كُلُّ كتابٍ للّهِ فُرقانٌ »[3] .

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أي ذَلَّ له كل شيءٍ ، بأثر صنعته فيه .

﴿ ذُو انْتِقَام ﴾ أي ممَّنْ كفَرَ به .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه (١٠٠) ومراده بالنَّجل هنا : النسل . يقول : الأبناء يشبهون آباءهم ، إذا كان الفحلُ جواداً كان أولاده كرماء مثله ، وإن كان بخيلاً كانوا بخلاء ، وقد استشهد به القرطبي ٤/٥ .

(٢) قال القرطبي ٤/٥ : ويُجمع الإنجيل على أناجيل ، والتوراة على توار ، فالإنجيل أصل لعلوم وحِكَم ، وقد يسمى القرآن إنجيلاً كما في حديث « أناجيلهم في صدورهم » . اهـ القرطبي .

(٣) ذهب الطبري إلى أن « الفرقان » هنا مصدر لكل ما يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والمعنى عنده : وأنزل الفصل بين الحقِّ والباطل ، في أمر عيسى وغيره ، لأنه قد ذكر القرآن قبله في قوله ﴿ نزَّل عليك الكتاب ﴾ واختار ابن عطية وغيره أن الفرقان هنا هو القرآن ، كُرِّر تعظيماً لشأنه ، فذُكر أولاً على وجه التحقيق على أنه كلام الرحمن ، وذكر ثانياً على وجه الامتنان بهدايته وإرشاده ، وهذا قول قتادة والربيع ، قال ابن عطية ٣/١٣ : « والفرقان : القرآن ، سُمِّي بذلك لأنه فرق بين الحق والباطل ، في أمر عيسى عليه السلام الذي جادل فيه الوفد ، وفي أحكام الشرائع ، وفي الحلال والحرام ونحوه ، وقال بعض المفسرين : الفرقان هنا : كل أمر فرق بين الحق والباطل » . اهـ.

٥ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ هُو الَّذِي يُصَوِّرُكم في الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ .. ﴾** [آية ٦] .

أي من حُسْنٍ وقبح ، وتمامٍ ونقصان ، وله في كل ذلك حِكمةٌ[1] .

٦ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ ، وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ .. ﴾** [آية ٧] .

رُوِي عن ابن عبَّاس : المحكماتُ : الثلاثُ الآيات ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ إلى ثلاث آيات ، والتي في بني إسرائيل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ ﴾[2].

قال : والمتشابهُ : ما تشابَهَ عليهم نحو « آلمّ » و« آلمر » .

وقال يحيىٰ بن يعمر : المحكماتُ : الفرائضُ ، والأمرُ ، والنهيُ ، وهنَّ عِمادُ الدين ، وعِمَادُ كل شيءٍ أُمُّه[3] .

---

(١) في الآية ردٌّ على النصارى في زعمهم ألوهية عيسى ، فعيسى بن مريم كان مصوَّراً في رحم أمه ، فكيف يكون إلهاً ؟

(٢) الآيات الثلاث في سورة الأنعام ﴿ قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً .. ﴾ إلى قوله ﴿ ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ « ١٥١ ـ ١٥٣ » وكذلك الآيات التي في سورة الإسراء ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً .. ﴾ إلى قوله ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾ « ٢٣ ـ ٣٨ » وقد ذكره عن ابن عباس الطبري ١٧٢/٣ والبحر المحيط ٣٨١/٢ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨/٣ : وهذا عندي مثال أعطاه ابن عباس في المحكمات . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، عن يحيى بن يَعْمر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ وابن كثير في تفسيره ٥/٢ والطبري ١٧٥/٣ .

وقال مجاهد وعكرمة نحْواً من هذا ، قالا : ما فيه من الحلال والحرام ، وما سِوَىٰ ذلك فهو متشابهٌ ، يُصدِّقُ بعضُه بعضاً[1] .

وقال قتادة نحوه ، قال المحكم ما يُعملُ به[2] .

وقال الضحاك : المحكماتُ : الناسخاتُ ، والمتشابهاتُ : المنسوخات[3] .

وقال ابن عباس : ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ يعني ما نُسِخَ وما لم ينسخ[4] .

قال ابنُ كَيْسَان : إحكامُها : بيانُها وإيضاحُها ، وقد يكون إيجابُها وإلزامها ، وقد يكون أنها لاتحتمل إلاَّ معاني ألفاظها ، ولا يَضِلُّ أحدٌ في تأويلها .

ويجمع ذلك أنَّ كلَّ محكمٍ تامُّ الصَّنعة ، وقد يكون الإحكام ها هنا المنعُ من احتمال التأويلات ، ومنه سُميت حَكَمَةُ[5] الدابَّة

---

(١) و (٢) الأثر في البحر المحيط ٣٨٢/٢ والطبري ١٧٤/٣ والدر المنثور ٤/٢ .

(٣) و (٤) الأثران في الطبري عن ابن عباس والضحاك ١٧٢/٣ ورواهما السيوطي في الدر المنثور ٤/٢ عن ابن عباس ، قال الطبري : المحكم من آي القرآن : ما عُرف تأويله ، وفُهم معناه وتفسيره ، والمتشابه : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل ، ممَّا استأثر بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك . اهـ. وما ذكره الطبري والغرناطي هو الأظهر والله أعلم ، وانظر المحرر الوجيز ١٩/٣ .

(٥) في المصباح : الحَكَمة : وِزَانُ قَصَبَة للدابة ، سميت بذلك لأنها تذلِّلها لراكبها ، حتى تمنعها الجماح ونحوه ، ومنه اشتقاق الحِكْمة ، لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الرذائل .

لمنعها إيَّاها .

قال : « ومَتَشَابِهَاتٌ » يحتمل أن يُشْبه اللفظُ اللفظَ ويختلف المعنىٰ ، أو يشتبه المعنيان ، ويختلف اللفظ ، أو يشتبه الفعلُ منَ الأمر والنهي ، فيكون هذا نحو الناسخ والمنسوخ[1] .

وقيل : المتشابهاتُ ما كان نحو قوله تعالى (ثَلاَثَةَ قُرُوْءٍ)[2] .

وأجمع هذه الأقوال أن المحكم ما كان قائماً بنفسه ، لا يحتاج إلىٰ استدلال ، والمتشابه ما لم يقم بنفسه ، واحتاج إلىٰ استدلال[3] .

٧ ــ وقال الله عز وجل : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ وقد قال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه ﴾ ، وقال : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ ﴾ ، وقد قال : ﴿ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ﴾ ؟ **فالجواب** أن معنىٰ ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ جُعلت كلُّها محكمه ، ثم فُصِّلت ، فكان بعضُها أمَّ

(١) خلاصة قول ابن كيسان أن المحكم ما كان بيناً واضحاً لا يحتاج إلى عناء وإجهاد فكر في فهمه ، والمتشابه ما كان يحتاج إلى استنباط واستدلال .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ فإن القرء في اللغة يُطلق على الحيض ، وعلى الطُّهر ، فهو من الأضداد ، فهذا تمثيل للمتشابه ، لأنه يحتمل أكثر من معنى ، والله أعلم .

(٣) هذا هو أظهر الأقوال وأرجحها في معنى « المحكم ، والمتشابه » فالمحكم ما كان واضح الدلالة ، ظاهر المعنى ، لا تلتبس فيه الآراء ، ولا تختلف في إدراكه العقول ، لأنه ظاهر جلي ، والمتشابه ما تشعَّبت فيه الآراء ، واختلفت فيه الأهواء ، كقوله تعالى في المسيح ﴿ وروح منه ﴾ فالنصارى زعموا أنه ابن الله ، أو جزء من الله فادعوا ألوهيته ، وتركوا المحكم وهو قوله تعالى « إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه » الدالَّ على عبوديته ، فضلوا بسببه عن سواء السبيل ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ﴾ .

الكتاب ، وليس قولُه ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ بمزيل الحكمة عن المتشابهات[1] ، وكذا (كِتَاباً مُتَشابهَاً) وليس قوله ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) بمزيل عن المحكمات أن تكون متشابهات في باب الحكمة ، بل جملته إذ كان محكماً لاحقة لجميع ما فُصِّل منه ،(وكتاباً متشابهاً) أي متشابهاً في الحكمة ، لا يختلف بعضُه مع بعض ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ .

وقد بيَّنَّا معنى ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ ﴾ بأقاويل العلماء فيه .

وهذا معنى قول ابن عباس أنَّها ما أوْجَب الله على عباده من أحكامه اللاَّزمة ، التي لم يلحقها تغييرٌ ولا تبديلٌ .

وقد يكون المحكم ما كان خبراً ، لأنه لايلحقُه نسخٌ ، والمتشابهُ : النَّاسخُ والمنسوخُ ، لأنهم لا يعلمون منتهىٰ ما يصيرون إليه

---

(١) نبَّه المصنف إلى إشكال يحتاج إلى جواب ، وهو كيف توفِّق بين الآيات الكريمة ، فقد ذكر تعالى هنا أن القرآن منه محكم ومنه متشابه ، وذكر في هود أن القرآن كلَّه محكم ﴿ كتاب أحكمت آياته ﴾ وذكر في الزمر أن القرآن كله متشابه ﴿ الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات ؟ والجواب بأنه لا تعارض بين الآيات ، إذ كلُّ آية لها معنى خاص ، غير ما نحن في صدده ، فقوله ﴿ أحكمت آياته ﴾ بمعنى أنه ليس به عيب ولا خلل ، وأنه كلام محكم ، فصيح الألفاظ ، صحيح المعاني ، سالم من التعارض والتناقض ، وقوله تعالى ﴿ كتاباً متشابهاً ﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في الإبداع والإتقان ، ويُصدِّق بعضه بعضاً ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ فاندفع بذلك ما اعترض من الإشكال .

منه . وفي كل ذلك حكمة ، وبعضُه يشبهُ بعضاً في الحكمة[1] .

وقال تعالى : ﴿ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ ولم يقل : أُمَّهات ..

قال الأخفش : هذا حكاية[2] .

قال الفراء :(هنَّ أمُّ الكِتَاب) لأن معناهنّ شيءٌ واحد[3] .

قال ابن كيسان[4] : وأحسب الأخفش أراد هذا ، أي هنَّ الشيء الذي يُقال : هو أُمُّ الكتاب ، أي كلُّ واحدةٍ منهن يقال لها : أُمُّ الكتاب ، كما تقول : أصحابك عليَّ أَسَدٌ ضَارٍ ، أي كل واحد كأسدٍ ضارٍ ، لأنهم جَرَوْا مجرىٰ شيء واحد في الفعل .

ومنه ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً ﴾[5] لأنَّ شأنهما واحدٌ ،

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١/٣ : ﴿ هنَّ أم الكتاب ﴾ أي معظم الكتاب وعمدته ، إذ المحكم في آيات الله كثير ، فذكر تعالى أنه نزل الكتاب على محمد إفضالاً منه ونعمة ، وأن محكمه هو معظمه والغالب عليه ، وأن متشابهه الذي يحتمل التأويل ، ويحتاج إلى التفهُّم ، هو أقلُّه ، ثم إن أهل الزيغ يتركون المحكم ، الذي فيه غُنيتُهم ، ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة ، ليفسدوا في الدين ، ويردُّوا الناس إلى زيغهم ، وهكذا تتوجَّه المذمة عليهم » . اهـ. تفسير ابن عطية .

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش ٣٩٤/١ فقد قال : « وهذا كما تقول للرجل : ما لي نصير ، فيقول : نحن نصيرك ، وهو يشبه « دعني من تمرتان » فتجعله على الحكاية .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٩٠/١ ولفظه : ﴿ هُنَّ أم الكتاب ﴾ يقول : هنَّ الأَصل ، ومراد المصنف أن معنى ﴿ أم الكتاب ﴾ وأمهات الكتاب شيء واحد ، لأنه المراد به الأصل .

(٤) ابن كيسان : هو الإمام اللغوي النحوي « محمد بن أحمد الكيساني » المتوفى سنة ٢٩٩ هـ من كبار علماء اللغة والنحو ، أخذ عن المبرِّد وثعلب ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٣٢/٢ .

(٥) سورة المؤمنين آية رقم (٥٠) وإنما قال « آية » بالإفراد ، مع أن عيسى ومريم اثنان ، لأنه أراد القصة والحادثة ، أي جعلنا قصتهما وحادثتهما علامة عظيمة ومعجزة باهرة ، تدل على كمال قدرتنا ، فكونه من غير أب ، وكونها من غير زوج ، آية باهرة .

في أنها جاءت به من غير ذَكَرٍ ، وأنَّه لا أَبَ له ، فلم تكن الآية لها إلاَّ به ، ولا له إلاَّ بها[1] ، ولم يُرِدْ أن يفصله منها فيقول : آيتين .

وكذلك (هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ) إنَّما جعلهنَّ شيئاً واحداً ، في الحكمة والبيان ، فذلك الشيء هو أُمُّ الكتاب .

٨ ــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ فأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾** [آية ٧] .

« روىٰ أَيُّوبُ عن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن عائشة عن النبي ﷺ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ قال: « فإذا رأيتم الذين يجادِلون فيه ، فهم أولئكَ فاحذروهم »[2] .

قال ابن عباس هُمُ الخوارج[3] .

وقال أبو غالب : قال أبو أمامة الباهليُّ ــ ورأىٰ رؤوساً

(١) قال الزجاج : « لمَّا كان شأنهما واحداً ، كانت الآية فيهما آية واحدة ، وهي ولادة مولودٍ من غير فحل » عن زاد المسير ٣٨٥/٥ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٤٢/٦ ومسلم في العلم ٥٦/٨ وأبو داود في سننه ١٩٨/٤ وأحمد في المسند ٤٨/٦ ولفظُ البخاري عن عائشة قالت : « تلا رسول الله ﷺ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب .. ﴾ إلى ﴿ وما يذَّكَّر إلا أولوا الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيت الذين يتَّبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذي سمَّى الله فاحذروهم » ولفظ أحمد في المسند « فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنَى الله فاحذروهم » . ورواه أيضاً ابن ماجه في سننه ١٨/١ والترمذي ٣٤٣/٨ وقال : حسن صحيح ، وانظر تحفة الأحوذي ٣٤٣/٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٢/٥ عن أبي أمامة مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال ابن كثير ٧٣/٢ وهذا الحديث أقلُّ أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي ومعناه صحيح ، فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج » .

من رؤوس الخوارج ـــ فقرأ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ثم قال : هم هؤلاء ، فقلت : يا أبا أمامة أشيئاً سمعته من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أم شيئاً قلتَهُ من رأيك ؟ فقال : إني إذاً لجريءٌ ـــ يقولها ثلاثاً ـــ بل سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرَّة ، ولا مرَّتين ، ولا ثلاث[1] .

قال مجاهد : الزيغُ : الشكُّ ، وابتغاء الفتنةِ : الشبهاتُ[2] .

وقيل : إفسادُ ذاتِ البَيْنِ[3] .

وقد ذكرنا تصرف الفتنة[4] .

والتأويلُ : من قولهم : آل الأَمْرُ إلى كذا ،

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام بكامله ٤/٩ عن أبي غالب ، ولفظه قال « كنت أمشي مع أبي أمامة ، وهو على حمار له ، حتى إذا انتهى إلى درج مسجد دمشق ، فإذا رءوس منصوبة ، فقال : ما هذه الرءوس ؟ قيل : هذه رءوس خوارج يجاء بهم من العراق ، فقال أبو أمامة : « كلاب النار ، كلاب النار ، كلاب النار ، شرُّ قتلى تحت ظل السماء ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، ثم بكى ، فقلتُ : ما يُبْكيك يا أبا أمامة ؟ قال : رحمة لهم ، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ، ثم قرأ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب .. ﴾ إلى آخر الحديث ، وذكر بعضه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥ وقال أخرجه أحمد والطبراني وابن مردويه عن أبي أمامة عن النبي ﷺ مرفوعاً . اهـ.

(٢) الطبري عن مجاهد ٣/١٧٦ والسيوطي ٢/٥ وابن الجوزي ١/٣٥٣٢ .

(٣) هذا قولُ الزجاج كما ذكره في زاد المسير ١/٣٥٤ .

(٤) انظر قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ آية رقم (١٩١) فقد ذكر فيه المصنف معنى الفتنة .

أي صار إليه ، وأوّلته تأويلاً صيَّرتُه إليه[1] .

قيل : الفرقُ بين التأويل والتفسير ، أن التفسير نحو قول العلماء : الرّيبُ : الشك ، والتأويلُ نحو قول ابن عباس : الجدُّ أبٌ ، وتأمّل قولَ اللهِ (يَا بَنِي آدَمَ)[2] .

٩ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَ مَا يَعْلَم تَأْوِيْلَه إلاَّ اللَّهُ ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به .. ﴾** [آية ٧] .

في هذه الآية اختلاف كثير .

منه : أن التَّمام عند قوله (إلاَّ اللَّهُ) وهذا قول الكسائي ، والأخفش ، والفراء ، وأبي عُبَيْد ، وأبي حاتم[3] .

ويُحْتَجُّ في ذلك بما روىٰ طاووس عن ابن عباس أنه قرأ « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلهُ إِلاَّ اللَّهُ ، ويقول الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ آمَنَّا بِهِ »[4] .

---

(١) في المصباح : آل الشيء يَؤُول أَوْلاً ومآلاً : رَجَع ، والمَوْئل : المرجع . اهـ. وقال ابن عطية ٢٤/٣ : « والتأويل هو مرد الكلام ومرجعه ، والشيء الذي يرجع إليه من المعاني ، وهو من آل يؤول إذا رجع » .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (٢٧) وتمامها ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ والشاهد في الآية أن آدم هو الجد الأكبر للبشر ، وسمَّاه القرآن أباً ، قال القرطبي ١٥/٤ : « التأويل يكون بمعنى التفسير ، كقولك : تأويل هذه الكلمة على كذا ، ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه ، واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا ، يئول إليه أي صار ، والتفسير : بيان اللفظ كقوله ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك ، وأصله من الفَسْر وهو البيان .

(٣) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني اللغوي شيخ المبرد المتوفى سنة ٢٥٥هـ .

(٤) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع المتواترة ، وقد ذكرها أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٣٥٤/١ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٢ .

وقال عمر بن عبدالعزيز : انتهى علمُ الراسخين في العلم إلى أن قالوا : آمنَّا به .

قال ابن كيسان : التأويـلُ في كلام العـرب : ما يؤول إليـه معنىٰ الكلام ، فتأويله ما يرجع إليه معناه ، وما يستقرُّ عليـه الأمـر في ذلك المشتبـه ، هل ينجـح أم لا ؟ فالكـــلام عنـــدي منقطـــع على هذا[1] .

والمعنىٰ : والثابتون في العلم ، المنتهون إلىٰ ما يُحاط به منـه ، ممَّا أباح الله خَلْقَه بلوغَه ، يقولون آمنّا به على التَّسليمِ ، والتصديـق به وإن لم ينتهوا إلىٰ علم ما يؤول إليه أمره[2] .

ودلَّ على هذا ﴿ كُلٌّ مِن عِنْد رَبّنا ﴾ أي المحكمُ والمتشابـه ، فلو كان كلُّه عندهـم سواء ، لكـان كلـه مُحْكَمـاً ، ولم يُنْسَب شيءٌ منه إلىٰ المتشابه[3] .

---

(١) هذا هو قول الجمهور أنه مقطوع عمَّا قبله ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابـه وإنما يقولون آمنا به ، على وجه التسليم والانقياد ، والاعتراف بالعجز عن معرفته .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٢/٨ : « من العلماء من فصَّل في هذا المقام فقال : التأويل يطلق ويـراد به في القرآن معنيان : أحدهما : التأويل بمعنى حقيقـة الشيء ، وما يئـول أمـره إليـه ، ومنـه ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ فإن أريد بالتأويل هذا ، فالوقف على الجلالة ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ لأن حقائـق الأمـور وكنهها ، لا يعلمـه على الجليَّة إلا الله عز وجـل ، ويكـون ﴿ الراسخـون في العلم ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿ يقولون آمنا به ﴾ وإن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهـو التـفسير والبيـان عن الشيء كقوله تعالى ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ أي بتفسيره ، فالوقف على ﴿ والراسخـون في العلـم ﴾ أي يعلمونه ويفهمونه وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء .

(٣) لقد أجاد الإمام الخطابي في هذا المعنى وأفاد فقال : « جعل الله تعالى آيات كتابه ، الـذي أمر بالإيمان به والتصديـق بما فيـه قسمين : محكمـاً ومـتشابهاً ، وأعلـم أن المتشابـه من الكتـاب قد استأثر الله بعلمه ، فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله على الـراسخين في العلـم بأنهم قالـوا : =

قال أبو جعفر : وهذا قول حسنٌ ، ولكنَّـه على قول من قال : المحكمُ الذي لايُنْسخُ نحو «الأخبارِ» ودعاءِ العباد إلى التوحيد ، والمتشابهُ ما يحتملُ النسخَ من الفرائض ، لم يكن إلى العباد علمُ تأويله ، وما يثبتُ عليه .

ومَنْ جَعَل « تَأْوِيلَهُ » بمعنى التفسير ، لأنه ما يؤول إليه معنى الكلام ، فالراسخون في العلم عنده يعلمون تأويله .

كما رَوَىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد : الراسخون في العلم يعلمون تأويله يقولون آمنّا به[1] .

قال مجاهد : قال ابن عباس : أنا ممَّنْ يعلمُ تأوِيلَهُ[2] .

= ﴿ آمنَّا به ﴾ ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه ، ومذهب أكثر العلماء ، أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ وأن ما بعده استئناف كلام آخر ، وهو قوله ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾ وهذا قول ابن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، وابن عباس ، وعائشة ، وما رُوي عن مجاهد أنه عَطَف « الراسخين » على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه ، واحتجَّ له بعض أهل اللغة فقال : معناه : والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا به ، وجعله منصوباً على الحال ، فعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه ، لأن العرب لا تذكر حالاً إلا مع الفعل ، فلا يصح أن نقول : عبد الله راكباً بمعنى أقبل عبد الله راكباً ، فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده ، وأيضاً فإنه لا يجوز أن ينفي الله شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ، ثم يكون له في ذلك شريك كقوله ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ فكذلك قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ولو كانت الواو في قوله ﴿ والراسخون ﴾ للعطف لم يكن لقوله ﴿ كلٌّ من عند ربنا فائدة﴾ اهـ عن جامع الأحكام للقرطبي ١٧/٤ .

(١) المرجع السابق للقرطبي ١٧/٤ .

(٢) الأثر ذكره ابن كثير عن مجاهد ٨/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٧/٢ وعزاه إلى ابن المنذر وابن جرير ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٥٤/١ وردَّه ابن الأنباري حيث قال : الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجيح ، ولا تصحُّ روايته التفسير عن مجاهد . اهـ. تفسير ابن الجوزي .

قال أبو جعفر : والقولُ الأولُ وإن كان حَسَناً ، فهذا أَبْيَنُ منه ، لأن واوَ العطف الأَوْلىٰ بها أن تُدخِلَ الثانيَ ، فيما دخل فيه الأوَّلُ ، حتى يقعَ دليلٌ بخلافِهِ .

وقد مدح اللهُ عزَّ وجل الرَّاسخين ، بثباتهم في العلم ، فدلَّ على أنهم يعلمون تأويله[1] .

وقد قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[2] ؟

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه دعا لابن عباس فقال :

« اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ ، وعَلِّمْهُ التأويلَ »[3] .

---

(١) هذا القول وجَّهه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦/٣ حيث قال : « وهذه المسألة إذا تُؤمِّلت قَرُبَ الخلاف من الاتفاق ، وذلك أن الله تعالى قَسَمَ آيات الكتاب قسمين : محكماً ومتشابهاً ، فالمحكم هو المتَّضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب ، لا يحتاج فيه إلى نظر ، ولا يتعلق به شيء يُلبِّس ، ويستوي في علمه الراسخ وغيره ، والمتشابه يتنوع ، فمنه ما لا يُعلم البتَّة ، كأمر الروح والمغيَّبات ، ومنه ما يُحمل على وجوه في اللغة فيتأول ويُعلم تأويله المستقيم ، ومن لا يعلم غير المحكم فليس يسمى راسخاً ، فإذا جعلنا قوله ﴿ والراسخون ﴾ عطفاً على اسم الله تعالى فالمعنى إدخالهم في علم التأويل لا على الكمال ، والمعنى : وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله والراسخون كلٌّ بقدره ، وما يصلح له ، فذلك قدر من العلم بتأويله » . اهـ .

(٢) سورة النساء آية رقم (٨٢) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/١ بهذا اللفظ ، وأخرجه البخاري بلفظ « اللهم علمه الكتاب » ومسلم برقم ٢٤٧٧ في مناقب عبد الله بن عباس ، وفي رواية الترمذي : « ضمَّني رسول الله ﷺ وقال : اللهم علمه الحكمة » وهو حديث صحيح .

وقال أبو اسحاق[1] : معنىٰ « ابتغائِهم تأويله » أنهم طلبوا[2] تأويل بعثهم ، وإحيائهم ، فأَعْلَمَ اللهُ عز وجل أن تأويل ذلك ، ووقته لا يعلمهُ إلاَّ اللهُ .

قال : والدليلُ على ذلك قوله ﴿ هَلْ يَنْظُرُون إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ ﴾[3] أي يوم يرون ما وُعِدوا به من البعث والنشور والعذاب ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ ﴾ أي تركوه ﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي قد رأينا تأويل ما أَنْبأَتْنَا بهِ الرسُلُ .

قال : والوقفُ التامُّ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ ﴾ أي لايعلم أحد متى البعث « غيرُ اللهِ »[4] .

١٠ **ــ وقوله جل وعزّ : ﴿ رَبَّنا لاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا .. ﴾** [آية ٨] .

أي لا تبتلينا بما نَزِيغُ به ، أيْ يقولون هذا ، ويجوز أن يكون المعنىٰ : قل يا محمد[5]

---

(١) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وانظر كلامه في كتابه معاني القرآن ٣٧٨/١ .

(٢) في المخطوطة : أنهم عالجوا وهو خطأ وصوابه « طلبوا » كما أثبتناه من كتاب الزجاج ٣٧٨/١ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم (٥٣) .

(٤) انظر تمام كلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٣٧٨/١ ــ ٣٧٩ وقد سقط من المخطوطة كلمة « غير الله » وأثبتناها من كتابه المعاني .

(٥) يريد المصنف أن الآية تحتمل أن تكون حكاية عن الراسخين أنهم يقولون في دعائهم ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ وتحتمل أن تكون منقطعة على وجه التعليم ، والأول أرجح لاتصال الكلام .

ويقال : إزاغةُ القلبِ فسادٌ وميلٌ عن الدين[1] ، أَوَ كانوا يخافون ــ وقد هُدُوا ــ أن ينقلهم اللهُ إلى الفساد ؟

فالجواب : أن يكونوا سألوا إذْ هداهم الله ، أن لايبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال ، فيعجزوا عنه[2] ، نحو ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[3] .

قال ابنُ كَيْسانَ : سألوا أن لايَزِيغوا ، فيُزِيغَ اللهُ قلوبَهم ، نحو ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[4] أي ثبتنا على هدايتك إذ هديتنا ، وأن لانزيغ فنستحق أن تُزيغ قلوبنا .

قال وفيها جواب آخر : أنه جلَّ وعزّ الذي منَّ عليهم بالهداية ، وعرَّفهم ذلك ، فسألوه أن يدوموا على ما هم عليه ، وأن يمدّهم منه بالمعونة ، وأن لايُلجئهم[5] إلى أنفسهم ، وقد ابتدأهم

---

(١) الإزاغة : الميل عن الحق والهدى ، مأخوذة من الزيغ بمعنى الميل عن القصد والهدى ، يقال : زاغ زيغاً أي مال وانحرف والمعنى : لا تُمل قلوبنا عن الحق ، ولا تضلَّنا بعد إذ هديتنا ، قال ابن عطية : « وهذه الآية حجة على المعتزلة في قولهم : إن الله لا يُضل العباد ، ولو لم تكن الإزاغة من قِبَله لما جاز أن يُدعى في دفع ما لا يجوز عليه فعله ، والحديث صريح « اللهمّ يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك »

(٢) هذا التأويل استحسنه الزجاج في أنهم طلبوا من الله ألا يتعبدهم بما يكون سبباً لزيغ قلوبهم ، وهذا القول فيه التحفظ من خلق الله الزيغ والضلالة في قلب أحد من العباد ، وانظر معاني الزجاج ٣٧٩/١ .

(٣) سورة النساء آية رقم (٦٦) .

(٤) سورة الصف آية رقم (٥) .

(٥) أي لا يتركهم ويَكِلَهم إلى أنفسهم ، كما في الدعاء المشهور « اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك » .

بفضله ، فتزيغ قلوبهم ، وذلك مضاف إليه جل وعزّ لأنه إذا تركهم ولم يتولَّ هدايتهم ضلّوا ، فكان سبب ذلك تخليتُه إياهم(١) .

قال : وقولٌ جامع أن القلوب للّهِ جل وعزَّ يصرّفها كيف يشاء(٢) .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « يا مقلِّبَ القُلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينكَ »(٣) .

١١ ــ **وقوله عز وجلَّ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَاد ﴾** [آية ٩] .

قال ابن كيسان : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي دليله قائم في أنفس

---

(١) و(٢) قول ابن كيسان هذا راجع إلى فكرة أثارها المعتزلة ، وهي أن الله عز وجل خالق الخير فحسب ، وأما الشر والضلال فهو من خلق العبد ، وأما أهل السنة فيعتقدون أن كل حادث من هدى وضلال ، وكفر وإيمان ، فإنما هو بخلق الله وتقديره ، فهو تعالى الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الذي يقلب القلوب كيف يشاء ، وقد فسر الزمخشري ــ وهو من أئمة المعتزلة ــ الآية بأن المراد « لا تمنعنا ألطافك ، ولا تُبْلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا » وما ذهب إليه ابن كيسان فيه نزعة اعتزال ، فلا يعوَّل عليه ، وقوله الأخير هو الموافق لمعتقد أهل السنة ، وهو أن القلوب لله جل وعلا يصرِّفها كيف يشاء ، فهذا هو الصحيح الموافق لما جاء به القرآن ، والسنة النبوية المطهرة ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٠/٤ .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء ٣٤٢/٢ رقم ٣٨٧٩ عن أنس ، وأخرجه الترمذي في القدر برقم ٢١٤١ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفي رواية عن أم سلمة قالت : « كان أكثر دعاء النبي ﷺ : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ، قالت : فقلت يا رسول الله : ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء ؟ فقال : يا أم سلمة : إنه ليس آدمي إلَّا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله ، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » انظر تُحفة الأحوذي ٥٠٥/٩ ، وتفسير ابن كثير ١٠/٢ والدر المنثور ٩/٢ .

العباد ، وإن جحدوا به ، لإقرارهم بالحياة الأولى : ولم يكونوا قبلها شيئاً ، فإذا عرفوا الإعادة فهي لهم لازمةٌ بأن يُقرُّوا بها ، وأن لايَشكُّوا فيها ، لأنَّ إنشاءَ ما لم يكن ، مبيِّنٌ بأن المنشىء على الإعادة قادرٌ .

ومن حَسَنِ ما قيل فيه : أنَّ يومَ القيامةِ لا ريبَ فيه ، لأنهم إذا شاهدوه ، وعاينوا ما وُعدوا فيه ، لم يجز أن يداخلهم ريبٌ فيه[1] .

١٢ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهم أَموالُهم وَلاَ أَوْلَادُهُم مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾** [آية ١٠] .

وذلك أن قوماً قالوا « شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا »[2] .

١٣ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾** [آية ١٠] .

أي هم بمنزلة الحطب في النار[3] .

---

(١) هذا أحد وجهين في تفسير الآية أن المعنى ﴿ لا رَيبَ فيه ﴾ أي لا شك في حصوله ووقوعه ، فإذا عاينوا يوم القيامة . لم يبق مجال للشك فيه ، والوجه الآخر ما قاله ابن عطية ٣١/٣ : أنه في نفسه حق لا ريب فيه ، وإن وقع فيه ريب عند المكذبين به ، فذلك لا يُعتدُّ به ، إذ هو خطأ منهم . اهـ. ومثله قول الله تعالى في القرآن ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه عند العقلاء ، أهل الفكر والنظر .

(٢) سورة الفتح آية رقم (١١) وهؤلاء هم المنافقون ، لمَّا دعوا إلى الخروج للجهاد تخلَّفوا ، ثم جاءوا إلى الرسول ﷺ يعتذرون ، وقد فضحهم الله عز وجل بقوله في تكذيبهم ﴿ سيقول لك المُخَلَّفون من الأعراب شَغَلَتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .. ﴾ الآية . سورة الفتح .

(٣) الوَقُود : بفتح الواو : الحطب الذي توقد به النار ، وبالضم « وُقود » مصدر بمعنى الاتقاد ، وقراءة الجمهور ﴿ وَقُود النار ﴾ أي هم حصب جهنم وحطبُها الذي تحرق به ، وقرأ الحسن ﴿ وُقُود ﴾ بضم الواو أي هم أهل توقُّد النار واشتعالها ، قال في البحر ٣٨٨/٢ : « وجعلهم نفس الوقود ، مبالغة في الاحتراق ، كأن النار ليس لها ما يُضْرِمها إلَّا هم » .

١٤ ـ ثم قال تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آية ١١] .

قال الضحّاكُ : كفعل آل فرعون[١] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ؛ ويقال : دَأَب يَدْأَبُ : إذا اجتهد في فعله[٢] ، فيجوز أن تكون الكافُ معلَّقةٌ بقوله : ﴿ وَقُودُ النَّارِ ﴾ أي عُذِّبوا تعذيباً كَمَا عُذِّب آل فرعون .

وتجوز أن تكون معلقة بقوله (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ)[٣] .

ويجوز أن تكون معلقة بقوله (فَأَخَذَهُم اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)[٤] .

قال ابن كيسان : ويحتمل ـ على بُعْدٍ ـ أن تكون معلقة (بكَذَّبُوا) ويكون في (كَذَّبُوا) ضمير الكافرين ، لا ضمير آل فرعون[٥] .

---

(١) الأثر في الطبري عن الضحاك ١٩٠/٣ وهو قول مجاهد أيضاً قال : كفعل آل فرعون ، وصنيع آل فرعون .

(٢) أصل الدأب كما قال أهل اللغة مأخوذ من دأب الرجل في عمله إذا جدَّ فيه واجتهد ، ثم أُطلق الدأبُ على العادة والشأن ، لأن من دأب على شيء صار له عادة ، ومعنى الآية الكريمة : حال هؤلاء الكفار وشأنهم ، كحال وشأن الكافرين من آل فرعون ، وصنيعهم مثل صنيعهم .

(٣) و(٤) و (٥) هذه الوجوه التي أوردها النحاس ذكرها المفسرون : ابن عطية والزمخشري ، وأبو حيان ، والقرطبي وغيرهم ، قال القرطبي ٢٣/٤ : « واختلفوا في الكاف ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ فقيل : هي في موضع رفع تقديره : دأبهم كدأب آل فرعون ، أي صنيع الكفار معك يا محمد ، كصنع آل فرعون مع موسى ، وزعم الفرَّاء أن المعنى : كفرت العرب ككفر آل فرعون ، قال النحاس : لا يجوز أن تكون الكاف متعلقة بـ « كفروا » لأن كفروا داخلة في =

قال أبو اسحق : المعنى : اجتهادُهم في كفرهم ، هو كاجتهاد آل فرعون ، والكافُ في موضع رفع . أي دأْبهم مثل دأب آل فرعون[1] .

١٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ ﴾** [آية ١٢] .

قال ابن كيسان : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ أي قل لهم هذا ، وبالياء لأنهم في وقت الخطاب غيبٌ[2] .

ويحتمل أن يكون الذين أَمَرَه أن يُبَلِّغهم غيرُ المغلوبين .

وقد قيل : إنه أُمِرَ أن يقول لليهود : سَيُغْلَبُ المشركون[3] .

ـ الصلة ، وقيل : متعلقة بقوله ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ﴾ أي لم تغن عنهم غناءً كما لم تغن الأموال والأولاد عن آل فرعون ، ويصح أن يعمل فيها فعل مقدَّر ، ويكون التشبيه في نفس الاحتراق ، ثم قال : والقول الأول أرجح ، واختاره غير واحد من العلماء » . اهـ . وهكذا رجح ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٣/٣ القول الأول .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٨٠/١ فقد دلَّل وعلَّل ، وأجاد في توجيه الآراء وأفاد .

(٢) وضَّحه الزجاج في معانيه ٣٨١/١ فقال : القراءة ﴿ ستُغْلبون ﴾ ويُقرأ ﴿ سيُغلبون ﴾ فمن قرأ بالتاء فللحكاية والمخاطبة ، أي قل لهم في خطابك ستغلبون ، ومن قرأ ﴿ سيُغلبون ﴾ فالمعنى : بلِّغهم أنهم سيُغلبون ، وهذا فيه أعظم آية للنبي ﷺ ، لأنه أنبأهم بما لم يكن ، وأنبأهم بغيب ، ثم بان ما أنبأ به ﷺ غلبهم أجمعين كما أنبأهم . اهـ .

(٣) قال ابن عطية ٣٥/٣ : إنما يستقيم هذا على قراءة ﴿ سيُغلبون ويُحشرون ﴾ بالياء ، ويحتمل على قراءة التاء أن يكون المعنى : قل لليهود : ستُغلب قريش . اهـ . وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٩/٢ رواية ابن عباس التي أخرجها ابن جرير والبيهقي في الدلائل وهي : « أن رسول الله ﷺ لمَّا أصاب قريشاً يوم بدر ، وقدم المدينة ، جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال : « يا معشر

١٦ ـ ثم قال عزَّ وجل : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ .. ﴾[١]
[آية ١٣].

والمعنىٰ : قد كان لكم علامةٌ من أعلامِ النبي ﷺ ، لأنه أنبأهم بما لم يَكن[٢] .

والفِئَةُ : الفِرْقةُ ، من قولهم : فَأَوْتُ رأسه بالسيف ، وفَأَيْتُه أي فلقتهُ[٣] .

قرأ أبو عبدالرحمن[٤] : ﴿ تُرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴾ بضمِّ التاء .

وروىٰ عليُّ بنُ أبي طلحةَ ﴿ يُرَوْنَهُمْ ﴾ بضمّ الياء[٥] .

ورَوَىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله جلَّ وعز (قَدْ كَانَ

= يهود أسْلِموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً !! فقالوا يا محمد : لا تَغُرنَّك نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً ـ أي جهالاً ـ لا يعرفون القتال ، والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون .. ﴾ الآية » .

(١) سقطت كتابة الآية من المخطوطة وبقي تفسيرها ، وقد أثبتناها لضرورة فهم المعنى .

(٢) قال الطبري ١٩٧/٣ : المعنى قل يا محمد لليهود : قد كانت لكم علامة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون .. إلخ .

(٣) هذا ما قاله الزجاج في معانيه ٣٨١/١ إن الفئة في اللغة : الفِرْقة ، مأخوذة من فأي الرأس أي فلقه ، قال : ومعنى فئتين : فرقتين . قال ابن الجوزي : والمراد بالفئتين : النبي ﷺ وأصحابه ، ومشركو قريش يوم بدر . اهـ.

(٤) هو عبد الرحمن السُّلمي ، وانظر البحر ٣٩٤/٢ .

(٥) عدَّها ابن جني في المحتسب من القراءات الشاذة ١٥٤/١ قال : والمعنى : يصوَّر لهم ذلك وإن لم يكن حقاً .

لَكُمْ آيَةٌ في فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا)

قال : محمدٌ ﷺ وأصحابُه ، ومشركو بدر .

وأنكر أبو عمروٍ[1] أن يُقْرَأ « تُرَوْنَهُمْ » بالتاء ، قال : ولو كان كذلك لكان « مِثْلَيْكُم » .

قال أبو جعفر : وذا لا يلزمُ ، ولكنْ يجوز أن يكون مثلَيْ أصحابكم .

قال ابن كيسان : الهاءُ والميمُ في « تَرَوْنَهُمْ » عائدةٌ إلى ﴿ وأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ والهاءُ والميمُ في « مِثْلَيْهِمْ » عائدة إلى ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وهذا من الإضمار الذي يدلُّ عليه سياق الكلام ، وهو قولُه (واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ) فدلَّ على أن الكافرين كانوا مثليْ المسلمين في رأي العين ، وكانوا ثلاثة أمثالهم في العدد .

قال : والرؤيةُ ها هنا لليهود[2] .

---

(١) أبوعمروٍ هو ابن العلاء المازني من كبار علماء اللغة والقراءات المتوفى سنة ١٥٤هـ . انظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) الأظهر أن الضمير هنا يعود على المسلمين أي يرى المسلمون الكافرين مثلي عددهم ، وهذا ما ذهب إليه الطبري ورجحه ، وهو قول الجمهور ، ومعنى الآية : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : المغرورين بأموالهم وأولادهم ، لا تغرنكم كثرة العدد ، ولا ما يأتيكم من الأعوان والمدد ، فليس هذا سبب النصر والغلبة ، إنما العزُّ والنصر بيد الله وحده ، فقد كان لكم عبرة بليغة ، في طائفتين وفرقتين التقتا في القتال ، فرقة مؤمنة تقاتل لإعلاء كلمة الله ، وهي محمد وأصحابه ، وفرقة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان والطغيان ، يرى المؤمنون الكافرين مثليهم ، رؤية بصرية حقيقية ، ظاهرة مكشوفة ، لا لبس فيها ولا اضطراب ، ومع ذلك فقد غلبت الفئة المؤمنة =

قال : ومن قال « يَرَوْنَهُمْ » باليـاء جعـل الرؤيـة للمسلـمين ، يرون المشركين مثـليهم ، وكان المسلمـون يوم بدر ثلثمائـة وأربعـةَ عشر ، والمشركـون تسعَ مائـة وخمسين ، فأُرِيَ المسلمـون المشركين ضعفهـم ، وقد وعدهم أن الرجل منهم يغلب الرجلين من المشركين فكـانت تلك آيـة ، أن يروا الشيء على خلاف صورتـه[1] ، كما قال تعـالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُـمْ إِذِ الْتَقَيْتُـم فِي أَعْيُنِكُـمْ قَلِيـلاً ، وَيُقَلِّلُكُـمْ فِي أَعْيُنِهِـمْ ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً .. ﴾[2] .

قال ابـن اسحـاق : ليؤلـف بينهم على الحرب ، للنِّقمـة ممن

= القليلة ، الفئة الكافرة الكثيرة ، أفليس في ذلك أعظم الدلائـل على أن النصر بيـد الله ، ينصر رسوله وعباده المؤمنين على أعدائهم ، ولو كان الأعداء أوفر رجالاً ، وأكثر عتـاداً !! ولا ينـافي هذا أن الكفـار كانـوا يوم بدر ثلاثـة أمثـال المؤمنين ، فإن الله تعـالى قلـل عدد المشركين في أعين المؤمنين ، حتى حسبوا أنهم مثليهم ، ليتجاسروا على قتالهم ، وكان ذلك من الآيات الباهـرة التي أيّد الله بها جنده كما قال تعالى في سورة الأنفال ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكـم قليـلاً ﴾ قال ابن مسعود : نظرنا إلى المشركين يوم بدر فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ، وكان المشركون قرابة ألف ، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

(١) أي ليغري كلاً من الفريقين بالآخر ، حتى تظهر قدرته تعالى الباهرة ، في نصرة أوليائه ، وخـذلان أعدائه .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٤٤) وهذا من الآيات الباهـرة على قدرة الله تعـالى في نصرة نبيِّـه وجنـده المؤمنين ، فقد قلَّل الله عدد المؤمنين في أعين الكافرين ، ليطمعوا فيهم ويُقدموا على قتالهم ، وقلّـل عدد الكفار في أعين المؤمنين لئـلا يرهبوهـم ويجبنـوا عن قتالهـم ، وكان في ذلك أعظـم العظـات والعبر ، على أن الكثرة في الرجـال ، والوفـرة في السلاح ، لا تؤثـر في ميزان الحرب بالغلبـة والانـتصار ، إنما الأمـر يرجـع إلى التأييـد الإلهي ، والـنصر الربـاني ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم .. ﴾ الآية . آل عمران آية رقم (١٦٠) .

أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه ، من أهل وِلَايته .

قال الفراء : يحتمل « مِثْلَيْهِمْ » ثلاثةَ أمثالهم[1] .

قال أبو إسْحَاقَ : وهذا بابٌ الغلطُ فيه غَلَط « بيِّنٌ »[2] في جميع المقاييس ، لأنَّا إنما نعقِلُ مثلَ الشيءِ مساوياً له ، ونعقل مثلَيْهِ ما يُساويه مرَّتين .

قال ابنُ كَيْسَانَ الأَزْديُّ : كيف يقع المثلان موقع ثلاثة أمثال ؟ إلاَّ أنّي أحسبه جعل ﴿ تَرَوْنَهُمْ ﴾ راجعة إلى الكل ، ثم جعل المثلين مضافاً إلى نصفهم ، على معادلة الكافرين المؤمنين ، أي يرون الكلَّ مثليهم ، لو كانَ الفريقان معتدلين[3] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١/١٩٤ .

(٢) سقط من المخطوطة لفظة « بيِّن » وقد أثبتناها من معاني القرآن للزجاج ١/٣٨٣ وقد ردَّ الزجاج قول الفراء وبيَّن خطأه فيما ذهب إليه من الناحيتين : اللغوية ، والمعنوية ، فارجع إليه هناك والله يرعاك .

(٣) توضيح كلام ابن كيسان في دفاعه عن الفراء ، أننا لو جمعنا عدد الكافرين مع عدد المسلمين ، ثم نصَّفنا العددين ، فإن ذلك يصبح مثلي عدد المؤمنين إلخ وهذا الفهم لا يستقيم مع الأسلوب البياني المعجز ، وهي فذلكة أعجمية لا تمت إلى اللغة العربية بصلة ، والحق ما قاله الزجاج في معانيه ١/٣٨٣ في الرد على الفراء حيث قال ما نصُّه : « وهذا غلط بيِّن في جميع المقاييس ، وجميع الأشياء ، لأننا إنما نعقل « مثل الشي » ما هو مساو له ، ونعقل « مثليه » ما يساويه مرتين ، فإذا جهلنا المِثْل فقد بطل التمييز ، فالذي قاله الفراء يبطل في اللفظ ، ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تُعْجِزُ ، لأنهم إذا رأوهم على هيئتهم فليس هذا آية ، وإنما الآية في هذا أن المشركين كانوا تسعمائة وخمسين ، وكان المسلمون ثلاثمائة وأربعة عشرة ، فأرى الله عز وجل المشركين أن المسلمين أقلُّ من ثلاثمائة ـــ والله قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين ـــ =

قال : والرَّاءون ها هنا : اليهودُ ، وقد بيَّن الفراء قوله بأن قال : كما تقول : وعندك عَبْدٌ ، أحتاجُ إلى مِثْلَيْه ، فأنت محتاجٌ إلى ثلاثة .

وكذلك عنده إذا قلتَ : معيَ درهمٌ ، وأحتاج إلى مثليه ، فأنت تحتاج إلى ثلاثة ، مثلَيْه والدرهم ، لأنك لا تريد أن يذهب الدرهم .

والمعنى يدلُّ على خلاف ما قال ، وكذلك اللغةُ .

فإنهم إذا رأوهم على هيأتهم ، فليس في هذه آية ، واللغةُ على خلاف هذا ، لأنه قد عُرف بالتمييز معنى المِثْل[1] .

والذي أوقع الفراء في هذا ، أن المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر ، فتوهَّم أنه لايجوز أن يكونوا يرونهم إلاَّ على عادتهم ، فتأوَّل أنك إذا قلتَ : عندي درهمٌ ، وأحتاج إلى مثله ، والدرهمُ بحاله ، فقد صرتَ تحتاج إلى درهمين[2] ، وهذا بينٌ ، وليس المعنى عليه ، وإنما أراهم الله إياهم على غير عِدَّتهم ، لجهتين :

= فأراهم المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم ـــ أي مثليهم ليقوِّي قلوبهم ، وألقى في قلوب المشركين الرعب ، فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتى غُلبوا ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ﴾ فهذا هو الذي فيه آية ، أن يُرى الشيء بخلاف صورته » . اهـ.

(١) في الصحاح : مِثْل : كلمة تسوية ، يقال : هذا مِثْله ، ومَثَله ، كما يُقال : شِبْهه وشَبَهه بمعنى . اهـ. فالمِثل إذاً : ما يساوي الشيء ويعادله ، ومثلَا الشيء : ما كان بقدره مرتين ، وليس معناه ثلاثة أمثاله كما ادَّعى الفراء ، وانظر لسان العرب لابن منظور مادة « مثل » .

(٢) انظر ما كتبه الفراء في تفسيره معاني القرآن ١/١٩٤ .

إحداهما : أنه رأىٰ الصلاح في ذلك ، لأن المؤمنين تَقْوىٰ قلوبهم بذلك .

والأخرى : أنه آيةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم[1] .

١٧ ـ **وقوله جلَّ وعزّ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالبَنِينَ ، والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .. ﴾** [آية ١٤] .

قيل : لمَّا كانت مُعْجِبَةً ، كانت كأنَّها قد زُيِّنَتْ .

وقيل : زيَّنها الشَيطانُ[2] .

(١) وجه الآية في ذلك أن الله عز وجل جمع بين المؤمنين والكافرين على غير ميعاد ، وكان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين ، فقلَّل الله عدد المشركين في أعين المسلمين حتى يتجرءوا عليهم ولا يهابوهم ، ثم لمَّا التقى الجمعان ألقى الله الرعب في قلوب المشركين ، وقلَّل عدد المشركين مرة أخرى في وجه المؤمنين ، حتى قال بعض الصحابة لآخر : أتراهم سبعين ؟ فأجابه أظنهم مائة ، فهذا هو وجه الآية والاعتبار كما قال سبحانه ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ .

(٢) وردَ اللفظ في الآية بصيغة المجهول ﴿ زُيِّن للناس ﴾ وقد اختلف المفسرون من هو المزين للشهوات ؟ هل هو الله عز وجل ، أم هو الشيطان ؟ فقال بعضهم : الله زيَّنها محنة وابتلاء ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ وهو ظاهر قول عمر : اللهم لا صبر لنا على ما زيَّنتَ لنا إلا بك » وقال آخرون : المزين هو الشيطان ، زيَّنها للناس بوسوسته وتحسينه الميل إليها ، وهو ظاهر قول الحسن البصري : « الشيطان زينها لنا ، ما أحد أشدَّ لها ذماً من خالقها » واستدلوا بقوله تعالى ﴿ وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم ﴾ ورجح الزجاج القول الأول فقال في معاني القرآن ٣٨٤/١ : « والمعنى الأول أجود ، لأن جَعْلها زينة محبوبة موجود ، والله قد زهَّد فيها ببيان زوالها » .

﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ القنطار في كلام العرب : الشيءُ الكثيرُ[1] ، مأخوذٌ من عقدِ الشيء وإحكامه ، والقنطرةُ من ذلك ، و « مُقَنْطَرَةٌ » أي مكمَّلة ، كما تقول : آلافٌ مؤلفة .

١٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ ، وَالْحَرْثِ .. ﴾** [آية ١٤] .

« الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ » **قال مجاهد** : الحسنة[2] .

وقال سعيد بنُ جُبَيرٍ : الراعيــة[3] .

وقال أبو عُبيدة والكسائي : قد تكون المسوَّمة : المُعْلَمةُ[4] .

قال أبو جعفر : قولُ مجاهد حَسَنٌ ، من قولهم :رجلٌ وسيمٌ .

وقولُ سعيد بنِ جُبَيْر لايمتنــع ، من قولهم : سامَتْ تَسُومُ ، وأَسَمْتُها وسوَّمْتُها أي رعيتها ، وقد تكون راعية ، حساناً ، معلمةً ، لتعرف من غيرها[5] .

وقال أبو زيد[6] : أصلُ ذلك أن تُجعل عليها صوفــة ،

(١) قال الطبري ٢٠١/٣ القناطير : جمع قنطار ، وهو المال الكثير الذي لا يحدُّ وزنه بحد ، والمقنطرة : المضعَّفة يعني المال الكثير بعضه على بعض كما قال الربيع . اهـ. وبنحوه قال ابن عطية والزجاج : أنه العُقدة الكبيرة من المال .

(٢) و(٣) الطبري ٢٠٢/٣ وابن كثير ١٦/٢ وتفسير ابن عطية ٤٤/٣..

(٥) أي التي لها علامة ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٩/١ ورجح ابن قتيبة القول الأول أنها الراعية ، من سامت الخيل فهي سائمة : إذا رعت .

(٥) جمع الإمام النحاس بهذا القول بين آراء السلف ، فذكر أنه لا تعارض بينها ، فيمكن أن تكون الخيل المسوَّمة هي الخيل الحِسان ، الراعية ، المعلَّمة بعلامة تميِّزها عن غيرها ، وهو قول حسن .

(٦) أبو زيد هو « سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري » أحد أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ . انظر الأعلام ١٤٤/٣ .

أو علامة تخالف سائر جسدها ، لتَبينَ من غيرها في المرعى .

والأنعام : الإِبلُ ، والبقرُ ، والغنمُ . والحرثُ : الزرعُ[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ أي المرجع .

١٩ ـ **ثم قال عز وجل : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ .. ﴾** [آية ١٥] .

﴿وأزواجٌ مطهَّرةٌ ﴾ أي من الأدناسِ والحيضِ[2] .

٢٠ ـ **ثم قال تعالى ﴿ الصَّابِرِينَ ، وَالصَّادِقِينَ ، وَالقَانِتِينَ ، وَالمُنْفِقِينَ ، وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ .﴾** [آية ١٧] .

قيل « الصَّابِرُونَ » : الصائمون ، ويُقال في شهر رمضان : شهرُ الصَّبرِ[3] .

والصحيحُ : أن الصَّابِرَ هو الذي يصبرُ عن المعاصي[4] .

---

(١) لا تطلق الأنعام على جميع البهائم ، إنما هي خاصة بمأكول اللحم منها ، وهي الإبل والبقر والغنم ، واحدها نَعَمٌ ، وأما الحرثُ فالمراد به الزرع ، والغراس ، لأن به تحصيل الأقوات ، وانظر غريب القرآن لابن قتيبة ١٠٢/١ .

(٢) أي زوجات منزهات عن الدنس ، والقذر ، والخبث الحسِّي والمعنوي ، لا يتغوطْنَ ، ولا يتبوَّلن ، ولا يحضن ، ولا يتمخَّطن ، ولا يعتريهن ما يعتري نساء الدنيا ، كما ورد ذلك في الصحيح عن رسول الله ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٤١/١ وتفسير ابن عطية ٤٨/٣ .

(٣) ورد هذا في حديث رواه ابن خزيمة أوله (يا أيُّها الناس قد أظلَّكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من أدَّى فريضة فيه كان كمن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ..) الحديث وانظر الترغيب والترهيب ٦٧/٢ .

(٤) هذا هو الراجح وهو قول قتادة واختاره الطبري ٢٠٨/٣ قال : « الصابرون » قوم صبروا على طاعة الله ، وصبروا على محارمه ، و « الصادقون » قوم صدقت نيَّاتهم ، واستقامت قلوبهم وألسنتهم ، وصدقوا في السر والعلانية ، و « القانتون » هم المطيعون . اهـ. وانظر أيضاً الدر المنثور للسيوطي ١١/٢ .

و « والقانتونَ لله » : المُصلُّون ، و« المُنْفِقُونَ » : المتَصدِّقون .

٢١ ــ ثم قال عزَّ وجلَّ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وأُوْلُو الْعِلْمِ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال أبو عُبَيْدةَ: شَهِدَ : معناه قَضَى[١] أي أعلمَ .

قال أبو جعفر : قال أبو اسحاق : وحقيقةُ هذا أن الشاهد هو الذي يعلمُ الشَّيءَ ويُبيِّنُه ، فقد دلَّنا اللَّهُ عزَّ وجلَّ بما خَلَق وبيَّن على وحدانيته[٢] .

وَقَرأ الكسائيُّ بفتح « أَنَّ » في قوله ﴿ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ ﴾ وفي قوله سبحانه ﴿ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسلامُ ﴾[٣] .

---

(١) عبارة أبي عُبيدة في كتابه مجاز القرآن ٨٩/١ : ﴿ شهد الله ﴾ أي قضى الله ، وقد ردَّ هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢/٣ فقال : « أصل شَهِد في كلام العرب : حَضَرَ ومنه ﴿ فمن شهد منكم الشهر ﴾ أي حضره ، ثم قيل لكل ما تقرَّر علمه بأي وجه من الوجوه : شهد يشهد ، فمعنى « شهد الله » أعْلَم عباده بهذا الأمر الحق وبيَّنه ، وقال أبو عبيدة « شهد الله » معناه : قضى الله ، وهذا مردود من جهات » . اهـ.

أقول : ما ذهب إليه ابن عطية هو الأظهر ، وهو قول جمهور المفسرين ، ومعنى الآية : بيَّن تعالى وأعْلَمَ عباده بانفراده بالوحدانية ، فهو المتفرد بالآلهية لجميع الخلائق ، شبِّهت دلالته على وحدانيته ، بشهادة الشاهد في البيان والكشف ، وانظر تفسير الشوكاني ٣٢٥/١ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٧٨/١ وأبو إسحاق هو كنية الإمام الزجاج من مشاهير علماء اللغة .

(٣) هذه من القراءات السبع ، وقد ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٢/١ حيث قال : الجمهور على كسر « إن » إلا الكسائي فإنه فتح الألف في قوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس . اهـ. وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٢٣٨/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٢٠٢ .

قال أبو العباس « محمد بن يزيد »[1] : التقديرُ على هذه القراءة : أنَّ الدين عند الله الإسلامُ ، بأنه لا إلهَ إلاَّ هو ، ثم حذفت الباءُ ، وأنشد سيبويه :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ
فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ[2]

المعنى : أي أمرتُكَ بالخيرِ .

قال الكسائي : انصبْهما جميعاً ، بمعنى شهد الله أنه كذا ، وأَنَّ الدِّينَ عند الله الإسلامُ[3] . ويكون أيضاً بمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلامُ .

قال ابن كيسان : « أنَّ » الثانية بدل من الأولى ، لأن الإسلام تفسير المعنى الذي هو التوحيد[4] :

وقرأ ابن عباس فيما حكى الكسائي : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ لا إِلَه

---

(١) وجّه الإمام المبرد هذه القراءة ، على أن فيها حذف الباء ، والتقدير : شهدَ الله بأنه لا إله إلا هو ، وشهد بأن الدين عند الله الإسلام ، وكذلك قال الزجاج في معانيه ١/٣٨٨ وابن عطية ٣/٥٣ .

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب كما في المحتسب لابن جنى ١/٥١ وشواهد سيبويه (٧٠) وشواهد المغني ٢/٧٢٧ .

(٤) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٤/٤٢ وقال الزجاج في معانيه ١/٣٨٨ : « وجائز أن يُفتح « أنَّ » الأولى و «أنَّ» الثانية ، فيكون فتح الثانية على جهتين ، على شهدَ الله أنه لا إله إلا هو ، وشهد بأن الدين عند الله الإسلام » . اهـ.

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٥٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢/٤٠٧ .

إلاَّ هُوَ)[1] .

وقرأ (أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسْلام) والتقدير على هذه القراءة : شهد الله أن الدين الإسلام ، ثم ابتدأ فقال : إنَّه لا إله إلا هو .

ورُوي عن محارب بن دثار ، عن عمه أبي المهلب ، أنه قرأ ـــ وكان قارئاً ـــ ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾[2] .

وقولُه تعالىٰ : (قَائِماً بِالقَسْطِ) يعني بالعدل[3] .

٢٢ ـــ **ثم قال عزَّ وجلَّ** ﴿ **إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسْلَامُ** .. ﴾ [آية ١٩] .

الإسلامُ في اللغة : الخضوعُ والانقيادُ ، ومنه استسلمَ الرجلُ[4] .

فمعنى أسلَمَ : خَضَع ، وقَبِلَ ماجاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر تفسير ابن عطية ٥٢/٣ والبحر المحيط ٤٠٧/٢ وتفسير القرطبي ٤٣/٤ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جنى ١٥٥/١ حيث قال : « ومن ذلك قراءة ﴿ شُهَداءَ للهِ ﴾ على وزن فُعَلاء ، مضمومة الشين مفتوحة الهاء ، منصوبة على الحال من الضمير في المستغفرين أي يستغفرونه شهداء لله أنه لا إله إلا هو ، وهو جمع شهيد ، ويجوز أن يكون جمع شاهد كعالم وعلماء ، والأول أجود . اهـ. وقد ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣/٣ .

(٣) المراد أنه تعالى بيَّن لعباده انفراده بالألوهية ، حال كونه مقيماً للعدل فيما يقسم من الآجال والأرزاق .

(٤) قال في تهذيب اللغة ٤٥١/١٢ : الإسلام : الاستسلام ، يُقال فلان مسلم أي مستسلم لأمر الله ، ويقال : المسلم هو المخلص لله العبادة ، من قولهم : سلَّم الأمر لفلان أي خلَّصه ، فالإسلام : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول ﷺ ، وبه يُحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذاك الإيمان .

ورَوَىٰ ابنُ عمرَ عن النبي ﷺ أنه قال : « بُنِيَ الإسلامُ على خمس : شهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزَّكاةِ ، وحجِّ البيت ، وصومِ شهر رمضان »[١] .

٢٣ ـ وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَاب ﴾ [آية ١٩] .

في الآية قولان :

أحدهما : أن المعنىٰ إن الحساب قريب[٢] ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٣] .

والقولُ الآخر : إن محاسبته سريعة ، لأنه عالمٌ بما عَمِل عبادُه ، لايحتاجُ أن يفكِّرَ في شيءٍ منه[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٤٧/١ ومسلم في باب أركان الإسلام رقم (١٦) والترمذي برقم ٢٧٢٦ والنسائي ١٠٧/٨ . وفي رواية لمسلم « إن الإسلام بُني على خمس .. » وذكر الحديث عن عبد الله بن عمر مرفوعاً أن رجلاً قال له : ألا تغزو ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الإسلام بُني على خمس .. وذكره .

(٢) هذا قول مقاتل كما في ابن الجوزي ٢١٩/١ وفي البحر المحيط ١٠٦/٢ .

(٣) سورة النحل آية رقم (٧٧) .

(٤) هذا قول مجاهد كما في الطبري ٢١٣/٣ وهو الأظهر والأشهر ، قال الطبري : « يعني أنه تعالى سريع الإحصاء ، لأنه حافظ على كل عامل عمله ، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده الخلق بأكفهم ، ويعونه بقلوبهم ، ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ، ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب » وقال القرطبي ٤٣٤/٢ : « الحساب مصدر كالمحاسبة ، والمعنى في الآية : أن الله سبحانه سريع الحساب ، لا يحتاج إلى عدٍّ ولا إلى عقد ، ولا إلى إعمال فكر كما يفعله الحُسَّاب ، ولهذا قال سبحانه ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ والله تعالى عالم بما للعباد وعليهم ، فلا يحتاج إلى تذكر وتأمل » . اهـ .

٢٤ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [آية ٢٠] .

أمرَهُ اللـهُ أن يحتجَّ عليهم بأنه متَّبِعٌ أمرَ من هم مقرُّونَ به ، لأنهم مقرُّون بأن الله عز وجل خالقهم ، فأُمروا أن يعبدوا من خلقهم وحده[1] .

ومعنى ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ : أسلمتُ نفسي لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي ويبقىٰ ربُّك .

٢٥ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ﴾ [آية ٢٠] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٩٠/١ وعبارته أوضح من عبارة المصنف ، فقد قال : المعنى : أمر الله عز وجل النبي ﷺ أن يحتجَّ على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتَّبع أمر الله ، الذي هم أجمعون مقرُّون بأنه خالقهم ، فدعاهم إلى ما أقرُّوا به ، وأراهم الآيات والدلالات بأنه رسوله ﷺ ، وقال الحافظ ابن كثير ٢٠/٢ : أي إن جادلوك في التوحيد ، فقل أخلصت عبادتي لله وحده ، لا شريك له ولا ند ، ولا صاحبة ولا ولد .

(٢) قال البحر ٤١١/٢ : عبَّر بالوجه عن جميع ذاته ، لأن الوجه أشرف الأعضاء ، فإذا أخضع الوجه فما سواه أخضع ، ومعنى الآية : انقدتُ وأطعت وخضعت لله وحده ، وكذلك قال الزمخشري ﴿ أسلمت وجهي ﴾ أي أخلصت نفسي لله وحده ، لم أجعل له شريكاً بأن أعبد وأدعو إلهاً معه ، يعني أن ديني التوحيد . اهـ الكشاف ١٨١/١ .

(٣) يريد الزجاج ، وعبارته في معانيه ٣٩٠/١ : « ويجوز في اللغة ﴿ أسلمت وجهي ﴾ أي أسلمت نفسي ، قال تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ أي كل شيء هالك إلا الله عز وجل ، وقال ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ المعنى ويبقى ربك » . اهـ .

الذين أوتوا الكتاب « اليهودُ » و« النصارىٰ » والأُميُّون : مشركو العــرب ، كأنهم نُسبــوا إلى الأُمِّ ، لأنهم بمنزلــة المولــود في أنهم لايكتبون[1] .

وقيل : هم منسوبون إلىٰ أم القرىٰ وهي مكة[2] .

٢٦ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ قيل معناه : أَسْلِمُوا ، وحقيقتهُ أنه علىٰ التهديد ، كما تقول للرجل : أأفْلَتَّ منِّي[3] ؟

٢٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ البَلاَغُ ﴾ [آية ٢٠] .

ونسخ هذا بالأمر بالقتال[4] .

---

(١) سُمِّي العرب « أميِّين » لانتشار الأمية فيهم ، وهي عدم معرفة القراءة والكتابة ، كأن الإنسان بقي على الحالة التي ولدته أمه عليها ، فالأمي نسبة إلى الأمِّ كما قال المصنف .

(٢) هذا القول غريب ، والأصح ما قاله مجاهد أن الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ ، نسبةً إلى أُمِّهِ حيث ولدته لا يعرف القراءة والكتابة ، وبقي على ما ولدته أمه عليه ، ويدل عليه قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ وقد فصَّله في العنكبوت بقوله ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ .

(٣) قال الفراء ٢٠٢/١ : هو استفهام ومعناه الأمر كقوله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ ؟ أي انتهوا ، وقال في البحر ٤١٣/٢ : « تقرير في ضمنه الأمر ، وقال الزجاج : تهدُّد ، قال ابن عطية : وهذا حسن لأن المعنى : أأسلمتم له أم لا ؟ وقال الزمخشري : قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ، فهل أسلمتم أم أنتم على كفركم ، وهذا كقولك لمن لخَّصت له المسألة : أفهمتها . اهـ الكشاف ١٨١/١ .

(٤) هكذا قال الغرناطي في التسهيل ١٨٣/١ أنها نسختها آية السيف ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٩/٢ : ذكر بعض المفسرين أنها آية موادعة وأنها مما نسخته آية السيف ، وهذا يحتاج إلى أن يقترن به معرفة تاريخ نزولها ، وظاهر نزولها أنها كانت في وقت وفد نجران . اهـ .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَاد** ﴾ أي بصيرٌ بما يقطع عذرهم[1] .

٢٨ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرون بِآيَاتِ اللَّه ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، فَبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ** ﴾ [آية ٢١] .

قال مَعْقِلُ بنُ أَبِي مِسْكِين : « كانت الأنبياء صلوات الله عليهم تجيء إلىٰ بني إسرائيل بغير كتاب فيقتلونهم فيقوم قوم ممن اتَّبعهم ، فيأمرون بالقسط ــ أي بالعدل ــ فيُقتلون[2] .

فإن قال قائل : الذين وُعِظُوا بهذا لم يقتلوا نبياً ؟

فالجوابُ عن هذا : أنهم رَضُوا فعل من قَتَل فكانوا بمنزلته[3] ، وأيضاً فإنهم قاتلوا النبي ﷺ وأصحابَه وهمُّوا بقتلهم ، كما

---

(١) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣٩٢/١ وهو غير واضح ، وأوضح منه ما قاله أبو حيان في البحر المحيط ٤١٣/٢ : ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ فيه وعيد ، وتهديد شديد ، لمن تولى عن الإسلام ، ووعدٌ بالخير لمن أسلم ، إذ معناه : « إن الله مطلع على أحوال عباده ، فيجازيهم ، بما تقتضيه حكمته » .

(٢) الأثر رواه ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وأخرجه الطبري في جامع البيان ٣١٦/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٦٤/٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٣/٢ كلهم عن « معقل بن أبي مسكين » ولم نعثر على اسم معقل هذا في كتب التراجم ، فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب « معقل بن يسار » و « معقل بن سنان » وغيرهما ، وانظر التاريخ الكبير للبخاري ٣٩٣/٧ .

(٣) هذا صحيح شرعاً وعقلاً ، فإن الراضي بالظلم ظالم ، والراضي بالكفر كافر ، وقد ورد عن ابن مسعود « إذا عُمِلَت المعصية بأرض ، كان من حضرها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب =

قال الله عز وجل ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِّينَ كَفَروا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلوكَ ﴾[1] .

٢٩ ـ **ثم قال الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ ﴾** [آية ٢٣] .

أي حظاً وافراً ﴿ يُدْعَونَ إِلىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم ﴾[2] .

وقرأ أبو جعفر « يزيدُ بنُ القَعْقَاعِ » ﴿ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُم ﴾[3] والقراءةُ الأولىٰ أحسنُ ، كقوله ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ ﴾[4] .

= عنها فرضيها كان كمن حضرها وعملها » رواه البيهقي في السنن ٢٦٦/٧ روي هذا موقوفاً ، وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال البيهقي : والمرفوع تفرد به يحيى بن أبي سليمان وليس بالقوي .

(١) سورة الأنفال آية رقم (٣٠) والآية نزلت في كفار مكة حيث تآمروا على قتل الرسول ﷺ .

(٢) الصيغة هنا : ﴿ ألم تر ﴾ صيغة تعجيب للرسول ﷺ أو لكل مخاطب والمعنى : ألا تعجب يا محمد من أمر هؤلاء اليهود ، الذي أُعطوا نصيباً من الكتاب !؟ قال في الكشاف ١٨١/١ : « يريد أحبار اليهود ، وأنهم حصَّلوا نصيباً وافراً من التوراة » . اهـ .

(٣) هذه من القراءات المعتبرة ، وقد ذكرها ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢٢٧/٢ فقال : واختلفوا في قوله تعالى ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ في البقرة وآل عمران وموضعيْ النور ، فقرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الكاف فيهن ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الكاف . اهـ . وانظر أيضاً تفسير ابن عطية ٦٣/٣ .

(٤) سورة الجاثية آية رقم (٢٩) والشاهد في الآية أن نسبة الحكم إلى الكتاب مجاز ، كنسبة النطق إلى الكتاب ، فالكتاب يفصل بين العباد بأمر العليِّ الكبير جل وعلا .

٣٠ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلاَّ أَيَّاماً مَعْدودَاتٍ ﴾ (آية ٢٤) .

رُوي أنهم قالوا : إنما نُعَذَّب أربعين يوماً ، وهي الأيامُ التي عَبَد فيها آباؤنا العِجْل[1] ، فأخبرَ اللهُ عز وجل أنَّ هذا افتراءٌ منهم وكذبٌ ، فقال تعالى : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَا كانُوا يَفتَرون ﴾ أي يَخْتلقون من الكذب ، كأنهم يسوُّون ما لم يكن ، من فَرَيْتُ الشيءَ ، قال زهير :

وَلأَنْتَ تَفْـرِي مَا خَلَقْتَ
وَبَعْضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِي[2]

٣١ ـ وقولُه عز وجل ﴿ فَكَيْفَ إذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آية ٢٥]

(١) هذه الرواية ذكرها المفسرون من قول الربيع وقتادة كما في الطبري ٢١٩/٣ والبحر المحيط ٢٧٨/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٦٤/٣ وحكى الطبري أن الله وعد أباهم يعقوب ألَّا يُدخل أحداً من ولده النار ، إلا تحلة القسم ، وهي الأيام التي نصبوا فيها العجل ، وروى أبو حيان في البحر المحيط ٢٧٨/٢ قولاً آخر ، وهو أن اليهود قالوا : « تعذَّب سبعة أيام فقط ، لأن عدد أيام الدنيا سبعة آلاف سنة ، لكل ألف سنة يوم ، ثم ينقطع العذاب » وكل هذا منهم كذب على الله وبهتان ، ولهذا قال تعالى ﴿ وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ .

(٢) انظر ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٩٤ وشرح شواهد سيبويه للأعلم ٢٨٩/٢ والدرر اللوامع ٢٣٣/٢ يقول : إنك إذا تهيأت لأمر مضيت له ، وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض الناس يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يُمضيه عجزاً منه .

في الكلام حذفٌ

والمعنىٰ : فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم « ليوم لا ريب فيه » أي لاشكَ فيه أنه كائن[1] ؟

٣٢ ــ وقولُه عز وجل ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ... ﴾ [آية ٢٦] .

قيل : الملكُ ها هنا النبّوةُ[2] .

وقيل : هو المالُ والعبيدُ .

وقيل : هو الغلبةُ .

وقال قتادة : بلغني أن النبي ﷺ سأل الله عز وجل أن يعطي أمته مُلك فارسَ ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجل هذه الآية[3] .

---

(١) أي كيف يكون حالهم يوم القيامة حين يجمعهم الله للحساب ؟ والفرضُ تهويل واستعظام لما يدهمهم في ذلك اليوم العصيب ، قال في البحر ٤١٧/٣ : أي كيف حالهم في ذلك الوقت ؟ وهذا تعجيب من حالهم ، واستعظام لعظم مقالتهم ، وظهور كذب دعواهم ؟

(٢) قاله ابن جبير ومجاهد كما في زاد المسير ٣٦٩/١ وقال الزجاج : المُلكُ : المال ، والعبيد ، كذا في معانيه ٣٩٤/١ وقال الحافظ ابن كثير ٢٢/١ : أي أنت المعطي ، وأنت المانع ، وأنت المتصرف في خلقك ، الفعّال لما تريد ، وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر النعمة ، لأن الله حوّل النبوّة من بني إسرائيل ، إلى خاتم الأنبياء ، النبي العربي ، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله ، وخصّه بخصائص لم يُعطها أحداً من الأنبياء .

(٣) رواه ابن جرير عن قتادة ٢٢٢/٣ وابن الجوزي عنه ٣٦٨/١ والسيوطي في الدر المنثور ١٤/٢ ورواه القرطبي في جامع الأحكام عن ابن عباس وأنس ٥٢/٤ ولفظه « لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، ووعد أمته ملك فارس والروم ، قال المنافقون واليهود : هيهات هيهات !! من أين لمحمد =

ومعنى ﴿ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أي من تشاء أن تؤتيه ﴿ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ أي ممن تشاء أن تنزعه منه ، ثم حذف هذا ، وأنشد سيبويه :

أَلَاهَلْ لِهَذَا الدَّهْرِ مِنْ مُتَعَلِّلِ
عَلَى النَّاسِ ، مَهْمَا شَاءَ بِالنَّاسِ يَفْعَلِ[1]

قال أبو اسحاق[2] المعنى : مهما شاء أن يفعل بالناس يفعل .

٣٣ ــ **وقوله عز وجل :﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ..﴾** [آية ٢٦] .

يُقال : عزَّ إذا غَلَبَ ، وذلَّ يذِلُّ ذُلاً : إذا غُلِبَ وقُهِرَ ، قال طَرَفَة :

بَطِيءٍ عَلَى الجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى الخَنَا
ذَلِيلٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ[3]

= ملك فارس والروم ؟ هم أعزُّ وأمنع من ذلك ، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم ، فأنزل الله الآية ، وانظر أيضاً زاد المسير ٣٦٨/١ .

(١) البيت للأسود بن يَعْفُر النَّهْشَلي ، وهو في شواهد سيبويه (١٢٩) وفي أمالي ابن الشجري ١٢٧/١ وتفسير القرطبي ٥٥/٤ ، يريد الشاعر أن هذا الدهر يذهب بنضارة الإنسان وشبابه ، ويتعلَّل في فعله ذلك ، تعلل المتجني على غيره ، فيفعل فيه ما يشاء .

(٢) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير ، وقد تقدم تعريفه .

(٣) البيت لطَرَفَة بن العبد في معلقته الشهيرة التي مطلعها « لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ » وقبل هذا البيت :

ولا تجعليني كَامْرِىءٍ لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّي ولا يُغْنِي غَنَائِي ومَشْهَدِي

بطيء على الجُلّى ... إلخ . يقول : لا تجعليني كرجل يُبطِىء عن الأمر العظيم ، ويُسرع إلى =

٣٤ ـ وقوله عز وجل ﴿ تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٢٧] .

قال عبدالله بن مسعود : هو قِصَرُه في الشتاء ، والصيف ، فالمعنى على هذا :

تُنقِصُ من الليل وتُدخِل النقصانَ في النَّهارِ ، وتُنْقِصُ من النهار وتدخل النقصان في الليل(١) .

يقال : وَلَجَ ، يَلِجُ وُلوجاً ، وَلَجِةً(٢) : إذا دخل ، قال الراجز :

« مُتَّخِذاً في ضَعَواتٍ تَوْلَجاً »(٣)

= الفحش ، وكثيراً ما يدفعه الرجال بأجماع أكفِّهم من ذله وهوانه ، فقد ذلَّ غاية الذل . وانظر أشعار شعراء الجاهليين للشَّنْتَمري ٥٥/٢ والمعلقات السبع للزوزني ١٢٣ وشرحها للأنباري ٢٢٤ وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٥٥/٤ .

(١) هذا قول قتادة ، ومجاهد ، والسدي كما في الطبري ٢٢٣/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً فقد قال : ما نقص من النهار يجعله في الليل ، وما نقص من الليل يجعله في النهار ، قال الطبري : حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة ، والنهار تسع ساعات ، وبالعكس ، وقال ابن كثير ٢٣/٢ : أي تأخذ من طول هذا فتزيده في قصره هذا فيعتدلان ، ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان ، وهكذا في فصول السنة ، ربيعاً ، وصيفاً ، وخريفاً ، وشتاء . اهـ.

(٢) في الصحاح : وَلَج يلجُ وُلوجاً ، ولجةً أي دخل ، قال سيبويه : إنما جاء مصدره وُلُوجاً وهو من مصادر غير المتعدي على معنى ولجتُ فيه . اهـ. الصحاح مادة ولج . والتَّولج : كناس الوحش الذي يلج فيه مثل الدولج ، وهو يصف ثوراً تكنس في عِضاة ، وانظر الصحاح ٣٤٨/١ .

(٣) هذا الرجز لجرير يهجو البعيث ، وقبله : قد غَبَرَتْ أمُّ البَعِيثِ حِجَجاً ..

٣٥ ــ وقولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ وتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ .. ﴾ ﴿ آية ٢٧] .

قالَ سلمان : أي تخرجُ المؤمنَ من الكافرِ ، والكافَر من المؤمنِ(١) .

وقال عبدالله بن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وهذا معنىٰ قولهم : تُخرِجُ النطفةَ وهي ميتةٌ ، من الرجلِ وهو حيٌّ ، وتُخْرِج الرجل وهو حيٌّ ، من النطفةِ وهي ميتةٌ(٢) .

---

(١) ذكره الطبري عن سلمان الفارسي بأوسع من هذا ، وانظر جامع البيان ٢٢٥/٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٢٤/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٢/٣ والدر المنثور للسيوطي ١٥/٢ وخلاصة القول في الآية الكريمة أن المفسرين اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال :

الأول : أنه إخراج الإنسان الحي من النطفة الميتة ، وإخراج النطفة من الإنسان ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أنه إخراج المؤمن من الكافر ، وإخراج الشخص الكافر من المؤمن ، وهو قول الحسن ، وعطاء ، ورُوي نحوه عن ابن عباس ، وهو على الاستعارة والمجاز .

الثالث : أنه إخراج السنبلة من الحبة ، والنخلة من النواة ، والنواة من النخلة . وهو قول السدي .

قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٦٨/٣ : « اختلف المفسرون في معنى الآية ﴿ تخرج الحي من الميت ﴾ فقال الحسن : معناه تُخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، ورُوي نحوه عن سلمان الفارسي ، ويشهد لهذا القول ما رُوي عن الزهري أن النبي ﷺ (دخل على بعض أزواجه فإذا بامرأة حسنة النَّغمة ــ يعني الصوت ــ فقال : من هذه قالت : إحدى خالاتك « خالدة بنت الأسود » فقال النبي ﷺ : « سبحان الذي يُخرج الحيَّ من الميت » وكانت امرأة صالحة ، وكان أبوها كافراً) فالمراد على هذا القول : موت قلب الكافر ، وحياة قلب المؤمن ، فهو من باب الاستعارة ، ثم قال ابن عطية : وذهب الجمهور إلى أن الحياة والموت حقيقة لا استعارة ، ثم اختلفوا فقال عكرمة : هو إخراج الدجاجة وهي حية من البيضة وهي =

٣٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آية ٢٧] .

أي بغير تضييق ولا تقتير ، كما تقول : فلانٌ يعطي بغير حساب ، كأنه لايَحْسِب ما يُعطي .

٣٧ ــ وقوله عز وجل : ﴿ لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِين .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي لايتولوهم في الدنيا ، لأن المنافقين أظهروا الإيمان ، وعاضدوا الكفار[1] فقال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾[2] .

وقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة .. ﴾ [آية ٨٢] .

= ميتة ، وإخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية ، وقال ابن مسعود : هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ، ويخرج منها الرجل وهي ميتة ، وروى السدي أنها الحبة تخرج من السنبلة ، والنواة من النخلة . اهـ. وانظر تفصيل البحث في الطبري ٢٢٤/٣ .

(١) ذكره الطبري ٢٢٨/٣ عن ابن عباس أن قوماً من اليهود كانوا يباطنون ــ أي يُسرون ويوالون ــ نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم ، فحذَّرهم بعض المسلمين وقالوا : اجتنبوا هؤلاء اليهود ، واحذروا موالاتهم ، لا يفتنوكم عن دينكم ، فأبوا فنزلت الآية ، وروى السيوطي في الدر المنثور ١٦/٢ وابن جرير ٢٢٨/٣ عن ابن عباس قال : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ، ويتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين ، فيُظْهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين ، وذلك قوله عز وجل ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٧١/١ والبحر المحيط ٤٢٢/٢ ففيه تفصيل لأقوال المفسرين .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٥١) .

قال ابن عباس : هو أن يتكلم بلسانه ، ولاَ يقتُل ، ولا يأتي إثماً ، ويكون قلبُه مطمئناً بالإيمان[1] .

وقرأ جابر بن زيد ومجاهد وحميد والضحاك (إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقيَّة)[2] .

وقال الضحاك : التَّقيَةُ باللسان ، والمعنىٰ عند أكثر أهل اللغة واحد[3] .

وروىٰ عوف عن الحسن قال : التقيَّةُ جائزةٌ للمسلم إلىٰ يوم القيامة ، غير أنه لايجعلُ في القتلِ تَقيَّة[4] .

ومعنى ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْء .. ﴾ فليس من حزب الله[5] .

وحكى سيبويه : هو مني فرسخين أي من أصحابي .

ومعنى ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من مكان دون مكان

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في سننه ولفظه قال : « التُّقاة : التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان ، ولا يبسط يده فيقتل ، ولا إلى إثم فإنه لا عذر له » وانظر الطبري ٣/٢٢٨ والدر المنثور للسيوطي ٢/١٦ .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩ وقال : هي قراءة يعقوب ، والباقون قرءوا « تُقَاة » وانظر البحر ٢/٤٢٤ .

(٣) أي لا فرق في اللغة بين « تقية » و « تُقاة » وانظر الصحاح للجوهري ، والبحر المحيط ٢/٤٢٤ لأبي حيان .

(٤) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور ٢/١٦ .

(٥) أي هو على حذف مضاف أي ليس من دين الله أو من حزب الله .

المؤمنين ، وهو مكان الكافرين .

٣٨ ــ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ [آية ٢٨] .

أي يحذِّركم إيَّاه .

٣٩ ــ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ .. ﴾ [آية ٣١] .

المحبة في كلام العرب على ضروبٍ : منها المحبة في الذَّاتِ ، والمحبة من الله لعباده : المغفرةُ[1] ، والرحمةُ ، والثناء عليهم ، والمحبَّةُ من عباده له : القصدُ لطاعته ، والرضا لشرائعه .

٤٠ ــ وقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَطِيعوا اللَّهَ والرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ ﴾[آية ٣٢] .

المعنى : لايحبُّهم ، ثم أعاد الذِّكرَ ، وكذلك « فإنَّ اللَّهَ » ولم يقل : فإنه . والعرُب إذا عظَّمتْ الشيءَ أعادتْ ذكرَهُ[2] ، وأنشدَ سيبويه :

---

(١) في المخطوطة : والمغفرة بزيادة الواو ، وزيادتها خطأ ، لأنها خبر المبتدأ وليست عطفاً ، فالمحبة من الله هي المغفرة ، والرحمة .. إلخ . وانظر معاني الزجاج ١/٤٠٠ فقد قال معنى « تحبون الله » أي تقصدون طاعته ، وترضون بشرائعه ، والمحبة على ضروب ، فالمحبة من جهة الملاذ في المطعم ، والمشرب ، والنساء ، والمحبة من الله لخلقه : عفوه عنهم ، وإنعامه عليهم برحمته ومغفرته ، وحسن الثناء عليه . اهـ .

(٢) نبَّه المصنف رحمه الله إلى أن تكرار اللفظ دون الضمير ، من أساليب العرب ، للتفخيم والتعظيم ، كتكرار ذكر اسم الله « فإن الله » ولم يقل : فإنه تعظيماً لله جل وعلا ، وقد يكون للتلذذ بذكر اسمه ، أو للتنبيه على خطر أمره ، كما استشهد به المصنف ببيت الشعر . حيث ذكر الموت ثلاث مرات .

لَا أَرَىٰ المَوْتَ يَسبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ
نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَىٰ والفَقِيرَا[1]

٤١ ـ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وآل إبْراهِيم وآل عِمْرانَ عَلىٰ العَالمين ﴾ [آية ٣٣] .

قال أهل التفسير : المعنى على عالم أهل زمانهم[2] ، ومعنى (اصْطَفَىٰ) اختار وهذا تمثيلٌ لأن الشيء الصافي هو النقيُّ من الكَدَر[3] ، فصفوةُ الله عز وجل هم : الأنقياءُ من الدَّنَس ، ذوو الخير والفضل .

٤٢ ـ وقوله عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى خُصَيفٌ عن مجاهدٍ وعكرمة ، أنَّ المحرر : الخالص للّه

(١) البيت لعدي بن زيد ، أو ابنه سوادة كما في شواهد اللغة العربية ١٤٦/١ لعبد السلام هارون وهو في شواهد سيبويه (٩٢) وفي خزانة الأدب ٣٧٩/١ وصحَّح نسبه إلى عدي وهو في ديوانه ص ٦٥ ، والخصائص ٤٣/٣ وشواهد المغني ٢٩٦ ومراده أن الموت نغَّص عيش الغنيِّ والفقير .

(٢) نبَّه إلى أن المراد بقوله تعالى ﴿ على العالمين ﴾ أي على عالمي زمانهم ، لئلا يلزم تفضيل آل عمران وآل إبراهيم على آل محمد وعلى أمة محمد ، فإن فضل هذه الأمة المحمدية مقطوع به . فإنها خير الأمم بنص القرآن ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ فلكل عصر عالم خاص به ، كما تقول : شوقي أشعر الشعراء أي في عصره وزمانه ، ولا يلزم أن يكون أشعر من امرىء القيس ، والمتنبي .

(٣) يريد أن الاصطفاء أصله من الصفوة وهي خلاصة الشيء وزبدته والمعنى : جعلهم صفوة خلقه .

عز وجل ، لا يشوبُهُ شيءٌ من أمر الدنيا[1] .

وهذا معروفٌ في اللغةِ ، أن يقال لكل ما خَلُصَ : حُرٌّ .

ومُحَرَّرٌ بمعناه ، قال ذو الرُّمَّة :

وَالقُـرْطُ فِي حُرَّةِ الذِّفْـرَىٰ مُعَلَّقَـــهُ
تَبَاعَدَ الحَبْـلُ مِنْـهُ فَهـوَ يَضْطَـرِبُ[2]

٤٣ ـ **وقولـه عز وجـل : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَـا قَالَتْ رَبِّ إِنِّـي وَضَعْتُهَـا أُنثَىٰ .. ﴾** [آية ٣٦]

قال ابن عباس : إنما قالت هذا لأنه لم يكن يُقْبل في النذر إلاَّ الذكور ، فقبلَ اللَّهُ مريمَ[3] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٢٣٦/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ والقرطبي ٦٧/٤ قال ابن عطية ٨٦/٣ : « محرَّراً » أي عتيقاً من كل خدمة وشغل من أشغال الدنيا ، مأخوذ من الحرية ، وقال الطبري ٢٣٦/٣ أي جعلته عتيقاً لعبادة الله ، لا يُنتفع به بشيء من أمور الدنيا ، وقال ابن كثير ٢٦/٢ « محرراً » أي خالصاً مفرَّغاً للعبادة ، ولخدمة بيت المقدس .

(٢) البيت في ديوانه (١٠) من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ما بالُ عيـــنكَ منها الماءُ ينسكبُ ... كأنــه مِنْ كُلَـى مفريَّـــة سَرِبُ

وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٧/٤ والشاهد في البيت أن الحرة هي العتيقة من كل شيء ، وقد وصفها بأنها طويلة العنق ، قد تباعد حبل العنق من القرط ، والذفرى هو من القفا وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير خلف الأذن . الصحاح ٦٦٣/٢ .

(٣) هذا الأثر ذكره ابن جرير في جامع البيان ٢٣٦/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٢ كلاهما عن قتادة والربيع ، ولم أره منسوباً إلى ابن عباس ، إلا ما ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٧/٤ نقلاً عن ابن النحاس ، قال ابن عطية ٨٨/٣ : « ولفظُه خبر في ضمنه التحسُّر والتلهف ، وإنما تلهفت لأنهم لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس ، ولا يجوز ذلك عندهم ، وكانت قد رجت أن =

٤٤ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ .. ﴾ [آية ٣٦] .

في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ[1] ، والمعنى : قالت ربِّي إنِّي وضعتُها أنثىٰ ، وليس الذكر كالأنثى ، فقال الله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ .

وقرأ أبو رَجَاءٍ ، وإبراهيمُ النَّخعي ، وعاصم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ﴾[2]

فعلىٰ هذه القراءةِ ، ليس في الكلامِ تقديمٌ ولا تأخيرٌ .

٤٥ ـ وقولُه تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آية ٣٧] .

قال قتادة : كانت مريمُ بنت عِمْرانَ ـ إمامِهم وسيِّدهم ـ

= يكون ما في بطنها ذكراً ، إذ الأنثى تحيض ، ولا تصلح لصحبة الرهبان » . اهـ. وقال أبو حيان في البحر ٤٣٨/٢ : خاطبت ربها على سبيل التحسر على ما فاتها من رجائها ، لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً يصلح للخدمة ولذلك نذرته » .

(١) أي أن هناك جملة اعتراضية ، وهي قوله تعالى ﴿ والله أعلم بما وضعتْ ﴾ وأصل الكلام : قالت رب إني وضعتها أنثى ، وليس الذكر كالأنثى ، فقُدِّمت الجملة الاعتراضية ﴿ والله أعلم بما وضعتْ ﴾ للتنبيه على تعظيم شأن هذه المولودة ، وتجهيلاً لها بقدر ما وُهب لها من الله تعالى ، كأنه يقول : إنَّكِ لا تدرين قدر هذه الموهوبة ، وعظم شأنها ، وعلوَّ قدرها !!

(٢) هذه من القراءات السبع ﴿ والله أعلم بما وضعتُ ﴾ بضم التاء ، كما ذكره ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢٣٩/٢ وابن مجاهد في السبعة في القراءات ٢٠٤ وعلى هذه القراءة لا تقديم ولا تأخير ، ويكون التعبير كله من كلام أم مريم ، كأنها تخاطب نفسها بقولها « والله أعلم بما وضعتُ » على سبيل التسلية ، فلا ينبغي لها الحزن والتحسر ، لأن علم الله سابق ، وحكمته بالغة .

فقارعوا عليها سِهَامَهم ، فخرج سهمُ « زكريا » فكفَّلها أي ضَمَّها إليه[1] .

وفي الحديث « كَافِلُ اليتيمِ له كذا »[2] .

وقال الحسن : قَبِلَها وتَحَملها .

وقال أبو عبيدةَ : معنىٰ « كَفِلَها » ضمَّها ، أو ضَمِنَ القيامَ بها[3] .

٤٦ ــ وقولُه تعالى : ﴿ كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا المِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً .. ﴾ [آية ٣٧] .

المحرابُ في اللغةِ : المكانُ العالي ، ويستعمل لأشرف المواضع[4] ، وإن لم يكن عالياً ، إلاَّ أنه رُوي أن زكريا كان يصعد إليها بسلم .

---

(١) الأثر في الطبري عن قتادة ٢٤٣/٣ ولفظه : « قال كانت مريم ابن سيِّدهم وإمامهم .. » إلخ . وفي الدر أيضاً ٢٠/٢ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٣٣/٥ ولفظه « أنا وكافِلُ اليتيم كهاتين في الجنة ــ وأشار بالسبابة والوسطى ــ » وأخرجه البخاري في الأدب ، ومسلم في الزهد ، وأبو داود والترمذي ، ومالك في الموطأ باللفظ المذكور .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٩١/١ فقد ذكر فيه أن المعنى ضمَّها إليه ، ولم يذكر لفظ « ضَمِن القيام بها » .

(٤) هكذا قال أهل اللغة المحاريبُ : صدور المجالس ، ومنه سمي محراب المسجد ، كما ذكره في الصحاح ١٠٨/١ وفي المصباح المنير ١٣٨ : المحراب : صدر المجلس ، ويُقال : هو أشرف المجالس ، وهو حيث يجلس الملوك والسادات والعظماء ، ومنه محراب المصلي ، ويُقال : مأخوذ من المحاربة ، لأن المصلي يحارب الشيطان ، ويحارب نفسه بإحضار قلبه ، وقد يُطلق على الغرفة كقوله تعالى ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ أي من الغُرفة . . اهـ.

ومعنىٰ ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ﴾ علىٰ قول مجاهد : وَجَدَ عندها فاكهةَ الشتّاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء[1] .

٤٧ ــ وقولُه تعالى : ﴿ قَالَ يا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ﴾ ؟

قال أبو عبيدة : المعنى من أين لكِ[2] ؟

وهذا القولُ فيه تساهلٌ لأن « أَيْنَ » سؤال عن المواضع و « أَنَّىٰ » سؤال عن المذاهبِ والجهاتِ ، والمعنىٰ : من أيِّ المذاهبِ ومن أي الجهات لك هذا ؟ وقد فرَّق الكُمَيْتُ بينهما فقال :

« أَنَّىٰ » وَمِنْ « أَيْنَ » آبَكَ الطَّرَبُ
مِنْ حَيْثُ لَا صَبْوَةٌ وَلَا رِيَبُ[3]

---

(١) الأثر رواه الطبري ٣/٢٤٥ وهو قول السدي ، وقتادة ، والضحاك ، وذكره السيوطي في الدر ٢/٢٠ وابن كثير ٢/٢٨ قال : وفي الآية دلالة على كرامة الأولياء ، وذكر حديث جابر في قصة فاطمة الزهراء ، عندما زارها النبي ﷺ وهو جائع ، فلم يكن في بيتها شيء من الطعام ، وأرسلت لها جارتها رغيفين وقطعة لحم ــ بعد ذهاب الرسول ﷺ ــ فوضعَتْه في وعاء وغطَّته ، وقالت : والله لأوثرنَّ بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ، ومن عندي ، وبعثت تطلب الرسول فرجع إليها ، فقالت بعث الله إليَّ شيئاً من الطَّعام فخبأته لك ، فقال : هلُمِّي يا بنية بالجَفْنة ، فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليها بُهتت ، فقال لها الرسول الكريم : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : « هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » وذكر بقية القصة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٩١ وبمثل قول أبي عُبيدة قال ابن قتيبة في معاني القرآن ١/١٠٤ .

(٣) البيت للكُمَيْت في مطلع قصيدة من الهاشميات ص ٤٤ وهو في اللسان ٢٠/٣٢٢ والمفصل لابن يعيش ٢٠٧ وجامع الأحكام للقرطبي ٤/٧٢ ومجاز القرآن ١/٩١ والبحر المحيط ٢/٤٤٣ .

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ من قِبَلِ الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير تقتير .

٤٨ ــ **وقوله تعالى** : ﴿ **فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ** .. ﴾ [آية ٣٩] .

رُوي أن جبريل عليه السلام هو الذي ناداه وحده[١] .

وهذا لا يمتنع في اللغة ، كما تقول : ركبَ فلانٌ السفن ، وإنما ركب سفينة واحدة ، أي ركبَ هذا الجنس[٢] .

٤٩ ــ **وقوله تعالى** : ﴿ **مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ** .. ﴾ [آية ٣٩] .

قال ابن عباس : صدَّقَ بعيسىٰ[٣] .

وقال الضحاك : بشَّر بعيسى[٤] .

ومعنى « بَشَّرْتُهُ » أظهرتْ في بَشَرَتِهِ السُّرورَ[٥] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ، أن الذي ناداه هو جبريل ، كما في الدر المنثور ٢١/٢ والطبري ٢٤٩/٣ وهذا مجاز مشهور ، من باب إطلاق الكلِّ وإرادة البعض ، كما قال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ أي واحد من الناس .

(٢) قال ابن جرير ٢٤٩/٣ « والملائكة جمع لا واحد ، وذلك جائز في كلام العرب ، أن تُخبر عن الواحد بالجمع ، كما تقول : مِمَّن سمعت هذا الخبر ؟ فيقول : منَ الناس ، وإنما سمعه من رجل واحد ، فكذلك هنا ، أطلق الجمع « الملائكة » وأراد جبريل .

(٣) و (٤) الأثر في الطبري ٢٥٢/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١/٢ .

(٥) قال أهل اللغة : البشارة : الخبر السار الذي يظهر أثره على بشرة الإنسان ، وانظر الصحاح ، واللسان مادة بَشَر .

فإن قيل : فما معنىٰ تسميةِ « عيسىٰ » بالكلمة ، ففي هذا أقوال :

أحدهما : أنه لمَّا قال له اللَّهُ عزَّ وجل « كُنْ » فكان سمَّاه بالكلمة[1] ، فالمعنى على هذا : ذو كلمةِ اللهِ كما قال تعالىٰ ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[2] .

وقيل : سُمي بهذا كما يقال : عبدالله ، وألقاها على اللفظ[1] .

وقيل : لمَّا كانت الأنبياء قد بَشَّرتْ به ، وأعلمت أنه يكون من غير فحلٍ ، وبشَّر الله مريم به كما قال (إِنَّما أَنا رَسُولُ رَبِّك لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا)[4] فلما ولدته على الصفة التي وُصِفَ بها

(١) هذا رأي جمهور المفسرين ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي وغيرهم أن المراد بالكلمة عيسى عليه السلام ، سمي عيسى كلمة الله لأنه خلق بكلمة « كن » من غير أب ، وتكوَّن بكلمة من الله ، ويدلُّ على هذا القول قول الله تعالى ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يُبشِّرك بكلمة منه اسمه المسيحُ عيسىٰ بنُ مريمَ ﴾وانظر الطبري ٢٥٣/٣ والبحر المحيط ٤٤٧/٢

(٢) يريد المصنف أن الكلام على حذف مضاف أي اسأل أهل القرية لأن نفس القرية لا يمكن سؤالها لأنها جماد ومؤلفة من سُقُف وجدران ، ومثله « والعير التي أقبلنا فيها » أي اسأل أهل العير لأن الإبل نفسها لا تنطق ولا تجيب ، ويسمَّى هذا « المجاز المرسل » .

(٣) يعني أن لفظ ﴿ كلمة الله ﴾ هو اسم لعيسى ، كما يقال : هذا عمر ، وهذا عبد الله ، فصحَّ إطلاق اللفظ عليه ، فقوله تعالى ﴿ مصدِّقاً بكلمة من الله ﴾ يعني مصدِّقاً بعيسى ، قال ابن عطية ١٠٠/٣ : الكلمة هنا يراد بها « عيسى بن مريم » وسمَّى الله عيسى كلمة ، لأنه صدر عن كلمة منه تعالى ، لا بسبب إنسان آخر » . اهـ. تفسير ابن عطية ١٠٠/٣ .

(٤) سورة مريم آية رقم (١٩) .

قال الله عز وجل : هذه كلمتي ، كما تخبر الرجل بالشيء ، أو تَعِدُهُ به ، فإذا كان ، قلت : هذا موَلي ، وهذا كلامي[1] .

والعربُ تُسَمِّي الكلام الكثير ، والكلمةَ والواحدة كلمةً ، كما روي أن الحُوَيْدِرة ذُكِر لحسَّان فقال : « لَعنَ اللهُ كلمتَه تلكَ » يعني قصيدته[2] .

وقيل : سُمِّي كلمةً لأنَّ الناس يهتدون به ، كما يهتدون بالكلمة .

٥٠ ـ **وقوله تعالى** : ﴿ **وَسَيِّداً وَحَصُوراً ونَبِيَّاً مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [آية ٣٩] .

قال سعيد بن جُبَيْر والضحَّاكُ : السيِّدُ : الحليمُ[3] .

---

(١) هذا خلاصة رأي ذهب إليه أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٩١/١ فقال : العرب تقول للرجل : أنشدني كلمة كذا وكذا أي قصيدة فلان وإن طالت ، قال : والمراد « بكلمة من الله » أي بكتاب من الله .. إلخ . وقد ردَّ ابن جرير هذا القول في تفسيره ٢٥٣/٣ فقال : « وقد زعم بعضُ أهل العلم بلغات العرب ، أن معنى قوله ﴿ مصدقاً بكلمة من الله ﴾ أي بكتاب من الله ، من قول العرب : أنشدني فلان كلمة كذا ، يراد به قصيدة كذا ، جهلاً منه بتأويل الكلمة ، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه » . اهـ. وانظر أيضاً المحرر الوجيز ١٠١/٣ والبحر المحيط ٤٤٧/٢ .

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٤٧/٢ فقد استدل على ذلك بالحديث الصحيح : (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

(٣) الأثر في الطبري ٢٥٤/٣ ولفظُه عن الضحاك : السيِّد : الحليم التقي ، وابن الجوزي ٣٨٣/١ والدر المنثور ٢١/٢ وعزاه إلى ابن عباس .

وقيل : الرئيسُ[1] .

وروىٰ يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أنه قرأ ﴿ وَسَيِّـداً وَحَصُوراً ﴾[2] فأَخَذَ من الأرض شيئـاً ، ثم قال : الحصورُ : الذي لا يأتي النساء[3] .

---

(١) هذا قول الأنباري كما ذكره ابن الجوزي عنه ٣٨٣/١ قال : السيد : هو الرئيس والإمام في الخير . اهـ.

أقول : ولم أره عن أحد من السلف ، والسيد : من السيادة والسؤدد ، وهو الذي ساد قومه وفاقهم في الحلم والشرف ، وهذا ما رجحه ابن عطية .

(٢) و(٣) هذه الآثار ذكرها السيوطي في الدر ٢٢/٢ والطبري ٢٥٦/٣ وابن كثير ٣٠/٢ أقول : والصحيح في معنى الحصور هو الذي يحبس نفسه عن الشهوات ، عِفَّة وزُهْداً ، ومنها شهوة الوقاع والنكاح ، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك ، وما نُقل عن بعض المفسرين أنه كان عِنِّيناً فباطل لا تجوز حكايته ، لأنه نقص وذم ، والآية وردت مورد المديح والثناء ﴿ وسيِّداً وحَصوراً ونبياً من الصالحين ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٣١/٢ نقلاً عن القاضي عياض في كتابه الشفاء : « اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان « حصوراً » ليس كما قاله بعضهم : إنه كان هيوباً ، أو لا ذَكَر له ، بل قد أنكر هذا حُذَّاق المفسرين ، ونُقَّاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أي لا يأتيها كأنه حُصِر عنها .

وقيل : ﴿ حصوراً ﴾ : مانعاً نفسه من الشهوات .

وقيل : ليست له شهوة إلى النساء .

وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النساء نقصٌ ، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها ، إمَّا بمجاهدة كعيسى ، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى بن زكريًّا ، ثم هي في حق من قَدَر عليها ، وقام بالواجب فيها ، ولم تشغله عن ربه ، درجة علياء ، وهي درجة نبينا محمد ﷺ ، الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة ، بتحصينهن ، وقيامه عليهن ، واكتسابه لهن ، وهدايته إيَّاهن ، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره ، فقال : « حُبِّب إليَّ من دنياكم : النِّساء ، والطِّيب ، وجُعلت قرة =

يقال : حُصِرَ إذَا مُنِع ، فـ « حَصُورٌ » بمعنى محصورٌ ، كأنه مُنِعَ ممَّا يكونُ في الرِّجال .

و« فَعُولٌ » بمعنىٰ « مَفْعُول » كثيرٌ في كلامِ العرب ، من ذلك « حَلُوبٌ » بمعنى محلوبَةٌ ، قال الشاعر :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً
سُوْداً كخَافِيةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ[1]

ويقال : حَصَرْتُ الرجلَ : إذا حبسته ، وأُحْصَرهُ المَرَضُ : إذا مَنَعَه من السَّير ، والحصيرُ من هذا سُمِّي ، لأَن بعضَهَ حُبِسَ علىٰ بعض .

وقيل : هو الحابسُ نفسَه عن معاصي الله عز وجلَّ[2] .

= عيني في الصلاة » رواه النسائي في « عِشْرَةَ النِّسَاءِ » وإسناده حسن ، ورواه الحاكم والبيهقي . ثم قال ابن كثير : والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصور ، ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله المحقِّقون بأنه معصوم عن الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء ، بل قد يُفهم وجود النسل من دعاء زكريا المتقدم ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ أي ولداً له ذرية وتسل ، والله أعلم .

(١) البيت لعنترة بن شداد من معلقته التي مطلعها :
هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ من مُتَرَدَّمِ   أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
وهو في ديوانه ص ١٤٤ . وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٢٤/٦ وشرح الأشموني ٧٠/٤ وخزانة الأدب ٥٠/٣ .

(٢) ذكره في البحر ٤٤٨/٢ ويُروى أيضاً : الحاصرُ نفسه عن الشهوات ، قال أبو حيان في البحر ٤٥٢/٢ بعد ذكر أقوال المفسرين : « والذي يقتضيه مقام يحيى عليه السلام ، أنه كان يمنع نفسه من شهوات الدنيا ، من النساء وغيرهن ، ولعلَّ ترك النساء زهادة فيهنَّ كان شَرعهم إذ ذاك » . اهـ .

وقال ابن عباس : الذي لا يُنْزِلُ[1] .

٥١ ــ **وقولُه تعالى** : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ** ﴾ ؟ [٤٠] .

يقال : كيف استنكر هذا وهو نبيٌّ ، يعلم أن الله يفعل ما يريد ؟

ففي هذا جوابان :

أحدهما : أنَّ المعنىٰ : بأيِّ منزلةٍ استوجبتُ هذا ؟ على التواضع للَّهِ[2] .

وكذلك قيل في قولِ مريم : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[3] ؟

والجوابُ الآخر : أن زكريا أراد أن يَعْلَمَ هل يُرَدُّ شاباً ؟ وهل تَرَدُّ امرأتُهُ ؟ وهل يرزقهما اللهُ ولداً من غير ردٍّ ؟ أو من غيرها[4] ؟

فأعلمَهمُ اللَّهُ عز وجل أنه يرزقهما ولداً من غير ردٍّ ، فقال

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥٦/٣ وابن كثير ٣٠/٢ وابن الجوزي ٣٨٤ .

(٢) أي قاله شاكراً لله ومتواضعاً ، من شدة الفرح ، كالمدهوش عندما يحصل له ما كان مستبعداً . وهذا أحد أقوال المفسرين في الآية أن قوله كان على سبيل الاستعظام لقدرة الله تعالى .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٤٧) .

(٤) هذا القول هو الأظهر والأقرب والمعنى : كيف يأتيني الغلام ، وأنا شيخ كبير السن ؟ وامرأتي عقيم لا تلد ؟ أيأتينا ونحن على هذه الحالة ؟ أم نرجع إلى حال الصبا والشباب ؟ قال ابن عباس : « كان عمره مائة وعشرين سنة ، وامرأته بنت ثمان وتسعين سنة » فيكون على هذا القول سؤال استعلام لا استبعاد ، والله أعلم .

عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشَاءُ ﴾ .

ويُقال : عَقُرتِ المرأة : إذا لم تحمل ، وعَقُرَ الرجلُ : إذا لم يولد له ، والذَّكرُ والأنثىٰ عاقرٌ[1] .

٥٢ ــ **وقولُه تعالى** : ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَة** .. ﴾ . [آية ٤١] .

أي علامة[2] .

﴿ قَالَ آيَـتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّـمَ النَّـاسَ ثَلاثَـةَ أَيَّـامٍ إلاَّ رَمْزَاً ﴾ .

قال قتادة : إنما عوقب بهذا ، لأنه طلب الآية بعد مشافهة الملائكة إيَّاه بالبشارة[3] .

وقال مجاهد : الرَّمْزُ : تحرُّكُ الشَّفَتين[4] .

وقال الضحاك : الرَّمزُ : تحريكُ اليدين والرَّأسِ[5] .

---

(١) قال أهل اللغة : العاقر : من لا يولد له من رجل أو امرأة ، يُقال : رجل عاقر ، وامرأة عاقر ، أي لا يولد لهما ، قال في الصحاح ٧٥٥/٢ : العاقر : المرأة التي لا تحبل ، ورجل عاقر : لا يولد له . اهـ.

(٢) المراد علامة على وجود الحمل ، كما قال ابن الجوزي .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٥٩/٣ وعزاه إلى قتادة والربيع بن أنس ، وذكره في الدر ٢٢/٢ وهذا القول ضعيف ، والصحيح ما قاله المحققون أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ، ليبادر بالشكر ، وليتعجل السرور ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار ﴾ وانظر تفسير ابن كثير ٣١/٢ .

(٤) و (٥) هذه الآثار عن قتادة ومجاهد والضحاك ذكرها المفسرون ، الطبري ٢٦٠/٣ وابن الجوزي ٣٨٦/١ والدر المنثور ٢٢/٢ والبحر المحيط ٤٥٢/٢ قال أبو حيان : وكان الإعجاز في هذه الآية ، من جهة قدرته على ذكر الله ، وعجزه عن تكليم الناس ، مع سلامة البنية ، واعتدال المزاج ، وقد قال محمد بن كعب : « كانت الآية حبس اللسان ، لتخلص المدة لذكر الله ، لا يشغل لسانه بغيره ، قضاء لحق تلك النعمة وشكرها » . اهـ.

والرَّمـــزُ في اللغـــة : الإشارة كانت بيـــدٍ ، أو رأسٍ ، أو حاجبٍ ، أو فم ، يقـــال : رَمَـــزَ أي أشار[1] ، ومنـــه سميت الفاجرة : رامزة ، ورمَّازة ، لأنها تومىءُ ولا تُعْلِن .

٥٣ ـــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَاذكُرْ رَبَّكَ كثيراً وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبْكارِ ﴾** . [آية ٤١] .

وقُرىء « والأَبْكَـارِ »[2] وهـو جمعُ بَكَـرَ ، ويُقـال : بَكَـر ، وبَكَّـر ، وابتكـر ، وأبكـر إذا جاء في أول الـوقت ، ومنـــه سُمـــيت « الباكورة »[3] .

ويُقـال : أبْكَـر إذا خرج من بين مطلـع الفجـر ، إلـىٰ وقت الضحىٰ .

والـعشيُّ : من حين نزول الشمس إلـىٰ أن تغيب[4] ، وهـو

---

(١) هكذا قال أهل اللغة : الرمز : الإشارة ، قال في المصباح : رَمَز رَمْزاً : أشار بعين ، أو حاجب أو شفة . وقال الزجاج في معاني القرآن ٤١٣/١ : ومعنى الرمز : تحريك الشفتين باللفظ ، من غير إبانة بصوت ، وقد يكون بالعينين ، أو الحاجبين ، أو الفم ، والرمز : كل ما أشرت به إلى بيان ، بفم ، أم بيد ، أم بعينين . اهـ. وهكـذا قال الفـراء ٢١٣/١ : الرمـز يكـون بالشفـتين ، والحاجبين ، والعينين ، وأكثره في الشفتين . اهـ.

(٢) هذه القراءة شاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ والإبكـار ﴾ بكسر الهمـزة أي أول النهار ، قال في البحر ٤٥٣/٢ : « وقُرِىءَ شاذاً ﴿ والأَبْكـار ﴾ بفتـح الهمـزة وهـو جمع بَكَـر بفتـح البـاء والكـاف ، تقول : أتيتك بكراً ، ونظيره سَحَر وأسحار » . اهـ.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤١٣/١ قال : والعرب تقول : قد بكَّر ، ومنه الباكـورة لما يتقـدم من الثمار . اهـ. قال أبو حاتم : الباكورة من كل فاكهة ما عجل الإخـراج ، وباكـورة الفاكهـة : أول ما يُدرك منها . نقلاً عن المصباح .

(٤) قال الغرناطي في التسهيـل لعلـوم التنزيـل ١٨٩/١ : الـــعشيُّ : من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار : من طلوع الفجر إلى الضحى .

معنىٰ قول مجاهد .

٥٤ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يامَرْيَـمُ إنَّ اللَّـهَ اصْطَفَـاك ﴾** [آية ٤٢] .

أي اختـارك ﴿ وَطَهَّـرَكِ ﴾ من الأدنـاس ، وقيـل : من الحَيْضِ ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِساء العَالَمِين ﴾ .

فيه قولان :

أحدهما : أنَّ المعنىٰ على أهل زمانها[1] .

والقول الآخر : على جميع النساء بعيسى .

فليس مولودٌ ولد من غير ذكر إلاَّ عيسىٰ عليه السلام .

٥٥ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾** [آية ٤٣] .

قيل : القنوتُ ها هنا القيامُ ، وروي أن النبي ﷺ سُئِل « ما أَفْضَلُ الصلاةِ ؟ فقال : طولُ القنوتِ »[2] أي طول القيام ، وسمي الدعاء

---

(١) أي أفضل نساء بني إسرائيل ، كما أن خديجة أفضل نساء المسلمين ، وإلى هذا ذهب ابن عباس والحسن ، وابن جريج قال ابن الأنباري : وهذا قول الأكثرين ، قال الحافظ ابن حجر ٣٣٩/٦ : « وظاهرُ الآية أن مريم أفضل من جميع النساء ــ وهذا لا يمتنع عند من قال إنها نبيَّة ــ وأما من قال : ليست بنبية ، فيحمله على عالمي زمانها » . اهـ. وجزم الزجاج بالقول الثاني فقال ٤١٤/١ : أي على نساء دهرها ، ويحتمل أن المعنى : اختارك لعيسى على نساء العالمين كلهم ، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساء العالمين » . اهـ.

أقول : وإلى هذا القول أشار المصنف بقوله : « على جميع النساء بعيسى » فيكون الاصطفاء مخصوصاً في أمر عيسى .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٧٥٦ والترمذي في الصلاة برقم ٣٨٧ ولفظه : « قيل يا رسول الله أيُّ الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت » وأما لفظ مسلم فهو : « أفضل الصلاة طول القنوت » .

قنوتاً ، لأنه يُدعى به في القيام .

وروى عَمرُو بنُ الحارث ، عن درَّاج ، عن أبي الهَيْثم ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ﷺ كلُّ حرفٍ ذكره الله في القرآن من القنوت ، فهو الطاعة »[1] .

٥٦ ـ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَاسْجُدي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آية ٤٣] .

فبدأ بالسجود قبل الركوع ، وفي هذا جوابان :

أحدهما : أنَّ في شريعتهم السجودَ قبلَ الركوع[2] .

والقول الآخر : أن الواو تدل علىٰ الإجتماع ، فإذا قلت : قام زيدٌ وعمْرٌ ، جاز أن يكون عَمْروٌ قبل زيد[3] ، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ : واركعي واسجدي ، ولهذا أجاز النحويون قام وزيدٌ عمروٌ

(١) الحديث أخرجه ابن حبان ، وابن أبي حاتم ، وأحمد في المسند ٧٥/٣ وأخرجه ابن جرير ٢٦٦/٣ لفظ (كل حرف يُذكر فيه القنوت من القرآن فهو الطاعة) قال ابن كثير في تفسيره ٣٣/٢ : رواه ابن جرير من حديث ابن لهيعة عن درَّاج وفيه نكارة ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز لضعفه ، قال المناوي في فيض القدير ١٨/٥ : فيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) هذا قول أبي سليمان الدمشقي ، كما ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٨/١ وهو قول مرجوح ، والقول الثاني أرجح وهو قول الزجاج أن الواو لا تفيد الترتيب ، فالمعنى : اركعي واسجدي لله .

(٢) مراده أن الواو لمطلق الجمع ، ولا تفيد الترتيب بخلاف « ثمَّ » و « الفاء » فإن الفاء للترتيب مع التعقيب و « ثم » للترتيب مع التراخي ، وأما الواو فهي لمطلق الجمع ولا تفيد الترتيب ، فإذا قلت : جاء زيد وبكر وخالد ، لم يُفهم أيُّهم جاء قبل ، بل تفيد أن الجميع جاءوا ، بخلاف إذا قلت جاء زيد ثم بكر .

وأنشدوا :

أَلاَ يَا نَخْلَـــــــةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ
عَلَيْكِ ــ ورحمةُ اللَّهِ ــ السَّلاَمُ[1]

٥٧ ــ وقولُه تعالىٰ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي من أخبار ما غابَ عنك .

ثم قال تعالىٰ ﴿ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ ﴾ [آية ٤٤] .

﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ معناه : عندهم ، قيل : الأقلامُ : السِّهامُ يتقارعون بها ، وسُمِّي السهم قلماً لأنهُ يقلم أي يُبرى[2] .

٥٨ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَم ﴾ ؟ أي لينظروا أيُّهم تجبُ له كفالةُ مريم ؟

وفي الكلام حذفٌ ، أي إذْ يختصمون فيها أيُّهم أحقُّ بها[3] ؟

---

(١) البيت ــ على القول المشهور ــ للأحوص الأنصاري وهو في ديوانه (١٩٠) وذكره في خزانة الأدب ١٩٢/٢ قال : وكنَّى عن المرأة بالنخلة ، وهذا من ظريف الكناية وغريبها ، وذكره في شواهد المغني ٢٦٣ وهو في الدرر اللوامع ١٤٨/١ وفي مجالس ثعلب ١٩٨/١ والشاهد فيه : تقديم المعطوف على المعطوف عليه ، والأصل : عليك السلام ورحمة الله .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤١٥/١ .

(٣) وهكذا قال ابن جرير ٢٦٨/٣ في تفسيره : المعنى : وما كنتَ عند قوم مريم ، إذ يختصمون فيها أيُّهم أحقُّ بها وأولى .

٥٩ ـ وقولُه تعالى : ﴿ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴾ [آية ٤٥] .

الوجيهُ : الذي له القدرُ ، والمنزلةُ الرفيعةُ ، يُقال : لفلانٍ جَاهٌ ، وجَاهَةٌ ، وقد وَجُهَ ، يَوْجَهُ ، وَجَاهَةً[١] .

٦٠ ـ وقولُه تعالىٰ ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاس فِي المَهْدِ ، وَكَهْلاً ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آية ٤٦]

يُقال : اكتهل النَّبْتُ : إذا تمَّ ، والكَهْلُ : ابنُ الأربعين ، أو مَا قَارَبها[٢] .

وقال يزيد بنُ أبي حبيب : الكهلُ : منتهىٰ الحُلُم[٣] .

والفائدةُ في قوله تعالى ﴿ وَكَهْلاً ﴾ أنه خبَّرها أنه يعيش إلى أن يصير كهلاً[٤] .

---

(١) في المصباح المنير : وجه بالضم وجاهة فهو وجيه : إذا كان له حظ ورتبة .

(٢) في لسان العرب ١٤/١٢٠ : الكهل : الرجل إذا وَخطه الشيب ، وفي الصحاح : إذا وَخطه الشيب وجاوز الثلاثين ، وفي الحديث في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما « هذان سيِّدا كهول الجنة » وقال ابن الأثير : الكهل من الرجال : من زاد على الثلاثين إلى أربعين ، وقد اكتهل الرجل : إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً ، وقال الأزهري : سُمِّي كهلاً لانتهاء شبابه وكمال قوته ، واكتهل النبتُ : طال وانتهى . اهـ. لسان . قال في الوسيط : الكهل من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين . اهـ.

(٣) أي منتهى سنِّ البلوغ ، وهو في حدود الأربعين .

(٤) هذا قول الربيع ، وهو الصحيح ، والمعنى : أن عيسى يكلِّم الناس طفلاً رضيعاً في المهد ، ويكلمهم كهلاً حين ينزل إلى الأرض ، ففيه تبشير بأنه يعيش إلى سن الكهولة ، قال في التسهيل ١/١٩١ : يكلم الناس صغيراً آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على =

٦١ ــ وقولُـه تعالـىٰ : ﴿ وَيُعَلِّمُـهُ الكِتَـابَ وَالحِكْمَـةَ وَالتَّـوْراةَ وَالإنْجِيلَ .. ﴾ [آية ٤٨] .

قيل : يعني إلهاماً(١) .

٦٢ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَأُبْرِئُ الأَكْمَـهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آية ٤٩] .

﴿ الأَكْمَـهُ ﴾ : **قال مجاهد** : هو الـذي يُبْصِرُ بالنَّهـار ، ولا يبصر بالليل ، فهو يتكمَّهُ(٢) .

قال الكسائي : يُقالُ : كَمِهَ ، يَكْمَهُ ، كَمَهاً(٣) .

وقال الضحاك : هو الأعمىٰ .

قال أبو عبيدة : هو الذي يولد أعمىٰ(٤) ، وأنشد لرؤبة :

= نبوته ، ويكلمهم أيضاً كبيراً ، ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة » . اهـ. وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٦١/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٢٢/٣ حيث قال : وفائدة ذلك الإخبار لها بحياته إلى سنِّ الكهولة ، والإخبار بنزوله عند قتله الدجال كهلاً . اهـ.

(١) هذا أحد أقوال للمفسرين : أن الله عز وجل يلهمه القراءة والكتابة ، وحفظ التوراة والإنجيل دون جهد .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٢٧٦/٣ والبحر ٤٦٦/٢ وابن كثير ٣٦/٢ والمراد به عنده الأعشى ضعيف البصر .

(٣) في المصباح : كَمِهَ كَمَهاً من باب تَعِبَ فهو أكمه ، والمرأة كمهاء : وهو العمى يُولد عليه الإنسان ، وفي الصحاح ٢٢٤٧/٦ : الأكمه الذي يولد أعمى . اهـ. والأثر عن الضحاك أخرجه ابن الجوزي ٣٩٢/١ وهو قول ابن عباس .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٩٣/١ .

« هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ »[1]

قال أبو عبيدة : في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٥٠] .

يجوز أن يكون بمعنىٰ الكلِّ ، وأنشد للبيد :

تَرَّاكُ أَمْكِنَـــةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَـــا
أَوْ يَرْتَبِـطْ بَعْضَ النُّفـوُسِ حِمَامُهَـا[2]

وهذا القول غلطٌ عند أهل النَّظر من أهلِ اللغـة ، لأن البـعض والجزء لا يكونان بمعنىٰ الكلِّ[3] .

وقـال أبـو العبـاس[4] : معنـىٰ « أو يَرْتَبِـطْ بَعْضَ النُّفـوُسِ »

---

(١) هذا شطر بيت لرؤبة بن العجاج ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٦٦ :
وكيـــد مَطَّــالٍ وخَصْمٍ مُنْـــدَهِ   هرَّجتُ فارتـــدَّ ارتـــداد الأكمـــه
يريد صحتُ به فجعل يتخبط كالأعمى ولم يستطع التقـدم أو الهجـوم . وانظـر مجاز أبي عبيـدة ٩٣/١ والطبري ٢٧٧/٣ والقرطبي ٩٤/٤ ولسان العرب مادة كمه .

(٢) البيـت للبيد بن ربيعة من معلقته التي مطلعها « عَفَتِ الديار محلُّها فمُقَامُهَـا » وهـو في المخطوطـة « أو يرتبط » وفي ديوانه ص ٣١٣ « أو يَعْتَلِق » وقـال في الشرح ويُـروى أو « يَرتبـط » ولـذلك أثبتناها كما وردت في المخطوطة ، وانظر مجاز القـرآن لأبي عبيـدة ٩٤/١ والقرطبـي ٩٦/٤ والبحـر المحيط ٤٦٨/٢ .

(٣) هذا هو الصحيح من حيث اللغة ، أن الكـل لا يُطلـق على البـعض ، ولا الجزء على الكـل ، إلا بطريق المجاز ، فمراد الشاعر هنا : أنني سأجـوب البـلاد ، وأتـرك ما لا يصلـح لي منها ، إلى أن تلقى نفسي حتفها فأموت ، فأراد بقوله « بعض النفوس » نفسه بطريق المجاز ، وليس فيـه جواز إطلاق البعض على الكل كما قال أبو عبيدة .

(٤) أبو العباس هو الإمام المبرد ، وقد تقدمت ترجمته ، وقد وجَّه بيت لبيد بما يتفق مع اللغة .

أويرتَبِطْ نَفْسِي ، كما يقول : « بَعْضُنا يعرفُه » أي : أنَا أعرفُه ، ومعنىٰ الآية علىٰ البعض ، لأن عيسىٰ ﷺ إنما أحلَّ لهم أشياء مما حرَّمها عليهم موسىٰ ، من أكل الشحوم وغيرها ، ولم يُحلَّ لهم القتل ، ولا السرقة ولا الفاحشة[1] .

والدليلُ على هذا أنه رُوي عن قتادة أنه قال : « جاءهم عيسىٰ بألْيَنَ ممَّا جاءَ به موسىٰ صلىٰ الله عليهما ، لأن موسىٰ جاءهم بتحريم الإبل ، وأشياء من الشحوم ، فجاءهم عيسىٰ بتحليل بعضها[2] .

٦٣ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم ﴾**[3] أي هذا طريقٌ واضح .

٦٤ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُم الكُفْر ﴾** [آية ٥٢] .

---

(١) ما حُرِّم على بني إسرائيل « اليهود » إنما كان عقوبة لهم ، كما قال سبحانه ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلَّت لهم ﴾ فجاءهم عيسى بتحليل بعض المحرمات ، كتحليل شحوم الأنعام ، ولحم الإبل ، وأشياء من الحيتان والطير ، ولم يبح لهم كل شيء ، فما قاله أبو عبيدة خطأ ، كما قال النحاس .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٨/٣ فقد نقل عن قتادة أن عيسى أحلَّ لهم لحوم الإبل ، وأشياء من الطير والحيتان ، ولم يبح لهم كل الأشياء التي كانت محرمة عليهم ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٣٥/٢ والبحر المحيط ٤٦٨/٢ فقد قال أبو حيان فيه : واستدلال أبي عبيدة أن بعضاً تأتي بمعنى « كل » بقول لبيد ليس بصحيح ، لأنه كان يلزم أن يُحلَّ لهم القتل والزنى والسرقة ، وذلك محرَّم عليهم . اهـ .

(٣) في المخطوطة « واعبدوه » بالواو ، وهذا خطأ وصوابه ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ ومعنى الآية : إن إفراد الله بالعبادة هو الطريق المستقيم ، الواضح الجلي ، لمن يسلكه ، لا اعوجاج فيه .

قال أبو عبيدة : ﴿أَحَسَّ﴾ بمعنىٰ عَرَف[1] ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَىٰ اللَّهِ ﴾ .

قال سفيان : أي مع الله ، وقد قال هذا بعض أهل اللغة ، وذهبوا إلىٰ أن حروف الخفضِ يبدل بعضها من بعض ، واحتجوا بقوله تعالىٰ ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جذوع النَّخْلِ ﴾[2] قالوا معنىٰ « في » معنىٰ « عَلَىٰ » .

وهذا القولُ عند أهل النَّظَرِ لا يَصِحُّ لأنَّ لكلِّ حرفٍ معنَاهُ ، وإنما يتفق الحرفان لتقارب المعنىٰ ، فقولُه تعالىٰ : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ .
كان الجِذعُ مشتملاً على مَنْ صُلِبَ ، ولهذا دخلتْ « في » لأنه قد صار بمنزلة الظرف .

ومعنىٰ ﴿ مَنْ أَنْصارِي إِلَىٰ اللَّهِ ﴾ ؟ من يَضُمُّ نصرته إيَّايَ ، إلىٰ نُصرةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ[3] ؟! .

---

(١) هكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩٤/١ ﴿ فلما أحسَّ ﴾ أي عرف منهم الكفر . اهـ. وأصل الإحساس الإدراك ببعض الحواس الخمس وهي « السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس » والمراد أنه عرف وتحقق ببعض الحواس .

(٢) سورة طه آية رقم (٧١) والشاهد في الآية أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض كما قال البعض : فالمعنى هنا : ولأصلبنكم على جذوع النخل ، وقد وجَّه المصنف الآية توجيهاً لغوياً دقيقاً فافهمه .

(٣) وكذلك قال الزجاج ٤٢١/١ : إن قولهم « إلى » في معنى « مَعَ » ليس بشيء ، والحروف قد تقاربت في المعرفة ، فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناهما واحد ، و « إلى » ههنا إنما قاربت « مع » معنى ، بأن صار اللفظ لو عُبِّر عنه بـ « مع » أفاد مثل هذا المعنى ، لا أنَّ « إلى » في معنى « مع » .

٦٥ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [آية ٥٢] .

رَوَىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه إنما سُمُّوا « حوارِيِّين » لبياضِ ثيابهم ، وكانوا صيَّادين[١] .

وقال ابن أرطاة : إنما كانوا غسَّالين ــ يُحَوِّرون الثياب أي يغسِلونها[٢] .

وقال أهل اللغة : الحواريُّون : صفوةُ الأنبياء وهم المخلصون[٣] .

ورَوَىٰ جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال « الزبيرُ ابن عمتي وحواريّ من أمتي »[٤] أي صفوتي ، ومنه قيل : عين حورَاءُ إذا

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس ٣٩٤/١ والطبري ٢٨٧/٣ وهو قول سعيد بن جبير ، والحواريون جمع حواري مشتق من الحور وهو البياض ، وهم أتباع عيسى ، كالصحابة لرسول الله ﷺ ، وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم .

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير عن ابن أرطاة ، وانظر الطبري ٢٨٧/٣ والدر المنثور ٣٥/٢ .

(٣) قال الفراء في معانيه ٢١٨/١ : الحواريون : كانوا خاصة عيسى ، وكان الزبير يُقال له : حواريُّ رسول الله وقال الزجاج ٤٢٢/١ الحواريون : صفوة الأنبياء عليهم السلام ، الذين أخلصوا في التصديق به ونصرته فسمَّاهم الله حواريين . اهـ. وانظر المصباح المنير ص ١٦٨ .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٧٤٥ ولفظه « إن لكل نبيٍّ حوارياً ، وإن حواريَّ الزبيرُ ابن العوام » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه البخاري ومسلم مطولاً في فضائل الصحابة ، البخاري ٤٦/٧ ومسلم برقم ٢٤١٥ أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم في الثالثة ، فقال الزبير : أنا ، فقال ﷺ : إن لكل نبي حوارياً ... » الحديث . وذكره السيوطي في الدر المثور ٣٦٣٢ .

اشتـد بياضهـا وسوادهـا ، وامـرأة حوراء إذا خَلُص بياضُهـا مع حور العين[1] ،

ومنـه قيـل لنساء الأنصار : حَوَارِيَّـات لنظافتهـنَّ ، وقـال أبو جِلْدَةَ اليَشْكُري :

فقُـلْ لِلْحَوَارِيَّـاتِ يَبْكِيـنَ غَيْرَنَـا
وَلَا تَبْكِنَا إلاَّ الكِـلَابُ النَّوَابِـحُ[2]

ومنه الحواري .

٦٦ ــ **وقوله تعالىٰ ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين ﴾** [آية ٥٣] .

أي مع الشاهدين لرسولك بالتصديق[4] .

ورَوَىٰ إسرائيـل ، عن سِمَـاكِ بنِ عكرمـة ، عن ابـن عبـاس ﴿ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدين ﴾ .

---

(١) قال الشاعر :
إنَّ العُيُـونَ التِـي فِي طَرْفِهَـا حَوَرٌ   قَتَلْنَنَـا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَـا

(٢) البيت لأبي جلدة اليشكري بالجيم المكسورة أحد بني عدي ، وفي المخطوطة « أبو خَلـدة » بالخاء وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه كما ذكره في الإكمال ١٨٣/٣ وفي معجم الشعراء ص ٧٩ وفي تاج العروس مادة جلد ، واستشهد بهذا البيت الطبري في جامع البيان ٢٨٧/٣ والبحر المحيط ٤٧٠/٢ . كذلك جاءفي المخطوطة «النوائح » وصوابه « النوابح » بالباء كما هو في الطبري والقرطبي والبحر المحيط .

(٣) هكذا قال الطبري في جامع البيان ٢٨٨/٣ وهذا قول الزجاج كما في معانيه ٤٢٤/١ .

قال : محمد ﷺ وأمته ، شَهِدوا له أنه قد بلَّغ ، وشهدوا للرسل أنهم قد بلَّغوا[1] .

٦٧ ـ **وقولُه عز وجل : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الماكِرِين ﴾** [آية ٥٤] .

هذا راجعٌ إلى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيَسِى مِنْهُمُ الكُفْرَ ﴾[2] .

والمكرُ من الخلائق خِبٌّ[3] ، ومن اللَّه مجازاةٌ ، كما قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[4] .

٦٨ ـ **وقوله عز وجل : ﴿ إذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ ، وَرَافِعُكَ إليَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذينَ كَفَرُوا .. ﴾** [آية ٥٥] .

في الآية قولان :

أحدهما : أن المعنى : إنِّي رافعُكَ إلَّي ، ومطهِّركَ من الذين

(١) ذكره ابن الجوزي عن عكرمة عن ابن عباس ٣٩٥/١ وابن كثير ٣٧/٢ وقال : وهذا إسناد جيد .

(٢) أي عائد على اليهود ، الذين مكروا بعيسى وأرادوا قتله ، فنجَّاه الله من شرِّهم .

(٣) خِبٌّ أي خِداع ، وكلام المصنف في تعريف « المكر » قريب من كلام الزجاج حيث قال في معانيه ٤٢٤/١ : المكرُ من الخلائق خُبْثٌ وخِداع ، والمكر من الله بمعنى المجازاة على ذلك ، فسُمِّي باسمه لأنه مجازاة عليه ، كما قال تعالى ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ فجعل مجازاتهم على الاستهزاء بالعذاب ، لفظه لفظ الاستهزاء ، وكما قال سبحانه ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ فالأُولى سيئة ، والمجازاة عليها ليست في الحقيقة سيئة . اهـ .

(٤) سورة الشورى آية رقم (٤٠) .

كفروا ، ومتوفِّيك[1] .

وهذا جائز في الواو ، لأنه قد عُرِفَ المعنىٰ ، وأنه لم يَمُتْ بعدُ[2] .

والقول الآخر : أن يكون معنى « مُتَوفِّيكَ »: قابضُك من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته[3] كما قال جل وعز : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِها ﴾[4] .

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ : يعني وفاة المنام ، رفعه الله عز وجل في منامه .

---

(١) على هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير وتقديره : إني رافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد ذلك ، واختار هذا القول الزجاج في معانيه ٤٢٥/١ والفراء ٢١٩/١ .

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٣/٣ : « وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر ، من أن عيسى عليه السلام في السماء حي ، وأنه ينزل في آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويقتل الدجال ، ويفيض العدل ، ويظهر ملة محمد ، ويحج البيت ويعتمر ، ويبقى في الأرض أربعين سنة ثم يميته الله تعالى » .

(٣) على هذا القول ليست الوفاة في الآية وفاة موت ، إنما هي من التوفي بمعنى القبض ، والمعنى إني قابضك من الأرض ، وجاعلك في السماء ، فهو توفي قبض لا توفي موت ، وهذا قول الحسن وابن جريج ، واختاره الطبري ورجحه ٢٩٢/٣ حيث قال : والمعنى إذ قال الله يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ ، ومطهِّرك من الذين كفروا فجحدوا نبوَّتك ، ولو كان قد أماته الله عز وجل ، لم يكن ليميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين . اهـ.

(٤) سورة الزمر آية رقم (٤٢) .

(٥) انظر تفسير الطبري ٢٩٣/٣ والبحر المحيط ٤٧٢/٢ .

وقال مَطَرُ الوَرَّاقُ[1] : ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ واحدة ولم يمت بعد[2] .

ورَوَىٰ ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ متوفيك ﴾ أي مميتك[3] .

ثم قال وهب : توفَّاه الله ثلاث ساعات من النهار[4] .

و « محمد بن جرير »[5] يميلُ إلىٰ قول من قال إني قابضك من الأرض بغير موت ، ورافعك إليَّ ، لما صحَّ عن النبي ﷺ « ليهبطنَّ عيسى بن مريم إلىٰ الأرض »[6] .

٦٩ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آية ٥٥].

---

(١) مطر الورَّاق: هو مطر بن طهْمان الوراق ، أبو رجاء الخراساني ، مولى علي ، روى عن أنس، وعكرمة ، وعطاء ، ضعَّفه بعضهم ، وقال البزار ليس به بأس ، توفي سنة ١٢٥هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٦٧/١ .

(٢) و(٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ٢٩٠/٣ والبحر المحيط ٤٧٣/٢ وابن كثير ٣٨/٢ وجمهور المفسرين وعلى رأسهم ابن عباس ، يرون أن الوفاة وفاة حقيقية ، ولكنها وعد له بالوفاة بعد انتهاء أجله ، فهي وفاة موت كما قال ابن عباس ، ويكون المعنى : إني متوفيك في آخر أمرك عند نزولك إلى الدنيا ، وانظر تفسير ابن عطية ١٤٣/٣ .

(٥) المراد به ابن جرير الطبري شيخ المفسرين ، المتوفى سنة ٣١٠هـ .

(٦) الحديث أخرجه الشيخان بلفظ « والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم ، حَكَماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » وانظر الأحاديث التي جمعها الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٢ في هذا الموضوع .

قال قتادة : يعني المسلمين ، لأنهم اتَّبعوه ، فلا يزالون ظاهرين إلىٰ يوم القيامة[1] .

وقال غيره : الذين اتبعوه محمد ﷺ والمسلمون ، لأن دينَهم التوحيدُ ، كما كان التوحيدُ دين عيسى صلى الله عليه وسلم[2] .

ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال « أنا أولىٰ الناس بابن مريم »[3] .

ورَوَىٰ يونسُ بن مَيْسَرَة بنِ حَلْبَسٍ عن معاويةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن تبرحَ طائفةٌ من أمتَّي ، يقاتلون على الحق ، حتى يأتي أمرُ اللَّهِ وهم على ذلكَ » ونَـزَع[4] بهذه الآية ﴿ يَاعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِّين كَفَرُوا ،

(١) الأثر في تفسير الطبري ٢٩٢/٣ ولفظه : قال قتادة : « هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته ، وملته ، وسنته ، فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة » وهو مروي أيضاً عن الحسن البصري والربيع ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٣٩٧/١ .

(٢) هذا القول قريب من الأول ، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤٢٦/١ وقد أيده الحافظ ابن كثير ٣٩/٢ فقد قال : « فلما بعث الله محمداً ﷺ كان كل من آمن به هم أتباع كل نبي على وجه الأرض ، فكانوا أولى بكل نبي من أمته .. » .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ٣٥٣/٦ في الأنبياء ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٦٥ وأبو داود في السنة برقم ٤٦٧٥ وتمامه : « أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء أخوة أولادُ علَّات ، أمهاتهم شتَّى ، ودينهم واحد » .

(٤) أي استشهد وذهب إلى هذه الآية ليؤيِّد بها قوله .

وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ يا محمد ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[1] .

٧٠ ـ ثم قال تعالى : ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آية ٥٥]

أي فأفصلُ بينكم ، وتقع المجازاة عليه ، لأنه قد بُيِّن لهم في الدنيا[2] .

٧١ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [آية ٥٦] .

عذابُهم في الدنيا : القتلُ ، والأسرُ ، وأخذُ الجزية .

وفي الآخرة : النَّارُ وما لهم من ناصرينِ ، لأن المسلمين عالون عليهم ظاهرون[3] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن عساكر عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ وانظر الدر المنثور للسيوطي ٢/٣٧ والحاصل فإن للمفسرين في هذه الآية رأيين :
أحدهما : أنهم المسلمون من أمة محمد ﷺ لأنهم صدَّقوا بنبوَّة عيسى عليه السلام ، وهو قول قتادة والربيع .
والثاني : أنهم النصارى فهم فوق اليهود ، واليهود مستذلون مقهورون ، وهو قول ابن زيد .

(٢) مراده أن الله عز وجل هو الحاكم الذي يفصل بين العباد يوم القيامة ، ويجازي كل نفس بما كسبت لا حاكم غيره ، ولا مالك سواه ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فهو القاضي وهو المجازي جل وعلا .

(٣) هكذا قال الطبري ، وصاحب البحر المحيط ، وابن كثير ، أن العذاب في الدنيا بالقتل أو السبي ، وأخذ الأموال ، وإزالة الأيدي عن الممالك والبلدان ، وفي الآخرة بعذاب جهنم وبئس المصير .

٧٢ ـ وقولُه تعالىٰ : ﴿ ذَلِكَ نَتْلوهُ عَلَيكَ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْـرِ الحكِيم ﴾ [آية ٥٨] .

أي من العَلامَاتِ[١] ، التي لا تُعرف إلاَّ بوحي ، أو بقراءة كتاب ، ومعنىٰ « الحكيم » ذو الحكمة[٢] .

٧٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِين ﴾ [آية ٦٠] .

الممترون : الشاكُّون .

فإن قيل : كيف خوطب النبي ﷺ بهذا ؟ .

فعلى هذا جوابانِ :

أحدهما : أنَّ المعنى : يا محمد قلْ للشاكِّ : هَذَا الحقُّ من ربكَ فلا تكن من الممترين[٣] .

---

(١) لا يُراد بالآيات هنا الآيات القرآنية ، بل يُراد بها الدلائل ، والحجج والبراهين ، الدالة على صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقال ابن عطية ١٤٧/٣ : الظاهر أنها آيات القرآن ، ويحتمل أن يريد ﴿ من الآيات ﴾ من المعجزات والمستغربات التي جئتهم بها وأنت أمي لا تقرأ . اهـ.

(٤) قال الزجاج في معانيه ٤٢٧/١ : « الحكيم » أي ذو الحكمة في تأليفه ، ونظمه ، وإبانة الفوائد فيه .

(٣) على هذا القول لا يكون الخطاب للنبي ﷺ بل يكون عاماً لكل مخاطب ، ويكون المعنى : الحق من ربك فلا تشك أيها المخاطب العاقل في هذا الأمر ، وقال في البحر : الخطاب بهذا لكل سامع .

والقولُ الآخر : أنَّ الخطاب للنبي ﷺ خطابٌ لجميع الناس[1] فالمعنى على هذا : فلا تكونوا من الممترين ، ويقويٍّ هذا قولُه عز وجل : ﴿ يَاأَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ ﴾[2] .

٧٤ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ فَمَنْ حاجَّكَ فِيه مِنْ بَعْدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلْم ، فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنا وَأَبْنَاءَكُم ، ونِساءَنا ونِساءَكُم ، وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِين ﴾** [آية ٦١] .

قيل : يعني بالأنفس ها هنا أهل دينهم ، كما قال تعالى ﴿ فَسَلِّموا عَلى أَنْفُسِكُمْ ﴾[3] .

---

(١) هذا هو اختيار الزجاج كما في معانيه ٤٢٨/١ وإليه ذهب جمهور المفسرين ، قال القرطبي ١٠٣/٤ : « الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ، لأنه ﷺ لم يكن شاكاً في أمر عيسى عليه السلام » وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٩/٣ « والمرية : الشك ، ونُهي النبي ﷺ في عبارة اقتضت ذمَّ الممترين ، وهذا يدل على أن المراد بالامتراء غيره ، ولهذا لم يقل : فلا تك ممترياً ، أو « فلا تمترِ » . اهـ . وقال الزمخشري في الكشاف ١٩٢/١ : « ونُهي الرسول عن الامتراء ــ يعني الشك ــ وجلَّ رسول الله أن يكون ممترياً ، من باب « التهييج » لزيادة الثبات والطمأنينة » .

أقول : ومما يؤيد رأي الجمهور أنه وردت آيات خوطبت فيها الأمة بشخص نبيها ﷺ كقوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ فالخطاب للمؤمنين بدليل صيغة الجمع ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ ولو كان للنبي لقال له : فطلقهن لعدتهن ، وكذلك قوله تعالى ﴿ لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ﴾ وقوله : ﴿ ولا تكونَنَّ من المشركين ﴾ وقوله : ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ .

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١) .

(٣) سورة النور آية رقم (٦١) .

وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلوا أَنْفُسَكُـم ﴾[1] وأصلُ الابتهال في اللغةِ الإجتهادُ[2] ، ومنه قول البيد :

فِي كُهُـــولٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِـــهِ
نَظَـرَ الدَّهْـرُ إِلَيْهِـمْ فَابْتَهَـلْ[3]

أي اجتَهَـدَ في هلاكهـم ، فمعنىٰ الآية : ثم نجتهد في الدعـاء باللعنة .

ورُوي أن قوماً من النصارىٰ من أهـل نجران أَتَـوْا النبـيَّ ﷺ فدعاهـم إلـىٰ الإسلام ، فقالـوا : قد كنـا مسلـمين مثـلك ، فقـال : كذبتم ، يمنعكم من الإسلام ثلاث : قولُكُم اتخذ ولداً ، وأكلكُـم لحَمَ الخِنزير ، وسجُودُكم للصليب ، فقالـوا : مَنْ أبـو عيسىٰ ؟ فأنـزل اللـه عز وجل ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْـدَ اللَّـهِ كَمَثِـلِ آدَمَ خَلَقَـهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾

---

(١) جزء من آية في سورة البقرة رقم (٥٤) وهي خطاب لبني إسرائيل الذين عبدوا العجل ، وقبلها ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ أي ليقتل منكم البريء المجرم ، فقد أمر سبحانه الذين لم يعبدوا العجل أن يقتلوا من عبد العجل من أهل ملّتهم .

(٢) أصل الابتهال في اللغة : الاجتهاد في الدعـاء باللعن ، قال ابن قتيبة في غريب القرآن ١٠٦ : « نبتهل » أي نتداعى باللعن ، يُقال : بَهْلَةُ الله عليه أي لعنته » . اهـ. وقال أبـو عبيـدة في مجاز القرآن ٩٦/١ : نبتهل أي نلتعن ، يُقال : ما له بَهَلـه الله ؟ أي لعنـه الله ، وفي المصباح المنير : بَهَله يَهْلاً ، لَعَنه ، وباهله مُباهلة : لعن كل منهما الآخر .

(٣) انظر ديوان لبيد ص ١٧ والبيت من قصيدته التي مطلعها :

إنَّ تَقْـوى رَبِّنَـا خَيْـرُ نَفَـلْ وبِـإِذْنِ اللهِ رَيْثِـي وَالعَجَـلْ

وقد ورد البيت في ديوانه « في قُرُوم » بدل « في كهول » وانظر الطبري ٢٩٨/٣ والقرطبي ١٠٤/٤ .

إلىٰ قوله ﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَىٰ الكَاذِبِين ﴾(٤) فدعاهم رسول الله ﷺ إلىٰ الالتعان ، فقال بعضهم لبعض : إن فعلتم اضطرمَ الوادي عليكم ناراً .

فقالوا : أما تعرض علينا سوىٰ هذا ؟ فقال : الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فأقرُّوا بالجزية(٢) .

ورویٰ عكرمة عن ابن عباس أنه قال : « لو خرجوا للابتهال لرجعوا لايرون أهلاً ولا ولداً »(٣) .

٧٥ ــ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ ﴾ [آية ٦٢] .

أي إن هذا الذي أوحينا إليك لهو القصص الحق(٤) ﴿ وَمَا مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾

« مِنْ » زائدة للتوكيد ، والمعنىٰ : وما إلهٌ إلا اللَّهُ العزيزُ

---

(١) أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٨/٢ وابن إسحاق في السيرة النبوية مطوَّلاً ٥٨٣/١ وذكره ابن كثير ٤١/٢ والشوكاني في فتح القدير ٣٤٧/١ ، وأخرجه الحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في الدلائل عن جابر .

(٢) انظر تمام القصة في سيرة ابن هشام ٥٧٥/١ وتفسير ابن كثير ٤٠/٢ والدر المنثور ٣٩/٢ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨/١ ورواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي : حسن صحيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ وانظر تمام الحديث في تفسير ابن كثير ٤٣/٢ .

(٤) قال ابن كثير ٤٥/٢ : أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى ، هو الحقُّ الذي لا مَعدل عنه ولا محيد ، وقال في البحر ٤٨١/٢ : الإشارة « إن هذا » إلى القرآن على قول الجمهور ، أي هذا هو الحق لا ما يدَّعيه النصارى في أمر عيسى من كونه إلهاً ، أو ابن إله ، ولا ما يدَّعيه اليهود .

الحكيم ، ومعنى « العزيز »[1] الـذي لا يُغْـلَب ، و« الحكيم » ذو الحكمة .

٧٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّـوْا فَإِنَّ اللَّـهَ عَلِيـمٌ بِالْمُفْسِدِيـن ﴾ [آية ٦٣] .

أي عليم بمن يفسد عباده ، وإذا علم ذلك جازىٰ عليه[2] .

٧٧ ــ وقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَـابِ تَعَالَـوْا إِلَـىٰ كَلِمَـةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُم .. ﴾ [آية ٦٤] .

معنـىٰ « كَلِمَـةٍ » قصةٌ فيها شرحٌ[3] ، ثمَّ بيَّـنَ الكلمـة بقولـه ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّـهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئَـاً وَلايَتَّخِـذَ بَعْضُنـا بَعْضَاً أَرْبابـاً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

السَّواءُ : النَّصَفةُ[4] ، قال زهير :

---

(١) العزيز في اللغة : القوي الغالب ، الذي يَغْلب ولا يُغْلب « وهو القاهر فوق عباده » . والحكيم : الذي يضع الأمور في مكانها ، على وجه الدِّقة والإحكام ، وانظر المصباح المنير .

(٢) ليس المراد في الآية الإخبار عن العلم فحسب ، إنما المراد اللازم ، وهـو المجازاة كما قال المصنـف ، قال في البحر ٤٨٢/٢ : والمعنى ما يترتب على علمـه بالمفسديـن ، من معاقبتـه لهم ، فعبَّر عن العقاب بالعلم .

(٣) الكلمة يُعبَّر بها عن ألفاظ وكلمات ، أو مقالة وقصة وإن طالت ، تقول العرب : قال المتنبـي في كلمته أي قصيدته .

(٤) السَّواء : العدل والنَّصفة قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩٦/١ : يُقال قد دعاك إلى السَّواء فاقبـل منه .

أُرُونِـــي خُطَّــةً لَا ضَيْـــمَ فِيهَـــا
يُسَوِّي بَيْنَنَـــــا فِيهَـــــا السَّوَاءُ[1]

٧٨ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّون في إبْراهِيمَ وَما أُنْـزِلَتِ التَّوراةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِه ﴾** [آية ٦٥] .

لأن اليهود قالوا : كان إبراهيمُ منَّا ، وقالتِ النَّصارىٰ كان منَّـا ، فأعلمَ اللَّهُ أنَّ اليهودية والنصرانية كانتا بعد إبراهيم عليه السلام[2] ، وأنَّ دِيـنَ إبراهيـمَ الإسلامُ ، لأنَّ الإسلامَ هو التوحيـدُ ، فهـو ديـنُ جميعِ الأنبياءِ[3] .

٧٩ ــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ﴾** [آية ٦٧] .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، وهو في ديوانه ص ١١ بلفظ : « أرُونا سُنَّة لا عيب فيها » .. إلخ . ومراده بكلمة « السَّوَاء » يعني : العـدل والإنصاف ، أي جيئونـا بخطـة مستقيمـة لا عيب فيها حتى نبرأ نحن وأنتم ، وانظر شرح ديوان زهير (٨٤) ولسان العرب .

(٢) الآية رد على اليهود والـنصارى في مزاعمهـم الباطلـة ، أن إبـراهيم عليـــه السلام كان يهوديـــاً أو نصرانيـاً ، فقـد روى ابـن عبـاس أنَّ أحبـار اليهود ونصارى نجران اجتمعـوا عنـد رسول الله ﷺ فتنازعوا في إبراهيم ، فقالت اليهود : ما كان إبراهيم إلّا يهودياً على ديننا ، وقالت النصارى : ما كان إبـراهيم إلَّا نصرانيـاً على دينـنا وملتنـا ، فأكـذبهم الله جميعـاً فأنـزل ﴿ ما كان إبـراهيم يهوديـاً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾ وانظر البحر المحيط ٤٨٤/٢ وزاد المسير ٤٠٢/١ .

(٣) هذا من اليهود والنصارى منتهى السَّفه والجهل ، إذ كيف يكون إبراهيم يهودياً على زعم اليهود ، أو نصرانياً على زعم النصارى ، وهذه الأديان جديدة ما حدثت إلا بعده بقـرون طويلـة ؟ فقـد كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة ، وبين إبراهيم وعيسى ألفا سنة ، فكيـف يكـون على دينهمـا ؟ ولهذا ختم الآية بقوله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي فليس لكـم عقـول تدركـون بها فساد هذا الزعـم ؟

والحَنَفُ في اللغةِ : إقبالُ صَدْرِ القَدمَ علىٰ الأخرىٰ ، إذا كان ذلك خِلْقَةً .

فمعنى الحنيف المائل إلىٰ الإسلام علىٰ حقيقته[1] .

٨٠ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ إنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبعُوهُ وَهَـذا النَّبِيُّ وَالذِّينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ المُؤْمنين ﴾** [آية ٦٨] .

والمعنىٰ : والنبيُّ والذينَ آمنوا أولىٰ بإبراهيم ، ويعني بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم[2] .

ومعنىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِين ﴾ ناصرهم .

٨١ ــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾** [آية ٦٩] .

وكُلّهم كَذَا ، وإنَّما « مِنْ » ها هنا لبيان الجنس[3] ، وقد

---

(١) في الصحاح : الحَنَفُ : الاعوجاج في الرِّجل ، ومنه سمي « الأحنف بن قيس » والحنيف : المسلم لأنه مائل إلى الدين المستقيم . اهـ.

(٢) لم يذكر اسم النبي ﷺ وإنما ذكر وصفه تعظيماً له عليه السلام ، فلفظ « الرسول » و « النبي » منتهى التكريم ، ولهذا نجد القرآن الكريم ينادي الأنبياء بأسمائهم : يا إبراهيم ، يا نوح ، يا موسى ، وأما الرسول ﷺ فإنما ناداه بوصفه كقوله تعالى ﴿ يا أيُّها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ﴾ وقوله ﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ وذلك تعليم من الله لعباده الأدب مع هذا الرسول ، وتنبيه على أنه سيد الأنبياء والمرسلين ، وانظر ما كتبه القاضي عياض في كتابه الشفاء ، والبحر المحيط ٤٨٨/٢ .

(٣) يريد المصنف أن « مِنْ » في قوله تعالى ﴿ من أهل الكتاب ﴾ ليست تبعيضية ، لأن هذه أُمْنيةُ جميع أهل الكتاب في إضلال المؤمنين ، وإنما هي بيانيَّة لبيان أنهم هم أهل الكتاب أنفسهم .

قيل : إن « طائفة » بعضُهم .

٨٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ ﴾ [آية ٧٠] .

أي وأنتم تشهدون بأنها حقّ ، لأنكم كنتم تُبشِّرون بالنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم قبل أن يُبْعَث(١) ؟ .

٨٣ ـ ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ .. ﴾ [آية ٧١] .

أي لم تُغَطُّون(٢) ؟

٨٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنوا وَجْهَ النَّهارِ ، وَاكْفُروا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعون ﴾ [آية ٧٢] .

الطائفةُ : الفُرقةُ ، ووجهُ النَّهارِ : أَوَّلُه ، قال الشاعر :

وَتُضيءُ فِي وَجْـهِ النَّهَـارِ مُنِيـرَةً
كَجُمَانَـةِ البَحْـرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَـا(٣)

---

(١) هذا قول قتادة ، والسدي ، والربيع ، وانظر البحر المحيط ٢/٤٩٠ .

(٢) هذا تفسير كلمة « تلبسون » واللَّبس في اللغة معناه : الخلط والتغطية ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولَلَبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ أي خلطنا عليهم الأمر ولبَّسناه عليهم .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة وهو في ديوانة ص ٣٠٩ من قصيدته التي مطلعها « عَفَتِ الدِّيَار محلُّها فمقامها » وقد ورد في الديوان بلفظ « وتضيء في وجه الظلام » وفي المخطوطة « وجه النهار » والشاهد في البيت أن وجه النهار يُراد به أوله ، لأن النهار أو الظلام لا وجه لهما ، والشاعر يصف بقرة أنها إذا أقبلت تضيء في أول الظلام كأنها لؤلؤة الغوَّاص التي انقطع خيطها ، واستشهد =

قال قتادة : قال بعض اليهود : أظهروا لمحمد الرِّضا بما جاء به أوَّلَ النهار ، ثم أنكِرُوا ذاكَ في آخره ، فإنه أجدرُ أن يُتوهَّم أنكم إنما فعلتم ذلك لشيء ظهرت لكم تنكرونه ، وأجدر أن يرجع أصحابه[1] .

٨٥ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُم ــ قُلْ إِنَّ الهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّه[2]ــ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُم ، أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء ﴾** [آية ٧٣] .

قال محمد بن يزيد[3] : في الكلام تقديمٌ وتأخير ، والمعنىٰ : ولا تؤمنوا إلاَّ لمن تبع دينكم أن يُؤتىٰ أحدٌ مثلَ ما أوتيتم ، أو يحاجوكم عند ربكم ، قل إن الهَدى هدىٰ الله[4] .

= بهذا البيت القرطبي في جامع الأحكام ١١١/٤ وانظر معاني الزجاج ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة فقد استشهد بنحوه « فليأت نسوتنا بوجه نهار » .

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣١١/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٥/١ وأبو حيان في البحر ٤٩٣/٢ بنحوه وقال الحافظ ابن كثير ٢٠٩/٢ : « وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم تشاوروا بينهم ، أن يُظهروا الإيمان أول النَّهار ، ويصلُّوا مع المسلمين ، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ، ليقول الجهلة من الناس : إنما ردَّهم إلى دينهم اطِّلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين » . وقال ابن عطية ١٦٦/٣ : « ذهبت طائفة من أحبار اليهود إلى خديعة المسلمين بهذا المنزع ، قالوا : لنظهر الإيمان بمحمد صدر النهار ، ثم لنكفر به آخر النهار ، فسيقول المسلمون عند ذلك : ما بالهم انصرفوا عنا ؟ وما ذلك إلّا لأنهم انكشفت لهم حقيقة الأمر فيشكُّون ، ولعلهم يرجعون » !!

(٢) الجملة اعتراضية للتنبيه على غفلتهم وجهلهم ، فالهداية بيد الرحمن جلَّ وعلا .

(٣) الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٦هـ وقد تقدم .

(٤) هذا أحد أقوال أربعة للمفسرين في توجيه الآية ، وهو أرجح الأقوال وأظهرها ، فيكون قوله « قل إن الهدى هدى الله » جملة اعتراضية من كلام الله تعالى ، وباقي الكلام هو كلام اليهود ، =

وقيل المعنىٰ : ولا تؤمنوا أن يؤتىٰ أحد مثل ما أُوتيتم ، إلاَّ من تبع دينكم ، واللاَّمُ زائدة[1] .

والمعنىٰ : ولا تُصدِّقوا أن يؤتىٰ أحدٌ من علمِ رسالةِ النبيِّ مثلَ ما أوتيتم .

وقيل المعنىٰ : قل إن الهدىٰ هدىٰ الله أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم ، أي إن الهدىٰ هدىٰ الله وهو بعيد من الكفار[2] .

وقرأ ابن عباس ومجاهد وعيسىٰ : ﴿ ءَأَنْ يُؤْتَىٰ أَحدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُم ﴾ والمعنىٰ ءألأن يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم .

وقرأ الأعمش : ﴿ إِنْ يُؤتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُم ﴾[3] ومعنىٰ : « إِنْ » معنىٰ « ما » كما قال تعالىٰ ﴿ إِنِ الكافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴾[4] .

وقد زعم بعضُ النحويين إن هذا لحنٌ ، لأن قوله تعالىٰ

= والمعنى : يقول اليهود بعضهم لبعض : لا تصدِّقوا ولا تظهروا سرَّكم لأحد إلا إذا كان على دينكم ، خشية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وخشية أن يحاجوكم به عند ربكم ، فإذا أقررتم ولم تدخلوا في دينه تكون له الحجة عليكم يوم القيامة فردَّ الله عليهم بقوله ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ .

(١) هذا قول مجاهد ، واختاره الأخفش ، وانظر معاني الأخفش ٤١١/١ وزاد المسير ٤٠٦/١ وعلى هذا القول يكون الكلام كلُّه من كلام اليهود بعضهم لبعض ، على اعتقاد منهم أن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل .

(٢) انظر تفصيل الأقوال في جامع البيان ٣١٤/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠٦/١ .

(٣) انظر وجوه القراءات بالتفصيل في البحر المحيط ٤٩٧/٢ وقراءة الجمهور « أن يؤتى » بفتح الهمزة ، وأما على قراءة الأعمش بكسر الهمزة فتكون « إن » نافية بمعنى ما .

(٤) سورة الملك آية رقم (٢٠) .

﴿ يُحَاجُّوكُم ﴾ بغير نون ، وكان يجب أن يكون « يحاجونكم » ولا عامل لها ، وهذا القول ليس بشيء ، لأن « أو » تضمر بعدها « أنْ » إذا كانت في معنىٰ حتَّى ، و « إلَّا أنْ » كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَّمَا
نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[1]

وقيل : إنَّ معنىٰ ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُم ﴾ لاتصدِّقوا أنَّ النبوَّة تكون إلاَّ مِنكم ، واستَشْهد صاحب هذا القول ، بأن مجاهداً قال في قوله عز وجل بعد هذا ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أنه يعني النبوة[2] .

٨٦ ــ **وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ٧٥] .

اختلف : في معنىٰ القنطار ، فروي عن ابن عباس والحسن أنهما قالا : القنطارُ : ألفُ مِثْقالٍ[3] .

وقال أبو صالح وقتادة : القنطار مائةُ رطل[4] .

---

(١) البيت لامرئ القيس ، وهو في ديوانه ص ٧٢ من قصيدته التي استنجد فيها قيصر ملك الروم لردِّ ملكه ، وقبله قوله :

بَكَى صَاحِبي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ   وأيْقَنَ أنَّا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا

والبيت في المقتضب للمبرد ٢٧/٢ وخزانة الأدب ٦٠٩/٣ وشواهد سيبويه ٤٢٧/١ والقرطبي ١١٣/٤ والشاهد فيه نصب الفعل المضارع بأن المضمرة بعد « أو » والمعنى : نحاول ملكاً أو أن نموت فنعذرا .

(٢) جامع البيان ٣١٦/٣ والبحر المحيط ٤٩٧/٢ قال : وهو قول الحسن ، ومجاهد ، والربيع .

(٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف مذكورة كلها ،والخلاف فيها مشهور بين أهل اللغة أيضاً فقد قال في القاموس المحيط ١٢٢/٢ : والقنطار وزن مائة رطل من ذهب أو فضة إلخ . =

وروىٰ ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد قال : القنطارُ سبعون ألف دينار[1] .

وروىٰ طلحةُ ابن عَمْرٍو ، عن عطاء بن أبي رباح المكي قال : القنطار سبعة آلاف دينار[2] .

واللهُ أعلم بما أراده .

ومعنىٰ « المقنطرة » في اللغة : المكمَّلةُ ، كما تقولُ ألفٌ مؤلَّفةٌ[3] .

٨٧ ــ وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مادُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً .. ﴾ [آية ٧٥].

أي مواظباً غير مقصرٍ ، كما تقول : فلانٌ قائمٌ بعمله[4] .

= وأولى الأقوال في ذلك هو أن القنطار المال الكثير الذي لا يُحدُّ ، قال القرطبي ٣/٣١٧ : أراد جلَّ وعز بإخباره المؤمنين تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم ، وتخويفهم الاغترار بهم ، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين ، والمعنى : ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير ، يؤده إليك ولا يخنك فيه .. » وانظر خلاف السلف في تفسير القنطار في جامع البيان ٣/٢٠٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/٤١ .

(١) و (٢) المرجع السابق .

(٣) القنطار ــ على الرأي الأظهر ــ العقدة الكبيرة من المال ، أو المال الكثير الذي لا يُحصى ، وجمعه قناطير ، والمقنطرة أي المضعفة وهو للتأكيد كقولهم : هذه ألوف مؤلفة ، وأضعاف مضاعفة ، قاله ابن جرير ، ورُوي عن الفراء أن القناطير جمع قنطار ، والمقنطرة جمع الجمع فتكون تسع قناطير إلخ وخطَّأه العلماء في هذا القول .

(٤) هذا هو الراجح من الأقوال أن المراد بقوله تعالى ﴿ إلا ما دمت عليه قائماً ﴾ أي إلا إذا لازمته مطالباً ، وداومت على مطالبته والإلحاح عليه ، وهدَّدته بالحاكم والسجن ، فليس المراد هيئة القيام

قال سيبويه : دَامَ بمعنى ثَبَتَ .

قال أبو جعفر : وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه « نهى عن البولِ في الماء الدائم »[1] أي الساكنِ الثابت .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [آية ٧٥] .

قيل : إن اليهود ، كانوا إذا بايعوا المسلمين ، يقولون : ليس علينا في ظلمهم حرجٌ ، لأنهم مخالفون لنا[2] ، ويعنون بالأميين العرب .

نُسبوا إلى ما عليه الأُمَّةُ من قبل أن يتعلموا الكتابة .

وقيل : نسبوا إلى الأمِّ[3] ، ومنه « النَّبيُّ الأُميُّ »[4] وقيل هو

= إنما هو قيام المرء بالاجتهاد في أمره ، وهو اختيار الزجاج وقول مجاهد وقتادة ورجحه ابن كثير ٤٩/٤ حيث قال ﴿ إلا ما دمت عليه قائماً ﴾ أي بالمطالبة، والملازمة ، والإلحاح في استخلاص حقك ، وإذا كان هذا صنيعه ، في الدينار ، فما فوقه أولى أن لا يؤديه » . اهـ.

(١) الحديث رواه البخاري في الوضوء ٦٩/١ ومسلم في الطهارة رقم ٢٨٢ ولفظه « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه » ورواه أبو داود برقم ٧٩ في الطهارة ، والنسائي ٤٩٣١ والترمذي برقم ٦٨ ، وأحمد في المسند ٢٥٩/٢ من حديث أبي هريرة .

(٢) هذا مروي عن قتادة والسدي وابن جبير وغيرهم ، قال قتادة : إنما استحلَّ اليهود أموال المسلمين ، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب ، وقال السدي : يقولون قد أحلَّ الله لنا أموال العرب . زاد المسير ٤١٠/١ .

(٣) هذا هو الأشهر أن الأميَّ الذي لا يعرف القراءة والكتابة ، نسبة إلى الحالة التي ولدته أمه عليها فلذلك سمي أمياً .

(٤) قال تعالى في وصف نبينا المعظم ﴿ الذين يتَّبعون الرسول النبي الأمي ﴾ فالأمية كمال في حقه ﷺ ونقص في حق غيره .

منسوب إلىٰ أم القرىٰ وهي مكة .

٨٨ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينْ ﴾** [آية ٧٦] .

بلىٰ ردٌّ لقولهم ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ ﴾(١) .

٨٩ ــ **ثم قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُوْن بِعَهِدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِم ثَمَناً قَلِيلاً ، أُوَلَئِكَ لَا خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَة ﴾** [آية ٧٧] .

الخلاقُ : النَّصيبُ(٢) .

وروىٰ عبدالله بن مسعود والأشعث بن قيس عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال ﷺ من حَلَفَ علىٰ يمينٍ فاجرةٍ ، ليقتطعَ بهَا مالَ امرىءٍ مسلم ، لقيَ اللَّهَ وهو عليه غضبان » ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِم ثَمَنَاً قَليلاً ، أولئك لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَة ، وَلا يُكَلِّمهُم اللَّهُ ﴾

(١) لفظة « بلى » رد لكلام سابق أي ليس الأمر كما زعموا بل عليهم إثم وتبعة في أكلهم أموال الأميين . قال ابن جرير ٣/٣٢٠ المعنى : ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم ، ثم قال : بلى ، ولكن من أوفى بعهده ، واتّقى الله فإن الله يحبُّه .. إلخ .

(٢) في المصباح المنير : الخَلَاق مثل سَلَام : النصيب . اهـ.

أقول : ومنه قوله تعالى ﴿ وما له في الآخرة من خلاق ﴾ أي ليس له حظ ولا نصيب من رحمة الله عز وجل .

إلىٰ آخر الآية[1] .

وفي قوله (وَلا يُكَلِّمُهُم اللَّهُ) قولان :

أحدهما : أنه رُوِي أن اللَّه يُسْمِعُ أولياءَه كَلَامَهُ[2] .

والقولُ الآخر : أنه يغضب عليهم ، كما تقول : فلانٌ لا يُكلِّمُ فلاناً .

ومعنىٰ ﴿ ولا يُزَكِّيهِم ﴾ ولا يثني عليهم ولا يُطهِّرهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ أي مؤلم .

يقال : آلَمَ إذا أوجع ، فهو مؤلِمٌ ، و « أَلِيمٌ » علىٰ التكثير .

٩٠ ــ وقولُه تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأيمان ٤٨٥/١١ ومسلم برقم ١٣٩ وأبو داود برقم ٣٢٤٥ والترمذي برقم ٢٩٩٩ في التفسير ، وأخرجه أحمد في المسند ٢١١/٥ وذكر الحديث فيه : فقال الأشعث بن قيس : فيَّ والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني ، فقدَّمته إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله : ألك بيِّنةٌ ؟ قلت : لا ، فقال لليهودي : احلفْ ، فقلت يا رسول الله : إذاً يحلف فيذهب مالي ، فأنزل الله ﴿ إن الذين يشترون .. ﴾ الآية وذكره الحافظ ابن كثير كاملاً في تفسيره ٥٢/٢ .

(٢) لا بدَّ هنا من تأويل الآية ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ أي لا يكلمهم بما يسرُّهم ، ولا يكلمهم كلام أنس ولطف ، لئلا تتعارض الآية مع قوله تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ ومع قوله عليه السلام « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان » الحديث ، فالمراد بعدم تكليمهم إما كناية عن الغضب ، أو عدم الكلام معهم بما يسر ، قال ابن كثير ٥١/٢ : أي لا يكلمهم كلام لطف بهم ، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة . اهـ .

(٣) في المعجم الوسيط : أَلِمَ أَلماً : وَجِعَ فهو أَلِمٌ ، وآلمه إيلاماً : أوجعه فهو مؤلم ، وأليم .

قال الشعبي : يلْوُونَ : يُحرِّفُون .

وقال أهل اللغة : لويتُ الشيء إذا عَدَلْتَه عن قَصْدِه ، وحملتَه على غير تأويله(١) .

٩١ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ ﴾ [آية ٧٩] .

قال سعيد بن جبير والضحاك : الربانُّي : الفقيهُ العالمُ(٢) .

وقال أبو رزين : هو العالم الحليم(٣) .

والألفُ والنونُ يأتي بهما العرب للمبالغة(٤) ، نحو قولهم : جُمَّانيٌّ للعظيم الجُمَّة ، وكذلك سَكْران أي ممتلئٌ سُكْراً .

فمعنى الربَّاني : العالمُ بدين الربِّ ، الذي يعمل بعلمه ، لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم .

---

(١) قال أهل اللغة : « يلوون » من اللَّيِّ وهو اللفُّ والفتل ، تقول : لويت يده إذا فتلتها ، والمراد أنهم يفتلون ألسنتهم ليميلوها عن الآيات المنزَّلة إلى المفاهيم المحرَّفة ، قال قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله . الطبري ٣/٣٢٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٣/٣٢٦ وهو قول مجاهد ، والحسن البصري ، وقتادة ، وانظر ابن كثير ٢/٥٥ وقال ابن عباس : ﴿ ربانيين ﴾ حكماء ، علماء ، حلماء ، وعن الحسن أيضاً : كونوا أهل عبادة ، وأهل تقوى .

(٣) الأثر في الطبري ٣/٣٢٦ وفتح القدير ١/٣٥٦ .

(٤) قال القرطبي في جامع الأحكام ٤/١٢٢ : الربانيُّ منسوب إلى الرب ، وهو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وهو في الأصل ربِّي ، فأدخلت الألف والنون للمبالغة ، كما يُقال للعظيم اللحية : لِحْيَاني ، ولعظيم الجمة : جمَّاني ، وكما يقال : ريَّان وعطشان . اهـ.

ورُوي عن ابن الحنفية أنه قال لمَّا مات ابن عباس : « مات رَبَّانِيُّ هذهِ الأمة »[١] .

ومعنىٰ (وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّين) ولكن يقول : كونوا ربانيين ، ثم حُذِفَ لعلم السامع[٢] .

وقال ابن زيد : الربانيُّون : الولاةُ ، والأحبارُ : العلماءُ[٣] .

وقال مجاهد : الربانيون فوق الأحبار[٤] .

قال أبو جعفر : وهذا القول حسنٌ ، لأن الأحبار هم العلماء ، والربَّانِيُّ الذي يجمع إلىٰ العلم البصرَ للسياسة ، مأخوذٌ من قولِ[٥] العرب : ربَّ أمرَ النَّاس يَرُبُّه : إذا أصْلَحه وقامَ به ، فهو رابٌّ ، وربَّانِيٌّ على التكثير[٦] .

---

(١) حكاه في البحر ٥٠٦/٢ وفي جامع الأحكام ١٢٢/٤ وابنُ الحنفِيَّة : هو محمد بن أبي طالب « أبو القاسم » وأمُّه خولة تابعي ثقة كان من فقهاء أهل المدينة توفي سنة ١١٨ وانظر ترجمته في التهذيب ٣٥٠/٩ .

(٢) هذا على إضمار القول تقديره : ولكن يقول كونوا ربانيين ، ثم حذف القول لكونه مفهوماً من السياق .

(٣) انظر ابن كثير ٥٥/٢ وفتح القدير ٣٥٦/١ .

(٤) الأثر في القرطبي ١٢٢/٤ والطبري ٣٢٦/٣ ولفظه « قال مجاهد : الربانيون الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحبار » .

(٥) في المخطوطة : مأخوذ من فوق العرب ، وهو خطأ وصوابه : من قول العرب .

(٦) هذا قول المبرد كما في جامع الأحكام للقرطبي ١٢٢/٤ قال المبرِّد : الربانيون أرباب العلم ، واحدهم ربّان ، من قولهم ربَّه يَرُبّه فهو ربَّان : إذا دبَّره وأصلحه ، فمعناه على هذا : يدبِّرون أمور الناس ويصلحونها ، والألف والنون للمبالغة كما قالوا : ريَّان ، وعطشان ، ثم ضُمَّت إليها ياء النسبة . اهـ.

ثم قال تعالى ﴿ وَلَا يَأمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابَاً .. ﴾ [آية ٨٠] .

ومن قرأ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ بالنصب[1] ، فمعناه عنده : ولا يأمُرَكم البشرُ ، لأنه معطوفٌ على ما قبله .

ومنْ قرأ ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ بالرفع[2] ، فمعناه عنده : ولا يأمُرُكم اللهُ ، كذا قال سيبويه .

٩٢ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ .. ﴾** [آية ٨١] .

قال طاووس : أخذَ اللَّهُ ميثاق الأوَّلِ من الأنبياء ، أن يؤمن بما جاءَ الآخِرُ[3] .

٩٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ .. ﴾** [آية ٨١] .

قال : فهذه الآية لأهل الكتاب ، أخذ الله ميثاقهم بأن يؤمنوا

---

(١) و(٢) القراءتان سبعيتان كما في النشر في القراءات العشر ٢٤٠/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٣) أصح الأقوال في هذا أن الله تعالى أخذ العهد المؤكد على جميع الأنبياء والمرسلين ، لئن أدركوا حياة محمد ﷺ أن يؤمنوا به ويصدِّقوه وينصروه ، ويدعوا أتباعهم إلى اتباعه ، وهذا رأي الجمهور ، قال ابن عباس : « ما بعث الله نبياً من الأنبياء ، إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته » وانظر الطبري ٣٣٢/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٩٤/٣ .

بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم ويصدقوه[1] .

وقرأ ابن مسعود : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ ﴾[2] .

وقال ابن عباس : إنما أخذ ميثاق النبيِّينَ علىٰ قومهم[3] .

وقال الكسائي : يجوز أن تكون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بمعنىٰ وإذ أخذ الله ميثاق الذين[4] مع النبيين .

وقال البصريون : إذا أخذ الله ميثاق النبيِّين ، فقد أخذ ميثاق الذين معهم ، لأنهم قد اتَّبعوهم وصدَّقوهم .

و « مَا » بمعنى الذي ، ويجوز أن تكون للشرط ويُقْرأ « لِمَا » بكسر اللام[5] ، فتكون « مَا » أيضاً بمعنى الذي وتكون متعلقة بأخذ .

---

(١) هذا تتمة قول طاووس ، فقد ذهب إلى أن القسم الأول من الآية معناه أن يؤمن كل رسول جاء أولاً بمن بعده ممن تأخر ، وأن يُصدِّق بعضهم بعضاً ، والقسم الثاني في وجوب إيمان أهل الكتاب بمحمد ﷺ وتصديق رسالته ، وهذا القول ذكره الطبري وغيره من المفسرين ، والأصح أن الرسل أمروا بتصديق رسالة نبينا ﷺ وهو ما رجحه الطبري ٣٣٣/٣ حيث قال : « وأولى الأقوال بالصواب عندنا أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل عن أنبيائه ، أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممهم إليه ، أن يؤمنوا بالرسول المرسل من عند الله المصدِّق لما معهم .. » إلخ .

(٢) انظر الطبري ٣٣١/٣ والقرطبي ١٢٤/٤ وهذه محمولة على أنها تفسير وليست قراءة .

(٣) قول ابن عباس هو الصحيح أن الميثاق أخذ على الأنبياء لا على أهل الكتاب ، ولكن في ضمنه أخذ الميثاق على أمم الأنبياء .

(٤) هكذا وردت في المخطوطة ، ويظهر أن هناك سقطاً ، ولعل اللفظ هكذا « ميثاق الذين أوتوا الكتاب مع النبيين » .

(٥) قرأ حمزة بكسر اللام «لِمَا آتيتكم» وقرأ الباقون بفتحها ، وكل من القراءتين سبعية ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٤١/٢ .

وقرأ سعيد بن جبير : « لَمَّا » بالتشديد[1] .

٩٤ ـ وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ [آية ٨١] .

قال مجاهد : أي عهدي ، والإِصْرُ في اللغة : الثِّقَلُ ، فسُمِّي العهدُ إِصْرَاً ، لأنه منعٌ وتشديدٌ[2] .

٩٥ ـ ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آية ٨١] .

أي فبيِّنوا ، لأنَّ الشاهد هو الذي يُبيِّن حقيقةَ الشيءِ .

٩٦ ـ وقولُه تعالىٰ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ .. ﴾ ؟ [آية ٨٣] .

أي تطلبون ، فالمعنىٰ قل لهم يا محمد : أفغيرَ دينِ الله تبغونَ ؟

ومن قرأ ﴿ يَبْغونَ ﴾[3] بالياء ، فالكلامُ عنده مُتَناسقٌ ، لأنَّ قبله ﴿ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جنى ١٦٤/١ قال أبو الفتح : في هذه القراءة إغراب ، وليست «لَمَّا » ههنا بمعروفة في اللغة ، فإنها تأتي جازمة ، وتكون ظرفاً ، وبمعنى « إلا » ولا وجه لواحدة منهن في الآية .

(٢) هكذا قال أهل اللغة : الإصر : الثقل قال تعالى ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً ﴾ أي شيئاً يثقل علينا حمله ، والإصر : العهد المؤكد قال تعالى ﴿ وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ أي عهدي ، وانظر المعجم الوسيط ١٩/١ وغريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٧ .

(٣) قرأ أبوعمرٍو وحده « يبغون » بالياء « وإليه ترجعون » بالتاء المضمومة ، وقرأهما الباقون « تبغون » « وإليه ترجعون » بالتاء فيهما جميعاً ، وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ والنشر في القراءات العشر ٢٤١/٢ .

فالمعنىٰ : أفغيرَ دينِ اللَّه يبغي هؤلاء ؟ .

٩٧ ــ **وقولُه تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ طَوْعَاً وَكَرْهَاً .. ﴾** [آية ٨٣] .

معنى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ ﴾ : خَضَع ، ثم قال ﴿ طَوْعَاً وَكَرْهَاً ﴾ .

قيل : لمَّا كانت السُنَّة فيمن خالف أن يُقاتل ، سُمِّي إسلامُه كَرْهاً ، وإن كان طوعاً ، لأَنَّ سبَبَه القتالُ[1] .

٩٨ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَومَاً كَفَروا بَعْدَ إيمانِهِمْ ﴾ ؟** [آية ٨٦] .

رَوَىٰ دَاودُ بنُ أَبي هِنْدٍ ، عن عِكرِمَة ، عن ابنِ عباسٍ أن رجلاً من الأنصار ارتدَّ .

قال مجاهد : هو « الحارثُ بنُ سُوِيد بنِ الصَّامتِ الأنصاري » فلحق أهل الشرك ثم ندم ، فأرسل إلىٰ قومه أن سلوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، هل لي من توبة ؟ فأنزل اللَّهُ عز وجل ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمَاً كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِم ﴾ ؟ إلىٰ قوله ﴿ إلاَّ الَّذِينَ تابُوا

---

(١) هذا قول لبعض المفسرين ، وخلاصته أن المؤمن أسلم طوعاً أي برضى واختيار ، والكافر أسلم كَرْهاً أي خوف السيف والقتل ، قال قتادة : المؤمن أسلم طائعاً ، والكافر أسلم كارهاً حين لا ينفعه ذلك ، وقال ابن كثير ٥٧/٢ : « أي استسلم له من فيهما طوعاً وكَرْهاً ، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقاليه لله ، والكافر مستسلم لله كرهاً ، فإنه تحت التسخير والقهر ، والسلطان العظيم ، الذي لا يُخالف ولا يُمانع » .

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيم ﴾[1] .

قال ابن عباس : فأسلم[2] .

وقال الحسن : نزلت في اليهود ، لأنهم كانوا يُبشِّرون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويَسْتَفتحون[3] على الَّذينَ كفروا ، فلما بُعِثَ عَانَدوا وكفروا .

٩٩ ـ **قال الله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ جَزاؤُهُم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالمَلائِكَة وَالنَّاس أجمعين ﴾** [آية ٨٧] .

فإن قيل : فهل يلعنهم أهل دينهم ؟ ففي هذا أجوبة :

أحدها : أن بعضهم يلعنُ بعضاً يومَ القيامة[4] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائي ١٠٧/٧ في باب توبة المرتد ، وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، وانظر جامع البيان ٣٤٠/٣ والدر المنثور للسيوطي ٤٩/٢ ورواه ابن كثير في تفسيره ٥٨/٢ وقال : رواه النسائي وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . اهـ. وفي رواية النسائي بعد قوله « غفور رحيم » فأرسل إليه فأسلم .

(٢) هكذا ذكره ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ٣٤٠/٣ قال : فأرسل إليه قومه فأسلم ، أي رجع إلى الإسلام بعد ردَّته ، وفي رواية : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه ، وذكره ابن كثير ٥٩/٢ .

(٣) أي يطلبون النصر والفتح على أعدائهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ، أشار إلى قوله تعالى ﴿ وكانُوا من قَبْلُ يَستفتحون على الذين كفروا .. ﴾ الآية . والأثر في الطبري ٣٤٠/٣ وابن كثير ٥٩/٢ .

(٤) أشار إلى قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿ ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ وهذا قول الإمام الزجاج كما في معانيه ٤٤٩/١ .

وجواب آخر : وهو أنه يعني بالنَّاسِ المسلمين[1] .

وقيل : ـ وهو أحسنُها ـ إنَّ النَّاسَ جميعاً يلعنونهم[2] ، لأنهم يقولون : لَعَنَ اللَّهُ الظالمين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي في اللَّعنة ، والمعنىٰ : في عذاب اللعنة[4] .

١٠٠ ـ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً ، لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُم ﴾ [آية ٩٠] .

قال أبو العالية : هؤلاء قوم أظهروا التوبة ولم يُحقِّقوا[5] .

وقال غيره : نزلت في قوم ارتَدُّوا ولحقوا بالمشركين ، ثم قالوا : سنرجع ونُسلِمُ .

---

(١) قال في التسهيل ١/٢٠٠ : عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين ، أو على عمومه وتكون في اللعنة في الآخرة .

(٢) هذا ما رجحه الطبري وغيره من المفسرين ، أن اللعنة عامة من جميع الناس لهم ، فجميع الخلائق يلعنونهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

(٣) سورة هود آية رقم (١١) .

(٤) المراد جهنم ، لأنها مكان اللعنة ، كما أن الجنة مكان الرحمة ، قال ابن عطية ٣/٢٠٧ : والضمير عائد على النار ، وإن لم يجر لها ذكر ، لأن المعنى يُفهم منها في هذا الموضع .

(٥) الأثر في الطبري عن أبي العالية ٣/٣٤٣ ولفظه : وقال أبو العالية : هم اليهود والنصارى والمجوس ، أصابوا ذنوباً في كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولم يتوبوا من الكفر . اهـ. فالمراد على هذا القول أنهم أرادوا أن يتوبوا من الذنوب ، وهم مقيمون على الكفر ، مصممون على عدم الإيمان ، ومثل هؤلاء لا تُقبل توبتهم .

فالمعنىٰ : أنهم أظهروا التوبة أيضاً وأضمروا خلاف ذلك ، والدليلُ علىٰ ذلك قولُه عز وجل : ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الضَّالُّون ﴾ ولو حقَّقوا التوبةَ لما قيل لهم « ضالُّون » !!

ويجوز في اللغة أن يكون المعنىٰ : لن تقبل توبتهم ، فيما تابوا منه من الذنوب ، وهم مقيمون علىٰ الكفرِ ، هذا يُروى عن أبي العَالية[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : لن تقبل توبتهم إذا تابوا إلىٰ كفرٍ آخر ، وإنما تُقبل توبتهُم إذا تابوا إلىٰ الإسلام[2] .

١٠١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ، أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَما لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾** [آية ٩١] .

روىٰ أنس بن مالك عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « يُجاء بالكافر يوم القيامة ، فيقال له : أرأيتَ لو كان لكَ ملءُ الأرضِ ذهباً ، أكنتَ مفتدياً به ؟

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٠ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن أبي العالية ، قال : تابوا من الذنوب ولم يتوبوا من الأصل .

(٢) اختار ابن جرير ٣/٣٣٤ أن الآية نزلت في اليهود اللعناء ، كفروا بمحمد ﷺ عند مبعثه ، بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ، ومقامهم على ضلالتهم ، فهؤلاء لن تُقبل توبتهم من ذنوبهم حتى يتوبوا من كفرهم ، وهو قول أبي العالية كما ذكرناه .

فيقول : نعم ، فيقال له : كذبتَ ، قد سُئلتَ أقلَّ من هذا ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً ﴾[1] إلىٰ آخر الآية » .

وقال بعض أهل اللغة : الواو مقحمة[2] ، والمعنىٰ : فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدىٰ بِهِ .

وقال أهل النظر من النَّحويين : لا يجوز أن تكون الواوُ مقحمةً ، لأنها تدل على معنىٰ .

ومعنىٰ الآية : فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدىٰ به[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الرقاق ١٣٧/٨ ومسلم في المنافقين رقم ٢٨٠٥ ولفظه « يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول نعم .

فيقول : قد أردتُ منك أهونَ من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تُشرك » ورواه أحمد في المسند ١٢٧/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ وتفسير ابن كثير ٦٠/٢ .

(٢) أي زائدة لأن الجملة جواب لقوله « إن الذين كفروا » والمعنى على هذا : أنه لا يقبل من الكافر ملء الأرض ذهباً لو افتدى به ، فزيدت الواو في قوله ﴿ ولو افتدى به ﴾ وهذا قول رده ابن عطية وقال الطبري ٣٤٦/٣ : الواو لمحذوف من الكلام بعده دلَّ عليه دخول الواو ، كما دخلت في قوله تعالى ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ والمعنى على قول ابن جرير : ولو كان من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها ، وقدَّمه فِدية ورشوة ، فلن يُقبل ذلك منه .. إلخ .

(٣) هذا رأي الزجاج كما في معانيه ٤٥٠/١ قال : ومعنى الآية : أي لو عمل الكافر من الخير وقدَّم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى الله ، لم ينفعه ذلك مع كفره ، وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه ، فأخبر عز وجل أنه لا يثيبهم على أعمالهم بالخير ، ولا يقبل منهم الفداء من العذاب » واستحسنه ابن عطية .

والمِلْءُ : مقدارُ ما يملأُ الشيءَ ، والمَلْأُ بالفتح : المصدَرُ[1] .

١٠٢ ــ وقوله تعالىٰ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون .. ﴾ [آية ٩٢] .

قال ابنُ مسعودٍ ، وعَمْرُو بنُ ميمونٍ[2] : البرُّ : الجنَّة[3] ، يكون التقدير على ذا : لن تنالوا ثوابَ البِرِّ .

وقال غيرهما : البِرُّ : العملُ الصالح ، وفي الحديث « عليكُمْ بالصِّدقِ ، فإنه يدعو إلىٰ البِرِّ ، والبِرُّ يدعو إلىٰ الجنة ، وإياكم والكذب فإنه يدعو إلىٰ الفجورِ ، والفجور يدعو إلىٰ النار »[4] .

وروىٰ أنس بن مالك أنه لمَّا نزلت هذه الآية ، قال أبو

---

(١) في المصباح : ملأت الإناء ملأً من باب نفع نفعاً فامتلأ ، ومِلؤه بالكسر ما يملأه ، وجمعه أملاء كحمل وأحمال . اهـ.

(٢) هو عمرو بن ميمون الأودي الكوفي ، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه ، وروى عن عدد من الصحابة توفي سنة ٧٥هـ قال العجلي : تابعي ثقة كوفي ، وقال ابن معين والنسائي : ثقة ، وانظر ترجمته في الإصابة ١٥٤/٥ وتهذيب التهذيب ١٠٩/٨ والجرح والتعديل ٢٥٨/٦ .

(٣) قال الطبري ٣٤٧/٣ : روى أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : البر : الجنة ، فتأويل الكلام : لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم ، حتى تتصدقوا مما تحبون من نفيس أموالكم . اهـ. وذكر هذا الأثر عن عمرو بن ميمون السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في الأدب برقم ٤٩٨٩ والترمذي في البر برقم ١٩٧٢ بلفظ « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً .. » . الحديث ، ورواه مالك في الموطأ ٩٨٩/٢ والبخاري ومسلم بلفظ : « إن الصدق يهدي إلى البر .. » إلخ ، البخاري ٤٢٣/١ ومسلم برقم ٢٦٠٦ .

طلحة : « أنا أتصدَّقُ بأرضي ، فأمره النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم أن يتصدق بها علىٰ أقربائه ، فقسمها بين أُبيٍّ وحَسَّانَ »[1] .

وروي أن عمر كتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري أن يشتري له جارية ــ حين فتحت مدائن كسرىٰ ــ فاشتراها ووجَّهَ بها إليه ، فلما رآها أُعْجِبَ بها ، ثم أعَتقَها ، وقرأ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون ﴾[2] .

وقال مجاهد : وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلىٰ حُبِّهِ ﴾[3] .

ومعنىٰ ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا ﴾ حتّىٰ تتصدَّقوا .

---

(١) ذكر المصنف الرواية بالمعنى ، وقد رواها الإمام أحمد في المسند ١٤١/٣ عن أنس بن مالك قال : « كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً ، وكان أحبَّ أمواله إليه « بَيْرُحَاء » ــ وكانت مستقبلة المسجد ــ فكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت الآية ﴿ لنا تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قال أبو طلحة : يا رسول الله إنَّ الله تعالى يقول ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالي إلـيَّ بَيرحاء ، وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال النبي ﷺ : بخ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه » . اهـ. والحديث أخرجه البخاري ٤٦/٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ وقال أخرجه مالك وأحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وفي بعض روايات الصحيح : « فقال رسول الله ﷺ : اجعلها في قرابتك ، فجعلها في « حسان بن ثابت » و « أبيِّ بن كعب » .

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٢ وابن جرير الطبري في جامع البيان ٣٤٧/٣ .

(٣) سورة الدهر آية رقم (٨) .

١٠٣ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٍ ﴾ [آية ٩٢] .

أي وإذا عَلِمَه جَازَىٰ عليه[١] .

١٠٤ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ [آية ٩٣] .

قال ابن عباس : كان اشتكىٰ عِرْقَ النَّسَا ، كذا رُوِيَ عنه ، فكان له زَقَاءُ ــ يعني صياح ــ فآلىٰ لئن بَرَأَ من ذلك لا أَكَلَ عِرْقاً[٢] .

وقال مجاهد : الذي حرَّم علىٰ نفسه الأنعامَ[٣] .

---

(١) الآية شرط وجواب وفيها وعد للمؤمنين المنفقين والمعنى : وما تبذلوا من شيء في سبيل الله فهو محفوظ لكم ، تجزون عنه خير الجزاء ، قال ابن عطية « عليم » أي مجاز به ولو قلَّ .

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، والبيهقي في سننه ، والحاكم وصححه عن ابن عباس ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ وابن جرير الطبري ٤/٤ و « عِرْق النَّسَا » مرض مشهور يصيب الساق ، و « إسرائيل » هو نبي الله يعقوب عليه السلام ، الذي ينتسب إليه اليهود كذباً وزوراً وهو منهم بريء ، لأنهم حرَّفوا وبدَّلوا أحكام التوراة ، وقد روى القصة مفصلة الإمام أحمد في المسند ٢٧٨/١ عن ابن عباس قال : « حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا : حدِّثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي ، قال : سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بَنِيهِ ، لئن أنا حدَّثتكم شيئاً فعرفتموه ، لتتابعني على الإسلام ، قالوا : فذلك لك ، قالوا : أخبرنا عن أربع خلال : أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه .. » وذكر الحديث ، وانظر تمام الرواية في تفسير ابن كثير ٦١/٢ . ومعنى رواية « فآلى لئن برأ » أي حلف لئن شفاه الله ألا يأكل لحم الإبل .

(٣) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ عن مجاهد قال : حرَّم على نفسه الأنعام .

قال عطاء : حرَّم لحوم الإبل وألبانها[1] .

وهذا كله صحيحٌ ممَّا كان حرَّمه ، واليهودُ تحرِّمه إلىٰ هذا الوقت ، كما كان عليه أوائلها ، وفيه حديث مسندٌ[2] .

وقال الضحاك : قال اليهود للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : حُرِّم علينا هذا في التوراة ، فأكذبهم الله ، وأخبر أن إسرائيل حرَّمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ودعاهم إلىٰ إحضارها فقال ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ .

١٠٥ ــ وقوله عز وجل : ﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّـذِي بِبَكَّـةَ مُبارَكاً .. ﴾ [آية ٩٦] .

قال أبو ذرٍّ : « سألتُ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم : أيُّ مسجدٍ وضع في الأرض أول ؟ فقال : المسجدُ الحرام ، قلتُ : ثم

---

(١) هذا هو الأصح والأشهر وقد رجحه الطبري في جامع البيان ٤/٥ .

(٢) روى الترمذي في سننه عن ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : أخبرنا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ؟ قال : كان يسكن البدو فاشتكى عرق النَّسا ، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرَّمها » قالوا : صدقت ، وذكر الحديث وروى ابن عباس قال : لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف الأطباء له أن يجتنب لحوم الإبل ، فحرمها على نفسه ، فقالت اليهود : إنما يُحرِّم على أنفسنا لحوم الإبل لأن يعقوب حرَّمها ، وأنزل الله تحريمها في التوراة ، فأنزل الله هذه الآية ، قال الضحاك : فكذَّبهم الله وردَّ عليهم فقال يا محمد : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ فلم يأتوا ، فقال عز وجل ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ قال الزجاج : في هذه الآية أعظم دلالة لنبوة محمد نبينا ﷺ ، أخبرهم أنه ليس في كتابهم » . اهـ. انظر جامع الأحكام للقرطبي ٤/١٣٦ .

أيٌّ ؟ قال : ثم بيت المقدس ، قلت : كَمْ كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم حيثما أدركتك الصلاةُ فصلِّ فإنه مسجد »[١] .

ورَوَىٰ إسرائيل عن سِمَاكِ بنِ حرب ، عن خالد بن عَرْعَرة[٢] ، قال : « سأل رجلٌ علياً عن أول بيتٍ وُضِع للنَّاس للذي ببكة ، أهو أوَّلُ بيتٍ في الأرض ؟ قال لا ، ولكنه أولُ بيتٍ وُضِعت فيه البركةُ ، والهُدَىٰ ، ومقامُ إبراهيم ، ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ وإنَّ اللهَ أوحى إلى إبراهيم صلواتُ اللهِ عليه ، أَنِ ابْنِ لي بيتاً ـ وضاق به ذرعاً ـ فأرسل اللهُ السكينة وهي ريحٌ خجوج لها رأس فَتَطَوَّقَتْ موضعَ البيتِ[٣] .

قال أبو الحسن : قال أبو بكر : الخَجُوج التي تَخُجُّ في هبوبها أي تلتوي . يقال : خَجَّتْ تَخُجُّ ، ولو ضوعفت لقيل :

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ٦٣/٢ وأحمد في المسند ١٥٠/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥٢/٢ والطبري في جامع البيان ٨/٤ وعزاه السيوطي إلى الشيخين والبيهقي ، وهو في القرطبي ١٣٧/٤ وابن كثير ٦٣/٢ .

(٢) خالد بن عرعرة التيمي سمع علياً ، وروى عنه سماك والقاسم بن عوف ، وانظر ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري ١٦٢/٣ .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان عن خالد بن عَرْعَرة ٧/٤ ولفظه قال : سمعت علياً وقيل له : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً ﴾ هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال : لا ، قال : فأين كان قوم نوح ؟ وأين كان قوم هود ؟ ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى » . اهـ. وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره كاملاً ٢٥٨/١ وفيه : فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان ، حتى انتهت إلى مكة ، فتطوَّت على موضع البيت كطيِّ الجحفة ـ يعني الترس ـ إلخ . ومعنى الخجوج : شديدة المرور في غير استواء .

خَجْخَجَتْ ، والخَجْخَجَةُ توصف بها السرعةُ .

وقال عطية : « بكّةُ » موضع البيت ، و « مكةُ » ما حَوَالَيْه[1] .

وقال عكرمة : « بكَّةُ » ماوَلِيَ البيتَ ، و « مكَّةُ » ما وراءَ ذلك[2] .

والذي عليه أكثر أهل اللغة أنَّ « بكة » و « مكة » واحد[3] ، وأنه يجوز أن تكون الميم مبدلةً من الباء ، يُقال : لازِبٌ ولازِمٌ ، وسَبَدَ شعرهَ وسَمَدَه : إذا استأصله .

وقال سعيد بن جبير : سميت بكة لأن الناس يتباكُّون فيها أي يتزاحمون فيها[4] .

وقال غيره : سُمِّيت « بكة » لأنها تَبُكُّ الجبابرة ، والميمُ علىٰ هذا بدل من الباء .

ويجوز أن يكون من قولهم : امتَكَّ الفصِيلُ الناقةَ : إذا اشتدَّ مصُّه إيَّاها ،

(١) كذا في الطبري عن عَطية العوفي ٩/٤ .

(٢) هذا القول منقول عن مالك بن أنس كما في القرطبي ١٣٨/٤ .

(٣) هذا هو الأظهر والأشهر وهو قول مجاهد كما في جامع الأحكام للقرطبي ١٣٨/٤ قال القرطبي : فالميم على هذا مبدلةٌ من الباء كما قالوا : طينٌ لازب ولازم ، وقال الضحاك والمؤرج .

(٤) قال ابن كثير ٦٤/٢ : بكة من أسماء مكة على المشهور ، قيل : سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة ــ أي تدق أعناقهم ــ وقيل : لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون ، روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير .

والأولُ أحسنُ[1] .

١٠٦ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ .. ﴾** [آية ٩٧] .

وقرأ **ابن عباس** وسعيد بن جبير ومجاهد وأهل مكة : ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾[2] .

وفسَّر ذلك مجاهد فقال ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الحَرَمُ كلُّه ، فذهب إلىٰ أن من آياته « الصَّفَا » و « المروة » و « الركن » و « المقام »[3] .

ومَنْ قرأ ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ فقراءتهُ أبينُ لأنَّ الصفا والمروةَ من الآيات ، ومنها أن الطائر لا يعلو البيت صحيحاً .

ومنها أن الجارح يتبع الصَّيْد ، فإذا دخل الحرم تركه ، ومنها إن الغيث إذا كان ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن ، وإذا كان

---

(١) كذا قال الزجاج في معانيه ٤٥٤/١ « بكة » قيل : سميت بذلك لأنها تبكُّ أعناق الجبابرة ، وأما « مكة » بالميم فتصلح أن تكون من قولهم : امتكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة : إذا مصَّ مصاً شديداً ، حتى لا يُبقي فيه شيئاً ، فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها ، والقول الأول أعني بكَّة أحسن . . اهـ. معاني القرآن للزجاج .

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٣/٣ والطبري في جامع البيان ١١/٤ قال : وأصحُّ القراءتين قراءة من قرأ ﴿ فيه آيات بينات ﴾ على الجمع ، لإجماع قراء أمصار المسلمين على أنها القراءة الصحيحة ، ومن قرأ على الإفراد فإنهم عنوا بالآية البيِّنة : مقام إبراهيم » . اهـ.
أقول : هذه القراءة ليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١١/٤ والدر المنثور ٥٤/٢ والقرطبي ١٣٩/٤ .

ناحية الشامي كان الخصب بالشام ، وإذا عمَّ البيتَ كان الخصبُ في جميع البلدان .

ومنها إن الجِمَارَ علىٰ ما يُزاد عليها تُرىٰ علىٰ قدرٍ واحد[1] .

والمَقَامُ من قولهم : قُمْتُ مُقَامَاً[2] ، فأمّا قولُ زهير :

وَفِيهِـمْ مَقَامَـاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَـا
وَأَنْدِيَـةٌ يَنْتَابُهـا القَـوْلُ وَالفِعْـلُ[3]

فمعناه : فيهم أهلُ مَقَامَاتٍ .

١٠٧ ـ **وقولُه عز وجل** : ﴿ وَمَنْ دَخَلهُ كَانَ آمِنَاً .. ﴾ [آية ٩٧] .

قال قتادة : ذلك من آياتِ الحرم أيضاً[4] .

---

(١) الأولى ما قاله المحققون من أهل التفسير أن الآيات البينات ما خصَّ الله عز وجل هذا البيت من أنواع الخصائص من الأمن والاستقرار ، وكفِّ الجبابرة عنه ، ورمي طير الله بحجارة من سجيل ، وما أُشربت قلوب البشر من تعظيمه قبل الإسلام ، ومن آياته حجر المقام ، وزمزم ، والحطيم ، والصفا والمروة ، والحجر الأسود ، وغير ذلك من الآيات التي خص بها تبارك وتعالى هذا البيت العتيق ، كما قال تعالى ﴿ أولم يروا أنَّا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ﴾ سورة العنكبوت آية رقم (٦٧) .

(٢) في المصباح : قام يقوم واسم الموضع مقام بالفتح ، وأقمتُه إقامة واسم الموضع المُقام بالضم ، وأقام بالموضع اتخذه وطناً .

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١١٣ والبيت من قصيدته التي مطلعها :

صَحَا القَلْبُ عَن سَلْمَى وقَدْ كَادَ لا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ والثَّقْلُ

والمعنى : في هذه الأماكن والأندية أناس حسان الوجوه ، يجتمعون فيها للخير والإصلاح ، يقولون الجميل ويفعلونه . وانظر لسان العرب ٤٠٩/١٦ فقد استشهد ببيت زهير ، وببيت آخر للبيد ، على أنه يقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ومجاهد ٥٤/٢ قالا : مقام إبراهيم من الآيات البينات ، وانظر الطبري ١٢/٤ .

وذا قولٌ حَسَنٌ لأن الناس كانوا يُتَخطَّفون من حَوَالَيْه ، ولا يصلُ إليه جبَّارٌ ، وقد وُصلَ إلىٰ بيت المقدس وخُرِّبَ ولم يُوصل إلىٰ الحرم ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ .

ورَوَىٰ **الثوري** عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال : ﴿ من أصاب حدًّاً في الحرم أقيم عليه ، وإن أصابَ خارج الحرم ، ثمَّ دخلَ الحَرَمَ ، لم يُكلَّم ، ولم يُجَالَس ، ولم يُبَايع ، حتىٰ يخرج من الحرم ، فيقامُ الحدُّ عليه[1] .

وقال أكثرُ الكوفيين : ذلك في كل حدٍّ يأتي على النَّفس .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٣/٤ وابن كثير ٦٥/٢ والدر المنثور ٥٤/٢ وقال ابن عطية ٢٢٧/٣ : « هذا وصف حالة كانت في الجاهلية ، أن الذي يرتكب كل جريرة ثم يدخل الحرم ، فإنه كان لا يُطلب ، فأما في الإسلام ، وأمن جميع الأقطار ، فإن الحرم لا يمنع من حد من حدود الله ، من سرق فيه قُطع ، ومن زنى رُجم ، ومن قَتل قُتل ، واستحسن كثير ممن قال هذا القول أن يُخْرج من وجب عليه القتل إلى الحل فيقتل هنالك ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن ، وإن الأمر في الإسلام عل ما كان في الجاهلية ، والإسلام زاد البيت شرفاً وتوقيراً ، فلا يعرض أحد بمكة لقاتل وليه ، إلا أنه يجب على المسلمين ألا يُبايعوا ذلك الجاني ، ولا يُكلموه ، ولا يؤْوه حتى يتبرَّم فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد ، وبهذا قال طائفة من السلف ، إلا أنهم قالوا : هذا فيمن يقتل خارج الحرم ثم يعوذ بالحرم ، فأما من قتل في الحرم ، فإنه يقام عليه الحد في الحرم » . اهـ. ابن عطية .

أقول : وهذا مذهب أبي حنيفة وقول لأحمد ، وذهب مالك والشافعي إلى أن من جنى في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم فإنه يقتص منه ، لأن الحرم لا يجير عاصياً ولا فاراً بدم ، ولو أخذنا بالرأي الأول ـــ على ما فيه من وجاهة ـــ لأصبح الحرم مركزاً لاجتماع الجناة والمجرمين ، والله أعلم .

وقال قومٌ : الأَمانُ ههنا للصَّيدِ .

وأولاَهَا القولُ الأوَّلُ ، ويكون على العموم ، ولو كان للصَّيد لكان « وَمَا دَخَلَهُ » ولم يكن ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ ﴾ .

قال قتادةُ : وإنَّما هو ومن دخله في الجاهلية كان آمناً[1] .

١٠٨ ـ وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّه عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً .. ﴾ [آية ٩٧] .

قال ابن الزبير : من وَجَد قُوَّةً وما يتحمل به[2] .

وقال سعيد بن جبير : الزَّادُ ، والراحِلةُ[3] .

ورویٰ حماد بن سلمة عن حميد وقتادة عن الحسن أن رجلاً قال : يارسول الله ما السبيل إليه ؟ قال : الزادُ والرَّاحلة[4] .

---

(١) و (٢) الآثار عن الزبير وابن جبير في الطبري ١٧/٤ وفي البحر المحيط ١١/٣ وفي الدر المنثور ٥٦/٢ فقد فسَّر ابن الزبير الاستطاعة بأنها القوة البدنية والمالية على أداء الحج ، وابن الزبير فسَّرها بأنها الزاد والراحلة ، أي أن يجد النفقة الكافية والمركب الذي يوصله للحج ، ويشهد لهذا القول الحديث الشريف المروي عن الحسن ، وقد اختار الطبري القول الأول ، أن من وجد القوة فعليه الحج ولو مشياً على الأقدام ، وهو رأي الضحاك قال : إذا كان شاباً قادراً على المشي فإنه يجد القوة ويجب عليه الحج ، فقيل له : كلَّف الله الناس أن يمشوا ؟ قال : لو أن لبعضهم ميراثاً بمكة أكان تاركه ؟ والله لانْطَلقَ إليه ولو حبواً ، كذلك يجب عليه الحج ، قال الطبري : وأما الأخبار ففي أسانيدها نظر . اهـ.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في الحج رقم ٨١٣ وفي التفسير ، ورواه ابن ماجه رقم ٢٨٩٧ في المناسك ، ورواه الدارقطني والحاكم والبيهقي ، قال الحافظ في التلخيص ٢٢١/٢ خرَّجه الدارقطني وسنده صحيح إلى الحسن ، ولا أرى الموصول إلَّا وهماً ، وانظر تحفة الأحوذي ٣٤٨/٨ والدر المنثور ٥٦/٢ وتفسير ابن كثير ٦٩/٢ .

(٤) الأثر في الدر ٢/ ٥٦ وفي الطبري .

السبيلُ أصله : الوصولُ ، ومنه قيل للطريق سبيل ، فالمعنىٰ عند أهل اللغة : من استطاع إلىٰ البيت وصولاً ، كما قال إخباراً ﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾[1] ؟

١٠٩ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ كَفَر فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن العَالَمِين ﴾ [آية ٩٧] .

أكثرُ أهل التفسير علىٰ أن المعنىٰ : مَنْ قالَ إنَّ الحجَّ ليس بواجبٍ فقد كَفَر .

ورَوَىٰ وكيعٌ عن فِطْرٍ[2] عن نُفَيعٍ[3] أبي داود ، أن رجلاً سأل النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن هذه الآية ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « من حجَّ لايرجو ثوابه ، وجلس لايخاف عقابه ، فقد كفر به »[4] .

(١) سورة الشورى آية رقم (٨٨) وقد وردت الآية في المخطوطة ﴿ فهل إلى مرد من سبيل ﴾ والآية كما أثبتناها في سورة الشورى .

(٢) فِطْر قال في التهذيب ٨/٣٠٠ هو « فِطر بن خليفة » القرشي المخزومي ، روى عنه ابن المبارك ، ووكيع والقَطَّان ، قال عنه النسائي : ثقة حافظ كيِّس ، وقال ابن سعد : كان ثقة ، ومن الناس من يستضعفه .

(٣) قال في التهذيب « نُفيع بن الحارث » أبو داود الأعمى الهمداني ، الكوفي القاص ، قال الترمذي يضعَّف في الحديث ، وانظر تهذيب التهذيب ١٠/٤٧٠ .

(٤) أخرجه عبد بن حميد عن أبي داود نُفيع كذا في الدر المنثور ٥٧/٢ وأخرجه الطبري عنه في جامع البيان ٢٠/٤ ولفظه أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ فقام رجل من هذيل ، فقال يا رسول الله : من تركه كفر ؟ قال : « من تركه ولا يخاف عقوبته ، ومن حجَّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك » .

وقال الشعبي : السبيلُ ما يسره اللَّهُ عز وجل .

وهذا من حَسَن ما قيل فيه ، أي علىٰ قدر الطاقة ، والسبيلُ في كلام العرب : الطريقُ ، فمن كان واجداً طريقاً إلىٰ الحج بغير مانعٍ ، من زمانةٍ ، أو عجزٍ ، أو عدوٍّ ، أو تَعذُّرِ ماءٍ في طريقه ، فعليه الحج ، ومن مُنِعَ بشيءٍ من هذه المعاني ، فلم يَجِدْ طريقاً ، لأن الاستطاعة القدرة علىٰ الشيء . فمن عجز بسبب فهو غير مطيق عليه ، ولا مستطيع إليه السبيل[1] .

وأَوْلَىٰ الأَقْوال في معنىٰ ﴿ وَمَنْ كَفَر ﴾ ومن جحد فرض الله ، لأنه عقيب فرض الحج[2] .

١١٠ ــ **وقولُه تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعوا فَرِيقاً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كَافِرين ﴾** [آية ١٠٠] .

قال قتادة : حذَّركمُوهــم اللهُ لأنهم غَيرَّوا كتابهم[3] .

---

(١) هكذا قال الطبري في جامع البيان ١٨/٤ أن من منعه مانع من زمانة ــ أي مرض مزمن ــ أو عجز ، أو عدو ، أو ضعف عن المشي ، أو قلة زاد .. إلخ ، فهو ممن لم يستطع السبيل ، لأن الاستطاعة هي القدرة ، ومن كان عاجزاً ببعض الأسباب فهو غير مطيق .

(٢) هذا قول ابن عباس ، والضحاك ، والحسن ، ومجاهد ، وعطاء ، قال ابن عباس : من كفر بوجوب الحج فزعم أن الحج ليس بفرض عليه فقد كفر ، وانظر الطبري ١٩/٤ والبحر المحيط ١٢/٣ وقيل : إن المراد من وجد ما يحج به ثم لم يحج فقد كفر النعمة ، أو هو محمول على التغليظ .

(٣) الأثر في الطبري عن قتادة ٢٥/٤ ولفظه : « قد تقدَّم الله إليكم فيما تسمعون ، وحذَّركم وأنبأكم بضلالتهم ، فلا تأمنوهم على دينكم ، ولا تستنصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداء الحسدة الضلّال » . اهـ ومثله في الدر المنثور ٥٨/٢ .

وفي الحديث « لاتُصدِّقوا أهل الكتاب فيما لاتعرفون ، ولا تُكذِّبوهم ، فإنهم لن يهدوكم وقد أَضلُّوا أنْفُسَهمْ »[1] .

١١١ ــ وقولُه تعالىٰ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرونَ وَأَنْتُم تُتْلَىٰ عَلَيكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رسُولُهُ .. ﴾ [آية ١٠١] .

قال الأخفش « سَعِيدُ بنُ مَسْعَدَةَ »[2] : معنى « كيف » علىٰ أيِّ حال ؟

وقال غيره : معنىٰ ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ أي يُبيِّنُ لكم[3] .

ويجوز أن تكون هذه المخاطبة ، يدخل فيها من لم ير النبي

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٣٦/٤ وأبو داود في كتاب العلم ٣١٩/٣ وأخرجه البخاري في كتاب الشهادات ولفظه « لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا ﴿ آمنَّا بالله وما أُنزل علينا .. ﴾ الآية . اهـ. فتح الباري ٢٩١/٥ وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله ، تقرءونه لم يُشَبْ ؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله ، وغيَّروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا ﴿ هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطُّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم » . اهـ. فتح الباري ٢٩١/٥ .

(٢) تقدمت ترجمتهُ ، وهو صاحب كتاب معاني القرآن .

(٣) سبب نزول الآية الكريمة أن اليهود عليهم لعنة الله أرادوا أن يلقوا الفتنة بين الأنصار ، وقد غاظهم ما رأوا من المحبة والألفة بينهم ، فبعثوا شاباً من اليهود ليجلس بينهم ويذكِّرهم بيوم بُعاث ، وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، ففعل ونفخ فيهم الشيطان فأزكى نار الفتنة ، فتنادوا إلى السلاح ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأسرع نحوهم وقال : أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟! .. إلخ وانظر تفسير ابن عطية ٢٤٠/٣ وصفوة التفاسير ٢١٧/١ .

صلى الله عليه وسلم[1] لأنَّ آثاره وسنَّته بمنزلة مشاهدته .

١١٢ ـ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ١٠١] .

معنى « يَعْتَصِمْ » : يمتنعْ[2] .

١١٣ ـ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

قال عبدالله بن مسعود « حَقَّ تُقَاتِهِ » : « أن يُشكر فلا يُكفر ، وأن يُطَاعَ فلا يُعْصَى ، وأن يُذْكَر فلا يُنْسَى »[3] .

ورُوي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

وقال قتادة : نَسَخ هذه الآية قولُه تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

---

(١) هذا صحيح لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآية تشمل الذين كانوا في زمن النبي ، والذين جاءوا من بعده .

(٢) أي يمتنع بالله بمعنى يلتجئ إليه ويحتمي بحماه ، قال الطبري ٢٦/٤ : المراد ومن يتعلق بأسباب الله ، ويتمسك بدينه وطاعته ، فقد وفِّق لطريق واضح ، وأصل العَصْم : المنع ، وكذلك قال ابن قتيبة . غريب القرآن ص ١٠٨ .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والطبراني ، والحاكم وصححه عن عبد الله بن مسعود ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/٢ وابن جرير ٢٨/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ١٧/٤ وابن كثير ٧١/٢ وقال : هذا إسناد صحيح موقوف .

(٤) المرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه ابن مردويه ، ورواه الحاكم في مستدركه مرفوعاً وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر الرواية ٧٢/٢ : والأظهر أنه موقوف والله أعلم . يعني أنه من قول ابن مسعود لا من قول الرسول ﷺ .

اسْتَطَعْتُمْ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : لا يجوز أن يقع في هذا ناسخٌ ولا منسوخٌ ، لأن الله تعالى لا يُكلِّف النَّاس إلاَّ ما يستطيعون .

وقولُه « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » مبيِّنٌ لقوله « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ » ، وهو على ما فسَّره ابن مسعود ، أن يَذكرَ اللَّهَ عندما يَجب عليه فلا ينساه[2] .

١١٤ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾** [آية ١٠٢] .

المعنـــى : كونـــوا على الإسلام حتـــى يأتيكـــم الموتُ وأنتم مسلمون ، لأنه قد عُلِم أنه لاينهاهم عمَّا لا يملكون[3] .

---

(١) ذكره الطبري عن قتادة ٤/٢٩ وابن كثير ٢/٧٢ ورُوي عن ابن عباس أن الآية لم تُنسخ ، ولكن « حقَّ تقاته » أن يجاهدوا في سبيله حقَّ جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم . اهـ. وانظر جامع البيان ٤/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢/٧٢ .

(٢) ما قاله المصنف هو ما ذهب إليه ابن عباس وطاووس ، وهو الأظهر ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/٤٣٢ « اختلف العلماء هل الآية محكمة أم منسوخة على قولين : أحدهما : أنها منسوخة وهو قول قتادة وابن زيد والسدي ، وابن جبير وقول عن ابن عباس قالوا : لما نزلت هذه الآية شقَّت على المسلمين ، فنسخها قوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ والثاني : أنها محكمة ، وهو قول ابن عباس وطاووس ، قال شيخنا : والاختلاف في نسخها وإحكامها ، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها ، فالمعتقد نسخها يرى أن « حقَّ تقاته » الوقوف مع جميع ما يجب له سبحانه ويستحقه ، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به ، والمعتقد إحكامها يرى أن « حقَّ تقاته » أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته ، فيكون « ما استطعتم » مفسراً لقوله « حقَّ تقاته » لا ناسخاً ولا مخصِّصاً . اهـ.

(٣) هذا هو المعنى الصحيح للآية ، لأن الإنسان لا يملك أمر الخاتمة حتى يموت مسلماً ، وإنما المعنى : دوموا على الإسلام واثبتوا عليه حتى إذا جاءكم الموت أدرككم وأنتم على هذه الحالة ، =

وحَكَى سيبويه : لا أُرَيَنَّك ههنا ، فهو لم يَنْهَ نفسه ، وإنما المعنى : لا تكن ههنا فإنه من يكن ههنا أَرَهُ .

١١٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا .. ﴾ [آية ١٠٣] .

قال **عبدالله بن مسعود** : حبلُ اللَّهِ : القرآنُ[١] .

وقال **ابن عباسٍ** : الحبلُ : العهدُ[٢] .

وقال الأعشى :

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ
أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَىٰ إِلَيْكَ حِبَالُها[٣]

وأصلُ الحبل في اللغة : السَّبَبُ ، ومنه سُمِّي حبلُ البئر ، لأنه السبب الذي يُوصَل به إلى مَا بهَا .

ومنه قيل : « فلانٌ يَحطُبَ في حَبْلِ فلانٍ » أي يميلُ إليه وإلى

= فتموتون على الإسلام ، وانظر توضيح ذلك في معاني الزجاج ٤٥٩/١ وكتابنا صفوة التفاسير ٢١٩/١ .

(١) و (٢) فسَّر ابن مسعود الحبل بالقرآن ، وفسَّره ابن عباس وعطاء ومجاهد بالعهد ، وقد ذكر القولين الطبري في تفسيره ٣١/٤ قال : والمعنى : تمسكوا بدين الله الذي أمركم به ، وعهده الذي عهده إليكم ، من الألفة ، والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .. إلخ . ثم قال : والحبل : السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ، ولذلك سمي الأمان حبلاً . اهـ.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ص ٢٧ في قصيدته التي مطلعها « رحلت سُمَيَّة غُدوة أجمالها » والقصيدة مدح لقيس بن معديكرب ، والضمير يعود للناقة يقول : إذا جاوزت بناقتي حماية قبيلة ، أخذت عهداً بالحماية من قبيلة أخرى ، حتى اجتاز جميع الديار آمناً ، وقد استشهد بالبيت ابن منظور في اللسان ١٤٣/١٣ ومعاني الزجاج ٤٦٠/١ والطبري ٣٠/٤ وابن الجوزي ٤٣٣/١ والقرطبي ١٥٨/٤ .

أسبابه ، وأصلُ هذا أن الحاطبَ يقطع أغصان الشجر ، فيجعلُها في حبلِهِ ، فإذا قطع غيرُه وجعل في حبله ، قيل : هو يحطُب في حبله .

ومنه قولهم : « حبلُكِ على غَارِبِكِ »[1] أي قد خليتك من سَبْبي وأمري ونهي .

وأصلُ هذا أن الإبل إذا أُهملت للرَّعْي أُلقيت حبالُها على غواربها ، لئلا تتعلق بشوكٍ أو غيره ، فيشغلها عن الرعي .

ومعنى ﴿ وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ : ولا تتفرَّقوا ، ثم حُذفت إحدى التَّاءَيْن ، وقيل لهم هذا ، لأنَّ اليهود والنصارى تَفرَّقوا ، وكفَّر بعضهم بعضاً[2] .

١١٦ ـ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً .. ﴾** [آية ١٠٣] .

قال عكرمة : هذا في الأنصار ، كانت بينهم شرورٌ فألَّف الله بينهم بالإسلام[3] .

---

(١) هذا من كنايات العرب التي استعملوها في الطلاق ، فيقولون : حبلُك على غاربك والمعنى قد خلَّيت سبيلك ، فافعلي ما شئتِ لأنك طالق مني .

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .. ﴾ .

(٣) هذا هو الظاهر أن الآية في الأنصار ، لأن ما قبلها كان فيهم ، وهذا ما رجحه الطبري وابن عطية وأبو حيان ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٥٠ : « هذه الآية تدل على أن الخطاب بهذه الآية إنما هو للأوس والخزرج ، وذلك لأن العرب لم تكن في وقت نزول هذه الآية اجتمعت على الإسلام ، ولا تألفت قلوبها ، فهي في الأوس والخزرج ، كانت بينهم عداوة وحروب ، منها ـ

وقيـل : هو عامٌ لقـريش لأن بعضهـم كان يُغِيـرُ على بعض ، فلمـا دخلـوا في الإسلام حُرِّمت عليهم الدِّمـاءُ ، فأصبحـوا إخوانـاً أي يقصد بعضهم مقصد بعضٍ[1] .

١١٧ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا .. ﴾ [آية ١٠٣] .

وهذا تمثيلٌ[2] ، و « الشَّفَا » الحرفُ ، ومنه أشفى فلانٌ على كذا :

إذا أشْرَفَ عليه .

١١٨ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ .. ﴾ [آية ١٠٤] .

= يوم بُعاث وغيره ، وكانت تلك الحروب قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالإسلام ».

أقول : المراد بالأوس والخزرج الأنصار الذين ناصروا النبي عليه السلام فسمُّوا أنصاراً ، وأصبح حبهم جزءاً من الإيمان كما صحَّ عن النبي عليه الصلاة والسلام « حبّ الأنصار من الإيمان ، وبُغض الأنصار من النفاق » .

(١) هذا قول الحسن وقتادة ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٣/١ والبحر المحيط ١٨/٣ .

(٢) شبَّه تعالى حالهم الذي كانوا عليه في الجاهلية ، بحال قوم كانوا مشرفين على الهلاك ، لأنهم كانوا على طرف حفرة عميقة ، وهوَّة سحيقة ، يكادون يسقطون فيها ، قال ابن الجوزي ٤٣٤/١ : وهذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك ، وقربهم من العذاب ، كأنه قال : كنتم على طرف حفرة من النار ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها ، إلا الموت على الكفر . اهـ.

قال أبو عُبيدة : الأُمَّةُ : الجماعةُ[1] ، و « مِنْ » ههنا ليست « للتبعيض » وإنما هي « لبيانِ الجنْسِ » كما قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾[2] .

لم يأمرهم باجتناب بعض الأوثان ، وإنما المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثانُ[3] .

١١٩ ـ وقولُه عزَّ وجل ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ .. ﴾ .

ابيضاضُها : إشراقُها ، كما قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾[4] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٠٠ .

(٢) سورة الحج آية رقم (٣٠) .

(٣) يرى المصنف أن الخطاب للأمة جميعاً يأمرهم أن يكونوا دعاة إلى الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وعلى هذا قال : إنَّ « مِنْ » بيانية ليست للتبعيض ، وهذا ما رجحه الزجاج في معانيه حيث قال ١/٤٦٢ : ومعنى « ولتكن منكم أمة » أي ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير ، وتأمرون بالمعروف ، قال : والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قوله جل وعلا : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ . اهـ. وذهب الجمهور على أنه فرض كفاية لأن قوله « منكم » تفيد التبعيض ، قال في البحر ٣/٢٠ : والظاهر أن قوله « منكم » يدل على التبعيض ، وقاله الضحاك والطبري ، لأن الدعاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر ، فإن الجاهل ربَّما أمر بمنكر ، ونهى عن معروف ، وربما عرف حكماً في مذهبه فينهى عن غير منكر ، ويأمر بغير معروف ، وقد يغلظ مواضع اللين وبالعكس ، فعلى هذا تكون « مِنْ » للتبعيض . اهـ.

(٤) سورة عبس آية رقم (٣٨) ومعنى « مُسْفِرة » أي مضيئة مشرقة من البهجة والسرور ، ولا يراد ببياض الوجوه وسوادها ، بياض البشرة وسوادها ، فكم من أسود زنجي هو من أهل الجنة السعداء ، وكم من أبيض زاهر اللون هو من أهل النار الأشقياء .

١٢٠ ـ ثم قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ ؟ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آية ١٠٦] .

في الكلام محذوفٌ ، والمعنى : فأمَّا الَّذينَ اسودَّتْ وجوهُهم ، فيقالُ لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟

وأجمع أهلُ العربية على أنه لابدَّ من الفاء في جواب « أمَّا »[1] لأن المعنى في قولك « أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ » : مهما يكن من شيءٍ فزيدٌ منطلق .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ ﴾ بعد أخذ الميثاق[2] .

ويدلُّ على هذا قوله جلَّ وعلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ .. ﴾[3] الآية .

وقيل : هم اليهودُ ، بَشَّروا بالنبي ﷺ ثم كفروا به من بعد

---

(١) يريد أن قوله تعالى ﴿ فأما الذين اسودَّت وجوههم أكفرتم ﴾ لم يقترن الجواب بالفاء ، مع أنه لازم عند أهل العربية ، وقد أجاب عن ذلك بأنَّ في الآية محذوفاً تقديره : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فحُذف جواب « أمَّا » مع القول ، لأن في الكلام ما يدل عليه ، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم .

(٢) على هذا القول تكون الآية عامة في الكفار ، فإن الله تعالى قد أخذ على جميع ذرية آدم العهد والميثاق ، على أن يؤمنوا بوحدانيته تعالى ووجوده وربوبيته ، فمنهم من حافظ على العهد ، ومنهم من نقض العهد ، فكفر بالله بعد الميثاق ، وهذا قول مجاهد وأبي بن كعب ، وقد اختاره الطبري ورجحه ، وانظر تفسير الطبري ٤/٤٠ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم (١٧٢) .

مبعثه ، فقيل لهم : أكفرتم بعد إيمانكم[1] ؟

وقيل : هو عامٌّ ، أي أكفرتم بعد أن كنتم صغاراً ، تجري عليكم أحكام المؤمنين[2] ؟ .

١٢١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** [آية ١٠٧] .

معنى « فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » : ففي ثوابِ رحمة الله[3] .

١٢٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ .**

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « نَحْنُ نُكَمِّلُ سبعينَ أُمَّةً ، نحنُ آخِرُهَا وأكرمُها على الله »[4] .

---

(١) هذا قول عكرمة كما في زاد المسير ٤٣٦/١ قال : فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه ، ثم كفروا بعد ظهوره .

(٢) لم أر هذا القول لأحد من علماء السلف ، وهو قول تحتمله الآية ، وأما أقوال السلف فقد ذكرها الطبري والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، فقال أبو أُمَامة : هم الخوارج آمنوا ثم كفروا ، وقال الحسن البصري : هم المنافقون ، آمنوا بألسنتهم وأنكروا بقلوبهم ، وقال بعضهم : هم أهل البدع والأهواء ، وقال آخرون : الآية تعم كل كافر ، والله أعلم .

(٣) الآية فيها مجاز مرسل ، فهي من باب « إطلاق الحال وإرادة المحل » أي هم في الجنة التي هي مكان تنزل رحمة الله ، ولهذا أوَّلها المصنف بقوله : ففي ثواب رحمة الله ، يريد أن فيها مجازاً بحذف المضاف مثل : ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهلها .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي وهو في تحفة الأحوذي ٣٥٢/٨ في كتاب التفسير بلفظ « إنكم تتمون سبعين أمة ، أنتم خيرُها وأكرمها على الله » وأخرجه ابن ماجه في الزهد برقم (٤٢٨٨) وأحمد في المسند ٢٥٥/٥ والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ في الفتح ١٦٩/٨ : هو حديث حسن صحيح ، وله شاهد مرسل عن قتادة ، وفي رواية عند أحمد « وجُعلت أمتي خير الأمم » وانظر جامع الأصول ٦٩/٢ والدر المنثور للسيوطي ٦٤/٢ .

وقال أبو هريرة : « نحن خيرُ الناس للنَّاسِ ، نسوقُهم بالسَّلاسل إلى الإسلام »[1] .

وقال ابن عباس : نزلت فيمن هاجر مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة[2] .

وقيل : معنى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ : كنتم في اللوح المحفوظ[3] .

وقيل : كنتم منذُ آمنتم .

ورَوَى بنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : على هذا الشرط ، على أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر[4] ، ثم بيَّنه .

---

(١) هذا الحديث موقوف على أبي هريرة ، وقد أخرجه البخاري عنه في التفسير ٤٧/٦ وابن جرير والحاكم وهو في الدرالمنثور ٦٤/٢ ولفظ البخاري عن أبي هريرة في قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ قال : « خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » .

(٢) ذكره الطبري عن ابن عباس ٣٤/٤ وابن كثير ٧٧/٢ قال : والصحيح أن الآية عامة في جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير القرون هو القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها ﷺ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٤٦٦/١ وضعَّفه الطبري ورجح أن المعنى : أنتم خير أمة أخرجت للناس ، أو بمعنى خلقتم ووجدتم خير أمة . اهـ.

(٤) ذكره الطبري عن مجاهد ٤٤/٤ وروى ابن كثير ٨٦/٢ نحوه عن عمر بن الخطاب ، فقد روى عن قتادة قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة الوداع : من سرَّه أن يكون من تلك الأمة ، فليؤدِّ شرط الله فيها ، يريد أنَّ عليه أن يكون آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، داعياً إلى الله بقوله وفعله .

وقال عطية : شهدتم للنبيين ــ صلى الله عليهم أجمعين ــ بالبلاغ ، الذين كفر بهم قومهم[1] .

١٢٣ ــ **ثم بيّن الخيريّة** التي هي فيهم فقال : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

ثم بَيَّن أنَّ الإيمانَ باللَّهِ لا يُقبل ، إلاَّ بالإيمان بالنبي ﷺ وما جاء به ، فقال عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُون ﴾ [آية ١١٠] .

والفاسقُ : الخارجُ عن الحقِّ[2] .

١٢٤ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أَذَىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ .. ﴾** [آية ١١١] .

أخبر تعالى أن اليهود لن يضرُّوا المسلمين إلاَّ بتحريف أو بَهْتٍ[3] ، فأما الغلبة فلا تكون لهم .

(١) الطبري ٤/٤٤ ولفظه عن عطية وأبي هريرة : كنتم خير الناس للناس ، تجيئون بهم في السلاسل ، تدخلونهم في الإسلام .

(٢) أصلُ الفسق في كلام العرب : الخروج عن الشيء ، فالعاصي فاسق لخروجه عن طاعة الله ، قال الفراء : والفاسق مأخوذ من قولهم : فَسَقَت الرطبة من قشرها أي خرجت ، وكل من عصى الله فهو فاسق ، لأنه خرج عن طاعة ربه .

(٣) أي بتحريف الكلام أو بالبهتان ، كما كان اليهود ــ عليهم اللعنة ــ يفعلون مع رسول الله ﷺ ، فقد كانوا يقولون له إذا دخلوا عليه « السَّام عليكم » بمعنى الموت عليكم ولا ينطقون بلفظ السلام ، ولهذا قال تعالى عنهم ﴿ وإذا جاءوك حيُّوك بما لم يحيك به الله ﴾ وقد كان ﷺ يردُّ عليهم بقوله : وعليكم ، لا يزيد عليها ، وانظر رواية البخاري .

١٢٥ ــ ثم أخبر تعالى أنهم أذلاء فقال ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ، إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ [آية ١١٢] .

قال ابن عباس : الحبلُ : العهدُ[1] .

قال أبو جعفر : هذا استثناءٌ ليس من الأول[2] ، والمعنى : ضُربت عليهم الذلةُ أينما ثُقفوا ، إلا أنهم يعتصمون بحبلٍ من الله ، وحبل من الناس ، يعني الذمة التي لهم .

١٢٦ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .. ﴾ [آية ١١٢] .

أي رجعوا ، وقيل : احتملوا .

وحقيقته في اللغة أنه لزمهم ذلك ، وتبوّأ فلانٌ الدَّار ، من هذا ، أي لزمها .

---

(١) وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والربيع كما في الطبري ٤/٤٨ وهو قول أهل اللغة أيضاً فقد قالوا : الحَبْلُ : معروف ، وهو ما يُربط به ، والمراد به في الآية العهد ، وسُمّي حبلاً ، لأنه سبب يحصل به الأمن ، وزوال الخوف ، وانظر الصحاح للجوهري ، والمصباح المنير للفيومي .

(٢) يريد أنه استثناء منقطع وليس بمتصل ، والمعنى على هذا القول : لزمهم الذلُّ والهوان أينما وجدوا ، وفي أي مكان حلُّوا ، إلا إذا اعتصموا بعهد من الله ، وعهد من الناس ، وشبَّه العهد بالحبل ، لأنه به يتوصل الإنسان إلى مراده ، كما يتوصل بالحبل إلى أسباب النجاة ، وما ذهب إليه المصنف على أن الاستثناء منقطع هو قول الزجاج والفراء ، واختاره ابن عطية لأن الذلة لا تفارقهم ، ورجح الزمخشري أنه استثناء متصل من أعم الأحوال ، والمعنى : ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال ، إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس أي ذمة الله ، وذمة المسلمين ، أي لا عزَّ لهم قطُّ إلا هذه الواحدة ، وهي دخولهم في الذمة ، وانظر الكشاف ٢١٠/١ والبحر المحيط ٣٢/٣ .

١٢٧ ـــ ثم خبَّر تعالى لمَ فعل بهم ذلك ؟ فقال ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[١] [آية ١١٢] .

والاعتداءُ : التجاوزُ .

١٢٨ ـــ **ثم خبَّر عزَّ وجل** أنهم ليسوا مستوين ، وأن منهم من قد آمن فقال سبحانه : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ .

أي ليس يستوي منهم من آمن ، ومن كفر[٢] !؟

١٢٩ ـــ **ثم قال عز وجل** ﴿ **مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ..** ﴾ [آية ١١٣] .

﴿ قائمة ﴾ **قال مجاهد** : أي عادلة[٣] .

---

(١) معنى الآية : ذلك الذل والصَّغار ، والغضب والدمار ، بسبب جحودهم لآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ظلماً وطغياناً ، وبسبب تمردهم وعصيانهم لأوامر الله جل وعلا .

(٢) الوقف هنا عند قوله ﴿ ليسوا سواء ﴾ فقد تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ أي منهم طائفة مستقيمة على شرع الله ، ومعنى قوله ﴿ ليسوا سواء ﴾ أي ليس أهل الكتاب متساوين ولا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد ، والخير والشر . أفاده الطبري .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ٥٣/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٦٥/٢ والأظهر قول ابن عباس كما حكاه عنه السيوطي قال ﴿ قائمة ﴾ أي مهتدية قائمة على أمر الله ، لم تتركه كما تركه الآخرون وضيَّعوه . اهـ. وهذا ما رجحه ابن كثير ٨٧/٢ حيث قال : قائمة بأمر الله ، مطيعة لشرعه ، متبعة نبيَّ الله ، مستقيمة على الدين .

﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ **قال الحسنُ والضحَّاكُ :** ساعاته .

والواحد إِنْيٌ ، ويُقَال : إِنْوٌ ، ويُقال : إِنَىً[1] .

١٣٠ ــ وقولُه عز وجل ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .. ﴾ [آية ١١٥] .

الأمْرُ بالمعروف ههنا : الأمْرُ باتِّباع النبي ﷺ

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي ينهون عن مخالفته صلى الله عليه وسلم[2] .

١٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آية ١١٦] .

مَنْ قَرَأَ « وما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ » فهو عنده لهؤلاء المذكورين ، ويكون من فَعَلَ الخَيْرَ بمنزلِتِهِمْ .

---

(١) إِنىً على وزن مِعىً ، قال الجوهري في الصحاح ٢٧٣/٦ : آناء الليل : ساعاته ، واحدها إِنىً ، مثال : معىً ، وقال بعضهم : واحدها إِنْيٌ ، وإِنْوٌ ، يُقال : مضى إنيان من الليل، وإنوان ، وقال أبو عبيدة : واحدها « إِنْيٌ » مثل حِسْيٍ وأنشد للهذلي :

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ   فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

وانظر مجاز القرآن ١٠٢/١.

(٢) هذا قول لبعض المفسرين ، والأظهر أنه على العموم أي يدعون إلى الخير وينهون عن الشر ، ولا يداهنون في أمر الدين ، ويدخل فيه الأمر باتباع الرسول ﷺ وما ذكره النحاس هو قول الزجاج في معانيه .

وَمَنْ قرأ « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ »[1] بالتاء فهو عامٌّ .

١٣٢ ــ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ مَثَلُ مَايُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ .. ﴾ [آية ١١٧] .

قال ابن عباس : الصِرُّ : البَرْدُ[2] .

ومعنى صِرٍّ في اللغة : أن الصِرَّ شدة البرد ، وفي الحديث (أنه نَهَىٰ عن الجرادِ الَّذِي قَتَلَهُ الصِرُّ)[3] .

ومعنى الآية : أنه شبَّه ما ينفقونه على قتال النبي ﷺ

(١) كلا القراءتين من القراءات السبع كما في النشر ٢٤١/١ والسبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ فقد قرأ ابن كثير ونافع بالتاء فيهما ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما ، واختار الطبري قراءة الياء قال : لأن الخبر عن الأمة القائمة من أهل الكتاب ، فيكون إلحاقها بما قبلها أولى ، قال : وبالذي اخترناه كان ابن عباس يقرأ ، فتأويل الآية : وما تفعل تلك الأمة من خير ، وتعمل من عمل فيه رضى الله ، فلن يُبطل الله ثواب عملهم ، ولن يَدَعهم بغير جزاء .

(٢) الأثر في الطبري عن ابن عباس ٥٩/٤ قال : الصِرُّ : بردٌ شديد وزمهرير ، وهو قول قتادة وعكرمة والربيع ، وكذلك قال أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١٠٢/١ والزجاج في معانيه ٤٧٢/١ وقيل : هو صوت لهيب النار ، ولا مانع كما يقول ابن كثير أن يلتقي الأمران ، قال : فإن البرد الشديد ، لا سيما الجليد ، يُحرق الزروع والثمار كما يُحرق الشيء بالنار . ومعنى الآية : مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها ، كمثل زرع أصابته ريح شديدة باردة أو نار ، فأحرقته وأهلكته ، فلم ينتفع أصحابه بشيء منه ، بعد ما كانوا يرجون فائدته ونفعه ، فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم وثمرتها ، لأنهم بنوها على غير أصل وعلى غير أساس .

(٣) ذكره ابن الأثير في النهاية ٢٣/٣ وعزاه إلى أبي موسى الأصبهاني . وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٨/٤ ولم أره في كتب الحديث ، وقد ذكره الهروي في غريب الحديث ٤٧٢/٤ من قول عطاء ، فهو أثر وليس بحديث .

وأصحابه في بطلانه بريح ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ أي زَرْع قومٍ عاقَبَهم اللهُ بذلك ، فهلَكَ زَرْعُهم ، فكذلك أعمالُ هؤلاء ، لا يرجعون منها إلى شيء .

١٣٣ ــ **وقوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً .. ﴾** [آية ١١٨] .

البطانةُ : خاصَّةُ الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمرِهِ(١) .

والمعنى : لا تَتَّخِذوا بطانة من دونِ أهلِ دينكم .

ونظيرُ هذا ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(٢) .

وكذلك ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾(٣) أي على أهل دينكم ، ومن يقوم مقامكم .

---

(١) بطانةُ الرجل : خاصَّته الذين يُفضي إليهم بأسراره كما قال أهل اللغة ، شُبِّه ببطانة الثوب لأنها تلي البَدَن .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٥٤) وقبلها : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم .

(٣) سورة النور آية رقم (٦١) وهي ﴿ فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ والشاهد فيها قوله « فسلموا على أنفسكم » أي إذا دخلتم بيوتاً مسكونة فسلموا على من فيها من الناس من إخوانكم المؤمنين .

ومعنى قوله تعالى ﴿ لَا يَأْلُونكُمْ خَبَالاً ﴾ أي لا يُقَصِّرون في السُّوء .

وأصلُ الخَبَالِ في اللُّغة : من الخَبْلِ ، والخَبْلُ : ذهابُ الشيء وإفسادُهُ[1] .

١٣٤ ــ وقولُه تعالى ﴿ وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ ﴾ [آية ١١٨] .

أي ما شقَّ عليكم واشتدَّ .

وأصلُ هذا أنه يُقَال : عَنِت العظمُ يَعْنَتُ عَنَتاً : إذا انكسرَ بعد جَبْرٍ[2] .

ومن هذا قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنْكُمْ ﴾[3] أي المشقَّة .

١٣٥ ــ وقولُه عز وجل ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بالكِتَابِ كُلِّهِ .. ﴾ [آية ١١٩] .

أي تُحِبُّونَ المنافقينَ ولا يُحِبُّونكم .

والدليلُ على أنه يعني المنافقين[4] قولُه عز وجلَّ ﴿ وَإِذَا

---

(٤) في المصباح : الخَبْل ، بسكون الباء : الجنون وشبهه ، كالهَوَج والبله ، وقد خَبَلَه فهو مخبول ، والخبال يطلق على الفساد والجنون .

(٢) قال الجوهري ١/٢٥٩ : العَنَتُ : الإثم ، والوقوع في أمر شاق ، ويُقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهَاضَه ــ أي كسره ــ قد أعنته فهو عنِتٌ . اهـ.

(٣) سورة النساء آية رقم (٢٥) .

(٤) هذا هو الأظهر والأشهر أن الآية تعني المنافقين ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ، ورُوي عن ابن عباس رواية أخرى أنها تعني اليهود ، فقد روى ابن أبي حاتم عن ابن =

لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وإِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ ﴾ .

قال عبدالله بن مسعود : يعضُّون أطـراف الأنامـل من الغيظ(١) .

١٣٦ ــ وقوله عز وجل ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحوا بِهَا .. ﴾ [آية ١٢٠] .

أي إن غنمتم أو ظفرتم سَاءَهم ذلك ، وإن أصابكم ضدُّ ذلك فَرِحوا به .

ثم خبَّر أنهم إن صبروا على ذلك لم يضرَّهم شيئاً فقال ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وتَتقـوُا لاَ يَضُرُّكُـمْ كَيْدُهُـمْ شَيْئَـاً ، إِنَّ اللَّـهَ بِمَـا يَعْمَلُـونَ مُحِيطٌ ﴾ .

١٣٧ ــ وقولُه عز وجل ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ .. ﴾ [آية ١٢١] .

= عباس أنه قال : « كان رجال من المسلمين ، يواصلون رجالاً من يهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ﴾ ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم » . اهـ. الدر المنثور ٦٦/٢ .

(١) الأثر في الطبري ٦٧/٤ وابن كثير ٩٠/٢ قال : وهذا شأن المنافقين ، يُظهرون للمؤمنين الإيمان والمودَّة ، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٤١/٣ : « يُوصف المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والإبهام ، وهو العضُّ بالأسنان هيئة النفس الغاضبة فيكون حقيقة ، ويحتمل أنه من مجاز التمثيل ، عبَّر بذلك عن شدة الغيظ والتأسف ، لما يفوتهم من إذاية المؤمنين » .

أقول : ومنه قول الحارث المرِّي :

وأَقْبَلُ أَقْوَاماً لِئَاماً أَذِلَّةً ... يَعَضُّونَ مِنْ غَيْظٍ رُءُوسَ الأَبَاهِمِ

﴿ تُبَوِّىءُ ﴾ تُلزِمُ ، وَبَاءَ بكذا إذا لَزِمه[1] .

ورُوي أن النبي ﷺ رأى أنه في درع حصينة ، فأوَّل ذلك المدينة ، فأمر أصحابه أن يُقيموا بها إلى أن يُوافيَ المشركون فيقاتلوهم[2] .

١٣٨ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ، وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا .. ﴾** [آية ١٢٢] .

قال جابر بن عبدالله : نحنُ هم « بني سَلَمة » و « بني حَارِثَة » من الأوس ، وما يسرُّنا أنها لم تكن [نزلت][3] لقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[4] .

(١) الأوْلَى ما ذكره المفسرون أن معنى « تُبَوِّىء » أي تُنْزِل ، والمباءة : المنزل ، كما قال الجوهري في الصحاح ٣٧/١ : تبوأت منزلاً أي نزلته ، والمباءة : منزل القوم ، ويمكن أن يكون المعنى : تنزلهم أماكن القتال على سبيل الإلزام .

(٢) هذه رؤيا منامية رآها ﷺ في منامه ، قال القرطبي في جامع الأحكام ١٨٥/٤ : « رأى رسول الله ﷺ في منامه أن في سيفه ثُلْمة ــ أي خللاً في طرفه ــ وأن بقراً له تُذبح ، وأنه أدخل يده في درع حصينة ، فتأولها ﷺ أن نفراً من أصحابه يُقتلون ، وأن رجلاً من أهل بيته يُصاب ، وأن الدرع الحصينة المدينة » أخرجه مسلم . اهـ.

أقول : ولم أره في مسلم إنما هو في سنن الدارمي ومسند الإمام أحمد ٢٧١/١ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير موجود في المخطوطة ، وأثبتناه من الأحاديث الشريفة ليتم المعنى .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في المغازي ٢٧٥/٧ وفي تفسير سورة آل عمران ، وأخرجه مسلم في فضائل الأنصار رقم (٢٥٠٥) ولفظه : عن جابر رضي الله عنه قال : « فينا نزلت ﴿ إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ قال : نحن : الطائفتان ، بنو حارثة ، وبنو سلمة ، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله ﴿ والله وليهما ﴾ » وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٧٠/٢ .

والفَشَلُ في اللُّغةِ : الجبنُ ، والوليُّ : الناصرُ .

« بنو سَلَمة » من الخزرج ، و « بنو حارثة » من الأوس .

١٣٩ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ... ﴾ [آية ١٢٣] .

قيل : يعني بأذلة : أنهم كانوا قليلي العدد .

وقال البراء بن عازب : « كنا نتحدث أن عِدَّةَ أصحاب بدر ، كعِدَّةِ أصحاب طالوتَ ، وهم ثلاثمائة وبضعةَ عشر »[1] .

من قرأ « بِثَلاثَةْ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزِلِينَ »[2] .

١٤٠ ـ وقوله عز وجل : ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا .. ﴾ [آية ١٢٥] .

قال الضحاك وعكرمة : من وَجْهِهِم هذا[3] .

١٤١ ـ وقوله تعالى ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آية ١٢٥]

---

(١) أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٦٩/٢ .

(٢) يعني هناك من قرأ « بثلاثةْ آلاف » و « بخمسةْ آلاف » بالسكون من غير إضافة ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ١٦٥/١ من القراءات الشاذة ، قال : ووجه هذه القراءة في العربية ضعيف ، لأن ثلاثة وخمسة مضافان إلى ما بعدهما .

(٣) هذا تفسير للفور ، قال ابن عطية ٣١٠/٣ : والفور النهوض المسرع مأخوذ من فور القدر . والمعنى يأتوكم من ساعتهم ووجههم السريع .

لا نعلم اختلافاً أن معنى « مُسَوِّمِينَ » من السُّومة[1] ، إلاَّ عن الأخفش فإنه قال : « مُسَوِّمِينَ » : مُرْسَلِين[2] .

قال أبو زيد[3] : السُّومةُ أن يُعْلِمَ الفارسُ نفْسَه في الحرب ليُظهِر شجاعته .

قال عُروة بن الزبير : كانت الملائكةُ يوم بدر على خَيْلٍ بُلْقٍ ، وعليها عمائم صفر[4] .

قال أبو إسحاق[5] : كانت سيماهم عمائم بيضاً .

وقال الحسن : علَّموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوفٍ أبيضَ[6] .

وقال عكرمة : عليهم سيماءُ القتال[7] .

---

(١) السُّومة : العلامة ، قال الزجاج في معانيه ٤٧٩/١ : قرئت « مُسَوِّمِين » و « مُسَوَّمِين » ومعنى الكسر مأخوذ من السُّومة وهي العلامة ، كانوا يعلِّمون بصوفة ، أو بعمامة ، أو ما أشبه ذلك ، وبالفتح معلَّمين . اهـ. أي مدربين على الحرب والقتال .

(٢) لم أره في كلام الأخفش ، إنما الذي ورد في كتابه معاني القرآن ٤٢٠/١ : مسوِّمين لأنهم سوَّموا الخيل ــ يعني علَّموها ــ وقد أورد الأزهري في تهذيب اللغة ١١٢/١٣ : السُّوْمَة هي العلامة ومثله : السِّيما ، وقال أبو زيد : « الخيل المسوَّمة » المرسلة وعليها ركبانها . اهـ. التهذيب .

(٣) أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة اللغة والأدب المتوفى سنة ٢١٥هـ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٠٧/١ وإنباه الرواة ٣٠/٢ والأعلام ١٤٤/٣ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٢/١ والسيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ قال : وأخرجه عبد بن حميد ، وعبد الرزاق ، وابن جرير .

(٥) أبو إسحاق هو الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ، وانظر كتابه معاني القرآن ٤٧٩/١ فقد ذكر أنهم كانوا يُعلِّمون بصوفة أو بعمامة .

(٦) و (٧) كل هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ٨٢/٤ وابن الجوزي ٤٥٢/١ والسيوطي في الدر المنثور ٧٠/٢ والقرطبي ١٩٦/٤ وابن كثير ٩٤/٢ .

وقال مجاهد : الصُّوفُ في أذناب الخيل[1] .

وقُرِىء ﴿ مُسَوِّمِين ﴾[2] واحتج صاحبُ هذه القراءة بأنه رُوِي أن النبي ﷺ قال لهم يوم بَدْرٍ : « سَوِّموا فَإنِّي رأيتُ الملائكة قَدْ سَوَّمتْ »[3] .

أي قد سوَّمتْ خيلَها، أو أنْفُسَها .

١٤٢ ـ وقولُه عز وجل :﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ .. ﴾[آية ١٢٦]

يعني المَدَد[4] ، أو الوعدَ .

١٤٣ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِين كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ . [آية ١٢٧] .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ٨٢/٤ .

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم قرءوا بكسر الواو ، وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ٢١٦ وقرأ نافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي « مُسَوَّمين » مفتوحة ، وانظر النشر لابن الجزري ٢٤٢/٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة كما في الدر المنثور ٧٠/٢ ورواه ابن جرير الطبري ٨٢/٤ عن عُمير بن إسحاق مرفوعاً ، وذكره ابن منظور في لسان العرب ٢٠٥/١٥ قال ومعناه : اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضاً . اهـ. قال الطبري بعد أن ذكر القراءتين ٨٣/٤ : فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه « تسوَّموا فإن الملائكة قد تسوَّمَتْ » وقول أبي أسيد : خرجت الملائكة يوم بدر في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم ، وقول من قال « مسوِّمين » معلِّمين ، ينبئ جميع ذلك عن صحة ما اخترناه من قراءة الكسر ، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها » .

(٧) الأول أَوْلَى وهو اختيار جمهور المفسرين ، والمعنى : وما جعل الله ذلك الإمداد بالملائكة ، إلَّا بشارة لكم يا معشر المؤمنين وتَطْيِيباً لقلوبكم. وانظر تفسير ابن كثير ٩٥/٢ .

قال قتادة : « يَكْبِتَهُمْ » يُخْزِنَهم[1] .

ورُوِي أن النبي ﷺ « جاء إلى أبي طلحة ، فرأى ابنه مكبُوتاً ، فقال : ما شأنه ؟ فقيل : مات نُغَيْرُه »[2] .

فالمكبوتُ ههنا : المحزونُ .

وقال أبو عبيدة : يُقال كَبَتَهُ لوجهِهِ : أي صَرَعه لوجهه[3] .

ومعروف في اللغة أن يُقال : كَبَتَه إذا أذلَّه وأقماَه .

قال بعض أهل اللغة : كَبَتَه بمعنى كَبَدَه ، ثم أُبدلت من الدَّالِ تاء ، لأن مخرجهما من موضع واحد[4] .

والخائبُ في اللغة : الذي لم ينل ما أمَّل ، وهو ضدُّ المفلح .

---

(١) هكذا ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٩٨/٤ وذكره الطبري ٨٦/٤ عن قتادة بلفظ « يُخزيهم » بدل يحزنهم ، وهذا هو الأقرب ، لأن المراد به الإهانة والإذلال فيناسبه الخزي ، وكذلك قال ابن الجوزي ٤٥٤/١ : يُخْزِيهم ، وقال الجوهري في الصحاح ٢٦٢/١ : الكبتُ : الصَّرْف والإذلال يُقال : كَبَتَ الله العدوَّ : أي صرفه وأذله ، وكبته لوجهه : صرعه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الأدب ٤٣٦/١٠ ومسلم في الأدب كذلك برقم (٢١٥٠) وأبو داود برقم (٤٩٦٩) ولفظ أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله يدخل علينا ، ولي أخ صغير يُكنى أبا عمير ، وكان له نُغَرٌ ـ أي طير ـ يلعب به ، فمات ، فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نُغَرُه ، فقال : يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر ؟ قال ابن الأثير ٨٦/٥ : النُّغَير تصغير النُّغْر ، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار . اهـ. النهاية ، وانظر الحديث في جامع الأصول ٢٥٨/١١ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٣/١ .

(٤) انظر لسان العرب مادة كبت لابن منظور فقد وضَّح فيه ذلك المعنى .

١٤٤ ــ **وقوله عز وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾** [آية ١٢٨] .

رَوَىٰ الزُّهريُّ عن سالم عن أبيه قال : « رأيتُ رسول الله ﷺ في الركعة الثانية من الفجر ، يدعو على قومٍ من المنافقين ، فأنزل اللَّهُ عز وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

وقال أنس بنُ مالك : « كُسِرتْ رَبَاعيةُ النبي ﷺ يوم أحد ، فأخذ الدَّمَ بيده وجعل يقول : كيف يُفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيهم ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2] .

وقيل : استأذن في أن يدعو باستئصالهم ، فنزل هذا ، لأنه عُلِمَ أن منهم من سَيُسْلِمُ ، وأكَّدَ ذلك الآية بعدها[3] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في القنوت ٢٠٣/٢ ورواه البخاري بنحو رواية النسائي ٢٨١/٧ في المغازي ، والترمذي في التفسير رقم (٣٠٠٧) وانظر جامع الأصول ٧٠/٢ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي وهو في تحفة الأحوذي ٣٥٥/٨ عن أنس ولفظه « شُجَّ ﷺ في وجهه ، وكُسرت رباعيته ، ورُمي رميةً على كتفه ، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى الله ؟ فأنزل الله ﴿ ليس لك من الأمر شيء .. ﴾ الآية » وانظر الدر المنثور للسيوطي ٧١/٢ ومسند أحمد ٩٩/٣ وتفسير ابن كثير ٩٧/٢ .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ، يغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء ، والله غفور رحيم ﴾ سورة آل عمران آية رقم (١٢٩) .

فمـن قال إنـه معطـوفٌ بـ « أَوْ » على قولـه تعـالى ﴿ لِيَقْطَـعَ طَرَفَـاً ﴾ فالمعنـى عنـده : ليقتـل طائفـةً منهم ، أو يُخْزِيَهُم بالهزيمة ، أو يتوب عليهم ، أو يُعذبهم .

وقد تكون « أَوْ » ههنـا بمعنـى « حتَّـى » و « إلاَّ أَنْ » والأوَّلُ أولى[1] ، لأ نه لا أمر إلى أحدٍ من الخلق ، قال امرؤ القيس :

فَقُــلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْــنُكَ إِنَّمَــا
نُحَاوِلُ مُلْكَـاً أَوْ نَمُــوتَ فَنُعْــذَرَا[2]

١٤٥ ــ وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافَاً مُضَاعَفَةً .. ﴾ [آية ١٣٠] .

قال مجاهد : كانوا يبيعـون البيـع إلى أجـلٍ ، فإذا حلَّ الأجـلُ زادوا في الثمن على أن يُؤَخَّروا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ لَا تَأْكُلـوا الرِّبَـا أَضْعَافَاً مُضَاعَفَةً ﴾[3] .

---

(١) هذا ما اختاره ابن جرير ٤/٨٥ والمعنى : ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر ، أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١/٤٢٧ وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٧٢ وقبله :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الـدَّرْبَ دُونَـهُ وَأَيْقَــنَ أَنَّــا لَاحِقَــانِ بِقَيْــصَرَا

وهو في المقتضب للمبرد ٢/٢٧ وخزانة الأدب ٣/٦٠٩ وتفسير القرطبي ٤/١١٣ .

(٣) الطبري ٤/٩٠ وابن كثير ٢/٩٨ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٧١ قال الحافظ ابن كثير : « كانوا في الجاهلية إذا حلَّ أجلُ الدين ، يقول الدائن : إمَّا أن تقضي وإمَّا أن تُربي ، فإن قضاه وإلَّا زاده في المدة ، وزاد الآخر في القدر ، وهكذا كل عام ، فربما تضاعف القليل حتى يصير أضعافاً مضاعفة .

١٤٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آية ١٣٠] .

أي لتكونوا على رجاء من الفلاح(١) .

وقال سيبويه في قوله تعالى ﴿ إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٢) : إذهبا على رجائكما وطمعكما ومبلغكما ، والعلمُ من وراء ذلك ، وليس لهما أكثر من ذلك .

والفلاحُ في اللغة : أن يظفر الإنسان بما يؤمِّل .

١٤٧ ــ وقوله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آية ١٣٣] .

= أقول : إن ذكر الأضعاف المضاعفة في الآية ليس للقيد أو الشرط ، إنما هو للتوبيخ والتشنيع عليهم ، وللتشهير بهم ، فليس في الآية ما يدل على إباحة الربا القليل ، ولكنه يُبشِّع ما يفعلونه ويُشهِّر به فيقول : لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا ، إلى هذه الدرجة التي يَعْرى فيها الإنسان عن معاني الإنسانية ، ويموت فيه الضمير والوجدان ، فيصبح وحشاً همُّه امتصاص دماء الناس ، لا يبالي أعاش الغريم أم هلك ؟ فتأخذون الربا وتأكلونه أضعافاً مضاعفة ؟ وهذه المعاملة ظلم صارخ ، وعدوان مبين ، فمن زعم أن القرآن إنما حرَّم الربا الفاحش بدليل قوله « أضعافاً مضاعفة » ولم يحرِّم الربا القليل ، فقد ساء فهمه ، وكثر غباؤه ، وافترى على الله إثماً عظيماً ، فإن قواعد الشرع أنه إذا حرَّم شيئاً حرم فيه القليل والكثير ، لأن القليل يجرُّ إلى الكثير ، كالخمر مثلاً هل يباح فيها الشيء القليل ؟ « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » ؟

(١) خلاصته أن « لعل » تفيد الترجي ، والترجي إنما يكون من الأدنى إلى الأعلى ، فكيف يترجَّى الله فلاحنا بقوله « لعلكم تفلحون » ؟ وقد أجاب بأن الرجاء صادر من العبد لا من الرب ، أي على رجاء منكم أنتم أن تنالوا درجة الفلاح ، وهكذا تأول شيخ النحاة سيبويه الآية الكريمة .

(٢) سورة طه آية رقم (٤٤) .

رُوِيَ عن أنس بن مالك أنه قال : يعني«التكبيرة الأولى »[1]

١٤٨ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .. ﴾** [آية ١٣٣] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنه العَرْضُ بعينِهِ[2] .

ورَوَى طارقُ بن شهاب أن اليهود قالت لعمر بن الخطاب تقولون : جنَّةٌ عرضُها السَّمواتُ والأرضُ ، فأين تكونُ النَّار ؟ فقال لهم عمر : أرأيتم إذا جاءَ النَّهارُ ، فأين يكونُ اللَّيلُ ، وإذا جاء الليلُ فأينَ يكونُ النَّهارُ ؟

فقالوا : لقد نَزَعْتَ بما في التوراة[3] .

---

(١) يريد إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، والآية على رأي الجمهور على العموم ، للمسارعة في فعل كل خير .

(٢) هذا قول ابن عباس ، والآية وردت على سبيل التمثيل كما قال الطبري : تشبيهاً بهما في السعة والعِظم ، فإذا كان عرضها كعرض السموات السبع ، إذا بُسِطن بجانب بعضهن البعض ، وكذلك الأرضين ، فما الظن بطولها ؟ ويدل على أنها على التمثيل قوله تعالى في سورة الحديد ﴿ عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ فقد وردت بكاف التشبيه ، وهنا حذفت أداة التشبيه كما حذف وجه الشبه ، فصار ما يسميه علماء البلاغة « التشبيه البليغ » مثل محمد قمر .

(٣) هذا الحديث ورد مرفوعاً ، وورد موقوفاً من كلام عمر ، أما المرفوع فقد أخرجه أحمد في المسند ورواه ابن جرير عن « يعلى بن مرّة » ٩٢/٤ قال : لقيتُ التنوخيَّ ـ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ ـ وجاء بكتاب هرقل فإذا فيه : إنك كتبتَ إليَّ تدعوني إلى جنَّة عرضها السموات والأرض ، فأينَ النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ، فأينَ الليل إذا جاء النهار » ؟ وأما الموقوف على عمر فقد رواه الطبري ٩٢/٤ وابن كثير ٩٩/٢ وابن عطية ٣٢٤/٣ والدر المنثور للسيوطي ٧٢/٢ قال ابن الأثير في النهاية : ومعنى « نزعت بما في التوراة » أي جئت بما يُشبهها . اهـ.

والقول الآخر : أن العرض ههنا : السَّعَةُ[1] ، وذلك معروفٌ في اللغة .

وفي الحديث « أن النبي ﷺ قال للمنهزمين يوم أحد : لقد ذهبتم فيها عريضة »[2] يعني واسعة ، وأنشد أهل اللغة :

كَأَنَّ بِـلَادَ اللَّـهِ وَهْـيَ عَرِيضَةٌ
عَلَى الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ[3]

١٤٩ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾** [آية ١٣٤]

الكظمُ في اللغة : أن يَحْبس الغَيْظَ[4] .

ويُقال : كظم البعيرُ على جِرَّته[5] : إذا ردَّها في حَلْقِهِ .

---

(١) هذا ما اختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (١١١) حيث قال : يريد سعتها ، ولم يُرد العَرْضَ الذي هو خلاف الطول ، قال : والعرب تقول : بلاد عريضة أي واسعة « وفي الأرض العريضة مذهب » .. إلخ .

(٢) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وانظر المحرر الوجيز ٣/٣٢٥ .

(٣) البيت في الكامل ٣/٨٥٧ واللسان ٢١٥٣١١ وهو غير منسوب ، وروايتهما « كأنَّ فِجاجَ الأرضِ » وهو في البحر المحيط ٣/٥٧ وفي تفسير القرطبي ٤/٢٠٥ وتفسير ابن الجوري ١/٤٦٠ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١١٢ و « الحابل » الصائد ، و « كِفَّته » بكسر الكاف الحبال التي يصيد بها .

(٤) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ١١٢ : أصل الكَظْم : حبس الغيظ ، وفي المصباح : كَظَمْتُ الغيظ كظماً : أمسكتَ ما في نفسك على صفح أو غيظ . اهـ. المصباح ٢/١٩٥ .

(٥) الجِرَّة بالكسر : ما يخرجه البعير للاجترار ، فإنه يأكل كثيراً ثم يخرج ما في معدته يجترُّه ثانياً ليهضم .

ويُقال للممتلىء حُزْناً وغمّاً : كظيمٌ ، ومكظومٌ ، كما قال تعالى ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[1] .

١٥٠ ــ **وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ .. ﴾** [آية ١٣٥] .

رُوِي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني اللَّهُ منه بما شاء أن ينفعني ، فإذا حدثني رجلٌ من أصحابه استحلفْتُه ، فإذا حلف لي صدَّقته ، وحدثني أبو بكر رضي الله عنه ــ وصَدَق أبو بكر[2] ــ

قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجلٍ يذنب ذنباً وينامُ ثم يقوم ، فيتطهَّرُ فيحسنُ الطهور ، ثم يستغفرُ اللَّهَ ، إلاَّ غَفَر له[3] ، ثم تلا الآية ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

---

(١) سورة القلم آية رقم (٤٨) وهي في قصة يونس عليه السلام ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ .

(٢) جملة « وصدق أبو بكر » من كلام عليّ رضي الله عنه ، ومراده أن أبا بكر لا يُحلَّفُ مثله ، فكان إذا سمع منه شيئاً صدَّقه دون أن يطلب منه اليمين ، وهذا يدل على رفعة قدر أبي بكر في نظر علي رضي الله عنهما ، ومحبته وإجلاله له ، فأين حال الرافضة الذين يبغضون أبا بكر وعمر من توقير عليٍّ للشيخين !! ألَا قاتل الله الفجرة السفهاء ، المبغضين لخيرة الصحابة .

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد ٢/١ وسنن ابن ماجه في كتاب الصلاة رقم ١٣٩٥ والترمذي في التفسير برقم ٣٠٠٦ وذكره ابن كثير ١٠٤/٢ وعزاه إلى أصحاب السنن ، والسيوطي في الدر المنثور بنحوه ٧٧/٢ ، وليس في مسند أحمد « وينام ثم يقوم » وإنما لفظه « ما من رجل يذنب ذنباً ، فيتوضأ فيُحسن الوضوء ، ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله .. » الحديث .

وقال مجاهد : معنى ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : ولم يمضوا[1] .

والإصرارُ في اللغة : اعتقادُ الشيء ، ومنه قيل : صُرَّةٌ ، ومنه قيل للبرد : « صِرٌّ » كأنه البردُ الذي يَصِلُ إلى القلب ، ومنه قيل للذي لم يُحجَّ : صَرُورة ، وصارورة[2]، كأنه يحبس ما يجب أن يُنفِقه .

وقال مَعْبَدُ بنُ صُبَيْحَة[3] : « صَلَّيتُ خلفَ عثمانَ ، وعليٌّ إلى جَنْبِي ، فأقبل علينا فقال : صَلَّيتُ على غيرِ وضوءٍ ﴿ ولم يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ثم ذهب فتوضأ وصلَّى »[4] .

ورُوِي عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال : « مَا أصَرَّ من استَغْفَرَ اللَّهَ ولو عادَ في اليومِ سبعين مَرَّة »[5] .

---

(١) الأثر ذكره ابن جرير عن مجاهد ٩٧/٤ بلفظ « ولم يواقعوا » أي لم يرتكبوا ذنباً ، وردَّه وضعَّفه وقال : الصواب قول من قال الإصرار : الإقامة على الذنب عامداً وترك التوبة منه . اهـ. وقال في البحر : ولم يقيموا على قبيح فعلهم .

(٢) في المصباح : أصرَّ على فعله : داوَمَه ولازَمَه ، والصَّرُورة بالفتح : الذي لم يحجَّ ، سُمي بذلك لصَرِّه على نفقته لأنه لم يخرجها في الحج ، وهذه الكلمة من النوادر ، ويُقال : صَرُوري وصارورة . اهـ.

(٣) « مَعْبَد بن صُبيحة » القرشي التيمي ، تابعي كبير من رهط « طلحة بن عبيد الله » ويُقال ابن صُبَيح ، روى عن عثمان وعلي ، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل للرازي ٢٧٩/٨ .
أقول : ذكره الطبري ٣١١/٤ بلفظ « معبد بن صُبيح » وكلاهما صحيح .

(٤) الضمير يعود على عثمان أي ذهب عثمان فتوضأ وأعاد الصلاة ، واستشهد بالآية الكريمة ﴿ ولم يصرُّوا ﴾ وهذا الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢١١/٤ ولم أره في الطبري أو الدر المنثور ، ولا في كتب التفسير .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في الاستغفار ٨٤/٢ برقم ١٥١٤ والترمذي في الدعوات ١٠/٤ من تحفة الأحوذي وقد ضعَّفه الألباني في الجامع الصغير ٨٢/٦ ولا يُعتد بتضعيفه ، فالحديث في =

وقال عبدُ اللَّهِ بن عُبَيْدِ بنِ عُمَير ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب اللهُ عليهم[1] .

١٥١ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** [آية ١٣٧] .

قال أبو عبيدة : السُّنَنُ : الأعلامُ[2] ، والمعنى على هذا : إنكم إذا سافرتم رأيتم آثار قومٍ هَلَكوا ، فلعلكم تتَّعظون !؟

١٥٢ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** .

قال الشعبي : هذا بَيَانٌ من العَمَى ، وهدىً من الضلالِ ، وموعظةٌ من الجهل[3] .

= مرتبة الحسن كما ذكره الحافظ ابن كثير حيث قال: ١٠٦/٢ : « رواه أبو داود ، والترمذي ، والبزار في مسنده ، وقول علي بن المديني : ليس إسناده بذلك ، فالظاهر إنما لأجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكنَّ جهالة مثله لا تضر ، لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبته إلى الصديق ، فهو حديث حسن ».. هذا قول الحافظ ابن كثير ، والقولُ لأمثال هؤلاء الحفاظ الأعلام .

أقول : الحديث رواه البزار في مسنده ، والحافظ أبو يعلى الموصلي ، ورواه كذلك أبو داود فهو حديث حسن .

(١) هذا قول مجاهد حكاه عنه ابن الجوزي في تفسيره ٤٦٤/١ والأولى أن المعنى : وهم يعلمون قبح الذنب ، وقال السدي : وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا ، وانظر الطبري ٩٨/٤ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٣/١ .

أقول : السنن جمع سُنَّة وهي الطريقة التي يُقتدى بها ، والمراد بها هنا الوقائع والأحداث التي حصلت للمكذبين ، وما اخترناه هو قول ابن عباس ، وانظر البحر المحيط ٦١/٣ .

(٣) ذكره الطبري عن الشعبي ١٠١/٤ وابن الجوزي في زاده ٤٦٥/١ .

١٥٣ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ١٣٩] .

قال أبو عبيدة : معناه : لا تضعفوا[1] .

قال أبو جعفر : من الوهن .

١٥٤ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ .. ﴾** [آية ١٤٠] .

يُقرأ « قُرْحٌ » ويُقرأ « قَرْحٌ »[2] وبفتحِ القاف والراء .

فالقَرْحُ مصدر قَرِح يَقْرَحُ[3] .

قال الكسائي : القَرْحُ والقُرْحُ واحد[4] .

وقال الفراء : كأنَّ القَرْحَ الجراحاتُ ، وكأن القُرْحَ الألمُ[5] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤/١ والمعنى : لا تضعفوا عن الجهاد بسبب ما أصابكم . قال الطبري : يُقال وَهَن فلان في هذا الأمر يعني ضعف .

(٢) كلاهما من القراءات السبع كما في النشر ٢٤٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢١٦ قال : وكلهم أسكن الراء .

(٣) في المصباح : قَرَحْتُه قَرْحاً من باب نَفَع : جرحته ، والاسم القُرْحُ بالضم يعني الجرح ، وقيل المضموم والمفتوح لغتان كالجَهد والجُهد .

(٤) هذا قول الزجاج أيضاً فقد قال في معانيه ٤٨٣/١ : هما عند أهل اللغة بمعنى واحد ، ومعناه الجراح وألمها . اهـ.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣٤/١ قال : القُرْحُ ألم الجراحات ، والقَرْحُ الجراح بأعيانها .

١٥٥ ـ ثم قال عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .. ﴾ [آية ١٤٠] .

أي تكون مرّة للمؤمنين ليُعزّهم اللّهُ عز وجل ، وتكون مرَّةً للكافرين إذا عَصَىٰ المؤمنون ، فأمَّا إذَا لم يعصُوا فإن حزبَ اللّهِ هم الغالبون[1] .

١٥٦ ـ ثم قال عز وجل ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آية ١٤٠] .

أي ليعلم الله صبر المؤمنين ، إذا كانت الغلبةُ عليهم ، وكيف صبرهم ؟

وقد كان سبحانه علم هذا غيباً[2] ، إلا أنَّ علم الغيب لا تقع عليه المجازاة .

فالمعنى : ليعلَمَهُ واقِعاً عِلْمَ الشهادة[3] .

---

(١) يريد أن الأيام دُوَل ، يوم لك ويوم عليك ، ويوم تُساء ويوم تُسر ، ولا تدوم الحياة على وتيرة واحدة ، قال الربيع : يُدال الكافر من المؤمن ، ويُبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب ، وأمَّا ما ابتلي به المؤمنون يوم أحد ، فكان عقوبة لهم بمعصيتهم رسول الله ﷺ . الطبري ١٠٥/٤ .

(٢) غرض المصنف أن الله تعالى عالم لا يخفى عليه شيء ، فليس المراد بقوله « وليعلم الله الذين آمنوا » أن يَظْهَر له المؤمن من الكافر ، والمطيع من العاصي ، إنما المراد ليكشف لعباده علمه المستور ، فيصبح أمامهم مكشوفاً ظاهراً لتقوم الحجة عليهم ، وهذا معنى قولهم : « ليعلم علم تبيين وإظهار ، لا علم بَداء ومعرفة » وانظر ما كتبه أبو حيان في البحر المحيط ٦٣/٣ .

وقال الضحاك : قال المسلمون الذين لم يحضروا بدراً : ليتنا لقينا العُدوَّ حتى نبلي فيهم ونقاتلهم [فلقي المسلمون يوم أحدٍ ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل][1] فقال ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ .

و « الظَّالِمُونَ » هنا : الكافرون أي لم يتخذوا هذه المحبة لهم[2] .

١٥٧ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آية ١٤١] .

قال مجاهد : « يُمَحِّصَ » يَبْتلي[3] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[4] : قرأت على أبي العباس « محمد بن يزيد » عن الخليل أن التمحيصَ : التخليصُ ، يُقال : مَحَصَه ، يَمْحَصُه ، مَحْصاً : إذا خَلَّصه[5] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من جامع البيان للطبري ١٠٧/٤ من كلام الضحاك ليتسق الكلام .

(٢) أي لم ينالوا محبة الله عز وجل لهم ، بسبب كفرهم وعصيانهم أمر الله .

(٣) انظر الطبري ١٠٧/٤ وابن الجوزي ٤٦٧/١ والبحر المحيط ٦٣/٣ .

(٤) كنية الإمام الزجاج ، و « محمد بن يزيد » هو الإمام المبرد شيخ النحاة ، وانظر معاني الزجاج ٤٨٥/١ .

(٥) قال أهل اللغة : التمحيص : التخليص ، يقال : محّصته إذا خلَّصته من كل عيب ، ومحصتُ الذهب بالنار : إذا خلصته مما يشوبه ، والتمحيص : الابتلاء والاختبار ، أفاده الجوهري ، ومعنى الآية كما في البحر ٦٣/٣ : أي يطهرهم من الذنوب ، ويخلِّصهم من العيوب ، ويصفِّيهم .

فالمعنى على هذا : ليبتلي المؤمنين ليثيبهم ، ويُخلِّصهم من ذنوبهم ، ويستأصل الكافرين .

١٥٨ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾** [آية ١٤٢] .

« لمَّا » بمعنى « لَمْ » إلاَّ أن « لمَّا » عند سيبويه جوابٌ لمن قال قد فَعَل ، و « لَمْ » جوابٌ لمن قال فَعَلَ(١) .

ومعنى الآية : ولَّما يعلِمِ اللهُ ذلك واقعاً منهم ، لأنه قد علمه غيباً(٢) .

وقيل : المعنى لم يكن جهاد فيعلمه اللَّهُ .

١٥٩ ــ **وقوله عزَّ وجل : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾** [آية ١٤٣] .

---

(١) هذا المعنى عن سيبويه وصَّحه أبو حيان في البحر ٦٦/٣ حيث قال : « ولمَّا يعلم الله » جملة حالية ، وهي نفي مؤكد لمعادله المثبت المؤكد بـ « قد » فإذا قلت : قد قام زيد ، ففيه من التأكيد والتثبيت ما ليس في قولك : قام زيد ، فإذا نفيته قلت : لمَّا يقم زيد ، وإذا قلت : قام زيد كان نفيه : لم يقم زيد ، قاله سيبويه وغيره ، وقال الزمخشري : «ولمَّا» بمعنى «لم» إلا أن فيه ضرباً من التوقع ، فدلَّ على نفي الجهاد فيما مضى ، وعلى توقعه في المستقبل ، تقول : وعدني أن يفعل كذا ولمَّا يفعل ، تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله . اهـ. البحر .

(٢) هذا نفي لما قد يتوهم أن الله تعالى كيف لم يعلم حالهم وجهادهم ؟ فنبَّه المصنف أنه قد علم ما سيحصل منهم بعلمه الأزلي الغيبي ، ولكنه يريد إظهاره واقعاً بملابستهم للجهاد عملاً وقولاً ، وهو معنى قول الجلالين « ولمَّا يعلم » علم ظهور ، وقال الطبري : « ولمَّا يعلم » أي ولمَّا يظهر لعبادي المجاهد منكم في سبيل الله .

قال ابن أبي نجَيح عن مجاهد : « كان قومٌ من المسلمين قالوا بعد بَدْرٍ ، ليتَ أنه يكون قتالٌ حتى نُبليَ ونقاتل !! فلمَّا كان يومُ أُحدٍ انهزم بعضُهم فعاتبهم الله على ذلك فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُموهُ ﴾[1] .

والتقديرُ في العربية : ولقد كنتم تمَنَّوْنَ سبَبَ الموت ، ثم حُذِفَ ، وسببُ الموتِ القتالُ .

١٦٠ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾ [آية ١٤٣] .

وقال بعض أهل اللغة : وأنتم تَنظرون محمداً[2] .

وقال سعيد الأخفش[3] ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ توكيدٌ[4] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ هذا القول : فقد رأيتموه حقيقةً ، وأنتم بصراءُ متيقنون[5] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ١٠٩/٤ والبحر المحيط ٦٧/٣ .

(٢) هذا المعنى ذكره الزجاج عن بعض أهل اللغة وهو بعيد ، لأنه لم يرد في هذه الآية ذكر للرسول فكيف يعود الضمير على غير مذكور ؟ والصحيح ما قاله الطبري وجمهور المفسرين أن الضمير يعود على الموت ، أي فقد رأيتم الموت وعاينتموه بأمِّ أعينكم ، حين قُتل من قُتل من إخوانكم ، وشارفتم على الموت .

(٣) هو سعيد بن مسعدة البلخي المشهور بالأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥هـ صاحب كتاب معاني القرآن ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٥٤/٣ ووفيات الأعيان ٢٠٨/١ ومرآة الجنان ٦١/٢ .

(٤) عبارة الأخفش في معانيه ٤٢١/١ : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ هذا توكيد كما تقول : قد رأيته والله بعيني ، ورأيته عياناً . اهـ .

(٥) هذا هو الراجح من أقوال المفسرين ، قال في البحر ٦٧/٣ : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ جملة حالية للتأكيد أي معاينين مشاهدين له ، حين قُتل من قُتل من إحوانكم وشارفتم أن تُقتلوا ، وقيل : وأنتم بصراء أي ليس بأعينكم عِلَّة ، وقيل : تنظرون في أسباب النجاة والفرار . اهـ .

١٦١ ـ وقوله عز وجل ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ [آية ١٤٤] .

معنى « خَلَتْ » : مَضَتْ .

١٦٢ ـ ثم قال تعالى ﴿ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ .. ﴾ [آية ١٤٤] .

قال قتادة : أَفَإِنْ مات نبيكم ، أو قُتِل ، رجعتم كفاراً[١] ؟

وهذا القول حسنٌ في اللغة ، وشبَّهه بمن رجع يمشي إلى خلفه بعد أن كان يمشي إلى أمامه .

﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

أي على أن هداهم وأنعمَ عليهم[٢] .

---

(١) الطبري عن قتادة ١١١/٤ والدر المشور ٨٠/٢ وهذا قول الربيع ، ومجاهد ، والسدي ، وغيرهم . فعلى هذا القول يكون معنى ﴿ انقلبتم على أعقابكم ﴾ أي ارتددتم عن دينكم ورجعتم إلى الكفر بعد الإيمان ، فهو من الردة عن الدين ، وذلك لما صرخ بعض المشركين بأن محمداً قد قُتل ، تزلزلت أقدام المؤمنين ، ودبَّ الرعب في قلوبهم ، وأمعنوا في الفرار ، وكانوا ثلاث فرق :
١ ـ فرقة قالوا : ما نصنع بالحياة بعد رسول الله ﷺ ؟ قاتِلوا على ما قاتل عليه ، وموتوا على ما مات عليه ، فقاتلوا حتى قُتلوا منهم « أنس بن النَّضر » عمُّ أنس بن مالك رضي الله عنه .
٢ ـ وفرقة قالوا : نُلقي إليهم بأيدينا ، فإنهم قومنا وبنو عمِّنا ، وهم الجبناء ضعفاء النفوس .
٣ ـ وفرقة أظهرت النفاق وقالوا : ارجعوا إلى دينكم الأول ، فلو كان محمد نبياً ما قُتل .
وانظر تفصيل الأقوال في الطبري ١٢٢/٤ .

(٢) الأَوْلى أن المراد بالشاكرين هنا : الذين صبروا على دينه ، وصدقوا الله فيما وعدوه ، وثبتوا في ميدان المعركة حتى استشهدوا ، كأنس بن النضر ، وسعيد بن الربيع ، والأنصاري الذي كان =

ويُقال : « انْقَلَبَ عَلَى عَقِبَيْهِ » إذا رجع عمَّا كان عليه[1] .

وأصلُ هذا من العاقبة ، والعُقْبَى ، وهما ما يتلو الشيء ويجب أن يتبعه ، وقال تعالى ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ومنه عَقِبُ الرِّجْلِ ، ومنه يُقال : جئتُ في عُقْبِ الشهر : إذا جئتَ بعد ما مَضَى ، وجئتُ في عَقِبه ، وعَقْبِهِ : إذا جئتَ وقد بقيتْ منه بقيَّةٌ[2] ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾[3] .

١٦٣ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا .. ﴾** [آية ١٤٥] .

المعنى : ومن يُرِدْ ثواب الآخرة بالعمل الصالح .

وهذا كلامٌ مفهومٌ معروفٌ معناه ، كما يُقال : فلانٌ يريدُ الجنة ، إذا كان يعمل عَمَلَ أهلِها ، ولا يُقَال ذلكَ للفاسقِ .

= مضرَّجاً بدمائه ، كما روى الطبري أن رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحَّطُ في دمه ، فقال يا فلان : أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قُتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم » وهذا القول اختيار الطبري وابن كثير ، وهو الأظهر .

(١) هذا من باب التمثيل ، فقد مثَّل تعالى من يرجع إلى دينه الأول ، بمن ينقلب على عقبيه ، وأصله من رجوع القهقرى .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ١٨٥/١ : تقول : جئت في عُقْبِ شهر رمضان ، وفي عُقبانه إذا جئت بعد أن يمضي كله ، وجئت في عَقِبه بكسر القاف إذا جئتَ وقد بقيت منه بقية ، حكاه ابن السكيت . اهـ .

(٣) سورة الرعد آية رقم (١١) والمراد بالمعقبات الملائكة الموكلون بالإنسان .

١٦٤ ـ وقولُه عز وجل ﴿ وَكَأَيِّـنْ مِنْ نَبِـيٍّ قُتِـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَثِيـرٌ .. ﴾ [آية ١٤٦] .

ويُقرأ « قَاتَلَ »[1] فمن قرأ « قُتِلَ مَعَهُ » ففيه عنده قولان :

أحدهما : رُوي عن عكرمة وهو أن المعنى : وكأيِّـنْ من نبيٍّ قُتِل[2]، على أنه قد تمَّ الكلام ، ثم قال « مَعَـهُ رِبِّيـونَ كَثِيـرٌ » بمعنى : ومعه رِبِّيُّونَ كثير .

وهذا قول حسنٌ على مذهب النحويين ، لأنهم أجازوا « رأيتُ زيداً السماء تُمطر عليه » بمعنى والسماءُ تمطرُ عليه .

والقولُ الآخرُ أن يكون المعنى : قُتِل معه بعضُ الربِّيين ، وهذا معروفٌ في اللغة أن يُقال : جاءني بنو فلان وإنما جاءك

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو « قُتل معه » وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي « قاتل معه » بألف ، وكلا القراءتين سبعية ، وانظر النشر ٢٤٢/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٧ .

(٢) رجح ابن جرير قراءة نافع « قُتِل معه ربِّيون كثير » على البناء للمفعول ، وقال : إنما عاتب الله عز وجل بهذه الآية الذين انهزموا يوم أحد ، وتركوا القتال حين سمعوا الصائح يصيح : إن محمداً قد قُتل ، فعاتبهم الله على فرارهم فقال : أفئن مات محمد ، أو قُتل ارتددتم عن دينكم ، وانقلبتم على أعقابكم ؟ ثم أخبرهم عمَّا كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم : هلَّا فعلتم كما كان أهل الفضل من أتباع الأنبياء قبلكم إذا قُتل نبيهم ؟! من المضيِّ على منهاجه ، ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر ، إذا قتل نبيهم صبروا لأعدائهم حتى يحكم الله بينهم ؟!

بعضُهم ، فيكون المعنى على هذا : قُتِل معه بعضُ الربِّيين[1] .

١٦٥ ــ **وقوله تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا .. ﴾** [آية ١٤٦] .

أي فما ضعف من بقي منهم ، كما قرىء ﴿ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ ، فِإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾[2] بمعنى فإن قتلوا بعضَكم .

والقولُ الأول على أن يكون التَّمامُ عند قوله : « قُتِلَ » وهو أحسنُ[3] ، والحديثُ يدلُّ عليه .

قال الزهري : صاح الشيطان يوم أُحدٍ قُتِل محمَّدٌ ، فانهزم

---

(١) هذا رأي الحسن البصري ، وسعيد بن جبير قالا : لم يُقتل نبي في حرب قط ، إنما قتل بعض أتباعه ، فقوله تعالى ﴿ قَاتَل معه ربيون كثير ﴾ المعنى : أن النبي قاتل لإعلاء كلمة الله ، وقاتل معه علماء ربانيون ، وعبّاد صالحون ، كثيرو العدد ، قاتلوا فقُتِل منهم من قُتل ، وبقي من بقي على قيد الحياة ، وحجة من اختار هذه القراءة ، أنهم لو قُتلوا لم يكن لقوله تعالى ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ وجه معروف ، لأنه يستحيل أن يُوصفوا بأنهم لم يَهِنوا ولم يضعفوا بعدما قتلوا ، قال في التسهيل ٢١٣/١ ويترجح هذا القول بأنه لم يُقتل قط نبي في محاربة .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٩١) وهذا على قراءة حمزة والكسائي « ولا تقتلوهم ... فإن قتلوكم » وقرأ الجمهور ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام فإن قاتلوكم ﴾ كلها بالألف ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧٩ .

(٣) رجح النحاس ما رجحه الطبري من القراءة الأولى ، لأن الآية التي قبلها تحدثت عن موضع قتل النبي ﴿ أفإن مات أو قُتل ﴾ فهذا يدل على ما رجحه الطبري ﴿ وكأين من نبي قُتل معه ربيون كثير ﴾ وقال أصحاب هذا الرأي : إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من المؤمنين ، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي منهم ، والله أعلم .

جماعةٌ من المسلمين(١) .

قال كعب بن مالك : « كنتُ أوَّلَ من عَرَف رسول الله ﷺ رأيتُ عينيه من تحت المِغْفَر ، فناديتُ بأعلى صوتي : هذا رسولُ الله ﷺ ، فأوَمأَ إليَّ أنِ اسْكتْ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾(٢) .

وقال عبدالله بن مسعود : الرِّبيون : الألوف الكثيرة(٣) .

وقال مجاهد وعكرمة والضحَّاك : الرِّبيّون : الجماعات(٤) .

وقال ابن زيد : الرِّبيّون : الأتباع(٥) .

ومعروف أن الرِّبَّة الجماعة ، فهم مَنْسوبون إلى الرِّبَّة ، ويقال

---

(١) سبب هزيمة المسلمين يوم أحد ، أن « ابن قُميئة » لعنه الله كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه ، فظن أنه قتل الرسول ، ونادى بأعلى صوته : قتلت محمداً ، وشاع الخبر بين الناس أن محمداً قد قُتل ، فدبَّ الرعب في قلوب كثير من المسلمين ، فولَّوا الأدبار ، إلا جماعة منهم ثبتوا في الميدان ، وقالوا : لا خير في الحياة بعد رسول الله ﷺ ، فتعالوا نقاتل على ما قاتل عليه ، ونموت على ما مات عليه ، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ مِنَ المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ﴾ الآية . وانظر تفسير ابن كثير ١٠٨/٢ وفتح القدير للشوكاني ٣٨٧/١ والمغازي للواقدي ٢٣٦/١ .

(٢) انظر كتاب المغازي للواقدي « غزوة أحد » ٢٥٠/١ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٠/٣ وسيرة ابن هشام ٨٣/٢ .

(٣) و(٤) و(٥) هذه الآثار عن السلف في تفسير الربيِّين مشهورة ، وقد ذكرها المفسرون : الطبري ١١٨/٤ وابن كثير ١١/٢ والبحر المحيط ٧٤/٢ وابن الجوزي ٤٧٢/١ وأظهر هذه الأقوال قول ابن عباس ومجاهد والضحاك أن المراد بها : الجموع الكثيرة ، وقال ابن كثير ١١١/٢ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي .

للخِرْقة التي يُجمع فيها القِداحُ : رِبَّةٌ ورُبَّةٌ ، والرِّباب : قبائل تجمَّعت .

وقال **أبان بن تغلب** : الرِّبِّيُّ : عشرة آلاف .

وقال **الحسن** ـ رحمة الله عليه ـ: هم العلماء الصُّبُرُ ، كأنّه أُخِذ من النِّسْبة إلى الرَّبّ تبارك وتعالى[1] .

١٦٦ ـ ثم قال تعالى ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [آية ١٤٦] .

أي فما ضعفوا .

والوَهْنُ في اللغة : أشدّ الضّعف[2] .

﴿ وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أي وما ذَلّوا[3] ، فعاتبَ الله عزّ وجلّ المسلمين بهذا ؛ لأنهم كانوا يتمنَّوْنَ القِتالَ .

---

(١) ذكره ابن جرير عن الحسن البصري ١١٨/٤ قال : فقهاء ، علماء ، ورواه عنه ابن كثير ١١١/٢ قال الحسن : علماء ، صُبُر ، أبرار ، أتقياء . اهـ. ولعله أخذه من لفظ الرباني وهو العالم الفقيه الورع .

(٢) قال في المصباح : وَهَن ، يَهِنُ ، وَهْناً : ضَعُف ، فهو واهن ، ويكون في الأمر ، والعمل ، والبدن ، ويُقال : وهنته : أضعفته ، فهو موهون ، والأجود أن يتعدى بالهمزة فيقال : أوهنته والوَهن بفتحتين لغة في المصدر ، يُقال : وَهِنَ يَهِنُ بكسرتين ، ومنهم من قرأ ﴿ فما وَهِنوا ﴾ بالكسر .

(٣) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ١١٣/١ ﴿ وما استكانوا ﴾ ما خشعوا وما ذلُّوا ، ومنه أُخذ المسكين ، قال ابن الجوزي ٤٧٢/١ : وفي معنى الآية قولان : أحدهما : ﴿ فما وهنوا ﴾ بالخوف ﴿ وما ضعفوا ﴾ بنقصان القوة ﴿ وما استكانوا ﴾ بالخضوع . والثاني : ﴿ فما وهنوا ﴾ لقتل نبيهم ﴿ وما ضعفوا ﴾ عن عدوهم ﴿ وما استكانوا ﴾ لما أصابهم .

وقرأ مجاهد فيما رُويَ عنه : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلُ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ وهي قراءةٌ حسنةٌ ، والمعنى : ولقد كنتم تَمَنَّوْنَ الموتَ أَنْ تلقوه من قبلُ أي من قبل أن تلقوه[1] .

١٦٧ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا .. ﴾ [آية ١٤٧] .

قال مجاهد : يعني الخَطايا الكبار[2] .

١٦٨ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ [آية ١٤٧] .

أي ثَبِّتْنَا على دينك ، وإذا ثَبَّتهم على دينه ثبتوا في الحرب ، كما قال : ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها ﴾[3] .

١٦٩ ـ وقال تعالى ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ [آية ١٤٨] .

قال قتادة : أُعطوا النّصرَ في الدُّنيا ، والنعيمَ في الآخرة[4] .

---

(١) هذه القراءة عن مجاهد بضم اللام وترك الإضافة ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ ليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها ابن عطية عنه في المحرر الوجيز ٣٤٥/٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٦٧/٣ قال : وقراءة مجاهد بضم اللام مقطوعاً عن الإضافة ، فيكون موضع « أن تلْقوه » نصباً على أنه بدل اشتمال من الموت ، والمعنى : كنتم تتمنون لقاء الأعداء ، وتتمنون الشهادة والموت في سبيل الله من قبل ذلك .

(٢) هذا قول الضحاك كما في البحر المحيط ٧٥/٣ وهو تفسير للإسراف في الأمر أنه يراد به الكبائر ، لأن الذنوب عامة قد ذكرت قبل في قوله تعالى ﴿ اغفر لنا ذنوبنا ﴾ .

(٣) سورة النحل آية رقم (٩٤) .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٢٢/٤ وزاد المسير ٤٧٣/١ قال في البحر ٧٦/٣ : وقال : ابن جريج : هو الظفر والغنيمة ، وقال الزمخشري : ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعِزّ ، وطيب =

١٧٠ ــ ثمّ قال عزَّ وجلَّ : ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ [آية ١٥٠] .

المولى : النَّاصرُ ، فإذا كان ناصرَهُم لم يُغلبوا .

١٧١ ــ وقوله عز وجل : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوْا بِاللَّهِ ماَ لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً .. ﴾ [آية ١٥١] .

قال النّبيّ ــ ﷺ ــ : « نُصِرتُ بالرُّعْب »[١] .

والسُّلطان : الحجّة ، ومنه ﴿ هلَكَ عَنّي سُلْطَانِيهْ ﴾[٢] أيْ حُجَّتِيَهْ .

١٧٢ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ [آية ١٥٢] .

قال قتادة : ﴿ تَحُسُّونَهُم ﴾ تقتلونهم[٣] .

= الذكر ، وقال النقاش : ليس إلّا الظفر والغلبة ، لأن الغنيمة لم تحلَّ إلا لهذه الأمة « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » قال أبو حيان : وهذا هو الصحيح ، كما ثبت في الحديث الصحيح .

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه البخاري ١/٣٦٩ ومسلم برقم ٥٢١ والنسائي ١/٢١٠ ولفظه : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرتُ بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً .. » الحديث ، وانظر تتمته في جامع الأُصول ٨/٥٢٩ .

(٢) سورة الحاقة آية رقم (٢٩) وقبلها ﴿ ما أغنى عني ماليه . هَلَكَ عني سُلطانيه ﴾ .

(٣) الطبري عن قتادة ٤/١٢٧ وهو قول مجاهد ، وابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وجمهور المفسرين ، قال الزجاج في معانيه ١/٤٩٢ : ﴿ تحسونهم ﴾ تستأصلونهم قتلاً ، والحسُّ : الاستئصال بالقتل .

قال أهل اللغة : أصله : الضرب على مكان الحِسِّ ، يُقال: حسه إذا ضربه على أماكن الشعور والإحساس ، وهي أماكن خطرة قال الشاعر :

حَسَسْنَاهُمُ بِالسَّيْفِ حَسًّا فَأَصْبَحَتْ بَقِيَّتُهُمْ قَدْ شُرِّدُوا وَتَبَدَّدُوا

١٧٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ [آية ١٥٢] .

أي : من هزيمة القوم ، و ﴿ فَشِلْتُمْ ﴾ جَبُنْتُم .

قال عبدالله بن مسعود : أمر النَّبيُّ ــ ﷺ ــ الرُّماةَ أنْ يَثْبُتوا مكانهم ، فكانت للنّبيّ ــ ﷺ ــ في أول شيءٍ[١] ، فقال بعضهم : نلحق الغنائم ، وقال بعضهم : نثبُتُ ، فعاقبهم الله بأن قُتِلَ بعضهم .

قال : وما عَلِمنا أنّ أحداً منّا يريدُ الدُّنيا حتَّى نزلت ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[٢] [آية ١٥٢] .

---

(١) أي كانت الغلبة والنصرة للمسلمين في أول المعركة ، وانهزم المشركون يولون الأدبار ، وكان ﷺ قد وضع خمسين من الرماة فوق الجبل ، وقال لهم : لا تبرحوا أماكنكم حتى ولو رأيتمونا تخطفتنا الطير ، سواءً انتصرنا أو انهزمنا لا تتركوا أماكنكم ، فلما التقى الجيشان لم تقو خيل المشركين على الثبات ، بسبب السهام التي أخذتهم في وجوههم من الرماة ، فانهزم المشركون ، فلما رأى الرماة ذلك قالوا : الغنيمة ، الغنيمة ، ونزلوا لجمع ما خلَّفه المشركون ، ونصحهم رئيسهم فلم يستجيبوا له ، فثبت ومعه عشرة أنفار ، فجاءهم المشركون من خلف الجبل ، فقتلوا بقية الرماة ، ونزلوا على المسلمين بسيوفهم من خلف ظهورهم ، فانقلب النصر إلى هزيمة ، وكان سببها مخالفتهم أمر الرسول عليه السلام ، فذلك قوله تعالى ﴿ من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ يعني النصر .

(٢) هذا قول عبد الله بن مسعود كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ١١٧/٢ قال ابن مسعود : « إن النساء كنَّ يوم أحد خلف المسلمين ، يُجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرَّ ، أنه ليس أحد من أصحاب رسول الله يريد الدنيا ، حتى أنزل الله عز وجل « منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة » . اهـ. ابن كثير .

قال(1) : معنى ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ ليختبركم ، وقيل معناه : ليبتليكم بالبَلاء(2) .

١٧٤ ــ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ .. ﴾ [آية ١٥٣] .

ويُقْرأُ : « تَصْعَدون » بفتح التاء(3) ، فمَن ضمَّها فهو عنده من أَصْعَد ، إذا ابتدأ السَّيْرَ ، ومَن فتحها فهو عنده من صَعِدَ الجبلَ وما أشبهه .

ومعنى ﴿ تَلْوُونَ ﴾ : تُعرِّجون(4) .

١٧٥ ــ ثم قال عزّ وجل : ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ .. ﴾ [آية ١٥٣] .

---

(1) الضمير يعود على ابن مسعود ، فقد فسَّر الابتلاء بالاختبار ، وهو قول الجمهور ، قال الطبري ١٣١/٤ : ﴿ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾ أي ليختبركم ، فيتميَّز المنافق منكم من المخلص ، والصادق في إيمانه من الكاذب .

(2) هذا قول أبي عبيدة كما في كتابه مجاز القرآن ١٠٥/١ قال : « ليبتليكم » أي ليبلوكم بمعنى يختبركم ، ويصح ليبتليكم بالبلاء ، وقال ابن عطية ٣٧٢/٣ ﴿ ليبتليكم ﴾ معناه : لينزل بكم ذلك البلاء من القتل والتمحيص .

(3) هذه قراءة الحسن ومجاهد ، وليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور ﴿ تُصْعِدون ﴾ من الإصعاد وهو الذهاب والإبعاد في الأرض ، والمراد به : الإبعاد في الهزيمة ، وهو الذي رجحه الطبري حيث قال : هو بمعنى السبق والهرب في مستوى الأرض . قال الفراء في معانيه ٢٣٩/١ : الإصعاد في ابتداء الأسفار والمخارج ، تقول : أصعدنا من مكة ومن بغداد إلى خراسان أي سرنا ، فإذا صعدت على السلم أو الدرجة قلت : صعدت لا أصعدت .

(4) أي لا تلتفتون على أحد ، ولا يستجيب أحدكم لغيره ، وهذا مبالغة في صفة الانهزام ، لِما دَهَمهم من الخطب المفزع .

قال أبو عُبيدة : معناه : في آخِركم[1] .

١٧٦ ــ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بغَمٍّ .. ﴾ [آية ١٥٣] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنّ مجاهداً قال : الغَمُّ الأوّل القتـلُ والجراحُ ، والغـمُّ الثـاني أنـه صاح صائـحٌ : قُتِـلَ محمَّـدٌ ، فأنساهـم الغـمُّ الآخرُ الغـمَّ الأوّلَ[2] .

والقول الآخر : أنّهـم غَمّـوا النّبـيَّ ــ ﷺ ــ في مخالـفتهم إيَّاه ؛ لأنّه أمرهـم أنْ يثبتُـوا فخالفـوا أمـره ، فأثـابهم اللـهُ بذلك الغـمّ غَمَّهُم بالنّبي ــ صلى الله عليه وسلم[3] .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيـدة ١٠٥/١ قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ بعـد أن فرُّوا عنـه في مؤخرة الجيش ، وكان يناديهم من ورائهم : « إليَّ عبادَ الله ، إليَّ عبـادَ الله ، أنـا رسول الله ، من يكر فله الجنة » وهم لا يلتفتون للنداء .

(٢) ذكره الطبري عن مجاهـد ١٣٥/٤ وهـو قول قتـادة أيضاً ، قال : أمـا الغـمُّ الأول فكـان بالجراح والقتل ، وأما الغمُّ الثاني فحين سمعوا أن الرسول ﷺ قد قتل ، فأنساهـم الغـمُّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجونه من الغنيمة والظفر ، فذلك حين يقول ﴿ لكيـلا تحزنـوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ .

(٣) هذا قول الزجاج واختاره الزمخشري وهو الأظهر ، فتكون الباء في قوله « بغمٍّ » للسببية ، والمعنى : فجازاكم الله وعاقبكم على صَنيعكم ، غماً بسبب غمكـم للرسول ﷺ ومخالفتكـم أمـره ، وفـراركم عنه ، وانظر معاني الزجاج ٤٩٣/١ وذهـب الطبري إلى أن الباء بمعنى « على » والمعنـى : فجـازاكم على معصيتكـم ومخالفتكـم أمـر الـرسول غمـاً على غم كقولـه تعـالى ﴿ ولأصلبنكـم في جذوع النخل ﴾ أي على جذوع النخل ، فيكون الغَمَّان حاصلَيْنِ للمؤمنين ، وقد رجح هذا القول ابـن القيم ، واعتمده ابن كثير .

ومعنى ﴿ فَأَثَابَهم ﴾[1] أي فأنزل بهم ما يقوم مقام الثواب ، كما قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] أي : الذي يقوم لهم مقام البشارة عذابٌ أليم ، وأنشد سيبويه :

تُرَادُ عَلَى دِمْنِ الحِيَاضِ فإنْ تَعَفْ
فَإِنَّ المُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرَكُوبُ[3]

أي الذي يقوم مقام التندية : الرِّحْلةُ والركوبُ .

١٧٧ ــ وقوله تعالى ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ .. ﴾ [آية ١٥٣] .

والمعنى « لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ » أنهم طلبوا الغنيمة [« وَلَا مَا أَصَابَكُمْ » في أنفسكم من القتل والجراحات][4] .

---

(١) هكذا ورد في المخطوطة ، والنص القرآني ﴿ فأثابكم غماً بغم ﴾ ولعلّ المصنف أراد المعنى اللغوي لا اللفظ القرآني .

(٢) سورة التوبة آية رقم (٣٤) والبشارة إنما تكون بالخير ، وتبشيرهم بالعذاب الأليم جار على أساليب العرب في السخرية والتهكم ، كقول الشاعر : « تحية بينهم ضرب وجيع » وانظر شواهد هذا القول في الطبري ١٣٤/٤ والبحر المحيط ٨٣/٣ .

(٣) البيت من شواهد سيبويه ، وهو لعلقمة بن عبدة الفحل في ديوانه ١٣٢ والمقتضب للمبرد ٩٢/٢ والخصائص لابن جني ٣٦٨/١ والمفضليات للضبي ٣٩٤ وشرح المفصل لابن يعيش ٥٠/٦ والشاعر يتحدث عن ناقته فيقول : إنه يعرضها على الحوض فيه شيء من القذى والبعر ، فإن عافته فليس لها إلا الركوب ، والتندية هي أن تُعرض الإبل على الماء ، ثم تترك لترعى ثم تورد على الماء مرة أخرى ، وفي المخطوطة « فإن تعد » وصوَّبناه من المفضليات .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من جامع البيان للطبري ١٣٥/٤ توضيحاً للآية .

١٧٨ ـ **وقوله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنةً نُعَاساً .. ﴾** [آية ١٥٤] .

الأَمَنَةُ ، والأَمْنُ واحدٌ ، وهو اسمٌ للمصدر(١) .

وروي عن أبي طلحة أنه قال : « نظرتُ يومَ أُحدٍ فلم أرَ إلاَّ ناعساً تحت تُرْسِهِ »(٢) .

١٧٩ ـ **ثم قال تعالى ﴿ يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ .. ﴾** [آية ١٥٤] .

﴿ يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ يعني بهذه الطائفة المؤمنين ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ يعني بهذه الطائفة المنافقين(٣) .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ٢٠٧١/٥ : الأَمْنُ : ضد الخوف ، والأَمَنَة بالتحريك : الأمن ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَمَنَةً نُعَاساً ﴾ .

(٢) ذكره الطبري عن أبي طلحة ١٤٠/٤ ولفظه : قال : « كنت ممن غشيه النعاس يوم أحد ، فكان السيف يسقط من يدي ثم آخذه من شدة النعاس ، ورفعتُ رأسي فجعلت ما أرى أحداً إلا تحت حجفته يميد من النعاس » .

أقول : وهذا من الآيات الباهرة ، فإن النعاس والنوم يطيران من عيني الخائف ، ولهذا كان من الآيات البينة ، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله « أمنة منه » أي أرسله أماناً لكم من عدوكم .

(٣) قال ابن كثير رحمه الله ١٢٥/٢ : أما الطائفة الأولى فهم أهل الإيمان واليقين ، والثبات والتوكل الصادق ، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله ، ويُنجز له مأموله ، والطائفة الأخرى هم المنافقون ، ليس لهم هَمٌّ إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه ، وأخذله للحق ، لا يغشاهم النعاس من القلق ، والخوف ، والجزع ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ، أن الإسلام قد بَادَ وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك ، إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة ، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة . اهـ .

١٨٠ ـ وقولُه تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ .. ﴾ [آية ١٥٤] .

أي يظنون أن أمر النبي ﷺ قد اضمحلَّ .

ثم قال تعالى ﴿ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي هم في ظنهم بمنزلة الجاهلية[1] .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آية ١٥٤] .

أي ينصر من يشاء ، ويخذل من يشاء .

١٨١ ـ وقوله عز وجل ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِم القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آية ١٥٤] .

أي لصاروا إلى بَرَازٍ[2] من الأرض .

١٨٢ ـ وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَاكَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آية ١٥٥] .

---

(١) هذا على حذف الموصوف أي يظنون ظنَّ أهل الجاهلية ، أو ظنَّ الفرقة الجاهلية ، والجاهلية هي الفترة التي كانت قبل الإسلام ، والمراد بهم أهل الإشراك ، فالمنافقون يظنون كظنِّ أهل الشرك أن الإسلام لن تقوم له قائمة ، ولن ترتفع له راية ، وهذا أولى مما قاله المصنف وهو اختيار الطبري .

(٢) في المخطوطة « إلى بران من الأرض » وهو تصحيف ، وصوابه : إلى بَرَاز من الأرض ، والبَرار هو المكان المنكشف كما قاله الزجاج ، وفي المصباح : البَرَاز : بالفتح ، الفضاء الواسع الخالي من الشجر ، وقيل الصحراء البارزة . اهـ. وانظر معاني الزجاج ٤٩٥/١ .

معنى « اسْتَزَلَّهُمُ » استَدْعَى أن يزلّوا[1] ، كما يقال : استعجلته ، أي : استدعيت أن يعجَلَ ، ومعنى ﴿ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوْا ﴾ أنه رويَ أن الشيطان ذكَّرهم خطاياهم ، فكرهوا القتل قبل التوبة ولم يكرهوا القتل معاندةً ولا نفاقاً ، فعفا الله عنهم[2] .

١٨٣ ـ وقوله عزّ وجلّ ﴿ وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا .. ﴾ [آية ١٥٦] .

روى عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هذا قول المنافق عبدالله بن أبيّ[3] .

١٨٤ ـ وقوله عز وجل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لاَ نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ .. ﴾ [آية ١٥٩] .

---

(١) أي أوقعهم في الزَّلَّة وهي الخطيئة ، والمراد بهم الذين انهزموا في أحد ، والذين خالفوا أمر الرسول ﷺ وتركوا الجبل .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٤٩٥/١ وهو قول مرجوح ، والذي حمله على هذا القول أن بعض الصحابة الكبار فرُّوا يوم أحد ، كعثمان وعليّ ، والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر ، فنحى هذا المنحى في تفسير الآية ، أنهم لم يفروا من الميدان معصية ونفاقاً ، إنما فرُّوا لأنهم خافوا أن يُقتلوا قبل التوبة ، والصحيح أن الشيطان لا يأتي الناس بهذه العظة ليخوِّفهم من الذنوب حتى يتوبوا ، ولكنه يغويهم ويحرِّضهم على فعلها ، وإنما كان فرارهم عن فزع وخوف ، حينما شاع بين الناس أن محمداً قد قتل ، فكان وقوعها كالصاعقة عليهم فطاشت أحلامهم .

(٣) هو « عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلُول » رأس النفاق والمنافقين ، فهو الذي أمرهم بالرجوع وقال ما قال ، وقد ذكر هذا القول عن مجاهد الطبري ١٤٦/٤ وجمهور من المفسرين .

الفَـظُّ في اللغـة : الغليـظُ الجانب ، السيِّءُ الخُلُـقِ ، يقـال : فَظِظْتَ تفِظُّ فظاظةً[1] ، ومعنى ﴿ لاَ نْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لتفرقوا ، هذا قول أبي عُبيدة[2] .

وكأنـه التفـرق من غير جهـة واحـدة . ويقـــال : فلان يفضُّ الغِطَاءَ ، أي يفرِّقه وفضضتُ الكتابَ ، من هذا .

١٨٥ ـ **وقوله عز وجـل ﴿ فَاعْـفُ عَنْهُـمْ ، واسْتَغْفِر لَهُـمْ ، وَشَاوِرْهُـمْ فِي الأَمْرِ .. ﴾** [آية ١٥٩] .

المشاورة في اللغة : أن تظهر ما عندك ، وما عند صاحبك من الرأي ، والشُّوَارُ : متاعُ البيت المرئيّ[3] . وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : أن الله أمر النبي ﷺ أن يشاورهم فيما لم يأت فيه وحي ، لأنه قد يكون عند بعضهم فيما يُشاوَرُ فيه علم[4] وقد يعرف

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ١٧٦/٣ : الفـظُّ : الرجـل الغليـظ ، وقـد فظِظْتَ يا رجـل بالـكسر فَظَاظة . وفي المصباح المنير مادة فَظَظَ : « رجل فظ » أي شديد غليظ القلب ، يقـال منـه فَظَّ يَفِظُّ من باب تَعِبَ فَظَاظَةً : إذا غلظ ، حتى يُهاب في غير موضعه .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيـدة ١٠٧/١ وهـو قول الـطبري والمفسريـن ، قال ابـن جريـر : وتأويـل الكلام : فبرحمةٍ من الله يا محمد ، لنتَ لأتباعك وأصحابك ، حتى احتمـلت أذاهـم ، وعفـوتَ عنهم ، ولو جفوتَ وأغلظتَ عليهم ، لتفرقوا عنك وتركوك .

(٣) في المصبـاح : الـمَشورة على وزن مَعُونـة هي من أَشَارَ الدابَّةَ : إذا عرضهـا في المشوار ، والشِّوار مثلَّث : متاع البيـت ، ومتاع رَحْل البعير .

(٤) قال الحسن البصري والضحاك : ما أمرَ الله تعـالى نبيـه بالمشاورة ، لحاجـة منـه إلى رأيهم ، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ، لتقتدي به أمته من بعده . اهـ. القرطبي ٢٥٠/٤ .

الناس من أمور الدنيا ما لايعرفه الأنبياء ، فإذا كان وحيٌ لم يشاورهم[1] .

والقول الآخر : أن الله عز وجل أمره بهذا ليستميل به قلوبَهم ، وليكون ذلك سُنَّةً لمن بعده[2] .

حدثني أحمد بن عاصم ، قال : حدثنا عبدالله بن سعيد بن أبي مريم قال : حدثنا أبي قال : حدثنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن ابن عباس ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ .

قال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[3] .

وقال الحسن : أمر بذلك صلى الله عليه وسلم لِتستنَّ به أُمَّتهُ[4] .

١٨٦ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ .. ؟ ﴾** [آية ١٦٠] .

---

(١) هذا قول الزجاج وإليه مال في معانيه ٤٩٨/١ قال : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ أي شاورهم فيما لم يكن عندك فيه وحي ، فأما ما فيه أمر من الله عز وجل ، فاشتراك الآراء فيه ساقط .

(٢) هذا القول مروي عن قتادة ، والربيع ، ومقاتل ، وإليه جنح الطبري في تفسيره ١٥٣/٤ حيث قال : « وأولى الأقوال بالصواب أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه ، فيما حزبه من أمر ، تألفاً منه لأصحابه ، وتعريفاً منه أمته ، ليقتدوا به فيتشاوروا فيما بينهم ، فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله سدَّدهم الله ووفَّقهم » .

(٣) أخرجه البيهقي في سننه ، والحاكم في المستدرك ٧٠/٣ وقال : صحيح ، ووافقه الذهبي ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٠/٢ وروى أحمد في المسند ٢٢٧/٤ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر : لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن الحسن ٩٠/٢ وروى عن الحسن أنه قال : ما شاور قومٌ قط إلا هُدوا لأرشد أمورهم . اهـ. الطبري ١٥٢/٤ .

الخذلانُ في اللغة : الترك ، ومنه يقال : تخاذَلَ القوم ، إذا انماز بعضهم من بعض ، ويُقال : ظبيةٌ خَاذِلةٌ ، إذا انفردت عن القطيع ، قال زهير :

بِجِيدِ مُغْزِلَةٍ أَدْمَاءَ خَاذِلَةٍ
من الظِّبَاءِ تُرَاعِي شَادِناً خَرِقَا[1]

١٨٧ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ .. ﴾ [آية ١٦١] .

وتقرأ (يُغَلَّ)[2] ، ومعنى ﴿ يَغُلَّ ﴾ يَخون ، وروى أبو صخرٍ ، عن محمد بن كعب في معنى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ قال : يقول : ماكان لنبيٍّ أن يكتم شيئاً من كتاب اللهِ عز وجل[3] .

و « يُغَلَّ » يحتمل معنيين :

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه ص ٣٥ من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان ، وقبله :
قَامَتْ تَبَدَّىٰ بِذِي ضَالٍ لِتَحْزُنَنِي وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشِقَا
والجيد العُنُق ، والمُغْزِلَة : الظبية التي معها غزال ، يقول : إنها بعنق ظبية خالصة البياض ، قد خذلت الظباء ، وقامت على ولدها ترعاه وتحتضنه لضعفه وصغره حذراً عليه ، وتركت القطيع .

(٢) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم « أن يَغُلَّ » بفتح الياء وضمِّ العين أي يخون ، وقرأ الباقون « يُغَلَّ » بضم الياء وفتح الغين أي ينسب إلى الخيانة ويُخوَّن ، وكلا القراءتين من القراءات السبع ، وانظر النشر للجزري ٢/٢٤٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢١٨ .

(٣) ذكر هذا القول الطبري ٤/١٥٦ وهو بعيد ، لأن سبب النزول يوضح المعنى ، فقد روي عن ابن عباس أن قطيفةً حمراء فقدت يوم بدر من المغنم ، فقال بعض الناس : لعلَّ النبي ﷺ أخذها . فنزلت الآية ، والغُلول : الخيانة في الغنيمة ، وهو أن يأخذ الإنسان منها خفية قبل القسمة ، وقد رجح الطبري قراءة « أن يَغُلَّ » وقال : ليس من صفات الأنبياء الغلول يعني الخيانة ، ومعنى الآية : لا يصح ولا يستقيم ولا يُتصور من نبي من الأنبياء أن يخون في الغنيمة ، لأن من صفات الأنبياء الأمانة فكيف يُقارف الخيانة ؟

أحدهما : أن يُلْفَى غَالاً ، أي خائناً كما تقول : أحمدتُ الرجلَ : إذا أصبتَه محموداً ، وأحْمَقتهُ : إذا أصبتَه أحمقَ .

قالوا : ويقوِّي هذا القولَ ، أنه روي عن الضحّاك أنه قال « يُغَلَّ » يبادر الغنائم لئلا تؤخذ .

والمعنى الآخر ، أن يكون (يُغَلَّ) بمعنى يُغَلّ منه ، أي يُخَانَ منه[1] .

وروى عن قتادة أن معنى (يُغَل) يُخانُ[2] .

وقد قيل فيه قولٌ ثالث ، لا يصحُّ ، وهو أن معنى (يُغَلَّ) يُخوَّنُ ، ولو كان كذلك لكان يُغلَّل[3] .

١٨٨ ــ **ثم قال عز وجل ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾** [آية ١٦١] .

وَرُوي : عن النبي ﷺ أنه قال : « لا أعْرِفنّ أحَدَكم يأتي يوم

(١) أي يُخان من جهته ومن طرفه بمعنى أن يُتّهم بالخيانة ويُخشى من جانبه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٥٧/٤ وهو قول الحسن أيضاً قال : أن يُخان ويغله أصحابه أي يتهمه أصحابه بالخيانة .

(٣) هذا القول الثالث الذي أشار إليه المصنف ، وقال : لا يصحُّ ، هو قول الفراء كما في معانيه ٢٤٦/١ فقد قال : وقُرِئ « أن يُغَلَّ » يريدون أن يُسَرَّق أو يُخَوَّن ، قال : وذلك جائز وإن لم يقل : يُغلَّل .. إلخ .

أقول : أجاز هذا القول الزجاج ، وردَّه ابن قتيبة في غريب القرآن ص ١١٥ حيث قال : ومن قرأ « يُغَل » أراد أن يخان ، ويجوز أن يكون يُلْفَى خائناً ، وقال الفراء « يُغَل » أراد : يخوَّن ، ولو كان المراد هذا المعنى لقيل : « يُغَلَّل » كما يقال : يُفَسَّق ، ويُخوَّن ، ويُفجَّر » . اهـ. غريب القرآن .

القيامة ، ومعه شاةٌ لها ثُغَاءٌ ، فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملِكُ لك من اللَّهِ شيئاً »[1] .

والغُلولُ في اللغة : أن يأخذ من المغنم شيئاً ، يستره عن أصحابه ، ومنه يُقال للماءِ الذي يجري بين الشجر : غَلَلٌ ، كما قال الشاعر :

لَعِبَ السُّيُولُ بِهِ فَأَصْبَحَ مَاؤُهُ
غَلَلاً يُقَطَّعُ فِي أُصُولِ الخِرْوَعِ[2]

ومنه الغِلاَلَة ، ومنه يقال : تغَلغَل فلان في الأمر ، والأصل : تغلَّلَ .

ومنه : في صدره عليَّ غِلٌّ[3] : أي حِقدٌ ، ومنه : غَلَّلتُ لحيتي وغلَّيتُها .

١٨٩ ــ وقولُه عز وجل ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ .. ﴾ ؟ [آية ١٦٢] .

---

(١) هذا طرف من حديث ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٥٨/٤ وابن كثير في تفسيره ١٣٢/٢ وبهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب الستة ، وإنما رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٢ بلفظ : « لأُلفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء .. » الحديث ورواه البخاري في الجهاد . ومسلم في الإمارة ١٠/٦ .

(٢) البيت للحُوَيدِرَة يصف ماءً جارياً تغلغل في أصول الشجر ، وقد استشهد به في لسان العرب مادة « غَلَلٌ » على أن الغلل هو الماء الذي يجري بين الشجر ، وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٦/٤ .

(٣) الغِلُّ بكسر الغين : الحقد ، قال تعالى ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ سورة الحِجْر آية رقم (٤٧) .

قال الضحاك « أفمن اتَّبعَ رضوان اللَّهِ » من لم يَغُلّ ﴿ كَمَنْ بَاَء بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ كَمْن غلَّ[1] ؟

ومعنى « بَاءَ » : احتَمَل[2] .

١٩٠ ــ **ثم قال عز وجل** ﴿ **هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [آية ١٦٣] .

قال مجاهد : المعنى : لهم درجاتٌ عند الله ، والتقدير في العربية : هم ذَوُوْ دَرَجَاتٍ ، ثم حذف ، والمعنى : بعضهم أرفع درجةً من بعض[3] .

وقيل : « هُمْ » لمن اتَّبع رضوان اللَّهِ ، ولمن باء بسخطه ، أي : لكل واحدٍ منهم جزاء عمله بِقَدَرٍ[4] .

---

(١) الأثر رُوي عن سعيد بن جبير والضحاك كما في الطبري ٤/١٦١ وابن الجوزي ١/٤٩٣ ورجحه الطبري قال : لأنه جاء عقيب وعيد الله على الغلول ، واختار ابن كثير والجمهور العموم في اللفظ كما قال ابن كثير ٢/١٣٦ المعنى : « لا يستوي من اتَّبع رضى الله فيما شرعه ، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، ومن استحقَّ غضب الله وأُلزم به » . اهـ.

(٢) في المصباح المنير : باء ، يبوء : رجع ، وبَاءَ بحقِّه : اعترف به ، وباء بذنبه : ثَقُل به . وفي الحديث : (أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ وأبوءُ بذنبي) أي أقرُّ وأعترف .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد في جامع البيان ٤/١٦٢ واختار الطبري وابن كثير قول الحسن البصري أنها تعمُّ أهل الخير وأهل الشر ، قال الطبري : أي هم مختلفو المنازل عند الله ، فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ، ولمن باء بسخط الله المهانة والعذاب الأليم .

(٤) يعني أنه راجع إلى الفريقين ، وهو قوله تعالى ﴿ هم درجات عند الله ﴾ وهو قول ابن عباس ، وقد رجحه الطبري وابن كثير ، والمراد أن الطائعين لهم درجات ، والعُصاة لهم دركات ، فاكتفى بذكر الأول عن الثاني .

١٩١ ــ وقوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾[١] [آية ١٦٤] .

أي : ممن يعرفونه بالصدق والأمانة ، وجاءهم بالبراهين ، ولم يعرفوا منه كذباً قطُّ[٢] .

١٩٢ ــ وقوله عزَّ وجل ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ [آية ١٦٥] .

قال الضحاك : قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً ، وقُتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأُسر سبعون ، فذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ يوم بدر ، ويوم أحد[٣] .

ومعنى ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ بذنبكم ، وبما كسبت أيديكم[٤] ، لأن الرّماة خالفوا النبي ﷺ ولم يثبتوا كما

---

(١) في المخطوطة « منهم » وصوابه ما أثبتناه « من أنفسهم » فهي هكذا في آل عمران وأمّا « منهم » فقد وردت في سورة الجمعة آية رقم (٢) .

(٢) قال الغرناطي في التسهيل ٣٢٠/١ « من أنفسهم » في الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به وعدم الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حَسَبه ، وصدقه ، وأمانته ﷺ ، ويكون أشفق عليهم من القريب .

(٣) هذا قول ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وجماعة من السلف كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٥/١ قال الحافظ ابن كثير ١٣٧/٢ : ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يعني يوم بدر ، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً ، وأسروا سبعين أسيراً . اهـ .

أقول : هذا رأي الجمهور أن المراد بإصابة المثلين هو ما كان يوم بدر من القتل والأسر ، وأما الزجاج في معانيه ٥٠٣/١ فقد جعل الإصابة في وقعتين فقال ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يعني أصبتم في يوم أُحُدٍ مثلها ، وأصبتم يوم بدر مثلها ، وهو خلاف رأي الجمهور .

(٤) انظر تفسير الطبري ١٦٥/٤ .

أمرهم[1] .

ومعنى (أَوِ ادْفَعُوا) أي كَثِّرُوا وإن لم تقاتلوا[2] ، ومعنى ﴿ فَادْرَءُوا ﴾ : فادفعوا .

١٩٣ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آية ١٦٩] .

رُوِيَ أن أرواح « الشُّهداء » تَسْرح في الجنّةِ حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ عند العرش[3] .

١٩٤ ــ وقولُه عز وجلَّ : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آية ١٧٠] .

---

(١) المراد أنهم بمعصيتهم أمر الرسول ﷺ نالهم ما نالهم من بلاء ، فسبب النكبة في أُحُد هو المخالفة والعصيان .

(٢) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي أن المراد التكثير بالعدد ، ليخيفوا الأعداء بكثرتهم .

(٣) الحديث في صحيح مسلم ١٥٠٢/٣ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر ، لها قناديل معلّقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطّلع إليهم ربهم اطّلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا ، قالوا : يا ربِّ : نريد أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا » . اهـ. صحيح مسلم .

المعنى : لم يلحقوا بهم في الفضل ، وإنْ كان لهم فضل[1] .

١٩٥ ـ وقولُه عزَّ وجل ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ١٧١] .

والمعنى : ويستبشرون بأن الله لايضيع أجر المؤمنين .

ويُقرأ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ ﴾ بكسر الألف[2] ﴿ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على أنه مقطوع من الأول .

والمعنى : وهو سبحانه لا يُضيع أجر المؤمنين ، ثم جيء بإنّ توكيداً .

١٩٦ ـ وقولُه عز وجل ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ .. ﴾ [آية ١٧٢] .

رَوَىٰ عكرمة عن ابن عباس « أن المشركين يوم أحد ، لمَّا انصرفوا فبلغوا إلى الرَّوحاء[3] ، حرَّض بعضُهم بعضاً على الرجوع

---

(١) هذا المعنى نقل عن الزجاج ، كما هو في معانيه ٥٤/١ والأظهر أن المراد بقوله ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ أي يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم ، لأنهم يرجون لهم الشهادة مثلهم ، حتى ينالوا مثل ما نالوه من الفضل والنعيم ، وهذا ما ذهب إليه ابن جرير ، وابن كثير ، وهو قول الجمهور ، وانظر جامع البيان ١٧٤/٤ وتفسير ابن كثير ١٤٢/٢ .

(٢) هذه قراءة الكسائي وحده ، وقرأ الباقون ﴿ وأنَّ اللهَ ﴾ وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٩ وعلى قراءة الجمهور يكون المعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، ويستبشرون بأن الله لا يُضيع أجر المؤمنين .

(٣) الرَّوْحاء : مكان قريب من المدينة المنورة ، وهو مكان واسع رحب على بعد (٨) ثمانية أميال من المدينة ، وهو المكان الذي اشتهر بحمراء الأسد ، وبه سميت « غزوة حمراء الأسد » وانظر معجم البلدان ٧٦/٣ .

لمقاتلة المسلمين ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فندب أصحابه للخروج ، فانتدبوا حتى وافوا يعني « حمراء الأسد » وهي على ثمانية أميال من المدينة ، فأنزل الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾(1) .

١٩٧ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فاخشوهم .. ﴾** [آية ١٧٣] .

قيل : إنه يعني بالناس « نُعيم بن مسعود » وجَّهه أبو سفيان يُثَبِّطُ أصحاب النبي ﷺ ، ومجازُه في اللغة أن يُراد به نُعيم وأصحابُهُ .

وقال ابن اسحاق (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) هم نفر من عبد القيس(2) .

---

(1) ذكره في الدر المنثور ١٠١/٢ وعزاه إلى النَّسائي ، وابن أبي حاتم ، والطبراني بسند صحيح عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما رجع المشركون عن أُحُد ، قالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما ما صنعتم ، ارجعوا إليهم ، فسمع رسول الله ﷺ فندب المسلمين ــ أي حثَّهم على الخروج على كثرة ما بهم من جراح ــ فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد .. » الحديث ، وفي رواية ابن جرير أن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة هو وجماعته ، فنزلت الآية ﴿ الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ .

(2) تفصيل الخبر كما رواه أصحاب السير : أن رسول الله ﷺ لمَّا خرج إلى حمراء الأسد بعد أحد ، وندب المسلمين للخروج معه لملاقاة المشركين ، بلغ ذلك أبا سفيان ، فمرَّ عليه ركبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة ، فجعل لهم أبو سفيان حمل بعير من زبيب ، على أن يُثَبِّطوا المسلمين عن اتباع المُشركين ، فخوفوهم بهم ، وقالوا لهم : إن أبا سفيان قد جمع لحربكم جموعاً لا طاقة لكم بها فارجعوا ، فقال المسلمون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فالمراد بالناس الأول : =

قالوا : إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم .

ثم قال تعالى ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ أي : فزادهم التخويفُ إيماناً وقالوا ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ أي كافينا الله ، يقال : أَحْسَبَهُ : إذا كفاه[1] .

١٩٨ ـ وقوله عز وجل ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوْءٌ ﴾ [آية ١٧٤].

قال عكرمة عن ابن عباس : لمَّا وافوا بدراً وكان أبو سفيان قد قال لهم : موعدكم بدراً موضع قتلتم أصحابنا ، فوافق النبيُّ ﷺ وأصحابه بدراً ، واشترى المسلمون بها أشياء ربحوا فيها[2] .

= ركبُ عبد القيس ، والمراد بالناس الثاني : مشركو قريش ، وقيل : نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا ببدر في القابل ، فقال رسول الله إن شاء الله ، فلما كان العام القابل ، خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد ، ودبَّ الخوف في قلب المشركين ، فأرسل أبو سفيان « نعيم بن مسعود الأشجعي » ليثبِّط المسلمين حتى يرجعوا ، فأبوا الرجوع وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .. إلخ . فعلى هذا القول المراد بالناس الأول « نعيم » وإنما قيل له : « الناس » لأنه واحد من جنس الناس ، كما تقول : ركبت الخيل : إذا ركبت فرساً منها ، ففيه مجاز من إطلاق الكل وإرادة البعض .

(١) في المصباح المنير مادة حسب : يقال : حَسْبُكَ درهم أي كافيك ، وأَحْسَبَني الشيء بالألف أي كفاني ، قال القرطبي : مأخوذ من الإحساب وهو الكفاية . اهـ.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٨١/٤ وتفسير ابن كثير ١٤٦/٢ والبحر المحيط ١٧٠/٣ والدر المنثور للسيوطي ١٠١/٢ وتسمَّى هذه الغزوة « غزوة بدر الصغرى » كما ذكره ابن جرير في تفسيره ١٨١/٤ ويسمّيها البعض « غزوة بدر الموعد » قال الحافظ ابن كثير بعد سرد الروايات : وهكذا قال عكرمة ، وقتادة ، وغير واحد : أن سياق الآية نزل في شأن « حمراء الأسد » وقيل : نزلت في بدر الموعد ، والصحيح الأول .

فالمعنى على هذا ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ من انصراف عدوّهم ، وفضلٍ في تجارتهم[1] .

١٩٩ ــ **وقولُه عزَّ وجل ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ .. ﴾** [آية ١٧٥] .

يقال : كيف يخوّف من تولاّه ؟[2]. فرُوِيَ عن ابراهيم النَّخَعي : يُخوِّفكم أولياءَهُ[2] ، قيل : هذا حسَنٌ في العربية ، كما تقول : فلانٌ يعطي الدنانير ، أي يُعطي النَّاسَ الدنانير ، والتقدير على هذا : يخوف المؤمنين بأوليائه ، ثم حذفت الباءُ وأحد المفعولين ، ونظيرُه قوله عز وجل ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شديداً ﴾ المعنى : لينذركم ببأسٍ شديد ، وأنشد سيبويه فيما حذفت منه الباء :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ
فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ[3]

وأولياؤه ها هنا الشياطين ، وقد قيل : إن معنى ﴿ يُخَوِّفُ

---

(١) المهم أنهم رجعوا بنعمة السلامة ، حيث لم يلقوا عدواً ، وبفضل الأجر والثواب ، وبالربح في التجارة ، فقد مرَّت بهم عير محملة بالطعام ، فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالاً ، فقسمه بين أصحابه ، كما في رواية البيهقي عن ابن عباس .

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في الطبري ١٨٣/٤ والمعنى : يخوِّف المؤمنين بأوليائه أو من أوليائه ، وقال الحسن والسدي المعنى : يخوِّف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين ، فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه . اهـ.

(٣) البيت من شواهد سيبويه ص ٧٠ وهو لعمرو بن معديكرب كما في كتاب المحتسب لابن جني ٥١/١ وشواهد المغني ٧٢٧/٢ وقد تقدم في صفحة (٣١) من هذا الجزء .

أَوْلِيَاءَهُ ﴾ يخوّف المنافقين[1] الفقر حتى لا يُنفقوا لأنهم أشدّ خوفاً .

٢٠٠ ــ **وقولُه عز وجل ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا .. ﴾** [آية ١٧٨] .

في معناه قولان:

أحدهما : ما رواه الأسود عن عبدالله بن مسعود أنه قال : الموتُ خيرٌ للمؤمنِ والكافر ، ثم تلا ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ ﴾ و ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا إِثْماً ﴾[2] .

والقول الآخر أن هذه الآية مخصوصة أريد بها قوم بأعيانهم لايسلمون[3] كما قال جل وعز ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[4] .

---

(١) ذكر هذا القول الطبري وعزاه إلى السدي ١٨٤/٤ قال : ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين أي يعظِّم أولياءه في صدوركم فتخافونهم ، واختار القول الأول أن المراد يخوفكم الشيطان بأوليائه ، ويدل عليه قوله ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن عبد الله بن مسعود ١٨٧/٤ ولفظه « ما من نفس برَّةٍ ولا فاجرة إلَّا والموت خير لها ، وقرأ عبد الله ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا .. ﴾ الآية ، وقرأ ﴿ نُزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار ﴾ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود ، وأخرجه عبد بن حميد عن أبي بَرزة قال : ما أحد إلَّا والموت خير له من الحياة ، فالمؤمن يموت فيستريح ، وأما الكافر فقد قال الله تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ﴾ .

(٣) هذا القول نقله بعض المفسرين عن الزجاج كما في معانيه ٥٠٧/١ حيث قال : « وهؤلاء قوم أعلم الله النبي ﷺ أنهم لا يؤمنون أبداً ، وأن بقاءهم يزيدهم كفراً وإثماً » . اهـ .

(٤) سورة الكافرون آية رقم (٣) .

٢٠١ ـ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ .. ﴾ [آية ١٧٩] .

قال قتادة : حتى يميز الكافر من المؤمن(١) .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : حتى يميز المؤمن من المنافق ، وكان هذا يوم أحد ، بيَّن فيه المؤمن من المنافق ، حتى قُتِل من المسلمين من قُتِلَ(٢) .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ ﴾ [آية ١٧٩] .

أي : ليس يخبركم من يُسلم ، ومَنْ يموت على الكفر .

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال مجاهد : أي يُخْلِصهُمْ لنفسِهِ .

٢٠٢ ـ وقولُه عز وجلَّ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

---

(١) الطبري عن قتادة ١٨٨/٤ قال : حتى يميز بينهم في الجهاد والهجرة ، وكذا في الدر المنثور ١٠٤/٢ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١٨٧/٤ وابن كثير ١٥٠/٢ وابن الجوزي ٥١١/١ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٢ ورجح ابن جرير هذا القول فقال : وهذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين ، وهذه في سياقتها ، فكونها بهم أشبه . اهـ. وحذا حذوه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥٠/٢ حيث قال : والمعنى : لا بدَّ أن يَعْقِد سبباً من المحنة ، يظهر فيه وليُّه ، ويفتضح فيه عدوُّه ، يُعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم ، وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ ، وهتك به ستر المنافقين ، فظهر نكولهم عن الجهاد ، وخيانتهم لله ولرسوله . اهـ.

فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًاً لَهُـمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌ لَهُـمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آية ١٨٠] .

في الآية قولان :

أحدهما : أنه يرادُ به اليهودُ ، لأنهم بخلوا أن يُخبِروا بصفة النبيّ ﷺ ، فهي على هذا للتمثيل أي سيُطوَّقونَ الإثمَ[(١)].

والقولُ الآخر : وهو الذي عليه أهل الحديث ، أنه رَوَىٰ أبو وائل عن عبدالله ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « ما من رجل له مالٌ ثم بخل بالحقِّ في ماله ، إلاَّ طُوِّق يومَ القيامةِ شُجَاعاً أقرعَ ، ثم تلا مصدَاقَ ذلك ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بخِلُوْا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[(٢)] .

---

(١) هذا قول بعض المفسرين ، وهو قول مرجوح اختاره الزجاج ، وهو مروي عن مجاهد . والقول الراجح الذي عليه الجمهور أن الآية نزلت في البخل والمال ، وعدم الإنفاق في سبيل الله ، وعدم أداء الزكاة المفروضة ، وهو اختيار ابن كثير وأكثر المفسرين ، قال ابن كثير ١٥١/٢ المعنى : لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه ، بل هو مضرَّة عليه في دينه ودنياه ، وقيل : نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، والصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه . اهـ.

(٢) الحديث ذكره المصنف بالمعنى ، وقد أخرجه البخاري في صحيحه ٢٧٣/٨ بلفظ « من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته ، مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع — أي ثعباناً ذكراً تساقط شعره من كبره — له زبيبتان ، يطوَّقُه يوم القيامة ، فيأخذ بلهزمتيه — يعني بشدقيه — ثم يقول : أنا مالك ، أنا كَنْزك ، ثم تلا هذه الآية ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .. ﴾ الآية وأخرجه بنحوه أحمد في المسند ٣٧٧/١ والنسائي في كتاب الزكاة ١١/٥ والترمذي في التفسير ٣٦٣/٨ من تحفة الأحوذي ، والحاكم في المستدرك ٢٩٨/٢ وانظر تفسير ابن كثير ١٥٢/٢ والدر المنثور للسيوطي ١٠٥/٢ .

٢٠٣ ـ ثم قال عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آية ١٨٠] .

العرب تسمي كل ما صار إلى الإنسان ، ممَّا قد كان في يد غيره : ميراثاً ، فخوطبوا على ما يعرفون ، لأن الله يُغْنِي الخلقَ وهو خيرُ الوارثين[١] .

٢٠٤ ـ وقولهُ عز وجل ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا : إنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آية ١٨١] .

قال الحسن : لمَّا نزلتْ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضَاً حَسَنَاً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافَاً كَثِيرَةً ﴾[٢] .

قالت اليهود : أَوَ هو فقيرٌ يستقْرِضُ ؟ يُموِّهــون بذلك على ضعفائهم ، فأنزل اللهُ عزَّ وجل ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[٣] .

---

(١) هذا إخبار بأنه تعالى حي باق لا يموت وهو الوارث لعباده بعد فنائهم ، قال الفراء في معانيه ٢٤٩/١ المعنى : يميت الله أهل السموات وأهل الأرض ، ويبقى وحده ، فذلك ميراثه تبارك وتعالى ، أنه يبقى ويفنى كل شيء ، وكذلك قال الطبري ١٩٣/٤ : أنه الحيُّ الذي لا يموت ، والباقي بعد فناء جميع خلقه .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

(٣) ذكره الطبري عن الحسن البصري ١٩٥/٤ وابن كثير ١٥٣/٢ وابن الجوزي ٥١٥/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور بأوسع من هذا ١٠٥/٢ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : « دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت مدراس اليهود ـ أي البيت الذي يدرس فيه أحبارهم التوراة ـ فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم اسمه « فنحاص بن عازوراء » وكان من علمائهم وأحبارهم ، فقال له أبو بكر : اتَّقِ اللهَ وأسْلِم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، =

المعنى : إنه على قول محمد فقيرٌ ، لأنه اقترض منّا[1] !!
فكفروا بهذا القول لأنهم أرادوا تكذيب النبي ﷺ به ، وتشكيكاً للمؤمنين في الإسلام .

٢٠٥ ـ **ثم قال تعالى ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾** أي سنُحصيه ، ويجوز سَيَكْتُبُ[2] ما قالوا ، أي : سيَكتبُ اللهُ ما قالوا .

٢٠٦ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحرِيقِ ﴾** أي : عذاب النار ، لأن من العذاب ما لايحرِقُ .

٢٠٧ ـ **وقوله عز وجل ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالكِتَابِ المُنِيرِ ﴾ .**

= فقال : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا !! فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال يا عدو الله : والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك ، فذهب فنحاص يشكو أبا بكر إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل أبو بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال يا رسول الله : إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وهم أغنياء ، فغضبت لله وضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير .. ﴾ الآية وانظر تفسير الطبري ١٩٤/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٥١٤/١ .

(١) لا حاجة إلى هذا التأويل بل قالوا ذلك علناً وجهاراً ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، ولا عجب أن يصدر مثل هذا السفه من اليهود ، فقد قالوا ما هو أشنع في الذات الإلهية اتهموه بالبخل ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا ﴾ !!

(٢) قرأ حمزة وحده « سَيُكْتَب » بالبناء للمجهول وقرأ الباقون « سنكتب ما قالوا » بالنون بصيغة الجمع ، وكلاهما من القراءات السبع ، وأما ما أورده المصنف فيجوز لغة لاقراءةً ، لأن القراءات توقيفية ، ولا يُقرأ بالوجوه النحوية واللغوية ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢٤٥/٢ .

الزُّبر : جمع زبور ، وهو الكتاب ، يُقال : زَبَرْتُ إذا كتبت[1] .

٢٠٨ ـ ثم قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [آية ١٨٥] .

وهذا تمثيلٌ ، والمعنى : كل نفسٍ ميِّتةٌ ، وأنشد أهل اللغة :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِماً
لِلْمَوْتِ كأسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا[2]

٢٠٩ ـ ثم قال جل وعزّ ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ .. ﴾ [آية ١٨٥] .

﴿ زُحْزِحَ ﴾ : نُحِّيَ[3] ، و ﴿ فَازَ ﴾ : إذا نجا واغتبط بما هو فيه ، فأما

(١) في المصباح المنير : زبرتُ الكتاب زَبْراً : كتبته فهو زبور ، فعول بمعنى مفعول ، وجمعه زُبُر بضمتين ، وكذا قال في الصحاح .

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت وهو في ديوانه ٤٢١ بلفظ « الموتُ كأس والمَرْءُ ذَائِقُها » وقبله قوله :

يُوْشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

والبيت في عيون الأخبار ٣٧٤/٢ والأغاني ١٧٩/٣ والقرطبي ٢٩٧/٤ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١١١/١ وغريب الحديث للخطابي ٤٤٦/١ واللسان ، والصحاح مادة « عَبَطَ » قال الأزهري : ومعنى « مات عَبْطَةً » أي شاباً صحيحاً من غير علة . اهـ .

(٣) الزَّحزحة : التنحية والإبعاد ، وهي تكرير الزَّحِّ وهو الجذب بعجلة ، هكذا قال أهل اللغة ، ومعنى الآية : ﴿ فمن زحزح عن النار ﴾ أي فمن نُحِّي عن النار وأُبعد عنها فقد فاز بمطلوبه .

قولهم : مفازة ، فإنما هو على التفاؤل[1] ، كما يُقال للأعمى : بصيرٌ ، وقد قيل : إن مفازةً من قولهم : فوَّز الرجل : إذا مات[2] ، وهذا القول ليس بشيء ، لأن قولهم : فوّز الرجل ، إنما هو على التفاؤل أيضاً .

٢١٠ ــ **وقوله عز وجل ﴿ لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم .. ﴾** [آية ١٨٦] .

قيل معناه : لَتُخْتَبَرُنَّ ، وقيل معناه : لَتُصابُنَّ .

والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد[3] .

٢١١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الّذينَ أُتُوْا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىً كَثِيراً ﴾** رُوي أن أبا بكر ــ رحمةُ اللّهِ عليه ــ سمع رجلاً من اليهود يقول : أَوَ هو فقيرٌ يستقرض ؟ فَلطَمه ، فشكاهُ اليهوديُّ إلى النبي ﷺ فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىً ﴾[4] [آية ١٨٦] .

---

(١) هذا من المقلوب في كلام العرب وهو أن يوصف الشيء بضد صفته للتفاؤل كقولهم للدَّيغ : سليم تفاؤلاً بالسلامة ، وللعطشان ناهل ، وللفلاة : مفازة أي منجاة وهي مهلكة .. إلخ وكل ذلك بقصد التفاؤل كما قالوا للأعمى بصير ، وانظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤٢ .

(٢) انظر المصباح المنير فقد جاء فيه : فوَّز إذا مات ، والمفازة منه لأنها مظنة الموت .

(٣) أي إما أن يكون من الابتلاء ، وهو الامتحان والاختبار ، أو من الابتلاء : وهو المصيبة والكارثة ، وقد ذكر المعنيين ابن قتيبة في تفسيره لغريب القرآن ص ١١٧ والقول الأول أظهر ، والمعنى : لتختبرن وتمتحنن في أموالكم بالمصائب والأرزاء ، وبالإنفاق في سبيل الله ، وسائر وجوه البرِّ والإنفاق ، وفي أنفسكم بالأمراض والأسقام وفقد الأحباب .

(٤) تقدَّم معنا رواية ابن عباس مفصَّلة في قصة أبي بكر رضي الله عنه مع اليهودي الخبيث « فنحاص ابن عازوراء » وقد ذكرها المفسرون وابن جرير الطبري ، فارجع إلى صفحة (٥١٦) من هذا المجلد في الحاشية رقم (٣) .

وأذى : مصور أذِيَ يأذَىٰ ، إذا تأوَّىٰ[1] .

٢١٢ ــ وقولُه عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ .. ﴾ [آية ١٨٧] .

قال سعيد بن جبير : يعني النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

والمعنى على هذا : لتُبَيِّنُنَّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه[3] .

وقال قتادة : « هذا ميثاقٌ أخذه اللهُ عزَّ وجل على أهلِ العلم ، فمن عَلِمَ شيئاً فَلْيعلِّمْهُ ، وإياكم وكتمانَ العلم »[4] .

---

(١) قال في البحر المحيط ٣/١٣٦ : « والأذى اسمٌ في معنى الضرر ، يشمل أقوالهم الشنيعة في الرسول وأصحابه ، وفي الله تعالى وأنبيائه ، والمطاعن في الدين ، وهجاء كعب بن الأشرف ، وتشبيبه بنساء المؤمنين .. إلخ . وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٤٤٨ .

(٢) أراد أن لا تكتموا أمر الرسول ، واختاره الطبري في جامع البيان ٤/٢٠٢ وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٤٥٠ .

(٣) قال ابن عطية ٣/٤٥٠ : « سأل الحجاج بن يوسف الثقفي عن هذه الآية ، فقال سعيد بن جبير : نزلت في يهود ، أُخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ فكتموه » وقال الطبري ٤/٢٠٢ أُخذ على اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ، ليبيننَّ للناس أمرك يا محمد في التوراة والإنجيل ، وأنك رسول مرسل من الله ، ولا يكتمونه أي لا يخفونه . اهـ.

(٤) الطبري عن قتادة ٤/٢٠٣ والبحر المحيط ٣/١٣٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢/١٠٨ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ، واختاره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٤٥٠ فقال : وقال جمهور من العلماء : الآية عامة في كل من علَّمه الله علماً ، وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق ، وقد قال ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار » وبهذه الآية استدل أبو هريرة على وجوب رواية الأحاديث .

٢١٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً .. ﴾ [آية ١٨٧] .

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهورِهِمْ ﴾ أي تركوه ، ثم بيَّن لمَ فعلوا ذلك فقال ﴿ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً ﴾ أي أخذوا الرُّشَا[1] ، وكَرِهُوا أنْ يتَّبعوا الرسول ﷺ فتبطل رياستهم .

٢١٤ ــ وقوله عز وجل ﴿ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا .. ﴾ [آية ١٨٨] .

رُوي عن مروان[2] أنه وجَّه إلى ابن عباس يقول : أكلُّ من فرح بما أتى ، وأحبَّ أن يُحمد بما لم يفعل يُعَذَّبُ ؟ .

فقال ابن عباس : هذا في اليهود ، لأن النبي ﷺ سألهم عن شيء ، فلم يُخبروه به وأخبروه بغيره [وأحبوا أن] يحمدوا بذلك ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم النبي ﷺ ، فأنزل اللَّهُ عز وجل ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا .. ﴾[3] الآية .

---

(١) الرُّشَا : بضم الراء جمع رِشوة ، قال في المصباح : الرِّشوة بالكسر ما يعطيه لشخص للحاكم وغيره ليحكم له ، أو يحمله على ما يريد ، وجمعها : رُشًا بالضم ، ويجوز الكسر مثل سِدْرة وسِدَر . اهـ. المصباح المنير .

(٢) هو مروان بن الحكم ، وكان يومئذ أميراً على المدينة المنورة كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٧٦/٨ والطبري في جامع البيان ٢٠٧/٤ .

(٣) ذكر المصنف هذه الرواية بالمعنى ، وروايته كما في الصحيحين : « أن مروان قال لبوَّابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كلُّ امرىء منا فرح بما أتى ، وأحبَّ أن يُحمد بما لم يفعل ، =

وروى سعيد بن جبير أنه قرأ « لاتَحْسِبَنَّ[1] الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا » قال : اليهودُ ، فرحوا بما أوتي آلُ إبراهيم من الكتابِ ، والحكمِ ، والنبوة .

ثم قال سعيدُ بنُ جُبَير « وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا » هو قولُهم : نحنُ على دين إبراهيم[2] .

= معذَّباً ، لنُعَذبنَّ أجمعون !! فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئسما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا .. ﴾ وقال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء ، فكتموه إيَّاه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إيَّاه ما سألهم عنه » أخرجه البخاري في التفسير ١٧٥/٨ ومسلم في كتاب صفات المنافقين رقم ٢٧٧٨ والترمذي في التفسير رقم ٣٠١٨ واللفظ لمسلم والترمذي ، وانظر الدر المنثور ١٠٨/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٣٠٦/٤ .

(١) فيها قراءتان سبعيتان مشهورتان ، قرأ نافع ، وابن عمر ، وابن كثير « لا يَحْسَبَنَّ » بالياء ، وقرأ الكوفيون ويعقوب ﴿ لا تَحْسَبَنَّ ﴾ على الخطاب للرسول ﷺ ، والجمهور بفتح السين في « يَحسَبن » والكسائي بكسر السين ، وأما ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ فقد اتفق جميع القراء على أنها بالتاء خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٠ والنشر لابن الجزري ٢٤٦/٢ .

(٢) الطبري ٢٠٧/٤ وابن الجوزي ٥٢٣/١ والقرطبي ٣٠٧/٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٢ وروى ابن الجوزي في زاد المسير ٥٢٣/١ عن الضحاك أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن ، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها : أن محمداً ليس بنبي ، فاثبتوا على دينكم ، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به ، ففرحوا بذلك ، وقالوا : نحن أهل الصوم والصلاة ، ونحن أولياء الله ، فنزلت هذه الآية ، قال في البحر ١٣٧/٣ : وهذا قول الضحاك والسدي ، ثم قال : ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة ، فرح بها فرح إعجاب ، ويحبُّ أنْ يحمده الناس ، ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه . اهـ.

٢١٥ ــ ثم قال عز وجل ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ ﴾ [آية ١٨٨] .

أي بمنجاةٍ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي مؤلم .

٢١٦ ــ ثم قال عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آية ١٨٩] .

أي هو خالقهما ، وخالقُ ما فيهما .

وهذا تكذيبٌ للذين قالوا : إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء .

٢١٧ ــ ثم قال عز وجل ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ، لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [آية ١٩٠] .

أي لعلامات دالةً عليه[1] ، والألبابُ : العقولُ .

٢١٨ ــ وقولُه عز وجل ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ١٩١] .

في معنى الآية قولان :

أحدهما : رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قال : « من لم

(١) الآيات جمع آية وهي هنا العلامة وليست الآية القرآنية والمعنى علامات واضحة على الخالق المبدع الحكيم ، وباهر قدرته قال ابن كثير : « أي آيات عظيمة لأُصحاب العقول التامة الذكية ، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليّاتها ، وليسوا كالصمِّ البُكم الذين لا يعقلون » ابن كثير ١٥٩/٢ .

يستطع أن يصلي قائماً صلَّى قاعداً ، وإلاَّ مضطجعاً »[1] .

والقولُ الآخر : أنهم الذين يوحِّدون الله عز وجل على كل حال ، ويذكرونه[2] . والقولُ الأوَّل ليس بصحيح الإسناد .

وأيضاً فإن الله تعالى إنما وصف أولي الألباب بالذِّكر له ، على كل الأحوال التي يكون النَّاسُ عليها .

ويُبيِّنُ لكَ هذا حديثُ ابن عباس ، حين باتَ عند النبي ﷺ قال : « فاستَوى على فِرَاشِهِ قاعداً ، ثم رفع رأسهُ إلى السَّماءِ ثم قال : « سُبْحَانَ الملكِ القُدُّوسِ » ثلاثَ مرات ـ وقرأ ﴿ إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ .. ﴾ حتى ختمَ السورة »[3] .

---

(١) الأثر عن ابن مسعود أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٠/٢ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦٠/٣ : « وذهب جماعة من المفسرين إلى قوله تعالى « الذين يذكرون الله » إنما هو عبارة عن الصلاة ، أي لا يضيعونها ، ففي حال العذر يُصلُّونها قعوداً ، وعلى جنوبهم ، فإذا كانت هذه الآية في الصلاة ، ففقهها أن الإنسان يصلي قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنبه الأيمن ، ثم الأيسر » .

(٢) كون الآية نزلت في الصلاة قول مرجوح ، والراجح أن الآية في ذكر الله تعالى كما ورد في صحيح مسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه « فمعنى الآية الذين يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال ، في حال القيام ، والقعود ، والاضطجاع ، ولا يغفلون عن ذكره تعالى في عامة أوقاتهم ، وهذا هو المتبادر من الذكر . والله أعلم .

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٥١/٦ ومسلم في كتاب الصلاة ٥٢٦/١ ولفظه كما في البخاري (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « بتُّ عند خالتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخِر ، قعد فنظر إلى السماء فقال « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » ثم قام فتوضأ واستنَّ ، فصلَّى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذَّن بلال فصلى ركعتين ، ثم خرج فصلَّى الصبح » .

٢١٩ ـ **ثم قال عز وجل ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ .. ﴾** [آية ١٩١] .

أي ليكون ذلك أزيد في بصيرتهم .

٢٢٠ ـ **ثم قال عز وجل : ﴿ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً .. ﴾** [آية ١٩١] .

أي يقولون ربنا ما خلقتَ هذا باطلاً ، فحذف يقولون(١) .

٢٢١ ـ **ثم قال عز وجل ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾** [آية ١٩١] .

رُوِيَ عن طلحة بنِ عُبَيْد اللَّهِ أنه قال : (سألتُ النبي ﷺ عن « سبحان » فقال : تنزيهُ اللَّهِ عن السُّوءِ)(٢) .

= وفي رواية أخرى في البخاري ٥٢/٦ « ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم ، ثم أتى شنّاً معلقاً ، فأخذه فتوضأ ، ثم قام يصلي ، فقمت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني بيده اليمنى يفتلها ، فصلّى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلّى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلّى الصبح » . ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ١١٠/٢ وتفسير ابن كثير ١٦٣/٢ .

(١) إنما حذف الفعل « يقولون » لدلالة السياق عليه ، وهذا من أساليب العرب في الإيجاز إذا دلَّ الكلام عليه .

(٢) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٦/١ من رواية طلحة بين عُبيد الله قال : وأسنده النحاس . اهـ. ولم أر الحديث بهذا اللفظ ، والذي جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ سُئل « أيُّ الكلام أفضل ؟ قال : ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » اهـ .
قال الطبري ٢١٠/٤ : ومعنى الآية : يقولون يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلاً عبثاً « سبحانك » يعنى تنزيهاً لك من أن تفعل شيئاً عبثاً ، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر ، لجنَّةٍ أو نار » .

وأصلُ التنزيه في اللغةِ : البُعد ، أي تنزيهُ اللهِ عز وجلَّ عن الأندادِ والأولاد .

٢٢٢ ـ وقوله عز وجل ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ .. ﴾ [آية ١٩٢] .

حدثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام ، قال : حدثنا أبو الأزهر إملاءً قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال حدثنا أبو هلالٍ عن قتادة عن أنسٍ في قولِهِ عزَّ وجل ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ قال : من خُلِّدَ في النار فقد أخزيته[1] .

قال أبو الأزهر : وحدثنا روح قال حدثنا حماد بن زيد عن جويبر عن الضحاك أنه تلا حديث الشفاعة فقال له رجل ﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ قال : ذلك لهم خزيٌ[2] .

فمن أُدخل النَّارَ فقد أُخزي ، وإن أُخرج منها ، لأن الخزي

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال : من تُخلَّد في النار ، وعن سعيد بن المسيب قال : هذه خاصة لمن لا يخرج من النار ، وانظر الدر المنثور ١١١/٢ وجامع البيان ٢١١٣٤ قال ابن الجوزي ٥٢٨/١ : وفي هذا الخزي قولان : أحدهما : أنه يتعلق بمن يدخلها مخلَّداً ، قاله أنس ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير ، وقتادة . والثاني : أنه يتعلق بكل داخل إليها ، وهو مروي عن جابر بن عبد الله ، واختاره ابن جرير الطبري حيث قال ٢١١/٤ : وأولى القولين بالصواب قول جابر ، أن من أدخل النار فقد أُخزي بدخوله إياها ، وإن أخرج منها ، وذلك أن الخزي هو هتك ستر المخزي وفضيحته ، ومن عاقبه الله في الآخرة فقد فضحه ، وذلك هو الخزي . اهـ.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢١١/٤ والسيوطي في الدر بنحوه ١١١/٢ .

إنما هو هتكُ سترُ المُخْزَىٰ وفضيحتُه ، يُقال : خَزِي يَخْزَىٰ : إذا ذلَّ ، وأخزيتُه : إذا أذللتَه إذلالاً يتبيَّن عليه[1] .

٢٢٣ ـ وقولُه عزَّ وجل ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ .. ﴾ [آية ١٩٣] .

قال محمد بن كعب : هو القرآنُ[2] ، وليس كلهم سمعَ النبي ﷺ .

٢٢٤ ـ وقوله عز وجل ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ .. ﴾ [آية ١٩٤] .

لأنه وعد من وحَّده وآمنَ الجنَّة[3] .

٢٢٥ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾ [آية ١٩٥] .

---

(١) هكذا قال الطبري في تفسيره ٢١١/٤ وقد أسلفنا كلامه في الحاشية التي سبقت ، وقال الزجاج في معاني القرآن ٥١٧/١ : والمَخْزِيُّ في اللغة : المُذَلُّ المحقور بأمر قد لزمه بحجة ، يقال : أخزيته أي ألزمته حجة أذللته معها . اهـ.

(٢) رواه الطبري عن محمد بن كعب القُرظي ٢١٢/٤ وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ١١١/٢ والجمهور على أن المراد بالمنادي هو محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ وهو قول ابن عباس ، وابن زيد ، وابن جريج ، ومقاتل ، ورجحه ابن كثير ، والقرطبي وقال : هو قول أكثر المفسرين .

(٣) هذا وعد من الله عز وجل لا يتخلف ، ذكره في كتبه وعلى ألسنة رسله ، وهذا معنى قوله تعالى « على رسلك » أي على ألسنة الرسل .

ويُقرأ « إنِّي لا أُضيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ »[1] على معنى فقال : إنِّي ، والفتح بمعنى بأني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى .

ورُوي أن أمَّ سلمة قالت يارسولَ الله : « ما سمعتُ اللَّهَ ذكر النِّساء في الهجرة » !!

فأنزل الله عز وجل ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ .. ﴾[2] .

٢٢٦ ــ وقولُه عز وجل ﴿ ثَوَابَاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آية ١٩٥] .

أي جزاءً ، وأصلُهُ من ثاب يثوب إذا رجع[3] ، والتثويبُ في النداء ترجيعُ الصوت .

٢٢٧ ــ وقوله عز وجل ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ ﴾ [آيـة ١٩٦]

---

(١) قراءة الكسر « إني » هي قراءة عيسى بن عمر كما في البحر المحيط ١٤٣/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ٣١٨/٤ قال أبو حيان : فيكون على إضمار القول على قول البصريين ، أو على الحكاية بقوله « فاستجاب » لأن فيه معنى القول على طريقة الكوفيين .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٠٢٦ ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ٣٠٠/٢ وذكره الطبري في تفسيره جامع البيان ٢١٥/٤ وابن كثير أيضاً ١٦٥/٢ والسيوطي في الدر المنثور ١١٢/٢ والقرطبي ٣١٨/٤ .

(٣) في المصباح مادة « ثاب » : والمثابةُ والثواب : الجزاء ، ومنه قيل للمكان الذي يرجع إليه الناس مثابة ، ومنه الثيِّبُ .

أي لايغـرَّنك تصرُّفهـم وسلامتُهـم ، فإن آخـر مصيرهــم إلى النار ، فمن كان آخر مصيره إلى النَّار لم يُغْبَط .

٢٢٨ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ١٩٩] .

« رُوي أن النبي ﷺ صلَّى على النجاشيِّ ، وترحَّم عليه ، فقـال قومٌ من المنافقين : صلَّى عليه وليس من أهل دينه !! »(١) فأنـزل اللـه عز وجـل ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ .. ﴾ أي متواضعين ، ومنه قول الشاعر :

« وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلا تَكُنْ مُتَخَشِّعاً وَتَجَّمِلِ »(٢)

٢٢٩ ــ **ثم قال عز وجل ﴿ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً .. ﴾** [آية ١٩٩] .

لأنه قد خبَّر أن منهم من ثَبتَ على دينه ، لأخذ الرُّشَا ، ولئلا تبطل رياستُه(٣) .

---

(١) أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج كما في الدر المنثور ١١٣/٢ وأصله في الصحيحين أن النجاشي لمَّا مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه وقال : « إن أخاً لكم بالحبشة قد مات فصلُّوا عليه ، فخرج إلى الصحراء فصفَّهم وصلى عليه » انظر البخاري ٦٤/٥ ومسلم ٥٤/٣ ورواه البزار والطبراني في الأوسط ــ ورجال الطبراني ثقات ــ أن النبي ﷺ صلَّى على النجاشي حين نُعي ، فقيل يا رسول الله : تصلِّي على عبد حبشي ؟ فأنزل الله الآية .

(٢) لم أره فيما بين يديَّ من المراجع ، وانظر لسان العرب مادة : خشع فقد قال : قوم خُشَّع ومتخشِّعون ، والخشوع قريب من الخضوع ويقال : اختشع : إذا طأطأ صدره وتواضع .

(٣) أي إن من أهل الكتاب من ثبت على النصرانية أو اليهودية من أجل حطام الدنيا ، وهم الذين ذمَّهم الله عز وجل في الآيات السابقة حيث قال ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ =.

٢٣٠ ـ وقوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وَصَابِرُوا ، وَرَابِطُوا .. ﴾ [آية ٢٠٠] .

أي اصبروا على دينكم ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ قال قتادة : أي صابروا المشركين .

﴿ ورابطوا ﴾ قال قتادة : أي جاهدوا(١) .

وأصلُ الرباط والمرابطة عند أهل اللغة ، أن العدوَّ يربطون خيولَهم ، ويربط المسلمون خيولهم تحرزاً ، ثم كثر استعمالهم لها حتى قيل لكل من أقام بالثَّغْرِ : مرابطٌ(٢) .

حدثنا عبدُاللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِالسَّلامِ قال : حدثنا الدارميُّ ، قال : حدثنا يحيى بن أبي بُكير ، قال : حدثنا جسر عن الحسن ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ قال : على المصائب ﴿ وصابروا ﴾

= والآية هنا تمدح هؤلاء الذين آمنوا ولم يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، وهم نصارى الحبشة الذين دخلوا في الإسلام حين سمعوا كلام الله عز وجل من بعض أصحاب النبي ﷺ وفيهم نزل « وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممَّا عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا » .

(١) الطبري عن قتادة ٢٢١/٤ والدر المنثور ١١٤/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٣٤/١ وقال أبو حيان في البحر ١٤٨/٣ : « ختم الله هذه السورة بهذه الوصية التي جمعت الظهور على الأعداء ، والفوز بنعيم الآخرة ، فأمر سبحانه وتعالى بالصبر ، والمصابرة ، والرباط ، فقيل : « اصبروا وصابروا » بمعنى واحد للتأكيد ، وقال الحسن وقتادة والضحاك : اصبروا على طاعة الله في تكاليفه ، وصابروا أعداء الله في الجهاد ، ورابطوا في الثغور في سبيل الله » . اهـ.

(٢) هذا ما قاله أهل اللغة ، فقد قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ١١٧ : « ورابطوا في سبيل الله ، وأصل المرابطة والرباط : أن يربط هؤلاء خيولهم ، ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر ، كل يُعِدُّ لصاحبه ، وسمي المقام بالثغور رباطاً » . اهـ.

قال : على الصلوتَ الخمس ﴿ ورابطوا ﴾ أعداء الله في سبيل الله[1] .

٢٣١ ــ ثم قال عز وجل ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي لم تُؤمروا بالجهاد فقط ، فاتقوا اللّهَ عز وجل فيما أمركم به ، ونهاكم عنه[2] .

٢٣٢ ــ ثم قال عز وجل ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آية ٢٠٠] .

أي لتكونوا على رجاءٍ من الفلاح .

وأصلُ الفلاح : البقاءُ والخلودُ ، وقد بيَّنَّاه فيما تقدَّم[3] .

« تمت سورة آل عمران »



(١) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الحسن البصري ، وانظر جامع البيان للطبري ٢٢١/٤ والدر المنثور ١١٤/٢ وهو قول الضحاك وزيد بن أسلم ، واختاره الطبري وقال : لأن ذلك هو المعروف في معاني الرباط ، وهو الأغلب الأشهر في استعمال الناس .

أقول : وممَّا يؤيده ما رواه البخاري في صحيحه « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » وانظر ما رواه الحافظ ابن كثير من أحاديث في فضل الرباط في سبيل الله ١٧٢/٢ .

(٢) اللفظ ورد عاماً ﴿ واتَّقوا الله ﴾ ليشمل جميع التكاليف ، والأوامر ، والنواهي ، والحدود ، أي اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون من أقوالكم وأعمالكم ، وخافوا عقابه بطاعته وامتثال أوامره جميعاً .

(٣) أراد المصنف أن ينبه إلى أن كلمة « لعلَّ » في أصل اللغة للترجِّي ، والترجِّي إنما يكون من الضعيف إلى القوي ، ومن العبد إلى السيد ، فكيف يترجَّى الله فلاحنا ، وهو القوي الغني عن عباده ؟ وأجاب بأن الرجاء صادر من المخلوق لا من الخالق أي رجاء منكم أنتم أن تُفلحوا وتفوزوا بنعيم الآخرة ، فكأنه يقول افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع والفوز والنجاح ، وهذا قول سيبويه ورؤساء البيان ، وقيل إن « لعلَّ » بمعنى لكي أي لكي تفلحوا فهي للتعليل لا للرجاء .

تَفْسِيرُ سُورَةِ النساءِ

مَدنية وآياتها ١٧٦ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. ﴾ [آية ١] .

قال مجاهد : خُلِقتْ حوَّاء من قُصَيْرَى آدم[2] .

وفي الحديث : « خُلقت المرأة من ضلع عوجاء »[3] .

---

(١) سورة النساء مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح ، وهي ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .. ﴾ وما قاله النحاس أنها مكية رده الجمهور وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٥/١ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٢٤/٤ وابن الجوزي ٢/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٨١/٣ ومعنى « قُصَيْرَى » أي من أحد أضلاع صدره القصيرة ، ويؤيده ما رُوي عن ابن عباس : لمَّا خلق الله آدم ، ألقى عليه النوم ، فخلق حوَّاء من ضلع من أضلاعه اليُسرى ، فلم تؤذه بشيء ، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبداً ، فلما استيقظ قيل يا آدم : من هذه ؟ قال : حواء » وفي رواية في الطبري : « فلما هبَّ من نومه رآها إلى جنبه ، فقال : لحمي ، ودمي ، وزوجتي ، فسكن إليها » .

(٣) لفظ الحديث كما في صحيح البخاري ٣٣/٧ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » هذا لفظ البخاري ، وفي مسلم ١٠٩١/٢ بنحوه ، قال النووي في شرح مسلم ٥٧/١٠ : وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خُلقت من ضلع آدم . اهـ .

وقيل : ﴿ منها ﴾ من جنسها[1] .

٢ **ــ ثم قال تعالى ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْرَاً وَنِسَاءً .. ﴾** [آية ١] .

يقال : بَثَثْتُ الشيءَ وأَبْثَثْتُهُ ، إذا نَشَرْتُهُ[2] . ومنه : ﴿ كَالْفَرَاشِ الَمبْثُوْثِ ﴾[3] .

٣ **ــ وقولُه عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾** [آية ١] .

قال عكرمة : المعنى : واتَّقُوا الأرحامَ أن تَقْطَعوها[4] .

وقال إبراهيم : هو من قولهم : [أسألك باللَّهِ][5] والرَّحِمِ .

قال أبو جعفر : وهذا على قراءةِ مَنْ قرأ بالخفض[6] .

---

(١) هذا قول ابن بحر ، وأبي مسلم كما في البحر المحيط ١٥٤/٣ قالا : والآية على حذف مضاف أي وخلق من جنسها زوجها لقوله تعالى : ﴿ ومن آياتِهِ أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ قال ابن عطية ٤٨١/٣ : واللفظ يتناول المعنيين ، أو يكون لحمها وجوهرها ونفسها من جنس نفسه ، والقول الأول أشهر .

(٢) قال الفراء في معانيه ٢٥٢/١ : العرب تقول : بثَّ الله الخلق أي نشرهم ، ومن العرب من يقول : أبثَّ الله الخلق ، ويقولون : بَثَثْتُك ما في نفسي ، وأَبْثَثتك .

(٣) تمام الآية ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ سورة القارعة آية رقم (٤) .

(٤) أي إنه منصوب بإضمار فعل تقديره : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وانظر المحرر الوجيز ٤٨٣/٣ .

(٥) سقط من الأصل وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٦) قراءة الخَفْضِ ﴿ تَسَاءَلون به والأرحام ﴾ قراءة حمزة ، وقرأ بقية القراء بنصبها ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢٤٧/٢ .

٤ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ .**

قال الضحاك : لا تُعطوهم زُيُوفاً بِجِيَادٍ(١) .

وقال غيره : لا تتبَّدلوا الحرامَ بالحلالِ(٢) .

٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَاْ تَأْكُلُوْا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ .. ﴾** [آية ٢] .

قيل : المعنى [مع أموالكم(٣) . والأجودُ أن تكون ﴿ إلى ﴾ في موضعها ويكون المعنى](٤) و لا تضمُّوا أموالهم إلى أموالكم .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٢٩/٤ عن الضحاك وهو قول الزهري والسدي وإبراهيم النخعي قالوا : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ، ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول : شاة بشاة ، ويأخذ الدرهم الجيد ، ويطرح مكانه الزيف ويقول : درهم بدرهم ، فهذا معنى قوله تعالى ﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ .

(٢) هذا قول مجاهد كما في الطبري ٢٢٩/٤ والدر المنثور ١١٧/٣ قال : لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قدِّر لك . ورجح الطبري القول الأول .

(٣) هذا القول مبني على أن « مع » في الآية بمعنى « إلى » وهذا قول الأخفش كما في معانيه ٤٣١/١ وقد ضعَّفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٧/٣ فقال : وقالت طائفة « إلى » بمعنى « مع » وهذا غير جيد ، وقال الحُذَّاق « إلى » هي على بابها ، وهي تتضمن معنى الإضافة ، والتقدير : لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل ، كما قال تعالى ﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ أي من يضاف إلى الله في نصرتي ؟ . اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط ١٦٠/٣ : و « إلى » قيل في موضع الحال ، التقدير مضمومة إلى أموالكم ، وقيل تتعلق بتأكلوا على معنى التضمين أي ولا تضمُّوا أموالهم في الأكل إلى أموالكم ، وحكمة قوله ﴿إلى أموالكم﴾ ــ وإن كانوا منهيِّين عن أكل أموال اليتامى بغير حق ــ أنه تنبيه على غنى الأولياء ، كأنه قيل : لا تأكلوا أموالهم مع غناكم .

(٤) ما بين المعكوفتين أثبتناه من الهامش ، وسقط من الأصل .

٦ ـ **ثم قال عز وجل ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾** . [آية ٢] .

قال قتادة : الحُوبُ : الإِثْمُ[١] .

ورُوِيَ أن أَبَا أَيُّوبَ طَلَّقَ امرأته ، أو عَزَم على أن يُطلِّقها ، فقال النبي ﷺ : « إن طلاق أُمِّ أَيُّوبَ لَحُوْبٌ »[٢].

٧ ـ **وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوْا فِيْ الْيَتَامَىٰ ﴾** [آية ٣]

يقال : أَقْسَطَ الرجلُ : إذا عدل ، وقَسَطَ : إذا جار .

فكأنَّ « أَقْسَطَ » أزال القُسُوطَ .

فأما معنى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [آية ٣] .

ففيه قولان :

أحدهما : أن ابن عباس قال فيما رُوِيَ عنه : قُصِرَ الرجلُ على أربعٍ من أجل اليتامى[٣].

---

(١) الأثر عن قتادة في ابن كثير ٢/١٨١ .

(٢) الحديث رواه ابن مردويه والحاكم في المستدرك عن أنس قال : « أراد أبو طلحة أن يُطلِّق أم سُلَيم فقال له النبي ﷺ : ياأباأيوب إن طلاق أم سليم لحوب ، فكفَّ » وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٨١ .

(٣) الأثر ذكره في الدر ٢/١١٨ وأخرجه ابن جرير الطبري ٤/٢٣٤ عن ابن عباس قال : « كان الرجل يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى ، فنهى الله عن ذلك » وقال ابن عباس : قُصِرَ الرجالُ على أربع نسوة من أجل أموال اليتامى . اهـ. الدر المنثور ٢/١١٨ وفي ابن كثير ٢/١٨٢ : هو قول ابن عباس وجمهور العلماء .

وَرُوِيَ عن جماعة من التابعين شرحُ هذا القول .

ورُوِيَ عن مجاهد والضحاك وقتادة ، وهذا معنى قولهم :

« إن المسلمين كانوا يسألون عن أمر اليتامى لمَّا شُدِّدَ في ذلك ، فقال جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ .

أي فكما تخافون في أمر اليتامَىٰ ، فخافوا في أمر النساء إذا اجْتَمَعْنَ ، أنْ تعجزوا عن العدل بينهن[1] .

والقــول الآخر : رواه الزهــري عن عروة عن عائشة قال : سألتُ عائشة عن قول الله جل وعز : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليتامىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فقالت : يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حِجْر وليها ، فيعجبُهُ مالُها وجمالُها ، فيريد تزوُّجَها بغير أَنْ يُقْسِطَ في صداقها ، فيُعْطِيهَا مثلَ ما يُعْطيها غيره[2] .

---

(١) هذا المعنى مروي عن ابن عباس كما في التسهيل لعلوم التنزيل ٢٣١/١ قال : إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ، ولا تتحرج في العدل بين النساء ، فنزلت الآية في ذلك ، أي كما تخافون ألَّا تقسطوا في اليتامى ، كذلك خافوا النساء ألَّا تعدلوا بينهن ، وانظر تفسير ابن كثير ١٨٢/٢ .

(٢) أخرج البخاري في كتاب التفسير ٥٣/٦ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿ وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى ﴾ فقالت يا ابن أختي : هذه اليتيمة تكون في حِجْر وليها ــ أي في رعايته وعهدته ــ تشركه في ماله ، ويُعجبه مالُها وجمالُها ، فيريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صَدَاقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنُهوا أن ينكحوهنَّ إلا أن =

فَنُهُوا أَنْ ينكحوا اليتامى إذا خافوا هذا ، وأُبِيحَ لهم من النساء أربعٌ ، قالت عائشة : [ثم][1] إن الناسَ اسْتَفْتَوْا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله عز وجل : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيْكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ . قالت : والذي ذَكَر اللَّهُ أنه يُتْلَىٰ عليكم في الكتاب الآيةُ الأولى التي فيها ﴿ فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[2] قالت : وقوله : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ رغبةُ أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره ، حين تكون قليلةَ المال والجَمَال ، فَنُهُوْا أن ينكحوا مَنْ رغبوا في مالها وجمالها ، من يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهنَّ .

وأهلُ النظر على [هذا][3] القول .

= يُقسطوا لهنَّ ، ويبلغوا بهنَّ أعلى سنتهنَّ في الصَّداق ، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .. » الحديث ، وأخرجه مسلم ٢٣١٣/٤ وأبو داود في النكاح برقم ٢٠٦٨ والنسائي في النكاح أيضاً ١١٦/٦ وفي الدر المنثور ١١٨/٢ وجامع الأصول لابن الأثير ٧٧/٢ وتفسير ابن كثير ١٨١/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٢ .

(١) ما بين المعكوفتين من هامش المخطوطة ، ولفظة « ثُمَّ » من نص الحديث وهي ضرورية لربط الكلام .

(٢) ذُكرت روايات عديدة عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية ، ذكرها المفسرون والمحدِّثون ، وانظر البحر المحيط ١٦١/٣ والدر المنثور ١١٨/٢ وتفسير ابن كثير ١٨٢/٢ وتفسير ابن الجوزي ٦/٢ وتفسير ابن عطية ٤٨٩/٣ وصحيح البخاري ١٧٩/٨ وصحيح مسلم ٢٣١٣/٤ .

(٣) سقط من المخطوطة كلمةُ «هذا» وأثبتناها من الهامش .

قال « أبو العباس » **محمد بن يزيد**[1] : التقدير : وإن خفتم أَلَّا تُقسطوا في نكاح اليتامى ، ثم حُذِف هذا ، وَدَلَّ عليه ﴿ فَانْكِحُوا ﴾ .

وقد قال بالقول الأوّل جماعة من أهل اللغة ، منهم « الفرَّاءُ » و« ابنُ قتيبة » [2].

والقولُ الثاني أعلى إسناداً ، وأجودُ عند أهل النظر[3] .

وأما مَنْ قال معنى ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ تِسْعٌ[4] ، فلا

---

(١) هو الإمام المبرد أحد مشاهير علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١/٢٥٣ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١١٩ .

(٣) يقصد بالقول الثاني ما رواه الزهري عن عروة عن عائشة كما في الصحيحين وبعض السنن ، وإنما كان أصح وأظهر لأنه من رواية البخاري ومسلم ، وهو أوضح بياناً من القول الأول ، لأن أم المؤمنين عائشة وضَّحت الآية الكريمة على أبلغ وجوه البيان .

(٤) ردَّ المصنف رحمه الله على الرافضة الذين زعموا أنه يجوز للمسلم التزوج بتسع ، لأن الآية عُطفت بالواو ، وهي لمطلق الجمع ، ومجموع هذه الأعداد تسع ، وهذا قول باطل وفهم سقيم ، قال أبو حيان في البحر ٣/١٦٣ : « ذهب بعض الشيعة إلى أنه يجوز النكاح بلا عدد ، كما يجوز التسرِّي بلا عدد ، وذهب بعضهم إلى أنه يجوز نكاح تسع ، لأن الواو تقتضي الجمع أى اثنتين وثلاثاً وأربعاً وذلك تسع ، وأكدوا ذلك بأن النبي ﷺ مات عن تسع ، وهذا استدلال باطل» وقال القرطبي ٥/١٧ : « اعلم أن هذا العدد « مثنى وثلاث ورباع » لا يدل على إباحة تسع كما قاله مَنْ بَعُدَ فهمه للكتاب والسنة ، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة ، وزعم أن الواو جامعة ، وعضد ذلك بأن النبي ﷺ نكح تسعاً ، والذي صار إلى هذه الجهالة ، وقال هذه المقالة ، الرافضة وبعض أهل الظاهر ، فجعلوا «مَثْنَى» مثل : اثنين ، وكذلك « ثُلاَث» و «رُبَاع» وهذا كله جهل باللسان والسنة ، ومخالفة لإجماع الأمة ، إذ لم يُسمع عن أحد من الصحابة ولا =

يُلْتفتُ إلى قوله ، ولا يصحُّ في اللغة ، لأن معنى (مثنى) عند أهل العربية : اثنتين ، اثنتين ، وليس معناه اثنتين فقط .

وأيضاً فإن من كلام العرب الاختصار ، ولا يجوز أن يكون معناه تسعاً ، لأنه لو كان معناه تسعاً لم يكن اختصاراً أن يقال : انكحوا اثنتين ، وثلاثاً ، وأربعاً ، لأن تسعاً أخصرُ من هذا .

وأيضاً فلو كان على هذا القول : لَمَا حَلَّ لأحد أن يتزوج إلا تسعاً أو واحدةً ، فقد تبيَّن بطلان هذا[1] .

٨ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾** [آية ٣] .

﴿ أَدْنَىٰ ﴾ بمعنى أقربُ .

ورَوَىٰ عمر بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ ، في قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ قال : « أن لا تَجُوْرُوْا »[2] .

= التابعين ، أنه جمع في عصمته أكثر من أربع .. وأما قولهم : إن الواو جامعة فقد قيل ذلك ، والعرب لا تدع أن تقول تسعة ، وتقول اثنين وثلاثة وأربعة .. إلخ ، وقد ردَّ القرطبي على ذلك رداً شافياً فارجع إلى تفسيره جامع الأحكام ١٧/٥ .

(١) هذا واضح لأن الواو لو كانت تقتضي الجمع ، فالواجب إذاً أن يتزوج الإنسان تسعاً دفعة واحدة ، أو يقتصر على واحدة ، ولم يقل بهذا عاقل ، فتبيَّن بطلان هذا القول ، ولو أراد الله عز وجل ذلك لقال : « فتزوجوا تسعاً » بدل أن يقول « مَثنى وثلاث ورباع » فإن ذلك أوضح وأخصر ، وإنما نشأت هذه الشبهة ، بتكاثف ظلمات الجهالة والضلالة لدى الرافضة .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان في صحيحه عن عائشة مرفوعاً ، قال ابن أبي حاتم : قال أبي : هذا حديث خطأ ، والصحيح عن عائشة موقوف . وانظر الدر المنثور للسيوطي ١١٩/٢ وابن كثير ١٨٥/٢ .

وقال ابن عباس والحسن وأبو مالك ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك : معنى ﴿ أَنْ لَا تَعُولُوا ﴾ أنْ لا تميلو[1] .

وقال أبو العباس[2] ـــ في قولِ من قال : ﴿ أَنْ لَا تَعُولُوا ﴾ من العِيَالِ ـــ : هذا باطلٌ وخطأٌ[3] ، لأنـه قد أَحَلَّ له مِمَّا ملكت اليمين ، ما كان من العدد ، وهنَّ مما يُعَالُ .

---

(١) انظر الطبري ٢٤٠/٤ والقرطبي ٢٠/٥ وتفسير ابن عطية ٤٩٣/٣ قال القرطبي والمعنى : ذلك أقرب إلى أن لا تميلوا عن الحق وتجوروا ، يقال : عال الرجل يعول : إذا جار ومال ، قال الشاعر :

قَالُوا تَبِعْنَا رَسولَ اللهِ وَاطَّرَحُوا قَوْلَ الرَّسُولِ وَعَالُوا فِي المَوَازِينِ

أي جاروا في الموازين .

(٢) أبو العباس هو الإمام المبرِّد ، إمام العربية ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) إنما خطَّأ المبرد هذا القول ، لأن قائله جعل « تعولوا » بمعنى « تُعيلوا » وهذا غير صحيح في اللغة العربية ، لأن العرب تقول : عَالَ يَعُول إذا مال ، وأعَال يُعيل : إذا كثرت عياله ، فكان ينبغي أن يكون اللفظ : ذلك أدنى أن لا تُعيلوا ، وهذا الذي خطَّأه المبرِّد والزجاج وغيرهما هو قول الإمام الشافعي رحمه الله ، فقد فسَّر الآية بأن معناها ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم ، وقد وضَّح الزمخشري في تفسيره الكشاف ٢٤٥/١ معنى هذا القول ، وأثنى على الشافعي بأنه كان أعلى كعباً في لغة العرب من أن يُظنَّ به ذلك فقال ما نصه : « والذي يُحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسَّر « ألَّا تعولوا » أن لا تكثر عيالكم ، فوجهه أن يُجعل من قولك : عالَ الرجال عيالَه يعولهم ، كقولهم : مَانَهُمْ يَمُونُهم : إذا أنفق عليهم ، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك ما يصعب عليه من المحافظة على حدود الورع ، وكسب الحلال ، والرزق الطيب ، وكلام مثله من أعلام العلم ، وأئمة الشرع ، ورءوس المجتهدين ، حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا تظننَّ به تحريف تُعيلوا إلى « تعولوا » فقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك ـــ أي من فمه ـــ سُوْءً وأنت تجد لها في الخير محملاً » وقد كان الشافعي أعلى كعباً ، وأطول باعاً ، في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكنَّ للعلماء طرقاً وأساليب ، فسلك بهذه الكلمة طريقة الكنايات .. » إلخ ، الكشاف ٢٤٥/١ ، وانظر ما كتبه ابن عطية في المحرر ٤٩٤/٣ وأبو حيان في البحر ١٦٥/٣ .

وأيضاً فإنه إنما ذكر النساءَ وما يَحِلُّ منهن ، والعدلَ بينهنَّ والجَوْرَ ، فليس لـ « أَنْ لَا تَعُولُوا » من العيالِ ههنا معنىً ، وهو على قول أهل التفسير : أن لاتميلوا ولاتجوروا . ومنه : عَالَتِ الفريضةُ ، إذا زادت السِّهَامُ فَنَقصَ مَنْ لَهُ الفرض ، ومنه : مُعَوَّلَتي على فلانٍ ، أي أنا أميل إليه وأتجاوز في ذلك ، ومنه : « عالني الشيء » إذا تجاوز المقدارَ ، ومنه : فلانٌ يُعَوِّل ، والعويلُ : إنما هو المجاوزة .

وأيضاً فإنه إنما يُقال : أعال الرجُلُ يُعِيلُ[1] : إذا كَثُرَ عِيَالُهُ .

٩ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً .. ﴾** [آية ٤] .

قيل : يُعْنَى بِهِ الأزواجُ[2] .

ويُرْوَى أن الوَليَّ كان يأخذُ الصَّدُقَةَ لنفسِهِ ، فأمر اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُدفع إلى النساء[3] ، هذا قول أبي صالح .

---

(١) يعني أن الفعل الرباعي أعال يأتي المضارع منه مضموم الأول يُعيل ، مثل : أقام يُقيم ، وأعان يُعين ، فلو كان المراد كثرة العيال لقال : ذلك أدنى ألا تُعيلوا لا تعولوا .

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج قالوا : إن الخطاب في هذه الآية للأزواج ، أمرهم الله أن يتبرعوا بإعطاء المهور لأزواجهم نِحْلَةً منهم أي عطية عن طيب نفس ، وانظر الطبري ٤/٢٤٢ وتفسير ابن الجوزي ٢/١٠ وتفسير ابن عطية ٣/٤٩٤ ورجح هذا القول ابن جرير في تفسيره ، وحجته في ذلك أن الخطاب في الآيات السابقة كان للأزواج الناكحين ﴿ فانكحوا ما طاب لكم ﴾ فكذلك هنا .

(٣) انظر الطبري ٤/٢٤١ وابن الجوزي ٢/١١ واختار هذا القول الفراء في معانيه ١/٢٥٦ فقال : يعني أولياء النساء لا الأزواج ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يعطون النساء من مهورهن شيئاً فنزلت الآية ، ومعنى ﴿نِحْلَةً﴾ هبة وعطية . اهـ .

وقال أبو العباس : معنى ﴿ نِحْلَةً ﴾ أنه كان يجوز أنْ لا يُعْطَيْنَ من ذلك شيئاً ، فَنَحَلَهُنَّ اللهُ عزَّ وَجَلَّ إيَّاهُ .

وقيل : معنى (نِحْلَةً) دِينَاً ، من قولهم : فلانٌ يَنْتَحِلُ كذا ، أي تَعَبُّدَاً من اللَّهِ جل وعز[1] .

وقيل : فَرْضَاً[2] ، والمعنى واحدٌ ، لأن الفرضَ مُتَعَبَّدٌ بِهِ .

وقيل : لا يكون (نِحْلَةً) إلَّا ما طابتْ به النَّفْسُ ، فأمَّا ما أُكْرِهَ عليه فلا يكون (نِحْلَةً)[3] .

١٠ ــ **وقوله عز وجل** : ﴿ **فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفساً فَكُلُوْهُ هَنِيْئاً مَرِيْئاً** ﴾ [آية ٤] .

---

(١) هذا قول الزجاج نقله عن بعض العلماء ، وانظر زاد المسير ٢/١١ .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، ومقاتل كما في الطبري ٤/٢٤١ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسيره غريب القرآن ١٢٠ قال : « نحلة » أي عن طيب نفس ، يقول ذلك لأولياء النساء ، لأن الأولياء كانوا في الجاهلية لا يعطون النساء من مهورهن شيئاً ، وأصل النِّحلة : العطية ، يُقال : نَحَلْتُه نِحلة حسنة ، أي أعطيته عطيَّةً حسنة ، والنِّحْلةُ لاتكون إلا عن طيب نفس ، وأما ما أخذ بالحكم فلا يقال له نِحْلة . اهـ.

أقول : للمفسرين في تفسير النحلة أربعة أقوال :

الأول : أنها بمعنى الفريضة ، أمرهم أن يتبرعوا بإعطاء المهور عطية واجبة ، وفريضة لازمة ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : أنها الهبة والعطية ، وهو قول الفراء .

الثالث : أنها العطية عن طيب نفس ، وهو قول أبي عبيدة ، وابن قتيبة .

الرابع : أنها الديانة ، والتقديرُ على هذا : آتوهن مهورهن ديانة ، حكاه الزجاج في تفسيره .

يعني : الصَّدَاق .

أي لا كَدَرَ فيه .

يُقَالُ : أَمْرَأَنِي الشَّيْءُ : بالألِف ، فإذا قلتَ : هَنَأَني ومَرَأَنِي — هذا مذهب [أكثر][1] أهل اللغة — قالوا لِلإتْبَاعِ[2] .

وأما أبو العباس فقال : لا يُقَال في الخير إلا أَمْرَأَني[3] ، ليُفَرِّق بينه وبين الدعاء .

والمروءةُ من هذا ، لأن صاحبها يَتَجَشَّمُ أموراً يَسْتَمْرِئُ عاقبَتَها .

١١ — **وقولُه عز وجل** : ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾ [آية ٥] .

قال عبدُ الله بنُ عُمَرَ ، وجماعةٌ من التابعين : السُّفَهاءُ : النِّسَاءُ ، والصِّبْيَانُ[4] .

---

(١) سقطت اللفظة من المخطوطة وأثبتناها من الهامش .

(٢) معنى الآية ﴿ فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ أي كلوه هنيئاً بطيب الأنفس ، مستساغاً حلالاً بدون إثم ، قال أهل اللغة : الطعام الهنيء : هو السائغ المستحسن ، الحميد العاقبة ، وكذلك المريء ، يُقال : هَنَأَني الطَّعامُ ومَرَأَني على الاتباع ، فإذا أفردوا قالوا : أمرأني ، وهذا كما جاء في الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » فإنما اعتلَّت الواو من « موزورات » اتباعاً للفظ مأجورات ، فكذلك مَرَأني إتباعاً لهَنَأَني . وانظر المحرر الوجيز ٤٩٦/٣ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٩/٢ : إذا لم تذكر هنأني قلت : أَمْرَأني بالألف ، وهذا حقيقته أن مرأني تبيَّنت أنه سينهضم ، فإذا قلت : أمرأني الطعام ، فتأويله : أنه قد انهضم وحُمِدت مغبَّته . اهـ .

(٤) انظر الطبري ٢٤٥/٤ والقرطبي ٢٨/٥ وابن الجوزي ١٢/٢ وابن عطية ٤٩٧/٣ قال : وأمَّا من =

وإنما قالوا هذا لأن السَّفَه في هؤلاء أكثر .

والسَّفَهُ : الجهلُ ، وأصلُه : الخِفَّةُ ، يقال : ثوبٌ سَفِيهٌ إذا كان خَفيفاً ، وقيل للفاسق : سفيهٌ ، لأنه لا قَدْرَ له عند المؤمنين ، وهو خفيفٌ في أعينهم ، هَيِّنٌ عليهم .

والمعنى : ولا تؤتوا السفهاء فوق ما يحتاجون إليه فيُفسِدُوهُ(١) .

والدليلُ على هذا قوله بَعْدُ : ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ أي عَلِّمُوهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ(٢) .

١٢ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ... ﴾** [آية ٦] .

قال الحسن : أي اختبروهم(٣) .

= خصَّها بالنساء فقط ، فإنه يضعف من جهة الجمع ، فإن العرب إنما تجمع « فعيلة » على فعائل أو فعيلات » أي فتقول : امرأة سفيهة ، ونساء سفائه وسفيهات .

(١) السفيه : هو الذي لا يحسن التصرف في ماله ، سواء كان رجلاً أو امرأة ، صغيراً أو كبيراً ، وهذا الذي اختاره الطبري ، وابن كثير ، قال الطبري ٤/٢٤٧ : لا تؤتِ سفيهاً مالَه ، وهو الذي يُفسده بسوء تدبيره ، صبياً كان أو رجلاً ، ذكراً كان أو أنثى ، وقال ابن عباس : « السفهاء : امرأتك ، وبنوك ، والنساء أسْفَه السُّفهاء » .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢/١١ والأظهر ما قاله الطبري وغيره أن المعنى : وقولوا يا معشر ولاة السفهاء ، قولاً معروفاً للسفهاء ، قولوا لهم : إن صلحتم ورشدتم سلَّمنا إليكم أموالكم ، وخلَّينا بينكم وبينها ، فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم ، وما أشبه ذلك ممَّا فيه حث على طاعة الله ، ونهي عن معصيته .

(٣) هذا قول جميع المفسرين أن الابتلاء هو الاختبار والامتحان ، يُختبر اليتيم في رأيه ، وعقله ، ودينه ، هل يحسن التصرف في ماله إذا سُلِّم إليه ، وذلك عند مقاربته سنَّ البلوغ والرشد .

١٣ ــ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدَاً .. ﴾ [آية ٦]

« آنستم » بمعنى: عَلِمْتُمْ وأَحْسَسْتُمْ ، ومنه قول الشاعر :

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القَنَّا
صُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[١]

والرُّشْدُ : الطريقةُ المستقيمةُ[٢] .

قال مجاهد : العقلُ .

وقال سفيان : العقلُ ، والحفظُ للمال[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا من أحسن ما قيل فيه ، لأنه أجمعَ أهلُ العلمِ على أنه إذا كان عاقلاً ، مصلحاً ، لم يكن ممن يستحقّ الحَجْرَ عليه في ماله[٤] .

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزة في معلقته ، انظر شرح القصائد العشر للتبريزي ٣٧٤ وهو في اللسان بدون نسبة ، وذكره في الصحاح ، وتاج العروس مادة نبأ ، قال في التهذيب : النَّبأَةُ : الصوت ليس بالشديد ، وقيل : هو الصوت الخفي ، واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٤٩٩ .

(٢) الرُّشد ، والرَّشد أي الرَّشاد ، ومعناه : الصَّلاح والاستقامة ، والمراد به هنا : هو الصلاح في الدين ، والاستقامة في التصرف ، والإصلاح في الأموال ، وهو خلاصة قول ابن عباس ، واختاره الطبري .

(٣) الأثر في الطبري ٤/٢٥٢ وابن كثير ٢/١٨٨ وابن الجوزي ٢/١٤ والدر المنثور ٢/١٢١ .

(٤) وهكذا قال الفقهاء : متى بلغ الغلام سنَّ التكليف ، مصلحاً لماله ، راشداً في عقله ، انفكَّ عنه الحجر فيُسلَّم له ماله ، وتنتهي الوصاية عنه ، عملاً بقوله تعالى ﴿ فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ فقد اشترط تعالى لرفع الحجر عنه الرشد مع البلوغ ، ومعناه حسنُ التصرف في ماله مع العقل والدين .

١٤ ـ ثم قال تعالى : ﴿ فَادْفَعُوْا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوْهَا إِسْرَافاً وَبِدَارَاً أَنْ يَكْبَرُوْا .. ﴾ [آية ٦] .

أي مُبَادَرَةً أن يكبروا فيأخذوها منكم[١] .

١٥ ـ وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيَّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيْرَاً فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوْفِ .. ﴾ [آية ٦] .

في هذه الآية أقوالٌ :

أجودُها أنَّ لِوَلِيِّ اليتيم ما للولي أنْ يأْخُذَ منه إن كان فقيراً بمقدار ما يقوم به[٢] .

وكذلك رُوِيَ عن عمر أنه قال : أنا في هذا المال بمنزلة ولي اليتيم ، يأخذ منه ما يصلحه إذا احتاج [٣].

---

(١) معنى الآية كما قال المفسرون : لا تُسرعوا في إنفاقها وتبذيرها قائلين : ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ، فبداراً مصدر بادر بمعنى سارع أي مبادرين ومسارعين .

(٢) ويؤيده ما ورد في صحيح مسلم كتاب التفسير ٢٣١٦/٤ عن عائشة رضي الله عنه قالت : أنزلت الآية ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾ في وليِّ اليتيم ، أن يصيب من ماله إذا كان محتاجاً بقدر ماله بالمعروف » .. وفي رواية أخرى في مسلم « أنزلت في والي مال اليتيم ، الذي يقوم عليه ويُصْلحه ، إذا كان محتاجاً أن يأكل منه » . اهـ . وهذا قول الجمهور ، وانظر الدر المنثور ١٢١/٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن عمر رضي الله عنه ٢٥٥/٤ ورواه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور ، والبيهقي في سننه ، من طُرق عن عمر بن الخطاب ، ولفظُه « إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن احتجت أخذت منه بالمعروف ، فإذا يُسِّرت قضيت» كذا في الدر المنثور ١٢١/٢ .

ورَوَىٰ القاسم بن محمد أن أعرابياً سأل ابنَ عباسٍ ما يحلُّ لي من مال يتيمي ؟ فَرَخَّصَ له أن يأخذ منه ، إذا كان يخدُمُـــهُ ما لم يُسرف[1] .

وقال عَبِيدَةُ ، والشعبُّي ، وأبو العالية[2] : ليس له أن يأخذ شيئاً إلَّا قرضاً[3] .

وحدَّثنا عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان قال : حدثنا داود الضَّبِّيُّ قال : حدثنا عبدالله بن المبارك عن عاصم عن أبي العالية : ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بالمعروف ﴾ قال : قرضاً ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾[4] .

وقال أبو يحيى عن مجاهد : ليس له أن يأخذ قرضاً ولا غير ذلك[5] .

---

(١) الأثر في الطبري عن ابن عباس ٢٥٦/٤ والدر المنثور ١٢٢/٢ ولفظه : قال ابن عباس : « يأكل الفقير إذا ولي مال اليتيم ، بقدر قيامه على ماله ، ومنفعته له ، ما لم يُسرف أو يُبذِّر » .

(٢) يوجد في هذه الصفحة تقديم وتأخير نبه عليه الناسخ لربط الآيات .

(٣) هذا القول هو الذي رجحه الطبري في جامع البيان ٢٦٠/٤ حيث قال : « وأولى الأقوال بالصواب قول من قال « فليأكل بالمعروف » أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على الاستقراض منه ، فأما على غير ذلك الوجه فغير جائز له أكله .. » إلخ .

(٤) الأثر في الطبري عن أبي العالية ٢٥٩/٤ قال : « رُخِّص لولي اليتيم أن يصيب من الرِّسل ـــ أي الماشية من درِّها ولبنها ـــ ويأكل من الثمرة ، وأما الذهب والفضة فلا بد أن ترد ، ثم قرأ ﴿ فإذا دفعتم إليهم أموالهم ﴾ لا بد من أن يُدفع » .

(٥) المشهور عن مجاهد أن له أن يأخذ من مال اليتيم قرضاً فإذا أيسر قضاه ، كما ذكره الطبري ٢٥٧/٤ وهو قول ابن عباس ، والشعبي ، وابن جرير ، وأبي العالية ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١٦/٢ .

وقال بهذا القول من الفقهاء أبو يوسف ، وذهب إلى [أنَّ][1] الآيةَ منسوخةٌ ، نَسَخَها قولُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً ﴾ وليس بتجارة[2] .

١٦ ــ **وقوله عز وجل : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُوْنَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُوْنَ ﴾** [آية ٧] .

يُرْوَى أنهم كانوا لايورِّثون النساء ، وقالوا : لا يَرِثُ إلا مَنْ طَاعَنَ بالرُّمح ، وقاتل بالسيف ، فأنزل اللهُ ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيْباً مَفْرُوْضَاً ﴾[3] .

١٧ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوْا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِيْنُ﴾** [آية ٨] .

(١) سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٢) هذا القول مرجوح ، والراجح قول الجمهور أن الآية محكمة وليست بمنسوخة ، ومما يؤيد رأي الجمهور ما رواه أحمد عن عمرو بن شعيب أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : ليس لي مال ، ولي يتيم ، فقال : « كلْ من مال يتيمك غير مسرف ، ولا مبذِّر ، ولا متأثِّل مالاً ــ أي جامع ومدَّخر للمال ــ ومن غير أن تفدي مالك بماله » ورواه أبو داود ١٥٦/٣ وابن ماجه ٨٣/٢ بنحوه ، وهو حديث حسن ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١٧/٢ ، والآية التي استشهد بها المصنف في سورة النساء رقم (٢٩) ليس فيها دليل على ما قالوا .

(٣) هذا هو المشهور عند أهل الجاهلية أنهم كانوا لايورِّثون النساء ويقولون : كيف نعطي المال من لا يركب فرساً ، ولا يحمل سلاحاً ، ولا يُقاتل عدواً ؟ وروى الحافظ ابن كثير ١٩١/٢ عن جابر رضي الله عنه قال : « جاءت أمُّ كُجَّة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن لي ابنتين ، وقد مات أبوهما وليس لهما شيء ، فأنزل الله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .. ﴾ الآية ، وانظر أسباب النزول للواحدي ص ١٠٦ وزاد المسير ١٨/٢ وتفسير ابن عطية ٥٠/٣ والبحر المحيط ١٧٤/٣ و«أمُّ كُجَّة» بضم الكاف وتشديد الجيم امرأةٌ صحابية من نساء الأنصار ، وانظر الإصابة ٢٨٤/٨ .

في هذه الآية أقوالٌ :

أحدهما : أنها منسوخة .

قال سعيد بن المسيب : نَسَخَتْهَا المِيْرَاثُ وَالْوَصِيَّةُ[1] .

والإجماعُ من أكثر العلماء في هذا الوقت أنه لايجب إعطاؤهم ، وإنما هذا على جهة النُّدْبَةِ إلى الخير[2] .

أي إذا حضروا فأعطوهم كما كان الْمُتَوَفَّى يُؤْمَرُ بإعطائهم .

وقال عبيدة والشعبي والزهري والحسن : هي مُحْكَمَةٌ .

قال ابن أبي نجيح : يجب أن يُعطَوْا ما طابت به الأنفس[3] .

---

(١) رُوي هذا القول عن ابن عباس وابن المسيب قالا : إنها منسوخة ، وبه قال عكرمة ، والضحاك قالوا : كانت قسمة جعلها الله ثلاثة أصناف ، ثم نسخ ذلك بآية الميراث وأعطى كل ذي حظ حظه ، وجعل الوصية للذين يُحرمون ولا يرثون ، كذا في البحر ١٦٧/٣ وروى البخاري عن ابن عباس في كتاب التفسير ٥٤/٦ أنها محكمة وليس بمنسوخة ، ورجحه ابن جرير في جامع البيان ٢٦٥/٤ وانظر تفصيل الأقوال في الدر المنثور ١٢٣/٢ وفي تفسير ابن كثير ١٩١/٢ .

(٢) هكذا حكاه القرطبي وابن كثير وغيرهما ، قال القرطبي في جمع الأحكام ٤٩/٥ : والصحيح أن هذا على الندب ، لأنه لو كان فرضاً لكان استحقاقاً في التركة ، ومشاركة في الميراث ، وذلك مناقض للحكمة ، وسبب للتنازع والتقاطع . اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره ١٩٣/٢ : وقال مالك هي منسوخة نسختها المواريث والوصية ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء ، والأئمة الأربعة وأصحابهم .

(٣) أي من غير تحديد مقدار معين ، وانظر الطبري ٢٦٤/٤ وتفسير ابن الجوزي ١٩/٢ .

قال أبو جعفر : وأن يكونَ ذلك شكراً على ما رزقهم اللهُ دونه [1] .

١٨ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَقُولُوْا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوْفاً** ﴾ [آية ٨] .

قال سعيد بن جبير : يُقال لهم : خُذُوا بُوْرِكَ لَكُمْ [2] .

١٩ ــ **وقوله عز وجل** : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِيْنَ لَوْ تَرَكُوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوْا عَلَيْهِمْ** .. ﴾ [آية ٩] .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : في الرَّجُلِ يحضُرُ عند المريض فيقول له : قَدِّمْ خيراً أو تصدَّقْ على أقربائك ، فَأُمِرُوا أَنْ يُشفقوا على وَرَثةِ المريض ، كما يشفقون على ورثتهم [3] .

وقال مِقْسَمٌ : يقول له مَنْ حَضَرَهُ : اتَّقِ اللهَ ، وأَمْسِكْ عليك مَالَكَ ، فليس أحدٌ أحقٌّ بمالِكَ من ولدك ــ ولو كانوا ذوي

---

(١) عبارة النحاس كما في إعراب القرآن ٣٩٧/١ : يبعد أن يكون هذا على الندب ، لأن النَّدب لا يكون إلَّا بدليل ، أو إجماع ، أو توقيف ، فأحسن ما قيل فيه أن الله عز وجل دعا إذاحضر أولوا القربى ممن لا يرث ، أن يُعطيه من يرث شكراً لله عز وجل على تفضيله إياه . اهـ.

(٢) انظر الطبري ٢٦٨/٤ وتفسير ابن الجوزي ١٩/٢ والقرطبي ٥٠/٥ .

(٣) الاثر في الطبري عن سعيد بن جبير ٢٧٠/٤ وهو قول ابن عباس ، والسدي ، وعبارة السدي قال : الرجل يحضره الموت ، فيحضره القوم عند الوصية ، فلا ينبغي لهم أن يقولوا له : أوص بمالك ، وقدم لنفسك ، فإن الله سيرزق عيالك ، ولا يتركوه يوصي بماله كله ، يقول للذين حضروا : كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغاراً ضعافاً ، لا شيء لهم ، فليخَفْ ذلك على عيال أخيه المسلم ، وانظر أيضاً الدر المنثور للسيوطي ١٢٤/٢ .

قرابةٍ من الذي أوصى(١) ــ لأحبُّوا أن يُوْصِيَ لأولادهم .

وقولُ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ(٢) أشبهُ بمعنى الآية ، واللهُ أعلم .

لأن المعنى خافوا عليهم الفقر ، فالخوف واقع على ذرِّيةِ المَوْتَى (٣).

٢٠ ــ وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمَاً .. ﴾ [آية ١٠] .

اليتيمُ في اللغة : المنفردُ ، فقيل لمن مات أبوه من بني آدم : يتيمٌ ، وهو في البهائم الذي ماتت أُمُّه (٤).

---

(١) في المخطوطة : « ومن الذي أوصى » بزيادة الواو ، وهذه الزيادة خطأ ، لأن المراد لو كانوا ذوي قرابة من الموصي ، وبذلك يستقيم الكلام ، وانظر الطبري ٢٧١/٤ وتفسير ابن الجوزي ٢٣/٢ وعبارة الطبري واضحة مستقيمة ، قال : ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم ، لأحبوا أن يوصي لهم .

(٢) أقول : يُرجِّحُ قولَ سعيد بن جبير الذي اختاره المصنف ، ما رُوي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده في مرض اشتد به ، فقال يا رسول الله : إني ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قلتُ : فالشطر يا رسول الله ؟ ــ أي النصف ــ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » صحيح البخاري ١٨٧/٨ ومسلم ٧٢/٥ .

(٣) وضحه ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٣ فارجع إليه هناك والله يرعاك .

(٤) في الصحاح ٢٠٦٤/٥ : اليتيم جمعُه أيتام ، واليتيم في الناس من قِبَل الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ، وكل شيء مفرد يعزُّ نظيره فهو يتيم ، يقال : دُرَّة يتيمة ، وقد يتم الصبي يُتْماً ويَتْماً : فَقَدَ أباه . اهـ .

٢١ ــ **وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾** [آية ١٠] .

هذا مجازٌ في اللفظ ، وحقيقته في اللغة : أنه[١] لمَّا كان ما يأكلون يُؤَدِّيهِمْ إلى النار ، كانوا بمنزلة من يأكل النار[٢] ، وإن كانوا يأكلون الطيبات .

٢٢ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ .. ﴾** [آية ١١] .

أي يَفْرِضُ عليكم[٣] ، كما قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾[٤] .

٢٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ .. ﴾** [آية ١١] .

---

(١) في المخطوطة « لأنه » وهو خطأ وصوابه : « أنه » لأن الجملة خبر للمبتدأ .

(٢) على قول المصنف تكون الآية من باب المجاز ، ففيها « مجاز مرسل » باعتبار ما يكون كقوله تعالى ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ أي أعصر عنباً يصير خمراً ، وقيل : الآية واردة على الحقيقة أنهم يُطعمون من النار في الآخرة ، كما ورد في قصة الإسراء أنه ﷺ مرَّ على قوم يأكلون الزقوم ورَضَف جهنم ــ أي الحجارة المحماة ــ فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

(٣) هكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥١١/٣ أن لفظ « يوصيكم » يتضمن الفرض والوجوب ، كما تتضمنه لفظة « أمر » .

أقول : وإنما عدل عن لفظ « يأمركم » إلى لفظ « يوصيكم » لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام ، وطلب حصوله على وجه السرعة ، ولفظ المضارع يفيد التجدد والحدوث ، فكأنه يقول : يأمركم الله أمراً مؤكداً في كل وقت وحين بأن تستمسكوا بهذه الوصية التي هي فريضة من فرائض الله عز وجل .

(٤) سورة الأنعام آية رقم (١٥١) والشاهد فيها ﴿ ذلكم وصّاكم به ﴾ أي أمركم به وفرضه عليكم .

خلافاً على أهل الجاهلية[1] ، لأنهم كانوا لايُوَرِّثُون الإناث .

٢٤ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ .. ﴾** [آية ١١] .

ولم يُسَمِّ للاثنتين شيئاً ، ففي هذا أقوال :

أ ــ **منها أنه قيل** : إن فوقاً ههنا زائدةٌ ، وأن المعنى : فإنْ كُنَّ نساءً اثنتين ، كما قال : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ [2]

ب ــ **وقيل**[3] : أُعطِيَ الاثنتان الثلثين ، بدليلٍ لابنصٍ[4] ،

(١) أي هدماً لعادات الجاهلية ومخالفة لها ، قال السدي : « كان أهل الجاهلية لا يورِّثون الإناث ، ولا الصغار من الغلمان ، لا يرثُ الرجلَ من أولاده إلا من أطاق القتال » وانظر الطبري ٢٧٥/٤ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (١٢) ، وقبلها ﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرُّعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بَنَان ﴾ والمعنى : اضربوا الأعناق ، فجاءت لفظ « فوق » زائدة للتأكيد .

(٣) وقع تقديم وتأخير في الكلام نبَّه عليه الناسخ .

(٤) يريد المصنف أن حكم الاثنتين من البنات ، إنما ثبت بالاستنتاج لا بالنص الواضح ، لأن الله تعالى ذكر حكم البنت الواحدة فقال : ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ وذكر حكم ما زاد على البنتين فقال : ﴿ فإن كنَّ نساء فوق اثنتين فلهنَّ ثلثا ما ترك ﴾ ولم يذكر للبنتين فرضاً منصوصاً ، فلهذا وقع فيه الاختلاف ، وتكلم العلماء في الدليل الذي يوجب لهما الثلثين ما هو ؟ فقيل : الإجماع ، قال القرطبي وهو مردود ، لأن الصحيح عن ابن عباس أنه أعطى البنتين النصف ، وقيل : القياس ، حيث قيست البنتان على الأختين الشقيقتين في آخر سورة النساء ﴿ فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ وقيل « فوق » زائدة . إلخ .

لأن الله عَزَّ وجَلَّ جعل هذه الأشياء يدلُّ بعضُها على بعض ، ليتفقَّه لها المسلمون .

والدليـلُ : أنـه جعـل فَرْضَ الأخـوات والأخـوة للأم ، إذا كُنَّ اثنـتين أو أكثر واحـداً ، فقـال عز وجـل : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾[1] .

جـ ــ **ودليـلٌ آخـر** : أنـه جعـل فَرْضَ الأُختِ كفـرضِ البنت ، فلذلك يجب أن يكون فرض البنتين كفرض الأختين[2] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢) وهذه الآية تسمى آية الكلالة ، وهي في الإخوة والأخوات من الأم ، فقد جعل الله عز وجل الذكر مثل الأنثى في الميراث لقوله تعالى ﴿ فهـم شركاء في الثلث ﴾ والشركة تقتضي المساواة .

(٢) وجه الاستدلال في الآية أن الله تعالى جعل فرض الأختين الشقيقتين أو لأب ، الثلثين بالنص القاطع ، فقال : ﴿ فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممَّا ترك ﴾ ولا شك أن البنتين أقرب إلى الميت من الأختين ، فإذا كان ميراث الأختين الثلثين نصاً ، فكيف يكون ميراث البنتين النصف ؟ وهكذا قاسوا لبنات على الأخوات ، فأعطوهن الثلثين ، بطريق القياس ، والصحيح أن الحكم ثبت بالسنة المطهرة ، فقد روى الترمذي وأبو داود عن جابر بن عبد الله ، أن امرأة « سعد بن الربيع » جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله : هاتان ابنتا سعد بن اربيع ، قُتل أبوهما معك في أحد شهيداً ، وإن عمَّهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالاً ، ولا يُنكحان إلا ولهما مال !! فقال ﷺ : يقضي الله في ذلك ، فنزلت آية المواريث ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : « أعطِ ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك » فقد حدَّد ﷺ الثلثين نصيباً للبنتين صريحاً ، وانظر الحديث في مسند أحمد ٣٥٢/٣ وفي تحفة الأحوذي ٢٦٧/٦ وفي تفسير ابن كثير ١٩٦/٢ وسنن أبي داود ١٢١/٣ .

قال اللهُ عزَّ وجل : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ، إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيسَ لَهُ وَلَدٌ ، وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ .. ﴾[1] .

وقال أبو العباس « محمَّدُ بنُ يَزِيدَ » : في الآية نَفْسِها دليلٌ على أن للبنتين الثلثين ، لأنه قال : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ وأقل العددِ ذَكَرٌ وأُنثَى ، فإذا كان للواحدة الثُّلُثُ،دَلَّ ذلك على أن **لِلْاثْنَتَيْنِ الثلثين** ، فهذه أقاويل اهل اللغة .

وقد قيل : ليس للبنات إلاَّ النِّصْفُ ، والثلثان ، فلما وَجَبَ أن لا يكون للابنتين ، وَجَبَ أن يكون لهما الثلثان[2]

على أن ابن عباس قال : لهما النصف[3] .

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه أعطى البنتين الثلثين[4] .

ورَوَى جابرُ بنُ عبدِاللّهِ أن امرأة « سَعد بن الربيع » أَتَتْ النبيَّ ﷺ ، فقالت يارسول الله : إنَّ زوجي قُتِلَ معك ، وإنما

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٧٦) .

(٢) توضيح هذا أن الله عز وجل ذكر فرض الواحدة من البنات ، وهو النصف ، وذكر فرض البنات مجتمعات وهو الثلثان ، فإذا لم يكن نصيب الواحدة وهو النصف يتناول البنتين ، وجب أن تأخذ الفرض الآخر وهو الثلثان .

(٣) حُكي هذا القول عن ابن عباس أن نصيب البنتين النصف ، لقوله تعالى ﴿ فوق اثنتين ﴾ وقيل : إنه رجع عن هذا القول في آخر عمره ، ووافق الجمهور ، والله أعلم .

(٤) راجع تعليقه (٢) من الصفحة السابقة .

يُتَزَوَّجُ النِّساءُ للمالِ ، وقد خَلَّفَني وخَلَّفَ ابنتين وأخاً ، وأخذ الأخُ المال ، فَدَعَاهُ رسول الله ﷺ فقال : « ادْفَعْ إليها الثُّمُنَ ، وإلى البنتين الثلثين ، ولك ما بقي »[١] .

٢٥ ـ وقوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ .. ﴾ [آية ١١] أجمعتِ الفقهاءُ[٢] أن الإخوة اثنان فصاعداً ، إلا ابنَ عباس فإنه قال : لا يكون الإخوةُ أقلَّ من ثلاثة[٣] .

والدليلُ على أن الاثنين يقال لهما إخوةٌ : قولُهُ : ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً .. ﴾[٤] فلا اختلاف بين أهل العلم أنَّ هذا يكون للاثنين فصاعداً ، والاثنان جماعةٌ لأنه واحدٌ جَمَعْتَهُ إلى آخر[٥] .

---

(١) الحديث تقدم وقد أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٥٢ والترمذي في سننه ٦/٢٦٧ من تحفة الأحوذي ، وابن ماجه ٢/٩٠٨ وأبو داود ٣/١٢١ وذكره الحافظ ابن كثير من حديث جابر بن عبد الله ٢/١٩٦ وأورده المصنف هنا بالمعنى .

(٢) في المخطوطة « فأجمعت الفقهاء » بزيادة الفاء ، والصواب حذفها لأنه كلام جديد مستأنف .

(٣) ذكر هذا القول عن ابن عباس أبو حيان في البحر المحيط ٣/١٨٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٥١٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٥/٧٢ والجمهور على خلافه .

(٤) سورة النساء آية رقم (١٧٦) وقد نبهت الآية على أن الأخ الشقيق الواحد مع الأخت الشقيقة ولو كانت واحدة يتقاسمان التركة ، للذكر ضعف الأنثى ، فدلَّ على وقوع لفظ الإخوة على الاثنين فصاعداً .

(٥) قال الزجاج في معانيه ٢/٢٠ : « أجمع الفقهاء على أن الأخوين يحجبان الأم عن الثلث ، إلا ابن عباس فإنه كان لا يحجب بأخوين ، وحجته أن الله عز وجل قال ﴿ فإن كان له إخوة .. ﴾ وقال جميع أهل اللغة : إن الأخوين جماعة كما أن الإخوة جماعة ، لأنك إذا جمعت واحداً إلى واحد فهما جماعة ، ويقال لهما : إخوة ، وما كان الشيء منه واحدة فتثنيته جمع ، قال تعالى ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صَغَتْ قلوبكما .. ﴾ .

وقال : ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾[1] يعني طرفيه ، والله أعلم .

وصلاة الإثنين جَمَاعةٌ[2] .

٢٦ ـ وقوله عز وجل : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أو دَيْنٍ .. ﴾ [آية ١١] .

رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إنكم تقرؤون ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ وإنّ رسول الله ﷺ قضى بالدَّيْنِ قبل الوصية[3] .

قال أبو جعفر : كأنَّ هذا على التقديم والتأخير ، وليست « أوْ » ههنا بمعنى الواو ، وإنما هي للإباحة[4] .

والفرقُ بينها وبين الواو أنه لو قال : « مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِي بِهَا وَدَيْنٍ » جاز أن يَتوهَّمَ السامعُ بأنَّ هذا إذا اجتمعا ، فلما جاء

---

(١) سورة طه آية رقم (١٣٠) وتمامها ﴿ وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ .

(٢) هذا أمر متفق عليه بين الفقهاء ، فتصح الجماعة بإمام واحد ومقتد واحد ، وتسمى صلاة الجماعة ، ونصُّ الحديث «الإثنان فما فوقهما جماعة » أخرجه أحمد ٥/٢٥٤ وقد بوَّب له البخاري في صحيحه .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفرائض ٥/٢٧١ من تحفة الأحوذي ، وابن ماجه ٢/٩١٥ وأحمد في المسند ١/١٤٤ ورواه ابن كثير في تفسيره بأوسع من هذا ، وقال : أجمع العلماء سلفاً وخلفاً أن الدَّين متقدم على الوصية ، وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٩٩ والدر المنثور ٢/١٢٦ .

(٤) هذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٢/٢١ فقد مثَّل له رحمه الله فقال : وهذا مثل قولك : جَالسِ الحسنَ أو الشعبيَّ ، والمعنى : كل واحد منهما أهل لأن يجالس ، ولو قلت : جالس الرجلين ، فجالست واحداً منهما كنت غير متَّبع ما أُمرت به .. إلخ .

بِأَوْ جاز أن يجتمعا ، وأن يكون واحدٌ منهما[1] .

٢٧ ـ **وقوله عز وجل : ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً .. ﴾** [آية ١١] .

قال ابن عباس : في الدنيا[2] .

وقال غيره : إذا كان الابنُ أرفعَ درجةً من الأب سأل الله أن يلحقه به ، وكذلك الأبُ إذا كان أرفعَ درجةً منه[3] .

٢٨ ـ **ثم قال تعالى ﴿ فَرِيْضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمَاً حَكِيْمَاً ﴾** [آية ١١] .

أي عليمٌ بما فرض ، حكيم به[4] .

ومعنى ﴿ كان ﴾ ههنا فيه أقوال :

أحدها : أنَّ معناه : لم يزل ، كأنَّ القومَ عاينوا حكمةً

---

(١) انظر معاني الزجاج ٢/٢٢ والقرطبي ٥/٧٤ فقد أجاب عن سبب تقديم الوصية على الدَّين من أوجه خمسة .

(٢) هذا القول هو الأظهر والأرجح ، والمعنى : أنتم لا تدرون في الدنيا أيُّهم أقرب لكم نفعاً ، الابن أو الأب ؟ وهو قول مجاهد وابن زيد أيضاً ، وانظر معاني الزجاج ٢/٢٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كما في الدر المنثور ٢/١٢٦ ولفظه : يقول « أطوعكم لله من الآباء والأبناء ، أرفعكم درجة عند الله يوم القيامة ، لأن الله شفَّع بعضهم في بعض » . اهـ.

(٤) عبارة الزجاج في معانيه ٢/٢٣ : أي عليم بما يصلح خلقه ، حكيم فيما فرض من هذه الأموال وغيرها ، وقال القرطبي ٥/٧٥ : عليم بقسمة المواريث ﴿حكيم﴾ أحكَمَ قسمتها وبيَّنها لأهلها .

وعلماً ، فأعلمهم اللّهُ عزَّ وجل ، أنه لم يزل كذلك[1] .

وقيل : الإخبارُ من اللّهِ في الماضي ، والمستقبلِ ، واحدٌ لأنه عنده معلومٌ .

٢٩ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ .. ﴾** [آية ١٢] .

في الكلالة أقوال :

قال البصريُّون : الكلالةُ : الميِّتُ الذي لا وَلَدَ له ، ولا والد[2] .

واحتجُّوا بأنه رُوي عن أبي بكر باختلافٍ ، وعن علي ، وزيد ابنِ ثابتٍ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر بن زيد ، أنهم قالوا :

---

(١) هذا قول سيبويه كما في معاني القرآن للزجاج ٢٣/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٧٥/٥ وقد وضّحه الإمام الألوسي في تفسيره « روح المعاني » ٢٢٩/٤ فقال : والخبر عن الله تعالى بمثل هذه الألفاظ « كان عليماً حكيماً » ــ كما قال الخليل ــ كالخبر بالحال والاستقبال ، لأنه تعالى منزّه عن الدخول في الزمان .. وقال سيبويه : القوم لمّا شاهدوا علماً وحكمة ، وفضلاً وإحساناً ، تعجبوا فقيل لهم : إن الله تعالى كان كذلك أي لم يزل موصوفاً بهذه الصفات . اهـ.

(٢) إنما سميت القرابة « كلالة » من الكلال وهو الإعياء ، يُقال : كَلَّ الرجل إذا ضعف ، فإذا لم يوجد للميت وارث من والد أو ولد ، وليس له آباء ولا أبناء ، فقد ضعفت صلة القرابة وأصبحت كلالة ، ولهذا فسرت الكلالة بأنه الذي لا والد له ولا ولد ، كما رُوي عن أبي بكر ، وقال عمر : أتى عليَّ حين وأنا لا أعرف الكلالة ، فإذا هو من لم يكن له والد ولا ولد ، قال ابن كثير : وهو قول علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، والأئمة الأربعة ، وجمهور السلف والخلف .

الكلالةُ منْ لا وَلَدَ له ، ولا وَالِدَ[1] .

وقال البصريون : هذا مثلُ قولك : « رجلٌ عقيمٌ » إذا لم يولد [له][2] ، وهو مشتقٌ من الإكليل ، فكأنَّ الورثة قد أحاطوا به وليس له ولدٌ ولا والدٌ ، فيحوزَ المالَ[3] .

وقال أهل المدينة وأهل الكوفة : الكَلَالةُ : الورثةُ الذين لا والدَ فيهم ولا وَلَدَ[4] .

ورُوي عن عمر قولان :

أحدهما : أن الكلالة مَنْ لا وَلَدَ له ، ولا والد .

والآخرُ : أنها مَنْ لا وَلَد له .

---

(١) قال الجوهري : الكلُّ الذي لا ولد له ولا والد ، يقال : كلَّ الرجل يكلُّ كلالة ، والعرب تقول : لم يرثه كلالة أي عن عُرُض بل عن قرب واستحقاق ، ويقال : هو من تكلَّله النسب أي تطرَّفه . وانظر الصحاح ٥/١٨١١ .

(٢) سقط من المخطوطة عبارة « له » وأثبتناها من الهامش .

(٣) هذا قول آخر لعلماء اللغة في أصل اشتقاق « الكلالة » ذكره الزجاج في معانيه ٢/٢٤ فقال : زعم أهل اللغة أن الكلالة من قولك : تكلَّله النَّسب ، أي لم يكن الذي ورثه ابنه ولا أباه ، والكلالة سوى الولد والوالد ، قال : والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر :

فَإِنَّ أَبَا المَرْءِ أَحْمَى لَهُ ... وَمَوْلَى الكَلَالَةِ لَا يَغْضَبُ

يريد أن أبا المرء يغضب لابنه إذا ظُلم ، وأما أقرباؤه كالإخوة والأعمام وسائر القرابات فإنهم لا يغضبون من أجل غضب الولد ، وانظر لسان العرب مادة « كلل » .

(٤) هذا القول مثل القول الأول ، إلا أن الفرق بينهما ، أن الأول : هو الميت الذي لا والد له ولا ولد ، والثاني : هم الورثة الذين لا ولد فيهم ، ولا والد ، وانظر هذا القول في تفسير ابن كثير ٢/٢٠٠ .

قال أبو جعفر : رُوي عن عطاءٍ قولٌ شاذ ، قال : الكلالةُ : المالُ[1] .

وقال ابنُ زيدٍ : الكلالة الميِّتُ الذي لا والدَ له ولا وَلَدَ ، **والحيُّ** كلهم كلالةٌ ، هذا يرث بالكلالة ، وهذا يورث بالكلالة[2] .

وقال محمد بن جرير : الصواب أنَّ الكلالةَ الذين يرثون الميِّت ، مَنْ عدا وَلَدَهُ ووَالِدَهُ ، لصحَّةِ خبرِ جابر ــ يعني ابن عبدالله ــ أنه قال : قلتُ يارسولَ اللَّهِ إنمَّا يرثني كلالةٌ ، فكيف بالميراث[3] ؟ فنزلت .

٣٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٥٢٢ : والاشتقاق في معنى الكلالة يُفسد تسمية المال بها .

(٢) هذا الأثر عن ابن زيد ذكره الطبري ٤/٢٨٦ وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٥٢٠ .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان ٤/٢٧٦ بهذا اللفظ قال : فنزلت آية الفرائض ، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٥٤ ومسلم في كتاب الفرائض ٦/٢٧٦ وابن ماجه ٢/٩١١ وأبو داود ٣/١ ولفظه عن جابر بن عبد الله قال : عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيَيْن ، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً ، فدعا بماء فتوضأ منه ثمَّ رشَّ عليَّ فأفقت ، فقلت : ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله ؟ فنزلت ﴿ يوصيكم الله في أولادكم .. ﴾ الآية وليس في رواية الشيخين « إنما يرثني كلالة » وانظر الدر المنثور ٢/١٢٥ وفي أبي داود : كيف أصنع في مالي ولي أخوات ؟ فنزلت آية المواريث ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ .

وإنما يعني ههنا الإخوةَ والأخواتِ للأم[١] .

وكذلك رُوي عن سعد بن أبي وقاص أنه قرأ : ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ « مِن أُمِّهِ » فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾[٢] .

وقرأ الحسن وأبو رَجَاءٍ : ﴿ يُوْرِثُ كلالةً ﴾[٣] .

وقال هارون القارىء : قرأ بعض أهل الكوفة : ﴿ يُوَرِّثُ كلالةً ﴾[٤] .

فَعَلَىٰ هاتين القراءتين لا تكون الكلالةُ إلاَّ الورثة ، أو المال .

٣١ ــ **وقولُه عزَّ وجل ﴿ مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْدَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ .. ﴾**

ورُوي عن الحسن أنه قرأ : ﴿ غَيْرَ مُضَارِّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾[٥] ، مضافٌ . وقد زعم بعض أهل اللغة أن هذا لَحْنٌ ، لأنَّ اسمَ الفاعِلِ لا يُضاف إلى المصدر .

---

(١) المراد به هنا الأخ لأم ، والأخت لأم ، بإجماع ، كما ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣/١٩٠ ذلك لأن الله تعالى ذكر حكم الأخت الشقيقة ، والأخ الشقيق في آخر سورة النساء ، فجعل للأخت الشقيقة نصف المال ، وللأخ الشقيق جميع المال في قوله تعالى ﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد .. ﴾ الآية ، فدلَّ هنا على أن المراد الأخ ، والأخت من الأم ، ويؤيده قراءة أُبيّ وسعد « وله أخ أو أخت من أم » وهذه قراءة شاذة ولكنها تقوِّي المعنى ، وانظر تفسير ابن كثير ٢/٢٠١ .

(٢) هذه القراءة ذكرها المفسرون ،وليستْ من القراءات السبع المتواترة ، وانظر تفسير ابن عطية ٣/٥٢٣ .

(٣) و (٤) عدَّهما ابن جني في المحتسب من القراءات الشاذة ، وانظر كتابه ١/١٨٢ .

(٥) هذه أيضاً من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/١٨٣ .

والقراءةُ حسنةٌ على حذفٍ ، والمعنى غيرَ مضارٍّ ذِي وصيَّةٍ ، أي غيرَ مُضَارٍّ بها ورثَتَهُ في مِيرَاثهم[1] .

٣٢ ــ وقوله عز وجل : ﴿ تِلْكَ حُدُوْدُ اللَّهِ ﴾ [آية ١٣] .

أي ما مَنَعَ أن يُجاوَزَ .. وحَدَدْتُ : مَنَعْتُ[2] .

٣٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [آية ١٣] .

أي مَنْ يُطِعْهُ فيما فَرَضَ وَحَدَّ[3] .

٣٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُوْدَهُ يُدْخِلْهُ نَاْرَاً .. ﴾ [آية ١٤] .

معنى « يتعدَّى » يتجاوز ، أي يتجاوز ما حُدَّ له[4] .

---

(١) هذا التخريج إنما هو من حيث اللغة ، ولا يخرجها عن القراءات الشاذة ،فلا تجوز القراءة بها ؛ فقول المصنف : والقراءة حسنة ، يُراد به أنها حسنة من حيث المعنى ، لا من حيث التلاوة فإنها شاذة ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢٤/٣ .

(٢) قال ابن عطية ٥٢٥/٣ : الحدُّ : الحاجز المانع لأمر ما أن يدخل على غيره ، أو يَدْخُلَ عليه غيره ، ومن هذا قوله للبَوَّاب : حدَّاد لأنه يمنع ، ومنه إحداد المرأة وهو امتناعها عن الزينة .

(٣) قال في البحر ١٩٢/٣ : لمَّا أشار تعالى إلى حدوده التي حدَّها ، قسم الناس إلى قسمين : مطيع ، وعاص ، وبدأ بالمطيع لأن الغالب على من كان مؤمناً بالله الطاعة ، ولأن قسم الخير ينبغي أن يُبتدأ به ، ويُعتنى بتقديمه ، وحمل أولاً على لفظ « مَنْ » فأفرد « يدخله » ثم حمل على المعنى فجمع في قوله « خالدين فيها » أي ماكثين أبداً .

(٤) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢٦/٢ حيث قال : « ويتعدَّ حدوده » أي يجاوز ما حدَّه الله وأمر به .

٣٥ ـ وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوْا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوْا فَأَمْسِكُوْهُنَّ فِي الْبُيُوتِ .. ﴾ [آية ١٥] .

هذه الآية منسوخةٌ(١) .

قال ابن عباس : كان الأمرُ كذا حتى نزلت الآيةُ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾(٢) .

فأمَّا معنى الآيةِ المنسوخةِ ، فإن سُفْيَانَ والسُّدِّيَّ قالا : « كان الثَّيِّبُ إذا زَنَا حُبِسَ حتَّى يموتَ ، وكان البكرُ إذا زَنَا سُبَّ بالقَوْلِ »(٣) .

إلَّا أن الفائدة في الآية أنه كان لايُقبل في الزِّنا إلاَّ أربعةٌ(٤) .

---

(١) هذا قول متفق عليه بين العلماء ، فالآية منسوخة والناسخ لها هو آية النور ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ والسنة النبوية المطهرة « خُذُوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثَّيِّب بالثَّيِّب جلد مائة والرجم » رواه مسلم رقم ١٦٩٠ .

(٢) سورة النور آية رقم (٢) والأثر عن ابن عباس أخرجه ابن جرير والبيهقي وابن المنذر ، وذكره ابن الجوزي ولفظه « كانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت ، فجعل الله لهن سبيلاً وهو الجلد ، أو الرجم » وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٤/٢ والدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٢ قال السيوطي : ثم أنزل الله بعد ذلك « الزانية والزاني فاجلدوا .. » فإن كانا مُحْصنين رُجماً ، فهذا السبيل الذي جعله الله لهما » .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٢٩٢/٤ والدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٢ .

(٤) يريد المصنف أن الآية وإن نسخت إلا أن حكمها باق ، بالنسبة إلى الشهود الأربعة ، فهي منسوخة بالنسبة إلى الحبس فقط ، وليست منسوخة بالنسبة لشهادة الرجال ، وكذلك كونهم أربعة فهذا الحكم باق ، قال الزجاج في معانيه ٢٨/٢ : قال بعضهم : كان =

وزعم مجاهد أن قوله : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ أنها كانت خاصةً على النِّساءِ دون الرجال ، والَّتي بعدها على الرجال خاصةً ، وهي ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾ بالسَّبِّ ، ثم نُسِخَتَا بالحدِّ المفروض ، هذا معنى قوله[1] .

قال أبو جعفر : وهذا الصحيح في اللغة الذي هو حقيقةٌ[2] ، فلا يُغَلَّبُ المذَكَّرُ على المؤنث إلا بدليلٍ[3] .

فأما معنى ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ فإن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَوَىٰ أنَّ النبي ﷺ قال : « خذوا عني ، قد جعل الله لهن

= الحبس للثَّيِّبَيْنِ ، والأذى للبكرين ، فيقال لهما : فجرتما وزنيتما وانتهكتما حرمات الله ، وقال بعضهم : الأذى لا ينبغي أن يكون منسوخاً إلا أن يتوبا ، وأما ما سلف مما كان في أمر الفاجرة فقد استغني عنه ، إلا أن الفائدة فيه أن الشهادة لم تزل في الزنى أربعة نفر » .

(١) انظر معاني الزجاج ٢/٢٨ والطبري ٤/٢٩٥ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٤/٢٩٥ والقرطبي ٥/٨٦ وعبارته : وقال مجاهد : الآية الأولى ﴿ واللاتي يأتين ﴾ في النساء عامة ، محصنات وغير محصنات ، والآية الثانية ﴿ واللَّذَانِ يأتيانها ﴾ في الرجال خاصة ، فقد بيَّن بلفظ التثنية صنفي الرجال : من أُحْصِن ، ومن لم يُحصن ، فعقوبة النساء الحبس ، وعقوبة الرجال الأذى ، وهذا قول يقتضيه اللفظ ، ويستوفي به نص الكلام أصناف الزناة ، ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الأولى « من نسائكم » وفي الثانية « منكم » وهو ما اختاره النحاس ورواه عن ابن عباس ، وقال السدي وقتادة : الأولى في النساء المحصنات ويدخل معهن الرجال المحصنين ، والثانية في الرجل والمرأة البكرين ، وقد رجحه الطبري ٤/٢٩٦ .

(٣) في هذا الترجيح رد على ابن جرير فيما ذهب إليه ، فهو يرى ــ أعني النحاس ــ أن تغليب المؤنث على المذكر بعيد ، لأنه لا يخرج الشيء إلى المجاز ومعناه صحيح في الحقيقة ، بمعنى أنه لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لضرورة ، والله أعلم .

سبيلاً ، البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وتغريبُ عامٍ ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرجمُ »[1] .

قيل : هذا الحديثُ منسوخٌ ، وهو أن الثَّيِّبَ لا جَلْدَ عليه وإنما عليه الرجمُ ، ونَسَخَ هذا الحديثَ حديثُ الزهري عن عُبَيْدِ اللَّهِ [بن عبد الله][2] عن أبي هريرة وزيد بن خالدٍ « أَنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إن ابني كان عسيْفاً[3] لهذا ، وإنه فسَقَ بامرأتِهِ ، فافتديتُ منه ، ثم خُبِّرْتُ أنَّ على ابني جَلْدَ مائةٍ وتغريبَ عامٍ ، وعلى امرأته الرجم ، فقضى رسول الله ﷺ أن يُرَدَّ عليه ما أُخذ منه ، وأن يُجلدَ ابنهُ مِائَةً ويُغَرَّبَ عاماً ، وتُرْجَمَ المرأةُ ، ولم يأمرْ بجلدها »[4] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الحدود رقم (١٦٩٠) والترمذي برقم (١٤٣٤) وأبو داود برقم (٤٤١٥) جميعهم في الحدود ، وفي لفظ مسلم والترمذي « خذوا عني ، خذوا عني » بتكرار الجملة ، وانظر جامع الأصول ٤/٤٩٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش ، وهذه الرواية من زيادات الحميدي قال : أخبرني « عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة » كذا ذكره الحافظ ابن جرير في فتح الباري ١٢/١٣٧ .

(٣) العَسِيف : الأُجير ، بهذا فسَّره مالك وعلماء اللغة ، وانظر جامع الأُصول ٣/٥٣٧ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري ١٢/١٣٧ فتح الباري ، ومسلم في الحدود رقم ١٦٩٧ والترمذي في السُّنَن رقم ١٤٣٣ وأبو داود برقم ٤٤٤٥ ومالك في الموطأ ٢/٨٢٢ ولفظه كما في البخاري : عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني قالا : « جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو جالس ، فقال : يارسول الله أنشدك اللَّهَ إلاَّ قضيت لي بكتاب الله ، فقال الخصم الآخر ـــ وهو أفقه منه ـــ نعم يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله ، وائذن لي ، فقال رسول الله ﷺ : قل ، قال : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته .. » وذكر الحديث وانظره بكماله في جامع الأصول ٣/٥٣٦ .

ويقال : إن حديث عُبادةَ كان في الابتداء ، وإن التغريبَ لا يجبُ ، إلا أن يراه السلطانُ ، لأنه يجوز أن يكون التغريبُ منه ﷺ لشيء عَلِمَهُ من المجلود[1] .

وقولُ [علي][2] بن أبي طالب رضي الله عنه إنَّ على الثيِّبَ الجلْدَ والرجمَ ، هو قولُ أهلِ النظر ، لأنه لم يتبين نَسْخُ الجَلْدِ مع الرجم ، فالجَلْدُ ثابتٌ وعليه غيرُ دليلٍ[3] .

٣٦ ــ **وَقَوْلُهُ عزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ﴾** [آية ١٧] .

قال قتادة : اجتمع أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ فَرَأَوْا أَنَّ كلَّ مَنْ عَصَىٰ اللَّهَ عزَّ وجلَّ فهو جاهلٌ[4] .

---

(١) هذا هو رأي الجمهور أن الثيب الزاني ــ أعني المتزوج يُرجَمُ فقط ولا يُجلد ، وذلك لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه أمر برجم ماعز ، والغامدية ، ولم يجلدهما ، فدلّ على أن الجلد ليس بحتم بل هو منسوخ ، وذهب أحمد إلى أن المتزوج يُجلد مائة جلدة ثم يرجم ، عملاً بمقتضى حديث مسلم وهو حديث عبادة بن الصامت ، وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٠٥/٢ حول هذا الموضوع .

(٢) سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٣) الجلد وإن كان له أدلة ، لكنه منسوخ ــ كما هو رأي الجمهور ــ بفعل النبي وعمل الصحابة ، لأنه يَعْرى عن الحكمة والمصلحة ، فإذا كان الزاني المحصن سيرجم حتى الموت ، فما فائدة الجلد إذاً ؟ وقد تكرر الرجم في زمنه ﷺ ولم يثبت أن المرجوم جَلَده ﷺ .

(٤) هذا الأثر ذكره ابن جرير ٢٩٨/٤ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، وذكره ابن الجوزي ٣٧/٢ وابن كثير ٢٠٦/٢ وإنما سمُّوا جهالاً لمعاصيهم ، لأن من آثر العاجل على الآجل ، واللَّذة العابرة على الراحة والسعادة الدائمة فهو جاهل .

٣٧ ــ وقولُه عزَّ وجَلَّ : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ [آية ١٧] .

رُوي عن الضحاك أنه قال : كلُّ ما كان دونَ الموتِ فهو قريب[١] .

٣٨ ــ وقوله عز وجل : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ [آية ١٨] .

رُوي عن عبدالله بن عمر أنه قال : ما حضورُ الموتِ إلاَّ السَّوْقُ ، يعني أنه إذا عاين تبيَّنَ له الحقُّ ، ولا تنفعُهُ التوبةُ عند ذلك ، كما قال جَلَّ وَعَزَّ عن فرعون : ﴿ آمنتُ ﴾[٣] .

٣٩ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَايَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوْا النِّسَاءَ كَرْهاً .. ﴾ [آية ١٩] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٤/٣٠١ وابن كثير ٤/٢٠٦ ورُوي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ ثُمَّ يَتُوبون من قريب ﴾ ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت ، وقال الحسن البصري : ما لم تصبح الروح في الحلقوم واستدل بما رواه أحمد في المسند ٢/١٣٢ عن ابن عمر مرفوعاً « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عمر ٤/٣٠٢ ولفظُه : وقال ابن عمر : التوبة مبسوطة ما لم يُسَق ، ثم قرأ الآية ﴿ حتى إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الموتُ قال إني تُبت الآن ﴾ ثم قال : وهل الحضور إلا السَّوق ؟ وقد سقط من المخطوطة « ما » وأثبتناها لضرورة صحة المعنى لوجود « إلا » ولو قال : حضور الموت السَّوق لكان صحيحاً .

(٣) أشار إلى قوله تعالى عن فرعون ﴿ حتى إذا أدركه الغرق ، قال آمنت أنه لا إلهَ إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين ﴾ سورة يونس آية رقم (٩٠) .

قال الزُّهْرِيُّ وأبو مِجْلَز(١): كان هذا في حَيٍّ من الأنصار ، كان الرَّجُلُ إذا تُوفّي وخَلَّفَ امْرأةً ، ألقىٰ عليها وليُّهُ رداءً فلا تقدرُ أنْ تتزوج ، هذا معنى كلامهما ، وزاد غيرُهما : ويتزوجها بغير مَهْر ، وربَّما ضارّها ، ولا تقدر(٢) أن تتزوج حتى تفتدي منه ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَاْ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوْا النِّسَاءَ كَرْهَاً .. ﴾(٣) الآية .

فيكون المعنى : لايحلُّ لكم أن ترثوهنَّ من أزواجهن فتكونوا أزواجاً لهن(٤) .

ويجوز أن يكون المعنى : لا تتزوَّجُوهُنَّ لترثوهنَّ كَرْهاً ، فيكونُ الميراث وقع منهن ، بالكراهة منهن للعقدِ الموجبِ للميراث(٥) .

---

(١) «أبو مِجْلَز» هو لاحق بن حُميد بن سعيد البصري ، ثقة من كبار الثالثة ، توفي سنة ١٠٦ هـ وانظر ترجمته في تقريب التهذيب ٣٤٠/٢ .

(٢) في المخطوطة « ولا يقدر » بالياء وصوابه « ولا تقدر » لأن الضمير يعود على المرأة .

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وعبد الرزاق ، وابن جرير عن الزهري ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ١٣٢/٢ ، ورواه البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال : « كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا زوَّجوها ، وإن شاءوا لم يزوِّجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت الآية في ذلك » انظر صحيح البخاري ٥٥/٦ وسنن أبي داود ٢٣٠/٢ والدر المنثور ١٣١/٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٩/٢ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٩/٢ .

(٤) هذا قول الجمهور أن المراد من الآية لا يحل لكم أن ترثوا نكاح النساء .

(٥) هذا القول مروي عن ابن عباس قال : « كان يلقي قريب الميت على الجارية ثوباً ، فإن كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها » فعلى هذا القول المراد : أن ترثوا أموالهن كرهاً ، وانظر زاد المسير ٣٩/٢ وجامع البيان ٣٠٧/٤ .

ويُقرأ ﴿ كُرْهاً ﴾ .[1]

والفرَّاءُ يذهب إلى أن معنى ﴿ كَرْهاً ﴾ أن تُكرَهَ على الشيء ، والكُرْهُ من قِبَلِهِ يذهَبُ إلى أنه بمعنى المشقة[2] .

قال الكسائي : الكَرْهُ والكُرْهُ واحدٌ .

وهو عند البصريِّين كما قال الكسائي ، وهما لغتان[3] .

٤٠ ـ **وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال مجاهد : هو مِثلُ الذي في البقرة[4] .

يذهبُ إلى أن معناهُ ولا تحبسوهنَّ .

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي « كُرْهاً » بضم الكاف ، وقرأ عاصم وابن كثير ونافع بفتح الكاف « كَرْهاً » وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر النشر لابن الجزري ٢/٢٤٨ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٢٩ .

(٢) فرَّق الفراء بين لفظة « كَرْه » و « كُرْه » فقال : الكَرْه بالفتح بمعنى الإكراه ، وبالضم بمعنى المشقة ومنه قوله تعالى ﴿ حملته أمه كُرْهاً ووضعته كرهاً ﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة .

(٣) قال الكسائي : الكَرْهُ والكُرْه بمعنى واحد بمعنى الإكراه ، وهذا مذهب البصريين أنهما لغتان كالضَّعف والضُّعف ، وذهب ابن قتيبة في غريب القرآن إلى قول الفراء فقال ص ١٢٢ : الكَرْه ههنا بمعنى الإكراه والقهر ، فأما الكُره بالضم فبمعنى المشقة ، يقول الناس : لتفعلن ذلك طَوْعاً أو كَرْهاً أي طائعاً أو مكرهاً ، ولا يُقال : طائعاً أو كُرهاً بالضم .

(٤) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنَّ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ سورة البقرة آية رقم (٢٣٢) والمعنى : فلا تمنعوهن وتحبسوهن أن يتزوجن أزواجهن ، وانظر قول مجاهد في الطبري ٤/٣٠٩ .

ويُروى أن الرجل كان يتزوج المرأة فلا تعجبه ، فيحبسها ويضارها حتى تفتديَ منه[1] .

٤١ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾** [آية ١٩] .

قال الحسن والشَّعْبي : يعني الزنا[2] .

قال الشّعبي : فإن فَعَلَتْ ذلك صَلُحَ الخلْعُ وكان له أن يطالبها به .

وقال مِقْسَمٌ : هذا إذا عَصَتْكَ وآذَتْك[3] .

وقال عطاء الخراساني : كان الرجل إذا تزوج المرأة فَأَتَتْ بفاحشة كان له أن يأخذ منها[4] كلما ساقه إليها . فَنَسِخَ ذلك

(١) هذا القول هو الظاهر وهو الصحيح ، وهو مروي عن ابن عباس وابن زيد ، وقد رجحه الطبري ٣٠٩/٤ فقال : « وأولى الأقوال في تأويل الآية ﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ قول من قال : نهى الله عز وجل زوج المرأة عن التضييق عليها ، والإضرار بها ، وهو لصحبتها كاره ، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصَّداق » .

أقول : فعلى هذا القول تكون الآية ذات شطرين ، الشطر الأول في أهل الجاهلية ، والشطر الثاني في أهل الإسلام ، وقال ابن مسعود معنى الآية : لا ترثوا النساء كفعل الجاهلية ، ولا تعضلوهن في الإسلام .. إلخ . وانظر المحرر الوجيز ٥٤١/٣ .

(٢) قال ابن الجوزي ٤٠/٢ : في الفاحشة قولان : أحدهما : أنها النشوز على الزوج ، قاله ابن عباس وابن مسعود وقتادة وجماعة . والثاني : الزنى ، قاله الحسن ، وعطاء ، وعكرمة في جماعة .

(٣) ذكره الطبري ٣١٠/٤ وهذا على تفسير ابن عباس أن الفاحشة هي النشوز والعصيان .

(٤) في المخطوطة أن يأخذها وهو خطأ وصوابه أن يأخذ منها .

بالحدود[1] .

٤٢ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ .. ﴾** [آية ١٩] .

أي في المبيتِ ، والنفقةِ ، والكلامِ[2] .

٤٣ ــ **وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ .. ﴾** [آية ٢٠] .

أي تطليقاً وتَزَوُّجاً[3] .

---

(١) ذكره ابن جرير عن عطاء الخراساني ٢١٠/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤١/٢ قال ابن جرير : وهذا القول ليس بصحيح ، لأن الحدَّ حق الله ، والافتداء حق للزوج ، وليس أحدهما مبطلاً للآخر . انظر جامع البيان ٣١٢/٤ .

(٢) المراد بالمعاشرة بالمعروف : الإحسان إلى النساء في جميع الأمور ، من الصبر عليهن ، وملاطفتهن ، وإحسان صحبتهن ، وعدم إيذائهن كما بينه ﷺ بقوله لمن سأله عن حق الزوجة عليه قال : « أن تطعمها إذا طَعِمتَ ، وأن تكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّح ، ولا تهجر إلا في البيت » فاللفظ أعمُّ مما ذكره المصنف ، قال الحافظ ابن كثير ٢١١/٢ : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ أي طيِّبوا أقوالكم لهن ، وحسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله ، وكان من أخلاقه ﷺ أنه « كان جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه ، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودَّد إليها بذلك ، قال عائشة : سَابَقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلما حملت اللحم ــ أي سمنت وبدنت ــ سابقني فسبقني ، فقال يا عائشة : هذه بتلك » وكان يجتمع نساؤه كل ليلة في بيت الذي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ وقد قال الله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ . اهـ. تفسير ابن كثير ٢١٢/٢ .

(٣) يريد المصنف أن يطلّق زوجة ليتزوج بدلها بأخرى .

ثم قال : ﴿ وَآتَيْتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ﴾ القنطارُ المالُ الكثير . وقد ذكرناه في سورة آل عمران[1] .

٤٤ **ـ وقوله عز وجل ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وإِثْمَاً مُبِيناً ﴾ ؟** [آية ٢٠] .

والبهتانُ في اللغةِ : الباطلُ الذي يُتَحَيَّرُ من بُطلانِهِ ، ومنه بُهِتَ الرَّجُلُ إذا تَحَيَّرَ[2] .

٤٥ **ـ وقوله عز وجل : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ؟**[آية ٢١] .

قال ابن عباس : الإفضاءُ الغِشْيَانُ[3] .

وأصلُ الإفضاء في اللُّغةِ : المخالطةُ ، ويُقالُ للشيءِ المختلط : فَضَاً[4] .

---

(١) انظر تفسير القنطار في سورة آل عمران ٣٦٧/١ من هذا الكتاب .

(٢) قال ابن عطية ٥٤٨/٣ : والبهتان مصدر في موضع الحال ومعناه : مبهتاً محيِّراً لشناعته ، وقُبْح الفعلة فيه .

(٣) يعني الجماع من قوله تعالى ﴿ فلما تغشَّاها حملت حملاً خفيفاً ﴾ قال ابن كثير : وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وغير واحد .
أقول : ومعنى الآية على هذا القول : كيف تأخذون المهر من هذه الزوجة المطلَّقة ، وقد استمعتم بها بالمعاشرة الزوجية ؟ قال ابن عباس : الإفضاء في هذه الآية الجماع ، ولكنَّ الله حَييٌّ كريم يَكْني » وانظر القرطبي ١٠٢/٥ .

(٤) في الصحاح : أفضى الرجل إلى امرأته باشرها وجامعها ، والفضا : الشيء المختلط يُقال : طعام فَضَا أي فوضى مختلط . اهـ .

قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا يَاعَمَّتَا لَكِ نَاقَتِي
وَتَمْرٌ فَضَاً فِي عَيْبَتِي وَزَبِيْبُ[1]

ويُقال : القومُ فَوْضَى فضاً ، أي مختلطون ، لا أَمِيْرَ عليهم .

٤٦ ـ **وقوله عز وجل** : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [آية ٢١] .

قال ابنُ عباسٍ والحسنُ : هو قولـه : ﴿ فَأَمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ سَرِّحُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ ﴾[2] .

وجَعَله بمنزلةِ الميثاقِ المغَلَّظ ، أي اليمين ، مجازاً .

وقال مجاهد وعكرمة : استَحْلَلْتُمُوْهُنَّ بأمانة الله ، ومَلَكْتُمُوْهُنَّ بكلمة الله عَزَّ وَجَلَّ[3] .

---

(١) البيت استشهد به اللحياني ولم يذكر قائله ، وذكره ابن منظور في لسان العرب ١٥٨/١٥ وفي الصحاح للجوهري ٢٤٥٦/٦ لكنه في اللسان بلفظ « ياخالتي » وذكره في جامع الأحكام للقرطبي ١٠٢/٥ ولم أعثر على قائله .

(٢) الأثر رواه الطبري عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين ٣١٥/٤ ورجحه فقال : وهذا أولى الأقوال بتأويل الآية أن الميثاق هو : ما أُخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح ، من عَهْدٍ على إمساكها بمعروف ، أو تسريحها بإحسان .. والآية في سورة البقرة رقم (٢٣١) .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٣١٦/٤ والقرطبي ١٠٢/٥ وابن كثير ٢١٤/٢ ويشير هذا الأثر إلى قول النبي ﷺ في حجة الوداع « واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » الحديث أخرجه مسلم في الحج رقم ١٢١٨ وانظر تفسير ابن كثير ٢١٤/٢ .

٤٧ ــ وقوله عزَّ وجل ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوْا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [آية ٢٢] .

يقال : كيف استثنى ﴿ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ مما لم يكن بَعْدُ ؟

فالجواب : أن هذا استثنــــاء ليس من الأول[١] ، والعــــربُ تقول : مازاد إلَّا مَا نقصَ .

و [سيبويه][٢] يجعل « إلاَّ » بمعنى « لكـنْ » المعنـى لكـنْ مَا قَدْ سَلَفَ فإنه مَغْفُوْرٌ ، أَوْ فَدَعُوهُ[٣] .

٤٨ ــ ثم قال عز وجـل : ﴿ إِنَّـهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتــاً وَسَاءَ سَبِيــلاً ﴾ [آية ٢٢] .

يقال : لِمَ جيء بـ (كان) وهو بكل حالٍ فَاحِشَةٌ ؟

ففي هذا جوابان :

---

(١) يريد أنه استثنـاء منقطـع كقولـه تعـالى « لا يذوقـون فيها الموت إلا الموتـة الأولى » أي لكـن ما قد سلف فاجتنبوه ودعـوه ، قال في البحـر ٢٠٨/٣ : « والاستثنـاء فيقوله ﴿ إلا ما قد سلـف ﴾ منقطـع ، إذ لا يجامـع الاستقبـال الماضي ، والمعنـى : لكـن ما قد سلـف فلا إثم فيـه ، وقـــال الأخفش : المعنى : فإنكم تعذَّبون به إلا ما قد سلف فإن الله قد وضعه عنكم » .

(٢) سقط من المخطوطة لفظ « سيبويه » وأثبتناه من الهامش .

(٣) هذا هو الأرجح من الأقـوال وهـو ما ذهب إليـه سيبويـه أن « إلَّا » بمعنـى « لَكِنْ » وهـو الـذي اخترناه في كتابنا صفوة التفاسير ٢٦٨/١ فيكون المعنى : لا تتزوجوا ما تزوَّج آبـاؤكم من النـساء ، لكن ما سبق ومضى فقد عفا الله عنه .. ويبقى سيبويه إمام العربية .

قال أبو إسحاق[1] : قال أبو العباس محمد بن يزيد : « كان » ههنا زائدةٌ ، والمعنى : إنه فَاحِشَةٌ ، وأَنْشَدَ :

فَكَيْفَ إذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ
وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ[2]

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : وهذا عندي خطأٌ ، لأن «كان» لوكانت زائدة ، وَجَبَ أن يكون « إنه كان فَاحِشَةٌ وَمَقْتٌ »[3] .

والجوابُ : أن هذا كان مستقبحاً عندهم في الجاهلية ، يُسَمُّوْنَهُ فاحشةً ومقتاً[4] .

---

(١) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، وأبو العباس هو الإمام المبرد ، وقد تقدمت ترجمتهما فيما مضى .

(٢) البيت للفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك وهو في ديوانه ٢/٢٩٠ بلفظ « ديارَ قومي » وفي فهرس شواهد سيبويه ص ١٤٣ ديار قوم كما ذكره المصنف ، والشاهد فيه أن لفظة « كانوا » زائدة وأصله : وجيرانٍ لنا كِرَامٍ ، فزاد «كانوا» لضرورة الشعر ، ولو لم تكن زائدة لوجب أن يقال : وجيران لنا كانوا كراماً » .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٢ قال : وهذا غلط من أبي العباس ، لأن « كان » لو كانت زائدة لم تنصب خبرها » ، يريد أنها لو كانت زائدة في الآية لجاء النص : « إنه كان فَاحِشَةٌ» أي إنه فاحشة .

(٤) يعني أنه إنما قال « كان فاحشة » لأن العرب كان يستقبحونه ، ويقولون للولد من امرأة الأب « مَقِيت » فسمَّى الله تعالى هذا النكاح مقتاً ، والمقتُ : أشدُّ البغض ، والفاحشة : الفعل القبيح الذي تناهى قبحه ، وبلغ الذروة في القباحة والشَّناعة .

والمَقْتُ أشَدُّ البُغْضِ ، ويُسمُّون المولودَ منه المَقْتِيَّ[1] ، فأعْلَمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّ هذا الذي حَرَّمَهُ كان قبيحاً في الجاهلية مَمْقُوْتاً .

٤٩ ـ **وقَوْلُهُ جَلَّ وعَزَّ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ ، وَعَمَّاتُكُمْ ، وَخَالَاتُكُمْ ، وَبَنَاتُ الأَخِ ، وَبَنَاتُ الأُخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ .. ﴾** [آية ٢٣] .

هذه المحرمات تُسَمَّى المُبْهَمَات ، لأنها لا تَحِلُّ بِوَجْهٍ ، ولا سبب[2] ، إلاَّ قولَهُ : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ فإنَّ أكثر الفقهاء يجعلهُ من الأولِ[3] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٢١ والبحر المحيط لأبي حيان ٣/٢٠٩ قال : والمعنى : « إن نكاح الأبناء نساء آبائهم هو فاحشة أي بالغة في القبح ، ومقت أي يمقت الله فاعله ، أو تمقته العرب أي مبغَّض محتقر عندهم ، وكان ناس من ذوي المروءات في الجاهلية يمقتونه .. ثم قال : و « كان » يستعمل كثيراً بمعنى : لم يزل ، فالمعنى : إن ذلك لم يزل فاحشة ، بل هو متصف بالفحش في الماضي ، والحال ، والاستقبال ، فالفحش وصف لازم له » . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٣٢ فقد قال ما نصُّه : هذا يسمى التحريم المبهم ، وإنما يسمى المبهم من المحرمات لأنه لا يحل بوجه ولا سبب ، واللاحق به ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ وقد اختلف الناس في قوله ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ فجعلها بعضهم مبهمة ، وجعلها بعضهم غير مبهمة ، فالذي جعلها مبهمة قال : إن الرجل إذا تزوج المرأة حرمت عليه أمها ، دخل بها أو لم يدخل .. » معاني الزجاج ٢/٣٣ فَفُهِم من قوله « مبهمة » عدم حلِّ الزواج مطلقاً لأنه ليس فيها شرط .

(٣) الفقهاء متفقون على أن مجرد العقد على البنت يُحرِّمُ الأم ، سواء دخل بابنتها أو لم يدخل ، وأما البنتُ فلا تحرم إلا إذا عَقَدَ العقدَ على الأم ودخل بها ، وقد استنبط الفقهاء هذه القاعدة وهي « العقد على البنات يحرِّم الأمهات ، والدخول بالأمهات يحرم البنات » أخذاً من الآية الكريمة ﴿ اللاتي دخلتم بهن ﴾ .

وقال بعضهم : إذا تزوجها ولم يدخل بها لم تحرم عليه أُمُّهَا(١) .

وهذا القول على مذهب أهل اللغة بعيدٌ ، لأن الشرط لمن يقعْ عليه ، ولأن قولَه : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّلاتِـي دَخَلْتُـمْ بِهِـنَّ ﴾ متعلقٌ بقوله : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ الَّلاتِي فِيْ حُجُورِكُمْ ﴾ ، ولا يجوز أن يكون قوله (اللاتي) من نَعْتِهِمَا جَمِيْعَاً ، لأن الخَبَرَيْنِ مختلفان(٢) ، ولكنه يجوز على معنى أَعْنِي .

وأنشد الخليلُ وسِيبَوَيْهِ :

إنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا
خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا(٣)

---

(١) هذا القول نُسب إلى عليّ وهو غير صحيح ، قال القرطبي ١٠٦/٥ : وجمهور السلف ذهبوا إلى أن الأم تحرم بالعقد على الابنة ، وزعم بعضهم أن شرط الدخول راجع إلى الأمهات والربائب — يعني بنات الزوجات — رواه خِلاس عن عليّ بن أبي طالب ، وحديث خِلاس عن عليّ لا تقوم به حجة ، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث ، والصحيح عنه مثل قول الجماعة » . اهـ.

(٢) لا يجوز عند النحاة أن تقول مررت بنسائك ، وهربت من نساء زيد الظريفات ، على أن تكون الظريفات صفة لنسائك ونساء زيد ، فكذلك هنا في الآية لا يجوز أن يكون « اللاتي » نعتاً لهما ، كذا مثّل له الزجّاج .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ص ١٤٠ وهو لرجل من بني أسد غير معروف ، و «أكتل» و « رزام » اسم رجلين ، ومعنى « خُوَيْرِبَيْن » أي خاربين ، و « الهَامَا » الرءوس ، يريد أن الرجلين يخربان الرءوس بالنقر فيها .

خُوَيْرِبَيْن بمعنى أعني[1] .

والربيبةُ : بنتُ امرأةِ الرجل ، وسُميت « رَبيبةً » لأن زوجَ أمها يُرَبِّيْهَا ، ويجوز أن تُسَمَّى ربيبةً ، وإن لم يُرَبِّهـا ، لأنها ممن يُرَبِّيها ، كما يقال : أُضْحِيةٌ ، من قبلِ أن يُضَحَّىٰ بها ، وكذلك حَلُوبَةٌ أي يُحْلَبُ ، قال الشاعر :

فيها اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً
سُوداً كَخَافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ[2]

٥٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِيْنَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ .. ﴾** [آية ٢٣] .

حَلِيْلَةُ الرَّجُلِ : امرأتُه ، والرجلُ حَلِيلٌ ، لأن كل واحد منهما يَحِلُّ على صاحبه[3] .

---

(١) يقصد إن بهما خويربين أعني ينقفان الهاما ، وفي الآية التقديرُ : أعني اللاتي دخلتم بهن ، واللاتي في حجوركم ، فعلى هذا الوجه يصحُّ .

(٢) البيت لعنترة بن شداد وهو في ديوانه ص ١٤٤ وهو في خزانة الأدب ٣/٣١٠ وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٥٥ وشذور الذهب لابن هشام ص ٢٤١ وشرح الأشموني على ابن مالك ٤/٧٠ .

(٣) قال في المصباح المنير ١/١٦٠ : والحليل ، والحليلة : الزوجة ، سمِّيا بذلك لأن كل واحد يحل من صاحبه محلاً لا يحله غيره ، ويقال للمجاور والنزيل : حليل ، وحَلَّ الشيءُ يَحِلُّ بالكسر حِلًّا فهو حلال ، خلاف حرم . اهـ.

وقيل : حَلِيْلَةٌ بمعنى مُحَلَّةٍ ، من الحلالِ والحرام ، قال الشاعر :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً
تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ[1]

فأما الفائدة في قوله : ﴿ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ فهي على إخراج الحليلاتِ بناتِ الأدعياء المُتَبَنَّيْنَ من هذا ، غير أن (في حُجورِكُمْ) يَدُلُّ على التربية[2] .

٥١ ـ **وقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ .. ﴾** [آية ٢٣] .

فهذا استثناء ليس من الأول[3] ، والمعنى لكنْ ما قَدْ سَلَفَ فإنه مَغْفُورٌ .

---

(١) البيت لعنترة بن شداد ، وهو في ديوانه ص ١٤٩ وهو في الصحاح للجوهري ١٦٧٣/٤ والغانية : ذات الزوج من النساء ، لأنها استغنت بزوجها عن الرجال ، وقيل : البارعة في الحسن والجمال ، ومعنى « تَمْكو » أي تصفر ، والفريصةُ : الودج في العنق يقول : ضربت زوجها فجعلته مجدَّلاً بدمائه ، من سعة الضربة ، والأَعْلَمُ : الذي شُقَّت شفتهُ العليا ، كما في الصّحاح .

(٢) خرج بقوله تعالى ﴿ الذين من أصلابكم ﴾ ابن التبني ، فإنه يحل التزوج بزوجته لأنها ليست زوجة ابنه الصلبي ، وقد أبطل الإسلام حكم التبني بقوله ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ أما قوله تعالى ﴿ اللاتي في حجوركم ﴾ فليس للقيد والشرط ، وإنما هو لبيان الغالب ، فإن البنت تعيش مع أمها في بيت الزوجية في الغالب ، وتسمى ربيبة لأنها تتربى مع أمها في حجر الزوجية ، فهي محرمة وإن لم تكن في الحجر ، وانظر البحر المحيط ٢١١/٣ .

(٣) هذا يسمى الاستثناء المنقطع فتكون « إلا » بمعنى « لكن » أي لكن ما سلف من ذلك فإن الله يغفره ، ولا يعاقبكم عليه ، ودل عليه قوله تعالى بعده ﴿ إن الله كان غفورا رحيماً ﴾ .

٥٢ ـ **وقَوْلُهُ جلَّ وعَزَّ : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾** [آية ٢٤] .

قال عليٌّ وابنُ عباسٍ وأبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ : هن ذواتُ الأزواج لاتحِلُّ واحدةٌ مِنهُنَّ إلَّا أَنْ تُسْبَى[١] .

قال عبدالله بن عباس : نكاحُ ذواتِ الأزواجِ زِنَا إلا أنْ تُسْبَى ، وقد كان لها زوجٌ فَتَحِلُّ بِمِلْكِ اليمين[٢] .

وقولٌ آخرُ : أنهنَّ الإماءُ ذواتُ الأزواج ، إذا استُؤنف عليهنَّ المِلْكُ ، كان فاسخاً لنكاحهنَّ .

رُوي هذا عن ابن مسعودٍ ، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، وجابرٍ ، وأَنَسَ[٣] .

---

(١) المحصنات جمع محصنة والمراد بها هنا المتزوجة ، والمعنى : إنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الزوج ، هذا هو الصحيح وهو رأي الجمهور ، والإحصان في اللغة يطلق على التزوج ، والحرية ، والإسلام ، والعفة ، ويفسر في كل مكان بما يناسبه ، فقوله تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ يراد به العفاف ، وقوله سبحانه ﴿ ومن لم يستطع منكم طَولاً أن ينكح المحصنات ﴾ يراد به الحرائر ، وهكذا تدور الكلمة على هذه المعاني الأربع التي ذكرناها ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٢٠/٥ .

(٢) الطبري عن ابن عباس ١/٥ والقرطبي ١٢١/٥ والمعنى : إن المرأة الكافرة ، إذا كان لها زوج ثم سبيت ، جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها بملك اليمين ، بعد أن يستبرأها بحيضة .

(٣) انظر في الطبري ٣/٥ وابن كثير ٢٢٤/٢ عن ابن مسعود قال : إذا بيعت الأمة ولها زوج فسيدها أحق ببضعها .

وقول ثالثٌ : قال أبو عبيدة : ﴿ إلاَّ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ الأربع[1] .

وأحسنُها الأوَّل ، لحديث أبي سعيد الخدري : « أصبْنَا سَبْياً يوم أوطاس ، ولهن أزواج ، فكَرِهْنَا أن نقع عليهن ، فسألنا رسول الله ، فنزلت هذه الآية ، فَاسْتَحْلَلْنَاهُنَّ »[2] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ٢٤] .

أي فَرْضَ اللهِ عليكم .

وَقُرِىءَ : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عليكم ﴾[3] أي فَرَضَ اللَّهُ تحريم هؤلاء :

ولم يَقُلْ : إنه لا يحرمُ عليكم سِوَاهُنَّ .

وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تُنْكَحُ المرأةُ على عَمَّتِهَا ، ولا على خالتها »[4] .

---

(١) لم أره في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، وقد ذكره الطبري عن عطاء ٥/٥ قال : حرم الله ما فوق الأربع منهن .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الرضاع ١٧٠/٤ وأبو داود في النكاح ٢٤٧/٢ والنسائي ٩/٦ والترمذي في التفسير ٣٧١/٨ وأحمد في المسند ٨٤/٣ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ١٨٥/١ وهي قراة بن السُّمَيْفَع .

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه النسائي ٨٠/٦ وابن أبي شيبة ، وانظر الدر المنثور ١٣٧/٢ وأخرجه البخاري في النكاح ١٣٨/٩ ومسلم برقم ١٤٠٨ في النكاح أيضا بلفظ « نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها ، والمرأة على خالتها » ورواه الترمذي وأبو داود والنسائي بألفاظ متقاربة .

وصَحَّ عنه ﷺ أنه قال : « يَحْرُمُ من الرَّضاعةِ ما يَحْرُمُ من النَّسَبِ »(١) .

٥٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ .. ﴾** [آية ٢٤] .

﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ أي ناكحين .

﴿ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ .

قال مجاهد : أي غير زانين(٢) .

وأصلُه من سَفَحَ ، إذا صَبَّ(٣) ، كما قال الشاعر :

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُهَا
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ(٤)

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في الرضاع برقم ١١٤٦ وقال : هذا حديث صحيح ، والعمل على هذا عند عامة أهل العلم ، ولا نعلم بينهم في ذلك اختلافاً ، ولفظ الترمذي : « إن الله حرَّم من الرضاع ما حرم من النسب » وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة » وانظر طرق الحديث ورواياته في جامع الأُصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ٤٧٤/١١ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١١/٥ والدر المنثور ١٣٩/٢ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٣٧/٢ : ﴿ غير مسافحين ﴾ أي غير زُناة ، والسفاح اشتق من قولهم ، سفحت الشيء إذا صببته ، وأمر الزنا سفاح لأنه جار على غير عقد كأنه بمنزلة المسفوح .

(٤) البيت لأمرىء القيس من معلقته وهو في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٥ والبيت هو السادس من معلقته المشهورة « قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل » واستشهد به الأزهري في تهذيب اللغة ٣٨٠/٢ وابن منظور في اللسان ٥٣٢/٤ .

فَسُمِّيَ الزنا « سِفَاحَاً » لأنه بمنزلة الماءِ المصبوب .

٥٥ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ..** ﴾ [آية ٢٥] .

في معنى هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها منسوخة[١] .

ورُوِيَ عن سعيد بن المسيِّبِ ذلك .

ورَوَىٰ عكرمةُ بن عمار عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرةِ عن النبي ﷺ : « إن الله جَلَّ وعَزَّ حَرَّمَ أو أَهْدَرَ المُتعةَ بالطَّلاقِ ، والنِّكاحِ ، والعِدَّةِ ، والميراثِ »[٢] .

---

(١) لا حاجة إلى القول بالنسخ ، فإن قوله تعالى ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ ليست في نكاح المتعة ، وإنما هي كما قال الطبري أن المعنى : فما تلذذتم به من النساء بطريق النكاح ، فآتوهن أجورهن فريضة ، ونكاح المتعة حرام بالإجماع ، لم يخالف في ذلك إلا الرَّافضة ، وقولهم بحلِّه باطل مردود ، وقد رُوِي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « لا أُوتى برجل نكح لمتعة إلا غيَّبته تحت الحجارة » وقال الزجاج : من زعم أن قوله ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي تعمله الرافضة فقد أخطأ خطأً عظيماً ، لأن الآية واضحة بينة ، وانظر معاني القرآن للزجاج ٣٨/٢ .

(٢) هذا الحديث موقوف على ابن مسعود ، وقد أخرجه ابن المنذر ، والبيهقي عنه قال : « المتعة منسوخة نسخها الطلاق ، والصَّدُقَةُ ، والعدة ، والميراث » وروي عن عليٍّ مرفوعاً قال : « نهى رسول الله ﷺ عن المتعة ، وإنما كانت لمن لم يجد ، فلما نزل النكاح ، والطلاق ، والعدة ، والميراث بين الزوج والمرأة، نُسخت » وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٤١/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٠/٥ وهناك روايات عديدة حول نكاح المتعة في صحيح مسلم في باب نكاح المتعة ١٠٢٢/٢ انظرها فيه مع القطع بحرمة نكاح المتعة بالإجماع ، وهناك رسالة قيمة موجزة تحت عنوان « نكاح المتعةِ حرام في الإسلام » لفضيلة الشيخ محمد الحامد ، فارجع إليها فإنها جليلة ومفيدة .

وَرَوَىٰ مالك عن الزهري أن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب ــ رحمة اللهِ عليهم ــ والحسنَ بنَ محمد بن علي ، أخبراهُ أن أباهما أخبرهما أنه سَمِعَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه يقول لابنِ عباسٍ : « إنك رَجُلٌ تائِهٌ[1] ، إن رسول الله ﷺ نَهَىٰ عن المتعة »[2] .

وقالت عائشة : حرَّمَ اللهُ المتعة بقوله : ﴿ وَالَّذِيْنَ هُم لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُوْنَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾[3] .

والدليل على أن «المُسْتَمْتَعَ بها» غيرُ زوجةٍ ، أنها لو كانت زوجةً لَلَحِقَها الطَّلاقُ ، وكان عليها عِدَّةُ الوفاةِ ، ولَحِقَ وَلَدُها بأبيه ، ولتوارثا[4] .

---

(١) يريد إنك مخطىء في هذه الفتوى ، وقد أخطأت الطريق والهدف ، والتَّائهُ هو الذي ضلَّ الطريقَ .

(٢) ذكره في الدر المنثور بسنده عن النحاس بهذا اللفظ ، وأخرجه البخاري ١٦/٧ ومسلم ١٣٤/٤ عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ « نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية » .

(٣) استدلال السيدة عائشة بالآية بديعٌ ، ومنزعها لطيف ، فإن من نُكِحتْ للمتعة لمدة محدودة ، لا يقال لها زوجة ، ولا مملوكة بملك اليمين ، والله تعالى قد بين في كتابه العزيز أن الإنسان إذا نكح غير الزوجة ، وغير الأمة المملوكة فقد تعدى حدود الله ، وعرَّض نفسه للعذاب بقوله ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وهكذا دلت الآية على التحريم ، فاستدلال عائشة بها رائع

(٤) هذه الأمور لا تتحقق في نكاح المتعة ، فإن المنكوحة بطريق المتعة لا تعتد ، ولا ترث زوجها ولا يرثها ، وليس عليها عدة الوفاة ، كما في جامع الأحكام ١٣٢/٥ إلى غير ما هنالك من أمور ، نبه عليها الفقهاء ، فدل ذلك على اختلافه عن النكاح الشرعي ، فهو إذاً نكاحٌ باطل ، وقد أجمع المسلمون على حرمته ، ولم يبحه إلَّا الرافضة الجهلاء ، وقد ضربوا بالأحاديث الصحيحة الكثيرة عرض الحائط ، أخزاهم اللهُ وقبَّح صنيعهم .

ومعنى ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ المَهْرُ .

والدليـلُ على ذلك أنَّ بعـده ﴿ فَانْكِحُوهُـــنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِـــنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

فهذا بإجماعٍ : المَهْرُ .

ورُوي عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ وابـنِ عبـاسٍ أنهمـا قَرَءَا : ﴿ فَمَـا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ ﴾[1] .

والقولُ الآخرُ : أنَّ هذا ليس من المُتْعَةِ .

وقال الحسنُ ومجاهدٌ : هو من النكاح[2] .

فالمعنى ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ من النكاح .

---

(١) هذه القراءة ذكرها المفسرون ، وهي ليست من القراءات السبع فلا يعوَّل عليها ، قال ابـن جرير الطبري ١٣/٥ : « وقـد دللنـا أن المتعـة على غير «النكاح الصحيح» حرامٌ في غير هذا الموضع من كتبنا ، وأما ما روي عن أبيٍّ بن كعب وابن عباس من قراءتهما ﴿ فما استمتعتم منهن إلى أجل مُسمًّى»﴾ فقراءةٌ بخلاف ما جاءت به مصاحـف المسلمين ، وغير جائـز لأحـد أن يُلحـق بكتاب الله شيئاً لم يأت به الخبر القاطع . اهـ.

(٢) يعني يُراد بقوله تعـالى ﴿ فمـا استمتـعتم به منهن ﴾ الاستمتـاع بطريـق النكـــاح ، والتلـــذذ بمعاشرتهن ، ولا يراد به نكاح المتعـة ، وهكـذا قال المفسرون ، قال الحافـظ ابـن كثير ٢٢٥/٢ : المعنى : كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك كقوله تعالى ﴿ وآتوا النسـاء صدقـاتهن نحلة ﴾ . اهـ. وقـال القرطبـي ١٢٩/٥ : ولا يجوز أن تُحمـل الآية على جواز المتعـة ، لأن رسـول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وحرمه ، ولأن الله تعالى قال ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن ﴾ ومعلـوم أن النكاح بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين ، ونكاح المتعة ليس كذلك .

أي إن دَخَلتُـمْ بها فَلَهـا المَهْـرُ ، ومَـن لَمْ يَدْخُـل كان عَلَيْـهِ نصفُ المَهْرِ .

والدليلُ على أن هذا هو القول الصحيح قوله : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ ﴾ [آية ٢٤] .

أي إن وهب لها النصفَ الآخَرَ [فلا جُنَـاحَ][1] وإنْ وَهَبَتْ له النصفَ فلا جُنَاحَ .

٥٦ ــ **ثم قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾** [آية ٢٤] .

أي هو عليمٌ بما فرض عليكم في النكاح[2] .

٥٧ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾** [آية ٢٥] .

أي قُدْرَةً على المهر[3] .

والطَّوْلُ في اللغةِ : الفَضْلُ ، ومنه تَطَوَّلَ اللَّهُ علينا .

والطُّـولُ في القامـةِ فَضْلٌ ، والطِّـوَلُ:الحَبْـلُ[4] ، ويقـــال : لا أُكَلِّمُهُ طَوَالَ الدَّهر .

---

(١) سقط من المخطوطة ما بين الحاصرتين وأثبتناه من الهامش .

(٢) عبارة البحر ٢١٩/٣ : ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بما يصلح أمر عباده ﴿ حكيماً ﴾ في تقديره ، وتدبيره ، وتشريعه .

(٣) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وابن زيد قالوا : الطَّول : السعـة في المال .

(٤) قال في تهذيب اللغة ١٧/١٤ : طال فلان فلانـاً إذا فاقـه في الطـول ، والطِّـوَل : الحبـل الطويـل جداً قال الشاعر : =

٥٨ ـ وفي قوله عز وجل : ﴿ أَنْ يَنْكِحَ المُحْصَنَاتِ ﴾ قَوْلَانِ :

أحدهُما : أَنَّهُنَّ العَفَائِفُ(١) .

والآخر : أنهنَّ الحَرَائِرُ .

والأشبه أَنْ يَكُنَّ الحرائر [لقوله](٢) : ﴿ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ ﴾ يعني المملوكات(٣) .

والعربُ تقول للملوك فَتًى ، وللملوكةِ فتاة(٤) .

٥٩ ـ ثم قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آية ٢٥] .

= لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليَدِ

أي كالحبل المرتخي ، وطرفاه في اليد ، والطَّوْلُ : القدرة على المهر قال تعالى ﴿ ومن لم يستطع منكم طَوْلاً ﴾ معناه من لم يقدر منكم على مهر الحرة . اهـ. من التهذيب ، وانظر أيضاً الصحاح للجوهري ٥/١٧٥٣ مادة طول .

(١) هذا القول ضعيف والقول الثاني هو الصحيح لأن الغرض التنبيه على عدم الإقدام على الزواج بالأمة ، إلا إذا فقد الإنسان القدرة على الزواج بالحرة ، فلفظ « المحصنات » وإن كان يطلق أحيانا على العفائف ، إلا أنه ليس المراد به ههنا إلا الحرائر ، بدليل قرنه بالمملوكات في قوله ﴿ فمِمَّا ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ﴾ .

(٢) سقط من المخطوطه وأثبتناه من هامش النسخة .

(٣) قال في التسهيل ١/٢٤٦ : معنى الآية إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولاً للمحصنات ، والطول هنا : السَّعة في المال ، ولا يجوز للحر نكاح أمة إلا بشرطين :

أحدهما : عدم الطَّول وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة .

والآخر : خوف العنت وهو الزنا لقوله تعالى بعد هذا ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ . اهـ.

(٤) قال القرطبي ٥/١٤٠ ويدل عليه الحديث الصحيح « لايقولن أحدكم عبدي وأمتي ، ولكن ليقل : فتاي ، وفتاتي » .

في معنى هذا قولان :

أحدهُما : بنو آدم[1] .

والقولُ الآخرُ : إنكم مؤمنون فأنتم إخوةٌ[2] .

وإنما قيل لهم [هذا][3] فيما رُوي لأنهم في الجاهلية كانوا يُعَيّرُونَ بالْهُجْنَةِ ، ويُسَمُّون ابنَ الأَمَةِ هَجِيْنَاً ، فقال عَزَّ وجَلَّ : ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَبَعْضٍ ﴾[4] .

٦٠ ـ **وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ مُحْصَنَاتٍ ﴾** أي مُتَزَوِّجَاتٍ ﴿ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾ .

أي غير زانياتٍ ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [آية ٢٥] .

الخِدْنُ : الصديقُ ، أي غَيْرَ زَانِيَاتٍ بوَاحِدٍ ، وَلَا مَبْذُوْلَاتٍ .

---

(١) يعني أنكم كلكم من أبناء آدم ، سواء منكم من كان حراً أو عبداً ، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك ، فلا فضل إلا بالتقوى ، كما قال الشاعر :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوُهُمُ آدَمٌ والأُمُّ حَوَّاءُ

(٢) ذكره بعض المفسرين كالقرطبي وأبي حيان ، والقول الأول أرجح .

(٣) أثبتناه من هامش المخطوطة .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٤١/٢ : « وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب ، وتفخر بالأحساب ، وتُعيِّر بالهجنة ، كانوا يسمون ابن الأمة الهجين ، فأعلم الله عز وجل أن أمر العبيد وغيرهم بحسَبِ الإيمان ، وإنما كره التزوج بالأمة إذا وجد إلى الحرة سبيل ، لأن ولد الحرّ من الأمة يصير رقيقاً ، ولأن الأمة ممتهنةٌ تكثر عِشرة الرجال ، وذلك شاق على الزوج ، فلذلك كره تزوج الحر بالأمة ، فأما المفاخرة بالأحساب ، والتعيير بالأنساب فمن أمر الجاهلية . اهـ.

٦١ ـــ **ثم قال جل وعز** ﴿ فَإِذَا أُحْصَنَّ .. ﴾ [آية ٢٥] .

قال الشعبي : معناه فإذا أَسْلَمْنَ(١) .

ورُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قال : الإحصان : الإسلام(٢) .

ويُقرأ « فإذا أُحْصِنَّ »(٣) .

قال ابن عباس : تُزوِّجن ، إذا كانت غير متزوجة(٤) .

وقال الزهري : معناه فإذا تُزوِّجْنَ ، قال الزهري : تُحدُّ الأَمَةُ إذا زنت وهي متزوجةٌ بالكتاب ، وتُحدُّ إذا زنت ولم تتزوج بالسُّنَّة(٥) .

---

(١) قال الطبري ٥/٢١ : قرأه بعضهم بالفتح « فإذا أحصَنَّ » بمعنى : إذا أسلمن فصرنَ ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام . اهـ.

(٢) انظر الطبري ٥/٢٢ والقرطبي ٥/١٤٣ قال : فإذا زنت الأمة المسلمة جلدت نصف جلد الحرة ، وإسلامها هو إحصانها في قول الجمهور ، وعليه فلا تُحدُّ كافرة إذا زنت .

(٣) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والجمهور « أُحصِنَّ » وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٩ .

(٤) أخرجه ابن المنذر ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة عن ابن عباس يقول : « أُحصِن » بالأزواج ، فلا تجلد أمة حتى تزوج ، وانظر الدر المنثور ٢/١٤٢ وسئل ابن مسعود عن أمة زنت وليس لها زوج ، فقال « اجلدوها خمسين جلدة ، قالوا : إنها لم تحصن ، قال : إحصانها إسلامها » .

(٥) مراده بالسنة ما ورد عن النبي ﷺ من قوله « إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يُثرِّب .. » الحديث أخرجه البخاري ٨/٢١٣ ومسلم ٥/١٢٣ .

والاختيارُ عند أهل النظر « فَإِذَا أُحْصِنَّ » بالضمِّ ، لأنه قد تقدَّم ذكرُ إسلامهنَّ في قولِه عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ .

فَدَلَّ ذلك على أن الإحصان الثاني غير الإسلام ، فالاختيارُ على هذا ﴿ أُحْصِنَّ ﴾ بالضم ، أي تُزُوِّجْنَ[1] .

وقيل : ﴿ أَحْصَنَّ ﴾ تَزَوَّجْنَ[2] ، وَذَا أَولَىٰ لأنه قال : ﴿ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ، فَيَبْعُدُ أن يقول : فإذا أَسْلَمْنَ .

٦٢ ـ **ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَىٰ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

يعني نِصْفَ الحدِّ[3] ، ويعني بالمحصنات ههنا الأبكار الحراير

---

(١) هذا ما اختاره أيضاً الطبري ورجحه أن الإحصان هنا يراد به التزوج لا الإسلام ، لأن ذكر الإسلام قد وَرَدَ في قوله : ﴿ أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ فيكون ماذهب اليه المصنف أرجح والله أعلم .

(٢) بينَّا أنَّ كلاًّ من القراءتين « أحصَنَّ » بالبناء للفاعل ، و «أُحْصِنَّ» بالبناء للمفعول ، من القراءات السبع المتواترة ، قال الطبري ٥/٢١ بعد ذكر القراءتين : « والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في أمصار الإسلام ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب » .

(٣) أي نصف حد الجلد ، وهو خمسون جلدة ، لأن الرجم لا يمكن تنصيفه ، فدل اللفظ على أن المراد به هنا الجلد لا الرجم .

لأَنَّ الثَّيِّبَ عليها الرَّجْمُ ولا يَتَبَعَّضُ[1] .

قيل : وإنما قيل لِلبِكرِ مُحْصَنَةٌ ، وإن لم تكن متزوجةً ، لأَنَّ الإحصان يكون لها[2] ، كما يقال : أُضْحِيَةٌ قبل أن يُضَحَّى بها ، وكما يقال للبقرة : مُثِيْرَةٌ قبل أن تُثِير .

وقيل : « المحصَنَاتُ » المتزوجاتُ ، لأَنَّ عليهنَّ الضربَ والرجْمَ في الحديث[3] ، والرجمُ لا يَتَبَعَّضُ ، فصار عليهن نصفُ الضَّرْبِ .

٦٣ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنْكُمْ .. ﴾** [آية ٢٥] .

قال الشعبي : يعني الزنا[4] .

والعَنَتُ في اللُّغةِ : المشَقَّةُ ، يقال : أَكَمَةٌ عَنُوْتٌ ، إذا كانت شاقَّةً[5] .

---

(١) الأَمة سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة حدُّها الجلد ، وأما الرجم فهو خاص بالحرائر ، وذلك لأن الله تعالى لما أوجب تنصيف الحد على الأمة المملوكة ، أدركنا بالعقل أن المقصود به الجلد فقط ، لأنه لا يمكن أن ننصّف الموت على إنسان فنميته نصف موتة ، قال الزجاج ٢/٤١ : القتل لا نصف له ، وإنما عليهن نصف الشيء الذي له نصف وهو الجلد . اهـ .

(٢) أي سوف تتزوج فتحصن بالزواج ، وهذا كما يقال : هذه أضحية ولم يُضحَّ بها بعد .

(٣) أشار المصنف إلى قوله ﷺ « والثيِّب بالثيِّب جلد مائة والرجم » رواه مسلم وأصحاب السنن .

(٤) ذكره الطبري ٥/٢٥ عن الشعبي وعطاء وابن عباس ، واختار الطبري أن كل ما يضر الإنسان في دين أو دنيا فهو العنت .

(٥) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص ١٢٤ : ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ أي خشي على نفسه الفجور ، وأصل العنت : الضرر والفساد ، وفي البحر ٣/٢٢٤ : والعنت أصله المشقة ، وسمي الزنا عنتاً باسم ما يعقبه من المشقة في الدنيا والآخرة . اهـ .

٦٤ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوْا[1] خَيْرٌ لَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٥] .

أي وأن تصبروا عن نكـاحِ الإمـاءِ خيـرٌ لكـم ، وإنما شَدَّدَ في الإمـاء ، لأن وَلَـدَ الرجُـلِ منها يكـون مملوكـاً[2] ، وهـي تُمْتَهَـنُ في الخدمةِ ، وهذا شَاقٌّ عَلَى الزوجِ[3] .

٦٥ ـ وقولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ[4] الَّذِيْـنَ مِنْ قَبْلِكُـمْ .. ﴾ [آية ٢٦] .

أي طُرُقَ الأنبياء والصالحين قبلكم لتتبَّعوها .

---

(١) في المخطوطة « وإن تصبروا » وهو خطأ لأنـه لم ترد بذلك قراءة ، والقـراءة فتـح الهمـزة « وأن تصبروا » وعليه تكون « أن » وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفـع مبتـدأ تقديـره : صبركم خير لكم ، ولو كانت إن بالكسر شرطيـة لوجب اقتـران الخبر بالفـاء ، فيكـون الـنص : وإن تصبروا فخير لكم ، فتنبَّهْ لذلك ، واشكر لشيوخ النحاة فضلهم وعلمهم .

(٢) إنما ندب الشارع الصبر على العزوبـة ، وذكـر أنها خير من نكـاح الأمـة ؛ لأنـه يفضي إلى إرقـاق الولـد ، فالحر إذا تزوج أمـة جاء أولاده أرقـاء ، ولهذا قال ﷺ : « من أراد أن يلقـى الله طاهـراً مطهراً فليتزوج الحرائر » رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعف ، لضعـف « كثير بن سُليم » وانظر تفسير ابن كثير ١٠/٦ . فالصبر على شهوات النفس أولى من الابتذال والامتهان بتـزوج المملوكـة قال ابن عطيه في المحرر الوجيز ٢/٤ : وهذا ندب إلى الترك ، وعلته ما يؤدي إليـه نكـاح الإمـاء من استرقاق الولد ومهنتهن . اهـ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٢ فقد أجاد فيه وأفاد .

(٤) السنن جمع سنة وهي الطريقـة الحميـدة المستقيمـة ومعنـى الآية : يريـد الله أن يبين لكـم شرائـع الديـن ، ويرشدكم إلى طرائـق الأنبيـاء والصالحين لتقتـدوا بهم ، وانظر كتـاب صفـوة التفـاسير ٢٧١/١ .

٦٦ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيْلُوْا مَيْلاً عَظِيْماً ﴾ [آية ٢٧] .

أي يُريدونَ أَنْ تَعْدِلُوا عن القَصْدِ وَالحَقِّ .

٦٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ يُرِيْدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيْفاً ﴾ [آية ٢٨] .

قال طاوُوس : خُلِقَ ضعيفاً في أمر النساء خاصة(١) .

ورُوِيَ عن ابن عباسٍ أَنه قَرَأَ : ﴿ وَخَلَقَ الإِنسَانَ ضَعِيفاً ﴾(٢) أي خَلَقَ اللهُ الإِنسانَ ضعيفاً .

٦٨ ــ وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ ﴾ [آية ٢٩] .

أي لايحِلُّ لكم إلَّا على ما تَقَدَّمَ ، من هِبَةٍ ، أو مَهْرٍ ،

---

(١) ذكره الطبري عن طاووس ٣/٥ ولم يذكر قولاً غيره ويؤيد ما ذهب إليه طاووس قول النبي ﷺ « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وقوله ﷺ « مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم منكن » وقال الشاعر :

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسَانَاً

أقول : والأظهر أن تكون الآية على العموم أي خلق هذا الإنسان عاجزاً ضعيفاً عن مخالفة هواه ، لا يصبر على ترك الشهوات وتحمل المشقات .

(٢) ذكرها القرطبي ١٤٩/٥ وليست من القراءات السبع المعتمد بها .

أو صَدَقَةٍ ، أو بَيْعٍ ، أو شراءٍ ، وما أشبه ذلك[1] .

٦٩ ــ وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ [آية ٢٩] .

قال عَطَاءٌ : أي لايقتُلْ بعضُكُم بعضاً[2] .

وذلك معروفٌ في اللغةِ ، لأنَّ المُؤمِنَ مِنَ المُؤمِنِ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ[3] .

---

(١) المراد كل ماليس له وجه شرعي ، فالباطل يشمل جميع المكاسب المحرمة ، والبيوع التي نهى الشارع عنها ، قال الحافظ ابن كثير ٢/٢٣٣ : « نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين ، عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل ، أي بأنواع المكاسب المحرمة غير الشرعية ، كأنواع الربا ، والقمار ، وما جرى مجرى ذلك ، من سائر صنوف الحيل » .

أقول : يدخل في المكاسب المحرمة غير الشرعية : الرشوة ، و الغش ، والكسب الخبيث الذي يكتسبه بعض المخبرين بقصد الإيذاء ، وكسب المغنيَّة « الفنانة » التي تفسد الدين والأخلاق ، وبيع المجلات الخليعة ، والصور العارية ، وسائر ما يكتسبه الشخص بالطرق الخليعة الماجنة ، لأن ذلك من إشاعة الفاحشة ، والله تعالى يقول ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ .

(٢) ذكره الطبري عن عطاء ٥/٣٥ واختاره الطبري قال والمعنى : لا يقتل بعضكم بعضاً ، وأنتم أهل دعوة واحدة ، ودين واحد ، فجعل أهل الإسلام كلهم بعضهم من بعض ، وجعل القاتل منهم بمنزلة قاتل نفسه .

أقول اللفظ يتناول هذا ويتناول أن يقتل الإنسان نفسه بيده كالمنتحر ، أو يُعَرِّض نفسه للهلاك .

(٣) هذا كقوله تعالى ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ يريد لا يعب بعضكم بعضاً ، لأن المسلمين كأنهم نفس واحدة ، فالعدوانُ علىْ المسلم ، عدوانٌ على الأمة وعدوانٌ على النفس .

وَقَرَأَ الحَسَنُ : ﴿ وَلَا تُقَتِّلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[1] على التكثير .

٧٠ ــ **ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾** [آية ٣٠] .

العُدْوَانُ في اللغةِ : المُجَاوَزَةُ لِلْحَقِّ .

والظُّلْمُ : وَضْعُ الشيءِ في غيرِ مَوْضِعِهِ[2] .

٧١ ــ **ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾** [آية ٣٠] .

أي سَهْلاً ، يقال : يَسُرَ الشيءُ فهو يَسِيرٌ ، إذا سَهُلَ .

٧٢ ــ **وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ .. ﴾** [آية ٣١] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الكبائرُ : الشِّرْكُ باللَّهِ ، والسِّحْرُ ، وقَذْفُ المُحْصَنَةِ ، وأَكْلُ الرِّبا ، وأَكْلُ مالِ اليتيمِ والفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ[3] .

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن عطية في تفسيره ٤/٢٨ والقرطبي في جامع الأحكام ٥/١٥٦وليست من القراءات السبع .

(٢) هكذا قال أهل اللغة : العدوان : هو تجاوز الحد ، والظلم : هو وضع الشيء في غير موضعه وانظر لسان العرب ، والصحاح ، مادة ظلم ، وعدا .

(٣) يؤيد ما ذهب إليه عليّ ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » . رواه البخاري في كتاب الوصايا ٤/١٢ ومسلم في كتاب الإيمان ١/٦٤ والمراد بالموبقات : المهلكات هلاكاً ماحقاً .

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ : الكبائرُ : الشركُ باللـه ، والقُنُوطُ من رحمةِ اللهِ ، واليأسُ من رَوْحِ (الله)[1] ، وأمنُ مَكْرِ اللهِ[2] .

وقال طاووس : قيل لابن عباسٍ : الكبائرُ سَبْعٌ ؟

قال : هي إلى السَّبْعِيْنَ أَقْرَبُ[3] .

وحقيقةُ الكبيرةِ في اللغةِ : أنها مَاكَبُرَ وَعَظُمَ مما وَعَدَ اللهُ جلَّ وعَزَّ عليهِ النارَ ، أَوْ أَمَرَ بعقوبةٍ فيه[4] ، فما كان على غير هذين جاز أن يكون كبيرةً وأن يكون صغيرةً .

---

(١) سقط لفظ الجلالة من المخطوطة ، وأثبتناه ليتناسق الكلام .

(٢) انظر الطبري ٥/٤٠ والبحر المحيط ٣/٢٣٤ وابن كثير ٢/٢٤٣ وهذا الذي ذكر عن ابن مسعود ، روي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه كان متكئاً فدخل عليه رجل ، فقال : ما الكبائر ؟ فقال : الشرك بالله ، واليأس من رَوْح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر » وانظر تفسير ابن كثير ٢/٢٤٣ ..

(٣) ذكر هذا الأثر الطبري ٥/٤١ وفي الدر المنثور ٢/١٤٦ عن ابن عباس ، وفي رواية أخرى : هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .

(٤) هذا الرأي نُقل عن ابن عباس أن الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ، كذا في الطبري ٥/٤١ وقال الحافظ ابن كثير ٢/٢٤٨ : ولبعض الأصحاب في تفسيره الكبيرة وجوه .

أحدها : أنها المعصية الموجبة للحد .

والثاني : أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة .

والثالث : كل جريمة تنبىء بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ، وهو قول إمام الحرمين .

والرابع : الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه ، وكل معصية توجب حداً .. اهـ باختصار .

٧٣ ـ ثم قال تعالى ﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يصيبه هَمٌّ ، أو نَصَبٌ ، إِلَّا كُفِّرَ عنه به »(١) .

٧٤ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيْماً ﴾ [آية ٣١] .

قيل : يعني به الجنةَ(٢) ، واللهُ أَعْلَمُ .

٧٥ ـ وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [آية ٣٢] .

رُوِيَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قالت : يارسولَ اللهِ فَضَّلَ اللهُ الرجالَ على النساءِ بالغَزْوِ ، وَفي الميراثِ ، فأنزل اللهُ : ﴿ وَلَاْ تَتَمَنَّوْا مَاْ فَضَّلَ اللَّه بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٣) .

وقيل : إنما نُهِيَ عن الْحَسَدِ .

والحَسَدُ عند أهل اللغة أَنْ يتمنَّى الإنسانُ ما لغيرِهِ بأنْ يزولَ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم بلفظ « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » وانظر صحيح مسلم ١٩٩٣/٤ ورقمه ٢٥٧٣ .

(٢) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ، وانظر الدر المنثور ١٤٨/٣ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٢٢/٦ ورواه الترمذي في تفسير سورة النساء ٣٧٧/٨ تحفة الأحوذي وقال : هذا حديث مرسل ، وانظر الدر المنثور ١٤٩/٢ ولفظ الطبري ٤٧/٥ عن أم سلمة قالت : يا رسول الله : تغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث !! فنزلت الآية ﴿ولا تتمنوا ما فضَّل الله به بعضكم على بعض ..﴾ .

عنه ، فإنْ تمنَّى ما لغيره ، ولم يُرِدْ أن يزولَ عنه سُمِّيَ ذلك غِبْطَةً[١] .

المعنى : ولا تَتَمَنَّوْا « تَلَفَ » مَاْ ، ثم حُذِفَ[٢] .

وقال قتادة : كان « أهل »[٣] الجاهلية لايُوَرِّثُونَ النساءَ ، ولا الصبيان فلما وُرِّثُوا ، وجُعِلَ للذكر مثلُ حظِّ الأنثيين ، تمنَّى النساءُ أَنْ لَوْ جُعِلَ أنصباؤهن كأنصباء الرجال ، وقال الرجال : إنا لَنَرْجُوْا أن نَفْضُلَ على النساء بحسَنَاتِنَا في الآخرةِ ، كما فُضِّلْنَا عليهن في الميراثِ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ ولا تَتَمَنَّوْا مَاْ فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوْا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[٤] . أي المرأةُ تُجْزَىٰ بِحَسَنَتِهَا عَشْرَ أمثالها ، كما يُجْزَى الرجالُ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وَاسْأَلُوْا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

---

(١) وعليه حُمِلَ الحديث الشريف « لا حسد إلا في اثنتين .. » إلخ ، فهو حسد غبطة لا حسد بغضاء .

(٢) هذا القول غريب وبعيد ، وإن كان يتضمنه معنى الحسد ، والأظهر أن المعنى : لا ينبغي أن يتمنى الإنسان ما خصَّ الله بن غيره من أمر الدنيا ، فإن ذلك يؤدي إلى التحاسد والتباغض ، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله جل وعلا .

(٣) سقط من المخطوطة لفظ « أهل » وهي لازمة لترابط الكلام وانسجامه .

(٤) الأثر في جامع البيان للطبري ٤٨/٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٩/٢ وقال : أخرجه عبدُ بن حميد ، وابن جرير ، وذكره الحافظ ابن كثير ٢٥٠/٣ في تفسيره بنحوه .

العبادة[1] ، ليس من أمرِ الدنيا[2] .

وقيل : سلوه التوفيقَ للعمل لما يُرْضِيْهِ[3] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمَاً ﴾ أي بما يُصْلِحُ عِبَادَهُ .

٧٦ ــ **وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال مجاهد : هم بنو العَمِّ .

وقال قتادة : هم الأقرباء ، منهم الأبُ ، والأخُ .

وقال الضحاك : يعني الأقرباءَ .

وهذا قولُ أكثر أهلِ اللغة[4] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن سعيد بن جبير ٥/٤٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٢/٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢/١٤٩ ، والمعنى على هذا القول : اسألوا الله العون على العبادة والطاعة ، فإن فضل الله عظيم .

(٢) ليس المراد هنا عرض الدنيا ، بل المراد العون على الطاعة وعبادة الرحمن ، وفي الحديث الشريف « سلوا الله من فضله ، فإنه يحب أن يسأل ، وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج » أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، تحفة الأحوذي ١٠/٢٢ .

(٣) هذا ما رجحه ابن جرير في تفسيره ٥/٤٩ قال : وفضله في هذا الموضوع : توفيقه ومعونته .

(٤) قال أهل اللغة : المولى : الذي يتولى شئون غيره ، يقال للعبد مولى ، وللسيد مولى ، لأن كلاً منهما يتولى الآخر ، والموالي : الأولياء من العصبة وغيرهم . قال القرطبي ٥/١٦٥ : بيَّن تعالى أن لكل إنسان ورثة وموالي ، فليقتنع كل أحد بما قسم الله له من الميراث ، ولا يتمنَّ مال غيره .

٧٧ ـ وقولُـه جَلَّ وعَـزَّ : ﴿ وَالَّذِيـنَ عَقَـدَتْ أَيْمَانُكُـمْ فَآتُوهُـمْ نَصِيبَهُمْ .. ﴾ [آية ٣٣] .

هذه الآية منسوخة(١) .

قال ابن عباس : كانـوا في الجاهليـة يجيء الرجـل إلى الرجـل فيقـول له : أَرِثُكَ وَتَرِثُنِـي ، فيكـون ذلك بينهمـا حِلْفـاً ، فَنَسَخَ اللـهُ ذلك بقولـه : ﴿ وَأُولُـو الْأَرْحَـامِ ، بَعْضُهُـمْ أَوْلَـىٰ بِبَـعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ ﴾ .

وكذلك رُوي عن الحسنِ وعكرمةَ وقتادةَ أَنَّ الآية مَنْسُوخةٌ(٢) .

وقال سعيد بن المسيب : كان الرَّجُلُ يتبنَّى الرَّجُـل فيتوارثـان على ذلك [فنسخه](٣) اللهُ جَلَّ وعَزَّ .

---

(١) هذا هو الصحيح أن الآية ﴿ والذين عقـدت أيمانكـم .. ﴾ منسوخـة ، فقـد روى البخـاري في كتـاب الفـرائض من روايـة سعيـد بن جبير عن ابـن عبـاس قال : كان المهاجـرون حين قدمـوا المدينة ، يرث الأنصاري المهاجري دون ذوي رحمه ، للأُخُوَّةِ التي آخـى رسول الله ﷺ بينهم ، فلمـا نزلت ﴿ ولكـل جعلنـا موالي ﴾ نسختها . البخـاري ٥٥/٦ أي نسخت هذه الآية حكـم المعاقدة ، وقراءة « عاقدت » قراءة ابن كثير ونافع ، وقرأ عاصم وحمزة « عقدت » وانظر السبعـة لابن مجاهد ٢٣٣ .

(٢) انظر الطبري ٥٣/٥ وتفسير ابن كثير ٢٥٢/٢ وتفسير القرطبي ١٦٦/٥ وذكـره ابـن عطيـه في المحرر الوجيز ٤٠/٤ بلفظ : وورد عن ابـن عبـاس أن المهاجريـن كانـوا يرثـون الأنصار دون ذوي رحمهـم ، للأخـوة التـي آخـى رسول الله ﷺ بينهم ، فنـزلت الآية في ذلك ناسخـة وبقـي إيتـاء النصيب من النصرة والمعونة ، أو من المال على جهة الندب في الوصية . اهـ.

(٣) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

٧٨ ــ **وقوله جَلَّ وَعَـزَّ : ﴿ الرِّجَـالُ قَوَّامُـوْنَ عَلَـىٰ الـنِّسَاءِ .. ﴾** [آية ٣٤] .

قيل : لأن منهم الحُكَّامَ والأمراءَ وَمَنْ يَغْزُوْ(١) .

٧٩ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوْا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾** [آية ٣٤] .

أي من المهور .

٨٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾** [آية ٣٤] .

قال قتادة : أي مُطِيْعَاتٌ(٢) .

وقال غيره : أي قَيِّمَاتٌ لأزواجهنَّ بما يجبُ مِنْ حَقِّهِنَّ .

٨١ ــ **ثم قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾** [آية ٣٤] .

---

(١) يريد أن القوامة إنما كانت بسبب ما خص الله به الرجال من الإمامة ، والسلطان ، والجهاد ، والقضاء ، والنبوة ، وغير ذلك من خصائص اختص الله بها الرجال ، قال ابن كثير ٢٥٦/٢ ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ أي الرجل قيِّم على المرأة وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ، ولأن الرجال أفضل ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك المُلك لقوله ﷺ «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخاري .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ٥٩/٥ ولفظه : أي مطيعات لله ولأزواجهن ، قال : وقد بينّا معنى القنوت فيما مضى وأنه الطاعة . اهـ. قلت : ويؤيده الحديث الشريف في مسند أبي داود الطيالسي « خير النساء التي إذا نظرت إليها سرَّتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ الرجال قوامون على النساء .. ﴾ الآية وانظر ابن كثير ٢٥٧/٢ .

قال قتادة : أي لِغَيْبِ أزواجهن[1] .

﴿ بِمَـا حَفِـظَ اللَّـهُ ﴾ أي بما حَفِظَهـنَّ اللـهُ به في مهورهن والإنفاق عليهن[2] .

وقرأ أبو جعفر المدني : ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهَ ﴾[3] .

ومعناه بأَنْ حَفِظْنَ اللهَ في الطاعه ، وتقديرُهُ بِحِفْظِ اللهِ .

٨٢ ــ **وَقَوْلُـهُ جَلَّ وَعَـزَّ : ﴿ وَاللَّاتِـي تَخَافُـوْنَ نُشُوْزَهُـنَّ فَعِظُوْهُـــنَّ .. ﴾** [آية ٣٤] .

قال أهل التفسير : النشوزُ : العداوةُ .

والنُّشُوزُ في اللغةِ : الارتفاعُ ، ويُقال لِمَا ارتفع من الأرض : نَشْزٌ ، وَنَشَزٌ[4] .

---

(١) قال الطبري ٥/٦٠ : ﴿ حافظات للغيب ﴾ يعني : حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهنَّ ، يحفظن فروجهن وأموالهم ، ثم روى عن قتادة قال : حافظات لما استودعهن الله من حقه ، وحافظات لغيب أزواجهن . اهـ. وكذا ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٢/٧٥ عن قتادة وعطاء .

(٢) هذا قول لبعض المفسرين ومعناه بحفظ الله ورعايته ، والأظهر أن المعنى : بأمر الله للنساء أن يطعن أزواجهم ، ويحفظن أمرهم ، ويتعفَّفْنَ عن الحرام .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٢/٢٤٩ .

(٤) أصل النشوز في اللغة : الارتفاع ، نَشَزَت المرأة إذا ترفَّعت على زوجها ، وعصَتْ أمره ، ويُقال : تلٌّ ناشز لما ارتفع من الأرض ، ومنه قوله تعالى ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ أي قوموا وارتفعوا ، والمراد بالآية هنا ﴿ نشوزهن ﴾ أي عصيانهن وترفعهن عليكم ، وانظر الصحاح ، واللسان ، مادة نشز .

وَالعَدَاوَةُ : هي ارتفاعٌ عما يجبُ ، وزوالٌ عنه .

قال سفيان : معنى ﴿ فَعِظُوْهُنَّ ﴾ أي فعِظُوهُنَّ بالله[1] .

﴿ وَاهْجُرُوْهُنَّ فِيْ الْمَضَاْجِعِ ﴾ .

قال سفيان : مِنْ غَيْرِ تَرْكِ الْجِمَاعِ[2] .

﴿ وَاضْرِبُوْهُنَّ ﴾ .

قال عطاء : ضَرْباً غير مبرِّح[3] .

---

(١) قال الطبري ٥/٦٢ : أي ذكروهنَّ الله ، وخوفوهن وعيده ، فيما أوجب عليها من طاعته وعدم معصيته . اهـ .

أقول : المراد بقوله « فعظوهن » أي ذكروهن ما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة ، وجميل العِشْرة للزوج ، والاعتراف بالقوامة التي له عليها ، بمثل قوله ﷺ « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقوله « أيما امرأة باتت هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .. إلخ . وأن يذكِّرها بالله ويخوفها من عقابه .

(٢) هذا القول عن الثوري أن المراد ترك الكلام لا ترك الجماع ، به قال السدي ، وذكره عنه الطبري وغيره ، والأظهر ما قاله ابن عباس أن المراد ترك الجماع ، قال : يوليها ظهره ولا يجامعها ، ولا يكلمها ولا يحدثها ، وهو قول الأكثرين .

أقول : إن هجر المرأة بعدم المعاشرة وعدم المضاجعة علاجٌ نفسيٌّ ، وله تأثير بليغ على نفس المرأة ، لأنها حينئذٍ تشعر بأن زوجها قد كرهها ، وربما طلَّقها ، فلعلها بذلك تتوب إلى رشدها.

(٣) المراد ضرباً خفيفاً لا يترك أثراً على الأعضاء من شَيْن أو جُرح أو كسر ، فالضرب في هده الآية هو ضرب الأدب ، الذي يُقصد من وراءه الإصلاح لا الانتقام ، ويؤيده ما ورد في صحيح مسلم أنه ﷺ قال في حجة الوداع : « اتَّقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألَّا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً =

٨٣ ــ ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [آية ٣٤] .

قال ابن جريج : أي لاتطلبوا عليهنَّ طريقَ عَنَتٍ[1] .

٨٤ ــ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [آية ٣٤] .

أي هو مُتَعَالٍ عن أن يُكَلِّفَ إلا الحقّ ومقدار الطاقة .

ــ غير مبرح .. » الحديث .

أقول : لعل أخبث ما يتخذه أعداء الإسلام للطعن في الشريعة الغراء ، زعمهم أن الإسلام أهان المرأة وأهدَرَ كرامتها حين سمح للرجل بضربها ، ويقولون : كيف يسمح القرآن بضرب النساء ﴿ واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ أفليس في هذا إهانة للمرأة واعتداء على كرامتها ؟

والجواب : نعم لقد أذن الله الحكيم العليم بضربها ، ولكن متى يكون الضرب ؟ ولمن يكون ؟

إن الضرب ــ ضرباً غير مبرح ــ كما ورد في الحديث الشريف هو أحد الطرق في معالجة نشوز المرأة وعصيانها لأمر الزوج ، فحين تسيء المرأة عِشْرَةَ زوجها ، وتركب رأسها ، وتسير بقيادة الشيطان ، لاترتدع ولاترعوي عن غيها ، وتقلب الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق ، فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحالة ؟ أيطلقها أم يتركها تمعن في طغيانها؟ لقد أرشدنا القرآن العظيم إلى العلاج والدواء ، فأمر بالصبر والأناة ، ثم بالنصح والإرشاد ، ثم بالهجر في المضاجع ، فإذا لم تنجح هذه الوسائط كلها ، فلا بدَّ من سلوك طريق آخر،لكسر الغطرسة والكبرياء ، وإخراج الشيطان من رأسها وذلك بضربها ضرباً غير مبرح ، وهذا أقل ضرراً من تهديم صرح الأسرة بإيقاع الطلاق عليها ، وكما قيل : « وعند ذكر العمى يُستحسن العَوَرُ » فالضرب الخفيف للتأديب والإصلاح ، طريق من طرق العلاج ينفع في الحالات التي يستعصي فيها الإصلاح باللطف والجميل ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴾ ؟!

(١) وقع في المخطوطة خلل ، والظاهر أن هناك بعض السقط ، وصوابه كما في الهامش : أي لاتطلبوا عليهن العلل ، والسبيل في اللغة : الطريق ، أي لا تطلبوا عليهن طريق عنت . اهـ. وانظر هامش اللوحة ٧١ من المخطوطة .

٨٥ ــ وقولُه جل وعزَّ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا .. ﴾ [آية ٣٥] .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ خِفْتُمْ ﴾ أيقنتُمْ[١] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : هذا عندي خطأٌ ، لِأَنَّا لَوْ أيقنَّا لم يحتج إلى الحَكَمَيْنِ ، و « خِفْتُمْ » ههنا على بابها .

والشقاقُ : العداوةُ ، وحقيقتُه أن كلَّ واحدٍ من المُعَادِيَيْنِ في شِقٍّ خلاف شِقِّ صاحِبِهِ .

٨٦ ــ ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنْ يُرِيْدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ .

قال مجاهد : يعني الحَكَمَيْنِ .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حَسَنٌ ، لأنهما إذا اجتمعتْ كَلِمَتُهُما قُبِلَ منهما ، على أنَّ في ذلك اختلافاً[٢] .

رُوي عن سعيد بن جبير أنه قال : للحَكَمَيْنِ أن يُطَلِّقَا على الرجل إذا اجتمعا على ذلك ، وهذا قولُ مالكٍ .

وفيه قولٌ آخر : وهو أنهما لايُطَلِّقَانِ عليه حتى يرضى بحكمهما .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٢٦/١ وما قاله أبو إسحاق الزجاج في الرد عليه هو الصحيح الموافق للسياق ، فالخوف على ظاهره ، توقُّع حدوث النزاع والخصام بين الزوجين ، بظهور أماراته ، كما قال الزجاج في معانيه ٥٠/٢ .

(٢) انظر آراء الفقهاء وأدلتهم في جامع الأحكام للقرطبي ١٧٦/٥ .

وروى هذا القولَ أيوبُ وهشامٌ عن محمد بن سيرين عن عَبِيدَةَ عن علي رحمَهُ اللهُ أنه قال للحَكَمَيْنِ : «لكما أن تجمعا وأنْ تُفَرِّقَا فقال الزوجُ : أما التفرقةُ فلا ، قال عليٌّ : والله لَتَرْضَيَنَّ بكتاب الله[1] » .

٨٧ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾ [آية ٣٥] .

أي هو عليمٌ بما فيه الصلاحُ ، خبيرٌ بذلك .

٨٨ ـ وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً .. ﴾ [آية ٣٦] .

أي لا تعبدوا معه غيره ، فتبطلَ عبادَتُكم .

٨٩ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً .. ﴾ [آية ٣٦] .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ٥/٧١ . وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة ، فقال أبو حنيفة وأحمد : ليس للحكمين أن يفرقا بدون إذن الزوجين ، لأنهما وكيلان عنهما ، ولا بدَّ من رضى الزوجين فيما يحكمان به ، فهما طرفان للإصلاح ليس غير ، وحجتهما في ذلك قولُه تعالى ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾ فقد أشارت الآية إلى الإصلاح فقط ولم تذكر التفريق ، وفي ذلك إرشاد من الله تعالى للحكمين إلى أنه ينبغي ألَّا يدخرا وسعاً في الإصلاح ، فإن في التفريق خراب البيت ، وتشريد الأسرة ، وقال مالك : إن للحكمين أن يُلزما الزوجين بما يريا فيه المصلحة ، فإن رأيا التطليق طلَّقا ، وإن رأيا التوفيق وفَّقا ، وإن رأيا أن تفتدي المرأة بشيء من مالها فعلا ، يفعلان ذلك بغير إذن الزوجين ، وحجته أن الله تعالى سمَّى كلاً منهما حكماً ﴿ فابعثوا حكماً ﴾ والحكم هو الحاكم ، ومن شأن الحاكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه ، رضي أم سخط ، وللشافعي في المسألة قولان ، وقد رجح ابن جرير القول الأول ونصره وأيده ، وانظر جامع البيان ٥/٧٥ .

أي وصَّاكم بهذا ، والتقدير : وأَحْسِنُوا بالوالدين إحساناً[1] .

٩٠ ــ وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ .. ﴾ [آية ٣٦] .

هو الذي بينك وبينه قرابةٌ[2] .

٩١ ــ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال ابن عباس : هو الغريب ، وكذلك هو في اللغة ، ومنه فلانٌ أَجْنَبِيٌّ ، وكذلك الجَنَابَةُ :البُعْدُ[3] .

وأنشد أهل اللغة :

فَلَا تَحْرِمَنِّـي نائِـلاً عن جَنَابَـةٍ
فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيْبُ[4]

(١) أي هو منصوب على المصدر بفعل محذوف تقديره : أحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، وتقديم الوالدين للاهتمام والعناية بشأنهما ، وإعراب « إحساناً » على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف .

(٢) هكذا روي عن ابن عباس ﴿ والجار ذي القربى ﴾ أنه القريب النسب ﴿ والجار الجُنُب ﴾ هو الأجنبي ، وهو قول قتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، ورجحه الطبري ، وقيل : « والجار ذي القربى » القريب المسكن منك ، والجنب : البعيد المسكن عنك ، وحدَّه بعضهم بأربعين ذراعاً من كل جهة ، والأول أظهر .

(٣) قال في البحر ٢٤٥/٣ : والجنب هو البعيد ، سمي بذلك لبعده عن القرابة ، والمجاورة : مساكنة الرجل الرجل في قرية أو مدينة ، وقال بعضهم : أربعون داراً من كل جانب ، وروى في ذلك حديثاً أن النبي ﷺ أمر مناديه أن يُنادي « ألا إن أربعين داراً جوارٌ ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » . اهـ. ويعني بالبوائق الشرور والآثام .

(٤) البيت لعلقمه بن عَبَدة يخاطب به «الحارث بن جبلة» مادحاً له وطالباً منه إطلاق سراح أخيه شاس من سجنه الذي حبسه فيه الحارث بعد أسره ، وقد أطلقه له الحارث هو ومن أسر معه من بني تميم ، وهو المراد بقوله « نائلاً » وانظر اللسان ، وتفسير ابن عطية ٥٢/٤ وتفسير القرطبي ١٨٣/٥ .

٩٢ ـــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ** : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

رُوي عن علي وعبد الله بن مسعود وابن أبي ليلى أنهم قالوا : الصاحِبُ بالجَنْبِ : المرأةُ[١] .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : الصاحبُ بالجَنْبِ : الرفيقُ في السَّفَرِ[٢] .

٩٣ ـــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ** : ﴿ وَابْنِ السَّبِيْلِ ﴾ [آية ٣٦]

قال قتادة ومجاهد والضحاك : هو الضيفُ[٣] .

والسَّبِيْلُ في اللغةِ : الطريقُ ، فَنَسِبَ إليها لأنه إليها يَأْوِي[٤] .

---

(١) و (٢) الآثار ذكرها الطبري في جامع البيان ٨٢/٥ ورجح أن كل من كان إلى جنب الآخر فالآية تشمله ، واللفظ يعمُّه ، فيدخل فيه الرفيق في السفر ، والمرأة مع زوجها ، والصديق المنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه ، لأن كلهم بجنب الذي هو معه ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٨٠/٢ أن في الصاحب بالجنب ثلاثة أقوال : أنه الزوجة ، أو الرفيق مطلقاً ، أو الرفيق في السفر ، وكذلك ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٢٤٥/٣ وجمع الزمخشري في تفسيره الكشاف ٢٦٨/١ هذه الأقوال فقال : « والصاحب بالجنب » هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك ، إما رفيقاً في سفر ، وإما جاراً ملاصقاً ، وإما شريكاً في تعلم علم ، أو حرفة ، وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد ، أو غير ذلك من أي صحبة الْتَأَمَتْ بينك وبينه ، فعليك أن تراعي ذلك الحق ولا تنساه . اهـ. وهو تفصيل لرأي الطبري بديع .

(٣) الأثر في الطبري ٨٣/٥ وابن الجوزي ١٧٩/١ والقرطبي ١٨٩/٥ واختار الطبري أنه المسافر الضارب في الطريق في سفره .

(٤) قال القرطبي : هو الذي يجتاز بك ماراً ، والسبيلُ :الطريق ، فنسب المسافر إليه لمروره عليه ولزومه إياه ، ومن الإحسان إليه إعطاؤه وإرفاقه وهدايته ورشده . اهـ. جامع الأحكام ١٨٩/٥ .

٩٤ ــ وقولـه عز وجـل ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَـالاً فَخُـوْرَاً ﴾ [آية ٣٦] .

المختالُ في اللغةِ : ذو[١] الخُيَلَاءِ .

فإن قيـل : فكيـف ذكـرَ المختـالَ ههنـا ، وكيـف يُشْبِـهُ هذا الكلامُ الأوَّلَ ؟ .

فالجوابُ أنَّ من الناس مَنْ تَكَبَّرَ على أقربائِهِ إذا كانـوا فقـراءَ ، فَأَعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنه لايُحِبُّ مَنْ كان كذا[٢] .

٩٥ ــ وقولـه عزَّ وجـل ﴿ الَّذِيـنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ ، وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظ « ذو » وأثبتناها من الهامش .

(٢) أراد المصنف أن يدفع اعتراضاً قد يَرِدُ على الآية ، وهو أن الكلام كان عن الإحسان والإنفـاق في وجوه البر والخير ، فكيف ختمت الآية بقوله ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ وظاهـره لا يتفـق مع السيـاق ؟ والجواب أن من اتصف بهاتين الصفـتين : الخيـلاء ــ وهـو التـكبر ــ والفخر ــ وهو عدّ المناقب على سبيل التطاول والتعاظم على الناس ــ حَمله ذلك على الإخـلال بواجب البر والإحسان ، فمن كان متـكبراً في نفسه ، يأنـف عن أقاربـه وجيرانـه ، ويترفع عنهم ، لأنه يرى أنه خير منهم ، فالمختال يأنف من قرابته إذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفـاء ، ويدعـوه ذلك إلى عدم الإحسان ، فلـذلك ختمهـا الله بهذا الختم البديـع ، قال الهروي : لا تجد سيء الملَكَة إلا وجدته مختـالاً فخـوراً ، ولا عاقّـاً إلا وجدتـه جبّـاراً شقيـاً ، وانظـر البحـر المحيـط ٢٤٦/٣ .

قال إبراهيم ومجاهد وقتادة : نزل هذا في اليهود(١) .

وهو قولٌ حَسَنٌ عند أهل اللغةِ ، لأن اليهود بَخِلُوْا أَنْ يُخْبِرُوا بصفة النبي ﷺ ، وهي عندهم في التوراة ، وكتموا ما آتاهم اللهُ من فضْلِهِ ، أي ما أعطاهم(٢) .

والدليلُ على هذا قولُهُ : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾(٣) .

٩٦ ـ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

قال إبراهيم : يعني به اليهود أيضاً(٤) .

---

(١) ذكره في جامع البيان ٥/٨٥ وحكاه القرطبي في جامع الأحكام ٥/١٩٣ وعزاه إلى ابن عباس وغيره ، ولفظه : والمراد بهذه الآية في قول ابن عباس وغيره اليهود ، فإنهم جمعوا بين الاختيال ، والفخر ، والبخل بالمال ، وكتمان ما أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ .

(٢) قال المفسرون : الآية في اليهود ، نزلت في جماعة منهم كانوا يقولون للأنصار : لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات ، ولا تنفقوا أموالكم على هؤلاء المهاجرين، فإنا نخشى عليكم الفقر، هذا قول الجمهور وهي مع ذلك عامة ، تشمل من اتصف بهذه الأوصاف الرذيلة من البخل ،وعدم المعروف ، والكبر والخيلاء ، والتفاخر على الناس .. إلخ . وانظر جامع البيان للطبري ٥/٨٥ وتفسير ابن عطية ٤/٥٧ والبحر المحيط ٣/٢٤٦ والقرطبي ٥/١٩٣ .

(٣) يريد أن الآية في الكفار من أهل الكتاب ،وليست في المؤمنين المتصفين بالبخل وسوء والأخلاق

(٤) ذكره الطبري ٥/٨٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومقاتل ، ومجاهد ، وضعّفه ، وحجّته أن اليهود يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فالآية عنده نزلت في المنافقين عامة ، لا في خصوص اليهود ، واحتج أيضاً بأن الآية الثانية عطفت بالواو ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع واحد وهو اليهود ، لجاء السياق بدون واو ، ﴿ وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً =

وقال **غيره** : يعني به المنافقين .

٩٧ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿وَلَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيْناً فَسَاءَ قَرِيْناً**(٤) ﴾ [آية ٣٨] .

أي مَنْ يَقْبَل ما سَوَّلَ له الشيطانُ ، فَسَاءَ عَمَلاً عَمَلُهُ(١) .

٩٨ ــ **وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .. ﴾** [آية ٤٠] .

أي وَزْنَ ذَرَّةٍ . يُقال : هذا مثقال هذا ، أي وَزْنُ هذا .

وَمِثْقَالٌ : مِفْعَالٌ ، من الثُّقْلِ .

والذَّرَّةُ : النَّمْلَةُ الصغيرةُ(٢) .

= الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ ووجَّه ابن عطية قول مجاهد وابن عباس أنها في اليهو (فقال : وقول مجاهد متَّجهٌ على المبالغة والإلزام ، إذ إيمانهم بالله وباليوم الآخر كلا إيمان ، من حيث لا ينفعهم ، ثم قال : وقال الجمهور : نزلت في المنافقين ، وهذا هو الصحيح ، وإنفاقهم هو ما كانوا يعطون من زكاة ، وينفقون في السفر مع رسول الله ﷺ رياءً لا إيماناً بالله . اهـ.

(١) هذا رأي الزجاج في معانيه ٥٣/٢ فقد قال : هذا منصوب على التفسير أي من يكن عمله بما يسوِّل له الشيطان ، فبئس العمل عمله كما تقول : زيد نعم رجلاً . اهـ.

أقول : لا حاجة إلى هذا التأويل ، فإن الضمير يعود على القرين لا على العمل ، والمعنى : من كان الشيطان صاحباً له ، وخليلاً ملازماً لا يفارقه ، يعمل بأمره ويسير بتوجيهاته ، فبئس هذا القرين والصاحب ، والآية كقوله تعالى « ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين » .

(٢) روي هذا عن ابن عباس قال : ﴿ مثقال ذرة ﴾ : رأس نملة حمراء ، كما ذكره الطبري ، وقيل : ذرة صغيرة من التراب ، أو الهباءة التي تُرى في ضوء الشمس ، إذا نظرت إليها وراء الزجاج ، وعلى كل حال فالآية تمثيل لأصغر الأشياء أنها لا تضيع عند الله .

ورَوَىٰ عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن النَّبيَّ ﷺ قال : « يخرجُ مِنَ النار مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ » . ثم قال أبو سعيد : إنْ شَكَكْتُمْ فَاقْرَؤُوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[1] .

٩٩ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرَاً عَظِيْمَاً ﴾[2] [آية ٤٠] .

قال سعيد بن جبير : يعني الجنة[3] .

ومعنى ﴿ يُضَاعِفْهَا ﴾ يجعلها أضعافاً[4] .

وقرأ أبو رجاء العُطَارِدِي : ﴿ يُضَعِّفْهَا ﴾[5] .

---

(١) الحديث ذكره ابن جرير في جامع البيان ٨٩/٥ بأطول من هذا ، وأخرجه الشيخان في الصحيحين في حديث الشفاعة وهو طويل ، وفيه : فيقول الله عز وجل : « ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فأخرجوه من النار ، فيُخْرِجون خلقاً كثيراً ، ثم يقول أبو سعيد الخدري اقرءوا إن شئتم ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ الآية . وانظر صحيح البخاري ١٥٩/٩ وصحيح مسلم ١٧٠/١ .

(٢) جمهور المفسرين على أن المراد بالأجر العظيم الجنة ، لأنه لا جزاء أعظم من نعيم الجنة ، قال الطبري ﴿ أجراً عظيماً ﴾ يعني عوضاً من حسنته عظيماً ، وذلك العوض العظيم : الجنة .

(٣) الطبري عن سعيد بن جبير ٩٢/٥ قال : وهو قول ابن زيد ، وفي البحر ٢٥٢/٣ قال ابن مسعود ، وابن زيد ، وابن جبير : الأجر هنا الجنة . اهـ. وقيل : الأجر العظيم الذي لا حدَّ له ولا عدَّ ، قال عَبِيَدةُ قال أبو هريرة : وإذا قال الله ﴿أجراً عظيماً﴾ فمن الذي يقدِّر قدره ؟

(٤) ويشهد له قوله تعالى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .. ﴾ الآية .

(٥) هذه من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٣ والنشر في القراءات العشر ٢٤٩/٢ وهي قراءة ابن عامر ، وابن كثير ، وانظر زاد المسير ٨٤/٢ وأما قراءة الجمهور فهي بالألف =

ومعنى ﴿ مِنْ لَدُنْهُ ﴾ من قِبَلِهِ .

١٠٠ ــ وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيْدَاً ﴾ [آية ٤١] .

في الكلام حذفٌ لعلْمِ السامعِ ، والمعنى : فكيف تكون حالُهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد ؟ وفي الكلام معنى التوبيخ(١) .

قال عبدالله بن مسعود : قال لي النبيُّ ﷺ : « اقْرَأْ عَلَيَّ » فقلتُ : آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « نَعَمْ » فقرأت عليه من أول النساء حتى بلغتُ إلى قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مَنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيْدَاً ﴾ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ »(٢) .

= « يُضاعفها » قال الطبري ٩١/٥ : ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ بالألف ، ولم يقل « يضعِّفها » لأنه أريد ــ في قول بعض أهل العربية ــ يضاعفها أضعافاً كثيرة ، ولو قال : يُضعِّفها لكان المراد ضعفين . اهـ.

أقول : ما ذكره الطبري هو قولُ ابن قتيبة في غريب القرآن ١٢٧ وأبي عبيدة في مجاز القرآن ١٢٧/١ وهما من أئمة علماء اللغة ، وكلامهما يدلُّ على دقَّةٍ في المعاني اللغوية .

(١) الاستفهام هنا « فكيف » للتوبيخ والتقريع أي كيف يكون حال هؤلاء الأشقياء المجرمين ، حين نأتي من كل أمة بنبيِّها ليشهد عليها ، ونأتي بك يا محمد لتشهد على العصاة المكذبين من أمتك ؟ كيف يكون موقفُهم ؟ وكيف يكون حالهم ؟ فالتوبيخ إنما جاء من صيغة الاستفهام . والله أعلم .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٢٤١/٦ ومسلم في فضل استماع القرآن ١٩٥/٢ ولفظ البخاري عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي النبي ﷺ : اقرأ عليَّ القرآن ، فقلت يا رسول الله : آقْرَأ عليك ، وعليك أُنزل ؟ قال : نعم ، إني أحبُّ أن أسمعه من غيري ، فقرأت سورة النساء ، حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال : حسبك الآن ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان » وفي رواية لمسلم : =

وقال[1] : (شَهِيْداً عَلَيْهِمْ مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ) .

١٠١ ــ **وقولُه جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَعَصَوُا الرَّسُوْلَ لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾** [آية ٤٢] .

وقرأ مجاهد وأبو عمرو : ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ ﴾[2] .

فمن قرأ : ﴿ تَسَوَّىٰ ﴾ فمعناه على ما رُوِيَ عن قتادة : لو تَخَرَّقَتْ بهم الأرضُ فَسَاخُوْا فيها[3] .

وقيل ــ وهو أَبْيَنُ ــ: إن المعنى أنهم تَمَنَّوْا أن يكونوا تراباً كالأرض ، فَيَسْتَوُوْنَ هُمْ وَهِيَ ، وَيَدُلُّ على هذا ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾[4] .

= فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا .. ﴾ رفعت رأسي ، أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل » . وأخرجه أحمد في المسند برقم (٣٥٥٠) وذكره في الدر المنثور ١٦٣/٢ وزاد نسبته إلى الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة .

(١) وقال أي النبي ﷺ كما في جامع البيان للطبري ٩٢/٥ ولفظه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم » الحديث .

(٢) قال ابن مجاهد في كتابه « السبعة في القراءات » ص ٢٣٤ : اختلفوا في فتح التاء وضمها ، والتشديد والتخفيف في قوله تعالى ﴿ لو تَسَوَّى ﴾ فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم : « لو تُسَوَّى » مضمومة التاء مفتوحة السين ، وقرأ نافع وابن عامر « لو تَسَّوَّى » مفتوحة التاء والواو ، مشددة السين ، وقرأ حمزة والكسائي « لو تَسَوَّى » خفيفة السين .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٩٣/٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٥٣/٣ ومعنى تَسَوَّى أي تتسوَّى حذفت من المضارع إحدى التاءين ، وعلى هذه القراءة يكون المعنى : تمنَّوا لو تنشقُّ الأرض وتبتلعهم فيكونون فيها وتتسوَّى عليهم .

(٤) أشار إلى قوله تعالى في سورة النبأ ﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾ وعلى كلتا الحالتين فالقراءتان سبعيتان وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٤ .

وكـذلك « تُسَوَّى » لو سوَّاهـم اللـهُ عز وجـل ، فصاروا ترابـاً مثلها[1] .

والقراءةُ الأولى موافقةٌ لقولهم « كُنْتُ » ولم يقولوا : كُوِّنْتُ .

وَرُوِيَ عن الحسنِ في قولـه : ﴿ تُسَوَّى بِهِـمُ الْأَرْضُ ﴾ قال : تَنْشَقُّ فَتَسَوَّىٰ عليهم[2] .

يذهبُ إلى أن معنى « بهم » عليهم ، فتكـون « البـاء » بمعنـى « على »[3] كما تكـون « في » بمعنـى « عَلَـى » في قولـه عز وجـــل : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ ﴾[4] .

٢٠٢ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ وَلَا يَكْتُمُوْنَ اللَّهَ حَدِيْثاً ﴾ [آية ٤٢] .

---

(١) قال الزجاج في معانيه ٥٦/٢ قيـل : المعنـى يودُّون أنهم لم يُبعثوا وأنهم كانـوا والأرض سواء ، وقـد جاء في التـفسير أنها البهائم يوم القيامـة تصير تراباً ، فيـودّون أنهم يصيرون ترابـاً . اهـ. وانظـــر الطبري ٩٣/٥ فقد رجح قراءة ﴿ لو تَسَوَّى ﴾ بفتح التاء وتخفيف السين لتوافق الآية الأخرى .

(٢) انظر جامع البيان ٩٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ٨٧/٢ وتفسير القرطبي ١٩٨/٥ .

(٣) وضَّح هذا الإمام العجيلي في الفتوحـات الإلهيـة المشهـور بحاشيـة الجمـل على الجلالين ٣٨٣/١ فقال : قرأ حمزة والكسائي بفتح التـاء والتخفيـف « تَسَوَّى » ونافـع وابـن عامـر بالتثقيـل ، فأمـا القراءة الأولى فمعناها أنهم يودون أن الله يسويٍّ بهم الأرض ، إمـا على أن الأرض تنشق وتبتلعهـم ، وتكون « الباء » بمعنـى « على » وإمَّـا على معنـى أنهم يودُّون أن لو صاروا ترابـاً كالبهائم ، والأصل يودون أن الله يسويهم بالأرض ، وإمَّا على معنى أنهم يودُّون لو يدفنون فيها . اهـ. وهو كلام واضح جميل .

(٤) سورة طه آية رقم (٧١) .

فَيُقَالُ : أليس قد قالوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ ﴾(١) ؟

ففي هذا أجوبةٌ .

منها : أن يكون داخلاً في التَّمَنِّي ، فيكون المعنى : أنهم يَتَمَنَّوْنَ أَلَّا يكتموا اللهَ حديثاً ، فيكون مثل قولك : ليتني ألقى فلاناً وأُكَلِّمُهُ .

وقال قتادة : هي مواطن في القيامة ، يقع هذا في بعضها(٢) .

وقال بعض أهل اللغة : هم لايقدرون على أن يكتموا ، لأن اللهَ عالمٌ بما يُسِرُّونَ (٣).

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (٢٣) وتمامها ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ . ويريد المصنف التوفيق بين الآيتين ، فقوله ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ تدل على عدم الكتمان ، وعلى الإقرار بكل مافعلوا ، وقوله ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ تدل على الكتمان والكذب على الله ، وقد وجَّه الإمام النحاس عدة أوجه في التوفيق بينهما .

(٢) أي في مواطن يقرون ويعترفون ، وفي مواطن ينكرون ويجحدون ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٣/٣ وقال الحسن البصري : القيامة مواقف ، ففي موطن يعرفون سوء أعمالهم ويسألون أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ، وفي مواطن يكتمون ويقولون ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ وكذلك نقل ابن الجوزي عن الحسن هذا القول ٨٧/٢ .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٥٦/٢ وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٦٨/٤ : ومعنى الآية أن الكفار ـــ لما يرونه من الهول وشدة المخاوف ـــ يودُّون لو تسوَّى الأرض بهم فلاينالهم ذلك الخوف، ثم استأنف الكلام فأخبر أنهم لايكتمون اللّهَ حديثاً ، لنطق جوارحهم بذلك كله ، وهذا قول ابن عباس ، وقالت طائفة : إنما استأنف الكلام بقوله « ولا يكتمون الله حديثاً » ليخبر أن الكتم لا =

وقيل قولُهم : ﴿ واللَّهِ رَبِّنَا مَاكُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ عندهم أنهم قد صدقوا في هذا ، فيكون على هذا ﴿ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيْثاً ﴾ مستأنفاً[1] .

١٠٣ ـ وقوله عز وجل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال الضحاك : أي سُكَارَىٰ من النَّوْمِ[2] .

وقال عكرمة وقتادة : هذا مَنْسُوْخٌ .

وقال قتادة : نسخه تحريم الخمر[3] .

= ينفع وإن كتموا ، لأن الله يعلم جميع سرائرهم وأحاديثهم ، فالمعنى وليس ذلك المقام الهائل مقاماً ينفع فيه الكتم .

(١) أي إن الكلام إخبار من الله عز وجل فهو كلام جديد مستأنف ، يخبر تبارك وتعالى عنهم أنهم لا يستطيعون أن يكتموا الله حديثاً ، لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه ، كما روي عن ابن عباس ، وقيل : إن الجملة معطوفة على السابق أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض ، وأنهم لم يكتموا ولم يكذبوا في قوله ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ لأنهم إذا كتموا افتضحوا ، فلشدة الأمر يتمنون أن تُسوَّى بهم الأرض ، انظر تفسير الكشاف ٢٦٩/١ والقول الأول أظهر أن الجملة مستأنفة من كلام الله عز وجل .

(٢) هذا القول غريب وفيه بعد ، ويرده سبب النزول كما بينه .

(٣) الآية نزلت قبل تحريم الخمر ، ثم نسخت بآية التحريم ﴿ إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رِجْس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ وهذا قول الجمهور أنها منسوخة ، قال الطبري ٩٦/٥ : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، وكان ذلك قبل أن ينزل تحريم الخمر ، وروى عن مجاهد وقتادة : نُهوا أن يصلُّوا وهم سكارى ثم نسخها تحريم الخمر .

يذهب إلى أن معنى سُكَارَىٰ من الشراب[1] .

والدليلُ على أن هذا القول هو الصحيحُ أن عمر بن الخطاب رحمه اللهُ قال : أُقيمت الصلاةُ فنادَىٰ مُنَادِي رسول اللـه ﷺ : « لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَان »[2] .

ورُوي أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ صَلَّىٰ بقومٍ فقرأ : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ ، فَخَلَّطَ فيها فنزلت : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾[3] [آية ٤٣] .

ثم نُسِخَ هذا بتحريم الخمر .

---

(١) هذا هو الصحيح أن المراد سُكارى من شرب الخمر كما قاله الجمهور ، فإن تحريم الخمر مرَّ بأدوار ومراحل أربعة ، وانظر جامع الأحكام ٥/٢٠٠ وتفسير ابن كثير ٢/٢٧١ .

(٢) هذا طرف من حديث في قصة تحريم الخمر رواه أحمد في المسند ١/٥٣ عن عمر بن الخطاب ولفظه قال : « لمَّا نزل تحريم الخمر قال عمر : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت هذه الآية في سورة البقرة ﴿يسألونك عن الخمر والميسر ..﴾ الآية ، فدُعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿لا تقربوا الصلاة وأنت سكارى﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام نادى ألَّا يقربنَّ الصلاة سكران .. » الحديث ، وأخرجه أبو داود في سننه ٣/٣٢٥ .

(٣) أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي ، وابن جرير عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً ، فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدَّموني ، فقرأت : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ونحن نعبد ما تعبدون » ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ تحفة الأحوذي ٨/٣٨٠ وفيه قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، فهذا هو سبب النزول ، وهو يرد قولَ من قال : إن المراد السكر من النوم لا من الخمر .

١٠٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال عبد الله بن عباس وأنس : إلا أن تَمُرَّ ، ولا تجلس(١) .

ورُوِيَ عن ابن عباس : هو المُسَافِرُ يَمُرُّ بالمسجد مُجْتَازًا(٢) .

وروي عن عائشة رحمها اللهُ أنها حَاضَتْ وهي مُحْرِمَةٌ فقال لها النبي ﷺ : « اِفْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالبَيْتِ »(٣) .

١٠٥ ــ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الغَائِطِ .. ﴾ [آية ٤٣] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ٩٩/٥ وابن كثير ٢٧٣/٢ وابن الجوزي ٩٠/٢ .

(٢) الأثر في الدر المنثور ١٦٦/٢ والطبري ٩٧/٥ والقرطبي ٢٠٦/٥ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الحيض ٨٤/١ باب "تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ، ولفظ البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نذكر إلا الحج ، حتى جئنا سَرِف ــ تريد مكاناً قريباً من مكة على بعد ستة أميال منها ــ فطمثتُ ، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال ما يبكيك ؟ لعلّك نَفِسْتِ ــ أي حضتِ ــ قلت : نعم ، قال : هذا شيء كتبه الله على بنات آدم ، افعلي ما يفعل الحاجُّ ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري ، فلما كان ليلة الحصبة قلت : يا رسول الله : أيرجع الناس بحج وعمرة وأرجعُ بحجة ؟ قالت : فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر فأردفني على جمله ، فأمرني أن أعتمر مكان عمرتي من التنعيم » البخاري ٨٤/١ ومسلم رقم (١٢١١) وأخرجه في الموطأ ٤١٠/١ وأبوداود في المناسك برقم (١٧٧٨) والنسائي في سننه ١٤٧/١ .

قال بعض الفقهاء : المعنى وجاء أَحَدٌ منكم من الغائط[1] .

وهذا لايجوز عند أهل النظر من النحويِّين ، لِأَنَّ لِـ « أَوْ » معناها ، وَلِلْوَاوِ معناها ، وهذا عندهم على الحذفِ[2] .

والمعنى : وإِنْ كنتم مَرْضَىٰ مَرَضاً لا تقدرون فيه على مَسِّ الماءِ ، أو على سَفَرٍ ولم تجدوا مَاْءً ، واحْتَجْتُمْ إلى الماء .

١٠٦ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ** : ﴿ **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [آية ٤٣] .

قال ابن عباس : ﴿ **لَامَسْتُمْ** ﴾ **جَامَعْتُمْ**[3] .

---

(١) الغائط أصله ما انخفض من الأرض ، وكانت عادة العرب إذا أرادوا قضاء الحاجة قصدوا الأماكن المنخفضة تستراً عن أعين الناس ، ثم صار يُطلق على ما يخرج من الانسان من الفضلات «غائطاً» توسعاً .

(٢) وهكذا قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٢٠/٥ وضعَّف هذا القول ورجَّح ما ذهب إليه المصنف فقال : ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ قيل : «أو» بمعنى الواو أي إن كنتم مرضى أو على سفر وجاء أحد منكم من الغائط فتيمَّموا ، فالسبب الموجب للتيمم على هذا هو الحدث لا المرض والسفر ، فدلَّ على جواز التيمم في الحضر ، قال : والصحيح في « أو » أنها على بابها عند أهل النظر ، وهذا عندهم على الحذف ، والمعنى أو على سفر ولم تجدوا ماءً .. إلخ . وفي التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٥/١ : في « أو » هنا تأويلان : أحدهما أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها ، ويكون قوله ﴿ فلم تجدوا ماءً ﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر ، وإلى من جاء من الغائط أو لامس النساء ، والآخر أنها بمعنى الواو فلا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء ، والراجح أن تكون « أو » على بابها ، لأن إخراجها عن أصلها ضعيف ، ويكون فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماءَ . أهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال ابن كثير ٢٧٥/٢ وهو مروي عن علي ، وأبي ابن كعب ، والحسن ، والشَّعبي ، ومجاهد ، وقتادة ، قالوا : إن ذلك كنايةٌ عن الجماع قال ابن عباس : الملامسة : الجماع ولكن الله حيِيٌّ كريم يكنى بما شاء » وانظر الدر المنثور ١٦٦/٢ .

ويُقْرَأُ : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمْ ﴾[1] .

قال محمد بن يزيد : مَنْ ذَهَبَ إلى أنه الجماعُ فَالْأَحْسَنُ أَنْ يقولَ : (لَمَسْتُمْ) مثل:غَشِيتُمْ ، وهذا الفِعْلُ إنما نُسِبَ إلى الرَّجُلِ ، ومَنْ ذَهَبَ إلى أنه دون الجماعِ فَالْأَحْسَنُ أن يقول : (لَاْمَسْتُمْ)[2] .

١٠٧ ــ ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَتَيَمَّمُوْا صَعِيدَاً طَيِّبَاً .. ﴾ [آية ٤٣] .

معنى (تَيَمَّمُوْا) تَعَمَّدُوْا وَاقْصِدُوْا . يقال : تَيَمَّمْتُ كذا وتَأَمَّمْتُهُ : إذا قَصَدْتَهُ[3] .

---

(١) القراءتان سبعيتان وانظر النشر ٢/٢٥٠ والسبعة في القراءات ص ٢٣٤ .

(٢) هكذا قال في اللسان : اللَّمس : كناية عن الجماع ، لَمَسها ، يلْمِسُها ولامَسَها ، وكذلك الملامسة ، وفي التنزيل ﴿ أو لامستم النِّساء ﴾ وقال ابن مسعود : القُبْلة من اللَّمس وفيها الوضوء ، وكان ابنُ عباس يقول : اللَّمس ، واللِّماس ، والملامسة ، كناية عن الجماع ، ويشهد له حديث « إن امرأتي لا تردُّ يد لامس » . اهـ. لسان العرب مادة لمس . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/١٢٨ : اللِّماس : النكاح ، لمستم ، ولامستم أكثر .

أقول : ما قاله أبو عبيدة أن لامس أكثر في الجماع هو الأظهر ، لأن صيغة فاعل تدل على المشاركة من أكثر من واحد ، وهذا إنما يكون في الجماع ، وأمَّا لمس فقد يراد بها اللمس باليد ، وقد يراد بها الجماع فتكون كناية كما قاله ابن عباس ، وقد رجح الطبري القول بأن المراد به الجماع فقال ٥/١٠٥ : « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله ﴿ أو لامستم النساء ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس ، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبَّل بعض نسائه ثم صلَّى ولم يتوضأ » وانظر تفصيل الأقوال في القرطبي ٥/٢٢٥ .

(٣) قال أهل اللغة : التيمم معناه القصد قال الأعشى : « تيممتُ قيساً وكم دونه » أي قصدت قيساً ، وقال ابن السكيت : قوله تعالى ﴿ فتيمموا صعيداً طيباً ﴾ أي اقصدوا ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح اليدين والوجه بالتراب .

والصَّعِيدُ في اللغة : وَجْهُ الأرضِ كان عليه ترابٌ أو لم يكن[1] .

والدليلُ على هذا قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴾[2] .

وإنما سُمِّيَ صَعِيْدَاً لأنه نهايةُ ما يَصْعَدُ إليه من الأرضِ .

والطَّيِّبُ : النظيفُ[3] .

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوْرَاً ﴾ [آية ٤٣]

لأنه قَدْ عَفَا جَلَّ وعَزَّ ، وسَهَّلَ في التَّيَمُّمِ[4] .

(١) هكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٢٨/١ وهو قول الزجاج في معانيه ٥٨/٢ وقاله الخليل وابن الأعرابي .

(٢) سورة الكهف آية رقم (٤٠) .

(١) الراجح من أقوال السلف أن المراد بالطيب : الطاهر ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، ومالك ، واختيار الطبري ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة طيِّبين ﴾ أي طاهرين من أدناس المخالفات.، وقال سفيان الثوري : الطيب هنا الحلال ، وقال الشافعي وغيره : الطيب : المنبت وهو مروي عن ابن عباس لقوله تعالى ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ قال الطبري ١٠٩/٥ : وعنى بالطيب الطاهر من الأقذار والنجاسات . وانظر البحر ٢٥٩/٣ .

(٤) ختم الآية بقوله ﴿ إن الله كان عفواً غفوراً ﴾لينبه العباد إلى أن ما شرعه من التيمم عند فقد الماء إنما هو من التيسير على العباد ، وإرادة الرحمة بهم ، ومن كانت صفته العفو عن الخطائين ، كان في تشريعه ميسِّراً غير معسِّر .

١٠٨ ــ وقولُهُ جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُوْا نَصِيبَاً مِنَ الْكِتَابِ .. ﴾[١] [آية ٤٤] .

قال أهل التفسير : يعني به اليهود[٢] ، لأن عندهم صفة النبي ﷺ .

ومعنى ﴿ يَشْتَرُوْنَ الضَّلَالَةَ ﴾ يَلزَمُونَها ، وقد صاروا بمنزلة المشتري لها ، والعربُ تقول لكل مَنْ رَغِبَ في شيء : قد اشتراه[٣] .

ومعنى ﴿ وَيُرِيدُوْنَ أَنْ تَضِلُّوْا السَّبِيلَ ﴾ [آية ٤٤] .

أي يريدون أن تضلوا طريقَ الحقِّ[٤] .

١٠٩ ــ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ .. ﴾ [آية ٤٥] .

---

(١) في المخطوطة وردتْ زيادة في نص الآية الكريمة وهي « نصيباً من أهل الكتاب » بزيادة « أهل » وهو خطأٌ واضح والآية كما أثبتناها .

(٢) هذا قول قتادة ، واختاره الطبري ورجحه ، وهو مروي عن ابن عباس فقد قال : نزلت في « رفاعة بن زيد » اليهودي كان من عظماء اليهود ، وكان إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال : راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه . الطبري ١١٦/٥ واختار في البحر أن اللفظ يشمل اليهود والنصارى لقوله ﴿ أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ .

(٣) في الآية الكريمة تشنيع قبيح على اليهود حين آثروا الضلالة على الهدى ، والكفر على الإيمان ، وعندهم حظ من حكم التوراة ، وكتابهم طافح بوجوب اتباع النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

(٤) م يكفهم أنهم ضلوا في أنفسهم ، حتى تعلقت آمالهم بضلال المؤمنين ، لأنهم لمَّا علموا أنهم قد ضلوا بسبب التحريف والتغيير في كتابهم السماوي ، أرادوا أن يُضِلُّوا المؤمنين كما ضَلُّوا هم ، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ .

أي فهو يَكْفِيْكُمُوْهُمْ[1] .

١١٠ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيراً ﴾** [آية ٤٥] .

قال أبو إسحاق : إنما دخلت الباء في ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ ﴾ لأن في الكلام معنى الأمرِ ، والمعنى : اكتَفُوا باللَّهِ ولياً ، واكتفوا بالله نصيراً[2] .

١١١ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوْا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .. ﴾** [آية ٤٦] .

يجوز أن يكون المعنى : أَلَمْ تَرَ إِلَى [الذين][3] أُوتُوا نَصِيبَاً من الكتاب من الذين هادوا . وهو الأولى بالصواب ، لأن الخبرَيْن

(١) خيرٌ في ضمنه التحذير ، يحذّر الله تعالى المؤمنين من الركونِ إليهم، وهم أعداء ألداء يريدون لهم الشر ، كما قال تعالى ﴿هم العَدُوُّ فاحذَرْهُم﴾ وفيه معنى الثقة بالله والاعتماد عليه فكأنه يقول : اكتفوا بالله فهو يكفيكم أعداءكم .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٥٩/٢ وهذا الذي قاله الزجاج لم يرتضه أبو حيان في البحر المحيط ٢٦١/٣ حيث قال : والباء في « بالله » زائدة ، وزيادتها في « كفى » وفاعل « يكفي » مطّردةٌ كما قال تعالى ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ ثم قال : وكلام الزجاج مشعر أن الباء ليست زائدة ، ولا يصح ما قال من المعنى ، لأن الأمر يقتضي أن يكون الفاعل هم المخاطبون ، ويكون بالله متعلقاً به ، وكون الباء دخلت في الفاعل يقتضي أن يكون الفاعل هو الله لا المخاطبون ، فتناقض قوله .اهـ وهذه براعةٌ من أبي حيان ولفتةٌ لطيفة .

(٣) سقطت من الأصل ، ويقتضيها ضرورة السياق كما هو النص القرآني .

والمعنيين من صفة نوعٍ واحد من الناس وهم اليهود ، وبهذا جاء التفسيرُ[1] .

ويجوز أن يكون المعنى وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا[2] .

ويجوز أن يكون المعنى على مذهب سِيبَوَيْهِ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا يُحَرِّفُوْنَ الكَلِمَ عنْ مَوَاضِعِهِ ، ثم حُذِفَ .

وأَنْشَدَ النحويون :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تِيثَمِ
يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِبْسِمِ[3]

---

(١) قال الطبري في جامع البيان ١١٧/٥ ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم ﴾ فيها وجهان من التأويل :
أحدهما : أن يكون معناه ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، من الذين هادوا ، فيكون قوله « من الذين هادوا » صلة الذين ، وإلى هذا ذهب عامة أهل العربية من أهل الكوفة .
والآخر : أن يكون معناه : من الذين هادوا مَنْ يُحرِّف الكلم عن مواضعه ، فتكون « مَنْ » محذوفة من الكلام اكتفاء بدلالة قوله ﴿ من الذين هادوا ﴾ . اهـ. وهكذا قال الزجاج في معانيه ٥٩/٢ وقال أبو حيان في البحر ٢٦٢/٣ : ظاهرهُ الانقطاع في الإعراب عمَّا قبله ، فيكون على حذف موصوف هو مبتدأ ، ومن الذين خبرُه ، والتقدير : من الذين هادوا قوم يحرِّفون الكلم ، وهذا مذهب سيبويه وأبي علي .

(٢) على هذا القول لا تكون الجملة ابتدائية فلا يصح الوقف على «نصيراً» لتعلُّقه بما بعده والمعنى : وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا .

(٣) في الأصل : لو قلت في قومها لم تيثم ، وجرى التصحيح من فتح القدير للشوكاني ومعاني الزجاج والقرطبي والبيت من شواهد النحويين ، وهو لحكيم بن معية كما في الخزانة ٣١١/٢ ومعاني الفراء ٢٧١/١ ومعاني الزجاج ٦٠/٢ والأشموني ٦٠/٣ و « تِيثِم » بكسر التاء وهو لغة لبعض العرب يكسرون حرف المضارعة في نحو تِعْلَمُ ، و « المِبْسِم » بوزن المجلس : الثغر ، يريد الشاعر أنك =

قالوا : المعنى : لو قلتَ ما في قومها أَحَدٌ يَفْضُلُها . ثم حُذف .

ومعنى ﴿ يُحَرِّفُوْنَ ﴾ يُغَيِّرُوْنَ ، ومنه : تَحَرَّفْتُ عن فُلَانٍ أي عَدَلْتُ عنه . فمعنى ﴿ يُحَرِّفُوْنَ ﴾ يَعْدِلُوْنَ عن الحقِّ[1] .

١١٢ ــ وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَيَقُوْلُوْنَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ .. ﴾ [آية ٤٦] . .

روي عن ابن عباس أنه قال : أي يقولون : اسْمَعْ لا سَمِعْتَ[2] .

= لو قلت ما في قومها أحد يفضلها في حسب أو بسمة من ثغر ، لم تأثم في قولك ، ولم تكن مخطئاً .

(١) قال الشوكاني ٤٧٤/١ : والتحريف : الإزالة والإمالة : أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه ، ويجعلون مكانه غيره ، أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله ، وذمَّهم الله عز وجل بذلك ، لأنهم يفعلونه عناداً وبغياً وإيثاراً لعرض الدنيا . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ١١٨/٥ وابن كثير ٢٨٤/٢ وهو الأصح ، وهذا القول منهم ــ لعنهم الله ــ إنما يقولونه على سبيل السبِّ والشتم للرسول ﷺ ، كأنهم يقولون : اسمع لا أسمعك الله ، فهو دعاء عليه بالصمم ، فقد زادوا على الكفر والضلال ، بالسب والشتم لرسول الله ﷺ ، وأصل الكلمة للخير أي لا سمعت مكروهاً ، ولكنَّ اليهود اللعناء حرَّفوها عن معناها الأصلي إلى المعنى الخبيث الذي ذكره ابن عباس .

وقال الحسن : أي اسمَعْ غَيْـرَ مُسْمَـعٍ منك ، أي غير مقبـول منك[1] .

ولو كان كذا لكان « غير مسموع » ! .

وقوله عز وجل ﴿ وَرَاعِنَا ﴾

نُهِيَ المسلمـون أن يقولوهـا ، وأمـروا أن يخاطبـوا النبـي ﷺ بالإجلال والإعظام[2] .

وقـرأ الـحَسَنُ : ﴿ وَرَاعِنَـاً ﴾ ، مُنَوَّنَـاً ، جَعَلَـهُ من الرُّعُونَةِ[3] .

وقد استقصينا شرحَهُ في سورة البقرة .

---

(١) ذكره الطبري عن الحسن ومجاهد ١١٨/٥ وابن كثير ٢٨٤/٢ قال ابن جرير : والأول أصحُ لأنـه لو كان ذلك معناه لقيل : واسمع غير مسموع ، ولكن أرادوا سبَّ الرسول ﷺ وإيذاءه بالقبيـح من القول ، كقول الرجل للرجـل يسبُّـه : اسمع لا أسمعك الله ، وقـد قال تعـالى ﴿ لَيّاً بألسنتهم وطعناً في الدين ﴾ فوصفهـم بتحريـف الكـلام بألسنتهم ، والطعن في الدين بسب النبـي ﷺ وكذلك قال ابـن كثير ٢٨٤/٢ قول ابـن عبـاس هـو الصحيـح . وقـال ابـن عطيـة في المحرر الوجيز ٨٨/٤ : كانت اليهود إذا خاطبت النبي ﷺ بقـولهم « غير مُسْمـع » أرادت في الباطـن الدعاء عليه ، وأرادت ظاهراً أنها تريد تعظيمـه ، كما تقـول : امض غير مصيب ، قالـه ابـن عبـاس وغيره .

(٢) قال ابن كثير ٢٨٤/٢ : وقولهم ﴿ راعنا ﴾ يوهمون أنهم يقولون : راعنـا سمعك ، وإنما يريـدون به الرعونة ، وهذا استهزاء منهم واستهتار ، عليهم لعنة الله ، ولهذا نُهِيَ المؤمنون عن هذه الكلمة كما في سورة البقرة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انْظرْنا ﴾ .

(٣) ذكر هذه القـراءة الشوكاني في فتـح القديـر ١٢٨/١ وأبـو حيـان في البحـر عن الحسن ٣٣٨/١ وليست من القراءات السبع المعتمدة بل هي شاذة ، وعلى قراءة الحسن تكون من الرعونة فهي كلمة مسبَّة .

١١٣ ـ ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْناً فِي الدِّينِ .. ﴾ [آية ٤٦] .

أي يَلْوُوْنَ أَلْسِنَتَهُمْ ويَعْدِلُون عن الحقِّ .

١١٤ ـ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوْا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرَاً لَهُمْ وَأَقْوَمَ .. ﴾ [آية ٤٦] .

ومعنى ﴿ انْظُرْنَا ﴾ انتظِرْنَا[1] .

ومعنى ﴿ سَمِعْنَا ﴾ قَبِلْنَا .

﴿ لَكَانَ خَيْرَاً لَهُمْ ﴾ أي عند الله جَلَّ وَعَزَّ .

﴿ وَأَقْوَمَ ﴾ أي وأَصْوَبَ في الرأي ، والاستقامةُ منه .

١١٥ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ إِلَّا قَلِيْلاً ﴾ [آية ٤٧] .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لايستحقون اسم الإيمان[2] .

(١) هذا قول مجاهد وعكرمة كما في المحرر الوجيز ٨٩/٤ قال الطبري ١٢٠/٥ أي انتظرنا نفهمُ عنك ما تقول لنا ، وقال ابن عطية ٨٩/٤ : ﴿ انظرنا ﴾ معناه انتظرنا بمعنى افهمنا وتَمهَّل علينا حتى نفهم عنك ، ونعي قولك ، كما قال الحطيئة : « وقد نَظَرْتُكُمْ لَوْ أنَّ دِرَّتَكُمْ » وقالت فرقة : معناه انظر إلينا . اهـ . وقولُ المصنف «والاستقامةُ منه» أي مشتقة من أقْوم بمعنى أصوب .

(٢) هذا القول هو الأصح والأرجح أي لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً ، وهو إيمانهم ببعض الكتب والرسل ، وهذا لا ينفعهم ، لأنه ليس بإيمان صحيح ، ورجحه الزمخشري في الكشاف ٢٧٢/١ حيث قال ﴿ فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ أي لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً أي ضعيفاً ركيكاً لا يُعبأ به ، وهو إيمانهم بمن خَلَقهم مع كفرهم بغيره . اهـ.

ويجوز أن يكون المعنى : فلا يؤمنون إلاَّ قليلا منهم[1] .

١١٦ ــ وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ آمِنُوْا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقَاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوْهَاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا .. ﴾ [آية ٤٧] .

رُوِيَ عن أُبَيٍّ بن كعب أنه قال : من قبل أن نُضِلَّكُمْ إضْلالاً لاتهتدون بعده[2] .

يذهب إلى أنه تمثيلٌ ، وأنه إن لم يؤمنوا فُعِلَ هذا بهم عقوبةً .

وقال مجاهد : في الضلالة[3] .

وقال قتادة : معناهُ من قبل أن نجعل الوجوهَ أقفاءً[4] .

---

(١) هذا القول ذكره بعض المفسرين ، وقد ردَّه القرطبي في جامع الأحكام ٢٤٣/٥ فقال : المعنى : لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا يستحقون به اسم الإيمان ، وقيل : معناه لايؤمنوا إلا قليلاً منهم ، وهذا بعيد ، لأنه عز وجل قد أخبر عنهم ، أنه لعنهم بكفرهم . اهـ.

(٢) و(٣) ذكرهما الطبري عن الحسن والسدي ومجاهد ١٢٢/٥ وابن كثير ٢٨٥/٢ قال : وهو مَثَلٌ ضَرَبه اللهُ لهم في صرفهم عن الحق ، وردِّهم إلى الباطل ، ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة ، يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم ، وهو كما قال بعضهم في قوله سبحانه ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ : أنّه مثَلٌ ضربه الله لهم في ضلالهم ، ومنعهم عن الهدى .

(٤) قال ابن الجوزي ١٠١/٢ في طمس الوجوه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه إعماء العيون ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك .

والثاني : أنه طمس ما فيها من عين ، وأنف ، وحاجب ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس واختاره ابن قتيبة .

والثالث : أنه ردُّها عن طريق الهدى ، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً .

ومعنى ﴿ مَنْ قَبْلِ أَنْ نطْمِسَ وُجُوهَاً ﴾ عند أهل اللغة : تَذْهَبُ بالأُنُف ، والشِّفَاهِ ، والأَعْيُنِ ، والحَوَاجِبِ ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾ نجعلها أقفاءً .

فإن قيل : فَلِمَ [لم][1] يفعل بهم هذا ؟

ففي هذا جوابان .

أحدهما : أنه إنما خوطب بهذا رؤساؤهم ، وهم ممن آمن[2] .

روي هذا القول عن ابن عباس .

والقولُ الآخر : أنهم حُذِّرُوْا أن يُفعل [هذا][3] بهم في القيامة .

وقال **محمد بن جرير** : ولم يكن هذا ، لأنه قد آمن منهم جماعة[4] .

١١٧ ــ **ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ .. ﴾** [آية ٤٧] .

(١) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش وبه يتَّسق الكلام .
(٢) وضحه ابن جرير فقال ١٢٤/٥ : فإن كان الأمر كما وصفتُ من تأويل الآية ، فهل كان ما توعدهم به ؟ قيل : لم يكن لأنه آمن منهم جماعة ، منهم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسد بن عُبيد ، ومخيرق ، وجماعة غيرهم ، فدفع عنهم بإيمانهم .
(٣) أثبتناه من الهامش وهو ساقط من الأصل ، قال المبرِّد : الوعيدُ باقٍ منتظر ، ولا بد من طمسٍ ومسخ قبل يوم القيامة ، وانظر جامع الأحكام ٢٤٥/٥ .
(٤) انظر جامع البيان ١٢٤/٥ .

قال قتادة : أو نمسخهم قردةً وخنازير[1] .

١١٨ ــ وقولــه عز وجــل : ﴿ إِنَّ اللَّــهَ لَا يَغْفِــرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ .. ﴾ [آية ٤٨] .

وقـد قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِـرُ الذُّنُـوْبَ جَمِيْعَـاً ﴾ فهـذا معروفٌ[2] .

والمعنـى أن يقـال : أنـا أغفـرُ لك كُلَّ ذنبٍ ، ولا يُسْتَثْنَى ما يُعْلَمُ أنك لاتغْفِر[3] .

وقـد رُوي أن النبـيَّ ﷺ تلا : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِـرُ الذُّنُـوبَ

---

(١) الطبري عن قتادة ١٢٤/٥ وابن الجوزي ١٠٣/٢ والقرطبي ٢٤٥/٥

(٢) هذه الآية هي الحَكَمُ الفصلُ في مسألة الوعيد ، وهي الحجة لأهـل السنـة ، والقاطعـة بالـرد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهـل السنـة أن العصاة من المؤمنين في مشيئـة الله ﴿ ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفـر لهم ، ومـذهب الخوارج أن العصاة يعذبون لا محالة ، سواء كانت ذنوبهم صغائـر أو كبائـر ، ومـذهب المعتزلـة أنهم يُعذبـون على الكبائـر لا محالـة ، ومـذهب المرجئـة أن العصاة كلهـم يُغفـر لهم ، وأنـه لا يضر ذنـب مع الإيمان ، والجمـع بين هذه الآية ﴿ لا يغفـر أن يشرك به ﴾ وبين قولـه ﴿ إن الله يغفـر الذنـوب جميعاً ﴾ أي في غير أمر الشرك . والله أعلم .

(٣) هذا محمول على ما بعد التوبة ، فالله عز وجل يغفر ذنب المشرك إذا تاب ، وأما العـاصي فهـو إلى مشيئـة الله عز وجـل ، إن شاء عذَّبـه ، وإن شاء غفـر له ولـو لم يتب ، قال الزجـاج في معانيـه ٦٢/٢ : « أجمع المسلمون أن ما دون الكبائر مغفور ، واختلفـوا في الكبائـر التـي وعـد الله عليها النار ، فقال بعضهـم لا تغفـر ، وقـال المشيخـة ــ يعنـي الشيـوخ الأجـلاء ــ من أهـل الفقـه والعلم : جائز أن يغفر كل ما دون ذلك بالتوبة وغيرها ، وبالتوبة يغفر الشرك وغيره » . اهـ.

جَمِيعَاً ﴾ فقـال له رجـلٌ : يارسول اللـه ، والشرك ؟ فنـزلتْ : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِـرُ مَادُوْنَ ذَٰلِكَ لِمَـنْ يَشَاءُ ﴾[١] [آية ٤٨] .

قال بعض أهل اللغة : معناه إلا الكبائر[٢] .

وقيل : معناه بعد التوبة[٣] .

١١٩ ـ وقوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّيْ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [آية ٤٩] .

أصلُ الزكاءِ : النماءُ في الصلاح[٤] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال : لما نزلت ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم .. ﴾ الآية ، قام رجل فقال : والشرك يا نبيَّ الله ؟ فكره ذلك النبي ﷺ فقال ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به .. ﴾ الآية وانظر جامع البيان للطبري ١٢٥/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٦٩/٢ وتفسير ابن الجوزي ١٠٣/٢ وابن كثير ٢٩٠/٢ .

(٢) هذا قول المعتزلة ، وأما أهل السنة فيقولون : جميع الذنوب إلى مشيئة الله تعالى ، قال ابن جرير ١٢٦/٥ : وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه ذنبه ، وإن شاء عاقبه ، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى .

(٣) فصَّل الحافظ ابن كثير هذه المسألة وأوضحها أجمل توضيح بالأدلة والبراهين ، وانظر تفسيره ٢٨٧/٢ ففيه بحث قيِّم .

(٤) هذا قول الزجاج كما هو في معانيه ٦٢/٢ حيث قال : زكاء الشيء في اللغة : نماؤه في الصلاح ، وقال الشوكاني في الفتح ٤٧٧/١ : ومعنى التزكية : التطهير والتنزيه ، واللفظ يتناول كلَّ من زكّى نفسه بحقّ أو بباطل ، من اليهود وغيرهم ، فَلْيَدَعِ العبادُ تزكية أنفسهم ، ويفـوِّضوا أمـر ذلك إلى الله سبحانه ، فإن تزكيتهم لأنفسهم مجرد دعاوى فاسدة ، تحمل عليها محبة النفس ، وطلب العلو والترفع والتفاخر . اهـ.

قال قتادة : يعني اليهود ، لأنهم زكُّوا أنفسهم ، فقالوا : نحن أبناءُ الله وأحباؤه[1] .

وكذلك قال الضحاك .

١٢٠ ــ **ثم قال جَلَّ وَعَزَّ** : ﴿ **وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيلاً** ﴾ [آية ٤٩] .

قال ابنِ عباس : الفَتِيْلُ :ما فَتَلْتَهُ بِأَصبَعَيْك[2] .

وقال غيره : الفَتِيْلُ : ما في بطن النَّواة .

والنَّقِيْرُ النقرةُ التي فيهاوالتي تَنْبُتُ منها النخلةُ[3] .

والقطميرُ : القشرة الملفوفة عليها من خارجٍ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٢٦/٥ وابن كثير ٢٩١/٢ والقرطبي ٢٤٦/٥ قال القرطبي : اللفظ عام في ظاهره ، ولم يختلف أحد من المتأولين في أن المراد به اليهود .. ثم ذكر قول قتادة والحسن والضحاك .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ١٠٥/٢ : في الفتيل قولان :
أحدهما : أنه ما يكون في شق النواة ، رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعطاء .
والثاني : أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ إذا دُلكت ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير . اهـ. وفي التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٩/١ : الفتيل : هو الخيط الذي في شق نواة التمر ، وقيل : مايخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما ، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء ، فيدل على الأكثر بطريق الأولى .

(٣) في الأصل : النحلة بالحاء وهو تصحيفٌ ، وصوابه النخلة

والمعنى : لا يُظلمُون مِقْدَار هذا[1] .

١٢١ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلَىٰ الَّلهِ الْكَـذِبَ .. ﴾ [آية ٥٠] .

معنى ﴿ يَفْتَرُوْنَ ﴾ : يختلقون ، ويكذبون .

١٢٢ ـ وقولُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوْتُوْا نَصِيْبَاً مِنَ الْكِتَابِ ، يُؤْمِنُوْنَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ .. ﴾ [آية ٥١] .

رُوِيَ عن عمر رحمه الله أنه قال : الْجِبْتُ : السِّحْرُ ، والطَّاغُوْتُ : الشيطانُ[2] .

وكذلك روي عن الشعبي .

وقال قتادة : الجبتُ : الشيطانُ ، والطاغوتُ : الكاهنُ[3] .

---

(١) قال في البحر ٢٧٠/٣ : ﴿ ولا يُظلمون فتيلاً ﴾ المعنى : مقدار فتيل ، وهو كناية عن أحقر شيء وأقل شيء كقوله سبحانه : ﴿ إن الله لايظلمُ مثقال ذرة ﴾ فإذا كان تعالى لا يظلم مثقال فتيل ، فكيف يظلم ما هو أكبر منه ؟ والضمير في « ولا يُظلمون » عائد إلى الذين يزكُّون أنفسهم وهو الأظهر ، وقيل : يعود على الجميع من زكّى نفسه ومن يزكيه الله . اهـ.

(٢) انظر الطبري ١٣١/٥ فقد رواه عن عمر ومجاهد ، وابن جبير ، والشعبي ، والحسن ، والضحاك ، والسدي . وانظر البحر المحيط ٢٧١/٣ والقرطبي ٢٤٨/٥ والشوكاني ٤٧٧/١ والدر المنثور ١٧٢/٢ .

(٣) الأثر في الطبري ١٣٢/٥ والقرطبي ٢٤٨/٥ وابن الجوزي ١٠٥/٢ والدر المنثور ١٧٢/٢ واختار الطبري أن الجبت والطاغوت يُطلق على كل ما عُبِد من دون الله ، من حجر ، أو إنسان ، أو شيطان ، وانظر جامع البيان ١٣٣/٥ .

وروي عن ابن عباس : أن الجِبْتَ ، والطَّاغُوتَ : رجلان من اليهود ، وهما « كعبُ بن الأشرف » و « حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ »[1] .

والجِبْتُ والطَّاغُوتُ عند أهل اللغة كلُّ ما عُبِدَ من دون الله ، أو أُطِيْعَ طاعةً فيها معصية ، أو خُضِعَ له[2] .

فهذه الأقوال متقاربة ، لأنهم إذا أطاعوهما في معصية الله، والكفر بأنبيائه،كانوا بمنزلة مَنْ عَبَدَهُمَا ، كما قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[3] .

حدثني من أثق به عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك قال : الطاغوتُ : ما عُبِدَ من دون الله[4] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٣٣/٥ والقرطبي ٢٤٨/٥ وابن كثير ٢٩٤/٢ والبحر المحيط ٢٧٢/٣ وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٩٩/٤ بعد سرد أقوال المفسرين : فمجموع هذا يقتضي أن الجِبْت والطَّاغوت : هو كل ما عُبِد وأُطيع من دون الله تعالى ، وكذلك قال مالك : الطاغوت كل ما عُبد من دون الله تعالى ، وقال قطرب : الجبتُ أصله الجبس وهو الثقيل الذي لا خير عنده ، والطاغوت من طغى فهو من الطغيان. اهـ. وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٤٩/٥ .

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن ٦٤/٢ : قال أهل اللغة : كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت ، وقيل : الجبت والطاغوت : الكهنة والشياطين ، وقيل في بعض التفاسير : الجبت والطاغوت ههنا : حُييُّ بن أخطب ، وكعب بن الأشرف اليهوديان ، وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة ، لأنه إذا اتبعوا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله عز وجل .

(٣) سورة التوبة آية رقم (٣١) .

(٤) ذكره في البحر /٢٧٢ ورجحه ، واختاره الزجاج في معانيه ٦٤/٢ .

ومنه ﴿ واجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾[1] فقلتُ لمالكٍ : ما الجِبْتُ ؟ فقال : سمعتُ من يقول : هو الشيطان .

ويدلُّ على هذا ما حَدَّثَنَاهُ أحمد بن محمد الأزدي قال : حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا الحِمَّانِي قال : حدثنا مروان بن معاوية وابن المبارك عن عوفٍ عن حيان بن قَطَنَ[2] عن قبيصة بن مخارقٍ قال : سمعْتُ النبي ﷺ يقول : « العِيَافَةُ ، والطِّيَرَةُ ، والطَّرْقُ من الجِبْتِ »[3] .

١٢٣ ــ ثم قال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ [آية ٥١] .

قال قتادة : هم اليهود .

وقال غيره : يُبَيِّنُ بهذا أنهم عاندوا ، لأنهم قالوا لمن عَبَد

(١) سورة الزمر آية رقم (١٧) وتمامها ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ، وأنابوا إلى الله لهم البشرى ، فبشر عباد ﴾ .

(٢) انظر التاريخ الكبير للإمام البخاري ٥٨/٣ فقد ذكر أنه حيَّان بن العلاء ، وقال : سمع قَطَن بن قَبيصة ، فيكون ماذكره المصنف «حيَّان بن قطن» فيه تداخلٌ في الأسماء ، فتنبَّهْ له .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٦٠/٥ وأبو داود في سننه ١٦/٤ والنسائي وابن أبي حاتم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٢/٢ من حديث قبيصة بن مخارق وابن كثير في تفسيره ٢٩٤/٢ وزاد قال عوف : « العيافة » زجر الطير ، و «الطَّرْق» : الخط يخط الأرض ، و « الجبت » : الشيطان .

الأصنامَ ولم يُقرَّ بكتابٍ : هؤلاءِ أهدى من [المؤمنين][1] الذين صَدَّقُوا بالكتب[2] .

١٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** .. ﴾ [آية ٥٢] .

اللعنةُ : الإبعادُ ، أي باعَدَهم من توفيقه ورحمته[3] .

١٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ** .. ﴾ [آية ٥٣] .

قيل : إنهم كانوا أصحاب بساتينَ ومالٍ ، وكانوا مع ذلك بُخَلَاءَ[4] .

وقيل : إنهم لو ملكوا لبخلوا[5] .

---

(١) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٢) روي في سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان قال لكعب بن الأشرف ــ أحد كبار اليهود ــ إنك امرؤ تقرأُ الكتاب وتعلم ، ونحن أميُّون لا نعلم ، فأيُّنا أهدى طريقاً ، نحنُ أم محمد ؟ فقال : اعرضوا عليَّ دينكم !! فقال أبو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكَوْمَاء ــ الناقة السمينة ــ ونسقيهم الماء ، ونَقْري الضيف ، ونعمر بيت ربنا ، ومحمد فارق دين آبائه ، وقطع الرحم !! فقال : دينُكم خير من دينه ، وأنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه ، فأنزل الله ﴿ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٨٩ وتفسير القرطبي ١٣٣/٥ وابن كثير ٢٩٥/٢ .

(٣) قال الزجاج : اللعنة هي إبعاد الله ، وإبعاده عذابه . اهـ. معاني الزجاج ٢١٩/١ .

(٤) هذا على أن «أم» بمعنى بل أي بل لهم نصيب من الملك ، والأرجح ما ذهب إليه ابن عطية ١٠٢/٤ أنه استفهام على معنى الإنكار ، أي ألهم ملكٌ ؟ فإذاً لو كان لهم ملك لبخلوا .

(٥) هذا هو الأظهر وهو مذهب سيبويه كما في ابن عطية ، والقرطبي ، وتفسير ابن الجوزي ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٤٩/٥ : ﴿ أم لهم ﴾ معناه ألهم نصيب من المُلْك أي حظّ من الملك ، وهذا على وجه الإنكار ، يعني ليس لهم من المُلك شيء ، ولو كان لهم شيء لم يُعطوا أحداً منه شيئاً لبخلهم وحسدهم . اهـ.

١٢٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاآتَاهُـمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آية ٥٤] .

قال الضحاك : قالت اليهود : يزعم محمد أنه قد أُحِلَّ له من النساء [ما شاء][1] فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاآتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فالمعنى : بل يحسدون النبي ﷺ على ما أُحِلَّ له من النساء[2] .

قال السدِّيُ : وقد كانت لداود صلَّى الله عليه وسلم مائةُ امرأةٍ ، ولسليمان أكثرُ من ذلك[3] .

وقال قتادة : أولئك اليهود حَسَدُوا هذا الحَيَّ من العرب حين بعث فيهم نبيٌّ ، فيكون الفضل ههنا النبوة[4] .

---

(١) سقط من الأصل وأثبتناه من هامش المخطوطة ، وهو ضروري ليتناسق ويلتئم الكلام .

(٢) هذا القول عن الضحاك ذكره الطبري في جامع البيان ١٣٨/٥ وغيره من المفسرين ، وعلى هذا القول يكون المراد بالناس في قوله ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ محمداً ﷺ على وجه الخصوص ، ورجح الطبري أن المراد محمداً ﷺ ، وهو الأظهر . والله أعلم .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٣٩/٥ وابن الجوزي ١١١/٢ فقد نقل عن السدي أنه كان لداود مائة امرأة ، ولسليمان سبعمائة امرأة ، وثلاثمائة سرية .. إلخ . وفي إسناده ضعف .

(٤) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ١٣٩/٥ والقرطبي ٢٥١/٥ والبحر المحيط ٢٧٣/٣ وقال ابن عطية في المحرر ١٠٣/٤ : اختلف المتأولون في المراد بـ « الناس » في هذا الموضع ، فقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، والضحاك : هو النبي عليه الصلاة والسلام ، والفضل : النبوة فقط ، والمعنى : فلم يخصونه بالحسد ولا يحسدون آل إبراهيم في جميع ما آتيناهم من هذا أو غيره من الملك ؟ وقال ابن عباس والسدِّي أيضاً هو النبي ، والفضل ما أبيح له من النساء فقط ، وسببُ الآية عندهم أن اليهود قالوا لكفار العرب : انظروا إلى هذا الذي ـ

وقد شُرِّف بالنبيِّ ﷺ العربُ ، أي فكيف لايحسدون إبراهيم ﷺ ، وغيره من الأنبياء ، وقد أُوتِيَ سليمانُ الملكَ ؟

١٢٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً .. ﴾ [آية ٥٤] .

قال مجاهد : يعني النبوة(١) .

وقال همام بن الحارث : أُيِّدُوا بالملائكة والجنود(٢) .

١٢٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ .. ﴾ [آية ٥٥] .

قال مجاهد : يعني بالقرآن(٣) .

وقيل : بالنبي صلى الله عليه وسلم(٤) .

= يقول : إنه بُعث بالتواضع ، وإنه لا يملأ بطنه طعاماً ، ليس همُّه إلا في النساء ، فنزلت الآية ، والمعنى : فلِمَ يخصُّونه بالحسد ولا يحسدون آل إبراهيم ؟ يعني سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام ، فقد أُعطيا النبوة والكتاب ، وأُعطيا مع ذلك ملكاً عظيماً في أمر النساء ، فقد كان لسليمان سبعمائة امرأة ، ولداود مائة امرأة ، وقال قتادة : الناس في هذا الموضع العرب ، حسدتها بنو إسرائيل في أن كان النبي عليه الصلاة والسلام منها .. ورجح ابن عطية القول الأول .

(١) و (٢) انظر الآثار في الطبري ١٤١/٥ وابن الجوزي ١١١/٢ والقرطبي ٢٥٢/٥ .

(٣) و (٤) ذكرهما ابن الجوزي عن مجاهد ١١٢/٢ وابن كثير ٢٩٦/٢ والقرطبي ٢٥٣/٥ قال القرطبي : يعني به النبي ﷺ ، لأنه تقدم ذكره ، وهو المحسود ، وهو الذي رجحه ابن كثير ، والشوكاني ، والمعنى : من اليهود من آمن بمحمد ﷺ وهم قلَّة قليلة ، ومنهم من أعرض فلم يؤمن به ، وهم الكثرة كقوله تعالى ﴿ فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى ﴿ فمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ﴾ بهذا الخبر(١) .

﴿ ومنْهُـمْ مَنْ صَدَّ عَنْـهُ وَكَفَـىٰ بِجَهَنَّـمَ سَعِيـراً ﴾ والسَّعِيـرُ : شِدَّةُ تَوَقُّدِ النارِ(٢) .

١٢٩ ــ وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا بآيَاتِنَـا سَوْفَ نُصْلِيهِـمْ نَاراً .. ﴾ [آية ٥٦] .

المعنى : نلقيهم فيها ، يقـال : أَصْلَيْتُـهُ إِصْلاَءً ، إذا أَلقيتَـهُ في النَّارِ إلقاءً ، كأنَّك تريدُ الإحراقَ(٣) .

وصليْتُ اللحمَ ، إذ شويته ، أصْلِيْهِ صَلْياً .

وصُلِيتُ بالأمر أَصْلَىٰ ، إذا قاسيت شدَّته(٤) .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٢٧٥/١ وحكـاه الزجـاج في معـاني القـرآن ٦٨/٢ بصيغـة التضعيف فقال ﴿ فمنهم من آمن به ﴾ أي من آمن بالنبي ﷺ ، وقيـل : من آمـن به أي بهذا الخبر عن سليمان وداود .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ٦٨٤/٢ : سعرتُ النار والحرب : هيجتها وألهبتها ومنـه ﴿ وإذا الجحيم سُعِّرت ﴾ واستعـرت النـار : توقَّـدت ، والسعير : النـار الموقـدة . اهـ. وكـذلك قال في لسان العرب ، قال ابـن عطيـة ١٠٥/٤ : ﴿ سعيراً ﴾ معنـاه احتراقـاً وتلهبـاً ، والسعير : شدة توقـد النار ، وهذا كناية عن شدة العذاب والعقوبة .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٦٨/٢ : ﴿ سوف نصليهم ناراً ﴾ أي نشويهم في نار حاميـة ، ويُـروى أن يهودية أهدت إلى النبي ﷺ شاة مصليَّة أي مشوية .

(٤) انظـر الصحـاج للجوهـري مادة صَلَـى ، ولسان العـرب لابـن منظـور ، وفيـه : صَلَيتُ اللحـم بالتخفيف على وجه الصلاح معناه : شويته ، فأما أصليته وصلَّيته فعلى وجـه الـفساد والإحراق ، ومنه قوله تعالى ﴿فسوف نُصْليه ناراً ﴾ وقوله ﴿ ويصلى سعيراً ﴾ وفي الحديث « أن النبي ﷺ أُتِيَ بشاة مصليَّة » قال الكسـائي : المصليَّة : المشويَّة ، فأمـا إذا أحرقتـه وأبقيتـه في النـار قلت : صلَّيته بالتشديد وأصليته . اهـ.

وفي الحديث : أن يهوديَّةً أهدت إلى النبي ﷺ شاةً مَصْلِيَّةً ، أي مشْوِيَّةً[١] .

١٣٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوْدَاً غَيْرَهَا .. ﴾** [آية ٥٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنَّ الألم إنما يقع على النفوس ، والجلودُ وإنْ بُدِّلَتْ فالألم يقع على الإنسان[٢] .

والقولُ الآخر : أنْ يكون الجلد الأول أُعِيْدَ جديداً ، كما تقول : صُغْتُ الخاتَمَ[٣] .

---

(١) هذا اللفظ ذكره الزجاج في معانيه ٢/٦٨ وفي تفسير ابن عطية ٤/١٠٥ وتفسير ابن الجوزي ٢/١١٢ وهذا كان في غزوة خيبر كما هو في الصحيحين ، ولكن ورد بلفظ : «أهدت له شاة مسمومة » .

(٢) إنما ذكر تعالى الجلود لأنها مركز الإحساس كما يقول علماء الطب والتشريح ، واللحم ليس فيه أماكن إحساس ، وهذا هو السر في ذكر الجلود دون اللحوم والعظام ، مع أن العذاب يكون عاماً للجسد كله ، ولكن لمَّا كان الجلد أشدَّ الأجزاء تأثراً ، وهو مكان الألم ، ذكره الله تعالى ، وعلى هذا القول تكون الجلود غير تلك التي اهترأت وتلاشت ، وهو قول الحسن البصري ، وهو الصحيح لقوله تعالى ﴿ بدَّلناهم جلوداً غيرها ﴾ ولا يُقال : كيف بُدِّلت جلود التذت بالمعاصي بجلود ما التذت ؟ والجواب أن الجلود آلة في إيصال العذاب إليهم ، كما كانت آلة في إيصال اللذة ، وهم المعاقبون لا الجلود ، كما أن جسم الكافر يتضخم في النار حتى يكون غلظ جلده سبعين ذراعاً ، وإن ضرسه مثل جبل أحد .

(٣) وضَّح هذا المعنى الزجاج في معانيه ٢/٦٩ قال : وهذا كما تقول : قد صغتُ من خاتمي خاتماً آخر ، فأنت وإن غيَّرت الصوغ فالفضة أصل واحد .

١٣١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لِيَذُوْقُوْا الْعَذَابَ .. ﴾** [آية ٥٦] .

أي لِيَنَالَهُمْ أَلَمُ العذابِ(١) .

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [آية ٥٦] .

أي هو حكيمٌ فيما عاقبَ به من العذاب .

١٣٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ٥٧] .

أي ماءُ الأنهارِ .

١٣٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ خَالِدِيـنَ فِيهَـا أَبَـداً لَهُـمْ فِيهَـا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ .. ﴾** [آية ٥٧] .

أي من الأدناسِ والحَيْضِ(٢) .

---

(١) قال الحسن البصري : « تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، كلما قيل لهم : عُودوا فعادوا كما كانوا» أخرجه ابنُ أبي حاتم عنه ، كذا في تفسير ابن كثير ٢/٢٩٦ ، وقال القرطبي في جامع الأحكام ٥/٢٥٤ : فإن قال بعض الزنادقة : كيف جاز أن يُعذِّب الله جلداً لم يعصه ؟ فالجواب : ليس الجلد بمعذَّب ولا معاقب ، وإنما الألم واقع على النفوس ، لأنها هي التي تحس وتتألم ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ فالمراد تعذيب الأبدان والأرواح ، ولو أراد الجلود لقال « لتذوقنَّ العذاب » . أهـ .

(٢) هذا قول مجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، والحسن ، وجمهور علماء السلف .. قال الحافظ ابن كثير ٢/٢٩٧ : ﴿ أزواج مطهَّرة ﴾ أي من الحيض ، والنفاس ، والأذى ، والأخلاق الرذيلة ، وقال مجاهد : مطهَّرة من البول ، والحيض ، والنخام ، والبزاق ، والمني .. إلخ . وانظر أيضاً البحر المحيط ٣/٢٧٣ .

ثم قال تعالى ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلًّا ظَلِيلًا ﴾ [آية ٥٧] .

أي يُظِلُّ من الحَرِّ ، والبَرْدِ ، وليس كذا كل ظلٍ[١] .

١٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [آية ٥٨] .

قيل عن ابن عباس : هذا عامٌّ[٢] .

ورُوي عن شريح[٣] أنه قال لِأَحَدِ خصمين : أَعْطِهِ حقَّه ، فإنَّ الله عَزَّ وجلَّ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

---

(١) إنما قال تعالى ﴿ ظلاً ظليلاً ﴾ لينبه تعالى على أنه دائم لا ينقطع ، فيه الأنس والروح والريحان ، وليس كظل الدنيا يُظِلُّ ولا يقي من الحَرِّ ، والعرب إذا أرادت المبالغة وصفت الشيء بمثل ما اشتق من لفظه ، فيقولون : ليلٌ أليل ، وداهية دهياء ، ويوم أيوم ، قال ابن عطية في تفسيره ١٠٧/٤ إنما قال تعالى ﴿ ظليلاً ﴾ أي يقي من الحر والبرد ، ويصح أن يريد أنه ظل لا ينتقل كما يفعل ظلُّ الدنيا ، فأكَّده بقوله « ظليلاً » لذلك ، ويصح أن يصفه بظليل لامتداده . فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » . اهـ. أخرجه الشيخان . وقال الفخر الرازي ١٣٧/١٠ : وإنما قال «ظلاً ظليلاً» لأن بلاد العرب في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة ، ولهذا وصفه بالظليل مبالغة في الراحة .

(٢) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٤٥/٥ أن الآية وإن نزلت في شأن « عثمان بن طلحة » حين قبض منه الرسول ﷺ مفتاح الكعبة ، ثم نزل عليه جبريل يأمره بردِّ المفتاح ، إلا أنها عامة في ولاة الأمور والحكام ، فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس : هي للبرِّ والفاجر ، يعني لكل أحد .

(٣) شريح هو « شريح بن الحارث الكندي » من كبار قضاة المسلمين ، توفي سنة ٧٨هـ ، وليَ القضاء لعمر ، وعثمان ، وعلي ، وكان قاضياً على الكوفة لمدة ستين سنة ، وهو كوفي تابعي ثقة ، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل للرازي ٣٣٢/٤ وتهذيب التهذيب ٣٢٦/٤ .

ثم قال شُرَيْــحٌ : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِــرَةٌ إِلَــىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[1] فإنما هذا في الرِّبا خاصةً[2] .

وقيل : إنه نزلت ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُـمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَـىٰ أَهْلِهَا ﴾ لما أُخِذَتْ مفاتِحُ البيت من « شيبة بن عثمان »[3] .

وقال ابن زيد : هم الولاة[4] .

واسْتُحسِنَ هذا القـولُ ، أن يكـون خطاباً لولاة أمـور النـاس ، أُمروا بأداء الأمانة إلى مَنْ وُلُّوا أمْرَهُ فيهم ، وحقُوقهم ، ومـا ائْتُمنـوا عليـه من أمورهم ، وبالعدل منهم ، فأُوصُوا بالرَّعِيَّةِ[5] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٨٠) .

(٢) يرى شريح أن آية الأمانة عامة ، وأما آية العُسرة فهي خاصة في الربا دون غيره .

(٣) هكذا ذكر النحاس أنه « شيبة بن عثمان » والصواب أنه « عثمان بن طلحة » كما قال الحافظ ابن كثير ٢٩٩/٣ وكما هو المشهور عند المفسرين ، قال السيوطي في الدر المنثور ١٧٤/٢ : نزلت في عثمان بن طلحة قَبَضَ منه النبي ﷺ مفتاح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو الآية ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح ، وقال : « خذوها يا بني طلحة ، خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم » يعني حِجَابة الكعبة ، وكذلك ذكر الطبري ١٤٥/٥ والشوكاني في فتح القدير ٤٨٠/١ وهو الصحيح .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن ابن زيد ١٤٥/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٥/٢ ولفظه : « أُنزلت هذه الآية في ولاة الأمر ، وفيمن ولي من أمور الناس شيئاً » . اهـ. وهذا ما رجحه الطبري واختاره ، ورجح ابن كثير العموم ، وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٧٧/٣ : والأظهر أن الخطاب عام ، يتناول الولاة فيما لديهم من الأمانات ، وردِّ الظُّلامات ، والعدل في الحكومات ، ويشمل من دونهم من الناس ، في الودائع ، والعواري ، والشهادات ، والرجل يحكم بنازلة . اهـ.

(٥) قال الشوكاني في الفتح ٤٨٢/١ : وقد وردت أحاديث كثيرة في طاعة الأمراء ، ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، مقيَّدة بأن يكون ذلك في المعروف ، وأنه لا طاعة في معصية الله .

ثم أوصَى الرَّعيةَ بالطاعة فقال جل وعز بَعْدَهُ : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

إِلَّا أن ابن عباس قال : ﴿ وَأُولُوا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ وأولوا الفقهِ والدِّين[1] .

وقال مجاهد : أصحاب محمد[2] .

وقال أبو هريرة : هم الأمراء[3] .

وهذا من أحسنها ، إلا أنه في ما وافق الحق ، كما صَحَّ عن النبي ﷺ ، فَمَنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا طَاعَةَ[4] .

---

(١) و (٢) الأثران ذكرهما الطبري في جامع البيان ١٤٨/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١١٧/٢ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٥٩/٥ قال : جابر ومجاهد ﴿ أولوا الأمر ﴾ أهل القرآن والعلم ، وهو اختيار مالك ، ونحوه قال الضحاك : يعني الفقهاء والعلماء في الدين ، وحُكي عن مجاهد أنهم أصحاب محمد خاصة . اهـ.

(٣) قال الزجاج في معانيه ٧٠/٢ : « وأولوا الأمر هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتَّبعهم من أهل العلم ، وقيل : إنهم هم الأمراء ، والأمراء إذا كانوا أولى علمٍ ودين ، آخذين بما يقوله أهل العلم ، فطاعتهم فريضة «وجُملةُ أولي الأمر» من المسلمين : من يقوم بشأنهم في أمر دينهم ، وجميع ما يصلحهم . اهـ.

(٤) قال الزمخشري : والمراد بأولي الأمر : أمراء الحق ، لأن أمراء الجور ، اللّهُ ورسوله بريئان منهم ، فلا يعطفون على الله ورسوله .

أقول : يدل على هذا المعنى أن قوله تعالى ﴿ منكم ﴾ يشير إلى أمرين : أن يكون الحكام مسلمين ، وأن يأمروا بما فيه طاعة لله ورسوله كما قال الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ، لمَّا تولى خلافة المسلمين : أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، فالحكام الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا مسلمين شكلاً ومعنى ، دماً ولحماً ، عملاً وقولاً ، لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلاً !!

١٣٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَطِيْعُوْا اللَّهَ ، وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ ، وَأُولِيْ الْأَمْرِ مِنْكُمْ .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال جابر بن عبدالله : أولوا [الأمر أولوا الفقه و][1] العلم .

وقال بهذا القول من التابعين الحَسَنُ ، ومجاهدٌ ، وعطاءٌ .

وقال أبو هريرة : يعني به أمراء السَّرَايَا[2] .

وقال بهذا القول السُّدِّيُّ .

ويقوِّيه أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني »[3] .

وقال عكرمة : أولوا الأمر : أبو بكر ، وعمر[4] .

وهذه الأقوال كلها ترجع إلى شيءٍ واحد ، لأن أمراء السَّرايا

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .
(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٤٨/٥ عن ميمون بن مهران وأبي هريرة وابن الجوزي ١١٦/٢ والدر المنثور ١٧٦/٢ .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ٧٧/٩ ومسلم في كتاب الإمارة ١٤٦٦/٣ وابن ماجه في المقدمة ٤/١ وفي كتاب الجهاد ٩٥٤/٢ وأحمد في المسند ٩٣/٢ وفي الدر المنثور ١٧٦/٢ .
(٤) الأثر في الطبري ١٤٩/٥ والدر المنثور ١٧٧/٢ وابن الجوزي ١١٧/٢ وهو قول مرجوح .

من العلماء ، لأنه كان لايُوَلَّىٰ إلَّا مَنْ يَعْلَمُ[1] .

وكذلك أبو بكر و [عُمَرَ مِنَ][2] العلماء .

١٣٦ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللَّهِ والرَّسُوْلِ .. ﴾** [آية ٥٩] .

اشتقاق المنازعة : أنَّ كل واحدٍ من الخصمين ينتزع الحُجَّةَ لِنَفْسِهِ .

١٣٧ ـ **وفي قوله جلَّ وعز : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُوْلِ ﴾ قولان :**

أحدهما : قاله مجاهد وقتادة : فَرُدُّوْهُ إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسوله [وكذلك قال عَمْرُوُ بنُ مَيْمُونٍ : فَرُدُّوْهُ إلى كتابِ اللَّهِ ورسوله][3] فإذا مات رسولُ الله ﷺ فَرُدُّوْهُ إلىٰ سنته[4] .

---

(١) قال القرطبي ٢٦٠/٥ : وأصح هذه الأقوال أنهم الأُمراء ، والعلماء ، أما الأول فلأن أصل الأمر منهم ، والحكم إليهم ، فتجب طاعتهم فيما كان لله فيه طاعة ، ولا تجب فيما لله فيه معصية ، ولذلك قلنا:إن ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معاونتهم ولا تعظيمهم ، ويجب الغزو معهم متى غزوا .. وأما العلماء فيدل على صحته قوله تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول ﴾ فأمرَ الله تعالى بردِّ المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة .

(٢) ما بين الحاصرتين من الهامش .

(٣) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد وقتادة ١٥١/٥ وابن الجوزي ١١٧/٢ والقرطبي ٢٦١/٥ قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : والمعنى : إن تجادلتم واختلفتم في شيء من أمر دينكم ، فردُّوا ذلك الحكم إلى كتاب الله وإلى الرسول ، بالسؤال في حياته ، أو بالنظر في سنته بعد وفاته =

والقولُ الآخر : فقولوا : الله ورسوله أعلم[1].

وهذا تغليظ في الاختلاف[2] لقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً ﴾ .

قال قتادة : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ وأحســنُ عاقبةً[3] .

= ﷺ هذا قول مجاهد ، والأعمش ، وقتادة ، وهو الصحيح ، وفي قوله ﴿ وإلى الرسول ﴾ دليل علىٰ أن سنته ﷺ يُعمل بها ، ويُمتثل ما فيها ، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر ممَّا أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ، ألا وإنِّي أوتيت القرآن ومثله معه » . اهـ. وقوله « متكئاً على أريكته » أي جالساً على سريره المزين ، وهذا بيان لحماقته وسوء أدبه ، كما هو حال المتنعمين المترفين من أهل الكبرياء .

(١) هذا القول ذكره الزجاج في معانيه ٧١/٢ فقال : أو تقولوا إن لم تعلموه : الله ورسوله أعلم ، وذكره في البحر ٢٧٩/٣ ونسبه إلى الأصمِّ ، ولم يحكه الطبري ولم يعوِّل عليه ، وهو ضعيف . قال القرطبي ٢٦١/٥ وقيل : المعنى قولوا الله ورسوله أعلم ، قال : والقول الأول أصح لقول علي رضي الله عنه : ما عندنا إلا ما في كتاب الله ، وما في هذه الصحيفة ــ يعني ما جاء عن رسول الله فيها ــ أو فهم أعطيه رجل مسلم ، ولو كان كما قال هذا القائل « الله ورسوله أعلم » لبطل الاجتهاد ، الذي خُصَّ بهذه الأمة ، والاستنباط الذي أعطيها ، ولكن تضرب الأمثال ، ويطلب المثال ، حتى يخرج الصواب » . اهـ.

(٢) التغليظ إنما جاء من اللفظ القرآني ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ أي إن كنتم مؤمنين حقاً ، وهو شرط جوابه دلَّ عليه السابقُ أي فردُّوه إلى الله وإلى الرسول ولاتختلفوا ولاتتنازعوا ، فمن لم يفعل هذا اختلَّ إيمانه .

(٣) هذا القول ذكره الطبري ١٥٢/٥ وأبو حيان في البحر ٢٧٩/٣ قال : وهو قول السدي وابن زيد أيضاً ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٢ وهو الأصح والأظهر ، ويكون المعنى على قول قتادة : الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، خير لكم وأصلح،وأحسن عاقبة ومالاً ، واختاره ورجحه الطبري ١٥٣/٥ .

وهذا أحسن في اللغةِ ، ويكون من آل إلى كذا .

ويجوز أن يكون المعنى : وأحسنُ من تأويلكم .

١٣٨ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُوْنَ أَنْ يَتحَاكَمُوْا إِلَىٰ الطَّاغُوْتِ .. ﴾** [آية ٦٠] .

قال الضحاك : نزل هذا في رجلين اختصما ، أحدهما يهوديٌّ والآخر منافق ، فقال اليهودي : بيني وبينك محمد ، وقال المنافق : بيني وبينك « كعبُ بن الأشرف »(١) .

١٣٩ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَاأُنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُوْلِ ، رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّوْنَ عَنْكَ صُدُوْدَاً ﴾** [آية ٦١] .

أي يصدُّون عن حكمك .

١٤٠ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ .. ﴾** [آية ٦٢] .

---

(١) هذا هو المشهور وهو مروي عن ابن عباس ، والضحاك ، والسدي ، لما سنبينه في سبب النزول ، وقد ذكر هذا القول الطبري في جامع البيان ١٥٤/٥ وقال : الطاغوت هنا هو « كعب ابن الأشرف » وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١١٨/٢ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٩/٢ والظاهر أن الآية نزلت في المنافقين ، لقوله تعالى ﴿ يزعمون أنهم آمنوا ﴾ بل هو الصحيح كما دلَّ عليه سبب النزول .

المعنى ﴿ فَكَيْفَ ﴾ حالهم ﴿ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ .

يُروى أنَّ عُمَرَ قَتَلَ المنافقَ الذي قال لليهوديِّ : امضِ بنا إلى « كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ » يقضِ بيننا ، فجاء أصحابُه إلى النبي ﷺ ، يحلفون بالله إن أردنا بطلب الدَّم إلَّا إحساناً ، وموافقةً للحق[1] .

وقيل : المعنى إذا نزلت بهم عقوبة لم تَرْدَعْهُمْ ، وحلفوا كاذبين[2] أنهم ما أرادوا باحتكامهم إليه إلَّا الإحسانَ من بعضهم إلى

---

(١) روي في سبب نزول هذه الآيات أن رجلاً من المنافقين يُقال له « بِشْر » كان بينه وبين رجل يهودي خصومة ، فقال له اليهودي : تعالَ نتحاكَم إلى محمد ، فقال المنافق : بل تعال نتحاكَم إلى « كعب بن الأشرف » ــ وهو الذي سماه الله الطاغوت ــ فأبى اليهودي أن يخاصمه إلَّا إلى رسول الله ﷺ لعلمه أنه لا يحكم إلا بالحق ، فذهبا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وعرضا عليه الأمر ، فقضى لليهودي على المنافق ، فلما خرجا من عنده قال له المنافق : تعال نتحاكَم إلى « عمر بن الخطاب » فأتيا عمر ، فقال اليهودي : كان بيني وبين هذا خصومة ، فتحاكمنا إلى محمد فقضى لي عليه ، فلم يرض بقضائه ، وزعم أنه يخاصمني إليك !! فقال عمر للمنافق : أصحيح ما يقول ؟ فقال : نعم . فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل عمر فاشتمل السيف عليه ، ثم خرج فضرب به المنافق حتى بَرَد ــ أي مات ــ وقال : هكذا أحكم فيمن لم يرض بقضاء الله ولا بقضاء رسوله ، وأنزل الله ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون .. ﴾ الآية انظر أسباب النزول للواحدي ص ٩٢ والقرطبي ٢٦٣/٥ وابن الجوزي ١١٨/١ .

(٢) رُوي أن عمر رضي الله عنه لما قتل المنافق الذي لم يرض بحكم الرسول عليه السلام ، جاء قومه يطلبون ديته ، ويحلفون أنهم ما يريدون بطلب ديته ، إلَّا الإحسان وموافقة الحقِّ ، فأكذبهم الله عز وجل وفضحهم ، وقال القرطبي ٢٦٤/٥ : لما قتله عمر نزل جبريل على الرسول وقال : إن عمر فرق بين الحق والباطل ، فسمي الفاروق .

بعضٍ ، والصوابَ فيه[1] .

١٤١ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِيْـنَ يَعْلَـمُ اللَّـهُ مَافِـي قُلُوْبِهِـمْ .. ﴾ [آية ٦٣] .

وهـو عالم بكـل شيء ، والفائدةُ أنـه قد عَلِـمَ أنهم منافقـون ، فأُعلِمُوا ذلك[2] .

١٤٢ ـــ ثم قال جل وعـز : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُـمْ وَعِظْهُـمْ ، وَقُلْ لَهُـــمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيْغاً ﴾ [آية ٦٣] .

أي قل لهم : مَنْ خالَفَ حكمَ النبي ﷺ ، وكَفَر به ، وجبَ عليه القتلُ[3] .

---

(١) هذا القول ذكره الطبري في جامع البيان ١٥٦/٥ وهو أحـد أقـوال المفسريـن ، وذكـره في البحـر ٢٨١/٣ ولفظه : وقيـل : جاءوا يعتـذرون إلى النبـي ﷺ من محاكمتهم إلى غيره ، يقولـون : ما أردنا في عدولنا عنك إلّا إحساناً بالتقريب في الحكـم ، وتوفيقـاً بين الخصوم ، دون التمرُّدِ على الحق . اهـ. وهذا أظهر مما ذكره المصنف ، ورجحـه ابن كثير ، ورجَّـح القـول الأول الزجـاج في معانيه ، وانظر ابن كثير ٣٠٥/٢ ومعاني الزجاج ٧٣/٢ .

(٢) كلام الزجاج في معاني القرآن ٧٣/٢ أوضح من كلام النحـاس ، فقـد قال رحمه الله : الله يعلـم ما في قلوب أولئك وقلوب غيرهم ، إلا أن الفائدة في ذكره ههنا ﴿ أولـئك الـذي يعلـم الله ما في قلوبهم ﴾ أي أولئك الذين علم الله أنهم منافقون ، والفائدة لنا هي : اعلموا أنهم منافقون . اهـ.

(٣) هذا قول الحسن البصري ، ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١١٩/٤ قال : والقول البليغ اختُلف =

١٤٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٦٤] .

(مِنْ) زائدة[1] للتوكيد ، ويدلُّ على معنى الجنس .

ومعنى ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلاَّ بأنه أَذِنَ اللهُ[2] .

وقيل : يجوز أن يكون معناه إلاَّ بِعِلْمِ اللهِ[3] .

١٤٤ ـ وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ٦٥] .

= فيه ، فقيل : هو الزَّجْر والرَّدع بالبلاغة من القول ، وقيل : هو التوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق ، قاله الحسن ، وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم ، وذكره القرطبي ٥/٢٦٥ عن الحسن فقال : قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتكم .

أقول : المراد بالقول البليغ الكلام الزاجر المؤثر في القلوب ، الذي يصل إلى سويداء القلب ، يكون لهم رادعاً ، ولنفاقهم زاجراً ، وذلك بالتخويف من عذاب الله ، إن لم يكفُّوا عن النفاق ، وأخبرهم أن نفاقهم لا ينطلي على الله ، بكلام بليغ رادع زاجر ، وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير .

(١) ليس معنى قول أهل اللغة : إنها زائدة أي إنها حشو في الكلام لا حاجة لها ، أو يمكن الاستغناء عنها لعدم الفائدة ، وإنما طريقة العرب أنهم يُدخلون «مِنْ» لتأكيد وإفادة العموم ، فيكون معنى الآية : وما أرسلنا رسولاً من الرسل أياً كان إلَّا ليطاع بأمر الله تعالى ، فهي من حيث الشكل زائدة ومن حيث المعنى مؤكدة ، ولا تزاد « مِنْ » إلا بشرطين : الأول أن يسبقها نفي ، الثاني أن يأتي بعدها نكرة كما هنا في الآية ، قال ابن مالك في الألفية :

وزيد في نفي وشبهه فجَرّ ... نكرةً كما لباغ من مفرٍّ

أي ما لباغ مفرٌّ من عذاب الله .

(٢) و(٣) ذكر المعنيين القرطبي ٥/٢٦٥ واقتصر الطبري على المعنى الأول ، انظر جامع البيان ٥/١٥٧ .

أي فيما اختلفوا فيه ، ومنه تشاجر القوم .

وأصلُ هذا من الشَّجَرِ ، لاختلاف أغصانه ، ومنه شَجَرَهُ بالرُّمْحِ ، أي جَعَلَهُ فيه بمنزلة الغُصن في الشجرة ، ومنه اشْتَجَرَ القومُ ، قال زُهَيْرٌ :

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ
هُمُ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضَىً ، وهُمُ عَدْلُ[1]

١٤٥ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ ثُمَّ لَايَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجَاً مِمَّا قَضَيْتَ .. ﴾ [آية ٦٥] .

أي شكّاً وضيقاً .

وأصلُ الحَرَجِ : الضيقُ[2] .

١٤٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . [آية ٦٥] .

أي ويُسلِّموا لأمرك ، وقولُه « تَسْلِيماً » مؤكِّدٌ .

---

(١) انظر ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠٨ والشاهد فيه : « يشتجر » من المشاجرة وهي الخصومة والنزاع ، و « سَرَواتهم » أشرافهم ، جمع سَرَاة ، وسَرَاة جمع سَرِي ، فهو جمع الجمع ، قال الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا سَرَاة لهم ولا سَرَاةَ إذا جهَّالُهم سَادُوا

ومعنى بيت زهير أنه إذا اختلف قوم في أمر من الأمور ، رضوا بحكم هؤلاء ، وقال أشرافهم : حكّموهم في القضية ، لما عُرِف من عدلهم ، وصحة حكمهم ، فهم عندهم عدول ، مرضيُّوا الحكم .

(٢) الحَرَج في اللغة : الضّيق ، وقيل : أشدُّ الضّيق ومنه قوله تعالى ﴿يجعل صَدْره ضيِّقاً حَرَجاً﴾ .

١٤٧ ـ **وقولُه جل وعز ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمْ .. ﴾** [آية ٦٩] .

يُروى أن قوماً من أصحاب النبي ﷺ قالوا يارسول الله : أنتَ معنا في الدنيا ، وتُرفع يوم القيامة لفضلك ، فأنزل اللهُ عزَّ وجل ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ ، وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ .

فعرَّفهم أنَّ الأَعْلَيْنَ يَنْحدرون إلى من هو أسفل منهم ، فيجتمعون ليذكروا ما أنعم الله عليهم به[١] .

١٤٨ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٦٤/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٢ وابن كثير في تفسيره ٣١٠/٢ وأخرجه ابن مردويه والحافظ المقدسي عن عائشة رضي الله قالت : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وأحبُّ إليَّ من أهلي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكونُ في البيت فأذكرك ، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك ، عرفتُ إنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك » فلم يردَّ عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه الآية ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين ، والصدِّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ . وفي رواية ابن جرير : جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون ، فقال له النبي ﷺ يا فلان : ما لي أراك محزوناً ؟ قال : يانبيَّ الله شيءٌ فكرَّتُ فيه ..» وذكر نحوه . وانظر الطبري ١٦٣/٥ .

قال قتادة : الثُّباتُ : الفِرَقُ[1] .

وقال الضحاك : الثُّباتُ : العُصَبُ ، والجميعُ : المجتمعون[2] .

وقال أهل اللغة : الثُّباتُ : الجماعاتُ في تفرقة .

والمعنى : انفروا جماعةً بعد جماعة ، أو انفروا بأجمعكم .

وواحد الثبات : ثُبَةٌ ، وهي مشتقة من قولهم : ثَبَّيتُ الرجل إذا أثنيتَ عليه في حياته ، لأنك كأنك جمعتَ محاسنه[3] .

١٤٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ، فَإِنْ أَصَابتكُمْ مُصِيبةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَم اللَّهُ عَلِيَّ .. ﴾** [آية ٧٢] .

أي يُبطِّىءُ عن القتال ، و « يُبطِّىءُ » على التكثير ، يُعنى به المنافقون[4] .

﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصيبَةٌ ﴾ أي هزيمة .

---

(١) و(٢) ذكرهما الطبري ١٦٥/٥ وابن كثير ٣١٣/٢ وابن الجوزي ١٢٩/٢ قال ابن قتيبة : « ثُبَات » أي جماعات ، واحدتها ثُبَةٌ ، يريد انفروا جماعة بعد جماعة ، وقال الطبري : معنى الكلام : انفروا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلِّحين ، قال زهير :

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٩/٢ والصحاح للجوهري مادة ثَبَا ، قال : وأصل الثُّبَةِ ثُبَيٌ .

(٤) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٥/٥ : « ويعني بالآية المنافقين ، والتبطئة والإبطاءُ : التأخر ، تقول : ما أبطأك عنا ؟ فهو لازم ، ويجوز بَطَّأْتُ فلاناً عن كذا أي أخرته ، فهو متعدٍّ والمعنيان مرادان في الآية ، فقد كانوا يَقْعُدُون عن الخروج ويُقعِدون غيرهم » . اهـ.

﴿ ولئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي غنيمة .

﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ لله .

وقرأ الحسنُ : « لَيَقُولُنَّ » بضم اللام[1] ، وهو محمولٌ على المعنى ، لأن « مَنْ » لجماعة ، فهذا معترض[2] .

والمعنى هو : قد أنعم الله عليَّ إذْ لم أكن معهم شهيداً ﴿ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّة ﴾ أي كأن لم يعاقدكم على الجهاد .

ويجوز أن يكون المعنى : يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً ، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة .

١٥٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بالآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٧٤] .

معنى « يشرون » : يبيعون ، يُقال : شريتُ الشيءَ : إذا

---

(١) قراءة الحسن عدَّها ابن جني في المحتسب ١٩٢/١ من القراءات الشاذة ، ولم أرها في القراءات السبع ، وهي محمولة على معنى «مَنْ» لا على لفظها فلذلك جُمِع .

(٢) يريد المصنف أن جملة ﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مَوَدَّة ﴾ جملة اعتراضية ، للتنبيه على ضعف إيمانهم ، وعدم ثقتهم بالله ، والأصل ﴿ ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولنَّ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ فدخلت الجملة الاعتراضية ضمن هذه الآية ، ومعنى الآية الكريمة : ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر وظفر وغنيمة ، ليقولنَّ هذا المنافق قول نادم متحسر ، كأن لم تكن بينكم وبينه معرفة ومودة وصداقة ، يا ليتني كنت معهم لأنال من الغنيمة . قال في التسهيل ١٦٥/١ : هي جملة اعتراض بين العامل ومعموله ، فلا يجوز الوقوف عليها، وهذه المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده .

بعتَه ، وإذا اشتريتَه[1] .

١٥١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوفَ نُؤْتِيهِ أَجْرَاً عَظِيماً ﴾ [آية ٧٤] .

وقرأ محمد بن اليماني : « فَيَقْتُلْ أو يَغْلِبُ »[2] .

١٥٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَمَالَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ .. ﴾ [آية ٧٥] .

قال الزهري : المعنى في سبيل الله ، وفي سبيل المستضعفين .

قال أبو جعفر : قال أبو العباس : يجوز أن يكون المعنى : وفي المستضعفين .

ويجوز أن يكونَ المعنى : وفي سبيل المستضعفين[3] .

وقال الضحاك : هؤلاء قومٌ أسلموا ، ولم يقدروا على الهجرة ، وأقاموا بمكة ، فعَذَرهم اللهُ جل وعز[4] .

---

(١) لفظة شَرَى تأتي بمعنى اشترى ، وبمعنى باع ، فهي من الأضداد ، قال الشاعر :

فإن تزعميني كنتُ أجهلُ فيكمُ ... فإني شريت الحلمَ بعدكِ بالجهلِ

(٢) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ١٣٣/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٩٥/٣ وذكر أنها قراءة محارب بن دِثار .

(٣) قال ابن عطية ١٣٣/٤ قوله ﴿ والمستضعفين ﴾ عطف على اسم الله تعالى أي وفي سبيل المستضعفين ، وقيل : عطف على السبيل ، أي وفي المستضعفين لإنقاذهم ، ويعني بالمستضعفين من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار وأذاهم .

(٤) ذكره ابن جرير عن ابن عباس ١٦٩/٥ وابن الجوزي ١٣٢/٢ وفي الدر المنثور ١٨٣/٢ .

١٥٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا .. ﴾ [آية ٧٦] .

يعني مكة .

١٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ .. ﴾ [آية ٧٨] .

[**قال قتادة** : البروجُ : القصورُ المحصَّنَةُ ، ومعروف في اللغة أنَّ](١) البروج الحصونَ ، والمشيَّدة تحتمل معنيين :

١ ــ أن تكون مطوَّلة .

٢ ــ والآخر أن تكون مشيَّدة بالشِّيد وهو الجِصُّ ، وكذلك قال عكرمة .

وقال السدي : هي قصور بيضٌ في السماء الدنيا مبنيَّة .

وقيل : المشيَّدة : المطوَّلة ، والمَشِيدةُ مخفَّفة : المعمولة بالشِّيد .

وقيل : المشيَّدة على التكثير ، يقع للجمع(٢) .

١٥٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الحاشية .

(٢) قال القرطبي ٢٨٢/٥ : « اختلف العلماء وأهل التأويل في المراد بهذه البروج ، فقال الأكثرون ــ وهو الأصح ــ : إنه أراد بالبروج الحصون التي في الأرض المبنية ، لأنها غاية البشر في التحصين والمنعة ، فمثَّل الله لهم بها ، وقال قتادة : في قصور محصنة ، وقاله ابن جريج والجمهور ، ومنه قول عامر بن الطُّفيل للنبي ﷺ : هل لك في حصن حصين ومَنَعة ؟ وقال مجاهد : البروج : القصور ، وقال ابن عباس : البروج الحصون والآطام والقلاع ، ومعنى « مشيَّدة » مطوَّلة قاله الزجاج والقتبي ، وعن عكرمة : المزيَّنة بالشيد وهو الجص ، والمشيَّدة والمَشِيد سواء ، ومنه قوله ﴿وقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ . اهـ .

وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ [آية ٧٨] .

الحسَنَة ههنا : الخِصْبُ ، والسَّيئة : الجَدْبُ(١) .

١٥٦ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ .. ﴾** [آية ٧٩] .

﴿مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أي خصب ، وقيل : هذا للنبي ﷺ لأن المخاطبة له بمنزلة المخاطبة لجميع الناس(٢) .

والمعنى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ أي من خصبٍ ورخاء .

---

(١) هذا القول مروي عن بعض علماء السلف ، وهو قاصر في المعنى ، والأظهر منه ما قاله ابن عباس وأبو العالية والسدي : أن الحسنة هنا الخِصب والرخاء والسلامة والأمن ، وأن السيئة يراد بها : الجدب والغلاء والأمراض والخوف ، وقال الحسن وابن زيد : الحسنة : النعمة ، والفتح ، والغنيمة يوم بدر ، والسيئة : البلية ، والشدة ، والقتل يوم أحد ، كما في البحر المحيط ٣٠٠/٣ ورجح الطبري العموم فقال في تفسيره جامع البيان ١٧٥/٥ : ومعنى الآية : ما يصيبك يا محمد من رخاء ، ونعمة ، وعافية ، وسلامة ، فمن فضل الله عليك ، يتفضل به عليك إحساناً منه ، وما أصابك من شدة ، ومشقة ، وأذى ، ومكروه ، فمن نفسك يعني بذنب اكتسبته نفسك ، وفي الحديث : « لا يصيب رجلاً خدشُ عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق ، إلّا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر » .

(٢) كثيراً مايُخَاطَبُ النبيُّ ﷺ ويُراد بالخطاب أمته ، باعتبار أنه زعيم الأمة ورئيسها ، كقوله تعالى ﴿ لا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ وقوله ﴿ اتَّق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ قال الزجاج في معانيه ٨٤/٢ : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ... ﴾ الآية هذا خطاب للنبي ﷺ يُراد به الخلق ، ومخاطبة النبي ﷺ قد تكون للناس جميعاً لأنه عليه الصلاة والسلام لسانهم قال : والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إذا طلَّقتم النساء ﴾ فنادى النبي وحده ، وصار الخطاب شاملاً له ، ولسائر أمته » . اهـ .

﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ أي من جدبٍ وشدَّة .

﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أي فبذنبك عقوبة ، قاله قتادة .

ويُرْوَىٰ أن اليهود قالوا لَمَّا قَدِمَ المسلمون إلى المدينة :

أصابنا الْجَدْبُ ، وَقَلَّ الْخِصْبُ[1] .

فأعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أن ذلك بذنوبهم .

وروىٰ عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ، وأنا كتبتها عليك ﴾[2] .

وقيل : القَوْلُ محذوفٌ ، أي يقولون هذا[3] .

---

(١) قصدوا ــ لَعَنَهُم الله ــ أنَّ ما أصابهم من الجدب ، وقلة الخصب ، بشؤم النبي ﷺ ، كما قال أسلافهم من قبل لموسى عليه السلام ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ وقد أخبر الله عنهم بقوله ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يَطَّيروا بموسى ومن معه ﴾ .

(٢) وكذلك في قراءة أُبيٍّ وابن مسعود ، ذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٢ والشوكاني في فتح القدير ٤٩٠/١ ونسباها إلى ابن المنذر ، وابن الأنباري في المصاحف ، وليست من القراءات السبع .
أقول : هذه قراءة شاذة ، وهي محمولة على التفسير لا على القراءات المعتمدة المتواترة .

(٣) هذا قول ضعيف لا يعوَّل عليه ، والصحيح ما قاله في البحر ٣٠١/٣ : « أخبر تعالى على سبيل الاستئناف والقطع ، أن الحسنة منه بفضله ، والسيئة من الإنسان بذنوبه ، ومن الله بالخلق والاختراع » . اهـ. يعني أن نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد ، تأدب مع الله في الكلام ، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة كما قال عليه السلام « الخير كله بيديك ، والشرُّ ليس إليك » .

١٥٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَقُوْلُوْنَ طَاْعَةٌ .. ﴾ [آية ٨١] .

والمعنى : ويقولون : أَمْرُنَاْ طاعَةٌ ، ومنَّا[1] طاعةٌ .

وفي الكلام حَذْفٌ ، والمعنى : ويقولون إذا كانوا عندك طاعةٌ .

ودَلَّ على هذا قولُهُ تعالى ﴿ فَإِذَاْ بَرَزُوْا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَاْئِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِيْ تَقُوْلُ ﴾ [آية ٨١] .

معنى (بَيَّتَ) عند أهل اللغة : أَحْكَمَ الأَمْرَ بِلَيْلٍ ، وَفَكَّرَ فِيْهِ[2] .

أي أظهر المعصية في بيته ، والعَرَبُ تقول : أَمْرٌ بُيِّتَ بِلَيْلٍ ، إذا أُحْكِمَ . وإنما خُصَّ الليلُ بذلك لأنه وقتٌ يُتفَرَّغُ فِيهِ .

قال الشاعر :

أَجْمَعُوْا أَمْرَهُمْ بِلَيْلٍ فَلَمَّا
أَصْبَحُوْا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ[3]

---

(١) هكذا في المخطوطة ، وعند الشوكاني : أمرُنا طاعة ، وشأننا طاعة ، وهو أظهر ، والآية في المنافقين بإجماع .

(٢) قال الأصمعي وأبو عبيدة والمبرِّد : كلُّ أمر قُضي بليل قيل : إنه قد بُيِّت ، وكذلك قال ابن قتيبة ، وقال بعض أهل اللغة : كل أمر مُكرِ فيه أو خيض فيه بليل قيل فيه : قد بُيِّت ، وفي الأمثال «هذا أمر دُبِّر بليل» .

(٣) البيت للحارث بن حِلِّزة وهو في غريب القرآن ص ١٣١ وفي شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٥٢ واستشهد به ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ١٤٣/٢ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ٢٨٩/٥ .

ومن هذا : بَيَّتَ الصِّيَامَ[1] .

وقال أبو رُزين : معنى (بَيَّتَ) أَلَّفَ[2] .

وليس هذا بخارجٍ عن قول أهل اللغة ، لأنه يجوز أن يكون التأليفُ بالليل[3] .

وقيل : معنى (بَيَّتَ) بَدَّلَ[4] .

ولا يَصُحُّ هذا .

١٥٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ** .. ﴾ [آية ٨١] .

يَحْتَمِلُ معنيَيْنِ :

أحدهما : أنه يُنْزِلُهُ في كتابه ويُخْبِرُ بِهِ .

---

(١) بيَّتَ الصيام أي نوى الصيام وعزم عليه من الليل .

(٢) ذكره في البحر عن أبي رزين ٣/٣٠٣ وهو بعيد ، والصواب أن المراد بالآية أنهم دبَّروا في الليل أمراً يخالف ما قالوه عند الرسول ﷺ وعزموا على العصيان بعد أن قالوا : ﴿طاعة﴾ أي أمرنا طاعة ، قال القرطبي ٥/٢٩٠ : وفي هذه الآية دليل على أن مجرد القول لا يفيد شيئاً ، فإنهم قالوا طاعة ولفظوا بها ، ولم يحقق الله طاعتهم ، ولا حكم لهم بصحتها لأنهم لم يعتقدوها ، ومن لم يعتقد الطاعة ليس بمطيع حقيقة .

(٣) يراد بالتأليف العزم والتدبير لشيء سراً ، وهذا قريب من حيث المعنى .

(٤) ذكره الشوكاني في فتح القدير ١/٤٩٠ بصيغة التضعيف ، فقال : وقيل معناه غيَّروا وبدَّلوا واستشهد بقول الشاعر :

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا ... وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرٍ نُكُرْ

وفي ذلك أعظمُ الآيات للنبيِّ ﷺ ، لأنه يُخبر بما يُسِرُّونَهُ(١) .

ويحتمل أن يكون المعنى : والله يَعْلَمُ وَيُحْصِي ما يُبَيِّتُونَ(٢) .

١٥٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [آية ٨١] .

قال الضحاك : يُعنَى بِهِ المنافقون .
والمعنى لا تُخْبِرْ بأسمائهم(٣) .

١٦٠ ــ وقولُه جلَّ وعَزَّ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ .. ﴾ ؟ [آية ٨٢] .
معنى تَدَبَّرْتُ الشَّيْءَ فَكَّرْتُ في عاقبته ، ويقال : أَدْبَرَ

(١) و(٢) ذكرهما الزجاج في كتابه معاني القرآن ٨٦/٢ والأظهر ما قاله القرطبي ٢٨٩/٥ ﴿ والله يكتب مايُبَيِّتونَ ﴾ أي يثبته في صحائف أعمالهم ليجازيهم عليه ، وهذا ما رجحه الطبري وجمهور المفسرين ، والمراد بـ « يكتب » أمره تعالى للملائكة الحفظة بتسجيله .

(٣) الأثر ذكره في البحر ٣٠٤/٣ عن الضحاك فقال : أي لا تخبر بأسمائهم فيجاهروك بالعداوة بعد المجاملة . اهـ .

أقول : ليس المراد بالإعراض عن المنافقين الإعراض عن دعوتهم إلى الإيمان ، وعن وعظهم إلى سلوك سبيل الاستقامة ، وإنما المراد ألا يحدِّث الرسول نفسه بالانتقام منهم ، وأن يصفح عنهم ويحلم ، والله ينتقم منهم .

القَوْمُ ، إذا تَوَلَّىٰ أمرهُـم إلى آخـرِهِ . وفي الحديث : « لا تَدَابَـرُوا »(١)
أي لا تَعَادَوْا ، أي لا يولي أحدُكم صاحبَه دُبُرَهُ من العَدَاوَةِ .

١٦١ ــ ثم قال جل وعـز : ﴿ وَلَـوْ كَانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللَّـهِ لَوَجَـدُوْا فِيْـهِ اخْتِلَافَاً كَثِيْرَاً ﴾ [آية ٨٢] .

أي لو كان ما يُخْبِرُوْنَ به ــ مما يُسِرُّونَهُ ــ من عنـد غير اللـه لَاخْتَلَفَ(٢) .

ومَذْهَبُ قَتَـادَةَ وابـنِ زَيْـدٍ أن المعنـى : لو كان القـرآن [من عند غير الله لوجدوا فيه تفاوتاً وتنـاقضاً](٣) لأن كلام النـاس يختلـف ويتناقض(٤) .

---

(١) هذا طرف من حديث رواه البخاري في الأدب ٢٣/٨ ومسلم في البر برقم ٢٥٥٩ وأبو داود برقم ٤٩١٠ والترمذي برقم ١٩٣٦ ولفظُـه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقاطعـوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخـاه فوق ثلاث » ورواه مسلم بأخصر منـه . قال مالك : ولا أحسـب التدابـر إلا الإعـراض عن المسلـم ، يُدير عنه بوجهه .

(٢) هذا المعنـى ذكـره الزجـاج في معانيـه ٨٧/٢ ومـؤداه أنـه لو كان ما ينـزل به القـرآن من كشف أسرارهم ليس من عند الله لاختلف عن الواقع ، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة فصار الكلام غير متناسق ، وأثبتناه من تفسير القرطبي .

(٤) هذا هو الأظهر والأرجح في معنى الآية الكـريمة ، أن الضمير يعـود على « القـرآن » والمعنـى : لو كان هذا القرآن من كلام البشر ، لدخله ما في كلام البشر من الـقصور ، وظهـر فيـه التعـارض والتناقض والتنافي ، الذي لا يمكن جمعه والتحرز منه ، لأنه أمر طبيعي في كلام البشر ، والقـرآن منزه عن ذلك ، إذ هو كلام من أحاط بكل شيء علماً .. وانظر ما كتبـه أبـو حيـان في البحـر المحيط ٣٠٥/٣ .

١٦٢ ــ وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوْا بِهِ ﴾ [آية ٨٣] .

قال الضحاك : أَفْشَوْهُ وَسَعَوْا به ، وهم المنافقون(١) .

وقال غيره : هم ضَعَفَةُ المسلمين ، كانوا إذا سَمِعوا المنافقين يُفْشُوْنَ أخبارَ النبيِّ ﷺ ، تَوَهَّموا أنه ليس عليهم في ذلك شيءٌ ، فَأَفْشَوْهُ ، فَعَاتبهم اللَّهُ على ذلك ، فقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِلَىٰ أُولِيْ الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أي أُولِي الْعِلْمِ ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي يستخرجونه .

يقال : نَبَطْتُ البِئْرَ ، إذا أَخْرَجْتَ منها النَّبَطَ(٢) ، وهو ما يَخرجُ منها ، ومن هذا سُمِّيَ النَّبَطُ ، لأنهم يُخْرِجُوْنَ ماءً في الأرض .

فالمعنى : لعلموا ما ينبغي أن يُفْشَىٰ ، وما ينبغي أن يُكْتَمَ(٣) .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ٥/١٨٠ والبحر المحيط ٣/٣٠٥ وفتح القدير للشوكاني ١/٤٩١ واختار الزمخشري والشوكاني أن الآية في ضعفة المسلمين قال : وهم جماعة من ضعفة المسلمين ، كانوا إذا سمعوا شيئاً من أمر المسلمين من ظفر أو نحو حوف وهزيمة ، أفشوه وهم يظنون ألّا شيء عليهم في ذلك . اهـ. وهذا قول الحسن والزجاج .

أقول : وفي الآية تأديب لمن يحدِّث بكل ما يسمع ، وكفى به كذباً ، وخصوصاً عن مثل السرايا وأحوال الجيش ، فإن ذلك من أعظم أسباب الهزيمة . وانظر ابن الأثير ٢/٣٢١ .

(٢) عبارة الزجاج ٢/٨٩ : « يستنبطونه » في اللغة : يستخرجونه ، وأصله من النَّبط وهو الماء الذي يُخرج من البئر في أول مايُحفر ، يُقال : أنبط فلان في غضراء أي استنبط من طين حُرّ في أرض طيبة .

(٣) قال الشوكاني ١/٤٩١ : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ أي يستخرجونه بتدبيرهم ، وصحة عقولهم ، والمعنى : أنهم لو تركوا إذاعة الأخبار ، حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يذيعها ، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك ، لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يُفشى ، وما ينبغي أن يُكتم . اهـ.

١٦٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [آية ٨٣] .

في هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المعنى : ولولا ما تفضَّل اللَّهُ به ، مما بيَّن وأَمَرَ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيْلاً[١] .

والقولُ الآخر : أن المعنى أذاعوا به إلا قليلاً[٢] .

وهذا القولُ لِلْكِسَائِيِّ ، وهو صحيح ، عن ابن عباس[٣] .

والقول الآخر : قولُ قتادةَ ، وابنِ جُريج ، وهو الذي كان يختاره أبو إسحق[٤] ، أنَّ المعنى : لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً[٥] .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾

---

(١) هذا القول هو أظهر الأقوال ــ والله أعلم ــ والمعنى : لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون ، بإرسال الرسول ، ورحمته بإنزال القرآن ، لاتبعتم الشيطان الذي يغويكم بفعل الفواحش والقبائح ، إلَّا قليلاً منكم حفظهم الله ، كأكابر الصحابة من الفقهاء والعلماء ، فالاستثناء على هذا القول يكون من اتباع الشيطان ، ويبقى الكلام متصلاً .

(٢) هذا قول الفراء كما في معانيه ٢٧٩/١ ورجحه الطبري في جامع البيان ١٨٥/٥ وعلى هذا يكون الاستثناء من الإذاعة أي إذاعة الخبر .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٨٤/٥ والقرطبي ٢٩٢/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١٤٨/٢ .

(٤) المراد به الإمام الزجاج صاحب كتاب « معاني القرآن وإعرابه » .

(٥) راجع معاني القرآن للزجاج ٨٩/٢ وقد ردَّ فيه على النحويين ، ورجح أن الاستثناء راجع إلى قوله ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ .

قيل : هو استثناءٌ من ﴿ لَا تَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ ﴾[1] .

يُعنَى به قومٌ لم يكونوا هَمُّوا بما هَمَّ به الآخرون ، من اتِّباع الشيطان ، كما قال الضحاك : هم أصحاب النبي عليه السلام (إلَّا قَلِيلاً) إلَّا طائفةً منهم .

وقيل : معنى (إلَّا قَلِيلاً) كُلّكُمْ .

قال أبو جعفر : وهذا غيرُ معروف في اللغة[2] .

---

(١) خلاصة القول في هذه الآية ما ذكره النحاس في كتابه إعراب القرآن ٤٣٩/١ حيث قال : في هذه الآية ثلاثة أقوال :

١ ــ التقدير أذاعوا به إلا قليلاً ، وهذا قول جماعة من النحويين ، لأن الأكثر من المستنبطين لا يعلمون .

٢ ــ وقال أبو إسحاق ــ يعني الزجاج ــ بل التقدير لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ، لأن هذا الاستنباط الأكثر يعرفه لأنه استعلام بخبر ، وهذان القولان على المجاز .

٣ ــ وقول ثالث بغير مجاز ، يكون المعنى : ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، بأن بعث فيكم رسولاً ، أقام فيكم الحجة ، لكفرتم وأشركتم ، إلا قليلاً منكم ، فإنه كان يوحِّد .

(٢) هذا القول الذي ردَّه المصنف ، ذكره الطبري في جامع البيان ١٨٤/٥ حيث قال ما لفظه : « وقال آخرون معنى ذلك : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعاً ، قالوا : وقوله : ﴿ إلا قليلاً ﴾ خرج مخرج الاستثناء في اللفظ، وهو دليل على الجميع والإحاطة ، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته ، لم ينج أحد من الضلالة ، واستشهدوا بقول الطرِمَّاح في مدح يزيد ابن المهلب :

أَشَمُّ كَثِيرُ نَدِيِّ النَّوَالِ   قَلِيلُ المَثَالِبِ وَالقَادِحَةْ

فهو يمدحه بأنه لا مثالب فيه ولا معايب ، فكذلك هنا معنى الآية : لاتبعتم جميعكم الشيطان . اهـ. قال ابن عطية ١٥٢/٤ : وهذا القول قلق ، وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم : « أرض قلَّما تنبت كذا » بمعنى لا تنبته ، ولكن قد ذكره الطبري . اهـ.

ومـن أحسن هذه الأقـوال ، قولُ من قال : أذاعـوا به إلا قليلا ، لأنه يَبْعُدُ أن يكون المعنى يعلمونه[1] الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ، لأنه إذا بُيِّنَ اسْتَوَىٰ الكلُّ في علمـه ، فَبَعُـدَ استثنـاءُ بعض المستنبطين منه[2] .

١٦٤ ـ **ثم قال جل وعـز : ﴿ فَقَاتِـلْ فِي سَبِيـلِ اللَّـهِ لَا تُكَلَّـفُ إِلَّا نَفْسَكَ .. ﴾** [آية ٨٤] .

وهذا متصل بقوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فَأَمَـرَهُ اللهُ جَلَّ وَعَـزَّ بالقتـالِ ، ولـو كان وحـده ، لأنـه قد وَعَـدَهُ النصر[3] .

١٦٥ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا .. ﴾** [آية ٨٤] .

والبأْسُ : الشِّدَّةُ[4] .

---

(١) هكذا ورد في المخطوطة « يعلمونه الذين » والصواب « يعلمـه الذيـن » لأن الفعل إذا تقـدم على الفاعل أفرد .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وابن زيد ، واختـاره الفـراء ، وابـن جريـر ، كذا ذكـره ابـن الجوزي في زاد المسير ١٤٨/٢ .

(٣) نزلت الآية لمَّا تثاقل بعض الناس عن القتال ، فأمره تعـالى أن يقاتـل المشركين ولـو لم يقاتـل معـه أحد ، والمعنى : إن أفردوك فقاتل وحدك فلاتُكلّفُ إلّا نفسك ، والله ناصرك .

(٤) وكذلك قال الزجاج في معانيه ٩١/٢ : البـأس الشدة في كل شيء . وهـذا وعـد من الله بكـفِّ شرهم عن المؤمنين .

و ﴿ عَسَىٰ ﴾ من اللَّهِ واجبةٌ(١) ، لأنها لِلتَّرَجِّي ، فإذا أُمَرَ أن يُتَرَجَّىٰ شيءٌ كان .

١٦٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُــنْ لَهُ نَصِيْبٌ مِنْهَا .. ﴾** [آية ٨٥] .

قال الحسن : من شفـع أُثِيْبَ وإن لم يُشَفَّـعْ(٢) ، لأنـه قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ ﴾ ولم يقل : من يُشَفَّعْ(٣) .

وقال أبو موسى الأشعري رحمه الله : كُنَّا عند النبـي ﷺ ، فجاء سائل ، فقال النبي ﷺ : « اشفَعُوا تُؤْجَروا ، ويَـقضِي اللَّـهُ على لِسَان نبيِّهِ ما شاء »(٤) .

---

(١) « عَسَى » في اللغة تفيد الرجاء والإطمـاع ، والإطمـاع من الله عز وجـل واجب ، لأنـه وعـد منـه سبحانه ، ووعده كائن لا محالة ، هذا خلاصة ما قاله الشوكاني ، وأبو حيـان في البحـر المحيـط ، ٣٠٦/٣ وهو مروي عن عكرمة .

(٢) الطبري عن الحسن البصري ١٨٦/٥ وابن كثير ٣٢٤/٢ وابـن الجوزي ١٥٠/٢ . قال مجاهـد : نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض . اهـ. ابن كثير ٣٢٤/٢ .

(٣) يريـد أنـه بمجرد الشفاعـة يحصل للشافـع الأجـر ، سواء قُبلـت شفاعتـه ، أو لم تقبـــل ، فإن استجيبت شفاعتـه كان له أجـران ، أجـر الشفاعـة ، وأجـر الخير الـذي ساقـه إلى أخيـه ، والله أعلم .

(٤) الحديث أخرجـه البخـاري في كتـاب الأدب ١٥/٨ ومسلـم في البر رقـم ٢٦٢٧ وأبـــو داود في الشفاعة رقم ٥١٣١ والترمذي في العلم ٢٦٧٤ والنسائي في الزكاة ٧٨/٥ وفي رواية أخرى « كان ﷺ إذا أتاهُ طالب حاجة أقبل على جلسائه ، فقال : « اشفعوا فلتؤجروا ، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء » وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ٣٢٤/٢ .

١٤٦ ـ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ..** ﴾ [آية ٨٥] .

رُوي عن أبي موسى أنه قال : الكِفْلُ : النصيبُ ، أو قال : الحَظُّ ، كذا في الحديث .

وقال قتادة : الكِفْلُ : الإثمُ[١] .

والمعروفُ عند أهل اللغة أن الكفلَ النصيبُ ، ويقالُ : اكْتَفَلْتُ البعير ، إذا جعلت على موضعٍ منه كِسَاءً أو غيرَهُ لِتَرْكَبَهُ[٢] .

وهذا مأخوذٌ من ذاك ، لأنك إنما تجعله على نصيب مثله .

١٤٧ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً** ﴾ [آية ٨٥] .

في معناه قولان :

رَوَىٰ معاويـة بن صالح عن علي بن أبي طلحـة عن ابـن عباس : ﴿ مَقِيتاً ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٨٦/٥ وقال السدي : الكفلُ : الحظُّ ، وقال ابن زيد : الكِفْلُ والنَّصيبُ واحد ، وقرأ ﴿ يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ . اهـ. وانظر أيضاً تفسير ابن الجوزي ١٥٠/٢ .

(٢) راجع القرطبي ٢٩٥/٥ ومعاني القرآن للزجاج ٩١/٢ والحاصل أن الشفاعة الحسنة هي الشفاعة في مسلم لتفريج كرابته ، أو دفع مظلمة عنه ، أو جلب منفعة له ، والشفاعة السيئة كالشفاعة في الحدود ، كالشفاعة للسارق والزاني ، أو الشفاعة فيما فيه معصية لله تعالى ، فالشفاعة الحسنة لا تكون إلا في البر والطاعة .

يقول : حفيظاً[1] .

وبإسنادِهِ ﴿مقيتاً﴾ يقول : قديراً[2] .

وحكى الكسائيُّ أنه قال : أقاتَ يقيتُ ، إذا قَدَّرَ[3] .

وقال الشاعر :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ
وكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتَاً[4]

والقولُ أنَّ المقيتَ : الحفيظُ .

قال أبو إسحق : وهذا القول عندي أصحُ من ذاك ، لأنه مَأْخُوذٌ من القُوْتِ ، والقوتُ مقدارُ ما يحفظ الإنسان[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٨٧/٥ والدر المنثور ١٨٧/٢ وابن كثير ٣٢٤/٢ .

(٢) هذا قول ابن زيد والسدي كما في جامع البيان ١٨٧/٥ وابن كثير ٣٢٤/٢ وهو قول سعيد بن جبير أيضاً .

(٣) قال القرطبي ٢٩٦/٥ : قال أبو عبيدة : المقيتُ : الحافظ ، وقال الكسائي : المقيت المقتدر ، وقول أبي عبيدة أولى ، وهو الذي رجحه النحاس ، وحكى ابن فارس في المجمل : المقيت : المقتدر ، والمقيت : الحافظ والشاهد .

(٤) البيت للزبير بن عبد المطلب ، وهو في اللسان مادة « قوت » وفي جامع البيان ١٨٨/٥ وفي القرطبي ٢٩٦/٥ وفي غريب القرآن ص ١٣٢ والجمهرة ٣٦/٢ قال الشيخ الفاضل محمد شاكر : لم أجده للزبير ، بل وجدته لأبي قيس بن رفاعة . اهـ. انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٨٩ ، وفي الدر المنثور للسيوطي ١٨٧/٢ أنه من شعر أُحيحة بن الأنصاري ، والله أعلم .

(٥) عبارة الزجاج في معاني القرآن ٩١/٢ : قال بعضهم : المقيت : القدير ، وقال بعضهم : المقيت : الحفيظ ، وهو عندي ــ والله أعلم ــ بالحفيظ أشبه ، لأنه من القوت مشتق ، فمعنى المقيت : الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة . اهـ.

وقـال الشـاعر :

أَلِـيَ الـفَضْلُ أَمْ علـيَّ إذا حُوْ
سِبْتُ إِنِّي عَلَى الحِسَابِ مُقِيتُ[1]

وفي الحديث : « كَفَى بالمرءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ من يُقِيتُ »[2] .

أي يَحْفَظُ .

ويُروى « يَقُوْتُ » .

١٤٨ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا ﴾** [آية ٨٦] .

قيل : هذا في السَّلام ، إذا قال : سَلَامٌ عليكَ رُدَّ عَلَيْهِ : وعَلَيْكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ . وإذا قال : السلام عليك [ورحمة الله][3]

(١) البيت للسموأل بن عاديا اليهودي ، كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٥/١ وهو في اللسان مادة « قوت » وفي معاني القرآن للزجاج ٩١/٢ وفي المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٥/٤ وفي جامع البيان للطبري ١٨٨/٥ قال ابن جرير : وأما المقيت في بيت اليهودي فإنَّ معناه : إني على الحساب موقوف ، وهو من غير هذا المعنى ، والصوابُ أن معنى المقيت : القديرُ . أهـ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ٦٩٢/٢ ولفظه « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » وذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/٥ بهذا اللفظ الذي في مسلم .

(٣) ما بين الحاصرتين من الهامش وليس في الأصل .

قيل : وعليك السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ(١) .

قال الشيخ أبو بكر : وجدتُ في غير نُسْخَتِي وإذا قال : سلامٌ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ رُدَّ عليه : وعليك .

يُروىٰ هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم(٢) .

وروي عن الحسن أنه قال : السلامُ سُنَّةٌ ، وَرَدُّهُ فَرِيضَةٌ(٣) .

---

(١) قال القرطبي ٢٩٧/٥ : التحية معناها السلام ، وأصل التحية الدعاء بالحياة ، ومعنى قوله تعالى ﴿ فحيوا بأحسن منها ﴾ ردُّ الأحسن ، وهو أن يزيد فيقول : عليك السلام ورحمة الله ، لمن قال : سلام عليكم ، فإن قال : سلام عليكم ورحمة الله ، زدت في ردِّك : وبركاته ، وهذا هو النهاية فلا مزيد ، فإن انتهى بالسلام غايته ، زدت في ردك الواو فقلت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم قال : وينبغي أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة ، وإن كان المسلَّم عليه واحداً ، فإن معه الملائكة . اهـ.

(٢) أشار المصنف إلى ما أخرجه أحمد في الزهد ، والطبراني ، وابن مردويه بسند حسن عن سلمان الفارسي قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم أتى آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، فقال له : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال له : وعليك ... فقال له الرجل : يا نبيَّ الله : بأبي أنت وأمي ، أتاك فلان وفلان ، فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت عليَّ !! فقال : إنك لم تدع لنا شيئاً قال الله ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فحيُّوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ فرددنا عليك » انظر الدر المنثور ١٨٨/٢ .

(٣) الطبري عن الحسن البصري ١٩١/٥ وهذا رأي الجمهور أن الابتداء بالسلام سنة ، وردّ السلام فريضة ، كما قال في البحر ٣١٠/٣ : « وفي الآية دليل على أن الرد واجب ، لأجل الأمر ، ولا يدلُّ على وجوب البداءة بل هي سنة مؤكدة ، هذا مذهب أكثر العلماء .. ثم قال : والجمهور على ألّا يبدأ أهل الكتاب بالسلام ، وشذَّ قوم فأباحوا ذلك » . اهـ. وقال القرطبي في جامع الأحكام ٢٩٨/٥ : « أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنَّة مرغَّب فيها ، ورده فريضة ، لقوله تعالى ﴿ فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها ﴾ ثم قال : والاختيار في التسليم ، والأدب فيه ، =

١٤٩ ــ ثم قال جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [آية ٨٦] .

قال مجاهد : أي حفيظاً(١) .

وَالْحَسِيْبُ عند [بعض](٢) أهل اللغة البصْرِيِّينَ : الكافي .

يُقال : أَحْسَبَهُ ، إذا كفاهُ ، ومنه : ﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ .

ومنه : حَسْبُكَ(٣) .

= تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق ، كما قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ وفي صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدم على صورته ــ يريد صورته الأصلية التي خلقه الله بها لاصورة الله عز وجل ــ طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلِّم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيُّونك !! فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، قال : فزادوه ورحمة الله ، فكل مَنْ يدخل الجنة على صورة آدم ، وطوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن » القرطبي ٥/٣٠٠ .

(١) الدر المنثور للسيوطي عن مجاهد ٢/١٨٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين من الهامش .

(٣) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١٣٥ قال : ﴿ حسيباً ﴾ أي كافياً مقتدراً يقال : أحسبني هذا أي كفاني ، وردَّ هذا القول الإمام الطبري ، كما رده النحاس ، فقد قال ابن جرير في جامع البيان ٥/١٩١ : ﴿ حسيباً ﴾ أي حفيظاً عليكم حتى يجازيكم بها جزاءه ، وأصله في هذا الموضع من الحساب ، الذي هو في معنى الإحصاء ، وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة ، أن معنى الحسيب في هذا الموضع : الكافي ، وهذا غلط من القول وخطأ ، وذلك أنه لا يُقال في أحسبت الشيء : أحسبت على الشيء ، فهو حسيب عليه ، وإنما يقال : هو حسبه وحسيبه ، والله تعالى يقول ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ وانظر أيضاً معاني القرآن ٢/٩٣ للزجاج .

وهذا عندي غَلَطٌ ، لأنـه لا يقـال في هذا أَحْسَبَ على الشيء فهو حَسِيْبٌ عليه ، إنما يقال بغير على .

والقولُ أنه من الـحِسَابِ[1] ، يقـال حَاسَبَ فلانـاً على كذا ، وهو مُحَاسِبُهُ عليه ، وَحَسِيْبُهُ أي صَاحِبُ حِسَابِهِ .

١٥٠ ـ **وقولُـه جل وعـز : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ، لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَـىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ .. ﴾** [آية ٨٧] .

قيل : إنما سُمِّيَتْ الْقِيَامَةُ لأن الناسَ يقومون لِرَبِّ العالمين[2] ، أي يومُ القِيَامِ ، ثم زِيْدتِ الْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ[3] .

وقيل : إنما ذلك لأن الناس يقومـون من قبورهـم ، كما قال جل وعز : ﴿ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الْأَجْدَاْثِ سِرَاْعَاً ﴾[4] والأجداثُ : الْقُبُوْرُ .

---

(١) هذا هو الصواب ومعنى الآية على هذا القول ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ أي يحاسب العباد على كل شيء من أعمالهم ، الصغيرة منها والكبيرة ، كقولـه تعـالى ﴿ ثم إن علينـا حسابهم ﴾ والله أعلم .

(٢) هذا قول لبعض المفسرين ويؤيده قوله تعالى في سورة المطففين ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أي يقومون في أرض المحشر ، ليقفوا بين يدي أحكم الحاكمين ، للحساب والجزاء .

(٣) قال أبو حيان في البحر ٣١٢/٣ : ودخلت الهاء للمبالغة ، لشدة ما يقع فيه من الهول ، وسميت بذلك إما لقيامهم من قبورهم ، أو لقيامهم للحساب قال تعالى ﴿ يوم يقومُ الناس لرب العالمين ﴾ .

(٤) سورة المعارج آية رقم (٤٣) .

١٥١ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ .. ﴾ [آية ٨٨] .

أي فرقتيْن مختلفتين .

قال زيد بن ثابت : تَخَلَّفَ قوم عن النبي ﷺ يومَ أُحُدٍ ، فصار أصحابُ رسولِ الله ﷺ فرقتين ، فقال بعضهُم : اقْتُلْهُمْ ، وقال بعضهُم : اعْفُ عنهم[١] ، فأنزل اللهُ عز وجل : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ .

قال مجاهد : هم قوم أسلمُوا ثم استأذنوا النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أن يخرجوا إلى مكة فيأخذوا بضائع لهم ، فصار أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين : قومٌ يقولون : هم منافقون ، وقومٌ يقولون : هم مؤمنون ، حتى نتبيَّنَ أمرهم أنهم منافقون ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوْا ﴾[٢] .

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٨٤/٥ ولفظه : عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد ، فرجع ناس خرجوا معه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين : فرقة تقول : نقتلهم ، وفرقة تقول : لا ، فأنزل الله ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين .. ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ : « إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبث ، كما تنفي النار خَبَثَ الفضة » . وأخرجه البخاري في تفسير سورة النساء ٥٩/٦ بنحو رواية أحمد ، ومسلم في كتاب المنافقين ١٢١/٨ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٩٣/٥ وقد رواه بأوسع وأوضح من رواية المصنف ، ولفظه كما في جامع البيان : وعن مجاهد في قوله تعالى ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾ قال : « هم قوم خرجوا من مكة حتى أتوا المدينة ، يزعمون أنهم مهاجرون ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، فاستأذنوا النبي ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم ، يتَّجرون فيها ، فاختلف فيهم المؤمنون ، فقائل يقول : هم منافقون ، وقائل يقول : هم مؤمنون ، فبيَّن الله نفاقهم ، فأمر بقتالهم .. » ورجح هذا القول ابن =

وَرُوِيَ عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ : (رَكَسَهُمْ)[1] ، بغير ألف ، يقال : أَرْكَسَهُمْ ، ورَكَسَهم : إذا رَدَّهُمْ .

والمعنى : رَدَّهُمْ إلى حكم الكفار[2] .

١٥٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ ؟ [آية ٨٨] .

أي إنهم قد ضلُّوا[3] .

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [آية ٨٨]

= جرير رحمه الله . وقال ابن عباس : هم قوم بمكة آمنوا وتركوا الهجرة ، فنزلت فيهم ، قال القرطبي ٣٠٧/٥ : والقول الأول أنها نزلت في عبد الله بن سلول وأصحابه ، خذلوا النبي ﷺ ورجعوا من أحد .. إلخ . أصحُّ نقلاً ، وهو اختيار البخاري ومسلم والترمذي ، وقول مجاهد وابن عباس يعضدهما آخر الآية وهو قوله تعالى ﴿ حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾ . اهـ.

(١) هذه القراءةُ ليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها في البحر ٣١٣/٣ والشوكاني في فتح القدير ٤٩٥/١ وعدَّها ابن جني في المحتسب ١٩٤/١ من القراءات الشاذة « رُكِّسُوا » بغير ألف مع التثقيل ونسبها إلى ابن مسعود .

(٢) قال الشوكاني ٤٩٥/١ : أي ردَّهم إلى الكفر ونكسهم ، فالرَّكسُ والنَّكس : قلب الشيء على رأسه ، أو ردُّ أوله إلى آخره ، والمنكوس : المركوس . اهـ. وفي البحر ٣١٣/٣ : « قال الراغب : الرَّكس والنَّكس : الرَّذل ، والرَّكسُ أبلغ من النَّكس ، لأن النكس ما جُعل أسفله أعلاه ، والرَّكس أصله ما رجع رجيعاً بعد أن كان طعاماً ، فهو كالرجس وصف أعمالهم به ، كما قال تعالى ﴿ إنما المشركون نَجَس ﴾ .

(٣) الاستفهام هنا إنكاري للتوبيخ ، والمراد لا تختلفوا في أمرهم ولا تظنوا فيهم الخير ، لأن الله قد حكم بضلالهم ، ومن أراد الله ضلاله فلن يقدر أحد على هدايته .

أي طريقاً مستقيماً(١) .

١٥٣ ــ **وقوله عَزَّ وَجَلَّ** : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيْثَاقٌ .. ﴾ [آية ٩٠] .

قال مجاهد : صاروا إلى « هلالِ بنِ عُوَيْمِرٍ » وكان بينه وبين النبي حِلفٌ(٢) .

وقال غيره : كان قومٌ يُوادِعُوْنَ النبيَّ ﷺ ولا يُقَاتِلُوْنَهُ ، فَأُمِرَ المسلمون أن لايُقاتلوا من صار إليهم ، وَاتَّصَلَ بهم ، وَوَادَعَ كما وَادَعُوْا(٣) :

وقال أبو عبيدة : معنى ﴿ يَصِلُونَ ﴾ يَنْتَسِبُوْنَ(٤) .

---

(١) قال القرطبي ٣٠٧/٥ : ﴿ فلن تجد له سبيلاً ﴾ أي طريقاً إلى الهدى والرشد وطلب الحجة ، وفي هذا رد على القدريَّة .

(٢) هذا قول عكرمة أيضاً كما في البحر المحيط ٣١٥/٣ : قال هم قوم « هلال بن عويمر الأسلمي » وادَع الرسول ــ أي صالحه ــ ألا يُعينه ولا يعين عليه ، ومن لجأ إليهم فله مثل ما لهلال . يريد أن حكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم ، فإن العهد يشملهم أيضاً .

(٣) هذا قول أكثر العلماء أن من وصل إلى أحد من المعاهدين ودخل معهم ، وكان بينكم وبينهم ميثاق بالجوار والحلف ، فلا يصح قتله لأن العهد يشمله ، قال ابن عطية ١٦٣/٤ : « كان رسول الله ﷺ قد هادن من العرب قبائل ــ كخزيمة بن عامر ، وسُراقة بن مالك ، ورهط هلال بن عويمر ــ فقضت هذه الآية بأن من وصل من المشركين ، الذين لا عهد بينهم وبين النبي ﷺ إلى هؤلاء أهل العهد ، فدخل في عدادهم ، فلا سبيل عليه » اهـ.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٦/١ وقد ردَّ عليه العلماء ، فخطَّأه الطبري في جامع البيان ١٩٨/٥ وابن عطية في المحرر ١٦٤/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٣١٥/٣ قال المحققون : والدليل على ضعف هذا القول أن النبي ﷺ قاتل قريشاً وفيهم أقرباؤه وأنسابه ، وكذلك المؤمنون قاتلوا أقاربهم وعشيرتهم .

وهذا خطأٌ لأن النبي ﷺ قَاتَلَ قُرَيْشاً وهم أَنْسِبَاءُ المهاجرين الأولين .

١٥٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُوْرُهُمْ .. ﴾** [آية ٩٠] .

أي أو يَصِلُوْنَ إلى قوم جاؤوكم حصرت صدورهم .

قال الكسائي : معنى (حَصِرَتْ) ضاقت[١] .

قال مجاهد : وهو « هِلاَلُ بنُ عُوَيْمِرٍ » الذي حَصِرَ أن يقاتل المسلمين أو يقاتل قومه فدَفَعَ عنهم[٢] .

قال أبو العباس محمد بن يزيد[٣] : المعنى على الدعاء ، أي أحصر الله صدورَهُمْ[٤] .

وقال أبو إسحق : يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، فالمعنى

---

(١) قال أهل اللغة : حصرت من الحصر وهو الضيق ، ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام ، ويقال : حصرٌ بالسرِّ أي كتوم للسرِّ قال جرير : « حَصِراً بسِرِّكِ يا أميمُ ضِنيناً » وانظر البحر ٣١٧/٣ .

(٢) انظر الطبري ١٩٨/٥ والبحر المحيط ٣١٥/٣ والقرطبي ٣٠٩/٥ .

(٣) هو الإمام المبرد من أكابر علماء اللغة المتوفى سنة ٢٨٦هـ وقد تقدمت ترجمته .

(٤) هذا قول مرجوح بل ضعيف ، لأن الآية خبر وليست بدعاء ، إذ لا يصح هنا الدعاء ، لأنه يقتضي الدعاء عليهم بأن لا يقاتلوا قومهم ، وذلك فاسد ، وخرَّجه ابن عطية في المحرر الوجيز ٦٥/٤ فقال : وقولُ المبرِّد يُخرَّج على أنَّ الدعاء عليهم بألاَّ يقاتلوا المسلمين تعجيزٌ لهم ، والدعاءُ عليهم بألاَّ يقاتلوا قومهم ، تَحقيرٌ لهم ، أي هم أقلُّ وأحقر من أن يقاتلوا قومهم . اهـ .
أقول : ويبقى فيه تكلُّف ، وانظر ردَّ الفارسي عليه في الصفحة التالية .

﴿ أَوْ جَاؤُوكُـمْ ﴾ ، ثم خَبَّـرَ بَعْـدُ فقـال : ﴿ حَصِرَتْ صُدُوْرُهُـمْ ﴾[1] ، كما قال جل وعز : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾[2] .

وقيل : المعنى : أو جاؤوكم قد حصرتْ صدورهم ، ثم حذف قد[3] .

وقد قرأ الحَسَنُ : ﴿ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ ﴾[4] .

وروي عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ أنه قرأ : ﴿ إِلَّا الَّذِيْـنَ يَصِلُوْنَ إِلَـىٰ قَوْمٍ [بيْنَكُمْ وبينهم ميثاق وحصرتْ صدورهم[5]] فالمعنى على هذه القراءة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَهُـمْ مِيثَاقٌ وحَصِرتْ صُدُورُهُمْ ﴾[6]

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٩٦/٢ ومراده أنها جملة خبرية مستقلة وليست حالاً .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٥٩) .

(٣) على هذا التقدير تكون الجملة حالية ، والمعنى : جاءوكم والحال أن صدورهم قد ضاقت عن قتالكم أو قتال قومهم ، وهذا القول أظهر وأصوب .

(٤) هذه من القراءات العشر كما في كتاب النشر لابن الجزري ٢٥١/٢ .

(٥) ما بين المعكوفين سقط من الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

(٦) هذه القراءة بزيادة الواو ﴿ وحصرت صدورهم ﴾ فتكون الجملة في محل نصب على الحال ، وهي ليست من القراءات السبع بل هي شاذة من حيث القراءة ، حسنة من حيث المعنى ، قال في البحر ٣١٧/٣ « وقرأ الجمهور ﴿ حصرت صدورهم ﴾ وقرأ الحسن ويعقوب ﴿ حصرةً صدورهم ﴾ وقُرِئ حَصِرات ، وحاصرات ، ثم قال : وهي جملة اسمية في موضع الحال ، فأما على قراءة الجمهور ، فالفعل في موضع الحال ، فمن شَرَط دخول « قد » على الماضي إذا وقع حالاً ، زعم أنها مقدَّرة ، ومن لم يرَ ذلك لم يحتج إلى تقديرها ، فقد جاء منه ما لا يُحصَى كثرة بغير « قد » ويؤيد كونه في موضع الحال قراءة من قرأ « حَصِرةً صُدُورُهُمْ» وردَّ الفارسي على المبرد =

أي قومٍ حَصِرَةٍ صدورُهم ، أي ضيِّقةٍ .

١٥٥ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ .. ﴾** [آية ٩٠] .

أي كَفُّوا عن قتالكم .

﴿ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ [آية ٩٠] .

أي الانقياد .

﴿ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [آية ٩٠] .

قال قتادة : هذه الآية مَنْسُوْخَةٌ ، نَسَخَهَا : ﴿ فَاقْتُلُوْا الْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ ﴾ في براءة[1] .

١٥٦ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ سَتَجِدُوْنَ آخَرِيْنَ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَأْمَنُوْكُمْ وَيَأْمَنُوْا قَوْمَهُمْ ، كُلَّمَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوْا فِيْهَا .. ﴾** [آية ٩١] .

قال مجاهد : هؤلاء قوم من أهل مكة ، كانوا يأتون النبي ﷺ فَيُسْلِمُوْنَ ، ثم يرجعون إلى الكفار فَيَرْتَكِسُوْنَ في الأوثان[2] .

= في أن الآية دعاء عليهم ، بأنَّا أُمرنا أن نقول : اللهم أوقع بين الكفار العداوة ، فيكون ﴿أو يقاتلوا قومهم ﴾ نفي ما اقتضاه دعاء المسلمين عليهم » . اهـ.

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥/٢٠٠ والشوكاني ٤٩٧/١ والدر المنثور ١٩٢/٢ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم في روايتهم عن قتادة في قوله عز وجل ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم .. ﴾ الآية قال : نسختها آية براءة ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ، كذا في الدر المنثور ١٩٢/٢ وانظر جامع البيان للطبري ٢٠١/٥ وتفسير ابن كثير ٣٢٨/٢ .

١٥٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ ، وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ، وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ، فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ .. ﴾ [آية ٩١] .

ومعنى ﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ و «وجدتموهم» واحدٌ[١] .

﴿ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ [آية ٩١] .

أي حجةً بَيِّنَةً[٢] بأنهم غَدَرَةٌ ، لا يُوفُونَ بِعَهْدٍ ولا هُدْنَةٍ .

١٥٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً .. ﴾ [آية ٩٢] .

فهذا استثناءٌ ليس من الأول[٣] .

قال أبو إسحق[٤] : المعنى ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿ فإمَّا تثقفنهم في الحرب فشرِّد بهم من خلفهم ﴾ قال ابن عطية ١٦٨/٤ : « ثقفتموهم » مأخوذ من الثقاف ، أي ظفرتم بهم مغلوبين ، متمكنين منهم . اهـ. يُقال : ثقفه إذا وجده وصادفه ، وثقف به : إذا ظفر به على جهة الغلبة وتمكُّن منه .

(٢) المراد حجة بينة على قتلهم وسحقهم بسبب الخيانة والغدر ، وليس المراد مجرد الحجة الواضحة عليهم ، قال الطبري ٢٠٢/٥ : المعنى جعلنا لكم حجة في قتلهم أينما لقيتموهم ، وقال في البحر ٣١٩/٣ : أي جعنا لكم على أخذهم وقتلهم حجة واضحة ، وذلك لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر .

(٣) يريد المصنف أنه استثناء منقطع كقوله تعالى ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة ﴾ .

(٤) هو الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ٩٧/٢ .

أَلبتَّةَ ، ثم قال : ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ [أي][1] لكنْ إنْ قَتَلَهُ خَطأً[2] .

ومَنْ قال : إن ﴿ إلا ﴾ بمعنى الواو فَقَوْلُهُ خَطأٌ مِنْ جهتين :

إحداهما : أنه لا يُعرفُ أن تكون (إلا) بمعنى حَرْفٍ عاطِفٍ[3] .

والجهة الأخرى : أن الخطأ لايحصرَ ، لأنه ليس بشيء يُقْصَدُ ، ولو كان يُقصَدُ لكان عمداً .

وذكر سيبويه أن (إلَّا) تأتي بمعنى (لكنْ) كثير ، وأنشد :

مَنْ كانَ أسرَعَ في تَفَـرُّقِ فَالِـجٍ
فَلَبُونُـهُ جَرِبتْ مَعَـاً وأُغَـدَّتِ

(١) غير موجودة في الأصل وأثبتناها من الهامش .

(٢) قال ابن عطية ١٦٩/٤ : جمهور المفسرين على أن معنى الآية : ما كان للمؤمن أن يقتل مؤمناً بوجه ، ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال ﴿ إلا خطأ ﴾ والتقدير : لكن الخطأ قد يقع ، وتكون « إلّا » بمعنى « لكن » وقال الزمخشري المعنى : ما صحَّ ولا استقام لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا على وجه الخطأ . اهـ.

(٣) قال في البحر ٣٢١/٣ : روى أبو عبيدة عن يونس أنه سأل « رؤبة بن العجاج » عن هذه الآية ، فقال : ليس له أن يقتله عمداً ولا خطأً ، ولكنه أقام « إلا » مقام الواو ، وهو كقول الشاعر :

وكُـلُّ أَخٍ مُفَارِقُـهُ أَخُـوهُ لَعَمْـرُ أَبِـيكَ إِلَّا الفَرْقَـدَانِ

يعني والفرقدان ، قال : والذي يظهر أن قوله تعالى ﴿ إِلَّا خطأً ﴾ استثناء منقطع وهو قول الجمهور .

إلاَّ كَنَا شِرَةَ الذَّي ضيَّعتُم
كالغُصْن في غُلَوَائِهِ المتَنَبِّتِ[1]

وكان سبب نزول هذه الآية فيما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أن « عيَّاش بن أبي ربيعة » أخا أبي جهل لأمه ، قتل رجلاً مؤمناً كان يُعذِّبه مع أبي جهل في اتباع النبي ﷺ ، فحَسِبَ أنه كافر كما هو فقتله[2] .

(١) البيتان استشهد بهما سيبويه في باب « الاستثناء المنقطع » كما هو في شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٧١/٢ ونسبهما سيبويه إلى « عِتر بن دجاجة » والشاهد فيه أنه استثنى « ناشرة » وقبله ذكر « فالج » و « فالج » رجلٌ معروف ، وناشرة رجل آخر ، فهو بمنزلة قولهم : ماجاءني زيد إلا عمراً ، وذكرهما في المخصص ٢٣١/١٥ وسر صناعة الإعراب ٣٠١/١ والأعلم ٣٦٨/١ وفي اللسان ١٧٣/٣ ، والمراد أنه دعا عليه بأن تَجْرَبَ إبله ويصيبها الطاعون ، لأنهم كانوا سبباً في تفرق فالج ، وضياع ناشرة .

(٢) ذكر المفسرون أن « عياش بن ربيعة » ـــ وهو أخ أبي جهل من أمه ـــ أسلم ، وهاجر من مكة إلى المدينة خوفاً من قومه ، فأقسمت أمه ألا تأكل ، ولا تشرب ، ولاتجلس تحت سقف حتى يرجع ولدها ، فخرج أبو جهل ومعه « الحارث بن يزيد » فأتياه ، فقال له أبو جهل : أليس محمد يأمرك بصلة الرحم ؟ انصرف وأحسن إلى أمك ، ولك علينا الله ألا نكرهك على شيء ، ولا نحول بينك وبين دينك ، فلما سمع بجَزَع أمه رجع معهما ، فلما دنوا من مكة قيَّدوا يديه ورجليه ، وجَلَده أبو جهل مائة جلدة ، وجلده الحارث مائة أخرى ، فقال للحارث : هذا أخي فمن أنت ؟ لله عليَّ نذر إن وجدتك خالياً أن أقتلك ، فلما دخل على أمه حلفت ألا يزول عنه القيد حتى يرجع إلى دينه الأول ، فتركوه في الشمس وهو مقيد حتى أعطاهم بعض الذي أرادوا ، فخلوا عنه ثم هاجر بعد ذلك ، وأسلم « الحارث بن يزيد » وعيَّاشٌ لا يعلم بإسلامه ، فلقيه بالمدينة جهة قباء فقتله ، فقال له الناس : أيَّ شيءٍ صنعت إنه قد أسلم ؟ فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ نادماً وقال يا رسول الله : قتلته ولم أعلم بإسلامه ، فأنزل الله تعالى ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاَّ خطأ .﴾ الآية وانظر أسباب النزول للواحدي ص ١٢٥ وتفسير ابن كثير ٣٢٩/٢ وجامع البيان ٢٠٤/٥ وكتابنا تفسير آيات الأحكام ٤٩٥/١ .

١٥٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا .. ﴾ [آية ٩٢] .

وإنما غُلِّظَ في قتل الخطأ لِيُتَحَرَّزَ من القتل .

والمعنى إلَّا أن يتصدقوا عليكم بالدِّيَة .

ورُوِيَ عن أُبيٍّ بن كعب أنه قرأ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَتَصَدَّقُوا ﴾[1] .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلميّ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَصَّدَّقُوا ﴾[2] .

والمعنى : إلا أن تتصدقوا ، ثم أدغم التاء في الصَّاد .

ويجوز على هذه القراءة : إلا أن تَصَدَّقُوا ، بحذف إحدى التاءَيْنِ .

١٦٠ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ .. ﴾ [آية ٩٢] .

معنى ﴿عَدُوٍّ﴾ كمعنى أعداءٍ[3] .

ورَوَىٰ عكرمة عن ابن عباس أن المعنى : وإن كان مؤمناً

---

(١)و(٢) انظر الطبري ٢٠٦/٥ وتفسير ابن عطية ١٧٢/٤ والبحر المحيط ٣٢٤/٣وليستا من القراءات السبع المتواترة .

(٣) يريد أن المقتول خطأ إذا كان من قوم كفار أعداء لكم ، ففيه تحرير رقبة من غير دية ، لأن أولياء المقتول كفرة ، فلا يعطون ما يتقوَّون به على المسلمين ، فلفظ « عدو » يراد به الأعداء .

وقومه كفار ، فلا تدفعوا إليهم الدية ، وعليكم عتق رقبة[1] .

فمعنى هذا إذا قُتِلَ مسلمٌ خَطَأً ، وليس له قومٌ مسلمون ، فلا دِيَةَ على قاتله ، كان[2] قتلهُ في دار المسلمين أو في دار الحرب .

ورَوَىٰ **عطــاءُ بنُ** السائب ، عن أبي عيــاضٍ :قـال : كان الرجلُ يَجِيْءُ يُسلِمُ ، ثم يأتي قومه ، وهـم مشركـون ، فيقيم معهـم ، فَيَفِـرُّوْنَ ، فَيُقْتَـلُ فيمـن يُقتَـل ، فنـزلت : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ . قال : وليس له دِيَةٌ »[3] .

فمعنى هذا أن يُقتل في دار الحرب خاصَّةً .

وقــال قومٌ : وإن قُتِــل في دار الإسلام فَحُكْمُــهُ حُكْــمُ المسلمين .

١٦١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، فَدِيَـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [آية ٩٢] .

---

(١) انظر الطبري ٥/٢٠٧ وابن الجوزي ٢/١٦٥ والبحر المحيط ٣/٣٢٤ .

(٢) أي سواء كان قتله في دار المسلمين ، أو وقع القتل في دار الحرب .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٥/٢٠٧ وفيه : أخبرنا عطاء بن السائب عن ابن عباس قال : كان الرجل يسلم ، ثم يأتي قومه فيقيم فيهم وهـم مشركـون ، فيمر بهم الجيش لرسول الله ﷺ فيقتل فيمن يقتل ، فيعتق قاتله رقبة ولا دية له » . وقال في البحر المحيـط ٣/٣٢٤ : « السبب في نزولها أن جيوش المسلمين كانت تمر بقبائل الكفـرة ، فربما قُتـل من آمن ولم يهاجـر ، أو من هاجـر ثم رجع إلى قومه ، فيُقتل في حملات الحرب على أنه من الكفار ، وسقطت الديـة لأن أولياء المقتـول كفرة ، فلا يُعطون ما يتقوون به ، ولأنَّ حرمته إذا آمن ولم يهاجر قليلة فلا دية له ، وقـال بعضهـم إن سقوط الدية لأن أوليـاءه كفـار ، سواء أكان القتـل خطأ بين أظهـر المسلـمين ، أو كان بين قومه » .

قال الزهري : الميثاقُ : العَهْدُ .

فالمعنى : إن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم عهدٌ ، فادفعوا إليهم الدِّيَةَ ، لِئَلَّا تُوغِرُوا صُدُوْرَهُمْ(١) .

١٦٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾** [آية ٩٢] .

أي فمن لم يجِدِ الدِّيَةَ وعِتْقَ رَقَبَةٍ فعليه هذا(٢) .

﴿ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ﴾ .

أي فَعَلَ هذا ليتوبوا توبةً .

١٦٣ ــ **وقولُه جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا .. ﴾** [آية ٩٣] .

رَوَى شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال : « أمرني

---

(١) الطبري عن الزهري ٢٠٨/٥ وابن الجوزي ١٦٥/٢ قال : وفي الآية قولان : أحدهما أنه الرجل من أهل الذمة يُقتل خطأ ، فيجب على قاتله الدية والكفارة ، وهذا قول ابن عباس والزهري ومذهب أبي حنيفة والشافعي ، والثاني أنه المؤمن يُقتل وقومه مشركون ولهم عهد فديته لقومه وميراثه للمسلمين وهو قول الشافعي .

(٢) اختلف الفقهاء هل هذا الصيام بدل من « الرقبة » وحدها إذا عدمها ، أو بدل من الرقبة والدية ؟ فقال الجمهور : هي بدل من الرقبة والمعنى : فمن لم يجد إعتاق الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ، وقال مسروق ومجاهد وابن سيرين : الصيام بدل الرقبة والدية ، وضعَّف ابن عطية هذا القول الأخير ، وانظر تفصيل المسألة في المحرر الوجيز ١٧٥/٤ وزاد المسير ١٦٥/٢ وتفسير القرطبي ٢١٥/٥ ورجح القرطبي القول الأول .

ابـن أَبْـزَىٰ أن [أسأل][1] ابـن عبـاس عن هذه الآية ﴿ وَمَـنْ يَقْتُـلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدَاً ﴾ فَسَأَلْتُهُ فقال : مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ »[2] .

ورُوي عن زيد بن ثابت : نزلت الشديـدة بعـد الهَيِّنَـةِ لستـةِ أَشْهُرٍ ﴿ وَمَنْ يَقْتُـلْ مُؤْمِنَـاً مُتَعَمِّـدَاً فَجَـزَاؤُهُ جَهَنَّـمُ ﴾ بعـد التـى في الفرقـان ﴿ وَالَّذِيْـنَ لَا يَدْعُـوْنَ مَعَ اللَّـهِ إِلٰهَـاً آخَرَ ﴾ إلى قوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾[3] .

---

(١) في المخطوطة : « أن أسل » وصوابه ما أثبتناه .

(٢) هذا الأثر عن ابن عباس ذكره الطبري في جامع البيـان ٢١٩/٥ وابـن كثير في تفسيره ٣٣٢/٢، والسيوطي في الدر المنثـور ١٩٦/٢ وأخرجـه البخـاري في التـفسير ٥٩/٦ ولفظـه عن سعيـد بن جبير قال : اختلـف فيها ــ أي في هذه الآية ــ أهـل الكوفـة ، فرحـلت فيها إلى ابـن عبــاس فسألته عنها ، فقال نزلت هذه الآية ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمـداً فجـزاؤه جهنـم ﴾ هي آخـر ما نزل وما نسخها شيء ، ورواه أيضاً مسلم والنسائي وأبو داود .

(٣) يقصد بالآية الشديدة آية النساء ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ وبالهيِّنـة آية الفرقان ﴿ ولا يقتلـون النـفس التـي حرم الله إلا بالحق ﴾ إلى قولـه ﴿ إلا من تاب ﴾ وهـذه المسألة وهي : هل لقاتل لمؤمن عمداً توبة ؟ رأيان فيها للعلماء :

الأول : ذهـب الجمهور إلى أنَّ توبة القاتل عمداً مقبولة .

الثاني : وذهب ابن عباس إلى أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له وهو مخلَّدٌ في النار .

استدل ابن عباس بما رواه البخاري ومسلم عنه أن هذه الآية ﴿ فجزاؤه جهنم خالـداً فيها ﴾ هي آخر ما نزل من القرآن ولم ينسخها شيء . وبما رواه النسائي عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس : هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ قال : لا ، فقرأت عليه الآية التي في سورة الفرقان ﴿ والذيـن لا يدعـون مع الله إلهاً آخـر ، ولا يقتلــون النــفس التـــي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون .. ﴾ الآية إلى قوله ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ الآية فقال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿ ومن يقتـل مؤمنـاً متعمـداً فجـزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليـه .. ﴾ الآية . وأخـرج ابـن جريـر بسنـده عن « سالم بن أبي الجعد » قال : كنا عند ابن عباس ــ بعدما كُفَّ بَصَرُه ــ فأتاه رجـل فنـاداه : يا عبـد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال : جزاؤه جهنـم خالـداً فيها ، وغضب الله عليـه =

وذهب قومٌ إلى أن هذا على المُجَـــازَاةِ[1] ، إن جَازَاهُ بذلك ، وأنَّ العَفْوَ مَرْجُوٌّ له مع التوبة .

= ولعنه ، وأعدَّ له عذاباً عظيماً ، قال : أفرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس : ثكلته أمه ، وأنَّى له التوبة والهُدَى !؟ فوالذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول : « ثكلته أمه رجل قتل رجلاً متعمداً ، يجيء يوم القيامة معلَّقاً رأسه بإحدى يديه ، إما بيمينه أو بشماله ، آخذاً صاحبه بيده الأخرى ، تشخُبُ أوداجه ، حيال عرش الرحمن ــ أي جهة عرش الرحمن ــ يقول : يا رب سلْ عبدك هذا علام قتلني ؟ فما جاء نبي بعد نبيكم ، ولا نزل كتاب بعد كتابكم » جامع البيان ٢١٨/٥ . واستدل الجمهور بأدلة عديدة نوجزها فيما يلي :

أولاً : إنَّ الكفر أعظمُ ذنباً من القتل ، والكافر إذا تاب قُبلت توبته ، فالقاتل إذا تاب من باب أولى .

ثانياً : الآية الكريمة عامَّةٌ في جميع الذنوب وهي قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فيدخل فيه الزنى والقتل .

ثالثاً : آية الفرقان ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق .. ﴾ ثم قال : ﴿ إلا من تاب﴾ وهي نصٌّ صريح في قبول توبة القاتل .

رابعاً : حديث الصحيحين « بايعوني على ألَّاتشركوا بالله شيئاً ، ولا تزنوا ، ولا تقتلـــوا النفس .. ثم قال : فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله ، فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذَّبه » فلم يقطع الحديث بخلوده في نار جهنم .

خامساً : حديث مسلم في الشخص الذي قتل مائة نفس ثم أراد التوبة فخرج تائباً يريد بلداً فيه أناس صالحون ، وتوفاه الله ثم أدخله الجنة . قال العلامة الشوكاني : « والحقُّ أن باب التوبة مفتوح ، لم يغلق دون كل عاص ، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدها تمحوه التوبة ، فكيف بما دونه من المعاصي » . اهـ .

(١) معناه أن هذا جزاؤه الذي يستحقه على القتل إذا جازاه الله عليه ، وقد تتداركه رحمة الله فيغفر الله له إذا تاب ويدخله الجنة . وانظر ما كتبه الحافظ ابن كثير في هذا الموضوع ٣٣٤/٢ فقد أبدع وأجاد رحمه الله تعالى .

وهذا لا يحتاج أنْ يقال فيه : إن جازاه ، ولكنَّ القول فيه عند العلماء ــ أهلِ النَّظرِ ــ أنه محكمٌ ، وأنه يجازيه إذا لم يَتُبْ ، فإن تاب فقد بَيَّنَ أمرَهُ ، لقوله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾ فهذا لايخرج عنه شيء .

١٦٤ ــ **وقولُه جل وعز** : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾ [آية ٩٤] .

وتُقْرأُ : ﴿ فَتَثَبَّتُوا ﴾[١] .

قال أبو عبيد : وإحداهما قريبةٌ من الأخرى[٢] .

وقال غيره : قد يُتَثَبَّتُ ولا يُتَبيَّنُ ، فالاختيارُ « فَتَبَيَّنُوا »[٣] .

ومعنى ﴿ ضَرَبْتُمْ ﴾ سَافَرْتُمْ .

١٦٥ ــ **ثم قال جل وعز**: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [آية ٩٤] .

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٦ وقرأ الباقون ﴿ فتبينوا ﴾ بالباء .

(٢) ذكره في البحر المحيط عن أبي عبيد ٣٢٨/٣ قال أبو حيان : وكلاهما تَفَعَّل بمعنى استفعل التي للطلب أي اطلبوا ثبات الأمر وبيانه ، ولا تقدموا من غير رَوِيَّة وإيضاح .

(٣) هذا ما ذهب إليه الراغب أن التبيّن لا يكون إلا بعد التثبت ، وقد يكون التثبت ولا تبيُّن ، وهذا أيضاً مذهب أبي علي الفارسي ، واستدل بقوله تعالى ﴿ وأشد تثبيتاً ﴾ أي أشد وقفاً لهم عمّا وُعِظوا ، ومنه قول الناس : تثبت في أمرك ، قال ابن عطيه ١٨٣/٤ : والصحيح ما قال ابو عبيد، لأن«التبيُّن الشيء» يقتضي محاولة اليقين ، لامجرد الظهور ، كما أنّ«تَثَبَّتَ» تقتضي محاولة اليقين ، فهما سواء . اهـ. وانظر أيضا البحر المحيط ٣٢٨/٣ .

وقرأ ابن عباس : ﴿ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾[1] .

فَمَنْ قَرَأَ : ﴿ السَّلَمَ ﴾[2] فَمَعْنَاهُ عِنْدَهُ الانقيادُ والاسْتِسْلامُ .

ومن قرأ : ﴿ السَّلَامَ ﴾ فَتَحْتَمِلُ قِرَاءَتُهُ مَعْنَيَيْنِ :

أحدهما : أن يكون بمعنى السَّلْم[3] .

والآخر : أن يكون من التسليم[4] .

وروى عطاء وعكرمة عن ابن عباس « أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ ، مَرُّوا براعٍ ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : إنما تَعَوَّذَ ، فقتلوه ، وَأَتَوْا بغَنَمِه إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[5] .

---

(١) و (٢) كلاهما من القراءات السبع المشهورة ، كما هو في النشر لابن الجوزي ٢٥١/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٣٦ فقراءة «السَّلَمَ» هي قراءة نافع وحمزة ، وقراءة «السَّلَامَ» هي قراءة الجمهور ابن كثير ، وعاصم ، والكسائي ، وأبي عمرو .

(٣) يريد الاستسلام أي ألقى بيده واستسلم لكم ، وأظهر قبول دعوتكم وهي الإسلام .

(٤) وهذا هو الأظهر أن المراد بالسلام التسليم على المسلمين ، بالتحية التي هي شعار الإسلام ، ﴿فسَلِّمُوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ وهي قوله : السلام عليكم ، لأن سلامه مؤذن بطاعته وانقياده ورغبته في الإسلام .

(٥) الحديث رواه أحمد في المسند ٢٢٩/١ والترمذي في التفسير « تفسير سورة النساء » ٣٨٨/٨ تحفة الأحوذي ، والحاكم في المستدرك ٢٣٥/٢ وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٣٦/٢ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٩/٢ وعزاه إلى البخاري والنسائي ، وعبد الرازق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد .

قال ابن عباس : يعني الْغَنِيمَةَ[1] .

وروي عن أبي جعفر أنه قرأ : ﴿ مُؤْمَنًا ﴾[2] بِفَتْحِ الميم الثانية ، من أَمَنْتُهُ إذا أَجَرْتَهُ ، فهو مُؤْمَنٌ .

١٦٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَذٰلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .. ﴾ [آية ٩٤] .

قال سعيد بن جبير : أي (كَذٰلِكَ كُنتُمْ) تُخْفُون إيمانكم (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) أي فَمَنَّ الله عليكم بالغَزْوِ ، وَإِظْهَارِ الدِّينِ[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٢٣/٥ ، وفتح القدير للشوكاني ٥٠١/١ قال : المعنى : لا تقولوا تلك المقالة طالبين الغنيمة ، وسمِّي متاع الدنيا عرضاً لأنه عارض زائل غير ثابت ، قال أبو عبيدة : جميع متاع الدنيا عَرَضٌ بفتح الراء .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢٥١/٢ وذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣٢٩/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٣٨/٥ وعلى هذه القراءة يكون المعنى : لست مُجَاراً من جهتنا .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن سعيد بن جبير ٢٢٦/٥ ورجحه ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٧٢/٢ وابن عطيه في المحرر الوجيز ١٨٤/٤ ، وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله تعالى ﴿ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم ﴾ أي كذلك كنتم كفاراً فهداكم الله للإسلام ، ومنَّ عليكم بالإيمان ، فتبينوا أن تقتلوا أحداً قبل التثبت ، وقيسوا حاله بحالكم» وهذا القول مروي عن ابن زيد ، وقتاده ، ومسروق ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٧٢/٢ .

واختار أبو عبيد « القاسِمُ بن سَلّام »[1] ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ .

وخالفه أهل النَّظَرِ فقالوا : (السَّلَمُ) ههنا أَشْبَهُ ، لأنه بمعنى الانقيادِ والتَّسَلُّمِ ، كما قال جل وعز : ﴿ فألقوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوْءٍ ﴾[2] .

١٦٧ ــ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آية ٩٥] .

قال ابن عباس : لا يستوي القاعدون عن بَدْرٍ ، والخارجون إليها[3] .

---

(١) حكاه القرطبي ٣٣٨/٥ عن أبي عبيد قال : « والسَّلَم : الانقياد والاستسلام أي لا تقولوا لمن ألقى بيده واستسلم لكم ، وأظهر دعوته ، لست مسلماً . » قال ابن عطيَّة : ويحتمل أن يُراد بالسلام الانحياز والترك ، قال الرازي : أي لا تقولوا لمن اعتزلكم ولم يقاتلكم : لست مؤمناً وأصله من السلامة لأن المعتزل عن الناس طالب للسلامة . اهـ .

(٢) سورة النحل آية رقم (٢٨) .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ٢٢٩/٥ والقرطبي ٣٤١/٥ والدر المنثور ٢٠٣/٢ وعزاه السيوطي إلى البخاري ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر صحيح البخاري ١٩٧/٨ وسبب نزول الآية ما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنت أكتب لرسول الله ﷺ ، فقال : اكتب ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ﴾ فجاء عبد الله بن مكتوم ، فقال يا رسول الله : إني أحب الجهاد في سبيل الله ، ولكن قد ذهب بصري !! قال زيد : فثقلت فَخِذُ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خشيت أن ترضَّها ، ثم سُرِّي عنه ثم قال : اكتب ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ﴾ اهـ . وانظر أيضاً ابن كثير ٢٤٠/٢ .

١٦٨ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ .. ﴾ [آية ٩٥] .

الضَّرَرُ : الزمانة[١] .

وتُقْرَأُ (غَيْرُ) رفعاً ونصباً[٢] .

قال أبو إسحاق : ويجوز الخفضُ .

فمن رَفَعَ فالمعنى (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) .

أي لا يستوي القاعدون الذين هم غيرُ أُولي الضرر[٣] .

والمعنى : لا يستوي القاعدون الأصحَّاءُ .

ومن قرأ (غَيْرَ) نصباً فهو يحتمل معنيين :

أحدهما : الاستثناء ، ويكون المعنى : إلاَّ أُولِي الضرر ، فإنهم

---

(١) يعني المرض المزمن الذي لا يُرجى برؤه كالعمى ، والعرج ، والمرض الذي يقعد الإنسان عن الخروج ، قال العلماء : أهل الزمانة هم أهل الأعذار الذين أضرَّتْ بهم حتى منعتهم الجهاد .

(٢) كلاهما من القراءات السبع المتواترة قال ابن مجاهد في السبعة ٢٣٧/٥ قرأ نافع والكسائي وابن عامر ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ نصباً وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ،وحمزة (غَيْرُ) برفع الراء . اهـ.

(٣) هذا قول الأخفش كما ذكره في معانيه ٤٥٣/١ وذكره القرطبي ٣٤٣/٥ « قال الأخفش : هو نعتٌ للقاعدين ، لأنه لم يُقْصَد بهم قوم بأعيانهم ، فصاروا كالنكرة فجاز وصفهم بـ « غير » والمعنى : لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر ، وقال الزجاج في معانيه ١٠٠/٢ : غير صفة للنكرة أي لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين ، ويجوز أن يكون « غير » رفعاً على جهة الاستثناء والمعنى : لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولو الضرر . اهـ.

يستوون مع المجاهدين[1] .

والمعنى الآخر : أن يكـــون (غير) في موضع الحال ، أي لا يستوي القاعدون أصحاءَ[2] .

والمعنى على النصب ، لأنه روى زيد بن ثابت والبراء بن عازب أنه لمَّا نزل على النبي ﷺ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قام ابنُ أُمِّ مكتومٍ فقال : يارسول الله أنا ضرير ، فنزلت ﴿ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ فألحقَتْ بها ، هذا معنى الحديث[3] .

ومن قرأ بالخفضِ ، فالمعنى عنده : من المؤمنين الذين هم غيرُ أُولي الضرر ، أي من المؤمنين الأصحَّاءِ .

١٦٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ .. ﴾ [آية ٩٥] .

المجاهدين ، وأُولي الضرر ، وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ .

---

(١) و(٢) راجع معاني القرآن للأخفش ٤٥٣/١ ومعاني القرآن للفراء ٢٨٣/١ ومعاني الزجاج ١٠١/٢ وتفسير ابن عطيه ١٨٦/٤ وتفسير القرطبي ٣٤٣/٥ وكل هذه الوجوه ذكرها أبو حيان أيضاً في البحر المحيط ٣٣١/٣ وفصَّلها ووضحها ، فارجع إليها هناك والله يرعاك .

(٣) الحديث ذكره المصنف بالمعنى ، وقد أخرجه البخاري والترمذي ، والبيهقي في سننه عن البراء بن عازب ، ولفظه كما في الدر المنثور ٢٠٢/٢ : « لما نزلت ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ قال النبي ﷺ : ادع فلاناً ــ وفي رواية ادع زيداً ــ فجاء ومعه الدواة واللوح والكتف ، فقال : اكتب ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدونَ في سبيل الله ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول الله إني ضرير ، فنزلت مكانها ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ﴾ وانظر صحيح البخاري ٦٠/٦ وتحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٣٨٧/٨ .

قال أهل التفسير : يعني بِالْحُسْنَىٰ الْجَنَّة[١] .

١٧٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ القَاعِدِينَ ﴾ الذين ليس لهم ضرر ﴿ أَجْراً عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِنْهُ ﴾ [آية ٩٥] .

ورُوي عن ابن مَحَيْرِيز[٢] أنه قال : « تلك سبعون درجة ، ما بين الدرجتين حُضْر الفرس ،الجوادِ المُضَمَّرِ سبعينَ سَنَة »[٣] .

١٧١ ـ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ [آية ٩٧] .

وقرأ عيسى وهو ابن عُمَرَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ﴾[٤] .

هذا على تذكير الجمْع .

---

(١) هذا قول جمهور المفسرين أن المراد بالحسنى هنا : الجنة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ فقد فسر ﷺ الحسنى بالجنة ، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، ولا عطر بعد عروس .

(٢) ابن مُحَيْرِيز هو عبدالله بن مُحَيريز بن جُنادة ، قال العجليُّ : تابعيٌّ ثقةٌ من خيار المسلمين ، مات سنة ٩٩ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٦ /٣٢

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن محيريز كما في الدر المنثور للسيوطي ٢/٢٠٥ وفي زاد المسير لابن الجوزي ١٧٥/٢ ومعنى حُضْر الفرس : شدة عدوه ، يقال : أحضر الفرس إحضاراً إذا عدا عدواً شديداً ، والفرس المضمَّر : الذي أعد للسباق والركض ، وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة ، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .. » الحديث . وانظر تفسير ابن كثير ٣٤٢/٢ .

(٤) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وتأنيث الملائكة مجازيٌّ ، فلذلك وردت القراءة بالتاء والياء « يتوفاهم » و « تتوفاهم » .

ومن قرأ ﴿ تَوَفَّاهُم ﴾ فهوَ يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون فعْلاً ماضياً ، ويكون على تذكير الجمْعِ أيضاً .

والآخر : أن يكون مستقبلاً ، ويكون على تأنيث الجماعة .

والمعنى : تتوفاهم ، ثم حذف إحدى التَّاءَيْنِ[1] .

قال عكرمةُ والضَحَّاكُ : هؤلاء قوم أظهروا الإسلام ، ثم لم يهاجروا إلى بدر مع المشركين فقُتلوا ، فأنزل الله جل وعز فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ[2] [قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ ﴾ أَكُنْتُمْ في أصحاب النبي ﷺ ، أم كنتم مشركين ؟ هذا سؤال توبيخ][3] .

١٧٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ .. ﴾** [آية ٩٨] ..

---

(١) قال القرطبي ٣٤٥/٥ ﴿ توفَّاهم ﴾ يحتمل أن يكون فعلاً ماضياً لم يستند بعلامة تأنيث ، إذ تأنيث لفظ « الملائكة » غير حقيقي ، ويحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً ــ أي مضارعاً ــ على معنى تتوفاهم ، فحذفت إحدى التاءين . اهـ. وكذلك في تفسير ابن عطيه ١٩٢/٤ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٣٤/٥ والدر المنثور ٢٠٥/٢ والبحر المحيط ٣٣٤/٣ وقد وردت روايات متعددة عن السلف ، في شأن هؤلاء المتخلفين عن الهجرة ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٩٣/٤ : ومعنى ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ أي ظالميها بترك الهجرة ، وقولُ الملائكة ﴿ فيم كنتم ﴾ ؟ تقريع وتوبيخ ، وهذه المقالة إنما هي بعد توفي الملائكة لأرواح هؤلاء ، وهي دالة على أنهم ماتوا مسلمين ، وإلا لم يُقَلْ لهم شيء من هذا . اهـ .

(٣) ما بين المعكوفين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

قال مجاهد : هؤلاء قوم أسلموا وثبتوا على الإسلام ، ولم تكن لهم حِيلَةٌ في الهجرة ، فعذرهم الله فقال : ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾[1] .

وعَسَىٰ تَرَجٍّ ، وإذا أَمَرَ اللهُ جلَّ وعز أن يُتَرَجَّىٰ شَيْءٌ فهو واجبٌ ، كذلك الظنُّ به[2] .

١٧٣ ــ وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً .. ﴾ [آية ١٠٠] .

المُرَاغَمُ عند أهلِ اللغةِ والمُهَاجَرُ وَاحِدٌ ، يُقَالُ : رَاغَمْتُ فُلَانَاً إذا هَجَرْتَهُ وعادَيْتَهُ ، كأنك لاتُبَالِيهِ ، وإنْ لَصِقَ أنفُه بالرَّغَامِ ، وهو الترابُ[3] .

---

(١) انظر الطبري ٢٣٧/٥ وزاد المسير ١٧٨/٢ والدر المنثور ٢٠٦/٢ والآية استثناء استثنى الله عز وجل الضعفة والعاجزين عن الهجرة لصغر ، أو مرض ، أو شيخوخة ، من حكم الظلمة المعذبين ، وقد كان يدعو لهم النبي ﷺ في صلاته « اللهم نجِّ عياش بن ربيعة ، اللهم نجِّ سلمة بن هشام ، اللهم نجِّ الوليد بن الوليد ، اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ــ يعني قريشاً ــ اللهم اجعلها سنين كسني يوسف » أخرجه البخاري ٦١/٦ وروى البخاري عن ابن عباس قال : « كنت أنا وأمي من المستضعفين ، أنا من الولدان ، وأمي من النساء » .

(٢) أصل « عسى » في لغة العرب للترجي ، ولكنها إذا جاءت في كلام الله أفادت التحقيق والتأكيد ، لأن الكريم إذا أطمع في شيء أنفذه وأعطاه ، ولهذا قال الحسن البصري « عسى » من الله واجبة ، ومراده أنه وعد من الله قطعه على نفسه ، والله لا يخلف وعده ، قال الزجاج في معاني القرآن ١٠٣/٢ . و « عسى » ترجٍّ ، وما أَمَرَ الله به أن يرجَّى من رحمته فبمنزلة الواقع ، كذلك الظن بأرحم الراحمين .

(٣) قال الزجاج في معانيه ١٠٤/٢ : معنى مُرَاغَم : مُهَاجَر ، المعنى يجد في الأرض مهاجراً ، لأن =

وقيل : إنما سمي مهاجراً ومراغماً لأن الرَّجُلَ كان إذا أَسْلَمَ ، عَادَىٰ قَوْمَهُ وهَجَرَهُمْ ، فَسُمِّيَ خُرُوجُهُ مُرَاغَمَاً ، وسُمِّي مَصِيرُهُ إلى النبي ﷺ هِجْرةً[1] .

وروَىٰ معاويةُ بن صالح عن علي بن أبي طلحة[2] ، عن ابن عباس ﴿ مُرَاغَمًا ﴾ يقول : مُتَحَوَّلاً من أرض إلى أرض . قال : ﴿ وَسَعَةً ﴾ يقول : في الرزق[3] .

وقال قتادة : من الضلالة إلى الهدى ، أي سَعَةً مِنْ تضييق ما كان فيه ، من أنه لايقدر على إظهار دِينِهِ[4] .

= المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة ، والرغام التراب ، وما يسيل من الأنف ، ويضرب مثلاً لكل ذليل فيقال : على رغم أنفه . والمراد من الآية أن من هاجر من وطنه فراراً بدينه من كيد الأعداء ، يجد له في أرض الله مكاناً متسعاً ، يتجول فيه ويقيم ، فيراغم به أنف عدوه ، ويجد له سعة في الرزق ، فأرض الله واسعة ، ورزقه سابغ على عباده قال تعالى ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ .

(١) هذا نص كلام ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ص ١٣٤ .

(٢) في المخطوطة « علي بن أبي طالب » وهذا خطأ وصوابه « علي بن أبي طلحة » كما نبه عليه في هامش المخطوطة .

(٣) انظر الأثر في ابن كثير ٣٤٤/٢ والطبري ٢٤١/٥ والبحرالمحيط ٣٣٦/٣ وزاد المسير ١٧٩/٢ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٤٢/٥ والبحر ٣٣٦/٣ وابن عطية ١٩٥/٤ والقرطبي ٣٤٨/٥ قال القرطبي في تفسيره : قال مالك : السَّعَة سعة البلاد ، قال : وهذا أشبه بفصاحة العرب ، فإن بسعة الأرض ، وكثرة المعاقل ، تكون السعة في الرزق ، واتساع الصدر لفكره وهمومه ، وغير ذلك من وجوه الفرج ورجح الإمام الطبري العموم فقال : ٢٤٢/٥ : وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : يدخل في السعة ، السعة في الرزق ، والغنى من الفقر ، والسعة من ضيق الهم ، والكرب الذي كان فيه أهل الإيمان ، فكل معاني السعة داخل في ذلك » .اهـ. باختصار ، وهذا ما رجحه المصنف .

واللفظَةُ تحتملُ المعنيين ، لأنه لا خصوص فيها .

١٧٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

قال سعيد بن جبير : نزلت في رجل يقال له « ضَمْرَةُ »(١) من خُزَاعَةَ ، كان مصاباً ببصره ، فقال : أخرجوني ، فلما صاروا به إلى التنعيم مَاتَ فنزلت هذه الآية فيه(٢) .

١٧٥ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ .. ﴾ [آية ١٠١] .

---

(١) « ضَمْرَة » بالضاد المفتوحة وسكون الميم وفتح الراء ، من قبيلة بني ضمرة بن بكر ،ومنهم «ضَمْرَةُ بنُ حَبيب» وانظر المغني في ضبط أسماء الرجال ص ١٥٦ .

(٢) الأثر في زاد المسير ١٨٠/٢عن سعيد بن جبير ، والقرطبي ٣٤٩/٥ وذكر أنه اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً ، فقيل هو ضمرة بن العِيصِ ، وقيل : ضمرة بن زِنْبَاع ، ويقال جندع بن ضمرة .. إلخ . وذكره الطبري في جامع البيان ٢٤٠/٥ وخلاصة قصته كما حكاها المفسرون أن ضمرة بن العيص وهو من المستضعفين بمكة ، كان شيخاً كبيراً وضيئاً ، ضعيف البنية ، أعشى البصر ، وكان مريضاً ، فلما نزل قوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .. ﴾ الآية . قال لأولاده : إني لذو حيلة ، لي مالٌ ، ولي رقيق ، فاحملوني إلى المدينة ، فقالوا : قد أعذر الله إليك ، فقال : والله ما أنا ببائت اليوم في مكة ، فحملوه على سرير ثم خرجوا به ، فأدركه الموت عند التنعيم فسَخِر منه قومه واستهزءوا فقالوا : لا هو بلغ المدينة ولا هو أقام في أهله يقومون عليه ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ أي ثبت له ثواب الهجرة ، وانظر جامع البيان للطبري ٢٤٠/٥ .

قال يعلىٰ بنُ أُمَيَّةَ : سألتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلتُ : إنما كان هذا وَقْتَ الخوف ، وقد زال اليوم !! فقال : عَجِبْتُ مما عَجِبْتَ منه ، فسألتُ رسول الله ﷺ فقال : « صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ »[1] .

ومعنى ﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ سافرتم ، كما قال : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾[2] .

وفي معنى قوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه إباحَةٌ ، لَا حَتْمٌ[3]، كما قال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾[4] .

والقول الآخر : أن هذا فرض المسافر ، كما رَوَتْ عَائِشَةُ

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/١ ومسلم في صحيحه ١٤٣/٢ وأبوداود ١٤٣/٢ والنسائي ١٣٦/٣ .

(٢) سورة المزمل آية رقم (٢٠) .

(٣) هذا رأي بعض الفقهاء أن القصر على الترخيص ، فيباح للمسافر أن يصلي الرباعية ركعتين ، ويباح له أن يصليها كاملة وهو مذهب الشافعي وأحمد عملاً بظاهر الآية﴿فليس عليكم جُنَاحٌ أن تقصروا من الصلاة ﴾ ، إن شاء قصر ، وإن شاء أتم ، وذهب أبو حنيفة إلى أن القصر واجب ، وأن الركعتين هما تمام صلاة المسافر ، واستدل بما رواه مسلم وأحمد والنسائي عن ابن عباس أنه قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ، في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، وانظر أدلة الفقهاء وتفصيل المسألة في كتابنا « روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن » ٥١٥/١ .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٣٠) .

« فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكعَتَيْنِ ، فَأُقِرَّتْ [فِي السَّفَرِ ، وَزِيدَ فِي][1] صَلَاةِ الْحَضَرِ »[2] . ويكونُ مثلَ قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[3] ، والطوافُ حَتْمٌ .

ورُوِيَ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ أنه قرأ : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] وليس فيه ﴿ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ .

فالمعنى على قِرَاءَتِهِ : كَرَاهَةَ أن يفتنكم الذين كفروا ، ثم حَذَفَ ، مِثْلَ (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[5] .

يُقَالُ : قَصَرَ الصلاة ، وقَصَّرَهَا ، وأَقْصَرَها .

---

(1) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ١ /٩٩ ومسلم في السفر ١٤٢/٢ وأبو داود ٣/٢ ومالك في الموطأ ١٤٦/١ وابن ماجه ٣٣٩/١ والترمذي ٩٢/٤ وقال حديث حسن صحيح ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٧/٢ .

(3) سورة البقرة آية رقم (١٥٨) وتمامها ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾ والشاهد في الآية أن الطواف فريضة وقد ورد في الآية بلفظ « فلاجناح عليه أن يطَّوف بهما » فتكون شاهداً لمن قال بوجوب قصر الصلاة .

(4) نقله في البحر ٣٣٩/٣ من قراءة أبي وعبد الله ، قال : وهو مفعول من أجله من حيث المعنى أي مخافة أن يفتنكم .. إلخ .

أقول : هذه القراءة ليست من القراءات المتواترة بل هي شاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ ولا يعتد بما خالف المصحف الإمام .

(5) فيه حذف بالمجاز ، والأصل اسأل أهل القرية ، حذف منها لفظة « أهل » فهو مجاز مرسل .

١٧٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾

[آية ١٠١] .

عَدُوٌّ ههنا بمعنى أَعْدَاءٍ[1] .

١٧٧ ـ وقولُه عز وجل : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ .. ﴾

[آية ١٠٢] .

رَوَىٰ سفيان عن منصور عن مجاهد عن أبي عَيَّاشٍ الزُّرَقِي[2] قال : « صلى رسول الله ﷺ بعسفان ، والمشركون بينه وبين القتال ، فيهم أو عليهم خالد بن الوليد ، فقال المشركون : لقد كانوا في صلاةٍ ، لو أصبنا منهم لكانت الغنيمة ، فقال المشركون : إنها ستجيءُ صلاةٌ هي أَحَبُّ إليهم من آبائهم ، وأبنائهم ، قال : ونزل جبريل بالآياتِ فيما بين الظهرِ والعصرِ »[3] وذكر الحديث .

وسنذكر حديث «صالح بن خَوَّاتٍ»[4] الذي يذهب أهل المدينة

---

(١) « عدوٌّ » هذا وصف يوصف به المفرد والجمع كقوله تعالى ﴿ هم العدوُّ فاحذرهم ﴾ أي هم الأعداء ، ومعنى ﴿مُبِينًا﴾ أي مظهراً للعداوة بحيث إن عداوته ليست مستورة ولا هو يخفيها .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٣٥٤/٢ : « أبو عياش الزرقي » واسمه زيد بن الصامت . اهـ. وفي أسد الغابة لابن الأثير ٢٩١/٢ : زيد بن الصامت الأنصاري أبو عياش الزرقي ، روى عنه أنس بن مالك من الصحابة وهو مديني له صحبة ، وانظر الجرح والتعديل للرازي ٥٦٥/٣ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥٩/٤ وأبو داود في باب صلاة الخوف ١١/٢ والنسائي في السنن ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤٦/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢١١/٢ .

(٤) صالح بن خَوَّات بتشديد الواو وفتح الخاء هو ابن جُبير بن النعمان الأنصاري المدني ، قال النسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قليل الحديث ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٨٧/٤ .

إليه ، وكرهنا الإطالة في ذلك[1] .

وحديث صالح فيه قضاء كل طائفة صلاتها ، قبل انصرافها من القبلة ، وليس كذا غيره .

والمعنى : وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَثَمَّ خَوْفٌ[2] .

١٧٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

والمعنى : وَلْيَأْخُذِ الْبَاقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ[3] .

١٧٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾ [آية ١٠٢] .

---

(١) حديث صالح بن خوَّات ذكره الطبري في جامع البيان ٢٥٢/٥ ولفظه : عن صالح بن خوات ، عن سهل بن أبي حَثْمة قال : « صلَّى النبي ﷺ بأصحابه في خوف ، فجعلهم خلفه صفَّين ، فصلَّى بالذين يلونه ركعة ، ثم جلس حتى صلَّى الذين تخلفوا ركعة ، ثم سلَّم » وذكره في الدر المنثور ٢١١/٢ وله روايات متعددة أخرجها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .

(٢) يريد المصنف أن هذه الصلاة خاصة إنما تُصلَّى بهذه الصفة ، إذا كان هناك خوف من الأعداء ، ولهذا تسمى « صلاةالخوف » .

(٣) دلَّ على هذا المذكور قوله تعالى بعده ﴿ وليأخذوا حِذْرهم وأسلحتهم ﴾ ومعنى الآية الكامل باختصار : وإذا كنت معهم يا محمد ، وهم يصلُّون صلاة الخوف في الحرب ،فلتأتمَّ بك طائفة منهم ، وهم مدجَّجون بأسلحتهم احتياطاً ، خوفاً من غدر الأعداء ، ولتقم الطائفة الأخرى في وجه العدو وهم مسلَّحون أيضاً ، فإذا فرغت الطائفة الأولى من الصلاة ، فلتأت الطائفة التي لم تُصلِّ إلى مكانها لتصلي خلفك ، وليكونوا حذرين من عدوهم ، متأهبين لقتالهم بحمل السلاح ، وقد تمنى أعداؤكم أن تنشغلوا في صلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيأخذوكم على حين غرة ويشدُّوا عليكم شدة واحدة .. إلخ .

وأهل المدينة يذهبون في صلاة الخوف إلى حديث يحيى بن سعيدالأنصاري ،عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خَوَّاتٍ الأنصاري أن سهل بن أبي حثمة حدَّثه أن صلاة الخوف أن يقوم الإمامُ مستقبلَ القبلةِ ، ومعه طائفة من أصحابه ، وطائفةٌ مواجهةُ العدوِّ ، فَيَرْكَعُ الإمامُ رَكْعَةً ويسجد بالذين معه ، ثم يقوم ، فإذا استوى قائماً ثَبَتَ[وَأَتَمُّوا][1] لأنفسهم الركعةَ الثانية ، ثم سَلَّمُوا وانصرفوا والإمامُ قائمٌ ، فيكونون وِجَاهَ العَدُوِّ ، ثم يُقْبِلُ الآخرون الذين لم يُصَلُّوا فَيُكَبِّرُونَ مع الإمام ، فيركع بهم ركعةً ، وَيَسْجُدُ ثم يُسَلِّمُ ، فيقومون فيركعون لأنفسهم الركعة الباقية ثم يُسَلِّمُونَ[2] .

١٨٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ .. ﴾**[3] [آية ١٠٢] .

يجوز أن يكون هذا للجميع[4] ، لأنه وإن كان الذين في

---

(١) مابين المعكوفين سقط من الأصل وهو مثبت من الهامش .

(٢) هذه الكيفية في صلاة الخوف ، رواها أصحاب السنن بنحو ما جاء هنا ، وانظر الطبري ٢٥٣/٥ وابن كثير ٣٥٥/٢ وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٣٤١/٣ إحدى عشرة كيفية لصلاة الخوف .

(٣) سقط من الأصل لفظ « حِذْرهم و » فصارت «وليأخذوا أسلحتهم» وصوابها كما هو النص القرآني الكريم ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ .

(٤) قال ابن عباس : المراد الطائفة التي تواجه العدو ، لأن المصَلِّية لا تُحارب . قال القرطبي ٣٧٠/٥ ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ : هذه وصاة بالحذر ، وأخذ السلاح ، لئلا ينال العدو أمله ، ويدرك فرصته . اهـ.

الصلاة لا يُحارِبُون ، فإنهم إذا كان[1] معهـــم السلاحُ ، كان ذلك أَهْيَبَ للعَدُوِّ .

ويجوز أن يكون الذيـن أُمِـرُوا بأَخْذِ السلاحِ الذيـن لَيْسُوا فِي الصلاةِ ، لأن الْمُصَلِّي لا يُحَارِبُ[2] .

١٨١ ــ **وقولُه عز وجـل : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُـمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُـرُوا اللَّـهَ قِيَامًـا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ .. ﴾** [آية ١٠٣] .

أي فاذكروه بالشكر ، والتسبيح ، وما يُقرِّبُ منه[3] .

١٨٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ .. ﴾** [آية ١٠٣] .

قال مجاهد : فإذا صِرْتُمْ في الأهلِ والدورِ[4] .

والمعروف في اللغة أنه يقال : اطمـأنَّ : إذا سَكَـنَ ، فيكـون

---

(١) ورد في المخطوطة « إذا كانت معهم السلاح » والأَوْلَى : إذا كان معهم السلاح لأنه مذكَّرٌ .

(٢) الظاهر ــ والله أعلم ــ أن الأمر بأخذ الحذر والسلاح للطائفتين ، الطائفة التـي تصلي والطائفة المنتظرة ، لأن الجميع إذا كانوا يحملون السلاح ، وهم على أهبة القتال ، خافهم العدو وهابوهم .

(٣) قال في البحر ٣٤١/٣ : الصلاة هنـا ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ صلاة الخوف ، وإلى هذا ذهب الجمهور ، وفسره به ابن عباس ، والذكر المأمور به هنا هو الذكر باللسان إثـر صلاة الخوف ، كما أُمـروا به عنـد قضاء المنـاسك ﴿ فإذا قضيتم مناسككـم فاذكـروا الله ﴾ فأُمـروا بذكـــر الله من التكبير ، والتَّهليل ، والتسبيح ، والدعاء بالنصر ، فإن ما هم فيه من ارتقاب هجوم العـدو حقيـق بالذكر والالتجاء إلى الله .

(٤) الأثر ذكره الـطبري عن مجاهـد ٢٦٠/٥ واختـار ابـن جريـر قول الـسدي ، وابـن زيـد ، أن المراد بالآية ﴿ فإذا اطمأننتم ﴾ أي فإذا زال خوفكم من عدوكم ، وأمنتم واطمـأنت نفوسكـم بالأمـن ، فأتمُّوا الصلاة بحدودها المفروضة عليكم ، مع الخشوع والخضوع ، وهذا أظهُر والله أعلم .

المعنى : فإذا سَكَنَ عنكم الخوف ، وصرتم إلى منازلكم ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

قال مجاهد : أي فأتموها[1] .

١٨٣ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾** [آية ١٠٣] .

ورَوىٰ ليثٌ عن مجاهدٍ أن الموقوتَ المفروض[2] .

وروى ابنُ أبي نُجيح عن مجاهد قال : (مَوْقُوتًا) واجباً[3] .

وقال زيد بن أسلم : (موقوتاً) مُنَجَّمَاً ، أي تؤدونها في أنجمها[4] .

والمعنى عند أهل اللغة : مفروض لوقْتٍ بِعَيْنِهِ . يقال : [وَقَتَهُ فهو مَوْقُوتٌ][5] وَوَقَّتَهُ فهو مُوَقَّتٌ . وهذا قول زيد بن أسلم بِعَيْنِه .

---

(١) الطبري ٥/٢٦٠ وابن الجوزي ٢/١٨٨ قال : وفي إقامة الصلاة قولان :
أحدهما : إتمامها ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن قتيبة ، والزجاج .
والثاني : أنه إقامة ركوعها وسجودها وما يجب فيها ، ممَّا قد يُترك في حالة الخوف ، وهو قول السدي ، واختاره الطبري .

(٢) و(٣) و (٤) كل هذه الأقوال عن السلف ذكرها الطبري ٥/٢٦١ وابن الجوزي ٢/١٨٨ وابن كثير ٢/٣٢٧ والراجح ما ذهب إليه المصنف وهو أن لفظ « موقوت » مأخوذ من الوقت ، فالمعنى : إن الصلاة كان فرضاً من الله عز وجل محدوداً بأوقات معلومة ، لا يجوز التقديم عليه ولا التأخير ، إلا في السفر ، والمرض ، والحرب ، وهو قول ابن عباس ، وابن مسعود ، والسدي ، وابن زيد ، ورجحه الطبري وابن قتيبة ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢/١٨٨ .

(٥) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

١٨٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ .. ﴾** [آية ١٠٤] .

أي لا تضعُفُوا ، يقال : وَهَنَ يَهِنُ وَهْناً وَوُهُوناً .[1]

١٨٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ .. ﴾** [آية ١٠٤] .

قال الضحاك : أي تَشْكُونَ[2] .

﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَالَا يَرْجُونَ ﴾ [آية ١٠٤] .

قال الضحاك : أي في جراحاتكم ، يعني من الأجر[3] .

وقال غيرُهُ : ترجون من النصر والعافية ما لايرجون[4] .

وقيل : ﴿ تَرْجُونَ ﴾ تخافون[5] .

---

(١) هكذا قال أهل اللغة : وَهَن : ضَعُف ، ومنه قوله سبحانه عن زكريا : ﴿ إني وهن العظم مني ﴾ .

(٢) بمعنى تتوجعون وتتألمون مما أصابكم من الجراح ، ومعنى الآية : لا تضعفوا أمام أعدائكم بل جدُّوا واجتهدوا في حربهم وقتالهم ، فإذا كنتم تتألمون من الجراح والقتال ،فإنهم يتألمون أيضاً منه كما تتألمون .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٦٣/٥ عن الضحاك وهو قول قتادة أيضاً ، وهو الأظهر والأرجح ، وانظر البحر ٣٤٢/٣ .

(٤) هذا قول السدي كما في الدر المنثور ٢١٥/٢ والطبري ٢٦٣/٥ والبحر ٣٤٢/٣ .

(٥) هذا قول أبي صالح عن ابن عباس كما ذكره ابن الجوزي ١٨٩/٢ وردَّه الفراء في معانيه ٢٨٦/١ قال : ولم نجد معنى الخوف يكون رجاءً إلا مع الجحد ــ أي النفي ــ كقوله سبحانه ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ أي لا تخافون لله عظمة ، وقوله ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ أي لا يخافون أيام الله . اهـ. وقال الزجاج ١٠٩/٢ : أجمع أهل اللغة الموثوق بعلمهم ، أن الرجاء ههنا =

١٨٦ ــ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [آية ١٠٥] .

قال مجاهد : كان رجل من الأنصار يقال له « ابنُ أبَيْرِق » واسمه « طُعْمَةُ » سرق دِرْعَاً ، فلما فُطِنَ به استودعها عند رجل من اليهود ، وادَّعَىٰ أن اليهودي أخذها ، فجاء قومُهُ يسألون النبي ﷺ أن يَعْذُرَه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾(١) .

= ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ على معنى الأمل ، لا على الخوف ، وقال بعضهم : الرجاء لا يكون بمعنى الخوف ، إلا مع الجحد .. إلخ . وذكر أبو حيان في البحر ٣٤٢/٣ أن الرجاء هنا على بابه والمعنى : إنكم ترجون من الله الثواب والأجر وهم لا يرجونه ، فينبغي أن تكونوا أشجع منهم ، وأبعد عن الجبن ، قال : وإذا كانوا يصبرون على الآلام ، والجراحات ، والقتل ، وهم لا يرجون ثواباً في الآخرة ، فأنتم أحرى أن تصبروا . اهـ. وانظر ما كتبه الطبري ٢٦٤/٥ والقرطبي ٣٧٥/٥ عن هذه الآية .

(١) خلاصة قصته كما رواها المفسرون « الطبري ، وابن الجوزي ، وصاحب البحر المحيط » وغيرهم ، أن الآية نزلت في « طُعمة بين أبيرق » كان رجلاً من الأنصار ، منافقاً مغموزاً في دينه ، كان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله إلى بعض العرب ، سرق درعاً من جاره « قتادة بن النعمان » وكان الدرع في جراب ــ أي كيس ــ فيه دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب ، حتى انتهى إلى الدار ، ثم خشي أن يُعْثَر عليها عنده فخبأها عند رجل من اليهود يُدعى « زيد بن السمين » فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده ، وحَلَفَ ما لي بها علم ، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه على أنه هو السارق ، فقال لهم : دفعها إليَّ «طُعْمةُ بن أبَيْرِق» ولا أعرف لمن هي؟ وشهد له ناسٌ من اليهود بذلك ، ١٨٢| واجتمع قوم طعمة ليدافعوا عنه فقالوا : انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ ليجادل عن صاحبنا أنه بريء ، ولنشهد ببراءته وسرقة اليهودي ، فأتوه فكلموه في ذلك وقالوا : لقد وجدت الدرع في بيت اليهودي ووالله إن صاحبنا لبريء ، فهمَّ ﷺ أن يعاقب اليهودي للقرينة الدالة على السرقة ، وأن يبرِّىء الأنصاري فنزلت الآية الكريمة ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً .. ﴾ الآيات .

والجدالُ في اللغة : أشدُّ الخصومة[1] ، ويقال : رجل أَجْدَل ، إذا كان شديداً ، ويُقال للصَّقْر : أَجْدَل ، لأنه من أقوى الطير .

١٨٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ، وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ [آية ١٠٨] .

أي يُحْكِمُونَهُ ليلًا[2] .

١٨٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ ؟ [آية ١٠٩] .

أي يوم تظهر الحقائق[3] ، وإنما يُحْكَمُ في الدنيا بما يظهر .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحق[4] : المعنى « ها أنتم الَّذين » .

يَذْهَبُ إلى أن « هؤلاء » بمعنى « الذين » .

---

(١) ومنه قوله سبحانه ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ .

(٢) هذا تفسير لمعنى « يُبيِّتون » لأن التبييت معناه : تدبير الأمر في الليل بمكر ودهاء ، قال الزجاج ١١٠/٢ : كلُّ ما فُكِّر فيه ، أو خِيضَ فيه بليل فقد بُيِّتَ » .

(٣) السياق جاء في معرض الوعيد والتهديد ، والتهويل من فظاعة ما أقدموا عليه ، فقد خوَّفهم تعالى بعظم الجناية وفداحة الأمر ، يقول لهم : ها أنتم يا معشر القوم دافعتم عن السارق والخائنين في الدنيا ، فمن يدافع عنهم في الآخرة في ذلك الموقف العصيب ؟ ومن ينجيهم من عقاب الله الشديد ؟ والغرض أن يكفُّوا عن الدفاع عن المجرم واتهام البريء ، فالآخرة ليس فيها مداراة ولا مصانعة .

(٤) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج صاحب كتاب « معاني القرآن » وقد ورد فيه ١١١/٢ : ومعنى قوله ﴿ ها أنتم ﴾ للتنبيه ، وأعيدت في « أولاء » والمعنى والله أعلم : هل أنتم الذين جادلتم ، لأن « هؤلاء » و « هذا » يكون في الإشارة للمخاطبين ، بمنزلة الذين ، نحو قول الشاعر : « وهذا تحملين طليق » أيْ والذي تحملينه طليق . اهـ.

١٨٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءاً ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾** [آية ١١٠] .

أي استغفار غير عائد[(١)] ، لأنه إذا عزم على العودة فليس بتائب[(٢)] .

١٩٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ .. ﴾** [آية ١١١] .

أي عقابُهُ يرجعُ عليهِ[(٣)] .

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيْئَةً أَو إِثْمَا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْئَاً .. ﴾ [آية ١١٢] .

قال سعيد بن جبير : نزلت في ابن أُبيرقَ لَمَّا رمىٰ اليهوديَّ بالدرعِ التي سرقها[(٤)] .

---

(١) ليس المراد مجرد الاستغفار باللسان من الذنب ، بل مع الندم والعزم على عدم العودة ، وعبارة الزجاج أوضح من عبارة المصنف فقد جاء في كتابه معاني القرآن ١١٢/٢ : ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ أي يسأله المغفرة مع إقلاع لأنه إذا كان مقيماً على الإصرار، فليس بتائب ، قال في البحر ٣٤٥/٣ : وهذه الآية فيها لطف عظيم ، ووعد كريم للعصاة إذا استغفروا الله ، وفيه تطلب توبة بني أبيرق والذابين عنهم ، وعن ابن مسعود أنها من أرجى الآيات .

(٢) في المخطوطة « فليس بثابت » وهو تصحيف ، وصوابه « فليس بتائب » كما في معاني الزجاج .

(٣) هكذا قال المفسرون : إن المراد من اقترف إثماً متعمداً ، فإنما يعود وبال ذلك على نفسه ، لا يتعدّاه إلى غيره ، كقوله سبحانه ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وانظر البحر ٣٤٦/٣ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٤/٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٩٤/٢ وتفسير ابن كثير ٣٦٣/٢ كما روى ابن الجوزي رواية أخرى ذكرها الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في « عبد الله بن أُبيّ بن سلول » إذ رمى عائشة عليها السلام بالإفك . اهـ. زاد المسير ١٩٥/٢ .

أقول : الجمهور على أنها نزلت في قصة «طُعْمة بن أُبيرق» مع اليهودي كما تقدم .

١٩١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيْناً ﴾ [آية ١١٢] .

البُهْتَانُ : الكذبُ الذي يُتَحَيَّرُ من عِظَمِهِ[1] .

١٩٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَولَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكَ[2] وَرَحْمَتُهُ ﴾ [آية ١١٣] .

أي بأنه أُوحِيَ إليك ما فَعَلَهُ ابنُ أُبَيْرق .

﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ .

أي يُخَطِّئُوكَ في الحُكْمِ[3] .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾ [آية ١١٣] .

أي لأنك مَعْصُومٌ .

١٩٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّـهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) إنما سُمِّي بهتاناً لأن البريء إذا سمعه دُهش وتحيَّر من فظاعته ، والبُهتان مأخوذ من البهت وهو أن تقذف إنساناً بجرم وهو منه بريء ، فهو مع كونه كذباً فيه اتهام للشخص البريء ، فلذلك سمي بهتاناً ، وفي الحديث (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه) أي اتهمته وافتريت عليه .

(٢) في المخطوطة « عليكم » وهو خطأ ، ونصُّ الآية الكريمة ﴿ولولا فضل الله عليك ..﴾ الآية رقم ١١٣ .

(٣) قال في البحر ٣٤٦/٣ ومعنى الآية : لولا عصمته تعالى لك ، وإيحاؤه إليك بما كتموه ، لهمُّوا بإضلالك عن القضاء بالحق ، وتوخّي طريق العدل ، مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم . اهـ.

وَالْحِكْمَةَ . ﴾[1] [آية ١١٣] .

أي أنزل عليك الكتاب بالحكمة في أمر ابن أُبَيْرِق[2] .

١٩٤ ــ وقوله جل وعــز : ﴿ لَا خَيْــرَ فِي كَثِيــرٍ مِنْ نَجْوَاهُــمْ .. ﴾ [آية ١١٤] .

النَّجْوَىٰ : كُلُّ كلامٍ ينفرد به جماعةٌ ، سِرًّا كان أو جَهْرًا[3] .

١٩٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ .. ﴾ [آية ١١٤] .

يجوز أن يكون المعنى إلَّا نجوىٰ مَنْ أَمَرَ بصدقةٍ ، ثم حُذِفَ .
ويجوز أن يكون استثناءً ليس من الأول ، ويكون المعنى : لكنْ مَنْ أَمَرَ بصدقة في نجواه خيراً[4] .

---

(١) وقع في المخطوطة سقط في الآية ، فقد سقطت لفظة « الكتاب » ونصُّ الآية ما أثبتناه .

(٢) هذا وجه تحتمله الآية وهو قريب من قول الزجاج في معانيه ١١٣/٢ أي بيَّن في كتابه ما فيه الحكمة التي لا يقع لك معها ضلال ، والأولى ما ذهب إليه المفسرون أن المراد بالكتاب القرآن العظيم ، وبالحكمة القضاء بالوحي والسنة المطهرة فيكون المعنى: أنزل الله عليك القرآن والسنة ، فكيف يضلونك وهو تعالى ينزل عليك الكتاب ، ويوحي إليك بالأحكام ، ويُطلعك بواسطة الوحي على خفيات الأمور ؟

(٣) هذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ١١٤/٢ فقد قال : النجوى في الكلام : ما تنفــرد به الجماعة أو الاثنان ، سراً كان أو ظاهراً . اهـ. قال الواحدي : ولا تكون النجوى إلَّا بين اثنين فأكثر ، ومعنى النجوى : هو الحديث الذي يجري بين الجماعة أو بين اثنين ، على وجه لا يَطَّلِعُ عليه غيرهم

(٤) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٥/٤ : النَّجوى : المسارَّة ، مصدر وقد تسمى به الجماعة كما يُقال : قوم عدل ، ورضا ، وتحتمل اللفظة هنا أن تكون بمعنى الجماعة ، وأن تكون المصدر نفسه ، فإن قدرناها الجماعة فالاستثناء متصل ، كأنه قال : لا خير في كثير من جماعاتهم المتسارَّة إلَّا من أمر بصدقة .. وإن قدرنا اللفظة المصدر نفسه ، فكأنه قال : لا خير في كثير من تناجيهم إلَّا نجوى من أمر ، فالاستثناء منقطع بحكم اللفظ . اهـ. وكلام ابن عطية واضح ، وهذا معنى قول النحاس استثناء ليس من الأول أي إنه استثناء منقطع .

١٩٦ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾** [آية ١١٥] .

أي يُخَالِفُ ، كأنه يصيرُ في شِقٍّ خِلَافِ شِقِّهِ ، أي في نَاحِيَةٍ(١) .

قال سعيد بن جبير لمَّا أطْلَعَ اللهُ النبي على أَمْرِ « ابنِ أُبَيْرِق » هَرَبَ إلى المشركين ، فَارْتَدَّ ، فأنزل الله : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ له الهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾(٢).

قال مجاهد : أي نَتْرُكُهُ وما يَعْبُدُ(٣) .

وكذلك هو في اللغة ، يقال : وَلَّيْتُهُ مَا تولَّىٰ : إذا تركتهُ في اختياره .

قال سعيد بن جبير : لمَّا صار إلى مكة ، نَقَبَ بَيْتاً بمكة ،

---

(١) سميت المعصية والمخالفة لشرع الله شقاقاً ، لأن العاصي كأنه صار في طرف آخر غير طرف الدين ، كالشخص الذي يعادي إنساناً فيصبح كل منهما في جهة .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ٥/٢٧٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٢/٢٠٠ والشوكاني في فتح القدير ١/٥١٢ قال : فلمَّا نزل القرآن ، لحق بالمشركين فنزل على « سُلافة بنت سعد » فأنزل الله ﴿ ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى .. ﴾ الآية ، فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ،فأخذت رَحْلَه فرمتْ به في الأبطح ، وقالت : أَهْدَيتَ إليَّ شعر حسان،ما كنت لتأتيني بخير .

أقول : الآية وإن نزلت في شأن ذلك المنافق « طُعمة » إلّا أنها عامة تشمل كل مخالف ومعاند لدين الله .

(٣) الطبري عن مجاهد ٥/٢٧٧ والقرطبي ٥/٣٨٦ قال ومعناه : نَكِلُه إلى الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، وقال غيره : أي نتركهِ يتخبَّط في غيِّه وضلاله ، واختياره الفاسد .

فَلَحِقَهُ المشركون فقتلوه ، فأنـزل اللـه : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[1] .... إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدَاً ﴾ .

١٩٧ ـ **وقوله عَزَّ وَجَـلَّ** : ﴿ **إِنْ يَدْعُـونَ مِنْ دُوْنِـهِ إِلَّا إِنَاثـاً** .. ﴾ [آية ١١٧] .

قال مجاهد : يعني الأوثان[2] .

وعن أُبَيّ : مع كل صَنَمٍ جِنِّيَّةٌ[3] .

وقال أهل اللغة : إنما سُمِّيَتْ إناثاً لأنهم سَمَّوهَا « الـلَّاتَ ، والْعُزَّىٰ ، ومَنَاةَ »[4] وهذا عندهم إناثٌ .

وقال الحسن : أي ما يعبدون إلاَّ حجارةً وخشباً .

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٢/٢٠٢ قال : وهـذا قول الجمهـور ، منهم سعيد بن جبير . اهـ . وروى القرطبي عن الكلبي أنها نزلت في « ابن أبيرق » لما ظهـرت حاله وسرقته هرب إلى مكـة وارتـد ، ونقب حائطاً لرجل بمكة فسقط عليه ، فأخرجوه من مكة ، فخرج إلى الشام فسرق بعض أموال القافلة ، فرجموه فقتلوه . اهـ. القرطبي ٥/٣٨٦ .

(٢) زاد المسير ٢/٢٠٣ قال : وهو قول عائشة ومجاهد ، وذكره الطبري ٥/٢٨٠ واختـاره ورجحـه ، وقيل : المراد بالإناث الأموات ، وهـو قول ابـن عباس والحسن ، قال الحسن : كل شيء لا روح فيه ، كالحجر ، والخشبة ، فهو إناث .

(٣) أخرجـه عبـد الله بن أحمد في زوائـد المسنـد عن « أُبيٍّ بن كعب » بهذا اللفـظ « مع كل صنـم جنية » وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال : مع كل صنم شيطانة ، كذا في الـدر المنثور للسيوطي ٢/٢٢ .

(٤) أشار إلى قوله تعالى في سورة النجم ﴿ أفرأيتم اللَّات والعُزَّى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكـم الذكـر وله الأنثى ﴾ ؟ فقد كانوا يسمـون الأصنـام بأسماء الإنـاث ، ويزعمـون أن الملائكـة بنـات الله ، ويُصوِّرونهن صور الجواري ، ويقولون هؤلاء الآلهة يشبهن بنات الله .

قال : وكان لكل حَيٍّ صَنَمٌ يعبدونه ، فيقال : أنثى بني فلان ، فأنزل الله هذا[1] .

وهذا قَوْلٌ حَسَنٌ في اللغة ، لأن هذه الأشياءَ يُخْبَرُ عنها بالتأنيث .

يقال : الحجارة يُعْجِبُنَهُ ، ولا يقال : يُعْجِبُونَهُ[2] .

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أُثُنًا ﴾[3] . وهذا جمعُ الجمع ، كأنه جَمَعَ وَثَنًا على وِثَانٍ ، كما تقول : مِثَالٌ ومُثُلٌ ، ثم أَبْدَلَ من الواوِ هَمْزَةً لما انضمَّتْ ، كما قال جل وعز : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ من الوَقْتِ .

وقُرِيءَ : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أُنُثًا ﴾[4] ، وهو جمعُ إناثٍ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٩/٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٣٥١/٣ والدر المنثور للسيوطي ٢٢٣/٢ قال في البحر ومعنى الآية : ما يعبدون من دون الله إلا مسمّيات تسمية الإناث ، يتخذونها آلهة ، وكانوا يُحَلُّون الأصنام بأنواع الحلي ويسمونها أنثى .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٢ والقرطبي ٣٨٧/٥ قال القرطبي : وكان لكل حي صنم يعبدونه ويقولون : أنثى بني فلان ، وخرج الكلام في الآية مخرج التعجب ، لأن الأنثى من كل جنس أخسُّه ، فهذا جهل ممن يشرك بالله جماداً فيسميه أنثى ، أو يعتقده أنثى . اهـ.

(٣) و(٤) هذه القراءة « أُثُناً » والقراءة الثانية «أُنُثاً» كما ذكرهما النحاس، كلاهما من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٩٨/١ قال الطبري في جامع البيان ٢٨٠/٥ : ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ﴿ إن يدعون من دونه إلّا أثناً ﴾ بمعنى جمع وثن ، فكأنه جمع وثناً وُثُناً ، ثم قلب الواو همزة مضمومة كما قيل « وإذا الرُّسل أُقّتت » بمعنى وُقِّتتْ ، وذكر أنه قُرِئ ﴿ إلّا أُنُثاً ﴾ كأنه أراد جمع الإناث ، فجمعها أنثاً ، كما تجمع الثمار ثُمُراً . ثم قال : والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها قراءة من قرأ ﴿ إن يدعون من دونه إلّا إناثاً ﴾ بمعنى جمع أنثى ، لإجماع الحجة على قراءة ذلك . اهـ.

١٩٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً . لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ [آية ١١٧] .

فَالْمَرِيدُ : [الخارجُ][(١)] من الخيرِ ، المتجرِّدُ منه ، و « أَمْرَدُ » مِنْ هذا .

وقيل : المَرِيدُ : الممتدُّ في الشَّرِّ ، من قولهم : بَيْتٌ مُمَرَّدٌ ، أي مُطَوَّلٌ[(٢)] .

ومعنى ﴿ لَعَنَهُ ﴾ باعَدَه من رحمته .

١٩٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾ [آية ١١٨] .

أي مُوَقَّتاً[(٣)] ، وهو من فَرَضْتُ ، أي قطعتُ .

٢٠٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ .. ﴾ [آية ١١٨] .

---

(١) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٢) قال الأزهري في تهذيب اللغة : المَرِيد : الخارج عن الطاعة ، يُقال : مَرَد الرجل يمْرُدُ مروداً : إذا عتا وخرج عن الطاعة ، فهو مارد ، ومتمرد ، ومَرِيد .. قال تعالى ﴿ وَيَتَّبِعُ كل شيطان مريد ﴾ . وقال ابن عطية : « مَرِيداً » أي عاتياً صلباً في غوايته ، وهو فعيل من : مَرَدَ إذا عتا وغلا في انحرافه ، وتجرَّد للشر والغواية . اهـ المحرر الوجيز ٤/٢٢٩ .

(٣) قال القرطبي ٥/٣٨٨ : أصل اللعن : الإبعاد ، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب . وعبارة الطبري في تفسيره أوضح حيث قال ﴿ نصيباً مفروضاً ﴾ يعني معلوماً ، وهو قول الضحاك . وقال ابن عطية : والمفروض معناه في هذا الموضع : المنحاز ، وهو مأخوذ من الفرض وهو الحزُّ في العود وغيره ، ويحتمل أن يريد بكلمة « مفروضاً » أي واجباً أن أتخذه ، وهو نصيب إبليس ، وبعثُ النار » . اهـ المحرر ٤/٢٣٠ .

=

أي وَلَأُوهِمَنَّهُمْ(١) أن لهم حظاً في المخالفة .

٢٠١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ .. ﴾** [آية ١١٨] .

يقال : بَتَّكَ ، إذا قَطَعَ(٢) .

قال قتادة : يعني الْبَحِيرَة .

والْبَحِيرَةُ : الناقَةُ إذا أنتجت خمسة أبطنٍ ، وكان آخرها ذكراً شَقُّوا آذَانَهَا ، ولم ينتفعوا بها(٣) .

= أقول : أراد ابن عطية بقوله « بعث النار » أن يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم (إنَّ الله تعالى يقول لآدم يوم القيامة : يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك ، فيقول : وما بعثُ النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ..) الحديث .

(١) هذا تفسير قوله : « ولأمنينَّهم » والأظهر أن معنى الآية ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُم وَلَأُمَنِّيَنَّهُم ﴾ أي لأصرفنهم عن طريق الهدى ، وأعدهم الأماني الكاذبة ، وألقي في قلوبهم طول الحياة ، وأن لا بعث ولا حساب .

(٢) قال أهل اللغة : البتك : القطع ومنه سيف باتر أي قاطع .

(٣) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١٨٠ قال : وهي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن في آخرها ذكر ، شقُّوا أذنيها ، وخلُّوا سبيلها ، فلا تُركب ولا تُحلب ، ولا تدفع عن ماء ، ولا عن مرعى ، وحرَّموا ذلك ، فتلقى الجائع فلا ينحرها ، ولا يركبها المُعْي تحرجاً ، وقال الطبري ٥/٢٨١ : والبتك القطع ، وهو قطع أذن البحيرة حتى تعلم أنها بحيرة ، كذا قال قتادة والسدي .

والتقديرُ في العربية : وَلَآمُرَنَّهُمْ بِتَبْتِيكِ آذانِ الأنعام[1]

٢٠٢ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ .. ﴾ [آية ١١٩] .

عن ابن عباسٍ : دِينَ اللَّهِ[2] .

وعنه أيضاً : الخِصَاء[3] .

وكذلك رُوِي عن أنس .

وقال سعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم والضحاك وقتادة : يعني دِينَ اللهِ[4].

وزاد مجاهدٌ : يعني الفِطْرَةَ . أي أنهم وُلِدُوا على الإسلام ، وأَمَرَهُمُ الشيطانُ بتَغْيِيرِهِ[5] .

---

(١) نبَّه المصنف إلى أن المفعول الثاني في قوله ﴿ ولآمرنَّهم ﴾ محذوف في كلا الفعلين ، لدلالة ما بعده عليه ، وتقديره : ولآمرنهم بالتبتيك فليبتكُنَّ ، ولآمرنَّهم بالتغيير فليغيرنَّ ، وانظر البحر المحيط ٣/٣٥٤ .

(٢) و (٣) الأثران في الطبري ٥/٢٨٤ عن ابن عباس ، وأنس ، ورُوي عن أنس أنه كره الإخصاء وقال فيه نزلت ﴿ فليغيرن خلق الله ﴾ ومعنى الإخصاء قطع خصيتي الحيوان حتى لا ينزوَ الفحل على الأنثى،وبذلك يسمن . وذكرهما ابن كثير ٢/٣٦٨ وصاحب البحر المحيط ٣/٤٥٤ واختار ابن جرير القول الأول أن المراد به دين الله .

(٤) هذا قول الأكثرين من المفسرين واختيار ابن جرير ، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيِّم ﴾ ومعنى الآية على هذا القول : ولآمرنهم فليغيرنَّ دين الله بالكفر والمعاصي ، وإحلال ما حرَّم الله .

(٥) ذكره الطبري عن مجاهد ٥/٢٨٤ ومراده أن الإسلام هو دين الفطرة ، والشيطان يريد أن يغيِّر دين الإسلام إلى غيره من الوثنيات .

وروي عن عكرمة قولان :

أحدهما : أنه الخِصَاءُ[1] .

والآخر : أنه دِينُ اللَّهِ[2] .

وهذه الأقوالُ ليست بمتناقضةٍ ، لأنها ترجعُ إلى الأفعالِ[3] .

فأما قوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ، وقال ههنا : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ فإن التبديلَ هو بطلان عَينِ الشيءِ ، فهو ههنا مخالفٌ للتغيير[4] .

وقال محمد بن جرير : أولاها أنه دِينُ اللَّهِ . وإذا كان ذلك معناه دَخَلَ فيه فعل كل ما نهىٰ اللهُ عنهُ ، من خِصَاءٍ وَوَشْمٍ وغيرِ ذلك من المعاصي ، لأن الشيطان يدعو إلى جميع المعاصي ، أي

---

(١) و (٢) الأثران في جامع البيان للطبري ٢٨٢/٥ وتفسير ابن الجوزي ١١٩/٢ وابن كثير ٣٦٨/٢ وذكر ابن الجوزي أن في تغيير خلق الله خمسة أقوال : أحدها : أنه تغيير دين الله ، والثاني : تغيير الخلق بالخِصاء ، والثالث : التغيير بالوشم ، والرابع : تغيير أمر الله ، والخامس : أنه تغيير عبادة الله إلى عبادة الشمس والقمر والحجارة .

(٣) قال أبو حيان في البحر ٣٥٤/٣ : ومن فسر التغيير لخلق الله بالوشم أو الخصاء ، أو غير ذلك مما هو خاص في التغيير ، فإنما ذلك على جهة التمثيل لا الحصر . اهـ.

(٤) أراد المصنف أن ينبِّه إلى أنه لا تعارض بين الآيتين وهما ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ وقوله : ﴿ فليغيرنَّ خلق الله ﴾ فإن الأولى معناها أن دين الله واضح ، لا يقدر أحد أن يُفسده أو يطمس نوره ، فهي تتحدث عن الإسلام الذي هو دين الفطرة ، بدليل قوله تعالى في أول الآية : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ﴾ والآية الثانية في تحريم ما أحلَّ الله ، وتحليل ما حرَّم الله ، ومعصيته بارتكاب المحرمات ، فلا تعارض بينهما .

فَلَيُغَيِّرُنَّ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ دِينِهِ[1] .

٢٠٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾ .

المَحِيصُ في اللغة : المَعْدِلُ وَالْمَلْجَأُ[2] .

يقال : حِصْتُ ، وَجِضْتُ ، وَعَدَلْتُ ، بمعنى واحِدٍ[3] .

٢٠٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ .. ﴾ [آية ١٢٣] .

المعنى :ليس الثوابُ بأمانيكم .

وَدَلَّ على [أن هَذا هو][4] المعنى قولُه جل وعز : ﴿ والذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[5] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٥/٢٨٥ .

(٢) المراد ليس لهم منها مفر ولا مهرب ، ولا ملجأ يلجئون إليه سوى جهنم ، مأخوذ من حاص إذا هرب ونفر ، وفي المثل « وقعوا في حَيْص بيص » أي فيما لا يقدرون على التخلص منه ، وانظر الصحاح مادة حيص .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢/١٢٠ فإنه قال : يُقال : حصت عن الرجل أحيص ، وجِضتُ عنه أجيض بالجيم والضاد بمعنى حِصْتُ ، قال : ولا يجوز ذلك في القرآن وإن كان المعنى واحداً ، لأن القرآن سنة لا تُخالف فيها الرواية . اهـ.
وفي الصحاح ٣/١٠٦٩ : جَاضَ عن الشيء يَجِيضُ ، جَيْضاً : أي حَادَ عنه .

(٤) في الأصل : « ودلَّ على هذا المعنى » وأثبتناه من الهامش .

(٥) يوضِّح هذا المعنى سبب النزول ، فقد روى الواحدي عن مسروق وقتادة قال : احتج المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهلُ الكتاب : نحن أهدى منكم ، نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن أولى بالله منكم .. وقال المسلمون : نحن أهدى منكم وأولى بالله ، نبينا خاتم =

٢٠٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ .. ﴾** [آية ١٢٣] .

روي عن أبي هريرة أنـه قال : « لمَّـا نزلت ﴿ مَنْ يَعْمَـل سُوءً يُجْزَ بِهِ ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّـهِ وَلِيّـاً وَلَا نَصِيْـرَاً ﴾ بَكَيْنَـا وحَزِنَّـا وقُلْنَـا : يارسول اللـه : ما أَبقَتْ هذه الآيةُ من شيء !! قال : أَمَـــا والـذي نفسي بِيَـدِهِ إنها لَكَمَـا أُنْـزِلَتْ ، ولكـــنْ أَبْشِرُوا ، وقَارِبُـــوا ، وسَدِّدُوا ، فإنه لا تُصيبُ أحداً منكـم مصيبـةٌ إلا كَفَّـرَ اللـه عنـه بها خطيئةً ، حتى الشوكة يُشَاكُهَا أَحدُكُمْ في قَدَمِهِ »[1] .

وروَىٰ علي بن أبي طلحة عن ابـن عبـاس ﴿ مَنْ يَعْمَـل سُوءً يُجْزَ بِهِ ﴾ .

يقـول : « من يُشْرك به ـــ وهـو السوء ـــ إلا أن يتـوبَ قبـل مَوتِهِ فيتوبَ اللهُ عليه »[2]

حَدَّثَنا عبدالسلام بن سهل السكري قال : حدثنا عُبيْدُ اللـه ،

= الأنبياء ، وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ ليس بأمانيكـم ولا أمـاني أهل الكتاب ﴾ ثم أفلج ــ أي أظهر ــ الله حجـة المسلـمين على مَنْ ناوأهـم من أهـل الأديان بقوله ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .. ﴾ الآية وبقوله تعـالى ﴿ ومـن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله .. ﴾ . اهـ. أسباب النزول للواحدي ص ١٣٤ .

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢٥٧٤ والترمذي في سننـه ٢٤٧/٥ وأحمد في المسنـد ، ولفظ مسلم : لما نزلت ﴿ من يعمل سوء يُجْزَ بِهِ ﴾ بلغت من المسلـمين مبلغـاً شديـداً ، فقـال رسول الله ﷺ : قاربوا وسدِّدوا .. الحديث ، وانظر جامع الأصول ١١٠/٢ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيـان ٢٩٣/٥ وابـن الجوزي ٢١٠/٢ وابـن كثير ٣٧٣/٢ واختـار الطبري العموم ، وهو أن كل ذنب ومعصيـة يُجـازى به الإنسان ، صغيراً كان الـذنب أو كبيراً ، إلا أن يتوب الإنسان فيتوب الله عليه ، وهذا ما رجحه ابن كثير رحمه الله .

قال : حدثنا عبدالواحد بن زياد ، قال : حدثنا عَاصِمٌ ، عن الحَسَن ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ ﴾ قال : ذلك لمن أراد اللـهُ جل وعز [هَوَانَهُ][1] فأما مَنْ أراد كرامته فلا ، قد ذكر الله قوماً وقال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ، وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[2] .

والحديث عن النبي ﷺ يدلُّ على أنه عامٌ[3] .

رَوَىٰ عنه أبو هريرة أنه قال — لمَّا نزلت هذه الآية « كلَّ مَايُصابُ به العبدُ كفارة »[4] .

---

(١) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٢) سورة الأحقاف آية رقم (١٦) وهذا الأثرُ ذكره الطبري في جامع البيان ٥/٢٩٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٥/٣٩٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٢٢٨ وعزاه إلى الحكيم الترمذي والبيهقي ، وعدَّ أبو بكر الصديق هذه الآية قاصمة الظهر ، « وقال يا رسول الله : وأينا لم يعمل السوء ؟ وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : أمَّا أنت وأصحابك المؤمنون ، فتجزون بذلك في الدنيا ، حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون — يعني الكفار — فيُجمع لهم ذلك حتى يُجزون به يوم القيامة » وانظر الدر المنثور ٢/٢٢٦ .

(٣) أشار المصنف إلى ما رواه ابن مردويه عن مسروق أن أبا بكر قال يا رسول الله : ما أشدَّ هذه الآية ﴿من يعمل سوء يُجْزَ بِهِ﴾ ؟! فقال رسول الله ﷺ : « المصائب ، والأمراض ، والأحزان في الدنيا جزاء » . اهـ. الدر المنثور ٢/٢٢٧ .

(٤) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال : لمَّا نزلت ﴿ من يعمل سوء يُجزبه ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال : سدِّدوا وقاربوا ، فإن في كل ما أصاب المسلم كفارة ، حتى الشوكة يُشاكها ، والنكبة ينكبها .. » الحديث ، وقد تقدم ، ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « ما يصيب المؤمن من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حَزَن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفَّر الله من خطاياه » وأخرجه أحمد والترمذي من رواية أبي سعيد الخدري كذا في الدر المنثور ٢/٢٢٨ .

ولفظُ الآية عامٌ لكل من عَمِلَ سوءًا ، من مؤمنٍ وكافرٍ[١] ، كان الذنب صغيراً أو كبيراً ، وهذا موافقٌ لـ «نُكَفِّر» ، لأن معنى « نكفِّر » نغطِّي عليها في القيامة ، فلا نفضحكم بها[٢] .

٢٠٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [آية ١٢٤] .

المعنى : لا يُظلمُون مقدار نقير ، والنَّقِيرُ : النقطة التي تكون في النَّواةِ ، يُقال : إن النخلةَ تنبتُ منها .

٢٠٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [آية ١٢٥] .

الخليلُ في اللغةِ يكون بمعانٍ :

أحدها : الفقير ، كأنه به الاختلال ، كما قال زهير :

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَومَ مَسأَلَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ[٣].

---

(١) هذا رأي جمهور المفسرين كما ذكره القرطبي ٣٩٦/٥ حيث قال : لفظ الآية عام ، والمؤمن والكافر مجازى بعمله السوء ، فأما مجازاة الكافر فالنار ، لأن كفره أوبقه ، وأما المؤمن فبنكبات الدنيا ، هذا قول الجمهور .

(٢) هكذا ورد في الصحيح أن الله عز وجل يدني العبد المؤمن يوم القيامة ، فيضع عليه كَنَفَهُ ، ثم يعرِّفه بذنوبه فيُقرُّ بها ، فيقول الله عز وجل له : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .. » الحديث .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح به « هرِم بن سِنان » وهو في ديوانه ص ١٥٣ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٤٠٠/٥ بلفظ « يوم مَسْغبة » أي مجاعة ، والحَرِمُ بوزن الكتف بمعنى الممنوع المحرَّم ، يريد لا مالي غائب ولا ممنوع ، والشاهد فيه أن الخليل هنا بمعنى الفقير المحتاج ، واستشهد به الزجاج في معانيه ١٢٢/٢ ، وانظر شرح شواهد المغني ٢٨٣ .

والخليلُ : المحبُّ .

وقيل في قول الله جل وعز : ﴿ واتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ أي محتاجاً فقيراً إليه(١) .

والقولُ الآخر ، هو الذي عليه أصحاب الحديث : أنه المحِبُّ المُنْقَطِعُ إلى الله ، الذي ليس في انقطاعِهِ اختلالٌ(٢).

والقولُ الثالث : أنه يقال : فلانٌ خَليلُ فلانٍ ، أي هو يَخْتَصُّهُ .

ومنه الحديثُ : « لو كنتُ متخذاً خليلاً، لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً »(٣) .

---

(١) قال أهل اللغة : الخليل فعيل من الخَلَّة ، وهي : الفاقة ، والحاجة ، أو من الخُلّة وهي صفاء المودة والمحبة ، أو من الخلل ، قال ثعلب : سمي خليلاً لأن محبته تتخلل القلب ، فلا تدع فيه خللاً إلَّا ملأته ، وأنشد لبشار :

قَدْ تَخَلَّلْتِ مَسْلِكَ الـرُّوحِ مِنِّي وَبِـهِ سُمِّـي الخَلِيـلُ خَلِيـلاً

(٢) هذا أظهر الأقوال وأشهرها ، وهو الذي ذهب إليه الزجاج في معانيه ١٢٢/٢ حيث قال : الخليل : المحبُّ الذي ليس في محبته خلل ، وسمي «خليلَ الله» لأن اللهَ أحبه واصطفاه محبةً تامة كاملة .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري ١٠/٧ ومسلم رقم ٢٣٨٢ في فضائل الصحابة والترمذي في المناقب، ولفظُ الشيخين عن أبي سعيد الخدري قال : « خطب النبي ﷺ فقال : « إن الله عز وجل خيَّر عبداً بين الدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عنده ، فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر ، وكان أبو بكر هو أعلمنا ، وقال رسول الله ﷺ : إنَّ من أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أُخوَّة الإسلام ومودَّته ، لا يبقينَّ في المسجد باب إلَّا سُدَّ ، إلَّا باب أبي بكر » وانظر جامع الأصول ٥٨٦/٨ =

فَدَلَّ بهذا على أنه ﷺ لايختصُّ أَحَدَاً بشيءٍ من العِلمِ دُون غَيْرِهِ .

٢٠٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ، وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ [آية ١٢٧] .

و (مَا) في مَوْضعِ رَفْعٍ ، والمعنى : قل اللهُ يُفتيكم فيهنَّ ، والقرآن يفتيكم فيهن[١] .

والذي يُفتيكم من القرآن في النساء قولُهُ عز وجل : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾[٢] .

٢٠٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ .. ﴾ [آية ١٢٧] .

قالت عائشة رحمها الله : هذا في اليتيمه ، تكونُ عند الرجل ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ رغبةَ أَحَدِكُمْ عن يَتيمَتِهِ التي تكون في حِجْرِهِ ، حين تكون قليلة المال والجمال ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَنْ رغبوا في مالها وجمالها ، من يتامىٰ النِّساءِ إلَّا بِالْقِسْطِ »[٣] .

= وفي رواية الترمذي أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده ، فقال أبو بكر : فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا .. الحديث .

(١) هذا ما رجحه الزجاج في معانيه ١٢٤/٢ والفراء أيضاً في معانيه ٢٩٠/١ قال الزجاج : وموضع « ما » رفع والمعنى : قل الله يفتيكم فيهنَّ وكتابه يفتيكم فيهن ، وهو اختيار الطبري .

(٢) سورة النساء آية رقم (٤) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ٢٩٥/٢ ومسلم برقم ٣٠١٨ في التفسير ، وأبو داود رقم ٢٠٦٨ في النكاح .

وفي بعض الروايات عنها : هذا في اليتيمة ، لعلها تكون شريكته في المال ، ولا يريد أن ينكحها ، ولا يُحِبُّ أن تتزوجَ غيرَهُ ، لئلا يأخذ مالها ، قال الله جَلَّ اسْمُهُ : (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ)[1] .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : ويَرغَبُ في نكاحها إذا كانت كثيرة المال[2] .

ولأهل اللغة في هذا تقديران :

أحدهما : أن المعنى وترغبون [عن][3] أن تنكحوهن ، ثم حُذِفَتْ عَنْ .

---

(١) وفي رواية أخرى في البخاري قالت : « هي اليتيمة تكون في حجر الرجل ، قد شركته في ماله ، فيرغب عنها أن يتزوجها ــ أي لا يرغب فيها ــ ويكره أن يزوِّجها غيره ، فيدخل عليه في ماله ، فيحبسها ، فنهاهم الله عن ذلك » . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٧٧/٢ : « والمقصود أن الرجل إذا كان في حَجْره يتيمة ، يحلُّ له تزويجها ، فتارة يرغب في أن يتزوجها ، فأمره الله عز وجل أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء ، فإن لم يفعل ، فليَعْدِل إلى غيرها من النساء ، فقد وسَّع الله عز وجل ، وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة . وتارة لا يكون للرجل فيها رغبة لدمامتها عنده ، أو في نفس الأمر ، فنهاه الله عز وجل أن يعضلها ــ أي يمنعها ــ عن الأزواج ، خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها ، كما قال ابن عباس في هذه الآية : كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة ، فيلقي عليها ثوبه ، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً ، فإن كانت جميلة وهوِيَها ــ أي أحبها ــ تزوجها وأكل مالها ، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت ، فإذا ماتت ورثها ، فحرَّم الله ذلك ونهى عنه » .

(٢) الأثر في جامع البيان ٢٩٩/٥ وزاد المسير ٢١٥/٢ والدر المنثور ٢٣١/٢ .

(٣) من الهامش وليس في الأصل ، والكلمة هنا ضرورية بدليل قوله بعده : ثم حُذفت « عَنْ » .

وحديث عائشة يُقَوِّي هذا القول[1] .

والقـولُ الآخر : وترغبـون في أن تنكحوهـن ، ثم حُذِفَتْ « في » .

وإذا تَدَبَّرْتَ قول «سعيدِ بن جُبَير» تَبَيَّنْتَ أنه قد جاء بالمعنيَيْنِ .

٢١٠ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ** ﴾ [آية ١٢٧] .

قال سعيد بن جبير : كانوا لا يُوَرِّثُونَ الصغير ، فَنَزَلَتْ : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[2] .

فَعَلَىٰ قول سعيد بن جُبَيْرٍ أفتاهم في المستضعفين قَوْلُهُ : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[3] .

---

(١) هو ما تقدم من رواية البخاري عن عائشة قالت : « هو الرجل تكون عنده اليتيمة ، هو وليُّها ووارثها ، قد شركته في ماله ، فيرغب أن ينكحها ، ويكره أن يزوجها رجلاً فيعضلها » فنزلت الآية . اهـ . صحيح البخاري تفسير سورة النساء ٦١/٦ . وانظر الحديث في جامع الأصول لابن الأثير ٧٦/٢ وتفسير ابن كثير ٣٧٦/٢ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣٠٥/٥ وابن الجوزي ٢١٦/٢ عن ابن عباس وهو قول السدي أيضاً ، ولفظه « كانوا في الجاهلية لا يورِّثون الصغار ولا البنات ، فذلك قوله تعالى ﴿ لا تؤتونهن ما كُتب لهنَّ ﴾ فنهى الله عن ذلك ، وبيَّن أن لكل انسانٍ سهمه ، صغيراً كان أو كبيراً » .

(٣) سورة النساء آية رقم (١١) يعني أن الله عز وجل أوصاهم بتوريث الصغير والضعيف ، فهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ لأنهم كانوا في الجاهلية لا يورِّثون صغيراً ، ولا أنثى ، ويقولون : « كيف نعطي المال من لا يركب فرساً ، ولا يحمل سيفاً ، ولا يقاتل عدواً » !! .

٢١١ ــ ثم قال جل وعــز : ﴿ وَأَنْ تَقُومُــوا لِلْيَتَامَــىٰ بِالْــقِسْطِ .. ﴾ [آية ١٢٧] .

وَالْـقِسْطُ العَـدْلُ ، وأفتاهـم في اليتامــى قولُــهُ جل وعــز : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[1] .

٢١٢ ــ وقولــه جل وعــز : ﴿ وَإِنِ امْــرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَــا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً .. ﴾ [آية ١٢٨] .

[النشوزُ من الزوج : أَنْ يُسِيءَ عِشْرَتَهَا ، وَيَمْنَعَهَــا نَفْسَهُ وَنَفَقَتَهُ][2] .

٢١٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَــا أَنْ يَصَّالَحَــا بَيْنَهُمَــا صُلْحاً .. ﴾[3] [آية ١٢٨] .

وقرأ أكثر الكوفيين : ﴿ أَنْ يُصْلِحَا ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من الهامش ، وهو نصُّ كلام الزجاج في معانيه ١٢٦/٢ حيث قال : النُّشوز من بعل المرأة أن يسيءَ عِشرتها ، وأن يمنعها نفسه ونفقته ، والله عز وجل قال في النساء ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وقال : ﴿ ولا تمسكوهن ضِراراً لتعتدوا ﴾ فشدد الله في العدل في أمر النساء ، وجعل الصلح جائزاً بين الرجل وامرأته إذا رضيت بإيثار غيرها عليها .

(٣) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ﴿ يَصَّالَحَا ﴾ بفتح الياء والتشديد ، كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٣٨ .

(٤) هذه قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي بضم الياء والتخفيف وكسر اللام ﴿ يُصْلِحا ﴾ وهي من القراءات السبع ، كما في النشر لابن الجزري ٢٥٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٣٨ .

وقرأ الجحدري وعثمان البتي : ﴿ أَنْ يَصَّلِحَا ﴾[1] .

والمعنى : يَصْطَلِحَا ثم أدغم .

فأما تفسيرُ الآية فَروى سماك بن حرب عن خالد بن عَرْعَرَة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « هي المرأةُ تكون عند الرجل ، وهي دميمةٌ أو عجوزٌ ، تكره مُفَارَقَتَهُ ، فيصطلحا على أن يجيئها كل ثلاثة أيام ، أو أربعة »[2] .

وقالت عائشة : هو الرجل تكون عنده المرأة ، لَعَلَّهُ لا يكون له منها ولدٌ [وَلَا يُحِبُّهَا][3] فَيُرِيدُ تخليتَها ، فتصالحه فتقول : لا تُطَلِّقْنِي وأنتَ في حلٍّ من شأني[4] .

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن هذه الآية نزلت في « رافع بن خديج » طَلَّقَ امرأته تطليقةً وتَزوَّج شَابَّةً ، فلما قاربتِ انقضاءَ العِدَّة ، قالت له : أنا أصالحُكَ على بعضِ الأيَّام ، فَرَاجَعَهَا ، ثم لم تصبره ، فطلَّقها أُخرى ، ثم سَأَلَتْهُ

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب في شواذ القراءات لابن جني ١/٢٠٠ قال أبو الفتح : أراد «يصْطَلِحَا» فآثر الإدغام ، فأبدل الطاء صاداً ، ثم أدغم فيها الصاد ، فصارت « يَصَّلِحَا » .

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن عَرْعَرة عن علي ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي ، وذكره الطبري في جامع البيان ٥/٣٠٦ وابن كثير في تفسيره ٢/٣٨٠ .

(٣) من الهامش وليس في الأصل .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٥/٣٠٧ وابن كثير ٢/٣٨٠ والدر المنثور للسيوطي ٢/٢٣٢ .

ذلك ، فَرَاجَعَها ، فنزلت هذه الآية[1] .

وفي حديث هشام بنِ عُروَةَ ، عن أبيــه ، عن عائشة ، أنَّ سَوْدَةَ وَهَبَتْ يومهـا لعـائشةَ ، وكانَ رسولُ اللـه ﷺ يقسم لعــائشة يَوْمَهَـا ، ويَــوْمَ سودة[2] ، ابتــغت سودةُ بذلك رِضَىٰ رسولِ اللــه ﷺ .

٢١٤ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾** [آية ١٢٨] .

والمعنى : والصلحُ خير من الفُرقةِ[3] ، ثم حذف هذا لعلمِ السَّامِعِ .

---

(١) الحديث أخرجه مالك في الموطأ ٥٤٨/٢ عن ابن شهاب عن رافع بن خديج ، وفي مسند الشافعي ٢٨/٢ وجامع البيان للطبري ٣٠٩/٥ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢٣٢/٢ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، ورواه البيهقي مطولاً ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٨١/٢ .

(٢) الحديث في الصحيحين ، ونصُّه : عن عائشة قالت : « لمَّا كبرت « سودة بنت زمعة » وهبتْ يومها لعائشة ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة » صحيح البخاري ٤٣/٧ وفي رواية لمسلم ١٧٤/٤ : « يقسم لعائشة يومين : يومها ويوم سودة » وروى الحاكم في المستدرك ١٨٦/٢ عن عروة عن عائشة أنها قالت له : يا ابن أختي ، كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على بعض ، في مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم إلَّا وهو يطوف علينا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى مَن هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت « سودة بنت زمعة » حين أسنَّت وفَرِقت ـــ أي خافت ـــ أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله : يومي هذا لعائشة ، فقبِل رسول الله ﷺ ، قالت عائشة ففي ذلك أنزل الله ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً .. ﴾ الآية .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ٣٨٢/٢ : والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج ، وقبول الزوج ذلك ، خيرٌ من المفارقة بالكلية ، كما أمسك النبي ﷺ « سودة بنت زمعة » على أن تركت يومها لعائشة رضي الله عنها ، ولم يفارقها بل تركها في جملة نسائه ، وفَعَل ذلك لتتأسَّى به أمته في مشروعية ذلك وجوازه ، فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ، ولمَّا كان الوفاق أحبَّ إلى الله من الفراق قال سبحانه ﴿ والصُّلح خَيْرٌ ﴾ .

وقيل في معنى « اللَّهُ أَكْبَرُ » : اللَّهُ أَكْبَرُ من كل شَيْءٍ[1] .

٢١٥ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ .. ﴾ [آية ١٢٨] .

قال عطاءٌ : يعني الشُّحَّ في الأيام والنفقة[2] .

ومعنى هذا أن المرأة تشحُّ بالنفقةِ على ضرايرها وإيثارِهنَّ .

وقال سعيد بن جبير : هذا في المرأة تَشُحُّ بالمالِ والنَّفْسِ .

٢١٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ .. ﴾ [آية ١٢٩] .

---

(١) هذا تمثيل للغرض الذي أراده المصنف فقوله تعالى ﴿ والصلح خير ﴾ أي خير من المفارقة والطلاق ، وحذف هذا لظهوره للسامع ، كما حُذف من قولنا « الله أكبر » أي أكبر من كل كبير ، وأكبر من كل شيء .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن عطاء ٣١١/٥ وابن الجوزي ٢١٨/٢ وعلى هذا القول والتفسير يكون الشح من جهة المرأة أي جُبلت نفس المرأة على الشح بالتنازل عن حقها لزوجها ، فهي تريد نصيبها كاملاً من زوجها من النفقة والمبيت ، وهذا مروي عن سعيد بن جبير وابن عباس ، وقال ابن زيد : الضمير يعود على الزوجين ، فالمرأة لا تكاد تسمح بحقها من النفقة والاستمتاع ، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بالنفقة عليها وإمساكها إذا رغب عنها ويضنُّ أن يقسم لها ، ومعنى « أُحْضِرت » أي أُلزمت ، و « الشحُّ » معناه شدة البخل مع الحرص على الشيء ، هذا قول ابن فارس ، وانظر زاد المسير ٢١٨/٢ وصفوة التفاسير ٣٠٨/١ .

قال عَبيدةُ[1] : في الحُبِّ والجِمَاعِ[2] .

٢١٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيلِ .. ﴾** [آية ١٢٩] .

قال عَبِيْدَةُ : يعني بالأنفسِ[3] .

وقال مجاهد : لاتَتَعَمَّدُوا الإساءة[4] .

والمعنى اقْسِمُوا بينهنَّ بِالسَّوِيَّةِ .

ورُوِيَ عن عائشة رحمها الله أنها قالت : « كان رسولُ الله ﷺ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ بالعَدْلِ ثم يقول : اللهم هذا مَا أَمْلِكُ ، فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَمْلِكُهُ وَلَا أَمْلِكُهُ »[5] .

---

(١) هو « عَبِيدَة بن عمرو السَّلْماني » من كبار التابعين من الفقهاء والمفسرين ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يره ، وكان من أصحاب عليّ ، وابن مسعود ، وهو من أكابر علماء الكوفة قال عنه ابن معين : ثقة لا يُسأل عن مثله ، توفي سنة ٧٢هـ وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ٨٤/٧ وفي الجرح والتعديل للرازي ٩١/٦ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣١٣/٥ وابن كثير في التفسير ٣٨٢/٢ ووضّحه رحمه الله فقال : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء في جميع الوجوه ، فإنه وإن حصل القِسم الصوريُّ ليلة وليلة ، فلا بدَّ من التفاوت في المحبة ، والشهوة ، والجماع ، كما قال ابن عباس ، وعبيدة السلماني ، ومجاهد ، والحسن البصري وغيرهم . اهـ .

(٣) يريد المصنف أن يقول : فلا تميلوا بأنفسكم عن المرغوب عنها ميلاً كاملاً ، فتجعلوها كالمعلَّقة ، التي ليست بذات زوج ولا مطلَّقة .

(٤) الطبري عن مجاهد ٣١٥/٥ قال : هو أن يتعمد أن يسيء ويظلم .

(٥) الحديث أخرجه الحاكم وأهل السنن ، ولفظ أبي داود عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني القلب . وانظر سنن أبي داود ٢٤٢/٢ وتحفة الأحوذي شرح الترمذي ٢٩٤/٤ =

٢١٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** .. ﴾ [آية ١٢٩] .

قال الحسن : هي التـــي لَيْسَ [لَهَـــا][1] زَوْجٌ وَلَا هِيَ مطلَّقَةٌ[2] .

وقال قتادة : كالمحبوسة وكالمسجونة[3] .

٢١٩ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّـــهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [آية ١٣٤] .

رُوِيَ أن أكثر المشركين كانــوا لا يؤمنـــون بالقيامـــة ، وإنما يتقربون إلى اللـه ، ليُـوسَّعَ عليهم في الدنيـا ، ويدفـع عنهم مكرُوهَهَـا ، فأنـزل اللـه : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَـا فَعِنْـدَ اللّـهِ ثَوَابُ الدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ ﴾[4] .

= والنسائي ٦١/٧ وابن ماجـه ٦٣٤/١ وذكـره ابـن كثير ٣٨٢/٢ ورواه الحاكم ١٨٧/٢ وصحَّحـه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي « فيما لا أملك » يعني به الحب والمودة .

(١) أثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في جامع البيـان عن الحسن البصري ٣١٦/٥ وذكـره السيوطـي في الـدر المنثور ٢٣٣/٢ عن ابن عباس ، وعزاه ابن كثير في التفسير إلى ابـن عبـاس ، ومجاهـد ، وسعيـد بن جبير ، والحسن ، والضحاك ، والسدي ، ومقاتل ، قالوا معنـاه : لا ذات زوج ولا مطلَّقـة ، انظر تفسير ابن كثير ٣٨٢/٢ .

(٣) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٢ ونسبه لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنـذر ، وابن جرير كلهم عن قتادة .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ١٢٧/٢ وعلى هذا القول تكون الآية في المشركين : ويرى ابن جرير أن الآية نزلت في المنافقين ، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وقال إن هذه الآية مثل قوله تعـالى ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها .. ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك الذيـن ليس لهم في الآخرة إلا النـار =

٢٢٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ .. ﴾ [آية ١٣٥] .

الْقِسْطُ والإِقْسَاطُ : العَدْلُ ، يُقَالُ : أَقْسَطَ يُقْسِطُ إِقْسَاطاً ، إذا عَدَلَ ، وَقَسَطَ يَقْسِطُ ، إذا جَارَ[1]..

٢٢١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا[2] .. ﴾ [آية ١٣٥] .

المعنى : إن يكن المشهودُ له غنياً ، فلا يمنعْكُم ذلك مِنْ أَنْ تشهدوا ، وإن يكن المشهودُ عليه فقيراً ، فلا يمنعْكُم ذلك من أن

= وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ونازعه فيها ابن كثير وقال « إن تفسيره فيه نظر ، ورجح أن الآية عامة وقال المعنى : اعلم يا من ليس همه إلا الدنيا ، أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وإذا سألته من هذه وهذه ، أعطاك وأغناك وأقناك » . اهـ. تفسير ابن كثير ٢/٣٨٤ ولا شك أن هذا هو الأرجح ، فإن الغرض من الآية تنبيه الغافل ألا تكون همته قاصرة على السعي لدنيا فقط ، بل لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة فليطلبه من الله الذي بيده النفع والضر .

(١) هكذا قال أهل اللغة إن القِسط معناه العدل ، وكذلك الإقساط معناه العدل ، فكلا المصدرين بمعنى العدل ، والتفريق إنما يأتي من الفعل ، فأقسط الرباعي معناه في اللغة عَدَل ، ويأتي اسم الفاعل منه مُقسِط قال تعالى ﴿ وأقسطوا إن الله يحبُّ المقسطين ﴾ أي العادلين ، وأمَّا قَسَط الثلاثي فإن معناه ظلم وجار ، ويأتي اسم الفاعل « قاسط » قال تعالى ﴿ وأمَّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ أي الظالمون .

(٢) في الأصل « أولى بها » وصوابه ما أثبتناه « أولى بهما » كما هو النصُّ القرآني الكريم .

تشهدوا عليه[1] .

فإن قيل : كيف يقوم بالشهادة على نَفْسِهِ ؟ وهل يشهد على نَفْسِهِ[2] ؟ .

قيل : يكونُ عليه حَقٌّ لغيرِهِ فيُقِرُّ له به ، فذلك قِيَامُهُ بالشهادة على نَفْسِهِ[3] .

أَدَّبَ اللهُ عز وجل [بهذا][4] المؤمنين ، كما قال ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ : أُمِرُوْا أَنْ يقولُوا الحقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ[5] .

---

(١) معنى الآية الكريمة : « إن يكن المشهود عليه غنياً فلا يُراعى لغناه ، أو فقيراً فلا يمتنع من الشهادة عليه ، ترحُّماً وإشفاقاً ، فالله أولى بالغنيّ والفقير ، وأعلم بما فيه صلاحهما ، فراعُوا أمر الله فيما أمركم به ، فإنه أعلم بمصالح العباد منكم » وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٣١٠/١ .

(٢) قال الزجاج في معانيه ١٢٨/٢ : ومعنى الآية : قوموا بالعدل ، واشهدوا لله بالحق ، وإن كان الحق على نفس الشاهد ، أو على والِدَيْهِ وأقربيه . اهـ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ١٢٨/٢ : المعنى : قوموا بالعدل ، واشهدوا لله بالحق ، وإن كان الحق على نفس الشاهد ، أو على والديه ، وأقربيه . اهـ.

(٤) أثبتناه من الهامش وسقط من الأصل .

(٥) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٢٢/٥ ولفظه قال : « أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق ، ولو على أنفسهم ، أو آبائهم ، أو أبنائهم ، ولا يُحابوا غنياً لغناه ، ولا يرحموا مسكيناً لمسكنته» وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٤/٢ ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عباس ، قال الحافظ ابن كثير ٣٨٥/٢ : ومن هذا القبيل قول عبد الله بن رواحة لمَّا بعثه النبي يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : « والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الخلق إليَّ ، وإنكم لأبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبِّي إياه وبغضي لكم على ألّا أعدل فيكم » فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

٢٢٢ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا .. ﴾ [آية ١٣٥] .

المعنى : فلا تَتَّبعوا الهوى لأن تعدلوا ، وأَدُّوْا ما عندكم من الشهادة .

فهذا قولُ أكثرِ أهلِ اللُّغَةِ[١] .

ويجوز أن يكون المعنى فلا تَتَّبِعُوا الهَوَىٰ كَرَاهَةَ أَنْ تعدلوا ، لأنه إذا خالف الحقَّ ، فكأنه كَرِهَ العَدْلَ .

٢٢٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا .. ﴾ [آية ١٣٥] .

رَوَىٰ قَابوسُ بنُ أَبي ظِبْيانٍ ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : «هو في الخصمَيْن ، يتقدَّمان إلى القاضي ، فيكونُ لَيُّهُ لأحَدِهِمَا ، وإعراضُهُ عن الآخر »[٢]

وقال مجاهد : ﴿وَإِنْ تَلْوُوْا﴾ أي تُبَدِّلُوْا ﴿ أَو تُعْرِضُوا ﴾ تَتْرُكُوْا .

---

(١) قال في البحر ٣٧٠/٣ : « لما أمر تعالى بالقيام بالعدل ، وبالشهادة لمرضاة الله تعالى ، نهى عن اتباع الهوى ــ وهو ما تميل إليه النفس مما لم يبحه الله ــ وقوله ﴿ أن تعدلوا ﴾ من العدول عن الحق ، أو من العدل وهو القسط ، فعلى الأول يكون التقدير : إرادة أن تجوروا ، أو محبة أن تجوروا ، وعلى الثاني يكون التقدير : كراهة أن تعدلوا بين الناس وتقسطوا » . اهـ.

(٢) هذا الأثر عن ابن عباس ذكره ابن جرير في جامع البيان ٣٢٣/٥ وذكره في البحر ٣٧١/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٣/٢ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذهب إليه مجاهد ، وابن جبير ، والضحاك ، والسدي ، وابن زيد ، وهو الذي رجحه الطبري لأن الآية في الشاهد لا في الحكم .

فَمَذهَبُ ابنِ عباسٍ أنّ اللَّيَّ من الحاكِمَ ، ومَذْهَبُ مجاهدٍ أنه من الشَّاهِدِ(١) .

وكذلك قال الضحاك : هو أن يَلْوِيَ لِسَانَهُ عن الحقِّ في الشهادة ، أو يُعْرِضَ فيكتمها(٢) .

وأصلُ لَوَىٰ في اللغة : مَطَلَ(٣) .

وأنشد سيبَوَيْه :

قَدْ كُنْتُ دَايَــــنْتُ بها حَسَّانَــــا
مَخَافَــةَ الإفــلَاسِ واللَّيَانَــــا(٤)

---

(١) قال ابن جرير ٣٢٤/٥ : وأولى التأويلين بالصواب : أنه ليُّ الشاهد شهادته لمن يشهد له ، أو عليه ، وذلك تحريفه إيَّاها ، وتركه إقامتها ، ليبطل بذلك شهادته لمن شهد له ، وعمَّن شهد عليه ، وأما إعراضه عنها ، فإنه ترك أدائها والقيام بها ، فلا يشهد بها ، لأن الله جل ثناؤه قال ﴿ شُهداء لله ﴾ فهي بالشهادة أولى . اهـ. ولم يحك ابن كثير غير هذا القول في تفسيره ٣٨٥/٢ فقد ذكر ما نصُّه : ﴿ وإن تلووا أو تُعْرضوا ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف « تلْووا » أي تحرِّفوا الشهادة وتغيِّروها ، واللَّيُّ : هو التحريف ، وتعمُّد الكذب ، والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها » .

(٢) وهكذا قال أبو حيان في البحر المحيط ٣٧١/٣ : والظاهر أن الخطاب للمأمورين بالشهادة لله بالقسط ، والمنهيين عن اتباع الهوى ، وهو قول الضحاك والسدي وابن زيد ومجاهد ، قالوا إنها في الشهود ، يلوي الشهادة بلسانه فيحرِّفها ، ولا يقول الحق فيها ، أو يعرض عن أداء الحق فيها ، وهو الأرجح .

(٣) ومنه الحديث الشريف (ليُّ الواجد يُحِلُّ عِرْضَهُ وعقوبته) أي مطلُ الغني الواجد لوفاء الدين يحل حبسه ، وشكايته للحاكم ، والكلام عليه أمام الناس ، والحديث أخرجه أحمد والنسائي ، وانظر فيض القدير ٤٠٠/٥ .

(٤) البيت لرؤبة بن العجاج ، وهو في ديوانه ص ١٧٨ تحقيق ابن الورد ، وهو منسوب وليس بالأصل ، وذكره النَّفاخ في شواهد سيبويه ص ١٤٩ وهو من الأرجاز وتتمته :
« يُحْسِنُ بيعَ الأَصْلِ والقِيَانَا »

وقُرِىءَ : ﴿ وَإِنْ تَلُوْا أَوْ تُعْرِضُوْا ﴾[١] . وفيه قولان :

أحدهما للكسائي ، قال : والمعنى من الولايـة ، وإن تلُـوا شيئـاً أو تدعوه[٢] .

وقـال أبـو إسحاق[٣] : من قرأ : (وَإِنْ تَلـوْا) فالمعنـى على قراءتـه وإن تَلْـوُوْا ، ثم هَمَـزَ الـوَاوَ الأُولَـى فصارت تَلْـؤُوْا . كما قال : يقال : أَدْؤُرٌ في جمع دارٍ ، ثم أَلْقَىٰ حَرَكَةَ الهمزة على اللام ، وحـذف الهمزة فصارت تَلُوْا ، كما يقال : آدُرٌ في جمع دار .

٢٢٤ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُـوا بِاللَّـهِ وَرَسُوْلِـهِ .. ﴾** [آية ١٣٦] .

في معنى هذا قولان :

أَحَدُهُمَا : اثبتوا على الإيمان[٤] ، كما يقال للقـائم : قِفْ حَتَّـى أَجِيءَ .

---

(١) هذه قراءة حمزة وابن عامر ﴿ وإن تلوا ﴾ بواو واحدة واللام مضمومة ، وقرأ ابـن كثير ، ونافـع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، والكسائي ﴿ وإن تلووا ﴾ بواويـن الأولى مضـمومـة ، وانظـر السبعـة لابـن مجاهد ص ٢٣٩ والنشر ٢٥٢/٢ .

(٢) قال في البحر٣٧١/٣ : ولَحَّنَ بعض النحويين قارىء هذه القراءة وقال : لا معنى للولايـة هنـا .. وهذا لا يجوز لأنها قراءة متواترة في السبع ، ولها معنى صحيح وتخريج حسن . اهـ.

(٣) هو الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ١٢٩/٢ .

(٤) هذا هو الظاهر أنه خطاب للمؤمنين ، وأمر لهم بالثبات والدوام على الإيمان ، والمعنى : اثبتوا على الإيمان كقوله تعالى ﴿ ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ وكقول المسلم في صلاته ﴿ اهدِنـا الصراط المستقيم ﴾ أي ثبِّتنا على الصراط المستقيم ، وهذا هو قول الأكثرين ، ورجحـه ابـن كثير وردَّ على =

أي اثْبُت قائماً .

والقَوْلُ الآخر : أنه خطابٌ للمنافقين[1] ، فالمعنـى على هذا : يا أيها الذين آمنوا في الظاهر ، أخلصوا للّهِ .

٢٢٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً ، لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ، وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾** ـ [آية ١٣٧] .

قال مجاهد : يُعْنَىٰ بِهِ المنافقون .

قال : ومعنى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرَاً)

مَاتُوا على ذلك[2] .

= من اعترض على هذا القول فقال ٣٨٥/٢ : وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والدوام عليه ، وكذا قال أبو حيان في البحر ٣٧١/٣ : ومعنى « آمِنُوا » دوموا على الإيمان ، قاله الحسن وهو الأرجح ، لأن لفظ المؤمن متى أُطلق لا يتناول إلا المسلم .

(١) هذا قول مجاهد كما في تفسير ابن الجوزي ٢٢٤/٢ قال ومعناه : يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بألسنتهم ، آمِنوا بقلوبكم ، واختار ابن جرير أنها في أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، الذين آمنوا بكتبهم ولم يؤمنوا بالرسول ولا بالقرآن ، يقول لهم آمنوا بمحمد وبما جاء به من عند الله .. إلخ . والأرجح ما ذكرناه أنها في المؤمنين .

(٢) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٣٢٧/٥ وابن كثير ٣٨٦/٢ وابن الجوزي ٢٢٥/٢ وهو مروي عن ابن عباس وابن زيد قال السيوطي في الدر المنثور ٢٣٥/٢ وعن ابن زيد أنهم المنافقون آمنوا مرتين ، وكفروا مرتين ، ثم ازدادوا كفراً ، ورجح هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٣٧٣/٣ قال : « والظاهر أنها في المنافقين ، إذ هم المتلاعبون بالدين ، فحيث لقوا المؤمنين قالوا آمنا ، وإذا لقوا أصحابهم قالوا : إنا مستهزئون ، ولذلك جاء بعده ﴿ بشِّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ فهم مترددون بين إظهار الإيمان والكفر باعتبار من يلقونه .

وهذا القول ليس يبعد في اللغة ، لأنهم إذا ماتوا على الكفر فقد هلكوا ، فهم بمنزلة مَنِ ازْدَادَ .

وقال أبو العالية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ اليهود والنصارى كفروا ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً ﴾ بذنوبٍ عَمِلُوْهَا[1] .

وقال قتادة : (الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) اليهود والنصارى ، آمَنَتْ اليهود بالتوراة ثم كفرتْ يعني بالإنجيل ، ثم آمنوا بِعُزَيْرٍ ، ثم كفروا بِعِيسَىٰ ، ثم ازدادوا كفراً ، بكفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم[2] .

وآمنتْ النصارى بالإنجيل ثم كفرتْ ، وكُفْرُهُمْ بِهِ تركُهم إيَّاهُ ثم ازدادوا كفراً بالقرآن وبمحمدٍ عليه السلام[3] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن أبي العالية ٥/٣٢٨ والقرطبي ٥/٤١٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٢٦٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣٤ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٥/٣٢٨ ورجحه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٣٤ وابن عطية في المحرر ٤/٢٦١ ورجح قول مجاهد أنها في المنافقين قال : وهذا القول هو المترجح ، وقول الحسن بن أبي الحسن جيد محتمل ، وقول قتادة وأبي العالية — وهو الذي رجحه الطبري — قول ضعيف ، تدفعه ألفاظ الآية ، وانظر التعليق الذي بعده .

(٣) قال ابن عطية ٤/٢٦١ : قول قتادة وأبي العالية — وهو الذي رجحه الطبري — قول ضعيف ، تدفعه ألفاظ الآية ، وذلك أن الآية إنما هي في طائفة يتّصف كل واحد منها بهذه الصفة ، من التردد بين الكفر والإيمان ، ثم يزداد كفراً بالموافاة — يعني بالموت على الكفر — واليهود والنصارى لم يترتب في واحد منهم إلا إيمان واحد ، وكفر واحد ، وليس هذا هو مقصد الآية ، وإنما توجد هذه الصفة في شخص المنافقين ، لأن الواحد منهم يؤمن ثم يكفر ، ثم يوافي على الكفر ، وتأمل قوله تعالى ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ فإنها تقتضي أن هؤلاء محتوم عليهم من أول الأمر ولذلك تردَّدوا ، وليست مثل أن يقول « لا يغفر الله لهم » بل هي أشد ، فتأمل الفرق بين العبارتين فإنه من دقيق غرائب الفصاحة . اهـ.

٢٢٦ ــ وقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابَاً أَلِيْمَاً ﴾ [آية ١٣٨] .

[المعنى][١] اجعَل ما يقومُ لهم مقامَ البِشَارَةِ العَذَابَ .

وأنشد سيبويه :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ
تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٢]

أي الذي يَقُومُ مَقَامَ التحيَّةِ ضَرْبٌ وَجِيْعٌ .

٢٢٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ ؟ [آية ١٣٩] .

أَيَبْتَغِي المنافقون عند الكافرين العِزَّة ؟ أي الْمَنَعَةَ .

قال الأصمعي : يقال : أرض عَزَاز ، بالفتح والكسر ، إذا كانت صُلْبَةً شَدِيْدَةً . وقَوْلُهم : يَعِزُّ عَلَيَّ ، أي يَشْتَدُّ عَلَيَّ[٣]

---

(١) أثبتناه من الهامش ولينست في الأصل .

(٢) البيت لـ « عمرو بن معديكرب » وهو في شواهد سيبويه ص ١١٠ للنفاخ والخصائص ٣٥/٤ وفي كتاب سيبويه ٤٦٥/١ والخزانة ٥٣/٤ واستشهد به في البحر المحيط ٣٧٣/٣ قال : « وجاء بلفظ « بَشِّر » على سبيل التهكم بهم ، نحو قوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بعذاب أليم ﴾ أي القائم لهم مقام البشارة وهو الإخبار بالعذاب ، كما قال الشاعر : « تحية بينهم ضربٌ وجيعُ » وانظر معاني الزجاج ١٣١/٢ وفي المخطوطة « دَلَقْتُ » وهو تصحيف وصوابه بالفاء « دَلَفْتُ » ومعناه زحفت ودنوت .

(٣) في الصحاح : عزَّ الشيء يعِزّ : إذا قلَّ فلم يكن يوجد ، وعزَّ عليَّ أن تفعل كذا أي حقَّ واشتدَّ .

ومنه قوله تعالى ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[1] أي قهرني لأنه أَعَزُّ مني .

ومنه قولهم : « مَنْ عَزَّ بَزَّ »[2] أي مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ .

ومنه قوله « فَعَزتهُ يَدَاهُ وكاهلُهُ » .

۲۲۸ ـ وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا أَلَم نَستَحْوِذْ عَلَيكُم .. ﴾ [آية ١٤١] .

يقال : استحوذ [عليه][3] إذا استولى عليه .

فالمعنى : قال المنافقون للكافرين : ألم نَغْلِبْ عليكم بِمُوَالَاتِنَا إياكم ، ونَمْنَعْكُم من المؤمنين[4] ، أي أخبرناكم بأخبارهم لتحذروا مايكون منهم .

---

(١) سورة صٓ آية رقم (٢٣) .

(٢) هذا من أمثال العرب ، ومنه قول الخنساء :

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمىً يُتَّقَى ... إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

قال الجوهري في الصحاح مادة عزز : عزَّ عليَّ أن تفعل كذا : اشتدَّ ، وفي المثل : « إذا عزَّ أخوك فَهِنْ » أي إذا اشتدَّ فكن هيِّناً ، وعزَّه يَعزُّه : غَلَبَهُ ، وفي المثل « مَنْ عَزَّ بزَّ » . اهـ. من الصحاح .

(٣) غير موجود في الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٤) يقول القرطبي ٤١٨/٥ : يُقال : استحوذ على كذا أي غَلَب عليه ، ومنه قوله تعالى ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ والمعنى : يقول المنافقون : ألم نغلب عليكم حتى هابكم المسلمون وخذلناهم عنكم ؟ وقال في البحر وهو أظهر ٣٧٥/٣ : المعنى : ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم وأبقينا عليكم ؟ ﴿ ونمنعكم من المؤمنين ﴾ ؟ بأن ثبطناهم عنكم ، فأسهموا لنا من الغنيمة بحكم أننا نواليكم ولا نؤذيكم ، ولا نترك أحداً يؤذيكم . اهـ.

٢٢٩ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّـهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ سَبِيْلاً ﴾ [آية ١٤١] .

رُوِيَ عن علي رضي الله عنه أنه قال : ذلك في الآخرة[١] .

وقال ابن عباس : ذاك يَوْمُ القيامة .

وقال السُّدِّيُّ : السبيلُ : الحُجَّةُ[٢] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن علي ٣٣٣/٥ والقرطبي ٤١٩/٥ وابن كثير ٣٨٨/٢ وابن الجوزي ٢٣٠/٢ وروي عن ابن عباس أن ذاك يوم القيامة ، فقد روى ابن جرير ٣٣٣/٥ أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين أرأيتَ قول الله ﴿ ولن يجعلَ الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ وهم يقاتلوننا فيظهرون علينا ويقتلون ؟ فقال : ادنُ مني ، ادنه ، ثم قال ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله .. ﴾ الآية ذاك يوم القيامة ، هو يوم الحكم . قال ابن عطية : وبهذا قال جميع أهل التأويل ، قال ابن العربي : وهذا ضعيف لعدم فائدة الخبر فيه .

(٢) الأثر ذكره ابن جرير الطبري عن السدي ٣٣٤/٥ ورجحه حيث قال : « وأما السبيل في هذا الموضع فالحجة » يريد أن المعنى لن يجعل الله للكافرين حجة على المؤمنين يستظهرون بها ويتغلبون بها عليهم ، إلَّا أبطلها ودحضها ، واختار هذا القول بعض المفسرين ، والظاهر أن المراد من الآية هو تسليط الكفار على المؤمنين حتى يبيدوهم ويستأصلوهم ، وهو ما قاله ابن كثير ٣٨٨/٢ حيث قال : وذلك بأن يُسلَّطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية ، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان ، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة .

أقول : لعل هذا القول هو الأرجح ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان « إن الله زَوَى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإنَّ مُلك أمتي سيبلغ ما زُوِي لي منها ، وإني سألت ربي لأمتي ألَّا يهلكهم بسنة عامَّة ، وألا يسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ــ أي يفنيهم ويُهلكهم ــ وإن ربي قال لي يا محمد : إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرَدُّ ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكها بسنة عامة ــ يعني بالقحط والجدب ــ وألَّا أسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويَسْبِي ــ أي يسترق ــ بعضهم بعضاً » صحيح مسلم ٢٢١٥/٤ .

وقيل : إن المعنى إن الله ناصر المؤمنين بالحُجَّةِ والغَلَبَةِ ، لِيُظْهِرَ دِينَهُمْ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ .

٢٣٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ .. ﴾** [آية ١٤٢] .

قال أهل اللغة : سُمِّيَ الثاني خداعاً ، لأنه مُجَازَاةٌ للأَوَّلِ فَسُمِّيَ خِدَاعَاً على الازدواج(١) ، كما قال جل وعز : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾(٢) .

وقال الحسن : إذا كان يوم القيامة أعطي المؤمنون والمنافقون نُورَاً ، فإذا انتهوا إلى الصراط ، طُفِيءَ نُورُ المنافقين ، فَيُشْفِق المؤمنون فيقولون « رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا » فيمضي المؤمنون بنورهم ، فينادونهم : ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُم ﴾ الآية .

قَالَ الحَسَنُ : فَتِلْكَ خَدِيْعَةُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ(٣) .

وهذا القول ليس بخارج من قول أهل اللغة ، لأنه قد سَمَّاهُ

---

(١) الله تعالى منـزَّه عن الخداع ، وسميت المجازاة على العمل خداعاً من باب المزاوجة ، أي التوافق باللفظ دون المعنى ، ويسمى « باب المشاكلة » ومثله قوله تعالى ﴿ فَمَنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ ومنه قول الشاعر :

قَالُوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قلتُ اطبخُوا لي جُبَّةً وَقَمِيصاً

(٢) سورة الشورى آية رقم (٤٠) .

(٣) الأثر أخرجه ابن المنذر عن الحسن ، ورواه ابن جرير عنه ٣٣٤/٥ وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦٧/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٥/٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٧٧/٣ .

خِداعاً ، لأنه مُجازَاةٌ لَهُمْ[1] .

٢٣١ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [آية ١٤٢] .

قال الحسن : إنما قَلَّ لأنه لغير الله[2] .

ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « ما قَلَّ عَملٌ مَعَ تُقًى ، وكيفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ »[3] ؟! .

٢٣٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [آية ١٤٣] .

قال قتادة : ولا يكونون مُخْلِصِينَ بالإيمان ، ولا مُصَرِّحِينَ بالكفر[4] .

---

(١) في المخطوطة « مجاراة لهم » وهو تصحيف ، وصوابه « مجازاة » بالزاي كما أثبتناه ، قال ابن عطية ٢٢٦/٤ : وهذه عبارة عن عقوبة سمَّاها باسم الذنب ، فعقوبتهم في الدنيا الذلُّ والخوف والغم ، وفي الآخرة عذاب جهنم .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن الحسن ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٢ فقال : ورُوي عن قتادة أنه قال : « والله لولا الناس ما صلَّى المنافق ، ولا يصلي إلا رياء وسمعة » .

(٣) الأثر أخرجه ابن المنذر عن علي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٦/٢ وروي مثله عن قتادة حيث قال : إنما قلَّ ذكر المنافق لأن الله لم يقبله ، وكلُّ ما ردَّ الله قليل ، وكلُّ ما قَبِل الله كثير » وانظر الطبري ٣٣٥/٥ .

(٤) انظر الأثر في جامع البيان ٣٣٦/٥ وتفسير القرطبي ٤٢٤/٥ والدر المنثور ٢٣٦/٢ والمعنى : إنَّ المنافقين مضطربون ، ومتردِّدون بين الكفر والإيمان ، لا يثبتون على حال ، فهو وصف لهم بالحيرة في دينهم ، والتردد في شأن الإيمان ، ولهذا قال تعالى ﴿ مُذَبْذَبين بين ذلك ﴾ .

ورَوَىٰ عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ المنافق كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بينَ غَنَمَينِ ، إذا جاءتْ إلى هٰذِهِ نَطَحَتْها ، وَإِذَا جَاءَتْ إِلَىٰ هٰذِهِ نَطَحَتْهَا فَلَا تَتْبَعُ هٰذِهِ وَلَا هٰذِهِ »[1] .

وأصلُ التذبذبِ في اللغة التَحَرُّكُ والاضطرابُ[2] ، كما قال :

أَلَـمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ أَعْطَـاكَ سُوْرَةً

تَرَىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُوْنَهَا يَتَذَبْـذَبُ[3]

فالمعنى : إن المنافقين مُتَحَيِّرُونَ في دينهم ، لا يَرْجِعُونَ إلى اعتقاد شَيءٍ عَلَىٰ صحَّةٍ ، ليسوا مع المؤمنين على بصيرة ، ولا مع المشركين على جهالة ، فَهُمْ حَيارَىٰ بين ذلك[4] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المنافقين ٢١٤٦/٤ وأحمد في المسند ٤٧/٢ وابن جرير ٣٣٦/٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٦/٢ ولفظ مسلم « مثل المنافق كمثل الشاة العَائِرَة بين الغَنَمَيْن ، تَعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة » ومعنى العائرة المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع ، و « تعير » أي تتردد وتذهب .

(٢) قال أهل اللغة : الذبذبة : التحريك والاضطراب ، يُقال : ذبذبته فتذبذب ، والمذبذب : المتردد بين أمرين .

(٣) البيت للنابغة يمدح به النعمان بن المنذر ، وهو في ديوانه « مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ١٧٥ » واستشهد به الطبري في جامع البيان ٣٣٥/٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦٨/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٤٢٣/٥ .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٢/٢ : المذبذب : المتردد بين أمرين ، وهذه صفة المنافق ، لأنه محيِّر في دينه ، لا يرجع إلى اعتقاد صحيح ، لم يظهروا الكفر فيكونوا مع الكفار ، ولم يَصْدُقوا الإيمان فيكونوا إلى المؤمنين . اهـ .

والنفاق مأخوذ من النَّافِقاء ، وهو أَحَدُ جحور الْيَرْبُوعِ ، إذا أخِذَتْ عليه المواضعُ ، خرجَ منه ولا يُفْطَنُ إليه .

وكذلك المنافق يُظهِر الإسلام ، ويَخرجُ منه سِرّاً .

وفي الحديث : « للمنافق ثلاثُ علاماتٍ : إذا حدَّث كذب ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا ائْتُمِنَ خانَ »[1] .

٢٣٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيْناً ﴾ ؟ [آية ١٤٤] .

قال قتادة : السلطانُ : الحُجَّةُ[2] .

وكذلك هو عند أهل اللغة :

٢٣٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .. ﴾ [آية ١٤٥] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٨٣/١ ومسلم برقم ٥٩ ولفظه : « آية المنافق ثلاث ، وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » صحيح مسلم ٧٨/١ وفي رواية أخرى في الصحيحين « أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » .

(٢) السلطان في اللغة : الحجة الظاهرة ، ومنه قوله تعالى ﴿ فائتونا بسلطان مبين ﴾ أي بحجة واضحة تظهر صِدْقكم ، وروي عن ابن عباس أنه قال : « كلُّ سلطان في القرآن فهو بمعنى الحجة » قال ابن الأنباري : تقدير الآية : أتريدون أن تجعلوا لله عليكم ، بموالاة الكافرين ، حجة بينة تُلزمكم عذابه ، وتكسبكم غضبه ؟ ـ اهـ. انظر زاد المسير ٢٣٣/٢ .

قال عبدالله بن مسعود : « يُجْعَلُونَ في تَوَابِيتَ من حديدٍ تُغْلَق[1] عليهم» وفي بعض الحديث : من نارٍ ، ثم تُطبق عليهم[2] .

والأَدْرَاكُ في اللغةِ : المنازِلُ والطبقاتُ[3] .

٢٣٥ ــ **وقول جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وكان الله شاكراً عليماً . لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ .. ﴾** [آية ١٤٧ ــ ١٤٨] .

وقرأ زيدُ بنُ أَسْلَمَ وابنُ أبي إسحاق : ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾[4] .

وعلى هذه القراءة **فيه** ثلاثةُ أقوالٍ :

قال الضحَّاكُ : المعنى : ما يفعلُ اللهُ بعذابكم إلَّا مَنْ ظَلَمَ .

---

(١) في الأصل « تُعلق » بالعين المهملة وهو تصحيف وصوابه ما أثبتناه « تُغلق » .

(٢) الأثر عن ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، كذا في الدر المنثور ٢٣٦/٢ وفي رواية لابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : « الدَّرك الأسفل : بيوت من حديد ، لها أبواب تُطبق عليها ، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم » وذكره ابن جرير ٣٣٨/٥ وابن كثير ٣٩٣/٢ وابن الجوزي ٢٣٤/٢ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٤٢/١ : « جهنم أَدْرَاك أي منازل وأطباق ، فكل منزل منها دَرَك » وقال ابن الأنباري : الدَّركات درجات بعضها تحت بعض ، ويُقال للشيء إذا كان بعضه فوق بعض درج ، وإذا كان البعض أسفل من بعض يقال : درك ، روي ذلك عن الضحاك ، وابن عباس ، وانظر البحر المحيط ٣٨٠/٣ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠٣/١ قال أبو الفتح : ظَلَم ، وظُلِمَ ، جميعاً على الاستثناء المنقطع ، أي لكن من ظَلَم فإن الله لا يخفى عليه أمره ، ودلَّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وكان الله سميعاً عليماً ﴾ .

وقيل : المعنى : لا يَجْهَرُ أَحَدٌ بالسُّوءِ ، إلا مَنْ ظَلَمَ فإنه يَجْهَرُ بِهِ اعتداءً[1] .

وقال أبو إسحاق الزَّجَّاجُ : يجوز أن يكون المعنى إلا مَنْ ظَلَمَ فقال سُوءً فإنه ينبغي أن تأخذوا على يَدَيهِ ، ويكون استثناءً ليس من الأول[2] .

وعلى الجَوابَيْنِ الأَوَّلَيْنِ يكون استثناءً ليس من الأول أيضاً .

ومن قرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾[3] ففيه أقوالٌ :

أحدها : رُوِيَ عن مجاهد أنه قال : (نزلتْ هذه الآية في رَجلٍ ضَافَ قوماً فلم يُحْسِنُوا إليه ، فذكرهم بما فعلوا ، فَعَابُوهُ بذلك ، فنزلتْ : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَولِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾[4] .

---

(١) وضَّح هذا المعنى أبو حيان في البحر ٣٨٣/٣ فقال : المعنى : لكنَّ الظالم يحب الجهر بالسوء فهو يفعله اعتداءً .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٣٧/٢ فقد قال إنه استثناء منقطع ، والمعنى عنده : لا يحبُّ الله الجهر بالسوء من القول ، لكن المظلوم يظهرُ بظلامته تشكياً ، والظالم يجهر بذلك ظلماً واعتداء .

(٣) هذه قراءة الجمهور بالبناء للمجهول ، وهي القراءة التي اتفق عليها القرَّاء ، والقراءة الأولى شاذة كما أسلفنا .

(٤) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري في جامع البيان ٢/٦ وابن كثير في تفسيره ٣٩٥/٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٨١/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/٢ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن مجاهد .

فالمعنى على هذا:لكِنْ مَنْ ظُلِمَ فَلَهُ أَنْ يذكر ما فُعِلَ بِهِ[1] .

قال الحسن : « هذا في الرَّجُلِ يُظْلَمُ فلا ينبغي أَنْ يدعو على مَنْ ظَلَمَهُ ، ولكنْ لِيَقُل : اللهم أَعِنِّي عليه ، واستخرج لي حقِّي منه ، ونحو ذلك »[2] .

وقال قطرب : ﴿ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ إنما يريدُ الْمُكْرَهَ ، لأنه مظلوم ، وذلك موضوعٌ عنه وإنْ كَفَرَ .

قال : ويجوز أن يكون المعنى (إلا مَنْ ظُلِمَ)[3] على البَدَلِ ، كأنه لا يُحبُّ اللهُ إلا مَنْ ظُلِمَ ، أي لا يحبُّ الظالم ، وكأنه يقول : يُحِبُّ مَنْ ظُلِمَ . أي يَأْجُرُ مَنْ ظُلِمَ .

والتقديرُ على هذا القول:لا يُحِبُّ اللَّهُ ذَا الْجَهْرِ بِالسُّوءِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ، عَلَىْ الْبَدَلِ[4] .

---

(١) هذا هو الراجح من الأقوال ، والمعنى : لا يحب الله الفحش من القول ، إلا المظلوم ، فإنه يُباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه ، وأن يذكره بما فيه من السوء .

(٢) لأثر ذكره ابن جرير عن الحسن ١/٦ وابن كثير ٣٩٤/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/٢ وروي نحوه عن ابن عباس قال : لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً . الطبري ١/٦ .

(٣) وعلى هذا القول يكون معنى الآية : لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء إلا من أُكره على ذلك ، ويكون كقوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ وقد ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٢/٣ عن بعض المفسرين .

(٤) هذا القول فيه تكلف وهو بعيد ، والأظهر ما قاله ابن عباس أن المعنى : لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد ، إلا المظلوم الذي يدعو على ظالمه ، فإن الله قد أرخص له ، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في الصحيح « ثلاثة لا ترد دعوتهم .. وذكر منها دعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق السحاب ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول : وعزتي وجلالي لأنتقمن لك ولو بعد حين » .

٢٣٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ .. ﴾ [آية ١٥٠] .

قال قتادة : هم اليهود والنصارى ، آمنت اليهودُ بموسىٰ والتوراة والإنجيل ، وكفرت بعيسى والإنجيل ، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل ، وكفرت بمحمد والقرآن[1] .

٢٣٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ [آية ١٥٠] .

قال قتادة : اتخذوا اليهودية والنصرانية وابتدعوهما ، وتركوا دِينَ اللهِ الإسلامَ ، الذي لم يُرْسَلْ نبيٌّ إلا به[2] .

٢٣٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً .. ﴾ [آية ١٥٣] .

قال قتادة : أي عياناً .

وقال أبو عُبيدةَ : هو من صفةِ القول ، والمعنى : فقالوا

---

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٦/٦ وابن كثير في تفسيره ٣٩٧/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٠/٢ قال الحافظ ابن كثير : والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض .

(٢) الطبري عن قتادة ٦/٦ والبحر المحيط ٣٨٥/٣ والدر المنثور ٢٣٧/٢ .

جَهْرَةً أَرِنَا اللَّهَ[1] .

والقولُ عند أهل النظر قول قتادة[2] .

والمعنى : فقالوا أَرِنَا اللـهَ رُؤْيَـةً منكشفـةً ، لأنّ مَنْ عَرَف اللـهَ فقد رآه عِلْماً .

٢٣٩ ــ وقولُه جل وعـز : ﴿ وَرَفَعْنَـا فَوْقَهُـمُ الطُّـوْرَ بِمِيثَاقِهِـم .. ﴾ [آية ١٥٤] .

الطُّوْرُ : الْجَبَلُ[3] .

٢٤٠ ــ ثم قال جل وعـز : ﴿ وَقُلْنَـا لَهُـمُ ادْخُلُوا الْبَـابَ سُجَّـدًا .. ﴾ [آية ١٥٤] .

---

(١) هذا قول بعيـد ، حكـاه عنـه الزجـاج في معانيـه ١٣٨/٢ وضعّفـه ، ولم أره بهذا اللفـظ في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٢/١ وإنما ورد فيه ﴿ أرنا الله جهـرة ﴾ علانيـة . يريـد أنهم قالـوا علانيـة وجهراً : أرنا الله ، قال الزجاج : وعندي أن معناه أرنا الله رؤية بينة متكشفة ظاهرة ، وهذا عندي هو القول البين إن شاء الله ، ودليل هذا القـول ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمـن لك حتـى نرى الله جهرة ﴾ أي رؤية عياناً يدركونها بأبصارهم .

(٢) هذا قول جمهور المفسرين ، راجع الطبري ٦/٦ والبحر المحيـط ٣٨٦/٣ وهـو القـول الصحيـح ، لأنهم صرّحوا به في قولهم لموسى ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ .

(٣) قال ابن جرير ٩/٦ : ﴿ ورفعنا فوقهم الطُّور ﴾ يعني الجبل ، وذلك لما امتنعوا من العمل بما في التوراة .

قال قتادة : كنا نُحَدَّثُ أنه بابٌ من أبواب بيت المقدس[1] .

٢٤١ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ .. ﴾** [آية ١٥٤] .

قال قتادة : نُهُوا عن صَيْدِ الحيتان في يوم السبت[2] .

ويقال : عَدَا ، يَعْدُو ، عُدُوّاً ، وعُدْوَاناً ، وعَدَاءً وعَدْواً : إذا جاوز الحقَّ .

وَيُقْرَأُ : ﴿ تَعَدُّوا ﴾ بمعنى تعتدوا[3] .

٢٤٢ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ .. ﴾** [آية ١٥٥] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٠/٦ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٨/٢ والمحرر الوجيز ٢٨٠/٤ قال ابن عطية : هو باب بيت المقدس المعروف بـ « باب حطة » أُمروا أن يتواضعوا شكراً لله تعالى على الفتح الذي منحهم ، وأن يدخلوا باب المدينة سجداً ، وهو نوع من أنواع سجدة الشكر .

(٢) قال الطبري في روايته عن قتادة ١٠/٦ : أُمِر القوم ألّا يأكلوا الحيتان يوم السبت ، وألا يتعرضوا لها ، وأحل لهم ما وراء ذلك .

أقول : ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون في السبت .. ﴾ الآية .

(٣) هذه قراءة ورش بفتح العين وتشديد الدال ﴿ تَعَدُّوا ﴾ وقرأ الباقون ﴿ تَعْدُوا ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٠ .

(مَا) زايدة للتوكيد[1] ، يُؤَدِّي عن معنى قولك : حَقّاً .

وفي معناه ثلاثة أقوال :

أَحَدها : أن قتادة قال : المعنى:فَبِنَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَعَلَى قولِ قتادة حُذِفَ هذا لِعِلْمِ السَّامِعِ[2] .

وقال الكسائي : هو متعلقٌ بما قبله . والمعنى فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم عَطَفَ على ذلك إلى قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ ﴾[3] .

فزعم أنه فَسَّرَ « ظُلْمهم » الذي أخذتهم الصاعقة من أجله بما بعده ، من نقضهم ميثاقهم ، وقتلهم الأنبياء ، وسائر ما بيّن من أمورهم التي ظلموا فيها أنفسهم[4] .

---

(١) ليس معنى قول علماء اللغة إن « ما » زائدة » ، أنه لا فائدة منها ، بل هي كما قال المصنف زائدة للتوكيد ، فكما يؤكد العرب الكلام بـ « إنَّ » و « اللاَّم » وغيرهما من المؤكِّدات يؤكدون بزيادة « ما » فكأنه يقول : حقاً إنهم هالكون بسبب إجرامهم ونقضهم العهود .. إلخ . ولهذا قال الزجاج في معانيه ١٣٨/٢ : « ما » لغو في اللفظ ـ يريد أنها زائدة ـ فبنقضهم ميثاقهم حقاً ، فكما أن حقاً لتوكيد الأمر ، فكذلك « ما » دخلت للتوكيد . اهـ.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١/٦ والبحر المحيط ٣٨٨/٣ والمحرر الوجيز ٢٨٢/٤ قال ابن عطية ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ « ما » زائدة مؤكدة التقدير ، فبنقضهم ، وحذف جواب هذا الكلام بليغ ، متروك مع ذهن السامع ، تقديره : لعنّاهم وأذللناهم ، وحتمنا عليهم الخلود في جهنم .

(٣) ردَّ هذا القول ابن جرير الطبري وضعَّفه في جامع البيان ١١/٦ كما سنورده .

(٤) قال ابن جرير ١١/٦ ومعنى الآية : فبنقض هؤلاء عهودهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ، لعنّاهم ، وقال بعضهم : الكلام متصل بما قبله ، والمعنى عنده : فأخذتهم الصاعقة =

وهذا خطأٌ وغلطٌ ، لأن الذين أخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى ، والذين قتلوا الأنبياء ، ورموا مَرْيَمَ بالبهتان ، كانوا بعد موسى عليه السلام بدهرٍ طويل ، فليس الذين أخذتهم الصاعقة أخذتهم برميهم مريم بالبهتان .

وقولُ قتادة أَوْلَاها بالصواب .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[1] : المعنى فَبِمَا نَقْضِهِمْ [مِيْثَاقَهُمْ][2] حَرَّمْنَا عليْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ، ونقضهمُ الميثاقَ أنه أُخِذَ عليهم أن يُبَيِّنُوا صفة النبي ﷺ فنقضوا ذلك وكتموها[3] .

٢٤٣ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ .. ﴾**[4] [آية ١٥٥] .

= بظلمهم ، بنقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ، وبكذا وكذا أخذتهم الصاعقة ، فتبع الكلام بعضه بعضاً ، ومعناه مردود إلى أوله . قال : والصواب أنه متصل عمَّا قبله ، ومعنى الكلام : فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وبكذا وكذا لعنَّاهم وغضبنا عليهم ، فترك ذلك لدلالة قوله تعالى ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ لأن من طُبع على قلبه ، فقد لُعن وسُخط عليه .. إلخ . وهو الحق والصواب .

(١) يعني الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ١٣٨/٢ .

(٢) أثبتناها من هامش المخطوطة وسقطت من الأصل .

(٣) راجع معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج ١٣٩/٢ .

(٤) وقع خطأ بنقص بعض الكلمات من الآية في المخطوطة ، وأثبتناه كما هو النص القرآني .

قال قتادة : ﴿ غُلْفٌ ﴾ أي لاتفهم[1] .

ومعنى ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ خَتَمَهَا مجازاةً على كُفرهم .

وهو تمثيلٌ يقال : طَبَعَ السَّيْفُ يَطْبَعُ طَبَعاً : إذا غَطَّاهُ الصَّدَأُ .

٢٤٤ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ .. ﴾** [آية ١٥٧] .

قال مجاهد : قتلوا رجلاً توهموا أنه عيسى ﷺ ، ورفع الله عيسى حَيّاً[2] .

وقال قتادة : قال عيسى : أيكم يُقْذَفُ عليه شَبَهِي فَيُقتَل ويدخل الجنة ؟ فقال رجل منهم : أنا ، فَقُتِلَ[3] .

---

(١) هذا هو المعنى الراجح في الآية ، يقولون للنبي ﷺ : قلوبنا مغشّاة بأغشية لا تفهم ما تقوله يا محمد ، وهذا ما رجحه ابن جرير ، وابن كثير ، والجمهور ، وعلى هذا القول يكون « غُلْف » جمع أغلف ، وهو المغطّى بغلاف ، وقيل : غُلُفٌ جمع غِلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة لنا بما جاءنا به محمد ، وهذا القول اختاره الفراء والزجاج ، والأرجح الأول لقوله تعالى في آية أخرى ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه ﴾ أي في أغطية وحُجُب ، جمع كنان وهو الغطاء . وانظر جامع البيان ١٠/٦ ، وتفسير ابن كثير ٣٩٩/٢ .

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ١٥/٦ وتفسير ابن كثير ٤٠٣/٢ والدر المنثور ٢٣٨/٢ عن مجاهد ، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ١٤/٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٤٥/٢ وتفسير ابن كثير ٤٠١/٢ وقال : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وغيره من السلف .

أقول : الراجح ــ والله أعلم ــ قول مجاهد ، وهو أن الله ألقى شَبَهَهُ على ذلك الخائن الذي دلَّهم على مكان عيسى ، فصلبوه وهم يظنون أنه عيسى ، ولذلك وقعوا في الحيرة ، كما قال =

وقال غيره : يُعَذَّبون على أنهم قتلوا نبياً ، لأن تلك نياتهم .

٢٤٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ .. ﴾ [آية ١٥٧] .

لأنَّ مقالتَهم فيه مختلفةٌ ، وهم في شكٍّ منه .

٢٤٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً .. ﴾ [آية ١٥٧] .

المعنى عند أهل اللغة : وما قتلوا العلمَ يقيناً .

كما يقول : قتلتُه علماً ، وقتلته يقيناً : إذا علمتَهُ علماً تاماً(١) .

قال أبو عُبَيْد : ولو كان المعنى : وما قتلوا عيسى يقيناً لقال : « وما قتلوهُ » فقط(٢) .

= سبحانه ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ﴾ أي لفي شك من قتله ، وقد رُوي أنه لما دخل أمام اليهود ليدلهم عليه وألقى الله عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى إلى السماء حياً ، قال اليهود : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ فشكُّوا في أمره فصلبوه وهم غير متيقنين منه ، وهذا ما اختاره أبو السعود ، والبيضاوي ، وجمهور المفسرين ، وانظر الفتوحات الإلهية على الجلالين ١/٤٤٢ .

(١) هذا قول الفراء في معانيه ١/٢٩٤ قال : الهاء ههنا للعلم كما تقول : قتله علماً ، وذكر الزجاج في معانيه ٢/١٤١ قال بعضهم «وماقتلوه» الهاءُ للعلم ، المعنى : وما قتلوا علمهم يقيناً كما تقول : أنا أقتل الشيء علماً ، تأويله إني أعلمه علماً تاماً ، وقال بعضهم : ﴿ وما قتلوه ﴾ الهاء لعيسى ، كما قال ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ وكلا القولين جائز .

(٢) هذا غير لازم ، فإن قوله تعالى ﴿ وما قتلوه يقيناً ﴾ أي وما قتلوا عيسى على وجه القطع واليقين ، أنه عيسى ، وإنما قتلوه على وجه الظن والتخمين ، حيث وقع شبه عيسى عليه ، فلهذا قالوا : إنْ كان هذا عيسى ، فأين صاحبنا ؟ فهم في شك في أمر عيسى عليه السلام ، وهذا هو القول الراجح والصحيح ، والله أعلم .

٢٤٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ .. ﴾ [آية ١٥٩] .

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه رَوَىٰ الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لَيَنْزِلَنَّ ابنُ مريم حَكَماً عَدْلاً ، فَلَيَقْتُلَنَّ الدَّجَّالَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ ، وَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيْبَ ، وتكون السجدةُ واحدةً لِلَّهِ رَبِّ العالمين »[١] .

ثم قال أبو هريرة : واقرؤوا إنْ شئتم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، قال أبو هريرة :

قبل موت عيسى ، يعيدها ثلاث مرات .

وقال قتادة : ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قبل موت عيسى[٢] .

(١) هذه الرواية أخرجها ابن مردويه كما في الدر المنثور ٢٤٢/٢ وتفسير ابن كثير ٤٠٧/٢ والحديث أخرجه الشيخان بأوسع من هذا وأوضح ، ففي صحيح البخاري ٢٠٥/٤ في كتاب الأنبياء من رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حَكَماً عَدْلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ــ أي لا يقبلها ــ ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ ورواه مسلم في كتاب الإيمان ٩٣/١ ، وانظر أيضاً الدر المنثور ٢٤٢/٢ .

(٢) الأثر في الطبري ١٧/٦ وابن كثير ٤٠٧/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٤٥/٢ .

ب ــ **وقال ابن عباس : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾** قبل موت الذي من أهل الكتاب[1] .

وقال بهذا القول : الحَسَنُ ، وعكرمةُ[2] .

وهذا القول رواهُ عن ابن عباسٍ عكرمةُ .

ورَوَىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معنى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قبل موت عيسى صلى الله عليه وسلم[3] .

جـ ــ وقال غير هؤلاء : المعنى وإنْ مِنْ أَهْلِ الكتابِ أَحَدٌ إلَّا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موته[4] .

---

(١) هذا هو القول الثاني من الأقوال التي ذهب إليها علماء السلف ، فقد روى عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال « لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى » وروى مجاهد عنه قال : « لو ضُربت عنقُه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى » وانظر الطبري ١٩/٦ وتفسير ابن كثير ٤٠٤/٢ .

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ٢١/٦ والدر المنثور للسيوطي ٢٤١/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٤٧/٢ .

(٣) هذا هو الأظهر والأشهر ، وهو الذي اختاره الطبري ورجحه ، وانظر جامع البيان ١٨/٦ والقرطبي ١١/٦ والدر المنثور ٢٤١/٢ وابن كثير ٤٠٤/٢ ، وهو قول جمهور المفسرين ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(٤) هذا القول غريب وبعيد ، لأن الآيات تتحدث عن عيسى وعن أهل الكتاب ، وليس فيها ذكر لمحمد ﷺ ، فكيف يعود الضمير عليه ؟ ولهذا ردَّه الطبري ، والمحقِّقون من أئمة التفسير ، وهذا القول حكاه ابن الجوزي عن عكرمة ٢٤٧/٢ ونصُّه : وفي هاء « ليؤمننَّ به » قولان :

أحدهما : أنها راجعة إلى عيسى ، قاله ابن عباس والجمهور .

والثاني : أنها راجعة إلى محمد ﷺ قاله عكرمة . اهـ.

وهذه الأقوال غير متناقضة ، لأنه يتبَيَّنُ عند موته الحق ، فيؤمن حين لاينفعه الإيمانُ .

قال محمد بن جرير : أولى هذه الأقوال بالصوابِ والصحةِ قولُ مَنْ قال : تأويلُ ذلك ، إلَّا ليؤمننَّ بعيسى قبل موت عيسى ، وأن ذلك في خاصٍّ من أهل الكتاب ، ومَعْنِيٌّ به أهل زمانٍ منهم ، دون أهل كلِّ الأزمنة التي كانت بعد عيسى ، وإنَّ ذلك عند نزوله ، ولم يَجْرِ لمحمد في الآيات التي قبل ذلك ذِكْرٌ ، فيجوز صرفُ الهاء التي في (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) إلى أنها مِنْ ذِكْرِهِ ، وإنما ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ في سياق ذِكْرِ عيسى وأمه واليهود[1] .

٢٤٨ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ .. ﴾ [آية ١٦٠] .

---

(١) جامع البيان للطبري ٢١/٦ وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٤٠٥/٢ : « ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنه مقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلَّم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر سبحانه أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شُبِّه لهم فقتلوا الشبيه ، وهم لا يتبيَّنون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وهو باق حي ، وسينزل يوم القيامة ــ كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ــ فيقتل مسيح الضلالة ــ يعني الدجال ــ ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ــ يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ــ فأخبرت هذه الآية أنه سيؤمن جميع أهل الكتاب ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال ﴿ ليؤمن به قبل موته ﴾ أي قبل موت عيسى ، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصُلب » . اهـ. ابن كثير .

يُبَيِّنُ هذا قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

٢٤٩ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴾** [آية ١٦٢] .

الراسخ : الثابت ، و « منهم » يعني أهل الكتاب[2] .

٢٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ .. ﴾** [آية ١٦٢] .

وفيه [معنى المدح . أي واذكروا المقيمين الصلاة][3] .

٢٥١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ .. ﴾** [آية ١٦٣] .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٤٦) .

(٢) قال ابن كثير ٢/٤٢٠ : أي الثابتون في الدين ، الذي لهم قَدَمٌ راسخة في العلم النافع ، قال ابن عباس : هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه .. وانظر أيضاً زاد المسير لابن الجوزي ٢/١٥١ .

(٣) ما بين الحاصرتين من الهامش ، وليس موجوداً في الأصل ، ويظهر أن الناسخ أسقطه سهواً لأنه ضروري ويتوقف المعنى عليه ، وهذا القول أنه منصوب على المدح هو الصحيح من الأقوال ، وهو الذي رجحه الزجاج ، وبيَّن أنه مذهب سيبويه والخليل ، واستشهد له في كتابه معاني القرآن ٢/١٤٤ بقول الشاعر :

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سَمُّ العُدَاةِ وَآفَةُ الجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ

أقول : هذه الأبيات من شواهد سيبويه ، وهي لِخرْنق بنت هَفَّان تمدح قومها ، وتدعو لهم ألاَّ يَهْلكوا ، وتقول : لا يُبعد اللهُ قومي ، فإنهم المطعمون في المَحْل ، والمغيثون في الشدائد ، والشاهد في قولها « النَّازلين » فإنه منصوب على المدح ، وانظر خزانة الأدب ٥/٤٢ .

هذا مُتَّصِلٌ بقوله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ ﴾

فَأَعْلَمَ اللهُ أنَّ أمرَهُ كَأَمْرِ النَّبِيِّينَ الذين قَبْلَهُ ، يُوحَىٰ إليه كما يُوحَىٰ إليهم[1] .

٢٥٢ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾** [آية ١٦٣] .

ويُقْرَأُ : ﴿ زُبُوراً ﴾[2] ، بضم الزاي .

قال الكسائي : من قرأ : ﴿ زَبُوراً ﴾ فهو عنده واحدٌ مثل التوراةِ والإنجيل[3] .

وقال غيره : [هُوَ فَعُولٌ][4] بمَعْنَى مَفْعُولٍ ، كما يقال : حَلُوبٌ ، بمَعْنَى مَحْلُوبٍ ، يقالُ : زَبَرْتُهُ فهو مزبورٌ ، أي كتبتُه ، و « زَبُور » بمعنى مَزْبور .

ومن قرأ « زُبُوراً »[5] فهو عنده جمعُ زَبْرٍ .

٢٥٣ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾** [آية ١٦٤] .

(١) هذا بيان لوجه المناسبة بين الآيات السابقة وبين هذه الآية الكريمة .

(٢) هذه القراءة ﴿ زُبُوراً ﴾ من القراءات السبع ، قرأ بها حمزة وحده ، وقرأ بقية السبعة ﴿ زَبُوراً ﴾ بفتح الزاي ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٠ .

(٣) المراد به الكتاب المقدس الذي أنزل الله على رسوله « داود » فزبور بمعنى كتاب ، يقال : توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وهذه هي قراءة الجمهور « زبور » بفتح الزاي .

(٤) أثبتناه من هامش المخطوطة وليس في الأصل .

(٥) انظر ابن مجاهد في كتابه : السبعة في القراءات ص ٢٤٠ والنشر في القراءات العشر للجزري ٢٥٣/٢ .

مؤكد ، يدل على معنى الكلام المعروف ، لأنك إذا قلتَ : كَلَّمْتُ فلاناً ، جاز أن يكون أوصلتَ إليه كلامكَ ، وإذا قلتَ : كلَّمتُه تكليماً ، لم تكنْ إلَّا من الكلام الذي يُعرف[1] .

فأخبر اللهُ بخِصِّيصَاءِ[2] الأنبياء ، ثم أخبر بما خصَّ به موسى ﷺ .

٢٥٤ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ .. ﴾** [آية ١٦٦] .

قال القُتَبِيُّ : و « لَكِنْ » لاتكون إلَّا بعد نفي ، قال : فهي محمولةٌ على المعنى ، لأنهم لمَّا كذَّبوا فقد نَفَوْا ، فقال جل وعز ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا غَلَطٌ ، لأن « لَكِنْ » عند النحويين إذا كانت بعدها جملةٌ ، وقعتْ بعد النفي ، والإيجاب ، وبعدها ههنا جملة ، وإنما يقول النحويون : لا تكونُ إلاَّ بعد نفي ، إذا كان بعدها مفردٌ .

---

(١) المراد أن الله عز وجل كلَّم موسى حقيقة بلا واسطة ، ولهذا سمي « الكليم » وإنما أكَّد بقوله « تكليماً » رفعاً لاحتمال المجاز ، قال ثعلب : لولا التأكيد لجاز أن تقول : كلَّمت لك فلاناً بمعنى : قد كتب إليه رقعة ، أو بعثت إليه رسولاً ، فلما قال « تكليماً » لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى . اهـ. وانظر البحر المحيط ٣٩٨/٣ .

(٢) أي بخصوصية كل نبي من الأنبياء ، فإبراهيم خليل الله ، وموسى كليمه ، ومحمد حبيبه ، وكلٌّ له خصوصية خصَّه الله بها .

وقوله « أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ » أي أنزله وفيه عِلْمُهُ[1] ، كما تقول : جاء فلانٌ بالسيف أي وهو معه ، وكما قال جلَّ وعز ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾[2] .

٢٥٥ ـ **وقوله جل وعزَّ ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ .. ﴾** [آية ١٧٢] .

قال قتادة : « لن يستنكف » : لن يحتشم[3] .

والاستنكاف عند أهل اللغة : الأَنفةُ ، وهو من نَكَفَ يَنْكِفُ إذا نحَّى الدمعة عن خدِّه بيده .

---

(١) قال القرطبي ٦/١٩ : وفي الكلام حذف دلَّ عليه الكلام ، كأن الكفار قالوا : نحن لا نشهد لك يا محمد فيما تقوله ، فمن يشهد لك ؟ فأنزل الله « لكن الله يشهد » قال : ومعنى « أنزله بعلمه » أي أنزله وهو يعلم أنك أهل لإنزاله عليك . اهـ. وقال ابن الجوزي في تفسيره ٢/٢٥٧ : وفي معنى قوله تعالى « أنزله بعلمه » ثلاثة أقوال :

أحدها : أنزله وفيه علمه ، قاله الزجاج .

والثاني : أنزله من علمه : ذكره أبو سليمان الدمشقي .

والثالث : أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه ، قاله ابن جرير ، وهو أرجح الأقوال .

(٢) سورة المؤمنون آية رقم (٢١) .

(٣) رُوي في سبب نزول هذه الآية أن « وفد نصارى نجران » اجتمعوا برسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، فقالوا يا محمد : لم تُعيب صاحبنا ؟ قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى ، قال : وأيَّ شيء أقول فيه ؟ قالوا : تقول : إنه عبد الله ورسوله ، فقال لهم : إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله ، قالوا بلى ، فنزلت ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ﴾ أي لن يأنف ويترفع ويتعظم ، وانظر البحر ٣/٤٠٣ .

٢٥٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ [آية ١٧٤] .

قال مجاهد : حُجَّة[١] .

وقال سفيان : يعني بالبرهان النبيَّ صلى الله عليه وسلم[٢] .

٢٥٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ [آية ١٧٤] .

قال قتادة : هو القرآن .

وهو عند أهل اللغة « تمثيلٌ » لأن أصل النُّور ، هو الذي يُبيِّنُ الأشياءَ ، فمثَّلَ ما يُعلَمُ بالقلب بما يُرى عياناً[٣] .

٢٥٨ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلَالَةِ .. ﴾ [آية ١٧٦] .

الكلالةُ : مَنْ لا والد له ولا ولد[٤] ، وقد شرحنا معناه في أول السورة .

---

(١) الأثر في الطبري عن مجاهد ٣٩/٦ وابن الجوزي ٢٦٤/٢ والبحر المحيط ٤٠٥/٣ .

(٢) الأثر في ابن الجوزي عن قتادة ٢٦٤/٢ وجمع بينهما الطبري فقال ٣٩/٦ ﴿ قد جاءكم برهان ﴾ المعنى : قد جاءكم حجة من الله تبرهن لكن بطول ما أنتم عليهم مقيمون من أديانكم ومللكم ، وهو محمد ﷺ الذي جعله الله عليكم حجة قطع به عذركم ، وقال في البحر ٤٠٥/٣ : الجمهور على أن البرهان هو محمد ﷺ ، وسمَّاه برهاناً لأن منه البرهان ، وهو المعجزة .

(٣) المراد بالنور المبين هو القرآن بالاتفاق ، وإنما سمَّاه نوراً لأن الأحكام تبين به ، كما تبين الأشياء بالنور الوضاء .

(٤) من لم يترك والداً ولا ولداً فورثته كلالة هذا هو الصحيح ، كما تقدم .

قال البراء بن عازب : آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾[1] .

٢٥٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾** [آية ١٧٦] .

قال الكسائي : المعنى : يُبيِّن الله لكم لئلا تضِلُّوا[2] .

قال أبو عبيد : فحدثتُ الكسائي بحديث رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يَدْعُونَّ أحدكُم على وَلَده ، أن يُوافِقَ من الله إجابةً)[3] فاستحسنه .

---

(١) هذا قول ، والصحيح أنها من أواخر ما نزل ، وليست آخر ما نزل ، كما نبه أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٥/٣ وسبب نزولها ما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال : « مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني هو وأبو بكر ماشيين ، فوجداني قد أُغمي عليَّ ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صبَّ عليَّ من وضوئه فأفقت ، وقلت يا رسول الله : كيف أصنع في مالي ؟ ــ وكان لي تسع أخوات ولم يكن لي ولد ــ فلم يجبني بشيء ، ثم خرج وتركني ، ثم رجع إليَّ وقال : يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا ، وإن الله قد أنزل في أخواتك ، وجعل لهن الثلثين ، فقرأ عليَّ هذه الآية ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ أخرجه أبو داود ١٦٤/٣ والبيهقي في السنن ٢١٣/٦ وأصله في الصحيحين .

(٢) هذا مذهب الكوفيين ، وإلى هذا القول ذهب الكسائي أنَّ « لا » محذوفة حُذفت لدلالة المعنى عليها أي يُبيِّن الله لكم لئلا تضلوا ، ووافقه الفراء عليه ، وانظر معاني الفراء ٢٩٧/١ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٣٠٠٦) بلفظ (لا تَدْعُوا على أنفسكم ، ولا تَدْعوا على أولادكم ، لا توافقوا من الله عز وجل ساعة يُسْأَلُ فيها عطاء ، فيستجيب لكم) ورواه أبو داود رقم (١٥٣٢) وابن حِبَّانَ في صحيحه رقم (٢٤١١) موارد الظمآن ، ولم أره باللفظ الذي ذكره المصنف ، وإنما ذكره أبو حيَّان في البحر ٤٠٩/٣ باللفظ الذي أورده المصنف دون تخريج .

والمعنى عند أبي عُبيد : لئلا يوافق من الله إجابة .

وهذا القولُ عند البصريين خطأ ، لا يجيزون إضمار « لا » .

والمعنى عندهم : يُبيِّن الله لكم كراهة أن تضلوا ، ثم حُذِف[1] ،

كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[2] وكذا معنى حديث النبي ﷺ أي كراهة أن يوافق من الله اجابةً .

وقولٌ ثالث أن المعنى : يُبيِّن الله لكم الضلالة ، لأن معنى « أن تفعلوا » فِعْلَكم ، كما تقول : يعجبني أن تقومَ أي قيامُك .

انتهت سورة النساء

* * *

---

(١) قال الزجاج في معانيه ١٤٩/٢ في الآية قولان : قال بعضهم : المعنى يُبين الله لكم أن لا تضلوا ، فأضمرت « لا » . وقال البصريون : إن « لا » لا تُضمر ، وإن المعنى يُبين الله لكم كراهة أن تضلوا ، ولكن حذفت « كراهة » لأن في الكلام دليلاً عليها ، وإنما جاز الحذف عندهم على حد قوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ والمعنى : واسأل أهل القرية ، قال : فأمَّا حذفُ «لا» وهي لمعنى النفي فلا يجوز ، ولكنَّ «لا» تدخل في الكلام مؤكدة ، وهي لغوٌ ، كقوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يعلمَ أهلُ الكتابِ .. ﴾ أي ليعلم أهل الكتاب ، ومثلُه قول الشاعر : « وما ألومُ البِيضَ ألّا تسخَرا » والمعنى : وما ألومُ البِيضَ أن تسخر، وهذا قول المبرِّد .

(٢) تتمة الآية ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ﴾ سورة يوسف آية رقم (٨٢) فالقرية لا تُسأل والعير — وهي الإبل — أيضاً لا تُسأل ، وإنما هناك مجاز بالحذف والمعنى : اسأل أهل القرية وأهل العير ، وهو مجاز مشهور عند علماء اللغة .

تفسير سورة المائدة

مدنية وآياتها ١٢٠ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المائِدَةِ وهي مَدَنيّة

رُوِي عن عَلْقمة أنه قال : « كلُّ ما كان في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا ﴾ فنزل بالمدينة ، وكلُّ ما كان في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فنزل بمكة »(1) .

١ ـ **من ذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ﴾** [آية ١] .

قال مجاهد : العقودُ : العهودُ(2) .

وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : عهدتُ إليه إذا أمرتُه بأمرٍ ، وعقدتُ عليه ، وعاقدتُه : إذا أمرتُه واستوثقتُ منه(3) .

---

(1) هذا قول لبعض علماء السلف ذكره ابن عطية ٣١٢/٤ وهو محمول على الأغلب ، فقد تكون السورة مدنية ، وفيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ كما في سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وكما في سورة النساء ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ وهي مدنية باتفاق ، والصحيح ماعليه الجمهور وهو : «أن كل مانزل قبل الهجرة فهو مكي ولو نزل بغير مكة ، وكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني ولو نزل بغير المدينة» وانظر المحرر الوجيز ٣١١/٤ .

(2) انظر جامع البيان ٤٧/٦ وتفسير ابن كثير ٥/٣ والبحر المحيط ٤١١/٣ قال : العقود : العهود وهو قول الجمهور ، وابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والضحاك ، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك .

(3) هذا مذهب الزجاج كما في معانيه ١٥٢/٢ فقد ذهب إلى أن العقود جمع عَقْد ، وهو العهد

وقيل : يُراد بالعقود ها هنا الفرائض[1] .

٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ١] .

قال الحسن : الأنعامُ : الإبلُ ، والبقرُ ، والغنمُ[2] .

وروى عوف عن الحسن ﴿ بهيمة الأنعام ﴾ : الشاةُ : والبعير ، والبقرةُ[3] .

وروى زهير بن معاوية عن قابوس بن أبي ظبيان[4] قال : « ذبحنا بقرةً ، فأخذ الغلمان من بطنها ولداً ضخماً ، قد أشعر ، فشووه ثم أتوا به أبا ظبيان ، فقال : حدثنا عبدالله بن عباس أن هذا بهيمة

المؤكد باستيثاق ، وتبعه الزمخشري فقال : هو العهد الموثق ، شُبِّه بعقد الحبل ونحوه ، وعبارة الزجاج قال : العقود واحدها عقد ، وهي أوكد العهود ، فإذا قلت : عهدت إلى فلان فتأويله ألزمته ذلك ، فإذا قلت : عاقدته أو عقدت عليه ، فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق . اهـ. معاني الزجاج ١٥٢/٢ .

(١) هذا القول نُسب إلى الضحاك ، فقد قال : العهود ما أخذه الله على المؤمنين من الفرائض من الحلال والحرام ، ذكره ابن كثير ٥/٣ .

(٢) و (٣) الروايتان عن الحسن البصري معناهما واحد ، فالشاة من الغنم ، وهذا هو الصحيح المشهور أن بهيمة الأنعام هي الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو قول الحسن وقتادة والسدي ، فلا تدخل فيها الوحوش والسباع كما قال ابن قتيبة ، وانظر الطبري ٥٠/٦ وزاد المسير ٢٦٨/٢ والدر المنثور ٢٥٣/٢ .

(٤) «قابوس بن أبي ظَبيان» كوفيٌّ تابعي ، روى عن أبيه «حُصين بن جُنْدب» قال عنه الدار قطني : ضعيف ، ولكنْ لايُترك ، وقال العِجْلي : كوفيٌّ لابأس به ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٠٦/٨ والجرح والتعديل للرازي ١٤٥/٧ .

الأنعام »[1] .

قال أبو جعفر : الأوْلُ أولىٰ لأن بعده (إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيكُم) وليس في الأجنة ما يُسْتَثنىٰ[2] .

وقيل لها « بهيمة الأنعام » لأنها أُبهمت عن التمييز[3] .

٣ **ــ ثم قال جل وعز : ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُم حُرُمٌ ، إِنَّ اللَّهَ يَحكُمُ ما يُرِيد ﴾** [آية ١] .

واحد الحُرُم حرام ، وحرامٌ بمعنى محرم ، قيل له محرم وحرام لما حرم عليه من النكاح وغيره[4] .

يقال : أحرمَ إذا دخل في الحرم ، كما يقال : أَشْتَىٰ إذا دخل

---

(١) الطبري عن ابن عباس ٥٠/٦ وفيه قال : الجنين من بهيمة الأنعام فكلوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٢ وقال : أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن جرير عن ابن عباس أنه أخذ بذنب الجنين فقال :«هذا من بهيمة الأنعام التي أُحلَّت لكم» واختار ابن جرير الأنعام وأجنتها .

(٢) ما قاله المصنف هو الصحيح الراجح لأننا إذا قصَرْنا بهيمة الأنعام على الأجنة التي في بطون الأمهات ، فلا يمكن الاستثناء بعد ذلك منها ، والله تعالى يقول ﴿إلَّا ما يتلى عليكم﴾ وعلى رأي ابن جرير أنها الأنعام وأجنتها فلا إشكال حينئذ .

(٣) البهيمة في كلام العرب : ما أُبهم من جهة نقص النطق والفهم ، ومنه باب بهم ، وليل بهيم ، وسميت الحيوانات التي لا عقل لهم ولانطق ‹بهيمة› لما في صوتها من الإبهام ، وانظر تفسير ابن عطية ٣١٧/٤ .

(٤) قال أهل اللغة : حُرُمٌ جمع حرام ، وهو المُحْرِمُ ، ومنه قول الشاعر :

فقـلـتُ لها فيئي إليـكِ فإننـي ... حَرامٌ وإني بعـد ذاكَ لبـيبُ

يريد إنني محرم ثم ملبٍّ بعد ذلك ، وانظر لسان العرب مادة حرم ، والمحرر الوجيز ٣١٨/٤ .

في الشتاء ، وأَشْهَر : إذا دخل في الشهر .

٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ [آية ٢] .

قال أبو عبيدة : الشعائرُ : الهدايا ، الواحدة شَعِيرة[١] .

وقال غيره : شعيرة بمعنىٰ مُشْعَرة[٢] .

وقال الأصمعي : أشعرتُها : أعلمتُها .

وروىٰ الأسود بن يزيد عن عائشة قالت : إنما أُشعِرَتْ ليُعلم أنها بدنة .

وقال مجاهد : « شعائر الله » الصَّفا ، والمروة ، والحرم[٣] .

والمعنىٰ على هذا القول:لاتُحلُّوا الصيد في الحرم ، والتقديرُ : لا تُحلُّوا لأنفسكم شعائر الله .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٦/١ ومراده بالهدايا الأنعام التي تُهدى لبيت الله الحرام ، ومنه قوله تعالى ﴿هَدْياً بالغَ الكعبة﴾ وقوله سبحانه ﴿ حتى يبلغ الهدي محله ﴾ .

(٢) هذا قول الزجاج واختاره الزمخشري ٣٢٠/١ قال : الشعائر جمع شعيرة وهو اسم ما أشعر أي جعل شعاراً و علماً للنسك من مواقف الحج ، ورمي الجمار ، والطواف ، والسعي ، والحلق ، والنحر .. الخ .

(٣) اختار ابن جرير في جامع البيان أن المراد بالشعائر حرمات دين الله والمعنى : لاتستحلوا حرمات الله ، ولاتعتدوا حدوده ، وقال : المراد بالشعائر هنا معالم الدين ، فيدخل فيها مناسك الحج وغيرها ، وهذا هو الأظهر والأرجح ، وقول مجاهد قاصرٌ ، وانظر أقوال المفسرين في الطبري ٥٤/٦ والبحر المحيط ٤١٩/٣ والدر المنثور ٢٥٤/٢ .

ومن قال بأنها البُدْنُ ، فالآية عنده منسوخة .

قال الشعبي : ليس في المائدة آية منسوخة إلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ) وكذلك قال قتادة[١] .

وقال نسختها (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وكانوا قبل قد مُنِعُوا من قتالهم في الشهر ، إذا كانوا آمين البيت الحرام[٢] .

٥ **ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ ﴾** وهو رجب[٣] .

٦ **ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلاَ الهَدْيَ ﴾** واحدُ الهَدْيِ هَدْيَةٌ .

٧ **ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلا القَلائِدَ ﴾** .

قال الضحاك وعطاء : كانوا يأخذون من شجر الحرم ، فلا يُقْرَبون إذا رُئِي عليهم[٤] .

٨ **ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَا آمِّينَ البَيْتَ الحَرَام ﴾** الأَمُّ : القصدُ ،

---

(١) انظر الطبري ٥٤/٦ وتفسير ابن عطية ٣٢٠/٤ وتفسير ابن كثير ٧/٣ .

(٢) روي أن المشركين كانوا يحجون ويعتمرون ، ويهدون وينحرون ، ويعظمون مشاعر الحج ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنزلت الآية ﴿ لاتحلُّوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الهدي ، ولا القلائد ، ولا آمِّين البيت الحرام ﴾ ومعنى الآية : لا تستحلوا حرمات الله ، ولا تستحلوا الشهر الحرام ، بالقتال فيه ، ولا ما أهدي إلى البيت أو قُلِّد بقلادة ليُعرف أنه هديٌ .

(٣) هذا قول قتادة ، ورجحه ابن جرير ، ويسمى « رجب مضر » لأنها كانت تحرِّم فيه القتال وتعظِّمه .

(٤) انظر جامع البيان ٥٦/٦ وزاد المسير ٢٧٣/٢ قال ابن الجوزي : كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم في الجاهلية ، ليأمنوا به عدوهم ، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب ، فمن لقوه مقلداً نفسه أو بعيرَه ، أو سائقاً هدياً لم يتعرضوا له . اهـ.

أي لاتستحلوا منع القاصدين البيتَ الحرامَ[1] .

ويجوز أن يكون المعنى لاتحلوا قصد الآمِّينَ ثم حُذف[2] .

٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ﴾ [آية ٢]

قال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : يبتغون الأجر ، والتجارة[3] .

١٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُم فَاصْطَادُوا ﴾ [آية ٢] .

وهذا إباحةٌ بعد حظر ، وليس بحتم[4] .

١١ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَايَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوِمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ . [آية ٢] .

---

(١) معنى : أَمَّ قصد ، والمراد تحريم قتال من قصد بيت الله الحرام لحج أو عمرة ، قال ابن عطية ٣٢٣/٤ : « نهى الله تعالى المؤمنين أن يعمدوا للكفار القاصدين البيت الحرام ، على جهة التعبد والقربة ، ثم قال : وكل ما في هذه الآية من نهي عن مشرك ، أو مراعاة حرمة له بقلادةٍ ، أو قصد البيت ونحوه ، فهو كله منسوخ بآية السيف ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ .

(٢) يعني أنه على حذف مضاف ، ولا حاجة لهذا القول لأنه متكلف ، والمعنى ظاهر بدونه أي لا تستحلوا قتال من قصد البيت الحرام .

(٣) الطبري عن مجاهد ٦٢/٦ وابن كثير ٨/٣ والدر المنثور ٢٥٥/٢ فالمراد بالفضل من الله هو التجارة كما قال سبحانه ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ والمراد بالرضوان ثواب الله ورضاه .

(٤) مراده أن الأمر هنا ليس للوجوب ، وإنما هو للإباحة ، لأن الأمر جاء بعد الحظر ، مثاله آية الصيام ﴿ فالآن باشروهن ﴾ محمولةٌ على الإباحة ، وهذه قاعدة أصولية ذكرها الفقهاء ، ولهذا قال ابن كثير : أي إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه ، فقد أبحنا لكم ما كان محرَّماً من الصيد .

قال أبو عبيدة : ﴿ولا يجرِمنَّكم﴾ لا يكسبنكم[1]، وأنشد :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً
جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[2]

وقال الأخفش : ولايُحقّنكم[3] .

وقال الفراء : ولا يحملنكم[4] .

وهذه المعاني متقاربة لأن من حمل رجلاً على إبغاض رجل فقد أكسبه إبغاضه، فإذا كان الأمر كذلك، فالذي هو أحسنُ أن يقال ما قاله ابن عباس وقتادة، قالا : أي لا يحملنكم شنآنُ قومٍ على العدوان[5] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/١ .

(٢) البيت لأبي أسماء بن الضريبة كما في الخزانة ٣١٠/٤، وقد استشهد به صاحب اللسان، وهو في الطبري ٦٣/٦ والقرطبي ٤٥/٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٢٩/٤ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/١ ومراده أن هذه الطعنة أكسبت فزارة الغضب، وحملتها على الغضب لأنها كانت ضربة قاسية .

(٣) عبارة الأخفش في كتابه معاني القرآن ٤٥٩/٢ : ﴿ولا يجرمنكم﴾ أي لا يحقنَّ لكم، لأن قوله تعالى ﴿لا جرم أنَّ لهم النَّارَ﴾ معناه : إنما هو حقٌّ أن لهم النار، واستشهد بقول الشاعر : جرمت فزارة أي حُقَّ لها .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٩/١ قال ومعنى الآية : لا يحملنكم بغض قوم على أن تعتدوا .. إلخ .

(٥) ذكره الطبري عن ابن عباس وقتاده ٦٤/٦ ورجحه، وكذلك الحافظ ابن كثير ٩/٣ فقد قال : والمعنى لايحملنكم بغض قوم قد كانوا صدُّوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام على أن تعتدوا عليهم .

وقرأ الأعمش ﴿ وَلَا يُجْرِمَنَّكُم ﴾ بضم الياء[1].

قال الكسائي : جَرَمَ يَجْرِمُ ، وأجـرم يُجْـرِمُ ، بمعنى واحـد ، الفتح في هذا أكثر ، والضم في الجناية أكثر[2].

والشَّنَآنُ : الإبغاضُ ، ويُقرأ « شَنْئَانُ » بإسكان النون[3] ولـيس بالحسن ، لأن المصادر لاتكاد تكون على « فَعْلَان » .

وقرأ أبو عمرو (إِنْ صَدُّوكُـمْ) بكسر الهمـزة بمعنـى الشرط[4] .

وروي عن الأعمش أنه قرأ (إِنْ يصُدُّوكُمْ)[5] .

وهـو لحنٌ عنـد النحـويين لأن « إن » إذا جَزَمتْ[6] لم يتقـدم

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠٦/١ وليست من القراءات السبع .

(٢) هكذا ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز عن الكسائي ٣٢٨/٤ أن جَرَم وأجرم لغتان بمعنى واحد .

(٣) هذه قراءة عاصم برواية أبي بكر عنه ، وروى عنه حفص ﴿ شَنَآنُ ﴾ بفتـح النـون ، وهـي قراءة الجمهور ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وأبي عمرو ، وكلا القراءتين سبعية ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٢ والنشر ٢٥٣/٢ .

(٤) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر لابـن الجزري ٢٥٤/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٢ .

(٥) هذه قراءة شاذة كما في المحتسب ٢٠٦/١ قال ابن جني : في هذه القـراءة ضعـفٌ ، وذلك لأنـه جزم بإنْ ولم يأت لها بجواب مجزوم أو بالفـاء ، كقـولك : إن تزرني أعـطِكَ درهماً ، أو فَلَكَ درهم ، ولو قلتَ : إن تزرني أعطيتك درهماً قَبُح لما ذكرنا ، وإنما بابُه الشعر ، كقول الشاعر :

إن يسمعـوا ريبـةً طاروا بها فرحـاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنـوا

(٦) في المخطوطة « جرمت » وهو تصحيف ، وصوابه « جزمت » بالزاي المنقوطة .

جوابها . والمعنى على قراءة من فَتح ﴿ ولا يجرمنكم شَنَآنُ قَوْم ﴾ لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .

ومن كسر فالمعنىٰ عنده إن فعلوا هذا .

والمعنىٰ على الفتح لأنه يروىٰ (أن النبي ﷺ لمَّا فتح مكة ، قتل رجل من أصحابه رجلاً من أهل مكة ، كان يقتل حلفاء النبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية)[1] .

١٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ ، وَالدَّمُ ، وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ﴾** [آية ٣] .

يقال : مَيْتَةٌ ومَيِّتَةٌ بمعنىٰ واحد ، هذا قول من يوثق به من أهلْ اللغة[2] .

وقيل : المَيِّتَةُ ما لم تمت بعد ، والمَيْتَة التي قد ماتت .

ورُوي أنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر ثم يشوونها ويأكلونها ، فحرَّم الله جلَّ وعز الدم المسفوح ، وهو المصبوب .

١٣ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾** [آية ٣] .

---

(١) ذكره ابن جرير في جامع البيان عن مجاهد ٦٦/٦ ولفظه : أن رجلاً مؤمناً من حلفاء محمد ، قتل حليفاً لأبي سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة فقال ﷺ (لعن الله من قتل بذحل الجاهلية) .

(٢) إلى هذا ذهب الزجاج وغيره من علماء اللغة ، وفرَّق البعض فقالوا : المَيْتُ بالتخفيف من مات فعلاً ، والميِّتُ بالتشديد من لم يمت بعد ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ إنك ميِّتٌ وإنهم ميِّتون ﴾ وبقول الشاعر :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

أي ذبح لغير الله ، وذُكِرَ عليه غير اسمه[1] .

وأصلُ الإهلال : الصوتُ ، ومنه سُمِّي الإهـلالُ بالحج ، وهـو الصوتُ بالتلبيـة ، وإيجابِ الحج ، ومنـه استهلالُ المولـود ، ومنـه أهـلَّ الهلالُ ، لأن الناس إذا رأوه أومأوا إليه بأصواتهم .

١٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾** [آية ٣] .

قال قتادة : هي التي تموت في خناقها[2] .

١٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾** [آية ٣]

قال الضحـاك : كانـوا يأخـذون الشاه أو غيرهـا من البهائم فيضربـونها عند آلهتهم حتى تموت ثم يأكلونها[3] .

ويُقال : وَقَذَهُ ، وأَقَذَهُ ، فهـو مَوْقَـوْذ ومُوقَـذ ، إذا ضربـه حتـى يشفى على الهلاك ، ومنه قيل : فلانٌ وقيذ[4] .

١٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَالْمُتَرَدِّيَةُ ﴾** [آية ٣]

---

(١) كان المشركون إذا ذبحوا ذكروا اللَّات والعزَّى ورفعوا بذلك أصواتهم ، فسمِّي ذلك إهلالاً ، وأصله رفع الصوت عند رؤيـة الهلال يشيرون إلى مطلعـه ، والمعنـى المراد من الآية : ما ذُبح لغير الله من الأوثان والأصنام ، وانظر الطبري ٦/٦٨ .

(٢) جامع البيان ٦/٦٨ وزاد المسير ٢/٢٧٩ والمراد بالمنخقة هي التـي توثـق بحبـل فتختنـق فيـه ، أو يخنقها أصحابها بأنفسهم قال ابن عباس وقتـادة : كان أهـل الجاهليـة يخنقـون الشاة ، حتـى إذا ماتت أكلوها .

(٣) جامع البيان ٦/٦٩ والشوكاني ٢/٩ والدر المنثور ٢/٢٥٦

(٤) قال ابن قتيبـة : الموقـوذة التـي تضرب حتى توقذ ، أي تشرف على الموت ، ثم تترك حتى تموت ، وتؤكل بغير ذكاة ، ومنـه يقـال : فلان وقيذ ، وقد وقذته العبادة .

قال الضحاك : المترديةُ : أن تتردىٰ في رَكِيَّةٍ أو من جبل[1] ، ويقال : تردىٰ إذا سقط ، ومنه (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ)[2] ؟ .

والنطيحةُ : المنطوحةُ .

١٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾** [آية ٣] .

أي ما افترسه فأكل بعضه .

وقرأ الحسن : السَّبْعُ ، وهو مُسَكَّن استثقالاً للضمة[3] .

١٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُم ﴾** [آية ٣] .

والتذكيــة : أن تشخُبَ الأوداج دمــاً ، ويضطرب اضطراب المذبوح[4] .

وأصلُ التذكيةِ في اللغة : التمامُ ، وقال زهير :

---

(١) يريد أنها تسقط في حفرة أو بئر ، أو تسقط من رأس جبل فتموت ، حكاه عن الضحاك ابن جرير الطبري ٦/٧٠ وابن الجوزي ٢/٢٨٠ فقال : المتردية : الواقعة من جبل أو حائط أو في بئر .

(٢) سورة الليل آية رقم (١١) .

(٣) يعني يصح أن تضم الباء ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ وأن تُسكِّنها تخفيفاً ﴿ وما أكل السَّبْعُ ﴾ لأن الضم ثقيل على اللسان ، فكل منهما جائز لغة ، وجائز تلاوة .

(٤) المراد بالآية : إلا ما أدركتموه قبل الموت وفيه الروح فذبحتموه الذبح الشرعي ، والتذكية في الشرع عبارة عن إنهار الدم ، وفري الأوداج من المذبوح .

يُفضِّلُـــهُ إذَا اجتَهَـــدَا عَلَيـــهِ
تَمَـــامُ السِنِّ منـــهُ والذَّكَـــاءُ[1]

ومنـه لفـلان ذكاء أي هو تام الفهـم ، وذكـيتُ النـــار : أي أتممت إيقادها .

وذكَّيْتُ الذبيحة : أتممت ذبحها على ما يجب[2] .

١٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَما ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ ﴾ [آية]

وقرأ طلحةُ (عَلَىٰ النُّصْبِ) .

قال مجاهـد : هي حجـارة كانت حوالي مكـة يذبحون عليها ، وربما استبدلوا منها[3] .

ويجوز أن يكون جمع نصاب[4] .

٢٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ﴾ [آية ٣] .

قال قتـادة : كان أحدهـم إذا أراد أن يخرج ، كتب علـــى قدح يعني السهم «تأمـرني بالخروج» وعلى الآخر «لا تأمـرني بالخروج» وجعل بينهما سهماً منيحاً لم يكتب عليـه شيئـاً ، فيُجِيلُها فإن خرج

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٦٩ وفي الكامل ٢٢٩/١ وفي معاني القرآن للزجاج ١٥٩/٢ وفي تفسير القرطبي ٥٢/٦ وفي القرطبي : إذا اجتهدوا بالجمـع ، وقـد ورد في ديوانـــه « يفضله إذا اجتهدت عليه » وأما بالتثنية فهي رواية الأعلم ، والله أعلم .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥٩/٢ والبحر المحيط ٤٢٤/٣ .

(٣) الطبري عن مجاهد ٧٥/٦ وعبارته : ويبدلونها إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها .

(٤) انظر ابن الجوزي ٢٨٤/٢ والشوكاني ١٠/٢ ومعاني الزجاج ١٦٠/٢ .

الذي عليه تأمرني بالخروج خرج ، وإن خرج الذي عليه لا تأمرني بالخروج لم يخرج ، وإن خرج المنيح رجع فأجالها[1] .

وإنما قيل لهذا الفعل استقسامٌ ، لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون ، كما يقال الاستسقاء في الاستدعاء للسقي .

ونظير هذا الذي حرمه الله قول المنجِّم : لا تخرج من أجل نجم كذا ، أو اخرج من أجل نجم كذا[2] .

وقال جل وعز : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : وذكر محمد بن جرير أن ابن وكيع حدثهم عن أبيه عن شريك عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أن الأزلام

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان عن قتادة ٦/٧٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢/٢٨٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٣/٤٢٤ قال ابن جرير : ومعنى الآية ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ أي وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام . اهـ. الطبري ٦/٧٦ .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٢/١٦٠ : واحد الأزلام زُلَمٌ ، وزَلَمٌ ، وهي سهامٌ كانت في الجاهلية ، مكتوب على بعضها « أمرني ربي » وعلى بعضها « نهاني ربي » فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً يهتم به اهتماماً شديداً ، ضرب تلك القداح ، فإن خرج السهم الذي عليه « أمرني ربي » مضى لحاجته ، وإن خرج الذي عليه « نهاني ربي » لم يمض في أمره ، فأعلَمَ الله عز وجل أن ذلك حرام ، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين : لا تخرج من أجل نجم كذا ، واخرج من أجل طلوع نجم كذا .

(٣) الآية الأخيرة من سورة لقمان وأولها ﴿ إن الله عنده علم الساعة ، ويُنَزِّلُ الغيث ، ويعلم مافي الأرحام .. ﴾ الآية .

حصى بيضٌ كانوا يضربون بها[١] .

قال محمد بن جرير : قال لنا سفيان بن وكيع هي الشطرنج[٢]

٢١ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ﴾ [آية ٣] .

والفسقُ : الخروج ، أي الخروج من الحلال إلى الحرام[٣] .

وقوله جل وعز : ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ**﴾ [آية ٣] .

قال ابن عباس[٤] : ﴿ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ .

المعنى : يئس الذين كفروا أن تعود الجاهلية[٥] .

وقال ورقاء[٦]: المعنى : ألآن يئس الذين كفروا من دينكم . وهذا معروف عند أهل اللغة كما تقول : أنا اليوم قد كبرتُ عن هذا .

---

(١) ذكره ابن جرير عن سعيد بن جبير ٧٦/٦ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٧/٢ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٧٦/٦ فقد ذكر فيه عن سفيان بن وكيع أن الأزلام هي الشطرنج .

(٣) قال أهل اللغة : الفِسقُ : الخروج من حدود الطاعة إلى ارتكاب المعصية ، ومنه قوله تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ فكل عاصٍ لله تعالى فهو فاسق .

(٤) كرر لفظ « قال ابن عباس » مرتين في المخطوطة ، ولعله سهو من الناسخ .

(٥) هذا توضيح لمعنى قوله تعالى ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ فليس المراد به يوماً بعينه ، بل المراد به الوقتُ والزمن ، كما يقول الإنسان : قد كنت في غفلة واليومَ استيقظتُ ، يريد أنني الآن استيقظت ، وانظر معاني الزجاج ١٦١/٢ .

(٦) ورقاء بن عمر اليشكري الكوفي «أبو بشر» سكنَ المدائنَ ، روى عن عمرو بن دينار ، وابن أبي نجيح ، قال عنه أحمد : ورقاءُ ثقةٌ صاحب سُنَّة ، قال حربٌ : قلتُ لأحمد : ورقاءُ أحبُّ إليك في تفسير ابن أبي نجيح أو شيبانُ ؟ قال : كلاهما ثقةٌ ، قال في التقريب ٣٣٠/٢ : من الطبقة السابعة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١١٤/١١ والجرح والتعديل ٥٠/٩ .

٢٢ ـ وقوله جل وعز ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم ﴾ [آية ٣] .

رُوي أن أناساً من اليهود قالوا : لو نزلت هذه الآية علينا ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً ، فقال عمر رضي الله عنه : نزلت في يوم جمعة ، يوم عرفة[1] .

ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال : « نزلت يوم عرفة أو عشية عرفة » .

وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : الآنَ أكملت لكم دينكم ، بأن أهلكتُ عدوَّكم ، وأظهرتُ دينكم على الدِّينِ كلِّه ، كما تقول : قد تمَّ لنا ما نريد ، إذا كفيتَ عَدوَّك .

ويجوز أن يكون المعنى : اليوم أكملت لكم دينكم فوق ما تحتاجون إليه من الحلال والحرام في أمر دينكم[2] .

---

(١) الحديث رواه الشيخان من حديث طارق بن شهاب قال : « جاء رجل من اليهود إلى عمر رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية من كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً !! قال : وأيَّ آيةٍ هي ؟ قال قوله ﴿ اليوم أكملت لكم ديكم ، وأتممت عليكم نعمتي ﴾ فقال عمر : إني لأعلم ليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ ، والساعة التي نزلت فيها ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت على رسول الله وهو قائم بعرفه ، في يوم جمعة » وفي لفظ : نزلت عشية عرفة . البخاري ٢٠٣/٨ ومسلم ٢٣١٢/٤ ومسند أحمد ٢٣٧/١ وسنن الترمذي ٩٦/٤ وسنن النسائي ١١٤/٨ .

(٢) هذا قول ابن عباس والسدي كما ذكره الطبري عنهما ٨٠/٦ قالا : إكمال الدين المراد به إكمال الشريعة ، ببيان الحلال والحرام ، وتوضيح الآداب والأحكام ، وأما القول الأول الذي ذكره المصنف فهو قول سعيد بن جبير وقتادة والشعبي قالوا : كمال الدين عزُّه وظهوره ، وانظر توضيح لأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٧/٢ .

وروَى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة أنه قال : في المائدة ثماني عشرة فريضة ليست في غيرها « تحريم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أُهِلَّ لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذةُ ، والمترديةُ ، والنطيحةُ ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب ، والاستقسام بالأزلام ، وتحليلُ طعام الذين أوتوا الكتاب ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، والجوارح مكلبين ، وتمام الطَّهور ﴿ إذا قُمْتُم إِلَى الصَّلاةِ فَاْغسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ وقوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلاسَائِبَةٍ ، وَلاَ وَصِيلَةٍ ، وَلَا حَامٍ ﴾[1] .

ويُروى أنها آخر سورة أنزلت[2] .

٢٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ [آية ٣] .

المخمصةُ : ضُمُورُ البطنِ من الجوعِ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الفِرْيابيُّ ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن أبي ميسرة ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٢/٢ ولفظه عن أبي ميسرة قال : إن في المائدة ثمان عشرة فريضة ليس في سورة من القرآن غيرها ، وليس فيها منسوخ .. ثم عددها إلى آخر قوله تعالى ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ، ولا سائبةٍ ، ولا وصيلةٍ ، ولا حَامٍ ﴾ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣٠/٦ وزاد فيه وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ ﴾ .

(٢) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣١/٦ قال : وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ سورة المائدة في حجة الوداع ، وقال : « يا أيها الناس إن سورة المائدة آخر ما نزل ، فأحلُّوا حلالها ، وحرِّموا حرامها » قال : ونحوه عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً . اهـ.

(٣) المخمصة : المجاعة ، سميت بذلك لأن البطون فيها تخمص أي تضمر ، والخمص : ضمور البطن كذا قال أهل اللغة قالوا : وبطن خميصٌ إذا كان ضامراً من شدة الجوع قال الأعشى :

تَبِيتُونَ في الَمشْتَىْ مِلاَءً بُطُونُكُمْ وجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

٢٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ . [آية ٣] .

قال قتادة : الإثم : ها هنا أن تأكل منها فوق الشبع[١] .

٢٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آية ٣] .

أي رَحِمَكم فأباح لكم هذه الأشياء عند الضرورة .

٢٦ ــ وقوله عز وجل : ﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ؟ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ . [آية ٤] .

وقرأ عبدالله بن مسعود والحسن وأبو رزين ﴿ مُكْلِبِين ﴾[٢]

ومعنى مكَلِّبِينَ : أصحاب كلاب ، يقال كَلَّبَ فهو مكَلِّب ، وكَلَّابٌ[٣] ، ويقال : أَكْلَبَ فهو مَكْلِبٌ إذا كثرت عنده الكلاب ، كما يقال : أمشى فهو ممش ، إذا كثرت ماشيته .

وأنشد الأصمعيُّ :

---

(١) الطبري عن قتادة ٨/٦ وابن الجوزي ٢٨٨/٢ ومعنى الآية الكريمة:من دعته الضرورة ، إلى أكل شيء من المحرمات المذكورة ، في مجاعة ، غير متعمد لإثم ، كأن يكون سفره في معصية ، أو يأكل بعد زوال الضرورة ، فإذا أكل في حالة الإضطرار فإن الله يغفر له .

(٢) هذه من القراءات الشاذة التي لا يقرأ بها ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢٠٨/١ .

(٣) قال في البحر : ﴿ مكلّبين ﴾ مشتق من الكَلَب وهو الضراوة ، يقال : كلب بكذا إذا كان ضارياً به ، واشتقت هذه الحال من الكلب ، وإن كانت جاءت في جميع الجوارح على سبيل التغليب ، لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب . اهـ.

وكـــلُّ فتــى وإنْ أَمْشَىٰ فَأَثْـــرَى
سَتَخْلِجُــهُ عنِ الدُّنْيَـــا مَنُـــونُ[1]

وروي عن أبي رافع أنـه قال : لما أمـــرَ النبـــيُّ ﷺ بقتـــل الكلاب ، سألوه ما يحلُّ من هذه الأمَّةِ التي أمرتَ بقتلها ؟ فنزلت ﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ ؟ وقرأ إلى آخر الآية[2] .

والجوارحُ في اللغة : الكـواسبُ ، يقـال ما لفلانـة جارح أي كاسب .

وقـال مجاهـد في قول اللـه عز وجـل : (وَيَعْلَـمُ مَا جَرَحْتُـم بِالنَّهَارِ)[3] . قال:ما كسبتم .

---

(١) البيت للنابغة الذبياني ، كما في لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري ٢٤٩٣/٦ قال الجوهري : أمشى الرجل إذا كثرت ماشيته . اهـ. ومعنى البيت أن الرجل مهما جمع المال واغتنى ، وكثرت مواشيه فلا بد أن ينتزعه الموت ويجتذبه من بين أهله وأحبابه .

(٢) الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٩/٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، والطبراني والبيهقي عن أبي رافع ، ولفظُه قال «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فاستأذن عليه ، فأذن له فأبطأ ، فأخذ رداءه فخرج فقال : قد أذِنَّا لك ، قال : أجل ، ولكنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة ، فنظر فإذا في بعض بيوتهم جروٌ ، قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت ، وجاء الناس فقالوا يا رسول الله : ماذا يحلُّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فسكت النبي ﷺ فنزلت الآية ، ورواه الحاكم وصححه وانظر جامع البيان ٨٩/٦ .

(٣) سورة الأنعام آية رقم (٦٠) وأولها ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .. ﴾ الآية .

وقال **مجاهد** في معنى ﴿ الجوارح ﴾ إنها الكلابُ ، والطيرُ[1] .

وقال **طاووس** : يحلُّ[2] صيد الطير ، لقوله تعالى ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ .

وليس في الآية دليلٌ علىٰ تحريم صيد سوىٰ الكلاب ، لأن معنى « مكلِّبينَ » مُحَرِّشُونَ[3] .

والإجماعُ يقوِّي قولَ طاووسٍ علىٰ تحليل صيد الطير .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾** [آية ٤] .

قال **سعد بن أبي وقاص وسلمان وعبدالله بن عمر وأبو هريرة** : «إذا أمسك عليك فكل ، وإن أكل» وهذا قولُ أهل المدينة .

---

(١) جامع البيان للطبري ٨٩/٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٩٣/٢ واختار الطبري أن كل ما عُلِّم من كلبٍ ، أو صقر ، أو فهد فهو من الجوارح .

(٢) في المخطوطة « لا يحل صيد سوى الكلاب » وهو خطأ وصوابه « يحل صيد سوى الكلاب » بحذف « لا » لأن مذهب طاوس أن الجوارح من الكلاب وغيرها كالصقر والباز وأشباه ذلك يحل الصيد بها كما حكاه الطبري عنه في تفسيره ٩٠/٦ ولفظه : وقال طاوس : الجوارح من الكلاب والصقور والبيزان وغيرها مما يعلَّم .

(٣) أي يُغْرونه بالصيد ويحرِّضونه عليه قال في البحر ٤٢٩/٣ ومعنى « مكلِّبين » مؤدبين ومعوِّدين ، قال : الجمهور على أن الجوارح في كواسر البهائم والطير ، مما يقبل التعليم ، وأقصى غاية التعليم أن يُشْلَى ــ أي يُحرَّض ــ فيجيب ، ويُزجر فينزجر ، ويمتنع من الأكل من الصيد ، واشتق لفظ «مكلِّبين» من الكَلَب وهي الضراوة ، يقال : كَلِبَ بكذا إذا كان ضارياً به . اهـ. وفي النهاية لابن الأثير ١٩٥/٤ : الكلاب المكلبة : المسلطة على الصيد ، المعودة بالاصطياد ، التى قد ضريت به .

ورُوي عن عديٍّ بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال : إن أمسَكَ عليك ولم يأكل فكُلْ ، وهذا قول أهل الكوفة[1] .

٢٨ — **وقوله جل وعز ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾** [آية ٥] .

قال مجاهد وإبراهيم : يعني الذبائح[2] .

٢٩ — **وقوله جل وعز ﴿ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾** [آية ٥] .

روي عن ابن عباس أنه قال : المحصناتُ : العفيفاتُ العاقلات[3] .

وقال الشعبي : هو أن تحصِّن فرجها فلا تزني ، وتغتسل من الجنابة[4] .

---

(١) يؤيد هذا القول الثاني ظاهر الآية ﴿ فكلوا ممَّا أمسكن عليكم ﴾ وقوله ﷺ لعدي بن حاتم « إذا أرسلت كلبك المعلَّم ، وذكرت اسم الله عليه ، فكلْ ما أمسك عليك » أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية لهما في الصحيحين « فإن أكل فلا تأكل ، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه » وهذا رأي الجمهور ، وانظر نص الحديث في صحيح البخاري ١١١/٧ وفي مسلم ٥٦/٦ .

(٢) هذا هو رأي الجمهور أن اللفظ عام يراد به الخصوص في قوله تعالى ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم ﴾ أي ذبائحهم قال القرطبي ٧٦/٦ : الطعام اسم لما يُؤكل ، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل ، وقد قال ابن عباس ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ ثم استثنى ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعني ذبيحة اليهودي والنصراني ، وإن كان يقول باسم المسيح ، وذلك أنهم يذبحون على الملة . اهـ.

(٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف أوردها الطبري ١٠٥/٦ وابن الجوزي ٢٩٢/٢ وابن كثير ٣٨/٣ والراجح من الأقوال أن المراد بها : العفيفات الطاهرات عن مقارفة الزنى ، وهو قول ابن عباس والجمهور . ورواية عن مجاهد ، وهو ما رجحه الحافظ ابن كثير فقد قال : والظاهر من =

والقراءة على قول الشعبي (والمُحْصِنَاتُ) بكسر الصاد ، وبه قرأ الكسائي .

والمحصَنَةُ تكون العفيفة ، والمتزوجة ، والحرة ، فالحرة ها هنا أولى ، ولو أريد العفيفة لما جاز أن تُتَزوَّجَ امرأة حتى يوقف على عِفَّتها[1] .

وقال مجاهد : المحصناتُ : الحرائر[1] .

قال أبو عبيد : نذهب إلى أنه لا يحل نكاح إماء أهل الكتاب لقوله جل وعز : (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ)[2] .

= الآية أن المراد بالمحصنات : العفيفات عن الزنى كما قال سبحانه في الآية الأخرى ﴿ محصنات غير مسافحات ولا متَّخذات أخدانٍ ﴾ وهو قول الجمهور ، لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي غير عفيفة فتكون كما في المثل « حشفاً وسوء كِيلة » .

(١) يريد المصنف أن معنى الإحصان في اللغة العربية يأتي لمعانٍ أربعة :

الأول : العفيفة ومنه قوله سبحانه ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ وقوله ﴿ محصنات غير مسافحات ﴾ أي عفيفات غير زانيات .

الثاني : المتزوجة ومنه قوله تعالى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم .. ﴾ إلى قوله ﴿ والمحصنات من النساء ﴾ أي المتزوجات .

الثالث : الحرة لقوله تعالى ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات .. ﴾ يريد بهن الحرائر .

الرابع : الإسلام ومنه قوله ﷺ « من أشرك بالله فليس بمحصن » ومعناه لا حدَّ على قاذفه لأن المشرك لا يتورع عن الزنى ، فلا يكون القائل قاذفاً له .

(٢) سورة النساء آية رقم (٢٥) وقول أبي عُبيد فيه ترجيح لمذهب مجاهد أن المراد بالمحصنة العفيفة .

وهذا القول الذي عليه جِلَّةُ العلماء[1]

ويدل على أنهن الحرائر قوله جل ثناه (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُم طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ المُحْصَنَاتِ المُؤمِناتِ فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ)[2] .

قال **الحسن والزهري** ويحيى بن سعيد وإبراهيم ومكحول وقتادة :

لا يحلُّ نكاح إماءُ أهلِ الكتاب[3] لقوله تعالىٰ (مِنْ فَتَيَاتِكُمْ المُؤْمِنَاتِ)

٣٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَنْ يَكْفُر بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾**[آية ٥]

قال مجاهد وعطاء : أي ومن يكفر بالله[4] .

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُم إِلَىٰ الصَّلاةِ ﴾** .

المعنى : إذا أردتم القيام إلىٰ الصلاة ، وفي الكلام دليل على هذا .

---

(١) أي العلماءُ المشاهيرُ الأجلَّاء .

(٢) سورة النساء آية (٢٥) .

(٣) انظر الطبري ٦/١٠٤ والبحر المحيط ٣/٤٣٢ والدر المنثور ٢/٢٦١ وابن كثير ٣/٣٨ قال ابن كثير : وكان ابن عمر لا يرى التزوج بالنصرانية أصلاً ــ يعني لا حرة ولا أمة ــ وكان يقول : لا أرى شركاً أعظم من أن تقول : إن ربها عيسى ، بقوله تعالى ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ والجمهور على خلافه .

(٤) ذكره ابن جرير في جامع البيان ٦/١٠٩ ورجح أن المعنى : من يأْبَ الإيمان بالله ، ويمتنع من توحيده والطاعة له ، فقد حبط عمله أي بطل ثواب عمله .

ومثلُه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُـرْآنَ فَاسْتَعِـذْ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَـانِ الرَّجِيمِ ﴾[1] .

المعنى : وإذا أردت أن تقرأ[2] .

وفي قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾ [آية ٦] .

أقوال :

أحدها : إذا توضَّأ من حدث ثم دخل عليه وقت الصلاة وهو على طهارة فليس عليه التوضؤ ، وهذا الذي عليه أكثر الناس ، وقد صحَّ أن النبي ﷺ صلَّى خمس صلواتٍ بوضوءٍ واحد[3] .

وقال زيد بن أسلم : أي إذا قمتم من المضاجع[4] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٨) وقد ورد في المخطوطة « وإذا » وصوابه فإذا كما أثبتناه .

(٢) هذا واضح من دلالة النص ، وليس كما فهم بعض أهل الظاهر ، أنه يتعوذ بعد الانتهاء من قراءة القرآن ، لقوله تعالى ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ فهذا فهم سقيم خاطىء ، فإن الاستعاذة إنما تكون قبل البدء بالقراءة ، لا بعد الانتهاء منها ، وكذلك هنا الوضوء يكون قبل الشروع في الصلاة فالمراد إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٨٢/٦ ومعنى « إذا قمتم » إذا أردتم ، لأن الوضوء حالة القيام إلى الصلاة لا يمكن . اهـ.

(٣) حديث «إنَّ النبي صلَّى خمس صلوات بوضوء واحد» أخرجه أحمد في المسند ٣٥٨/٥ ولفظه : عن سليمان بن خصيب قال : كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه ، وصلَّى الصلوات بوضوء واحد ، فقال له عمر يا رسول الله : إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ؟ قال : « إني عمداً فعلته يا عمر » وأخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٦٠/١ وأصحاب السنن ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٠/٣ والدر المنثور ٢٦١/٢ .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن زيد بن أسلم ١١٢/٦ وهذا قريب من قول الجمهور إذا قمتم إلى الصلاة -وأنتم محدثون-فاغسلوا وجوهكم .. الآية .

والقول الثاني : إن الوضوء قد كان واجباً بهذه الآية علىٰ كل مريد للقيام إلى الصلاة ، ثم نَسَخَ ذلكَ سُنَّةُ رسولِ الله صلىٰ الله عليه وسلم[1] .

والقول الثالث : إن على كل قائم إلى الصلاة مكتوبة الوضوء ، كما روى شعبة عن مسعود بن علي قال : كان علي رضي الله عنه يتوضأ لكل صلاة ويتلو (إِذَا قُمْتُم إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُم)[2] .

٣٢ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ ﴾** [آية ٦] .

قال بعض أهل اللغة : المعنى مع المرافق ، كما قال (مَنْ أَنْصَارِي إِلَىٰ اللَّهِ)[3] .

---

(١) ذكر هذا القول ابن كثير ٣/٤٠ والقرطبي في جامع الأحكام ٦/٨١ وردَّه فقال ما نصُّه : «وقال آخرون : إن الفرضَ في كل وضوء كان لكل صلاةٍ ، ثم نسخ في فتح مكة ، وهذا غلط لحديث أنس قال : كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة ، وإنَّ أمته كانت على خلاف ذلك ، ولحديث « سويد بن النعمان » أن النبي ﷺ صلَّى وهو بالصهباء ـ موضع قريب من خيبر ـ العصر والمغرب بوضوء واحد . اهـ. جامع الأحكام ٦/٨١ .

(٢) ذكره الطبري ٦/١١٢ عن علي رضي الله عنه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢/٢٩٨ ولفظه : « وللعلماء في المراد بالآية قولان :

أحدهما : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين فاغسلوا ، وهو مذهب ابن عباس والفقهاء .

والثاني : أن الكلام على ظاهره من غير إضمار ، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة ، محدثاً كان أو غير محدث ، وهذا مروي عن علي رضي الله عنه .

(٣) سورة الصف آية رقم (١٤) .

أي مع الله .

وهذا القولُ خطأٌ ، لأن اليد عند العرب من الأصابع إلى الكتف ، وإنما فُرِضَ غسلُ بعضها ، فلو كانت « إلى » بمعنى « مع » لوجب غسل اليد كلها ، ولم يحتج إلى ذكر المرافق[1] .

والمِرْفَقُ ، ويُقال مَرْفِقٌ : ما بعد الأيدي مما يُرْتفَقُ عليه أي يُتكأُ[2] .

ومعنى « إلى » ههنا الغاية ، هي على بابها ، إلا أنَّ أبا العباس[3] قال : إذا كان الثاني من الأول فما بعد « إلى » داخلٌ فيما قبله ، نحو قوله تعالى : (إِلَى المَرافِقِ) .

فالمرافقُ داخلةٌ في الغسل ، وإذا كان ما بعدها ليس من الأول فليس بداخل فيه نحو (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ) .

وقال غيره : ما بعد « إلىٰ » ليس بداخل فيما قبلها ، إلا

---

(١) هذا قول دقيق ذكره المصنف ، رد فيه على من قال إن معنى ﴿ إلى المرافق ﴾ أي مع المرافق ، وذلك لأن اليد في اللغة تطلق أحياناً ويراد بها الكف ، وتطلق ويراد بها من الأصابع إلى الساعد ، وتطلق اليد ويراد بها جميع اليد إلى الكتف ، فلو كانت « إلى » بمعنى « مع » لوجب غسل جميع اليد إلى الكتف ، ولا يكون للتحديد إلى المرافق فائدة . اهـ. وانظر معاني الزجاج ١٦٦/٢ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : والمِرْفق والمَرْفق : مَوْصل الذراع في العضد ، ويقال : بات فلان مرتفِقاً : أي متكئاً على مرفق يده ، والمَرْفق من الأمر ما ارتفقت وانتفعت به ﴿ ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ وفي المخطوطة «مابعد الإبرة» وهو تصحيف ، وصوابُه مابعد الأيدي .

(٣) يعني به الإمام المبرد رحمه الله .

أن المرافق غُسلت إتّباعاً[١] .

٣٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُم إِلَى الكَعْبَيْن ﴾ .

والمعنى : فاغلسوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم على التقديم والتأخير .

ومن قرأ (وَأَرْجُلِكُم)[٢] ففي قراءته أقوال :

أحدها : إن المسح والغسل واحدٌ ، قال ذلك أبو زيد[٣] .

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٦/٤ ففيه تفصيل بديع لدخول الغاية أوعدمه ، وكذلك نبَّه أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٥/٣ ـ ٤٣٦ فأجادَ وأفاد .

(٢) قرأ ابن كثير ، وحمزة ، وأبو عمرو ﴿ وأرجلِكُم ﴾ بالجر على المجاورة ، وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، والكسائي ﴿ وأرجلَكُم إلى الكعبين ﴾ بالنصب عطفاً على المغسول والمعنى على هذا القول : اغسلوا وجوهكم ، وأيديكم إلى المرافق ، وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برءوسكم ، فيكون من باب التقديم والتأخير ، وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٢ .

(٣) « أبو زيد » هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة أعلام اللغة والأدب ، توفي سنة ٢١٥هـ قال أبو زيد : إن العرب تسمي الغسل الخفيف مسحاً ، فيقولون : تمسحتُ للصلاة بمعنى : غسلت أعضائي ، قال ابن عطيه في المحرر الوجيز ٣٧١/٤ : ومن الدليل على أن مسح الرجلين يراد به الغسل ، أن الحدَّ قد وقع فيهما بـ « إلى » كما وقع في الأيدي وهي مغسولة ﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴾ وقوله ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ ولم يقع الممسوح حَدٌّ . اهـ .

أقول : هذا استنباط دقيق ، وفهم ثاقب ، فإن الله تعالى لما ذكر الغسل حَدَّه بغاية فقال « إلى المرافق » و « إلى الكعبين » ولما ذكر المسح لم يحدَّه بغاية إلى كذا ، فتنبه له فإنه دقيق .

ومنه قولهم : تَمَسَّحْتُ للصلاة ، والتقدير وأَرْجلِكُم غَسْلاً .

ودلَّ على هذا قوله (إلى الكَعْبَيْنِ) فحدَّدها كما قال في اليدين (إِلَى المَرَافِقِ) .

ودلَّ عليه حديث النبي ﷺ « ويل للأعقابِ من النار »[1] .

فلو كان المسح كافياً لجاز المسح على البعض .

وروي عن الشعبي أنه قال : (نزل جبريل عليه السلام بالمسح ، والغَسْلُ)[2] سُنَّةٌ .

والقول الثالث روي عن علي رضي الله عنه أنه أجاز المسح[3] .

قال أبو جعفر : إلا أن عاصم بن كُلَيْب[4] روى عن ابن عبدالرحمن قال : قرأ الحسن والحسين رحمة الله عليهما وعلى عليٍّ (وَأَرْجُلِكُمْ) فسمع عليٌّ ذلك ، وكان يقضي بين الناس ، فقال ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الوضوء ٥٢١/١ ومسلم في الطهارة ١٤٨/١ ورواه أحمد ٢٠٥/٢ عن عبدالله بن عمروٍ عن النبي ﷺ ، أنه رأى قوماً توضؤا ولم يُتمُّوا الوضوء ، فقال : « ويلٌ للأعقاب من النار » .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٣) هذا القول عن علي ليس بقوي ، والصحيح ما ذكره الطبري ١٢٨/٦ عن الحارث عن علي أنه قال : اغسل القدمين إلى الكعبين ، وقال عطاء : لم أر أحداً يمسح على القدمين .

(٤) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٨٥/١ : عاصم بن كُليب بن شهاب الجَرْمي الكوفي ، صَدوقٌ ، رُمِيَ بالإرجاء من الخامسة ، مات سنة مائة وبضع وثلاثين . اهـ وانظر أيضاً الجرح والتعديل ٣٤٩/٦ .

هذا من المقدم والمؤخر من الكلام[1] .

وروى **أبو اسحاق** عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : اغسلوا الأقدام أي الكعبين ، وكذا روي عن ابن مسعود ، وابن عباس رحمهما الله أنهما قرأ ﴿ وأرجَلَكُمْ ﴾ بالنصب[2] .

والكعبُ : العظمُ الناتِئُ في آخر الساق عند القدم ، وكلُّ مفصل عند العرب كعبٌ ، إلَّا أنه لم يحتج أن يقال : الكعبُ الذي من قصته كذا لأنه ظاهرٌ بين .

٣٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ .. ﴾** [آية ٦] . كنايةٌ[3] .

والغائطُ في الأصلِ : ما انخفضَ من الأرضِ .

---

(١) يريد أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره : اغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجُلَكُمْ إلى الكعبين ، وامسحوا برءوسكم ، فتقدم مسح الرأس على غسل القدمين ، للتنبيه على مراعاة الترتيب ، وهذا هو الصحيح عن علي رضي الله عنه أنه يقول بوجوب غسل الرجلين ، وانظر جامع البيان ١٢٨/٦ .

(٢) انظر جامع البيان ١٢٨/٦ وتفسير القرطبي ٩٣/٦ وابن كثير ٤٩/٣ والبحر المحيط ٤٣٧/٣ .

(٣) كنَّى عن الحدث ــ وهو ما يخرج من الإنسان من فضلات ــ بالمجيء من الغائط ، لتعليم الناس أدب المحادثة في الكلام ، فإن أصل الغائط في اللغة العربية هو الأرض المنخفضة ، ولما كان الإنسان إذا أراد قضاء الحاجة يبتعد عن الأنظار إلى مكان منخفض ، ولا يجلس على تلٍّ مرتفع حتى يراه الناس ، فلهذا جاءت الآية بطريق الكناية، والمعنى الظاهر : أو جاء أحدٌ منكم من الأرض المنخفضة أي قضى حاجته في ذلك المكان ، فتنبه لآداب القرآن رعاك الله .

٣٥ ــ ثم قال جل ذكره : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [آية ٦] .

في معناه قولان :

أحدهما : رواه عَبِيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « القُبْلَة من المسِّ ، وكلُّ ما دونَ الجماع لمسٌ »[١] وكذلك قال ابن عمر .

ومحمد بن يزيد[٢] يميل إلى هذا القول ، قال : لأنه قد ذكر في أول هذه السورة ما يجب على من جَامَع في قوله (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرَوا)[٣] .

وقال عبدالله بن عباس : اللَّمْسُ ، والمَسُّ ، والغَشَيَانُ : الجماعُ ، ولكنه جلَّ وعز كنَّى[٤] .

وقال مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامَاً ﴾[٥] .

قال : إذا ذَكَرُوا النِّكاحَ كَنَوْا عنه .

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ١٠٤/٥ والدر المنثور ٢٦٣/٢ والقرطبي ١٠٤/٦ .

(٢) محمد بن يزيد هو الإمام المبرِّد وقد تقدمت ترجمته .

(٣) لا يلزم أن يكون في الآية تكرار ، فإن الآية الأولى ﴿ وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴾ فيمن يجد الماء ، فهذا يجب عليه استعماله ، ولا يجزىء عنه غير الماء ، وأما قوله تعالى بعده ﴿ أو لامستم النساء ﴾ أي جامعتم النساء ، فإنه في بيان حكم من لم يجد الماء ، فإنه يتيمم حتى ولو كان جنباً ، وصلاته صحيحة ، ولو لم يذكر هذا الحكم لظن الناس أنه لايجزىء في الجنابة التيمم ويترك الصلاة إلى أن يجد الماء ، فأنزل الله هذه الشبهة وكفى المؤمنين القتال ، وهذا ما علَّله به علماء التفسير .

(٤) الطبري ١٠٤/٥ والقرطبي ١٠٤/٦ والدر المنثور ١٦٦/٢ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) سورة الفرقان آية رقم (٧٢) .

٣٦ ــ **وقولُه عز وجل** : ﴿ **فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً** ﴾ [آية ٦] .

أي فاقصدوا .

والصعيدُ : وجه الأرضِ .

قال ابن عباس : أطيب الصعيد الحَرْثُ(١) .

٣٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَليكُم مِنْ حَرَجٍ** .. ﴾ .
[آية ٦] .

قال مجاهد : أي من ضِيق .

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ [آية ٦] .

وقرأ سعيد بن المسيب (لِيُطْهِرَكُم ﴾(٢) والمعنى واحد ، كما يقال : نَجَّاه وأَنْجَاه .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَاذْكُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ** ﴾(٣) [آية ٧] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٢ عن ابن عباس ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، ولفظه : إن أطيب الصعيد أرض الحرث ، يعني أفضل مكان للتيمم الأرض التي تحرث وتزرع ، ورواية السيوطي أوضح من رواية المصنف ، والحاصل في هذه المسألة أن العلماء اختلفوا في معنى « الصعيد » فقال قوم هو التراب لا غير ، وقال آخرون : هو وجه الأرض سواء كان عليه تراب أو لا ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ ورجح هذا القول الطبري ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة ، وهو الراجح والله أعلم .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر ٣٧/٤ وأبو حيان في البحر ٤٣٩/٣ وليست من القراءات السبع ، فتكون مشتقة من « أطهر » لا من «طَهُر» فتنبه له فإنه دقيق .

(٣) هذا هو الأصح والأرجح ، وهو أن الميثاق هو ما حدث في بيعة العقبة وبيعة الرضوان وغيرهما وهو رأي الجمهور .

مذهب **ابن عباس** أنه قال : الميثاق الذي وَاثَقَ به المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ على : السمع والطاعة فيما أحبُّوا وكرهوا .

قال مجاهد : الميثاق الذي أخذه على بني آدم يعني قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[1]

٤٠ ـ **وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾** [آية ٨] .

القسطُ : العدلُ.

٤١ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ ﴾** [آية ٨] .

أي لايحملنَّكم ، وقد بيناه فيما تقدم .

وقرئ ﴿ ولا يُجْرِمَنَّكم ﴾[2] .

قال الكسائي : هما لغتان .

قال أبو جعفر : قال أبو اسحاق[3] : معنى ﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يدخلنكم في الجرم ، كما تقول : آثمني أي أدخلني في الإثم[4] .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٢) هذه قراءة ابن مسعود ، وعدها ابن جني في المحتسب ٢٠٦/١ من القراءات الشاذة .

(٣) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير ، وقد تقدمت ترجمته .

(٤) قال أبو عبيدة والفراء : جرمه كسبه ، ويقال : فلان جريمة أهله أي كاسبهم ، والجارم : الكاسب ، وأجرم فلان إذا اكتسب الإثم ، وقال الكسائي : جرم وأجرم أي كسب غيره ، وجرم يجرم جرماً إذا قطع ، وانظر البحر المحيط ٤١٠/٣ .

والشنآنُ : البغضُ[1] .

٤٢ ـــ **وقوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيكُمْ[2] أَيْدِيَهُم فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾** [آية ١١] .

قال مجاهد : « هذا في اليهود جاءهم النبي ﷺ يستعينهم في دية ، فهمُّوا بقتله ، فوقاه اللهُ جلَّ وعز منهم »[3] .

ورُوي عن الحسن أنه قال : نزل هذا في رجل من أعداء[4] النبي ﷺ في بعض غزواته ، فاستقبل القبلة ليصلي صلاة الخوف فجاء هذا ليقتله ، فمنعه الله منه[5] .

---

(١) قال أهل اللغة : الشنآن : البغض ، وهو أحد مصادر شنأ ، يقال : شنأ شنآناً ، وشنئاً ، وشناءةً ، ومشنأة ، وله أكثر من عشرة مصادر ، والكل بمعنى الكراهية والبغض قال تعالى : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ أي إن مبغضك وحاسدك هو المقطوع من الخير .

(٢) وقع خطأ في النص القرآني في المخطوطة ﴿ إذ هم قوم أن يبسطوا إليهم أيديهم ﴾ والصواب ما أثبتناه كما هو النص الكريم ﴿ إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ﴾ .

(٣) الرواية ذكرها محمد بن إسحاق عن مجاهد وعكرمة كما في تفسير ابن كثير ٥٩/٣ وخلاصتها أن يهود بني النضير ، أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحىٰ ، لما جاء يستعينهم في دية العامريَّيْن ، فأمروا واحداً منهم إذا جلس النبي ﷺ تحت الجدار ، أن يلقى عليه تلك الرَّحى من فوق السطح ، فأُطلع الله رسوله على ما دبروا ، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه ، ثم غدا مع بعض المقاتلين فحاصرهم ثم أجلاهم ، وهذا ما رجحه الإمام الطبري واختاره ، أنها نزلت في يهود بني النضير همَّت بقتل الرسول وقتل من معه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٦/٢ وعزاه إلى أبي نعيم في دلائل النبوة من رواية الضحاك عن ابن عباس .

(٤) في المخطوطة « أخدان النبي » وهو خطأ ، وصوابه أعداء النبي ﷺ .

(٥) انظر جامع البيان ١٤٦/٦ والدر المنثور ٢٦٥/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٠٨/٢ .

٤٣ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ [آية ١٢] .

النقيبُ في اللغة : الأمينُ الذي يعرف مداخل القوم ، كأنه يعرف ما ينقِّب عليه من أمرهم[١] .

وروى سعيد عن قتادة قال : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ من كل سبط رجلاً شاهداً على سبطه[٢] ﴿ وقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾ إلى آخر القصة .

٤٤ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَآمَنْتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ [آية ١٢] .

قال أبو عبيد[٣] ﴿ عَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ عظَّمتموهم .

وقال يونس[٤] : أثنيتم عليها .

وأحسنُ من هذين القولين قولُ ابن أبي نجيح عن مجاهد أن معنى ﴿ عَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ نصرتموهم ، والتعظيمُ داخل في النُّصْرة .

---

(١) النقيب في اللغة : كبير القوم القائم بأمورهم ، الذي ينقب ويبحث عن مصالحهم ، ويفتش عن أحوالهم وأسرارهم ، والمناقب : الفضائل التي تظهر بالتنقيب ، والنَّقيبُ : الرجل العظيم الذي يختاره الناس للكلام باسمهم ، ويمثلهم في المحافل ، وهو «فعيل» للمبالغة كعليم ، وانظر الصحاح ٢٢٧/١ .

(٢) ذكره ابن عطية عن قتادة ٣٨٢/٤ قال : هؤلاء النقباء قوم كبار من كل سبط ، تكفل كل واحد بسبطه بأن يؤمنوا ويتقوا الله .

(٣) أبو عبيد هو «القاسم بن سلام الهروي » المتوفى سنة ٢٢٤هـ من كبار علماء اللغة والأدب ، انظر ترجمته في الأعلام ١٠/٦ .

(٤) هو يونس بن حبيب ، والاسم غير واضح في المخطوطة فقد كتب « بولس » وصوابه يونس كما في البحر المحيط ٤٤٣/٣ قال : عزَّر الرجل : أثنى عليه بخير .

والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[1] .

وأصلُ التعزير في اللغة : المنعُ ، ومنه عزَّرتُ فلاناً أي أنزلت به ما يمتنع من أجله من المعاودة كما تقول : نكَّلتُ به أي أنزلت به ما ينكِّل به عن العودة .

وروي عن سعد[2] أنه قال : « لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلاَّ الحُبْلة والسَّمُر ، ثم أصبحت بنو أَسَد تعزِّرني على الإسلام أي تؤدبني » .

وهو يرجع إلى ما تقدم أي يمنعونني عما أنا عليه .

٤٥ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً .. ﴾** [آية ١٣] .

(١) سورة الفتح آية رقم (٩) وتمامها ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزِّروه وتوقِّروه وتُسبِّحوه بكرةً وأصيلاً ﴾ .
قال الزمخشري : « عزَّرتموهم » نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ، ومنه التعزير وهو التنكيل والمنعُ من معاودة الفساد . اهـ. الكشاف ٣٢٨/١ وهذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ١٧٣/٢ .

(٢) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكلامه كما في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣٦٦/٢ قال سعد : « إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله والله إن كنا لنغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحُبْلة ، وهذا السَّمُرُ ، ثم أصبحت بنو أسد تعزِّرني على الدين ــ أي توبخني على التقصير فيه ــ لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي » أخرجه مسلم في صحيحه وقد ورد في المخطوطة « ثم أصبحت بنو سعد » وصوابه بنو أسد كما في مسلم ، وأسد الغابة ، والحُبْلة : ثمر السَّمُر .

وتُقرأُ « قَسِيَّةً »(١) .

والقاسية كما تقول : عَلِيَّةٌ ، وعَالِيةٌ ، وعَلِيٌّ ، وعالٍ ، بمعنىً واحدٍ .

والقولُ الآخر : معنى « قَسِيَّة » ليست بخالصة الإيمان ، أي فيها نفاقٌ(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسن لأنه يقال : درهمٌ قسِيٌّ إذا كان مغشوشاً بنحاسٍ أو غيره .

قال أبو جعفر : وأولى ما فيه أن تكون « قسيَّة » بمعنى قاسية ، مثل زكيَّة وزاكية ، إلَّا أن فعيلة أبلغ من فاعلة ، فالمعنى : جعلنا قلوبهم غليظةً ، نابية عن الإيمان(٣) ، والتوفيق لطاعتي ، لأن القوم لم يوصفوا بشيء من الإيمان فتكون قلوبهم موصوفة ، فإن إيمانها خالطه كفرٌ ، كالدراهم القسية التي خالطها غشٌّ .

٤٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٣ .

(٢) «قاسية» أي جافة لاتلين لقبول الإيمان ، وقسوة القلب : غِلظُه وصلابته حتى لاينفعل لِخيرٍ ، و«قاسية» و «قسيَّة» بمعنى واحد عند الجمهور ، وقال بعضهم قسِيَّةٌ ليست من معنى القسوة وإنما هي كالقسيَّة من الدراهم ، وهي التي خالطها غشٌّ وتدليس ، وكذلك القلوب التي لم يَصْفُ فيها الإيمان بل خالطها الكفر والفساد ، والصحيح أنها من القسوة أيضاً لأن الذهب والفضة فيهما لين ، والمغشوش فيه يبس وصلابة .

(٣) ما رجحه المصنف هو الصحيح الذي يتفق مع اللغة ، فإن لفظ « قاسية » و « قَسِيَّة » معناهما واحد ، مأخوذ من القسوة ، ولكنَّ قسِيَّة أبلغُ في مفهوم القسوة ، وهي القلوب التي قست وصلبت ، بسبب ما خالطها من النفاق والعصيان ، وهذا ما رجحه الزمخشري .

يجوز أن يكون معناه : يبدِّلون حروفه .

ويجوز أن يكون معناه: يتناولونه على غير معناه[1] .

٤٨ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾[آية ١٣]

فيه قولان :

أحدهما : قاله قتادةُ : قال : على خيانة .

وهذا جائزٌ في اللغة ، ويكون مثل قولهم : « قائلة » بمعنى قيلولة[2] .

والقولُ الآخر : قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وهو أن هذا يُراد به اليهود الذين همُّوا بقتل النبي ﷺ ، فيكون التقدير على هذا القول : على فرقةٍ خائنةٍ ، ثم أقام الصفة مقام الموصوف[3] .

---

(١) يريد الإمام النحاس أن التحريف قد يكون لألفاظ الآيات كما فعل اليهود والنصارى في كتبهم حيث حرفوا آيات التوراة والإنجيل ، وقد يكون التحريف لمعنى الآيات كما يفعل بعض الضالين ، حيث يفسرون الآيات حسب أهوائهم الزائغة فيقولون مثلاً في قوله تعالى ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أي تأتيك المعرفة بالله الكاملة قالوا إذا وصل إلى هذه الدرجة يسقط عنه التكليف ، وكما فسر بعض الرافضة قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ قالوا : الجبتُ أبو بكر ، والطاغوتُ عمر ، وفسروا الآية ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ قالوا : هي عائشة ، قاتلهم الله ، فهذا من التحريف لمعاني الكتاب العزيز.

(٢) هي النوم وقت الظهيرة ومنها قوله تعالى ﴿ جاءهم بأسنا بياتاً أو هم قائلون ﴾ .

(٣) يعني أن « خائنة » صفة لموصوف محذوف تقديره : على فرقةٍ خائنةٍ فحذفت الموصوف وبقيت الصفة ، والمعنى الأول أظهر أن « خائنة » بمعنى خيانة أي لا تزال يا محمد تظهر على خيانة منهم بنقض العهود ، والصدِّ عن سبيل الله ، وهو مارجحه الطبري وابن كثير ، قال ابن قتيبة : الخائنة : الخيانة ، ويجوز أن تكون صفة للخائن ، كما يقال : رجل طاغية ، وراوية للحديث . اهـ. زاد المسير ٢/٣١٤ .

٤٩ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [آية ١٤] .

أي تركوا ، ومنه (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم)[١] أي تركهم .

٥٠ ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَأَغْرَيْنَا[٢] بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ [آية ١٤] .

ومعنى « أَغْرَيْنَا » في اللغة : ألصقنا[٣] ، ومنه قيل : الغِرَاءُ للّذي يُغَرَّى به .

قال ابن أبي نجيح : يعني اليهود والنصارى .

وقال الربيع بن أنس : يعني به النصارى خاصة ، أُغْرِيتُ بينهم العداوة والبغضاء[٤] ، أي مجازاة على كفرهم ، فافترقوا فِرقاً : منهم النسطورية ، واليعقوبية ، والملكية ، وكل فرقة تُعَادي الأخرى[٥] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٦٧) وتتمتها ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ .

(٢) في المخطوطة « فأغريناهم بينهم العداوة » وهو خطأ والنصُّ الكريم ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ .

(٣) في المخطوطة « ألمقنا » وهو تصحيف وصوابه ألصقنا كما ذكره القرطبي وغيره ، وقال القرطبي ٦ /١٥٨ ﴿أغرينا بينهم﴾ أي حرَّشْنا بينهم وألقينا ، كما تُغري الشيء بالشيء ، وذلك لما تركوا الميثاق أوقع الله بينهم العداوة والبغضاء .

(٤) هذا هو الأظهر والأصح وهو اختيار الطبري ، ويكاد يكون النص فيه صريحاً ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى ﴾ فهي خاصة بهم .

(٥) قال الحافظ ابن كثير ٣/٦٥ : والمعنى : ألقينا بينهم العداوة والتباغض ، فلا يزال النصارى متباغضين متعادين ، يكفِّر بعضهم بعضاً ، فكل فرقة تعادي الأخرى ولا تدعها تلج معبدها ، فالملكية تكفِّر اليعقوبية ، وكذلك النسطورية ، والآريوسية ، كلُّ طائفة تكفِّر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

٥١ ـ وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ﴾ [آية ١٥] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : « زنى رجل من اليهود ، فجاءوا يستفتون النبي ﷺ ، ليدرؤا عنه الرجمَ ، والرَّجْمُ عندهم في التوراة ، فأُطلِع النبيُّ ﷺ على ذلك[1] .

٥٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾ [آية ١٥] .

قيل : « نورٌ » يعني به النبيَّ صلى الله عليه وسلم[2] .

وهو تمثيلٌ لأن النور هو الذي تتبيَّنُ به الأشياءُ .

٥٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [آية ١٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٦١/٦ والحاكم في المستدرك ٣٥٩/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٢ قال الطبري في روايته عن عكرمة : « إن اليهود أتوا النبي ﷺ يسألونه عن الرجم ، واجتمعوا في بيت ، فقال لهم ﷺ : أيكم أعلم ؟ فأشاروا إلى ابن صوريا ، فقال : أنت أعلمهم ؟ قال إنهم ليزعمون ذلك ، فسلْ عما شئتَ ، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى ، والذي رفع الطور ، وناشده بالمواثيق عن موضوع الرجم ، فقال : إن نساءنا نساءٌ حسان ، وقد كثر فينا الرجم ، فاختصرناه إلى الجلد مائة جلدة وحلق الرأس ، وأقرَّ عالمهم بأن في التوراة الرجم ، فأنزل الله ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم .. ﴾ الآية وانظر البحر المحيط ٤٤٧/٣ .

(٢) سمَّاه الله هنا نوراً كما سمَّاه في آية أخرى « سراجاً منيراً » لأنه ﷺ قد أنار للأمة طريق الهداية والسعادة ، فهو نور وسراج يستضاء به في ظلمات الحياة الحالكة ، قال ابن جرير الطبري ١٦١/٦ عند تفسير هذه الآية ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ ، وأظهر به الإسلام ، ومحق به الشرك ، فهو نور لمن استنار به يبين الحقَّ ، ومن إنارته الحق تَبْيينُهُ لليهود كثيراً مما أخفوه من الكتاب . اهـ .

السبلُ : الطُّرُق[1] ، والسلامُ : يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون السَّلامُ بمعنى السَّلامة ، كما يُقال : اللَّذَاذُ واللَّذَاذةُ .

والمعنى الآخرُ : أنَّ السلام اسمٌ من أسماء الله جل وعز[2] :

فالمعنى على هذا : يَهْدِي به اللهُ سُبُلَهَ أي من اتَّبعها نجَّاه .

٥٤ — **وقولُه عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رُسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾** [آية ١٩] .

قال قتادة : يعني محمداً ﷺ .

قال : وبلغنا أن الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، ست مائة عام[3] .

والمعنى عند أهل اللغة : على انقطاع من الرسل ، لأن الرسل

---

(١) المراد أن الله تعالى يهدي بهذا القرآن العظيم عباده إلى طرق السلامة ، الموصلة إلى دار السلام ، المنزَّهة عن كل آفة ، والمؤَمِّنَةُ من كل مخافة ، وهي الجنة . انظر جامع الأحكام للقرطبي ١١٩/٦ .

(٢) هذا قول الحسن والسدي قالا : السَّلامُ هو الله ، وسبيله دينه الذي شرعه ، قال الزجَّاج وجائز أن يكون « سُبُلَ السَّلامِ » طريق السلامة التي من سلكها سلم ، وجائز أن يكون السلام اسم الله عز وجل . اهـ. معاني الزجاج .

(٣) الطبري عن قتادة ١٦٧/٦ وروى عنه أنه كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة وستون سنة ، وذكرهما القرطبي ٢٢١/٦ والخلاف يرجع إلى أن من ذكر المدة من حين مولد الرسول فتكون (٦٠٠) ستمائة سنة ، ومن أراد ما بين البعثة النبوية وبين عيسى تكون (٥٦٠) خمسمائة وستون سنة والله أعلم .

كانوا متواترين بين موسى وعيسى صلى الله عليهما ، ثم انقطع ذلك إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم .

٥٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ **أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ** ﴾ .
[آية ١٩] .

قال الكوفيون : المعنى أن لاتقولوا ، ثم حُذفت « لا » كما قال جل وعز : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[1] .

ولا يجوز حذف « لا » عند البصريين ، لأنها تدلُّ على النفي[1] .

والمعنى عندهم : كَراهةَ أن تقولوا .

٥٦ ـ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ، وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً** ﴾ [آية ٢٠] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : يعني الخادمَ ، والمنزلَ[2] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٧٦) وقد تقدم هذا وأن الراجح فيه مذهب البصريين وأن التقدير : يبين الله لكم خشية أن تضلوا أو كراهة أن تضلوا وهذا مذهب المبرِّد ، لأن « لا » وضعت في أصل اللغة للنفي فلا يجوز حذفها ، وأما الكوفيون فيجيزون حذف « لا » إذا لم يكن في الكلام التباس ، ودل السياق على المعنى كما هنا .

(٢) هذا توضيح لمعنى قوله ﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾ فقد قال بعضهم : من كان له بيت وخادم فهو مَلِكٌ . وأخرج الطبري ١٦٩/٦ عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار سمي ملكاً . وروى ابن جرير أيضاً عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص أن رجلاً سأله فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبدالله : ألكَ امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك مسكنٌ تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، فقال له الرجل : إن لي خادماً ، قال : فأنت من الملوك . اهـ. الطبري ١٦٩/٦ . والحديث رواه مسلم .

قال قتادة : لم يملك أحد قبلهم خادماً[1] .

وقال الحَكَمُ بنُ عُتَيْبَةَ[2] ومجاهد وعكرمة : ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلوكاً ﴾ المنزل والخادم والزوجة .

وكذلك قال زيد بن أسلم ، إلاَّ أنه قال : فيما يُعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان له بيت ، أو قال منزل يأوي إليه ، وزوجةٌ ، وخادمٌ يخدمه ، فهو مَلِكٌ »[3] .

٥٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِين ﴾** . [آية ٢٠] .

قال مجاهد : يعني المنَّ ، والسَّلْوى ، وانفراق البحر ، وانفجار الحجر ، والتظليل بالغمام[4] .

٥٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يا قَوْمِ ادْخُلوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٦/١٧٠ والقرطبي ٦/١٢٤ والمحرر الوجيز ٤/٣٩٨ وضعَّف هذا القول ابن عطية ، قال : لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل ، وظاهر أمر بني آدم أن بعضهم كان يسخر بعضاً ، منذ تناسلوا وكثروا ، وإنما اختلفت الأمم في معنى التملك فقط .

(٢) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/١٩٢ : « الحكم بن عتيبة » هو أبو محمد الكندي الكوفي ثقة ، ثبتٌ ، فقيهٌ ، إلا أنه ربما دلس ، من الخامسة مات سنة ١٣ يعني بعد المائة .اهـ.

(٣) ذكره الطبري ٦/١٦٩ وابن كثير في تفسيره ٣/٦٨ وقال : هذا مرسل غريب .

أقول : أما الحديث الصحيح فهو ما رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، وهو قوله ﷺ « من أصبح منكم معافىً في جسده ، آمناً في سِرْبِه ــ أي في نفسه ــ عنده قوت يومه ، فقد حيزت له الدنيا» ورواه الترمذي في الزهد ٤/٥٧٤ وقال : حسن غريب .

(٤) الطبري عن مجاهد ٦/١٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٢٧٠ واختار ابن جرير أنها النعم الجليلة التي أنعم بها على بني إسرائيل .

قال قتادة : يعني الشام .

والمقدَّسة في اللغة : المطهَّرة ، ومنه سمي بيت المقدس ، أي الموضع الذي يُتطهَّر فيه من الذنوب[١] .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ قَالُوا يا مُوسَىٰ إنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾** [آية ٢٢] .

الجَّبارُ عند أهل اللغة : المتعظِّمُ ، الذي يمتنع من الذلِّ والقهر[٢] .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِما ﴾** [آية ٢٣] .

روي عن مجاهد أنه قال : الرجلان من الإثني عشر نقيباً الذين بعثوا ، وهما « يوشَعُ بنُ نُونٍ » و « كلابُ بن قايِنَّا » ويُقال : يوقَنَّا[٣] .

وقال الضحاك : هما رجلان مؤمنان كانا في مدينة الجبارين[٤] .

والدليلُ على هذا أنهما قالا ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ ، فإذَا

---

(١) سميت الأرض المقدسة لأن الله طهرها وبارك فيها ، وجعلها قرار الأنبياء ، ومسكن المؤمنين .

(٢) قال ابن عطيه : الجبَّارُ : فعَّالٌ من الجَبْر ، كأنه لقوته وغشمه وبطشه يجبر الناس على إرادته ، والنخلة الجبارة : العالية التي لا تُنال بيد . اهـ. المحرر الوجيز ٤/٤٠٠ .

(٣) أكثر المفسرين على أن الرجلين هما « يوشع بن نون » ــ وهو ابن أخت موسى ــ و « كالب بن يوقَنَّا » ويقال فيه : كلابٌ ، وانظر المحرر الوجيز ٤/٤٠١ والدر المنثور ٢/٢٧٠ .

(٤) ذكره ابن جرير في جامع البيان ٦/١٧٦ والبحر المحيط ٣/٤٥٥ .

دَخَلْتُموهُ فَإِنَّكُم غَالِبُون﴾ وقد علمنا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب كان لهم الغلب[1] .

وقرأ سعيد بن جبير : ﴿ مِنَ الَّذِينَ يُخَافُونَ ﴾ بضم الياء[2] .

يذهب إلى أنهما كانا من الجبَّارِينَ ، وأنْعَمَ اللـه عليهما بالإسلام .

٦١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ [آية ٢٤] .

أي ليس نقبل مشورة . فأعلَمَ اللَّهُ النبيَّ ﷺ أنَّ أهلَ الكتابِ لم يزالوا يَعْصُون الأنبياءَ ، وأنَّ لهُ في ذلك أسوةً[3] .

---

(١) الدر المنثور ٢٧١/٢ قال في الصفوة ٣٣٦/١ : أي قالا لهم : لا يهولنَّكم عظم أجسامهم ، فأجسامهم عظيمة ، وقلوبهم ضعيفة ، وإذا دخلتم عليهم باب المدينة غلبتموهم بإذن الله .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠٨/١ قال : وعلى هذه القراءة تحتمل أمرين :
أحدهما : أن يكون من المؤمنين ، الذين يرهبون ويتقون ، لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع .
والآخر : أن يكون معناه : من الذين إذا وعظوا رهبوا وخافوا ، أي ليسوا ممن يركب جَهْلَه .

(٣) كذلك قال الزجاج في معانيه ١٧٩/٢ : أي لسنا نقبل مشورةً في دخولها وفيها هؤلاء الجبارون ، فأعلم الله ــ جلَّ ثناؤه ــ أن أهل الكتاب شأنهم الخلاف ، قال : وفي هذا الإعلام دليل على صحة نبوة النبي ﷺ ، لأنه أعلمهم ما لا يُعلم إلَّا من قراءة كتاب ، أو إخبار ، أو وحي ، والنبي ﷺ منشؤه معروفٌ بالخلوِّ من ذكر أقاصيص بني إسرائيل ، فلم يبق في علم ذلك إلا الوحي .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ أي اذهب فقاتل ، ولْيعنك ربُّك[1] .

٦٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وأَخِي ﴾ [آية ٢٥]

ويجوز أن يكون المعنى : وأخي لا يملكُ إلَّا نفسه .

ويجوز أن يكون المعنى : وأملِكُ أخي ، لأنه إذا كان يطيعه فهو مالك في الطاعة .

٦٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَافْرُق بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ ﴾ [آية ٢٥] .

قال الضحاك : المعنى فاقضِ بيننا وبين القوم الفاسقين[2] .

٦٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم ﴾ [آية ٢٥] .

أي هم ممنوعون من دخولها .

ويُروى أنه حرم عليهم دخولها أبداً .

---

(١) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٠/١ أي اذهب أنت وربك وقاتل ، وليقاتل ربك أي ليعنك ، ولا يذهب الله . قال الزجاج : النحويون يستقبحون : اذهبْ وزيدٌ ، لأنه لا يُعطف بالاسم الظاهر على المضمر ، فلذلك فصل بقوله أنت .

(٢) هذا قول ابن عباس كما حكاه عنهما الطبري ١٨١/٦ وابن كثير ٧٣/٣ وفي البحر ٤٥٧/٣ وقال ابن جرير : ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ أي افصل بيننا وبينهم بقضاءٍ منك تقتضيه فينا وفيهم ، فتبعدهم عنا ، من قول القائل : فرقت بين هذين الشيئين بمعى فصلتُ بينهما كما قال الراجز :

يا ربِّ فافـرُقْ بَيْنَـه وبَيْـني   أشدَّ ما فَرَقْتَ بيـنَ اثْـنَين

فالتمامُ على هذا عند قوله ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم قال تعالى ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يتيهُونَ في الأَرْضِ ﴾ .

وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى أن المعنىَ ﴿ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾

ثم ابتدأ فقال : ﴿يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾[1] .

٦٥ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِين ﴾** [آية ٢٦]

يجوز أن يكون هذا خطاباً للنبي ﷺ ، أي فلا تأس على قومٍ هذه صفتهم .

ويجوزُ أن يكون الخطابُ لموسى صلى الله عليه وسلم[2] .

---

(١) هذا القول هو الأرجح وهو اختيار ابن جرير ، وهو الظاهر من النصِّ الكريم ، فيكون المعنى : إن الأرض المقدسة محرَّمٌ عليهم دخولها مدة أربعين سنة ، قال : وقد وفى الله بما وعدهم به من العقوبة ، فتاهوا أربعين سنة ، ومكثوا فيها تائهين في البرية لا يهتدون لمقصد ، فلم يدخلها أحدٌ لا صغيرٌ ولا كبيرٌ ، ولا صالح ولا طالح ، حتى انقضت السنون التي حرَّم الله عليهم فيها دخولها ، قال مجاهد : تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة ، يصبحون حيث أمسوا ، ويمسون حيث أصبحوا ، ويسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه ، قال في البحر ٤٥٩/٣ واتفقت أقوال المفسرين على أن هذا التيه كان على سبيل خرق العادة ، فإنه عجيب من قدرة الله حيث جاز على جماعة من العقلاء أن يسيروا فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون للخروج منها .

(٢) الخطاب لموسى عليه السلام وليس للنبي ﷺ ، هذا هو الراجح ، وهو ما اختاره الطبري وابن كثير ، فإن موسى عليه السلام لما حكم الله على قومه بالتيه ، ندم على ما دعا به عليهم ، فأوحى الله إليهم أن لاتحزن عليهم ، فإنهم فسقة فجرة ، يستحقون هذا العقاب ، قال الحافظ ابن كثير ٧٥/٣ : الآية تسلية لموسى عليه السلام عنهم ، أي لا تتأسف ولا تحزن عليهم ، فمهما حكمت =

يقــال : أَسِيَ ، يَأْسَى ، أَسَىً : إذا حزِنَ ، ويُقــال : أَسَى الشيءُ يأسو ، أَسْوَاً ، إذا أصلحته[1] ، والمعنى : أنه أزال ما يقعُ الغمُّ من أجله .

ولك في فلانٍ إسْوَةٌ ، وأُسْوَةٌ ، أي إذا رأيته مثْلَك نفض عنك الغمَّ .

٦٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾[آية ٢٧]

قال مجاهــد : هما ابنــا آدم لصلبــه ، « هابيــل » و « قابيـل »[2] ، وكان من علامـة قربـانهم إذا تُقُبِّـل أن يسجـد أحدهم ، ثم تنزل نارٌ من السماء فتأكل القُربان .

والقربانُ عند أهل اللغة : فُعْلَانٌ مما يُتقـرَّبُ به إلـى اللـه جلَّ وعز .

= عليهم به فإنهم يستحقون ذلك ، والقصة تضمنت تقريع اليهود ، وبيان فضائحهم ، ومخالفتهم لله ولرسوله .

(١) قال في اللسان : أسَا بينهم أسْواً : أصلح ، ويقـال : أسوت الجرح أسواً إذا داويته وأصلحته ، وأسيت عليه أسىً : حزنتُ ، وأتسى به : جمعه أُسوة ، وفي المثل : «لا تأتسي بمن ليس لك بأسوة» والأُسوة بالضم والكسر لغتان .

(٢) هذا قول ابن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وروي عن الحسن انهما أخوان من بني إسرائيل ، والمفسرون على القول الأول ، وهو أصحُّ لقوله تعالى ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه ﴾ ولو كان من بني إسرائيل لعرف طريقة الدفن .. قال ابن كثير ٧٥/٣ : وهما « هابيل » و « قابيل » في قول الجمهور ، أي اذكر يا محمد واقصص على هؤلاء البُغاة الحَسَدَة ــ إخوان القردة والخنازير ــ من اليهود وأمثالهم ، خبر ابنَيْ آدم وهما « هابيل » و « قابيل » . اهـ.

وقال الحسن : هما من بني إسرائيل لأن القربان كان فيهم[1] .

٦٧ ـ ثم قال عز وجل : ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آية ٢٧] .

المعنى : قال الذي لم يُتقبَّلْ منه للذي تُقبِّل منه ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ثم حُذف هذا لعلم السامع[2] .

ويروى أن القتل كان ممنوعاً في ذلك الوقت ، كما كان ممنوعاً حين كان النبي ﷺ بمكة ، ووقت عيسى عليه السلام ، فلذلك قال : ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ[3] ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] .

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي ٢/٣٣١ وابن جرير ٦/١٨٩ وضعفه ، ورجح أنهما ابنا آدم لصلبه ، وقال ابن عطيه ٤/٤٠٩ : وقول الحسن وهمٌ ، وكيف يَجْهَل صورة الدفن أحدٌ من بني إسرائيل حتى يقتدي بالغراب ؟ قال : والصحيح قولُ الجمهور .

(٢) من أساليب العرب حذفُ ما يدلُّ عليه اللفظ إذا أغنى عنه السياق ، لوضوحه ، ويسمى هذا بالإيجاز ، وهو أحد وجوه البلاغة ، ولهذا قالوا : البلاغةُ الإيجاز ، فقد حذف هنا : قال الذي لم يتقبل منه لأخيه الذي تُقبِّل منه إلخ .

(٣) في المخطوطة « لأقتلنَّك » وهو خطأ ، والنص القرآني ما أثبتناه .

(٤) قال المفسرون : كان « هابيل » أشد قوة من « قابيل » ولكنه تحرَّج من قتل أخيه ، قال ابن عطية : وهذا هو الأظهر ، ومن هنا يقوى أن قابيل إنما هو عاصٍ لا كافر ، لأنه لو كان كافراً لم يكن للتحرج وجه ، ووجه التحرج أن هابيل كان يأبى أن يقتل موحداً ، ورضيَ بأن يظلم ويجازى في الآخرة ، ومثل هذا فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال ابن جرير : ليس في الآية دليل على أنَّ المقتول علم عزم القاتل على قتله ، ثم ترك الدفع عن نفسه ، فقد ذكر أنه قتله غيلة ، اغتاله وهو نائم فشدخ رأسه بصخرة . الطبري ٦/١٩٢ .

٦٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنِّي أُرِيدُ أنْ تَبُوءَ بِإثْمِي وَإثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [آية ٢٩] .

قال الكسائي : يقال : بَاءَ بالشيءِ ، يبوُءُ به ، بَوْءً ، وبَوَاءً : إذا انصرف به .

قال البصريون : يقال بَاءَ بالشَّيْءِ : إذا أقرَّ بِهِ ، واحتمله ، ولزمه .

ومنه تبوأ فلانٌ الدَّارَ ، أي لزمها وأقام بها[١] .

يقال : البَوَاءُ التَّكافُؤُ ، والقتلُ بَوَاءٌ ، وأنشد :

فإن تكنِ القَتْلَى بَوَاءً ، فإنكُمْ
فَتًى مَّا قتَلْتُم آل عَوْفِ بنِ عَامِرِ[٢]

قال « أبو العباس » محمد بن يزيد[٣] في قوله تعالى : ﴿ إنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإثْمِي وَإثْمِكَ ﴾ وهو مؤمن ، لمَّا كان المؤمن يريد الثواب ، ولا يبسط يده إليه بالقتل ، كان بمنزلة من يريدُ هذا .

(١) ومنه الدعاء المأثور « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

(٢) البيت لليلى الأخيليَّة قالته في مقتل توبة بن الحُمَيِّر ، واستشهد به ابن منظور في لسان العرب ، قال : البَوَاءُ التكافؤ ، يُقال : ما فلانٌ ببوَاءٍ لفلانٍ أي ما هو بكفءٍ له ، وأبأتُ فلاناً بفلان : قتلتُه به ، وهم بَوَاءٌ في هذا الأمر أي أكفاءٌ نظراء . اهـ وهو في الصحاح للجوهري ١/٣٧ .

(٣) هو الإمام المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

وسُئل أبو الحسن بن كيسان : كيفَ يريد المؤمن أن يأْثَمَ أخُوه ، وأن يدخل النار ؟

فقال : إنما وقعت الإرادة بعدما بسط يده[1] بالقتل .

فالمعنى : لئن بسطتَ إليَّ يدك لتقتلني ، لأمتنعنَّ من ذلك مريداً الثواب .

فقيل له : فكيف قال «بإثمي[2] وإثمك » وأيُ إثمٍ له إذا قُتِل ؟ فقال : فيه ثلاثة أوجه :

أحـدها : أن تبوء بإثم قتلي وإثم ذنبك ، الذي من أجله لم يتقبل من أجله قربانك ، ويروىٰ هذا الوجه عن مجاهد[3] .

والوجه الآخر : أن تبوء بإثم قتلي وإثم اعتدائك عليَّ ، لأنه قد يأْثم في الإعتداء ، وإنْ لم يقتل[4] .

والوجه الثالث : أنه لو بسط يده إليه أثم ، فرأى أنه إذا

---

(١) في المخطوطه « يداه » وصوابه بالإفراد « يده » وهو ما أثبتناه عن جامع الأحكام للقرطبي ١٣٧/٦ .

(٢) قال الزجاج في معانيه ١٨٣/٢ : معنى « بإثمي » أي بإثم قتلي ، وإثمك الذي من أجله لم يُتَقَّبل قربانك ، أي إن قتلتني فأنا مريدٌ ذلك .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١٩٣/٦ وابن كثير ٨١/٣ واختاره الزجاج في معانيه ١٨٣/٢ .

(٤) يريد المصنف أن الذنب قد يلحق الإنسان لمجرد العزم والنيَّة ، وإن لم يفعل الذنب ، كما ورد في الصحيح « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا يا رسول الله : هذا القاتل ــ أي أمره واضحٌ جليّ ــ فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

أمسك عن ذلك ، فإنه يرجع على صاحبه ، وصار هذا مثل قولك : المالُ بينه وبين زيد أي المال بينهما .

فالمعنى : أن تبوء بإثمنا[1] .

قال أبو جعفر : ومن أجلّ ما روي فيه عن ابن مسعود وابن عباس أن المعنى : بإثم قتلي ، وإثمك فيما تقدَّم من معاصيك[2] .

فإن قيل : أفليس القتل معصية وكيف يريده ؟ قيل : لم يقل أن تبوء بقتلي ، فإنما المعنى بإثم قتلي إن قتلتني ، فإنما أراد الحق[3] .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾** [آية ٢٩] .

يجوز أن يكون هذا إخباراً من الله عن ابن آدم أنه قال هذا[4] .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٣٨/٦ .

(٢) انظر هذا المعنى في الطبري ١٩٢/٦ والقرطبي ١٣٧/٦ والبحر المحيط ٤٦٣/٣ قال أبو حيان : هو قول ابن مسعود ، و ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وهو قول عامة المفسرين ، وعلى هذا القول يكون فيه حذف أي تحملُ إثم قتلي ، وإثمك الذي كان منك قبل قتلي ، فحُذِفَ المضافُ .

(٣) خلاصة القول أن المراد أن يقول له : أنا لا أمدُّ يدي إليك لأنني أخاف الله رب العالمين ، وإذا سبق قدَرٌ فاختياري أن أكون مظلوماً لا ظالماً ، وحينئذٍ تبوء بإثم قتلك لي ، وإثم معاصيك السابقة .

(٤) أي يكون ذلك من تتمة كلام « هابيل » واختاره الطبري ١٩٣/٦ قال : والمعنى : فتكون من أصحاب الجحيم بقتلك إياي واختار الزمخشري أنه منقطع وأنه من كلام الله عز وجل ، والمعنى يقول الله تعالى ﴿ وذلك جزاء الظالمين﴾ المنتهكين لمحارم الله .

ويجوز أن يكون منقطعاً مما قبله .

٧٠ ــ وقول جلّ وعز ﴿ فطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾[آية ٣٠]

قال قتادة : أي زيَّنت(١) .

وقال مجاهد : أي شجَّعته، يريد أنها ساعدته على ذلك(٢) .

وقال أبو العباس(٣) : طوَّعَتْ : فعَّلَتْ من الطوع والطواعية وهي الإجابة إلى الشيء .

٧١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِين ﴾[آية ٣٠] .

أي ممن خسر حسناتِه ، والخسران : النُّقْصانُ(٤) .

٧٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ ، لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾[آية ٣١] .

(١) و(٢) قول قتادة أظهر من قول مجاهد ، ويمكن الجمع بينهما فيكون المعنى : زيَّنتْ له نفسه وحسنَّت وسهَّلت عليه الأمر ، وشجعته عليه فقتله فأصبح من الخاسرين ، وقد ذكر القولين ابن جرير .

(٣) هو الإمام المبرِّد ، ومال إليه ابن جرير فقال ﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ أي فأقامته وساعدت عليه ، وهو « فَعَّلَتْ » من الطوع ، من قول القائل : طاعني هذا الأمر : إذا انقاد له ، وقال قتادة : أي فزيَّنتْ له نفسُه قتل أخيه . اهـ. الطبري ١٩٥/٦ .

(٤) المراد أنه خسر آخرته ، وشقي بسبب قتله لأخيه ، ومن خسرانه أن يتحمل وزر كل قاتل بعده، لأنه أول من أقدم على القتل ، كما ثبت في الصحيحين ومسند أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تُقتل نفسٌ ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها ــ أي وزرٌ وذنب ــ لأنه كان أول من سن القتل » البخاري ١٦٢/٤ ومسلم ١٠٧/٥ .

قال مجاهد : بعث الله جلَّ وعزَّ غرابين ، فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ، ثم حفر فدفنه ، وكان ابنُ آدم هذا أوَّل من قَتَل[1] .

ويُروى «أنه لايقتل مؤمن إلى يوم القيامة ، إلَّا كان عليه كفلٌ من ذنب مَنْ قَتَله »[2] .

٧٣ ـ **وقولُه جل وعز : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إسْرَائيل ، أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾**[3] [آية ٣٢] .

وقرأ الحسن : ﴿ أو فَسَاداً فَي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾

والمعنى على قراءته : أو عَمِلَ فساداً .

---

(١) الطبري عن مجاهد وابن مسعود ١٩٧/٦ قال : لما قتله تركه بالعراء ، ولم يعلم كيف يدفنه ، فبعث الله غرابين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ﴾ ؟

(٢) حديث « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها .. » إلخ . أخرجه البخاري ١٦٢/٤ ومسلم ١٠٧/٥ وتحفة الأحوذي على الترمذي ٤٣٦/٧ وابن ماجه ٨٧٣/٢ ومسند أحمد ٣٨٣/١ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة التي لا ينبغي القراءة بها ، لأنها مخالفة للقراءات السبع المتواترة ، ولا يعتدُّ بالشاذ من القراءات ، وانظر المحتسب لابن جني ٢١٠/١ قال : وعلى هذه القراءة هو منصوب بفعل محذوف تقديره : أتى فساداً ، أو ركب فساداً ، قال : وسمعت غلاماً حَدَثاً ومعه سيف في يده ، فقال له بعض الحاضرين : يا أعرابي ، سيفك هذا يقطع البطيخ ؟ فقال : أي والله وغوارب الرجال ، أي يقطع غوارب الرجال . اهـ المحتسب .

وقال ابن عباس في قوله جل وعز : ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ أَوْبَقَ نفسَه ، فصار بمنزلة من قتل الناس جميعاً ، أي في استحقاقه العذاب .

ويستحق المقتولُ النَّصْرَ ، وطلبَ الثأرِ من القاتل ، على المؤمنين جميعاً .

قال ابن عباس : إحياؤُها : ألَّا يقتلَ نفساً حرَّمها الله عز وجل[1] .

وقال قتادة : عظَّم[2] اللهُ أمره ، فألحقه من الإثم هذا .

وقيل : هو تمثيلٌ ، أي الناس جميعاً له خصماء .

ومعنى ﴿ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ وفسادُه : الحربُ ، وإخافةُ السبيل .

---

(١) الطبري عن ابن عباس ٢٠٠/٦ وابن عطيه ٤٢٠/٤ وابن كثير ٨٦/٣ قال ابن عطية في المحرر الوجيز : ومعنى قول ابن عباس أن من قتل نفساً واحدة وانتهك حرمتها ، فهو مثل من قتل جميع الناس ، ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها ، واستحيا من قتلها ، فهو كمن أحيا جميع الناس ، ثم قال : والتشبيه لا يطَّرد من جميع الجهات ، ويمكن أن يكون في القصاص ، أو في الوعيد ، فقد توعد الله قاتل النفس بالخلود في النار ، وتلك غاية العذاب ، أو في انتهاك الحرمة ، فإن انتهاك حرمة نفس واحدة حرمة جميع الأنفس ، فهما سواء . اهـ أقول : في الآية سرٌّ دقيق ، وإشارة لطيفة ، تشير إلى « وحدة الأمة وتكافلها » ففي انتهاك حرمة الفرد انتهاكٌ لحرمة الجميع ، والقيامُ بحقِّ الفرد قيامٌ بحقِّ الجميع ، والواحد من الناس يمثِّل النوع البشري في جملته ، فلذلك جاء التشبيه بالأسلوب البياني الرائع ﴿ فكأنَّما قَتَلَ النَّاسَ جميعاً ﴾ .

(٢) ابن كثير عن قتادة والحسن البصري ٨٧/٣ قال : هذا تعظيم لتعاطي القتل ، عظم الله وزرها ، وعَظَّم الله أجرها .

وفي حديث حماد بن زيد عن يحيىٰ بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : سمعت عثمان بن عفان رحمه الله يقول سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلَّا بإحدى ثلاث : زنىً بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس »[(1)] .

ومعنى ﴿ فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ على قول قتادة : أنه يُعْطَى من الثواب على قدر ذلك .

وقيل : وجب شكره على الناس جميعاً ، فكأنما منَّ عليهم جميعاً ، يروى هذا عن مكحول .

وقولُ ابن عباس أولاها وأصحها[(2)] .

٧٤ ــ **وقولُه جل وعلا : ﴿ إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ** .. ﴾ إلى آخر الآية [آية ٣٣] .

قال الحسن : السلطان مخيَّرٌ أيَّ هذهِ الأشياءِ شاءَ فَعَل ، وكذلك روى ابن أبي نجيح عن عطاء ، وهو قول مجاهد وإبراهيم والضحاك ، وهو حسن في اللغة لأن « أو » تقع للتَّخييرِ كثيراً .

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم ، وأصحاب السنن إلا ابن ماجه ، ولفظه : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وللنسائي « والله الذي لا إله غيره ، لا يحل دم امرىء مسلم .. » الحديث . انظر البخاري ٢٠١/١٢ من كتاب الديات ، ومسلم رقم ١٦٧٦ من كتاب القسامة ، وأبو داود رقم ٤٣٥٢ في الحدود والنسائي ٩٠/٧ .

(٢) راجع أقوال السلف في الطبري ٢٠٢/٦ وابن كثير ٨٧/٣ وزاد المسير ٣٤٢/٢ .

وقال أبو مجلز : الآية على الترتيب ، فمن حارب فَقَتَل وأخذ المال صُلِبَ ،ومن قَتَل قُتِل ، ومن أخذ المال ولم يَقْتُل ، قُطِعتْ يَده ورجله من خلاف ، ومن لم يقتل ولم يأخذ المال نُفِيَ[1] .

ورَوَى هذا القولَ حجَّاجُ بن أرطاةَ عن عطيةَ عن ابن عباس مثلهَ ، غير أنه قال في أوله ، فمن حارب وقتل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، ثم صُلِب ، وليس في قول أبي مجلز قبل الصلب ذكرُ شيءٍ .

واحتجَّ أصحابُ هذا القولِ بحديثٍ رواه عثمانُ ، وعائشةُ وابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « لايحلُّ دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث .. »[2] وذكَرَ الحديثَ ، قالوا : فقد امتنع قتلُه إلَّا أن يقتل ، فوجب أن تكون الآية على المراتب[3] .

---

(١) انظر تفصيل الأقوال في الطبري ٢٠٨/٦ والقرطبي ١٥٢/٦ وابن كثير ٦٣/٣ وخلاصة القول فيها أن بعضهم حمل الأمر على التخيير فقال : إن السلطان مخير في الحكم على المحاربين بالقتل ، أو الصلب ، أو القطع ، أو النفي من الأرض ، عملاً بظاهر الآية الكريمة ﴿ أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا ﴾ وهذا قول مجاهد ، والضحاك ، وهو مذهب مالك رحمه الله ، وقال جماعة : الآية تدل على ترتيب الأحكام على قدر الجنايات ، فمن قتل وأخذ المال قُتِلَ وصُلِب ، ومن اقتصر على أخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، ومن أخاف المسافرين في الطريق ولم يقتل ولم يأخذ مالاً نفي من الأرض ، وهذا مذهب الإمام الشافعي والصاحبين من الأحناف ، وهو مروي عن ابن عباس ، وأبو حنيفة رحمه الله يحمل الآية على محارب خاص ، وهو الذي قتل وأخذ المال ، فالإمام بالخيار أن يقتله أو يصلبه مع قطع اليد والرجل من خلاف ، والله أعلم .

(٢) تقدم الحديث وتخريجه بالكمال ، وهو من رواية الشيخين ، وانظر الحديث في هذا الجزء ص٣٠٠ .

(٣) هذا قول أبي حنيفة أن الحكم خاص بالمحارب الذي قتل وسلب المال ، فالإمام بالخيار ، إن شاء قتله وصلبه وقطع يده ورجله ، وإن شاء قتله فقط ، وإن شاء صلبه فقط .

وقال الزهري في قوله تعالىٰ : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ كلَّما علم أنه في موضع قُوتِلَ حتى يخرج منه[1] .

وقال أهل الكوفة : النفيُ ها هنا الحبس[2] .

وروي هذا عن ابن عباس بإسناد ضعيف .

وقال سعيد بن جبير وعمر بن عبدالعزيز : يُنْفى من بلدته إلى بلدةٍ أخرى غيرها[3] .

٧٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ ذَٰلِكَ لَهُم خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٣٣] .

يُقال : خَزِيَ يَخْزَى خِزْيَاً : إذا افتضح وتحيَّر ، وخَزِي يخزَى خِزَايةً : إذا استحيا ، كأنَّه تحيرَّ كراهة أن يفعل القبيح[4] .

---

(١) يعني أنه يبقى ملاحقاً مطارداً ، ولا يترك يأوي في بلد ، كما يفعل الحكام بالمجرمين .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣٤٦/٢ وقال : هذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه . اهـ. وحجتهم أن السجن يعتبر نفياً ، لأن الإنسان يخرج من سعة الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه نفي من الأرض ، كما قال بعض المسجونين :

خَرَجْنَا من الدُّنْيَا ونَحْنُ مِنْ أَهْلِهاَ ... فَلَسْنَا مِنَ الأَمْوَاتِ فيها وَلَا الأَحْيَا

إذا جَاءَنَا السَّجَّانُ يَوْماً لِحَاجةٍ ... عَجبنا ، وقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

ورجح الطبري أن النفي من الأرض ، هو نفيه من بلدٍ إلى بلدٍ غيرِه ، وحبسه في السجن في البلد الذي نفي إليه .

(٣) الطبري عن سعيد بن جبير ٢١٧/٦ قال : يُنفى من أرض الإسلام إلى أرض الكفر .

(٤) قال في البحر ٤٧١/٣ : الخزي هنا : الهوان ، والذل ، والافتضاح ، والخزي : الحياء ، وعبرَّ به عن الافتضاح لمَّا كان سبباً له افتضح فاستحيا . اهـ .

٧٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾** [آية ٣٥] .

قال ابن عباس : يعني القربة ، وكذلك قال الحسن[١] .

ورَوَى موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « الوسيلةُ : درجةٌ عند الله جل وعز ، وليس فوقها درجة »[٢]

٧٧ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْها ﴾**[آية ٣٧] .

قال يزيد الفقير[٣] : قيل لجابر بن عبدالله : أنتم يا أصحاب محمد تقولون : إن قوماً يخرجون من النار ، واللَّهُ يقول ﴿ وَمَا هُمْ

---

(١) انظر الطبري ٢٢٦/٦ وابن كثير ٩٦/٣ قال : وهو قول عطاء ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي وغيرهم ، وذكره في الدر المنثور ٢٨٠/٢ عن قتادة ، ولفظه قال : تقرَّبوا إلى الله بطاعته ، والعمل بما يُرضيه .

(٢) الحديث أخرجه ابن مردويه بلفظ « إن الوسيلة درجة في الجنة ، ليس ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكونه » وفي رواية أخرى « إن الوسيلة درجة عند الله ، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه » ابن كثير ٩٨/٣ وأخرجه مسلم ٤/٢ بلفظ « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة » لفظ مسلم ، وأخرجه البخاري بنحوه ١٥٩/١ .

(٣) هو يزيد بن صهيب المعروف بالفقير من التابعين ، ذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٣٨/١١ والجرح والتعديل للرازي ٢٧٢/٩ .

بِخَارِجِينَ مِنْها ﴾ ؟ فقال جابر : إنكم تجعلونَ العامَّ خاصاً ، والخاصَّ عاماً ، إنما هذا في الكفار خاصة ، فقرأتُ الآية من أولها إلى آخرها ، فإذا هي في الكفار خاصة[1] .

٧٨ ــ وقوله جل وعز: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما ﴾ [آية ٣٨] .

قال سيبويه : المعنى : وفيما فُرِضَ عليكم السارقُ والسَّارقةُ[2] .

٧٩ ــ ثم قال جل وعز: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ ﴾ [آية ٣٨] .

يقال : نَكَّلْتُ بِهِ ، إذا فعلتَ به ما يجب أن يَنْكُلَ به عن ذلك الفعل[3] .

٨٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٥٨/٦ والحديث رواه ابن مردويه عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » ، قال : فقلت لجابر يقول الله تعالى ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ قال : اتلُ أول الآية ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً .. ﴾ الآية قال : أَلَا إنهم الذين كفروا . وأخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد قال : جلست إلى جابر بن عبد الله وهو يُحَدِّث ، فحدَّث أن أناساً يخرجون من النار ــ وأنا يومئذٍ أنكر ذلك ــ فغضبت وقلت : ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ! تزعمون أن الله يخرج ناساً من النار ، والله يقول : ﴿ وما هم بخارجين منها ﴾ فانتهرني أصحابه ، وكان أحلَمَهم فقال : دعوا الرجل ، إنما ذلك للكفار ﴿ إن الذين كفروا .. ﴾ وتلا الآية ، وانظر ابن كثير ٩٧/٣ والدر المنثور ٢٨٠/٢ .

(٢) واختار المبرد أنه مرفوع على الابتداء ، لأنه بمعنى من سرق فاقطعوا يده ، ورجحه الزجاج في معانيه ١٨٨/٢ .

(٣) أي ليرتدع وينزجر عن مقارفة ذلك الفعل .

المعنى : غفورٌ له ، وجعل الله توبة الكافرين تدرأ عنهم الحدودَ ، لأن ذلك أدعى إلى الإسلام ، وجعل توبةَ المسلمين عن السرقة والزنا ، لا تَدرأ عنهم الحدود ، لأن ذلك أعظم لأجورهم في الآخرة ، وأمنع لمن همَّ أن يفعل مثل فعلهم(١) .

وقال مجاهد والشعبي : قرأ عبدالله بن مسعود : ﴿ والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمانَهُمَا ﴾(٢) .

٨١ ـ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّها الرَّسُولُ لايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ ﴾** [آية ٤١] .

أي لايحزنك مسارعتُهم إلى الكفر ، لأن الله جلَّ وعز قد وعدكَ النصر .

(١) مراد المصنف أن يردَّ على من قال : إن السارق إذا تاب عن السرقة لا يقام عليه الحدّ ، لقوله تعالى ﴿ فمن تاب بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ﴾ وعُزي هذا القول إلى الشافعي ، وهو قول ضعيف ، فإن الشارع قد فرّق بين الكافر ، والمؤمن العاصي الذي سرق أو زنى ، فأما الكافر فإن الحدود تدرأ عنه قبل الإسلام ، لأن الإسلام يجبُّ ما قبله ، كما قال تعالى ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف ﴾ وأما السارق أو الزاني فيقام عليه الحدُّ ويكون ذلك كفارة له . قال ابن العربي في أحكام القرآن ٦١١/٢ : يا معشر الشافعية سبحان الله ! أين الدقائق الفقهية ، والحكم الشرعية التي تستنبطونها في غوامض المسائل ؟ إن الله أسقط جزاء الكافر بالتوبة استئلافاً له على الإسلام ، فأما السارق والزاني فما الذي يسقط عنهم حكم ما وجب عليهم ؟ هذا لايليق بمثلكم ، وإذا ثبت أن الحد لا يسقط بالتوبة ، فالتوبة مقبولة ، والقطع كفارة له . اهـ. جامع القرطبي ١٧٥/٦ .

(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع المتواترة ، وهي محمولة على التفسير ، وقد ذكرها الطبري ٢٢٨/٦ والبحر المحيط ٤٧٦/٣ والمحرر الوجيز ٤٣٤/٤ وقراءة الجمهور ﴿فاقطعوا أيديهما ﴾ .

٨٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [آية ٤١] .

قال مجاهد يعني المنافقين[١] .

٨٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [آية ٤١] .

قال مجاهد : يعني اليهود .

فأما معنى (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) والإنسانُ يسمع الخيرَ والشر ، ففيه قولان :

أحدهما : أن المعنى قايلون للكذب ، وهذا معروف في اللغة أن يقال : لا تسمعْ من فلانٍ أي لا تقبلْ منه ، ومنه « سمعَ اللَّهُ لمن حَمِده » معناه قَبِلَ[٢] ، لأن الله جل وعز سامعٌ لكل شيء[٣] .

---

(١) هذا هو الراجح وهو ما اختاره ابن جرير ، وابن كثير ، لأن الله عطف عليهم اليهود فقال : ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ ولو كانت في اليهود لما صح العطف ، قال ابن كثير ١٠٥/٣ : هؤلاء هم المنافقون ، أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه . اهـ. وقال الطبري ٢٣٤/٦ : وأولى الأقوال أنها في قوم من المنافقين .

(٢) عبارة الزجاج في كتابه معاني القرآن ١٩١/٢ : أي تقبَّل الله حمده .

(٣) وضح المعنى أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٤٨٧/٣ حيث قال : و « سماعون » من صيغ المبالغة ، ولا يراد به حقيقة السماع ، إلّا إنْ كان قوله « للكذب » مفعولاً من أجله ، ويكون المعنى : أنهم سماعون منك أقوالك من أجل أن يكذبوا عليك ، وينقلون حديثك ، ويزيدون على الكلمة أضعافها كذبا .. وإن كان « للكذب » مفعولاً به لقوله « سماعون » وعُدّي باللام على سبيل التقوية للعامل ، فمعنى السماع هنا قبولهم ما يفتريه أحبارهم ويختلقونه من الكذب ، ومنه « سمع الله لمن حمده » أي تقبل الله دعاءه وأجاب دعاءه .

والقولُ الآخر : أنهم سمَّاعون من أجل الكذب ، كما تقول : أنا أكرم فلاناً لك أي منْ أجلك .

٨٤ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾** [آية ٤١] .

أي هم عيون لقومٍ آخرين لم يأتوك[١] .

٨٥ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾**[آية ٤١]

أي من بعد أن وضَعَهُ الله مواضعه ، فأحلَّ حلالَه ، وحرَّم حرامه[٢] .

٨٦ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ يَقُولُونَ إنْ أُوتِيتُم هَذَا فَخُذُوهُ وإنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾** [آية ٤١] . .

أي تقول اليهودُ : إن أُوتيتم هذا الحكم المحرَّف فخذوه ، وإن لم تُؤتَوه فاحذروا أن تعملوا به .

ومعنى هذا أنَّ رجلًا منهم زنى وهو مُحْصَنٌ، وقد كُتِبَ الرجم على من زنى وهو محصنٌ في التوراة ، فقال بعضهم : أئتوا محمداً لعله

(١) هذا أحد الأقوال للمفسرين أن المراد بالآية التجسس أي سماعون لأجل قوم آخرين ليخبروهم عنك ، فهم عيون وجواسيس يسمعون منك وينقلون لقوم آخرين أخبارك ، وهذا المعنى ذكره ابن عطية وأبو حيان في البحر المحيط ٤٨٧/٣ وذكر أن سفيان بن عينية سُئل هل ذُكر الجاسوس في كتاب الله تعالى فقال : نعم ، وتلا هذه الآية ﴿ سماعون لقوم آخرين ﴾ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ١٩١/٢ ومثله في الطبري ٢٣٧/٦ عن ابن زيد قال : يحرِّف هؤلاء اليهود الكلام عن مواضعه ، لا يضعونه على ما أنزله الله ، وقال السدي : حرَّفوا الرجم فجعلوه جلداً ، زنت امرأة من أشراف اليهود ، فبعثوا بعضهم إلى النبي ﷺ وقالوا : سلوه عن الزنى ، فإن أعطاكم الجلد فخذوه ، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ، فنزلت فيهم الآية .

يفتيكم بخلاف الرجم ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالرجم ، بعد أن أحضرت التوراة ، ووُجِد فيها فرضُ الرجم ، وكانوا قد أنكروا ذلك[1] .

٨٧ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾** [آية ٤١] .

قيل : معنى الفتنة ها هنا الاختبار[2] ،

وقيل : معناها العذاب .

٨٨ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ ﴾** [آية ٤١] .

أي فضيحةٌ وذلٌّ ، حين أُحضرتِ التَّوراةُ ، فتبيَّن كذبُهم .

وقيل : خزيهم في الدنيا : أخذُ الجزية ، والذلُّ[3] .

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير ١٠٦/٣ عن عبد الله بن عمر أنه قال : « إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم !! فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة » أخرجه البخاري ٢٥١/٤ ومسلم ١٢٢/٥ .

(٢) المعنى الأول أظهر ، وهو أن المراد بالفتنة : المحنة بالكفر والإضلال عن طريق الإيمان ، وهو ما رجحه الطبري ٢٣٨/٦ حيث قال : ومعنى الفتنة في هذا الموضع : الضلالة عن قصد السبيل .

(٣) روى هذا عن مقاتل ، أن خزيهم بفضيحتهم وسَبْيِهم ، وأخذ الجزية منهم .

٨٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [آية ٤٢] .

رَوَى زِرٌّ عن عبدالله بن مسعود أنه قال : السحتُ : الرِّشْوة[١] .

وقال مسروق : سألت عبدالله عن الجَوْرِ في الحكم ، قال : ذلك الكفرُ ، قلتُ : فما السُّحْتُ ؟ قال أن يقضيَ الرجلُ لأخيه حاجة ، فيهدي إليه هديةً فيقبلها[٢] .

والسُّحْتُ في كلامِ العربِ على ضُروب ، يجمعها أنه ما يُسْحِتُ دينَ الإنسان ،

يُقال : سَحَته وأَسْحَتَه : إذا استأصله[٣] ، ومنه :

وَعَضُّ زَمَانٍ يا ابنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ المَالِ إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّف[٤]

---

(١) الطبري عن ابن مسعود ٢٣٩/٦ وابن الجوزي ٣٦٠/٢ واختاره ابن كثير ١٠٨/٣ حيث قال : ﴿ أكّالون للسحت ﴾ أي الحرام ، وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغيره .

(٢) ذكره الطبري عن ابن مسعود ٢٤٠/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٨٩/٣ .

(٣) قال علماء اللغة : السحت : المال الحرام ، سمي بذلك لأنه يسحت الطاعات أي يذهبها ويستأصلها ، وأصل معنى السحت : الهلاك ، ومنه قوله تعالى ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾ أي يستأصلكم ويهلككم ، انظر الصحاح للجوهري ٢٥٢/١ .

(٤) البيت للفرزدق وهو في ديوانه ٢٦/٢ وهو من شواهد النحو المشهورة ، وفي خزانة الأدب ٣٤٧/٢ واستشهد به في اللسان ، والصحاح ١٣٣٨/٤ والقرطبي ١٨٣/٦ والطبري ٢٤١/٦ والمُسْحَتُ : المُهْلَكُ ، والمُجَلَّفُ الذي بقيت منه بقية ، ويروى «أو مجرَّف» بالرَّاءِ لابالـلام أي المستأصل .

٩٠ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ .. ﴾ [آية ٤٢] .

في هذا قولان :

أحدهما : روي عن ابن عباس أنه قال : هي منسوخة ، نسخها ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ وكذا قال مجاهد وعكرمة[١] .

قال الشعبي : إن شاء حَكَم ، وإن شاء لم يحكم ، وكذلك قال إبراهيم[٢] .

وقال الحسن : ليس في المائدة شيءٌ منسوخ[٣] .

والإختيارُ عند أهل النظر القول الأول ، لأنه قول ابن عباس[٤] ، ولايخلو قولُه عز وجل ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ من أن يكون ناسخاً لهذه الآية .

أو يكون معناه وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، إن حكمت ، فقد صار مصيباً أن حَكَمَ بينهم بإجماع .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقوِّيه .

---

(١) و(٢) و(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٤٥/٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٦١/٢ واختار ابن جرير القول بعدم النسخ وأن الحاكم له الخيار في الحكم بينهم أو ترك الحكم .

(٤) وهو رأي كثير من علماء السلف ، فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٠٩/٣ أن هذا القول هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، كلهم قالوا إنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ وهو الأرجح .

رُوِيَ عن عبدالله بن مُرَّةَ عن البراء بن عازب (أن يهودياً مُرَّ به على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حُمِّمَ وجهُه[1] ، فسأل عن شأنه ، فقيل : زنى وهو محصن ..) وذكر الحديث ، وقال في آخره : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنا أول[2] من أحيا ما أماتوا من أمر الله ، فأَمَرَ بِهِ فرُجِم »[3] .

ويُبيِّنُ لك أن القول هذا ، قولُه جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ ﴾[4] .

٩١ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فاحْكُم بَيْنَهُم بِالقِسْطِ ﴾** [آية ٤٢] .

أيْ بالعدل .[5]

---

(١) تحميم الوجه : هو طليه بالسواد قال الجوهري : وحممت الرجل : سخَّمت وجهه بالفحم . اهـ. الصحاح .

(٢) في المخطوطة : « أنا أولى من أحيا » وهو خطأ وصوابه كما في صحيح مسلم « أنا أول من أحيا أمرك » .

(٣) الحديث أخرجه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، ولفظه كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٨٢/٢ : « مر على رسول الله ﷺ يهودي محمم مجلود ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم ، فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم ؟ فقال : لا والله ــ ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ــ نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالَوْا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد ، فقال النبي ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذْ أماتوه ، فأمر به فرجم » وانظر صحيح مسلم ٥/ ١٢٢ ومسند أحمد ٢٨٦/٤ .

(٤) سورة المائدة آية رقم (٨) .

(٥) قال ابن عطية ٤٥٣/٤ : يُقال أقسط الرجل : إذا عدل وحكم بالحق ، وقسط : إذا جار ، ومنه قوله تعالى ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ .

٩٢ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوراةَ فِيها هُدًى ونُور ﴾** [آية ٤٤]

أي فيها بيانُ أمرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وما جاءوا يستفتون فيه(١) .

٩٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿يَحْكُمُ بِها النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَموا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾** [آية ٤٤] .

يجوز أن يكون المعنى : فيها هدىً ونورٌ للذين هادوا ، يحكم بها النبيُّون(٢) .

ويجوز أن يكون المعنى : يحكم بها النبيُّون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم ، ثم حُذف(٣) .

وقد قيل : إن « لهم » بمعنى « عليهم » وتأول حديث النبي صلى الله عليه وسلم في أمر بريرة ، حين قال « اشترطي لهم

---

(١) هذا المعنى ذهب إليه الزجاج في معانيه ١٩٥/٢ فقال : ﴿ فيها هدى ونور ﴾ أي بيان أن أمر رسول الله ﷺ حق ، وفيها بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ ، وذكره في البحر ٤٩١/٣ بصيغة التضعيف فقال : وقيل إلخ . والأظهر ما قاله ابن جرير أن المعنى « فيها هدى » أي فيها بيان ما سألك عنه اليهود ، «ونور» يعني : وفيها جلاء ما أظلم عليهم ، وضياء ما التبس من الحكم . اهـ. فالتوراة التي أنزلها الله ــ لا التوراة المحرفة ــ فيها الهدى والضياء ، وفيها البيان الواضح الساطع ، الكاشف للشبهات ، الموضح للمشكلات ، وهكذا سائر الكتب السماوية .

(٢) و(٣) هذه الأقوال ذكرها الزجاج في معانيه ١٩٥/٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٩١/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٤/٢ وأظهر الأقوال في هذه الآية أن معناها : يحكم بها النبيون الذين أسلموا أي انقادوا لأمر الله والعمل بكتابه ، يحكمون بالتوراة لليهود ، لا يخرجون عن حكمها ، ولا يبدلونها ولا يحرفونها ، فالآية ثناء على أنبياء بني إسرائيل بالوفاء بالعهد ، وتعريض باليهود بأنهم بمعزل عن الإسلام والاقتداء بدين الأنبياء .

الولاء »[1] أن معناه « عليهم » لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمرها بشيء لايجب ، وقال الله جلّ ذكره : ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُم فَلَها ﴾[2] .

و « الَّذِينَ أَسْلَمُوا » ههنا نعتٌ فيه معنى المدح ، مثل « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ » .

٩٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ .. ﴾ [آية ٤٤]

قال أبو رزين : الربَّانيُّون : العلماءُ ، الحكماء[3] .

والرَّبَّانيُّ عند أهل اللغة : معناه ربُّ العلم أي صاحبُ العلم ، وجيءَ بالألِف والنون للمبالغة .

ويقوِّي هذا أنه يُروى أنَّ ابن الحنفية ــ رحمةُ الله عليه ــ قال لمَّا مات ابن عباس : « ماتَ رَبَّانيُّ العلمِ »[4] .

---

(١) حديث بريرة أخرجه البخاري في العتق مطولاً ١٣٧/٥ ومسلم برقم (١٥٠٤) والترمزي في الوصايا رقم ٢١٢٥ والنسائي في البيوع ٣٠٥/٧ ولفظ النسائي عن عائشة « أن بريرة كاتبت على نفسها في تسع أواق ، في كل سنة أوقية ، فأتت عائشة تستعينها ، فقالت : إلا أن يشاءوا أن أعدَّها لهم عدَّة واحدة ، ويكون الولاء لي ، فذهبت « بريرة » فكلمت في ذلك أهلها ، فأبوا عليها إلا أن يكون الولاء لهم ، فجاءت إلى عائشة ، وجاء رسول الله ﷺ فقالت لها ما قال أهلها ، قالت : لاها الله إذا ــ أي لا والله إذا ــ إلا أن يكون الولاء لي ، فقال رسول الله : ما هذا ؟ فقالت يا رسول الله : إن بريرة أتتني تستعينني على كتابتها فقلت : إلا أن يشاءوا أن أعدَّها لهم عدَّةً واحدة ، ويكون الولاءُ لي ، فأبوا عليها إلاَّ أن يكون الولاءُ لهم ، فقال رسول الله ﷺ : ابتاعيها واشترطي لهم الولاء ، فإن الولاء لمن أعتق .. » الحديث .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٧) .

(٣) هكذا قال مجاهد :الربانيون : العلماء الفقهاء وهم فوق الأحبار . اهـ. الطبري ، والرباني نسبة إلى الرب جل وعلا ، وهو العارف بالله الذي تفقه في الدين أعني العالم العامل .

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٢٢/٤ .

وقال مجاهد : الربَّانيون فوق الأحبارِ ،والأحبارُ : العلماءُ[١] ، لأنهم يُحَبِّرون لشيء ، وهو في صدورهم مُحَبَّر .

وقال ابن عباس : سُمِّيَ الحِبْرُ الذي يُكتب بِهِ حِبْراً ، لأنه يُحبَّر به أي يُحقَّق به .

وقال الثوري : سألت الفراء لم سمي الحَبْرُ حَبْراً ؟ فقال : يقال للعالم حَبْرٌ ، وحِبْرٌ ، والمعنى : مدادُ حبرٍ ، ثم حذف كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ فسألتُ الأصمعيَّ فقال : ليس هذا بشيءٍ ، إنما سمي حَبْراً لتأثيره ، يقال : على أسنانه حَبْرَةٌ أي صُفرةٌ ، أو سواد[٢] .

٩٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾** [آية ٤٤] .
أي استودعوا[٣] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٦/٢٥٠ فقد نقل هذا عن مجاهد والضحاك ، وقال ابن جرير : الأحبار جمع حبْر ، وهو العالم المحكم للشيء ، ومنه قيل لكعب : كعب الأحبار ، وكان الفراء يقول : أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار حبر بكسر الحاء . اهـ. الطبري .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ٢/٦٢٠ : الحِبْرُ والحَبْرُ : واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح ، قال الفراء : هو حِبر بالكسر يقال ذلك للعالم ، وقال أبو عبيد : والذي عندي أنه الحَبر بالفتح ، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم ، وتحسينه ، وهكذا يرويه المحدثون كلهم بالفتح ، ويقال : فلان حسن الحَبْرِ والسَّبْر بالفتح ، وكأنه من الحسن أي حسن الهيئة جميل الطلعة ، وحَبِرت أسنانه حَبَراً قَلِحَتْ . اهـ . الصحاح .

(٣) السين والتاء للطلب أي بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه من التحريف والتضييع ، وفي الآية لطيفة وهي أن الله تعالى استودع أهل الكتاب حفظ كتابهم ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ فجعل حفظه عليهم ، فتَحَرَّفتْ وتبدَّلتْ ، وتكفَّل بحفظ القرآن فقال : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فلم يستطع أحدٌ أن يتلاعب فيه ، لأن الله هو الذي تكفَّل بحفظه .

٩٦ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [آية ٤٤] .

قال ابن عباس : هو به كافر ، لا كفراً باللـهِ ، وملائكتـه ، وكتبه[١] .

وقال الشعبي : الأولى في المسلمين ، والثانية في اليهود ، والثالثة في النصارى[٢] .

وقال غيره : من ردَّ حكماً من أحكام الله فقد كفر .

قلتُ : وقد أجمعت الفقهاء على أنه من قال لايجب الرجم على من زنى وهو محصنٌ أنه كافرٌ ، لأنه ردَّ حكماً من أحكام الله جلَّ وعز .

ويُروى أن حُذيفة سئل عن هذه الآيات ، أهي في بني إسرائيل ؟ فقال : نعم ، هي فيهم ، ولتسلكنَّ سبيلَهم حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعلِ[٣] .

---

(١) يريد أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية ، لا يخرجهم عن الإيمان ، قال ابن الجوزي ٣٦٦/٢ : وفي المراد بالكفر المذكور في الآية قولان :
أحدهما : أنه الكفر بالله تعالى .
والثاني : أنه الكفر بذلك الحكم ، وليس بكفر ينقل عن الملة ، قال : وفصل الخطاب : أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له كما فعلت اليهود ، فهو كافر ، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود فهو فاسق ظالم ، وبه قال ابن عباس .

(٢) جامع البيان ٢٥٥/٦ للطبري ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٦٦/٢ وابن كثير ١١١/٣ .

(٣) ذكره الطبري عن حذيفة ٢٥٣/٦ ولفظه قال : سأل رجل حذيفة عن هذه الآيات ﴿ فأولئك =

وقال **الحسن** : أخذ الله جلّ وعز على الحُكّام ثلاثة أشياء : أن لايتبّعوا الهوى ، وأن لايَخشَوُا النّاسَ ويَخْشَوْه ، وأن لايشتروا بآياته ثمناً قليلاً[1] .

وأحسنُ ما قيل في هذا ما رواه الأعمش عن عبدالله بن مُرَّة ، عن البراء قال : هي في الكفار كلُّها يعني ﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾ ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾[2] .

[والتقدير على هذا القول : والذينَ لم يحكموا بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون][3] .

= هم الكافرون ﴾ ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ فقيل له : كان ذلك في بني اسرائيل ؟ قال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كانت لهم كل مُرَّةٍ ، ولكم كل حُلوة ، كلّا واللّهِ لتسلكنّ طريقهم قدر الشراك . اهـ. ورجح الطبري أن هذه الآيات في كفار أهل الكتاب ٦/٢٥٧ .

(١) انظر تفسير ٦/٢٥٦ وتفسير القرطبي ٦/١٩١ .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب قال : مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمماً مجلوداً ــ أي طُلِي وجهُه بالفحم وجلد ــ فدعاهم فقال : « هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم .. » الحديث وقد تقدم وفيه فأنزل الله عز وجل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ في الكفار كلها ، وهذا ما رجحه الطبري حيث قال ٦/٢٥٧ : وأولى الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال : نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها فيهم ، وهم المعنيون بها .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

٩٧ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَمَنْ تصدَّق بِهِ فهوُ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾[آية ٤٥] .

قال ابن عباس : فهو كفارةٌ للجارح ، وكذلك قال عكرمة [١] .

والمعنى : فمن تَصَدَّق بحقِّه .

وقال عبدالله بن عمروٍ : فهو كفارةٌ للمجروح أي يُكفِّر عنه من ذنوبه مثل ذلك ، وكذلك قال ابن مسعود وجابر بن زيد رحمهما الله[٢] .

٩٨ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾[آية ٤٨] .

قال ابن عباس : أي مؤتمناً عليه[٣] .

وقال سعيد بن جبير : القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب[٤] .

وقال قتادة : أي شاهدٌ[٥]

---

(١) ذكره الطبري عن ابن عباس ٢٦١/٦ قال : كفارة للجارح ، وأجر الذي أصيب على الله ، ومثله عن مجاهد .

(٢) هذا هو الأصح والأرجح ، فإن الله يكفر عن المجروح ـ المجني عليه إذا هو عفا ـ من ذنوبه بمثل ما تصدق به ، ويعظم الله أجره بذلك ، وهذا ما رجحه الطبري ، ويؤيده ما ورد في مسند أحمد « ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه ، إلا رفعه الله بذلك درجة ، وحَطَّ عنه خطيئة » وانظر تفسير ابن عطيه ٤٦٢/٤ والبحر المحيط ٤٩٧/٣ .

(٣) هذا قول عن ابن عباس حكاه عنه الطبري ٢٦٦/٦ وروى عنه قولاً آخر أن المعنى : شهيداً عليه .

(٤) و (٥) انظر هذه الأقوال في الطبري ٢٦٦/٦ وتفسير ابن عطيه ٤٦٧/٤ والبحر المحيط ٥٠١/٣ .

و قال **أبو العباس** : محمد بن يزيد : الأصل مؤَيمِنٌ عليه أي أمين ، فأبدل من الهمزة هاءً ، كما يقال : هرَمْتُ الماء ، وأرمتُ الماء .

وقال **أبو عبيد** : يقال : هَيْمنَ على الشيء ، يهيمنُ ، إذا كان له حافظاً[1] .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعاني ، لأنه إذا كان حافظاً للشيء ، فهو مؤتمن عليه ، وشاهد .

وقرأ **مجاهد وابن محيصن** ﴿ ومُهَيْمَناً عَلَيهِ ﴾ بفتح الميم[2] .

وقال **مجاهد** : أي محمد صلى الله عليه وسلم مؤتَمنٌ على القرآن[3] .

٩٩ **ـ وقوله جل وعز:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ﴾** [آية ٤٨]

قال ابن عباس : سبيلاً ، وسنَّةً .

---

(١) قال ابن عطية : بعد أن ذكر أقوال المفسرين في معنى « ومهيمناً عليه » أنه الشاهد ، والمؤتمن ، والمصدق ، والأمين ، والرقيب قال : ولفظة المهيمن أخص من هذه الألفاظ ، لأن المهيمن على الشيء هو المعنيُّ بأمره ، الشاهد على حقائقه ، الحافظ لحاصله ، والقرآن جعله الله مهيمناً على الكتب ، يشهد بما فيها من الحقائق ، ويصحح ما نسبه إليها المحرفون ، فهذا هو المهيمن .

(٢) أقول : ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاده ٢/٣٧٠ وهي في إتحاف فضلاء البشر ص ١٢١ وفي المحرر الوجيز ٤/٤٦٧ وليست من القراءات السبع ، قال ابن عطيه : وغلّط الطبري على مجاهد ، وفسرها على قراءة العامة بكسر الميم « ومهيمناً » فبعد التأويل ، قال : ومجاهد رحمه الله إنما يقرأ هو وابن محيصين « ومهيمناً عليه » بفتح الميم الثانية ، وعلى هذا يتجه أن المؤتمن محمد ﷺ .

(٣) انظر الطبري ٦/٢٦٦ وتفسير البحر المحيط ٣/٥٠٢ .

وقال قتادة : الدين كلُّه واحد ، والشرائع مختلفة[١] .

وشِرْعةٌ ، وشريعة عند أهل اللغة بمعنى واحد ، وهو ما بَانَ وَوَضح[٢] .

ومنه : طريقٌ «للشارع» ، أي ظاهر بيِّنٌ ، ومنه «هما في الأمرِ شَرَعٌ» أي ظهورُهما فيه واحد .

والمنهاجُ في اللغة : الطريقُ البيِّنُ .

وقال أبو العباس « محمد بن يزيد »[٣] : الشريعةُ : ابتداءُ الطريق ، والمنهاجُ : الطريقُ المستمرُّ[٤] .

---

(١) قال الطبري ٢٦٩/٦ : الشِّرعة : هي الشريعة بعينها تجمع على شراع ، وشرائع ، وأما المنهاج فأصله : الطريق البين الواضح ، قال قتادة : الدين واحد ، والشريعة مختلفة ، للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ، ولكن الدين واحد ، وهو الذي لا يقبل الله غيره : التوحيد والاخلاص .

(٢) قال الجوهري : الشريعة : ما شرع الله لعباده من الدين ، وشرع لهم : أي سن ، وشرعت في هذا الأمر : أي خُضْتُ ، والشارْع : الطريق الأعظم . اهـ . الصحاح

(٣) هو الإمام المبرد ، وقد مرت ترجمته فيما سبق .

(٤) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٣/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٢/٢ وقال ابن الجوزي : فإن قيل : كيف عطف « المنهاج » على الشرعة ، وكلاهما بمعنى واحد ؟ فعنه جوابان .

أحدهما : أن بينهما فرقاً من وجهين : أحدهما أن « الشرعة » ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستمر ، قاله المبرد . والثاني : أن الشرعة الطريق واضحاً أو غير واضح ، والمنهاج الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً ، فلما وقع الإختلاف بين الشرعة والمنهاج ، حسن عطف أحدهما على الآخر .

والثاني : أن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد ، وإنما عطف أحدهما على الآخر لاختلاف =

١٠٠ ــ وقوله جل وعز: ﴿وَلَوْشَاءَاللَّهُ لَجَعَلكُم أُمَّةً واحِدَةً﴾[آية ٤٨]

قال ابن عباس : على دينٍ واحد .

١٠١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُم فِيمَا آتَاكُم ﴾[آية ٤٨] .

أي ليختبركم .

١٠٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُون ﴾ ؟[آية ٥٠] .

رُوي عن الحسن ، وقتادة ، والأعرج ، والأعمش أنهم قرءوا ﴿ أَفَحَكَمُ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ؟[1]

الحَكَمُ والحاكمُ في اللغة واحدٌ ، وكأنهم يريدون الكاهن وما أشبهه ؛ من حكام الجاهلية ، هذا في قراءة من قرأ « أَفَحَكَمُ » ومعنى ﴿ يبغون ﴾ يطلبون .

وقال مجاهد : يراد بهذا اليهود ، يعني في أمر الزانيين حين جاءوا بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يتوهمون أنه يحكم عليهما بخلاف الرجم[2] .

= اللفظين ، قال الشاعر :

أَلَا حَبَّذَا هنــدٌ وأرضٌ بها هنــدُ ... وهندٌ أتى من دونها النــأيُ والبُعــدُ

(١) هذه من القراءات الشاذة التي لا يجوز القراءة بها ، وانظر المحتسب لابن جني ٢١٢/١ .

(٢) هكذا رواه ابن جرير عن مجاهد أنها في اليهود ٢٧٤/٦ قال ابن جرير : والمعنى : أيبغي هؤلاء اليهود ، الذين احتكموا إليك فلم يرضوا بحكمك ، حكم الجاهلية يعني أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك ، وعندهم كتاب الله فيه حقيقة ما حكمت به ؟

١٠٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

أي من أيقن تَبيَّن أن حكمَ اللهِ جلَّ وعز هو الحقُّ(١) .

١٠٤ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾[آية ٥٠] .

هذا في المنافقين(٢) ، لأنهم كانوا يمالئون المشركين ويخبرونهم بأسرار المؤمنين .

١٠٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[آية ٥١]

أي نفاقٌ ﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ .

المعنى : يسارعون في معاونتهم ، ثم حُذفَ ، كما قال جل وعز (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) .

١٠٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾[آية ٥٢

في معناه قولان :

(١) هذا المعنى الذي ذكره المصنف قريب من كلام الزجاج في معانيه ١٩٨/٢ حيث قال : أي من أيقن ، تبيَّن له عدل الله في حكمه .

أقول : الاستفهام هنا إنكاري والغرض منه التوبيخ والتقريع ، ومعنى الآية : أيتولون عن حكمك يا محمد ، ويبتغون غير حكم الله وهو حكم أهل الجاهلية ؟ ومن أعدل من الله في حكمه ، وأصدق في بيانه ، وأحكم في تشريعه ؟ لقوم يصدقون بوحدانية الله ، ويقرون بربوبيته ؟ فهو استفهام يراد به النفيُ ، أيْ لا أحد أحسن منه حكماً تبارك وتعالى !!

(٢) ما قاله المصنف أنها في المنافقين هو الصحيح ، ولعلَّه انتزعه من قوله تعالى بعده ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ فالمرض ههنا هو النفاق في الدين ، والله أعلم .

أحدهما : رُوي عن ابن عباس قال : يقولون نخشى أن لايدوم الأمرُ لمحمد[1] .

والقولُ الآخر : نخشى أن يصيبنا قحطٌ فلا يُفْضِلوا علينا[2] .

والقولُ الأول أشبهُ بالمعنى ، كأنه من دارت تدور ، أي نخشى أن يدور أمرٌ[3] .

ويدلُّ عليه قوله جل وعز : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ، أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ لأن الفتحَ : النَّصرُ .

قال ابن عباس : فأتى الله بالفتح ، فقُتِلتْ مقاتلةُ بني قريظة ، وسُبيت ذراريهم ، وأُجلي بنو النضير[4] .

وقيل معنى ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ أي بأمرِ النبي عليه السلام أن يخبر بأسماء المنافقين ، ﴿فيصْبِحُوا عَلَى ماأَسَرُّوا في أَنْفُسِهِمْ

---

(١) هذا هو الصحيح الذي رجحه الطبري ، وابن عطية ، وابن كثير ، وهو رأي جمهور المفسرين ، قال ابن عطية ٤٨٠/٤ : و « دائرة » معناه نازلة من الزمان ، وحادثة من الحوادث ، تحوجنا إلى موالينا من اليهود ، وتسمى هذه الأمور «دوائر الزمان» من حيث الليل والنهار في دوران ، فكأن الحادث يدور بدورانها . اهـ.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٨/٢ قال : لما نزلت ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ قال المنافقون : كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة ــ أي قحط ــ وسَّعُوا علينا ؟ فنزلت الآية .

(٣) ويؤيده قول الشاعر :

تردُّ عنكَ القَــدَرَ المَقْــدُورَا ... ودَائِــراتِ الدَّهْــرِ أن تَدُورا

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٠/٦ .

نَادِمِينَ ﴾[١] .

١٠٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّـه جَهْدَ أَيْمَانِهِم إِنَّهُم لَمَعَكُم ﴾** [آية ٥٣] .

أي أهؤلاء الذيـن اجتهدوا في الأيمـانِ[٢] ، أنهم لايوالـون المشركين ؟

ثم قال تعالىٰ : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمالُهُم ﴾ وهذا مثل قوله تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُم ﴾[٣] .

١٠٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِيـنَ آمَنُـوا مَنْ يَرْتَـدَّ مِنكُـم عَنْ دِينِـهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾** [آية ٥٤] .

في معنى هذا قولان :

قال الحسن : هو والله أبو بكر رضي الله عنه وأصحابُـه[٤] .

---

(١) هذا القول ذكره الزجـاج في معانيـه ١٩٩/٢ ولفظـه قال : أو أن يؤمر النبـي ﷺ بإظهـار أمر المنافقين وقتلهم . وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٩/٢ .

(٢) قال ابن عباس ﴿ جهد أيمانهم ﴾ أي أغلظوا في الأيمان ، وقـال الزجـاج : اجتهدوا في المبالغـة في اليمين . اهـ. تفسير ابن الجوزي ٣٨٠/٢ .

(٣) سورة محمد آية رقم (١) .

(٤) الطبري عن الحسن ٢٣٨/٦ وابن الجوزي ٣٨١/٢ قال : هو أبو بكر الصديق وأصحابـه الذيـن قاتلوا أصحاب الردة ، والدر المنثور ٢٩٢/٢ وعزاه إلى ابن المنـذر ، وابـن أبي حاتم ، والبيهقـي ، قال قتادة : لما قبض الله نبيه ارتد عامة العرب عن الإسلام ، وقال الذين ارتـدوا نصلي ولا نزكـي ، فقال أبو بكر : لا أفرق بين شيء جمعه الله ، والله لو منعـوني عقـالاً مما فرض الله عليهم لقاتـلتهم عليه !!

حدثنا أبو جعفر قال : نا الحسن بن عمر بن أبي الأحوص الكوفي ، قال : نا أحمد بن يونس السري يعني ابن يحيى قال : قرأ الحسن هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ حتى قرأ الآية فقال الحسن : فولَّاها اللهُ واللَّهِ أبا بكر وأصحابه(١) .

وَرَوَى شعبةُ عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن عياض الأشعري قال : لمَّا نزلت : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ أومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله فقال : هم قوم هذا(٢) .

١٠٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [آية ٥٤] .

قال أبو جعفر : سمعت أبا إسحاق(٣) وسئل عن معنى هذا فقال : ليس يريد « أَذِلَّة » من الهوان ، وإنما يريد أنَّ جانبهم ليِّنٌ للمؤمنين ، وخشن على الكافرين(٤) .

١١٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾** [آية ٥٤] .

أي ذلك اللينُ للمؤمنين ، والتشديدُ على الكافرين ، تفضلٌ

---

(١) راجع الطبري ٦/٢٢٠ وابن كثير ٣/١٢٧ .

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٢/٢٩٢ وجامع البيان للطبري ٦/٢٨٤ وتفسير ابن عطية ٤/٤٨٧ ورجحه الطبري لصحة الخبر به عن رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن ، قوم أبي موسى الأشعري ، وانظر جامع البيان ٦/٢٨٥ .

(٣) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد تقدمت ترجمته .

(٤) انظر كلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٢٠١ .

من اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، مَنحهم إياه[1] .

١١١ ـ **وقوله تبارك اسمه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمنُوا ﴾** [آية ٥٥] .

قال أبو عبيد : أخبرنا هُشَيْمٌ ويزيد عن عبد الملك بن سليمان عن أبي جعفر محمد بن علي في قوله جل وعز : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُم اللَّهُ وَرَسولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال : يعني المؤمنين ، فقلت له بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : علي من المؤمنين[2] .

قال أبو عبيد : وهذا يبيِّنُ لك قول النبي ﷺ « مَنْ كنتُ مولَاهُ ، فعليٌّ مولاه »[3] فالمولىٰ والوليُّ واحدٌ ، والدليل علىٰ هذا قوله جل وعز ﴿ اَللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﴾[4] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥١٣/٣ : الظاهر أن ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف التي تحلّى بها المؤمن ، ذكر سبحانه أن ذلك هو فضل من الله يؤتيه من أراد ، ليس ذلك بسابقة ممن أعطاه إياه ، بل ذلك على سبيل الإحسان منه تعالى . وقال الزجاج : أي محبتهم لله ، ولين جانبهم للمسلمين ، فضل من الله عز وجل عليهم .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الملك بن أبي سليمان ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/٢ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن مردويه من حديث عمار بن ياسر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٣/٢ ولفظه « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» وأخرجه الترمذي رقم ٣٧١٤ وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه ٤٥/١ وأحمد في المسند ٣٦٨/٤ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ورمز إلى حسنه ، وانظر فيض القدير ٢١٧/٦ .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٥٧) .

ثم قال في موضع آخر ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَولَى لَهُمْ ﴾[1] .

فمعنى حديث النبي ﷺ في ولاية الدِّينِ ، وهي أجلُّ الولاياتِ .

وقال غير أبي عبيد : من كنت ناصره فعليٌّ ناصره .

١١٢ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُوَاً وَلَعِبَاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفَّارَ أَوْلِيَاء ﴾** [آية ٥٧] .

وقرأ الكسائي : (وَالكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ)[2] .

والمعنى : من الذين أوتوا الكتابَ ، ومن الكفَّارِ .

قال الكسائي : في حرف « أُبَيٍّ » رحمه الله : ومِنَ الكفَّارِ[3] .

ورُوي عن ابن عباس رحمه الله ، أن قوماً من اليهود والمشركين ، ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم ، فأنزل الله تعالى

(١) سورة محمد آية رقم (١١) .

(٢) قراءة أبي عمرو والكسائي « والكفار » بالخفض ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة « والكفار » نصباً ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ .

(٣) ذكر هذه القراءة ابن جرير في تفسيره ٦/٢٩٠ قال : وكذلك هي في قراءة أبي بن كعب فيما بلغنا ﴿ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار ﴾ .

﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُواً ولَعِباً﴾ إلى آخر الآيات[1] .

١١٣ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [آية ٦٠] .

وفي هذا قولان :

روي عن ابن عباس أنه قال : قالت اليهود في أمة محمد ﷺ : هم أَقلُّ الناسِ حظاً في الدنيا والآخرة ، فأنزل الله جل وعز : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ.. ﴾[2] الآية .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٢٣/٦ عن ابن عباس ، و لم أر هذه الراوية في كتب التفسير بالمأثور ، ولعل القرطبي نقلها عن النحاس بهذا اللفظ ، والذي روي عن ابن عباس هو ما أخرجه البيهقي في الدلائل قال : « كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى بالصلاة ، فقام المسلمون إلى الصلاة ، قالت اليهود : قد قاموا لا قاموا ، فإذا رأوهم ركعاً وسجداً ، استهزءوا بهم وضحكوا منهم » انظر الدر المنثور ٢٩٤/٢ وقال السدي : كان نصراني بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال عدو الله : أحرق الله الكاذب ، فدخل خادمه ذات ليلة من الليالي بنارٍ ، وهو قائم وأهله نيام ، فسقطت شرارة فأحرقت البيت ، واحترق هو وأهله فنزلت . اهـ. البحر المحيط ٥١٥/٣ والدر المنثور ٢٩٤/٢ .

(٢) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط ٥١٦/٣ ولفظه : قال ابن عباس : « أتى نفرٌ من يهود ، فسألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال : أومن بالله ، ﴿وما أُنْزِل إلى إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون﴾ فلما سمعوا ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا : ما نعلم أهل دين ، أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم ، فنزلت ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله .. ﴾ الآية وانظر الطبري ٢٩٢/٦ والدر المنثور ٢٩٥/٢ .

والقول الآخرُ : وهو المعروفُ الصحيح ، أن المعنى : قل هل أنبئكم بشرٍّ من نُقومكم علينا ثواباً ؟ لأن قبله ﴿ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ !!

قال الكسائي : يقال نَقَمْتُ على الرجل أَنْقِمُ ، نُقُومَاً ، ونِقْمَةً .

وقد حُكي نَقِمْتُ أَنْقَمُ : إذا كرهتَ الشيءَ أشدَّ الكراهية(١) .

١١٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾**[آية ٦٠] .

قال مجاهد : يعني اليهودَ ، مَسْخٌ منهم(٢) .

---

(١) كلاهما صحيح في لغة العرب نَقَمَ يَنْقِمُ ، ونَقِمَ يَنْقَمُ ، ولكن الأول أجود وأفصح ، وهو لغة القرآن ﴿ وما نقموا منهم ﴾ و ﴿ هل تَنْقِمون منا ﴾ وانظر ما قاله الزجاج في معانيه ٢/٢٠٤ والبحر المحيط ٣/٥١٦ .

(٢) ذكره الطبري ٦/٢٩٣ عن مجاهد قال : مُسخت من يهود ، يعني أن القردة والخنازير مسخت من اليهود ، وهذا قول ضعيف ، والصحيح أن القردة والخنازير كانت قبل بني إسرائيل ، فهي من مخلوقات الله ، ويدل على ما قلناه ما رواه مسلم في صحيحه ٨/٥٥ عن عبد الله بن مسعود قال : «سُئل النبي ﷺ عن القردة والخنازير : أهي مما مسخ الله ؟ فقال : إن الله لم يهلك قوماً ــ أو لم يمسخ قوماً ــ فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً ، وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك» وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال : سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير ، أهي من نسل اليهود ؟ فقال : لا ، إن الله لم يلعن قوماً فيمسخهم فكان لهم نسل ، ولكن هذا خلق كان ، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم ، جعلهم مثلهم» ورواه أحمد في المسند ١/٣٩٥ و انظر البحث مفصلا في تفسير ابن كثير ٣/١٣٥ .

١١٥ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ وهذه قراءة أهل المدينة، وأبي عمرٍو والكسائي .

وقرأ أبو جعفر (وَعُبِدَ) مثل ضُرِبَ ، ولا وجهَ لهذا .

ورُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ : ﴿ وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ ﴾ .

ورُوي عن أُبيّ بن كعب وعن ابن مسعود من طريق آخر أنهما قَرَءَا ﴿ وَعَبَدَتِ الطَّاغُوتَ ﴾ .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَعُبُدُ الطَّاغوتِ ﴾ .

ورُويَ عن [عكرمةَ عن ابن عباس أنه يجوز « وعَابِدالطاغوت » ورُوي عن][1] الأعمش ويحيى بن وثّاب ﴿ وَعُبُدُ الطَّاغُوتِ ﴾ .

وقرأ أبو واقد الأعرابي : ﴿ وعُبَّادُ الطَّاغُوتِ ﴾ .

وقرأ حمزة : ﴿ وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ ﴾[2] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) خلاصة هذه القراءات أن فيها وجوها عديدة تبلغ عشرين قراءة كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٨/٢ أما قراءة الجمهور فهي بفتح العين والباء ﴿ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ وقرأ حمزة وحده ﴿ وعَبُدَ الطاغوتِ ﴾ بضم الباء من « عبُد » وكسر التاء من « الطاغوتِ » ومعنى الآية على قراءة حمزة : وجعل منهم خدمة الطاغوت ، ومن بلغ في طاعة الطاغوت الغاية ، وعلى قراءة الجمهور يكون المعنى : وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت ، وانظر زاد المسير ٣٨٨/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٦ وما عدا القراءتين فالجميعُ شاذٌ ، وأبو واقد هو « عبدالرحمن بن عُبيد اللهِ بن واقد » مقرئٌ معروف ، أخذ القراءة عن حمزة بن القاسم الأحول ، وانظر طبقات القراء ٣٨١/١ .

فمن قرأ : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ فالمعنى عنده : منْ لَعَنهُ الله ، ومَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ .

وحمل الفعلَ على لفظ « مَنْ »[1] .

ومن قرأ : ﴿ وَعَبَدوُا الطَّاغُوت ﴾ فهو عنده بذلك المعنى ، إلَّا أنه حمله على معنى « مَنْ » كما قال جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[2] .

ومن قرأ : ﴿ وَعَبَدَتِ الطَّاغُوتَ ﴾ حمله على تأنيث الجماعة كما قال جل وعز : ﴿ قَالَتِ الأَعْرابُ ﴾ .

ومن قرأ : ﴿ وعُبَّدَ الطَّاغُوت ﴾ فهو عنده جمع عابد كما يقال : شاهد وشُهَّد ، وغائب وغُيَّب .

ومن قرأ : ﴿ وَعَابِد ﴾ فهو عنده واحد يؤدِّي عن جماعة

---

(١) أي محمولة على اللفظ ، لأن لفظ « مَنْ » مفرد ، ولكنها في المعنى جمع ، فمن حملها على اللفظ قال : وعبَد الطاغوتَ ، ومن حملها على المعنى جاء بصيغة الجمع فقال « وعبَدوا الطاغوت » .

(٢) سورة يونس آية رقم (٤٢) والشاهد في الآية أنه جاء بصيغة الجمع « يستمعون إليك » حملاً على معنى «مَنْ» لأنَّ معناها الجمع ، وفي الآية بعدها تماماً ﴿ ومنهم من ينظر إليك ﴾ جاء بصيغة الإفراد حملاً على اللفظ ، فقد جمع في الآيتين بين الحمل على اللفظ ، والحمل على المعنى ، ولتتضح المسألة نورد نص الآيتين كاملاً في سورة يونس ﴿ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ ففي الآية الأولى أعيد الضمير على المعنى فلذلك جمع ، وفي الثانية أعيد على اللفظ فلذلك أفرد .

ومن قرأ : (وُعُبُد) فهو عنده جمع عباد أو عبيد كما يقال مثال ومُثُل ، ورغيف ورُغُف .

وقال بعض النحويين : هو جمع عَبْدٍ كما يقال رَهْن ورُهُن وسَقْف وسُقُف .

ومن قرأ (وَعُبَّاد) فهو جمع عابد كما يقال عامل وعمال .

ومن قرأ : (وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ) فأكثرُ أهل اللغة يذهب إلىٰ أنه لحنٌ ، وهي تجوز علىٰ حيلة ، وذلك أن يجعل « عَبُداً » واحداً يدل على جماعة ، كما يُقال : رَجُلٌ حَذُرٌ ، وفَطُنٌ ، ونَدُس ، فيكون المعنىٰ : وخادمِ الطاغوتِ ، وعلىٰ هذا تُتأول هذه القراءة .

يُقال : عَبَدَهُ ، يَعبُدُه ، إذَ ذلَّ له أشَدَّ الذلَّ ، ومنه بعير معبَّد أي مذلَّل بالقطران ، ومنه طريق معبَّد ، ومنه يُقال : عَبِدْتُ أَعْبَدُ : إذا أنفتُ ، كما قال :

---

(١) القراءات التي أوردها المصنف وهي كثيرة ، وعلل لها كلها من القراءات الشاذة ، فهي وإن كانت جائزة لغة ، إلا أنها لا تجوز قراءة ، لأن القراءات سماعية فلا يجوز القراءة إلا بما ورد عن رسول الله ﷺ ، والقراءات الواردة هي قراءات الجمهور ﴿ وَعَبَدَ الطاغُوتَ ﴾ بالفتح « وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ » وهي قراءة حمزة بالخفض على معنى وخدمة الطاغوت ، هذا ما ذكره ابن مجاهد في كتابه السبعة في القراءات ص ٢٤٦ وابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٥ وقال الزجاج في معانيه ٢/٢٠٧ : ولا تقرأ بهذه الوجوه وإن كانت جائزة ، لأن القراءة لا تبتدع على وجه يجوز ، وإنما سبيل القراءة اتباع من تقدم ، ثم قال : ولا تجوز القراءة بشيء من هذه الأوجه إلا بالثلاثة التي رويت وقرأ بها القراء ، وهي « عَبَدَ الطاغوتَ » وهي أجودها ، و « عَبُدَ الطاغوتِ » ثم « وَعُبُدَ الطاغوتِ » . اهـ .

« وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تميمٌ بِدَارِمِ »[1]

والمعنىٰ : علىٰ هذا : وخادِمِ الطاغوتِ .

وقد قيل : الفَرِدُ بمعنىٰ الفَرْدِ ، وينشد النابغة :

مِنْ وَحْشِ وَجْــرَةَ مُوشِيٍّ أَكَارِعُــهُ
طَاوِي المَصِيرِ ، كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ[2]

ويُروى الفَرَدِ .

وقيل : الطاغوت ها هنا : يُعْنى به الشيطانُ[3] ، وكذا روي عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي أنه قرأ ﴿ وَعَابِدَ الشَّيْطَانِ ﴾[4] .

وأجاز : بعض العلماء ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾ بالخفض على معنىٰ : عَبَدَةِ مثل : كَاتِبٍ ، وكَتَبَةٍ ، والهاءُ تُحذَفُ من مثل هذا في الإضافة .

١١٦ ــ وقولُه عز وجل : ﴿ وإذَا جَاؤُكُم قالوا آمَنَّا ، وقَدْ دَخَلُوا بالكُفْر ، وهُمْ قد خَرَجُوا به .. ﴾ [آية ٦١] .

---

(١) هذا عجز بيت للفرزدق ، وهو بتمامه في الصحاح واللسان :
أولئك قوم إن هجوني هجوتهم   وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْباً بَدارِمِ

(٢) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه ص ١٧ من قصيدته التي مطلعها : يا داريَّة بالعلياء فالسند .. يصف فيه الثور من وحش الفلاة ، بأنه أبيض لماع كالسيف ، والفرد : المنقطع القرين ، المنفرد بالجودة .

(٣) والمعنى على هذا القول : أنه جعل منهم من عبد الشيطان بطاعته ، فطاعة الشيطان عبادته كما قال سبحانه ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ ؟

(٤) ذكرها الطبري في جامع البيان ٦/٢٩٤ عن بريدة ، وهي من القراءات الشاذة .

أي لم ينتفعوا بشيءٍ مما سمعوا ، فخرجوا بكفرهم[1] .

١١٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُم الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ .. ﴾

وقرأ أبو الجراح : (لَوْلَا ينهاهم الرِّبِّيُّونَ) [2] [آية ٦٣]

قال مجاهد : (الربَّانيُّونَ والأَحْبَارُ) : العلماءُ ، والفقهاءُ ، والربَّانِيونَ فوق الأحبار [3].

قال أبو جعفر : والرِّبِّيونَ : الجماعات ، وهو مأخوذٌ من الرِّبَّة ، والرِّبةُ : الجماعة فنسب إليها ، فقيل : رِبِّيٌّ ، ثم جُمع فقيل : رِبِّيون [4] .

قال أبو جعفر : والمعنىٰ : بئس الصنعُ ما يصنع هؤلاء الربَّانيُّونَ والأحبارُ ، في تركهم نهيَ هؤلاءِ [5].

---

(١) هكذا قال المفسرون : إنهم خرجوا كما دخلوا ، دخلوا كفاراً وخرجوا كفاراً ، لم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبقي الكفر ملازماً لهم ، ولم يتعلقوا بشيء مما سمعوه من تذكير وموعظة .

(٢) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٥٢٢/٣ وقال : هي قراءة الجراح وأبي واقد . اهـ. وليست من القراءات السبع .

(٣) انظر تفسير ابن عطيه ٥٠٧/٤ والبحر المحيط لأبي حيان ٥٢٢/٣ .

(٤) في الصحاح : الرِّبيُّ : واحد الربيِّين وهم الألوف من الناس قال تعالى ﴿ وكأيِّن من نبي قاتل معه ربِّيون كثير ﴾ والرباني : المتأله العارف بالله تعالى قال سبحانه ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ . اهـ.

(٥) قال الطبري ٢٩٨/٦ المعنى : أُقسم لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملونه في مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت .

قال الضحاك : ما في القرآن آيةٌ أخوف عندي منها ، أننا لانَنْهىٰ(١) .

وفي هذه الآية حكمٌ في أمر العلماء في النهي عن المنكر .

١١٨ ـ **وقوله عز وجل : ﴿وقَالتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيْهِم﴾** [آية ٦٤] .

في هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحسنها ما رُوي عن ابن عباس أنه قال : قالت اليهود إن الله عز وجل بخيل(٢) .

والمعنىٰ عند أهل اللغة على التمثيل : أي قالوا هو ممسكٌ عنّا لم يوسِّعْ علينا حين أجدبوا ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلىٰ عُنُقِكَ ﴾(٣) فهذا نظير ذاك ، والله أعلم .

---

(١) ذكره ابن جرير عن الضحاك ٢٩٨/٦ وبنحوه قال ابن عباس : ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية .

(٢) هذا المعنى هو الصحيح ، أنها كناية عن البخل ، كما أن بسط اليد كناية عن الكرم كما قال الشاعر عن المعتصم :

تَعَوَّدَ بسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْانَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

قال ابن جرير : إنما وصف تعالى ذكره اليد والمعنى العطاء ، لأن عطاء الناس يكون باليد ، فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه في كلامهم ، يقول اليهود : إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله ، كالمغلولة يده الذي لا يبسطها بعطاء .

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٢٩) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥٢٣/٣ : وظاهر الآية يدل على أنهم أرادوا بغل اليد وبسطها الكناية عن «البخل والجود» ولايقصد بها إثبات يد ولا غل ولا بسط ، فهو من باب التمثيل .

وقيل : اليد ها هنا النعمةُ .

وقيل : هذا القول غلط لقوله ﴿ بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فنِعَمُ الله جل وعز أكثر من أن تُحصى ، فكيف يكون بل نعمتاه مبسوطتان[1] ؟ .

فقال من احتج لمن قال : إنهما نعمتان ، بأن المعنىٰ النعمة الظاهرة ، والباطنة .

والقول الثالث : أن المعنىٰ أنه لايعذبنا ، أي مغلولةٌ عن عذابنا[2] .

١١٩ ــ وقوله عز وجل ﴿ وأَلْقَيْنَا بَيْنَهُم العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ [آية ٦٤] .

أي جعل بأسهم بينهم ، فهم متباغضون غير متفقين ، فهم أبغض خلقِ الله إلى الناس .

---

(١) هذا القول ضعيف والصحيح ما رواه ابن جرير عن ابن عباس ٣٠٠/٦ قال : ليس يعنون أن يد الله موثقة ، ولكنهم يقولون : إنه بخيل أمسك ما عنده . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي عن الحسن البصري ٢٩٣/٢ ولفظه قال : ممسكة عن عذابنا ، فلا يعذِّبنا إلا تحلة القسم ، بقدر عبادتنا العجل .

أقول : هذا القول ضعيف لأن الله رد عليهم بقوله ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ فلا دخل للعذاب أو الرحمة هنا ، والرأي الصحيح هو قول الجمهور أنهم أرادوا نسبة الله إلى البخل لعنهم الله .

وقال مجاهد : هم اليهود والنصارىٰ(١) .

والذي قال حسنٌ ، ويكون راجعاً إلىٰ ﴿ لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاء ﴾(٢) .

١٢٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿كلَّما أَوْقَدُوا نَاراً للحِرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [آية ٦٤] .

هذا تمثيل : أي كلمَّا تجمعوا شتَّت اللهُ أمرهُم(٣) .

وقال قتادة : أذلَّهم الله جل وعز بمعاصيهم ، فلقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم تحت أيدي المجوس(٤) .

١٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً ﴾[آية ٦٤] .

---

(١) حكاه الطبري عن مجاهد ٣٠٢/٦ وابن الجوزي ٣٩٤/٢ وقال : هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ، وقال قتادة : هم اليهود خاصة .

أقول : القول الثاني هو الأظهر لقوله تعالى قبله ﴿ وقالت اليهود ﴾ فالكلام عن اليهود .

(٢) قال ابن جرير ٣٠٢/٦ فإن قال قائل : وكيف يعود الضمير على اليهود والنصارى ولم يجر لهم ذكر ؟ قيل : قد جرى لهم ذكر ، وذلك في قوله تعالى ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ جرى الخبر في بعض الآيات عن الفريقين ، وفي بعضها عن أحدهما ، إلى أن انتهى الخبر عن الفريقين بقوله سبحانه ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ أي بين اليهود والنصارى . اهـ .

(٣) قال الشوكاني في فتح القدير ٥٨/٢ ومعنى الآية : كلما جمعوا للحرب جمعاً ، وأعدوا له عدة شتت الله جمعهم ، فلم يظفروا بطائل ، بل لم يحصل لهم إلا الغلبة عليهم ، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ثم يبطل الله ذلك ، والآية مشتملة على استعارة بليغة ، وأسلوب بديع . اهـ .

(٤) ذكره الطبري عن قتادة ٣٠٣/٦ ولفظُهُ : قال : هم أعداء الله اليهود ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهله ، لقد جاءهم الإسلام حين جاءهم وهم تحت أيدي المجوس ، أبغض خلق الله إليه . اهـ .

أي يسعون في إبطال الإسلام .

١٢٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿وَلَو أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاة والإِنْجِيلَ﴾ [آية ٦٦] .

أي لو أظهروا ما فيها من صفة النبي صلى الله عليه وسلم(١) .

﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِم ﴾ يعني به القرآن(٢)، والله أعلم .

١٢٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِم ومِن تحت أَرْجُلِهِمْ ﴾

فهذا يدل على أنهم كانوا في جدب .

﴿ ومِنْ فَوْقِهِم ﴾ على قول ابن عباس ومجاهد والسدي يعني : المطر ، ﴿ ومِنْ تحت أَرْجُلِهِم ﴾ يعني : النبات(٣) .

وقيل : يجوز أن يكون تمثيلاً : أي لوسّعنا عليهم كما يقال :

---

(١) قال ابن عباس : أي عملوا بما في التوراة والإنجيل من الأحكام ، وهذا المعنى أظهر مما ذكره المصنف لأنه يدخل في العمل بالتوراة والإنجيل إظهار صفة نبينا محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .. ﴾ الآية .

(٢) هذا هو الراجح أن المراد به القرآن ، لأنهم لما خوطبوا به كان كأنه نازل عليهم ، وهذا ما رجحه الطبري ، وقيل : المراد به كتب أنبياء بني إسرائيل ، وانظر الطبري ٣٠٤/٦ وابن الجوزي ٣٩٥/٢ .

(٣) خلاصة قول ابن عباس والسدي ومجاهد أن المعنى : لأعطتهم السماء مطرها وخيرها وبركتها ، والأرض نباتها وثمارها وحبها ، فأكلوا بقطر السماء ، ونبات الأرض ، والآية تشير إلى أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال سبحانه ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ وكما قال ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ .

فلان في خير من قرنه إلىٰ قدمه ، أي قد شمله الخير[1] .

والأوُل قول أهل التأويل .

١٢٤ ــ وقوله عز وجل ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ من ربِّكَ ، وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَمَا بلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ ﴾[2] [آية ٦٧] .

في معناه قولان :

أحدهما : بلِّغْ كلَّ ما أُنزِل إليك ، ويُقوّي هٰذا أن مسروقاً روىٰ عن عائشة أنها قالت : « مَنْ حدَّثَكَ أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم كتمَ شيئاً من الوحي فقد كَذَبَ ، واللهُ يقول : ﴿ ياأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ﴾[3] .

والقول الآخر : وعليه أكثر أهل اللغة إن المعنىٰ : أَظْهِرْ ما أُنزل إليك من ربك ، أي بلِّغْهُ ظاهراً .

---

(١) هذا قول الزجاج ، والفراء ، وحكاه الطبري عن بعض أهل اللغة ٣٠٦/٦ ورده ورجح أقوال أئمة السلف .

(٢) هذه قراءة نافع « رسالاته » بالجمع ، وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي « رسالته » وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٦٦/٦ وفي كتاب التوحيد ١٩٠/٩ ومسلم في كتاب الإيمان ١١٠/١ والترمذي في سننه ٤٤١/٨ تحفة الأحوذي ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت : لو كان محمد ﷺ كاتماً من القرآن شيئاً ، لكتم هذه الآية ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناسَ والله أحقُ أن تخشاه ﴾ .

ودلَّ على هذا قوله تعالى : ﴿ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس ﴾ أي يمنعك منهم أن ينالوك بسوء[1] .

مشتق من عِصَامِ القِرْبة ، وهو ما تُشدُّ به[2] .

وقوله جل وعز ﴿ ولَيَزِيْدَنَّ كثيراً منهم ما أُنْزِل إليك طغياناً وكُفْراً ﴾

أي يكفرون به فيزدادون كفراً على كفرهم .

١٢٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فلا تَأْسَ عَلَىٰ القَوْمِ الكافِرِين ﴾ [آية ٦٨] .

أي فلا تحزن عليهم .

١٢٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا والصَّابِئُون والنَّصَارَىٰ ﴾ [آية ٦٩] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنه يعني بالذين آمنوا ها هنا « المنافقون »[3] .

---

(١) روي أن النبي ﷺ كان يُحرس في الليل ، فلما نزلت هذه الآية ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ أخرج النبي ﷺ رأسه من القُبة وقال : « يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني اللهُ عز وجل » رواه الترمذي ، والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال الزجاج ٢/٢١٠ : وفي هذا آية للنبي ﷺ بينة فقد حماه الله من كيد وتآمر المشركين ، ورد كيدهم في نحورهم ، وأعلمه أنه يسلم منهم .

(٢) قال الطبري ٦/٣٠٩ ﴿ والله يعصمك ﴾ أي يمنعك من أن ينالوك بسوء ، وأصله من عصام القِرْبة ، وهو ما توكأ به من خيط وسير ، ومنه قول الشاعر :

وقلتُ عليكُمْ مَالِكاً إن مالكاً ... سَيَعْصِمُكُم إن كانَ في النَّاسِ عاصمُ

(٣) هذا القول مروي عن سفيان الثوري كما في زاد المسير لابن الجوزي ١/٩١ وهو قول مرجوح والراجح القول الثاني أنهم المسلمون كما يأتي .

والتقديرُ : إن الذينَ آمنوا بألسنتهم ، ودلَّ على هذا قولُه تعالىٰ ﴿ ولا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُون في الكُفْرِ مِنَ الذينَ قالوا آمنَّا بأفْواهِهم ولم تُؤْمِنْ قلوبُهُم ﴾

١٢٧ ــ **ثم قال جل اسمه ﴿ مَنْ آمَنَ بالله ﴾** [آية ٦٩] .

فالمعنىٰ على هذا القول : من حقَّق الإيمان بقلبه .

والقول الآخر : إن معنى « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ » من ثبت علىٰ إيمانه كما قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ ورَسُولِه ﴾[1] .

١٢٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كلَّما جاءَهم رسولٌ بما لا تَهْوَىٰ أنْفُسُهُم فَرِيقاً كذَّبوا وفرِيقاً يَقْتُلون ﴾** [آية ٧٠] .

قال : اليهودُ والنصارىٰ يشتركون في التكذيب ، واليهودُ تنفرد بالقتل خاصة .

وكانت الرسلُ منها من يأتي بالشرائع ، والكتبِ ، والأحكام ، نحو محمد صلى الله عليه وسلم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، وهؤلاء

(١) هذا القول هو الأصح والأرجح أن المراد بقوله ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ هم المسلمون الذين آمنوا برسول الله ﷺ فقد ذكر تعالى الملل والنحل « الإسلام ، واليهودية ، والنصرانية ، والصابئة » ثم أخبر أن من آمن من أصحاب هذه الملل إيماناً صادقاً وثبت على إيمانه فإن الله لا يضيع عمله ، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري وابن كثير ، وانظر جامع البيان ٣١١/٦ وتفسير ابن كثير ١٤٧/٣ .

معصومون[1] .

ومنهم من يأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتمسك بالدين ، نحو يحيىٰ ، وزكريا عليهما السلام .

١٢٩ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وحَسِبُوا أَنْ لا تكونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وصَمُّوا ﴾** [آية ٧١] .

قال الحسن : يعني بالفتنة : البلاء[2] .

وقال غيره : معنىٰ ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ تمثيلٌ : أي لم يعملوا بما سمعوا ولا [انتفعوا][3] بما رأوا ، فهم بمنزلة العُمْي الصُمِّ[4] .

١٣٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ثمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾** [آية ٧١] .

أي بَعَثَ محمداً ﷺ يخبرهم بأن الله عز وجل يتوب عليهم إن تركوا الكفر[5] .

---

(١) يريد أنهم معصومون من القتل ، لأنهم مكلفون بتبليغ الأحكام ، فلا بد لهم من العصمة ، كما عصم الله عيسى من شر اليهود حين أرادوا قتله ، وأما يحيى وزكريا فقد حدث لهما القتل ، لأنهما من الأنبياء الذين لم تنزل عليهم الشرائع والأحكام ، فلم توجد لهم العصمة ، وإليه يشير قوله تعالى ﴿ وفريقاً يقتلون ﴾ .

(٢) هذا قول الحسن ومجاهد كما في الطبري ٣١٢/٦ والمعنى : حسب اليهود ألا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء .

(٣) سقط من الأصل وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٤) المراد أنهم عموا عن الهدى ، وصمُّوا عن سماع الحق ، وهذا على التشبيه بالأعمى والأصم ، فإنه لا يهتدي إلى طريق الرشد والدين ، لإعراضه عن النظر في آيات الكتاب المبين .

(٥) قال ابن عطية ٥٢٤/٤ المعنى في هذه الآية : وظن هؤلاء الكفرة والعصاة من بني إسرائيل ، ألا يكون من الله ابتلاء لهم ، وأخذ في الدنيا وتمحيص ، فلجوا في شهواتهم ، وعموا فيها ، إذ لم يتبصروا الحق ، فشُبِّهوا بالعُمْي والصُمِّ ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ ببعث عيسى عليه السلام إليهم ، =

﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا ﴾ أي بعد وضوح الحجة .

١٣١ ــ وقولُه عز وجل ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ ﴾ [آية ٧٢] .

قال ابراهيم النخعي : المسيحُ : الصِدِّيقُ[١] .

قال أبو جعفر : ووجدنا للعلماء في تفسير معناه ستة أقوال سوى هذا :

رُوي عن ابن عباس : سُمِّي مسيحاً لأنه كان أمسحَ الرِّجْل ، لا أخمص له .

وروَىٰ غيره عنه : إنما سمي مسيحاً لأنه كان لايمسح بيده ذا عاهة إلاَّ برأ ، ولا يضع يده على شيء إلا أعطي فيه مراده .

وقال ثعلب : لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها .

وقيل : لسياحته في الأرض .

وقيل : لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن .

= وقالت جماعة ببعث محمد عليه الصلاة والسلام ، أي رجع بهم إلى الطاعة والحق ، قال : ومن فصاحة اللفظ إسناد هذا الفعل الشريف إلى الله تعالى ، وإسناد العمى والصم وهو الضلالة إليهم .

(١) هذا قول مجاهد أيضاً حكاه ابنُ الجوزي عن مجاهد وإبراهيم النخعي ، وانظر زاد المسير في علم التفسير ٣٨٩/١ ، قال ومعنى هذا أن الله مسحه فطهَّره من الذنوب فصار صِدِّيقاً .

وقال أبو عبيد : أحسب أصله بالعبرانية مشيحا(١) .

قال : وأما قولهم « المسيحُ الدَجَّالُ » فإنما سُمِّي مسيحاً لأنه ممسوح إحدىٰ العينين ، فهو مسيح بمعنىٰ ممسوح ، كما يقال : قتيلٌ بمعنىٰ مقتول .

١٣٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ وأُمُّه صِدِّيقَة كَانَا يأْكُلَان الطَّعَام ﴾ [آية ٧٥] .

من الصِّدق ، و«فِعِّيلٌ» في كلام العرب للتكثير ، كما يُقال : سِكِّيت(٢) .

وقال جل وعز ﴿ وصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وكُتُبِه ﴾(٣) .

ومن هذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه : صِدِّيق .

---

(١) هذه الأقوال كلها رويت عن السلف ، فالقول الأول رواه عطاء عن ابن عباس ، والقول الثاني رواه الضحاك عنه ، وهكذا بقية الأقوال ذكرها ابن الجوزي في زاده ٣٨٩/١ .

أقول : الأرجح منها أنه سمي مسيحاً لسياحته في الأرض للدعوة إلى الله ، فلما كان كثير السياحة سمي المسيح ، وقال أبو عبيد : المسيح في كلام العرب على معنيين : أحدهما المسيح الدجال ــ والأصل فيه الممسوح ، لأنه ممسوح أحد العينين ــ والمسيح عيسى ، وأصله بالعبرانية « مشيحا » بالشين ، فلما عربته العرب أبدلت من شينه سيناً ، كما قالوا « موسى » وأصله بالعبرانية موشى . اهـ. زاد المسير ٣٨٩/١ .

(٢) هذا رأي الزجاج في معانيه حيث قال : ﴿ وأمه صِدِّيقة ﴾ أي مبالغة في الصدق والتصديق ، وإنما وقع عليها اسم « صديقة » لأنه أرسل إليها جبريل فقال سبحانه « وصدَّقت بكلمات ربها وكتبه » وصِدِّيق : فعيل من أبنية المبالغة ، كما تقول فلان سكيت أي مبالغ في السكوت . اهـ. معاني الزجاج ٢١٦/٢ .

(٣) سورة التحريم آية رقم (١٢) .

ويُروىٰ أنه إنما قيل له : صِدِّيق ، لأنه لما أُخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أُسْرِي به إلى بيت المقدس ، فقال : إن كان قال فقد صَدَق .

١٣٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾** [آية ٧٥] .

في معناه قولان :

أحدهما : كناية عن إتيان الحاجة، كما يكنىٰ عن الجماع بالغشيان وما أشبهه(١) .

وقيل : كانا يتغذيان كما يتغذىٰ سائر الناس ، فكيف يكون إلهاً من لايعيش إلا بأكل الطعام(٢) ؟

١٣٤ ــ **ثم قال جل وعز ذِكْره ﴿ اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُم الآيَاتِ ، ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾** [آية ٧٥] .

أي : قد بيَّنَّا لهم العلامات ، وأوضحنا الأمر ، فمن أين يصرفون ؟

---

(١) هذه من ألطف الإشارات وأبدع الكنايات ، إذ أن من يأكل ويشرب يحتاج إلى أن يتبول ويتغوط ، فنبه بأكل الطعام على عاقبته وهو الحدث ، ولم يذكره صريحاً لأن القرآن يتحاشى عن ذكر الألفاظ القبيحة ، بل يكني عنها ، كما كنى عن الجماع بالملامسة والمباشرة ﴿ أو لامستم النساء ﴾ أي جامعتموهنَّ ، وكأنه تعالى يقول : كيف يكون إلهاً من كان مشغولاً بطعامه وشرابه وإخراج الفضلات ؟ أفليس لكم عقول تدركون بها ذلك ؟

(٢) قال في البحر ٣٣٧/٣ : من احتاج إلى الطعام وما يتبعه من العوارض ، لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ، ولحم ، وعرق ، وأعصاب ، فهذا يدل على أنه مصنوع ومؤلف ، فهو مخلوق كغيرة من الأجسام ، وهذا تنبيه على سمة الحدوث ، وتبعيد عما اعتقدته النصارى فيه من الإلهية .

يُقال : أَفَكَهُ ، يَأْفِكُه : إذا صَرَفه(١) .

١٣٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿يا أهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم غَيْرَ الحَقِّ﴾** [آية ٧٧] .

الغلوُّ : التجاوزُ(٢) .

قال أبو عُبَيْد : كما فعلت الخوارجُ ، أخرجهم الغلوُّ إلىٰ أن كفَّروا [أهل](٣) الذنوب .

قال : ويُبيِّنُ لك هذا قولُ النبي صلى الله عليه وسلم فيهم : (يَمْرقُون من الدِّينِ كما يمْرُقُ السَّهْمُ من الرَمِيَّةِ)(٤) والمروقُ هو الغلُوُّ بعينه ، لأن السهم يتجاوز الرمية .

١٣٦ ـ **ثم قال جل وعز ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ، وأَضَلُّوا كثيراً ، وضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [آية ٧٧] .

---

(١) قال الجوهري : الإفك بالكسر : الكذب وبالفتح مصدر قوله : أفكه يأفكه أفكاً أي قلبه وصرفه عن الشيء ، ومنه قوله سبحانه ﴿ أجئتنا لتأفكنا ﴾ اهـ. الصحاح مادة أفك .

(٢) الغلوُّ : التجاوز في الحدِّ والتشدد في الأمر ، يقال : غلا في دينه غلوًّا إذا تشدَّد فيه حتى جاوز الحدَّ ، هكذا قال أهل اللغة .

(٣) سقطت من المخطوطة وأثبتناها من الهامش .

(٤) هذا طرف من حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ولفظه : « سيخرج قوم في آخر الزمان ، حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » رواه البخاري ٨٦/٩ في فضائل القرآن ومسلم رقم ١٠٦٦ في الزكاة باب التحريض على قتال الخوارج ، وأبو داود في السُّنَّة رقم ٤٧٦٧ والنسائي ١١٩/٧ .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : يعني اليهود(١) .

وقال غيره : لأنهم اتبعوا شهواتهم ، وطلبوا دوام رياستهم ، وآثروا ذلك على الحق .

والهوىٰ في القرآن مذمومٌ(٢) ، والعربُ لاتستعملهُ إلا في الشر ، فأما في الخير فيستعملون الشهوة ، والنية ، والمحبة .

١٣٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَأَضَلُّوا كَثِيرًا** ﴾ [آية ٧٧] .

قال ابن أبي نجيح : يعني المنافقين .

وقال غيره : ضلُّوا باتباعهم إياهم(٣) .

١٣٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [آية ٧٧] .

أي قصده(٤) .

١٣٩ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ** ﴾ [آية ٧٨] .

قال أبو مالك : الذين لعنوا على لسان داود مُسِخُوا قِرَدَةً ،

---

(١) الطبري عن مجاهد ٣١٦/٦ وقال ابن الجوزي ٤٠٥/٢ : فيه قولان : أحدهما : أنهم رؤساء الضلالة من اليهود ، والثاني : رؤساء اليهود والنصارى ، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نُهوا أن لا يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم .

(٢) ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ولا تتبع الهوى فَيُضِلَّكَ عن سبيل الله ﴾ وقوله سبحانه ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ .

(٣) عبارة الزجاج في معانيه ٢١٧/٢ : ﴿ وأضلوا كثيراً ﴾ الكثير اتبعوهم فضلوا بإضلالهم

(٤) المراد أنهم أخطأوا الطريق السوي ، الذي يوصلهم إلى رضوان الله ، وركبوا غير محجة الحق كما قال الطبري ٣١٧/٦ .

والَّذينَ لُعنوا علىٰ لسان عيسىٰ صلى الله عليه وسلم مُسخوا خنازير[1] .

وروي عن ابن عباس أنه قال : الذين لعنوا على لسان داود أصحاب السبتِ ، والَّذينَ لعنوا علىٰ لسان عيسىٰ الذين كفروا بعد نزول المائدة[2] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما وقع [النقص][3] في بني إسرائيل أن أحدهم كان يرىٰ أخاه على المعصية فينهاه ، ثم لايمنعه ذلك من الغَدِ أن يكون أكيلَه ، وشريبَه ، فضربَ الله قلوبَ بعضهم ببعض ، وأنزل فيهم القرآن : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

ثم قال صلى الله عليه وسلم « كلَّا والذي نفسي بيده ، حتىٰ

---

(١) ذكره الطبري عن أبي مالك ، وعن قتادة ومجاهد ، وانظر جامع البيان ٣١٨/٦ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

(٢) ذكره ابن جرير الطبري ٣١٧/٦ ولفظه قال ابن عباس : لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى بن مريم . ولعنوا في الزبور على لسان داود . وقال ابن الجوزي ٤٠٥/٢ قال الحسن وقتادة : لعن أصحاب السبت على لسان داود ، فإنهم لما اعتدوا قال داود : « اللهم العنهم ، واجعلهم آية » فمسخوا قردة ، ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى ، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى : اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت ، فجعلوا خنازير . اهـ.

(٣) في المخطوطة « البغض » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه « النقص » كما في الطبري ٣١٨/٦ لما وقع فيهم النقص .

تأخذوا على يدي الظالم ، فتأطروه على الحقِّ أطراً »[1] .

١٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آية ٨٠] .

قال مجاهد : يعني المنافقين[2] .

١٤١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ [آية ٨٢] .

قال سعيد بن جبير : هم سبعون رجلاً وجَّه بهم النجاشي ، وكانوا أجلَّ مَنْ عندَه ، فقهاً وسِنّاً ، فقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم « يسٓ » فبكوا ، وقالوا : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين[3] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم برقم ٤٣٣٦ ولفظه « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله ، وشريبه ، وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض .. » الحديث . ورواه الترمذي بلفظ : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال : لا ــ أي لا تنجون من العذاب ــ والذي نفسي بيده ، حتى تأطروهم على الحق أطراً » وأخرجه الترمذي رقم (٣٠٥٠) ومعنى تأطروهم على الحق أطراً : أي تمنعوهم عن المعصية ، وتجبروهم على الإذعان للحق ، وانظر جامع الأصول ٣٢٧/١ .

(٢) ذكره ابن كثير عن مجاهد ١٥٦/٣ وقال ابن جرير ٣٢٠/٦ ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي يتولَّون المشركين من عبدة الأوثان . واللفظ يعم الفريقين .

(٣) ذكره ابن جرير في جامع البيان ١/٧ والأصح ما قاله ابن عباس أنها نزلت في النجاشي وأصحابه لما هاجر إليهم بعض الصحابة وعلى رأسهم «جعفر بن أبي طالب» وأرسلت قريشاً رهطاً إلى =

وأنزل الله فيهم أيضاً : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] إلىٰ قوله ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وروي عن ابن عباس أنه قال : هم قوم من الحبشة جاءوا إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم وكان معهم رهبان من رهبان الشام فآمنوا ولم يرجعوا .

١٤٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آية ٨٣] .

روىٰ إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : يعني أمةَ محمد[2] صلى الله عليه وسلم ، ويبين لك صحة هذا القول قوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ ﴾[3]

١٤٣ ــ وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [آية ٨٧] .

= النجاشي يطلبون منهم ردهم إليهم ، وأوغروا صدره بأنهم يقولون في عيسى وأمه قولاً عظيماً منكراً ، فقال لا أردهم حتى أسمع كلامهم ، فسألهم ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ قالوا : يقول : هو عبد الله ، وكلمتُه ألقاها إلى مريم البتول العذراء ، وروح منه ، فأخذ عوداً من الأرض ، وقال : ما زاد صاحبكم على ما جاء به عيسى قدر هذا العود ، وطلب منهم أن يقرءوا عليه شيئاً من القرآن فقرءوا ، فبكى النجاشي والقسس والرهبان . إلى آخر القصة .

(١) سورة القصص آية رقم (٥٢ و ٥٣) .

(٢) الطبري عن ابن عباس ٦/٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٤٣) .

قال الضحاك : هؤلاء قوم من المسلمين قالوا : نقطع مَذَاكيرَنا ، ونلْبَس المُبسوحَ[1] .

وقال قتادة : نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون قالوا نَخْصي أنفسنا ونترهَّبُ[2] .

وقال مجاهد : نزلت في عثمان بن مظعون وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهما .

قالوا : نترهب ونلبس المسوح[3] .

١٤٤ ـ **وقوله جل وعز : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [آية ٨٧] .

الإعتداءُ في اللغةِ : تجاوزُ مَا لَه إلىٰ ما ليس لَهُ[4] .

قال الحسن : معناه:ألَّا تأتوا ما نُهيتم عنه .

١٤٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾**[آية ٨٩] .

فيه قولان :

---

(١)و(٢) و (٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والبحر المحيط ، قال الطبري ٧/٨ : أراد عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين ، أن يحرموا عليهم النساء ، ويمتنعوا من الطعام والطيب ، وأراد بعضهم أن يقطع ذكره فنزلت الآية ومعناها : لا تحرموا اللذيذات التي تشتهيها النفوس ، وتميل إليها القلوب ، كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرَّموا عليهم النساء ، والمطاعم الطيبة ، والمشارب اللذيذة ، فلا تفعلوا كما فعل أولئك . اهـ.

(٤) قال في المصباح : عَدَا عليه يعدو عدواناً : ظلم وتجاوز الحدَّ ، ومثله اعتدى وتعدَّى . اهـ.

أحدهما : أنه قول الرجل : لا والله ، وبلىٰ والله ، ورُوي هذا القول عن عائشة .

قال الشافعي : وذلك عند اللَّجاج ، والغضب ، والعَجَلة .

والقولُ الآخر : أن يحلف الرجل علىٰ الشيء هو عنده علىٰ ما حلف ، ثم يكون علىٰ خلاف ذلك ، يُروىٰ هذا القول عن ابن عباس وأبي هريرة[1] .

واللَّغْوُ في اللغة : المُطَّرح ، فقيل لما لاحقيقة له من الأَيمان : لَغْوٌ[2] .

قال الكسائي : يُقال : لَغَا ، يَلْغُو ، لَغْواً ، أو لَغِي ، يَلْغَىٰ ، لغاً[3] .

١٤٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ آية ٨٩

قال الكسائي : معنىٰ ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ أوجبتم .

---

(١) اختلف الفقهاء في تعريف « اليمين اللَّغْوِ » فقال الشافعي وأحمد : هو ما يجري على اللسان من غير قصد الحلف كقول الرجل : « لا والله » و « بلى والله » دون قصد لليمين ، وهو قول عائشة ، والشعبي ، وعكرمة . وقال أبو حنيفة ومالك : اللغو في اليمين هو أن يحلف على شيء يظنه كما يعتقد ، فيكون على خلافه ، فهذا لا كفارة فيه ، وانظر أقوال السلف في الطبري ١٤/٧ والبحر المحيط ١٧٩/٢ .

(٢) كذلك قال الزجاج في معانيه ٢٢٢/٢ : اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أمر .

(٣) في الصحاح : ٢٤٨/٦ : لغَا يلغُو لغواً : أي قال باطلاً ، ولغِي بالكسر يلغى لغاً مثله ، قال العجاج :

وَرُبَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ ... عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

قال ابن جريج : قلت لعطاء : ما معنىٰ ﴿ عَقَدْتُمْ ﴾ ؟ قال : واللَّهِ الذي لا إليه إلا هو .

وقرأ أبو عمرو : ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ قال معناه : وَكَّدتم[1] .

وَرَوَىٰ نافع أن ابن عمر كان إذا حنث من غير أن يؤكد اليمين أطعم عشرة مساكين ، لكل مسكينٍ مداً ، فإذا وَكَّدَ اليمين أعتق رقبة .

قيل لنافع : ما معنىٰ وكّد اليمينَ ؟ قال : أن يحلفَ علىٰ الشيءِ مراراً .

١٤٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾ [آية ٨٩].

المْعنىٰ : فكفارة إثمه أي الذي يُغطِّي علىٰ إثمه[2] .

قال أبو جعفر : والهاء التي في ﴿ فَكَفَّارَتُهُ ﴾ عائدة علىٰ (ما) التي في (بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَان)[3] .

---

(١) قرأ أبو بكر والمفضَّل عن عاصم « عقَدتم » وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ﴿ عقَّدتم ﴾ وكلتاهما من السبع المتواترة كما في زاد المسير ٤١٣/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٧ فمن قرأ بالتخفيف فالمعنى عنده : ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم ، ومن قرأ بالتشديد فالمعنى عنده : فما وَكَّدتموه وعزمتم عليه بالقصد .

(٢) المراد فكفارة الذنب الذي يحصل بالحنث ، وهكذا قال ابن عطية ١٦/٥ : فالشيء الساتر على إثم الحنث في اليمين إطعام عشرة مساكين .. الخ .

(٣) وضّح هذا المعنى أبو حيان في البحر المحيط ١٠/٤ فقال : الكفارة : الفعلة التي من شأنها أن تكفِّر الخطيئة ، والضمير في ﴿ فكفارته ﴾ عائدٌ على « ما » إن كانت موصولة إسمية ، وهو على حذف مضاف أي بحنث ما عقَّدتم ، وإن كانت مصدرية عاد الضمير على ما يُفهم من المعنى ، وهو إثم الحِنث وإن لم يجر له ذكر صريح ، لكن المعنى يقتضيه . اهـ.

وهذا مذهب الحسن والشعبي ، لأن المعنىٰ عندهما : فكفارة ما عقَّدتم منها .

وقيل : الهاء عائدة علىٰ اللغو ، والأول أولىٰ .

١٤٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُم ﴾** [آية ٨٩]

قال عبدالله بن عمر : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ الخبزُ والتمر ، والخبزُ والزيتُ .

وأفضلُ ما تطعمونهم : الخبزُ واللَّحمُ(١) .

وقال الأسود : أوسط ما تطعمون أهليكم : الخبز والتمر .

قال أبو إسحاق(٢) : يحتمل هذا ثلاثة معان في اللغة :

يجوز أن يكون معنىٰ : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ من أعدل ما تطعمونهم .

قال عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾(٣) أي عدلاً .

---

(١) انظر الطبري ٧/١٧ والقرطبي ٦/٢٧٨ والبحر المحيط ٤/١٠ قال القرطبي ٦/٢٧٨ : « قال ابن حبيب : لا يجزئ الخبز وحده ، بل يعطي معه إدامه زيتاً ، أو كشكاً ، أو تمراً ، أو ما تيسر ، قال ابن العربي : هذه زيادة ما أراها واجبة ، أمَّا أنه يُستحب له أن يطعم مع الأرز السكر أو اللحم فنعم ، وأما تعيين الإدام للطعام فلا سبيل إليه ، لأن اللفظ لا يتضمنه . قال القرطبي : نزول الآية في الوسط يقتضي الخبز والزيت ، أو الخل ، وما كان في معناه من الجبن والكشك ، وقد قال ﷺ « نعم الإدام الخل » . اهـ.

(٢) أبو إسحق هو كنية الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ، وعبارته في معاني القرآن ٢/٢٢٢ : قال بعضهم ﴿ من أوسط ما تطعمون ﴾ أي أعدله ، كما قال جل وعز ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ أي عدلاً ، و ﴿ أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ على ضربين : أحدهما : أوسطه في القدر والقيمة ، والآخر أوسطه في الشبع فلا يأكل فوق القصد والحاجة .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣

ويحتمل أن يكون في القيمة .

ويحتمل أن يكون في الشبع .

وقرأ سعيدُ بن جبير : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَإِسْوَتِهِمْ ﴾[1] أي كإسوة أهليكم .

ورُوِي أن رجلاً قرأ على مجاهد : ﴿ أَوْ كَإِسْوَتِهِمْ ﴾ فقال له : لاتقرأْ إلَّا ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ ، وقال : أرى ذلك ثَوْباً .

وفي قراءة عبدالله بن أبي بن كعب : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾[2] .

١٤٩ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ** ﴾[آية ٨٩] .

أي ذلك كفارة إثم أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم ، ثم حذف[3] .

قال أبو جعفر : وكان « محمد بن جرير » يختار في « أوْسَطِ » أن تكون بمعنى أعدل في القلة والكثرة ، قال : فأعدلُ أقواتِ الموسِعِ مُدَّانِ ، وذلك أعلاه ، وأعدلُ أقواتِ المقتر مُدٌّ ،وذلك رُبْعُ صَاعٍ، و « ما » مصدر[4] . فأمَّا الكسوةُ :

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢١٨/١ فلا تجوز القراءة بها كما نهى عن ذلك مجاهد . فإنها من الكسوة لا من الأسوة ، ولهذا قال مجاهد : إنها ثوب .

(٢) هذه قراءة ابن مسعود أيضاً كما في الطبري ٢٨٣/٦ والبحر ١٢/٤ وليست من القراءات السبع بل هي شاذة .

(٣) أشار المصنف رحمه الله إلى أنها على حذف مضاف مثل قوله تعالى ﴿ وأسألِ القرية ﴾ أي أسأل أهل القرية .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٢/٧ فقد وضح فيه الأمر وفصَّله .

فقال الحسنُ وطاووسٌ وعطاءٌ : ثوبٌ ، ثوب[1] .

وقال سعيد بن المسيب : عَبَاءةٌ ، وعِمَامة[2] .

وقال مجاهد : كلُّ ما كسا فهو مجزىء[3] .

وهذا أشبَهُ باللغة أن يكون كل ما وقع اسم كسوة ، ممَّا يكون ثوباً فصاعداً ، لأن ما دون الثوب لاخلاف في أنه لايجوز .

١٥٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [آية ٩٠] .

روى موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : الميسرُ : القمارُ[4] .

وقال عبيد الله بن عمر : سئل القاسم بن محمد عن الشطرنج : أهي ميسر ؟ وعن النرد أهو ميسر ؟ فقال : كلُّ ما صَدَّ عن ذكرِ اللَّهِ ، وعن الصلاة ، فهو ميسرٌ[5] .

---

(١) و (٢) و (٣) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة في الطبري ٢٣/٧ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٠/٥ والقرطبي ٢٧٩/٦ والدر المنثور للسيوطي ٣١٣/٢ وروى السيوطي عن مجاهد أن أدناه ثوب ، وأعلاه ما شئت ، قال ابن العربي : وما كان أحرصني أن أقول : إنه لايجزىء إلا كسوة تستر عن أذى الحرِّ والبرد ، كما أن الطعام هو الذي يشبعه من الجوع فأقول به ، وأما القول بمئزرٍ واحد فلا أدريه ، والله يفتح لي ولكم في المعرفة . اهـ. القرطبي ٢٧٩/٦ .

(٤) الأثر أخرجه البيهقي عن نافع عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في الدر ٣١٩/٢ وابن كثير ١٦٩/٣ .

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن القاسم ، وانظر الدر المنثور ٣١٩/٢ .

أقول : النرد ويقال له أيضاً النردشير لايجوز اللعب به ، فإنه من أنواع القمار ، وقد ورد في صحيح مسلم «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه» . وانظر تفسير ابن كثير ١٦٩/٣ .

قال أبو عبيد : تأوَّل قول الله عز وجل : ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾

وزعـــم الأصمعـــي أن الميسر كان في الجزور خاصة ، كانوا يقتسمونها على ثمانية وعشرين سهماً .

وقال أبو عمرو الشيباني : كانوا يقتسمـــونها على عشرة أسهم ، ثم يلقون القداح ويتقامرون على مقاديرهم ، وهذا القول ليس بناقض لما تقدَّم ، لأن الميسر إذا كان في الجزور خاصة فهو قمار .

ثم قيل ما كان مثله من القمار ميسر ، كما أن الخمر لشيءٍ بعينه ، ثم قيل لكل مسكر : خمرٌ ، لأنه بمنزلتها .

وقد ذكرنا في أول السورة «الأنصابَ ، والأزلام» .

والرِّجْسُ : النَّتَنُ(١) .

١٥١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** [آية ٩٠] .

أي كونوا في جانب غير جانبه(٢) .

---

(١) الرِّجس في اللغة : القذر والنجاسة ، فقوله تعالى ﴿ رجس من عمل الشيطان ﴾ يدل على نجاسة الخمر كما عليه الجمهور ، وقال بعض الفقهاء : إن المحرم هو شربها ولا يلزم من ذلك النجاسة ، والأول أظهر .

(٢) التعبير بقوله تعالى ﴿ فاجتنبوه ﴾ أبلغ في النهي والتحريم من لفظ «حُرِّم» لأن معنى اللفظ البعد عنه بالكلية ، فهو مثل قوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ لأن القرب منه إذا كان حراماً ، فيكون مقارفة الفعل محرماً من باب أولى ، فقوله ﴿ فاجتنبوه ﴾ معناه كونوا في جانب آخر منه ، وكلما اشتدت الحرمة جاء التعبير بلفظ الأجتناب كقوله سبحانه ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ فتنبه له فإنه دقيق .

ويُروىٰ أن عمر رضي الله عنه لم يزل يقول « اللهمَّ بيِّنْ لنا في الخمر » حتىٰ نزلت ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون ﴾ ؟ فقال : قد انتهينا[1] .

١٥٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** [آية ٩٣]

قال ابن عباس والبراء : لمَّا حُرِّمتُ الخمرُ ، قال المسلمون : يارسول الله . فكيف بإخواننا المؤمنين الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فأنزل الله جل وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾[2] إلىٰ آخر الآية .

وروىٰ الزهري عن عبدالله بن عامر بن ربيعة أن عمر لما أراد حَدَّ « قُدامةَ بنِ مَظْعُون » قال قُدَامة : ما كان لكم أن تجلدوني ؟ قال الله جل وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية ، فقال عمر : أخطأتَ التأويلَ ، إنك إذا أيقنت اجتنبتَ ما حرَّم الله عليك ، ثم أَمَر به فجُلِدَ[3] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد رقم ٣٧٨ ، وأبو داود رقم ٣٦٧٠ ، والترمذي رقم ٣٠٥٣ وصحَّحه ، والنسائي ٢٨٦/٨ ولفظه «لمَّا نزل تحريم الخمر قال عمر بن الخطاب : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت آية البقرة ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فكان منادي رسول الله إذا أقام الصلاة نادى أَلَا لايقربنَّ الصَّلاةَ سكران ، فدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ قال عمر : انتهينا ربنا انتهينا .. وانظر تفسير ابن كثير ١٧١/٣

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير وصحَّحه رقم ٣٠٥٤ وأبو داود الطيالسي ١٨/٢ وابن حبان وصحَّحه رقم ١٧٤٠ .

(٣) ذكر هذه الرواية القرطبي في جامع الأحكام ٢٩٧/٦ وذكر أن قدامة كان ممن هاجر إلى أرض =

قيـــل : هذا أحسن من الأول لأن فيها ﴿ إِذَا مَا اتَّقَـوْا وَآمَنُوا ﴾ و « إذا » لاتكـون للمـاضي ، فالمعنـى على هذا ـ واللـه أعلم ـ للمؤمنين قبلُ وبعدُ ، على العموم[1] .

وقد رُوي هذا أيضاً عن ابن عباس .

قال أبو جعفر : قيـل ﴿ إِذَا ما اتَّقَـوْا ﴾ الشرك ﴿ وَآمَنُـوا ﴾ وصدقـوا ﴿ ثمَّ اتَّقَـوْا وَآمَنُـوا ﴾ ازدادوا إيمانـاً ﴿ ثُمَّ اتَّقَـوْا ﴾ الصغائـر حذراً ﴿ وَأَحْسَنُوا ﴾ تَنَفَّلُوا .

وقال محمد بن جرير : الإتقـاء الأول هو الإتقـاء بتلقّـي أمـرِ اللَّهِ بالقبول والتصديق ، والدينونة به ، والعمل .

والإتّقَاء الثاني: الإتقاءُ بالثبات علىٰ التصديق .

والثالث : الإتّقَاءُ بالإحسان والتقرب بالنوافل[2] .

١٥٣ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ﴾ آيةْ ٩٤ .

المعنىٰ : ليختبرنَّ طاعتكم من معصيتكم[3] .

= الحبشة ، وشهد بدراً ، وكان ختن ـ أي صهر ـ عمر بن الخطاب ، وولاه عمر على البحرين ثم عزله .

(١) يريد المصنف أن الآية عامة ، تشمل من شرب الخمر قبل التحريم ، ومن شربها بعد التحريم ، إذا ما تاب واتّقى الله ، فإن الله يغفر له ما صدر منه ، وباب التوبة مفتوح أمام كل عاصٍ ومجرم .

(٢) انظر تفسير جامع البيان للطبري ٣٦/٧ فقد فصّل فيه ووضح ما ذكره المصنف .

(٣) الله عالم بكل ماكان وما يكون وما هو كائن ، وليس الامتحان والاختبار إلا لإقامة الحجة على الإنسان ، فهو يختبر العباد ليظهر علمه لهم ، وليقطع معاذيرهم ، فتنبَّه والله يرعاك .

١٥٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ورِمَاحُكُمْ﴾** [آية ٩٤] .

قال مجاهد : الذي « تناله أيديكم » البيضُ والفِرَاخُ ، والذي تناله الرماح ما كان كبيراً(١) .

١٥٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا تَقْتُلوا الصَّيْدَ وَأَنْتُم حُرُمٌ ﴾** [آية ٩٥] .

روىٰ شريك عن سالم[عن سعيد بن جبير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾(٢)]

قال : قتلُه حرامٌ في هذه الآية(٣) .

قال بعض العلماء : أي إنه لمَّا حُرِّم قتلُ الصيد على المحرم ، كان قتلُه إيَّاه غير تذكية(٤) .

١٥٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدَاً ﴾** [آية ٩٥] .

أكثرُ الفقهاءِ علىٰ أنَّ عليه الجزاء ، سواء كان متعمداً أو مخطئاً(٥) .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٣٩/٧ والقرطبي ٣٠٠/٦ والبحر المحيط ١٧/٤ وابن الجوزي ٤٢١/٢ .

(٢) سقط ما بين الحاصرتين من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٣) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٢ .

(٤) يعني أنه لا يحل أكله لأنه لما صاده وهو محرم ، فكأنه لم يذكّه التذكية الشرعية التي تبيح الأكل .

(٥) هذا قول الجمهور « أبي حنيفة ومالك والشافعي » أن الخطأ كالعمد هنا ، وقال أحمد : إذا قتله خطأً أو ناسياً لإحرامه فلا كفارة عليه ، وهو مروي عن الحسن البصري ومجاهد ، وانظر تفصيل الأقوال في البحر المحيط ١٨/٤ وتفسير القرطبي ٣٠٩/٦ .

وذهبوا إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴾ مردود إلىٰ قوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ .

واحتجوا في ذلك أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم « سئل عن الضَّبُع فقال : هي صيدٌ» ، وجَعَل فيها إذا أصابها المحرم كبشاً[1] ، ولم يقل : عمداً ولا خطأ .

قال الزهري : هو في الخطأ سُنَّةٌ[2] .

وقال بعض أهل العلم[3] : إنما عليه الجزاء إذا قتله متعمداً ، واحتجوا بظاهر الآية .

حدثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام نا محمد بن يحيىٰ نا أبو الوليد نا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله جل وعز ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴾ قال : ليس عليه في الخطأ شيءٌ ، إنما هو في العمد ، يعني الصيد[4] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود ٤٨٥/٣ وابن ماجه ١٠٣٠/٢ والبيهقي ١٨٣/٥ والحاكم ٤٥٢/١ وصححه ، وانظر الدر ٣٢٨/٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن الزهري ٤٢/٧ ولفظه « قال نزل القرآن بالعمد ، وجرت السنة في الخطأ ، يعني في المحرم يصيب الصيد » ومعناه : ألحقت السنة المخطىء بالمتعمد في وجوب الجزاء .

(٣) يريد به الإمام أحمد رحمه الله ، فإنه عنده أن الكفارة إنما تجب في العمد لقوله تعالى ﴿ ومن قتله منكم متعمداً﴾ وأما إذا قتله ناسياً أو بطريق الخطأ فلا كفارة عليه ، وخالفه الجمهور في ذلك ولهم أدلة ذكرها القرطبي ٣٠٨/٦ .

(٤) أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير ، ورواه ابن أبي شيبة بنحوه عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٢ .

١٥٧ ـــ وقولُه جل وعز : ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾[آية ٩٥] .

قيل : النَّعَمُ في اللغة « الإبلُ ، والبقرُ ، والغنم » وإن انفردت الإبل قيل لها نَعَمٌ ، وإن انفردتِ « البقرُ والغنمُ » لم يُقَل لها : نَعَمٌ(١) .

وقرأ الأعمش : ﴿ فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ مَا ﴾ والمعنى : فعليه جزاؤه ، ثم أبدل « مِثْلاً » من جزائه(٢) .

١٥٨ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِين ﴾ [آية ٩٥] .

« أَوْ » هنا للتخيير .

وفي معناه أقوال :

وقيل : الحاكم مخيَّرٌ .

وقيل : أنه يُعْمَل بالأولِ فالأولِ .

والقولُ الأول أحسنُ ، لأن قاتل الصيد هو المخاطب ، ولأن

---

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٢/٢٢٨ وقال الجوهري : أكثر ما يقع النَّعَم على الراعية من الإبل ، وهي واحد الأنعام ، وقال ابن قُتيبة : النَّعَمُ : الإبل ، وقد يكون البقر والغنم ، والأغلب عليها الإبل . اهـ. وانظر زاد المسير ٢/٤٢٣ .

(٢) هذه القراءة ليست من السبع المتواترة ، وفي الآية قراءتان سبعيتان : الأولى قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿فَجَزاءٌ مثلُ﴾ بالتنوين ورفع مثل ، والثانية قراءة ابن كثير ونافع ﴿ فَجَزَاءُ مثلِ ﴾ بالإضافة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٧ .

المعروف أنَّ « أو » للتخيير[1] .

وقرأ طلحة والجحدري ﴿ أَوْ عِدْلُ ذَلِكَ صِيَامَاً ﴾[2] وأنكره جماعة من أهل اللغة وقالوا : العِدْلُ : الحِمْلُ .

وقال الكسائي : العَدْلُ ، والعِدْلُ لغتان بمعنى واحد[3] .

وقال الفراء : عَدْل الشيء : مثلُه من غير جنسه ، وعِدْلُه : مثلُه من جنسه[4] .

وأنكر البصريون هذا التفريق وقالوا : العَدْل والعِدْل : المثلُ ، كان من الجنس ، أو من غير الجنس لايختلف ، كما أن المِثْلَ لايختلفُ .

وفي الحديث « لايقبلُ اللّهُ منه صَرْفَاً وَلا عَدْلاً »[5] فالصرفُ : التوبةُ ، والعَدْلُ : الفِدْيةُ ،

---

(١) هذا هو رأي الجمهور ، لأن « أو » في اللغة تفيد التخيير ، قال مالك : « كل شيء في الكتاب في الكفارات « كذا أو كذا » فصاحبه مخير في ذلك ، أيَّ ذلك أحب أن يفعل أجزأه» وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٣١٥/٦ .

(٢) لم ترد هذه القراءة في القراءات السبع ، وهي من حيث اللغةُ صحيحة .

(٣) قال الطبري : العدل في كلام العرب بالفتح وهو قدر الشيء من غير جنسه ، والعدل هو قدره من جنسه ، وقال بعضهم : العَدْلُ هو القسط في الحق ، والعدلِ بالكسر : المِثل . اهـ . وانظر الصحاح للجوهري مادة عدل .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٢٠/١ قال : تقول : عندي عِدْل غلامك ، إذا كان غلاماً يعدل غلاماً ، وعدل شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة ، فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين ، وربما قال العرب : عِدْله ، وكأنه منهم غلط ، لتقارب المعنى .

(٥) هذا طرف من حديث أخرجه ابن ماجه في سننه ١١٧/٢ ولفظه « من ادَّعى إلى غير أبيه ، أو تولَّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » وأخرجه البخاري في الفرائض ١٩٢/٨ ورواه بقية أهل السنن .

رُوي عن النبي ﷺ .

قال أبو حاتم(١) : ولا يُعرف قولُ من قال إنهما « الفريضةُ ، والنافلة »(٢) والذي أنكره أبو حاتم قاله المازريُّ .

١٥٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ** ﴾ [آية ٩٥] .

أي شدَّته ، ومنه طعامٌ وبيلٌ ، إذا كان ثقيلاً ، ومنه قوله :

« عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالَوبِيلِ يَلَنْدَدِ »(٣)

١٦٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ [آية ٩٥] .

قال عطاء : عفا الله عما سلف في الجاهلية .

وقال شريح وسعيد بن جبير : يحكم عليه في أول مرة ، فإذا عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : اذهب ينتقم الله منك ، أي ذنبك أعظم من أن يُكَفَّر .

---

(١) أبو حاتم هو « سهل بن محمد السجستاني » النحوي اللغوي الشهير المتوفى سنة ٢٥٥هـ أخذ عنه المبرد ، وابن دُريد ، وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ .

(٢) يعني تفسير الصرف بالفريضة ، والعدل بالنافلة بمعنى لا يتقبل الله منه فرضاً ولا نفلاً ، فهذا المعنى وإن ذكره المازريُّ إلا أنه لا سند له في اللغة ، قال في الصحاح : الصرف : التوبة يقال : لا يقبل منه صرف ولا عدل . اهـ.

(٣) هذا عجز بيت لطرفة العبد ، وتمامه كما في ديوانه ص ٤٤ :

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٌ ... عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ

والكهاة : الضخمة المسنة ، والخيف : جلد الضرع ، والجلالة : الجليلة الضخمة ، ويلندد : شديد الخصومة .

كما أن اليمين الفاجرة[1] لا كفارة لها عند أكثر أهل العلم لعِظَم إثمها .

قلت : قول عطاء في هذا أشبه ، والمعنى : ومن عاد بعد الذي سلف في الجاهلية[2] ، فينتقم الله منه بأشياء تصيبه من العقوبة ، أو يكون مثل قوله ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ .

١٦١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أُحِلَّ لكم صَيْدُ البَحْر وطَعَامُه مَتاعاً لكُم وللسَّيَّارَةِ ﴾ [آية ٩٦] .

روى عمر بن أبي سلمة [عن أبيه][3] عن أبي هريرة عن عمر قال :

« صيدُ البحرِ ما صِيدَ منه ، وطعامُه ما قَذَفَ »[4] .

وكذلك روى سَعيد بن جبير عن ابن عباس :

---

(١) اليمين الفاجرة هي التي يحلف الإنسان بها ويكون كاذباً، وتسمى «الغَمُوس» لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم .

(٢) هذا ما رجحه ابن كثير في تفسيره ١٨٨/٣ حيث قال : ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ أي في زمان الجاهلية ، لمن أحسن في الإسلام ، واتبع شرع الله ولم يرتكب المعصية ، ورجح الطبري أن المعنى ، عفا الله عما سلف من قتل الصيد في أول مرة .

(٣) سقط من المخطوطة وأثبتناه من هامشها .

(٤) الأثر ذكره ابن جرير الطبري عن ابن عباس ٦٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣١/٢ ولفظه : عن أبي هريرة قال : « قدمت البحرين ، فسألني أهلها عما يقذف البحر من السمك ، فقلت لهم : كلوا ، فلما رجعت سألت عمر بن الخطاب عن ذلك ، فقال : بم أفتيتَهُم ؟ قال : أفتيتهم أن يأكلوا ، قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدِّرَةِ ، ثم قال : ﴿أُحِلَّ لكم صيد البحر وطعامه ﴾ فصيد البحر ما صيد منه ، وطعامه ماقذف» وعزاه السيوطي إلى البيهقي في سننه .

وقيل : طعامُه : ما زُرِعَ لأنه به ينبتُ[1] .

وقال سعيد بن جبير : طعامُه : المليحُ[2] منه ، وصيدُه : ما كان طرِّياً .

البيِّنُ أن صيده أن تصيدوا ، وطعامه أن تأكلوا الصيَّدَ .

قال مجاهد : ﴿ لكم ﴾ لأهل القرىٰ ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ لأهل الأمصار .

وقيل : السيَّارة : المسافرون[3] ، وهذا أولىٰ .

١٦٢ ــ وقوله جل وعز ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للنَّاسِ﴾ [آية ٩٧] .

فيه قولان :

أحدهما : وهو أشبه بالمعنىٰ ، أنهم يقومون بها ويأمنون .

قال سعيد بن جبير : شدَّةً للدين[4] .

---

(١) حكاه ابن الجوزي ٤٢٨/٢ وعزاه إلى الزجاج ، قال وإنما قيل له طعام البحر لأنه ينبت بمائه ، وانظر معاني الزجاج ٢٣٠/٢ .

(٢) مراده بالمليح ما ملح من السمك بعد الاصطياد ، ورجح الطبري أن المراد بالطعام ما قذفه البحر أو حسر عنه ميتاً ، لأن المملح من السمك داخل في الصيد ، قال : فلا وجه للتكرار ، إذ لا فائدة فيه ، وانظر جامع البيان ٦٨/٧ وهو الراجح والله أعلم .

(٣) هذا هو الأصح والأرجح ، وكأن الآية تقول : إنه طعام للمقيم والمسافر ، وهذا ما رجحه الطبري وهو المشهور .

(٤) هذا تفسير « قياماً » أي شدةً لدين الله ، فبوجود الكعبة المشرفة وحَجِّها يبقى دين الله قوياً متيناً ، والأثر عن سعيد بن جبير رواه الطبري ٧٧/٧ وابن كثير ١٩٦/٣ وقال ابن عباس : قياماً لدينهم ، ومعالم لحجِّهم .

والقول الآخر : أنهم يقومون بشرائعها[1] .

فأما قوله جل وعز بعد هذا : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ ومُجانَسَةُ هذا الأول ، فقال أبو العباس محمد بن يزيد : كانوا في الجاهلية يُعظِّمون البيتَ الحرام ، والأشهرَ الحُرُمَ ، حتى إنهم كانوا يسمُّون رجباً ـــ وهو من الأشهر الحُرُم ـــ الأَصَمَّ ، لأنه لايُسمع فيه وقعُ السِّلاح ، فعَلِمَ الله عز وجل ما يكون منهم من إغارة بعضهم على بعض ، فألهمهم أن لايقاتلوا في الأشهر الحُرُم ، ولا عند البيت الحرام ، ولا من كان معه القلائد ، فالذي ألهمهم هذا ، يعلم ما في السموات وما في الأرض[2] .

وقال أبو اسحاق : وقد أخبر الله جلَّ وعز النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة بأشياء ، مِمَّا يُسِرُّه المنافقون ، واليهودُ ، فقال جلَّ وعز :

---

(١) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢/٢٣١ والقول الأول الذي ذكره المصنف أولى وأرجح ، فإن الله عز وجل جعل الكعبة المشرفة ـــ وهي البيت الحرام ـــ صلاحاً ومعاشاً للناس ، لقيام أمر دينهم ودنياهم ، إذ هو سبب لانتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم ، يلوذ به الخائف ، ويأمن فيه الضعيف ، وركز الله في قلوبهم تعظيم البيت العتيق ، حتى كان الواحد منهم إذا رأى قاتل ولده أو أبيه لا يمسه بسوء ، قال في البحر ٤/٢٥ : صارت الكعبة وازعة لهم من الأذى ، وهم في الجاهلية الجهلاء ، لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً ، ولم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم ، فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك . اهـ. باختصار وهو كلام نفيس .

(٢) ما ذكره المبرد من وجه الارتباط بين هذه الآية وما قبلها هو الصحيح والأظهر ، وكأنه تعالى يقول : جعل الله هذه الحرمة للبيت الحرام ، والشهر الحرام ، لتعلموا أيها الناس أن الله يعلم تفاصيل أمور السموات والأرض ، ويعلم مصالحكم ، ولذلك جعل الحرم آمناً ، وجعله مركز أمن لجميع العباد .

﴿ سمَّاعُون للكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ .

وما كان من أمر الزانيين ، وقوله جل وعز عن ذلك ﴿ لِتَعْلَموا أنَّ اللهَ يعلَمُ مَا فِي السَّمواتِ وَمَا في الأَرْضِ ﴾ متعلقٌ بهذه الأشياء ، أي الذي أخبركم بها ، يعلم ما في السموات وما في الأرض[1] .

والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى ﴿ مَا عَلَىٰ الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ وَاللَّهُ يَعلَمُ مَا تُبْدُون وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2] .

١٦٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لكُم تَسُؤْكُمْ ﴾** [آية ١٠١] .

معنى ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ : إن تظهر .

قال شعبة : أخبرني موسىٰ بن أنس عن أنس بن مالك أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله مَنْ أبي ؟ فقال : أبوك فلانٌ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٣١/٢ فقد ذكر أن قوله تعالى ﴿ ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ مردود على ما أنبأ الله به على لسان نبيه في هذه السورة من قوله ﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ فأخبر بنفاقهم الذي كان مستتراً عن المسلمين ، وأظهر ما كانوا أسروه من قصة الزانيَيْن ، فأظهر الله نبيه والمؤمنين على جميع ما ستروا عنهم ، فالمعنى : ذلك لتعلموا الغيب الذي أنبأتكم به عن الله ، ويدلكم على أنه تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض ، قال : وهذا عندي أبين . اهـ. كلام الزجاج .

(٢) هذا من تتمة كلام الزجاج في معاني القرآن ٢٣١/٢ يؤيد به القول الذي ارتضاه وقال إنه أبين .

أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(١)

روى ابراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يارسولَ الله : أَفُرِضَ الحجُّ في كل سنةٍ ؟ فقال : لو قلتُها لَوَجبتْ ، ولو وجَبَتْ فتركتموها لكفرتم(٢) .

وروى أبو صالح عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لايسألني إنسانٌ في مجلسي هذا عن شيءٍ إلا أنبأته به ، فقال رجل يارسول الله : مَنْ أبي ؟ فأخبره ، ونزلتْ ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(٣).

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير ٦/٦٨ وأوله عن أنس قال : خطب رسول الله ﷺ خطبةً ما سمعت مثلها قطُّ ، قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » قال : فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنينٌ — أي صوت بالبكاء من الأنف — فقال رجلٌ من أبي ؟ قال : فلانٌ ، فنزلت هذه الآية ﴿ لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم ﴾ وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس ٦/٦٨ قال : كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء ، فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ لا تسألوا عن أشياء .. ﴾ إلخ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٠٥٧ وابن ماجه رقم ٢٨٨٤ ولفظه : لما نزلت هذه الآية ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ قالوا يا رسول الله : أفي كل عام ؟ فسكت ، فقالوا : أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فقال : لا ، ولو قلت نعم لوجبت ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء .. ﴾ الآية . وفي رواية أخرى ذكرها ابن جرير ٧/٨٣ وابن كثير ٣/٢٠٠ أن النبي ﷺ أعرض عن السائل ، ثم قال : من السائل ؟ فقال : فلان ، فقال : والذي نفسي بيده ، لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذن لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم .. » الحديث . وانظر جامع البيان ٧/٨٣ .

(٣) انظر سبب الحديث وتمامه في جامع البيان للطبري ٧/٨١ وتفسير ابن كثير ٣/١٩٩ .

وأن لايكلفهم طلب حقائق الأشياء من عنده جلَّ وعزَّ[1] .

وقيل : إنما يُنْهَىٰ عن هذا لأن اللَّه جلَّ وعز أحبَّ الستر على عباده ، رحمةً منه لهم ، وأحبَّ أن لايقترحوا المسائل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتركوني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم لكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم »[2] .

وروىٰ عبدالكريم عن سعيد بن جبير قال : نزلت (لاتسألوا عن أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) في الذين سألوا عن البَحِيْرة ، والسائبة ، والوصيلة .

ألا ترىٰ أن بعده (مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيْرةٍ ، ولا سَائِبَةٍ ، وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ)[3]

قلتُ : أحسنُ هذه الأقوال الثاني ، وأن الله جل وعز أحبَّ الستر علىٰ عباده ، وردَّ أحكامهم إلى الظاهر ، الذي يقدرون عليه ،

---

(١) وجد في هامش المخطوطة الآتي : قال الشيخ أبو بكر : سقط من كتابي « وألا يكلِّفهم » اهـ.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٩١/٧ والنسائي ١١٠/٥ وابن ماجه ٣/١ ومسند أحمد ٢٤٧/٢ وهو في جامع البيان ٨٤/٧ وذكره ابن كثير ٢٠٢/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/٣ والسيوطي .

(٣) الأثر عن سعيد بن جبير الطبري في جامع البيان ٨٤/٧ وذكر نحوه عن ابن عباس ، وذكره ابن كثير ٢٠٢/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٢ وضعفه الطبري ، ورجح أن الآية نزلت في النهي عن إكثار السائلين المسائل على رسول الله ﷺ .

١٦٣ ــ ودلَّ على أن هذا الصحيح قولُه جلَّ وعز ﴿ **قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُم ثُمّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ** ﴾

قال مقسم : فيما سألت الأمم أنبياءهم صلى الله عليهم وسلم من الآيات أي فأروهم إياها ، ثم كفر قومهم بها بعد(١) .

واختلَفَ أهلُ التفسير في « البَحَيرةِ ، والسَّائبةِ ، والوَصِيلةِ ، والحَامِ » .

قال أبو جعفر : ونذكر من قولهم ما وافقه قولُ أهل اللغة .

وهو معنى قول ابن عباس والضحاك : البحيرةُ : الناقةُ إذ نتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً ، شَقُّوا أذنها وخلُّوها ، لا تُمنع من مرعىً ، ولا يركبها أحد(٢) .

وفي رواية ابن عباس : وعمدوا إلى الخامس فنحروه ، وكان لحمه للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثىٰ استَحْيَوها وتركوها ترعىٰ مع أمها ، بعد شقِّهم أذن الأم، وتركهم الانتفاع بها ، وإن كانت ميتةً

---

(٢) قال ابن جرير ٨٦/٧ : حذَّر تعالى المؤمنين أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ،ولاتبحثوا عن أشياء أن تُبْدَ لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قوم ، فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين .

(٣) ذكره الطبري عن ابن عباس ٩٠/٧ وابن كثير ٢٠٥/٣ ولفظه عن ابن عباس قال : البحيرة هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، نظروا إلى الخامس ، فإن كان ذكراً ذبحوه ، فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى جدعوا آذانها ، فقالوا : هذه بحيرة . اهـ. وذكره ابن الجوزي في زاده ٤٣/٢ وزاد : فإذا كان ميتةً اشترك فيها الرجال والنساء ، واختاره ابن قتيبة .

اشتركَ فيها الرجالُ والنساءُ[1] .

وفي اشتقاقه قولان :

أحدهما : أن يُقال : بَحَرَهُ إذا شقَّه[2] .

والقولُ الآخر : إنه من الاتساع في الشيء ، مشبه بالبحر .

والسائبةُ : أن ينذر أحدهم إن بَرَأ من مرضه ليُسَيِّبَنَّ ناقةً ، أو ما أشبه ذلك ، وإذا أعتق عبداً فقال : هو سائبةٌ ، لم يكن عليه وَلَاءٌ[3] .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « رأيتُ عَمْروَ بنَ لُحَيٍّ يجرُّ قُصْبَه في النَّار ، وهو أوَّلُ من سَيَّبَ السَّوائب »[4] .

---

(1) انظر جامع البيان للطبري ٩١/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٣٦/٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٥/٣ ويؤيد هذا القول قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصةٌ لذكورنا ، ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجْزِيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾ آية ١٤٠ .

(2) انظر المصباح المنير (بَحَر) فقد جاء فيه : بَحَرتُ أذن الناقة من باب نفع : شققتها ، والبحيرة : المشقوقة الأذن .

(3) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٨/٢ وقال الزجاج في معانيه ٢٣٥/٢ : كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر ، أو برء من علة ، أو ما أشبه ذلك ، قال : ناقتي هذه سائبةٌ ، فكانت كالبحيرة في ألا ينتفع بها ، وألا تُجلى عن ماء ، ولا تُمنع من مرعى ، وكان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة ، فلا عقل بينهما ولا ميراث . اهـ. وقال الطبري ٨٨/٧ : وأما السائبة فهي المخلاة ، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، فلا ينتفع به ولا بولائه . اهـ.

(4) الحديث أخرجه البخاري ٢٨٣/٨ من فتح الباري ولفظه : «رأيت عمراً يجرُ قصبه ، وهو أول من =

والوصيلةُ في الغنم خاصة ، إذا ولدت الشاة سبعة أبطن ، فإن كان السابع ذكراً ذبحوه ، وكان لحمه للرجال دون النساء ، وإذا ولدت أنثىٰ لم يذبحوها ، وقالوا وَصَلَتْ أخاها[1] .

وفي الرواية عن ابن عباس : قالوا وصلت أخاها ، ولم يشرب من لبنها إلا الذكور خاصة ، وإن كانت ميتة أكلها الرجال والنساء ، وتلا ابن عباس ﴿ وقالُوا ما في بُطُونِ هَذِه الأَنْعَام خَالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحرَّم على أَزْواجنا ﴾[2] الآية .

والحامي : البعيرُ إذا ولد له من صلبه عشرة أولاد ، قالوا : قد حمىٰ ظهره ، فلم يُركب ، وخلِّي ، وكان بمنزلة البحيرةِ[3] .

وفي الرواية عن ابن عباس : « إنه البعيرُ إذا رُكب أولاد أولاده ، قالوا : قد حمىٰ ظهره »[4] .

= سيب السوائب » ورواه مسلم ٢١٩٤/٤ ورواه أيضاً أحمد في المسند ٤٤٦/١ وانظر جامع البيان للطبري ٨٨/٧ وتفسير ابن كثير ٢٠٤/٣ والقُصْبُ : بضم القاف وسكون الصاد : الأمعاء .

(١) هذا قول ابن عباس حكاه عنه ابن جرير ٩٠/٧ وابن كثير ٢٠٥/٣ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٤٠) .

(٣) هذا قول ابن مسعود ، وابن عباس ، واختاره أبو عبيدة والزجاج ، وانظر زاد المسير ٤٣٩/٢ ومجاز القرآن ١٧٩/١ .

(٤) تفسير الطبري ٩١/٧ وابن كثير ٢٠٦/٣ والقرطبي ٣٣٧/٦ والبحر المحيط ٢٩/٤ واختاره الفراء في معانيه ٣٢٢/١ قال : وأما الحامي : فالفحل من الإبل ، كان إذا تلقَّح ولد ولده ، حمى ظهره فلا يركب .. إلخ .

فأعلم الله أن هذا افتراءٌ منهم . فقال : ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يفتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الكَذِبَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُون ﴾ .

قال الشعبي : « الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » الأتباعُ ، والذين افتروا فعقلوا أنهم افتروا[1] .

١٦٤ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾** [آية ١٠٥] .

أي الزموا أنفسكم[2] ، فأصلحوها وخلِّصوها من العقاب .

١٦٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم﴾** [آية ١٠٥] .

ليس في هذا دليلٌ على الرخصة ، في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واللهُ عز وجل قد أمر بذلك ، وإنما المعنىٰ : لاتؤاخذون بكفرِ مَنْ كَفَر ، وقد بُيِّنَ هذا في الحديث .

قال قيس بن أبي حازم : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر يقول : إنكم تأوَّلون ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فإني سمعت رسول الله

---

(١) ابن الجوزي ٤٤٠/٢ ولفظه : قال الشعبيُّ : « الأتبــاع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله ، من الرؤساء الذين حرموا ، » وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٤/٤ قال : نص الشعبي وغيره أن المفترين هم المبتدعون : وأن الذين لا يعقلون هم الأتباع .

(٢) « عليكم » اسم فعل أمر بمعنى الزموا ، ولهذا فسرها المصنف بقوله : الزموا أنفسكم ، وليست جاراً ومجروراً ، قال القرطبي ٣٤٢/٦ : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ معناه احفظوا أنفسكم من المعاصي ، تقول : عليك زيداً ، بمعنى الزم زيداً ، ولا يجوز عليه زيداً ، بل إنما يجري هذا في المخاطبة . اهـ .

صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا عُمِل فيهم بالمعاصي ، ثم لم يُغيِّروا ، أوشك اللهُ جلَّ وعز أن يَعُمَّهم بعقابِهِ »[1] .

وقال ابن مسعود في هذه الآية : « قولوها ما قُبِلَت منكم ، فإذا رُدَّتْ عليكم ، فعليكم أنفسكم »[2]

وقال سعيد بن جبير : هي في أهل الكتاب .

وقال مجاهد : هي في اليهود والنصارىٰ ومن كان مثلهم .

يذهبان إلى أن المعنىٰ : لايضُرُّكم كفرُ أهلِ الكتاب إذا أدَّوْا الجزية .

وهذا تفسير حديث أبي بكر .

فأما حديث ابن مسعود فعلىٰ أن تأويل الآية على وقتين : ففي أوقات من آخر الزمان يعمل بها ، كما قال أبو أمية الشعباني : قلت لأبي ثعلبة الخُشَنيِّ : كيف أصنع بهذه الآية : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عليكُمْ أَنْفُسَكم لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم ﴾ ؟

(١) الحديث أخرجه الترمذي وصححه برقم ٥٠٥٠ وأبو داود رقم ٤٣٣٨ وابن ماجه رقم ٤٠٠٥ في الفتن ، وأخرجه أحمد في المسند ٢/١ ولفظه عند الترمذي عن قيس بن أبي حازم قال : قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب » وسمعته يقول : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيرون ، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب » وانظر الدر المنثور ٣٣٩/٢ وجامع الأصول ٣٣٠/١ .

(٢) انظر البحر المحيط ٣٦/٤ وجامع البيان ٩٤/٧ وتفسير ابن كثير ٢٠٨/٣ .

(٣) أنظر الطبري ٩٧/٧ والقرطبي ٣٤٢/٦ .

فقـال : سألتُ عنها رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسلـم فقـال « ائتمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، حتىٰ إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً ، وهوىً متَّبعاً ، ودنيا مؤثـرة ، وإعجـابَ كل ذي رأي برأيـه [ورأيت الأمـرَ لايَـدَيْ لكَ به ، أو لايـدَلكَ به] فعلـيك بنـفسك ، ودَعْ العوام »[1] .

١٦٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾** [آية ١٠٦] .

وقرأ الأعرج : (شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ)[2] .

وقرأ أبو عبدالرحمن : (شهادة بَيْنَكُمْ)[3] .

فمن قرأ (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) و(شَهَادَةٌ بَيْنَكُـمْ) فالمعنىٰ عنـده شهادة اثنين ، ثم حذف شهادة وأقام اثنين مقامها في الإعراب .

ويجوز أن يكون المعنىٰ : ليكن أن يشهد اثنان .

ومن قرأ : (شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ) فهو عنـده بغير حذف ، والمعنىٰ أن يشهد اثنان[4] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٥٠٥١ وفيه : « أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً .. » الحديث . وليس فيه جملة : لا يديْ لك به ، أو لا يد لك به ، وله تتمه عند الترمذي ، وأبي دواد ، وابن ماجة ، بعد قوله .. ودع العَوَامَّ ، فإن من ورائكم أياماً ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » وانظر تحفة الأحوذي ٤٢٥/٨ والدر المنثور ٣٣٩/٢ .

(٢) و(٣) و (٤) قراءة الجمهور ﴿ شهادة بينكم ﴾ بضم التاء مع الإضافة إلى « بينكم » وأما قراءة =

١٦٧ ـ فأما قوله تعالى : ﴿ اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [آية ١٠٦] .

ففي هٰذا اختلاف كبير[1] .

قال أبو موسى الأشعري وابن عباس :﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُـمْ ﴾ من أهل دينكم .

﴿ أَوْ آخَرَانِ من غيرِكُمْ ﴾ مِنْ أهل الكتاب .

وقال بهذا القول من التابعين : عَبِيـدَةُ[2] ، وسعيـدُ بنُ المسيِّب ، وسعيد بن جبير ، وشريح ، وابن سيرين ، والشعبي[3] .

= الأعرج والسلمي وهو أبو عبد الرحمن ، فقد ذكرهما ابن عطيه في المحرر الوجيز ٨٣/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٨/٤ وقد عدَّهما ابن جني في المحتسب ٢٢٠/١ من القراءات الشاذة ، قال ابن عطية : وعلى قراءة السبعة ﴿ شهادة بينكم ﴾ رفعُها بالابتداء ، والخبر في قوله « اثنان » والتقديرُ : شهادة بينكم في وصاياكم شهادة اثنين ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وأضيفت الشهادة إلى « بين » اتساعاً في الظرف كقوله تعالى ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ .

(١) قال مكي بن أبي طالب : هذه الآيات عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن « إعراباً ، ومعنى ، وحكماً » وذكر الغرناطي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل ٣٤٢/١ قال : ونحن نبيِّن معناها على الجملة ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فمرض في الطريق ، فكتب كتاباً قيدَّ فيه كل ما معه ، وجعله في متاعه ، وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته ، فمات ، فقدم الرجلان المدينة ودفعا متاعه إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه ، وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا : لا ندري هذا الذي قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فبقي الأمر مدة ، ثم عثر على إناء عظيم من فضة ، فقيل لمن وجد عنده : من أين لك هذا ؟ فقال : اشتريته من فلان وفلان ، يعني الرجلين ، فارتفع الأمر إلى رسول الله ﷺ ، فأمر الرسول رجلين من أولياء الميت أن يحلفا ، فحلفا واستحقا ذلك فنزلت الآية .

(٢) هو «عَبِيدةُ السَّلْمَاني » بفتح العين تابعي كبير ثقة ، وانظر ترجمته في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ .

(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري ١٠٤/٧ والبحر المحيط ٤٠/٤ .

وقال الحسن والزهري : (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) من أقربائكم ، لأنهم أعلمُ بأموركم من غيرهم (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) من غير أقربائكم من المسلمين[1] .

وقال من احتج لهذا القول : قد أجمع المسلمون على أن شهادة أهل الكتاب لاتجوز على المسلمين في غير الوصية ، وإجماعهم يقضي على اختلافهم .

وقال جل وعز : ﴿ **مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ** ﴾ فدلَّ هذا على أن أحداً منهم ممَّن لايُرضَى، فالكافر يجب أن لا يُرضى به أيضاً ، فإنه قال جل وعز :﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصلاَةِ ﴾ فكيف يُعظِّم الكافر الصلاة[2] ؟ .

وقال ابراهيم النخعي : الآيةُ منسوخة ، نسخها (وأَشْهِدُوا

(١) الخلاف بين علماء السلف إنما حدث بسبب اختلافهم في فهم قوله تعالى ﴿ أو آخران من غيركم﴾ فمن فسره بأن معنى «من غيركم» أي من غير المسلمين ، أباح شهادة أهل الكتاب في مثل هذه الحالة ، ومنهم من فسَّرها بأن المعنى ﴿من غيركم﴾ أي من غير عشيرتكم وأقاربكم ، ورجح ابن جرير الأول ١٠٧/٧ فقال : أو آخران من غير أهل الإسلام ، أما الإمام النحاس فقد رجح الثاني فقال : المراد من غير أقربائكم من المسلمين ، واحتج بقوله تعالى « ممن ترضون من الشهداء » والكافر لا تُرضى شهادته ، وانتصر أبو حيان في البحر المحيط لقول ابن جرير ٤١/٤ فقال نقلاً عن الرازي : « الخطاب في الآية لجميع المؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فلما قال : ﴿أو آخران من غيركم﴾ كان من غير المؤمنين لا محالة ، ولو كان الآخران مسلمين ، لم يكن جواز الاستشهاد بهما مشروطاً بالسفر ، لأن المسلم جائز استشهاده بالسفر والحضر .

(٢) هذه حجة من لم يقبل شهادة غير المسلمين في السفر والحضر ، وهو مذهب الحسن والزهري .

ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم)[1] .

وقال زيد بن أسلم : كان ذلك والأرض حرب ، والناس يتوارثون بالوصية . وتوفي رجل وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، فنزلت هذه الآية ثم نسخت الوصية ، وفرضت الفرائض[2] .

ومعنى ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ من بعد صلاة العصر .

ومعنى ﴿ لَانَشْتَرِي به ثَمَناً ﴾ بما شهدنا عليه .

١٦٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[آية ١٠٦] .

معناه : وإن كان ذا قربى ، كما قال سبحانه ﴿ وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾

١٦٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ولا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ[3] إِنَّا إِذاً لَمِنَ الآثِمِينَ ﴾[آية ١٠٦] .

---

(١) و (٢) انظر الطبري ١٠٦/٧ والبحر المحيط ٤١/٤ وزاد المسير ٤٤٧/٢ ورجح ابن الجوزي أن الآية محكمة ليست بمنسوخة قال : لأن هذا موضع ضرورة ، كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن في الحيض والنفاس والاستهلال .

(٣) القراء السبع على قراءة ﴿ ولا نكتُمُ شهادة الله ﴾ بالإضافة ، قال ابن عطية ٨٦/٥ : أضاف « شهادة » إليه تعالى ، من حيث هو الآمر بإقامتها ، الناهي عن كتمانها .

وقرأ عبدالله بن مسلـم (ولا نَكْتُـمُ شهـادَةً اللَّـهَ)[1] ، وهـو يحتمل معنيين :

أحدهما : أن المعنىٰ : ولانكتم اللَّهَ شهادةً .

والمعنى الآخر : ولا نكتم شهـادةً واللَّـهِ ، ثم حذف الـــواو ونصب .

وقرأ الشعبي ﴿ولانَكتُمُ شَهَادَةِ اللهِ ﴾[2] هذا عند أكثر أهـل العربية لحنٌ ، وإن كان سيبويه قد أجاز حذف القسم والخفض .

وقـرأ أبـو عبدالـرحمن ﴿ وَلَا نَكْتُـــمُ شَهَـــادَةً آللَّـــهِ) على الاستفهام[3] .

١٧٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فإنْ عُثِرَ علىٰ أنَّهما استحقَّا إثْماً ﴾

قال ابراهيم النخعي : المعنىٰ : فإن اطُّلِعَ[4] .

١٧١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فآخَرَانِ يَقُومَان مَقَامَهُمـا مِنَ الذيـنَ استَحقَّ عليهِمُ الأَوْلَيَان ﴾ [آية ١٠٧] .

---

(١) و (٢) و (٣) القراءات هذه كلها التي أوردهـا المصنـف من القـراءات الشاذة كما في المحتسب لابـن جنـي ٢٢١/١ فقـد قال : ومـن ذلك قراءة علي والشعبي « شهـادة الله » وروي عن الشعبـــي « شهادة الله » وروي عنه أيضاً « شهادة الله » إلخ . وكل ما أورده في المحتسب فهو شاذ .

(٤) قال ابن جرير ١١٢/٧ : ﴿ فإن عُثر ﴾ فإن اطلع فيهمـا أو ظهـر ، وأصل العثر : الوقـوع على الشيء ، والسقوط عليه ، وقال الزجـاج في معانيـه ٢٣٨/٢ أي فإن اطلـع على أنهمـا قد خانـا . اهـ.

إن اطلع عليهما بخيانة ، فأمر اثنان من أولياء الميت ، فحلفا واستحقا .

وقال أبو اسحاق[1] : وهذا موضعٌ مشكلٌ من الإعراب والمعنىٰ .

وقد قيل فيه أقوال منها :

أن المعنى : من الذين استحق فيهم الأوليان ، فقامت (علىٰ) مقام (في) كما قامت (في) مقام (علىٰ) في قوله تعالىٰ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2] .

وقيل المعنى : من الذين استحق منهم الأوليان ، وقامت (علىٰ) مقام (من) كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[3] أي من الناس .

قال : والقول المختار أنَّ المعنىٰ عندي ليقم الأولىٰ بالميت .

فالأوليانِ بدلٌ من الألف في (يَقُومَانِ) والمعنىٰ : من الذين استَحَقَّ عليهم الإيصاءُ[4] .

---

(١) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وانظر كتابه معاني القرآن ٢/٢٣٩ .

(٢) سورة طه آية رقم (٧١) والشاهد في الآية استعمال « في » مكان « على » والمعنى : ولأصلبنكم على جذوع النخل .

(٣) سورة المطففين آية رقم (٢) والمعنى : الذين إذا اكتالوا من الناس يستوفون حقهم .

(٤) هذا كلام الزجاج فقد قال في معانيه ٢/٣٤٠ : وأجود هذه الأقوال أن يكون « الأوليان » بدلاً ، على أن المعنى : ليقم الأوليان ممن استحقت عليهم الوصية . اهـ.

[وأنكر ابن عباس هذه القراءة[1] ، وقرأ (منَ الذيـــنَ][2] اسْتَحقَّ عليهم الأَوَّلَيْنِ) ، وقال : أرأيت إن كان الأولياء صغيرين ؟

١٧٢ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ ؟** [آية ١٠٩] .

هذا السؤال على جهة التوبيخ لمن كذَّبهم[3] .

وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : أنهم لما سُئِلُوا فَزِعوا ، فزال وهمُهم ، فقالوا : لا علم لنا .

قال مجاهد : لما قيل لهم : ماذا أُجبتم ؟ فَزِعوا ، فقالوا : لا علم لنا ، فلَّما ثابتْ عقولهم خَبَّروا بما علموا[4] .

والقول الآخر : أن المعنى : لا علمَ لنا بما غاب عنا .

وقيـــل : يدل على صحـــة هذا القـــول ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ .

---

(١) ذكره الطبري ١٢١/٧ عن ابن عباس ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٥/٤ وابن عطية في المحرر الوجيز ٨٩/٥ قال أبو حيان في البحر : والأوليان : يعني الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما ، وارتفع الأوليان على أنه خبر للمبتدأ تقديره : هما الأوليـــان ، وقيـــل هما بدلاً من الضمير في « يقومان » .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٢٤٠/٢ وأبو حيان في البحر ٤٨/٤ قال : وهو توبيخ لأممهم ، كما سئلت الموؤدة توبيخاً لوائدها في قوله سبحانه ﴿ وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ ؟

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٢٥/٧ وابن الجوزي ٤٥٣/٢ وابن كثير ٢١٧/٣ قال الحافظ ابن كثير : إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم ، وهو قول مجاهد، والحسن البصري ، والسدي .

وهذا مذهب ابن جُريج .

ورَوَىٰ حَجَّاجُ عن ابـنِ جُريج في قوله عز وجـــل : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُـمْ قَالُوا لَا عِلْـمَ لَنَـا ﴾ قال : قيـل لهم : ما علمتُم من الأمم بعدكم ؟

قالوا : لا علم لنا[1] .

قال أبو عُبيد : ويُشبه هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَرِدُ الحوضَ أقوامٌ فيختلجون ، فأقولُ : أمَّتي ، فيُقال : إنَّكَ لاتدري ماأحدثُوا بعدك »[2] .

١٧٣ ــ وقوله عز وجل ﴿ إذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى والِدَتِكَ ﴾ [آية ١١٠] .

نعمتُه على مريم : أنه جلَّ وعز اصطفاها وطهَّرها[3] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي عن ابن جريج ٤٥٣/٢ قال : وفيه بعد ، لأنهم سئلوا ماذا عملوا بعدكم وأحدثوا ، وأوجه الأقوال ما ذكره الحافظ ابن كثير ٢١٧/٣ جيث قال : وهذا من باب التأدب مع الرب عز وجل ، أي : لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء ، فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم من كنا نطلع على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء ، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم . اهـ.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الرقاق ٤٦٤/١١ ومسلم في الفضائل رقم ٢٢٩٧ ولفظه « ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني ، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلَّي اختلجوا دوني ، فلأقولن : أي رب أُصيْحَابي ، أصيحابي ، فليقالنَّ لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ومعنى : اختلجوا أي اختطفوا مني وأخذوا بسرعة . وفي بعض الروايات زيادة « فأقول سحقاً ، سحقاً ، لمن بدل بعدي » وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٤٦٨/١٠ .

(٣) في البحر ٥٠/٤ : ونعمته على أمه : براءتها مما نسب إليها الظالمون ، وتكفيلها لزكريا ، وتقبلها =

وقال جل وعز : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً ﴾

١٧٤ ـ **وقوله جل وعز ﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾** [آية ١١٠] .

أَيَّدتُكَ : قَوَّيتُكَ ، ورُوحُ القُدُس : جبريلُ صلى الله عليه وسلم[1] .

قيل : قوَّاه به حين همُّوا بقتله ، وقوَّاه به في الحُجَّةِ .

١٧٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وإِذْ أَوْحيتُ إلى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وبرسُولي ﴾** [آية ١١١] .

قيل : معنى « أوحيتُ » ههنا : ألهمتُ ، كما قال تعالى ﴿ وأَوْحَىٰ ربُّكَ إلىٰ النَّحْلِ ﴾[2] .

وقيل : معناه أمرتُ كما قال الشاعر :

وَحَىٰ لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ[3]

= بقبول حسن ، وغير ذلك ، وأمر بذكر نعمة أمه ، لأنها نعمة صائرة إليه . اهـ. وانظر أيضاً تفسير ابن عطية ٥/٩٧ .

(١) يؤيده قوله تعالى ﴿ قل نزَّله روح القدس من ربك بالحق ﴾ النحل آية (١٠٢) وحديث « إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية ، وانظر فيض القدير ٢/٤٥٠

(٢) سورة النحل آية رقم (٦٨) والوحي هنا وحي إلهام ، أي ألهمها صنع ذلك .

(٣) البيت للعجاج وتمامه كما في اللسان :

وَحَىٰ لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ وَشَدَّهَا بالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ =

وقيل : معنى أوحيتُ ههنا : بيَّنْتُ ، ودللتُ بالآياتِ والبراهين[1] .

١٧٦ ـ وقوله جل وعز ﴿ إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؟[آية ١١٢]

رَوَىٰ شيبةُ بن نَصَّاح المقري[2] ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أنها قالت :

كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا ﴿ هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ ولكنْ قالوا : هل تستطيع رَبَّكَ[3] ؟

وقرأ عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، ومعاذ وابن عباس ﴿ هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ ﴾[4] وكذلك قرأ سعيد بن جبير .

= وذكره القرطبي بلفظ : « أوحى لها القرار فاستقرت » أي أمرها بالقرار فاستقرت ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٨٢/١ قال : وليس من وحي النبوة ، إنما هو أمرت أي أمرها بالقرار ، ويقال : وحى ، وأوحى ، قال ومعنى الآية ﴿ وإذْ أوحيت إلى الحواريين ﴾ أي ألقيت في قلوبهم .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٤٢/٢ فقد أورد هذا الوجه .

(٢) هو شيبة بن نصاح بن سرجس ، مقرئ المدينة وقاضيها ، إمام ثقة ، مولى أم سلمه ، توفي سنة ١٣٠هـ وانظر ترجمته في طبقات القراء ٣٣٠/١ والجرح والتعديل للرازي ٣٣٥/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ وابن جرير في جامع البيان ١٢٩/٧ ومرادها : هل تستطيع أنت ذلك ؟

(٤) هذه القراءة من القراءات السبع ، وهي قراءة الكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ فقد قرأها بالنصب ﴿ هل تستطيع ربك ﴾ على معنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ؟ وقرأ الجمهور بالضم ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ بالضم ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠٣/٥ وعلى قراءة الجمهور بالياء ورفع الباء : ليس لأنهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر ، لكنه بمعنى : هل =

وقال سعيد : إنما هو هل تستطيع أن تسأل ربَّك ، والتقدير عند أهل العربية على هذه القراءة : هل تستطيع سؤال ربك ؟ ثم حذف ، كما قال ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ .

و ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ حسنٌ بغير حذف ، معروف في كلام العرب أن يقال : هل يستطيع أن يقوم ؟ بمعنىٰ هل يستطيع أن يفعل ذلك بمسألتي ؟ وأنت تعرفُ أنه يستطيعهُ(١) .

وفي سؤال الحواريين تنزيل المائدة قولان :

أحدهما : أنهم سألوا ذلك ليتبيَّنوا ، كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾(٢) .

والقول الآخر : أن يكون سؤالهم هذا ، من قبل أن يعلموا أن عيسىٰ يُبرِىءُ الأكمه والأبرص(٣) .

= يفعل تعالى هذا ؟ وهل تقع إجابة منه له ؟ وهذا كما قال لعبد الله بن زيد : هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ ؟ والمعنى : هل تفعله ؟ وهل يخف عليك ؟ ولما كان في اللفظ بشاعة قال لهم عيسى ﴿ اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ وبسببها مال فريق من الصحابة إلى غير هذه القراءة ، فقرأ علي ، وابن عباس ، وعائشة ﴿ هل تستطيع ربك ﴾ والمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ؟

(١) قال الطبري ١٢٩/٧ : وهذا كما يقول الرجل لصاحبه : أتستطيع أن تنهض معنا في كذا ؟ وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه يريد : انهض معنا فيه ، أو بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه ؟

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٦٠) .

(٣) هذا القول ذكره ابن عطية عن بعضهم ١٠٥/٥ وهو قول ضعيف ، لأن الحواريين آمنوا بعيسى ورأوا معجزاته عليه السلام ، وشاهدوا عجائب وغرائب منه ، فكيف يقال : إنهم لم يعلموا =

فأما قول عيسى لهم : ﴿ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ فيعني : أن لاتقترحوا الآيات ، ولا تسألوا ما لم يسأل غيركم من الأمم .

قال أبو عُبيدة : « مائدةٌ » من الطعام ، وهي فاعلة بمعنى مفعولة ، كما قال جل وعز : ﴿ فِي عِيْشَةٍ رَاضِيَة ﴾[1]

وقال أبو اسحق : « مائدة » عندي من مَادَ يَمِيدُ : إذا تحرك[2] .

وقرأ عاصم الجحدري : ﴿ تكونُ لَنَا عِيْدَاً لِأُولَانَا وَأُخْرَانَا ﴾[3] .

وقرأ الأعمش : (تَكُنْ لَنَا عِيدَاً)[4]

= ذلك ؟ قال ابن الجوزي ٤٥٦/٣ : وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم ، والأول أصح . اهـ. وقال ابن الأنباري : ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين ، شكّوا في قدرة الله وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي ؟ وهو يعلم أنه مستطيع ، ولكنه يريد هل يسهل عليك ؟

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٢/١ والآية في سورة الحاقة ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ رقم (٢١) أي مرضية .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٤٣/٢ وقد جاء فيه : والمائدة عند أبي عبيدة من الطعام ، والأصل عندي في « مائدة » أنها فاعلة ، من مادَ يميد : إذا تحرك ، فكأنها تميد بما عليها . اهـ.

(٣) و (٤) قراءة الجحدري والأعمش ليستا من القراءات السبع ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٥٨/٢ وابن عطية ٥ /١٠٧ .

وقيل : إنها أنزلت ، وقيل : إنها لم تنزل[1] ،

والصوابُ أن يُقال : إنها أنزلت ، لقوله جل وعز ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾

ورَوَىٰ قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمـــار بن ياسر ، وبعضهم يرفعه قال : « أنزلت المائدة خبزاً ولحماً ، وأُمروا أن لايخزِنُوا ، ولايدَّخِروا لغدٍ ، فخانوا ، وادَّخروا ، ورفعوا ، فمُسِخُوا خنازير .

حدثنا القاسم بن زكريا المطرز نا الحسين بن قرعة قال نا ابن حبيب عن سعيد بن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنزلت المائدة خبزاً ، ولحماً ، فأُمروا أن لايدخروا ، ولا يرفعوا ، فادخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير »[2] .

---

(١) الرأي الصحيح الراجح أنها قد أنزلت وهو قول الجمهور ، بدليل قوله تعالى ﴿ قال الله إني منزلها عليكم ﴾ ووعد الله لا يتخلف ، وما روي عن مجاهد أنها ضرب مثل ضربه الله لخلقه كي ينتهوا عن مسألة الآيات ، وما روي عن الحسن أنها لم تنزل لأنهم استعفوا منها واستغفروا الله خشية نزول العذاب ، فقد قال القرطبي : كلاهما خطأ والصواب نزولها ، وقد أورد الحافظ ابن كثير آثاراً عديدة في نزولها ، وانظر تفسيره ٣/٢٢١ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي عن عمار بن ياسر مرفوعاً إلى النبي ﷺ في كتاب التفسير رقم (٥٠٥٤) وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، روي عن عمار موقوفاً ، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة ، ثم قال : ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً . اهـ. تحفة الأحوذي ٨/٤٣٣ ورواه ابن جرير في جامع البيان ٧/١٣٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٨ .
أقول : والراجح الموقوف .

[ويروى أن هذه محنة أمر الله جل وعز امتحانهم بها][1] .

قال عبدالله بن مسعود : أشدُّ الناس عذاباً أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، والمنافقون[2] .

وقال الحسن : لمَّا أُوعدوا بالعذاب إن هم عَصَوْا ، **قالوا** : **لا** حاجة لنا بها ، فلم تنزل[3] .

وقال مجاهد : لما قيل لهم : ﴿ فَمَنْ يكْفُرْ بعدُ مِنْكُم فإني أُعَذِّبهُ عَذاباً لا أعذِّبه أَحَداً مِنَ اَلعَالَمِينَ ﴾ امتنعوا من نزولها فلم تنزل[4] .

وقيل : إن هذا العذاب في الآخرة[5] .

١٧٧ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وإذْ قَالَ اللَّهُ يَا عيسَىٰ ابنْ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ

---

(١) هذا لقول مروي عن مجاهد ، وهو ضعيف كما تقدم ، وسقطت هذه العبارة من الأصل وأثبتناها من الهامش .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣٦/٧ ولفظه : « إن أشد الناس عذاباً ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون » وذكره ابن كثير بهذا اللفظ ٢٢٠/٣ .

(٣) و (٤) هذه الآثار عن الحسن ومجاهد ذكرها الطبري في جامع البيان ١٣٥/٧ وابن كثير ٢٢٥/٣ ، والبحر المحيط ٥٧/٤ وصحح ابن كثير الآثار التي وردت بنزولها وهي كثيرة ثم قال : وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل ، أيام عيسى بن مريم ، إجابة من الله لدعوته ، وكما دل على ذلك ظاهر السياق من القرآن العظيم ، في قوله سبحانه ﴿ قال الله إني منزلها عليكم .. ﴾ الآية .

(٥) هذا قول للزجاج في معانيه ٢٤٤/٢ فقد قال : جائز أن يعجل له العذاب في الدنيا ، وجائز أن يكون في الآخرة لقوله : ﴿ لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ .

﴿ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾

[آية ١١٦] .

في معنى هذا قولان :

أحدهما : أن هذا يُقال له في الآخرة .

قال قتادة : يَقال له هذا يوم القيامة ، قال أَلَا ترىٰ أنه قال : ﴿ هَذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهم ﴾ !! لا يكون إلاَّ يوم القيامة[1] .

وقال السدي : إنه قال هذا حين رفعه[2] ، لأنه قال : ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُم فإنَّهُم عبادُكَ ، وَإنْ تغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾

فإنما هذا على أنهم في الدنيا ، أي ان تغفر لهم بعد التوبة .

واحتج لصاحب هذا القول بأنَّ (إذْ) في كلام العرب لِمَا مَضَىٰ[3] .

(١) جامع البيان عن قتادة ١٣٧/٧ وابن عطية ١١١/٥ وابن كثير ٢٢٧/٣ وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وجمهور الناس ، قال ابن عطية : وهذا القول من الله إنما هو في يوم القيامة ، يقوله الله على رءوس الخلائق ، فيرى الكفار تبرِّيه منهم ، ويعلمون أن ماكانوا فيه باطل . اهـ. وقال القرطبي ٣٧٤/٦ : وهذا القول أصح ، يدل عليه ما قبله ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ وما بعده ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ وعلى هذا تكون « إذ » بمعنى « إذا » كقوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا ﴾ .

(٢) هذا القول عن السدي ذكره الطبري ورجحه ١٣٨/٧ والجمهور على أنه في الآخرة ، يقوله الله تعالى لعيسى على رءوس الأشهاد ، توبيخاً وتبكيتاً لمن ادعى ذلك عليه ، زيادة لهم في الخزي والنكال .

(٣) لا يشترط أن تكون « إذ » للماضي ، فقد تأتي للمستقبل وتكون بمعنى « إذا » كما قال الشاعر :

ثمَّ جزاهُ اللهُ عنَّا إذْ جَزَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ في السَّموات العـلا =

والقولُ الأول عليه أكثرُ أهل التفسير .

فأمَّا حُجَّةُ صاحب هذا القول الثاني ، بأن (إذْ) لما مضىٰ ، فلا تجب ، لأن إخبار اللَّهِ جلَّ وعز عما يكون بمنزلة ما كان ، فعلىٰ هذا يصح أنه للمستقبل ، وسنذكر قولهم في﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ .

١٧٨ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾** [آية ١١٦] .

قال أبو اسحق : النفس عند أهل اللغة على معنيين :

أحدهما : أن يُراد بها بعض الشيءِ .

والآخرُ : أن يُراد بها الشيءُ كلُّه ، نحو قولك : قَتَل فلانٌ نفسه .

فقوله عز وجل ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ معناه : تعلم حقيقتي وما عندي[1] .

= والمعنى : جزاه الله عنا إذا جزى ، وكما في قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ أي حين يفزعون .

(١) هذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٢/٢٤٥ قال : قال أهل اللغة : النفس في كلام العرب تجري على ضربين :

أحدهما : قولك : خرجت نفس فلان ، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا .

والضرب الآخر : معنى النفس فيه معنى جملة الشيء ، ومعنى حقيقة الشيء ، يقال : قتل فلان نفسه ، وأهلك فلان نفسه ، فليس معناه أن الإهلاك وقع ببعضه ، إنما الإهلاك وقع بذاته كلها ، ومعنى الآية ﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ أي تعلم ما أضمره ﴿ ولا أعلم ما في نفسك ﴾ أي لا أعلم ما في حقيقتك . اهـ .

والدليلُ على هذا قوله ﴿ إنَّك أنتَ عَلَّامُ الغُيُوبُ ﴾

وقال غيرُه : المعنىٰ : تعلم غيبي ، ولاأعلم غيبك(١) .

١٧٩ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فلَّما تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أنتَ الرقيبَ عَلَيْهِم ﴾** [آية ١١٦] .

قال قتادة : الرقيبُ : الحافظُ ، وكذلك هو عند أهل اللغة .

١٨٠ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُم فَإِنَّهُم عِبادُك ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾** [آية ١١٨] .

في هذا أقوال :

فمن أحسنها أنَّ هذا على التسليم للهِ جلَّ وعز ، وقد علم أنه لايغفر لكافر ، ولايُدرىٰ أكفروا بعدُ أم آمنوا(٢) ؟ .

ومن الدليل على صحة هذا القول أن سعيد بن جبير روىٰ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحشر النَّاسُ يوم القيامة عُرَاةً ، حُفَاةً عُزْلاً ، وقرأ صلى الله عليه وسلم ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ فيؤمر بأمتي ذات اليمين وذات الشمال ، فأقول أصحابي ،

---

(١) قريب منه ما قاله الزمخشري في الكشاف ٣٧٣/١ ﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ ما في قلبي ، والمعنى : تعلم معلومي ، ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة ، وهو من فصيح الكلام ، وبيَّنه فقال : ﴿ ولا أعلم ما في نفسك ﴾ مقابلة لقوله ﴿ ما في نفسي ﴾ . اهـ. وانظر ما قاله ابن عطية ١١٣/٥ ففيه إبداع وجمال .

(٢) هذا هو الصحيح الراجح أن ذلك من باب التسليم لأمر الله ، كأنه يقول : هم عبادك تصنع ما شئت فيهم ، فإن عذبتهم فبالعدل ، وإن غفرت لهم مع إجرامهم فبالفضل ، وانظر البحر المحيط ٦٢/٤ .

فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم بعدك ، فأقولُ كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ وقرأ إلىٰ قوله ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[1] .

وروىٰ أبو ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة يردّد ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[2]

وقيل : إنه معطوف على قوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾

والمعنىٰ على هذا القول : ما قلتُ في الدنيا إلّا هذا .

وقال **أبو العباس** محمد بن يزيد : لايراد بهذا مغفرة الكفر ،

---

(١) الحديث رواه البخاري ٦/٦٩ في التفسير ، وفي كتاب الأنبياء ٤/٢٠٤ ورواه مسلم في الحشر ٨/١٥٧وأخرجه الترمذي ٧/١٠٧ وأحمد في المسند ١/٢٣٥ ولفظه عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى الله حفاة ، عراة ، غُرْلاً ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول يا ربِّ أصحابي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » وانظر جامع الأصول ١٠/٤٢٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، ورواه أحمد بأوسع منه ٥/١٤٩ والنسائي والبيهقي ، وانظر الدر المنثور ٢/٣٤٩ ولفظ أحمد « صلّى رسول الله ﷺ ليلة ، فقرأ بآية حتى أصبح ، يركع بها ويسجد بها﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك .. ﴾ الآية وفيه : إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها » وانظر ابن كثير ٣/٢٢٩ .

وإنما المعنىٰ : ولأن تغفر لهم كذبهم عليّ ، وحكايتهم عني ما لم أقل .

وقال أبو اسحق : قد علم عيسى صلى الله عليه وسلم أن منهم من آمن ، فالمعنى عندي ـــ والله أعلمُ ـــ إن تعذبهم على فِريتهم وكفرهم ، فقد استحقُّوا ذلك ، وإن تغفر لمن تاب منهم بعد الافتراء العظيم والكفر ، وقد كان لك أن لاتقبل توبته بعد اجترائه عليك ، فإنك أنت العزيز الحكيم(١) .

وأمَّا قول من قال : إن عيسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم أن الكافر لايغفر له ، فقولٌ مجترءٌ على كتاب الله جل وعز ، لأن الإخبار من الله جل وعز لاينسخ(٢) .

وقيل : كان عند عيسى صلى الله عليه وسلم ، أنهم أحدثوا معاصي وعملوا بعده بما لم يأمرهم به ، إلاَّ أنهم علىٰ عمودِ دينه ، فقال﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما أحدثوا بعدي من المعاصي(٣) .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤٧ .

(٢) قال الزجاج : وقال بعض الناس : جائز أن يكون الله لم يعلم عيسى أنه لا يغفر الشرك ، وهذا قول لا يعرج عليه ، لأن هذا خبر ، والخبر لاينسخ . وانظر معاني الزجاج ٢/٢٤٧ .

(٣) حكى هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٤/٦٢ عن بعض المفسرين ، ثم قال : وهذا يتوجه على قول من قال ﴿ أأنت قلت للناس .. ﴾ الآية . كان وقت الرفع ، لأنه قال ذلك وهم أحياء ، لا يدري ما يموتون عليه .

أقول : مقصود عيسى من قوله ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم .. ﴾ الآية . تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى ، وترك الاعتراض عليه بالكلية ، ولذلك ختم الكلام بقوله ﴿ فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي أنت قادر على ما تريد في كل ما تفعل لا اعتراض عليك . وهذا ما جنح إليه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/١١٤ حيث قال : والآية على أنها في الآخرة =

وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[1]

[آية ١١٩] .

سئل بعض أهل النظر عن معنىٰ هذا فقيل له : لو صدق الكافرُ ، وقال : أسأتُ لم ينفعه ذلك ؟ .

والجواب عن هذا : أن يوم القيامة يوم مجازاة وليس بيوم عمل فإنما المعنىٰ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا ، وتركهم الافتراء على الله جل اسمه ، وعلى رسله .

وقيل : ينفعهم صدقهم في العمل ، والله أعلم بما أراد .

« انتهت سورة المائدة بعونه تعالى »

* * *

= بمعنى : إن سبقت لهم كلمة العذاب فهم عبادك ، تصنع بهم ما شئت بحق الملك ، وإن تغفر لهم بتوبة فأنت الحكيم في أفعالك لا تعارض على أي حال ، فكأنه قال : إن يكن فيهم معذبون فهم عبادك ، وإن يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله . اهـ.

(١) توضيح هذه المسألة : أن الكافر لو اعترف وأقر يوم القيامة بما عمل ، فقال : كفرت وأسأت ، هل ينفعه ذلك ؟ لأن الله تعالى يقول : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ ؟

والجواب : أن في الآية حذفاً تقديره : قال الله هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم اليوم ، فحذف من الآية « في الدنيا » لظهوره من السياق ، وليس المراد أن من صدق في الآخرة ينفعه صدقه ، فإن الآخرة دار جزاء لا دار عمل ، والمعنى الصحيح للآية الكريمة : في هذا اليوم ــ يوم القيامة ــ ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم ، وإيمانهم ، وعملهم الصالح ، لأن الآخرة دار الجزاء ، ولا يُظلم فيها الإنسان مثقال ذرة ، فإن النافع ما كان وقت التكليف ، ولا ينفع الكاذبين صدقهم فيه كإبليس حين يخطب في أتباعه فيقول ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ لا ينفعه ذلك ، وانظر البحر المحيط ٦٣/٤ وحاشية الجمل على الجلالين ٥٤٧/١ .

تفسير سورة الأنعام

مكية وآياتها ١٦٥ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام وهي مكية

قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل النَّحّاسُ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ أحمدَ بن يحيى ، حدّثنا « أبو حاتم » روح بن الفرج ، مولى الحَضارِمة قال : حدَّثنا أحمد بن محمَّد « أبو بكر العُمَريّ » قال : حدّثنا ابن أبي فُدَيْك ، قال : حدّثني عُمر بن طلحة بن علقمة بن وَقّاص ، عن نافع أبي سُهَيْل بنِ مالك ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ نزلت سورة الأنعام معها مَوْكِبٌ من الملائكة سَدَّ ما بينَ الخافقين ، لهم زَجَلٌ بالتَّسْبيح ، والأرضُ لهم تَرْتَجُّ ، ورسولُ الله يقول : « سبحانَ ربّي العظيم » ثلاثَ مَرّات(١) .

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وذكره في الدر المنثور ٣/٢ ورواه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٣٣/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٨٢/٦ وابن الجوزي في زاد المسير بنحوه ١/٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٦٧/٤ وروى ابن كثير عن أسماء بنت يزيد قالت : « نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملةً ، وأنا آخذةٌ بزمام ناقة النبي ﷺ ، إن كادتْ من ثقلها لتكسر عظام الناقة » .

وروى أيضاً عن ابن مسعود قالت : « نزلت سورة الأنعام يُشيِّعها سبعون ألفاً من الملائكة » ابن كثير /٢٣ وأخرج الحاكم في المستدرك ٣١٤/٢ عن جابر قال « لما نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله ﷺ ثم قال : « لقد شيَّع هذه السورة من الملائكة ماسدَّ الأفق » اهـ وقال : صحيح على شرط مسلم ومعنى الزجل : الصوت الرفيع العالي .

١ ــ قوله جلّ وعزّ : ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ﴾ .

قال قتادة : خلق الله السماءَ قبل الأرض ، واللّيلَ قبل النّهار ، والجَنَّةَ قبل النّار[١] .

فأمّا قولُه ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ فمعناه : بَسَطها[٢] .

٢ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ .

قال مجاهد : أي يشركون[٣] .

قال الكسائي : يقال : عَدَلْتُ الشّيءَ بالشّيءِ عُدولاً : إذا ساويتَهُ به[٤] .

وهذا القولُ يرجع إلى قول مجاهد ؛ لأنّهم إذا عبدوا مع الله غيره ، فقد ساوَوه به وأشركوا .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤/٣ وعزاه إلى عبد بن حُميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير في جامع البيان ١٤٣/٧ .

(٢) ليس المراد بقوله : بسطها أي جعلها منبسطة ، وإنما المراد أنه مدَّها ووسَّعها وجعل فيها السهول الفسيحة ، والفجاج العريضة ، لتصلح لسكنى وزراعة الإنسان ، والأرض كروية بلا خلاف . وانظر ما قاله الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣/١٠ حول كروية الأرض ، وهو من علماء القرن الخامس الهجري ، فقد أثبت بالدلائل القاطعة كرويتها ، وقال : إنه ثبت بالدلائل أن الأرض كروية فكيف يمكن المكابرة فيه ؟ إلى آخر ما ذكره ، فرحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وانظر الدر المنثور ٤/٣ .

(٤) قال أهل اللغة : « يعدلون » : يسوُّون به غيره ، ويجعلون له عِدلاً وشريكاً ، يُقال : عَدَل فلاناً بفلانٍ إذا سوَّاه به .

٣ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً ، وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ [آية ٢] .

قال الحسنُ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وخُصَيْفٌ ، وقتادةُ ، وهذا لفظُ الحسن ــ: قضىٰ أجلَ الدُّنيا من يوم خلقك إلى أن تموت ، ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ يعني الآخرة[1] .

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ أي : تشُكُّون ، وتعبدون معه غيره .

٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [آية ٣] .

قيل : المعنى : وهو إلهٌ في السموات ، وفي الأرض[2] .

والألفُ واللَّام في أحد قولي سيبويه : مُبْدَلَةٌ من همزة ، والأصلُ عنده : إلهٌ[3] .

---

(١) الطبري ١٤٦/٧ والقرطبي ٣٨٩/٦ والبحر المحيط ٧٠/٤ ولفظه : الأَوُّل أجلُ الدنيا من وقت الخلق إلى الموت ، والثاني : أجلُ الآخرة لأن الحياة الآخرة لا انقضاء لها ، ولا يعلم كيفية الحال في هذا الأجل إلا الله تعالى :

(٢) هذا هو المعنى الصحيح ، أي هو تعالى الإله المعبود في السموات والأرض ، قال ابن كثير : أي يعبده ويوحِّده ، ويُقِّر له بالألوهية من في السموات والأرض ، ويدعونه رغباً ورهباً ، ويسمونه الله ، قال : واختلف مفسرو هذه الآية على أقوال ــ بعد الاتفاق على تخطئة الجهمية القائلين بأنه تعالى في كل مكان ــ وأصحُّ الأقوال أنه : المدعوُّ اللهُ في السموات وفي الأرض ، وهذه الآية كقوله سبحانه ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ .

(٣) يعني الأصل عند سيبويه في لفظ : « الله » إلهٌ ، أبدلت من همزة الوصل « أل » فصار الله ، وهذا قول له ، والقول الآخر عنه : أنه اسم علم للذات العلية لم يشاركه فيه غيره وليس بمشتق وهو الصحيح .

فالمعنى على هذا : هو المعبودُ في السموات وفي الأرض[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : وهو الله المُنْفَرِدُ بالتَّأليه في السموات وفي الأرض ، كما تقول : هو في حاجاتِ الناس ، وفي الصلاة[2] .

ويجوزُ أن يكون خبراً بعد خبر ، ويكون المعنى : وهو اللَّهُ في السموات ، وهو اللَّهُ في الأرض[3] .

٥ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ [آية ٦] .

قيل : القَرْن : ستّون عاماً ، وقيل : سبعون ، فيكون التقدير على هذا : من أهل قَرْن[4] .

وأصحُّ من هذا القول : القَرْنُ : كلُّ عالَمٍ في عصر لأنه مأخوذ من الاقتران ، أي : عالَمٌ مقترِنٌ بعضُهم إلى بعض .

وفي الحديث عن النّبيّ ــ ﷺ ــ قال : « خيرُ النَّاسِ القَرْنُ

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي في زاده ٣/٤ عن ابن الأنباري ، وهو الراجح .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٢/٢٥٠ قال : المعنى هو المنفرد بالتدبير في السموات والأرض .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢/٢٥٠ والبحر المحيط ٤/٧٢ وهو قول محكيٌّ أيضاً عن الزمخشري ، ونقل ابن الجوزي عن ابن جرير ٣/٤ أن المعنى : وهو الله في السموات ، ويعلم سركم وجهركم في الأرض ، وقيل هو من المقدّم والمؤخر ، والمعنى : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض ، والقول الأول هو الأظهر والأرجح ، والله أعلم .

(٤) أي يكون على حذف مضاف ، كقوله تعالى ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ أي أهل القرية .

(٥) هذا اختيار الزجاج في معانيه ٢/٢٥١ وانظر تفصيل الأقوال في زاد المسير ٣/٥ .

الـذي أنـا فيـه ــ يعنـي أصحابَـه ــ ثم الذيـن يلـونهم ، ثم الذيـــن يلونهم »[1] .

وأكثرُ أصحاب الحديث على أنّ القَرْن : مائةُ سنـةٍ ، واحتجّـوا بأنّ النّبـيّ قال لعبدالله بن بُسْر : « تعيش قَرْنـاً »[2] ، فعـاش مائـة سنة .

٦ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً ﴾** [آية ٦] .

أي تَدِرُّ عَلَيْهِمْ ، ومِدْرَارٌ على التكثير ، كما يقال امرأة مِذْكارٌ ، إذا كَثُرت ولادتُها للذُّكور ، ومِئْناثٌ[3] .

٧ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾** [آية ٧] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الشهادات ١٩٠/٥ ومسلم في فضائل الصحابة رقم ٢٥٣٥ والترمذي في الفتن رقم ٢٢٢٢ وتكملته « ثم يظهر قومٌ يَشهدون ولا يُستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، ويفشوا فيهم السِّمَنُ » وفي رواية أخرى في الصحيحين : « ثم يجيء قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينَه ، ويمينه شهادته » وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٥٤٨/٨

(٢) انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣/٤ وفيه قال المؤلف :أبوالقاسم ماتَ سنة ست وتسعين ، وهو ابن مائة سنة ، وكذا ذكره أبو نُعيم ، وساق في ترجمته ما رواه البخاري في التاريخ الصغير عن عبدالله بن بُسْر أن النبي ﷺ قال له : « يعيش هذا الغلام قرناً ، فعاش مائة سنة » الإصابة ٢٤/٤ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٢٥١/٢ : ﴿ مدراراً ﴾ أي ذات غيث كثير ، و « مِفْعَال » من أسماء المبالغة يُقال : دِيمةٌ مدرارٌ : إذا كان مطرها غزيراً دائماً ، وامرأةٌ مِذْكارٌ : كثيرةُ الولادة للذكور ، وكذا مئناثٌ كثيرة الولادة للإناث .

أي : قد جعلوا في أنفسهم الكُفْر والعِناد ، فإذا رَأَوْا آيــةً قالـوا : سحرٌ ، كما أنهم سألـوا انشقاق القمر ، فلما انشقَّ قالـوا : ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾(١) كذلك أيضاً : لو نَزَّل الّلـهُ عليهم كتاباً من السماء ، لقالوا : إنْ هذا إلَّا سحرٌ مُبينٌ .

٨ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾** [آية ٨] .

قال ابن أبي نجيح : عن مجاهد أي لقامت القيامة(٢) .

والمعنى عند أهل اللغة : لَحُتِم بهلاكهم(٣) ، وهو يرجع إلى ذلك القول .

٩ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾**[آية ٩]

قال قتادة : أي في صورة بني آدم(٤) .

---

(١) سورة القمر آية رقم ٢ .

(٢) انظر الطبري ١٥١/٧ والدر المنثور ٥/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٨/٣ و « لولا » للتحضيض بمعنى هلاَّ ، ومعنى الآية : هلا أُنزل على محمد ملك ، بحيث نراه ويكلمنا أنه نبيٌّ ، ويشهد له بالرسالة ؟

(٣) قال الطبري ١٥١/٧ : لو أنزلنا مَلَكاً على ماسألوا ، ثم كفروا ولم يؤمنوا به ، لجاءهم العذاب عاجلاً ، ولم يُنْظَروا فيؤخروا ، كما فعلتُ بمن قبلهم من الأمم ، وقال قتادة : لو أنزلَ اللهُ مَلَكاً ثُمَّ لم يؤمنوا ، لعُجِّل لهم العذاب . اهـ .

(٤) الطبري عن قتاده ١٥٢/٧ وفي الآية دلالة على أن البشر لايتحملون رؤية الملائكة على طبيعتهم ، ومن رحمته تعالى أنه أرسل إلى البشر رسلاً من جنسهم ، حتى يمكن الأخذ عنهم ، ومجالستهم ومخاطبتهم ، ولو كان سكان الأرض من الملائكة لبعث الله إليهم رسولاً من الملائكة كما قال سبحانه ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهمْ من السَّماءِ مَلَكاً رسُولاً﴾ .

١٠ ـ ثمّ قال تعالى : ﴿ وللَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُون ﴾ [آية ٩] .

قال الضّحّاك : يعني أهلَ الكتاب ؛ لأنهم غيرُّوا صفة النّبيِّ ـ ﷺ ـ في كتابهم وعَصَوْا ما أُمِروا به[1] .

قال الكسائي : يقال : لَبَسْتُ عليهم الأمرَ : أَلْبِسُهُ لَبْساً ، إذا خلطته أي أَشْكَلْته[2] .

١١ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية ١٠] .

الحَيْقُ في اللغة : ما يعودُ على الإنسان من مكروه فِعْلِه[3] ، ومنه : ﴿ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[4] ..

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان عن الضحاك ١٥٣/٧ وردَّه وقال : والأشبهُ أن تكون هذه الآيات في أمر المشركين من عَبَدة الأوثان ، لأن أول السورة يدل على أنها في المشركين ، لا في أمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى : لو نزلنا مَلَكاً من السماء فجعلناه في صورة رجل من بني آدم لالتبس عليهم أمرُه ، أَمَلَكٌ هو أم إنسيٌّ . اهـ .
وقال ابن عباس: لو أتاهم مَلَك ما أتاهم إلاَّ في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور . ابن كثير ٢٣٧/٣ .

(٢) قال الجوهري : اللَّبْسُ بالفتح : مصدر قولكَ لَبَسْتُ عليه الأمر ألبسُ : أي خلطتُ ، واللَّبسُ أيضاً : اختلاطُ الظلام ، وفي الحديث « فِي الأَمْر لُبْسَةٌ » أي شبهة ليس بواضح . اهـ الصحاح ٩٧٣/٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٥٤/٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٦٦/٤ قال : ولا يُستعمل إلا في الشرِّ قال الشاعر : وحاقَ بهم من بأْسِ ضَبَّةَ حائق .

(٤) سورة فاطر آية رقم ٤٣ .

١٢ ـــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ؟ قُلْ لِلَّهِ ﴾ [آية ١٢] .

هذا احتجاجٌ عليهمْ ؛ لأنهم مُقِرُّون أنّ ما في السموات والأرض للَّهِ ، فأمَرَ اللَّهُ النَّبيَّ ـــ ﷺ ـــ أنْ يحتجَّ عليهم بأنَّ الذي خلقَ ما في السموات والأرضِ ، قادرٌ على أن يُحْيِيهم بعد الموت(١) .

١٣ ـــ ثم قال جلّ وعز : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [آية ١٢] .

لأنه أمهلهم إلى يوم القيامة(٢) .

ويجوز أن يكون هذا تمام الكلام .

ويجوز أنْ تكون (ما) هذه تبييناً ؛ لأنّ قوله : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيامَةِ لَارَيْب فِيهِ ﴾ معناه يُمهلكم ، فهذا من رحمته جلّ وعزّ(٣) .

---

(١) قال في البحر ٨١/٤ : وهذا السؤال سؤال تبكيت وتقرير ، فإنهم إذا سُئِلوا لم يمكنهم أن يقولوا إلاَّ أن ذلك لله ، فيلزمهم بذلك أنه تعالى هو المالكُ وهو المهلكُ ، ثم أمر الله تعالى رسوله بنسبة ذلك لله تعالى ، ليكون أول من بادرَ بالاعتراف بذلك . اهـ .
أقول هذا الأسلوب يسمي « أسلوب التلقين » فالله جل ثناؤه يلقن رسوله ﷺ الحجة ليقذف بها في وجه الخصم ، بحيث لا يستطيع التخلص أو التفلت منها ، وذلك بطريق السؤال والجواب وهذا الأسلوب واضح في هذه السورة الكريمة ، فانتبه إليه رعاك الله .

(٢) الأولى ماقاله الطبري ١٥٥/٧ أن الآية إستعطافٌ من الله تعالى للمعرضين عنه ، إلى الإقبال عليه بالتوبة ، يقول : قضى ربكم أنه بعباده رحيم ، لا يعجِّل عليهم العقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة ، وأن رحمتي وسعت كل شيء . اهـ .

(٣) قال الفراء وغيرُه : يجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله « الرحمةَ » ويكون مابعدها مستأنفاً على جهة التبيين ، فيكون المعنى : « ليجمعنكم » ليمهلنَّكم ، وليأخرنَّ جمعَكُم ، وانظر فتح القدير للشوكاني ١٠٣/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٢٥٥/٢ ومعاني الفراء ٣٢٨/١ .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعلا : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [آية ١٣] .

أي : ثبت ، وهذا احتجاج عليهم أيضاً(١) .

١٥ ــ وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ وهو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [آية ١٤] .

كما تقول : هو يَرزُق ولا يُرزَق(٢) ، ويَعولُ ولا يُعَالُ .

ورُوِيَ عن الأعمش أنّه قرأ : وهو « يُطعِمُ ولا يَطْعَم » وهي قراءة حسنة(٣) . أي : ولا يَأكُل .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿مَنْ يُصرَفْ عَنْهُ يوْمَئِذٍ فقدْ رَحِمَهُ ﴾ [آية ١٦] .

المعنى : من يصرِفْ عنه العذابَ(٤) ، ثمّ حذف لِعلْم

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤١/٥ : ﴿ وله ما سَكَنَ ﴾ هي من السُّكْنى : ما ثبت واستقَّر وقالت فرقة : هو من السكون ، لأن الساكن من الأشياء أكثر من المتحرك ، وهذا تخليطٌ ، والمقصدُ في الآية عمومُ كل شيء ، وذلك لا يتأتي ألاَّ أن يكون سكنَ بمعنى استقرَّ وثبت ، وهو قول السدي . وقال الطبري ١٥٨/٧ : والمعنى : وله ملك كلِّ شيء ، لأنه لا شيء من خلق الله إلاَّ وهو ساكنٌ في الليل والنهار . اهـ .

(٢) أي هو تعالى الرازق لعباده من غير احتياج إليهم كقوله سبحانه ﴿ ما أريدُ منهم من رزقٍ وَمَا أريدُ أن يُطْعمون ﴾ .

(٣) قرأ الجمهور « وهو يُطعِمُ ولا يُطعَم » أي يَرزَقُ ، لأن بعض العبيد يرزق سيده ، فيعمل ويكسب لأجله ، وقرأ عكرمة والأعمش « يُطعِمُ ولا يَطعَم » بفتح الياء أي لا يأكل ، قال الزجاج : وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية ، والمعنى : هو يرزق ويُطعم ولا يأكل ، لأنه الحيُّ الذي ليس كمثله شيء . اهـ زادِ المسير ١١/٣ قال الطبري ١٥٩/٧ : ولا معنى لذلك لقلة القراءة به .

(٤) هذا على قراءة « مَنْ يَصْرِفْ » بالبناء للفاعل ، أي من يَصرف اللهُ عنه العذاب ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، وقرأ بقية السبعة « مَنْ يُصْرَفْ » بالبناء للمجهول ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٤ والنشر ٢٥٧/٢ .

السامع ، وكذلك معنى « مَنْ يُصْرَفْ » .

١٧ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [آية ١٩] .

المعنى : ومَنْ بَلَغَهُ القرآنُ ، ثمَّ حُذِفت الهاءُ لطول الاسم .

وقال مجاهد : ومَنْ أسلمَ مِن فَصيحٍ وأَعْجَم[٢] .

ورُوِي عن النّبيّ ــ ﷺ ــ أنه قال : « بلِّغوا القرآنَ عن اللّهِ جلّ وعزّ ، ومَنْ بَلَغَتْهُ آيةٌ من كتاب الله ، فقد بلَغه أمرُ الله »[٣] .

وقيل : المعنى : ومَنْ بلَغ الحُلُمَ ، كما يُقال : قد بلَغ فلانٌ[٤] .

---

(١) هكذا قال الفراء في معانيه ٣٢٩/١ : ومن بَلَغه القرآن من غيركم ، و « مَنْ » منصوبة بالإنذار . اهـ وقال في البحر ٩١/٤ : و فاعلُ « بَلَغ » ضميرٌ يعود على القرآن ، أي ومن بلغه القرآنُ ، والخطاب في « لأنذركم » به لأهل مكة . اهـ

(٢) ذكره الطبري ١٦٣/٧ وفي الدر المنثور ٧/٣ والمراد بالفصيح : العربُ ، لأنهم مشهورون بالفصاحة والبيان .

(٣) أخرجه عبدالرازق ، وعبدُ بن حُميد ، وابن أبي حاتم عن قتادة مرفوعاً ، كذا في الدر المنثور ٧/٣ وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٦٢/٧ وابن كثير ٢٤٠/٣ .

(٤) ذكر هذا القول ابن عطيه ١٥٢/٥ في المحرر الوجيز ، وأبو حيان في البحر المحيط ٩١/٤ ولكنه قول ضعيف ، والراجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين أن المراد : وأوحي إليَّ هذا القرآن ، لأنذركم به يا أهل مكة ، وأنذر كلَّ من بلغه القرآن من العرب والعجم ، قال في التسهيل ٥/٢ : والمقصود بالآية الاستشهاد بالله عز وجل على صدق رسول الله ﷺ ، وشهادته له ــ التي هي أكبر شهادة ــ بصحة نبوته .

١٨ ــ وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [آية ٢٠] .

ويجوز أنْ يكون المَعْنى القرآنَ .

والحديث يدلّ أنّ المعنى : يعرفون النّبيّ صلى الله عليه وسلم[١] .

ورُوِيَ أنّ عمر قال لعبدالله بن سَلام : « أتعرف محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما تعرِف ابنَك ؟ فقال : نعم وأكثرُ ، بعث الله أَمينه في سمائه، إلى أمينه في أرضه ، بنَعْتِهِ فعرفْتهُ ، وابني لا أدري ما كان من أُمِّه »[٢] .

١٩ ــ وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [آية ٢٣] .

قال أبو إسحاق[٣] : تأويل هذه الآية لطيفٌ جدّاً ، أخبر اللهُ جلَّ وعزّ بقصص المشركين وافتتانهم بشركهم ، ثم أخبر أن فتنتَهم

---

(١) هذا هو الأصح والأشهر أن المراد به يعرفون النبي ﷺ بصفاته المذكورة في التوراة .

(٢) « عبدالله بن سلام » من أكابر أحبار اليهود ، وقد أسلم رضي عنه ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتابِ ﴾ والأثر عن عمر ذكره المفسرون ، أبو حيان في البحر ٤/٩٣ وابن عطيه في المحرر الوجيز ٥/١٥٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٤ وفي بعض الروايات أن عبدالله بن سلام قال لعمر : نزل الأمين من السماء ، على الأمين في الأرض بنعته فعرفته ، ولست أشكُّ في أنه نبيٌّ ، وأما ولدي فلا أدري ما كان من أمه ، فلعلها خانت ، فقبَّل عمر رأسه . اهـ

(٣) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته .

لم تكـن حين رَأَوْا الحقائـق إِلَّا أن آنتَفَـوْا مِنَ الشِّرك ، ونظيـرُ هذا في اللغة أن ترى إنساناً يُحِبّ غاوياً ، فإذا وقع في هَلَكةٍ تبرَّأ منه ، فيقول له : ما كانت محبتُكَ إيَّاه إِلَّا أن تبرَّأتَ منه[1] .

فأمّا معنى قولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيـنَ ﴾ وقـال في موضع آخر : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثـاً ﴾ معطـوفٌ على ما قبلـه ، والمعنى : وودّوا أنْ لايكتموا اللـه حديثـاً[2] . والدليـلُ على صحّـة هذا القول أنّه :

رُوِيَ عن سعيـد بن جبير في قولـه : ﴿ وَاللَّـهِ رَبِّنَـا ما كُنَّـا مُشْرِكِيـنَ ﴾ قال : اعتـذروا وحلفـوا ، وكـذلك قال ابـن أبي نَجيـح وقتاده[3] .

وروي عن مجاهـد أنّـه قال : لما رَأَوْا الذنـوب تُغفـر إلّا الشِّرك ، والناس يخرجون من النّارِ إلّا المشركين ، قالوا : ﴿ وَاللَّـهِ رَبِّنَـا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٥٩ .

(٢) يريد المصنف أنَّ ظاهر الآيتين قد يوحي بالتعارض ، فهنـا يقولـون « واللهِ رَبّنـا مَاكُنّـا مُشْرِكِيـنَ » فقد كتموا ذلك على الله ، وفي آية أخرى يقول « وَلاَ يكتُمـون اللهَ حَدِيثـاً » وقـد وفَّـق المصنـف بينهما ، بأن الآية الثانية ليس فيها كتمان ، وإنما هي متعلقـة بما قبلهـا والمعنـى تمنَّـوا ألاَّ يكونـوا قد كتموا الله حديثاً ، لأن الله فضحهم حين أنطق جوارحهم .

(٣) انظر زاد المسير ٣/١٧ والطبري ٧/١٦٨ قال : اعتذارهـم بالباطـل والكـذب ، فقـد فسَّر قتـادة معنى « فتنتهم » بأنها اعتذارهم ، وفسَّر غيره الفتنة بمعنى القول ، قال ابـن الأنبـاري : فالمعنـى : اعتذروا بما هو مُهْلِكٌ لهم ، وسببٌ لفضيحتهم .

(٤) الطبري ٧/١٦٧ وابن الجوزي ٣/١٧ والقرطبي ٦/٤٠٣ .

وقولُ بعض أهل اللغة : إنما قالوا هذا على أنهم صادقون عند أنفسهم ، ولم يكونوا ليكذبوا وقد عاينوا مَاعَاينوا ، وقُطْرُبٌ يذهب إلى هذا القول ، وهو قولٌ مردود ؛ لأنه قال : لم يكونوا ليكذبوا ، وبعدها ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ . ويُبَيِّنُ لك الغَلَط[1] في هذا القولِ قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعَاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾ الآية .

قال مجاهد : كذَّبهم الله .

وقيل : معنى ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثَاً ﴾ : أنه ظاهر عنده .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرَاً ﴾** [آية ٢٥] .

---

(١) قول قطرب ضعيف كما بيَّن المصنِّف ، لأن قوله تعالى ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ صريحٌ في كذبهم ، والصحيح في هذه الآية ما قاله ابن عباس : يغفر الله لأهل الإخلاص ذنوبهم ، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا : تعالوا نقول : « إنَّا كنَّا أهلَ ذنوبٍ ، ولم نكن مشركين ، فإذا حلفوا ختم الله على أفواههم ، ونطقت أيديهم ، وشهدت أرجلهم بما كانوا يكسبون » ويؤيده ما جاء في صحيح مسلم « فيلقى العبد فيقول : أي فُلْ ــ يعني يا فلان ــ : ألَمْ أكرمك ، وأسوِّدْك ، وأزوِّجْك ، فيقول : بلى أي ربِّ ، فيقول : أفظننتَ أنك ملاقيَّ؟ فيقول : لا ، فيقول فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك ، ثم يلقى الثالث ، فيقول يارب آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك ، وصلَّيتُ وصمتُ وتصدَّقت ، فيقال : ها هنا إذاً ، ثم يُقال له : الآن نبعث شاهداً عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ ؟ فيختم الله على فيه ؟ ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك الذي سخط الله عليه » صحيح مسلم ٤/٢٢٨٠ .

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١٨ .

قيل : فُعِل بهم هذا مجازاةً على كفرهم ، وليس المعنى أنّهم لايسمعون ولا يفقهون ، ولكنْ لَمّا كانوا لاينتفعون بما يسمعون ولا ينقادون إلى الحقّ كانوا بمنزلة من لايسمع ولا يفهم[1] .

ثمَّ خَبَّرَ بعنادهم فقال : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَـةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ ؛ لأنهم لَمّا رَأَوْا القمر منشقاً قالوا : سحرٌ ، فأخبر الله عزّ وجلّ بردّهم الآيات بغير حُجّة ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ فَخَبَّرَ أنَّ هذا مقدارُ احتجاجهم[2] .

٢١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾**[آية ٢٦] .

أكثرُ أهل التفسير يذهب إلى أنّ المعنى للكفار أي : يَنْهونَ

(١) هذا هو الصحيح ، فإن الله سبحانه جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، ولكنهم عطّلوها فلم ينتفعوا بها بكفرهم وضلالهم كما قال سبحانه ﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ..﴾ الآية سورة الأحقاف ٢٦ قال أبو حيان في البحر ٩٧/٤ : أخبر تعالى أنهم من الغباوة في حدِّ منْ قلبُه في كنانٍ ، وأذنه صمّاء ، والظاهر أن الغطاء والصمَّم هنا ليس حقيقةً ، بل ذلك من باب استعارة المحسوس للمعقول ، حتى يستقرَّ في النفس ، استعار الأكنة ــ الأغطية ــ لصرف قلوبهم عن تدبر آيات الله ، والثِّقل في الأذن لتركهم الإصغاء إلى سماعه ، ألا تراهم قالوا ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه﴾ فلمَّا لم يتدبروا ولم يُصْغوا ، كانوا بمنزلة من على قلبه غطاء ، وفي أذنه وقر . اهـ وانظر تفسير ابن عطيه ١٦٣/٥ .

(٢) المراد أنهم بلغوا المكابرة والعناد إلى درجة أنهم إذا جاءوك مجادلين ، يقولون عن القرآن : ما هذا إلاّ خرافات وأباطيل الأولين ، جمع أسطورة وهي الخرافة ، قال الجوهري : الأساطيرُ : الأباطيل والتُّرّهاتُ .

عن اتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ ، ويبعدون عنه(١) .

قال مجاهد : يعني به قريشٌ(٢) .

وكذلك قال قتادة والضّحّاك : يعني به الكفّار(٣) .

وروى سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : أخبرني مَنْ سَمِعَ ابن عبّاس يقول : نزلت في « أبي طالب » كان ينهي عن أذى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ويتباعد عنه(٤) .

والقولُ الأوّل أشبهُ ؛ لأنه متّصل بأخبار الكفار وقولهم(٥) .

---

(١) هذا قول بن عباس ، والضحاك ، وابن الحنفية ، كما ذكره الطبري في جامع البيان ١٧٢/٧ وابن عطيه في المحرر الوجيز ١٦٥/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ١٠٠/٤ وقال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : الضمير يعود إلى القرآن ، والمعنى : أنهم ينهون غيرهم عن الإيمان بالقرآن ، واتباعه ، وتدبُّره ، ويبتعدون بأنفسهم عنه ، وهو اختيار أبي حيان في البحر ، قال بدليل ماقبله « أن يفقهوه » .

(٢) (٣) هذا هو قول الجمهور ، وهو اختيار الطبري ، أي المراد به كفار قريش ، وانظر جامع البيان ١٧٣/٧ .

(٤) ذكره الطبري ١٧٣/٧ عن ابن عباس قال : « نزلت في أبي طالب ، كان ينهي المشركين أن يؤذوا محمداً ، وينأى عمَّا جاء به » وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠/٣ وابن عطيه ١٦٥/٥ .

أقول : ويُضعف هذا القول أن اللفظ في الآية الكريمة جاء بصيغة الجمع « وهم ينهون عنه » وأبو طالب فردٌ ، فيصبح الضمير كناية عن واحد وهو خلاف اللفظ ، ولو أراد أبا طالب لقال : وهو ينهى عنه وينأى عنه .

(٥) وهذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٧٣/٧ .

٢٢ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾[آية ٢٦] .

أي : وَبالُ ذلك يرجع عليهم ؛ لأن الله جلّ وعزّ يُبَدِّد جموعهم ، [ويَنْصُرُهُ عليهم][1] .

٢٣ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[آية ٢٦] .

أي : وما يشعرون أنّ وَبالَ ذلك يرجع عليهم .

٢٤ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾[آية ٢٧] .

في معناه ثلاثة أقوال :

١ ـ منها أن معنى ﴿ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أُدخلوها[2] ، كما يُقال : وقفتُ على ما عند فلان ، أي : عرفتُ حقيقته .

٢ ـ وقيل : معناه رَأَوْها .

٣ ـ وقيل : جازوا عليها وهي من تحتهم[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

(٢) ذهب الطبري ١٧٤/٧ إلى أن معنى « وُقِفُوا على النَّار » أي حُبِسُوا فيها ، قال : و « على » بمعنى «في» كما قال سبحانه ﴿ واتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشَّيَاطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي في ملك سليمان ، وقال في البحر ١٠١/٤ ﴿ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ معناه عند الجمهور : حُبِسوا على النار .

(٣) ذكر هذه الوجوه الزجاج في معانيه ٢٦٢/٢ ورجَّح القول الأول ، ونصُّ عبارته : ﴿ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه : جائزٌ أن يكونوا عاينوها ، وجائزٌ أن يكونوا عليها وهي تحتهم ، والأجودُ أن يكون معنى « وُقِفُوا على النَّار » أُدْخِلوها فعرفوا مقدار عذابها ، كما تقول في الكلام : قد وقفتُ على ما عند فلان ، تريد : قد فهمتُه وتبيَّنتُه . اهـ .

٢٥ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[آية ٢٧] .

المعنى : ونحن لانكذّبُ بآيات ربّنا ، رُدِدْنا أو لم نُرَدّ[١] .

قال سيبويه : ومثلُه : دعني ولا أعود ، أي ولا أعود تركتني أو لم تتركني .

ومن قرأ : ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فمعناه عنده : ياليتنا وقع لنا الرَّدُّ وأن لانكذبَ .

قال أبو إسحاق : وفيه معنى : إنْ رُدِدْنا لم نكذّبْ[٢] .

وقرأ ابن عامر : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصب .

وقرأ عبدالله بن مسعود : ﴿ولا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ المؤمنين ﴾[٣] .

---

(١) هذا المعنى على رأي من قرأ « ولا نُكذّبُ بآياتِ ربنا ونكونُ » بالرفع فيهما ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، والكسائي ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، وعاصم « ولا نكذّبَ .. ونكونَ » بالنصب فيهما ، وكلاهما من القرءات السبع ، وانظر النشر ٢٥٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٥٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٢ ففيه توضيح لهذا القول ، قال : فأمّا النصب فعلى « يا ليتنا نردُّه» على معنى التمني ، كما تقول : ليتَك تصيرُ إلينا ونكرِّمك ، المعنى : ليتَ مصيرَكَ يقع ، وإكرامَنا ، ويكونُ معنى الآية : ليتَ ردَّنا وقع ، وأن لا نكذّب أي إن رُددنا لم نكذّبْ . اهـ .

(٣) هذه من القراءات السبع كما في النشر ٢٥٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٥٥ .

وقــرأ أُبَيّ بن كعب : ﴿ ولا نكذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا أبداً ﴾(1) .

٢٦ ــ وقــال جلّ وعــزّ : ﴿بَــلْ بَدَا لَهُــمْ مَا كَانُــوا يُخْفُــــونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [آية ٢٨] .

المعنى : بل ظهر للذين اتبعوا الغُـواةَ ، ما كان الغُـواةُ يُخفـون عنهم من أمر البعث والقيامة(2) ، لأنّ بعده : ﴿ وَقَالُـوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَـا الدُّنْيَـا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(3) .

وقال بعض أهل اللغة : ولو رُدُّوا لعـادوا لما نُهـوا عنـه ، فيـه شيءٌ محذوفٌ ، والمعنـى : ولـو رُدُّوا قبـل أنْ يعاينـوا العـذاب ؛ لأنهم لايكفرون بعدما عاينوا .

وهذا القولُ مردودٌ ؛ لأنّ الله جلّ ثناؤه أخبر عنهم أنهم يقولـون

---

(1) هذه ليست من القراءات السبع ، وإنما هي من الشواذّ ، فلا تجوز القراءة بها ، ومعنى الآية على الأشهر والأظهر : لو ترى يا محمد هؤلاء المشركين ، حين حُبسوا على النـار ، لرأيت أمراً عظيمـاً تشيب الـرءوس ، حُذف الجواب ليكـون أبلـغ في التهويـل ، وعندهـا تمنـوا الرجـوع إلى الدنيـا ، ليعملوا عملاً صالحاً ولا يكذبوا بآيات الله ، ويتداركوا الزَّلَل .

(2) قال الطبري ١٧٦/٧ : يقـول تعـالى ذكـره : ما قصدُ هؤلاء الجاحديـن ، في قولهم إذا وُقفـوا على النـار ﴿ يا ليتنـا نردُّ ولا نكـذِّب بآيـات ربنـا ﴾ الأسى والنـدم على ترك الإيمان بالله ، لكـنْ بهم الإشفاقُ مما هو نازل بهم من عقاب الله ، على معـاصيهم التـى كانـوا يخفـونها عن أعين النـاس ، فأظهرها الله على رءوس الأشهاد وفضحهم بها . اهـ .

(3) قال الحافظ ابن كثير ٢٤٣/٣ : « يذكـر تعـالى حال الكفـار إذا وقفـوا يوم القيامـة على النـار ، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال ، فعنـد ذلك قالوا ﴿ يا ليتنا نردُّ ولا نكذِّب بآيات ربنا ﴾ يتمنون أن يُردُّوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، وظهـر لهم حينئذٍ ما كانـوا يُخفـون في أنفسهـم من الكفــر والتكــذيب والمعانــدة ، وإن أنكروهــا في الدنيا » . اهـ .

هذا يوم القيامة ، وقد خبّر جلّ وعزّ عن إبليس أنه كفر بعدما رأى ، وعنهم أنهم كفروا عناداً وإيثاراً للرئاسة(١) .

٢٧ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾** [آية ٣١] .

البغتة : الفجاءة .

يقال : بَغَتَهم الأمْرُ يَبْغَتُهم بَغْتاً وبَغْتَةً(٢) .

٢٨ ــ **ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾** [آية ٣١]

الفائدةُ في نداء الحسرة وما كان مثلها ممَّا لايُجيبُ أنّ العرب إذا أرادت تعظيم الشيءِ ، والتنبيهَ عليه ، نادته ، ومنه قولهم : يَا عَجَبَاه(١) .

قال سيبويه : إذا قلتَ : يا عَجَبَاه فمعناه أُحْضُرْ وتَعالَ يا

(١) كما قال سبحانه عن فرعون وأتباعه ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلُوًّا ﴾ النمل آية ١٤ .

(٢) في الصحاح ٢٤٣/١ : البغتُ : أن يَفجأك الشيء ، تقول : بغَتَه أي فَاجأه ، ولقيتُه بغتةً أي فجأة ، والمباغتةُ : المفاجأة ، ويُقال : لستُ آمنُ مِنْ بغتات العدوّ أي فجآته ، وقال الشاعر :
ولكنَّهم ماتوا ــ ولم أدر ــ بَغْتَةً وأفظعُ شيءٍ حين يَفْجَؤُك البَغْتُ

(٣) قا ابن عطيه في المحرر الوجيز ١٧٦/٥ : « ونداءُ الحسرة على وجه تعظيم الأمر وتشنيعه ، وكأنَّ الذي يُنادي الحسرةَ ، أو العَجَبَ ، أو السرورَ ، أو الويلَ ، يقول : اقربي أو احضري فهذا وقتك وزمنك ، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه ، وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود بنداء الجمادات ، كقولك : يا دار ، ويا رَبْعُ ، وفي نداء ما لا يعقل كقولهم : يا جَمَلُ ، ونحو هذا » . اهـ وانظر ايضاً البحر المحيط ١٠٧/٤ .

عجبُ ، فإنّ هذا من أزمانك ، فهذا أبلغ من قولك : تعجَّبتُ ، ومنه قولُ الشاعر :

فيا عَجَباً مِنْ رَحْلِها المُتَحَمِّلِ[1]

٢٩ ـ وقوله جلّ وعز : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [آية ٣١].

واحد الأوزار : وِزْرٌ ، والفعل منه وَزَرَ يَزِرُ ، يراد به الإِثم ، وهو تمثيلٌ[2] ، وأصله الوَزَرُ ، وهو الجَبَل .

ومنه الحديث في النساء اللواتي خرجنَ في جنازة ، فقال لهنّ : « ارْجعْنَ مَوْزوراتٍ غير مأجورات »[3] .

قال أبو عبيد : والعامة تقول : « مأزوراتٍ »[4] كأنه لا وجه له عنده ؛ لأنه من الوزر ، ومنه قيل : وزيرٌ ، كأنه يحمل الثقل عن صاحبه .

---

(١) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس ، وتمامه كما في ديوانه صـ ١٢٦ .

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَىٰ مَطِيَّتي ... فَيَا عَجَباً من رَحْلِهَا المتَحَمِّلِ

(٢) هذا من باب التمثيل ، شبَّه تعالى ذنوبهم وجرائمهم بأحمالٍ ثقيلة يحملونها على ظهورهم ، وقيل : إنه على الحقيقة ، يُصوَّر للكافر عملُه في أقبح صورة وأنتنها ، فيقول له : من أنتَ ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، طالما ركبتني في الدنيا فأنا أُركبك اليوم .. الخ وانظر تفسير ابن كثير ٢٤٤/٣ .

(٣) أخرجه ابن ماجه عن عليٍّ رضي الله عنه ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ٤٧٣/١ وروايته في الجامع الصغير « ارجعْنَ مأزورات غير مأجورات» وأمّا ما رواه المصنف «موزورات» فهو على الأصل ، وليست رواية الحديث كما أوردها

(٤) قال المناوي في شرح الجامع الصغير ٤٧٣/١ : « مأزورات » أي آثمات ، والقياسُ مَوْزُورات ، لأنه من الوِزْرِ ضدُّ الأجرِ ، وإنما قُصد الازدواج لقوله « غَيْرَ مأجوراتٍ » والمشاكلةُ بين الألفاظ من مطلوبهم . اهـ .

٣٠ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ [آية ٣٣] .

هكـذا روي عن علي بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ أنه قرأ[١] ، وهو اختيار أبي عبيـد ، واحتـج بأنـه رُوِيَ أنّ أبـا جهـل قال للنّبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إنّا لانُكْذِبُكَ ، ولكنّا نكـذِّبُ ما جئتَ به ، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[٢] .

وقد خُولِفَ أبو عبيد في هذا ، وروي « لانُكَذِّبُكَ » فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[٣] ، ويقويٌ هذا أنه رويَ أنّ رجلاً قرأ على ابن عبّاس ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ ، فقال له ابـن عبّـاس :

---

(١) هذه قراءة نافع والكسائي ﴿ لا يُكْذِبونك ﴾ بالتخفيف ، وقرأ بقيـة السبعـة بالتشديـد «لايُكَذِّبونَكَ » وكلا القراءتين سبعية ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٥٨ والسبعة لابن مجاهد صـ ٢٥٧ .

(٢) روى القرطبي ٦/٤١٦ عن أبي ميسرة ، أن رسول الله ﷺ مرّ بأبي جهلٍ وأصحابه ، فقالـوا : يا محمد ، والله لا نكَذِّبك وإنك عندنـا لصادق ، ولكـنْ نكـذِّب ما جئت به ، فنـزلت هذه الآية ﴿ فإنهم لا يُكَذِّبوك ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحـدون ﴾ وروى ابـن الجوزي في تفسيره ٣/٢٨ عن السدي أن « الأخنس بن شريق » لقي أبا جهل ، فقـال الأخنـس : يا أبـا الحكـم ، أخبرني عن محمد أصادقٌ هو أم كاذب ؟ فليس ههنا من يسمع كلامك غيري ، فقـال له أبـو جهـل : والله أن محمداً لصادق وما كذب قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصيٍّ باللواء ، والسقاية والحِجاية ، والنبوة ، فماذا سيكون لسائر قريش ؟ فنزلت هذه الآية ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الـذي يقولـون ، فإنهم لايكذِّبونك ، ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ وانظر تفسير ابن كثير ٣/٢٤٧ .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٢/٢٦٦ : معنى « كذَّبتُـه » : قلت له : كذبتَ ، ومعنـى « أكذبتُـه » ادَّعيت أنَّ ما أتى به كذبٌ ، وتفسير قوله ﴿ لا يُكَذِّبـونَكَ ﴾ أى لايقـدرون أن يقولـوا لكَ فيمـا أنبأت به كَذَبْتَ ، ووجه آخر أنهم لا يكذِّبونك بقلوبهم أي يعلمون أنك صادقٌ .

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ ؛ لأنهم كانوا يسمّون النبي ـ ﷺ ـ الأمين[١] .

ومعنى (يُكْذِبُونَكَ) عند أهل اللغة : يَنْسِبونَكَ إلى الكذب ، ويروُوْن عليكَ ما قلتَ .

ومعنى (لا يُكَذِّبُونَكَ) : لايجدونك كاذباً ، كما تقول : أَحْمَدْتُه ، إذا وجدتُه محموداً[٢] .

ويجوز أن يكون معنى المخففة : لايُبيِّنون عليك أنك كاذبٌ ؛ لأنه يقال : أكذبتُه ، إذا احتججتَ عليه وبيّنتَ أنه كاذب[٣] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري حدثنا شعيب بن أيوب الواسطي عن معاوية بن هشام عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن عليّ قال : قال أبو جهل للنبي ـ ﷺ ـ : إنّا لا نُكْذِبُكَ ولكن نُكَذّبُ ما جئت به ، فأنزل اللهُ عزّ وجلّ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن ، كذا في الدر المنثور ١٠/٣ وروى نحوه عن ابن عباس .

(٢) قال ابن الأنباري : كان الكسائي يقول : كذَّبْتُ الرجلَ : إذا نسبتهَ للكذب ، وصنعةِ الأباطيل ، وأكذبتُه : إذا أخبرتَ أن الذي يحدِّث به كذبٌ ، ليس هو الصانع له ، وقال غير الكسائي : يُقال : أكْذَبْتُ الرجل : إذا أدخلتَه في جملة الكذابين ، ونسبته إلى صفتهم ، كما يقال : أبخلتُ الرجل : إذا نسبتَه إلى البخل ، قال الشاعر :
فَطَائِفَةٌ قد أكفَرُوني بحُبِّكُمْ وطَائِفَةٌ قالُوا : مُسَيّءٌ ومُذْنِبُ
وانظر زاد المسير ٢٩/٣ .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٤١٦/٦ والبحر المحيط ١١٢/٤ وتفسير ابن عطية ١٨١/٥ ففيها تفصيل وتوضيح لأقوال المفسرين وعلماء اللغة .

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَآيَاتِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ ﴾[1] .

والقول في هذا مذهب أبي عُبَيْد ، واحتجاجه لازم ؛ لأن عليًّا ـ رحمة الله عليه ـ هو الذي روى الحديث ، وقد صحّ عنه أنّه قرأ بالتخفيف[2] .

وحكى الكسائيّ عن العرب : أكذبتُ الرّجلَ ، أخبرتُ أنه جاء بالكذب ورواه، وكذّبتُه : أخبرتُ أنه كاذب[3] .

٣١ ـ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ ﴾** [آية ٣٥] .

قال قتادة : النّفقُ : الشّرْبُ في الأرضِ ، والسُّلَّمُ : الدَّرجُ .

وكذلك هو في اللغة ، ومنه النافقاء : أحدُ جُحَرِ اليربوع[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٥/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وذكره الطبري في جامع البيان ١٨٢/٧ ووقفه على ناجية ولم يرفعه لعلي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٩/٣ عن علي رضي الله عنه ، وعزاه إلى الترمذي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم ، وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٢٤٥/٣ .

(٢) هذه من القراءات السبع كما بيَّنا ، وهي قراءة نافع والكسائيّ .

(٣) هكذا ذكر الطبري ١٨٠/٧ قال : واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ جماعةٌ « لا يُكْذِبونك » بالتخفيف بمعنى أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحدون حقيقته ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ، يحكي عن العرب أنهم يقولون : أكذبتُ الرجل : إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه ، ويقولون : كذَّبته : إذا أخبرت أنه كاذب . اهـ.

(٤) قال في البحر ١١٤/٤ : النَّفقُ : السَّربُ في داخل الأرض الذي يتوارى فيه ، والنَّافقاءُ ممدودٌ وهو=

قال أبو إسحاق : والسُّلَّمُ : مشتَقٌّ من السَّلامة ، كأنه يُسْلِمك إلى الموضع الذي تريد[1] .

والمعنى : إن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سُلَّماً في السماء فتأتيهم بآية فآفعلْ . ثم حُذف هذا لِعلْم السامع[2] ، أي ليس لكَ من الأمر شيءٌ .

٣٢ ـ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾** [آية ٣٥]

أي : لأراهم آيةً تضطرهم إلى الإيمان ، ولكنّه أراد جلَّ وعزّ أنْ يثيب من آمن منهم ومن أحسن .

ويجوز أن يكون المعنى لَطَبَعَهُمْ على الإيمان[3] .

٣٣ ـ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾** [آية ٣٦] [4] .

قال الحسن ومجاهد : يُراد به المؤمنون ، والمعنى : الذين

= أحد مخارج جُحر اليربوع ، والسُّلَّمُ : المصعدُ قال السدي ، وقال قتادة : الـدَّرجُ . وفي الصحاح ١٥٦٠/٤ النَّفقُ : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان ، وفي المثل « ضَلَّ دُرَيصٌ نَفَقَه » أي جحره ، والنافقاءُ : إحدى جِحَرةِ اليربوع . اهـ .

(١) انظر معاني الزجاج ٢٦٧/٢ .

(٢) جواب الشرط محذوف لدلالة المعنى عليه ، وتقديره : فافعل ، كما تقول لصديقٍ لك : إن شئتَ تقومُ بنا إلى فلان نزورُه أي فافعل ، قال ابن عطية : وحذف جواب الشرط إيجازاً لفهم السامع به ، تقديره فافعل ، أو فدونك . اهـ . المحرر الوجيز ١٨٨/٥ .

(٣) المراد من الآية بيان أن أمر الإيمان بيد الرحمن ، فلو أراد الله لهداهم إلى الإيمان ، إمَّا بأن يخلقهم مؤمنين ، وإمَّا بأن يكسبهم الإيمان بعد كفرهم ، بأن يشرح صدورهم له ، والآية ردٌّ على القدَّرية المنكرين للقضاء والقدر ، الذين يقولون : لا خلق لله في أفعال البشر ، وانظر البحر المحيط ١١٥/٤ في الردِّ عليهم .

(٤) الطبري ١٨٦/٧ عن الحسن قال : « الذين يسمعون » المؤمنون « والموتى » الكفار .

يسمعون سماع قبول[1] .

٣٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ والمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ [آية ٣٦] .

قال الحسن ومجاهد : يُراد به الكُفَّار .

وقال غيرهما : يُرادُ بِهِ كلُّ ميِّتٍ[2] .

٣٥ ـ وقولُه جلّ جلاله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ، إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [آية ٣٨] .

وأكثرُ أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى : أنهم يُخْلَقون كما يخْلقون ، ويُبْعثون كما يُبْعثون .

وكذلك قال أبو هريرة : يحشر اللهُ جلَّ وعزّ يوم القيامة ، الطيرَ ، والبهائم ، فيبلغ من عدله أنْ يأخذ من القَرْناء للجَمّاء ، ثمّ

---

(١) هذا هو الصحيح أن المراد بالسماع سماع القبول والإصغاء ، لا مطلق السماع المجرد عن الانتفاع ، وقد قال قتادة : هذا مثل المؤمن ، سَمِع كتاب الله ، فانتفع به ، وأخذ به وعَقَله ، ومثل الكافر ، أصمُّ أبكم ، لا يبصرُ هُدىً ، ولا ينتفع به . اهـ الطبري ١٨٦/٧ .

(٢) هذا القول ضعيف والراجح ماقاله الحسن ومجاهد ، وهو قول جمهور المفسرين ، أن الآية مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالمؤمن كالحي ، والكافر كالميت ، ويشهد لذلك قوله سبحانه ﴿ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٢٤٨/٣ ﴿والموتى يبعثهم الله ﴾ يعني بذلك الكفار ، لأنهم موتى القلوب ، فشبههم الله بأموات الأجساد ، وهذا من باب التهكم والإزدراء بهم ، وكذلك قال الطبري ١٨٥/٧ المراد بالموتى الكفار ، فجعلهم تعالى في عداد الموتى ، الذين لايسمعون صوتاً ، ولا يعقلون دعاءً ، ولا يفقهون قولاً . اهـ .

يقـول : كوني تراباً ، فعنـد ذلك يقـول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَنِـي كُنْتُ تُرَاباً ﴾[1] .

وقـال **مجاهـد** في قولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ إِلَّا أُمَـمٌ أَمْثَالُكُـمْ ﴾ قال : أصنافٌ ، لهنَّ أسماء تُعْرَف بها كما تُعْرَفون[2] .

ومعنى ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ على التوكيـد ؛ لأنك قد تقـول : طرت في حاجتي[3] .

٣٦ ــ **وقولـه جلّ وعـزّ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُـمْ إِنْ أَتَاكُـمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُـمُ السَّاعَةُ ﴾** [آية ٤٠] .

والمعنى : أو أتتكم الساعة التي تُبعثون فيها .

٣٧ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** . [آية ٤٠] .

---

(١) الحديث أخرجه عبدالرازق ، وابـن أبي حاتم ، والحاكم وصححـه ، وهـو موقـوف على أبي هريـرة ، ورواه الطبري في جامع البيان ١٨٨/٧ وابن كثير في تفسيره ٢٤٩/٣ والسيوطي في الـدر المنثـور ١١/٣ أقول : ويشهد له ماجاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لَتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقـاد للشاة الجلحـاء من الشاة القرناء » صحيح مسلم ١٩٩٧/٤ والترمذي رقم ٢٤٢٢ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١٨٧/٧ وزاد المسير ٣٥/٣ والدر المنثور ١٠/٣ ونقل في البحر ١٢٠/٤ عن مكي أنها أمم أمثالنا في معرفة الله وعبادته، وهذا قول أبي عُبيدة ، ونقله الواحدي عن ابن عبـاس أن المماثلة حصلت من حيث إنهم يعرفون الله ويحمدونه ويوحدونه ويسبِّحونه .

(٣) قال ابن جرير في جامع البيان ١٨٩/٧ : « فإن قيل : ما الفائدة من ذكر الجناحين ؟ وهل يطير الطائر إلاَّ بجناحيه ؟ قلت : إن الله تعالى أنزل كتابه بلسان قوم وبلغـاتهم ، وما يتعارفونـه بينهم ، والعرب إذا أرادوا المبالغة في الكلام أكدوه فقالوا : كلـمت فلانـاً بفمـي ، ومشيتُ إليـه برجلي ، وضربته بيدى ، فخاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ، ويستعملونه في خطابهم » .

في هذا أعظم الاحتجاج عليهم ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، فإذا وقعوا في شدّة دعوا الله[1] .

٣٨ ـ وقال جلّ وعزّ : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ [آية ٤١] .

هذا مجازٌ ، والمعنى : فيكشف الضرّ الذي من أجله دعوتموه ، وهو مِثْل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ في المجاز[2] .

٣٩ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [آية ٤٢] .

قيل : البأساءُ : الجوع والفقر ، والضَّرَّاءُ : نقص الأموالِ ، والأنفسِ بالمرض ، والثمرات[3] .

٤٠ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [آية ٤٢] .

---

(١) يريد أن في هذه الآية إقامة الحجة على الكفار ، حيث يعبدون الأوثان ولأصنام ، فإذا وقعوا في كرب أو شدَّة ، دعوا الرحمن وتركوا الأوثان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وتنسون ماتشركون ﴾ أي تنسون آلهتكم المزعومة ، فأقام عليه الحجة في عبادة مالا يسمع ولا ينفع ، ولا يدفع عن عباده شيئاً ، وتلك حجة دامغة .

(٢) هذا رأي الزجاج كذا هو في معانيه ٢/٣٧١ قال : وهذا على إتساع الكلام مثل ﴿ واسأل القرية ﴾ المعنى : سل أهل القرية ، أي أنه مجاز على حذف المضاف .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ٣/٢٥١ : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ يعني : الفقر ، والضيق في العيش ﴿ والضَّرَّاءِ ﴾ وهي الأمراض ، والأسقامُ ، والآلام . اهـ .

أي ليكون العباد على رجاءٍ من التضرع[1] .

٤١ ـ ثمّ قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[آية ٤٣] .

أي : فهلَّا[2] ؟ .

وأعلَمَ اللهُ النَّبيَّ أنه قد أرسل قبله رسولاً إلى قوم ، بلغ من قسوتهم أنْ أُخذوا بالبأساء والضراء فلم يتضرعوا[3] .

٤٢ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[آية ٤٤] .

قال مجاهد : من رخاء الدنيا ويُسْرها[4] .

والتقديرُ عند أهل اللغة : فتحنا عليهم أبواب كُلِّ شيءٍ كان

---

(١) يريد المصنف أن الترجّي من المخلوق لا من الخالق ، فإنّ أصل « لعلَّ » للترجي ، والترجّي من الله غير جائز ، لأن الله يأمر ولا يرجو ، فلذلك فسّره المصنف برجاء العباد ، قال ابن عطيه ١٩٩/٥ : والترجي في « لعلَّ » في هذا الموضع ، إنما هو على معتقد البشر ، أى لو رأى أحد ذلك لرجا تضرعهم بسببه .

(٢) «لولا» هنا بمعنى «هلّا» ، فهي للتحضيض ، وليست حرف امتناع لوجود ، قال الطبري ١٩٢/٧ : ومعنى « فلولا » في هذا الموضع : فهَلاَّ ، والعربُ إذا أَوْلَتْ « لولا » إسماً مرفوعاً ، جعلت مابعدها خبراً ، فقالت : لولا أخوك لزرتُك ، ولولا أبوك لضربتك ، وإذا أولَتْها فعلاً أو لم تُولها إسماً ، جعلوها استفهاماً فقالوا : لولا جئتنا فنكرمك بمعنى هلاَّ ، ومنه قوله سبحانه ﴿ لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴾ اهـ .

(٣) قال القرطبي ٤٢٥/٦ : وهذا عتابٌ على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا إلا حين نزول العذاب .

(٤) الطبري في مجاهد ١٩/٧ والسيوطي في الدر المنثور ١١/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

مغلقاً عنهم[1] .

٤٣ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾** [آية ٤٤] .

قال أبو عبيدة : المبلسُ : الحزينُ النادم[2] .

قال الفرّاء : المبلسُ : المنقطعُ الحُجَّة[3] .

٤٤ ــ**وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾**[آية ٤٥]

الدابر في اللغة : الآخِرُ ، يُقالُ : دَبَرهم يدبرهم ، إذا جاء آخِرهم[4] .

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود : « من الناس من لايأتي الصلاة إلّا دَبَرياً » أي في آخِر الوقت[5] .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٢٧٢/٢ قال ابن كثير ٢٥١/٣ : ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل مايختارون ، وهذا استدراجٌ منه تعالى وإملاء لهم ، عياذاً بالله من مكره ! ..

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٩٢/١ واستدل بقول العجاج : « قال نعم أعرفه وأَبْلَسَا » .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٣٥/١ ولفظُه : المبلسُ : اليائس المنقطع رجاؤه ، ولذلك قيل للذي يسكتُ عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب : قد أُبْلِس . اهـ .

(٤) في الصحاح ٦٥٣/٢ : ودُبْرُ الأمر : آخرهُ ، وقطع الله دابِرَهُم أي آخر من بقي منهم .اهـ . قال الشاعر :

فَأُهْلِكُوا بِعَذَابٍ حصَّ دَابِرَهُم ... فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ دَفْعاً ولا انْتَصَرُوا

(٥) في النهاية لابن الأثير مادة دبر ٩٨/٢ : « لا يأتي الصلاة إلا دَبْرياً » يُروى بفتح الباء وسكونها ، وهو منسوب إلى الدبر آخر الشيء ، وفتح الباء من تغييرات النسب اهـ وفي الصحاح ٦٥٣/٢ . قال أبو زيد : يُقال : فلانٌ لا يُصلّي الصلاة إلاَّ دَبَرِياً بالفتح أي في آخر وقتها ، والمحدِّثون يقولون دُبُرِياً بالضم اهـ .

٤٥ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ، وَأَبْصَارَكُمْ ، وختمَ عَلَى قُلوبِكُمْ ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾؟[آية ٤٦] .

المعنى : مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكم بما أُخِذ منكم ؟ والهاء كناية عن المصدر ، فلذلك وُحِّدَتْ(١) .

ويجوز أنْ يكون تعود على السمع مثل ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾(٢) .

٤٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ . [آية ٤٦] .

قال قتادة : أي يصدفون عنها(٣) .

٤٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾[آية ٤٧] .

قال مجاهد : البغتةُ : أنْ يأتيهم فُجَاءة آمنين ، والجهرةُ : أن يأتيهم وهم ينظرون(٤) .

---

(١) المراد الهاء في « به » قال الطبري ١٩٧/٧ فإذا قال قائل : كيف وحَّد الهاء ، وقد مضى الذِّكْر بالجمع ؟ قيل : جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع ، فتكون موحدةً لتوحيد السمع ، وجائز أن تكون معنياً بها ما أُخذ منكم من لسمع والأبصار والأفئدة .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٦٢ وانظر معاني الفراء ٤٤٥/١ .

(٣) في الطبري ١٩٧/٧ « يَصْدِفُونَ » قال قتادة : أي يُعرضون عنها ، وكذلك قال مجاهد ، قال ابن جرير : يُقال : صَدَق فلانٌ عني أي عدل وأعرض .

(٤) إلى هذا القول ذهب الزجاج في معانيه ٢٧٤/٢ وقال الحسن : جهرةً : نهاراً ، وبغتةً : ليلاً ، ذكره في البحر المحيط ١٧٢/٤ والقرطبي ٤٢٩/٦ وقول مجاهد أظهر ، وإليه ذهب ابن جرير ، وابن كثير ، قال الطبري ١٩٨/٧ : ﴿ بَغْتَةً ﴾ أي فجأةً على غِرَّة لا تشعرون ﴿ أَوْ جَهرة ﴾ أي وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه .

٤٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾**[آية ٤٧]

أي هل يهلك إلا أنتم[(١)] ؛ لأنهم كفروا وعاندوا .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾**[آية ٤٨] .

أي لم نرسلهم ليأتوا بالآيات المقترحات ، وإنّما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم ، وإنما مذهبهُم التبشيرُ والإنذار[(٢)] .

٥٠ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾**[آية ٥٠] .

هذا متّصل بقوله جلّ وعزّ : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾[(٣)] أي لا أقول لكم عندي خزائن الله ، التي يرزق منها ويُعطي ، ولا أعلم الغيب فأخبركم بما غاب عنكم إلّا بوحي ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ ؛ لأن المَلَك يشاهد من أمر الله جلّ وعلا ما لايشاهدُ البشر[(٤)] .

---

(١) مراده هل يُهلك إلا أنتم لظلمكم وكفركم ؟ وإنما جاء التعبير في الآية بذكر الظلم ، للتنبيه على علة الإهلاك ، ولوصفهم بالظلم والطغيان ، وانظر البحر المحيط ١٣٢/٤ .

(٢) الآية سيقت لتوضيح الغاية من بعثة الرسل ، ألا وهي التبشير والإنذار ، لا من أجل أن تُقْترح عليهم الآيات والمعجزات حتى يأتوا بها ، فإن مهمة الرسل تبليغ دعوة الله عز وجل .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٣٧ وقد وقع خطأً في المخطوطة في لفظ الآية ، فقد ذكر بلفظ « أُنزِلَ » وصوابه « نُزِّلَ » .

(٤) توضيح هذا أن المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أموراً ، واقترحوا عليه اقتراحات من خوارق العادات ، فجاءت الآياتُ لتبيِّن لهم أنه لم يدَّع الألوهية ، ولا الملكية ، حتى يُطلب منه أن يأتي =

٥١ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ﴾ [آية ٥٠] .

قال مجاهد : يعني المسلمُ ، والكافر[١] .

٥٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ [آية ٥١] .

أي بالقرآن ، وخصّ من يخاف الحشر ؛ لأن الحجّة عليهم أوكدُ ، فإنْ كان مسلماً أُنذِر ليترك المعاصي ، وإن كان من أهلِ الكتاب أُنذِرَ ليتَّبعَ الحقَّ[٢] .

٥٣ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [آية ٥١] .

لأن اليهود والنصارى قالوا : نحن أبناء اللّهِ وأحباؤه[٣] .

= بهذه الخوارق ، فهذا وجه الارتباط بين الآيات السابقة ، والآيات اللاحقة ، وقد وضَّح ابن جرير رحمه الله المعنى توضيحاً جلياً في تفسيره جامع البيان ١٩٩/٧ فارجع إليه .

(١) وهو قول ابن عباس وقتادة ، وانظر الطبري ١٩٩/٧ وابن الجوزي ٤٣/٣ والبحر المحيط ١٣٤/٤ والقرطبي ٤٣٠/٦ وعبَّر عن الكافر بالأعمى ، لأنه عمي عن رؤية الحق ، واتباعه والتمسك به ، والبصيرُ : هو المؤمن ، لأنه أبصر الحقَّ والهدى والإيمان ، فاستمسك بدين الله ، وعمل بطاعة ربه ، والآية كقوله سبحانه ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كم هو أعمى ؟ إنما يتذكّر أولوا الألباب ﴾ الرعد آية ١٩ .

(٢) قال ابن عطية ٢٠٥/٥ : النبي ﷺ مأمور بإنذار جميع الخلق ، وإنما وقع التخصيص هنا بحسب المعنى المقصود ، ولما كان حال الكفرة يدعو إلى اليأس من إيمانهم ، فكأن الآيات تقول له هنا : قل لهؤلاء الكفرة المعرضين كذا ، ودعْهم ورأيهم لأنفسهم ، وأنذر بالقرآن هؤلاء الآخرين ، الذين هم مظنة الإيمان ، وأهل للانتفاع ، ولم يُرِدْ أنه لا ينذر سواهم ، بل الإنذار العام ثابت مستقر . اهـ المحرر الوجيز ٢٠٥/٥ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢٧٥/٢ .

٥٤ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [آية ٥٢] .

قال سعد[١] : نزلت في ستة : أنا وعبدالله بن مسعود وأربعة ، قال المشركون للنّبيّ ــ ﷺ ــ: « إنّا نستحيي أنْ نكون تبعاً لهؤلاء ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[٢] .

وقال مجاهد : نزلت في بلال ، وعبدالله بن مسعود[٣] .

وقال غيره : إنّما أراد المشركون بهذا أن يحتجُّوا على النَّبيِّ ــ ﷺ ــ ؛ لأنّ أتباع الأنبياء الفقراء ، فطلبوا أنْ يطردهم فيحتّجوا

(١) هو « سعد بن أبي وقاص » رضي الله عنه كما جاء في صحيح مسلم رقم ٢٤١٣ قال « كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء عنك لايجترئون علينا ، قال : وكنتُ أنا وابن مسعود ، ورجل من هُذيل ، وبلال ، ورجلان ، لستُ أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع ، فحدَّث نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رقم ٢٤١٣ وابن ماجه بنحوه رقم ٤١٢٨ والسيوطي في الدر ١٣/٣ وانظر جامع الأصول ١٣٢/٢ .

(٢) روى أحمد عن ابن مسعود قال : « مرَّ الملأ من قريش على النبي ﷺ وعنده : صهيبٌ ، وعمَّار ، وبلال ، وخبَّاب ، ونحوهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا يامحمد : أرضيتَ بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم عنك ، فلعلك إن طردتهم أن نتبَّعك !! فأنزل الله ﴿ ولا تطرد .. ﴾ الآية الدر المنثور ١٢/٣ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٠٢/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٣ والدر المنثور ١٢/٣ .

عليه بذلك ، فعَصَمه اللَّهُ ممَّا أرادوا منه(١) .

٥٥ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آية ٥٢] .

المعنى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين ، وما من حسابك من شيء فتطردهم ، على التقديم والتأخير(٢) .

٥٦ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾[آية ٥٣] .

أي اختبرنا وابتلينا ؛ لأنّ الفقراء صبروا على الجهد مع فقرهم ، فكان ذلك أوْكد على الأغنياء في الحُجَّة(٣) .

٥٧ ــ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [آية ٥٣] .

أي : ليقول الأغنياء .

٥٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[آية ٥٤] .

---

(١) ذكر هذا القول الإمام الزجاج في معانيه ٢/٢٧٦ بأوسع من هذا ، وذكر نحوه ابن عطيه في المحرر الوجيز ٥/٢٠٨ وانظر القرطبي ٦/٤٣٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٧٦ .

(٣) معنى الآية الكريمة ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ أي ابتلينا الغني بالفقير ، والشريف بالوضيع ، ليقول الأشراف والأغنياء : أهؤلاء الفقراء الضعفاء منَّ الله عليهم دوننا بالهداية والسبق إلى الإسلام ؟ قال ابن عباس : يعني أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : أهؤلاء هداهم الله من بيننا ؟! وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية . اهـ الطبري ٧/٢٠٧ .

السَّلامُ والسَّلامةُ بمعنى واحد[1] ، ومعنى « سلامٌ عليكم » سلَّمكم الله في دينكم وأنفسكم ، والسلام اسمٌ من أسماء الله جلّ وعزّ[2] ، معناه ذو السلامة .

وقرأ **الحسن** وعاصم وعيسى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ، أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ، فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بفتحهما جميعاً فالأولى بدلٌ من الرحمة ، والثانية مؤكدة مكررة لطول الكلام[3] .

هذا مذهب سيبويه .

وقرأ **أبو عمرو** ، والكسائي ، والأعمش ، وابن كثير ، وشبلٌ بكسرهما جميعاً .

والمعنى في الأولى : قال إنه ، وكسر الثانية ؛ لأنها مبتدأة بعد الفاء .

---

(١) قال الجوهري : والسَّلامُ : السَّلامةُ ، والسَّلامُ : الاستسلامُ ، والسَّلامُ الاسم من التسليم ، والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والسَّلامُ : البراءةُ من العيوب . اهـ الصحاح ٩٥١/٥ .

(٢) يدل عليه قوله سبحانه ﴿ هُوَ اللهُ الذي لا إله إلا هُوَ الملكُ ، القدوس ، السلامُ ، المؤمن ، المُهيمنُ ﴾ قال المفسرون : ومعنى السَّلام : ذو السَّلامة من كل نقصٍ وآفة ، الذي سلم الخلقُ من عقابه ، وأمنوا من جوره اهـ . وانظر تفسير الخازن ٧٢/٤ وتفسير البيضاوي ٣١٢/١ .

(٣) هناك قراءتان سبعيتان شهيرتان ، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرٍو ، وحمزة ، والكسائي « إنَّه من عمل ..فإنه غفور رحيم» بكسر الهمزة فيهما ، وقرأ نافع والباقون بفتح الهمزة فيهما ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢٥٨/٢ والسبعة لابن مجاهد صـ ٢٥٨ قال أبو علي : من كسر ألف « إنه » جعله تفسيراً للرحمة ، ومن كسر ألف « فإنه غفور » فلأن حكمه الابتداء ، وانظر زاد المسير ٤٩/٣ .

وقرأ **أهل المدينة** بفتح الأولى ؛ لأنها تبيينٌ للرحمة ، وكسروا الثانية لما تقدمَّ[1] .

٥٩ ـ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2] .**

المعنى على هذه القراءة : ولتستبينَ يا محمد سبيلَ المجرمين .

فإنْ قيل : فقد كان صلى الله عليه وسلم يستبينها ؟

فالجوابُ عند الزّجّاج : أن الخطاب للنّبيّ ﷺ خطاب لأُمّته[3] ، فالمعنى : ولتستبينوا سبيلَ المجرمين .

فإن قيل : فلِمَ لَمْ تُذْكَر سبيل المؤمنين ؟ .

ففي هذا جوابان :

---

(١) وضّح هذا الإمام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢٧٨/٢ فقال : يجوز فتحهما جميعاً ، ﴿ أنَّه من عمل منكم .. فأنه غفور رحيم ﴾ ويجوز كسرهما جميعاً ، ويجوز فتح الأولى وكسرُ الثانية ، فأما فتح الأولى والثانية ، فعلى أن موضع « أنَّ » الأولى نصب ، المعنى : كتب ربكم على نفسه المغفرة ، وهي بدل من الرحمة ، لأن معنى « أنه غفور رحيم » المغفرة منه ، ويجوز أن تكون الثانية وقعت مؤكدة للأولى ، لأن المعنى : كتب ربكم أنه غفور رحيم ، فلما طال الكلام أُعيد ذكر «أنَّ» فأما كسرهما جميعاً فعلى مذهب الحكاية ، كأنه لما قال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » قال : إنه من عمل .. إلخ .

(٢) هذه قراءة نافع بفتح اللاّم من قوله ﴿ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ المُجرمينَ ﴾ أي ولتعرف يا محمد سبيلَ المجرمين ، وقرأ الباقون ﴿ ولتستبينَ سبيلُ المجرمين ﴾ بالرفع ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٨ .

(٣) راجع معاني الزجاج ٢٧٩/٢ .

أحدهما : أنه إذا استُبِينَتْ سبيلُ المجرمين فقد استُبِينَتْ سبيل المؤمنين .

والجوابُ الآخر : أنْ يكون مثل قوله : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾[1] .

فالمعنى : وتقيكم البرد ثم حذف ، وكذلك هذا يكون المعنى ، ولتستبين سبيل المؤمنين ، ثم حذف[2] .

٦٠ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَاعِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ**﴾ [آية ٥٧] . .

أي ما تستعجلون من اقتراح الآيات[3] ، ويجوز أن يكون المعنى : ما تستعجلون به من العذاب .

---

(١) الآية من سورة النحل رقم ٨١ وتمامها ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ ، وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ وفي الآية إيجاز بالحذف تقديره : وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرَّ والبردَ ، فحذف الثاني استغناءً بذكر الأول ، لأن الساتر من الثياب يستر من الحر والبرد ، ولكن جرى ذكر الحرِّ لأنهم في بلاد الحجاز أكثر معاناة له من البرد .

(٢) وعلى هذا الرأى يكون معنى الآية ولتستبينُ سبيلُ المجرمين ، ولتستبينَ سبيلُ المؤمنين ، إلاّ أن الحديث لما كان عن المجرمين ، اكتفى بذكرهم عن ذكر سبيل المؤمنين ، كما وضحه الإمام الزجاج ، وقال أبو حيان في البحر ١٤١/٤ : وخصَّ سبيل المجرمين لأنه يلزم من استبانتها استبانةُ سبيل المؤمنين ، أو يكون على حذف معطوف لدلالة المعنى عليه ، التقديرُ : ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين . اهـ .

(٣) هذا قول مرجوح ، وهو محكي عن الزجاج ، والراجح أن المراد به العذاب أي ما عندي ما تستعجلون به من العذاب كما قال سبحانه ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ وقال جل ثناؤه ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ وهذا ما رجحه الطبري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، وانظر البحر المحيط ١٤٢/٤

٦١ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿إنِ الحُكْمُ إلّا للهِ يَقْضِي الحَقَّ﴾** [آية ٥٧] .

كذلك قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبو عبدالرحمن السُّلمي وسعيد بن المسيِّب[1] .

واحتجّ بعض مَنْ قرأ هذه القراءة بأنّ بعده ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ ﴾ والفصلُ لا يكون إلّا في القضاء والحكمِ .

وقرأ ابن عبّاس ، ومجاهد ، والأعرج (يَقُصُّ الحَقَّ) .

قال ابن عبّاس : كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ ﴾[2] .

واحتجّ بعضُ مَنْ قرأ هذه القراءة ، بأنه في السَّوَاد[3] بلا ياء .

قال : ولو كانت يقضي لكانت بالحقِّ .

وهذا الاحتجاج لا يلزم ؛ لأن مثل هذه الياء تحذف

(١) قال ابن مجاهد في كتابه السبعة في القراءات صـ٢٥٩ : واختلفوا في الصّاد ، والضّاد من قوله ﴿ يقصُّ الحقَّ ﴾ فقرأ ابن كثير ،ونافع ، وعاصم ﴿ يقصُّ الحقَّ ﴾ بالصاد ، وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وابن عامر ، والكسائي ﴿ يقضي الحقَّ ﴾ بالضاد . اهـ وانظر أيضاً الطبري ٢١١/٧ .

(٢) سورة يوسف آية رقم ٣ .

(٣) مراده أنه في المصاحف وعند جمهور القراء مكتوب بلا ياء ﴿ يَقْضِ الحَقَّ ﴾ فقراءتها « يَقُصّ الحقَّ » أقرب من القراءة الثانية ﴿ يقضي الحقَّ ﴾ لأنها محذوفة الياء .

كثيراً(١) .

وأما قوله : لو كانت يقضي لكانت بالحق ، فلا يلزم أيضاً ؛ لأنَّ معنى يقضي يأتي ويصنع ، فالمعنى : يأتي الحقَّ .

ويجوز أن يكون المعنى يقضي القضاءَ الحقَّ(٢) .

٦٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾** . [آية ٥٩] .

[جمع مِفْتح مفاتح ، وجمع مفتاح مفاتيح](٣) .

أي الوصلة إلى علم الغيب(٤) .

---

(١) قال الفخر الرازي ٧/١٣ : ﴿ يَقْضِ الحقَّ ﴾ بغير ياء ، لأنها سقطت لالتقاء الساكنين ، كما كتبوا « سندعُ الزبانية » بغير واو ، و « فما تُغْنِ النُّذُرُ » بغير ياء ، وعلى كل حال فالقراءتان سبعيتان ، ولا مجال لتخطئة إحداهما ، وقد رجح الطبري ٢١١/٧ قراءة أهل الحجاز والمدينة ﴿ يقضي الحقَّ ﴾ بالضاد ، من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء ، قال : لأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص . اهـ .

(٢) أي على حذف الموصوف وبقاء الصفة ، فحذف القضاءَ اختصاراً ، فصارت يقضي الحقَّ ، كما حذف من قوله تعالى ﴿ يقصُّ الحقَّ ﴾ أي يقصُّ القصصَ الحقَّ ، وانظر تفسير ابن عطية ٢١٩/٥ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٤) يريد ما يتوصل به إلى معرفة أمور الغيب ، فعبر عن ذلك بالمفاتح ، والمفاتح جمع مِفْتَح بكسر الميم ، وهو الآلة التي يُفتح بها ما أُغلق ، قال ابن عطية ٢٢١/٥ : « مفاتح » جمع مِفْتح ، وهذه استعارة عبارة عن التوصل إلى الغيوب ، كما يُتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان ، ولو كان جمع مفتاح لقال : مفاتيح ، فأما مِفْتح بالكسر فهو بمعنى مفتاح ، قال الزهراوي : ومِفْتَحٌ أفصح . اهـ وفي اللسان مادة فتح : المِفتح بكسر الميم ، والمفتاحُ : مفتاحُ الباب ، وكل مافتح به الشيْءُ ، والجمع مفاتيح ، ومفاتح أيضاً . اهـ .

حدثنا محمد بن الحسن ــ يُعْرَف بابن بَدينا ــ قال : حدثنا أبو مصعب الزُّهري قال : حدثنا صالحٌ بن قدامة الجمحي ، عن عبدالله بن دينار ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « مُفاتحُ الغيب خمسةٌ ، لا يعلمها إلَّا اللَّهُ : لا يعلم ما تغيضُ الأرحامُ إلَّا اللهُ ، ولا يعلم مافي غدٍ إلا اللَّهُ ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلَّا اللَّهُ ، ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلّا الله جلّ وعزّ »[1] .

٦٣ ــ **وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾** [آية ٥٩] .

المعنى : أنه يعلمها سقطت أو لم تسقط[2] ، كما تقول ما يجيئك أحد إلّا وأنا أعرفه ، فليس أنك لاتعرفه إلّا في حال مجيئه .

و (مِنْ) للتوكيد[3] ، والدليل على أنها للتوكيد أن الحسن قرأ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٧٥/٨ من فتح الباري بلفظ « مفاتيح الغيب خمسٌ لايعلمها إلا اللهُ : لا يعلم مافي غدٍ إلا الله ، ولا يعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلاَّ الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله » ورواه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٣ وأحمد في المسند ٧/٧ ، وابن مردويه ، وانظر أيضاً جامع الأصول ٣٠٢/٢ .

(٢) عبارة الزجاج في معانيه ٢٨٢/٢ : المعنى : أنه يعلمها ساقطة وثابتة .. الخ .

(٣) قال أبو حيان في البحر ١٤٥/٤ : و « من » زائدة لاستغراق جنس الورقة ، و « يعلمها » أي مطلقاً قبل السقوط ، ومعه ، وبعده ، وقيل المعنى : يعلم متى تسقط ، وأين تسقط ، وكم تدور في الهواء ؟ وقال ابن عطيه ٢٢٢/٥ : وفي هذه الآية البيانُ ، والايضاحُ ، والتنبيه على مواطن العِبَر ، أي إذا كانت هذه المحقورات معلومة ، فغيرها من الجلائل أحرى . اهـ .

﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1] أي إلّا يعلمه علماً يقيناً .

ويجوز أن يكون المعنى : إلّا قد كتبه قبل أن يخلقه[2] . واللَّهُ أعلم بما أراد .

فإن قيل : ما الفائدة على هذا الجواب في كتْبِهِ ، وهو يعلمه ؟

فالجواب عن هذا أنَّه لتعظيم الأمر ، أي اعلموا أنّ هذا الذي ليس فيه ثوابٌ ولا عقابٌ مكتوبٌ ، فكيف بما فيه ثواب وعقاب[3] ؟

٦٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾** [آية ٦١] .

أي يُنيمكم ، فيتوفى الأَنْفُسَ التي تميِّزون بها ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[4] .

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢٢٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٤/١٤٦ وليست من القراءات السبع .

(٢) يشهد لهذا قوله سبحانه ﴿ ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم ، إلاَّ في كتابٍ من قبل أن نبْرَأها ﴾ الحديد آية ٢٢ .

(٣) يرى الطبري في جامع البيان ٧/٢١٣ أن الحكمة في كتابة هذه الأشياء في اللوح المحفوظ ، مع أن الله تعالى لاينسى، إنما هو لامتحان الحفظة ، واختبار الملائكة الموكلين بكتابة أعمال الإنسان ، وإظهار علمه الواسع جل وعلا ، وانظر تفسيره الكبير ٧/٢١٣ .

(٤) سورة الزمر آية رقم ٤٢ وقد أشارت الآية الكريمة إلى الوفاة الكبرى وهي وفاة الموت « الوفاة الحقيقة » وإلى الوفاة الصغرى ، وهي « وفاة النوم » الوفاة الحكمية ، لأن النائم كا لميت في كونه لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، فهو من هذه الناحية كالميِّت .

٦٥ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ [آية ٦٠] .

قال ابن أبي نَجيح : أي كسبتم[١] .

ومعروف في اللغة أنه يقال : جرَح إذا كَسَب[٢] ، ومنه ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِن الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾[٣] .

٦٦ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [آية ٦٠] .

قال ابن أبي نَجيح : أي في النهار[٤] .

٦٧ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمىً ﴾ [آية ٦٠] .

أي لتستوفوا أجلكم[٥] .

٦٨ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [آية ٦١] .

قال إبراهيم النَّخعيّ : يعني أعوان ملك الموت ، يتوفون

---

(١) الطبري عن مجاهد ٢١٤/٧ قال : ما كسبتم من الإثم ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

(٢) في المصباح المنير مادة جرح : واجترح : عمل بيده واكتسب ، وجرحه بلسانه جَرْحاً : عابه وتنقّصه .

(٣) سورة المائدة آية رقم / ٤ والمراد بالجوارح : الكواسب من سباع البهائم كالكلب ، والصقر والشاهين ، ومعنى « مكلبين » معلّمين للكلاب طرق الصيد ، ومؤدبين للجوارح حتى تصطاد ولا تأكل من الصيد .

(٤) الطبري عن مجاهد ٢١٥/٧ قال ابن جرير : ﴿ ثم يبعثكم فيه ﴾ أي يثيركم ويوقظكم من منامكم « فيه » أي في النهار وهو قول قتادة والسدي وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢٢٤/٥ .

(٥) المراد لتبلغوا الأجل المسمّى لانقطاع حياتكم ، وتستوفوا مدة عمركم كاملة .

الأرواح ، ويدفعونها إلى ملك الموت ، أو يرفعونها . كذا في الحديث[1] .

٦٩ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [آية ٦١] .

قال أبو عبيدة : لا يَتوانَوْنَ[2] .

وقال غيره : معنى فَرَّطتُ : قدَّمتُ العَجْزَ[3] .

٧٠ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ﴾ ؟ [آية ٦٣] .

الظلماتُ ها هنا : الشدائدُ ، والعربُ تقول : يومٌ مظلم إذا كان شديداً ، فإذا عَظُمَتْ ذلك ، قالت : يوم ذو كواكب[4] ، وأنشد سيبويه :

---

(١) يشير المصنف إلى الحديث الذي رواه أحمد ٣٦٤/٢ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح ، قالوا : أخرجي أيتها النفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، وربٍّ غير غضبان .. » الحديث وانظر تمامه في تفسير ابن كثير ٢٦٢/٣ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٩٤/١ قال : لا يتوانون ولا يتركون شيئاً ، وقال ابن عباس ﴿ وهو لا يفرطون ﴾ أي لا يضيِّعون . اهـ الطبري .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٨٣/٢ .

(٤) قال في البحر ١٥٠/٤ : الاستفهام للإنكار والتوبيخ من الشدائد ، ويُلجأ إليه في كشفها ، وأكثر المفسرين على أن الظلمات مجازٌ عن شدائد البر لإظلامه ، وغيوبة شمسه ، بدت فيه الكواكب ، ويعنون به أن ذلك اليوم شديدٌ عليهم . اهـ من البحر .

بَنِـــي أَسَدٍ لَوْ تَعْلَمـــونَ بَلاءَنَـــا
إذَا كَانَ يَومٌ ذُو كَواكِبَ أَشْنَعَـــا[1]

٧١ ــ **ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾** [آية ٦٣] .

أي تُظْهِرون التضرع ، وهو أشد الفقر إلى الشّيء والحاجة إليه .

﴿ وَخُفْيَةً ﴾ أي وتبطنون مثل ذلك[2] .

فأَمَر اللهُ النّبيَّ ــ ﷺ ــ أن يوبّخهم ، إذْ كانوا يدعون الله تبارك وتعالى في الشدائد ، ثمّ يدعون معه في غير الشدائد الأصنام ، وهي لا تضرُّ ولا تنفع .

٧٢ ــ **وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾** [آية ٦٥] .

قال عامر بن عبدالله[3] كان ابن عبّاس يقول : أمَّا العذاب ﴿من فوقكم ﴾ فأئمةُ السوء ، وأمَّا العذاب ﴿من تحت أرجلكم﴾ فخدم السُّوء[4] .

وقال الضّحّاك : ﴿ مِنْ فوقِكُمْ ﴾ من كبارِكم ﴿أو مِنْ تحتِ أرجلِكُم ﴾ من سَفِلَتكُم[5] .

---

(١) البيت لعمرو بن شأس ، وهو في كتاب شواهد سيبويه ص ١١٠ وذكره القرطبي ٨/٧ .

(٢) المراد أنهم يدعون ربهم عند معاينة الأهوال ، مظهرين الذل والضراعة ، جهراً وخفية ، بألسنتهم وقلوبهم ، وانظر ماكتبه الطبري ٢١٨/٧ حول هذه الآية الكريمة .

(٣) في الطبري ٢٢٠/٧ « عامر بن عبدالرحمن » ولم نعثر في كتب التراجم على هذا الإسم ، والصواب مافي المخطوطة ، فقد ترجم له الرازي في كتاب الجرح والتعديل ٣٢٦/٦ فقال : عامر بن عبدالله اليحصبي ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه خلاد بن سليمان الحضرمي .. الخ .

(٤ ــ ٥) انظر الآثار في جامع البيان ٢٢٠/٧ والقرطبي ٩/٧ والبحر المحيط ١٥١/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٥٩/٣ .

قال أبو العبّاس[1] : ﴿من فوقكم﴾ يعني الرّجم ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ يعني الخسف[2] .

٧٣ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ﴾** [آية ٦٥] .

الشِّيَعُ : الفِرَقُ[3]

والمعنى : شيعاً متفرقة ، مختلفة لا متفقة ، ولَبَسْتُ : خلطتُ ، ويُبيِّنُهُ قولُه جلّ وعزّ : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ .

قال ابن أبي نَجيح عن مجاهد : يعني الفتن والاختلاف[4] .

٧٤ ــ **وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ، قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾** [آية ٦٦] .

هذا من قبل أن يُؤمر بالحرب ، أي لست أحاربكم حتى

---

(١) أبو العباس هو الإمام المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا قول مجاهد ، والسدي ، وابن زيد ، كما في الطبري ٢٢٠/٧ والقرطبي ٩/٧ ورجح هذا القول الطبري ، وقال القرطبي ٩/٧ : ﴿ من فوقكم ﴾ الرجم بالحجارة ، والطوفان ، والصيحة ، كما فُعل بعاد ، وثمود ، وقوم نوح ، وقوم لوط ، ﴿ ومن تحت أرجلكم ﴾ والخسفُ ، والرَّجْفةُ كما فعل بقارون وأصحاب مدين . اهـ٩/٧

(٣) قال ابن عطيه ٢٣١/٥ ﴿ يلبسكم شيعاً ﴾ أي يخلطكم فِرَقاً يتشيَّع بعضُها لبعض ، واللَّبْسُ : الخلطُ ، وقال المفسرون : هو اختلاف الأهواء ، والقتال بين الأمة .

(٤) أخرج البخاري في كتاب التفسير ٧١/٦ عن جابر بن عبدالله قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ﴿أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : أعوذ بوجهك ﴿ أويَلْبِسَكم شيعاً ويُذيق بعضكم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ «هذا أهون وهذا أيسر » وانظر تفسير ابن كثير ٢٦٤/٣ .

تؤمنوا ، أي لست بمنزلة الموكَّل بكم حتى تؤمنوا[1] .

٧٥ ــ ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿لكلّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية ٦٧] .

وهذا تهديد ، إمَّا بعذاب يوم القيامة ، وإمَّا بالأمر بالحرب[2] .

٧٦ ــ وقولُه عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [آية ٦٨] .

روى شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هم الذين يستهزئون بكتاب الله ، نهاه الله أن يجلس معهم إلَّا أن يَنْسى ، فإذا ذَكَر قام ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هم الذين يقولون في القرآن غير الحقِّ[4] .

---

(١) الوكيل : الحفيظ الموكل على أعمال الإنسان ، والمعنى : لستُ حفيظاً على أعمالكم لأجازيكم بها ، إنما أنا منذر وداع إلى الله ، أدعوكم إلى توحيده وطاعته وعبادته .

(٢) قال ابن عطية ٢٣٣/٥ ﴿ لكل نبأ مستقر ﴾ أي غاية يعرف بها صدقُه من كذبه ﴿ وسوف تعلمون ﴾ هذا تهديد محضٌ ووعيد . وقال ابن عباس : المعنى لكل خبرٍ وقوعٌ ولو بعد حين ، كقوله سبحانه ﴿ ولتعلمنَّ نبأه بعد حين ﴾ وانظر ابن كثير ٢٧٢/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ٢٢٩/٧ والقرطبي ١٢/٧ والدر المنثور ٢٠/٣ وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حُميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، كذا في الدر .

(٤) جامع الأحكام للقرطبي ١٢/٧ والطبري ٢٢٩/٧ قال القرطبي : وفي هذه الآية دليلٌ على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحِلُّ ، ومن خاض في آيات الله تُركت مجالستُه وهجر ، ومنع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ، ودخول كنائسِهم والبِيَع ، ومجالسة الكفار وأهل البدع ، وألاَّ تعتقد مودتهم ، ولا يُسمع كلامهم ومناظرتهم اهـ .

٧٧ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [آية ٦٩] .

قال مجاهد : أي لو جلسوا ، ولكنْ لايجلسوا(١) .

أي لأنّ الله قد نهاهم .

٧٩ ــ وقولُه عزّ وجلّ : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ، وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [آية ٧٠] .

قال قتادة : هذا منسوخ ، نَسَخَه قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾(٢) .

٨٠ ــ ثم قال جلّ وعز ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [آية ٧٠]

قال مجاهد : تُسْلَمَ(٣) .

وقال الكسائي والأخفش : أي تُجْزَى(٤) .

---

(١) ذكره الطبري ٧/٢٣٠ عن مجاهد ، وهذا القول ضعيف ، فإن الله عز وجل قد نهى المؤمنين عن مجالسة أهل الكفر والضلال بقوله سبحانه ﴿ وقد نزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلاتقعُدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ والمعنى الصحيح للآية : ليس على المؤمنين شيء من حساب المشركين على استهزائهم وسخريتهم ، إذا تجنَّبوهم فلم يجلسوا معهم ، ولكنْ عليهم أن يذكّروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ، وانظر صفوة التفاسير ١/٣٩٧.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٦٣ : وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة ، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاقتصار على تذكيرهم ، ثم نُسخت بقوله ﴿ وقدْ نزَّل عليكم في الكتاب .. ﴾ الآية قال : والصحيح أنها محكمة ، لأنها خبر ، وإنما دلت على أن كل عبدٍ يختص بحساب نفسه ، ولا يلزمه حسابُ غيره . اهـ .

(٣) ، (٤) هذا القول رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، والحسن ، والسدي ، وقال ابن =

وقال الفراء : أي تُرْتهن[1] .

و هذه المعاني متقاربة ، وقول مجاهد حسنٌ أي تُسْلَم بعملها ، لا تقدر على التخلص ؛ لأنه يُقال : استبسل فلان للموت ، أي رأى مالا يقدر على دفعه[2] ، ويُنْشَد :

وَإِبْسَالِـي بَنِـيَّ بِغَيْـرِ جُرْمٍ
بَعَوْنَـاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ[3]

[قال أبو جعفر : بَعَوْناه : أي جنيناه][4] .

٨١ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾[آية ٧٠] .

= قتيبة «تُبسَل » أي تُسلم إلى الهلكة قال الشاعر : « وإبسالي بَنيَّ بغير جرم » وقال الفراء : تُرتهن ، وقال الكسائي : تُجزى ، وما قاله ابن عباس هو الأظهر والأشهر ، ومعنى الآية : وذكّر بالقرآن الناس مخافة أن تُسلم نفس للهلاك ، وتُرهن بسوء عملها ، والله أعلم .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٣٩/١ قال : والعرب تقول : هذا عليك بَسْلٌ أي حرام ، ويُقال : أسدٌ باسل أي لا يُقرب . اهـ أقول : ما قاله الفراء هو قول قتادة ، وانظر البحر المحيط ١٥٥/٤ .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط ١٥٥/٤ : استحسن بعض شيوخنا قول من قال ﴿ أن تُبْسَل نفسٌ ﴾ أي تُسْلَم بعملها لا تقدر على التخلص ، لأنه يُقال : استبسل للموت أي رأى مالا يقدر على دفعه . اهـ .

(٣) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي ، يكنى «أبا يزيد» شاعر جاهلي ، وهو في السمط ٣٧٧ وفي نوادر أبي زيد ١٥١ وغريب القرآن ١٥٥ ومجاز القرآن ١٩٤/١ وزاد المسير ٦٥/٣ والطبري ٧٣٣/٧ والقرطبي ١٦/٧ وفي اللسان ، والصحاح للجوهري ٦٣٤/٤ قال : وكان حمل دم ابني السجفية ، فقالوا : لا نرضى بك ، فرهنهم بنيه طلباً للصلح ، ومعنى « بَعَوْنَاهُ » بالعين المهملة ، ومصدره البَعْوُ بمعنى الجناية والجرم .

(٤) مابين الحاصرتين غير موجود في الأصل وأثبتناه من الهامش .

قال قتادة : العدلُ : الفِديةُ ، وقد بيّنّاه فيما تقدّم .

٨٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزّ** : ﴿ **قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالاَ يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا** ﴾[آية ٧١] .

قال مجاهد : يعني الأوثان[١] .

٨٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾[آية ٧١] .

أي إلى الكفر .

قال أبو عبيدة : يقال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يظفر بها : قد رُدَّ على عقبيه[٢] .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : معناه يُعَقَّبُ بالشَّرّ بعد الخير ، وأصله من العاقبة والعُقبى ، وهما ما كان تالياً للشيء راجياً أنّ يتبعه[٣] ، ومنه ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤] ومنه عَقِبُ الرجل ، ومنه العقوبةُ ؛ لأنها تاليةٌ للذنب ، وعنه تكون .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٧/٢٤٨ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/١٩٦ ولفظه : يُقال رُدَّ فلان على عقبيه أي رجع ولم يظفر بما طلب ، ولم يُصب شيئاً .

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢٤١ ﴿ ونُرَدُّ على أَعقَابنا ﴾ تشبيه ، وذلك أن المردود على العقب ــ وهو أن يكون يمشي قُدُماً ، فيردُّ يمشي القهقرى ، وهي المشيةُ الدنيئة ، فاستعمل المثلُ بها فيمن رجع من خيرٍ إلى شرٍّ ، ووقعت في هذه الآية في تمثيل الراجع من الهدى إلى عبادة الأصنام . اهـ .

(٤) سورة القصص آية رقم ٨٣ .

٨٤ ـ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ كَالَّـذِي اسْتَهْوَتْـهُ الشَّيَاطِيـنُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾** [آية ٧١] .

معنى استهوته : زيَّنت له هواه[١] .

٨٥ ـ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدَى ائْتِنَا ﴾** .
[آية ٧١] .

٨٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** [آية ٧٣] .

والمعنى : اتَّقوا يوم يقول كن فيكون[٢] . ويجوز أنْ يكون معطوفاً على قوله تعالى : ﴿وَهو الَّذِي خَلَقَ السموات والأرض بالحقِّ﴾

فإنْ قيل : ما معنى وخلقَ[٣] يوم يقولُ كن فيكون ؟

فالجواب : أنّ ما أخبر الله جلَّ وعزّ أنّه كائن ، فهو بمنزلة ما قد كان ، ويجوز أنْ يكون المعنى واذكروا ، وهذا أحسن الأجوبة ، لأنّ بعده ﴿ وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ ﴾ .

---

(١) توضيح المثل الذي ضربه القرآن الكريم هو مثل رجل احتطفته الشياطين وأضلَّته ، وسارت به في المفاوز والمهالك ، فألقته في هوَّة سحيقة ، متحيراً لايدري أين يذهب ولا أين يسير ، كذلك الذي يعبد غير الله ، يبقى مشتَّت الفكر والبال ، قال ابن عباس في معنى الآية :
مثلُ عابد الصنم مثل من دعاه الغول فيتبعه ، فيصبح وقد ألقته في مهمهٍ ومهلكة فهو حائر في تلك المهامة . اهـ البحر المحيط ١٥٦/٤ .

(٢) المراد على هذا القول : اتقوا عقابه واتقوا أهوال وشدائد ذلك اليوم العصيب ، يوم يقول كن فيكون ، وهذا قول الزجاج كما في معانيه ٢٨٨/٢ قال : والأجودُ أن يكون على معنى : واذكر يوم يقول كن فيكون ، لأنَّ بعده ﴿وإذ قال إبراهيم ..﴾

(٣) يريد أن قوله ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ معطوف على قوله ﴿وهو الذي خَلَقَ .. ﴾ فما هو وجهه ؟

وقيل : المعنى ويوم يقول كن فيكون للصُّور .

وقيل : المعنى فيكون ما أراد من موت الخلائق وبعثهم .

والتمامُ على هذين الجوابين عند قوله ﴿ فَيَكُونُ ﴾ .

وقيل : المعنى فيكون قوله أي فيكون يأمر به ، ويكون التمام على هذا ﴿ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾(١) .

قال أبو عبيدة : **الصُّور جمع صورة**(٢) ، وهذا القول ممّا رُدَّ عليه ؛ لأن عبدالله بن مسعود قال : الصُّورُ : قَرْنٌ .

وفي الحديث عن النّبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّه قال : « لم يزل صاحب الصُّورِ مُلْتَقِمَهُ منذ خلقه الله ، ينتظر متى يُؤمر بالنفخ فيه »(٣) .

---

(١) انظر تفصيل الأقوال في البحر المحيط ٤/١٦١ لأبي حيان ، قال بعد أن سرد أقوال أئمة اللغة : وهذه الأعاريب كلُّها بعيدةٌ ، ينبو عنها التركيب ، وأقربُ ماقيل ، ما قاله الزمخشري وهو أنَّ ﴿ قولُهُ الحقُّ ﴾ مبتدأ ، والحقُّ صفةٌ له ﴿ ويَوم يَقُولُ ﴾ خبر المبتدأ ، فيتعلق بـ«مستقرٌ» كما تقولُ : يومُ الجمعة القتالُ ، واليوم بمعنى الحين ، والمعنى : أنه سبحانه خلق السموات والأرض قائماً بالحقِّ والحكمة ، وحين يقول للشيء من الأشياء : « كُنْ » فيكون ذلك الشيء قوله الحقُّ والحكمة ، أي لايكون شيء من السموات والأرض إلا عن حكمةٍ وصواب . اهـ .

(٢) هذا القول ضعيفٌ ومردود ، لأن الصورة هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفخة الصعق ، ونفخة الإحياء ، كما ورد في الحديث الصحيح ، وانظر قول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ١/١٩٦ ولكنه ذكره بصيغة التضعيف فقال : يُقَال : إنها جمع صورة ، تنفخ فيها روحها فتحيا .. الخ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة رقم ٢٤٣٣ والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال « كيف أنعمُ وصاحبُ الصور قد التقم القرن ، وحنى الجبهة ، وأصغى بالأذن ، متى يُؤمر فينفخ ، قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟! قال قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » وانظر الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٢ وجامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٢٠ .

وقال عمرو بن عبيد : قرأ عياض : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ ﴾[1] ، وهذا يعني به الخلْق، والله أعلم .

٨٧ ــ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ ؟ [آية ٧٤] . .

فقرأ الحسن : « آزَرُ » بالرفع[2] .

وفي حرف أُبيّ : يا آزرُ .

قال الحسن : هو اسم أبيه ، وذهب الحسن إلى أنه نداءٌ .

وقال سليمان التيميُّ : معنى آزرُ : يا أَعْوَجُ .

وقيل : كان لأبيه اسمان ، كان يقال له : تارح ، وآزر .

وقيل : آزر اسم صنم[3] ، والمعنى على هذا القول : أَتَتَّخِذُ آزَرَ أي أَتَتَّخِذُ أصناماً ؟!

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع المتواترة ، بل هي شاذة ، وقد ذكرها القرطبي ٢١/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٦٩/٣ وعلى هذه القراءة يكون الصور جمع « صورة » بمنزلة سُورَةٍ وسُوَر ، أي يوم يُنفخ في الصُّوَر فتحيا ، وهذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨٩٦/١ وقد ردَّه الحافظ ابن كثير ٢٧٦/٣ فقال : والصحيحُ أن المراد بالصور القَرْنُ الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام . اهـ وانظر أيضاً المحرر الوجيز ٢٥٠/٥ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٢٣/١ وهي محمولة على أنها منادى بحرف نداء محذوف تقديره يا آزرُ .

(٣) هذا القول ضعيف ، والصحيح أن«آزر» إسم أبيه ، ولايضرُّ إبراهيمَ أن أباه كافر ، فإن الله تعالى ﴿ يُخرجُ الحيَّ من الميِّت ، ويُخْرج الميِّت من الحي ﴾ وأما أن إسم والد إبراهيم « آزر » فإنه أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن ، فلا يُلتفت إلى غيره .

٨٨ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[آية ٧٥] .

مَلكُوت في اللغة : بمعنى مُلْك ، إلّا أن فيه معنى المبالغة[١] .

وروى سفيان عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال : يعني الآيات[٢] .

وروى ابن جُرَيْج عن القاسم عن إبراهيم النَّخعيّ قال : فُرِجت له السموات السبع ، فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش وفُرِجت له الأرضون ، فنظر إليهنّ[٣] .

٨٩ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾[آية ٧٦] .

جنَّ عليه وأَجنَّة : إذا سَتَرَه بظلمته[٤] .

٩٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ رَأَىٰ كَوْكَباً ﴾[آية ٧٦] .

---

(١) ملكوت أي الملك الواسع الذي لا يحدُّ أصلُه « مُلْكٌ » وزيدت الواوُ والتاءُ للمبالغة . كالرُّغَبوت ، والرَّهَبُوت ، والجبروت ، قال الجوهري في الصحاح ٦١٠/٤ : الملكوتُ من المُلكِ كالرهبوت من الرهبة ، يُقال : له ملكوت العراق وهو الملك والعزُّ . اهـ وانظر البحر المحيط لأبي حيان ١٦٥/٤ .

(٢) ، (٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٤٥/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٧١/٣ والدر المنثور للسيوطي ٢٣/٣ .

(٤) وهكذا قال الزجاج في معانيه ٢٩٢/٢ وقال أبو حيان في البحر المحيط ١٦٢/٤ : جنَّ عليه الليل وأجنَّه بمعنى ستره قال الشاعر :

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرَىٰ وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأَدْهَمُ

والاختيار : جنَّ عليه الليل ، وأجنَّه الليل . اهـ وانظر زاد المسير ٧٢/٣ .

قال **قتادة** : كنّا نُحَدِّثُ أنّه الزُّهرة[1] .

قال **السُّدِّيُّ** : هو المشتري[2] .

٩١ ـ **ثم قال جلّ وعزّ** : ﴿ **هَٰذَا رَبِّي** ﴾ [آية ٧٦] .

في هذا أجوبةٌ :

قال **قُطْرُب**[3] : يجوز أن يكون على الاستفهام[4] .

وهذا خطأٌ ؛ لأنَّ الاستفهام لايكون إلا بحرف ، أو يكون في الكلام (أم)[5] .

وقال بعض أهل النظر : إنما قال لهم هذا من قبل أنْ يوحى إليه . واستشهد صاحب هذا القول بقوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾[6] .

قال أبو إسحاق : هذا الجواب عندي خطأٌ وغلطٌ ممن قاله[7] .

---

(١) ، (٢) ذكرهما السيوطي في الدر ٢٦/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٧٣/٣ ، والمشتري هو الذي يطلع نحو القبلة عند المغرب .

(٣) « قطرب » هو اللغوي الشهير « محمد بن المستنير » وقد تقدمت ترجمته ، وانظر لسان العرب مادة قطرب .

(٤) يعني يقوله مستفهماً أهذا ربي ؟ على جهة الإنكار حذف منها الهمزة كقول الشاعر :

لعمركَ ما أدري وإن كنتُ دارياً بسبعٍ رمين الجمر أم بثمان ؟

(٥) قال ابن الأنباري : وهذا شاذ ، لأنه لا يجوز أن يُحذف الحرفُ إلاَّ إذا كان ثمَّ فارق بين الإخبار والاستخبار ، وانظر البحر المحيط ١٦٦/٤ وزاد المسير ٧٥/٣ والمحرر الوجيز ٢٥٨/٥ .

(٦) ذكره الإمام الطبري في جامع البيان ٢٥٠/٧ ورجحه .

(٧) انظر ردَّ الإمام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢٩٢/٢ فقد أجاد فيه وأفاد .

وقد أخبر الله جلّ وعزّ عن إبراهيم أنه قال : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾(1) .

وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ بقسب سليم ﴾(2) أي لم يشرك قط .

قال : والجواب عندي أنّه قال : هذا ربّي على قولكم ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر ، ونظير هذا قول الله جلّ وعزّ ﴿ أين شركائي ﴾(3) وهو جلّ وعزّ لاشريك له ، والمعنى : أين شركائي على قولكم ؟

ويجوز أنْ يكون المعنى فلمّا جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً : يقولون هذا ربّي ، ثمّ حذف القول كما قال جلّ وعزّ : ﴿ والمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾(4) فحذف القول .

---

(1) سورة إبراهيم آية رقم ٣٥ .

(2) .سورة الصافات آية رقم ٨٤ وتمامها ﴿ وإنَّ من شيعته لإبراهيم . إذ جاء ربَّه بقلبٍ سليمٍ ﴾ أي سليم من الشك والشرك ، فهذه الآية تدل على نقائه من الشرك ، وكذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ﴾ .

(3) سورة القصص آية ٦٢ وتمامها ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ .

(4) سورة الرعد آية ٢٤ أي يقولون سلام عليكم فحذف جملة يقولون ، وخلاصة القول في هذا الموضوع أن هذا الكلام من إبراهيم عليه السلام ، كان في مقام الاستدلال والمناظرة ، لإقامة الحجة على قومه في بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر ، ومما يدل عليه قوله سبحانه في نفس القصة ﴿ وحاجَّه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانِ ﴾ فالمقامُ مقام مناظرة لا مقام نظر ، وحاشا إبراهيم الخليل أن يشكَّ في الربِّ الجليل، وهو أب الأنبياء وإمام الحنفاء ، وقد أحسن الحافظ ابن كثير وأجاد في ردِّ تلك الأقوال الضعيفة التي ذكرها بعض المفسرين ٣/٢٨٥ وساق الإمام الفخر الرازي اثنتي عشرة حجة في تأييد مذهب الجمهور في التفسير الكبير ٤٧/١٣ وانظر كتاب صفوة التفاسير ٤٠٢/١ فقد ذكرنا فيه من الأدلة ما فيه مقنع .

٩٢ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فلّما أفل ﴾ [آية ٧٦] .

قال قتادة : أي ذهب .

قال الكسائي : يُقال : أَفَلَ النجم أفولاً إذا غابَ[١] .

٩٣ ــ وقولـه جلّ وعـزّ : ﴿ فَلَمَّـا رَأَىٰ القَمَـرَ بَازِغـاً ﴾ [آية ٧٧] .

يقال : بَزَغ القمرُ : إذا ابتدأ في الطُّلوع[٢] .

٩٤ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ إِنّـي وَجَّـهْتُ وَجْهِـيَ لِلَّـذِي فَطَـر السَّمَـواتِ وَالأَرْضَ حَنِيفَاً ﴾ [آية ٧٩] .

فَطَر : خلق ، والحنيفُ : المائل إلى الإسلام كلَّ الميل[٣] .

٩٥ ــ وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ [آية ٨٠] .

المعنى : وحاجَّه قومه أي في توحيد الله[٤] .

٩٦ ــ وقولُـه جلّ وعـزّ : ﴿ وَلَا أَخَـافُ مَا تُشْرِكُـونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّـي شَيْئَاً ﴾ [آية ٨٠] .

---

(١) انظر المصباح المنير ، والصحاح للجوهري مادة أفل .

(٢) المصباح المنير مادة بزغ ، والصحاح للجوهري ١٣١٥/٤ .

(٣) قال في المصباح ١٦٧/١ : الحَنَفُ الاعوجاجُ ، والحنيفُ : المسلم لأنه مائل إلى الدين المستقيم .

(٤) قال الطبري ٢٥٢/٧ : أي جادل إبراهيمَ قومُه في توحيد الله ، وبراءته من الأصنام ، وكان جدالهم إياه قولهم : إن آلهتهم التي يعبدونها خيرٌ من إلهه ، قال ابن جريج : خوَّفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خَبَلٌ ، فقال إبراهيم : « أتحاجُّوني في الله وقد هدان » أي وقد عرفتُ ربي . اهـ .

المعنى:إلَّا أنْ يشاء ربّي أن يُلحقني شيئاً بذنبٍ عملته ، وهـذا استثناءٌ ليس من الأول[1] .

٩٧ ــ **وقولُه جلّ وعزّ** : ﴿ فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾ ؟[آية ٨١] .

المعنى : المؤمنُ أحق بالأمن أم المشرك[2] ؟ .

٩٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزّ** : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . [آية ٨٢] .

يجوز أنْ يكون هذا إخباراً عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه قاله .

ويجوز أن يكون مستأنفاً من قول الله جلَّ وعزَّ[3] .

وفي بعض الرواياتعن مجاهد ما يدلُّ أنَّه إخبارٌ عن إبـراهيم

ورُوِيَ عن مجاهـد أنَّـه قال في قول اللـه جلّ وعـزّ ﴿ وَتِـلْكَ

---

(١) أي هو استثنـاء منقطـع ، لأنـه ليس من جنس الأول ، لأن مشيئـة الله لا دخـل لآلهتهم المزعومـة فيها ، ولكنْ لما كانت قوة الكلام تقتضي أنه لا يخاف منهم ضراً ، استثنى مشيئة ربه تعـالى في أن يريده بضر .

(٢) مراده أيُّ الفريقين أحقُّ بأن يأمن من عذاب الله ؟ الموحِّد الذي يعبد من بيده النفـع والضرُّ ؟ أم المشرك الذي يعبد حجارة لا تسمع ولا تنفع ، ولا تدري من دعاها ممن دحاها .

(٣) هذا ما رجحه الـطبري في جامـع البيـان ٢٥٥/٧ ، ورجـح أبـو حيـان في البحـر ١٧١/٤ الأول حيث قال : الظاهر أنه من كلام إبراهيم ، أبرزه في صورة السائل الذي لا يعلم في قولـه ﴿ فأيُّ الفريـقين أحـقُّ بالأَمْنِ ﴾ ثم استأنـف الجواب عن السؤال ، وصرَّح بالأحـق بالأمـن فقـــال : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ اهـ ومـال ابـن كثير إلى أنـه من كلام الله أي أنـه كلام مستأنف ، وانظر ابن كثير ٢٨٨/٣ .

حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ قال : هو قوله : ﴿ فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾(١) .

قال أبو بكر وعليّ ــ رضي الله عنهما ــ وسلمان وحذيفة في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ أي بشركٍ(٢) .

وروى علقمة عن عبدالله بن مسعود لمَّا نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أيُّنا لايظلم ؟! فقال رسول الله ــ ﷺ ــ: ليس كما تظنون ، إنّما هو كما قال لقمان : ﴿ إنّ الشّرك لظلم عظيم ﴾(٣) .

٩٩ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [آية ٨٤] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٢٥٩/٧ وزاد المسير ٧٨/٣ وابن كثير ٢٨٨/٣ .

(٢) ذكره الطبري ٢٥٦/٧ وابن كثير ٢٨٨/٣ قال : وروي هذا القول عن أبي بكر الصدِّيق ، وعمر ، وأبيّ بن كعب ، وسلمان ، وحذيفة ، وابن عباس .. وعدَّ الكثيرين من الصحابة والتابعين ، وروي أن عمر كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقرأ القرآن ، فأتى علي هذه الآية الكريمة ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون ﴾ فلما قرأها فزع ، فأتى أُبيَّ بن كعب فقال : يا أبا المنذر ، قرأت آية من كتاب الله ففزعتُ فأينا لايظلم نفسه ؟ فقال : غفر الله لك يا أمير المؤمنين غفر الله لك ، أما سمعتَ الله تعالى يقول ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ؟ إنما هو الشرك يا أمير المؤمنين ، فسُرِّيَ عن عمر ، وجرى لزيد بن صوحان مع سلمان مثل هذا ، وانظر الدر المنثور ٢٧/٣ وتفسير ابن عطيه ٢٦٧/٥ .

(٣) الحيث أخرجه البخاري ٨/١ ومسلم بشرح النووي ١٤٢/٢ والترمذي ١٣٢/٢ وأحمد في المسند ٣٧٨/١ وذكره ابن جرير في جامع البيان ٢٥٥/٧ وابن كثير في تفسيره ٢٨٨/٣ .

ويجوز أن يكون المعنى : وهدينا داودَ وسليمان[1] ، ويكون معطوفاً على (كل) .

ويجوز أنْ يكون المعنى : ووهبنا له داودَ وسليمانَ[2] .

١٠١ ــ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ﴾ [آية ٨٧] .

قال مجاهد : أخلصناهم[3] .

وهو عند أهل اللغة بمعنى اخترناهم[4] .

١٠٢ ــ **وقوله تعالى** : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ [آية ٨٩] .

قال مجاهد : يعني أهل مكّة[5] .

وقال قتادة : يعني قوم محمّد عليه السلام[6] .

١٠٣ ــ (**فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾ [آية ٨٩] .

قال مجاهد : يعني أهل المدينة[7] .

وقال قتادة : يعني النّبيّين الذين قصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ[8] .

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ نرفعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ بالإضافة ، على معنى نرفع درجات هؤلاء المتقين من عبادنا ، وهذه القراءة من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد صـ ٢٦١ .

(٢) قال ابن عطية ٢٦٩/٥ : ﴿ ومن ذريته ﴾ المعنى : وهدينا من ذريته ، والضميرُ في « ذريته » قال الزجاج يعود على إبراهيم ، ويُعترض هذا بذكر « لوط » عليه السلام ، وهو ليس من ذرية إبراهيم عليه السلام ، بل هو ابن أخيه ، وقيل : يعود الضمير على نوح ، وهذا هو الجيد . اهـ .

(٣) في المخطوطة « خلصناهم » وأثبتنا الصواب أخلصناهم من تفسير الطبري ٢٦٢/٧ .

(٤) كما في مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٠٠/١ .

(٥) إلى (٨) انظر هذه الآثار في الطبري ٢٦٤/٧ وابن كثير ٢٩٢/٣ وزاد المسير ٨١/٣ .

وهذا القول أشبه بالمعنى ؛ لأنه قال بعدُ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1]

وحدَّثني محمّد بن إدريس قال حدثنا إبراهيم حدثنا عثمان المؤذن عن عوف عن أبي رجاء في قول الله جلّ وعزّ : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ قال : هم الملائكة[2] .

١٠٤ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾** [آية ٩١] .

قال أبو عبيدة : أي ما عرفوا الله حقّ معرفته[3] .

هذا قول حسنٌ ؛ لأنّ معنى قدرتُ الشيءَ ، وقدّرتُه : عرفتُ مقداره .

ويدل عليه قوله جلّ وعلا : ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي لم يعرفوه حقَّ معرفته ، إذْ أنكروا أنْ يُرسِل رسولاً .

وقال غيرُ أبي عبيدة : المعنى وما عظّموا اللَّهَ حقّ عظمته[4] . ومن هذا : لفلانٍ قَدْرٌ .

---

(١) هذا ما رجحه الزجّاج ، والطبري ، وانظر معاني الزجاج ٢٩٦/٢ وجامع البيان للطبري ٢٥٦/٧ .

(٢) جامع البيان للطبري ٢٦٤/٧ وزاد المسير ٨١/٣ وتفسير القرطبي ٣٥/٧ وهذا القول عن أبي رجاء مرجوح ، والأرجح أن المراد بهم صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ، وهذا هو اختيار الحافظ ابن كثير ٢٩٢/٣ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٠/١ .

(٤) هذا قول المفسرين كابن جرير ، وابن كثير ، والقرطبي ، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري قال : ما عظّموه حقَّ عظمته ، وقال ابن جرير ٢٦٦/٧ : أي ما أجلّوه حقَّ إجلاله ، ولا عظّموه حقَّ

والمعنيان متقاربان .

ويُروى أنَّ هذا نزل في بعض اليهود ، ممَّن كان يظهر العبادة ، ويَتَنَعَّم في السِّرِّ ، فقيل له : إنَّ في الكتاب أنَّ الله لايحبُّ الحَبْر السَّمينَ ، فقال : « ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شَيءٍ »[1] .

١٠٥ ــ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿ **وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ [آية ٩٢] .

المعنى : ولتنذر أهل أمِّ القرى[2] .

قال قتادة : كنّا نتحدّث أنها مكّة ؛ لأنّ الأرض منها دُحِيَتْ[3] .

تعظيمه ، وجمع ابن عطية بين القولين في المحرر الوجيز ٢٧٩/٥ فقال : ﴿وما قدروا﴾ هو من توفية القدر والمنزلة ، فهي عامة يدخل تحتها من لم يَعْرف ،ومن لم يُعظِّم ، وغير ذلك ، غير أن تعليله بقوله ﴿ ما أنزلَ اللَّهُ ﴾ يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته . اهـ وقد جمعنا في كتابنا صفوة التفاسير١/٤٠٤ بين القولين .

(١) أخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : « جاء رجل من اليهود يقال له « مالك بن الصيف » فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟ ــ وكان حبراً سميناً ــ فغضب ، وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ». فقال له أصحابه الذين كانوا معه : ويحك ولا على موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء فنزلت الآية وانظر أسباب النزول ١٢٦ والدر المنثور ٢٩/٣ وجامع البيان ٢٦٧/٧ .

(٢) أي أن الكلام على حذف مضاف كما يقال : شربتَ الكأسَ أي ماء الكأس .

(٣) ذكره الطبري عن قتادة ٢٧٢/٧ وابن الجوزي ٨٥/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً .

وقيل : إنّما سمّيت أمّ القرى ؛ لأنّها تُقصد من كلّ قرية(1) .

١٠٦ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ؟ [آية ٩٣] .

قال قتادة : بلغنا أنّ هذا أنزل في مسيلمة(2) .

قال أبو إسحاق : وهذا جواب لقولهم : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾(3) .

ورُوِيَ عن ابن عبّاس : الذي افترى على الله كذباً « مُسَيْلِمَة » ، والذي قال ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ « عبدالله ابن سعد بن أبي سَرْح »(4) .

---

(١) وبنحوه قال الزجاج في معانيه ٢٩٨/٢ فقد جاء فيه : سميت أم القرى لأنها كانت أعظم القرى شأناً . وأما أبو حيان في البحر المحيط ١٧٩/٤ فقد جمع بين الأقوال فقال : وسميت أم القرى لأنها منشأ الدين ، ولدحوِ الأرض منها ، ولكونها قبلة المسلمين ، وموضع الحج ، ومكان أول بيت وضع للناس . اهـ .

(٤) هو مسيلمة الكذاب كما في الطبري ٢٧٣/٧ فقد روى عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ قال : « رأيت فيما يرى النائم كأن في يديَّ سوارين من ذهب ، فكبرا عليَّ وأهمَّاني ، فأوحي إليَّ أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأوَّلتهما في منامي الكذَّابَيْنِ اللَّذين أنا بينهما ، كذاب اليمامة مُسَيْلِمَة ، وكذاب صنعاء العنسي » الطبري ٢٧٣/٧ . والحديث رواه البخاري ٣٧١/٢.

(٣) هم كفار قريش ، والآية من سورة الأنفال رقم /٣١ وتمامها ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ .

(٤) انظر جامع البيان ٢٧٣/٧ والدر المنثور ٣١/٣ .

ورَوَى حفصُ بن عُمر ، عن الحَكَمِ بنِ أَبَانَ[1] عن عكرمة : أنّ هذه الآية نزلت في النَّضْرِ بن الحارث ؛ لأنه عارَض القرآن ، فقال : « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خَبزاً ، فاللاَّقمات لقماً »[2] .

١٠٧ ـ **ثم قال جلّ وعزّ** : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي شدائده[3] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [آية ٩٣] .

أي باسطوا أيديهم بالعذاب[4] .

١٠٨ ـ **وقولُه جلّ وعزّ** : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ [آية ٩٤] .

قال مجاهد : أي تواصلكم[5] .

ومَنْ قرأ (بَيْنَكُمْ) فالمعنى : لقد تقطَّع الأمرُ بينَكم .

---

(١) «الحكَمُ بنُ أَبَانَ العَدَني» أبو عيسى ، عابدٌ صدوقٌ ، وله أوهام ، من الطبقة السادسة مات سنة ١٥٤ هـ وكان مولده سنة ثمانين . اهـ . تقريب التهذيب ١ / ١٩٠ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٣٠ وعزاه إلى عبد بن حميد عن عكرمة ، يعني يقول ذلك الفاجر استهزاءً منه بالقرآن ، فيعارضه بكلامٍ ركيك سخيف ، فهو المراد بقوله ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ .

(٣) قال أهل اللغة : سميت غمرات لأن أهوالها وشدائدها تغمر من يقع فيها ، ومنه الماء الغمرُ .

(٤) هذا قول الحسن والضحاك ، وقال ابن عباس : باسطوا أيديهم بالضرب ، وقيل : لقبض أرواحهم قاله الفراء ، وانظر زاد المسير ٣/٨٧ .

(٥) هذا التفسير على قراءة ابن كثير وحمزة ، فقد قرءا بالرفع ﴿ بَيْنُكُم ﴾ والبيْنُ : المودّة والتواصل ، وأما على قراءة نافع والكسائي وعاصم ﴿ لقد تقطَّعَ بينَكُم ﴾ فقد نُصِب على الظرفية والمعنى لقد تقطَّعت العلاقات والصِّلاتُ بينكم كقوله سبحانه ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ والقراءتان سبعيتان وانظر السبعة لابن مجاهد صـ ٢٦٣ .

١٠٩ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾

قال مجاهد : يعني الشَّق فيها[١] .

وقال الضّحّاك : فالقُ : خالقُ[٢] .

١١٠ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [آية ٩٦] .

ويُقرأ (الأَصْبَاحَ)[٣] وقرأ به الحسن وعيسى ، وهو جمع صُبْح ، والإصباح كما تقول الإمْساءُ .

وقرأ النّخعي ﴿ فَلَقَ الإِصْبَاحَ ﴾[٤] .

١١١ ـ ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيلِ[٥] سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ [آية ٩٦] .

---

(١) ، (٢) ما قاله مجاهد أظهر وأشهر ، لأن الفلق في اللغة معناه الشقُ ، وهو ما رجحه الطبري ، وابن كثير ، وابن عطيه ، والمعنى : يشقُّ الحبة تحت الأرض فيخرج منها النبات ، ويشقُّ النواة الميتة فيخرج منها الشجر ، والورق الأخضر .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع وهي شاذة ، وعلى هذه القراءة يكون الأَصباح بفتح الهمزة جمع صبح كما قال أبو عبيد ، وعلى قراءة الجمهور المتواترة ﴿ فالقُ الإِصْبَاح ﴾ أي الصبح ، والمعنى شاقُّ الضياء عن الظلام ، شقَّ سبحانه عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده ، وانظر زاد المسير ٩٠/٣ .

(٤) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر ٢٩٥/٥ وأبو حيان في البحر ١٨٥/٤ وليست من السبع .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ وجَاعِلُ الليلِ ﴾ بألف مع الإضافة ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ وَجَعَلَ اللَّيلَ ﴾ بغير ألف ، فهما قراءتان سَبعيتان ، وانظر السبعة لأن مجاهد ص ٢٦٣ والنشر ٢٦٠/٢ .

والحسبانُ والحسابُ واحد[1] ، أي ذوَيْ حساب ، يعني دَوَارَنهما .

وقال ابن عبّاس في قوله جلّ وعزّ ﴿ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[2] : أي بحساب .

١١٢ ـ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَمُسْتَقِرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾** [آية ٩٨] .

قال عطاء ومجاهد وقتادة والضَّحّاك ـ وألفاظُهم متقاربةٌ ـ : فمستقِرٌّ في الرحم ،ومستودَعٌ في الصُّلبِ[3] .

وقرأ جماعةٌ : بالفتح[4] .

ورُوِيَ عن عبدالله بن مسعود أنه قال : المستقرُّ : الرّحمُ ، والمستودعُ : الأرضُ التي تموت بها[5] .

---

(١) قال تاج القراء : حُسباناً أي بحساب قال تعالى ﴿الشمس والقمر بحسبانٍ﴾ والمعنى أنه جعل سيرهما بحسابٍ دقيق ، ومقدار معين ، وبدورانهما يعرف الناس حساب الأيام والشهور والأعوام ، وانظر البحر ١٨٦/٤ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٥ .

(٣) انظر جامع البيان ٢٨٨/٧ والبحر المحيط ١٨٨/٤ وتفسير ابن عطية ٢٩٨/٥ .

(٤) هذه قراءة الجمهور نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، قرءوا ﴿ فَمُستقَرٌّ ﴾ بفتح القاف ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو﴿ فَمَستقِرٌّ﴾ بكسر القاف ، وكلاهما سبعية ، كما في ابن مجاهد صـ٢٦٣ والنشر في القراءات العشر ٢٦٠/٢ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٧/٧ وابن كثير ٢٩٩/٣ والدر المنثور ٣٦/٣ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، ورجح ابن جرير العموم ، قال ابن عطيه في المحرر الوجيز ٢٩٨/٥ : « والذي يقتضيه النظرُ ، أن ابن آدم هو مستودعٌ في ظهر أبيه ، وليس بمستقر فيه

والفتحُ على معنى : ولكم في الأرحام مُسْتَقَرٌّ ، وفي الأصلاب مستودَعٌ .

والكسر بمعنى فمنكم مُسْتَقِرٌّ .

وقال سعيد بن جبير : قال ابن عبَّاس : هل تزوجت ؟ فقلتُ : لا ، .

فقال : إنّ الله جلّ وعزّ يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه[1] .

وقرأ ابن عبّاس وسعيد بن جبير وغيرهما ﴿ فَمُسْتَقِرٌ ﴾ بالكسر ، ﴿ ومُسْتَوْدَعٌ ﴾ .

وقال إبراهيم النّخعيّ : المعنى فمستقِرٌ في الرَّحم ، ومستودَع في الصُّلب .

وقال الحسن : فمستقرٌ في القبر ، ومستودَع في الدنيا ، يوشك أنْ يلحق بصاحبه[2] .

حدثني محمد بن إدريس قال : حدثنا إبراهيم بن مَرْزوق

استقراراً مطلقاً ، لأنه ينتقل إلى الرحم ، ثم إلى الدنيا ، ثم ينتقل إلى القبر ، ثم إلى المحشر ، ثم ينتقل إلى الجنة أو النار ، فيستقر في إحداهما استقراراً مطلقاً » .

(١) الأثر أخرجه عبدالرازق عن سعيد بن جبير كما في الدر المنثور ٣/٣٦ وجامع البيان ٧/٢٨ وزاد السيوطي : قلتُ : لا ، وما ذاك في نفسي اليوم ، قال : إن كان في صلبك وديعة فستخرج .

(٢) الطبري عن الحسن ٧/٢٩١ وابن كثير ٣/٩٩ ثم قال الحافظ ابن كثير : والقول الأول هو الأظهر ، أي فمستقرٌ في الأصلاب ، والله أعلم .

قال : حدثنا أبو داود عن هُشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله جلّ وعزّ : ﴿ فَمُسْتَقِرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ قال : المستقِرّ : ما كان في الرَّحِمِ ، والمستودعُ : الصُّلْب[1] .

١١٣ ــ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[2] . [آية ٩٨] .

قال قتادة : فصَّلنا بمعنى بَيَّنَّا[3] .

١١٤ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً ﴾ [آية ٩٩] .

﴿ خَضِراً ﴾ بمعنى : أخضر .

١١٥ ــ وقوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . [آية ٩٩] .

قال قتادة : القنوانُ : العُذُوق ، وكذلك هو عند أكثر أهل اللغة[4] .

---

(١) الأثر في ابن كثير ٢٩٩/٣ والقرطبي ٤٧/٧ والدر المنثور ٣٦/٣ قال : وأخرجه ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه من طرقٍ عن ابن عباس .

(٢) في المخطوطة «لقومٍ يعلمون» والآية الكريمة كما أثبتناها ﴿ لِقَومٍ يَفْقَهُون ﴾ وأما الآية التي قبلها فقد خُتمت بقوله سبحانه ﴿لقومٍ يعلمون﴾ وأوَّلُها ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ وقد التبس على المصنف الأمر ، بين الآية السابقة وهذه الآية الثانية .

(٣) قال الطبري ٢٩١/٧ : أي قد بينّا الحجج ، وميزنا الأدلة ، لقوم يفقهون مواقع الحجج ، ومواضع العبر .

(٤) في الصحاح ٤٦٨/٦ القِنْوُ : العِذْقُ ، والجمعُ القِنْوانُ ، والأقناءُ . اهـ والمراد بالعذق عُنْقودُ النخلة .

يقال : عِذْقٌ ، وقِنْوٌ بمعنى واحد ، فأمّا العِذقُ فالنخلةُ .

وقيل : القِنوانُ · الجُمَّارُ .

وقال البراء بن عازب : دانيةٌ : قريبةٌ[1] .

والمعنى : ومنها قنوان بعيدة كما قال تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾[2] .

١١٦ ـ وقوله جلَّ وعزّ : ﴿ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [آية ٩٩] .

[أي مشتبهاً في المنظر ، وغير متشابه في الطعم][3] .

١١٧ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [آية ٩٩] .

أي ونضجه .

يُقال : يَنْعٌ ويُنْعٌ ، وأَيْنَعَ ويَنَع : إذا نضج وأدرك[4] .

---

(١) الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٣/٣٦ .

(٢) سورة النحل آية رقم ٨١ .

(٣) مابين الحاصرتين سقط من المخطوطة . وأثبتناه من زاد المسير ٣/٩٤ وهو مروي عن ابن عباس ، وقال قتادة : مشتبهاً ورقُه ، مختلفاً ثمرُه ، قال القرطبي ٧/٤٩ : ورقُ الزيتون يشبه ورق الرمان ، في اشتماله على جميع الغصن ، وفي حجم الورق ، متشابهاً في الأوراق ، غير متشابهٍ في الذّواق ، وقال ابن جريج : متشابهاً في النظر ، وغير متشابه في الطعم ، مثل الرمّانتيْن لونهما واحدٌ ، وطعمهما مختلف . اهـ قرطبي .

(٤) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٧/٥٠ ومعاني الزجاج ٢/٣٠٤ .

وقال الحَجاجُ في خطبته : « أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها »[1] .

١١٨ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ ﴾ [آية ١٠٠] .

قيل : معناه إنهم أطاعوهم كطاعة الله .

وقيل : معناه نسبوا إليهم الأفاعيل التي لاتكون إلّا لله جلّ وعزّ ، أي فكيف يكون الشريك لله المحدَث الذي لم يكن ثم كان ؟

١١٩ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وخَلَقَهُم ﴾ [آية ١٠٠] .

يجوز أنْ يكون المعنى : وخَلَق الشُّركاءَ ، ويجوز أنْ يكون المعنى : وخلَقَ الذين جعلوا[3] .

وقرأ يحيى بن يَعْمَر : (وخَلْقَهُم)[4] بإسكان اللام ، قال : ومعناه : وجعلوا خَلْقَهم للَّهِ شركاء .

---

(١) هذه الخطبة خطبها الحجاج في أهل العراق ، لمَّا تمرَّدوا على الخليفة عبدالملك بن مروان ، وكان قد أرسله والياً على العراق سنة ٧٥ هـ فوقف خطيباً على المنبر وقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، إني لأرى رءوساً قد أينعت .. الخ وانظر العقد الثمين ٤/٦٠ وتاريخ الطبري ٧/٢١٠ .

(٢) هذا القول هو الأظهر ، وهو ما رجحه ابن كثير ٣/٣٠٠ حيث قال : إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن ، وأمرهم إياهم بذلك ، كما قال إبراهيم ﴿ يا أبت لاتعبدِ الشيطان ﴾ وقال سبحانه ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان ﴾ .. اهـ بإيجاز أي وهم لم يعبدوا الشيطان إنما أطاعوه في عبادة الأوثان .

(٣) هذا ما رجحه الجمهور ، والمعنى أنهم جعلوا الجن شركاء لله ، وقد علموا أن الله تعالى هو الذي خلقهم وانفرد بإيجادهم ، فكيف يجعلونهم شركاء له ؟ فهو الخالق وحده فكيف يعبدون غيره؟

(٤) هذه القراءة من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/٢٢٤ .

وسُئل الحسنُ عن معنى (وَخَرَّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) بالتشديد[1] ، فقال : إنما هو ﴿ وَخَرَقُوا ﴾ بالتخفيف ، كلمة عربية ، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل : خَرَقها وربِّ الكعبة .

وقال أهل اللغة : معنى « خَرَقوا » اختلَقُوا وافتعلوا ، « خَرَّقوا » على التكثير[2] .

١٢٠ ــ وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ . [آية ١٠١] .

أي من أين يكون له ولد ، والولد لايكون له إلَّا من صاحبة ؟

﴿ وخلق كلَّ شيء ﴾ أي فليس شيءٌ مثلُه ، فكيف يكون له ولد[3] ؟

١٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [آية ١٠٣] .

قيل : معناه في الدُّنيا[4] .

---

(١) هذه قراءة نافع كما في السبعة لابن مجاهد صـ ٢٦٤ وهي من القراءات السبع المتواترة ، قال القرطبي ٧/٥٣ : « قراءة نافع بالتشديد على التكثير ، لأن المشركين ادعوا أن لله بناتٍ وهم الملائكة ، وسمَّوهم جناً لاجتنانهم ، والنصارى ادعت المسيح ابن الله ، واليهود قالت : عُزير بن الله ، فكثر كفرهم ، فشدَّد الفعل لمطابقة المعنى .

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٧/٥٣ وتفسير ابن عطيه ٥/٣٠٤ .

(٢) الغرضُ من الآية الردُّ على المشركين ، الذين نسبوا لله الولَد من وجهين اثنين :

الأول : أن الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعالٍ عن الأجناس ، فلا يصح أن يكون له ولد .

الثاني : أن الله خلق السموات والأرض ، ومن كان بهذه العظمة ، فهو غنيٌّ عن الولد ، وعن الزوجة وعن كل شيء .

(٤) المراد بالادراك هنا : الإحاطة بحقيقة الشيء على وجه المعرفة والشمول ، والوصول إلى أعماقه وحوزه =

وقال الزَّجّاجُ : أي لايَبْلَغُ كُنْهُ حقيقتِهِ ، كما تقول : أدركتُ كذا وكذا ؛ لأنه قد صحَّ عن النَّبيِّ — صلى الله عليه وسلم — الأحاديثُ في الرُّؤية يوم القيامة[1] .

١٢٢ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ [آية ١٠٤] .

المعنى : فلنفسهِ نَفْعُ ذلكَ .

﴿ وَمَنْ عَمِيَ فعليها ﴾ أي فعليها ضررُ ذلك .

١٢٣ — وقوله جلَّ وعزّ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ .
[آية ١٠٥] .

هذه قراءةُ أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وابن الزُّبير ، ومعناها : تلَوْتَ ، وقرَأْتَ .

= من جميع جهاته ، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار ، وهو محيطٌ بحقيقتها ، قال الحافظ ابن كثير ٣٠٢/٣ : في الآية أقوال للأئمة من السلف : أحدها أن المراد لا تدركه في الدنيا ، وإن كانت تراه في الآخرة ، كما تواترت به الأخبارُ عن رسول الله ﷺ ونفي الإدراك الخاص ، لا ينفي الرؤية يوم القيامة ، فهو تعالى يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء ، فأمَّا جلالُه وعظمتُه على ماهو عليه تعالى وتقدس ، فلا تدركه الأبصار ، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة تثبتُ الرؤيا في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا ، وتحتج بهذه الآية . اهـ ملخصا .

(١) منها ما رواه الشيخان والترمذي وأبو داود عن جرير بن عبدالله قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ، وقال : « إنكم سترون ربكم عَيَاناً كما ترون هذا القمر ، لا تضامُّون في رؤيته — أي لايزدحم بعضكم ببعض من أجل رؤيته — فإن استطعتم ألاَّ تُغلَبُوا عن صلاةٍ قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، فافعلوا » ثم قرأ ﴿ وسبِّح بحمد ربِّك قبلَ طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وانظر جامع الأصول ٥٥٧/١٠ .

وقرأ عليٌّ بن أبي طالب﴿ دَارَسْتَ ﴾[1]وهو الصحيح من قراءة ابن عبّاس وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي عمرو ، وأهل مكة .

قال ابن عبّاس : معنى دارَسْتَ : تالَيْتَ[2] .

قال سعيد بن جبير : أي دارَسْتَ أهل الكتاب[3] .

وقرأ قتادة ﴿ دُرِسَتْ ﴾ أي قُرِئَتْ[4] .

وقرأ الحسن ﴿ دَرَسَتْ ﴾ أي امَّحَتْ وقَدُمَتْ[5] .

وروى سفيان بن عُيَيْنَه عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه قرأ ﴿ دَارَسَتْ ﴾[6] .

وكان أبو حاتم[7] يذهب إلى أنّ هذه القراءة لا تجوز ، قال : لأن الآيات لا تُدارس .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمر ، وقرأ نافع ، وحمزة ، وعاصم والكسائي « دَرَسْتَ » بدون ألف ، وقرأ ابن عامر « دَرَسَتْ » وكلها قراءة سبعية كما في النشر ٢٦١/٢ والسبعة لابن مجاهد صـ ٢٦٤ وأما قراءة « دُرِسَتْ » فقد عدَّها ابن جني من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٢٥/١ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٣٠٦/٧ ومراده قارأتَ وتعلَّمتَ من أهل الكتاب .

(٣) بمعنى ذاكرتهم وتعلّمتَ منهم ، وأتيتَ بهذا القرآن من عند نفسك وليس من عند الله .

(٤) (٥) (٦) هذه الوجوه من القراءات شاذة كلها ، كذا في المحتسب لابن جني ٢٢٦/١ .

(٧) أبو حاتم هو « سهل بن محمد السجستاني » نحويٌّ لغويٌّ مقرئ ، أخذ عنه المبرِّد وابن دريد ، توفي سنة ٢٥٥ هـ وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ .

وقال غيره : القراءة بهذا تجوز ، وليس المعنى على ماذهب إليه أبو حاتم ، ولكن معناه : دارَسَتْ أُمَّتُكَ أي دارَسَتْكَ أُمَّتُكَ[1] ، فإنْ كان لم يتقدَّم لها ذكر ، فإنه يكون مثل قوله تعالى ﴿ حتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ ﴾[2] .

وحكى الأخفش : (وَلِيَقُولُوا دَرُسَتْ) ، وهو بمعنى دَرَسَتْ ، إلّا أنه أبلغ[3] .

وحكى أبو العبَّاس أنه يُقْرأ (وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ) بإسكان اللام على الأمر ، وفيه معنى التهديد ، أي فليقولوا ماشاءوا ، فإنَّ الحقَّ بيِّنٌ كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ، وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾[4] .

فأمَّا من كَسَر اللَّامَ فإنّها عنده لامُ « كَيْ » .

قال أبو إسحاق : وأهلُ اللغة يسمونها لامَ الصيرورة[5] ، أي

---

(١) هذه من حيث اللغة متوجهة ، وأما من حيث التلاوة فلا تصحُّ وهي شاذة ، ولا تجوز القراءة بالشواذ ، قال الزجاج في معانيه ٣٠٧/٢ : القراءةُ « دَرَسْتَ » ومعناه : ليقولوا قرأت كتب أهل الكتاب ، وتقرأ أيضاً « دَارَسْتَ » أي ذاكرتَ أهل الكتاب ، وقرأ بعضهم « وليقولوا دَرَسَتْ » أي هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة ، قد مضتْ وامَّحَتْ .

(٢) سورة ص آية رقم /٥٩ / والشاهد في الآية أنه أعاد الضمير على الشمس ولم يجر لها ذكر سابق أي حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار .

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٤٩٩/٢ ولم أره بهذا اللفظ فيه ، وإنما ذكر قراءة « دَارَسْتَ » و « دَرَسْتَ » قال : ومعنى دارستَ أي دارستَ أهل الكتاب و « دَرَسْتَ » وبها نقرأ لأنها أوفق للكتاب . اهـ وذكر القرطبي القراءة التي أوردها المصنف في جامع الأحكام ٥٩/٧ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٨٢ والشاهد فيها أن اللام لام الأمر ، وردت للوعيد والتهديد .

(٥) أي ليصير المآل والأمر إلى أن يقولوا درستَ يا محمد الكتب ، وانظر معاني الزجاج ٣٠٨/٢ =

صار إلى هذا ، كما قال جلّ وعزّ : ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾[1] ، وكما تقول : كَتَب فلان هذا الكتاب لِحَتْفِهِ ، أي فصار أمرهُ إلى ذلك .

وهذه القراءات كلّها يرجع اشتقاقها إلى شيء واحد إلى التَّلْيين والتَّذْليل .

ودَرَسْتُ : قَرَأْتُ وذَلَّلْتُ ، ودَرَسَتِ الدارُ : ذَلَّتْ وامَّحَقَتْ ، ودَرَسَ الحنطة : أي دَاسها[2] .

١٢٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾[آية ١٠٧] .

قيل : معناه لو شاء الله لاستأصلهم[3] ، واللهُ أعلم بما أراد .

= حيث قال : وهذه اللام يسميها أهل اللغة لامَ الصيرورة ، كقوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً ﴾ فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم ، ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدواً وحزناً .

(١) سورة يونس آية رقم ٨٨ والآية من دعاء موسى على فرعون الطاغية وأتباعه .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٩٢٧/٣ ولسان العرب لابن منظور مادة « دَرَسَ » فقد جاء فيه : درستُ الكتابَ أدرسُه أي ذلَّلتُه بكثرة القراءة حتى خفَّ عليَّ ، ودرَسَ الطعامَ يدرسه : داسه ، وثوبٌ دريسٌ أي ثوبٌ خَلَقٌ ، وبعيرٌ لم يُدَرَّس أي لم يُركَب .. الخ وانظر اللسان ٧٩/٦ .

(٣) في هذه الآية ثلاثة أقوال حكاها الزجاج في معانيه ٣٠٨/٢ ونقلها ابن الجوزي في تفسيره ١٠٢/٣ :
أحدها : أن المعنى لو شاء اللهُ لجعلهم مؤمنين ، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم . وهذا أظهر الأقوال ورجحه الطبري .
الثاني : لو شاء الله لأنزل عليهم آية تضطرهم إلى الإيمان .
الثالث : لو شاء الله لاستأصلهم ، فقطع سبب شركهم . وأظهرها الأول كما ذكرنا .

١٢٥ ــ **ثمَّ قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾** [آية ١٠٧] .

وهذا قبل أنْ يُؤمر بالقتال[١] .

١٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾** [آية ١٠٨] .

قال قتادة : كان المسلمون يسبُّون الأصنام ، فيسبُّ المشركون اللَّهَ عَدْواً بغير علم[٢] .

ورُوِيَ أنّ في قراءة أهل مكة (عَدُوّاً بِغَيْرِ عِلْمٍ)[٣] ، والقراءةُ حسنةٌ ومعنى« عَدُوّاً » بمعنى أعداء ،كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾[٤] .

وتُقرأ (عُدُوّاً) ، يُقال إذا تجاوز في الظلم : عَدَا يَعْدُو ،

---

(١) قال الصاوي في حاشيته على الجلالين ٣٧/٢ ومعنى الآية : لست يا محمد حفيظاً مراقباً لهم حتى تجبرهم على الإيمان ، وهذا كان قبل الأمر بالقتال . اهـ وكذلك قال ابن عطيه ٣١٢/٥ : كان هذا في أول الإسلام .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٣٠٩/٧ والقرطبي ٦١/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٨/٣ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر أيضاً زاد المسير ١٠٢/٣ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٢٦/٢ .

(٤) سورة النساء آية رقم ١٠١ .. أطلق العدوَّ وأراد به الأعداء ، فهو لفظٌ مفردٌ يراد به الجمع كقوله سبحانه ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ .

عَدْواً ، وعُدُوّاً ، وعُدْواناً ، وعَدَاءً[1] .

١٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿كَذَلِكَ زَيَنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾** [آية ١٠٨] .

قيل : معناه مجازاة على كفرهم[2] .

وقيل : أعمالهم يعني الأعمال التي يجب أن يعملوا بها وهي الإِيمان والطاعة[3] ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

١٢٨ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾** [آية ١٠٩] .

أي اجتهدوا في الحلف ﴿ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ .

يعنون آيةً ممَّا يقترحون[4] .

١٢٩ ــ **وقوله جلّ وعز : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾** ؟ [آية ١٠٩] .

---

(١) في الصحاح للجوهري ٤٢٠/٦ : العَدَاءُ : تجاوزُ الحد والظلم ، يُقال : عدا عليه عَدْواً ، وعُدُوّاً وعَـدَاءً ، ومنه قوله سبحانه ﴿ فيسبُّوا الله عَدْواً بغير علم ﴾ وقرأ الحسن « عُدُوّاً » مثل خُلُوس . اهـ .

(٢) هذا المعنى هو الأظهر ، وهو قول الأكثرين قال ابن عباس : زينا لأهل الطاعةِ الطَّاعةَ ، ولأهل الكفر الكفرَ ، قال ابن الجوزي : المعنى : كما زيَّنا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام ، وطاعة الشيطان ، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل ، عملهم من خيرٍ أو شرٍ ، وكذلك قال الطبري في جامع البيان ٣١١/٧ وذكر الزجاج القولين ٣٠٩/٢ وقال : القول الأول أجودُ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٣٠٩/٢ وتفسير البحر المحيط ٢٠٠/٤ وقد عزا هذا القول إلى الحسن .

(٤) هذا هو مرادهم الآيات التى اقترحوها ، لا مجرد مجيء معجزة ، فقد كان يكفيهم ماجاءهم به رسول الله ﷺ من الآيات الباهرات ، والمعجزات الساطعات ، وانظر البحر المحيط ٢٠١/٤ .

قال مجاهد : معناه : وما يدريكم[1] ؟ قال : ثم ابتدأ فقال : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقرأ أهل المدينة : ﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ ﴾[2] .

قال الكسائي : (لا) ها هنا زائدة ، والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون[3] !!

وشبَّهه بقوله جلَّ وعزّ : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[4] ؟

وهذا عند البصريين غلط ؛ لأنَّ (لا) لا تكون زائدةً في موضع تكون فيه نافيه[4] .

قال الخليل : المعنى لعلَّها ، وشبَّهه بقول العرب : إيتِ السُّوقَ أنَّك تشتري لنا شيئاً ، بمعنى لعلَّك[5] .

---

(١) ذكره الطبري عن قتادة ٣١٢/٧ فيكون ما بعده ابتداء كلام ، أخبر به تعالى عنهم أنهم لا يؤمنون .

(٢) هذه قراءة نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ، وقرأ ابن كثير وأبو عَمْرٍو بالكسر « إنها إذا جاءت » وهما سبعيتان وانظر السبعة صـ ٢٦٥ .

(٣) انظر تفصيل هذا القول في جامع البيان للطبري ٣١٢/٧ والبحر المحيط ٢٠٢/٤ قال الزجاج في معانيه ٣١٠/١ والذي ذكر أن «لا» لغوٌ ــ أي زائدة ــ غالطٌ ، لأنها لاتكون لغواً في مكان ، وأصلية في مكان آخر .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٢ ومعناها : ما منعك أن تسجد لآدم ؟ وهذا قول الفراء في معانيه ٣٥٠/١ حيث قال : « لا » في هذا الموضع صلة ــ أي زائدة ــ كقوله تعالى ﴿ وَحَرَامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ المعنى : حرام عليهم أن يرجعوا .. الخ .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٠٢/٤ وزاد المسير ٣/٤-١٠٤ .

ورُوِيَ أنها في قراءة أُبـيٍّ[1] ﴿ وَمَـا يُشْعِرُكُمْ لَعَلَّهَـا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟!

وأنشد أهل اللغة في (أَنَّ) بمعنى (لعلَّ) :

أَرِينِـــي جَواداً مَاتَ هُزْلاً لأَنَّنِـــي
أَرَىٰ ما تَرَيْـنَ أو بَخِيـلاً مُخَلَّـــدَا[2]

وقيـل : في الكـلام حذفٌ ، والمعنـى : ومـا يشعـركم أنها إذا جاءت لايؤمنون أو يؤمنون ؟ ثم حُذِفَ هذا لعلم السامع[3] .

ويُرْوَى أنّ المشركين قالـوا : ادعُ اللّـهَ أنْ يُنـزِّل علينا الآية التي قال فيها : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَـا خَاضِعِينَ ﴾ ونحن ـــ والله ـــ نُؤْمِنُ !! فقال المسلمون : يارسول الله

---

(١) قراءةُ أُبـيٍّ بن كعب ذكرهـا الـطبري ٣١٣/٧ وهـي قراءة شاذة وليست من القـراءات السبــع المتواترة ، وهـي من حيث المعنـى صحيحـة ، وإن كانت شاذة من حيث القـراءة ، قال الزجـاج ٣١١/٢ وقـد أجمعـوا على أن معنـى « أنَّ » ههنـا إذا فتـحت معنـــى « لعـــلَّ » والإجماع أولى بالاتباع ، وقال الفراء ٣٥٠/١ : وللعرب في « لعلَّ » لغـة بأن يقولـوا : ما أدري أنك صاحبها ، يريدون لعلك صاحبها . اهـ .

(٢) البيت لحاتم الطـائي يخاطب زوجتـه ، وكانت تنهاه عن الإسراف في مالـه ، وهـو في ديـوان شعـراء النصرانيـة صـ ١٢٠ وفي ديـوان حـاتم الطـائي ص ٢٣٠ وذكـره في لسان العـرب مادة علـل وفي الصحاح للجوهري ، واستشـهد به القرطبي ٦٤/٧ ونسبه إلى دُريد بن الصِّمَّة ، والصحيح أنه لحاتم كما هو في ديوانه ، يريد أريني كريماً مات من الضعف والفقر ، لعلي أرى ما ترينه .

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية في تفسيره ٣١٨/٥ ثم قال : وهـذا قول ضعيـف لا يعضده لفـظ الآية ولا يقتضيه .

ادعُ اللهَ أنْ يُنزِلها ! . فأنزل الله عزَّ وجلّ ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(1) .

١٣٠ ـــ ثم قال جلَّ وعزّ ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾[آية ١١٠] .

و « أفئدةٌ » جمعُ فؤاد .

١٣١ ـــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[آية ١١١] .

ويروى أنهم سألوا هذه الأشياء فنزَل هذا(2) .

قال مجاهد : ﴿قُبُلاً﴾ أفواجاً أي قبيلاً قبيلاً(3) .

يذهب إلى أنه جمع قبيل ، وهو الفِرْقة .

وقيل : هو جمع قبيل ، و « وقبيلٌ » بمعنى كفيل(4) ، أي لو

---

(1) انظر جامع البيان للطبري ٣٩/٧ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٠٢/٤ وتفسير ابن عطية ٣١٧/٥ والمعنى : لستم تعلمون الغيب ، فلا تدرون أنهم يؤمنون ، قاله الزجّاج .

(2) انظر زاد المسير ١٠٥/٣ والقرطبي ٦٥/٧ قال : وهذه آية مشكلة ، ولاسيما وفيها ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ فبعض الآية في الآخرة ، وبعضُها في الدنيا .

(3) أخرجه أبو الشيخ عن مجاهد كما في الدر المنثور ٣٩/٣ وحكاه الأخفش في معانيه ٥٠١/٢ ولقرطبي في جامع الأحكام ٦٦/٧ والأظهر ما قاله ابن عباس وقتادة أن معنى « قُبُلاً » مقابلةً ومعاينة ، كما في الدر ٨٣/٣ والمعنى : وجمعنا لهم كل شيءٍ من الخلائق عياناً ومشاهدة .

(4) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ١٠٧/٣ قال : واختاره الفراء ، وعليه اعتراض ، وهو أن يُقال : إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة ، وتكليم الموتى ، فلن يؤمنوا بالكفالة التي هي قول ، وذكره ابن جرير في جامع البيان ٢/٨ والزجاج في معانيه ٣١١/٢ .

كفَل لهم الملائكة وغيرهم بصحَّة هذا لم يؤمنوا ، كما قال تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ﴾[1] .

ويجوز أن يكون معنى ﴿ قُبُلاً ﴾ كمعنى مقابلة[2] ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ﴾[3] .

ومَنْ قرأ (قِبَلاً)[4] فمعناه عنده مُعايَنَةً .

١٣٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ﴾ [آية ١١٢] .

أي كما جعلنا لك ولأُمَّتك أعداءً[5] ، وعدوٌّ بمعنى أعداء .

١٣٣ ــ ثمّ قال جلَّ وعزَّ : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ ﴾[آية ١١٢]

وقرأ الأعمش (شَيَاطِينَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾[6] والمعنى واحد .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٩٢ .

(٢) هذا هو الأرجح والأظهر ، وهو مروي عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ، ورجحه أبو حيان في البحر ٢٠٦/٤ .

(٣) سورة يوسف آية ٢٦ وفي المخطوطة ﴿ وإن كان قميصه ﴾ بزيادة الواو ، وهو خطأ ، وصوابُه بحذف الواو كما هو نصُّ الآية الكريمة ﴿ وشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ .. ﴾ الآية .

(٤) هذه قراءة نافع ، وابن عامر ﴿ قِبَلاً ﴾ أي مواجهة وعياناً ، وقرأ وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ﴿ قُبُلاً ﴾ مضمومة القاف والباء ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة صـ ٢٦٦ والنشر ٢٦٢/٢ .

(٥) قال ابن جرير ٣/٨ : المعنى وكما ابتليناك يامحمد ، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء ، كذلك ابتلينا من قبلك من الرسل والأنبياء .

(٦) وهذه قراءة شاذة ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٦٧/٧ وهي محمولة على التقديم والتأخير ، وهي من حيث المعنى صحيحة ، ولكنها ليست من القراءات المتواترة ، فتنبه لذلك والله يرعاك .

١٣٤ ـ ثمّ قال تعالى : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ [آية ١١٢] .

قال مجاهد : أي يُزَيِّنون لهم ذاك ، أي يُزَيِّنون لهم العمل القبيح[1] .

وكذلك الزخرف في اللغة هو التزيين ، ومنه قيل للذهب : زخرف[2] .

١٣٥ ـ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [آية ١١٢] . .

أي لو شاء لمنعهم من وسوستهم الإنسَ ،ولكنّه يبتلي بما شاء ، ليُجْزِلَ الثواب[1] .

١٣٦ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [آية ١١٣] .

يقال : صَغَى يَصْغَى ، وصَغَا يَصْغُو ، وأَصْغَى يُصْغِي إذا مال[4] ، كما قال الشاعر :

---

(١) الطبري عن مجاهد ٦/٨ والسيوطي في الدر ٤٠/٣ وعزاه إلى الفريابي ، وابن المنذر ، وعبد بن حميد ، قال أبو عبيدة ٢٠٥/١ : كل شيء حسَّنته وزيَّنته وهو باطل فهو زخرف ، وقال الزجاج ٣١٢/٢ : الزخرف في اللغة : الزينة ، والمعنى : إن بعضهم يُزيِّن لبعض الأعمال القبيحة .

(٢) في الصحاح : الزخرف الذهب ، ثم يُشبَّه به كل مموَّه مزوَّر .

(٣) قال الزجاج ٣١٢/٢ : أي لو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة للإنس والجن ، ولكنَّ الله يمتحن ما يعلم أنه الأبلغُ في الحكمة ، والأصلح للعباد ، والأجزل للثواب .

(٤) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٥/٤ ولسان العرب لابن منظور مادة صغا .

تُصْغِي إِذَا شَدَّهَا بِالرَّحْلِ جَانِحَةً
حَتَّى إِذَا مااسْتَوَىٰ فِي غَرْزِهَا تَثِبُ(١)

١٣٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ [آية ١١٣] .

أي : وليكتسبوا(٢) ، ويقال : قرفتُ الجلدَ إذا قلعته .

ويُقرأ (وَلْيَقْتَرِفُوا) وفيه معنى التهديد(٣) .

قال قتادة : صِدْقاً فيما وَعَدَ ، وعدلاً فيما حكم(٤) .

١٣٨ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ [آية ١١٦] .

أَعْلَم جلَّ وعزَّ أنهم ليسوا على بصائر ولا يقين ، وأنهم لايتبعون الحقَّ .

ويُقْرأ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ(٥) عَنْ سَبِيلِهِ ﴾

---

(١) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ٤٨/١ بلفظ : « تصغي إذا شدَّها بالكُور » والكورُ : الرَّحْلُ ، يقول الشاعر : إذا شدت الناقة بالرحل ، تميل كما يميل الإنسان إلى الاستماع ، فإذا جلس على الركاب وثبت به ، فهي خفيفة سريعة ، فطنة ذكية ، وانظر اللسان ، والقرطبي ٦٩/٧ .

(٢) قال علماء اللغة : اقترف الشيءَ : اكتسبه ، وأكثر ما يكون في الشر والمنكرات والمعنى : وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام ، وانظر صفوة التفاسير ٤١٢/١ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٢٧/١ .

(٤) الطبري ٩/٨ القرطبي ٧١/٧ البحر المحيط ٢٠٩/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٢/٣ وليست من القراءات المشهورة .

(٥) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٢٨/١ قال والمعنى على هذه القراءة : إن ربك أعلم من يُجيره عن الحقِّ ويَصدُّ عنه ، كما أن قراءة من قرأ ﴿ أعلمُ مَنْ يَضِلُّ عن سبيلِهِ ﴾ من يجور عنه ، ألا ترى إلى قوله قبل ذلك ﴿ وإن تُطع أكثرَ من في الأرض يُضِلُّوك عن سبيل الله﴾ اهـ

وهذا على حذف المفعول ، وفَتْحُ الياء أحسنُ[1] ؛ لأنَّ بعده : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

١٣٩ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾** [آية ١١٨] .

أي ممَّا أُخْلِصَ للهِ[2] ، وتحريمُ الميتةِ داخلٌ في هذا .

١٤٠ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾** ؟ [آية ١١٩] .

وروى عكرمة عن ابن عبّاس أنَّ المشركين قالوا للمسلمين : لِمَ تأكلون ما قَتَلْتُم ، ولا تأكلون ما قَتَلَ اللهُ لكم ؟ فأنزل اللهُ جلَّ وعزّ : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[3] .

---

(١) هذه قراءة الجمهور ، والمعنى على هذه القراءة : إن ربك أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيل الرشاد ، وبمن اهتدى إلى طريق السعادة والسَّداد ، وهي جملة خبرية تتضمن الوعد والوعيد ، وانظر البحر المحيط ٢١٠/٤ .

(٢) المراد ممَّا ذُبح على اسم الله ، ولم يُذكر عليه اسم الآلهة والطواغيت ، قال في البحر ٢١١/٤ : أمر الله المؤمنين بأكل ما سُمِّي عليه اسم الله لا غيره من آلهتهم ، فقد كانو يُسَمُّون في كثير مما يذبحونه اسم آلهتهم ، فما ذكر اسم الله عليه هو المذكَّى، لاما مات حتف أنفه . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦/٨ عن ابن عباس ، ورواه عنه أيضاً بلفظ : « جادل المشركون المسلمين فقالوا : مابالُ ما قَتَلَ اللهُ لا تأكلونه ، وما قتلتم أنتم أكلتموه ، وأنتم تتَّبعون أمر الله ؟ فنزلت الآية » وأخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ١١٤/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ وعزاه إلى أبي داود ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم ، وفي رواية أبي داود قال : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتله اللهُ ؟ فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. ﴾ الآية وفي دعوى أن اليهود هم الذين جادلوا الرسول نظرٌ ، قال الحافظ ابن كثير ٣٢٠/٣ : وفي كونه عن اليهود نظرٌ من ثلاثة وجوه : أحدها : أن اليهود لايرون إباحة الميتة ، الثاني : أن الآية من الأنعام وهي مكية ، الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس بلفظ « أتى ناسٌ النبيَّ » وليس فيه ذكر اليهود . اهـ .

١٤١ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [آية ١١٩] .

قال قتادة : فصَّل : بيَّن .

وقرأ عطية العوفيُّ (وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ)(١) خفيفة .

ومعناه : أَبَان ، وظَهَر ، كما قُرِئ (الر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَلَتْ)(٢) أي استبانت .

١٤٢ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [آية ١٢٠] .

قال قتادة : أي علانيته، وسِرَّه(٣)

وقال غيره : ظاهرُ الإثم : « الزِّنَا » ، وباطنهُ : « اتِّخاذُ الأَخْدانِ »(٤) .

والأشبهُ باللغة قولُ قتادة .

١٤٣ ـ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ [آية ١٢٠] .

---

(١) هذه قراءة شاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٢٧/١ .

(٢) سورة هود الآية الأولى ، وهذه قراءة شاذة كما في المحتسب ٣١٨/١ قال ابن جني : معنى فَصَلَتْ أي صدت وانفصلت عنه ، ومنه : فصل الأميرُ عن البلد أي سار عنه :

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣/٨ وابن كثير ٣١٦/٣ والدر المنثور ٤٢/٣ ورجحه الطبري حيث قال : والمعنى دعوا أيها الناس علانية الإثم وذلك ظاهرُه ، وسرَّه وذلك باطنه .

(٤) هذا قول السدي كما في تفسير ابن كثير ٣١٦/٣ ولفظه : وقال السدي : ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات ، وباطنه مع الخليلة والصدائق والأخدان ، وانظر الطبري ١٤/٨ .

آي يكسبون ويعملون ، ويقال : قرفتُ الجلدَ ، أي قلعتهُ[١] .

قال أبو جعفر : اختلف أهل العلم في معنى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فكان مذهب ابنِ عبّاس أنَّ هذا جوابٌ للمشركين حين سألوا النّبيَّ ـ ﷺ ـ وتخاصموا ، فقالوا : كيف لا نأكل ممّا قتل ربُّك ، ونأكل ممّا قَتَلْنا ؟ فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

ورواه عنه سعيد بن جُبَيْرٍ وعكرمة ، فالمعنى على هذا : ولا تأكلوا من الميتة[٢] .

وقال الشّعبيُّ ومحمد بن سيرين : لايؤكل من الذبائح التي لم يُسَمَّ الله جلَّ وعزّ عليها كان ذلك عمداً أو نسياناً[٣] .

وقال سعيد بن جبير وعطاء : إذا ترك التسمية عمداً لم يؤكل ، وإذا نسي أُكِلَ ، وهذا حسنٌ ؛ لأنه لا يُسمَّى فاسقاً إذا كان ناسياً[٤] .

---

(١) انظر المصباح المنير ، والصحاح ، مادة قرف .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٣ وهو مروي عن نافع ، وعبدالله بن عمر ، وهو رواية عن أحمد ، وهذا القول ضعيف ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٧/٧٥ .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس ٣/١١٥ وهذا مذهب الشافعي وقول الحسن البصري ، فإن التسمية عند الشافعي سنة ، فمن تركها عامداً أو ناسياً تُؤكل ذبيحته ، وخالفه في هذا بعض الفقهاء ، وانظر تفصيل المسألة في تفسير الحافظ ابن كثير ٣/٣١٧ والقرطبي ٧/٧٥ .

(٤) هذا أرجح الأقوال وأصحها ، وهو المشهور من مذهب مالك ، وإليه ذهب أبو حنيفة ، وهو مرويٌّ عن جمهور السلف ، وبهذا القول يمكن الجمع بين النصوص الكريمة ، وهو ما رجحه الطبري رحمه الله تعالى .

١٤٤ ــ **ومعنى** ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾ [آية ١٢١] .

ممَّا لم يُخلص للَّهِ(١) .

﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ أي خروجٌ من الطاعة ، ويقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها(٢) .

١٤٥ ــ **ثم قال جلّ وعزّ :** ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ**﴾ [آية ١٢١] .

أي يوسوسون إليهم(٣) .

وقد ذكرت معنى ليجادلوكم .

١٤٦ ــ **ثم قال جلّ وعزّ :** ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [آية ١٢١] .

وقال أهل النظر(٤) : في هذا دليلٌ على أنّه مَنْ أحلَّ ما حرَّم اللَّهُ ، أو حرَّم ما أحلَّ اللَّهُ فقد أشرك .

---

(١) أي لم يذبح خالصاً لوجه الله بل للأوثان والأصنام .

(٢) إنما سمي الفاسقُ فاسقاً لأنه خرج عن طاعة الله ، وارتكب محارمه ، كما قال سبحانه عن إبليس ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ وانظر الصحاح للجوهري مادة فسق .

(٣) المراد بالوحي هنا الوسوسة التي يلقيها الشيطان في نفوس أتباعه الضالين ، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أنه قيل له : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه !! قال صدق وتلا ﴿ وإن الشياطينَ ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ يريد أنه من وحي الشيطان ، لا من وحي الرحمن .

(٤) المراد بأهل النظر : أهل الاستدلال الدقيق ، والاستنباط العلمي الرائع ، وهم الحُذَّاق من المحدثين والفقهاء ، فقد قال الفقهاء : من حلَّل الحرام فإنه كافر ، وكذلك من حرَّم الحلال فإنه كافر ، لأنه حكم بالجهل على الله عز وجل ــ وحاشاه ــ وكأنه يقول : الله تعالى لا يعرف كيف يُشَرِّع لعباده ؟ نعوذ بالله من الزيغ والضلال .

وقيـل له : مشرك ؛ لأنـه اتَّبـع غير اللـه، فأشرك به غيـرَهُ جلَّ وعزّ (١) .

١٤٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[آية ١٢٢] .

قال مجاهد : المعنى أَوَ مَنْ كان ضالاًّ فهدينـاه ﴿ وَجَعَلْنَـا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّـاسِ ﴾ أي هُدًى ﴿ كَمَـنْ مَثَلُـهُ فِي الظُّلُمَـاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ؟

قال مجاهد : أي في الضلالة (٢) .

قال السُدّي : هذا نزل في « عمـر بن الخطـــاب » ــ رحمة الله عليه ــ وأبي جهل(٣) .

والذي يوجب المعنى أن يكون عاماً(٤) إلّا أنْ تصحَّ فيه رواية .

---

(١) مما يدل على صحة هذا القول ماقاله النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سمع قول الله تعـالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ فقـال يا رسول الله : ما عبدوهـم ، فقـال عليـه السلام : «أليس كانوا يحرِّمون ماأحلَّ الله تعـالى فيحرِّمونـه ، ويُحلُّـون ما حرَّم اللهُ فيستحلـون ؟! فقـلتُ : بلى ، قال : فذلك عبادتهم » وانظر روح البيان للألوسي ١٠/٨٤ .

(٢) هذا تفسير مجاهد للظلمات ، وهذا الأثر أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنـذر عن مجاهـد ، كما في الدر المنثور ٣/٤٣ وأخرجه ابن جرير ٨/٢٢ وابن كثير ٣/٣٢ وهو في زاد المسير ٣/١١٦ .

(٣) الأثر ذكره في البحـر المحيـط ٤/٢١٤ والـطبري ٨/٢٢ من قول الضحـاك ، والسيوطـي في الـدر ٣/٤٣ وعزاه الى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير ٣/٣٢٣ ورجح العموم فقال : « وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجـلان معيَّنان ، قيل : عمر بن الخطاب هو الـذي كان ميتـاً فأحيـاه الله وجعـل له نوراً يمشي به ، وأمـا الذي في الظلمات فقيل : أبو جهل لعنه الله ، والصحيح أن الآية عامة ، يدخل فيها كل مؤمـن وكافر . اهـ وكذلك رجحه القرطبي ٧/٧٨ .

١٤٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مجرميها ﴾[آية ١٢٣] .

قال مجاهد: أي عظماءهم .

وقال غيره : وخُصَّ العظماءُ والرؤساء ؛ لأنهم أقدر على الفساد(١) .

١٤٩ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِم ﴾[آية ١٢٣] .

أي إنَّ وَبَالَ ذلك يرجع عليهم .

١٥٠ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .
[آية ١٢٤] .

وإن كانوا أعزاء في الدنيا ، فستلحقهم الذِّلَّةُ يومَ القيامةِ .

وفي الآية ثلاثةُ أقوال :

أحدهما : أنَّ المعنى : سيصيب الذين أجرموا عند الله صغارٌ ، على التقديم والتأخير(٢) .

والقول الثاني : أن المعنى : سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله(٣) .

---

(١) قال ابن الجوزي ١١٧/٣ : وإنما جُعل الأكابرُ فساقَ كل قرية ، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسمعة . اهـ .

(٢) هذا قول إسماعيل الضرير كما ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٢١٧/٤ والمعنى عنده : سيصيب الذين أجرموا صغارٌ وعذاب شديد عند الله في الآخرة ، وهو تقدير جيد .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ٣١٨/٢ قال : والصَّغارُ : المذلَّةُ أي صغار ثابت لهم عند الله .

وهذا أحسن الأقوال ؛ لأنّ (عند) في موضعها .

والقول الثالث : ذكره الفراء أنه يجوز أنْ يكون المعنى : سيصيب الذين أجرموا صغارٌ من عند الله[1] .

وهذا خطأ عند البصريين ؛ لأنّ (مِنْ) لا تُحذف في مثل هذا[2] .

١٥١ ــ وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [آية ١٢٥] .

رُوِيَ أنّ عبدالله بن مسعود قال : يا رسول الله هل ينشرح الصدر ؟! فقال : نعم ، يدخل القلبَ نورٌ ، فقال وهل لذلك من علامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل الموت »[3] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٣٥٣/١ ولفظه : ﴿ صغارٌ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي من عند الله ، كما تقول : سيأتيني الذي عند الله ، ويكون معنى الآية : سيصيبهم الصغار الذي عند الله .. ولكنَّ هذا القول لم يرتضه الزجاج ، بل ردَّه في معانيه فقال : ولا تصلح أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ محذوفة من « عند » إنما المحذوف « في » كما تقول : زيدٌ عند عمروٍ ، والمعنى : زيدٌ في حضرة عمرو ، وهذا الذي ضعَّفه الزجاج ذهب إليه الطبري ٢٦/٨ فقال : والمعنى سيصيبهم صغار من عند الله .. والله أعلم بالصواب .

(٢) وافق الإمام النحاس شيخه الزجاج فيما ذهب إليه ، ولم يرتض ما قاله الفراء .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، وعبدالرزّاق ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، كما في الدر المنثور ٤٤/٣ وأخرجه ابن جرير ٢٧/٨ ورواه الحافظ ابن كثير ٣٢٧/٣ بروايات متعددة ثم قال : فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ، ومتصلة ، يشدُّ بعضها بعضاً ، وانظر أيضاً القرطبي ٨١/٧ وتفسير ابن عطيه ٣٤٢/٥ .

١٥٢ ـ ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾ [آية ١٢٥] ..

أي شديدَ الضِّيقِ .

وقرأ عُمَرُ وابنُ عباسٍ (ضَيْقاً حَرَجاً)[1] .

ورُوِيَ أنّ عمر أحضر أعرابياً من كنانةَ من بني مدلج ، فقال له : ما الحَرَجة ؟ فقال : شجرةٌ لا تصل إليها وَحْشِيَّةٌ ولا راعيةٌ .. فقال : كذلك قلبُ الكافر ، لايصل إليه شيءٌ من الإيمان والخير[2] .

١٥٣ ـ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [آية ١٢٥].

وقرأ ابن محيصن وابن كثير وشِبل : ﴿ كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[3] .

وقرأ ابن عبدالرحمن المقرئ وإبراهيم النَّخعيّ : ﴿ كَأَنَّما يَصَّاعَدُ ﴾[4] .

---

(١) هذه إحدى القراءات السبع وهي قراءة ابن كثير وحده ﴿ ضَيْقاً ﴾ بالتخفيف وقرأ الباقون ﴿ضَيِّقاً ﴾ بالتشديد ، وانظر السبعة لابن مجاهد صـ ٢٦٨ .

(٢) القصة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٤/٥ فقال : رُوى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ الآية بفتح الراء « حَرَجاً » فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء ، فقال : أبغوني رجلاً من كنانة ، ولْيكن راعياً من بني مدلج ، فلما جاءه قال له : يا فتى ما الحَرَجةُ عندكم ؟ قال : الشجرة تكون بين الأشجار ، لا تصل إليها راعية ولا وحشية ، قال عمر : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير » وذكرها الطبري في جامع البيان ٢٨/٨ والقرطبي في جامع الأحكام ٨١/٧ وابن كثير في التفسير ٢٨/٣ .

(٣) ـ (٤) هذه القراءات « يَصْعَدُ » و « يصَّاعد » و « يَصَّعَّدُ » كلها من القراءات السبع المتواترة ، وأما قراءة ابن مسعود « يتصعَّد » بزيادة التاء ، فليست من السبعة المشهورة بل هي شاذة ، وقد ذكرها ابن عطية في المحرر ٣٤٤/٥ .

ورُوِيَ عن عبدالله بن مسعود أنّه كان يقرأ : ﴿ كَأَنَّمَا يَتَصَعَّدُ ﴾

ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصَّعَّدُ ويصَّاعد واحدٌ

والمعنى فيها أنّ الكافر من ضيق صدره ، كأنه يريد أنْ يصْعَد إلى السماء ، وهو لايقدر على ذلك ، كأنه يستدعي ذلك .

ومَنْ قرأ « يَصْعَدُ » فمعناه أنَّه من ضيق صدره كأنّه في حال صعود قد كُلِّفَه(١) .

وقال أبو عبيد : من هذا قول عمر : « ما تصعَّدَتني خُطْبَةٌ ، ما تصعَّدتني خطبة النكاح »(٢) .

وقد أُنكر هذا على أبي عبيد ، وقيل : إنَّما هذا من الصُّعُود ،

---

(١) قال الطبري ٣٠/٨ : « وهذا مَثَلٌ ضربه الله لقلب هذا الكافر ، في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس في وسعه وطاقته » وقال القرطبي ٨٢/٧ : « شبَّه الله الكافر في نفوره من الإيمان ، وثِقلِه عليه ، بمنزلة من تكلفَّ مالا يطيقه ، كما أن صعود السماء لا يُطاق » وكذلك قال غيرهما من المفسرين أن المراد تشبيه بمن يحاول الصعود إلى السماء ، وهو ليس بمستطيع.. أقول : لقد جاء هذا العصر فأظهر معجزة القرآن ، وسجَّل اتفاقاً رائعاً للآية الكريمة مع الواقع الحسي ، فمنذ اكتشاف الطيران ، ظهرت للعلماء بادرة طبيعية وهي نقص « الأوكسجين » كلّما حلّق الإنسان ، وارتفع في أجواء الفضاء ، وكلما علا أدركته هذه الظاهرة : ضيق الصدر ، وصعوبة التنفس ، حتى ليكاد يشعر بالاختناق ، ولهذا يعطون الركاب تعليمات باستعمال « الأوكسجين الصناعي » وهذا هو الوصف الدقيق لمعنى الآية الكريمة ، فإن قلب المنافق والكافر يضيق وينفر من الإيمان ، كما يضيق صدر من يصعد نحو السماء ، فهو الوصف المطابق للواقع الذي نبَّهت إليه الآية الكريمة .

(٢) انظر الطبري ٣١/٨ وتفسير ابن عطيه ٣٤٥/٥ والبحر ٣١٨/٤ .

وهي العقبة الشّاقّة ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾[1].

ـ ثمّ قال جلّ وعزّ : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ١٢٥] .

قال مجاهد : الرِّجسُ : ما لاخير فيه[2].

وكذلك الرِّجْسُ عند أهل اللغة هو النَّتْنُ[3] . فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لايؤمنون .

١٥٥ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[آية ١٢٦]

أي بيَّنَّا .

١٥٦ ـ ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[آية ١٢٧]

ويجوز أنْ يكون المعنى:دار السلامة ، أي التي يُسْلَم فيها من الآفات .

ويجوز أن يكون المعنى دار الله جلَّ وعزّ ، وهو السلام[4].

---

(١) سورة المدثر آية رقم ١٧ .

(٢) البحر ٢١٨/٤ وتفسير الطبري ٢٣١/٨ وتفسير ابن عطيه ٣٤٥/٥ ، والقرطبي ٨٣/٧ .

(٣) قال أهل اللغة : الرجسُ يأتي بمعني العذاب ، ويأتي بمعنى القذر والنجس ، وقال الطبري : إن الرجس والنجس واحدٌ ، لحديث كان ﷺ إذا دخل الخلاء قال : « اللهمَّ إني أعوذ بك من الرِّجْسِ النَّجِسِ ، الخبيث المُخْبِث ، الشيطان الرجيم » وانظر جامع البيان ٣٢/٨ .

(٤) قال في البحر ٢١٩/٤ : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ ﴾ أي لهم الجنة ، والسلام اسمٌ من أسماء الله تعالى ، كما قيل في الكعبة : بيتُ الله ، قال ابن عباس وقتادة ، وأضيفت إليه تشريفاً .. أو دار

١٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزّ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ ﴾ [آية ١٢٨] .

المعنى فيما يُقال لهم : يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، أي كثُر من أغويتم[(١)] .

١٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعزّ : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [آية ١٢٨] .

ففي هذا قولان :

أحدهما : إنَّ الجنّ أغوت الإنس ، وقبلتِ الإنسُ منهم[(٢)] .

والقول الآخر : أنَّ الرجل كان إذا سافر في الجاهلية

السلامة من كل آفة ، والسَّلامُ والسَّلامة كاللَّذاذ واللَّذاذة . اهـ ورجح الطبري القول بأنها دار الله التي أعدَّها لأوليائه في الآخرة ، ونقل عن السدي قوله : الله هو السلامُ ، والدارُ : الجنة . اهـ ورجح ابن كثير ٣/٣٣٠ القول الأول وهو قول الزجاج ، والمعنى عنده : لهؤلاء المتقين الأبرار دار السلامة وهي الجنة ، لأنهم لسلامتهم من الاعوجاج سلموا من الآفات .

(١) قال ابن عباس : أي أضللتم منهم كثيراً ، وهو قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وانظر الطبري ٨/٣٣ .

(٢) أي أطاعوهم فيما دعوهم إليه من الشهوات ، ومعصية الله قال القرطبي ٧/٨٤ ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ هذا يردُّ قول من قال : إن الجنَّ هم الذين استمتعوا من الإنس ، والصحيح أن كل واحدٍ مستمتع بصاحبه ، فاستمتاع الجن من الإنس أنهم تلذَّذوا بطاعة الإنس لهم ، وتلذَّذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زنوْا ، وشربوا الخمر بإغواء الجن إياهم » وانظر تفسير البيضاوي ص ١٨٢ والبحر المحيط ٤/٢٢٠ .

فخـاف ، قال : أعـوذ بصاحب هذا الـوادي من شرِّ ما أحـذر[1] ، فهذا استمتاع الإنس بالجنّ .

واستمتاع الجنّ بالإنس أنهم يعترفون أنّ الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يجدون[2] .

والقـولُ الأول أحسنُ ، ويـدلُّ عليـه ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِـــنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ ﴾ .

١٥٩ ــ **وقوله جلّ وعزّ : ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾** [آية ١٢٨] .

المثوى : المقام .

١٦٠ ــ **ثمّ قال جلَّ وعزَّ : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾** [آية١٢٨]

في هذا قولان :

أحدهما : أنّه استثنـاء ليس من الأول[3] ، والمعنـى على هذا إلا ما شاء الله من الزيادة في عذابهم .

---

(١) الأثر مروي عن ابن جريج كما في الطبري ٣٣/٨ وابن كثير ٣٣١/٣ وزاد المسير ١٢٣/٣ .

(٢) هذا القول ضعيـف ، ولا وجـه له من الاستمتـاع ، بل هو عائـد على الإنس أيضاً ، والراجـح أن الجن أضلت الإنس ودعوهـم إلى الشهـوات ، فأطاعوهـم في ذلك ، ففـي هذا استمتـــاع الجن بالإنس ، بإغوائهم ، واستسلام الإنس لضلالاتهم .

(٣) يعني أنه استثناء منقطع بمعنى « لَكِنْ » كما هو مذهـب سيبويه ، قال الحسن : المعنـى إلاَّ ما شاء الله من كونهم في الدنيـا بغير عذاب ، وقـال الـطبري : هي المدة بين حشرهـم إلى وقت دخـولهم النار ، وقال الزمخشري : أي يُخلَّـدون في عذاب الأبـدَ كلَّـه ، إلَّا الأوقـاتَ التـي يُنقلـون فيها من عذاب النار ، إلى عذاب الزمهرير ، فقد رُوى أنهم يدخلون وادياً من الزمهريـر ، فيتعاوَوْن فيه ، =

وسيبويه يُمَثِّل هذا بمعنى (لكن) .

والفرَّاء يُمَثِّلُه بمعنى (سِوى)[١] كما تقول : لأُسْكِننَّك هذه الدار حولاً ، إلَّا ما شئت ، أي سِوىٰ ما شئت من الزيادة ، ومثلُه ﴿ خَالِدِينَ فِيهِ مَا دَامَتِ السَّمَـوَاتُ والأَرْضُ إلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[٢] أي سِوى ما شاء ربّك من الزيادة .

قال أبو جعفر : وقال أبو إسحاق : معنى الاستثناء عندي ها هنا ــ والله أعلم ــ إنَّما هو من يوم القيامة ، أي إلَّا ما شاء ربُّك من مقدار محشرهم ومحاسبتهم .

ويدلُّ على هذا الجواب : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعَاً ﴾ ؛ لأن هذا يُراد به يوم القيامة ، ويجوز أنْ يكون معنى ماشاء اللهِ عزّ وجلّ أن يعذبهم من أصناف العذاب[٣] .

= ويطلبون الرد إلى الجحيم ، أقول : ولعل الأرجح أن يُقال : إن الآية شملت الكفار والعُصاة ، فهم جميعاً ممن أغوتهم وأضلتهم الشياطين ، فأما الكفار فيخلدون في النار أبد الآبدين ، وأما العصاة من المؤمنين فيخرجون من النار بشفاعة سيد المرسلين ، فجاء الاستثناء على العصاة لا على الكفار ، والله أعلم .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٨/٢ .

(٢) سورة هود آية رقم ١٠٨ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٢١/٢ قال ابن عطية ٣٥٠/٥ : ويتجه عندي أن يكون هذا في الدنيا ، والمستثنى هو من كان من الكفرة سيؤمن في علم الله تعالى ، كأنه لما أخبرهم أنه قال للكفار « النَّارُ مثواكم » استثنى من يمكن أن يؤمن منهم ، ممن كان يومئذٍ كافراً ، قال أبو حيان ٢٢١/٤ : وهو تأويل حسن ، ويؤيده إتصال قوله تعالى بعده ﴿ إن ربك حكيم عليم ﴾ .

١٦١ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [آية ١٣٠] .

والرسل من الإنس ؟ ففي هذا جوابان :

أحدهما أنه رُوِيَ عن ابن عبّاس أنه قال : رسلُ الجنِّ الذين لقُوا قومَهم فبلَّغوهم(١) .

يعني ابنُ عبَّاس الذين قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾(٢) . وهم بمنزلة الرسل إلى قومهم لأنهم قد بلَّغوهم .

وكذلك قال مجاهد : الرُّسُل في الإنس ، والنِّذَارةُ في الجنِّ(٣) .

والقول الآخر : أنه لمَّا كانت الإنس والجنّ ، ممَّن يخاطب ويعقل قيل : ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم ، وإنْ كانت الرسل من الإنس خاصَّةً(٤) .

١٦٢ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخرِينَ﴾ [آية ١٣٣]

الإنشاءُ : ابتداءُ الخلقِ .

---

(١) انظر قول ابن عباس في جامع البيان للطبري ٨/٣٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٣/١٢٥ والبحر المحيط ٤/٢٢٢ وتفسير ابن كثير ٣/٣٣٢ وقد ساق الحافظ ابن كثير عدة أدلة من الكتاب والسنة على أن الرسل من الإنس فقط ، ولم يكن في الجن رسلٌ منهم ، وهذا قول جمهور السلف والخلف ، وانظر الأدلة في تفسيره ٣/٣٣٣ .

(٢) سورة الجن آية رقم /١ .

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٣/١٢٥ وجامع الأحكام للقرطبي ٧/٨٦ .

(٤) انظر معاني الزجاج ٢/٣٢١ فهذا طرف من كلام الزجاج حول الآية .

١٦٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتِكُمْ ﴾ [آية ١٣٥]

فيه قولان :

أحدهما : أنَّ المعنى على تمكُّنكم .

والقول الآخر : أنه كما تقول : اثْبُتْ مكانك ، أي اثْبُتْ على ما أنت عليه .

فإنْ قيل : كيف يجوز أنْ يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفارٌ[1] ؟

فالجواب : أنّ هذا تهدّدٌ ، كما قال جلّ وعزّ : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كثيراً ﴾[2] .

ودلَّ عليه قوله ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ .

والمعنى على هذا : اثبتوا على ما أنتم عليه إنْ رضيتم بالنار .

١٦٤ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً ﴾ [آية ١٣٦] .

---

(١) المكانة : الطريقة ، والمعنى : اثبتوا على ماأنتم عليه ، فأنا ثابتٌ على ديني ومذهبي ، واعملوا ما تريدون من عداوتي ، والأمر هنا أمر وعيد وتهديد كما قال سبحانه ﴿ أفمن يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ إعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ فهو أمرٌ خرج إلى حيِّز التهديد .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٢ .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : وجعلوا لأصنامهم نصيباً[١] ودلّ عليه ﴿ فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ .

قال مجاهد : كانوا يجعلون لله جزءً ولشركائهم جزءً ، فإذا ذهب ما لشركائهم عوّضوا منه ممّا لله ، وإذا ذهب ما لله لم يعوضوا منه شيئاً[٢] .

قال : الأنعامُ : البحيرةُ ، والسائبة[٣] .

وقال قتادة : كانوا يجعلون لله نصيباً ولشركائهم نصيباً ، فإذا هلك بَعيرٌ ممّا لشركائهم ، أخذوا ممّا لله فجعلوه لشركائهم ، وإذا هلك بعيرٌ مما للّه ، جلّ وعزّ تركوه ، وقالوا : الله مستغنٍ عن هذا ، وإذا أصابتهم سَنَةٌ[٤] أخذوا ما لله جلّ وعزّ فنحروه وأكلوه[٥] .

---

(١) أصل الكلام : وجعلوا لله مما خلق من الزرع والأنعام نصيباً ، ولشركائهم نصيباً كذلك ، فحذف منه ولشركائهم نصيباً ، لدلالة اللفظ عليه وهو قوله ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ﴾ وأكثر مايكون الزعم في الكذب ، ولهذا قال تعالى ﴿ بزعمهم ﴾ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٤١/٨ والقرطبي ٨٩/٧ والبحر المحيط ٢٢٨/٤ وهو قول الحسن أيضاً .

(٣) البحيرة التي شُقّت أذنها ، والسائبة التي سُيِّبت أي تُركت فلم تُحلب ولم تُركب ، للإشارة إلى أنها جُعلت في سبيل الله .

(٤) قوله «سَنَةَ » أي جدب وقحط ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٤١/٨ وابن كثير ٣٣٧/٣ وزاد المسير ١٣١/٣ والدر المنثور للسيوطي ٤٧/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً .

١٦٥ ــ وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [آية ١٣٦] .

فذَمَّ اللهُ ذلك من فعلهم[١] .

ويقال : ذرأ ، يَذْرأُ ، ذَرْءً : أي خَلَق .

١٦٦ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ [آية ١٣٧] .

يعني : الموءودة .

قال مجاهد : زيَّن لهم الشياطين قتلَ البنات ، وخوَّفوهم العَيْلَةَ[٢] .

قال غير مجاهد : «شركاؤُهُمْ» ههنا : الذين يخدمون الأصنام[٣] .

١٦٧ ــ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ [آية ١٣٨]

قال قتادة : الحِجْرُ : الحرام[٤] .

---

(١) فيه ذمٌّ بالغ على سوء صنيعهم أي ساء حكمهم هذا في إيثارهم آلهتهم على الله عز وجل .

(٢) الطبري عن مجاهد ٤٣/٨ والقرطبي ٩١/٧ والبحر المحيط ٢٢٩/٤ .

(٣) هذا قول الفراء كما في معانيه ٣٥٧/١ قال : هم قومٌ كانوا يخدمون آلهتهم ، فزيَّنوا لهم دفن البنات وهنَّ أحياء ، وانظر القرطبي أيضاً ٩١/٧ .

(٤) الطبري عن قتادة ٤٦/٨ قال القرطبي ٩٤/٧ : والحِجْرُ : لفظ مشتركٌ ، وهو هنا بمعنى الحرام ، وأصلُه المنع ، وسُمِّي العقلُ حِجْراً لمنعه عن القبائح ، وفلان في حِجْر القاضي أي منعه ، ويُقال : حَجَرْتُ على الصبيِّ حَجْراً ، والحِجْرُ : العقلُ ، قال تعالى ﴿ هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجْرٍ ﴾ ؟ اهـ .

وقيل : هذه أشياء كانوا يجعلونها لأصنامهم ، لايأكل منها إلَّا من يشاؤهم خدمُ الأصنام .

والحرثُ : هو الذي يجعلونه لنفقة أوثانهم ، ويُحرِّمونها على النَّاس إلاَّ خَدَمها[1] .

١٦٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾**[آية ١٣٨] .

قال قتادة : يعني السائبة والوصيلة[2] .

١٦٩ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾**[آية١٣٨]

أي يذبحونها لآلهتهم ، ولا يذكرون عليها اسمَ الله ، فأعلَمَ اللهُ جلَّ وعزّ أنّه لم يأمرهم بهذا ، ولا جاءهم به نبيٌّ ، فقال تعالى : ﴿ افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[3] .

وقيل : معنى ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ .

هو الحامي الذي ذكره الله جلَّ وعزّ في قوله : ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[4] .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظة « إلاَّ » وأثبتناها ليستقيم الكلام .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان عن مجاهد ٤٥/٨ وابن كثير ٣٣٩/٣ قال السدي : أما الأنعام التي حرمت ظهورها فهي البحيرة ، والسائبة ، والحام ، وأما الأنعامُ التي لايذكرون اسم الله عليها فذلك إذا نحروها ، وأما البحيرة فكانوا لا يحجُّون عليها . اهـ ابن كثير ٣٣٩/٣ .

(٣) الآية وردت للذم والتقبيح على المشركين ، فقد حرَّموا أشياء من تلقاء أنفسهم ، من غير حجة ولا برهان ، واخترعوا في دين الله مالم يأذن به الله ، ولهذا ذكر لفظ الافتراء .

(٤) سورة المائدة آية رقم ١٠٣ وتمامها ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ، ولا سائبةٍ ، ولا وصيلةٍ ، =

وقيل معنى ﴿ وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ السائبة ؛ لأنها لاتُرْكَب ، فيذكر اسم الله عليها[1] .

وقيل : يذبحونها لأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها .

والمحرَّمةُ ظهورُها « السائبةُ ، والحامي ، والبحيرة »[2] وأصحُّها ما بدأنا به .

١٦٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ﴾** [آية ١٣٩] .

قال مجاهد : يعني البحيرة والسائبة[3] .

قال غيره : كانوا إذا جعلوا لأصنامهم شيئاً ممَّا في بطون الأنعام ، فولدت مولوداً حيًّا ذكراً ، كان للذُّكران دون الإناث ، وإذا ولدت ميّتاً ذكراً اشترك فيه الذُّكْرانُ والإناثُ ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾[4] .

= ولا حام .. ﴾ الآية وقد كان أهل الجاهلية إذا أُنتج من صلب الفحل عشرةُ أبطن ، قالوا : حَمَىٰ ظهره فلا يركب تكريماً له ، وقد تقدم .

(١) انظر جامع البيان للطبري ٤٧/٨ وابن كثير ٣٣٩/٣ .

(٢) هذا قول السدي كما في زاد المسير لابن الجوزي ١٣٢/٣ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١٣٢/٣ والدر المنثور ٤٨/٣ وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حُميد .

(٤) ذكره السيوطي عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما هو في الدر المنثور للسيوطي ٤٨/٣ ولفظه عن ابن عباس قال : كانت الشاةُ إذا ولدت ذكراً ذبحوه ، فكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أُنثى تركوها فلم تُذبح ، وإن كانت ميتةً فهم فيه شركاء .

وقال قطرب[1] : إذا أتأمت عشراً[2] ، فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور ، إلَّا أنْ يموت ، فيشترك فيه أكله الذكرُ والأنثى .

وقرأ الأعمش : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصٌ لِذُكُورِنَا ﴾[3] .

قال الكسائي : معنى خالصٌ ، وخالصةٌ واحدٌ ، إلَّا أنَّ الهاءَ للمبالغة ، كما يقال : رجلٌ داهيةٌ ، وعلَّامةٌ .

وقال الفرَّاء : الخاءُ لتأنيثِ الأنعام ؛ لأنَّ ما في بطون الأنعام مثلها[4] .

وقُرِئ ﴿ خَالِصُهُ لِذُكُورِنَا ﴾[5] .

والمعنى على هذه القراءة : ما خلص منه حيًّا لذكورنا .

﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ أي الإناث[6] .

قال مجاهد : معنى ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ أي سيجزيهم كذبهم[7] .

---

(1) « قطرب » هو محمد بن المستنير ، أحد أئمة اللغة ، وقد تقدمت ترجمته .

(2) قال الجوهري : أتـأمتِ المرأةُ : إذا وضعت إثـنين في بطـن ، فهـي متئـم ، فإذا كان ذلك عادتها فهي متآم ، والولدان توأمان . اهـ الصحاح مادة تأم .

(3) هذه من القراءت الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٣٢/١ .

(4) انظر معاني القرآن للفراء ٣٥٨/١ .

(5) هذه أيضاً من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب لابن جني ٢٣٢/١ .

(6) لا يُراد بالأزواج هنا الزوجات ، إنما يراد به جنس الإناث أي لا تأكل منه إناثنا .

(7) الطبري عن مجاهد ٥٠/٨ قال ﴿ سَيَجْزِيهِم وصفَهُم ﴾ قولهم الكذب في ذلك .

والتقديرُ عند النحويين : سيجزيهم جزاءَ وصفهم الذي هو كذب[1] .

١٧١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾** [آية ١٤٠] .

يعني : قتلَهم البناتِ جهلاً[2] .

١٧٢ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَحَرَّمُوا مَارَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَىٰ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾** [آية ١٤٠] .

قال أبو رزين : ولم يكونوا مهتدين قبلَ ذلك[3] .

١٧٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾** [آية ١٤١] .

أنشأَ : خَلَق وابتدع . والجَنَّاتُ : البساتينُ .

---

(١) قال في البحر ٤/٢٣٣ : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ أي جزاء وصفهم الكذب على الله ، في التحليل والتحريم ، مأخوذ من قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرام ﴾ .

(٢) المراد بهم قبيلة « ربيعة ومضر » كانوا يئدون بناتهم مخافة العار والفقر ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿ وإذا المَوْءُودةُ سُئلت بأيِّ ذنبٍ قتلت ﴾ ومعنى قوله تعالى ﴿ سفهاً ﴾ أي جهالة وسفاهةً منهم ، قال ابن عباس : إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً ..﴾ وانظر قصة الصحابي الغريبة في القرطبي ٧/٩٧ .

(٣) قال في البحر ٤/٢٣٣ : وفي قوله ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ تنبيه على أنهم لم يكونوا قط فيما سلكوه ذوي هداية .

وقيل : المعروشاتُ الكروم[1] .

﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ﴾ أي ثمرهُ[2] ؛ لأنه مما يؤكل .

﴿ والزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ .

قيل : مشتبهٌ في المنظر ، ومختلفٌ في المطعم ، فيه حلوٌ ، وحامضٌ[3] .

وقيل : يشبه بعضه بعضاً في الطعم ، ومنه ما لايشبه بعضه بعضاً في الطعم .

١٧٤ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾ [آية ١٤١] .

في هذه الآية ثلاثة أقوال :

---

(١) معنى « معروشات » مرفوعات على ما يحملها من العيدان والقصب ، كأشجار الكروم أي العنب ، يُقال : عَرَشْتُ الكرمَ : إذا جعلت له دعائم ، قال ابن عباس : المعروشُ : هو ما كانَ في شجر العنب ومالم يُعرش : ماكان منبسطاً على الأرض .

(٢) قال الطبري ٥٢/٨ : يعني بالأُكُل : الثمر ، ويعني أنه خلق النخل والزرع ، مختلفاً ما يخرج منه من الثمر والحَبِّ . اهـ .

(٣) هذا قول ابن جريج كما في الطبري ٥٢/٨ وتفسير ابن عطية ٣٧٠/٥ والدر المنثور ٤٩/٣ وهو القول الراجح يعني : أنه متشابه في اللون والشكل ، وغير متشابه في الطعم ، فإن الرمان أنواع عديدة منه الحلو ، والحامض ، والمزّ ، فهو في الشكل واحد، وفي الطعم متعدد ، وكذلك النخيل متعدد الأنواع والطعم .

فمذهب ابن عمر ، وأبي الدرداء ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وعطاء : أنَّ عليه أنْ يصَّدَّق منه سوى الزكاة المفروضة(١) .

والقول الثاني : أنَّ الآية منسوخة(٢) .

قال إبراهيم النَّخعيُّ : نسخها العُشْرُ ، ونِصْفُ العُشْرِ(٣) .

وروى عن الحسن قولان :

رَوَىٰ سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : نسختها الزكاة المفروضة(٤) .

والقولُ الآخر ــ وهو القول الثالث في الآية ــ رواه شعبة عن أبي الرَّجاء قال : سألتُ الحسن عن قوله جلّ وعزّ : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ فقال : الزكاةُ المفروضةُ(٥) .

---

(١) هذا القول مرجوح ، ومعناه : أعطوا الفقير والمسكين من ثمره يوم الحصاد ما تجود به نفوسكم ، فالأمر للاستحباب لا للوجوب ، قال مجاهد : إذا حضر المساكينُ فاطرح لهم عند الجُذاذ شيئاً ، وقال ابن عباس : المراد الزكاة المفروضة « يوم حصاده » أي يوم يُكال ويُعلم كيله ، وهذا القول أرجح .

(٢) ــ (٤) هذا هو قول ابن عباس ، وجمهور علماء السلف ، كما في الطبري ، فقد ذكر أن ذلك كان مفروضاً ثم نسخه الله بوجوب الزكاة ، وانظر جامع البيان ٥٨/٨ والقرطبي ٩٩/٧ والبحر المحيط ٢٣٧/٤ .

(٥) قال أبو حيان ٢٣٧/٤ : ذهب الجمهور إلى أنه الزكاة المفروضة ، واعترض على هذا القول بأن السورة مكية ، وهذه الآية على رأي الجمهور غير مستثناه . اهـ والجواب أن أصل الزكاة كان مشروعاً في أول الإسلام وذلك بالإنفاق في سبيل الله بدون تحديد ، وفي المدينة المنورة حُدِّدت الزكاة بمقاديرها المفروضة ، والله أعلم .

وكـذلك قال ابـن عبّـاس ، وأنس بن مالك ، وابـن الحنفيـة ، وجابر بن زيدٍ ، وسعيد ابن المُسَيّب وطاووس وقتادة والضحَّاك[1] .

ورواه ابن وهب عن مالك قال : هي الصدقة المفروضة[2] .

والقول الأول أولاها ؛ لأنه يبعد أنْ يعني به الزكاة المفـروة ؛ لأنَّ الأنعام مكِّيَّةٌ ، والزكاةُ إنَّما فُرِضت بعـد مقـدم النَّبـيّ — ﷺ — إلى المدينة[3] .

ويقوِّي القـولَ الأول حديثُ النَّبـيّ — ﷺ — أنَّـه نهى عن جذاذ الليل[4] .

قال سفيان : كي يحضر المساكين .

قال سعيد بن المُسيّب: ومعنى ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ ولا تمتنعوا

(١) ،(٢) هذا هو رأي الجمهور وهو أن المراد بقوله تعالى ﴿ وآتوا حقَّه يوم حصاده ﴾ ما فرض اللـه فيه من الزكاة ، فإذا أدَّاها الانسان فقد سقط عنه الواجب ، وليس عليه شيء آخر ، قال عكرمة والضحاك : نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن . انظر الدر المنثور ٣/٤٩ .

(٢) نُقل هذا عن بعض السلف كعطاء ، والحكـم ، وحماد قالـوا : هو حق في المال سوى الزكاة أمر الله به ندباً .

(٣) - قال ابن الجوزي في تفسيره ٣/١٣٥ : إن قلنا إن الأمر للوجوب فهـو منسوخ بالـزكاة ، وإن قلنـا إنه أمر استحباب فهو باقي الحكم . وقال ابن كثير ٣/ ٤٢ : وفي تسمية هذا نسخاً نظر ، لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ، ثم إنه فصَّل بيانه وبيَّـن مقـدار المخرج وكميتـه ، وكانت الـزكاة في السنة الثانية من الهجرة .

(٤) رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمـد ، عن علي بن أبي طالـب أن رسول الله ﷺ « نهى عن الجذاذ بالليل ، والحصاد بالليل » انظر ابن كثير ٣/٤٢ .

من الصدقة فتهلكوا[1].

وقال غيره : معنى ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ لاتدفعوا كلَّ ما لِكم إلى الغرباء ، وتتركوا عيالكم ، كما رُوِيَ « إبدأ بمن تعول »[2].

السَّرَفُ في اللغة : المجاوزةُ إلى ما لايحلُّ ، وهو اسم ذمٍّ ، أي لاتُنفقوا في الوجوه المحرَّمة ، حتى لايجد السائل شيئاً .

وقيل : معنى ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ لاتُنفقوا أموالكم فيما لايحلُّ[3] ؛ لأنَّه قد أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ .

١٧٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً ﴾**[آية ١٤٢] .

ورَوَى أبو الأحوص عن عبدالله بن مسعود أنه قال : «الحَمُولةُ» : ما أطاق الحمل من الإبل ، والفَرْشُ : ما لم يُطقِ الحملَ ، وكان صغيراً »[4] .

---

(١) الأثر أخرجه عبدالرزاق وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب بلفظ « ولا تمنعوا الصدقة فتعصوا » كذا في الدر المنثور ٣/٤٩ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر ٣/٤٩ عن ابن جريج قال : نزلت الآية في « ثابت بن قيس » جدَّ نخلاً فقال : لا يأتيني اليوم أحدٌ إلا أطعمته ، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فأنزل الله ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ وأما حديث « إبْدَأْ بمن تعول » فقد أخرجه الطبراني في الكبير عن حكيم بن حزام ، ورمز السيوطي لصحته ، وانظر فيض القدير ١/٧٥ .

(٣) هذا قول مجاهد ، والزهري ، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : « لو أنفقت مثل أبي قُبيس ذهباً في طاعة الله لم يكن إسرافاً ، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان سرفاً » كذا في الدر المنثور ٣/٤٩ وانظر زاد المسير ٣/١٣٦ .

(٤) الطبري ٨/٦٣ والدر المنثور ٣/٥٠ والقرطبي ٧/١١١ وزاد المسير ٣/١٣٧ عن ابن مسعود .

قال أبو جعفر : وهذا المعروف عند أكثر أهل اللغة .

وقال الضَّحَّاكُ : الحَمُولةُ : من الإبلِ ، والبقـر ، والفـرشُ : الغنمُ[1] .

واستُشْهِدَ لصاحب هذا القول بقولـه ﴿ ثَمَانِيَـةَ أَزْوَاجٍ ﴾ قال : فثمانية بدلٌ من قوله ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشاً ﴾[آية ١٤٢] .

قال الحسن : الحمولةُ : الإبلُ ، والفَرْشُ : الغنمُ[2] .

١٧٦ ـ **ثم قال جلّ وعزّ** : ﴿ **كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾[آية ١٤٢] .

وهو أمرٌ على الإباحة[3] .

١٧٧ ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** ﴾[آية ١٤٢] .

يعني : طرقه ، أي طريقه الذي يُحَسِّنُهُ لكم[4] .

---

(١) ذكره القرطبي ١١٢/٧ والطبري ٦٤/٨ والبحر المحيط ٢٣٩/٤ والخلاصةُ : أن الحَمولةَ بفتح الحاء ما يُحمل عليه من بعير أو بقرة أو ناقة ، والفرشُ : الغنم التي تُذبح وتؤكل ، وهذا قول ابن أسلم قال : الحَمولةُ ما تركبون ، والفَرشُ : ما تأكلون وتحلبون ، ورجحه ابن كثير واستحسنه كما في تفسيرة ٣٤٤/٣ واستشهد بآية ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم ممَّا عملتْ أيدينا أنعاماً ﴾ سورة يس .

(٢) زاد المسير ١٣٧/٣ وابن كثير ٣٤٤/٣ وهو قريبٌ من قول الضحاك المتقدم .

(٣) قال في البحر ٢٣٩/٤ : هذا نصٌّ في الاباحة ، وإزالةٌ لما سنَّـه الكفـار من تحريم البحيرة والسائبة ، أي كلوا مما أحلَّه الله لكم ، ولا تُحرِّموا كفعل الجاهلية ، وكذلك قال ابن عطية ٣٧٣/٥ .

(٤) « خُطوَات الشيطان » جمعُ خُطْوه بضم الخاء أي لا تمشوا في طرقه المضِلَّة ، وانظر لسان العرب مادة خطو .

وقيل : تَخطِّيهِ الحلالَ إلى الحرام .

وقيل : يعني آثاره .

١٧٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾** [آية ١٤٣] .

كلُّ فردٍ يحتاج إلى آخر عند العرب : زَوْجٌ[١] .

١٧٩ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾** [آية ١٤٣] .

وهو جمع ضائن ، كما يقال : راكب وركْبٌ[٢] .

١٨٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾** [آية ١٤٣] .

وهذا احتجاج عليهم ، أي إنْ كان حرَّم الذُّكورَ ، فكلُّ ذكرٍ حرامٌ ، وإنْ كان حرَّمَ الإناثَ ، فكلُّ أنثى حرام ، واحتجَّ عليهم بهذا لأنهم أحلّوا ما وُلِدَ حيًّا ــ ذكراً ــ للذكور ، وحرّموه على الإناث إنْ كان أنثى[٣] .

قال قتادة : أمَرَه اللَّـهُ جلَّ وعزّ أن يقول لهم : ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ إنْ كان ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين حراماً ، فكلّ مولود منها حرام ، وكلُّها مولود ، فكلُّها إذاً حرامٌ ، وإن كان التحريمُ من جهةِ الذكور من

---

(١) انظر المصباح المنير ، والصحاح للجوهري مادة زوج .

(٢) في المصباح المنير : الضأْنُ : ذواتُ الصوف من الغنم ، الواحدةُ ضائنة ، والذَّكَرُ ضائن . اهـ .

(٣) انظر جامع البيان ٦٥/٨ وتفسير ابن عطية ٣٧٥/٥ وتفسير القرطبي ١١٥/٧ .

الضأن والمعز فكلُّ ذكرٍ حرامٌ عليكم ، وإن كان من جهة الإناث فكلُّ أنثى حرام عليكم ، وكانوا يحرِّمونَ الوَصيلةَ وأخاها على الرجال والنساء[1] .

١٨١ ـ ثم قال جلّ وعزّ ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آية ١٤٣] .

أي ليس عندكم علم لأنهم لايؤمنون بكتاب[2] .

١٨٢ ـ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ . [آية ١٤٤] .

أي لستم تؤمنون بكتاب ، فهل شهدتم الله عزَّ وجلَّ حَرَّم هذا[3] ؟ .

١٨٣ ـ ثم بيَّن ظلمهم فقال : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ ؟ [آية ١٤٤] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٤/٢٣٩ : « والاستفهامُ ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ استفهام إنكارٍ وتوبيخٍ وتقريع ، حيث نسبوا ما حرموا إلى الله تعالى ، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكامُ جادلوا النبيَّ ﷺ ، وكان خطيبهم « مالك بن عوف الجشمي » فقال يامحمد : بلغنا أنك تحلُّ أشياء ، فقال ﷺ له : إنكم قد حرَّمتم أشياء على غير أصل ، وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها ، فمن أين جاء هذا التحريم ؟ أمن قِبَل الذَّكَر أم من قبل الأنثى ؟ فسكت مالك بن عوف وتحيَّر .. » الخ قال في البحر : فلو علَّل بالذكورة وجب أن يُحرَّم الذكَرُ ، أو بالأنوثة فكذلك وجب أن تُحرَّم الأنثى ، أو باشتمال الرحم وجب أن يحرما جميعاً ، فبيَّن تعالى أن هذا التحريم كان من قِبَله تعالى .. البحر المحيط بشيءٍ من الاختصار ٤/٢٣٩ .

(٢) هذا أسلوب للسخرية والتهكم ، وكأنه يقول : لم ينزل عليكم وحي بذلك ، فلم يبق لكم مستند إلا التخرص والافتراء على الله . .

(٣) هذا أيضاً تهكم آخر ، يقول لهم : أنتم لا تؤمنون بالرسل ، فمن أين عرفتم هذه الوصية بأن الله حرَّم هذه الأشياء ؟ هل شاهدتم الله عز وجل فأوصاكم بذلك ؟ أم تكذبون وتفترون على الله ؟ .

ثم بيّن أنه لا يُحرِّمَ الله شيئاً إلا بوحي فقال : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [آية ١٤٥] .

رُوِيَ عن عائشة ــ رحمة اللــه عليها ــ (عَلَــى طَاعِــــم طَعِمَهُ)[١] .

وعن أبي جعفر محمد بن عليّ ﴿ طَاعِمٍ يَطَّعِمُهُ ﴾[٢] .

١٨٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْدَماً مَسْفُوحاً ﴾[آية١٤٥]

قال قتـادة : المسفـوحُ : المصبـوبُ ، فحـرَّم ما كان مصبوباً خاصَّة ، فأما ما كان مختلطاً باللحم فهو حلالٌ[٣] .

١٨٥ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ . [آية ١٤٥] .

أي ذُبـح لغير اللـه ، وذُكـر عليـه غيـرُ اسم اللّـهِ ، وسمَّــــاه « فِسْقاً » لأنه خارجٌ عن الدين[٤] .

---

(١) قرأ بذلك محمد بن الحنفية ، وعائشة « طَعِمَهُ» بفعل ماضٍ كما في المحرر لابن عطية ٣٧٩/٥ وهي ليست من القراءات السبع .

(٢) هذه القراءة ذكرهـا ابـن عطيه ٣٧٩/٥ وفي البحر ٢٤١/٤ بتشديـد الطـاء وكسر الـعين « يَطَّعِمُـهُ » وهـي على خلاف قراءة الجمهـور « يَطْعَمُهُ » ولم أرها في القراءات السبع .

(٣) الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧١/٨ وابن كثير ٣٤٥/٣ وابـن الجوزي ١٤٠/٣ وذكـر الـطبري عن عكرمة أنه قال : لولا أن الله تعـالى قال ﴿ أو دمـاً مسفوحـاً ﴾ لتتبـع المسلمـون عروق الـدم كما تتبـعت اليهود ، وكانت عائشة لاترى بالحمـرة والـدم يكونـان في القـدر بأسـاً ، انظـر الـطبري ٧١/٨ .

(٤) سمي ما ذُبح على اسم غير الله فسقاً مبالغةً ، كأنه نفسُ الفسق لأنه ذُبح على اسم الأصنام .

والمعنى : أو دماً مسفوحاً ، أو لحَم خنزير ، أو فسقاً أُهلَّ لغير الله به ، فإنه رجسٌ[1] .

والموقوذةُ ، والمتردّيةُ ، والنطيحةُ ، داخلةٌ في هذه الآية عند قوم ، لأنها أصنافُ الميتة[2] .

فأما ما لم يدخل في هذه الآية عند قوم ففيه قولان :

أحدهما : أنّه رُوِي عن عائشة وابن عبَّاس أنّ الآية جامعةٌ لجميع ما حُرِّم من الحيوان خاصَّةً ، وأنه ليس في الحيوان محرَّمٌ إلَّا ما ذُكِرَ فيها[3] .

والقول الآخر : أنّ هذه الآية محكمةٌ جامعة للحيوان وغيره .

وثَمَّ أشياء قد حرَّمها الله سوى هذه ، وقد صحَّ عن النَّبيِّ — صلى الله عليه وسلم — أنه (نهى عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن

---

(١) يريد المصنف أن في الآية تقديماً ، وتأخيراً ، فقوله تعالى ﴿ فإنه رجس ﴾ جاءت معترضة للتنبيه على نجاسة لحم الخنزير وشحمه وجلده ، فكأنه عين النجس ، والأصل أن تكون اللفظة مؤخرة فتدبره .

(٢) لقوله تعالى ﴿ إلَّا أنْ يَكونَ مَيْتَة ﴾ فإن هذه المذكورات من الموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، داخلة في الميتة ، لأنها ماتت بسبب الضرب ، أو التردي من الجبل ، أو نطح شاة لها ، فتأخذ حكم الميتة بالاتفاق ، إلا ماذبح منها قبل الموت لقوله تعالى ﴿ إلَّا ماذكيتم ﴾ والله أعلم .

(٣) ذكره ابن الجوزي ١٤٠/٣ والقرطبي ١١٦/٧ قال : وهو قول يُروى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وعلى هذا تكون الآية محكمة ، ولا يحرم إلَّا مافيها ، قال مالك : لا حرامَ إلَّا مافيها ، قال مالك : لا حرامَ بيِّن إلاَّ ماذُكر في هذه الآية . اهـ .

كلِّ ذي نابٍ من السِّباع ، وذي مِخْلبٍ من الطَّير)[1] .

فقيل : هذا قولٌ قوي في اللغة ؛ لأنَّ « ما » مبهمةٌ ، فقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ يجب أن يكون عامًّا ، للحيوان وغيره ، والله أعلم بما أراد[2] .

١٨٦ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾** [آية ١٤٥] .

أحسنُ ما قيل في **الباغي** : الذي يأكُلُ مضطراً لامتلذذاً .

والعادي : الذي يجاوز ما يقيمُ رمقه[3] .

---

(١) حديث « نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية » أخرجه البخاري ومسلم والنسائي بلفظ « نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الحمُرُ الأهلية » البخاري في الذبائح ٩/٥٦٣ ومسلم رقم ٥٦١ في الصيد ، والنسائي ، ٧/٢٠٣ في الصيد ، ورواه الترمذي كاملاً في الصيد رقم ١٤٧٤ عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن كل ذي ناب من السباع ، وعن كل ذي مخلب من الطير ، وعن لحوم الحمر الأهلية » الحديث وانظر جامع الأصول ٤/٤٦٧ .

(٢) قال الإمام القرطبي في كتابه جامع الأحكام ٧/١١٥ : أعلَمَ الله عز وجل في هذه الآية بما حرم ، والمعنى : قل يا محمد لا أجدُ فيما أُوحي محرَّماً إلاَّ هذه الأشياءُ ، لا ماتحرمونه بشهوتكم ، والآية مكية ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرَّمٌ غير هذه الأشياء ، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة ، وزيد في المحرمات كالمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردِّية ، والنطيحة ، والخمر ، وغير ذلك ، وحرَّم رسولُ الله ﷺ بالمدينة أكل كلِّ ذي نابٍ من السباع ، وكلِّ ذي مخلب من الطير . اهـ أقول : هذا الحصر في الآية حصر نسبي أي لا محرَّم إلَّا ما ذُكر هنا لا ما حرمتموه من تلقاء أنفسكم ، وليس حصراً حقيقياً حتى نقول : إن الآية نزلت بمكة وهي منسوخة بالآيات المدنية ، وانظر تفصيل المسألة في القرطبي ٧/١١٧ .

(٣) هذا قول السدي ، وقريب منه قول الحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، والربيع ، أن المعنى : غير باغٍ في أكله فوق حاجته ، ولا متعدٍّ بأكلها وهو يجد غيرها .. وانظر زاد المسير ١/١٧٥ .

١٨٧ ــ وقوله جل وعزّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ . [آية ١٤٦] .

قال مجاهد وقتادة والضحّاك : ﴿ كلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ الإبلُ والنَّعام[١] .

قال قتادة : وهو من الطير ما لم يكن مشقوق الظفر ، نحو البطِّ وما أشبَهَهُ ، وهو عند أهل اللُّغةِ من الطير ما كان ذا مِخْلب ، ودخل في ذا ما يصطاد بظفره من الطير ، وجميع أنواع السباع ، والكلاب ، والسَّنانِير[٢] .

١٨٨ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ [آية ١٤٦] .

قال قتادة : هي شحوم الثروب خاصَّةً[٣] .

ومذهب ابن جريج : أنه كلُّ شحمٍ لم يكن مختلطاً بعظم ، ولا على عظم[٤] .

---

(١) انظر أقوالهم في الطبري ٧٣/٨ وزاد المسير ١٤١/٣ والبحر المحيط ٣٣٠/٤ ورجح هذا القول الزجاج في معانيه ٣٣١/٢ .

(٢) السَّنانيرُ جمع سِنَّوْر وهو الهِرُّ ، والأنثى سِنَّوْرة ، والجمع سنانير ، كذا في المصباح المنير ٣١٢/١ .

(٣) الطبري ٧٤/٨ وابن الجوزي ١٤٢/٣ عن قتادة ، والثُّروب جمع ثَرْب كفَلْس : شحم رقيق على الكرش والأمعاء . اهـ المصباح المنير مادة ثرب .

(٤) زاد المسير ١٤٢/٣ والطبري ٧٤/٨ ورجحه ابن جرير فقال : والصواب في ذلك أن يُقال : إن الله أخبر أنه كان حرَّم على اليهود من البقر والغنم شحومها إلا ما استثناه منها ، فكلُّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه ، من البقر والغنم ، فإنه كان محرماً عليهم ، ثم قال : وبنحو ذلك تظاهرت الأخبار اهـ الطبري ٧٤/٨ .

وهـذا أَوْلَـى لعمـوم الآية ، وللحـديث المسنـد : « قاتَـلَ اللـهُ اليهودَ ، حُرِّمت عليهم الشحـومُ ، فجَمَلُوهـا فباعوهـا ، وأكلُـوا أثمانها »[1] .

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ أي إلَّا شحـوم الجَنْب ، ومـا عَلِق بالظهر ، فإنها لم تُحرَّم عليهم .

﴿ أَوِ الْحَوَايَا ﴾ .

قال مجاهد وقتادة : الحوايا : المباعر[2] .

قال أبـو عبيـدة : هي عنـدي ما تَحَـوَّى من البطـن أي استدار[3] .

قال الكسائي : واحدها حاوية وحويَّة .

---

(1) هذا طرف من حديث رواه البخاري في البيوع ٥/٣٢٩ ومسلم في المساقاة رقم ١٥٨١ والترمذي في البيوع باب بيع جلود الميتة رقم ١٢٩٧ وأبو داود في الإجارة رقم ٣٤٨٦ وابن ماجه في التجارة رقم ٢١٦٧ من حديث جابر بن عبدالله قال : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح بمكة : « إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام ، فقيل يارسول الله : أرأيت شحوم الميتة ؟ فإنها تطلى بها السفن ، وتُدهن بها الجلود ، فقال : لا ، هو حرام ، ثم قال : قاتل الله اليهود .. وذكر الحديث ومعنى قوله « جملوه » أي أذابوا الشحم وباعوه .

(2) قوله المباعر جمع مَبْعَر ، سمي بذلك لاجتماع البعر فيه ، والمراد بها الأمعاء ، وانظر الطبري ٨/٧٦ .

(3) لم أره في مجاز القرآن لأبي عُبيدَة ، وإنما ذكره عنه ابن الجوزي في زاده ٣/١٤٣ وذكره الزجاج في معانيه نحوه ٢/٣٣١ .

وحكى سيبويه : حاوياء[1] ، قيل : المعنى حرَّمنا عليهم شحومهما ، ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ ثم عطف على الاستثناء فقال : ﴿ أَوِ الحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ أي إلّا هذه الأشياء فإنها حلال .

وقيل : المعنى : حرمنا عليهم[2] شحومهما ، أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ، إلّا ما حملت ظهورهما ، فيكون ما بعد (إلّا) استثناءً على هذا القول ، داخلاً في التحريم ، ويكون مثلَ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمَاً أَوْ كَفُوراً ﴾[3] و(أو) هاهنا بخلاف معنى الواو ، أي لاتطع هذا الضرب[4] .

وقال الكسائي : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ (ما) في موضع نصب على الاستثناءِ ، والحوايا في موضع رفع ، بمعنى : وما حملتِ الحَوَايا ، فعطف الحوايا على الظهور .

١٨٩ ــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾** [آية ١٤٦] .

---

(١) في الصحاح ٣٢٢/٦ : وحويَّةُ البطن ، وحاوية البطن ، وحاوياء البطن ، كله بمعنى قال جرير :
كأنَّ نَقِيقَ الحَبِّ في حَاوِيَائِه نَقِيقُ الأفاعي أو نقيقُ العَقارِبِ
وجمعُ الحوية حوايا وهي الأمعاء ، وجمع الحاوياءِ حَاوٍ . اهـ من الصحاح للجوهري .

(٢) في المخطوطة « عليهما » وصوابه عليهم ، لأن الضمير يرجع إلى اليهود ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ .

(٣) سورة الإنسان آية رقم ٢٤ .

(٤) انظر معاني الزجاج ٣٣٢/٢ والقول الأول أنه داخل في الاستثناء فهو مباح ، هو قول الجمهور ، والمعنى : وأبيحت لهم ما حملت الحوايا من الشحم ، وما اختلط بعظم الخ وانظر الطبري ٧٦/٨ .

قال : فعطَفَه على المستثنى ، وهذا أحد قولي الفرَّاء[1] ، وهذا أصح هذه الأقوال . والله أعلم .

١٩٠ ــ **ثم قال جلّ وعزّ** : ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [آية ١٤٦] .

قال قتادة : حُرِّمت عليهم هذهِ الأشياءُ ، عقوبةً لهم على بغيهم[2] .

١٩١ ــ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**﴾ [آية ١٤٧] .

قال مجاهد : يعني اليهود[3] .

١٩٢ ــ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ، وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [آية ١٤٨] .

قال مجاهد : يعني كفار قريش ، أي لو شاء اللهُ ما حرَّمنا البحيرةَ ، ولا السائبة[4] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٣٦٣/١ وهذا الذي رجحه المصنف هو المشهور ، وهو الذي اختاره الطبري ٧٦/٨ .

(٢) الطبري عن قتادة ٧٦/٨ والقرطبي ١٢٧/٧ والدر المنثور ٥٣/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٣) الدر المنثور ٥٣/٣ عن مجاهد ، وزاد المسير ١٤٤/٣ قال ابن الجوزي : وفي المكذبين قولان : أحدهما : المشركون ، قاله ابن عباس ، والثاني : اليهودُ ، قاله مجاهد ، قال : والمراد بالرحمة الواسعة أنه لا يجعل بالعقوبة . اهـ . أقول : لعلَّ ما ذهب إليه مجاهد أظهر ، لأن الكلام السابق كان عن اليهود ، كما قال سبحانه ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمنا كُلَّ ذي ظُفر .. ﴾ الآية وانظر الطبري ٧٧/٨ والبحر المحيط ٢٤٥/٤ .

(٤) الطبري عن مجاهد ٧٨/٨ والدر المنثور ٥٣/٣ .

وقال غيره[1] : فأنكر الله جلَّ وعزَّ عليهم هذا القول ، وقال : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ لأنه ليس لهم أنْ يحتجوا بأنَّه من كان على معصية قد شاء الله أنْ تكون فهو له عذر ؛ لأنه لو كان هكذا ،لكان لمن خالفهم في دينهم عذر ؛ لأنَّ اللَّهَ لو شاء أنْ يهديه هداه .

١٩٣ ــ ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ ﴾[آية ١٤٩] .

أي بإرساله الرسل ، وإظهاره البيِّنات[2] .

١٩٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾[آية ١٥٠] .

والأصل عند الخليل : (هَا) ضُمَّت إليها (لُمَّ) ، ثم حُذِفت الألفُ لكثرة الاستعمال .

وقال غيره : الأصلُ (هَلْ) زيدت عليها (لُمَّ) .

---

(١) المراد به الإمام الزجاج فقد قال في معانيه ٢/٣٣٢ : جعلوا هذا القول حجةً في إقامتهم على شركهم ، فأعلمَ الله عز وجل أن كذلك كذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، والحجة عليهم في هذا أنهم إذا اعتقدوا أن كل من كان على شيء ــ والأشياءُ تجري بمشيئة الله تعالى ــ فهو على صواب ، فلا معنى إذاً على قولهم للرسالة والأنبياء ، فيقال لهم : الذي على دين يخالفكم ، أليس هو على ما شاء الله ؟ فينبغي ألا تقولوا : هو ضالٌّ ، والله قادر على أن يهدي الناس أجمعين ، وليس للعباد على الله ، أن يَفعل بهم كل ما يقدر عليه ، فحجته البالغة : تبيينه أنه الواحد ، وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون » . اهـ .

(٢) سميت بالحجة البالغة لأنها بلغت غاية الظهور والإقناع ، وقطعت عذر المحجوج ، وأزالت الشك عمن نظر فيها .

وقيل : هي على لفظها تدل على معنى (هاتِ) .

وأهلُ الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجماعة : هلمَّ ، وأهلُ نجدٍ يأتون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال[1] .

١٩٥ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾** [آية ١٥٠] .

أي يجعلون له عِدْلاً[2] فيعبدون غيره جلَّ وعزّ .

١٩٦ ـ **وقوله عزَّ وجلّ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾** [آية ١٥١] .

قيل : الذي تلاه عليهم : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ إلى آخر الآية .

ويكون معنى ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ [كذا هذا][3] أن تقولوا .

---

(١) لغة أهل الحجاز أن « هَلُمَّ » كلمة واحدة متصلة ، تدلُّ على معنى الاستدعاء أي أقبِلْ أو احْضِر ، وفيها يستوي المذكر ، والمؤنث ، والمفردُ ، والجمع ، وأما على لغة نجد فإنهم يقولون : هلمَّ ، وهَلُمَّا ، وهَلمُّوا وهَلْمُمْنَ ، يأتون بالعلامة كما في سائر الأفعال ، وبلغة أهل الحجاز جاء القرآن قال تعالى ﴿ والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ﴾ ولو جاء بها على لغة نجد لقال : هلمُّوا إلينا ، وانظر زاد المسير ١٤٦/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١٢٩/٧ .

(٢) يُقال : عَدَلَ فلاناً بفلان أي سوّاه به ، وجعله مثله ، وهو من باب ضَرَب يَضْرِب ، وانظر المصباح المنير مادة عدل .

(٣) العبارة غامضة في المخطوطة ، ولعلها كما أثبتناها [كذا هذا] أي كما في تلك الآية يكون في هذه الآية والله أعلم .

وبعضُ النحويين يقول المعنى : لئلَّا تقولوا .

ولا يجوز عند البصريين حذف (لا) .

وقيل : المعنى : وصَّاكم أن لاتشركوا[1] .

وقيل : المعنى قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أنه بيَّن ما حرَّم فقال ألَّا تشركوا به شيئاً .

١٩٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾** [آية ١٥١] .

أي وأحسنوا بالوالدين إحساناً[2] .

قال ابن عبّاس : الآيات المحكمات ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[3] .

١٩٨ ــ **وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾** [آية ١٥١]

(١) على هذا القول تكون جملة ﴿ ألاَّ تشركوا به شيئاً ﴾ منصوبة بفعل محذوف تقديره : أوصاكم ألا تشركوا به ، ويصح أن تكون الجملة خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : الأمر أن لا تشركوا ، وأن يكون الوقف عند قوله تعالى ﴿ ألاَّ تشركوا ﴾ وهذا الوجه ذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز ٣٩٢/٥ والزجاج في معاني القرآن ٣٣٤/٢ .

(٢) هذا هو المعنى للآية الكريمة فقوله تعالى ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ ليس معطوفاً على المحرمات ، وإنما هو منصوب بفعل محذوف تقديره : وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، وذُكر ضمن المحرمات لأن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضدّه ، فكأنه قال : ولا تسيئوا إلى الوالدين ، ولكنَّ ترك الإساءة إليهما غير كافٍ في البر ، فلذلك عدل عنه إلى التعبير البديع .

(٣) ذكر هذا القول الطبري ٨٦/٨ عن ابن عباس أنه كان يقول : « هذه الآياتُ هُنَّ الآياتُ المحكماتُ » يريد أنه لايقع فيهن نسخ ، وهنَّ أوامرُ الله ونواهيه لجميع عباده في جميع الأديان السماوية .

قال قتادة : الإملاقُ : الفاقةُ[1] .

وقال الضَّحَّـاك : « كان أحدهـم إذا وُلِـدت له ابنـةٌ ، دفنها حيَّةً مخافة الفقر »[2] .

١٩٩ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزّ** : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُـوا الفَـوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَـا بَطَنَ** ﴾ [آية ١٥١] .

قال قتادة : يعني سرَّها وعلانـيتها . قال : وكانـوا يُسِرّون الزِّنـا بالحرَّة ، ويُظهرونه بالأَمَةِ[3] .

قال مجاهـد : ﴿ وَلَا تَقْرَبُـوا مَالَ اليَتِيـمِ إِلَّا بِالَّتِـي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ التجارةُ فيه[4] .

ولا تشتر منه شيئاً ، ولا تستقرض .

٢٠٠ ــ **وقوله جلَّ وعزّ** : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ** ﴾ [آية ١٥٣] .

---

(١) قال ابن عطية ٣٩٤/٥ : الإملاقُ : الفقرُ وعدمُ المال ، قاله ابـن عبـاس وغيْـره ، يُقـال : أملَـقَ الرجلُ إذا افتقر ، وحكى النَّقَّاشُ : الإملاقُ : الجوعُ بلغة لخم . اهـ وانظـر المصبـاح المنير مادة مَلَقَ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ٨٢/٨ عن ابن جرير ، والضحـاك . وقيـل : كانـوا يئـدون البنـات خشية العار « بعار الاسترقاق » وهذا ما أشارت إليه الآية الأخرى ﴿ وإذا بُشر أحدهـم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ فالوأد للبنات كان سببه الفقر ، أو خشية العار .

(٣) الطبري عن قتـادة ٨٣/٨ وقـال ابـن عبـاس : كانـوا في الجاهليـة لايـرون بالـزنى بأسـاً في السـرّ ، ويستقبحونه في العلانية ، فحرَّم الله الزنى في السـر والعلانية . اهـ جامع البيان ٨٣/٨ .

(٤) الطبري عن مجاهد ٨٤/٨ وزاد المسير ١٤٩/٣ .

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِيَ مُسْتَقِيمَاً ﴾ بتخفيف (أنَّ) . وتُقرأ (إنَّ) بكسر الهمزة[1] .

فمَنْ قرأ (وَأَنَّ هَذَا) فهو عنده بمعنى : واتلُ عليهم أنَّ هذا .

ويجوز أن يكون المعنى : ووصَّاكم بأنَّ هذا .

ومَنْ قرأ بتخفيف (أَنْ) فيجوز أنْ يكون معناه على هذا ، ويجوز أنْ تكون (أنْ) زائدة للتوكيد كما قال جلَّ وعزّ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾[2] .

ومَنْ قرأ : (وإنَّ هذا) قطعه ممّا قبله .

وروي عن عبدالله بن مسعود ــ رحمه الله ــ أنّه خطَّ خطًّا في الأرض فقال : هكذا الصراط المستقيم ، والسُّبُل حواليه مع كل سبيلٍ شيطانٌ[3]

---

(١) قراءة ﴿ وَأَنْ هَذَا ﴾ بالتخفيف قرأ بها ابن عامر ، مفتوحة الألف ساكنة النون ، وقرأ « صراطيَ » وهذه من القراءات السبع ، كما أنَّ قراءة ﴿ وَإِنَّ هذا صراطي ﴾ من القراءات السبع أيضاً وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وباقي القراء ﴿ وأَنَّ هذا ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد صـ ٢٧٣ .

(٢) سورة يوسف آية رقم ٩٦ .

(٣) ذكره المصنف موقوفاً على ابن مسعود ، وقد رُوى عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ في حديث شريف مشهور ، ولفظه عن ابن مسعود قال : « خطَّ رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه هي السُّبل ، ليس منها سبيل إلاَّ عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ﴿ وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ أخرجه أحمد في المسند ٤٦٥/١ والحاكم في المستدرك ٣١٨/٢ وابن ماجه في سننه في المقدمة ٦/١ .

قال مجاهد : السُبُل : البدَعُ والشُّبُهات[1] .

٢٠١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَابَ تَمَامَاً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ** ﴾[آية ١٥٤] .

قال مجاهد : المعنى : على المؤمن المحسن[2] .

وقال الحسن : كان فيهم محسنٌ ، وغير محسن ، وأُنزَل الكتابُ تماماً على الذي أحسن[3] .

والدليل على صحة هذا القول أنّ ابن مسعود قرأ : ﴿ تَمَامَاً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾[4] .

وقيل : المعنى ﴿ تماماً على الذِّي أَحْسَنَ﴾ موسى ، من طاعة الله ، واتِّباعِ أمره .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٨٨/٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥٦/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر ٥٦/٣ والطبري ٩٠/٨ وابن كثير ٣٦٤/٣ ولفظه عن مجاهد قال : على المؤمنين والمحسنين ، قال البغوي : والمحسنون : الأنبياء والمؤمنون ، يعني:أظهرنا فضله عليهم ، وقال ابن كثير والمعنى : جزاءً على إحسانه في العمل ، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ، واختاره ابن جرير ، وانظر جامع البيان ٩١/٨ .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ١٨٠/٢ عن الحسن ، والقرطبي في جامع الأُحكام ١٤٣/٧ وعلى هذا القول يكون « على الذي أحسنَ » الذي اسم موصول بمعنى الذين ، وأحسنَ فعل ماض صلة الذين ، والمعنى : آتينا موسى الكتاب تفضُّلاً منا على المحسنين من أهل ملته ، وإتماماً للنعمة عليهم ، وانظر المحرر الوجيز ٤٠٢/٥ .

(٤) هذه القراءات ليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها ابن عطيه في المحرر ٤٠٢/٥ والشوكاني في فتح القدير ١٨٠/٢ .

وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ ﴾[1] .

والمعنى : على الذي هو أحسنُ الأشياء .

فأما معنى (ثُمَّ) وهي تدلّ على أنّ الثاني بعد الأول[2] .

وقصةُ موسى ـ ﷺ وإيتائه الكتاب قبل هذا ؟

فإن القول أنه إخبار من الله جلّ وعزّ . والمعنى : قل تعالوا أَتْلُ ما حرَّم ربّكم عليكم ، ثم اتْلُ ما آتينا موسى[3] .

٢٠٢ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ [آية ١٥٦] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٣٤/١ قال ابن عطية ٤٠٢/٥ بعد أن ذكر هذه القراءة : فتكون « أحسنُ » صفة تفضيل ، مرفوعة على أنها خبر مبتدأ مضمر تقديره : على الذي هو أحسنُ ، وضعَّف أبو الفتح هذه القراءة لقبح حذف المبتدأ العائد . اهـ وانظر المحتسب ٢٣٤/١ .

(٢) يريد المصنف أن « ثم » تدل على التراخي ، والمراد بها التراخي في الإخبار كما تقول : بلغني ما صنعتَ اليوم ، ثم ما صنعتَ بالأمس أعجبُ ، فلا إشكال على هذا القول .

(٣) قال أبو حيان في البحر ٢٥٥/٤ : « ثمَّ » تقتضي المهلة في الزمان ، هذا أصلُ وضعها ، ثم تأتي للمهلةِ في الإخبار ، فقال الزجاج : وهو معطوفٌ على « أَتْلُ » تقديره : قل تعالَوْا أَتْلُ ما حرَّم ، ثم أتلُ ما آتينا موسى ، وقيل التقديرُ : ثم إني أخبركم أنَّا آتينا ، وقيل : الترتيب في التلاوة أي تلونا عليكم قصة محمد ثم نتلو عليكم قصة موسى ، وقال القشيري : في الكلام محذوف تقديرهُ : ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد . الخ قال : وهذه الأقوال كلها متكلفة ، والذي ينبغي أن يذهب إليه أنها استعملت للعطف كالواو من غير إعتبار مهلة . اهـ البحر ٢٥٥/٤ .

أحسنُ ما قيل في هذا : كراهةَ أنْ تقولوا(١) .

قال أبو جعفر : قد بيَّنا ما قيل فيه .

قال قتادة : يعني بالطائِفَتَيْنِ : اليهودَ ، والنصارى(٢) .

وقال : يعني بالدراسة : التلاوة .

٢٠٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ .. ﴾ [آية ١٥٧] . .

﴿ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ أفهم منهم ، لأنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم ، وهم أميُّون(٣) .

٢٠٤ ــ وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا .. ﴾ [آية ١٥٧] .

---

(١) هذا مذهب البصريين ، فهو على حذف مضاف ، وقال الكوفيون : ﴿ أن تقولوا ﴾ مفعول لأجله أي لئلا تقولوا ، ولأحل أن لاتقولوا ، واختار ابن عطية الأول قال والتقدير : وهذا كتاب أنزلناه كراهة أن تقولوا ، وهذا أصح الأقوال . اهـ انظر المحرر ٤٠٣/٥ وهو ما رجحه الزجاج أيضاً في معانيه ٣٣٨/٢ لأن البصريين لايجيزون إضمار « لا » وقد بين المصنف آراءهم فيما تقدم .

(٢) الطبري عن قتادة٩٣/٨ والبحر ٢٥٧/٤ وابن عطيه في المحرر ٤٠٤/٥ قال : والطائفتان : اليهودُ والنصارى بإجماع من المتأولين .

(٣) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣٣٨/٢ ولفظه : إنما كانوا يقولون ﴿ لَكُنَّا أَهْدَىٰ منهُمْ ﴾ لأنهم كانوا مُدْلين ــ أي متفاخرين ومتباهين ــ بالأذهان وحسن الأفهام ، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وآثارهم ، وهم أميُّون لا يكتبون . اهـ .

قال **قتادة** في قوله : ﴿ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾[1] : أي أعرض .

٢٠٥ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ..﴾** [آية ١٥٨] .

قال **قتادة** : أي بالموتِ .

﴿ أَوْ يَأْتَ رَبُّكَ ﴾ قال قتادة : يعني يوم القيامة[٢] .

وقال غيره : المعنى : إهلاكُ ربِّكَ إياهم[٣] .

٢٠٦ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً .. ﴾ .**

رَوَىٰ وكيع عن ابن أبي ليلى عن عطيَّة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ قال : طلوُع الشمسِ من مغربها[٤] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٩٥/٨ وهو قول ابن عباس والضحاك كما في الدر ٥٧/٣ .

(٢) الطبري في جامع البيان ٩٦/٨ والقرطبي في جامع الأحكام ١٤٤/٧ والدر المنثور ٥٧/٣ قال القرطبي : معناه أقمت عليهم الحجة ، وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا ، فماذا ينتظرون ؟ أن تأتيهم الملائكة عند الموت لقبض أرواحهم اهـ .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٣٩/٢ قال : يأتي إهلاك ربك إياهم ، وانتقامه منهم ، إمّا بعذاب عاجل ، أو بالقيامة كما تقول : نزل فلانٌ ببلد كذا ، وأتاهم فلان أي قد أوقع بهم . اهـ وروى مثله عن ابن عباس والضحاك كما حكاه القرطبي عنهما ١٤٤/٧ قالا « أمرُ ربك » فيهم بالقتل أو غيره ، والأرجح أن ذلك يوم القيامة للفصل بين العباد كما في الطبري وابن كثير .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١/٣ والطبري في جامع البيان ٩٧/٨ والترمذي ١٣/٢ وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف ، ولكن له مايؤيده في الصحيحين بلفظ آخر كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً .. ﴾(1) .

وروى ابن جُريج عن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن عبد الله بن عَمْرٍو قال : « الآية التي لا ينفع نفساً إيمانها عندها : إذا طلعت الشمس من مغربها مع القمر في وقت واحد »(2) .

٢٠٧ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوادِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ .. ﴾** [آية ١٥٩] .

الشِّيَع : الفِرَقُ ، ومعنى شايعتُ في اللغة : تابعتُ(3) .

ومعنى ﴿ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ : وكانوا فِرَقاً ، كل فرقةٍ يتبع بعضها بعضاً ، إلَّا أن الشِّيَعَ كلَّها متفقةٌ .

٢٠٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ .. ﴾** [آية ١٥٩] .

---

(1) الحديث رواه الترمذي ٥١٩/٩ من تحفة الأحوذي وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب الفتن باب طلوع الشمس من مغربها ١٣٥٣/٢ ولفظه : « إن الله فتح باباً قِبَلَ المغرب ، عرضه سبعون عاماً للتوبة ، لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه » وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٩٧/٨ وابن كثير ٣٦٩/٣ .

(2) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠٠/٨ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/٣ وعزاه إلى ابن حميد ، وابن أبي حاتم ، والفريابي ، والطبراني ، ولفظه : قال طلوع الشمس والقمر من مغربهما ، مقترنين كالبعيرين القرينين ، ثم قرأ « وجُمع الشمسُ والقمر » وذكره القرطبي مطوَّلاً في جامع الأحكام ١٤٦/٧ .

(3) في المصباح المنير مادة شيع : الشِّيعة : الأتباعُ والأنصارُ ، وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة ، ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة ، والجمعُ شِيَعٌ مثل سِدْرة وسِدَر ، والأشياع جمعُ الجمع ، وشايعتُه على الأمر مشايعة : تابعتُه متابعةً ، وزناً ومعنى . اهـ.

قيل : هذا قبل الأمر بالقتال[1] .

وروى أبو غالب عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ قال : هم الخوارج[2].

وقيل : إن الآية تدلُّ على أنَّ من ابتدع من خارجيٍّ وغيره ، فليس النبي ﷺ منهم في شيء ، لأنهم إذا ابتدعوا تخاصموا وتفرَّقوا ، وكانوا شيعاً[3] .

٢٠٩ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزىٰ إلَّا مِثْلَهَا .. ﴾** [آية ١٦٠] .

رَوَىٰ الأعمش عن أبي صالح قال : « الحسنةُ : لا إلـه إلا اللَّهُ ، والسيِّئةُ : الشرك »[4] .

---

(١) روي هذا عن السدي حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٥٩/٣ قال : ومعناه لستَ من قتالهم في شيء ، ثم نسخ بآية السيف ، قال ابن عطية في المحرر ٤١١/٥ : وهذا كلام غير متقن ، فإن الآية خبرٌ لا يدخله نسخ ، ولكنها تضمنت أمراً بالموادعة ، فيشبه أن يُقال : إن النسخ وقع في ذلك المعنى . اهـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، كما في الدر المنثور ٦٣/٣ وقيل : هم اليهود والنصارى ، وقيل : المبتدعة ، واختار ابن جرير أنه عامة تشمل كل فريق ممن فرَّق الدين وانحرف عن هداية الله .

(٣) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٠٥/٨ وابن كثير في تفسيره ٣٧٣/٣ حيث قال : « والظاهر أن الآية عامة ، في كل من فارق دين الله ، فمن اختلف فيه كأهْل المِلَل والنِّحَل ــ وهي الأهواءُ والضلالات ــ فالله قد برَّأ رسوله مما هم فيه ، فهذا هو الصراطُ المستقيم ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/٨ وابن كثير ٣٧٥/٣ وابن الجوزي ١٥٩/٣ قال : وهو قول ابن مسعود ، ومجاهد ، والنخعي ، والراجح أن المراد بالحسنة والسيئة : العموم في جميع الحسنات

والمعنى : إن ما كان عنده هو النهاية في المجازاة ، أعطى عشرة أمثاله .

٢١٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ١٦١] .

الصِّراطُ : الطَّريقُ ، والمعنى : عرَّفني الدين الذي هو الحقُّ .

٢١١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ دِينَاً قِيَمَاً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفَاً .. ﴾ [آية ١٦٢] .

والقَيِّمُ : المستقيمُ ، ومن قرأ « قِيَمَاً »(١) فهو مصدرٌ مثل الصِّغَرِ ، والكِبَر .

٢١٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ، وَنُسُكِي ، وَمَحْيَايَ ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [آية ١٦٢] .

النُّسُكُ : جمع النسيكة وهي الذبيحةُ ، وأصلُ هذا من التقرب لله جلَّ وعزَّ ، ومنه [قيل : رجل](٢) ناسَكٌ .

والسيئات للحديث الذي رواه مسلم مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله عز وجل : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيدُ ، ومن جاء بالسيئة فجزاءُ سيِّئةٍ مثلُها أو أغفر ﴾ ورجحه ابن عطية ٥/٤١٢ واستشهد ابنُ كثير على هذا القول ٣/٣٧٤ بأحاديث كثيرة مستفيضة في هذا الشأن .

(١) قرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿دِيناً قِيَماً ﴾ مكسورة القاف مفتوحة الياء ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ﴿ دِيناً قَيِّماً ﴾ بفتح القاف وتشديد الياء ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر لابن الجزري ٢/٢٦٧ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٧٤ .

(٢) سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

وإنما قيل هذا ، لأنهم كانوا يذبحون لغير الله جلَّ وعزَّ(١) .

٢١٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ..** ﴾(٢) ؟[آية ١٦٤] .

معنى « أبغي » : أريدُ وأطلبُ .

٢١٤ ــ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ ..** ﴾ [آية ١٦٥] .

يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : لأنهم آخرُ الأمم ، فقد خَلَفوا من كان قبلهم(٣) .

وقيل : لأنَّ بعضهم يخلف بعضاً ، حتى تقوم الساعة عليهم ، والحديثُ يُقوِّي هذا القول(٤) .

---

(١) هذا قول الجمهور ، أن النُّسُك يُراد به الذبيحةُ ، فقد كان أهل الجاهلية يذبحون للأوثان والأصنام ، ويقولون عند الذبح : باسم اللات ، وباسم العُزَّى ، ولا يذكرون اسم الله على ذبائحهم ، وممن قال النُّسكُ ، الذبيحةُ ، ابنُ عباسٍ ، وابنُ جبيرٍ ، ومجاهدٌ ، والسُّدِّيُّ ، والضحَّاكُ . وغيرُهم ، وقال الحسن : النُّسُك : الدينُ حكاه ابن الجوزي عنه ، وقيل : العبادة ، ومنه النَّاسكُ أي العابد ، قال الزجاج : النسك : كلُّ ما يُتقرب به إلى الله عز وجلّ ، إلا أنَّ الغالب عليه أمرُ الذبح . اهـ زاد المسير ١٦١/٣ .

(٢) قال القرطبي ١٥٥/٧ : سبب نزولها أن الكفار قالوا للنبي ﷺ : ارجع يا محمد إلى ديننا ، وأعبد آلهتنا ، ونحن نتكفل لك بكل تبعةٍ تتوقعها في دنياك وآخرتك فنزلت الآية ، وهي استفهام يقتضي التقريع والتوبيخ . اهـ .

(٣) هذا هو الراجح ، وهو ما اختاره الطبري ، وأبو حيان في البحر المحيط ، لأن هذه الأمة خلفت سائر الأمم ، ولا يجيء بعدها أمة تخلفها إلى قيام الساعة .

(٤) اشار المصنف إلى الحديث الصحيح الذي رواه أحمد ٤٤٧/٤ والترمذي ٢٢٦/٥ ولفظه «أنتم»=

٢١٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ .. ﴾ [آية ١٦٥] ..

أي فضَّل بعضكم على بعضٍ في الرزق[١] .

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾ أي ليختبركم فيما أعطاكم ، فينظر كيف شكركم ؟ وقد علم ما يكون علمَ غَيْبٍ ، وإنما تقع المجازاة على الشهادة[٢] .

٢١٦ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آية ١٦٥] .

فعقابه جلَّ وعز ، وإن كان أكثرُه يوم القيامة ، فإن كل آتٍ قريب[٣] .

توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى » وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ٧٨/٢ : وهو حديث مشهور وقد حسنه الترمذي .

(١) هذا قول السدي كما في الطبري وقال القرطبي ١٥٨/٧ التفاضُل : في الخلق ، والرزق ، والقوة ، والبسطة ، والفضل ، والعلم ، وكذا قال ابن الجوزي في زاد المسير ١٦٣/٣ وابن كثير في تفسيره ٣٨٠/٣ قال : فاوت بينكم في الأرزاق ، والأخلاق ، والمحاسن ، والمساوىء ، والمناظر ، والأشكال ، والألوان ، وله الحكمة في ذلك .

(٢) أراد المصنف أن ينبه إلى أن الابتلاء منه سبحانه لعابده ، ليس ليعلم الشاكر من الكافر ، فإنه تعالى عالمٌ ، بما يكون منهم قبل ذلك ، ولكن اختبرهم ليكشف للعباد عن المطيع والعاصي ، والبر والفاجر ، فهو اختبار كشفٍ وإظهار ، لا اختبار علم ومعرفة ، فإنه تعالى لم يزل بعلمه غنياً ، وقيل : المعنى : ليبتلي بعضكم ببعض ، كما قال سبحانه ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً ﴾ .

(٣) هذا ردٌّ لسؤالٍ قد يرد ، وهو كيف قال سبحانه ﴿ إن ربك لسريع العقاب ﴾ مع أن عقاب =

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : نزلت سورة الأنعام بمكة جملةً واحدة ، إلَّا ثلاث آيات منها ، فإنهنَّ أُنزِلنَ بالمدينة ، وهو قوله جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً .. ﴾[1] إلى آخر الآيات .

« تم بعونه تعالى تفسير سورة الأنعام »

* * *

= النار في الآخرة ؟ فأجاب المصنف أنه آتٍ لا محالة ، وكلُّ آتٍ قريب كما قال سبحانه ﴿ وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر ﴾ فهو سريع على هذا الاعتبار ، وقال آخرون : هذا وعيدٌ وتهديد ، فمن عصى الرحمن أسرع سبحانه في عقوبته إن شاء ، ولا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين ، فيكون على جهة التحذير .

(١) يعني أن سورة الأنعام مكية كلها إلَّا هذه الآيات الثلاث فمدنية ، وانظر القرطبي ٦/٣٨٢ وزاد المسير ٣/١ وفتح القدير للشوكاني ٢ /٩٦ .

تفسير سورة الأعراف

مكية وآياتها ٢٠٦ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف وهي مكية

١ ــ **قوله جل وعز** ﴿ آلمص ﴾ [آية ١] .

قال أبو جعفر: قد بينَّا معنى فواتح السور ، في أول سورة البقرة ، فمن قال معنى ﴿ آلم ﴾ : أنا الله أعلم ، قال : معنى ﴿ آلمص ﴾ : أنا الله أَفْصِلُ .

وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير[(١)] .

٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ .. ﴾ [آية ٢] .

المعنى هذا كتابٌ أُنزِلَ إليك .

٣ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ .. ﴾ [آية ٢] .

قال مجاهد وقتادة : الحَرَج : الشكُّ[(٢)] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٨/١١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/١٦٤ وابن كثير ٣/٣٨٢ وزاد ابن الجوزي فقال معناه : أنا الله أعلم وأفصل ، رواه أبو الضحى عن ابن عباس .

(٢) الطبري ٨/١١٦ وابن الجوزي ٣/١٦٥ والدر المنثور ٣/٦٧ وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن قتيبة ، وقال الحسن ، والزجاج : إنه الضِّيقُ أي لا يضق صدرك من تبليغك القرآن ، خشيةً من قومك الكفار ، ورجحه ابن عطية في المحرر ٥/٤٢٣ قال : وتفسيره بالشكِّ قلِقٌ .

والمعنى على هذا القول : فلا تشكُّوا فيه ، لأن الخطاب للنَّبيِّ ﷺ خطابٌ لأمته[1] .

والحرج في اللغة : الضِّيق ، فيجوز أن يكون سُمِّي ضِيقاً ، لأن الشَّاكَّ لا يعرف حقيقة الشيء ، فصدرُهُ يضيقُ به[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا يكن في صدرك ضِيقٌ من أنْ تُبلِّغه[3] ، لأنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « إنِّي أخافُ أن يَثْلَغُوا رأسي »[4] .

وفي الكلام تقديم وتأخيرٌ ، المعنى : كتابٌ أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، فلا يكنْ في صدركَ حَرَجٌ منه[5] .

٤ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إليكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾** [آية ٣] .

قيل : هو القرآنُ والسنَّةُ ، لقوله جل وعز : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ

(١) إنما يجيء الخطاب للرسول ﷺ باعتباره قائد الأمة ، ورئيس الأمة ، فتخاطب الأمة في زعيمها وقائدها كما قال سبحانه ﴿ يا أيها النبيُّ إذا طلَّقْتم النساء ﴾ أراد به أمة النبي ﷺ بدليل الجمع .

(٢) انظر معاني الزجاج ٣٤٧/٢ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٠/١ ومعاني الفراء ٣٧٠/١ .

(٣) اختاره الطبري ، وابن عطية ، والزجاج ، والفراء ، وانظر الدر المنثور ٦٧/٣ وزاد المسير ١٦٥/٣ .

(٤) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ٢١٩٧/٤ وأحمد في المسند ١٦٢/٤ من حديث عياض بن حمار المجاشعي في خطبة خطبها ﷺ ، وفيه : « وإن الله أمرني أن أحرِّق قريشاً ، فقلت : ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيَدَعُوه خُبْزَةً .. » الحديث ، ومعنى « يثلغوا رأسي » أي يشدخوه ويشجُّوه كما يُكسر الخبز ويُقطع .

(٥) هكذا قال ابن جرير في جامع البيان ١١٧/٨ إن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وانظر أيضاً المحرر الوجيز ٤٢٤/٥ .

الرَّسُولُ فخُذُوهُ ، ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] .

٥ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾** [آية ٣] .

أي لا تتخذوا من عَدَلَ عن دين الحقِّ ولياً ، وكلُّ من رضي مذهباً فأهلُ ذلك المذهب أولياؤُه .

ورُوي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قرأ ﴿ ولا تبتغوا من دونه أولياء ﴾[2] أي لا تطلبوا .

٦ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً ، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾** [آية ٤] .

المعنى : فجاءهم العذابُ على غَفْلَةٍ بالليلِ وهم نائمون ، أو نصف النهار وهم قائلون[3] .

ومعنى (أو) ههنا : التصرف مرَّةً كذا ، ومرَّةً كذا ، وهي بمنزلة (أَوْ) التي تكون للإباحة في الأمر[4] .

---

(١) ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٢/٣٤٨ قال : لأن ما أتى به النبي ﷺ هو ممَّا أنزل عليه ، وذكره ابن الجوزي في زاده ٣/١٦٦ والآية التي استدل بها المصنف من سورة الحشر رقم (٧) .

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٤/٢٦٧ وابن عطية في المحرر ٥/٤٢٥ وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) قائلون من القيلولة وهي النوم نصف النهار ، والقائلة الظهيرة ، وانظر البحر ٤/٢٦٤ .

(٤) كذا قال الزجاج في معانيه ٢/٣٥٠ والمراد أنَّ العذاب جاءهم فجأة وقت استراحتهم بالنهار ، أو وقت نومهم بالليل ، ومجيء العذاب في هذين الوقتين أشقُّ وأفظع ، لأنه يكون على غفلة من الظالمين .

٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا .. ﴾ [آية ٥] .

الدعوى ههنا بمنزلة الدعاء ، والدعوى تكونُ بمنزلة الإدِّعَاء ، وتكون بمنزلة الدُّعاء ، وأجاز النحويون « اللَّهُمَّ أشرِكْنَا في صَالِحِ دَعْوَى مِنْ دَعَاكَ »[١] .

والمعنى : إنهم لم يحصلوا عند الهلاك ، إلّا على الإقرار بأنهم كانوا ظالمين .

٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية ٦] .

وهذا سؤالُ توبيخ وتقرير .

فأمَّا قولُه تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولَا جَانٌّ ﴾[٢] فمعناه أنه لا يُسأل سؤالَ استعلام[٣] ، والله أعلم ..

---

(١) هذا قول الخليل كما حكاه عنه في البحر ٢٦٩/٤ واستشهد الخليل بالدعاء المذكور ، قال أهل اللغة : الدعوى ههنا بمعنى الدعاء والقول ، واختاره الطبري . والمعنى : ما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين شاهدوا العذاب إلا الاعتراف بالظلم ، تحسراً وندامة ، وقال ابن عباس : « دعواهم » تضرعهم ، وانظر البحر ٢٦٩/٤ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم (٣٩) .

(٣) أي لا يُسأل المجرم هل أذنبت ؟ لأن له علامات يُعرف بها ، من اسوداد الوجه ، وزرقة العينين ، فيؤخذ بجريرته ، وأما الآية التي معنا ﴿ فلنسألنّ ﴾ فهو سؤال تقرير للرسل ، وتقريع وتوبيخ للأمم المكذبين ، فلا تعارض بين الآيتين ، والله أعلم ، وانظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من آيات القرآن ص ٦٢٦ لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بتحقيقنا .

٩ ـــ وقوله جل وعز ﴿ والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فأُولَـئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [آية ٨] .

قال عُبيد بن عُمَيْر « يُؤْتَى يومَ القِيامَةِ بالرجلِ ، العظيم الطويلِ ، الأكولِ الشروب ، فلا يزن جناحَ بعوضة »[1] .

قال عمرو بن دينار : إن الميزانَ له كفَّتان[2] .

١٠ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٠] .

أي ملَّكْناكم .

﴿ وجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ .

أي ما تعيشون به .

ويجوز أن يكون المعنى : ما تتوصلون به إلى المعيشة[3] .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٢٣/٨ عن عُبيد بن عُمير ، ورواه البخاري ٣٢٤/٨ ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، قال واقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ وانظر جامع الأصول ٢٣٥/٢ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ١٢٣/٨ عن عمرو بن دينار ، وهذا يدلُّ على أن الميزان حقيقي ، والوزن كذلك حقيقي ، إذ تصوَّر أعمال الإنسان بأشكال حسيَّة ثم توضع في الميزان ، وقد وضحنا هذا غاية الوضوح في كتابنا « قبس من نور القرآن » ١٢/٣ وانظر تفسير ابن الجوزي ١٧١/٣ .

(٣) المعايش : جمع معيشة ، وهي ما يُعايش به من المطاعم ، والمشارب ، والحاجات الضرورية ، يُقال في اللغة : معيشة ، ومعاش ، ومعيش ، ومنه قول رؤبة :

إلَيْكَ أشْكُو شِدَّة المَعِيشِ ... وَمَرَّ أيَّامٍ نَتَفْنَ رِيشِي

١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ، ثمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [آية ١١] .

في هذه الآية أقوال :

قال الأخفشُ ــ وهو أحدُ قولَيْ قطرب ــ (ثمَّ) ههنا بمعنى الواو[١] .

وهذا القولُ خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ، ولا يجوزُ أن تكون (ثُمَّ) بمعنى الواو ، لاختلاف معنَيَيْهِمَا[٢] .

وقيل : (ثُمَّ) للإخبار[٣] .

وقِيلَ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ يعني في ظهر آدم ﷺ ، ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ أي في الأرحام ، هذا صحيح عن ابن عباس[٤] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ يعني ابن آدم ، وقد علم جل وعز أنه يخلق ذريته ، فهو بمنزلة ما خَلَق .

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفش ٥١٢/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٩/٥ .

(٢) ردَّ على الأخفش علماءُ البصرة فقالوا : أن « ثمَّ » غير الواو ، فلا تكون بمعناها ، والراجح ما ذهب إليه ابن جرير وابن كثير والقرطبي وغيرهم أن الضمير في « خلقناكم » و « صورناكم » يعود على آدم ، والمعنى : خلقنا أباكم آدم طيناً ، ثم صوَّرناه أبدع تصوير ، وإنما ذُكر بلفظ الجمع تعظيماً له ، لأنه أبو البشر » وانظر جامع البيان ١٢٧/٨ وابن كثير ٣٨٦/٣ ومعاني الزجاج ٣٥٤/٢ .

(٣) يريد أنها ليست لترتيب الجمل في نفسها ، إنما هي لترتيب الإخبار ، لأن التصوير مقدَّم على الخلق ، وانظر زاد المسير ١٧٣/٣ وابن عطية ٤٣٩/٥ .

(٤) الطبري عن ابن عباس ١٢٦/٨ وابن الجوزي ١٧٢/٣ .

وقال مجاهد : رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح : معنى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ في ظهر آدم[1] .

قال أبو جعفر : وهذا أحسنُ الأقوال ، يذهب مجاهدٌ إلى أنه خلقهم في ظهر آدم ، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ، ثم كان السجود لآدم بعدُ .

ويقوِّي هذا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[2] .

والحديثُ : « أنه أخرجهم أمثال الذرِّ ، فأخذ عليهم الميثاقَ »[3] .

قال الزجاج : المعنى خلقنا آدم من تراب ، ثم صوَّرناه ، قال : ويدلُّ عليه ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[4] فالتقدير : خلقنا أصلَكُمْ[5] .

---

(١) جامع البيان ١٢٧/٨ وزاد المسير ١٧٣/٣ والقرطبي ١٦٩/٧ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٧٢) .

(٣) أشار المصنف إلى الحديث الشريف الذي رواه الترمذي في التفسير رقم (٣٠٧٧) ومالك في الموطأ ٨٩٨/٢ وأبو داود في السنة رقم (٤٧٠٣) وأحمد في المسند رقم (٣١١) عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون .. » الحديث ، وانظر جامع الأصول ١٤٠/٢ وتفسير ابن كثير ٥٠٣/٣ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (٥٩) وتمام الآية ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٥٥/٢ فقد وضّح فيه المسألة بأسلوب بديع .

وقيل : المعنى خلقناكم نُطَفاً ، ثمَّ صَوَّرناكم[1] .

١٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾** [آية ١١] .

قيل : استثنى إبليس من الملائكة ، وليس منهم ، لأنه أُمِرَ بالسجود معهم ، قال جلَّ وعز : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[2] ؟

وقيل : إنه كان منهم .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا هذا في سورة البقرة .

١٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾** [آية ١٢] .

هذا سؤال توبيخ وتقرير ، لأنه قد علمَ جلَّ وعزَّ ذلك[3] .

و (لا) زائدة للتوكيد ، كما قال :

---

(١) هذا قول ابن السائب كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٣/٣ .

(٢) هذا هو الصحيح والراجح من الأقوال ، أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وإنما هو من الجنِّ بنص القرآن الكريم ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربه ﴾ ولكن لمَّا كان ضمن الملائكة أُمر بالسجود معهم أمراً خاصاً كما نبَّه المصنف بقوله تعالى ﴿ إذْ أمرتُك ﴾ وانظر الأدلة مفصلة في كتاب صفوة التفاسير ٥٢/١ .

(٣) راجع معاني القرآن للزجاج ٣٥٥/٢ وزاد المسير ١٧٤/٣ لابن الجوزي .

فَمَـا أَلـومُ البِــيضَ أَنْ لَا تَسْخَــرَا
لَمَّـا رَأَيْــنَ الشَّمَــطَ القَفَنْــدَرَا[1]

فجاء بجوابٍ لغير ما سُئل عنه ، فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ ولم يقل : منعني كذا ، وإنما هو جوابُ من قيل له : أيُّكما خير ؟ ولكنه محمولٌ على المعنى ، كأنه قال : منعني فضلي عليه[2] .

١٤ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾** [آية ١٤] .

أي أخِّرْنِي ، فلم يُجَبْ إلى هَذا بِعينِه ، فأُجِيب إلى النَّظْرةِ إلى يومِ الوقتِ المعلوم[3] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾** [آية ١٦] .

---

(١) هذا البيت من الرَّجز وهو لأبي النجم ، وقد ذكره ابن منظور في لسان العرب ١١٢/٥ وقال القَفَنْدر : القبيح المنظر ، يريد أن تسخر ، و « لا » زائدة ، وفي الصحاح ٧٩٨/٢ مثله وجاء فيه قال الصاغاني : والرواية : إذا رأت ذَا الشيبةِ القفنْدَرا ، وفي تهذيب اللغة ٤٢١/٩ : القَفَنْدَر : الرجلُ الضخم الرأس ، ومعنى الشَّمَط : الذي اختلط بياض شعره بالسواد ، يقول الشاعر : أنا لا ألوم الجميلات أن يسخرن مني لما رأين الشيب في رأسي .

(٢) قال في البحر ٢٧٣/٤ : وهذا ليس بجوابٍ مطابق للسؤال ، ولكنه يتضمن الجواب ، إذ معناه : منعني فضلي عليه لشرف عنصري على عنصره ، فكيف يسجد الأفضل للمفضول ؟ وقد أخطأ إبليس حيث فضَّل النار على الطين ، وكلاهما جماد ، قال ابن سيرين : أول من قاس إبليس فأخطأ ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس . اهـ.

(٣) أشار المصنف إلى قوله سبحانه ﴿ قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ أراد اللعين أن ينجو من الموت ، لأنه إذا بُعث الناس فلا موت بعده ، فأجابه الله أنه سيمهله إلى يوم موت الخلائق لا إلى يوم البعث .

قيل : معناه : فبما أضللتني[1] .

وقيل : معناه خيَّبْتَنِ .

وقيـل : أي فبما دعوتنـي إلى شيءٍ ضلـلـتُ من أجلـــه[2] ، والله أعلم بالمراد .

قال مجاهد : معنـى ﴿ لَأَقْعُـدَنَّ لَهُـمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيـمَ ﴾ : لأقعدنَّ لهم على الحق[3] .

والصراط في اللغة : الطَّريــقُ ، والمعنـــى : على صِرَاطِكَ ، ثم حذف (علَى) فتعدَّى الفعلُ[4] .

١٦ ــ **وقوله عز وجل ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمَانِهِم ، وعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾** [آية ١٧] .

روى سفيـانُ : عن منصور عن الحَكَــمِ بنِ عُتَيْبَــة[5] قال :

---

(١) هذا قول ابن عباس والأكثرين كما ذكره في البحر ٢٧٥/٤ والمعنـى : فسبب إغوائك وإضلالك لي ، لأقعدن لآدم وذريته على طريق الحق وطريق النجاة وهو دين الإسلام .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٧/٢ .

(٣) انظر الدر المنثور ٧٢/٣ وزاد المسير ١٧٦/٣ وجامع البيان للطبري ١٣٤/٨ .

(٤) هذا قول الفراء في معانيه ٣٧٥/١ وهو أيضاً قول الزجاج في معاني القرآن ٣٥٨/٢ قال الفـراء : المعنـى : لأقعـدنَّ لهم على طريقهـم ، أو في طريقهـم ، وإلقـاءُ الظـرف من هذا جائـز .. إلخ . وهكذا وجَّهه الطبري ١٣٥/٨ قال : كما تقول : توجَّه مكَّةَ أي إلى مكـة ، وكقـول الشـاعـر : كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْـلَبُ ، ولكـنَّ أبـا حيـان في البحـر ٢٧٥/٤ ضعَّفـه وقـال : وهـذا تخريج فيـه ضعف ، والأولى أن يُضمَّن « لأقعدنَّ » لألزمنَّ بقعودي صراطك المستقيم .

(٥) انظر ترجمتـه في تقـريب التهذيب ١٩٢/١ وهـو « الحَكَـمُ بن عُتيبـة » وفي القرطبـي ١٧٦/٧ : الحَكَم بن عُيَيْنَة ، وهو تصحيف .

﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من دنياهم ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من آخرتهم ، ﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ يعني حسناتهم ﴿ وعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ يعني سَيِّئَاتِهِمْ[1] .

وهذا قول حسنٌ وشرطُه : أنَّ معنى ﴿ وَلَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من دنياهم ، حتى يكذِّبوا بما فيها من الآيات ، وأخبارِ الأممِ السَّالفة .

﴿ ومن خلفِهِمْ ﴾ من آخرتهم حتى يكذِّبوا بها .

﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ من حسناتهم ، وأمور دينهم .

ويدلُّ على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾[2] .

﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ يعني سيئاتهم أي يتبعون الشهوات ، لأنه يُزَيِّنُهَا لهم[3] .

وقيل : ﴿ ثمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من آخرتهم .

روى عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباس ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ .

أمَّا قولُه تعالى ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيقول : أشكِّكهم في

---

(١) انظر جامع البيان ٨/١٣٦ والقرطبي ٧/١٧٦ وابن كثير ٣/٣٩٠ .

(٢) سورة الصافات آية رقم (٢٨) .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٧/١٧٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٣/١٧٦ .

آخرتهم ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[1] أُرَغِّبهم في دنياهم ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أُشبِّهُ عليهم أمر دينهم ، ﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ أُشهِّي لهم المعاصي ، ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ يقولُ : موحِّدين[2] .

وبهذا الإسناد ﴿ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني من الدنيا ﴿ ومِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من الآخرة ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قِبَل حسناتهم ، ﴿ وعن شَمَائِلِهِمْ ﴾ من قبل سيئاتهم[3] .

قال أبو جعفر : وذلك القول لا يمتنع لأن الآخرة لم تأت بعد ، فهي بين أيدينا ، وهي تكون بعد موتنا ، فمن هذه الجهة يُقال : هي خلفنا .

وقيل : معنى ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ : يخوفهم على تركاتهم ، ومن يُخَلِّفُون بعدهم[4] .

---

(١) في المخطوطة « من خلف » وصوابه « ومن خَلْفِهِمْ » كما هو نصُّ الآية الكريمة .

(٢) و(٣) هذه الأقوال رُويت عن ابن عباس كما في جامع البيان ١٣٦/٨ والبحر المحيط ٢٧٦/٤ وزاد المسير ١٧٦/٣ والقرطبي ١٧٦/٧ أقول : والظاهر ما قاله الطبري أن المراد أنه سيأتيهم من جميع وجوه الحقِّ والباطل ، فيصدُّهم عن الحقِّ ، ويُحسِّن لهم الباطل . وهذا ما رجحه ابن عطية ، وأبو حيان ، حيث قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤٧/٥ : « هذا توكيدٌ من إبليس في أنه يَجِدُّ في إغواء بني آدم ، أخبر عن نفسه أنه يأتي لإضلال ابن آدم من كل جهة ، وعلى كل طريق ، يفسد عليه ما أمكنه من معتقده ، ويُنسيه صالح أعمال الآخرة ، ويُغريه بقبيح أعمال الدنيا ، فعبَّر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم » . اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط ٢٧٦/٤ : « الظاهر أن إتيانه من هذه الجهات الأربع ، كناية عن وسوسته وإغوائه له ، والجدِّ في إضلاله من كل وجه ممكن » . اهـ. وهو اختيار الزجاج .

(٤) هذا قول ضعيف ، ولم أر أحداً من المفسرين ذهب إليه أو حكاه ، ولعله تفسيرٌ بحسب اللغة .

وقيل : معنى ﴿ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ : من كل جهة يعملون منها[1] ، ويكونُ تمثيلاً ، لأن أكثر التصرف باليدين ، قال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[2] .

وقال مجاهد : ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ من الحسنات ، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ من السَّيِّئات[3] .

١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ﴾** [آية ١٨] .

يقال : ذأمته ، وذِمْتُه ، وذَمَمْتُه ، بمعنى واحد[4] .

وقرأ الأعمش : ﴿ مَذُوماً ﴾[5] والمعنى واحد ، إلا أنَّه خفَّفَ الهمزة .

وقال مجاهد : المذؤمُ : المنفيُّ[6] . والمعنيان متقاربان .

والمدحور : المطرودُ المبعد ، يقال : « اللهمَّ ادْحَرْ عَنَّا الشَّيْطَانَ » .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٨/٢ وهو من باب التمثيل كما قال المصنف أي يأتيهم من جميع الجهات .

(٢) سورة الحج آية رقم (١٠) .

(٣) الطبري ١٣٧/٨ ، القرطبي ١٧٦/٧ ، الدر المنثور ٧٣/٣ . قال ابن عباس : ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم ، واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر ، فالخيرُ يصدُّهم عنه ، والشرُّ يُحبِّبه لهم ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٩١/٣ .

(٤) قال الأخفش في معانيه ٥١٤/٢ : ﴿ مَذْءُوماً ﴾ من الذَّأم ، تقول : ذأمتُه فهو مذءوم ، أو من الذَّمِّ ، ذممتُه فهو مذموم ، تقول : ذأمتُه ، وذممتُه ، وذمتُه ، كلُّه في معنى واحد .

(٥) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤٢/١ .

(٦) انظر الطبري ١٣٨/٨ وتفسير ابن كثير ٣٩٢/٣ .

١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾** [آية ١٩] .

رُوي عن ابن عباس أنها : السُّنْبُلَة[١] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾** [آية ٢٠] .

أي ليظهر لهما ما سُتر عنهما من فروجهما[٢] ، ومن هذا : تواريت من فلانٍ .

وقرأ الضحاك ، ويحيى بن أبي كثير ﴿ مَا أُورِيَ عَنْهُمَا ﴾[٣] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾** [آية ٢٠] .

وأكثر الناس على فتح اللَّام ، وقال من احتجَّ بكسر اللَّام ، قوله جل وعزَّ ﴿ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾[٤] يدلُّ على القراءة « مَلِكَيْـــنِ » لأنَّ مُلْكاً من مَلِك .

وأنكر أبو عمرو بن العلاء[٥] كسرَ اللَّام ، وقال : لم يكنْ قبل

---

(١) ابن كثير ٣٩٣/٣ والقرطبي ٢٠٤/١ وأراد بالسنبلة الحنطة .

(٢) قال القرطبي ١٧٨/٧ ﴿ وُورِيَ ﴾ أي سُتِر وغُطِّيَ عنهما ، والسَّوْءَاتُ جمعُ سوأةٍ وهي العورة ، وسُمِّي الفرجُ عورةً لأن إظهارَه يسوءُ صَاحبَه ، ودلَّ هذا على قبح كشفِ العورة . اهـ. قرطبي .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع ، قال القرطبي ١٨٧/٧ : ويجوز في غير القرآن « أُوري » مثل أُقِّتَتْ .

(٤) سورة طه آية رقم (١٢٠) والآية ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ .

(٥) أبو العلاء هو أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي من كبار علماء اللغة والقراءات توفي سنة ١٥٤هـ تقريب التهذيب ٤٥٤/٢ .

آدمَ ﷺ مَلِكٌ ، فيصيرا مَلِكَيْنِ .

٢١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [آية ٢١] .

أقسمَ لهما ، مثلُ طارقتُ النَّعلَ .

وقيل : حَلَفا أن لا يقبلا منه ، إلَّا أن يحلف ، فحلَفَ لهما[1] .

٢٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [آية ٢٢] .

المعنى : فدلَّاهُما في المعصية[2] .

٢٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾ [آية ٢٢] .

وهذا يدل على أنهما لم يمعنا في الأَكل[3] .

---

(١) المقاسمة كالمفاعلة تقتضي المشاركة من الطرفين ، تقول : قاسمت فلاناً : حلفتُ له ، وحلف لي ، ولكنها في الآية قسمٌ من إبليس فقط ، فكيف قال « وقاسمهما » ؟ قال ابنُ عطيَّة : أي حلف لهما ، وهي مفاعلة ، إذ قبولُ المحلوف له ، وإقبالُه على معنى اليمين كالقسم ، وقال الزمخشري : كأنهما قالا له : أتقسم باللهِ لنا إنك لمن الناصحين ؟ فقال : أقسم لكما بالله ، فجعل ذلك مقاسمة بينهم . اهـ. نقلهما في البحر المحيط ٢٧٩/٤ .

(٢) أي غرَّهما بقوله وخدعهما بمكره حتى أكلا من الشجرة ، وفي قوله « دلَّاهما » استعارة لطيفة حيث صوَّر خداعه بمن يدلِّي شخصاً من علوٍ إلى سُفل ، بحبل ضعيف فينقطع به فيهلك ، فيشبِّه الذي يُغرُّ بالكلام ويُخدع بطرقٍ من الخديعة ، حتى يصدِّقه فيقطع بمصيبة ، بالذي يُدَلَّى في هوَّة بحبلٍ بالٍ فيسقط ويتردى .

(٣) لعلَّ المصنف أخذه من قوله سبحانه ﴿ فلمَّا ذَاقَا ﴾ الذي يدلُّ على عدم الإغراق في الأكل وإنما كان بطرف اللسان كما هو في ذوق الطعام !!

٢٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ﴾ [آية ٢٢] .

أي أخذا يلزقان ، ومنه خصفتُ النَّعْلَ : أي رَقَعْتُها .

قال ابن عباس : وهو ورقُ التِّين ، أخذاه فجعلاه على سوءاتهما[(١)] .

والفرقُ بين معصية آدمَ ، ومعصيةِ إبليس ، أن إبليس أقامَ على الذَّنْبِ ، وتَابَ آدمُ وَرَجَعَ[(٢)] ، قال الله جلَّ وعز : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ .

٢٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ [آية ٢٦] .

قال مجاهد : كان قومٌ من العرب ، يطوفون بالبيت عراةً ، فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً ﴾[(٣)] .

---

(١) الطبري عن ابن عباس ١٤٣/٨ والبحر المحيط ٢٨٠/٤ وتفسير ابن كثير ٣٩٤/٣ . قال أبو حيان : لم يثبت تعيينُها لا في القرآن ، ولا في حديثٍ صحيح . اهـ. البحر ٢٨٠/٣ .

(٢) إبليس أصرَّ على معصية الله وعاند الكفر ، وأمَّا آدم فاعترف بالخطيئة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٣) قول مجاهد ذكره الطبري ١٤٦/٨ قال : أربع آياتٍ نزلت في قريش ، كانت قريشٌ تطوف عُراة ، لا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه . وذكره في البحر ٢٨٢/٤ وابن عطية في المحرر ٤٧٠/٥ .

قال مجاهد : الريشُ : المالُ [١] .

وقال الكسائي : الريش : اللباسُ .

وقال أبو عبيدة: الريشُ ، والرياشُ : ما ظَهَر من اللباس والشَّارة [٢] .

والريشُ عند أكثر أهل اللغة : ما ستر من لباسٍ أو معيشة [٣] .

وأنشد سيبويه :

فَرِيشِي مِنْكُمُ وَهَوَايَ مَعْكُمْ
وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا [٤]

وحكى أبو حاتم عن أبي عُبيدة : وهبتُ له دَابَّةً بريشها : أي بكسوتها وما عليها من اللباس [٥] .

قال الفراء : يكون الرِّياشُ جمعاً للرِّيشِ ، وبمعناه أيضاً ، مِثلُ

---

(١) الطبري عن مجاهد ١٤٨/٨ وابن كثير ٣٩٥/٣ وحكى البخاري عن ابن عباس تفسير الريش بالمال .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٣/١ والمراد بالشَّارة ما يُلبس من عمامة ، وعقال ونحوهما .

(٣) في المصباح المنير : الريش من الطائر المعروف ، والريشُ : الخير ، والرياشُ يُقال في المال والحالة الجميلة . اهـ. وقال الطبري : الرياش في كلام العرب : الأثاث وما ظهر من الثياب .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ص ١٣٩ وهو من شعر الراعي النُّميري « عُبيد بن حُصَين » وفي المخطوطة « ريشي » بدون فاء ، وصوابه ما أثبتناه « فريشي » لأنه من بحر الوافر ، وذكره القرطبي ١٨٤/٧ ، وهو في معاني الزجاج ٣٦٢/٢ وفي زاد المسير ١٨٢/٣ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢١٣/١ .

لِبْسٍ ، ولِبَاسٍ[1] .

٢٦ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾ [آية ٢٦] .

أي لباس التَّقْوَى خيرٌ من الثِّيَابِ ، لأن الفاجر وإن لبس الثِّيَابَ فهو دَنِسٌ[2] .

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معْبَدٍ الجُهَنِي قال : ﴿ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ : الحياءُ[3] .

وقرأ الأعمش : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى خَيْرٌ ﴾ ولم يقرأ ﴿ ذلك ﴾ .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [آية ٢٧] .

قبيلُهُ : جنودُه .

قال مجاهد : يعني الجنَّ والشَّياطين[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١/٣٧٥ ولفظه : إن شئتَ جعلت « رياش » جمعاً واحدُه الرِّيشُ ، وإن شئتَ جعلتَ الرِّياش مصدراً في معنى الرياش ، كما يُقال : لِبْسٌ ولِبَاسٌ .

(٢) طهارة الباطن أهمُّ من جمال الظاهر ، يُقال : فلان طاهر الذيل والثوب ، إذا كان شريفاً عفيفاً . قال الشاعر :

إذَا المَرْءُ لَم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

(٣) الطبري ٨/١٤٩ والقرطبي ٧/١٨٤ وفي المخطوطة عن « عوف بن معبد الجهني » وهو تصحيفٌ ، وصوابه كما في القرطبي والطبري « عوف عن معبد الجهني » وليس ابن ، وعوف هو عوف بن مالك الجشمي ، وانظر ترجمته في التهذيب ٨/١٦٩ .

(٤) زاد المسير ٣/١٨٤ وجامع البيان ٨/١٥٣ .

٢٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : كانت النِّسَاءُ تطوفُ بالبيتِ عُراةً ، عليهنَّ الرِّهَاطُ(١) .

وقال : الرِّهَاط : جمعُ رَهْطٍ ، خرقةٌ من صوفٍ أو سيور ، كذا قال الفراء(٢) .

فهذه الفاحشة الذي قالوا ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ .

وقال غيره : « كان الرجال يطوفون نهاراً عُراةً ، والنِّسَاءُ بالليل ، ويقولون : لا نطوفُ في ثيابٍ عصينا اللهَ فيها »(٣)

٢٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [آية ٢٩] .

أي بالعدل .

﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .

---

(١) ذكره الطبري عن مجاهد ١٥٤/٨ والدر المنثور ٧٨/٣ وزاد المسير ١٨٤/٣ وفي الطبري : كانوا يطوفون بالبيت عُراة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسعة وتقول :

اليومَ يَبْدُو بعضُهُ أو كُلُّهُ   فَمَا بَدَا منهُ فلا أُحِلُّهُ

(٢) في الصِّحاح : الرَّهْطُ : جِلدٌ قدرُ ما بين السُّرَّة إلى الركبة تلبسه الحائض وجمعه رِهاط ، وكانوا في الجاهلية يطوفون عراة ، والنساء في أرهاطٍ . اهـ. الجوهري . ولم أره في معاني الفراء ولعل المصنف نقله من كتب اللغة .

(٣) الدر المنثور ٧٨/٣ وأصل الحديث من رواية مسلم التفسير ٢٣٢٠/٤ عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهو عُريانة وتقول : من يُعيرني تِطوافاً تجعله على فرجها ؟ وتقول : اليوم يبدو .. إلخ .

قال مجاهد : أي استقبلوا القبلة أينما كنتم ، ولو كنتم في كنيسة[1] .

وقال غيره : معناه إذا أدركتكم الصلاةُ في مسجدٍ فصلُّوا ، ولا يقل أحدكم : لا أُصَلِّي إلَّا في مسجدي[2] .

٣٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد : من بُدِئ سعيداً عاد سعيداً ، ومن بُدِئ شقيًّا عاد شقيًّا[3] .

وقال محمد بن كعب : يختم للمرء بما بُدِئ به ، ألَا ترى أنَّ السحرة كانوا كفاراً ، ثم خُتم لهم بالسعادة ؟ وأنَّ إبليس كان مع الملائكة مؤمناً ثم عاد إلى ما بدئ به[4] .

٣١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾** [آية ٣١] .

---

(١) جامع البيان ١٥٥/٨ والدر المنثور ٧٧/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٥/٣ وهو مروي عن ابن عباس ، والضحاك ، واختاره ابن قتيبة .

(٣) الدر المنثور عن مجاهد ٧٧/٣ والطبري ١٥٦/٨ وزاد المسير ١٨٥/٣ ولفظه : كما بدأكم سعداء وأشقياء كذلك تعودون .

(٤) الطبري ١٥٦/٨ ولفظه : من ابتدأ الله خلقه على الشِّقْوة ، صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بعمل أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه .. وذكر الأثر ، أقول : إبليس ليس من الملائكة ، وإنما كان مع الملائكة ، بدليل قوله تعالى ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربه .. ﴾ الكهف .

قال عطاء :وطاووس ، والضحاك : يعني اللباس ، لأن قوماً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ، وهو مذهب مجاهد[1] .

وروى شعبة عن سلمة بن كُهَيْل قال : سمعت مسلم البَطِين يُحدِّث عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال « كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عُريانة ، فنزلت ﴿ خُذُوا زينتكُمْ عِنْدَ كلّ مَسْجِدٍ ﴾[2] » .

قال الزُّهري : كانت العرب تطوف بالبيت عراة ، إلَّا الحُمْسَ[3] ــ قريشاً وأحلافها ــ فقال الله جلَّ وعز ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[4] .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز موبِّخاً لهم ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [آية ٣٢] .

هو عامٌّ .

---

(١) انظر الطبري ١٦٠/٨ وابن كثير ٤٠١/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً قال : كان رجال يطوفون بالبيت عُراةً ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينةُ : اللباسُ . اهـ. وانظر الدر المنثور ٧٨/٣ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في التفسير ٢٤٣/٨ والنسائي في الحج ٢٣٣/٥ وذكره الطبري ١٦٠/٨ ، وزاد في روايته : وكانت المرأة تقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنهُ فَلا أُحِلُّه

(٣) الأثر رواه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٣ والحمسُ : هم قريش وكنانة ، قال الجوهري : « وإنما سُمِّيت قريش وكنانة حُمْساً لتشددهم في الدين ، لأنهم كانوا لا يستظلون أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها » . اهـ. لصحاح .

(٤) يريد أن الآية وإن نزلت في الذين حرَّموا بعض المآكل والمشارب من المشركين ، إلا أن حكمها عام يشمل جميع الخلق .

وقيـل : أي من حرم لبس الثيـاب في الطـواف ؟ ومـن حرَّم ما حرموا من البحيرة وغيرها[1] ؟

قال الفراء : إن قبائل من العرب ، كانوا لا يأكلون اللحم أيـام حجهم ، ويطوفون عراة ، فأنزل الله جل وعز هذا[2] .

٣٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [آية ٣٢] .

قال الضحاك :يشتـرك فيها المسلمـون والمشركـون ، في الدنيـا ، وتَخْلُصُ للمسلمين يوم القيامة[3] .

وقيـل : ﴿ في الحَيَـاةِ الدُّنْيَـا ﴾ في الصلـة ، أي آمنـــوا في ذا الوقت ، خالصةً من الغَمِّ والتَّنغِيص[4] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ قُلْ إنَّمـا حَرَّمَ رَبِّـي الفَـوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَـا بَطَنَ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رَوى روحُ بن عُبـادة ، عن زكريـا بن إسحـاق ، عن ابـن أبي نجيـح ، عن مجاهـد قال : ﴿ مَا ظَهَـرَ مِنْهَـا ﴾ : نكـاحُ الأمهـات في

(١) هذا القول مروي عن ابن عباس ، كما في الـدر المنثـور للسيوطـي ٨١/٣ وزاد المسير لابـن الجوزي ١٨٩/٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٧٧/١ .

(٣) الأثر ذكـره الـطبري عن الضحـاك ١٦٤/٨ والقرطبـي ٢٠٠/٧ عن ابـن عبـاس ، والضحـاك ، والحسن .

(٤) انظر البحر المحيط ٢٩١/٤ وتفسير ابن عطية ٤٨٤/٥ .

الجاهلية ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزِّنَا[1] .

وقال **قتادة** : سرَّها ، وعلانيتها[2] .

٣٥ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ والإِثْمَ ﴾** [آية ٣٣] .

وقال في موضع آخر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَـيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَـا إِثْـمٌ كَبِيرٌ ﴾[3] فدلَّ بهاتين الآيتين على أنَّ الخمـــر ، والميسر ، حرامٌ[4] .

٣٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ .. ﴾** [آية ٣٤] .

أي وقت مؤقَّتٌ[5] .

---

(١) الأثر رواه الطبري ١٦٦/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٠/٣ وعزاه ابن الجوزي إلى ابـن عبـاس من طريق سعيد بن جبير ، وبه قال علي بن الحسين .

(٢) فسَّر قتادة ما ظهر من الفواحش بالعلانية ، وما بطـن بالسِّرِّ ، وهـذا الأثـر رواه الطبري واختـاره فقال : المعنى : إنما حرَّم ربِّي القبائح من الأشياء وهي الفـواحش ، ما ظهـر منها فكـان علانيـة ، وما بطن فكان سِرًّا في خفاء ، ورواه القرطبي في جامع الأحكام عن قتادة ٢٠٠/٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢١٩) .

(٤) وجه الاستدلال أنَّ الله عز وجل ذكـر هنـا لفـظ التحـريم فقـال ﴿ قل إنما حرَّم ربي الفـواحش .. والإثم والبغي ﴾ وذكر في البقرة الخمر والميسر ، وبيَّـن أنـه فيهمـا إثماً ﴿ قل فيهمـا إثم كبير ﴾ ولما كان قد حرَّم الإثم ، دلَّ ذلك صراحة على تحريم الخمر والميسر ، لأنهما من الإثم ، والله أعلم .

(٥) المراد وقتٌ محدَّد لهلاكهم ، أو موتهم ، قال الزجـاج ٣٦٨/٢ : الأجَـلُ : الـوقتُ المؤقَّت ، وقـال ابن عطية ٤٩٠/٥ : الآية تتضمن الوعيد والتهديد ، والمعنى : لكـل فرقـة وجماعـة أجَـلٌ مؤقَّت لمجيء العذاب ، إذا كفروا وخالفوا أمر ربهم ، قالـه الـطبري وغيره . اهــ. كقولـه تعـالى ﴿ وتـلك القرى أهلكناهـم لمَّـا ظلمـوا وجعلنـا لمهلكهـم موعـداً ﴾ فهـذا هو الأجـل المشار إليـه في الآية الكريمة .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ .

المعنى : لا يستأخرون ساعة ولا أقلَّ من ساعة ، إلا أنَّ الساعة خُصَّتْ بالذِّكر ، لأنها أقلُّ أسماء الأوقات[1] .

٣٧ ــ **وقوله عز وجل ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾** [آية ٣٧] .

المعنى : أيُّ ظلم أشنعُ من الافتراء على الله ، والتكذيب بآياته ؟

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ ﴾** [آية ٣٧] .

روى جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال : « ما قُدِّرَ لهم من خيرٍ وشرٍّ »[2] .

وروى شريك عن سالم عن سعيد بن جبير : ﴿ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ ﴾ قال : من الشقوة ، والسعادة[3] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : ما وُعِدوا فيه من خيرٍ وشر[4] .

ومعنى هذا القول : أنهم ينالهم نصيبهم من العذاب ، على قدر

(١) انظر معاني الزجاج ٣٦٨/٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٩٣/٤ .
(٢) الأثر رواه الطبري ١٧١/٨ وابن كثير ٤٠٥/٣ .
(٣) الأثر رواه الطبري ١٧٠/٨ وابن الجوزي ١٩٣/٣ والقرطبي ٢٠٣/٧ .
(٤) الأثر في الطبري ١٧١/٨ وابن كثير ٤٠٥/٣ والدر المنثور ٨٢/٣ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وانظر أيضاً تفسير ابن الجوزي ١٩٣/٣ .

كفرهم ، نحو قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[1] .
وَ ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾
وقال جلَّ وعز ﴿ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾[2] .

وكذلك قال الضحاك : معناه : ينالُهم نصيبُهم من العذاب[3] .

٣٩ ـ ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ [آية ٣٧] .

قيل : أعوانُ ملك الموت ، لمَّا جاءوهم أقرُّوا أنهم كانوا كافرين[4] .

وقيل : ملائكة العذاب[5] .

ومعنى ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ على هذا : يتوفونهم عذاباً ، كما تقول : قتلتُه بالعذاب[6] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٤٨) وتمامها ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .. ﴾ الآية .

(٢) سورة الجن آية رقم (١٧) وقبلها ﴿ وَمَنْ يُعرض عن ذكر ربه يَسْلُكه عَذاباً صَعَداً ﴾ أي شاقاً لا راحة فيه .

(٣) الطبري عن الضحاك ١٧٠/٨ وابن الجوزي ١٩٤/٣ .

(٤) و(٥) ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٦/٥ والأول هو الأظهر وهو ما رجحه الطبري ١٧٢/٨ قال ابن عطية والمعنى : يتمتَّعون ويتصرَّفون من الدنيا بقدر ما كُتب لهم ، حتى إذا جاءتهم رسلنا لموتهم وقبض أرواحهم .

(٦) ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٣٧١/٢ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذكره أولاً أن المعنى حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت يتوفونهم عند موتهم ، أقرُّوا على أنفسهم بالكفر ، وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين .

ويجوز : أن يكون من استيفاء العدد[1] .

٤٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾** [آية ٣٨] .

قيل معنى « في » معنى « مع » وهذا لا يمتنع ، لأنَّ قولك : زيدٌ في القوم ، معناه : مع القوم[2] ، وتجوز أن تكون « في » على بابها .

وقال الأصمعي في قول امرئ القيس :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
ثَلاثِينَ شَهْراً فِي ثَلاثَةِ أَحْوَالِ[3]

معنى (في) معنى (مع) .

٤١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا ﴾** [آية ٣٨] .

(١) أي يستوفونهم عدداً في السوق إلى جهنم ، ذكره ابن عطية وغيره ، وقال الزجاج في معانيه ٣٧١/٢ : وهو أضعف الوجهين . أقول : والأظهر أن المراد بقوله تعالى ﴿ يتوفونهم ﴾ أي جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم ، وانظر الطبري ١٧٢/٨ .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ١٩٤/٣ وذكره القرطبي ٢٠٤/٧ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٧/٥ ورجَّح القول الثاني أنها على بابها قال : وهو أصوبُ ، والمعنى : ادخلوا في جملتهم .

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٢٧ في قصيدته التي مطلعها : ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي ، ولفظه في الديوان :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ ثَلاثِينَ شَهْراً فِي ثَلاثَةِ أَحْوَالِ

والأحوال جمع حال لا جمع حول يقول : كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً مع ثلاثة أحوال ؟

أي تتابعوا واجتمعوا .

﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ .

المعنى : قالت أخراهم يا ربنا هؤلاء أضلونا ﴿ لِأُولَاهُمْ ﴾ أي يعني أُولَاهم[1] .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٣٨] .

يجوز أن يكون المعنى : ولكن لا تعلمونَ يا أهل الدنيا ، مقدار ما هم فيه من العذاب .

ويجوز أن يكون المعنى : لا تعلمون أيها المخاطبون[2] .

ومن قرأ ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُون ﴾[3] فمعناه عنده : ولكنْ لا يعلمُ كلُّ فريقٍ ، مقدارَ عذابِ الفريقِ الآخر .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾** [آية ٣٩] .

قال مجاهد : أي من تخفيف العذاب[4] .

---

(١) المراد بأُولاهم كما قال القرطبي وغيره : السادة والقادة ، والمعنى : قال الأتباع يا ربنا هؤلاء قادتنا الذين أضلُّونا ، وهذا قول مقاتل ، وانظر زاد المسير ١٩٥/٣ وهو أظهر الأقوال وأرجحها ، واللام في « لأُولاهم » هي لام السبب يعني : هؤلاء هم سبب ضلالنا وكفرنا ، كذا قال أبو حيان ، وابن عطية .

(٢) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٧٤/٨ حيث قال : ولكنكم يا معشر أهل النار ، لا تعلمون قدر ما أعدَّ الله لكم من العذاب .

(٣) هذه قراءة عاصم وحده كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٠ .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ١٧٥/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ١٩٥/٣ .

وقال السدي : قد ضللتم كما ضللنا[1] .

٤٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾** [آية ٤٠] .

قيل : يعني أبواب الجنة لأن الجنَّة في السماء .

وأحسنُ ما قِيل في هذا ، ما رواه سفيـــانُ ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : « لا تفتَّح أبواب السمـاء لكلامهـم ، ولا لعمَلهـم »[2] ويـدلُّ على صحـة هذا القـول قولـه جل وعـز : ﴿ إِلَيْـهِ يَصْعَـدُ الكَلِـمُ الطَّيِّبُ ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه ﴾[3] .

وفي هذا حديث مسنـــدٌ ، رواه المنهالُ ، عن زاذان[4] ، عن البراء عن النبي ﷺ « إنَّ العبـد الكافـر أو المنافـــق ، إذا خرجت نَفْسُهُ ، أخذتها الملائكة حتى تنتهي إلى سماء الدنيا ، يفوح منها كأنتن ريح جيفـة كانت على وجـه الأرض فيستفتـح له فلا يفتـــح ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبوَابُ السَّمَاءِ ﴾ فيقول الله : اجعلوا كتابـه في سجين

---

(١) الأثر ذكره الطبري عن السدي ١٧٥/٨ وابن كثير في تفسيره ٤٠٧/٣ .

(٢) الطبري عن مجاهد ١٧٦/٨ ولفظه : لا يصعـد لهم كلامٌ ولا عمـل ، وابـن كثير ٤٠٧/٣ قال : لا يُرفـع لهم منها عملٌ صالح ولا دعـاء ، قالـه مجاهـد ، وسعيـد بن جبير ، وهـو مروي عن ابـن عبـاس .

(٣) سورة فاطر آية رقم (١٠) .

(٤) زَاذَان : هو أبو عبـد الله الكنـدي الكـوفي الضريـر ، مات سنـة ٨٢هــ قال العـجلي : كوفي ، تابعـي ، ثقـة ، ويقـال : إنـه شهـد خطبـة عمـر بالجابيـــة ، روى عن البراء بن عازب وغيره من الصحابة ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٠٢/٣ .

وأعيدوه إلى الأرض ، فتطرح طرحاً ، ثم قرأ عليه السلام : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ »[1] .

٤٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ [آية ٤٠] .

والمعنى : لا يدخلون الجنة أَلبَتَّة ، والعربُ تستعمل أمثال هذا كثيراً[2] .

وسُئل عبد الله بن مسعود عن الجمل ؟ فقال : هو زَوْجُ النَّاقَة .

كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعاً[3] .

ويروى عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الجُمَّلُ ﴾[4] بضم الجيم وتشديد الميم ، وقال : هو القَلْسُ[5] من حبال السُّفنِ .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند ٢٨٧/٤ ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد برقم (٤٢٦٢) وأخرجه أيضاً أبو داود ، والنسائي ، وهو في الطبري ١٧٧/٨ وابن كثير ٤٠٨/٣ والدر المنثور ٨٣/٣ بطوله .

(٢) هذا تمثيلٌ لاستحالة دخول الكفار الجنة ، كاستحالة دخول الجمل على ضخامته ثقب الإبرة ، مبالغة في تصوير المستحيل ، كما يقول الشخص : لا أصدق كلامك حتى تصعد إلى السماء .

(٣) هذا هو رأي جمهور المفسرين ، بأن المراد بالجمل هو الجمل المعروف زوج الناقة ، وهو الظاهر ، والله أعلم .

(٤) هذه قراءة شاذة ، ذكرها ابن الجوزي في زاده ١٩٧/٣ وابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٤٩/١ .

(٥) القَلْسُ : بفتح وسكون ، حبلٌ غليظٌ من حبال السفن ، والمعنى : حتى يدخل الحبل الغليظ في ثقب الإبرة ، وانظر الصحاح للجوهري ٩٦٥/٣ مادة قلس .

وقال **أحمد بن يحيى**[1] : هي الجِبَالُ المجموعة ، جمع جُمَّلةٍ .

وروى عن سعيد بن جبير أنه قرأ : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الجُمَل ﴾ بضم الجيم وتخفيف الميم[2] .

قيل : هو القَلْسُ أيضاً .

والسَّمُّ والسُّمُّ : ثقب الإبرة ، وقرأ ابن سيرين بضم السين .

والخِيَاط ، والمِخْيَطُ : الإبرة ، ونظيرُه قِنَاع ، ومِقْنَع[3] .

٤٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ ﴾ [آية ٤٠] .

يعني الكافرين ، لأنه قد تقدَّم ذكرهم[4] .

٤٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ [آية ٤١] .

أي فراش .

﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ أي غاشيةٌ [فوق غاشية] من العذاب[5] .

---

(١) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ، إمام الكوفيين في اللغة ، وهو المشهور بثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٢٥٢/١ .

(٢) وهذه أيضاً من القراءات الشاذة ، قال ابن جني في المحتسب ٢٤٩/١ : أمَّا الجُمَّلُ بالتثقيل ، والجُمَل بالتخفيف فكلاهما الحبلُ الغليظ من القنب ، ويُقال : حبل السفينة . اهـ.

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٠٧/٧ .

(٤) في قوله سبحانه ﴿ إن الذين كذَّبوا بآياتنا .. ﴾ الآية .

(٥) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٣/٢ . وغواشٍ جمع غاشية أي نيران تغشاهم ، وانظر المصباح المنير ، والصحاح ، مادة غشي ، وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ قيل : يعني الكفار[1] ، والله أعلم .

٤٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾** [آية ٤٣] .

الغِلُّ في اللغةِ : الحقدُ ، المعنى : إن بعضهم لا يحقد على بعض ، بما كان بينه وبينه في الدنيا[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : أنه لا يحسد بعضهم على علو المرتبة .

ويدلُّ على أنَّ القول هو الأول ، أنه روي عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه قال : « أرجو أن أكون أنا وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، من الَّذين قال الله فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ .. ﴾ »[3] .

٤٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾** [آية ٤٣] .

أي لما صيَّرنا إلى هذا[4] .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٤٣] .

---

(١) إنما فسَّر الظلم بالشرك ، لأن العقاب المذكور هو عقاب الكافر ، ويؤيده ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

(٢) انظر الطبري ١٨٣/٨ والبحر المحيط ٢٩٨/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ١٨٣/٨ والدر المنثور ٨٥/٣ وابن كثير ٤١١/٣ .

(٤) عبارة الطبري أوضح فقد قال ١٨٤/٨ : يقول أهل الجنة : الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل ، الذي أكسبنا ما نحن فيه ، من كرامة الله وفضله ، وصرَّف عذابه عنَّا .

ويجوز أن يكون المعنى بأنه تلكم الجنة .

ويجوز أن تكون « أنْ » مفسرة للنِّداء[١] .

والبصريون يعتبرونها بـ « أي » والكوفيون يعتبرونها بالقول ، والمعنى واحد . كأنه « ونُودُوا » قيل لهم تلكم الجنة ، أي هذه تلكم الجنة التي وعدتموها في الدنيا[٢] .

ويجوز أن يكون لمَّا رأوها قيل لهم قبل أن يدخلوها ﴿ تِلْكُم الجَنَّة ﴾ .

والقول في معنى : ﴿ أنْ قَدْ وَجَدْنَا ﴾ و ﴿ أنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٣] على ما قلنا في ﴿ أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ ﴾ .

٥١ — **وقوله جل وعز ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾** [آية ٤٦] .

قال قتادة : يُعرف أهلُ الجنة ببياض وجوههم ، وأهل النار

---

(١) ذكر الوجهين ابن عطية في المحرر ٥٠٧/٥ فقال : ﴿ ونُودوا أن تِلكم الجنة ﴾ يحتمل أن تكون « أن » مفسِّرة لمعنى النداء بمعنى أي ، ويحتمل أن تكون مخفَّفة من الثقيلة والتقدير : ونودوا أنه تلكم الجنة .. إلخ .

(٢) رجح الزجاج في معانيه ٣٧٥/٢ هذا القول فقال : والأجود عندي أن تكون « أنْ » في موضع تفسير النداء ، كأن المعنى : ﴿ ونودوا أنْ تلكم الجنَّة ﴾ أي قيل لهم : تلكم الجنة التي وُعدتم بها .

(٣) يريد المصنف « أنْ » في قوله تعلى ﴿ وَنَادَى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النَّار أنْ قَدْ وَجَدْنَا ﴾ وفي قوله ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّن بينهم أنْ لَعنةُ اللهِ على الظَّالمين ﴾ مخففة من « إنَّ » الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، ولو كانت « أنَّ » المؤكدة لنصبت الاسم بعدها « أنَّ لعنةَ الله على الظالمين » فافهمه رعاك الله .

بسواد وجوههم[1] .

٥٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **لَمْ يَدْخُلوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** ﴾ [آية ٤٦] .

قال أكثر أهل التفسير : يعني أصحابَ الأعراف[2] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ** ﴾ [آية ٤٨] .

قال حذيفة : « أصحاب الأعراف » قومٌ استوتْ حسناتُهم ، وسيِّئاتهم ، فهم بين الجنَّة والنَّار ، ثم إنَّ الله اطَّلَع عليهم فرحمهم ، فقالوا ﴿ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[3] .

وروى عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ، أنه قال : الأعرافُ : الشيءُ المُشْرِف .

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال : الأعراف سورٌ له عُرْفٌ كعُرف الدِّيك[4] .

---

(١) الأثر رواه السيوطي في الدر ٨٩/٣ وأبو حيان في البحر ٣٠١/٤ وابن عطية في المحرر ٥١٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٦/٣ والطبري في جامع البيان ١٩٥/٨ .

(٢) هذا قول الجمهور أن المعنى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها . وانظر زاد المسير ٢٠٦/٣ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٣ والطبري في جامع البيان ١٩٠/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٥/٣ وابن عطية في المحرر ٥١٩/٥ ، والقائلون هم الملائكة قالوا لهم ذلك بأمر الله عز وجل .

(٤) الأثر رواه ابن الجوزي عن ابن عباس ٢٠٤/٣ والقرطبي ٢١١/٧ قال : وفي أصحاب الأعراف عشرة أقوال .

والأعراف في اللغة : المكانُ المُشْرِفُ، جمعُ عُرْفٍ .

وقال أبو مجلز[1] : هم من الملائكة .

قال : « والَّذين صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار » أهل الجنة .

حدثنا أبو جعفر ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي ، قال : حدثنا داود الضبي ، قال : حدثنا مسلم بن خالد ، قال : عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في أصحاب الأعراف ، قال : هم قومٌ استوتْ حسناتُهم وسيئاتهم ، وهم على سور بين الجنة والنَّار ، وهم على طَمَعٍ في دخول الجنة ، وهم داخلون[2] .

وقيل : إن أصحاب الأعراف ملائكة بين الجنة والنار[3] .

قال أبو جعفر : والقولُ الأوَّلُ أشهرُ وأعرف .

---

(١) أبو مِجْلز البصري واسمه لاحق بن حُميد تابعي ثقة توفي سنة ١٠٠هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١١/١٧١ والأثر رواه الطبري ٨/١٩٣ ورجح ابن جرير أنهم رجال وليسوا ملائكة كما دلت على ذلك اللغة والآثار .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٨/١٩٢ وهو قول قتادة ، وحذيفة ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والجمهور ، وذكره في البحر المحيط ٤/٣٠١ ثم قال : والرجال قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، وُقفوا هنالك ما شاء الله ، لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة ولا سيئاتهم دخول النار . وانظر ابن الجوزي ٣/٢٠٥ .

(٣) هذا القول مرجوح وهو قول أبي مجلز كما تقدم ، وقد روى الطبري ٨/١٩٣ عن عمران بن حُدير قال : قلتُ : يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ وأنت تقول : ملائكة ؟ قال : إن الملائكة ذكور وليسوا بإناث ، والجمهور على أنهم رجال من البشر ، وهو الأظهر والأشهر .

قال ابن عباس : فقال الله جل وعز لهم ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1] .

قال عبد الله بن الحارث : وهم يدعون مساكين أهل الجنة .

٥٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [آية] .

قال مجاهد : أي نتركهم في النّار ، كما تركوا لقاء يومهم هذا[2] .

والمعنى : فاليوم نتركهم في العذاب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا[3] .

﴿ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ أي بجحودهم لآياتنا .

٥٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [آية ٥٣] .

قال مجاهد : أي جزاءه[4] .

---

(١) هذا من أدلة الجمهور أنهم من البشر ، فإن هذا الوصف « لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون » ظاهر في أن المراد العباد لا الملائكة .

(٢) ذكره الطبري عن مجاهد ٨/٢٠٢ وابن كثير ٣/٤٢٠ والدر المنثور ٣/٩٠ وهو قول ابن عباس أيضاً .

(٣) فسَّر النسيان بالترك ، وهذا هو الصحيح ، لأن الله تعالى لا يغفل عن شيء ولا ينساه كما قال سبحانه ﴿ لا يضلُّ ربِّي ولا يَنسى ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٣/٤٢٠ ﴿ فَاليوم نَنْساهم ﴾ أي تعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يَشذُّ عن علمه شيء ولا ينساه ، وهذا من باب المقابلة كما قال ﴿ نَسُوا الله فنسيهم ﴾ .

(٤) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٨/٢٠٣ وابن كثير ٣/٤٢١ والدر ٣/٩٠ وقال ابن عطية في المحرر ٥/٤٢٣ : والتأويل في هذا الموضع بمعنى المآل والعاقبة ، قاله قتادة ومجاهد وغيرهما .

وقال **قتادة** : أي عاقبته .

وهذا قولٌ حسن ، ومعناه ما وُعِدوا فيه أنه كائن[1] .

٥٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ [آية ٥٣] .

يعني يوم القيامة .

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

قال **مجاهد** : أي أعرضوا عنه[2] .

٥٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ [آية ٥٤] .

المعنى : يُغشي الليل النَّهار ، ويُغْشِي النَّهارَ اللَّيلَ ، ثم حُذِفَ لعلمِ السَّامع[3] .

أي يُدخِلُ هذا في هَذَا ، وهذا في هذا .

٥٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَلَا لَهُ الخَلْقُ ، وَالأَمْرُ ﴾ [آية ٥٤] .

ففرَّق بين الشيء المخلوق ، وبين الأمرِ ، وهو كلامُه ، فدلَّ على

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٢٠٣/٨ وابن كثير ٢١٠/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٩٠/٣ .

(٢) الأثر عن مجاهد ذكره ابن جرير في جامع البيان ٢٠٤/٨ والسيوطي في الدر ٩٠/٣ .

(٣) معنى « يُغشي » أي يُغَطِّي ، ومعنى الآية كما قال ابن كثير : يُذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ، وقال أبو حيان : المعنى يُذهب الليل نور النهار ، ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل والنهار ، فالليل للسكون ، والنهار للحركة .

أن كلامه غيرُ مخلوق ، وهو قوله « كُنْ »[1] .

وقيل : هو مثل قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾[2] .

وقيل المعنى : وتصرف الأمر[3] ، ثم حُذِف .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً ﴾** [آية ٥٥] .

أي مستكينين متعبِّدين ﴿ وخُفْيةً ﴾ أي وأخفوا العبادة لأن الدعاء عبادة .

٥٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾** [آية ٥٥] .

قال قتادة : فدلَّ هذا على أن من الدعاء ما فيه اعتداء ، أي فلا تعتدوا في الدعاء[4] .

---

(١) هذا قول ابن عُيينة كما في القرطبي ٢٢١/٧ : قال : فرَّق الله بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، فالخلقُ : المخلوق ، والأمر كلامهُ الذي هو غير مخلوق، وهو قوله « كُنْ » قال : وفي تفرقته بين الخلق والأمر ، دليل بيِّن على فساد قول من قال بخلق القرآن ، إذْ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً ، لكان قد قال : ألَا له الخلقُ والخلق ، وذلك عيٌّ من الكلام مستهجن . اهـ. القرطبي .

(٢) سورة الرحمن آية رقم (٦٨) والرمان داخل في الفاكهة ، ولكنه من عطف النوع على الجنس فصح العطف .

(٣) أي هو على حذف مضاف مثل ﴿ واسأل القَرية ﴾ أي أهل القرية .

(٤) انظر الطبري ٢٠٦/٨ وقال الحسن : ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يُسمع لهم صوتٌ ، إن كان إلَّا همساً بينهم وبين ربهم ، وفي الحديث الصحيح « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب » البخاري ١٠١/٨ .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً ﴾** [آية ٥٦] .

والمعنى : خوفاً منه ، ورجاءً لِمَا عنده(١) .

٦١ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْراً(٢) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾** [آية ٥٧] .

نُشُرٌ : جمع نَشُور ، يُقال : ريحٌ نَشُورٌ ، إذا أتتْ من ههنا وههنا ، وقيل : نُشُرٌ مصدرٌ .

ومن قرأ ﴿ نُشْراً ﴾ بضم النون وإسكان الشين(٣) ، فإلى هذا المعنى يذهب عند البصريين .

وأما الفرَّاء فزعَمَ أنها لغة بمعنى النَّشْرِ ، كما يُقَالُ : خَسْفٌ وَخُسْفٌ(٤) .

ومن قرأ ﴿ نَشْراً ﴾ فإنه يذهب إلى أن المعنى تنشر نَشْراً .

ومن قرأ ﴿ بُشْراً ﴾(٥) فهو جمع بشير عنده مخففة ، وقد تكون جمعَ بُشرةٍ ، وقد يكون مصدراً مثل العُمُر . وتقرأ ﴿ بَشْراً ﴾ وبُشراً

---

(١) عبارة الطبري ٢٠٧/٨ « خوفاً من عقابه ، وطمعاً في ثوابه » وهي أظهر من عبارة المصنف .

(٢) هذه قراءة نافع وأبي عمرو وهي من السبعة كما في ابن مجاهد ص ٢٨٣ والنشر في القراءات العشر ٢٧٠/٢ .

(٣) هذه قراءة ابن عامر كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣ .

(٤) انظر معانيْ الفراء ٣٨١/١ وعبارته : النَّشْرُ من الرياح : الطيِّبة الليِّنة التي تُنشِئ السحاب .

(٥) هذه هي القراءة المشهورة وهي قراءة عاصم أي تُبشِّر بنزول المطر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣ .

مصدر بَشَرَه يَبْشُرُهُ بمعنى بَشَّرَه .

ومعنى : ﴿ بَيْـنَ يَدَيْ رَحْمَتِـهِ ﴾ بين يدي المطر ، الـذي هو من رحمته تعالى .

٦٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ حتَّى إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَـالاً سُقْنَـاهُ لِبَلَـدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ المَاءَ.. ﴾** [آية ٥٧] .

﴿ حَتَّـى إذَا أَقَلَّتْ سَحَابـاً ثِقَـالاً ﴾ أي حتـى إذا حملت الريـحُ سحاباً ثقالاً بالماءِ ﴿ سُقْناهُ ﴾ يعني السَّحَابَ ﴿ لبَلَـدٍ مَيِّتٍ فأَنْزَلْنَـا بِهِ المَاءَ ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : فأنزلنا بالبلد الماء .

ويجوز أن يكون المعنى : فأنزلنـا بالسحـاب الماء[1] ﴿ فأَخْرَجْنَـا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أي بالماء .

ويجوز أن يكون المعنى بالبلد .

٦٣ ــ **وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى ﴾** [آية ٥٧] .

قال مجاهد : يبعث الله مطراً فيمطر ، فينبت النَّـاسُ كما يَنْبتُ الزَّرعُ[2] .

---

(١) المعنى الأول هو الأظهـر أي أنزلنـا في ذلك البلـد الميت الماء ، فأخرجنـا بسببـه أنـواع الثمـرات ، والمراد بالبلد الميت : الأرض المجدبة التي لا نبـات فيها ، وهـي استعـارة حسـنة ، كأنـه من حيث عدم الانتفاع به ، كالجسد الميت الذي لا روح فيه ، وما أجمل المقارنة بين قوله سبحانه ﴿ سُقْنَاهُ لبلدٍ ميِّتٍ ﴾ وقوله ﴿ كذلك نُخرج الموتى ﴾ فقد بلغت الآية غاية الإيجاز والإعجاز .

(٢) الأثر رواه ابن جرير ٢١١/٨ وهـو قول ابـن عبـاس أيضاً قال : « يرسل الله بين النفختين مطـراً كمنيِّ الرجال ، فينبت الناس به في قبورهـم ، كما نبتـوا في بطـون أمهـاتهم » زاد المسير ٢١٩/٣ وانظر الدر المنثور ٩٣/٣ .

٦٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** [آية ٥٧] .

أي لتكونوا على رجاء منَ الاتّعَاظ ، بما تُذَكَّرُون وتُخْبَرُون به(١) .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، والَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ﴾** [آية ٥٨] .

النَّكِدُ في اللغة : النَّزْرُ القَليل(٢) . وهذا تمثيل(٣) .

قال مجاهد : يعني إنَّ في بني آدَم الطيِّبَ ، والخبيثَ .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلَأُ .. ﴾** [آية ٦٠] .

الرؤساءُ والأشرافُ ، أي المليئون بما يُفَوَّضُ إليهم(٤) .

---

(١) لعلَّ للترجي ، والترجي لا يليق من العليِّ الكبير ، ولذلك نبَّه المصنف أن الترجي من المخلوق ، لا من الخالق ، فقال : لتكونوا أنتم على رجاء من الاتعاظ به ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) في اللسان : النَّكِدُ : العطاء القليل ، ونَكِد عيشُهُم نَكَداً : اشتدَّ ، ونَكِد الرجل : قلَّل العطاءَ أو لم يُعطِ البتَّة . اهـ. لسان العرب ، وقال ابن عطية : النَّكِد : العسيرُ القليل ، ومنه قول الشاعر : وإن أعطيتَ أعطيتَ تافهاً نكِداً .

(٣) يعني ضربه تعالى مثلاً للمؤمن والكافر ، والمعنى : الأرض إذا كانت طيبة التربة ، يخرج النباتُ فيها وافياً زاهياً غزير النفع ، وهذا مثَلٌ للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ، وإذا كانت خبيثة التربة كالأرض السبخة لا يخرج النبات فيها إلا قليلاً وبعسر ومشقة ، وهذا مثَلٌ للكافر الذي لا ينتفع بآيات القرآن ، روى الطبري عن عباس ٢١٢/٨ قال : هذا مثَلٌ ضربه للمؤمن والكافر ، فالمؤمن طيِّب وعمله طيِّب ، كالبلد الطيب ثمرهُ طيِّب ، والكافر خبيثٌ وعمله خبيث ، كالأرض السبخة المالحة التي لا يُنتفع بها ولا خير فيها ولا بركة ، وكذا قال مجاهد .

(٤) في المصباح : الملأُ : أشراف القوم ، سمُّوا بذلك لملاءتهم بما يُلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي ، أولأنهم يملئون العيون أبَّهة ، والصدور هَيْبةً . اهـ.

٦٧ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِين ﴾** [آية ٦٤] .

قال قتادة : أي عن الحق[١] .

٦٨ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهُ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾** [آية ٦٦] .

السَّفَاهَةُ : رِقَّةُ الحُلُمِ ، والطَّيْشُ ، يُقالَ : ثوبٌ سفيهٌ : إذا كانَ خفيفاً .

٦٩ ـــ **ثم قال جل وعز جواباً لهم﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾** [آية ٦٧] .

وهذا أدبٌ في الاحتمال[٢] .

٧٠ ـــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً .. ﴾** [آية ٧٣] .

قيل : إنَّما قال جلَّ وعز ﴿ أَخَاهُمْ ﴾[٣] لأنـه بشراً مثلهـم ، من بني آدم يفهمون عنه ، فهو أوكدُ عليهم في الحجة .

---

(١) الطبري ٢١٥/٨ وابن كثير ٤٢٨/٣ ولفظه ﴿ عَمينَ ﴾ أي عن الحقّ ، لا يبصرونـه ولا يهتدونه .

(٢) قال الزمخشري ١١٦/٢ : « وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام ، ممن نسبهم إلى السَّفاهة والضلالة ، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم وترك المقابلة ، أدبٌ حسن ، وخُلُق عظيم ، وتعليم للعباد كيف يخاطبون السفهاء ، ويُسْبِلُون أذيالهم على ما يكون منهم » . اهـ. أقول : وهكذا ينبغي أن يكون أدب الدعاة مع خصومهم ، فلم يقل لهم : بل أنتم السفهاء ، وإنما نفى عن نفسه السفاهة .

(٣) في المخطوطة « أخوهم » وهو خلاف النص القرآني ﴿ وإلى ثمود أخاهم صَالِحاً ﴾ وقد أثبتنا الصواب .

وقيل : إنما قال ﴿ أَخَاهُمْ ﴾ لأنه من عشيرتهم[١] .

٧١ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ﴾ [آية ٧٣] .

يُروى أنها خرجت من صخرةٍ صمَّاءَ[٢] .

٧٢ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [آية ٧٤] .

أي أنزلكم ، وقال الشاعر :

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا

فتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا[٣]

وقيل : إنما كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً لطول أعمارهم ، لأنَّ السقف والحيطان ، كانت تنهدم قبل فناءِ أعمارهم[٤] .

---

(١) هذا هو الأظهر ، لأن صالحاً عليه السلام كان من القبيلة نفسها ، كما هو الحال في « هود » و « لوط » و « شعيب » حيث كان كل رسول من العشيرة والقبيلة ، وأما موسى عليه السلام فقد قال تعالى فيه ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ﴾ ولم يقل فيه « أخاهم » أو « إلى قومه » لأنه لم يكن من الأقباط أتباع فرعون .

(٢) وهو قول جمهور المفسرين ، وبه وردت الآثار عن السلف ، كما في الطبري وغيره ، ونصَّ الحافظ ابن كثير ٤٦٣/٣ على هذا فقال : « وكانوا سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صمَّاء ، عيَّنوها بأنفسهم .. » .

(٣) يريد أنها نزلت من الكرم في صميم النَّسب ، والبيت في اللسان « بَوَّأَ » وشواهد المغني ٨٢٦/٢ ومجاز القرآن ٢١٨/١ ونسبه إلى إبراهيم بن هَرْمة .

(٤) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٣٩/٧ .

٧٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ ﴾ [آية ٧٤] .

قال قتادة : الآلاءُ : النِّعَمُ .

وحكى أبو عُبيدة : واحدها « أَلًى » وَ « إِلًى »(١) .

وزاد غيره : إِلْيٌ .

٧٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [آية ٧٧] .

أي تجاوزا في الكفر .

٧٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ [آية ٧٨] .

الرَّجفة في اللغة : الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدةُ(٢) .

٧٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [آية ٧٨] .

أي ساقطين على ركبهم ووجوههم .

وأصلُ الجُثومِ للأرانب وما أشبهها ، والمَوْضِعُ مَجْثَمٌ ، قال الشاعر :

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٧/١ وعبارته : ﴿ آلَاءَ اللهِ ﴾ أي نِعَمَ الله ، وواحدها في قول بعضهم « إِلًى » على وزن قَفاً ، وفي قول بعضهم « إِلْي » على وزن مِعًى .

(٢) كذا في الصحاح : الرجفةُ : الزلزلةُ ، ورجَفَتِ الأرض رَجْفاً ، والرَّجَفَان : الاضطراب الشديد . اهـ .

بِهَـا العِيـنُ وَالآرَامُ يَمْشِيـنَ خِلْفَـةً
وَأَطْلاؤُهَـا يَنْـهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَـمِ(١)

وروى معمر عن عبـد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الـزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال : لمَّا مَرَّ النبـي ﷺ بالحِجْـر ، قال : « لا تسألـوا الآيات ، فقـد سألها قومُ صالح ، فكـانت تَرِدُ من هذا الفـجِّ ، فَعَتَوا عن أمر ربهم فعقروها ، فأخـذتهم الصيحـةُ ، فأهمدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ السَّمَـاءِ منهم ، إلَّا رجـلاً واحـداً كان في حَرَم الله ، فلمَّـا خرج من الحرم ، أصابه ما أصاب قومه »(٢) .

٧٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلُوطاً إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أتَأْتُـونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُـمْ بِهَا مِنْ أحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾** [آية ٨٠] .

دلَّ بهذا على أنه لم يتقدمهم أحـدٌ في اللِّـواط ، ومعنـى ﴿ إنَّهُـمْ

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلْمى وهو في ديوانه ص ٥ وأنشده الأصمعي لزهير ، وهـو في لسان العـرب ١٢/١٥ وجامع الأحكـام للقرطبـي ٢٤٢/٧ والعِيـنُ : البقـر جمع عينـاء ، سميت بذلك لسعـة عينها والآرامُ : الظِّبـاء البـيضُ ، وخِلْفَـةً جماعـة بعـد جماعـة ، إذا ذهب فوجٌ خَلَفَـه آخـر ، والمَجْثَم : مكان الجلوس ، والأَطْلَاء جمع طَلاً وهو ولد البقر وولد الظبية الصغير ، يريد أن البقر يُتْمِنَ أولادهنَّ ثم يرعين ، فإذا شعرن بحاجتهن للرضاع ، صوَّتن لهنَّ فنهضن من المكان .

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٣٠/٨ ورواه السيوطي في الدر المنثـور ٩٩/٣ وعـزاه إلى البزار ، والطبراني ، والحاكم ، وابن مردويه ، ورواه أحمد في المسند ٢٩٦/٣ وقـد صححـه الحاكم كما ذكره السيوطي ، وله ما يؤيده في الصحيحين ، ولفظـه كما في البخـاري « لمَّـا مرَّ النبـي ﷺ بالحِجْر ، قال : لا تدخلوا مسـاكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكـم ما أصابهم .. » الحديث .

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي يتطهرون عن الفاحشة[1] .

٧٨ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ** ﴾ [آية ٨٣] .

قال قتادة : الباقين[2] .

والغابرُ عند أهل اللغة ، من الأضداد ، يُقالُ لما بقيَ : غَابِرٌ ، ولِمَا ذَهَبَ وَغَابَ : غَابِرٌ[3] .

وقد قيل في الآية : إنَّ معناها ﴿ مِنَ الغَابِرِينَ ﴾ عن النَّجاة .

وقيل : من الباقين مع قوم لوط ، في الموضع الذي عُذِّبوا فيه[4] .

وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى : من المُعَمَّرِينَ ، أي أنها قد هرمت[5] .

وقال حذيفة : رفع جبريلُ ﷺ مدينتهم ثم قَلَبَهَا ، فسمعتِ

---

(١) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، قال ابن عباس : يتطهرون من إتيان الرجال في الأدبار . الطبري ٢٣٥/٨ .

(٢) المراد الباقين في عذاب الله ، والأثر عن قتادة رواه الطبري ٢٣٦/٨ وابن كثير ٤٤٢/٣ .

(٣) ذكره الطبري ٢٣٦/٨ فقال : كانت ممن غبر الدهر الطويل ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/١ وعبارته ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي كانت قد غَبَرت من كبرها في الغابرين ، في الباقين حتى هَرِموا وهَرِمتْ ، وهي قد أُهلكت مع قومها ، وذكر نحوه الطبري ٢٣٦/٨ .

امرأتُه الوجبةَ[1] ، فالتفتت فأُهْلِكَتْ معهم .

والأكثرُ في اللغة أن يكونَ الغابرُ : الباقي ، قال الراجز :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ

لَهُ الإِلَـهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرْ[2]

أي وما بقي .

٧٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [آية ٨٥] .

البَخْسُ : النُّقْصَانُ[3] .

٨٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [آية ٨٥] .

أي بعد أن أصلحها الله ، بالأمر بالعدل ، وإرسال الرسلِ[4] .

٨١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعِدون ﴾[آية ٨٦] .

---

(١) المراد بالوجبة صوت العذاب الذي حصل بالانقلاب ، والأثر ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٢٨/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٤٧/٧ .

(٢) البيت من رجز العجاج ، في ديوانه ص ١٥ وهو في مجاز أبي عُبيدة ٢١٩/١ وفي معاني الزجاج ٣٩٠/٢ وفي الطبري ١٩٨/١١ وفي القرطبي ٢٤٦/٧ .

(٣) انظر المصباح المنير مادة بَخَسَ ، فقد جاء فيه : بَخَسَه بَخْساً من باب نَفَعَ : نَقَصَهُ أو عَابَه ، وبخستُ الكيلَ : نقصتُه .

(٤) ذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٣ والزجاج في معاني القرآن.٣٩٢/٢ وذكر نحوه الطبرى فى جامع البيان ٢٣٨/٨ .

قال قتادة : أي تُوعدون من أتى شعيباً وَغِشِيَهُ ، وأرادَ الإسلامَ بالأذى(١) .

ويقال : وعدتُه خيراً أو شراً ، فإذا قلت : وعدتُه لم يكن إلا للخير ، وإذا قلت أوعدتُه لم يكن إلَّا للشرِّ(٢) .

٨٢ ـ [**ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾**](٣) [آية ٨٦] .

قال قتادة : أي وتبغون السبيل عوجاً عن الحق(٤) .

والسبيلُ : الطريقُ والمذهبُ .

٨٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾** [آية ٨٦] .

١ ـ يجوز أن يكونوا قليلي العدد .

٢ ـ ويجوز أن يكونوا فقراء ، فكثَّرهم بالغنى .

٣ ـ ويجوز أن يكونوا غير ذوي مقدرة(٥) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٣٨/٨ وفي الدر المنثور ١٠٢/٣ وفي القرطبي ٢٤٨/٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومجاهد ، والسُّدِّي قالوا : كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شُعيب ، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدُّونه ويقولون : إنه كذاب فلا تذهب إليه ، كما كانت قريشٌ تفعله مع النبي ﷺ ، وهذا ظاهر الآية .

(٢) هذا القول ذكره الزجاج في معانيه ٣٩٢/٢ وابن الجوزي في زاده ٢٢٩/٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٤) الطبري عن قتادة ٢٣٩/٨ وقال ابن جرير : تلتمسون لمن سلك سبيل الله وعمل بطاعته ، عوجاً عن الحق إلى الزيغ والضلال .

(٥) هذه الأقوال وضَّحها الزجاج في معانيه ٣٩٢/٢ وابن الجوزي في زاده ٢٣٠/٣ وقال في البحر =

والله أعلم بما أراد ، إلَّا أنه ذكَّرهم نعمةً من نعم الله جلَّ وعز كما قال تعالى ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ ﴾ .

٨٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ، أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾** [آية ٨٨] .

يُقال : كيف قالوا هذا لشعيبٍ ﷺ وهو نبيٌّ ؟ فعلى هذا جوابان :

أحدهما : أن يكون معنى ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ لتصيرُنَّ[١] ، كما تقول : عاد عليَّ من فلان مكروهٌ .

والجواب الآخر : أنهم لمَّا خلطوا معه من آمن منهم ، جاز أن يقولوا : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ يعنون من آمن[٢] .

﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ؟ أي أنعود في ملتكم ولو كنا

= ٣٤٠/٤ : والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص ، أو إلى الفقر والغنى ، أو إلى قصر الأعمار وطولها ، أقوال ثلاثة أظهرها الأول .

(١) في المخطوطة « لتصبرنَّ » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه « لتصيرُنَّ » كما دلَّ عليه التمثيل بقوله : عادَ عليَّ من فلان مكروه أي صار لي منه مكروه ، ولحقني منه مكروه .

(٢) ذكر الزجاج في معانيه الجوابين ٣٩٣/٢ وفي البحر ٣٤٢/٤ قال أبو حيان : « وعادَ » لها استعمالان : أحدهما أن تكون بمعنى صار . والثاني : بمعنى رجع إلى ما كان عليه .. فعلى الأول لا إشكال في قوله « أَوْ لَتَعُودُنَّ » إذ لا يدلُّ على أن شعيباً كان في ملتهم ، وعلى المعنى الثاني يُشكِلُ ، لأن شعيباً لم يكن في ملَّتهم قطُّ ، لكنَّ أتباعه كانوا فيها ، فيكون من باب تغليب حكم الجماعة على الواحد . اهـ. باختصار .

كارهين ؟ وقولُه : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ على التسليم للهِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[١] .

والدليل على هذا أنَّ بعده ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ .

قال قتادة : أي اقْضِ بيننا وبين قومنا بالحقِّ[٢] .

وَرَوى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله تعالى : ﴿ افْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾[٣] قال : معناه : النَّصْرُ .

٨٥ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٩٢] .

قال قتادة : أي كأنْ لم يعيشوا ، ولم يتنعَّموا[٤] .

قال الأصمعي : يقال غَنِينا بمكان كذا أي أقمنا فيه ، والمنازل يقال لها : المغاني[٥] .

---

(١) سورة هود آية رقم (٨٨) وتمامُها ﴿ وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ ، وإليه أنيبُ ﴾ .

(٢) الطبري عن قتادة ٩/٣ .

(٣) سورة الشعراء آية رقم (١١٨) وفي المخطوطة ﴿ افتح بيننا وبينهم فتحاً ﴾ وقال ابن عباس : ما كنتُ أدري معنى ﴿ افتح بيننا ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك أي أقاضيك . اهـ. الطبري .

(٤) جامع البيان ٩/٥ عن قتادة وابن عباس ، قال الزجاج في معانيه ٢/٣٩٦ : ﴿ كأنْ لم يَغْنَوا فيها ﴾ كأن لم ينزلوا ، وكأن لم يعيشوا فيها مستغنين .

(٥) كذا ذكره الزجاج ٢/٣٩٦ وفي البحر المحيط ٤/٣٤٦ : معنى الآية : كأن لم يقيموا في دارهم ، ناعمي البال ، رخيي العيش ، وقال ابن عطية : غَنِيتُ بالمكان : إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم ، وعيش رخي ، هذا ما استقريته من أشعار العرب .

ومعنى ﴿ فَكَيْفَ آسَى ﴾ ؟ فكيف أحزن ؟ والأسى : أشدُّ الحزنِ .

٨٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾** [آية ٩٤] .

قال مُرَّةُ عن ابن مسعود : البَاساءُ : الفقر ، والضَّرَّاءُ : المرضُ[١] .

وقيل : البأساءُ : المصائبُ في المال ، يقال : بَئِسَ الرَّجُلُ يَبْأَسُ بَأْساً وبَأْسَاء : إذا افتقر .

والضَّرَّاءُ : ما لحق من الأمراض ، والمصائبِ في البدن[٢] .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ أي يخضعون ويستكينون[٣] .

٨٧ ـــ **وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ ﴾** [آية ٩٥] .

قال مجاهد : السَّيِّئةُ : الشَّرُّ ، والحسنةُ : الرَّخاءُ ، والولدُ[٦] .

٨٨ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾** [آية ٩٥] .

قال مجاهد : أي كثرت أموالهم وأولادهم[٥] .

---

(١) القرطبي ٢٤٣/٢ وقال الطبري ٦/٨ : البأساءُ : البؤس وشَظَفُ المعيشة وضيقها ، والضرَّاء : وهي الضُّرُّ وسوء الحال ، وقال السدي : ﴿ بالبأساء والضراء ﴾ بالفقر والجوع . اهـ. الطبري .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٩٧/٢ .

(٣) قال أبو حيان في البحر ١٣٠/٤ : ﴿ لعلَّهم يضَّرَّعون ﴾ الترجي هنا بالنسبة إلى البشر ، أي لو رأى أحدٌ ما أحلَّ بهم ، لرجا تضرعهم وابتهالهم إلى الله في كشفه .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٧/٨ ولفظه : السيئةُ الشرُّ ، والحسنةُ : الرخاء ، والمال ، والولد .

(٥) البحر المحيط ٣٤٧/٤ ومعاني الزجاج ٣٩٨/٢ قال ﴿ عَفَوْا ﴾ : أي كثروا وكثرت أموالهم .

وذلك معروف في اللغة ، ومنه الحديث عن النبي ﷺ أنه قال « أعْفُوا اللُّحى »[1] أي كثِّروها .

٨٩ ــ **ثم خبَّر جل وعز عنهم** أنهم لم يعتبروا بما أصابهم ، وقالوا : إنَّ العادة في الزَّمان الخير والشرُّ ، فقال تعالى **﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾** [آية ٩٥] .

أي فجأةً .

٩٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا .. ﴾** [آية ٩٦] .

يُقال للمدينة قرية ، لاجتماع النَّاس فيها ، من قريتُ الماءَ إذا جمعته[2] .

والبركاتُ التي تأتي من السَّماء : المطرُ ، والتي تأتي من الأرض : النَّبات[3] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في اللباس ٧/٢٠٦ ومسلم في الطهارة برقم ٢٥٩ ومالك في الموطأ ٢/٩٤٧ ولفظ البخاري « خالفوا المشركين ، وفِّروا اللِّحى ، وَأَحْفُوا الشوارب » وكان ابن عمر إذا حجَّ أو اعتمر ، قبض على لحيته ، فما فضل أخذه . اهـ. صحيح البخاري رقم (٥٨٩٢) ولفظ رواية الموطأ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بإحفاء الشوارب ، وإعفاء اللحى ، وفي عمل ابن عمر دليل على جواز الأخذ من اللحية إذا زادت على القبضة ، خلافاً لمن منع ذلك ، فإن الإسلام دين الجمال ، والله تعالى يقول ﴿ يا بني آدمَ خُذُوا زينتكُمْ عند كلِّ مسجدٍ .. ﴾ وقد ورد في الترمذي أن النبي ﷺ « كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها » اهـ. سنن الترمذي ٥/٨٧ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٣٩٧ وفي المصباح ٢/١٥٩ : القريةُ : الضَّيْعةُ ، وكلُّ مكانٍ اتصلتْ به الأبنية واتُّخذ قراراً ، وتقعُ على المدن وغيرها ، والجمعُ قُرىً على غير قياس ، والنسبةُ إلى قُرَوِيٍّ . اهـ .

(٣) في زاد المسير ٣/٢٣٤ : والمعنى أتاهم الغيث من السماء ، والنبات من الأرض ، زاكياً كثيراً ، وفي البحر : أتيناهم بالخير من كل وجه .

٩١ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [آية ٩٧] .

أي أفأمن مَنْ كذَّبَ محمداً ﷺ ، أن يأتيهم بأسنا ﴿ بَيَاتاً ﴾ أي ليلاً(١) ؟

٩٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [آية ٩٨] .

ومعنى ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي وهم فيما لا يُجدي عليهم .

يُقَال لكلِّ منْ كانَ فيما يضرُّه ، ولا يُجدي عليه : لَاعِب(٢) .

٩٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ ﴾ [آية ٩٩] .

أي عَذَابه إذا وقع بهم ، ولم يعلموا أنه واقع بهم(٣) .

٩٤ ــ وقولهُ جلَّ وعز ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ ﴾ [آية ١٠٠].

قال مجاهد : أي أَوَلَمْ يُبَيِّن ، ومعنى ﴿ يَهْدِ ﴾ بالياء : يَتَّضِح وَيَبِين(٤) .

---

(١) أشار المصنف إلى أن المراد بأهل القرى من كذَّب محمداً ﷺ لا جميع أهل البلد بدليل قوله سبحانه قبله ﴿ ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٣٩٧/٢ والقرطبي ٢٥٤/٧ .

(٣) هذا قول عطية العوفي كما في البحر ٣٤٩/٤ وقال أبو حيان : وهو استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨/٦ : ومكرُ الله المراد به فعل ما يعاقب به مردَة الكفار ، وأضيف إلى الله لأنه عقوبة الذنب ، والعرب تسمي العقوبة باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة كقوله ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ . اهـ.

(٤) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ١٠/٩ وهو قول ابن عباس ، وابن زيد ، قال ابن عطية ١٩/٦ : =

٩٥ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾** [آية ١٠١]

قال مجاهد : هذا مثلُ قوله تعالى ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾(١) .

وقال غيره : هذا مخصوصٌ به أقوامٌ بأعيانهم ، خبَّر الله جلَّ وعلا أنهم لا يؤمنون .

وأما قولُ من قَالَ : معنى ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ لِيُحْكَمَ لهم بالإيمان ، فلا يصحُّ في اللغة ، ويدلُّ على بطلانه أنَّ بعده ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ ﴾ فدَلَّ بهذا على أنه قد طُبِع على قلوبهم . هذا قولُ أبي إسحاق(٢) ، جزاءً بما عملوا .

٩٦ ـــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾** [آية ١٠٢]

« مِنْ » زائدةٌ(٣) ، وهي تدل على معنى الجنس ، ولولا « مِنْ »

= ومعنى « يهدي » يتبيَّن ، وهذه آية وعيد أي ألم يظهر لوارثي الأرض بعد أولئك الظالمين ، أنا نقدر لو شئنا أن نصيبهم إصابة إهلاك بسبب معاصيهم ، كما فعلنا بمن تقدَّم !! وانظر الدر المنثور ١٠٤/٣ .

(١) سورة الأنعام آية رقم (٢٨) والأثر عن مجاهد رواه الطبري ١١/٩ وابن عطية في المحرر ٢٢/٦ ومعنى الآية على قول مجاهد : فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ، ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل هلاكهم .

(٢) المراد به الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ، وانظر كلامه في معانيه ٤٠٠/٢ .

(٣) يُشترط لـ « مِنْ » الزائدة ، أن يسبقها نفيٌ ويكون ما بعدها نكرة ، وقد توفَّر هنا الشرطان ، قال في الألفية :

وَزِيدَ فِي نَفْيٍ وَشِبْهِهِ فَجَرّ نَكِرَةً كَمَا لِبَاغٍ مِنْ مَفَرّ

لجاز أن يُتوهم أنه واحدٌ في المعنى .

قال أبو عبيدة : المعنى : وما وجدنا لأكثرهم حفظاً ولا وفاءً[1] .

٩٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[آية ١٠٣]

أصلُ الظلمِ : وضع الشيء في غير موضعه ، فلما كفَرُوا بها جَعَلُوا موضع ما يجب من الإيمان الكفر ، فقيل : ﴿ ظَلَمُوا بِهَا ﴾ بمعنى : كَفَرُوا بها[2] .

٩٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾

[آية ١٠٥]

قال أبو عبيدة : أي حريص[3] .

قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله : وهي قراءة عبد الله[4] ﴿ حَقِيقٌ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ وهذا يدلُّ على التخفيف ، لأنَّ حروف الجر

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٢٣/١ ولفظهُ : والمعنى : وما وجدنا لأكثرهم عهداً أي وفاءً ولا حفيظةً ، و « مِنْ » من حروف الزوائد . اهـ.

(٢) هذا الإطلاق على سبيل التضمين ، ويؤيِّده قوله تعالى ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ؟

(٣) وجَّهه أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٢٢٤/٢ فقال : ﴿ حَقِيقٌ عليَّ أن لا أقول ﴾ ــ وهي قراءة نافع ــ أي حقٌّ عليَّ أن لا أقول إلا الحق ، ومن قرأها ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أن لا أقول ﴾ من غير إضافة إليه ، فإنه يجعل مجازه ــ أي معناه ــ حريص على أن لا أقول ، أو فحقٌّ ألَّا أقول .

(٤) يريد أنها قراءة عبد الله بن مسعود ، بحذف « على » وهي ليست من القراءات السبع .

تُحذف مع « أنْ » .

وقال الكسائي : هي في قراءة عبد الله : ﴿ حقيقٌ بأنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ .

قال الفراء : معنى ﴿ عَلَى أنْ لَا ﴾ و ﴿ بأنْ لَا ﴾ واحدٌ ، كما يقال : جاء فلانٌ على حالٍ حَسَنَة ، وبحالٍ حسنة[1] .

ومن قرأ ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ فإن معناه عنده واجبٌ عليَّ .

٩٩ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** ﴾ [آية ١٠٧]

الثعبانُ : الحيَّة الذَّكَرُ[2] ، ومعنى ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أظهرها .

قال مجاهد : أخرجها من جيبه بيضاء من غير بَرَصٍ[3] .

ويُروى أنَّ موسى ﷺ كان آدمَ اللَّون ، فلما أخرج يده بيضاء ، كان ذلك آية[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٦/١ .

(٢) هذه رواية الضحاك عن ابن عباس كما في زاد المسير ٢٢٧/٣ وقال أبو عبيدة ﴿ ثعبانٌ مبين ﴾ أي حية ظاهرة ، وقال الفراء : الثعبان أعظم الحيَّات ، وهو الذَّكر ، وهو أهولُ وأجرأ .

(٣) الطبري عن مجاهد ١٥/٩ وزاد المسير ٢٣٨/٣ والبحر المحيط ٣٥٧/٤ ولفظه : قال مجاهد : « بيضاء كاللَّبن أو أشدَّ بياضاً » وروي أنها كانت تظهر منيرةً شفَّافة كالشمس ، ثم يردُّها فترجع إلى لون موسى ، وكان عليه السلام آدم ، شديد الأُدْمة ، أي أسمر شديد السُّمرة . اهـ. البحر ٣٥٨/٤ .

(٤) وجه كونها آية ، أنه لما أدخلها في فتحة جيبه ، ثم أخرجها من جيبه ، إذا بها بيضاء بياضاً نورانياً عجيباً ، يغلب نُورها نورَ الشمس ، قال ابن عباس : صارت يده نوراً ساطعاً ، يضيء له =

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ ﴾** [آية ١٠٩]

الملأ عند أكثر أهل اللغة : الأشرافُ ، وفي الحديث عن النبي ﷺ « إنَّ اللّهَ عَزَّ وجلَّ قال : يا محمدُ : أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ »[١] .

وقال بعض أهل اللغة : الملأُ : الرَّهْطُ ، والنَّفَرُ : الرِّجالُ الذينَ لا نساء معهم[٢] .

١٠١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ .. ﴾** [آية ١١١]

قال قتادة : أي احْبِسهُ[٤] .

والمعروف عند أهل اللغة ، أن يقال : أرجَأْتُ الأمْرَ : إذا أخَّرْتَهُ[٥] .

= ما بين السماء والأرض ، لها لمعانٌ مثل لمعان البرق ، فخرُّوا على وجوههم . وكونها معجزة لأنها كانت سمراء ، فإذا أدخلها في جيبه ثم أخرجها ، صار بياضها عجيباً متألقاً ، خارجاً عن العادة ، يجتمع الناس إليها كما يجتمع النُّظَّار للعجائب .

(١) هذا طرفٌ من حديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/١ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : (أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة ــ أحسبه يعني في النوم ــ فقال : يا محَّمدُ ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، يختصمون في الكفارات والدرجات ..) إلخ الحديث ، ورواه الدارمي في كتاب الرؤيا ١٢٦/٢ .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٣٨٣/١ .

(٣) الطبري عن قتادة ١٧/٩ قال : احبسْه وأخاه وقال أبو عبيدة ٢٢٥/١ : مجازُه : أخِّرْهُ .

(٤) في المصباح المنير ٢٣٧/١ : أرجأته بالهمز : أخَّرته ، وانظر الصحاح ولسان العرب مادة رجا .

ومن قرأ : ﴿ أرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾[1] ففي قراءته قولان :

أصحُّهما أنها لغة ، وإن كانت ليست مشهورة .

والقولُ الآخر : حُكي عن أبي العباس[2] ، قال : هو من رَجَا ، يَرْجُو ، أي اتركْهُ يرجو .

١٠٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾** [آية ١١٦]

أي استدعوا منهم الرهبة .

١٠٣ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ فإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون ﴾** [آية ١١٧]

ومعنى ﴿ تَلْقَفُ ﴾ تلتَهِمُ .

قال أبو حاتم[3] : وبلغني في بعض القراءات : ﴿ تَلَقَّمُ ﴾ بالميمِ والتشديد .

وقال خارجة : قرأ الحسن ﴿ تَلْقَمُ ﴾ بفتح القاف[4] .

---

(١) هذه قراءة نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٧ وقرأ حمزة وعاصم ﴿ أرْجِهْ وأخَاهُ ﴾ وقرأ ابن عامر ﴿ أرْجِئْهُ ﴾ وجميع هذه القراءات سبعية .

(٢) هو الإمام المبرد ، النحوي الشهير ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) « أبو حاتم » هو المقرئ النحوي الشهير « سَهْل بن محمد السِّجِسْتَاني » شيخ المبرد ، وابن دريد ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ وانظر ترجمته في معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ .

(٤) هذه ليست من القراءات السبع ، وقد وردت في المخطوطة « تَنْقَم » وهو تصحيف وصوابها « تَلْقَم » وهي كما في تفسير ابن عطية ٣٨/٦ ﴿ تَلْقَمُ ﴾ قراءة سعيد بن جبير ، ومعناها : تبتلع كاللقمة ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ٢٩٠ : كلُّهم قرأ ﴿ تَلَقَّف ﴾ بتشديد القاف ، إلَّا عاصماً في رواية حفص ، فإنه قرأ ﴿ تَلْقَف ﴾ بالتخفيف .

قال مجاهد : معنى ﴿ مَا يَأْفِكُون ﴾ : ما يكذبون[1] ، أي به ، وكَذِبُهُمْ أنهم يجعلون الحِبال حَيَّاتٍ .

ويجوز أن يكون ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ؟ جواباً من فرعون للملأ ، حين قالوا : ﴿ إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ ﴾ فقال فرعونُ ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[2] ؟

ويجوز أن يكون الملأ قالوا هذا لفرعون ومن يخصُّه[3][4]

قال مجاهد : معنى ﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ ﴾ فظهر[5] .

ومعنى ﴿ أفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ أنْزِلْ علينا صبراً يشملنا[6] .

١٠٤ ـــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ .. ﴾ [آية ١٢٧]

وقرأ ابن عباس : ﴿ إلَاهَتَكَ ﴾[7] وقال : معناه : وعبادَتَكَ ،

---

(١) قال أهل اللغة : الإفكُ : الكذبُ ، والأفَّاك مبالغة : الكذَّاب ، ومنه قوله تعالى ﴿ ويلٌ لكل أفّاك أثيم ﴾ أي كذاب ، قال الزجاج ٢/٤٠٥ : ومعنى « يأفكون » : أي يأتون بالإفك وهو الكذب ، وذلك أنهم زعموا أن حبالهم وعصيهم حيَّات فكذبوا في ذلك .

(٢) و (٣) و (٤) هذه الأقوال كلها ذكرها المفسرون ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٩/٢٥٧ : ﴿ فماذا تأمرون ﴾ أي قال فرعون : فماذا تأمرون ؟ وقيل : هو من قول الملأ ، قالوا لفرعون وحده : فماذا تأمرون ؟ كما يُخَاطب الجبَّارون والرؤساء : ماذا تأمرون في كذا ؟ ويجوز أن يكون قالوا له ولأصحابه . اهـ. وانظر أيضاً المحرر الوجيز لابن عطية ٦/٣٠ .

(٥) الطبري عن مجاهد ٩/٢٢ قال : ظهر الحقُّ ، وبطل الإفك الذي كانوا يعملون .

(٦) قال ابن عطية : أي عُمَّنا كما يعمُّ الماء من أفرغ عليه ، قال : وهي هنا استعارة . اهـ. المحرر ٦/٤١ .

(٧) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/٢٥٦ وانظر جامع البيان للطبري ٩/٢٥ .

لأنَّ فرعون كان يُعبَدُ ، ولا يَعْبُد .

وقال من احتجَّ لهذه القراءة : الدليلُ على أنه كان يُعبَد ، ولا يَعْبُد أنه قال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[1] .

ومن قرأ ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾[2] فإنه يذهب إلى جهتين :

إحداهما : أنه يعني بالآلهة ههنا من كان يُطيعه فرعون ، كما قيل في قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[3] أنهم ما عبدوهم ، ولكنْ أطاعوهم ، فصار تمثيلاً[4] .

والجهة الأخرى : أن سليمان التيمي قال : بلغني أن فرعون كان يعبد البقر .

قال التيمي : فقلتُ للحسن : هل كان فرعون يعبد شيئاً ؟ فقال : نعم ، إن كان ليعبد شيئاً قد جعله الله في عنقه[5] .

---

(١) سورة القصص آية رقم (٣٨) وأولها ﴿ وقالَ فرعونُ يا أيُّها المَلأُ ما عَلِمتُ لكم من إلَهٍ غَيْرِي ﴾ .

(٢) هذه قراءة السبعة ، قال الطبري ٢٥/٩ : والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها ، هي ﴿ وآلهتك ﴾ التي عليها قُرَّاء الأمصار .. إلخ .

(٣) سورة التوبة آية رقم (٣١) .

(٤) يريد المصنف أن الآية ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ يراد بها الطاعة ، فقد كان لفرعون أعوان وأنصار يستشيرهم ؛ فجُعل هؤلاء المستشارون كأنهم آلهة يُعبدون من دون الله ، كما في آية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً ﴾ فهم ما عبدوهم ، ولكن لمَّا أطاعوهم فيما شرعوا لهم صاروا بمنزلة الأرباب .

(٥) انظر جامع البيان ٢٥/٩ وزاد المسير ٢٤٤/٣ والدر المنثور ١٠٧/٣ .

وقال إسماعيل : قولُ فرعـون ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَـى ﴾ يدلُّ على أنهم كانوا يعبدون شيئاً غيره[(1)] .

وقد يكون معنى ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾ أنها آلهة يأمرهم بعبادتها .

١٠٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا** ﴾ [آية ١٢٩]

قال مجاهد :أي من قبل أن تُرْسَل إلينا[(2)] .

وقال غيره : الأذى الذي لحقهم من قبل أن يرسل إليهم ، قتلُ أبنائهم ، والأذى الذي لحقهم بعْدُ أنَّ فرعون قال : ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[(3)] .

١٠٦ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ** ﴾ [آية ١٣٠]

قال مجاهد : أي بالجوائح[(4)] .

---

(١) هكذا قال المفسرون : إن فرعون كان يأمر قومه بعبادة أبقار وأصنام وغير ذلك من الآلهة ، ويزعم أنه هو الإله الأكبر ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ قال في البحر ٣٦٧/٤ : والظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها وقال الزجاج ٤٠٦/٢ : إن فرعون كانت له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه .

(٢) الطبري عن مجاهد ٢٨/٩ .

(٣) هذا ما ذهب إليه ابن جرير حيث قال ٢٧/٩ : قال قوم موسى أوذينا بقتل أبنائنا ، من قبل أن تأتينا برسالة الله ، ومن بعد ما جئتنا بها ، لأن فرعون لمَّا غُلب ، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم .

(٤) الطبري عن مجاهد ٢٨/٩ والجوائح جمع جائحة وهي المصيبة والنازلة من قحط وجدب ، ونكبة وبلية ، وإنما أخذهم تعالى بالشدائد والمكاره ، لأن أحوال الشدَّة ترقِّق القلوب ، وترغِّب في الرجوع إلى الله تعالى .

وهذا معروفٌ في اللغة أن يقال : أصابتهم سَنَةٌ أي جدبٌ . وتقديره سَنَةُ جَدْبٍ ، ثم حُذِف(١) .

١٠٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [آية ١٣٠]

قال مجاهد : أي دون ذلك(٢) .

١٠٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [آية ١٣٠]

أي يعتبرون بما أصابهم .

١٠٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : الحسنةُ ههنا : العافيةُ والرخاء . ﴿ لَنَا هَذِهِ ﴾ أي بحقٍّ أصابتنا(٣) .

وقال غير مجاهد : أي كذا العادةُ أن يُصيبنا الخيرُ .

---

(١) أي هو على حذف المضاف إليه ، وأصله سَنَة جدبٍ ، فاكتفي بلفظ السنة التي هي كناية عن الشدة والقحط عن ذكر المضاف إليه ، وفي الحديث الصحيح من دعائه ﷺ على قريش « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنيِّ يوسف » فقُحطوا حتى أكلوا الجلود والوبر ، قال القرطبي ٦٤/٧ : والسَّنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول ، ومنه : أسْنَتَ القومُ أي أجدبوا ، وقال الشاعر : « وَرِجَالُ مكّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ » .

(٢) الطبري عن مجاهد ٢٨/٩ والدر المنثور ١٠٨/٣ ومراده أصابهم القحط وقلة الخيرات والثمرات حيث لا تحمل النخلة إلا ثمرة واحدة .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٩/٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٤٧/٣ قال : وكانت العرب تزجر الطير ، فتتشاءم بالبارح الذي يأتي من جهة الشمال ، وتتبرك بالسانح الذي يأتي من جهة اليمين .

١١٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : السيئة ههنا : البلاءُ ، ومعنى ﴿ يَطَّيَّروا ﴾ يتشاءموا[١] .

١١١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ [آية ١٣١]

قال مجاهد : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي إنما الشُّؤْمُ فيما يلحقهم يوم القيامة ، ممَّا وُعِدُوا به من الشرِّ[٢] .

١١٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ١٣١]

أي هم غافلون عن هذا[٣] .

١١٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ [آية ١٣٣]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٩/٩ وابن الجوزي ٢٤٧/٣ في تفسيره زاد المسير .

(٢) لم أر هذا القول عن مجاهد ، وإنما هو قول الزجاج في معانيه ٤٠٧/٢ ولم يسنده إلى مجاهد ، قال : وتفسير « يطَّيَّروا » يتشاءموا فقال الله عز وجل ﴿ أَلَا إِنَّما طَائِرهم عندَ الله ﴾ المعنى : ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم ، هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا . اهـ. وقال ابن عباس : « مصائبهم عند الله ، والأمر من قِبَل الله ، وليس بشؤم موسى كما زعموا » وانظر الطبري ٣٠/٩ .

(٣) عبارة الطبري ٣٠/٩ ﴿ ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيَّرون بموسى ومن معه .

قال عطاء : الطوفانُ : الموتُ[1] .

وقال مجاهد : هو الموت على كل حال[2] .

وقال قتادة : سَالَ عليهم الماءُ ، حتى قاموا قياماً ، فسألوا موسى أن يدعو الله أن يكشفه ، ففعل[3] .

وقال الضحاك : جاءهم من المطر شيءٌ كثيرٌ ، فَسَأَلُوا موسى أن يدعوَ الله أن يكشفه عنهم ، ويُرسِلوا معه بني إسرائيل ، فدعا الله فكشفه عنهم ، وأمْرَعت البلادُ ، وأخصَبَتْ ، فعادوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فصبَّ الله على زرعهم الجرادَ فأكلَه ، فسألوا موسى فدعا الله ، فكشف ذلك عنهم ، ثم عادوا[4] .

قال أبو جعفر : الطُّوفانُ في اللُّغة : ما كان مهلكاً ، من موتٍ أو سَيْلٍ ، أي ما يُطيفُ بهم فيهلكهم[5] .

قال مجاهد : أرسلَ اللهُ عليهم الجرادَ ، فأكل مساميرَ

(١) و(٢) و (٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف كلها واردة ، ذكرها المفسرون ، الطبري ٩/٣١ و ٣٥ وابن الجوزي ٣/٢٤٩ والبحر المحيط ٤/٣٧٢ وابن كثير ٣/٤٥٨ قال أبو حيان في البحر المحيط : رُوي عن ابن عباس أن الطوفان هو الماء المغرق ، وقال قتادة والضحاك : هو المطرُ ، أُرسِل عليهم دائماً ، الليل والنهار ، مع ظلمة شديدة ، لا يرون شمساً ولا قمراً ، ولا يقدر أحد أن يخرج من داره ، وأُمطروا حتى كادوا يهلكون ، وبيوت القبط وبني إسرائيل متشابكة ، فامتلأت بيوت القبط ، حتى قاموا فيه إلى تراقيهم ، فمن جلس غرق ، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة ، وفاض الماء على أراضيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ، ودام عليهم سبعة أيام .

(٥) في الصحاح ٤/٣٩٧ : الطُّوفان : المطر الغالب ، والماء الغالب ، يغشى كل شيء قال تعالى ﴿ فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ وانظر أيضاً المصباح المنير ٢/٢٨ .

أرْتجَتِهم ، وثيابَهم ، وأرسل عليهم القُمَّل ــ وهو الدَّبيّ[1] ــ فكان يدخل في ثيابهم ، وفُرُشِهم .

وقال عكرمة : القُمَّل : الجنادب ، بناتُ الجراد .

وقال حبيب بن أبي ثابت : القُمَّلُ : الجُعْلَانُ[2] .

والقُمَّلُ عند أهل اللغة : ضربٌ من القِرْدَان[3] .

قال أبو الحسن الأعرابي العدوي : القُمَّلُ : دوابٌّ صغارٌ من جنس القُرْدَان ، إلَّا أنها أصغرُ منه ، واحدتها قُمَّلَةٌ[4] .

وليس هذا بناقضٍ لما قاله أهل التفسير ، لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلُّها أرسلت عليهم ، وهي كلُّها تجتمع في أنها تؤذيهم .

قال مجاهد : كانوا يجدون الدَّمَ في ثيابهم ، وشرابهم ، وطعامهم[5]

---

(١) قال ابن فارس : الدَّبَى : الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته . وأما قوله : أرتجتهم ، فقد قال في المصباح جمع رتاج بالكسر ، وهو الباب العظيم ، والباب المغلق أيضاً .

(٢) في المصباح ١١٢/١ : الجُعَل وزان عمر : الحرباء ، وهي ذكر أم حبين ، وجمعه جُعْلان ، كصُرَد وصِرْدان .

(٣) و(٤) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة ، ذكرها الطبري في جامع البيان ٣٣/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٩/٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٧٣/٤ وابن كثير ٤٦١/٣ .

(٥) الطبري ٣٥/٩ وابن كثير ٤٦٣/٣ قال : وأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دماً ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء ، إلَّا عاد دماً عبيطاً ، وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الرعاف . اهـ. أقول : الجمهور على أن الماء انقلب إلى دم ، وذلك من الآيات الباهرة .

ومعنى ﴿ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ بعضها منفصل عن بعض ، بين كل واحدة منهم مدة[1] .

يُروى أنه بين الآية والآية ، ثمانية أيام[2] .

١١٤ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ [آية ١٣٤]

وقرأ سعيد بن جبير : ومجاهد : ﴿ الرُّجْز ﴾[3] .

قال مجاهد : وهو العذاب[3] .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ .

قال أبو عبيدة : بما أوصاكَ وأعْلَمَكَ[5] .

﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يُروى أنَّهم كدُّوهم[6] في العمل .

---

(١) هذا قول ابن قتيبة حكاه عنه صاحب البحر ، قال ابن عطية ٥٢/٦ : المراد أن هذه الأنواع من العذاب لم تجيء جملة ولا متصلة ، إنما جاءت مفرقة بالزمن .

(٢) ذكره الطبري في جامع الأحكام ٢٧١/٧ وقيل : بين الآية والآية شهر ، حكاه الطبري عن ابن جريج ٤٠/٩ ولفظه قال : وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترتفع عنهم شهراً .

(٣) قال ابن عطية : وقرأ ابن محيصن ، ومجاهد ، وابن جُبير : ﴿ الرُّجْز ﴾ بضم الراء في جميع القرآن . وانظر المحرر ٥٥/٦ .

(٤) الطبري عن مجاهد ٤١/٩ وهو قول الجمهور ، قال الزجاج ٤٠٩/٢ : الرِّجْزُ : اسمٌ للعذاب .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٢٧/١ وقال القرطبي ٢٧١/٧ ﴿ بِمَا عَهِدَ عندك ﴾ : « ما » بمعنى الذي ، أي بما استودعك من العلم ، وبما اختصَّك به فنبَّأك . اهـ.

(٦) « كدُّوهم » أي أرهقوهم وأتعبوهم بتكليفهم بالأعمال الشاقة .

قال مجاهد : ﴿ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ ﴾ إلى عِدَّةٍ مسمَّاة من أيامهم[1] .

﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ وهو البحر .

١١٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا .. ﴾ [آية ١٣٧]

القومُ ههنا : بنو إسرائيل[2] ، وكان فيهم « داود » و « سليمان » عليهما السلام .

قال قتادة : التي بورك فيها : الشَّام[3] .

وقيل : مِصْرُ .

١١٦ ـ ثم قال عز وجل ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [آية ١٣٧]

قيل :يعني بالكلمة : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ

---

(١) الطبري عن مجاهد ٤٢/٩ ولفظه : عدد مسمًّى لهم من أيامهم .

(٢) هذا القول باتفاق المفسرين أنه يراد به « بنو إسرائيل » ويدلُّ عليه قوله تعالى بعده ﴿ وتمَّت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صَبروا ﴾ وقوله تعالى ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ الشعراء آية رقم (٦٠) .

(٣) الطبري عن قتادة ٤٣/٩ وهو قول الحسن أيضاً ، وأما من ذهب إلى أنها أرض مصر كالزمخشري في الكشاف ، فقد استدل بقوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون .. كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ والقول الأول أظهر ، وهو ما رجحه الطبري وابن كثير ، لقوله سبحانه ﴿ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ .

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾

قال مجاهد في قوله جل وعز ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [آية ١٣٧]

قال : يبنون البيوتَ ، والمساكنَ[١] .

ومعنى ﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ يواظبون ، ويلازمون ، ومنه قيل : اعتكفَ فلانٌ .

ومعنى ﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ مُهْلَكٌ ومدَمَّرٌ ، ويُقال : تَبَّرْتُ الشَّيْءَ إذا كَسَرْتَهُ ، واسمُ ما انكسر منه التِّبْرُ[٢] .

١١٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً ﴾ [آية ١٤٠]

معنى : أبغي : أطلبُ ، ومعنى ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يولونكم .

١١٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [آية ١٤١]

يجوز أن يكون المعنى : وفي إنجائه بني إسرائيل نِعْمَةٌ .

ويجوز أن يكون المعنى : في سومكم بني إسرائيل سوءَ العذابِ بليَّةٌ عَظِيمةٌ[٣] .

---

(١) الطبري ٩/٤٤ والقرطبي ٧/٢٧٢ قال ابن عباس ومجاهد : ما كانوا يبنون من القصور وغيرها .

(٢) انظر الصحاح ، والمصباح المنير ، مادة تبر . قال ابن قتيبة « متبّر » مُهْلك ، والتّبار : الهلاك .

(٣) الظاهر أن الإشارة ﴿ وفي ذلك بلاء ﴾ يرجع إلى سوء العذاب الذي سامهم به فرعون ، لأن الابتلاء في الغالب يكون بالمحن والمصائب ، كما قال سبحانه ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع .. ﴾ ويجوز أن تكون الإشارة إلى التنجية ، والمعنى : وفي تنجيتكم امتحان لكم واختبار ، ورجح ابن عطية الأول ، وهو أيضاً ما رجحه الطبري في جامع البيان ٩/٤٧ بل لم يذكر غيره ، وهو الأظهر والأشهر .

١١٩ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ .. ﴾ [آية ١٤٢]

قال مجاهد : الثلاثون ذو القعدة ، والعشرُ عشرٌ من ذي الحجة[١] .

والفائدة في قوله ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ أنه قد دلَّ على أن العَشر ليالٍ ، وأنها ليست بساعاتٍ .

وقيل : هو توكيدٌ .

وقيل : هو بمنزلة فذلك ، أي فليس بعدها شيءٌ يُذْكر[٢] .

١٢٠ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ [آية ١٤٣]

أي للميقات الذي وَقَّتناهُ لهُ .

﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ أي خصَّه بذلك[٣] .

---

(١) الطبري عن مجاهد ٩/٤٧ وهو قول ابن عباس ، وذكره ابن عطية في المحرر ٦/٦٥ عنهما .

(٢) ذكر هذه الوجوه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٥٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨١ ثم قال : والذي يظهر أن هذه الجملة تأكيد وإيضاح . اهـ. وكذلك قال ابن عطية إنَّ مدة المناجاة أربعون ليلة ، ذكرها في سورة البقرة بلفظ الإجمال ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ وذكرها هنا بلفظ التفصيل ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ قال : ففي هذه الآية إخبار بتفصيله كيف وقع ، وبالجملة فهي تأكيد وإيضاح . وذكر الزجاج أنه لما صام ثلاثين يوماً ، أنكر خلوف فمه ــ أي تغير رائحته ــ فاستاك ، فأوحى الله إليه : أما تعلم يا موسى أن خلوف فم الصائم ، أطيبُ عند الله من ريح المسك ؟ فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام ، فصارت أربعين على التمام والكمال .

(٣) أي خصَّه بالمناجاة والكلام مشفهة من غير وساطة ملك ، كما قال سبحانه ﴿ وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾ ولهذا يسمى موسى الكليم .

١٢١ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [آية ١٤٣]

قال قتادة : دكَّ بعضُه بعضاً .

وقال عكرمة : إنَّما هو ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ من الدَّكَّاوات ، والتقدير على هذه القراءة[١] : جعله أرضاً دكَّاء ، وهي الناتئة ، لا تبلغ أن تكون جبلاً .

قال عكرمة : لمَّا نظر اللهُ جلَّ وعز إلى الجبل ، صار صحراءَ تراباً[٢] .

١٢٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾ [آية ١٤٣]

قيل : ميِّتاً .

وقال سعيد بن عروبة عن قتادة : مغشيًّاً عليه ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[٣] .

قال مجاهد : أي تُبْتُ من أن أسألك الرؤيا ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي أَوَّلُ من آمن ، أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا إلَّا مات ،

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ جعله دكاء ﴾ وقرأ الجمهور ﴿ جعله دَكًّا ﴾ بدون همز ، والقراءتان سبعيتان وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣ .

(٢) الأثر عن قتادة وعكرمة ، ذكره الطبري ٩/٥٣ وابن الجوزي ٣/٢٥٧ والسيوطي في الدر ٣/١٠٩ .

(٣) الطبري ٩/٥٣ والقرطبي ٧/٢٧٩ وابن الجوزي ٣/٢٥٧ وهذا القول هو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد ، أن المراد بقوله « صَعِقاً » : مغشياً عليه ، وأما قول مقاتل : ميتاً ، فهو ضعيف ، لأن قوله ﴿ فلما أفاق ﴾ يُقال فيمن أصابته غشية فأفاق منها ، ولا يُقال ذلك في الميت ، فتدبره فإنه دقيق ، وما ذكرناه هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير ٣/٤٦٩ .

لأن سؤاله كان في الدنيا[1] .

قال قتادة : لمَّا أخذ الألواح ، فرأى فيها وصْفَ أمةِ محمَّدٍ ﷺ وتقريظهم ، فقال : يا رب اجعلهم أمتي !! فقال : تلك أمة أحمد ، فقال : فاجعلني منهم ، قال : إنك لن تدركهم ، وقال يا موسى ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ فرضيَ موسى ﷺ[2] .

١٢٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ١٤٥]

قال سفيان : أي من الحلالِ ، والحرام[3] .

١٢٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ١٤٥]

قال سعيد بن جبير : أي تفصيلاً لما أُمروا به ، ونُهوا عنه[4] .

١٢٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [آية ١٤٥]

---

(١) الطبري ٥٥/٩ وابن كثير ٤٦٩/٣ وهذه رواية أخرى عن مجاهد ، وابن عباس ، وإليه ذهب أبو العالية ، قال : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة ، واستحسنه ابن كثير فقال : وهذا قول حسن له اتجاه ، ورجح الطبري أن المراد أول من آمن من بني إسرائيل ، وما ذهب إليه ابن كثير أظهر ، ويصبح المعنى · وأنا أول المؤمنون بعظمتك وجلالك أنه لا يراك أحد في الدنيا .

(٢) هذا طرف من أثر طويل ، أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ورواه السيوطي بتمامه في الدر ١٢٤/٣ .

(٣) و(٤) الطبري ٥٧/٩ وزاد المسير ٣٥٨/٣ والقرطبي ٢٨١/٧ قال ﴿ من كل شيء ﴾ مما يحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبين الحلال والحرام .

أي بقوة في دينك وحجتك ، وقيل : بجدٍّ وعَزْمٍ[1] .

١٢٦ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾** [آية ١٤٥]
وكلُّها حسنة ؟

فقيل : المعنى : أنَّهم أُمِروا أن يأخذوا بما هو أحسنُ ، ممَّا هو مطلَقٌ لهم ، وإن كانا جميعاً مُطْلَقَيْنِ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾[2] فهذا مباحٌ ، والعفوُ أحسنُ[3] .

وقيل : ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ بالأحسن منها .

وقيل : أُمِرُوا بشيء وخُبِّروا بما لهم فيه ، ونُهُوا عن شيء وخُبِّروا بما عليهم فيه ، فقيل لهم : خُذُوا بأحسنها[4] .

وقيل : بالناسخ .

١٢٧ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ ﴾** [آية ١٤٥]

قال الحسن : يعني جهنم[5] .

---

(١) القرطبي ٢٨١/٧ ولفظه ﴿ فخُذها بقوة ﴾ : أي بجدٍّ ونشاط ، والطبري ٥٨/٩ .
(٢) سورة الشورى آية رقم (٤١) .
(٣) توضيح هذه الفكرة أن الله أمر بني إسرائيل ، بالحثِّ على اختيار الأفضل ، كالأخذ بالعزائم دون الرُّخص ، فالعفوُ أفضل من القصاص ، والصبرُ أفضل من الانتصار ، وهكذا ..
(٤) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٤١٥/٢ .
(٥) الطبري عن الحسن ٥٩/٩ والبحر ٣٨٩٣٣ -وزاد المسير ٢٥٨/٣ واختاره الطبري ٥٩/٩ قال : « دارُ الفاسقين » هي نار الله التي أعدَّها لأعدائه ، قاله على سبيل التهديد والوعيد لمن عصاه ،=

وقال مجاهد : يعني مصيرهم في الآخرة[1] .

وقرأ قَسَامةُ بنُ زُهير[2] : ﴿ سَأُورِثُكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ ﴾[3] .

١٢٨ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ [آية ١٤٦]

قال سفيان بن عُيَيْنَة : أي أمنعهم من كتابي[4] .

قال أبو إسحاق : المعنى سأجعلُ جَزَاءَهم على كفرهم ، الإضلالَ عن هداية آياتي[5] .

= كما يقول القائل : سأريك غداً إلامَ يصير حال من عصي أمري .. إلخ . والظاهر ــ والله أعلم ــ أن المراد بدار الفاسقين مصر ، وهو قول علي ، وقتادة ، ومقاتل ، والفاسقون هم فرعون وقومه ، والمعنى : سترون منازل الفاسقين كيف أقفرتْ منهم ، ودُمِّر أهلُها ، لفسقهم وإجرامهم ، لتعتبروا فلا تكونوا مثلهم ، فإن رؤيتها وهي خاليةٌ عن أهلها ، موجبةٌ للاعتبار والانزجار ، وهذا القول اختاره القرطبي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وقال : الرؤية هنا رؤية العين لا من رؤية القلب .

(١) الطبري ٩/٥٩ وزاد المسير ٣/٢٦٠ والدر المنثور ٣/١٢٦ .

(٢) « قَسَامة بن زهير » تابعي ، ثقة ، تُوفي في ولاية الحجاج بعد سنةمائة وثمانين،روى عنه قتادة وغُنيم وغيرهما ، وانظر ترجمته في التهذيب ٨/٣٧٨ وفي الجرح والتعديل ٧/١٤٧ .

(٣) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨٩ وابن عطية في المحرر ٦/٧٦ ولم أرها في القراءات السبع .

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤/٣٨٩ عن سفيان ، وابن عطية في المحرر ٦/٧٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣/١٢٧ أي سأمنعهم من تدبرها ، ونظرها الصحيح المؤدي إلى الحق ، وأنزع عنهم فهم القرآن .

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٥١٤ و « أبو إسحاق » كنية الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

وقيل : سأصرفهم عن نفعها[1] .

وقيل : عن عِزِّها .

ومعنى ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ يحقرون النَّاسَ ، ويرَوْنَ أنَّ لهم فضلاً عليهم ، ويتكبرون عن الإيمان ، واتِّبَاعِ النبيِّ ﷺ[2] .

١٢٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾
[آية ١٤٦]

ويُقرأ : ﴿ سَبيلَ الرَّشَدِ ﴾[3] .

وقرأ عبد الرحمن المقرئ ﴿ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

قال أبو عَمْرو بن العلاء[4] : الرُّشْدُ : الصَّلَاحُ ، والرَّشَدُ :

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٣/٧ قال ومعناه : سأصرفهم عن نفعها مجازاةً على تكبرهم ، نظيره قوله سبحانه ﴿ فلمَّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ .

(٢) في الحديث الصحيح (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كِبْر ، قالوا : يا رسول الله : إن أحدنا يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة !! قال : ليس ذلك ، إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبْر : بطر الحقِّ ، وغَمْطُ النَّاس) أي احتقارهم وازدراؤهم ، أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ سبيل الرَّشَد ﴾ كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣ وقرأ الباقون ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ وكلتاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٢٧٢/٢ .

(٤) « أبو عمرو بن العلاء » هذا اسمه وكنيته ، وقيل اسمه « زَبَّان » وقيل يحيى ، والأول هو المشهور ، قال فيه الفرزدق :

ما زلتُ أَفْتَحُ أبْوَاباً وأُغْلِقُها ... حتَّى رأيتُ أبا عَمْرو بن عمَّار

وهو أحد الأئمة القراء السبعة توفي ١٥٤هـ وهو من كبار علماء النحو ، قال أبو عبيدة عنه : كان أعلم الناس بالقرآن والعربية ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

فِي الدِّينِ[1] .

قال غيره : الغيُّ : الضَّلالُ .

١٣٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾** [آية ١٤٦]

ويجوز أن يكونوا في تركهم الإيمان ، وتدبر الحق ، بمنزلة الغافلين .

ويجوز أن يكون غافلين عما يُجازون به ، كما يُقال : ما أغفل فلاناً عما يُراد به[2] !؟

١٣١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ .. ﴾** [آية ١٤٨] .

أي من بعد ما جاء للميقاتِ .

﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ يُقال لما حَسُنَ من الذَّهب والفضَّةِ : حَلْيٌ ، والجمعُ حُلِيٌّ ، وحِلِيٌّ[3] ، ﴿ عِجْلاً جَسَداً ﴾ أي عِجْلاً

(١) ذكره القرطبي ٢٨٣/٧ عن أبي عُبيد أن أبا عمرو فرَّق بينهما ، قال القرطبي : والصحيح عن أبي عمرو وغير ما قال أبو عبيد ، وسيبويه يذهب إلى أن الرُّشد ، والرَّشد مثل السُّخط والسَّخَط . اهـ. أي لا فرق بينهما فهما لغتان بمعنى واحد .

(٢) ذكر الرأيين الزجاج في معانيه ٤١٦/٢ .

(٣) في الصحاح للجوهري مادة حلى : الحَلْيُ : حَلْيُ المرأة وجمعه حُلِيٌّ ، مثل : ثدي ، وثُدِيٌّ ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء ، مثل عِصِيٍّ ، وقُرىءَ ﴿ مِن حِلِيِّهم ﴾ بالضم والكسر ، وتحلَّت بالحلي : تزينت به . اهـ .

جُثَّةً[1] ، أي لا يعقل ولا يُميِّز .

وقيل : لم يكن له رأس إنما كان جسداً فقط ﴿ لَهُ خُوَارٌ ﴾ أي صوتٌ .

قال مجاهد : جَمَعَ الحُلِيَّ فأخذ قبضةً من أثَرِ فرس جبريل ﷺ فرماها عليه[2] .

١٣٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا .. ﴾ [آية ١٤٩] .

يُقال للنادم المتحيِّر : سُقِطَ في يديه ، وأُسْقِطَ[3] .

ويُقرأ : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾[4] أي ولمَّا سَقَطَ النَدَمُ

---

(١) في المخطوطة « جُثَّة » وهو تصحيف ، وصوابه « جُثَّة » كما هو في معاني الزجاج ٤١٧/٢ ، قال : والجَسَد هو الذي لا يعقل ولا يُمَيِّز ، إنما معنى الجَسَد معنى الجثَّة فقط ، وانظر المحرر الوجيز ٨٢/٦ أيضاً .

(٢) الطبري ٦٢/٩ والدر المنثور ١٢٧/٣ وابن كثير ٤٧٣/٣ والعجلُ : هو ولد البقرة ، والخُوار : صوت البقرة ، قال ابن كثير : وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه ، والذي اتخذه لهم هو السامريُّ ، اتخذه من حُليِّ القبط الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكَّل لهم منه عجلاً ، ثم ألقى فيه القبضة من التراب الذي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام .

(٣) قال أبو عبيدة : يقال : لمن أُقدم على أمر وعجز عنه : سُقِط في يده . اهـ. مجاز القرآن ٢٢٨/١ قال ابن كثير : ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ أي ندموا على ما فعلوا ، وقال ابن عطية : العرب تقول لمن كان ساعياً في وجه ، أو طالباً غاية ، فعرض له ما يصده عن بغيته : سقِطَ في يد فلان .

(٤) هذه قراءة ابن السميفع ، وأبي عمران الجوني قرءا ﴿ ولمَّا سقط ﴾ بفتح السين ، وانظر زاد المسير ٢٦٣/٣ والمحرر الوجيز ٨٣/٦ .

في أيديهم(١) .

١٣٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً .. ﴾** [آية ١٥٠] .

الأَسِفُ : الشَّدِيدُ الغَضبِ ، المغيظُ ، ويكون الحزين(٢) .

ومعنى ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ ؟ أسبقتم ولم تنتظروا أمرَهُ ، ونَهْيَهُ(٣) .

١٣٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ١٥٠] .

قال مجاهد : كانت من زمردة خضراء(٤) .

قال مجاهد في قوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

---

(١) هكذا أوَّله الزجاج في معانيه ٤١٧/٢ وقال الزمخشري : أي لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه ، أن يعض يده ندماً ، فتكون يده مسقوطاً فيها . وانظر الكشاف ٩٤/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ٨٦/٦ ومعاني الزجاج ٤١٨/٢ واستدلَّ الزجاج على أن الأَسف الغضب بقوله تعالى ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ أي أغضبونا ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٣٩٤/٤ .

(٣) قال الفراء ٣٩٣/١ : تقول : عجلتُ الشيء : سبقته ، وأعجلته استحثثته . وقال ابن عباس معناه : أعجلتم ميعاد ربِّكم فلم تصبروا له ؟ زاد المسير ٢٦٤/٣ .

(٤) الطبري ٦٦/٩ ونقل الطبري عن سعيد بن جبير أنها كانت من ياقوت ، قال ابن عطية ٨٧/٦ في روايته عن ابن عباس : كان سبب إلقائه الألواح غضبه على قومه على عبادتهم العجل ، وغضبه على أخيه في إهمال أمرهم .

يعني الذين عبدوا العجل[١] .

١٣٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي .. ﴾** [آية ١٥١] .

أي اغفر الغضبَ الذي ألقيتُ من أجله الألواحَ ، واغفر لأخي ما كان من مساهلته في بني إسرائيل ، إذ كان ذلك من خشية غضَبِ موسى ، حين قال : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[٢] .

وقيل : إنَّما استغفر لذنوبٍ كانت قبل هذا الوقت ، لأن غضبه أيضاً كان للهِ جلَّ وعز[٣] ، وهارونُ عليه السلام إنما أخَّرَ بني إسرائيل لئلَّا يتفرَّقُوا ويتحاربوا .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لَم يَبْقَ من الألواحِ إلا سُدُسُها »[٤] .

---

(١) القرطبي ٢٩١/٧ وابن عطية ٨٩/٦ قال ابن كثير : أي لا تسقني مساقهم ، ولا تخلطني معهم ــ يعني مع عبدة العجل ــ وإنما قال « يا ابن أمَّ » لتكون أرأف وأنجع عنده ، وإلَّا فهو شقيقه لأبيه وأمه ، فهو استعطاف واسترحام .

(٢) سورة طه آية رقم (٩٤) .

(٣) يريد المصنف أن الغضب إذا كان لله عز وجل فهو ليس بذنب ، بل هو طاعة ، ولذلك فسَّره بعضهم بقوله : استغفر لذنوبٍ سابقة ، والصحيح أن استغفاره لتسرعه باتهام أخيه بالتفريط ، وعجلته في إلقاء الألواح .

(٤) هذا الأثر عن ابن عباس ذكره المفسرون ، الطبري ٦٦/٩ وابن الجوزي ٢٦٤/٣ وأبو حيان في البحر ٣٩٥/٤ قال : وفي قوله تعالى ﴿ ولمَّا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ دليل على أنها لم تتكسر ، ودليل على أنه لم يُرفع منها شيء . اهـ. أقول : الأثر ضعيف ، ولا يصح القول أنه رماها رمي كاسر لها ، وإنما كان رميُه لها حميَّةً لدين الله ، والغضب من أجل عبادة الله =

١٣٦ ـــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ .. ﴾ [آية ١٥٢] .

المعنى : إنَّ الذين اتَّخَذُوا العجل إلهاً ، حُذِفَ لعلم السامع[1] .

وقيل : معنى ﴿ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إنها الجِزْيَةُ .

وقيل : هو ما أُمِرُوا به من أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضاً[2] ، وما رأوه من ضلالهم ، قال الله جل وعز : ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا القول أصحُّ من الأول ، لأنَّ الجزية لم تُؤخذ منهم ، وإنما أُخذت من ذريَّتهم[1] .

= فلم يرفع منها شيء ، هذا هو الصحيح ، ولهذا لم يورد هذا الأثر الحافظ ابن كثير ، وإنما أورد حديث « ليس الخبر كالمعاينة ، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه من عبادة العجل ، فلم يلق الألواح ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح » أخرجه أحمد ٢٧١/١ وظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه .

(١) كذا ذكر الطبري في جامع البيان ٦٩/٩ : إنَّ الذين اتخذوا العجل إلهاً سينالهم غضب من ربهم .. إلخ .

(٢) أشار المصنف إلى قوله تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ أي ليقتل منكم البريء المجرم ، فكانت هذه توبتهم ، وليست كتوبتنا بالندم والاستغفار .

(٣) قال ابن عطية في المحرر ٩٠/٦ : والغضب والذلَّة هو أمرهم بقتل أنفسهم ، هذا هو الظاهر ، وقال بعضهم : الذلَّة الجزية ، ووجه هذا القول أنها بقيت في عقبهم ، وكأن المراد سينال أعقابهم . وقال القرطبي ٢٩٧/٧ : وقيل : الذلَّة الجزية ، وفيه بعد ، لأن الجزية لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذرياتهم . اهـ .

١٣٧ ــ وقولــه جل وعــز ﴿ وَلَمَّــا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الــغَضَبُ .. ﴾ [آية ١٥٤] .

معناه : سَكَنَ .

قال أبو إسحاق : يُقَال : سَكَتَ ، يَسْكُت ، سَكْتاً : إِذَا سَكَنَ ، وسَكَتَ ، يَسْكُتُ ، سُكُوتاً وَسَكْتاً : إذا قطع الكلام[1] .

ومعنى ﴿ وفي نُسْخَتِهَا ﴾ وفيمــا نُسِخَ منها أي فيها هدىً ورحمة[2] .

قال ابن كيسان[3] : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنَّها جُدِّدَتْ له في لوحين .

وقيل : فيمــا انــتُسِخَ منها ، وكانت قد تكسَّرتْ ، فذهب أكثرهــا[4] ، وانــتسخ ما قُدر عليــه منها ، وفي تلك النسخــة ﴿ هُدىً ﴾ أي بيانٌ ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي ما يدلُّ على ما يوجب الرحمة ولهذا قال : ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤١٩/٢ ومعنى الآية : ولما سكن غضب موسى على أخيه وقومه .

(٢) هكذا قال الطبري في جامع البيان ٧١/٩ وقال ابن عطية ٩٣/٦ : أي وفيما يُنسخ منها ويُقرأ ، هداية للحق ، ورحمة للخلق .

(٣) ابن كيسان هو محمد بن أحمد الكيساني ، النحوي الشهير ، المتوفى سنة ٢٩٩هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٤) هذا القول مرجوح ، والراجح ما ذكرناه أن الألواح لم تتكسر بدليل قوله تعالى ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ .

يجوز أن يكون معنى (اللّام) معنى (من أجل) كما تقول : أنا أُكْرِمُ فلاناً لَكَ .

ويجوز أن يكون المعنى : رهبتهم لربهم[1] .

١٣٨ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا .. ﴾ [آية ١٥٥] .

أي ممن لم يعبدوا العجل ، والمعنى : من قومه[2] .

١٣٩ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ .. ﴾ [آية ١٥٥] .

قال مجاهد : أُمِيتُوا ثم أُحْيُوا[3] .

والرَّجْفَةُ في اللُّغة : الزلزلة الشديدة[4] ، ويُروى أنهم زُلزلوا حتى ماتوا .

قال ابن عباس : إنما أخذتهم الرجفة ، لأنهم لم ينهوا من عَبَد

(١) هذا ما ذهب إليه المبرِّد أن اللام متعلقة بمصدر ، ويكون المعنى : للذين هم رهبتُهم لربهم ؛ وروي عن الأخفش أن المعنى : من أجل ربهم يرهبون ، وقال الكسائيُّ : هذه زائدة أي يرهبون ربهم مثل قول الفرزدق : نقذت لها مائة درهم أي نفدتها ، القرطبي ٢٩٣/٧ .

(٢) قال الطبري ٧٢/٩ : المعنى : اختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعده الله للتوبة ، مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل . اهـ.

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٧٤/٩ ولفظه : فأخذتهم الرجفة ، فماتوا ، ثم أحياهم الله .

(٤) في الصحاح ٣٦٢/٤ : الرَّجفة : الزلزلة ، ورجفت الأرض رجفاً ، والرَّجفان : الاضطراب الشديد ، وانظر أيضاً المصباح المنير .

العجل ، ولم يرضوا عبادته[١] .

﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ أي أَمَتَّهُمْ ، كما قال تعالى ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾[٢] .

قال ابن كيسان[٣] : أي لو شئت ﴿ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ لأنهم أذنبوا ، بأنهم لم يَنْهَوا من عَبَدَ العجل .

﴿ وَإِيَّايَ ﴾ بذنبي حينَ قتلتُ القبطيَّ ، فقد رحمتَنا ولم تهلكنا بذنوبنا نحن ، أفتهلكنا بذنوب السُّفَهَاء ، الذين عبدوا العجل ؟ وأنتَ متفضِّلٌ علينا بالعفو قبلَ هذا ؟

قال أبو جعفر : حقيقة المعنى : لستَ تُهْلِكُنا[٦] ، وألف الاستفهام تدل على هذا المعنى في كثيرٍ من المواضع كما تقول : ما أناأفعَلُ مثلَ هذا ، أي لستُ أفعلُه .

---

(١) الأثر في الطبري ٧٣/٩ عن ابن عباس قال : إنما تناولتهم الرَّجفة ، لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه . اهـ.

(٢) جزء من آية في سورة النساء رقم (١٧٦) وأولها ﴿ يستفتونك قل الله يُفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك .. ﴾ أي مات .

(٣) هو الإمام النحوي محمد بن أحمد الكيساني المتوفى سنة ٢٩٩هـ وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٩٧/٦ .

(٤) قال المبرِّد : هذا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا ، وقال ابن الأنباري : هذا استفهام على تأويل الجحد ، أراد لست تفعل ذلك . زاد المسير ٢٦٩/٣ ورجح ابن جرير ٧٦/٩ هلاك السبعين ، وأنَّ موسى إنما حزن على هلاكهم ، وعنى بالسفهاء : عَبَدة العجل ، والمعنى : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاءِ من قومهم الذين عبدوا العجل ؟ وهذا هو الأظهر .

﴿ إنْ هِيَ إلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا ﴾ أي بالفتنة ﴿ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أن تبتليه ، فتجعله عاصياً .

١٤٠ ــ **وقوله عز وجل ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

قال مجاهد وأبو العالية وقتادة : في قوله تعالى ﴿ إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ ﴾ قالوا : تُبْنَا(١) .

١٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

قال الحسن وقتادة : وَسِعَتِ البرَّ والفاجر ، في الدُّنيا ، وهي للتقيِّ خاصَّةً يومَ القِيَامة(٢) .

١٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فسأكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾** [آية ١٥٦] .

روى حمَّاد بنُ سَلَمَة ، عن عطاء بنِ السَّائِبِ ، عن سَعِيدِ بنِ

---

(١) الأثر في الطبري ٩/٧٨ وفي ابن الجوزي ٣/٢٧٠ وفي ابن كثير ٣/٤٧٩ ولفظه ﴿ إنا هُدْنا إليك ﴾ أي تبنا ورجعنا وأنبنا إليك .

(٢) الأثر في الطبري ٩/٨٠ وفي تفسير ابن الجوزي ٣/٢٧١ وفي الدر المنثور للسيوطي ٣/١٣٠ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وقال ابن الجوزي : فيها أربعة أقوال : أحدها : أنه عام ومعناه خاص لأمة محمد ، والثاني : أنه على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة أي هل للمتقين خاصة قاله الحسن وقتادة .. إلخ .

جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : كَتَبَهَا اللهُ جَلَّ وَعَزَّ لهذه الأمة[1] .

١٤٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ .. ﴾** [آية ١٥٧] .

الأميُّ : الذي لا يكتب[2] .

وقيل : نُسِبَ النبيُّ ﷺ إلى أمِّ القرى ، وهي مكة .

﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ فكانَ هذا من براهينه ﷺ ، لأنه خبَّرهم بما في كتابهم .

فيجوز أن يكون ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ بما هو مكتوبٌ عندهم .

ويجوز أن يكون مستأنفاً .

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ .

يجوز أن يكون الحلال .

ويجوز أن يكون ما حرَّم عليهم من الطَّعَامِ[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٧٩/٩ والقرطبي ٢٩٦/٧ والدر المنثور ١٣٠/٣ وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) هذا هو الصحيح في معنى الأُمِّيّ ، وهو الذي لا يعرف الكتابة ولا القراءة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطُّه بيمينك .. ﴾ الآية وليس لأنه منسوب إلى أم القرى كما ذكره المصنف عن بعضهم ، ولم يذكر الزجاج غير القول الأول في معانيه ٤٢١/٢ حيث قال : الأُمِّيُّ هو على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلَّته .

(٣) هذا ما رجحه ابن جرير ٨٤/٩ حيث قال : الخبائث هو لحم الخنزير ، والربا ، وما كانوا يستحلونه من المآكل التي حرمها الله .

﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ العربُ تقول لكلِّ حرامٍ : خَبيثٌ[1] .

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ .

قَال سعيد بن جبير : الإِصْرُ : شدَّةُ العبادةِ[2] .

ورُوِي عن مجاهد فيه قولان :

رَوَى عنه ابن أبي نجيح أنَّه قال : كانوا قد شُدِّدَ عليهم في أشياءَ ، فمن أسلمَ وآمن بالنبي ﷺ خُفِّف عنه[3] .

وروى موسى بن قيس عنه أنه قال : هي عهودٌ كانت عليهم[4] .

والقولان متقاربان أي ما يثقل عليهم .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٧٣ عن بعض المفسرين ، والأرجح ما ذكره الطبري كما بينّا ، فإن الأصل في الخبيث ما تستقذره النَّفس كأكل الحيَّات ، والحشرات ، والخنافس ، ونحوها . وأما الحرام فقد تستحسنه كثير من النفوس العليلة .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، ولفظه ﴿ إصرهم ﴾ قال : التشديد في العبادة ، كان أحدهم يُذنب الذنب فيكتب على باب داره : « إن توبتك أن تخرج إلى العدوِّ ، فلا ترجع حتى يأتي الموت على آخرهم » الدر ٣/١٣٥ . وقال ابن كثير ٣/٤٨٧ : جاء الإسلام باليسر والسماحة كما قال ﷺ : « بُعثت بالحنيفية السمحة » وقد كانت في الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم » .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٩/٨٥ والقرطبي ٧/٣٠٠ وفي الدر المنثور ٣/١٣٥ .

(٤) الأثر في الطبري ٩/٨٤ وفي زاد المسير ٣/٢٧٣ وفي المحرر الوجيز ٦/١٠٥ .

وكذلك الأغلالُ التي كانت عليهم ، إنما هو تمثيلٌ ، أي أشياء قد كُلِّفوعا وضُمِّنُوها فهي بمنزلة الأغلال[1] .

ويُروى أنَّ أحدهم كان إذا أصابَ جِلْدَه بولٌ ، وجبَ عليه أن يقطعه ، وإذا قتل رجلٌ رجلاً لم يكن بدٌّ من قتله ، ولا تُؤخذ منه دِيَةٌ[2] .

١٤٤ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ .. ﴾ [آية ١٥٧] .

وقيل : معنى ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ وعظَّمُوهُ .

وقيل : ومنعوا منه أعداءه ، والمعاني متقاربة[3] .

﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ بمنزلِةِ النُّورِ في البيان[4] .

ثم قال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ .. ﴾ [آية ١٥٨] .

قال مجاهد : معنى ﴿ يُؤْمِنُ باللهِ وَكَلِمَتِهِ ﴾ يؤمن باللهِ ،

---

(١) إلى هذا القول ذهب الزجاج في معانيه ٤٢١/٢ حيث قال : والأغلال تمثيل ، ألا ترى أنك تقول : جعلت هذا طوقاً في عنقك ، وليس هناك طوق . ومنه قول الشاعر : ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٨٥/٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٧٣/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ٣٠٠/٧ .

(٣) المعنى الأول هو الأرجح ، أي عظَّموه ووقَّروه ، وهو اختيار ابن عطية ١٠٧/٦ وابن كثير ٤٨٨/٣ أما من فسَّر « عَزَّروه » بمعنى نصروه ، فإنه ضعيف ، لأن بعده « ونصروه » فيكون تكراراً .

(٤) المراد بالنور القرآن والشرعُ ، شبَّهه بالنور إذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور .

وبعيسى[1] .

وقال غيره : الكلمةُ والكلامُ ههنا واحد .

١٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً .. ﴾** [آية ١٦٠] .

الأسباطُ : الفِرَقُ ، والواحد : سِبْطٌ ، والأَسْبَاطُ في ولد إسحاق ﷺ بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل ﷺ .

والأسباطُ : مأخوذٌ من السَّبَطِ وهو شجرٌ تعلِفُه الإبِل[2] .

ومعنى ﴿ فَانْبَجَسَتْ ﴾ : فانفجرت .

١٤٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ .. ﴾** [آية ١٦٣] .

أمره أن يسألهم سؤال توبيخ[3] ، ليقرِّرهم بما يعرفونه من عصيان آبائهم ، ويخبرهم بما لا يُعْرَفُ إلَّا من كتاب أو وحي .

حدَّثنا أبو جعفر ، قال : نا محمد بن إدريس ، قال : نا

---

(١) الأثر في الطبري ٩/٨٧ وابن عطية ٦/١٠٨ وهذا على قراءة الإفراد « وكلمته » وأما على قراءة الجمع ﴿ وكلماته ﴾ فيراد بها الآيات المنزلة من عند الله كالتوراة والإنجيل ، واختار الطبري العموم ٩/٨٧ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٣/١٣٠ فقد ورد فيه أن السَّبط بالتحريك نبت ، الواحد سبطة ، قال الشاعر : « على جوانبه الأَسْبَاطُ والهَدَبُ » .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢/٤٢٤ وتفسير ابن عطية ٦/١١٣ فقد نبَّها على أن السؤال كان على جهة التوبيخ .

يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، وكذا أخبرني حَيْوةُ عن عُقَيْـلٍ ، عن ابـن شهـاب ، قال : القَرْيَـةُ التـي كانت حاضرة البحـر : طبريَّـةُ[1] ، والقرية التـي قال فيها : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُـمْ مَثَـلاً أَصْحَـابَ الْقَرْيَـةِ ﴾[2] إنطاكية .

وعن ابن عباس ﴿ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرَ ﴾ : أَيْلَةُ[3] .

ومعنى ﴿ يَعْـدُونَ ﴾ يعتـدون ويجاوزون الحقَّ .

والشُّرَّعُ : الظَّاهِرَةُ[4] .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُسْبِتُون ﴾ أي يدخلون في السبتِ[5] .

مثلُ « أَهْلَلْنَا » ومن فَتَحَ البَاءَ قال معناه : يُعظِّمون السبتِ[6] .

كما كانوا يعظمونه ، هذا قولُ الكلبي وأبي عبيدة .

---

(١) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣٦/٣ عن ابن شهاب ، وعزاه إلى ابن أبي حاتـم ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧٦/٣ وابن عطية في المحرر الوجيز ١١٣/٦ .

(٢) سورة يس آية رقم (١٣) .

(٣) الأثـر في الطبري ٩١/٩ والقرطبـي ٣٠٥/٧ وابـن كثير ٤٩٢/٣ قال : وهـو قول عكرمـة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي . أقول : هذا هو المشهور أنها « أيلة » بين مَدْين والطُّور .

(٤) هذه رواية الضحاك عن ابـن عبـاس ، وروى العـوفي عنـه أن معنـى « شُرَّعـاً » من كل مكـان ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣ .

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٤١١/٤ عن علي والحسن قال : وهـي من أَسْبَتَ دخـل في السبت .

(٦) ما بين الحاصرتين من الهامش وليس في الأصل .

قال مجاهد : كانت الحيتان تأتيهم يوم السبت من غير أن يطلبوها ، ابتلاءً من الله جَلَّ وعزَّ لهم أي اختباراً[1] .

١٤٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ..﴾** [آية ١٦٤] .

معنى (أو) هاهنا لأحد الأمرين ، أي قد ظهر منهم ما سيلحقهم من أجله أحدُ هذين[2] .

﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ﴾[3] أي موعظتنا معذرةٌ ، أي إنما يجب علينا أن نأمرهم بالمعروف ، ولعلَّهم يرجعون بموعظتنا .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي تركوا ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ ، وأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ .

قال ابن عباس : ما أدري ما فُعِل بالفِرقة التي لم تأْمرْ ولم تَنْه[4] ؟

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣ والبحر المحيط ٤١١/٤ .

(٢) وصَّحه الزجاج في معانيه ٤٢٦/٢ فقال : ومعنى « أو » ــ والله أعلم ــ أنهم أخبروهم على قدر ما رأوا من أعمالهم ، أنهم مهلكون في الدنيا ، أو مُعَذَّبون في الآخرة لا محالة .

(٣) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي بالرفع ﴿ مَعْذِرَةٌ ﴾ وقرأ عاصم « معذرةً » بالنصب ، وهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٦ .

(٤) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبري ٩٤/٩ وابن كثير ٤٩٤/٣ والقرطبي ٣٠٧/٧ وفيه عن عكرمة قال : قلت لابن عباس لمَّا قال : ما أدري ما فُعل بهم ، ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا : « لِمَ تعظون قوماً الله مُهْلكهم » ؟ فلم أزل به حتى عرَّفته أنهم قد نجوا ، فكساني حُلَّة . اهـ .

وقال غيره : نُجِّيَتْ لأنَّها لم تُشَارِك كالَّذِين عَصَوْا[1] .

قال مجاهد : ﴿ بَئِيس ﴾ أليمٌ شديد ، وهذا معروف في اللغة ، يقال : بَؤُسَ ، فهو يبأسُ : إذا اشتدَّ[2] .

ومن قرأ ﴿ بِيسٍ ﴾[3] ففيه قولان :

قال الكسائي : الأصلُ فيه « بَئِسٌ » خُفِّفت الهمزة ، فالتقت ياءان ، فحُذفت إحداهما وكُسر أوَّله ، كما يُقال : رَغِيف ، وَشَهِيد .

وقيل : أراد بَئِسٍ على فَعِلٍ ، فكُسِرَ أوَّله ، وخُفِّفت الهمزةُ ، وحُذِفت الكسرة ، كما يُقال : رَحِمٌ وَرَحْمٌ[٧] .

قال أبو إسحاق : بئيسٍ أي شديد ، وقد بَئِسَ إذا افتقر ، وبَؤُسَ : إذا اشتَدَّ .

قال عليُّ بن سليمان[5] : بِيْسٌ : رَدِيءٌ وليس بجارٍ على

(١) قال القرطبي : وهذا مذهب الحسن ، وممَّا يدل على أنه إنما هلكت الفرقة العادية لا غير ، قوله تعالى ﴿ وأخذنا الذين ظلموا ﴾ .

(٢) في الصحاح ٩٠٦/٣ « عذاب بئيس » أي شديد ، يُقال : بئس الرجل يبأس بؤساً فهو بائس : اشتدت حاجته .

(٣) انظر النشر لابن الجزري ٢٧٢/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٩٧ وقرأ الجمهور « بَئِيسٍ » .

(٤) معاني الزجاج ٤٢٧/٢ .

(٥) « علي بن سليمان بن الفضل » أبو المحاسن ، المعروف بالأخفش الأصغر ، نحوي من بغداد ،=

الفعل ، إنما هو كما يُقال : ناقةٌ نِضْوٌ . والعرب تقول : « جاء ببناتِ بِيسٍ » أي ببنات شيء رديء .

قال أبو جعفر : وفيه قراءاتٌ سوى هاتين : سنذكرها في الإعراب إن شاء الله[1] .

١٤٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ .. ﴾** [آية ١٦٧] .

قال أهل التفسير : معناه أَعْلَمَ رَبُّكَ[2] .

وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنه يقال : تعلَّم بمعنى أَعْلَمَ ، وأنشد أبو إسحاق لزهير في مثل هذا :

فقلتُ تَعَلَّمْ إنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً
فَإِنْ لَا تُضَيِّعْهَا فَإِنَّكَ قَاتِلُهْ[3]

ورُوي عن ابن عباس أنه قال في قوله جل وعز ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قال : يعني أخذ

= له تصانيف عديدة منها « شرح سيبويه » و « المهذب » و « الأنواء » توفي سنة ٣١٥هـ ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٠٣/٥ .

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٦٤٦/١ فقد ذكر أن فيها إحدى عشرة قراءة .

(٢) قال الطبري ١٠٢/٩ : ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ تفعَّل من الإيذان ومعناه أعلم ، وانظر البحر ٤١٣/٤ أيضاً .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٦٧ وفي جامع الأحكام ٣٠٩/٧ ومعاني الزجاج ٤٢٨/٢ يقول الشاعر : اعلم أن للصيد غفلةً ، فإذا لم تُضيِّع هذه الغفلة فإنك ستصطاده وترديه قتيلاً ، وإلّا أفْلِتَ من يدك .

الجزية[1]

فإن قيل : فهم قد مُسخوا ، فكيف تؤخذ منهم الجزية ؟

فالجواب : إنَّها تؤخذ من أبنائهم ، وقد مُسِخوا ولَحِقَ أولادهم الذُلُّ ، فهم أذلُّ قومٍ ، وهم اليهود .

حدَّثنا أبو جعفرقال : نا أحمد بن محمد بن سلامة ، قال : نا عيسى بن إسحاق الأنصاري ، قال : نا يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ، عن يعقوب القُمِّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : العربُ ﴿ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قال : الخراجُ[2] .

وقيل : « عَلَيْهِمْ » على اليهود ، بيَّن أنه كان أخبر بذلك .

١٤٩ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا .. ﴾ [آية ١٦٨] .

(١) الأثر في جامع البيان ١٠٢/٩ وفي البحر ٤١٤/٤ وابن كثير ٤٩٧/٣ قال المفسرون : كانت اليهود تؤدي الجزية إلى المجوس ، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ فضربها عليهم ، فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ، قالوا : وهذه الآية تدلُّ على أن لا دولة لليهود ولا عزَّ ، وأن الذلَّ والصَّغار فيهم لا يفارقهم ، وهذا خبرٌ حقٌّ أخبر عنه القرآن ، فلا عزَّ لهم ولا سلطان ، إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وانظر البحر المحيط ٤١٤/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٣/٩ وفي المحرر الوجيز ١٢٥/٦ وفي القرطبي ٣١٠/٧ وفي ابن كثير ٤٩٧/٣ وفي البحر المحيط ٤١٤/٤ وهو قول عن ابن عباس أيضاً رواه عنه علي بن أبي طلحة .

أي فرَّقناهم فِرَقاً[1] .

١٥٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [آية ١٦٨] .

أي واختبرناهم بالشدَّةِ والرَّخاءِ ، والخِصْبِ والجَدْبِ .

١٥١ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ .. ﴾ [آية ١٦٩] .

قال مجاهد : يعني النَّصَارى[2] .

وقال غيره : يعني أبناءهم .

قال أبو جعفر وهذا أولى القولين ــ والله أعلم ــ لأنه يُقال لولد الرجل : خَلْفُهُ ، يُقال للواحد ، وللاثنين ، والجمع[3] ، والمؤنث ، على لفظٍ واحدٍ ، والجَمْعُ خُلُوفٌ .

---

(٢) قال ابن عطية في المحرر ١٢٦/٦ ﴿ وَقَطَّعناهم ﴾ معناه : فرَّقناهم في الأرض ، وقد نُقل عن الطبري : ما في الأرض بقعة إلا وفيها معشر من اليهود ، والظاهر أنهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم ، وقبل مدة عيسى عليه السلام ، لأنه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى ﷺ .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٠٥/٩ وابن كثير ٤٩٨/٣ وفي المحرر الوجيز ١٢٨/٦ وضعَّفه الطبري فقال : لم يذكر الله لنا في كتابه أنهم نصارى ،وقِصتُّهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى ، فتأويل الكلام إذاً : فتبدَّل من بعدهم بدل سَوْء ، ورثوا كتاب الله أي تعلَّموه ، وضيَّعوا العمل به . اهـ. جامع البيان ١٠٥/٩ .

(٣) في المخطوطة « والجميع » وهو تصحيف ، وصوابه : والجمعُ لمقارنته بالواحد والاثنين .

وقيل : إنما يُسْتعمل للرديء من الأبناء(1) .

فأمَّا الخَلَفُ بتحريكِ اللاَّمِ ، فهو البَدَلُ من الشيء ، من وَلَدٍ أو غيره(2) .

١٥٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا .. ﴾** [آية ١٦٩] .

قال ابن عباس رحمه الله : يستقبلون الدنيا فيأكلونها ، ويتأولون كتاب الله ، هذا معنى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾(3) .

قال مجاهد : يأخذون في يومهم ما كان من حلال أو حرام ، وإن وجدوا ذلكَ لِغَدٍ أخذوه(4) .

وقال غيره : يأخذون الرُّشَى في الحكم ، ويقولون : سَيُغفر

---

(1) في الصحاح : الخَلْفُ : الرديء من القول ، يقال : سكَتَ ألفاً ونَطَق خَلْفاً أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ ، ويُقال : هو خَلْفُ سوء من أبيه ، إذا قام مقامه ، وقال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وبقيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَابِ

(2) قال أبو عبيدة : الخَلْفُ والخَلَفُ واحد ، وقوم يجعلون المحرَّك « خَلَفٌ » للصالح ، والمسَكَّن « خَلْفٌ » لغير الصالح ، وقال ابن قتيبة : الخَلْفُ : الرَّديءُ من الناس ومن الكلام ، يُقال : هَذا خَلْف من الكلام أي كلام رديء ، وقال ابن الأنباري : أكثر ما تستعمل العرب « الخَلْف » في الرديء المذموم ، والخَلَفَ في الفاضل الممدوح . اهـ. وانظر زاد المسير ٢٨٠/٣ .

(3) الأثر في الطبري ١٠٧/٦ بنحوه ، وابن الجوزي ٢٨١/٣ وفي فتح القدير ٢٦١/٢ .

(4) الأثر ذكره الطبري ١٠٦/٩ وابن كثير ٤٩٨/٣ والشوكاني ٢٦١/٢ .

لنا ، وهم لا يتوبون[1] .

ودَلَّ على أنهم لا يتوبون قولُه تعالى ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾[2] .

والعرض في اللُّغَة : متاعُ الدنيا أجمعُ .

والعَرْضُ بتسكين الرَّاء ، ما كان من المال سوى الدنانير والدراهم ، وما كان من الدنانير والدراهم قيل له : نقدٌ وغيرُه[3] .

ومعنى ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ أي قد قرأوه ، وهم قريبو عهدٍ بقراءته .

١٥٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾**[4] [آية ١٧٠] .

معنى ﴿ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ ﴾ يتَّبعون ما فيه ، ويحكمون به .

﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ أي من أصلَحَ منهم وآمن ولم يعاند .

١٥٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ .. ﴾** [آية ١٧١] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٢٩/٢ وابن عطية في المحرر ١٢٨/٦ قال : والآية إشارة إلى الرشا والمكاسب الخبيثة ، وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط ٤١٦/٤ .

(٢) نبَّهت الآية على أنهم مصرُّون على المعاصي ، غير مكترثين بالوعيد ، كما جاء في الحديث « والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هَوَاها ، وتمنَّى على الله الأماني » .

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤١٦/٤ .

(٤) سقطت الآية من المخطوطة ، وأثبتناها لأن المصنف رحمه الله فسرَّها وبيَّن معناها .

يُقال : نَتَقْتُ الشَّيءَ ، أَنْتُقُه ، نَتْقاً ، ونُتُوقاً : إذا زعزعته ورميت به أو قطعته ، ومنه امرأةٌ ناتِقٌ أي كثيرةُ الولد ، كأنها ترمي بالأولاد .

ويُقال : نَتَقْتُ السِّقَاءَ : إذا نقضتَه لتُخْرِج ما فيه من الزُّبد[1] .

قال قتادة : رُفِعَ الجبل على رؤوسهم ، وقال لهم موسى ﷺ : إن قبلتم ما في الكتاب ، وإلّا سقط عليكم[2] .

ومعنى ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجدٍّ .

١٥٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ .. ﴾** [آية ١٧٢] .

أحسنُ ما قيل في هذا ، ما تواترتْ بِهِ الأخبارُ عن النبي ﷺ «إنَّ اللهَ جلَّ وعز ، مَسَحَ ظهرَ آدم ، فأخرج منه ذُرِّيَّته ، أمثالَ الذَرِّ ، فأخذ عليهم الميثاق »[3] فكأنه يُفهمهم ما أراد جلَّ وعز ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[4] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٥٥٨/٤ ولسان العرب لابن منظور مادة « نتق » .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٩/٩ وفي القرطبي ٤٣٦/١ وفي الدر المنثور ١٤٠/٣ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤/١ والحاكم في المستدرك ٢٧/١ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والسيوطي في الدر المنثور ١٤١/٣ وأبو داود رقم (٤٧٠٣) والترمذي رقم (٥٠٧١) وحسَّنه ، ولفظُه « إن الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذريَّةً ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ، وبعمل أهلِ الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرِّية فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون .. » الحديث وانظر تحفة الأحوذي ٤٥٣/٨ فقد قال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سورة النمل آية رقم (١٨) .

وفي الحديث : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرَةِ »[1] .

أي على ابتداء أمره ، حين أخذ عليهم العهد .

حدثنا أبو جعفر قال : نا عبد الله بن إبراهيم المقرئ البغدادي بالرَّمْلة قال : نا عباس الدوري قال : نا عبد الله بن موسى قال : نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أُبَيٍّ بن كعب في هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ المُبْطِلُون ﴾ قال : جَمَعهم فجعلهم أزواجاً ، ثم صوَّرهم ، ثم استَنْطَقهم فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ إنَّك ربُّنا وإلهنا ، لا ربَّ لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، قال : فأُرسلُ إليكم رُسُلي ، وأُنزل عليكم كتبي ، فلا تُكذِّبوا رسلي ، وصدِّقوا وعيدي ، وإني سأنتقم ممن أشرك بي ، ولم يؤمن بي ، فأخذ عهدهم وميثاقهم »[3] وذكر الحديث .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الجنائز ١٧٦/٣ ومسلم في القدر رقم (٢٦٥٨) والترمذي في القدر رقم (٢٣١٩) وأبو داود في السنة رقم (٤٧١٤) ولفظ البخاري « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسُّون فيها من جدعاء ؟ » . قال أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .. ﴾ الآية .

(٢) هذه قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ﴿ ذُرِّيَّاتهم ﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون بالتوحيد ﴿ ذُرِّيَّتهم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٨ وكلا القراءتين سبعية .

(٣) الأثر في مجمع الزوائد للهيثمي ٢٨/٧ قال : رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربَّاني وهو مستور ، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح ، وذكره الطبري في جامع البيان ١١٥/٩ ، وابن كثير في تفسيره ٥٠٥/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٤٢/٣ وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

قال أبو جعفر : ونذكر حديث عمر عن النبي ﷺ في معنى هذه الآية في الإعراب(١) ، وغيره إن شاء الله .

١٥٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾** [آية ١٧٢] .

وهذا التَّمامُ ، على قراءة من قرأ ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ بالتاء .

قال أبو حاتم(٢) : وهي مذهبنا لقوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ يخاطبهم ، فقال على المخاطبة : ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ أي لأن لا تقولوا .

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما ﴿ أَنْ يَقُولُوا ﴾(٣) بالياء ، والمعنى على هذه القراءة : وأشهدهم على أنفسهم كراهة أن يقولوا .

١٥٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا .. ﴾** [آية ١٧٥] .

---

(١) نصُّ الحديث كما في إعراب القرآن للنحاس ١/٦٥٠ : عن مسلم بن يسار الجُهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية ﴿ وإذْ أخذ ربك من بني آدم .. ﴾ الآية . فقال عمر : سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها فقال : « إن الله عز وجل خلق آدم ، فمسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذريّة ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله : ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا خلق العبد للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت فيدخله النار » وانظر مسند أحمد ١٥١/٤ .

(٢) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو وحده ، وقرأ الباقون بالتاء « أن تقولوا » على المخاطبة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٨ .

وروى شعبةُ ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : هو « بَلْعَامُ »(١) .

وروى ابن أبي جُريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو « بَلْعَامُ بنُ بَاعِرَ » من بني إسرائيل(٢)

قال سعيد بن جبير : « كان معه اسمُ الله الأعظم ، فسألوه أن يدعوَ الله على موسى عليه السلام وأصحابه ، فقال : أخِّروني ، وكان لا يدعو على أحد ، حتَّى يرى ذلك في نومه ، فباتَ فنُهي في نومِهِ ، فعادوا إليه ــ وكان موسى ﷺ قد جاءهم في ثمانين ألفاً ، خلف الفرات ــ فلمَّا سألوه أن يدعوَ عليه بعدما نُهي ، قال لهم : أخْرِجُوا إلى أصحابه النِّساء ليفتتنوا ، فتنتصروا عليهم ، فانسلخ ممَّا كان فيه ، وكان قد أُمر في نومه أن يدعوَ له »(٣) .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رحمهما الله : « هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت »(٤) .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٩/٩ والمراد بـ « عبد الله » عبد الله بن مسعود ، وهو أيضاً في ابن كثير ٥٠٧/٣ .

(٢) الأثر في الطبري ١٢٠/٩ وفي البحر ٤٢٢/٤ وفي ابن كثير ٥٠٧/٣ قال : وهو قول مجاهد وعكرمة ، وفي رواية العوفي عن ابن عباس : هو رجل من أهل اليمن ، يُقال له « بَلْعم » آتاه الله آياته فتركها .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٢٤/٩ بنحوه ، وابن كثير في تفسيره ٥١٠/٣ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٤٧/٣ ببعض الزيادة .

(٤) الأثر في الطبري ١٢١/٩ وفي الدر المنثور ١٤٦/٣ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٧/٣ .

وقال **عكرمة** : هو من كان من اليهود والنصارى ، لم يصحَّ إسلامه[1] .

يذهبُ إلى أنهم منافقوا أهلِ الكتاب .

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ هو ما نُزِع منه من العلم[2] .

١٥٨ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [آية ١٧٥] .

يُقال : أَتْبَعَهُ إذا أدركه ، وتَبِعَهُ إذا سار في أَثَرِهِ[3] ، هذا الجيِّد .

وقيل : هما لغتان[4] .

١٥٩ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا .. ﴾ [آية ١٧٦] .

(١) الأثر عن عكرمة في زاد المسير لابن الجوزي ٣/٢٨٨ وفي الدر المنثور ٣/١٤٦ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) زاد المسير ٣/٢٨٨ والقرطبي ٧/٣٢١ ولفظه ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي من معرفة الله تعالى ، أي نُزِع منه العلم الذي كان يعلمه ، وفي الحديث : « العلم علمان : علمٌ في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلمٌ على اللسان فذلك حجَّة الله على ابن آدم » فهذا مثل علم بلعم وأشباهه .

(٣) في المصباح المنير ١/٧ : جئتُ في أَثَرِهِ بفتحتين ، وفي إِثْرِهِ ، بكسر الهمزة والسكون : أي تبعته عن قرب .

(٤) هذا قول الأخفش حكاه عنه الجوهري في الصحاح ٣/١٩٠ قال : تبعته وأتبعته بمعنىً ، مثل ردِفته وأردفته .

قال مجاهد : أي لرفعناه عنه ، ومعناه لعصمناه ممَّا فعل[1] .

١٦٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ .. ﴾** [آية ١٧٦] .

قال مجاهد : أي سَكَنَ ، والتقدير : إلى نعيمِ الأرضِ ولذَّاتها[2] .

١٦١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ .. ﴾** [آية ١٧٦] .

قال مجاهد : أي إن تحمل عليه بدابتك أو رجلك يلهث ، أو تتركه يلهث ، وكذلك من يقرأُ الكتابَ ولا يعملُ بما فِيهِ[3] .

وقال غير مجاهد : هذا شرُّ تمثيلٍ ، في أنه قد غلب عليه هواه ، حتى صار لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ، بكلبٍ لاهثٍ أبداً ، حُمِلَ عليه أو لم يُحْمَل عليه ، هو لا يملك ترك اللَّهَثان[4] .

---

(١) و(٢) و(٣) الآثار عن مجاهد ذكرها ابن جرير في جامع البيان ٩/١٢٧ و ١٢٩ قال الطبري : وأولى الأقوال أنه لو شاء لرفعه بآياته التي آتاه الله ، رفع منزلته ، ورفعه بالذكر الجميل ، والثناء الرفيع ، وذكرها القرطبي في جمع الأحكام ٧/٣٢٢ قال مجاهد ﴿ أخلدَ إلى الأرض ﴾ سكن إليها ، أي سكن إلى لذاتها .

(٤) هذا رأي الإمام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٤٣٢ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٢٩٠ : الكافر إذا زجرته لم يتزجر ، وإن تركته لم يهتد ، فالحالتان عنده سواء ، كحالتيْ الكلب ، فإنه إن طرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثاً ، وإن تُرك ورَبَض كان أيضاً لاهثاً ، فالمعنى : فمثله كمثل الكلب لاهثاً ، وإنَّما شبهه بالكلب اللاهث ، لأنه أخسُّ الأمثال على أخسِّ الحالات وأبشعها . وقال ابن قتيبة : كلُّ لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش ، إلا الكلب ، فإنه يلهث في حال راحته ، وحال كلاله ، فضربه الله مثلاً لمن كذَّب بآياته، فقال : =

١٦٢ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ .. ﴾** [آية ١٧٩] .

[أي خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .

يُقال : ذَرَأَ اللهُ خلقه يَذْرَؤُهُم ذَرْءاً][1] أي خلقهم .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ ﴾ وَصَفَهم بأنهم بمنزلة من لا يعقلُ .

١٦٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾** [آية ١٧٩] .

لأن الأنعام إذا أبصرتْ مضارَّها ، اجتنبتْها أو أكثرَها ، ولا تكفرُ معاندةً .

١٦٤ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا .. ﴾** [آية ١٨٠] .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً غيرَ واحدٍ ، من أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ »[2] .

= إن وعظته فهو ضال ، وإن لم تعظه فهو ضال ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث ، أو تركته على حاله رابضاً لهث . اهـ. زاد المسير ٢٩٠/٣ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط تفسيره من المخطوطة وأثبتناه من تفسير الطبري .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ١٠٩/٨ ومسلم في كتاب الذكر ٦٣/٨ والترمذي في أبواب الدعوات ٤٨٢/٩ تحفة الأحوذي ، وزاد فيه ذكر الأسماء : هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدُّوس .. إلخ وأخرجه ابن ماجه في الدعاء ١٢٦٩/٢ . قال الحافظ ابن كثير ٥١٦/٣ : والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا =

وقال **بعض أهل اللغة** : يجب على هذا أن لا يُدْعَى اللهُ عزَّ وجل ، إلَّا بما وَصَفَ به نفسه ، فيقال : يَا جَوادُ ، ولا يُقال : يا سَخِيُّ[1] .

١٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ .. ﴾** [آية ١٨٠] .

قال ابن جريج : اشتقُّوا العُزَّى من العزيز ، واللَّات من اللهِ[2] .

قال أبو جعفر : والإلحادُ في اللغة : الجورُ ، والمَيْلُ ، ومنه لَحْدُ القبر ، لأنه ليس في الوسط ، إنما هو مائلٌ في ناحيته[3] .

قال أبو جعفر : وفَرَّقَ الكسائيُّ بينَ أَلْحَدَ ، ولَحَدَ ، فقال : ألحد عدل عن القصد ، ولَحَدَ رَكَن إلى الشيء .

= الحديث مُدْرجٌ فيه ، أي أنهم جمعوها من القرآن ، كما ورد عن جعفر بن محمد ، وسفيان بن عيينة .

(١) قال الزجاج ٤٣٣/٢ : ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه ، فيقول في الدعاء : يا أللهُ ، يا رحمن ، يا رحيم ، ولا ينبغي أن يقول : يا سبحان ، لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة ، ويقول : يا رحيم ، ولا يقول : يا رفيق ، ويقول : يا قويُّ ولا يقول : يا جلدُ .. . اهـ. وانظر أيضاً تفسير ابن الجوزي ٢٩٣/٣ .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن جريج عن مجاهد ١٣٣/٩ وذكره السيوطي في الدر ١٤٩/٣ عن ابن عباس .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٥٣٤/٢ فقد ذكر أن اللَّحد : الشَّقُّ في جانب القبر ، وقال : ألحد في دين الله : حاد وعدل ، ولَحَد لغة فيه .

وعلى هذا قَرَأ في النحل ﴿ يَلْحَدُونَ ﴾[1] بفتح الياء بمعنى الرّكون .

١٦٦ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ١٨٢] .

يقال : استدرج فلانٌ فلاناً ، إذا أتى بأمرٍ يريد ليلقيه في هلكة .

ولا يكونُ الاستدراجُ إلّا حالاً بعد حال ، ومنه فلانٌ يُدْرِجُ فلاناً ، ومنه أدْرجتُ الثّوب[2] .

١٦٧ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾** [آية ١٨٣] .

ومعنى « أُمْلِي » : أؤخر ، والمَلَاوةُ : القِطْعَةُ من الدَّهر ، ويُقال : بالضمِّ والكسر ، ومنه : تَمِلَّ حَبيبك[3] . والمتينُ : الشديد .

---

(١) أشار إلى الآية في سورة النحل ﴿ لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ آية رقم (١٠٣) .

(٢) قال أبو عبيدة : الاستدراج أن يُتدرَّج إلى الشيء في خفية ، قليلاً قليلاً ولا تهجم عليه ، وأصلُه من الدرجة ، وذلك أن الراقي والنازل ، يرقى وينزل مرقاة مرقاة ، ومنه دَرَجَ الكتاب : طواه شيئاً بعد شيء ، ودرج القوم : ماتوا بعضهم في إثْرِ بعض . اهـ. من البحر المحيط ٤/٤٣٠ وانظر الصحاح للجوهري ١/٣١٤ .

(٣) قال في الصحاح ٦/٤٩٦ : يُقال : ملّاك حبيبك أي متّعك به وأعاشك معه طويلاً ، وأقمتُ عنده مَلَاوَةً من الدهر ، ومُلَاوَةً أي حيناً وبُرهة ، والمَلِيُّ : الهَوِيُّ من الدهر ، ومنه ﴿ واهجرني مليًّا ﴾ أي طويلاً .

١٦٨ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ..** ﴾ [آية ١٨٥] .

قال سفيان : يعني خلق السمواتِ والأرضِ(١) .

١٦٩ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ..** ﴾ [آية ١٨٧] .

قال قتادة : أي متى قيامُهَا(٤) ؟

وقال غيره : يُقال رسى الشيءُ ، يرسو ، رُسُوًّا : إذَا ثَبَتَ ، وأَرْسَيْتُهُ : أَثْبَتُّهُ(٣) .

١٧٠ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي** ﴾ [آية ١٨٧] .

أي لا يعلم متى قيامها إلّا اللهُ .

١٧١ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ..** ﴾ [آية ١٨٧] .

يُقال : جَلَّى لِيَ فلانٌ الخَبَرَ : إذا أظْهَره وأَوْضَحَه(٤) .

---

(١) انظر جامع الأحكام ٢٣/٧ قال القرطبي : أراد ما في السموات والأرض من العجائب والمخلوقات ، والملكُوت : الملك الواسع ، وهو من أبنية المبالغة ، زيدت الواو والتاء للمبالغة في الصفة كالرَّهبوت والجبروت .

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ١٣٨/٩ قال ابن جرير : ومُرْسَاها : قيامُها ، من قول القائل : أرساها الله فهي مرساة ، ورست ترسو رسُوًّا والمعنى : يسألونك عن الساعة متى قيامها ؟

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٤/٤ والصحاح للجوهري مادة « رسى » .

(٤) انظر المصباح المنير مادة جلي .

١٧٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُـمْ إِلَّا بَغْتَةً .. ﴾ [آية ١٨٧] .

أي خفيَ علمُها ، وإذا خَفِي الشَّيءُ ثَقُل[١] .

وقيل : أي ثَقُلت المسألةُ عنها ، أي عظُمَتْ .

١٧٣ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [آية ١٨٧] .

أي فجأة .

١٧٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا .. ﴾ [آية ١٨٧] .

قال قتادة : قالت قريشٌ للنبي ﷺ : نحن أقرباؤك فأسرَّ إلينا متى الساعة !! فأنزل الله جل وعز ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ أي حفيٌّ بهم[٢] .

والمعنى على هذا : التقديمُ والتأخيرُ[٣] ، أي يسألونك عنها

---

(١) هذا قول مروي عن السُّدي قال معنى « ثَقُلَتْ » أي خَفِيَتْ في السموات والأرض ، فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، متى تكون ؟ وما خَفِيَ أمره ثقل على النفوس . قال في البحر ٤٣٥/٤ : ويُعبَّر بالثِّقَل عن الشدَّة والصعوبة كما قال تعالى ﴿ ويذَرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ أي شديداً صعباً .

(٢) الأثر عن قتادة في الطبري ١٤٠/٩ وفي ابن كثير ٥٢٢/٣ وفي الدر المنثور ١٥١/٣ .

(٣) يريد المصنف بقوله على التقديم والتأخير أن « عنها » متعلقة بيسألونك ، والأصل يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم ، فأُخِّرت في اللفظ ، ومعناها التقديم فصارت ﴿ يسألونك كأنك حفيٌّ عنها ﴾ وانظر البحر ٤٣٥/٤ .

كأنك حفيٌّ لهم أي فرحٌ لسؤالهم .

وهـو معنـى قول سعيـد بن جبير أي يسألـونك كأنك حفـيٌّ لهم[١] .

١٧٥ ــ **وقوله جل وعـز ﴿ وَلَـوْ كُنْتُ أَعْلَـمُ الغَـيْبَ لَاسْتَكْثَـرْتُ مِنَ الخَيْرِ .. ﴾** [آية ١٨٨] .

رُوي عن ابـن عبـاس أنـه قال : لو أني أعلـم سَنَـة القحـط والجدب ، لهيأتُ لها ما يكفيني[٢] .

وقيل : لو كنتُ أعلـمُ متـى أمـوتُ لاستـكثرت من العبـادة ، فيكون الخير ها هنا العبادة[٣] .

وقيل : إن النبي ﷺ كان يُسأل عمَّا في قلوبِ النـاس ، ومـا يُسرُّونه ، فقال : ﴿ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ أي ما يُسرُّونه ومـا يقـع بكم ، حتى تحذروا مكروهه ، لكان أحـرى أنْ تجيبـوني إلى ما أدعـوكم

---

(١) انظر أقوال السلف في زاد المسير ٢٩٨/٣ وفي الطبري ١٤١/٩ وفي ابن كثير ٥٢٢/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير أن المعنى : يسألونك كأنك عالم بها وقد أخفـى الله علمهـا عن خلقـه ، قال : وهو قول الضحاك وابن عباس ومجاهد .

(٢) الأثـر عن ابـن عبـاس في ابـن كثير ٥٢٧/٣ بنحـوه ، وفي زاد المسير ٣٠٠/٣ وفي الـدر المنثـور للسيوطي ١٥١/٣ .

(٣) هذا قول مجاهد وابن جريج كما في الطبري ١٤٢/٩ وفي ابن كثير ٥٢٦/٣ قال : وفي هذا نظـر ، لأن عمل رسول الله ﷺ كان على منوال واحد ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميـع أحوالـه ، والأحسن ما روي عن ابن عباس أن المراد ما أصابني الفقر . اهـ .

﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ أي من إجابتكم إلى ما أدعوكم ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ منكم ، بتكذيبٍ أو عداوةٍ ، إذْ كنتُ عندكم كذلك[1] .

ودلَّ على هذا الجواب ﴿ إنْ أنَا إلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي لستُ أعلمُ من الغيبِ ، إلَّا ما عَلَّمني اللهُ .

وقيل : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ أي كتبَ اللهِ .

وقال الحسن : ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ﴾ من الوحي[2] .

١٧٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.. ﴾** [آية ١٨٩] .

يعني آدم ﷺ ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ كنايةٌ عن الجماع ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ .

قال الحسن : أي فاستمرَّت به ، والمعنى : أنها مرَّت به وجاءتْ لم يُثْقِلها[3] .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٢/٤٣٦ والبحر المحيط ٤/٤٣٦ وقد حكى نحوه ابن الجوزي ٣/٣٠٠ وعزاه إلى الزجاج واختار ابن عطية العموم ، وقال أبو حيان : وهذا منه عليه السلام إظهارٌ للعبودية ، وانتفاء عمَّا يختصُّ بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ، ومبالغة في الاستسلام ، فهو يقول : لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ، ولا دفع ضرٍّ ، فكيف أملك علم الغيب ؟ ثم قال بعد ذكر أقوال السلف : وينبغي أن تُجعل هذه الأقوال خارجة على سبيل التمثيل لا الحصر . البحر ٤/٤٣٧ .

(٢) الأثر عن الحسن في البحر ٤/٤٣٦ ولم أره في الطبري ولا في ابن كثير .

(٣) الأثر في الطبري ٩/١٤٤ عن أيوب قال : سألت الحسن عن الآية ، فقال : لو كنت أمرأ عربياً لعرفت ما هي ؟ إنما هي فاستمرَّت به . أي استمرَّ حملها به ، وانظر البحر المحيط ٤/٤٣٩ .

وقرأ **ابن يعمر** ﴿ فَمَرَتْ بِهِ ﴾(1) خفيفٌ ، أي شكَّتْ فِي الحَمْلِ .

رُوي عن **ابن عباس** رحمه الله : فاستمَرَّت بِهِ(2) .

قال أبو حاتم : أي استمرَّ بها الحملُ ، فقلبَ الكلام ، كما يُقال : أدخلتُ الخُفَّ في رجلي(3)

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي استبَانَ حَمْلُهَا ﴿ دَعَوا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً ﴾ .

قال الحسن : أي غلاماً(4) .

وقال أبو البَخْتَرِي(5) : خافا أن يكون بهيمة(6) .

177 ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا .. ﴾ [آية 190] .

---

(1) أي قرأها ابن يعمر بدون تشديد خفيفةً ﴿ فَمَرَتْ بِهِ ﴾ وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب 269/1 . والمعنى على هذه القراءة : فشكَّتْ فيما أصابها ، أهو حمل أم مرض ؟ من المِرية : بمعنى الشك .

(2) الأثر في الطبري 144/9 والقرطبي 337/7 وابن كثير 528/3 .

(3) يريد أنه من المقلوب ، والأصل : أدخلتُ رِجْلي في الخف ، فقلب الكلام ، ومثله عرضت الحوض على الناقة .

(4) الأثر في الطبري 144/9 وابن الجوزي 301/3 وابن عطية 173/6 .

(5) أبو البختري : هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ، ابن أبي عمران ، تابعي ثقة قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة صدوق ، مات سنة 83هـ وانظر ترجمته في التهذيب 73/4 .

(6) الطبري 144/9 والسيوطي في الدر 152/3 وهو مروي عن مجاهد ، وأبي صالح .

رَوى خُصَيفٌ عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ ، ومجاهد عن ابن عباس ، قال : أتاهما إبليس فقال : أنا أخرجتكما من الجنة ، فإن أطعتماني وإلَّا جعلت له قرنين فشقَّ بطنك ، أو أخرجته ميتاً ، فقُضِي أن يخرج ميتاً ، ثم حملت حملاً آخر فقال لهما مثل ذلك [فقُضِي أن يخرجَ ميتاً ، ثم حملتْ حملاً آخر ، فقال لهما مثل ذلك][1] فقالت له حواء : فيمَ تريدُ أن أُطِيعك ؟ قال : سمِّيه « عبد الحارث » فَسَمَّتْه ، فقال اللهُ جلَّ وعز ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[2] .

قال غيره : يعني في التسمية خاصَّةً ، وكان اسم « إبليس » الحارث[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل وأثبتناه من الحاشية .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً كما في الدر المنثور ١٥٢/٣ وأخرجه الترمذي ٤٥٩/٨ من تحفة الأحوذي عن سَمَرة بن جندب مرفوعاً ولفظه قال ﷺ « لمَّا حملت حواء ، طاف بها إبليس ـــ وكان لا يعيش لها ولد ـــ فقال سمِّيه (عبد الحارث) فإن يعيش ، فسمَّته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وأخرجه أحمد في المسند ١١/٥ والحاكم في المستدرك . أقول : الحديث روي عن سمرة مرفوعاً ولا يصح المرفوع ، بل هو من قول سَمُرة نفسه ، وقد روى ابن جرير عن الحسن في الآية قال :« كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم » ولا يصح هذا القول عن آدم وحواء ، فإن آدم أحد الأنبياء الكرام ، ومن المستحيل أن يستجيب آدم لأمر يخدش العقيدة ، بل هو شرك بالله ، وإنما الصحيح كما قال الحافظ ابن كثير ٥٣١/٣ أن ذلك كان في ذريته بدليل قوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركونَ ﴾ ولو كان في آدم وحواء لقال « فتعالى الله عما يشركان » فالمراد المشركون من ذرية آدم ، كما ذكر أن الآثار فيها نظر فإنها من آثار أهل الكتاب .

(٣) ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٤٧/٩ عن قتادة قال : فأشركا في الاسم ، ولم يشركا في العبادة .

١٧٨ــ ثم قال تعالى ﴿ **فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [آية ١٩٠] .

أي عما يشركُ الكفَّارُ[١] ، ويدلُّ على هذا ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً ﴾ ؟ يعني الأصنام .

ورُوي عن عكرمة أنه قال : لم يُخَصَّ بهذا آدمَ وحوَّاء وحدهما ، والتقديرُ على هذا : الجنسِ كلِّه ، أي خلق كلَّ واحد منكم ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ أي من جنسها ﴿ زَوْجَهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ على الجنس كلِّه ، وكذا ﴿ دَعَوَا ﴾ يراد به الجنسان الكافران ، ثم حُمِلَ ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ على معنى الجميع ، فهذا أولى ــ والله أعلم ــ من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثلُ هذا[٢] .

---

(١) هذا هو الصحيح الذي عليه أهل التحقيق ، أن الآية في المشركين من ذرية آدم وليست في آدم وحواء ، وقد أطال ابن كثير في هذه الآية فأجاد وأفاد .

(٢) نظراً لأهمية البحث وكونه يتعلق بآدم عليه السلام وهو نبيٌّ من الأنبياء ، لا يُتصور أن يقع منه إشراك بالله ، ننقل ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٢٩/٣ حيث قال رحمه الله : حديث « لما حملت حواء طاف بها إبليس .. » إلخ قال : هذا الحديث معلول من ثلاثة وجوه :

أحدها : أن عمر بن إبراهيم قال عنه أبو حاتم الرازي لا يُحتجُّ به .

الثاني : أنه قد رُوي من قول سمرة نفسه وليس مرفوعاً ، كما رواه ابن جرير عن سَمُرة بن جندب قال : سمَّى آدم ابنه « عبد الحارث » .

الثالث : أن الحسن نفسه فسَّر الآية بغير هذا ، فلو كان عنده عن سَمُرة مرفوعاً لَمَا عدل عنه ، فقد قال الحسن : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم ، وهذا يدل على أن الحديث موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقَّاه من بعض أهل الكتاب .

قال : وأما الآثار فيظهر ــ والله أعلم ــ أنها من آثار أهل الكتاب ، وأخبارهم على ثلاثة أقسام : منها ما علمنا صحته بما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله وسنَّةِ رسوله . ومنها ما علمنا

وقال بعض أهل النظر : يراد به غير « آدم وحـواء » وإنما ذُكِرَا لأنهما أصلُ النَّاسِ .

١٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾** [آية ١٩٤] .

أي الله جلَّ وعز يُهلكهم كما يُهلككم .

ورُوي عن سعيد بن جبير أنه قرأ : ﴿ إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ و « إنْ »[1] هاهنا بمعنى « ما » والمعنى : ما الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم ، أي هم الأصنامُ . والقراءة الأُولى أكثرُ وأعرف ، والسَّوادُ عليها .

١٨٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّـذِي نَزَّلَ الكِتَابَ .. ﴾** [آية ١٩٦] .

قال الأخفش : وقُرِىء ﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللهِ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ ﴾ يعني جبريل ﷺ .

= كذبه لمخالفته الكتاب والسنة . ومنها ما هو مسكوت عنه ، وهو الذي لا يُصدَّق ولا يُكذب ، وهذا الأثر من القسم الثاني أو الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنّما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال سبحانه ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ . اهـ .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ، لابن جنّي ٢٧٠/١ وعلى هذه القراءة تكون « إنْ » نافية بمعنى « ما » .

(٢) هذه القراءة بالإضافة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٨٨٣/٦ وذكر أن أبا حاتم ضعّفها ، وعلى كلٍّ فليست من القراءات السبع ، بل هي شاذة ..

قال أبو جعفر : هي قراءة عاصم الجَحْدَري[١] ، والقراءةُ الأُوْلَى أَوْلَى لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

١٨١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾** [آية ١٩٨] .

يعني الأصنام[٢] .

قال الكسائي : يُقال : داري تنظر إلى دار فلان ، إذا كانت قريبةً منها[٣] .

١٨٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾** [آية ١٩٩] .

قال عطاء : العفوُ : الفَضْلُ[٤] .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٤٣/٧ فقد ذكر أنها قراءة الجحدري ، وأن قراءة الجمهور أبيَن وأولى ، وذكر أبو حيان في البحر ٤٤٦/٤ أن هذه القراءة شاذة ، وتفسيرها بأن المراد به جبريل ، وإن احتملها لفظ الآية ، لكنها لا تناسب ما قبلها ولا ما بعدها .

(٢) هذا ما رجحه الطبري وغيره أن الضمير يعود على الأصنام ، قال ابن جرير ١٥٢/٩ : وترى آلهتهم ــ الأصنام ــ ينظرون إليك وهم لا يبصرون . وقال أبو حيان في البحر ٤٤٧/٤ : والضمير في « وتراهم ينظرون إليك » للأصنام ، ونفى عنهم السماع لأنها جماد ولا تُحِس ، وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز ، بمعنى أنهم صوَّروهم ذوي أعين فهم يُشبهون من ينظر إليك . اهـ .

(٣) ذكره ابن جرير في جامع البيان ١٥٣/٩ عن الكسائيِّ قال : الحائط ينظر إليك : إذا كان قريباً منك حيث تراه ، واستشهد عليه بيت من الشعر .

(٤) الأثر في الطبري ١٥٤/٩ وفسَّره مجاهد بالفضل من أخلاق الناس من غير تجسس ، والسدي بالفضل من أموال الناس . وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٧/٣ قال : وعلى قول مجاهد يكون المعنى : اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، ما كان فَضْلاً ولم يكن بتكلف .

حدثنا أبو جعفر قال : نا أحمد بن عبد الجبار الصُّوفي ، قال : أنبأنا داود الضبي ، قال : نا مسلم بن خالد[1] عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله جل وعزَّ ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ قال : خذ من أخلاقهم وأعمالهم في غير تجسس[2] .

قال الضحاك والسدي : هذا قبل أن تُفرض الصَّدقة ، وقد نسخته الزكاة[3] .

وقال وهب بن كيسان : سمعت ابن الزبير رحمه الله يقول : ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ : والله ما أُمِرَ أن يُؤخذ إلا من أخلاق الناس ، والله لآخذنَّهُ منهم ما صَحِبْتُهم[4] .

١٨٣ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأْمُرْ بالعُرْفِ .. ﴾** [آية ١٩٩] .

---

(١) في المخطوطة « مسلم بن خلد » وصوابه ما أثبتناه « مسلم بن خالد » المخزومي ، المكي توفي سنة ١٧٨هـ كما في التقريب ٢/٢٤٥ .

(٢) الأثر في الطبري ٩/١٥٤ وابن الجوزي ٣/٣٠٨ وابن كثير ٣/٥٣٥ .

(٣) الأثر في الطبري ٩/١٥٤ عن السدي وابن الجوزي ٣/٣٠٨ ورجح ابن جرير أن المراد العفو من أخلاق الناس وترك الغلظة .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير ٦/٧٦ ولفظه قال : ما أنزل الله ﴿ خذ العفو وأمر بالعُرف ﴾ إلا في أخلاق الناس . وفي رواية أخرى عنه : « أمر الله نبيَّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس » البخاري ٦/٧٦ .

والعُرْفُ : المعروف[1] .

١٨٤ ــ **وقولـه جل وعــز** ﴿ وَإِمَّــا يَنْزَغَــنَّكَ من الشَّيْطَــانِ نَزْغٌ .. ﴾ [آية ٢٠٠] .

النَّزْغ : أدنى حركة[2] .

١٨٥ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ إِنَّ الَّذِين اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُـمْ طَائِـفٌ مِنَ الشَّيْطَـانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [آية ٢٠١] .

قال مجاهد : الطَّيْــفُ : الغضبُ .

قال الكسائي : الطَّيْــف : اللَّمَـمُ ، والطائـفُ : كلُّ ما طاف حول الإنسان .

وقال أبو عمرو[4] : الطَّيْفُ : الـوسوسةُ ، وحقيقتُـه في اللغـة من طافَ يَطِيـفُ : إذا تخيَّـل في القـلب ، أو رُؤي في النـوم ، وهـــو طائف ، وطيفٌ بمعناه[5] .

---

(١) هكذا فسَّره البخاري في كتـاب التـفسير ٧٦/٦ وهـذا قول علمـاء السلـف نصَّ عليـه عُروة بن الزبير ، والسدي ، وقتـادة ، وغيرهـم قال ابـن جريـر ١٥٦/٩ : العُـرف : المعروف ، يُقـال : أوليتُه عُرفاً وعارفةً كل ذلك بمعنى المعروف .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٣٨/٢ قال : تقول : نزغتُـه إذا حرَّكتـه أدنى حركـة ، فالمعنـى : إن نالك من الشيطـان أدنى نزغ أو وسوسة . وفي الصحـــاح ٣٢٧/٤ : نَزَغَ الشيطـــان بينهم : أفسد وأغرى . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٨/٩ وفي القرطبي ٣٥٠/٧ وفي ابن الجوزي ٣١٠/٣ .

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء المازني ، وقد تقدمت ترجمته .

(٥) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٥٠/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٠٩/٣ ولم يرتض ابن عطية قول =

١٨٦ ــ وقولـه جل وعـز ﴿ وَإِخْوَانُهُـمْ يَمُدُّونَهُـمْ فِي الغَـيِّ .. ﴾ [آية ٢٠٢] .

أي يزيدونهم .

١٨٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا .. ﴾ [آية ٢٠٣] .

قال قتادة : أي جئتَ بها من عند نفسك[1] .

وكذلك هو في اللغة ، يُقال : اجتبيتُ الشيءَ ، وارتجلتُه ، واخترعتُه ، واختلقتُه : إذا جئت به من عند نفسك[2] .

١٨٨ ــ وقوله جلّ وعز ﴿ وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصَالِ .. ﴾ [آية ٢٠٥] .

الآصَالُ : العَشَايا ، الواحد أُصُل ، وواحدُ أُصُلٍ أَصِيلٌ[3] .

= الكسائي ١٩١/٦ وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٤٩/٤ ودافع عنه ووجّهه بما يوافق أساليب العرب .

(١) الأثر في الطبري ١٦١/٩ وفي البحر ٤٥١/٤ قال : والمراد هلّا اخترعتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك ؟ قال الفراء : والعرب تقول : اجتبيتُ الكلام ، واختلقته ، وارتجلته : إذا افتعلته من قِبل نفسك . اهـ. البحر .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة مادة جبى .

(٣) قال الزجاج : الآصال جمع أُصُل ، والأُصُل جمع أصيـل ، فالآصال جمعُ الجمـع ، والآصال : العشيات ، انظر معاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٢ وقال أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٢٣٩/١ واحدتُها أُصُل ، وواحد الأُصُل : أصيلٌ ، وهو ما بين العصر إلى المغرب ، وأما الطبري فقد أجاز أن يكون جمع الآصال أصيل أو أصل .

١٨٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأنْصِتُوا .. ﴾ [آية ٢٠٤] .

هذا عامٌّ يراد به الخاصُّ[١] .

وقال إبراهيم النَّخعي : وابنُ شهاب ، والحسنُ : هذا في الصلاة[٢] .

وقال عطاء : هذا في الصلاة والخُطبة[٣] .

قال أبو جعفر : القولُ الأوَّلُ أولى ، لأن الخطبة يجب السكوتُ فيها إذا قرىء القران ، وإذا لم يُقرأ[٤] .

والدليل على صحَّة ما رواه إبراهيم الهَجَرِيُّ[٥] ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ وَإذَا قُرِىءَ القرآنُ .. ﴾[٦] إلى آخرها .

---

(١) يريد أن اللفظ عام يجب السكون عند كل تلاوة للقرآن ، ويُراد به السكوت عند تلاوة الإمام في الصلاة ، كما ذهب إليه الحسن البصري ، والنخعي ، وابن شهاب .

(٢) و(٣) الأثر في الطبري ٩/١٦٤ وابن كثير ٣/٥٤٣ والدر المنثور ٣/١٥٦ .

(٤) وكذلك قال ابن عطية ٦/١٩٦ : من قال إنها في الخطبة فضعيف ، لأن الآية مكية ، والخطبةُ لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة .

(٥) هو إبراهيم بن مسلم العبدي الكوفي ، المعروف بالهَجَري ، ضعَّفه الترمذي وأبو حاتم ، وانظر ترجمته في التهذيب ١/١٦٤ .

(٦) الأثر في الطبري ٩/١٦٤ وابن كثير ٣/٥٤١ وفي الدر المنثور للسيوطي ٣/١٥٦ .

قال أبو جعفر : ولم يُختلف في معنى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ أنه في الدعاء .

وقال بعضهم في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ كان هذا لرسولِ الله خاصَّةً ، لِيَعِيهِ عنه ﷺ أصحابُهُ .

« **تمت سورة الأعراف** »

• • •

تَفسِيرُ سُورَةِ الأَنْفَالِ

مَدَنية وآياتها ٧٥ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال وهي مدنية[1]

١ ــ قولُه جلَّ وعزّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ ، قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ ﴾ [آية ١]

قال ابن عباس : نزلت في يوم بدر[2] .

وروى إسرائيلُ ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه[3] قال : « أصبتُ سيفاً يوم بدر ، فاستحسنته ، فقلتُ يا رسول الله : هَبْهُ لي ! فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ ﴾[4] .

قال أبو جعفر : المعروفُ من قراءة سعد بن أبي وقّاص

---

(١) هذا اتفاق بين المفسرين أن السورة مدنيَّة ، وقال ابن عباس : هي مدنية إلا سبع آيات من قوله سبحانه ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك .. ﴾ إلى آخر الآيات السبع ، وانظر جامع الأحكام ٣٦٠/٧ .

(٢) الأثر عن ابن عباس رواه البخاري ٦٧٦/٦ ولفظه : قال ابن عباس : الأنفال : الغنائمُ ؛ وبسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما ، : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . وانظر ابن كثير ٥٤٥/٣ .

(٣) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، والد مصعب ، كما وضحه الإمام أحمد في المسند ١٨٠/١ .

(٤) الأثر في الطبري ١٧٣/٩ ورواه مسلم في فضائل الصحابة ١٢٦/٧ بأطول منه ، وخرَّجه ابن كثير في تفسيره ٥٤٧/٣ ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٩١/٦ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ الأَنْفَالَ ﴾ بغير (عَنْ) هكذا رواه شعبةُ ، عن سِمَاك ، عن مُصْعَب عن أبيه[1] .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ في يوم بدْرٍ : « مَنْ قَتَلَ قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا » فلمَّا فُتح لهم جاءوا يطلبون ذلك ، فقام سعْدٌ والأشياخُ فقالوا : يا رسول الله إنما قمنَا هذا المَقامَ رِدْءاً لكم لا جُبْنًا ، فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾ فسلَّموا الغنيمةَ لرسول الله ﷺ ثمَّ نزلتْ بعدُ ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[2] .

فبيَّنَ اللهُ جلَّ وعزَّ في هذا أن الأنفالَ صارت من الخُمُسِ ، لا من الجُمْلةِ .

قال مجاهد وعكرمة : هي منسوخةٌ ، نَسَخها ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَاغَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[3] إلى آخر الآية .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٧٢/١ وذكرها ابن عطية ٦ /٢٠٢ في المحرر الوجيز ، وهي كما بيَّنا ليست من القراءات السبع ، بل من الشواذ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ٧٧/٣ والبيهقي في الدلائل ٢٩١/٦ والحاكم في المستدرك ١٣١/٢ وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح ، وخرَّجه ابن كثير ٥٤٨/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٣ وهو أيضاً في الطبري ١٧٢/٩ بألفاظ متقاربة .

(٣) هذا أيضاً قول منقول عن ابن عباس ، والسدِّي ، وقال ابن زيد : ليست بمنسوخة وهي محكمة ، والأثر في الطبري ١٧٦/٩ وابن كثير ٥٤٩/٣ وزاد المسير ٣١٩/٣ .

قال مجاهد : والأنفالُ : الغنائمُ [1].

قال أبو جعفر : والأنفال في اللغةِ : مَا يَتطوَّع به الإمامُ ، ممَّا لا يجب عليه نحو قولـه : « من جاء بأسير فلـه كذا » ومنـه النَّافلـةُ من الصَّلوات ، ثم قيل للغنيمة : نَفَلٌ ، لأنـه يروى « أن الغنائم لم تحلَّ لأحدٍ إلَّا لأمّة محمَّد ﷺ [2] » فكأنهم أُعْطُوهَا نافلةً ..

٢ ــ وقوله جلّ وعزّ ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [آية ١]

الـذاتُ : الحقيقـةُ ، والبَيْـنُ : الـوصلُ ، ومنـه ﴿ لَقَـدْ تَقَطَّـعَ بَيْنَكُمْ ﴾[3] .

٣ ــ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّمَـا المُؤْمِنُـونَ الَّذِيـنَ إِذَا ذُكِـرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [آية ٢]

قال ابن أبي نجيح : أيْ فَرِقَتْ[4] ، وأنشد أهلُ اللغة :

لَعَمْـرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّـي لَأَوْجَـلُ
عَلَى أَيِّنَـا تَغْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ[5]

---

(١) الأثر في الطبري ١٦٨/٩ وابن كثير ٥٤٥/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً ، واستشهد عليه بقول لبيد :

إنَّ تَقْـوَى رَبِّنَـا خَيْـرُ نَفَـلْ وَبِـإِذْنِ اللهِ رَيْثِـي وَالعَجَـلْ

(٢) أشار المصنف إلى حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي .. » وذكر ﷺ فيه « وأُحلّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي .. » الحديث .

(٣) الآية من سورة الأنعام برقم ٩٤ وتمامها ﴿ لقد تقطع بينكم وضلَّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٧٩/٩ وابن كثير ٥٥١/٣ ومعنى : فَرِقَتْ : فزعَتْ وخافَتْ ، وهو قول علماء السلف .

(٥) البيت لمعن بن أوس المزني ، يستعطف بها صديقه ، وكان قد طلّق أخته وتزوج بأخرى ، وهو في ديوانه ص ٣٩ والمقتضب ٣٤٦/٣ وفي الكامل ٣٦٤/١ ومعاني الزجاج ٤٤٢/٢ يريد بهذا =

وروى سُفْيانُ عن السُدِّيّ في قوله جل وعزّ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ قال : إذا أراد أن يظلم مظلَمةً قيل له : اتّقِ الله ، كفَّ وَوَجِلَ قَلْبُهُ[1] .

٤ ــ **ثم قال جَلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾** [آية ٢]

أي : صدّقوا بها فازدادوا إيمانًا .

قال الحسنُ : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ الخمس ، بوضوئها ، وركوعها ، وسجودها ، وخشوعها[2] .

وقال مقاتل بن حَيّانَ : إقامتُها أن تحافظَ على مواقيتها ، وإسباغ الطَّهُورِ فيها ، وتمامِ ركوعها وسجودها ، وتلاوةِ القرآن فيها ، والتشهدِ ، والصَّلاةِ على النبي ﷺ ، وَهَذَا إقامتها[3] .

ـ البيت أن يؤثر بأن يكون هو السابق إلى الموت دون صديقه ، وهو يخشى أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه ، و « أوجَلُ » هنا بمعنى وجِلٌ وليس بأفعل تفضيل ، كأنه يقول : وإني لخائف أن أُرزأ بك .

(١) الأثر في الطبري ١٧٩/٩ والقرطبي ٣٦٥/٧ وابن كثير ٥٥١/٣ .

(٢) الأثر في ابن كثير ٥٥٢/٣ عن قتادة وابن عباس ، وفي الطبري ١٨٠/٨٩ قال : هي الصلوات الخمس ، يؤدونها بحدودها ، وبه قال أهل التأويل ، ونقل أبو حيان في البحر ٤٥٨/٤ عن الحسن أنه سأله رجل : أمؤمن أنت ؟ قال : الإيمانُ إيمانان ، فإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والجنة والنار ، فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله تعالى ﴿ إنما المؤمنونَ الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبُهم .. ﴾ فوالله ما أدري أمنهم أنا أم لا ؟ .

(٣) الأثر في تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣ وهو قول ابن عباس أيضاً كما ذكره الطبري في أول سورة البقرة .

٥ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ ﴾** [آية ٥]
فيه أقوال :

(أ) **قال الكسائي** : المعنى : يجادلونك في الحقِّ ، مجادلتَهُمْ كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق[1] .

(ب) **قال أبو عبيدة** : (ما) بمعنى (الذي) أي : والَّذي أخرجك ، هذا معنى كلامه[2] .

(جـ) **وقول ثالث** : وهو أن المعنى : قل الأنفال للَّهِ والرسول ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، أي : كما أخرجَكَ ربك من بيتك بالحق وهم كارهون ، قل الأنفالُ للَّهِ والرسول ، وإن كرهوا[3] .

---

(١) ذكر قول الكسائي ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٣٢ قال : الكاف على رأي الكسائي متعلقة بقوله « يجادلونك » والمعنى : مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون ، وذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز عن مجاهد والكسائي ٦/٢٢٠ واستحسنه ، وجعله أحد قولين راجحين للفراء والكسائي .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٤٠ فقد جعل اللفظ مسوقاً مساق القسم ، وذكره عنه ابن عطية في المحرر ٦/٢٢١ فقال : وقال أبو عبيدة : هو قَسَمٌ ، أي لهم درجات ومغفرة ورزق كريم ، كما أخرجك ربكَ من بيتك بتقدير : والذي أخرجك ، فالكاف في معنى الواو ، و « ما » بمعنى «الذي» وجعله مرجوحاً ، لما فيه من التكلف ، وقال ابن الأنباري : وفي هذا القول بعدٌ ، لأن الكاف ليست من حروف القسم .

(٣) هذا القول هو رأي الفراء في معانيه ١/٤٠٣ واختاره ابن عطية ورجحه في المحرر الوجيز ٦/٢١٩ حيث قال : اختلف الناس في متعلق الكاف في قوله ﴿ كما أخرجك ﴾ والذي يلتئم به المعنى ويحسن سرد الألفاظ قولان : قال الفراء : التقدير : امضِ لأمرك في الغنائم ، ونفِّل من شئت وإن كرهوا ، كما أخرجك ربك ، قال توضيح وتحرير هذا المعنى عندي أن يُقال : إن هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته ، بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال ، =

وقيل : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ » متعلّقٌ بقوله تعالى « لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ » أي : هذا الوعد لهم حقٌ في الآخرة ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحقِّ ، فأنجز وعْدَك بالظَّفَر[1] .

٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾** [آية ٦] .

فكما كان هذا حقًّا ، فكذلك كلُّ ما وعدكم به حقٌّ ، يجادلونك في الحقِّ بعد ما تبيَّن ، وتبيينُه أنه لمَّا خبَّرهم بخبر بعد خبر من الغيوب ، حَقاً ، وجب أن لا يشكُّوا في خبره .

وأحسنُها قولُ مجاهد أن المعنى : كما أخرجك ربك من بيتك ، أي : من المدينة إلى بدر على كُرهٍ ، كذلك يجادلونك في الحقّ ، لأن كلا الأمرين قد كان ، مع قُربِ أحدهما من الآخر ، فذلك أولى ممَّا بَعُد عنهُ[2] .

= كأنهم سألوا عن النَّفل وتشاجروا ، فأخرج الله ذلك عنهم فكانت في ذلك الخيرة ، فتشاجُرهم في النَّفل بمثابة كراهيتهم هنا للخروج ، وحكم الله في النفل بأنه لله وللرسول دونهم هو بمثابة إخراج الله لنبيه ﷺ من بيته .

والقول الثاني قال مجاهد والكسائي وغيرهما : ومعناه كما أخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم ، كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة ، ويودون غير ذات الشوكة .. قال : فهذان قولان مطَّردان ، يتم بهما المعنى ويحسن رصف اللفظ .

(١) ذكره في المحرر الوجيز ٢٢١/٦ ولم يعزه لأحد من علماء اللغة ، وجعله من القول المرجوح ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٢/٤ خمسة عشر قولاً في هذه الآية ، منها هذا القول ، وقد ارتضى قولاً آخر ذكره في تفسيره فيه حسن وجمال ، فارجع إليه هناك والله يرعاك .

(٢) هذا الذي رجحه المصنف ، هو الذي رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٨٢/٩ وجعله ابن عطية أحد القولين الصحيحين في تفسير الآية الكريمة .

٧ ـ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾** .

[آية ٧]

قال قتادة : الطائفتان : « أبو سفيان » معه العيرُ ، و « أبو جهل » معه نفيرُ قريش ، وكان أصحابُ رسول الله ﷺ يحبُّون أن يظفروا بالعير ، وأراد اللهُ عزَّ وجلَّ غير ذلك[١] .

والشوكةُ : السِّلاحُ[٢] .

٨ ـ **ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ ﴾** [آية ٧]

أي : كانَ في ظهورهم على المشركين ، وإمدادهم بالملائكةِ ، ما أحقَّ به الحقَّ ، وَقَطَعَ دابر الكافرين[٣] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٨٦/٩ وفي ابن كثير ٥٥٧/٣ بتوسع عن ابن عباس ، قال : وكذلك قال السدي ، وقتادة ، وابن زيد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في المخطوطة « الصلاح » وهو تصحيف ، وصوابه « السِّلاحُ » كما أثبتناه ، قال الزجاج في معانيه ٤٤٤/٢ وذاتُ الشوكة : ذاتُ السِّلاح ، يُقال : فلانٌ شاكٍ في السِّلاح ، وشائكٌ في السِّلاح ، بمعنى لابس السلاح وقال الطبري ١٨٤/٩ أصل الشوكة من الشَّوك ، كره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يَلقوا العير ، قال ابن زيد : كانت العير أحبَّ إلى القوم من القوم ، كان في الشوكة القتلُ ، والعيرُ ليس فيها قتال . اهـ.

(٣) قال ابن كثير : ﴿ ويريد الله أن يُحقَّ الحق بكلماته ﴾ أي يريد أن يظفركم بهم ، وينصركم عليهم ، ويُظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالباً على الأديان ، ويهلك الكافرين ، وبنحوه قال ابن جرير .

٩ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾** [آية ٩]

قال ابن عباس : أي : متتابعين(١).

وقال أبو جعفر : قال أهل اللغة : يقال : رَدِفتُه ، وأردَفْتُه : إذا تَبِعْتُهُ(٢) .

قال مجاهد : مردفين : أي : ممدِّين(٣) .

١٠ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾** [آية ١٠]

يعني الإمداد ، ويجوز أن يكون يعني الإرداف(٤) .

١١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْه ﴾** [آية ١١]

---

(١) الأثر في الطبري ١٩١/٩ وابن كثير ٥٦٠٢/٣ والقرطبي ٣٧٠/٧ قال : و « مردَفين » فتح الدال قراءة نافع ، وقرأها الباقون بالكسر « مردِفين » أي متتابعين ، تأتي فرقةٌ ، وذلك أهيب في العيون ، وفي البخاري في التفسير ٧٧/٦ : مردَفين فوجاً بعد فوج .

(٢) في المصباح المنير ٢٤٠/١ : رَدِفتُ الرجلَ : إذا ركبتَ خلفه ، وأردفتُه : إذا أركبتَهُ خلْفَكَ ، ورَدِفتُهُ بالكسر : لحقتُه وتبعتُه ، هذا قول الزجاج اهـ. من المصباح ، وانظر معاني الزجاج ٤٤٥/٢ فقد قال أيضاً : ويُقال : أردفتُ الرجل إذا جئتَ بعده . وأما أبو عُبيدة في مجاز القرآن فيرى أنهما لغتان بمعنى واحد ٢٤١/١ .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٩١/٩ وابن كثير ٥٦٠/٣ .

(٤) قال ابن عطية ٢٢٩/٦ : الضمير في « وما جعله » عائد على الوعد ، وهذا أمكن الأقوال من جهة المعنى ، وقال الزجاج : عائد إلى المدد ، ويحتمل أن يعود على الإمداد . وانظر معاني الزجاج ٤٤٥/٣ .

قال ابن أبي نجيح : كان المطر قبل النعاس[1] .

ويُقال : أمِنَ ، يأمنُ ، أمْنًا ، وأمَانًا ، وأمَنَةً ، وأمْنَةً .

ورُوي عن ابن محيصن أنه قرأ « أمْنَةً » بإسكان الميم[2] .

وقال عبد الله بن مسعود : النُّعاسُ في الصلاة من الشيطان ، وفي الحرب أمَنَةٌ[3] .

١٢ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾** .

[آية ١١]

قال الضحاك : سَبَق المشركون المسلمينَ إلى الماء ببدر ، فبقي المسلمون عطاشاً ، مُحْدِثين مُجْنَبين ، لا يَصِلون إلى الماء ، فوسْوَسَ إليهم الشيطانُ فقال : إنكم تزعمون أنكم على الحقِّ ، وأن فيكم النبي ، وعدوُّكم معه الماء ، وأنتم لا تَصِلون إليه ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزّ المطر ، فشربوا منه حتى رَوُوا ، واغتسلوا ، وسَقَوا دوابَّهم[4] .

---

(١) الأثر في ابن كثير عن مجاهد ٥٦٤/٩ قال : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس ، فأطفأ بالمطر الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت نفوسهم ، وثبتت أقدامهم . وكذا في الطبري ١٩٢/٩ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٧٣/١ ويظهر أن الشاذ ليس في إسكان الميم فقط بل في قراءتها « أمنة نعاساً » كما نسبها في المحتسب لابن محيصن .

(٣) الأثر في جامع البيان ١٩٣/٩ وتفسير ابن كثير ٥٦٢/٣ والبحر المحيط ٤٦٨/٤ .

(٤) الأثر ذكره الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ٥٦٣/٣ ثم قال : ونحو ذلك رُوي عن قتادة ، والضحاك ، والسدي ، ورواه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ١٩٥/٩ وهو في القرطبي ٣٧٢/٧ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٩٦/٣ رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وفي الدر المنثور ١٧١/٣ .

قال ابن أبي نجيح : رَوَوْا من الماءِ ، وسَكَنَ الغبارُ(١) .

وقال غيره : كان ذلك من الآيات العظام ، لأنهم كانـــوا على سَبِخَةٍ(٢) ، لا تثبت فيها الأقدام ، فلمَّا جاء المطر ثبتتْ أقدامُهم(٣) .

١٣ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ .. ﴾** [آية ١١] .

قال ابنُ أبي نجيح : أي وساوسَهُ(٤) .

قال الضحاك : وأما قوله ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ فإنَّه كانتْ بِهِ رُمَيْلَةٌ لا يقـدر أحـدٌ أن يقـف عليها ، فلمَّـا جاءَ المطـر ثَبَـتت الأقـدامُ عليها(٥) .

١٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٩٦/٩ رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وفي الدر المنثور ١٧١/٣ .

(٢) في المصباح ٢٨٢/١ : سَبِخَتِ الأرضُ فهي سَبِخَةٌ بكسر الباء ، وإسكانها تخفيف ، وأرض سَبَخة بفتح الباء أيضاً أي ملحة .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان ١٩٧/٩ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٦٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ١٩٧/٩ وذكره السيوطي في الدر ٧١/٣ من قول مجاهد وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٩٦/٩ وابن كثير ٥٦٣/٣ والسيوطي في الدر ١٧١/٣ وعبارة الطبري عن الضحاك أن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأُ ، وصلَّوْا محدثين مجنبين ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، ووسوس فيها إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأنتم تصلُّون محدثين مجنبين ، فأمطر الله السماء حتى سال كلُّ وادٍ ، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم ، وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبتت به الأقدام ، لأنه كان بينهم وبين عدوهم رملةٌ لا تجوزها الدواب ، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجهد ، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام . اهـ.

يجوز أن يكون المعنى : ثبِّتُوهم بشيء تُلْقُونَهُ في قلوبهم .

ويجوز أن يكون المعنى : ثبِّتُوهم بالنصر ، والقتال عنهم .

١٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ .. ﴾** [آية ١٢] .

قيل : إنَّ « فوق » هاهنا زائدة[1] ، وإنما أُبيحوا أن يضربوهم على كل حال .

ويدلُّ عليه ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ لأن البَنَان أطرافُ الأصابع ، الواحدةُ : بَنَانة ، مشتقٌ من قولهم أَبَنَّ بالمكان إذا أقامَ به[2] .

١٦ ــ **ثم قال جل وعزّ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾** [آية ١٣] .

أي خالفوا ، كأنهم صاروا في شقٍّ آخر[3] .

---

(١) هذا قول الأخفش وابن قتيبة وهو مروي عن عطية والضحاك كما في تفسير ابن الجوزي ٣٣٠/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٤٢/١ : « فوق » بمعنى « على » أي اضربوهم على الأعناق ، تقول : ضربتُه فوق الرأس ، وضربتُه على الرأس .

(٢) في الصحاح للجوهري مادة بنن : البَنَانةُ واحدةُ البَنَان ، وهي أطراف الأصابع ، وجمع القلَّةِ بنانات ، ويُقال : بَنَانٌ مخضَّبٌ ، لأن كل واحد ليس بنيه وبين واحدة إلا الهاءُ ، فإنه يوحَّد ويذكَّر ، وأَبَنَّ بالمكان : أقامَ به . اهـ .

(٣) المشاقَّة في اللغة : المخالفة والعنادُ قال في المصباح : شاقَّة ، مشاقَّةً ، وشِقاقاً : خالفه ، وحقيقتُه أن يأتي كلٌّ منهما ، ما يشقُّ على صاحبه ، فيكون كلٌّ منهما في شقٍّ غير شقِّ صاحبه . اهـ . المصباح مادة شقق .

١٧ ـ وقوله جلّ وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [آية ١٥] .

أي : إذا واقفتُموهم[(١)] ، يقال : زحفتُ له ، إذا ثبتُّ .

وقيل : : التَّزاحفُ التداني والتَّقاربُ ، أي : متزاحفٌ بعضُهم إلى بعض[(٢)] .

١٨ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ .. ﴾ [آية ١٦] .

قال الحسن : كان هذا يوم بدر خاصَّة ، وليس الفرار من الزحف من الكبائر[(٣)] .

ورَوَى شعبةُ عن داودَ بنِ أبي هندٍ ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت في يوم بدر .. حدثنا أبو جعفر قال : نا ابنُ سَمَاعه قال : نا أبو نُعَيْمٍ قال : نا موسى بنُ محمد عن داودَ بن أبي هنْدٍ ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٤٨/٢ قال : إذا واقفتموهم للقتال فلا تُدبروا أي إذا واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد ، وتولية الأدبار كناية عن الفرار ، أي فلا تنهزموا أمامهم .

(٢) التزاحف الدنوُّ والتقارب ، قال في البحر ٤٧٣/٤ : الزحف : الدنوُّ قليلاً قليلاً ، يُقال : زحف إليه إذا مشى ، وأزحفت القوم : دنوت لقتالهم ، وسمي الجيش العرمرم بالزحف لكثرته ، كأنه يدبُّ دبيباً من الكثرة ، من زَحَف الصَّبي إذا دب على إليته قليلاً قليلاً . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٠٢/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣١/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٣/٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . اهـ.

دُبُرَهُ ﴾ إلى قوله « وَبِئْسَ المَصِيرُ » قال : ذلك يوم بدر[1] .

وقال عطاء : هي منسوخةٌ إلى قوله ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾[2] أهل بدر ، لم يكن لهم إمامٌ ينحازون إليه ، إذْ كان النبيُّ ﷺ معهم ، فلم يكنْ لهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه[3] .

وفي حديث ابن عمر « حِصْنا حَيْصَةً في جيشٍ فخفنا ، فقلنا يا رسول الله : نحن الفرَّارون ، فقال : أنا فئتكُمْ »[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩/٢٠٢ والسيوطي في الدر ٣/١٧٣ ورواه ابن كثير ٣/٥٦٨ عن عمر قال : أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا فئةٌ لكل مسلم ، كما رواه ابن أبي حاتم من طريق خلّاد بن سليمان الحضرمي عن نافع قال : سألت ابن عمر قلت : إنَّا قومٌ لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا ندري من الفئة إمامنا أو عسكرنا ؟ فقال : إن الفئة رسول الله ﷺ ، وإنما نزلت هذه الآية في بدر ، لا قبلها ولا بعدها . اهـ.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٩/٢٠٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٣١ ورجح ابن جرير أن الآية محكمة غير منسوخة ، وأن حكمها ثابت في جميع المؤمنين ، ولا يجوز للمؤمنين إذا لقُوا عدوَّهم أن يولُّوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرُّف القتال ، أو للتحيز إلى فئةٍ من المؤمنين . اهـ. جامع البيان ٩/٢٠٣ .

(٤) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٢/٧٠ ولفظه : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنتُ في سريَّة من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناسُ حيصةً ــ أي انهزموا وفرُّوا ــ وكنتُ فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف ، وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا !! ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ؟ فأتيناه قبل صلاة الغداة ــ أي الظهر ــ فخرج فقال : من القوم ؟ فقلنا : نحن الفرَّارون ، فقال : لا ، بل أنتم العكَّارون ــ أي الفارُّون إلى إمامهم ــ أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبَّلنا يده » ورواه أبو داود ٣/٤٦ والترمذي ٥/٣٧٨ من تحفة الأحوذي وقال : حسن غريب .

وكذا قال عمر يوم القادسيّة : أنا فئةُ كل مسلم[1] .

وقيل : ذا عامٌّ ، لأن ذلك حكم « مَنْ »[2] إلّا أن يَقع دلِيلٌ ، فإن خاف رجلٌ على نفسه وتيقّنَ أنه لا طاقة له بالمشركين ، فله الرجوع ، لئلا يُلقي بيده إلى التهلكة[3] .

١٩ ــ **ثم قال جل وعزّ** : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ** .. ﴾ [آية ١٧] .

وقال ابن أبي نجيح: لمَّا قال هذا قتلتُ ، وهذا قتلتُ[4] !

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ** .. ﴾ [آية ١٧] .

قال ابن أبي نجيح : هذا لمَّا حصَبَهم رسولُ الله ﷺ[5] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ هذا في اللغةِ ، أنهم خُوطبوا على ما يعرفون ، لأن عددهم كان قليلاً وأُبلغُوا من المشركين[6] . ويُروى أن رسول الله ﷺ حَصَبَهم بكفه ، فلم يبق أحدٌ من المشركين إلاَّ وقع في

---

(١) انظر جامع البيان ٢٠٢/٩ والدر المنثور ١٧٣/٣ وزاد المسير ٣٣١/٣ .

(٢) يعني أن لفظ « مَنْ » يفيد العموم لجميع المنهزمين .

(٣) هذا إذا بقي منفرداً عن إخوانه المجاهدين ، فيجوز له الفرار ، لئلا يعرِّض نفسه للهلاك كما قال سبحانه ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٠٤/٩ .

(٥) جامع البيان ٢٠٤/٩ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قاله لمحمد ﷺ حين حَصَبَ الكفَّارَ .

(٦) قال الزجاج ٤٤٩/٢ : ليس هذا نفي رمي النبي ﷺ ولكنَّ العرب خوطبت بما تعقل . اهـ. والمراد أن الله عز وجل هو الذي بلغ ذلك إليهم .

عينـه ، أي فلــو كان إلى ما في يد رسول الله ﷺ لم يصل إلى ذلك الجيش العظيم ، ولكنَّ اللهَ فعل بهم ذلك[1] .

والتقديرُ ـ واللهُ أعلم ـ وما رميتَ بالرعب في قلوبهم ، إذ رميتَ بالحصباء في وجوههم ، وقلتَ : شاهتِ الوجوهُ ، ولكنَّ اللهَ رمى بالرعب في قلوبهم[2] .

وقيل : المعنى : وما رميت الرمي الذي كانت [به][3] الإماتة ، ولكنَّ اللهَ رَمَى .

٢١ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا .. ﴾ [آية ١٧] .

والبلاء هاهنا النعمة .(٤)

---

(١) روى الحافظ ابن كثير ٥٧١/٣ عن محمد بن كعب القرظي قال : « لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ وانظر جامع البيان ٢٠٥/٩ .

(٢) هذا قول ابن الأنباري كما في زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٤/٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناها ليتناسق الكلام ، ولا بد في الآية من تقدير ، فقد نفي الرمي وأثبته للرسول ﷺ ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى ﴾ والمعنى كما في البحر ٤٧٧/٤ : إن الرمية التي رميتها ، لم ترمها أنت يا محمد على الحقيقة ، ولكنها كانت رمية الله ، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم ، لأن كفاً من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير .

(٤) قال في البحر ٤٧٧/٤ : ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً ﴾ قال السدي : أن ينصركم وينعم عليهم ، يقال : أبلاه إذا أنعم عليه ، وبلاه إذا امتحنه ، والبلاء يستعمل للخير والشر ، ووصفه بالحسن يدل على النصر والعزة أي ليعطيهم عطاءً جميلاً . اهـ.

٢٢ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ .. ﴾ [آية ١٩] .

قال مجاهد : أي إن تستنصروا(١) .

وقال الضحاك : قال أبو جهل : « اللهمَّ انصرْ أحبَّ الفئتين إليك » فقال اللهُ عز وجل ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ ﴾(٢) .

والمعنى عند أهل اللغة : إن تستدعوا الفتح ، وهو النَّصْرُ(٣) .

٢٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [آية ٢١] .

لأنهم استمعوا استماع عداوة(٤) ، ويبيِّنه قوله ﴿ إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

---

(١) الأثر في الطبري ٢٠٧/٩ وابن كثير ٥٧٢/٣ والدر المنثور ١٧٥/٣ وهو قول ابن عباس .

(٢) أخرج أحمد في المسند ٤٣١/٥ عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحِنْه الغَدَاة ــ أي فأهلكه اليوم ــ فكان أبو جهل هو المستفتح » وروى ابن كثير ٥٧٣/٣ عن السدي قال : « كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر ، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبلتين ، فقال الله عز وجل ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ أي النصر ، يقول : قد نصرت من قلتم وهو محمد ﷺ .

(٣) كذا قال الزجاج في معانيه ٤٥١/٢ : أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر .. لأن السين والتاء للطلب .

(٤) إنما أخبر تعالى عنهم أنهم لا يسمعون ، لأن الغرض من السماع التدبر والانتفاع ، فإذا لم ينتفع الإنسان بما سمعه فكأنه لم يسمع .

عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

أي : هم بِمنزلة الصمِّ في أنهم لا يسمعون سماعَ مَنْ يقبلُ الحقَّ، وبمنزلةِ البُكْمِ لأنهم لا يتكلَّمون بخير ، ولا يعقلونه[1] .

٢٤ ــ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي لأسمعهم جواب كلِّ ما يَسْألونَ عنه .

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ٢٣] .

أي لو أخبرهم بكل ما يسألون عنه ، لأعرضوا وكفروا ، معاندةً وحسداً[2] .

٢٦ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ..﴾ [آية ٢٤] .

أبو عبيدةَ يذهب إلى أنَّ معنى « اسْتَجِيبُوا » أجيبوا ، وأنشد :

---

(١) شبَّه تعالى الكفار بالبهائم ، بل جعلهم شراً منها ﴿إن شر الدواب﴾ أي شر البهائم التي تدب على وجه الأرض ، الصم الذين لا يسمعون الحق ، الخرس الذين لا ينطقون به ، الذين فقدوا العقل والإحساس ، فالكافر كالبهيمة لا يسمع الحق ولا ينطق به ، وهذا هو وجه المشابهة .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٥٢/٢ والآية تتوجه على الغرض والتقدير ، والمعنى : لو علم الله فيهم شيئاً من الخير والصلاح ، لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ، ولو فُرِض أن الله أسمعهم ــ وقد علم أن لا خير فيهم ــ لأعرضوا واستنكفوا عن الإيمان والاستجابة .

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

٢٧ ـ **ثم قال جل وعزّ ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..﴾** [آية ٢٤] .

أي لما تصيرون به إلى الحياة الدائمةِ في الآخرة[2] .

٢٨ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ..﴾** [آية ٢٤] .

قال سعيد بن جُبَيْرٍ : يحولُ بين المؤمنِ وبين الكفر ، وبين [الكافر وبين][3] الإيمان[4] .

وقال الضحاك : يحولُ بينَ المؤمنِ والمعصية ، وبين الكافر والطاعة[5] .

قال أبو جعفر : وأوَّلَ هذا القول بعضُ أهل اللغة ، أن

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٤٥/١ والبيت لكعب بن سعد الغَنَوي يرثي أخاه أبا المغوار ، وهو في خزانة الأدب ٣٥٧/٤ ولسان العرب ٢٨٣/١ وأمالي المرتضى ٦٠٤/١ ومعاني الزجاج ٢٤٢/١ .

(٢) قال القرطبي ٣٨٩/٧ : أي إلى ما يُحيي به قلوبكم من الإيمان فتوحِّدوه ، وهذا إحياء مستعار ، لأنه إحياء من موت الكفر والجهل ، وقال مجاهد والجمهور : المعنى استجيبوا للطاعة والقرآن ففيه الحياة الأبدية ، والنعمة السرمدية .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل وأثبتناه من الهامش .

(٤) و (٥) الأثران عن الضحاك وابن جبير في جامع البيان ٢١٦/٩ وابن كثير ٥٧٥/٣ وزاد المسير ٣٣٩/٣ قال ابن كثير : وهذا القول مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد ، وعكرمة ، والضحاك ، وعطية ، والسدي . اهـ.

معناه : يحول بينهما وبين ذَنْبِكَ بالموتِ[1] .

وقيل : هو تمثيلٌ ، أي هو قريبٌ كما قال جل وعز ﴿ وَنحنُ أقربُ إليه من حَبْلِ الوريد ﴾[2] .

وقيل : كانوا ربَّما خافوا من عدوهم ، فأعلمهم اللهُ جلَّ وعزّ ، أنه يحول بين المرء وقلبه ، فيبدلهم من الخوف أمنًا ، ويُبدل عدوَّهم من الأمن خوفًا[3] .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ واتَّقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً .. ﴾** [آية ٢٥] .

قيل : إنها تعمُّ الظالم وغيره .

وروى ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عباس ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا منكُمْ خاصَّةً ..﴾ قال أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر

---

(١) هذا أحد أقوال عشرة للمفسرين ، ذكرها ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٣/٣٤٠ فارجع إليها هناك والله يرعاك .

(٢) سورة ق آية رقم ١٦ وقد ذكر هذا القول الطبري في جامع البيان ٩/٢١٧ وعزاه إلى قتادة ، ورجّح أن المعنى : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان . أقول ويؤيد هذا القول ما ورد في مسند الإمام أحمد ٤/١٨٢ وسنن الترمذي ٦/٣٤٩ عن النبي ﷺ أنه كان يقول « يا مقلّب القلوب ثبّتْ قلبي على دينك ، قال أنس فقلت : يا نبي الله آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله ، يقلّبها كيف يشاء » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . تحفة الأحوذي ٦/٣٥٠ .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٢/٤٥٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٣/٣٤٠ .

بين أظهرهم فيعمَّهم الله بالعذاب[1] .

وقال الضحاك : هي في أصحاب محمد ﷺ خاصة[2] .

وروي عن الزبير أنه قال يوم الجمل لما لقِيَ : ما توهّمت أن هذه الآية نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ إلّا اليوم ﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾[3] .

وقولٌ آخرُ ، وهو قولُ أبي العباس محمد بن يزيد ، أنه نهيٌ بعد أمرٍ ، نَهْيُ الفتنة : والمعنى في النهي للظالمين ، أي لا تقربُنَّ الظلم . وحكى سيبويه : لا أرينَّك هاهنا ، أي لا تكنْ هاهنا ، فإنه من كان هاهُنا رأيتُه[4] .

وأبو إسحق : يذهب إلى أن معناه الخبرُ ، وجاز دخول النون في الخبر لأن فيه قوّة الجزاء[5] .

قال أبو جعفر : ورأيتُ عليَّ بن سليمان يذهب إلى أنه

---

(1) (2) و (3) هذه الآثار عن السلف ، ذكرت في جامع البيان للطبري ٢١٨/٩ وتفسير ابن كثير ٥٧٨/٣ والدر المنثور ١٧٧/٣ وتفسير ابن الجوزي ٣٤١/٣ والمراد بالآية الكريمة أن الفتنة تعم الصالح والطالح ، وتصيب البريء والمذنب .

(4) انظر تفسير ابن الجوزي ٣٤٢/٣ فقد نقل عن ابن الأنباري فيها قولين :
أحدهما : أنها بتأويل الخبر ، أي إن لا يتّقوها تصب الذين ظلموا وغيرَهُم ، وتقع بالصالحين والطالحين .
والثاني : أنها نهي محض معناه : لا يَقْصِدَنَّ الظالمون هذه الفتنة فيهلكوا . اهـ.

(5) انظر معاني القرآن ٤٥٣/٢ فقد وضح فيه الزجاج هذا القول ، ومثَّل له الأمثلة .

دعاءٌ[1] .

٣٠ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مُسْتَضْعَفُونَ في الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ..﴾ [آية٢٦] .

قال وهب بن منبّه : يعني بالناس فارس[2] .

وقال عكرمة : كفّار قريش[3] .

قال السّدّي : فآواكم إلى المدينة[4] .

٣١ ـ وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد وعطاء والضحاك : أي مخرجًا[5] .

قال مجاهد : في قوله ﴿ يَوْمَ الفُرْقَانِ ﴾ قال : يوم بدر ، فَرَقَ اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل[6] .

قال أبو جعفر : والفرقانُ في اللغة : بمعنى الفَرْقِ ، يقال : فرقتُ بينَ الشيئين فَرْقًا ، وفُرْقاناً[7] .

---

(١) هذا القول ضعيف لا وجه له ، والأظهر ما قاله في البحر ٤٨٢/٤ عن ابن عباس قال : أمرُ الله المؤمنين أن لا يُقرُّوا المنكر بين أظهرهم فيعمَّهم الله بالعذاب ، ويؤيده ما رواه البخاري والترمذي « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمَّهم الله بعذاب من عنده » وفي مسلم من حديث زينب قالت « أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخَبَثُ » .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها ابن جرير ٢٢٠/٩ ـ ٢٢٥ وابن الجوزي ٣٤٣/٣ وابن كثير في تفسيره ٥٨٣/٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٣ ـ ١٧٩ .

(٧) في المصباح ١٢٥/٢ : فرقت بين الشيء : فصلت أبعاضه ، وفرقت بين الحق والباطل : فصلت أيضاً من باب قتل ، هذه هي اللغة العالية ، وبها قرأ السبعة « فافرق بيننا وبين القوم » والاسم الفرقة بالضم ، والفرقانُ : القرآن . اهـ.

٣٢ ــ وقولُه جل وعزّ ﴿ وإذْ يمكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك ، أو يقتلوك ، أو يُخْرِجُوك ..﴾ [آية ٣٠] .

يُقال : أثبتُّهُ إذا حبستَهُ .

قال مجاهد : أرادَ الكفارُ أن يفعَلُوا هذا بالنبيِّ ﷺ قبل خروجه من مكَّة .

وقال غيره : اجتمعوا فقالوا : نَحْبِسُهُ في بيتٍ ، ونطعِمُه ونَسْقِيه فيه ، أو نقتلُهُ جميعاً قَتْلَ رجلٍ واحد ، أو نخرجُهُ فتكون بليَّتُه على غيرنا ، فَعَصَمَهُ اللهُ عز وجل منهم[1] .

---

(١) أشار المصنف إلى ما رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٢٧/٩ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٨٥/٣ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « إن نفراً من قريشٍ من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلمَّا رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخٌ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم فأردتُ أن أحضركم ، ولن يعدمكم مني رأي ونصح ، قالوا : أَجل ادخلْ ، فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ــ يعني محمداً ﷺ ــ واللهِ ليوشكنَّ أن يواثبكم بأمره ، فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء ، فصرخ عدوُّ الله فقال : واللهِ ما هذا لكم برأي ، فليوشكنَّ أن يَثِبَ أصحابه عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لا يضركم ما صنع !! فقال عدوُّ الله إبليس : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه القلوب بحديثه ؟ والله لئن فعلتم لتجتمعنَّ عليكم العرب حتى يخرجوكم من بلادكم ، ويقتلوا أشرافكم ، قالوا : صدق ، فانظروا رأياً غير هذا ، فقال أبو جهل : والله لأشيرنَّ عليكم برأي ما أرى غيره !! نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً جلداً ، ونعطي كل واحداً سيفاً صارماً ، ثم يضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ ، فيتفرق دمه في القبائل كلها ، فصرخ عدو الله إبليس : هذا هو الرأي لا أرى غيره ، فنزلت الآية ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا .. ﴾ الآية .

وفي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ هي ليوثِقُوكَ[1] .

٣٣ ـ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**
[آية ٣٢] .

قال مجاهد : الذي قال هذا « النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ بنِ كَلَدَةَ »[2] .

ويروى أنَّ هذا قيل بمكة ، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ .

قيل في هذه الآية أقوال :

رُوي عن ابن عباس أنَّ « النَّضْر بنَ الحارِثِ » قال هذا ـ يريد : أَهْلِكْنَا ومحمَّداً ومن معه عامَّةً ـ فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهمْ ﴾ إلى ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي ومنهم قومٌ يستغفرونَ ، يعني المسلمين ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ ﴾ خاصّة ، فعذبهم بالسيف بعد خروج النبي ﷺ عنهم ، وفي ذلك نزلت ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[3] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٢٢٦/٩ .
(٢) جامع البيان ٢٣٢/٩ .
(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣٢/٩ أن القائل لتلك الكلمة الفاجرة هو « النضر بن الحارث » وأخرجه ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ٥٨٩/٣ ، قال : وكذا قال =

وَرَوَى الزهريُّ عن عبد الله بن ثَعْلَبَةَ بن صُعَيْرٍ أن المستفتِح يوم بدر « أبو جهلٍ » وأنه قال : « اللهم اخْزِ أقطَعَنَا للرَّحِمِ » فهذا استفتَاحُه[1] .

وقال عطية[2] في قوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ يعني المشركين حتى يخرجه عنهم ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ يعني المؤمنين ، قال ثمَّ رجع إلى الكفار فقال ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾[3] ؟

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ ، ومعناه ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ : وما كان الله مُعَذِّبهم وأنت بين أظهرهم ،

= مجاهد ، وعطاء ، والسدي ، إنه « النضر بن الحارث » قال عطاء : ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل .. وروى البخاري في صحيحه ٧٨/٦ عن أنس قال : قال أبو جهل ﴿ اللهمَّ إن كان هَذَا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء .. ﴾ الآية .

أقول : ولا يمنع أن يكون قائل ذلك « النضر بن الحارث » و « أبو جهل » وغيرهما من صناديد الكفر ، وعلى ذلك يكون القائل كذلك أكثر من واحد .

(١) هذا يؤيد ما ورد في البخاري ٧٨/٦ ومسلم ٢١٥٤/٤ أن القائل هو « أبو جهل » وانظر الدر المنثور أيضاً ١٨٠/٣ .

(٢) هو عطية بن سعد بن جُنَادَة العَوْفِي وكنيته أبو الحسن ، قال ابن حجر في التقريب ٢٤/٢ : صدوقٌ يخطئ كثيراً ، كان شيعياً مدلِّساً من الثالثة ، مات سنة ١١١هـ وانظر ترجمته موسعة في تهذيب التهذيب ٢٢٤/٧ .

(٣) الأثر في جامع البيان ٢٣٤/٩ وتفسير ابن كثير ٥٩٠/٣ والدر المنثور ١٨١/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

وكذلك سنتُّه في الأمم[1] .

٣٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .**
[آية ٣٣]

وعاد الضميرُ على من آمن منهم[2] .

٣٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُـمُ اللّٰهُ ﴾ ؟** [آية ٣٤]

أي إذا خرجتَ من بين أظهرهم .

ويجوز أن يكون معناه : وما لهم ألَّا يعذِّبهم اللّٰه في القيامة .

وقيل معناه : وما كان اللّٰه معذبهم لو استغفروه على غير إيجاب لهم ، كما تقول : لا أغضبُ عليك أبداً وأنتَ تطيعني ، أي : لو أطعتني لم أغضبْ عليك ، على غير إيجابٍ منك لطاعته[3] .

وقال مجاهد : معناه : وما كان اللّٰه عذبهم وهم مسلمون[4] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا وما كان اللّٰه معذِّبهم ومنهم من يؤولُ أمرُهُ إلى الإسلام .

وروي عنه : وفي أصلابهم من يستغفر[5] .

---

(١) هذه الآية فيها أعظم مظاهر التكريم للنبي ﷺ ، حيث جعل اللّٰه وجوده أماناً للأمة من عذاب الاستئصال ، لأنه كما أخبر تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ والمعنى الذي أشارت إليه الآية : إن هؤلاء المشركين مستحقون للعذاب ، ولكنه تعالى لا يعذبهم وأنت فيهم إكراماً لك يامحمد ، قال ابن عباس : « إن اللّٰه جعل في هذه الأمة أمانين : نبي اللّٰه ﷺ ، والاستغفار ، أما النبي فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة » التفسير الكبير ١٥٨/١٥ .

(٢) انظر الطبري ٢٣٧/٩ وتفسير ابن كثير ٥٩٠/٣ والبحر المحيط ٤٩٠/٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٤٩/٣ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٣٩٩/٧ وهو مروي عن قتادة وابن زيد ، قال : ومعناه لو استغفروا وهو استدعاء لهم إلى الاستغفار .

(٤) (٥) الأثر عن مجاهد في تفسير ابن الجوزي ٣٥١/٣ والطبري ٢٣٧/٩ والبحر المحيط =

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً .. ﴾** [آية ٣٥] .

روى عطيةُ عن ابن عمر أنه قال : المكاءُ : الصفيرُ ، والتَّصْديةُ : التصفيق(١) .

قال ابن شهاب : يستهزءون بالمؤمنين .

وروى ابنُ أبي جريج وابنُ أبي نجيح أنه قال : المكاءُ : إدخالهم أصابعهم في أفواههم ، والتصديةُ : الصَّفيرُ ، يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً ﷺ عن الصلاة(٢) .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللُّغةِ ما رُوي عن ابن عمر(٣) .

حكى أبو عبيد وغيره أنه يُقال : مَكَا ، يَمْكُو ، ومُكَاءً : إذا صَفَر ، وصدَّى يُصدِّي تَصْدِيةً : إذا صَفَّق(٤) .

= ٤٩٠/٤ ورجح ابن جرير ٢٣٨/٩ أن المعنى : ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، ولكنهم لا يستغفرون بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون ، كما يُقال : ما كنتُ لأحسنَ إليك وأنت تسيء إلي ، يريد لا أحسن إليك إذا أسأت إلي .

(١) الأثر في الطبري ٢٤١/٩ وابن كثير ٥٩٣/٣ والبحر المحيط ٤٩٢/٤ .

(٢) الأثر في جامع البيان ٢٤١/٩ وجامع الأحكام ٤٠١/٧ وتفسير ابن كثير ٥٩٣/٣ .

(٣) وهذا قول جمهور علماء السلف ، ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن أسلم كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٩٣/٣ وقال أبو حيان في البحر ٤٩١/٤ : وضعوا مكان الصلاة ، والتقرب إلى الله ، التصفير والتصفيق ، فقد كانوا يطوفون عراة ، رجالهم ونساؤهم ، مشبكين بين أصابعهم ، يصفرون ويصفقون .

(٤) في الصحاح ٤٩٥/٦ : المكاءُ : الصفيرُ ، وقد مَكَا يَمْكُو مَكْوًا ومُكَاءً : صَفَر ، قال عنترة : « تمكو فريضتُه لشِدْقِ الأعلم » أي تصوِّت ، والتَّصديةُ : التصفيقُ ، والصَّدى : الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها . اهـ .

قال أبو جعفر: ويبعد قولُ ابن زيد التصديةُ : صدُّهم عن دين الله[1] ، لأنَّ الفعل من هذا صددتُ إلاَّ أن تُقلب إحدى داليْهِ ياءً مِثْلَ : تظنَّيتُ من ظَنَنْتُ ، وكذا ما روي عن سعيد بن جبير : التصديةُ : صدُّهم عن بيت الله[2] .

٣٧ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ .. ﴾** [آية ٣٦] .

قال مجاهد : يعني « أبا سفيان » وما أنفقَ على أصحابه يوم أحد[3]

٣٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعَاً ﴾** [آية ٣٧] .

يقال : ركمتُ الشيءَ ، إذا جعلت بعضه فوق بعض[4] .

---

(١) و (٢) ذكرهما الطبري في جامع البيان ٢٤٣/٩ وردَّهما حيث قال : وقد قيل : إنها الصدُّ عن بيت الله الحرام ، وذلك قول لا وجه له ، لأن التَّصَديةُ مصدرُ صدَّيتُ ، تَصْدِيَةً ، وأما الصَدُّ فلا يُقال منه : صدَّيتُ ، إنما يُقال : صَدَدْتُ ، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجَّهَ التصدية إلى أنه من صدَّدْتُ ، ثم قُلبت إحدى داليْهِ ياءً ، كما يُقال : تَظَنَّيتُ من ظَنَنْتُ . اهـ.

(٣) انظر الأثر في جامع البيان ٢٤٧/٩ وقد ذكر ابن جرير أن أبا سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وذكر السيوطي في الدر ١٨٤/٣ عن سعيد بن جبير أن الآية نزلت في « أبي سفيان بن حرب » استأجر يوم أحدٍ ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله سوى من استجاشهم من العرب فنزلت فيه الآية .

(٤) قال في البحر ٤٧٤/٤ : قال الليثُ : الرَّكْمُ جمعكَ شيئاً فوق شيء ، حتى تجعله رُكاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب .

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَيَجْعَلَهُ في جَهَنَّمَ ﴾** [آية ٣٧]

أي : الخبيثَ ليُعَذَّبوا به .

ويعني بالخبيث : الكفار ، كذا قال ابن عباس : « ميَّزَ أهل السعادة من أهل الشقاء ، أي بأن أسكن هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار »[(١)] .

أي فيجعل الكفَّار بعضهم فوق بعض فيجعلهم ركاماً ، أي يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ﴿ أولئك ﴾ ردّه إلى الكافرين ، وردَّ ﴿ فَيَجْعَلَهُ ﴾ إلى الخبيث على لفظه ، ليعذَّبوا به ، كما قال تعالى ﴿ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾[(٢)] .

وقوله جل وعز ﴿ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ .

[آية ٣٨]

قال مجاهد : يومَ بدر للأمم قبل ذلك ، فقد فرق الله جل وعزَّ بين الحقِّ والباطل[(٣)] .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَاتِلُوهُم حتَّى لا تكونَ فِتْنَةٌ .. ﴾** [آية ٣٩] .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٤٦/٩ وفي ابن كثير ٥٩٥/٣ وفي تفسير ابن الجوزي ٣٥٦/٣ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٤٧/٩ وعبارة ابن جرير أوضح ، فقال قال مجاهد « فقد مضتْ سُنَّة الأولين » في قريش يوم بدرٍ ، وغيرها من الأمم قبل ذلك ، من إحلال عاجل النّقم بهم . اهـ. وفي تفسير مجاهد ٢٦٣/١ : يعني قريشاً يوم بدر ، وفي غيرها من الأمم قبل ذلك . وكلام مجاهد هنا أوضح مما رواه المصنِّف .

المعنى : حتى لا تكون فتنةُ كفرٍ[1] ، ودلَّ على هذا الحذفِ قولُه تعالى ﴿ وَيَكُوْنَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ﴾

٤١ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ ، نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾** [آية ٤٠] .

أي وإن عادوا إلى الكفر وعداوتكم ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي وليكم وناصركم ، فلا تضرُّكم عداوتهم[2] .

٤٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ ، وَلِلرَّسُولِ ، وَلِذِي القُرْبَى ، واليَتَامَى ، والمَسَاكِينِ ، وابنِ السَّبِيلِ .. ﴾** [آية ٤١] .

اختلف في معنى هذه الآية :

فقال قوم : يُقسَم الخمس على خمسة أجزاء : فأربعةٌ منها لمدة شهر الحرب[3] ، وواحد منها مقسوم على خمسةٍ ، فما كان منه للرسول

---

(١) المراد بالفتنة هنا الشركُ والكفرُ ، كما روي عن الحسن ، وابن عباس ، والسدي ، قال ابن عباس : أي حتى لا يبقى على وجه الأرض ، وقال ابن جريج : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وانظر الطبري ٢٤٨/٩ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٠/٩ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٩٥/٤ قال الطبري : إن أدبر هؤلاء المشركون عن الإيمان ، وأبَوْا إلا الإصرار على قتالكم ، فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم ، فنعم هو المعين لكم ولأوليائه ، الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر ، ونعم هو الناصر لعباده ! .

(٣) إنما عرف هذا بدلالة النص ، لأنه لما بين تعالى حكم الخمس ومصارفه ، وسكت عن الباقي دلَّ ذلك على أنه ملك للغانمين ، انظر جامع الأحكام ١٣/٨ .

صُيِّر فيما كان رسول الله ﷺ يصيِّره فيه .

ويروى أنه كان يصيِّره تقوية للمسلمين وأربعة لذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله .

وقال بعضهم : يُقسم هذا السهم على قلَّتِه أجزاء للفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل لأن رسول الله ﷺ قال « لا نُورَثُ ما تركنا صَدقَةَ »[1] وهذا مذهب أبي حنيفة .

وقال بعضهم : إذا رأى الإمام أن يعطي هؤلاء المذكورين أعطاهم ، وَإن رأى أن غيرَهم أحقُّ منهم أعطاهم ، قال : ولو كان ذكرهم بالسهميّة يوجب أن لايَخْرج عن جملتهم ، لما جاز إذا ذُكر جماعة أن يُعطى بعضُهم دون بعض[2] ، وقد قال الله عز وجل ﴿ إنَّما الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِ ، والمساكين .. ﴾[3] إلى آخر الآية ، ولو جعلت في بعضهم دون بعض لجاز ، ولكنهم ذُكروا لأنهم من أهم من يُعطى .

وقال جل وعز ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ١٨٥/٨ عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ فقال لهما أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » ورواه مسلم برقم ١٧٦٠ في الجهاد ، ومالك في الموطأ ٩٩٣/٢ وأبو داود في كتاب الخراج برقم ٢٩٧٤ .

(٢) قال أبو حنيفة : يُقسم الخمس على ثلاثة (اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل) لأنه قد ارتفع سهم الرسول ﷺ بموته ، كما رتفع سهم أقربائه بموته ، قالوا : ويُبدأ من الخمس بإصلاح القناطر ، وبناء المساجد ، وأرزاق القضاة والجند ، ويُصرف في مصالح المسلمين .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٠ .

وَالْأَقْرَبِينَ ﴾[1] .

وله أن يعطي غير من سُمِّي ، وهذا مذهب مالك[2] .

وأما معنى ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ ﴾ فهو افتتاح كلام . قال « قيس بن مسلم الجَدَلي[3] » سألتُ الحَسَنَ بن محمد ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ فقال : هو افتتاح كلام[4] ، ليس للّـه نصيبٌ ، للّهِ الدنيا والآخرة[5] .

حدثنا أبو جعفر قال : نا محمد بن الحسن بن سَمَاعة ، قال : نا أبو نعيم قال : نا أبو جعفر عن الربيع ، عن أبي العالية ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ .

قال : يُجاء بالغنيمة فتوضع ، فيقسمها رسولُ الله ﷺ على خمسةِ أسهم ، فيعزل سهماً منها ، ويقسمُ الأربعة بينَ الناس ، ثم يضرب

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٥ وقد وردت في المخطوطة « وما أنفقتم من خير » وما أثبتناه هو النص الكريم .

(٢) انظر تفصيل آراء الأئمة وأدلتهم في كتاب « روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن » ٦٠٥/١ ومعاني الزجاج ٤٥٩/٢ .

(٣) « قيس بن مسلم الجَدَلي » كوفي من قيس عيلان توفي سنة ١٢٠هـ قال ابن معين وأبو حاتم ثقة ، وقال العجلي : كوفي ثقة ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٠٣/٨ .

(٤) يريد أن ذكر الله تعالى في القسمة ، لتعليمنا التبرك بذكر اسم الله المعظم ، ولا يقصد أن الخمس يقسم على ستة منها لله ، فإن لله الدنيا والآخرة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٣ وعزاه إلى عبد الرازق ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

بيده في جميع السهم الذي عزله ، فما قَبَض عليه من شيء جعله للكعبةِ ، فهو الذي سُمِّي لله ، ويقول : لا تجعلوا لله نصيباً ، فإن لله الدنيا والآخرة »[1] قال ثم يُقسم السَّهمُ الذي عَزَله على خمسة أسهم : سهمٌ للنبي ﷺ ، وسهمٌ لذي القربى ، وسهمٌ لليتامى ، وسهمٌ للمساكين ، وسهمٌ لابنِ السَّبيل[2] .

وقيل : معنى ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ فأنَّ لسبيلِ الله[3] ، مثل ﴿ واسألِ القَرْيةَ ﴾ .

٤٣ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ﴾** [آية ٤١]

أي إن كنتم آمنتم بالله ، فاقبلوا ما أُمِرْكم به .

وقيل : المعنى : فاعلموا أنَّ اللَّهَ مولاكم وناصركم إن كنتم آمنتم به[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠/٤ عن أبي العالية ، وفي المخطوطة « فهو الذي قال الله « لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الدنيا والآخرة » وهذا يوهم أن الله قال لا تجعلوا لله نصيباً ، وصوابه ما أثبتناه من تفسير ابن جرير ، ولفظُه : فهو الذي سُمِّي لله ، ويقول : لا تجعلوا للهِ نصيباً .. إلخ أي يقول أبو العالية وليس هو قول الله .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٠/٤ والدر المنثور للسيوطي ٣/١٨٥ .

(٣) أي هو على حذف مضاف كقوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ أي اسأل أهل القرية .

(٤) ذكر هذا القول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٤٦٠ وهو قول ضعيف ، والصحيح الأول أنه متعلق بالأمر بقسمة الغنائم ، كما رجحه المحققون من أهل التفسير ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٦/٣١٥ : « وهذا هو الصحيح لأن قوله ﴿ واعلموا ﴾ يتضمن الأمر بانقياد وتسليم الأمر =

٤٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزّ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ .. ﴾** [آية ٤١] .

قال مجاهد : هو يوم بدر ، فرَّق اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل(١) .

٤٥ ـ **وقوله جلَّ وعزّ ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى ﴾** [آية ٤٢] .

قال قتادة : العُدْوةُ : شفيرُ الوادي ، وكذلك هو في اللغة(٢) .

ومعنى « الدُّنْيَا » : التي تلي المدينة ، ومعنى « القُصْوَىٰ » : التي تلي مكة . ثم قال تعالى ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ .

قال قتادة : يعني العِير التي كانت مع أبي سفيان(٣) .

٤٦ ـ **وقوله جلَّ وعزّ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ .. ﴾** [آية ٤٢] .

قال أبو جعفر : قال ابنُ أبي إسحاق : جعل المهتدي بمنزلة

= لله في الغنائم ، فعلق « إن » بقوله « واعلموا » على هذا المعنى ، أي إن كنتم مؤمنين حقاً ، فانقادوا وسلموا لأمر الله تعالى » .

(١) الأثر في جامع البيان ٨/١٠ وهو قول ابن عباس أيضاً ، وقتادة ، والجمهور ، قالوا : سمي يوم بدر « يوم الفرقان » لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل ، فنصر المؤمنين وهزم المشركين .

(٢) جاء في الصحاح ٤٢١/٦ : العُدْوة : جانبُ الوادي وحافته ، والجمعُ عِدَاء ، كبُرمة وبِرَام ، وقال أبو عمرو : العُدْوَةُ : المكان المرتفع . اهـ.

(٣) الأثر في الطبري ١٠/١٠ وابن كثير ١٠/٤ والدر المنثور ١٨٨/٣ .

الحيِّ ، وجعل الضالَّ بمنزلة الهالك ، قال : أي ليكفُرَ من كَفَر بعد الحجّة بما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك[1] .

وقال غيره : ليهلك : ليموت من مات عن حجة للَّهِ جلَّ وعز وعليه ، قد قَطَعَتْ عُذْرَه ، وليعيش من عاش منهم على مثــل ذلك[2] ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ ﴾ لقولكم حين تركتموهم ﴿ عليم ﴾ بما تضمره نفوسكم .

٤٧ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُم وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ .. ﴾** [آية ٥٣] .

قال ابنُ أبي نجيح عن مجاهد : رآهم النبيُّ ﷺ في النوم قليلاً ، فقصَّ الرؤيا على أصحابه ، فثبَّتهم الله بذلك[3] .

وروي عن الحسن أنه قال :

المعنى : إذ يريكهمُ اللهُ بعينك التي تنامُ بها[4] .

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ١٢/١٠ ولكن جاء فيه عن ابن إسحاق ، وكذلك هو في تفسير ابن كثير ١٢/٤ عن محمد بن إسحاق ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٦٢/٣ .

(٢) هذا قول الإمام أبي جعفر الطبري في تفسيره جامع البيان ١٢/١٠ حكاه عنه النحاس .

(٣) الأثر عن مجاهد في جامع البيان ١٢/١٠ وتفسير ابن كثير ١٣/٤ وتفسير القرطبي ٣٢/٨ والدر المنثور ١٨٨/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن ، وضعفه الطبري في جامع البيان ١٢/١٠ بقوله : وزعم بعضهم أن المعنى : في عينيك التي تنام بها ، فصير المنام هو العين الخ وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره ١٣/٤ عن الحسن ثم قال : وهذا القول غريبٌ ، وقد صرَّح بالمنام ههنا ، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا في موضوع منامك .

والقولُ الأوَّل أحسنُ لجهتين :

إحداهما : ما رُوي من أنَّ النبيَّ ﷺ رآهم في النوم .

والأخرى : في قوله ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ ﴾ فالرؤيا الأولى في النوم ، والثانيةُ عند الالتقاء[1] .

ويجوز ما قال الحسن على بُعْدٍ ، على أن يكون قوله ﴿ إِذْ يريكُمُوهُمْ ﴾ خطاباً للنبي ﷺ وأصحابه[2] .

والمعنى : وَيُقَلِّلكُمْ في أعينهم ، أي لئلا يستعِدُّوا لكم ، لِمَا أرادَ اللهُ جلَّ وعزَّ من ظَفَر المسلمين بهم .

٤٨ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا .. ﴾** [آية ٤٦] .

قال أبو إسحاق : يقال : فَشِلَ يَفْشَلُ فَشَلاً ، إذا هابَ أن يتقدَّمَ جُبْنًا[3] .

---

(١) هذا هو الصحيح والراجح ، لأن الله تعالى صرَّح في الأولى بأنها رؤيا منامية ﴿ إذ يريكهم الله في منامك ﴾ .

(٢) ذكر هذا التخريج الزجاج في معانيه ٢/٤٦٣ وقال : ومعناه في عينيك التي تنام بها ، وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا ، ومعناه عندهم في موضع منامك أي بعينك ، ثم حذف الموضع وأُقيم المقام مكانه ، قال : وهذا مذهب حسن ، ولكنه قد جاء في التفسير أن النبي رآهم في المنام قليلاً وقصَّ الرؤيا على أصحابه ، فقالوا : صدقت رؤياك يا رسول الله ، قال : وهذا أسوغ في العربية . اهـ.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٤ وأبو اسحق هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ . .

٤٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴾ [آية ٤٦] .

قال مجاهد : أي نصركم(١) .

وقال معمر عن قتاده : أي ريح الحرب(٢) .

والمعروفُ في اللغة أنه يقال : ذهبتْ ريحُهم : أي دولتُهم .

٥٠ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِـمْ بَطَـراً وَرِئَـاءَ النَّاسِ .. ﴾ [آية ٤٧] .

يعني أبا جهل وأصحابه يوم بدر .

٥١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعمَالَهُمْ ﴾ [الآية ٤٧] .

قال : المعنى : واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم(٣) .

قال الضحاك : جاءهم يوم بدر برايته وجُنودِه ، فألقى في قلوبهم أنهم لن ينهزموا ، وهم يقاتلون على دين آبائهم(٤) .

---

(١) و (٢) الآثار في الطبري ١٥/١٠ وتفسير ابن الجوزي ٣٦٥/٣ قال ابن قتيبة : يُقال : هبت له ريح النصر : إذا كانت له الدولة ، وقال ابن جرير ١٥/١٠ : وهذا مثل ، يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه : الريح مقبلة عليه ، ثم قال : وإنما يراد به في هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم ، وكذلك قال ابن كثير .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤٦٥/٢ فقد قال فيه : موضع « إذ » نصب ، المعنى : اذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٩/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٠/٣ وابن كثير في تفسيره ١٧/٤ كلهم من رواية ابن عباس ، وعزاه في الدر إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الدلائل .

٥٢ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ فَلَمَا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ .. ﴾ [آية ٤٨] .

أي التقتا ، حتى رأت كلُّ واحدة منهما صاحَبتْها .

٥٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ [آية ٤٨]

أي : رجع القهقرى ، ويُقال : نَكَصَ على عقبيه ، إذا رجع من حيث جاء[1] .

﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .

قال الضحاك : رأى الملائكة ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، واللهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ .

قيل : إنما خَافَ[2] أن يكون الوقتُ الذي أُجِّل إليه قد حَضَر .

وقيل : بل كَذَبَ[3] .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. ﴾ [آية ٥٢] .

قال مجاهد : أي كفعل ، والدَّأْبُ عند أهلِ اللُّغةِ : العادةُ ، وحقيقتهُ عندهم أنه من قولك فلانٌ يَدأَبُ : أي يداوم على الشيء

---

(١) في الصحاح مادة نكص : النكوصُ : الإحجام عن الشيء ، ويقال : نكَصَ على عقبيه ، ينكُص ، وينكِصُ أي رجع ، وكذلك جاء في المصباح المنير ، والمراد في الآية أن الشيطان ولى هارباً مولياً الأدبار .

(٢) في المخطوطة « إنما أخاف » وصوابه إنما خاف ليتناسق الكلام مع قوله « الذي أُجِّل إليه » .

(٣) هذا هو الصحيح فإنه لو كان صادقاً لآمن ، قال ابن عباس : وكذب عدو الله ، لأنه علم أن لا قوة له ، ولا منعة .

ويلزمه ، وهذا معنى العادة[1] .

٥٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾** [آية ٥٦] .

قال مجاهد : يعني بني قريظه[2] .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾** [آية ٥٧]

أي تصادفْهم وتظفَرْ بهم ﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾

قال سعيد بن جبير : أي أَنْذِر بهم مَنْ خلفَهم[3] . وقال أبو عبيد : هي لغة قريش « شرِّدْ بهم » سمِّعْ بهم .

وقال الضحاك : أي نكِّل بهم[4] .

والتشريدُ في اللغة : التبديد والتفريق[5] .

---

(١) ورد في الصحاح ١٢٣/١ : دأَبَ فلانٌ في عمله أي جدَّ وتعب ، والدَّأْبُ : العادةُ والشَّأْنُ ، ويحرك ، قال الفراء : أصلُه من دأبتُ ، إلا أن العرب حوَّلت معناه إلى الشأن . اهـ.

(٢) الأثر في جامع البيان للطبري ٢٥/١٠ وتفسير القرطبي ٣٠/٨ قال : هم بنو قريظة والنضير ــ في قول مجاهد وغيره ــ نقضوا العهد مع رسول الله ، فأعانوا مشركي مكة بالسلاح ، ثم اعتذروا فقالوا نسينا . إلخ .

(٣) و (٤) الأثر ان ذكرهما الطبري في جامع البيان ١٠/ ٢٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠/٨ قال ابن قتيبة معنى « فشرِّدْ بهم » أي افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل ، يتفرق به من وراءهم من أعدائك ، ويُقال : شرِّدْ بهم أي سَمِّع بهم بلغة قريش . اهـ. زاد المسير ٣٧٢/٣٠ .

(٥) هكذا قال الطبري في جامع البيان ٢٥/١٠ : التشريدُ : التَّطريدُ والتبديد والتفريق ، وانظر الصحاح مادة شرد .

٥٧ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾** [آية ٥٨] .

أي : غشاً ونقضاً للعهد ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ أي أَلْقِ إليهم نقضَ عهدهم ، لتكون أنت وهم على سواء في العلم ، يُقال : نبذتُ إليه على سواءٍ : أي أعلمتُه أنيِّ قد عرفتُ منه ما أخفاه[1] .

وروى عمر بن عَنْبَة أن النبي ﷺ قال : « من كان بينه وبين قوم عهدٌ إلى مدَّةٍ ، فلا يشدَّ عقدةً ، ولا يحلَّها ، حتى ينقضي أَمَدُها ، أو ينبِذَ إليهم على سَوَاء »[2] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال أبو عُبيدة : أي فاتوا ، ثم قال جلَّ وعز ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ روي عن ابن محيصن أنه قرأ[3] (لا يُعَجِّزُونِ) بالتشديد وكسر النون[4] .

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن ١٩٢/٢ : « هذا من معجز ما جاء في القرآن ، ممَّا لا يوجد في الكلام مثله ، على اختصاره وكثرة معانيه ، والمعنى : إمَّا تخافنَّ من قوم بينك وبينهم عهد خيانة ، فانبذ إليهم العهد أي قل : قد نبذت إليكم عهدكم ، وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواءً ، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك ، فيكون ذلك خيانة » اهـ. أقول : رحم الله أبا جعفر النحاس فقد أبدع وأجاد .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١١١/٤ وأبو داود في الجهاد ٨٣/٣ برقم ٢٧٥٩ والترمذي في السير ٢٠٣/٥ من تحفة الأحوذي برقم ١٦٢٩ وقال الترمذي : حسن صحيح ، ولهذا الحديث قصة تنظر في كتب الحديث .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٩/١ .

(٤) ليست هذه القراءة من السبع ، وقد ذكرها في البحر ٥١١/٤ وناقش النحاس في تخطئتها .

قال أبو جعفر : هذا خطأ من جهتين :

إحداهما : أن معنى عجَّزه ضعَّفه ، وضعَّف أمره .

والأخرى : أنه كان يجب أن يكون بنونين .

ومعنى أعْجَزَه : سبقه وفاته حتى لم يقدر عليه[1] .

٥٩ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [آية ٦٠]

قال عكرمةُ : القوةُ : ذكورُ الخيل : ورباطُ الخيل : إناثها[2] .

وقال غيره : القوةُ : السلاحُ . وَرَوى عُقْبَةُ بنُ عامرٍ أن رسول الله ﷺ قال : « ﴿ وأعِدُّوا لَهُمْ مَااستَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ أَلَا إنَّ القوة الرميُ »[3] .

٦٠ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ .. ﴾ [آية ٦٠] .

أي وتُرهبون آخرين ، أي تخيفونهم .

---

(١) في الصحاح ٣/٣٨٨ : العجزُ : الضعف ، تقول عجزتُ عن كذا أعجِزُ بالكسر عَجْزاً ، وأعجزتُ الرجل : وجدتُه عاجزاً ، وأعجزه الشيء : فَاتَه ، والتعجيزُ : التثبيطُ ونسبته إلى العجز . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٣٠/١٠ واختار أن القوة يراد بها السلاح ، وذكره السيوطي في الدر ١٩٢/٣ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ١٥٢٢/٣ برقم ١٩١٧ وفيه : ألا إن القوة الرمي ، وكررها ثلاثاً ، وأخرجه أبو داود في الجهاد ١٤/٣ برقم ٢٥١٤ وابن ماجه ٩٤٠/٢ برقم ٢٨١٣ وأحمد في المسند ١٥٦/٤ .

قال مجاهد : هم بنو قريظة[1] . وقال ابن زيد : هم المنافقون[2] وقيل : هم الجن . وقال السديّ : أهل فارس[3] .

٦١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا .. ﴾** [آية ٦١] .

جَنَحُوا : مالُوا . وقال أبو عمرو : والسَّلَمُ : الصُّلحُ ، والسِّلْمُ : الإسلام .

وأبو عبيدةَ يذهب إلى أن السِّلْم ، والسَّلْمَ ، والسَّلَمَ : الصلحُ[4] .

٦٢ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ .. ﴾** [آية ٦٢]

أي بإظهار الصلح ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ﴾ أي : كافيك ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : قوّاكَ وأَلَّفَ بين قلوبهم .

وهذه من الآيات العظام ، لأن أحدهم كان يُلْطَمُ اللَّطمةَ فيقاتل عنه حتَّى يستقيدها ، وكانوا أشدَّ خلقِ اللهِ حميَّةً ، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ ، كان أحدهم يقاتِلُ أخاهُ على الإسلام[5] .

حدثنا أبو جعفر ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد

---

(١) و (٢) و (٣) انظر الآثار عن مجاهد ، وابن زيد ، والسدي في الطبري ١٠/٣١ والبحر ٤/٥١٣ والدر المنثور ١٩٨٣ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٥٠ .

(٥) لا شك أن تأليف القلوب ، مع ما كانوا عليه من العداوة والبغضاء ، من أعظم الآيات الربانية ، وانظر ما كتبه الإمام الزجاج في معاني القرآن ٢/٤٦٨ حول هذه الآية الكريمة ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٤/٥١٤ فقد أجاد فيه وأفاد .

بالأنبار ، قال نا نَصْرُ بنُ عليّ ، قال حدَّثني أبي ، قال : حدثنا شُعبة ، قال أخبرنا بشير ابن ثابت من آل النعمان بن بشير في قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدكَ بِنَصْرِهِ وبالمؤمنين ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال : نزلت في الأنصار[1] .

٦٣ ــ **وقولُه جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ٦٤] .

أي : اللهُ يكفيك ويكفي من اتَّبعك[2] .

وقيل : المعنى : ومن اتَّبَعك ينصُرُك .

٦٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهاَ النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ ﴾** [آية ٦٥] .

التحريضُ : الحثُّ الشديد وهو مأخوذٌ من الحَرَضِ ، وهو المقاربة

(١) أخرجه ابن إسحق ، وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٠٠ وفي الصحيحين ما يؤيده فقد روي أن النبي ﷺ لما خطب في الأنصار ، بشأن غنائم حُنين ، قال لهم : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنُّ.. ثم قال لهم : ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار .. » الحديث ، وانظر صحيح البخاري ٥/٢٠٠ .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وابن زيد ، والأكثرين ، وهو الذي رجحه ابن الجوزي ، وابن كثير ، والطبري ، والقول الثاني هو قول مجاهد ، وانظر جامع البيان ١٠/٣٧ وزاد المسير ٣/٣٧٧ وتفسير ابن كثير ٤/٣٠ .

للهلاك[1] . أي حُثّهم حتى يعلم من يخالف أنه قد قارب الهلاك .

٦٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾** [آية ٦٥] .

قال ابن عباس : فُرض على الرجل أن يقاتِل عَشَرة ، ثم سُهِّل عليهم ، فقال : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وكُتب عليهم أن لا يفرَّ مائة من مائتين[2] .

قال ابن شبرمة : وأنا أرى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كذا[3] .

وروى الأعمشُ ، عن مَرْو بن مُرَّةَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبد الله قال : « لمَّا كان يومُ بدرٍ ، جيء بالأسرى فقال رسول الله ﷺ :« ما تَرَوْنَ في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله : قومُك وأصلُك ، استَبْقِهم ، فلعلَّ اللهَ يتوبُ عليهم !! فقال عمر :

---

(١) قال في المصباح ١/١٤١ : حَرَضَ حَرَضاً من باب تَعِب : أشرف على الهلاك فهو حَرِض ، وحرَّضتُه على الشيء تحريضاً . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٣٨ وابن كثير في تفسيره ٤/٣١ والسيوطي في الدر ٣/٢٠٠ وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .. أقول : وهو في البخاري ٦/٧٩ ولفظه : عن ابن عباس قال : « لما نزلت ﴿ إن يكنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين ، حين فُرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال تعالى ﴿ الآن خفف عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾ قال : فلما خفف عليهم من العِدَّة ، نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم » .

(٣) الأثر عن ابن شبرمة أخرجه السيوطي في الدر ٣/٢٠٠ ولفظه قال : « وأرى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مثل هذا ، إن كانا رجلين أمرهما ، وإن كانا ثلاثة فهو في سعة من تركهم » .

يا رسول الله كذَّبــوك ، وأخرجــوكَ ، وقاتلــوك ، قدِّمهـــم فاضربْ أعناقهم » وذكر الحديث(١) ، وقال فيه فأنزل الله :

٦٦ ــ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِــنَ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال مجاهد : الإثخانُ : القتلُ .

وقيـل ﴿ حَتَّى يُثْخِـنَ فِي الأَرْضِ ﴾ حتــى يُبالــغ في قتــل أعدائه(٢) .

وقيـل : حتـى يتمكَّـن في الأرض .

والإثخان في اللغة : القوَّة والشدَّةُ(٣) .

٦٧ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ لَوْلَا كِتَـابٌ مِنَ اللهِ سَبَـقَ لَمَسَّكُـمْ فِيمَـا أَخَذْتُـمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٦٨] .

فيه أقوال :

قال مجاهد : سَبَقَ من اللهِ أن أحلَّ لهم الغنائم(٤) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسنـد ٣٨٣/١ والترمـذي في التـفسير ٤٧٦/٨ تحفـة الأحـوذي وقـال الترمذي : حديث حسن ، ورواه الحاكم في المستدرك ٢١/٣ وقال : صحيح الإسناد .

(٢) هذا قول الطبري في جامع البيان ٤٢/١٠ وهو قول أكثر المفسرين ، قالـوا الإثخـان : المبالغـة في القتل .

(٣) قال الزجاج في معانيه ٤٧٠/٢ : والإثخان في كل شيء : قوة الشيء وشدته ، يقال : قد أثخنـه المرض : إذا اشتـدت قوته عليـه ، والمراد حتى يبالـغ في قتـل أعدائـه . اهــ. وانظـر زاد المسير ٣٨٠/٣ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٥/١٠ وهـو قول الأعـمش أيضاً ، وأخرجـه ابـن الجوزي ٣٨١/٣ وذكـره ابن عطيه في المحرر ٣٨٢/٦ وقال : هو قول الحسن ، وابن عباس ، وأبي هريرة .

وقال أبو جعفر : ويُقوِّي هذا أنه روى أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أُحِلَّتْ الغنائمُ لقومٍ سود الرؤوسِ قبلنا ، كانت تنزل نارٌ من السماء فتأكلها ، فلما كان يوم بدر وقع الناس فيما وقعوا فيه ، فأنزل اللهُ جلَّ وعز ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ ﴾ إلى قوله ﴿ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

وقيل : سبق من الله جل وعز : أنه يغفر لأهل بدر ، ما تقدَّم من ذنبهم وما تأخرّ ، قال ذلك الحسن[2] ، رواه عنه أشعث .

وروى عنه سفيان بن حسين أنه قال : سبق من الله جل وعزّ أنْ لا يعذِّب قوماً إلا بعد تقدِمةٍ ، ولم يكن تقدم إليهم فيها[3] .

وَرَوَىٰ سالم عن سعيد بن جبير ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ ﴾ قال : لأهل بدرٍ من السعادة ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ من الله عذاب عظيم[4] .

وقيل : سبق من الله أنه يغفر الصغائر ، لمن اجتنب الكبائر[5] .

(١) الحديث أخرجه بهذا اللفظ الطبري في جامع البيان ٤٥/١٠ وأصله في الصحيحين بلفظ « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي .. » الحديث .

(٢) انظر الأثر في جامع البيان ٤٧/١٠ وفي الدر المنثور ٢٠٣/٣ .

(٣) و (٤) و (٥) انظر أقوال السلف والآثار في جامع البيان للطبري ٤٦/١٠ وفي الدر المنثور ٢٠٣/٣ وفي البحر المحيط ٥١٩/٤ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣٨١/٣ .

٦٨ ــ وقوله جل وعزّ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ .. ﴾ [آية ٧٠] .

قيل : في الآخرة . وقيل يُعوِّضكم في الدنيا .

ورُوِي عن العباس أنه قال : « أُسرتُ يومَ بدرٍ ومعي عشرون أوقية ، فأُخِذتْ منّي ، فعوَّضني اللهُ عشرين عبداً ، ووعدني المغفرة[1] » .

٦٩ ــ وقوله جلَّ وعزّ ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٧١] .

« خيانتك » أي نقضِ العهد .

٧٠ ــ وقولُه جل وعزّ : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا ، وَهَاجَرُوا[2] وَجَاهَدُوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ [آية ٧٢] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٠/٤٩ ورواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر ، ولفظه عن ابن عباس قال : « كان العباس رضي الله عنه قد أُسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال حين نزلت ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ﴾ لقد أعطاني الله خصلتين ، ما أحب أن لي بهما الدنيا : إني أسرت يوم بدر ، ففديت نفسي بأربعين أوقية ، فأعطاني الله أربعين عبداً ، وإني أرجو المغفرة التي وعدنا الله » وانظر الدر المنثور ٣/٢٠٥ وروى البخاري ٥/١٠٩ عن أنس أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه ، قال : والله لا تذرن منه درهماً .

(٢) وقع في المخطوطة زيادة لفظ « والذين هاجروا » والنص القرآني ما أثبتناه « وهاجروا » .

قيل : إنه يقال : هاجر الرجل ، إذا خرج من أرض إلى أرض .

وقيل : إنما قيل هَجَرَ ، وهَاجَرَ فلانٌ ، لأن الرجل كان إذا أسلم هَجَرَهُ قومه وهَجَرهم ، فإذا خاف الفتنة على نفسه رَحَل عنهم ، فسمِّي مسيرُه هِجْرَة[1] .

وقيل : هاجر ، لأنه كان على هجرته لقومه وهجرتهم له فهو مهاجرٌ ، هجر دار قومه ووطنه وارتحل إلى دار الإسلام ، وهما هجرتان . فالمهاجرون الأولون الذين هاجروا إلى أرض الحبشة والآخرون الذين هاجروا إلى المدينة إلى وقت الفتح .

وانقطعت الهجرة ، لأن الدارَ كلَّها دار الإسلام ، فلا هجرة[2] ، وهذا قول أهل الحديث ومن يوثق بعلمه .

٧١ ــ **وقوله جل وعزّ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا[3] مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾** [آية ٧٢] .

---

(١) في الصحاح ٨٥١/٢ : الهَجْرُ ضدُّ الوصلِ ، وقد هَجَره ، هَجْراً ، وهِجْراناً ، والاسم الهِجْرةُ ، والهجرتان : هِجْرةٌ إلى الحبشة ، وهِجْرةٌ إلى المدينة ، والمهاجرةُ من أرضٍ إلى أرضٍ : تركُ الأولى للثانية .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه البخاري في المغازي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » الحديث ، يريد بالفتح فتح مكة ، لأنه بفتحها دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأصبحت جميع الجزيرة العربية دار الإسلام ، فلا هجرة كما قال أهل الحديث .

(٣) في المخطوطة نقص فقد وردت الآية بلفظ « والذين لم يهاجروا » وصوابه ما أثبتناه كما هو النص القرآني ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ﴾ .

أي من نُصرتهم ووراثتهم .

قال قتادة : كان الرجلُ يؤاخي الرجل ، فيقول : ترثني وأرثك ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ[1] ﴾ .

٧٢ ـ **ثم قال عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ .. ﴾[2]** [آية ٧٣] .

ومعنى « إِنْ لَا تَفْعَلُوهُ » إن لا تفعلوا النَّصرَ والموالاة[3] .

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ ﴾ قال : يقول إلاَّ تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به[4] .

وقال ابن زيد : أي إلا تتركوهم يتوارثون على ما كانوا[5].

قال مجاهد : هذا منسوخٌ ، نَسَخَه ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٣/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وعبد الرازق ، وابن أبي حاتم .

(٢) سقطت الآية من المخطوطة ، وأثبتناها لضرورة فهم الترابط ، بين الآية وبين معنى « إلا تفعلوه ﴾ .

(٣) هذا هو الأظهر والأشهر ، أن الضمير يعود إلى الموالاة والمناصرة ، وهو اختيار الطبري ، وقول ابن جريج ، وإليه ذهب الأكثرون ، والمعنى : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من النصرة والتعاون في الدين ، والتبرىء من المشركين ، تكن فتنةٌ في الأرض وفساد كبير ، وانظر جامع البيان ٥٦/١٠ وزاد المسير ٣٨٦/٣ .

(٤) و (٥) انظر جميع هذه الآثار عن السلف في جامع البيان للطبري ٥٥/١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٨٦/٣ وتفسير ابن كثير ٤٠/٣ والبحر المحيط ٥٢٢/٤ واختار ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٩١/٦ أن ذلك عام في الموارثة ، والمعاونة ، والنصرة ، والله أعلم .

أَوْلى بِبَعضٍ ﴾[1] .

ورُوِي عن عبدالله بن الزبير أنـه قال : هذا في العَصَبات ، كان الرجـل يعاقـد الرجـل على أن يتوارثـا ، فنسخ ذلك[2] ، وقيـل نسختـه الفرائض .

وأكثـرُ الـرواة على أن النـاسخ له ﴿ وأُولوا الأَرْحَـامِ بَعْضُهُـمْ ﴾ الآية .

وروى سفيـانُ عن السُدِّي عن أبي مالك قال : قال رجـل : نورِّثُ أرحامنـا المشركين فنـزلتْ ﴿ وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ ﴾[3] . وَرَوَىٰ يونس عن الحسن قال : « كان الأعـرابي لا يرثُ مهاجراً حتى نزلت ﴿ وأُولوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُـمْ أَوْلَـىٰ بِبَـعْضٍ في كِتَـابِ اللهِ ﴾ فقد تبيَّن أن معنـى الآية أنَّ أهـل الأرحـام يتوارثـون بأرحامهـم ، دون الذيـن حالفوهـم ، ونسخ ذلك ما كان قبلَـه من التـوارث بالمخالفة »[4] .

انتهت سورة الأنفال



(1) و (2) و (3) المرجع السابق .

(4) الأثر عن الحسن أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٥٣ وهو قول ابن عباس وأخـرج السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٠٧ والحاكم وصححه عن الزبير بن العوام رضي الله عنـه قال : « أنـزل الله فينـا خاصة معشر قريش والأنصار ﴿ وأولوا الأرحام بعضهـم أولى ببـعض ﴾ وذلك أنـا معشر قريش ، لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهـم وتوارثنـا ، فآخـى أبو بكر رضي الله عنه « خارجة بن زيد » وآخى عمرَ رضي الله عنه فلاناً ، وآخى عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق .. قال الزبير : وواخيت أنا « كعب بن مالك » وورثونا وورثنـاهم ، فلمـا كان يوم أحد قيل لي : قُتل أخـوك « كعب بن مالك » فجئته فانتقلته فوجدت السلاح قد ثقلـه فيما نرى ، فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثـه غيري ، حتـى أنـزل الله هذه الآية فينـا معشر قريش والأنصـار خاصة ، فرجعنا إلى مواريثنا » .

تفسير سورة التوبة

مدنية وآياتها ١٢٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة وهي مدنية[1]

قال سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال : تلك الفاضحة ، ما زال ينزل « وَمِنْهُمْ » « ومِنْهُمْ » حتى خفنا ألَّا تدع أحداً[2] .

وقال يزيد الفارسي عن ابن عباس : سألتُ عثمان بن عفان ـــ رحمة الله عليه ـــ لِمَ عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المِئين ، فجمعتم بينهما ، ولم تفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجعلتموها مع السبع الطِّول[3] ؟ فقال مكث رسول الله ﷺ زماناً ، تنزل عليه السورة ذات العدد ـــ وفي بعض الروايات ذاتُ الآيات ـــ وربما سألته فيقول : « ألحقوها في موضع كذا » وهي تشبه قصة كذا ، وكانت براءة من آخر ما نزل ، وذهب عني أن أسأله عنها ، فوقَعَ بقلبي أنها شبهُ سورةِ الأنفال ، فجعلتها تليها ، ولم

---

(١) قال في البحر ٥/٤ : هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخرها ، فإنهما نزلتا بمكة ، قال : وهذا قول الجمهور . اهـ. وهكذا حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٨/٣ والآيتان هما ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. ﴾ إلى آخر السورة ، قال البخاري ٨٠/٦ عن البراء قال : آخر سورة نزلت براءة .

(٢) الأثر أخرجه ابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو الشيخ كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٨/٣ وأخرجه ابن الجوزي في زاده ٣٨٩/٣ قال : « وسُميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين ، وما كادت تدع منهم أحداً » .

(٣) هكذا ورد في المخطوطة « السبع الطِّول » وفي الدر المنثور « السبع الطِّوال » أقول : والمرادُ بها : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة ، سميت السبع الطوال لكثرة عدد آياتها ، فهي أطول سور القرآن ، كما أن الجزء الأخير من القرآن العظيم قد حوى قصار السور .

أفصل بينهما بـ « بسم الله الرحمن الرحيم »[1] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : حدثني بعضُ أصحابنا عن صاحبنا « محمد بن يزيد »[2] أنه قال : لم يكتب في أول براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأن « بسم الله » افتتاح خيرٍ ، وبراءةُ أولها وعيدٌ ، ونقضٌ للعهود ، فلذلك لم يُكتب في أولها « بسم الله »[3] .

١ ــ **قال أبو جعفر** : ومعنى براءة : تبرُّؤٌ من الله ورسوله[4] ﴿ **إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ..** ﴾ [آية ٢] .

أي : فيقال لهم : سيحوا في الأرض ، أي اذهبوا وجيئوا آمنين ، أربعة أشهر ، ثم لا أمانَ لكم بعدها[5] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥٧/١ ورواه الترمذي ٤٧٧/٨ برقم ٤٠٨١ من تحفة الأحوذي ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود في كتاب الصلاة ٢٠٨/١ برقم ٧٨٦ والحاكم في المستدرك ٣٣٠/٢ وقال : صحيح الإسناد ، والسيوطي في الدر ٢٠٧/٣ وقد ضعَّف هذا الحديث أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣٩٩/١ وقال : في إسناده نظر كثير ، بل هو عندي ضعيف جداً بل هو حديث لا أصل له ، يدور إسناده في كل رواياته على « يزيد الفارسي » وهذا يكاد يكون مجهولاً .. إلخ . فانظره فيه فإنه الحقُّ ، والحديث ضعيف ، والله الموفق .

(٢) محمد بن يزيد هو الإمام المبرِّد أحد أعلام اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) هذا هو المشهور أن ترك التسمية لأن السورة بدأت بالعذاب ، والوعيد والتهديد ، وقطع العلاقات مع ناقضي العهود ، والتسميةُ رحمة ، ولا تناسب بين الرحمة والعذاب ، هذا خلاصة قول السلف ، قال محمد بن الحنفيَّة : قلت لأبي ــ يعني علي بن أبي طالب ــ لِمَ لَمْ تكتبوا في « براءة » بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال يا بُنيَّ : إن براءة نزلت بالسيف ، لأن التسمية رحمة ، والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت في المنافقين . اهـ. وانظر زاد المسير ٣٩٠/٣ .

(٤) قال الزجاج ٤٧٣/٢ : يُقال : برئتُ من الرجل والدَّيْن براءةً ، وبرئتُ من المَرَض بُرْءاً ، والمعنى قد برئ الله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها ، لأنهم نكثوا في عهودهم .

(٥) قال في الصحاح : ساحَ في الأرض يسيح سياحةً وسيوحاً : أي ذهب . اهـ.

قال مجاهد وقتادة : الأربعة الأشهر : عشرون من ذي الحجة ، والمحرَّم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرٌ من شهر ربيع الآخر[1] .

وقال الزهري : هنّ شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم[2] .

٢ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ .. ﴾** [آية ٢] .

أي : وإن أُجِّلتم هذا الأجل ، سيُنصَرُ المسلمونَ عليكم .

٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ .. ﴾** [آية ٣] .

الأذانُ : الإعلامُ[3] .

روى شُعبةُ عن الحَكَم ، عن يحيى بن الجزار ، قال : خرج عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه إلى العيد ، راكباً على دابة ، فلقيه رجلٌ ، فقال له ــ وأخذ بلجامه ــ ما يومُ « الحجِّ الأكبر » ؟ فقال :

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٢/١٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٤/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٩/٣ ورُوي عن ابن عباس أنها الأشهر الحُرم « رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم » .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٢/١٠ وابن كثير ٤٦/٤ وقال الحافظ ابن كثير : وهذا القولُ غريب ، وكيف يُحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها ، وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر ؟

(٣) في الصحاح ٢٠٦٨/٥ : الأذانُ : الإعلامُ ، ومنه أذانُ الصَّلاةِ ، وأَذِنَ بمعنى عَلِمَ ، قال تعالى ﴿ فأْذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ .

هو يومُك الذي أنتَ فيه ، خلِّ عنها[1] .

وكذلك رُوي الحديث عن علي .

ورَوَى شعبةُ عن سليمان بن عبد الله بن سِنَان قال : سمعتُ المغيرةَ بن شعبة يخطب على المنبر ، وهو يقول : يومُ « الحجِّ الأكبر » يومُ النحر[2] .

وروى سفيان عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شدَّاد ، قال : « الحجُّ الأكبرُ : يومُ النحرِ والحجُّ الأصغرُ : العمرةُ »[3] .

وقال عبد الملك بن عمير سألت عبد الله بن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر فقال : « يومَ تُهرقُ فيه الدِّماءُ ، ويُحلق فيه الشَّعرُ »[4] .

وروى حماد بن يزيد عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « يومُ الحج الأكبر ، يوم النَّحر »[5] وكذلك قال ابن عمر .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٧٠/١٠ بهذا اللفظ ، وهذا هو رأي جمهور المفسرين ، أن الحجَّ الأكبر هو يوم النحر ، ويؤيده ما أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ١٢٤/٤ عن أبي هريرة قال : « بعثني أبو بكر رضي الله عنه فيمن يؤذِّن يوم النحر بمنى : لا يحجُّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ويوم الحج الأكبر يومُ النحر ، وإنما قيل : الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك » صحيح البخاري ، وقال الزجاج : يومُ الحج هو يوم عرفة ، وقيل : الحج الأصغر العمرة .. معاني الزجاج ٤٧٥/٢ .

(٢) و (٣) و (٤) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون ، ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ٦٩/١٠ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٦/٣ وابن كثير في تفسيره ٥١/٤ وابن عطيه في المحرر الوجيز ٤٠٣/٦ والسيوطي في الدر ٢١١ .

وروَى غير سِمَاك ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عبَّاس قال : هو يوم عرفة[1] .

وروى ابن جُريج ، عن ابنِ طاووس ، عن أبيه قال : هو يوم عرفة[2] .

وكذا قال مجاهد .

وقال ابن سيرين : الحجُّ الأكبر : العامُ الذي حجَّ فيه النبيُّ ﷺ اتفق فيه حجُّ المِلَل[3] .

قال أبو جعفر : وأولاهَا القولُ الأوَّل لِجلَّةِ[4] مَنْ قالَه .

ويدلُّ على صحته ، حديث الزُّهري عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرةَ « بعثني أبو بكر رضي الله عنه ، فيمن

---

(١) و (٢) ينظر تخريجها في التعليقة الأخيرة من الصفحة السابقة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري من قول الحسن ٧٥/١٠ والسيوطي في الدر ٢١١/٣ عن ابن عون ولفظه قال : سألتُ محمداً عن يوم الحج الأكبر ، كان يوم وافق فيه حجُّ رسول الله ﷺ وحَجُّ أهل المِلَل » اهـ. وفي القرطبي ٧٠/٨ عن ابن سيرين : « وحجَّت معه فيه الأمم » وهو أصوبُ مما في المخطوطة « اتفق فيه حجُّ المِلَل » فإن أهل الملل حجُّوا مع أبي بكر ، لا مع رسول الله عليه السلام ، وقد ضعَّف ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٤٠٥/٦ هذا القول ، أنه سمي بالحج الأكبر ، لأنه حجَّ ذلك العام المسلمون والمشركون ، وصادف أيضاً عيد اليهود والنصارى .. إلخ . قال : وهذا ضعيف أن يصفه الله تعالى في كتابه بالكبر لهذا ، لأن فيه تعظيم الشرك والمشركين . .

(٤) قوله لجلة أي لجلالة قدر من قاله من الصحابة والتابعين .

أذّن يومَ النَّحر بمنى ، أَلَّا يحُجَّ بعدَ هذَا العامِ مُشرِكٌ »[1] .

وأيضاً فإن عرفات قد يأتيها النَّاسُ ليلاً ، وقولُ النبي ﷺ في حجة الوداع : أيُّ يوم أَحْرَمُ ؟ قالوا : يوم الحجِّ الأكبر ، قال : « فإنَّ دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، عليكم حرامٌ ، كحرمةِ يومكم هذا »[2] .

فدل على أنه يوم النحر ، لأن منىً من الحرم ، وليست عرفات منه ، وقول ابنُ سيرين غَلَطٌ ، لأن المسلمين والمشركين حجُّوا قبل ذلك بعامٍ ، ونُودي فيهم أن لا يحجَّ بعد ذلك مشرك[3] .

وقد يجوز أن يكون النِّدَاءُ كان بمنى ، وعرفات ، فيصحُّ القولان .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٧٢/١٠ والسيوطي في الدر ٢١١/٣ وقد تقدمت روايته في صحيح البخاري في كتاب الجهاد ١٢٤/٤ .

(٢) هذا طرف من حديث رواه البخاري في كتاب الحج ٢١٥/٢ ولفظه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ « خطب النَّاسَ يوم النحر ، فقال : يا أيها النَاسُ ، أي يومٍ هذا ؟ قالوا : يومٌ حرام ، قال : فأيُّ بلدٍ هذا ؟ قالوا : بلدٌ حرام ، قال : فأيُّ شهرٍ هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال : فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، اللهمَّ هل بلغت ؟ اللهّم هل بلَّغت ؟ قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده ، إنها لوصيته إلى أمته ، فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ » وأخرجه مسلم برقم ١٦٧٩ وأبو داود برقم ١٩٤٧ وأحمد في المسند ٣٧/٥ .

(٣) العام الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ لم يكن فيه مشرك ، وإنما كان ذلك في العام قبله وهو العام الذي كان فيه أبو بكر الصديق أمير الحج .

٤ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً .. ﴾** [آية ٤] .

وقرأ عطاءُ بنُ سِنَان « ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئاً »(١) .

يُقال : إنَّ هذا مخصوصٌ ، يُراد به « بنو ضَمْرَة » خاصة ، ثم قال : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ أي وإن كانت أكثر من أربعة أشهر .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ وخُذُوهُمْ ﴾ أي أْسِرُوهم ، ويقال للأسير : أَخِيذٌ(٢) ، ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ أي احبسوهم(٣) .

٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ، فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ .. ﴾** [آية ٦] .

أي استجارك من القتل حتى يسمع كلامَ الله ، فَأَجِرْهُ .

٦ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي فما أقاموا على العهد ولم ينقضوه ، فأَوْفوا لهم .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/٢٨٣ .

(٢) في البحر ٦/١٠ : « وخذوهم » عبارةٌ عن الأسر ، والأخيذُ : الأسيرُ . وانظر الصحاح ٢/٥٧٨ .

(٣) معنى الحصر في اللغة : الحبسُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ أي حبساً وسجناً .

٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ٨] .

معناه : كيفَ يكون لهم عهد ، وإن يظهروا عليكم ، لا يرقبوا فيكم إلًّا ولا ذمةً ؟[١].

رَوى سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أَلْإلُّ : اللهُ جلَّ وعز[٢] .

وَرَوى ابن جريج عن مجاهد ، قال : الْإِلُّ : العَهْدُ[٣] .

وقال أبو عبيدة : الْإِلُّ : العهدُ ، والذِّمَّةُ : التذمُّمُ[٤] .

وقال قتادة : الحلفُ ، والذمَّةُ : العهدُ[٥] .

وقال الضحاك : الْإِلُّ : القرابةُ ، والذمةُ : العهد[٦] .

---

(١) يريد أن في اللفظ تقديماً وتأخيراً ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج في معانيه ٤٧٦/٢ حيث قال : المعنى : إن طلب منك أحدٌ منهم أن تُجيره من القتل ، إلى أن يسمع كلام الله ، فأجِرْه ثم أبلغه مأمنه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٨٣/١٠ وابن الجوزي ٤٠٢/٣ والمعنى على هذا القول : لا يرقبون الله فيكم ، قال ابن عطية في المحرر ٤١٨/٦ : يجوز أن يراد بالإلّ الله عز وجل ، ومنه قول أبي بكر حين سمع كلام مسيلمة : هذا كلام لم يخرج من إلّ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٨٤/١٠ وأبو حيان في البحر المحيط ١٣/٥ قال : « من رأى إنّ الإلّ هو العهد ، جعله والذمّة لفظين لمعنى واحد ، أو متقاربين ، ومن رأى أن الإلّ غير العهد ، فهما لفظان متباينان » . اهـ.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٥٣/١ .

(٥) الأثر في الطبري ٨٤/١٠ وتفسير ابن كثير ٥٨/٤ وتفسير ابن الجوزي ٤٠٢/٣ .

(٦) الأثر في الطبري عن قتادة ٨٤/١٠ واختار الطبري أن تكون الكلمة شاملة للعقد ، والحلف ، والعهد ، والقرابة .

قال أبو جعفر : وهذا أحسنها ، والأصلُ في هذا أنه يُقال : أُذُنٌ مِؤَلَّلَةٌ أي محدَّدةٌ . والأَلَّةُ : الحَرْبَةُ[1] ، فإذا قيل للعهد إلٌّ : فمعناه أنه قد حُدِّد ، وإذا قيل للقرابة فمعناه إن أحدهما يَحادُّ صاحبَهُ ويقاربه ، وأنشد أهلُ اللغة :

لَعَمْـــرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ
كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَـــامِ[2]

فأما ما رُوي عن أبي مِجْلز[3] ، ومجاهد ، أن الإلَّ : اللهُ جلَّ وعزَّ فغيرُ معروفٍ ، لأنَّ أسماء اللهِ جل وعز معروفةٌ ، والذمَّةُ : العهدُ

---

(١) في الصحاح ٦٢٦/٤ : الإِلُّ بالكسر : العهدُ والقرابة ، والألُّ بالفتح جمع ألَّة وهي الحربة في نَصْلها عِرَضٌ ، ويُجمع أيضاً على إلال كخفنة وجِفان ، وألَلْتُ الشيء تأليلاً : أي حدَّدت طرفه . اهـ.

(٢) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه ٣٩٤/١ وفي الصحاح، واللسان ، وتفسير القرطبي ٧٩/٨ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠٢/٣ ، والسَّقْبُ : ولد الناقة ساعة يُولد ، والرَّأْلُ : ولد النعام ، يقول في هجاء أبي سفيان ــ قبل إسلامه :

ما قرابـــتك في قريش إلَّا كقرابة الفصيل من ولـد النَّعـام

أي لست منهم في نسب .

(٣) « أبو مجلز » هو « لَاحِقُ بن حُمَيْد السدوسي » قال العجلي : بصري ، تابعي ، ثقة ، مات سنة ١٠١هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧١/١١ .

(٤) قال الزجاج في معانيه ٤٧٩/٢ : قيل : الإِلُّ اسم من أسماء الله ، وهذا عندنا ليس بالوجه ، لأن أسماء الله معروفة معلومة ، ١٧٢/١١ كما سمعت في القرآن ، وتُليت في الأخبار ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ فالداعي يقول : يا ألله ، يا رحمن ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، ولم يُسمع يا إلُّ في الدعاء .

قولٌ معروف ، ومنه أهل الذمة ، إنما هم أهل العهد ، وتذممتُ أن أفعلَ : استحييْتُ ، فصرتَ بمنزلة من عليه عهدٌ .

٨ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِنْ تَابُوا ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ .. ﴾** [آية ١١] .

أي فهم مثلكم ، قد غفر لهم نقضهم العهدَ ، وكفرهم .

٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾** [آية ١٢] .

أي نقضوا وطعنوا في دينكم ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ ﴾ أي رؤساءَهُ[١] .

وقيل : هذا يوجبُ القتلَ ، على من طَعَنَ في الإسلام ، وإن كان له عهدٌ ، لأن ذلك ينقضُ عهدَهُ[٢] .

١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾** [آية ١٢] .

رُوي عن عمار بن ياسر أنه قال : أي لا عهد لهم . وقرأ

---

(١) المراد صناديد الكفر والطغيان ، الذين يفتنون المؤمنين عن الإيمان .

(٢) المسألة خلافية فعلماء أهل الكوفة يقولون : لا يُقتل من طعن في الدين ، لأن ما عليه من الشرك أعظم ، وأكثر العلماء قالوا : من سبَّ النبيَّ أو استخفَّ بقدره يُقتل ، لأنَّا لم نعطه الذمة والعهد على هذا ، وانظر الأدلة في القرطبي ٨٣/٨ .

الحسنُ [لا إيمانَ لهم][1] .

قال أبو جعفر : وقراءتُهُ تحتمل معنيين :

أحدهما : لا إسلام لهم على النفي ، كما تقول لا علم له .

والمعنى الآخر : أي يكون مصدراً من قولك : آمنتُهُ إيماناً ، أي لا تؤمِّنوهم ولكن اقتلوهم[2] .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال مجاهد : قَاتَلُوا حُلفاءَ رسول الله[3] . ثم قال : ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ ؟ أي أتخشون عاقبتهم ؟ ﴿ فاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ أي تخشوا عاقبته . ثم وعدهم النَّصر ، وذلك من علامات النبوة ، فقال : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَيُخْزِهِمْ ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ فدلَّ بهذا على أن غيظهم كان قد اشتد .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن عامر ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣١٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٨٣ .

(٣) كان النبي ﷺ قد صالح قريشاً عام الحديبية على وضع الحرب عشر سنين ، فدخلت خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، فعدَت بنو بكر على خُزاعة حلفاء الرسول ونقضوا عهدهم ، فخرج جماعة من خزاعة يستنجدون برسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأنشده عمرو بن سالم قصيدته المشهورة :

يا ربِّ إنِّي ناشِدٌ مُحمَّـدا   حِلْفَ أبينَا وأبيهِ الأتْلَدَا
إن قريشاً أخلفوكَ المَوْعِدَا   ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا

.... إلى آخرها .

قال مجاهد يعني خزاعة حُلفاء رسول الله ﷺ[1] .

١١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [آية ١٥] .

وهذا منقطع مما قبله[2] .

١٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا .. ﴾ [آية ١٦] .

وذلك أنهم لما أُمروا بالقتال ، تبيَّن نفاقُ المنافقين[3] .

١٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ .. ﴾ [آية ١٦] .

وقد عَلِمَ ذلك عِلْمَ غيب ، وإنما تقع المجازاة على العِلْمِ المشاهد[4] .

١٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ ، وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً .. ﴾ [آية ١٦] .

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان ٩١/١٠ وتفسير ابن الجوزي ٤٠٦/٣ وتفسير ابن كثير ٦٠/٤ .

(٢) أي ليس هذا جواباً للشرط ، ولو كان جواباً للشرط لكان مجذوماً لا مرفوعاً ، قال الطبري ٩١/١٠ : هو خبر مبتدأ ، ولذلك رُفع ، وجُزِم ما قبله على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم ، فإنكم إن تقاتلوهم ، يعذبهم الله بأيديكم .. إلخ . ثم ابتدأ فقال ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ .

(٣) قال الطبري ٩٢/١٠ والمعنى : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار ، يُعرف به أهل ولايته ، من المضيِّعين أمر الله !؟

(٤) نبَّه المصنف على أنَّ علم الله أزلي ، فلا يحتاج الله إلى امتحان العباد ليعلم المؤمن من المنافق ، وإنما هو للمجازاة على العمل ، حتى لا يبقى للإنسان عذر عند الله تعالى ، فهم علم إبداء ، لا علم بَدَاء ، أي علم كشف للخلق لا علم ظهور للخالق .

الوليجةُ : البطانـة ، من وَلَـجَ ، يَلِـجُ ، وُلُوجـاً : إذا دخـل[1] ، فالمعنى : دخيلةَ مودَّةٍ ، من دون الله ورسوله .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللهِ .. ﴾**

[آية ١٧] .

هكذا قرأ ابنُ عباس وهو اختيـار أبي عَمْـروٍ[2] ، واحتـجَّ بقولـه تعالى ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ .

ومـن قرأ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِيـنَ أَنْ يَعْمُـــرُوا مَسَاجِــدَ اللهِ ﴾ فتحتمل قراءته معنيين :

أحدهما : أن يكون لجميع المساجد .

والآخر : أن يراد به المسجـد الحرام خاصة ، وهـذا جائـز فيمـا كان من أسماء الجنس ، كما يقال : قد صَارَ فلانٌ يركب الخيل ، وإن لم يركب إلَّا فرساً .

والقراءة « مساجدَ » أصوبُ[3] لأنه يحتمل المعنيين ، وقد أجمعـوا على قراءة قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ ﴾ على الجمع .

---

(١) قال في الصحـاح ٣٤٨/١ : وَلَـجَ ، يَلِـجُ ، وُلُوجـاً ، ولِجَـةً : أي دخـل ، ووليجـة الرجـــل : خاصته وباطنتُه . اهـ.

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي من القراءات السبعة المتواترة ، وانظـر السبعـة لابـن مجاهـد ٣١٣/١ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧٨/٢ .

(٣) إذا كانت القراءتـان سبعيَّتين ، فلا يقـال عن واحـدة : إنها أصوب من الأخـرى ، وإنما يقـال : هذه القراءة أوضح وأظهر .

١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ ، وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، كَمَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ .. ﴾** [آية ١٩] .

والمعنى : أجعلتم أهلَ سقايـة الحاج[١] ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

ومن قرأ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سُقَاةَ الحَاجِّ[٢] وَعَمَرَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ فهو عنده على غير حذف .

قال الشعبيُّ : نزلت في عليٍّ بن أبي طالب ، والعباس[٣] .

وقال الحسن : نزلت في علي ، والعبَّاس ، وعثمانَ بنِ طَلْحَةَ الحَجَبِي[٤] ، وشَيْبة .

وقال محمد بن سيرين : خرج عليُّ بنُ أبي طالب رحمة الله عليه ، من المدينة إلى مكة ، فقال للعباس : يا عم ألا تهاجر ؟ ألا تمضي إلى النبي ﷺ ؟ فقال : أنا أَعْمُرُ البيتَ ، وأحجُبُهُ ، فنزلت

(١) يريد أن في الكلام حذف مضاف ، كقوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ المراد اسأل أهل القرية .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جنى ٢٨٥/١ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٩٦/١٠ وابن كثير ٦٤/٤ والدر المنثور ٢١٨/٣ .

(٤) الحَجَبِي : بفتح الحاء والجيم ، وكسر الباء ، هكذا ضبطه السمعاني في الأنساب ٧٠/٤ قال : وهذه نسبة إلى حجابة البيت المعظم . اهـ وهو صحابي اسمه « عثمان بن طلحة بن أبي طلحة » توفي سنة ٤٢هـ وانظر أسد الغابة ٥٧٨/٣ .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

١٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ .. ﴾** [آية ٢٠] .

أي من غيرهم ، أي أرفع منزلة ، من سُقَاةِ الحاجِّ ، وعُمَّار المسجدِ الحرامِ ، والجهاد ﴿ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ بالجنة ، النَّاجون من النار . والفايز : الذي ظفر بأُمنيَّته[2] .

١٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ .. ﴾** [آية ٢١] .

أي يُعْلِمُهم في الدنيا ولهم في الآخرة[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن عبد الله بن عبيدة ، وأخرجه الفريابي عن ابن سيرين كذا في الدر المنثور ٢١٨/٣ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٣ : أن جماعة من رؤساء قريش، أُسروا يوم بدر ، فيهم العباس بن عبد المطلب ، فأقبل عليهم نفر من أصحاب النبي عليه السلام ، فعيَّروهم بالشرك ، وجعل عليٌّ بن أبي طالب يوبِّخ العباس ــ عمه ــ بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم ، فقال له العباس : ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا ؟ فقال : وهل لكم من محاسن ؟ فقال : نعم ، إنّا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ، ونسقي الحجيج ، ونفك العاني ــ يعني الأسير ــ فنزلت هذه الآية ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر .. ﴾ ؟ الآية .

(٢) في الصحاح ٨٩٠/٣ : الفوزُ : النجاةُ والظَّفر بالخير ، وفي المصباح : فاز يفوز : ظفر ونجا ، ويُقال لمن أخذ حقه من غريمه : فاز بما أخذ أي سَلِمَ له ، وفَازَ : قطَعَ المفازَةَ ، والمفازةُ الموضعُ المهلك ، وسميت به تفاؤلاً بالسلامة .

(٣) البشارة في اللغة العربية : الإخبار بما يُسرُّ له الإنسانُ ، وتظهر آثاره على بشرته ، والمراد أن الله عز وجل قد أخبرهم في الدنيا بما أعدَّ لهم من النعيم المقيم ، في دار التكريم ، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ .. ﴾** [آية ٢٥] .

أي في أماكن[١] ، ومنه : استوطَنَ فلان المكان أي أقام به .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ .. ﴾** [آية ٢٦] .

أي ونصركم يوم حُنَيْن .

قال قتادة : حُنَيْنٌ : اسمُ ماءٍ بينَ مكَّة ، والطائف ، قال : « وكان النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار ، وألفين من الطُّلقاء ، فقال رجل : لن تُغلبوا اليوم ، فتفرَّق أكثرهم »[٢] ثم دعا النبي ﷺ ، فأُجيب ونُصِر[٣] ، فَأَعْلَمَهُمْ اللَّهُ جلَّ وعز أنهم لم يَغْلِبوا من كثرةٍ ، وإنما يَغْلبون بأن ينصرهمُ اللَّهُ .

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٢/٤٨٦ ﴿ في مواطن كثيرة ﴾ أي في أمكنة كثيرة ، كقولك : في مقامات ، تقول : استوطن فلانٌ بالمكان : إذا أقام فيه ، وقال بعضهم إن مواطن لم تنصرف لأنه جمع وأنزها لا تجمع . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن قتادة ، كما في الدر المنثور ٣/٢٢٤ .

(٣) أشار المصنف إلى ما رواه مسلم في كتاب الغزوات « غزوة حنين » أن رجلاً قال للبراء بن عازب يا أبا عُمَارة : فررتم يوم حُنين ؟ قال : لا والله ما ولَّى رسولُ الله ﷺ ، ورسولُ الله على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان يقودها ، فنزل واستنصر ، وقال :

أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ   أَنَا ابنُ عَبْدِ المطَّلِب

٢٢ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ .. ﴾** [آية ٢٨] .

يقال لكل مُسْتَقْذَرٍ : نَجَسٌ ، فإذا قلت رِجْسٌ ، نِجْسٌ ، كسرتَ الراءَ والنون ، وأسكنتَ الجيم .

٢٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا .. ﴾** [آية ٢٨] .

روى ابن جريج عن عطاء ، قال : يريد بالمسجد الحرام الحَرَمَ كُلَّه[1] .

وروى ابن جُريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ﴿ إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ ﴾ إِلَّا أن يكون عَبْدٌ أو أحدٌ من أهل الجزية[2] .

وهذا مذهب الكوفيين أن المشركين في الآية يُرادُ بهم : من ليس له عَهْدٌ [وأن ذلك في سائر المساجد][3] .

ومذهب المدنيِّين أن الآية عامة لجميع الكفار ، وأنه يُحال بينهم وبين جميع المساجد[4] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٥/١٠ وابن كثير ٧٤/٤ وفي الدر المنثور ٢٢٧/٣ .

(٢) الأثر عن جابر في الطبري ١٠٨/١٠ وابن كثير ٧٤/٤ بلفظ : إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الجزية .

(٣) ما بين الحاصرتين من الهامش وليس في أصل المخطوطة .

(٤) انظر أدلة الفقهاء وأقوالهم في كتاب روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ٥٨٢/١ .

ومذهب الشافعي : أنَّ المشركين هاهنا عام أيضاً ، كقول مالك ، إلَّا أنه قال : إنما ذلك في المسجد الحرام خاصة .

ومذهب المدنيِّين[1] في هذا أحسنُ ، لقول الله جل وعز ﴿ فَي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾[2] أي تُصَان ، فيجبُ على هذا أن تُرفع عن دخولهم ، لأنهم لا يعظِّمونها في دخولهم .

٢٤ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً .. ﴾** [آية ٢٨] .

والعَيْلَةُ : الفَقْرُ ، يُقال : عَالَ ، يَعِيلُ ، عَيْلَةً[3] ، ومنه ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ .

وقال علقمة[5] في مصحف عبد الله بن مسعود ﴿ وإنْ خِفْتُمْ عَائِلةً ﴾[6] ومعناه خصلة شاقةً ، يُقال : عالني الأمر يَعُولني : أي شقَّ عليَّ ، واشتدَّ .

٢٥ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ .. ﴾** [آية ٢٩] .

---

(١) المراد بالمدنيِّين أصحاب الإمام مالك ، ومالك رحمه الله هو إمام دار الهجرة ، على نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٦ .

(٣) قال القرطبي : العيلةُ : الفقر ، عال الرجل يعيل إذا افتقر .

(٤) سورة الضحى آية رقم ٨ .

(٥) في المخطوطة « عصمة » وصوابه « علقمة » كما في القرطبي ١٠٧/٨ وهو من تلامذة ابن مسعود .

(٦) هذه من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٨٧/١ .

المعنى : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إيمان الموحِّدين ، لأن أهل الكتاب يؤمنون بالله ، ويقولون : له ولدٌ ، تعالى عن ذلك[1].

ويؤمنون بالآخرة ، ويقولون : لا أكل فيها ولا شراب ، فهذاخلاف على ما أمر الله له جل وعز .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ ﴾ [آية ٢٩] .

قال أبو عبيدة : مَجَازُهُ : ولا يطيعون طاعةَ الحق[2] .

قال أبو جعفر : أي طاعَةَ أهلِ الإسلام ، وكل مُطيعٍ مَلِكاً ، فهو دائنٌ له ، يُقال : دَانَ فلانٌ لفلانٍ .

قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ
فِي دِينِ عَمْرٍو ، وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ[3]

---

(١) إنما قال سبحانه ﴿ لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ مع أنهم يزعمون الإيمان ، ويعتقدون بالآخرة ، لأنهم يصفون الله عز وجل بما لا يليق أن يوصف به ، فيجعلون له زوجةً وولداً ، فإيمانهم تخيلات وأوهام باطلة ، لأنهم يعتقدون بالتثليث ، ويقولون النعيم والعذاب للروح لا للجسد ، ولا يؤمنون بخاتم الأنبياء ولا بالقرآن ، ولهذا نفى الله عنهم الإيمان ، وانظر معاني الزجاج ٤٨٨/٢ وتفسير ابن كثير ٧٤/٤ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٥٥/١ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، يخاطب به الحارث بن ورقاء ، وهو في ديوانه ١٨٣ وفي جمهرة الأشعار . والطبري ١٠٩/١٠ والجمهرة ٣٦/٢ واللسان مادة (فدك) ومجاز القرآن ٢٥٥/١ و« فدك » قرية في وادي القرى ، و« جو » وادٍ من الأودية يقول : لئن حللتَ بحيث لا أدركك ، ليصلنَّ إليك هجوى ، ولأدنسنَّ به عرضك .

٢٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

وهم اليهود والنصارى ، وسنَّ رسولُ الله ﷺ في المجوس أن يُجْرَوا مُجراهم[1] .

٢٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

روى أبو صالح عن ابن عباس في قوله جل وعز ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ قال : يمشون بها مُلَبَّبِينَ[2] .

وروى عطاء عن أبي البَخْتَرِي[3] عن سلمان قال : مذمومين[4] .

وروى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ﴿ عَنْ يَدٍ ﴾ قال : عن مَهْرٍ[5] .

وقيل : معنى « يَدٍ » عن إنعام يدٍ ، أي عن إنعام منكم

---

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه مالك والشافعي عن الرسول ﷺ أنه قال « سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب » وانظر الدر ٣/٢٢٩ .

(٢) التلبيبُ هو الأخذ بمجامع الثوب عند اللبَّة وهي مكان المنحر من العنق ، كذا في المصباح المنير ، قال الطبري ١٠/١١٠ روي عن ابن عباس من وجه فيه .

(٣) أبو البختري هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ، تابعي ثقة ، قال أبو حاتم : ثقة صدوق توفي سنة ١٨٣هـ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/٧٣ .

(٤) و(٥) انظر الآثار في الطبري ١٠/١١٠ وتفسير ابن الجوزي ٣/٤٢١ والبحر المحيط ٥/٣٠ .

عليهم ، لأنهم إذا أُخِذت منهم الجزية فقد أُنْعم عليهم بذلك[1]

وقيل ــ وهو أصحُّها ــ يُؤَدُّونها بأيديهم ، ولا يُوجِّهون بها ، كما يفعل الجَبَّارون[2] .

وقال سعيد بنُ جبير : يَدْفَعُها وهو قائمٌ ، والذي يأخُذُها منه جالس[3] .

وأكثر أهل اللغة[4] على أن المعنى عن قهرٍ وذلةٍ كما تقول : اليَدُ في هذا لفلانٍ .

ومذهب الشافعي في هذا أن تُؤْخَذَ الجزية منهم ، وأحكام المسلمين جاريةٌ عليهم .

---

(١) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٤٨٩/٢ وهو في زاد المسير ٤٢٠/٣ فتكون الآية من باب حذف المضاف .

(٢) حكاه الماوردي كما في زاد المسير ٤٢٠/٣ والمعنى : يؤدونها بأيديهم ، ولا يبعثون بها مع أحدٍ من خدمهم ، واختاره الطبري في جامع البيان ١٠٩/١٠ حيث قال ﴿ عن يد ﴾ أي من يده إلى يد من يدفعه إليه ، وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قهراً عنه ، طائعاً أو كارهاً : أعطاهُ عن يده ، وعن يدٍ ، وذلك نظير قولهم : كلَّمته فماً لفمٍ . اهـ.

وقال ابن كثير : أي عن قهرٍ لهم وغلبة .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير في جامع البيان ١١٠/١٠ عن عكرمة ، قال ابن العربي : وهذا ليس من قوله « عن يَدٍ » وإنما هو من قوله ﴿ وهم صاغرون ﴾ يريد أن هذا القول ليس تفسيراً لقوله « عن يد » وإنما هو تفسير لقوله « وهم صاغرون » .

(٤) في المخطوطة « وإن كثر أهل اللغة » وصوابه ما أثبتناه « وأكثر أهل اللغة » وانظر معاني الزجاج ٤٨٩/٢ .

ثم قال ﴿ وهم صاغرون ﴾ .

قال أبو عبيدة : الصَّاغِر : الذليلُ الحقير[1] .

وقال غيره : الذي يُتَلْتَلُ ، ويُعَنَّفُ به .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ .. ﴾ [آية ٣٠] .

يُقال : قد عُلِمَ أن القول بالفم ، فما الفائدة في قوله ﴿ بأفواههم ﴾ ؟

والجواب عن هذا : أنه لا بيان عندهم ، ولا برهان لهم ، لأنهم يقولون : اتَّخَذَ الله صاحِبَةً ، ويقولون : له ولدٌ ، وقولُهم بلا حجَّةٍ[2] .

٣٠ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٣٠] .

أي يشابهون ويقتفون ما قالوا .

ويُقرأ ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾[3] والمعنى واحدٌ ، يقال : امرأةٌ ضَهْيَا ، مقصورٌ ، وضَهْيَاءُ : ممدودٌ غير مصروف إذا كانت لا تحيض[4] .

---

(١) انظر مجاز القرآن ١/٢٥٩ وهو أظهر الأقوال ، ومعنى الآية : حتى يدفعوا الجزية منقادين مستسلمين ، أذلاء حقيرين ، مقهورين بسلطان الإسلام .

(٢) المراد هذا القول الشنيع مجرد دعوى باللسان من غير حجة ولا برهان ، كما تقول لمن تكذبه : هذا قولك بلسانك ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٧٤ .

(٣) في الآية قراءتان سبعيتان ﴿ يضاهئون ﴾ بالهمز ، وهي قراءة عاصم وحده ، « ويُضاهون » بغير همز وهي قراءة بقية القراء ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣١٤ .

(٤) قال الجوهري : الضَّهياءُ : المرأة التي لا تحيضُ ، وحكى أبو عمروٍ : امرأةٌ ضَهْيَاةٌ ، وَضَهْيَاةٌ ، بالتاء والهاء ، قال : وهي التي لا تطمث . اهـ. الصحاح ٦/٢٤١٠ .

ويُقال : هي التي لا ثدي لها[1] .

والمعنى أنها قد أشبهت الرجال في هذه الخصلة ، فمن جعل الهمزة أصلاً ، قال ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ ومن جعلها زائدة ــ وهو أجودُ ــ قال ﴿ يُضَاهُونَ ﴾ .

٣١ ــ **ثم قال تعالى ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أنّى يُؤْفَكُونَ ﴾** [آية ٣٠] .

فخوطبوا بما يعرفون ، أي يجبُ أن يقال لهم هذا[2] .

ثم قال ﴿ أنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ؟ أي من أن يُصرفون عن الحق بعد البيان ؟

٣٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ .. ﴾** [آية ٣١] .

روى الأعمش ، وسفيان عن حبيب بنِ أبي ثابت ، عن أبي البَختَري ، قال : سُئِل حُذَيفةُ عن قول الله جل وعز ﴿ اتَّخُذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ هل عبدوهم ؟ فقال : لا ،

---

(١) جاء في الصحاح ٦/٤١٠ : الضَّهْيَاءُ : المرأة التي لا تحيضُ ، وحكى أبو عمر : أمرأةٌ ضَهْياةٌ ، وضَهْيَاةٌ بالتاء ، والهاء ، قال : وهي التي لا تطمث ــ أي لا يأتيها دم الحيض ــ قال الجوهري : وهذا يقتضي أن يكون الضَّهْيَا مقصوراً ، والمضاهاةُ : المشاكلةُ ، تُهمز ، ولا تُهمزُ ، يقال : ضاهَيْتُ ، وقُرىء « يُضَاهِئُونَ » وهذا ضَهِيُّ هذا : أي شبيهُهُ . اهـ. الصحاح للجوهري .

(٢) يريد أن هذه جملة دعائية « قاتلهم اللهُ » أي لعنهم الله ، فهم يستحقون أن يُقال لهم ذلك ، قال ابن عباس : كل شيء في القرآن قتلٌ فهو لعنٌ ، قال في البحر ٥/٣١ : دعاءٌ عليهم عامٌّ لأنواع الشرِّ ، ومن قاتله اللهُ فهو المقتول ، وقال النقاش : أصل قَاتَلَ الدعاءُ ، ثم كثر استعمالهم حتى قالوه على جهة التعجب ، في الخير والشر ، وأنشد الأصمعي :

يا قَاتَلَ اللهُ لَيْلى كَيْفَ تُعْجِبُنِي ... وأُخْبِرَ النَّاسُ أنّي لا أُبَالِيهَا

ولكنهم أحلُّوا لهم الحرام فاستحلُّوه ، وحرَّموا عليهم الحلال فحرَّموه[1] .

حدثنا أبو جعفر قال : نا أبو القاسم « عبدُ اللهِ بنُ محمد بنِ بنت أحمد بن منيع » قال : نا الحِمَّاني ، قال : نا عبد السلام بنُ حرب ، عن غُضَيْف[2] ــ وهو ابن أَعْيَن ــ عن مصعب بنِ سَعْدٍ عن عدي بن حاتم قال : أبصر النبيُّ ﷺ في رقبتي صليباً من ذهب ، فقال : اطرح هذا عنك !! قال : وسُئل عن قوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ ؟ قال : أَمَا إنهم ما كانوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله عليهم ، فيستحلُّونه ، ويُحرِّمون عليهم ما أحلَّ الله لهم فيحرِّمونه[3] .

٣٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ .. ﴾** [آية ٣٤] .

يجوز أن يكون المعنى : ولا ينفقون الكنوز ، لأن الكنوز تشتمل

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١١٤/١٠ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٢/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٠/٨ .

(٢) في المخطوطة : غطنيف وهو تصحيف ، وصوابه غُضَيْف بن أعين الشيباني وانظر الجرح والتعديل ٥٥/٧ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير ٤٩٢/٨ من تحفة الأحوذي برقم ٥٠٩٣ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ولفظه عن عدي بن حاتم قال : « أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب ، فقال يا عديُّ : اطرح عنكَ هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال : أما إنهم .. » وذكر تتمة الحديث وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣١/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، وأخرجه الطبري أيضاً في جامع البيان ١١٤/١٠ .

على الذهب والفضة ها هنا(١) .

ويجوز أن يكـون لأحـدهما(٢) ، كما قال : ﴿ واللَّهُ وَرَسُولُـهُ أَحَـقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾(٣) .

وفي هذه الآية أقوال :

رَوى عكرمة عن ابن عباس ، وعطية ونافع عن ابن عمـر أنهمـا قالا : « ما أُدِّيَتْ زكاتُه فليس بكنزٍ »(٤) .

ويقـوِّي ذلك أن **ابـن جريج** روى عن أبي الـزبير عن جابـر عن النبـي ﷺ أنــه قال : « إذا أدَّيت زكاةَ مالك فقـد أَذْهَـبتَ شرَّه عنك »(٥) .

وقيل : إن هذه الآية نزلت في المشركين .

وقال أبو هريرة : « من خلَّفَ عشرة آلاف ، جُعِلَتْ صفائـح ، وعُذِّبَ بها ، حتى ينقضي الحساب »(٦) .

---

(١) و (٢) حكى القولين الزجاج في معانيه ٤٩٢/٢ فقال : ذكر تعالى الـذهب والـفضة ولم يقـل : ولا ينفقونهما في سبيـل الله ، فيجـوز أن يكـون محمـولاً على الأمـوال أي ولا ينفقـون الأمـوال ، أو لا ينفقون المكنوز ، ويجوز أن يكون ولا ينفقون الفضة ، وحذف الذهب لأنـه داخـل في الـفضة كما قال الشاعر :

نحن بما عندنـــا وأنت بما عنـــد ... كَ راضٍ ، والـــرأيُ مختلـــف

أي نحن راضون وأنت راضٍ ، وقال الفراء في معانيه ٤٣٤/١ : إن شئت اكتفيتَ بذكـر أحـدهما عن الآخر ، واستشهد بالآية .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٨/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٣ وابـن كثير في تفسيره ٨٠/٤ ولفظه : ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، ومـا كان ظاهـراً لا تُؤدى زكاتُـه فهو كنز » .

(٥) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وانظر الدر المنثور ٣٣٢/٣ .

(٦) هذا الأثر موقوف على أبي هريرة وهو منسوخ بآية فريضة الزكاة أو هو محمول على من لم يؤدِّ الزكاة .

وقـال أبـو أمامـة : « مَنْ خَلَّـفَ بيضاء ، أو صَفْــرَاء ، كُوِيَ بها ، مغفوراً له أو غير مغفور له ، وإن حلية السيف من ذلك »[1] .

وروى موسى بن عُبيـدة ، عن عمـرانَ بن أبي أنس ، عن مالك ابـن أوس بن الحَدَثــان ، عن أبي ذرٍّ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من جَمَعَ ديناراً ، أو درهماً ، أو تِبْراً ، أو فِضَّةً ، لا يُعِدُّهُ لغريمٍ ، ولا يُنفقه في سبيل الله ، فهو كنزٌ يُكْوَى بهِ يومَ القيامة »[2] .

وقال معاوية : نزلت في أهل الكتابِ ، فردَّ عليه أبو ذرٍّ وقال : نزلت فينا وفيهم .

وحديــثُ ابـن عمـر في هذا حسنٌ ، على تَوَقِّيـه ، وهـو جيِّـد الإسناد رواه مالك ، وأيوب ، وعُبيد اللهِ ، عن نافِعٍ ، عن ابن عمر .

وقـد رُوي أيضاً عن عمـر أنـه قال : « ليس كنــــزاً ما أُدِّيْتَ زكاتهُ » .

وكذلك قال سعيد بن المسيب ، وعمرُ بن عبد العزيز ، إلا أنـه قال : أراها منسوخةً ، لقوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَـةً تُطَهِّرُهُـمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وليس في الخبر ناسخٌ ولا منسوخٌ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني ، وانظر الدر المنثور ٢٣٢/٢ وهذا أيضاً لمن لم يؤدِّ الزكاة .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن مردويه عن أبي ذر مرفوعـاً ولفظـه « في الإبـل صدقتها ، وفي البقـر صدقتها ، وفي الغنـم صدقتها .. فمـن ربـع دينـاراً أو درهماً .. » الحديث . وانظر الدر المنثور ٢٣٣/٣ والقرطبي ١٣١/٨ .

(٣) انظر هذه الآثار وتوضيحهـا في البحـر المحيط لأبي حيـان ٣٦/٥ فقـد حكاهـا عن السلـف ثم قال : « والظاهر ذمٌّ من يكتنز ولا يُنفـق في سبيـل الله ، ومـا جاء في ذمٍّ من ترك صفـراء وبـيضاء =

وروى **أبو الزبير** عن جابر عن النبي ﷺ قال : « ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلّا أتي له بماله ، فأُحْمِيَ عليه في نار جهنم ، فتكوى به جنباه ، وجبهته ، وظهرُه ، حتى يحكم الله بين عباده .. »[١] وذكر الحديث .

٣٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ .. ﴾ [آية ٣٦] .

الأربعة الحرمُ : « المحرَّمُ ، ورجبُ ، وذو القعدة ، وذو الحجة »[٢] .

ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ .

= ــ يعني ذهباً وفضة ــ وأنه يُكوى بها يوم القيامة ، إلى غير ذلك من أحاديث ، هو قبل أن تفرض الزكاة ، والتوعُّد في الكنز إنما وقع على منع الحقوق منه ، ولذلك قال كثير من العلماء : الكنز هو المال الذي لا تُؤدَّى زكاته ، وهذا قول ابن عمر ، وعكرمة ، والشعبي ، والسدي ، ومالك ، وجمهور أهل العلم قالوا مثل ذلك ، وقال أبو ذرٍّ وجماعةمعه : ما فَضَل من مال الرجل عن حاجته فهو كنز ، وقال عمر بن عبد العزيز : هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ اهـ. وانظر أيضاً جامع البيان للطبري ١٢١/١٠ .

(١) الحديث أخرجه مسلم ٦٨٢/٢ بلفظ : « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلّا أُحمي عليه في نار جهنم ، فيُجعل صفائح ، فيُكوى بها جنباه وجبينه ، حتى يحكم الله بن عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وانظر تفسير ابن كثير أيضاً ٨٣/٤ ففيه آثار كثيرة حول الآية الكريمة .

(٢) يؤيده ما جاء في صحيح البخاري ٨٣/٦ عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السَّنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

الدين ها هنا : الحسابُ ، أي ذلك الحساب الصحيحُ ، والعددُ المستوفَى .

وعن ابن عباس ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ قال : القَضاءُ القيّمُ[1] .

وقال أبو عُبيدة : أي القائم[2] .

﴿ **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [آية ٣٦] .

أكثرُ أهل التفسير على أنَّ المعنى : فلا تظلموا في الأربعة أنفسكم[3] ، وخصَّها تعظيماً كما قال : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[4] .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيدٍ عن يوسف بن مهران

---

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٥٨/١ ولفظه ﴿ الدين القَيِّم ﴾ مجازه : القائم أي المستقيم . اهـ.

(٣) هذا قول قتادة ، وإليه ذهب الفراء ٤٣٥/١ في معانيه ، ودلل عليه بوجه لغوي فقال : ويدلل على أنه للأربعة قوله « فيهن » ولم يقل : فيها ، وكذلك كلام العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة ، فإذا جازوا العشرة قالوا : خَلت ، ومضت .. ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة « هنَّ » و « هؤلاء » ورجحه ابن جرير في جامع البيان ، فانظره ١٢٧/١٠ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

عن ابن عباس ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ في الاثني عشر[1] .

وروى **قيس بن مسلم** ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية ، قال : فيهنَّ كلهنَّ[2] .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر .. ﴾** [آية ٣٧] .

النسيء : التأخيرُ ، ومنه : نَسَأَ اللهُ في أَجَلك .

٣٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴾** [آية ٣٧] .

قال الزهري ، وقتادة ، والضحَّاك ، وأبو وائل ، والشعبي : كانوا ربما أخَّروا تحريم المحرَّم إلى صفر[3] .

قال قتادة : وكانوا يسمونها : الصَّفَرَيْنِ[4] .

وقال مجاهد : كان لهم حُسَّابٌ يحْسُبون ، فربما قالوا لهم : الحجُّ في هذه السنة في المحرم ، فيقبلون منهم[5] .

ودلَّ على هذا قوله : ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾[6] أي إنه في ذي الحجة .

قال أبو جعفر : وأبينُ ما في هذا ما حدثناه بكرُ بن سهل ، قال : نا أبو صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ ﴾ قال : كان جُنَادةُ بنُ

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) انظر هذه الآثار جميعها في جامع البيان للطبري ١٠/١٣١ وتفسير ابن كثير ٤/٩٠ والبحر المحيط ٥/٣٩ والدر المنثور ٣/٢٣٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٣/٤٣٥ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

أُمَيَّة[1] يوافي الموسم كلَّ عام ، وكان يُكنى « أبا ثُمامة » فينـادي : ألا إنَّ أبا ثُمامة لا يُخابُ ، ولا يُعاب[2] ، ألَا وإن صفر العامِ الأولِ العـامَ حلالٌ ، فيحلُّه للناس ، ويحرِّم صفراً عاماً ، ويُحرِّم المحرَّم عامـاً ، فذلك قول الله جلَّ وعـز ﴿ إنَّمـا الـنَّسِيءُ زِيَـادَةٌ فِي الكُفْـرِ ﴾ الآية ، قال : والنَّسِيءُ تركهم المحرَّم عاماً ، وعاماً يحرِّمونه[3] .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] يعني بالَّذين كفـروا الحُسَّاب ، الذين يقولون لهم هذا .

ويُروى عن عبد الله بن مسعود ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي يُضِلُّ به الذين يقبلون من الحُسَّابِ[5] .

---

(١) في الطبري وابن كثير ٩١/٤ اسمه : جنادة بن عوف بن أمية الكناني ويكنى « أبـا ثمامـة » ولـيس جنادة بن أميـة ، وكـذلك ذكـره السيوطـي في الـدر المنثـور ٢٣٦/٣ : جنـادة بن عوف ، والله أعلم .

(٢) معنـى لا يخاب ولا يعـاب : أي لا ينسب إلى الخيبـة والعيـب ، هكـذا ورد في المخطوطـــة « لا يخاب » بالخاء ، وفي ابـن كثير « لا يحاب » بالحاء أي لا ينسب إلى الحوب وهـو الإثم ولعلـــه أظهر .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/١٠ وابن كثير ٩٢/٤ والسيوطي في الـدر ٢٣٦/٣ وعـزاه إلى ابـن أبي حاتم وابن المنذر .

(٤) هذه من القـراءات الثابتـة وهـي قراءة يعقـوب كما في الـنشر في القـراءات الـعشر ٢٧٩/٢ حيـث قال : قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص ﴿ يُضَل به ﴾ بضمـة البـاء وفتـح الضاد ، وقـرأ يعقوب ﴿ يُضِل به ﴾ بضم الياء وكسر الضاد ، وقـرأ الباقـون ﴿ يَضِل به ﴾ بفتـح البـاء وكسر الضاد . اهـ. وأما قراءة ﴿ يَضَل ﴾ بفتح الياء والضاد فعدها ابن جني في المحتسب من الشواذ .

(٥) انظر تفسير ابن الجوزي ٤٣٦/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٩/٨ قال : واختار هذه القراءة أبو عبيد .

ويُحتجُّ لمن قال بالقول الأول بقوله جل وعز ﴿ يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ ﴾ أي ليوافقوا ، فيحرِّموا أربعةً ، كما حرَّم اللهُ جلَّ وعزَّ أربعةً .

٣٧ ـ **وقولُه جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

قال مجاهد : في غزوة تبوك ، أُمروا بالخروج في شدة الحر ، وقد طابتِ الثمار ، وقالوا إلى الظِّلال[1] .

٣٨ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

أي أرضيتم بنعيم الحياة الدنيا ، من نعيم الآخرة[2] !

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ .

والمتاع : المنفعة والنعيم .

٣٩ ـ **وقولُه جل وعز ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ، إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٣٤/١٠ وفي الدر المنثور ٢٣٧/٣ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٦/٣ : هذا لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك ، وكان في زمن عسرة وجدب ، وحر شديد ، وقد طابت الثمار ، فعظم على الناس ، وأحبوا المقام فنزلت الآية ﴿ وما لكم ﴾ استفهام معناه التوبيخ .

(٢) قال القرطبي ١٤١/٨ « من الآخرة » أي بدلاً ، والتقدير : أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة ، قال : عاتبهم الله على إيثار الراحة في الدنيا ، على الراحة في الآخرة ، إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا . اهـ.

قال الزهري : خرج هو وأبو بكر ، ودخلا غاراً في جبل ثور(١) ، فأقاما فيه ثَلَاثاً .

والمعنى : فقد نصره اللهُ ثاني اثنين ، أي نصره الله منفرداً ، إلَّا من أبي بكر رضي الله عنه(٢) .

٤٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾** [آية ٤٠] .

يجوز أن تكون تعود على « أبي بكر » والأشبه ــ على قول أهل النظر ــ أن تكون تعود على أبي بكر ، لأن النبي ﷺ قد كانت عليه السكينةُ ، وهي السكونُ والطمأنينةُ ، لأنه جلَّ وعز أخبر عنه أنه قال ﴿ لَا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ وسأذكر هذا في الإعراب على غاية الشرح(٣) .

٤١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً .. ﴾** [آية ٤١] .

---

(١) في المخطوطة « في ثور جبل » وصوابه ما أثبتناه ، وفي البخاري : استأجر الرسول وأبو بكر رجلا هادياً ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال .. » الحديث .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٤٩٧/٢ : وقوله « ثاني اثنين » منصوب على الحال المعنى : فقد نصره الله أحد اثنين ، أي نصره منفرداً إلا من أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢١٥/٢ فقد فصل فيه القول ، وأن الضمير يعود على « أبي بكر » ورجح الطبري أن الضمير يعود على الرسول ﷺ ، وهو قول جمهور المفسرين لتتناسق الضمائر في الآية ، قال ابن عطية في المحرر ٤٩٩/٦ : « قال بعضهم : الضمير في « عليه » عائد على أبي بكر ، لأن النبي ﷺ لم يزل ساكن النفس ثقة بالله عز وجل ، وقال جمهور الناس : الضمير عائد على النبي ﷺ ، وهذا أقوى ، قال : والسكينة عندي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم ، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم . اهـ. أقول : وهذا هو الأظهر لقوله تعالى بعده ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ ولا شك أن المؤيد بالملائكة والجنود هو النبي ﷺ

في معنى هذا أقوالٌ منها :

أنَّ أنس بن مالك رَوَى أن « أبا طلحة » تأوَّلَها : شباباً ، وشيوخاً[1] .

وقال المقداد : لا أجدُني ألا مُخفًّا أو مثقلاً[2] .

وقال الحسن : في العسرِ واليسر[3] .

وروى سفيان عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي مَلَكٍ الغفاري قال : أول ما نزل من سورة براءة ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾[4]

وقال أبو الضحى : كذلك أيضاً[5] .

ثم نزل أولها وآخِرها .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾ قال : فيه الثقيلُ ، وذو الحاجةِ ، والضَّيعَةِ ، والشغل ، وأنزل اللهُ عز وجل ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾[6] .

---

(١) الأثر ذكره القرطبي ١٥٠/٨ فقال : روي عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فقال : أي بني جهزوني ، فقال بنوه : يرحمك الله لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات !! فنحن نغزو عنك ، قال : لا ، جهزوني ، فإن الله استنفرنا شباناً وكهولاً ، فغزا في البحر فمات فيه ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوها فيها ولم يتغير حسده رضي الله عنه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٠ والقرطبي ١٥١/٨ .

(٣) و(٤) و (٥) و (٦) و(٧) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان ١٣٩/١٠ وتفسير ابن الجوزي ٤٤٢/٣ والبحر المحيط ٤٤/٥ وتفسير القرطبي ١٥٠/٨ وتفسير ابن كثير ٩٧/٤ والدر المنثور ٢٤٦/٣ مع تفاوت يسير في العبارات والآثار المروية .

وروى سفيان عن منصور في قوله ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ قال : مَشَاغِيلَ ، وغير مشاغِيلَ .

وقال قتادة : ومذهب الشافعي : ركباناً ومشاةً[1] .

وقال قتادة : نشاطاً وغير نشاطٍ[2] .

وقال زيد بن أسلم : المثقلُ : الذي له عيالٌ ، والمخفُّ : الذي لا عيال له[3] .

وهذا حين كان أهل الإسلام قليلاً ، ثم نزل ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة .

والمعنى : انفروا على كل الأحوال .

ومن أجمع هذه الأقوال قولُ الحسن[5] .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بنُ محمد الكناني بالأنبار ، قال : نا نَصْرُ بنُ عليٍّ ، قال : أخبرني أبي قال : نا شعبةُ عن منصور بن

---

(١) و (٢) و (٣) انظر هذه الآثار في الطبري ١٣٩/١٠ وتفسير ابن كثير ٩٧/٤ قال ابن كثير : وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية .

(٤) سورة التوبة آية رقم

(٥) تقدم الأثر عن الحسن البصري أن المراد به : انفروا في حال العسر واليسر ، وانظر تفسير ابن كثير ٩٧٥٤ .

زاذان[1] عن الحسن ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً ﴾ قال : في العُسْرِ واليُسْرِ[2] .

وقولُ أبي طلحة حسنٌ ، لأن الشاب تخفُّ عليه الحَرَكَةُ ، والشيخُ تثقل عليه .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ، وَسَفَراً قَاصِداً لاَتَّبَعُوكَ .. ﴾** [آية ٤٢] .

العَرَضُ : ما يعرض من منافع الدنيا[3] ، أي لو كانت غنيمةً قريبة ، وسفراً قاصداً أي سهلاً ، لاتّبعوك ﴿ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ والشُّقَّة : الغايةُ التي يُقصد إليها .

٤٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ؟ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾** [آية ٤٣] .

أي حتى يتبيَّن مَنْ نافق ، ومن لم ينافق .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ قالوا : نستأذِنُ في الجلوس ، فإن أُذِنَ

---

(١) في المخطوطة « تاذان » وهو تصحيف ، وصوابه « منصور بن زاذان » وانظر الجرح والتعديل ١٧٢/٨ فقد جاء فيه : منصور بن زاذن الواسطي مولى عبد الله الثقفي ، روى عن أنس ، والحسن ، وابن سيرين ، قال عنه يحيى بن معين : ثقة ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سئل أبي عن منصور فقال : شيخ ثقة .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٤٦/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

(٣) في الصحاح ١٠٨٣/٣ : العَرَضُ بالتحريك : ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه ، وَعَرَضُ الدنيا ما كان من مال قل أو كثر ، يقال : « الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البر والفاجر » . اهـ.

لنا جَلَسْنَا ، وإن لم يُؤْذَن لنا جَلَسْنَا[1] .

وقال قتادة : نسخ هذه الآية بقوله في سورة النور ﴿ فَإِنْ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[2] .

ثم بيَّن أن أمارةَ الكفر ، الاستئذان في التخلُّف فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ [آية ٤٤] .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ .. ﴾** [آية ٤٦] .

التثبيط : ردُّ الإنسان عما يريد أن يفعله[3] .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً .. ﴾** [آية ٤٧] .

الخَبالُ : الفسادُ ، وذهابُ الشيء[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٠ وابن كثير ٩٩/٤ والسيوطي في الدر ٢٤٧/٣ .

(٢) سورة النور آية رقم ٦٢ .

(٣) قال الجوهري في الصحاح ١١٧/٣ : ثبطه عن الأمر تثبيطاً : شغله عنه ، وأثبطه المرض : إذا لم يكد يفارقه . اهـ. وفي المصباح المنير ٨٨/١ : ثبطه : قعد به عن الأمر ، وشغله عنه ، ومنعه تخذيلاً ونحوه .

(٤) هكذا قال أهل اللغة : الخبال : الشرُّ والفساد في كل أمر ، ومنه المخبول للمعتوه الذي فسد عقله ، وانظر المصباح المنير ، والصحاح للجوهري مادة خبل .

٤٦ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ .. ﴾ [آية ٤٧] .

الإِيضاعُ : سرعةُ السَّيْرِ[1] .

قال أبو إسحاق[2] : معنى ﴿ خِلَالَكُمْ ﴾ فيما يُخِلُّ بكم[3] .

وقال غيره : بينكم .

وقيل : الفتنةُ ها هنا : الشركُ .

٤٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٧] .

فيه قولان :

أحدهما : فيكم من يستمع ويخبرهم بما يريدون[4] .

والقول الآخر : فيكم من يقبل منهم ، مثل « سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه » .

---

(١) في الصحاح ١٣٠٠/٣ : وضع البعيرُ : أسرع في سيره ، قال دريد :
يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أُخُبُّ فيها وأَضَعْ
وأوضعه الراكبُ : أسرع به ، وقال غيره : أوضع الرجل : إذا سار بنفسه سيراً حثيثاً .

(٢) هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٩٩/٢ وعبارته : ولأسرعوا فيما يُخل بكم .

(٤) هذا قول مجاهد ، وابن زيد ، واختاره الطبري ١٤٦/١٠ قال : أي وفيكم عيون لهم ، يسمعون حديثكم ويبلغونه لهم .

والقول الأول أولى ، لأنه الأغلب من معنَيَيْهِ ، أنَّ معنى سمَّاع : يُسَمّعُ الكلام ، ومثله ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ .

والقول الثاني : لا يكادُ يقال فيه إلا « سامعٌ » مثل قائل .

٤٨ ـــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي .. ﴾** [آية ٤٩] .

فيه قولان :

قال الضحاك : ولا تُكَفِّرني[١] ، وكذلك قال قتادة : أي : ولا تُؤْثِمْني[٢] .

ومعناه : لا تُؤْثِمْني بالخروج ، وهو لا يَتَيَسَّرُ لي ، فإذا تخلفت أَثِمْتُ[٣] .

والقول الآخر : وهو قول مجاهد أنه قيل لهم : تغزون فتغنمون بناتِ الأصفر ، فقال بعضهم : لا تفتنِّي ببنات الأصفر[٤] .

---

(١) و (٢) انظر الآثار في زاد المسير لابن الجوزي ٣/٤٤٩ والدر المنثور للسيوطي ٣/٢٤٨ .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢ / ٥٠٠ وفي المخطوطة « لا تسمني الخروج » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه ، والمعنى لا يعرِّضني للإثم .

(٤) روي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لجد بن قيس : « يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر ؟ ـــ يعني الروم ـــ قال جد : أتأذن لي يا رسول الله ، فإني رجل أحب النساء ، وإني أخشى إن أنا رأيت نساء بني الأصفر أن أفتن بهن ، فقال رسول الله ﷺ وهو معرض عنه : قد أذنت لك » فأنزل الله ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ١٤٢ والدر المنثور ٣/٢٤٧ .

قال أبو إسحاق : في « الجَدِّ بن قيس » أحد بني سلمة وهو الذي قال هذا .

٤٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ .. ﴾** [آية ٥٠] .

أي إن تظفر وتغنم يسؤوهم ذلك ﴿ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ تُهْزَم ﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي قد أخذنا بالحزم ، إذ لم نَخْرُج كذلك .

وقال مجاهد : معناه : حَذِرْنَا(١) .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا .. ﴾** [آية ٥١] .

في معناه قولان :

أحدهما : إلَّا ما قدَّرَ اللهُ علينا .

والآخر : إلَّا ما أخبرنا به في كتابه ، مِنْ أنَّا نُقْتَل ، فنكونُ شهداء ، أو نقتُلُكُمْ .

وكذلك معنى ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ .. ﴾(٢) [آية ٥٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠/١٥٠٤ والسيوطي في الدر ٣/٢٤٩ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤/١٠١ المعنى : قل لهم يا محمد : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين : الشهادة أو الظفر بكم ؟ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم . اهـ.

٥١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾** [آية ٥٥] .

فيه تقديم وتأخير .

المعنى : فلا تعْجبكَ أموالُهم ولا أولادُهم في الحياة الدنيا ، إنما يريدُ اللهُ لِيُعذِّبَهم في الآخرة[١] .

وهذا قولُ أكثرِ أهلِ العربية .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا ، لأنهم منافقون[٢] ، فهو يُنْفقون كارهين ، فيعذَّبُون بما يُنْفِقون .

ثم قال ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي تخرج .

٥٢ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ، أَوْ مَغَارَاتٍ ، أَوْ مُدَّخَلاً ، لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : الملجأُ : الحصونُ . والمغاراتُ : الغِيرَانُ .

(١) هذا القول مروي عن قتادة كما حكاه الطبري عنه ١٥٣/١٠ .

(٢) هذا قول الحسن البصري ، وابن زيد ، وهو الذي رجحه الطبري في جامع البيان ١٥٣/١٠ قال : لأنه هو الظاهر من التنزيل ، وذلك بما يصيبهم من المصائب فيها فهي لهم عذاب ، وللمؤمنين أجر . أقول : وهذا هو الأصح والأرجح ، أن العذاب هنا في الدنيا ، فإن الله يهلكهم بأموالهم ، بهذه المخترعات الجهنمية التي يخترعونها من صواريخ ، وقنابل ذرية ، وهيدروجينية وأسلحة فتاكة ، فهم بأموالهم يدمرون .

والمدَّخَلُ : الأسراب[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ عند أهل اللغة ، لأنه يقال للحصن : ملجأ ، ولَجَأ ، والمغاراتُ مِنْ غَارَ يَغورُ : إذا استَتَرَ[2] .

وتُقرأ ﴿ أو مدَّخلاً ﴾ بتشديد الدال والخاء ، وتُقرأ ﴿ أوْ مُدْخلاً ﴾ وتُقرأ ﴿ أوْ مَدْخلاً ﴾[3] . ومعانيها متقاربة ، إلا أنَّ « مَدْخلاً » من دَخَل يَدْخُلُ ، وَ « مُدْخلاً » من أُدْخَلَ يُدْخِلُ ، أي لو يجدون قوماً يُدْخِلُونهم في جملتهم ، أو قوماً يَدْخُلُونَ معهم ، أو مَكَاناً يَدْخلونَ فيه ﴿ لَوَلَّوْا إلَيْهِ ﴾ أي لو وجدوا أحَدَ هذه الأشياءِ « لَوَلَّوْا إلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ » أي يسرعون ، لا يَرُدُّ وجوهَهُمْ شيءٌ .

ومنه : فَرَسٌ جموحٌ[4] .

٥٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوْا .. ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠/١٥٥ وابن كثير ٤/١٠٤ والبحر المحيط ٥/٥٥ .

(٢) قال في البحر ٥/٥٥ : والمغارات جمع مغارة وهي الغار ، وتجمع على غيران ، من غار يغور إذا دخل ، وقيل : المغارة : السِّرب تحت الأرض كنفق اليربوع . اهـ.

(٣) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٧٩ فقد ذكر فيه أن يعقوب قرأ « أو مَدْخلاً » بفتح الميم وإسكان الدال مخففة ، وقرأ الباقون ﴿ أو مُدَّخلاً ﴾ بضم الميم ، وفتح الدال مشدَّدة . وأما بقية القراءات فليست من السبع ، وقد ذكر النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٢٢ أربع قراءات .

(٤) قال أهل اللغة : جمح : نفر بإسراع من قولهم : فرس جموح أي لا يرده اللجام ، وانظر لسان العرب مادة جمح .

قال مجاهد : أي يَرُوزُكَ ، ويسألك[1] .

وقال قتادة : أي يَطعُنُ عليك[2] .

قال أبو جعفر : والقولُ عند أهل اللُّغة قولُ قتادة ، يُقال : لَمَزَهُ ، يَلْمِزُه : إذا عابَه[3] . ومنه : فلانٌ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ[4] : أي عَيَّابٌ للنَّاسِ .

ويقال : اللُّمَزَة هو الَّذي يَعيب في سِرٍّ ، وإن الهمزة هو الذي يشير بعينيه[5] .

وهذا كله يَرْجعُ إلى أنه يَعيبُ .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

قال قتادة :**الفقيرُ : المحتاجُ الذي له زَمَانَةٌ ، والمسكينُ :**

---

(١) و (٢) الأثران في الطبري ١٠/١٥٦ والدر ٣/٢٥٠ وقول قتادة أوضح أنه بمعنى العيب والطعن ، والمعنى : من المنافقين من يعيبك يا محمد ويطعن عليك في قسمة الصدقات ، وهو « ذو الخويصرة » كما في صحيح البخاري « بينما النبي ﷺ يقسم إذ جاءه « ذو الخُويصرة » التيمي ، فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل .. » إلى آخر الحديث ، وانظر تمامه في الدر ٣/٢٥٠ ومعنى قول مجاهد « يروزك » أي يمتحنك ويختبرك ، وانظر الصحاح ٣/٨٨٠ .

(٣) قال ابن قتيبة ﴿ يلمزك ﴾ : يعيبك ويطعن عليك ، يقال : همزتُ فلاناً ولمزتُه : إذا اغتبته وعبته ، اهـ. زاد المسير ٣/٤٥٤ وقال الجوهري : اللمز : العيب ، يقال : لمزه إذا عابه ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، ورجل لمز رأى عياب .

(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى في سورة الهمزة ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ .

(٥) ذكره الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٥٠٤ عن بعض أهل اللغة .

الصحيحُ المحتاجُ[1] .

وقال مجاهد والزهري : الفقيرُ : الذي لا يَسْأَلُ ، والمسكينُ : الذي يَسْأَلُ[2] .

حدَّثنا محمد بن إدريس بن أسود ، قال : نا يونُس ، قال : أنبأنا ابنُ وهب : قال : أخبرني جرير بن حازم ، عن علي بنِ الحَكَم ، عن الضَّحاك ، قال : « الفقراءُ : من المهاجرين ، والمساكينُ : من الأعراب »[3] .

قال وكان ابن عباس يقول : الفقراءُ : من المسلمين ، والمساكينُ : من أهل الذمة[4] .

قال أبو جعفر الذي قاله الزهري ومجاهد حَسَنٌ[5] ، لأن المسكين مأخوذٌ من السُّكون والخضوع ، فالَّذين يَسْألون يظهر عليهم السكونُ والخضوعُ .

وإن كان الذي يسأل، والذي لا يسأل، يجتمعان في اسم الفقر ،

---

(1) و(2) و (3) و (4) انظر جميع هذه الآثار في الطبري ١٠/١٥٨ والدر المنشور ٣/٢٥١ وابن كثير ٤/١٠٦ قال الحافظ ابن كثير : وإنما قدم الفقراء ههنا لأنهم أحوج من البقية على المشهور ، لشدة فاقتهم وحاجتهم ، وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير ، وهو كما قال ، لقول عمر : « الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب » .

(5) قال ابن جرير في جامع البيان ١٠/١٥٩ : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : الفقير هو ذو الفقر أو الحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس ، والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم ، لأن معنى المسكنة عند العرب : الذلة . اهـ.

فإن الطي يظهر عليه مع الفقر ما ذكرنا .

وفقِيرٌ في اللغة : إنَّما يُعْرَفُ بأنْ يُقال : إلى كَذَا .

فالمعنى ، والفقراءُ إلى الصدقة ، ومسكينٌ عليه ذلةٌ ، لأنه قد يكون به فقرٌ إليها ، ولا ذلَّةَ عليهِ فيها[1] .

وقال أهلُ اللغة : لا نعلمُ بينهم اختلافاً[2] .

الفقير الذي له بُلْغَةٌ ، والمسكينُ : الذي لا شيءَ له .

وأنشدوا :

أمَّا الفَقِيرُ الَّـذي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ
وَفْقَ العِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[3] .

وقال يونس : قلت لأعرابي : أفقيرٌ أنتَ ؟ فقال : لا بل مسكينٌ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٦٠/١٠ فقد فصل فيه الموضوع أجمل تفصيل .

(٢) هذا قول ابن الأعرابي قال : المسكين هو الفقير ، فجعل الفقير والمسكين سواء . أقول : المشهور عند أهل اللغة التفريق بينهما ، قال في المصباح المنير ٣٠٣/١ : المسكين الذي لا شيء له ، والفقير الذي له بُلْغَةٌ من العيش ، وكذلك قال يونس : وجعل الفقير أحسن حالاً من المسكين ، قال : وسألت أعرابياً : أفقير أنت ؟ فقال : لا والله بل مسكين ، وقال الأصمعي : المسكين أحسن حالاً من الفقير ، لأن الله تعالى يقول ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ . اهـ .

(٣) البيت للراعي النميري وهو في ديوانه ص ٦٤ وفي شرح المفضليات لابن الأنباري ٢٣٥ والمخصص ٢٨٥/١٢ والقرطبي ١٦٩/٨ والسبد : الوبر والشَّعر ، والعرب تقول : ماله سبد ولا لبد أي ما له ذو وبر ولا صوف ، ويكنون به عن الإبل والغنم .

وروى **أبو هريرة** عن النبي ﷺ : « ليسَ المِسْكِينُ بالطَّوَافِ ، الذي تَرُدُّه اللُّقمةُ واللُّقْمَتانِ ، والتَّمْرةُ والتمرتان ، ولكن المسكينُ الذي لا يَسْأل ، ولا يُفْطَنُ له فيُعْطَى ، ولا يجدُ غنىً يُغْنيه »[1] .

قال أبو جعفر : قال علي بن سليمان : الفقيرُ : مشتقٌّ من قولهم : فَقَرْتُ له فَقْرَةً من مالي ، أي أعطيته قطعةً ، فالفقير [على هذا][2] الذي له قطعةٌ من المال . والمسكينُ : مأخوذٌ من السكون ، كأنه بمنزلةِ من لا حَرَكَةَ له[3] .

وقال بعض الفقهاء : المسكينُ : الذي له شيءٌ ، واحتجَّ بقول الله عز وجل : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ ﴾[4] .

قال أبو جعفر : وهذا الاحتجاج لا يلزم ، لأنك تقولُ : هذا التَّمْر لهذه النخلة ، وهذا البَيْتُ لهذه الدار ، لا تريد المِلْكَ ، فيجوز أن يكون قيل « لمساكين » لأنهم كانوا يعملون فيها[5] .

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان في كتاب الزكاة ، البخاري ٢/١٥٤ ومسلم ٣/٩٥ ورواه مالك في الموطأ ٢/٩٢٣ وأبو داود في الزكاة برقم ١٦٣١ والنسائي في الزكاة أيضاً ٥/٨٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة .

(٣) إلى هذا القول ذهب أبو حنيفة ، أن المسكين الذي لا يملك شيئاً أصلاً ، واستدل بقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ كأنه لسكونه وشدة فقره واضطراره ، التصق بالتراب .

(٤) سورة الكهف آية رقم ٧٩ .

(٥) لفظ مساكين في الآية للترحم ، والعطف والشفقة ، أي هم ضعفاء أمام الملك الجبار ، الذي كان يغتصب كل سفينة ليس فيها عيب ، بجبروته وطغيانه ، وليست الآية للتعريف بأنهم فقراء ، لا يملكون شيئاً ، فليس فيها دليل على قول المصنف .

وقد قيل : إنه إنما هو تمثيلٌ ، كما قال النَّبيُّ ﷺ لبعض النساء : « يا مِسكينةُ عليكِ السَّكِينةُ »(١) .

٥٥ ــ **ثم قال عزَّ وجل ﴿ والعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾** [آية ٦٠]

وهم السُّعاة(٢) ومن كان مثلهم .

٥٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾** [آية ٦٠] .

قال الشعبي : هؤلاء كانوا في وقتِ النبيِّ ﷺ يُتَألَّفُون ، فلمَّا وُلِّيَ أبو بكر رضي الله عنه زَالَ هذا(٣) .

قال أبو جعفر : حديثُ الشعبي إنما رَواه عنه جابرٌ الجُعْفيُّ ، وقد قال يونُس : سألتُ الزُّهْرِيَّ قال : لا أعلمُ أنه نُسخ من ذلك شيءٌ .

فعلى هذا ، الحُكْمُ فيهم ثابتٌ ، فإن كان أحدٌ يحتاج إلى تألِفه ، ويُخاف أن يلحق المسلمينَ منه آفةٌ أو يُرجى أن يَحْسُنَ إسلامُه بعد ، دُفع إليه(٤) .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه الطبراني ، ورجالُه ثقاتٌ في باب الرضح للنساء ، وانظر الحديث في مجمع الزوائد ١٤/٦ .

(٢) المراد بهم الجباة الذين يجمعون الزكاة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن عامر ١٦٣/١٠ بلفظ « إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي ﷺ ، فلما ولي أبو بكر رحمة الله عليه انقطعت الرشا » وأخرجه السيوطي في الدر ٢٥٢/٣ عن الشعبي ، وعزاه إلى البخاري في تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .. والرشا جمع رشوة ، كأن ما يعطاه للدخول في الإسلام رشوة .

(٤) هذا هو الصحيح وما رجحه الطبري في جامع البيان ١٦٣/١٠ حيث قال : « إن الله جعل الصدقة في معنيين : أحدهما : سد خلة المسلمين . والآخر : معونة الإسلام وتقويته ، فالمؤلفة =

٥٧ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [آية ٦٠] .

أي وفي فكِّ الرقاب .

قيل : هم المُكَاتِبُونَ .

وقيل : تبتاعُ الرِّقابُ فيكونُ الوَلَاءُ للمسلمين[1] .

٥٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَالغَارِمِينَ .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : « هم الذين أحرقت النار بيوتهم ، وأذهب السيل مالهم فادَّانوا لعيالهم »[2] .

ورُوِيَ عن أبي جعفر ، ومجاهد ، وقتادة ، قالوا : الغارِمُ : من استدَانَ لغير معصية[3] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يكون غيره ، لأنه إذا كان ذا دينٍ في

= قلوبهم يُعطون وإن كانوا أغنياء ، استصلاحاً لهم ، ولا حجة لمحتج بأن يقول : لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ، فقد أعطى الرسول من أعطى منهم على ما وصفت » .

(١) هذا قول ابن عمر ، والحسن ، وبه أخذ أحمد قال : يعتق من الزكاة ، وولاؤه لجماعة المسلمين لا للمعتق ، كذا في البحر المحيط ٥/٦٠ وذهب الطبري ١٠/١٦٤ إلى أن المراد من الرقاب المكاتبون ، لأنه لا يرجع إليه منها نفع ، والمعتق رقبة يرجع إليه ولاء من أعتقه .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠/١٦٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٥٢ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان عن مجاهد وقتادة ١٠/١٦٤ ورجح ابن كثير ٤/١٠٨ أنه إذا غرم في معصيةوتابَ يدفع له من الزكاة .

معصيةٍ ، فقُضِيَ عنه ، فقد أُعِينَ على المعصية[1] .

والغُرم في اللغة : الخُسْرَان ، فكأنَّ المستدينَ لا يجد قضاء دينه ، قد خسر ماله ، ومنه : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾[2] أي هلاكاً وخُسراناً .

ثم قال تعالى : ﴿ وفي سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي في طاعة الله ، أي للمجاهدينَ ، والحُجَّاج[3] ﴿ وابنِ السَّبِيلِ ﴾ .

روى جابر عن أبي جعفر أنه قال : هو المجتازُ من أرضٍ إلى أرض[4] .

قال أبو جعفر : والسبيلُ في اللغة : الطريقُ ، فابنُ السبيل هو الذي قُطعت عليه الطريق ، أو جاء من أرض العدوِّ ، وقد أُخِذَ

---

(١) هذا هو الصحيح الراجح ، لأن من استدان في معصية الله لا يعان على معصيته ، اللهم إلا إذا تاب ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، كما ذهب إليه ابن كثير ، وقال ابن عطية في المحرر ٦/٥٤٠ : وأما الغارم فهو رجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه ، قال العلماء : فهذا يؤدى عنه دينه ، وإن كان له شيء يقيم رمقه ويكفي عياله .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٦٥ وتمام الآية ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ﴾ .

(٣) قال ابن عطيه في المحرر ٦/٥٤١ : وأما ﴿ في سبيل الله ﴾ فهو المجاهد ، يجوز أن يأخذ من الصدقة لينفقها في غزوة وإن كان غنياً ، ولا يعطى منها الحاج إلا أن يكون فقيراً ، فيعطى لفقره ، وقال ابن عباس ، وابن عمر ، وأحمد : يعطى منها الحاج وإن كان غنياً ، والحج سبيل الله ، ولا يعطى منها في بناء مسجد ، ولا شراء مصحف ونحوه . اهـ.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٠/١٦٥ .

مالُهُ[1] .

قالت الفقهاء : أبناء السبيلِ الغائبون عن أموالهم ، الذين لا يصلون إليها ، لبعد المسافة بينهم وبينها ، حتى يحتاجوا إلى الصدقة ، فهي إذْ ذاك لهم مباحةٌ ، فقد صاروا إلى حكم من لا مَالَ له .

رَوَى المنهال بن عمروٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن حُذيفة في قوله تعالى ﴿ إنَّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينَ .. ﴾ .

قال : إنَّما ذكرَ اللهُ هذهِ الصَّدَقَات لتُعرف ، وأيَّ صنفٍ أعطيتَ منها أجزاك[2] .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ ﴾ قال : في أيها وضعتَ أجَزَأَ عنك[3] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ .. ﴾** [آية ٦١] .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من المنافقين ، ذكروا النبيَّ ﷺ ، فقالوا : نقول فيه ، فإن بَلَغَهُ ذلك حلفنا لهُ فَصَدَّقَنَا[4] .

---

(١) في المصباح المنير ٢٨٤/١ : السبيل : الطريق ، يذكر ويؤنث ، وقيل للمسافر : ابن السبيل ، لتلبسه به ، قال والمراد بابن السبيل في الآية من انقطع عن ماله .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦٦/١٠ عن حذيفة ، ولفظه : « إن شئت جعلته في صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة ، وإذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك » وذكره السيوطي في الدر ٢٥١/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ١٦٧/١٠ والدر المنثور ٢٥١/٣ والبحر المحيط ٥٨/٥ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ١٦٩/١٠ وابن كثير ١١٠/٤ والسيوطي في الدر ٢٥٣/٣ .

وكذلك الأُذُنُ في اللغة : يُقالُ : هو أُذُنٌ : إذا كان يسمعُ ما يُقالُ لهُ ويَقْبلُهُ[1] .

[فالمعنى : إن كان الأمرُ على ما يقولون ، أن يكون قريباً][2] منكم يقبل اعتذاركم .

٦٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾** [آية ٦١] .

أي إن كان كما قلتم .

ثم أخبر أنه يؤمنُ باللهِ .

ومن قرأ ﴿ قل أُذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[3] ذَهَبَ إلى أنَّ معناه : قل هو مُسْتَمِعُ خيرٍ لكم .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ .. ﴾** [آية ٦٢] .

المعنى عند سيبويه : واللهُ أحقُّ أن يُرضُوه ، ورسولُه أحقُّ أن

---

(١) قال أهل اللغة : الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ، ويقبل قول كل أحد ، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع ، قال الشاعر :

قَدْ صِرْتَ أُذْناً لِلْوُشَاةِ سَمِيعَةً ... يَنَالُونَ مِنْ عِرْضِي ، ولَوْ شِئْتَ مَا نَالُوا

وانظر البحر المحيط ٥/٦٢ والصحاح للجوهري مادة أذن .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٣) هذه قراءة نافع وحده ، بإسكان الذال فيهما ، وقرأ الباقون ﴿ ويقولون هو أُذُن قل أُذُن خير لكم ﴾ بضم الذال ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣١٥ وأما قراءة « أذن خير لكم » بدون إضافة ، فهي قراءة الحسن ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وقد ذكرها القرطبي في تفسيره ١٩٢/٨ قال الزجاج ٤٥٧/٢ ومعناها : من يسمع منكم ، ويقبل عذركم ؛ خيرٌ لكم .

يرضُوهُ ، ثم حُذِفَ ، كما قال الشاعر :

نَحْـــنُ بِمَـــا عِنْدَنَـــا وَأَنْتَ بِمَـــا
عِنْـدَكَ رَاضٍ ، وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِـــفُ(١)

وقال أبو العباس : هو على غير حذفٍ ، والمعنى : واللهُ أحـقُّ أن يُرْضُوهُ ورسولُهُ(٢) .

وقال غيرهما : المعنـى : ورسولُ اللهِ أحـقُّ أن يرضُوه ، وقولُـه جلَّ وعز ﴿ واللهُ ﴾ افتتاح كلامٍ(٣) ، كما تقول : هذا للهِ ولكَ(٤) .

---

(١) البيت من شواهد سيبويه ص ١١٥ وقد نسب إلى قيس بن الخَطِيم ،ولم أره في ديوانه ، والصحيح أنه لعمرو بن امرىء القيس كما أنشده ابن السكيت ، وهو أحد أبيات سبعة لعمْرو بن قيس الخزرجي ــ جد ابن رواحة ــ يخاطب فيها مالك بن العجلان في قصة مفصلة في الأغـــاني ١٩/٣ وانظر خزانة الأدب ١٩٠/٢ طبعة دار صادر ، وانظر الأبيات في حاشية ديوان قيس بن الخطيم ص ٦٣ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد .

(٢) الضمير على هذا القول عاد على اسم الجلالة ، ورسوله مبتدأ وخبره محذوف تقديره : ورسوله أحق أن يرضوه أيضاً .

(٣) إلى هذا ذهب الفـراء في معانيـه ٤٤٥/١ فقـد قال : وحـد الضمير « يرضوه » ولم يقـل « يرضوهما » لأنه بمنزلة قولك : ما شاء الله وشئت ، فهو تعظيم لله مقدم قبل الأفاعيل ، كما تقول لعبدك ، أعتقك الله وأعتقتك . أهـ.

(٤) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٦٤/٥ أن للعلماء في إفراد الضمير « يرضوه » آراء كثيرة ، ذكر منها ابن عطية ثلاثة :

(أ) أن الإفراد جاء لتعظيم الله سبحانه .

(ب) أنه في حكم أمر واحد إذ في رضى الله رضى الرسول .

(جـ) أو لأن الضمير موضوع اسم الإشارة يشار به إلى الواحد والمتعدد .

٦٢ ـ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَ ورَسُولَهُ .. ﴾ [آية ٦٣] .

معناه يعادي ويجانب ، يُقال : حادَّ فلانٌ ، أي صارَ في حدٍّ غير حدِّه .

٦٣ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ٦٤] .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من المنافقين ، ذكروا النبي ﷺ والمسلمين ، وقالوا نرجو أن لا يُفشي اللهُ علينا[1] .

٦٤ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .. ﴾ [آية ٦٥] .

فالمعنى : ولئن سألتهم عمَّا قالوا .

قال قتادة : هؤلاء قومٌ من المنافقين قالوا في غزوة تبوك : أيطمعُ محمَّدٌ أن يدخل بلاد الروم ، ويُخَرِّبَ حُصُونهم !! فأطلعَ اللهُ النبيَّ ﷺ على ما قالوا ، فدعا بهم ، فقال : أقلتم كذا وكذا ؟ فقالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[2] .

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ١٠/١٧١ والدر المنثور للسيوطي ٣/٢٥٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/١٧٣ ولفظه : عن قتاده قال : بينما النبي ﷺ في غزوة تبوك ، ورَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه ، إذ قالوا : أيظن هذا الرجل أن يفتح قصور الروم وحصونها ؟ هيهات ، هيهات ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال : علي بهؤلاء النفر ، فدعاهم فقال : قلتم كذا وكذا ، فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب » وانظر القرطبي ٨/١٩٧ والدر المنثور ٣/١٥٤ .

وقال **سعيد بن جبير** قالوا : إن كان ما يقول محمد حقاً ، فنحن حميرٌ ، فأطلَعَهُ اللهُ جلَّ وعز على ما قالوا ، فسألهم ، فقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب[1] .

٦٥ ــ **قال عز وجل ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ؟ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ .. ﴾** [آية ٦٥] .

أي قد ظَهَر منكم الكفرُ ، بعد ظُهُور الإيمان .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال مجاهد : أي لا يَبْسِطُونَها في حق ، ولا فيما يجبُ[2] .

٦٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال قتادة : أي نسيهم من الخير ، فأمَّا من الشرِّ فلم يَنْسَهم[3] .

والمعنى عند أهل اللغة : تركوا أمر الله ، فتركهم من رحمته وتوفيقه[4] ، يُقال : نَسِيَ الشيءَ إذا تَرَكَه .

---

(١) الأثر أخرجه الفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ٢٥٤/٣ وفيه : « إن كان ما يقول محمد حقاً فلنحن شر من الحمير » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٧٤/١٠ بلفظ « لا يبسطونها بنفقة في حق » وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٥/٣ والمراد أنهم يمسكون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٧٥/١٠ عن قتادة ، وذكره في البحر المحيط ٦٨/٥ .

(٤) قال ابن جرير في جامعه ١٧٥/١٠ : ومعناه : تركوا الله أن يطيعوه ، ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من هدايته ، وتوفيقه ، ورحمته .

٦٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ .. ﴾** [آية ٦٨] .

أي هي كافيهم ، أي هي على قدرِ أعمالهم ، ويقال : أَحْسَبَنـي الشيءُ أي كفاني .

٦٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ .. ﴾** [آية ٦٩] .

قال قتادة : أي بِدِينهم[١] ، والمعنى عند أهـل اللغـة فاستمتعـوا بنصيبهم من الدنيا .

٧٠ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ .. ﴾** [آية ٧٠] .

قال قتادة : هي مدائن قومِ لوطٍ[٢] .

وقال أهـل اللغـة : سميت مؤتفكـات لأنها ائتفكـت بهم ، أي انقلبت[٣] ، وهو من الإفك ، وهـو الكـذب لأنـه مقلـوبٌ ، ومصروفٌ عن الصِّدق .

٧١ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ جَاهِـدِ الكُفَّـارَ والمُنَافِقِيـنَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ٧٣] .

---

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري ١٠/١٧٦ وهـو قول الحسن ، وقـال السـدي : استمتعـوا بنصيبهم من الدنيا ، وهو أظهر ، واختاره الزجاج والطبري ، قال ومعناه : استمتعـوا بنصيبهم وحظهـم من دنياهم ودينهم .

(٢) الأثر في الطبري ١٠/١٧٧ والدر المنثور ٣/٢٥٥ والبحر المحيط ٥/٦٩ وتتمتـه في الـطبري قال : ائتفـكـت بهم أرضهـم فجعـل عاليها سافلهـا وهـم قوم لوط ، وقـال الزجـاج ٢/٤٦١ : جمع مؤتفكة ، ائتفكتْ بهم الأرضُ : أي انقلبت ، وهم قوم لوط .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٤٦٨ وقال الواحدي : معنى الائتفاك : الانقلاب ، أفكته فائتفك أي قلبته فانقلب ، والمؤتفكات صفة للقرى التي ائتفكت بأهلها .. وانظر البحر ٥/٦٩ .

قال الحسن : أي جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بإقامة الحدود عليهم ، وباللِّسان(١) .

وقال قتادة : أي جاهد الكفار بالقتال ، والمنافقين بالإغلاظ في القول .

٧٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ ، وكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ .. ﴾** [آية ٧٤] .

قال مجاهد : سمعهم رجل من المسلمين ، وهم يقولون إن كان ما جاء به محمدٌ حقاً فنحن حمير ، فقال لهم : فنحن نقول ما جاء به حقٌّ ، فهل نحن حمير ؟ فَهَمَّ المنافقُ بقتله ، فذلك قوله ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾(٢) [آية ٧٤] .

وقال غير مجاهد : همُّوا بقتل النبي ﷺ ، فأطلعه الله على ذلك(٤) .

٧٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾** [آية ٧٤] .

أي ليس ينقمون شيئاً(٥) ، كما قال النابغة :

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار كلها وردت في جامع البيان للطبري ١٨٤/١٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٧٣/٥ وتفسير ابن كثير ١١٩/٤ والدر المنثور للسيوطي ٢٥٨/٣ .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وهم فئة من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ مرجعه من غزوة تبوك ، وانظر كمال القصة في الدر المنثور ٢٥٩/٣ .

(٥) هذه الصيغة تقال حيث لا ذنب ، أي ما عابوا على الرسول وما له عندهم ذنب ، إلا أن الله أغناهم ببركته ، ويمن سعادته ، قال الزجاج ٥١١/٣٢ : وإنما قيل ﴿ أغناهم الله ورسوله ﴾ لأن =

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْـــرَ أَنَّ سُيُوفَهُـــمْ
بِهِـــنَّ فُلُـــولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَـــائِبِ[1]

٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُـمْ مَنْ عَاهَــدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِــهِ لَنَصَّدَّقَنَّ .. ﴾** [آية ٧٥] .

قال قتادة : هذا رجل من الأنصار ، قال : لئن رزقني اللهُ شيئاً لأُؤدِيَنَّ فيه حَقَّـهُ ، ولأتصدقـنَّ ، فلمَّـا آتـاه الله ذلك ، فعـل مَا نُصَّ عليكم ، فاحذروا الكذب ، فإنه يُؤدِّي إلى الفجور[2] .

وروى عليٌّ بن يزيد ، عن القـاسم ، عن أبي أُمَامَـة البَاهِلِـيِّ ، أن ثعلبـةَ بنَ حاطِب الأنصاري[3] جاء إلى رسول الله ﷺ فقـال : يا

= أموالهم كثرت من الغنـائم ، وكان سبب ذلك رسول الله ﷺ . اهـ. وقـال أبـو حيـان في البحـر ٧٣/٥ : والجملة « وما نقموا » كلام أجري مجرى التهكـم به كما تقـول : ما لي عنـدك ذنب إلا أني أحسنت إليك ، فإن فعلهم يدل على أنهم كانوا لئاماً .

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه ص ٤٤ وفي الكامـل للـمبرد ٣٢/١ ومغنـي اللَّبيـب ١١٤ وهمع الهوامع ٢٣٢/١ للسيوطي .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامـع البيـان ١٩٠/١٠ بأوسع من هذا ، وذكـره السيوطـي في الـدر المنثور ٢٦٢/٣ وقال : أخرجه أبو الشيخ عن قتادة وفي روايته : قال : اجتنبوا الكذب فإنه باب من النفاق ، وعليكم بالصدق فإنه باب من الإيمان .

(٣) هذا غير «حاطب بن أبي بلتعة» الصحابي البدري، فذاك مسلمٌ، وهذا رجل منافق بنص القرآن العظيم، « ومنهم من عاهد الله » أي من المنافقين من عاهـد الله على أن ينفـق ويتصدق إن رزقـه الله مالاً وأما حاطب رضي الله عنه فقد قال عنه النبي ﷺ إنه : « شهد بدراً، ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »وقد اشتبـه على البـعض بين « حاطب » وبين =

رسول الله : ادعُ الله أن يرزقني مالاً ، فقال : ويحك يا ثعلبةُ ، قليلٌ تؤدِّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقُه ، قال : ثم رجع إليه فقال : يا رسول الله : ادعُ الله أن يرزقني مالاً .

قال ويحك يا ثعلبة أمَا تَرضى أن تكون مثلَ رسولِ الله ، واللهِ لو سألتُ اللهَ لَمِن يُسَيِّل عليَّ الجبال ذهباً وفضَّةً لسالت .

ثم رجع ، فقال : يا رسول الله : ادع الله أن يرزقني مالاً ، فواللهِ لئن أتاني اللهُ مالاً لأوتينَّ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ ارزق ثعلبةَ مالاً ، اللهم ارزق ثعلبةَ مالاً » ، فاتَّخذَ غنماً ، فنَمَتْ حتى ضاقت عليها أزقَّةُ المدينة ، فتنحَّى بها ، فكان يشهد الصلواتِ مع رسول الله ﷺ ، ثم نَمَتْ حتى تَعَذَّرَتْ عَلَيْهَا مراعي المدينة ، فتنحَّى بها مكاناً يشهد الجُمَعَ مع رسول الله ﷺ ، ثم نَمَتْ فتباعد بها ، فترك الجُمَعَ والجماعات ، فأنزل الله على رسوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ فخرج مصدِّقوا[1] رسول الله ﷺ فمنعهم ، وقال حتَّى ألقى رسول الله ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ إلى آخر الآية ، القصةِ ، فأُخبرَ ثعلبة فأقبل واضعاً على رأسه التراب ، حتى أتى النبيَّ ﷺ ، فلم يقبل منه ، ثم أتى أبا بكر فلم يقبل منه ، ثم أتى عمر فأبى

= ثعلبة هذا فأنكر القصة ، وقال : ما روي عنه غير صحيح ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٢١٠/٨ .

(١) يعني الذين يقبضون الصدقات ، وهم العاملون عليْها أي الجباة .

أن يقبل منه ، ثم أتى عثمان فلم يقبل منه ، ومات في خلافته[1] .

٧٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾** [آية ٧٧] .

يجوز أن يكون المعنى : فأعقَبَهم اللهُ نفاقاً .

ويجوز أن يكون المعنى : فأعقبهمُ البُخْلُ لأن قوله ﴿ بَخِلُوا ﴾ يدلُّ على البُخْل[2] .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ .. ﴾** [آية ٧٩] .

قال قتادة : أي يعيبون المؤمنين ، قال : وذلك أنَّ « عبد الرحمن بن عوف » تصدَّق بنصفِ مالِهِ ، وكان مالُه ثمانيةَ آلاف دينار ، فتصدَّقَ منها بأربعة آلاف ، فقال قوم : ما أعظمَ رِيَاءُه[3] !

(١) الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال : رواه الطبراني وفيه « علي بن يزيد الألهاني » وهو متروك وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : رواه الطبراني ، والبيهقي في الدلائل ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، كلهم من طريق « علي بن يزيد الألهاني » وقال : هذا إسناد ضعيف جدا .. وأخرجه السيوطي في الدر ٢٦٠/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والعسكري في الأمثال ، وابن منده ، والطبراني ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، من حديث أبي أُمَامَة الباهلي . اهـ. أقول : ولعل الأمر التبس على بعض الرواة بين حاطب بن أبي بلتعة البدري ، وبين ثعلبه هذا المنافق ، فلذلك أنكر بعض المحدثين الرواية ، وانظر البحر ٧٤/٥ .

(٢) القول الأول رجحه الطبري ، وأبو حيان ٧٤/٥ حيث قال : والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ فأعقبهم ﴾ عائد على الله ، عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه ، وقال الحسن وقتادة : الضمير يعود للبخل أي فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم . اهـ. وانظر زاد المسير ٤٧٥/٣ فقد ذكر أن الأول قول ابن عباس ، ومجاهد .

(٣) قوله « رِيَاه » أي رياءه ، يريدون أنه ما تصدَّق إلا رياء وسمعة لا يقصد بعمله وجه الله .

فأنزل الله جل وعز ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ ، وجاء رجلٌ من الأنصار ، بنصف صُبْرَةٍ من تمر ، فقالوا : ما أغنى الله عن هذا ؟ فأنزل الله ﴿ والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾(١) .

[قُرِئ ﴿ جُهْدَهم ﴾ و ﴿ جَهْدَهم ﴾ بالضمِّ ، والفتح](٢) .

قال أبو جعفر : وهما لغتان بمعنىً واحدٍ عند البصريِّين .

وقال بعض الكوفيين : الجَهْدُ : المشقَّة ، والجُهْدُ : الطَّاقةُ(٣) .

٧٧ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُم ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [آية ٧٩] .

ومعنى « سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ » جازاهم الله على سُخريتهم ، فسمَّى

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس وبنحوه عن قتادة ١٩٥/١٠ وابن كثير ١٢٧/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن عساكر ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال : رواه البزار من طريقين : إحداهما متصلة ، والأخرى مرسلة . اهـ. أقول : أصل الحديث في الصحيحين فقد روى البخاري عن أبي مسعود قال : لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت ﴿ الذين يلْمِزُون المطوعين .. ﴾ الآية ، وانظر صحيح مسلم ١٠٥/٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من معاني الزجاج ٤٦٢/٢ لأن المصنف شَرَحهما.

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤٧٧/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٦٤/١ : الجهد بالفتح والضم سواء .. وقال الطبري في جامع البيان ١٩٨/١٠ : « وأما الجُهد فإن للعرب فيه لغتين : يقال : أعطاني من جُهده بضم الجيم ، وهي لغة أهل الحجاز ، ومن جَهده وهي لغة نجد ، وعلى الضم قراءة الأمصار » .

الثاني باسم الأول على الازدواج[١] .

٧٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ .. ﴾** [آية ٨٠] .

يُروى أن النبي ﷺ قال : لأستغفرنَّ لهم أكثرَ من سبعينَ مرَّة ، فنزلت ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[٢] فَتَرَكَ الاستغفار لهم[٣] .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ، وكرِهُوا أن يجاهدُوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .. ﴾** [آية ٨١] .

الخِلَافُ : المُخَالَفَةُ ، والمعنى : من أجلِ مخالفة رسول الله ﷺ[٤] ، كما تقول : جئتك ابتِغَاءَ العلمِ .

---

(١) يعني على سبيل المقابلة أي مقابلة اللفظ باللفظ مع اختلاف المعنى ، أي جازاهم على فعلهم وسخريتهم ، قال ابن عطية ٥٧٩/٦ : سمى العقوبة باسم الذنب ، وهي عبارة عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم . وقال أبو حيان في البحر ٧٦/٥ : « لما قال ﴿ فيسخرون منهم ﴾ قال ﴿ سخر الله منهم ﴾ على سبيل المقابلة ومعناه : أمهلهم حتى ظنوا أنه أهملهم ، وقيل معنى ﴿ سخر الله منهم ﴾ جازاهم على سخريتهم ، وجزاء الشيء قد يسمى باسم الشيء ، كقوله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ » . اهـ. أقول : وهذا يسمى عند علماء البيان : « المشاكلة » وهي المماثلة في اللفظ مع الاختلاف في المعنى .

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٦ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ٢٠٠/١٠ وابن كثير ١٢٨/٤ وأصله في الصحيحين من قصة صلاة النبي على عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول حين مات ، وانظر كمال القصة في البخاري ٨٥/٦ .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٥١٣/٢ والمعنى : مخالفة لرسول الله ﷺ .

ومن قرأ ﴿ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﴾ أراد التأخر عن الجهاد .

٨٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا .. ﴾** [آية ٨١] .

فيه معنى الوعيد والتهديد(٢) .

٨١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [آية ٨٢] .

قال أبو رُزين : يقول الله : أمرُ الدنيا قليلٌ ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإنهم سيبكون في النار بكاءً لا ينقطع ، فذلك الكثيرُ(٣) .

وقال الحسن : فليضحكوا قليلاً في الدنيا ، وليبكوا كثيراً في الآخرة في جهنم ، جزاءً بما كانوا يكسبون(٤) .

٨٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ ﴾** [آية ٨٣] .

---

(١) ذكر هذه القراءة الطبري ٢٠٠/١٠ وأبو حيان في البحر ٧٩/٥ وقال : إنها قراءة ابن عباس ، وأبي حيوة ، وعمرو بن ميمون ، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٨/٣ قال : ومعناها أنهم تأخروا عن الجهاد . اهـ. أقول : وليست من القراءات السبع .

(٢) قال الزجاج ٥١٣/٢ : وهذا وعيد في تركهم الجهاد ، وفي المخطوطة : الوعيد والتهدد ، والأظهر أنه التهديد ، أقول : ووجه الوعيد ، أنهم إذا كانوا يجزعون من حر القيظ ، فنار جهنم أشد حراً وأفظع ، فهي أحرى أن يجزعوا منها لو كانوا يفقهون .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٢/١٠ وابن كثير ١٣١/٤ وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٥/٣ وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٢/١٠ وهو الأظهر والأرجح قال ابن عباس : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً . وانظر الدر المنثور ٢٦٥/٣ .

والخالِفُ : الذي يتخلَّفُ مع مال الرجل ، وفي بيته[1] .

٨٣ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً .. ﴾ [آية ٨٤] .

رُوي عن أنس بن مالكٍ أن النبيَّ ﷺ ، تقدَّم ليصلي على « عبد الله بن أُبَيٍّ » فأخذ جبريل بردائِهِ فقال ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ منهم ماتَ أبداً ، ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾[2] .

ويُروى أن النبي ﷺ ، كان إذا صَلَّى عَلَى واحدٍ منهم ، وَقَفَ على قَبْرِهِ ، فَدَعَا له[3] .

---

(١) المعنى : اقعدوا مع المتخلفين عن الغزو من الأطفال والنساء ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٦٥/١ الخالف : الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله ، وهو من تخلَّف عن القوم . وقال ابن عطية : الخالفون : جميع من تخلَّف من نساء وصبيان وأهل عذر .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٠٥/١٠ والمشهور أن الذي أخذ بثوب النبي ﷺ هو عمر بن الخطاب ، لما رواه البخاري في صحيحه ٨٥/٦ عن ابن عمر قال : « لما توفي عبد الله ابن أُبيٍّ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ، يكفِّن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله : تُصَلِّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة .. ﴾ وسأزيده على السبعين ، قال : إنه منافق ، قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٠٦/١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨١/٣ عن عثمان بن عفان ، ولفظه قال « كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » رواه أبو داود برقم ٣٢٢١ وسنده صحيح .

٨٤ ــ **وقوله عز وجل ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ، وطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾** [آية ٨٧] .

قال مجاهد وقتادة : الخوالف : النِّساء[١] .

وقال غيرهما : الخوالف : أخِسَّاء النَّاس وأردياؤُهم ، ويُقال : فلانٌ خَالِفَةُ أهلِهِ ، إذا كان دُونهم[٢] .

قال أبو جعفر : وأصلُهُ من خَلَفَ اللَّبَنُ ، يخْلُفُ ، خِلْفَةً : إذا حَمُضَ من طول مكثِهِ ، وخَلَفَ فمُ الصائم : إذا تغيَّر ريحُهُ[٣] .

ومنه فلانٌ خَلْفُ سُوءٍ .

فأمَّا قول قتادة ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الخَالِفِينَ ﴾ أي مع النِّساء ، فليس بصواب ، لأن المؤنث لا يجمعُ كذا ، ولكن يكون المعنى : مع الخالفين للفساد ، على ما تقدَّم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٦٦/٣ والطبري في جامع البيان ٢٠٨/١٠ وقال الزجاج ٥١٥/٢ : الخوالف : النساء وقد يجوز أن يكون خالفه في الرجال ، والخالف : الذي هو غير منجب . اهـ.

(٢) ذكره ابن قتيبة كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٢/٣ .

(٣) ومنه الحديث الصحيح « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » والخلوف هو تغير رائحة الفم .

(٤) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ٢٠٤/١٠ ورده قال : فأمَّا ما قال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له ، لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ، ولو كان معنياً به النساء لقال : فاقعدوا مع الخوالف ، أو مع الخالفات ، ولكن معناه : فاقعدوا مع مرضى الرجال ، والضعفاء منهم والنساء . اهـ.

ويجوز أن يكون المعنى مع مرضَى الرِّجال ، وأهلِ الزَّمانةِ[1] .

٨٥ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ .. ﴾ [آية ٩٠] .

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ ﴿ وَجَاءَ المُعْذِرُونَ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : « المُعَذِّرُونَ » يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون المعنى الأصل : المعتذرون ثم أُدغمت التاء في الذال ، ويكونون الذين لهم عذر[3] . قال لبيد :

إلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[4]

---

(١) المراد بأهل الزمانة من كان به مرض مزمن ، مستعص شفاؤه .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٨٠ فقد ذكر أن يعقوب قرأها بتخفيف الذال ﴿ المعذِرون ﴾ والباقون بالتشديد ﴿ وجاء المعذِّرون ﴾ فهي من القراءات العشر ، وانظر زاد المسير ٣/٤٨٣ .

(٣) قال الزجاج ٢/٥١٤ : المعذِّرون : بتشديد الذال تأويله المعتذرون ، إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب مخرجهما ، ومعناه : جاء الذين يعتذرون ، سواء كان لهم عذر أو لم يكن ، وهو هنا أشبه بمن لهم عذر . وقال الجوهري في الصحاح ٢/٧٤٠ : المعذِّر بالتشديد ، قد يكون محقاً ، وقد يكون غير محق ، فأما المحق فهو في المعنى المعتذر ، لأن له عذراً ، وأما الذي ليس بمحق فهو المقصر الذي يعتذر بغير عذر . اهـ .

(٤) البيت للبيد بن ربيعة ، وهو في ديوانه ص ٢١٤ وقبله قوله :

فَقُومَا وقُولَا بالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا ... وَلَا تَخْمِشَا وَجْهاً وَلَا تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُولَا هو المَرْءُ الَّذي لَا خَلِيلَهُ ... أضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرْ

يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته ويقول : إن هذا كاف ، والشاهد في البيت « اعتذر » =

وقد يعتذِرُ ولا عُذْر .

والقول الآخر : أن يكون « المُعَذِّرون » الذين لا عُذْر لهم ، كما يقال عَذَّرَ فلانٌ .

وزعم أبو العباس[1] أنَّ المُعَذِّر هو الذي لا عُذْر له .

قال أبو جعفر : ولا يجوز أن يكون بمعنى المُعْتَذِر ، لأنه إذا وقع الإشكالُ ، لم يَجُزْ الإدغامُ ، و « المُعْذِرُونَ » الَّذِينَ قد بالغوا في العُذْرِ ، ومنه « قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرْ »[2] أي قد بالغ في العُذْر من تقدَّم إليك فأَنْذَرَكَ .

والمُعَذِّرُونَ : المُعْتَذِرُونَ ، للإتباع ، والكسرُ على الأصلِ[3] .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ .. ﴾**
[آية ٩٢] .

قال الحسن وبكر بن عبد الله : نزلت في « عبد الله بن

= بمعنى جاء بعذر ، وهو في مجاز القرآن ١٦/١ ومشكل القرآن ص ١٣٨ ومعاني الزجاج ٥١٤/٢ والأغاني ٩٨/١٤ والخزانة ٢١٧/٢ .

(١) هو الإمام المبرد ، وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا من أمثال العرب ، ومعنى المثل : قد بلغ في العذر أقصى الغاية من أنذرك ، وانظر الصحاح للجوهري ٧٤٠/٢ .

(٣) هذا هو الأظهر والمعنى : جاء المعتذرون الذين تخلفوا عن الجهاد وانتحلوا الأعذار ، قال البيضاوي : هم « أسد » و « غطفان » استأذنوا في التخلف ، معتذرين بالجهد وكثرة العيال .

المغَفَّل » من مُزَيْنَة ، أتى النبيَّ ﷺ يستحملُه(١) .

٨٧ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ..** ﴾ [آية ٩٧] .

قال قتادة : لأنهم أبعدُ عن معرفة السُّنَنِ(٢) .

وقال غيره : لأنهم أجفى وأقسى ، وأبعد عن سَمَاعِ التنزيل(٣) .

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ..** ﴾ [آية ٩٧] .

أي وأَخْلَقُ(٤) بترك ما أنزل اللهُ على رسولِهِ .

---

(١) أي يطلب منه دابة ليغزو عليها فلم يجد ، أما الأثر فقد أخرجه أبو الشيخ ، عن الحسن ، وبكر ابن عبد الله المُزني ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٦٨ وفي المخطوطة نزلت في « عبد الله بن المغفَّل » وفي الدر المنثور « عبد الله بن معقل » من مُزَينة ، وفي الطبري ١٠/٢١٣ هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف ، ومنهم عبد الله بن عمرو المزني » والله أعلم بالصواب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١/٤ والسيوطي في الدر ٣/٢٦٨ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) إلى هذا القول نحى ابن جرير الطبري ١١/٣ حيث قال : « وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك ، لجفائهم ، وقسوة قلوبهم ، وقلَّة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوباً ، وأقل علماً بحقوق الله تعالى » . اهـ.

(٤) قال الزجاج ٢/٥١٥ : « أنْ » في موضع نصب لأن الباء محذوفة من « أنْ » والمعنى : أجدر بترك العلم ، تقول : أنت جدير أن تفعل كذا ، وبأن تفعل كذا ، كما تقول : أنت خليق أن تفعل . اهـ. والمعنى أنهم أحرى وأخلق ألا يعرفوا أمور الدين لطيشهم ، وتربيتهم بغير سائس ولا مؤدب .

٨٩ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً .. ﴾ [آية ٩٨] .

أي غُرْماً وخسراناً(١) .

٩٠ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ .. ﴾ [آية ٩٨] .

الدوائر : أي ما يَدُورُ به الزَّمانُ من المكروهِ ، وأصل الدوائر : صروفُ الزَّمان ، مرة بالخير ، ومرَّةً بالشرّ(٢) .

٩١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ .. ﴾ [آية ٩٨] .

وتُقرأ : « عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوْءِ »(٣) .

والسُّوءُ : البلاءُ والمكروهُ ، والسَّوْءُ : الرَّداءَةُ ، ويقال : رَجُلُ سَوْءٍ ، والرَّجُلُ السَّوْءُ(٤) .

---

(١) قال الطبري ١١/٤ : أي يعدُّ نفقته التي ينفقها في جهاد أو معونة مسلم عرفاً لزمه .

(٢) قال ابن عطية ٧/٨ : الدوائر : المصائب التي لا تخلص للإنسان منها ، فهي تحيط به كما تحيط الدائرة ، وقد تحتمل أن تُشتق من دور الزمان ، والمعنى : ينتظر بكم ما تأتي به الأيام وتدور .

(٣) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ دائرة السَّوء ﴾ بفتح السين ، وانظر السبعة في القراءات ص ٣١٦ .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٧/٩ حيث قال : والفتح في السين يقتضي وصف الدائرة بأنها سيئة ، ولا يقال : « رجل سَوء » إلا بفتح السين ، هذا قول أكثرهم ، وقد حكي : « رجل سُوء » بضم السين ، وقد قال الشاعر :

وكنتَ كذِئْبِ السُّوءِ لمَّا رَأى دَماً بصاحبه يوماً أحَالَ على الدَّم

قال : ولم يختلف القراء في فتح السين في قوله تعالى ﴿ ما كان أبوكِ امرء سَوء ﴾ . اهـ. أقول : وفي اللسان « وكنت كذئب السَّوء » بفتح السين ، مادة سوأ .

٩٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ [آية ٩٩] .

فالصلاة ها هنا : الدعاء[1] .

قال الضحاك : ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ يقول : واستغفارُ الرسول[2] .

والصلاة تقع على ضروب :

فالصلاةُ منَ الله جلَّ وعز : الرحمة ، والخيرُ ، والبركةُ ، قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾[3] .

والصلاةُ من الملائكةِ : الدُّعَاءُ .

وكذلك هي من النبيِّ ﷺ ، كما قال سبحانه ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[4] .

أي دُعاؤُكَ تثبيتٌ لهم ، وطمأنينة ، كما قال الشاعر :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً
يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ والوَجَعَا

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿ وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ أي ادع لهم بالمغفرة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس وقتادة ١١/٥ قال : ﴿ صلوات الرسول ﴾ : استغفار النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩/٣ عن ابن عباس ، وعزاه إلى ابن مردويه ، وابن أبي حاتم .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فاغْتَمِضِي
نَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا[1]

٩٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ ، والأَنْصَارِ ، والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ..** ﴾ [آية ١٠٠] .

ورُوِيَ عن عمر أنه قرأ ﴿ والأَنْصَارُ ﴾[2] .

فمن قرأ بالخفضِ ، ذهب إلى أن المعنى : ومنَ الأنصارِ[3] .

ومن قرأ بالرفع أراد الأنصارَ كُلَّهمْ ، ولم يجعلهم من السابقين .

قال سعيد بن المسيِّب ، وابنُ سِيرِينَ ، وقتادةُ : ﴿ والسَّابقونَ ﴾ الذين صَلَّوْا القِبْلَتَيْنِ جميعاً[4] .

وقال عطاء : هم أهلُ بدرٍ[5] .

---

(١) البيتان لأعشى قيس من قصيدة يمدح بها « هوذة بن علي الحنفي » وانظر ديوان الأعشى ص ١٠٥ ولسان العرب مادة (صلّى) ومعاني الزجاج ٥١٦/٢ وزاد المسير ٤٨٩/٣ ومجاز القرآن ٢٨٦/١ .

(٢) هذه من القراءات العشر كما في النشر لابن الجزري ٢٨٠/٢ وهي قراءة يعقوب برفع الراء ﴿ والأنصار ﴾ قال : وقرأ الباقون بخفضها .

(٣) هذه قراءة الجمهور ، وهي القراءة السبعية ، قال الزجاج ٥١٧/٢ : من قرأ ﴿ والأنصارِ ﴾ نسق على المهاجرين ، والمعنى : والسابقون الأولون من المهاجرين ومن الأنصار ، ومن قال ﴿ والأنصارُ ﴾ نسق به على « والسابقون » كأنه قال : والسابقون والأنصارُ . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٧/١١ بهذا اللفظ « صلّوا القبلتين جميعاً » وفي تفسير ابن الجوزي ٤٩٠/٣ : صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ، ويريد بالقبلتين : بيت المقدس ، والكعبة المشرفة .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وأبي نعيم .

وقال الشعبي : هم الَّذين بايعوا بيعةَ الرِّضْوَانِ[1] .

٩٤ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .. ﴾** [آية ١٠٠] .

أي رضي اللهُ أعمالهم ، ورضُوا مجازاتَهُ عليها[2] .

٩٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ .. ﴾** [آية ١٠١] .

في الكلام تقديمٌ وتأخير ، المعنى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾ مَرَدُوا على النِّفاق ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ أي من أهل المدينة مثلُهم[3] .

٩٦ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ، سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ .. ﴾** [آية ١٠١] .

قال الحسن وقتادة : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١/٦ والسيوطي في الدر ٢٧٠/٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٠/٣ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ١٤٢/٤ : « أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فياويل من أبغضهم أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر رضي الله عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذاً بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟! . اهـ.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٥١٧/٢ فقد قرَّر هذا المعنى الذي ذكره المصنف .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠/١١ وابن كثير ١٤٤/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧١/٣ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي .

قال قتـادة : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيـمٍ ﴾ أي عذاب جهنم[1] .

وقيل : سنعذبهم مرَّتين ، يعني : السِّبَاءَ ، والقتلَ[2] .

وقال الفراء : بالقتل ، وعذاب القبر .

وقال مجاهد : بالجوع ، والقتل[3] .

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً .. ﴾** [آية ١٠٢] .

قال الضحاك : هؤلاء قومٌ تخلَّفوا عن غزوة تبوك ، منهم « أبو لُبَابَةَ » فندموا ، وربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد ، فقال النبي ﷺ : لا أعذرُهم ، فأنزَلَ اللهُ جل وعز : ﴿ وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً ، عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[4] .

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار هذه جميعها ذكرها المفسرون ، ابن جرير في جامع البيان ١١/١١ وابن كثير ١٤٤/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٣/٣ والسيوطي في الدر ٢٧١/٣ وأما قول الفراء فانظره في معانيه ٤٥٠/١ .

(٤) الأثر عن الضحاك أخرجه ابن جرير الطبري ١٤/١١ وابن كثير ١٤٥/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٢/٣ ولفظ الطبري : نزلت في أبي لبابة وأصحابه ، تخلفوا عن نبي الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما قفل رسول الله ﷺ من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ، وقالوا : نكون في الظلال ، والأطعمة ، والنساء ، ونبيُّ الله في الجهاد واللأواء ، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري ــ يعني الأعمدة ــ ثم لا تطلقها حتى يكون رسول الله يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم ، فقدم رسول الله من غزوته ، فمرَّ في المسجد وكان طريقه فأبصرهم ، =

و « عَسَى » من اللهِ وَاجبةٌ[1] ، فأتَوْا النبيَّ ﷺ بأموالهم ، فأبى أي يقبَلَها ، فأنزل الله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ .

قال أبيٌّ : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ واستغفر لهم[2] .

وقيل : هم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا[3] ، والعملُ الصالحُ الذي عملوه أنهم لحقوا برسول الله ﷺ وربطوا أنفسهم بسواري المسجد ، وقالوا : لا نقرب أهلاً ولا ولداً ، حتَّى يُنزل اللهُ عُذْرنا .

﴿ وآخَرَ سَيِّئاً ﴾ هو تخلُّفهم عن غزوة تبوك ، حتَّى قدمَ رسولُ الله ﷺ ، والأولُ الصحيحُ[4] .

٩٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .. ﴾ [آية ١٠٤] .

= فسأل عنهم ، فقيل : أبو لبابة وأصحابه تخلفوا فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ، فقال النبي ﷺ : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، فأنزل الله الآية ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم .. ﴾ .

(١) قال ابن جرير ١٢/١١ ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ أي لعل الله أن يتوب عليهم و « عسى » من الله واجب ، ومعناه : سيتوب الله عليهم . اهـ .

(٢) ذكره الطبري ، والسيوطي عن ابن عباس ، وهو تفسير لقوله تعالى ﴿ وصل عليهم ﴾ أي استغفر لهم عن ذنوبهم التي أصابوها ، انظر تفسير الطبري ١٧/١١ .

(٣) أشار المصنف إلى قوله تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ أي تخلفوا عن غزوة تبوك .

(٤) قال الرازي ١٧٤/١٦ : هؤلاء قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا لنفاقهم بل لكسلهم ، ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا . وقال ابن الجوزي ٤٩٥/٣ : العمل الصالح توبتهم ، والسيء : تخلفهم ، ذكره الفراء .

أي ويقبلها .

ومنه ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ ﴾[1] .

ومنـه الحديث « الصَّدَقَةُ تقـــعُ في يدِ اللهِ عزَّ وجـــل »[2] أي يقبلها .

٩٩ ـــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَونَ لِأَمْرِ اللهِ .. ﴾** [آية ١٠٦] .

أي مُؤَخَّرون .

يُقال : أرجأتُ الأمْرَ ، وقد حُكِيَ أَرْجَيْتُ[3] .

١٠٠ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُـــمْ وَإِمَّـــا يَتُـــوبُ عَلَيْهِـــمْ .. ﴾** [آية ١٠٦] .

و « إِمَّا » لأحد أَمْرَيْنِ ، ليكونوا كذا عندهم[4] .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٩٩ .

(٢) هذا طرف من حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال : حديث حسن صحيح وتمامه « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربِّيها لأحدكم كما يُربِّي أحدُكم مُهْره ـــ أي ولد الفَرَس ـــ حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات ﴾ و ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ من تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٣٣٠/٣ ورواه مسلم بلفظ « لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه » وانظر تتمة الحديث في جامع الأحكام للقرطبي ٢٥١/٨ .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٢/٨ : ﴿ وآخرون مرجون ﴾ من أرجأته أي أخَّرته ، ومنه قيل : مرجئة لأنهم أخروا العمل ، وقال المبرد : لا يقال أرجيته بمعنى أخرته ، ولكن يكون من الرجاء .

(٤) كلام المصنف هنا فيه إيجاز وغموض ، وقد وضَّحه الزجاج في معانيه ٥١٩/٢ فقال : « إما » لوقوع أحد الشيئين ، والله عز وجل عالم بما يصير إليه أمرهم ، إلا أن هذا للعباد ، خوطبوا بما يعلمون ، فالمعنى : ليكن أمرهم عندكم على الرجاء ، لأنه ليس للعباد أكثر من هذا .

ويُقال : إن المرجَئين ههنا هم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وذكرهم الله عز وجل في قوله ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[1] .

وقرأ عكرمة : ﴿ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾[2] بفتح الخاء مخفَّفاً وقال : أي خلفوا بعَقْبِ النبي ﷺ .

ومعنى « خُلِّفوا » تُركوا فلم تُقبل توبتُهم ، كما قُرِئ على بكر ابن سهل ، عن أبي صالح عن الليث ، عن عقيل ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه كعب بن مالك ، وذكر الحديث ، وقال فيه : وليس الذي ذكَرَ اللهُ ممَّا خلِّفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفُه إيَّانا ، وإرجاؤه أمرنا عمَّن خَلَف له ، واعتذر إليه ، فقبِل منه .. قال : « سهلُ بن سَعْد » و « كعبُ بن مالك » و « هلال بن أمية » و « مُرارةُ بن الرَّبيع العَمْري »[3] .

قال مجاهد : هم من الأوس والخزرج[4] .

١٠١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وكُفْراً .. ﴾ [آية ١٠٧] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٨ .

(٢) هو عكرمة بن هارون المخزومي ، كذا في البحر ١١٠٣٥ وقد عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣٠٥/١ من القراءات الشاذة قال ابن جني : وتأويله على هذه القراءة : أقاموا ولم يبرحوا .

(٣) انظر الطبري ٥٧/١١ والبحر المحيط ١٠٩/٥ والدر المنثور للسيوطي ٣٨٦/٣ قال : وكلهم من الأنصار ، وانظر قصتهم في صحيح البخاري ٨٨/٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٧/١١ والسيوطي في الدر ٢٨٦/٣ .

أي ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً أي مُضارَّةً .

١٠٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ ، وإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ .. ﴾** [آية ١٠٧] .

قال مجاهد : هو « أبو عَامِر » خرج إلى الشام يستنجد قيصر على قتال المسلمين ، وكانوا يرصدون له[1] .

وقال أبو زيد[2] : يُقال : رصدتُه في الخير ، وأرصدتُ له في الشرِّ .

وقال ابن الأعرابي[3] : لا يُقال إلَّا أرصدتُ ، ومعناه ارتقيت[4] .

١٠٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ .. ﴾** [آية ١٠٨] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٤/١١ والقرطبي ٢٥٣/٨ قال : ونزلت في « أبي عامر الراهب » وانظر قصته فيه ، وهو الذي كان يؤلِّب المدفقين على رسول الله عليه السلام ، وهو الذي بنى المسجد الذي سماه القرآن « مسجد الضرار » وأمر الرسول ﷺ بهدمه وتحريقه ، لأنه ما بُني لوجه الله ، إنما بُني ليكون وِكْراً لتفريق صفوف المسلمين .

(٢) أبو زيد هو : « سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري » إمام نحوي من كبار أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة ٢١٥ وكان سيبويه إذا قال : سمعت الثقة عنى به أبا زيد ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي ٥٨٢/١ والأعلام للزركلي ١٤٤/٣ ووفيات الأعيان ٢٠٧/١ .

(٣) ابن الأعرابي هو محمد بن زياد أبو عبد الله من موالي بني هاشم ، قال الجاحظ : كان نحوياً عالماً باللغة والشعر ، توفي سنة ٢٣١هـ وانظر ترجمته في بغية الوعاة ١٠٥/١ والأعلام ٣٦٥/٦ .

(٤) في الصحاح ٤٧٤/٢ : رَصَدتـه أرْصُده رَصْداً : ترقَّبتـه ، وأرصدت له : أعـددت له قالـه الأصمعي والكسائي .

يُروى أنهم دَعَوا النبيَّ ﷺ إلى الصَّلاة فيه ، كما صلَّى في مسجد قباء .

قال سهل بن سعيد ، وأبو سعيد الخدري : اختلف رجلان في عهد[1] النبي ﷺ في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ! فقال أحدهما : هو مسجد النبي ، وقال الآخر : هو مسجدُ قباء ، فأتيا النبي ﷺ فسألاه ، فقال النبي ﷺ : « هو مسجدي هذا »[2] .

وفي حديث أبي سعيد وذلك خيرٌ كثير[3] .

١٠٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ، واللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾ [آية ١٠٨] .

---

(١) في المخطوطة « في وقت النبي » وصوابه : في عهد النبي ﷺ وهو ما أثبتناه كما في تفسير ابن الجوزي ٥٠٠/٣ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٣١/٥ ورواه الترمذي ٥٠٢/٨ برقم ٥٠٩٧ وقال : حديث صحيح ، كما أخرجه النسائي في سننه ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٧/٧ وذكره ابن جرير في جامع البيان ٢٨/١١ ورجحه ، ولفظ الترمذي « تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى .. » الحديث .

(٣) يريد المصنف أنه في مسجد النبي ﷺ الذي رواه أبو سعيد ، وفي مسجد قباء الذي أشار إليه بقوله « وذلك خير كثير » وأصل الحديث كما ورد : « المسجد الذي أسس على التقوى: مسجدي هذا ، وفي كل خير » وقد رجح الطبري ٢٨/١١ هذا القول أنه مسجد النبي ﷺ قال : لصحة الخبر بذلك ، وأما الحافظ ابن كثير ١٥٠/٤ فقد رجَّح أنه مسجد قباء فقال : والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ، فهو المسجد الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى ، وهي طاعة الله وطاعة رسوله ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً » . اهـ. أقول : وهذا القول يجعل الضمائر متناسقة فهو الأرجح والله أعلم .

يُروى أن النبي ﷺ سألهم عن طهورهم فقالوا : « إنَّا نستنجي بالماء !! فقال : أحسنتم »[1] .

والهاءُ في قوله ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ يعودُ على مسجد النبي ﷺ .

والهاء في قوله ﴿ فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ يعود على مسجد قُباء[2] . ويجوز أن تكون تعود على مسجد النبي ﷺ .

١٠٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .. ﴾ [آية ١٠٩] .

والشَّفَا : الحَرْفُ والحدُّ .

والجُرُفُ : ما جرفه السيل .

والهاري : المتهدِّم الساقطُ[3] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/١١ بلفظ « أن النبي ﷺ قال : يا معشر الأنصار ، ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فيه ؟ قالوا : إنا نستطيب بالماء إذا جئنا الغائط » ورواه أبو داود في كتاب الطهارة ١١/١ والترمذي ٥٠٣/٨ من تحفة الأحوذي بلفظ « نزلت هذه الآية في أهل قباء ، كان يستنجون بالماء ، فنزلت هذه الآية فيهم » قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، قال الحافظ في التلخيص : سنده ضعيف . اهـ.

(٢) في هذا القول تفكيك للضمائر ، والأظهر أن الضمائر كلها تعود على مسجد قباء .

(٣) هذا من أبدع وجوه التمثيل وأروعه ، فقد مثَّل تعالى لعمل المنافقين ، بمن أراد أن يبني قصراً مشيداً يسكنه ، فبناه على حافة واد سحيق ، من غير وضع أساس يرتكز عليه ، فما أن تمَّ البناء حتى انهار جميعه بصاحبه ، وهوى إلى مكان سحيق ، كذلك عمل المنافقين يهوي بصاحبه في نار =

١٠٦ ـــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ١١٠] .

قال قتادة : أي شكًا ، كأنهم عُوقبوا بهذا(١) .

وقال السدي : أي حَزَازة(٢) .

١٠٧ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [آية ١١٠] .

قال عطاء ومجاهد وقتادة : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ : إلا أن يموتوا(٣) .

وقال غيرهم : أي إلَّا أن يتوبوا توبةً يندمون فيها على ما فعلوا ، حتى يكونوا بمنزلة من قد قُطِّع قلبُه(٤) .

= جهنم ، ويا له من تمثيل في غاية الروعة والبيان ، قال القرطبي ٢٦٥/٨ : « وهذه الآية ضرب مثل لهم ، أي هل من أسَّس بنيانه على الإسلام ، خير أم من أسَّس بنيانه على الشرك والنفاق ، فبناء الكافر كبناء على حافة جهنم يتهور بأهله فيها » .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٤/١١ والقرطبي ٢٦٦/٨ قال ﴿ ريبة في قلوبهم ﴾ أي شكاً في قلوبهم ونفاقاً ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، ومنه قول النابغة :

حَلَفْتُ فلَمْ أَتْرُكْ لنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٤/١١ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٠٣/٣ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٦٦/٨ وفي المخطوطة « حرارة » وهو تصحيف وصوابه « حزازة » كما في الطبري والقرطبي وغيرهما قال ابن الجوزي : المعنى لا يزال هدم بنيانهم حزازةً وغيظاً في قلوبهم ، قاله السدي والمبرد .

(٣) الأثر في الطبري ٣٣/١١ وفي ابن كثير ١٥٥/٤ وفي زاد المسير ٤٠٣/٣ .

(٤) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥٠٣/٣ وقال : ذكره الزَّجَّاج ، وهو في معاني الزجاج ٥٢٢/٢ عن بعضهم .

وقرأ **عكرمة** : « إِلَى أنْ » على الغاية[1]

١٠٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ .. ﴾** [آية ١١١] .

هذا تمثيل ، كما قال جلَّ وعز ﴿ أوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةِ بالهُدَى ﴾[2] .

١٠٩ ــ **وقولـه جلَّ وعـز ﴿ التَّائِبُونَ ، العَابِدُونَ ، الحَامِدُونَ ، السَّائِحُونَ .. ﴾** [آية ١١٢] .

قال الحسن : أي التائبون من الشرك ، العابدون الله وحده ، السائحون .

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « الصائمون » وقد صحَّ عن ابن مسعود[3] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر ٤٨/٧ وأبو حيان في البحر ١٠١/٥ وهي ليست من القراءات السبع ، وقد قرأ بها يعقوب ، وذكرها ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢ فهي إحدى القراءات العشر .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٦ .

(٣) تفسير السائح بأنه الصائم رُوي موقوفاً ومرفوعاً ، فقد ذكر الحافظ ابن كثير ١٥٦/٤ عن ابن مسعود موقوفاً ، ورواه أيضاً عن ابن عباس قال : « كل ما ذكر في القرآن السياحة هم الصائمون » وروي من حديث أبي هريرة مرفوعاً (السائحون الصائمون) قال : والموقوف أصح .

أقول : فسَّر بعضهم « السائح » بأنه الصائم ، وهو مرويٌّ عن الحسن ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وقال عطاء : هم الغُزاة المجاهدون في سبيل الله ، وقال ابن زيد : هم المهاجرون ، وقال الإمام الفخر الرازي ٢٠٩/٨ : هم طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم ، وهو قول عكرمة ، وللسياحة أثر عظيم في تكميل النفس ، فإنه يلقى أنواع الضر والبؤس ، وقد ينقطع زاده ، فيحتاج إلى الصبر والتوكل على الله .. إلخ . والخلاصة : هم السائرون في الأرض للغزو أو =

قال أبو جعفر : وأصل السَّيح : الذَّهابُ على وجه الأرض ، ومنه قيل : ماءٌ سَيْحٌ ، ومنه سُمِّي سَيْحان[1] .

وقيل للصائم : سايحٌ ، لأنه تاركٌ للمطعم ، والمشرب ، والنكاح ، فهو بمنزلة السايح[2] .

١١٠ ـــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُون** ﴾ [آية ١١٢] .

أي المؤدون الفرائضَ[3] .

ثم قال جل وعز ﴿ الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ ﴾ أي بالإيمان بالله جل وعز .

ثم قال ﴿ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ أي عن الكفر[4] .

ويجوز أن يكون المعنى : الآمرون بكل معروفٍ ، والنَّاهون عن كلِّ منكرٍ .

= طلب العلم ، مأخوذ من السياحة وهي السير والذهاب في المدن والقفار ، للعظة والاعتبار ، وهي الأولى بتفسير الآية الكريمة ، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فسيحوا في الأرض .. ﴾ الآية .

(١) انظر الصحاح للجوهري ٣٧٧/١ وفيه : ساح الماء سيحاً : إذا جرى على وجه الأرض ، وسيحان نهر بالشام .

(٢) في البحر ١٠٤/٥ قال ابن مسعود وابن عباس : ﴿ السائحون ﴾ الصائمون ، شُبِّهوا بالسائحين في الأرض لامتناعهم من شهواتهم .

(٣) هذا القول يعم الصلاة وغيرها ، والأظهر أن المراد بها الصلاة كما قاله الطبري : يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها .

(٤) هذا القول مروي عن الحسن وأبي العالية كما في الطبري ، وهو قول مرجوح ، والراجح أن كل ما أمر الله به عباده هو المعروف ، وكل ما نهى الله عنه عباده هو المنكر ، وهو قول الجمهور واختاره الطبري في جامع البيان ٣٩/١١ .

﴿ والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ أي العاملون بأمر الله جلَّ وعزَّ ونهيه .

١١١ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى .. ﴾ [آية ١١٣] .

وَرَوَى أبو الخليل[١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « مررتُ برجلٍ من المسلمين ، يستغفر لأبيه وقد مات مشركاً ، قال : فنهيتُه ، فقال : قد استغفر إبراهيم لأبيه ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرته ، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أَصْحَابُ الجحِيمِ . وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ .. ﴾[٢] إلى آخر الآيتين .

وفي بعض الروايات ، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقرأ : ﴿ ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .. ﴾ الآيتين .

---

(١) أبو الخليل هو : صالح بن أبي مريم الضُّبعي ، وهو بصري ثقة ، قال ابن معين وأبو داود والنسائي : ثقةٌ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٤/٤٠٢ والجرح والتعديل ٤/٤١٥ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١١/٤٣ عن عليٍّ بلفظ « سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجلِ لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك ، فنزلت الآية » وأخرجه السيوطي في الدر ٣/٢٨٢ والترمذي في التفسير برقم ٣١٠٠ وقال : حديث حسن ، وأخرجه النسائي في الجنائز ٤/٩١ وأحمد في المسند ١/٩٩ وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، وانظر الدر المنثور ٣/٢٨٢ .

وروى الزُّهْرِيُّ عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه أن النبيَّ ﷺ جاء أبا طالبٍ ، حين حَضَرَتْهُ الوفاةُ ، وكان « أبو جهل » و « عبدُ اللهِ بنُ أميَّةَ » عنده ، فقال النبيُّ ﷺ : أي عمٌّ ، قلْ : « لا إله إلا الله » أشهدُ لك بها عند الله !! فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أميَّة : أترغبُ عن ملَّةِ عبد المطلب ؟ فأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ : أمَا واللهِ لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .. ﴾ وأنزل ﴿ إنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .. ﴾(1) .

قال ابن مسعود : « نَاجَى النبيُّ ﷺ قبرَ أمِّهِ ، وبكَى ، وقال : إنِّي استأذنتُ رَبِّي في الاستغفارِ لها ، فلم يأذنْ لي ، ونَزَل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾(2) .

وقيل : معنى ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ إنَّ أباه وَعَده

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨٧/٦ ومسلم في كتاب الإيمان ٤٠/١ وأحمد في المسند ٥٣/٥ والطبري في جامع البيان ٤١/١١ وأورده السيوطي في الدر ٢٨٢/٣ وزاد نسبته إلى النسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

(2) الأثر أخرجه ابن جرير عن عطية ، وابن عباس ٤٢/١١ وأخرجه الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : « لما أقبل ﷺ من غزوة تبوك اعتمر ، فلما هبط من ثنيَّة عسفان ، نزل على قبر أمه آمنة ، فناجى ربه طويلاً ، ثم بكى واشتد بكاؤه ، فبكى الصحابة لبكائه ، فقال لهم ﷺ : دعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى .. » الأثر وانظر الدر المنثور ٢٨٣/٣ ولعلَّ هذا قبل أن يُخبر النبيُّ ﷺ بنجاة أهل الفترة لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

أن يُسلم ، فاستغفر له[1] .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾ بإقامته الكفر ﴿ تَبَرَّأَ منه ﴾ .

وقال عبد الله بن عباس : لمَّا تبيَّن له أنه عدوٌّ للهِ ، بأن مات وهو كافر ، تبرَّأ منه[2] .

١١٢ ــ **وقوله عزَّ وجل ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾** [آية ١١٤] .

روى أبو ظبيان عن ابن عباس أنه قال : الأَوَّاهُ : الموقنُ[3] .

ورُوِي عَن عبد الله بن مسعود قولان ، أصحُّهما إسناداً ما رواه حمَّاد ، عن عاصم عن زرٍّ عن ابن مسعود أنه قال : هو الدَّعَّاءُ ، والآخر أنه الرَّحِيمُ[4] .

ورُوِيَ عن مجاهد أنه الفقيه[5] .

وقال كعب : إذا ذَكَرَ النَّارَ تأوَّه[6] .

---

(١) هذا على القول بأن الضمير يعود على « آزر » والد إبراهيم أي إلا عنْ موعدة من أبيه له في أنه سيؤمن ، فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه ، فحمله على الاستغفار له حتى نهي عنه ، وقيل : الضمير يعود على إبراهيم أي عن موعدة من إبراهيم لأبيه في قوله ﴿ سأستغفر لك ربي ﴾ ورجحه في البحر ١٠٥/٥ ، وقال لأخفش في معانيه ٥٦٢/٢ ﴿ إلا عن موعدة ﴾ يريد إلا من بعد موعدة ، كما تقول : ما كان هذا الشر إلا عن قول كان بينكما ، أي عن ذلك صار .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٥/١١ ولفظه : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله .

(٣) و (٣) و (٥) و (٦) الآثار هذه كلها عن السلف ذكرها الطبري ٤٧/١١ وابن كثير ١٦٢/٤ وذكر القرطبي في تفسير الأوّاه خمسة عشر قولاً عن السلف ، انظرها في جامع الأحكام ٢٧٥/٨ واختار ما رجحه المصنف .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأن هذه كلها من صفات إبراهيم ﷺ ، إلا أن أحسنَها في اللغة الدَّعَّاءُ ، لأن التأوُّه إنما هو صوتٌ ، قال المُثَقِّب :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ
تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ[1]

وقول كعبٍ أيضاً حسنٌ ، أي كان يتأوَّه إذا ذَكَر النَّارَ .

وقال سعيد بن جبير : المسبِّح ، وقيل : الذي يتأوَّه من الذنوب فلا يعجل إلى معصية[2] . فلم يستغفر لأبيه إلَّا لوعده ، لأن الاستغفار للكافر تركُ الرضا لأفعال الله عز وجل وأحكامه .

١١٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ .. ﴾** [آية ١١٥] .

قال أبو عَمْرِو بنِ العَلَاءِ[3] رحمه الله : أي يحتجُّ عليهم بأمره[4] ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

(١) البيت للمثقِّب العبدي يتحدث عن ناقته ، والقصيدة في ديوانه ٥ وانظر شرح المفضليات ٥٨٦ ومجاز القرآن ٢٤٧/١ ومعاني الزجاج ٥٢٥/٢ ولسان العرب مادة أوه وتفسير القرطبي ٢٧٦/٨ .

(٢) انظر الأثر عن سعيد بن جبير في الطبري ٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٥/٣ والقرطبي ٢٧٥/٨ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء من أئمة علماء اللغة والنحو ، وقد تقدمت ترجمته .

(٤) ذكره الطبري في جامع الأحكام ٢٧٧/٨ ومراده « أن الله تعالى لم يكن ليضل هؤلاء الأقوام ، حتى يرشدهم إلى طريق الحق ، بما ركز فيهم من حجج العقول التي أغفلوها ، وتبيين ما يتقون =

﴿ فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[1] .

وقال **مجاهد** : يُبيِّن لهم أمرَ إبراهيم ، ألَّا يستغفروا للمشركين خاصة ، ويُبيِّن لهم الطاعة والمعصية عامَّة[2] .

وروي أنَّه لما نَزَل تحريمُ الخمرِ ، وشدِّدَ فيها ، سألوا النبيَّ ﷺ عمَّن ماتَ وهو يشربها ؟ فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾[3] .

١١٤ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ .. ﴾** [آية ١١٧] .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب : « خرجوا في غزوة تبوك ، في حرٍّ شديد ، وكان الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، فعطشوا يوماً عطشاً شديداً ، فأقبلوا ينحرون الإبل ، ويشقُّون أكْرَاشَها ، ويشربون ما فيها »[4] .

= بطريق الوحي ، فتظافرت عليهم الحجج العقلية والسمعية ، ومع ذلك لم يؤمنوا ، ولم يتَّبعوا ما جاءت به الرسل » ذكره أبو حيان في البحر ١٠٧/٥ .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٦ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٣/١١ وابن كثير ١٦٤/٤ وفي الدر ٢٨٦/٣ .

(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٠٦/٥ ومعاني الزجاج ٥٢٦/٢وجامع الأحكام للقرطبي ٢٧٧/٨ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٥/١١ وتتمة الأثر قال : وكان ذلك في عُسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة . وأخرجه ابن كثير ١٦٥/٤ عن عبد الله بن عباس بأوسع منه أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العُسرة فقال عمر : « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في =

١١٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ .. ﴾** [آية ١١٧] .

تَزِيغُ : تميلُ ، وليس مَيْلاً عن الإسلام ، وإنما هَمُّوا بالقُفُول ، فتاب اللهُ عليهم ، وأمرهم به[١] .

١١٦ ــ **وقوله عزَّ وجل ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ .. ﴾** [آية ١١٨] .

كان أبو مالك يقول : خُلِّفُوا عن التوبة[٢]

وحُكي عن محمد بن يزيد معنى « خُلِّفُوا » : تُرِكُوا ، لأنَّ معنى خلَّفتُ فلاناً : فارَقْتَه قاعداً عمَّا نهضتَ فيه[٣] .

= قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً ، فأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل على ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله : إن الله عز وجل قد عوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع لنا !! قال : تحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ، فنظرنا فلم نجدها جاوزت العسكر » وانظر جامع البيان للطبري ١١/٥٥ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٥٢٦ قال : إن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها ، ولم تزغ عن الإيمان . وهذا قول الحسن أيضاً حكاه عنه في البحر ٥/١٠٩ قال : همَّت فرقة بالانصراف لما لقوا من المشقة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/٥٦ وابن الجوزي ٣/٥١٣ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وانظر الدر ٣/٢٨٩ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام عن المبرد ٨/٢٨١ والراجح ما قاله ابن عطية في المحرر ٧/٧٢ قال : ومعنى « خلِّفوا » أُخِّرو وتُرك أمرهم ، ولم تُقبل منهم معذرة ، فكأنهم خلفوا عن المعتذرين ، وقيل معناه : خلفوا عن غزوة تبوك ، قاله قتادة ، وهذا ضعيف ، وقد ردَّه كعب =

وقرأ عكرمة بن خالد : « خَلَفُوا »[1] أي أقاموا بعَقِبِ رسولِ الله ﷺ .

ورُوي عن جعفر بن محمد أنه قرأ « خَالَفُوا »[2] .

ومعنى ﴿ رَحُبَتْ ﴾ وَسِعَتْ .

ومعنى ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ : وأيقنوا[3] .

١١٧ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا .. ﴾ [آية ١١٨] .

فيه جوابان :

أحدهما : أن المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة[4] ، كما

= نفسه فقال : ليس بتخلفنا عن الغزو ، وإنما تُركوا عن قبول العذر ، وبقوله ﴿ حتى إذا ضاقت ﴾ فقد جعله غاية للتخلف ، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر .

(١) و(٢) قراءة « خَلَفوا » و « خَالفوا » من القراءات الشاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٣٠٥/١ .

(٣) الظن : يأتي بمعنى الشك ، وبمعنى اليقين ، قال في المصباح ٣٤/٢ : الظن : خلاف اليقين قاله الأزهري ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ .

(٤) هذا القول هو الأظهر والأرجح ، أي وفّقهم للثبات على الحق ، وتاب عليهم لما ندموا ، لأن الندم توبة ، وحكى ابن عطية في المحرر ٧٣/٧ قولاً بديعاً ، ننقله عنه لنفاسته وحسنه ، قال رحمه الله : « لما كان هذا القول في تعديد نعمه على المؤمنين ، بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ، ليكون ذلك منبهاً على تلقي النعمة من عنده ، لا رب غيره ، ولو كان القول في تعديد ذنب ، لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب ، كما قال تعالى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ ليكون هذا أشد في تقرير الذنب عليهم ، وهذا من فصاحة القرآن ، وبديع نظمه ، ومعجز اتساقه » . اهـ.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾(١) .

والآخرُ : أنـه فَسَحَ لهم ، ولم يُعجِّـل عقـابهم ، كما فعـل بغيرهـم ، قال جلَّ وعـزَّ ﴿ فَبِظُلْـمٍ مِنَ الَّذِيـنَ هَادُوا حَرَّمْنَـا عَلَيْهِـمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾(٢) .

١١٨ ــ **وقوله جل وعـز ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللهَ وَكُونُـوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾** [آية ١١٩] .

قيل : « مَعَ الصَّادِقِينَ » : الذين يصْدُقون في قولهم وعملهم .

وقيل : الَّذِين يَصْدُقون في إيمانهم ، ويُوفونَ بما عاهـدوا عليـه ، كما قال تعـالى ﴿ مِنَ المُؤْمِنِيـنَ رِجَـالٌ صَدَقُـوا مَا عَاهَـدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾(٣) .

١١٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُـمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﴾** [آية ١٢٠] .

وقد قال بعد هذا ﴿ وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِـرُوا كَافَّـةً ، فَلَـوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ .. ﴾ [آية ١٢٢] .

قال قتـادة : أُمِـروا أَلَّا يتخلَّفـوا عن رسول الله ﷺ إذا خَرَجَ

(١) سورة النساء آيـة رقـم ١٣٦ والمراد بها الثبـات والـدوام والاستمـرار على الإيمان ، والمعنـى : يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على إيمانكم ودوموا عليه .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٦٠ وهذا القول ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٨/٨ ولم يعزه لأحـد من أئمة التفسير .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣ .

بنفسِهِ ، فإذا وجَّهَ سَرِيَّـةً تَخَلَّـفَ بعضُهـم ، ليسمعـوا الوحـيَ ، والأمـرَ والنهيَ ، فيُخبروا به من كان غائباً(١) .

وروى علـيُّ بن أبي طلحـة ، عن ابـن عبـاس ﴿ وَمَـا كَانَ الْمُؤْمِنُـونَ لِيَنْفِـرُوا كَافَّـةً ﴾ أنها ليست في الجهـاد ، ولكـن لمَّـا دعـا رسولُ الله ﷺ على مُضَرَ بالسِّنين ، أجـدبت بلادُهـم ، فكـانت القبيلةُ تُقْبِل بأسرها ، حتى يحلُّوا بالمدينـة من الجُهْـدِ ، وأجْهَدُوهـم ، فأنزل الله عزَّ وجـل ، يُخبر رسولَـه ﷺ أنهم ليسوا مؤمـنين ، فردَّهـم رسولُ الله ﷺ إلى عشائرهـم ، وحـذَّرَ قومَهـم أن يفعلـوا فعلهـم ، فذلك قولُـه سبحانـه ﴿ وَلِيُنْـذِرُوا قَوْمَهُـمْ إِذَا رَجَعُـوا إِلَيْهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٢) .

وبهذا الإسنـاد قال : يعنـي ما كان المؤمنـون لينفـروا جميعـاً ، ويتركوا النبـي ﷺ وحـده . والتأويـلان متقاربـان ، والمعنـى : إنهم لا ينفرون كلهـم ، ويَدَعـون حفـظَ أمصارهـم وعمـرانها ، ومنـع الأعـداء

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٥/١١ والقرطبي ٢٩٢/٨ وابن عطية ٧٥/٧ ولفظـه : كان هذا الإلـزام خاصاً مع النبي ﷺ ، ووجوب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه .. إلخ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٦٨/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٢/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير ، وأخرجه ابـن الجوزي في زاد المسير ٥١٦/٣ وابـن كثير في تفسيره ١٧٣/٤ وهذا القول مرجوح ، والراجح ما ذكره الجمهـور وهـو أنـه لما نزل عيب المنافـقين المتخلـفين عن غزوة تبوك ، قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن جيش أو سرية أبـداً ، فلمـا أرسل الـرسول ﷺ السرايا بعد تبـوك ، نفـر المسلمـون جميعـاً ، وتركـوا رسول الله وحـده ، فنـزلت هذه الآية ، قالـه أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره الطبري في جامع البيان ٦٨/١١ .

منها ، وعليهم حفظُ نبيِّهم ﷺ ، كما خُفِّفَ عليهم حفظُ أمصارهم من الأعداء .

١٢٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ .. ﴾** [آية ١٢٠] .

﴿ ظَمَأٌ ﴾ أي عطش ، ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ وهو أشدُّ التَّعب .

قال قتادة : والمخمصة : المجاعةُ[1] .

١٢١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَاناً .. ﴾** [آية ١٢٤] .

أي فمن المنافقين من يقول أيُّكم زادته هذه إيماناً ؟ لأنه إذا آمن بها فقد ازداد إيمانُهُ .

١٢٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾** [آية ١٢٥] .

أي شكٌّ ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ أي كفراً إلى كفرهم[2] .

١٢٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .. ﴾** [آية ١٢٦] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٦٤/١١ وتفسير ابن كثير ١٧١/٤ والقرطبي ٢٩٠/٨ قال : وأصل المخمصة ضمور البطن ، ومنه رجل خميص ، وامرأة خمصانة ، أي جائع وجائعة .

(٢) قال الزجاج : « مَرَض » أي شك ونفاق ، والرِّجس : الكفر ، أي زادتهم كفراً إلى كفرهم ؛ لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم .

قال **الحسن** : أي يُبْتَلُون بالغزو في كل سنة ، مرَّةً أو مرتين[1] .

قال **مجاهد** : أي يُبْتَلون بالسَّنَةِ والجَدْبِ[2] .

١٢٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ .. ﴾** [آية ١٢٧] .

لأنهم منافقون ، فكان بعضُهُم يومىءُ إلى بعض ، فيقول : أيكم زادته هذه إيماناً ؟ ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : ثم انصرفوا من موضعهم[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : ثم انصرفوا عن الإيمان .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٤/١١ وابن كثير ١٧٦/٤ وأبو حيان في البحر ١١٦/٥ والدر المنثور ٢٩٣/٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٣/١١ والسيوطي في الدر ٢٩٣/٣ وابن كثير في تفسيره ١٧٦/٤ وقد رجح ابن عطية أن الابتلاء هو كشف أسرارهم ، وفضح عقائدهم فقال ما نصه بعد نقل الأثرين : « والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ، أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم ، وإفشائه عقائدهم ، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته ، وترك التوبة ، وأما الجهاد أو الجوع فلا يترتب عليه ما ذكرناه ، فمعنى الآية على هذا : أفلا يزدجر هؤلاء الذين تُفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين ، ويعلمون أن ذلك من عند الله فيتوبون ويتذكرون وعد الله ووعيده !؟ . اهـ. قال في البحر ١١٦/٥ وهذا قول مقاتل قاله مختصراً قال : يُفضحون بإظهار نفاقهم .

(٣) على القول الأول يكون الانصراف على الحقيقة أي انصرفوا عن مجلس النبي ﷺ خشية الافتضاح ، وعلى القول الثاني يكون على المجاز أي انصرفوا عن الإيمان ذكره في البحر .

١٢٥ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [آية ١٢٧] .

قال الزجاج : أي أضلَّهم مجازاةً على فعلهم[١] .

١٢٦ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ١٢٨] .

روى جَعْفَر بنُ محمد ، عن أبيه ، أنه قال : لم يكن في نَسَب رسول الله ﷺ شيءٌ يُعاب ، قال ﷺ : « أنا مِن نِكَاحٍ لا مِنْ سِفاحٍ »[٢] .

قال أهل اللغة : يجوز أن يكون المعنى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي بشرٌ كما أنكم بشرٌ ، فأنتم تَفْقَهُونَ عنهُ[٣] .

ويجوزُ أن يكون المعنى : أنه من العرب فهو منكم ، فأنتم

(١) انظر معاني الزجاج ٢/٥٢٩ .

(٢) الحديث أخرجه ابن عساكر عن علي مرفوعاً ٢/٢٩٤ وذكره الحافظ ابن كثير ٤/١٧٧ عن الرَّامَهُرمُزي بلفظ (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، لم يمسسني من سفاح الجاهلية شيء) وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٩٤ عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « خرجت من نكاح غير سفاح » ورواه بمثل رواية ابن كثير وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب . اهـ. وهكذا شرَّف الله نبيه ﷺ فجعله يتنقل من الأصلاب الطاهرة ، إلى الأرحام الطاهرة ، حتى استقر في صلب عبد الله ، فوُلد مطهراً من الدَّنس ، ليس في نسبه سفاح ، بل كلُّ آبائه وأصوله ، تناسلوا بطريق النكاح ، صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢/٥٩٢ .

تقفون على صدقه ، ومذهبه[1].

١٢٧ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [آية ١٢٨] .

أي شديد عليه عَنَتُكُمْ .

وأصلُ العَنَتِ : الهلاكُ ، فقيل لما يؤدي إلى الهلاك عَنَتٌ[2] .

١٢٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آية ١٢٨] .

قال قتادة : أي حريصٌ على من لم يُسْلِمْ أن يُسلم[3] .

١٢٩ ـ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ** .. ﴾ [آية ١٢٩] .

أي يكفيني اللهُ .

يقال : أَحْسبني الشيءُ : إذا كَفَاني[4] .

---

(١) روي هذا عن ابن عباس ، كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/٥٢٠ وجمع ابن كثير بين القولين فقال : أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال المغيرة بن شعبة لرسول كسرى : « إن الله بعث فينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدقه وأمانته .. » إلخ .

(٢) في المصباح : العَنَتُ : المشقة . يقال : أكمة عنود أي شاقة ، وأعنته : أوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله . اهـ مصباح .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١/٧٧ والسيوطي في الدر ٣/٢٩٦ ولفظ الطبري عن قتادة : حريص على ضالهم أن يهديه الله ، وعبارة ابن كثير : حريص على هدايتكم ، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

(٤) قال الجوهري : أحسبني الشيء : أي كفاني ، وأحسبتُه وحَسَّبته بالتشديد بمعنى أي أعطيتُه ما يرضيه ، قال الشاعر : « ونُحْسِبُه إن كَانَ ليسَ بِجَائِعِ » أي نعطيه حتى يقول حَسْبي ؛ وحسبُكَ درهم أي كفاك ، و « عَطَاء حساباً » أي كافياً . اهـ الصحاح ١/١١٠ .

١٣٠ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ [آية ١٢٩] .

وقرأ ابن مُحَيْصِن ﴿ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمُ ﴾(١) .

وهي قراءةٌ حَسَنَةٌ بَيِّنَةٌ .

ورُوِيَ عن ابن عباس : أن آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾(٢)

تمت سورة براءة والحمد لله

• • •

---

(١) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز عن ابن محيصن ٩١/٧ قال : وهي صفة للرب ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٣/٨ وقال : رُويت عن ابن كثير . اهـ. وكذلك ذكر في البحر ١١٩/٥ قال أبو بكر الأصم : وهذه القراءة أعجب إلي ، لأن جعل « العظيم » صفة الله تعالى ، أولى من جعله صفة للعرش . اهـ. أقول : ولم أرها في القراءات السبع ، فتنبه والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس ، كذا في الدر المنثور ٢٩٥/٣ والصحيح الذي عليه الجمهور أن آخر ما نزل من القرآن ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ وانظر جامع الأحكام ٣٠٣/٨ .

تفسير سورة يونس

مكية وآياتها ١٠٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس وهي مكية

١ ــ **قوله عز وجل ﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ﴾** [آية ١] .

روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، في قول الله تعالى ﴿ الٓر ﴾ قال : أنَا اللهُ أرى[2] .

قال أبو جعفر : حدثنا عليُّ بن الحُسَيْن ، قال : نا الزعفرانيُّ ، قال : نا عليُّ بن الجعْدِ ، قال : نا شريكٌ عن عطاءِ بنِ السائب ، عن أبي الضُّحى ، عن ابن عباس ﴿ الٓر ﴾ قال : أنا اللهُ أرى[3] .

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس (الٓر) و (حمٓ) ، و (نٓ) حروفُ الرحمن مقطَّعَةٌ[4] .

قال أبو جعفر : قد بيَّنا هذا في أول سورة البقرة[5] .

ومعنى ﴿ الحكيم ﴾ عند أهل اللغة : المُحْكَم[6] ، كما قال

---

(١) هذا على قول الجمهور ، وقال ابن عباس : مكية إلا ثلاث آيات ﴿ فإن كنت في شك .. ﴾ إلى آخرهن . اهـ. القرطبي ٣٠٤/٨ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٩/١١ وابن كثير ١٨٢/٤ والقرطبي ٣٠٤/٨ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٧٩/١١ وابن عطية ٩٤/٧ وابن كثير ١٨٢/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٧٩/١١ والقرطبي ٣٠٤٣/٨ والدر المنثور ٣٩٩/٣ وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٥) انظر الجزء الأول من هذا التفسير ٧٣/١ .

(٦) إلى هذا ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٢/١ قال : ﴿ الحكيم ﴾ المحكم المبيَّن الموضَّح . وقال القرطبي ٣٠٥/٨ : المحكم بالحلال والحرام ، والحدود والأحكام .

تعالى ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ أي مُعَدٌّ .

٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ .. ﴾** [آية ٢] .

رُوي أنه يُراد بالنَّاسِ ها هنا : أهلُ مكة ، لأنهم قالوا : العجب ، ألم يجِدِ اللهُ رسولاً إلا يتيمَ أبي طالب ؟ فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾[2] .

٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾** [آية ٢] .

قال ابن عباس : أي منزلَ صِدقٍ[3] .

وقيل : القَدَمُ : العملُ الصالح[4] .

وقيل : السَّابِقَةُ .

ويُروى عن الحسن أو قتادة قال : القَدَم ، محمدٌ ﷺ يشفع لهم[5] .

---

(١) سورة ق آية رقم ٢٣ وتمامها ﴿ وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد ﴾ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٠٦/٨ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي ٣٠٦/٨ وابن كثير في تفسيره ١٨٣/٤ ولفظه : أجراً حسناً بما قدَّموا .

(٤) روي هذا عن ابن عباس كما في زاد المسير ٤/٥ وهي رواية أبي صالح عنه قال : عمل صالح يقدمون عليه .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٨٢/١١ وابن الجوزي ٤/٥ والسيوطي في الدر ٣٠٠/٣ وذكره البخاري في كتاب التفسير ٩٠/٦ عن زيد بن أسلم ، ولفظُ البخاري ﴿ أنَّ لهم قَدَم صِدْق ﴾ : محمد ﷺ .

وقال أبو زيد : رجلٌ قَدَمٌ ، أي شجاعٌ .

وقال قتادة : أي سَلَف صدق .

وقال مجاهد : أي خيرٍ .

وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه قال : سبقتْ لهم السَّعادة في الذِّكْرِ الأول(١) .

وهذه الأقوالُ متقاربة ، والمعنى : منزلةٌ رفيعة(٢) .

٤ ـ **وقوله جل وعزَّ ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ .. ﴾** [آية ٣] .

ولم يَجْرِ للشَّفِيعِ ذكرٌ ، لأنه قد عُرِفَ المعنى ، إذ كانوا يقولون : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال الله جل وعز ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ أي لا يشفع شفيعٌ إلَّا لمن ارتضى(٣) .

٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ .. ﴾** [آية ٤] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١١/٨٢ واختار ابن جرير أن المعنى : لهم أعمال صالحة عند الله يستوجبون منه الثواب ، قال : وذلك معروف عند العرب ، يُقال : هؤلاء أهل القدم في الإسلام ، ومنه قول حسان :

لَنَا القَدَمُ الأُوْلَى إِلَيْكَ وخَلْفُنَا … لأَوَّلِنَا في طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ

(٢) هذا ما اختاره الزجاج في معانيه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٦ .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن الزجاج ٤/٧ قال : ولم يجر للشفيع ذكر قبل هذا ، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون : الأصنام شفعاؤنا ، والمعنى : لا يشفع أحد إلا أن يأذن له ، قاله ابن عباس . اهـ. زاد المسير .

وقرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع » : ﴿ أَنَّه يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وفتحُها يحتمل معنيين :

أحدهما : لأنه .

والآخرُ : وعْدَ اللهِ أنه .

والقسط : العدلُ .

٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾** [آية ٥] .

ولم يقل : وقدَّرهما ، لأنَّ المقدَّر لعددِ السنين والحساب : القمرُ . وهو ثمانٍ وعشرون منزلة .

قال أبو إسحاق : ويحتمل أن يكون المعنى : وقدَّرهما[2] ، ثم حُذِفَ كما قال :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ رَاضٍ ، والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[3]

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٨٢/٢ فقد ذكر أنها قراءة أبي جعفر ، والباقون بكسر « إن » وعدها ابن جنِّي في المحتسب ٣٠٧/١ من القراءات الشاذة .

(٢) قال الزجاج : الهاء ترجع إلى القمر ، لأنه المقدَّر لعلم السنين والحساب ، وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر ، فحذف أحدهما اختصاراً . زاد المسير ٩/٤ .

(٣) البيت لقيس بن الخطيم ، وقد أنشده سيبويه مستشهداً على جواز الاكتفاء بضمير الواحد عن ضمير الآخر عند فهم المعنى ، إذ لم يقل راضون ، وانظر شواهد سيبويه ١١٥ والمحرر الوجيز ٤٧٦/٦ .

٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ .. ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهد : أي يجعل لهم نوراً يمشون به[١] .

ويُروى عن النبي ﷺ ما يقوّي هذا أنه قال : « يتلقّى المؤمنَ عملُه ، في أحسن صورة ، فيؤنسه ويهديه ، ويتلَقّى الكافرَ عملُهُ في أقبح صورة ، فيوحِشُهُ ويُضلُّهُ »[٢] هذا معنى الحديث .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي : دعاؤهم تنزيهُ اللهِ جلَّ وعز ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ أي يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسلامة[٣] .

ويجوز أن يكون الله جل وعز يُحيِّيهم بالسلام ، إكراماً لهم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الصبري ٨٩/١١ وابن لجوزي ١٠/٤ والسيوطي في الدر ٣٠١/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ٨٨/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠١/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ولفظه عن قتادة قال : حدثنا الحسن قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن إذا خرج من قبره ، صُوِّر له عمله في صورة حسنة ، فيقول له ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امْرأً صِدْقٍ ، فيقول : أنا عملك ، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وأما الكافر إذا خرج من قبره ، صُوِّر له عمله في صورة سيئة ، وريح منتنة ، فيقول له : ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء ، فيقول : أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار » والحديث مرسل ، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ١٨٧/٤ .

(٣) هذا القول مروي عن ابن عباس ، كما في تفسير ابن الجوزي ١١/٤ .

(٤) هذا القول ذكره الماوردي ، وقال ابن كثير ١٨٦/٤ : وهذه الآية فيها شبه من قوله سبحانه ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ وقوله تعالى ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ .

٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وآخِرُ دَعْوَاهم أنِ الحمدُ للهِ رَبّ العالَمِينَ ﴾ [آية ١٠] .

فخبَّر أن افتتاحَ دعائهم تنزيهُ اللهِ ، وآخرُهُ شكرُه[1] .

١٠ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بالخَيْرِ ، لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهد : وهو دعاء الرجل عند الغضب ، على أهله وولده ، فلو عُجِّل لهم ذلك ، لَمَاتُوا[2] .

وقيل : إنه قولهم ﴿ اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[3] .

فلو عُجِّل لهم هذا هلكوا .

١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ ، أوقَاعِداً ، أو قَائِماً .. ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) انظر البحر المحيط ١٢٧/٥ فقد عزاه إلى الزجاج ، وقال ابن كيسان : يفتتحون بالتوحيد ، ويختمون بالتحميد . اهـ. أقول : وليس في تسبيحهم وتحميدهم كلفة ، لأن الجنة دار التشريف لا دار التكليف ، وإنما يحدث هذا منهم بدون جهد ولا عناء ، كما ورد في الحديث « إن أهل الجنة يُلهمون التحميد والتسبيح كما تلهمون النَّفسَ » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٢/١١ وابن كثير ١٨٨/٤ وابن الجوزي ١١/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة . وروى ابن كثير ما يؤيده مرفوعاً إلى النبي ﷺ من قوله عليه السلام : « لا تَدْعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة ، فيستجيب لكم » رواه أبو داود والبزار ، وانظر ابن كثير ١٨٨/٤ .

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ وهو قول المشركين يقولونه تهكماً واستهزاء ، وإمعاناً في الغيِّ والضلال .

ويجوز أن يكون المعنى : وإذا مسَّ الإنسانَ الضُّرُّ مضطجعاً ، أو قاعداً ، أو قائماً ، دَعَانا .

ويجوز أن يكون التقدير : دعانا على إحدى هذه الأحوال[1] .

١٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ .. ﴾ [آية ١٢] .

روى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنَّ « مرَّ » من مذهب استمرَّ[2] .

وقال الفراء : أي استمرَّ على ما كان عليه من قبل أن يمسّه الضُّرُّ[3] .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا .. ﴾ [آية ١٣] .

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الله جلَّ وعزَّ أخبر بما يعلم منهم لو بقَّاهم .

---

(١) هذا القول أصح وهو قول الجمهور ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧٥/١ : أي دعانا على إحدى هذه الحالات ، دعانا وهو مُضْطَجع لجنبه ، أو هو قاعد ، أو قائم . وقال ابن كثير ١٨٦/٤ : أي أكثر الدعاء عند ذلك ، فدعا الله في كشف الضُّرِّ وزواله ، في حال اضطجاعه ، وقعوده ، وقيامه ، وفي جميع أحواله ، فإذا فرَّج الله شدته أعرض ونأى . اهـ. وكذلك قال ابن جرير .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٥/١ فقد جاء فيه ﴿ مرَّ كأن لم يدعنا ﴾ أي استمر فمضى . اهـ. وقال ابن جرير ٩٣/١١ : أي استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرُّ .

(٣) انظر معاني الفراء ٤٥٩/١ وجامع البيان للطبري ٩٣/١١ فقد اعتمد قول الفراء .

والآخر : أنه جازاهم على كفرهم ، بأن طَبَعَ على قلوبهم[1] .

ويدلُّ على هذا أنه قال ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ .. ﴾** [آية ١٥] .

قال قتادة : الذين قالوا هذا مُشْرِكُو أهلِ مكة[2] .

وقال غيره[3] : أي ائتِ بقرآن ليس فيه ذكرُ البعث والنشورِ ، ولا سبُّ آلهتنا !! قال الله جلَّ وعز ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي .. ﴾[4] [آية ١٥ / .

١٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ .. ﴾** [آية ١٦] .

قال الضحاك : أي ولا أشعَرَكم به ، ولا أعلَمَكم به[5] .

---

(١) القولان ذكرهما الزجاج في معانيه ، كما حكاه عنه ابن الجوزي في تفسيره ٤/١٣ واختار القرطبي القول الأول ٨/٣١٨ فقال : ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ أي أهلكناهم لعلمنا أنهم لا يؤمنون . يخوِّف كفار مكة عذاب الأمم الماضية .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١/٩٤ وتفسير ابن كثير ٤/١٦٠ وتفسير القرطبي ٨/٣١٩ .

(٣) أراد المصنف به الإمام الزجاج كما ذكره في معانيه ، وانظر زاد المسير ٤/١٤ .

(٤) هذا رد عليهم فيما طلبوا ، قال ابن كثير ٤/١٦٠ : أي قل لهم يا محمد ليس هذا إليَّ ، إنما أنا عبد مأمور ، ورسول مبلِّغ عن الله . اهـ.

(٥) هذا قول ابن عباس وقتادة كما في الدر المنثور للسيوطي ٣/٣٠٢ والضمير يعود على الله جل وعلا أي ولا أعلَمَكم الله به كما في تفسير ابن الجوزي ٤/١٥ وإليه ذهب ابن جرير الطبري ١١/٩٦ .

١٦ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ.. ﴾** [آية ١٦] .

قال قتادة : لبث فيهم أربعين سنة ، وأقام سنتين يرى رؤيا الأنبياء ، وتُوفي ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة[١] .

١٧ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ .. ﴾** [آية ١٨] .

أي ما لا يضرُّهم إن لم يعبدوه ، ولا ينفعهم إن عبدوه[٢] .

١٨ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾** [آية ١٨] .

أي : أتعبدون ما لا يشفع ، ولا يَنْصُر ، ولا يُمَيِّز ، وتقولون : هو يشفع لنا عند الله فتكذبون ؟ وهل يتهيَّأ لكم أن تنبئوه بما لا يعلم[٣] ؟

١٩ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا .. ﴾** [آية ١٩] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٩٦/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠٢/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن السدي ، وروى السيوطي رواية أخرى عن ابن عباس قال : « بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة يُوحى إليه ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » أخرجه البخاري ٥٥٩/٦ من فتح الباري ، وأخرجه الترمذي في المناقب ٥٩١/٥ .

(٢) هذا منقول عن مقاتل ، وإليه ذهب الزجاج ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٦/٤ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٩٨/١١ والبحر المحيط لأبي حيان ١٣٣/٥ قال : والإخبار بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير لهم ولمعبوداتهم ، والتنبيه على أنهم عبدوا ما لا يستحقُّ العبادة ، وقوله تعالى ﴿ قل أتنبئون الله ﴾ استفهام على سبيل التهكم ، كأنهم يخبرون بشيء لم يتعلق به علمه جل وعلا . اهـ. بإيجاز عن البحر .

فيه ثلاثة أقوال :

أبينُها قولُ مجاهد : وهو أنهم كانوا في وقت آدم ﷺ على دين واحدٍ ، ثم اختلفوا[1] .

والقولُ الثاني : أن هذا عام يُراد به الخاصُّ ، وأنه يُراد بالناس ها هنا العربُ خاصةً[2] .

والقولُ الثالث : أنه مثل قوله ﷺ « كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفِطْرَة »[3] أي ثم يختلفون بعد ذلك .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وإذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ .. ﴾** [آية ٢١] .

يُرادُ بالنَّاس ها هنا الكفار[4] ، كما قال تعالى ﴿ إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٨/١١ وابن الجوزي ١٦/٤ والسيوطي في الدر ٣٠٢/٣ واختار ابن كثير ١٩٣/٤ هذا القول فقال : أي كان الناس على دين واحد وهو الإسلام ، كما قال ابن عباس : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس ، وعُبدت الأصنام والأوثان » ورجحه ابن الجوزي .

(٢) هذا القول للزجاج كما في البحر المحيط ١٣٥/٥ .

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤٣/٦ بلفظ « ما من مولودٍ إلّا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه ؛ أو يمجِّسانه .. » الحديث .

(٤) هذا رأي الجمهور كما في تفسير ابن الجوزي ١٧/٤ وفي البحر ١٣٦/٥ قال : وهذه الآية وإن كانت في الكفار ، إلا أنها تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه ، ولا يرتدع عن معاصيه ، وذلك في الناس كثير .

(٥) سورة العاديات آية رقم ٦ .

وقال الحسن : ذلك المنافق[1] .

والرحمة ها هنا : الفَرَجُ ، و ﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ أي من بعد كَرْب .

﴿ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ أي يحتالون حتى يجعلوا سبب الرحمة في غير موضعه .

قال مجاهد : ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ استهزاءٌ وتكذيبٌ[2] .

٢١ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُم فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : المعنى حتى إذا كنتم في الفُلك ، ثم حُوِّلت المخاطبة إلى النبي ﷺ ، فصار المعنى : وجرين بهم يا محمد[3] .

وقيل : العربُ تُقيم الغائب مقام الشاهد ، فتخاطبه مخاطبته ، ثم ترده إلى الغائب .

٢٢ ــ وقوله عزَّ وجل ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ [آية ٢٢] .

يُقال لمن وقع في بليَّة : قد أُحيط به ، كأَنَّ البلاء أحاطَ به ، وأصلُ هذا أن العدوَّ إذا أحاط بموضعٍ فقد هَلَكَ أهلُه[4] .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/١٨ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١/٩٩ وابن كثير ٤/١٦٥ والقرطبي ٨/٣٢٣ .

(٣) يسمى هذا النوع في علم البلاغة « الالتفات » ففيه التفات من المخاطب إلى الغائب ، وحكمته زيادة التقبيح والتشنيع على الكفار ، كأنهم ليسوا أهلاً للخطاب فأعرض عنهم ، وانظر البحر المحيط ١٣٨٣٥ وتفسير ابن عطية ٧/١٢٩ .

(٤) راجع البحر ٥/١٣٩ فقد قال : وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك .

٢٣ ـ وقوله جل وعز ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ .. ﴾ [آية ٢٢] .

البغيُ : الترامي إلى الفساد . قال الأصمعيُّ : يُقال : بغى الجرحُ يبغِي بغياً : إذا ترامى إلى فساد(١) .

٢٤ ـ ثم قال جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

أي عملكم بالظلم يرجعُ عليكم .

٢٥ ـ ثم قال جل وعز ﴿ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي ما تنالون بالبغي والفساد ، فإنما هو شيءٌ تتلذَّذون به في الدنيا ، هذا قولُ أهلِ اللغة(٢) .

ورُوي عن سفيان بنِ عُيَيْنَة أنه قال : « أراد أن البغيَ متاعُ الحياةِ الدنيا ، أي عقوبتُه تُعجَّل لصاحبه في الدنيا »(٣) .

---

(١) حكاه أبو حيان في البحر عن الأصمعي ١٤٠/٥ قال : بغى الجرح ترقَّى إلى الفساد ، وبغت المرأة فجرَت . اهـ . وفي الصحاح ٢٢٨١/٦ : البغي : التعدِّي ، وبغى الرجل على الرجل : استطال ، وبغى الجرح : ورِمَ وترامى إلى فساد ، وكل مجاوزة في الحد وإفراط فهو بغي . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠/٤ وقال ابن عباس : أي منفعة في الدنيا ، وانظر الطبري ١٠١/١١ فقد فرَّق بين قراءة الفتح ﴿ متاعَ الحياة الدنيا ﴾ وبين قراءة الرفع « متاعُ » .

(٣) الأثر في جامع الأحكام للقرطبي ٣٢٦/٨ ويؤيده ما رواه الحافظ ابن كثير ١٩٦/٤ وفي الحديث الشريف « ما من ذنب أجدر أن يُعجِّل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم » أخرجه أبو داود وابن ماجه وانظر جامع الأصول ٧١٦/١١.

كما يقال : البغي مصرعةٌ ، وقال جل وعزَّ ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ ﴾[1] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ .. ﴾** [آية ٢٤] .

اختلط النبات مع المطر ، والمطرُ مع النبات[2] .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا .. ﴾** [آية ٢٤] .

الزخرفُ في اللغة : كمالُ الحُسْنِ ، ومنه قيل للذهب : زُخْرفٌ[3] .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ .. ﴾** [آية ٢٤] .

أي كأَنْ لم تَنْعم[4] .

---

(١) سورة الحج آية رقم ٦٠ وفي المخطوطة « ومن بُغي عليه » وصحة الآية ﴿ ثم بُغي عليه ﴾ كما أثبتناه .

(٢) عبارة الطبري ١٠١/١١ : فنبتَ بذلك المطر أنواع من النبات ، مختلط بعضها ببعض ، كما قال ابن عباس : اختلط فنبت بالماء كلُّ لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ من الحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض ، وما تأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي . اهـ .

(٣) انظر البحر المحيط ١٤٣/٥ فقد جاء فيه : الآية على جهة التمثيل ، والكلام فيه استعارة ، استعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب .. إلخ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٣/١١ وفي الدر ٣٠٤/٣ .

والمعنى عند أهل اللغةِ : كأنْ لم تُعْمَر[1] .

والمعاني : المنازِل التي يعمرها الناس ، وغَنيتُ بالمنزِلِ أقمتُ به وعَمَرتُه[2] .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾** [آية ٢٥] .

قال قتادة : دار السلام : الجنَّةُ ، والسَّلامُ : اللهُ عزَّ وجل[3] .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : واللهُ يدعو إلى داره . وإعادةُ الاسمِ إذا لم يكن مشكلاً أفخم .

قال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون المعنى ــ والله أعلم ــ يدعو إلى الدار التي يُسلَّمُ فيها من الآفات[4] .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ .. ﴾** [آية ٢٦] .

قال أبو جعفر : الذي عليه أهل الحديث أن الحُسْنَى :

---

(١) انظر معاني الزجاج ، وزاد المسير لابن الجوزي ٢١/٤ .

(٢) في الصحاح ٤٤٩/٦ : غَنِيَ بالمكان : أقام به ، وغنِي أي عاش ، والمغنى : واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلوها .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٣/١١ والقرطبي ٣٢٨/٨ والدر المنثور ٣٠٥/٣ وقال ابن كثير ١٦٨/٤ : والحديث مرسل ، وقد رُوي متصلاً من حديث جابر « خرج علينا رسول الله ﷺ .. » وذكر الحديث بطوله .

(٤) ذكره في البحر ١٤٥/٥ قال : ذكر تعالى أنه داع إلى دار السلامة والأمن ، وهي الجنة إذ أهلها سالمون من كل مكروه ، ويجوز أن يكون أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم والتشريف ، كما قيل : بيتُ الله ، وناقة الله . اهـ. وذكر القرطبي ٣٢٨/٨ أن هذا قول قتادة والحسن ، أن السلام هو الله ، والدار الجنة سميت دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات .

الجنَّة ، والزيادة النظر إلى الله جل اسمه . حدثنا الحسين بن عمر قال : نا هنَّادٌ قال : نا وكيعٌ عن أبي بكر الهُذَلي ، عن أبي تَمِيمة الهُجيْمِي ، عن أبي موسى في قول الله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى ﴾ قال : الجنة ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : النَّظَر إلى الله جلَّ وعز[1] .

حدثنا الحسين قال : نا هنَّاد قال : نا قَبِيصة ، قال : نا حماد بن سلمة ، وقُرِئ على ابنِ بنتِ منيعٍ ، عن هُدْبَةَ بنِ خالد ، قال : نا حمَّاد بنُ سلمة ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهيب ، قال : إن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ فقال : « إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ ، نادى منادٍ : يا أهلَ الجنة ، إنَّ لكم عند اللهِ موعداً يريدُ أن يُنْجِزَكموه ، فيقولون : وما هُوَ ؟ ألم يثقِّلِ اللهُ موازيننا ، ويبيِّضْ وجوهنا ، ويدخلنا الجنَّة ، وينجِّنا من النار ؟ فيكشف عن الحجاب ويتجلَّى ، فينظرون إليه جلَّ وعز ، قال : فواللهِ ما أعطاهم اللهُ شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إليه ، وهي الزيادة[2] .

قال أبو جعفر : وفي حديث ابن بنت منيع « ويُجِرْنا » وفي

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن جرير في تفسيره ١٠٥/١١ وابن كثير ١٦٠/٤ والمراد بأبي موسى هو أبو موسى الأشعري كما صرَّح به ابن جرير ، وابن كثير رحمهما الله .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند عن صهيب ٣٣٣/٤ ومسلم في كتاب الإيمان ١٦٣/١ باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ، والترمذي في تفسير سورة يونس ٥٢٢/٨ من تحفة الأحوذي رقم ٥١٠٣ وسنن ابن ماجه ٦٧/١ المقدمة ، ورواه ابن جرير ١٠٦/١١ والسيوطي في الدر ٣٠٥/٣ .

حديثه « فينظرون إلى الله جلَّ وعز » .

٣١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ .. ﴾** [آية ٢٦] .

قال ابن عباس : القَتَر : سوادُ الوجوه[١] .

وقال غيره : القَتَر : جمع قَتَرةٍ ، وهي الغَبَرَة[٢] .

ومعنى ﴿ يَرْهَقُ ﴾ يغشى ، والذِلَّةُ : الهَوَانُ .

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ قال : بَعْد نظرهم إلى ربهم[٣] .

والعاصم : المانعُ[٤] .

٣٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً .. ﴾** [آية ٢٧] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٠٩ وابن الجوزي ٤/٢٥ والبحر المحيط ٥/١٤٦ .

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٧٧ واستشهد بقول الفرزدق :

مُتَوَّجٌ بِرِدَاءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالقَتَرَا

وجمع الزجاج بين القولين فقال : القَتَرة : الغَبَرة التي معها سواد ، وكذلك قال ابن كثير ٤/٢٠٠ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١١/١٠٩ والسيوطي في الدر ٣/٣٠٧ .

(٤) قال أهل اللغة : العاصم : المانع ، يُقال : عَصَمه إذا منعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ وفي الحديث الصحيح « فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » إلخ . وانظر الصحاح للجوهري مادة عصم.

القِطَعُ : جمعُ قِطْعة ، ومن قرأ ﴿ قِطْعاً ﴾[1] فهو اسم ما قُطِعَ ، يُقال : قَطَعَهُ قَطْعاً ، واسمُ مَا قَطَعتَ قِطَعٌ .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي انتظروا مكانكم[2] ، توعُّدٌ .

﴿ **فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ** ﴾ من قولك زِلتُ الشيءَ من الشيءِ : أي نحَّيْتُه ، وزيَّلْتُ على التكثير[3] .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

لأنهم قالوا : من يشهد لك أنَّك رسولُ الله !!

٣٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : أي تختبر[4] .

ومعناه : تجده وتقف عليه .

---

(١) هذه قراءة الكسائي وابن كثير ﴿ قِطْعاً ﴾ سا سنة الطاء ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٢٥ .

(٢) قال في البحر ١٥١/٥ ﴿ مكانكم ﴾ أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يُفعل بكم .

(٣) قال الفراء ٤٦٢/١ ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ ليست من زُلْت إنما هي من زِلْت ، تقول : زِلت ذا من ذا : إذا فرَّقت هذا عن هذا ، والتضعيف ﴿ فزيَّلنا ﴾ لكثرة الفعل ، ولو أردت القليل لقلت : زِلْ ذا من ذا . وقال الواحدي : التزييل والتزيُّل ، والمزايلة . التمييز والتفريق ، وزيَّل مضاعف للتكثير . اهـ ١٥٢/٥ .

(٤) الأثر في الطبري ١١٢/١١ وفي الدر المنثور ٣٠٧/٣ .

وفي ﴿ تتلو ﴾ قولان :

قال الأخفش : أي تقرأ[1] ، كما قال ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾[2] .

والقولُ الآخر : أن معنى ﴿ تتلو ﴾ : تتبعُ كما قال :

« قَدْ جعلتْ دَلْوِي تَسْتَتْلِينِي »[3]

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا .. ﴾ [آية ٣٣] .

ثم بيَّنَ الكلمة فقال : ﴿ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ فالمعنى : حقَّ عليهم أنهم لا يؤمنون .

ويجوز أن يكون المعنى : لأنهم لا يؤمنون ، وتكون « الكلمةُ » العقاب[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفش ٥٦٨/٢ وعبارته ﴿ تبلو ﴾ أي تُخْبَر ، وقرأ بعضهم : ﴿ تتلو ﴾ أي تتْبعه . اهـ. أقول : وقراءة ﴿ تتْلو ﴾ بالتاء من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، وانظر السبعة ص ٣٢٥ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ١٣ .

(٣) الرَّجز في اللسان مادة تلا ، وهو غير منسوب لقائل ، وتمامه كما في زاد المسير ٢٨/٤ :

قَدْ جَعَلَتْ دَلْوِي تَسْتَتْلِينِي ... وَلَا أُرِيدُ تَبَعَ القَرِينِ

وأما في البحر ١٥٣/٥ وفي القرطبي ٣٣٤/٨ فقد استشهد على أن معنى « تتلو » بمعنى تتبع بقول الشاعر :

إنَّ المُرِيبَ يَتْبَعُ المُرِيبَا ... كَمَا رَأَيْتُ الذِّيبَ يَتْلُو الذِّيبَا

(٤) هذا قول للزجاج حكاه عنه ابن الجوزي في زاده ٢٩/٤ فقال : ﴿ أنهم لا يؤمنون ﴾ بدل من « كلمة ربك » وجائز أن تكون الكلمة حقَّت عليهم لأنهم لا يؤمنون ، وتكون الكلمة ما وُعِدوا به من العقاب .

٣٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [آية ٣٧] .

معناه لأنْ يُفترى ، أي لأن يُخْتَلَقَ .

ويجوز أن يكون المعنى ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ كما تقول : وما كان هذا القرآن كذباً .

٣٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ [آية ٣٧] .

يجوز أن يكون المعنى : ولكن تصديقِ الشيءِ الذي القرآنُ بين يديه ، أي يُصَدِّقُ ما تقدَّمَه من الكتب ، وأنباء الأمم[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : أنه يُصدِّقُ ما لم يأت من أمر الساعة[2] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .. ﴾ [آية ٣٨] .

المعنى : بسورةٍ مثل سُوَرِهِ ، مثل ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ والمراد الجنس[3] .

---

(١) إلى هذا ذهب الطبري والجمهور ، أن المعنى : ولكنَّ القرآن جاء مصدِّقاً لما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ، وحكى هذا القول ابن الجوزي في تفسيره ٣٢/٤ عن ابن عباس ، وانظر القرطبي ٣٤٣/٨ .

(٢) هذا القول منقول عن الزجاج كما في تفسير ابن الجوزي ٣٢/٤ .

(٣) قال الزجاج : المعنى : فأتوا بسورة مثل سورة منه ، فذكر المِثلَ لأنه إنما التمس شبه الجنس . اهـ ابن الجوزي ٣٣/٤ .

وقيل : المعنى : فأْتُوا بقرآنٍ مثلِ هذا القرآنِ ، والسورةُ قرآنٌ ، فكَنَى عنها بالتذكير على المعنى ، ولو كان على اللفظ لقيل : مثلِهَا[(١)] .

٤٠ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [آية ٣٨] .

أي ادعوا من يُعِينكم ، ممَّن يذهبُ إلى مذهبِكم ﴿ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه مفترى .

٤١ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ .. ﴾** [آية ٣٩] .

قيل : يُراد بهذا ـ والله أعلم ـ مَنْ كذَّبَ وهو شاكٌّ[(٢)] .

وقيل ﴿ بمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ أي بما فيه من الوعيد على كفرهم[(٣)] .

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي ما يؤول إليه ذلك الوعيد .

وقيل : ﴿ ولمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ أي لم يعرفوه ، فهذا يدلُّ على

(١) قال الطبري ١١٧/١١ : أي جيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، والهاء في (مثله) كناية عن القرآن ، وهذا هو الصواب عندي ، لأن السورة من القرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، ولم يقل « مثلها » لأن الكناية أخرجت على المعنى لا على اللفظ .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣٣/٤ ولم يعزه لأحد من المفسرين ، والأظهر أن المعنى : بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن العظيم ، وسارعوا إلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا ما فيه .. وانظر الطبري ١١٨/١١ والبحر المحيط ١٥٨/٥ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥٤/٧ قال : ليس الأمر كما قالوا في أنه مفترى ، بل كذبوا بما في القرآن من الوعيد الذي توعدهم الله عز وجل على الكفر .

أنه يجب أن يُنظر في التأويل[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : ولمَّا يأتهم ما يؤول إليه أمرهم من العقاب[2] .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بالمُفْسِدِينَ ﴾** [آية ٤٠] .

أي منهم من يعلم أنه حقٌّ ، ويُظهر الكفرَ عناداً ، وإبقاءً على رياسته ﴿ وَمِنْهُم مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ في السِّرِّ والعلانية[3] .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ .. ؟ ﴾** [آية ٤٢] .

أي ظاهرهم ظاهرُ من يستمعون ، وهم لشدَّةِ عداوتهم ، وانحرافهم عن النبيِّ ﷺ ، بمنزلةِ الصُّمِّ[4] .

---

(١) و (٢) حكاهما القرطبي في جامع الأحكام ٣٤٥/٨ قال : ومعنى الآية : أي كذبوا بالقرآن ، وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره ، وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال ، فهذا يدل على أنه يجب أن يُنظر في التأويل ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ أي حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب ، وقيل للحسين بن الفضل : هل تجد في القرآن أن « من جهل شيئاً عاداه » ؟ قال : نعم في موضعين ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ . اهـ.

(٣) انظر تفسير ابن الجوزي ٣٤/٤ والبحر المحيط ١٦٠/٥ فقد توسَّع أبو حيان في توضيح هذا المعنى .

(٤) هذا قول الزجاج كما في ابن الجوزي ٣٥/٤ أقول : وهو من باب التمثيل ، فلم ينف القرآن عنهم السمع ، إنما شبههم بالصُمِّ الذين لا يسمعون قال ابن عباس : يريد أنهم شرٌّ من الصُمِّ ، لأن الصم لهم قلوب وعقول ، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم .

ثم قال جل وعز ﴿ **وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [آية ٤٢] .

أي وَلَوْ كانوا مع هذا جُهَّالاً[١] ؟!

٤٤ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ..** ﴾ [آية ٤٣] .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أي يديم النظر إليك كما قال تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[٢] .

٤٥ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ** ﴾ [آية ٤٧] .

قال مجاهد : يعني يوم القيامة[٣] .

والمعنى على هذا فإذا جاء رسولهم يشهدُ عليهم بالإيمان والكفر ، كما قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[٤] ؟

(١) حكاه ابن الجوزي عن الزجاج كما في زاد المسير ٤/٣٥ قال أبو حيان في البحر المحيط ٥/١٦١ : وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار إلى هذين القسمين ، والمعنى : من هؤلاء من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن ، ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ أي هم وإن استمعوا إليك صم عن إدراك ما تُلقيه إليهم ، ليس لهم وعي ولا قبول ، ولا سيما قد انضاف إلى الصمم انتفاء العقل ، فحري بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له إدراك الشيء البتة ، بخلاف ما لو كان الأصم عاقلاً ، فإنه بعقله يهتدي إلى أشياء . اهـ. بإيجاز .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ١٩ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٢١ وابن كثير ٤/٢٠٨ وابن الجوزي ٤/٣٧ .

(٤) سورة النساء آية رقم ٤١ .

وقال جل وعز ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[1] .

وقال غير مجاهد : يجوز أن يكون إنه لا يعذّب أحداً ، حتى يجيئه الإعذار والإنذار ، وإنما يأتي بهذا الرُّسل[2] .

٤٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ .. ﴾** [آية ٤٥] .

أي قريبٌ ، ما بين موتهم ومبعثهم[3] ، ثم قال ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يعرف بعضهم بعضاً ، وهو أشدُّ لتوبيخهم إذا عَرَف بعضُهم بعضاً ، بالإضلال والفساد[4] .

٤٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾** [آية ٤٧] .

قال مجاهد : أي وإما نرينَّك العَذاب في حياتك ﴿ أو

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٣٠ .

(٢) ذكر القولين أبو حيان في البحر ٥/١١٤ فقال : إما أن يكون إخباراً عن حالة ماضية ، فيكون ذلك في الدنيا ، ويكون المعنى : إنه بعث إلى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى دين الله ، فكذبوه فقُضي بين الرسول وأمته ، فعُذب المكذبون ، وأنجي الرسول ، وإما أن يكون على الاستقبال أي فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم ، قضي بينهم بالعدل ، قاله مجاهد وغيره . اهـ البحر .

(٣) قال الضحاك : قصُرَ عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم ، فصار كالساعة من النهار لهول ما رأوا . اهـ. ابن الجوزي ٤/٣٦ .

(٤) هذا تعارف توبيخ وافتضاح ، وليس تعارف محبة ومودة ، يلقى الواحد الآخر فيقول : أنت أضللتني وأغويتني ، البحر ٥/١٦٣ .

نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ .

[**وقال غيره : يريد بقوله جلَّ وعزَّ**][1] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ وقعة بدر[2] . والله أعلم .

٤٨ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾** [آية ٥٠] .

يجوز أن يكون المعنى : ماذا يستعجل من الله .

ويجوز أن يكون ماذا يستعجل من العذاب المجرمون .

قال أبو جعفر : وهذا أشبه بالمعنى ، لقوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾[3] ؟

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾** [آية ٥١] .

وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : الآنَ تؤمنون به[4] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الحاشية .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٣٤٩/٨ قال : والمقصود إن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجلاً ، وقال ابن الجوزي ٣٦/٤ : كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم .

(٣) ما رجحه المصنف هو الأظهر والأشهر ، وهو الذي اختاره الطبري وذهب إليه الجمهور ، قال ابن الجوزي ٣٨/٤ : البَيَات : كل ما كان بليل ، و « ماذا » بمعنى الذي ، أو أي شيء ، والهاء في « منه » تعود على العذاب ، والمعنى : أيُّ شيء يستعجل المجرمون من نزول العذاب ؟ وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى ، فيكون المعنى : أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى ؟ وعودُها على العذاب أجود لقوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به ﴾ ؟ .

(٤) قال القرطبي ١٢٢/١١ : المعنى : الآن تصدقون به وقد كنتم قبل ذلك بنزوله تكذِّبون ؟

٥٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ .. ﴾ [آية ٥٣] .

المعنى : ويستخبرونك فيقولون : أحقٌّ هو ؟

﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أي المعنى : نعم(١) .

٥١ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي ما أنتم ممن يُعْجِزُ عن أن يُجازى بكفره(٢) .

٥٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ .. ﴾ [آية ٥٤] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن الرؤساء الدُّعاة إلى الكفر أسرُّوا الندامة لمَّا رأوا العذابَ .

والآخر : أن ﴿ أَسَرُّوا ﴾ بمعنى : أظهروا(٣) .

---

(١) الضمير يعود على العذاب أو على البعث ، قال القرطبي والمعنى : يستخبرك هؤلاء المشركون من قومك ، فيقولون : أحقٌّ ما تعدنا به من عذاب الله ؟ قل لهم يا محمد : نعم وربي إنه لحق لا شك فيه . اهـ. جامع البيان ١١/١٢٢ .

(٢) هذا قول الزجاج كما حكاه عنه ابن الجوزي ، والأظهر ما قاله ابن جرير ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ أي لستم بمعجزين الله بهرب أو امتناع من العذاب ، بل أنتم في قبضته وسلطانه ، فاتقوا الله في أنفسكم . اهـ. الطبري ١١/١٢٢ .

(٣) قال ابن عطية في المحرر ٧/١٦٥ : لفظة ﴿ أَسَرُّوا ﴾ تجيء بمعنى أخفَوْا وهي من السر ، وتجيء بمعنى أظهروا وهي حينئذ من أسارير الوجه قال القرطبي : المعنىٰ : وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سَفَلَتِهِمْ ووضعائهم . اهـ.

وقال أبو العباس[1] : إن كان هذا صحيحاً فمعناه بَدَتْ النَّدَامَةُ في أسِرَّةِ وجوههم ، وواحدها سِرَارٌ ، وهي الخطوط التي في الجبهة[2]

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾** [آية ٥٧] .

يعني القرآن[3] .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَلْيَفْرَحُوا .. ﴾** [آية ٥٨] .

قال الحسن : فضلُه : الإسلام ، ورحمتُهُ : القرآن[4] .

وقال أبو التَّيَّاح[5] ﴿ بِفَضْلِ اللهِ ﴾ يعني الإسلام ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا ﴾[6] يا أصحابَ محمد ﷺ ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ قال : يعني الكفار[7] .

---

(١) المراد به الإمام المبرد وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) انظر تحقيق القول في البحر المحيط ٥/١٦٩ .

(٣) راجع جامع البيان للطبري ١١/١٢٤ .

(٤) الأثر عن الحسن أخرجه الطبري ١١/١٢٥ وابن الجوزي ٤/٤٠ والبحر المحيط ٥/١٧١ .

(٥) أبو التَّيَّاح : هو يزيد بن حُمَيد الضُّبَعي البصري ، تابعي ثقة توفي سنة ١٢٨هـ قال أحمد : ثبت ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب لابن حجر ١١/٣٢٠ .

(٦) هذه القراءة بالخطاب ﴿ فلتفرحوا ﴾ ذكرها ابن الجزري في النشر ٢/٢٨٥ من قراءة أُبيٍّ بن كعب عن رسول الله ﷺ وعدَّها ابن جني في المحتسب ١/٣١٣ من القراءات الشاذة ، وذكر أبو حيان في البحر ٥/١٧٢ هذه القراءة فقال : رُويت عن النبي ﷺ « فلتفرحوا » و « تجمعون » بالتاء فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف ، والجمهور بالياء . اهـ.

(٧) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٢٦ وابن الجوزي ٤/٤١ .

وروى **عكرمة** عن ابن عباس ﴿ بِفَضْلِ اللهِ ﴾ القرآنُ ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ أن جعلنا من أهله[1] .

٥٥ ـ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال مجاهد : يعني البحائر والسَّوائب[2] .

وقال الضحاك : يعني بقوله ﴿ وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً ﴾[3] .

٥٦ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ .. ﴾** [آية ٦١] .

معنى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ أي : وأيَّ وَقْتٍ تكونُ في شأنٍ ، من عبادةٍ ، أو غيرها ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ قال أبو إسحاق : المعنى من الشأن[4] .

٥٧ ـ **وقوله جل وعز ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾** [آية ٦١] .

أي : تأخذون فيه ، ومنه : أَفَاضَ في الحديثِ .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ١١/١٢٥ وابن الجوزي ٤/٤١ والبحر المحيط ٥/١٧١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٢٧ وابن الجوزي ٤/٤١ وابن كثير ٤/٢١١ .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٣٦ .

(٤) قال الفراء والزجاج : الهاء في « منه » تعود على الشأن أي وما تحدث شأناً فيُتلى من أجله القرآن ، أو ينزل فيه قرآن ، وقال الطبري : الضمير في « منه » يعود على كتاب الله تعالى ، وأعيد « من قرآن » تفخيماً . انظر جامع الأحكام للقرطبي ٨/٣٥٦ .

٥٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ .. ﴾ [آية ٦١] .

أي وما يبعد ولا يغيبُ .

ومثقال الشيءِ : وزنُه ، والذرّةُ : النملة الصغيرةُ[١] .

٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

يُروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ : من أولياء الله ؟ فقال : « الَّذِينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ الله »[٢] .

حدثنا أبو جعفر : قال : نا الحسين بن عمر الكوفي ببغداد ، قال : نا العلاء بن عمرٍو قال : نا يحيى بنُ اليمان ، عن أشعث بن إسحاق القُمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قال : يُذْكَرُ اللهُ جلَّ وعزَّ برؤيتهم »[٣] .

---

(١) إلى هذا ذهب ابن جرير في تفسيره ١٣٠/١١ قال : ويعني بالذرة : النملة الصغيرة ، واحدة الذر وهو صغار النمل ، وذلك خبر عن الله عز وجل أنه لا يخفى عليه أصغر الأشياء . اهـ. وذكر غيره أن الذرَّة الهباءة من التراب الناعم .

(٢) الحديث ذكره الطبري عن سعيد بن جبير مرسلاً ١٣١/١١ وأورده ابن كثير في التفسير ٢١٤/٤ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، وخرَّجه السيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٣ وزاد نسبته إلى ابن المبارك ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والبزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣١/١١ والسيوطي في الدر ٣٠٩/٣ وعزاه إلى الطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً .

٦٠ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٦٤] .

قال عبادة بن الصامت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله جل وعز ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ فقال : « هي الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المسلمُ ، أو تُرَى له ، وفي الآخرة : الجنةُ »[1] .

وفيها قول آخر رواه شعبة عن ابن عمران الجوني عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر قلت للنبي ﷺ : « الرجل يعمل لنفسه خيراً ، ويحبُّه النَّاسُ ، فقال : تلك عاجلُ بُشرى المؤمنين في الدنيا »[2] .

٦١ ـــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ .. ﴾** [آية ٦٤] .

أي لا خُلْفَ لوعده[3] .

وقيل : معنى ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ لا تبديل لأخباره ، أي لا ينسخها شيءٌ ، ولا تكون إلَّا كما قال[4] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١٥/٥ وابن جرير ١٣٢/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣١١/٣ وزاد نسبته إلى الترمذي ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم وصحَّحه ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٥٦/٥ ورواه مسلم في كتاب البر « باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى » ٢٠٣٤/٤ برقم ٢٦٤٢ ولفظه : عن أبي ذر قال : قيل لرسول الله ﷺ « أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمن » وفي تفسير ابن كثير بزيادة « ويثنون عليه به » ٢١٥/٤ وقال : أخرجه أحمد ومسلم ، وانظر أيضاً البحر المحيط ١٧٥/٥ .

(٣) ذكره ابن الجوزي ٤٤/٤ عن ابن عباس قال : لا خُلْف لمواعيده ، وذلك لأن مواعيده بكلماته .

(٤) انظر جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣٥٩/٨ .

٦٢ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ .. ﴾ [آية ٦٥] .

أي لا يحزنك إيعادُهم ، وتكذيبُهم ، واستطالتُهم عليك(١) .

٦٣ ـــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً .. ﴾ [آية ٦٥] .

أي إن الغلبة لله .

٦٤ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

أي يَحْدِسون ويحزرون(٢) .

٦٥ ـــ وقوله جل وعز ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً .. ﴾ [آية ٦٧] .

أي مُبْصِراً فيه على النسب(٣) ، كما قال ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾(٤) أي ذات رضىً ، أي يُرضَى بها .

---

(١) المراد بالإيعاد : وعيدُهم وتهديدهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، وانظر البحر المحيط ١٧٦/٥ .

(٢) الحَدْسُ : الظنُّ كما في المصباح المنير ، وما ذكره المصنف في تعريف الخرص ، هو قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٤٦/٤ والمراد أنهم يحدسون ويكذبون ، يظنون الأوهام حقائق ويُغرقون في الضلال .

(٣) قال ابن الجوزي ٤٦/٤ المعنى : جعل النهار مضيئاً تُبصرون فيه ، وإنما أضاف الإبصار إلى النهار ، لأنَّ السامع يفهم المقصود ، إذ النهار لا يُبصر ، وإنما هو ظرف يُفعل فيه غيره كما يُقال : ليل نائم وكقوله تعالى ﴿ في عِيشَةٍ راضية ﴾ أي في عيشةٍ مرضيَّة .

(٤) سورة الحاقة آية رقم ٢١ والمراد أن العيشة مرضية .

٦٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا .. ﴾** [آية ٦٨] .

أي ما عندكم من حجة بهذا[١] .

٦٧ ـــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾** [آية ٦٩] .

تم الكلام .

ثم قال : ﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي ذلك متاعٌ في الدنيا[٢] .

٦٨ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ .. ﴾** [آية ٧١] .

قال الفراء : معناه وادعُوا شركاءكم ، قال : والإجماعُ : الإعداد ، والعزيمةُ على الأمر[٣] .

وقال أبو العباس[٤] : هو محمول على المعنى ، لأن معنى « أَجْمِعُوا » و « اجْمَعُوا » واحد .

وقال أبو إسحاق[٥] : المعنى مع شركائكم ، قال : وقولُ الفراءِ لا معنى له ، لأنه إن كان يذهب إلى أن المعنى : وادْعُوا شركاءكم ليعينوكم ، فمعناه معنى « مع » وإن كان يذهب إلى الدعاءِ فقط ، فلا

---

(١) نبَّه المصنف على أن « إنْ » في الآية نافية بمعنى « ما » وليست شرطية .

(٢) قال الكسائي ، وقال الأخفش : لهم متاع في الدنيا ، وانظر القرطبي ٨/٣٦١ .

(٣) معاني الفراء ١/٤٧٣ .

(٤) هو المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٥) أبو إسحق هو الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

معنى لدعائهم لغير شيءٍ(١) .

وقرأ الجحدريُّ ويُروى عن الأعـرج ﴿ فَاجْمَعُوا أمْرَكُـمْ ﴾ بوصل الألف وفتح الميم(٢) .

وقرأ الحسن : ﴿ فأَجْمِعُـوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا يدلُّ على أنهما لغتان بمعنى واحد .

٦٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً .. ﴾ [آية ٧١] .

فيه قولان :

أحدهما : أن معنى « غُمَّة » كمعنى غَمّ .

والآخر : وهو أصحُّ في اللغةِ أن المعنى : ليكنْ أمركُـمْ ظاهـراً ، يُقال : القومُ في غُمَّـة : إذا عَمِـيَ عَليهم أمرُهُـم والتبس ، ومـن هذا : غُمَّ الهلالُ على الناس ، أي غَشِيَهُ ما غطَّاه(٤) .

---

(١) انظر كلام الزجاج في زاد المسير لابن الجوزي ٤٨/٤ .

(٢) هذه من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهـد ص ٣٢٨ وهـي روايـة نصر عن الأصمعي ، وروى غير الأصمعي عن نافع مثل قراءة سائر القرَّاء ﴿ فأَجْمِعـوا أمـركم ﴾ بالهمـزة وكسر الميم من « أجمعت » .

(٣) هذه القراءة عدَّها ابن جني في المحتسب ٣١٤/١ من القراءات الشاذة .

(٤) في الصحاح ١٩٩٨/٥ : الغُمَّة : الكُربة ، ويُقال : أمرٌ غُمَّـة أي مبهم ملتبس ، وغُـمَّ الهلال على الناس إذا ستره عنهم غيم فلم يُرَ ، قال الراجز :

ليلــةُ غُمَّـــى طَامِسٌ هِلَالُهَـــا أوغلتُهـــا ومُكـــرَةٌ إيغَالُهـــا

والغَمُّ من هذا إنما هو ما غَشِيَ القلبَ[1] من الكَـرْبِ فضَيَّقـه ، وأصلُ هذا مشتق من الغَمَامَةِ .

٧٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إليَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾** [آية ٧١] .

أي ثم افعلوا ما بدا لكم .

قال الكسائي : ويُقرأ ﴿ وأَفْضُوا إلَيَّ ﴾[2] بقطع الألف والفاء .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا أجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنـا عَلَيْـهِ آبَاءَنـا .. ﴾** [آية ٧٨] .

قال قتادة : أي لتلوينا[3] .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في اللغة ، يقال لَفَتَهُ يَلْفِتُـه : إذا عَدَلَه[4] . ومن هذا التفت إنما هو عَدَل عن الجهة التي بين يديه .

٧٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾** [آية ٧٨] .

---

(١) في الحديث (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا أذى ، ولا هم ، ولا غم ، إلا كفَّـر الله بها من خطاياه) أخرجه البخاري ٩١/١٠ في المرضى ، ومسلم برقـم (٢٥٧٣) في البرِّ ، والترمذي برقم (٩٦٦) في الجنائز .

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ٣١٥/١ من القراءات الشاذة ، وهي قراءة السَّري بن ينعم ومعناها أسرعوا إليَّ ، من أفْضيت ، وهـو أفْعلـت من الـفضاء ، قال : لأن الإنسان إذا صار في الـفضاء تمكَّن من الإسراع .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤٦/١١ والقرطبي ٣٦٧/٨ والدر المنثور ٣١٤/٣ .

(٤) قال الجوهـري : اللَّـفت : الـلَّيُّ ، ولـفت وجهـه عني : صرفـه ، ولفتـه عن رأيـه صرفـه . الصحاح ٢٦٤/١ .

قال مجاهد : أي المُلْك[1] ، وذلك معروفٌ في اللغة ، وإنما قيل للملك : كبرياء ، لأنه أكبر ما يُنال في الدنيا .

٧٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ .. ﴾**[2] [آية ٨١] .

من قرأ ﴿ آلسِّحْرُ ﴾ فمعناه عنده التوبيخ ، أي : أيُّ شيء جئتم به آلسِّحرُ هو ؟

٧٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ .. ﴾** [آية ٨٣] .

قال ابن عباس : أي قليل[3] .

وقال مجاهد : يعني أنه لم يؤمن به منهم أحدٌ ، وإنما آمن أولادهم[4] .

وقال بعض أهل اللغة : إنما قيل لهم ذرية ، لأن آباءهم قِبطٌ ، وأمهاتهم من بني إسرائيل ، كما قيل لمن سقط من فارس إلى اليمن

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤٧/١١ وابن كثير ٢٢٠/٤ وابن الجوزي ٥٠/٤ ولفظه قال : الكبرياء : الملك والشَّرف ، قاله ابن عباس .

(٢) قال القرطبي ٣٦٨/٨ : « ما » في موضع رفع بالابتداء ، والخبر « جئتم به » والتقدير : أيُّ شيء جئتم به ، على التوبيخ والتصغير لما جاءوا به من السحر . اهـ. وقال الفراء : قرأ مجاهد ﴿ آلسِّحرُ ﴾ على الاستفهام أي أيُّ شيء جئتم به ؟ آلسحر هو ؟

(٣) الأثر أخرجه ابن الجوزي عن ابن عباس ٥٢/٤ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٠/١١ واختاره قال : وإنما من أولاد من أُرسل موسى إليهم من بني إسرائيل لطول الزمان هلك وبقي الأبناء فآمنوا . اهـ.

الأبناء ، يذهب إلى أنهم رجالٌ مذكورون[1] .

٧٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ .. ﴾** [آية ٨٣] .

فقال : « وَمَلَئِهِمْ » لأنه قد عُلم أن معه من يأتمر له ، ويرجع إلى قوله[2] .

وقيل : المعنى على خوفٍ من آل فرعون[3] .

٧٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال مجاهد : أي لا تهلكنا بأيدي أعدائنا ، ولا تعذّبنا بعذاب من عندك ، فيقول أعداؤنا : لو كانوا على حقٍّ لما سُلِّطْنَا عليهم ، ولَمَا عُذِّبوا ، أي فيفتتنوا بذلك[4] .

وقال أبو مجلز[5] : لا يظهروا فيرَوا أنهم خيرٌ منَّا[6] .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٤٧٦/١ .

(٢) و (٣) هذا والذي بعده قولان للفراء في معانيه ٤٧٦/١ قال : وإنما قال « وملئِهم » بالجمع وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر ، ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، كما تقول : قدم الخليفة فغَلت الأسعار ، لأنك تنوي بقدومه قدوم من معه ، وقد يكون أريد بفرعون « آل فرعون » وتحذف الآل فيجوز . اهـ. وذكر القرطبي ٣٦٩/٨ عن هذا ستة أجوبة .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/١١ وابن كثير ٢٢٣/٤ وابن الجوزي ٥٤/٤ .

(٥) أبو مجلز هو « لاحق بن حُميد السدوسي » البصري ، ثقة من كبار الثالثة توفي سنة ١٠٦هـ وانظر ترجمته في تقريب التهذيب ٣٤٠/٢ .

(٦) الأثر في الطبري ١٥٢/١١ وابن كثير ٢٢٣/٤ والدر المنثور ٣١٤/٣ .

٧٧ ــ وقوله عز وجل ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً .. ﴾ [آية ٨٧] .

قال ابن عباس : أي مساجد(١) .

وقال مجاهد : أي نحو الكعبة(٢) .

وقال إبراهيم النخعي : كانوا على خوف كما أخبر الله جل وعزّ ، فأمروا أن يُصلُّوا في بيوتهم ، لئلا يلحقهم أذىً(٣) .

٧٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ رَبَّنا إنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وأمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ .. ﴾ [آية ٨٨] .

وَلِيُضِلُّوا(٤) .

المعنى : فأصارهم ذلك إلى الضلال كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾(٥) أي : فآل أمرهم إلى ذلك ، وكأنهم فعلوا ذلك لهذا(٦) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٣/١١ وابن الجوزي ٥٤/٤ والدر ٣١٤/٣ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٥/١١ وابن كثير ٢٢٤/٤ وفي الدر المنثور ٣١٤/٣ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٤/١١ وابن كثير ٢٢٤/٤ قال : وكذا قال قتادة والضحاك .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ٢٠٥/٧ : قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرة ، وابن عامر ، والحسن ، والأعرج ، ومجاهد : « لَيَضلوا » بفتح الياء على معنى : لَيَضلوا في أنفسهم ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي « لِيُضلوا » على معنى لِيُضلوا غيرهم .

(٥) سورة القصص آية رقم ٨ .

(٦) قال ابن الجوزي ٥٥/٤ وفي لام « ليضلوا » أربعة أقوال : أحدها : أنها لام « كي » أي كيْ يضلوا . والثاني : أنها لام العاقبة كقوله تعالى ﴿ ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ أي آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً ، لا أنهم قصدوا ذلك ، وهذا كما تقول : كسب المال لحتفه ، كما قال الشاعر :

وللمنايا تُرَبِّي كلُّ مرضعةٍ ... وللخراب يُجِدُّ النَّاسُ عمرانا

وبعضُ أهل اللغة يقول : لامُ الصيرورة ،وهي لام « كَيْ » على الحقيقة .

٧٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ .. ﴾** [آية ٨٨] .

قال قتادة : بَلَغَنَا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة(١) .

قال مجاهد : أي أَهلِكْهَا(٢) .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ في اللغة أن يُقال : طَمَسَ الموضعُ : إذَا عَفَا وَدَرَسَ .

٨٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ .. ﴾** [آية ٨٨] .

قال مجاهد : أي بالضلالة(٣) .

وقال غيره : أي قَسِّها(٤) .

والمعنى واحدٌ .

٨١ ــ **ثم قال عز وجل ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾** [آية ٨٨] .

قال مجاهد : دعا عليهم(٥) .

قال أبو جعفر : وهذا لأنهم إذا رأوا العذاب لم ينفعهم الإيمان ، فقد دعا عليهم .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٥٨/١١ وابن الجوزي ٥٦/٤ وابن كثير ٢٢٥/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٨/١١ والسيوطي في الدر ٣١٥/٣ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٥٧/٤ .

(٤) و (٥) الأثران عن مجاهد في الطبري ١٥٩/١١ وابن الجوزي ٥٧/٤ والدر المنثور ٣١٥/٣ .

قال أبو إسحاق : قال أبو العباس : هو معطوف على قوله : ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ .

٨٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ قَدْ**[١] **أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾** [آية ٨٩] .

قال قتادة : دعا موسى ، وأمَّن هارونُ[٢] .

حدثنا محمد بن الحسين بن سَمَاعَة بالكوفة قال : نا أبو نعيم ، قال : نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قال : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ قال : دعا موسى فأمَّنَ هارون صلَّى الله عليهما[٣] .

قال أبو جعفر : وهو حَسَنٌ عند أهل اللغة ، لأن التأمين دعاءٌ ، أَلَا ترى أن معنى آمين : استجبْ[٤] .

٨٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً .. ﴾** [آية ٩٠] .

---

(١) في المخطوطة « فقد أجيبت » والصواب بدون فاء كما هو النص القرآني ﴿ قد أجيبت ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٦١ وابن كثير ٤/٢٢٦ قال : وهو قول أبي العالية ، وعكرمة ، والربيع بن أنس أيضاً .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣/٣١٥ وعزاه إلى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب القرظي قال : كان موسى يدعو ، وهارون يؤمِّن ، والداعي والمؤمن شريكان » وأخرجه ابن كثير عن أبي العالية وعكرمة ٤/٢٢٦ وهو أيضاً في الطبري ١١/١٦١ .

(٤) قال ابن جرير ١١/١٦٠ : فإن قيل : كيف نُسبت الإجابة إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد ؟ قيل : إن الداعي وإن كان واحداً فإن الثاني كان مؤمناً وهو هارون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما لأن المؤمن داع أيضاً . اهـ. وكذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٧/٢٠٨ .

وقرأ قتادة : ﴿ فاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ﴾ بوصل الألف[1] .

قال الأصمعي : يُقال : أَتْبَعَهُ ، بقطع الألف إذا لَحِقه وأدركه ، واتَّبَعَهُ ـ بوصل الألف ـ : إذا اتَّبع أثره ، أدركه أو لم يدركه ، وكذلك قال أبو زيد[2] .

وقيل : اتَّبعه ـ بوصل الألف ـ في الأمر : اقتدى به ، وأَتْبَعَهُ بقطع الألف خيراً أو شرًّا ، هذا قول أبي عمرو .

وقيل : هما واحد[3] .

وقرأ قتادة ﴿ بَغْياً وَعُدُوًّا ﴾ والعُدُوُّ : الظلمُ[4] .

٨٤ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ حَتَّى إذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ .. ﴾** [آية ٩٠] .

روى شعبة عن عدي بن ثابت ، وعطاء بن السائب ، قالا :

---

(١) ذكر هذه القراءة ﴿ فاتبعهم ﴾ عن الحسن وقتادة أبو حيان في البحر ١٨٨/٥ بتشديد التاء ، وقراءة الجمهور ﴿ فأتبعهم ﴾ بالقطع بمعنى لحقهم ، وذكرها أيضاً ابن عطية في المحرر ٢١٠/٧ ولم أرها في القراءات السبع .

(٢) انظر الكشاف ٢٠١/٢ والبحر المحيط ١٨٨/٥ والمحرر الوجيز ٢١٠/٧ .

(٣) هذا قول أبي عبيدة كما في زاد المسير ٥٩/٤ قال : أتبعهم وتبعهم سواء ، وذكر الطبري ١٦٢/١١ عن الكسائي أن « أتبعهم » بهمز الألف يراد به الاتباع واللحاق بالخير والشر ، وإذا أُريد به اتَّبع أثرهم أو اقتدى بهم ، فإنها تكون مشددة التاء غير مهموزة الألف . اهـ.

(٤) ذكرها ابن عطية ٢١٠/٧ فقال : قرأ الحسن وقتادة ﴿ وعُدُوًّا ﴾ على مثال : عَلَا عُلُوًّا ، وقرأ الجمهور ﴿ وعَدْواً ﴾ على مثال غزا غزواً ، وكذلك ذكرها ابن الجوزي ٥٩/٤ وهذه القراءة ﴿ عُدُوًّا ﴾ ليست من القراءات السبع المتواترة ، والمراد بالعُدُوِّ على هذه القراءة الظلم والعدوان .

سمعنا سعيدَ بنَ جبيرٍ ، يُحدِّث عن ابن عباس ، قال شُعْبَةُ : رَفَعَه أحدُهما إلى النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ جبرائيل عليه السلام كان يَدُسُّ الطِّين ، فيجعله في فِي فِرْعونَ ، قال : مخافة أن يقول : لا إله إلا أنت ، فيغفر له »(١) .

وقال عونُ بنُ عبد الله : بلغني أن جبرائيل قال للنبي عليه السلام : « ما وَلَدَ إبليسُ ولداً قطُّ أبغض إليَّ من فرعون ، وأنَّه لما أدركه الغرق ، قال : ﴿ آمَنْتُ ﴾ الآية .. فخشيتُ أن يقولها فيُرحم ، فأخذتُ تُربةً أو طينةً فحشوتها في فيهِ(٢) .

وقيل : إن جبرائيل إنَّما فَعَل هَذا به ، عقوبةً له ، على عظيم ما كان يأتي .

٨٥ ـ **وقوله جل وعز﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً .. ﴾** [آية ٩٢] .

قال قتادة : لم تصدِّق طائفةٌ من النَّاسِ أنَّه غرق ، فأُخرج لهم

---

(١) الحديث أخرجه الطبري ١١/٦٣ بلفظ « مخافة أن تدركه الرحمة » ورواه أحمد في المسند ١/٣٠٥ ورواه الترمذي مرفوعاً برقم ٥١٠٧ من حديث ابن عباس بلفظ « لما أغرق الله فرعون ، قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، فقال جبرائيل : يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر ـ أي طينه الأسود ـ وأُدسُّه في فيه ، مخافة أن تدركه الرحمة » قال الترمذي : هذا حديث حسن ، ورواه برقم ٥١٠٨ وقال : حديث حسن غريب صحيح ، وانظر ما كتبه العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي على شرح الترمذي ٨/٥٢٥ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣١٦ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه : « قال لي جبريل : ما كان على الأرض شيء أبغض إليَّ من فرعون ، فلما آمن جعلت أحشو فاه حمأةً ، وأنا أغطُّه خشية أن تدركه الرحمة » وذكره ابن عطية ٧/٢١٢ في المحرر الوجيز ، وبنحوه أخرجه الطبري ١١/١٦٣ .

ليكون عظة وآية[1] .

وقال غيره : الآية فيه أنه يدَّعي أنه ربٌّ ، وكان قومُه يعبدونه ، فأراهم الله إيَّاه بعدما غرَّقَهُ .

ومن الآية فيه أنه غَرِق هو وقومُه ، فأُخرِجَ دونَهم .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ نُلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض[2] .

وقال غيره : النَّجْوَة والنَّبْوةُ : ما ارتفعَ من الأرض .

وقُرِئ ﴿ نُنْجِيكَ ﴾[3] والمعنى واحد .

ورُوي عن يزيد المكي أنه قَرَأَ ﴿ فاليَوْمَ نُنَحِّيك ﴾[4] بالحاء .

﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ قيل : أي وحدك[5] . وقيل : بدرعك[6] .

وقال مجاهد : بجسدك[7] . وهذا أحسن الأقوال .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٥/١١ وابن كثير ٢٢٨/٤ وابن الجوزي ٦١/٤ وفي رواية للطبري : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، فأخرجه الله إليهم ، ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨١/١ .

(٣) هذه قراءة يعقوب كما في النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٨٧/٢ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣١٦/١ .

(٥) هذا القول لابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٦١/٤ .

(٦) قاله أبو صخر ، قال : كانت له درع من لؤلؤ ، وقيل : من ذهب ، فعُرِف بدرعه . اهـ. زاد المسير ٦١/٤ .

(٧) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٦٥/١١ وابن الجوزي ٦١/٤ وابن كثير ٢٢٨/٤ .

قيل : معناه بجسدك فقط ، أي عُرياناً بغير روحٍ[٤] .

٨٦ ــ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ .. ﴾** [آية ٩٣] .

أي أنزلناهم[٢] .

قال قتادة : يعني الشَّامَ وبيتَ المقدسِ[٣] .

وقال الضحَّاك : مصرَ والشَّامَ[٤] .

٨٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴾**[٥] [آية ٩٤] .

في معناه أقوال :

١ ــ **منها** : أن المخاطبةَ للنبي ﷺ مخاطبةٌ لأمته ، فالمعنى على هذا : فإن كنتم في شكٍّ كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[٦] .

---

(١) هذا قول الزجاج ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٦١/٤ .

(٢) في المصباح ٧٥/١ : بوَّأته داراً : أسكنته إياها . وفي الصحاح ٣٦/١ : تبوأت منزلاً أي نزلته ، وبوَّأت للرجل منزلاً وبوَّأته بمعنى ، أي هيَّأته ومكَّنت له فيه ، والمباءة : منزل القوم . اهـ.

(٣) و(٤) الأثران عن قتادة والضحاك في الطبري ١٦٦/١١ وابن الجوزي ٦٢/٤ والبحر المحيط ١٩٠/٥ .

(٥) هذا ما اختاره ابن عطية ٢١٧/٧ أن المخاطبة للنبي ﷺ ، والمراد بها سواه من كل من يُمكن أن يشك أو يعارض . قال أبو حيان في البحر ١٩٢/٥ : ولذلك جاء بعده ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني .. ﴾ الآية .

(٦) سورة الطلاق آية رقم ١ .

٢ ـ **وقيل** : هذا كما يُقال : إنْ كنتَ أبي فافعل كذا ، وهو أبوه[١] .

٣ ـ **وقيل** : « إنْ » ها هنا بمعنى (ما) كما قال جل وعز ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[٢] والمعنى : فما كنت في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك ، فاسألِ الّذين يقرءون الكتاب من قبلك ، سؤال ازدياد[٣] ، كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[٤] .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : المعنى يا محمّد : قل للشاكّ : إنْ كنتَ في شكٍّ ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب ، أي سَلْ من آمَنَ من أهلِ الكتاب ، فيخبرك بصفة النبي ﷺ في كتابه .

---

(١) هذا ما ذهب إليه ابن جرير ، وانظر جامع البيان ١١/١٦٩ وقال الفراء في معانيه ١/٤٧٩ : « قال ذلك تعالى لنبيه وهو يعلم أنه غير شاك ، ولم يشك عليه السلام ، فلم يسأل ، ومثله في العربية أن تقول لغلامك الذي لا يُشكُّ في ملكك إياه : إن كنت عبدي فاسمع وأطع » . اهـ.

(٢) سورة الملك آية رقم ٢٠ .

(٣) هذا القول أنَّ « إنْ » نافية ، حكاه ابن عطية عن الحسن ٧/٢١٧ قال : والجمهور على أن « إنْ » شرطية ، وحكاه ابن الجوزي في زاده ٤/٦٣ قال : والمعنى : ما كنت في شك ، فلسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك ، بل لتزداد بصيرة ، قال : ذكره الزجاج . اهـ. ولأبي حيان في البحر المحيط ٥/١٩١ رأي بديع في تفسير الآية نذكره بإيجاز ، قال رحمه الله : إن « إنْ » الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ، ولا تستلزم وقوعه ، بل قد يكون ذلك من المستحيل كقوله تعالى ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ فكذلك هذا مستحيل أن يكون ﷺ في شك .. إلخ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

قال الحسن : لم يسأَلْ ولم يشكَّ[1] .

وقال الضحاك : الذين يقرءون الكتاب ، يعني بهم مَنْ آمَنَ مِنْ أهلِ الكتاب ، وكان من أهل التقوى[2] .

٨٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ[3] رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ٩٦] .

قال قتادة : أي إنَّ الذيـنَ حقَّ عليهم غضبُ الله وسَخَطُـهُ بمعصيتهم ، لا يؤمنون[4] .

٨٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ .. ﴾ [آية ٩٨] .

قال قتادة : لم يُؤمِنْ قومٌ حين رأوا العذابَ إلَّا قومَ يونس[5] .

وقال غيره : لم يروا العذابَ ، وإنما رأوا دليله ، فقُبِلَتْ توبتهم .

وذُكِرَ هذا على أثرِ قصةِ فرعونَ ، لأنه آمن حين رأى العذابَ ، فلم ينفعه ذلك .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦٨/١١ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال : لا أشك ولا أسأل ، وروي هذا القول عن ابن عباس .

(٢) انظر تفسير ابن الجوزي ٦٤/٤ والبحر المحيط ١٩١/٥ والطبري ١٦٨/١١ .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وعاصم ، والحسن ، وأبو رجاء ﴿ كلمة ربك ﴾ بالإفراد ، وقرأ نافع وأهل المدينة ﴿ كلمات ربك ﴾ بالجمع ، وانظر المحرر ٢٢٠/٧ والنشر في القراءات العشر ٢٨٧٣٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧٠/١١ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ عن مجاهد ، وأبو حيان في البحر ١٩١/٥ عن قتادة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧١/١١ وابن كثير ٢٣٢/٤ والسيوطي في الدر ٣١٧/٣ .

قال قتادة : خرج قومُ يونس ففرَّقوا بين البهائِم وأولادها ، وأقاموا يدعون اللهَ جلَّ وعز ، فتاب عليهم[1] .

٩٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ .. ﴾** [آية ٩٨] .

هذا عند الخليل ، وسيبويه ، استثناءٌ ليس من الأول[2] .

وقال غيرهما : هو استثناءٌ منقطعٌ ، لأنهم أمةٌ غيرُ الأمم الذين استُثْنوا منهم ، ومن غير جنسهم وشكلهم ، وإن كانوا من بني آدم[3] .

ومعنى ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ إلى حين فناء آجالهم[4] .

٩١ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً .. ﴾** [آية ٩٩] .

فيه قولان[5] :

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١١/١٧١ وابن الجوزي ٤/٦٥ وتفسير ابن عطية ٧/٢٢٢ .

(٢) هذا قول أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج ، كما حكاه عنهم ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٦٤ .

(٣) يريد أنه استثناء منقطع ، لأن قوم يونس غير أمم الأنبياء صلوات الله عليهم ، قال الفراء في معانيه ١/٤٧٩ : « لولا » بمعنى هلَّا ، وهي قراءة أُبيٍّ « فَهَلَّا » ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أن ما بعد « إلَّا » في الجحد ــ أي النفي ــ يتبع ما قبلها !! فتقول : ما قم أحد إلَّا أبوك ، لأن الأب من الأحد ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً وحماراً ، نصبت لأنها منقطعة مما قبل « إلا » . اهـ. وقال ابن عطية ٧/٢٢١ : والاستثناء بحسب اللفظ منقطع ، وكذلك رسمه النحويون أجمع » . اهـ. الفراء .

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان ١١/١٧١ .

(٥) هذا قول السدي كما في البحر المحيط ٥/١٩٢ .

أحدهما : أنه قد سبق في علمه ، أنه لن يؤمن إلَّا من قد سبقت له السعادة ، في الكتاب الأول ، كما رَوَى ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس قال : « خبَّره جلَّ وعز أنه لن يؤمن إلَّا من قد سَبَق له من اللهِ ، سعادةٌ في الذِّكْرِ الأول ، ولا يَضِلُّ إلَّا مَنْ سَبَقَ له من اللهِ الشَّقَاءُ في الذِّكْرِ الأول »(١) .

والقول الآخر : ولو شاء ربُّك لعاجَلَ الكافرَ بالعقوبة ، فآمَن الناسُ كلُّهم ، ولكنْ لو كان ذلك لم يكن لهم في الإيمان ثوابٌ ، فوقعت المحنةُ بالحكمة(٢) .

وعن ابن عبَّاس ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ ﴾ قال : السَّخَط(٣) .

ثم قال : ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي لا يعقلون عن الله حُجَجه ومواعِظَه ، وبراهينَه الدَّالةَ على النبوَّة .

٩٢ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ .. ﴾ آية ١٠١] .

[أي من الدليل على قدرة الله جلَّ ذكره](٤) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٧٣/١١ عن ابن عباس والقرطبي ٣٨٥/٨ وابن الجوزي ٦٧/٤ .

(٢) ذكر نحوه الزمخشري في الكشاف ٢٠٤/٢ قال أبو حيان في البحر ١٩٣/٥ : أخبر تعالى أنه خلق أهلاً للسعادة ، وأهلاً للشقاوة ، وأنه لو أراد إيمانهم كلهم لفعل ، وأنه لا قدرة لأحد على التصرف في أحد ، والمقصود بيان أن القدرة القاهرة ، والمشيئة النافذة ليست إلا له تعالى . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣١٨/٣ وابن الجوزي في زاده ٦٨/٤ قال : وهو رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ذكر في المخطوطة مقدماً على بعض الآيات ، فوقع التباس وخلل بسببه ، ومكانه هنا حسب النظم القرآني .

ثم قال : ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّـذُرُ ﴾ أي الأدلَّـةُ ، والنُّـذُرُ : جمع نذيرٍ ، وهـو الرسولُ ﴿ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُـونَ ﴾ أي لا يُصَدِّقُـون حتَّى يَرَوْا العذابَ[1] .

٩٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَـوْا مِنْ قَبْلِهِمْ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

يعني هؤلاء المكذبين من العقـاب

﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ .

قال قتـادة : يقـول : وقائـع اللهِ جلَّ وعـزَّ في الذيـن خَلـوْا من قبلهم ، قوم نوحٍ ، وعادٍ ، وثمودَ[2] .

٩٤ ــ ثم قال جلَّ وعـزَّ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّـي رُسُلَنَـا وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا .. ﴾ [آية ١٠٣] .

أي من ذلك الهلاكِ ﴿ كذلك ﴾ أي كما فعلنا بالماضين[3] .

٩٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنْ كُنْتُـمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِـي ﴾ [آية ١٠٤] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٣٣/٤ ومعنى الآية : أي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية ، والرسل بآياتها وحججها ، وبراهينها الدالة على صدقها ، عن قوم لا يؤمنون بالله !؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٧٦/١١ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٨/٣ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ . والمراد بالوقائع : البلايا والنكبات التي حلَّت بهم ، قال ابن الأنباري : والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب ، وقد تقصد بها أيام السرور والأفراح ، إذا قام على ذلك دليل كقوله تعالى ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ وانظر تفسير ابن الجوزي ٦٩/٤ .

(٣) قال الطبري ١٧٦/١١ : أي كما فعلنا بالماضين من رسلنا ، فأنجيناهم والمؤمنين معهم ، وأهلكنا أممهم ، كذلك نفعل بك يا محمد ، فننجيك وننجي المؤمنين .

أي الذي أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنّه حقٌّ ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ من الأوثان وغيرها ، التي لا تنفع شيئاً ولا تضرُّ ﴿ ولكِنْ أَعْبُدُ اللهَ ﴾ الذي لا ينبغي أن تشكُّوا فيه ﴿ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ أي يقبض الخلق فيميتهم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي وهو أمرني أن أكون من المصدِّقين[1] .

٩٦ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً .. ﴾** [آية ١٠٥] .

« أنِ » الثانية عطفٌ على الأولى : أي أقم نفسَكَ على دين الإسلام ﴿ حنيفاً ﴾ مائلاً إلى الإسلام ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي ممن أشركَ في عبادته الأنداد .

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ .. ﴾**[2] [آية ١٠٦] .

أي في دين ولا دنيا .

﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي فإن فعلت ذلك فعبدتها ، فإنك إذاً من الظالمين لأنفسهم[3] .

---

(١) راجع تفسير الآية في جامع البيان ١٧٦/١١ والبحر المحيط ١٩٥/٥ .

(٢) سقط من الآية في المخطوطة لفظ ﴿ ولا تدعُ ﴾ وأثبتناها كما هو النص الكريم .

(٣) قال ابن جرير ١٧٧/١١ : ومعنى الآية : ولا تدع يا محمد شيئاً لا ينفعك ولا يضرك ، في دين ولا دنيا ــ يعني بذلك الآلهة والأصنام ــ يقول : لا تعبدها راجياً نفعها ، أو خائفاً ضَرَّها ، فإنها لا تنفع ولا تضر ، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ، فإنك من المشركين بالله ، الظالمين لأنفسهم .

٩٨ ــ **ثم قال جل وعـــز ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ .. ﴾** [آية ١٠٧] .

أي دون ما يعبدُه هؤلاء المشركون ﴿ وإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي برخاءٍ ونعمة ، وعافيةٍ وسرور ﴿ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ أي فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك ، ولا يردَّه عنك ، لأنه الذي بيده ذلك ، لا إلى غيره[1] .

٩٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾** [آية ١٠٨] .

أي القرآنُ الَّذي فيه بيانُ ما بالناس إليه حاجة ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى ﴾ سَلَكَ سبيلَ الحقِّ ﴿ فإنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ أي فإنما يستقيم على الهدى لخير نفسه ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي عَدَل عن الحق الذي أتاه ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي : فإنَّما يَجْنِي به على نفسه ، لا على غيرها .

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾** [آية ١٠٨] .

أي بمسلَّط على تقويمكم ، إنَّما أمْرُكم إلى الله جلَّ وعزَّ ، هو الذي يُقَوِّم من شاءَ منكم ، وإنما أنا مبلِّغٌ .

١٠١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ واتَّبِعْ ما يُوحَى إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٠٩] .

أي اعمل به[2] .

---

(١) انظر جامع البيان ١/١٧٧ والبحر المحيط ٥/١٩٦ فقد أبدع أبو حيان في كلامه حول الآية .

(٢) كذلك قال الطبري في جامع البيان ١١/١٧٨ .

ثم قال جل وعزَّ ﴿ واصبِــر ﴾ أي على ما أصابك في اللهِ ، من مشركي قومك ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ ﴾ أي حتى يقضي فيهم .

وقيل : أمْرَه بِفِعْلٍ فاصل[1] . ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِيـنَ ﴾ أي خير القاضين وأعدل الفاصلين .

وقال ابـن زيـد : هذا منسوخٌ ، حَكَـم الله بجهادهـم ، وأمـر بالغلظة عليهم[2] .

وقال غيره : حَكَمَ بينَهُ وبـينهم يوم بدرٍ ، فقتلَهـم بالسيـف ، وأمر نبيَّــه ﷺ فيمـن بقـيَ منهم ، أن يَسْلُك بهم سَبيـلَ من أُهْـلِك منهم ، أو يَتُوبوا .

تمت سورة يونس

● ● ●

---

(١) هذا قول الطبري ١١/١٧٨ وفي المخطوطة « أمـره بفصل فاصل » وصوابـه « بفعـل فاصلٍ » كما ذكره ابن جرير ، وعبارته : « حتى يقضي الله أمره فيك وفيهم ، بفعل فاصل » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١/١٧٨ وابـن عطيـة ٧/٢٣١ وابـن الجوزي ٤/٧١ عن ابـن زيـد قال : والصحيح أنه ليس ههنا نسخ . وقال في البحر ٥/١٩٧ : ذهب ابن عباس وجماعـة إلى أن قولـه تعالى ﴿ وما أنا عليكم بوكيـل ﴾ منسوخ بآيـة السيـف ، وذهب جماعـة إلى أن الآية محكمـة ، وحملوا قوله تعالى ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ على معنى أنه ليس بحفيظ على أعمالهم بل ذلك لله ، وقوله ﴿ واصبر ﴾ على الصبر على طاعة الله ، وحمل أثقـال النبـوة ، وأداء الرسالـة ، وعلى هذا لا تعارض بينها وبين آية السيف ، وإلى هذا ذهـب المحققون .

تَفْسِيرُ سُورَةِ هُودٍ

مكية وآياتها ١٢٣ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود وهي مكية [1]

١ ــ من ذلك قوله جل وعز ﴿ آلــر كِتَــابٌ أُحْكِــمَتْ آيَاتُــهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ .. ﴾ [آية ١] .

المعنى : هو كتابٌ أحكمت آياتُه .

قال الحسن : أُحكمت بالأمــر والنهي ، ثم فُصِّلَتْ بالثَّــواب والعقاب[2] .

وقال قتادة : أحكمهـا اللهِ من الباطـل ، ثم فصَّلها بعلمـه ، وبيَّن حلالها وحرامها ، والطاعة والمعصية[3] .

وقال مجاهد : فُصِّلت : فُسِّرت .

وقيـل : أحكـمت فلا ينسخهـا شيءٌ بعدهـــا ، ثم فُصِّلت : أُنْزِلَتْ شيئاً بعد شيء[4] .

---

(١) على رأي الجمهور وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، ومجاهـد أن السورة كلهـا مكيـة ، وانظر زاد المسير ٧٢/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٣/٩ .

(٢) الأثر في الطبري ١٧٩/١١ والقرطبي ٣/٩ وزاد المسير ٧٣/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ١٨٠/١١ وابن الجوزي ٧٣/٤ والبحر المحيط ٢٠٠/٥ .

(٤) رُوي هذا عن ابن عباس واختاره ابن قُتيبة كما في زاد المسير ٧٣/٤ .

ومن أحسنها قولُ قتادة : أي أحكَمَها من الخَلَل والباطل[1] .

ثم قال جل وعز ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ .

قال قتادة : أي من عند حكيم خبير .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وبَشِيرٌ** ﴾ [آية ٢] .

يجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعبدوا إلَّا الله .

ويجوز أن يكون المعنى : لئلا تعبدوا .

ويجوز أن يكون المعنى : أمرتم أن لا تعبدوا إلا الله[2] .

٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** .. ﴾ [آية ٣] .

يُمَتِّعكُمْ : يُعَمِّركم ، وقيل : لا يهلككم .

وأصل الإمتاع : الإطالةُ ، ومنه : أَمْتَعَ اللهُ بك ، ومتَّع .

قال قتادة : إلى أجلٍ مسمًّى ، أي إلى الموت[3] .

---

(١) إلى هذا القول ذهب ابن عطية في المحرر ٢٣٣/٧ فقال : والمعنى أُتْقِنت وأُجيدت شبه ما تُحكم من الأمور المتقنة ، وبهذه الصفة كان القرآن محكماً ومفصَّلاً . اهـ. وانظر البحر المحيط ٢٠٠/٥ .

(٢) انظر البحر المحيط في توجيه هذه الأقوال ٢٠٠/٥ .

(٣) الأثر في الطبري ١٨١/١١ وابن الجوزي ٧٥/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ .. ﴾ [آية ٣] .

أي من كان له عملٌ صالح ، أُوْتي ثوابه[١] .

٥ ـ وقولـه جل وعـز ﴿ أَلَا إِنَّهُـمْ يَثْنُـونَ صُدُورَهُـمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْـهُ .. ﴾ [آية ٥] .

قال عبد الله بن شَدَّاد :كان أحدهـم يمرُّ بالنبـي ﷺ فيثنـي صدرَه ، ويتغشَّى ثوبَه ، كراهةَ أن يراه النبي ﷺ[٢] .

وقال أبو رَزِينٍ[٣] : كان الرجلُ يضطجع على شِقِّـه ، ويتـغشَّى ثوبه ليستخفي[٤] .

وقال مجاهد : ﴿يثنون صدورهم﴾ شكّاً وامتِراءً ﴿ليستخفوا منه﴾ أي من الله إن استطاعوا[٥] .

وقال الحسن : يعني حديثَ النفس ، فأعلَمَ اللهُ جلَّ وعـزَّ أنهم حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم ، يعلـم تلك

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧٥/٤ وذكره ابن عطية ٢٣٦/٧ واختاره وعزاه إلى ابن مسعود

(٢) الأثر في الطبري ١٨٣/١١ وفي ابن الجوزي ٧٦/٤ وابن كثير ٢٣٨/٤ .

(٣) أبو رَزِين : مسعود بن مالك الأسَدِي ، كوفيٌّ ثقـة ، ذكـره ابـن حبـان في الثقـات ، توفي سنـة ٨٥هـ . التهذيب ١١٨/١٠ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٤/١١ والسيوطي في الدر ٣٢٠/٣ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابـن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن أبي رَزِين .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٣/١١ والسيوطي في الدر ٣٢٠/٣ وابن الجوزي ٧٧/٤ .

الساعة ، ما يُسرُّون وما يُعلنون[1] .

قال أبو جعفر : وهذه المعاني متقاربةٌ ، أي يُسِرُّون عداوةَ النبي ﷺ ويطوون .

ومن صحيح ما فيه ما حدَّثناهُ عليُّ بنُ الحُسَيْنِ ، قال : قال الزعفرانيُّ : حدثنا حجَّاجُ ، قال ابنُ جريج أخبرني محمَّد بنُ عَبَّاد بن جعفر ، أنه سمع ابنَ عباس يقرأ : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْني صُدُورُهُمْ ﴾[2] قال : سألتُه عنه فقال : « كان ناسٌ يستحيون أن يتخَلَّوْا ، فيُفْضُوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم[3] .

ويُرْوَى أن بعضهم قال : أغلقتُ بابي ، وأرخيتُ سِتري ، وتغشَّيْتُ ثوبي ، وثَنَيْتُ صدري فمن يعلم بي ؟ فأعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنه يعلم ما يُسرّون وما يعلنون[4] .

ونظيره ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[5] . ومن قرأ ﴿ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾[6] وهي قراءة ابن عباس ، ذهب إلى

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٤/١١ وأبو حيان في البحر ٢٠٣/٥ والسيوطي في الدر ٣٢٠/٣ .
(٢) عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣١٨/١ من القراءات الشاذة ، وانظر أيضاً المحرر الوجيز ٢٣٩/٧ .
(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٥/١١ وابن عطية ٢٣٩/٧ وأبو حيان في البحر ٢٠٣/٥ .
(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٣/٥ .
(٥) سورة المجادلة آية رقم (٧) .
(٦) تقدَّم أنها من القراءات الشاذة .

معنى التكثير ، كما يقال : احْلَوْلَى الشيء ، وليست تَثْنَونِي حتى يُثنوها ، فالمعنى يَؤُولُ إلى ذاك[1] .

٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا .. ﴾** [آية ٦] .

يُقال لكلِّ ما دبّ من الناس وغيرهم : دابٌّ ودابَّةٌ على المبالغة ، تأنيث على الصفة والخِلْقة[2] .

٧ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا .. ﴾** [آية ٦] .

قال عبد الله بن مسعود : ﴿ مُسْتقرُّها ﴾ في الرَّحِم ، و ﴿ مستودَعُها ﴾ في الأرضِ التي تموتُ فيها[3] .

وقال مِقْسَمٌ[4] عن عبد الله بن عباس : مستقرُّها حيث تأوي إليه ومستودعها حيث تموت في الأرض[5] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٤/٧٧ : ﴿ تَثْنَوْني ﴾ تَفْعَوعِلُ معناه المبالغةُ في تثنّي الصدور ، كما تقول العربُ : احْلَولَى الشيء يَحْلَوْلي : إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة ، قال عنترة :

وقَولَكَ للشَّيءِ الَّذي لَا تَنالُه ... إذَا ما هو احْلَولَى أَلَا لَيتَ ذَا لِيَا

(٢) قال أهل اللغة : كلُّ شيء يدبُّ على وجه الأرض ، من إنسانٍ أو حيوان ، فهو دابة ، وانظر الصحاح مادة دبَّ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٢١ .

(٤) « مِقْسَم بن بُجْرَة » بكسر الميم وضمِّ الباء ، قال العجلي : مكيٌّ تابعيٌّ ثقة توفي سنة ١٠١هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٠/١٨٩ .

(٥) الأثر في الطبري ١٢/٢ والسيوطي في الدر ٣/٣٢١ ورجح هذا القول ابن جرير ، دون العلم بما تضمنته الأرحام والأصلاب .

وقيل : ﴿ مُسْتَقَرُّهَا ﴾ ما يستقرُّ عليه عملها ، و ﴿ مستودعها ﴾ ما تصير إليه .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : مستقرها في الرحم ، ومستودعها في الصلب[1] .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .. ﴾** [آية ٧] .

فخبَّر جلَّ وعز أنَّ من قَدَر على هذا ، لا يُعْجِزه شيءٌ .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ .. ﴾** [آية ٧] .

قال سعيد بن جبير : سألتُ ابنَ عبَّاس على أيِّ شيءٍ كان الماءُ ، ولم يَخْلُق سَمَاءً وَلا أَرْضاً ؟ فقال : على متنِ الرِّيح[2] .

١٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً .. ﴾** [آية ٧] .

أي ليختبركم فيظهر منكم ما يجازيكم عليه ، لأنه إنَّما يجازي على الفعل ، وإن كان قد عَلِمه قبلُ .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٢ والبحر المحيط ٢٠٤/٥ والدر المنثور ٣٢١/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/٥ وابن الجوزي ٧٩/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٢/٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والحاكم وصحَّحه .. وروى السيوطي عن أبي رَزِين قال : (قلتُ يا رسول الله : أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عَمَاءٍ ، ما تحتَه هواءٌ ، وما فوقه هواء ، وخَلَق عرشَه على الماء) أخرجه أحمد والترمذي وحسَّنه ، قال الترمذي : عَمَاء أي ليس معه شيء .

١١ ـ وقوله عز وجل ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٧] .

ويُقرأ ﴿ سَاحِرٌ ﴾[١] .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[٢] : والسِّحْرُ عندهم باطلٌ ، فكأنَّهم قالوا : إنْ هذا إلَّا باطلٌ[٣] .

١٢ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ .. ﴾ [آية ٨] .

[**قال ابن عباس** :أي إلى أجل معدود][٤] .

وقال مجاهد أي إلى حين[٥] .

١٣ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [آية ٨]

أي جزاءُ استهزائهم . والمعنى : أَحَاطَ بهم العذابُ .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وخَلَف ، وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٥٦ .

(٢) أبو إسحاق هو الإمام الزَّجاج وقد تقدمت ترجمته .

(٣) قال الزجاج في معانيه كما في تفسير ابن الجوزي ٤/٧٩ .

(٤) الأثر عن ابن عبَّاس أخرجه الطبري ١٢/٦ والقرطبي ٩/٩ وهو قول الجمهور ، وأصلُ الأمة الجماعة فعبَّر عن المدة والسنين بالأمة لأن الأُمَّةَ تكون فيها ، وما بين الحاصرتين من الهامش .

(٥) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٢/٦ وابن عطية ٧/٢٤٦ وجمع القرطبي بين القولين فقال : ومعنى ﴿ إِلَى أُمَّةٍ ﴾ أي إلى أجلٍ معدودٍ ، فالأمة هنا المدة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين . اهـ .

١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ ﴾** [آية ٩] .

أي الكفار . ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ أي رزقاً[1] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾** [آية ١١] .

استثناء ليس من الأول ، بمعنى « لَكِنْ » ويجوزُ أن يكون استثناءً من الهاءِ ، لأن تقديره : إنَّ الإنسان ، والانسانُ الجنسُ[2] .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ .. ﴾** [آية ١٢] .

أي كراهة أن يقولوا[3] .

ثم قال تعالى ﴿ إنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ أي : إنَّما عليك أن تُنْذِرهم وليس عليك أن تأتيهم من الآيات بما اقترحوا .

١٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

المعنى : كل سورةٍ منها مثل سورةٍ منه[4] ﴿ وادْعُوا مَنِ

---

(١) أي هو على حذف مضاف ، وانظر جامع البيان للقرطبي ٩/١٠ .

(٢) قال الطبري ١٢/٨ : جاز استثناؤهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع كقوله تعالى ﴿ والعصرِ إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ ﴾ . اهـ. ورجح ابن عطية أنه استثناء متَّصِلٌ ، وانظر المحرر الوجيز ٧/٢٤٨

(٣) انظر معاني الفراء ٢/٥ .

(٤) قال أبو حيان في البحر ٥/٢٠٨ : تحدَّاهم أولاً بعشر سورٍ مفتريات ، قبل تحدِّيهم بسورة ، إذ كانت هذه السورة مكية ، والبقرة مدنية ، ومقتضى التحدي بعشرٍ أن يكون قبل المعارضة =

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي لِيُعِينكم .

١٨ ـ **وقوله جل وعز ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾** [آية ١٥] .

قال الضحاك : يعني المشركين ، إذا عملوا عملاً جُوزوا عليه في الدنيا(١) .

وقال سعيد بن جبير : من عمل عملاً يريد به غيرَ الله ، جوزي به في الدنيا(٢) .

وقال مجاهد : من عمل عملاً ولم يُتقبل منه أُعطي ثوابَه في الدنيا(٣) .

قال أبو جعفر : وأحسنُها قولُ الضَحَّاك ، لقوله بعد ذلك ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ لا يُبْخَسُونَ ﴾ : لا يُنْقَصون(٤) .

بسورة ، فلما نسبوه إلى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر مثله مفتريات ، وكأنه يقول لهم : هبوا أني اختلقتُه ، فأتوا أنتم بكلام مثله مختلق ، فأنتم عرب فصحاء مثلي ، لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام ، وإنما عين بقوله ﴿ مثلِهِ ﴾ أي في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى . اهـ .

(١) الأثر في الطبري ١٢/١٢ والقرطبي ١٣/٩. وابن عطية في المحرر ٢٥٣/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١١/١٢ وابن كثير ٢٤٤/٤ والدر المنثور ٣٢٣/٣ .

(٣) الأثر في الطبري ١٣/١٢ وابن كثير ٢٤٤/٤ والدر المنثور ٣٢٤/٣ وعزاه إلى ابن أبي الشيخ عن مجاهد .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١١/١٢ قال : « لا يُبْخَسون » أي لا ينقصون أجرهم ولكنهم يوفَّونه فيها .

١٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال عكرمة وإبراهيم ومنصور : يعني النبيَّ ﷺ . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ جبريل عليه السلام(١) .

وقال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم ﴿ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أي جبريل ﷺ(٢) .

وقال الحسن : ﴿ شاهِدٌ مِنْهُ ﴾ يعني لسانه(٣) .

وقال الضحاك : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ محمدٌ ﷺ . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أي من الله وهو جبريل عليه السلام(٤) .

وقال أبو جعفر : حدثني سعيد بن موسى بِقَرقِيسْيَا قال : نا مخلد بن مالكٍ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن خُصَيف ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قال : النبيُّ ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ قال :

---

(١) و (٢) الأثر في الطبري ١٢/١٦ وابن كثير ٤/٢٤٥ والدر المنثور ٣/٣٢٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٤ والسيوطي في الدر ٣/٣٢٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر والطبراني في الأوسط عن محمد بن علي بن أبي طالب قال : قلتُ لأبي : إن الناس يزعمون في قوله تعالى ﴿ وَيَتْلُوه شَاهد منه ﴾ أنك أنت التالي ؟! قال : وَدِدت أني أنا هو ، ولكنه لسانُ محمد ﷺ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٦ عن الضحاك ورجَّحه ، وأخرجه ابن كثير ٤/٢٤٥ وقال : وكلاهما قريب في المعنى ، لأن كلاً من جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليه بلَّغ رسالة الله تعالى ، فجبريلُ بلّغها لمحمد ، ومحمد إلى الأمة .

جبريل عليه السلام[1] .

قال أبو جعفر : تكون الهاءُ في ﴿ رَبِّهِ ﴾ للنبيِّ ﷺ ، وفي ﴿ يَتْلُوهُ ﴾ تعود على البيِّنة ، لأنَّ البيِّنة والبيانَ واحد ، وفي ﴿ مِنْهُ ﴾ تعود على اسم الله جلَّ وعزَّ[2] .

وقول الحسن يحتمل المعنى أي ولسانُه يعبِّر عنه ويميِّز .

ويجوز أن تكون الهاء في ﴿ مِنْهُ ﴾ تعود على ﴿ مَنْ ﴾ .

وقيل : الشاهدُ القرآن ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ يكونُ بعده تالياً شاهداً ﴿ وَمَنْ قَبْلِهِ ﴾ أي ومن قبلِ الشاهد ، وقد قيل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ يُعنى به النبيُّ ﷺ والمسلمون ، واستشهد صاحب هذا القول بقوله ﴿ أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ والمعنى على القول الأول : أفمن كان على بيِّنة من ربه ، كالَّذي يريد الحياة الدنيا وزينتها[3] ؟

٢٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾

[آية ١٧] .

أي يُصَدِّقه .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٦/١٢ وابن كثير ٢٤٥/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٤/٣ .

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٨٦/٤ .

(٣) هذا القول حكاه المفسرون عن الزجاج كما في زاد ابن المسير لابن الجوزي ٨٧/٤ أقول : وتوضيح معنى الآية : أفمن كان على نور واضح ، وبرهان ساطع من الله عز وجل وهو النبي ﷺ وأتباعه المؤمنون ، كمن كان يريد الحياة الدنيا ؟ فجوابه محذوف ، يريد أن بينهما تفاوتاً عظيماً وتبايناً بعيداً ، فلا يستوي من أراد الله ، ومن أراد الدنيا وزينتها ، وإنما حُذِف لظهور المعنى ، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦١/٧ وجامع أحكام القرآن للقرطبي ١٦/٩ .

وقيل : هو معطوفٌ على الشاهد ، أي ويتلوه كتاب موسى .

وقال مجاهد : في قوله ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ التَّوراة[1] .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ .. ﴾** [آية ١٧] .

قال قتادة : الأحزاب أهلُ المللِ كلهم[2] .

وقال سعيد بن جبير : كنتُ إذا وجدتُ الحديث عن النبيِّ ﷺ صحيحاً ، أصبتُ مصداقَهُ في كتاب الله ، فَأَفْكرتُ[3] في قولِ النبيِّ ﷺ « ليسَ يسمعُ بي أحدٌ فلا يؤمنُ بي ، ولا يهوديٌّ ولا نَصْرَانيٌّ إلَّا دَخَلَ النار »[4] فطلبتُ مصداقه في كتاب الله ، فإذا هو

---

(١) الأثر في الطبري ١٢/١٨ والدر المنثور ٣/٣٢٥ قال : والمعنى : ومن قبله جاء بالكتاب إلى موسى .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٩ ولفظه قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر . وذكره ابن الجوزي ٤/٨٨ .

(٣) في المصباح ٢/١٣٥ : الفِكرُ بالكسر : تردُّد القلب بالنظر ، والتدبر لطلب المعنى ، وفَكَرتُ في الأمر من باب ضَرَب ، وتفكَّرت فيه ، وأَفْكرتُ بالألف ، بمعنى التفكير ، والافتكار مثلُ العِبرة والاعتبار .

(٤) الحديث ذكره المصنف هنا بالمعنى ، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٢/١٩ والسيوطي في الدر االمنثور ٣/٣٢٥ وعزاه إلى الطبراني وابن مردويه ، وأخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلت به ، إلَّا كان من أصحاب النار » .

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ والأحزابُ : أهلُ الأديانِ كلِّها لأنهم يتحاربون[1] .

٢٢ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ، أُوْلَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ١٨] .

قال الضحاك : الأشهاد الأنبياءُ والمرسلون[2] ، قال الله جل وعز ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ .

وقال مجاهد : الأشهاد الملائكة[3] .

وقال سفيان : سألتُ الأعمش عن الأشهاد فقال : هم الملائكة[4] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

---

(١) في المصباح ١٤٤/١ : الحزبُ الطائفة من الناس ، والجمع أحزاب ، وتحزَّب القومُ : صاروا أحزاباً .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٨٩/٤ قال : وهو قول أبي صالح عن ابن عباس .

(٣) و (٤) الأثران في الطبري ٢١/١٢ والقرطبي ١٨/٩ وزاد المسير ٨٩/٤ واختار ابن كثير أن الأشهاد عام يشمل جميع الخلائق ، من الملائكة ، والرسل ، والأنبياء ، وسائر البشر والجان . اهـ ابن كثير ٢٤٧/٤ .

قال قتادة : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيراً فينتفعوا به ، ولا يبصرون خيراً فيأخذوا به[1] .

وحكى الفراء عن بعض المفسرين أن المعنى : يُضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يعقلون[2] .

وذهب إلى أن هذا مثل قولهم : جزيته فعله وبفعله .

ومن أحسنِ ما قيل فيه — وهو معنى قول ابن عباس — إن المعنى : لا يستطيعون أن يسمعوا الحقَّ سماع منتفع ، ولا يبصرونه بصر مهتد ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين[3] .

وقد رُوي عنه ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ يعني : الآلهة[4] .

٢٤ — وقوله جل وعز ﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢/٢٢ والقرطبي ٩/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٤/٨٩ وعزاه إلى ابن عباس ومقاتل .

(٢) انظر معاني الفراء ٢/٨ والمعنى عنده : بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه ، وبما كانوا يبصرون حجج الله ولا يعتبرون بها ، فحذف الباء كما تقول العرب : لأجزينك ما عملتَ ، وبما عملت .

(٣) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٢/٢٣ وهو قول ابن عباس وقتادة .

(٤) حكاه الطبري في جامع البيان ١٢/٢٣ قال : وهذا قولٌ رُوي عن ابن عباس ، من وجه كرهت ذكره لضعف سنده ، والمعنى على هذا القول أن الآلهة لم يكن لها سمع ولا بصر . اهـ. وذكره ابن الجوزي ٤/٩١ وهو قول ضعيف كما قاله الطبري .

قال الضحاك : الأعمى والأصمّ مثلٌ للكافر ، والبصيرُ والسميعُ مثلٌ للمؤمن[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ يدل عليه قوله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ ؟ فدلَّ هذا على أن هذا لاثنينِ .

٢٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا .. ﴾** [آية ٢٧] .

الملأُ : الرؤساءُ ، والأراذلُ : الأشرار الذين ليسوا برؤساء ، واحدهم أرذل[2] .

٢٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾** [آية ٢٧] .

ويُقرأ ﴿ بَادِئَ الرَّأي ﴾[3] بالهمز ، فمعنى المهموز ابتداء الرأي[4] ، أي إنما اتَّبعوك ولم يُفكِّروا ولم ينظروا ، ولو فكَّروا لم

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥/١٢ عن ابن عباس وقتادة قالا : هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأمَّا الكافر فصُمَّ عن الحق لا يسمعه ، وعَمِيَ عنه فلا يبصره ، وأما المؤمن فسَمِعَ الحقَّ فانتفع به ، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به .

(٢) قال ابن قتيبة : أراذل جمع أرذل ، يقال : رجل رَذْلٌ ، وقد رَذُلَ رَذَالة ورُذُولة ، ومعنى الأراذل : الأشرار . اهـ. زاد المسير ٩٥/٤ .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٢ وقرأ الجمهور ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ بدون همز . والقراءتان سبعيتان .

(٤) ذكر ابن جرير المعنى على القراءتين ، ورجَّح قراءة من قرأ ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ من غير همز ، قال لأن معنى الكلام : إلَّا الذين هم أراذلنا في ظاهر الرأي ، وفيما يظهر لنا .

يتَّبعوك[1] .

ومعنى الذي ليس بمهموز : اتَّبعوك في ظاهر الرأي ، وباطنُهم على خلافِ ذلك .

يُقال : بَدَا يَبْدُو : إذا ظهر[2] .

ويحتمل أن يكون معناه : اتَّبعوك في ظاهر الرأي ، ولم يفكِّروا في باطنه وعاقبته ، فيكونُ على هذا القول بمعنى المهموز[3] .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي .. ﴾** [آية ٢٨]

أي على يقين وبيان ، وهذا جوابٌ لهم ، لأنهم عابوا من اتَّبعه ، فقال : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي فإذا كنتُ على بيِّنةٍ من ربِّي ، فمن اتَّبعني فهو بصير ، ومغفور له[4] .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ .. ﴾** [آية ٢٨] .

---

(١) هذا المعنى ــ والله أعلم ــ هو الأظهر ، لأن مرادهم إنهم اتَّبعوك في ظاهر الرأي من غير تفكُّر ولا رويَّة ، وانظر أقوال المفسرين في المحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٢/٧ .

(٢) هذا على قراءة ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ من بَدَا يَبْدُو ، إذا ظهر ، فأَما من همز فهو من بَدأ يبدأ ، وانظر الطبري ٢٧/١٢ والبحر المحيط ٢١٦/٥ .

(٣) انظر زاد المسير ٩٦/٤ ومعاني القرآن للزجاج ٤٨/٣ .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ٢٧٤/٧ : والاستفهام في الآية على جهة التقرير ، كأنه قال لهم : أرأيتم إن هَدَاني الله وأَضَلَّكم ، أأجبركم على الهُدى وأنتم كارهون ؟!

قال الفراء : يعني الرسالة ، لأنها نعمةٌ ورحمةٌ[1] .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٢٨] .

أي لم تفهموها ، يُقال : عَمِيتُ عن كذا ، وعَمِيَ عليَّ كذا ، أي لم أفهمه ، والمعنى : فَعَمِيَتْ الرحمةُ .

ويُقرأ ﴿ فَعُمِّيَتْ ﴾[2] فقيل هو مِثْلُ : دَخَلَ الخفُّ في رجلي مجازٌ[3] ، إلَّا أن الرحمة هي التي تُعَمَّى ، وصاحبُها يَعْمَى .

وقال ابن جُريج : ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ : الإسلام والهدى ، والحكم والنبوة[4] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [آية ٢٨] .

أي أنوجبها عليكم وأنتم كارهون لفهمها ؟

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٢/٢ .

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٣٣٢ : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عمر ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ بتخفيف الميم وفتح العين ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وكذلك حفص عن عاصم ﴿ فَعُمِّيَتْ ﴾ بضم العين وتشديد الميم . اهـ .

(٣) قال ابن قتيبة : والمعنى على قراءة التخفيف : عَمِيتُم عنها ، يُقال : عَمِي عليَّ هذا الأمر : إذا لم أفهمه، وعَميتُ عنه، بمعنىً واحد، وقال الفراء ١٢/٢ :وسمعتُ العرب تقول : قد عُمِّي عليَّ الخبرُ ، وعَمِيَ عليَّ بمعنى واحد ، وهذا ممَّا حوَّلت العربُ الفعلَ إليه وليس له ، ألا ترى قولَ العرب : دخل الخاتم في يدي ، والخُفّ في رِجْلي ، والرِّجلُ هي التي تدخل في الخُفّ ، والأصبع في الخاتم ، واستجازوا ذلك إذا كان المعنى معروفاً . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٩/١٢ والبحر المحيط ٢١٦/٥ والدر المنثور ٣٢٦/٣ .

٣١ ــ ثم قال الله جل وعز ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ [آية ٢٩] .

فدلَّ بهذا على أنهم سألوه أن يطردهم[١] .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [آية ٢٩] .

أي فيجازي من طَرَدهم على ما فَعَلَ .

قال الفراء : معنى ﴿ مَنْ يَنْصُرُنِي ﴾ : من يمنعني[٢] ؟

٣٣ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ [آية ٣١] .

معنى « تَزْدَرِي » : تستقلُّ وتستخِسُّ ، يُقال : زريتُ على الرجلِ : إذا عِبْتَه واستَخْسَسْتَ فعله ، وأزريتُ به : إذا قَصَّرتَ بهِ[٣] .

والمعنى : إنكم قلتم : إن هؤلاء اتَّبعوني في ظاهر الرأي ، وإنما أدعو إلى توحيد الله جلَّ وعزَّ ، فمنِ اتَّبعني قَبِلْتُه ، وليس عليَّ ما غاب[٤] .

---

(١) في البحر ٥/٢١٨ : وكانوا سألوا منه طرد هؤلاء المؤمنين ، رفعاً لأنفسهم من مساواة أولئك الفقراء ، كما اقترحت قريش على رسول الله ﷺ طرد أتباعه المؤمنين .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣/٩٨ قال القرطبي ٩/٢٧ : ﴿ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ أي تستقل وتحتقر أعينكم ، والأصل تزدريهم ، حُذفت الهاء والميم لطول الاسم ، يُقال : أزريتُ عليه إذا عبتَه ، وزريتُ عليه إذا حقَّرته ، وأنشد الفراء :

يُبَاعِدُهُ الصَّدِيقُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

(٤) هذا قول ابن جرير في جامع البيان ١٢/٣٠ قال والمعنى : والله أعلم بضمائر صدورهم ، وهو وليُّ أمرهم في ذلك ، وإنما لي منهم ما بدا وظهر ، وقد أظهروا الإيمان واتبعوني ، فلا أطردهم . اهـ.

٣٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا ﴾[١] والجِدَال والجَدَل : المبالغة في الخصومة[٢] .

وقال مجاهد : ﴿ جَادَلْتَنَا ﴾ أي مارَيْتَنَا[٣] .

قال الزجَّاج : ومعنى ﴿ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ أي يضلّكم ويُهلككم[٤] .

وقيل : يُخَيِّبَكُمْ .

وقال محمد بن جرير : ﴿ يُغْوِيَكُمْ ﴾ يُهلككم بعذابه ، حكى عن طيٍّ أصبحَ فلانٌ غاوياً أي مريضاً ، وأغويته : أهلكته[٥] ، ومنه ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[٦] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٢١/١ .

(٢) قال الزجاج ٤٩/٣ : الجدال : هو المبالغة في الخصومة والمناظرة ، وهو مأخوذ من الجل وشدّة الفتل . وانظر أيضاً زاد المسير ٩٩/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٣١/١٢ والدر المنثور للسيوطي ٣٢٦/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) انظر زاد المسير ١٠٠/٤ وقد حكى عن ابن الأنباري ﴿ يُغويكم ﴾ يهلككم ، قال : وهو قول مرغوب عنه .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٣٢/١٢ فقد ذكر هذا القول عن طيىء ، وقد ضعَّف هذا القول ابن الأنباري .

(٦) سورة مريم آية رقم (٥٩) .

٣٥ ـــ **وقولُه جلَّ وعــز ﴿ أَمْ يَقُولُــونَ افْتَــرَاهُ ، قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُــهُ فَعَلَــيَّ إِجْرَامِي .. ﴾** [آية ٣٥] .

أي إن اختلقته فعليَّ إثمُ الاختلاقِ[(١)] ﴿ وأنــا بَرِيءٌ مِمَّـــا تُجْرِمُونَ ﴾ أي من تكذيبكم .

ومن قرأ (أَجْرَامِي) بفتح الهمزة ، ذَهَبَ إلى جمع جُرْمٍ[(٢)] .

٣٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَأُوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ .. ﴾** [آية ٣٦] .

قال الضحاك : فدعا عليهم ، أي لمَّا أُخبِرَ بهذا[(٣)] ، قال : ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[(٤)] .

٣٧ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾** [آية ٣٦] .

قال مجاهد وقتادة : أي فلا تحزن[(٥)] .

---

(١) هذا مجاز بالحذف أي عقوبة إجرامي ، وجاء بـ « إن » الدالة على الشك لبيان أنه على سبيل الفرض والتقدير ﴿ قُلْ إن افتريتُهُ ﴾ بخلاف إجرامهم فإنه محقَّق لا شك فيه ولهذا قال ﴿ وأنا بريء ممَّا تُجرمون ﴾ وهذا من لطائف أسرار القرآن .

(٢) ذكرها في البحر نقلاً عن النحاس ٥/٢٢٠ وفسَّرها ﴿ فعليَّ أَجْرَامي ﴾ أي فعليَّ آثامي ، وليست من القراءات السبع بل هي شاذة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٣٣/١٢ وأخرجه السيوطي في الدر ٣٢٦/٣ قال : « إن نوحاً لم يدع على قومه حتى نزلت عليه الآية ﴿ لَنْ يُؤْمِنَ من قَوْمِكَ إِلَّا من قد آمن ﴾ فانقطع عند ذلك رجاؤه منهم فدعا عليهم » وعزاه إلى أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه .

(٤) سورة نوح آية رقم (٢٧) .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٣٣/١٢ وابن الجوزي ١٠٠/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٧/٣ وهو قول ابن عباس .

قال أبو جعفر : وهو عند أهل اللغة حُزْنٌ مع استكانةٍ[1] .

٣٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ .. ﴾ [آية ٣٨] .

يُروى أنهم كانوا يمرُّون به وهو يصنع الفُلْك ، فيقولون : هذا الذي كان يزعم أنه نبيٌّ قد صار نجاراً[2] .

٣٩ ــ ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي إن تستجهلونا فنحن نستجهلكم كما استجهلتمونا[3] .

٤٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [آية ٣٩] .

أي من يؤول أمره إلى هذا ، فهو الجاهل .

٤١ ــ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ .. ﴾ [آية ٤٠] .

رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أي وطلع

---

(١) في الصحاح ٩٠٧/٣ : المبتئسُ : الكارهُ والحزين « ولا تبتئس » : أي ولا تحزَنْ ولا تَشْتَك ، قال حسان :

مَا يَقْسِمِ اللهُ اقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ ... مِنْهُ وَاقْعُدْ كَرِيماً نَاعِمَ البَالِ

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٣٤/١٢ والبحر المحيط لأبي حيان ١٢١/٥ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٥٠/٣ وانظر زاد المسير ١٠٣/٤ وتفسير ابن عطية ٢٩٠/٧ .

الفجر ، كأنه يذهب إلى تنوير الصبح[1] .

قال عبد الله بن عباس : التَّنُّور : وجهُ الأرضِ وكانت علامة بين نوحٍ وربه جلَّ وعز . أي إذا رأيتَ الماء قد فار على وجه الأرض ، فاركب أنت وأصحابُكَ السفينة[2] .

وقال قتادة : التَّنُّور : أعلى الأرض وأشرفُها ، وكان ذلك علامة له[3] .

وكان مجاهد يذهب إلى أنه تنور الخابز[4] .

وقال الشعبي : جاء الماءُ من ناحية الكوفة[5] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأن الله قد خبرنا أن الماء قد جاء من السماء والأرض ، فقال : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

---

(١) هذا قول غريب مخالف لما عليه جمهور المفسرين ، ذكره ابن جرير ٣٩/١٢ وابن الجوزي ١٠٥/٤ وابن كثير ٢٥٤/٤ قال : التنور فلق الصبح ، وتنويرُ الفجر وهو ضياؤه وإشراقه ، ورجح ابن كثير قول ابن عباس أن التنور وجه الأرض فقال : وهو أظهر ، ومعناه صارت الأرض عيوناً تفور .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٨/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ والسيوطي في الدر ٣٢٨/٣ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٩/١٢ وابن الجوزي ١٠٥/٤ والسيوطي ٣٢٩/٣ .

(٤) الأثر في الطبري ٣٨/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ وابن الجوزي ١٠٥/٤ وهو قول ابن عباس ، وعكرمة ، والزهري ، ورجحه ابن جرير فقال : هو التنور الذي يُخبز فيه ، لأن هذا هو المعروف من كلام العرب .

(٥) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري ٤٠/١٢ وابن كثير ٢٥٤/٤ وقال : هذه أقوال غريبة .

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾[1] فهذه الأقوال تجتمع في أنَّ ذلك كان علامةً .

٤٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

قال مجاهد : أي ذكراً وأنثى[2] .

وقال قتادة : أي من كلٍّ صنفين[3] .

والزوج في اللغة : واحدٌ معه آخر لا يستغني عنه .

يقال عندي زوجان من الخِفَافِ ، وما أشبهَ ذلك[4] .

٤٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وأهلك إلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ .. ﴾** [آية ٤٠] .

أي : إلَّا من سبقَ عليه القولُ بالهلاك .

---

(١) سورة القمر آية رقم (١١ ، ١٢) .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٤٠ وعبارته عن مجاهد : ذكرٍ وأنثى من كل صنف ، وذكره ابن الجوزي ٤/١٠٦ وقال الزجاج : المعنى احمل زوجين من كل شيء .

(٣) الأثر أخرجه الطبريّ عنْ قتادة ولفظه : من كلِّ صنفٍ اثنين ، وقال الضحاك يعني بهما ذكراً وأنثى .

(٤) في المصباح : الزوج يكون واحداً ويكون اثنين ، وقوله تعالى ﴿ من كلٍّ زوجين اثنين.﴾ هو هنا واحدٌ ، قال الأزهري : وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين ، وهو عندهم الفردُ ، وهذا هو الصواب ، والعامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب ، إذْ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحَّداً في مثل قولهم : زوج حمام ، وإنما يقولون : زوجان من حمام ، وزوجان من خفاف . اهـ .

ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ أي واحمل مَنْ آمَنَ .

٤٤ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلَّا قَلِيلٌ ﴾ [آية ٤٠] .

يروى عن ابن عباس أنه قال : حمل معه ثمانين[١] .

وقال قتادة : ما آمن معه إلَّا ثمانية ، خمسةُ بنين ، وثلاث نسوة[٢] .

٤٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا .. ﴾ [آية ٤١] .

أي باللهِ إجراؤها وإرساؤها .

ومن قرأ ﴿ مَجْرَاها ومَرْسَاهَا ﴾[٣] ذهب إلى أن المعنى : جريُها ورسُوُّها أي ثباتها .

. ورُوي عن أبي رجاء العُطَاردي أنه قرأ ﴿ باسْمِ اللهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا ﴾ على النَّعْتِ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٣/١٢ وابن كثير ٢٥٥/٤ والسيوطي في الدر ٣٣٣/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٢/١٢ وابن الجوزي ١٠٧/٤ قال : وهو قول القرظي أيضاً وابن جرير .

(٣) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمر ، وعاصم في رواية أبي بكر ﴿ مُجْرِيها ﴾ بضم الميم ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ مَجْرِيها ﴾ بفتح الميم وكسر الراء ، وكان ابن كثير وابن عامر يفتحان الراء من ﴿ مُجْرَاها ﴾ والسين من ﴿ مُرْسَاها ﴾ وجميع هذه القراءات من المتواتر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٣٣ .

(٤) انظر القراءات وتخريجها مفصلة في زاد المسير لابن الجوزي ١٠٨/٤ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٢٥/٥

٤٦ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ .. ﴾ [آية ٤٢] .

قال عبد الله بن عباس : ما بَغَتْ امرأةُ نبيٍّ قطُّ ، وكان ابنه[١] .

وقال سعيد بن جبير : هو ابنه ، لأن الله عز وجل خبَّرنا بذلك[٢] .

وقال عكرمة : إن شئتم حلفتُ لكم أنه ابنه[٣] .

وقال الضحاك : هو ابنُه ، قال الله جل وعز ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾[٤] .

وقال مجاهد : ليس هو ابنه، ويُبَيِّنُ ذلك قولَ الله تبارك وتعالى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[٥] .

قال الحسن : لم يكن ابنَه وإنما وُلد على فراشه فنُسِبَ إليه[٦] .

والقول الأول أبينُ وأصحُّ ، لجلالةِ من قاله ، وأن قوله ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ليس مما ينفي عنه أنه ابنُه ، وقد قال الضحاك : معناه : ليس من أهل دينك ، ولا من أهل ولايتك[٧] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ٥١/١٢ وابن كثير ٢٥٩/٤ وابن الجوزي ١١٣/٤ .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار عن السلف أوردها المفسرون الطبري ، وابن الجوزي ، والسيوطي ، وغيرهم .

(٧) هذا هو القول الصحيح ، وهو الذي اختاره الجمهور ، فما زنت امرأة نبيٍّ قط ، كما قال ابن عباس ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، وإنما المراد ليس من أهل دينك وأهل ملتك ، وانظر ما قاله الحافظ ابن كثير في الحاشية الآتية .

وقال سفيان : معناه : ليس من أهلك الذين وعدتُك أن أنجيهم[1] .

قال أبو جعفر : وهذان القولان حَسَنَان في اللُّغةِ ، والأوَّل أولى .

ورَوَى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قرأ ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابنَه وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ يريد : ابنها ، ثم حذفَ الألفَ[2] .

ومثل هذا لا يجوزُ عند أهل العربية علمتُه .

ويجوز أن يكون معنى ﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ أي في معزل عن دين أبيه ، ويكونُ في معزل عن السفينة ، وهذا أشبه .

ومعنى ﴿ يَعْصِمُنِي ﴾ : يمنعني .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٥٩/٤ : ﴿ قَالَ يا نُوحُ إِنَّه ليس من أَهْلِك ﴾ أي من الذين وعدتك بإنجائهم ، ولهذا قال ﴿ وأَهْلَكَ إلا من سَبَقَ عَليهِ القَولُ ﴾ فكان هذا الولد ممن سبَق عليه القول بالغرق ، لكفره ومخالفته أباه نوحاً عليه السلام ، وقد نصَّ غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير الآية إلى أنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن زِنْية ، وقال ابن عباس وغيرُ واحد من السلف : ما زنت امرأة نبيٍّ قطُّ ، وقول ابن عباس في هذا هو الحقُّ الذي لا محيد عنه ، فإن الله عز وجلَّ أغيرُ من أن يمكِّن امرأة نبي من الفاحشة . اهـ.

وقال ابن الجوزي ١١٣/٤ : في الآية قولان : أحدهما : ليس من أهل دينك ، والثاني : ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم ، وما رُوي عن مجاهد ، والشعبي ، والحسن أنه لم يكن ابنه ، وأن امرأته خانته ، يكون الكلام على ظاهره ، قال : والأول أصحُّ لموافقته ظاهر القرآن ، ولاجتماع الأكثرين عليه ، وهو أولى من رمي زوجة نبي بالفاحشة . اهـ .

(٢) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٨/٩ : وهذه قراءة شاذة ، وهي مروية عن عليٍّ كرَّم الله وجهه ، قال : وزعم أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد « ابنَها » فحذف الألف ، ولم يُجزه النحَّاس . اهـ.

٤٧ ــ وقولــه جل وعــز ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ اليَــوْمَ مِنْ أَمْــرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ .. ﴾ [آية ٤٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أنه استثناء ليس من الأول(١) .

والآخر : أنه على النسبة ، فيكون المعنى لا معصومَ(٢) ، كما قال ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾(٣) أي مدفوق .

وذكر محمد بن جرير قولاً ثالثاً ، وزعم أنه أولى مـا قيـل فيـه ، فقال : لا مانـع اليوم من أمرِ الله ، الـذي قد نزل بالخلـق من الغَـرَق والهَلَاك ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أيْ إلَّا الله ، كما تقول : لا منجي اليـوم إلا اللهُ ، فمَـنْ في موضع رفـع ، ولا تجعـل « عاصم » بمعنـى معصوم ، ولا « إلَّا » بمعنى « لكنْ »(٤) .

٤٨ ــ ثم قال جل وعـز ﴿ وَحَـالَ بَيْنَهُمَـا المَـوْجُ فَكَـانَ مِنَ المُغْرَقِـينَ ﴾ [آية ٤٣] .

---

(١) أي إنه استثناء منقطع والمعنى : لكنْ من رحمه الله فهو يعصمه ، قال الزجاج .

(٢) على هذا القـول يكـون الاستثنـاء متصلاً ، و « عاصم » بمعنـى « معصوم » كما قال الشاعــر : وأمسى فؤادي به فاتناً أي مفتوناً .

(٣) سورة الطارق آية رقم (٦) وتمامها ﴿ خُلِقَ من ماء دافق ﴾ بمعنى مدفوق .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٤٥/١٢ فقد قرَّر هذا الكلام وقال المعني : لا عاصم اليوم يعصم من أمر الله إلَّا الله الـذي رحمنـا . أقـول : وهـذا القـول وإن كان وارداً ، إلا أنـه خلاف الظاهـر ، والأظهـر ما قالـه الجمهـور أن المعنى : إلا من رحمه الله فنجَّــاه من الغــرق ، قال في البحــر ٢٢٧/٥ : وقرىء ﴿ إِلَّا مَنْ رُحِـمَ ﴾ بضمِّ الـراء مبنيـاً للمفعـول ، وهـــذا يدل على أن المراد بـ « مَنْ » ــ في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء ــ هو المرحوم لا الراحم . اهـ.

قال الفراء : أي حال بين ابن نوحٍ وبين الجبل الماءُ ، فكان من المغرقين[1] .

٤٩ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال قتادة : أي ابلعي كل ماءٍ عليك ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ أي لا تمطري[2] .

ثم قال جل وعز ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ .[آية ٤٤] .

قال مجاهد : أي : نَقَصَ[3] .

وقال قتادة : أي ذَهَبَ[4] .

ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ أي : قُضِيَ الأمر بهلاكهم .

ثم قال : ﴿ واسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ ﴾ [آية ٤٤] .

قال الضَّحاك : هو جبل الموصل[5] .

٥٠ ـــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [آية ٤٦] .

في معناه أقوال :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٧/٢ وورد في المخطوطة « وحال بين نوح وبين الجبل » وصوابه ما أثبتناه « وحال بين ابن نوح وبين الجبل الماء فكان من المغرقين » كما في معاني الفراء لأن ابنه هو الذي غرق ، حيث حال الموج بينه وبين وصوله إلى الجبل .

(٢) و(٣) و (٤) و (٥) الآثار كلها قد ذكرها الطبري ٤٧/١٢ والقرطبي ٤١/٩ والدر المنثور ٣٣٤/٣ .

منها : أن المعنى أنه ذو عملٍ غيرِ صالح[1] .

وقيل : إنَّ عملَه عَمَلٌ غير صالح .

وقال قتادة : معناه إن سؤالكَ إيَّايَ ما ليس لك به علمٌ في قوله ﴿ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ ﴾ عَمَلٌ غير صالح ، وهذا عملٌ غير صالح[2] .

قال أبو جعفر : وهذا أحسن ما قيل فيه ، لأن عبد الله بن مسعود قرأ ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ أن تسألني ما ليس لك به عِلمٌ ﴾[3] .

٥١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ .. ﴾** [آية ٤٨] .

قال محمد بن كعب : قد دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة ، ودخل في قوله ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ﴾ كلُّ فاجرٍ إلى يوم القيامة[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير لابن الجوزي ١١٤/٤ وعلى هذا القول يكون على حذف مضاف .

(٢) ذكره الطبري ٥٣/١٢ عن قتادة ، وابن الجوزي ١١٤/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وهذا ظاهر ، لأنه تقدَّم السؤال فيه في قوله ﴿ ربِّ إنَّ ابْني من أهلي ﴾ فرجع الضمير إليه .

(٣) هذه ليست بقراءة ، وإنما هي محمولة على جهة التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٥/١٢ عن محمد بن كعب القرظي ، وأخرجه السيوطي في الدر ٣٣٧/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

وقال الضحاك : نحواً من هذا ، إلَّا أنه بخِلاف هذه الألفاظ[1] ، وتقديرُه في العربية على مذهبه : على ذرِّية أممٍ ممَّنْ معك ، وذريَّةِ أممٍ سنمتِّعهم ، ثم حذف ، كما قال ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ .

٥٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا .. ﴾ [آية ٤٩] .

أي : ما أوحيناه إليك من خبرِ نوح ، لم تكن تعلمه أنتَ ولا قومك ، لأنهم ليسُوا أهلَ كتاب[2] .

٥٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي .. ﴾ [آية ٥١] .

قال مجاهد : أي خلقني[3] .

٥٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً .. ﴾ [آية ٥٢] .

يُروى أنهم كانوا أصحابَ زروعٍ ، وعمارة ، وكانوا يسكنون

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٥٥ فقد ذكر قول الضحاك مفصَّلاً .

(٢) الإشارة في قوله ﴿ تلك ﴾ تعود إلى القصص والأخبار التي ذُكرت في هذه السورة أي هذه القصة وأشباهها من أخبار الغيوب السالفة التي لم تشهدها يا محمد ، نعلمك إياها بواسطة الوحي .

(٣) ذكره الطبري ١٢/٥٧ عن قتادة . والسيوطي في الدر ٣/٣٣٤ .

رمالاً بين الشام واليمن ، فبعثت عليهم الريح فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم[1] .

و ﴿ مِدْرَاراً ﴾ على التكثير : أي يتبع بعضُها بعضاً[2] .

٥٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ .. ﴾** [آية ٥٢] .

قال مجاهد : أي شدَّةً إلى شدتكم[3] .

وقال غيره : كانوا قد أقاموا ثلاث سنين لا يُولد لهم[4] .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إن نَقُولُ إلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضَ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ .. ﴾** [آية ٥٤] .

قال مجاهد : أصابَتكَ بسوءٍ أي بجنونٍ بسبِّك إياها[5] .

ويقال : عَراه واعتراه واعترَّه : إذا ألَمَّ به[6] ، ومنه ﴿ وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالمُعْتَرَّ ﴾[7] وقال الشاعر :

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٢٠/٨ والبحر المحيط ٣٢٣/٤ وتفسير ابن كثير ٤٣١/٣ .

(٢) قال القرطبي ٥١/٩ و « مِدْراراً » منصوب على الحال ، وفيه معنى التكثير ، أي يرسل السماء بالمطر متتابعاً يتلو بعضه بعضاً .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٨/١٢ والقرطبي ٥١/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ١١٧/٤ .

(٤) قال أبو حيان في البحر ٢٣٣/٥ : حُبس عنهم المطر ثلاث سنين ، وعقِمتْ أرحامُ نسائهم .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٥٩/١٢ وابن الجوزي ١١٨/٤ وابن كثير ٢٦٢/٤ .

(٦) قال ابن قتيبة : يُقال عراني كذا ، واعتراني : إذا ألَمَّ بي . زاد المسير ١١٨/٤ .

(٧) سورة الحج آية رقم (٣٦) .

أَتَيْـتُكَ عَارِيـاً خَلَقـاً ثِيَابِـي
عَلَـى خَوْفٍ تُظَـنُّ بِيَ الظُّنُـونُ(1)

المعنى : ما نقولُ إلَّا أصابَكَ بعضُ آلهتنا بجنون ، لسَبِّكَ إيَّاهَا .

٥٧ ـ **وقوله عز وجل ﴿ قَالَ إنِّي أُشْهِدُ اللهَ واشْهَدُوا أنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثمَّ لَا تُنْظِرُون ﴾** [آية ٥٥] .

وهذا من علاماتِ النبوَّةِ ، أن يكون الرسولُ وحده ، يقول لقومه « فَكِيدوني جَمِيعاً » وكذلك قال النبيُّ ﷺ لقريشٍ ، وقال نوحٌ ﷺ ﴿ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾(2) .

٥٨ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .. ﴾** [آية ٥٦] .

أي هي في قبضته ، وتنالُهَا قدرتُه(3) .

---

(1) البيت للنابغة وهو في ديوانه ص٢٢٢ بشرح ابن السكيت بلفظ « على خَوْفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنُونُ » ، وغريب القرآن ٢٠٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٨/٤ واللسان مادة عرى وقد جاء في المخطوطة « على نوف » وصوابه « على خوف » كما في الديوان ولسان العرب .

(2) سورة يونس آية رقم (٧١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٢٣/٧ « وكان هذا القول معجزةً له ، وذلك أنه حرَّض جماعتهم عليه ، مع انفراده وقوتهم وكفرهم ، فلم يقدروا على نيله بسوء ، قال : ومعنى ﴿ تُنْظِرُونِ ﴾ : تؤخروني ، أي عاجلوني بما قدرتم عليه » . اهـ.

(3) قال في البحر ٢٣٤/٥ : وقوله تعالى ﴿ آخِذٌ بناصيتها ﴾ تمثيل ، إذْ كان القادرُ المالكُ ، يقود المقدور عليه بناصيته ، كما يُقاد الأسير والفرس بناصيته ، حتى صار عُرفاً على الحيوان .. وقال الطبري ٦٠/١٢ : أي ليس من شيء يدبُّ على الأرض ، إلَّا والله مالكه ، وهو في قبضته وسلطانه ذليل له خاضع . اهـ .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ٥٦] .

قال مجاهد : أي على الحقِّ ، أي يجزي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً ، ولا يقبل إلَّا الإيمان به[١] .

قال أبو جعفر : والصراطُ في اللغة : المنهاجُ الواضح .

والمعنى : إنَّ الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيءٍ[٢] ، فإنه لا يأخذهم إلَّا بالحق .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً ﴾ [آية ٥٧] .

أي لا تقدرون له على ضَرَره إذا أراد إهلاككم .

وقيل : لا يضرُّه هلاكُكم إذا أهلككم ، أي لا تُنقِصونه شيئاً ، لأنه سواء عنده أكنتم أم لم تكونوا[٣] .

٦١ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [آية ٥٧] .

أي يحفظني من أن ينالني بسوء[٤] .

٦٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [آية ٥٩] .

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٦٠/١٢ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٨/٤ .

(٢) في المخطوطة « يقدر على شيء » وصوابه ما أثبتناه « على كل شيء » كما نقله عنه القرطبي في جامع الأحكام ٥٣/٩ .

(٣) ذكر هذا القول الطبري في جامع البيان ٦١/١٢ بصيغة التضعيف : وقيل .

(٤) هكذا ورد في المخطوطة « من أن ينالني بسوء » ، ولعل صوابه « يحفظني من أن تنالوني بسوء » كما في القرطبي ٥٣/٩ .

العنيد ، والعَنُود ، والعَانِدُ : المدافعُ بغير حقٍّ(١) .

٦٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾** [آية ٦٠] .

أي وأُلحقوا .

ومعنى ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ غير تخسيرٍ لكم ، إذا ازددتم كفراً(٢) .

٦٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ﴾** [آية ٦٤] .

يُروى أنها خرجت من صخرة(٣) .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾** [آية ٦٤] .

أي قريب ممَّن مسَّها .

٦٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾** [آية ٦٧] .

---

(١) في الصحاح ٥١٣/٢ : عَنَد عن الطريق : أي عَدَل فهو عَنُودٌ ، وعَنَد يَعْنِدُ بالكسر عُنُوداً أي خالف وردَّ الحقَّ وهو يعرفه ، وجمع العنيد عُنُدٌ . اهـ. وقال ابن قتيبة : العَنُودُ ، والعَنِيدُ ، والعانِدُ : المعارضُ بالخلاف عليك .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٢٠/٢ قال : وهذا كقولك للرجل : ما تزيدني إلَّا غضباً أي غضباً عليك ، وهذا القول مروي عن مجاهد قال : ما تزدادون أنتم إلَّا خساراً ، واختاره الطبري وابن عطية ، والأقرب ما ذكره في البحر ٢٣٩/٥ : أن المعنى : إن اتبعتكم فيما دعوتموني إليه ، لم أزدَدْ إلَّا خُسْراناً في الدين ، فأصير من الهالكين الخاسرين . اهـ. وهو مروي عن مقاتل ، كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٢٥/٤ أقول : ويؤيده قوله تعالى قبله ﴿ فمن ينصرني من الله إن عصيتُه ﴾ ؟ فهو كالدلالة على المعنى .

(٣) انظر تفصيل القصة في جامع البيان ٦٥/١٢ وتفسير ابن كثير ٤٣٦/٣ .

قال **قتادة** : أي ميتين[1] .

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٦٨] .

قال قتادة : أي كأن لم يعيشوا فيها[2] .

قال الأصمعي : المغاني : المنازل .

قال غيره : غَنِيتُ بالمكان إذا نزلت به .

والمعنى : كأن لن يُقيموا فيها في سرورٍ وغبطة[3] .

٦٨ ــ **وقوله جل عز ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾** [آية ٦٩] .

أي بالبشرى بالولد .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ﴾** [آية ٦٩] .

ويُقرأُ ﴿ قَالَ سِلْمٌ ﴾[4] .

قال الفراء : سِلْمٌ وسَلَامٌ واحد ، كما يقال : حِلٌّ وحَلَالٌ[5] .

٧٠ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾** [آية ٦٩] .

---

(١) و(٢) الأثران عن قتادة في الطبري ٦٨/١٢ وابن كثير ٤٣٩/٣ والبحر المحيط ٣٣١/٤ .

(٣) في الصحاح : غَنِيَ بالمكان : أي أقام به ، وغَنِي أي عاش ، والمغنى : واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلها وسُكَّانها .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي ﴿ قَالَ سِلْمٌ ﴾ وهي من القراءات السبع كما في النشر ٢٩٠/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٣٣٧ .

(٥) انظر معاني الفراء ٢١/٢ قال الفراء : وأنشدني بعضُ العرب « مَرَرْنَا فَقُلْنَا إِيهِ سِلْمٌ فسَلَّمَتْ » .

رَوى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : هو النضيج ، وكذلك قال قتادة[1] .

وقال الضحاك : هو المُوقَدُ عليه حتى ينضج[2] .

وقول أبو عبيدة ﴿ حَنِيذٍ ﴾ بمعنى محنوذ أي مشوي ، يقال : حَنَذْتُ فرسي أي عَرَّقْتُهُ[3] .

والمعنى : فما أبطأ إذ تَضَيَّفُوه بأن جاءهم بِعِجْلٍ ، ثم حذفَ الباءَ من « أنْ »[4] .

وقيل : الرسل « جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ » عليهم السلام ﴿ بِالبُشْرَى ﴾ البشارة بإسحاق[5] .

وقيل : البشارةُ بهلاك قومِ لوط[6] .

٧١ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ .. ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) و (٢) الأثران في الطبري ١٢/٧٠ وزاد المسير ٤/١٢٨ وقال ابن كثير : الحنيذ : المشوي على الرَّضَف وهي الحجارة المحماة .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٩٢ والطبري ١٢/٦٩ وانظر أيضاً معاني الفراء ٢/٢١ .

(٤) قال ابن الجوزي ٤/١٢٨ : ما أقام حتى جاء بعجلٍ حنيذٍ أي نضيج ــ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ــ لأنه ظنَّهم أضيافاً ، وكان الملائكة قد جاءته في صورة غِلْمَان وِضَاء ــ أي حسان ــ .

(٥) مما يدل على هذا القول قوله تعالى ﴿ فَبشَّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ .

(٦) هذا قول قتادة كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤/١٢٧ وذكر القولين الطبري ١٢/٦٨ .

يقال :نَكِرَ ، وأَنْكَرَ ، واستنكر ، بمعنى[1] .

قال قتادة : كان الضيف إذا نزل ولم يأكل ، رأوا أنه لم يأت بخير ، وأنه قد أتى بشرٍّ[2] .

٧٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾** [آية ٧٠] .

أي أضمر.

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أي أُرسلنا بالعذاب ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ وهو قاعد[3] .

٧٣ ــ **وقولُه تعالى ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾** [آية ٧١] .

فيه أقوال :

أحسنُها : أنه لمَّا لم يأكلوا نكرهم وخافهم ، فلمَّا قالوا : لا تخف وخبرُّوه أنهم رسلٌ ، فَرِح بذلك ، فضحِكَتْ امرأتُه سُروراً بفرحه[4] .

---

(١) في المصباح ٢٩٦/٢ : أنكرتُه إنكاراً : خلاف عرفته ، ونَكِرْته مثل تَعِبْتُ كذلك غير أنه لا يتصرف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٩٣/١ : نَكِرَهم ، وأنكرهم ، واستنكرهم سواء ، قال الأعشى :

فَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧١/١٢ وابن الجوزي في زاد المسير ١٢٨/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٤٣/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٣ .

(٣) قال الطبري ٧/١٢ : ﴿ وامرأته قائمة ﴾ قيل : كانت قائمة من وراء السِّتر تستمع كلام الرسل ، وقيل : كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم .

(٤) هذا ما اختاره أبو حيان في البحر المحيط ٢٤٣/٥ .

وروى **الفراء** أن بعض المفسرين قال : المعنى : فبشرناها بإسحاق فضحكت[1] .

قال أبو جعفر : وهذا القول لا يصحُّ ، لأن التقديم والتأخير لا يكون في الفاء[2] .

وقيل : فضحكت فَحَاضَتْ .

وهذا قولٌ لا يُعْرَفُ ولا يَصحُّ[3] .

وقيل : إنها كانت قالت له : أَحْسِبُ أن هؤلاء القوم سينزل بهم عذابٌ ، فضُمَّ لوطاً إلَيك ، فلمَّا جاءَ الرسلُ بما قالته سُرَّتْ بِهِ فضحكت ، وهذا إن صحَّ إسنادُه فهو حسنٌ[4] .

وقال قتادة : ضحكت من غفلة القوم وقد أتاهم العذاب[5] .

٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾** [آية ٧١] .

قال الشعبي :الوراءُ : ولد الولد[6] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٢/٢٢ وقد رجَّح أنها إنما ضحكت سروراً بالأمر ، فأتبعوها البشرى بإسحاق . ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت ، فكانت البشارة بعد الضحك .

(٢) لأن الفاء في اللغة العربية تفيد الترتيب والتعقيب ، وهذا ينافي القول بالتقديم والتأخير .

(٣) وكذلك قال الفراء في معانيه ٢/٢٢ قال : وأما قوله « فضَحِكتْ » بمعنى حاضت ، فلم نسمعه من ثقة ، وكذلك قال الزجاج في معانيه ٣/٦٢ : وأمَّا من قال « ضَحِكتْ » بمعنى حاضت فليس بشيء .

(٤) هذا القول ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٤/١٣١ وعزاه إلى ابن الأنباري .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/٧٢ وابن كثير ٤/٢٦٥ ورجحه الطبري في جامع البيان .

(٦) الأثر في تفسير الطبري ١٢/٧٢ وتفسير ابن الجوزي ٤/١٣١ قال : واختاره أبو عبيدة . قال القرطبي ٩/٦٩ : بُشِّرت بولد يكون نبياً ويلد نبياً ، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولَدَ ولِدِها .

وقال بعض أهلِ النَّظَر : في هذا دليل على أن إسماعيل هو الذَّبِيحُ ، لأنها بُشِّرت بأنها تعيش حتى يولد إسحاق ، وحتى يولد لإسحاق يعقوبُ ، وكيف يؤمر بذبحه وقد بُشِّرت بأن يولد له[1] .

٧٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ﴾** [آية ٧٢] .

قال الفراء : يُروى أنه كان لها حين بُشِّرت ثمانٍ وتسعون سنة ، وإبراهيم أكبر منها بِسَنَة[2] .

٧٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾** [آية ٧٤] .

قال قتادة : أي الفزع[3] .

وقوله جل وعز : ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ﴾ [آية ٧٤]

قال قتادة : بَشَّروه بأنهم إنما أتَوْا بالعذاب إلى قوم لوط ، وأنه لا يخاف[4] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٦٥/٤ : أي بشرناها بولد لها يكون له ولد وعَقِبٌ ونسل ، فإن يعقوب ولد إسحاق ، ومن ههنا استدل بعضهم بهذه الآية على أن الذبيح هو إسماعيل ، ويمتنع أن يكون إسحاق لأنه وقعت به البشارة ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يُؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يُولد له يعقوب !! وهذا من أحسن الاستدلال وأصحّه وأبينه .

(٢) ذكره الفراء في معانيه ٢٣/٢ وابن الجوزي ١٣٢/٤ وعزاه إلى ابن عباس ، وذكر الطبري عن مجاهد أنها كانت ابنة تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة .

(٣) و(٤) الأثران عن قتادة أخرجهما الطبري ٧٧/١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٣ .

قال معمر : وقال غير قتادة : بشَّروه بإسحاق (1).

وروى حُميدُ بن هلالٍ عن جُنْدبٍ عن حُذَيفَةَ قال المجادلةُ ها هنا أنه قال لهم : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتُهْلِكُونهم ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم أربعون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم ثلاثون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم عشرون ؟ قالوا : لا ، قال : فإن كان فيهم عشرة أو خمسة ؟ ــ شَكَّ حُمَيدٌ ــ قالوا : لا .. قال قتادة نحواً منه ، قال : فقال ــ يعني إبراهيم ــ قومٌ(2) ليس فيهم عشرٌ من المسلمين لا خير فيهم ، قال عبد الرحمن بن سَمُرَة : كانوا أربعمَائَةِ ألِفٍ(3) .

٧٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ .. ﴾** [آية ٧٧] .

أي : سَاءَه مجيئُهم لَمَا يَعْرِفُ من قومه(4) .

ورُوِي أنهم أتوه واستضافوه ، فقام معهم وكانوا قد أُمروا أن لا

---

(١) أخرجه ابن جرير ٧٨/١٢ والقرطبي ٧٢/٩ .

(٢) سقط من المخطوطة لفظة « قومٌ » وأثبتناها من القرطبي ٧٢/٩ والدر المنثور ٣٤١/٣ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٣ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وأبي الشيخ ، عن قتادة ، ورواه القرطبي في جامع الأحكام ٧٢/٩ وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ١٣٤/٤ .

(٤) أي من سفههم وجهلهم ، قال ابن جرير ٨١/١٢ : ساءه مجيئهم وضاقت نفسه غماً ، لأنه خاف عليهم من قومه أن يرتكبوا معهم الفاحشة .

يهلكوهم حتَّى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ، فقال لهم : إن قومي شرُّ خلق الله ثلاث مرات[1] .

٧٨ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً .. ﴾ [آية ٧٧] .

قال أبو العباس : يقال : ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم تجد في قدرتك القيام به ، وهو مأخوذ من الذراع ، لأن فيها القوة[2] .

٧٩ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [آية ٧٧] .

قال مجاهد : أي شديد . وذلك يُعرفُ في اللغة ، يقال : وذلك يُعرفُ في اللغة ، يقال : عَصِيبٌ ، وعَصَبْصَبٌ : للشديد المنكر[3] .

٨٠ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

قال ابن عباس : أي يُسرِعون[4] .

وقال مجاهد : يُهرولون في المشي[5] .

وقال أهل اللغة : يقال : أُهْرِعَ : إذا جاء مسرعاً ، وكان مع

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر ٢٤٦/٥ قال : لمَّا وصلوا إليه قالوا : إنا نريد أن تُضيفنا الليلة ، فقال لهم : أوَما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا : وما عملهم ؟ فقال : أشهدُ بالله إنهم شرُّ قوم في الأرض ، وقد كان الله تعالى قال للملائكة : لا تعذِّبوهم حتى يشهد عليهم لوطٌ أربع شهادات ، فلما قال ذلك ، قال جبريل : هذه واحدة ، وكرَّر لوط الشهادة أربع مرات .

(٢) في الصحاح ٢١٠/٣ : ضِقتُ بالأمرِ ذرعاً : إذا لم تطقه ولم تَقْوَ عليه .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ١٨٣/١ ولسان العرب مادة عصب .

(٤) و(٥) انظر قول ابن عباس ومجاهد ، في الطبري ٨٣/١٢ والدر المنثور ٣٤٢/٣ .

ذلك يُرْعَدُ[1] .

٨١ ــ وقولـه جل وعـز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ .. ﴾ [آية ٧٨] .

فيه أقوال :

أحسنها قول مجاهد ، قال : يريد : نساءَ أمته[2] ، ويقوِّيـه قولُ الله جلَّ وعز ﴿ وأزواجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[3] .

ويُـروى أنَّ أُبَـيَّ بنَ كعبٍ ، وابـنَ مسعــودٍ قَرَءا ﴿ وأزواجــهُ أُمَّهَاتُهُم وَهو أبٌ لهم ﴾[4] .

وقيل : المعنى هؤلاء بناتي إن أسلمتم[5] .

وقيل : كان في ملَّتهم جائزٌ أن يتزوج الكافر المسلمة .

وقال عكرمة : لم يعرض عليهم بناته ولا بنـاتِ أمتـه ، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا[6] .

---

(١) قال الجوهـري ٣/٣٠٦ : الإهـراع : الإسراع ، وأُهـرِعَ الرجـل : إذا كان يُرعَـدُ من غضب ، أو حمَّى ، أو فزع .

(٢) الأثر في الطبري ١٢/٨٥ وابن كثير ٤/٢٦٨ والقرطبي ٩/٧٦ قال في البحـر ٥/٢٤٦ : ويـدل عليه أنه كان له ابنتان ، ولا يمكن أن يزوِّج ابنتيه من جميع قومه .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٦) .

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٥/٢٤٦ والقرطبـي في جامـع الأحكـام ٩/٧٦ وليست من القراءات السبع بل هي شاذة .

(٥) هذا القول حكاه الزجاج في معانيه ٣/٦٧ ولفظـه : « قيـل : إنهم عُرِضَ عليهم التـزويج ، وكأنـه عرضه عليهم إن أسلموا » وانظر زاد المسير أيضاً ٤/١٣٨ .

(٦) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٩/٧٦ .

٨٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لَوْ أنّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِي إلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [آية ٨٠] .

قال مجاهد : يعني العشيرة[1] .

٨٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٨١] .

قال قتادة : أي : بطائفةٍ من الليل[2] ، يقال : سَرَى وأسْرَى : إذا سَارَ بالليل[3] .

فإن قيل : السُّرى لا يكون إلّا بالليل ، فما معنى بِقِطْعٍ من الليل ؟

فالجواب : أنه لو لم يقل ﴿ بِقِطْعٍ من اللَّيْلِ ﴾ جاز أن يكون أوله .

٨٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلَّا امْرَأتَكَ .. ﴾ [آية ٨١] .

المعنى : فأسْرِ بأهلِكَ إلّا امرأتَك[4] .

ويُروى أنها في بعض القراءات كذا ، وقرأ أبو عمرو ﴿ إلّا امرأتُكَ ﴾[5] بالرفع .

---

(١) و(٢) انظر الآثار في البحر المحيط ٢٤٨/٥ والقرطبي ٧٩/٩ والدر المنثور ٣٤٥/٣ .

(٣) قال الزجاج : يُقال : سَرَيتُ وأسْرَيْتُ : إذا سِرتَ ليلاً ، قال الشاعر :

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ... وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ

(٤) حكاه ابن الجوزي ١٤٢/٤ عن الزجاج ، وهذا على قراءة النصب ، قال : ومن قرأ بالرفع حمله على معنى : ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتُك ، فيكون الاستثناء منقطعاً وانظر معاني الزجاج ٦٩/٣

(٥) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٣٨ وقرأ الباقون بالنصب .

٨٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ [آية ٨٢] .

فيه أقوال :

قال مجاهد : هو بالفارسية أي أوَّلُها حجارةٌ ، وآخرُها طينٌ[١]

وقال قتادة : أي من طين .

وقال أبو جعفر : وهذان القولان حَسَنَان.

وإنما ذهب مجاهد إلى أن أصله بالفارسية ثم أعرب .

قال أبو جعفر : وإنما استحسنَّاه لأنه قال في موضع آخر ﴿ حِجَارةً من طِينٍ ﴾[٢] .

قال أبو عبيدة : السجِّيلُ : الشديد[٣] ، وأنشد :

« ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبطَالُ سِجِّيناً »[٤]

وردَّ عليه هذا القول عبد الله بن مسلم[٥] ، وقال : هذا سجينٌ ، وذاك سجِّيلٌ ، وكيف يُستشهد به ؟

قال أبو جعفر : وهذا الردُّ لا يلزم ، لأن أبا عُبيدة ذهب إلى

---

(١) الأثر في جامع البيان للطبري ٩٣/١٢ وتفسير ابن الجوزي ١٤٤/٤ .

(٢) سورة الذاريات آية رقم (٣٣) .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٦/١ .

(٤) من قصيدة نونية لابن مقبل في جمهرة الأشعار ١٦٢ وهي في ديوانه ٣٣٣ ومجاز القرآن ٢٩٦/١ وصدرُه « وَرَجْلَةٍ يضربون البِيض ضَاحِيةٍ » وهي في لسان العرب مادة سجن .

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أحد أئمة أعلام اللغة والأدب صاحب كتاب « غريب القرآن » المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٢٨٠/٤ ومعجم المؤلفين ١٥٠/٦ .

أن اللّام بدلٌ من النون ، لقرب إحداهما من الأخرى .

وقول أبي عبيدة يُردُّ من جهةٍ أخرى ، وهي أنه لو كان على قوله لكان « حجارةً سِجِّيلاً » لأنه لا يقال حجارة من شديد ، لأنَّ شديداً نعتٌ[1] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي بعضه يعلو بعضاً ، يُقال نَضَدْتُ المَتَاعَ، واللَّبِنَ : إذا جعلتَ بعضَه على بعضٍ ، فهو منضودٌ ، ونَضِيد[2] ، قال الشاعر :

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ
ورفَّعتهُ إلَى السَّجفَيْنِ فَالنَّضَدِ[3]

ويقال : سجيلٌ من قولهم : أسْجَلْتُ إذا أعطيتَ ، ويُقال : هو من السِّجِلِّ كأنه مما كُتِبَ عليهم ، وقُدِّر أن يصيبهم[4] .

قال أبو جعفر : وأبو إسحاق[5] يستحسن هذا القول ، قال : ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٨٢/٩ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٥٤٤/٢ فقد جاء فيه : نَضَدَ متاعَه نَضْداً : وضعَ بعضَه على بعض .

(٣) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ص ١٥ من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر « يا دَارَ مَيَّة بالعلياء فالسَّند » وَالأَتيُّ : سيلٌ شديد جاء نحو بيتها ، يقول : إن الماء لما كثر ، وعجزت عن دفعه ، خلَّت سبيله في البيت ، وسهَّلت مسلكه ، لينفذ ويتجاوز البيت . وانظر جامع الأحكام ٨٣/٩ ، ولسان العرب ٤٢٣/٣ .

(٤) في الصحاح ١٧٢٦/٥ : أسجلتُ الكلام أي أرسلته والسِّجلُ : الصكُّ ، وحجارة من سجيل هي حجارة من طين ، طُبخت بنار جهنم ، مكتوب عليها أسماء القوم .

(٥) يراد به الإمام الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته .

سِجِّين . كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾[1] وسِجِّينٌ ، وسجِّيلٌ واحد[2] .

٨٦ ــ **وقوله جلَّ ذكره ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾** [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي مُعْلَمة[3] .

قال أبو جعفر : ويقال : سَوَّمتُ الشيء إذا عَلَّمتَه ، ويُروى أنه كان عليها أمثال الخواتيم[4] .

وقال الحسن : مُعَلَّمةٌ ، وفيها دليلٌ أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها مما عُذِّب به[5] .

ويُقال : سوَّمت الشيءَ إذا أرسلته إرسالاً ، إلَّا أنه لم يقل هذا في هذا الحرف .

٨٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾** [آية ٨٣] .

قال مجاهد : يرهِّب بهذا قريشاً[6] .

وقال غيره : المعنى من ظالمي هذه الأمة .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعان إلى معنى واحد .

وقيل : وما هي ممن عمِل عَمَل قومِ لوطٍ ببعيد .

٨٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً .. ﴾** [آية ٨٤] .

---

(١) سورة المطففين آية رقم (٧ ــ ٩) .

(٢) انظر البحر المحيط ٥/٢٥٠ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢/٩٥ والقرطبي ٩/٨٣ قال : مأخوذة من السِّيما وهي العلامة .

(٤) انظر الصحاح للجوهري مادة سوم .

(٥) الأثر ذكره ابن الجوزي ٤/١٤٦ عن ابن جريج ، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٦ عنه أيضاً .

(٦) انظر جامع البيان للطبري ١٢/٩٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٤/١٤٦ .

المعنى : وإلى أهل مدين[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ [آية ٨٤] .

قال الحسن : كان سعرهم رخيصاً[2] .

والذي توجهُ اللغة أن يكون عاماً[3] .

٨٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال الحسن : حظُّكم من الله جل وعز[4] .

قال مجاهد : أي طاعة الله[5] .

قال أبو جعفر : والمعنى : ما يبقي له ثوابه .

٩٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ[6] تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا .. ﴾** [آية ٨٧] .

---

(١) أي هو على حذف مضاف لأن « مدين » اسم للبلدة التي كانوا يسكنونها .

(٢) الأثر في الطبري ٩٨/١٢ والقرطبي ٨٥/٩ وابن الجوزي ١٤٧/٤ وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) قال الفراء : أموالكم كثيرة ، وأسعاركم رخيصة ، فأيُّ حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل ؟!

(٤) و (٥) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٠/١٢ وزاد المسير لابن الجوزي ١٤٩/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٨٦/٩ .

(٦) القراءة التي ذكرها المصنف بالجمع ﴿ أَصَلَوَاتُكَ ﴾ من القراءات العشر كما في النشر ٢٩٠/٢ وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخَلَف ، وحفص ، بحذف الواو على الإفراد .

قال سفيان عن الأعمش : أي قراءتُكَ[1] .

ودلَّ بهذا على أنهم كانوا كفاراً .

ثم قال : ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ؟ .

رُوي عن زيد بن أسلم أنه قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم[2] .

وقيل : معنى ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس ، فلم تمنعنا منه ؟

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق : معنى ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ على السخرية[3] .

وقال غيره : معناه إنك لأنتَ الحليم الرشيد عند نفسك .

٩١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾** [آية ٨٨] .

قيل : حلالاً[4] .

وقيل : ما وُفِّقَ له من الطاعة[5] .

---

(١) الأثر في جامع البيان ١٠٢/١٢ وجامع الأحكام ٨٦/٩ وزاد المسير ١٤٩/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٢/١٢ والقرطبي ٨٧/٩ ومعنى حذف الدراهم أي قطعُها من أطرافها .

(٣) هذا قول قتادة ، وإليه ذهب الطبري والفراء ، قال الفراء ٣٦/٢ : استهزاءٌ منهم به .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٠٣/١٢ وهو مروي عن ابن عباس .

(٥) انظر تفسير ابن الجوزي ١٥١/٤ .

٩٢ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾ [آية ٨٨] .

قال قتادة : أي ليس أنهاكم عن شيء وأركبه[1]

ومعنى ﴿ وإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ وإليه أرجع .

٩٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي** .. ﴾ [آية ٨٩] .

قال قتادة : أي لا يَحْمِلَنَّكُم[2] .

قال أبو جعفر : والشقاقُ في اللغة : العداوة ، كأنه يصير في شقٍّ غير شِقِّه[3] .

٩٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ** ﴾ [آية ٨٩] .

يُقال : إن أقربَ الإِهلاكات التي عرفوها إهلاك قوم لوط .

أي : فالعظة لكم فيها بيِّنةٌ ، بقربه منكم[4] .

٩٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً** ﴾ [آية ٩١] .

قال سفيان : بلغنا أنه كان مصاباً ببصره[5] .

---

(١) و (٢) الأثر في الطبري ١٠٣/١٢ وتفسير ابن الجوزي ١٥١/٤ والدر المنثور ٣٤٧/٣ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري ، مادة شَقَّ .

(٤) هذا قول الزجاج كما حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٥١/٤ .

(٥) رُوي هذا عن ابن عباس ، وابن جبير ، وقتادة ، وانظر الدر المنثور ٣٤٨/٣ وهذا القول وإن رُوي عن بعض السلف لكنه ضعيف ، لأن العمى والزمانة يُخلّان بصفات الداعية ، والرسلُ =

قال أبو جعفر : وحكى أهل اللغة أن حِمْيَر تقولُ للأعمى : ضعيفٌ ، أي قد ضَعُفَ بذهابِ بصره ، كما يقال له : ضريرٌ ، أي قد ضُرَّ بذهاب بصره ، كما يُقال : مكفوفٌ ، أي قد كُفَّ عن النَّظر بذهاب بصره .

٩٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ .. ﴾** [آية ٩١] .

أي ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم[١] . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ﴾ أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي من أجل عشيرتي ، ولا تَخَافُون من الله جل وعز ، في ردِّكم أَمْرَهُ[٢] ؟!

ويُقال : إن رهطه كانوا على ملتهم ، فلذلك أظهروا الميل إليهم[٣] .

٩٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾** [آية ٩٢] .

قال مجاهد : أي تركتم ما جئتكم به[٤] .

= دعاةٌ إلى الله ، يبلِّغون الناس رسالات الله ، فلا بدَّ أن يكونوا على غاية الكمال في الخَلْق والخُلُق ، قال أبو روق : إن الله لم يبعث نبياً أعمى ، ولا نبياً به زمانة . اهـ. والأظهر أنه المراد بقوله تعالى ﴿ وإنَّا لنَراك فينا ضَعِيفاً ﴾ أي لا قوّة لك ولا منعة ، ولا عزَّ لك بيننا ، وانظر البحر المحيط ٢٥٦/٥ فقد أجاد فيه وأفاد .

(١) إلى هذا ذهب الجمهور واختاره الزجاج ورجحه الطبري ، وقيل : إن المراد بالرجم ههنا الشتمُ والأذى ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٥٢/٤ .

(٢) هذا استفهام بقصد التوبيخ ، والمعنى : أتتركوني لأجل قومي ، ولا تتركوني إعظاماً لأمر الله وإجلالاً لجنابه ؟ فهل عشيرتي أعزُّ عندكم من الله وأكرم ؟

(٣) حكاه الزجاج في معانيه ٧٤/٣ وانظر زاد المسير ١٥٣/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ١٠٧/١٢ والدر المنثور ٣٤٨/٣ عن مجاهد ، وهذا على أن الضمير يعود على=

قال أهل اللغة : المعنى : واتَّخذتم أمرَ الله وراءكم ظِهْرِيًّا ، يقال : اتَّخذتُه ظِهْرياً ، وجعلتُ حاجَته بِظَهْرٍ ، أي إذا لم تُعْنَ بذلك[1] .

٩٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾** [آية ٩٣] .

يُروى أن جبرائيل ﷺ صاح بهم صيحة فماتوا أجمعون ، وبيَّنَ هذا قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي ميِّتين لا حَرَاك لهم..

٩٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾** [آية ٩٤] .

قال قتادة : أي كأن لم يعيشوا فيها[2] .

قال أبو جعفر : وقد ذكرناه فيما تقدم ، وهو مأخوذٌ من الصوت ، لأنه إنما يُقال مغنًى : للمنزل إذا كان أهله فيه[3] .

١٠٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾** [آية ٩٥] .

= شعيب ، قال في البحر ٢٥٦/٥ : والظاهر أن الضمير في قوله ﴿ واتخذتموه ﴾ عائد على الله تعالى ، أي نسيتم الله وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ، لا يُعبأ ولا يُكترث به . اهـ. وكذلك قال ابن كثير ٢٧٦/٤ .

(١) انظر معاني الفراء ٢٦/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٨/١ قال الزجاج ٧٥/٣ : والعرب تقول لكل من لم يعبأ بأمر : قد جعل فلان هذا الأمر بظهر .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١٠٩/١٢ والقرطبي ٩٢/٩ وابن كثير ٢٧٧/٤ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٤٥٠/٦ .

يُقال : بَعِدَ يَبْعَدُ : إذا هلك ، ومن النأيِ بَعُدَ يبعُدُ[1] .

١٠١ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ٩٦] .

السُّلطان : الحجةُ ، ومن هذا قيل للوالي : سلطانٌ ، لأنه حُجَّةُ اللهِ جلَّ وعز في الأرض[2] .

ويُقال : إنه مأخوذٌ من السَّلِيطِ[3] وهو ما يُضَاءُ به .

١٠٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [آية ٩٩] .

قال مجاهد : زيدوا لعنةً يوم القيامة[4] .

قال أبو جعفر : والرِّفْدُ في اللغةِ : المَعُونة ، والإعطاءُ ، والمعنى الذي يقوم لهم مقام المعونةِ : اللعنُ[5] .

والتقدير : بئسَ الرِّفْدُ رِفْدُ المرْفُود .

---

(١) قال الجوهري ٢/٤٤٨ : البُعْدُ : ضِدُّ القرب ، وقد بَعُدَ بالضمِّ فهو بعيد ، أي تباعَدَ ، والبَعَد : الهَلَاك تقول منه : بَعِدَ بالكسر ، وتنحَّ غيرَ بعيد أي كن قريباً . اهـ. الصحاح .

(٢) قال في البحر ٥/٢٥٨ : السلطانُ المبينُ : هو الحُجج الواضحة الدالة على صدق موسى عليه السلام .

(٣) في المصباح المنير ١/٣٠٥ : السَّليط : الزَّيت ، والسلطان : الحجة ، والبرهان ، والولاية .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٢/١١٠ والسيوطي في الدر ٣/٣٤٨ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) سُمِّي العذاب رفداً على سبيل التهكم ، لأن الرِّفد معناه العون والعطية ، تقول : رَفَدته أرْفِده : إذا أعطيته وأعنته ، والمرفود : المُعْطَى ، والمعنى : بئست العطية والعونُ المعطى لهم اللعنة في الدارين ، وهذه ليست عطاء إنما هي بلاء ، فهو على حد قولهم : « تحية بينهم ضرب وجيع » .

١٠٣ ـ وقوله جل وعز ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [آية ١٠٠] .

قال قتادة : القائمُ : ما كان خاوياً على عروشه ، والحصيدُ : ما لا أثر له[1] .

١٠٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [آية ١٠١] .

قال مجاهد وقتادة : غير تخسير[2] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو عند أهل اللغة[3] ، ومنه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

١٠٥ ـ وقوله جل وعز ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [آية ١٠٥] .

وقد قال في موضع آخر ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١١٢/١٢ أي منها قائم بنيانه عامر ، ومنها بنيانه خرابٌ لا يُرى له أثر ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٣ عن الضحاك قال : الحصيد الذي قد خُرِّب ودُمِّر .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١٣/١٢ وابن كثير ٢٧٨/٤ وفي الدر المنثور ٣٤٩/٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) قال الجوهري : التَّبابُ : الخسران والهلاك ، تقول : تَبَّ تَبَاباً ، وتَبَّتْ يَدَاه أي ألزمه الله هلاكاً وخُسراناً . اهـ. الصحاح ٩٠/١ .

(٤) سورة الصافات آية رقم (٩) .

ففي هذا جوابان :

أحدهما : أنه مِثْلُ قولِهِ ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾[1].

والمعنى : لا ينطقون بحجَّةٍ لهم ، كما يقال لمن تكلَّم كثيراً بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ : لم يأت بشيءٍ ، ولم يتكلَّمْ بشيءٍ[2] .

والجوابُ الآخرُ : أن ذلك اليومَ فيه أهوالٌ وشدائد ، فمرَّةً يُمْنعون من الكلام ، ومرَّةً يُؤْذَنُ لهم ، فعلى هذا ﴿ لَا تكَلَّم نفسٌ إلَّا بإذنه ﴾[3] .

١٠٦ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾** [آية ١٠٥] .

روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ، عن عمرَ ، قال : « لمَّا نزلت ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ قلتُ يا رسول الله فعلامَ نَعْمَلُ ، أعلى شيء قد فُرِغ منه ، أم على شيء لم يُفْرغ منه ؟ قال : بلى ، على شيء قد فُرِغ منه يا عمرُ وجرت به الأقلام ، ولكن كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له »[4] .

---

(١) سورة المرسلات آية رقم (٣٥) .

(٢) إلى هذا ذهب الزجاج في معانيه ٧٨/٣ حيث قال : أي لا ينطقون بحجة تكون لهم ، وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ، ولوم بعضهم بعضاً ، وهذا كما تقول للذي يخاطبك وخطابه فارغ من الحجة : ما تكلمت بشيء ، وما نطقت بشيء ، كما قال سبحانه ﴿ صمٌّ بكمٌ عميٌ ﴾ فهم بمنزلة الصمِّ . قال الشاعر : « أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ » .

(٣) هذا الوجه هو الذي اختاره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه « فتح الرحمن فيما يلتبس من آيات القرآن » صفحة ٢٧٠ فقال : في يوم القيامة مواقف ، ففي بعضها لا يُؤْذن لهم في الكلام فيُكَفُّون عنه ، وفي بعضها يُؤْذن لهم فيه فيتكلمون . اهـ .

(٤) الحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى في مسنده عن عمر بن الخطاب كما في تفسير ابن كثير=

١٠٧ ـ وقوله جل وعز ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ .. ﴾ [آية ١٠٧] .

في هذا أجوبةٌ : منها : أن العَرَبَ خُوطِبَت على ما تعرف وتستعمل ، وهم يقولون : لا أكلمك ما اختلف اللَّيلُ والنَّهارُ ، وما دامتِ السماواتُ والأرضُ ، يريدون بذلك : الأَبَدَ[1] .

ويكون معنى ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ سوى ما شاء ربك ، من زيادةِ أهلِ النَّار في العذاب ، وأهل الجنَّةِ في النعيم ، وقد صحَّ أنهم يُزادون .

رَوى الأعمشُ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنَّه قال : قال الله جل وعز : « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لَا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ على قلب بشر ، بَلْهَ ما أُطْلِعْتُم » ثم قرأ أبو هريرة ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] .

= ٢٨٠/٤ وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٥٣٢/٨ من تحفة الأحوذي وقال : حديث حسن غريب ، ورواه ابن جرير في جامع البيان ١١٧/١٢ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٣ .

(١) هذا القول هو المشهور ، وهو الذي رجحه الطبري ١١٧/١٢ وابن كثير ٢٨٠/٤ قال الطبري : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً أن تقول : هذا دائم دوام السموات والأرض ، ويقولون : هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر لنا سمير .. إلخ . وانظر البحر المحيط ٢٦٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ١٥٩/٤ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق ٢٣٠/٦ باب صفة الجنة ، وفي تفسير سورة السجدة ﴿ فلا تعلم نفسٌ ﴾ وفي التوحيد ، ورواه مسلم في الجنة رقم (٢٨٢٤) والترمذي في التفسير رقم (٣١٩٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٤٩٦/١ : « بَلْهَ ما أطلعكم عليه » بَلْهَ من أسماء الأفعال ، كـ « مَهْ » ، وَصَهْ ، ومعناها : دعْ واتركْ .

وقيل : معنى (إِلَّا) معنى « سوى » أيضاً، إِلَّا أن المعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة في الخلود .

وهذان قولان حسنان ، لأنه معروف في اللغة أن يقال : لك عندي كذا وكذا ، إِلَّا كذا ، وسوى كذا ، وغيرَ كذا .

وحكى سيبويه : « لو كان معي رجل إلا زيدٌ » فهذا بمعنى : سِوَى ، وغيرَ .

وحكى الكوفيون : لك عندي ألفٌ إِلَّا ألفين ، ويُعبَّر عن « إِلَّا » في مثل هذا ، أنها بمعنى « سوى ، وغير ، ولكن » والمعاني متقاربة[1] .

وقيل : هذا استثناء ، لأنهم يقيمون في قبورهم ، فالمعنى على هذا ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من مقامهم في قبورهم .

وقيل : هذا استثناء ، لأن قوماً من الموحِّدين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها[2] .

فالمعنى على هذا : خالدين في النار ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من إخراج من شاء برحمته ، وشفاعة

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٩ فقد مثّل بما حكاه الكوفيون .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٨١ : « اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة ، حكاها علماء التفسير ، واختار ابن جرير أن الاستثناء عائدٌ على العُصَاةِ من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيِّين ، والمؤمنين ، ثم تأتي رحمةُ أرحم الراحمين ، فيخرج من النار من قال يوماً « لا إله إلا الله » كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة ، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً . اهـ. وانظر أيضاً جامع البيان لابن جرير الطبري ١٢/١٢٠ .

النبي ﷺ[1] .

وقال جابر بن عبد الله في قوله عز وجل ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[2] إنه الشفاعة[3] .

ويكون المعنى في أهل الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من دخول قومٍ النار ، وخروجهم إلى الجنة[3] .

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال حدثنا أحمد بن داود بن موسى البصري ، المعروف بالمكي ، قال : نا شيبانُ بن فَرُّوخ[4] قال : نا أبو هلال ، قال : نا قتادةُ في هذه الآية ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ فقال عند هذا : حدَّثنا أنسُ ابنُ مالكٍ أن رسول الله ﷺ قال : « يخرج قوم من النار » قال قتادة : لا نقول كما يقول أهل حروراء[5] .

وقيل : في هذا قول خامس وهو أن المعنى : خالدين فيها

---

(١) قال ابن الجوزي ١٧١/٤ : في الاستثناء المذكور في حقِّ أهل النار سبعة أقوال : أحدها أن الاستثناء في حقِّ الموحِّدين الذين يخرجون بالشفاعة ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .. إلخ . وانظر زاد المسير فقد ذكر فيه أقوال أئمة علماء التفسير ، والأول الذي ذكرناه أرجحها .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٧٩) .

(٣) انظر الطبري ١٢٠/١٢ والبحر المحيط ٢٦٣/٥ وتفسير ابن عطية ٤٠٢/٧ .

(٤) في المخطوطة « شيبان بن فراوخ » وصوابه « ابن فَرُّوخ » كما في التهذيب ٣٧٤/٤ قال : شيبان بن فروخ بن أبي شيبة الحَبْطي ، قال عنه أحمد : ثقة ، وقال أبو زرعة : صدوقٌ ، مات سنة ٢٣٥هـ .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري ١١٨/١٢ وأخرجه ابن مردويه ، وأبو الشيخ عن قتادة ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٣ ومراده بقوله « أهل حروراء » الرافضة الذين يقولون بخلود أهل المعاصي من المؤمنين في نار جهنم ، وانظر تفسير ابن عطية ٤٠٢/٧ .

أبداً[1] ، ثم قال : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فخاطبهم على ما يعرفون من الاستثناء ، وردَّ الأمرَ إلى اللهِ جلَّ جلالـه ، كما قال تعالى ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[2] وقد بَيَّن هذا بقوله ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ قال مجاهد : أي غير مقطوع[3] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يقال : جَذَذْتُ الشَّيءَ : أي قطعته .

وقد قيل في هذه الآية قول سادس : يكونُ الاستثناء لمُقَامهم في عَرْصَةِ[4] القيامة .

وقال قتادة : تُبدَّل هذه السماءُ وهذه الأرضُ[5] .

فالمعنى : خالدين فيها ما دامت تلك السماءُ ، وتلك الأرض المبدَّلتان من هاتين[6] .

---

(١) هذا القول هو الذي رجحه الطبري ، وابن كثير ، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد .

(٢) سورة الفتح آية رقم (٢٧) .

(٣) الأثر في الطبري ١٢/١٢١ وابن كثير ٤/٢٨٢ والبحر المحيط ٥/٢٦٤ قال أبو حيان : أي غير مقطوع ، بل هو ممتدٌّ إلى غير نهاية .

(٤) عَرْصَة أي ساحة وهي البقعة الواسعة ، وفي تهذيب اللغة : سميت ساحة الدار « عَرْصَة » لأن الصِّبيانَ يعترصون فيها أي يلعبون ويمرحون .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٥٠ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وهو قول ابن عباس والسدي أيضاً قال : سماء الجنة ، وأرض الجنة ، وسماء النار ، وأرض النار .

(٦) أحسن ما قيل في الآية ما حكاه ابن عطية في تفسيره المحرر ٧/٤٠١ حيث قال : معنى ﴿ ما دامت السموات والأرض ﴾ عبارة عن التأبيد بما تعهده العرب ، وذلك أن من فصيح كلامها ، إذا أرادت أن تخبر عن تأبيد شيء ، أن تقول : « لا أفعل كذا مدى الدهر ، وما ناح الحَمام ، وما دامت السموات والأرض » ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية ، فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك ، وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض . اهـ .

١٠٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾** [آية ١٠٩] .

رَوى سفيان عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : ما كُتِب لهم من خيرٍ أو شرٍّ(١) .

١٠٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ .. ﴾** [آية ١١٠] .

أي بالتأخير إلى يوم القيامة ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني في الدنيا(٢) .

١١٠ ــ **وقوله جل ذكره ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ .. ﴾** [آية ١١٣] .

قال عكرمة : أي تودُّوهم وتطيعوهم(٣) .

١١١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ .. ﴾** [آية ١١٤] .

قال الحسن : طَرَفَا النَّهارِ : الصُّبحُ والعصرُ ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ المغربُ والعِشاءُ ، قال النبي ﷺ : « هما زُلْفَتا اللَّيْلِ »(٤) .

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن جرير ١٢٢/١٢ وابن الجوزي ١٦٢/٤ والسيوطي في الدر ٣٥١/٣ .

(٢) هذا قول ابن قتيبة قال : لولا نَظِرةٌ لهم إلى يوم الدِّين لَقُضي بينهم في الدنيا . اهـ. تفسير ابن الجوزي ١٦٢/٤ قال ابن عطية ٤٠٧/٧ : والكلمة هاهنا عبارة عن الحكم والقضاء .

(٣) الأثر أخرجه أبو الشيخ عن عكرمة ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٣٥١/٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢٨/١٢ وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن ، وانظر الدر المنثور ٣٥١/٣ .

وروى **سفيان** ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : طرفا النهار : الصبحُ والظهر ، والعصرُ ﴿ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ العِشَاءُ ، والعتمة[1] .

وروى **حجّاج** عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ قال : ساعةً من الليل إلى العتمة[2] .

وقول **مجاهد** الأول أحسن ، لأنه يجتمع به الصلواتُ الخمس[3] .

ولأنَّ ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يعني الصلوات الخمس .

وروى **علقمة** والأسود عن عبد الله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني وجدتُ امرأةً في بستان فقبَّلتُها والتزمتُها ، ونلتُ منها كلَّ شيءٍ إلَّا الجماع ، فافعلْ فيَّ ما شئتَ فأنزل الله جل وعز ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ فقال معاذ بن جبلٍ : يا رسول الله : أخاصٌّ له ، أم عامٌّ للنَّاسِ ؟ فقال : بل عامٌّ[4] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٢/١٢٨ والدر المنثور للسيوطي ٣/٣٥١ .

(٢) الأثر في تفسير ابن الجوزي ٤/١٦٨ والدر المنثور ٣/٣٥١ وهو قول أبي عبيدة في معانيه ١/٣٠٠ قال : أي ساعات ، واحدتها زُلْفة أي ساعة ومنزلة قال العجّاج :

« طيَّ اللَّيالي زُلَفاً فَزُلَفا »

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٢/١٢٨ وابن كثير ٤/٢٨٤ وقد تقدَّم .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٤٤٥ ومسلم في كتاب التوبة ٤/٢١١٦ باب « إنَّ الحسناتِ يُذْهِبنَ السيئات » وفي سنن أبي داود كتاب الحدود ٤/١٦٠ وفي الترمذي « تفسير سورة هود » رقم (٣١١٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .. وفي رواية أحمد قال : قبَّلتها ولزمتُها ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئتَ !! فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً ،

والمعروفُ من قراءة مجاهد : « وزُلْفَى » بضم الزَّاي وبحرفِ التأنيث .

وقرأ ابن محيصن بهذه القراءة إلَّا أنه نوَّنَ في الإدراج . ويُقرأ ﴿ وزُلُفاً من اللَّيلِ ﴾[1] وهو واحد مثل الحُلُمُ ، والقراءة المشهورة ﴿ وزُلَفاً ﴾ وأنشد سيبويه :

طيَّ اللَّيالِي زُلَفاً فزُلَفَا
سَمَاوَةَ الهِلالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا[2]

وهو جمع زُلْفَة ، وهو ساعةٌ تقرب من أُخرى ، ومنه الزُّلْفة ، ومنه سميت مزدلفة[3] ، لأنها منزلةٌ تقربُ من عَرَفة .

١١٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ .. ﴾ [آية ١١٦] .

قيل : أولوا طاعةٍ[4] .

= فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه !! فأتبَعه رسول الله بصَرَه ، ثم قال : ردُّوه عليَّ ، فردُّوه ، فقرأ عليه الآية ﴿ وأقِم الصَّلاة طَرَفَيْ النَّهار .. ﴾ إلى آخر الحديث .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١/٣٣٠ .

(٢) انظر ديوان العجاج ص ٨٤ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٠٠ والمحرر لابن عطية قال في اللسان : أي منزلةً بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة ، وسماوة الهلال : شخصه إذا ارتفع عن الأفق شيئاً ، ومعنى « احْقَوْقَفَا » طال واعوجَّ ، وكلُّ ما طال واعوج فقد احقوقف ، كشخص الهلال ، وظهر البعير . اهـ.

(٢) انظر ديوان العجاج ص ٨٤ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٠٠ واللسان للصحاح .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٠٠ .

(٤) قال القرطبي ٩/١١٣ : أي أصحاب طاعة ودين ، وعقل وبصر . وقال القرطبي ١٢/١٣٨ : أي ذوو بقيَّة من العقل والفهم .

وقيل · أولو تمييزٍ[1] .

وقيل : أولو حظٍّ من اللهِ جل وعز[2] .

١١٣ــ وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ .. ﴾ [آية ١١٦]

قال مجاهد : من تَملُّكهم ، وتجبُّرهم ، وتركهم الحقَّ[3] .

١١٤ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً .. ﴾ [آية ١١٨] .

أي على دين واحد .

١١٥ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ .. ﴾ [آية ١١٩] .

قال أبو جعفر : وهذه الآية من المشكل ، وقد قيل فيها أقوال .

روى عبد الكريم الجزري : عن مجاهد أنه قال : وللرحمة خلقهم[4] .

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه كما حكاه ابن الجوزي عنه ١٧٠/٤ .

(٢) أظهر الأقوال في معنى الآية ما ذكره الحافظ ابن كثير ٢٩٠/٤ قال والمعنى : فهلَّا وُجِد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ، ينهون عمَّا كان يقع بينهم من الشرور ، والمنكرات ، والفساد في الأرض !!

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٢ والسيوطي في الدر ٣٥٦/٣ ولفظه « في ملكهم ، وتجبُّرهم ، وترك الحق » . وقال في البحر ٢٧٢/٥ : أي اتَّبعوا ما نُعِّموا به ، من حبِّ الرياسة ، والثروة ، وطلب العيش الهنيء ، وكان ذوي جرائم .

(٤) الأثر في المحرر الوجيز ٤٢٥/٧ وفي البحر ٢٧٣/٥ ولفظه : قال مجاهد وقتادة ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ : ذلك إشارة إلى الرحمة التي تضمنها قوله تعالى ﴿ إلَّا من رحم ربُّك ﴾ والضمير في ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ عائد على المرحومين . اهـ.

وكذلك قال قتادة .

وروي عن الحسن فيها أقوال :

منها أنه قال : وللاختلاف خلقهم .

ومنها : أنه يقال : وللرحمة خلقهم .

ومنها أنه قال : خلقهم للجنة والنار ، والشقاءِ والسعادة .

وقيل : هذا القول الذي عليه أهل السنة ، وهو أَبْيَنُها وأجمعها [(١)]

والذي رواه عبد الكريم عن مجاهد ليس بناقض له ، لأنه قد بيَّنه حجَّاج في روايته عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قال في قول الله جل وعز ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ قال : أهل الباطل ﴿ إِلَّا مَنْ

---

(١) هذه الآثار عن السلف كلُّها واردة عنهم ، وقد ذكرها المفسرون : الطبري ١٢/١٤١ وابن كثير ٤/٢٩١ وابن الجوزي ٤/١٧٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٢٧٣ وأصحُّ ما قيل في معنى هذه الآية ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ أي لا يزالون مختلفين عن مِلَل شتَّى ، وأديان متعددة ، من يهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، إلا فريقاً هداهم الله ولَطَف بهم ، فاتفقوا على دين الحق ولم يختلفوا ، وهم المؤمنون « ولذلك خلقهم » وهذه اللام تسمى لام الصيرورة أي خلقهم ليصير أمرهم إلى الاختلاف ، فينقسموا إلى سعداء وأشقياءَ ، وتكون عاقبتهم الهداية أو الضلالة ، قال الطبري ١٢/١٤٤ : أي وللاختلاف بالسعادة والشقاء خَلَقهم ، فريقٌ في الجنة ، وفريق في السعير . وقال ابن عطية ٧/٤٢٥ : فإن قيل : كيف خلقهم للاختلاف ؟ وهل الاختلاف هو المقصود بخلقهم ؟ فالجواب أن نقول : إن الله عز وجل خلق خلقاً للسعادة ، وخلقاً للشقاوة ، ثم يسَّر كلاً لما خُلق له ، وهو نص الحديث الصحيح « اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له » وجعل بعد ذلك الاختلاف على الحق في الدين أمارة الشقاوة ، وبه يتعلق العقاب ، فتكون اللام للصيرورة أي خلقهم ليصير أمرهم إلى ذلك » .

أقول : وكلام ابن عطية كلام نفيسٌ ، وفيه توضيح وتبيين لمعنى الآية الكريمة .

رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ قال : أهلُ الحقِّ ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قال : للرحمة خَلَقَ أهل الجنة .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ بَيِّنٌ مفسَّرٌ .

ومن قال أيضاً : خلقهم للاختلاف ، فليس بناقضٍ لهذا ، لأنه يذهب إلى أن المعنى : وخلق أهل الباطل للاختلاف .

وأبينُها قولُ الحسن الذي ذكرناه ، ويكون المعنى : ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم ، إلا من رحم اللهُ ، وأهلُ الإسلام لا يختلفون في دينهم ، ولذلك خَلَق أهلَ السعادة للسَّعادةِ ، وأهلَ الشقاء للشقاء ، وبيَّن هذا قوله جلَّ وعز ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ ﴾[1] [آية ١١٩] .

وقيل : التقديرُ : ينهون عن الفساد في الأرض ، ولذلك خَلَقهم[2] .

١١٦ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ .. ﴾** [آية ١٢٠] .

أي نزيدك به تثبيتاً ، كما قال جل ذكره ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3] .

---

(١) ما رجحه المصنف هو قول ابن عباس ، وهو اختيار الطبري ، واختاره الزجاج ، قال : لأن اختلافهم مؤدِّيهم إلى سعادة وشقاوة ، وانظر زاد المسير ١٧٢/٤ .

(٢) ذكره في البحر ٢٧٢/٥ ولم يعزه لقائل ، وهو بعيدٌ ، لأنه قد فصل بين الآيات مقاطع عديدة ، وفيه تكلُّف في الربط بين الآيات ، والله أعلم .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٦٠) .

١١٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ١٢٠] .

قال أبو موسى : وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ﴿ في هذه الحقُّ ﴾ : في هذه السورة[١] .

وقال شعبة : سمعتُ قتادة يقول : في هذه الدنيا[٢] .

وهذا القولِ حسنٌ ، إلا أنه يُعَارَضُ بأن ذلك يُقال : ــ قد جاءه الحقُّ في هذه السورة وغيرها ــ وإن كان هذا لا يلزم ، لأنه لم يَنْفِ شيئاً ، ألا ترى أنه يقال : فلانٌ في الحق ، إذا جاءه الموت ، ولا يُراد به أنه كان في باطلٍ ، فتكونُ هذه السورة خُصَّت بهذا توكيداً ، لما فيها من القصص والمواعظ[٣] .

---

(١) الآثار عن ابن عباس والحسن ومجاهد في الطبري ١٤٥/١٢ وابن الجوزي ١٧٣/٤ والبحر المحيط ٢٧٤/٥ والمعنى جاءك في هذه السورة الحقُّ .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ١٤٧/١٢ وابن الجوزي ١٧٣/٤ قال ابن جرير : « وأولى التأويلين بالصواب ، قولُ من قال : وجاءك في هذه السورة الحقُّ ، لإجماع الحجة على هذا التأويل » أقول : وقد يمكن أن تكون الإشارة إلى القصص والأنباء أي وجاءك يا محمد في هذه الأنباء التي قصَّها الله عليك ، النبأُ اليقيني الصادق ، وما فيه عظة وعبرة للمعتبرين ، وهذا الذي اختاره صاحب البحر ، وقال : هو رأي الجمهور ، وانظر البحر ٢٧٤/٥ .

(٣) هذا دفع لقول قد يَرِدُ اعتراضاً على التفسير ، بيَّنه المصنف وابن جرير ، وخلاصته أن يقال : ألم يجيء النبيَّ الحقُّ إلا في هذه السورة ، حتى يُقال : وجاءك في هذه السورة الحق ؟ قال الطبري : قيل له : بلى قد جاءه الحقُّ فيها كلِّها ، ومعنى الكلام : قد جاءك في هذه السورة الحقُّ مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر سور القرآن ، وليس معناه: وجاءك في هذه السورة الحقُّ دون سائر سور القرآن » . اهـ. جامع البيان للطبري ١٤٧/١٢ .

١١٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ [آية ١٢١] .

أي عاملون ما أنتم عليه(١) .

وهذا تهديدٌ ووعيدٌ(٢) ، ألا ترى أنَّ بعده ﴿ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ؟!

تمت سورة هود

• • •

---

(١) العبارة قلقة ، وأوضح منها ما قاله ابن الجوزي ١٧٤/٤ أي اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم . اهـ .

(٢) قال في البحر ٢٧٤/٥ : ﴿ اعْمَلُوا ﴾ صيغة أمر ، ومعناه : التهديد والوعيد ، والخطاب لأهل مكة وغيرهم ، وقوله ﴿ على مكانتكم ﴾ أي جهتكم وحالكم التي أنتم عليها . اهـ. ومعنى الآية : اعملوا على طريقتكم ومنهجكم ، إنا عاملون على طريقتنا ومنهجنا ، سيق الكلام مساق التهديد والوعيد كقوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم إنَّه بما تعملون بصير ﴾ وقوله تعالى ﴿ وانتظروا إنا منتظرون ﴾ تهديد آخر أي انتظروا ما يحلّ بنا ، إنا منتظرون ما يحلُّ بكم من عذاب الله وسخطه ، والله أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

تفسير سورة يوسف

مكية وآياتها ١١١ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يوسف وهي مكية[1]

١ ـ **من ذلك قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿ الر ﴾** [آية ١] .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله أرى[2] .

وقد تقدم شرح هذه الحروف[3] .

٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾** [آية ١] .

أي هذه تلك الآياتُ[4] ، والتي كنتم توعدون بها في التوراة .

٣ ـ **وقولـه جل وعز ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾** [آية ٢] .

يجوز أن يكون المعنى : إنا أنزلنا القرآن عربياً .

---

(١) سورة يوسف مكية بالإجماع ، وآياتها إحدى عشرة ومائة آية ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٩/١١ وابن كثير ١٨٢/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٩/٣ .

(٣) انظر أول سورة البقرة ٧٣/١ من هذا التفسير .

(٤) أشار المصنف إلى أن الإشارة بالبعيد عن القريب لمعنى بلاغـيٍّ ، وهـو الإشارة إلى بعـد مرتبتـه في الكمـال وعلـوُّ الشأن ، وكـذلك قال ابـن كثير : إن المعنـى : « هذه آيـات الكتـاب الـواضح الجلي » فأتى « بتلك » عوضاً عن « هذا » للناحية البلاغية .

ويجوز أن يكون المعنى : إنا أنزلنا خبر يوسف ، وهذا أشبه بالمعنى[1] ، لأنه يُروى أنَّ اليهود قالوا : سَلُوه لِمَ انتقلَ آلُ يعقوبَ من الشام إلى مصر ؟ وعن خبر يوسف ؟ فأنزل الله جل وعز هذا بمكة موافقاً لما في التوراة[2] .

وفيه زيادةٌ ليست عندهم ، فكأنَّ هذا النبيَّ ﷺ إذْ أخبرهم ـ ولم يقرأ كتاباً قط ، ولا هو في موضع كتاب ـ بمنزلةِ إحياء عيسى عليه السلام الميِّت[3] .

٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ .. ﴾[آية ٣] .

أي نبيِّن لك ، والقاصُّ : الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها[4] .

٥ ـ ثم قال جل وعز ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [آية ٣] .

أي بوحينا .

ثم قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

أي : لمن الغافلين عن قصة يوسف ، لأنه لم يَقْرأ كتاباً قبلَ

---

(١) هذا قول الزجاج وابن الأنباري كما في البحر المحيط ٢٧٧/٥ وضعفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٣١/٧ . وانظر معاني القرآن للزجاج ٨٧/٣ .

(٢) سبب النزول أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ امتحاناً عن قصة يوسف ، وما حصل مع إخوته من أولاد يعقوب فنزلت السورة الكريمة ، وانظر البحر المحيط ٢٧٧/٥ والدر المنثور للسيوطي ٢/٤ وفيه قصة الحبر اليهودي مفصَّلة ، قال : وأخرجها البيهقي في الدلائل عن ابن عباس .

(٣) يعني أن معجزته ﷺ في الإخبار عن الغيب ، كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الميت .

(٤) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ١٧٩/٤ .

ذلك ، وإنما عَلِمها بالوحي[1] .

٦ ــ **وقوله جل ذكره ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾** [آية ٤] .

قال قتادة والضحاك وهذا لفظ قتادة : الأحد عشر كوكباً : إخوته ، و « الشمس والقمر » : أبوه وأمه[2] .

قال معمر وقال غير قتادة : أبوه وخالته[3] .

وقال غيره : أوَّلَ « لأحدَ عَشَرَ كوكباً » أحد عشر رجلاً ، يُستضاء بهم كما يُستضاء بالكواكب ، وأوَّلَ القمر أباه ، وأوَّلَ الشمس أمه أو خالته .

وقال عبد الله بنُ شَدَّاد بن الهاد[4] : كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة ، وذلك منتهى الرؤيا[5] .

---

(١) قال العلماء : وإنما سُميت قصة يوسف أحسن القصص ، لأنها جمعت ذكر قصص الأنبياء والصالحين ، والملائكة والشياطين ، وسيرِ الملوك والمماليك ، وأخبار التجار والعلماء ، والرجال والنساء ، وحيل ومكر النسوة ، وتعبير الرؤيا والسياسة ، والحلم والعز والحُكم ، إلى غير ذلك من العجائب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٢/١٢ والدر المنثور ٤/٤ .

(٣) انظر الطبري ١٥٢/١٢ قال ابن جرير : ورُوي هذا عن ابن عباس من وجه غير محمود ، فكرهتُ ذكره .

(٤) انظر ترجمته في الجرح والتعديل للرازي ٨٠/٥ فقد ذكر عن أبي زُرعة أنه مدنيٌّ ثقة .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٨٠/٥ والدر المنثور ٤/٤ .

٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ يَا بُنَـيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَـاكَ عَلَـى إِخْـوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً .. ﴾** [آية ٥] .

أي فيحتالوا عليك .

٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾** [آية ٦] .

أي يختارك ، وأصله من جَبَيْتُ الشَّيْءَ : أي حَصَّلْتُه ، ومنه جَبَيْتُ الماء في الحوض[1] .

٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾** [آية ٦] .

قال مجاهد :أي تأويل الرؤيا[2] .

وقال غيره : أي أخبار الأمم[3] .

١٠ ــ **ثم قال جل ذكره ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾** [آية ٦] .

فأخبره أنه يكون نبيًّا[4] ، لأنه قال : ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ .

---

(١) في الصحاح ٢٩٧/٦ : الجِبى بالكسر : الماءُ المجموع في الحوض للإبل ، والجابيةُ : الحوضُ الذي يُجبى فيه الماء للإبل ، واجتباه : أي اصطفاه . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٣/١٢ وابن كثير ٢٩٩/٤ .

(٣) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في تفسيره ١٤١/٤ .

(٤) انظر ابن الجوزي ١٨١/٤ وابن كثير ٢٩٩/٤ ففيه : رُوي عن ابن عباس ﴿ ويُتِمُّ نعمتَه عليكَ ﴾ بالنبوة .

١١ ــ وقوله جل وعز ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [آية ٧] .

قيل : بَصِيرةٌ .

وقيل : أي عِبْرةٌ(١) .

وروي أنها في بعض المصاحف « عبرةٌ للسائلين »(٢) .

١٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [آية ٨] .

أي جماعة .

وقال بعض أهل اللغة : العُصْبَة : العَشَرَةُ إلى الأرْبَعِينَ(٣) .

١٣ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ٨] .

أي ضلَّ في محبة يوسف لا في دينه(٤) .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً .. ﴾ [آية ٩] .

فيه حذف ، والمعنى : أو اطرحوه أرضاً يبعُدُ فيها عن أبيكم ،

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي في جامع الأحكام ١٣٠/٩ .

(٢) في البحر ٢٨٢/٥ أن هذه القراءة في مصحف « أُبيِّ بن كعب » وليس من القراءات السبع .

(٣) هذا مروي عن ابن عباس وقتادة كما في زاد المسير ١٨٣/٤ وكذلك قال في الصحاح ١٨٢/١ : العصبة من الرجال : ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٤) قال القرطبي ١٣١/٩ : لم يريدوا ضلال الدين ، إذْ لو أرادوه لكانوا كفاراً ، بل أرادوا أنه في خطأٍ بيِّنٍ ، في إيثار اثنين على عشرة ، وكذلك قال الزجاج في معانيه ٩٣/٣ .

ودلَّ على هذا الحذف ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ أي يفرُغُ لكم . ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي تكونوا من بعد إهلاكه ﴿ قَوْماً صَالِحِينَ ﴾ أي تائبين .

١٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ..﴾** [آية ١٠] .

الغَيَابَةُ عند أهل اللغة : كلُّ ما غُيِّبَ عنك[١] ، والجبُّ : البئرُ التي ليس بمطويَّة .

ويُروى أن الجبَّ هاهنا بئرُ بيتِ المقدس[٢] ، وهي من جَبَبْتُ أي قطعتُ ، كأنها قُطِعت ولم يحدث فيها شيءٌ بعد القطع .

قال الضحاك : الذي قال لهم ﴿ لا تقتلوا يوسف ﴾ هو الذي قال ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ وهو أكبرهم[٣] .

وقال غيره : هو « يَهُوذَا »[٤] وكان أشدَّهم .

---

(١) في الصحاح ١/١٩٦ : الغيبُ : كل ما غاب عنك ، وغَيَابةُ الجُبِّ : قَعْرُه ، تقول : وقعنا في غَيْبَةٍ وَغَيَابَةٍ الوادي أي في هَبْطَةٍ من الأرض . اهـ . وقال الزجاج : الغَيَابَةُ كلُّ ما غاب عنك أو غيَّب شيئاً عنك .

(٢) هذا قول مروي عن قتادة كما في جامع البيان ١٢/١٥٦ .

(٣) حكاه ابن كثير عن قتادة ٤/٣٠٠ قال : كان أكبرهم واسمه « روبيل » وانظر أيضاً الطبري ١٢/١٥٦ .

(٤) هذا قول السدي كما في تفسير ابن كثير ٤/٣٠٠ وقال مجاهد : هو شمعون .

١٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ ﴾[1] [آية ١٢] .

روى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ، وورقاءُ عن ابن أبي نجيحٍ عن مجاهد قال : أي : نتحافظ ونَتَكَالأُ[2] .

وزاد ابنُ أبي نجيح في روايته : ونتحارس .

قال هارون : سألت أبا عمرو بن العلاء رحمه الله : كيف قالوا : « وَنَلْعَبُ » وهم أنبياء ، فقال : لم يكونوا يومئذٍ أنبياء[3] .

ومن قرأ « يرتعْ ويلعبْ » بالياء ، فمعناه عندي : يرعى الإبل ، يُقال : رعى وارتعى بمعنى واحد[4] ، وهذه قراءة أهل المدينة .

ورُوي عن مجاهد ﴿ نَرْتِع ﴾ بالنون وكسر التاء ، يُقال : أرتع صاحبَهُ وإبلَهُ فرتعت : أي أقامت في المرتع ، والله أعلم بما أراد .

وقرأ أهل الكوفة ﴿ يَرْتَعْ ويَلْعَبْ ﴾ بإسكان العين ، ومعناه : يتَّسعُ في الخِصب ويأكلُ ، ويُقال : رتعتِ الإبلُ : إذا رعتْ كيف شاءت ، وكذا غيرها ، وأرعيتُها : تركتها ترعى[5] . ويقال : فلانٌ راتعٌ أي مُخْصِب ومنه :

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو ، وابن عامر بالنون فيهما ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي « يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ » بالياء فيهما وقرأ ابن كثير « نرتع ونلعبْ » بكسر العين ، وجميعُها من القراءات السبع المتواترة ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٥ .

(٢) انظر الأثر عن مجاهد في جامع البيان للطبري ١٥٩/١٢ والسيوطي في الدر ١٠/٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٠٠/٤ فقد ذكر أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف ، وهذا هو الأظهر والله أعلم .

(٤) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٣/١ .

(٥) انظر البحر المحيط ٢٨٥/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١٨٧/٤ .

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حَتَّى إذَ ادَّكَرتْ
فَإنَّمَا هِيَ إقْبَالٌ وإدْبَارُ[1]

وكذا معنى (نَرْتَعْ) بفتح النون وإسكان العين ، وهي قراءة أبي عَمْرٍو وأهل مكة .

وَرَوى سعيد عن قتادة قال : ﴿ نَرْتَعْ ﴾ نَنْشَط ونلهو[2]، وهو كمعنى الأول .

وأما حجَّةُ أبي عمرو أنهم لم يكونوا يومئذٍ أنبياء ، فلا يُحتاج إلى ذلك ، لأنه ليس باللعب الصَّادِّ عن ذكر الله جل وعز[3] .

وقال النبي ﷺ : « ألَا بكراً تلاعبُها وتلاعبُكَ »[4] ؟!

١٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وأَوْحَيْنَا إلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾آية ١٥] .

يجوز أن يكون المعنى : وأوحينا إليه في الجبِّ وهم لا يشعرون

---

(١) البيت للخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخراً ، وقد تقدَّم فيما سبق هذا الشاهد .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٩/١٢ وأخرجه السيوطي في الدر ٩/٤ عن ابن عباس .

(٣) قال في البحر ٢٨٥/٥ : اللعبُ هنا هو الاستباقُ والانتضالُ ، للتدرب على قتال العدو ، سمَّوه لعباً لأنه بصورة اللعب ، ولم يكن ذلك للّهو ، بدليل قولهم ﴿ إنا ذهبنا نستبق ﴾ ولو كان لعب لهوٍ ما أقرَّهم عليه يعقوب عليه السلام .

(٤) هذا طرف من حديث رواه مسلم ١٠٨٧/٢ ولفظه : عن جابر بن عبد الله قال : « تزوَّجت امرأةً ثيِّباً ، فقال لي رسول الله ﷺ : يا جابرُ ، تزوَّجتَ ؟ قلتُ : نعم ، قال : فبكرٌ أم ثيِّبٌ ؟ قلتُ : بل ثيِّب يا رسول الله ، قال : فهلَّا جاريةً تلاعبها وتلاعبُك ، وتضاحكها وتضاحكك ؟! .. » الحديث .

بذلك الوحي ، هذا قولُ قتادة[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : لتخبرنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون[2] .

١٨ ـ وقوله جل ذكره ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ [آية ١٧] .

أي ننتضِل[3] .

والمعنى : نَسْتَبِقُ في الرَّمي .

١٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [آية ١٧] .

أي قد اتهمتنا ووقع بقلبك أنَّا لا نَصْدُقُ ، فأنتَ لا تُصدِّقُنا .

٢٠ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ .. ﴾ [آية ١٨] .

رَوى إسرائيل عن سِمَاك بن حرب ، عن عِكْرمة عن ابنِ عبَّاس قال : كان دم سَخْلَةٍ[4] .

وروى سفيان عن سِمَاك عن عكرمة عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر في الطبري ١٦١/١٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٤٢/٩ قال : وهو قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .

(٢) هذا القول مرويٌّ عن مجاهد ، واختاره ابن جرير ١٦١/١٢ وذكره في الدر ٩/٤ .

(٣) حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس ١٩١/٤ قال : ومعناه : يسابق بعضنا بعضاً في الرمي ، وقيل : تستبق على الأقدام ، قاله السدِّي ، ورجح ابن جرير ١٦٢/١٢ القول الأول .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/١٢ وابن كثير ٣٠٣/٤ والسَّخلة : الصغيرة من أولاد الغنم ساعة تضعها أمهاتها ، من الضأن والمعز ، وانظر تهذيب اللغة مادة سخل .

« لَمَّا نظر إليه قال : كَذَبتُم ، لو أُكَلَه الذئبُ لخرَّقَ القميص »[1]

وقال الحسن : لما نظر إلى الدم ولم يرَ في القميص شَقًّا ، ولا خَرْقاً ، قال : ما عهد بالذئب حليماً[2] .

والمعنى : بدمٍ ذي كذب ، أي مكذوب فيه[3] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً .. ﴾ [آية ١٨] .

أي زَيَّنَت .

٢٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [آية ١٨] .

ويُروى أن النبي ﷺ سئل عن الصبر الجميل فقال : « هو الذي لا شكوى معه »[4] .

والمعنى عند أهل النظر : الذي لا شكوى معه بغير رضًى بقضاء الله ، فإذا كانت الشكوى إلى الله جلَّ وعز كما قال ﴿ إنِّي مَسَّنِي الضرُّ ﴾[5] و ﴿ إنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى اللهِ ﴾[6] أو

(١) الأثر في الطبري ١٦٤/١٢ والقرطبي ١٤٩/٩ .

(٢) حكاه الطبري عن الحسن البصري ١٦٤/١٢ ولفظه : جعل يُقلِّب القميص ويقول : ما عهدت الذئب حليماً ، أكل ابني ولم يُخرِّق قميصه !!

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٩٢/٤ وهو على هذا القول للمبالغة ، جُعِل المصدر مكان المفعول

(٤) هذا حديث مرسل ، رواه « حِبَان بن أبي جَبَلة » عن رسول الله ﷺ ، و « حِبان » بكسر الحاء كما هو في كتاب الجرح والتعديل للرازي ٢٦٩/٣ تابعي ، ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٢٢هـ فروايته مرسلة ، وانظر التهذيب ١٧١/٢ .

(٥) سورة الأنبياء آية رقم (٨٣) وهذه من دعوات أيوب عليه السلام ﴿ وأيُّوب إذ نادى ربَّه إني مَسَّنِي الضرُّ وأنت أرحم الراحمين ﴾ .

(٦) سورة يوسف آية رقم (٨٦) وهذه من دعوات يعقوب عليه السلام .

كانت برضًى فصاحبها صابرٌ ، كما قال النبيُّ ﷺ في عِلَّتِهِ « بل أنا وَارَأْسَاهُ »[1] .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [آية ١٩] .

أي قوم يسيرون .

﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ وهو الذي يَرِدُ لاستقاءِ الماءِ .

﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ .

قال الأصمعي : يقال : أدليتُ الدَّلْوَ إذا أرسلتَها ، ودلوتُها إذا استقيتَ[2] .

٢٤ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالَ يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ .. ﴾ [آية ١٩] .

قال السُّدي والأعمش : كان اسمه بُشْرى[3] .

وقال غيرهما: المعنى : يا أيتها البشرى .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الصحيح ، لأن أكثر القراء يقرأ ﴿ يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ ﴾[4] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب ١٥٥/٧ أن عائشة قالت : وارأساه ، فقال النبي ﷺ : بل أنا وارَأْسَاهُ .. » وذكر تتمته .

(٢) قال الزجاج : يُقال : أدليتُ الدَّلْوَ : إذا أرسلتها تملأها ، ودلوتُها : إذا أخرجتها ، وانظر زاد المسير ١٩٤/٤ .

(٣) ذكره الطبري عن السدي ١٦٧/١٢ وهو قول ضعيف ، والصحيح أنه ينادي البُشرى كما هو المشهورة ، وهذه هي أساليب العرب في التخاطب كما يقول القائل : يا صبرُ ، ويا موتُ .

(٤) هذه قراءة ابن كثير ونافع ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ يَا بُشْرَى ﴾ بالقصر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٧ والنشر ٢٩٣/٢ .

والمعنى في نداءِ البشرى التنبيه لمن حَضَر ، وهو أوكد من قولك : تَبَشَّرْتُ ، كما تقول : يَا عَجَبَاهُ ، أي يا عجبُ هذا من أيامك ، أو من آياتِكَ فاحضُر[1] ، وهذا مذهب سيبويه .

٢٥ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً** .. ﴾ [آية ١٩] .

رَوى حجَّاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : ﴿ أَسَرُّوهُ ﴾ : المُدْلِي ، ومن معه من التجار الباقين ، لِئلا يستشركوهم فيه إذا عرفوا ثمنه ، وقالوا : إنما استبضعناه[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : أَسرُّوا بيعه[3] ، والمعنى على هذا للأخوة ، كما رُوي أنَّه لمَّا وُجِدَ ، أظهرَ إخوتُهُ أنه بضاعة لأصحاب الماء .

٢٦ ــ **وقوله جل ثناؤه** ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ** ﴾ [آية ٢٠] .

أي ذي بَخْسٍ ، والبَخْسُ : النقصان .

وقال الشعبيُّ : البخسُ : القليل ، والمعدودة : عشرون

---

(١) قال في البحر ٥/٢٩٠ : قاله على سبيل السرور والفرح بيوسف ، إذ رأى أحسن ما خلق الله ، وأضاف البشرى إلى نفسه فكأنه قال : تعالَيْ فهذا من أوانك . اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٢/١٦٩ والقرطبي ٩/١٥٤ والدر المنثور ٤/١١ .

(٣) انظر البحر المحيط ٥/٢٩٠ وتفسير ابن كثير ٤/٣٠٤ .

درهماً[1] .

وقال قتادة : ﴿ بخسٍ ﴾ أي ظلم[2] .

وقال الضحاك : ﴿ بخسٍ ﴾ أي حرام[3] .

وروي عن ابن عباس وابن مسعود ونَوْفٍ أنهم قالوا : اشتروه بعشرين درهماً[4] .

وقال مجاهد : وشروه : أي باعوه حين أخرجه المُدلي ، وكانوا باعوه باثنين وعشرين درهماً ، وهم أحد عشر[5] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قال الفراء : إنما قال : معدودة ، ليدل على قِلَّتها ، لأنهم كانوا لا يزنون إلَّا أوقيَّةً ، والأُوْقِيَّة : أربعون درهماً[6] .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾** [آية ٢٠] .

قال أبو عبيدة : قال بعض المفسرين : إنما زهدوا فيه لقلة علمهم بمنزلته من الله جل وعز[7] .

٢٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) انظر جميع هذه الآثار في الطبري ١٢/١٧١ وابن الجوزي ٤/١٩٦ والبحر المحيط ٥/٢٩١ .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠ .

(٧) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٩/١٥٧ وابن الجوزي ٤/١٩٧ وعزاه إلى الضحاك وابن جريج .

أي مقامه ، والمعنى : أكرميه وقت مثواه ، ومنه : ثَويتُ في المكان : إذا أقمتَ فيه[1] كما قال الشاعر :

« رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّوَاءُ »[2]

٣٠ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾ [آية ٢١] .

أي نتبنَّاه .

وروى سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : « أفرسُ الناس ثلاثة : العزيزُ حين قال لامرأته ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ ، وابنةُ شعيب حين قالت لأبيها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[3] وأبو بكر حين ولَّى عمر[4] .

٣١ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ** .. ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : الأشدُّ : ثلاثٌ وثلاثون سنة[5] .

وقيل : ثلاثون .

---

(١) في الصحاح ٢٩٦/٦ : ثَوَى بالمكان : أقامَ به ، يثوي ، ثَوَاءً مثلُ مَضَى ، يمضي ، مَضَاءً ، وأثويتُ بالمكان لغةٌ في ثويت .

(٢) هذا عجز من بيت من الخفيف للحارث بن حِلِزَّة ، وهو في شرح السبع الطوال لابن الأنباري ص ٤٣٢ مطلع قصيدة :

آذنتْنَا ببينها أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

(٣) سورة القصص آية رقم (٢٦) .

(٤) الأثر عن ابن مسعود في الطبري ١٧٥/١٢ وابن كثير ٣٠٦/٤ والدر المنثور ١١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة ، والطبراني ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود .

(٥) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور ١٢/٤ ورواه الطبراني عنه في الأوسط .

والأكثر أنه من تسعَ عَشرةَ سنةً إلى أربعين[1] .

وقال **ربيعة** وزيد بن أسلم ومالك : الأشدُّ : الحُلُمُ[2] .

وسيبويه يذهب إلى أنه جمع شِدَّة ، مِثْل : نِعْمَة ، وأَنْعُم[3] .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً .. ﴾ [آية ٢٢] .

والفرق بين « الحكيم » و « العالم » أن الحكيم هو الذي يعمل بعلمِهِ ، ويمتنع من الأشياء القبيحة ، ومنه قيل : حَكَمَةُ الدابة[4] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

معنى رَاوَدَ فلانٌ فلانةً طَالَبَهَا على الفاحشة ، وتُرِكَ ذكرُ الفاحشةِ لعلمِ السَّامِعِ[5] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٩٩/٣ ولنظر تفسير ابن الجوزي ٢٠٠/٤ .

(٢) انظر تفسير ابن الجوزي ٢٠٠/٤ وابن كثير ٣٠٦/٤ والدر المنثور ١٢/٤ .

(٣) حكاه القرطبي عن سيبويه ١٦١/٩ وقال الكسائي : واحده شَدٌّ ، وأما أبو عُبيدة فقد ذهب في كتابه مجاز القرآن ٣٠٥/١ إلى أنه ليس له واحدٌ في لفظه ، ومعناه : بلغ منتهى شبابه وقوته . وقال الطبري ١٧٦/١٢ : هو جمعٌ مثل الأَضُرّ ، لم يُسمع له بواحدٍ من لفظه ، ويجب في القياس أن يكون واحدُه شَدٌّ . اهـ.

(٤) انظر الصحاح للجوهري مادة حكم .

(٥) قال أهل اللغة : المراودة : الطلب برفق ولين ، مأخوذةٌ من راد يَرودُ إذا جاء وذهب ، ومنه الرائدُ لطلب الكَلأ ، يُقال في الرجل : راودها عن نفسها ، وفي المرأة : راودته عن نفسه ، قال في البحر ٢٩٣/٥ : كنُّي به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله .

قال سعيد بن جبير : أي تعالَهْ .

ورُوي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لا تَنَطَّعوا في القرآن ، فإنما هو مثل قول أحدكم : هُلُمَّ ، وتعالَ ، ثم قرأ عبد الله ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ بفتح الهاء والتاء[1] .

ورُوي عن مجاهد وعكرمة أنهما قرءا ﴿ وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ ﴾ بالهمز[2] .

قال قتادة : قرأ ابن عباس ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ .

قال عكرمة : أي تهيَّأْتُ لك[3] .

وأنكر الكسائي هذه القراءة وقال : لا أعرف (هِئْتُ لَكَ) بمعنى تهيَّأتُ ، وهي عند البصريين جيدة ، لأنه يقال : هاءَ الرجلُ يَهَاءُ ، ويهيءُ هَيْأَةً ، فَهَاءَ يَهِيءُ ، مثل جَاءَ يَجِيءُ ، وهِئْتُ مثل جِئْتُ[4] .

٣٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي .. ﴾** [آية ٢٣] .

يجوز أن يكون المعنى : إنَّ الله ربي فلا أعصيه .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨١/١٢ وابن كثير ٣٠٨/٤ بألفاظ متقاربة .

(٢) و(٣) عدَّهما ابن جني في المحتسب ٣٣٧/١ من القراءات الشاذة ، وذكر ابن مجاهد في السبعة (٣٤٧) أنها رواية هشام عن ابن عامر ، بمعنى : تهيأتُ لك ، والله أعلم .

(٤) انظر البحر المحيط ٢٩٤/٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٠١/٤ قال الزجاج في معانيه ١٠٠/٣ هو على هذه القراءة من الهيئة كأنها قالت : تهيَّأتُ لك ، وانظر أيضاً مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٠٥/١ .

ويجوز أن يكون المعنى : إنَّ المَلِكَ ربِّي ، أي مولايَ[1] .

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

قال أبو جعفر : الذي عليه أهل الحديث والمتقدمون أنه همَّ بها حتَّى مُثِّل له يعقوب ﷺ[2] .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال نا داود بن عمرو الضَبِّي عن نافع[3] ــ وهو ابن عمر الجُمَحِي ــ عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : سُئل ابن عباس رحمه الله : ما بَلَغ من هُموم يوسف ؟ فقال : جلس يحِل هِمْيَاناً[4] له فنودي يا يوسف : لا تَكُ كالطائر يزني وعليه الريش ،

---

(١) هذا قول مجاهد ، والسدي ، وابن إسحاق ، واختاره ابن جرير ١٨٢/١٢ والمعنى على هذا القول : إن زوجك هو سيدي الذي أحسن منزلتي ، وأكرمني ، وائتمنني ، فكيف أخونه وأسيء إليه في أهله ؟

(٢) ما ذكره المصنف عن أهل الحديث من إثبات الهمِّ ليوسف عليه السلام ، حتى تمثَّل له يعقوب غير صحيح ، فإن آراء بعض السلف معارضة بالنصوص الصريحة التي تدل على عصمته عليه السلام ، وقد ذكرنا في كتابنا « النبوة والأنبياء » عشرة وجوه تدل على عفته ونزاهته عليه السلام ، منها تفضيله السجن على فعل الفاحشة ، ومنها هربه منها حتى شقَّت ثوبه ، ومنها ثناء الله عليه بقوله ﴿ إنه من عبادنا المُخْلَصين ﴾ أي الذين أخلصهم الله لطاعته وعبادته ، واختارهم لوحيه ورسالته ، ومنها إقرار امرأة العزيز بقولها ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي امتنع امتناعاً شديداً .. إلى آخر تلك الوجوه التي دلت عليها الآيات الكريمة ، وانظر ما قاله أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥ .

(٣) قال في التهذيب ٤٠٩/١٠ : هو نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي ، الحافظ المكي توفي سنة ١٦٩هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، ونبه المصنف بأنه غير نافع مولى عبد الله بن عمر ، فتنبه .

(٤) الهِمّيانُ : هو التِكَّةُ التي يُربط بها السِّروالُ ، ومنه هِمْيان الدراهم ، وانظر الصحاح ٥٣٦/٦ .

فيقعد بلا ريشٍ ، فلم يتَّعِظْ على النداء فرأى برهان ربِّه ففرَّ وفَرِقَ[1] .

وفي رواية ابن جريج عن ابن أبي مُليكة قال : سألتُ ابن عباس عمَّا بلغ من هموم يوسف ؟ فذكر نحوه ، إلَّا أنه قال : جلس بين رِجْلَيها ، ورأى يعقوب ﷺ[2] .

وروى الأعمش عن مجاهد قال : حلَّ سراويله فتمثَّل له يعقوبُ ، فقال له : يا يوسفُ ، فولَّى هارباً[3] .

وروى سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال : مُثِّل له يعقوبُ ، فضَرَبَ صدرَهُ ، فخرجت شهوته من أنامِلِه[4] .

وروى إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس ، عن الحسن قال : رأى صورةَ يعقوبَ يقول له : يوسفُ ، يوسفُ[6] .

قال أبو صالح : رأى صورة يعقوب في سقف البيت يقول : يا

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون ، انظر الطبري ١٨٤/١٢ وابن الجوزي ٢٠٨/٤ والبحر المحيط ٢٩٥/٥ وتفسير ابن عطية ٤٩٧/٧ والدر المنثور ١٣/٤ قال أبو حيان ٢٩٥/٥ : « وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصحُّ عن أحدٍ منهم شيء من ذلك ، لأنها أقوال متكاذبة ، يناقضُ بعضُها بعضاً ، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين ، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة ، والذي رُوي عن السَّلف ، لا يساعد عليه كلام العرب ، لأنهم قدَّروا جواب « لولا » محذوفاً ولا يدلُّ عليه دليل ، ولا يُحذف الشيء لغير دليل عليه ، وقد نزَّهنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير ، مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دلَّ عليه لسان العرب .. والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌّ بها البتَّة ، بل هو منفيٌّ عنه ، لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : قارفتَ الذنبَ لولا أن عصمك الله ، ولا نقول : إن جواب لولا متقدم عليها — وإن كان لا يمتنع — بل نقول : إن جواب « لولا » محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول العرب : أنت ظالم إن فعلتَ ، ويقدِّرونه : إن فعلتَ فأنت ظالم . اهـ. بإيجاز .

يوسفُ ، يا يوسفُ .

وقال الضحاك نحواً من هذا . قال أبو عُبيد « القاسم بن سَلَّام »[1] : وقد زعم بعض من يتكلم في القرآن برأيه أن يوسف ﷺ لم يهمَّ بها ، يذهبُ إلى أن الكلامَ انقطَعَ عند قوله ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ قال : ثم استأنف فقال : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ بمعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ، واحتجَّ بقوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾ وبقوله ﴿ وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ وابنُ عباس ومن دُونه لا يختلفون في أنه همَّ بها ، وهمْ أعلمُ باللهِ ، وبتأويل كتابه ، وأشدُّ تعظيماً للأنبياء ، من أن يتكلموا فيهم بغير علم[2] .

قال أبو جعفر : وكلامُ أبي عُبيد هذا ، كلامٌ حسنٌ بَيِّنٌ لمن لَمْ يَمِلْ إلى الهوى، والذي ذكر من احتجاجهم بقوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي

---

(١) هو القاسم بن سلَّام الهَرَوي الخزاعي ، من كبار علماء الحديث والأدب ، له كتاب غريب القرآن ، وغريب الحديث ، توفي سنة ٢٢٤هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٣١٥/٧ وابن خلكان ٤١٨/١ وطبقات النحويين ٢١٧ والأعلام للزركلي ١٠/٦ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٠/٧ وقال : وهذا قولٌ يردُّه لسان العرب ، وأقوال السلف ، وقال الزجاج : ولو كان الكلام « ولهمَّ بها » لكان بعيداً ، فكيف مع سقوط اللّام . اهـ. ولكنَّ أبا حيان في البحر ٢٩٥/٥ ردَّ هذا القول فقال : ليس كما ذُكر ، وهو موجودٌ في لسان العرب ، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بقوله تعالى ﴿ إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ والتقدير : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به ، وعلى تقدير أن يكون هو نفس الجواب فاللَّام ليست بلازمة ،فإنَّ جواب « لولا » إذا كان بصيغة الماضي ، يجوز أن يأتي باللَّام ، وبغير اللَّام ، تقول : لولا زيد لأكرمتك ، ولولا زيدٌ أكرمتك ، فمن ذهب إلى أن « وهمَّ بها » هو نفس الجواب لم يُبْعُد . اهـ.

لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾ لا يلزمُ ، لأنه لم يواقع المعصية .

وأيضاً فإنه قد صحَّ في الحديث أن جبريل ﷺ قال له حين قال : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ ﴾ : ولا حين هَمَمْتَ ؟ فقال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] .

وكذلك احتجاجهم بقوله ﴿ وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ لا يلزم ، لأنه يجوز أن يكون هذا بعد الهُمُوم .

وقال الحسن : إنَّ اللهَ جلَّ وعز ، لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيِّرهم بها ، ولكنَّه ذكرها لئلا تيأسُوا من التوبة[2] .

وقيل : معنى ﴿ وَهَمَّ ﴾ أنه شيءٌ يخطر على القلب ، كما قال النبي ﷺ « من هَمَّ بسيئةٍ ثم لم يعملْها لم تكتب عليه »[3] ، فهذا مما يخطر بالقلب ، ولو همَّ بها على أنه يواقعها لكان ذلك عظيماً .

وفي الحديث : « إني لأستغفر الله جلَّ وعزَّ في اليوم والليلة مائة

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣/١ ولفظه : « ولا يوم هممتَ بما هَمَمتَ ؟ » وأخرجه ابن الجوزي ٢٤١/٤ وقال : رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال الأكثرون ، وانظر أيضاً الدر المنثور ٢٤/٤ . والصحيح ما ذكرناه أنه لم يقع من يوسف همٌّ على المعصية ، وإنما هي خطرات نفس ، كما أن المؤمن الصائم يخطر له في رمضان ، وهو يرى الماء البارد ، وقد اشتد به العطش أن يشرب منه ، ولكن إيمانه وخوفه من الله يمنعه من ذلك ، وهذه الخطرات لا تكدِّر صفاء الإيمان ، ولا تجرح فؤاد العصمة ، والله أعلم .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في تفسيره ٢٠٧/٤ وانظر السيوطي في الدر المنثور ١٣/٤ .

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخاري ١٧٧/٩ في كتاب التوحيد ، ومسلم في كتاب الإيمان ١١٧/١ ولفظ مسلم (.. وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتُها سيئة واحدة) وهو من الأحاديث القدسية .

مرَّة »[1] .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا قولَ من يُرجَعُ إلى قوله من أهل الحديث والروايات .

وأهلُ اللغةِ المحققون على قولهم .

قال أبو إسحاق : يبعد أن يقال : ضربتك لولا زيدٌ ، وهممتُ بك لولا زيدٌ ، وإنَّما الكلام لولا زيدٌ لهممتُ بك ، فلو كان « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ » ،«ولَهَمَّ بِهَا لولا أن رأى برهان ربه » لجاز على بُعدٍ ، وإنَّما المعنى : لولا أن رأى برهان ربه لأَمضى ما همَّ به[2] .

وقال بعض أهل اللغة : المعنى : وهمَّ بدفعها[3] .

٣٧ ــ وقوله جلَّ جلاله ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ .. ﴾ [آية ٢٤] .

السُّوءُ : خيانةُ صاحبه ، والفحشاءُ : ركوبُ الفاحشة .

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال : نا محمد بن إبراهيمَ بن جَنَّاد[4] قال : نا الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِي[5] قال : حدثني أبو مروانَ ــ وأثنى عليه خيراً ــ قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٥/٤ رقم (٢٧٠٢) ولفظُه : « إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » وفي رواية للبخاري والترمذي « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة » صحيح البخاري ٨٣/٥ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٠٧/٤ .

(٣) هذا قول ابن الأنباري كما في تفسير ابن الجوزي ٢٠٧/٤ وضعَّفه ابن عطية في المحرر ٤٧٧/٧ .

(٤) في تكملة الإكمال لابن نقطة ١١/٢ : هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن إسحاق بن جنَّاد المنقري ، عدل ثقة مأمون توفي سنة ٢٧٦هـ .

(٥) قال في التهذيب ٢٩١/٢ : الجَرَوِيّ : بفتح الجيم والراء ، هو أبو علي المصري نزيل بغداد ، =

جابر في قول الله جل وعز ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاء ﴾ قال : السُّوءُ : الثناءُ القبيح ، والفحشاءُ : الزِّنا[1] .

٣٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَاسْتَبَقَا الباب .. ﴾ [آية ٢٥] .

قال قتادة : يعني يوسف وامرأة العزيز[2] .

٣٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ .. ﴾ [آية ٢٥] .

أي صادفاه ، فحضرَهَا عند ذلك كيدٌ فقالَتْ ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٤٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال أبو هريرة : تكلَّم ثلاثة في المهد : صاحبُ يوسف ، وعيسى ﷺ ، وصاحب جريج[3] .

وروى شَرِيك عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال : كان صبيًّا في البيت[4] ــ أو قال في المهد ــ شكَّ شريكٌ .

= وجدُّه عديٌّ صحبةٌ ، ثقة توفي سنة ٢٥٧هـ قال الدارقطني : لم يُرَ مثلهُ فضلاً وزُهداً ، وقال الحاكم : كان من أعيان المحدِّثين الثقات .

(١) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الرحمن بن يزيد ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ١٤/٤ .

(٢) الأثر في الطبري ١٩٢/١٢ وابن الجوزي ٢١٠/٤ والدر المنثور ١٤/٤ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٣/١٢ وابن كثير ٣١٠/٤ والسيوطي في الدر ١٥/٤ وله أصلٌ في البخاري ومسلم بلفظ « لم يتكلم في المهد إلّا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج .. » الحديث وانظر تمامه في جامع الأصول ٣١٠/١٠ وليس فيه صاحب يوسف ، وإنما ذُكر في حديث أخرجه السيوطي في الدر ١٥/٤ وعزاه إلى أحمد ، والبيهقي .

(٤) الأثر في الطبري ١٩٤/١٢ وابن الجوزي ٢١١/٤ وابن كثير ٢١٠/٤ واختاره ابن جرير .

وروى **عليُّ** بن الحَكَمِ عن الضحـــاك **قال** : هو صبـــيٌّ في البيت ..

وقـال هلال بن إساف[1] : تكلَّـم ثلاثـة في المهـد : أحدهـم صاحب يوسف[2] .

وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عبـاس **قال** : كان رجلاً ذا لحية[3] .

وقال سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكـة عن ابـن عبـاس أنـه قال : كان من خاصة الملك[4] .

وقال عكرمة : لم يكن بصبي ولكن كان رجلاً حكيماً[5] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : كان رجلاً[6] .

وروى أبو عاصم عن المثنّى عن القـاسم ﴿ وَشَهِـدَ شَاهِـدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ قال : قميصه[7] .

وروى ابن أبي نجيـح عن مجاهـد في قولـه ﴿ وَشَهِـدَ شَاهِـدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ قال : قَدُّ القميصُ : الشاهدُ[8] .

---

(١) في تقريب التهذيب ٣٢٢/٢ : هِلالُ بن إساف بكسر الهمزة ويُقـال : يِسَاف الأشجعـي ، الكوفي ، ثقةٌ ، من الطبقة الثالثة ، أخرج له البخاري تعليقاً وأصحاب السنن .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) الآثار كلهـا في الطبري ١٩٤/١٢ وتفسير ابـن الجوزي ٢١١/٤ والـدر المنثور للسيوطي ١٥/٤ .

(٦) انظر الأثر في الدر المنثور ١٥/٤ وزاد المسير ٢١١/٤ .

(٧) و (٨) حكاهما ابن عطية عن مجاهد ٤٨٥/٧ قال : وهذا ضعيف ، لأنه لا يُوصف القميصُ بأنـه من الأهل ، وحكاه أيضاً ابن الجوزي ٢١٢/٤ وقال : فيه ضعف .

والقَدُّ في اللُّغة : القَطْعُ [1] .

٤١ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ .. ﴾** [آية ٢٨] .

المعنـــى : إن قولك ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْـــلِكَ سُوءًا ﴾ من كيدكنَّ .

ثم قال ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ أي لا تُفْشِهِ [2] .

٤٢ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾** [آية ٢٩] .

ويروى أنه كان قليل الغيرة [3] .

٤٣ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا .. ﴾** [آية ٣٠] .

وروى معاوية بن أبي صالح ، عن عليٍّ بن أبي طَلْحَة ، عن ابن عباس قال ﴿ شَغَفَهَا ﴾ : غَلَبَها [4] .

وروى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : دخل تحت شَغَافها [5] .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، لأن الشَّغَاف

---

(١) قال أهل اللغة : القدُّ : القطع والشقُّ ، وأكثر استعماله فيما كان طولاً .. البحر ٥/٢٩٧ .

(٢) قال ابن عطية ٧/٤٨٧ : أي اكتمْه ولا تتحدث به .

(٣) ذكره القرطبي ٩/١٧٥ وأبو حيان في البحر ٥/٢٩٨ قال : وتربةُ إقليمه اقتضت هذا ، ويروى أنه كان قليل الغَيْرَة . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٩٩ والسيوطي في الدر ٤/١٥ .

(٥) الأثر في الطبري ١٢/١٩٨ وتفسير ابن الجوزي ٤/٢١٤ والدر ٤/١٥ .

حِجابُ القَلْبِ ، فالمعنى : وصل حبُّه إلى شَغَافها ، فغَلَب على قلبها ، قال الشاعر :

وَقَــدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِــلٌ
دُخُـولَ الشَّغَـافِ تَبْتَغِيـهِ الأَصَابِـعُ[1]

وقد قيل : إن الشُّغَاف داءٌ[2] ، وأنشد الأصمعي للراجز :

« يَتْبَعُهَا وَهِيَ لَهُ شُغَافُ »[3]

وروي عن أبي رجاء وقتادة أنهما قَرءا ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾ بالعين ، غير معجمة وبفتحها[4] .

قال أبو جعفر : معناه عند أكثر أهل اللغة : قد ذهب بها كل مذهب ، لأن شَعَفَاتِ الجبالِ أعاليها[5] ، وقد شُعِفَ بذلك شَعْفاً

---

(١) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ٧٩ وفي لسان العرب مادة شغف ، وفي الأمالي للقالي ٢٠٥/١ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥٨/١ وفي الطبري ١٩٨/١٢ .

(٢) يكون حينئذٍ بالضم مثل السُّعال ، والزُّكام ، لأنه داءٌ يأتي على وزن « فُعَال » قال الأصمعي : الشُّغاف عند العرب : داء يكون تحت الأضلاع في الجانب الأيمن من البطن . هـ. زاد المسير ٢١٤/٤ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٦/٩ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٩/٧ .

(٤) عدَّها ابن جني في المحتسب ٣٣٩/١ من القراءات الشاذة ، قال والمعنى على هذه القراءة : وصل حُبّه إلى قلبها ، فكاد يحرقه لحدته ، وأصله البعير يُطلى بالقطران فيصل حرارة ذلك إلى قلبه ..

(٥) انظر الصحاح مادة شعف ١٣٨١/٤ فقد قال فيه : الشَّعفَة : رأس الجبل ، والجمع ، شَعَفٌ ، وشِعاف ، وشَعْفَان .

بإسكان العين ، أي أولع به ، إلا أن أبا عبيد أنشد بيت امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا
كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[1]

قال : فشُبِّهت لوعةُ الحبِّ وجَوَاهُ بذلك .

وروي عن الشعبي أنه قال : الشَّغَفُ : حبٌّ ، والشَّعَفُ : جنونٌ[2] .

٤٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ .. ﴾ [آية ٣١] .

يُقال : كيف سَمَّى هذا مكراً ؟ فالجواب فيه : أنها أطلعتْهُنَّ واستكتمتهنَّ ، فأفشين سِرَّها ، فسُمِّي ذلك مكراً[3] .

٤٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً .. ﴾ [آية ٣١] .

روى سفيان عن منصور عن مجاهد قال : المتَّكأُ ــ مثقَّلاً ــ

---

(١) البيت لامرئ القيس ، وهو في ديوانه ٢٣٣ ، وفي المحتسب لابن جني ٣٣٩/١ والرواية المشهورة : أيقتلني ، والمهنوءة : الناقة التي تُطلى بالقطران لإصابتها بالجرب ، ومعنى البيت : أيقتلني وقد أحرقتُ فؤادَها بحبي حرقةً تجد فيه كلَّ اللَّذة والمتعة ؟ كما أن الناقة تُطلى بالقطران علاجاً لها من الجرب ، تجد فيه لذَّةً مع حُرقة . وفي المخطوطة « ليقتلني » وهو تصحيف .

(٢) انظر الدر المنثور ١٥/٤ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر ٤٩١/٧ وفي البحر ٣٠٢/٥ ومكرهنَّ هو اغتيابهنَّ إياها ، وسوء مقالتهنَّ فيها أن عشقت يوسف عبدها ، وسُمِّي الاغتياب مكراً لأنه حال غيبة وفي خُفية ، كما يُخفي الماكر مكره ، وقيل : كانت استكتمتهنَّ سِرَّها ، فأفشينه عليها .

الطَّعَامُ ، والمَتْكُ ـــ مخففة ـــ الأُتْرُجُّ[1] .

وروى إسماعيل بن إبراهيم عن أبي رجاء عن الحسن قال : المتَّكأُ : الطعامُ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : المتكأ : الطعام .

وقيل : المتكأ : كلُّ ما اتُّكِئَ عليه عند طعامٍ ، أو شرابٍ ، أو حديث[3] . وهذا هو المعروف عند أهل اللغة[4] ، إلَّا أن الروايات قد صحَّت بذلك .

وحكى القُتبيُّ[5] أنه يقال : اتَّكأْنا عند فلان : أي أكلنا .

وقد قيل إن المَتْك الزُّمَاوَرْد[6] ، وقيل : يقال : بتكَهُ إذا قطعه وشقه فكأنَّ الميم بدلٌ من الباء ، كما يقال : لازم ، ولازب في نظائر له كثيرة[7] .

٤٦ ـــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ .. ﴾ [آية ٣٢] .

(١) و(٢) الآثار في الطبري ٢٠٢/١٢ وابن الجوزي ٢١٦/٤ والدر المنثور ١٦/٤ .

(٣) هذا قول أبي صالح عن ابن عباس ، قال الزجاج : المتَّكأ : ما يُتَّكأُ عليه لطعام أو شراب أو حديث . اهـ. زاد المسير ٢١٦/٤ .

(٤) قال الجوهري : اتَّكأ على الشيء فهو مُتَّكئ ، والموضعُ متَّكأ ، ورجلٌ تُكأة كثير الاتكاء . اهـ. الصحاح ٨٢/١ .

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدِّينوري ، من أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة ٢٧٦هـ ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٢/٣ .

(٦) الزماورد : الرقاقُ الملفوف باللحم وغيره .

(٧) هذا ما ذكره ابن قتيبة ، وانظر زاد المسير ٢١٧/٤ .

رَوى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أعظمنه[1] .

قال أبو جعفر : وهـذا هو الصحيـح ، ومـن قال : « حِضْنَ » فقد جاء بما لا يُعرف ، و « حِضْنَ » لا يتعدى[2] .

والمعنى : هالهُنَّ فأعظَمْنَهُ .

٤٧ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ [آية ٣١] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حزّاً بالسكين[3] .

يريد مجاهد أنه ليس قطعاً تَبِينُ منه اليدُ ، إنما هو خَدْشٌ وحَزٌّ ، وذلك معروفٌ أن يُقال إذا خَدَشَ الإنسانُ يدَ صاحبه : قد قَطَعَ يَده .

٤٨ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ** .. ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي مَعَاذَ الله[4] .

والذي قال حسنٌ ، وأصلُـه من قولك : فلانٌ في حَشَا فلانٍ أي في ناحيتـه ، فإذا قلت « حَاشَا لزيـــدٍ » فمعنـــاه : تنحِيـــةٌ لزيـــدٍ ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٥/١٢ وابن الجوزي ٢١٨/٤ وابن كثير ٣١١/٤ .

(٢) ردَّ أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٠٩/١ هذا القـول فقـال : ومـن قال : أكبرنـه بمعنـى « حِضْنَ » فمن أين ؟ وليس في كلام العرب أكبرن بمعنـى حضن ، وكـذلك قال ابـن جريـر : لا يُعـرف في اللغة ، وردَّ هذا القول وهو قول عجيب وغريب .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠٦/١٢ وابن كثير ٣١١/٤ قال : والمراد حزَزن أيديهن بها .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٨/١٢ وابن الجوزي ٢١٩/٤ والدر المنثور ١٧/٤ .

و ﴿ حَاشَ للهِ ﴾ أي نحّى اللهُ هذا من هذا[1] .

٤٩ ـــ **ثم قال جل وعـــز ﴿ مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيـــمٌ ﴾** [آية ٣١] .

وقُرِئ « ما هذا بِشِرَىً »[2] أي بمشترى .

والأول أشبهُ ، لأن بعده « إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » ولأن مثـل بِشِرىً يكتب في المصحف بالياء .

٥٠ ـــ **وقوله جل وعــز ﴿ وَلَقَــدْ رَاوَدْتُــهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَــعْصَمَ .. ﴾** [آية ٣٢] .

معنى « فاستعصم » : فامتنع[3] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رُوي أن الزهــري قرأ ﴿ قال ربِّ السَّجْــنُ أحبُّ إلَــيَّ ﴾[4]

(١) قال ابن الجوزي ٢١٨/٤ : هذه الكلمة « حَاشَ للهِ » تستعمـل في موضعين : أحـدهما : الاستثناء ، والثاني : التبرئةُ من الشرِّ ، والأصل « حاشا » وهي مشتقـة من قولك : كنت في حَشَا فلان ، أي في ناحيته ، والحَشَا : الناحيـة ، وأنشدوا « بأيِّ الـحَشَا أمسى الخليـطُ المبايِنُ » . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٤٢/١ .

(٣) قال في البحر ٣٠٦/٥ ﴿ فاستعصم ﴾ معناه طلب العصمة وتمسَّك بها ، والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه في عصمة ويجتهد في الاستزادة منها . اهـ .

(٤) هذه القراءة « السَّجْنُ » بفتح السين ذكرها ابن الجزري في النشر ٢٩٥/٢ وابن عطية في المحرر =

ومعناه : أن أُسْجَن أحبُّ إليَّ .

ومن قرأ بالكسر « السِّجْنُ » فمعناه عنده : موضعُ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه .

٥١ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾** [آية ٣٣] .

يُقال : صَبَا إلى اللَّهْوِ صُبُوًّا .

وروى الفراء صَبَاً : إذا مَالَ إليه(١) .

ثم قال تعالى ﴿ فاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ [آية ٣٤] .

فحمله على المعنى ، لأن في كلامه معنى الدعاء ، وإن لم يُذْكَرْ دعاءٌ(٢) .

٥٢ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ ﴾** [آية ٣٥] .

= ٥٠٢/٧ قال ابن عطية : قرأ الجمهور بكسر السين « السِّجن » وهو الاسم ، وقرأ الزهري « السَّجن » بفتح السين ، وهي قراءة عثمان رضي الله عنه وهو المصدرُ ، وهذا كقولك : الجِذْعُ والجَذْعُ .

(١) انظر المحرر الوجيز ٥٠٣/٧ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣١١/١ : ﴿ أَصْبُ إليهنَّ ﴾ أي أهواهنَّ وأميلُ إليهن ، قال الشاعر :

إلى هندٍ صَبَا قلبي ... وهندٌ مثلُها يُصْبي

(٢) قال في البحر ٣٠٧/٥ : لم يتقدم لفظ دعاء ، ولكنَّ قوله ﴿ وإلَّا تصرفْ عني كيدهن ﴾ فيه معنى طلب الدعاء ، كأنه قال : « ربِّ اصرف عني كيدهنَّ » فاستجاب الله دعاءه فصرف عنه كيدهنَّ .

قال مجاهد : يعني قَدَّ القميص[1] .

وقال قتادة : يعني قَدَّ القميص ، وحزَّ الأيدي[2] .

ثم بيَّن الذي بَدَا لهم ، فقال جل وعز : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[3] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾** [آية ٣٦] .

يجوز أن يكونا شابين ، وأن يكون شيخين ، والعربُ تستعمل هذا[4] .

٥٤ ــ **ثم قال جل ذكره ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾** [آية ٣٦] .

في هذا أقوال منها :

أن الخمر هاهنا العنب ، ومنها أن المعنى عنبَ خمرٍ[5] ، ومنها أن يكون مثل قولك أن أعصِرُ زَيتاً أي أعصِر ما يؤول أمرُهُ إلى الزيت ، كما قال :

---

(١) و(٢) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ١٢/٢١٢ والدر المنثور ٤/١٨ .

(٣) قال ابن عطية ٧/٥٠٥ : مقصد الكلام أنهم رأوا سجنه ، بعد ظهور الآيات المبرِّئة من التهمة ، فتبيَّن ظلمهم له .

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٧/٥٠٧ .

(٥) هذا ما يسمى بالمجاز المرسل أي أعصر عنباً يؤول أمره أن يكون خمراً ، قال الأصمعي : لقيتُ أعرابياً يحمل عنباً في وعاء ، فقلتُ : ما تحملُ ؟ قال : خمراً أراد العنب ، وانظر البحر ٥/٣٠٨ .

الحمـــــد لله العلـــــيِّ المنَّـــــان
صار الثريـــد في رؤوس العيــــــدان

وإنما يعني السنبُـلُ فَسَمَّـاه ثريـداً ، لأن الثريـد منـه ، وهـذا قول حسن .

والأول أبينها ، وأهل التفسير عليه .

حدثنـا أحمد بـن شعيب قال : أخبرني أحمد بن سعيـد قال : وهب بن جريـر عن أبيـه عن علي بن الحكـم عن الضحـاك في قولـه : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ قال : فالخمر العنبُ ، وإنما يسمِّـي أهـلُ عمان العنبَ الخمرَ(1) .

٥٥ ــ **ثم قال تبارك وتعالى ﴿ وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** [آية ٣٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : إنَّا نراك تُحْسِنُ تأويل الرؤيا .

والقـول الآخر : يروى عن الضحـاك أنـه كان يُعيـنُ المظلـومَ ، ويعودُ المريضَ ، وينصرُ الضعيفَ ، ويوسِّع للرجال(2) .

فحَادَ عن جوابهما إلى غير ما سألاه عنه فقال « لا يأتيكما » .

وفي هذا قولان :

---

(1) انظر جامع البيان ١٢/٢١٥ للطبري فقد ذكر أنها بلغة أهل عمان يسمون العنب خمراً .
(2) الأثر في الطبري ١٢/٢١٦ وفي الدر ٤/١٦ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

أحدهما : أن ابن جريج قال : لم يُرِدْ أن يُعَبِّرُ لهما الرؤيا ، فحاد عن مسئلتهما فلم يتركاه حتى عبَّرها .

وقال غيره : أراد أن يعلمهما أنه نبيٌّ ، وأنه يَعْلَمُها بالغيب[1] فقال : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ .

ويُروى أن الملك كان إذا أراد قَتْلَ إنسان ، وجَّهَ إليه بطعام بعينهِ لا يتجاوزه[2] .

ثم أعلمهما أن ذلك العلم من عند الله ، لا بكهانةٍ ولا تنجيم ، فقال : ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ .

٥٦ ـ **ثم أعلمهما أنه هو مؤمن فقال ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾** [آية ٣٧] .

ثم قال بعدُ ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا ﴾ أن جعلنا أنبياء ، ﴿ وَعَلَى النَّاسِ ﴾ أنْ بُعِثْنَا إليهم رُسُلاً[3] .

---

(١) لم يعبر لهم الرؤيا فوراً ، وإنما أراد أن يرشدهما إلى الدين الحقِّ ، قبل أن يجيبهما إلى سؤالهما ، وهذه هي طريقة الأنبياء في الدعوة والإرشاد ، وقدَّم ما يكون معجزةً له من الإخبار بالغيب كبرهانٍ على صدقه .

(٢) قال ابن عطية ٥١٠/٧ : هذا كله لا يقتضيه اللفظ ولا ينهض به إسناد .

(٣) الأثر في الطبري ٢١٨/١٢ وزاد المسير ٢٢٥/٤ والدر ١٩/٤ .

٥٧ ــ **ثم دعاهما إلى الإسلام بَعْد ، فقال ﴿ يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أم اللهُ الوَاحِدُ القَهَّار ﴾** [آية ٣٩] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً .. ﴾** [آية ٤١] .

أي يكون على شراب المَلِكِ[(١)] .

قال عبد الله بن مسعود : لمَّا عبَّر لهما الرؤيا قالا : ما رأينا شيئاً ، فقال ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[(٢)] ..

وقال أبو مجلز : كان أحدهما صادقاً ، والآخر كاذباً ، فقال ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ أي وقع على ما قُلت ، حقاً كانَ أو باطلاً[(٣)] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .. ﴾** [آية ٤٢] .

قال مجاهد : عند الملك ، وذلك معروفٌ في اللغة أن يُقال للسيد : ربٌّ . قال الأعشى :

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً
وَإذَا تُنُوشِدَ بالمَهَارِقِ أَنْشَدَا[(٤)]

---

(١) قال الطبري ٢١٩/١٢ : جعلهما صاحبيه لكونهما في السجن معه ، وقوله ﴿ يَسْقِي ربَّه ﴾ يعني سيده ، وهو الملك ، أي يكون صاحب شرابه .

(٢) الأثر في الطبري ٢٢١/١٢ والدر المنثور ٢٠/٤ .

(٣) انظر الطبري ٢٢١/١٢ والبحر المحيط ٣١١/٥ .

(٤) ديوان الأعشى ص ٥٥ وروايته كما في الديوان « وإذا يُنَاشَد بالمَهَارِقِ أنشَدَا » والمهارِقُ : =

٦٠ ـــ وقوله جل وعز ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٤٢] .

قال مجاهد : فأنسى يوسف الشيطان ذكرَ ربِّهِ ، أن يسأله ويتضرع إليه ، حتى قال لأحد الفتيَيْنِ : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ .

وروى إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس عن الحسن ، قال : قال نبي الله ﷺ : « لولا كلمة يوسف : يعني قوله ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ما لبث في السجن ما لَبِثَ »(١) .

قال ثم يبكي الحسنُ ويقول : نحن ينزل بنا الأمر ، فنشكوا إلى الناس(٢) .

٦١ ـــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [آية ٤٢] .

روى معمرٌ عن قتادة ، قال : يعني أنه لبث في السجن سبع سنين(٣) .

وقال وهب : أقام أيوب في البلاء سبعَ سنينَ ، وأقام يوسف في

= الصحف ، جمع مُهْرَق ، يقول : إن ربي كريم ، إذا ناشده أحد بما في الكتب أجابه ، وإذا سأله أحدٌ أعطاه .

(١) أخرجه السيوطي في الدر ٢٠/٤ وعزاه إلى أحمد في الزهد ، وابن المنذر ، وأخرجه الطبري ٢٢٣/١٢ قال ابن كثير ٣١٧/٤ : وهذا الحديث ضعيف جداً ، لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وقد روي عن الحسن مرسلاً ، وهو أيضاً غير مقبول في هذا الموطن .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٢٣/١٢ والدر المنثور للسيوطي ٢٠/٤ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٢٤/١٢ والسيوطي في الدر ٢١/٤ عن قتادة بلاغاً ، ولفظه : قال بلغنا أنه لبث في السجن سبع سنين .

السجن سبعَ سنينَ[1] .

قال الفراء : ذكروا أنه لبث سبعاً بعد خمس سنين ، بعد قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ قال : والبِضْعُ : ما دون العَشْر[2] .

قال الأخفش : البضعُ من واحدٍ إلى عشرة[3] .

وقال قتادة : البضعُ يكون بين الثلاث ، والتسْع ، والعشر ، وهو قول الأصمعي[4] .

قال العتبي : قال أبو عُبيدةِ : ليس البضعُ العَقْدَ ، ولا نصف العقد ، نذهب إلى أنه من الواحد إلى الأربعة .

وقال قطرب[5] : البضعُ : ما بين الثلاث إلى التسع .

قال أبو جعفر : قيل أصحُّهما قول الأصمعي لأن داود بن هند روى عن الشعبي أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رحمه الله ، حين خَاطَرَ[6] قريشاً في غلبة الروم فارسَ ، فمضَى ستُّ سنين ، وقال أبو

---

(١) الأثر أخرجه أحمد في الزهد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه ، وانظر الدر ٤/٢١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٤٦ .

(٣) زاد المسير ٤/٢٢٨ عن الأخفش ، ولم أره في معانيه .

(٤) انظر تفسير ابن الجوزي ٤/٢٢٨ .

(٥) قطرب هو محمد بن المستنير بن أحمد ، الشهير بقطرب ، نحويٌّ عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، توفي سنة ٢٠٦هـ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٤٩٤ وبغية الوعاة ١٠٤ وشذرات الذهب ٢/١٥ .

(٦) خَاطَر : راهن ، والمخاطرة : المراهنة ، وانظر المصباح المنير ١/١٨٦ .

بكر « سيغلبون في بضع سنينَ » فقال النبيُّ ﷺ : كم البضعُ ؟ فقال : ما بين الثلاث إلى التِّسْع ، فخاطرهم أبو بكر وزاد ، فجاء الخبرُ بعد ذلك أنَّ الرومَ قد غَلَبتْ فارسَ[1] .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ .. ﴾** [آية ٤٣] .

والعجاف التي قد بلغت النهاية في الهزال .

ومعنى عَبَرْتَ الرؤيا : أخرجتها من حالِ النوم إلى حال اليقظة ، مأخوذٌ من العِبْر : وهو الشاطىء[2] .

٦٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾** [آية ٤٤] .

روى معمر عن قتادة : أي أخلاطٌ ، والضِّغْثُ عند أهل اللغة كذلك ، يقال لكل مختلطٍ من بقلٍ ، أو حشيش ، أو غيرهما ضِغْثٌ[3] .

أي هذه الرؤيا مختلطة ليست ببيِّنةٍ .

(١) أخرجه الترمذي في التفسير بنحوه ١٥٠/٢ والطبري في جامع البيان ١٧/٢١ والسيوطي في الدر ١٥١/٥ وزاد نسبته للدارقطني في الأفراد ، والطبراني ، وابن مردويه .

(٢) في الصحاح ٧٣٢/٢ : العِبْرة : اسم من الاعتبار ، وعِبْر النهر وعُبْرة : شطُّه وجانبه . اهـ .

(٣) قال الطبري ٢٢٦/١٢ ﴿ أضغاثُ أحلام ﴾ أي أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها ، والضِّغْث أصلُه الحزمة من الحشيش .

٦٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ .. ﴾ [آية ٤٥] .

روى معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وسفيان عن عاصم ، عن أبي رُزَيْنٍ عن ابن عباس ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بعد حين[1] .

روى عَفَّان عن همَّامٍ ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ « وادَّكَرَ بَعْدَ أَمْهٍ »[2] والمعروفُ من قراءة ابن عباس وعكرمة ﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ ﴾ .

وفسَّراه : بعد نسيان ، والمعنيان متقاربان ، لأنه ذكر بعد حين ، وبعد نسيان .

٦٥ ــ ثم قال تعالى ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ .. ﴾ [آية ٤٥] .

أي أنا أخبركم .

وقرأ الحسن : ﴿ آتِيكُمْ بتأويله ﴾[3] ، وقال : كيف يُنَبِّئُهم العِلْجُ ؟

(١) الأثر في الطبري ٢٢٧/١٢ وابن كثير ٣١٨/٤ والدر المنثور ٢١/٤ .
(٢) عدَّها ابن جني في المحتسب ٣٤٤/١ من القراءات الشاذة ، قال : والأَمَهُ : النسيان ، أَمِهَ الرجل يأمَهُ أَمَهاً أي نسيَ . اهـ. وكذلك قال الفراء ٤٧/٢ وانظر زاد المسير ٢٣١/٤ .
(٣) انظر القراءة في البحر المحيط ٣١٤/٥ والمحرر الوجيز ٥٢٣/٧ أقول : ليست من القراءات السبع .
(٤) في الصحاح ٣٣٠/١ العِلْجُ : الواحد من كفار العجم ، والجمعُ علوجٌ ، وأعلاجٌ . اهـ.

قال أبو جعفر : ومعنى « أنبِّئكم » صحيحٌ حسنٌ ، أي أنا أخبركم إذا سألتُ .

٦٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَأَرْسِلُونِ . يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ .. ﴾** [آية ٤٦] .

وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : فذهبَ فقال : يا يوسف[1] .

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٤٦] .

يجوز أن يكون المعنى : لعلَّهم يعلمون تأويل رؤيا الملك .

ويجوز أن يكون لعلهم يعلمون بموضعك فتخرج من السجن[2] .

٦٨ ــ **﴿ قال تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً .. ﴾** [آية ٤٧]

أي تِبَاعاً واعتياداً[3] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٣١٥/٥ : وفي الكلام حذفُ التقدير : فأرسلون إلى يوسف فأتاه فقال : يوسف أيُّها الصِّدِّيق ، وسمَّاه صِدِّيقاً من حيث جرَّب صدقه في غير شيء . اهـ.

(٢) ذكر القولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٥/٧ واختار الطبري ٢٣٠/١٢ القول الأول .

(٣) في الصحاح ١٢٣/١ : الدَّأْبُ : العادةُ والشأن . اهـ. قال الطبري ٢٣٠/١٢ : أي تزرعون على عادتكم ، والدأبُ : العادةُ .

قال أبو عبيدة : معنى ﴿ تُحْصِنِونَ ﴾ : تُحْرِزُونَ[1] .

٦٩ ـ وقوله جل ذكره ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسَ وفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ آية ٤٩] .

رَوى معاوية بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال ﴿ يَعْصِرُون ﴾ : العِنَبَ والزَّيتَ[2] .

ويُقْرَأ « تَعْصِرُونَ »[3] و « يَعْصِرُونَ » و « يُعْصَرُونَ »[4] .

وزعم أبو عبيدة أن معنى يعصِرُون ينجون من العُصْرَةِ ، والعَصَر ، وهما المنجا[5] ، وأنشد أحمد بن جعفر لأبي زُبَيْدٍ :

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ
وَلَقَدْ كَانَ عَصْرُهُ المَنْجُودِ[8]

والمنجودُ : الفَزِعُ .

قال أبو جعفر : والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١٣/١ وفي ابن الجوزي ٢٣٣/٤ : أي تحرِزون وتدَّخرون .

(٢) و (٥) الأثران في الطبري ٢٣٢/١٢ وابن الجوزي ٢٣٤/٤ .

(٤) القراءاتان بالياء والتاء سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٩ والقراءة الثالثة شاذة كما في المحتسب ٣٤٤/١ .

(٥) انظر مجاز القرآن ٣١٣/١ لأبي عُبيدة حيث قال : أي به ينجون وهو من العَصْرِ . اهـ. وذكره ابن جني في المحتسب ٣٤٥/١ .

(٦) البيت لأبي زُبَيْد الطائي ، من قصيدة يرثي بها اللجاج ابن أخته ، وهو في اللسان مادة عصر ، ومجاز القرآن ٣١٣/١ والطبري ٢٣٣/١٢ والمحتسب ٣٤٥/١ وزاد المسير ٢٣٥/٤ .

ابن عباس وابن جريج في يعصِرُون .

وأما معنى « تُعْصَرُونَ » فمعناه تُمْطَرُونَ[1] ، من قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً ﴾[2] .

وكذلك معنى « تُعْصِرُون » .

٧٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ .. ﴾ [آية ٥٠] .

يروى أن النبي ﷺ تعجَّب من صبره ، وقال : « لو كنتُ مكانه ثم جاء الرسولُ لبادرتُ »[3] .

ثم قال : ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّلاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ .. ﴾ [آية ٥٠] .

(١) انظر المحتسب لابن جني ٣٤٥/١

(٢) سورة النبأ آية رقم (١٤) .

(٣) الحديث أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة ، ورواه ابن جرير ٢٣٥/١٢ ولفظُه : « لقد عجبتُ من يوسف ، وصبرِه وكَرَمه والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العِجَاف والسِّمان ، ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم بشيء حتى أشترط أن يُخرجوني ، ولقد عجبتُ من يوسف صبرِه وكرمِه والله يغفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنتُ مكانه لبادرتهم البابَ ، ولكنه أراد أن يكون له العذرُ » . اهـ . قال ابن كثير ٣١٩/٤ : وهذا حديث مرسَلٌ ، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي هريرة : « .. ولو لبثتُ في السجن ما لبثَ يوسف لأجبتُ الداعي » انظر البخاري ٩٧/٦ ومسلم ٩٢/١ .

ولم يذكر امرأة العزيز فيهن حُسْنَ عشرةٍ منه وأدباً[1] .

٧١ ـ **وقولـه جل وعـز ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ .. ﴾** [آية ٥١] .

رَوى إسرائيل عن سِمَاك بن حَرْبٍ ، عن عِكرمة عن ابن عباس ، قال : جَمَعَ فرعونُ النسوةَ فقال لهن : أنتنَّ راودتنَّ يوسف عن نفسه ؟ فقالت امرأة العزيز ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فقال يوسف ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ ﴾ فقال جبريل عليه السلام ـ وغمزه ـ ولا حين هَمَمْتَ ؟ فقال : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[2] .

---

(١) أي لم يذكر امرأة العزيز أدباً وحياءً ، ومراعاةً لحقِّ سيده عزيز مصر الذي أكرم مثواه .

(٢) هذا جواب لسؤال قد يرد ، وهو أن الكلام قبله من مقالة امرأة العزيز ، فكيف اتصل كلام يوسف به وليس له ذكرٌ سابق ؟ وقد أجاب ابن جرير رحمه الله على ذلك ١٢/٢٣٨ فقال : واتصل قوله تعالى ﴿ ذَلك لِيَعْلم أنّي لم أخُنهُ بالغَيْبِ ﴾ بقول امرأة العزيز ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ لمعرفة السامعين لمعناه كاتصال قوله تعالى ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ بقول المرأة ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ فقال الله ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ . اهـ. أقول : الصحيح الذي عليه الجمهور أن هذه الآية والتي بعدها ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ من كلام يوسف الصِّدِّيق ، إذ كيف يمكن لامرأة العزيز أن تفخر وتتبجَّح بقولها ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ وقد راودته صراحةً ، وغلَّقت الأبواب ، وتزيَّنت ودعته إلى نفسها بقولها ﴿ هيت لك ﴾ ثم لمَّا انهزم منها لحقته حتى شقَّت ثوبه ، أفلا تكون كل هذه خيانة تنفي أن يكون هذا من كلامها ؟ فالراجح أن الآيتين من كلام يوسف كما ذكر المصنف ، والله أعلم .

قال أبو جعفر : وهذا كلامٌ غامضٌ عند أهل العربية ، لأن كلام يوسف مختلط بما قبله وغير منفصل منه ، ألَا تراه خبَّر عن امرأةِ العزيز أنها قالت ﴿ أنَا رَاودته عن نفسه وإنه لمنَ الصادقين ﴾ ؟ ثم اتصل به قول يوسف ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ ﴾ .

ونظيره ﴿ إنَّ الملوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أعِزَّةَ أَهْلِهَا أذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وفي الآية تأويلٌ آخر .

رَوى حَجَّاج عن ابن جريج قال : قال يوسف ارجعْ إلى ربك ، فاسأله ما بالُ النِّسْوَة اللَّاتي قَطَّعْنَ أيديهنَّ ؟ إنَّ ربي بكيدهنَّ عليم ، ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ ﴾ .

وقال ابن جريج : وهذا من تقديم القرآن وتأخيره .

قال : أراد أن يبيِّن عُذْره ، قبل أن يخرج من السجن ، فهذا على هذا التأويل قاله يوسف في السجن .

وعلى تأويل ابن عباس قاله يوسف بعد ما خرج من السجن ، حين جمعه الملك مع النسوة[2] .

---

(١) سورة النمل آية رقم (٣٤) وانظر تفسير ابن الجوزي ٢٣٨/٤ .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٣٩/٤ : واختلفوا أين قال يوسف هذا ؟ على قولين : أحدهما : أنه لمَّا رجع الساقي إلى يوسف ، فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك ، قال حينئذٍ ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك ، رواه عطاء عن ابن عباس . اهـ .

قال أبو جعفر : والتأويلانِ حسنانِ ، والله أعلم بحقيقة ذلك[1].

قال مجاهد وقتادة : معنى ﴿ حَصْحَصَ الحَقُّ ﴾ تبيَّنَ[2] .

قال أبو إسحاق : هو مأخوذ من الـحِصَّة أي بانتْ حِصَّةُ الحقِّ ، من حِصَّةِ الباطِلِ[3] .

٧٢ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي .. ﴾** [آية ٥٤] .

أي أجعله خالِصاً لنفسي ، لا يَشْرَكني فيه غيرُه[4] .

٧٣ ـ **ثم قال جلَّ ذكره ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾** [آية ٥٤] .

أي قد تَبيَّنَّا أمانتَك ، وبراءَتَك ممَّا قُرِفْتَ به[5] .

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ [آية ٥٥] .

أي على أموالها .

---

(١) انظر البحر المحيط ٣١٧/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٠٩/٩ فقد فصَّل فيه البيان فأجاد وأفاد .

(٢) الأثر في الطبري ٢٣٦/١٢ والقرطبي ٢٠٨/٩ قال ومعناه : تبيَّنَ وظهرَ .

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥٣٥/٧ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٠٨/٩ وقد حكاه عن الزجّاج .

(٤) عبارة الطبري ٤/١٣ ﴿ استَخْلِصْهُ لنفسي ﴾ أي أجعله من خلصائي دون غيري .

(٥) في الصحاح مادة قَرَف : قرفتُ الرجلَ : أي عبتُه ، وفي النهاية ٤٥/٤ : قَرَفه بكذا : أي أضافه واتَّهمه به .

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

أي حافظٌ للأموال ، وأعلمُ المواضعَ التي يجبُ أن أجعلها فيها .

٧٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ .. ﴾** [آية ٥٩] .

قيل : في الكلام حذفٌ[١] ، والمعنى : سألهم عن أمورهم ، فلمَّا خبَّروه وجرى الكلامُ إلى هذا قال : ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ .

قيل : لأنه أحسنَ ضيافتهم .

٧٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ ﴾** [آية ٦٢] .

قيل : يراد بالفتية ، والفتيان هاهنا : المماليكُ[٢] .

ثم قال : ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال أبو جعفر : في هذا قولان :

أحدهما : أن المعنى « إذا رأوا البضاعة في رحالهم ، وهي ثمن الطعام رجعوا ، لأنهم أنبياء لا يأخذون شيئاً بغير ثمن »[٣] .

(١) يسمى هذا الحذف « حذف إيجاز » لدلالة السياق عليه ، وانظر البحر ٣١٩/٥ .

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٤٩ : قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمْرو ، وابن عامر ﴿ لِفِتْيَتِهِ ﴾ بالتاء ، وقرأ حمزة ، والكسائي ﴿ لِفِتْيَانِهِ ﴾ بالنون .

(٣) انظر الطبري في جامع البيان ٩/١٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٠/٤ وعزاه إلى الضحاك .

وقيل : إذا رأوا البضاعة في الرحال ، علموا أنَّ هذا لا يكون من أمرِ يوسفَ فرجعوا[1] .

٧٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ .. ﴾** [آية ٦٤] .

لأنهم قالوا في أخيه « أرسله معَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلعب وإنَّا لهُ لحافظونَ » .

وقالوا في هذا : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ، وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فضمنوا له حفظَهُما .

٧٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾** [آية ٦٥] .

يجوز أن يكون المعنى : أيَّ شيءٍ نبغي وقد رُدَّتْ إلينا بضاعتنا[2] ؟

ويجوز أن يكون المعنى : ما نبغي شيئاً ويكونُ « ما » نافية .

ثم قال : ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ [آية ٦٥] .

(١) انظر الأقوال في زاد المسير ٤/٢٥٠ .

(٢) على هذا القول تكون « ما » استفهامية في موضع نصب ، والمعنى : أيَّ شيءٍ نطلب وراء هذا الإكرام ؟

يُقال : مَارَ أهلـه ، يَمِيرُهـم ، مَيْـراً ، ومَيـرَةً : إذا جاء بأقـواتهم من بَلَدٍ إلى بلد[1] .

٧٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾** [آية ٦٥] .

قال ابن جريج : لأنه كان يعطي كل رجل منهم كيل بعير[2] .

قال مجاهد **يعني وَقْر حمَارٍ**[3] .

وقال بعضهم : يُسَمَّى الحمارُ بعيراً يعني أنها لغة .

فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعيرٌ ، والله أعلـم بما أراد .

ثم قال : ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [آية ٦٥] .

أي سهلٌ عليه[4] .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِلَّا أن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾** [آية ٦٦] .

أي إلَّا أن تَهْلِكُوا وتُغْلَبُوا[5] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري مادة مير ، وجامع البيان للطبري ١١/١٣ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٢/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧/٤ .

(٣) ذكره ابن جرير ١٢/١٣ وابن كثير ٣٢٤/٤ .

(٤) قال ابن كثير ٣٢٤/٤ : هذا من تمام الكلام وتحسينه ، أي إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا .

(٥) في البحر ٥ /٣٢٤٣ ﴿ إلَّا أن يُحاط بكم ﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغَلَبة ، والمعنى : إلَّا أن تَعُمَّكم الغَلَبة من جميع الجهات ، حتى لا يكون لكم حيلةٌ ولا وجه تخلص .

٨٠ ـــ ثم قال جل وعز ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [آية ٦٦] .

أي كفيل .

٨١ ـــ قوله جل وعز ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ [آية ٦٧] .

قال الضحاك : خافَ عليهم العَيْنَ[1] .

وقال غيره : العينُ حقٌّ ، لأن النبي ﷺ كان يُعوِّذُ الحسنَ ، والحسينَ رضي الله عنهما ، فيقول : « أعيذُكُما بكلماتِ الله التَّامَّة ، من كل لامَّة »[2] ..

وقيل : كَرِهَ أن يلحقهم شيءٌ ، فيتوهم أنه من العين ، فيُؤْثم في ذلك .

والدليل على صحة هذا القول حديثُ النبي ﷺ « إذا سمعتم بالطَّاعُون في أرضٍ ، فلا تَقْدُمُوا عليه .. »[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١٣ وابن الجوزي ٢٥٤/٤ وقال : هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ١٤٩/٤ بزيادة « من كل شيطان وهامَّة ، ومن كل عين لامَّة » قال ابن الأثير في النهاية : ٢٧٥/٥ : الهامَّة : كلُّ ذات سَمٍّ يقتلُ ، ولامَّة : ما يلمُّ بالإنسان ويعتريه من جنون . اهـ. وأخرجه أحمد في المسند ٢٣٦/١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ٢١٣/٤ باب ما ذُكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في الطاعون برقم (٢٢١٨) والترمذي في الجنائز برقم (١٠٦٥) وتتمته في البخاري : « وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .

وجوابٌ آخرُ : أن يكون كَرِهَ أن يدخلوا فيُستَرابَ بهم[1] ، والله عزَّ وجلَّ أعلم .

٨٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً .. ﴾** [آية ٦٨] .

قيل : المعنى : أنه لو قُضِيَ عليهم شيءٌ لأصابهم ، دخلوا مجتمعين أو متفرقين ؟

وقيل : المعنى : لو قُضِيَ أن تُصيبهم العينُ ، لأصابتهم متفرِّقين كما تصيبهم مجتمعين .

٨٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا .. ﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهد : يعني خوفه عليهم العينَ[2] .

٨٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ .. ﴾** [آية ٦٩] .

يُقال : آويتُ فلاناً بالمدِّ إذا ضممتَهُ إليكَ ، وأَويتُ إليه : أي لجأتُ إليه[3] .

---

(١) أي يقع في قلوب الناس الريبة منهم لغربتهم وكثرتهم .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/١٤ والقرطبي ٩/٢٢٦ قال : وكانوا أحد عشر رجلاً ، وكانوا أهل جمالٍ وكمالٍ وبسطة ، والعينُ حقٌّ كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب مادة أوى .

ومعنى ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ : فلا تحزن ، من البؤس .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ .. ﴾** [آية ٧٠] .

قال قتادة : هي مَشْرَبةُ المَلِك[١] .

وقال الضحاك : هو الإناءُ الذي يَشْرَبُ فيهِ المِلكُ[٢] .

وَرَوى شعبةُ عن أبي بِشْرٍ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ صُوَاعَ المَلِكِ ﴾ : شيءٌ من فضة ، يُشْبِه المكُّوكَ ، من ذهب وفضة ، مرصَّع بالجواهر ، يُجعل على الرأس[٣] .

وكان للعباس واحدٌ في الجاهلية[٤] .

٨٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾** [آية ٧٠] .

أي أعلم ونادى ، يُقال : آذَنْتُ : أي أعلمتُ ، وأَذَّنْتُ : أي أعلمت مرَّةً بعد مرَّة[٥] .

---

(١) و (٢) و (٣) الآثار عن قتادة ، والضحاك ، وابن عباس في الطبري ١٣/١٧ وابن كثير ٤/٣٢٥ والبحر ٥/٣٢٩ .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٢٧ من رواية ابن عباس .

(٥) قال القرطبي ٩/٢٣٠ : وأَذَّنَ للتكثير ، فكأنه نادى مراراً .

والمعنى : يا أصحاب العير[1] .

وقال ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ ولم يسرقوا الصُّوَّاع ؟

قيل : لأنهم أخذوا يوسف فباعوه ، فاستجازَ أن يقول لهم : إنكم لسارقون .

وقيل : يجوز أن يكون الصُّوَّاعُ جُعل في رحالهم ، ولم يعلم الذي ناداهم بذلك ، فيكون كاذباً .

وقال أحمد بن يحيى[2] : أي حالكم حالُ السُّرَّاق ، وهكذا كلام العربِ ، وكأنَّ المنادِي حَسبَ أن القوم سرقوه ، ولم يعلم بصنيع يوسف .

وقيل : يجوز أن يكون أذان المؤذن عن أمر يوسف ، واستجاز ذلك بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال ، يعني بذلك تلك السرقة ، لا سرقتهم الصُّوَّاع[3] .

---

(1) قال ابن الجوزي ٢٥٧/٤ : العيرُ : الإبلُ المرحولة المركوبة ، قال الفراء : لا يُقال عِيرٌ إلَّا لأصحاب الإبل ، أقول : الآية على حذف مضاف ، والمعنى : يا أصحاب العير ، كقولهم « يا خيلَ اللهِ اركبي » أي : يا أصحاب خيلِ الله ، وهو من مجاز الحذف وهو مشهور .

(2) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ « ثعلب » إمام الكوفيين ، المتوفى سنة ٢٩١هـ وانظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢١٤/٢ .

(3) هذه الأقوال ذكرها المفسرون في تخريج وجه اتهامهم بالسرقة ، قال ابن الجوزي ٤٥٧/٤ : فإن قيل : كيف جاز ليوسف أن يتهمهم بالسرقة مع أنهم لم يسرقوا ؟ فعنه أجوبة : أحدها : أن

وقال بعض أهل التأويل : كان ذلك خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه اللهُ عز وجل إذ قالوا له : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

٨٧ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [آية ٧٢] .

قال الضحاك : أي كفيلٌ[١] .

وقال قتادة : أي حَمِيل[٢] .

قال الفرَّاء : زعيمُ القوم رئيسُهم ومتكلِّمهم[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا قريبٌ من الأول ، لأنَّ حميلَهم هو رئيسُهم .

المعنى : إنكم لسارقون يوسف ، حين أخذتموه من أبيه وطرحتموه في الجب ، قاله الزجَّاج . والثاني : أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رَحْل أخيه ، فكان غير كاذب في قوله ، قاله ابن جرير . والثالث : أن المنادي ناداهم بالسرقة بغير أمر سوف .. إلخ . قال في البحر ٣٢٩/٥ : والذي يظهر أن هذا التحيل ، ورمي أبرياء بالسرقة ، وإدخال الهم على يعقوب ، كان بوحي من الله لما علم تعالى في ذلك من الصلاح ، ولما أراد من محنتهم بذلك ، ويقوِّيه قوله تعالى ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ .

(١) و (٢) المراد بقوله « حَمِيلٌ » أي أتحمَّلُه وأغرمه ، والحميل : هو الكفيل ، بمعنًى واحد ، وانظر الطبري ٢٠/١٣ فقد جاء فيه : أصل الزعيم في كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل . اهـ. والأثر عن الضحاك في الطبري ٢٠/١٣ والدر المنثور ٢٧/٤ قال : وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٥١/٢ .

وروى أبو أُمَامة عن النبي ﷺ أنـه قال : « والزعيـمُ غارم »[1] مختصرٌ .

يعني ﷺ بالزعيم : الضامن .

٨٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾** [آية ٧٣] .

يُروى أنهم كانـوا لا يُنْزِلـونَ على أحـد ظُلْمـاً ، ولا يرهبون زرعَ أحـدٍ ، وأنَّهـم جعلـوا على أفـواه إِبِلهم الأَكِمَّـةَ لئـلا تَعِيـثَ في زروع النَّاسِ[2] .

٨٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وما كنَّا سَارِقِينَ ﴾** [آية ٧٣] .

يُروى أنهم ردُّوا البضاعة التي جُعِلت في رحـالهم ، أي فمـن ردَّ ما وَجَده كيف يكون سارقاً[3] ؟

---

(١) طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٦٧ والترمذي في الوصايا برقـم (٢١٢١) وأبـو داود في البيوع برقم (٣٥٦٥) وقـال الترمـذي : حديث حسن ، ولفظـه عن أبي أمامـة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول في خطبتـه عام حجـة الـوداع : « العاريـة مؤدَّاةٌ ، والزعيـمُ غارمٌ ، والدينُ مقضيٌّ » قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/١٦٥ : الزعيمُ : الكفيل والضَّمينُ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٢٩ والأَكِمَّة : جمع كِمَام وهـو الغطـاء الـذي يجعـل على فم الدابة لئلا تأكل الزرع .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان ١٣/٢١ وأبو حيان في البحر ٥/٣٣٠ .

٩٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾** [آية ٧٤] .

يُقال : إنَّ هذه هي الحيلة التي ذكرها الله في قوله : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ ﴾ [آية ٧٦] .

قال الضحاك : أي في سلطانِ الملك ، وذلك أنه كان حكم الملك إذا سَرَق إنسانٌ شيئاً [غُرِّمَ مثلَهُ ، وكان حكم يعقوب ﷺ إذا سرق إنسان](١) استُعْبِدَ ، فردَّ الحكم إليهم لهذا .

٩١ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ .. ﴾** [آية ٧٦] .

أي إلَّا بمشيئته تعالى .

٩٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ .. ﴾** [آية ٧٦] .

ويُقْرأ ﴿ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ بمعنى من نشاءُ درجاتٍ(٢) .

٩٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾** [آية ٧٦] .

قيل : حتى ينتهي العلمُ إلى اللهِ جلَّ جلاله(٣) .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، والأثر ذكره الطبري ١٣/٢٢ وابن الجوزي ٤/٢٦١ وابن كثير ٤/٣٢٦ .

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٣٣ : قرأ أبو عمرو ونافع ، وأهل المدينة ﴿ نرفعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشاءُ ﴾ بالإضافة ، وقرأ عاصم ، وابن محيصن : ﴿ نرفعُ درجاتٍ من نشاء ﴾ بتنوين الدرجات . اهـ. وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦ .

(٣) هذا قول الحسن البصر ، قال « ليس عالم إلَّا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل » وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣٢٦ .

وروى إسرائيل عن سِمَاكٍ ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يكون ذا أعلمَ من ذَا ، واللهُ فوقَ كل عالم[1] .

وروى سفيان عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جُبير ، قال : « كنَّا عند ابن عباس رحمه الله فتحدَّث بحديثٍ فتعجَّبَ منه رجلٌ ، فقال : سبحانَ الله ﴿ وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ فقال ابنُ عباس : بئسَ ما قلتَ : اللهُ العَليم ، وهو فوقَ كلِّ عالم »[2] .

٩٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٧٧] .

قال مجاهد : يَعْنُونَ يوسفَ .

ويُروى أنه كان رأى صورةً تُعْبَدُ ، فأخذها ورمى بها ، وإنما فعل ذلك إنكاراً أن يُعبدَ غيرُ اللهِ[3] .

٩٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [آية ٧٧] .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ٢٧/١٣ وابن كثير ٣٢٦/٤ والدر المنثور ٢٨/٤ .

(٢) الأثر ذكره ابن عطية ٣٥/٨ وابن كثير ٣٢٦/٤ والسيوطي في الدر ٢٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي .

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٢٦٣/٤ قال : ذُكر أنه سرق صنماً لجده أبي أمه ، فكسره وألقاه في الطريق فعيَّره إخوتاه بذلك ، وهو قول سعيد بن جُبير ، وقتادة ، ووهب بن منبِّه ، وقد ذكر ابن الجوزي سبعة أقوال في المراد من السرقة ، وأرجحها أنها تهمة ألصقوها به ، وهذا ما ذهب إليه الحسن البصري حيث قال : كذبوا عليه فيما نسبوه اليه .

ثم بيَّن الذي أسرَّ بقوله : ﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً ﴾[1] .

أي أنتم سرقتم على الحقيقة ، إذْ بعتُم أخاكم .

٩٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [آية ٧٧] .

أي الله أعلم أسَرَقَ أخوهُ أم لا[2] ؟

٩٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا .. ﴾ [آية ٨٠] .

أي يئسوا تركوا أخاهم ، وانفردوا يتناجَوْنَ كيف يرجعون إلى يعقوب وليس معهم أخوهم[3] .

---

(١) قال المفسرون : والمعنى : أخفى يوسف تلك المقالة في نفسه ، وكتمها ولم يظهرها لهم تلطفاً معهم ، وهي قوله « أنتم شرٌّ مكاناً » ولم يواجههم بهذا الكلام وإنما قاله في نفسه ، رُوي هذا المعنى عن ابن عباس ، قال ابن كثير ٣٢٧/٤ يعني أسرَّ يوسف في نفسه الكلمة التي بعدها وهو قوله ﴿ أنتم شر مكاناً ﴾ قال هذا في نفسه ولم يُبدها لهم ، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر وهو كثير . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه كما في ابن الجوزي ٢٦٤/٤ وقال مجاهد ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ أي تقولون وتذكرون .

(٣) قال القرطبي ٢٤١/٩ : « استيأسوا » أي يئسوا ، مثل : عجبَ واستعجب ، وسخِر واستسخر . اهـ. يريد أن يئس واستيأس بمعنى واحد ، وفي الآية لطيفة ذكرها القاضي عياض في كتابه (الشفا بحقوق المصطفى) قال : إن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ هذه الآية ﴿ فلمَّا اسْتَيْأَسُوا منهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام ، وذلك أن الآية ذكرت صفة اعتزالهم لجميع الناس ، وانفرادهم من غيرهم ، وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يلقون به آباهم .. إلخ. فتضمنت تلك الآية القصيرة ، معاني القصة الطويلة .. وفي المخطوطة : كيف يمُرُّون إلى يعقوب وصوابه كيف يرجعون .

٩٨ ــ **ثم قال تعالى ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ ﴾** [آية ٨٠] .

قيل : « كبيرهم » يهوذا .

قال مجاهد : هو « شمعون » وليس بكبيرهم في السنِّ ، لأن « روبيل » أكبر منه .

يذهب مجاهد إلى أن المعنى : « قال كبيرهم » [في العقل ، ورئيسُهم لا كبيرهم في السنِّ ، وقال قتادة في قوله تعالى ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾][1] هو « روبيل » ذهب إلى أنه كبيرهم في السنِّ[2] ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

٩٩ ــ **وقوله تعالى ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي .. ﴾** [آية ٨٠] .

يعني : أرض مصر ، لأن كل أحدٍ على الأرض .

١٠٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ .. ﴾** [آية ٨١] .

وحُكي أنه قُرِئ ﴿ سُرِّقَ ﴾ .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

(٢) قال في البحر ٥/٣٣٥ : كبيرهم أي رأياً وتدبيراً وعلماً وهو « شمعون » قاله مجاهد ، أو كبيرهم في السن وهو « روبيل » قاله قتادة ، وقيل : في الرأي والعقل وهو « يهوذا » .

حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عثمان بن شَبِيب قال : نا أبو جعفر أحمد بن أبي سُرَيج قالا : نا علي بن عاصم عن داود وهو ابن أبي هندٍ عن سعيد بن جبير قال : نا ابن عباس يقرؤها : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّ ابنَكَ سُرِّقَ ﴾[1] .

وحدثني محمد بن أحمد بن عمر قال : نا ابن شاذان قال : نا أحمد بن سُرَيج البغدادي قال : سمعتُ الكسائيَّ يقرأ : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ ﴾ مرفوعة بالسين .

و « سُرِّقَ » تحتمل معنيين :

أحدهما : **اتُّهم بالسَّرقة** .

والآخر : عُلِمَ منه السَّرَقُ .

ومعنى ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي بل زيَّنَتْ .

١٠١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾** [آية ٨٤] .

قال ابن عباس : أي يا حُزْناً[2] .

وقال مجاهد : أي يا جَزَعَا[3] .

---

(١) هذه القراءة بالبناء للمجهول « إن ابنك سُرِّقَ » ذكرها ابن عطية في المحرر ٤٥/٨ والبحر ٣٣٧/٥ وليست من القراءات المتواترة ، قال ابن عطية : وكأنَّ في هذه القراءة لهم تحرٍّ ، ولم يقطعوا عليه بسرقة أي جُعل سارقاً بما ظهر من الحال .

(٢) و(٣) الأثران في الطبري ٣٨/١٣ وفي الدر المنثور ٢٩/٤ قال ابن جرير : يعني يا حزناً عليه ، =

١٠٢ ـ **ثم قال تعالى** ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي لم يقل بأساً[١] .

وكذلك هو في اللغة ، يُقال : فلانٌ كظيمٌ ، وكاظِمٌ : أي حزينٌ لا يشكو حزنه[٢] .

١٠٣ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ .. ﴾ [آية ٨٥] .

روى إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس « تفتأ » أي لا تزال .

وقال مجاهد : « تَفْتَؤُ » أي تَفْتُر[٣] .

والأول : المعروف عند أهل اللغة ، يقال ما فَتِيءَ ، وما فَتَأَ أي ما زال[٤] .

= والأسف أشدّ الحزن والتندُّم ، يُقال : أسِفت على كذا ، آسَفُ عليه أسفاً . اهـ . وقال ابن قتيبة : الأسفُ أشدُّ الحسرة .

(١) الطبري عن قتادة ٤٠/١٣ .

(٢) في الصحاح ٢٠٢٢/٥ : كَظَمَ غَيْظَه كظْماً : اجترعه ، فهو رجلٌ كظيم ، والغيظُ مكظومٌ ، والكُظُوم : السُّكوتُ .

(٥) ذكره الطبري ٤١/١٣ ولفظه : قال ابن عباس ﴿ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يوسفَ ﴾ أي لا تزال تذكر يوسف ، وقال مجاهد : لا تفتر من حبه .

(٤) في الصحاح ٦٢/١ : ما فَتِئْتُ أذكره ، وما فَتَأْتُ أذكره ، بالكسر والنصب أي ما زلتُ أذكره ، وما برحتُ ، ولا يُتكلم به إلا مع الجحد .

١٠٤ ـ **ثم قال تعالى** ﴿ **حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً** ﴾ [آية ٨٥] .

قال ابن جريج عن مجاهد : أي دون الموت .

وقال الضحاك : أي بالياً مُبْراً .

والقولان متقاربان ، يُقال : أَحْرَضَهُ المَرَضُ ، فَحَرِضَ وَيَحْرَضُ : إذا دام سُقْمُهُ وبَلِي[١] .

قال الفراء : الحارضُ : الفاسدُ الجسم والعقل ، وكذلك الحَرَضُ[٢] .

وقال أبو عبيدة : الحَرَضُ الذي قد أذابه الحُزنُ[٣] .

وقال غيره : منه حَرَّضتُ فلاناً أي أفسدت قلبه .

١٠٥ ـ **ثم قال تعالى** ﴿ **أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ** ﴾ [آية ٨٥] .

وقال الضحاك : أي من الميِّتينَ[٤] .

---

(١) قال أهل اللغة : الحَرَضُ : المرضُ الذي يُشفي على الهلاك ، قال الشاعر :

سَرَى همِّي فأَمْرَضَنِي ... وَقِدْماً زَادَني مَرَضاً

كذاك الحبُّ قبلَ اليو ... مِ مِمَّا يُورِثُ الحَرَضَا

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٤ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣١٦ فقد جاء فيه الحَرَضُ : الذي أذابه الحُزْنُ أو العِشْقُ ، قال العَرْجيُّ :

إنِّي امْرُءٌ لجَّ بِي حُبٌ فأَحْرَضَنِي ... حتَّى بكِيتُ وحتَّى شفَّنِي السَّقَمُ

(٤) الأثر في الطبري ١٣/٤٤ والدر ٤/٣١ .

١٠٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ .. ﴾** [آية ٨٦] .

والبثُّ : أشدُّ الحزن .

قال قتادة : ﴿ ولا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ ﴾ أي من رحمته[١] .

١٠٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ .. ﴾** [آية ٨٨] .

وروى **إسرائيل** عن سِماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أي وَرِقٍ رديئةٍ ، لا تجوز إلَّا بِوَضِيعةٍ[٢] .

وقال مجاهد : أي قليلة[٣] .

وقال قتادة : أي يسيرة[٤] .

وقال عبد الله بن الحارث : كان معهم متَاعُ الأعراب من سَمْنٍ ، وصوفٍ ، وما أشبههما[٥] .

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، وأصلُه من التزجية وهي الدفعُ والسَّوْقُ ، يقال : فلانٌ يُزْجِي العِيسَ أي يَدْفع[٦] ، والمعنى : أنها

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/٤٩ وابن الجوزي ٤/٢٧٦ قال : وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) الآثار كلها في الطبري ١٣/٥١ والدر المنثور ٩/٢٥٣ : الإزجاء السوقُ بدفع ، ومنه قوله تعالى ﴿ يُزْجي سَحَاباً ﴾ قال : والمعنى : أنها بضاعة تُدفع ولا يقبلها كلُّ أحد .

(٦) في المخطوطة « يدافع » وهو تصحيف ، وصوابه يدفع ، لأن معنى الإزجاء السَّوْقُ والدَّفْعُ .

بضاعة تُدفعُ ، ولا يقبلها كلُّ أحد .

واحتجَّ مالك بقوله تعالى ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ ﴾ في أنَّ أجرة الكيَّال والوزَّانِ على البايع[1] .

١٠٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾** [آية ٩٢] .

التثريب : التعييرُ واللومُ وإفساد الأمر ، ومنه ثَرَّبْتُ أمرَه أي أفسدتُه .

ومنه الحديث : « إذا زنتْ أَمَةُ أحدِكم ، فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ وَلا يُثَرِّبْ »[2] أي ولا يعيِّرها بالزنا .

١٠٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ .. ﴾** [آية ٩٤] .

قال ابن عباس : « هاجت ريحٌ فشمَّ ريح القميص من مسيرةِ ثمانية أيام »[3] .

ثم قال : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [آية ٩٤] .

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٥٤/١٣ فقد وضَّح فيه استدلال الإمام مالك رحمه الله .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٩/٢ من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا زنت أمةُ أحدكم فتبيَّن زناها فليجلدها الحدَّ ولا يثرِّب » هكذا لفظُه ، وسقط من المخطوطة لفظ « الحدّ » وأثبتناه من القرطبي ٢٥٧/٩ ومن مسند أحمد ٢٤٩/٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٧/١٣ عن ابن عباس .

قال ابن عباس : تُسَفِّهونِ[1] .

وقال عطاء والضحاك : أي تكذِّبونِ[2] .

والقول الأول : هو المعروف ، يُقال : فنَّده تفنيداً : إذا عَجَّزَهُ كما قال :

« أَهْلَكَتْنِي باللَّوْمِ وَالتَّفْنِيدِ »[3]

ويُقال أفْنَدَ : إذا تكلَّمَ بالخطأ ، والفَنَدُ : الخطأُ من الكلامِ والرأي ، كما قال الشاعر :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ المَلِيكُ لَهُ
قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عنِ الفَنَدِ[4]

١١٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ [آية ٩٩] .

قال ابن جريج : أي سوف أستغفر لكم ربِّي إن شاء الله .

---

(١) و(٢) الأثران في الطبري ١٣/٥٩ وفي الدر ٤/٣٥ .

(٣) هذا عَجُزُ بيت ذكره القرطبي ٩/٢٦٠ ولا يُعرف قائله ، والشاهد فيه أنَّ التفنيد معناه : التعجيز ، وتضعيف الرأي ، قال الأصمعي : إذا كثر كلامُ الرجل من خَرَفٍ فهو المفنَّد ، وقال الزمخشري : التَّفنيد : النسبة إلى الفَنَدِ وهو الخَرَفُ ، وإنكار العقل من الهرم .

(٤) البيت للنابغة الذُّبياني يمدح النعمان بن المنذر وهو في ديوانه ص ٢٠ وقبله :

ولا أرى فَاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... ولا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوام من أَحَدِ

يشبه الشاعر ممدوحه بسليمان عليه السلام في عظم ملكه ، حيث أمره الإله أن يصلح شئون الخلق ، ويبعدهم عن الخطأ والسَّفه ، وقد استشهد به ابن عطية في المحرر ٨/٧٤ والقرطبي ٩/٢٦٠ وفي البحر ٥/٣٤٠ .

قال : وهذا من تقديم القرآنِ وتأخيره[1] .

يذهب ابن جُريج إلى أنهم قد دخلوا مصرَ فكيفَ يقول ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ ﴾ ؟

١١١ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ .. ﴾** [آية ١٠٠] .

قال قتادة : أي على السرير[2] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً .. ﴾ [١٠٠] .

وقال قتادة : وكان هذا من تحيتهم[3] .

قال ابن جريج : كانوا يفعلون هذا كما تفعلُ فارس[4] .

والمعنى : وخرُّوا للهِ سجداً .

والقول الأول أشبهُ وهو سجودٌ ، على غير عبادة ، وإن كان قد نُهِيَ المسلمون عن هذا ، فإنه على ما رُوي أنها تحيةٌ كانت لهم[5] .

قال الحسن : كان بين مفارقة يوسف أباه إلى أن اجتمع معه

---

(١) ذكره الطبري عن ابن جريج ٦٦/١٣ وردَّه وقال : لا وجه لتقديم شيء من كتاب الله وتأخيره إلّا بحجة واضحة ، وقال في البحر ٣٤٨/٥ وهذا القول في غاية البعد وفي غاية الامتناع .

(٢) و(٣) و (٤) الآثار في الطبري ٦٧/١٣ وهي في تفسير ابن الجوزي ٢٩٠/٤ والدر المنثور ٣٨/٤ .

(٥) هذا هو الصحيح أن السجود ليوسف كان سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وخضوع ، قال ابن الأنباري : سجدوا له على جهة التحية ، لا على معنى العبادة ، وكان أهل ذلك الدهرِيُحيِّي بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء ، فحظره الإسلام . اهـ. وانظر زاد المسير ٢٩٠/٤ .

ثمانون سنة ، لا يهدأ يعقوبُ فيها ساعةً عن البكاء ، وليس أحدٌ في ذلك الوقت أكرمَ على اللهِ من يعقوبَ ﷺ[1] .

وأُلقِي فِي الجب وهو ابنُ سبعَ عشرَة سنةً ، وعاش بعد لقائِهِ يعقوبَ ثلاثاً وعِشرين سنة ، ومات وهو ابنُ عشرين ومائة[2] .

١١٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ [آية ١٠١] .

ويجوز أن تكون « من » هاهنا للتبعيض ، أي قد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعضَ التأويل .

ويجوز أن تكون لبيان الجنس أي أتيتني الملكَ ، وعلمتني تأويلَ الأحاديث[3] .

ويدلُّ على هذا الجواب ﴿ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ .

١١٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آية ١٠٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ٧١/١٣ وابن الجوزي ٢٩٠/٤ وفي الدر المنثور ٣٨/٤ .

(٢) هذه رواية أخرى عن الحسن البصري ذكرها الطبري في جامع البيان ٧١/١٣ قال في البحر ٣٤٨/٥ : وفي المدة التي كان بين رؤياه وسجودهم له خلاف متناقض ، قيل : ثمانون سنة ، وقيل : ثمانية عشر عاماً .. إلخ .

(٣) ذكر القولين ابن عطية في المحرر ٨٩/٨ وابن الجوزي ٢٩٢/٤ وعلى القول الثاني أنها لبيان الجنس تكون كقوله تعالى « فاجتنبوا الرجسَ من الأوثان » والمعنى : اجتنبوا الأوثان التي هي رجسٌ ، وهنا يكون المعنى : آتيتني الملك وعلَّمتني تأويل الأحاديث .

أي لستَ تقدِرُ على هداية من أردتَ .

١١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾** [آية ١٠٥] .

أي فكم من آيةٍ في رفع السموات بغير عمد ، ومجاري الشمسِ ، والقمرِ ، والنجوم ، وفي الأرضِ من نخلِهَا ، وزرعِها ؟ أي يعلمونها[١] .

١١٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾** [آية ١٠٦] .

قال عكرمة : هو قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[٢] .

فإذا سُئلوا عن صفته وصَفُوه بغيرها ، ونسبُوه إلى أن له ولداً .

وقال أبو جعفر : يذهبُ عكرمة إلى أن الإيمان هاهنا إقرارهم[٣] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٢٩٣/٤ : والمعنى : كم من علامةٍ ودلالة تدلُّهم على توحيد الله ، من أمر السموات والأرض ، يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين .

(٢) سورة الزخرف آية رقم (٨٧) .

(٣) قال ابن الجوزي ٢٩٤/٤ : في الآية قولان : أحدهما : أنهم يؤمنون بأن الله خالقُهم ورازقهم ، وهم يشركون به ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد : وعكرمة ، والشعبي . والثاني : أنها في تلبية المشركين ، كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلَّا شريكاً هو لك ، تملكه وما مَلَك ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وانظر الطبري أيضاً ٧٨/١٣ .

١١٦ ـ ثم قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ .. ﴾ ؟ [آية ١٠٧] .

قال مجاهد : أي تغشاهم[1] .

قال أبو جعفر : ومعناه : تُجَلِّلُهُمْ ، ومنه ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ ﴾ ؟

١١٧ ـ ثم قال تعالى ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آية ١٠٧] .

أي فجأةً من حيث لا يُقدِّروا .

١١٨ ـ وقوله جل وعز ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ .. ﴾ [آية ١٠٨] .

أي على يقين ، ومنه فلانٌ مستبصرٌ بهذا .

١١٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا .. ﴾ [آية ١٠٩] .

روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها في قوله جل وعز ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ قالت : « استيأس الرسلُ من إيمان من كَذَّبهم من قومهم ، وظنُّوا أنَّ من آمنَ

(١) الأثر في الطبري ٧٩/١٣ عن مجاهد ، وسميت غاشيةلأنهانقمة تغطِّيهم وتشملهم بحيث لا يفلت منهم أحد ،وانظر الصحاح مادة غشا .

منْ قومهم قد كذَّبوهم ، لما لحقهم من البلاء والامتحان »[١] .

وروى ابن أبي مُليكةَ عن عُروة عن عائشة قالت : لحقَ المؤمنين البلاءُ والضرر ، حتى ظنَّ الرسلُ أنهم قد كذَّبوهم لِمَا لحقهم .

وقال قتادة : حتى إذا استيأس الرسلُ من إيمان قومهم ، وأيقنوا أن قومهم قد كذَّبوهم جاءهم نصرنا[٢] .

يذهب قتادة إلى أن الظنَّ هاهنا يقينٌ ، وذلك معروفٌ في اللغة[٣] ، والمعنى أن الرسل كانوا يترجَّون أن يؤمن قومهم ، ثم استيأسوا من ذلك ، فجاءهم النصر .

والقولُ الأول أشبهُ بالمعنى[٤] ، وهو أعلى إسناداً ، والله أعلمُ

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٩٧ عن عُروة بن الزبير ، وتمامه كما في صحيحه عن ابن شهاب قال : أخبرني عُروة بنُ الزُّبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له : وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿ حتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ قال : قلتُ : أكُذِبُوا أم كُذِّبوا ؟ قالت عائشة : « كُذِّبوا » قلتُ : فقد استيقنوا أن قومهم كذَّبوهم ، فما هو بالظنِّ !! قالت : أجلْ لعمري لقد استيقنوا بذلك ، فقلت لها : « وَظَنُّوا أنَّهم قد كُذِبوا » قال : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظنُّ ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدَّقوهم ، فطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النَّصرُ ، حتى إذا استيأسَ الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك » .

(٢) الأثر في الطبري عن قتادة ١٣/٨٨ وفي ابن الجوزي ٤/٢٩٦ .

(٣) كقوله سبحانه ﴿ الذين يظنون أنهم مُلَاقوا ربِّهم ﴾ وقوله : ﴿ إنِّي ظننتُ أني مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي أيقنت واعتقدت .

(٤) قال القرطبي ٩/٢٧٥ : وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم ، وهذا الباب عظيم ، وخطره جسيم ، ينبغي الوقوف عليه ، لئلا يزلَّ الإنسان فيكون في سواء الجحيم ، ثم قال -

بما أرادَ .

وقرأ عبد الله بنُ مسعود ، وابنُ عَبَّاس : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ بالتخفيف وضمِّ الكاف[1] .

قال أبو جعفر : في معناه عن ابن عباس روايتان :

(أ) **روى ابنُ أبي مُليكة عنه** :أنهم ضَعُفوا ، قال : إنهم بَشَرٌ[2] .

(ب) **والقول الثاني** : أنه رُوي عن سفيانَ ، عن عطاءٍ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس قال : « حتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ » من إيمان قومهم ، وظنَّ قومُهُم قد كَذَبوا ، جاءهم نصرُنَا[3] .

قال أبو جعفر : الضميرُ في « كُذِبُوا » يعودُ على القوم على هذا .

= والمعنى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ أي يئسوا من إيمان قومهم ﴿ وظنُّوا أنهم قد كُذِّبوا ﴾ بالتشديد ، أي أيقنوا أن قومهم كذَّبوهم ، وقيل المعنى : حسبوا أنَّ من آمن بهم من قومهم كذَّبوهم ـــ لا أن القوم كذَّبوا ـــ ولكنَّ الأنبياء ظنوا وحسبوا أنهم يكذِّبوهم ، أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شكٌّ ، فيكون « ظنوا » على بابه في هذا التأويل . اهـ .

(١) هذه قراءة حمزة ، وعاصم ، والكسائي ﴿ قد كُذِبُوا ﴾ بالتخفيف ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرٍو ، وابن عامر ﴿ قد كذِّبوا ﴾ بالتشديد ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٥١ .

(٢) و (٣) الأثران عن ابن عباس ذكرهما الطبري في جامع البيان ٨٦/١٣ ورجَّح الطبري قراءة التخفيف ، وقال المعنى كما روي عن ابن عباس : أيسَ الرسلُ من قومهم أن يُصَدِّقوهم ، وظنَّ قومُهم أن الرسلَ قد كَذَبوهم جاءهم نصرنا ، ثم قال : وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة ، لأن ذلك عقيب قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم ﴾ ؟ فكان ذلك دليلاً على إياس الرسل من إيمان قومهم الذين أُهْلكوا ، وزاد ذلك وضوحاً الخبر عن الرسل وأممهم بقوله تعالى « فنجِّيَ من نشاء » .

وقرأ مجاهد : ﴿وظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا﴾[1] بالتخفيف وفتح الكاف .

وفسَّره : وظنَّ قومهم أنهم قد كَذَبوا .. وهو كالذي قبله في المعنى .

ورُوي عنه في قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ قولانِ :

أحدهما : حتى إذا استيأس الرسلُ أن يأتيَ قومَهم العَذابُ[2] .

والقول الثاني أحسنُ وهو : حتَّى إذا استيأسَ الرسلُ من إيمانِ قومِهِمْ .

١٢٠ ــ وقوله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ .. ﴾ [آية ١١١] .

قال مجاهد : يعني يوسف وإخوته[3] .

١٢١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ [آية ١١١] .

قال سفيان : يعني التوراة والإنجيل والكتب[4] ﴿ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

انتهت سورة يوسف

• • •

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥٠/١ قال ومعنى الآية على هذه القراءة : وظنُّوا أنهم قد كَذَبوا فيما أتوا به من الوحي .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ٨٨/١٣ وضعَّفه ، وقال : هذه القراءةُ لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة على خلافها .

(٣) و (٤) انظر هذه الآثار في الطبري ٩٠/١٣ وفي تفسير ابن الجوزي ٢٩٧/٤ وفي الدر المنثور ٤١/٤ .

تفسير سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد وهي مدنية[1]

١ ــ من ذلك قوله جل وعز ﴿ الٓمٓرٓ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ .. ﴾ [آية ١] .

هذا تمام الكلام .

ومَنْ ذهبَ إلى أنَّ كلَّ حرفٍ من هذه يؤدِّي عن معنى ، قال : المعنى أنَا اللهُ أرى[2] .

٢ ــ وقوه جلّ وعز ﴿ اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. ﴾ [آية ٢] .

المعنى : ترونها بغير عَمَدٍ[3] .

(١) قال القرطبي ٩/٢٧٨ : السورة مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطاء ، وجابر ، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل .
أقول : السورة فيها خلاف بين العلماء ، والراجح رأي الجمهور أنها مكية لأنها تتحدث عن أدلة الوحدانية ، والبعث ودفع الشبه التي أثارها المشركون . وهذه من مظاهر السور المكية .

(٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس كما في الطبري ١٣/٩١ وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٠٠ .

(٣) هذا هو الراجح بل هو الصحيح ، وهو قول الجمهور ، والمعنى : ترونها بغير عمدٍ لا تستند على شيء ، بل هي قائمة بقدرة رب العالمين .

ويجوز أن يكون الضمير يعود على العَمَدِ[1] .

٣ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ .. ﴾** [آية] .

أي أنهما مقهورانِ مُدَبَّران ، فهذا معنى التسخير في اللغة[2] .

٤ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ .. ﴾** [آية ٣] .

أي بَسَطَهَا[3] .

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ أي جبالاً .

﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي صنفين ، وكلُّ صنفٍ زوجٌ[4] .

٥ ـ **ثم قال تعالى ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾** [آية ٤] .

وفي هذا قولان :

قال ابن عباس : يعني الطيِّبَ ، والخبيثَ ، والسِّباخَ ،

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي ٤/٣٠١ من رواية الضحاك عن ابن عباس ، ويكون المعنى : لها عَمَدٌ ولكنكم لا ترون العمد ، قال : والأول أصح .

(٢) التسخير في اللغة : التسهيل والتذليل ، فالشمس مسخَّرة في سيرها ودورانها ، وكذلك القمر والنجوم .

(٣) في المصباح : امتدَّ الشيءُ : انبسَطَ ، قال في التسهيل : ولا يتنافى لفظُ البسطِ والمدِّ مع التكوير ، لأن كل قطعة من الأرض ممدودةٌ على حِدَتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض .

(٤) هذه حقيقة علمية لم يعرفها البشر إلّا من قريب ، وهي أن جميع الأحياء تتألف من ذكر وأنثى ، حتى النبات تحمل في ذاتها أعضاء التذكير والتأنيث ، مجتمعةً في زهرة ، أو متفرقة في شجرة ، وصدق الله ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبتُ الأرضُ ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ .

والعِذَابَ[1] ..

وكذلك قال مجاهد .

والقول الآخر : أنَّ في الكلام حذفاً ، والمعنى : وفي الأرض قطعٌ متجاورات وغير متجاوراتٍ ، كما قال : ﴿ سَرَابِيلَ تقيكُمُ الحَرَّ ﴾[2] والمعنى : وتقيكم البرد ، ثم حَذَفَ ذلك لعلم السَّامع .

و ﴿ المُتَجَاوِرَاتُ ﴾ المدنُ وما كان عامراً ﴿ وغَيْرَ مُتَجَاوِرَاتٍ ﴾ الصَّحَارى ، وما كان غيرَ عامر[3] .

٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَجَنَّاتٌ مِنْ أعْنَابٍ ﴾** [آية ٤] .

أي وفيها جنَّاتٌ من أعنابٍ .

﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [آية ٤] .

وقرأ ﴿ صُنْوَانٌ ﴾ بضمِّ الصَّاد أبو رَجَاءٍ ، وأبو عبد الرحمن ، وطلحةُ[4]

(١) الأثر في الطبري عن ابن عباس ومجاهد ٩٧/١٣ وفي البحر المحيط ٣٦٢/٥ ولفظه : قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : أرضٌ طيِّبة ، وأرض سَبْخَةٌ ، أَنْبَتَتْ هذه ، وهذه إلى جنبها لا تُنْبتُ .

(٢) سورة النحل آية رقم (٨١) .

(٣) ذكره ابن الجوزي عن قتادة ٣٠٢/٤ وإليه ذهب ابن قتيبة . اهـ. ولم يذكر الطبري هذا القول ، واقتصر على الأول .

(٤) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٥٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٠٣/٤ قال الفراء : لغة أهلِ الحجاز « صِنْوانٌ » بكسر الصَّاد ، وتميمٌ وقيسٌ يضمُّون الصاد . اهـ .

ورَوَى أبو إسحاق عن البراء قال : الصِّنْوانُ : المُجْتَمِع ، وغيرُ صنوان المتفرِّق[1] .

حدثنا زهير بن شريك قال حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا زهير بن معاوية قال أبو إسحاق عن البراء في قوله ﴿ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ قال : الصِّنْوَانُ : ما كان أصلحه واحداً وهو متفرِّق ، وغيرُ صنوان التي تَنْبُت وحدَها[2] .

وكذلك هو في اللغة ، يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر « صنوان » فإذا تفرَّقت قيل : غير صنوان[3].

٧ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ .. ﴾** [آية ٤] .

أي في الثَّمر ، أي هي تأتي مختلفة ، وإن كان الهواء واحداً ، فقد عُلِم أنَّ ذلك ليس من أجل الهواء ، ولا الطبع ، وأنَّ لها مدبِّراً[4] .

---

(١) قال الزجاج ١٣٨/٣ : الصِّنْوان : جمع صِنْوٍ ، ومعناه : أن يكون الأَصل واحداً ، وفيه النخلتان والثلاث والأربع ، وغير صنوان : المتفرِّق ، وقال الفراء في معانيه ٥٨/٢ : الصِّنْوانُ : النَّخَلاتُ يكون أصلهنَّ واحداً ، وفي الحديث : « إنَّ عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه » أخرجه مسلم ، قال ابن الأثير : الصِّنو : المثلُ ، يريد أن أصل العباس وأصلَ أبي واحدٌ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/١٣ وابن كثير ٣٥٣/٤ والسيوطي في الدر ٤٣/٤ عن البراء بن عازب .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ، والنهاية لابن الأثير ، مادة « صنو » .

(٤) قال الطبري ٩٨/١٣ : الأرضُ الواحدة يكون فيها الخوخُ ، والكُمَّثرى ، والعنبُ الأبيضُ والأسودُ ، بعضُه حلوٌ ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض ، مع اجتماع جميعها على=

ورَوَى سفيانُ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس في قوله تعالى : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ قال : الحلوُ ، والحامضُ ، والفارسيُّ ، والدَّقَلُ[1] .

٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ .. ﴾ [آية ٥] .

أي إنْ تعجب من إنكارهم البعثَ بعد هذه الدلائل ، فإنَّ ذلك ينبغي أن يُتعجَّبَ منه[2] .

٩ ــ وقوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ ﴾ [آية ٦] .

= شربٍ واحد . اهـ. وقال في البحر ٣٦٣/٥ نبَّه تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته ، وأنه المدبِّر للأشياء كلها ، وذلك أن الشجرة تخرج أغصانُها وثمراتُها ، في وقتٍ معلوم ، لا تتأخر عنه ولا تتقدم ، ثم يتصعَّد الماء فيها عُلْواً عُلْواً ، وليس من طبعه إلا التَّسفُّل ، يتفرق ذلك الماء في الورق ، والأغصان ، والثمر ، كلٌّ بقدر ما فيه صلاحه ، ثم تختلف طعوم الثمار ، والماء واحد ، والشجر واحد ، وكل ذلك يدل على مدبِّر دبَّره وأحكمه ، سبحانه وتعالى مبدع الكائنات .

(١) الدَّقَلُ : ردِيء التمر ، والفارسيُّ : نوع جيد من التمر يُنسب إلى فارس ، والحديث أخرجه الترمذي وحسنه ، وانظر الدر ١٢٠/٤ .

(٢) اختلف المفسرون في وجه العجب ، فقال ابن عباس : المعنى : إن تعجب من تكذيبهم إياك فهذا أعجبُ . وقال الطبري : إن تعجب من هؤلاء المشركين الذين عبدوا آلهةً لا تضرُّ ولا تنفع ، فعجب قولهم ، وما ذكره المصنف : إنْ تعجبْ من إنكارهم البعث .. إلخ . ذهب إليه الزمخشري ، ولم يرتضه أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٥/٥ حيث قال : وليس مدلول اللفظ ما ذكره الزمخشري ، لأنه جعل متعلق عجبه ﷺ هو قولهم في إنكار البعث . فاتَّحد الجزاء والشرط ، إذ صار التقدير : وإن تعجب من إنكارهم البعث ، فاعجب من قولهم في إنكار البعث ، وإنما مدلولُ اللفظ : إن يقع منك عجب فليكن من قولهم « أئذا كنا تراباً » !! ثم نقل عن ابن عطية قوله : إن كنت تريد عجباً فهلمَّ من أعجب العجب قولهم أئذا كُنَّا تراباً . اهـ .

رَوَى معْمَرٌ عن قتادة ، قال : بالعُقوبةِ قبل العافية[1] .

قال غيره : يعني قولهم : ﴿ اللَّهُـمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَـقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[2] .

١٠ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ .. ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد : يعني الأمثال[3] .

وقال قتادة : يعني العقوبات[4] .

قال أبو جعفر : وهذا القـول أولى ، لأنَّـه معـروف في اللغـة أن يقال للعقوبة الشديدة مَثُلَةٌ ، ومُثْلَةٌ[5] .

ورُوِيَ عن الأعـمش أنَّـه قرأ ﴿ المُثُـلَاتُ ﴾ بضم الميم والثَّـاء ، وهذا جمع (مُثْلة)[6] .

ورُوِيَ عنه أنه قرأ ﴿ المُثْلَاتُ ﴾ بضم الميم وإسكان الثاء[7] .

---

(١) الأثر في الطبري عن قتادة ١٠٥/١٣ وابن الجوزي ٣٠٥/٤ وذكر أنه قول ابن عباس ومقاتل .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٣٢) .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٠٥/١٣ والدر المنثور ٤٤/٤ .

(٥) في الصحاح ٨١٦/٥ : المَثُلَةُ بفتح الميم وضم الثاء : العقوبة ، والجمع المَثُـلَاتُ . قال في البحر ٣٥٨/٥ : « وسُمِّيت العقوبةُ بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة ، لأنها من المثال بمعنى القصاص ، ولأنها لعظم نكالها يُضرب بها المثل » . اهـ.

(٦) و(٧) انظر هذه القـراءات في ابـن الجوزي ٣٠٥/٤ والبحـر المحيـط ٣٦٦/٥ وتـفسير ابـن عطيـة ١٢٤/٨ وليست في السبع .

وهذا أيضاً جمع (مُثْلة) .

ويجوز (المُثَلَاتُ) تبدل من الضَّمَّةِ فتحةً لثقلها .

وقيل : تأتي بالفتحة عوضاً من الهاء .

ورُوِيَ عن الأعمش أيضاً أنه قرأ ﴿ المثْلَاتُ ﴾[1] بفتح الميم وإسكان الثاء ، فهذا جمع (مَثْلَة) ثمَّ حذف الضَّمَّةَ لثقلها .

١١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ .. ﴾** [آية ٦] .

رَوى حمَّاد بنُ سَلَمَة عن عليٍّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بن المسيِّب ، قال : لمَّا نزلت ﴿ وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا عفوُ الله ورحمتُه ، وتجاوزُه لما هَنَأَ أحداً عيشٌ ، ولولا عقابُهُ ووعيدُه وعذابُه ، لَاتَّكَلَ كلُّ واحد »[2] .

١٢ ــ **وقوله تعالى ﴿ إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾** [آية ٧] .

قال مجاهد وقتادة ــ وهذا معنى كلامهما ــ : ﴿ إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ يعني النَّبيَّ ﷺ . ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي نبيٌّ

---

(١) عدَّ هذه القراءة ابن جني في المحتسب ٣٥٣/١ من القراءات الشاذة ، وأما قراءة الجمهور ﴿ وقد خَلَتْ من قبلِهِمُ المَثُلاتُ ﴾ أي عقوبات الأمم السابقة فهي القراءة المتواترة .

(٢) الحديث ذكره ابن كثير مرفوعاً ٣٥٥/٤ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وذكره في الدر المنثور ٤٥/٤ عن ابن عباس مرفوعاً وقال أخرجه ابن جرير . أقول : ولم أره في تفسير الطبري .

يدعوهم[1] .

وروى **سفيان** عن أبي الضُّحَى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ قال : النَّبيُّ ﷺ ، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ﴾ قال : اللهُ جلَّ وعز[2] .

وروى **عليُّ بنُ الحَكَمِ** ، عن الضَّحَّاك ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [قال : الله عزَّ وجل[3] .

وقال **أبو صالح** : المعنى لكل قوم][4] داعي هدى ، أو داعي ضلالة[5] .

والذي يذهب إليه جماعةٌ من أهل اللغة أنَّ المعنى : أنَّهم لمَّا اقترحوا الآياتِ أعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّ لكل قومٍ نبيًّا يهديهم ويبيِّنُ لهم ، وليس عليه أنْ يأتيهم من الآيات بما يقترحون[6] .

وروى سفيان عن عطاءٍ عن سعيد بن جُبَيْر في قوله تعالى : ﴿ إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ قال : النَّبيُّ ﷺ ، ﴿ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال : اللهُ جلَّ ذكره[7] .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٧/١٣ وفي زاد المسير ٣٠٧/٤ وفي الدر المنثور ٤٥/٤ .

(٥) الأثر في ابن الجوزي ٣٠٧/٤ وتفسير ابن كثير ٤ /٣٥٦ ورجَّح الطبري أن المنذر هو محمد ﷺ وأن لكل قومٍ هادياً ومرشداً يرشدهم ، فيتَّبعونه ويأتمون به ، واختار ابن عطية قول عكرمة وأبي الضحى أن المنذر والهاد واحد وهو محمد ﷺ ، والمعنى : إنما أنت منذرٌ وهادٍ لكل قوم . اهـ. المحرر الوجيز ١٢٦/٨ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من هامشها .

(٦) هذا القول يؤيده ما رجحه ابن عطية ١٢٦/٨ في المحرر الوجيز كما تقدم .

(٧) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/١٣ وابن الجوزي ٣٠٧/٤ .

وروى **سفيان** عن السُّدي ، عن عكرمة في قوله جلَّ وعز : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى ﴾ قال سفيان : يعني من ذَكَرٍ أو أنثى[1] .

١٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾** [آية ٨] .

قال الحسن والضَّحَّاك : هو نقصان الولد عن تسعة أشهر ، وزيادته عليها[2] .

وقال قتادة : تغيض السِّقْطُ ، وتزداد على التسعةِ أشهر[3] .

وقال مجاهد : الغيضُ : النقصان ، فإذا اهْرَاقتِ المرأةُ الدَّمَ وهي حاملٌ انتقصَ الولدُ ، وإذا لم تُهْرِق الدَّمَ عَظُمَ الولدُ وتَمَّ[4] .

[**وقال سعيد بن جبير** : إذا حملت المرأة ثم حاضت][5] نَقَصَ ولدها ، ثم تزداد به الحمل مقدار ما جاءها الدَّمُ به .

وقال عكرمة : الغيضُ : أنْ ينقص الولدُ بمجيء الدَّم ، والزيادةُ أنْ يزيد مقدارُ ما جاءها الدَّمُ فيه ، حتى تستكمل تسعة أشهر ،

---

(١) و(٢) و (٣) الآثار في الطبري ١٣/١١٠ وابن الجوزي ٤/٣٠٨ وابن كثير ٤/٣٥٨ .

(٤) الأثر في الطبري ١٣/١١٠ وابن كثير ٤/٣٥٨ واختار ابن كثير قول ابن عباس ، أن المراد ما نقصت من تسعة أشهر ، وما زادت عليها ، فقال : وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهنَّ من تحملُ تسعة أشهر ، ومنهنَّ من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى ، وكلُّ ذلك بعلمه سبحانه .

(٥) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة وليس في الأصل .

سوى الأيَّامِ التي جاءها الدَّمُ فيها[1] .

١٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾** [آية ١٠] .

قال ابن عباس : السَّاربُ : الظَّاهِرُ[2] .

قال قتادة : الساربُ : الظاهرُ ، الذَّاهبُ[3] .

وقال مجاهد : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾ أي مستترٌ بالمعاصي ، وساربٌ بالنهار : ظاهرٌ[4] .

وقال بعض أهل اللغة : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ ﴾ أي ظاهرٌ من خَفَيْتُه إذا أظهرتَهُ ﴿ وَسَارِبٌ بالنَّهَارِ ﴾ أي مستترٌ من قولهم : انسرب الوحش إذا دخل كِنَاسَه[5] .

قال أبو جعفر : القولُ الأول أولى لجلالة من قال به ، وأشبهُ بالمعنى ، لأن المعنى ــ والله أعلم ــ : سواءٌ منكم من أسرَّ منطقه أو

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١١١ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٤٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) انظر الطبري ١٣/١١٤ وابن الجوزي ٤/٣١٠ .

(٣) و (٤) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١١٤ و[illegible] الوجيز لابن عطية ٨/١٣ .

(٥) الكِنَاسُ : بكسر الكاف : بيتُ الظبي ، يُقال : كَنَسَ الظَّبيُ كُنُوساً : دخل كِناسه أي بنيه . اهـ. مصباح وما ذكره المصنف عن بعض أهل اللغة هو قول قطرب ، وقد ضعَّفه ابن عطية في المحرر ٨/١٣٤ فقال : وما ذكره قطرب أم « مستخف » معناه : ظاهر من قولهم : خفيتُ الشيء إذا أظهرته فضعيف ، لأن اقتران الليل بالمستخفي ، والنهار بالسَّارب يردُّ على هذا .

أعلنَـهُ ، واستتَـرَ باللَّيْـلِ ، أو ظَهَـرَ بالنَّهَـارِ ، وكـلُّ ذلك في علـــم اللهِ سواء[1] .

وهو في اللغة أشهرُ وأكثرُ .

قال الـكسائي : يُقـــال : سَرَب يَسْرُب سَرْبـــاً وسُرُوبـــاً إذا ذهب[2] .

وحكى الأصمعي : خَلِّ له سَرْبَه أي طريقه[3] .

١٥ ــ ثم قال جل وعز ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَمِـنْ خَلْفِـهِ يَحْـفَظُونَـهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [آية ١١] .

في الآية ثلاثةُ أقوالٍ :

رَوَى إسرائيلُ ، عن سِمَاكٍ عن عِكْرَمةَ ، عن ابن عبَّاسٍ قال : ملائكةٌ يحفظونه ، فإذا جاء القَدَرُ خلَّوْا بينه وبينَه[4] .

وَرَوَى معاويـةُ بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحـةَ ، عن ابـن

(١) هذا ما رجحه ابن كثير ، وابن عطية ، قال الحافظ ابن كثير ٣٥٩/٤ ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل ﴿ وسارب بالنهار ﴾ أي ظاهر ماشٍ في بياض النهار وضيائه ، فإن كلتيهما في علم الله على السواء . اهـ.

(٢) و(٣) في المصباح ٢٩١/١ : سَرَب في الأرض سروباً من باب قَعَـــد : أي ذهب ، وسَرَب الماء سروباً : جرى ، فهو سارب ، وخلِّ سَرْبه أي طريقه ، وفي الصحـــاح ١٤٦/١ : السَّرْبُ : الطريق ، وساربٌ بالنهار أي ظاهر ، والسَّاربُ : الذاهب على وجهه في الأرض .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٥/١٣ والسيوطي في الدر ٤٧/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

عبَّاس ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : بإذن الله ، وهي من أمرِ الله ، وهي ملائكة[1] .

قال الحسن : عن أمر الله[2] .

قال مجاهد وقتادة ـــ وهذا لفظ قتادة ـــ : وهي ملائكةٌ تتعاقب بالليل والنهار عن أمر الله ، أي بأمر اللهِ[3] .

فهذا قولٌ .

والقولُ الثاني : أنه رُوي عن جُوَيْبِر عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قال : هم السَّلاطِينُ الذين لهم قومٌ من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله ، فإذا جاء أمر الله لم ينفعوا شيئاً[4] .

وَرَوى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضَّحَّاك قال : هو السلطانُ المتحرِّسُ من الله ، وذلك أهلُ الشِّرْكِ[5] .

وروى شعبة عن شرقي عن عكرمةَ ، قال : هم الأُمراء[6] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٧/١٣ وابن الجوزي ٣١٢/٤ .

(٢) انظر جامع البيان ١١٨/١٣ وزاد المسير ٣١٢/٤ والدر ٤٧/٤ .

(٣) و(٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار عن السَّلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ١١٨/١٣ وأبو حيان في البحر ٣٧٢/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣١١/٤ وابن كثير ٣٦٠/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٤٨/٤ وهذه رواية شعبة عن شَرَقِي البصري . قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣٢٦/٤ : « شَرَقِي البصري » روى عن عكرمة عن ابن عباس في تفسير آية ﴿ له مُعَقِّباتٌ ﴾ وعنه شعبة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : ليس بحديثه بأسٌ .

فهذان قولان .

والقول الثالث : أن ابن جريج قال : هو مثلُ قولِهِ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[1] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات ، والذي عن الشمال يكتب السيئات[2] .

و ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾ أي يحفظون عليه كلامه وفعله .

وأولى هذه الأقول الأوَّل لعلوِّ إسناده ، وصحته .

ويقوِّيه أن مالك بن أنس روى عن أبي الزِّناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « للهِ ملائكةٌ يتعاقبون فيكم باللَّيلِ والنَّهار .. »[3] وذكر الحديث .

وروى شعبة عن عمروِ بنِ مُرَّة ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[4] قال : تدورُ كالحرسِ ، ملائكة الليل ، وملائكة النَّهار[5] .

---

(١) سورة ق آية رقم (١٧) .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٦/١٣ وابن الجوزي ٣١٢/٤ وابن كثير ٣٦٠/٤ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٥٤/٩ ولفظه « يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل ، وملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ـــ وهو أعلمُ بكم ـــ فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلُّون ، وأتيناهم وهو يصلُّون » .

(٤) سورة الإسراءآية رقم (٧٨) .

(٥) هكذا في المخطوطة « تُدار كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار » وصوابه « تدور » كما أثبتناه ، وفي الطبري ١٤٠/١٥ عن أبي عبيدة : « يشهده حرس الليل وحرس النهار ، من الملائكة في صلاة الفجر » وهي أظهر وأوضح .

وروى **ابن عُيَيْنَةَ** عن عمرٍو ، عن ابن عباس أنَّه قرأ ﴿ معقِّباتٌ ﴾ من بينِ يديهِ ورقباءُ من خلفه ، من أمر الله يحفظونه[1] .

فهذا قد بيَّنَ المعنى .

وقال **الحسن** في المعنى يحفظونه عن أمر الله . [وهذا قريب من الأول ، أي حفظُهم إيَّاهُ من عند الله][2] لا من عند أنفسهم .

وروى **عمرو بن مالك** عن أبي الجوزاء في قوله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قال النبيُّ ﷺ[3] .

وهذا يريد الملائكة أيضاً .

وعن بعضهم أنَّه قرأ (معاقِيبُ من بين يديهِ ومن خلفه)[4] و (معاقيبُ) جمعُ مُعَقِّب ، وتفسيره كتفسير الأول .

١٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾** [آية ١١] .

أي ليس أحد يتولاهم من دون الله .

---

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست قراءة معتداً بها ، فلا تجوز القراءة بها .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة وأثبتناه من الحاشية ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٣١١/٤ وقال اللغويون : الباء تقوم مقام « من » وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض . اهـ.

(٣) هذا قول ابن زيد كما في المحرر ١٣٧/٨ والمعنى : إن الملائكة تحفظه عليه السلام من أعدائه ، وقد ضعَّفه ابن عطية لأنه لم يتقدم له ذكرٌ ، وقال القرطبي ٢٩٢/٩ : قد جرى ذكرُ الرسول في قوله سبحانه ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ .

(٤) هذه قراءة عُبيد الله بن زياد ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥٥/١ .

و « وَالٍ » وولـيٌّ واحـدٌ ، كما يُقـالُ : قديـرٌ وقـادرٌ ، وحفيـظٌ وحَافظٌ[1] .

١٧ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً** .. ﴾ [آية ١٢] .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : أي خوفاً للمسافر ، وطمعاً للحاضر[2] .

والمعنى : أنَّ المسافر يخاف من المطر ويتأذَّى به .

قال الله تعالى ﴿ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾[3] .

والحاضر : المنتفع بالمطر ، يطمعُ فيه إذا رأى البرق .

١٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** ﴾ [آية ١٢] .

قال مجاهد : التي فيها المطر[4] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٣١٣/٤ ﴿ وما لهم من دونه من والٍ ﴾ أي من وليٍّ يدفع عنهم العذاب والبلاء . اهـ. أقول : أصل « والٍ » والي ، وهو الذي يلي أمر الإنسان كالولي ، حُذفت الياء منه مراعاة لرءوس الآيات .

(٢) الأثر في الطبري ١٢٣/١٣ وابن الجوزي ٣١٣/٤ والدر المنثور ٤٩/٤ .

(٣) يريد المصنف أن الله وصف المطر بالأذى في قوله سبحانه ﴿ ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطرٍ ﴾ الآية سورة النساءآية رقم (١٠٢) .

(٤) الطبري عن مجاهد ١٢٤/١٣ وابن كثير ٣٦٢/٤ سُميت ثقالاً لأنها ثقيلة بالماء الكثير ، قال الفراء : والسحابُ وإن كان لفظُه واحداً ، فإنه جمعٌ واحدته سحابة ، جُعل نعتُه على الجمع . معاني الفراء ٦٠/٢ .

١٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ .. ﴾ [آية ١٣] .

رَوى **سفيانُ** عن سالم ، عن أبي صالح ، قال : الرَّعدُ : مَلَكٌ يسبِّحُ[١] .

وروى **عثمان بن الأسود** عن مجاهد : قال : الرعد ملكٌ يسمَّى « الرَّعدَ » ألَا تسمع إلى قوله : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْد بِحَمْدِهِ ﴾[٢] ؟

وروى **سفيان** عن الحكم بن عُتَيْبَة[٣] عن مجاهد ، قال : الرَّعدُ : مَلَكٌ يزجرُ السحابَ بصوتِهِ[٤] .

وقال عكرمة : الرعد ملك يصوِّت بالسحاب كالحادي بالإبل[٥] .

---

(١) الأثر في ابن جرير ١٥١/١ وابن الجوزي ٣١٤/٤ ولفظه : الرعد اسم المَلَك الذي يزجر السحاب ، وصوته تسبيحه .

(٢) هذا طرف من حديث طويل رواه أحمد والترمذي وصححه ، وهو في الدر المنثور بأكمله ٥٠/٤ وفيه أن اليهود سألوا النبي ﷺ قالوا : أخبِرْنا ما هذا الرعدُ ؟ قال : « مَلَكٌ من ملائكة الله موكَّل بالسحاب ، بيديه مخراق من نار ، يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله » قالوا : صدقت .. » الحديث .

(٣) الحكمُ بين عُتَيْبَة هو : أبو محمد الكِنْدي الكوفي ، ثقةٌ ، ثَبْتٌ مات سنة ١١٣هـ ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١٩٢/١ .

(٤) و (٥) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ١٢٤/١٣ والقرطبي ٢٩٦/٩ وابن كثير ٣٦٣/٤ والدر المنثور ٥٠/٤ ، ٥١ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٤/٨ : والرعدُ مَلَكٌ يزجر السحاب بصوته ، وصوته هذا المسموع تسبيحٌ ، والرَّعد اسم المَلَك ، وقيل : الرعدُ اسم صوت المَلَك ، ورُوي عن النبي ﷺ أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » . اهـ. أقولُ : الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٠٠/٢ .

ورُوي أنَّ ابــن عبَّــاس كان إذا سمع صوت الرعــد قال : « سبحان الذي سبَّحتُ له »[1] .

وروى مالكٌ عن عامر بن عبد الله ، عن أبيه ، كان إذا سمع صوت الرعد لَهِيَ من حديثه ، وقال : « سبحانَ من سبَّحَ الرعدُ بحمدِهِ ، والملائكةُ من خيفته » ثم يقول إنَّ هذا وعيدٌ لأهلِ الأرض شديد[2] .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ .. ﴾ [آية ١٣] .

يجوز أن تكون الــواوُ واوَ حال ، أي يصيب بها من يشاء في حال مجادلته .

لأنه يُروى أن أربد[3] سأل النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن ربِّنا أهو من نُحَاسٍ ، أو من حديد ؟ فأرسل الله صاعقة فقتلته[4] .

---

(١) و (٢) انظر جامع البيان للطبري ١٣/١٢٥ وابن كثير ٤/٣٦٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/١٤٥ ومعنى قوله « لَهِيَ من حديثه » أي تركه وأعرض عنه ، قال ابن الأثير في النهاية ٤/٢٨٢ : لَهِيتُ عن الشيء بالكسر أَلْهَى لُهِيًّا : إذا سلوتَ عنه وتركتَ ذكره . اهـ.

(٣) ذكر ابن الجوزي في تفسيره ٤/٣١٤ أنه « أربد بن قيس » وكذلك في الطبري أنه أربد أخو لبيد ابن ربيعة وهو من صناديد الكفر ، ورؤساء الضلالة .

(٤) ورد هذا في حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ، وأخرجه ابن جرير ١٣/١٢٥ وابن كثير ٤/٣٦٤ ولفظه عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرَّةً إلى رجل من فراعنة العرب ، فقال : اذهب فادْعه لي ، فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله ﷺ فقال له : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمِن ذهبٍ هو ! أم من فضة ؟ أم مَن نحاس ؟ فرجع إلى رسول الله فأخبره ، فقال يا رسول الله : قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ــ أي أشد طغياناً وتكبراً مما تظن ــ قال

ويجوز أن يكون قولـه ﴿ وَهُـمْ يُجَادِلُـونَ فِي اللهِ ﴾ منقطعاً من الأول .

٢١ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾** [آية ١٣] .

قال ابن عباس : أي الحول(٣) .

وقال قتادة : أي الحيلة(٤) .

وقال الحسن : المكرُ(٥) .

ورُوي عن الحسن أنه قال : أي الهَلَاك(٦) .

وهـذه أقـوال متقاربـةٌ ، وأشبهـها بالمعنـى ـــ والله أعلـمُ ـــ أنـه الإِهْلَاكُ ؛ لأن المَحْلَ الشِدَّةُ ، فكـــأنَّ المعنـــى : شديـــد العـــذاب والإِهلاك(٧) .

وقد قال جماعة من أهـل اللغـة ، منهم « أبـو عُبيـدة » و « أبـو عُبيدٍ » : هو المكرُ ، من قولهم : مَحَلَ به ، وأنشدَ بيتَ الأعشَى :

لي : كذا وكذا ، فقال : ارجع إليه الثانية ، فذهب فقال له مثلها ، فأرسلـه الثالثـة فأعـاد عليـه ذلك الكلام ، فبينا هو يُكلِّمه ، إذ بعث الله سحابةً حيال رأسه ، فرعدت فوقع منها صاعقـة ، فذهب بقِحْفِ رأسه ـــ أي أعلى الدماغ ـــ فأنزل الله الآية .

(٣) و (٤) و (٥) و (٦) هذه الآثار كلهـا في الـطبري ١٢٧/١٣ وابـــن الجوزي ٣١٦/٤ والبحـــر ٣٧٥/٥ .

(٧) انظر جامع البيان للطبري ١٢٧/١٣ والبحر المحيط ٣٧٦/٥ ومعنـى الآية : أن الكفـار يجادلـون في وجود الله ووحدانيته ، وهو تعالى شديد القوة والبـطش والنّكـال ، كما قالـه أبـو عبيـدة في مجاز القرآن ٣٢٥/١ .

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ
غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ[1] .

وقال أبو عبيد : الأشبهُ بقول ابن عبَّاس أنْ يكون قرأ (شديد المَحَال) بفتح الميم .

فأما الأعرجُ فالمعروف من قراءته (المَحَال) بفتح الميم[2] .

ومعناه كمعنى الحَوْلِ من قولهم : لا حَوْلَ وَلَا قوَّةَ إلَّا باللهِ .

فأما معنى المكر من الله : فهو إيصال المكروه إلى من يستحقُّه من حيث لا يشعر[3] .

٢٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ .. ﴾ [آية ١٤] .

رَوَى إسرائيل عن سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : « لا إله إلَّا اللهُ »[4] .

وكذلك قال قتادة والضَّحَّاك .

---

(١) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص ١٦٦ وفيه فسَّر المِحَالَ بالعقوبة ، وقد جاء في المخطوطة « فَرْعُ فَرْعٍ يهتزُّ » وصوَّبناه من الديوان ، وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢٥/١ وجامع البيان للطبري ١٢٧/١٣ والقرطبي ٢٩٩/٩ واللسان ، والتاج ، مادة مَحَل .

(٢) هذه القراءة شاذة كما في المحتسب لابن جنى ٣٥٦/١ وقرأ السبعة « المِحَال » بالكسر ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٢٥/١ ومعناه : شديد العقوبة والمكر والنكال .

(٣) قال ابن كثير ٣٦٧/٤ : ﴿ وهو شديد المحال ﴾ أي شديد العقوبة لمن طغى وعتا وتمادى في كفره ، قال : وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٨/١٣ وابن الجوزي ٣١٧/٤ وابن كثير ٣٦٧/٤ .

٢٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال مجاهد : أي يشير إلى الماء بيده ، ويدعوه بلسانه(١) .

وقال غيره : أي الذي يدعو الأصنام ، بمنزلة القابض على الماء ، لا يحصل له شيء(٢) .

٢٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ وللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً .. ﴾ [آية ١٥] .

قيل : مَنْ أسلم طوعاً ، ومَنْ لم يسلم حتى فُحِصَ عن رأسه بالسيف ، فكان أول دخوله كَرْهاً(٣) .

وقيل : إنَّما وقع هذا على العموم ، لأنَّ كل من عَبَدَ غيرَ اللهِ ، فإنَّما يقصد إلى ما يَعْظُم في قلبِهِ ، واللهُ العظيمُ الكبيرُ(٤) .

---

(١) انظر الأثر في تفسير ابن الجوزي ٣١٧/٤ وجامع البيان للطبري ١٢٩/١٣ ولفظه : قال مجاهد : يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبداً .

(٢) هذا قول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ٣٢٧/١ قال : يبسط كفَّه ليقبض على الماء ، ولا تجمعه أناملُه وأنشد :

فأَصْبَحتُ ممَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... من الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ باليدِ

(٣) هذا قول ابن زيد كما حكاه ابن جرير ١٣٠/١٣ وابن الجوزي ٣١٨/٤ ولفظ الطبري : قال ابن زيد : من دخل طائعاً هذا « طوعاً » و « كرهاً » من لم يدخل إلَّا بالسيف .

(٤) قال القرطبي ٣٠٢/٩ : الصحيح إجراء الآية على التعميم ، فالمؤمن يسجد ببدنه طوعاً ، وكلُّ مخلوق ــ مؤمناً كان أو كافراً ــ يسجد من حيث إنه مخلوقٌ ، يسجد دلالة وحاجة إلى الصانع كقوله سبحانه ﴿ وإن من شيءٍ إلا يُسبِّح بحمده ﴾ وهو تسبيحُ دلالةٍ ، لا تسبيح عبادة . اهـ .

والسجودُ في اللغة : الخضوعُ ، والانقيادُ ، وليس شيءٌ إلّا وهو يخضع للهِ ، وينقادُ له(١) .

٢٥ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾** [آية ١٥] .

يُروى أنَّ الكافر يسجد لغير اللهِ ، وظلُّه يسجـدُ للهِ ، وهـذا من الانقياد والخضوع .

وقيل : الظِّلالُ ها هنا : الأشخاصُ(٢) .

٢٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ١٦] .

أي هل رأَوْا غير اللهِ خَلَقَ مثْـلَ خلقِـهِ ، فتشابَـهَ الخلـقُ عليهم(٣) ؟!

---

(١) قال في البحر ٣٧٨/٥ : إن كان السجودُ بمعنى الخضوع والانقياد ، فالآية على عمومهـا ، كلهم ينقاد إلى ما أراده تعالى بهم ، شاءوا أو أبوا ، وتنقادُ له تعالى ظلالهم ، من الفيء والزوال ، والتقلُّص والامتداد ، وإن كان السجود هو وضع الجبهة على الأرض ، فيكون قد عبَّر بالطَّوع عن سجود الملائكة والمؤمنين ، وبالكرْه عن سجود من ضمَّه السيف إلى الإسلام .

(٢) هذا القول حكاه بعضُ المفسرين وهو ضعيف ، لأن الظلَّ لا يُطلق على الشخص لغةً ، فالظلُّ شيءٌ والشخص أمرٌ آخر ، قال أبو حيان في البحر ٣٧٨/٥ : وكونُ الظلال يُراد بها الأشخاص ضعيف ، وأضعفُ منه قول ابن الأنباري إنه تعالى جعل للظِّلال عقولاً ، تسجد بها وتخشع ، كما جعل للجبال أفهاماً حتى خاطبت وخُوطبت ، فإن الظلَّ عَرَضٌ لا يُتَصَوَّر قيام الحياة به ، وإنما معنى سجود الظِّلال : ميلُها من جانب إلى جانب ، كما أراد الله تعالى . اهـ .

(٣) هذا الاستفهام للتهكم والسخرية لأنه معلوم بالضرورة ، أن هذه الأصنام لا تقدر على خلق ذرَّة ، فكأنه يقول لهم : هل التبس الأمرُ عليكم ، فلم تفرِّقوا بين خَلْق الله ، وبين ما خلقته أصنامكم ؟ وهو تهكم لاذع ، فيه تسفيه لهم وتجهيل ، وإزراء بعقولهم ، ولهذا قال بعده ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهَّار ﴾ .

٢٧ ــ وقوله تعالى ﴿ أنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا .. ﴾ [آية ١٧] .

قال ابن جريج : أخبرني ابن كثير ، قال : سمعتُ مجاهداً يقول : بقدر مِلئها[1] .

قال ابن جريج : بقدر صِغَرِها ، وكِبَرِهَا[2] .

وقرأ الأشهبُ العُقَيْلِيُّ ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا ﴾[3] والمعنى واحدٌ .

وقيل : معناها بما قُدِّر لها .

٢٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً ﴾ [آية ١٧] .

أي طالعاً عالياً[4] .

قال مجاهد : تمَّ الكلامُ .

٢٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمِمَّا تُوقِدُونَ[5] عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه .. ﴾ [آية ١٧] .

---

(١) و (٢) انظر الطبري ١٣/١٣٦ والدر المنثور ٤/٥٥ .

(٣) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/١٥٥ ولم أعثر على ترجمة للأشهب العُقَيلي مع أن ابن عطية قد ذكره بهذا الاسم ، وقد ورد في الجرح والتعديل ٢/٣٤٢ « أشهب الضَّبعي » فلعله هو أو هو اسم لآخر ، والله أعلم .

(٤) قال ابن عطية ٨/١٥٥ : الزَّبَدُ : ما يحمله السيل من غثاء ونحوه ، والرَّابي : المتنفخ الذي قد ربا ، ومنه الرَّبوة .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ وممَّا توقدون عليه ﴾ بالتاء ، وقرأ حمزة ، والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ يوقدون ﴾ بالياء ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٢١ والنشر في القراءات العشر ٢/٢٩٧ وكلتا القراءتين سبعية .

قال مجاهد : المتاع : الحديدُ ، والنُّحَاسُ ، والرَّصَاصُ(١) .

قال غيره : الذي يوقد عليه ابتغاء حليةٍ : الذهب والفضَّة .

٣٠ ـ **ثم قال تعالى ﴿ فأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفَاءً .. ﴾** [آية ١٧] .

قال مجاهد : أي جموداً(٢) .

قال أبو عمرو بن العلاء(٣) ـ رحمه الله ـ : يقال : أجفأتِ القِدْرُ : إذا غَلَتْ حتى يَنْضُبُ زَبَدُها ، وإذا جمد في أسفلها(٤) .

قال أبو زيد(٥) : وكان رُؤْبةُ يَقْرأ ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَالاً ﴾(٦) ، يقال : جَفَلَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ : إذا قَطَّعَتْهُ وأذهبته(٧) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/١٣٦ والدر ٤/٥٥ وابن كثير ٤/٣٧٠ .

(٢) عبارته كما في الطبري ﴿ فيذهب جُفَاءً ﴾ أي جموداً في الأرض .

(٣) أبو عمرو بن العلاء : هو الإمام ابن العلاء المازني من كبار علماء اللغة والقراءات المتوفى سنة ١٥٤هـ وانظر التهذيب ١٢/١٧٨ .

(٤) ذكره الطبري عن أبي عمرو بن العلاء ١٣/١٣٧ وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٢٩ وفي المخطوطة « حتى ينضبُ زَبَدُها » وفي الطبري ومجاز القرآن « إذا غلت فانصبَّ زَبَدُها ، أو سكنت فلا يبقى منه شيء » .

(٥) أبو زيد هو « سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري » أحد أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٠٧ وتاريخ بغداد ٩/٧٧ .

(٦) ذكرها أبو حيان في البحر ٥/٣٨٢ وابن عطية في المحرر ٨/١٥٧ وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٧) في الصحاح ٥/٦٥٧ : الجَفْلُ : السحاب الذي قد هَرَاق ماؤه ثم انجفل ، والجُفال : ما نفاه السيل ، وأجفلتِ الريح أي أسرعت ، وأجفلتِ الترابَ : أي أذهبته وطيَّرته . اهـ.

٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : وهو الماءُ ، وهذا مثلٌ للحقِّ والباطلِ ، أي إنَّ الحقَّ يبقى ويُنتفعُ به ، والباطلُ يذهبُ ويضمَحِلُّ ، كما يذهب هذا الزَّبدُ ، وكذهابِ خَبَثِ هذه الأشياء(١) .

٣٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ [آية ١٧] .

تمَّ الكلام(٢) .

٣٣ ــ ثم قالَ جلَّ وعزَّ ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى .. ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : هي الجنَّةُ(٣) .

٣٤ ــ وقوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ .. ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٣/١٣٦ وهو قول قتادة ، وابن زيد ، قال ابن الجوزي ٤/٣٢٢ : « هذا مثلٌ ضربه الله للحق والباطل ، فالحق شُبِّه بالماء الصافي الباقي ، والباطل مشبَّه بالزبد الذاهب ، فهو ــ وإن علا على الماء ــ سينمحقُ ، كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال ، فإن الله يبطله » .

(٢) هذا واضح صريح ، في أن الآية وردت مورد التمثيل ، ولهذا قال الطبري ١٣/١٣٦ : « هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مَثَل واحد ، يقول : كما اضمحلَّ هذا الزبد فصار جُفَاء لا يُنتفع به ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحقُّ لأهله .. » إلخ .

(٣) الطبري ١٣/١٣٨ وابن الجوزي ٤/٣٢٣ وهو قول ابن عباس ، وإليه ذهب الجمهور .

قال أبو الجوزاء : عن ابن عبَّاس يعني : المناقشة بالأعمال .

ويدلُّ على هذا الحديث : « مَنْ نُوقشَ الحسابَ هَلَكَ »[1] .

قال فرقد : قال لي إبراهيم : يا فرقدُ : أتدري ما سُوءُ الحساب ؟ قلتُ : لا . قال : أن يُحَاسَبَ العبدُ بذنبه كلِّه ، لا يُغْفَرُ له منه شيء[2] .

٣٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ، وَأَزْوَاجِهِمْ ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ .. ﴾** [آية ٢٣] .

أي من كان صالحاً .

لا يدخلونها بالأنساب .

٣٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ والمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾** [آية ٢٣] .

أي تكرمةً من الله لهم .

٣٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾** [آية ٢٤] .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري ١٧٦/١ في كتاب العلم ، ومسلم في الجنة برقم ٢٨٧٦ والترمذي برقم ٢٤٢٨ وأحمد في المسند ١٨٥/٦ ولفظه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من حُوسب يوم القيامة عُذِّب » وفي رواية : « ليس أحد يُحاسب إلَّا هَلَكَ » قلت يا رسول الله : جعلني الله فداءك ، أليس الله تعالى يقول ﴿ فأمَّا من أُوتي كتابه بيمينه فسوف يُحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال : « ذلك العَرْضُ تُعْرضون ، ومن نُوقش الحسابَ هلك » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٣٨/١٣ والسيوطي في الدر ٥٦/٤ .

أي يقولون : سلامٌ عليكم بما صبرتم[1] .

٣٨ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾** [آية ٢٤] .

قال أبو عِمْرَان الجَوْنِي[2] : ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ﴾ الجنَّةُ من النار .

٣٩ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلَّا مَتَاعٌ ﴾** [آية ٢٦] .

قال مجاهد : أي تذهب[3] .

٤٠ ـ **وقوله عز وجل ﴿ قُلْ إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾** [آية ٢٧] .

أناب : إذا رجع إلى الطاعة[4] .

---

(١) هذا من باب الإيجاز بالحذف ، لدلالة الكلام عليه ، ومثلُ هذا الحذف كثير في أساليب العرب ، قال تعالى ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلونِ . يوسُف أيها الصِّدِّيق أفتنا ﴾ أي فأرسلوه فجاء إليه فقال : يوسف أيها الصِّدِّيق أفتنا .

(٢) أبو عمرَانَ الجَوْني : بفتح الجيم وسكون الواو ، نسبة إلى الجَوْن بطنٌ من كِندة ، أفاده صاحب المغني في الأنساب ص ٦٧ قال ابن حجَر في تقريب التهذيب ٥١٨/١ : أبو عِمْرَان الجَوْني عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكِنْدي ، مشهور بكنيته ، ثقةٌ من كبار الرابعة ، توفي سنة ١٢٨هـ ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٨٩/٦ .

(٣) الأثر في الطبري عن مجاهد ١٤٤/١٣ : ﴿ مَتَاعٌ ﴾ : قليل ذاهب . أقول : المراد أنه شيء قليل ذاهب ، ومتاع حقير بالنظر إلى الآخرة ، والمتاعُ : كلُّ ما يتمتع به ثم يضمحل ويفنى .

(٤) « أناب » معناه في اللغة : رجع وتاب من الذنب ، ولهذا قال المصنِّف : رجع إلى الطاعة .

٤١ ــ ثم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي بتوحيده ، والثناء عليه(١) .

٤٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [آية ٢٨] .

أي التي هي قلوب المؤمنين .

قال مجاهد : يعني أصحابَ محمدٍ ﷺ(٢) .

٤٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال ابن عباس وأبو أُمامة : « طُوبَى » شجرةٌ في الجنة(٣) .

وكذلك قال عبيد بن عمير .

وقال مجاهد : هي الجنة(٤) .

وقال عكرمة : أي نِعْمَ ما لَهُمْ(٥) .

وقال إبراهيم : « طُوبَى » أي خيرٌ وكرامةٌ(٦) .

---

(١) المراد أن بذكر الله تعالى تستأنس ، وتسكن قلوب المؤمنين ، فلا يشعرون بقلق ولا اضطراب .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٤٥/١٣ والسيوطي في الدر ٥٨/٤ .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١٤٧/١٣ وابن كثير ٣٧٧/٤ ورجحه القرطبي في جامع الأحكام ٣١٧/٩ فقال : والصحيح أنها شجرة للحديث المرفوع ، ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن معنى « طوبى لهم » فرحٌ لهم وقُرَّة عين ، ومعناها العيشُ الطيِّب لهم ، ما أطيبهم وما أحسن مآبهم . اهـ. ولعل هذا القول أرجح لأنه يجمع كل نعيم لأهل الجنة ، والله أعلم .

(٤) و (٥) و (٦) الآثار كلها عن السلف ذكرها ابن جرير في جامع البيان ١٤٦/١٣ والقرطبي في =

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، لأن « طُوبَى » فُعْلَى من الطِّيب ، أي من العيش الطيِّب لهم ، وهذه الأشياء ترجع إلى الشيءِ الطيِّبِ .

٤٤ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد : أي مرجع(١) .

٤٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى .. ﴾** [آية ٣١] .

قال ابن عباس : قال الكفَّارُ للنَّبِيِّ ﷺ : سيِّرْ لَنَا الجبالَ ، قَطِّعْ لنا الأرضَ ، أَحْيِي لنا الموتَى(٢) .

وقال مجاهد : قالوا للنَّبيِّ ﷺ : بعِّد لنا هذه الجبال ، وادْعُ لنا أن يكون لنا زرعٌ ، وقرِّبْ منَّا الشَّامَ فإنَّا نَتَّجِرُ إليه ، وأحيي لنا الموتى(٣) .

قال قتادة : قالت قريش للنَّبيِّ أَحْيِي لنا الموتى ، حتى نسألهم عن الذي جئتَ به ، أحقٌّ هو ؟ فأنزلَ اللهُ ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ﴾(٤) .

= جامع الأحكام ٩/٣١٦ وابن كثير في تفسيره ٤/٣٧٦ وأورد ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٤/٣٢٧ ثمانية أقوال لمعنى « طُوبَى » ونقل عن الزجاج أن معناها : العيشُ الطيِّب لهم ، قال : وهي « فُعْلَى » من الطِّيب ، وقال ابن الأنباري : معناها الحالُ المستطابة ، والخلَّة المستلذَّة لهم ، وهذا ما رجحه الإمام النحاس رحمه الله ، وقال ابن كثير ٤/٣٧٦ : وهذه الأقوال شيء واحد ، لا منافاة بينها .

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/١٥٠ حيث قال : ﴿ وحُسْنَ مَآب ﴾ : وحسن منقلب . وقال ابن كثير ٤/٣٧٦ : وحسن مرجع .

(٢) و(٣) و (٤) هذه الآثار كلها ذكرها أهل التفسير ، الطبري في جامع البيان ١٣/١٥١ وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٣٣٠ وتفسير البحر المحيط ٥/٣٩١ والدر المنثور ٤/٦٢ .

قال : لو فُعِل هذا بأهل الكتاب لفُعِل بكم[1] .

وهــذه الأقــوال كلُّهــا توجب أنَّ الجوابَ محذوفٌ ، لعلــم السامع[2] ؛ لأنهم سألوا فكان سؤالهم دليلاً على جواب (لو) .

ونظيرُه : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[3].

وقال الشاعر :

فَلَــوْ أَنَّهــا نَفْسٌ تَمُــوتُ سَوِيَّــةً
وَلَكِنَّهَــا نَفْسٌ تَسَاقَــطُ أَنْــفُسَا[4]

فحذِف جوابُ (لو) ، أي لَتَسَلَّتْ .

---

(١) عبارة قتادة كما في الطبري ١٥٢/١٣ : يقول : لو كان فُعل ذلك بشيء من الكتب ، فيما مضى كان ذلك .

(٢) هكذا قال ابن جرير ١٥٢/١٣ : وجواب « لو » محذوف ، استغنى بمعرفة السامعين المراد عن ذكر جوابها ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، كما قال امرؤ القيس :

فأقسمُ لو شَيْءٌ أَتَانَــا رَسُولُــهُ ... سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لكَ مَدْفَعَــا

أقول : وقدَّره بعضهم : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، ولكن لا نستطيع دفعك .

(٣) سورة هودآية رقم (٨٠) .

(٤) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٠٧ : « فلو أنَّها نفسٌ تموتُ جميعَةً » إلخ . واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣١٩/٩ والشاهد فيه أنــه لم يأت بجواب لـ « لو » وهنــاك تقديران :

أحدهما : أن يكون الجواب محذوفاً لعلم السّامع بما أراد ، كأنه قال : لكان ذلك أهون عليَّ ، ونحو ذلك .

والثاني : أن تكون « لو » بمعنى التمني فلا تحتاج إلى جواب ، ويريد بقوله « تموت جميعةً » أي تموت شيئاً بعد شيء ، ويُروى « تُساقِطُ أَنْفُساً » أي يموت بموتها خلق كثير ، لأنه يرعاها وينفق عليها .

وفي الحذف من الآية قولان :

أكثرُ أهل اللغة يذهب إلى أنَّ المعنى : ولو أنَّ قرآناً سُيِّرَت به الجبالُ ، أو قُطِّعت به الأرضُ ، أو كُلِّم به المَوْتى ، لكانَ هذا القرآن[1] .

وقال بعضهم : المعنى : لو فُعِل بهم هذا لَمَا آمنُوا[2] ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِم المَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : [وقيل : في الكلام][4] تقديمٌ وتأخيرٌ ، والمعنى : وهم يكفرون بالرحمن ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ ، أي وهم يكفرون ولو وَقَعَ هذا[5] .

٤٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾** [آية ٣١] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية اختلافٌ كثير .

---

(١) كذا قدَّره الحافظ ابن كثير ٣٨٢/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٩١/٥ قال : وجواب « لو » محذوف أي لكان هذا القرآن ، لكونه غايةً في التذكير ، ونهاية في الإنذار والتخويف .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٠/٤ وعزاه إلى الزجاج .

(٣) سورة الأنعام آية رقم (١١١) .

(٤) ما بين الحاصرتين مكرَّرٌ في المخطوط .

(٥) هذا القول للفراء كما في معانيه ٦٣/٢ وهو أحد وجهين ذكرهما في تأويل الآية ، وقد ردَّه أبو حيان في البحر ٣٩١/٥ قال : وعلى قول الفراء يترتب جواب « لو » أن يكون : لَمَا آمنوا ، لأن قوله ﴿ وهُمْ يكفرون بالرحمن ﴾ ليس جواباً ، وإنما هو دليل على الجواب .

روى جرير بنُ حازمٍ عن يَعْلَى بن حكيمٍ ، وعكرمةُ عن ابنِ عبَّاس أنه قَرَأَ ﴿ أَفَلَمْ يَتَبَيَّن الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] مُخْتَصَرٌ .

وفي كتاب خارجةَ أنَّ ابن عبَّاس قرأ ﴿ أَفَلَمْ يَتَبيَّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] .

وروى المنهال بن عُمير عن سعيد بن جُبير عن ابن عبَّاس ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَس الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي أفلم يعلم[3] .

وأكثرُ أهل اللغة على هذا القول .

وممن قال به أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة[4] ، قال سُحَيْم بن وثيل :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي
أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[5]

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥٧/٢ قال : وهذه القراءة فيها تفسير معنى قوله تعالى ﴿ أفلم يَيْأَسِ ﴾ فهي محمولة على التفسير .

(٢) وهذه أيضاً من القراءات الشاذة ، وهي محمولة على أنها تفسير للآية ، فهي تفسير معنى ، لا قراءة متواترة .

(٣) هذا القول عن ابن عباس ذكره الطبري في جامع البيان ١٥٤/١٣ ورجّح أن المعنى : أفلم يعلم ويتبيّن ، وأنكر هذا القول الفراء في معانيه ٦٤/٢ أن يكون يَئِسَ بمعنى عَلِمَ ، وزعم أنه لم يُسمع أحدٌ من العرب يقول : « يَئِستُ » بمعنى علمتُ إلخ . قال في البحر ٣٩٢/٥ وقد حفِظَ ذلك غيره ، وهذا القاسم بن معن من ثِقَاة الكوفيِّين ، نقل أنها لغة هوازن ، ومن حفظ حجةٌ على من لم يحفظ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٣٢/١ وقد حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري ٢٨٢/٨ .

(٥) البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وهو في الطبري ١٥٣/١٣ بلفظ « إذ يأسرونني » قال : ويُروى =

ويُروى : إذْ يأسِرونني .

فمعنى ﴿ أفلم يَيْأَسَ الذِينَ آمَنُوا ﴾ ألم يعلموا .

وروى معاوية بن صالح بن عليِّ بنِ أبي طلحة عن ابنِ عبَّاس في قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال : أفلم يعلم .

وفي الآية قول آخر :

قال الكسائي : لا أعرفُ هذه اللغة ، ولا سمعتُ مَنْ يقولُ : يئستُ بمعنى علمتُ ، ولكنه عندي من اليأس بعينه(١) ، والمعنى : إنَّ الكفار لمَّا سألوا تسيير الجبال بالقرآن ، وتقطيعَ الأرض ، وتكليمَ الموتى ، اشْرَأَبَّ لذلك المؤمنون وطمعوا في أن يُعْطَى الكفارُ ذلك فيؤمنوا ، فقال الله : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ، لعلمهم أنَّ الله لو أراد أنْ يهديهم لهداهم ، كما تقول : قد يئستُ من فلانٍ أن يُفلح ، والمعنى : لعلمي به(٢) .

= يسروني بمعنى يقسمونني كما يُقسم الجَزور في الميسر ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣٢٠/٩ وفي اللسان مادة يئس ، وفي البحر المحيط ٣٩٢/٥ وهو من شواهد أبي عبيدة ٣٣٢/١ وفي الصحاح ٩٩٣/٣ .

(١) أي هو من اليأس بمعنى القنوط من حصول الشيء ، وانظر الصحاح مادة يئس .

(٢) انظر تفصيل قول الكسائي في البحر المحيط ٣٩٢/٥ وهو قريب من قول الفراء فقد قال في معانيه ٦٣/٢ : قال المفسرون : ييأسُ بمعنى يعلمُ ، وهو في المعنى على تفسيرهم ، لأن الله تعالى قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء لهدى الناس جميعاً فقال ﴿ أَفَلَمْ ييأس الذين آمنوا ﴾ أي أفلم ييأسوا علماً ، فكان العلمُ فيه مضمراً كما تقول : قد يئست منك ألَّا تفلح علماً ، كأنك قلت : علِمته علماً . وروي عن ابن عباس أنه قال : ييأسُ في معنى يعلَم لغة النَخَع ، قال الفراء : ولم نجدها في العربية إلَّا على ما فسَّرت . اهـ.

٤٧ ـ وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾ [آية ٣١] .

قال ابن عباس : يعني السَّرَايا[١] .

وكذلك قال عكرمة وعطاء الخراساني إلَّا أن أبا عاصم روى عن شبيب عن عكرمة عن ابن عبَّاس قال : النكبة[٢] .

وقال مجاهد : قارعة أي سريّة ومصيبة تصيبهم[٣] .

والقارعة في اللغة : المصيبةُ العظيمة[٣] .

٤٨ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد وعكرمة وقتادة : أو تحلُّ أنت يا محمد قريباً من دارهم[٥] .

حدثنا سعيد بن موسى بقَرْقيسيا قال : حدثنا مخلد بن مالك

(١) ذكره ابن الجوزي ٣٣٢/٤ عن عكرمة ، والطبري ٥٦/١٣ عن ابن عباس ، واختار الطبري أن المعنى : ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم . وهو الأشهر والأرجح .

(٢) و(٣) انظر جامع البيان للطبري ١٥٦/١٣ وابن الجوزي ٣٣٢/٤ والبحر ٣٩٣/٥ .

(٤) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي عنه في زاد المسير ٣٣٢/٤ قال : فأما القارعة فقال الزجاج هي في اللغة : النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم . اهـ. وقال في الكشاف ٢٨٩/٢ ﴿ قارعة ﴾ أي داهية تقرعهم من صنوف البلاء والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم .

(٥) الأثر ذكره الطبري ١٥٧/١٣ وابن كثير ٣٨٣/٤ وأبو حيان في البحر ٣٩٣/٥ واستظهر أن الضمير يعود على القارعة كما قاله الحسن البصري ، وكذا قال الحافظ ابن كثير : هذا هو الظاهر من السياق أنها القارعة ، والمعنى : أو تحلُّ القارعة والداهية قريباً من دارهم فيفزعون منها ، ويتطاير إليهم شررها .

عن محمد بن سَلَمة عن خُصَيف[1] قال : القارعةُ : السَّرايا التي كان يبعث بها رسول الله ، أو تحلُّ أنتَ يا محمد قريباً من دارهم .

قال الحسن : أو تحلُّ القارعة قريباً من دارهم[2] .

٤٩ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد وقتادة : أي فتح مكة[3] .

٥٠ ـــ **وقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾** [آية ٣٣] .

قال قتادة : هو الله جلَّ جلاله[4] .

وقال الضحاك : يعني نفسَه جلَّ وعزَّ ، وهو القائم على عباده ، مَنْ كان منهم برًّا ، ومَنْ كان منهم فاجراً ، يرزقهم ويطعمهم وقد جعلوا للهِ شركاء[5] .

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ١٥٦/٣ قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٤٣/٣ : هو خصيف بن عبد الرحمن الجوزي أبو عون الحضرمي الحراني ، قال أحمد : ضعيف الحديث .

(٢) الطبري ١٥٧/١٣ والبحر ٣٩٣/٥ والقرطبي ٣٢١/٩ وقول الحسن هو الأظهر والأشهر ، وهو المتناسق مع السياق كما قال الحافظ ابن كثير .

(٣) الأثر في الطبري ١٥٧/١٣ وفي البحر ٣٩٣/٥ وفي القرطبي ٣٢١/٩ والمعنى على هذا القول : حتى يأتي وعدُ الله بإظهار دين الإسلام وانتصارك عليهم بفتح مكة ، واختاره الطبري ، ورُوي عن الحسن البصري أن المراد بوعد الله هو يوم القيامة .

(٤) و (٥) الطبري ١٥٩/١٣ ولفظه عن قتادة : ذلك ربكم تبارك وتعالى ، قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم ، وحفِظَ عليهم والله أعمالهم ، وقال الضحاك : يرزقهم ويكلؤهم ، ثم يشرك به منهم من أشرك .

٥١ ــ **قال الله** ﴿ **قُلْ سَمُّوهُمْ** ﴾ ولو سمُّوهم لكَذَبوا ، وأنبئوه بما لا يعلمه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ** ﴾[1] [آية ٣٣] .

٥٢ ــ **وقوله تعالى** ﴿ **مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ** ﴾ [آية ٣٥] .

روى النَّضْرُ بن شُمَيلٍ عن الخليلِ قال : « مَثَلُ » بمعنى صفة ، **فالمعنى على هذا** : صفةُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتقون تجري من تحتها الأنهار ، كما تقول : صفةُ فلانٍ أَسْمَرُ ؛ لأن معناه فلانٌ أسمرُ[2] .

وقال أبو إسحاق : مثَّل الله لنا ما غاب بما نراه ، وكذلك كلام العرب ، فالمعنى : مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِد المتقون جنَّةٌ تجري من تحتها الأنهار[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٤/٣٣٣ : ﴿ قل سَمُّوهم ﴾ أي سمُّوا هؤلاء الشركاء بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم ــ إن كانوا لله شركاء ــ كما يُسمَّى الله بالخالق ، والرازق ، والمحيي ، والمميت ، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكذبوا ، فإن سمَّوهم بصفات الله ، فقل لهم : أتنبِّئونه أي : أتخبرونه بشريك له في الأرض ، وهو لا يعلم لنفسه شريكاً ، ولو كان لعلمه ؟

(٢) حكاه الطبري في جامع البيان ١٣/١٦٢ عن بعض نحويِّي البصريين قال ومعنى الآية : صفة الجنة ، قال : ومنه قول الله تعالى ﴿ وله المَثَلُ الأعلى ﴾ ومعناه : للهِ الصفة العليا ، فمعنى الآية كأنه قال : وصف الجنة التي وُعِدَ المُتقون ، صفتُها تجري من تحتها الأنهار . اهـ.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٢٩٠ عن الزجاج قال : ومعنى الآية : مَثَلُ الجنة جنَّة تجري من تحتها الأنهار ، وذلك على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهده ، وعلى مذهب سيبويه الخبر محذوف أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة . اهـ. باختصار وقال في البحر ٥/٣٩٥ ﴿ مَثَلُ الجنة ﴾ أي صفتها التي هي في غرابة المَثَل ، وارتفع « مَثَل » على الابتداء في مذهب سيبويه ، والخبر محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ، و ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ تفسير لذلك المثل ، تقول : مثَّلتُ الشيءَ : إذا وصفته وقرَّبته للفهم ، وليس في الآية ضرب مثل =

٥٣ ـــ وقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي إليه مصير كلِّ عبدٍ .

٥٤ ـــ وقوله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [آية ٣٩] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾[1] .

رُوِي عنه يُحْكِمُ اللهُ جلَّ وعزَّ أمر السنة في شهر رمضان ، فيمحو ما يشاءُ ، ويُثبت ، إلَّا الحياة والموت ، والشِّقْوَة والسعادة[2] .

وفي رواية أبي صالح : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ ﴾ ممَّا كَتَب الحفظةُ ما ليس للإنسان وليس عليه ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما له وعليه[3] .

وحدثنا بكرُ بنُ سهلٍ ، قال : حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بنِ صالح ، عن عليِّ بن أبي طَلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا

= لها ، فهو كقوله تعالى ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ أي الصفة العليا ، وأنكر أبو علي أن يكون « مثل » بمعنى صفة ، وقال : إنما معناه التنبيه . اهـ.

(١) قال في البحر ٣٩٩/٥ : قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ﴿ ويُثْبِت ﴾ مخفَّفاً من أثبت ، وباقي السبعة مثقَّلاً من ثَبَّتَ . اهـ. وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٥٩ .

(٢) هذه رواية سعيد بن جُبير عن ابن عباس كما في ابن كثير ٣٨٩/٤ والطبري ١٦٦/١٣ ولفظ الطبري عن ابن عباس قال : يقدِّر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلَّا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة . اهـ. ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣٧/٤ : « يدخل على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول : يا رب أشقيٌّ أو سعيد ، أذكر أو أنثى فيكتبان ، ويكتب عمله ، وأثره ، وأجله ، ورزقه ، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا يُنقص » .

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٨/٤ عن الضحاك وأبي صالح ، ولفظه قال : يمحو من ديوان الحَفَظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب . اهـ. والقول الأول أظهر .

يَشَاءُ ﴾ يقول : يُبدِّل الله من القرآنِ ما يشاءُ فينسخه ، ويثبِّتُ ما يشاءُ فلا يُبدِّله[1] .

﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ يقول جملةُ ذلك عنده في أمِّ الكتابِ ، الناسخُ والمنسوخ ، وكذلك قال قتادة[2] .

وقال ابن جُريج : ﴿ يَمْحُو اللهُ ما يَشَاءُ ﴾ أي ينسخ ، وكأنَّ معنى ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ عنده : لا ينسخه ، فيكون محكماً[3] .

ويثبِّت بالتشديد على التكثير[4] .

قال أبو جعفر : « وَيُثْبِت » بالتخفيف أجمعُ لهذه الأقوال من « يُثَبِّتُ » .

وكان أبو عبيد قد اختار ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ على أنَّ أبا حاتم قد أومأ إلى أنَّ معناهما واحدٌ .

وروى عوفٌ عن الحسن قال : يمحو مَنْ جاء أجلُهُ ، ويثبتُ مَنْ لم يجيء أجلُه بعدُ ، إلى أجله[5] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس رواه الطبري ١٣/١٩٦ وابن كثير ٤/٣٩١ وابن الجوزي ٤/٣٣٧ .

(٢) على هذا القول يكون المراد بالمحو والإثبات « الناسخ والمنسوخ » فيمحو المنسوخ ، ويُثبت الناسخ ، والمعنى : ينسخُ الله من القرآن ما يشاء ، رَوَى هذا المعنى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، وقتادة ، والقرظي ، وابن زيد . اهـ. وهو قول مرجوح .

(٣) الأثر في الطبري ١٣/١٦٩ وزاد المسير ٤/٣٣٧ والقرطبي ٩/٣٣١ .

(٤) صيغة التضعيف تدل على التكثير مثل قوله تعالى ﴿ وهو الذي يُنَزِّل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ولم يقل « يُنْزِل » لإفادة معنى الكثرة والشدَّة ، بعد القحط والجدب .

(٥) الأثر في الطبري ١٣/١٦٩ والقرطبي ٩/٣٣٢ والبحر المحيط ٥/٣٩٨ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/١٨٢ : وهذا التخصيص في الآجال وغيرها لا معنى له ، وإنما يحسن من الأقوال ما=

٥٤ ـــ **وقوله عز وجل ﴿ وَإِنْ ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ ﴾** [آية ٤٠] .

أي إمَّا نرينَّك بعض ما وعدناك ، من إظهار دين الإسلام على الدين كلِّه ﴿ أَوْ نَتَوَفَيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ، فإنما عليك أن تُبلِّغهم وعلينا أنْ نحاسبهم ، فنجازيهم بأعمالهم(١) .

ثم بيَّن جل وعز أنه كان ما وَعَدَ

٥٥ ـــ **فقال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾** [آية ٤١] .

يظهر الإسلامُ بإخراج ما في يد المشركين ، وإظهار المسلمين عليهم(٢) .

= كان عاماً في جميع الأشياء ، أي أن الله يُغيِّر الأمور عن أحوالها ، ما من شأنه أن يُغيَّر ، فيمحو من تلك الحالة ويُثبته ، والذي يتلخص من الآية أن الأشياء التي قدَّرها الله تعالى في الأزل ، لا يصحُّ فيها محوٌ ولا تبديل ، وهي التي كُتبت في أم الكتاب ـــ يعني اللوح المحفوظ ـــ وسبق بها القضاء ، وأما الأشياء التي أخبر الله تعالى أنه يُبدِّل فيها وينقل كغفر الذنوب بعد تقريرها ، وكنسخ آيةٍ بعد تلاوتها ، ففيها يقع المحو والتثبيت ، فيما يُقيِّده الحفظة ونحو ذلك ، وأمَّا إذا رُدَّ الأمر إلى القضاء ، والقدر ، فقد محا الله ما محا وثبت ما أثبت . اهـ.

(١) قال علماء اللغة : ﴿ وإنْ ما نُرِينَّك ﴾ « إن » شرطية ، و « ما » صلة للتأكيد ، وهي بمنزلة اللام المؤكدة في القسم ، ولذلك دخلت النون الثقيلة في « نرينَّك » لحلولها محل اللام ، ولو لم تدخل « ما » لما جاز ذلك إلا في الشعر ، ومعنى الآية : إن أريناك يا محمد بعض الذي وعدناهم من العذاب ، أو قبضناك قبل أن نُقرَّ عينك بعذابهم ، فالأمر راجع إلينا ، ولا لوم عليك ولا عتب ، وليس عليك إلا تبليغ الرسالة ، وعلينا حسابهم وجزاؤهم . وانظر ما كتبه أبو حيان في البحر المحيط ٥/٣٩٩ حول هذه الآية .

(٢) هذا قول الحسن والضحاك كما ذكره الطبري عنهما ١٣/١٧٣ ورجَّحه حيث قال : وذلك بظهور =

وفي هذه الآية أقوالٌ هذا أشبهها بالمعنى .

ومن الدليل على صحته قوله جل وعز ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾[1] وهذا القول مذهبُ الضَّحَّاك .

وروى سَلَمةُ بنُ نُبَيْطٍ[2] عنه أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال : هو ما تُغُلِّبَ عليه من بلادهم[3] .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : هو خرابُ الأرضِ ، حتى يكون في ناحية منها ، أي حتَّى يكون العمرانُ في ناحية منها[4] .

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد : ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال : الموت : موتُ الفقهاءِ والعلماءِ[5] .

= المسلمين من أصحاب محمد ﷺ وقهرهم أهلها ، والغلبة على ديارهم من أطرافها وجوانبها ، أفلا يعتبرون بذلك ؟ وعلى هذا القول يكون المراد بالأرض أرض الكفار .

(١) سورة الأنبياءآية رقم (٤٤) .

(٢) « سَلَمَةُ بنُ نُبَيْطٍ » بضم النون هو ابن شريط بن أنس الأشجعي الكوفي ، تابعيٌّ ، روى عن الضحاك بن مزاحم ، قال عنه أحمد : ثقة ، وذكره ابن حيان في الثقات ، وكان وكيع يفتخر به يقول : حدثنا سلمة بن نُبَيط وكان ثقة . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٥٨/٤ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن الضحاك ١٧٣/١٣ ولفظه : « ما تغلَّبْتَ عليه من أرض العدو » .

(٤) الأثر في الطبري ١٧٣/١٣ وابن كثير ٣٩٣/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٠/٤ وهي رواية أخرى عن ابن عباس .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧٤/١٣ عن مجاهد وابن عباس ، وابن كثير أيضاً عنهما ولفظُه قال : خرابها بموت فقهائها ، وعلمائها ، وأهل الخير منها ، قال ابن كثير : وفي هذا المعنى أنشد أحمد

٥٦ ـــ ثم قال تعالى ﴿ والله يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.. ﴾ [آية ٤١] .

قال الخليل : لا رادَّ لقضائه .

قال أبو جعفر : والمعنى ليس أحدٌ يتعقَّب حكمه بنقضٍ ولا تغيير[1] .

٥٧ ـــ وقوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ [آية ٤٣] .

قال ابن جريج عن مجاهد : عبد الله بن سلام[2] .

وقال شُعْبَةُ عن الحكم عن مجاهد : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ هو الله تبارك وتعالى[3] .

= بن غزال :

الأرضُ تَحْيَا إذا مَا عَاشَ عالمُهَا ... متى يمُتْ عَالِمٌ منها يَمُتْ طَرَفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيثُ حَلَّ بها ... وإن أَبَى عادَ في أكنافِهَا التَّلَفُ

قال : والقول الأول أولى ، وهو ظهور الإسلام على الشرك ، قريةً بعد قرية . اهـ. ابن كثير ٣٩٣/٤ .

(١) قال ابن عطية ١٨٨/٨ : أي لا رادَّ ولا مناقض يتعقَّب أحكامه ، أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا ؟ وفي البحر ٤٠٠/٥ : والمعقِّب : الذي يكرُّ على الشيء فيبطله ، وحقيقته الذي يعقبه بالردِّ والإبطال .

(٢) هذا تفسير لقوله تعالى ﴿ وَمَن عنده علم الكتاب ﴾ يريد أن المراد به هو عبد الله بن سلام ، والأثر أخرجه الطبري ١٧٦/١٣ وابن الجوزي ٣٤١/٤ .

(٣) هذه رواية أخرى عن مجاهد ، ذكرها الطبري في جامع البيان ١٧٧/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ وابن الجوزي ٣٤٢/٤ .

وقال سليمانُ التيمي : هو « عبدُ اللهِ بنُ سَلَام »[1] .

وقال قتادة : منهم « عبد الله بن سلام » فإنه قال : نَزَل فيَّ قرآنٌ ثم تلا : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[2] .

وأنكر هذا القول الشعبيُّ وعكرمة .

قال الشعبي : نزلت هذه الآية قبل أن يُسْلِم عبد الله بن سلام .

وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هذه الآية نزلت بمكة ، فكيف نزلت في عبد الله بن سلام[3] ؟

---

(١) و (٢) انظر الطبري ١٧٦/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ والبحر المحيط ٤٠١/٥ .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير ١٧٨/١٣ وابن كثير ٣٩٤/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٣٦/٩ قال الحافظ ابن كثير : قيل : إنها نزلت في عبد الله بن سلام قاله مجاهد ، وهذا القول غريب ، لأن هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان سعيد بن جُبير ينكر أن يكون المراد بها « عبد الله بن سلام » ويقول : هي مكية ، فكيف تكون نزلت فيها ؟ ثم قال : والصحيح أن في هذا أن ﴿ وَمَنْ عنده علمُ الكتاب ﴾ يشمل علماء أهل الكتاب ، الذي يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة كما قال تعالى ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ ؟ وقال في البحر ٤٠١/٥ : وهذان القولان عن مجاهد وقتادة لا يستقيمان إلّا على أن تكون الآية مدنية ، والجمهور على أنها مكية .

أقول : الأصح والأظهر أنها نزلت فيمن أسلم من علماء أهل الكتاب ، فتشمل عبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وسلمان الفارسي وغيرهم ، ويكون معنى الآية حسبي شهادة الله بصدقي ، وشهادة المؤمنين من علماء أهل الكتاب ، وهو الذي رجحه الطبري ، وابن كثير والقرطبي ، وجمهور المفسرين .

وقال الحسن : أي كفى بالله شهيداً وبالله مرَّتين ، يذهب إلى أنّ (مَنْ) تعود على اسم الله .

قال أبو جعفر : وهذا أحسُن ما قيل في هذه الآية من وجهات :

إحداها : أنَّه يبعد أنْ يستشهد الله بأحدٍ من خلقه[١] .

ومنها : ما أنكره الشعبيُّ وعكرمة .

ومنها : أنَّه قُرِيء ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ بكسر الميم ، والدَّالِ ، والعين[٢] ، رُوِي ذلك عن النبي ﷺ ، وإنْ كان في الرواية ضعفٌ روى ذلك سليمان بن الأرقم عن الزهري بن سالم عن أبيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ (ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ) وكذلك رُوي عن ابن عبَّاس وسعيد بن جبير أنهما قَرَآ[٣] .

ولا اختلاف بين المفسرين أنَّ المعنى : ومِنْ عِنْدِ اللهِ : فأن

---

(١) هذا القول فيه نظر ، فإن الله تعالى قال لرسوله ﴿ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ وقال سبحانه ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ فلا مانع إذاً أن يستشهد الله ببعض خلقه على صحة كتابه جل وعلا ، لأن الغرض بيان صدق القرآن فيما أُخبر وذكّر ، والله أعلم .

(٢) هذه القراءة من الشواذ كما في المحتسب لابن جنى ٣٥٨/١ وذكرها الطبري وابن كثير وهي ضعيفة لأنها من القراءات الشاذة ، لا يُقرأ بها وإنما يُستشهد بها في التفسير .

(٣) هذه قراءة أخرى أيضاً شاذة ﴿ ومن عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ ﴾ قال ابن جني في المحتسب ٣٥٨/١ : من قرأ « ومن عِنده عِلْم الكتاب » فتقديره ومعناه : ومن فضله ولطفه عُلِمَ الكتاب ، ومن قرأ ﴿ عُلِمَ الكتاب ﴾ فمعناه معنى الأول ، إلَّا أن إعرابه مخالف له . وقال الطبري ١٧٨/١٣ : ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قرأها ﴿ ومِن عنده عُلِمَ الكتاب ﴾ فهذا خبرٌ ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري .

يكون معنى القراءتين واحداً أحسنُ[١] .

وروى محبوب عن إسماعيل بن محمد اليَمَاني ، أنه قرأ : (وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ) بضم العين ورفع الكتاب[٢] .

قال أبو جعفر : وقولُ من قال هو « عبد الله بن سلام » وغيره ، يحتمل أيضاً ؛ لأن البراهين إذا صحَّت ، وعَرَفَها مَنْ قرأ الكُتُب التي أُنزلت قبل القرآن ، كان أمراً مؤَكَّداً[٣] .

والله أعلم بحقيقة ذلك .

انتهت سورة الرعد

• • •

(١) يريد المصنف أن قراءة الجمهور ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ إذا حملناها على أن المراد بها الله عز وجل الذي عنده علم الكتاب ، مع القراءة الثانية الشاذة ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ يكون ذلك أجود وأحسن .

(٢) ذكرها القرطبي في جامع أحكام القرآن ٣٣٦/٩ وهي كما ذكرنا قراءة شاذة .

(٣) قال القرطبي ٣٣٧/٩ : من قال إنه « عبد الله بن سلام » فقد عوَّل على حديث الترمذي ، خرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال : أيها الناس ، إنه كان اسمي في الجاهلية فلانٌ ــ يعني حُصَيْن ــ فسمَّاني رسول الله ﷺ « عبد الله » ونزلت فيَّ آيات من كتاب الله ، نزلت فيَّ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ ونزلت فيَّ ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب ﴾ .. الحديث قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . قال القرطبي : من قال إنه عبد الله بن سلام فعوَّل على حديث الترمذي ، وليس يمتنع أن ينزل فيه شيء ويتناول جميع المؤمنين لفظاً ، ويعضده قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ يعني قريشاً ، فالذين عندهم علم الكتاب هم المؤمنون من اليهود والنصارى ، الذين هم إلى معرفة النبوة والكتاب أقرب من عبدة الأوثان .

تفسير سورة إبراهيم

مكية وآياتها ٥٢ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم وهي مكية

وهـي مكيَّـة إلَّا آيتين منها[1] ، فإنهمـا نزلتـا بالمدينـة ، فيمـن قُتِـل من المشركين يوم بدر ، وهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَـةَ اللهِ كُفْـراً .. ﴾ إلى آخر الآيتين .

١ ـ **قوله تبـارك وتعـالى ﴿ الَـرَ كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ لِتُخْـرِجَ النَّـاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ١] .

الظلماتُ : الكفـرُ ، والنـورُ : الإسلامُ ، على التمثيـل لأنَّ الكفـرَ بمنزلة الظُّلمة ، والإسلام بمنزلة النُّور[2] .

---

(١) قال القرطبي ٣٣٨/٩ : سورة إبراهيم مكيـة كلُّهـا في قول الحسن ، وجابـر ، وقـال ابـن عبـاس وقتادة : إلَّا آيتين منها مدنيَّتين . اهـ. وقد حدَّد القرطبي الآيتين المدنيتين بدايةً ونهايـة فقـال : وهي قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً .. ﴾ إلى قوله سبحانـه ﴿ قل تمتَّعـوا فإنَّ مصيركم إلى النار ﴾ .

(٢) يريـد المصنـف أن الآية وردت بطريـق التمثيـل ، فقـد استعـار « الظلمـات » للضلال والكفـر ، و « النور » للهدى والإيمان ، ففي الآية استعـارةٌ تصريحيـة ، ولهذا قال في الكشاف ٢٩٢/٢ : والظلماتُ والنور استعارتان للضلال والهدى . اهـ. وتوضيـح هذا أن الكافر يتخبَّـط في ظلامٍ لا يعرف طريق السعادة والنجاة ، فهو كمن يسير في ظلام دامس ، لا يعرف أين يسير ، ولا كيف يمشي ، فهو تائه حائر ، والمؤمن يرى طريقه لأنه على نورٍ وبصيرة من الله ، فهو مستـنير الفكـر ،=

والبـاء في قولـه : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِـمْ ﴾ متعلقـة بقولـه ﴿ لِتُخْـرِجَ النَّاسَ ﴾ والمعنـى في قولـه : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِـمْ ﴾ أنـه لا يهتـدي أحـدٌ إلَّا بإذنِ اللهِ[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : بتعليمك إيَّاهم[2] .

ثم بَيَّن النور فقال : ﴿ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

٢ ـ **ومعنى قوله تعالى ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾** [آية ٣] .

ويطلبون غير القصد[3] .

٣ ـ **وقولـه جل وعـز ﴿ وَمَـا أَرْسَلْنَـا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِـهِ .. ﴾** [آية ٤] .

= مستنير العقل ، يسير في طريق النجاة ، ومن هنا حَسُن تشبيـه الكفـر بالظـلام ، وتشبيـه الإيمان بالنـور ، ولهذا قال شيـخ المفسريـن « الـطبري » والمعنـى : لتهديهم به من ظلمـات الضلالـة والكفر ، إلى نور الإيمان وضيائه ، وتبصَّر به أهل الجهل والعمى ، سبيل الرشاد والهدى .

(١) هذا مذهب أهل السنة أن الهداية والضلالة بيـد الله ، فلا يهتـدي أحـدٌ إلَّا بمشيئة الله وإذنه ، خلافاً للمعتزلة .

(٢) أُضيف الفعل إلى النبي ﷺ ﴿ لتخـرج النـاس ﴾ لأنـه الداعـي والمنـذر والهادي ، والمبلِّـغ عن الله ، ولهذا قيَّدهـا تعـالى بقولـه ﴿ بإذن ربهم ﴾ أي بتوفيقـه تعـالى ، ولطفـه بعبـاده بإرسال هذا الرسول الهادي إلى الله .

(٣) الضمير في قوله ﴿ ويَبْغُونها عِوَجاً ﴾ يعود على السبيل التي هي ديـنُ الله الـذي جاءت به الـرسل في قولـه ﴿ ويصدُّون عن سبيـلِ الله ﴾ والمعنـى : يطلبـون أن تكـون ديـنُ الله معوجَّـةً لتوافـق أهواءهم ، قال الطبري ١٨٠/١٣ : أي يلتمسون سبيل الله وهـي دينـه الـذي ابتـعث به رسولـه ﴿ عِوَجاً ﴾ تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور . اهـ.

أي بلغة قومه[1] .

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي ليُفهِمهم ، لتقوم عليهم الحُجَّةُ .

٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا .. ﴾** [آية ٥] .

قال مجاهد : أي بالآياتِ البيِّنات[2] يعني قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[3] .

٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ .. ﴾** [آية ٥] .

قال أُبَيُّ بنُ كعب : أي بنعم اللهِ[4] .

وقال غيره : بإهلاكه مَنْ قبلَهم ، وبانتقامه منهم بكفرهم[5] .

---

(١) اللسانُ في هذه الآية يُراد به اللغة كما ذكره المصنف ، فيقال : لسان فلان العربية أي لغتُه اللغة العربية ، ومنه قوله سبحانه ﴿ لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربي مُبين ﴾ وإنما أرسل تعالى كل رسول بلغة قومه ، حتّى يفهموا عنه كلام الله ، فتقوم عليهم الحجة بالتبليغ ، وتنقطع المعاذير .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨٢/١٣ وابن كثير ٣٩٧/٤ ومراده بالآيات البينات : المعجزات التي أيَّده الله بها كاليد ، والعصا ، وفلق البحر ، وما أرسل على فرعون من الطوفان ، والجراد ، والقُمَّل .. إلخ . تأييداً لرسوله .

(٣) سورة الإسراء آية رقم (١٠١) .

(٤) الأثر في الطبري ١٨٤/١٣ وابن كثير ٣٩٨/٤ والبحر المحيط ٤٠٦/٥ قال الحافظ ابن كثير : وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه أحمد في المسند ١٢٢/٥ عن أُبيٍّ بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وذكِّرهم بأيَّام اللهِ ﴾ قال : « بنعمِ الله تبارك وتعالى » قال ابن كثير : أي بأياديه ونِعَمه عليهم ، في إخراجه إياهم من أسر فرعون ، وقهره وظلمه وغشمه ، وإنجائه إياهم من عدوهم ، وفلقه لهم البحر ، وتظليله إياهم بالغمام ، إلى غيرها من النعم .

(٥) هذا قول ابن زيد ، ومقاتل ، وابن السائب كما في زاد المسير لابن الجوزي ٣٤٦/٤ وقال في البحر =

٦ ـــ **وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ ، وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ[١] .. ﴾** [آية ٧] .

وفي موضع آخر ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ بغير واوٍ[٢] .

ومعنى الواو يُوجِبُ أنَّه قد أصابهم من العذاب شيءٌ ، سوى التذبيح ، وإذا كان بغير واو ، فإنما هو تبيينُ الأوَّل[٣] .

٧ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي لا يقتلونهنَّ ، من الحياة أي يَدَعُونهنَّ يَحْيَيْنَ[٤] .

وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ : « اقْتُلُوا شُيُوخَ المشركين ،

= ٥/٤٠٦ : ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن « أيام الله » : نعماؤه وبلاؤه ـــ واختاره الطبري ـــ فنعماؤه بتظليله عليهم الغمام ، وإنزال المنِّ والسلوى ، وفلق البحر ، وبلاؤه باستعباد فرعون لهم ، وتذبيح أبنائهم ، ولفظةُ الأيام تعمُّ المعنيَيْن . اهـ.

(١) في المخطوطة ﴿ ويُذبحون نساءكم ﴾ وهو خطأ والنص القرآني ﴿ ويذبحون أبناءكم ﴾

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٤٩) ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، يُذَبِّحون أبناءكم .. ﴾ الآية بدون واو .

(٣) نبَّه المصنف رحمه الله أنه ورد في سورة البقرة « يُذبِّحون » وفي سورة إبراهيم « ويُذبِّحون » بالواو ، والسرُّ في ذلك : أنه في سورة البقرة جاء تفسيراً لما سبق من قوله « سوء العذاب » فكأنه يقول : يسومونكم سوء العذاب ثم وضحه وبينه فقال : ﴿ يُذبِّحون أبناءكم ﴾ . أما في سورة إبراهيم فهو غير تفسير ، بل هو تنويع للعذاب ، لأن المعنى أنهم يسومونهم بأنواع من العذاب وبالتذبيح أيضاً ، فتدبره فإنه نفيس .

(٤) قوله ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ مأخوذ من الحياة ، أي يستبقون الإناث على قيد الحياة والامتهان كما نبَّه المصنف .

واستَحْيُوا شَرْخَهُمْ »[1] .

٨ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٦] .

قيل : المعنى : في إنجائه إياكم منهم نعمةٌ عظيمةٌ ، ويكونُ البلاء [هاهنا : النِّعمةُ .

وقيل : فيما جرى منهم عليكم بلاء أي بليَّةٌ][2].

وقيل : البلاءُ هاهنا : الاختبارُ[3] .

٩ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

تأذَّن : بمعنى أعلَمَ ، من قولهم : آذَنَهُ فأَذِنَ بالأمر ، وهذا كما يُقالُ : تَوَعَّدتُه ، وأوْعَدتُه بمعنى واحد[4] .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٤٥٦/٢ : وأراد بالشيوخ الرجال أهل الجَلَد والقوة على القتال ، ولم يُرد الهَرْمَى ، والشَّرْخُ : الصِّغار الذين لم يدركوا ، وشَرْخ الشباب : أوَّله : وقيل : نضارته وقوته . والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٢/٥ من حديث سَمُرَة بن جُنْدب ، ورواه أبو داود ، والترمذي في الجهاد ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، ورَمَز المناوي في فيض القدير ٦٠/٢ إلى صحته .

(٢) سقط ما بين الحاصرتين من المخطوطة ، وأثبتناه من الحاشية .

(٣) هذا يجمع القولين ، فكما يكون الاختبار بالنعمة ، يكون بالنقمة كما قال سبحانه ﴿ ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً ﴾ قال الطبري ١٨٥/١٣ : وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعماء ، وقد يكون من البلاء الذي يصيب الناس في الشدائد وغيرها .

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١٨٥/١٣ فقد استشهد بقول الحارث بن حِلِّزة « آذنتنا ببينها أسماء » أي أعلمتنا .

١٠ ــ وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُم إِلَّا اللهُ .. ﴾ [آية ٩] .

رَوَى سفيانُ عن أبي إسحاقَ ، عن عَمْرِو بنِ ميمون ، ورواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن عَمْرِو بن ميمون عن عبد الله في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ﴾ قال : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ »[١] .

وَرُوِيَ عن ابن عباس قال : « بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعْرَفُون »[٢] .

ورُوِيَ عن عروة بن الزبير أنه قال : « ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل »[٣] .

١١ ــ وقوله تعالى ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ .. ﴾ [آية ٩] .

في معنى هذا أقوال :

(أ) **قال مجاهد** : ردُّوا على الرُّسل قولَهم وكذَّبوهم[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود ١٣/١٨٧ وابن كثير في تفسيره ٤/٤٠٠ قال الزمخشري : ويعني بقوله « كذب النسابون » أنهم يدَّعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/٧٢ والقرطبي في جامع الأحكام ٩/٣٤٤ .

(٣) الأثر في الدر المنثور ٤/٧٢ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه « ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان » قال الزمخشري ٢/٢٩٥ وجملة ﴿ لا يعلمهم إلا الله ﴾ اعتراضٌ ، والمعنى : أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٣/١٨٩ وابن الجوزي ٤/٣٤٩ وابن كثير ٤/٤٠٠ .

(ب) **قال قتادة** : ردُّوا على الرُّسلِ ما جاءوا به[1] .

فهذا على التمثيل ، وهو مذهبُ أبي عبيـدة[2] أي تركوا ما جاءهم به الـرسل ، فكانـوا بمنزلـة مَنْ ردَّهُ إلى فيه ، وسكَتَ فلم يقل[3] .

وقيل : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِـمْ ﴾ ردُّوا ما لو قَبِلـوه كان نِعَماً . ﴿ في أفواههم ﴾ أي بأفواههم أي بألسنتهم .

(جـ) **وقيـل** : ردُّوا نِعَـمَ الـرُّسُل ؛ لأن إرسالهم نعـمٌ عليهم ، بالنطـق وبالتكذيب[4] .

(د) **وفي الآية قول رابع** ؛ وهو أولاها وأجلُّها إسناداً :

قال أبو عبيـد : حدَّثنـا عبـدُ الـرحمن بن مَهْـدِي ، عن سفيان عن أبي إسحاقَ عن أبي الأحوص ، عن عبـد الله في قولـه

---

(١) الأثر في الطبري ١٨٩/١٣ وفي الدر المنثور ٧٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حـاتم ، وفـي المخطوطة « على الرسول » وصوابه « على الرسل » كما أثبتناه .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٣٦/١ .

(٣) هذا القول مرجوح بل هو ضعيف ، لأن القوم لم يسكتوا ، بل أجابوا بالتكـذيب ، لأنهم قالـوا : ﴿ إنَّـا كَفَرنـا بِما أُرسلتُـم به ﴾ فكيـف يُقـال : إنهم بمنزلـة من سكت ولم يجب ؟ ولهذا قال الطبري : وهذا القول لا وجه له ، ورجَّح ما قاله ابن مسعود أن المعنى : عضوا أيـديهم غيظاً على الرسل كما قال سبحانه ﴿ وإذا خَلَوْا عضُّوا عليكم الأناملَ من الغيظ ﴾ قال : فهـذا هو الكـلام المعروف ، والمعنى المفهوم من ردِّ اليد إلى الفم .

(٤) هذا القول ذكره الفراء في معانيه ٧٠/٢ عن بعض المفسرين ، وهو محمـول على أن المراد بالأيـدي هنا النِّعم أي ردُّوا نعم الأنبياء التي هي أجلُّ النِّعم في أفواه الأنبياء ، وهو قول ضعيـف لأن اليـد بمعنى النعمة يقال فيها : أيادي لا أيدي .

﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ قال : عضُّوا عليها غَيْظاً[1] .

قال أبو جعفر : والدليلُ على صَحَّة هذا القول قوله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ ﴾[2] .

قال الشاعر :

لَوْ أَنَّ سَلْمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِي[3]
وَدِقَّةً فِي عَظْمِ سَاقِي وَيَدِي
وَبُعْدَ أَهْلِي وَجَفَاءَ عُوَّدِي
عَضَّتْ مِنَ الوَجْدِ بأَطْرَافِ اليَدِ[4]

١٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [آية ١٤] .

أي ذلك لمن خاف مقامه بين يديه ، والمصدرُ يُضاف إلى الفاعل[5] ، وإلى المفعول ؛ لأنه متشبِّثٌ بهما

---

(١) هذا ما رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري كما تقدَّم ، وهو محمول على المجاز ، يُقال لمن ندم على فعل شيء : عضَّ أصابعه من الندم ، كما قال الشاعر : عضَّت من الوجد بأطراف اليد .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١١٩) .

(٣) التخدُّدُ : أن يضطرب اللحم من الهزال ، وانظر لسان العرب ١٦١/٣ وأساس البلاغة للزمخشري .

(٤) ذكرهما أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٨/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٤٥/٩ ولم أعثر على قائلهما ، يريد أن سلمى لو أبصرت ضعفه وهُزاله ، وما صار إليه حاله من الحزن والأسى ، لكانت عضَّت على أناملها من شدة الإشفاق والألم عليه .

(٥) هذا من إضافة المصدر إلى الفاعل أي لمن خاف مقامه بين يديَّ يوم القيامة ، وخاف وعيدي فاتقاني ، وانظر جامع البيان للطبري ١٩٢/١٣ قال الفراء ٧١/٢ : والعربُ تضيف أفعالها إلى

١٣ ــ وقوله تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد وقتادة : واستنصروا[١] .

وفي الحديث « أنَّ النبـي ﷺ كان يستفتـح القتـال بصعالـيك المهاجرين »[٢] .

١٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [آية ١٥] .

قال أبو إسحاق : الجبَّارُ عند أهلِ اللغة : الذي لا يرى لأحـدٍ عليه حقًّا[٣] .

قال مجاهد : العنيد : المعاندُ المجانبُ للحقِّ[٤] .

وقال قتادة : العنيدُ : الذي أبى أن يقول : لا إله إلَّا اللهُ[٥] .

١٥ ــ ثم قال تعالى ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ [آية ١٦] .

أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فيقولون : قد ندمت على ضربي إياك ، وندمتُ على ضربك ، فهذا من ذلك . اهـ.

(١) الأثر في الطبري ١٣/١٩٤ ولفظه : استنصرب على قومها : أي طلبوا من الله النصرة عليهم .

(٢) ذكره ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثـر » ٣/٤٠٧ والقرطبـي في جـامع الأحكـام ٩/٣٤٩ ومعناه أنه ﷺ كان يقدِّم ضعفاء المسلمين ، يستنصر الله بهم على الكفـار ، ويؤيـده حديث « هل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم » ؟

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ، قال القرطبي ٩/٣٤٩ : هكذا هو عنـد أهـل اللغـة ، قال الطبري ١٣/١٩٣ الجبَّار : هو المتجبِّر ، الناكب عن الحق أي الحائد عن اتباع طريق الحقّ .

(٤) الأثر في الطبري ١٣/١٩٣ والدر المنثور ٤/٧٣ .

(٥) الأثر في جامع البيان للطبري ١٣/١٩٤ وفي الدر ٤/٧٣ والقرطبي ٩/٣٥٠ .

أي من أمامه ، وليس من الأضداد ، ولكنّه من تَوَارَى أي استتر[1] .

١٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾** [آية ١٦] .

قال ابن عباس : أي قد خالط لحمه ودمه[2] .

قال الضَّحَّاك : يعني القيح والصَّدِيد[3] .

وقال مجاهد : هو القيحُ والصديد[4] .

وقال غيره : يجوز أن يكون هذا تمثيلاً ، أي يُسقى ما هو بمنزلة القيح والصَّديد .

ويجوز أن يكون : يُسْقَى القيحَ والصَّديدَ[5] .

(١) قال في البحر ٤١٢/٥ : قال أبو عبيدة وقطرب والطبري : ﴿ مِنْ وَرَائه ﴾ أي من أمامه ، وهو معنى قول الزمخشري : من بين يديه ، وأنشد بعضهم :

عَسَى الكربُ الذي أمسيتُ فيه يكون وَرَاءَهُ فرجٌ قريبُ

وقال الأخفش في معانيه ٥٩٨/٢ : أي من أمامه ، وإنما قال « وراء » أي إنه وراء ما فيه ، كما تقول للرجل : هذا من ورائك أي سيأتي عليك ، ومنه قوله تعالى ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ وقد أشبع البحث توضيحاً ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٢١٨/٨ وقال : الوراء ههنا على بابه أي هو ما يأتي بعدُ في الزمان .. إلخ .

(٢) و (٣) و (٤) هذه الآثار عن السلف ذكرها الطبري ١٩٥/١٣ وابن الجوزي ٤٥٢/٤ وروي عن الضحاك قال : الصَّديد : ما يخرج من جوف الكافر وقد خالط القَيْح والدَّم .

(٥) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٣٥٣/٤ قال : المعنى : يُسقى الصديد مكان الماء ، ويجوز أن يكون على التشبيه أي ما يُسقاه ماءٌ كأنه صديد .

١٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [آية ١٧] .

أي يبلعه[1] .

١٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [آية ١٧] .

أي من كلِّ مكانٍ من جسده[2] .

١٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [آية ١٧] .

أي من أمامه عذاب جهنَّم .

حدثني أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال : حدثنا أحمد بن الحسين قال : قال فُضَيْلُ بنُ عياضٍ في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ قال : حَبْسُ الأنفاس[3] .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ

(١) قال الزجاج : ﴿ ولا يكادُ يُسيغه ﴾ أي لا يقدر على ابتلاعه ، تقول : سَاغَ لي الشيء وأسغتُه .

(٢) هذا قول إبراهيم التيمي كما حكاه الطبري عنه ١٣/١٩٦ قال : يأتيه الموت من تحت كلِّ شعرة من جسده ، ورُوي عن الثوري : ما كلِّ عِرْقٍ في جسده . وقال في البحر ٥/٤١٣ : والظاهر أنه قوله تعالى ﴿ من كلِّ مكانٍ ﴾ معناه من الجهات الستِّ ، وذلك لفظيع ما يصيبه من الآلام . اهـ. قال ابن الجوزي ٤/٣٥٤ : ورُوي هذا عن ابن عباس قال : يأتيه الموت من كل جهة « من فوقه ، وتحته ، وعن يمينه ، وشماله ، ومن خلفه ، وقدّامه » . اهـ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٢٩٧ وأبو حيان في البحر ٥/٤١٣ قال ﴿ ومن ورائه عذابٌ غليظ ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقّى عذاباً أشد مما قبلهُ وأغلظ ، وعن الفُضيل هو قطع الأنفاس وحبسُها في الأجساد .

الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [آية ١٨] .

أي لم يُقبل منهم[١] .

و « عاصفٌ » على النَّسَق ، أي الريح فيه شديدة .

ويجوز أن يكون التقدير عاصفِ الريح[٢] .

٢١ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

أي فُرِغَ منه ، فدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ ﴿ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ أي وَعَدَ مَنْ أطاعه الجنة ، ومن عصاه النَّار ﴿ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ أي وعدتكم خلاف ذلك ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي من حجَّة أُبيِّنُها ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ أي إلَّا أنْ أغْوَيْتُكُمْ فَتابعتموني[٣] .

---

(١) قال القرطبي ٣٥٣/٩ : والمعنى : أن أعمالهم محبطة غير مقبولة ، فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار ، في أنه يمحقها كما تمحق الريحُ الشديدة الرماد في يوم عاصف ، لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى وفي المخطوطة ﴿ اشتدت به الرياح ﴾ وصوابه ﴿ الريح ﴾ كما هو النص القرآني .

(٢) توضيح هذا أن العصوف للريح لا لليوم ، فحذف الريح لأنها ذُكرت في أول الكلام فأغنى عن تكريرها ، وذكرها بعضهم أن العصف وإن كان للريح ، فإنَّ اليوم يوصف به كما تقول : يوم باردٌ ، ويوم حار ، وفي المخطوطة على النَّسب ، وهو تصحيف ، وصوابُه على النَّسَق ، وانظر ما أفاده ابن جني في المحتسب ٣٦٠/١ فقد دلَّل له ببيان شاف ساطع .

(٣) هذه هي الخطبة البتراء التي سيخطب فيها « إبليس » في أتباعه يوم القيامة ، قال الحسن البصري : يقف إبليس خطيباً في جهنم ، على منبر من نار ، يسمعه الخلائق جميعاً ، ليزيد أتباعه الكفار حزناً إلى حزنهم ، وحسرة فوق حسرتهم ، فيقول : إن الله وعدكم وعد الحق .. إلخ وانظر البحر ٤١٨/٥ .

٢٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾** [آية ٢٢] .

قال مجاهد وقتادة : أي بمغيثكم[(١)] .

ويُروى أنه يُخَاطَبُ بهذا في النار[(٢)] .

ومعنى : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي كفرتُ بشرككم إيَّاي[(٣)] .

٢٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ .. ﴾** [آية ٢٤] .

حدثنا محمد بن جعفر الفاريابيُّ ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حمَّاد ، قال : حدثنا وهب بن خالد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : « أنبئوني بشجرةٍ تُشْبِهُ المسلمَ ، لا يَتَحاتُّ ورقُها ، تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ رَبِّهَا !؟ قال : فوقَعَ في قلبي أنها « النخلةُ » . قال : فسكَتَ القومُ ، فقال النَّبيُّ : هي النخلة ، فقلتُ لأبي : لقد كان وقع في قلبي أنها النخلة .

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٣/٢٠٠ والبحر المحيط ٥/٤١٩ والقرطبي ٩/٣٥٧ قال : والصارخ والمستصرخ : هو الذي يطلب النصرة والمعاونة ، والمصرخُ : هو المغيثُ ، قال أمية بن الصلت :

ولا تجزعوا إني لكم غيرُ مصرخٍ   وليس لكم عندي غَنَاءٌ ولا نُصُرْ

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٩ وابن الجوزي ٤/٣٥٧ .

(٣) هكذا قال ابن الجوزي والقرطبي .

فقال : فما مَنَعك أنْ تكون قلتَه لرسول الله ؟ لَأَنْ تَكون قلتَه أحبُّ إليَّ من كذا وكذا ، فقلتُ : كنتَ في القوم وأبو بكر ، فلم تقولا شيئاً ، فكرهتُ أن أقول »[1] .

وروى **الأعمش** عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس قال : هي النخلةُ[2] .

وكذلك روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عبَّاس .

وروى **معاوية بن صالح** عن عليِّ بْن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله جلَّ وعز : ﴿ وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ قال : لا إله إلَّا الله . ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال : المؤمن . ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ لا إله إلَّا الله ثابتٌ في قلب المؤمن[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٩٩ عن عبد الله بن عمر ، ولفظه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبروني بشجرة تشبه المسلم ـــ و كالرجل المسلم ـــ لا يتحاتُّ ورقُها ... » إلخ الحديث ، ورواه أحمد في المسند ٢/١٢ عنه بلفظ : « كنَّا عند النبي ﷺ فأُتِي بجُمَّارة فقال : إن من الشجر شجرةً مَثَلُهَا كمثل الرجل المسلم ، فأردتُ أن أقول هي النخلة ، فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ ، فقال رسول الله ﷺ : هي النخلة » وأخرجه مسلم في باب « مثلُ المؤمن مثل النخلة » برقم ٢٨١١ قال العلماء : شَبَّه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه يؤكل رطباً ويابساً ، حتى النَّوى فإنه علفٌ للإبل ، فالمؤمن خير كله كالنخلة خيرٌ كلها .

(٢) الأثر في الطبري ١٣/٢٠٤ وهذا تفسير لقوله تعالى ﴿ كشجرةٍ طيبة ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣/٢٠٣ وابن كثير ٤/٤١٠ ولفظه : قال ابن عباس : « ومثل كلمة طيبة » شهادة أن لا إله إلا الله ، « كشجرة طيبة » وهو المؤمن ، « أصلُها ثابت » يقول : لا

٢٤ ــ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال : الشِّرْكُ . ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال : المشرك . ﴿ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ أي ليس للمشرك أصلٌ يعمل عليه(١) .

وروى **شُعيب بنُ الحَبْحَابِ** عن أنس بن مالك ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال : النخلة ، قال : والشجرةُ الخبيثة : الحنظلةُ(٢) .

٢٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .. ﴾ [آية ٢٥] .

روى ابنُ أبي نجيح وابنُ جريج عن مجاهد ، قال : كلَّ سنة(٣) .

وروى عطاء بن السائب وطارقُ بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبَّاس قال : كل ستَّة أشهر(٤) .

إله إلا الله في قلب المؤمن ، « وفرعُها في السماء » يقول : يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء . اهـ. قال ابن كثير : وهكذا قال الضحاك ، وابن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد من السلف ، أن ذلك عبارة عن المؤمن ، وقوله الطيب ، وعمله الصالح ، وأن المؤمن كالشجرة من النخل ، لا يزال يُرفع له عمل صالح في كل وقتٍ وحين ، وصباح ومساء .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٢١٢/١٣ ولفظُه : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتُثت من فوق الأرض ، يقول : الكافر لا يُقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فيس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء ، يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٢١١/١٣ والدر المنثور ٤ /٧٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٦٠/٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠٩/١٣ وابن كثير ٤١٢/٤ والدر المنثور ٧٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٨/١٣ وفي الدر المنثور ٧٧/٤ قال الحافظ ابن كثير ٤١٢/٤ : والظاهرُ من السياق أن المؤمن مثلُه كمثل شجرة ، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت ، من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يُرفع له عمل صالح ، آناء الليل وأطراف النهار .

وروى أبو بكر الهُذَليُّ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : الحينُ : حينَانِ ، حينٌ يُعرف مقداره ، وحينٌ لا يُعرف مقداره . فأمَّا الذي يُعرف مقداره فقولُه : ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[1] .

وقال عكرمة : هو ستة أشهر[2] .

وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الحينُ يكون غُدْوَةً وَعَشِيَّةً[3] .

وقال الضَّحَّاك في قوله : ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ قال : في الليل والنهار ، وفي الشتاء والصيف ، وكذلك المؤمن يُنتفع بعمله كلَّ وقت[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربةٌ غير متناقضة ؛ لأن الحين

---

(١) الحين الذي لا يُعرف مقداره هو كقوله سبحانه ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ وقد روى ابن جرير الطبري ٢٠٩/١٣ عن عكرمة قال : أرسل إليَّ عمر بن عبد العزيز فقال : يا مولى ابن عباس : إني حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حيناً ، فما الحين الذي يُعرف به ؟ قلت : إن من الحين حيناً لا يُدرك ، ومن الحين حين يدرك ، فأما الحين الذي لا يُدرك فقول الله ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ والله ما يُدرى كم أتى له إلى أن خُلق ؟ وأما الذي يُدرك فقوله تعالى ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ فهو ما بين العام إلى العام المقبل ، فقال : ما أحسن ما قلت !! أصبت يا مولى ابن عباس .

(٢) و (٣) و (٤) الآثار كلها عن السلف ذكرها أهل التفسير ، الطبري في جامع البيان ٢١٠/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٧٧/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٦٠/٩ وابن الجوزي ٣٥٩/٤ وأجمع هذه الأقوال أن الحين يقع على الوقت ، القليل والكثير ، بحسب الأشياء والأحوال ، والله أعلم .

عند جميع أهل اللغة ــ إلَّا من شذَّ منهم ــ بمعنى الوقت ، يقعُ لقليل الزَّمان وكثيره[1] ؛ وأنشد الأصمعي بيتَ النابغة :

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُـونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَـا
تُطَلِّقُـهُ حِينـاً وحِينـاً تُرَاجِـعُ[2]

فهذا يبين لك أن الحين بمعنى الوقت .

غير أنَّ الأشبهَ في الآية أنْ يكونَ الحينُ السَّنةَ ؛ لأنَّ إدراك الثمرة كلَّ عام ، وكذا طلعُها .

وقد رُوي عن عليٍّ بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه قال : أدنى الحينِ سنةٌ[3] .

وروى سفيان عن الحكم ، وحمَّاد ، قالا : الحينُ : سنةٌ[4] .

ومعنى ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ قُطِعتْ جُثَّتها بكمالها[5] .

---

(١) في المخطوطة بعض كلمات فيها طمس ، وقد أثبتناها من تفسير القرطبي ٣٦٠/٩ لأنه كثيراً ما ينقل عنه .

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٣٤ يصف حيَّةً لا تجيب الراقي ، لنكارتها وشدتها ، أنذر الرَّاقون بعضهم بعضاً ألَّا يتعرضون لها ، ومعنى « تُطَلِّقه حيناً وحيناً تراجع » أنها تخفي الأوجاع أحياناً ، وتارة تشتد عليه ، وهكذا حال اللديغ ، واستشهد به في البحر ٤٢٢/٥ على أن معنى الحين في اللغة : القطعة من الزمان قال ومعنى الآية : تعطي جَنَاها كل وقتٍ وقَّته الله لها .

(٣) الأثر في الطبري ٢١٠/١٣ والبحر ٤٢٢/٥ والدر المنثور ٧٧/٤ .

(٤) الأثر في الطبري ٢٠٩/١٣ ولفظه عن شعبة قال : سألت حمَّاداً والحَكَم عن رجل حَلَفَ ألَّا يكلِّم رجلاً إلى حين ، قالا : الحينُ سنة .

(٥) قال في الصحاح : جثَّه : قلعه ، واجتثَّه : اقتلعه . والمعنى : اقتُلعت من أُصلها واستؤصلت من جذورها ، قال في البحر : أي اقتُلعت جُثَّتها بنزع الأُصول ، فبقيت في غاية الضعف والوَهَى .

٢٦ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٢٧] .

رَوى معمرٌ عن طاووس عن أبيه في ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال : لا إله إلا الله . ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ عند المساءَلة في القبر[1] .

وقال البراء بن عازب وأبو هريرة : هذا عند المُسَاءَلةِ ، إذا صار في القبر[2] .

وروى شعبة عن علقمةَ بن مِرْثِدٍ ، عن سعيد بن عُبيدة ، عن البراء بن عازبٍ عن النَّبيِّ ﷺ في قول الله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « في القبر إذا سئل »[3] .

وروى معمر عن قتادة ، قال : بلغني أنَّ هذه الأمَّة تُبتلَى في

(١) الأثر في الدر المنثور ٨١/٤ والطبري ٢١٧/١٣ ولفظُه قال : لا أعلمه إلا قال : هي في فتنة القبر .

(٢) الأثر في الطبري ٢١٧/١٣ والدر المنثور ٨١/٤ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٠/٦ ولفظه « المسلم إذا سئل في القبر ، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت .. ﴾ الآية ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها وأهلها ٢٢٠١/٤ والنسائي في كتاب الجنائز ، باب عذاب القبر ١٠١/٤ وأبو داود في كتاب السنة ٢٣٨/٤ وابن ماجه في الزهد ١٤٢٧/٢ .

قبورها ، فيثبِّتُ اللهُ الذينَ آمنوا[1] .

ويُروى أنَّـه يُقـال له : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمـا دِينُـكَ ؟ ومَـنْ نَبيُّكَ ؟ فمن ثَبَّته الله قال : « اللهُ رَبِّي ، والإسلامُ ديني ، ومحمَّدٌ نبِيِّي » .

فهذا تثبيتٌ في الآخرة[2] .

والتثبيتُ في الدُّنيا : أنَّـه لم يُوَفَّـق لها ، إلَّا وقـد كان اعتقـادَه في الدنيا .

٢٧ ــ **وقولـه تعـالى ﴿ أَلَـمْ تَرَ إِلَـى الَّذِيـنَ بَدَّلُـوا نِعْمَـةَ اللهِ كُفْـراً ، وَأَحَلُّـوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ﴾** [آية ٢٨] .

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : هم كُفَّارُ قريش[3] .

---

(١) الأثـر في الـطبري ٢١٧/١٣ وابـن كثير ٤١٦/٤ وتـفسير ابـن الجوزي ٣٦١/٤ والـدر المنثـور ٨٢/٤ وهذا له حكم المرفوع لقوله « بلغني » وقد صُرِّح برفعه في حديث جابر الـذي رواه أحمد في المسند ٣٤٦/٣ أن النبي ﷺ قال : « إنَّ هذه الأمـة تُبـتلى في قبورهـا ، فإذا أُدخـل المؤمـن قبره ، وتولَّى عنه أصحابه ، جاءه مَلَكٌ شديد .. » الحديث .

(٢) رُوي هذا في حديث أخرجه مسلم في صحيحـه برقـم (٢٨٧١) الجزء الرابـع ص ٢٢٠١ عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثـابت ﴾ قال : نزلت في عذاب القبر ، فيُقال له : مَنْ ربُّك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيـيٍّ محمـد ﷺ ، فذلك قولـه عز وجل ﴿ يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ﴾ .

(٣) الأثـر عن علي أخرجـه ابـن جرير ٢٢٠/١٣ وابـن كثير ٤٢٧/٤ والسيوطـي في الـدر المنثـور ٤٢٧/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، والحاكم في الكُنى ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن عبـد الله بن الكـواء أنـه سأل علياً عن الذيـن بدَّلـوا نعمـة الله كفـراً ، فقـال : هم مشركـو قريش ، أتتهم نعمـة الله الإيمان ، فبدَّلوا نعمة الله كفـراً ، وأحلُّـوا قومهـم دار البـوار . اهـ. وذكـره الحافـظ ابـن كثير في تفسيره ٤٢٧/٤ .

وقال عبد الله بن عبَّاس رحمه الله : هم قادةُ المشركين يوم بدر[1] ، ﴿ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي الذين اتَّبعوهم ﴿ دَارَ البَوَارِ ﴾ وهي جهنَّم ، دارهم في الآخرة .

قال أبو جعفر : البوارُ في اللغةِ : الهَلَاكُ .

٢٨ ـ وقوله تعالى ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو عبيدة : البيعُ هاهنا : الفديةُ[2] .

قال أبو جعفر : وأصل البيع في اللغة : أنْ تدفع وتأخذ عوضاً منه ، والذي قال أبو عبيدة حسنٌ جداً ، وهو مثلُ قوله تعالى : ﴿ واتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾[3] ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عدلٌ ﴾[4] أي قيمة .

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في التفسير عن ابن عباس « تفسير سورة إبراهيم » قال : هم والله كفار قريش ، ومحمد : نعمة الله » . اهـ. والبوارُ : الهلاء ، وسميت جهنم دار البوار لإهلاكها من يدخلها .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤١/١ فقد جاء فيه ﴿ لا بيع فيه ولا خلال ﴾ مجازُه : مبايعة فدية « ولا خِلال » أي مخالَّة خليل . اهـ. ففسَّر البيع بالفدية ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبِّل منهم ﴾ .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٤٨) وتمامها ﴿ ولا يُقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ منها عدلٌ ولا هم يُنصرون ﴾ .

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٢٣)وتمامها ﴿ ولا يُقبل منها عَدْلٌ ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون ﴾ .

والخِلَالُ ، والمُخَالَّةُ ، والخُلَّةُ : بمعنى الصداقة[1] .

قال الشاعر :

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خشْيَةِ الرَّدَى
وَلَسْتُ بمَقْليِّ الخِلَالِ وَلَا قَالِي[2]

٢٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾** [آية ٣٤] .

قال مجاهد : أي من كلِّ ما رغبتم إليه فيه[3] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، يذهب إلى أنَّهم قد أُعْطُوا ممَّا لم يسألوه ، وذلك معروفٌ في اللغة أنْ يقال : امْضِ إلى فلان فإنَّه يعطيكَ كلَّ ما سألتَ ، وإنْ كان يعطيه غيرَ ما سألَ[4] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري مادة خلل فقد جاء فيه : الخِلال : المخالَّة والمصادقة ، والخليل : الصديق ، والخُلالة : الصداقة والمودَّة .

(٢) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٣٥ وفي البحر المحيط ٤٢٧/٤ وفي المحرر الوجيز ٢٤٥/٨ وفي الصحاح ١٦٨٨/٤ . واستشهد به ابن جرير في جامع البيان ٢٢٤/١٣ وهذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في العُصُرِ الخَالي

ومراده : بالمَقْلِيِّ : المُبْغَضُ ، والقَالِي : المبغِض ، يريد أنه لم ينصرف عن الحسان لأنه أبغضهن ، ولا لأنهنَّ أبغضنه ، ولكن خشية الفضيحة والعار ، فهو متيَّم بحبهنَّ ، ولكنه صرف هذا الحبَّ عنهنَّ خشية الهلاك ، ولم ينصرف عنهن لسوءٍ في طباعه .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عنابن أبي نجيح عن مجاهد ٢٢٦/١٣والسيوطي في الدر المنثور ٨٥/٤ .

(٤) توضيح هذا أن الله تقدست أسماؤه ، أعطى البشر كل ما يحتاجون إليه ، وكلَّ ما يُصلِح أحوالهم ومعاشهم ، ما سألوه بلسان الحال أو المقال ، فإنهم لم يسألوا الله شمساً ولا قمراً ، ولا بحراً ولا نهراً ، ولا كثيراً من النعم التي أنعم بها عليهم ، ولكنهم لمَّا كانوا محتاجين إليها أعطاهم إياها ،

وفي الآية قولٌ آخرُ : وهو أنَّه لمَّا قال جل وعز : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ لم ينفِ غير هذا[1] .

على أنَّ الضَّحَّاك قد قرأ ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[2] وقد رُويت هذه القراءة عن الحسن أيضاً .

وفسَّره الضَّحَّاك وقتادة على النفي[3] .

وقال الحسن : أي من كلِّ الذي سألتموه .

بمعنى : وآتاكم من كل الأشياء التي سألتم .

قال أبو جعفر : وقول الحسن أولى ، والآخر يجوز على بُعْدٍ ، وبُعْدُه أنه بالواو أحسنُ عطفاً ، بمعنى : وما سألتموه[4] . إلَّا أنه يجوز على بُعْد .

فعلى هذا يكون معنى الآية : وآتاكم من كلِّ ما سألتموه ، ومن كل ما لم تسألوه ، فاكتفى بالأول عن الثاني ، كما قال تعالى ﴿ سَرَابِيلَ تقيكم الحرَّ ﴾ أي تقيكم الحرَّ ، وتقيكم البرد ، فحُذِف الثاني اكتفاءً بذكر الأول ، وهذا ما قرَّره الفراء في معانيه ٢/٧٨ وإليه ذهب ابن كثير حيث قال في تفسير الآية ٤/٤٢٩ : أي هيأ لكم كلَّ ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم ، مما تسألونه بحالكم وقالكم .

(١) انظر البحر المحيط أبي حيان ٥/٤٢٨ فقد وجَّه أقوال المفسِّرين فأيَّد وفنَّد ، وهو بحث لطيف .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/٣٦٣ بالتنوين « من كلٍّ » وذكرها أيضاً في البحر ٥/٤٢٨ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢/٣٠٣ قال : وقُرِئ « من كلٍّ » بالتنوين ، وما سألتموه نفيٌ ومحَلُّه النصب على الحال أي آتاكم منه جميع ذلك غير سائليه .. إلخ . وهو رأيٌ فيه تكلف .

(٤) إنما كان هذا الوجه بعيداً لأن « ما » جاءت هنا بمعنى النفي وهو بعيد ، والأظهر الوجهُ الأول وهو أن « ما » بمعنى الذي أي وآتاكم من كل الذي سألتموه .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً ، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [آية ٣٥] .

وقرأ الجَحْدَرِيُّ ، وعيسى ﴿ وَأَجْنِبْنِي ﴾ بقطع الألف[1] ، ومعناه : اجعلني جانباً .

وكذلك معنى « اجْنُبْنِي » و « جَنِّبْنِي » معناه : ثَبِّتني على توحيدك ، كما قال تعالى ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[2] وهما مسلمان .

٣١ ــ ثم قال تعالى ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

وهنَّ لا يعقلن ، فالمعنى : إن كثيراً من الناس ضَلُّوا بسببهنَّ[3] .

وهذا كثيرٌ في اللغة ، يُقال : فَتَنَتْنِي هذه الدَّار ، أي استحسنتُها فافْتَتَنْتُ بسببها ، فكأنَّها فتنتني[4] .

٣٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) هذه أي قراءة القطع « وأَجْنبني » من القراءات الشاذة كما ذكره ابن جني في المحتسب ٣٦٣/١ .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٢٨) ﴿ رَبَّنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ، ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ﴾ .

(٣) هذا من باب المجاز العقلي ، وعلاقتُه السببيَّة ، قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٦٨/٩ : لمَّا كانت الأصنام سبباً للإضلال ، أضاف الفعل إليهن مجازاً ، فإنها جمادات لا تعقل .

(٤) قال صاحب الكشاف ٣٠٤/٢ : وإنما جعلن ــ يعني الأصنام ــ مضلَّات ، لأن الناس ضلُّوا بسببهن ، فكأنهن أضللنهم ، كما تقول : فتنتْهم الدنيا وغرَّتهم ، أي افتتنوا واغترُّوا بسببها .

وقرأ **مجاهد** : تَهْوَى إليهم[1] .

معنى « تَهْوِي » تنزع ، و « تَهْوَى » تحبُّ .

حدثنا محمد بن الحسن بن سماعة قال نا أبو نُعيم ، قال : نا عيسى بن قرطاس ، قال : أخبرني المسيب بن رافع قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم ﷺ حين قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ فلو أن إبراهيم ﷺ قال : « اجْعَلْ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إليهم » لغلبكم عليه التُّركُ والدَّيلم[2] .

وقُرِئ على عليٍّ بن الحسين — القاضي بمصر — عن الحسن ابن محمد ، عن يحيى بن عبَّاد ، قال : حدَّثنا شُعبة عن الحَكَم ، قال : سألتُ عطاءً ، وطاووساً ، وعكرمة ، عن قوله جلَّ وعز

(١) هذه القراءة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٨/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٧٣/٩ قال : ومعنى ﴿ تَهْوَى إليهم ﴾ أي تهواهم وتجلُّهم . أقول : هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٦٤/١ قال : أما قراءة الجماعة « تهوِي إليهم » بكسر الواو فمعناها : تميل إليهم أي تحبُّهم ، وأما قراءة الفتح « تهوَى إليهم » فهي من هَوِيتُ الشيء إذا أحببته ، إلا أنه قال « إليهم » لأنه حمله على المعنى ، لأنه لاحَظَ معنى تميلُ إليهم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٣٣/١٣ وابن الجوزي ٣٦٨/٤ وابن كثير ٤٣٢/٤ ولفظُه : « لو قال : « أفئدة الناس » لازدحم عليه فارس والروم ، واليهودُ والنصارى ، والناسُ كلُّهم ، ولكن قال : « أفئدةً من الناس » فاختصَّ به المسلمون » أي كانت دعوته خاصة للمسلمين دون سائر الناس .

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ ﴾ قالوا : الحجُّ[1] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي .. ﴾ [آية ٤٠] .

المعنى : واجعل من ذِرِّيَتي من يُقيمُ الصَّلاةَ .

٣٤ ــ ثم قال ﴿ رَبَّنا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [آية ٤١] .

قيل : إنَّما دعا بهذا أوَّلاً ، فلمَّا تبيَّن له أنه عدوٌّ للهِ ، تبرَّأ منه[2] .

وقيل : يعني « بوالديه » آدم ، وحواء[3] .

وقرأ سعيدُ بنُ جُبير « اغفِرْ لي ولوالِدِي »[4] يعني : أباه .

وقرأ النَّخعيُّ ويحيى بن يعمر « اغفر لِي وَلِوَلَدَيَّ »[5] يعني : ابْنيْهِ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٣٤/١٣ بلفظ : قالوا : اجعلْ هواهم الحجَّ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : خذ بقلوب الناس إليهم ، فإنه حيث يهوى القلبُ يذهب الجسدُ ، وكذلك ليس مؤمن إلَّا وقلبه معلَّق بحبِّ الكعبة . اهـ. الدر ٨٧/٤ .

(٢) اختاره الحافظ ابن كثير ٤٣٣/٤ قال : وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لمَّا تبيَّن له عداوته لله عز وجل .

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية ٢٥٦/٨ عن بعض المفسرين ، وهو ضعيف ، لأنه خلاف الظاهر .

(٤) هذه القراءة على الإفراد « ولوالدي » وكذلك القراءة التي بعدها « ولِوَلَدَيَّ » كلاهما من القراءات الشاذة ، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب في شواذِّ القراءات ٣٦٤/١ .

(٥) انظر المحتسب في شواذ القراءات ٣٦٤/١ .

٣٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قوله : ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ .

قال مجاهد وأبو الضُّحَى : أي مُديمي النَّظَرِ(١) .

وقال قتادة : أي مسرعين(٢) .

والمعروف في اللغة أن يُقال : أَهْطَعَ : إذا أسرع(٣) .

قال أبو عُبيدة : وقد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر(٤) .

٣٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي رافعيها(٥) .

وقال قتادة : المُقْنِع : الرَّافع رأسه ، شاخصاً ببصره ، لا يَطْرِف(٦) .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٣٧/١٣ والقرطبي ٣٧٦/٩ وابن الجوزي ٣٧٠/٤ عن مجاهد .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣٧/١٣ وابن الجوزي ٣٧٠/٤ وابن كثير ٤٣٣/٤ ورجَّحه ، واستدلَّ له بقوله سبحانه ﴿ مهطعين إلى الدَّاع ﴾ أي مسرعين نحو الداعي ، وبقوله ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً ﴾ .

(٣) هذا هو المشهور عند أهل اللغة ، قال الطبري ٢٣٧/١٣ : والإهطاع بمعنى الإسراع ، أشهر منه بمعنى إدامة النظر . أقول : ومنه قول يزيد الحِميري :

بدجلةَ دَارُهُمْ ولقد أراهُمْ ... بدجْلَةَ مُهْطِعينَ إلى السَّماع

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٣/١ .

(٥) و (٦) الأثران في الطبري ٢٣٩/١٣ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٠/٤ وفي القرطبي ٣٧٧/٩ .

قال أبو جعفر : وهـذا قولُ أهـلِ اللغـة ، إلَّا أنَّ أبـا العبـاس[1] قال : يُقـال : أقْنَعَ : إذا رفـع رأسه ، وأقنـع : إذا طأطـأ رأسه ذلًّا وخضوعاً ، قال : وقد قيل في الآية القولان جميعاً[2] .

قال : ويجوز أن يرفـع رأسه مديماً للنظـر ، ثم يُطأطئـه خضوعـاً وذُلًّا[3] .

قال أبـو جعفـر : والمشهـورُ في اللغـة أن يُقـال للرَّافـع رأسه : مُقْنِعٌ .

ورُوِيَ أنهم لا يزالـون يرفعـون رءوسهـم ، وينظـرون ما يأتي من عند الله جلَّ وعز ، وأنشد أهل اللغة :

يُبَاكِـرْنَ الـعِضَاهَ بِمُقْنِعَـاتٍ
نَوَاجِذُهُـنَّ كَالحِـدَإِ الوَقِيـعِ[4]

يصف إبلاً ، وأنهنَّ رافعاتٍ رءوسهن كالفؤوس .

ومنه قيل : مِقْنَعَةٌ[5] لارتفاعها .

---

(١) يريد به الإمام المبرد .

(٢) قال القرطبي ٣٧٧/٩ : والقول الأوَّل أعرف في اللغة .

(٣) جمع أبو العباس المبرِّد بين القولين لأهل اللغة .

(٤) البيت للشماخ بن ضرار وهو في ديوانه ص ٥٦ بلفظ « يبادرن » وهي بمعنى الثانية ، والعِضاه : كلُّ شجر عظيم له شوك ، شبَّه الشاعر أسنان الإبل بالفؤوس في الحِدَّة ، والإبل مرفوعات الرءوس لتناول ورق الشجر ، وقد استشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٤٣/١ وهو في الطبري ٢٣٨/١٣ والقرطبي ٣٧٧/٩ واللسان .

(٥) المِقْنَعة : قال في الصحاح ١٢٧٣/٣ : ما تُقنِّع به المرأة رأسها . أي تغطِّي ، وسُمِّيت بذلك لارتفاعها على الرأس .

ومنه قَنِعَ الرجلُ : إذا رَضِيَ ، وقَنَعَ : إذا سأل أي أتى ما يُتقنَّعُ منه[1] .

٣٧ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [آية ٤٣] .

روى سفيان عن أبي إسحاق عن مُرَّة ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ قال : مُتَخَرِّقَةٌ لا تعي شيئاً ، يعني من الخوف[2] .

وروى حجَّاج عن ابن جريج قال : ﴿ هَوَاءٌ ﴾ : ليس فيها شيءٌ من الخير ، كما يُقال للبيت الذي ليس فيه شيءٌ : هواءٌ[3] .

وقيل : وَصَفَهم بالجُبْنِ والفَزَع ، أي قلوبُهم منخوبةٌ[4] .

وأصل الهواءِ في اللُّغة : المجوَّف الخالي ، ومنه قولُ زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ
مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ[5] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب ، وتهذيب اللغة ، مادة قنع .

(٢) الأثر عن مُرَّة في الطبري ٢٤٠/١٣ وابن الجوزي ٣٧١/٤ ولفظه في الطبري ﴿ وأفئدتهم هواءٌ ﴾ أي متخرِّقة لا تعي شيئاً من الخير .

(٣) الأثر في الطبري ٢٤٠/١٣ وابن الجوزي ٣٧١/٤ .

(٤) حكاه ابن الجوزي ٣٧١/٤ عن ابن قتيبة .

(٥) البيت في ديوان زهير ص ٦٣ وهو من شواهد ابن عطية في المحرر ٢٦٢/٨ والبحر المحيط ٤٣٠/٥ يصف فيه ناقته ، والرَّحلُ : ما يُوضع على ظهر البعير للركوب عليه ، والصَّعْل : الصغير الرأس ، والجؤْجُؤ : الصَّدْرُ ، شبَّه الناقة في سرعتها بالظَّليم ، وهو ذكر النَّعام ، فكأن =

أي ليس فيها مخٌّ ولا شيءٌ ، وقال حسّانُ :

أَلَا أَبْلِـغْ أَبَـا سُفْيَـانَ عَنِّـي
فَأَنْتَ مُجَـوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءٌ[1]

٣٨ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ .. ﴾** [آية ٤٤] .

أي خوِّفْهُم .

٣٩ ـ **وقوله جل وعز ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾** [آية ٤٤] .

قال مجاهد : أي أقسمتم أنكم لا تموتون . لقريش[2] .

٤٠ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾** [آية ٤٦] .

= الرحل فوقه وهو يسرع كالمجنون طار لبُّه ، والشاهد في البيت قوله « جؤجُؤهُ هواء » أي صدرُه هواء خالٍ لا قلب فيه .

(١) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه.ص ٧ واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٤٤/١ والطبري في جامع البيان ٢٤١/١٣ والقرطبي ٣٧٧/٩ وفي لسان العرب ، والتاج ، والمجوَّفُ : الخالي الجوف ، يريد أنه جبانٌ ، منتزعُ الفؤاد ، كأنه لا فؤاد له من الخوف والفزع .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ٢٤٣/١٣ والقرطبي ٣٧٨/٩ وقوله لقريش ، متعلق بفعل محذوف تقديره : يقول تبارك وتعالى ذلك لقريش ، فهو كلامهم حكاه القرآن عنهم .

قرأ **عمر بن الخطاب** رحمة الله عليه : ﴿ وَإِنْ كَادَ ﴾[1] بالدَّال .

وقرأ **عليٌّ بن أبي طالب** رضوان الله عليه : ﴿ وَإِن كَانَ مكرُهم لَتَزُولُ مِنه الجِبَالُ ﴾[2] بفتح اللَّام ، ورفع الفعل .. وكاد بالدَّال هذا المعروف من قراءته .

والمشهور من قراءة عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس « وإنْ كادَ » بالدَّال .

وقرأ **مجاهد** : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ منهُ الجبالُ ﴾ وهي قراءة الكسائي ومجاهد ، و « إن » [معناها « لو » أي ولو كان مكرهم لَتزول منه الجبال ، لم يبلغوا هذا ، ولن يقدروا على الإسلام ، وقد شاء الله تبارك وتعالى][3] أن يُظهره على الدين كله .

---

(١) و (٢) قراءة « كاد » وقراءة « لَتَزُول » كلاهما من القراءات الشاذة كما حكاه ابن جني في المحتسب ١/٣٦٥ قال ابن جني : وهذه القراءة على أنَّ « إنْ » مخفَّفة من الثقيلة ، واللَّامُ في قوله « لَتزولُ » هي التي تدخل بعد « إنْ » هذه المخففة من الثقيلة ، فصلاً بينها وبين « إن » التي للنفي في قوله تعالى ﴿ إن الكَافِرُونَ إلَّا في غرور ﴾ أي ما الكافرون إلَّا في غرور ، فكأنه قال : وإنه كاد مكرُهم تزول منه الجبال . اهـ .

(٣) في المخطوطة طمسٌ في بعض الكلمات في السطر الأخير ، جهدنا في معرفته والله أعلم بالصواب .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في كلام العرب ، كما يُقال : لو بلغتَ أسباب السَّماء !! وهو لا يبلغها ، فمثله هذا .

ورُوي في قراءة أُبَيٍّ بن كعب رحمه الله ﴿ ولولا كلمةُ اللهِ لَزَالَ مكرهم الجبال ﴾[1] .

وقال قتادة : « وإن كان مكرُهم لتزولَ منه الجبالُ » قال : حين دعوْا للهِ ولداً[2] وقد قال سبحانه ﴿ تكادُ السَّمواتُ يتفطَّرنَ منهُ ﴾[3] .

ومن قرأ : ﴿ وإنْ كان مكرُهم لِتزُولَ منه الجبالُ ﴾ ذهب إلى أن المعنى : ما كانَ مكرهم ليزول به القرآنُ ، على تضعيفه[4] ، وقد ثبت ثبوت الجبال .

وقال الحسن : مكرُهم أوهى وأضعفُ من أن تزول منه الجبال ، وقرأ بهذه القراءة[5] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٦٥/٨ وعزاها إلى أبي حاتم ، وهي قراءة شاذة .

(٢) الأثر في الطبري ٢٤٦/١٣ ولفظُه : قال ذلك حين دعوا لله ولداً ، وقال في آية أخرى « تكاد السموات يتفطرن منه » يريد قتادة أنه يؤيِّد قوله بالآية الأخرى التي تدلُّ على عظم ذلك البهتان .

(٣) سورة مريم آية رقم (٩٠) .

(٤) يريد توهين وتضعيف مكرهم ، وهذا على أنَّ « إنْ » نافية بمعنى « ما » أي ما كان مكرهم ليزيل الجبال ، أي وهو أضعف وأوهن من ذلك ، وتفسير الجبال بالقرآن والإسلام هو قول الزجاج كما في معانيه ١٦٦/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧٥/٤ .

(٥) الأثر عن الحسن في الطبري ٢٤٦/١٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٧٤/٤ .

وقد قيل في معنى الرفع قولٌ آخر ، يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نمروذ لمَّا جوَّع النُّسورَ ، وعلَّق لها اللَّحْمَ في الرِّماح ، فاستعلى ، فقيل له : أين تريد أيُّها الفاسقُ ، فاهْبِط ، قال فهو قوله جل وعز ﴿ وإنْ كَانَ مكرُهُم لِتَزولَ مِنْهُ الجِبالُ ﴾[1] .

وقال عبد الله بن عباس : « مكرُهم » ههنا : شِرْكُهم[2] ، وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا ﴾[3] .

٤١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾** [آية ٤٨] .

رَوى إسرائيل عن أبي إسحاقَ عَن عمروِ بنِ ميمونٍ ، عن عبد الله بن مسعود قال : تُبَدَّلُ أرضاً بيضاء مثلَ الفِضَّة ، لم يُسْفَكْ عليها دمٌ حرامٌ ، ولا يُفْعل فيها خطيئةٌ[4] .

---

(١) هذه من الإسرائيليات التي لا يعوَّل عليها ، وانظر تمام القصة في الطبري ٢٤٤/١٣ وابن كثير ٤٣٥/٤ قال ابن عطية في المحرر ٢٦٥/٨ : ذكرت هذه القصة عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك عندي لا يصح عن علي ، وفي هذه القصة كلِّها ضعف من طريق المعنى ، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف ، وبعيد أن يُغرِّر أحد بنفسه في مثل هذا .

(٢) الأثر في الطبري ٢٤٥/١٣ وابن كثير ٤٣٦/٤ .

(٣) سورة مريم آية رقم (٩٠) .

(٤) الأثر في الطبري ٣٤٩/١٣ وابن كثير ٤٣٨/٤ والدر المنثور ٩١/٤ قال السيوطي : أخرجه البزار ، وابن المنذر ، والطبراني ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ مرفوعاً . وذكره ابن كثير من حديث عبد الله بن مسعود وقال : أخرجه الحافظ أبو بكر البزَّار ، ثم قال : لا نعلم من رَفَعه إلَّا جرير بن أيوب ، وليس بالقوي .

وقال جابر : سألتُ أبا جعفر « محمَّد بن عليٍّ » عن قول الله عز وجل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ قال : تُبدَّلُ خبزةً ، يأكل منها الخلقُ يوم القيامة[1] ، ثم قرأ ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[2] .

حدثنا الحسن بن فَرَجٍ[3] بغزَّة قال : نا يوسف بنُ عديٍّ ، قال : حدثنا عليُّ بنُ مُسْهِر ، عن داودَ بن أبي هند ، عن الشعبيِّ عن مسروق عن عائشة قالت : سألت النبي ﷺ عن قول الله جل وعز ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ فأين يكون النَّاسُ يومئذٍ يا رسولَ الله ؟ قال : « على الصِّراط »[4] .

وقال الحسن : تُبدَّل الأرضُ كما يقول القائل : لقد تبدَّلت يدينا قال : تذهب شمسُها ، وقمرُها ، ونجومُها ، وأنهارُها ، وجبالُها ، فذلك هو التبديلُ[5] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٣/٢٥٢ وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٧٦ والقول الأول أرجح .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم (٨) وتمامها : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ .

(٣) الحسن بن الفَرَج أبو علي الغزّي ، راوي الموطأ عن يحيى بن بُكير ، صدوق ، وفاته بعد الثلاث مائة ، وانظر ترجمته في لسان الميزان ٢/٢٤٤ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٦/٣٥ ومسلم في صفات المنافقين رقم ٢٧٩١) والترمذي في التفسير رقم (٣١٢٠) وابن ماجه في كتاب الزهد رقم (١٢٧٩) وابن جرير الطبري ١٣/٢٥٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٠ .

(٥) الأثر في الطبري ١٣/٢٥٠ بنحوه ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس ٤/٣٧٥ قال : تذهب آكامها ، وجبالها ، وأوديتها ، وشجرها ، وتمدُّ مدَّ الأديم . اهـ. وعلى هذا القول يكون التبديل للأرض بتغيير صفاتها ، ونسف جبالها ومدِّ أرضها .

٤٢ ـــ وقوله جل وعز ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [آية ٤٩] .

قال قتادة : في الأغلال والأقيادِ(١) .

٤٣ ـــ وقوله جل وعز ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [آية ٥٠] .

قال الحسن : هو قَطِرَانُ الإبلِ(٢) .

وروي عن جماعة من التابعين أنهم قالوا : هو النحاس .

والمعروف في اللغة أنه يُقال للنحاس : قِطْرٌ : قال الله عز وجل ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ .

وقرأ ابن عباس وعكرمة : « سَرَابِيلُهُمْ من قِطْرٍ آنٍ »(٣) وفسَّراه : بالنحاس .

قال أبو جعفر : وهذا هو الصحيح ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾(٤) والسَّرابِيلُ : القُمُص(٥) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥٥/١٣ وابن الجوزي ٣٧٧/٤ والبحر المحيط ٤٤٠/٥ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٥٦/١٣ والقرطبي ٣٨٥/٩ قال : قطران الإبل الذي تهنأ به ــ أي تدهن به ــ وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم .

(٣) هذه من القراءات الشاذة في المحتسب في الشواذ لابن جني ٣٦٦/١ .

(٤) سورة سبأ آية رقم (١٢) .

(٥) قال الطبري ٢٥٥/١٣ : السرابيل جمع سربال وهو القميص قال امرؤ القيس : لعوب تنسِّيني إذا قمت سربالي . اهـ .

وقال عكرمة : و « آنٍ » انتهى حرُّه ، ويُقال : إن الهمزة بدلٌ من الحاء .

فإن قيل : فلعلَّ الحاء بدل الهمزة !! قيل : ذلك أولى ، لأنه مأخوذ من الحين .

تمت سورة إبراهيم

• • •

تم الجزء الثالث من
معاني القرآن الكريم
بحمد الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة »

تفسير سورة الحجر

مكية وآياتها ٩٩ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر وهي مكية[1]

١ ـ من ذلك قوله جلَّ وعز : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [آية ٢] .

روى سفيانُ عن خُصَيْفٍ ، عنْ مجاهد ، عن حمَّاد ، عن إبراهيم ، قال : « يدخل قومٌ من الموحِّدينَ النَّارَ ، فيقول لهم المشركون : ما أغنىٰ عنكم إسلامكم وإيمانكم ، وأنتم معنا في النار ؟ فيخْرِجُهمُ اللهُ جلَّ وعزَّ منها ، فعند ذلك ﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[2] .

ورَوىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ذلك يوم القيامة[3] .

ورُوِي عن ابن عباس قال : (يقول المشركون لمن أُدخِلَ النَّار من الموحَّدينَ : مانَفَعكم ماكنتم فيه ، وأنتم في النار !؟ فيغضبُ اللهُ

---

(١) قال الشوكاني ١٢٠/٣ : سورة الحِجْرِ تسعٌ وتسعون آية ، وهي مكية بالاتفاق . وفي البحر المحيط ٤٤٣/٥ : هذه السورة مكية بلا خلاف ، وكذلك قال ابن الجوزي ٣٧٩/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤/١٤ عن مجاهد ، وابن كثير ٤٤٢/٤ والسيوطي في الدر ٩٤/٤ وعزاه إلى الحاكم في الكُنى عن حمَّاد قال : سألتُ إبراهيم عن هذه الآية .. وذكره .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث ، عن ابن عباس ، ولفظُه : قال : ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يعني موحِّدين . ويُروى عن الضحاك أن ذلك عند الموت .

جلَّ وعزَّ لهم ، فيخرجون إلىٰ نهرٍ يقال له « نهر الحياة » فينبتُون فيه ، ثم تبقىٰ علىٰ وجوههم علامةٌ يُعرفون بها ، يُقال هؤلاء « الجهنميُّون » فيسألون اللَّهَ جلَّ وعز أن يُزيل ذلك عنهم ، فيزيلُه عنهم ، ويُدخِلهُم الجنَّةَ ، فيتمنَّىٰ المشركون أن لو كانوا مسلمين)[١] .

وقيل : إذا عاينَ المشركون تمنَّوْا الإسلام[٢] .

فأمَّا معنىٰ (رُبَّ) ها هنا ، فإنَّما هي في كلام العرب للتقليل ، وأنَّ فيها معنىٰ التهديد ، وهذا تستعمله العربُ كثيراً ، لمن تتوعَّدهُ وتتخدَّدهُ ، يقول الرجلُ للآخر : ربَّما ندمتَ علىٰ ما تفعل [و يشكُّون في تندُّمه ولا يقصدون تقليله][٣] بل حقيقةُ المعنىٰ : أنه

---

(١) الحديث روي موقوفاً ورُوي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، والمرفوع أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (إنَّ ناساً من أهل « لا إله إلا الله » يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهلُ اللَّات والعزَّى ــ يعني المشركون ــ ما أغنى عنكم قولكم « لا إله إلا الله » وأنتم معنا في النار ؟ فيغضب اللهُ لهم ، فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة ، فيبرأون من حُرُقهم ، كما يبرأ القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة فيسمَّون فيها الجهنميِّن) وانظر جامع البيان للطبري ٣/١٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٣/٤ .

(٢) لم يذكر المصنف مفعول « عاين » وهو القيامة ، أو الموت ، كما نبَّه عليه الزجاج في معانيه ١٧٢/٣ حيث قال : وعايَنَ الكافر القيامة ودَّ لو كان مسلماً ، وقيل : إذا عايَنَ الموت ودَّ لو أنه مسلم .

(٣) في المخطوطة طمسٌ لما بين المعكوفتين ، وقد أثبتناه من تفسير الكشاف ٣١٠/٢ حيث قاربَ كلامَ المصنف ، وربَّما كان الزمخشري قد أخذه عن النحاس لما بينهما من الاتفاق الكبير ، وعبارته في الكشاف : فإن قلتَ : فما معنى التقليل ؟ قلتُ : هو واردٌ على مذهب العرب في قولهم : لعلَّك ستندم على فعلك ، وربما ندم الإنسانُ على ما فعل ، ولايشكُّون في تندمه ، ولا يقصدون تقليله ، ولكنهم أرادوا : لو كان الندم مشكوكاً فيه ، أو كان قليلاً ، لحُقَّ عليك أن لا تفعل هذا الفعل ، لأنَّ العقلاء يتحرَّزون من التعرُّض للغمِّ المظنون كما يتحرّزون من المتيقَّن اهـ وكلامه هنا نفيس .

يقول : لو كان هذا ممَّا يقلُّ ، أو يكون مرةً واحدة ، لكـان ينبغـي أن لا تفعله .

وأمَّا قول من قال : إنَّ « رُبَّ » تقع للتكـثير ، فلا يُعـرف في كلام العرب[1] .

وقيل : إن هذا إنما يكون يوم القيامة إذا أفاقوا من الأهوال التـي هم فيها ، فإنما يكون في بعض المواطن .

والقولُ الأول أصحُّها .

والدليـلُ علـىْ أنـه وعيـدٌ وتهدُّدٌ قولُـه بعـد : ﴿ **ذَرْهُـمْ يَأْكُلُـوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ .

٢ ــ **ثم قال تعـالى** : ﴿ **وَمَـا أَهْلَكْنَـا مِنْ قَرْيَـةٍ إِلَّا وَلَهَـا كِتَـابٌ مَعْلُومٌ** ﴾ [آية ٤] .

أيِ أجلٌ لا يتقدَّمه ولا يتأخَّرهُ .

٣ ــ **وقولـه جل وعـز** : ﴿ **لَوْ مَا تَأْتِينَـا بِالْمَلائِكَـةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين** ﴾ [آية ٨] .

---

(١) أنكر الزجاج أن تجيء « ربَّ » للتكثير ، وقال : هذا ضدُّ ما تعرفه العرب ، وقد ردَّ على من زعـم أنها للتكثير ، وهي على أصلها للتقليل ، قال : وهذه الآية خارجة مخرج الوعيـد ، وانظـر البحـر المحيط أيضاً ٥/٤٤٤ .

معنىٰ (لَوْ مَا) و (لَوْلَا) و (هَلاَّ) واحدٌ[1] ، وأنشد أهلُ اللغة :

تعدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَىٰ لَوْلَا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[2]

أي هلَّا تعدُّون الكمِيَّ المقنَّعَا .

وروىٰ حجاج عن ابن جريج قال : في هذا تقديمٌ وتأخير .

يذهب إلىٰ أن جوابه قولُه تعالى : ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَاً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ** ﴾ يذهب إلىٰ أن هذا متصل بقوله تعالى : ﴿ **لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[3] .

---

(١) قال الطبري ١٤/٦ : العرب تضع موضع « لو ما » لولا ، وموضع « لولا » لَوْ مَا لقول الشاعر :
لوْمَا الحياءُ ولوْمَا الدِّينُ عِبتكما ببعض ما فيكما إذ عِبتُما عَوَري
يريد : لولا الحياءُ ، والظاهر أن لولا في هذا الشاهد هي الامتناعية وليست للتحضيض .

(٢) البيت لجرير يهجو الفرزدق ، وهو في ديوانه ٣٣٨ والنِّيبُ بكسر النون : جمع ناب وهو الناقة المسِنَّة ، و« ضَوْطَرَىٰ » : الرجلُ الضخم اللئيم ، وهي كلمة سبٌّ وذم ، والكميُّ : الشجاع ، والمقنَّعُ : الذي وضع على رأسه المغفر ، يقول : تعدُّون عقر النُّوْقِ المسِنَّة هو المجد والسؤدد لديكم ، فهلاَّ عددتم قتل الشجعان يا أيها اللئامُ هو الفخر والمجد ؟ وانظر الكامل ١٦٣ وشواهد المغني ٢٢٩ والخزانة ٤٦١/١ .

(٣) هذا بعيدٌ ، والأظهر أن الآية مرتبطة بما قبلها ، والمعنى : هلَّا جئتنا بالملائكة ، لتشهد لك بالرسالة ، إن كنت صادقاً في دعواك أنك رسولُ الله ؟ قالوه له بعد أن اتهموه بالجنون ، والافتراءِ على الله ، قاتلهم الله .

٤ ـــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ مَانُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي بالإرسال والعذاب[١] .

٥ ـــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ ﴾ [آية ٨] .

أي لو نزلت الملائكةُ ماأُمهِلُوا ، ولا قُبِلَتْ توبتهُم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾[٢] .

٦ ـــ وقولُه جل وعز : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾[٣] [آية ٩] .

قال ثابت وقتادة : حفِظه اللهُ من أن تزيد الشياطين فيه باطلاً ، أو تُبطل منه حقاً[٤] .

وقال مجاهد : هو عندنا[٥] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/٧ والدر ٩٤/٤ وعلى هذا القول يكون المعنى : مانُنزِّل ملائكتنا إلَّا بالعذاب لمن أردنا إهلاكه .
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨ .
(٣) في المخطوطة ﴿ إنا نحن نزَّلنا عليك الذِّكر ﴾ بزيادة «عليك» والنصُّ القرآني المجيد كما أثبتناه .
(٤) الأثر في الطبري ١٤/٨ وابن الجوزي ٣٨٤/٤ وفي المخطوطة « بدلاً » وهو تصحيف ، وصوابه « باطلاً » كما في الطبري ، والدر ، وعبارته : حفِظَه فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ، ولا يُنقص منه حقاً ، قال ابن كثير : وهو سبحانه الحافظ له من التغيير والتبديل .
(٥) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٤/٨ وفي الدر المنثور ٩٤/٤ .

٧ ــ وقولــه جل وعــز : ﴿ وَلَقَــدْ أَرْسَلْنَــا مِنْ قَبْــلِكَ فِي شِيَــعِ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٠] .

أي فِرق الأولين .

٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ·لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [آية ١٢] .

روىٰ **سفيانُ** عن حُميْدٍ ، عن الحسين ، قال : كذلك نسلكُ الشرك[١] .

وقال **أبو عبيد** : حدثنا حجَّاج ، عن ابــن جُريج ، عن مجاهد ، قال : نسلكُ التكذيب[٢] .

قال **أبو جعفر** : وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير ، وأهلُ اللغةِ ، إلَّا من شذَّ منهم ، فإنَّ بعضهم قال : المعنىٰ : كذلك نسلكُ القرآن ، واحتجَّ بأنَّ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم لمَّا تلا القرآن عليهم وأسمعهم إيَّاه ، ووصل إلىٰ قلوبهم ــ وكان ذلك بأمــرِ اللّــهِ وقوَّته ــ كان اللهُ عز وجل هو الذي يسلكه في قلوبهم علىٰ هذا المعنىٰ[٣] .

(١،٢) انظر الآثار في الطبري ٩/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٨٥/٤ والبحر المحيط ٤٤٨/٥ ورجح الطبري القول الأول فقال والمعنى : كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين ، بالاستهزاء بالرسل ، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا . اهـ ومعنى ﴿نسلكُه﴾ نُدخِلُه ، يُقال : سَلَكه ، وأسلكه .

(٣) حكاه في البحر ٤٤٨/٥ بصيغة التضعيف قال : ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على القرآن ، =

وقيل : لمَّا خلقهم خِلقة يفهمون بها ما يأتيهم من الوحي ، فإذا خلقهم خلقة يفهمون بها ما يسلك ذلك في قلوبهم فكأنه سلكه .

٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٣] .

أي قد تقدَّمتْ سُنَّتهم في التكذيب بالآيات ، والبراهين وكفرهُم ، فهؤلاء يقتفون آثارهم(١) .

١٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [آية ١٤] .

قال عبدالله بن عباس : أي فظلَّ الملائكة فيه يعرجون . أي : يذهبون ويجيئون(٢) .

قال أهل اللغة : عَرَجَ يَعْرُجُ : إذا صَعِد وارتفع ، ومنه قول العامَّةِ عُرِجَ بروح فلانٍ .

= والمعنى على هذا القول : كذلك نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به ، والجمهور على خلافه .

(١) الأظهر أن المعنى : مضت سُنَّة اللهِ بإهلاك الكفار ، حين كذَّبوا رسلهم واستهزءوا بهم ، وهو تهديد لكفار مكة .

(٢) الأثر في الطبري ١١/١٤ وفي الدر المنثور ٩٥/٤ قال القرطبي ٨/١٠ : والمعارجُ : المصاعدُ أي لو صعدوا إلى السماء ، وشاهدوا الملكوت والملائكة ، لأصرُّوا على الكفر ، وقال الضحاك : لو فتحنا على المشركين باباً من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال المشركون : سحرنا محمد وليس هذا بالحق .

١١ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ [آية ١٥] .

قال ابن عباس : أُخِذتْ[١] .

قال أبو جعفر : والمعروفُ من قراءة مجاهد والحسن (سُكِرَتْ)[٢] بالتخفيف .

قال الحسن : أي سُحِرَتْ .

وحكىٰ أبو عُبيدٍ عن أبي عُبيدةَ أنهُ يقال : سُكِرتْ أبصارهم : إذا غشِيَها سَمَادِيرُ[٣] حتىٰ لا يُبصروا .

وقال الفرَّاءُ : من قرأ (سَكِرتْ) أخذَهُ من سكونِ الريح[٤] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأصلُ فيها ما قال « أبو عمرو بنِ العلاءِ » يرحمه اللّهُ قال : هو من السُكْرِ في الشراب .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/١٢ ولفظُه : أُخذت أبصارنا ، وأخرجه ابن كثير عن قتادة عن ابن عباس ٤/٤٤٦ .

(٢) قراءة ﴿ سُكِرَتْ ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف ، قراءة ابن كثير كما في السبعة لابن مجاهد ٢/٣٠١ وأما قراءة ﴿ سَكِرَتْ ﴾ بفتح العين وكسر الكاف فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٣ قال (سَكِرَتْ) أي جَرَتْ مجرى السَّكران في عدم تحصيله ، وكذلك حالُ السكران في وقوف فكره ، والاعتراض عليه مما يُحيِّره ويُنغِّصه اهـ .

(٣) السَّمادير : هو ما يتراءى للإنسان من ضعف البصر عند السُّكر من الشراب .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٨٦ قال : العربُ تقول : قد سَكِرت الريحُ : إذا سكَنَتْ وركَدَتْ .

وهذا قول حسنٌ أي غشيهم ما غطّى أبصارَهم ، كما غَشيَ السكران ما غطّٰى عقلَهُ[1] .

وسكُور الريح : سكونُها وفتورها ، وهو يرجع إلىٰ معنىٰ التّخيير .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : يعني الكواكب[2] .

قال أبو جعفر : ومن قال : إنها إثنا عشر برجاً[3] ، فقولُه يرجع إلىٰ هذا ، لأنها كواكبُ عظامٌ .

ومعروفٌ في اللغةِ أن يُقالَ : بَرَج يَبْرُجُ : إذا ظَهَر وارتفع ، فقيل لهذه الكواكِب بروجٌ ، لظهورها وثباتها ، وارتفاعها ، والبَرَجُ : كِبرُ العين[4] .

(١) هذا القول حكاه الطبري في جامع البيان ١٢/١٤ عن ابن العلاء قال : هو مأخوذ من سكر الشراب ، ومعناه: قد غشّى أبصارَنا السُّكْرُ . ثم قال : وأولى الأقوال بالصواب أن معنى الآية : أُخذت أبصارنا وسُحِرت ، فلا تُبصر الشيء على ما هو عليه ، ذهب حدُّ إبصارها ، وانطفأ نُوره .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١٤ وابن كثير ٤٤٦/٤ .

(٣) البروج : منازِل الشمس والقمر ، وهي الحَمْلُ ، والثَّوْرُ ، والجوزاءُ ، والسَّرطان .. الخ .

(٤) في الصحاح ٢٩٩/١ : البُرْجُ : واحدُ بروجِ السَّماء ، والبَرَجُ بالتحريك : أن يكون بياضُ العين =

١٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [آية ١٧] .

أي : لا يصل إليها ، ولا يَسْمَعُ شيئاً من الوحي إلَّا مُسارقةً ، وكان هذا من علامةِ نبوَّة محمد ﷺ ولا نعلم أحداً من الشعراء ، شبَّه شيئاً بسرعة الكواكب إلاَّ في الإسلام ، ولو كان هذا قبله لشَبَّهوا به [1] .

قال ابن جريج : الرجيمُ : الملعونُ[2] .

قال الكسائي : كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتيم[3] .

وقيل : رجيمٌ بمعنى مرجوم ، أي يُرْجَمُ بالكواكب .

= مُحْدِقاً بالسَّوادِ كلِّه ، لا يغيبُ من سوادها شيءٌ ، ومنه ثوبٌ مبرَّجٌ : للمزيَّن من الحُلَل ، والتبرُّجُ : إظهارُ المرأة زينتَها ومحاسنَها للرجال . اهـ .

(١) هذا ما قاله الزجاج في معانيه فقد قال رحمه الله ١٧٧/٣ : والرميُ بالشُّهب من آيات النبي ﷺ مما حدث بعد مولده ، لأن الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم .. الخ ثم قال القرطبي : ولا يبعد أن يُقال : انقضاضُ الكواكب كان في قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رجوماً للشياطين ، ثم صار عند مولده ﷺ وانظر أيضاً القرطبي ١٢/١٠ .

أقول : يعارض ماذهب إليه المصنف ما روي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان جالساً في نفر مع أصحابه ، إذْ رُمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ .. الحديث فدَلَّ على أن الرمي بالشهب كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، فالصحيح أن انقضاض الكواكب قديمٌ ، وزاد ببعثه صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/١٤ وفي الدر ٩٥/٤ .

(٣) حكاه الطبري في جامع البيان ١٥/١٤ عن القاسم عن الكسائي قال : الرجم في جميع القرآن : الشتم .

١٤ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [آية ١٩] .

رویٰ **معاويةُ بنُ صالح** عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباس **﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾** .

قال : أي معلومٍ[1] .

وكذلك رَوَىٰ عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ .

وقال أبو صالح وعكرمة : أي مقدور[2] .

وقال مجاهد : أي مقدَّر بقدرٍ[3] .

ومعناه : مُقَدَّر لا يزيد علىٰ قَدَرِ الله ، ولا ينقص ، فكأنه موزونٌ .

وقيل : أراد بموزون : ما يُوزن من الذهب ، والفضة ، والحديد ، والرصاص ، وشبهِه[4] .

---

(١) رواه الطبري عن ابن عباس ١٥/١٤ .

(٢،٣) الأثران أخرجهما الطبري ١٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩١/٤ .
قال : وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى : معلوم القدر كأنه قد وُزن ، لأن أهل الدنيا لمَّا كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه ، أخبر تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون .
وقال الزَّجاج : المعنى : أنه جرى على وزن من قَدَر الله تعالى ، لايستطيع أحد زيادة فيه ولا نقصاناً .

(٤) هذا اختيار الفراء في معانيه ٨٦/٢ يريد أن كل ما له وزن كالذهب ، والفضة ، والنحاس أوجده =

والمعنىٰ علىٰ هذا : وأنبتنا في الجبال من كل شيءٍ موزون .

١٥ ــ ثم قال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ .. ﴾ [آية ٢٠] .

أي في الأرض .

١٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : يعني الدوابَّ ، والأنعامَ(١) .

وقال غيره : يعني المماليك ، والدواب(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا أولىٰ لأنَّ « مَنْ » لا تكون لما لايعقل ، إلَّا أن يختلط معه من يعقل .

والمعنىٰ : وجعلنا لكم المماليك ، والدواب ، والأنعام .

ويجوز أن يكون المعنىٰ : أعشناكم ، وأعشنا من لستم له برازقين(٣) .

= لبني آدم ، وحكاه ابن الجوزي عنه ٣٩١/٤ قال : وهو مرويٌّ عن الحسن ، وعكرمة ، وابن زيد ، وابن السائب ، واختاره الزجاج أيضاً في معانيه ١٧٦/٣ .

(٢،١) انظر الطبري ١٧/١٤ والدر المنثور ٩٥/٤ والبحر المحيط ٤٥٠/٥ واختار الطبري العموم من العبيد ، والإماء ، والدوابِّ ، والأنعام ، وكذلك قال صاحب البحر : والظاهر أن « من » لمن يعقل ، ويُراد به العيالُ ، والمماليكُ ، والخدم ، ويدخل معهم ما لايعقل بحكم التغليب كالأنعام والدواب ، قاله الفراء .

(٣) هذا قول الزجاج في معاني القرآن ١٧٦/٣ قال والمعنى : أعشناكم وأعشنا أُمَماً غيركم ، وكفيناكم مؤونة أرزاق الدواب والعبيد .

١٧ ــ **وقوله تعالىٰ :** ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** .. ﴾ [آية ٢١] .

أخبر أن خزائن الأشياء بيده .

أي أنه جل وعز حافظُها ، والمتولِّي تدبيرَها .

١٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز :** ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** .. ﴾ [آية ٢٢] .

قال عبدالله بن مسعود : تحمل الرِّيحُ الماءَ فتلِّقح السحابَ ، وتَمْريه ، فيدُرُّ كما تَدُرُّ اللِّقحةُ ، ثم يُمطر[1] .

وقال ابن عباس : تُلَقِّح الرياحُ الشجر ، والسَّحاب ، وتَمْريهِ[2] .

وقال أبو رجاء : قلتُ للحسن : ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** ﴾ فقال : تلقِّحُ الشجرَ ، قلتُ : والسَّحاب ؟ قال : والسَّحاب[3] .

وقال أبو عبيدة : ﴿**لَوَاقِحَ**﴾ أيْ مَلَاقِح ، يذهبُ إلىٰ أنه جمع مُلْقِحة ، ومُلْقِح ، ثم حُذفت منه الزوائد[4] .

(١-٣) الآثار في الطبري ٢٠/١٤ وزاد المسير ٣٩٤/٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٨/٤ ومعنى قوله « وتَمْرِيهِ » أي تجعل المطرَ يدرُّ منه ، يُقال : مَرَى النَّاقةَ إذا مسحَ ضَرْعها ، فأَمْرتْ هي أي درَّ لبنُها ، واللِّقحةُ بكسر اللام وفتحها : الناقةُ القريبةُ العهد بالنتاج ، واللَّقوحُ : غزيرةُ اللبن ، وكلامُ ابن مسعود على سبيل التمثيل لأثر الرياح في السحاب .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٤٨/١ قال : لأن الريح مُلقِحة للسحاب ، والعرب قد تفعل هذا فتُلقي الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نهشل «وأشعثَ ممن طوَّحتْه الطوائحُ » .

قال أبو جعفر : وهذا بعيدٌ ، وإنما يجوز حذفُ الزوائـد ، من مثل هذا في الشعر ، ولكنَّه جمع لاقحة .

و « لاَقِحٌ » علىٰ الحقيقة بلاحذف ، هو علىٰ أحد معنيين :

يجوز أن يُقال لها لاَقِحٌ علىٰ النَّسَب أي ذات إلقاحٍ كأنها تُلقِّح السحابَ والشجر ، كما جاء في التفسير ، وهو قولُ أبي عمرو[1] .

ويجوز أن يُقال لها لاقِحٌ أي حامـلٌ ، والعـرب تقـول للجَنُـوب لاقحٌ وحاملٌ ، وللشمال حائلٌ وعقيم ، وقـال الله جل وعـز : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا** ﴾[2] فأقلَّتْ ، وحَمَلَتْ واحدٌ[3] .

١٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَقَـدْ عَلِمْنَـا الْمُسْتَقْدِمِيـنَ مِنْكُـمْ وَلَقَـدْ عَلِمْنَـا الْمُسْتَأْخِرِين** ﴾ [آية ٢٤] .

رَوَى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد قال : ﴿**المستقدِمُونَ**﴾ القـرونُ

---

(١) أبو عمْرٍو هو ابن العلاء ، اسمه زبَّان المازني النحوي ، المقرىء ، من كبـار علمـاء اللغـة ، وقـد تقدمت ترجمته ١٣٢/١ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٣) قال في البحر ٤٥١/٥ : « لواقح » جمع لاقِـح ، يُقـال : ريح لاقـح ، وهـي التـي تأتي بخير من إنشاء سحاب ماطر ، كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشرٍّ « ريحٌ عقيمٌ » أو ملاقـح أي حامـلات للمطر . أهـ . وفي البخاري ١٠٠/٦ : لواقح : مَلَاقح مُلْقِحَة .

الأولىٰ ، و ﴿ المستأخِرُون ﴾ أمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم[1] .

ورَوىٰ **سفيانُ** عن أبيه عن عِكرمةَ قال ﴿ **المستقْدِمون** ﴾ كلٌّ من خرج ، و ﴿ **المستأخِرُون** ﴾ كلُّ من كان في أصلاب الرجال[2] .

ورَوىٰ **عليُّ بن الحَكَم** عن الضحَّاك قال ﴿**المستقدِمُون**﴾ من مات ، و ﴿**المستأخِرُون**﴾ الأحياءُ[3] .

وروَى **سفيان** عن أبانَ بنِ أبي عيَّاش ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ** ﴾ الصفُّ الأول ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِين** ﴾ الصفُّ الآخرِ[4] .

حدثنا محمدُ بنُ إدريسَ ، قال : نا إبراهيم بن مرزوقٍ ، قال نا مسلم بن إبراهيم ، قال : نا نوح بن قَيْسٍ[5]، قال نا عمروُ بنُ

(١،٤)انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ٢٣/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٦/٤ والدر المنثور للسيوطي ٩٧/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٩/١٠ وأصحُّ هذه الأقوال ما ذكره الحافظ ابن كثير ٤٤٩/٤ عن ابن عباس قال : المستقدمون : كلُّ من هلك من لدن آدم عليه السلام ، والمستأخرون : من هو حيٌّ ومن سيأتي إلى يوم القيامة ، ورجحه الطبري فقال ٢٦/١٤ : لقد علمنا الأموات من بني آدم الذين تقدم موتهم ، وعلمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيٌّ . اهـ .

أقول : وقد فُسِّرت الآية بثمانية أقوال ، ذكرها صاحب البحر المحيط ، ثم قال : الأولى حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر .

(٥) هو نوح بن قَيْس بن رباح الأزدي البصري قال أحمد وابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به =

مالكٍ ، عن أبي الجَوْزاء ، عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ قال : كانت امرأةٌ جميلة تُصَلِّي مع النبي ﷺ ، فكان رجالٌ يتقدمون حتى لا يَرَوْها ، وكان رجال يتأخرون فإذا ركع النبيُّ ﷺ وضع أحدهم يده على ركبته ، ونظر إليها من تحت ضَبْعه[1] فأنزل الله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾[2] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ .. ﴾** [آية ٢٦] .

فيه قولان :

أحدهما : رواه معاويةُ بن صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ،

= بأس ، توفي سنة ١٨٤ هـ وانظر تهذيب التهذيب ٤٨٥/١٠ .

(١) في المصباح المنير ٣/٢ : الضَّبْعُ بالسكون : العضد ، والجمع أضباع مثل فَرْخ وأفراخ . اهـ . وفي رواية المسند : فإذا ركع نظر من تحت إبطيه .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٠٥/١ والترمذي في تفسير سورة الحجر رقم ٥١٢٨ من رواية أبي الجوزاء عن ابن عباس ، قال الترمذي : وروي هذا عن أبي الجوزاء ولم يُذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح . ورواه ابن ماجه في سننه برقم ١٠٤٦ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال : ورد في هذا حديث غريب جداً ، رواه ابن جرير ، وأحمد ، وابن أبي حاتم ، والترمذي والنسائي وابن ماجه من طُرق عن نوح بن قيس ، ثم ذكر الحديث وقال : وهذا الحديث فيه نكارة شديدة . اهـ وهو كما قال ، لأن مثل هذا العمل لا يصدر إلاَّ من الفُسَّاق والفُجَّار ، لا من الصحابة الأطهار ، رضوان الله عليهم أجمعين .

عن ابن عباس قال : الصَّلْصَالُ : الطِّينُ اليابسُ[1] .

ورَوَى مَعْمر عن قتادة : هو الطينُ ييبس ، فتصيرُ له صَلْصَلةٌ[2] .

وقال الضحاك : هو الطِّينُ الصُّلبُ[3] .

والقولُ الآخر : رواه ابنُ نَجيح ، وابنُ جريج ، عن مجاهد قال : الصلصالُ : المنتِنُ[4] .

وقال أبو جعفر : والقولان يحتملان ، وإن كان الأول أبينُ لقول الله جل وعز : ﴿ **خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ** ﴾[5] .

وحكى أبو عبيدةَ أنه يُقال للطين اليابس : صَلْصَالٌ ما لم تأخذه النار ، فإذا أخذته النار فهو فخار[6] .

وأنشد أهل اللغة :

« كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ »[7]

والصَّلصلةُ : الصَّوتُ .

(١-٤)انظر الآثار في الطبري ٣٢٨/١٤ وابن كثير ٤٥١/٤ والدر المنثور ٩٨/٤ .

(٥) سورة الرحمن آية ١٤ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ولفظه قال : الصَّلصالُ : الطِّينُ اليابس الذي لم تصبه نار ، فإذا نقرته صلَّ فسُمعت له صلصلة ، فإذا طُبخ بالنار فهو فخار ، وكلُّ شيءٍ له صوتٌ فهو صلصال سوى الطين .

(٧) هذا عجز بيتٍ للأعشى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٦٥ .

عنْتَريسٌ تَعْدُو إذا مسَّها السَّوْ ... طُ كعَدْوِ المصَلْصِلِ الجَوَّالِ

من قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر ، ومطلعها : ما بكاءُ الكبير بالأطلال .. يصف فيه الناقة بأنها عنتريس أي صلبة تركض إذا مسَّها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوَّال ، وانظر الكامل =

وقال الفراء : هو طين حرٌّ يُخلط برملٍ ، فيُسمع له صلصلة[1] .

وأما القول الثاني : فالأصل فيه صِلاَلٌ ، ثم أُبدل من إحدى اللَّامين صاد .

[وحكىٰ الكسائي أنه يقال : صلَّ اللحمُ ، وأصلَّ : إذا أنتَنَ .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [آية ٢٦] .

[فالحمأ ، والحمأة : الطِّينُ][2] الأسود المتغير[3] .

وفي المسنون أربعة أقوال :

رَوَىٰ سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : المسنون : المنتن[4] .

وكذلك روىٰ قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد ابن جبير قال : خُلِقَ الإنسانُ من صلصال من طين لازب ، وهو الجيد ، ومن حَمَإٍ مسنون وهو المنتن[5] .

وروىٰ ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هو المنتنُ[6] .

= ٤٨٩ واللسان ، والتاج مادة صلصل .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٨٨/٢ وفي المخطوطة « طير حر » وهو تصحيف وصوابه طين حرٌّ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٣) قال القرطبي ٢١/١٠ : والحَمَأُ : الطين الأسود ، وكذلك الحَمْأَةُ بالتسكين ، وقال أبو عُبيدة : الحَمْأَةُ مثل الكَمْأة والجمع حَمْأٌ ، مثل تَمْرَةٍ ، وتَمْرٌ ، والمسنونُ المتغيرُ .

(٤،٦) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ٢٩/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٤/٤ والدر المنثور ٩٨/٤ .

وذهب إلىٰ هذا القول من أهل اللغةِ الكسائيُّ ، وأبو عمروٍ الشيباني ، وزعم أبو عمروٍ الشيباني أن قول الله ﴿ **لَمْ يَتَسَنَّهْ** ﴾[1] من هذا ، وأن الأصل فيه (لَمْ يَتَسَنَّنْ) فأبدل من إحدىٰ النونين هاءً ، فهذا قولٌ .

والقولُ الآخر : وهو مذهب أبي عبيدة أن المسنونَ : المصبوب[2] .

ورَوَىٰ معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المسنونُ : الرَّطبُ[3] .

فهذا بمعنىٰ المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوباً إلاَّ وهو رطب ، وهذا قول حسنٌ لأنه يقال : سَنَنْتُ الشَّيءَ أي صببتُهُ ، وفي الحديث « إنَّ الحسن كان يَسُنُّ الماء علىٰ وجههِ سنَّاً »[4] ولو كان هذا من

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ ﴿ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ ﴾ أي لم يتغير بمرور الزمان ، وقد ردَّ هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٣/٥ قال :وهو من أسِنَ الماءُ : إذا تغيّر ،ولايصحُّ لاختلاف المادتين .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥١/١ .

(٣) الأثر في الطبري ٣٠/١٤ والبحر المحيط ٤٥٣/٥ وتفسير ابن الجوزي ٣٩٨/٤ وأرجح الأقوال في معنى الآية ما حكاه الطبري عن قتادة وابن عباس ، أن الحمأ المسنون الطين الأسود الرطب الذي قد تغيَّر وأنتن . اهـ . جامع البيان ٢٩/١٤ .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٢/١٠ عن عمر رضي الله عنه « أنه كان يَسُنُّ الماءَ على وجهه ، ولا يَشُنُّه » قال : والشنُّ بالشين تفريقُ الماء ، وبالسِّين المهملة صبُّه من غير تفريق .

أَسِنَ الماءُ لكان مؤسِناً[1] .

والقـول الثـالثُ : قول الفـراء وهـو المحكـوك ، ولا يكــون إلاَّ متغيراً ، من سننْتُ الحديدَ[2] .

والقـولُ الرابـع : أنـه المصبـوبُ على مثـالٍ وصورة ، من سُنَّـةِ الوجه[3] .

٢٢ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيـنَ إِلَــى يَوْمِ الْــوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾** [آية ٣٨] .

قال سفيان : بلغني أنَّ الوقت المعلوم النفخةُ الأولى[4] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾** [آية ٤١] .

أحدهما : وهو مذهب مجاهـد قال : الحقُّ طريقُـه علـيَّ ، وهـو يرجع إليَّ[5] ، كما يقال في التوعُّـدِ : طريـقكَ علـيَّ فاعمـل ما شئت ،

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٠٥/٨ قيـل : هو من أسِنَ الماء إذا تغيـَّر ، والتصريـف يردُّ هذا القول .

(٢) انظر معاني القـرآن للفـراء ٨٨/٢ ولفظـةُ قال : والمسنـونُ : المتغيِّـرُ ـــ والله أعلـمُ ـــ أُخِـذَ من سَنَنْتُ الحَجَر على الحَجَر ، والذي يَخرجُ ممَّا بينهما يُقال له السَّنِينُ . أهـ .

(٤) هذا قول سيبويه كما في القرطبي ٢٣/١٠ قال : المسنـونُ : المصوَّر ، أُخـذ من سُنَّـة الوجه وهـو صورتُه . حكاه الطبري ٢٨/١٤ عن بعض نحويِّ البصرة قال : عنـى به : حمأً مصوَّر تام ، سُنَّ على مثال سُنَّة الوجه أي صورته .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٩٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٣٣/١٤ ولفظه : الحقُّ يرجع إلى الله ، وعليـه طريقـهُ ، لا يُعـرِّج على شيء .

وكما قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1] .

والقول الآخر : إن هذا صراط على أمري وتحت إرادتي .

وقرأ قيسُ بنُ عُبَادة[2] **﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ﴾**[3] وقال أي رفيعٌ ، ومعناه رفيعٌ في الدِّينِ والحقِّ .

٢٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِين ﴾** [آية ٤٢] .

أي الضالين .

٢٥ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾** [آية ٤٤] .

أي لكلٍّ منزلٌ منهم من العذاب ، على قدر منزلته في الذنب[4] .

ورَوَى مالك بن مِغْوَل ، عن حُميدٍ ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لجهنم سبعةُ أبواب ، بابٌ منها لمن سلَّ سيفه علىٰ أمتي ، أو قال على أمة محمد »[5] .

---

(١) سورة الفجر آية ١٤ .

(٢) في المخطوطة : قيس بن عباد ، وصوابه « قيس بن عُبادة » ذكره في الإصابة ٥/٤٨٧ قال ابن منده : لاتصحُّ له صُحبة . اهـ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٣ .

(٤) حكاه ابن كثير عن قتادة ٤/٤٥٥ قال : هي واللهِ منازلُ بأعمالهم .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحِجْر ٨/٥٥١ من تحفة الأحوذي ، قال صاحب =

٢٦ ـ وقولُـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ .. ﴾ [آية ٤٧] .

الغِلُّ عند أهل اللغة : الشحناءُ ، والسَّخِيمة[1] ، والعداوةُ ، يُقال منه : غَلَّ يَغِلُّ .

ويُقال : من الغُلُول ـ وهو السرقةُ من المغنم ـ غَلَّ يَغُلُّ ، ويُغال من الخِيانه أَغَلَّ يُغِل كما قال الشاعر :

جَزَىٰ اللَّهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابنةَ نَوْفَلٍ
جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأَمانةِ كَاذِبِ[2]

٢٧ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِين ﴾ [آية ٤٧] .

روى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿مُتَقَابِلِينَ ﴾ قال : لا ينظر أحدهُم إلى قفا صاحبه[3].

= التحفة : وأخرجه البخاري في تاريخه . ورواه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٤ والحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٥/٤ وقد ورد في المخطوطة « على من سلَّ سيفه على النبي » ورواية الترمذي « على أمتي » وهو الصواب ، وانظر الدر ٩٩/٤ .

(١) في الصحاح مادة « سخم » السَّخيمةُ : الضَّغينةُ والموجِدَةُ في النفس .

(٢) البيت للنمر بن تَوْلَب ، سبى امرأةً من بني أسد يُقال لها « حمزة بنت نوفل » فأبغضته ، فحبسها حتى استقرت عنده وولدت له أولاداً ، ثم ذكرت له أنها اشتاقت إلى أهلها ، فقال لها : أخاف ألاَّ ترجعي وأن تغلبيني على نفسك فعاهدته على الرجوع ، ثم لما وصلت ديار أهلها مكثت فلم ترجع إليه ، فقال هذه الأبيات ، وانظر الأغاني ١٥٩/١٩ . ورواية التاج « جَمْرة » وفي الأغاني حمزة ، ولعل الصواب ما في التاج .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٣٨/١٤ وابن كثير ٤٥٧/٤ والسيوطي في الدر ١٠١/٤ .

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [آية ٤٨] .

أي تعبٌ .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [آية ٤٩] .

أي أَخبِرْ[1] .

ورُوي أن النبيَّ ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون ، فقال : أتضحكونَ وبين أيديكم الجنة والنار ؟ فشقَّ ذلك عليهم ، فأنزلَ اللهُ ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾[2] .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ ﴾ [آية ٥٣] .

معناه لاتفزع . والقانطون اليائسون .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤٥٨/٤ : أي أَخبِرْ يا محمد عبادي أني ذو رحمة واسعة ، وذو عقابٍ أليم .

(٢) الحديث أخرجه الطبري عن ابن أبي رباح عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ وسنده ضعيف ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤٥٨/٤ من رواية ابن أبي حاتم وهو مرسلٌ ، وأورده السيوطي في الدر ١٠٢/٤ وعزاه إلى ابن مردويه ، ورواية الطبري : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك ، فقال : ألا أراكم تضحكون ؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحِجْر ، رجع إلينا القهقرى ، فقال : إني لمَّا خرجتُ جاء جبريل فقال يامحمد : إن الله يقول : لِمَ تُقنِّط عبادي ؟ ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم .. ﴾ الآيات .

٣١ ــ قولــه جلّ وعــز : ﴿ إِلَّا امْرَأَتَــهُ قَدَّرْنَــا إِنَّهــا لَمِــنَ الغَابِرِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

قيل : « قَدَرْنَا » بمعنى علمنا ، وقدَّرنا على بابه ، أي هو في تقديرنا وفيما أخبرناه به هكذا .

والغابرُ : الباقي ، وقد يُستعملُ للذاهب ، والمعنى: إنها لمن الباقين في الهلاك ،

وأنشد أهل اللغة :

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَــــا
إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِـــــجُ(١)

الأغبارُ : بقايا اللَّبن .

٣٢ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أنكرهم لوط صلى الله عليه وسلم(٢) .

وقيل : أنكرهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يأكلوا من

---

(١) البيت للحارث بن حِلِّزَة ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٣٧/١٠ يريد : لا تضربْ الماء البارد على ضرع الناقة ليجفَّ لبنها ، فيكون أقوى لها على الحمل في العام القابل ، فإنك لا تدري ، ما يحدث ، ومن يلي أمر نتاجها ، وانظر لسان العرب ٣٧٣/٢ .

(٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ وفي الدر المنثور للسيوطي ١٠٢/٤ .

طعامه[1] ، وكانوا يُنكرون أمرَ الضَّيف إذا لم يأكل .

٣٣ ـ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾** [آية ٦٣] .

قال مجاهد : بالعذاب[2] .

قال أبو جعفر : المعنى : بل جئناك بما كانوا يشكُّون من نزول العذاب بهم[3] .

٣٤ ـ **وقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .. ﴾** [آية ٦٥] .

السُّرى لا يكون إلَّا بالليل[4] ، إلا أن قوله تعالى ﴿بِقِطْعٍ﴾[5] يدلُّ على ذهابِ كثيرٍ من الليل .

٣٥ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ .. ﴾** [آية ٦٥] .

---

(١) هذا القول ضعيف لأن الآية صريحة في أن المراد بها لوط عليه السلام ، لقوله سبحانه ﴿ فلمَّا جاء آل لوطٍ المرسلون . قال إنكم قوم منكَرُون ﴾ فهذا من كلام لوط لا إبراهيم .

(٢) الأثر في الطبري ٤١/١٤ قال ابن جرير : والمعنى : جئناك بما كان فيه قومك يشكُّون من عذاب الله أنه نازل بهم ، وقال الزجاج : المعنى : جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكُّون في نزوله . اهـ .

(٣) كلام المصنف تفسيرٌ للامتراء ، وهكذا قال ابن الجوزي ٤٠٦/٤ : أي أتيناك بالأمر الذي لاشك فيه من عذاب قومك .

(٤) في المصباح المنير ٢٩٤/١ : سريتُ الليلَ ، وسَرَيْتُ به سَرْياً : إذا قطعته بالسير ، وأسريتُ بالألف لغةٌ حجازية .

(٥) قراءة الجمهور ﴿ بِقِطْعٍ ﴾ بسكون الطاء ، وأمَّا قراءة « قِطَع » بفتح الطاء فقد ذكرها في البحر ٤٦١/٥ عن فرقة ، وليست من القراءات السبع .

قيل : نهى عن الإلتفات إلى ما في المنازل ، لئلا يقع الشُّغلُ به عن المضيِّ[1] .

٣٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾** [آية ٦٦] .

أي أخبرناه به ، ثم بيَّنه فقال تعالى : **﴿ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾** [آية ٦٦] .

أي إن آخرهم مستأصل[2] .

وقال الفراء : الدَّابرُ : الأصلُ[3] .

٣٧ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِين ﴾؟** [آية ٧٠] .

يُروى أنهم كانوا نَهَوْه أن يُضيف أحداً[4] .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُم فَاعِلِين ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) قال القرطبي ١٠/٣٨ : نُهوا عن الالتفات ليجِدُّوا في السير ، ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح .

(٢) هذا كلام الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٠٧ قال : والمعنى : إن آخر من يبقى منكم يهلك وقت الصبح .

(٣) انظر معاني الفراء ٢/٩٠ .

(٤) هذا قول قتادة كما في الطبري ١٤/٤٣ وعبارته : قالوا : ألم ننهك أن تُضيف أحداً . وقال ابن الجوزي ٤/٤٠٧ : أي ألم ننهك عن ضيافة العالمين .

هذا الجواب محمول على المعنى ، والمعنى : أنهم أرادوهم للفساد ، فقال لهم لوط ﷺ : هؤلاء بناتي فتزوَّجوا[1] .

وأحسنُ ما قيل في هذا : أن أزواج كلِّ نبيٍّ بمنزلة أمهات أمته ، وأولادُ أمته بمنزلة أولاده[2] .

٣٩ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [آية ٧٢] .

رَوَى معاويةُ بن صالح ، عن علي بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباس ، قال : ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لَعيشُكَ[3] .

ورَوىٰ أبو الجوزاء عن ابن عباس قال : لحياتكَ[4] .

وروي أن إبراهيم النخعي كرِهَ أن يقول الرجل لَعَمْري ، قال : لأنَّ معناه : وحياتي[5] .

وكذلك هو عند أهل اللغة .

---

(١) لم يقصد لوط عليه السلام بقوله ﴿هؤلاء بناتي﴾ بناته من صلبه ، إنما قصد بنات البلد ، فكأنه يقول : هؤلاء النساء فتزوجوا بهن ، ولا تركنوا إلى الحرام إن كنتم تريدون قضاء الشهوة .

(٢) هذا ما اختاره الطبري ، وابن كثير ، وأبو حيان ، وجمهور المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير ٢٦٨/٤ : يرشدهم إلى نسائهم ، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ أتأتون الذُّكْرانَ من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ ؟ وانظر البحر ٢٤٦/٥ .

(٣،٥)الآثار في الطبري ٤٤/١٤ وابن الجوزي ٤٠٨/٤ والدر المنثور ١٠٣/٤ .

قال سيبويه : العَمْرُ ، والعُمْرُ واحدٌ ، ولا يستعملون في القَسَم إلاَّ الفتح لِخفَّته[1] ، وحُكيَ : لَعُمُري ، وكلُّه بمعنى العُمْر .

وهذه فضيلةٌ للنبي ﷺ ، أقسم الله جلَّ وعزَّ بحياته .

قال أبو الجوزاء : ما سمعتُ اللَّهَ جلَّ وعز حلف بحياة أحد غيره صلى الله عليه وسلم[2] .

قال سفيان : سألتُ الأعمش عن قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

فقال : أقسمَ بالنبيِّ إنهم لفي غفلتهم يتردَّدون[3] .

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) قال ابن الأنباري : وفي العَمْرِ ثلاثُ لغات : عَمْرٌ ، وعُمْرٌ ، وعُمُرٌ ، وهو عند العرب البقاءُ ، وحكى الزجَّاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا : العَمْرُ والعُمْرُ في معنى واحد ، فإذا استُعمل في القسم فُتِح لاغيرُ ، وإنما آثروا الفتح في القسم لخفَّته ، والمعنى : لعمرك قسمي أي أقسم اهـ . وانظر زاد المسير ٤/٤٠٨ ومعاني الزجَّاج ١/١٨٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ١٤/٤٤ ورواه السيوطي في الدر ٤/١٠٣ عن ابن عباس ولفظُه قال : :ماخلق اللهُ ، وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره قال ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ يقول : وحياتك يا محمد ، وعُمْرِكَ وبقائك في الدنيا ، إنهم لفي غفلتهم يتردَّدون . وانظر ما ذكره القرطبي في تفسيره ١٠/٤١ . حول هذه الآية الكريمة ، ففيه بيانٌ وإبداع .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ١٤/٤٤ والدر المنثور ٤/١٠٣ .

أي فأخذتهم الصيحة بالعذاب ، وقتَ إشراق الشمس(١) .

٤١ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [آية ٧٥] .

قال مجاهد : أي للمتَفرِّسِينَ(٢)

قال الضحاك : أي للناظرين(٣) .

قال أبو جعفر : وحقيقتُه توسَّمتُ الشيءَ : نظرتُ نَظَر متثِّبت ، حتى تثبتَ حقيقة سِمَةِ الشيء(٤) .

٤٢ ـــ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴾ [آية ٧٦] .

يجوز أن يكون المعنى : وإنَّ الآيات ،

ويجوز أن يكون المعنى : وإن مدينة قوم لوطٍ .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٥/٤٦٢ : والصيحةُ : صيحةُ الهلاك . أي أخذتهم صيحةُ العذاب المهلكة المدمرة وقت شروق الشمس .

(٢،٣) انظر الآثار في الطبري ١٤/٤٥ وابن كثير ٤/٤٦١ والدر المنثور ٤/١٠٣ .

(٤) هذا قول أهل اللغة ، قال ابن قُتيبة : يُقال : توسَّمْتُ في فلانٍ الخير أي تبيَّنْتُهُ ، وقال الزجّاجُ : المتوسِّمون في اللغة : النُّظَّارُ المتثبِّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سِمَة الشيء اهـ . زاد المسير ٤/٤٠٩ وقال الحافظ ابن كثير ٤/٤٦١ : أي إن آثار هذه النِّقم ظاهرة على تلك البلاد ، لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته .

قال **مجاهد** : ﴿ **لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ** ﴾ لبطريق مَعْلَم ، أي واضح[1] .

٤٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ** ﴾ [آية ٧٨] .

قال **الضحاك** : الأيكةُ : الغَيْضَةُ ذاتُ الشجر[2] .

قال **أبو جعفر** : وكذلك هو في اللغة ، يُقال للشجرة أيكةٌ ، وجمعُها أَيْكٌ[3] .

ويُروى أن شَجَرهم كان دُوْماً[4] .

وأما روايةُ من روى أنَّ « لَيْكَةَ » اسمُ القريةِ التي كانوا فيها ، و « الأيكةُ » البلاد كلُّها ، فلا يُعرف في اللغةِ ولا يصحُّ[5] .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[آية ٧٩].

(١،٢)انظر الطبري ٤٨/١٤ وتفسير ابن الجوزي ٤١٠/٤ .

(٣) في المصباح المنير ٣٨/١ : الأَيْكُ شجرٌ يُقال من الأراك ، الواحدة أيكةٌ ، مثل تَمْرٍ ، وتَمْرَة . اهـ .

(٤) حكاه القرطبي ٤٥/١٠ قال : ويُروى أنَّ شجرهم كان دُوْماً وهو المُقْلُ . اهـ .
قال الزجاج : الأيكُ : الشجر الملتفُّ ، والفصل بين واحده وجمعه الهاءُ . قال المفسرون : هم قوم شعيب ، كان مكانهم ذا شجر ، فكذَّبوا شعيباً فأُهلكوا بالحر . انظر زاد المسير ٤١٠/٤ .

(٥) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٤٥/١٠ فقد ادَّعى أن هذا قول أبي عُبيدة ، وأنه بمنزلة بكة من مكة .

قال **الضحاك** : أي لبطريقٍ مستبين[1] ، أي يمرُّون عليها في أسفارهم .

قال **أبو جعفر** : ومعروف في اللغة أن يقال للطريق : إمامٌ ، لأنه يُؤتمُّ به ، ويُتَّبع .

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ ﴾** [آية ٨٠] .

ورَوَى **معمرٌ** عن قتادة قال : الحِجْرُ : الوادي ، يذهب إلى أنه اسم له[2] .

٤٦ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ﴾** [آية ٨٢] .

أي آمنين أن تَسْقُط .

٤٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾** [آية ٨٥] .

قال **مجاهد** : هذا قبل أن يُؤمر بالقتال[3]

---

(١) الأثر في الطبري ٤٩/١٤ قال ابن جرير : والضميرُ في « وإنهما » للمدينتين أي وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوطٍ ، لبطريقٍ واضح يأتمون به في أسفارهم ويهتدون ، وإنما جُعل الطريق إماماً لأنه يُؤمُّ ويُتَّبع . اهـ .

(٢) الطبري عن قتادة ٤٩/١٤ والحجرُ : مساكن ثمود . وقال ابن الجوزي ٤١١/٤ : الحِجْرُ : اسم الوادي الذي كانوا به ، قاله قتادة ، والزجاج .

(٣) الأثر في الطبري ٥١/١٤ يذهب مجاهد إلى أن الآية منسوخة بآية القتال ، وانظر الدر المنثور ١٠٤/٤ .

٤٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾** [آية ٨٧] .

روى عبدُ خَيْرٍ[١] ، عن علـيٍّ بنِ أبي طالب ، أنـه قال في قولـه تعالى **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾** يعني فاتحة الكتاب[٢] .

وكذلك قال أبـو هريـرة : هي فاتحةُ الكتـاب ، ولـيس فيها بسم الله الرحمن الرحيم[٣] .

وكـذلك روى أبـو يحيـى عن مجاهـد ، وكـذلك روى معْمَـرٌ عن قتادة[٤] .

ورَوَى سفيانُ بن منصور ، عن مجاهـد عن ابـن عبـاس قال : **﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾**

قال : السبع الطُّوَل[٥] .

وكـذلك روى شعبـةُ عن أبي بِشْرٍ عن سعيـد بن جُبير : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾** .

قال : السبـع الطُّوَل : « البقـرةُ ، وآلَ عمـرانَ ، والـنِّساءُ ، والمائدةُ ، والأنعامُ ، والأعرافُ ، ويونس »[٦] .

---

(١) هو عبد خير بن يزيد « أبو عُمارة » الكوفي ، روى عن ابن مسعود ، وعلي ، وزيد بن أرقم ، قال يحيى بن معين : عبدُ خيرٍ ثقةٌ ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٢٤/٦ والجرح والتعديل ٣٧/٦ .

(٢-٩) هذه الآثار كلُّها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيـان ٥٢/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٥٤/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٤ وابـن الجوزي في زاد المسير ٤١٣/٤=

كذلك في الحديث ، وكذلك قال الضحاك هي السبعُ الطُّوَل ، وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : « السبع المثاني والقرآنُ العظيم : أمُّ القرآن »(٧)

قال الضحاك : ﴿ القرآنُ العظيم ﴾ سائِرهُ(٨) .

وقد صحَّ عن عليٍّ بن أبي طالب أنه قال : السبعُ المثاني الحمدُ ، وقال به قتادة(٩) .

وفسَّر معناه قال : لأنَّ فاتحة الكتاب تُثَنَّى في كل ركعة ، فريضةً أو نافلةً .

والمعنى على هذا القول : ولقد آتيناك سبعَ آياتٍ مما يُثَنَّى في الصلاة .

و (**مِنْ**) **ها هنا لبيان الجنس** على هذا القول ، كما قال

= وابن كثير في تفسيره ٤٦٥/٤ وأرجح هذه الأقوال وأصحُّها أن السبع المثاني هي « سورة الفاتحة » لأنها سبع آيات باتفاق ، وهي تثنَّى أي تُقرأ وتكرَّر تلاوتها في كل فريضة ونافلة ، وممَّا يؤيد هذا القول ما رواه البخاري ١٠١/٦ من حديث سعيد بن المعلَّى أن النبي ﷺ قال له : لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فلما أراد أن يخرج من المسجد ذكَّرته فقال : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهذا الحديث نصٌّ صريح في أنها فاتحة الكتاب ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، وانظر تفصيل الأقوال في زاد المسير ٤١٣/٤ وعلى هذا القول يكون عطف « القرآن » على المثاني ، من باب عطف العام على الخاص لمزيد من الاهتمام بالخاص .

تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : مما يثنَى به على اللّـه ، لأن في الحمد ثناءً على الله ، وذكرَ توحيده ، وملكَهُ يومَ الدين ، وتكون (مِنْ) على هذا القول لبيان الجنس أيضاً[2] .

ويجوز أن تكون للتبعيض ، ويكونُ المعنى : ولقد آتيناك سبَع آيات من المثاني أي من القرآن ، الذي يُثَنَّى فيه الآياتُ ، والقصصُ ، ويُثْنَى فيه على اللّهِ[3] .

وهذا أحسنُ ، وهو مذهب أبي مالك ، لأنه قال ﴿**المثاني**﴾ : القرآنُ .

وأمَّا من قال : هي السَّبعُ الطُّوَلُ ، فقد فسر سعيد بن جبير مذهبه ، فقال : لأنه تثنَّى فيها الحدودُ ، والفرائض ، فتكون (من) على هذا لبيانِ الجنس[4] .

---

(١) سورة الحج آية ٣٠ والشاهد أن « من » للبيان ، أي اجتنبوا الرِّجس الذي هو الأوثانُ كما تجتنب الأنجاس .

(٢،٤)انظر توضيح هذه الأقوال في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٢/٨ وتفسير ابن الجوزي ٤١٥/٤ وجامع الأحكام للقرطبي ٥٥/١٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٦/٥ قال ابن الجوزي : قال ابن الأنباري : والمعنى : آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة ، وإنما دخلت « مِنْ » للتوكيد كقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ ثم قال : ومن أعظم فضائل سورة الحمد ، أن الله تعالى جعلها في حيِّزٍ ، والقرآن كلَّه في حيِّزٍ ، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كلِّه .

ويجوز أن تكون للتبعيضِ ، على ما تقدَّمَ .

وروى **أبو عبيد** أنَّ سفيانَ بن عُيَيْنةَ كان يتلو هذه الآية ، يتأولها على حديث النبي ﷺ « ليس منَّا من لَم يَتَغَنَّ بالقرآن »[1] قال أي يستغني به .

قال : فأمر اللَّهُ جلَّ وعز النبي ﷺ أن يستغني بالقرآن عن المال ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ** ﴾ .

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** .. ﴾ [آية ٨٨] .

ورُوي عن عبداللَّهِ بن عمر أنه قال : « من حفظ القرآن ، فرأى أن أحداً أُعطِيَ أفضلَ ممَّا أعطي ، فلقد صغَّر عظيماً [وعظَّم صغيراً]»[2] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ١٨٨/٩ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، قال ــ أي البخاري ــ وزاد غيرُه : يجهر به . ورواه أبو داود ٧٤/٢ باب التغنِّي بالقرآن ، وهو في سنن الدارمي ٢٨٨/١ ومسند أحمد ١٧٢/١ .

أقول : الحديث مأخوذ من التغنِّي أي تحسين الصوت وتجميله بتلاوة آيات القرآن ، وليس من الاستغناء بمعنى الاكتفاء بالقرآن ولو كان منه لقال « ليس منا من لم يستغن بالقرآن » قال الحافظ ابن كثير ٤٦٦/٤ : ذهب ابن عُيينة إلى أن المعنى : يستغنى به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث الشريف .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطٌ من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، والأثر رواه ابن جرير ٦٠/١٤ وابن ــ

قال **مجاهد** في قوله تعالى ﴿ **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾

قال الأغنياءُ الأشباهُ ، أي أمثالٌ في النِّعَمِ .

والأزواجُ في اللغة : الأصنافُ[2] .

٥٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ المُبِينُ . كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ ﴾** [آية ٩٠] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : وقل إنِّي أنا النذيرُ المبينُ عقاباً ، كما أنزلنا على المقتسمين .

وفي المقتسمين أقوال :

أحدها : أنهم قومٌ تحالفوا على عَضَهِ[3] النبي ﷺ .

= عطية في المحرر الوجيز ٣٥٣/٨ وقد رواه الطبراني مرفوعاً من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « من قرأ القرآن فرأى أنَّ أحداً أُوتي أفضلَ ممَّا أوتي ، فقد استصغر ما عظَّم اللَّهُ » . وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ فقد أورد الأثر السابق وعزاه إلى ابن المنذر .

(١) الأثر رواه الطبري عن مجاهد ٦١/١٤ وهو أيضاً في الدر المنثور للسيوطي ١٠٦/٤ ومراده أن الأغنياء أمثالُ بعضٍ في الغنى ، فهم أزواج .

(٢) في المصباح المنير ٢٧٧/١ : الزَّوجُ : الشكْل يكون له نظيرٌ كالأصناف والألوان . ويؤيده ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي الأصناف .

(٣) قال الجوهري في الصحاح مادة عضهَ : وعَضَهَهُ عَضْهاً : رماه بالبهتان ، قال الكسائي : العِضَةُ : الكذبُ والبهتان ، وجمعُها عِضُونَ ، مثلُ عِزَة وعِزِينَ ، وأصلُه عِضْوَةٌ من عَضْوتُهَ أي فرَّقتهُ ، لأن المشركين فرَّقوا أقاويلهم فيه ، فجعلوه كذباً ، وسحراً ،وكهانة ، وشعراً ، وقيل : العِضَةُ في لغة قريش : السِّحرُ . اهـ .

والقولُ الآخر : أنه روى الأعمشُ ، عن أبي ظِبْيانَ ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِين** ﴾ فقال : اليهودُ ، والنَّصارى ﴿ **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِين** ﴾ قال : آمنوا ببعضِه ، وكفرُوا ببعضه[1] .

وقال الضحاك : ﴿ **المقتسمين** ﴾ : أهلُ الكتاب ، مزَّقوا الكتب وفرحوا بما عندهم منها[2] .

وقال مجاهد : ﴿ **المقتسمين** ﴾ : أهلُ المِلَل[3] .

قال ابن جريج وقال عطاء : هم المشركون من قريش ، مزَّقوا القول في القرآن ، فقال بعضهم : هو شِعرٌ ، وقال بعضهم : هو سحرٌ ، وقال بعضهم : هو أساطير الأولين ، فذلك العِضُون[4] .

وقال عكرمة : ﴿ **عِضِين** ﴾ : سحرٌ[5] .

وكان أبو عُبَيدةَ يذهب إلى أن ﴿ **عِضِينَ** ﴾ مأخوذٌ من الأعْضَاءِ[6] .

قال أبو جعفر : وهو قولٌ حسنٌ . أي فرَّقوا القول ، وأنشد :

---

(١) الأثر أخرجه البخاري عن ابن عباس ١٠٢/٦ وابن كثير ٤٦٧/٤ وابن الجوزي ٤١٧/٤ والدر المنثور ١٠٦/٤ .

(٢ــ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٦٢/١٤ وابن كثير ٤٦٧/٤ والبحر المحيط ٤٦٨/٥ .

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٥٥/١ حيث قال : أي عَضَوه أعضاءً أي فرَّقوه فِرَقاً .

« وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بالمُعَضَّى »[1] .

أي بالمُفَرَّق .

وكان الفرَّاءُ يذهب إلى أنه مأخوذٌ من العَضَاهِ وهي شجر[2] .

وكان الكسائي يذهب إلى أنه يجوز أن يكون مأخوذاً منهما .

٥١ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ﴾** [آية ٩٤] .

قال مجاهد : أي اجهر بالقرآنِ في الصلاة[3] .

قال : ومنه تَصَدَّع القومُ : إذا افترقوا .

قال : ومنه الصُّدَاعُ ، لأنه انفراقُ قبائِل الرأس .

---

(١) هذا شطر من رجز رؤبه بن العجّاج ، وهو في ديوانه ص ٨١ من قصيدة مطلعها :

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيونُ تُقضَى
فمطَلَتْ بَعْضاً وأَدَّتْ بَعْضاً
وليسَ دِينُ اللَّهِ بالمُعضَّى

يقول : إن دِينَ اللهِ ليس أقساماً ولا أجزاء .. وهو من شواهد الطبري ٦٥/١٤ وفي اللسان ، ومجاز القرآن ٣٥٥/١

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٩٢/٢ ولفظُه : وواحدةُ العِضِين عِضَةٌ ، رفعُها عِضُون ، ونصبُها وخفضها عِضِين ، قال والمعنى ﴿ جعلوا القرآن عِضِين ﴾ أي فرّقوه إذ جعلوه سحراً ، وكَذِباً ، وأساطير الأولين . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٦٨/١٤ وابن كثير ٤٦٩/٤ والدر المنثور ١٠٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ عند أهل اللغة أنه يقال : صَدَع بالحق : إذا أَبانَهُ وأظهره ، وكأنَّه: أَبِنْ ، وأَظْهِرْ[1] .

وأنشد أبو عُبيدة لأبي ذؤيبٍ يصف عِيراً وَأُتُناً ، وأنه يحكم فيها :

وكَأَنَّهُـــنَّ رِبابَـــةٌ وكأنَّـــه
يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ[2]

ومن هذا قيل للصُّبحِ : صَدِيعٌ ، كما قال :

« كأنَّ بَيَاضَ لَبَّتِه صَدِيعٌ »[3]

وأبو العباس[4] يذهب إلى أن المعنى : فاصدَعْ الباطلَ بما تُؤمر به أي افرُقْ .

---

(١) في الصحاح ١٢٤١/٣ : الصَّدْعُ : الشَّقُّ ، والصَّديعُ : الصبحُ ، وصَدَعْتُ الشيءَ : أظهرتُه وأبنتُه ، يُقال : صدعتُ بالحقِّ إذا تكلمت به جهاراً . اهـ .

(٢) البيت لأبي ذُؤيب وهو في ديوان الهذليين ٦/١ وفي الطبري ٦٧/١٤ وفي اللسان والتاج مادة صدع ، وفي مجاز القرآن ٣٥٥/١ والقرطبي ٦١/١٠ يصف فيه حمار الوحش والأُتُن يطردها ويسوقها أمامه ، والرِّبابة : الخِرقة التي تُلفُّ بها القِداح ، وقيل : هي القِداح نفسها . واليَسَرُ : واحدُ الأَيسَار وهو الذي يضرب بالقِداح ، ومعنى يُفيض على القداح أي يدفعها ويضرب بها .

(٣) هذا عجز بيتٍ لعمرو بن معد يكرب ، وهو في حاشية المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٩/٨ وصدرُه :

تَرَى السِّرْحَـــانَ مفتـــرِشاً يديـــه ... كأنَّ بيـــاضَ لَبَّتِـــه صديـــع

أي كأنه صبحٍ يشقُّ الظلامَ ويفلقه ، والسِّرحانُ بكسر السين : الذئبُ .

(٤) أبو العباس هو الإمام المبرِّد ، وقد تقدمت ترجمته .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِين ﴾** [آية ٩٥] .

حدثنا «أبو بكرٍ» أحمد بن محمد بن نافع ، قال : نا سلمةُ بن شُعَيب بن عبدالرزاق ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، وعثمانُ الجَزَري عن مَقْسم ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى **﴿ إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ ﴾** قالا : «المستهزءون» : الوليدُ بن المغيرة ، والعاصُ بن وائل ، وعَدِيُّ بن قيس ، والأسودُ بن عبد يغوث ، والأسودُ بن المطلِّب .. مَرُّوا رجلاً رجلاً على النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام ، فإذا مرَّ رجلٌ منهم قال له جبريل : كيف تجدُ هذا ؟ فيقول : بئسَ عبدُ الله ، فيقول جبريل : كفَيْناكهُ .

فأمَّا الوليد ابن المغيرة فتردَّى فتعلَّق سهمٌ بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات .

وأما الأسود بن عبد يغوث فأُتِيَ بغصنٍ فيه شوك ، فضُرِب به وجهُهُ فسالت حَدَقتاه على وجهه ، وكان يقول : دعوتُ على محمد دعوةً ، ودعى عليَّ دعوةً ، فاسْتُجيب لي ، واستُجيب له . دَعَا عليَّ أن أعمى فعميتُ ، ودعوتُ عليه أن يكون وحيداً طريداً في أهل يثرب فكان كذلك .

وأما العاص بن وائل فوطِيءَ على شوكة ، فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك .

وأما الأسود بن المطلِّب ، وعَدِيُّ بنُ قيس فإنَّ أحدهما قام في

الليل ، وهو مطمئن ليشرب من جرة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات ، وأما الآخر فلدغته حيَّةٌ فمات[1] .

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [آية ٩٨] .

أي كنْ من المصلِّين[2] .

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ ﴾ [آية ٩٩] .

قال سالمُ بنُ عبدالله[3] ومجاهد : أي الموتُ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٦٩/١٤ بزيادةٍ في الرواية ، ورواه ابن كثير في تفسيره ٤٧٠/٤ من رواية محمد بن إسحق ، قال : كان عظماء المستهزئين خمسة نفر ، كانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم .. وذكر الرواية بأوسع مما ذكرها المصنف ، وهو في الدر المنثور للسيوطي ١٠٧/٤ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٢/٤ وهو في القرطبي ٦٢/١٠ وفي البحر المحيط ٤٧٠/٥ قال ابن الجوزي : أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت ، فمرَّ الوليدُ بنُ المغيرة ، فقال جبريل يا محمد : كيف تجد هذا ؟ فقال : بئس عبدالله ، قال : قد كُفيتَ وأومأ إلى ساق الوليد .. وذكر الأثر كاملاً .

(٢) أطلق السجود وأراد به الصلاة ، وهذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وهو مجاز مشهور ، والمعنى : سبِّح ربك فيما نالك من مكروه ، وكن من المصلِّين ، يكفك الله ما أهمَّك ، قال الطبري ٧٣/١٤ : وهذا نحو الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا حَزَبه أمرٌ فزِع إلى الصلاة اهـ . وكذلك قال ابن كثير ٤٧١/٤ : وعبادته التي هي الصلاة .

(٣) « سالم بن عبدالله » هو ــ كما قال الحافظ ابن كثير ٤٧١/٤ ــ سالم بن عبدالله بن عمر ، توفي سنة ١٠٦ هـ كان من فقهاء المدينة ، يشبه أباه في العلم ، والتُّقى ، والعبادة قال العِجْلي : مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة ، وقال أحمد بن حنبل : أصحُّ الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، وانظر ترجمته في التهذيب ٤٣٦/٣ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٧٤/١٤ وابن كثير ٤٧١/٤ وابن الجوزي ٤٢٣/٤ قال : وهو قول ابن =

قال أبو جعفر : ونظيرُ هذا ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً** ﴾[1] .

والفائدةُ في هذا أنه لو قال : واعبدْ ربَّك مطلقاً ، ثم عَبَده مرَّةً واحدةً كان مطيعاً ..

وإذا قال ﴿ **مَادُمْتُ حَيّاً** ﴾ أو أبداً ، أو ﴿ **حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[2] كان معناه : لا تُفارق هذا .

تمت سورة الحِجر

* * *

= عباس ، ومجاهد ، والجمهور اهـ . أقول : وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ١٠٢/٦ ولفظه : ﴿ واعبدْ ربَّك حتى يأتيكَ اليقينُ ﴾ قال سالمٌ : الموتُ .

(١) سورة مريم آية ٣١ .

(٢) كذلك قال الزجاج إن المعنى : اعبدْ ربك أبداً ، وقال في البحر ٤٢٣/٥ : وحكمةُ الغاية ﴿ حتى يأتيك اليقينُ ﴾ وهو الموتُ ، أنه يقتضي ديمومة العبادة مادام حياً ، والمقصودُ ألَّا يُفارق العبادة حتى يموت . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٤٧٢/٤ : ويُستدلُّ بهذه الآية على تخطئة من ذهب من الملاحدة ، إلى أن المراد باليقين : المعرفةُ ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس ، وأكثر الناس عبادة ، ومواظبةً على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هنا الموت اهـ .

تفسير سورة النحل

مكية وآياتها ١٢٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل وهي مكية[1]

قال عبدالله بن عباس : إلَّا ثلاث آيات ، نزلْنَ بين مكة والمدينة ، حين رجع النبيُّ ﷺ من أحُد — وقد قُتِل حمزةُ ومُثِّل به — فقال النبي « لأُمثلنَّ بثلاثين منهم ، وقال المسلمون : لنمثِّلنَّ بهم » فأنزل الله ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُم فعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[2] .

١ — **قولُه جلَّ وعز : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ .. ﴾** [آية ١] .

قال بعضهم : ﴿أتى﴾ بمعنى يأتي ، لأنه قد عُرِف المعنى فصار مثل قولك : إنْ أكرمتني أكرمتُك .

وقيل : أخبارُ اللهِ بالماضي والمستقبل شيءٌ واحدٌ ، **لأنه قد عُلِم**

---

(١) في البحر ٤٧٢/٥ : قال الحسنُ ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر ، هي كلُّها مكية ، وقال ابن عباس : هي مكية إلَّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في شأن قتلى أحد ، وانظر الدر المنثور ١٠٩/٤ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية ٣٦٣/٨ وجامع الأحكام للقرطبي ٦٥/١٠ .

أنه يكون فهو بمنزلة ما قد كان[1] .

وقولٌ ثالثٌ ــ وهو أحسنُها ــ وذلك أنهم استبعدوا ماوعدهم اللهُ من العقاب ، فأخبر اللهُ جلَّ وعز أن ذلك قريبٌ فقال ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ** ﴾[2] .

أي هو في القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال تعالى : ﴿ **إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾ وكما يُقال : أتاكَ الخبرُ ، أي قَرُبَ منك .

وقال الضحاك : أي جاء القرآن بالفرائِض ، والأحكامِ ، والحدود[3] .

٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** .. ﴾ [آية ٢] .

---

(١) عبَّر بصيغة الماضي عن المستقبل ، لتحقق وقوع الأمر وتيقنه ، فإنه مقطوع بمجيئه قال الفخر الرازي ٢١٨/١٩ : لمَّا كان واجب الوقوع لا محالة عبَّر عنه بالماضي ، كما يُقال للمستغيث : جاءك الغوثُ فلا تجزع . اهـ . وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤٧٣/٤ .

(٢) قال ابن عباس : لمَّا نزل قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال الكفار بعضهم لبعض : إن محمداً يزعم أن القيامة قد اقتربت ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما يأتي من العقاب ، فلما امتدَّت الأيام قالوا يامحمد : ما نرى شيئاً مما كنت تخوِّفنا به ، فأنزل الله ﴿ أتى أمر اللهِ فلا تستعجلوه .. ﴾ وانظر أسباب النزول للواحدي ص١٥٩ وزاد المسير ٤٢٦/٤ .

(٣) هذا القول غريب وبعيد ، حكاه عن الضحاك الطبري ٧٦/١٤ والقرطبي ٦٥/١٠ وابن كثير ٤٧٣/٤ قال الحافظ : وقد ذهب الضحاك في تفسير الآية إلى قولٍ عجيب فقال ﴿ أتى أمرُ اللَّهِ ﴾ أي فرائضه وحدوده ، وقد ردَّه ابن جرير فقال : لا نعلم أحداً استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه استبعاداً وتكذيباً اهـ .

روى **هُشَيْمٌ** ، عن أبي بِشْرٍ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الرُّوحُ : خلقٌ من خلق اللَّهِ ، وأمرٌ من أمره ، صُوَرُهم على صُوَر بني آدم ، لاينزل في السماء مَلَكٌ إلاَّ ومعه واحدٌ منهم[1].

وروى **ابن جريج** عن مجاهد قال : لاينزل مَلَك إلاَّ ومعه روح[2].

وقال **إسماعيلُ** بنُ أبي خالد : سألت أبا صالح عن الرُّوح ، فقال : لهم صُوَرٌ كصُوَر بني آدم ، وليسوا منهم[3].

وقال **الحسن** : تنزل الملائكة بالروح أي بالنبوَّة[4].

وروى **مَعْمر** عن قتادة : تنزل الملائكة بالروح قال : بالوحي والرحمة[5].

قال **أبو جعفر** : وهذا قول حسنٌ ، وقد رواه عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس

أي يُنزلهم بما هو بمنزلة الروح والحياة ، كما قال تعالى : ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ** ﴾[6] .

(١ـ٥) انظر هذه الآثار عن السلف في جامع البيان للطبري ١٤/٧٧ وفي زاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٢٨ وفي الدر المنثور للسيوطي ٤/١١٠ وأرجح الأقوال ما رُوي عن ابن عباس وقتادة أنه القرآن والوحي ، كما قال سبحانه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ سُمِّي الوحي روحاً لأنه تحيا به القلوب ، كما تحيا بالأرواح الأجساد ، قال الزجاج : الروح ما تحيا به القلوب من هداية الله تعالى لها ، واستحسنه ابن عطية وقال : وكأن اللفظ على التشبيه فهو كالروح للجسد .

(٦) سورة الواقعة آية ٨٩ وتمامها ﴿ فأما إن كان من المقرَّبين فَرَوْح وريحانٌ وجنَّةُ نعيم ﴾ .

وقيل معناه : رحمة[1] .

٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ والأَنْعَامَ خَلَقَها لكُمْ فِيهَا دِفءٌ ومَنَافِعُ وَمِنْهَا تأكُلُونَ ﴾ [آية ٥] .

رَوَى اسرائيلُ عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : النَّسْلُ[2] .

وروى ابنُ جُريج عن مجاهد قال : الدفء : لباسٌ يُنسج ، والمنافع : الرُّكوبُ ، واللَّبنُ ، واللحمُ[3] .

قال أبو جعفر : وهذا قول حَسَنٌ : أي ما يُدفىء من أوبارها وغير ذلك ، وأحسِبُ مذهبَ ابنِ عباس أنَّ المنافع النسلُ ، لا الدفء ، على أن الأمويَّ[4] قد رَوَى أنَّ الدفءَ عند العرب نتاجُ الإبل ، والانتفاع بها ، فيكون هذا فيه .

---

(١) هذا قول الحسن ، وقتادة ، كما حكاه ابن الجوزي ٤/٤٢٨ في تفسيره .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٤/٧٩ وابن الجوزي ٤/٤٣٠ وهذا القول تفسير للمنافع لا للدفء .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٤/٧٩ وابن كثير ٤/٤٧٦ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٠ .

(٤) حكى ابن فارس اللغوي عن الأموي قال : الدِّفء : عند العرب : نِتَاجُ الإبِلِ وألبانها اهـ زاد المسير ٤/٤٣٠ وفي الصحاح للجوهري ١/٥٠ : الدِّفءُ : نتاج الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها ، وفي الحديث « لنا من دِفْئهم وصِرَامهم ما سلَّموا بالميثاق » أي إبلهم وغنمهم . اهـ أقول : والمشهور أن الدِّفءَ مايُستدفأُ به من اللباس من الصوف والوبر ، والمنافع هي منافع النسلِ والدرِّ ، واللَّحم ، وركوب الظهر .

٤ ـ وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [آية ٦] .

رَوَى معمَرٌ عن قتادة قال : إذا راحتْ أعظمَ ما تكون أسنمةً من السِّمَنِ ، وضروعُها محفّلةٌ[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : وتُريحونها بالعشيِّ ، يقال : أَرَحْتُ الإبلَ إذا انصرفتَ بها من المرعى الذي تكون فيه باللَّيلِ ، ويُقال للموضع المُرَاحُ ، وفي الحديث : « إذا سَرَقها من المُرَاح قُطِع »[2] .

ومعنى : ﴿ تَسْرَحُون ﴾ تَغْدون بها إلى المرعى ، سَرَحْتُ الإبلَ أَسْرُحُها سَرْحاً وسُروحاً ، إذا غدوتَ بها إلى المرعى فخلَّيتها ترعى ، وسَرَّحتُ هي في المتعدي واللازم واحدٌ[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٠/١٤ ولفظُهُ عن قتادة : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمةً ، وأحسن ما تكون ضُروعاً .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٥٩٦ بلفظ « وما كان في المراح ففيه القطع » قال في النهاية ٢٧٣/٢ : والمُراح بالضم : الموضع الذي تروح إليه الماشيةُ ، أي تأوي إليه ليلاً ، وأما بالفتح فهو الموضع الذي يروح إليه القومُ أو يروحون منه اهـ .

(٣) في الصحاح ٣٦٨/١ : أراح إبلَه : ردَّها إلى المُرَاح ، ولا يكون ذلك إلاَّ بعد الزوال ، وسَرَحت الماشية بالغداة ، وراحتْ بالعشيِّ أي رجعتْ ، والمُراح بالضمِّ حيث تأوي إليه الإبلُ والغنم بالليل اهـ وقال القرطبي ٧١/١٠ : ﴿حين تُريحون وحين تسرحُون﴾ : وذلك في المواشي حين تروح إلى المراعي وتسرح عليه ، والرَّواحُ رجوعها بالعشي من المرعى ، والسَّراح بالغداة إذا غدوت بها إلى المرعى فخلَّيتها ، وسَرَحت هي ، المتعدي واللازم واحد .

٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ﴾ [آية ٧] .

رَوَى ابنُ جريجٍ عن مجاهد قال : إلَّا بمشقة(١) .

وقال غيره : المعنى : لولا الإبلُ لم تبلغوا البلدان إلَّا بمشقَّة .

وقد قُرِىء ﴿ إلَّا بِشَقِّ الأَنْفُسِ ﴾(٢) وهي بمعنى الأول ، إلَّا أنه مصدر .

٦ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً .. ﴾ [آية ٨] .

تأوَّل هذا جماعةٌ منهم : عبدُاللَّهِ بنُ عباس على أنه لايحلُّ أكلُ هذه ، لقوله في الإبل ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ولم يقل هذا في « الخيل ، والبغال ، والحمير »(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/٨٠ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٠ وهو قول الأكثرين ، قال الطبري : والمعنى : لم تكونوا بالغيه إلَّا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة ، وهو قول قتادة وعكرمة .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/٧ قال : الشَّقُّ بفتح الشين بمعنى الشِّقِّ بكسرها ، وكلاهما المشقَّةُ ، وهما من الشقِّ في العصا ونحوها ، ومنه قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون ﴿ بشَقِّ الأنفس ﴾ بفتح الشين ، وأمَّا الجزري فعدَّها من القراءات العشر ٢/٣٠٢ .

(٣) انظر تفصيل الأقوال في جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٧٦ فقد ذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم ، وعلَّل ودلَّل بما فيه مقنع على جواز أكل لحوم الخيل .

٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٨] .

وظاهرُهُ عام ، إلاَّ أن عبدالرحمن بنَ معاوية القُرشي حدثنا قال : حدثنا موسى بن محمد ، عن ابن السدي عن أبيه في قوله تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال : السوس في الثياب(١) .

٨ ــ وقولُه جل وعز ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [آية ٩] .

قال الضحاك : أي تبيينُ الهدى والضلالة(٢) .

وقال مجاهد : أي طريقُ الحق(٣) . وهذه تشبه ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾(٤) .

أي على منهاجي وديني . وكذا ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي القصدُ فيها ما كان على دين الله .

وقيل : هو تبيينُ الحقِّ ، والبراهينِ ، والحُجَج(٥) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن مجاهد وحكاه في الدر المنثور ١١٢/٤ وهو قول شاذٌ وغريب ، فالآية وردت مورد الامتنان بما خلق الله عز وجل من وسائل النقل لراحة الإنسان ، والسُّوسُ ليس من أسباب الراحة ، والأظهر أن المعنى : ويخلق في المستقبل ما لا تعلمونه الآن من وسائل النقل ، كالسيارات ، والقطارات ، والطائرات النفاثة وغيرها من الوسائل ، وهي من تعليم الله للإنسان ، حتى لايقول الناس : إنما استخدم آباؤنا الخيل والبغال والحمير فلا نستخدم سواها .

(٢ــ٣) الآثار عن الضحاك ومجاهد رواها الطبري ٨٤/١٤ والسيوطي في الدر ١١٢/٤ .

(٤) سورة الحِجْر آية ٤١ .

(٥) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٢/٤ قال المعنى : وعلى اللهِ تبيينُ الطريق المستقيم ، والدعاء إليه بالحجج والبراهين .

وقيل : إنه يراد بالسبيل ها هنا الإسلام[1].

٩ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [آية ٩] .

أي ومن السُّبُل جائرٌ ، أي عادلٌ عن الحقِّ ، وأنشدني أبو بكر ابن أبي الأزهر ، قال أنشدنِي بُنْدار :

لَمَّا خَلَطْتُ دِمَاءَنَا بِدِمَائِهَا
سَارَ الثِّقَالُ بِهَا وجَارَ العَاذِلُ

ورُوِي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ ومنكُمْ جَائِرٌ ﴾[3] .

وكذلك قرأ عبدالله بن مسعود ذا ، على التفسير .

١٠ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهداكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٩] .

أي لو شاء لأنزل آية تضطركم إلى الإيمان[4] ، ولكنه أراد أن يُثيبَ ويعاقب .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٩٧/٢ .

(٢) لم أعثر على قائل هذا البيت ، وفي المخطوطة « دماءها بدمائنا » وصوابه دماءَنا .

(٣) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات المتواترة ، وهي محمولة على التفسير كما قال المصنف ، وقد ذكرها ابن عطية ٣٧٨/٨ في المحرر الوجيز ، ويوجد في المخطوطة طمس لجملة في السطر الأول لم نستطع معرفتها ولا قراءتها .

(٤) هذا التفسير على مذهب المعتزلة ، وأما أهل السنةِ الذين يرون أن الهدى والضلال بيد الله عزَّ وجل فيقولون المعنى : لو أراد الله هدايتكم لهداكم ، فالأمر لمشيئته وإرادته جلَّ وعلا .. وهذا القول الذي حكاه المصنِّف هو قول الزجاج ، وقد ردَّه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٨٧/٨ =

١١ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ، ومِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُون ﴾ [آية ١٠] .

قال قتادة والضحَّاك : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فيه ترعون(١) .

قال أبو جعفر : وكذا هو في اللغة ، يُقال : أَسَمتُ الإبلَ : أي رعيتُها فأنا مُسِيمٌ ، وهي مُسَامَةٌ ، وسَائِمةٌ .

١٢ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادةُ : من الدوابِّ ، والأشجار ، والثِّمار(٢) .

١٣ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال الضحاك : تذهب وتجيءُ(٣) .

والمَخْرُ في اللغة : الشَّقُّ ، يقال : مَخَرتِ السفينةُ تمخَرُ وتمخُرُ إذا شقَّتِ الماءَ ، وسمعتَ لها صوتاً وذلك عند هبوب الرياح ، ومَخْرُ

= فقال : وهذا قولُ سوءٍ لأهل البِدَع ، الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد ، وقع فيه الزجَّاج رحمه الله من غير قصد .. الخ قال أبو حيان في البحر ٤٧٧/٥ : لم يعرف ابنُ عطية أن الزجَّاج معتزلي فلذلك تأوَّل عليه أنه وقع فيه من غير قصد . اهـ أقول : قول أبي حيان عن الزجَّاج إنه معتزليٌّ فيه نظر ، وهو يتنافى مع بعض أقواله في معاني القرآن ١٩٧/٣ حيث قال عند قوله تعالى ﴿ لو شاء اللهُ ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ : وقد اتفقت الأمة على أن الله لو شاء ألاَّ يُعبد غيرُه مشيئة اضطرار إلى ذلك ، لم يقدر أحد على غير ذلك ، ولكنَّ الله جل ثناؤه تعبَّد العباد فوفَّق من أحبَّ توفيقه ، وأضلَّ من أحبَّ إضلاله .

(١ ـ ٣) انظر الآثار عن السلف في الطبري ٨٦/١٤و٨٧ وابن كثير ٤٧٩/٤ والدر المنثور ١١٢/٤ .

الأرضِ ، إنما هو شقُّ الماءِ إياها[1] .

١٤ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾** [آية ١٥]

قال الحسن : أي جبالاً[2] .

قال أبو جعفر : يقال : رَسَا يرسُو ، إذا ثبت وأقام . ثم قال تعالى ﴿ **أن تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ .

قال ابراهيم : أي تكفأ[3] .

قال أبو جعفر : يُقال : مَادَ يميدُ إذا تحرَّك ومالَ .

وروى معمرٌ عن قتادة قال سمعت الحسَن يقول : لمَّا خلق اللهُ الأرض كادت تميد فقالوا : لاتُقِرُّ هذه عليها أحداً ، فأصبحوا وقد خلق الله الجبالَ ، ولم تدر الملائكة ممَّ خُلقتِ الجبالُ[4] .

١٥ ـــ **ثم قال جل وعز ﴿ وأَنْهَاراً وسُبُلاً ﴾** [آية ١٥]

---

(١) في الصحاح ٨١٢/٢ : مخَرَت السفينةُ تمخَرُ وتمْخُر ، مَخْراً ومخُوراً : إذا جرتْ تشقُّ الماء مع صوتٍ ، وقولُه تعالى ﴿ وترى الفُلْكَ مواخِرَ فيه ﴾ أي جواري ، ويُقال : مخرتُ الأرضَ أي أرسلتُ فيها الماء . اهـ .

(٢ـــ٤) الآثار عن السلف أخرجها الطبري في جامع البيان ٩٠/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٥/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ١١٣/٤ وابن كثير في تفسيره ٤٨١/٤ قال ابن الجوزي : أي نصب فيها جبالاً لئلا تميد بكم ، وكراهة أن تميد بكم ، يُقال : مَادَ ، يَميدُ ، مَيْداً : إذا أُديربه ، والمَيْدُ : الحركَةُ والمَيْلُ ، وفلانٌ يَميدُ في مشيتِه أي يتكفَّأُ . اهـ .

أي : وجعل فيها أنهاراً وسُبُلاً .

قال قتادة : أي طُرُقاً[1] .

١٦ ــ ثم قال جلّ وعزّ ﴿ وعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [آية ١٦] .

رَوَى سفيان ، عن منصور ، عن ابراهيم قال : من النجوم علامات ، ومنها مايُهتدى به[2] .

وقال الفراء : الجديُ ، والفرقدان[3] .

قال أبو جعفر : والذي عليه أهل التفسير ، وأهل اللغة سواه ، أن النَّجم ها هنا بمعنى النجوم[4] .

وخلق الله النجوم زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وليعلم بها عدد السنين والحساب ، ولِيُهتدى بها[5] .

١٧ ــ وقولُه جلّ وعزّ ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [آية ٢٠] .

يعني الأوثان .

(١ ــ ٢) الطبري ٩١/١٤ والدر المنثور ١١٤/٤ .

(٣) انظر معاني الفراء ٩٨/٢ .

(٤) هذا هو الصحيح ، وهو قول الجمهور ، وأما القول بأن المراد بالنجم الجبال فهو غير مشهور ، وهو ضعيفٌ لمخالفة المعروف الظاهر ، المتبادر إلى الذهن .

(٥) هذا قول قتادة حكاه عنه الطبري في جامع البيان ٩١/١٤ .

وقرأ محمد اليماني ﴿ والذين يُدْعَوْنَ منْ دونِ اللّهِ ﴾ بضم الياء وفتح العين(١) .

١٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [آية ٢١] .

أي : هم أمواتٌ غير أحياء ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون ﴾ .

يجوز أن يكون المعنى : وما تشعر الأصنام .

ويجوز أن يكون المعنى : وما يشعر المشركون متى يُبعثون(٤) .

١٩ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾ [آية ٢٥] .

الوزرُ في اللغة : الحِمْلُ الثقيل ، وقيل للإثم وزرٌ على التمثيل(٣) .

٢٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْنَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [آية ٢٥] .

---

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات ﴿ والَّذِينَ تدعون ﴾ بالتاء وهي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم ﴿ والذين يَدْعُون ﴾ بالياء ، وهما قراءتان سبعيتان كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧١ وأمّا قراءة « يُدْعون » بالضم فشاذة .

(٢) القولان ذكرهما الطبري في تفسيره جامع البيان ١٤/٩٤ وعلى القول الأول يكون المعنى : وما تشعر هذه الأصنام متى يُبعث عابدوها ، وفيه تهكّم بالمشركين في عبادتهم لجمادات لا تُحسُّ ولا تشعر .

(٣) أي هو كالحمل الثقيل على ظهر الفاجر ، قال في الصحاح ٢/٨٤٥ : الوِزْرُ : الإثمُ والثِّقلُ ، وقوله تعالى ﴿ ولا تَزِر وازرةٌ أُخرى ﴾ أي لاتحمل حمل أخرى ، تقول : وَزِرَ يَوْزَرُ ، ووَزَر يَزِر فهو موزورٌ .

قال مجاهد : يُحَمَّلون إثمَ من أضلُّوه ، ولا يُنْقص من إثمِ المضَلِّ شيءٌ[1] .

٢١ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِن الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [آية ٢٦] .

وقرأ الأعرجُ ﴿ السُّقُفُ ﴾ .

قال مجاهد : يعني بهذا « نَمْرودَ بنَ كَنْعان » الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه ، ويُروى أنه بنى بنياناً عظيماً فخرَّ[2] .

وقد قيل : هذا تمثيلٌ ، أي أهلكهم الله فكانوا بمنزلة مَنْ سقط عليه بنيانُه وهلك[3] .

وقيل : أحبط الله أعمالهم ، فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانُه .

والفائدةُ في قوله تعالى ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ أنه قد يُقال : سقَطَ

(١ ــ ٢) الآثار عن مجاهد في الطبري ١٤/٩٥ والقرطبي ١٠/٩٦ وابن كثير ٤/٤٨٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما حكاه ابن الجوزي عنه في زاد المسير ٤/٤٤١ وكذلك قال في الكشاف ٢/٣٢٦ : وهذا تمثيلٌ لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل ، يعني أنهم نصبوا منصوبات ليمكروا بها ، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات ، كحال قومٍ بنوْا بنياناً وعمَّدوه بالأساطين ، فأتى الله البنيان من أساسه ، بأن ضُعضعت الأساطين ، فسقط عليهم السقفُ وهلكوا ، وهذا نحو قولهم « من حفر لأخيه جُبّاً وقع فيه منكبّاً » .

عليَّ منزلُ كذا إذا كان يملكه ، وإن لم يكن وقع عليه(٥) .

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ [آية ٢٧] .

المعنى : أين الذين كنتم تدَّعون أنهم شركائي ؟ أي أين شركائي على قولكم !؟ واللهُ جلَّ وعز لاشريك له(٢) .

٢٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾ [آية ٢٨] .

أي الإستسلام ، أي أذعنوا واستسلموا .

٢٤ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ﴾[آية ٣٣]

أي لقبضِ أرواحهم ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي بالعذاب [والزلزلة والخسف](٣) .

٢٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَاعَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [آية ١٠٢] .

---

(١) قال ابن الأنباري : « إنما قال ﴿ من فوقهم ﴾ لِيُنبِّه على أنهم كانوا تحته ، إذ لو لم يقل ذلك لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته ، لأن العرب تقول : سقط علينا البيتُ ، وخرَّ علينا الحانوت ، وتداعت علينا الدار ، وليسوا تحت ذلك » اهـ زاد المسير ٤٤١/٤ .

(٢) قال في البحر ٤٨٥/٥ : أضاف تعالى الشركاء إليه والمعنى : شركائي في زعمكم ، فهي إضافة على سبيل الاستهزاء .

(٣) ما بين الحاصرتين طمس في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي لأنه كثيراً ما ينقل كلام الإمام النحاس ، وكذلك وقع في الصفحة التالية طمس وأثبتناه من القرطبي .

[قال قومٌ : ذمَّ اللـــه هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته].
وقال قوم : من قال هذا فقد كفر .

قال أبو جعفر : هذا غَلَطٌ في التأويل ولا يُقبل في التفسير ، على أنهم قالوا هذا على جهة الهزء ، كما قال قوم شعيب لنبيهم : ﴿ **إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾[1] ؟ أي إنك أنت الحليم الرشيد على قولك ؟

وقد تبيَّن هذا بقوله ﴿ **إنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ وفي قراءة أُبيٍّ ﴿ **فإن اللَّهَ لا هادي لمن أضَلَّ اللَّهُ** ﴾[2] وهو شاهدٌ لمن قرأ ﴿ **لا يُهْدَى** ﴾ وهي القراءة البيِّنةُ كما قال ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّهِ** ﴾ .

ورُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ **لايَهِدِّي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ وأحسنُ ما قيل في هذا[3] : ما رواه أبو عُبَيد عن الفراء ، أنه يقال : هَدَى يَهْدي بمعنى : اهتدى يهتدى ، قال تعالى ﴿ **أَمَّنْ لايَهِدِي إلاَّ أنْ يُهْدَى** ﴾ بمعنى يَهْتدي[4] .

---

(١) سورة هود آية ٨٧ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، حكاها ابن عطية في المحرر ٤١٤/٨ والفراء في معانيه ٩٩/٢ .

(٣) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات : واختلفوا في فتح الياء وضمِّها من قوله تعالى ﴿ لا يَهْدي مَنْ يُضِلُّ ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابنُ عامر ﴿ لايُهْدَى ﴾ برفع الياء وفتح الدال ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ لا يَهْدي ﴾ بفتح الياء وكسر الدَّال ، ولم يختلفوا في ﴿ يُضِلّ ﴾ أنّها مرفوعة الياء مكسورة الضاد اهـ .

(٤) يوجد طمس في المخطوطة جهدنا لمعرفته بالاستعانة بكتب التفسير ، والله أعلم بالصواب .

قال أبو عبيد : ولا نعلم أحداً روى هذا غير الفراء ، وليس بمتَّهمٍ فيما يحكيه(١) .

قال أبو جعفر : حكي لي عن محمد بن يزيد ، كأنَّ معنى ﴿ **لايَهْدِي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ مَنْ عَلِمَ ذلك منه ، وسَبَق له ذلك عنده ، قال : ولا يكونُ « يَهْدي » بمعنى يَهْتدي ، إلاَّ أن تقول : يَهَدِّي ، أو يَهِدِّي(٢) .

٢٦ ـ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي يَخْتَلِفُون فِيْه** ﴾ [آية ٣٩] .

يحتملُ معنيين :

أحدهما : أن يكون متعلقاً بفعل محذوف ، دلَّ عليه جملة الكلام ، وهو أن يكون المعنى : بل يبعثهم ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه .

والقول الآخر : أن يكون متعلقاً بقوله ﴿ **ولقَدْ بَعَثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً** ﴾ فيكون المعنى : ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً ، ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين(٣) .

٢٧ ـ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **والَّذِينَ هَاجَرُوا في اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ، فقد فصَّل فيه القول أحسن تفصيل ، ووجَّه القراءات .

(٢) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠٤/١٠ .

(٣) ذكر القولين الزجاج في معانيه ، والقول الأول أرجح ، وهو اختيار الإمام الطبري ، وانظر جامع البيان ١٠٥/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤٧/٤ .

يُقال : إنه يُراد به بلالٌ ، وصُهيب ، والذي يوجب جملة الكلام أن يكون عاماً[1] .

ويُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين أُعْطِياتِهم ، قال لهم : هذا ما وعدكم اللهُ في الدنيا ، وما ذخر لكم في الآخرة[2] أكثر ، ثم يتلو ﴿ **والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾[3]

ورَوَى هُشيمٌ عن داود ابن أبي هند ، عن الشعبي في قوله ﴿ **لَنُبَوِّئَنَّهمُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾ قال : المدينة[4] .

وكذا قال الحسنُ .

وقال الضحاك : يعني بالحسنة : النَّصرَ ، والفتحَ ﴿ **وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾ الجنة[5] .

ورَوَى ابن جُريج عن مجاهد ﴿ **لِنُبَوِّئَنَّهمُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَة** ﴾ قال : لسانَ صدقٍ[6] .

---

(١) قال القرطبي : نزلت في صهيب ، وبلال ، وعمار ، وخبَّاب ، عذَّبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا ، فلما خلَّوهم هاجروا إلى المدينة ، وبوَّأهم دار الهجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين ، والآية تعمُّ جميع المهاجرين اهـ جامع أحكام القرآن ١٠/١٠٧ .

(٢) في المخطوطة : وماذَخَر لكم في الأرض ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه « وما ذخر لكم في الآخرة أكثر » كما في الطبري والقرطبي .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٠٧ والقرطبي ١٠/١٠٧ وابن كثير ٤/٤٩١ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١١٨ .

(٤ـ٦) انظر الآثار في الطبري ١٤/١٠٧ وابن كثير ٤/٤٩١ والدر المنثور ٤/١١٨ .

٢٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قيل لهم هذا ، لأنهم قالوا ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرَاً رَسُولَا ﴾(١) ؟

٢٩ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قيل : يعني به أهل الكتاب ، لأنهم مقرُّون أن الرسل من بني آدم .

وقال وكيع : سألتُ سفيانَ عن قوله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ فقال : سمعنا أنَّهم مَنْ أسلم من أهل التوراة والإنجيل(٢) .

ثم قال تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أي بالبراهين ، والكُتُب(٣) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠٨/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١١٨/٤ قال الحافظ ابن كثير ٤٩١/٤ : « لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العربُ ذلك ، وقالوا : اللهُ أعظم من أن يكون رسولُه بشراً ، فنزلت الآية ردّاً عليهم ، والغرضُ أن هذه الآية أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً ، فمن شكَّ في كون الرسل كانوا من البشر ، فلْيسأل أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء السالفين ، هل كانوا بشراً أو ملائكة ؟

(٣) المراد البيِّنات : الحجج والبراهين الدالة على صدقهم ، والمراد بالزُّبر : الكتب المقدَّسة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٩٣/٤ .

٣٠ ــ **وقولُــه جلَّ وعــزَّ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُــمْ فِي تَقَلُّبِهِــمْ فَمَــا هُــمْ بِمُعْجزِينَ ﴾** [آية ٤٦] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : في أسفارهم[١] .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : بالليل والنهار[٢] .

٣١ ــ **ثم قال تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّف ﴾** [آية ٤٧] .

قال الضحاك : آخـذُ طائفـةً وأدَعُ طائفـة ، فتخـاف الطائفـة الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبتها[٣] .

ورَوَى عطاء الخراساني عن ابـن عبـاس **﴿ أَوْ يَأْخُذَهُـمْ عَلَـى تَخوُّفٍ ﴾** قال : على تَنقُّصٍ وتَفَزُّع[٤] .

وَرَوَى ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد قال : تنقُّصاً[٥] .

قال أبو جعفر : وهـذا القـول هو المعـروف عنـد أهـل اللغـة ، يُقال : أَخَذَهم على خَوْفٍ ، وعلى تخوُّفٍ : إذا تنقَّصهـم ، كما قال ابن عباس ومجاهد .

ومعنى التنقص : أن ينقصهـم في أمـوالهم ، وفي زروعهـم ، وفي

(١) الأثر في الطبري ١١٢/١٤ والدر ١١٩/٤ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢ــ٥) انظـر الآثار في الـطبري ١١٢/١٤ وابـن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٢/٤ والـدر المنثـور ١١٩/٤ وقد أورد البخـاري في كتـاب التـفسير ١٠٣/٦ : ﴿ على تخوُّف ﴾ على تنـقُّص ، قال الطبري : وذلك بنقصٍ من أطرافهم ونواحيهم ، الشيء بعد الشيء حتى يُهلك جميعهم ، يُقـال : تخوَّف مالَ فلانٍ الإنفاقُ إذا انتقصه قال الشاعر :

تخوَّفَ الرَّحْــلُ منها تامِكــاً قَرِدَاً ... كما تخوَّفَ عُودَ النَّبْعَــةِ السَّفَــنُ .

خيرهم شيئاً بعد شيء ، حتى يهلكهم .

وقال الليثُ(١) : على تخوُّف : سمعتُ أنه على عَجَل(٢) .

وقولُ الضحاك ﴿ **عَلَى تَخَوُّفٍ** ﴾ أي يأخذ هذه القرية ، ويَدَعُ هذه عندها ، أي فتخاف(٣) .

٣٢ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ** ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : الفيءُ : الظلُّ(٤) .

وقال غيره : التفيُّؤ : رجوعه من موضع إلى موضع ، خاضعاً منقاداً ، وكذلك معنى السجود .

وقال قتادة : ﴿ **عَنِ اليَمِينِ** ﴾ : بالغداة ، وقوله ﴿ **والشَّمائِلِ** ﴾ بالعشي(٥) .

٣٤ ـــ **ثم قال الله جلَّ وعز** ﴿ **وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾ [آية ٤٨] .

قال قتادة : أي صاغرون(٦) .

---

(١) هو الليثُ بنُ سعد بن عبدالرحمن الفَهْمي « أبو الحارث » ثقةٌ ، ثَبْتٌ ، فقيه ، إمام مشهور ، من السابعة مات سنة ١٧٥ هـ انظر تقريب التهذيب ١٣٨/٢ .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيط عن الليث بن سعد ٤٩٥/٥ وهو قولٌ غير مشهور في اللغة .

(٣) الأثر في الطبري ١١٤/١٤ عن الضحاك قال : يأخذ العذابُ طائفةً ويترك أخرى ، ويُعذِّب القرية ويهلكها ، ويترك أُخرى إلى جنبها . اهـ .

(٤ــ٦) انظر الآثار في الطبري ١١٦/١٤ وابن كثير ٤٩٤/٤ وزاد المسير ٤٥٣/٤ والدر المنثور ١٢٠/٤ قال الأخفض ٦٠٦/٢ : لمَّا وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل .

٣٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمَاوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ، والمَلَائِكَةُ .. ﴾** [آية ٤٩] .

قيل : المعنى : ولِلَّهِ يسجد ما في السَمَوات من الملائكة ، وما في الأَرض من دابة ، والملائكةُ أي والملائكة الذين في الأرض ، والله أعلم بما أراد .

وقال الضحاك : كلُّ شيءٍ فيه روحٌ : دابةٌ يسجدُ للَّهِ عزَّ وجلَّ[١].

٣٥ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾** [آية ٥١] .

أي لا تعبدوا من دون الله شيئاً ، وإن كنتم تتقرَّبون بعبادته إلى اللَّه ، وجاء باثنين توكيداً[٢] .

وقيل : المعنى : لا تتَّخذوا اثنين إلٰهينِ .

٣٦ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَـواتِ وَالأَرض وَلَـهُ الدِّيـنُ وَاصِباً ﴾** [آية ٥٢] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ١٢٠/٤ قال في البحر ٤٩٨/٥ : والظاهر أن السجود هنا عبارةٌ عن الانقياد ، وجريانها على ما أراد اللهُ من مَيَلان تلك الظِّلال ودورانها ، كما يقال لمن حنى رأسه إلى الأرض ، على جهة الخضوع : ساجدٌ .. وقال ابن الجوزي ٤٥٣/٤ : الساجدون على ضربين : **أحدهما** : من يعقل فسجوده عبادة . **والثاني** : من لايعقل ، فسجودُه بيانُ أثر الصَّنعة فيه ، والخضوع الذي يدلُّ على أنه مخلوق . اهـ .

(٢) قال الزجاج : ذكرُ الإثنين توكدٌ ، كما قال تعالى ﴿ إنما هو إلهٌ واحدٌ ﴾ اهـ زاد المسير ٤٥٥/٤ .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : واجباً[1] .

وقيـل : الطاعـةُ على كلِّ الأحـوال ، وإن كان فيها الـوَصَبُ ، وهوَ التعبُ ، وهذا معنى قول الحسن[2] .

وَرَوَى مَعْمرٌ عن قتادة ﴿**وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً**﴾ قال دائمـاً ، أَلَا تسمـع إلى قولـه ﴿**وَلَهُـمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**﴾[3]؟ أي : دائم . وكـذا قال ميمونُ بن مهران .

وروَى ابنُ جُريج عن مجاهـد ﴿**وَلَـهُ الدِّيْنُ وَاصِبـاً**﴾ قال : الإِخلاصُ ، والواصب : الدائم[4] .

وهذا هو المعروف في اللغة ، يقـال : وَصَبَ يَصِبُ وُصُوبـاً : إذا

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٤/١٢٠ وابن كثير ٤/٤٩٥ .

(٢) هذا القول عن الحسن ذكره ابـن الجوزي ٤/٤٥٦ وهـو قول مرجـوح ، وخـلاف الظاهـر ، ولم يحكه الطبري وابن كثير وغيرهما ، وإنما هو وجه عند ابن الأنبـاري والزجـاج ، قال ابـن الجوزي : ومعنى هذا القول : وله الدينُ مُوصِباً أي مُتعبـاً ، لأن الحقَّ ثقيـلٌ ، وهـو كما تقـول العـرب : هَمٌّ نَاصِبٌ أي مُنْصِبٌ ، قال الزجاج : ويجوز أن يكون المعنى : وله الدِّينُ والطاعةُ رضي العبدُ وسَهُل عليه أو لم يَسْهُل ، فله الدِّينُ وإن كان فيه الـوَصَبُ ، والـوَصَبُ : شَدَّةُ التَّـعب . اهــ وهـو قولٌ فيه تكلُّف .

(٣) سورة الصافات آية ٩ قال تعالى ﴿ ويُقْذَفون من كلِّ جانب . دحوراً ولهم عذابٌ واصب ﴾ أي دائم مستمر .

(٤) الأثـر أخرجـه الـطبري في جامـع البيـان ١٤/١١٩ والسيوطـي في الـدر ٤/١٢٠ وابـن كثير في تفسيره ٤/٤٩٥ وجمع ابن جرير بين أقوال السلف فقال ﴿ ولـه الدِّيـنُ وَاصبـاً ﴾ أي له الطاعـة والإخلاصُ ، دائماً ، ثابتاً ، واجباً .

دام(١) ، والدِّينُ : الطاعةُ ، والمعنى : أن كلَّ من يُطاع تزول طاعتهُ بهلاكٍ أو زوال ، إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ .

٣٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** [آية ٥٣] .

أي ما يكن بكم من سَعَة في رزقٍ ، أو صحةٍ في بَدَنٍ ، فمنَ اللَّهِ ﴿ **ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ** ﴾ وهو البلاءُ والمشقَّةُ ﴿**فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ أي تَدْعُون وتستغيثون .

يُقالُ : جَأَرَ ، يَجْأَرُ ، جُؤَاراً : إذا رفع صوته مستغيثاً من جُوعٍ أو غيره(٢) .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾** [آية ٥٤] .

قيل : المعنى : ليجعلوا النِّعمة سبباً إلى الكفر ، كما قال تعالى **﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾**(٣) .

---

(١) في الصحاح ٢٣٣/١ : وصَبَ الشيءُ يَصِبُ وُصُوباً : أي دَامَ ، وَوَصَبَ الرجل على الأمر إذا واظب عليه ، وقال الفراء : واصباً أي دائماً اهـ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري وفي القاموس : جَأَر كمنع جَأْراً ، وجُؤاراً : رفع صوته بالدعاء وتضرَّع . وفي الزجاج ٢٠٤/٣ : يُقال : جأَرَ الرجل يجأرُ جؤاراً ، والأصواتُ مبنيَّةٌ على « فُعَال » و« فعيل » فأمَّا فُعَال فنحو الصُّراخ ، والجُؤار ، والبكاء ، وأما « فعيل » فنحو العويل ، والزئير ، والفُعال أكثر . اهـ .

(٣) سورة يونس آية ٨٨ وهي من دعاء موسى على فرعون وتمامها ﴿ وقال موسى ربَّنا إنك آتيتَ فرعونَ وملأهُ زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ، ربنا ليُضِلُّوا عن سبيلكَ ، ربنا اطمسْ على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ والشاهد في الآية أن اللام فيها « لام العاقبة » أي لتكون عاقبتهم أن يُضلُّوا عن سبيلك .

وقيل : ليجحدوا النعمةَ التي أنعم عليهم ، كما قال الشاعر :

« والكفرُ مَخْبثَةٌ لنفسِ المُنْعِمِ »(١)

٣٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسوفَ تَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٥٥] .

وهذا على التهديد ، كما قال تعالى **﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾**(٢) فإنَّا قد أرسلنا الرسل ، وبينَّا وأنذرنا ، فمن شاءَ فليكفر بعد هذا ، فإنَّ العقوبةَ حالَّةٌ به .

٤٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُم ﴾** [آية ٥٦] .

يعني : ما كانوا يجعلونه لأصنامهم ، من زرعهم وأنعامهم ، كما قال تعالى **﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾**(٣) .

٤١ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَايَشْتَهُونَ ﴾** [آية ٥٧] .

---

(١) هذا عجز بيتٍ من معلَّقة عنترة ، التي مطلعها : « هل غادر الشعراءُ من مُتَرِدَّم » وصدرُ البيت :

نُبِّئتُ عَمْراً غيرَ شاكِرِ نِعْمتي والكفْرُ مَخْبثةٌ لنَفْسِ المُنْعِم

يريد أن كفران النعمة يُنفِّر نفس المنعِمِ عن الإنعام ، وانظر شرح المعلقات العشر للزَّوزني ص ٢٥٣ وجامع الأحكام للقرطبي ١١٥/١٠ .

(٢) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٣٦ وتمامها ﴿ وجعلوا للَّهِ مما ذَرَأَ من الحرث والأنعامِ نصيباً ، فقالوا هذا للَّهِ بزعمهم .. ﴾ الآية .

أي ولهمُ البنون[1] .

٤٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾** [آية ٥٨] .

أي ظلَّ كئيباً مغموماً ، والعربُ تقول هذا لكلِّ مغمومٍ ، قد تغيَّر لونُه من الغمِّ : اسودَّ وجهُه[2] .

٤٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾** [آية ٥٨] .

الكظيمُ : الحزينُ الذي يُخفي غيظَه ، ولا يشكو مابِهِ .

٤٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾** [آية ٥٩] .

يُروى أن أحدهم كان إذا وُلدَ له ، يتوارى في ذلك الوقت ، أو قَبْلَه ، فإنْ وُلِدَ له ذكرٌ سُرَّ بِهِ ، وإن وُلِدتْ له أنثى استَتَر ، وربَّما وَأَدَها[3] .

---

(١) عبارة القرطبي ١١٦/١٠ : أي يجعلون لأنفسهم البنين ، ويأنفون من البنات . اهـ وقال ابن كثير ٤٩٦/٤ : أي يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون من البنات التي نسبوها إلى الله ، تعالى الله عن قولهم عُلُواً كبيراً .

(٢) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن ٢٠٦/٢ ولفظهُ : أي متغيِّراً تغيُّر مغتمٍّ ، يُقال لكل من لقى مكروهاً : قد اسودَّ وجهه غمَّاً وحَزَناً . اهـ .

أقول : لايُراد بالسواد الذي هو ضدُّ البياض ، وإنما هو كناية عن غمَّه بالبنت .

(٣) روى ابن جرير ١٢٣/١٤ عن قتادة قال : « هذا صَنيعُ مشركي العرب ، أخبرهم تعالى بخبث=

٤٥ ــ ثم بيَّن ذلك بقوله تعالى ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ [آية ٥٩] .

وقرأ الجحدريُّ ﴿أَمْ يَدُسُّهَا في التُّرَابِ ﴾(١) يردُّها على قوله « بالأنثى » ويلزمُهُ أن يقرأ ﴿أيمسكُهَا﴾ .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿أيمسكُهُ عَلى هَوَانٍ﴾(٢) وقال : هَوَانٌ وهُونٌ واحد .

وقرأ الأعمشُ : ﴿أيمسكُهُ على سُوءٍ﴾(٣) .

وحَكَى أبو عبيد عن الكسائي قال : في لغة قريش : الهُوْنُ والهَوَانُ ، بمعنىً واحدٍ ، وقال : لغة بني تميم يجعل الهون مصدرَ الشيء الهيِّن(٤) .

٤٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [آية ٥٩] .

= صنيعهم ، فأما المؤمنُ فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاءُ الله خيرٌ من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدري ما هو خير ، فربَّ جاريةٍ خيرٌ لأهلها من غلام ، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يَغْذُو كلبه ، ويئدُ ابنته » .

(١ ـ ٣) هذه القراءات التي أوردها المصنف ، ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٥/٥٠٤ وابن الجوزي في زاده ٤/٤٥٩ وابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٤٤٧ وجميعها من القراءات الشاذة ، ولا يُقرأ إلا بالمتواتر من القراءات ، وإنما يُستأنس بها في التفسير ، وانظر البحر ٥/٥٠٤ فقد قال عن قراءة الأعمش : وهي عندي تفسيرٌ لا قراءة ، لمخالفتها السَّواد المجمع عليه . اهـ .

(٤) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٠/١١٧ .

لأنهم جعلوا للَّهِ البناتِ ، وهم يكرهونها هذه الكراهية .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾** [آية ٦٠] .

رَوَى مَعْمر عن قتادة : قال : **﴿المَثَلُ الأعلى﴾** : لا إلـه إلاَّ الله[١] .

ورَوَى سعيد عن قتادة قال : **﴿المثَلُ الأعلى﴾** : الإخلاصُ ، والتوحيدُ[٢] .

والمعنيان واحد ، أي للَّهِ جلَّ وعزَّ التوحيدُ ونفيُ كلِّ معبودٍ دونه[٣] .

٤٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَو يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَاتَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾** [آية ٦١] .

أي على الأرض ، ولم يَجْرِ لها ذكرٌ ، لأنه قد عُرِف المعنى[٤] .

(١ــ٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٤ والقرطبي ١١٩/١٠ والدر المنثور ١٢١/٤ .

(٣) قال ابن الجوزي ٤٥٩/٤ : ﴿ وللهِ المثَلُ الأعلى ﴾ أي الصفة العليا من تنزُّهه وبراءته عن الولد . وقال ابن جرير ١٢٥/١٤ : وهو الأفضلُ ، والأطيبُ ، والأحسنُ ، والأجملُ ، وذلك التوحيدُ والإذعانُ له بأنه لا إله غيرُه . اهـ .

(٤) قال في البحر ٥٠٦/٥ : والضمير في ﴿ عليها ﴾ عائدٌ على غير مذكور ، ودلَّ أنه الأرضُ قوله سبحانه ﴿من دابة﴾ لأن الدَّبيب من الناس لايكون إلاَّ في الأرض ، فهو كقوله تعالى ﴿فأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ أي بالمكان ، لأن الخيل لاتعدو إلاَّ في مكان ، وكذلك الإثارة والنقع . اهـ .

٤٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿وَيَجْعلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [آية ٦٢] .

يعني البناتِ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : هو قولهم : لنا البنون[1] .

وقال غيرُه : الحسنى : الجنة[2] .

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

وقيل : « لا » ردٌّ لكلامهم ، وجَرَمَ بمعنى : وَجَبَ ، وحقَّ[3] .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا القول فيه[4] .

٥١ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ [آية ٦٢] .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٢٧/١٤ وابن كثير ٤٩٨/٤ وابن الجوزي ٤٦٠/٤ والدر المنثور ١٢١/٤ .

(٣) على هذا القول الذي ذهب إليه بعض علماء اللغة ، تكون « لا » ردًّا لقولهم ، وتمَّ الكلامُ ، أي ليس الأمر كما تزعمون ﴿ جَرَمَ أن لهم النَّارَ ﴾ أي حقاً أنَّ لهم النار ، وقال الخليل وسيبويه : ﴿ لاجَرَم ﴾ كلمة واحدة بمعنى حقاً ، وهذا القول هو الراجح والمختار عند المفسرين .

(٤) تقدَّم القول حول قوله تعالى ﴿ لاجرم ﴾ في إعراب القرآن للنحاس .

كذا قرأ الحسنُ ، ومجاهـد ، وسعيـدُ بن جبير ، بفتـــح الـــراء والتخفيف[1] .

واختلفوا في تفسيره : فقـال الحسنُ : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ مُعَجَّلـون إلى النَّار[2] .

وقـال هُشيم : أخبرنا أبـو بِشِرْ ، وحُصَيـنٌ ، عن سعيـدِ ابـنِ جُبيرٍ ﴿وأنَّهمْ مُفْرَطُونَ﴾ قال : متروكُون منسِيُّون[3] .

وَرَوَى ابـــن جريج عن مجاهــــد قال : ﴿مفرطـــــون﴾ : منسيُّون[4] .

قال أبو جعفر : وقولُ الحسَنِ أشهرُ في اللغةِ وأعرفُ .

وحكَى أهلُ اللغـة هو فَارِطٌ وفَـرَطٌ ، وفي حديث النبـي ﷺ : « أنا فَرَطكُم على الحَـوْضِ »[5] أي متقدِّمكُـمْ إليـه حتـى تَرِدُوا علـيَّ ، وأفرطته : إذا قدَّمته ، وأنشد جماعةٌ من أهل اللغة :

---

(١) هذه قراءة السبعة غير نافع ، فقد قرأ الجمهور ﴿ مُفْرَطُون ﴾ بفتح الراء وتخفيفها ، من أفرِطوا بمعنى عُجِّلوا إلى العذاب ، وقرأ نافع ﴿ مُفْرِطُون ﴾ بكسر الراء خفيفة من أفرطتُ ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٣٧٤ .

(٢ـ٤) انظر الآثار في الطبري ١٢٧/١٤ وابن كثير ٤٩٨/٤ والقرطبي ١٢١/١٠ والدر المنثور ١٢١/٤ ورجح الطبري قول سعيد بن جبير أن المعنى : أنهم متروكون في النار ، منسيُّون فيها ، وجمع ابن كثير بين القولين فقال : معجَّلون إلى النار ، ويُنسون فيها أي يُخلَّدون .

(٥) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ١٤٨/٨ ومسلم رقم ٢٣٠٤ في الفضائل .

فَاسْتَعْجَلُونا وكانُوا من صَحَابتِنَا
كَمَا تعجَّل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ(١)

وقال بقولِ سعيد بن جبيرٍ ومجاهدٍ « أبو عبيدة ، والكسائيُّ ، والفرَّاءُ »(٢) .

قال أبو جعفر : فعلى قول الحسن : معجَّلُونَ مقدَّمون إلى النَّار ، وعلى قول سعيد بن جبير ومجاهد متروكُون في النَّار .

وقرأ عبدالله بن مسعود وابن عباس ﴿**وَأَنَّهُمْ مُفْرِطُون**﴾(٣) مبالغون في الإساءة ، كما يُقال : فَرَطَ فلانٌ على فلانٍ إذا أربى عليه ، وقال له أكثرَ ممَّا قال من الشَّرِّ .

وقرأ أبو جعفر والسُّدّي ﴿**وأَنَّهُم مُفَرِّطُون**﴾(٤) ومعناه

---

(١) البيت للقُطَامي وهو في ديوانه ص ٩٠ بلفظ « واستعجلونا » واستشهد به الطبري في جامع البيان ١٢٨/١٤ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢١/١٤ وفي البحر المحيط ٥٠٦/٥ وهو في اللِّسان ، والصحاح مادة فرط ، قال الجوهري : فرطتُ القومَ سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارطٌ والجمعُ فُرَّاط أي متقدِّمون إلى الوادي والماء .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٠٨/٢ ومجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٦١/١ .

(٣) هذه قراءة نافع في رواية ورش ﴿ مُفْرِطُون ﴾ وهي من القراءات السبع ، ومعناه : مسرفون في الذنوب والمعصية ، وانظر القرطبي ١٢١/١٤ .

(٤) هذه قراءة أبي جعفر ، وابن أبي عبلة كما في زاد المسير ٤٦١/٤ ، قال الزجاج ومعناها : أنهم فرَّطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة ، وتصديقُ هذه القراءة ﴿ أن تقول نفسٌ ياحسرتا على مافرَّطتُ في جنب الله ﴾ .

مضيِّعون ، أي كانوا مضيِّعين في الدنيا .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿وإنَّ لَكُمْ في الأَنْعَامِ لَعِبْرةً نُسقِيْكُمْ مِمَّا في بُطُوْنِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبناً خَالِصاً .. ﴾** [آية ٦٦] .

الفَرْثُ : ما يكونُ في الكَرِشِ ، يُقال : أفرثتُ الكرِشَ ، إذا أخرجت ما فيها[1] ، والمعنى : أنَّ الطعام يكون فيه ما في الكَرِش ، ويكون منه الدَّمُ ، ثم يخلص اللَّبنُ من الدَّمِ .

ثم قال تعالى : ﴿ سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾ [آية ٦٦] .

أي سهلاً لايَشْجَى به من شَرِبه[2] .

٥٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ورِزْقاً حَسَناً .. ﴾** [آية ٦٧] .

رَوَى عَمْرُو بنُ سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَرُ : ما حَرم من ثمرتها ، والرِّزْقُ الحسنُ : ما كان حلالاً من ثمرتها[3] .

وروَى شعبةُ عن مغيرةَ عن إبراهيم والشعبي قالا : السَّكَرُ ما حُرِّمَ ، وقد نُسخ[4] .

---

(١) الفَرْثُ : الزبلُ الذي ينزلُ إلى الكَرِش ، فإذا خرج لايسمَّى فَرْثاً ، وانظر الصحاح ٢٨٩/١ وتفسير القرطبي ١٢٤/١٠ .

(٢) أي لايغصُّ به شاربه ، قال في الصحاح : أشجاه يُشْجيه : إذا أغصَّه ، والشَّجي : ماينْشَب في الحلْق من عظم وغيره اهـ الصحاح مادة شجا .

(٣ــ٧) انظر الآثار في جامع البيان ١٣٤/١٤ وزاد المسير ٤٦٤/٤ وتفسير ابن كثير ٥٠٠/٤ =

وَرَوَى **معمرٌ** عن قتادة قال : السَّكَرُ : نبيذٌ للأعاجم وقد نسخت[٥] .

وَرَوَى **عليٌّ** بنُ الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : السَّكَر قد حُرّم[٦] .

وقال مجاهد : السَّكر : ما حُرِّم من الخمر ، والرزقُ الحَسَنُ : ماأُحلَّ من التّمر والعنب[٧] .

قال أبو جعفر : الأَوْلى أن تكون الآيةُ منسوخةً ، لأنَّ تحريم الخمر كان بالمدينة ، والنَّحلُ مكيّةٌ[٨] .

والروايةُ عن ابن عباس ، كأنَّ معناها أن الآية على الإخبار ، بأنهم يفعلون ذلك ، لا أنه أذن لهم في ذلك ، وذلك معناه .

وهي روايةٌ تضعفُ من جهةِ « عَمْرِو بنِ سفيان»[٩] .

= والقرطبي ١٢٨/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٢٢/٤ .

(٨) قال القرطبي ١٢٨/١٠ : الجمهورُ على أن السَّكَر الخمرُ ، وكذا قال أهل اللغة : السَّكَر اسمٌ للخمر وما يُسْكِر ، وأنشدوا :

بِئسَ الصُّحاةُ وبِئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهم إذَا جَرَى فيهُم المُذَّابُ والسَّكَرُ

فالسَّكَرُ ما حرَّمه الله من ثمرتيهما ، والرزقُ الحسنُ ما أحلَّه الله من ثمرتيهما ، وقد قال ابن عباس : نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر . اهـ .

(٩) قال في التهذيب ٤٠/٨ : عمروُ بن سفيان الثقفي روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال : وصحّح الحاكم من رواية عمرو بن سفيان عن ابن عباس حديثاً علَّقة البخاري بالجزم في تفسير السكر من سورة النحل ، ثم قال ابن حجر : وقال أبو جعفر =

قال أبو جعفر : وفي معنى السَّكر قول آخر ، قال أبو عبيدة : السَّكَرُ : الطُّعْمُ ، وأنشد :

« جَعَلْتَ عَيْبَ الأَكْرَمينَ سَكَرَا »[1]

أي جعلتَ ذمَّهم طُعْماً .

قال أبو جعفر : قال الزجاج : وقولُ أبي عُبيدة هذا لا يُعرف ، وأهلُ التفسير على خلافِهِ ، ولا حجةَ له في البيت الذي أنشده ، لأن معناه عند غيره أنه يصف أنها تتخمرُّ بعيوب الناسِ[2] .

٥٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً .. ﴾ [آية ٦٨] .

رُوي عن الضحَّاك أنه قال : ألهمها[3] .

= النحاس في معاني القرآن له : هي روايةٌ ضعيفة لأجل راويها «عمرو بن سفيان»، وقد فرَّق بعض المحدثين بين روايته عن ابن عباس ، وروايته عن أبيه ، وانظر تفصيل القول في تهذيب التهذيب .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٦٣/١ فهو من شواهده ، وهو للمثَّنى بن جندل الطُّهوي ، وهو في الطبري ١٣٨/١٤ وفي القرطبي ١٢٩/١٠ وفي لسان العرب بلفظ « جعلتَ أعراضَ الكِرَامِ سَكَراً » أي جعلت ذمَّهم طُعماً لك .

(٢) انظر لسان العرب ٣٧٤/٤ فقد نقل عن الزجاج قوله : هذا بالخمر أشبه منه بالطعام ، والمعنى : جعلتَ تتخمر بأعراض الكرام .. الخ .

(٣) أشار إلى أن المراد بالوحي هنا الإلهام ، والأثر في الطبري ١٣٩/١٤ قال : ألهمها إلهاماً ، وأخرجه السيوطي في الدر ١٢٢/٤ عن مجاهد قال : ألهمها إلهاماً ولم يرسل إليها رسولاً ، وقال القرطبي ١٣٣/١٠ : ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام .

وأصلُ الوحي في اللغةِ : الإعلانُ بالشيءِ في سترةٍ ، فيقع ذلك بالإلهام ، وبالإشارة ، وبالكتابة ، وبالكلام الخفي(١) .

٥٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾** [آية ٦٩] .

رَوَى معمرٌ وسعيدٌ عن قتادة قال : مطيعة(٢) .

قال أبو جعفر : ويحتمل في اللغةِ أن يكون قولُه **﴿ ذُلُلاً ﴾** للسُّبلِ ، لأنه يقال : سبيلٌ ذلولٌ وسُبُل ذُلُل ، أي سهلة السُّلوك(٣) .

ويحتمل أن يكون للنَّحل أي هي منقادةٌ مسخَّرةٌ .

٥٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾** [آية ٦٩] .

فيه قولَان :

أحدهما : أن المعنى في القرآن شفاءٌ للناس .

وهذا قول حَسَنٌ ، أي فيما قصصنا عليكم من الآيات

---

(١) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة وحى ، فقد قال الجوهري : الوحيُ : الإشارةُ ، والرسالةُ ، والإلهامُ ، والكلامُ الخفيُّ ، قال العجاج : أوحى لها القرار فَاستقرَّت ، وانظر معاني الزجاج ١٠٩/٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٠/١٤ وابن كثير ٥٠٠/٤ والسيوطي في الدر ١٢٢/٤ ورجح ابن كثير قول مجاهد أن المراد بالآية : اسلكي الطرق مذلَّلةً لكِ ، فلا يتوعر عليك مكانٌ سلكتِهِ ، قال : وهذا القول أظهر .

(٣) هذا القول هو الصحيح ، وهو اختيار الزجاج ، ورجحه الحافظ ابن كثير ٥٠٠/٤ .

والبراهين شفاءٌ للنَّاسِ .

وقيل : في العسل شفاءٌ للنَّاسِ ، وهـذا القـولُ بيِّـنٌ أيضاً ، لأن أكثر الأشربة والمعجوناتِ التي يتعالج بها ، أصلُها من العسل[1] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾** [آية ٧٠] .

أي يهرم حتى ينقص عقله .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾** [آية ٧٠] .

أي حتى يعود بعد العلم جاهلاً ، أي لتعلموا أنَّ الـذي ردَّه إلى هذه الحالِ ، قادرٌ على أن يميته ثم يُحييه .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم ، فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .. ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) القول الأول أن المراد به القرآن ، حكاه الطبري عن مجاهـد ١٤/١٤٠ ورجح ابن جرير ، وابـن كثير القول الثاني ، وهو أن الضمير يعود على العسل ، قال الحافظ ابن كثير ٤/٥٠١ : وقـول مجاهدٍ صحيحٌ في نفسه ، ولكنْ ليس هو الظاهر ها هنا ، والدليلُ على أن المراد بقوله تعالى ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ هو العسلُ ، الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن رجلاً استطلق بطنه ، فقال الرسول ﷺ لأخيه : اسقه عسلاً ، فسقاه فزاد استطلاقاً .. الحديث ، وفيه قوله : « صدقَ اللهُ وكذب بطنُ أخيك ، اذهب فاسقه عسلاً » فسقاه فبرىء .
قال بعض العلماء : لو قال تعالى «فيه الشفاءُ للناس» لكان دواء لكل داء ، ولكن قال ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ أي يصلح دواءً لأكثر الناس ، فهو محمول على الأغلب .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ ، أي إذا كان لأحدكم مملوكٌ لم تَسْغْ نفسُه أن يعطيه ممَّا يملك ، واللهُ جَلَّ وعَزَّ أولى أن يُنزَّه عن هذا[1] .

ومعنى هذا القول : أنهم عمدوا إلى رزق اللَّهِ فجعلوا للأصنام منه نصيباً ، وله نصيباً ، والمعنى : إنكم كلكم بشر ، ويكون لأحدكم المملوك فلا يَردُّ عليه مما يملك شيئاً ، ولا يساويه فيه ، فكيف تعمدون إلى رزق الله ، فتجعلون منه نصيباً وللأوثان نصيباً[2] ؟ .

٦١ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾** [آية ٧١] .

أي أفأَنْ أنعمَ اللَّهُ عليهم جحدوا بالنعمة وجعلوا ما رزقهم لغيره ؟

وقيل : المعنى : أفَأَن أنعم عليهم بالبيان والبراهين جحدوا نِعَمه[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٣/١٤ وابن كثير ٥٠٥/٤ والسيوطي في الدر ١٢٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ولفظه عن قتادة : قال : هذا مثلٌ ضربه الله ، فهل منكم من أحدٍ يشارك مملوكه في زوجته وفي فراشه ؟ أفتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك بهذا ، فاللهُ أحقُّ أن تبرِّئه من ذلك ، ولا تعدل بالله أحداً من عباده وخلقه .

(٢) قال ابن عباس : لم يكونوا يُشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ؟ وقال الحافظ ابن كثير ٤٠٤/٤ : يقول تعالى منكراً عليهم : إنكم لاترضون أن تُساووا عبيدكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضى تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم ؟! .

(٣) ذكر المعنيين ابن الجوزي في تفسيره ٤٦٨/٤ .

قال الضحَّاك : هذا المثلُ للَّـهِ جلَّ وعزَّ وعيسى ، أي أنتم لاتفعلون هذا بعبيدكم ، فكيف ترضون لي باتِّخاذ بشرٍ ولداً[1] ؟ تعالى اللهُ عما يقولون علوًّا كبيراً .

٦٢ ــ **وقولُـه جلَّ وعـز ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً .. ﴾** [آية ٧٢] .

رَوَى سعيد عن قتادة في قوله **﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾** قال : خلق حواء من ضلع آدم[2] ..

وقال غيره : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ أي من جنسكم[3] .

٦٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً .. ﴾** [آية ٧٢] .

رَوَى سفيانُ الثوري ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن عبدالله بن

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٤٢ والقرطبي في جامع الأحكام ١٠/١٤١ عن ابن عباس .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٤٣ وابن الجوزي ٤/٤٦٩ والسيوطي في الدر ٤/١٢٤ ونسبه إلى ابن المنذر ، وعبد بن حُميد ، ولفظه كما في الطبري : قال قتادة : والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ، ثم جعل لكم بنين وحفدة .

(٣) هذا قول ابن زيد كما في زاد المسير ٤/٤٦٩ ولفظهُ ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال : أي من جنسكم ، من بني آدم . وهو أظهر ، وهو ما رجحه ابن كثير .

مسعود ، قال : الحَفَدةُ : الأَخْتَانُ(١) .

وروى سفيانُ بنُ عُيَينة عن [عاصم عن] زرٌّ عن عبدالله قال : الحَفَدةُ : الأَصهارُ(٢) .

ورَوى شُعبةُ عن زرٍّ قال : سألني ابنُ مسعودٍ عن الحَفَدةِ ، فقلت : هم الأعوانُ ، قال : هم الأَخْتَانُ(٣) .

وقال عَلْقمةُ وأبو الضحى : الحَفَدةُ : الأَخْتانُ(٤) .

وقال إبراهيم(٥) : الحَفَدةُ : الأَصهارُ .

قال أبو جعفرٍ : وقد اختُلِفَ في الأَخْتَانِ والأَصهار ، فقال محمد بنُ الحسن ، الخَتَنُ : الزوجُ ومن كان من ذوي رَحِمَه ، والصِّهرُ: من كان من قِبَلِ المرأة ، نحو أبيها وعمَّتها وخالها .

(١ــ٣) انظر الآثار كلها في الطبري ١٤/١٤٤ وابن كثير ٤/٥٠٦ والدر المنثور ٤/١٢٤ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٦٩ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .
أمَّا « عاصم » فهو كما في تقريب التهذيب ١/٣٨٣ : عاصمُ بن بَهْدلة ، وهو ابنُ أبي النَّجود ، الأَسَديُّ ، الكوفي ، المقرىء « أبو بكر » قال ابن حجر : صَدُوقٌ له أوهامٌ في القراءة مات سنة ١٢٨هـ .

(٤) الأَخْتَانُ : جمع خَتَنٍ وهم أهلُ الزوجة وأقاربها ، قال الجوهري في الصحاح ٥/٢١٠٧ : الخَتَنُ بالتحريك : كلُّ من كان من قِبَل المرأة مثلُ الأب ، والأخ ، هكذا عند العرب ، وأما عند العامَّة فَخَتَنُ الرجلِ : زوجُ ابنته .

(٥) هو إبراهيم النَّخعي بن « يزيد بن قيس » أبو عمران ، الكوفي ، الفقيه ، ثقةٌ ، مات سنة ٩٦ هـ وانظر تقريب التهذيب ١/٤٦ .

وقال ابن الأعرابي ضد هذا في الأختان والأصهار .

وقال الأصمعي : الخَتَنُ : من كان من قِبَلِ المرأة مثل أبيها وأخيها وما أشبههما ، والأصهار منهما جميعا ، يقال : أصْهَرَ فلانٌ إلى بني فلانٍ وَصَاهَر .

وقولُ عبدالله بن مسعود : همُ الأَخْتَانُ ، يحتمل المعنيين جميعاً ،

يجوز أن يكون أراد أبا المرأة ، وما أشبهه من أقربائها .

ويجوز أن يكون أراد : وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تُزوِّجونهم ، فيكون لكم بسببهنَّ أَخْتَانٌ .

وقد قيل في الآية غير هذا .

قال عكرمة : الحَفَدة : ولدُ الرجل من نَفَعه منهم[1] .

وقال الحسن وطاووس ومجاهد : الحَفَدةُ : الخَدَمُ[2] .

(١ـ٢) اختلفت أقوال السلف في تفسير « الحَفَدة » اختلافاً كبيراً ، فقال بعضهم : إنهم الأصهارُ ، أصهارُ الرجل على بناته وهو قول ابن مسعود وابن عباس ، وقال بعضهم : الخدمُ والأعوان ، وهو قول عكرمة ، وقال بعضهم : هم الأبناء من الصلب وأبناؤهم وهو مروي عن مجاهد وابن عباس ، وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن الجوزي ، والطبري ، وابن كثير تصل إلى خمسة أقوال ، قال القرطبي ١٤٢/١٠ : قال الأزهري : قيل الحَفَدةُ أولادُ الأولاد ، ورُوى هذا عن ابن عباس ، وما قاله الأزهري من أن الحفدة أولادُ الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصُّه ، ألا ترى أنه قال ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدة ﴾ !! فجعل الحَفَدة والبنين منهنَّ ، وقال ابن العربي : الأظهر عندي أن البنين أولاد الرجل لصلبه ، والحَفَدةُ أولادُ أولاده ، ويكون تقدير الآية : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، ومن البنين حفدة .اهـ وهو كلام نفوس ، وهو أظهر الأقوال .

قال أبو جعفر : وأصلُ الحَفَدة في اللغة : الخدمة ، والعمل ، يقال : حفد يحفِدُ حَفْداً وحفوداً وحَفَداناً ، إذا خَدَمَ وعمل[1] ، ومنه « وإليكَ نَسْعى ونَحْفِدُ »[2] : ومنه قولُ الشاعر :

حَفَدَ الوَلَائِدُ حولَهُنَّ وأُسْلِمَتْ
بأكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ[3]

وقول من قال : هم الخَدَمُ حسنٌ على هذا ، إلاَّ أنه يكون منقطعاً مما قبله عند أبي عُبيد ، ويُنْوَى به التقديمُ والتأخيرُ ، كأنه قال : وجعلَ لكم حَفَدةً ، أي خَدَماً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين[4] .

٦٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لهمْ رِزْقاً مِنَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة حفد .

(٢) هذا طرف من الدعاء المأثور في القنوت الذي كان يدعو به الفاروق عمر رضي الله عنه « اللهُمَّ إنَّا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونتوب إليك .. ومنه : اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، إليك نسعى ونحفِد .. » الأثر ومعناه : نُسرع في طاعتك ومرضاتك .

(٣) البيت لجميل بثينة العذري ، وهو من شواهد أبي عُبيدة في مجاز القرآن ١/٣٦٤ وفي تفسير ابن عطية ٨/٤٦٧ وفي الطبري ١٤/١٤٤ والقرطبي ١٠/١٤٣ والجمهرة ٢/١٢٣ وفي اللسان ، والتاج مادة حفد ، ونسبه ابن دُريد إلى الفرزدق ، والصواب أنه لجميل العذري كما قال أبو عُبيدة ، والبيتُ يُصوِّر ما تقوم به الولائد من خدمةٍ وسعي ، ومن إمساك بأزِمَّة الأجمال .

(٤) قال ابن الأنباري : وعلى هذا القول أن المراد بالحفدة : الخدمُ والمماليك يكون معنى الآية : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وجعل لكم حفدةً من غير الأزواج . اهـ زاد المسير ٤/٤٧٠ .

أي : لا يملكون أن يرزقوهم شيئاً .

٦٥ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا يَسْتَطِيْعُونَ . فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [آية ٧٤] .

قال **الضحَّاك** : لا تعبدوا من دونه ما لا ينفعكم ، ولا يضركم ، ولا يرزقكم(١) .

٦٦ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكاً لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَّجَهْراً ﴾** [آية ٧٥] .

هذه الآية مشكلةٌ وفيها أقوال :

قال **مجاهد والضحّاك** : هذا المثلُ للهِ جلَّ ذكره ، ومن عُبِد من دونِه(٢) .

وقال **قتادة** : هذا المثل للمؤمن والكافر(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ١٤/١٤٨ وابن كثير ٤/٥٠٧ والدر المنثور ٤/١٢٥ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٤٩ وابن الجوزي ٤/٤٧٢ وابن كثير ٤/٥٠٧ والسيوطي في الدر ٤/١٢٥ .

(٣) القول الأول هو الأظهر ، وهو ما رجحه الجمهور ، قال ابن القيم رحمه الله : « وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفسه ، والآلهةِ التي تعبد من دونه ، فالله هو المالك لكل شيء ، يُنفق كيف يشاء على عبيده ، سرًّا وجهاراً ، وليلاً ونهاراً ، والأوثانُ مملوكةٌ عاجزة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء إليَّ ويعبدونها من دوني ، مع التفاوت العظيم ، والفرق المبين ؟ وانظر البحر المحيط ٥/٥١٩ وتفسير ابن عطية ٨/٤٧٦ ففيهما تبيينٌ وتوضيح .

يذهب قتادةُ إلى أن العبدَ المملوكَ هو الكافرُ ، لأنـه لايَنتفـعِ في الآخرة بشيءٍ من عبادتـه ، وإلى أن معنـى ﴿ **وَمَـنْ رَزَقْنَـاهُ مِنَّـا رِزْقَـاً حَسَنَاً** ﴾ المؤمنُ .

وقال بعض أهل اللغة : القولُ الأول أحسنُ[1] ، لأنه وقـع بين كلامين ، لانعلـم بين أهـل التـفسير اختلافـاً ــ إلاَّ من شذَّ منهم ــ أنهمـا للَّـهِ جلَّ وعـز ، وهما ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَـالَ** ﴾ وبعــده ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لَا يَقْـدِرُ عَلَـى شَيْءٍ وَهُـوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ** ﴾ يعني الوثنَ ، لأنه كَلٌّ على من عنده وثِقْلٌ .

والمولى : الوليُّ .

٦٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **هَلْ يَسْتَـوِي هُوَ وَمَـنْ يَأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَهُـوَ عَلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [آية ٧٦] .

يعني نفسَه جلَّ وعزَّ .

وكذا قال قتادة : اللهُ جلَّ وعز يأمرنا بالعدلِ ، وهـو على صراط مستقيم[2] .

---

(١) يريـد المصنـف أن الكـلام متنـاسقٌ بين الآيتين ، فهمـا مثـلان ضربهمـا اللـه عز وجـل لنـفسه ، وللأصنام التي عُبدت من دونه ولو جعلنا المثل الأول للمؤمن والكافر كما قال قتادةلاختـلَّ التنـاسق والإنسجام بين المثل الأول وقوله سبحانه ﴿ فلا تضربوا للَّهِ الأمثالَ ﴾ الذي ورد بصيغة الجمع .

(٢) الأثر في الـطبري ١٤/١٥٠ وابـن كثير ٤/٥٠٧ وزاد المسير ٤/٤٧٣ قال ابـن جريـر : « وهـذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه ، ويعني بالأبكم : الصنم الذي لايسمع ولا =

والمعنى على هذا في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً ﴾ أنه يعني به ما عُبِد من دونه ، لأنه لايملك ضرًّا ولا نَفْعاً و ﴿ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً ﴾ وهذا للَّهِ جل وعز ، لأنه الجوادُ الرازقُ للإنسان ، من حيث يعلم ، ومن حيث لايعلم .

ورُوِي عن ابن عباس ــ وهذا لفظُه المرويُّ عنه ــ قال : « نزلت هذه الآيةُ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَايَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ في « هشام بنِ عَمْرو »[1] وهو الذي ينفق منه سرًّا وجهراً ومولاه أبو الجواب الذي كان ينهاه ، وقيل : نزلَتْ في رجلين ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ الأبكمُ منهما ، الكلُّ على مولاه « أسيد بن أبي العاص » والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو « عثمان بن عفان »[2] رحمة الله عليه ، كان عثمان يكفل مولاه ، فعثمان الذي ينفق

= ينطق ، إمَّا لأنه خشب منحوتٌ ، أو نحاسٌ مصنوع ، لا يقدر على نفع ولا دفع ضر ، هل يستوي هذا الأبكمُ ، الكلُّ على مولاه ، الذي لايأتي بخير ، ومن هو ناطقٌ متكلِّمٌ ، يأمر بالحق ، وهو اللهُ الواحد القهار » ؟! .

(١) هو « هشام بن عمرو بن الحارث » وانظر تفسير القرطبي ١٤٩/١٠ .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي ٤٧٣/٤ والقرطبي ١٤٩/١٠ والطبري ١٥١/١٤ وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٥١٩/٥ وردَّه حيث قال : ولا يقتضي ضربُ المثل لشخصين موصوفين بأوصافٍ متباينة تعيينُهما ، بل ما رُوي في تعيينهما من أنهما « عثمان بن عفان » وعبدٌ له ، أو أنهما « أبو بكر الصدِّيق » و« أبو جهل » لا يصحُّ إسناده .

بالعدل وهو على صراط مستقيم ، والآخر الأبكم .

وقال الحسن : ﴿ **عَبْداً مَمْلُوكاً** ﴾ هو الصنم .

وأولى الأقوال في هذا قول ابن عباس رواه عنه حمَّادُ بن سَلَمة ، عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم ، عن ابراهيم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فبيَّن ابنُ عباس رحمه لله ، أنَّ هذه الآية نزلت في عبدٍ بعينِه ، لم يكن له مالٌ ، ولا يُقال في كل عبد (لايقدر على شيء) !! فنزلت فيه وفي سيِّد كان له مال ينفق منه ، وأن الآية الأخرى نزلت في رجلٍ بعينه ، لم يكن له مالٌ ، وكان كَلًّا على مولاه ، أي ابن عمه أو قريبه[١] .

وضرب الله هذه الأمثال ليعلم أنه إله واحدٌ ، وأنه لا ينبغي أن يُشبَّه به غيرُه .

ولا يصحُّ قولُ من قال : إنه صنم ، لأن الصنم لايقع عليه اسم عبد[٢] .

---

(١) يرجّح المصنف أن الآية نزلت في « عثمان بن عفان » وعبدٍ له كان يُنفق عليه ، وهو خلاف المشهور .

(٢) هذا غير مسلَّم ، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن المراد بالمثل « الصنمُ » وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وابن السائب ، ومقاتل ، وإليه ذهب الطبري ، وابن كثير ، وابن القيم رحمهم الله ، قال ابن القيم في أعلام الموقعين : وأما المثلُ الثاني فالصنم الذي يُعبد من دون الله ، بمنزلة رجل أبكم ، لايعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ، ومع هذا لايقدر على شيء ، أينما أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضي لك حاجة ، والله سبحانه حي قادر ، متكلم ، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . اهـ .

٦٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ [آية ٧٧] .

[أي علم ما غاب فيهما عن العباد] .

ثم قال ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ .

قال قتادة : هو أن يقول جلَّ وعزَّ « كُنْ » فذلك كلمح البصر ، أو هو أقرب[1] .

وقال غيره : المعنى : أو هو أقربُ عندكم ، ولم يُرد أنها على هذا القرب ، وإنّما أراد أن يُعرِّفنا قدرته[2] .

٦٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ [آية ٧٩] .

الجوُّ : الهواءُ البعيد ، وأبعدُ منه السُّكَاكُ ، الواحدةُ سُكَاكة[3] .

٧٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾ [آية ٨٠] .

---

(١) الأثر رواه ابن جرير ١٥٢/١٤ والسيوطي في الدر ١٢٦/٤ .

(٢) هذا قول الزجاج قال : لم يُرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء . اهـ جامع الأحكام للقرطبي ١٥٠/١٠ وقال ابن الجوزي ٤٧٤/٤ : المراد بالساعة القيامة ، واللمحُ : النظر بسرعة ، والمعنى : إن القيامة في سرعة قيامها وبعث الخلائق كلمح العين ، لأن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون .

(٣) قال ياقوت : السُّكَاكُ ، والسُّكَاكةُ : الهواء بين السماء والأرض اهـ معجم البلدان ٢٢٩/٣ .

أي موضعاً تسكنون فيه .

٧١ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً ﴾** [آية ٨٠] .

يعني بيوت الأَدَمِ[1] وما أشبهها ، والأنعامُ : الإبلُ ، والبقر ، والغنمُ .

٧٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾** [آية ٨٠] .

أي يَخفُّ عليكم حملُها ، في سفرِكمْ وإقامتكُم .

٧٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا ، وَأَوْبَارِهَا ، وَأَشْعَارِهَا ، أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾** [آية ٨٠] .

فالأصواف للضأنِ ، والأوبارُ للإبلِ ، والأشعارُ للمعز .

قال قتادة : الأثاث : المالُ[2] .

وقال الضحَّاك : الأثاث : المالُ والزينةُ[3] .

والأثاثُ عند أهل اللغة : متاع البيت نحو الفُرُشِ ، والأكسية ،

---

(١) في المصباح ١٣/١ : الأديمُ : الجلدُ المدبوغ ، والجمعُ أَدَمٌ بفتحتين ، وبضمتين أيضاً « أُدُمٌ » وهو القياسُ ، مثل : بريد وبُرُد . اهـ .

(٢ ــ ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥٤/١٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٧٧/٤ .

وقد أثَّ يئِثُّ أثًّا : إذ صار ذا أثاث ، قال أبو زيد : واحد الأثاث أثاثةٌ[1] .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَتَاعاً إلى حِيْنٍ ﴾ .

روى معمرٌ عن قتادة : إلى أجلٍ وبُلْغةٍ[2] .

٧٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً ﴾** [آية ٨١] .

يعني ظلالَ الشَّجَرِ ، واللهُ أعلم .

٧٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً ﴾** [آية ٨١] .

أي ما يُكِنُّكُمْ ، الواحدُ كِنٌّ[3] .

٧٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيْكُمُ الحرَّ ﴾** [آية ٨١] .

رَوى معمرٌ عن قتادة قال : يعني قُمُص الكُتَّانِ[4] .

٧٧ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَسَرَابِيْلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾** [آية ٨١] .

قال قتادة : يعني الدروع[5] .

---

(١) قال في الصحاح ٢٧٢/١ : الأثاثُ : متاعُ البيت ، قال الفراء : لا واحد له ، وقال أبو زيد : الأثاثُ : المالُ أجمعُ ، الإبل ، والغنمُ ، والعبيدُ ، والمتاع ، الواحدةُ : أَثَاثَةٌ . اهـ وأبو زيد أحد كبار علماء اللغة البارزين .

(٢) الأثر في الطبري ١٥٥/١٤ والدر المنثور ١٢٦/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) في الصحاح ٢١٨٨/٦: الكِنُّ: السُّترةُ، والجمعُ أكنانٌ، والأَكِنَّةُ: الأغطيةُ الواحد كِنَانٌ .اهـ

(٤ــ٥) انظر الطبري ١٥٥/١٤ والبحر المحيط ٥٢٤/٥ وقال أبو حيان : السِّربالُ : مالُبِس على البدن من قميصٍ ، ودرعٍ ، وجوشن ، ونحو ذلك من صوفٍ ، وكتان ، وقطن ، وغيرها .

وروى **عثمان بن عطاء** عن أبيه قال : إنما خوطبوا بما يعرفون ، قال جلَّ وعز ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً** ﴾ وما جعل لهم من السهل أكثرُ وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ** ﴾ وما يقي البرد أكثر ، ولكنهم أصحابُ حرٍّ(١) .

وقال الفرَّاءُ « يحي بنُ زِيادٍ »(٢) : المعنى : تقيكم الحرَّ ، وتقيكم البرد ، ثم حذف ، كما قال الشاعر :

فَمَا أَدْرِي إذَا يَمَّمتُ وَجْهاً
أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي(٣)

---

(١) وضّح هذا القول القرطبي في جامع الأحكام ١٠/١٦٠ فقال : إن قال قائل : كيف قال تعالى ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ ولم يذكر السَّهل ؟ وقال ﴿ تقيكم الحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرَدَ ؟ فالجوابُ أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل ، وكانوا أهل حرٍّ ولم يكونوا أهل برد ، فذكر تعالى لهم نِعمَه التي تختص بهم ، وأيضاً فذكرُ أحدهما يدل على الآخر . اهـ .

(٢) الفَّراء هو يحيى بن زياد « أبو زكريا » صاحب كتاب معاني القرآن المتوفي سنة ٢٠٧هـ وقد تقدمت ترجمته .

(٣) البيت للمثقِّب العبدي وهو في ديوانه ص ٢١٢ تحقيق حسن الصيرفي ، وهو من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أفاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيني ومَنْعُكِ ما سَأَلْتِ كأن تَبِيني

وهو من شواهد الفراء ٢/١١٢ وفي الطبري ١٤/١٥٧ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/٤٨٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٠/ وهو في الطبري والقرطبي بلفظ « إذا يمَّمتُ أرضاً » وفي حاشية الطبري ، والمحرر الوجيز أن البيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، والصواب أنه للمثقب العبدي كما في ديوانه .

والمعنى : أي الخيرَ والشرَّ ، لأنه إذا أراد الخير اتَّقى الشرَّ .

٧٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [آية ٨١] .

رُوي عن ابن عباس ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ ﴾[١] وقال : أي من الجراحات ، وإسناده ضعيفٌ ، رواه عبَّاد بن العوَّام عن حنظلة ، عن شَهْرِ بنِ حوشب ، عن ابن عباس .

وظاهرُ القرآن يدلُّ على الإسلام ، لأنه عدَّد النِّعَمَ ، ثم قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[٢] .

٧٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ الْمُبِينُ . يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [آية ٨٢] .

رَوَى سفيانُ عن السُدِّي قال : يعني محمداً صلى الله عليه وسلم[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا القول حسنٌ ، والمعنى : يعرفون أن أمر

---

(١) ليست هذه القراءة من السبعة المتواترة ، بل هي شاذة ردَّها ابن جرير ١٥٦/١٤ .

(٢) المراد من قوله ﴿ لعلَّكُم تُسْلِمون ﴾ الاستسلامُ والانقياد ، والمعنى : كي تنقادوا وتستسلموا لدينه وشرعه ، شكراً له على نعمائه .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٧/١٤ وابن الجوزي ٤٧٩/٤ والدر المنثور ١٢٧/٤ واختاره ابن جرير الطبري حيث قال : وأولى الأقوال بالصواب أنه عنى بالنعمة التي ذكرها ، النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ داعياً إلى ما بعثه الله بدعائهم إليه ، لأنه الآيتين كلتاهما خبرٌ عن رسول الله ﷺ .

النبي صلى الله عليه وسلم حقٌّ ثم ينكرونه .

وروى ورقاء ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يعني المساكنَ ، والأنعامَ وما يُرزقون منها ، والسرابيلَ من الحديدِ والثيابَ ، أنعمَ اللهُ بذلك عليهم ، فلم يشكروا ، وقالوا إنما كان لآبائنا وورثناها عنهم[1] .

٨٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ... ﴾ [آية ٨٤] .

يُروى أن نبيَّ كل أمّةٍ شاهدٌ عليها[2] .

٨١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَلْقَوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [آية ٨٤] .

أي جحدتم آلهتهم كما قال تعالى ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ [3] .

٨٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ، وضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آية ٨٧] .

---

(١) هذا الرأي هو الأظهر أن الآية على العموم ، أي أنهم يعرفون نعم الله التي أنعم بها عليهم ، ويعترفون بأنها من عند الله ، ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم ، وهو ما اختاره الحافظ ابن كثير ٥١٠/٤ .

(٢) هذا مروي عن قتادة كما ذكره ابن جرير ١٥٩/١٤ قال ابن الجوزي ٤٧٩/٤ : وشاهدُ كلِّ أمةٍ نبيُّها ، يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها .

(٣) سورة مريم آية ٨٢ .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : استسلموا وذلُّوا ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفتَرُونَ ﴾ أي يشركون[1] .

٨٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ ﴾** [آية ٨٨] .

رَوَى مسروقٌ عن عبدالله[2] قال : زيدوا عقاربَ أنيابُها كالنخلِ الطِّوال[3] .

٨٤ ــ **وقوله جلَّ وعزّ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾** [آية ٨٩] .

رَوَى أَبانُ بن تَغْلب ، عن مجاهد قال : تبياناً للحلال من الحرام[4] .

٨٥ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾** [آية ٩١] .

قال مجاهد : يعني تغليظ اليمين[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٦٠ والدر المنثور ٤/١٢٧ .

(٢) هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار المفسرين من الصحابة .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٤/١٦٠ وابن كثير ٤/٥١٣ وعزاه إلى الحافظ أبي يعلي ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٤/١٢٧ ولفظه عن ابن مسعود قال : زيدوا عقارب لها أنيابٌ كالنخل الطوال . ورواه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤٨٢ وفي رواية أخرى أنها حيات كأمثال الفِيلَة ، وعقارب كأمثال البغال .

(٤ـــ٥) انظر الأثرين في تفسير الطبري ١٤/١٦١ وابن كثير ٤/٥١٣ قال ابن الجوزي ٤/٤٨٤ : أي بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين ، بخلاف لغو اليمين ، ووكَّدت الشيء توكيداً ، لغةُ أهل الحجاز ، فأمَّا أهل نجد فيقولون : أكدُّته تأكيداً ، قال الزجاج : هما لغتان جيدتان .

٨٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾** [آية ٩٢] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ تحتاج إلى تدبُّر .

قال قتادة : الدَّخَلُ : الخيانةُ[(١)] .

وقال غيرُه : المعنى : لاتحلفوا أو تؤكدوا عليكم الأيمان ، ثم تحنثوا ، فتكونوا كامرأةٍ غَزَلتْ غَزْلاً ، فأبرمتْهُ وأحكمتْهُ ، ثم نقضته[(٢)] .

والأنكاثُ : ما نُقِضَ من الخزِّ والوبر وغيرهما ، ليُغْزَل ثانية ، ومنه قيل : ناكثٌ .

ورُوي في التفسير أنَّ امرأة يقال لها رَيْطةُ ابنة سعد ، كانت تغزل بمغزل كبير ، فإذا أبرمته وأتقنته أمرت جاريتها فنقضته[(٣)] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٦٧/١٤ والدر المنثور ١٢٩/٤ ولفظُه عن قتادة قال : لوسمعتم بامرأةٍ نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحمَق هذه ؟ وهذا مثلٌ ضربه الله لمن نكث عهده ، وفي قوله ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُم دَخَلاً بينكم ﴾ قال : خيانةً وغدراً .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤٨٥/٤ يقول : لا تؤكِّدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ، ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فيه ، فتكونوا كامرأة غَزَلتْ ونَسَجتْ ، ثم نَقَضتْ ذلك النَّسج فجعلته أنكاثاً أي أنقاضاً . اهـ قال البخاري ١٠٣/٣ عن ابن عيينه : ﴿ أنكاثاً ﴾ هي خرقاء ، كانت إذا أبرمتْ غزلَها نقضتْه .

(٣) انظر الطبري ١٦٦/١٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧١/١٠ .

قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أي أكثر ، قال : فأُمروا بوفاء العهد ، وإن كانوا كثيراً[1] .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كانوا يحالفون القوم ويعاهدونهم ، فإذا علموا أن غيرهم أكثر منهم وأقوى ، نقضوا عهدهم ، وحالفوا غيرهم ، فنهاهم الله جلَّ ذكره عن ذلك[2] .

والمعنى عند أهل اللغة : لأن تكون أمة وبأن تكون أمَّةٌ هي أربى من أُمَّة ، أي هي أغنى وأكثر . أي لا تعاهدوا قوماً ، فإذا أمنوا نقضتم العهد ، ليكون أصحابكم أغنَى وأقوى .

٨٧ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ ﴾ [آية ٩٧] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : الحياةُ الطيبة : الرزقُ الحلال ، ثم

(١ـ٢) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ١٤/١٦٦ والدر المنثور للسيوطي ٤/١٢٩ .

يصير إلى اللَّهِ ، فيجزيه أَجْرَهُ بأحسنِ ما كان يعمل[1] .

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ ــ رواه الحَكَمُ عن عكرمةَ عنه ــ أنه قال : الحياة الطَّيبةُ : القناعة[2] .

ورَوَى ابنُ كثير عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ﴿ **فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ قال : في الآخرة يُحييه حياةً طيِّبةً[3] .

ورَوَى عوفٌ عن الحسن : ليس لأحدٍ حياة طيِّبةٌ إلاَّ في الجنة[4] .

٨٨ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمْ ﴾ [آية ٩٨] .

(١ ــ ٤) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٧١/١٤ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٠/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨٩/٤ قال ابن الجوزي : واختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيِّبة على ثلاثة أقوال : **أحدها** : أنها في الدنيا ، **والثاني** : أنها في الآخرة ، **والثالث** : أنها في القبر .. الخ .

أقول : الظاهر أن الحياة الطيبة في الدنيا ، وهو قول الجمهور ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه ﴿ ولنجزينهم أجرهم ﴾ يعني في الآخرة ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، وهذا ما رجحه الطبري ، وابن كثير ، وابن عطية ، قال الحافظ ابن كثير ٥٢٠/٤ : هذا وعدٌ من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر وأنثى ، وقلبه مؤمنٌ بالله ورسوله ، بأن يحييه الله حياةً طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن عمله في الدار الآخرة . وقال ابن عطية ٥٠٦/٨ : وظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا ، وطيب الحياة للصالحين ، إنما هو بنشاط نفوسهم ، وقوة رجائهم ، والرجاءُ للنفس أمر لذيذ ، فبهذا تطيب حياتهم ، لأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم ، فإذا انضاف إليه مال حلال ، وصحة وقناعة ، فذلك كمال .

المعنى : إذا أردت أن تقرأ ، وهذا كما تقول : إذا أكلت فقل : بسم الله ، ومثله في كتاب الله عز وجل ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ** ﴾[١].

٨٩ ـ **وقوله جلَّ وعز ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [آية ١٠٠] .

رَوَى ابنُ نجيح عن مجاهد قال ﴿ **سُلْطَانُهُ** ﴾ حجَّتُه ، قال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ : يَعْدِلُونه بربِّ العالمين[٢] .

وقال غيرُ مجاهد : لو كان المعنى على أنهم أشركوا بالشيطان ، لكانوا مؤمنين ، ولكنَّ المعنى : والذين هم من أجله مشركون ، كما تقول : صار فلانٌ بكَ عالماً ، أي من أجلك[٣] .

---

(١) هذه آية الوضوء وهي في سورة المائدة رقم ٦ والشاهد فيها أن المعنى : إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، وليس معناها أن يتوضأ بعد أن يشرع في الصلاة ، فكذلك هنا : إذا أردتم قراءة القرآن فاستعيذوا بالله .

(٢) الأثر في الطبري ١٤/١٧٥ وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٩٠ والدر المنثور ٤/١٣٠ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٤/٤٩١ وقال ابن الأنباري : والمعنى : والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة ، مشركون بالله تعالى ، وإليه ذهب أبو حيان في البحر المحيط ٥/٥٣٥ .
أقول : ومعنى الآية الكريمة ﴿ إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا ﴾ أي ليس له تسلُّطٌ وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر ، لأنهم في حمى الرحمن ﴿ إنما سلطانُه على الذين يتولونه ﴾ أي إنما تسلُّطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه ولياً ﴿ والذين هم به مشركون ﴾ أي والذين هم بسبب إغوائه أصبحوا مشركين بالله في عبادتهم وحياتهم .

٩٠ ــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ** ﴾ [آية ١٠١] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : رفعناها ، وجعلنا موضعها غيرها(١) .

وقال غيره : أي نسخنا آيةً بآيةٍ هي أشدُ عليهم منها ﴿ **قَالُوْا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ** ﴾ أي كاذبٌ ، فقال جلَّ وعز ﴿ **إِنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾ أي الَّذينَ إذا رأوا آيةً ، لايأتي بها إلَّا نبيٌّ ، كذَّبوا بها ، فهؤلاء أكذبُ الكاذبين .

٩١ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [آية ١٠٣]

رَوَى سفيانُ عن حَبيبِ بنِ أبي ثابت عن عكرمة قال : هو غلامٌ لبني عَامرِ بنِ لُؤيٍّ ، يُقال ــ أُرَى ــ له يعيشُ(٢) .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحاك قال : هو «سلمانُ الفارسيُّ » رحمه الله(٣) .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد هو « عبدُ اللهِ بنُ الحَضْرمي » وهو روميٌّ ، كان يُحسِنُ الكتابة(٤) .

قال أبو عبيد : وقال غير مجاهد : اسمهُ « جَبْرٌ »(٥) .

---

(١) أنظر الأثر في الطبري ١٧٦/١٤ وابن كثير ٥٢٢/٤ .

(٢ــ٥) هذه الأقوال عن السلف مذكورة كلُّها في كتب التفسير ، الطبري ١٧٨/١٤ وابن كثير في تفسيره ٥٢٣/٤ وابن الجوزي ٤٩٢/٤ والدر المنثور ١٣١/٤ وذكر ابنُ الجوزي في زاده تسعة أقوالٍ في اسم البشر ، قال : وأما ما رُوي عن الضحاك أنهم عَنَوْا به « سَلْمانَ الفارسيَّ » ففيه بُعْدٌ ، من جهة أن « سَلْمان » أسلم بالمدينة ، وهذه الآية مكيَّة ، وكذلك ضعَّفه ابن عطية .

قال أبو جعفر : وهـذه الأقـوال ليست بمتنـاقضة ، لأنـه يجوز أن يكونوا أومأوا إلى هؤلاء جميعاً ، وزعمـوا أنهم يُعلِّمونـه ، وأصل الإلحاد في اللغة : المَيْلُ[1] .

٩٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيْمانِـهِ إلاَّ مَنْ أُكْـرِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ ﴾** [آية ١٠٦] .

أهـلُ التـفسير أن هذه الآية نزلت في « عمَّـار بِنِ ياسر » رحمةُ اللهُ ، لأنه قارَبَ بعضَ ماندبوه إليه[2] .

٩٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَكِـنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِـمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ﴾** [آية ١٠٦] .

---

(١) قال في الصحاح ٢/٥٣٤ : ألْحَدَ في دينِ الله أي حاد عنه وعـدل ، ولَحَـد لغـةٌ فيـه ، والْتَحَـد مثلُه ، وقُرِىء ﴿ لسان الذي يَلْحدون إليه﴾ اهـ قال ابن عطية في المحرر ٨/٥١٠ : قرأ ابن كثير ونافع ﴿ يُلْحِدون ﴾ بضم الياء ، ومن الحدَ إذا مال ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ يَلْحَدونَ ﴾ بفتح الياء والحاء ، من لَحَدَ ، وهما بمعنى واحد .

(٢) رُوي عن ابـن عبـاس أن المشركين أخـذوا « عمّـار بن ياسر » وأبـاه وأمـه « سُميَّة » وصُهيبـاً ، وبلالاً ، وخبَّاباً فعذَّبوهم ، ورُبطت سُمية بين بعيرين ، وطعن أبـو جهـل قُبُلها بحربـة وقـال لها : إنك أسلمتِ من أجل الرجال ، فقُتلت وقُتل زوجها ياسر ــ وهما أول قتيلين في الإسلام ــ وأمَّـا عمَّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكْرهًا ، فشكا ذلك إلى رسول اللـه ﷺ ، فقـال له رسول اللـه ﷺ : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنٌ بالإيمان ، فقال له الـرسول : فإن عادوا فعـد ، فأنـزل الله ﴿ من كفر بالله .. ﴾ الآية وانظر جامـع الأحكـام للقرطبـي ١٠/١٨٠ وتـفسير ابـن كثير ٤/٥٢٥ وتفسير ابن عطية ٨/٥١٦ .

أي من فتَحَ صدرَه لقبوله .

٩٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوْا وَصَبَرُوْا ﴾** [آية ١١٠] .

هذا كله في عمّار ، والمعنى : وصبروا على الجهاد .

٩٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا .. ﴾** [آية ١١١] .

يُرْوَى أن كعباً قال لعمرَ بنِ الخطّابِ رحمه الله : تَزفر جهنم يوم القيامة زفرةً ، فلا يبقى مَلَكٌ مقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ ، إلاّ جثا على ركبتيه ، يقول : ياربِّ نفسي ، حتى إن ابراهيمَ خليلُ الرحمن ، ليجثو على ركبتيه ، ويقول : لاأسألك إلاّ نفسي ، ثم قال كعب : إن هذا لفي كتاب اللّهِ ، وتلا **﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾**[1] .

وقال غيره : يدلُّ على هذا **﴿ يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾**[2] .

(١) انظر الأثر في جامع الأحكام للقرطبي ١٩٣/١٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٣/٤ وقد عزاه في الدر إلى أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن كعب .

(٢) سورة عبس آية ٣٤ ، ٣٥ .

٩٦ ــ وقولُــه جلَّ وعــز ﴿ وَضَرَبَ اللَّــهُ مَثَــلاً قَرْيَــةً كَانَتْ آمِنَــةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ [آية ١١٢] .

رَوَى معمر عن قتادة قال : هي مكة(١) .

وقال غيره : كان أهلُها في أمنٍ ودَعَةٍ ، ثم ابتلاهم الله بالقتل والجوع سبع سنين(٢) ، قال تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ وأصلُ الذوق بالفم ، ثم استعمل للابتلاء وللاختبار(٣) .

٩٧ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ [آية ١١٥] .

قال أبو جعفر : قد ذكرناه في سورة البقرة .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : من أكل الميتة وهو غير مضطر

---

(١) الأثر في الطبري ١٨٦/١٤ والدر المنثور ١٣٣/٤ عن ابن عباس ومجاهد قالا : هي مكة ، ألا ترى إلى قوله سبحانه ﴿ ولقد جاءهمْ رسولٌ منهم فكذَّبوه فأخذهُم العذابُ ﴾ ؟ أخذهم الله بالجوع والخوف ، والقتل الشديد .

(٢) قال ابن الجوزي ٥٠١/٤ قال المفسرون : عذَّبهم الله بالجوع سبع سنين ، حتى أكلوا الجِيف والعظام المحترقة ، والمراد بالقرية أهلُها ، ولذلك قال ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ يعني بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه .

(٣) أشار المصنف إلى أن هذا من باب « الاستعارة المكنية » حيث شبَّه ما أصابهم الله به من القحط والجدب ، باللباس الذي يحيط بصاحبه ، ويشتمل على لابسه ، فإنه لمَّا باشرهم الجوع والخوف صار لهم كاللباس ، كما قال الشاعر :

لقد لبستْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعٌ ... ثيابَ التي حاضَتْ ولم تغْسِلِ الدَّما

كأن العار لمَّا باشرهم وأُلصق بهم ، جعلهم كأنهم لبسوه ، وانظر الكشاف ٣٤٦/٢ وتفسير ابن عطية ٥٢٨/٨ .

إليها ، فهو باغٍ عادٍ[1] .

ورَوَى عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا إذا أخاف السبيل ، وقطع الطريق ، لم تحلل له الميتةُ[2] . هذا معنى قولهما .

٩٨ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ [آية ١١٦] .

قال مجاهد : يعني البحائر ، والسُّيَّب[3] .

٩٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [آية ١١٨] .

قال قتادة : هو قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾[4] .

١٠٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ ﴾ [آية ١٢٠] .

رَوَى الشعبيُّ عن مسروق قال : تلا عبدالله بن مسعود رحمه

(١ــ٢) انظر جامع البيان للطبري ١٨٨/١٤ والدر المنثور ١٣٤/٤ وتفسير ابن عطية ٥٣٤/٨ .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٩٦/١٠ ولفظه ﴿ هذا حلالٌ ﴾ إشارة إلى ميتة بطون الأنعام وكلِّ ما أحلُّوه ، ﴿ وهَذَا حَرَامٌ ﴾ إشارة إلى البحائر ، والسوائب ، وكلِّ ما حرَّموه . اهـ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٦ والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٩٠/١٤ قال : هو ما قصَّه الله تعالى في سورة الأنعام حيث قال ﴿ وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر .. ﴾ الآية وذكره السيوطي في الدر ١٣٤/٤ .

الله ﴿ إنَّ إبْرَاهِيم كَانَ أُمَّةً قَانِتَاً لِلَّه ﴾ فقال : إن « معاذ بن جبل » كان أمةً قانتاً للّهِ ، أتدرون ما الأُمّة ؟ هو الذي يُعلّم الناس الخير ، أتدرون ما القانت ؟ هو المطيعُ[1] .

قال أبو جعفر : لم يُقل في هذه الآية أحسن من هذا ، لأنه إذا كان يُعلّم الناس الخير فهو يُؤتَمُّ به ، وهذا مذهب أبي عبيدة[2] ، والكسائي .

القنوت : القيام ، فقيل للمطيع قانت لقيامه بطاعة الله . وروى أبو يحيى عن مجاهد ﴿**إنَّ ابراهيم كان أمة قانتاً لله**﴾ قال : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار ، وقال بعض أهل اللغة : يقوّي هذا حديث النبي ﷺ أنه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : كان أمة وحده .

وقوله ﴿**وآتَيْنَاهُ فِي الدُنْيَا حَسَنَةً**﴾ قال مجاهد : لسان صدق .

١٠١ ــ وقوله جل وعز ﴿ إنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيْهِ ﴾ [آية ١٢٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٩١/١٤ والقرطبي ١٩٧/١٠ .
(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٦٩/١ قال ﴿ أمة قانتاً ﴾ أي إماماً مطيعاً لله .

روى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن قتادةَ قال : أحلَّهُ بعضُهم ، وحرَّمه بعضُهُم[1] .

وقال مجاهد : تركوا الجُمُعة ، واختاروا السبتَ[2] .

١٠٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أُدْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ١٢٥] .

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ هي منسوخة[3] .

١٠٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ .. ﴾ [آية ١٢٦] .

قال قتادة : لمَّا مَثَّلوا بحمزةَ رضي الله عنه ، قالوا : لنمثِلَنَّ بهم ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ هذه الآية[4] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاكِ قال : نزلت هذه الآيةُ قبل القِتالِ ، وقبْلَ سورةِ براءة .

---

(١) و(٢) انظر الأثرين في الطبري ١٤/١٩٤ والقرطبي ١٠/١٩٨ وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٦ .

(٣) ذهب بعض المفسرين ، إلى أن الآية منسوخةٌ بآية القتال ، والأظهر ما قاله الحافظ ابن كثير : أن من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن ، برفقٍ ولين وحسن خطاب ، وهو ما رجحه ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٥٤٦ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣١٢٨ وقال : هذا حديث حسنٌ غريب من حديث أُبيٍّ بن كعب ، وانظر جامع الأصول ٢/٢٠٨ .

قال أبو جعفر : وهـذا القـولُ أولى ، وقـد قال زيـدُ بنُ أسلَـمَ نحوَه .

قال : لمَّـا قدم رسول الله ﷺ المدينـــة ، أُذِنَ لهُ في جهـــادِ المشركينَ ، والغِلظةِ عليهم .

ويـدلُّكَ على أن هذا نَزَل بمكـة ، قولُـه تعـالَى ﴿ **وَلَاتَكُ فِي ضَيْـقٍ مِمَّـا يَمْكُـرُونَ** ﴾ وأكثـرُ مكرِهـم ، وحزنِـهِ ﷺ عليهمْ كان بمكة[1] .

فأمَّا حديثُ أبي هريرةَ ، وابنِ عبَّاسٍ « لمَّا قُتِل حمزةُ ــ رحمةُ اللهِ عليهِ ــ قال النبيُّ ﷺ : لأُمثِلَنَّ بسبعينَ منهم ، فنـزلت ﴿ **وإنْ عاقبتُمْ فعاقِبُوا بمثِلِ ما عُوقبتُم به** ﴾ فإسنادهما ضعيفٌ[2] .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٤٦/٨ : أطبق أهل التفسير على أن هذه الآية مدنية ، نزلت في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه في يوم أحد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري ، وفي كتاب السير ، وذهب النحاس إلى أنها مكية . اهـ .

(٢) إنما كان الإسناد ضعيفاً لوجود « صالح بن بشير المريّ » فإنه ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري : هو منكر الحديث .
والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٥/٥ ولفظُه : « لما كان يومُ أحـد ، قُتـل من الأنصار أربعة وستون رجلاً ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : لئن كان لنا يومٌ مثلُ هذا مع المشركين ، لنربينَّ عليهم ــ أي لنزيدنَّ عليهم في القتل والتمثيل ــ فلما كان يومُ الفتح قال رجلٌ لا يُعرف : لا قريشَ بعد اليوم ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : قد أُمِنَ الأسودُ والأبيضُ ، إلاَّ فلاناً وفلاناً ــ ناساً سمَّاهم ــ فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وإن عاقبتُمْ فعاقبُوا بمثِلِ ما عُوقبتم بِهِ ، ولئن صبرتُمْ لهو خيرٌ للصَّابرينَ ﴾ فقال رسول الله =

١٠٤ ــ وقولهُ جلَّ اسمُه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [آية ١٢٨] .

رُويَ عن الحسنِ أنه قال : اتَّقُوا اللَّهَ جلَّ وعزَّ فيما حَرَّم عليكم ، وأحسنوا في أداءِ فرائضه .

« انتهت سورة النحل »

* * *

= ﷺ : نصبرُ ، ولا نعاقبُ » .

ورُوي عن عطاء بن يَسَارٍ قال : نزلت سورةُ النحل كلُّها بمكة ، وهي مكيةٌ إلاَّ ثلاث آيات من آخرها ، نزلت بالمدينة بعد أُحُدٍ ، حين قُتل حمزةُ رضي الله عنه ومُثِّل به ، فقال رسول الله ﷺ : لئن أظهرني الله عليهم لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم ، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : واللهِ لئن ظهرنا عليهم لنمثلنَّ بهم مُثْلةً لم يمثِّلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطُّ ، فأنزل الله ﴿ وإن عاقبتم ... ﴾ الآية . قال الحافظ ابن كثير ٥٢٧/٤ : وهذا إسناد مرسل ، وفيه رجل مبهمٌ لم يُسمَّ .. ثم روى روايةً أخرى عن الحافظ البزار من طريق صالح المري عن أبي هريرة ، ثم عقَّب ذلك بقوله : وهذا إسنادٌ فيه ضعف ، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيفٌ عند الأئمة . اهـ . ولهذا قال المصنف : إسناده ضعيف ، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تفسير سورة الإسراء

مكيـــة وآيــاتها ١١١ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله تعالى جدُّه ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً .. ﴾ [آية ١] .

يُروى أن النبي ﷺ سُئل عن معنى ﴿ **سُبْحَانَ** ﴾ فقال : إنزاهُ اللّهِ من السُّوء[2] .

وفي بعض الحديث : براءةُ اللهِ من السُّوء[3] .

قال سيبويه : وغيره : معناه : براءةُ اللّهِ من السُّوء ، وأنشد :

---

(١) سورة الإسراء مكية بإجماع ، قيل : إلا آيتين ﴿ وإن كادوا ليفتنونك ﴾ ﴿ وإن كادوا ليستفزونك ﴾ كما في البحر ٣/٦ وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل .

(٢ــ٣) الحديث أخرجه ابن جرير ٢/١٥ عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ ، ورواه السيوطي في الدر ١٣٦/٤ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى ﴾ قال : تنزيهُ الله تعالى الذي أسرى بمحمد ﷺ .. الحديث ، ورواه القرطبي ٢٠٤/١٠ عن طلحة بن عُبيد الله الفياض أنه سأل النبي ﷺ عن معنى « سبحان الله » فقال : « تنزيهُ اللّهِ من كل سُوء » .

أَقُــولُ لمَّــا جَاءنِـــي فَخْـــرُهُ
سُبْحَـــانَ من عَلْقَمَـــةَ الفَاخِـــرِ[1]

ورَوَى مَعْمرٌ عن الزُّهري عن أبي سلمة عن جابر عن النبي ﷺ قال : « قمتُ في الحِجْرِ لمَّا كذَّبني قومي ، ليلةَ أُسريَ بي ، فأثنيتُ على ربيِّ ، وسألتُه أن يُمثِّل لي (بيتَ المقدس) فرُفِـعَ لي ، فجعلتُ أنعتُ لهم آياتِهِ »[2] .

ورَوَى **سفيانُ** عن الأعمشِ ، عن إبراهيم التَّيْمي ، عن أبيه عن أبي ذَرٍّ قال : « قلت يارسولَ اللهِ : أي مسجدٍ وُضِع أوَّلُ ؟ فقال : المسجدُ الحرام ، قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : ثمَّ المسجدُ الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم قال : أينما أدركتك الصَّلاةُ فصَلِّ فهو مسجد »[3] .

---

(١) البيت للأعشى يهجو فيه علقمة بن عِلَاثة الجعفري وهو في ديوانه ص٩٤ دار صادر بلفظ « الفاجر » وروايته :
أقــولُ لمَّــا جــاءني فَجْــرُهُ   سُبْحــانَ من عَلْقَمــةَ الفَاجِــرِ
يريد لما جاءني مخالفته وفجوره ، وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٠٤/١٠ بلفظ « فخرُهُ ، والفاخر » بالخاء ، كما في رواية المصنف وهذه هي الرواية الصحيحة ، لأنه ينزِّهه عن الفخر لا عن الفجور ، فهو يهجو عَلقمة ، ويفضِّل عليه عامراً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٤/٦ بلفظ « لما كذَّبتني قريش قمتُ في الحِجْر ، فجلَّى اللهُ لي بيت المقدس ، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » وأخرجه مسلم برم ١٧٠ في الإيمان ، والترمذي برقم ٣١٣٢ في التفسير وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) انظر تخريجه في حاشية الصفحة التالية رقم ١ .

٢ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [آية ١] .

﴿ منَ المسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ يعني مكة ﴿ إلى المسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ الَّذي باركْنَا حولَهُ ﴾ قيل : فجَّر حولَه الأنهارَ ، وأنبتَ الثِّمار[1] .

٣ ـ ثم قال جل وعز ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [آية ١] .

﴿ لِنُرِيهُ منْ آياتِنَا ﴾ ما رأى من الأنبياء وآثارهم[2] .

٤ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدَىً لِبَنِي إسْرَائِيلَ ﴾ [آية ٢] .

أي دللناهم بِهِ على الهُدى .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد رقم ٥٢٠ عن أبي ذر الغفاري بلفظ « أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّلُ » ؟ وأخرجه أحمد في المسند ٥/١٥٠ و١٦٦ من رواية أبي ذرٍّ أيضاً بلفظ « ثم حيثما أدركتَ الصَّلاة فصلِّ فكلُّها مسجد » وفي رواية له أخرى « فصلِّ فثَمَّ مسجد » .

(٢) هذا بعض ما رأى ﷺ من العجائب تلك الليلة ، فحين وصل بيت المقدس رأى الأنبياء في انتظاره ، فقدَّموه فصلَّى بهم إماماً ، ثم لمَّا عُرج به رأى آدم في السماء الأولى ، ويحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في السماء الثالثة ، ورأى موسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، كما ورد في الصحاح ، ورأى سدرة المنتهى ، والجنة والنار ، والبيت المعمور ، ونهر الكوثر ، وشاهد من عجائب المُلْك والملكوت ، ما لم يطَّلع عليه أحد من الرسل غيره ، فكلُّ هذا من الآيات الباهرة التي رآها رسول الله ﷺ .

٥ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴾ [آية ٢] .

ويُقرأ ﴿ أَنْ لَا يتَّخِذُوا ﴾[1] على إضمارٍ ، بمعنى : وعهدنا إليهم .

ورَوَى وَرْقاءُ[2] عن ابنِ أبي نجيح ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذوا من دُونِي وَكِيلاً ﴾ قال : شريكاً .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة أن يُقال لكل من قام مقام آخر في أيِّ شيء كان : هو شريكه .

وقال الفراء : ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا منْ دُونِي وَكِيلاً ﴾ أي كافياً[3] .

٦ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ .. ﴾ [آية ٣] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : على النِّداء ، أيْ ذُرِّيَّةَ من حملنا[4] .

---

(١) هذه قراءة أبي عمرٍو وهي من القراءات السبع المتواترة ، وقرأ الباقون ﴿ تتخذوا ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ .

(٢) هو ورقاء بن عمر البشكري « أبو بشر » الكوفي ، نزيل المدائن ، قال عنه أحمد : ثقةٌ صاحب سُنَّة ، قال حرب : قلتُ لأحمد : ورقاء أحبُّ إليك في تفسير ابن أبي نجيح أو شيبان ؟ قال : كلاهما ثقة ، وورقاء أوثقهما .. وانظر ترجمته في التهذيب ١١٣/١١ .

(٣) انظر معاني القراء ١١٦/٢ فقد جاء فيه ﴿ وكيلاً ﴾ يُقال : رباً ، ويقال : كافياً .

(٤) الأثر ذكره ابن الجوزي عن مجاهد ٦/٥ قال : هو نداء : ياذُرِّيَّة من حملنا .

قال أبو جعفر : « أَيْ » حرفُ نداء مثل « يا »[1] .

وروى سفيانُ عن حُميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿ **ذَرِّيةَ** ﴾ بفتح الذَّال ، وتشديد الراء والياء[2] .

ورُوي عن زيد بن ثابت ﴿ **ذِرِّيةَ** ﴾ بكسر الذَّال ، وتشديد الرَّاء والياء[3] .

فأمَّا عامرُ بنُ عبدالواحد ، فحكَى أن زيداً قرأ ﴿ **ذَرِّيَّةَ** ﴾ بفتح الذال وتشديد الراء والياء[4] .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **إنَّهُ كَانَ عَبْدَاً شَكُورَاً** ﴾ [آية ٣] .

روى معمر عن قتادة قال : « كان إذا لبس ثوباً قال : « بسم الله » وإذا نزعه قال : « الحمدُ للَّهِ »[5] .

وَرَوى مَعْمرٌ عن منصور عن إبراهيم قال : شكرُه أنه إذا أكل قال : بسم الله ، فإذا فرغ من الأكل قال : الحمدُ للهِ[6] .

---

(١) في الصحاح ٢٢٧٧/٦ : و«أَيْ» مثل « كَيْ » حرفٌ يُنادى به القريب دون البعيد ، تقول : أيْ زيدُ أقبلْ ، وهي أيضاً كلمة تتقدم التفسير ، تقول : أي كذا ، بمعنى : تريد كذا . اهـ .

(٢ــ٤) انظر هذه القراءات جميعها في البحر المحيط لأبي حيان ٧/٦ وهي وجوه لغوية ، وانظر المحتسب ١٥٦/١ .

(٥ــ٦) هما في الطبري ٢٠/١٥ والدر المنثور ١٦٢/٤ والبحر المحيط ٧/٦ .

٨ ــ وقولُــه جل وعــز : ﴿ وَقَضَيْنَــا إِلَــى بَنِــــي إِسْرَائِيـــــلَ فِي الكِتَابِ .. ﴾ [آية ٤] .

قال سفيان : أي على بني إسرائيل[١] .

قال ابن عباس : ﴿ قَضَيْنَا ﴾ : أعلمنا[٢] .

٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا .. ﴾ [آية ٥] .

أي أولى المرَّتين[٣] .

﴿ بَعَثْنَا عَليكُمْ عِبَادَاً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [آية ٥] .

رَوَى ابنُ ابي نجيح عن مجاهـد ، قال : جاءوا من ناحيـة فارس أول مرَّة ، ومعهـم « بختنصَّر » فهزمهـم بنـو إسرائيـل ، ثم رجعــوا في

---

(١) هذا مروي عن ابن عباس ، رواه العوفي عنه ، وبه قال قتادة كما في زاد المسير ٥/٧ .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن ابن عباس ١٥/٢١ ورواه البخاري في التفسير ٦/١٠٣ قال : ﴿ وقضينـا إلى بني إسرائيل ﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون ، قال البخـاري : والـقضاء على وجـوه : ﴿ وقَضَى ربُّك ﴾ أَمَرَ ربُّك ، ومنـه الحُكْـمُ ﴿ إن ربَّك يَقْضِي بينهم ﴾ ومنـه الخلـقُ ﴿ فقَضَاهُـنَّ سبــعَ سَموات ﴾ . اهـ قال ابن الجوزي في زاده ٥/٧ : في قولـه تعـالى ﴿وقضينـا إلى بنـي إسرائيـل ﴾ قولان : أحدهما : أخبرناهم رواه الضحـاك عن ابـن عبـاس . والثـاني : قضينـا عليهم رواه العـوفي عنه ، فعلى الأول تكون « إلى » على أصلها ، وعلى الثاني : تكون « إلى » بمعنى « على » . اهـ .

(٣) المراد به عقوبـة أولى المرَّتين ، كما قال ابـن الجوزي ٥/٩ والـطبري ١٥/٢٧ لأنهم أفسدوا مرَّتين ، فعاقبهم الله مرتين .

الثانية ، فقتلوا بني إسرائيل ، ودمَّروهم تدميراً[1] .

وقال قتادة : بعث عليهم في أول مرة « جالوت » وفي الثانية « بختنصَّر »[2] .

١٠ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدَاً مَفْعُولاً ﴾** [آية ٥] .

رَوَى معاويةُ بن صالح عن عليٍّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال ﴿ **جَاسُوا** ﴾ : مَشَوْا[3] .

قال أبو جعفر : المعروفُ عند أهل اللغة أنه يُقال : جُسْنَا دُورَ بنِي فلانٍ ، وجِسْنَاها : إذا قهروهم وغلبوهم[5] .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾** أي الدَّوْلة **﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾** [آية ٦] .

---

(١) في المخطوطة « فقتلوا بن إسرائيل ودمَّرهم تدميراً » وصوابه « ودمَّروهم تدميراً » لأن الضمير يعود على الجمع ، والأثر أخرجه الطبري ١٥/٣٠ وابن الجوزي ٥/٩ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/٢٨ وابن الجوزي ٥/٩ والدر المنثور ٤/١٦٥ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٢٧ وابن الجوزي ٥/٩ عن ابن عباس قال : مشَوْا بين منازلهم ، وقال مجاهد ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ يتجسَّسون أخبارهم ، واختار الطبري الأول قال : والمعنى : تردَّدُوا بين الدُّور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا .

(٤) قال الزجاج : ﴿ جاسوا ﴾ طافوا ، والجَوْسُ : الطواف بالليل والتردُّد والطلبُ مع الاستقصاء . وقال الجوهري ٣/٩١٥ : الجوْسُ مصدرُ قولك : جاسوا خلال الديار أي تخلَّلوها فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار ، أي يطلبها ، والجَوَسان : الطَّوفانُ بالليل . اهـ .

يجوز أن يكون ﴿ نَفِيراً ﴾ بمعنى نافر ، مثل قدير ، وقادر[1] .

ويجوز أن يكون جمع نَفْرٍ ، مثل عَبِيدٍ ، وكَلِيبٍ ، ومعَيزٍ ، وأصلُه من ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه[2] .

١٢ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [آية ٧] .

﴿ فإذا جَاءَ وعدُ الآخرةِ ﴾ أي من المرَّتين ﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ .

رَوَى زائدة عن الأعمش قال : اللَّهُ ليسوءَ وجوهكم[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي ٥/١٠ : ﴿ أكثر نفيراً ﴾ أي أكثر عدداً وأنصاراً منهم ، قال ابن قتيبة : النَّفيرُ والنَّافر واحدٌ ، كما يُقال : قديرٌ وقادر ، وأصلُه من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته . وانظر البحر ٦/١٠ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه كما حكاه في البحر ٦/١٠ قال : يجوز أن يكون جمع نَفْرٍ كَكَلْبٍ ، وكَلِيبٍ ، وعَبْدٍ وعبِيدٍ ، وهم المجتمعون للمصير إلى الأعداء ، وقيل : النفير مصدرٌ أي أكثر خروجاً إلى الغَزْو . اهـ . وقال البخاري في كتاب التفسير ٦/١٠٤ : ﴿ نفيراً ﴾ من ينفر معه . وفي تفسير الشوكاني ٣/٢١٠ : النَّفيرُ من ينفر مع الرجل من عشيرته . اهـ .

(٣) هذا القول على قراءة من قرأ بالتوحيد ﴿ ليسوءَ وجُوهَكُمْ ﴾ وهي قراءة سبعية ، قرأ بها عاصمٌ في رواية ابن عامر وحمزة ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ قال الطبري ١٥/٣١ : المعنى : ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبِّحها ، وهذا أحد وجهين في قراءة من قرأ ﴿ ليسوءَ وجوهَكُم ﴾ والوجه الآخر منهما ليسوء اللهُ وجوهَكم ، وفي الكلام محذوف تقديره : فإذا جاء وعدُ الآخرة بعثناهم ليسوءَ الله وجوهكم . اهـ

وقال غيره : ليسوءَ الوعدُ وجوهكم .

ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ لنسوءَ وجوهكم ﴾ بالنون ، وهي قراءة الكسائيّ[1] ، وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : فإذا جاء وعدُ الآخرة بعثناهم لنسوء وجوهكم .

ورُوي عن أُبيٍّ بن كعب أنه قرأ ﴿ فإذا جاء وعدُ الآخرة لَنسُوءَنْ وجوهَكُمْ ﴾[2] بالنون الخفيفة ، واللاَّم المفتوحة ، والوقف عليه لنسوءَا مثل : لنسفَعَا ، وهو على غير حذفٍ .

ومن قرأ ﴿ لِيسُوءُوا ﴾ فالمعنى عنده للعباد ، وفيه حذفٌ

١٣ ــ وقولُه عزَّ وجل ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ [آية ٧] .

قال ابن جريج : ليدمِّروا تدميراً ، كذا قال ابن عباس[3] .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة يُقال : تَبَّر الشيءَ : إذا

---

(١) هذه من القراءات السبع ، قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٧٨ : اختلفوا في قوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿ ليسوءوا ﴾ بالياء جماعٌ ــ أي على الجمع ــ وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿ ليسوء ﴾ بالياء على واحد ، وقرأ الكسائي ﴿ لنسوء ﴾ بالنون . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٥/٢ .

(٣) انظر الطبري ٤٣/١٥ والدر المنثور ١٦٥/٥ وكذلك قال البخاري في التفسير ١٠٤/٦ ﴿ وليتبِّروا ما عَلَوْا ﴾ يدمِّروا ما عَلَوْا ، قال ابن جرير والمعنى : وليدمِّروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً .

كَسَره ، ومنه التّبرُ(١) .

١٤ ــ **وقوله جلَّ ذكره :** ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا .. ﴾ [آية ٨] .

رَوَى مبارك عن الحسن قال : « إن عدتم إلى المعصية ، عُدْنا إلى العقوبة »(٢) .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمُ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي يُحصرون فيها(٣) .

وقال الحسن : فراشاً ومعاداً(٤) .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة : قال : مَحْبَساً(٥) .

قال أبو جعفر : ومعروف في اللغة أن يُقال : حصرتُ الرجل أي حبستُه ، ويُقال للموضع الذي يُحبسُ فيه « حَصِيرٌ » ويُقال : أحصَرَه المرضُ ، والأصلُ فيه واحدٌ(٦) .

---

(١) قال الزجاج : يُقال لكلِ شيءٍ يتكسر من الزجاج والحديد والذهب : تِبْرٌ ، كذا في زاد المسير ١١/٥ وفي الصحاح ٦٠٠/٢ : التِّبارُ : الهلاك ، وتَبَّره تتبيراً أي كسّره وأهلكه ، والتِّبْرُ : ما كان من الذهب غير مضروب ، فإذا ضُرِب دنانير فهو عينٌ ، ولايُقال تِبْرٌ إلاّ للذهب . اهـ .

(٢) هذا القول ذكره ابن جرير ٤٤/١٥ قال : إن عدتم يابني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري ، عدنا عليكم بالقتل وإحلال الذلِّ والصغار ، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه ، وحكاه في البحر ١١/٦ .

(٣ــ٥) انظر الآثار في الطبري ٤٥/١٥ وابن كثير ٤٥/٥ والبحر المحيط ١١/٦ وفي الدُّر المنثور ١٦٦/٤ وفي كتاب التفسير في البخاري ١٠٤/٦ ﴿ حَصِيراً ﴾ مَحْبِساً ، محْصَراً .

(٦) انظر الصحاح للجوهري مادة حبس ، وتهذيب اللغة للأزهري .

١٦ ــ وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ إِنَّ هَذَا القُـرْآنَ يَهْـدِي لِلَّتِـي هِيَ أَقْوَمُ .. ﴾ [آية ٩] .

[المعنى : يهدي للحـال التـي هي أقـومُ][1] والحالُ التـي هي أَقوَمُ : توحيدُ اللهِ ، واتِّباعُ رسله ، والعملُ بطاعته[2] .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعـز : ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [آية ١١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : يدعـو الإنسان على نفسه ، بما لو استُجيب له لَهَلَكَ ، ويدعو على ولده وماله[3] .

ثم قال تعـالى ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ قيـل : يُعْجَـل بالدُّعاءِ على نفسه ، ولا يَعْجلُ اللَّهُ بالإجابة .

ورُوي عن سلمـان[4] أنـه قال : أولُ ما خلـق اللـهُ من آدم

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقطٌ من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) قال ابـن الأنبـاري : « التـي » وصفٌ للجمـع ، والمعنـى : يهدي إلى الـخِصالِ التـي هي أقـومُ الخِصال ، وهي توحيدُ اللّهِ ، والإيمانُ به وبرسله ، والعملُ بطاعتـه . اهـ وكـذلك قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٢/٢٥٣ فقد نبَّه إلى وجود حذف فقال : والمعنـى : للحالـة التي هي أقـومُ الحالات وأسدُّها ، أو للملَّة أو الطريقة ، وكيفما قدَّرتَ لم تجد مع الإثبات ، ذوقَ البلاغـة الـذي تجده مع الحذف ، لما في إبهام الموصوف بحذفه ، من فخامةٍ تُفْقَدُ إيضاحه .اهـ .

(٣) الأثـر في الـطبري ١٥/٤٨ وابـن كثير ٥/٤٦ يريـد أنـه يعجِّـل بالدعـاء بالشرِّ على نفسه عنـد الغضب والضجر ، عجلته بالدعاء بالخير .

(٤) المراد بسلمان « سلمان الفارسي » رضي الله عنه ، والأثر أخرجه ابـن جريـر ١٥/٤٨ وابـن كثير =

رأْسَه ، فأقبَلَ ينظرُ إلى سائره يُخْلَق ، فلمَّا دنا المساءُ قال : [ربِّ عجِّلْ] قبل الليل ، فقال اللهُ ﴿ وكان الإنسانُ عجولاً ﴾ .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ .. ﴾ [آية ١٢] .

الآيةُ في اللغة : الدَّلالـةُ والعلامـةُ ، أي جعلناهما دَالَّيْن على أنَّ خالقهما ليس كمثلِهِ شيءٌ ، ودالَّيْن على عَدَدِ السِّنين والحساب .

١٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً .. ﴾ [آية ١٢] .

روى هشيم عن حُصَيْن عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ قال : هو السَّوادُ الذي ترونه في القمر(١) .

ويُروى أن ابن الكوَّاء(٢) سأل « علـيَّ بنَ أبي طالب » عن السَّواد الَّذي في القمر ، فقال : لو سألتَ عمَّا ينفعُك في دنياك

= ٤٦/٥ وقد ذكرها الحافظ ابن كثير مفصَّلةً فقال : ذكر سلمان الفارسي ، وابن عباس ، قصة آدم عليه السلام ، حين همَّ بالنهوض قائماً قبل أن تصل الروحُ إلى رجليه ، وذلك أنه جاءته النفخةُ من قِبَلِ رأسه ، فلما وصلت إلى دماغه عطس ، فقال الحمدُ لله ، فقال الله : يرحمك ربك يا آدم ، فلما وصَلَت إلى عينه فتحهما فلمَّا سَرَتْ إلى أعضائه وجسده ، جعل ينظر إليه ويُعجبه ، فهمَّ بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، فقال يارب عجِّلْ قبل الليل» .

(١) انظر الأثر في جامع البيان للطبري ٤٩/١٥ والدر المنثور ١٦٦/٤ والبحر المحيط ١٤/٦ .

(٢) « ابن الكَوَّاء » هو « عبدالله بن الكوَّاء الخارجي » من رءوس وزعماء الخوارج ، أحد الذين كانوا مع عليٍّ في صِفِّين ، ثم فارقوه بعد التحكيم ، قال البخاري : لم يصحَّ حديثه ، وانظر ترجمته في لسان الميزان ٣٢٩/٣ .

وآخرتك !! ذاك أن الله يقول : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ** ﴾ إلى آخر الآية ، فآيةُ النَّهار : الشَّمسُ ، وآيةُ اللَّيلِ : القمرُ ، وصَحْوُهُ : السَّوادُ الذي فيه[1] .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ ثناؤه** ﴿ **وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً** .. ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى الحسنُ عن قتادة قال : منيرةً[2] .

قال أبو جعفر : وهذا مذهبُ الفراء[3] ، فقد قال ﴿ **مُبْصِرَةً** ﴾ بمعنى : مضيئة .

وقال غيره : هذا على التشبيه أي ذات إبصار ، أي يبصرون بها[4] .

٢١ ــ **وقولـه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ** .. ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٤٩ وابن كثير ٥/٤٧ وفي رواية الطبري أن علياً رضي الله عنه قال : سلوا عمَّا شئتم ، فقام ابن الكوَّاء فقال : ما السَّوادُ الذي في القمر ؟ فقال : قاتلك اللّهُ هلاَّ سألتَ عن أمر دينك وآخرتك ؟ ذلك محوُ الليل .

(٢) الأثر عن قتادة في الطبري ١٥/٥٠ وابن الجوزي ٥/١٤ وابن كثير ٥/٤٧ .

(٣) لم أر هذا القول في معاني الفراء ، وإنما ذكره ابن الجوزي عن قتادة ٥/١٤ وقال ابن الأنباري : وإنما صلح وصف الآية بالإبصار ﴿ مبصِرَة ﴾ على جهة المجاز ، كما يُقال : لعب الدهر ببني فلان . اهـ زاد المسير .

(٤) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٥/١٤ وفي البحر ٦/١٤ ﴿ مبصِرَةً ﴾ أي تُبْصَر فيها الأشياءُ وتُستبانُ .

رَوَى منصورٌ ، وابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عن مجاهد قال : عمَلُه[1] .

وقال الضحاك : رِزقُهُ ، وأجلُه ، وشقاؤه ، وسعادتُه[2] .

وروى ابن جُريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال ﴿ طائره ﴾ : ما قُدِّر عليه ، يكون معه حيثما كان ، ويَزُول معه أينما زال[3] .

وقيل : ﴿ طَائِرُهُ ﴾ : حظُّه[4] .

قال أبو جعفر : والمعاني متقاربةٌ ، إنما هو ما يطير من خيرٍ أو شرٍّ ، على التمثيل ، كما تقول : هذا في عُنُقِ فلانٍ ، أي يَلْزمُه كما تَلْزم القلادة[5] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥/٥١ وابن كثير ٥/٤٧ والبحر المحيط ٦/١٥ قال الحافظ ابن كثير : والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليلهُ وكثيرهُ ، ويُكتب عليه ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً . اهـ .

(٤) هذا قول أبي عُبيدة كما في مجاز القرآن ١/٣٧٢ وذكره ابن الجوزي ٥/١٥ عنه بمعنى أن لكل امرىء حظاً من الخير والشر ، قد قضاه الله عليه .

(٥) قال ابن قتيبة : العرب تقول لكل ما لزم الإنسان : قد لزم عنقه ، وهذا لك عليَّ ، وفي عنقي حتى أخرج منه ، وإنما قيل للحظِّ من الخير والشر « طائر » لقول العرب : جرى له الطائر بكذا من الخير ، وجرى له الطائر بكذا من الشر ، فخاطبهم الله بما يستعملون ، وأنه هو الذي يلزمه أعناقهم . اهـ زاد المسير ٥/١٥ .

٢٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ﴾ [آية ١٣] .

رَوَى جرير بن حازم ، عن حُميد عن مجاهد أنه قرأ ﴿ وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً ﴾ قال : يريد يعني : ويُخرج له الطائر كتاباً أي عمله كتاباً(١) .

ورُوي عن مجاهد ﴿ويُخْرَجُ﴾ وكذلك قرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع »(٢) .

وقرأ الحسن : ويَخْرُجُ له يوم القيامة كتاباً ، بفتح الياء أيضاً(٣) .

ورُويت هذه القراءةُ عن ابن عباس ، فإنه قال : سيُحوَّل عملُه كتاباً(٤) .

وقرأ الحسنُ ﴿ يُلَقَّاهُ ﴾ بضم الياء ، وتشديد القاف(٥) .

(١ــ٤) هذه وجوه من القراءات ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢ فقال : قرأ أبو جعفر ﴿ ويُخْرَجُ ﴾ بالياء وضمِّها وفتح الراء ، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضمِّ الراء ﴿ ويَخْرُجُ ﴾ وقرأ الباقون بالنون وضمِّها وكسر الراء ﴿ ونُخْرِج ﴾ واتفقوا على نصب ﴿ كتاباً ﴾ وهو منصوب على الحال أي ويُخْرِج الطائرُ كتاباً ، فتتفق القراءتان في التوجيه على الصحيح الفصيح .

(٥) هذه قراءة ابن عامر وحده ﴿ يُلَقَّاه ﴾ وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٧٨ .

٢٣ ـــ وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ وَمَــا كُنَّــا مُعَذِّبِيــنَ حَتَّــى نَبْــعَثَ رَسُولاً ﴾ [آية ١٥] .

رَوَى معمرٌ عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال : « إذا كان يومُ القيامة ، جَمَع اللّهُ أهـلَ الفَتْـرةِ ، والمعتُـوهَ ، والأُصمَّ ، والأبكَمَ ، والأخرسَ ، والشيوخ الذين لم يُدركوا الإسلام ، فأرسلَ إليهم رسولاً أنِ ادخُلوا النَّار ، فيقولون : كيفَ ولم يأتنا رسول ؟ قال : ولو دخلُوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ـــ فيُرسِلُ اللــه عليهم رسولاً ، فيطيعه من كان يريد أن يُطيعه ، ثم قرأ أبو هريرة ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[1] .

وقال غيره : يومُ القيامةِ ليس بيومِ تَعَبُّدٍ ولا محنة ، فيُرْسَلُ إلى أحدٍ رسولٌ ، ولكنْ معنى الآية : وما كنا معذِّبين أحداً في الدنيا بالإهلاك ، حتى نبعثَ رسولاً .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٥٤/١٥ عن أبي هريرة موقوفاً ، ورواه أحمد في المسند ٣٤/٤ مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ « أربعةٌ يحتجُّون يوم القيامة : رجلٌ أصمٌّ لايسمع شيئاً ، ورجلٌ أحمق ، ورجلٌ هَرِمٌ ، ورجلٌ مات في فترة ، فأما الأصمُّ فيقول : ربٌّ قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمقُ فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيانُ يحذفوني ـــ أي يرموني ـــ بالبعر ، وأما الهرم فيقول : ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة يقول : ربٌّ ما أتاني لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفسُ محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وانظر الدر المنثور ١٦٨/٤ وتفسير ابن كثير ٥١/٥ .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا .. ﴾** [آية ١٦] .

يُقرأ هذا الحرفُ على وجوهٍ :

رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ ﴿ **أَمَرْنَا** ﴾ بالقصر والتخفيف[1] ، وكذلك يُروى عن ابن عباس .

ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ ﴿ **أَمَّرْنَا مُتْرَفِيها** ﴾[2] وكذلك قرأ أبو عثمان النَّهديُّ ، وأبو العالية .

وقرأ الحسنُ ، والأعرج ، وابنُ أبي إسحق ﴿ **آمَرْنَا مُتْرَفِيها** ﴾[3] .

ورُوي ﴿ **أَمِرْنَا مُتْرفيها** ﴾ على « فَعِلْنا » عن ابن عباس هذه القراءة أيضاً[4] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **أَمَرْنَا مُتْرفيها** ﴾ ففي قراءته ثلاثة أقوال :

أحدها : وأثبتُها ما قاله ابن جُريج ــ وزعم أنه قول ابن

(١ ــ ٤) قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٧٩ : لم يختلفوا في قوله تعالى ﴿ أَمَرْنا مُترفيهَا ﴾ أنها خفيفة الميم ، إلا ما روى خارجة عن نافع ﴿ آمرنا ﴾ ممدودة مثل آمنَّا ، وقرأ أبو عَمْرو ﴿ أَمَّرنا ﴾ بالتشديد . اهـ وأمَّا قراءة « أمِرنا » بكسر الميم فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٦/٢ .

عباس ـــ وهو أن المعنى : أمرناهم بالطاعة ففسقوا(١) .

قال **محمد بن يزيد** : قد عُلِمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجل لا يأمر إلاَّ بالعدل والإحسان ، كما قال تعالى ﴿ **إنَّ اللَّهَ يأمُر بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ** ﴾(٢) فقد عُلِم أن المعنى : أمرنا مترفيها بالطَّاعة ، فعَصَوْا .

قال مجاهد : (مترفوها) : فُسَّاقُها(٣) .

وقال أبو العالية : مستكبروها(٤) .

والمعنى : أمرناهم بالطاعة ، والفاسقُ إذا أُمِرَ بالطَّاعة عَصَى ، فعصَوْا ، فحقَّ عليهم القولُ بالعصيان ، أي وجب(٥) .

---

(١) هذا قول الجمهور وهو الراجح أن المعنى : أمرناهم بالخير والطاعة ، فعصوا وفسقوا ، قال الزجاج : ومثله في الكلام : أمرتُك فعصيتني ، أي أمرتك بطاعتي فخالفت أمري وعصيتني ، فعلى قول ابن عباس ـــ وهوالأظهر والأرجح ـــ يكون في الكلام وإضمارٌ وحذف ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، وإنما حُذف بعض الكلام لدلالة السياق عليه ، ونظيره قولهم : أمرتُه فأساء إليَّ ، ليس المعنى أمرته بالإساءة فأساء إليَّ ، إنما يفهم منه أنه أمره بالإحسان فأساء إليه ، وانظر ما ردَّ به أبو حيان في البحر المحيط ١٧/٦ على الزمخشري صاحب الكشاف ، فقد أجاد فيه وأفاد ، وهو بحث شيِّق .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ وتمامُها ﴿وإيتاءِ ذي القُربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكَّرون ﴾ .

(٣ــ٥) انظر الآثار في الطبري ٥٦/١٥ والقرطبي ٢٣٤/١٠ والبحر المحيط ١٩/٦ قال أبو حيان نقلاً عن الرازي : وكما أن قوله : أمرتُه فعصاني يدلُّ على أن المأمور به شيء غير الفسق ، لأن الفسق عبارةٌ عن الإتيان بضدِّ المأمور به ، فكونُه فسقاً يُنافي كونه مأموراً به ، كما أن كونه معصيةً ينافي كونها مأموراً بها ، فوجب أن يدلَّ هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق ، فثبت أن الحقَّ ما ذكره المفسرون ، وهو أن المعنى : أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمانُ والطَّاعةُ ، والقومُ خالفوا ذلك عناداً وأقدموا على الفسق . اهـ .

والقولُ الثاني : في معنى ﴿ أَمَرْنَا ﴾ :

قال مَعْمَرٌ عن قتادة قال ﴿ **أمَرْنا** ﴾ : أكثَرْنا .

قال الكسائي : يجوز أن يكون « أَمَرْنا » بمعنى « أَمَّرنا » من الإمارة ، وأنكر أن يكون « أَمَرْنا » بمعنى أكثَرْنا ، وقال : لا يُقال في هذا إلاَّ آمَرْنَا .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الثالث ـــ أعني قول الكسائي ـــ يُنكرهُ أهلُ اللغة .

وقد حَكَى أبو زيد وأبو عُبيدة أنه يُقال : « أَمَرْنَا » بمعنى أكثرنا[1] .

ويُقوِّي ذلك الحديثُ المرفوعُ (خيرُ المال سِكَّةٌ مَأْبُورةٌ ، ومُهْرَةٌ مَأْمُورة)[2] .

والسُّكَّةُ المأْبورةُ : النَّخْلُ المُلَقَّحُ ، والمُهْرةُ المأمورةُ : الكثيرةُ النِّتاج .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٣٧٢ فقد قال فيه ﴿ أَمَرْنا مترفيها ﴾ أي أكثرنا مترفيها من قولهم : أَمِرَ بنو فلان أي كثروا ، فخرج على تقدير قولهم : عَلِمَ فلانٌ وأعلمتُه أنا ذلك . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٦٨ عن سُويد بن هُبيرة مرفوعاً بلفظ « خيرُ مال المرء له ، مُهرَةٌ مأمورة ، أو سِكَّةٌ مأبورة » قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب : المأمورة : كثرة النسل ، والسُّكَّة : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة من التأبير أي التلقيح .

فأمّا معنى ﴿ أَمَّرْنا ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : رواهُ معاويةُ بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابـن عبـاس قال : ﴿ أَمَّرْنـا ﴾ : سلَّطْنـا[١] . وكـذلك قال أبـو عثمان النَّهْدِيُّ .

ورَوَى وكيعٌ عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيـع بنِ أنس ، عن أبي العالية أنه قرأ ﴿ أَمَّرْنا ﴾ مُثَقَّلة ، أي سلَّطْنا مستكبريها[٢] .

والقـولُ الثـاني : رواه الـكسائي عن أبي جعفـر الــرازي ، عن الربيع بنِ أنس ، عن أبي العالية ﴿ أَمَّرْنَا ﴾ أي أكثرنا[٣] .

ولـيس ببعـدٍ ما رواه الـكسائي ، ويكـون مثـل: سَمِـنَ الدَّابـةُ ، وسَمَّنْتُه ، وأسمنتهُ .

قال أبـو جعفـر : وهـذا أَوْلَـى ، قال جلَّ وعـزَّ ﴿ فَفَسَقُــوا فيها ﴾ فوصف أنهم جماعة ، والقريةُ الواحـدة لا تُوصف إنَّ فيها جماعـة أمراء[٤] .

---

(١) الأثـر في تفسير ابـن كثير ٥/٥٨ قال والمعنـى : سلَّطنـا أشرارهـا فعصَوْا فيها ، فإذا فعلــوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . اهـ .

(٢ـــ٣) انظـر الـطبري ١٥/٥٦ والبحـر المحيـط ٦/١٩ قال ابـن جريـر : أكثرنـا متـرفيها أي جبابــرتها ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله . وهو قول قتـادة والضحـاك ، ويـدل عليـه حديث الصحيـحين قالت ـــ أي زينب ـــ يارسول الله « أنهلكُ وفينا الصـالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَثُ » .

(٤) قال أبو علي الفارسي : الجيِّدُ في « أمرنا » أن يكون بمعنى كثَّرنا ، واستدلَّ أبو عُبيـدة على صحـة =

إن **قيل** : يكون واحداً ، فقد قيل : وهـذا خصوصٌ ، والهلاكُ بالكثرةِ ، فتكثر المعاصي .

فأما معنى : « ءآمَرْنَا » فأكثرنا كذلك .

قال الحسن : ويحتمل معنى « آمرنا » أكثرنا عَدَدَهُمْ ، وأكثرنا يَسَارهم ، وحقيقةُ أَمِرَ : كثُرتْ أملاكُهُ من مال ، أو غير ذلك من حاله ، ومنه ﴿ **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** ﴾[1] .

قال الكسائي : عظيماً[2] .

وقال هارون في قراءة أُبيٍّ ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً بَعَثْنا فيها أَكَابِرَ مجرميها ، فمكَرُوا فيها ، فحقَّ عليها القَوْلُ** ﴾[3] .

= هذه اللغة بما جاء في الحديث « ومُهْرةٌ مأمورة » أي كثيرة النسل ، يُقال : أَمَّر اللهُ المهرة أي كثَّر ولدها ، ومن أنكر أَمَّر اللهُ القومَ بمعنى كثَّرهم ، لم يُلتفت إليه ، لثبوت ذلك لغةً ، ثم قال : وقد يكون « أمَّرنا » بالتشديد بمعنى : ولَّيناهم وصيَّرناهم أمراء ، واللازم من ذلك أَمِرَ فلان : إذا صار أميراً أي وَلِيَ الأمر . اهـ باختصار من البحر المحيط ٦/٢٠ .

(١) سورة الكهف آية ٧١ .

(٢) كذلك هو في الطبري ﴿ إِمْرًا ﴾ أي عظيماً ، قال ابن جرير ١٥/٥٦ : العرب تقول للشيء الكثير : أَمِرَ ، لكثرته ، فأما إذا وُصِف القومُ بأنهم كثروا فإنه يُقال : أَمِرَ بنو فلانٍ ، وأَمِرَ القوم يأمِرُون إمْراً ، وذلك إذا كثروا وعَظُم أمرهُم ، والأَمْرُ المصدرُ ، والإسمُ الإمْرُ ، وحُكي في مثل شرٌّ إمْرٌ أي كثير .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وهي محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة سبعية فتنبَّهْ .

فأمَّا معنى « آمَرْنَا » فلا يكـاد يُعـرف ، لأنـه إنما يُقـالُ : أَمِـرَ القـومُ : إذا كَثُـروا ، وآمرَهُـمُ اللَّـهُ أي أكْثَرَهـم ، ولا يُعْـرفُ « أَمِرَهُـم اللَّهُ »[1] .

٢٥ ــ وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيـدُ العَاجِلَـةَ عَجَّلْنَـا لَهُ فِيهَـا مَا نَشَآءُ ﴾ [آية ١٨] .

﴿ العَاجِلَـةُ ﴾ أي الدنيـا ﴿ عجَّلنـا لَهُ فِيها مانَشَاءُ ﴾ وتُقـرأ « مايَشآءُ »[2] .

قال أبو جعفر : والمعنيان واحدٌ ، أي ما شاءَ اللهُ .

ويجوز أن يكون لِـ « مَنْ » .

٢٦ ــ وقولُـه جلَّ وعــزَّ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـا لَهُ جَهَنَّـمَ يَصْلاَهَـا مَذْمُومَـاً مَدْحُوراً ﴾ [آية ١٨] .

أي مُبَاعَداً . يُقـال : دَحَـرَه ، يدْحَـرُه ، دَحْـراً ، ودُحُـوراً : إذا أبعَدَه[3] .

---

(١) أنظر البحر المحيط ٢٠/٦ فقد خالف رأي المصنف فيما ذهب إليه .

(٢) لم أرها في القراءات السبع المتواترة ، وهي من حيث اللغة محتملة .

(٣) قال ابن جرير ٥٩/١٥ ﴿ مدحـوراً ﴾ أي مُبْعَـداً مُقْصَى في النـار . وفي البحـر ٢١/٦ : ﴿ مذموماً ﴾ إشارةٌ إلى الإهانة ﴿ مدحوراً ﴾ إشارةٌ إلى البُعد ، والطرد من رحمة الله .

ثم أخبر تعالى أنه يرزقُ المؤمنَ والكافر ، فقال : ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ** ﴾ .

٢٧ ـ **وقوله جلَّ ذكره** ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ..** ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى مباركٌ عن الحسن قال : ﴿ **قَضَى** ﴾ : أَمَرَ ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه[١] .

ورَوَى سفيان عن الأعمش قال : قرأ عبدُ الله بن مسعود « ووصَّى ربُّك ألاَّ تعبدوا إلا إيَّاه »[٢] .

٢٨ ـ **ثم قال تعالى :** ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ..** ﴾ [آية ٢٣] .

أي وأمر أن تحسنوا بالوالدين إحساناً .

٢٩ ـ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ..** ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥/٦٢ وزاد المسير ٥/٢١ عن ابن عباس ، ورواه ابن جرير عن الحسن بلفظ : «جاء رجلٌ إلى الحسن ، فقال : إنه طلَّق امرأته ثلاثاً ، فقال : إنك عصيتَ ربك ، وبانتْ منك امرأتك ، فقال الرجل : قَضَى الله ذلك عليَّ ، قال الحسن ـ وكان فصيحاً ـ: ماقضى الله أي ما أمر الله وتلا الآية .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، لأنها مخالفة لسواد المصحف ، وينبغي أن تُحمل على التفسير كما قال في البحر ٦/٢٥ .

رُوي عن مجاهد أنه قال : لاتَسْتَقذِرْهما كما كانا لايستقذرانك(١) .

والمعنى عن أهل اللغة : لاتستثقِلْهُما ، ولا تُغْلِظ عليهما في القول ، والناسُ يقولون لمَا يستثقِلُونهُ « أفٍّ له » .

وأصلُ هذا أنَّ الإنسان إذا وقع عليه الغبارُ ، أو شيءٌ يَتَأَذَّى به نَفَخَه فقال : أُفّ .

وقيل : إنَّ « أفّ » : وسَخُ الأظفار ، وإن « التُّفّ » الشيءُ الحقيرُ ، نحو وَسَخ الأذن(٢) ، والقولُ الأوَّلُ أَعْرَفُ .

٣٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾** أي لا تُكلِّمهما بصياحٍ ، ولا بضَجَر .

يُقال : نَهَره ، وانتَهَره ، بمعنىً واحدٍ(٣) .

وبيَّن هذا بقوله ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/٦٤ والسيوطي في الدر ٤/٤١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ولفظه ﴿ فلا تَقُلْ لهما أُفّ ﴾ فيما تُميط عنهما من الأذى ، من الخلاء والبول ، كما كانا لايقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول .

(٢) قال الطبري ١٥/٦٤ : اختلف أهل المعرفة في معنى « أُفّ » فقال بعضهم : معناه كلُّ ما غَلُظَ من الكلام وقَبح ، وقال آخرون : الأُفُّ : وسخُ الأظفار ، والتُّفُ : كلُّ شيءٍ حقيرٍ رفعته بيدك من الأرض .

(٣) في المصباح المنير : نهرتُه نَهراً من باب نَفَعَ وانتهرتُه : زجَرْتُه .

٣١ ـــ وقولُــه جلَّ وعــز : ﴿ وَاخْــفِضْ لهمــا جنــاح الــذُّلِّ من الرحمة .. ﴾ [آية ٢٤] .

قرأ سعيدُ بنُ جُبير ، ويحيى بنُ وثَّاب ، وعاصم الجحدري ﴿ وَاخْفِضْ لهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ من الرَّحْمةِ ﴾ بكسر الذَّال[١] .

ومعنى الضمِّ : كنْ لهما بمنزلة الذَّليل المقهور ، إكراماً ، وإعظاماً ، وتبجيلاً .

ورَوَى هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ عن أبيه ـــ وبعضُهم يقول عن عائشة ـــ ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ هو أن يطيعهما ، ولا يمتنع من شيءٍ أراداه[٢] .

وقال عطاء : لا ترفع يدك عليهما[٣] .

وقال سعيد بن المسيب : هو قولُ العبد المذنبِ ، للسيِّدِ الفظِّ الغليظ[٤] .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٨/٢ وقال : الذِّلُّ في الدابة ضدُّ الصعوبة ، والذُّلُّ للإنسان ، وهو ضدُّ العِزِّ ، اهـ وكذلك قال الطبري : إنها بالكسر من الذَّلول من قولهم : دابة ذلول .

(٢) في المخطوطة أراده ، وصوابه « أراداه » لأنه مثنًّى ، والأثر في الطبري ٦٦/١٥ قال : لاتمتنعْ من شيءٍ أحبَّاه .

(٣ــ٤) انظر الآثار في الطبري ٦٥/١٥ والدر المنثور ١٧١/٤ .

ويُقال : ذَلَّ ، يَذِلُّ ، ذُلّاً ، وذِلَّةً ، ومَذَلَّةً ، فهو ذالٌّ .. وذليلٌ[1] .

ومعنى الذِّل بالكسر : السَّمحُ عنهما يُقال : رجلٌ ذليلٌ بيِّنُ الذِّلِ : إذا كان سَمْحاً ليِّناً مواتياً .

وكذلك يُقال : دابَّةٌ ذَلُولٌ : بيِّنُ الذِّلِ ، إذا كان مواتياً ، ومنه ﴿ **وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً** ﴾[2] .

٣٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ **رَبُّكُمْ أعلَمُ بِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى شعبةُ عن أبي بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبير قال : الأوَّابون : الراجعون إلى الخير[3] .

كما في قول الله ﴿ **إنَّه أوَّابٌ** ﴾[4] .

قال أبو جعفر : قُرِىءَ على الفِرْيابيِّ عن قتيبةَ قال : حدَّثنا ابن

---

(١) في الصحاح ١٧٠١/٤ : الذُلُّ : ضدُّ العزِّ ، ورجل ذليلٌ : بيِّن الذُلِّ والمذلَّةِ ، والذِلُّ بالكسر : اللِّينُ ، وهو ضدُّ الصعوبة ، يُقال : دابة ذَلُولٌ : بيِّنةُ الذِلِّ ، ومنه قولهم : « بعضُ الذِلِّ أبقى للأهل والمال » اهـ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

(٣) الأثر في الطبري ٧٠/١٥ والدر المنثور ١٧٢/٤ وعزاه السيوطي إلى البيهقي في شعب الإيمان .

(٤) سورة ص آية رقم ١٧ وتمامها ﴿ واذكر عبْدَنا داودَ ذَا الأَيْدِ إنَّهُ أَوَّاب ﴾ .

لَهِيعَة[1] ، عن أبي هُبَيْرَةَ ، عن حَنَشِ بنِ عبدالله ، عن ابن عباس أنه قال : الأَوَّابُ : الحفيظُ ، الذي إذا ذَكَرَ خطاياه استغفر منها[2] .

ورَوَى **سفيانُ** ، عن منصورٍ ، عن مجاهد ، عن عُبيد بنِ عُمير في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ قال : هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلا ، ثم يستغفرون اللَّه[3] .

ورَوَى **يحيى** بن سعيد ، عن سعيدِ بنِ المسيِّب ﴿ **الأَوَّابُ** ﴾ : الذي يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب ، ثم يُذنب ثم يتوب[4] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، والأَصلُ في هذا أنه يُقال : آبَ ، يئوبُ : إذا رَجَع ، فهو آيبٌ ، و« أوَّابٌ » على التكثير[5] .

---

(١) هو « عبدالله بن لَهِيعَة » قال في التقريب ٤٤٤/١ : لَهِيعَة : بفتح اللَّام وكسر الهاء ، ابن عُقبة الحضرمي ، أبو عبدالرحمن المصري ، صدوقٌ ، من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، مات سنة ١٧٤ هـ وانظر تفصيل الأقوال فيه في تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥ ..

(٢ـــ٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٧٠/١٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٦/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٧٢/٤ .

(٥) قال الزجاج : الأَوَّابُ : هو التوَّابُ المقلِعُ عن جميع ما نهاه الله عنه ، يُقال : آبَ ، يئوبُ ، أوباً : إذا رجع . وقال الطبري ٥١/١٥ : الأَوَّابُ هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، لأن الأَوَّابَ « فعَّال » من قول القائل : آب فلانٌ من كذا إذا رجع ، قال الشاعر : « وغائبُ الموت لايئُوب » أي لايرجع .

٣٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ [آية ٢٦] .

قال عكرمةُ : أي صِلَته التي تريدُ أن تصِلَه بها[١] .

٣٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَالْمِسْكِينَ ، وابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى حُصينٌ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : التَّبذيرُ : النَّفقةُ في غير طاعة الله[٢] .

وكذلك رُوِي عن عبدالله بن مسعود .

﴿ إنَّ المبَذِّرِينَ كانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

معنى « إخوانَ الشياطين » أي في المعصية .

لمَّا عَصَوْا وعَصَا أولئك ، جمعتهم المعصيةُ ، فسُمُّوا إخواناً ، وكلَّما جمعتَ شيئاً إلى شيء ، فقد آخيتَ بينهما ، ومنه إخاءُ النبي ﷺ بين أصحابه[٣] .

٣٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ﴾ [آية ٢٨] .

(١ــ٢) انظر الطبري ٧١/١٥ والقرطبي ٢٤٧/١٠ والبحر المحيط ٣٠/٦ والدر المنثور ١٧٦/٤ .
(٣) هذا عند الهجرة لمَّا آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وهذا أمر مشهور .

قال قتادة : أي عِدْهم[١] .

وقال عكرمة : إن أعرضتَ عنهم لرزقٍ تنتظره ، فعِدْهُم ، وقل لهم : سيكون ، فإذا جاءنا شيء أعطيناكم[٢] .

وقال الحسن : ﴿ **قَوْلاً مَيْسُوراً** ﴾ أي ليِّناً[٣] .

والمعنى عند أهل اللغة : يسِّرْ فقرهم عليهم ، بدعائك لهم[٤] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ [آية ٢٩] .

قال قتادة : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ** ﴾ أي لاتمتنعْ من النَّفقة في الطاعة [﴿ **ولاتبسطها كلَّ البسط** ﴾][٥] أي لاتنفق في معصية .

(١ــ٣) في الدر : ﴿ قولا ميسوراً ﴾ أي ليِّناً سهلاً ، سيكون إن شاء الله . اهـ وقال البخاري في التفسير ٤/٦–١٠ ﴿ ميسوراً ﴾ ليِّناً .

١٠٤/٦ ﴿ ميسوراً ﴾ ليِّناً .

(٤) قال في البحر ٣٠/٦ : نزلت في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم ، لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد ، فكان يُعرض عنهم لئلا يعينهم على فسادهم ، فأمره تعالى أن يقول لهم قولاً ميسوراً يتضمن الدعاء لهم والإصلاح ، قال ابن زيد : والرحمةُ يرادُ بها الأجر والثواب . اهـ وقد ذكر هذه الرواية الطبري ، ورجحَّ أن المراد الرفق بالسائل إن لم يكن عنده شي .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه ليستقيم الكلام ، وفي المخطوطة ﴿ وَلَا تبذِّرْ تبذيراً ﴾ أي لاتنفق في معصية ، فتقعد ملوماً محسوراً ، وآيةُ التبذير قد تقدَّمت وليس هنا مكانها ، ولذلك وقع الخلط بين الآيتين .

﴿ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ قال عكرمة وقتادة : أي نادماً .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُوماً ﴾ قال : مذنباً أو آثماً ﴿ محسوراً ﴾ قد انقطِع بك[1] .

قال أبو جعفر : وكذلك المحسورُ في اللغة ، يُقال : حَسَره السَّفَرُ ، إذا انقطع به ، وكذلك البعيرُ حسيرٌ ، ومحسورٌ : إذا انقطع ووقَفَ ، وهو أشدُّ من الكَلَال[2] .

٣٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

الإملاقُ : الفقرُ ، وكانوا يئدون بناتِهم .

---

(١) الآية وردت مورد التمثيل كما قال أهل البيان ، فقد مثَّل للبخيل بالذي حبست يده عن الإعطاء ، وشدَّت بحبل إلى العنق ، بحيث لايقدر على مدِّها ، وشُبِّه المسرفُ بمن بَسَط كفَّه وأنفق ما فيها بحيث لم يحفظ شيئاً ، والمعنى كما قال المفسرون : لاتكن بخيلاً منوعاً لاتعطي أحداً شيئاً ، ولامسرفاً مبذِّراً لاتترك في يديك شيئاً . فتصبح مذموماً من الله والناس ، منقطعاً من المال ، كالمسافر الذي انقطع في سفره ، بفقد ماله وانقطاع مطيته .

(٢) قال الزجاج : المحسورُ : الذي قد بلغ الغاية في التَّعب والإعياء . وقال ابن قتيبة : ﴿ مَحْسُوراً ﴾ منقطعاً ، تحسرك العطيَّةُ وتقطعكَ ، كما يحسِرُ السَّفرُ البعيرَ فيبقى منقطعاً به . اهـ قال القاضي أبو يعلي : وهذا الخطابُ أُريد به غير الرسول ﷺ ، لأنه لم يكن يدَّخر شيئاً لغدٍ ، وكان يجوع حتى يشدَّ الحجر على بطنه ، وقد كان كثيرٌ من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون ، فلم ينههم اللهُ ، لصحَّة يقينهم ، وإنما نَهى من خيفَ عليه التحسُّرُ على ما خرج من يده ، فأمَّا من وثق بوعد الله تعالى فهو غير مرادٍ بالآية . اهـ زاد المسير ٥/٣٠ .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْآءً كَبِيراً ﴾ [آية ٣١] .

بكسر الخاء ، والمدِّ .

ورُوي عن الحسن : « كَانَ خَطْآءً » بفتح الخاء ، والمدِّ .

قال أبو جعفر : وأعرفُ هذه القراءاتِ عند أهلِ اللُّغةِ ﴿ **كان خِطْأً كَبِيراً** ﴾(١) .

قال ابن جُريج ــ وزعم أنهُ قولُ ابنِ عبَّاسٍ ــ وهو قولُ مجاهد : الخِطْأُ : الخطيئةُ .

قال أبو جعفر : وهذا المعروف في اللغة ، يُقال : خَطِىءَ ، يَخْطَأُ ، خِطْأً : إذا أَثِمَ وتعمَّد الذَّنب ، وقد حُكي في المصدر خَطْأً .

وأخطَأَ ، يُخْطِىءُ ، إخطاءً ، والإسمُ الخَطَأُ : إذا لم يتعمد الذنب(٢) .

---

(١) قرأ ابن كثير ﴿ كان خِطَاءً ﴾ وقر ابن عامر ﴿ كان خَطَأً ﴾ بغير مدٍّ ، وقرأ الجمهور ﴿ كَانَ خِطْأً ﴾ بكسر الخاء مع القصر ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ .

(٢) هذا هو المشهور عند علماء اللغة ، أنَّ خَطِىء يَخْطَأُ بمعنى أذنَبَ ، ومنه قوله تعالى ﴿ لا يأْكلُه إلاَّ الخاطئون ﴾ وأمَّا أخطأ يخطىء فهو مايفعله الإنسان خطأً بدون قصد ، فهذا هو الفارق بين الخاطىء والمخطىء ، وانظر معاني الأخفش ٦٦١/٢ وفي البخاري في كتاب التفسير ١٠٤/٦ ﴿ خِطْأً ﴾ : إثماً ، وهو اسمٌ من خَطِئتُ ، والخطأُ مفتوحٌ مصدره من الإثم ، خطِئْتُ بمعنى أخطأت اهـ .

فأمـا قراءة من قرأ « كان خِطَـاء »[١] بالـكسر والمدِّ ، والفتـــحِ والمدِّ ، فلا يُعرف في اللغة ، ولا في كلام العرب .

٣٩ ــ **وقولـه جلَّ وعــز : ﴿ وَلَا تَقْتُلُـوا النَّـفْسَ الَّتِـي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾** [آية ٣٣] .

بيَّن هذا الحديث (لايحلُّ دمُ امـرىءٍ مسلـم إلاَّ بإحـدى ثلاث خِلَال : شركٌ بعـد إيمان ، أو زنـىً بعـد إحصان ، أو قتـلُ نفسٍ بغير نفس)[٢] .

٤٠ ــ **ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَمَـنْ قُتِـلَ مَظْلُومَـاً فَقَـدْ جَعَلْنَـا لِوَلِيِّـهِ سُلْطَاناً .. ﴾** [آية ٣٣] .

اختلف المتقدِّمـونَ من العلمـاء في « السُّلطـانِ » الَّـذي جُعِلَ للوليِّ ؟

---

(١) هذه قراءة ابـن كثير ، ومـا ورد من القـراءات عن رسول اللـه ﷺ بطـرق متواتـرة كالقــراءات السبع ، حاكمٌ على اللغة ، فتنبَّه له فإنه دقيق .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٦/٩ ومسلـم في القسامـة رقـم ١٦٧٦ وأبـو داود في الحدود رقم ٤٣٥٢ والترمذي في الديات رقم ١٤٠٢ والنسائي ٧/٩٠ في تحريم الدم ، ولفظ الصحيحين (لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلـم ــ يشهد أن لا إلـه إلا اللَّهُ وأني رسولُ اللـه ــ إلاَّ بإحـدى ثلاث : الثيِّب الزاني ، والنَّفس بالنَّفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) .

فَرَوَى **خُصَيفُ** عن مجاهد قال : حُجَّتهُ التـي جُعِلتْ له ، أن يَقْتلَ قاتِلَه[1] .

وذهب جماعةٌ من العلمـاءِ ، إلى أنَّ هذا هو السلطـانُ الـذي جُعل له ، وأنه ليس له أن يأخذ الدِّيةَ ، إلاَّ أن يشاءَ القاتِلُ .

وقال الضحاك في السُّلطـان الـذي جُعـل له : إن شاء قَتَـل ، وإن شاء أَخَذَ الدِّيةَ ، وإن شَاءَ عفا[2] .

والقولُ عند أهـلِ المدينـة وأهـلِ الكوفـة[3] ، قولُ مجاهـد : إنَّ السلطان ههنا القَوَدُ خاصَّةً ، لا ما سواه .

وذهب الشافعي رحمه الله إلى قولِ الضحاك ، غير أنه قال : كان يستحقُّ إذا عفا أَخْذَ الدِّيـة ، اشتـرط ذلك أو لم يشترطـه ، والحجَّـةُ له **﴿ فَمَنْ عُفِيَ لهُ منْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾**[4] .

(١ ـ ٢) انظر الآثار في جامع البيـان للـطبري ١٥/٨١ والقرطبـي ١٠/٢٥٥ وزاد المسير ٥/٣٢ ورجح ابن جرير قول الضحاك ، وهو أيضاً قول ابن عباس ، فقـال : « وأولى التأويلين بالصواب ما قاله ابن عباس أن لولـيِّ القتيـل ، القتـل إن شاء ، وإن شاء أخـذ الديـة ، وإن شاء العفـو ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله » .

(٣) المراد بأهل الكوفة أصحاب الإمام أبي حنيفة ، والمراد بأهل المدينة أصحاب مالك ، رحمهما الله تعالى .

(٤) سورة البقـرة آيـة (١٧٨) والشاهـد فيها قولـه تعـالى ﴿ فمـن عُفـي له من أخيـه شيء فاتِّبـاعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسانٍ ﴾ أي له حق المطالبة بالدية ، وعلى القاتل أن يدفعها بإحسان ، بلا مطلٍ ولا بخس ، فقد أوجبت الآية له الدية .

والحديثُ « وليُّ المقتولِ بأحَدِ النَّظَرَيْنِ »[1] .

٤١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى خُصَيْفٌ عن مجاهد قال : لا يقتُلْ غيرَ قاتِلِهِ[2] .

ورَوَى منصورٌ عن طَلْقِ بنِ حَبِيبٍ قال : لا تَقتُلْ غيرَ قاتلك ، ولا تُمثِّلْ به[3] .

ورَوَى خُصَيفٌ عن سعيد بن جُبير قال : لايقُتَل اثنين بواحد[4] .

ورَوَى علي بن الحَكَمَ عن الضحَّاك قال : لايقتُل أبَا القاتِلِ ولا ابنه[5] .

وقرأ حُذيفة ﴿ فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾[6] بالتَّاء .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الديات ٦/٩ باب من قتل له قتيلٌ فهو بخير النظرين ، والنسائي في القسامة ٣٧/٨ ولفظ النسائي (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يُقاد ، وإمَّا أن يُفدَى) وانظر الروايات مفصلة في جامع الأُصول ٢٤٥/١٠ .

(٢ ــ ٥) انظر الآثار في الطبري ٨٢/١٥ والقرطبي ٢٥٥/١٠ وزاد المسير ٣٣/٥ والدر المنثور ١٨١/٤ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ .

(٦) هذه قراءة حمزة والكسائي وابن عامر ﴿ فلا تُسرفْ في القتل ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء مجزوماً ﴿ فلا يُسرفْ في القتل ﴾ والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ والنشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢ وأما قراءة ﴿ فلا يُسرفُ ﴾ بالرفع ، فعدَّها ابن جني في المحتسب ٢٠/٢ من القراءات الشاذة .

ورَوَى العَلَاءُ بنُ عبدِ الكريم عن مجاهد قال : هو للقاتلِ الأول .

والمعنى عنده على هذا : فلا تُسْرِفْ أيُّها القاتلُ .

٤٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾** [آية ٣٣] .

رَوَى ابن كثير عن مجاهد قال : « إنَّ المقتول كان منصوراً ، ومعنى قولِهِ : أنَّ الله نَصرَه بولِيِّه »[1] .

ورُوِي أنه في قراءة أُبيٍّ ﴿ **فلا تُسْرِفُوا فِي القَتْلِ** ﴾[2] إنَّ وليَّ المقتول كان منصوراً .

قال أبو جعفر : الأبينُ بالياء ، وتكونُ للوليِّ ، لأنه إنما يُقال « لا يُسْرِفْ » لمن كان له أن يَقْتُلَ ، فهذا للوَلِيِّ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٨٣/١٥ عن عبدالله بن كثير عن مجاهد ، ورواه في الدر المنثور ١٨١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ورجح ابن جرير القول الأول أن الضمير راجع للولي فقال : « وأشبهُ ذلك بالصواب عندي قول من قال : عُنيَ بها الوليُّ ، وعليه عادت ، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول ، وهو المنصور أيضاً ، لأن الله جلَّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل ، أن سلَّطه على قاتل وليِّه ، وحكَّمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء ، واستبقاءه على الدية إن أحبَّ ، والعفو عنه إن رأى ، وكفى بذلك نُصرةً له من الله جلَّ ثناؤه » .

(٢) هذه ليست من القراءات السبع ، وهي قراءة شاذة ، محمولة على التفسير .

وقد يجوز بالتاء ، ويكونُ للوليِّ أيضاً ، إلاَّ أنه يُحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة(١) .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾** [آية ٣٤] .

قال محمد : سألتُ عَبِيدَة عن قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾(٢) .

فقال : يستقرِضُ ، فإذا استغنى رَدَّ ، ثم تَلَا ﴿ **فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عليهِمْ** ﴾ .

وقال أبو العالية نحواً من هذا .

وقال عمرُ بن الخطاب ــ رحمةُ اللهِ عليه ــ ما يُقوِّي هذا .

حدَّثنا أبو جعفر « أحمدُ بنُ محمَّدٍ النَّحْوِيُّ » قال : حدَّثنا الحسنُ بن غُلَيْبٍ قال : نا يوسف بنُ عَدِيٍّ ، قال : نا أبو الأَحْوص ، عن أبي إسحقَ ، عن يَرْفَا ــ مولى عمر ــ قال : قال عمر بنُ

---

(١) أي على هذه القراءة ﴿ فَلَا تُسْرِفْ ﴾ بالتاء ، يكون في الآية التفاتٌ ، من الغيبة إلى الخطاب ، اهتماماً بالأمر .

(٢) سورة النساء آية رقم (٦) وتمامها ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٥٥/٤ عن محمد بن سيرين عن عَبيدة السَّلْماني .

الخطاب رضوان الله عليه : يا يرفا إني أنزلتُ مالَ اللّهِ منيٌّ بمنزلةِ مالِ اليتيم ، إذا احتَجْتُ أخذتُ منه ، فإذا أَيْسَرتُ ردَدْتُه ، وإنِّي إنِ استَغْنيتُ استعفَفْتُ عنه ، فإني قد وَلِيتُ من أمرِ المسلمين أمراً عظيماً(٤) .

وقال سعيدُ بنُ المسيب : لايُشْرَبُ الماءُ من مالِ اليتيم ، قال فقلت له : إنَّ الله يقول ﴿ **وَمَنْ كَانَ فَقِيرَاً فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ** ﴾ ؟ قال فقال : إنَّما ذلك لخدمتِهِ ، وغَسْلِ ثوبه(٢) .

ورَوَى أبو يحيى ، ولَيْثٌ ، عن مجاهد قال : لا تقربْ مال اليتيم إلَّا للتِّجارة ، ولا تستقرضْ .. قال : فأمَّا قولُه تعالى ﴿ **وَمَنْ كَانَ فَقِيرَاً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ** ﴾ فإنما معناه : فليأكل من مالِهِ بالمعروف ، يعني من مال نفسه(٣) .

وقال بهذا جماعةٌ من الفقهاء ، وأهل النظر ، حتى قال أبو

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥٥/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ قال الحافظ ابن كثير : « قال الفقهاء : له أن يأكل من مال اليتيم أقلَّ الأمرين : أجرةَ مثله ، أو قدر حاجته ، واختلفوا هل يردُّ إذا أيسر على قولين : أحدهما : لا ، لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً ، وهذا هو الصحيحُ عند الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . والثاني : نعم ، لأن مال اليتيم على الحظر ، وإنما أبيح للحاجة فيردُّ بدله » اهـ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٧/٤ والدر المنثور للسيوطي ١٢١/٢ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير ٢٥٩/٤ وابن كثير ١٩٠/٢ والسيوطي في الدر ١٢١/٢ .

يوسف : لعلَّ قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ غنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ ﴾ منسوخٌ[1] بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ ﴾[2] .

٤٤ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

وبيانُ هذا في قوله ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾[3] .

قال مجاهد : أي الحُلُمَ[4] .

٤٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ .. ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى ابن جُريج عن مجاهد قال : القِسْطَاسُ : العَدْلُ[5] .

وقال الضحَّاكُ : هو الميزانُ[6] .

٤٦ ــ ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [آية ٣٥] .

---

(١) في المخطوطة « منسوخاً » وهو خطأ ، وصوابُه « منسوخ » وقد كتبت الكلمةُ على هامش المخطوطة .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة النساء آية ٦ وأوَّلُها ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ .

(٤) انظر الأثر في الطبري ٢٥٢/٤ وابن كثير ١٨٧/٢ والدر المنثور ١٢١/٢ .

(٥ــ٦) انظر الآثار في الطبري ٨٥/١٥ وزاد المسير ٣٤/٥ وتفسير ابن كثير ٧١/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٨٢/٤ وفي رواية عن مجاهد أنه القَبَّانُ ، وقال ابن الجوزي : القسطاسُ : الميزانُ روميٌّ معرَّبٌ . اهـ أقول : الصحيح أن كل ما في القرآن عربي ، وهذا مما توافقت فيه اللغاتُ ، كما نبه عليه أهل التحقيق لقوله سبحانه ﴿ بلسانٍ عربي مبين ﴾ .

قال قتادة : أي أحسنُ عاقبةً[1] .

أي ما يئول إليه الأمرُ ، في الدنيا والآخرة .

وقيل : أحسنُ من النُّقصانِ .

٤٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .. ﴾** [آية ٣٦] .

رُوي عن ابن عباس قال : لاتَقُلْ ما ليس لك به علمٌ **﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾** قال : يُسأل أكانَ ذاك أم لا[2] ؟ .

وقال ابنُ الحنفيَّة ــ رحمةُ اللهِ عليه ــ: هذا في شهادة الزُّور[3] .

ورَوَى حجَّاجٌ عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد قال : **﴿ لَا تَقْفُ ﴾** لاتَرْم[4] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥/٨٥ وابن كثير ٥/٧١ والدر المنثور ٤/١٨٢ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه « خير ثواباً وعاقبة » وقال ابن كثير : أي خيرٌ مآلاً ومنقلباً في آخرتكم .

(٢ــ٤) انظر الآثار في الطبري ١٥/٨٦ وابن كثير ٥/٧٢ والبحر المحيط ٦/٣٦ قال أبو حيَّان : لمَّا أمر تعالى بثلاثة أشياء : الإيفاء بالعهد ، والإيفاء بالكيل ، والوزن بالقسطاس المستقيم ، أتبع ذلك بثلاثةِ مَنَاهٍ « ولاتَقْفُ » « ولا تمشِ » « ولا تجعل » ومعنى : ولا تَقْفُ : لاتَتَّبِعْ ما لا علم لك به من قول أو فعل ، فنهى تعالى أن نقول ما لا نعلم ، وأن نعمل بما لانعلم ..» اهـ

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ ترجع إلى معنىً واحدٍ ، وهو من قَفَوتُ الشَّيءَ : أي اتَّبعتُ أَثَره[1] ، والمعنى : لا تُتبِعنَّ لسانَك ما لم تعلَمْهُ ، فتتكلَّمَ بالحَدْسِ والظَّنِّ .

وحكَى الكِسائيُّ : ﴿ **وَلَا تَقُفُ** ﴾ من القيافة ، وهو بمعنى الأول ، على القلب[2] .

٤٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً** .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي متكبِّراً ، مُتَبَذِّخاً[3] .

٤٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** ﴾ [آية ٣٧] .

فيه لأهل اللغة قولان :

---

(١) في الصحاح ٢٤٦٦/٦ : قفَوْتُ أثَره قَفْواً : أي اتَّبعتُه ، وقَفَّيْتُ على أثَره بفلانٍ أي أتبعتُه إيَّاه . اهـ .

(٢) ردَّ هذا القول ابن جرير في جامع البيان ٨٧/١٥ فقال : « وزعم بعض أهل العربية من أهل الكوفة أن أصله القيافة ، وهي اتِّباع الأثر ، وعلى هذا القول يجب أن تكون القراءة ﴿ ولا تَقُفْ ﴾ مثل : لاتقُل ، والعرب تقول : قفوتُ أثرَه ، وقُفْتُ أثَرَه ، مثل عاث وعثى ، وقاعَ الجملُ الناقةَ إذا ركبها وقعاها .. ثم قال : وأولى الأقوال أن المعنى : لاتقل للناس وفيهم ما لاعلم لك به ، فترميهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحقِّ ، فذلك هو القَفْوُ » . اهـ .

(٣) في الصحاح ٤١٨/١ : البَذَخُ : الكِبْرُ ، وتَبَذَّخ : أي تكبَّر وعَلَا ، وشَرَفٌ باذخٌ أي عالٍ .

أحدهما : أن المعنى : إنك لن تنقب الأرضَ[1] .

والآخر : لن تقطعها كلَّها .

قال أبو جعفر : وهذا أبينُ ، كأنه مأخوذٌ من الخَرْقِ ، وهو الصحراء الواسعةُ[2] .

ويُقال : فلانٌ أخرقُ من فُلانٍ ، أي أكثرُ سَفَراً ، وغَزْواً منه .

٥٠ ــ **وقولُه جلَّ ثناؤُه : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾** [آية ٣٨] .

ويُقرأ ﴿ سَيِّئَةً عند ربِّكَ مَكْروهاً ﴾[3] .

(١) هذا القولُ رجَّحه القرطبي في تفسيره جامع الأحكام ٢٦٢/١٠ حيث قال : والمراد بخرق الأرض هنا نقبُها لا قطعُها بالمسافة . اهـ ورجَّح الطبري القول الثاني ٨٨/١٥ فقال : والمعنى : لاتمش في الأرض مختالاً مستكبراً ، فإنك لن تقطع الأرض باختيالك ، وهو ما ذهب إليه المصنف ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٨٠/١ أقول : والأظهرُ ما ذهب إليه القرطبي ، لأن الغرض من الآية ذمُّ المتكبر ، والسخرية والتهكم به ، ومعنى الآية : لا تمشِ مختالاً مِشية المُعْجَبِ المتكبر ، فأنت أيها الإنسانُ ضئيلٌ هزيلٌ ، لايليق بك التكبر ، كيف تتكبَّر على الأرض ، ولن تجعل فيها خَرْقاً أو شقاً بمشيك عليها ؟ وكيف تتطاولُ وتتعظَّمُ على الجبال ، وأنت قزَمٌ بالنسبة لها ؟ ومهما طالت قامتك فلن تبلغها طولاً ، فكيف تتكبر وتتعالى وتختال ، وأنت أضعفُ من الأرض والوهاد والجبال ؟ ففيه تهكم وتقريع للمتكبرين .

(٢) انظر الصحاح مادة خرق ، فقد قال الجوهري : خرقتُ الأرض أي جُبتُها ، والخَرقُ : الأرض الواسعة تتخرَّق فيها الرياح .

(٣) هذه من القراءات السبع المتواترة ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠ وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ سَيِّئُهُ ﴾ بالإضافة .

وقيل : الأول أَبْيَنُ ، لأنه قد تقدَّم قوله ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ وأشياءُ حسنةٌ وسيِّئةٌ ، فقال ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ .

وأيضاً فإنه لم يقل : مكروهةً[1] .

٥١ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ﴾ [آية ٣٩] .

أي مُقْصىً مُبَاعداً ، ومنه « اللهمَّ ادحَرْ عنَّا الشَّيْطانَ » .

٥٢ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلَائِكَةِ إِنَاثاً .. ﴾ ؟[آية ٤٠] .

لأنهم قالوا : الملائكةُ بناتُ اللَّهِ[2] .. تعالى اللَّهُ .

---

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٥/٨٩ وعلَّل لذلك بوجوه ذكرها في تفسيره ، وكلٌّ من القراءتين سبعية كما أوضحنا ، وقراءة الجمهور أولى من حيث المعنى .

(٢) رُوي عن قتادة أن هذا من قول اليهود قالوا : الملائكةُ بنات اللَّهِ حكاه الطبري ، والأظهر أنه قولُ مشركي العرب ، لأنهم كانوا يكرهون البناتِ ويزعمون أن الملائكة بناتُ اللهِ ، وكانوا يقولون : أَلحِقَوا البناتِ بالبنات ، وهذا قول جمهور المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٧٤ : « يقول تعالى راداً على المشركين الكاذبين ، الزاعمين أن الملائكة بنات الله ، فقد جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادَّعوا أنهم بنات الله ، ثم عبدوهم من دون الله ، فقال تعالى منكراً عليهم : أخصَّصكم ربكم بالذكور واختار لنفسه البنات ؟ » .

٥٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَا بْتَغَوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [آية ٤٢] .

قال قتادة : المعنى : إذاً لتقرَّبوا إلى اللَّهِ[1] .

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : إذاً لطلبوا إليه طريقاً للوصول ، لِيُزيلوا مُلكه جلَّ وعز[2] .

٥٤ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٤] .

قيل : تسبيحُهُ : دلالتهُ على قدرةِ اللَّهِ ، وأنهُ خالقُه .

وأكثرُ أهل التفسير منهمْ عكرمة على أن المعنى : وإنْ منْ شيءٍ فيه الرُّوحُ إلَّا يُسبِّح بحمدِهِ[4] .

(١ ـ ٢) انظر الطبري ٩١/١٥ وابن كثير ٧٥/٥ والقرطبي ٢٦٥/١٠ واختار ابن جرير ، وابن كثير قول قتادة وقولُ سعيد بن جبير أظهر ــ كما يقول العلامَّة أبو السعود ــ وهو المناسبُ للآية ، لأن قوله تعالى بعدها ﴿ سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علواً كبيراً ﴾ صريح في الإنكار عليهم ، وأن قولهم فيه محذور عظيم ، وقد رجح هذا القول الشوكاني في فتح القدير ٢٣٠/٣ وذكر في القرطبي أنه قول ابن عباس أيضاً ، والمعنى : لو كان الأمر كما زعم هؤلاء المشركون ، إذاً لطلبوا طريقاً إلى مُغالبة ذي العرش والجلال ، ليسلبوا ملكه ، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ، وراموا طريقاً للمغالبة والممانعة .

(٣) هذا رأي جمهور علماء السلف : الضحاك ، وقتادة ، والحسن البصري ، حتى قال عكرمة : الشجرةُ تسبِّح ، والأُسطوانة تُسبِّح ، والمعنى كما قال الطبري ٩٢/١٥ : ما من شيءٍ من خلقه إلا يُسبِّح بحمده . اهـ قال بعض المفسرين : كلُّ ما في الوجود شاهد بوحدانية الله جلَّ وعلا ، =

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى لأنه قال ﴿ وَلَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

٥٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ [آية ٤٥] .

فيه قولان :

أحدهما : أن الحجابَ الطبعُ على قلوبهم[1] ، ودلَّ على هذا ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ .

والقولُ الآخر : أن الحجابَ منعُ اللهِ إيَّاه منهم .

٥٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾ [آية ٤٦] .

قال أبو الجوزاء[2] : الذِّكْرُ قولُ « لا إله إلاَّ اللهُ » .

= ناطقٌ بعظمته وجلاله ، السمواتُ تسبح الله في زرقتها ، والحقولُ في خضرتها ، والبساتينُ في نُضْرتِها ، والأشجارُ في حفيفها ، والمياهُ في خريرها ، والطيورُ في تغريدها ، والشمسُ في شروقها وغروبها « وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده ، ولكن لاتفقهون تسبيحهم » .

(١) هذا هو القول الراجح الصحيح ، وهذا الذي اختاره الطبري ١٥/٩٣ حيث قال : « أي جعلنا بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم ، والحجابُ : الساتر » .

(٢) أبو الجوزاء هو « أوس بن عبدالله الرَّبَعي » البصري قال ابن حبان في الثقات : كان عابداً فاضلاً ، وقال العَجْلي : بصريٌّ ، تابعيٌّ ، ثقة ، قُتل سنة ٨٣ في الجماجم ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١/٣٨٣ .

٥٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى .. ﴾ [آية ٤٧] .

أي ذَوُوْ نَجْوةٍ أي سِرَارٍ[١] .

ثم بيَّن ما يتناجون به فقال جلَّ ثناؤه :

﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ .

في معناه قولان :

قال مجاهد : أي مخدوعاً .

وقال أبو عُبيدة : أي له سَحْرٌ ، والسَّحْرُ والسُّحْرُ الرِّئَةُ[٢] .

والمعنى عنده : « إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ بَشَرَاً » أي ليس بمَلَكٍ .

قال أبو جعفر : والقولُ الأوَّلُ أنسبُ بالمعنى ، وأعرفُ في كلام العرب ، لأنه يُقال : ما فلانٌ إلَّا مَسْحورٌ أي مَخْدوعٌ كما قال تعالى ﴿ إنِّي لأظُنُّكَ ياموسَى مَسْحُوراً ﴾[٣] .

---

(١) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ، وقال أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٣٨١/١ ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ هي مصدر من ناجيتُ ، أو اسم منها وُصف بها القوْم ، والعرب تفعلُ ذلك كقولهم : إنما هم عذابٌ ، وأنتم غمٌّ ، فجاءت في موضع « متناجين » . اهـ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٨١/١ وفي الصحاح : السُّحْرُ : الرئةُ وكذلك السَّحْرُ ، يُقال للجبان : قد انتفخ سَحْرُه .

(٣) سورة الإسراء آية ١٠١ .

أي مخدوعاً : قال الشاعر :

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ
وَنُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبِالشَّرَابِ[1]

أي نُعَلَّلُ بهما فكأنَّما نُخدَعُ ، ويُبيِّنُهُ قولُه تعالى ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لكَ الأَمْثَالَ** ﴾ !!

وقال في موضعٍ آخر ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾[2] .

٥٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامَاً وَرُفَاتَاً ..** ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهدٌ : أي تُراباً[3] . وهو قول الفراء[4] .

وقال أبو عُبيدة والكسائيُّ : يُقال منه: رُفِتَ رَفْتَاً أي حُطِمَ[5] .

---

(١) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه ٩٧ وفي مجاز القرآن ٣٨٢/١ وفي جامع الأحكام ٢٧٣/١٠ وفي البيان والتَّبيين ١٨٩/١ وفي الطبري ٩٦/١٥ وأمالي المرتضى ٥٧٧/١ وفي البحر المحيط ٤٤/٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٣ .

(٣) الأثر عن مجاهد في الطبري ٩٧/١٥ وزاد المسير ٤٤/٥ وابن كثير ٨١/٥ .

(٤) انظر معاني الفراء ١٢٥/٢ فقد قال فيه : الرُّفاتُ : الترابُ لا واحد له ، بمنزلة الدُّقاقِ والحُطام .

(٥) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٣٨٢/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٥ .

٥٩ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾ ؟ [آية ٤٩] .

أي مجدَّداً .

٦٠ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾ [آية ٥٠] .

قال مجاهد : أي ما شئتم ، فستُعادونَ[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنهم لايستطيعون أن يكونوا حجارةً ، وإنما المعنى أنهم قد أقرُّوا بخالقهم ، وأنكروا البعث ، فقيل لهم : استشعروا أن تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم حجارةً أو حديداً ، لبُعثتم كما خُلقتم أوَّلَ مرَّة[2] .

٦١ ـ ثم قال عز وجل : ﴿ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ .. ﴾ [آية ٥٠] .

أي يعظم .

قال ابنُ عمر ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك في قوله

(١) الأثر في الطبري ١٥/٩٩ وابن كثير ٥/٨٢ وعبارة الطبري : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم اللهُ كما كنتم .

(٢) الأمر هنا للتعجيز ، والمرادُ بيان قدرة اللهِ عز وجل في إعادتهم بعد الموت ، فكأنه يقول لهم : لو كنتم حجارةً أو حديداً لقَدَر اللهُ على بعثكم وإحيائكم ، فضلاً عن أن تكونوا عظاماً ورفاتاً ، وقد ضرب لهم المثل بالحجارة والحديد لأنها أبعدُ شيء عن الحياة ، وهي أصلبُ الأشياءِ ، فلو كانت أجسامكم منها لأعادها الله عز وجل ، فكيف لايقدر على إعادتكم وأنتم تراب ورفات ؟ وهذا مثل قولك للرجل : اصعد إلى السماء فإني لاحقك .

تعالى ﴿ أَوْ خَلْقاً مما يَكْبُر في صُدورِكُمْ ﴾ : هو الموتُ[1] .

وفي الحديث « أنه يُؤتَى بالموتِ يومَ القيامـةِ ، في صُورةِ كَبْشٍ أملَحَ ، فيُذْبحُ بين الجنَّةِ والنَّارِ »[2] .

٦٢ ــ وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ [آية ٥١] .

أي يُحرِّكونها من فوق إلى أسفلَ ، ومن أسفلَ إلى فوق ، كما يفعل المتعجِّبُ ، المُستَبْطِئُ للشيء .

يُقال : أنغَضَ رأسَه فنَغَضَ ، ينغَضُ ، ويَنْغِضُ ، ويَنْغُضُ : أي تحرَّك[3] .

(١) الأثر في جامع البيان ٩٨/١٥ وتفسير ابن كثير ٨٢/٥ وزاد المسير ٤٤/٥ قال الحافظ ابن كثير : والمعنى على هذا القول : لو فُرِض أنكم صرتم موتاً الذي هو ضد الحياة ، لأحياكم الله إذا شاء ، فإنه لايمتنع عليه إذا أراده .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٧/٦ ولفظُه « يُؤتَى بالموتِ كهيئة كبشٍ أملح ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ، فيشرئبون ــ أي يمدُّون أعناقهم ــ وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم يُنادي يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه ، فيُذْبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ، ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ، إذ قُضي الأمرُ وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ ورواه الترمذي ٦٩٢/٤ وقال : هذا حديث حسنٌ صحيح .

(٣) في الصحاح ١١٠٨/٣ : نَغَضَ رأسَه ينغُضُ ، وينغِضُ ، نُغُوضاً أي تحرَّك ، وكلُّ حركةٍ في ارتجافٍ نغضٌ . اهـ وقال أهل التفسير ﴿ فسينغِضُون إليكَ رءوسَهُم ﴾ أي يُحرِّكون رءوسهم متعجبين ومستهزئين .

٦٣ ــ وقولــه جلَّ وعــز : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُــمْ فَتَسْتَجِيبُــونَ بِحَمْدِهِ .. ﴾ [آية ٥٢] .

قال سفيان : أي بأمره .

والمعنى عند أهل التفسير : مُقِرِّينَ أنه خالقكم .

٦٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ٥٣] .

أي يُفسِدُ ويُهيِّجُ[1] .

٦٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ .. ﴾ [آية ٥٧] .

وقرأ عبدالله بن مسعود ﴿ أولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ ﴾[2] .

قال : « هؤلاء من العرب ، عبدوا أناساً من الجن ، فأسلم الجِنيُّون ولم يعلم الذين عبدوهم »[3] .

---

(١) المراد أن الشيطان يُفسد ويهيج بين الناس الشرَّ ، ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الغليظة الخشنة .

(٢) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٠/٥ وهي ليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور ﴿ أولئك الذين يدعون ﴾ بالياء ، وفيها التفاتٌ من الخطاب إلى الغَيْبة ، قال ابن الأنباري : والعرب تفعل ذلك : إذا أمن اللَّبسُ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٥/١٥ وابن كثير ٨٦/٥ والسيوطي في الدر ١٨٩/٤ وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٠٧/٦ عن عبدالله بن مسعود بلفظ « كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناساً من الجن ، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم » .

وروى **شعبةُ** عن السُدِّي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلَةَ** ﴾ قال : عيسى ، وعُزيرٌ(١) .

وقيل : الملائكةُ الذين عبدوهم : قومٌ من العرب .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ [آية ٥٨] .

قال مجاهد : مُبيدوها أو معذِّبوها(٢) .

٦٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً** ﴾ [آية ٥٨] .

أي مكتوباً ، يُقال : سَطَر إذا كتَبَ .

رُويَ عن عبدالله بن عباس أنه قال : « أوَّلُ ما خلق اللهُ القلمَ ، فقال له : اكُتبْ ، فكتَبَ ما هو كائن »(٣) .

٦٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ** .. ﴾ [آية ٥٩] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، وفي الكلام حذفٌ .

(١ــ٣) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٠٥/١٥ وجامع الأحكام للقرطبي ١٧٩/١٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٥٠/٥ وتفسير ابن كثير ٨٦/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩٠/٤ .

والمعنى : ما منعنا أن نرسل بالآيات التـي اقترحتموهـا ، إلَّا أن تُكذِّبُوا بها فتهلِكُوا ، كما فُعِل بمن كان قبلكم[1] .

وقد أخَّـر اللـهُ أمـر هذه الأمـة إلى يوم القيامـة ، فقـال سبحانـه ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ** ﴾[2] .

٦٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً** .. ﴾ [آية ٥٩] .

قال مجاهد : أي آيةً[3] .

والمعنى : ذاتَ إبصار ، يُبْصَرُ بها ، ويتبيَّـــنُ بها صدقَ صالح عليه السلام[4] .

---

(١) في الآية حذفٌ كما نبَّه المصنف ، فإن أهل مكةَ سألوا رسول الله ﷺ بعض الآيات ، واقترحـوا عليه بعض الاقتراحـات ، منها أن يقلـب لهم جبـل الصفـا ذهبـاً ، وأن يُزيح عنهم الجبـال ، وأن يُجري لهم الأنهار ، فأخبره تعـالى أنه إن أجـابهم إلى ما طلبـوا ، ثم كذَّبـوا ولم يؤمنـوا استحقـوا عذاب الاستئصال ــ أي أن يهلكهم جميعاً ــ كما جرت سنته تعـالى في الأمم السابـقين ، فإنهم لمَّا طلبوا الآيات ثم كذبوا بها ، أهلكهـم الله ودمَّرهـم ، فاللهُ لم يجبهم إلى ما طلبـوا رحمةً بهم ، ومعنى الآية : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها ، إلا خشية أن يكذِّبوا بها فيهلكـوا ، كما فُعل بمن كان قبلهم ، وهو خلاصة قول قتـادة ، وابـن جريج ، وابـن عبـاس ، فحـذف من الآية « إلاَّ خشيـــة أن يكذبـــوا بها » ودلَّ على المحذوف قولـــه جل وعـــلا ﴿ إلا أن كذَّب بها الأولون ﴾ اهـ .

(٢) سورة القمر آية ٤٦ وتمامها ﴿ بل السَّاعةُ موعدهُم والساعةُ أدهى وأمرُّ ﴾ .

(٣) الأثر في الطبري ١٠٩/١٥ أي آيةً مبصِرَة .

(٤) قال في البحر ٥٣/٦ : أضاف الإبصار إليها على سبيـل المجاز والتقديـر : آية مبصرة أي يبصرهـا الناس ويشاهدونها ، وقال ابن قتيبة : أي بيِّنة يُبصر بها .

٧٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بالآيَاتِ إلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ [آية ٥٩] .

أي فظلموا بتكذيبهم بها .

٧١ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بَالنَّاسِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى شعبةُ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن قال : عصَمَك منهم(١) .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : هم في قبضتِهِ(٢) .

٧٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال سعيدُ بنُ جبير ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، والضحَّاكُ : هي الرؤيا التي رآها ليلةَ أُسرى بِه(٣) .

وزاد عكرمة : هي رؤيا يقظة(٤) .

(١ـ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١١٠/١٥ والبحر المحيط ٥٤/٦ وتفسير ابن كثير ٨٩/٥ وزاد المسير ٥٣/٥ والدر المنثور ١٩١/٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٠٧/٦ عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي رؤيا عين أُريها رسولُ الله ﷺ ليلة أُسري ، والشجرة الملعونة : شجرةُ الزقوم . اهـ .

قال سعيد بن المسيّب : ﴿ **إلاَّ فِتْنَةً للنَّاسِ** ﴾ : أي إلاَّ بلاءً للنَّاس[1] .

٧٣ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ .. ﴾** [آية ٦٠] .

قال سعيدُ بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك : هي شجرة الزقُّوم[2] .

وقال غيرهم : إنما فُتِنَ الناسُ بالرؤيا وشجرة الزقوم ، أن جماعةً ارتدُّوا وقالوا : كيف يُسْرى به إلى بيت المقدس في ليلةٍ واحدة ؟ وقالوا لمَّا أنزلَ اللهُ ﴿ **إنَّ شَجَرَةَ الزقُّوم . طَعَامُ الأثيم** ﴾[3] كيف تكون في النار شجرة ولا تأكلها ؟

فكان ذلك فتنةً لقوم[4] ، واستبصاراً لقوم ، منهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٣/١٠ : في الآية تقديم وتأخير ، أي ما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن ، إلاَّ فتنةً للناس ، وفتنتُها أنهم لما خُوِّفوا بها قال أبو جهل استهزاء : إن محمداً يتوعدكم بنارٍ تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تُنبت الشجر ، والنار تأكل الشجر ، وما نعرف الزقوم إلا التمر والزبد ، ثم أمر أبو جهل جاريته فأحضرت تمراً وزبداً ، وقال لأصحابه : تزقَّموا ، فهذا الذي يتوعدكم به محمد .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١٣/١٥ والدر المنثور ١٩٢/٤ .

(٣) سورة الدخان آية ٤٣ــ٤٤ وتمامُها ﴿ كالمُهْلِ يَغْلِي في البطونِ . كَغَلْي الحميم ﴾ .

(٤) أخرج ابن جرير عن الحسن ١١٠/١٥ قال : أُسري برسول الله ﷺ عشاءً إلى بيت المقدس ،

ويُقال : إِنَّمَا سُمِّي الصدِّيق ذَلك الوقت(1) .

فإن قال قائل : لم يُذْكَرْ في القرآنِ لعنُ هذه الشجرة ؟

قال أبو جعفر : ففي ذلك جوابان :

أحدهما : أنه لقد لُعِنَ آكلوها .

والجواب الآخر : أنَّ العرب تقول لكل طعامٍ ضَارٍّ ، مكروهٍ [ملعونٌ](2) .

٧٤ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ .. ﴾ [آية ٦٢] .

= فصلّى فيه ، وأراه الله ما أراه من الآيات والعِبر ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس فقالوا يامحمد : ما شأنُك ؟ أمسيت في بيت المقدس ، ثم أصبحت فينا تخبر أنك أتيتَ بيت المقدس ؟ فتعجبوا من ذلك حتى ارتدَّ بعضهم عن الإسلام .

(1) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٨٥/١٠ قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريشٍ فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا واللهِ الأمرُ البيِّن ــ يريدون أن الكذب فيه واضح ظاهر ــ واللهِ إن العير لتطَّرد مدبرةً شهراً ، ومقبلة شهراً ، من مكة إلى الشام ، يذهب محمد في ليلة واحدةٍ ويرجع إلى مكة !! فارتدَّ كثير ممن كان أسلم ، وذهب ناس إلى أبي بكر فقالوا : هل لك ياأبا بكر في صاحبك ! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس ، وصلَّى فيه ورجع إلى مكة ، فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو في المسجد يُحدِّث به الناس ، فقال أبو بكر : إن كان قد قاله فقد صدق ، والله إني لأصدِّقه بخبر السماء ، فمن يومئذٍ سُمِّي الصدِّيق .

(2) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٢٨٦/١٠ وهو ضروري لأن فيه الشاهد ، وكذلك ذكره ابن الجوزي .

أي فضَّلْتَ : وفي الكلام حذفٌ ، والمعنى : أرأيتَكَ هذا الـذي فضَّلْتَ عليَّ لمَ فضَّلته ، وقد خلقتني من نار ، وخلقتَه من طين ؟! ثم حُذف هذا لعلم السَّامع[١] .

٧٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾** [آية ٦٢] .

قال أبو جعفر : أكثر أهـل اللغـة على أنَّ المعنـى : لأستوليـنَّ [عـليهم][٢] ولأستأصلنَّهـم ، من قولهم : احتـنَكَ الجَـرَادُ الـزَّرْعَ : إذا ذهبَ به كلِّهِ .

وقيل : هو من قولهم : حَنَكَ الدابَّةَ يَحْنِكُها : إذا ربَـطَ حَبْلاً في حَنَكِها الأسفلِ ، وسَاقَها[٣] . حكى ذلك ابن السِكِّيت[٤] .

---

(١) هذا قول الزجـاج كما هو في زاد المسير ٥٧/٥ قال : أرأيـتك في معنـى : أخبرني ، والجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليـه ، والمعنـى : أخبرني عن هذا الـذي كرَّمتـه علـيَّ ، لمَ كرَّمتـه عليَّ ، وقد خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ؟ فحذف هذا ، لأن في الكلام دليلاً عليه .

(٢) هذا قول ابـن عبـاس كما في زاد المسير ٥٧/٥ وهـو قول الفـراء أيضاً في معانيـه ، وقـد سقـط من المخطوطة « عليهم » وأثبتناها من معاني الفراء ١٢٧/٢ وتفسير القرطبي ٢٨٧/١٠ .

(٣) في الصحاح ١٥٨١/٤ : حنكتُ الفرس أحنُكُهُ وأحنِكُه حَنْكاً : إذا جعلتَ فيـه الرَّسَن ، وكـذلك احتنكْتُه ، واحتـنَكَ الجرادُ الأرض أي أكل ما عليها ، وأتى على نبتها ، وقولُـه تعـالى ﴿ لأحتنكَنَّ ذريتَهُ ﴾ يريد لأستولين عليهم اهـ .

(٤) ابـن السكِّيت هو « يعقـوبُ بنُ إسحـق بـنِ السكِّيت » أديبٌ نحويٌ لغـويٌ ، عالـمٌ بالقـرآنِ والشعر ، وصحب الكسائيَّ ، واتصل بالمتوكل العبَّاسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وله من التصانيف نحو من عشرين كتاباً توفي سنة ٢٤٤ هـ وانظر ترجمتـه في سير أعـلام النبـلاء للذهبي ١٦/١٢ ووفيات الأعيان ٤٠٨/٢ ومعجم الأدباء ٥٠/٢٠ .

وحُكي أيضاً : احتَنَكَ دابَّته مثل حَنَكَ ، فيكون المعنى : لأسوقنَّهم كيف شئتُ .

٧٦ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً ﴾** [آية ٦٣] .

موفورٌ وموفَّرٌ واحدٌ ، يُقال : وفَرْتُه ووَفَّرْتُه كما قال [الشاعر] :

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مَنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمِ[١]

٧٧ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ .. ﴾** [آية ٦٤] .

أي اسْتخِفَّ[٢] .

قال مجاهد ﴿ بصَوْتكَ ﴾ : بالغناء والمزامير[٣] .

٧٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ ﴾** [آية ٦٤] .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص٣٠ والشاهد فيه « يَفِرْهُ » أي يجعله وافراً ، وبعده :
ومن لا يَذُدْ عن حوضِهِ بسلاحه   يُهدَّم ومن لا يَظْلِم الناسَ يُظْلَم

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في تفسير ابن الجوزي ٨٥/٥ والمراد استخفَّ من شئت من الضالين ، وحرِّكْه نحو الفساد ، بطرق الغيِّ والإضلال .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٨/١٥ وهو في البحر المحيط ٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ٩١/٥ عن مجاهد .

رَوَى **سعيدُ بنُ جُبير** ومجاهدٌ عن ابنِ عباس قال : كلُّ خيلٍ سارتْ في معصية اللَّهِ ، وكلُّ رِجْلٍ مَشَتْ في معصيةِ اللَّهِ ، وكلُّ مالٍ أُصيبَ من حرامٍ ، وكلُّ وَلَدِ غَيَّةٍ[1] فهو للشيطان[2] .

وقال غيرُه : مشاركتُه في الأموال هي : السائبةُ والبَحِيرةُ ، وفي الأولاد قولهم : عبد العُزّىٰ ، وعبد الحارث .

وقرأ قتادة ﴿ وأَجْلِبْ عليهمْ بخَيْلكَ ورِجَالِك ﴾[3] .

٧٩ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوراً ﴾** [آية ٦٤] .

هذا أمرٌ فيه معنى التهدُّدِ والوعيد ، كما قال تعالى ﴿ **فمنْ شَاءَ**

(١) « ولد غَيَّةٍ » أي ولد زنى ، قال في المصباح ١١١/٢ : وهو لِغَيَّةٍ بالفتح والكسر : كلمة تقال للشتم ، كما يُقال : هو لزنية .اهـ وفي الصحاح مادة غيا : يُقال : فلانٌ لِغَيَّةٍ وهو نقيض قولك : لرَشْدة .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٩/١٥ عن ابن عباس بنحوه ، وابن الجوزي في زاده ٥٨/٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٢/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولفظُه ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال : « استنزل من استطعت منهم بالغناء والمزامير ، واللهو والباطل ﴿ وأجلبْ عليهمْ بخيلكَ ورَجِلِكَ ﴾ قال : كلُّ راكب وماشٍ في معاصي الله ﴿ وشاركهم في الأموالِ والأولاد ﴾ قال : الأموالُ ما كانوا يحرِّمون من أنعامهم ، والأولادُ أولادُ الزنى » اهـ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٢/٢ وأما قراءة ﴿ ورَجْلِكَ ﴾ بسكون الجيم فهي سبعية .

فَلْيؤمنْ ، ومن شَاءَ فَلْيكفُرْ ﴾(1) .

٨٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ **إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ..** ﴾ [آية ٦٥] .

قيل : أي خُلَصَائِي ، كما قال تعالى ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴾(2) .

٨١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾ [آية ٦٥] .

أي منجياً لخلصائه من الشيطان .

والفرَّاءُ يذهبُ إلى أن معنى ﴿ **وَكِيلاً** ﴾ كافٍ ، وكذا قال في قوله جلَّ وعز ﴿ **أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً** ﴾(3) .

٨٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ ..** ﴾ [آية ٦٦] .

أي يسوقُ .

٨٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ **أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ**

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٩ وتمامها ﴿ وادخلي جنتي ﴾ .

(٣) انظر معاني الفراء ١١٦/٢ وقد جاء فيه ﴿ ألَّا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ يُقال : ربّاً ، ويُقال : كافياً .

عَلَيْكُمْ حَاصِباً .. ﴾ [آية ٦٨] .

الحاصبُ : الرِّيحُ التي ترمي بالحَصْباءِ وهي : الحصَى الصِّغار[1] .

٨٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ .. ﴾** [آية ٦٩] .

قال ابن عباس : هي التي تُغرِق[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : قَصَفَه إذا كَسَره ، كأنها من شِدَّتها تكسِرُ الشَّجَر[3] .

٨٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾** [آية ٦٩] .

قال مجاهد : ثائراً[4] .

قال أبو جعفر : وهو من الثأر ، وكذلك يُقال لكل من طَلَبَ

---

(١) في الصحاح ١١٢/١ : الحصباءُ : الحَصى ، وحصبتُ الرجل أحصِبُه بالكسر : أي رميتُه بالحصباء ، والحاصبُ : الريحُ الشديدة التي تثير الحصباء . اهـ .

(٢) الأثر عن ابن عباس في الطبري ١٢٥/١٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ .

(٣) هذا قول ابن قتيبة كما في زاد المسير ٦٢/٥ قال : القاصفُ : الريح التي تقصف الشجر أي تكسره .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٥/١٥ وابن كثير ٩٤/٥ والدر المنثور ١٩٣/٤ والمعنى على هذا القول : لن تجدوا من يأخذ لكم بالثأر منا ، أو يطالبنا بتَبِعَةِ إغراقكم !!

بثأرٍ أو غيره : تبيعٌ ، وتَابعٌ ، ومنه قوله تعالى ﴿ **فَاتِّبَاعٌ بالمعْرُوفِ** ﴾[1] أي مطالبةٌ .

٨٦ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ ولقد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ، ورَزَقْنَاهُمْ منَ الطَّيِّبَاتِ ، وفضَّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾** [آية ٧٠] .

قال عبدالله بن عباس : فُضِّلوا بأنهم يأكلون بأيديهم ، والبهائم تأكل بأفواهها[2] .

وقال غيره : فُضِّلوا بالفهم والتمييز ، وبما سُخِّر لهم[3] .

٨٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ .. ﴾** [آية ٧١] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ والآية ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٢٥/١٥ قال الطبري : ذُكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ، ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق ، وذكره السيوطي في الدر ١٩٣/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) هذا القول مرويٌّ عن الضحاك كما في زاد المسير ٦٣/٥ وهو أظهر من القول الأوّل ، لأن التفضيل بالعقل ، والفهم ، والعلم ، وقد جمع ابن كثير بين القولين ٩٤/٥ فقال : تفضيلهم بخلقهم على أحسن الهيئات وأكملها ، فالإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجليه ، ويأكل بيديه ، والحيوانات تمشي على أربع ، وتأكل بفمها ، وجعل الله للإنسان سمعاً وبصراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله وينتفع ، ويفرِّق بين المنافع والمضار .اهـ .

رُوِي عن ابن عباس : أي بنبيِّهم[1] .

وقال الحسن والضحَّاكُ : بكتابهم[2] .

قال أبو جعفر: ويدلُّ على هذا قولُه بعدُ ﴿ **فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ .

الفتيلُ : الذي يكون في شِقِّ النَّواة ، **والنَّقيرُ** : النُّقْرةُ التي فيها ، **والقِطْميرُ** : الفُوقَةُ التي تكون على النواة .

أي لا يُظلمون مقدار هذا الحقير .

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [آية ٧٢] .

قال عكرمة : « قال رجلٌ لعبد اللهِ بنِ عباس : كيف يكون في الآخرة أعمى ؟

فقال له : أخطأت التأويلَ ، ألا تَرَى أنه جلَّ وعزَّ عدَّد النِّعم ، ثم قال : ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى** ﴾ أي من عميَ عن هذه النِّعم

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/١٢٦ وزاد المسير ٥/٦٥ وتفسير ابن كثير ٥/٩٦ وما قاله الحسن والضحاك أظهر ، وقد رجحه ابن كثير ، والمعنى : اذكر اليوم العصيب يوم القيامة حين ننادي كل إنسان بكتاب عمله ليشهد ما سُطِّر فيه ، ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى في سورة يس ﴿ وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين ﴾ .

التي يراها ، وتدلُّه على قدرةِ اللهِ ، فهو فيما لم يَرَهُ من أمرِ الآخرةِ أعمى »[1] . وكذلك قال قتادة .

وقال غيره : ومن كان في الدنيا أعمى وقد فَسَحَ الله له في العُمُر ، ووعده قَبُولَ التوبة ، ودعاه إلى الطاعة فلم يُجب ، وعَميَ عن ذلك ، فهو في الآخرة ــ إذا كان لا تُقبل منه توبةٌ ولا إنابةٌ ــ أعمى وأضلُّ سبيلاً[2] .

٨٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾ [آية ٧٣] .

المعنى : كادوا يفتنونك ، لأنَّ « إنَّ » و « اللام » تدلُّ على التوكيد[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٨/١٥ والدر المنثور ١٩٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والفريابي .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن الحسن البصري ٦٦/٥ والقولُ الأول أظهرُ ، وهو اختيار الطبري وابن كثير ، والمعنى على قول ابن عباس وقتادة : من كان في هذه الدنيا أعمى القلب ، عن حجج الله وآياته ، التي قد عاينها ببصره ، وعن عجائب قدرة الله ووحدانيته في آياته الكونية ، فهو فيما غاب عنه من أمر الآخرة ، أشدُّ عماية وضلالة ، وأسوأ حالاً ومصيراً ، قال ابن عطية : أي من كان في دنياه هذه وقت إدراكه وفهمه ، أعمى عن النظر في آيات الله ، فهو يوم القيامة أشد حيرة وعمى .

(٣) قوله ﴿ وإنْ كَادُوا ﴾ « إن » هذه هي المخففَّة من « إنَّ » الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، أي وإنه الحال والشأن كادوا يفتنونك ، وكاد من أفعال المقاربة ، واللام هي الفارقة ، ومن هنا جاء التأكيد ، وانظر البحر المحيط ٦٥/٦ .

ويُروَى أنهم قالوا للنبي ﷺ : اطردْ عنَّا هؤلاء السُّقَّاط والموالي ، حتى نجلس معك ، ونستمع منك ، فهمَّ النبي بذلك ، ميلاً منه إلى أن يؤمنوا ، فعُصِمَ ﷺ ، وأنزل اللهُ تبارك وتعالى ﴿ **وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ** ﴾[1] .

قال مالك بنُ دينار : سألتُ جابرَ بنَ زيد عن قوله ﴿ **إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ** ﴾ فقال : إذاً لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات[2] .

قال أبو جعفر : وكذلك معناه عند أهل اللغة ، وخوطب بهذا النبيُّ ﷺ لأن الثوابَ به جَزُل كما قال تعالى ﴿ **يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ منكنَّ بفَاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾[3] ولمشاهدة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٦٨ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ١٥/١٣١ وهو مرويٌّ عن ابن عباس ، وعلى هذا القول يكون الكلام على حذف مضاف أي ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات ، كقول الشاعر :

واستبَّ بعدك ياكُلَيْبُ المجلسُ

أي استب أهل المجلس ، قال المفسرون : الرسول ﷺ معصوم ، ولكنه تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحدٍ من المشركين ، في شيء من أحكام الله وشرائعه .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٠ .

الأنبياء الملائكة ، والآياتِ العظام ، كان في ذلك الخطاب من الفائدةِ ، أنه عُلِمَ به أَنَّ هذا حكمُ اللهِ ، فيمن عصاه من الأنبياء ، فكيف غيرهم(١) ؟

٩٠ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٧٦] .

قيل : المعنى يستفزُّونك بالقتل(٢) .

قال عوف عن الحسن : هَمُّوا بإخراج النبي ﷺ من مكَّة ، وأراد اللهُ بقاء أهل مكة ، فأمره أن يخرج منها مهاجراً إلى المدينة ، فخرج بأمر اللهِ ، ولو أخرجوه لهلكوا كما قال سبحانه ﴿ وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾(٣) .

قال أهل التفسير : ﴿ خِلَافَكَ ﴾ أي بعدك .

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠١/١٥ : والآية غايةُ الوعيد ، لأنه كلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم .

(٢) روي هذا عن الحسن كما في تفسير ابن الجوزي ٧٠/٥ وإليه ذهب الزجَّاجُ ، والأَصحُّ أن معنى الاستفزاز : الإزعاجُ بسببٍ من الأسباب ، لحمله على الخروج من الوطن ، فقد همُّوا بإخراجه ﷺ بشتَّى أنواع الوسائل والمضايقات .

(٣) هذا قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة كما في زاد المسير ٧٠/٥ وهو في البحر ٦٦/٦ عن مجاهد ، قال : أرادت قريش هذا ، ولكنه لم يقع منها ، لأنه تعالى أراد استبقاء قريش وألاَّ يستأصلها ، فأذن لرسوله في الهجرة ، فخرج بإذنه لا بقهر قريش ، ولو أخرجوه لعُذِّبوا .اهـ وقال الإمامُ الفخر : ما خرج النبي ﷺ بسبب إخراجهم ، وإنما خرج بأمر الله عز وجل ، فلا تعارض .

وحُكيَ عن العرب : جاء فلانٌ خَلْفَ فلانٍ وخِلَافه أي بعده[1] .

وقد يجيء « خلاف » بمعنى مخالفة .

٩١ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى سفيانُ عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبدالله قال : « دلوكُها » : غروبُها[2] .

ورَوَى سفيانُ عن منصور عن مجاهد [عن ابن عباس ﴿ لدلوكِ الشمس ﴾ لغروبها ،

ورَوَى الشعبيُّ عن ابن عباس][3] « دُلوكُها » : زوالُها[4] .

ورَوَى الزُّهريُّ ، عن سالم ، عن ابنِ عمرَ ﴿ دُلُوك الشَّمْسِ ﴾ : بعد نصف النهار ، وهو وقتُ الظهر[5] .

ورَوَى مالكٌ والليثُ ، عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ قال : ﴿ دُلُوكُ الشَّمْسِ ﴾ : زوالُها[6] .

---

(١) في المصباح المنير ١٩٣/١ : وقعدتُ خلافه أي بعده ، وفي زاد المسير ٧٠/٥ قال الأخفشُ : « خِلافَكَ » في معنى خلفك ، والمعنى : لايلبثون بعد خروجك إلا قليلاً ، أي لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك بقليل .

(٢) الأثر عن ابن مسعود في الطبري ١٣٤/١٥ والدر المنثور ١٩٥/٤ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير موجود في المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش .

(٤ ــ ٦) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٣٥/١٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩٥/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٧٢/٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٦٨/٦ وتفسير ابن كثير ٩٨/٥ .

وكذلك رُوِيَ عن جعفرَ بنِ محمد ، رحمةُ الله عليه .

قال أبو جعفر : الدُّلوكُ في اللغة : الميلُ ، فهي تميلُ عند الزَّوال ، وعند الغروب ، إلاَّ أنَّ الزَّوالَ في هذا أكثرُ على ألسُنِ النَّاسِ [1] .

ويدلُّ عليه أنَّ بعده ﴿ **إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ فيدخل فيه الظهر ، والعصرُ ، والمغربُ ، والعشاءُ وبعده ﴿**وقرآنَ الفَجْرِ** ﴾ فلا يمتنع أن يكون غَسَقُ اللَّيلِ أوَّلَه ، وذلك عند غروبِ الشمسِ ، قال ذلك أبو هريرة .

وهو يُقوِّي قولَ من قال : الدُّلوكُ : ميلُها للزَّوال .

قال ابن عباس : ﴿ **غَسَقُ اللَّيلِ** ﴾ : اجتماعُ الليلِ وظلمتهُ [2] .

وقال قتادة : أوَّلهُ [3] .

(١) قال الفراء : رأيتُ العرب تذهب في الدُّلوكِ إلى غيبوبة الشمس ، وأنشدني بعضُهم :
« ذَبَّبَ حَتَّى دَلَكَتْ بَراحِ »
يعني الساقي طرد الناس . قال ابن الجوزي ٧٢/٥ : وهذا اختيار ابن قتيبة ، لأن العرب تقول : دلَكَ النَّجمُ : إذا غاب ، قال ذو الرمَّة :
مَصَابيحُ ليستْ باللَّواتي تقودُها ... نُجُومٌ ولا بالآفِلاتِ الدَّوَالِكِ
وتقول في الشمس : دلكَتْ بَرَاح : يريدون : غربت والناظر قد وضع كفَّه على حاجبه ينظر إليها . وقال الأزهري : أصلُ الدلوك الميلُ ، يُقال : مالت الشمسُ للزوال ، ومالت للغروب ، والقول عندي أن دلوك الشمس : زوالُها نصف النهار ، لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، وإذا جعلت الدلوكَ : الغروب ، كان الأمر في هذا قاصراً على ثلاث صلوات .
(٢ـ٣) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٥ والبحر المحيط ٧٠/٦ قال الجوهري : الغَسَقُ : أول ظلمة الليل ، غَسَقَ الليل يَغْسِقُ : أظلم اهـ الصحاح .

٩٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ .. ﴾ [آية ٧٨] .

فسمَّى الصَّلاةُ « قرآناً » لأنها لا تكون إلاَّ بالقرآن[١] .

٩٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ [آية ٧٨] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « صلاةُ الفجر تحضرُهُا ملائكة الليلِ ، وملائكةُ النَّهارِ ، واقرءُوا إن شئتم ﴿ وقُرْآنَ الفَجْرِ ، إنَّ قُرْآن الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[٢] .

٩٤ ــ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ .. ﴾ [آية ٧٩] .

قال عَلْقمةُ والأسودُ : التهجُّدُ بعد النَّوم[٣] .

---

(١) هذا من باب اطلاق الجزء وإرادة الكل ، فالقراءة جزءٌ مهم من الصلاة ، ولهذا عبَّر عن الصلاة بها . وفي البخاري ٦/١٠٨ قال مجاهد : صلاة الفجر وفي البحر ٦/٧٠ سميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها . وفي الكشاف ٢/٣٧٢ : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر ، سُمِّيت قرآناً ــ وهو القراءة ــ لأنها ركنٌ ، كما سُميت ركوعاً ، وسجوداً ، وقنوتاً ، ويجوز أن يكون حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر ، ليسمع الناسُ القرآن فيكثر الثواب ، ولهذا كانت الفجر أطول الصلوات قراءة . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٧٤ وأخرجه البخاري في التفسير ٦/١٠٨ ولفظُه عن النبي ﷺ أنه قال : « فضلُ صلاة الجميع على صلاة الواحد خمسٌ وعشرون درجةً ، وتجتمع ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار في صلاة الصبح ، يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ وقرآن الفجر ، إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ١٥/١٤٢ وفي الدر المنثور للسيوطي ٤/١٩٦ وعزاه إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر .

قال أبو جعفر : التهجُّدُ عند أهل اللغة : التيقُّظ والسَّهرُ ، والهُجُودُ : النَّومُ ، يُقال : تهجَّد : إذا سَهِرَ ، وهَجَد : إذا نَامَ[1] .

يُروَى عن مجاهد أنَّ هذا للنبي ﷺ خِصِّيصاً ، وأن معنى ﴿ **نافِلةً لكَ** ﴾ للنبي خاصٌّ ، لأنه قد غُفِر له ذنوبُه ، فهي نافلةً من أجل أنه لا يعملها في كفارة الذنوب ، والنَّاسُ يعملون ما سوى المكتوبات لكفارات الذنوب[2] .

وقال غيرُه : ﴿ **نَافِلَةً لَكَ** ﴾ أي ليست بفرضٍ ، لأن النَّفلَ كلُّ ما لا يجب فعلُه ، والنَّافلةُ في اللغةِ ، الزيادةُ[3] .

٩٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** ﴾ [آية ٧٩] .

رَوَى داودُ الأَوْديُّ[4] عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** ﴾ قال : « هو

---

(١) في جامع البيان ١٤١/١٥ : التهجد : التيقُّظُ والسَّهرُ بعد نومةٍ من الليل ، وأما الهجودُ نفسُه : فالنومُ ، قال الشاعر :

أَلَا طَرَقَتْنَا وَالرِّفَاقُ هُجُودُ ... فَبَاتَتْ بِعِلَّاتِ النَّوالِ تَجُودُ

(٢) الأثر في الطبري ١٤٣/١٥ وزاد المسير ٧٥/٥ والدر المنثور ٩٦/٤ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري مادة نفل ، ولسان العرب لابن منظور .

(٤) هو داود بن يزيد الأَوْدي ، قال أحمد : ضعيف الحديث ، وكذلك قال ابن معين ، وانظر ترجمته في التهذيب ٢٠٥/٣ .

المقامُ الذي أشفعُ فيه لأُمَّتي »[1] .

ورَوَى **معاويةُ بن صالح** ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « كلُّ عَسَى واجبةٌ »[2] .

قال أبو عبيدة : يعني في القرآن[3] .

٩٦ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾** [آية ٨٠] .

قال الحسن وقتادة : هو دخول المدينة ، وخروجه من مكة[4] .

وقال الضحاك : هو خروجه من مكة ، ودخولُه مكة يوم الفتح آمناً[5] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٨/٦ بلفظ « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ـ أي جماعاتٍ جماعات ـ كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها ، يقولون يافلان : اشفعْ ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه اللهُ المقام المحمود » ورواه السيوطي في الدر المنثور بمثل رواية المصنف ، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسَّنه . وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٠٢/٥ طرقاً عديدة للأحاديث الصحيحة في « المقام المحمود » لنبينا ﷺ فارجع إليها ففيها الشفاء .

(٢) الأثر رواه الطبري ١٤٣/١٥ وابن الجوزي في زاده ٧٦/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٧٢/٦ .

(٣) قال المفسرون : « عَسَى » في كلام الله تفيد التحقيق ، لأنه وعدٌ كريم ووعدُ الله لايُخلف ، وهذا معنى قول ابن عباس : « عَسَى من الله واجبة » أو كلُّ « عسى » واجبة ، وانظر جامع البيان للطبري ١٤٣/١٥ .

(٤ـ٩) انظر هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٩/١٥ وزاد المسير ٧٧/٥ وتفسير ابن كثير =

وقال **مجاهد** : هو دخولُه في الرسالة وأمرِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[٦] .

٩٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾** [آية ٨٠] .

قال **الشعبيُّ وعكرمة** : أي حُجَّة ثابتة[٧] .

وقال **مجاهد** : أي حُجَّة[٨] .

وذهب **الحَسَنُ** إلى أنه العِزُّ والنصر ، وإظهارُ دينه على الدين كلِّه[٩] .

٩٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقَاً ﴾** [آية ٨١] .

رَوَى **معمرٌ عن قتادة** قال : **﴿ الحقُّ ﴾** القرآنُ **﴿ والباطلُ ﴾** : الشيطانُ ، قال **﴿ وَزَهَقَ ﴾** : هَلَكَ[١] .

= ١٠٨/٥ والدر المنثور للسيوطي ١٦٨/٤ والبحر المحيط لابي حيان ١٩٩/٦ ورجح الطبري قول الحسن وقتادة ١٥٠/١٥ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/١٥ وابن الجوزي ٧٨/٥ والسيوطي في الدر ١٩٩/٤ وعزاه إلى عبدالرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ، وأخرج البخاري في التفسير ١٠٨/٦ : يزهقُ : يهلك ، وروى عن ابن مسعود قال : « دخل النبي ﷺ مكة ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب ــ أي صنم ــ فجعل يطعنها في عودٍ بيده ويقول ﴿ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ﴿جاء الحقُّ وما يُبدِىءُ الباطلُ وما يُعيد ﴾ .

٩٩ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾** [آية ٨٢] .

ليست « مِنْ » ها هنا للتبعيض ، وإنما هي لبيان الجنس .

والمعنى : ونُنَزِّلُ ما هو شفاءٌ ورَحمةٌ للمؤمنين ، ثمَّ بيَّن فقال **﴿ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾** كما قال سبحانه **﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾**[1] .

١٠٠ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. ﴾** [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي تباعَدَ منّا[2] .

وقرأ يزيدُ بنُ القعقاع ﴿ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ ﴾[3] الهمزة مؤخَّرة .

واللغةُ الأُولى أعرفُ ، وهذا على قلب الهمزة[4] .

١٠١ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾** [آية ٨٣] .

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٠ .

(٢) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٥/١٥٣ والسيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٩ .

(٣) هذه من القراءات السبع المتواترة ، كما في النشر ٢/٣٠٨ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص٣٨٤ قرأ بها ابن عامر من رواية ابن ذكوان .

(٤) يريد أن أصل الكلمة « نأى » وكلمة « ناء » مقلوبة الهمزة قُلبت الهمزة إلى ياء مقصورة ، فـ « ناءَ » مقلوب « نأى » والله أعلم :

رَوَى سَعيد عن قتادة قال : « يَئِسَ » : قَنِطَ[1] .

١٠٢ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ .. ﴾ [آية ٨٤] .

قـال الحسنُ : على نيَّتِهِ[2] .

وقال مجاهد : أي على حِدَتِهِ ، وعلى طبيعته[3] .

وقال الضحاك : على ناحيته[4] .

وهذا يرجع إلى قول الحسن ومجاهد .

وحقيقةُ المعنى ــ واللهُ أعلمُ ــ : كلٌّ يعملُ على النَّحوِ الذي جرتْ به عادتُه وطبعُه[5] !!

والمعنى : وليس ينبغي أن يكون كذلك ، إنما ينبغي أن يُتَّبع الحقُّ حيثُ كان ، وقد ظهرت البراهينُ ، وتبيَّنَ الحقُّ .

قال أبو جعفر : وهذا يرجع إلى قول الحسن .

(١ــ٤) انظر الآثار في الطبري ١٥/١٥٤ وفي البحر المحيط ٦/٧٥ وفي الدر المنثور ٤/١٩٩ والقرطبي ١٠/٣٢٢ وزاد المسير ٥/٨٠ .

(٥) هذا قريبٌ مما قاله الزجَّاج أن المعنى : كلٌّ يعمل على طريقته ، وعلى مذهبه .. الخ .

أقول : إن معنى الآية : كلُّ واحدٍ يعمل على نهجه وطريقته ، وفي الهُدَى والضَّلال ، فإن كانت نفسُ الإنسان مشرقةً صافيةً ، صدرتْ عنه أفعالٌ حسنةٌ كريمة ، وإن كانت نفسُه فاجرةً كافرة ، صدرتْ عنه أفعالٌ شِرِّيرةٌ منكرة « وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضَحُ » .

١٠٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .. ﴾** [آية ٨٥] .

رُوي عن عبدالله بن مسعود قال : « كنتُ مع النبيِّ ﷺ فسألته اليهُود عن الرُّوحِ ، فسكَتَ ، فحسِبتُ أنه يُوحى إليه ، فتنحَّيْتُ ، فأُنزل عليه ﴿ **وَيَسْأَلُونَك عن الرُّوْحِ ، قُلِ الرُّوْحُ من أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتيتُم مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً** ﴾ .

يعني : اليهودَ ، فقالوا : نجد مثلَه في التَّوراة (قُلِ الرُّوحُ من أَمْرِ ربِّي)[1] !!

قال أبو جعفر : وقد تكلَّم العلماءُ في الرُّوح :

فَرَوى عطاءٌ عن ابن عباس قال : « الرُّوحُ » مَلَكٌ له أحَدَ عَشَرَ ألِف جَنَاحٍ ، وألفُ وجهٍ ، يسبِّحُ اللَّهَ إلى يوم القيامة »[2] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥٥/١ ورواه البخاري في كتاب التفسير ١٠٩/٦ عن عبدالله ابن مسعود ، ولفظُه : « بينا أنا مع النبي ﷺ في حَرْث ، وهو متَّكِيءٌ على عَسِيب ــ أي عصا من النخيل ــ إذ مرَّ اليهودُ فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الرُّوح ، وقال بعضهم : لايستقبلكم بشيءٍ تكرهونه ، فقالوا : سَلُوه ، فسألوه عن الرُّوح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يُردَّ عليهم شيئاً ، فعلمتُ أنه يُوحى إليه ، فقمتُ مقامي ، فلمَّا نزل الوحيُ قال ﴿ ويسألونك عن الرُّوح ، قل الرُّوحُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ورواه مسلم ٢١٥٢/٤ والترمذي رقم ٣١٤١ وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسن صحيح .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/١٥ بلفظ « هو مَلَكٌ من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجهٍ =

وقال أبو صالح : « الرُّوْحُ خَلْقٌ كخلْقِ بني آدم ، وليسوا بني آدمَ ، لهم أيدٍ وأرجلٌ »[1] .

وقيل : الرُّوحُ : جبريلُ عليه السلام[2] ، واحتجَّ صاحبُ هذا القول بقوله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِينُ ﴾[3] .

قال محمدُ بنُ إسحقَ : وزعموا أنه ناداهم ــ يعني النبيَّ ﷺ ــ الرُّوحُ جبريلُ ، وكذا رُوي عن ابن عباسٍ والحسن[4] .

قال ابن عباس : وجبريل قائمٌ بين يَدَيْ اللَّهِ جل ثناؤه يوم القِيامة .

وقيل : هو عيسى صلَّى الله عليه وسلَّم ، أي هو من أمر اللَّهِ ، وليس كما يقول النَّصارى .

وقيل : الرُّوحُ : القرآنُ لقوله تعالى ﴿ وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

= منها سبعون ألف لسان ، لكل لسانٍ منها سبعون ألف لغة ، يُسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها » وذكره الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ وقال : هذا أثر غريب عجيب .

(١) الأثر ذكره الطبري ١٥٦/١٥ في جامع البيان ، والسيوطي في الدر ٢٠٠/٤ وهذا الأثر والذي قبله ، ليس لهما أسانيد قوية ، والله أعلم .

(٢) هذا قول قتادة كما ذكره عنه الحافظ ابن كثير ١١٣/٥ .

(٣) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣ .

(٤) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨٢/٥ فقد ذكر أنه قول الحسن وقتادة .

رُوحَاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾(1) !! واللَّهُ أعلمُ بما أراد ، غير أنه قد أخبرنا أنه من أمرِ اللهِ جلَّ وعزَّ(2) .

فإن قال قائل : كيف قيل لليهود ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً** ﴾ وقد أُوتوا التَّوراة ؟ .

فالجوابُ : أن قليلاً وكثيراً ، إنما يُعرفان بالإضافة إلى غيرهما ، فإذا أُضيفتْ التوارةُ إلى علم الله جلَّ وعز ، كانت قليلاً من كثير ، أَلَا ترى إلى قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادَاً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدَاً** ﴾(3) !؟ .

١٠٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** .. ﴾ [آية ٨٦] .

---

(1) سورة الشورى آية ٥٢ .

(2) خلاصة آراء المفسرين حول هذه الآية ، ما ذكره الحافظ ابن كثير ١١٢/٥ حيث قال رحمه الله : وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا على أقوال :
أحدها : أن المراد بالروح أرواح بني آدم ، رواه العوفي عن ابن عباس .
وقيل : المراد بالروح هاهنا : جبريل عليه السلام ، قاله قتادة .
وقيل : المراد به مَلَكٌ عظيم بقدر المخلوقات كلها ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .
وقيل : المراد طائفة من الملائكة على صور بني آدم . اهـ بإيجاز أقول : وأظهرها وأشهرها القول الأول وهو الذي عليه الجمهور ، أن المراد بالروح ، الروح التي تسري في الجسد ، وهي من الأسرار الخفية التي لايعلمها إلاَّ ربُّ البرية .

(3) سورة الكهف آية رقم ١٠٩ ..

أي لو شئنا لأذهبناه من الصُّدور ، والكُتُبِ[1]

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾ أي من يتوكَّلُ في ردِّه .

قال الحسنُ : أي يمنعك منا إذا أردناك[2] .

١٠٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾ [آية ٨٧] .

وهذا استثناءٌ ليس من الأوَّل[3] ، أي لكن اللَّهُ ثبَّته ، رحمةً منه وتفضُّلاً .

١٠٦ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [آية ٨٨] .

قال الحسن : أي مُعِيناً[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج قال : لو شئنا لمحوناه من القلوب ، والكتب ، حتى لا يوجد له أثره ، وانظر زاد المسير ٥/٨٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ، وانظر جامع البيان ١٥/١٥٧ .

(٣) يريد أنه استثناءٌ منقطع بمعنى « لكن » أي لكن اللَّهُ ثبَّتك ورحِمَك ، فلم يُذهبْه من قلبك ، قال في البحر ٦/٧٦ : « وهذا امتنانٌ من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً في صدرك ، بعد المنّة في تنزيله .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٥/١٥٩ . قال في البحر ٦/٧٧ : « لما ذكر تعالى إنعامه على نبيّه ﷺ بالنبوة ، الذي عجز العالم على الإتيان بمثله ، وأنه من أكبر النعم عليه ، وإذا كان فصحاءُ =

١٠٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ .. ﴾** [آية ٨٩] .

أي وجَّهنا القول بكل مَثَل ، وهو من قوله : صَرَفتُ إليك كذا : أي عدلتُ به إليك .

١٠٨ ــ **ثم أخبر اللهُ أنَّهم لمَّا عجزوا** أن يأتوا بمثله ، وانقطعت حجتهُم ، اقترحوا الآيات ، فقال جلَّ وعزَّ : **﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً .. ﴾** [آية ٩٠] .

وقد أراهم اللهُ من الآياتِ ما هو[(١)] أكثرُ من هذا ، من انشقاق القمر ، وغير ذلك .

وقال مجاهد : يَنْبُوعٌ : عُيونٌ[(٢)] .

قال أبو جعفر : وهو عند أهل اللغةِ : من نَبَعَ ، يَنْبَعُ ، ويَنْبُعُ .

= اللسان وبلغاؤهم ، عجزوا عن الإتيان بسورةٍ واحدةٍ مثله ، فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه ــ ولو تعاون الثقلان عليه ــ من باب أولى » .

(١) معجزاته ﷺ لا حصر لها ، فقد نبع الماء من بين أصابعه ، وسبَّح في يده الحصى ، وسلَّم عليه الحجر ، وانشقَّ له القمر ، واستجيب دعوتهُ بنزول المطر ، إلى آخر ماله من معجزات جمة صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥/١٦٠ والقرطبي ١٠/٣٣٠ عن مجاهد ، قال ابن الجوزي ٥/٨٧ : « الينبوعُ : عينٌ ينبع منها الماءُ ، قال أبو عُبَيْدة : هو يَفْعُولٌ من نَبَع الماءُ أي ظَهَر وفار .

ومنه سُمِّي مالُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يَنْبُع[1] .

١٠٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً .. ﴾** [آية ٩٢] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادةَ قال : ﴿ **كِسَفاً** ﴾ : قِطَعاً[2] .

وحكى الفرَّاءُ أنه سمع أعرابياً يقول : أعطني كِسْفةً من هذا الثوب ، أي قطْعةً[3] .

ويُقرأ : ﴿ كِسْفاً ﴾[4] والمعنى على هذه القراءة للسَّماءِ كلِّها ، أي طَبَقاً .

واشتقاقُه من كسَفْتُ الشيءَ : أي غطَّيتُه .

١١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً ﴾** [آية ٩٢] .

روى مَعْمرٌ وسعيد عن قتادة قال : ﴿ **قَبِيلاً** ﴾ أي عِيَاناً[5] .

---

(١) قال الحموي في معجم البلدان ٤٤٩/٥ : « يَنْبُع » بالفتح ثم السكون هي من المدينة على سبع مراحل ، وهي لأبناء الحسن بن عليٍّ ، فيها عيونٌ غزيرة عذاب ، وهي قريةٌ غنَّاء ، سميت ينبع لكثرة ينابيعها . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦١/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٣/٤ عن ابن عباس .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١٣١/٢ .

(٤) هذه من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٠٩/٢ لابن الجزري ، والسبعة لابن مجاهد ص٣٨٥ .

(٥) الأثر في الطبري ١٦٢/١٥ والقرطبي ٣٣١/١٠ والبحر المحيط ٨٠/٦ .

قال أبو جعفر : ذهب إلى أنه من المقابَلةِ .

وقال غيرُه : ﴿ **قَبِيلاً** ﴾ : أي كفيلاً ، يُقال : قَبَلْتُ به أي كَفَلْتُ به ، وتقبَّل فلانٌ بكذا : أي تكفَّل به(١) .

١١١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ .. ﴾ [آية ٩٣] .

رَوَى مجاهد قال : كنَّا لا ندري ما الزُّخْرفُ ؟ فرأيناه في قراءة ابن مسعود « أو يكون لك بيتٌ من ذَهَبٍ »(٢) .

وقال أبو جعفر : الزُّخرفُ في اللغة : الزِّينةُ ، والذَّهبُ من الزِّينة(٣) .

١١٢ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ ﴾ [آية ٩٣] .

أي كتاباً بنبوَّتك .

---

(١) قال في البحر ٦/٨٠ ﴿ قبيلاً ﴾ أي معاينةً كقوله سبحانه ﴿ لولا أُنزل علينا الملائكةُ أو نرى ربَّنا ﴾ وقال غيره : قبيلاً : كفيلا ، من تقبَّله بكذا : إذا كَفِله ، والقَبيلُ ، والزعيمُ ، والكفيلُ بمعنى واحد وفي المصباح : القبيلُ : الكفيل وزناً ومعنى . والجمع قبلاء .

(٢) الأثر عن مجاهد في الطبري ١٥/١٦٣ وفي الدر ٤/٢٠٣ وهذه القراءة شاذة وهي محمولة على التفسير .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة زخرف ، فقد قال الجوهري : الزخرفُ : الذهب ثم يُشبَّه به كل مموَّهٍ مزوَّر .

فأعلمَ اللَّهُ أنه لو فُعِلَ بهم ذلك ما آمنوا ، فقال تعالى ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ ، فَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِمْ ، لَقَالَ الَّذِينَ كَفُروا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[1] .

١١٣ ـ **وقوله جل وعز ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى ، إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً ﴾** [آية ٩٤] .

فأعلمَ اللهُ أن الأَعْدل الأبلغ ، أن يُبعثَ إلى كلِّ خلقٍ من كان من جنسه[2] فقال ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً** ﴾ فقالوا من يشهد لك بهذا ؟ فقال جلَّ وعزَّ ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ﴾[3]!!

١١٤ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً ، وَبُكْماً ، وصُمًّا .. ﴾** [آية ٩٧] .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧ .

(٢) المراد من الآية أن السبب في امتناع المشركين من الإيمان ، بعد وضوح الحجج والبراهين ، هو استبعادهم أن يبعث الله رسولاً من البشر إلى الخلق ، فلماذا يكون بشراً ولا يكون مَلَكاً ؟ وقد ردَّ تعالى عليهم هذه الشبهة الواهية بقوله ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولاً ﴾ أي لو كان أهل الأرض ملائكة ، لبعثنا لهم نبياً من الملائكة ، وهذا تسفيهٌ وتجهيل لمنطق المشركين .

(٣) سورة الرعد آية ٤٣ وتمامها ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علمُ الكتاب ﴾ .

وفي الحديث عن النبي ﷺ « إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يُمشيهم على وجوههم »[1].

قال ابن عباس : ﴿ **عُمْيًا** ﴾ لا يرون شيئاً يَسُرُّهم ﴿ **وَبُكْمًا** ﴾ لاينطقون بحجة ﴿ **وَصُمًّا** ﴾ لايسمعون ما يُسرُّون به[2]

١١٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [آية ٩٧] .

قال مجاهد : ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ** ﴾ : أي كلّما طُفِئتْ أُوقِدَتْ[3] .

وقال الضحَّاك : كلَّما سكنَتْ[4] .

قال أبو جعفر : يُقالُ : خَبَتِ النَّارُ : إذا سكَنَ لَهَبُها ، فإن سكن لهبُها وعاد الجمرُ رَماداً قيل : كَبَتْ ، فإن طُفِىءَ بعضُ الجَمْرِ ، وسكَنَ اللّهبُ قيل : خَمَدتْ ، فإن طُفِئتْ كلُّها قيل :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان ١٣٧/٦ ومسلم في صفة القيامة ١٣٥/٨ وأحمد في المسند ١٦٧/٣ عن أنس بن مالك ، ولفظه : « قيل يارسول الله : كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على أرجلهم » وزاد في البخاري قال قتادة : بلى وعزَّة ربنا .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦٧/١٥ والقرطبي ٣٣٣/١٠ والدر المنثور ٢٠٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٣) و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٨/١٥ والدر المنثور ٢٠٤/٤ والقرطبي ٣٣٤/١٠ .

هَمَدتْ ، تَهْمُدُ ، هُمُوداً[1] .

ومعنى ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ : زدناهم ناراً تَسَعَّرُ أي تلتهبُ .

١١٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ .. ﴾ [آية ١٠٠] .

رَوَى حجَّاج عن ابنِ جُريجٍ قال : ﴿ الإنفاق ﴾ الفقرُ عن ابن عباس[2] .

ورَوَى مَعْمَرٌ عن قتادةَ قال : الإنفاقُ : الفقرُ[3] .

وحكَى أهل اللغة : أنفَقَ ، وأَصْرَمَ ، وأَعدَمَ ، وأَقْتَرَ : إذا قلَّ مالُه .

١١٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً ﴾ [آية ١٠٠] .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة خبت قال الطبري ١٥/١٦٨ : ويعني بقوله تعالى ﴿ كلما خَبَتْ ﴾ لانتْ وسكنَتْ ، ومنه قول القُطامي : « فيخبو ساعةً ويهبُّ ساعا » .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥/١٧٠ وابن كثير ٥/١٢٢ والدر المنثور ٤/٢٠٤ قال أبو حيان في البحر ٦/٨٤ : « نبَّه تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام ، وبذله ما آتاه اللهُ ، وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شيء من الخير إليه ، فقال : لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي وسعت كل شيء ، كانوا أبخل من كل أحد ، بما أوتوه من ذلك ، بحيث لايصل منهم لأحد شيء من النفع ، إذ طبيعتهم الإقتار ، وهو الإمساك عن التوسع في النفقة » .

رَوَى حجَّاجُ عن ابنِ جُرَيج قال ﴿ قَتُوراً ﴾ : بخيلاً عن ابن عباس[1] .

١١٨ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .. ﴾ [آية ١٠١] .

رَوَى شُعبة عن عمروِ بن مُرَّة ، عن عبدالله بن سَلَمةَ ، عن صفوان بنِ عَسَّال أن يهودياً قال لصاحبه : تعالَ حتى نسألَ هذا النبي ﷺ !! فقال له الآخرُ : لا تقل له النبي ، فإنه إن سمعها صارتْ له أربعةُ أعين ، قال : فأتاه فسأله عن هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فقال : « لا تشركوا باللَّهِ شيئاً ، ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ، ولا تسرقوا ، ولاتزنوا ، ولا تأكلوا الرِّبا ، ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله ، ولا تَسْحَروا ، ولا تفِرُّوا من الزَّحف ، وعليكم خاصة اليهود ألاَّ تَعْدوا في السبت ، قال : فقبلَّوا يده ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، قال : فما يمنعكم أن تتَّبعوني ؟ قالوا : إن داود ﷺ دعا ألَّا يزال في ذرَّيته نبيٌّ ، وإنَّا نخشى إذا اتَّبعناك أن تقتلنا اليهود »[2] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٧٠/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٣٩/٤ والترمذي في التفسير رقم ٣١٤٧ وقال : حسن صحيح ، والنسائي في باب السحر ١١١/٧ وابن ماجه في كتاب الأدب رقم ٣٧٠٥ ورواه ابن جرير في جامع البيان ١٧٣/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤ قال الحافظ ابن كثير =

وقال الحسنُ والشعبيُّ ، ومجاهدٌ ، والضحاك في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ هي : « الطُّوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضَّفادعُ ، والدَّمُ ، والسِّنُونَ ، ونَقْص من الثَّمرات ، واليدُ ، والعصا »[1] .

هذا معنى قولهم .

١١٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ .. ﴾ [آية ١٠١] .

رُوي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ فَسَأَلَ بني إسرائيلَ ﴾[2]

= ١٢٣/٥ : الآيات التسع التي ذكرها الأئمة وهي : اليد ، والعصا ، والسنون ، والطوفان ، والجراد .. الخ هي المرادة هاهنا وهي المعنيَّة بهذه الآية ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن سلمة عن صفوان بن عسال ، فهو حديث مشكل ، و « عبدالله بن سلمة » في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع آيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا في التوراة لاتعلُّق لها بقيام الحجة على فرعون ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ، وأيُّ مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ، وما جاء هذا الوهم إلا من قبل ابن سلمة والله أعلم .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٧١/١٥ وابن كثير ١٢٢/٥ قال الحافظ ابن كثير : وهذا القولُ ظاهرٌ جليٌّ ، حسنٌ قويٌّ ، وهو قولُ ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة .

(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وهي من القراءات الشاذة ، وقد ذكرها الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر ، قال الطبري ١٧٣/١٥ : والقراءةُ التي لاأستجيز القراءة بغيرها ، هي القراءة التي عليها قُرَّاءُ الأمصار ﴿ فاسألْ بني إسرائيل﴾ لإجماع الحجة من القُرَّاء على تصويبها . اهـ .

والمعنى على هذه القراءة : فسأل بني إسرائيل ، والمعنى : فلم يَرُدَّ فرعونُ ما جاءَ بِهِ موسى ﷺ من الآيات والبراهين ، بأكثرَ من أنَّه أخبر أنه ظانٌّ أن موسى عليه السلام ساحرٌ فقال : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يامُوسَى مَسْحُوراً ﴾ .

١٢٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ .. ﴾ [آية ١٠٢] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب ــ رحمةُ الله عليه ــ أنه قرأ ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ ﴾[1] بضم التاء ، وقال : واللَّهِ ما علمَ فرعون ، وإنما هو موسى الذي عَلِم .

قال أبو جعفر : والقُرَّاءُ كلُّهم على فتح التَّاء ، إلاَّ الكِسائيُ فإنه ضمَّها ، ولو صحَّ الحديث عن عليٍّ رحمةُ اللَهُ ، لم يُحْتَجْ في ذلك إلى نظرٍ ، وكانت القراءةُ به أَوْلَى ، ولكنْ إنما رواه أبو إسحق ، عن رجلٍ من مُراد ، عن عليٍّ رحمةُ الله عليه .

وعِلْمُ فرعونَ بذلكَ أُوكَدُ في الحُجةِ عليه ، وقد احتج في ذلك عبدالله بنُ عباسٍ بحجةٍ قاطعة فقال : إنما هو ﴿ لَقَد

---

(١) قال ابن مجاهد في السبعة ص ٣٨٥ : قرأ الكسائي وحده ﴿ لقد علمتُ ﴾ بضم التاء ، وقرأ الباقون ﴿ لقد علمتَ ﴾ بفتح التاء . اهـ فالقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٠٩ .

عَلِمْتَ ﴿ كما قال تعالى ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** ﴾[1] .

حدثنا إبراهيم بن شريك قال : نا أحمد بن عبدالله بن يونس ، قال : نا زهير قال : حدثنا أبو إسحق قال سمعتُ أبا عُبيدة يسأل سعد بن عياض عن قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ** ﴾ قال سعد : هو كقول الرجل لصاحبه وهو يحاوره : لقد علِمْتَ .

قال زهيرٌ قال أبو إسحاق ، وحدَّثني رجل من مراد أنه سمع علياً يقول : واللَّهِ ما علمَ عدوُّ اللهِ ، ولكنَّ موسى الذي عَلِم ، قال ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتُ** ﴾ أنا ، ثم قال ﴿ **وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً** ﴾[2] .

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٤ وتتمتها ﴿ ظُلماً وعُلُوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ .

(٢) حكاه القرطبي فقال ٣٣٧/١٠ : « وقراءةُ العامة ﴿ لقد علمتَ ﴾ بفتح التاء خطاباً لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ، وهي قراءة عليٍّ رضي الله عنه ، وقال : واللهِ ما علم عدُو اللهِ ، ولكنَّ موسى هو الذي علِمَ ، فبلغتْ ابنَ عباس فقال : إنها ﴿ لقد علمتَ ﴾ واحتجَّ بقوله تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقَنَتْها أنفسهُم ظُلماً وعُلُوّاً ﴾ وتسبَ فرعون إلى العناد .

وقال أبو عُبيد : والمأخوذ به عندنا فتح التاء ﴿ لقد علمتَ ﴾ وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس ، ولأن موسى لايحتج بقوله : لقد علمتُ أنا وهو الرسولُ الداعي ، ولو كان مع هذا كلِّه تصحُّ به القراءة عن علي لكانت حجة ، ولكنْ لاتثبت عنه .. » اهـ .

رَوَى المنهال عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : ملعوناً[1] .

ورَوَى ابن جُريج عن مجاهد قال : هالكاً[2] .

ورَوَى معمر عن قتادة قال : مُهْلَكاً[3] .

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال : ملعوناً[4] .

ورَوَى عنه جويبر قال : هالكاً .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ترجع إلى شيءٍ واحد ، لأنه حكى أهلُ اللغةِ : ما ثَبَرك عن هذا؟ أي ما منعك منه ، وصَرَفَك عنه ، فالمعنى : ممنوعٌ من الخير[5] .

١٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ .. ﴾ [آية ١٠٣] .

أي يُزِيلهُمْ عنها ، إمَّا بقتلٍ ، أو بتَنْحيةٍ[6] .

(١ــ٤) انظر الآثار في تفسر الطبري ١٥/١٧٥ والقرطبي ١٠/٣٣٧ والبحر المحيط ٦/٨٦ والدر المنثور ٤/٢٠٥ .

(٥) قال في الصحاح ٢/٦٠٤ : ثَبَره عن كذا يَثْبُره بالضمّ ثَبْراً : أي حَبَسَه ، يُقال : ما ثَبَرك عن حاجتك ؟ والثُّبورُ : الهلاكُ والخُسرانُ . اهـ وانظر معاني الفراء أيضاً ٢/١٣٢ .

(٦) قال القرطبي ١٠/٣٣٨ ومعنى الآية : « أراد فرعون أن يُخرج موسى وبني إسرائيل ، من أرض مصر ، إما بالقتل ، أو بالإبعاد ، فأهلكه الله عز وجل وأغرقه » .

١٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ [آية ١٠٤] .

قال مجاهد وقتادة : أي جميعاً(١) .

وروى سفيان عن منصور عن أبي رَزِين قال : من كلِّ قومٍ(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا أولى عند أهل اللغة ، لأنه يُقال : لففتُ الشيءَ : إذا خلطتَه(٣) .

وقال الأصمعي : اللفيف جمعٌ ليس له واحد ، وهو مثلُ الجميع(٤) .

١٢٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرَاً وَنَذِيرَاً ﴾ [آية ١٠٥] .

أي تبشِّر المطيعين بالجنَّةِ ، وتُنذِرُ العاصينَ بالنَّار .

---

(١) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٥/١٧٧ والقرطبي ١٠/٣٣٨ والدر المنثور ٤/٢٠٥ .

(٢) قال الجوهري ٤/١٤٢٧ : اللفيفُ : ما اجتمع من الناس من قبائل شتَّى ، يُقال : جاءوا بلَفِّهم ولفيفهم أي وأخلاطهم ، وقوله تعالى ﴿ جئنا بكم لفيفاً ﴾ أي مجتمعين ، وطعام لفيف إذا كان مخلوطاً من جنسين فصاعداً . اهـ .

(٣) انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٠/٣٣٨ وجامع البيان للطبري ١٥/١٧٧ .

(٤) كذلك قال الطبري في جامع البيان ١٥/١٧٨ : مبشراً بالجنة من أطاعنا ، ومنذراً لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا .

١٢٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

قال أبو عمرٍو[1] رحمه الله : ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾ : بيَّناه .

١٢٥ ـ ثم قال تعالى : ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ .. ﴾ [آية ١٠٦] .

قال مجاهد : أي على تُؤَدَةٍ[2] .

١٢٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً .. ﴾ [آية ١٠٧] .

قال الحسنُ : أي للجباه[3] .

وقال قتادة : أي للوجوه[4] .

والذَّقنُ عند أهل اللغة : مجتمع اللَّحْيَيْنِ[5] ، وهو أقربُ

---

(١) « أبو عمرٍو » هو أبو عمرو بن العلاء المازني ، النحوي المتوفي سنة ١٥٤هـ ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، وهو أحد الأئمة القراء السبعة ، قرأ القرآن العظيم على حُميد بن قيس الأعرج ، ومجاهد ، وابن جُبير ، قال ابن معين : ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . قال الطبري : وفي المُكْثِ للعرب لغاتٌ : مُكْثٌ ، ومِكْثٌ والقراءةُ بضم الميم .

(٣ـ٤) انظر الآثار في الطبري ١٨٠/١٥ والقرطبي ٣٤١/١٠ والبحر المحيط ٨٨/٦ .

(٥) في الصحاح ٢١١٩/٥ : ذَقَنُ الإنسانِ : مجمعُ لحْيَيْه ، وفي المثل « مثقَلٌ استعانَ بِذَقَنِه » يضرب لرجل ذليلٍ يستعين بآخر مثلِهِ ، وأصلُه البعيرُ يُحْمَلُ عليه الحملُ الثقيل ، فلا يقدر على النهوض ، فيعتمد بذقنه على الأرض . اهـ .

الأشياء إلى الأرض من الوجوه ، إذا ابتُدِىء السُّجودُ .

١٢٧ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ قُلِ ادْعُوْا اللَّهَ أَوِ ادْعُوْا الرَّحْمَنَ .. ﴾** [آية ١١٠] .

فيروى أنهم قالوا : ندعو اثنين ؟ فأعلَمَ اللهُ جلَّ جلالُه أنَّه لا يُدعى غيرُه بأسمائه فقال ﴿ **أَيّاً مَا تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى** ﴾[1] .

١٢٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾** [آية ١١٠] .

فيها وجهان :

أحدهما : رواه الأعمش عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعلنُ إذا قرأ ، فيسبُّ المشركون القرآن ومَنْ أنزله ، ومن جاء به ، فصار يُخفِي

(١) قال ابن جرير ١٨٢/١٥ : « سمع المشركون النبي ﷺ يدعو ربه : ياربنا اللَّهُ ، وياربنا الرحمنُ ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، احتجاجاً لنبيِّه عليهم » وقال أبو حيان في البحر ٨٩/٦ : « قال ابن عباس : تهجَّد الرسول ﷺ ذات ليلةٍ بمكة ، فجعل يقول في سجوده : يارحمنُ ، يارحيمُ ، فقال المشركون : كان محمد يدعو إلهاً واحداً ، وهو الآن يدعو إلهين إثنين : الله ، والرحمن ، وما الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ، فنزلت الآية .

القراءة فأنزل الله جل وعز ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾[1] .

والقول الآخرُ : رواه هشام بن عُروةَ عن أبيه قال قالت لي عائشةُ : يا ابن أختي أتدري فيم أنزل ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ ؟ قال قلتُ : لا ، قالت : أُنزل في الدعاء[2] .

قال أبو جعفر : والإسنادان حسنان ، والدعاءُ يسمى صلاةً ، ولا يكاد يقع ذلك للقراءة ، قال الأعشى :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً
يَارَبِّ جَنِّبْ أبِي الأَوْصَابَا والوَجَعَا
عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي
نَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعاً[3]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٠٩/٦ ومسلم في الصلاة ٣٤/٢ ولفظه قال : « كان النبي إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون ، سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعُهم ﴿ وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ ورواه أحمد في المسند ٢٣/١ والسيوطي في الدر ٢٠٦/٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٨٣/١٥ وابن كثير ١٢٨/٥ والقرطبي ٣٤٤/١٠ وقال : أخرجه مسلم عن عائشة .

(٣) البيتان في ديوان الأعشى ص ١٠٥ وقد تقدم ذكرهما في الكتاب ٨٤/١ .

ويقال : إنه إنما قيل صلاة ، لأنها لا تكون إلاَّ بدعاء ، والدعـاءُ صلاةٌ فسميت باسمه .

١٢٩ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، وَلَـمْ يَكُـنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .. ﴾** [آية ١١١] .

أي لم يحتج إلى من ينتصر له .

١٣٠ ــ **ثم قال عز وجل : ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾** [آية ١١١] .

أي عظِّمه تعظيماً .

* * *

« إنتهت سورة الإسراء ولله الحمد والمنة »

تفسير سورة الكهف

مكية وآياتها ١١٠ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف وهي مكية[1]

١ ـ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الحَمْـدُ لِلَّـهِ الَّـذِي أَنْـزَلَ عَلَـى عَبْـدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً . قَيِّمَاً .. ﴾ [آية ١] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنها على التقديم والتأخير .

والمعنى : الحمدُ للَّهِ الذي أنزل على عبـده الكتـاب قيِّمـاً ، ولم يجعلْ له عِوَجاً[2] .

يُروى هذا المعنى عن ابن عباس ، ومجاهد .

---

(١) هذا قول الجمهور أنها مكية جميعُهـا ، رُوي ذلك عن ابـن عبـاس ، كما حكـاه الشوكاني في فتـح القدير ٢٦٨/٣ وقال القرطبي ٣٤٦/١٠ : وهي مكية في قول جميع المفسرين ، ورُوي عن فرقـة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله تعالى ﴿ وإنَّا لجاعلـون ما عليها صَعِيـدَاً جُرُزَاً ﴾ قال : والأول أصح . أهـ .

(٢) هذا ما ذهب إليه الفـراء في كتابـه معـاني القـرآن ١٣٣/٢ أن الآية فيها تقـديم وتـأخير ، وذكـره الطبري ورجحه ١٩٠/١٥ فقال : أنزل الكتاب عدلاً قيِّماً ، ولم يجعل له عوجـاً ، فالقيِّـم مؤخـرٌ ومعناه التقديم وروي ذلك عن ابن عباس . اهـ ولم يرتض هذا القـول الفخـر الـرازي في التـفسير الكـبير ٧٦/١١ حيث قال : ﴿ ولم يجعـل له عوجـاً ﴾ يدل على كونـه كامـلاً في ذاتـه ، وقولـه ﴿ قيِّماً ﴾ يدل على كونه مكمِّلاً لغيره ،وكونه كاملاً في ذاتـه متقـدم بالطبـع على كونـه مكمـلاً لغيره ، فثبت بالبرهان أن الترتيب الصحيح ماذكره القرآن ، وفساد ما قالوه من التقديم والتأخير .

قال أبو جعفر : حدثنا بكر بنُ سهل قال : نا عبدالله بنُ صالح ، قال : نا معاويةُ بنُ صالح ، قال : حدثني عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاس ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً** .﴾ يقول : أنزل الكتاب عَدْلاً قيِّماً ، ولم يجعل له عوجاً ملتبِساً[1] .

والقولُ الآخرُ : رواه سعيد عن قتادة قال : في بعض القراءات « الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً ، ولكنْ جعله قيِّماً »[2] .

٢ ــ **وفي قوله تعالى** ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً** ﴾ قولان :

أحدهما : أنه لم يجعله مختلفاً كما قال سبحانه ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾[3] .

والقولُ الآخر : أنه لم يجعله مخلوقاً ، كما رُوي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿ **قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾[4] قال : غير مخلوق[5] .

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٥/١٩٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٦/٩٦ .

(٢) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٠/٣٥١ ولفظُه : وقال قتادة : الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تأخير ، ومعناه : ولم يجعل له عِوَجاً ولكنْ جعَلَه قيماً . اهـ أقول : هذا تفسير وليس بقراءة ، قال في البحر ٦/٩٦ : ويُحمل ذلك على أنه تفسير للمعنى لا أنها قراءة .

(٣) سورة النساء آية رقم ٨٢ .

(٤) سورة الزمر آية رقم ٢٨ .

(٥) هذا القول ذكره القرطبي ١٠/٣٥٢ في جامع الأحكام قال : وقيل : أي لم يجعله مخلوقاً ، كما =

٣ ــ وفي قوله جل وعز : ﴿ قَيِّماً ﴾ : قولان :

أحدهما : رواه جويبر عن الضحاك قال : مستقيماً[١] .

والقول الآخر : أنه قيِّماً على الكتب أي يُصدِّقها[٢] .

٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ .. ﴾** [آية ٢] .

المعنى : لينذركم بأساً شديداً ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّما ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾[٣] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾** [آية ٥] .

المعنى : كبرت تلك الكلمةُ كلمةً عند الله[٤] ، وهي قولُهم ﴿ **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** ﴾ أي : كبرت من كلمة .

= رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوجٍ ﴾ قال : غير مخلوق . اهـ والقول الأول هو الأظهر والأشهر .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٩٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢١١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٢) حكى هذا القول الفراء في معانيه ١٣٣/٢ ورجح الطبري القول الأول ، المرويَّ عن الضحاك وابن عباس فقال ﴿ قيِّماً ﴾ أي مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضُه يُصدِّق بعضاً . اهـ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٥ والشاهد في الآية ﴿ يخوِّف أولياءَه ﴾ أي يخوِّفكم أولياءه وهم الكفار لترهبوهم .

(٤) في المخطوطة طمسٌ ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، وجامع البيان للطبري ١٩٣/١٥ .

وقيل : فيه معنى التعجب ، كما يُقال لقاضٍ قضى بالحقِّ : ما أقضاه !!

فيكون المعنى : ما أكبرها من كلمة[1] !!

وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يَعْمُر ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[2] بالرفع .

ومعناه : عَظُمت ، يُقال : كَبُرَ الشيءُ : إذا عَظُمَ ، وكَبِرَ : إذا أسَنَّ .

٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ .. ﴾** [آية ٦] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادةَ قال : قاتِلٌ نَفْسَكَ[3] ، ثم قال : **﴿ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾** أي بعدهم[4] .

---

(١) هذا قول أبي عُبيدة ، كما حكاه عنه في البحر ٩٧/٦ قال : هو نصبٌ على التعجب أي أكْبِر بها كلمة أي من كلمة . وقال ابن جرير ١٩٣/١٥ : وكان بعض نحويٍّ أهل البصرة يقول : نصبت « كلمةً » لأنها في معنى أكْبِرْ بها كلمة » . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤/٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٤/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ ولفظه : قاتلٌ نفسك غضباً وحزناً عليهم.

(٤) قال في البحر ٩٧/٦ وقوله تعالى ﴿ على آثارهم ﴾ استعارة فصيحة من حيث لهم إدبارٌ وتباعد عن الإيمان ، وإعراض عن الشرع ، فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا وهو يحزن عليهم .

٧ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً ﴾** [آية ٦] .

قال قتادة : أي غضباً(١) .

قال مجاهد : أي جَزعاً(٢) .

وهذا أشبهُ ، أي حُزْناً عليهم(٣) .

٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا .. ﴾** [آية ٧] .

قال قطرب(٤) : أي ما على الأرض ممَّا تُزيِّنُ به .

٩ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾** [آية ٧] .

أي لنختبرهم(٥) .

(١ـ٢) انظر هذه الآثار في الطبري ١٥/١٩٥ والبحر المحيط ٦/٩٨ وابن كثير ٥/١٣٤ .

(٣) معنى الآية : فلعلك يا محمد قاتلٌ نفسَك ومهلكُها غمّاً وحزناً على تكذيبهم ، وتولِّيهم وإعراضهم عن الإيمان !!

(٤) وجد على هامش المخطوطة العبارة الآتية « الشيخ قُطرب يُقال له ابن المستنير » أقول : هو محمد ابن المستنير بن أحمد البصري أبو علي المتوفي سنة ٢٠٦ هـ وهو أحد أئمة النحو واللغة ، أخذ عن سيبويه وجماعة من علماء البصريين ، وسمَّاه سيبويه قطرباً لأنه كان يُبكِّر في المجيء إليه فقال له : ما أنت إلَّا قطرب ليل .. وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٥ وتاريخ بغداد ٣/٢٩٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٦٢٥ .

(٥) قال الطبري ١٥/١٩٥ : أي لنختبر عبادنا ، أَيُّهم أتبعُ لأمرنا ونهينا ، وأعملُ فيها بطاعتنا .

١٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وإنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [آية ٨] .

روَى سعيد عن قتادة قال : أي لاشجر فيها ، ولا نبات ، ولا بناء(١)

وقال مجاهد : أي بَلْقَعاً(٢) .

قال أبو جعفر : والصعيدُ في اللُّغةِ : وجهُ الأرض ، ومنه قيل للتراب : صعيدٌ .

والجُرُزُ في اللغةِ : الأرضُ التي لا نبات فيها .

قال الكسائي : يُقال : جَرُزَتِ الأرضُ تَجْرُزُ ، وجَرزَهَا القومُ يَجْرِزُونَها ، إذا أكلوا كلَّ ما فيها من النَّباتِ والزَّرع ، فهي مَجْروزةٌ ، وجُرُزٌ(٣) .

١١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾ [آية ٩] .

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان ١٥/١٩٦ وابن كثير ٥/١٣٤ والبحر المحيط ٦/٩٩ والمراد أن الله سيجعل ما على الأرض من الزينة والنعيم حُطاماً ورُكاماً ، حتى تصبح كالأرض الجرداء التي لانبات فيها ولا حياة ، بعد أن كانت خضراء بهيجة .

(٣) في الصحاح ٣/٦٦ : أرضٌ جُرُز : لا نبات بها ، كأنه انقطع عنها المطر ، تقول : أجرز القوم كما تقول : أيبسوا ، وأرضٌ مَجْروزةٌ : أُكل نباتُها ، والجُرُز : السَّنةُ المجدبة . اهـ .

قال الضحاك : ﴿ **الكهف** ﴾ الغارُ في الوادي ، و﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الوادي .

وقال يزيدُ بنُ درهم[1] : سُئل أنسُ بن مالكٍ عن الكهفِ ، والرَّقيم فقال : ﴿ **الكهفُ** ﴾ الجَبَلُ ﴿ **والرَّقيمُ** ﴾ الكلبُ[2] .

ورَوَى سفيانُ بنُ سعيدٍ ، عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعباً ما الرَّقيمُ ؟ فقال : هو اسمُ القرية التي خرجوا منها[3] .

وقال عكرمة : ﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الدَّواةُ[4] .

وقال مجاهد : ﴿ **الرَّقيمُ** ﴾ الكتابُ[5] .

وقال السُدِّيُّ : الصَّخرةُ[6] .

وقال الفراء : الرَّقِيمُ لوحٌ من رصاصٍ ، كُتبت فيه أسماؤهم ، وأنسابُهم ، ودينهُم ، وممن هربوا[7] .

---

(١) « يزيد بن درهم » أبو العلاء العجمي بصريٌّ ، روى عن أنس بن مالك والحسن ، وثقه بعضهم وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٢٦٠/٩ والمغني في الضعفاء ٧٤٨/٢ .

(٢ـ٦) هذه الآثار كلها ذكرها المفسرون : الطبري في جامع البيان ١٩٨/١٥ وابن كثير ١٣٥/٥ وأبو حيان في البحر ١٠١/٦ والقرطبي ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر ٢١٢/٤ .

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١٣٤/٢ .

وقال **أبو عُبيدةَ** : الرَّقيمُ : [الوادي][1] الذي فيه الكهف .

ورَوَى **إسرائيلُ** ، عن سِمَاك ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس قال : « كلُّ القرآن أعلمُ إلاَّ أربعاً : غِسْلِيناً ، وحَنَانَاً ، والأَوَّاهُ ، والرَّقيمُ »[2] .

ورَوَى **سفيانُ بنُ حسين** ، عن يَعْلي بنِ مُسْلِمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَير ، عن ابن عباس أنه ذكر أصحاب الكهف فقال : « إنَّ الفتية فُقِدوا ، فطلبهم أهلُوهم فلم يجدوهم ، فرُفِعَ ذلك إلى المِلِك ، فقال : ليكوننَّ لهم نبأٌ ، وأحضَرَ لوحاً من رَصَاصٍ ، فكتب فيه أسماءَهم ، وجعله في خزائنه ، فذلك اللوحُ هو الرَّقيم »[3] .

ورَوَى **وكيعٌ عن أبي مَكِينٍ** ، عن سعيد بن جُبير قال : الرَّقيمُ : « لوحٌ [فيه أسماءُ فتيةٍ رُقمت أسماؤهم في الصخرة فذلك الكتاب][4] .

وفي بعض الروايات : أنه كُتِب أسماؤهم وخبرهم في لوحٍ ، وجُعل على باب الكهف .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظة « الوادي » وأثبتناها من مجاز أبي عُبيدة ٣٩٤/١ وهي ضرورية .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٩/١٥ عن ابن عباس ، ولفظه « كلُّ القرآن أعلمهُ ، إلاَّ حناناً ، والأَوَّاهُ ، والرَّقيم » ورُوي عنه أيضاً قوله : « ما أدري ما الرقيم ، أكتابٌ أم بُنيان » ؟ ورواه القرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢١٢/٤ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٢١٢/٤ ، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٧/١٠ .

(٤) وجد سقطٌ في المخطوطة ، وهو ما بين الحاصرتين ، وأثبتناه من الدر المنثور ٢١٢/٤ .

قال أبو جعفر : والروايات التي رُويتْ عن ابن عباس ليست بمتناقضة .

لأن القول الأول إنما سمعه من كعب .

والقولُ الثاني يجوز أن يكون عَرَف الرقيم بعده .

وأحسنُ ما قيل فيه أنه الكتابُ[1] ، وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : رقمتُ الشيءَ أي كتبتهُ ،

قال اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾[2] .

و ﴿ رقيمٌ ﴾ بمعنى مرقوم ، كما يُقال : قتيلٌ بمعنى مقتول[3] .

ورَوَى ابنُ جُريج عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ **كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً** ﴾ **قال : هم عجبٌ** .

قال أبو جعفر : يذهب مجاهدٌ إلى أنه ليس بإنكارٍ على النبيِّ ﷺ أن يكون عنده أنهم عجبٌ .

---

(١) هذا ما رجحه الطبري في جامع البيان ١٩٩/١٥ وذكره الإمام البخاري في صحيحه ١٠٩/٦ حيث قال : الكهفُ : الفتحُ في الجبل ، والرَّقيمُ : الكتابُ ، مرقومٌ مكتوبٌ من الرَّقم .

(٢) سورة المطفّفين آية ٩ وقد ورد في المخطوطة ﴿ في كتاب مرقوم ﴾ وصوابه ما أثبتناه كما هو في النص الكريم .

(٣) قال ابن جرير ١٩٩/١٥ : وأولى الأقوال بالصواب أن يكون معنياً بالرَّقيم : لوحٌ ، أو حَجَرٌ ، أو شيءٌ كُتِبتَ فيه كتابةٌ ، والرَّقيمُ : فعيلٌ ، أصلُه مرقومٌ ، ثم صُرِف إلى فعيل ، كما قيل للمجروح جريحٌ ، وللمقتول قتيلٌ .

وقد رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يقول : ليس هم بأعجب آياتنا[1] !!

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ [آية ١٠] .

أي أرشدنا إلى أحبِّ الأشياء إليك .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ[2] فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ [آية ١١] .

أي منعناهم من أن يسمعوا ،

والمعنى : أنمناهم ، لأنهم إذا سمعوا انتبهوا ، ثم قال ﴿ سِنِينَ عَدَداً ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٩٧/١٥ وابن كثير ١٣٤/٥ ولفظه : قد كان من آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك .
أقول : الآية واردة على تعظيم الخبر والقصة والمعنى : لاتظننَّ أن قصة أهل الكهف ــ على غرابتها ــ هي أعجب آيات الله ، ففي هذا الكون من العجائب والغرائب ، ما يفوق قصة أصحاب الكهف !!

(٢) قال القرطبي ٣٦٣/١٠ : هذه عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم ، وهذه من فصيحات القرآن التي أقرّت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله قال الزجاج : أي منعناهم أن يسمعوا ، لأن النائم إذا سمع انتبه . اهـ
أقول : اللفظة استعارة بديعة للنوم الثقيل ، فقد شبهت الإنامة الطويلة التي ناموها بضرب الحجب على الآذان كما تُضربُ الخيمةُ على السكان ، وعبَّر بالضرب ليدل على قوة المباشرة .

وفي الفائدة في قوله ﴿ **عَدَداً** ﴾ **قولان** :

أحدهما : أنه [توكيدٌ وإفرادٌ من الواحدة .

والآخر : أنه توكيدُ معنى الكثرة][1] لأن القليل لايحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرف[2] .

١٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ** .. ﴾ [آية ١٢] .

أي من نومهم[3] ، يُقال لمن أُحيِيَ ، أو أُقيم من نومه : مبعوثٌ ، لأنه كان ممنوعاً من الانبعاث والتصرُّف .

١٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدَاً** ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

(٢) قال القرطبي ١٠/٣٦٣ : ﴿ عدداً ﴾ نعتٌ للسنين أي معدودة ، والقصدُ به العبارة عن التكثير ، لأن القليل لايحتاج إلى عدد ، لأنه قد عُرِفَ .

(٣) لا يُراد بالبعث الإحياءُ بعد الموت ، كما يُبعث الخلقُ يوم النشور ، وإنما يُراد به البعث من النوم أي أيقظناهم بعد ذلك النوم الطويل ، لنرى أيَّ الفريقين ، أدقُّ إحصاءً للمدة التي ناموها في الكهف .

قال مجاهد : أي عدداً[1] .

قال أبو جعفر : والأمدُ في اللغة : الغايةُ .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي بالإيمان[2] .

والمعنى عند أهل اللغة : صبَّرناهم ، وثبَّتْنَاهم .

١٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً ﴾ [آية ١٤] .

فأنكروا أن يُعْبدَ مع اللَّهِ غيرُه .

١٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي كذباً[3] .

قال أبو جعفر : والشَّططُ في اللُّغةِ : التجاوزُ في الجَوْر[4] .

١٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، لَوْلَا

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ٢٠٧/١٥ والبحر المحيط ١٠٦/٦ وابن كثير ١٣٦/٥ والدر المنثور ٢١٥/٤ والقرطبي ٣٦٤/١٠ قال أبو حيان في البحر ١٠٥/٦ : ﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ أي ثَّبتناها وقوَّيناها على الصبر على هجرة الوطن ، والنعيم ، والفرار بالدِّين ، إلى غارٍ في مكانٍ قفر ، لا أنيس به ولا ماء ، ولا طعام .

(٤) الشَّططُ : الجورُ والغلوُّ وتعدِّي الحد ، قال الفراء : اشتطَّ في الأمر : جاوز الحدَّ ، وشطَّ المنزلُ : بَعُدَ ، وقال أبو عمرٍو : الشَّططُ : مجاوزةُ القدر في كل شيء . وانظر الصحاح ١١٣٨/٣ .

يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ [آية ١٥] .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ عن عمروِ بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ عن ابنِ عباس : « كلُّ سُلطانٍ في القرآن فهو حجة»(١) .

٢٠ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ .. ﴾** [آية ١٦] .

والمعنى : اعتزلتم ما يعبدون ، إلاَّ اللَّهَ فإنكم لم تتركوا عبادته(٢) .

وروى سعيدٌ عن قتادة قال : في قراءة ابن مسعود ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في التفسير عن ابن عباس ١٠٤/٦ بهذا اللفظ « كل سلطانٍ في القرآن فهو حجة » وأخرجه ابن جرير بنحوه عن مجاهد قال والمعنى : ائتونا بحجةٍ على ما تقولون . قال الحافظ ابن كثير ١٣٨/٥ ومعنى الآية : هلَّا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه ، دليلاً واضحاً صحيحاً !؟

(٢) على هذا القول تكون « إلاَّ » بمعنى غير ، وهذا مرويٌّ عن قتادة والمعنى : وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم ، وما يعبدون من الأوثان غير الله تعالى ، وإلى هذا اذهب الأكثرون ، قال ابنُ كثير رحمه الله ١٣٨/٥ والمعنى : « وإذْ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم ، في عبادتهم غير الله ، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم » اهـ .

(٣) هذه قراءة شاذة ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٣٦٧/١٠ وأبو حيان في البحر المحيط ١٠٦/٦ وذكرها ابن جرير ٢٠٩/١٥ على أنها تفسير ، قال في البحر ١٠٦/٦ : وما في مصحف ابن مسعود إنما أريد به تفسير المعنى ، وليس ذلك قرآناً لمخالفتها لسواد المصحف ، ولأن المستفيض عن عبدالله بل هو متواتر ، ما يثبت في السواد وهو ﴿ وما يعبدون إلاَّ الله ﴾ .

٢١ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَأْوُوْا إِلَى الكَهْفِ .. ﴾ [آية ١٦] .

أي صيّروه مأواكم[1] .

ثم قال جل وعز ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾ [آية ١٦] .

[قُرِىء بفتح الميم وكسرها ، وهو ما يُرتفق به ، وكذلك مِرْفَقُ الإنسانِ ومَرْفِقهُ ، ومنهم من يجعل المَرْفِق بفتح الميم وكسر الفاء من الأمر ، والمُرْفق من الإنسان ،

وقد قيل : المَرْفِق بفتح الميم : الموضع كالمسجد ، وهما لغتان][2] .

....

....

٢٢ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

[رُوي أن النبي ﷺ سُئل عن] فتيةٍ مَضَوْا في الزَّمنَ الأول ،

(١) قال في البحر ١٠٦/٦ : أي اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وما أثبتناه من تفسير القرطبي ٣٦٧/١٠ لأنه كثيراً ما ينقل عن الإمام النحاس ، كما يوجد سقطٌ لبعض الآيات ، لانعلم هل ترك المصنف رحمه الله تفسيرها ، أو سقطت من المخطوطة ، وهي في حدود سبع آيات .

وعن رجلٍ طوّاف ، وعن الروح ، فقال رسول الله ﷺ : غداً أخبركم عن ذلك ، ولم يَسْتَثْنِ ، فمكث عنه جبريل بضع عشرة ليلة ، ثم جاءه بسورة الكهف ، ونزل في قوله : أخبرُكم به غداً ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾[1] .

٢٣ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾** [آية ٢٤] .

أي عسى أن يعطيني من الآيات والدلائل ، ما هو أرشدُ وأبيَنُ من خبر أصحاب الكهف .

٢٤ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾** [آية ٢٥] .

في معناه ثلاثة أقوال :

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٢٨/١٥ وأخرجه ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس ١٣٣/٥ قال : بعثت قريش إلى أحبار اليهود ، يسألونهم عن محمد هل هو نبيٌّ ؟ فقالوا لهم : سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن ، فإن أخبركم عن اثنتين ، وأمسك عن الثالثة فهو نبيٌّ ، فاتّبعوه ، وإن لم يخبركم فهو رجل متقوِّل ــ أي مفترٍ على الله ــ سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ؟ وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فسألوه عما أمروهم به فقال ﷺ : أخبركم غداً بما سألتم عنه ولم يستثن ــ أي لم يقل إن شاء الله ــ فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلةً لا يُحدث اللهُ له في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبتُه ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ وانظر زاد المسير أيضاً .

أ ــ **قال مجاهد** : هذا عددُ ما لبثوا(1).

ب ــ **وقال قتادةُ** : في قراءة ابنِ مسعود « وَقَالُوا لَبِثُوا في كَهْفِهِمْ »(2) .

جـ ــ **والقولُ الثالث** : أن اللَّهَ خبَّر بما لبثوا ، إلى أن بُعِثوا من الكهف ، ولا نعلم كم مُذْ بُعثوا إلى هذا الوقتِ ، فقال سبحانه ﴿ **قُل اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ أي من أي وقت مبعثهم إلى هذا الوقت .

قال أبو جعفر : وأحسنُ هذه الأقوال الأوُل ، وإنما يقع الإشكالُ فيه لقوله جلَّ وعزَّ ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ ففرَّ قومٌ إلى أن قالوا : هو معطوفٌ على قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ .. ﴾(3) .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القولَ الأوَّل ، لأنه أبلغُ ، وأن

(1ــ2) قال الحافظ ابن كثير 5/147 : رواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعةٌ ، ثم هي شاذة فلا يُحتج بها ، والأثر عن مجاهد أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير 5/91 .

(3) خلاصة القول في هذه الآية : أن المفسرين اختلفوا فيها على قولين :

الأول : أن هذا حكاية عمَّا قال الناسُ في حقهم ، وليس بمقدار لبثهم ، رُوي هذا عن ابن عباس ، واستدل عليه فقال : لو كانوا لبثوا ذلك ، لما قال الله تعالى ﴿ اللهُ أعلم بما لبثوا ﴾ وكذلك قال قتادة : هذا قول أهل الكتاب .

الثاني : أنه مقدار ما لبثوا ، والمعنى : لبثوا هذا القدر ، من يوم أن دخلوا الكهف ، إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم ، فهو خبرٌ من الله تعالى عن مدة لبثهم ، وهذا هو الصحيح ، وهو قولُ جمعٍ من المحققين ، وانظر المحرر الوجيز 9/283 وتفسير القرطبي 10/387 .

ابن فُضَيل رَوَى عن الأَجْلح[1] عن الضحاك قال : لمَّا أُنزِلتْ ﴿ **ولَبِثُوا في كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِائةٍ** ﴾ قالوا : أسنين ؟ أم شهوراً ؟ أم أياماً ؟ فأنزل اللهُ جلَّ وعز ﴿ **سِنِينَ** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فأمَّا ما أشكلَ من قوله تعالى ﴿ **قُلِ اللَّهُ أعلمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ فنحنُ نبيِّنهُ .

يجوز أن يكون لِمَا اختلفوا في مقدار ما لبثوا ، ثم أخبر اللَّهُ جلَّ وعز به فقال : ﴿ **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا** ﴾ **أي هو أعلمُ به من المختلفين فيه** .

وقولٌ آخرُ أحسنُ من هذا : أن يكون « أعلمُ » بمعنى عالمٌ ، وذلك كثيرٌ موجودٌ في كلام العرب ، قال اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَهُوَ الَّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[3] أجودُ الأقوال فيه أن معناه : هو هيِّن عليه ، وهو اختيار أبي العباس[4] ، ومنه « اللهُ أكبرُ » بمعنى كبير ، ومنه قول الفرزدق :

---

(١) الأجلحُ : هو أجلحُ بنُ عبدالله بن حُجَيَّة ، يُقال : اسمه يحيى ، والأجلحُ لقبٌ ، قال في التقريب ٤٩/١ : صَدوقٌ ، شيعيٌّ ، من السابعة ، مات سنة ١٤٥هـ وانظر تهذيب التهذيب ١٨٩/١ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ٢٣١/١٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨٤/٩ .

(٣) سورة الروم آية رقم ٢٧ .

(٤) يريد به الإمام المبرِّد .

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ(١)

وقول الآخر :

أُصَبِحْتُ أمْتَحُكِ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي
ـ قَسَماً إليكِ ـ مع الصُّدُودِ لأَمْيَلُ(٢)

وقولُ الآخر :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنِّي لَأَوْجَلُ
عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ(٣)

٢٥ ـ **وقولُه جَلَّ وعز : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ .. ﴾** [آية ٢٦] .

المعنى : ما أبصَرَهُ وأسمَعَه(٤) ، أي هوعالمٌ بقصَّةِ أصحاب الكهف وغيرهم .

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢ والشاهد فيه أن « أطول » بمعنى طويل ، وليس أفعل تفضيل .

(٢) البيت للأحوص الأنصاري من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز ، وقد استشهد به سيبويه ١٩٠/١ وهو في المقتضب للمبرِّد ٢٣٣/٣ وفي خزانة الأدب ٤٨/٢ بلفظ « إني لأمتحك الصُّدود ..» الخ وأول القصيدة :

يابيتَ عَاتِكَةَ التي أتعزَّلُ   حَذَرَ العِدَا وبهِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ
إني لأمنحك الصُّدود وإنني   .... البيت

(٣) البيت لمعْنِ بنِ أَوْسٍ المُزَني وهو في ديوانه ص٣٦ وهو في خزانة الأدب ٥٠٥/٣ والمنصف لابن جني ٣٥/٣ .

(٤) قال الأخفش ٦١٨/٢ أي ما أبصره وأسمعه كما تقول : أكرِمْ به أي ما أكرمه . قال قتادة : أي لا أحد أبصر من اللّهِ ولا أسمع . والصيغة صيغةُ تعجب وانظر البحر ١١٧/٦ .

٢٦ ـــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾ [آية ٢٦] .

نظيرُه قولُه تعالى ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾(١) .

ومن قرأ ﴿ ولا تُشْرِكْ في حُكْمِهِ أَحَداً ﴾(٢) فمعناه عنده: لاتنسبْ أحداً إلى أنه يعلمُ الغيبَ .

٢٧ ـــ وقولهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي ملجأً أي يمنعك منه جلَّ وعز(٣) .

قال أبو جعفر : وهو حسن في اللغة ، وأصله في اللغة من اللَّحدِ وهو من الميل والملحد : المائلُ عن الحقِّ ، العادلُ عنه ، فإذا أَلحدْتَ إلى الشيء فقد ملتَ إليه(٤) .

---

(١) سورة الجن آية رقم ٢٦ ـــ ٢٧ .

(٢) هذه قراءة ابن عامرٍ ، وهي من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٣٩٠ والنشر ٣١٠/٢ وقرأ الباقون ﴿ ولايُشْرِكُ في حكمِهِ أحداً ﴾ بالرفع .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٣٣/١٥ والدر المنثور ٢١٨/٤ .

(٤) في الصحاح ٥٣٤/٢ : اللَّحدُ : الشقُّ في جانب القبر ، والملتحدُ : الملجأ ، لأن اللاجىء يميل إليه . اهـ . وورد في المخطوطة « فإذا لجأت إلى الشيء » وهو تصحيفٌ وصوابه « فإذا لحدْتَ إلى الشيء » كما أثبتناه ، لأنه شرح لمعنى الملتحد .

٢٨ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ .. ﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى ابنُ عَجْلَانَ عن نافعٍ عن ابن عمر قال : الصلاة المكتوبة[1] .

قال مجاهد وإبراهيم : الصلواتُ الخمس[2] .

٢٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي لاتتجاوزهم إلى المترفين[3] .

ورُوِيَ عن الحسن أنه قرأ ﴿ وَلَا تُعَدِّ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ ﴾

---

(١)و(٢) يريد المصنف أن معنى ﴿ يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ ﴾ أي يصلُّون الصلوات الخمس ، في الصباح والمساء كما روى عن مجاهد وابن عمر وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ ﴾ وانظر الآثار في الطبري ٢٠٣/٧ والدر المنثور ٢٣٠/٤ والمحرر الوجيز ٢٩٢/٩ ورجح الطبري أن المراد بالآية أهل الذكر والدعاء والتسبيح والتمجيد ، ويدخل في الذكر الصلوات الخمس ، والله أعلم .

(٣) قال الزجاج ٢٨١/٣ : أي لاتصرفْ بصرَك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة .

أقول : سبب نزول هذه الآية مارواه مسلم في صحيحه ١٢٧/٧ عن سعد بن أبي وقاص قال : « كنّا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لايجترئون علينا ، فوقع في نفس رسول الله ماشاء الله أن يقع ، فحدَّث نفسه ، فأنزل الله ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ..﴾ الآية ، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير ١٤٨/٥ .

بتشديد الدال والنصب[١] .

٣٠ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي ضَيَاعاً[٢] .

قال أبو جعفر : وقيل : إسرافاً ، وقيل : ندماً[٣] .

وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، وهو من الإفراط في الشيء ، والتجاوز فيه .

وبيَّن هذا أن سفيانَ بن سعيد قال : هو « عُيَيْنةُ بنُ حِصْنٍ » .

وقال غيره : قال : أنا أشرفُ مُضَرَ وأجَلُّها .

فهذا هو التجاوزُ بعينه .

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ قال : ﴿ ولا تُعَدِّ ﴾ بضم التاء وفتح العين وشدِّ الدال المكسورة أي لاتجاوزها أنت عنهم ، وذكر أيضاً قراءة ﴿ وَلَا تُعْدِ ﴾ بضم التاء وسكون العين إلخ وهما من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٧/٢ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٢٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٢٠/٤ قال ابن كثير ١٤٩/٥ : أي أعماله وأفعاله سفهٌ وتفريطٌ وضياع .

(٣) ذكر هذه الأقوال الطبري ٢٣٧/١٥ وابن عطية ٢٩٣/٩ قال : والفُرُط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع ، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف ، أي أمره وهواه الذي هو بسبيله ضياعٌ ، وقد فسَّره المتأولون بالعبارتين أعني : التَّضييع ، والإسراف ، وعبَّر عنه خبَّاب بالهلاك ، وداود بالندامة ، وهذا كله تفسير بالمعنى ، وفي البخاري ٤٠٨/٨ ﴿ فُرُطاً ﴾ نَدَماً .

وقال الفراء : ﴿ فُرُطاً ﴾ : متروكاً ، قد تُركتْ فيه الطَّاعةُ(١) .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وقل الذي جئتُكُمْ به ، الحقُّ من ربكم .

٣٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ [آية ٢٩] .

هذا على التهديد(٢) .

٣٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَاراً .. ﴾ [آية ٢٩] .

أي جعلناها لهم عَتَاداً ، والعَتَادُ : الثابتُ اللَّازمُ ، وهو مثلُ العُدَّة(٣) .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا .. ﴾ [آية ٢٩] .

السُّرَادِقُ في اللُّغةِ : كلُّ شيءٍ محيط بشيء(٤) .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤٠ فقد جاء فيه ﴿ فُرُطاً ﴾ متروكاً قد تُرك فيه الطاعةُ ، وغُفِل عنها ، ويُقال : إنه أفرط في القول فقال : نحن رءوسُ مضَرَ وأشرافُها . وليس كذلك وهو « عُيينةُ بن حصن » اهـ .

(٢) ظاهره أمرٌ وحقيقته وعيدٌ وتهديد ، كما قاله الزجَّاج في معانيه ٣/٢٨١ فهو كقوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٢/٥٠٥ فقد قال فيه : العتيدُ : الشيءُ الحاضرُ المهيَّأُ ، والعَتَادُ : العُدَّة ، يُقال : أخذ للأمر عُدَّته وعَتَاده ، أي أُهبتَه وآلته . اهـ .

(٤) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣/٢٨٢ وقال ابن عطية في المحرر ٩/٢٩٥ : السُّرادقُ : هو الجدارُ المحيطُ ، كالحجارة التي تدور وتُحيط بالفسطاط ، ومنه قول رُؤبة « سُرَادقُ المجدِ عليكَ مَمْدودُ » وانظر القاموس المحيط .

قيل : إنه يُراد به الدُّخان[1] ، الذي يحيط بالكفَّار يومَ القيامةِ ، وهو الذي ذكرهُ اللَّهُ في قوله سبحانه ﴿ **انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ** ﴾[2] .

٣٥ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ .. ﴾** [آية ٢٨] .

رَوَى هُشَيمٌ عن عَوْفٍ عن الحسن قال : جاء قوم إلى عبدالله بن مسعود ، يسألونه عن المُهْل ، فأخذ فضَّةً فأَذَابَها ، حتَّى انماعت[3] ، ثم أَذِنَ لهم بالدخول ، فقال لهم : هذا أشبهُ بالمُهْلِ[4] .

ورَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال :

---

(١) هذا القول ذكره ابن الجوزي عن ابن قتيبة ، وهو قولٌ مرجوحٌ ، والأظهر ما قاله ابن عباس أنه حائطٌ من نار ، وفي الحديث الشريف « لِسُرادِقِ النَّارِ أربعةُ جُدُرٍ ، كِثَفُ كل جدارٍ مسيرةُ أربعين سنة » أخرجه الترمذي رقم ٢٥٨٤ والحاكم ٦٠١/٤ وأحمد ٢٩/٣ .

(٢) سورة المرسلات آية رقم ٣٠ .

(٣) أي أصبحت سائلةً كالماء المائع .

(٤) الأثر عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير ٢٤٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢٢١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، ولفظه : « فدعا بذهبٍ وفضةٍ ، فأَذَابَه ، فلمَّا ذاب قال : هذا أشبه شيء بالمهل ، الذي هو شراب أهل النار ، ولونُه لونُ السماء ،غير أن شراب أهل النار ، أشدُّ حراً من هذا » .

المُهْلُ : دُرْدِيُّ الزيتِ[1] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : المُهْلُ : القيحُ ، والدَّمُ[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، وإنما هو ما تَمَهَّلَ وسكَنَ ، وأكثرُ ما يُستعمل لدُرْدِيِّ الزيت ، كما قال ابن عباس .

٣٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [آية ٢٩] .

المعنى : وساءت النَّارُ مرتفَقاً .

قال مجاهد : أي مجتمعاً[3] .

وقال غيره : أي مجلساً[4] .

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٥/٢٤٠ والقرطبي ١٠/٣٩٤ وزاد المسير ٥/٩٥ ومعنى دُرْدِيّ الزيت أي عَكَرِه وهو ما يبقى في آخر الزجاجة من الطُّحل ، وقولُ ابن عباس أظهرُ الأقوال وأشهرها ، ويؤيده ماجاء في حديث الترمذي عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ كالمُهْلِ يشوي الوُجُوهَ ﴾ قال : كَعَكر الزيت ، فإذا قرَّبه إلى وجهه سقطت فَرْوةُ وجهه فيه » الترمذي ٤/٧٠٤ .

(٣)و(٤) انظر الطبري ١٥/٢٤٢ وابن كثير ٥/١٥١ والبحر المحيط ٦/١٢١ والدر المنثور ٤/٢٢١ قال في البحر ﴿ مُرْتَفَقاً ﴾ أي متكأ وهو قول الزجاج ، من المِرْفَق ، وهذا لمشاكلة قوله ﴿ وحَسُنَتْ مرتفقاً ﴾ وإلاَّ فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء . اهـ وقال الحافظ ابن كثير ٥/١٥١ : أي ساءت النار منزلاً ومقيلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق كما قال سبحانه ﴿ إنها ساءت مستقراً ومُقاماً ﴾ . اهـ .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللُّغةِ أنَّ المرتَفَقُ : المتَّكأُ ، وأنشد أهل اللغة :

إنِّـــي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْـــلَ مُرتَفِقَـــاً
كَأَنَّ عَيْنـيَ فِيهَـا الصَّابُ مَذْبُـوحُ[1]

قال أبو جعفر : ولا يمتنع أن يكون المعنى : موضع مرتفق .

٣٧ ــ **وقوله جلَّ ذكرهُ : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾** [آية ٣٠] .

قال أبو جعفر : حدثنا أبو عبدالله « أحمدُ بنُ علـــيٍّ بنِ سَهْلٍ » قال : حدثنا محمد بنُ حُميد ، قال : نا يحيى بنُ الضُّرَيْسِ ، عن زُهيرِ بنِ معاويةَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، قال : قدِمَ أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع ــ والنبيُّ واقـــفٌ بعرفات على ناقته الصَّهْباءِ ــ فقال : إني رجلٌ متعلِّمٌ ، فأخبِرْني عن قولِ الله **﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾** قال النبي عليـــه السلام : يا أعرابـــيٌّ ما أنتَ منهم ببعيدٍ ، وما هم منك ببعيد ، هؤلاءِ الأربعةُ الَّذين هم وقوفٌ معـــي

(١) البيت لأبي ذُؤيب الهُذَليّ ، وهو في ديوان الهذليين ١/١٠٤ والكشاف ٢/٣٨٩ والطبري ١٥/٢٤١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٤٠٠ وشواهد المغني ٧٢ والصَّابُ شجرة مُرَّة لها لبن يؤذي العين إذا أصابها .

« أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ » فَأَعلِمْ قومكَ أنَّ هذه الآية نزلتْ في هؤلاء الأربعة[1] .

٣٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ٣١] .

العَدْنُ : الإِقامةُ[2] ، ثم قال : **﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾** أي ماءُ الأنهارِ[3] .

٣٩ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ .. ﴾** [آية ٣١] .

أسَاوِرُ : جمعُ أَسْوِرة ، وأَسْوِرَةٌ جمعُ سِوَارٍ ، ويُقال : سُوَارٌ .

---

(١) هذا الحديث ذكره الماوردي ، كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٣٩٨/١٠ قال : وأسنده السُّهيلي في كتاب الأعلام ، قال : وأسنده النحاس في كتاب معاني القرآن ، وقد روينا جميع ذلك بالإجازة . اهـ .

أقول : لم أره في كتب السنن ، ولا في الصحاح ، وهؤلاء الخلفاءُ الراشدون الأربعة ، لاشك أنهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولكنْ في النفس شيء من هذه الرواية ، فأسلوبها بعيدٌ عن روعة البيان النبوي ، والله أعلم .

(٢) في الصحاح ٢١٦٢/٦ : عدنتُ بالبلدِ : توطَّنتُه ، وعَدَنتِ الإبلُ : لزمت أماكنها فلم تبرحها ، ومنه جنَّاتُ عدنٍ أي جنات إقامة .

(٣) الأنهار لا تجري وإنما تجري مياهُها ، فالآية على حذف مضاف والمعنى : تجري من تحتهم مياه أنهار الجنة ، كما ذكر المصنف ، وهذا مجاز معروفٌ في اللغة كقوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من قرية ﴾ أي أهلكنا أهلها .

وحَكَى قُطْرب[1] : أن « أساورَ » جمعُ إسوار .

ولا يُعرف ذلك[2] .

٤٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ .. ﴾ [آية ٣١] .

السُندسُ : رقيقُ الدِّيباج ، والاستبرقُ : ثخينه[3] .

٤١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ .. ﴾ [آية ٣١] .

وهي السُّرُرُ في الحِجَالِ[4] .

٤٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [آية ٣١] .

أي حَسُنت الجنة مرتفقاً .

٤٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ .. ﴾ [آية ٣٢] .

---

(١) ذكر هذا القول القرطبي ٣٩٦/١٠ فقال : وحكى قطرب في واحد الأساور إسوار ، و قطرب صاحب شذوذ ، قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره . اهـ . وقطرب هو محمد بن المستنير تقدمت ترجمته .

(٢) انظر معاني الزجاج ٢٨٣/٣ وقال في الصحاح ٦٩٠/٢ : السِّوار : سِوارُ المرأة ، وجمعه أسورة ، وجمع الجمع أَسَاوِرةٌ ، وأَسَاوِرُ ، وقال بو عمرو بن العلاء : واحدها إِسْوار .. اهـ .

(٣) في المخطوطة : والاستبرقُ : « محكمة » وهو ــ والله أعلم ــ مصحَّفٌ عن لفظ « ثخينه » قال الطبري ٢٤٣/١٥ : والسندسُ مارقَّ من الديباج ، والاستبرقُ ما غَلُظَ منه وثَخُن . اهـ وكذلك قال الجوهري في الصحاح ١٤٥٠/٤ : والاستبرقُ : الديباجُ الغليظُ .

(٤) الحِجالُ : جمع حَجَلة ، وهي كالقبة ، وموضع يُزيَّن بالستور والثياب والأَسِرَّة للعروس .

يُروى أن اليهود قالوا : سَلُوه عن أصحاب الكهف ، وعن الرُّوحِ ، وعن رجلين ؟ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ هذا ، وجعله مثلاً لجميع النَّاس .

٤٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ .. ﴾** [آية ٣٢] .

أي حوَّطْناهما بهِ ، وقد حفَّ القومُ بفلانٍ : إذا حَدَقوا(١) .

٤٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴾** [آية ٣٢] .

فأخبر أنه ليس بينهما إلاَّ عمرانٌ(٢) .

٤٦ ــ **ثم أخبر أنهما في تأديةِ الحَمْلِ والثَّمر على النهاية ، فقال : ﴿ كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ، وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾** [آية ٣٣] .

أي ولم تنقص .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً ﴾**(٣)[آية ٣٣] .

---

(١) في الصحاح ١٤٥٦/٤ : حَدَقوا بالرجلِ ، وأَحْدَقوا به أي أحاطوا به .اهـ .

(٢) في المخطوطة « إلاَّ عِمرانٌ » بزيادة « إلاَّ » ولعلَّ الصواب حذفها والمعنى : جعلنا النخيل مطيفاً بهما ، قد أحاطت أشجار النخيل بالجنتين والبساتين ، لا يفصل بين الحديقتين إلاَّ الزرع ، والله أعلم .

(٣) أي جعلنا النهر يسير وسط الحديقتين ، قال الزمخشري ٣٨٩/٢ : وصفَ العمارة بأنها متواصلةٌ متشابكة ، لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها ، مع الشكل الحسن ، والترتيب الأنيق ، ونعتَها بوفاء الثمار ، وتمام الأُكُل من غير نقص ، ثم بما هو أصلُ الخير ومادته من أمر الشرْب ، فجعله أفضل ما يُسقى به ، وهو السيح بالنهر الجاري فيها ، وكانت له إلى جانب الجنتين الموصوفتين ، الأموال الوافرة من الذهب والفضة اهـ .

فأخبر أنَّ شِرْبهما كان من نَهْرٍ ، وهو أغزرُ الشُّرب .

٤٨ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ .. ﴾ [آية ٣٣] .

ويُقرأ ﴿ ثَمَرٌ ﴾[1] فالثَّمرُ معروفٌ .

وفي الثُّمرِ قولان :

أ ـ قال مجاهد : كلُّ ما كان في القرآن من ثُمُرٍ فهو المالُ ، وما كان من ثَمَر فهو من الثِّمار[2] .

ب ـ وقال أبو عمران الجوني : الثُّمُرُ : أنواعُ المال ، والثَّمَرُ : الثَّمراتُ[3] .

جـ ـ وقال أبو يزيد المدني : الثُّمُرُ : الأصلُ ، والثَّمَرُ : الثَّمرةُ .

قال أبو جعفر : وكأنه يريد بالأصل الشجَّرَ ، وما أشبهها .

وهذه الثلاثةُ الأقوالِ ترجع إلى معنىً واحد ، وهو أن الثُّمُرَ : المالُ[4] .

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائيّ ﴿ وكان له ثُمُرٌ ﴾ مضمومة الثاء والميم ، وقرأ عاصم وأبو جعفر ﴿ وكان له ثَمَرٌ ﴾ بفتح الثاء والميم ، وكلا القراءتين من القراءات السبع المتواترة ، وانظر النشر ٣١٠/٢ والسبعة لابن مجاهد ص٣٩٠ .

(٢)و(٣) انظر الآثار في الطبري ٢٤٥/١٥ وابن الجوزي ٩٩/٥ والدر المنثور ٢٢٢/٤ .

(٤) قال الجوهري : الثمرة واحدة الثمر والثمرات ، وجمع الثَّمر ثِمارٌ مثل جبل وجبال . والثُّمرُ أيضاً المالُ المثمَّرُ . اهـ الصحاح مادة ثمر .

والقولُ الآخرُ : حدثنا أحمد بن شُعيب ، قال : أخبرَني عمرْانُ بن بكار ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي قال : حدثنا شعيبُ بن إسحق ، قال : حدثنا هارون ، قال : حدثني أبان بن تغلب عن الأعمش أن الحجَّاج قال : « لو سمعتُ أحداً يقول ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ** ﴾ لقطعتُ لسانه ، فقلتُ للأعمش : أتأخذ بذلك ؟ قال : لا ، ولا نِعْمةَ عين[1] . فكان يقرأ ﴿**ثُمُر**﴾ ويأخذه من جمع الثَّمر » .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا القول ، أنه جَمَع ثَمَرةً على ثِمارٍ ، ثم جمع ثِمَاراً على ثُمْرٍ ، وهو حسنٌ في العربية ، إلاَّ أنَّ القول الأوَلَ أشبهُ ـــ واللهُ أعلمُ ـــ لأن قولَهَ تعالى ﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا** ﴾ يدلُّ على أن له ثَمَراً[2] .

٤٩ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ أي يخاطبه ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ [آية ٣٤] .

(١) ذكره القرطبي في جامع أحكام القرآن عن الحجّاج ٤٠٣/١٠ ولا عبرة بقول الحجاج ، فإنه معروف في اللغة ، ولهذا ردَّه الأعمش .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٢٨٥/٣ : وقُرِىء ﴿ وكان لهُ ثُمُرٌ ﴾ وقيل : الثَّمر ما أخرجته الشجر ، والثُّمرُ المال ، يُقال : قد ثَمَّر فلان مالاً ، والثَّمرَ ها هنا أحسن ، لأن قوله تعالى ﴿ كلتا الجنَّتَيْن آتتْ أُكُلَها ﴾ قد دلَّ على الثمر ، ويجوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثمرة ، وثِمار جمع ثُمُرٍ . اهـ وقال أبو علي الفارسي : من قال هو الذهبُ والورِقُ ، فإنما قيل له ثُمُر على التفاؤل ، لأن الثَّمر نماءٌ في ذي الثَّمر ، وكونه ها هنا بالجنى أشبه بالذهب والفضة . اهـ زاد المسير ٩٩/٥ .

[النَّفَرُ : الرَّهطُ ، وهو ما دون العَشَرة ، وأراد هاهنا الأتباع ، والخَدَم ، والولد][1] .

٥٠ ــ **قال الله جل وعز : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ .. ﴾** [آية ٣٥] .

وكلُّ من كفر فقد ظلَمَ نفسَه ، لأنه يُوجِبُها النَّار .

٥١ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً . وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً .. ﴾** [آية ٣٥] .

فكفر بالبعث ، وبأنَّ الدنيا تَفْنى .

٥٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾** [آية ٣٦] .

وهذا ممَّا يُسأل عنه فيُقال : كيف ينكرُ البعثَ ويقول : ﴿ **وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي** ﴾ ويحكُمُ أنه يُعْطَى خيراً منهما ؟

فالجوابُ : أن المعنى : ولئن رددتُ إلى ربي ــ على قولك ــ وقد أعطاني في الدنيا ، فكما أعطاني في الدنيا فهو يعطيني في الآخرة[2] .

---

(١) سقط من المخطوطة وأثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ٤٠٣/١٠ .

(٢) هذا القول منه على سبيل الفرض والتقدير ، والمعنى : إن كان هناك بعثٌ وجنة ونار كما تزعم ، فسيكون حالي خيراً من حالك ، وسيعطيني الله خيراً من هذا وأفضل ، كما أعطاني في الدنيا ، قال ابن عباس : يقول : إن كان البعث حقاً فهو على الفرض والتقدير .

ونظيرُ هذا قولُه جلَّ وعز ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾[1] ؟ أي على قولكم .

ومن قرأ ﴿ مِنْهَا ﴾[2] أراد الجنة .

٥٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ، أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ .. ﴾ [آية ٣٧] .

فألزمه الكفرَ بقوله[3] .

٥٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [آية ٣٧] .

أي كمَّلكَ .

٥٦ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدَاً ﴾ [آية ٣٨] .

فدلَّ هذا على أنه كان مشركاً .

---

(١) سورة القصص آية رقم ٦٢ وتمامها ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ ؟ ومعلوم أن الله ليس له شركاء .

(٢) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿خيراً منهما﴾ وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، والكسائي ﴿ خيراً منها﴾وكلتاهما من القراءات السبع كما في السبعة ص٣٩٠ .

(٣) إنما ألزمه الكفر لشكه في الآخرة بقوله ﴿ ولئنْ رُددتُ إلى ربي ﴾ فكل شاكٍّ في أمر البعث ، فهو كافر ، ولهذا قال ﴿ أكفرَت بالذي خلقك ﴾ والاستفهام في الآية ﴿ أكفَرتَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ كما في البحر ١٢٧/٦ .

والمعنى : لكِنْ أنا[1] .

٥٦ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٩] .

المعنى : [هذه الجنة هيَ][2] ماشاءَ اللهُ .

ويجوز أن يكون المعنى : ماشاءَ اللهُ كانَ .

والمعنى : لا يكون لأحدٍ إلاَّ ماشاء اللَّهُ ، وليس لأحدٍ في بدنه ولا ماله قوَّةٌ إلاَّ باللَّهِ .

ورَوَى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ألَا أدلُّكَ على كلمةٍ من كنزِ الجنَّةِ ، من تحت العرش ؟

(١) قال ابن عطية ٣١٢/٩ : من قرأ ﴿ لكنا ﴾ فأصله عنده : لكنْ أنا ، حُذفت الهمزةُ على غير قياس ، وأُدغمت النون في النون ، وقال بعض النحويين : نُقلت حركة الهمزة إلى النون فصارت « لَكِنَنَا » ثم أُدغمت بعد ذلك فصارت « لكِنَّا » وقرأ ابن مسعود ، والحسن على الأصل ﴿ لكنْ أنا ﴾ اهـ وعدَّها في المحتسب ٢٠٩/٢ من الشواذ .

(٢) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من تفسير القرطبي ٤٠٦/١٠ ليتمَّ المعنى ، قال الزجاج في معانيه ٢٨٨/٣ : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك ﴾ الجنة : البستانُ ﴿ ولولا ﴾ بمعنى هلاَّ ، وتأويل الكلام التوبيخ ﴿ قلتَ ماشاء الله ﴾ أي الأمر ماشاء الله ، ويجوز أن تكون « ما » في موضع نصب ، ويكون التأويل : أيَّ شيءٍ شاءه الله كان . اهـ . وقال في البحر ١٢٩/٦ : لما وبَّخ المؤمنُ الكافر ، أورد له ما ينصحه به ، فحضَّه على أن يقول : إذا دخل جنته ﴿ ماشاء الله لاقوة إلا بالله ﴾ أي الأشياء مقدورة بمشيئة الله ، إن شاء أفقر ، وإن شاء أغنى ، وإن شاء نصر ، وإن شاء خذل ، والذي شاءه الله كائن . اهـ .

قال : قلتُ : بلى ، بأبي أنتَ وأمي يارسولَ اللّـهِ !! قال : « لا قوَّةَ إلاَّ باللَّهِ » إذا قالها العبدُ ، قال اللهُ : أسلمَ عبدي ، واستسْلَمَ)[1] .

٥٧ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً ، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ .. ﴾** [آية ٤٠] .

يجوز أن يكون أراد في الدنيا ، وأن يكون أراد في الآخرة[2] .

٥٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

قال قتادةُ والضحَّاكُ : أي عَذَاباً[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٠٢/٨ في كتاب الدعوات ، ومسلم في كتاب الذكر « باب استحباب خفض الصوت بالذكر » ٧٣/٨ . ولفظ البخاري : « ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله » وأما الرواية التي ذكرها المصنف فهي من رواية أحمد في المسند ٢٣٥/٢ وتتمة الحديث كما في المسند : قال عمروٌ قلتُ لأبي هريرة « لا حول ولا قوة إلاَّ بالله» فقال : لا ، إنها في سورة الكهف ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ .

(٢) رجَّح ابن كثير المعنى الثاني فقال ١٥٥/٥ ﴿ خيراً من جنتك ﴾ أي في الدار الآخرة ، وأما أبو حيان في البحر ١٢٩/٦ فقال : أردف النصيحة بترجيةٍ من الله ، وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى ، والمعنى : إني أتوقع من صنع الله وإحسانه ، أن يمنحني جنة خيراً من جنتك لإيماني به ، ويزيل عنك نعمته لكفرك به ، ويخرِّب بستانك . اهـ . وذكر ابن عطية القولين ٣١٥/٩ ودلَّل لكل منهما .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٤٩/١٥ وابن كثير ١٥٥/٥ والسيوطي في الدر ٢٢٤/٥ قال ابن كثير : وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، ومالك عن الزهري . اهـ .

وقال أبو عُبيدة : هي المرامي[1] [جمع مرماة وشيء فيه الحصب][2] .

والمعروفُ في اللغة : أن الحُسْبانَ والحساب واحدٌ ، قال الله جلَّ وعز ﴿ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[3] .

وقولُ قتادةَ والضحَّاك صحيحُ المعنى ، كأنه قال : أو يرسلَ عليها عذابَ حِسَابِ ما كسبتْ يداه ، وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[4] .

٥٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدَاً زَلَقَا ﴾ [آية ٤٠] .

الصَّعيدُ في اللغة : وجهُ الأرض الذي لانباتَ عليه .

والزَّلَقُ : ما تَزِلُّ فيه الأقدامُ[5] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٣/١ قال : مجازها : مرامي ، وواحدتها حُسبانة أي ناراً تحرقها . اهـ .

(٢) ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة .

(٣) سورة الرحمن آية رقم ٥ .

(٤) سورة يوسف آية رقم ٨٢ وتمامها ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ، والعيرَ التي أقبلنا فيها ، وإنَّا لصادقون ﴾ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٣/١ وقال في البحر ١٢٣/٦ : الزَّلَقُ : ما لايثبت فيه القدم من الأرض ، والمعنى : أي تصبح أرضاً جرداء لا نبات فيها من كَرْم ، ولا زرع ، قد احترق جميع ذلك فبقيت يباباً قفراً ، تنزلق عليها الأقدام .

٦٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا .. ﴾ [آية ٤١] .

أي غائراً ، والتقديرُ : ذا غَوْرٍ(١) .

٦١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ [آية ٤١] .

أي لم يبق له أثرٌ ، فيُطْلب من أجله .

٦٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ .. ﴾ [آية ٤٢] .

أي أحاط اللَّهُ العذابَ بثمره(٢) .

٦٣ ــ ثم قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

وهذا يوصف به النَّادمُ(٣) .

٦٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ١٥٥/٥ : والغَوْرُ : مصدرٌ بمعنى غائر ، وهو أبلغ منه كما قال الشاعر « تظلُّ جياده نَوْحاً عليه » بمعنى نائحات ، قال : والغائرُ في الأرض : ضدُّ النابع الذي يطلب وجه الأرض ، والغائر الذي يطلب أسفلها كما قال تعالى ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ اهـ .

(٢) قال في البحر ١٣٠/٦ : واللفظ عبارةٌ عن الإهلاك ، وأصلهُ من أحاط به العدوُّ ، وهو استدارته به من جوانبه ، ومتى أحاط به ملكَه واستولى عليه ، ثم استعملت في كل إهلاك ، ومنه قوله تعالى ﴿ إلاَّ أن يُحاط بكم ﴾ .

(٣) قال ابن الجوزي١٠٢/٥ : أي يضرب بيدٍ على يد ، وهذا فعل المتلهّف ، المتأسف على فائتٍ أو خسارة ، ونحوهما .

الخاويةُ في اللغة : الخاليةُ ، والعُروشُ : السُّقُوفُ .

والمعنى : أن حيطانها قيامٌ ، وقد سقطتْ سقوفها ، فكأنَّ الحيطان على السُّقوف[1] .

٦٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي عشيرة[2] .

٦٦ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي يؤمنون باللهِ وحده ، ويتبرَّءون ممَّا كانوا يعبدون[3] .

ويُقرأ : الوِلَايةُ بكسر الواو[4] .

والمعنى على الفتح ، لأن الولاية المعروفُ أنَّها الإمارةُ .

٦٧ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ هُوَ خيرٌ ثَوَابَاً وَخَيْرٌ عُقْبَاً ﴾ [آية ٤٤] .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨٩/٣ فقد قال : تهدمت سقوفها فصارت في قرارها ، وصارت الحيطانَ كأنها على السقوف .

(٢) الأثر في الطبري ٢٥١/١٥ وابن كثير ١٥٦/٥ والدر المنثور ٢٢٤/٤ وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) الوَلَايَةُ : بالفتح : النُّصْرةُ والتوليّ أي في ذلك المقام وتلك الحال ، تكون النُّصرةُ للَّهِ وحده لايقدر عليها أحد سواه .

(٤) قرأ حمزة (الوِلَاية) بكسر الواو ، وقرأ الباقون ﴿ الوَلَايَةُ ﴾ بالفتح ، وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٢ .

العُقْبُ ــ عند أهل اللغة ــ والعُقْبى ، والعَاقِبةُ واحدٌ ، وهو ما يصير إليه الأمر (١) .

٦٨ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيماً .. ﴾** [آية ٤٥] .

الهشيمُ : ما جفَّ من الثياب أو تفتَّتَ ، ويُقال : هشمتُه أي كسرتُه (٢) .

٦٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ .. ﴾** [آية ٤٥] .

أي تنسفه (٣) .

ضربَ اللهُ هذا المثَلَ للحياةِ الدُّنْيا ، لأنَّ ما مضى منها ، بمنزلةِ ما لم يكن .

٧٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً .. ﴾** [آية ٤٦] .

---

(١) هذا قول أبي عُبيدة في مجاز القرآن ١/٤٠٥ قال : العاقبةُ ، والعُقبى ، والعُقبة كلهنَّ واحد .

(٢) قال الزجاج ٣/٢٩١ : الهشيمُ : النبات الجافُّ الذي تسفيه الريح . وقال الجوهري في الصحاح ٥/٢٠٥٨ الهشمُ : كسرُ الشيء اليابس ، والهشيم من النبات : اليابسُ المتكسِّر ، والشجرة البالية يأخذها الحاطب . اهـ .

(٣) قال أبوعُبيدة : ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ أي تُطَيِّرهُ وتُفرِّقه ، يُقال : ذَرَتْه الريحُ تذروه ، وأذرته تُذْريه اهـ مجاز القرآن ١/٤٠٥ .

قال أبو جعفر : حدثنا أبو بكر « جعفَرُ بنُ محمَّدٍ » قال : حدثنا قتيبةُ بن سعيد ، قال : حدثنا خَالدٌ هو « ابنُ عبدِ اللَّهِ »[1] عن عبدالملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : ﴿ **البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ** ﴾ : (سبحانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، ولا إله إلاَّ اللهُ ، واللَّهُ أكبرْ)[2] .

وحدثنا أبو بكر قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن عمارة بن صيَّاد ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنه كان يقول في ﴿ **البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ** ﴾ إنها قول العبد : (سبحانَ اللَّهِ ، واللهُ أكبر ، والحمدُ للَّهِ ، ولا إله إلاَّ اللهُ ، ولاحول ولا قوة إلاَّ باللهِ)[3] .

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/١٠٠ قال عنه أحمد : كان خالد بن عبدالله الطحان ثقةً صالحاً في دينه .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ١٥/٢٥٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٥/١٠٤ وابن كثير ٥/١٥٧ وهو قول مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والضحاك ، وزاد في بعض الروايات (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

(٣) الأثر في الطبري ١٥/١٥٦ وابن كثير ٥/١٥٨ وابن الجوزي ٥/١٠٤ والقرطبي ١٠/٤١٤ وأخرجه مالك في الموطأ ١/٢١٠ عن عُمارة بن صيَّاد ، عن سعيد بن المسيب ، ورواه أحمد في المسند ٤/٢٦٧ من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء .. وفيه قوله ﷺ « ألَا وإن سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هنَّ الباقيات الصالحاتُ » .

وفي حديث المعراج قال إبراهيم لنبينا عليه الصلاة والسلام : أقرىءْ أُمتك مني السلام ، وأبلغْهم أن الجنة طيِّبةُ التربة ، عذبةُ الماءِ ، وأنها قيعان ، وأن غِرَاسها « سبحان الله ، والحمد للَّهِ ، ولا إله إلا الله ، واللَّهُ أكبرُ » رواه الترمذي .

قال أبو جعفر : ورُوي عن ابنِ عبــاس أيضاً أنــه قال : ﴿ **البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ** ﴾ : « الصلاةُ ، والصومُ ، والحجُّ ، والغـزوُ ، والتهليلْ ، والتسبيحُ »[1] .

ولا يمتنع شيءٌ من هذا عند أهل اللغة ، لأنه كلُّ ما بقي ثوابُه ، جاز أن يُقال له هذا .

٧١ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [آية ٤٦] .

أي خيرُ ما يُؤَمَّلُ .

٧٢ ــ **ثم قال جل وعــز** : ﴿ **وَيَــوْمَ نُسَيِّــرُ الجِبَــالَ وَتَــرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ..** ﴾ [آية ٤٧] .

في قوله ﴿ **بارزة** ﴾ **قولان** :

أحدهما : قد اجْتُثَّت ثمارُها ، وقُلِعت جبالُهـا ، وهُـدم بنيـانها ، فهي بارزةٌ أي ظاهرة .

وعلى هذا القولِ أهلُ التفسيرِ ، وهو البيِّنُ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٥٦/١٥ بأوسع من هذا ، وأخرجـه السيوطي في الـدر المنثور عن ابنَ عباس ٢٢٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابـن مردويـه قال : ﴿ الباقيـات الصالحات ﴾ هي : ذكـر اللـه ، والصلاة على محمـد رسول اللـه ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والصدقـة ، والعتـقُ ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنـات ، وهـنَّ الباقيـات الصالحات التي تبقـى لأهلهـا في الجنة » وهو ما رجحه الطبري .

والقولُ الآخر : إن معنى ﴿ **بَارِزَةً** ﴾ قد أُبــرِزَ مَنِ فيها من الموتى ، فيكـونُ هذا على النَّسبَ ، كما قال : « كِلِيني لِهَـمٍّ يَاأُمَيْمَـةَ نَاصِبِ »[1] .

٧٣ ــ **ثم قال جل وعــز : ﴿ وَحَشَرْنَاهُــمْ فَلَــمْ نُغَــادِرْ مِنْهُــمْ أحداً ﴾** [آية ٤٧] .

أي لم نُبقِ[2] .

٧٤ ــ **ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا .. ﴾** [آية ٤٨] .

أي لا يسترهم شيءٌ ، ولا يحجبهُم[3] .

---

(١) هذا مطلع قصيدة للنابغة الذبياني يمدح فيها عمرو بن الحارث ، وهو في ديوانه ص ٤٠ :
كليني لهمّ ياأميمة ناصِب وليلٍ أقاسيه بطيء : الكواكب
والشاهد فيه أن قوله « ناصب » أي ذو نصب ، فهو منصِبٌ ، وناصبٌ على معنى النسب أي همٌّ ذي نَصَب .

(٢) قال القرطبي ٤١٧/١٠ ﴿فلم نغادر منهم أحداً﴾ أي لم نترك ، يُقال : غادرتُ كذا أي تركتُهُ ، قال عنترة :
غادَرْتُه مُتَعَفِّراً أَوْصَالُه والقومُ بين مُجَرَّحٍ ومُجَدَّلِ
والمغادرةُ : التركُ ، ومنه الغدرُ لأنه تركُ الوفاء ، ومعنى الآية : حشرنا برَّهم وفاجرهم ، وجنَّهم وإنسهم ، فلم نترك منهم أحداً . اهـ .

(٣) المراد أنهم عُرضوا جميعا مصفوفين ، لا يحجب أحدٌ أحداً كما قال مقاتل : يُعرضون صفاً بعد صفٍّ ، كل أمةٍ وزمرةٍ صفاً ، وإلى هذا ذهب الزجاج في معانيه ٢٩٢/٣ حيث قال : معناه أنهم كلهم ظاهرون لله ، تُرى جماعتهُم كما يُرى كل واحدٍ منهم ، لايحجب واحدٌ واحداً . اهـ .

٧٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. ﴾ [آية ٤٨] .

قيل : معناه : بعثناكم كما خلقناكم أوَّل مرَّة[1] .

وقيل : هو كما رُوي أنهم يُحشرون حُفاةً [عُراة] غُرْلاً[2] .

٧٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾ [آية ٤٨] .

أي كنتم تنكرون البعث .

٧٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوُضِعَ الكِتَابُ .. ﴾ [آية ٤٩] .

في الكلام حذفٌ : والمعنى : ووُضِعَ الكتابُ في يدِ كلِّ امرىءٍ ، إمَّا في يمينه ، وإمَّا في شماله .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٣ فقد جاء فيه : أي بعثناكم كما خلقناكم ، قال : وجاء في التفسير أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً .

(٢) معنى « غُرْلاً » جمع أَغْرَل ، وهو الأُقلف الذي لم يُختتن ، وقد سقط من المخطوطة « عُرَاة » وأثبتناها من تفسير القرطبي ، والمصنف يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة فقال : ياأيها الناسُ إنكم محشورون إلى الله حفاةً ، عُراة ، غرلاً ﴿ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ، إبراهيمُ عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ــ أي إلى جهنم ــ فأقول : ياربِّ أصحابي ، فيقول : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك .. إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : سُحْقاً ، سُحْقاً » وانظر الروايات في جامع الأصول ٤٢٤/١٠

٧٨ ــ **ثم بيَّن هذا بقوله ﴿ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَا لِهَـذَا الكِتَابِ ، لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .. ﴾** [آية ٤٩] .

[أي تراهم خائفين وجلين مما فيه من أعمالهم السيئة ، ويقولون : ما شأن هذا الكتاب لايبقي صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا حفظها وضبطها](١) .

٧٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾** [آية ٤٩] .

أي إنما تقع العقوبة على المجازاة .

وأصلُ الظلم في اللغة : وضعُ الشيء في غير موضعه .

٨٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ .. ﴾** [آية ٥٠] .

في هذا قولان :

أحدهما : أنه نُسِبَ إلى الجنِّ لأنه عمِلَ عملَهم .

والقول الآخر : أنه منهم(٢) .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وهو تفسير للآية الكريمة التي أوردها المصنف ، وقد أثبتناها من تفسير الطبري .

(٢) أي من الجنِّ ، وهذا القول هو الأصحُّ والأظهر ، وإليه ذهب الحسن البصري ، وقتادة ، قال =

٨١ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٥٠] .

أي فخرج .

وحكى الفَّراءُ : فسَقَتِ الرُّطَبَةُ : إذا خرجت من قِشْرِها[١] .

وقال رُؤْبَةُ :

يَهْوِيــنَ في نَجْــدٍ وَغَــوْراً غَائِــراً
فَوَاسِقــاً عَنِ قَصْدِهَــا جَوَائِــرَا[٢]

وفي هذه الآية سؤال :

= الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين . ومما يؤيد هذا القول ويقوِّيه الأدلة الآتية :

١ ـــ إن الملائكة خلقت من نور ، كما وردت به الأحاديث الصحيحة ، وإبليس خُلِقَ من نار ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فطبيعتهما مختلفة .

٢ ـــ إن الملائكة منزهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وإبليس كفر بربه وعصى أمره .

٣ ـــ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ،ولايتناكحون ولا يتناسلون وليس لهم ذرية ولا نسل ، وإبليس له ذرية وبنون ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ ؟

٤ ـــ النص الصريح الواضح في هذه السورة الكريمة على أنه من الجن ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ وكفى بالآية حجة وبرهاناً .

(١) قال الفراء في معانيه ١٤٧/٢ ﴿ ففسق عن أمر ربِّه ﴾ أي خرج عن طاعة ربه ، والعرب تقول : فسقت الرُّطبة من جلدها وقشرها لخروجها منه ، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جُحرها على الناس . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج وهو في ملحق ديوانه ص ١٩٠ وقد استشهد به الأزهري في تهذيب اللغة ٤١٤/٨ وجاء في لسان العرب لابن منظور ٣٠٨/١٠ بلفظ « فواسقاً عن أمره جوائرا » وهو في الطبري ٢٦١/١٥ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٦/١ وشواهد الكشاف ص ١١٠ .

يُقال : ما معنى ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ؟

ففي هذا قولان :

أحدهما : ـــ وهو مذهبُ الخليل وسيبويه ـــ أن المعنى : أتاه الفسقُ لمَّا أُمِرَ فعصَى ، فكانَ سببَ الفسقِ أمرُربِّه ، كما تقول : أطعمتُه عن جُوعٍ[1] .

والقولُ الآخرُ :ـــ وهو مذهبُ محمد بن قُطْرب ـــ أن المعنى : ففسق عن ردِّ أمر ربه[2] .

٨٢ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ**

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه ٣/٢٩٤ واختاره ورجحه على الأقوال الأخرى ، وعبارته ﴿ فَفَسَقَ عن أمرِ ربِّهِ ﴾ فيه ثلاثةُ أوجه :
أ ـــ يجوز أن يكون معناه : خرج عن أمر ربه ، يُقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .
ب ـــ وقال قطرب : يجوز أن يكون معناه : فسق عن ردِّ أمر ربه .
جـ ـــ ومذهب سيبويه والخليل ـــ وهو الحقُّ عندنا ـــ أن معنى ﴿ فَسَقَ عن أمرِ ربِّه ﴾ : أتاه الفسق لمَّا أُمِرَ فعصى ، فكان سببَ فسقه أمرُ ربِّه ، كما تقول : أطعَمَهُ عن جوع ، وكساه عن عُرْيٍ ، المعنى : كان سببَ فسقه الأمْرُ بالسجود ، كما كان سببَ الإطعام الجوعُ ، وسببَ الكسوةِ العريُ . اهـ .
أقول : أما شيخ المفسرين الإمام الطبري ، فقد ذهب إلى القول الأول واختاره في جامع البيان ١٥/٢٦١ وهو قول الفراء ، قال ابن جرير ﴿ فَفَسَقَ عنْ أمرِ ربِّه ﴾ عدل عنه ومال . أقول : وهذا القول أوضح وأظهر .

(٢) هذا القول حكاه ابن جرير عن بعض أهل البصرة ١٥/٢٦١ وابن الجوزي ٥/١٠٨ وهو على حذف مضاف مثل ﴿ واسأل القرية) .

عَدُوٌّ .. ﴾ ؟ [آية ٥٠] .

أي أعداء .(١)

٨٣ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾** [آية ٥٠] .

أي بئس ما استبدلوا من طاعة اللَّهِ ، طاعة إبليسَ .

٨٤ ـ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾** [آية ٥١] .

أي لم يكونوا موجودين إذْ ذاكَ .

٨٥ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدَاً ﴾** [آية ٥١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : أعواناً(٢) .

قال أبو جعفر : وكذلك هو في اللغة ، يُقال : عَضَدَني فلانٌ ، وعَاضَدَني : أي أعانني وأعزَّني(٣) .

---

(١) ﴿ عَدُوٌّ ﴾ اسم جنس بمعنى أعداء ، كما حكاه المصنف ، كقوله سبحانه ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر ﴾ المراد من الإنسان الناس بدليل الاستثناء .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٣/١٥ وابن كثير ١٦٦/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٣) قال في الصحاح ٥٠٩/٢ : عضدتُه أعضُدُه بالضمِّ : أعنتُه ، والمعاضدةُ : المعاونةُ ، واعتضدتُ بفلانٍ أي استعنتُ به . اهـ . قال القرطبي ٢/١١ : الأصلُ فيه عَضُدُ اليد ، ثم يوضع موضع العون ، لأن اليد قوامُها العضدُ ، يُقال : عَضَده وعاضَدَه على كذا : إذا أعانه وأعزَّه ، ومنه قوله تعالى ﴿ سنشُدُّ عَضُدَك بأخيك﴾ أي سنعينك بأخيك .

٨٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ ويَوْمَ يَقُولُ نَادُوْا شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً ﴾ [آية ٥٢] .

وفي معناه أقوال :

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : مَهْلِكاً[١] .

وكذلك قال الضحاك[٢] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هلاكاً[٣] .

وَروى يزيدُ بنُ درهم عن أنس بنِ مالكٍ في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً ﴾ .

قال : وادياً من قيح ودمٍ في جهنم[٤] .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : وادٍ في جهنم[٥] .

وكذلك قال نَوْف ، إلا أنه قال : يحجز بينهم وبين المؤمنين[٦] .

وقال أبو عُبيدة : ﴿ مَوْبِقاً ﴾ : موعداً[٧] .

(١ـ٦) انظر الآثار في الطبري ٢٦٥/١٥ والقرطبي ٣/١١ والبحر المحيط ١٣٧/٦ والدر المنثور ٢٢٨/٤ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٣٥/٩ ورجح ابن جرير في جامع البيان قول ابن عباس فقال : « وأولى الأقوال ماذكرناه عن ابن عباس أنه المهلِكُ ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقتُ فلاناً : إذا أهلكته ، ومنه قوله سبحانه ﴿ أو يوبقهنَّ بما كسبوا ﴾ بمعنى يهلكهن. اهـ

(٧) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٦/١ وقد ضعَّف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٣٥/٩ واختار أنه المهلك .

وقال عوف(1) : ﴿ مَوْبِقاً ﴾ : أي جعلنا بينهم عداوة(2) .

قال أبو جعفر : وأصحُّ هذه الأقوالِ الأوَّل ، لأنه معروفٌ في اللغة أن يُقال : وَبِقَ ، يَوْبَقُ ، وَيَابَقُ ، ويَيْبَقُ .

وَوَبَق يَبِق : إذا هَلَك ، وأوبقه اللهُ أي أهلكه(3) .

ومنه : ﴿ **أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا** ﴾(4) .

ومنه : أوبقَتْ فلاناً ذنوبُه .

فالمعنى : جعلنا تواصلهم في الدنيا ، مَهْلَكاً لهم في الآخرة(5) .

إلاَّ أنه يجوز أن يُسمَّى الوادي « مَوْبِقاً » لأنه يُهْلِكُ .

٨٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ..** ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : أيقنوا(6) .

---

(1) في التهذيب ١٦٦/٨ « عوف بن أبي جَميلة » العبدي الهجري ، قال أحمد : ثقةٌ صالحُ الحديثِ ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقةً كثير الحديث ، وكان يتشيَّع ، توفي سنة ١٤٧ هـ .

(2) الأثر أخرجه ابن جرير عن عوف عن الحسن ٢٦٤/١٥ .

(3) انظر الصحاح ، والقاموس المحيط مادة وبق .

(4) سورة الشورى آية رقم ٣٤ .

(5) هذا قول الفراء في معانيه ١٤٧/٢ .

(6) الأثر في الطبري ٢٦٥/١٥ والدر المنثور ٢٢٨/٤ ولفظه عن قتادة : علموا أنهم مواقعوها . فظنَّ=

٨٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾** [آية ٥٣] .

قال أبو عبيدة : أي معدلاً(١) .

٨٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾** [آية ٥٤] .

قيل : يُراد بالإنسان هاهنا : الكفارُ ، وهو في معنى جماعة ، كما قال تعالى **﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾**(٢) .

وقيل : هو عامٌ .

وفي الحديث ما يدلُّ على أنه عامٌ « أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، لمَّا لَامَ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، وفاطمة معه في ترك الصلاة بالليل ، قال عليٌّ : أنفُسنَا بيد اللَّهِ إذا شاء أطلقها .. فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول **﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾**(٣) » .

= هنا بمعنى علم وأيقن وليست للشك ، ومنه قوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ أي يوقنون بلقائه .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٠٧/١ .

(٢) سورة العصر آية ٢ و ٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ٦٢/٢ ومسلم في صلاة المسافرين رقم ٧٧٥ وأخرجه أحمد في المسند ١١٢/١ ولفظه كما في الصحيحين (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن =

٩٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى ، وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ، إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ .. ﴾ [آية ٥٥] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : إلاَّ طلبَ أن تأتيهمْ سُنَّةُ الأولين[1] !!

وسُنَّةُ الأَوَّلينَ : معاينةُ العذاب ، لأنهم قالوا ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] فطلبوا العذاب .

٩١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْيَأْتِيَهُمُ العَذَابُ [قِبَلاً][3] ﴾ [آية ٥٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : فَجْأَةً[4] .

= رسول الله ﷺ طَرَقه وفاطمةَ بنتَ النبي عليه السلام ليلةً ــ أي أتاهما من الليل يوقظهما ــ فقال : أَلا تُصَلِّيان ؟ فقلتُ يارسول الله : أنفسُنا بيدِ اللهِ ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلتُ ذلك ، ولم يَرْجِعْ إليَّ شيئاً ــ أي لم يجادلني فيما قلتُ ــ ثم سمعتُه وهو مولٍّ يضرب فخذه ، وهو يقول : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾) اهـ . هذا لفظ البخاري ٦٢/٢ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٩٦/٣ وهو الأظهر ، وإليه ذهب الحافظ ابن كثير ١٦٨/٥ حيث قال : والمعنى : « ما منعهم من الإيمان ، إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وُعدوا به عَيَاناً » اهـ . فالمانع هو تكذيبهم وطلبهم أن ينزل بهم عذاب الله .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وهو النص القرآني .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦٧/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر ، وابن أبي شيبة .

قال الكسائي : أي عِيَاناً[1] .

والمعنيان متقاربان .

ويُقرأ : ﴿ قُبُلَا ﴾[2] فأكثرُ أهل اللغة على أنه جمعُ قَبِيلٍ ، أي أنواعاً وضروباً[3] .

وقال بعضهم : معناه : يُقابِلهُمْ ، كما يُقال : جاءه من قُبُلٍ .

ومعنى قِبَلَا : أي استئنافاً[4] .

كما يُقال : لاأُكلِّمكَ إلى عَشْرٍ من ذي قِبَلٍ .

٩٢ ــ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً** ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) ذكره الفراء في معانيه ١٤٧/٢ وحكاه القرطبي ٦/١١ عن ابن عباس ، وابن الجوزي عن مقاتل ١١١/٥ ولفظه ﴿ إلَّا أن تأتيهم سُنَّةُ الأوَّلين ﴾ عذاب الأمم السالفة ﴿ أو يأتيهم العَذَابُ قِبَلاً ﴾ أي عِياناً قتلاً بالسيف يوم بدر .

(٢) هذه قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ قُبُلاً ﴾ بضم القاف والباء ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ﴿ قِبَلاً ﴾ بكسر القاف وفتح الباء ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٣ والنشر ٣١١/٢ .

(٣) قال الزجاج في معانيه : ٢٩٦/٣ تأويل ﴿ قِبَلاً ﴾ مُعاينةً ، وتأويل ﴿ قُبلاً ﴾ جمع قبيل ، والمعنى : أو يأتيهم العذاب أنواعاً .

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٤٠٧/١ ﴿ قِبَلاً ﴾ أي أولاً ، يُقال : من ذي قِبَل ، فإن فتحوا أولها فالمعنى : استئنافاً .

رَوَى عليُّ بنُ أبِي طلحة عن ابن عباس قال : مَلْجَأً[1] .

وحكى أهلُ اللغةِ وَأَلَ ، يَئِلُ : إذا نجا[2] .

٩٣ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا .. ﴾ [آية ٥٩] .

والمعنى : أهلُ القُرى[3] .

٩٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِداً ﴾ [آية ٥٩] .

يجوز أن يكون المعنى : لإهلاكهم ، فيكون مصدراً .

ويجوز أن يكون المعنى : لوقتِ إهلاكهم .

ومن قرأ ﴿ لِمَهْلَكِهِمْ ﴾[4] ذهب إلى أن المعنى : لهلاكهم ، كما يُقال : جَلَسَ مَجْلَساً ، واسمُ الموضعِ : المجلِسُ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٣٦٩/١٥ وابن الجوزي ١١٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٤ .

(٢) في الصحاح ١٨٣٨/٥ : الموئلُ : الملجأُ ، وقد وَأَلَ إليه يَئِلُ ، وَأْلاً ، ووُءُولاً : أي لجأ ، وَوَاءَلَ : أي طلب النجاةَ .

(٣) أشار المصنف إلى أن الآية على حذف مضاف أي أهلكنا أهلها كقوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ يعني أهلها .

(٤) قال ابن مجاهد في السبعة ص٣٩٣ : قرأ عاصم ﴿ لِمَهْلَكِهِمْ ﴾ بفتح الميم واللام الثانية ، وروى حفص عن عاصم ﴿ لِمَهْلِكِهِم ﴾ بكسر اللام ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر أيضاً النشر لابن الجزري ٣١١/٢ .

وهَلَكَ مَهْلَكاً ، واسم الموضع : المَهْلِكُ .

قال مجاهد : ﴿ مَوْعِدَاً ﴾ : أي أجلاً[1] .

٩٥ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ** .. ﴾ [آية ٦٠] .

قيل : إنما قيل له « فَتَاهُ » لأنه كان يخدمه وهو « يُوشَعُ »[2] .

ومعنى ﴿ **لَا أَبْرَحُ** ﴾ أي لا أزالُ[3] ، وليس معناه : لا أزولُ .

٩٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ** .. ﴾ [آية ٦٠] .

روى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : « بحر الروم » و « بحر فارس »[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٢٧٠/١٥ والسيوطي في الدر ٢٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبة . وقال ابن كثير ١٦٩/٥ : أي جعلنا هلاكهم لمدة معلومة ، ووقتٍ معيَّن .

(٢) ذكر ابن جرير الطبري ٢٧١/١٥ أن الفتى هو « يوشع » وذكر ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٥ أن اسمه « يوشع بن نون » وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ١١١/٦ ذكر اسمه صراحة فقال : « فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه « يوشعُ بنُ نونٍ » الحديث

(٣) قال ابن جرير ٢٧١/١٥ ﴿ لا أَبْرَحُ ﴾ أي لاأزال أسير ، وكذلك قال ابن كثير ﴿ لا أبرح ﴾ المعنى : لاأزال سائراً حتى أبلغ ذلك المكان .

(٤) الأثر في الطبري ٢٧١/١٥ قال : هو اجتماع بحر فارس والروم ، وهو قول قتادة ومجاهد ، وذكره=

وقال غيره : هو الموضعُ الذي وعَدَه اللهُ أن يلقَى فيه الخَضِرَ .

٩٧ـ **ثم قال تعالى** : ﴿ **أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى عَمْرُو بنُ ميمون عن عبدِاللهِ بن عَمْرٍو قال : الحُقْبُ : ثمانون سنة[1] .

ورَوَى ابنُ نجيح قال : الحقبُ : سبعون خريفاً[2] .

ورَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : الحُقْبُ : زمانٌ[3] .

قال أبو جعفر : الذي يعرفه أهلُ اللغةِ أنَّ الحُقْبَ ،

= ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٥ وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٩/٩ والسيوطي في الدر ٢٣٥/٤ وهكذا هو في معظم التفاسير ، قال سيد قطب في تفسيره الظلال ٢٢٧٨/٥ : والأرجح ــ والله أعلم ــ أن مجمع البحرين « بحر الروم » و« بحر القُلزم » أي البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، ومجمعهما مكانُ التقائهما في منطقة البحيرات المُرَّة وبحيرة التمساح ، أو أنه مجمع خليجيْ العقبة والسويس في البحر الأحمر ، قال : فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .. الخ واستبعد قول قتادة ومحمد بن كعب القرظي الذي قال : إن مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب ، وقول قتادة أنه بحر فارس وبحر الروم ، قال : ونحن نستبعد القولين اهـ .

(١)(٢)(٣) تنظر هذه الآثار كلها في تفسير ابن جرير ٢٧٢/١٥ وتفسير ابن كثير ١٧٠/٥ وتفسير ابن الجوزي ١١٥/٥ وتفسير القرطبي ١١/١١ والبحر المحيط ١٤٤/٦ وقد ذكر ابن الجوزي في تفسير الحُقُب ثمانية أقوال كما في زاد المسير ١١٥/٥ واختار ابن عطية أن المراد من الآية ﴿ أو أمضي حُقُباً ﴾ أي أمضي على وجهي زماناً طويلاً وهو قول أبي عُبيدة والزجاج .

والحُقْبَةَ : زمانٌ من الدَّهرِ مبهمٌ ، غيرُ محدُودٍ ، كما أن « قَوْمَاً » و « رَهْطَاً » مبهمٌ غير محدودٍ .

والحُقُبُ : بضمتين : جمعُهُ أحْقَابٌ .

ويجوز أن يكون « أحْقَابٌ » جمعُ حِقَبٍ ، وحِقَبٌ جمعُ حِقْبَةٍ[1] .

٩٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا** .. ﴾ [آية ٦١] .

قال مجاهد : أي بين البحرين[2] .

وقال أُبَي بنُ كعبٍ رحمه اللهُ : افريقية[3] .

٩٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبَاً** ﴾ [آية ٦١] .

قيل : كان النِّسيانُ من موسى ﷺ أن يتقدَّم إلى « يوشع » بشيءٍ من أمر الحوت .

---

(١) قال الجوهري : الحُقْبُ بالضم : ثمانون سنة ، ويُقال : أكثر من ذلك ، والجمعُ حِقابٌ ، والحِقْبةُ بالكسر واحدةُ الحِقَبِ وهي السنون ، والحُقُبُ : الدهرُ ، والأحقابُ : الدُّهورُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ أو أمضِيَ حُقُباً ﴾ اهـ الصحاح ١١٤/١ وانظر أيضاً تهذيب اللغة ، ولسان العرب مادة حقب .

(٢) (٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٢/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٥/٤ وتفسير ابن عطية ٣٥١/٩ .

وكان النسيانُ من « يوشع » عليه السلامُ أن يُخبِره بِسَرَبِهِ[1] .

وقيل : أن يُقدِّمَهُ .

ثم قال ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ .

السَّرَبُ في اللغة : المَذْهبُ والمَسْلَكُ[2] .

١٠٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ... ﴾ [آية ٦٤] .

أي الذي كنا نبغي ، لأنه وُعِد أن يلقى الخَضِر في الموضع الذي ينسرب فيه[3] .

١٠١ ــ [ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [آية ٦٤] .

أي رجعا في الطريق الذي سَلَكاه ، يقصَّان الأثر قصصاً ، والقَصصُ : اتِّباعُ الأثر .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر ٣٥١/٩ قوله تعالى ﴿ نسيا حوتهما ﴾ وإنما كان النسيان من الفتى وحده نسي أن يُعلم موسى بما رأى من حال الحوت ، فنُسب فعل الواحد فيه إليهما ، وهذا كما يُقال : فعل بنو فلانٍ الأمر ، وإنما فعله منهم بعضٌ . اهـ .

(٢) قال في البحر ١٤١/٦ السَّرَبُ : المسلكُ في جوف الأرض . اهـ وفي البخاري ١١٢/٦ ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ : مذهباً ، يسربُ : يسلك ، ومنه ﴿ وساربٌ بالنهار ﴾ اهـ صحيح البخاري .

(٣) قال الطبري ٢٧٥/١٥ ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ يعني : نسيانك الحوت هو الذي كنا نلتمس ونطلب ، لأن موسى عليه السلام قيل له : صاحبُك الذي تريده حيث تنسى الحوت .

١٠٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمَاً ﴾ [آية ٦٥] .

يعني به الخَضِر ، وقيل : إنما سُمِّي « الخَضِر » لأنه كان إذا صلَّى في مكان اخضرَّ ما حوله .

وفيما فعله موسى ــ وهو من جِلَّةِ الأنبياء وقد أُوتي التَّوراةَ ــ من طلبه العلم ، والرحلة في ذلك ، ما يدلُّ على أنه لاينبغي لأحدٍ أن يترك طلب العلم ، وإن كان قد بلغ نهايته ، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه .

١٠٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَن مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدَاً ﴾؟[آية ٦٦] .

هذا سؤال الملاطِف ، والمخاطِب المبالغ في حسن الأدب ، والمعنى : هل يتفق لك ويخفُّ عليك ، أن تأذن لي في مرافقتك ، لأقتبس من علمك ما يرشدني ؟ وهذا كما في الحديث « هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ » ؟

والرَّشدُ والرُّشْدُ بمعنى واحد ، وهو كثير في اللغة العربية نحو

---

(١) سقط من المخطوطة بضعُ آيات مع تفسيرها ، وهي ما بين الحاصرتين من قوله تعالى ﴿ فارتدا على آثارهما قصصاً ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ ﴾ وقد أثبتناها مع تفسيرها من معاني القرآن للزجاج ٣٠١/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١١ لأن المصنف رحمه الله يعتمد على الزجاج كثيراً ، والقرطبي ينقل عن الإمام النحاس .

البُخْل والبَخَل ، والعُرْب والعَرَب[1] .

١٠٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ [آية ٦٧] .

هذا قول الخَضِر لموسى ، ثم أعلمه العِلَّةَ في تركِ الصبر فقال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرَاً ﴾ ؟

أي وكيف تصبر على ما ظاهره خطأ ، ولم تُخْبَر بوجه الحكمة فيه ؟ والأنبياء لا يُقرُّون على منكر ، ولا يسعهم التقرير !! أي لا يَسَعُكَ السكوتُ جرياً على عادتك وحكمك[2] .

١٠٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً .. ﴾ [آية ٦٩] .

هذا قول موسى للخضر ، أي سأصبر بمشيئة الله ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرَاً ﴾ أي قد ألزمتُ نفسي طاعتَكَ ، ولن أعصَي أمرك إن شاء الله .

١٠٦ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرَاً ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري مادة «رشَدَ» .

(٢) قال الزجاج في معانيه ٣٠١/٣ : أي وكيف تصبر على ما ظاهره منكر ، والأنبياءُ والصالحون ، لايصبرون على ما يرونه منكراً ؟ .

أي إن إنكرته فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبيِّن لك الوجه فيه وحتى أكون أنا الذي أفسِّره لك .

شَرَطَ عليه قبل بدء الرحلة ، ألاَّ يسأله ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته ، حتى يكشف له عن سِرِّها ، فقبل موسى شرطه ، رعايةً لأدب المتعلِّم مع العالم(١) .

١٠٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** .. ﴾ [آية ٧١] .

انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرَّت بهما سفينة ، فعرفوا الخضر ، فحملوهما بدون أجر ، فلما ركبا في السفينة ، عمد الخضر إلى فأس ، فقلع لوحاً من ألواحِ السفينة ، بعد أن أصبحت في لُجَّةِ البحر ، فذلك قوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** ﴾ أي خرقها الخضر .

١٠٨ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ **قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَاً** ﴾ [آية ٧١] .

أي قال له موسى منكراً عليه : أخرقت السفينة لتغرق ركابها ؟ لقد فعلت شيئا عظيماً هائلاً .

---

(١) قصة موسى مع الخضر عليهما السلام تشير إلى أدب « المتعلم مع العالم » وتنبِّه إلى ضرورة الرحلة في طلب العلم ، مهما نال الإنسانَ من المشقة والأهوال ، ففيها بيان فضيلة العلم ، ورعاية الأدب في طلب العلم من الأستاذ المرشد .

ومعنى ﴿ إِمْراً ﴾ أي شيئاً عظيماً من المنكر .

ويُرْوَى أن موسى لما رأى ذلك ، أخذ ثوبه فجعله مكان الخرق ، ثم قال للخضر : قومٌ حملونا بغير أجر ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ، لقد فعلتَ أمراً هائلاً عظيماً !!

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ ! أي قال له الخضر : ألم أخبرك من أول الأمر ، إنك لا تستطيع أن تصبر على ما ترى من صنيعي ؟!

ذكَّره بلطفٍ في مخالفته للشرط .

١٠٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴾ [آية ٧٣] .

معنى ﴿ تُرْهِقْنِي ﴾ تُغشِّيني ، أي عاملني باليُسر لا بالعسر .

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت الأُولى من موسى نسياناً ، وجاء عصفورٌ فوقع على حَرْفِ السفينةِ ، فنقر في البحر نَقْرةً ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمُك من علم الله تعالى ، إلاَّ مثل ما نَقَص هذا العصفور من هذا البحر .. »(١) .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه الشيخان ، وسنذكره بتمامه إن شاء الله ، لما فيه من توضيح لمعاني الآيات الكريمة في هذه القصة الغريبة ، وفيه عبرٌ وعظات ، وأنباءٌ عجيبة . انظر ص ٢٠٨ .

١١٠ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ .. ﴾**
[آية ٧٤] .

أي فقَبِلَ عذرَه ، وانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان ، فمرَّا بغلمانٍ يلعبون ، وفيهم غلامٌ وضيء الوجه ، جميل الصورة ، فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده ، ثم رماه في الأرض **﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾** أي قال له موسى : أقتلتَ نفساً طاهرة بريئة ، لم تذنب قطُّ ، ولم تقتل نفساً حتى تُقتل به ؟! لقد فعلت شيئاً منكراً عظيماً ، لايمكن السكوتُ عنه **﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً ﴾** أي قال له الخضر : ألم أخبرك أنك لن تستطيع الصبر على ما ترى مني ؟ وقَّره في الأول ، ثم واجهه بكاف الخطاب بقوله **﴿ لك ﴾** لعدم العذر هنا .

ومعنى ﴿ زَكِيَّةً ﴾ أي بريئة لم يُر ما يوجب قتلها .

وقال هنا ﴿ نُكْرًا ﴾ أي منكراً فظيعاً أنكر من الأمر الأول ، وهو أبلغ من قوله **﴿ إِمْرًا ﴾** في الآية السابقة(١) . وهو منصوب على ضربين :

أحدهما : معناه : أتيتَ شيئاً نُكراً .

---

(١) انظر جامع الأحكام للقرطبي ٢٢/١١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٦/٩ ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٣/٣ .

والثاني : معناه : جئتَ بشيءٍ نُكْرٍ ، فلما حذف الباء أفضى إلى الفعل فنصبه .

١١١ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾** [آية ٧٦] .

أي إن أنكرتُ عليك بعد هذه المرة ، واعترضتُ على ما يصدر منك ، فلا تصحبني معك ، فقد أعذرتَ إليَّ ونبهتني على مخالفتي الشرط ، فأنت معذورٌ عندي .

١١٢ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا .. ﴾** [آية ٧٧] .

أي مشيا حتى وصلا إلى قرية ، فطلبا طعاما فلم يعطوهما ، واستضافاهم فلم يُضَيِّفوهما .

قال ابن عباس : هي انطاكية(١) .

وقال ابن سيرين : هي الأيلة(٢) .

١١٣ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾** [آية ٧٧] .

---

(١)(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٨٨/١٥ والدر المنثور للسيوطي ٢٣٧/٤ وتفسير القرطبي ٢٢/١١ .

والمعنى : وجدا في القرية حائطاً مائلاً ، يوشك أن يسقط ويقع ، فمسحه الخضر بيده فاستقام .

وقيل : إنه هدمه ثم بناه .

ورُوي أن موسى قال للخضر : قومٌ استطعمناهم فلم يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيِّفونا ، ثم قعدت تبني لهم الجدار ﴿ **لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجراً !!** ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ **يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ** ﴾ أي يوشك أن يسقط ، وهذا مجازٌ وتوسُّع ، وهو في كلام العرب وأشعارها كثيرٌ ، فمن ذلك قول عنترة][1] :

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[2]

وقولُ الآخر :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ
وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ[3]

---

(١) إلى هنا السقط ، وقد أثبتناه كما ذكرنا من تفسير القرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٢) البيت لعنترة من معلقته المشهورة ، وهو من شواهد الطبري ٢٨٩/١٥ والفراء ١٥٦/٢ ومعنى « ازورَّ » : مال ، والقنا : الرماحُ ، واللَّبانُ : الصَّدرُ ، والشاهد فيه أن البعير لايشكو ، وإنما هو من باب التمثيل .

(٣) البيت في اللسان (رود) غير منسوب ، وهو من شواهد أبي عُبيدة في مجاز القرآن منسوباً =

١١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .. ﴾ [آية ٧٨] .

سيبويــه يذهب إلى أن إعــادة « بين » في مثــل هذا على التوكيد ، أي فراقُ بينِنَا ، كما يُقَال : أخزَى اللَّهُ الكـاذبَ منـي ومنك ، أي منَّا .

١١٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ .. ﴾ [آية ٧٩] .

أهلُ اللغةِ جميعاً لا نعلمُ بينهم اختلافاً ، يقولون : المسكينُ : الذي لا شيءَ له ، والفقيرُ : الذي له الشيءُ اليسيرُ[1] .

وأكثرُ الفقهــاء على ضدِّ هذا فيهمــا ، ويحتجــون بهذه الآية[2] .

قال أبو جعفر : قيل : وليس قولُه ﴿ كَانَتْ لِمَسَاكِينَ

= للحارثي ٤١٠/١ والطبري ٢٨٩/١٥ وجامع الأحكام ٢٦/١١ والإرادة لا تكون من الريح ، لأنه لا حياة له ، وإنما مثَّل الشاعر له بالإنسان العاقل ، الذي يرغب في قتل عدوِّه دون صديقه ، كما أن الجدار ليس له إرادة ، لأن تهيُّؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر رغبة الإنسان .

(١) قال الجوهري ٢١٣٧/٥ : المِسكينُ : الفقيرُ ، وقد يكون بمعنى الذلَّة والضعف ، وكان يونس يقول : المسكين أشدُّ حالاً من الفقير ، وقلتُ لأعرابي : أفقيرٌ أنت ؟ فقال : لا واللهِ ، بل مسكين ، وفي الحديث (ليس المسكينُ الذي تردُّه اللُّقمةُ واللقمتان ، وإنما المسكينُ الذي لايسأل ، ولا يُفطنُ له فيُعطى) . اهـ الصحاح .

(٢) ليس في الآية حجة لمن قال إن المسكين أحسن حالاً من الفقير ، فإن الآية إنما أريد بها الشفقة والترحم أي كانت لأناس ضعفاء لايقدرون على مجابهة الملك الظالم .

يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ ﴾ يدلُّ على أنهم كانوا يملكونها .. ألا ترى أن النبي ﷺ قال : « من باع عبداً له مالٌ ، فمالُه للبائع »(1) .

فليس قولُه « له مَالٌ » ممَّا يوجب أنه يملكه ، وهذا كثيرٌ جداً ، منه قول اللهِ جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ ﴾(2) .

ومنه قولهم : بابُ الدَّار ، وجُلُّ الدابَّة ، والأشياءُ تُضاف إلى الأشياء ، ولا يوجبُ ذلك مِلْكاً ، فأُضيفت إليهم لأنهم كانوا يعملون فيها ، كما أُضيف المالُ إلى العبدِ لأنَّه معه .

والاشتقاقُ يوجبُ ما قال أهلُ اللغةِ ، لأن « مسكيناً » مأخوذٌ من السُّكونِ ، وهو عدمُ الحركة ، فكأنه بمنزلة الميِّتِ(3) .

والفقيرُ كأنه الذي كُسِر فَقَارُهُ ، فقد بقيتْ له بقيَّةٌ .

---

(1) الحديث أخرجه أبو داود في الإجارة رقم ٣٤٣٥ عن جابر بن عبدالله مرفوعاً ، وفي إسناده مجهول ، وهو الراوي عن جابر ، وبقية رجاله ثقات ، وتتمة الحديث (فمالُهُ للبائع إلاَّ أن يشترط المبتاع) ورواه أحمد في المسند ٨٢/٢ باللفظ الذي رواه أبو داود ، ورواه مسلم رقم ١٥٤٣ بلفظ « ومن ابتاع عبداً فماله للذي باعه ، إلا أن يشترط المبتاع » .

(2) سورة العنكبوت آية ٤١ وهذا مثلٌ ضربه الله لعابد الصنم ، وأُضيف البيت إلى العنكبوت لأنها تسكنه .

(3) هذا من أدلة أبي حنيفة على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير ، لأنه لشدة فقره سكن عن الحركة واستدل بقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي كأنه لم يجد ما يستره ، فلصق بالتراب من فقره وضُرِّه ، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس .

ويدلُّ على هذا أيضاً حديثُ النبي ﷺ .. حدثنا أحمد بن منصور الحاسبُ ، قال : حدثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، قال : أنبأنا حمَّادُ ابنُ سلمة ، عن محمد بنِ زياد ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقول ، سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : « إنَّ المسكينَ ليس بالطوَّاف الذي تَرُدُّه التَّمرةُ والتَّمرتان ، والأُكْلَةُ والأُكْلَتانِ ، ولكنِ المسكينُ الذي لايجدُ غنىً يُغنيه ، ولا يسأَلُ النَّاسَ إلحافاً »(١) .

١١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ [آية ٧٩] .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبير ، عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ **وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ** ﴾(٢) .

قال أبو جعفر : في « وراء » هاهنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى أَمَام .

والآخر : أنه بمعنى خَلْف ، على بابِهِ ، كأنه قال : على

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الزكاة ، وفي تفسير سورة البقرة ٦/٤٠ بلفظ « ليس المسكينُ الذي تردُّه التمرة والتمرتان ، ولا اللُّقمةُ ولا اللُّقمتان ، إنما المسكينُ الذي يتعفَّفُ ، واقرءوا إن شئتم ﴿ لايسألون الناس إلحافاً ﴾ ورواه مسلم رقم ١٠٣٩ في الزكاة ، ومالك في الموطأ ٢/٩٢٣ وأبو داود رقم ١٦٣١ والنسائي ٥/٨٥ في الزكاة .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جرير الطبري ١٦/١ عن ابن عباس ، وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ١١ /٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٦ /١٥٤ والسيوطي في الدر ٤/٢٣٧ وعزاها إلى ابن حاتم والحاكم ، وليست من القراءات السبع .

طريقهم إذا رجعوا[١] .

والقولُ الأول أحسنُ ، لقراءة ابنِ عباس رحمه اللّهُ به ، وأن اللُّغةَ تُجيزه ، لأنَّ ما توارى عنك فهو وراء ، فهذا يقع لما كان أَمَامَاً[٢] .

ثم قال ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبَاً﴾ [آية ٧٩] .

وقرأ عثمان رحمه الله ﴿ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبَاً ﴾[٣] .

١١٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ..﴾** [آية ٨٠] .

رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عن عمروِ بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بن جُبير ، عن ابن عباس ، أنه قرأ ﴿ وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ وَكَانَ كَافِرَاً ﴾[٤] .

---

(١) هذا ما رجحه الزجاج في معانيه ٣٠٥/٣ أن معنى ﴿وَرَاءهم﴾ : خلفهم ، قال : هذا أجود الوجهين ، وكذلك رجح ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٨/٩ قال الزجاج : وقيل ﴿ وكان وراءهم﴾ معناه : كان قُدَّامهم ، وهذا جائز في العربية ، لأن ما بين يديك إذا توارى عنك ، فقد صار وراءك ، قال الشاعر :

أليس ورائِي إن تراختْ منيَّتي لُزُوم العصا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ ؟

(٢) ذكرها ابن جرير ٢/١٦ عن قتادة قال : هي في حرف ابن مسعود « كل سفينةٍ صالحة غصباً » وذكرها السيوطي في الدر ٢٣٧/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٤/١١ وهي محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع المتواترة .

(٣) وهذه أيضاً محمولة على التفسير ، حكاها الطبري ٣/١٦ وابن الجوزي عن ابن عباس ١٢٥/٥ وهي من القراءات الشاذة .

وروى أُبَــيُّ بنُ كعبٍ عن النبــي ﷺ قال : « طُبِـعَ على الكفرِ ، فأُلقي على أبويه محبَّتَه »[1] .

١١٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَخَشِينَــا أَنْ يُرْهِقَهُمَــا طُغْيَانــاً وَكُفْــراً ﴾ [آية ٨٠] .

﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ﴾ .

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا ﴾ .

قال أبــو حاتم[2] ، هذا من كلام صاحب موسى يعنــي الخضر[3] .

وقال غيرهُ : هو من قولِ اللَّهِ جلَّ وعز .

فإن قال قائل : كيف يجوز أن يكون ﴿ **فَخَشِينَا** ﴾ **إخباراً عن الله ؟**

فالجوابُ عنـه : أن الفــرَّاءَ قال ﴿ **فَخَشِينَــا** ﴾ بمعنــى : فعلمنا[4] ، كما يُقال : ظَنَنَّا بمعنى : عَلِمْنَا .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٨٥٢/٤ وأبو داود رقم ٤٧٠٥ بلفظ « الغلام الذي قتله الخضر ، طُبِع كافراً ، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » وانظر جامع الأصول ٢٢٩/٢ .

(٢) أبو حاتم هو : سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرِّد وابن دُريد ، وقد تقدمت ترجمته

(٣) هذا هو الأصحُّ والأظهرُ ، أنه من كلام الخضر ، بدليل قوله بعده ﴿ فأردنــا أن يُبدلهمــا ربُّهما ﴾ الآية ورجحهُ ابن عطية والزجَّاج .

(٤) انظر معاني الفراء ١٥٧/٢ ولفظه ﴿ فخشينا ﴾ : فعلمنا ، قال : والخوفُ والظنُّ يُذْهبُ بهما مذهب العلم ، وأما تفسير النحاس « فخشينا » بمعنى أردنا ، فبعيد .

وقال البصريون : يُقال : خشيتُ الشيءَ بمعنى : كرهته[1] ، وبمعنى : فزعتُ منه ، كما يقال للرجل : أخشى أن يكون كذا وكذا : أي أكرهُ .

وقال الأخفش : وفي قراءة أُبَيٍّ ﴿ **فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا** ﴾[2] .

وقال غيره : وكذلك هو في مصحف عبدالله .

والكلامُ في « خِفْتُ » و« خَشِيتُ » واحدٌ .

حكى الأخفشُ « خفتُ أن تقولا » بمعنى : كرهتُ أن تقولا .

ومعنى ﴿ **أَنْ يُرْهِقَهُمَا** ﴾ : أن يُلحقهما ، أي أن يحملهما على الرَّهقِ وهو الجهلُ[3] .

---

(١) قال الزجاج ٣/٣٠٥ : الخشيةُ من الله عز وجل معناه : الكراهةُ ، ومعناها من الآدميِّين : الخوف

(٢) انظر معاني الأخفش ٢/٦٢٠ ولفظُه : ﴿ خشينا ﴾ معناه كرهنا ، لأن الله لا يخشى ، وهو في بعض القراءات ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ . اهـ .

أقول : وهذه القراءة من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جرير في جامع البيان ١٦/٣ وابن عطية في المحرر الوجيز ٩/٣٨٢ والسيوطي في الدر المنثور ٤/٢٣٧ وهي محمولة على معنى العلم كما قال ابن جرير : أي فعلمنا أن يرهقهما ، أو بمعنى الكراهة كما قال الأخفش ﴿ فخشينا ﴾ أي فكرهنا . اهـ .

(٣) انظر لسان العرب ، والصحاح ، والمصباح المنير ، مادة رهق .

وقال أبو زيد[1] : أرهقتُه : كلَّفْتُه .

١١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمَاً﴾ [آية ٨١] .

قال ابن جريج : ﴿ زَكَاةً ﴾ أي : إسلاماً[2] .

وقال الفرَّاءُ : إصلاحاً .

قال ابن جريج : وحدثني عبدالله بن عثمان بن خُثَيْم عن سعيد بن جبير قال : أُبْدِلا منه جاريةً[3] .

قال ابنُ جريج : وهما بها أرحم .

قال ابنُ عباس : أُبدِلَا منه جاريةً فولدت نبياً[4] .

وحكى الفراء : رحِمتُه رَحْمَةً ، ورُحْمَةً[5] .

وحكى الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العلاء[6] : رَحِمَهُ اللَّهُ رُحْمَاً .

---

(١) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة الأدب واللغة ، توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر الأعلام .

(٢)و(٣)و(٤) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤/١٦ والبحر المحيط ١٥٥/٦ وابن كثير ١٨١/٥ والدر المنثور ٢٣٨/٤ والمحرر الوجيز ٣٨٣/٩ .

(٥) انظر معاني الفراء ١٥٧/٢ .

(٦) أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، توفي سنة ١٥٤هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

ويجوز على مذهب الخليل : رَحْمَاً بالفتح(١) .

١٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ..﴾** [آية ٨٢] .

قال سعيدُ بنُ جُبَير ومجاهدٌ : عِلمٌ(٢) .

وقال قتادة وعكرمة : مالٌ(٣) .

وهذا القولُ أَوْلَى من جهة اللغة ، لأنه إذا قيل : عند فلانٍ كنزٌ ، فإنما يُراد به المالُ المدفونُ ، والمدَّخرُ .

فإن أراد غير ذلك بيَّنَ ، فقال : عنده كنزُ علمٍ ، وكنزُ فهمٍ .

ويحتملُ أن يكون كما رُوي أنه لوحٌ من ذهبٍ ، مكتوبٌ فيه « لا إله إلا اللهُ ، محمد رسولُ اللّهِ »(٤) فهذا يجمع المالَ والعلمَ .

---

(١) قال في البحر ١٥٥/٦ : الرُّحْمُ والرُّحمةُ : العطفُ ، كالكُثْرِ ، والكَثْرةِ ، والظاهر أن قوله ﴿ وأقرب رُحْماً ﴾ أي رحمةَ والديه ، وقال ابن جريج يرحمانه ، وقال رؤبة ابن العجَّاج :
يامُنـــزِلَ الرَّحْـــمِ على إدْرِيسَا ومُنـــزل اللَّعـــن على إبْلِيسَـــا

(٢)(٣) الأثران في الطبري ٦/١٦ والبحر ١٥٥/٦ وابن كثير ١٨٢/٥ ورجح الطبري وابن كثير قول قتادة وعكرمة أن الكنز مالٌ مدفون .
قال ابن كثير : وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير يرحمه الله .

(٤) هذه الرواية رُويت عن أبي ذر ، وهي في مسند البزار كما حكاه الحافظ ابن كثير ١٨٢/٥ قال : « إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه ، لوحٌ من ذهبٍ مُصْمَتٍ ــ أي غير مجوَّف ــ مكتوب فيه ، عجبتُ لمن أيقن بالقدر لم نَصِب ؟ وعجبتُ لمن ذكر النار لَمَ ضحك ؟ وعجبتُ لمن ذكر الموت لَمَ غفل ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

١٢١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [آية ٨٢] .

يدلُّ على أنَّ ذلكَ كانَ بوحيٍ(١) .

---

(١) قصة موسى والخضر كما في الصحيحين : عن أُبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنـه قال : « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عز وجل عليه إذْ لم يرُدَّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه أنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتل فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثمَّ ، فانطلق موسى : ومعه فتاه « يوشع بن نون » حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المِكْتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ــ قال ولم يجد موسى النَّصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ــ فقال فتاه ﴿ أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ قال فكان للحوت سَرَباً ولموسى وفتاه عجَباً فقال موسى ﴿ ذلك ما كنّا نبغ فارتدا على آثارهما قَصصاً ﴾ قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا هو مسجًّى بثوب فسلَّم عليه موسى قال الخضر : وأنَّى بأرضك السلام ! من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم أتيتك لتعلمني مما عُلمت رُشداً ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ .. ياموسى إني على علم من علم الله لا تعلمه علَّمنيه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه لا أعلمه ، فقال موسى ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ فقال له الخضر ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً ﴾ فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوْل ــ أي بدون أجر ــ فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قومٌ قد حملونا بغير نوْل عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿ لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرًا ﴾ قال رسول الله ﷺ : وكانت الأولى من موسى=

١٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [آية ٨٣] .

رَوَى أبو الطُّفَيل أنّ ابنَ الكوَّا سأل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن « ذي القرنين » أكان نبيًّا أو مَلِكاً ؟ فقال : لم يكن نبيًّا ولا ملِكاً ، ولكنْ كان عبداً صالحاً ، أحبَّ اللَّهَ فأحبَّهُ ، ونَصَحَ اللَّهَ فنَصَحه اللَّهُ ، ضُرِب على قرنه الأيمن فمات ، فبعثه الله ، ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات ، ففيكم مثلُه »؟(١) .

قال أبو جعفر : وهذا أجلُّ إسنادٍ رُوي في تَسَمِّيه بذي القرنين .

= نسياناً ، وجاء عصفورٌ فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمي وعلمكَ من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذْ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى ﴿ أقتلتَ نفساً زكيَّةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نُكراً ﴾ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ قال سُفيان : وهذه أشدُّ من الأولى ﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدنّي عذراً ﴾ فانطلقا ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ ﴾ فقال الخضر بيده هكذا ــ أي أشار بيده ــ فأقامه فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ قال الخضر : ﴿ هذا فِراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ قال رسول الله ﷺ : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقصَّ الله علينا من أخبارهما » !! أخرجها الشيخان .

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦/٩ وابن كثير ١٨٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٤١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردوية .

وقد قيل : كانتْ له ضفيرتان[1] .

وقيل : لأنه بلغ قُطْرَي الأرضِ : المشرقَ ، والمغرب[2] .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني من يسوقُ الأحاديثَ عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علمه : إنَّ ذَا القَرنينِ كان رجلاً من أهل مصرَ . اسمُه « مرزبان بن مَرْدَبة » اليوناني ، من ولد « يونان بن يافث بن نوح » .

قال ابن هشام : واسمُه « الاسكندرُ » وهو الذي بنى الاسكندرية فنُسِبْت إليه[3] .

قال محمد بن إسحق : وقد حدَّثني ثوْرُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدانَ الكَلَاعي — وكان رجلاً قد أدرك [الناس][4] — أن رسول الله ﷺ سُئِل عن ذي القرنَيْنِ ، فقال : « مِلِكٌ مَسَحَ الأرضَ من تحتِها بالأسباب » .

وقال خالدٌ : سمع عمرَ بنَ الخطَّاب — رحمةُ اللهِ عليه —

---

(١)(٢) انظر جامع البيان ٩/١٦ والبحر المحيط ١٥٨/٦ وتفسير ابن كثير ١٨٦/٥ والدر المنثور ٢٤١/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢٨/٥ .

(٣) ذكره الإمام القرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٥/١١ كما ذكر ابن اسحق في السِّير والمغازي ص٢٠٢ طرفاً من قصة ذي القرنين ، وكذلك ابن هشام ١٥٧/٢ تحت عنوان سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من جامع أحكام القرآن للقرطبي ٤٦/١١ .

رجلاً يقول : ياذا القرنين ، فقال عمر : « اللهم غَفْراً ، أَمَا رضيتم أن تُسَمُّوْا بالنبيِّين ، حتى تسمَّيتم بالملائكة »[1] ؟

١٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ [آية ٨٤] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : علماً[2] .

والمعنى على هذا التفسير : علماً يصل به إلى المسير في أقطار الأرض .

١٢٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ [آية ٨٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : منزلاً وطريقاً بين المشرق والمغرب[3] .

١٢٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ..﴾ [آية ٨٦] .

---

(١) في القرطبي ٤٦/١١ : « أما رضيتم أن تسمُّوا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة » ونقل عن عليٍّ رضي الله عنه مثل قول عمر ، وهذا أظهر وأوضح من لفظ المصنف « أما رضيتم ان تسموا بالنبيِّين حتى تسميتم بالملائكة » .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٩/١٦ وابن كثير ١٨٦/٥ وابن الجوزي ١٢٩/٥ ولفظه : علماً يتسبَّب به إلى ما يريد .

(٣) انظر الأثر في جامع البيان ١٠/١٦ وابن كثيز ١٨٦/٥ وقد سقطت الواو من المخطوطة فكتبت « منزلاً طريقاً » وأثبتناها من تفسير الطبري ، وابن كثير ، كما ورد فيهما عن مجاهد .

قرأ عبدُ اللهِ بنُ مسعود وابنُ الزبير : ﴿ حَامِية ﴾[1] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ حَمِئَةٍ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : حدثنا إبراهيمُ بنُ محمد بنِ عرفَةَ ، قال : حدثنا محمد بنُ عبدِ المَلِكِ ، قال : حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، قال : حدثنا عمروُ بنُ ميمون ، قال : سمعتُ أبا حاضرٍ[3] يقول : سمعتُ ابن عباس يقول : كنتُ عند معاوية ، فقرأ ﴿ **تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ** ﴾ فقلت : ما نقرؤها إلاَّ « حَمِئَةٍ » فقال لعبداللَّهِ بنِ عَمْروٍ : كيف تقرؤُها يا عبدَاللَّهِ بن عمْروٍ؟ قالَ : كما قرأْتَها يا أمير المؤمنين ، فقلتُ : في بيتي ياأميرَ المؤمنين أُنزِلَ القرآنُ !!

فأَرْسَلَ معاويةُ إلى كعبٍ ، فقال : أينَ تجدُ الشمسَ تغربُ في التوراة ؟ فقال : أمَّا في العربية فأنتم أعلمُ بها ، وأمَّا أنا فأجدُ الشمسَ في التوارةِ ، تغربُ في ماءٍ وطين ، وأشار بيده إلى المغرب ، فقلتُ لابن عباس : لو كنتُ عندك فرفدتك بكلمةٍ تزداد بها بصيرةً في « حمئةٍ » !! قال ابن عباس : ما هي ؟ قلتُ : فيما نأْثُرُ من قول تُبَّع فيما ذكَرَ به ذا القرنين من قوله :

---

(١)و(٢) كلتا القراءتين من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ فلقد قرأ ابنُ كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ﴿ في عينٍ حَمِئةٍ ﴾ وكذلك عاصم في رواية حفص ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ حامية ﴾ وانظر أيضاً النشر ٣١٤/٢ .

(٣) أبو حاضر : هو « عثمان بن حاضر » سمع ابن عباس رضي الله عنه ، وانظر المقتنى في سرد الكنى رقم الترجمة ٢٩٧ وقد ذكر السيوطي في الدر ٢٤٨/٤ أنه عثمان بن أبي حاضر وصوابه « عثمان بن حاضر » كما في التهذيب ١٠٩/٧ .

بَلَغَ المَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي

أَسْبَابَ أَمْرٍ من حَكيمٍ مُرشِدِ

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عندَ غُروبِهَا

في عَيْنِ ذِي خُلْبٍ ، وثَأْطٍ حَرْمَدِ[1]

فقال ابن عباس ما الخُلُبُ ؟ فقال : الطينُ بكلامهم . قال : وما الثَّأْطُ ؟ قلتُ : الحمأةُ ، قال : وما الحرمَدُ ؟ قلتُ : الأسودُ[2] .

قال أبو جعفر : فهذا تفسير الحَمْأةِ ، يُقال : حمئتِ البئر ، إذا صارت فيها الحَمْأَةُ[3] ، وأَحمأتُها : ألقيتُ فيها الحَمْأَةَ . وحمَّأْتُها : أخرجتُ منها الحَمْأَةَ .

فأما قراءة من قرأ ﴿ حامية ﴾ فيحتملُ معنيين :

أحدهما : أن يكون المعنى « حَمِئَةٍ » فكأنه قال « حامئةٍ » أي ذاتُ حمأةٍ ، ثم خُفِّفت الهمزة .

والمعنى الآخر : أن يكون بمعنى حارة .

---

(١) الأبيات للشاعر تُبَّع اليماني كما حكى ذلك القرطبي في جامع الأحكام ٤٩/١١ وذكر الأبيات أيضاً أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ١٥٨/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٨/٤ وقبلها قوله :
قَدْ كانَ ذُو القَرْنينِ قَبْلي مُسْلِماً   مَلِكاً تَدينُ له المُلُوكُ وتسجد

(٢) انظر الأثر في تفسير ابن جرير ١١/١٦ وتفسير ابن كثير ١٨٨/٥ وجامع الأحكام للقرطبي ٤٩/١١ .

(٣) الحمأةُ : الطين الأسود المنتن ، وانظر الصحاح للجوهري ٤٥/١ .

ويجوز أن تكـون حارةً ، وهـي ذاتُ حَمَـإٍ ، واللـه أعلـم بحقيقته[1] .

قال القتبيُّ[2] : يجوز أن تَكوَن هذه العينُ من البحر ، ويجوز أن تكون الشمسُ تغيب وراءها ، أو معها ، أو عندها ، فيقام حرفُ الصِّفةِ مقام صاحبه ، والله أعلم بذلك .

١٢٦ ــ **وقوله جل وعز ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً ، قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ، وَإِمَّا أَنْ تَتخِذَ فِيهِم حُسْنَاً﴾** [آية ٨٦] .

قال إبراهيم بن السَّرِيِّ[3] : خيَّره بين هذين ، كما خيَّر محمداً ﷺ فقال : **﴿ فَإِنْ جَاءُوْكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾**[4] .

وقال عليُّ بنُ سليمان[5] : المعنى : قلنا يا محمد : قالوا يا ذا القرنين .

---

(١) هذا ما ذهب إليه الزجا ج في معانيه ٣٠٨/٥ فقـال : من قرأ ﴿ حَامِيـة ﴾ بغير همز أراد حارة ، وقد تكون حارَّةً ذات حمأة . اهـ يريد حارة ذات طين أسود منتن .

(٢) القتبي : هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ من أئمـة اللغـة والنحـو ، له كتاب غريب القرآن ومعانيه ، وغـريب الحديث ، وأدب الكـاتب ، وانظـر ترجمتـه في وفيـات الأعيان ٣١٤/١ وشذرات الذهب ١٦٩/٢ .

(٣) هو الإمام أبو إسحـاق الزجـاج « إبراهيم بن السَّريِّ بن سهـل » المتـوفي سنـة ٣١١هـ صاحب المصنفات ، وله كتاب معاني القرآن الكريم وانظر ترجمته في الأعلام ٤٠/١ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٢ .

(٥) هو علي بن سليمـان بن الـفضل البغـدادي ، المشهـور بالأخـفش الصغير المتـوفي سنـة ٣١٥ له كتاب معاني القرآن ، وانظر ترجمته في الأعلام ٢٩١/٤ ومعجم المؤلفين ١٠٤/٧ .

قال : لأنَّ بعده ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّه فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾ [آية ٨٧] .

فكيف يقول لربه : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ ﴾[1] ؟ وكيف يقول : ﴿ فَسَوْف نُعَذِّبُهُ ﴾ ؟ والعبدُ لا يخاطِبُ بهذا ، ولم يصحَّ أن « ذا القرنين » نبيٌّ[2] فيقول اللَّهُ : ﴿ قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : وهذا موضع مشكل[3] ، وليس بممتنع حذف القول ، والله أعلمُ بما أراد .

وروى معمر عن قتادة في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَوْف نُعَذِّبُهُ ﴾ قال : بالقتل[4] .

١٢٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾** [آية ٨٧] .

---

(١) يريد المصنف أن الأخفش ردَّ على الزجاج قوله إذ كيف يخاطب ربه بقوله ﴿ ثم يردُّ إلى ربه ﴾ ويقول عن نفسه﴿ فسوف نعذبه ﴾ بنون العظمة ؟ .

(٢) هذا هو الصحيح أن ذا القرنين مِلِكٌ عادل ، وليس بنبي ، وهذا قول الجمهور كما دلت عليه بعض الآثار .

(٣) ليس هناك إشكال ، فإن الله ألهمه ذلك إلهاماً ، ولم يرسل إليه مَلَكاً لأنه ليس برسول ، فالقول صادرٌ من الله له بطريق الإلهام ، والله تعالى يُسدِّد خطى أوليائه ، ويرشدهم إلى الطريق القويم ، قال الحافظ ابن كثير ١٨٩/٥ : معنى الآية أن الله تعالى مكنّه منهم ، وحكّمه فيهم ، وأظفره بهم ، وخيَّره إن شاء قتل وسبى ، وإن شاء منَّ أو فَدَى ، فعُرف إيمانُه وعدلُه ، فيما أبداه فعلُه وبيانهُ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢/١٦ وابن كثير ١٨٩/٥ والسيوطي في الدر ٢٤٩/٤ .

لأن عذاب الآخرة أنكر(١) من القتل .

١٢٨ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾** [آية ٨٨] .

قيل : الحسنى ها هنا : الجَّنةُ .

ويُقرأ ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى ﴾(٢) أي الإِحسان .

١٢٩ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وسَنَقُوْلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرَاً﴾** [آية ٨٨] .

أي قولاً جميلاً .

١٣٠ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبَاً﴾** [آية ٨٩] .

ويقرأ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ ﴾ بقطع الألف(٣) ، أي سبباً من الأسباب التي تؤدِّيه إلى أقطار الأرض .

قال الأصمعي : يُقال : أتبعتُ القومَ ، بقطع الألف أي لحقتهم .

---

(١) أي أشدُّ وأفظع .

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وقرأ الباقون بالتنوين ﴿ فله جَزَاءً الحسنى ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٩٨ .

(٣) قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر ﴿ ثم أَتْبعَ سَبَبَاً ﴾ بالقطع ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرٍو بالتشديد﴿ ثم اتَّبع سبباً ﴾ وكلا القراءتين سبعية ، وانظر النشر ٢/٣٢٤ والسبعة لابن مجاهد ص٣٩٧ .

واتَّبعتهم « بوصل الألف » إذا مررت في آثارهم وإن لم تَلْحقهم[1] .

١٣١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ، وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دونها ستراً﴾ [آية ٩٠] .

أي ليس لهم بنيان ولا قُمص[2] .

قال الحسنُ : إذا طلعت نزلوا الماء حتى تغرب[3] .

فأمَّا معنى ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ؟ فقيل فيه : حكمُهم كحكمِ الذين تغربُ عليهم الشمسُ ، أي هم كأولئك .

١٣٢ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ ثُمَّ أَتْبَع سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ [آية ٩٣] .

ويُقرأ ﴿ السُّدَّيْنِ ﴾[4] .

---

(١) في الصحاح ١١٨٩/٣ : تَبِعْتُ القوم تَبعاً وتَبَاعةً : إذا مشيت خلفهم أو مرُّوا بك فمضيتَ معهم ، وكذلك اتَّبعتُهم ، وأتْبعتُ القوم : إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ، وقال الأخفش : تبعتُه وأتبعتُه بمعنى . اهـ .

(٢) قال القرطبي ٥٤/١١ : ﴿ لم نجعلْ لهم من دونها سِتْراً ﴾ أي حجاباً يستترون منها عند طلوعها ، وقال الفراء : أي لا جبل ، ولا ستر ، ولا شجر ، وهم عُراةٌ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤/١٦ والقرطبي ٥٥/١١ وابن كثير ١٩٠/٥ ولفظه : قال الحسن : إن أرضهم لا تحمل البناء ، فإذا طلعت الشمس تغوَّروا في المياه ، فإذا غربت خرجوا يتراعَوْن كما ترعى البهائم .

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿ بين السُّدَّيْنِ ﴾ بالضمِّ ، وقرأ الباقون ﴿ بين السَّدَّيْن ﴾ بفتح السين ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٣٩٩ .

وقد فرَّق بينهما أبو عمروٍ[1] وجماعةٌ من أهلِ اللغَةِ .

فقال بعضهم : السُّدَّ : ما كان من صُنعِ اللهِ ، والسَّدُّ « بالفتح » : ما كان من صنعِ الآدميين .

وقيل : السَّدُ ما رأيتَهُ ، والسُّدُّ : ما سَتَر عينيك .

والصحيحُ في هذا ما قاله الكسائي أنهما لغتان بمعنى[2] .

وإن زيد في هذا ، قيل : السَّدُ المصْدَرُ ، والسُّدُ : الاسمُ .

١٣٣ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ : إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُوْنَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴾** [آية ٩٤] .

ويُقرأ ﴿ خَرَاجاً ﴾[3] .

قال الفرَّاء : الخَرْج : المصدرُ ، والخَرَاجُ : الاسم[4] .

---

(١) أبو عمروٍ هو ابن العلاء المازني النحوي ، من كبار علماء اللغة والقراءات ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٧٨/١٢ .

(٢) في الصحاح ٤٨٦/٢ : السَدُّ ، والسُدُّ : الجبلُ والحاجزُ ، والسُدُّ أيضاً واحد السُّدود . اهـ وانظر لسان العرب مادة سدد .

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٠ .

(٤) عبارة الفراء في معانيه ١٥٩/٢ : الخَرَاجُ : الاسم الأول ، والخَرْجُ كالمصدر كأنه الجُعْلُ . اهـ .

وروى معمرٌ عن قَتادةَ ﴿ خَرْجَاً ﴾ قال : عطِّية[1] .

وكذلك هو في اللغة ، يُقالُ : لك عندي خَرْجٌ أي عطيّةٌ وجُعْلٌ ، والخَرَاجُ : هو المتعارف ، وإن كان أصلُه مِنْ ذَا[2] .

١٣٤ ــ وقولُه جل وعز ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ .. ﴾ [آية ٩٥] .

أي خيرٌ ممَّا بذلتم لي .

١٣٥ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴾ [آية ٩٥] .

والرَّدْمُ في اللغةِ : أكثرُ من السَدِّ ، لأنه شيءٌ متكاثفٌ ، بعضُه على بعض[3] .

ورَوَى عَطَاءٌ الخُراسانُي عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بَيْنَ السُدَّينِ ﴾ الجبلينِ : أرمينية ، وأذربيجانِ[2] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣/١٦ عن معمر عن قتادة قال : أجراً ، وروي ابن كثير ١٩٢/٥ عن ابن عباس ﴿ خَرْجَاً ﴾ : أجراً عظيماً .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة للأزهري مادة خرج .

(٣) في الصحاح ١٩٣٠/٥ : الرَّدْمُ : السَدُّ ، وردمتُ الحفرة أَرْدِمُها بالكسر رَدْماً : أي سددتها ، وقال الزجاج في معانيه ٣١١/٣ : الرَّدمُ أكبرُ من السدِّ ، لأن الرَّدم ما جُعل بعضُه على بعض ، يُقال : ثوبٌ مُرَدَّمٌ ، إذا كان قد رُقِع رُقعةً فوق رُقْعةٍ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك ٢٥/١٦ قال : هما من قِبَل أرمينية وأذربيجان ، وبنحوه عن ابن عباس .

١٣٦ ـ **ثم قال جل وعز ﴿ آتُوني زُبَرَ الْحدَيدْ ..﴾** [آية ٩٦] .

الزُّبَرُ : القِطَعُ الكِبارُ من الحَديدَ(١) .

١٣٧ ـ **ثم قال تعالى ﴿ حَتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدفَيْنِ ..﴾** [آية ٩٦] .

روى **علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس** قال : الجبلين(٢) .

١٣٨ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾** [آية ٩٦] .

قيل : جعل قِطَعَ الحديدِ ، وجعل بينهما الحَطَبَ والفحم ، وأوقد عليها ، والحديدُ إذا أُوقِدَ عليه صار كالنَّارِ ، فذلك قوله **﴿ حَتَّى إذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾** .

ثمَّ أَذَابَ الصُّفْر(٣) ، فأفرغه عليه ، فذلك قوله تعالى **﴿ قَالَ آتُوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾** .

أي أعطوني قِطْراً أفرغْ عليه(٤) .

---

(١) في الصحاح ٦٦٧/٢ : الزُّبرةُ : القطعةُ من الحديد ، والجَمعُ زُبَرٌ قال تعالى ﴿ آتوني زُبَرَ الحديد ﴾ ويُقال : زُبْرٌ أيضاً ، ومنه قوله تعالى ﴿ فتقطَّعوا أمرهم بينهم زُبُراً ﴾ أي قِطَعاً . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٥/١٦ والدر المنثور ٢٥١/٤ وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) في المصباح ٣٦٧/١ : الصُّفر : مثل قُفلٍ ـ وكسرُ الصاد لغةٌ ـ النُّحاسُ ، وكذلك القِطرُ وزان حِمْل : النحاسُ ، ويُقال : الحديدُ المذابُ .

(٤) قال الفخر الرازي ١٧٢/٢١ : لما أتوه بقطع الحديد ، وضع بعضها على بعض ، حتى صارت بحيث تسدُّ ما بين الجبلين ، ثم وضع المنافخ عليها ، حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمي ، فالتصق بعضه ببعض ، وصار جبلاً صَلْداً .

ومن قرأ ﴿ ائْتُوني ﴾[1] فالمعنى عنده : تعالَوْا أفرغْ عليه نُحاساً .

١٣٩ ــ **قال جلَّ اسمُه : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ .. ﴾** [آية ٩٧] .

أي أن يعلوا عليه ، لطوله واِمّلاسِهِ .

يُقال : ظهرتُ على السطح أي علوتُ عليه .

قال كعب : فهمُ يعالجون فيه كلَّ يومٍ ، فإذا أمْسَوْا قالوا غداً ننقضُه ، ولا يُوفَّقُ لهم أن يقولوا « إن شاء اللّهُ » فإذا أَذِنَ اللّهُ في إخراجهم ، قالوا « إن شاء اللّهُ » فينقضونه ، فيخرجون ، فيشربُ أوَّلُهُم دجلة والفرات ، حتَّى يمرَّ آخرهم فيقول : قد كان هنا هنا مرةً ماءٌ ، ويتأذى بهم أهلُ الأرض ، ويدعو عليهم عيسى صلَّى الله عليه وسلم فيهلكون[2] .

---

(١) هذه من القراءات السبع وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمزة ، وقرأ الباقون ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ بالمدِّ ، وانظر السبعة ص ٤٠١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٥١٠ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ولفظُه : « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم ــ يعني رئيسهم ــ ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعودون إليه كأشدِّ ما كان ، حتى إذا بلغتْ مدَّتُهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس ، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء اللهُ ويستثني ــ يعني يقول : إن شاء الله ــ فيعود إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس ، فينشفون المياه ــ وفي رواية الترمذي فيستقون المياه ــ ويتحصَّنُ الناسُ منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع =

١٤٠ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَّبِي ..﴾** [آية ٩٨] .

[أي هذا التمكين رحمةٌ من ربي][1] .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ..﴾ [آية ٩٨] .

أي لاصقاً بالأرض .

يقال : ناقةٌ دكَّاءُ : أي لا سَنَامَ لها .

١٤١ ـــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ..﴾** [آية ٩٩] .

ويجوز أن يكون يُعْنَى بـ **﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾** يومَ يَخْرجون من السَدِّ .

وأَنْ يُعْنَى به يوم القيامة ، لقوله تعالى **﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾** [آية ٩٩] .

= وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم نَغَفَاً ـــ أي دوداً ـــ في أقفائهم فيقتلهم بها ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لتسْمنُ ، وتَشْكُر شَكْراً ـــ أي تنتفخ وتمتلىء بطونها ـــ من لحومهم ودمائهم » وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف رقم ٣١٥٣ وقال : حديث حسن غريب ـــ وابن ماجة في الفتن رقم ٤٠٨٠ الجزء الثاني ص ١٣٦٤ .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش .

١٤٢ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾ [آية ١٠١] .

أي لعداوتهم النبيَّ ﷺ ، لا يستطيعون أن يسمعوا منه شيئاً[١] .

أي يثقل ذلك عليهم ، كما تقول : أنا لا أستطيع أن أكلّمك .

١٤٣ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادي مِنْ دُوْني أَوْلِيَاءَ ..﴾ [آية ١٠٢] .

قال أبو إسحاق : المعنى : أفحسب الذين كفروا أن ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء[٢] ؟ .

ورَوَى عَبَّادُ بنُ الربيع أن عليَّ بنَ أبي طالب رحمةالله عليه قرأ : ﴿ أَفَحْسَبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْنِي أَوْلِيَاءَ ﴾[٣] .

قال أبو عبيدة : أي أَرَضُوا بذلك ؟ أَكَفَاهم ذلك[٤] ؟ .

١٤٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [آية ١٠٢] .

---

(١) عبارة القرطبي ٦٥/١١ : أي لايطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى ، فهم بمنزلة منْ صُمٍّ .
(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٤/٣ ففيه توضيحٌ وبيان .
(٣) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب لابن جني ٣٤/٢ .
(٤) هذا على القراءة الشاذة ، وانظر البحر ١٦٦/٦ .

النُّزُلُ عند أهل اللغة : ماهُيِّءَ للضيفِ وما أشبهه ، والنَّزَلُ بفتحتين : الرَّيْعُ[1] .

١٤٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالْأَخسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُون صُنْعاً﴾** [آية ١٠٤] .

رَوَى أبو الطُّفَيلِ أن عليّاً قال : هم أهل حَرُوراءَ[2] .

ورَوَى عبدُ اللَّهِ بن قَيْس عن عليٍّ قال : هم الرُّهبانُ[3] .

قال الأسود : رُؤِي من عليٍّ بن أبي طالب فَرحٌ ومِزاح ، فقام ابنُ الكَوَّا اليشكري فقال يا أمير المؤمنين : مِنِ الَّذين ضَلَّ سعيهُم في الحياةِ الدنيا ؟ أهم الحرورية ؟ فقال : لا ، هم أهلُ الكتاب ، كان أوَّلهُم على الحقِّ ، ثم كفروا وأشركوا[4] .

ورَوَى شُعبةُ عن عَمْروِ بنِ مُرَّةَ ، عن مُصْعب بن سَعْدٍ ، قال : قلتُ لسعدٍ مَنِ الذينَ ضَلَّ سعيهُم في الحياة الدنيا ؟ أهمُ الخوارج ؟ فقال : هم اليهودُ والنصارى ، أمَّا اليهود فلم يؤمنوا

---

(١) في الصحاح ١٨٢٨/٥ : النُّزُلُ : ما يُهيَّا للنزيل ، والجمعُ الأنزال ، والنُّزُلُ أيضاً : الرَّيعُ ، يُقال : طعامٌ كثير النُّزْلِ والنَّزَلِ بالتحريك . وقال في البحر ١٦٦/٦ : النُّزُل موضع النزول ، والنُّزُل أيضاً ما يقدَّم للضيف ويهيأ له من الطعام ، والنزل هنا يحتمل التفسيرين . اهـ .

(٢ــ٤) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٣٣/١٦ وجامع الأحكام للقرطبي ٦٦/١١ والبحر المحيط ١٦٦/٦ .

بمحمدٍ ، وأمَّا النصارى فلم يؤمنوا بالقيامة ، لأنهم قالوا ليس في الجنة أكلٌ ولا شربٌ ، فضلَّ سعيهُم ، وبطل عملهم ، وهم يحسبون أنهم على هدى ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ** ﴾[1] .

وأمَّا الخوارجُ فهم الذين قال اللهُ فيهم ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** ﴾[2] .

١٤٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَلَا نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾** [آية ١٠٥] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « يؤتى يومَ القيامةِ بالعظيمِ الطويلِ ، الأكولِ الشروب ، فلا يَزِنُ جناحَ بعوضةَ ، اقرءوا إن شِئْتُم ﴿ **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً** ﴾[3] ؟ .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف ١١٧/٦ عن مصعب بن سعد ، ولفظهُ قال : « سألت أبي ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرينَ أعمالاً ﴾ أهمُ الحُرورية ــ يعني الخوارج ــ قال : لا ، هم اليهودُ والنصارى ، أمَّا اليهودُ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا : لاطعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين » اهـ لفظ البخاري .

(٢) سورة الرعد آية ٢٥ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٧/٦ من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « إنه ليأتي الرجل العظيمُ السمينُ يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال اقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ ورواه مسلم أيضاً في كتاب الجنة والنار وصفات المنافقين رقم ٢٧٨٥ وأخرجه الطبري ٣٥/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم أيضاً .

١٤٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾** [آية ١٠٧] .

سئل أبو أُمامةَ(١) عن الفردوس فقال : هي سُرَّة الجَنَّةِ(٢) .

وقال كعبٌ(٣) : هي التي فيها الأعناب .

قال أبو اسحاق(٤) : الفردوسُ : البستانُ الذي يجمع كلَّ ما يكون في البساتين ، وكذلك هو عند أهل اللغة ، ولم نسمعه إلاَّ في بيت حسان :

وإنَّ ثَوَابَ اللَّـــــهِ كُلَّ مُوَحِّـــــدٍ
جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوسِ فِيهَا يُخَلَّدُ(٥) .

---

(١) في التهذيب ٤٢٠/٤ : أبو أُمامة الباهلي الصحابي ، اسمه « صُدَيُّ بن عجلان » روى عن النبي ﷺ توفي سنة ٨٦هـ .

(٢) في النهاية ٣٦٠/٢ : « سُرَّة الجنة » أي وسطُها وجوفها ، وفي حديث « لاتنزلْ سُرَّةَ البصرة » من سُرَّةِ الإنسان فإنها وسطُه . اهـ .

(٣) هو كعب الأحبار واسمه « كعبُ بن ماتع الحِمْيَرِي » أبو إسحق ، المعروف بكعب الأحبار ، أسلم في أيام عمر ، روى عن النبي ﷺ مرسلاً ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ، وكان على دين اليهود فأسلم ، وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي بها سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨ .

(٤) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، وانظر كتابه معاني القرآن ٣١٥/٣ .

(٥) البيت في ديوانه ٣٠٦/١ وقد ذكره في لسان العرب ١٦٣/٦ واستشهد به على أن لفظ الفردوس عربي ، خلافاً لمن زعم أنه لفظ رومي ، قال : ومما يدل على أن الفردوس بالعربية قول حسان .. وذكره ، واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز ٤١٨/٩ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٠/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ١٦٨/٦ وهو أيضاً في الخزانة والتاج .

قُرِىء على جعفر بن محمد الفريابي ، عن قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا عبدُ العزيز بنُ محمد ، عن زيد بن أسلمَ قال : « إنَّ في الجنة مائة درجة ، بين كلِّ درجتين ما بين السماء والأرضِ ، والفردوسُ أعلى الجنة ، وفوقها عرشُ الرحمن ، ومنها تُفَجَّرُ أنهار الجنة ، فإذا سألتم اللَّهَ فاسألوه الفردوس »[1] .

١٤٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَايَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [آية ١٠٨] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : متحوَّلاً[2] .

وقال غيره : هو من الحيلة أي لا يحتالون في غيرها[3] .

١٤٩ ــ وقوله جلَّ ذكره : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي .. ﴾ [آية ١٠٩] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ٥٣/٩ بلفظ « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ماينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللّه ، فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرشُ الرحمن ، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنة » ورواه مسلم برقم ١٨٩٠ والنسائي ٣٨/٦ والترمذي رقم ٢٥٣٣ وقال : حديث صحيح .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٣٨/١٦ وفي البحر ١٦٨/٦ والسيوطي في الدر ٢٥٥/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي شيبة عن مجاهد .

(٣) ذكره الزجاج في معانيه ٣١٥/٣ فقد قال ﴿ لايبغون عنها حِوَلاً ﴾ أي لايريدون عنها تحولاً ، وقيل : إن الحِوَل : الحيلةُ ، فيكون المعنى : لايحتالون منزلاً غيرها . أقول : الأول هو الأشهر والأظهر .

قال **مجاهد** : يعني العلم[1] .

١٥٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾** [آية ١٠٩] .

قيل : ﴿ مَدَداً ﴾ بمعنى : مِدَاداً .

وقيل : هو من قولهم : نحنُ مَدَدٌ له[2] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِداداً ﴾[3] .

١٥١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ..﴾** [آية ١١٠] .

قيل : ﴿ يرجو ﴾ بمعنى يخاف كما قال الشاعر :

إِذَا لسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا
وَحَالَفَهَا في بَيْتِ نُوْبٍ عَوَامِلِ[4]

---

(١) الأثر في الطبري ٣٩/١٦ بلفظ ﴿ لكلمات ربي ﴾ للقلم ، وفي الدر ٢٥٥/٤ : لعلم ربي كما هو في المخطوطة .

(٢) قاله ابن جرير ٣٩/١٦ قال : والمعنى : ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مَدَداً ، من قولهم : جئتك مدداً لك .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٥/٢ والمعنى على هذه القراءة : ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به . وقال ابن الجوزي ١٤١/٥ : المددُ : كل شيء زاد في شيء ، فإن قيل : لم قال في أول الآية ﴿ مِداداً ﴾ وفي آخرها ﴿ مَدداً ﴾ وكلاهما بمعنى واحد ؟ أجاب ابن الأنباري بقوله : لما كان الثاني آخر آية ، وكان قبله نزلاً ، وحِولاً كان قوله ﴿مدداً﴾ أشبه بهذه الألفاظ من المداد ، واتفاقُ المقاطع عند آخر الآى ، وانقضاء الآيات ، وتمام السجع والنثر ، أخفُّ على الألسن ، وأحلى موقعاً في الأسماع .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين للسكري تحقيق : عبدالستار فراج : جـ ١ : ص ١٤٤ .

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : ﴿ **لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ أي ثواب ربه(١) .

قال أبو جعفر : وعلى هذا يكون﴿ **يرجو** ﴾على بابه ، وإذا رجا ثواب ربه خاف عقابه .

١٥٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [آية ١١٠] .

قال مجاهد : يعني الرياء(٢) .

وقال سعيد بن جبير : أي لا يرائِيَ(٣) .

وقال كثير بن زياد(٤) : سألت الحسن عن قوله : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً** ﴾ فيمن نزلت ؟ فقال : نزلتْ في المؤمن ، قلت : أيكون مشركاً ؟ فقال يشركُ في العملِ ، إذا عمل عملاً أراد اللَّهَ له والنَّاسَ ، وذلك الَّذي يُردُّ عليه(٥) .

* * *

إنتهت سورة الكهف

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٦/٤٠ وزاد المسير ٥/١٤٢ والدر المنثور ٤/٢٥٥ .

(٤) في المخطوطة « كثير بن ثابت » وصوابه ما أثبتناه « كثير بن زياد » كما في التهذيب ٨/٤١٣ قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة من أكابر أصحاب الحسن .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٤/٢٥٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من رواية كثير بن زياد ، وانظر الدر المنثور .

تفسير سورة مريم

مكية وآياتها ٩٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم وهي مكية [1]

١ ــ **من ذلك قوله جلَّ اسمهُ** ﴿ كَهيعَص ﴾ [آية ١] .

حدثنا أبو بكر بن نافع ، قال : نا سلمة بن شبيب ، قال : نا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا ابنُ عُيينة ، عن عطاءِ بنِ السَّايب ، عن سعيدِ بنِ جُبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ كَهيعَص ﴾ قال : « كاف » من كافٍ ، و « هاء » من هادٍ ، و« ياء » من حكيم و« عين » من عليم و« صاد » من صادق[2] .

قال عبدالرزاق : وأخبرنا معمر عن قتادة في قوله ﴿ كَهيعَص ﴾ قال : اسمٌ من أسماء القرآن[3] .

قال أبو جعفر : وقد استقصينا ما في هذا في سورة البقرة .

٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [آية ٣] .

---

(١) قال ابن الجوزي ١٤٣/٥ : هي مكية بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه . وقال القرطبي ٧٢/١١ : هي مكية بإجماع ، وهي ثمان وتسعون آية .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٤٤/١٦ والقرطبي ٧٤/١١ ومعاني الزجاج ٣١٧/٣ قال الزجاج « واختلف في تفسير ﴿ كَهيعَص ﴾ فقال أكثر أهل اللغة : إنها حروف التهجّي ، تدلُّ على الابتداء بالسورة ، نحو الٓمٓ ، والٓر ، وقيل : إن تأويلها أنها حروفٌ يدلُّ كلُّ واحدٍ منها على صفةٍ من صفات الله عزَّ وجل ، فكاف يدل على كريم ، وها يدلُّ على هادٍ ، وصاد يدل على صادق ، وهذا أحسن ما جاء في هذه الحروف . اهـ .

قال يونسُ بنُ عُبَيْدٍ : كان الحسنُ يرى أن يدعَو الإمــــام في القنـوت ، ويؤمِّـنُ مَنْ خلْفَـه ، من غيـرِ رفـعِ الصَّوتِ(١) ، وتـلا يونس ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ .

٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي** ..﴾ [آية ٤] .

قال أبو زيد(٢) : يُقالُ : وَهَنَ ، يَهِنُ ، ووَهِنَ يَوْهَنُ(٣) .

وقال غيرُه : أي ضَعُفَ .

٤ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً** ..﴾ [آية ٤] .

يُقال لمن كثُرَ الشيبُ في رأسه : اشتعلَ رأسُه شيباً(٤) .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياًّ**﴾ [آية ٤] .

أي لم أكن أخيبُ إذا دَعَوتُك .

٦ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي** ..﴾ [آية ٥] .

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٧٦/١١ عن يونس بن عُبيد ، وروى السيوطي في الـدر ٢٥٩/٤ عن قتادة ﴿ نداءً خفياً ﴾ أي بقلبه سرّاً ، قال قتادة « إن الله يحبُّ الصوت الخفيَّ ، والقلب النقيَّ » اهـ .

(٢) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) في الصحاح : الوهنُ : الضعفُ ، وقد وَهَنَ الإنسانُ ووَهِنَ بالكسر وَهْناً أي ضعف . اهـ الصحاح مادة وهن .

(٤) قال ابن الجوزي ١٤٥/٥ ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ يعني انتشر الشيب فيه ، كما ينتشر شعاع النار في الحطب ، وهذا من أحسن الاستعارات .

رَوَى هشامٌ ، عن اسماعيلَ بنِ أبي خالـد[1] ، عن أبي صالح ، قال : الكلالة[2] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : العَصَبة[3] .

وقال أبو عبيـدة : يعنـي بنـي العـم ، قال و ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ أي مِنْ قُدَّامي[4] .

وقـولُ مجاهـد أولى ، يقـال للعَصَبـةِ : مَوَالٍ ، أي من يليـه في النسب ، كما أنَّ الأقرباء من يَقْرُبُ إليه في النسب .

وبنو العمِّ داخلون في هذا ، كما قال الشاعر :

« مَهْلاً بَني عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِينَا »[5]

وقوله أيضاً ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ من قُدَّامـي ، مخالـفٌ لقـول أهـلِ

---

(١) في التهذيب ٢٩١/١ « اسماعيـل بن أبي خالـد » الأحمسي كوفـيٌّ تابعـيٌّ ثقـة ، روى عن بعض الصحابة ، وعن بعض كبار التابعين ، مات سنة ١٤٦ هـ قال أبو حاتم لا أقدِّم عليه أحـداً من أصحاب الشعبي وهو ثقة .

(٢) و(٣) انظر الآثار في الطبري ٤٦/١٦ وابـن كثير ٢٠٦/٥ والبحـر المحيـط ١٧٣/٦ وهـو تفسير للموالي .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١/٢ واستشهـد بقـول الشاعـر « وقومـي تميمٌ والفَلاَةُ ورَائِيَا» أي أمامي .

(٥) هذا شطر بيت للفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب ، وهو من شعراء بني هاشم في عهد بني أمية ، وتمامُه :

مَهْـلاً بَنِـي عَمِّنَـا مَهْـلاً مَوَالِينَـا ... لاتَنْـبُشُوا بَيْنَنَـا مَاكَـانَ مَدْفُونَـا

واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١/٢ وأبـو حيـان في البحـر ١٧٣/٦ والقرطبـي في جامـع الأحكام ٧٨/١١ .

التفسير ، لأنَّ المعنى عندهم : من بعدِ موتي(١) .

وقال سعيد بن العاص : أَمَلَّ عليَّ عثمانُ بنُ عفَّان ، رحمةُ اللهِ عليه ﴿ وَإِنِّي خَفَّتِ المَوَالِي مِنْ وَرَائِي ﴾(٢) يعني بتشديد الفاءِ وكسرِ التَّاء ، وإسْكانِ اليَاءِ ، قال ومعناه : قلَّتْ .

٧ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وكانت امْرَأَتِي عَاقِراً .. ﴾ [آية ٥] .

أي لا تلد كأنَّ بها عَقْراً يمنعُها من الولاد(٣) .

٨ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي نحول العَظم(٤)

ويُروى أنَّ عبدالله بن مسعود قرأ ﴿ عُسِيًّا ﴾(٥) .

---

(١) قال ابن عطية ٤٢٩/٩ : ﴿ من ورائي ﴾ أي من بعدي في الزمن ، وقال أبو عُبيدة : أي من بين يديَّ ومن أمامي ، قال : وهذا قلَّةُ تحرير ، والموالي : بنو العمِّ والقرابة الذين يَلُون بالنسب . اهـ المحرر الوجيز .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٣٧/٢ وذكرها الطبري ٤٧/١٦ ووجَّهها على أنها من الخِفَّة بمعنى : ذهبتْ عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي .

(٣) في الصحاح ٧٥٥/٢ : العاقرُ : المرأةُ التي لاتحبلُ ، ورجل عاقِرٌ : أي لا يُولد له ، وقد عَقُرتِ المرأةُ بالضم أي صارت عاقراً . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٥١/١٦ والدر المنثور ٢٦٠/٤ وابن كثير ١٠٩/٥ .

(٥) هذه القراءة ذكرها الطبري ٥١/١٦ وابن عطية في المحرر ٤٣٢/٩ وليست من القراءات المتواترة ، قال الزجاج في معانيه ٣٢٠/٣ : تُقرأ « عِتيًّا » ورُويت « عَسِياً » ولكن لاتجوز في القراءة لأنها بخلاف المصحف . اهـ .

يقال : عتا يعتو ، وعَسَى يَعْسُو : إذا بَلَغ النهايةَ في الشدَّةِ والكِبَرِ[1] .

قال قتادة : كان ابنَ بضعٍ وسبعينَ سنةً[2] .

٩ ــ **وقوله جل عز ﴿ يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آل يَعْقُوبَ ..﴾**[3] [آية ٦] .

رَوَى هُشَيمٌ عن اسماعيل ، عن أبي خالدٍ عن أبي صالح ، قال : يكون نبياً كما كانوا أنبياء[4] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : كانت وراثتهُ علماً ، وكان زكريا من آلِ يعقوب[5] .

وروى عن داود بن أبي هند عن الحسن ﴿ يرثني ﴾ أي يرثُ مالي **﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾** : النبوة[6] .

وأبو إسحاق[7] **يذهب إلى القول الأول** : ويَبْعُدُ أن يكون نبيٌّ

---

(١) قال ابن جرير ١٦/٥١ : يقال للعود اليابس : عودٌ عاتٍ ، وعاسٍ ، وقد عتا يعتو عِتِيًّاً وعُتُوًّاً ، وعسى يَعْسو عِسِيًّاً وعُسُوًّاً ، وكلُّ متناهٍ إلى غايته في كِبَرٍ ، أو فساد ، أو كفرٍ ، فهو عاتٍ ، وعاسٍ . اهـ وانظر أيضاً معاني الزجاج ٣/٣٢٠ .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٥١ والمحرر الوجيز ٩/٤٣٣ والدر المنثور ٤/٢٦٠ وعزاه إلى عبدالرزاق .

(٣) هذه الآية متقدمة في التلاوة على آية ﴿ وقد بلغتُ من الكبر عتياً ﴾ وهي في المخطوطة متأخرة فتنبه له والله يرعاك .

(٤ـ٥ـ٦) انظر الآثار في الطبري ١٦/٤٨ وابن كثير ٥/٢٠٧ والدر المنثور ٤/٢٥٩ والبحر المحيط ٦/١٧٤ .

(٧) هو الإمام الزجاج صاحب معاني القرآن ، وقد تقدمت ترجمته .

يُشْفِقُ أن يورثَ مالهُ ، للحديث المأثور[1] .

١٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ [آية ٧] .

أي قلنا يازكريا .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [آية ٧] .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ ، عن عكرمة ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : لم يُسَمَّ أحدٌ ــ قبْلَ يحيى ــ بيحيي غيرُه[2] .

ورَوَى سفيان عن أبيه عن حَسَّان بن أبي الأشرس[3] : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِياً ﴾ قال : عِدْلاً[4] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ، قال : مِثْلاً[5] .

(١) عبارة الزجاج في معانيه ٣/٣٢٠ : وقال قومٌ لايجوز أن يقول زكريا إنه يخاف أن يُورث المال ، لأن أمر الأنبياء والصّالحين أنهم لايخافون أن يرثهم أقرباؤهم ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال « إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة» ومعنى الآية : يرثني ويرث آل يعقوب النبوة . اهـ وهذا هو الصحيح ، وهو ما اختاره المحققون ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٢٠٧ : سأل اللهَ ولداً يكون نبياً بعده ، ليسوسهم بنبوته ، فأجيب إلى ذلك ، لا لأنه خشي من وراثتهم له ماله ، فإن النبي أعظم منزلةً ، وأجلُّ قدراً ، أن يشفق على ماله إلى هذا الحدِّ. اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٥٠ والدر المنثور ٤/٢٥٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم والحاكم وصححه قال : لم يُسمَّ أحد يحي قبله .

(٣) في المخطوطة « حسان أبي الأشرس » وصوابه حسان بن أبي الأشرس كما في الجرح والتعديل للرازي ٢/٢٣٥ وكذلك في التقريب ١/١٦١ قال : هو والد حبيب صدوق من السادسة .

(٤ــ٥) انظر الطبري ١٦/٤٩ وابن كثير ٥/٢٠٧ والدر المنثور ٤/٢٦٠ .

قال أبو جعفر : ويقوِّي هذا أنَّ أهلَ التفسير منهم ابنُ جريج قالوا في قولِ اللَّهِ ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾[1] أي مِثْلاً ، أي شريكاً .

١٢ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ** ﴾ [آية ٨] .

قال أبو إسحاق : أراد أن يعلم من أيِّ جهةٍ يُولَدُ له ، وامرأتُهُ عاقرٌ ، وقد كَبِرَ[2] !؟

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا « العاقر » و « العِتِيَّ » قبل هذا .

١٣ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾ [آية ٩] .

أي الأمرُ كما قيل لك .

ثم قال تعالى ﴿ **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً** ﴾ [آية ٩] .

أي شيئاً موجوداً .

١٤ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ..** ﴾ [آية ١٠] .

أي علامة تدلُّ على وقوع ما بُشِّرْتُ بِهِ .

---

(١) سورة مريم آية ٦٥ .
(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٢١ .

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [آية ١٠] .

قال عكرمةُ ، وقتادةُ ، والضَحَّاكُ : أي من غير خَرَسٍ[١] .

١٥ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ﴾ [آية ١١] .

قال أهل التفسير : كان موضعاً مرتفعاً .

وكذلك هو عند أهلِ اللغة ، كأنه على حَرْبَةٍ لارتفاعه ، ومنه قيل محرابٌ للموضع الذي يُصلَّى فيه كأنه أرفع المجلس .

١٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِم ..﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي فأومأ إليهم[٢] .

وروى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضحاك قال : كَتَبَ لهم ، فذلك الوحيُ[٣] .

١٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية ١١] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قَتَادة قال : صَلُّوا ، وذلك معروفٌ في اللغة ،

---

(١) انظر الأثر في جامع البيان ٥٢/١٦ وتفسير ابن الجوزي ١٤٩/٥ والدر المنثور ٢٦٠/٤ .

(٢ــ٣) انظر جامع البيان للطبري ٥٤/١٦ وابن كثير ٢١٠/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ١٤٩/٥ قال الزجاج ٣٢١/٣ : قيل معنى ﴿أوحى إليهم ﴾ أومأ إليهم ورمز ، وقيل : كتب لهم في الأرض بيده .

ومنه يقال للصلاة : سُبْحَة[1] .

١٨ ــ **ثم قال جل عز** ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ..**﴾ [آية ١٢] .

في الكلام حذفٌ ، لعلم المُخَاطَب .

المعنى : فوهبنا له يحيى ، فقلنا : يا يحيى خذ الكتاب بقوةٍ[2] .

قال مجاهد : أي بجدٍّ[3] .

وقال غيره : أي بجدٍّ وعونٍ من الله[4] .

١٩ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ [آية ١٢] .

قال عبدالرزاق : أخبرنا مَعْمرٌ ، قال : بلغنا أن الصبيان قالوا ليحيى وهو صبيٌّ : تَعَالَ حتَّى نلعبَ ، فقال : ما لِلَّعِبِ خُلِقنا ، فقال جلَّ ثناؤه : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾[5] .

---

(١) في الصحاح ٣٧٢/١ : السُّبْحَةُ : التطوُّعُ من الذِّكر والصلاة ، تقول : قضيتُ سُبحتي ، أي صلاتي ، والسُّبحةُ بالضمِّ : خرزاتٌ يُسبَّح بها ، والتسبيحُ : التنزيهُ . اهـ قال الطبري ٥٤/١٦ : ومعنى الآية : أومى إليهم أن صلُّوا بُكرةً وعشيّاً .

(٢) قال ابن جرير ٥٤/١٦ : أي فوُلد لزكريا يحيى ، فلمَّا وُلد ، قال الله له : يايحيى خذ هذا الكتاب بقوة يعني بجدٍّ .

(٣ــ٤) الأثر عن مجاهد في الطبري ٥٥/١٦ والدر ٢٦٠/٤ والقول الثاني هو قول الزجاج في معانيه ٣٢١/٣ .

(٥) الأثر في الطبري ٥٥/١٦ وابن كثير ٢١٠/٥ ومعنى الآية : أعطيناه الفهم والعلم ، ورجاحة=

قال **أبو جعفر** : هذا معنى كلامه .

قال **عكرمة** : الحُكْمُ : اللُّبُّ(1) .

قال **قتادة** : كان ابن سنتَيْنِ ، أو ثلاث(2) .

٢٠ ـــ ثم قال تعالى ﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَّدُنَّا﴾ [آية ١٣] .

روى **شعبةُ عن سماك عن عكرمة** قال : الحَنَانُ : الرحمةُ(3) .

وكذلك هو عند أهل اللغة ، وأصلُه من حنينِ الناقةِ على ولدها ، قال طَرَفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا
حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ(4)

= العقل ، وهو حَدَثٌ صغير السنِّ ، لم يبلغ مبلغ الرجال ، قال ابن عباس : كان ابن سبع سنين ، وقال قتادة ومقاتل : كان ابن ثلاث سنين .

(١ ـــ ٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٥/١٥٠ والدرالمنثور للسيوطي ٤/٢٦١ فقد ذُكرت فيهما هذه الآثار .

(٤) البيت لطرفه بن العبد وهو في ديوانه ص ١٨٧ وفي الكامل ص ٣٤٨ والجمهرة ٣/٤٤٩ واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ٢/٣ والطبري ١٦/٥٦ والقرطبي ١١/٨٧ وابن الجوزي ٥/١٥٠ وابن عطية ٩/٤٣٩ وهو في اللسان والتاج مادة حنن .. ويستشهد به النحويون على أن « حَنَانَيْكَ » نُصبت على المصدر ، النائب عن الفعل ، وقد ثنيَّ « حَنَانيكَ » لإرادة التكثير ، لأن التثنية أول مراتب التكثير ، وقد اشتهرت قصة طَرَفة مع الملك « عمرو بن هند » المكنى أبا منذر ، يقول الشاعر :
لقد أفنيت كثيراً منا فكن رحيماً ببقيَّتنا وإذا أردت عقاباً فليكن بأهون العقاب وأخفه والشطر الثاني يُضرب مثلاً للأخذ بأقل الشرين .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [آية ١٣] .

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال : الـزكاةُ : العقـلُ الزَّاكي الصَّالحُ(١) .

وقال قتادة : الزكاةُ : الصدقة((٢)) .

٢٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، ويَوَمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية ١٥] .

رَوَى قتادةُ عن الحسن قال : لمَّا لقي يحيى عيسى عليهما السلام ، قال له يحيى : أنت خيرٌ منيٍّ ، قال عيسى : بل أنت خيرٌ منيِّ ، سلَّم اللهُ عليك ، وسلَّمتُ على نفسي(٣) .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [آية ١٦] .

أي تنحَّتْ وتباعدتْ .

(١ــ٢) انظر الأثرين في الطبري ٥٨/١٦ وابن الجوزي ١٥٠/٥ والدر المنثور ٢٦١/٤ ومعنى «صدقة» أن الله تعالى جعله صدقة تصدَّق بها على أبويه .*

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٩/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ١٥١/٥ والسيوطي في الدر ٢٦٢/٤ عن الحسن البصري ، ولفظه « التقى يحيى وعيسى ، فقال يحيى لعيسي : أنت خيرٌ مني .. » الأثر .

ونَبَذتُ الشيءَ : رميْتُ بِهِ .

وقيل : إنَّها قصدتْ مطلعَ الشمسِ ، لتغتسل من الحيض(١) .

وقيل : لتخلو بالعبادة(٢) .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فأرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ..**﴾ [آية ١٧] .

رَوَى عليُّ بنُ الحَكَمِ عن الضحاك قال : جبريلُ صلَّى الله عليه وسلم(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنَّ غيره قال هو « عيسى »(٤) .

يدلُّ على ذلكَ قوله تعالى ﴿ **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا** ﴾ وعيسى بشرٌ .

(١ ــ ٢) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن الجوزي ١٥٢/٥ والبحر المحيط ١٧٩/٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦٠/١٦ وابن كثير ٢١٤/٥ وابن الجوزي ١٥٢/٥ وهو الصحيح وبه قال الجمهور .

(٤) حكى هذا القول الزجاج في معانيه ٣٢٢/٣ عن بعضهم وردَّه ، قال : ومما يدلُّ على أنَّ جبريل هو الروح قوله تعالى ﴿ فتمثَّل لها بشراً سوياً ﴾ وقال ابن كثير ٢١٤/٥ : أرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ، فتمثَّل لها على صورة إنسان تامٍّ كامل ، وهذا قول الجمهور مجاهد ، والضحاك ، وقتادة والسدي ، وغيرهم ، وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ، وما حُكي أنه « روح عيسى » فهذا في غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه من الاسرائيليات . اهـ .

٢٥ ـ **وقوله جل وعز** ﴿ **قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ [آية ١٨] .

قال أبو إسحاق: أي فإن كنت تقياً فستتَّعظُ بتعوُّذي باللَّهِ جَلَّ وعزَّ منك[1].

وقال غيره : « إن » بمعنى « ما » . والأوَّلُ أولَى .

٢٦ ـ **ثم قال جل وعز** ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾ [آية ١٩] .

ويُقرأ ﴿ **لأَهَبَ لَكِ** ﴾[2] .

فمعنى لأَهَبَ بالهمز محمول على المعنى . أي قال : أرسلتُهُ لأهبَ لكِ .

ويحتمل ليهَبَ بلاهمز أي يكون بمعنى المهموز ، ثم خُفِّفتْ الهمزة .

وقيل المعنى : أرسلني اللهُ ليَهَبَ لك .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٣٢٣/٣ وفي البخاري ١١٧/٦ : وقال أبو وائل : «علمتْ مريمُ أنَّ التقيَّ ذو نُهْية » اهـ أي ينهاه دينه عن فعل القبيح .

(٢) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ لِأَهَبَ لكِ ﴾ بالهمز ، وقرأ أبو عمرو ، ويعقوب ، وورش ﴿ليهبَ لكِ﴾ بالياء ، والقراءتان سبعيتان وانظر النشر في القراءات العشر ٣١٧/٢ وانظر توجيه القراءات في معاني الزجاج ٣٢٣/٣ .

٢٧ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آية ٢٠] .

أي لم يمسسني على جهة تزوُّجٍ ، ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ ، أي لم يقربني على غير حد تزوُّجٍ .

٢٨ ـ وقوله جل وعز ﴿ قال كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ..﴾ [آية ٢١] .

أي الأمرُ كما قيل لكِ .

قال الكسائي : هو من جَاءَ ، وجئتُ بِهِ ، وأَجَأْتُهُ .

وهذا موافقٌ لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النَّخلةِ ، فقد جاء بها إليه ، قال زهير :

وَجَارٍ سَار مُعْتَمِداً إليكُم
أَجَاءَتْهُ المَخَافَةُ والرَّجَاءُ[1]

والمخاضُ : الحملُ .

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، وهو في ديوانه ص ٥٠٠ والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي عُبيدة ٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩ والشاهد فيه أن أجاءته بمعنى ألجأته واضطرته .

قال أبو عبيد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان قال مجاهد : كان حَمْلُ النخلةِ عجوةً[1] .

وقال غيرهُ : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ، فأنبت اللّهُ له رأساً ، وخَلَق فيه رُطباً[2] .

وقال ابن عباس : حملت وَوَضعت في ساعةٍ واحدة[3] .

وقال غيره : أقامت ثمانيةَ أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يُوْلَدُ مولودٌ لثمانيةِ أشهر فيعيش[4] .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ **فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ** ﴾ يدلُّ على طولِ المُكْثِ[5]والله أعلم

٢٩ ـــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾ [آية ٢٢] .

قال مجاهد : أي قاصياً[6] .

(١ ـــ ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) رُوي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ : والمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن . الخ .

(٦) الأثر في الطبري ٦٣/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال القرطبي ٩٢/١١ : أي تنحّت بالحمل إلى مكان بعيد .

قال الكسائي : يقال : قَصَا يقصو أي بَعُدَ ، وأقصاه اللّهُ ، وأَقْصَى الشَّيءَ : أبعَدَه(١) .

٣٠ ـ **وقوله جل وعز ﴿ فَأَجاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ .. ﴾** [آية ٢٣] .

قال ابن عباس ومجاهد : أي فألجأَهَا المخاضُ(٢) .

قال الكسائي : هو مَن جَاءَ ، وجئتُ بِهِ ، وأَجَأْتُهُ .

وهذا موافقٌ لقول ابن عباس ومجاهد ، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النَّخلةِ ، فقد جاء بها إليه ، قال زهير :

وَجَارٍ سَار مُعْتَمِداً إليكُمْ
أَجَاءَتْهُ المَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ(٣)

والمخاضُ : الحملُ .

---

(١) حكاه الجوهري في الصحاح ٢٤٦٢/٦ قال : قَصَا المكانُ يَقْصُو قُصُوّاً : بَعُد ، فهو قَصِيٌّ وقصوتُ عن القوم : تباعدتُ ، والقَصَا : البعدُ والناحيةُ ، ويُقال : فلان بالمكان الأقصى ، والناحية القُصْوى .

(٢) أي اضطرَّها ، وهو تعدية جاء ، يقال : جاء به ، وأجاءه بمعنى واحد ، والأثر أخرجه الطبري ٦٤/١٦ والسيوطي في الدر ٢٦٧/٤ قال في اللّسان : أجاءه إلى شيء : جاء به ، وألجأه واضطَّره إليه . اهـ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى ، وهو في ديوانه ص ٥٠٠ والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي عُبيدة ٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩ والشاهد فيه أن أجاءته ، بمعنى ألجأته واضطرته .

قال أبو عبيد : حدثنا عبدالرحمن عن سفيان قال مجاهد : كان حَمْلُ النخلةِ عجوةً[1] .

وقال غيرُه : كان جِذْعاً بلا رأس ، وكان ذلك في الشتاء ، فأنبت اللهُ له رأساً ، وخَلَقَ فيه رَطباً[2] .

وقال ابن عباس : حملت ووضعت في ساعةٍ واحدة[3] .

وقال غيرِه : أقامت ثمانية أشهر ، وتلك آية ، لأنه لا يَوْلَدُ مولودٌ لثمانيةِ أشهر فيعيش[4] .

قال أبو اسحاق قوله تعالى : ﴿ **فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخلَةِ** ﴾ يدلُّ على طولِ المُكْثِ[5] . والله أعلم .

٣١ ـ ثم قال تعالى ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ..﴾ [آية ٢٣] .

أي لو خُيِّرتُ بين الموت وهذا ، لاخترتُ الموتَ .

٣٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا﴾ [آية ٢٣] .

قال عكرمة : أي حيضةً ملقاةً[6] .

(١ ـ ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ٦٥/١٦ وابن كثير ٢١٧/٥ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ .

(٤) رُوي هذا عن عكرمة كما حكاه عنه الحافظ ابن كثير ٢١٦/٥ وانظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٢٤/٣ وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول ، فقال ٢١٧/٥ : والمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن !!

(٦) الأثر في الطبري ٦٦/١٦ والدر المنثور ٢٦٧/٤ قال ابن جرير : أي ليتني متُّ قبل هذا الكرب ، وكنتُ كخرق الحيض التي إذا طُرحت لم تُطلب . ولم تُذكر ، وذكره الحافظ ابن كثير ٢١٨/٥ عن السُّدِّي ، وهذا القول حكاه الفراء في معانيه ١٦٥/٢ فقال : والنِّسْيُ : ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها .

والنَّسْيُ عند أهل اللغة على ضربين :

أحدهما : ما طال مكثُه فنُسِيَ .

والآخر : الشيءُ الحقيرُ الذي لا يُعْبَأ به[1] .

وقرأ محمد بن كعب[2] : ﴿ **وكنتُ نِسْئاً** ﴾[3]

وقرأ نَوْفٌ ﴿ **وكنْتُ نَسْأً** ﴾[4] .

وهو من نَسَأَ الله في أَجلِهِ : أي أخرَّه .

قال حمَّادُ بنُ سَلَمة : قال لي عاصم : كيف تقرأ « فَأَجَأَهَا » ؟ قلت : أقرؤها ﴿ **فأَجَاءَهَا** ﴾ فقال : إنما هو « فَاجَأَ » من المفاجأة[5] .

٣٣ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا ..** ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) قال ابن عطية ٩/٤٤٨ : والنَّسْيُ في كلام العرب : الشيءُ الحقيرُ ، الذي من شأنه أن يُنسى ، فلا يُتألم لفقده ، كالوتد والحبل ونحوه .

(٢) محمد بن كعب أبو حمزة القرظي ، تابعي ، ولد في حياة النبي ﷺ ونزل الكوفة ثم رجع إلى المدينة توفي سنة ١٠٨هـ قال عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وانظر ترجمته في طبقات القراء ٢/٢٣٣ .

(٣ــ٤) القراءتان بالهمز من الشواذ كما في المحتسب ٢/٤٠ وأما قراءة ﴿ نِسْياً ﴾ بكسر النون فهي من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع والكسائي ، وانظر السبعة ص ٤٠٨ .

(٥) على هذا القول لاتكون اللفظة من « جاء » وإنما تكون من « فَاجَأَ » أي ظهر له بغتة ، وهذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/٣٩ .

كذا رُوِيَ عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ ، والبراءِ بنِ عازبٍ ، وإبـراهيم النخعي ، أنهم قرءوا ﴿مَنْ﴾ بالفتح ، وتأوَّلوه على أنه « عيسى » عليه السلام[1] .

وقرأ ابن عباس وعمرو بن ميمون والضحاك ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ وفسّروهُ أنه جبريل صلَّى الله عليه وسلم[2] .

قال الضحاك : كان جبريل أسفل منها ، فناداها من ذلك الموضع . ﴿ **أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾[3] .

روى سفيانُ عن أبي إسحاق عن البراء ، قال : السّريُّ : الجَدْوَلُ ، والنهرُ الصغير[4] .

وكذلك هو في كلام العرب ، قال لَبيد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا
مَسْجُورَةً مُتَجاوِزاً قُلَّامُهَا[5]

(١ـ٢) القراءتان من القراءات السبع كما في السبعة ص٤٠٨ والنشر ٣١٨/٢ الأولى قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ﴿ مَنْ تَحْتَهَا ﴾ على أن « مَنْ » اسم موصول بمعنى الذي ، أي ناداها الذي هو تحتها ، وهو عيسى بن مريم ، وقرأ الباقون ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ على أن « مِنْ » حرف جر والمراد به جبريل عليه السلام .

(٣ـ٤) انظر الأثرين في الطبري ٦٧/١٦ والدر المنثور ٢٦/٤ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٥٠/٩ .

(٥) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته المشهورة في شرح العشر ص٧٦ وهو في الجمهرة ٣٦٣/٢ ومجاز القرآن ٥/٢ والطبري ٧١/١٦ والقرطبي ٩٤/١١ والمحرر الوجيز ٤٥٢/٩ والشاهد فيه أن السريَّ : النهر الصغير ، أي توسط العير والأتان جانب النهر الصغير .

٣٤ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً ..﴾** [آية ٢٦] .

رَوَى سَلْمانُ التيميُّ عن أنس قال : صَمْتاً[1] .

وذلك معروف في اللغة : يقال لكلِّ مُمسكٍ عن كلام ، أو طعام : صائمٌ ، كما قال الشاعر :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ
تَحْتَ العَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا[2]

صيامٌ ممسكةٌ عن الحركة ساكنةٌ .

٣٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾** [آية ٢٧] .

قال مجاهد : أي عظيماً[3] .

وقال سعيد بن مسعدة[4] : أي مختلقاً ، مفتعلاً .

يُقال : فَرَيتُ ، وأَفْرَيتُ ، بمعنىً واحِدٍ[5] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٦/٧٤ وابن كثير ٥/٢٢٠ والبحر المحيط ٦/١٨٥ .

(٢) البيت للنابغة الذُّبياني من قصيدته المشهورة « بانت سعادُ وأمسى حبلُها انصرما » وهو في التاج واللسان « صوم » وفي مجاز القرآن ٢/٦ وفي الكامل ص ٤٨٣ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٦/٧٦ وابن كثير ٥/٢٢٠ والدر المنثور ٤/٢٧٠ .

(٤) « سعيدُ بنُ مَسْعَدةَ » هو المعروف بالأخفش الأوسط ، نحويٌّ لغويٌّ ، أخذ عن سيبويه والخليل ، توفي سنة ٢١٥ هـ وانظر سير النبلاء ٧/١٨٨ ومعجم المؤلفين ٤/٢٣٧ .

(٥) قال ابن عطية ٩/٤٥٩ : الفريُّ : العظيمُ الشنيعُ قاله مجاهد والسُّدِّي ، وافتراه : اختلقه وهو =

قال قطرب : زعم أبو خَيْرةَ العَدَوِيُّ أنَّ « الفَرِّيّ » الجديدُ من الأسقية .

قال قطرب : فكأنَّ معنى « فَرِيٍّ » بديع ، وجديد ، لم يُسْبَق إليه ، قال : وكأنَّ معنى « افترى على الله » جاء بأمرٍ بديع جديد لم يكن .

وقال أبو عبيدة : فريٌّ عجيب[1] .

٣٦ ــ وقوله جل وعز ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ.. ﴾ [آية ٢٨] .

روى مَعْمرٌ عن قتادة قال : كان هارونُ صالحاً من قومهما ، فقالوا : ياشبيهة هارون[2] .

قال أبو جعفر : ويقويٍّ هذا الحديث المرفوع « كانوا يتسمون

= من الفرية ــ يعني الكذب ــ وفراه يفريه : شقَّه وأفسده . اهـ وانظر الصحاح مادة فَرَا ٢٤٥٤/٦ .

(١) مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٧/٢ قال : ﴿ شيئاً فرياً ﴾ أي عجباً فائقاً ، وكذلك كل شيء فائق ، من عجب أو عمل فهو فريٌّ . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٧/١٦ ولفظه قال : كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون ، فشبَّهوها به فقالوا : ياشبيهة هارون في الصلاح ، قال الحافظ ابن كثير ٢٢١/٥ والمعنى : ياشبيهة هارون في العبادة أنت من بيتٍ طاهرٍ طيب ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك ؟

بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم »[1] .

٣٧ ــ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾** [آية ٢٨] .

أي فاجرةً ، والبغاءُ : الزنا[2] .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز ﴿ فأَشَارَتْ إِلَيْه ..﴾** [آية ٢٩] .

والمعنى : فأشارت إلى عيسى أن كلِّمُوهُ ، ودلَّ على هذا قولُه تعالى : **﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا﴾** [آية ٢٩] .

قيل : « كان » ها هنا زائدة[3] ، لأن الناس كلهم لا يخلون من أن يكونوا هكذا .

وقيل : « كان » بمعنى وَقَع ، وخُلِق .

---

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٣ عن المغيرة بن شعبة قال : لما قدمتُ نجران سألوني ــ يعني النصارى ــ فقالوا إنكم تقرءون ﴿ ياأخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : إنهم يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » وأخرجه أحمد في المسند ٢٥٢/٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٠/٤ .

(٢) قال في الصحاح : بغت المرأةُ بِغَاءً بالكسر والمدِّ : أي زَنَتْ ، فهي بَغِيٌّ ، والجمعُ بغَايَا ، يُقال : قامت على رءوسهم البغايا . اهـ مادة بغى .

(٣) هذا قول لأبي عُبيدة في مجاز القرآن ٧/٢ واستدل بقول الشاعر : « وجيرانٍ لنا كانُوا كِرَام » أي وجيرانٍ كرام . وهذا القول ردَّه ابن الأنباري كما في جامع الأحكام ١٠٢/١١ حيث قال : لايجوز أن يُقال زائدة وقد نصبت « صَبِيًّا » ولا أن يُقال : « كان » بمعنى حَدَث ، لأنه لو كان بمعنى =

وقيل : فيه معنى الشرط أي من كان صبياً فكيف نكلمه[1] ؟

٣٩ ـ **وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَما كُنْتُ ..﴾** [آية ٣١] .

رَوَى سفيانُ عن سِمَاكٍ عن عِكرمة في قوله تعالى **﴿ آتَانِي الكِتَابَ ﴾** قال : قضى أن يُؤْتِيَنِه[2] .

وقيل معنى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةَ والزَّكَاةِ﴾ [آية ٣١] .

أي أوصاني بالصَّلاة ، والطهارة .

٤٠ ـ **وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﴾**[٣٤] .

أي ذلك الذي قال هذا « عيسى بن مريم » عبدالله[3].

٤١ ـ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾** [آية ٣٤] .

= الحدوث والوقوع لاستغنى فيه عن الخبر ، تقول : « كان الحَرُّ » وتكتفي به ، قال : والصحيح أن « مَنْ » في معنى الجزاء ، و« كان » بمعنى يكن ، التقديرُ : من يكن في المهد صبيًّاً فكيف نكلِّمه ؟ كما تقول : كيف أعطى من كان لايقبل عطية ؟ أي من يكن لا يقبل هدية .

(١) هذا هو الذي اختاره ورجحه الزجاج في معانيه ٣/٣٢٨ قال : وهو أجود الأقوال .

(٢) الأثر في الطبري ١٦/٨٠ وابن كثير ٥/٢٢٣ ولفظه عن عكرمة قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما قضي .

(٣) عبارة الزجاج في معانيه ٣/٣٢٠ : أي ذلك الذي قال ﴿إنِّي عبدالله﴾ هو عيسى بن مريم ، لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله ، وأنه إله الخ وهو أوضح وأصرح مما ذكره المصنف ، قال الحافظ ابن كثير ٥/٢٢٣ : أول شيء تكلَّم به ، أن نزَّه جناب ربه تعالى ، وبرَّأ اللَّهَ عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه . اهـ .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال : حدثنا سَلَمةُ ، قال : حدثنا عبدالرزاق ، قال : أنبأنا معمرٌ عن قتادة في قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيْه يَمْتَرُونَ** ﴾ قال : « اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعةَ نَفَرٍ ، أخرج كلُّ قوم عالمهم ، فامْتَروْا في عيسى حين رُفع ،

فقال أحدهم : هو اللَّهُ هبط إلى الأرض ، أحيا من أحيا ، وأماتَ من أماتَ ، ثم صعِدَ إلى السَّماء ، وهم « اليعقوبية » قال : فقال الثلاثة : كذبْت .

ثم قال اثنان منهم للثالث : قل فيه ، قال : هو ابنُ اللَّهِ ، وهم « النسطورية » قال : فقال الاثنان : كذبتَ .

ثم قال الاثنان للآخر : قلْ فيه ! قال : هو ثالث ثلاثة ، اللهُ إلهٌ ، وهو إلهٌ ، وأمُّه إلهٌ ، وهم « الإسرائيلية » ملوك النصارى .

قال الرابع : كذبتَ ، بل هو عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وروحُه ، وكلمتُه ، وهم المسلمون ، فكانت لكل رجل منهم اتباعٌ على ما قال ، فاقتتَلُوا فَظَهروا على المسلمين ، فذلك قولُ اللَّهِ جَلَّ وعز : ﴿ **وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾[1]

---

(١) سورة آل عمران آية ٢١ .

قال قتادة : وهمُ الذين قال الله ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾[1] . اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً[2] .

٤٢ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آية ٣٧] .

رَوَى مباركٌ عن الحسن قال : يوم القيامةِ[3] .

٤٣ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا** ﴾ [آية ٣٨] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادةَ ، قال : ذلك واللَّهِ يوم القيامة ، سمعوا حين لاينفعهم السَّمعُ ، وأبصروا حين لاينفعهم البَصَرُ[4] .

قال أبو جعفر : والمعنى عند أهل اللغة : ماأسمعهم وأبصرهم يوم القيامة !؟ لأنهم عاينوا ما لايحتاجون معه إلى فكرٍ ولا رويَّة .

٤٤ ــ **وقوله تبارك وتعالى** : ﴿ **وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) سورة مريم آية ٣٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٨٤/١٦ وابن كثير ٢٢٥/٥ والقرطبي ١٠٦/١١ وأبو حيان في البحر المحيط ١٩٠/٦ والسيوطي في الدر ٢٧١/٥ ونسبه إلى عبدالرزاق ، وابن أبي حاتم .

(٣ــ٤) انظر الأثرين في جامع البيان للطبري ٨٦/١٦ والدر المنثور ٢٧١/٤ قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٧٢/٩ : ومعنى الآية : ما أسمعهم وأبصرهم يوم يرجعون إلينا ويرون ما نصنع بهم من العذاب !!

رَوَى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : « إذا استقرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجنة ، وأهلُ النَّارِ في النار ، جيء بالموتِ في صورة كبش أملح[1] ، فيُنادَى يا أهلَ الجنة ، فيشرئِبُّونَ[2] ينظرون ، ثم يُنادَى يا أهل النَّار ، فيشرئِبُّونَ ينظرون ، فيُقال : أتعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وليس منهم إلاَّ من يعرفه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يُقال : يا أهل الجنة خلود لا موت فيه ، ويا أهل النار خلود لا موت فيه ، فذلك قول الله جلَّ وعز : ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ** ﴾[3] .

ورَوَى أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

(١) قال في النهاية ٣٥٤/٤ : الأملحُ : الذي بياضُه أكثرُ من سواده ـ قاله الكسائي ـ وقيل : هو النقيُّ البياض .

(٢) في الصحاح ١٥٤/١ : اشرأبَّ للشيء اشرِئْباباً : مدَّ عُنُقَه لينظر . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم برقم ٢٨٤٩ في كتاب الجنة والنار ٢١٨٨/٤ وأحمد في المسند ٩/٣ والترمذي رقم ٢٥٦١ في الجنة ولفظ الحديث كما في الصحيحين « يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبشٍ أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﷺ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمرُ وهم في غفلةٍ وهم لايؤمنون ﴾ وفي رواية الترمذي : فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهلُ الجنة ، ولو أن أحداً مات حُزناً لمات أهلُ النار » .

سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال في الدنيا[1] .

وحدثنا **أسامة بن أحمد** ، قال : حدثنا هارون بن سعيد الأَيْليُّ ، قال : حدثني أنسُ بنُ عياض قال : أخبرني محمد بن عَمْرٍو ، وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطّلعون خائفين وجلين ، أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطّلعون فرحين مستبشرين ، رجاء أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا !؟ فيقولون : نعم ياربنا ، هذا الموت ، فيؤمر به فيُذْبح على الصِّراطِ ، ثم يقال : ياأهل الجنة خلوداً فيما تجدون لا موتَ فيه أبداً »[2] .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ .. ﴾** [آية ٤١] .

والمعنى : واذكر في الكتاب الذي أُنزِل عليك ــ وهو القرآنُ ــ قصَّة إبراهيم ، وخبرَه .

---

(١) الرواية في صحيح مسلم عن معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري : وأشار بيده إلى الدنيا أي أهل الدنيا في غفلة ، اهـ صحيح مسلم ٢١٨٨/٤ .

(٢) أخرجه السيوطي في الدر بنحوه ٢٧٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردوية ، ورواه الطبري في تفسيره قريباً منه ٨٨/١٦ وقد سقط من المخطوطة تتمة الحديث وهي : « ويا أهل النار خلوداً لا موت فيه أبداً » .

٤٦ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ إنَّه كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [آية ٤١] .

صدِّيقٌ مأخوذٌ من الصِّدْقِ ، وفيه معنى المبالغة والتكثير[١] ، يقال : لمن صدَّق باللّهِ وأنبيائه ، وفرائضه ، وعملَ بها « صدِّيقٌ » ومنه قيل لأبي بكر : صدِّيقٌ .

٤٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ يا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ ..﴾ [آية ٤٤] .

والمعنى : لا تطعه فيما يأمرك به ، من الكفرِ والعصيان ، فتكون بمنزلة من عَبَده .

ورَوَى عليُّ بنُ الحَكَم عن الضَّحَّاكِ ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بالقول[٢] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يقال رَجَمَه ورَمَاهُ : إذا شَتَمه ، ومنه قوله تعالى ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ﴾[٣] .

٤٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [آية ٤٦] .

---

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣/٣٣١ إن الصِدِّيق اسم للمبالغة في الصِّدق .

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن الجوزي ٥/١٦٦ قال : بالشتم والقول ، وقال الحسن : لأرجمنك بالحجارة .

(٣) سورة النور آية ٤ .

قال سعيد بن جبير ومجاهد : أي حيناً[1] .

وقال الحسن : أي زماناً طويلاً[2] .

وقال عكرمة : أي دهراً[3] .

وقال الضحاك : أي سالماً ، لا تصيبُك مني مَعَرَّةٌ[4] .

قال أبو جعفر : القولُ عند أهل اللغة أنه بمعنى زَمَاناً ، ودهراً .

قال الكسائي : يُقال : هجرتهُ مليّاً ، ومِلْوَةً ، وَمُلْوَةً ، ومَلَاوَةً ، ومُلَاوَةً[5] .

قال أبو جعفر : ومنه « تملَّ حَبِيبَك » أي عِشْ معه دَهْراً ، ومنه أمليتُ له ، ومنه قيل لِلَّيل والنَّهارِ : المَلَوان ، كما قال الشاعر :

○ أَمَلَّ عَليْها بالبِلَى المَلَوَانِ ○ [6]

(١، ٢، ٣، ٤) انظر هذه الآثار في جامع البيان لابن جرير ٩١/١٦ وتفسير ابن كثير ٢٣٠/٥ وتفسير ابن عطية ٤٧٨/٩ والدر المنثور للسيوطي ٢٧٢/٦ والبحر المحيط لأبي حيان ١٩٥/٦ وتفسير القرطبي ١١/١١ .

(٥) قال في اللسان مادة مَلَا : المَلَاوةُ ، والمُلَاوةُ ، والمَلَا ، والمَلِيُّ ، كلُّه مدَّةُ العيش ، يُقال : ملَّاك اللهُ حبيبك : أي متَّعك به وأعاشك معه طويلاً ، ويُقال لمن لبس الجديد : أبليت جديداً ، وتملَّيتَ حبيباً أي عشت معه زمناً من الدهر ، وفي التنزيل ﴿ واهجرني مليّاً ﴾ أي طويلاً ، والمَلَوان : الليلُ والنهار . اهـ وانظر الصحاح أيضاً .

(٦) هذا عجز بيت لتميم بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي مخضرم ، وهو في ديوانه ص ٣٣٥ مطلع قصيدة له أولها :
=

٤٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [آية ٤٧] .

الحفيُّ : اللَّطيفُ البارُّ .

يُقال : حَفِيَ بِهِ ، وتحفَّى : إذا بَرَّهُ .

أي كان يجيبُني إذا دعوتُه(١) .

٥٠ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [آية ٥٠] .

أي أبقينا عليهم ثناءً حَسَنَاً .

قال أبو جعفر : ومعروفٌ في اللغة أن يُجعل اللسان موضع القول ، لأن القول به يكون ، كما قال الشاعر :

إنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا
مِنْ عَلْو لا عَجَبٌ مِنْها وَلَا سَخَرُ(٢)

= أَلَا يا دِيارَ الحَيِّ بالسَّبُعانِ أَمَلَّ عَلَيْهَا بالِبلى المَلَوانِ
وهو في خزانة الأدب ٢٧٥/٣ وفي لسان العرب مادة مَلَا .

(١) قال ابن الجوزي ٢٣٨/٥ ﴿ حفياً ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لطيفاً ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال ابن زيد والزجاج . والثاني : رحيماً ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : باراً بي ، عوَّدني منه الإجابة إذا دعوته . اهـ .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث ، وهو في جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥ وفي اللسان مادة لسن وقد ورد بلفظ « إني أَتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بها .. » الخ واستشهد به ابن جرير =

٥١ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً ﴾** [آية ٥١] .

أي أخلصناه فجعلناه مختاراً خالصاً من الدَّنَسِ .

ومعنى « مُخْلِصاً » بكسر اللَّام : وحَّدَ اللَّهَ عزَّ وجل بطاعته ، وأخلَصَ نفسَه من الدَّنَسِ[1] .

٥٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾** [آية ٥٢] .

حدثنا الحسن بن عمر الكوفي قال : حدثنا هنادٌ ، قال : حدثنا وكيعٌ وقبيصةُ عن سُفيانَ عن عَطَاءِ ابن السَّائب ، عن سعيدِ بن جُبَيرِ ، عن ابن عباس ، في قول اللَّه ﴿ **وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ قال : أُدنيَ حتى سَمِع صَرِيفَ القلم[2] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّه كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا ﴾** [آية ٥٦و٥٧] .

قيل : إنه سأل مَلَكَ الموتِ أن يُرِيَه النَّارَ ، فأراه إيَّاها ، ثم

= ٩٣/١٦ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٢/٩ وهو في تاج العروس أيضاً مادة علا قال ومعناه : أتاني خبر من أعالي نجد . اهـ والمرادُ بالسَّخَر السُّخريةُ والاستهزاء ، يريد أنه لا يعجب من هذه الأنباء ولا يسخر .

(١) قراءة ﴿ مُخْلِصاً ﴾ بكسر اللام هي قراءة السبعة من غير الكوفيين ، وهي قراءة الجمهور .

(٢) الأثر في الطبري ٩٥/١٦ ومراده أنه عليه السلام قد رفع إلى السماء حتى سمع أصوات الأقلام ، قال الزجاج في معانيه ٣٣٣/٣ : ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿ وكلَّم اللهُ موسى تكليماً ﴾ أي قرَّبه في المنزلة حتى سمع مناجاة الله عز وجل وكلامه .

سأله أن يُدخله الجنة فأدخله إياها ، ثم قال له : اخرج ، فقال : كيف أخرج ، وقد قال الله ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾[1] ؟!

قال أبو جعفر : فيجوز أن يكون اللَّهُ أعلَمَ هذا إدريس ، ثم نزل القرآن به .

وقيل معناه : في المنزلة والرتبة .

وأصحُّ من هذين القولين ، لعلوِّ إسناده ، وصحَّتِه ، ما رواه سعيدٌ عن قَتَادةَ قال : حدثنا أنسُ بنُ مالكِ بن صَعْصَعة أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أُسري بِهِ ، قَال : « رأيتُ إدريسَ في السَّماءِ الرابعة »[2] .

ورَوَى سفيانُ عن هارون عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ قال : السماء الرابعة[3] .

وروى الأعمشُ عن شمرِ بنِ عطية عن هلالِ بنِ إسَاف[4] ، قال : كنَّا عند كعب الأحبار إذْ أقبلَ عبدالله بن عباس ، فقال : هذا

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٢٤٢/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٤ والله أعلم بصحته .

(٢) حديث « رأى إدريس في السماء الرابعة » أخرجه البخاري ٢١٧/٦ ومسلم ١٥٠/١ .

(٣) الأثر رواه الطبري ٩٧/١٦ وابن كثير ٢٣٦/٥ والسيوطي في الدر ٢٧٤/٤ قال ابن جرير : ذُكر أن الله رفعه ، وهو حيٌّ إلى السماء الرابعة .

(٤) قال في التقريب ٣٢٥/٢ : هلالُ بنُ يِسَافٍ بكسر التحتانية ، ويُقال : ابن إسَاف الأشجعي الكوفي ، ثقةٌ من الثالثة . اهـ .

ابنُ عم نبيكم ، فوسَّعنا له فقال : يا كعبُ ما معنى ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا** ﴾ ؟ فقـال كعب : إن إدريس صلى اللـه عليـه وسلـم ، كان له صديقٌ من الملائكة ، وأوحى اللَّهُ إليه : إني أرفعُ لكَ كلَّ يوم مثـل عمـلِ أهل الأرض ، فقال إدريس للمَلَكِ : كلِّـمْ لي مَلَك الموتِ حتـى يؤخِّـرَ قبض روحي !! فحمله المَلَكُ تحت طرف جناحه ، فلمَّا بلـغ السمـاء الرابعة ، لقى ملك الموت فكلَّمـه ، فقـال : أيـن هو ؟ فقـال : ها هو ذا ، فقال : من العجب إني أُمرْتُ أن أقبض روحه في السماء الرابعة ، فقبضها هناك »[٣] .

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَخَلفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ..﴾ [آية ٥٩] .

قال أبو عبيد : حدثنا حجَّاجُ ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهـد ، قال : « ذلك عند قيـام الساعـة ، وذهـاب صالحي هذه الأمـة ــ أمَّـةِ محمد ــ يَنْزو بعضُهـم على بعض في الأَزِقَّةِ زِناً »[٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٦/١٦ عن هلال بن يساف ، وذكر القصة ، وأخرجه السيوطـي في الـدر المنثور ٢٧٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم وأخرجه ابـن عطيـة في المحرر ٤٩٠/٩ .. وهذا من الأخبار الاسرائيلية قال الحافظ ابن كثير ٢٣٦/٥ : « وقد رَوَى ابنُ جريـر ها هنـا أثـراً غريبـاً عجيبـاً ، وسرد الأثـــر ، ثم قال : وهــــذا من أخبـــار « كعـب الأحبـــار » من الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم» اهـ أقـول : وجـه النكـارة أن الأعمـار محدودة ، فكيف يطلب منه تأخير قبض روحه ؟

(٢) الأثر في الطبري ٩٩/١٦ وابن كثير ٢٣٩/٥ وزاد المسير ٢٤٥/٥ والدر المنثور ٢٧٧/٤ كلهـم عن مجاهد .

قال أبو جعفر : الخَلْفُ بتسكين اللَّامِ لايستعمل إلا للرّديء ، كما قال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ في أَكْنَافِهِمْ
وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

فإذا قلت : خَلَفَ بتحريك اللام فهو للجيد ، كما يُقال : « جَعَلَ اللهُ فيك خَلَفاً من أبيك » .

٥٦ ـ ثم قال جل وعز ﴿ أضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ..﴾ [آية ٥٩] .

قال القاسم بن مخيمرة(٢) : « أضاعوها » : أخَّروها عن وقتها ، ولو تركوها لكفروا(٣) .

وقيل : أضاعوها تركوها البتة .

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، وهو في ديوانه ص١٥٣ والشاهد فيه أن الخَلْفَ بإسكان اللام هو الذي يخلف غيره بالشرِّ والسوء ، يقول : ذهب الكرام الذين يُنتفع بهم وبصحبتهم وبقيت في قوم لا خير فيهم ، كجلد الأجرب الذي لاينتفع به .

(٢) القاسم بن مخيمرة الهمداني كوفي الأصل قال عنه يحيى بن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق ثقة ، وقد ورد في المخطوطة « القاسم بن ضمرة » وهو تصحيف ، وصوابه القاسم بن مخيمرة ، وانظر الجرح والتعديل للرازي ١٢٠/٧ وكذلك الطبري ٩٨/١٦ والقرطبي ١٢٢/١١ فقد ذكروا أنه القاسم بن مخيمرة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٩٨/١٦ وابن كثير ٢٣٨/٥ ورواه السيوطي في الدر ٢٧٧/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

وهذا أشبهُ لقوله بعدُ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴾ وهذا يدلُّ على أنهم كفروا[1] .

٥٧ ـ ثم قال جل وعز ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [آية ٦٠] .

رَوَى سفيان عن أبي إسحاقَ عن أبي عُبَيْدةَ ، عن عبدِاللّهِ بنِ مسعودٍ قال : هو وادٍ في جهنم[2] .

قال أبو جعفر : والتقديرُ عند أهل اللغة : فسوف يلقون جزاءَ الغَيِّ ، كما قال جلَّ ذكره ﴿ وَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾[3] .

ويجوز أن يكون الوادي يُسمَّى غيَّاً ، لأنَّ الغاوين يصيرون إليه[4] .

---

(١) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ٩٩/١٦ أن المراد بإضاعة الصلاة تركها بالكلية ، لا تأخيرها عن الوقت ، قال الحافظ ابن كثير ٢٣٨/٥ : وهذا اختيار ابن جرير ، ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف إلى القول بكفر تارك الصلاة ، لحديث « بين الرجل وبين الشرك والكفر تركُ الصلاة » رواه مسلم ، والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » رواه الترمذي .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٠/١٦ وابن كثير ٢٤٠/٥ والدر المنثور ٢٧٨/٤ ولفظه كما في تفسير ابن كثير عن ابن مسعود قال : « وادٍ في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم » .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٤) انظر الصحاح مادة غوى فقد جاء فيه : الغَيُّ : الضلالُ ، والخيبةُ أيضاً ، غَوَى يَغْوي غيَّاً وغَوَايةً .. الخ .

٥٨ ــ وقولُه جل وعز ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ..﴾ [آية ٦١] .

جنات إقامةٍ ، يُقال : عَدَنَ بالمكان : إذا أقام به ، ومنه قيل « مَعْدِنٌ » لمُقَامِ أهله به شتاءً وصيفاً ، لاينتجعون منه[١] .

٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ [آية ٦١] .

« مَأْتِيٌّ » مفعولٌ من الإتيان ، وكلُّ ما وصَلَ إليك فقد وصلتَ إليه ، كما تقول : وصل إليَّ من فلان خيرٌ ، ووصلتُ منه إلى خير .

فالضعيفُ في العربية يقول : « مفعول » بمعنى « فاعل » .

٦٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلاَّ سَلاَماً﴾ [آية ٦٢] .

اللَّغْوُ : الباطلُ ، وما يُؤثم فيه ، وما لا معنى له .

والسَّلَامُ : كلُّ ما يسْلَم منه ، وهو اسمٌ جامعٌ للخير ، أي لايسمعون إلَّا كلَّ ما يحبُّون[٢] .

---

(١) قال الجوهري : عَدَنْتُ البلدَ : توطَّنْتهُ ، وعَدَنِتَ الإبلُ بالمكان : لزمتْه فلم تبرح ، ومنه جنَّاتُ عدنٍ أي جنات إقامة ، ومنه سُمِّي المعدنُ بكسر الدال ، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء . اهـ الصحاح ٦/٢١٦٢ .

(٢) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٨ : السلام ليس من اللغو ، والعربُ تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه ، والمعنى : أنهم لا يسمعون فيها لغواً ، إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً . اهـ أقول : هذا ما يسميه علماء اللغة الاستثناء المنقطع ، لأن السلام ليس من اللغو .

٦١ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [آية ٦٢] .

رَوَى الضحاكُ عن ابن عباس قال : في مقادير اللَّيْلِ والنَّهار[1] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا أنَّ الجنة ليست فيها غَدَاةٌ ولا عَشِيَّةٌ ، ولكنِ المعنى : في مقادير هذه الأوقات[2] .

وقال قتادة : كانت العرب إذا وجد الرجل منهم ما يأكل بالغداة والعشيِّ ، عَجَب به ، فأعلمهم اللهُ أن ذلك في الجنة[3] .

٦٢ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ..** ﴾ [آية ٦٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير بنحوه ١٠٢/١٦ وهو في الدر المنثور ٢٧٨/٤ عن ابن عباس قال المفسرون : ليس في الجنة بكرة ولا عشية ، ولكنهم يؤتون برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون في الدنيا من الغداة والعشي ، وانظر زاد المسير ٢٤٧/٥ .

(٢) أخرج السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ عن الحسن أن رجلاً قال يارسول الله : هل في الجنة من ليل ؟ قال : وما هيجَّك على هذا ؟ قال : سمعتُ الله يذكر في الكتاب ﴿ ولهمْ رزقُهم فيها بُكرةً وعَشِيًّا ﴾ فقلت : الليلُ من البُكرة والعشي ، فقال رسول الله ﷺ : ليس هناك ليل ، وإنما هو ضوءٌ ونور ، يردُّ الغُدوّ على الرواح ، والرَّواحَ على الغُدوِّ ، وتأتيهم طَرَفُ الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، وتسلِّم عليهم الملائكة .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٢/١٦ والقرطبي ١٢٧/١١ والسيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر ، وفي رواية عن الحسن قال : كانوا يعدُّون النعيم ، أن يتغدَّى الرجل ثم يتعشَّى ، فقال الله لأهل الجنة ﴿ ولهم رزقهم فيها بُكرةً وعشِيّاً ﴾ اهـ .

روى عمرو بن ذرٍّ ، عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام : « لِمَ لَا تَزُورَنَا أكثرَ ممَّا تَزُورُنا » ؟ فأنزل اللّهُ : ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾(١) إلى آخر الآية ، وكان هذا الجواب له .

ورَوَى أبو حَصِينٍ عن سعيد بن جُبَير في قوله تعالى ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِينَا** ﴾ قال : من أمرِ الآخرة ﴿ **وَمَا خَلْفَنَا** ﴾ من أمرِ الدنيا ﴿ **وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ ما بين الدنيا والآخرة أي البرزخ(٢) .

٦٣ ــ **وقوله عز وجل** ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [آية ٦٤] .

قيلَ معناه : لم ينْسَكَ وإن تأخَّر عنك الوحيُ .

وقيل : هو عالمٌ بما كان ، وبما يكون ــ ولم يقع ــ وما هو كائنٌ . لم ينقطع ، حافظٌ له ، لم يَنْسَ منه شيئاً(٣) .

٦٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [آية ٦٥] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١١٨/٦ وأحمد في المسند ٢٣١/١ والترمذي في كتاب التفسير ٢٩٦/٥ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ورواه السيوطي في الدر ٢٧٨/٤ وابن كثير في تفسيره ٢٤٣/٥ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٤/١٦ وابن كثير ٢٤٥/٥ والبحر المحيط ٢٠٣/٦ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٥ .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٣٧/٣ والقول الأول مرويٌّ عن ابن عباس كما في زاد المسير ٢٥٠/٥ واختاره ابن جرير الطبري .

رَوَى اسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال : هل تعلمُ أحداً سمِّيَ الرحمنُ سواه[1] ؟

قال أبو جعفر : وهذا أجلُّ إسنادٍ علمته رُوي في هذا الحرف ، وهو قولٌ صحيح ، لا يُقال : « الرَّحمنُ » إلاَّ للَّهِ ، وقد يقال لغير اللَّهِ : رحيمٌ .

وقد بيَّنا لِمَ لا يُقال « الرحمنُ » إلاَّ للَّهِ ، في سورة الحمد[2] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ ؟ قال : مِثْلاً[8] .

وروى حَجَّاج عن ابنِ يجُريجٍ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ قال : لا شريك له ، لا مِثْلَ[4] .

وقيل : هل تعلمُ أحداً تقول له « اللَّهُ » إلاَّ هو[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة .

وإنما المعنى : هل تعلمُ أحداً يُقالُ له هذا ، على استحقاقٍ إلاَّ

---

(١)و(٢)و(٣) انظر الآثار في الطبري ١٠٦/١٦ وزاد المسير ٢٥١/٥ وابن كثير ٢٤٥/٥ والدر المنثور ٢٧٨٩/٤ وانظر الجزء الأول صفحة ٥٤ في خصوصية لفظ « الرحمن » لربِّ العالمين .

(٤) الأثر رواه ابن جرير عن ابن جريج ١٠٦/١٦ والسيوطي في الدر ٢٧٩/٤ .

(٥) هذه رواية عطاء عن ابن عباس ، كما ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥١/٥ .

اللَّهُ ، لأنه الذي وسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ ، وهو القادرُ ، والرَّازقُ[1] .

وقيل المعنى : إنَّ اسمه المذكور في هذه الآية ، لا يُسمَّى به غيرُه ، وهو ﴿ **رَبُّ السَّموات والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما** ﴾ !!

٦٥ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **وَيَقُولُ الإنْسَانُ أَئِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً . أَوَ لَا يَذْكُرُ الإنْسَانُ ..**﴾ [آية ٦٦] .

أي أو لايتفكَّرُ وينظر ، ويذكره بعلم ، ويتبيَّنهُ[2] ؟

٦٦ ــ **وقوله جل وعز** ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّم جِثِيّاً**﴾ [آية ٦٨] .

قال مجاهدٌ وقتادةُ : أي على رُكبهم[3] .

---

(١) هذا قول الزجّاج في معانيه ٣٣٨/٣ فقد جاء فيه : وتأويلُه واللهُ أعلمُ : هل تعلم له سَمِيّاً يستحقُّ أن يُقال له : خالقٌ ، وقادرٌ ، وعالمٌ بما كان وما يكون ، فذلك ليس إلَّا من صفة الله تعالى .

(٢) في القرطبي ١٣١/١١ : قُرِيء ﴿يَذَّكَّرُ﴾ بالتشديد ، وأصله يتذكَّرُ ، لقوله تعالى ﴿ إنما يتذكَّرُ أولو الألباب ﴾ وفي مصحف أُبِّي ﴿ أَوَلَا يتذكَّرُ ﴾ وهذه القراءةُ على التفسير ، لأنها مخالفة لخطِّ المصحف ، ومعنى « يتذكَّر » يتفكَّر ، ومعنى « يَذْكُرُ » يتنبَّهُ ويعلم ، قاله النحاس . اهـ .

(٣ــ٥) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٠٧/١٦ والبحر المحيط ٢٠٨/٦ والمحرر الوجيز ٥٠٨/٩ وزاد المسير ٢٥٣/٥ والدر المنثور ٢٨٠/٤ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الهامش ، قال أبو حيان في البحر ٢٠٨/٦ : « ولمَّا أقام تعالى الحجة الدامغة على حقيقة البعث ، أقسم على ذلك باسمه مضافاً إلى رسوله ، تشريفاً له وتفخيماً ، وقد =

والمعنى : أنهم لشدَّةِ ما هم فيه ، لايقدرون على القيام .

٦٧ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا ﴾** [آية ٦٩] .

رَوَى سفيان عن عليِّ بنِ الأقْمر ، عن أبي الأحوص ، قال : يُبدأ بالأكابر جُرماً(٤) .

ومعنى هذا القول : نبدأ بتعذيب أكبرهم جرماً ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه .

قال مجاهد : ﴿ **مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ** ﴾ : [من كل أمَّة ﴿ **عِتِيًّا** ﴾] أي كفراً(٥) .

٦٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ﴾** [آية ٧١] .

في هذه الآية خمسةُ أقوال :

أ ــ **قيل وُرُودُها** : دخولُها ، لأنَّ بعدَهُ ﴿ **وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا** ﴾ .

وإنما يقال ﴿ **نَذَرُ** ﴾ لِمَا حَصَل ، فينجيِّ اللَّهُ الذين اتَّقَوْا ، ويصيرون إلى رحمتِهِ ، فيعْرِفون مقدار ما خُلِّصوا منه ، لأنهم قد دخلوا النَّارَ وخُلِّصُوا منها ، وهذا قولُ ابن عباس ، وإسناده جيِّدٌ .

= تكرَّر هذا القَسَمُ في القرآن ، تعظيماً لحقِّه ورفعاً منه ، كما رفع من شأن السماء والأرض بقوله « فوربِّ السَّماء والأرضِ إنه لحقٌّ » . اهـ .

روى سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ عن عمروٍ بنِ دينارٍ ، قال : تَمَارَى ابنُ عباس ونافعُ بنُ الأزْرقِ ، فقال نافع : ليس الورودُ الدخولُ ، وقال ابن عباس : هو الدخول أرأيت قولَ اللَّه تعالى ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾[1] ؟

أَوردُوا أم لا ؟ وقوله تعالى ﴿ **وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** ﴾[2] فأمَّا أَنَا وأنتَ فسنَرِدُها ، وأرجو أن يخرجني الله منها ، ولا يخرجكَ منها لتكذيبك[3] فقال له نافع : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه** ﴾ .

رَوَى مَعْمرٌ عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات له ثلاثةٌ لم يبلغوا الحِنْثَ ، لم تمسَّه النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَم »[4] .

يعني الورود .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٩٨ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/١٦ وابن كثير ٢٤٨/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٠/٤ وفي رواية أخرى ذكرها الحافظ ابن كثير : أن ابن عباس قال له : ويلك أمجنونٌ أنت ؟ أين قوله تعالى ﴿ يَقْدُمُ قومَهُ يوم القيامةِ فأوردَهُمُ النَّار ﴾ وقوله ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ واللهِ إن كان دعاء من مضى « اللهمَّ أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنَّة غانماً ﴾ اهـ . ابن كثير ٢٤٨/٥ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٩٣/٢ وفي كتاب الأيمان ١٦٧/٨ وأخرجه مسلم في كتاب البِرِّ رقم ٢٦٣٢ ومعنى « لم يبلغوا الحنث » أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ، ويجري عليهم القلم بكتابة الحِنْثِ وهو الإثم هـ أفاده ابن الأثير في النهاية ٤٤٩/١ .

ب ـ **وقيل** : يردها المؤمنون وهي جامدة .

روى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بنِ معدان قال : « إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، قالوا يارب : ألَمْ توعدنا أنَّا نَرِدُ النَّار ؟ فيقول: قد وردتموها وهي جامدة »[1] .

جـ ـ **وقيل** : يعني القيامة .

د ـ **وقيل** : ﴿ **وإنْ مِنْكُمْ إلَّا وَارِدُهَا** ﴾ ، يُراد به المشركون ، واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ ﴿ **وَإنْ مِنْهُم إلاَّ وَارِدُهَا** ﴾[2] .

هـ ـ **والقولُ الخامس** : أنَّ ورودَها بلاغُها ، والممرَّ بها .

رَوَى معمرٌ عن قتادَةَ ﴿ وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وارِدُهَا ﴾ قال : الممرُّ بها[3] .

ورَوَى الحسنُ بن مسلم ، عن عُبيدِ اللّهِ بنِ عُمَيْرٍ ﴿ **وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ .

قال : حضُورها[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٦/١٠٩ وفي بعض الروايات « قد مررتم عليها وهي خامدة » وأخرجه في الدر ٤/٢٨١ وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر ٩/٥١١ والمراد بها على هذه القراءة ﴿ وإن منهم ﴾ الكفار ، وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣ـ٤) انظر الأثرين في الطبري ١٦/١١٠ وزاد المسير ٥/٢٥٦ والدر المنثور ٤/٢٨١ .

فهـذه خمسةُ اقـوال، واللَّـه أعلـمُ بما أرادَ ، إلا أنـه معـروفٌ في كلامِ العـرب ، أن يُقـال : وردْتُ كَذَا أي بَلَغْتـهُ ، ولم أدخلـه ، قال زهير :

فَلَمَّـا وَرَدْنَ المَــاءَ زُرْقَـاً جِمَامُـهُ
وَضَعْـنَ عِصِيَّ الحَـاضِرِ المُتَخَيِّـمِ(١)

وقرأ أُبيٌّ بنُ كعب ﴿ **ثُمَّ نُنَحِّي الَّذِينَ** اتقَوْا ﴾(٢) أي في ذلك الموضع .

قال أبـو جعفـر : وأَبيـنُ ما في هذه الأقوال ، قولُ من قال : ﴿ **وإنْ مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَـا** ﴾ : إنَّهـا القيامـةُ ، وقولُـه تعـالى ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُمْ** ﴾ يدلُّ على ذكرِ القيامةِ ، فكنى عنها بهذا .

وكذلك ذكر جهنم ، يدلُّ على القيامـة ، لأنها فيها ، واللَّـهُ جلَ وعز يقول : ﴿ **لَاخَوفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون** ﴾ فيبعـدُ أن يكـون مع

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه ص ١٣ وفي القرطبي ١٣٧/١١ والبحر المحيط ٢٠٩/٦ ومعاني الزجاج ٣٤٢/٣ وزاد المسير ٢٥٦/٥ وفي اللسان ، والتاج . والشاهد فيه : (وردن الماء) أي بلغن إلى الماء وإن لم يدخلنه ، وجِمُامُ الماء أي الكثير المنجمع ، ووضعُ العصيِّ والتخيُّم كناية عن الإقامة والاستقرار .

(٢) هذه القراءة ﴿ نُنَحِّي ﴾ بالحاء المهملة من القراءات الشاذة ، وليست من السبع ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٧/٥ .

هذا دخولُ النار[١] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾[٢] .

٦٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَإِذَا تُتَلَى عَلَيهم آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَينِ خَيرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [آية ٧٣] .

رَوَى أبو ظِبْيَانَ[٣] عن ابنِ عبَّاسٍ في قوله ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً ﴾ قال : منزلاً ، ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ قال : مجلساً[٤] .

قال الكسائي : النديُّ ، والنَّادي : المجلسُ[٥] .

---

(١) خلاصة القول في هذه المسألة ، أن السلف اختلفوا في معنى الورود ، فقال ابن عباس : الورودُ : الدخولُ ، لايبقى برٌّ ولا فاجر إلاَّ دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، ويبقى الأشرار والفجار فيها يصلون حرَّها ، وقال ابن مسعود وقتادة : الورودُ : المرورُ عليها حين اجتياز الصراط ، ولعل هذا القول أصحُّ وأرحم ــ أجارنا الله منها ــ وهذا القول هو الذي رجحه الزجاج في معانيه ٣٤١/٣ حيث قال : وحجتهم في ذلك جيدة جداً ، فإن العرب تقول : وردتُ ماء كذا ولم تدخله ، وتقول : وردتُ بلد كذا وكذا : إذا بلغته ولم تدخله ، قال : والحجة القاطعة في هذا القول قول الله عز وجل ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولـئك عنها مبعدون ﴾ هـ .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤١١ ، والنشر ٣١٨/٢ .

(٣) « أبو ظبيان » هو حُصَيْن بن جُنْدب بن الحارث الجَنْبي الكوفي ، تابعي ثقة مات سنة ٨٩هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٧٩/٢ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١١٦/١٦ وابن كثير ٢٥٢/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٣/٤ .

(٥) وكذلك قال الفراء في معانيه ١٧١/٢ قال : ﴿ نديًّا ﴾ : مجلساً ، والنَّدِيُّ والنَّادي لغتان .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : نَدَوْتُ القومَ أَنْدُوهم أي جمعتهم ، ومنه قيل « دار الندوة » لأنهم كانوا يجتمعون فيها إذا حَزَبَهم الأمر ، ومنه قوله تعالى ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** ﴾[1] .

٧٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هُم أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْيَاً ﴾** [آية ٧٤] .

روى الأعمش عن أبي ظِبيان عن ابن عباس قال : الأثاثُ : المتاعُ ، والرِّئيُ : المنظرُ[2] .

قال أبو جعفر : والأثاث في اللغة : المتاع ، وقال الأحمر : واحدتُه أَثَاثَة[3] .

وقال الفراء : لا واحد له[4] .

وكذلك الرِّئيُ : المنظرُ ، من رأيتُ ، أي ما ترى في صورةِ

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٩ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٧/١٦ وابن كثير ٢٥٣/٥ والبحر المحيط ٢١٠/٦ وفي البخاري ١١٧/٦ ﴿ وَرِءْياً ﴾ منظراً .

(٣) في الصحاح ٢٧٢/١ : الأَثَاثُ : متاع البيت ، وقال أبو زيد : الأثاث : الإبلُ . والغنمُ ، والعبيدُ ، والمتاعُ ، الواحدةُ أَثَاثَة . اهـ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٧١/٢ فقد جاء فيه : الأَثَاثُ : المتاعُ ، والرِّءْيُ : المنظرُ ، والأثاثُ لا واحد لهُ ، كما أن المتاع لا واحد له .

الإنسان ، ولباسه ، ويُقرأُ ﴿ وريًّا ﴾[1] بلا همز ، وهو جيد على تخفيف الهمز .

وهو حَسَنٌ ها هنا لتتَّفق رُؤوسُ الآيات .

ويجوز أن يكون من الرّيّ والنعمة .

وقال الأخفش : يجوز أن يكون من رَيِّ المطر ، والزِّيُّ بالزاي : الهيئةُ والحُسْنُ ، يُقال : زَيَّتُ المرأةَ أي زيَّنتُها وهيَّأتُها[2] .

٧١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مدًّا ﴾** [آية ٧٥] .

يُقالُ : ما معنى الأمر ها هنا ؟

قال أبو جعفر : الجوابُ أنَّ هذا أبلغ ، فلو قلتَ : إن تجئْني فلأُكرِمْكَ ، كان أبلغ من قولك : إن تجئني فأُكْرِمُكَ ، وإنما صار أبلغ ، لأن فيه معنى الإلزام[3] .

---

(١) هذه قراءة ابن عامر ، وأهل المدينة ﴿ وَرِيًّا ﴾ بغير همز ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤١١ .

(٢) ذكره الفراء في معانيه ١٧١/٢ فقال : قُرِىء ﴿ وَزِياً ﴾ والزِيُّ : الهيئة والمنظر ، والعرب تقول : قد زَيَّتُ الجارية أي زيَّنتُها وهيَّأتُها . اهـ .

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر ٥٢٢/٩ فقال : هي لام أمرٍ دخلت على معنى الخبر ، ليكون أوكد وأقوى . اهـ وقال القرطبي ١٤٤/١١ قال : ومعنى الآية فلْيدعْهُ في طغيانه وكفره ، فلفظُهُ لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، وهذا غاية في التهديد والوعيد . اهـ .

٧٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتىَّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ .. ﴾ [آية ٧٥] .

العذابُ ها هنا : أن ينصر اللَّهُ المسلمين عليهم ، فيعذِّبُوهم بالقتل والسَّبي .

والساعةُ : القيامةُ أي : وإمَّا تقومُ القيامة فيصيرون إلى النار ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُو شَرٌّ مَكانًا ﴾ إذا صاروا إلى النار ، ﴿ وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ إذا نصر اللَّهُ المسلمين عليهم[1] .

٧٣ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى .. ﴾ [آية ٧٦] .

قيل : نزيدهم هدىً بالناسخ والمنسوخ[2] .

وقيل : نزيدهم هدىً مجازاةً .

وقد ذكرنا معنى ﴿ البَاقِيَات الصَّالِحَاتِ ﴾ في سورة الكهف[3] .

---

(١) هكذا قال ابن جرير ١١٩/١٦ وابن عطية ٥٢٣/٩ وصاحب البحر المحيط ٢١٢/٦ والمعنى : من كان في ضلاله ، فلْيُمهِلْهُ الرحمن ، ولْيَدَعْه في طغيانه ، حتى يلقى ربَّه ، وينال عقابه ، ولينتظر حتى يشاهد ما يحِلُّ به ، فيسعلمون عندئذٍ أيُّ الفريقين شرٌّ منزلة عند الله ، وأقلُّ فئة وأنصاراً ، هل هم الكفارُ أم المؤمنون ؟

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٤٤/٣ قال : بالناسخ والمنسوخ بنحو ما كان من صوم رمضان ، من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يُطعم مسكيناً ويُفطر ، فنسخ ذلك بإلزام الصوم . اهـ والأقرب أن المعنى : ويزيد الله المؤمنين المهتدين ، بصيرةً وإيماناً وهداية ، بسبب أعمالهم الصالحة .

(٣) انظر صفحة (٢٤٨) من هذا الجزء .

٧٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَفَرَأَيتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ [آية ٧٧] .

قال أبو جعفر : حدثنا عبدُاللَّه بنُ أحمدَ بن عبد السَّلام ، قال : حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادة ، قال : حدثنا شعبةُ ، عن سليمانَ ، عن أبي الضُّحى عن مسروقٍ ، عن خَبَّاب قال : « كنتُ قَيْناً[1] في الجاهلية ، فعملتُ للعاصِ بنِ وائل ، حتى اجتمعتْ لي عليه دراهم ، فجئتُ أتقاضاه ، فقال : لا أَقضيكَ حتى تكفر بمحمدٍ ﷺ ، فقلت : لا أكفُرُ بمحمدٍ حتى تموتَ وتبعث ، قال : وإني لمبعوث ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه سيكونُ لي ثَمَّ مالٌ وولَدٌ فأَقضيَكَ ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَر بِآيَاتِنَا . وقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾[2] ؟! إلى آخر القصة .

قال أبو جعفر : وهذا معنى الحديث .

---

(١) قَيْناً : أي حدَّاداً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦ ومسلم رقم ٢٧٩٥ في باب صفات المنافقين ، والترمذي في التفسير رقم ٣١٦٢ وقال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح . أقول العاصُ بن وائل هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور ، وقولُ خبَّاب : « لا أكفر حتى تموت ثم تبعث » هو من باب السخرية والاستهزاء لأن الفاجر كان ينكر البعث والنشور ، فهو قد علَّقه على ما يستحيل بزعمه سخريةً وتهكماً ، وانظر ما كتبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٢٩/٨ حول هذا الحديث .

٧٥ ـ وفي قوله تعالى ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ [آية ٧٨] .

أقوالٌ :

قال سفيان : عملاً صالحاً[(١)] .

وقيل : العهدُ ها هنا : توحيدُ اللَّهِ ، والإيمانُ به[(٢)] .

وقيل : العهدُ ها هنا : الوعدُ بما قال[(٣)] .

وقال الأسود بنُ زيد قال عبدالله : يقول الله عز وجلَّ يوم القيامة : « من كان له عندي عهدٌ فلْيَقُمْ ؟ فقالوا : يا أبا عبدالرحمن : فعلِّمْنا قال : قولوا : اللَّهمَّ فاطرَ السماوات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك عَهْداً في هذه الحياة الدنيا ، إنك إنْ تَكِلْني إلى عملي ، تُقرِّبني من الشرِّ ، وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلاَّ برحمتك ، فاجعله لي عندك عهداً تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة ، إنك لاتخلف الميعاد »[(٤)] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٢٢/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٥ .

(٢) هذا قول ابن عباس رواه عنه الضحاك كما في تفسير ابن كثير ٢٥٦/٥ .

(٣) هذا قول ابن السائب كما في زاد المسير ٢٦١/٥ والمعنى : أم اتخذ عند الله عهداً أنه سيدخله الجنة .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/١ ورواه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٩٤/٧ وزاد فيه : « إلاَّ قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إليَّ عهداً ، فأوفوه إيَّاه ، فيدخله اللهُ الجنة » .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، والعهدُ في اللغة : يكون الأمانُ ، ومنه أهل العهد ، ومنه قولُ اللّه تعالى ﴿ **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

قال أبو عُبَيْد : كأنه قال : لا أُؤَمِّنهم من عذاب يوم القيامة .

وكذلك قولُ قتادة ، قال : في الآخرةِ ، فأمَّا في الدنيا فقد أكلُوا وشربوا ، وعاشوا وأبصروا .

فإذا قيل للتوحيد عهدٌ ، فلأنه يُؤَمَّنُ به ، وكذلك الوعدُ .

٧٦ ــ **وقولُه جل وعز** ﴿ **ونَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدَاً** ﴾ [آية ٨٠] .

قال قتادةُ : أي نرثُه ما عنده ، أي قوله ﴿ **لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ .

قال : وفي قراءة ابنِ مسعود ﴿ **ونَرِثُهُ مَا عندهَ** ﴾[2] .

وقيل : نُبْقي عليه الإثم ، فكأنه موروثٌ .

قال أبو جعفر : قيل هذا مفسَّر في حديث خبَّابٍ ، قيل :

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) هذه القراءة ذكرها الطبري في جامع البيان ١٢٣/١٦ وهي محمولةٌ على التفسير ، لا على أنها من القراءات المعتبرة .

والمعنى ـــ واللَّهُ أعلمُ ـــ نسْلُبهُ مالَهُ وولَـدَهُ يوم القيامـة[1] ، أَلَا ترى أنَّ بعدَهُ ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ ؟!

قال أبو جعفر: وأصحُّ ما قيل في هذا ، أنَّ معنى ﴿ وَنَرِثُـهُ ما يَقُولُ ﴾ : نحفظُ عليه ما يقول ، حتى نوفِّيَهُ عقوبتَه عليه .

ومـن هذا حديثُ أبي الـدرداء عن النبـي ﷺ (العلمـاءُ ورثـةُ الأنبياء)[2] .

ومنه : ﴿ وَأَورثكم أَرْضَهُمْ وَدِيَارهُمْ ﴾[3] .

٧٧ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَـةً لِيَكُونُـوا لَهُـمْ عِزّاً ﴾ [آية ٨١] .

أي أعواناً[4] .

٧٨ ــ ثم قال سبحانه ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ..﴾ [آية ٨١] .

---

(١) هذا اختيـار الـطبري ١٦/١٢٢ والزجـاج ٣/٣٤٥ قال الـطبري : أي نسلب هذا القائـل مالـه وولده ، ويصير لنا مالُه وولدهُ دونه ، ويأتينا يوم القيامة وحده ، لا مال معه ولا ولد .

(٢) هذا طرف من حديث رواه أبو داود رقـم ٣٦٤١ والترمـذي رقـم ٢٦٨٣ وابـن ماجـة ، وأحمد ، وتتمته « وإن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمـن أخـذه أخـذ بحظٍّ وافـر » وانظر تمام الحديث في جامع الأُصول ٨/٥ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٧ .

(٤) قال ابن كثير ٥/٢٥٦ : أي يعتزُّون بهم ويستنصرونهم ، والقول الأول قول الزجاج .

« كلَّا » عند أهل العربية تنقسم قسمين :

أحدهما : أن يكون ردعاً وتنبيهاً ، وردّاً لكلام ، وهي ها هنا كذلك[1] ، أي ارتدعوا عن هذا ، وتنبَّهوا على وجه الضلالة فيه .

فإذا كانت كذا ، فالوقوفُ عليها التَّمام :

وتكونُ ردعاً وتنبيهاً ، ولا تكون رداً لكلامٍ ، نحو قوله تعالى ﴿ **كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى** ﴾[2] .

٧٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ ويكُونُونَ عَلَيهِمْ ضِدًّا﴾** [آية ٨٢] .

أي أعواناً .

قال مجاهد : أي تكون أوثانهم عليهم في النار ، تخاصمهم ، وتكذِّبُهُمْ[3] .

---

(١) هكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٤/٩ ﴿ وكلَّا ﴾ زجرٌ وردع ، والمعنى : ليرتدع ذلك الكافر الفاجر عن تلك المقالة الشنيعة ، فسنكتب ما يقوله ، ونضاعف له مدد العذاب ، وقد تأتي « كلَّا » بمعنى « حقًّا » كقوله سبحانه ﴿ كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ أي حقاً كما أشار المصنف .

(٢) سورة العلق آية ٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٤/١٦ وابن كثير ٢٥٧/٥ والسيوطي في الدر ٢٨٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

٨٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾** [آية ٨٣] .

في معناه قولان :

أحدهما : لم تعصمهم من الشياطين[1] .

والقول الآخر : قيَّضْنا لهم الشياطينَ ، مجازاةً على كفرهم[2] ، قال اللّه جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً** ﴾ .

ومعنى ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ في اللغة هاهنا : سلَّطنا .

ثم قال سبحانه ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ .

قال عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ ، عن ابن عباس قال : تُغْريهم إغراءً[3] .

قال ابن جُريج : الشَّياطينُ تَؤُزُّ الكافرين إلى الشرِّ : امضُوا ،

---

(١)و(٢) ذكرهما الزجاج في معانيه ٣٤٥/٣ فقال : في الآية وجهان : أحدهما : أن المعنى خلَّينا الشياطينَ وإيَّاهم ،فلم تعصمهم من القبول منهم . والثاني : وهو المختار ـــ سلَّطناهم عليهم ، وقيَّضناهم لهم بكفرهم . اهـ وانظر زاد المسير ٢٦٢/٥ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن الضحاك وابن عباس ١٢٥/١٦ وابن كثير ٢٥٧/٥ قال الفراء ١٧٣/٢ : أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها .

امضُوا ، حتَّى توقعهم في النار[1] .

قال قتادة : ﴿ **تَؤُزُّهُمْ** ﴾ أي تزعجهم إلى المعاصي[2] .

قال أبو جعفر : هذه الأقوالُ متقاربةُ المعاني ، وأصلُه من أَزَزْتُ الشَّيْءَ أَؤُزُّهُ ، أَزًّا ، وأَزِيزًا أي حَرَّكْتُه[3] ، ومنه الحديث « إن النبي ﷺ كان يُصلِّي ولجوفه أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَل »[4] أي من البكاء .

٨١ ــ **وقولُه جلَّ وعز :** ﴿ **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً** ﴾ [آية ٨٤] .

روى **هُشَيم عن أبي يزيد** عن أبي جعفر « محمد بن علي » في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً** ﴾ قال : كلّ شيءٍ حتى

---

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٢٥/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤ .

(٣) قال ابن فارس : يُقال : أزَّه على كذا : إذا أغراه به ، وأزَّتِ القِدْرُ : غَلَتْ ، وفي البخاري في التفسير ١١٧/٦ قال ابن عُيينة ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ : تُزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً ، وانظر زاد المسير ٢٦٢/٥ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/٤ عن مطرِّف بن عبدالله بن الشخِّير عن أبيه ، ولفظُه : قال « انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يُصلِّي ، ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل » وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ، والنسائي في السَّهو .

الأنفاس[1] .

٨٢ ــ **وقوله جلَّ اسمه** : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً** ﴾ [آية ٨٥] .

قال أهلُ التفسير : أي رُكْباناً .

قال النُّعمانُ بن سَعْدٍ : قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليه ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتقينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدَاً** ﴾ فقال : « أَمَا واللَّهِ لا يُحشرون على أقدامهم ، ولكنَّهم يُؤتون بنوقٍ ، لم تَرَ الخلائقُ مِثْلَها ، عليها أرحلة الذهب ، وأزمَّتُها الزَّبرجدُ ، ثم تنطلق بهم إلى الجنة ، حتى يقرعوا بابها »[2] .

٨٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّم وِرْدَاً** ﴾ [آية ٨٦] .

قال أهل التفسير : أي عطاشاً .

قال أهل اللغة : هو مصدرُ وَرَدْتُ ، فالتقدير عندهم : ذَوِي وِرْدٍ .

وقد حكوا أنه يُقال للواردين الماءَ : وِرْدٌ ، فلما كانوا يَرِدُونَ على

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٦/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤ وفي الطبري « عليها رحالُ الذهب ، وأزمَّتُها الزبرجدُ ، فيركبون عليها ، حتى يضربوا أبواب الجنة » .

النَّار ، كما يَرِدُ العِطَاشُ على الماء ، قيل لهم : « وِرْدٌ » فعلى هذا يوافق اللُّغةَ(١) .

٨٤ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ لَايَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾** [آية ٨٧] .

إن جعلتَ « مَنْ » بدلاً من الواو ، كان المعنى :

لا يملكُ الشَّفاعةَ إلاَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً ، فإنه يَشْفَع .

وإن جعلته استثناءً ليس من الأول(٢) ، كان المعنى :

لكِنْ مَنِ اتَّخذ عند الرحمن عَهْداً ، فإنه يَشْفع فيه .

٨٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدًّا﴾** [آية ٨٨و٨٩] .

قال مجاهد : أي عظيماً(٣) .

---

(١) قال الأزهري : ﴿ وِرْداً ﴾ أي مشاةً عطاشاً ، كالإبل تردُ الماءَ ، فيقال : جاء وِرْدُ بني فلان . اهـ تهذيب اللغة مادة ورد ، وفي التفسير : مشاةً عطاشاً تتقطع أعناقهم من العطش ، والوردُ : الماء الذي يورد . اهـ قرطبي ١٥٣/١١ .

(٢) يريد استثناءً منقطعاً ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، فتكون « إلَّا » بمعنى لكنْ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٢٩/١٦ والدر المنثور ٢٨٦/٤ قال أبو عُبيدة : الإِدُّ ، والنُّكْرُ : الأمرُ المتناهي العِظَم ، والأمرُ العظيم من أعظم الدواهي . اهـ مجاز القرآن ١١/٢ وقال الجوهري : الإِدُّ والإِدَّةُ : الداهيةُ والأمر الفظيع .

وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : جاء شيئاً إدًّا ، وجاءَ بشيءٍ إدٍّ .

وقرأ أبو عبدالرحمن السُّلَمِي ﴿ أَدًّا ﴾ بفتح الهمزة[1] .

والكسرُ أعْرَفُ .

قال أبو عبيد : ومنه الحديث أنَّ عبدالرحمن بن مُلجم ــ لعنه اللَّهُ ــ لمَّا هَمَّ بقتل عليٍّ رضوان الله عليه ، ذاكر فلاناً قال أبو عُبيد ــ وقد سمَّاه ــ فقال : ثكلتْكَ أمُّكَ ، لقد جئتَ شيئاً إدًّا ، أتقتلُ عليَّ بنَ أبي طالب ؟

٨٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزّ** : ﴿ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ** .. ﴾ [آية ٩٠] .

قال مجاهد : الإنفطارُ : الانشقاقُ[2] .

قال أبو جعفر : وذلك معروفٌ في اللغة ، يُقال : فَطَر نابُ البعير ، إذا انشقَّ اللحمُ وخَرَج .

٨٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً** ﴾ [آية ٩٠] .

أي سقوطاً .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٤٥/٢ قال ابن جني : والأَدُّ بالفتح : القوَّةُ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/١٦ والسيوطي في الدر ٢٨٧/٤ قال الطبري ومعنى الآية : تكاد السموات يتشقَّقن قِطَعاً من قيلهم اتخذ الرحمنُ ولداً ، وتكاد الأرضُ تنشقُّ فتتصدع من ذلك ، وتكاد الجبال يسقطُ بعضها على بعض ، قال : والهدُّ : السقوطُ .

٨٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً﴾** [آية ٩١] .

أي لأنْ دَعَوْا للرحمن ولداً ، ومن أن دَعَوْا .(١)

٨٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم الرَّحْمنُ وُدًّا﴾** [آية ٩٦] .

رَوَى مجاهدٌ عن ابنِ عباس قال : محبَّةً(٢) .

قال مجاهد : يحبهم اللَّهُ ، ويُحبِّبهم إلى خلقه(٣) .

٩٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ..﴾** [آية ٩٧] .

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه ٢/١٧٣ قال : « أَنْ » في موضع نصب بسقوط الخافض أي لأن دَعَوْا ، ومن أن دَعَوْا ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٢ معناه : أن جعلوا للرحمن ولداً ، وقال : وليس هو من دعاء الصوت . اهـ .

(٢،٣) انظر الأثرين في الطبري ١٦/١٣٣ وابن كثير ٥/٢٦٤ والدر المنثور ٤/٢٨٧ أقول : يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد الحديث الذي رواه مسلم في كتاب البر ٨/٤٠ وأحمد في المسند ٢/٤١٣ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أحبَّ الله عبداً ، دعا جبريلَ ، فقال ياجبريلُ : إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، قال : ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحبُّ فلاناً ، قال : فيحبُّه أهلُ السماء ، ثم يُوضع له القبول في الأرض .

وإن الله إذا أبغض عبداً ، دعا جبريل فقال ياجبريلُ : إني أُبغضُ فلاناً فأبغضْه ، قال : فيبغضُه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يُبغِضُ فلاناً فأبغضوه ، قال : فيُبغِضهُ أهلُ السماء ، ثم تُوضع له البغضاءُ في الأرض »

وفي رواية ابن أبي حاتم « فذلك قول الله عز وجل ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمنُ وُدًّا ﴾ وانظر تفسير ابن كثير ٥/٢٦٣ .

أي سهَّلناه ، وأنزلناه بلغتك .

٩١ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾ [آية ٩٧] .

رَوَى سفيان عن اسماعيل عن أبي صالح قال : عوجاً عن الحق(١) .

وقال مجاهد : الأَلَدُّ : الظَّالِمُ الذي لايستقيم(٢) .

وقال الحسن : اللُّدُّ : الصُّمُّ(٣) .

وقال أبو عُبيدة : هو الذي لايقبل الحقَّ ، ويدعِّي الباطل(٤) ، وأنشد :

إِنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينَاً
وَخَصِيمَاً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ(٥)

ويُروى « مِعلاق » بالعين(٦) .

(١ــ٣) انظر الاثار في جامع البيان للطبري ١٣٤/١٦ وجامع الأحكام للقرطبي ١٦٢/١١ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٢١/٦ وتفسير ابن كثير ٢٦٥/٥ والدر المنثور ٢٨٨/٤ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٣/٢ .

(٥) البيت لمُهَلهِل « عدي بن ربيعة » وهو في الكامل ص ٢٥ واللسان ، والتاج مادة غلق واستشهد به أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١٣/٢ وقال المبرِّد : ويُروى « ذا معلاق » فمن روى « ذا مغلاق » فتأويله أنه يُغلق الحجة على الخصم ، ومن قال : « ذَا مِعْلَاق » فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خَصْماً لم يتخلص منه ، وفي الصحاح ١٥٣١/٤ : « إن تحت الأحجار حزماً وجوداً » .

(٦) انظر لسان العرب ، والصحاح مادة علق .

قال أبو جعفر : أحسنُ هذه الأقوال : الأوَّل ، واللَّديدانِ : صفحتا العُنُقِ ، فكأنه تمثيلٌ .

٩٢ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ..﴾** [آية ٩٨] .

يقال : هل أَحْسَسْتَ صاحِبَكَ ؟ أي هل أبصرتَه ؟

٩٣ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾** [آية ٩٨] .

روى عليُّ بنُ الحكَمَ ، عن الضحَّاكِ ، قال : صوتاً[١] .

قال أبو جعفر : الرِّكزُ في اللغة : الصوتُ الخفيُّ ، الذي لا يكاد يُتبيَّنُ[٢] .

وصلَّى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم[٣] .

تمت سورة مريم ولله الحمد والمنَّة

* * *

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦/١٣٥ وابن كثير ٥/٢٦٥ والسيوطي في الدر ٤/٢٨٨ .

(٢) قال ابن قتيبة : الرِّكْزُ : الصوتُ الذي لايُفهم ، قال ابن كثير : والرِّكزُ في أصل اللغة هو الصوت الخفي . اهـ .

(٣) كتب في نهاية المخطوطة لنسخة دار الكتب المصرية العبارة الآتية : « تم الجزء الأوّل وصلى الله على خير خلقه محمد نبيِّه وعلى آله وسلَّم » قرأتُ به فصحَّ إن شاء الله .

تفسير سورة الحج

مدنية وآياتها ٧٨ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

« عونك يارب »

سورة الحج وهي مدنية[1]

قال أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد : سألتُ ابنَ عبَّاس فقال : سورةُ الحجِّ نزلتْ بمكة ، سِوَى ثلاثِ آياتٍ منها ، فإنهنّ نزلن بالمدينة ، في ستَّةِ نفر من قريش : ثلاثةٌ منهم مؤمنون ، وثلاثةٌ كافرون .

فأمَّا المؤمنون فهم « حمزةُ بن عبدالمطَّلب » و« عليُّ بن أبي طالب » و« عُبيدةُ بن الحارث » رضي الله عنهم .

دعاهم للبراز « عُتْبةُ » و« شَيْبةُ » ابْنا رَبِيعةَ و« الوليد بن عُتْبة » فأنزلَ اللهُ جلَّ وعزَّ ثلاث آياتٍ مدنيَّاتٍ ، وهنَّ قوله تعالى : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوْا فِي رَبِّهِمْ** .. ﴾[2] إلى تمام الآيات الثلاث من ذلك .

(١) هذه السورة هي بداية القسم الثاني من المخطوطة ، وهي مخطوطة اسطنبول ، ولم نجد في مخطوطة القاهرة تفسيراً لسورتي : طه ، والأنبياء ، ولا ندري هل هما مفقودتان أم أن المصنِّف لم يتناولهما بالتفسير ، وقد ذُكرت في هامش النسخة في أول الكتاب العبارة الآتية : أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل محمد بن ناصر قراءةً عليه ، قال : أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن الحسن بن الحسين الخِلعي المصري إجازة ، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعد الحوفي ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأُدْفويُّ ، قال : أخبرنا أبو جعفر النحاس .. الخ ثم بدأ بالرواية عن مجاهد .

(٢) سورة الحج آية ١٩ .

١ ــ **قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** [آية ١] .

رَوَى سُفيانُ عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عَلْقمة ، قال : هذا قبل يومِ القيامة[1] .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ..﴾** [آية ٢] .

أي تَسْلُو عنه ، وتتركه وتتحيَّر ، لصعوبةِ ما هي فيه .

وبيَّن اللّه جلَّ وعزَّ ذلك ، على لسان نبيّه ﷺ في أيِّ موطنٍ يكون هذا يوم القيامة ،

حدثنا أحمد بن عبدالخالق ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحَسَنِ الأَسَديُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا عصامُ بنُ طَلِيقٍ[2] ، عن دَاودَ بنِ أَبِي هنْدٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، عن مسروقٍ ، عن

(١) هذا القول هو المشهورُ ، أنَّ الزلزلة من أشراط الساعة ، وأنها تكون في الدنيا قبل يوم القيامة ، وهذا القول ذكره ابن جرير ١٧/١٠٩ عن علقمة ، والشعبي ، وروى الطبري قولاً آخر أن هذا يكون في الآخرة ، حين يقول الله تعالى لآدم : أَخرجْ بعث النار من ذريتك ، من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون ..» الحديث رواه الشيخان .

(٢) في المخطوطة « عاصم بن طليق » وصوابه « عصامُ بن طَلِيق » كما في التهذيب ٧/١٩٥ ولم أره بلفظ « عاصم » في كتب الرجال ، قال ابن حجر : هو عصام بن طَلِيق الطَّفاوي » بصري ، قال أبو زرعة : ضعيف الحديث ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وذكره العقيلي في الضعفاء . اهـ .

عائشةَ قالت : « كانَ النبيُّ ﷺ في حَجْري ، فقطرتْ دموعي على خَدِّه ، فاستيقظ ﷺ فقلتُ : ذكرتُ القيامةَ وهوْلَها ، فهل تذكرونَ أهاليكم يا رسولَ الله ؟ فقال يا عائشةُ : ثلاثةٌ لا يَذْكُرُ فيها أحدٌ إلاَّ نَفْسَه .

أ ـ عند الميزانِ حتَّى يعلمَ أيخفُّ ميزانُه أمْ يَثْقُل ؟

ب ـ وعندَ الصُّحف حتَّى يعلمَ ما في صحيفتهِ .

جـ ـ وعند الصِّراطِ حتَّى يُجَاوِزَهُ »[1] .

٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى .. ﴾ [آية ٢] .

أي وترى النَّاسَ سُكَارى من العَذَابِ والخوفِ ، وما هم بسُكارى من الشَّراب .

وقرأ أبو هريرة ، وأبو زُرعةَ بنِ عَمْروِ بنِ جرير[2] ﴿ وَتُرَى

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠١/٦ ورواه أبو داود في السنة رقم ٤٧٥٥ عن عائشة رضي الله عنها ، ولفظه قالت : « ذكرتُ النَّارَ فبكيتُ ، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيكِ ؟ قلتُ : ذكرتُ النَّار فبكيتُ ، فهل تذكرونَ أهليكم يوم القيامة ؟ فقال يا عائشة : أمَّا في ثلاثة مواطنَ ، فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزانِ حتَّى يعلم أيخفُّ ميزانه أم يثقلُ ؟ وعند تطاير الصحف ، حتَّى يعلمَ أينَ يقع كتابه ، في يمينه ، أم في شمالِهِ ، أم من وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وُضعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهنم ، حتى يجوز » .

(٢) هذه ليست من القراءات السبع وانظر الطبري ١١٥/١٧ وأبو زرعة اسمه هرم ، وقيل : عمروٌ ، قال ابن حجر في التقريب ٤٢٤/٢ : ثقة من الثالثة .

النَّاسَ ﴾ أي تظنُّهم لشدَّة ما هم فيه .

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثنا عبدالرزَّاق ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادة ، وأَبان عن أنسٍ بن مالكٍ قال : نزلت ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ..﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ .

قال : نزلتْ على النبيِّ ﷺ وهو في مَسِيرٍ له ، فرَفَعَ بها صوْتَهُ ، حتَّى ثَابَ[1] إليه أصحَابُهُ ، فقال : أتدرونَ أيُّ يومٍ هذا ؟ هذا يوم يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لآدمَ ، يا آدمُ قم فابعثْ بعثَ أهلِ النَّار ، من كلِّ ألفٍ تسعُمِائة وتسعةً وتسعين إلى النَّار ، وواحداً إلى الجنة !!

فكَبُر ذلك على المسلمين ، فقال النبي ﷺ : « سَدِّدُوا ، وقارِبوا ، وأَبْشِروا ، فوالَّذي نفسي بيدِهِ ، ماأنتم في النَّاس ، إلا كالشَّامةِ في جَنْبِ البعير ، أو كالرَّقْمةِ في ذِرَاعِ الدابَّةِ ، وإنَّ معكم لخليقتَيْن ، ما كانتا مع شيءٍ إلاَّ كثَّرتاهُ « يأجوجُ » و« مأجوجُ » ومن هلك من كثرة الجنِّ والإنس »[2] .

---

(١) ثابت إليه أصحابه : أي رجعوا إليه ، واجتمعوا عنده عند سماعهم صوته ﷺ .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٤٣٢/٤ عن « عمران بن حُصَين » ورواه الترمذي في تفسير سورة الحج ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر تحفة الأحوذي رقم ٣٢١٨ الجزء التاسع ص١٢ وتفسير ابن كثير ٣٨٦/٥ وقد ورد في المخطوطة « تسعة وتسعين إلى النار ، وواحداً في الجنة » بالفتح ، ولعل صوابه « تسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة » بالرفع كما في رواية الترمذي وتفسير ابن كثير .

٤ ـ **قال ابن جريج في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..﴾** [آية ٣] .

هو النضر بن الحارث[(١)] .

وقال غيره : ﴿ يُجادِلُ ﴾ يخاصِمُ في اللَّه ، بزعمِهِ أنَّ اللَّه جلَّ وعزَّ ، غيرُ قادِرٍ على إحياء من قَدْ بَلِيَ ، وعادَ تراباً **﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾**[(٢)] .

٥ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾** [آية ٣] .

أي ويَتبع قولَه ذلك وجدالَه ، كلَّ شيطانٍ مَريد[(٣)] .

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ قال قتادة : « أي على الشيطان »[(٤)] .

المريدُ : الممتدُّ في الشرِّ ، المتجاوزُ فيه ، ومنه قوله تعالى **﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾**[(٥)] .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٥/١٧ وابن كثير من رواية السدي عن أبي مالك ٣٩٠/٥ .

(٢) المرادانه يخاصم بغير علم صحيح ، من طريق الشرع أو العقل ، فهو يجادل عن جهل وسَفه ، وانظر فتح القدير للشوكاني ٤٣٦/٣ .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : وهذا حالُ أهلِ الضّلال والبدع ، المعرضين عن الحقِّ ، المتّبعين للباطل ، يتركون ما أنزله اللهُ على رسوله من الحقِّ المبين ، ويتّبعون أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلى البدع بالأهواء ، والآراء . اهـ تفسير ابن كثير ٣٨٩/٥ .

(٤) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري ١١٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٤ .

(٥) سورة النمل آية رقم ٤٤ .

قيل : مطوَّلٌ .

وقيل : مملَّسٌ[1] .

٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد وقتادة : أنه من تولَّى الشيطانَ أي تَبِعَه[2] .

قال أبو جعفر : والمعنى : قُضِيَ على الشيطان أنه يُضلُّ من اتَّبعه .

٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي إن كنتم في شكٍّ من أنكم تبعثون ، فتدبَّروا في أول خلقكم وابتدائكم فإنكم لاتجدون فرقاً بين الابتداء والإعادة .

٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ .. ﴾ [آية ٥] .

يعني آدم صلى الله عليه وسلم[3] . ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .. ﴾ .

---

(١) في المخطوطة « مجلسٌ » وهو تصحيف ، وصوابه « مملَّسٌ » وانظر الصحاح ٥٣٨/٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٦/١٧ والسيوطي في الدر ٣٤٤/٤ .

(٣) قال الطبري : أي ابتدأنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب ، ثم أنشأناكم من نطفة آدم . اهـ جامع البيان ١١٦/١٧ .

قال الخليل : العَلَقُ : الدَّمُ قبل أن يَيْبَس ، الواحدةُ عَلَقَةٌ ، وهكذا تَصِيرُ النُّطفةُ .

قال أبو عُبَيْد : العَلَق من الدَّم : ما اشتدَّت حمرتُه[1] .

٩ ـ ﴿ **ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ** ﴾

وهي لحمة صغيرة بقدر ما يُمْضغُ . ﴿ **مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ** ﴾ .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : تامَّةٍ ، وغير تامَّة[2] .

قال الشعبيُّ : النُّطْفةُ ، والعَلَقةُ ، والمُضْغةُ ، فإذا نُكِّستْ في الخلق الرابع كانت مخلَّقة ، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلَّقة[3] .

قال أبو العالية : غير مخلَّقةٍ : السِّقْطُ .

قال أبو جعفر : ﴿ **مُخَلَّقة** ﴾ : مصوَّرة ، ويُبيِّن ذلك هذا الحديث المرفوع عن النبي ﷺ ، وهو مرويٌّ من طُرُقٍ شتَّى .

فمن طُرقه ما رواه سَلَمةُ بنُ كُهَيْلٍ ، عن زيد بنِ وهبٍ ،

---

(١) قال الأزهري : العلقةُ الدَّمُ الجامدُ الغليظ ، ومنه قيل للدابة التي تكونُ في الماء : عَلَقةٌ ، لأنها حمراءُ كالدَّمِ ، وكلُّ دمٍ غليظٍ عَلَقٌ . تهذيب اللغة ١/٢٤٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٧/١١٧ والسيوطي في الدُّرِّ المنثور ٤/٣٤٥ .

(٣) الأثر في الدر المنثور ٤/٣٤٥ ، وهذا القول منقول أيضاً عن مجاهد ، وانظر ابن كثير ٥/٣٩٠ .

قال : سمعتُ ابن مسعودٍ يقول : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول ـــ وهو الصَّادقُ المصدوقُ ـــ : « يُجْمعُ خَلْقُ أحدِكُمْ في بطن أمِّهِ أربعينَ يوماً ، ثم يكونُ عَلَقةً أربعينَ يوماً ، ثم يكونُ مُضْغةً أربعينَ يوماً ، ثم يَبْعثُ اللَّه جلَّ وعزَّ إليه مَلكاً ، فيقولُ : اكتب عَمَله ، وأَجَلَهُ ، ورزْقَه ، واكتُبْه شقِيًّاً ، أو سعيداً ..

قال عبدالله : والذي نفسي بيده ، إنَّ الرجلَ ليعملُ بعمل أهلِ السعادة ، فيعملُ بعمل أهل الجنة ، حتى مايكونُ بينه وبينها غيرُ ذراع ، ثمَّ يدركهُ الشقاء ، فيعمل بعمل أهل النار ، أو الشقاء ، فيدخل النار »(١) .

وَرَوَى عُبيد اللَّهِ بنُ أبِي بكر عن أنس بن مالك جدِّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد وكَّل بالرحم مَلكاً ، فيقولُ : أيْ ربِّ أنُطفةٌ ؟ أيْ ربِّ أعَلَقةٌ ؟ أي ربِّ أمُضْغةٌ ؟ فإذا أرادَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ أن يقضيَ خلقَها ، قال يقولُ المَلَك : أذكرٌ أم أنثَى ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦١/٤ ومسلم في كتاب القدر ٤٤/٨ رقم ٢٦٤٣ ولفظ البخاري « إنَّ أحدكم يُجْمعُ خلقُه في بطنِ أمِّهِ أربعينَ يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرْسلُ إليه المَلَكُ ، فينفخُ فيه الرُّوحَ ، و يؤمرُ بأربع كلماتٍ : بكتبِ رزقِهِ ، وأجلِهِ ، وعملِهِ ، وشقيٌّ ، أم سعيد .. » الحديث ، وأخرجه أبو داود رقم ٤٧٠٨ والترمذي رقم ٢١٣٨ باب الأعمال بالخواتيم .

أشَقِيٌّ أم سعيدٌ ؟ فما الأَجَلُ ؟ فما الرِّزقُ ؟ فيكتبُ ذلكَ في بطنِ أمِّهِ »[1] .

قال علقمة : إذا وقعت النُّطْفةُ في الرَّحِم ، قال المَلَك : مخلَّقةٌ أو غيرُ مخلَّقة ، فإن قال : غير مخلَّقة ، مجَّت الرَّحمُ دَماً ، وإن قال مخلَّقة ، قال : أذكرٌ أم أنثى ؟ أشقيٌّ أم سعيد ؟ فيقول : اكتبْها من اللَّوح المحفوظِ ، فيجد صفتَها ، فَيستَنْسِخهُ ، فلايزال العبدُ يعمل عليه حتى يموت[2] .

١٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [آية ٥] .

أي ذكرنا أحوال الخلق لِنُبيِّنَ لكم .

ويجوز أن يكون المعنى : خلقنا هذا الخَلْقَ لنبيِّن لكم .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ..﴾ [آية ٥] .

أي ونحن نُقِرُّ في الأرحام ما نشاءُ[3] .

ثم قال : ﴿ وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوفَّى ..﴾ [آية ٥] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦٢/٤ ومسلم في القدر ٤٥/٨ وأحمد في المسند ١٤٨/٣ وأخرجه الطبري ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير في تفسيره ٣٩١/٥ .

(٢) هذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان ١١٧/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٤ والحافظ ابن كثير بنحوه ٣٩١/٥ والألوسي ١١٦/١٧ . وانظر الروايات الواردة في الصحيحين .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٢/٣ وتوجيهه للآية ، فقد ذكر أنه لايجوز فيها إلَّا الرفع ، وعلَّل ذلك .

وحكى أبو حاتم(١) أنَّ بعضَهم قرأ : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتوفَّى ﴾(٢) .

ومعناه يستَوْفِي أَجَلَه .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً .. ﴾ [آية ٥] .

قال الفَرَّاء : لكيلا يعقل من بعد ما عقل شيئاً(٣) .

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً .. ﴾ [آية ٥] .

روى سعيدٌ عن قَتادة قال : أي غَبْراء مُتَهشِّمة(٤) .

قال أبو جعفر : يقال : هَمَدتِ النَّارُ إذا طُفِئتْ وذهَبَ لَهَبُها ، وأرض هامِدةٌ : أي جافَّةٌ عليها ترابٌ (٥)

١٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [آية ٥] .

---

(١) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني ، أخذ عنه المبرِّد ، وابن دُريد ، وقد تقدمت ترجمته ٧٨/١ .

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٣/٦ والألوسي في روح المعاني ١١٩/١٧ فقال : وقرىء ﴿ يَتَوَفَّى ﴾ على صيغة المعلوم ، وفاعلهُ ضميرُ اللَّهِ تعالى ، أي من يتوفاه اللَّهُ تعالى ، ويجوز أن يكون المعنى : ومنكم من يستوفى مدة عمره . اهـ وهذه ليست من القراءات السبع .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٦/٢ وعبارته فيه : لكيلا يعقل من بعد عقلِهِ الأوّل شيئاً .

(٤) الأثر في الدر المنثور ٣٤٥/٤ وابن كثير ٣٩٣/٥ .

(٥) انظر الصحاح للجوهري ٥٥٦/٢ فقد جاء فيه : أرض هامدة : أي لا نبات بها .

أي تحرَّكتْ ، و ﴿ رَبَتْ ﴾ أي زَادَت[1] .

وقرأ يَزِيدُ بنُ القَعْقَاعِ ، وخالدُ بنُ إلياس ﴿ **وَرَبَأَتْ** ﴾[2] أي ارتفعتْ حتى صارت بمنزلة الرَّبيئةُ[3] ، وهو الذي يحفظ القوم على شيءٍ مُشْرِفٍ ، فهو رَابِيءٌ ، ورَبِئَةٌ على المبالغة .

١٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾** [آية ٥] .

أي من كل صنفٍ من النَّبات .

ورَوَى سعيد عن قتادة قال : ﴿ بَهِيج ﴾ حسن[4] .

قال أبو جعفر : يقال بَهُجَ فهو بَهِجٌ : إذا حَسُنَ ، وأبهجني : أعجبني لحسنه .

١٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ .. ﴾** [آية ٦] .

أي الأمْرُ ذلك ، والأمْرُ ما وُصِفَ لكم وبُيِّنَ[5] .

---

(١) قال الطبري ١١٩/١٧ المعنى : فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة ، التي لا نبات فيها المطر من السَّماء ﴿ اهتزَّتْ ﴾ أي تحركتْ بالنبات ، وأضعفت بمجيء الغَيْثِ .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٢٥/٢ والفراء في معاني القرآن ٢١٦/٢ وقد عدَّها ابن جني في المحتسَب ٧٤/٢ من القراءات الشاذة ، وهي ليست شاذة .

(٣) قال في لسان العرب : الربيئةُ : هو العينُ والطليعةُ الذي ينظر للقوم ، لئلا يَدْهَمهم عدوٌّ ، ولا يكونُ إلاَّ على جَبَل ، أو شَرَف يُنظر منه . اهـ اللسان مادة ربا .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٠/١٧ وابن كثير ٣٩٣/٥ والدر المنثور ٣٤٦/٤ .

(٥) « ذلك » إشارة إلى خلق الإنسان على أطوار مختلفة ، قال الطبري ١٢٠/١٧ « أي هذا الذي=

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى ﴾ أي كما أحيا الأرض بقدرته .

١٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : أي رقبته(١) .

وقال قتادة : أي عُنُقه(٢) .

قال أبو العباس(٣) : العِطْفُ : ما انْثَنى من العُنُقِ ، ويُقال للأَرْدِيةِ : العُطُفُ لأنها تقعُ على ذلكَ الموقع .

وقال غيره : يُوْصفُ بهذا المتكبِّرُ المُعْرِضُ تجبُّراً(٤) .

١٨ ــ قوله جلَّ وعزَّ ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آية ١٠] .

= ذكرتُه لكم أيها الناس ، من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم طفلاً ، وشيخاً وهرماً ، لتؤمنوا وتصدِّقوا بأن الذي فعل ذلك ، هو الله الحقُّ ، الذي لاشك فيه ، لا ما تعبدون من الأوثان والأصنام » اهـ .

(١)(٢) انظر الآثار في الطبري ١٢١/١٧ والبحر ٣٥٤/٦ والدر المنثور ٣٤٦/٤ .

(٣) هو الإمام المبرِّد ، وهو أحد أعلام اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) قال ابن عباس : ﴿ ثاني عِطْفة ﴾ أي مستكبراً في نفسه ، معرضاً عن قبول الحق . اهـ الطبري ١٢١/١٧ .

والمعنى : يُقال له : هذا العذابُ بما قدَّمتْ يداك ، وبأنَّ اللَّهَ ليس بظلَّام للعبيد .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ .. ﴾** [آية ١١] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : على شكٍّ[1] .

قال أبو جعفر : وحقيقتهُ في اللغة : على حَرْفِ طريقةِ الدّين ، أي ليس داخلاً فيه بكلِّيته[2] .

وبيَّن هذا بقولِهِ جلَّ وعزَّ **﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾** .

قال : استقرَّ **﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾** قال : عذابٌ أو مصيبةٌ **﴿ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾** قال : ارتدَّ كافراً .

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ .. ﴾** [آية ١١] .

وقرأ مجاهدٌ وحُمَيد : ﴿ خَاسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٢/١٧ .

(٢) قال ابن عطية : ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ : على انحراف منه عن العقيدة البيضاء ، أو على شفا منها ــ أي طرفٍ منها ــ معدّ للزهوق . وقال الزمخشري ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾ على طرفٍ من الدين ، لا في وسطه ولا في قلبه ، وهذا مثلٌ لكونهم على قلَقٍ ، واضطرابٍ في دينهم ، لا على سكونٍ وطمأنينة . الكشاف ٥١/٢ الطبعة البولاقية .

(٣) هذه قراءة حُميد ، ومجاهد ، وابن مُحَيْصِن ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٦/٢ والمحتسب لابن جِنّي ٧٥/٢ ومعاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ .

٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ﴾ [آية ١٢] .

ثم قال بعدُ ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى ﴾ .

فيُقالُ : كيف يكونُ له ضَرٌّ وقد قال : « مَالَا يَضُرُّهُ » ؟

فالجوابُ أن المعنى : يدعو لَمَن ضرُّ عبادتِهِ .

فإن قيل : كيف قال ﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ ولا نفع له[1] ؟

فالجواب : أن العربَ تقولُ لِمَا لا يكون البتَّةَ : هذا بعيدٌ ، مثلُ قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[2] .

وفي الآية أجوبةٌ من أجل اللَّام[3] :

فأكثرُ النحويِّين يذهب إلى أنها في غير موضعها[4] ، وأن المعنى : يدعو مَنْ لَضَرُّه أقربُ من نفعه .

وقال أبو العباس : في الكلام حذفٌ أي يدعو لمن ضرُّه أقربُ من نفعه إلهاً .

---

(١) هذا واردٌ على سبيل الفرض والتسليم أي لو سلَّمنا أنها ضارةٌ نافعة لكان ضررها أكثر من نفعها .

(٢) سورة ق آية رقم ٣ ومرادهم أن ذلك أمر مستحيل لا يمكن حدوثه .

(٣) في قوله ﴿ لَمَن ضرُّه ﴾ وهي لام الابتداء .

(٤) هذا قول الفراء قال في البحر : وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول ، لا يتقدم على الموصول . البحر ٣٥٧/٦ .

وقيل : ﴿ **يدعو** ﴾ ههنا بمعنى « يقول » كما قال عنترة .

يَدْعُــونَ عَنْتَــرَ وَالرِّمَــاحُ كَأَنَّهَــا
أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبَــانِ الأَدْهَــمِ[1]

وقـال أبـو إسحـق[2] : يجوز أن يكـون « يدعـو » في موضع الحال ، وفيـه هاءٌ محذوفـة ، ويكـون خبر « مَنْ » ﴿ **لَبِـئْسَ المَوْلَــى ولَبِئْسَ العَشِيرُ** ﴾[3] .

قال الفـراء : يجوز أن يكـون « يدعـو » خبرَ « مَنْ » ويكـون ﴿ **لَبِئسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ** ﴾ مكرَّرة على ما قبلها[4] .

ولأبي إسحـق قولٌ آخـر ـ وزعـم أن النحويِّـن أجــازوه ـ قال : يكون ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ بمعنى « الذي » أي الذي هو الضَّلالُ البعيـدُ ﴿ **يَدْعُــوْ لَمَــنْ ضَرُّه** ﴾ كما قال تعــالى ﴿ **وَمَــا تِلْكَ بِيَمِيــنكَ يَامُوسَى** ﴾[5] ؟

---

(١) ديوان عنترة ص٢١٦ والمحتسب لابن جني ١٠٩/١ ذكر بضم الراء « عنترُ » وفتحها وجهان .

(٢) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤١٥/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢١٧/٢ فقد جاء فيه : وقد يكون قولُه ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ يَدْعُوْ ﴾ فتجعلُ « يَدْعُـو » من صلـة « الضَّلالُ البعيـدُ » وتُضمـرُ في يدعـو الهاءَ ، ثم تستأنـف الكـلام باللَّامِ ، فتقولُ ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ المَوْلَى ﴾ وهو وجهٌ قويٌّ في العربية . اهـ .

(٥) سورة طه آية ١٧ .

وأنشـد :

عَدَسْ مَالِعَبَّـادٍ عَلَـيْكِ إِمَـارَةٌ
أَمِنْتِ وَهَذَا ــ تَحْمِلِينَ ــ طَلِيـقُ(١)

وحكى الفراء : أنه يجوز في هذا شيءٌ لم يتقـدَّم به أثـرٌ ، وهـو « يَدْعُوْ لِمَنْ ضَرُّهُ » بكسر اللَّام ، بمعنى يدعـو إلى مَنْ ضَرُّهُ ، كما قال سبحانه ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا** ﴾ أي إلى هذا(٢) .

قال أبو جعفر : والآيةُ مشكلةٌ لدخـول الـلَّامِ ، وإنَّ الحُـذَّاقَ من النحويِّين ، يمنعون أن يُنوى بها تقديمٌ أو تأخيرٌ ، لأنها لا تُصرف ، وأن يكـون ﴿ **يَدْعُـو** ﴾ بمعنـى « يقـولُ » حسنٌ ، والخبـرُ محذوفٌ أي يقول لَمَنْ ضرُّه أقربُ من نَفْعِهِ لِهِ(٣) .

٢٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَبِئْسَ المَوْلَى﴾** [آية ١٣] .

أي الوليُّ ، كما قال الشاعر :

فَغَـدَتْ كِلَا الفَرْجَيْـنِ تَحْسَبُ أَنَّـهُ
مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُها(٤) .

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري ، وانظر الشعر والشعراء (٣٢٤) والمحتسب ٩٤/٢ وخزانـة الأدب ٥١٤/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٤١٧/٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢١٨/٢ .

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣٩٢/٢ .

(٤) جمهرة أشعار العرب ص (٧٠) وتهذيب اللغـة ٣٥٩/١٠ قال الأزهـري : يعنـي البقـرة الوحشيـة =

﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ أي الصاحبُ والخليلُ .

قال مجاهد : يعني الوثن(١) .

٢٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [آية ١٥] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ وفيها قولان :

أ ـ رَوَى سفيان عن أبي إسحاق عن التَّميمي عن ابن عباس قال : ﴿ **مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ** ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ** ﴾ أي بحبل ﴿ **إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ أي سقفِ بيته ﴿ **ثُمَّ لْيَقْطَعْ** ﴾ أي ليختنقْ(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا قولُ أكثرِ أهل التفسير ، منهم الضحَّاكُ .

ومعناه : من كان يظنُّ أن لن ينصرَ اللَّهُ محمداً عليه السلام

= تظنُّ كلا فرجيْها وليُّ مخافتها ، ثم ترجم لكلا الفرجين بأنه خلفُها وأمامها .
وفي المخطوطة « فَغَدتْ » بالغَيْن ، وصوابهُ « فَعَدتْ » بالعين كما في تهذيب اللغة للأزهري .

(١) الأثر في جامع البيان ١٢٥/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ والبحر المحيط .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٢٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٤ وقال : أخرجه ابنُ أبي حاتم ، والحاكم ، وصحَّحه ، والمراد من الآية الكريمة : أن المكذِّب لدعوة الرسول ، إذا كان يتضايق من رسالته عليه السلام ، فليختنق ويقطع عنقه ، حتى يرى هل يذهب ما في صدره من الغيظ والحقد على الإسلام والرسول ؟ وهذا أبلغ أسلوبٍ في التهكم كما قال ابن كثير .

ويُظْهِرَ دينَه على الدِّين كلِّه ، فلْيَجْهدْ جَهْدَه ، فلْينظرْ هل ينفعهُ ذلك شيئاً ؟ .

ب ــ والقولُ الآخر ، أنَّ طلحة بن عَمْرٍو قال : سمعتُ عطاءً يقول : في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ ﴾ أن لن يرزقه الله ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أي إلى سماء بيته ، فلْينظرْ هل ينفعهُ ذلك ، أو يأتيه برزق[1] ؟

وَرَوى ابن أبي نَجِيح عن مُجاهد ﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ قال : أي أن لن يرزقهُ اللَّهُ[2] .

قال أبو جعفر : وهذا القول أيضاً معروفٌ في اللغة ، وهو قولُ أبي عبيدة[3] .

وحكَى أهلُ اللغة أنه يُقال : أرضٌ منصورةٌ أي ممطورةٌ .

ورُوي عن ابن عباس : « مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ

---

(١) هذا القول ذكره الطبري ١٢٧/١٧ ، وابن كثير ٣٩٧/٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٤ وهو قولٌ مرجوح .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ، فإن المعنى : من ظنَّ أن اللَّهَ ليس بناصرٍ محمداً وكتابَه ودينَه ، فليذهبْ فليقتلْ نفسه ، إن كان ذلك غائظه ، فإن اللَّهَ ناصرُه لا محالة ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ ابن كثير ٣٩٧/٥ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٤٦/٢ .

محمداً » أي يرزقَه في الدُّنيا(١) .

وقال غيرهُ : الأَوْلى أن تكون الهاءُ تعـود على النبـيِّ ﷺ ، لأن الله جلَّ وعـزَّ ، ذكـر قومـاً يعبدونـه على حَرْفٍ ، ثم أَتْبَـعَ ذلك هذه الآية ، في قوم يظنُّون أنَّ اللَّهَ لا يوسِّع على محمد وأمَّتِـه ، ولا يرزقُهـم في الآخرة من سَنِيِّ عطاياه ، فلْيمدد بحبلٍ إلى سَماءٍ فَوْقه ، إمَّا سقفِ بيتـه أو غيرِهِ ، إذا اغتاظ لاستعجال ذلك[2] .

٢٤ ــ **قال أبو جعفر** : وقـد ذكرنـا القـول في قولـه جلَّ وعـز : ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُوْا والَّذِينَ هَادُوْا ..﴾ في سورة البقرة[3] .

٢٥ ــ **وقولُه تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ يَسْجُـدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَـواتِ وَمَـنْ في الأَرْضِ ..﴾** [آية ١٧] .

قيل : السُّجودُ ههنا الطاعةُ والانقيادُ .

ومعنى قوله تعالى : **﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ .. ﴾** وكثيرٌ أَبَى .

٢٦ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَمَـنْ يُهِـنِ اللَّـــهُ فَمَـــا لَهُ مِنْ مُكْـــرِمٍ ..﴾** [آية ١٨] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٧/١٧ والدر المنثور ٣٤٧/٤ .

(٢) هذا ما رجحه ابن جرير في جامع البيان ١٢٨/١٧ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢ ولم نجد تفسيرها لوجود سقطٍ في المخطوطة في بعض آياتٍ من السورة .

قال الفراء : وقد يُقرأ « فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ » أي إكرام(١) .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوْا فِي رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ١٩] .

قد ذكرنا فيمن نزلت هذه القصَّةُ في أوَّل هذه السورة .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ .. ﴾** [آية ١٩] .

قيل : هذا لأحِدِ الخصمَيْن(٢) ، وهي الفرقة الكافرة .

٢٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قال مجاهد : أي يُذابُ .

قال أبو جعفر : وحكى أهلُ اللُّغة : صَهَرْتُ الشَّحْمَ : أي أَذَبْتُه ، والصُّهَارةُ : ما أُذِيبَ من الأَلْية(٣) .

---

(١) انظر معاني الفراء ٣١٩/٢ وهي قراءة ابن أبي عبلة كما في الألوسي ١٣٣/١٧ والبحر المحيط ٣٥٩/٦ وقد حكاه ابن جرير الطبري فقال : « وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ﴿ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ بمعنى فما له من إكرام ، وذلك قراءةٌ لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه » اهـ الطبري ١٣١/١٧ قال الفراء في معاني القرآن : والمعنى ومن يُشْقِه اللّهُ فما له من مُسْعِد ، وقد تقرأ ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ ﴾ يريد من إكرام . اهـ معاني القرآن للفراء ٢١٩/٢ .

(٢) الخصمان هما : فريق أهل الإيمان ، وفريق عبدة الأوثان ، وقد ذكر الشيخ أنها نزلت في ثلاثة مؤمنين ، وثلاثة كافرين في أول السورة الكريمة .

(٣) في اللسان : الصَّهْرُ : إذابة الشحم ونحوه ، وفي التنزيل ﴿ يُصْهَرُ به ﴾ أي يُذاب ، واصطهره : أذابه .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٢٥] .

خبرُ « إِنَّ » محذوفٌ .

والمعنى : إن الذين كفروا هلكوا ، كما قال :

« إِنَّ مَحَلَّاً وَإِنَّ مُرْتَحَلاً »[1]

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ والبَادِ ..﴾ [آية ٢٥] .

وحَكَى أبو حاتم أنَّ بعضهم قرأ ﴿ سَوَاءً ﴾ بالنَّصبِ[2] ، « العَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي » بالخفضِ ..

والمعنى : الذي جعلناه للنَّاس ، العاكِفِ والبادي[3] .

---

(١) هذا شطر بيتٍ للأعشى وهو في ديوانه ص ٢٣٣ من قصيدة يمدح فيها « سَلَامة ذِي فائش » ومطلع القصيدة هذا الشطر :

إنَّ مَحَــلَّاً وإنَّ مُرْتَحَــلاً   وإنَّ في السَّفْــرِ مَا مَضَى مَهَــلاً

يريد : إن لنا في هذه الدنيا مقاماً ، وإن لنا عنها لمرتحلاً ، وإن الناس فيها لمسافرون يُمهلون إلى حين ، والشاهدُ فيه حذفُ خبر « إنَّ » أي إن لنا محلاً في الدنيا ومرتحلاً .

(٢) قراءة النصب هي قراءة حفص ، والأعمش ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ سواءٌ ﴾ قال الفراء : نَصَبَها الأعمشُ ، ورفَعَها سائرُ القراء ، وانظر النشر في القراءات العشر للجزري ٣٢٦/٢ والبحر المحيط ٣٢٦/٦ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢ وعلى قراءة النصب يكون المعنى : الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبداً كذا قدَّره ابن عَطيَّة .

(٣) قال القرطبي : العاكفُ : المقيم الملازم . والبادي : أهل البادية ومن يقدم عليهم ، يقول : سواء =

قال مجاهد : العَاكِفُ : النَّازِلُ ، والبادي : الجائي(1) .

وقال الحسنُ وعطاءٌ : العَاكِفُ : من كان من أهل مكة ، والبادي : من كان من غير أهلها(2) .

قال مجاهد : أي هما في تعظُّمَهما وحُرْمتهما سَوَاءٌ(3) .

وقال عطاء : أي ليس أحدٌ أحقَّ به من أحد .

وتأوَّل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الآية ، على أنه لايُكرَى بيوتُ مكة(4) .

ورُوي عن عمر بن الخطَّاب : أنه كان يَنْهي أن تُغْلق دورُ مكة في زمن الحجّ ، وأن النَّاسَ كانوا يَنْزِلون منها حيثُ وجدوه فارغاً(5) .

= في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه ، الحاضرُ ، والذي يأتيه من البلاد . تفسير القرطبي ٣٢/١٢ .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٣٨/١٧ وابن كثير ٤٠٥/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ .

(٤) أُخذ هذا من قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ على أن المراد « بالمسجد الحرام » مكةُ كلُّها شرَّفها الله ، وبهذا قال مالكٌ أنها لاتُباعُ ، ولا تُكْرى ، وكره أبو حنيفة إجارتها في أيام الموسم ، والجمهورُ على الجواز .

(٥) هذا مشهورٌ عن عمر رضي الله عنه ، فقد رُوي عنه أنه كان يقول : يا أهل مكة لاتتَّخذوا لدوركم أبواباً ، لينزلَ البادي حيثُ شاء » ذكره الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٥ وذكر الألوسي ١٣٨/١٧ أن دور مكة كانت بغير أبواب ، حتى كثرت السَّرقةُ ، فاتخذ رجلٌ باباً فأنكر عليه عمر ، وقال : أتُغلِقُ باباً في وجهِ حاجِّ بيتِ اللّهِ ؟ فقال : إنما أردتُ حفظَ متاعهم من السَّرقة ، فتركه عمر .

وذهب الشافعي إلى جواز بيع بيوت مكة وإجارتها ، وقد جرت بينه وبين إسحق بن راهوية =

وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على أنَّ المراد « المسجـــدُ » كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾[1] لأنهم كانوا يمنعون منه ، ويَدَّعون أنهم أربابه ، وإنما ذكرَ المسجدَ ولم يذكر دور النَّاسِ ومنازلَهم .

وقيل : هما في إقامة المناسك سواء .

وقيل : ليس لأحدهما فضلٌ على صاحبه .

٣٢ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية ٢٥] .

رَوَى مُرَّةُ عن عبدالله بن مسعود قال : لو أنَّ رجلاً همَّ بخطيئةٍ لم تُكتب عليه .. ولو همَّ بقتلِ رجلٍ بمكة وهو بـ « عَدَنَ أَبْيَن »[2] لعذَّبه اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، ثمَّ قرأ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ

= مناظرة ــ وكان إسحق لا يرّخصُ في كراء دور مكة ، لقوله تعالى ﴿ سَوَاءً العَاكِفُ فيهِ والبَادِ﴾ ــ فاحتج عليه الشافعي بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ أُخرِجُوا من ديارهم ﴾ فقد أضاف الدور إلى أصحابها ومالكيها ، وبقوله ﷺ « ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وبأنه قد اشترى عمر من صفوان بن أمية داراً بأربعة آلاف درهم وجعلها سجناً ، فهل اشتراها من مالكها أو غير مالكها ؟ فترك إسحق قوله للزوم الحجة .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٥ .

(٢) «عَدَنُ أَبْيَن» يريد عَدَنَ الساحلية البعيدة قال في معجم البلدان : وهي مدينةٌ مشهورة ، على ساحل بحر الهند من جهة اليمن ، وهي غير « عدن لاَعَة » التي بقرب صنعاء . انظر معجم البلدان ٤/٨٩ .

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] .

ورَوَى هُشَيْمٌ عن الحجَّاج عن عطاء ﴿ومن يُرِدْ فيه بإلحادٍ﴾ قال : مَنْ عَبَدَ غيرَ الله جلَّ وعزَّ[2] .

وقال مجاهد : من عمل بسيِّئة[3] .

وقال حَبيبُ بن أبي ثابت : هم المحتكرو الطَّعامِ بمكة[4] .

وأبينُ ما قيل فيهِ : أن معنى ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ لكل معصية ، لأن الآية عامَّةٌ .

قال أبو جعفر : أصلُ الإلحادِ في اللغةِ : الميلُ عن القصد ، ومنه سُمِّي اللَّحْدُ ، ولو كان مستوياً لقيل : ضريح . ومنه قوله سبحانه ﴿وَذَرُوْا الَّذِينَ يُلْحِدُوْنَ في أَسْمَائِهِ﴾[5] يقال : لَحَدَ ، وأَلْحد ، بمعنى واحد ، هذا قول أهل اللغة[6] ، إلاَّ الأحمر فإنه حكى أنه يُقال : أَلْحدَ إذا جادل ، وَلَحدَ إذا عَدَل ومَالَ[7] .

(١ـ٤) انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ١٤١/١٧ والبحر المحيط ٣٦٣/٦ وابن الجوزي ٤٢٢/٥ والدر المنثور ٣٥١/٤ وابن كثير ٤٠٨/٥ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٨٠ .

(٦) قال الأزهري : لحدتُ وألحدتُ له قال تعالى ﴿لسانُ الذي يُلْحِدونَ إليه أعجميٌّ﴾ والملحدُ : العادلُ عن الحق ، يقال : أَلْحدَ في الدّين ، ولحد ﴿يُلحدون إليه﴾ أي يميلون . تهذيب اللغة ٤٢١/٤ وقال في كتاب الأفعال : لحد إلى الشيء ، وألحد ، ولحد في الدين ، وألحد : مال في كلّ ذلك . اهـ السرقسطي ٤١١/٢ .

(٧) انظر الصحاح للجوهري ٥٣٤/٢ .

قال سعيد بن مَسْعَدة(1) : الباء زائدة ، والمعنـى : ومن يُرد فيه إلحاداً بظلمٍ .

وهذا عند أبي العباس خطأً ، لأنه لا يزاد شيءٌ لغير معنى .

والقولُ عنده أن يريد ما يدلُّ على الإرادة ،

فالمعنى : ومَنْ إرادَتُه بأن يُلحِدَ بظلمٍ ، كما قال الشاعر :

أُريـدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَـا فَكَأَنَّمـا
تَمَثَّلُ لِي لَيْلَـى بِكُـلِّ سَبِيـلِ(2)

وحكـى الفـرَّاءُ : عن بعض القُـرَّاء ﴿ **وَمَـنْ يَرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾(3) من الورود .

وهذا بعيدٌ ، لأنـه إنما يُقـال وَرَدْتُـه ، ولا يكـاد يُقـال : وردتُ فيه .

٣٣ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ..﴾** [آية ٢٦] .

---

(1) « سعيدُ بن مَسْعَدة » المجاشعي البلخي ، المشهور بالأخفش الأوسط ، نحويٌّ لغوي ، أخذ عن سيبويه والخليل ، وانظر ترجمته في سير النبلاء ٧/١٨٨ ومعجم المؤلفين ٤/٢٣١ .

(2) البيتُ لكُثَيِّر عَزَّة ، وانظر الأغاني ٧/٧٥ والأمالي ٢/٦٥ والمحتسب ٢/٣٢ .

(3) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٣ وقد ذكر هذه القراءة الطبري في تفسيره ١٧/١٤٢ وصاحب البحر ٦/٣٦٣ قال الطبري : وذُكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ﴿ وَمَنْ يَرِدْ ﴾ بفتح الياء من وردتُ المكانَ ، أَرِدُهُ ، ولا تجوز بها القراءة عندي لخلافها ما عليه الحجة .

يُقال : لمَ جيءَ ههنا باللَّام ، وقد قال في موضع آخر ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[1] ؟

فالفرق بينهما أن أهل التفسير قالوا : المعنى : جعلنا لإبراهيم[2] مكان البيتِ مُبَوَّأً ، أي منزِلاً .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن لك معناه حديثٌ حدَّثناه أبو عُبيد القاضي عن الزعفراني قال : حدثنا سعيد بن منصور ، قال : حدثنا سفيانُ عن بشرِ بنِ عاصم ، عن سعيدِ بنِ المسيّب قال : سمعتُ كعب الأحبار يقول : «كان البيتُ غُثَاءَةً[3] على الماء ، قبل أن يخلق اللهُ الأرض بأربعين سنة ، ومنه دُحِيَتْ الأرض »[4] .

قال سعيد : حدثنا عليُّ بن أبي طالب ، أن إبراهيم ـــ نبيَّ اللَّهِ ﷺ ـــ أقبل من « أرمينية » ومعه السَّكينةُ ، تدلُّه على البيت ، حتى تبوَّأَ البيتَ تبوُّأً ، كما تتبوَّأُ العنكبوتُ بيتاً ، فكان يحمل الحجر من الحجارة ـــ الحجرُ يطيقُه أو لا يطيقُه ثلاثون رجلاً ـــ قال : فقلت لسعيد : يا أبا محمد إنَّ الله جلَّ وعز يقول ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

---

(١) سورة يونس آية رقم ٩٣ .

(٢) ضمَّن « بوَّأنا » معنى جعلنا ، قال القرطبي : بوَّأْنا نازلةٌ منزلة فعل يتعدى باللام كنحو جعلنا أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوأ . القرطبي ٣٦/١٢ .

(٣) غُثَاءةً : الغُثَاءَةُ ما يطفو على وجه الماء ، قال الأزهري : الغُثَـاءُ بالمدِّ والضمِّ : ما يجيء فوق السيل . اهـ والمعنى : كان البيت طافياً فوق وجه الماء .

(٤) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٥٤٨/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٤ بنحوه .

الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾[1] قال : إنما كان هذا بعد ذلك .

٣٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ .. ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى هُشَيم عن عبدالملك قال : ﴿ القائمون ﴾ : المصلُّون .

قال قتادةُ : ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ : أهلِ الصَّلاة[2] .

٣٥ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ .. ﴾ [آية ٢٨] .

وقرأ الحسن : ﴿ وَآذِنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ ﴾ مخفَّفة ممدودة[3] .

يُقال : آذَنْتُه بالصَّلاةِ ، وبكذا : أي أعلمتُه ، وأَذَّنْتُ على التكثير .

وقرأ ابنُ أبي إسحق ﴿ بِالْحِجِّ ﴾ بكسر الحاء في جميع القرآن .

قال مجاهد : فقال إبراهيم ﷺ : ياربِّ كيف أقول ؟ قال : قلْ « يا أيُّها النَّاس أجيبوا ربَّكم ، فوقَرَتْ في قلب كلِّ مؤمنٍ ، فأجابوا

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٣/١٧ وابن الجوزي ٤٢٣/٥ والسيوطي في الدر ٣٥٤/٤ .

(٣) هذه قراءة الحسن ، وابن مُحيصن ، وتصحَّف هذا على « ابن جنيٍّ » فإنه حكى عنهما « وَأَذِنَ » بالتخفيف وجعلها معطوفاً على « بوَّأنا » وهو تصحيف ، وانظر المحتسب ٧٨/٢ والقرطبي ٣٧/١٢ والبحر المحيط ٣٦٤/٦ وعَدَّ ابن جني هذه القراءة ﴿ أَذِنَ ﴾ من الشواذ .

بـ « لبَّيْك اللَّهُمَّ لبَّيك » أي فأجاب من يحجُّ »[1] .

٣٦ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **يَأْتُوْكَ رِجَالاً** ..﴾ [آية ٢٨] .

قال ابن عباس : أي رَجَّالةً[2] .

وقرأ مجاهد : ﴿ **يَأْتُوْكَ رُجَالاً** ﴾[3] .

ورُوي عن عكرمة : يأتوك رُجَّالاً[4] .

قال أبو جعفر : يُقال في جمع راجل خمسةُ أوجه : رَاجِل ، ورُجَّال ، مثل راكب ورُكَّاب ، وهذا الذي رُوي عن عكرمة ، ورَاجِل ، ورِجال مثل : قائِم ، وقِيام .

ويقال : راجِلٌ ، وَرَجْلَة ، ورَجْلٌ ، ورَجَّالة ، **فهذه** خمسة . **والذي رُوي عن مجاهد غير معروف** ، والأشبهُ به أن يكون غير منَّون[5] ، مثل كُسالَى وسُكَارَى ، ولو نُوِّنَ لكان على « فُعَال » وفُعال في الجمع قليلٌ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن سعيد بن جبير قال : « لمَّا فرغ إبراهيم من بناء البيت ، أوحى اللهُ إليه أَنْ أَذِّنْ في النَّاسِ بالحج ، فخرج فنادى في الناس : ياأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجُّوه ، فلم يسمعه يومَئِذٍ من إنس ولا جنّ ، ولا شجر ، ولا أكمة ، ولا جبل ، ولا شيء ، إلا قال « لبَّيك اللهم لَبَّيك » الطبري ١٤٤/١٧ .

(٢) أي مشاة على أرجلهم .

(٣) و(٤) القراءتان « رُجَالاً » و « رُجَّالاً » من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب ٧٩/٢ .

(٥) أي رُجَالى غير منوَّن كسُكَارى ، وهذه قراءةُ مجاهد وهي شاذة كما في المحتسب ٧٩/٢ وانظر القرطبي ٣٩/١٢ .

٣٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [آية ٢٧] .

وقرأ أصحاب عبدالله ﴿ يَأْتُوْنَ[١] مِنْ كلِّ فَجٍّ عَميقٍ ﴾ .

قال عطاءٌ ومجاهدٌ والضحّاكُ : من كل طريقٍ بعيدٍ[٢] .

قال أبو جعفر : العُمْقُ في اللغة : البُعْدُ ، ومنه بئرٌ عميقةٌ أي بعيدة القعر ، ومنه :

« وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَق »[٣]

٣٨ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعْ لَهُمْ ..﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى عاصمٌ عن أبي رُزَيْن عن ابن عباس قال : الأَسْوَاق[٤] .

ورَوَى سفيانُ عن جابرٍ عن أبي جعفر ﴿ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قال : المغفرةُ[٥] .

وقال عطاءٌ : ما يرضَى اللَّهُ من أمر الدُّنيا والآخرة[٦] .

---

(١) في المخطوطة « يأتين » وصوابه « يأتون » لأنها قراءة ابن مسعود كما في القرطبي ٣٩/١٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣٩٩/٢ وهي قراءة ابن أبي عبلة والضحاك وهي من الشواذ ، والضمير على قراءة « يأتون » للناس ، وأمَّا على القراءة المشهورة ﴿ يَأْتِينَ ﴾ فيكون الضميرُ للإبل ، وردَّ الضمير عليها تكرمة لها ، كما قال في خيل المجاهدين ﴿ والعَادِياتِ ضَبْحاً ﴾ .

(٢) الأثر في الطبري ١٤٦/١٧ والدر المنثور ٣٥٥/٤ وتفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٥ .

(٣) انظر شواهد ابن عقيل ٢٠/١ والشاهد فيه « أعماق » جمع عُمق ، وهو ما بَعُد من أطراف الصحراء .

(٤ ــ٦) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ١٤٧/١٧ وتفسير ابن كثير ٤١٠/٥ وتفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٥ والدر المنثور ٣٥٦/٤ .

قال أبو جعفر : قولُ جابر في هذا أحسنُ ، أي وأذِّن في النَّاس بالحج ، ليأتوا لعملِ الحجِّ الذي دُعُوا له ، وهو سببٌ للمغفرة . وليس يأتون من كل فجٍّ عميقٍ ، ولا وأَذِّنْ فيهم ليتَّجروا ، هذا بعيدٌ جداً[1] .

٣٩ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ .. ﴾ [آية ٢٨] .

في الأيام المعلومات اختلافٌ ، ولا نعلم في المعدودات اختلافاً .

رَوَى ابنُ أبي لَيْلَى عن المنهال بن عمرٍو ، عن زرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طالب ، قال : الأيامُ المعلوماتُ يومُ النحر ، ويومان بعده ، إذبحْ في أيِّها شئتَ ، وأفضلُها أوَّلُها[2] .

وهذا المعروف من قول ابن عمر ، وهو قولُ أهل المدينة[3] .

ورَوَى هُشَيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

---

(١) لام التعليل ﴿ لِيَشْهَدُوا ﴾ متعلقة بقوله ﴿ وأَذِّنْ في النَّاسِ ﴾ لا بقوله ﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ والعلَّةُ هي شهود منافع الحج ، لا التجارة ، هذا مراد الشيخ رحمه الله .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٦/٤ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ واذْكُروا اللَّهَ في أيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ البقرة آية ٢٠٣ فهي يوم النحر ويومان بعده .

« **الأيامُ المعلوماتُ** » : العشر يوم النحر منها[1] .

و « **الأيامُ المعدوداتُ** » أيامُ التشريق[2] إلى آخر النَّفرِ .

وقال بهذا القول عطاءٌ ، ومجاهد ، وإبراهيم ، والضحاك ، وهو قول أهل الكوفة .

٤٠ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾** [آية ٢٨] .

قال عطاءٌ ومجاهد : إن شئتَ فكُلْ ، وإن شئتَ فلا تأكل[3] .

قال أبو جعفر : وهذا عند أهل اللغة على الإباحة ، كما قال سبحانه ﴿ **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** ﴾[4] .

فإن قيل : الإباحةُ لا تكون إلَّا بعد حَظْرٍ ، فكيف يكون ههنا إباحةٌ ، وليس في الكلام حظْرٌ ؟

فالجواب أنهم كانوا في الجاهلية ، يحظُرون أكل لحوم الضحايا ،

(١) هي العشر من ذي الحجة ، من أولها إلى يوم النحر ، وهي الأيامُ المباركة التي أقسم الله تعالى بها في قوله سبحانه ﴿ والفجرِ وليَالٍ عشر ﴾ .
(٢) أيام التشريق هي الثاني والثالث والرابع من أيام الأضحى المبارك ، سميت « أيام التشريق » لأنهم يجفِّفون لحوم الأضاحي في هذه الأيام .
(٣) الأثر في الطبري ١٧/١٤٨ وابن كثير ٥/٤١٢ والدر المنثور ٤/٣٥٦ .
(٤) سورة المائدة آية رقم ٢ .

فأعلَمهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنَّ ذلك مباحٌ لهم(١) .

قال مجاهد : ﴿ **البَائِسُ** ﴾ الذي إذا سأَلك مدَّ يدَه(٢) .

قال أبو جعفر : البائسُ في اللغة : الذي به البؤسُ وهو شدة الفقر .

٤١ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ** ﴾ [آية ٢٩] .

حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن منصور الحاسب ، قال : حدثنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، قال : حدثنا عبدالملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : التَّفَثُ : الحلقُ ، والتقصيرُ ، والرميُ ، والذبحُ ، والأَخذُ من الشاربِ ، واللحيةِ ، ونتفُ الإبط ، وقصُّ الأظفار(٣) .

وكذلك هو عند جميع أهل التفسير ، أي الخروج من الإحرام إلى الحلِّ ، لا يعرفه أهلُ اللغة إلَّا من التفسير .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلْيُوْفُوْا نُذُوْرَهُمْ ..** ﴾ [آية ٢٩] .

قال مجاهد : الحجُّ ، والهَدْيُ ، وكلُّ ما يلزمُ الإنسانَ من أمر الحجّ(٤) .

---

(١) هذا على الإباحة كما قال النحاس ، فالصيد حرام على المحرِم ، فإذا تحلَّل من إحرامه حلَّ له الصيدُ ، وليس الأمر هنا للوجوب كما نبَّه عليه المصنف .

(٢)و(٣) انظر الأثرين في الطبري ١٤٩/١٧ والدر المنثور ٣٥٧/٤ .

(٤) إنما سميت أفعال الحج نذراً ، لأن النذر هو ما أوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات ، فحين=

قال أبو جعفر : الذي قاله مجاهدٌ معروفٌ ، يُقال لكل ما وجب على الإنسان : نذرٌ .

فالمعنى : ولْيوفوا ما وجب عليهم من أمر الحجِّ .

٤٣ ــ **ثم قال سبحانه ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهدٌ والضَحّاكُ : هو الطَّوافُ الواجبُ يوم النحر[١] .

ورَوَى رَوْحُ بن عُبادةَ ، عن صالح بنِ أبي الأخضر ، عن الزهري ، أن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « إنما سُمِّي البيتُ العتيق ، لأن الله جل وعزَّ أعتقهُ من الجبابرة ، فلم يغلب عليه جبَّارٌ قطُّ »[٢] .

ورواه أبو داود الطيالسي عن صالح ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، غير مرفوع .

وقال الحسن : سُمِّي العتيقُ لِقدَمِهِ .

= ينوي الحجَّ ويُحرم به ، فكأنه نذر على نفسه الإتيان بكل تلك الواجبات ، والأثر أخرجه ابن جرير ١٧/١٥١ والسيوطي في الدر ٤/٣٥٧ .

(١) هذا الطواف هو طواف الركن ويكون بعد النزول من عرفة ، وبدونه لايصح الحج ، وانظر الأثر في الطبري ١٧/١٥٢ وابن كثير ٥/٤١٣ والدر ٤/٣٥٧ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي مرفوعاً ٥/٣٠٤ بلفظ : « إنما سُمِّي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبَّار » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال : وقد روي عن الزهري مرسلاً ٥/٣٢٢ . وانظر القرطبي ١٢/٥٢ والدر المنثور ٤/٣٥٧ والطبري ١٧/١٥٢ .

وحُجَّتُه قولُه تعالى ﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾(1) .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُو خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ٣٠] .

قال مجاهد : الحجُّ والعمرةُ(2) .

وقال عطاء : المعاصي(3) .

قال أبو جعفر : القولان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، إلّا أنَّ حرماتِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، ما فرضه ، وأَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ،فلا ينبغي أن يُتجاوز ، كأنه الذي يَحْرمُ تركهُ(4) .

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ .. ﴾ [آية ٣٠] .

قيل : الصَّيْدُ للمحرم .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٥٣/١٧ وابن كثير ٤١٥/٥ والدر المنثور ٣٥٨/٤ .

(٤) قال القرطبي : الحرماتُ المقصودة ههنا : هي أفعالُ الحجِّ ، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع ، كما قاله ابن زيد ، وغيرُه . اهـ القرطبي ٥٤/١٢ .

وقال الطبري ١٥٣/١٧ : قال ابن زيد : الحرماتُ : المشعرُ الحرامُ ، والبيتُ الحرام ، والمسجدُ الحرامُ ، والبلدُ الحرامُ ، هؤلاء الحرمات .

ورَوَى معمر عن قتادة قال : الميتةُ ، وما لم يذكر اسمُ اللَّه عليه .

وقال غيره : هو ما يُتلى في سورة المائدة من قوله جلَّ وعز ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِيرِ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ماذَكَّيْتُمْ** ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وقولُ قتادة جامعٌ لهذا ، لأن هذه المحرَّماتِ أصنافُ الميتة .

٤٦ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **فَاجْتَنِبُوْا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** .. ﴾ [آية ٣٠] .

الرِّجْسُ : النَّتْنُ[2] .

و « مِنْ » ههنا لبيان الجنس ، أي الذي هو وَثَنٌ .

٤٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَاجْتَنِبُوْا قَوْلَ الزُّوْرِ** ﴾ [آية ٣٠] .

قال عبدالله بن مسعود : عَدَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ شهادة الزُّور بالشِّرْكِ ، ثم تلا هذه الآية[3] .

وقال مجاهد : الزُّورُ : الكذبُ[4] .

وقيل : الشركُ .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣ .

(٢) المعنى : اجتنبوا عبادة الأوْثانِ ، التي هي رجسٌ ، ونتنٌ ، وقذر .

(٣)و(٤) الأثران أخرجهما ابن جرير ١٥٤/١٧ وابن الجوزي ٤٢٩/٥ وابن ثير ٤١٥/٥ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٢١/٤ .

والمعاني متقاربةٌ ، وكلُّ كذبٍ زورٌ ، وأعظمُ ذلكَ الشِّركُ .

والذي يوجب حقيقة المعنى : لا تُحرِّموا ما كان أهلُ الأوثانِ يُحَرِّمونه ، من قولهم ﴿ **مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَام خَالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا** ﴾(1) ومن تحريم السائبة ، وما أشبه ذلك من الزُّور ، كما قال تعالى ﴿ **افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ** ﴾(2) .

٤٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** .. ﴾ [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي متَّبعين(3) .

٤٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ** .. ﴾ [آية ٣١] .

أي هو في البعد من الحقِّ كذي(4) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٣٩ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٤٠ .

(٣) الأثر في الطبري بمعناه ١٧/١٥٥ وهو تفسير قوله ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ قال الطبري : أي مستقيمين للَّهِ على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له ، خالصاً دون الأوثان والأصنام . اهـ .
وقال القرطبي ١٢/٥٥ : أي مستقيمين ، أو مسلمين مائلين إلى الحقّ .
وقال الحافظ ابن كثير ٥/٤١٦ : أي مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحقّ . اهـ .

(٤) هذا من أروع صور التشبيه فقد شبَّه تعالى أمر المشرك ، بمن هوى من أعماق السماء ، فتمزَّق مِزعاً مِزَعاً ، وتخطفته الطيورُ فابتلعته ، وهكذا شأن الكافر الذي سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر والعصيان .

يُقال : خَطِفَه يَخْطَفُه ، واختطَفَه يختطفُه : إذا أخَذَه بسرعةٍ .

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد : أي بعيد[1] .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ .. ﴾** [آية ٣٢] .

قال مجاهد عن ابن عباس : هو تسمينُ البُدْنِ ، وتعظيمُها ، وتحسينُها[2] .

وقال غيره : **﴿ شَعَائِرُ اللَّهِ ﴾** : رميُ الجمار ، وما أشبه ذلك من مناسك الحجِّ[3] .

قال أبو جعفر : وهذا لايمتنعُ ، وهو مذهبُ مالكِ بنِ أنس ، أنَّ المنفعة بعرفةَ ، إلى أن يطلع الفجر من يومِ النحر ، وفي المشعر الحرام ، إلى أن تطلع الشمس ، وفي رمي الجمار ، إلى انقضاء أيام منى ، وهذه كلُّها شعائر ، والمنفعةُ فيها إلى وقتٍ معلوم **﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا ﴾** كلُّها **﴿ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾** فإذا طَافَ الحاجُّ بعد هذه المشاعر بالبيت العتيق ، فقد حلَّ .

(١ــ٣) انظر هذه الآثار والأقوال في الطبري ١٧/١٥٥ وابن كثير ٥/٤١٦ والدر المنثور ٤/٣٥٩ .

وواحـد « الشعائـر » شعيرة[1] ، لأنها أُشعـرت أي جُعـلت فيها علامةٌ تدلُّ على أنها هدْيٌ .

ثم قال تعـالى ﴿ **فَإِنَّهَـا مِنْ تَقْـوَى القُلُـوْبِ** ﴾ أي فإنَّ الفَعْلة[2] .

٥٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **لَكُـمْ فِيهَـا مَنَافِـعُ إِلَـى أَجَـلٍ مُسَمًّـى** .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا قولان غيرُ قول مالك .

أحـدهما : أن « عروة » قال : هي البُـدْنُ المقلَّـدة يركبها ويشرب من ألبانها[3] .

والثاني : قال مجاهـد : هي البُـدْنُ من قبـل أن تُقلَّـد ، ينتفـع بركوبها ، وأوبارها ، وألبانها ، وإذا صارت هديـاً لم يكـن له أن يركبها إلَّا من ضرورةٍ[4] .

قال أبـو جعفـر : وقـولُ مجاهـد عنـد قومٍ أَوْلَـى ، لأن الأجـل

---

(١) قال القرطبي ١٢/٥٦ : الشعائر جمعُ شعيرة ، وهو كل شيءٍ للّهِ تعالى فيه أمرٌ ، أشعر به وأَعْلَمَ ، ومنه شِعَارُ القوم في الحرب ، أي علامتُهم التي يتعارفون بها ، فشعائرُ اللّه . أَعْلامُ دينه ، لاسيما ما يتعلق بالمناسك . اهـ الجامع لأحكام القرآن .

(٢) هذا قول الفراء في معانيه ٢/٢٢٥ قال : ولو قيل : فإنه من تقوى القلوب كان جائزاً .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٧/١٥٧ والدر المنثور ٤/٣٥٩ .

المسمَّى عنده أن تُجعَل هدياً وتُقلَّد ، والأجلُ المسمَّى ليس موجوداً في قولِ عُروةَ .

وقد احتجَّ من قال بقولِ عُروةَ بقول النبي ﷺ (اركبْها ويْلكَ)[1] .

واحتجَّ عليه بأنه لم يقل له : وهل يحرم ركوبُ البُدْنِ ؟

ولعلَّ ذلك من ضرورةٍ ، ويُبيِّن هذا حديثُ ابن جريجٍ عن أبي الزُّبيْرِ عن جابر عن النبي ﷺ : « اركبُوا الهَدْيَ بالمعروفِ حتَّى تجدُوا ظَهْراً »[2] .

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً .. ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سفيانُ عن أبيهِ عنْ عكرِمةَ قال : مذبحاً[3] .

ورَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : عيداً[4] .

قال أبو إسحق : المَنْسِكُ : موضعُ الذَّبح ، والمَنْسَكُ المصدرُ[5] .

---

(١) الحديث في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً ، قال : اركبْها ، قال : إنَّها بدنةٌ ، قال : « اركبها ويْلَكَ » في الثانية ، أو الثالثة » اهـ البخاري ٢٠٥/٢ ومسلم ٩١/٤ .

(٢) الحديث رواه مسلم رقم ٣٧٦ بلفظ (اركبْها بالمعروف حتَّى تجد ظهراً) وانظر التاج ٢٧٠/٢ .

(٣)و(٤) انظر الآثار في تفسير الطبري ١٦١/١٧ وابن كثير ٤٢٠/٥ والدر المنثور ٣٦٠/٤ .

(٥) المَنْسَك : موضع النُّسُك ، وقد فسَّره مجاهد بالذبح ، وإراقة الدماء على وجه التقرب إلى الله عزَّ =

٥٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَبَشّرِ المُخْبِتِينَ﴾ [آية ٣٤] .

رَوَى سفيانُ عن ابنِ أبي نجيح عن مجاهد قال : المخبتون : المطمئنّون بأمر الله جلَّ وعز[١] .

وقال عمرو بن أوس[٢] : المخبتون الذين لايَظْلمون ، وإذا ظُلموا لم ينتصروا[٣] .

قال أبو جعفر : وأصلُ هذا من الخَبْت ، وهو ما اطمأنَّ من الأرض[٤] .

٥٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٣٦] .

= وجل ، واشتهر في أفعال الحج ، وروي عن ابن عباس أنه قال : منسكاً أي عيداً ، والأظهر ما قاله مجاهد لقوله تعالى ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ علىٰ مَارَزَقَهُم مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ فهو الأوفق بظاهر الآية ، أي شرعَ لكل أهل دينٍ أن يذبحوا له تعالى على وجه التقرب .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٦١/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦٠/٤ .

(٢) هو عمرو بن أوس بن أبي أوس ، واسمه حذيفة الثقفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ٧٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٦/٨ .

(٣) الأثر في الطبري ١٦١/١٧ وابن كثير ٤٢١/٥ والألوسي ١٥٥/١٧ .

(٤) قال السَّرقسطي في كتاب الأفعال : أخبتَ للّه : تواضع ، وأخبْتَ نَزَلَ الخَبْتَ ، وهو المطمئنُّ من الأرض . اهـ كتاب الأفعال ٥٠٧/١ .

ومعنى الآية : بشر يا محمد المتواضعين الخاشعين من المؤمنين بالثواب الجزيل ، ويدل عليه قوله بعده ﴿ الَّذِين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلوبُهُمْ ﴾ .

وقرأ ابنُ أبي إسحق : ﴿ والبُدُنَ ﴾[1] والمعنى واحد .

قال مجاهد : قيل لها بُدْنٌ : للبَدَانةِ .

قال أبو جعفر : البَدَانةُ : السِّمَنُ ، يُقال : بَدُن إذا سَمِن ، وبَدَّنَ إذا أَسَنَّ ، فقيل لها بُدْنٌ لأنها تُسمَّنُ .

٥٦ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال إبراهيم : يركب إذا احتاجَ ، ويشربُ من اللَّبنِ[2] .

وقيل : خيرٌ في الآخرة .. وذا أَوْلى لأنه لو كان للدنيا ، كان أَلَّا يجعلها بدنةً خيراً له .

٥٧ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاذْكُرُوْا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ .. ﴾[3] [آية ٣٦] .

وقرأ عبدُ اللَّهِ بن مسعود : ﴿ صَوَافِنَ ﴾[4] .

---

(١) قال القرطبي ٦٠/١٢ : هما لغتان يقال : بُدْنٌ ، وبُدُنٌ جمع بَدَنة ، كما يقال : خَشَبَة ، وخُشْب ، وخُشُب .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦١/٤ .

(٣) « صوافَّ » هذه قراءة الجمهور جمع صافَّة ، من صَفَّ يَصُفُّ ، والمعنى : انحروها على اسم الله قائمة قد صُفَّتَ قوائمها .

(٤) هذه قراءة شاذة وليست من السبع « صوافن » جمعُ صافنة ، وهي التي عقلت إحدى قوائمها ووقفت على ثلاث ، انظر الألوسي ١٥٦/١٧ والمحتسب في شواذ القراءات ٨١/٢ .

وقرأ الحسنُ وزيدُ بنُ أَسْلَمَ والأعرج : صَوَافي[1] .

رَوَى نافعٌ عن ابنِ عمر ﴿ **فَاذْكُرُوْا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ** ﴾ قال : قياماً مصفوفة[2] .

ورَوَى أبو ظبيان عن ابن عباس ﴿ **فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا** ﴾ قال : « بسم اللَّهِ ، واللَّهِ أكبرُ ، اللهمَّ منك ولك »[3] .

قال : و« صَوَافِن » قائمة على ثلاث .

قال قتادة : معقولة اليد اليمنى[4] .

قال الحسن وزيدُ بنُ أسلم : ﴿ **صَوَافِيَ** ﴾ أي خالصة للَّهِ من الشرك[5] !

قال أبو جعفر : ﴿ **صَوَافَّ** ﴾ جمع صافَّة ، وصافَّةٌ : مصفوفة ومصطفَّةٌ بمعنى واحد .

و « صَوَافِنَ » جمع صافنة ، يُقال للقائم : صافِنٌ ، ويُستعمل لما قام على ثلاث .

---

(١) هذه القراءة شاذة أيضاً ، وانظر المحتسب ٨١/٢ والقرطبي ٦١/١٢ والألوسي ١٥٦/١٧ قال القرطبي : (صوافي) أي خوالص لله عزَّ وجلَّ ، لايشركون به في التسمية عند نحرها أحداً .

(٢ـ٥) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٦٤/١٧ وابن كثير ٤٢٤/٥ والدر المنثور ٣٦٢/٤ .

و « صَوَافِيَ » جمع صافٍ وهو الخالص ، أي لا تذكروا عليها غير اسم اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، حتى تكون التسميةُ خالصةً للَّه جلَّ وعزَّ[1] .

٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال مجاهد : أي خرَّتْ إلى الأرض[2] .

٥٩ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا ــ وهو الصحيحُ في اللغة ــ أنَّ ابن عباس ، وسعيد بن جُبير ، والحسن قالوا :

﴿ الْقَانِعُ ﴾ الذي يَسْأَلُ .

و﴿ الْمُعْتَرُّ ﴾ الذي يتعرَّضُ ولا يَسأَلُ[3] .

وقال مالك بن أنس : أحسنُ ما سمعتُ ، أن « القانع » هو الفقير ، وأن « المُعْتَرَّ » هو الزائر[4] .

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله ١٦٣/١٧ : واختلفت القُرَّاءُ في قراءة ذلك ، فقرأته عامَّةُ قُرَّاءِ الأمصار « صَوَافَّ » بمعنى مصطفَّةً قد صُفَّتْ بين أيديها وقُرىء « صوافيَ » بالياء منصوبة ، بمعنى خالصة للَّهِ ، لاشريك له فيها ، وقرأ بعضهم « صَوَافِ » مثل عَوَارٍ ، ورُوي عن ابن مسعود أنه قرأه « صَوَافِنَ » بمعنى معقَّلة ، والصوابُ عندي قراءةُ من قرأه ﴿ صَوَافَّ ﴾ بتشديد الفاء ونصبها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . اهـ الطبري .

(٢) المراد كما قال ابن عباس : نُحِرتْ وسقطتْ ميّتةً على الأرض ، والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦٦/١٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٤ .

(٣)و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٦٧/١٧ وابن كثير ٤٤٥/٥ والدر المنثور ٣٦٣/٤ .

وقال أبو جعفر : يُقال : قَنَعَ الرجلُ ، يقنع قنوعاً فهو قانـع ، إذا سأل ، وأنشد أهل اللغة :

لَمَــالُ المَــرْءِ يُصْلِحُــهُ فيُغْنِـــي
مَفَاقِــرَهُ أَعَــفُّ مِنَ القُنُــوْعِ[1]

ورُوي عن أبي رجاء أنه قرأ ﴿ **وَأَطْعِمُوا القَنِعَ** ﴾ .

ومعنـى هذا مخالـفٌ للأول ، يُقـال : قَنِـع الرَّجـلُ إذا رضيَ فهـو قَنِعٌ[2] .

ورُوِىَ عن الحسنِ أنـه قرأ ﴿ والمُعْتَـرِي ﴾[3] معناه كمعنى المعترّ ، يقال : اعترَّهُ ، واعتَرَاهُ ، وعرَّهُ ، وعَـرَاه : إذا تَعَّـرض لما عنـده ، أو طَلَبه .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَنْ يَنَـالَ اللَّـهَ لُحُومُهَـا وَلَا دِمَاؤُهَـا .. ﴾** [آية ٣٧] .

---

(١) البيت للشمَّاخ من ديوانه ص٢٢١ والمراد بالمفاقر : وجـوه الفقـر ، واستشهـد به المؤلـف على أن « القُنوع » بمعنى السؤال ، والقانع هو السائل ،
والمعنى : إن مال الإنسان الذي يكسبه من عرق جبينه ، ويدفع عنه وجوه الفقـر ، خيـرٌ له من مسألة الناس ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/٥ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٢) القَنِعُ بوزن الحَذِر ، معناه : الراضي ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وإنما هي من الشواذّ ، كما في المحتسب في شواذ القراءات ٨٢/٢ وانظر روح المعاني ١٥٧/١٧ والقرطبي ٦٤/١٢ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٨٢/٢ .

يُرْوَى عن ابن عباس، أنهم كانوا في الجاهلية يَنْضحُونَ بدماءِ البُدْن ما حولَ البيْتِ، فأراد المسلمون أن يَفعلوا ذلك، فأنزل اللَّه جلَّ وعزَّ هذه الآية[1].

قال إبراهيم في قوله ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ .. ﴾ قال: التقوى ما أُريد به وجهُ الله عزَّ وجل[2].

٦١ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾** [آية ٣٨].

وَعَدَهم جلَّ وعزَّ النَّصر، ثم أخبرهُمْ أنَّه لايحبُّ من ذَكَر غير اسمِهِ على الذبيحة، فقال: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾**.

و **﴿ خَوَّان ﴾** فعَّال[3] من الخيانة.

---

(١) الأثر في تفسير القرطبي ٦٥/١٢ وفي ابن كثير ٤٢٨/٥ وفي الدر المنثور ٣٦٣/٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧٠/١٧ وقال القرطبي ١٥/١٢: أي لن يصلَ إلى الله لحومُها ولا دماؤُها، ولكن يصلُ إليه التَّقْوى منكم، وهو ما أُريدَ بِهِ وجهُهُ فذلكَ الذي يَقْبله ويُرفع إليه، ويَسْمعه ويُثيبُ عليه.

(٣) ﴿ خَوَّان ﴾ على وزن «فعال» من صيغ المبالغة كما قال ابن مالك:

فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فَعُوْلُ ... في كثرةٍ عن فاعِلٍ بَديلُ
فيستحقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلِ ... وفي «فعيلٍ» قلَّ ذا و«فَعِلِ»

٦٢ ــ **ثم قال جلَّ وعــز ﴿ أُذِنَ لِلَّذِيــنَ يُقَاتَلُــوْنَ بِأَنَّهُــمْ ظُلِمُــوْا ..﴾**
[آية ٣٩] .

في الكلام حذفٌ(١) .

والمعنى : أُذِن للَّذينَ يُقاتَلُون أن يُقاتِلُوا .

ورَوَى الأعمش عن مُسْلم البَطِين عن سعيد بن جُبير أنه قرأ « أُذِنَ » بفتح الهمزة ، « يُقَاتِلُوْنَ » بكسر التاء ، وقال : هي أوَّلُ آيةٍ نزلت في القتال ، لمَّا أُخرج النبي ﷺ من مكة(٢) .

٦٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِيـنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِـمْ بِغَيْــرِ حَقٍّ ..﴾**
[آية ٤٠] .

رَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك قال : هو النبيُّ ﷺ ومن خرجَ معهُ من مكَّة .

---

(١) قال القرطبي : في الآية إضمار أي أُذن للذين يَصْلُحون للقتال في القتال ، فحذف لدلالة الكلام على المحذوف . اهـ القرطبي ٦٨/١٢ .

(٢) هذه الآية ناسخة لكل ما في القرآن من آيات الإعراض ، والترك والصفح ، وهي أول آيةٍ نزلت في القتال ، قال ابن عباس وابن جبير : « نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة » وروى الترمذي عن ابن عباس أنه قال : « لما أُخرج النبي ﷺ من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيَّهم لَيَهْلِكُنَّ فأنزل الله تعالى ﴿ أُذِنَ للَّذينَ يُقَاتَلون بأنَّهم ظُلِمُوا .. ﴾ فقال أبو بكر : لقد علمتُ أنه سيكون قتال » قال الترمذي : هذا حديث حسن . وقد روى غير واحد عن سفيان عن الأعمش عن « مُسْلم البَطِين » عن سعيد بن جبير مرسلاً ، وليس فيه عن ابن عباس . وانظر تفسير القرطبي ٦٨/١٢ .

٦٤ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ..﴾** [آية ٤٠] .

هذا عند « سيبويْه » استثناءٌ ليس من الأول[1] .

وقال غيرهُ : المعنى إلَّا بأن يقولوا ربُّنا اللَّهُ على البدل .

٦٥ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ، وَبِيَعٌ ، وَصَلَوَاتٌ ، وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ..﴾** [آية ٤٠] .

حدَّثنا سعيدُ بن موسى بـ « قَرْقِيسْيَاءَ »[2] قال : حدثنا مَخْلَدُ بنُ مالكٍ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن خُصَيف قال :

أمَّا « الصَّوامِعُ » فصوامعُ الرُّهبان .

وأمَّا « البِيَعُ » فكنائس النَّصارى[3] .

---

(١) يريد الشيخ أنه استثناء منقطع يقدَّر بـ « لَكِنْ » أي لكنْ أُخرجوا لقولهم ربنا الله وانظر البحر المحيط ٣٧٤/٦ والقرطبي ٦٩/١٢ .

(٢) « قرقيسياء » : بلدة على نهر الخابور عند مصب الخابور في الفرات ، كذا في معجم البلدان ٣٢٨/٤ .

(٣) هذا ما ذهب إليه بعضُ المفسرين أن « الصوامعَ » للرهبان ، و« البِيَعَ » للنصارى جمع بيعَة وهي الكنيسة و« الصلوات » لليهود ، و« المساجد » للمسلمين ، وذكر الطبري ١٧٥/١٧ عن مجاهد وابن زيد أن « البيعَ » كنائس اليهود ، والصلوات كنائس النصارى ، أقول : لعلَّ هذا القول أرجح ، لأن الله تعالى ذكر أماكن العبادة مرتَّبة ، فبدأ بالرهبان ثم باليهود ، ثم بالنصارى ، ثم بالمسلمين ، ولو لم يراع هذا الترتيب ، لبدأ بمساجد المسلمين ، لأنها هي المعابد الحقة ، فتنبه والله يرعاك .

وأمَّا « الصَّلَواتُ » فكنائس اليهود .

وأمَّا « المساجدُ » فمساجد المسلمين .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : لولا أنَّ اللَّه جلَّ وعزَّ يدفع بعض النَّاس ببعض ، لهُدِّم في وقتِ كلِّ نبيّ ، المصلَّياتُ التي يُصلَّى فيها[1] .

وقيل ﴿ **يُذْكَرُ فيها اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً** ﴾ راجعٌ إلى المساجد خاصة ، هذا قولُ قتادة[2] .

فأمَّا قوله ﴿ **وَصَلَواتٌ** ﴾ والصَّلَوات لاتُهدم ففيه ثلاثة أقوال :

قال الحسن : « هدمُها » : تركُها .

قال الأخفش : هو على إضمار أي وتُركتْ صَلَواتٌ[3] .

(١) قال الإمام القرطبي ٧٠/١٢ في تفسير هذه الآية ﴿ ولَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاس بَعْضَهم ببعضٍ ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطَّلوا ما بَنَتْهُ أربابُ الديانات ، من مواضع العبادات ، ولكنه دفع شرهم بأن أوجب القتال ، ليتفرَّغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد أمرٌ متقدمٌ في الأمم ، وبه صلحت الشرائع ، واجتمعت المتعبَّدات ، فكأنه قال : أُذن في القتال فليقاتلْ المؤمنون ، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقضٌ لمذهبه ، إذ لولا القتالُ لما بقي الدينُ الذي يُذبُّ عنه .. اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٧٧/١٧ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وهذا رأي الجمهور .

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٣٦/٢ .

وقال **أبو حاتم**[1] : هو إن شاءَ اللَّهُ بمعنى : موضِعُ صلوتٍ .

ورُوي عن « عاصم الجَحْدريّ » أنه قرأ ﴿ **وصُلُوبٌ** ﴾[2] بالباء المعجمة من تحت .

ورُوي عنه أنه قرأ ﴿ **وصُلُوْتٌ** ﴾[3] بضم الصَّادِ والتَّاءِ ، معجمةً بنقطتين ، وقال : هي للنَّصارى .

ورُوي عن الضحَّاك أنه قَرَأ ﴿ **وصلُوثٌ** ﴾[4] بالثاء معجمة ، ولا أدري أفَتَحَ الصَّادَ أم ضَمَّها ؟

إلاَّ أن الحسن قال ﴿ **وصَلَواتٌ** ﴾ هي كنائس اليهود ، وهي بالعبرانية صَلُوثَا .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وآتَوْا الزَّكَاةَ ..** ﴾ [آية ٤١] .

قال الحسن : هم أمة محمد صلَّى الله عليه وسلم[5] .

---

(١) أبو حاتم هو سهل السجستاني وتقدمت ترجمته ١/٧٨ .

(٢ــ٤) هذه القراءات كلها من الشواذ كما في المحتسب لابن جني ٢/٨٢ ما عدا قراءة ﴿ وصلواتٌ ﴾ وهي كما ذكرنا «كنائس النصارى» جمع صلاة ، وسميت الكنيسة « صلاة » لأنه يصلَّى فيها ، من باب تسمية المحلّ باسم الحالّ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٧١ .

(٥) هذا قول أبي العالية أيضاً ، وهو أرجح من قول ابن نجيح أنهم الولاة ، والأرجح منهما قول ابن عباس : هم المهاجرون والأنصارُ ، والتابعون لهم بإحسان ، وقال الضحاك : هو شرطٌ شرطهُ الله لمن آتاه الله الملك . اهـ وانظر البحر المحيط ٦/٣٧٦ والقرطبي ١٢/٧٣ .

وقال ابنُ أبي نجيح : همُ الولاةُ

قال أبو جعفر : « الَّذيَن » بدل مِنْ « مَنْ »[1] والمعنى : ولينصرنَّ اللهُ الَّذينَ إنْ مكنَّاهم في الأرض ، أقاموا الصَّلاةَ وَآتوا الزَّكاة .

٦٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ..﴾** [آية ٤٥] .

قال أهل التفسير : المعنى « فكم » وهي عند النحويِّين « أيٌّ » دخلتْ عليها « كافُ » التشبيه ، فصار التقدير كالعدد الكثير والمعنى معنى « كَمْ »[2] .

٦٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ..﴾** [آية ٤٥] .

روى مَعْمر عن قتادة قال : خاليةٌ ليس فيها أحدٌ[3] .

قال أبو جعفر : يُقال خَوتْ الدَّارُ تَخْوى خَوَاءً إذا خَلَتْ ، وخَوَى الرجلُ يَخْوَى خَوَىً إذا جاع ، والعروشُ : السقوفُ .

٦٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾** [آية ٤٥] .

---

(١) يريد « مَنْ » في قوله تعالى ﴿ وَلَينصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ ينصُره ﴾ فيصير المعنى : ولينصرنَّ الله المؤمنين ، الَّذينَ إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة .. الخ .

(٢) فكأيِّنْ : بمعنى « كَمْ » تقتضي التكثير ، والمعنى كثير من الأمم وأهل القرى أهلكناهم .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨٠/١٧ والدر المنثور ٣٦٥/٤ .

قال الضحَّاكُ : أي لا أهل لها(١) .

﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال عكرمة : أي مجصَّص(٢) .

قال ابن أبي نجيح : أي بالقَصَّةِ وهي الجِصُّ(٣) .

وَروَى عليُّ بنُ الحَكَم ، عن الضحَّاكِ ﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال : طويل .

والقولُ الأول أولَى ، لأنه يُقال : شَادَه ، يَشِيدُهُ ، إذا بناه بالشِّيدِ ، وهو الجصُّ(٤) ، كما قال عَدِيُّ بن زيدٍ :

شَادَهُ مَرْمَراً وجلَّلَهُ كِلْساً
فَلِلطَّينِ في ذُراه وُكُورُ(٥)

(١ـ٣) انظر الآثار في تفسير القرطبي ٧٤/١٢ ﴿ وَبِئْرٍ مُعطَّلَةٍ ﴾ متروكة ، قال الضحاك ، وقيل : خالية من أهلها لهلاكهم . وفي الدر المنثور ٣٦٥/٤ عن قتادة قال : ﴿ وبئرٍ معطَّلة ﴾ عطَّلها أهلها وتركوها ﴿ وقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ قال : شيَّدوه وحصَّنوه فهلكوا وتركوه . اهـ .

(١) قال في اللسان : الشِّيدُ بالكسر كلُّ ما طُلي به الحائط من جِصٍّ أو بِلاطٍ ، وكلُّ ما أُحكم من البناء فقد شُيِّد ، وتشييدُ البناء : إحكامُه ورفعه . اهـ اللسان مادة شيد .

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي وهو في ديوانه ص٨٨ بلفظ « وخلَّله كلْساً » وهو الصحيح لأنَّ معناه جعل الكلس في خلل الحجر ، وجميع المصادر تتفق على روايته مصحَّفاً « وجلَّله كِلساً » بالجيم كما هي رواية المصنف ، إلا أن العسكري نبهَّ على هذا التصحيف فقال : ترويه العامة « جلَّله » بالجيم ، وقرأته عل ابن دُريد فقال « خلَّله » بالخاء المعجمة أي جعل الكلس في خلل الحجر ، وقال : جلَّله ليس بشيء ، وكان يضحك من هذا ويقول : متى رأوا حصناً مصهرجاً ، وقال : هكذا رواه الأصمعي بالخاء المعجمة ، وانظر الجمهرة ٤٥/٣ وما اختاره النحاس أن المراد =

فأمَّا إذا طَوَّلَهُ ورفَّعَهُ فإنما يُقالُ فيه : شيَّـده وأشَادَه ، ومنـه أشادَ فلانٌ بذكر فلان .

٧٠ ــ وقوله جلَّ وعـزَّ : ﴿ فَإِنَّهَـا لَاتَعْمَـى الأَبْصَارُ وَلَكِـنْ تَعْمَـى القُلُـوبُ الَّتي في الصُّدُوْر﴾ [آية ٤٦] .

وفي قراءة عبدالله[١] ﴿ فَإِنَّهُ لا تَعْمَى ﴾ والمعنى واحد .

قال أبو جعفر : التذكيرُ على الخبر ، والتأنيثُ على القَصَّةِ .

قال قتادة : البصرُ الناظر جُعل بُلْغَةً ومَنْفعةً ، والبصر النافع في القلب[٢] .

٧١ ــ ثم قال جل وعـزَّ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَـذَابِ وَلَـنْ يُخْلِـفَ اللَّـــهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمَاً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ﴾ [آية ٤٧] .

= بالمشيد المبنى بالشِّيد ــ وهو الجِصُّ ــ فيه نظرٌ ، فقد رُوي عن ابن عباس أنه الشديـد المنيعُ الحصينُ ، وهذا أولى لأن الغرض من الآية بيـان أن اللـه أهلكهـم ، وقـد تركـوا خلفهـم الـقصور الفخمة الضخمة ، المنيعة الحصينـة ، الشديـدة البنيـان تركوهـا من غير سكـان ، وفي ذلك عبرةٌ لمن يعتبر .

(١) المراد به ابـن مسعـود ، والضمير في ﴿ فإنها ﴾ يعـود على الـقصة ، وهـذه الـقـراءة ليست من القراءات السبع .

(٢) الأثر في القرطبي ٧٧/١٢ والدر المنثور ٣٦٥/٤ وأخرج البيهقي في شعب الإيمان أن النبي ﷺ قال : « ليس الأعمـى من يعمـى بصره ، ولكـنَّ الأعمـى من تعمـى بصيرتـه » وأخرجـــه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : يومٌ من الأيَّام التي خلق اللَّهُ فيها السَّمواتِ والأرضَ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ[1] .

ورَوَى شعبةُ عن سِمَاك عن عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ ، قال : يومٌ من أيام الآخرة ، كألف سنةٍ ممَّا تعدُّونَ .

قال : ويومٌ كان مقدارُه خمسين ألف سنة (يومُ القيامة)[2] .

قال أبو جعفر : والقول الثاني حسنٌ جداً ، لأنه عليه يتصلّ بالكلام الأول ، لأنهم استعجلوا بالعذاب فقال ﴿ **وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾ أي في عذابهم ، وإنَّ يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ، كألف سنةٍ ممَّا تعدُّون في الدنيا[3] .

---

(1)و(2) الأثران عن ابن عباس أخرجهما الطبري في جامع البيان ١٨٣/١٧ والسيوطي في الدر ٣٦٥/٤ .

(3) قال الألوسي ١٧٠/١٧ : لايخلو هذا القول عن حُسن إلاَّ أن فيه بُعْداً .

وقال أبو حيان ٣٧٩/٦ : « واختلفوا في هذا التشبيه ، فقيل التشبيه في العدد أي اليومُ عند الله ألف سنة من عددكم ، وفي الحديث الصحيح : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام) فالمعنى : وإن طال الإمهالُ فإنه في بعض يوم من أيام الله .

وقيل : التشبيهُ وقع في الطول للعذاب فيه والشدَّةِ ، أي وإن يوماً من أيام عذاب الله ، لشدَّة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم ، إذْ أيامُ التَّرح مستطالةٌ ، وأيامُ الفرح مستقصرَةٌ ، فكأن ذلك اليوم الواحد كألف سنة من سنيِّ العذاب ، والمعنى : لو أنهم عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه . اهـ .

فصار المعنى : إن اللَّهَ لن يُخلِفَ وعده في عذابهم في الدنيا ، وعذابهُم في الآخرة أشدُّ .

قال أبو جعفر : وفي معناه قول آخر بيِّن وهو أنهم استعجلوا بالعذاب فأعلمهم الله جلَّ وعز ، أنه لا يفوته شيءٌ ، وإن يوماً عنده وألفُ سنة واحدٌ ، إذْ كان ذلك غير فائِته(١) .

٧٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ .. ﴾ [آية ٥١] .

قال عبد الله بن الزبير إنما هي ﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾ أي مثَبِّطين عن الإيمان(٢) .

قال ابن عباس : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مُشَاقِّين(٣) .

قال الفراء : معاندين(٤) .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادةَ في قوله تعالى ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ قال : كذَّبوا بآيات الله عز وجلَّ ، وظنُّوا أنهم يُعْجِزونَ الله ، ولن يُعْجِزوه(٥) .

---

(١) هذا أظهر الأقوال وهو قول الزجاج في معانيه ٤٣٣/٣ قال : إنهم استعجلوا العذاب ، فأعلمهم الله أنه لايفوته شيء ، وأن يوماً عنده وألف سنة واحدٌ في قدرته عز وجل ، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة الإلهية .

(٢ــ٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ والقرطبي ٧٨/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٢٩/٢ قال السيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/٤ عن عُروة بن الزبير ، أنه كان يعجب من الذين يقرءون هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ ويقول : ليس ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ من كلام العرب ، وإنما هي ﴿ معجِّزينَ ﴾ يعني مثبِّطين . اهـ .

أقول : القراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص٤٣٩ ، فقد قرأ ابنُ كثير ، وأبو =

قال أبو جعفر : وهذا قول بيِّنٌ .

والمعنى عليه : والَّذينَ سَعَوْا في آياتنـا ، ظَانِّين أنهم يُعَجِّزوننـا ، لأنهم لا يُقرِّون ببعثٍ ، ولا بجنَّةٍ ، ولا نار ، أولئكَ أصحابُ الجحيم .

٧٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نبيٍّ إلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ** ..﴾ [آية ٥٢] .

قال ابن أبي نجيح ﴿ **تَمَنَّى** ﴾ أيْ : قَالَ[1] .

وقال أهل اللغة : « تمنَّى » أي تلا ، والمعنى واحدٌ .

٧٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ** ..﴾ [آية ٥٢] .

رَوَى الليثُ عن يُونس عن الزهريِّ ، قال : أخبرني أبو بكر ابن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أن النبيَّ ﷺ قرأ بمكة ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى** ..﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى** ﴾ سَهَا فقال « فإنَّ شفاعتهم تُرْتَجَى » فلقيه المشركون ، والذين في قلوبهم مرضٌ ، فسلَّمُوا عليه ،

= عمرو ﴿ مُعَجِّزين ﴾ مشدَّداً بغير ألف ، وقرأ عاصم ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿ معاجزين ﴾ بألف ، وانظر أيضاً النشر ٣٢٧/٢ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩٠/١٧ وابن كثير ٤٤١/٥ والسيوطي في الدر ٣٦٨/٤ ولفظه : إذا تكلم ألقى الشيطان في كلامه .. وفي البخاري في كتاب التفسير ١٢٢/٦ قال ابن عباس ﴿ في أمنيَّته ﴾ إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه .

فقال : إنَّ ذلك من الشيطان ، فأنزل الله جل وعزَّ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نَبِيّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ** ﴾ إلى آخر الآية .

قال قتادة : قرأ النبي ﷺ فأَغْفى ونَعَس فقال : أفرأيتم اللَّاتَ والعُزَّى . ومناة الثالثة الأخرى . فإنها تُرتجى ، وإنها الغرانيقُ[1] العُلى ، فوقرت في قلوب المشركين ، فسجدوا معه أجمعون ، وأنزل الله

(١) هذه القصة تسمى « قصة الغرانيق » وقد أُولِعَ بذكرها بعضُ المفسرين ، وهي قصة واهيةٌ باطلة ، لايجوز الاعتقادُ ولا التحدُّث بها ، لأنها من الأخبار المكذوبة .

وخلاصة القصة أن النبي ﷺ لمَّا قرأ سورة النجم ، بمحضرٍ من المشركين والمنافقين ، ألقى الشيطان على لسانه مدحَ الأوْثانِ والأصنام ، بهذه العبارة « تلك الغرانيقُ العُلى وإنَّ شفاعتهنَّ لتُرتجى » ففرح بذلك المشركون ، ولما انتهى عليه السلام من تلاوة السورة سجد وسجد معه المشركون ... الخ وهذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة ، لأنها تعارض قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عن الهَوَى إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوْحَى ﴾ فلا يمكن للشيطان أن ينطق بلسان الرسول ، لأنه عليه السلام محفوظٌ ومعصومٌ .

قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة باطلٌ لا أصل له .

وقال ابن إسحاق : هي من وضع الزنادقة .

وقال البيهقي : رواتُها مطعونٌ فيهم .

وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وهي روايات مرسلات ومنقطعات لاتصح .

وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرِّجه أحد من أهل الصحَّةِ ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون ، والمولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

أقول : والعجب أن تنزلق قدم المصنف الإمام النحاس ، وهو من جهابذة العلماء المحققين ، فيذكر هذه القصة الباطلة !!

جل وعز ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ .. ﴾ إلى آخر الآية .

٧٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ ..** ﴾ [آية ٥٣] .

﴿ **فِتْنَةً** ﴾ أي اختباراً وامتحاناً واللهُ جل وعزَّ يمتحن بما يشاء .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ [آية ٥٣] .

الشِّقاقُ : أشدُّ العداوةِ .

٧٧ ــ **ثم أخبر تعالى أن هؤلاء لايتوبون ، ولا يزالون في شك ، فقال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ** ﴾ أي في شكٍّ ﴿ **حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً** ﴾ أي فجأة ﴿ **أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾ [آية ٥٥] .

قيل : هو يومُ القيامة .

وأهلُ التفسير على أنّه يومُ بدرٍ ، قال ذلك سعيدُ بن جُبَيرٍ ، وقتادةُ .

وقال قتادة : وبلغني عن أُبيٍّ بن كعب أنه قال : أربعُ آياتٍ نزلتْ في يوم بدرٍ[1] .

﴿ **عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾[2] يوم بدر .

---

(١) انظر الطبري ١٩٣/١٧ والقرطبي ٨٧/١٢ والدر المنثور ٣٦٨/٤ .

(٢) هي هذه الآية ﴿ ولايزالُ الذين كفروا في مِرْيةٍ منه .. ﴾ الآية من سورة الحج .

و « اللّزامُ »[1] : القتالُ في يوم بدر .

و ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى ﴾[2] يوم بدر .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَـذَابِ الأَكْبـرِ ﴾[3] يوم بدر .

قال أبو جعفر : أصلُ العُقْمِ في اللغة : الامتنـاعُ ، ومنـه قولهم « امرأةٌ عقيمٌ » و « رجلٌ عقيمٌ » إذَا مُنِعَا الولَدَ .

و« ريحٌ عَقِيمٌ »[4] لا يأتي بسحابٍ فيه مطر .

أي فيه العذابُ .

و « ويومٌ عقيمٌ »[5] لا خير فيه لقوم .

فيومُ القيامة ، ويومُ بدر ، قد عُقِم فيهمـا الخيـرُ ، والفـرحُ عن الكفار .

---

(١) يشير إلى قوله سبحانه في سورة الفرقان آية ٧٧ ﴿ فقد كذَّبتم فسوفَ يكونُ لِزَاماً ﴾ .

(٢) سورة الدخان آية رقم ١٥ .

(٣) سورة آلم السجدة آية رقم ٢١ والأثر أخرجه السيوطي في الدر ٣٦٨/٤ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَفي عَادٍ إذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ﴾ سورة الذاريات آية ٤١ .

(٥) قولـه تعـالى ﴿ أو يأتيهم عذابُ يومٍ عقيمٍ ﴾ هذا من لطيـف الاستعـارة ، لأن العـقيم المرأةُ التـي لاتلد ، ولمّا كان يوم القيامة لاينفع فيه ندمٌ ، لأن الزمان قد مضى ، والتكليـف قد انـقضى ، ولم يعد يمكـن للإنسان تدارك ما فاتـه ، جعـل كأنـه بمنزلة المرأة العـقيم ، التـي لاتلـد ، فللـه در القرآن !!

٧٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ .. ﴾ [آية ٦٠] .

والأوَّل ليس بعقوبة ، فسُمِّي الأول باسم الثاني ، لأنهما من جنسٍ واحد على الازدواج[1] ، كما يسمى الثاني باسم الأول .

٧٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً .. ﴾ [آية ٦٣] .

قال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ فقال : هذا واجبٌ ، وهو تنبيهٌ[2] .

والمعنى : انتبهْ ، أنزلَ اللهُ من السَّماءِ ماءً ، فكان كذا ، وكذا .

وقال الفراء : هو خبرٌ[3] .

---

(١) يسمى هذا عند علماء البلاغة « المشاكلة » أي المجانسة في اللفظ مع اختلاف المعنى ، ومنه قول الشاعر :

قالوا اقترحْ شيئاً نُجِدْ لك طبخه ... قلتُ : اطبخوا لي جبَّة وقميصاً

(٢) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط ٦/٣٨٦ وقال : لو نصب المضارع لأعطى عكس الغرض .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٩ قال : إن المضارع « فتصبحُ » إنما رُفع لأن الجملة خبرية ، ولو كانت استفهاماً لوجب النَّصبُ ، وعبارتُه : ﴿ فتصبحُ الأرضُ مُخْضَرَّةً ﴾ رُفعتْ « فتصبحُ » لأنَّ المعنى في « أَلَمْ تَرَ » معناه خبرٌ ، كأنك قلتَ : اعلم أن الله يُنزل من السماء =

ويُقرأ ﴿ فَتَصبِحُ الأَرْضُ مَخْضَرَةً ﴾[2] أي ذات خُضرٍ ، كما يقول : مَبْقَلَة ، وَمَسْبَعَةٌ ، أي ذاتُ بَقْلٍ ، وسِبَاعٍ .

٨٠ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ .. ﴾ [آية ٦٥] .

والمعنى : كراهيةَ أن تَقعَ[3] .

٨١ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

أي فلا يُجَادِلُنَّك ، ودلَّ على هذا ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ ﴾ .

ويُقال : قد نازعوه ، فكيف قال : ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ ﴾ ؟

فالجواب : أن المعنى : فلا تنازعْهُمْ .

ولا يجوز هذا إلا فيما لا يكون إلاَّ من اثنين ، نحو المنازعة ،

= ماءً فتصبحُ الأرض مخضّرة ، ولو جعلته استفهاماً وجعلتَ الفاء شرطاً لنصبتَ كقوله « ألم تسأل فتخبرَكَ الديارا » .

وعبارة القرطبي : ﴿ فَتُصبِحُ ﴾ ليس بجواب فيكون منصوباً ، وإنما هو خبر عند الخليل وسيبويه ، قال الخليل : المعنى انتبه أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا . اهـ قال ابن خروف : وقوله : هذا واجب ، يريد أنه ماضٍ .

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور بالتشديد ﴿ مُخْضَرَّةً ﴾ .

(٢) قال الألوسي : الكلام على حذف حرف الجر ، أي عن أن تقع عليها ، وقدَّره البصريون كراهة أن تقع ، والكوفيون يقدّرون « لئلَّا تقع » والمراد بإمساكها عن الوقوع : حفظُ تماسكها بقدرته تعالى . اهـ روح المعاني ١٩٣/١٧ .

والمخاصمة ، وما أشبهها ، ولو قلتَ : لايضرِبُنَّك تريدُ لا تَضْرِبْهم لم يجز[1] .

ويُقرأ ﴿ فَلَا يَنْزِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾[2] قرأ به « أبو مِجْلَز » أي فلا يَغْلِبنَّك .

وحكَى أهلُ اللغةِ : نَازَعني فَنَزعْتُه .

٨٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال محمد بن كعب : أي يقعون بهم[3] .

وقال الضحاك : أي يأخذونهم أخذاً باليد[4] .

وحكَى أهلُ اللغة : سَطَا به ، يَسْطُو ، إذا بَطَشَ به ، كان ذلك بضربٍ أو بِشتْمٍ .

٨٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .. ﴾ [آية ٧٣] .

---

(١) باب المُفَاعَلَة لايكون إلا من اثنين فأكثر مثل : خاصم ، وقَاتل ، وجَادَل ، لأن هذه الصيغة تدل على مشاركة من الطرفين ، فلا يقال عن شخص « قَاتَلَ » إلا إذا كان أمامه من يقاتله ، وهكذا ، والغرضُ من الآية : تحريضُه عليه السلام على التأسي بالأنبياء في الصبر وتحمل الأذى ، وترك مجادلة الكفرة المعاندين ، والإمساك عن مناظرتهم بعد اليأس من إيمانهم .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢/٨٥ .

(٣) و(٤) انظر الأثر في الطبري ١٧/٢٠٢ والدر المنثور ٤/٣٧٠

قال الأخفش : إن قيل : فأين المَثَلُ ؟

فالجوابُ : أنه ليس ثَمَّ مَثَلٌ ، والمعنى : إنَّ اللهَ جلَّ وعز قال : ضربوا لي مَثَلاً على قولهم[1] .

وقال القُتَبيّ[2] : ياأيها النَّاسُ مثلُكُمْ مَثَلُ من عَبَد آلهةً ، لم تستطع أن تخلُقَ ذباباً ، وسَلَبها الذُّبابُ شيئاً ، فلم تستطع أن تستنقذه منه .

فذهب إلى أنَّ في الكلام ما دلَّ على المثل من قوله ﴿ **لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ إلى آخر الآية .

ومذهب الأخفش أن الكفار ضربوا للهِ جلَّ وعزَّ مثلاً ، أي جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، كما يُعبد هو جلَّ وعزَّ ، كما قال « أين شركائي »[3] ؟

---

(١) معاني الأخفش ٢/٦٣٧ وهذا القول مرجوح ، والراجح أن هناك مثلاً ضربه الله تعالى لما يُعبد من غيره من الأوثان والأصنام فكأنه تعالى يقول : إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ، لاتقدر على خلق ذبابة على ضعفها ، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله ؟! .

(٢) هو ابن قتيبة الدينوري ، واسمه عبدالله بن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٦٩ ووفيات الأعيان ١/٣١٤ .

(٣) أشار إلى قوله تعالى في سورة القصص آية ٧٤ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ مع أنه تعالى ليس له شركاء ، وإنما يقوله توبيخاً لهم وتبكيتاً .

والذُّبابُ عند أهل اللغة واحدٌ ، وجمعهُ أَذِبَّةٌ ، وذِبَّانٌ[1] .

٨٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ [آية ٧٣] .

الطَّالبُ : الآلهة . والمطلوبُ : الذُّباب[2] .

٨٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..﴾ [آية ٧٤] .

أي ما عظَّموه حق عظمته .

ولما خبَّر بضعف ما يعبدون ، أخبر بقوَّته فقال جلَّ وعزَّ ﴿ إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

٨٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْكَعُوا واسْجُدُوا ..﴾ [آية ٧٧] .

فلا يكون ركوعٌ إلاَّ بسجودٍ ، ثم قال تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي أَخْلِصوا عبادتكم للَّهِ وحدَه .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ١٢٦/١ : والذباب معروف ، الواحدة ذُبابة ، ولا تقل : ذِبابة ، وجمع القلة أذبَّة ، والكثير ذِبَّان ، كغراب وغِرْبان .

(٢) هذا قول ابن عباس ، وقال غيره : الطالب عابدُ الصنم ، والمطلوب الصنم ، أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم ، والمطلوب الذي هو الصنم ، فكل منهما حقيرٌ ضعيف ، قال القرطبي : وخصَّ الذباب لأربعة أمور : لمهانته ، وضعفه ، ولاستقذاره ، وكثرته ، فإذا كان هذا ــ هو أضعف الحيوان وأحقره ــ لايقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ، ودفع أذيته ، فكيف يجوز أن يكون آلهة معبودين ، وأرباباً مطاعين ؟ القرطبي ٩٧/١٢ .

٨٧ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ﴾** [آية ٧٧] .

أي كلَّ ما أمر اللَّهُ به .

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي لتكونوا على رجاءٍ من الفلاح[١] .

٨٨ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَاهِدُوْا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِه ..﴾** [آية ٧٨] .

قيل : هذا منسوخ وهو مثل قوله **﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾**[٢] نَسَخه **﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾**[٣] .

٨٩ ـ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾** أي اختاركم ، ثم قال **﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** [آية ٧٨] .

قال أبو هريرة : الإصْرُ الذي كان على بني إسرائيل وُضِع عنكم .

رَوَى يونس عن الزُّهري قال : سأل عبد الملك بن مروان عليَّ

---

(١) إنما نحى المصنِّف هذا المنحى ، لينبِّه أن الرجاء صادرٌ من المخلوق ، لا من الخالق ، أي رجاءَ منكم أنتم أن تُفلحوا ، وليس اللهُ تبارك وتعالى يترجَّى منَّا الفلاح ، فتنبه له فإنه دقيق .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

(٣) سورة التغابن آية ١٦ والقول بأن الآية منسوخة ضعيف ، والأصح أنها محكمة كما قال ابن الجوزي ٥/٤٥٦ .

ابن عبدِ اللَّهِ ابنِ عباس عن قوله تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ فقال : هو الضِّيقُ ، جَعَل لكفاراتِ الأَيْمان مَخْرَجاً ، سمعتُ ابن عباسٍ يقول ذلك[1] .

قال أبو جعفر : أصلُ الحَرَجِ في اللغة : أشدُّ الضِّيقِ[2] ، وقد قيل : إن المعنى أنه جعل للمسافرِ الإفطارَ ، وقصر الصلاة[3] ، ولمن لم يَقْدر أن يصلي قائماً الصَّلاةَ قاعداً ، وإن لم يقدر أَوْمَأَ ، فلم يُضيِّق جلَّ وعزَّ .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : « أُعطيتْ هذه الأُمَّةُ ثلاثاً لم يُعْطها إلَّا نبيٌّ :

أ ـ كان يُقال للنبيِّ اذهبْ ، فلا حَرَجَ عليك ، وقيل لهذه الأمة : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ .

ب ـ والنبيُّ ﷺ شهيدٌ على أُمَّتِهِ ، وقيل لهذه الأمة ﴿ **وتَكُوْنُوا شُهَدَاءَ على النَّاس** ﴾ .

---

(١) انظر الأثر في الطبري ١٧/٢٠٦ .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كأَنَّمَا يَصَّعَّدُ في السَّمَاء ﴾ . سورة الأنعام آية ١٢٦ .

(٣) هذه بعض صور لرفع الحرج عن المؤمنين ، وأمثالُ هذا كثيرٌ ، قال ابن عباس : هذا في هلال شهر رمضان ، إذا شكَّ فيه الناسُ ، وفي الحجِّ إذا شكُّوا في الهلال ، وفي الفطر ، وفي الأضحى ، إذا التبس عليهم ، وأشباهه . اهـ الطبري ١٧/٢٠٧ .

جـ ــ ويُقال للنبي : سلْ تُعْطَه ، وقيل لهذه الأمة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] .

وقال كعبُ الأحبارِ نحوَ هذا .

وقال عكرمة : أحلَّ النِّساء مثنى ، وثُلَاث ، ورُبَاع .

وروى عن ابن عباس : جعل التَّوْبة مقبولة .

٩٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ .. ﴾ [آية ٧٨] .

أي وُسِّع عليكم ، كما وُسِّع عليه صلى الله عليه وسلم[2] ، وقيل ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ ﴾ فعل أبيكم إبراهيم .

٩١ ــ ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا .. ﴾ [آية ٧٨] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يقول : اللهُ جلَّ وعزَّ سمَّاكم[3] .

---

(١) الأثر في البحر المحيط ٣٩٢/٦ والقرطبي ١٠٠/١٢ والطبري ٢٠٨/١٧ .

(٢) قال الطبري ٢٠٧/١٧ : المعنى : وسَّعه عليكم كَمِلَّةِ أبيكم إبراهيم ، ويحتمل نصبها على وجه الأمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزموا مِلَّة أبيكم إبراهيم . اهـ . وانظر البحر المحيط ٣٩١/٦

(٣) هذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، واختيار جمهور المفسرين ، والمعنى : اللَّهُ سمَّاكم المسلمين في الكتب المتقدمة ، وفي هذا القرآن العظيم ، ورضي لكم الإسلام ديناً ، فاعبدوه واستسلموا =

قال مجاهد : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي في الكتُبِ والذِّكْرِ[1] .

قال أبو جعفر : ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يعني القرآن .

٩٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شهِيدَاً عَلَيْكُمْ ﴾ [آية ٧٨] .

قال سفيان : أي بأعمالكم ﴿ وتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ علَى النَّاسِ ﴾ بأن الرسل قد بلَّغتهم .

٩٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَنِعْمَ المَوْلَى ﴾ أي الوليُّ ﴿ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي النَّاصر ، كما يقول : قديرٌ ، وقادرٌ ، ورحيمٌ ، وراحمٌ .

* * *

(انتهت سورة الحج)

= لحكمه ، وقال الحسن وابن زيد :الضميرُ يعود على إبراهيم ، وهو قول مرجوح ، وانظر الطبري ٢٠٨/١٧ والقرطبي ١٠١/١٢ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/٤ وابن كثير ٤٥٢/٥

تفسير سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ آيــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون وهي مكية[1]

١ ــ **من ذلك قولُ اللهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ﴾** [آية ١] .

أي قد نالوا الفلاح ، وهو دوامُ البقاء في الجنَّة .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾** [آية ٢] .

قال إبراهيم وقتادة : الخشوعُ في القلب ، قال إبراهيم : وهو السُّكونُ .

وقال قتادة : وهو الخوفُ ، وغضُّ البصرِ في الصلاة[2] .

قال مجاهد : هو السُّكونُ .

والخشوعُ عند بعض أهل اللُّغةِ : في القلب ، والبصر ، كأنه تفريغُ القلب للصَّلاة ، والتواضعُ باللِّسانِ ، والفعل[3] .

---

(١) في المخطوطة « سورة المؤمنين » هكذا ذُكرت « المؤمنين » بالجرِّ ، وهذا حسب قواعد اللغة العربية سليمٌ ، وهو على الإضافة ، والأفضل أن يقال « سورةُ المؤمنون » على الحكاية كما هو في رسم القرآن ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٨/٥ : وهي مكية في قول الجميع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢/١٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٩٥/٦ .

(٣) خلاصة القول في الخشوع : أنه السكون والطمأنينة ، والخوفُ من الجبَّار ، وتفريغ القلب من الأغيار ، واستحضارُ عظمة الله وجلاله ، بحيث لا ينشغل في صلاته بأي شاغل دنيوي ، كما =

قال أبو جعفر : وقولُ مجاهـد ، وإبـراهيم في هذا حسنٌ ، وإذَا سكَنَ الإنسان تَذلَّل ، ولم يَطْمَحْ ببصرِهِ ، ولم يُحرِّكْ يديـه ، فأمَّـا وضعُ البصر موضع السُّجود ، فتحديدٌ شديدٌ .

وقد رُوى عن علـيّ عليـه السلام : الخشوعُ : أن لا يلتـفتَ في الصلاة[1] .

وحقيقتُه : المنكسرُ قلبُه إجلالاً للَّـهِ ، ورهبـةً منـه ، ليـؤدّي مَا يجبُ عليه .

٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾** [آية ٣] .

قال الحسن : عن المعاصي[2] .

قال أبو جعفر : واللَّغْوُ عند أهـل اللغـة : ما يجب أن يُلْغَـى ،

= يكون الإنسان في حضرة الملِك ، وقد روى الإمام أحمد ٣٤/١ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحيُ ، يُسمع عند وجهه كدويٍّ النَّحل ، وأُنـزل عليه يوماً ، فمكثنا عنده ساعة ، فسُرِّي عنه ، فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تُنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنَّا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تُؤثر علينا ، وأرضنا وارضَ عنَّا » ثم قال : لقد أُنزلت عليَّ عشر آيات ، من أقامهنَّ ــ أي عمل بهن وطبقهنَّ ــ دخل الجنة ، ثم قرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون .. ﴾ حتى ختم العشر » وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٣٠٥/٥ رقم ٣١٧٣ .

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاده ٤٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٤٦٠/٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٤٦٠/٥ والسيوطي في الدر ٤/٥ قال الزجاج : واللغو كل لعب ولهو ، وكل معصية فهي مطرَّحة ملغاة .

أي يُطرحَ ويُترك ، من اللَّعبِ ، والهَزْلِ ، والمعاصي(١) .

أي شغلهم الجَدُّ عن هذا .

٤ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾** [آية ٤] .

أي مؤدُّون(٢) .

[ومدح الله جلَّ وعز من أخرج من مالِهِ الزَّكاةَ ، وإن لم يُخرِجْ منها غيرها](٣) .

٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾** [آية ٥ ـــ ٦] .

[**قال الفراء** : أي إلَّا من اللَّاتي أحلَّ اللهُ جلَّ وعزَّ لهم الأربعَ لا تُجَاوِزُه .

﴿ **أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ﴾ في موضع خفض معطوفة على

---

(١) قال أبو حيان : اللغو : ما لا يعنيك من قول ، أو فعل ، كاللعب ، والهزل ، وما توجب المروءة اطِّراحَه ، يعني : أنَّ بهم من الجدِّ ما يشغلهم عن الهزل . اهـ. البحر المحيط ٣٩٥/٦ .

(٢) هذا من باب التضمين ، فقد ضمَّن المصنِّف لفظة ﴿ فاعلون ﴾ بعبارة « مؤدُّون » لأنه المراد من الآية ، قال في البحر : إن أريد بالزكاة قدر مايُخرج من المال للفقير ، فيكون على حذف أي لأداء الزكاة فاعلون ، إذ لا يصح فعل الأعيان من المزكّي ، أو يُضمَّن « فاعلون » معنى مؤدُّون ، وبه شرحه التبريزي . اهـ. البحر ٣٩٦/٦ .

(٣) ما بين الحاصرتين من كتاب إعرابِ القرآن للنحاس ٤١٤/٢ وهو ساقطٌ من المخطوطة .

أزواجهــــم ، و« ما » مصدر ، أي ينكحــــون ما شاءوا من الإمــاء ، حفظوا فروجهم إلّا من هذين][1] .

٦ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فأولـئك هم العـادون﴾ [آية ٧] .

أي فمن طلب سوى أربع نسوة ، وما ملكتْ يمينُـه ﴿ فَأُوَلـئِكَ هُمُ العَادُون ﴾ أي الجائرون إلى ما لا يحلُّ ، الَّذِينَ قد تعدَّوْا .

٧ ـــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَالَّذِيـنَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِـمْ وَعَهْدِهِـمْ رَاعُـــونَ﴾ [آية ٨] .

أي حافظون .

يُقال : رعيتُ الشَّيْءَ : أي قمتُ بصلاحِهِ ، ومنـه فلانٌ يَرْعَـى ما بينهُ وبينَ فُلان[2] .

٨ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [آية ٩] .

---

(١) سقـط من المخطوطـة تفسير الآيتين ، وقـد أثبتنـاه من إعـراب القـرآن للنحـاس ٤١٤/٢ ومعـاني القرآن للفراء ٢٣١/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٠٧/١٢ : الأمانة والعهدُ : يجمـع كلَّ ما يحملـه الإنسان من أمـر دينـه ودنيـاه ، قولاً وفعلاً ، وهذا يعمُّ معاشرة النَّاس ، والمواعيـد ، وغير ذلك ، وغايـة ذلك حفظُـه والقيـام به ، والأمانة أعمُّ من العهد ، وكل عهدٍ فهو أمانة ، من قول ، أو فعل ، أو معتقد . اهـ.

قال مسروقٌ : أي يصلُّونها لوقتها[1] .

وليس من جهة الترك ، لأنَّ التَّرك كفرٌ .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾ [آية ١٠] .

يُقال : إنَّما الوارثُ من وَرِث ما كان لغيره ، فكيف يُقال لمن دَخَل الجنَّةَ وارثٌ ؟

ففي هذا أجوبةٌ :

يُستغنى عن ذكرها بما رُوي عن النبي ﷺ .

رَوَى الأعمشُ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ **أُوَلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾ قال : « ليس من أحدٍ إلَّا له منزلان ، منزلٌ في الجنة ، ومنزلٌ في النَّار ، فإن هو أُدخل النَّار ، وَرِثَ أهلُ الجنة منزلَه ، فذلك قوله تعالى ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ** ﴾[2] .

---

(١) الصحيح ما قاله المصنف أن المراد بالمحافظة على الصلاة في الآية : إقامتُها والمبادرةُ إليها في أوقاتها ، وإتمام ركوعها وسجودها .

فإن قيل كيف تكرَّر ذكر الصلاة في أول الآيات وآخرها ؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، فقد ذكر تعالى هناك الخشوع فيها ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ وذكر هنا المحافظة عليها بمعنى أدائها في أوقاتها ، وهما مختلفان فلا تكرار .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤٥٣/٢ وابن أبي حاتم . قال القرطبي : إسناده صحيح ، وانظر تفسير ابن كثير ٤٥٩/٥ والطبري ٥/١٨ والقرطبي ١٠٨/١٢ .

١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾** [آية ١١] .

في حديث سعيد عن قتادة عن أنسٍ مرفوعاً : « والفردوسُ رَبْوةُ الجنَّةِ ، وأوسطُها ، وأفضلُها »(١) .

ثم قال **﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فأنَّث على معنى الجنَّة .**

١١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾** [آية ١٢] .

قال قتادة(٢) : استُلَّ آدمُ ﷺ من طينٍ .

وقال غيره : إنما قيل لآدم سُلالة ، لأنه سُلَّ من كلِّ تُربة .

ويقال للولد : سُلالةُ أبيه .

وهو « فُعَالة » من انسَلَّ ، وفُعَالة تأتي للقليل من الشيء ،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣١٧٤ من حديث الربيِّع بنت النضر بهذا اللفظ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه مسلم بلفظ « إذا سألتمُ الله فسلُوه الفردوسَ ، فإنَّه أوسطُ الجنَّةِ ، وأعلى الجنَّةِ ، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة » .
ومعنى « أوسط الجنة » أنه في وسط الجنان في العرض ، وأعلاها في الارتفاع ،قاله ابن حبان ، قال القرطبي : وهذا يصحِّح قول أبي هريرة « إن الفردوس جبلُ الجنة ، التي تتفجَّر منه أنهار الجنة » وانظر تفسير القرطبي ١٠٨/١٢ .

(٢) سقط من المخطوطة عبارة « قال قتادة » وأثبتناها من القرطبي ١٠٨/١٢ وهي ضرورية لقوله بعدها وقال غيره .

نحو : القُلاَمَةِ ، والنُّخَالة .

وقد قيل : إن السُّلَالة إنما هي نطفةُ آدم ﷺ ، كذا قال مجاهد[1] .

وهو أصحُّ ما قيل فيه : ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم ، وآدمُ هو الطين لأنه خُلق منه .

١٢ ــ **ويدلُّ على ذلك قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾** [آية ١٣] .

ولم يصِرْ في قرارٍ مكينٍ ، إلاّ بعد خلقه في صلب الفحل .

وقولهِ تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ يُراد ولدُه .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وهي واحدةُ العَلَق ، وهو الدَّم قبل أن يَيْبس .

﴿ فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ المضغةُ : القطعةُ الصغيرةُ من اللحم ، مقدار ما يُمضغ ، كما يقال : « غُرْفة » لمقدار ما يُغْرف ، و« حُسْوة » [لمقدار ما يُحْسَى][2] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/٧ والسيوطي في الدر ٥/٦ وقال البخاري في كتاب التفسير ٦/١٢٤ : ﴿ من سُلَالة ﴾ الولد ، والنُّطفةُ : السُّلالة . اهـ.

(٢) سقطت من المخطوطة لفظة « لمقدار ما يُحْسى » وأثبتناها لأنها توضيح لمعنى الحسوة ، قال في المصباح : والحُسْوة بالضمّ : ملءُ الفم ممَّا يُحْسى . اهـ. المصباح المنير مادة حَسَا .

١٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً ..﴾ [آية ١٤] .

ويُقرأُ « عَظْماً »[٢] وهو واحدٌ يدلُّ على جَمْعٍ ، لأنه قد عُلِمَ أنَّ للإنسانِ عظاماً .

﴿ فكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمَاً ﴾ ويجوز العَظْم[٣] على ذلك .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ ..﴾ [آية ١٤] .

رَوَى عطاءٌ عن ابنِ عباس والربيعُ بن أنس عن أبي العالية ، وسعيدٌ عن قتادة عن الحسن، وعليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك في قوله ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ قالوا : نفَخَ فيه الروحَ[٣] .

ورَوَى هُشَيْمٌ ، عن مَنْصُورٍ ، عن الحَسَن ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

---

(١) قراءة « عظماً » بالإفراد هي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر ، عن عاصم ، وهي من القراءات المشهورة ، وقرأ الجمهور بالجمع « عِظَاماً » وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٨/٢ والطبري ٩/١٨ والبحر ٣٩٨/٦ .

(٢) أي تجوز القراءة هنا على الإفراد أيضاً ﴿ عَظْماً ﴾ على المعنى الذي ذكره المصنف ، أنه واحد يدلّ على الجمع ، قال ابن الجوزي في النشر ٣٢٨/٢ : وهي قراءة ابن عامر ، وأبي بكر .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٩/١٨ وابن الجوزي في زاده ٤٦٢/٥ والسيوطي في الدر ٧/٥ .

خَلْقَاً آخَرَ ﴾ قال : ذكراً وأنثى[1] .

ورُويَ عن الضحَّاك قال : الأسْنَانُ ، وخروجُ الشعر[2] .

قال أبو جعفر : وأَوْلى ما قيل فيه : أنَّه نفخُ الرُّوح فيه ، لأنه يتحوَّلُ عن تلك المعاني ، إلى أن يصيرَ إنساناً[3] .

والهاءُ في ﴿ أَنْشَأْنَاهُ ﴾ تعودُ على الإنسانِ ، أو على ذكرِ العظامِ ، والمضغةِ والنُّطفةِ ، أي : أنشأنا ذلك .

وقولُه ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ** ﴾ [آية ١٥] .

ونقول في هذا المعنى : لَمَائِتُونَ[4] .

١٥ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال أبو عُبَيدة : أي سبع سمواتٍ[5] .

(١ــ٣)هذه الأقوال كلها منقولة عن السلف ، فقد قال ابن عباس : المرادُ نفخُ الروح فيه بعد الخلق ، واختار هذا ابن جرير الطبري وإليه ذهب النحاس ، ورُوي عن مجاهد : كمالُ شبابه ، وعن الضحاك : نباتُ الشعر ، وخروج الأسنان ، واختار كثير من المفسرين أنه عام في جميع هذا وفي غيره حيث جعله الله خلقاً آخر ، مبايناً للخلق الأول ، حيث صار إنساناً وكان جماداً ، وجسداً وكان طيناً ، وحَيّاً وكان ميتاً .

(٤) الميْتُ : بسكون الياء من مات فعلاً ، والميِّت : بالتشديد من سيموت ، كما قال سبحانه : ﴿ إنك ميِّت وإنهم ميِّتون ﴾ وكما قال الشاعر : « إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء » وانظر معاني الزجاج ٩/٥ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٦/٢ .

وحكى غيرُه أنه يُقال : طارقتُ الشَّيءَ أي جعلتُ بعضَه فوق بعض ، فقيل للسَّموات : طرائقُ ، لأنَّ بعضها فوق بعض[1] .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ..﴾** [آية ١٨] .

معنى ﴿ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ﴾ جعلناه فيها ثابتاً .

كما رُوي (أَرْبعةُ أَنْهارٍ من الجنَّةِ في الدنيا : الفراتُ ، ودجلةُ ، وسَيْحانُ[2] ، وجَيْحانُ)[3] .

قرىء على « أبي يعقوبَ » إسحقَ بنِ إبراهيمَ بن يونس ، عن جامع بن سَوَادةَ قال : حدَّثنا سعيدُ بن سابق ، قال : حدثنا مَسْلَمةُ بنُ عليٍّ ، عن مُقَاتِلِ بنِ حيان ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « أنزل اللَّهُ جلَّ وعزَّ من الجنَّةِ خمسة أَنْهارٍ : « سَيْحون » وهو نهرُ الهند ، و« جيحون » وهو نهرُ بلخ ، و« دجلةُ والفراتُ » وهما

---

(١) قال في البحر ٤٠٠/٦ : وقيل سُمِّيت طرائق لأنها طرائق الملائكة في العروج .

(٢) يقال : سَيْحَان وجَيْحَان ، ويقال : سَيْحون ، وجَيْحون كما في الرواية الأخرى .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا عن ابن عطاف ، كذا في الدر المنثور ٨/٥ للسيوطي ، وما جنح إليه المصنف من أن المراد بالماء الساكن في الأرض الأنهار ، هو قول آخر في الآية مرجوح ، والقول الراجح أن المراد أسكنه في بطون الأرض ، في الآبار والأودية ، فيفتح العيون والأنهار ، ويسقي الزروع والثمار كما قال سبحانه : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ الزمر آية ٢٠ .

نَهْرَا العراقِ ، و« النِّيلُ » وهو نهرُ مصر .. أنزلهما الله جل وعزَّ من غير واحدة من عيونِ الجنَّة ، في أسفلِ درجةٍ من درجاتها ، على جناحَيْ جبريل ﷺ فاستودعها الجبالَ ، وأجراها في الأرضِ ، وجعل فيها منافع للنَّاس من أصنافِ معايشهم ، وذلك قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ** ..﴾ فإذا كان عند خروج « يأجوج ومأجوج » أرسل اللَّهُ جلَّ وعزَّ جبريل عليه السلام ، فرفعَ من الأرضِ القرآنَ ، والعلمَ ، وهذه الأنهارَ الخمسةَ ، فيرفع ذلك إلى السَّماء ، وذلك قولُه تعالى ﴿ **وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُوْنَ** ﴾ فإذا رُفعتْ هذه الأشياءُ من الأرض إلى السَّماء ، فَقَدَ أهلُها خيرَ الدِّين ، والدنيا ، والآخرة »[1] .

١٧ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ..﴾** [آية ٢٠] .

المعنى : وأنشأنا شَجَرةً .

قال أبو عُبيدة : الطُّورُ : الجبلُ ، وسيناء : اسم[2] .

وقال الضحَّاك ﴿ **سَيْنَاءَ** ﴾ الحَسَنُ[3] .

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والخطيب بسند ضعيف ، وانظر روح المعاني ١٩/١٨ والدر المنثور ٨/٥ والقرطبي ١١٣/١٢ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٧/٢ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣/١٨ .

قال أبو جعفر : والمعروفُ أن « سَيْنَا » اسم الموضع(1) .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ..﴾ [آية ٢٠] .

ويُقرأ « تُنْبِتُ بِالدُّهْن »(2) .

وفيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الباء زائدة ، وهذا مذهب أبي عُبيدةَ ، كما قال الشاعر :

هُنَّ الحَرَائــرُ لا رَبَّــاتُ أَحْمِــرةٍ
سُوْدُ المحاجِــرِ لايَقْــرأنَ بالسُّورِ(3)

---

(1) هذا القول هو الصحيح واختاره الطبري ١٨/١٤ حيث قال : وقال ابن زيد هو جبل الطور الذي بالشام ، الذي كلَّم الله عليه موسى ، فهو اسم الجبل ، ولو كان كما قال من قال معناه : جبل مبارك ، أو معناه حسن ، لكان الطور منوَّناً ، وكان قوله « سَيْنَاءَ » من نعته ، على أن « سيناء » بمعنى مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عُرف بذلك ، وهو الذي نودي منه موسى ، وهو مع ذلك مبارك ، لأنه معناه مبارك . اهـ.

(2) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون « تَنْبُتُ » بفتح التاء وانظر النشر ٣٢٨/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٤٤ .

(3) جاء في خزانة الأدب ١٠٨/٩ والبيت وقع في شعرين : أحدهما للراعي النميري ، والثاني للقتَّال الكلابي وقبله قوله :

صَلَّــى على عَزَّةَ الــرحمنُ وابْنَتِهَــا ... لَيْلَــى وَصَلَّــى على جَارَاتها الأُخَرِ
هُنَّ الحَرَائِــرُ لَا رَبَّــاتُ أَحْمِــرَةٍ ... إلخ

وقد جاء في تفسير القرطبي ١١٥/١٢ بالخاء « أخمرة » جمع خمار ، وكذلك في اللسان ، وذكر في الخزانة أنه تصحيف ، وصوابه أحمرة .

وقيل : الباءُ متعلقةٌ بالمصدر الذي دلَّ عليه الفعل ، فقيل : نَبَتَ ، وأَنْبتَ بمعنًى ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتَ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيوتِهِمْ
قَطِيناً لَهُمْ حتَّى إذا أَنْبتَ البَقْلُ(١)

وهذا القول مذهب الفرَّاء وأبي إسحاق ، ومعنى ﴿ تُنْبِتُ بالدُّهْنِ ﴾ و﴿ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ﴾ عندهما واحد .

والمعنى : تَنْبتُ ومعها الدُّهنُ ، كما تقول : جاء فلانٌ بالسَّيف ، أي ومعه السَّيفُ .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ [آية ٢٠] .

وصِبْغٌ ، وصِبَاغٌ ، بمعنًى واحد .

قال قتادة : يعني الزيتون(٢) .

---

(١) البيت لزهير في مدح « هَرِم بن سِنَان » وهو في ديوانه ص ١١١ والقَطِينُ : الساكن النَّازلُ في الدار ، وقبله :

إذا السَّنَةُ الشهباءُ بالناسِ أجحفتْ ونالَ كِرَامَ المالِ في السَّنةِ الأكلُ

يقول : إن ذوي الحاجات يقصدونهم في زمن الجدب ، حتى يأتي الربيع ، وينبت البقل ، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٣ والبحر المحيط ٦/٤٠٠ وروح المعاني ١٨/٢٢ وأنكر الأصمعي « أنبت » في قصيدة زهير ، وقال : هو نَبَتَ البقلُ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨/٨ ولفظه : وقال قتادة ﴿ وشجرة تَخْرُجُ ﴾ قال : هي الزيتون ، جعل الله فيها دُهناً وأُدْماً . اهـ. وسُمّي الزيتُ « صِبْغاً » لأنه يَصْبُغ الخبزَ إذا غُمس فيه ، فهو كالصباغ للثياب ، وهذا مروي عن ابن عباس وابن زيد ، وانظر الطبري ١٨/١٥=

٢٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ هُوَ إلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ..﴾ [آية ٢٥] .

« جِنَّةٌ » أي جنون .

﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ قال الفراء : ليس يُرادُ بالحين وقتٌ بعينه ، إنما هو كما تقول : دَعْهُ إلى يومٍ ما[1] .

٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً ..﴾ [آية ٢٩] .

« مُنْزَل » و« إنْزَال » واحدٌ ، والمنْزِلُ : موضعُ النُّزُولِ ، والمَنْزَلُ بمعنى النُّزُول[2] ، كما تقول : جَلَس مَجْلَساً ، والمَجْلِسُ : الموضعُ الذي يُجْلَس فيه[3] .

٢٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾ [آية ٣٣] .

= والبحر المحيط ٤٠١/٦ .

أقول : ذكر تعالى منافع الزيتون ، أنه يُؤكل ويُستخرج منه الزيت ، فهو زاد وأُدْمٌ ، وفي الحديث الشريف « كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة » أخرجه الترمذي والإمام أحمد .

(١) معاني القرآن للفراء ٢٤٣/٢ .

(٢) قال الجوهري : المَنْزَلُ بفتح الميم والزاي : النزول وهو الحلول ، تقول : نزلت نُزُولاً ومنزَلاً . اهـ. الصحاح مادة نزل .

(٣) نبَّه المصنف إلى القراءات الواردة في هذه الآية ، قال ابن مجاهد في السبعة ص ٤٤٥ : قرأ عاصم في رواية ﴿ مَنْزِلاً ﴾ بفتح الميم وكسر الزاي ، وقرأ الباقون وحفص : ﴿ مُنْزَلاً مُبَارَكاً ﴾ اهـ. والمعنى : أنزلني إنزالاً مباركاً ، وأما على قراءة عاصم ﴿ مَنْزِلاً مباركاً ﴾ فالمعنى : أنزلني مكاناً مباركاً ، وانظر الطبري ١٨/١٨ والقرطبي ١٢٠/١٢ .

معناه : وسَّعنا عليهم ، حتَّى صاروا يُؤْتَونَ بالتُّرفْةِ ، وهي مثلُ التُّحفة[1].

٢٣ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُم إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُوْنَ﴾** [آية ٣٥] .

قال سيبويْهِ : وممَّا جاء مُبْدلاً من هذا الباب قولُه تعالى **﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذَا مِتُّمْ وكنْتُم تُراباً وعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرجُونَ ﴾** ؟

يذهبُ إلى أنَّ « أنَّ » الثانية ، مبدلةٌ من الأولى ، وأنَّ المعنى : أَيَعِدكُم أنَّكمْ مُخرجونَ إذا مِتُّمْ ؟

قال سيبويه : وكذلك أُريد بها ، وجيءَ بـ « أنَّ » الأولى ، لتدلَّ على وقت الإخراج .

والفرَّاءُ[2] ، والجَرْميُّ[3] ، وأبو العباس[4] ، يذهبون إلى أنَّ « أنَّ » الثانية مكرَّرةٌ للتوكيد ، لمَّا طال الكلام كان تكريرُها حَسَناً .

---

(١) عبارة القرطبي ﴿ وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴾ أي وسَّعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ، وصاروا يؤتون بالتُّرفة وهي مثل التُّحفة . اهـ. القرطبي ١٢١/١٢ .

(٢) انظر معاني الفراء ٢٣٤/٢ .

(٣) الجَرْمي : هو صالح بن إسحاق الجرمي ، أبو عمر البصري المتوفى سنة ٢٢٥هـ إمام العربية صاحب التصانيف ، أخذ العربية عن سعيد الأخفش ، واللغة عن أبي عُبيدة ، قال المبرِّد : كان الجرميُّ أثبت القوم في كتاب سيبويه . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٦١/١٠ ووفيات الأعيان ٢٨٥/١ ومعجم المؤلفين ٣/٥ .

(٤) أبو العباس : هو الإمام المبرد أحد كبار علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

والأخفشُ يذهبُ إلى أنَّ « أنَّ » الثانية في موضع رفع بفعل مضمر ، دلَّ عليه « إذا » والمعنى عنده : أيعدكم أنكم إذا مِتُّم ، وكنتم تُراباً وعظاماً يحدث إخراجكُمْ ، كما تقول : اليومَ القتالُ ، والمعنى عنده : اليومَ يَحْدُثُ القتالُ ، ويقعُ القتالُ .

قال الفرَّاء : وفي قراءة ابن مسعود[1] ﴿ **أَيَعِدُكُمْ إذَا مِتُّمْ وكُنْتُم تُرَاباً وَعِظَاماً إنَّكُمْ مُخْرَجُونَ** ﴾ ؟

قال أبو إسحاق : ويجوز « أيعدكم إنكم إذا مِتُّم وكنتم تُرَاباً وَعِظَامَاً إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ » لأن معنى « أيعدكم » أيقول لكم .

٢٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿هَيْهاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾** [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي للبعث[2] .

قال أبو جعفر : العرب تقول : هَيْهاتَ ، هَيْهاتَ لِمَا قُلْتَ ، وهَيْهاتَ ما قُلْتَ .

(١) قراءة ابن مسعود بإسقاط ﴿ إنَّكم ﴾ الأولى ، ذكرها أبو حيان في البحر ٤٠٤/٦ والقرطبي ١٢٢/١٢ والألوسي ٣١/١٨ وهي خلاف قراءة الجمهور ، وأحسن ما قيل في تكرار ﴿ أنَّكم ﴾ أنه لطول الفصل بينه وبين خبره وهو ﴿ مخرجون ﴾ .
قال الفراء ٢٣٥/٢ : أُعيدت ﴿ أنَّكم ﴾ مرتين ، وحَسُن ذلك لما فرِّقت بينها وبين خبرها بإذا ، وكذلك تفعل بكل اسم أوقعت عليه « أن » بالظنِّ ، ثم اعترض عليه الجزاء دون خبره ، فإن شئت كرَّرتَ اسمه ، وإن شئت حذفته أولاً أوآخراً ، فتقول : أظنُّ أنك إذا خرجت أنَّك نادمٌ فإن حذفت أنكَ الأولى والثانية صَلُح وإن أثبتهما صَلُح ، وإن لم تعرض بينهما بشيء لم يجز فخطأً أن تقول أظن أنَّك أنَّك نادم ، إلا أن تُكرِّر كالتوكيد . اهـ .
(٢) الأثر في الطبري ٢٠/١٨ وهو تفسير لقوله ﴿ لَمَا تُوعَدُون ﴾ ومعنى « هيهات » بعيد أي =

فمن قال « هَيْهَاتَ لِمَا قلتَ » فتقديره : البعدُ لِمَا قُلتَ ، ومن قال : « هَيْهاتَ ما قلتَ » فتقديره : البعيدُ ما قلتَ .

وفي « هيهات » لغاتٌ ليس هذا موضع ذكرها .

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا .. ﴾ [آية ٣٧] .

يُقال : كيف قالوا : ﴿ نَمُوْتُ وَنَحْيَا ﴾ وهم لايُقرّون بالبعث ؟

ففي هذا أجوبة :

أ ــ [منها في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ ، والمعنى : ما هي إلاَّ حياتُنا الدنيا ، نحيا فيها ونموت][1] كما قال تعالى ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾[2] .

= بعيد ، بعيد ما يعدكم به من أمر البعث بعد الموت ، وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير ١٢٤/٦ ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعيد ، بعيد .

(١) سقط من المخطوطة هذا السطر ، وأخذناه من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٤/١٢ وهو القول الأول ، لأنه ذكر بعده قو . : وجواب ثالث ، ولم يذكر المصنف إلا الثاني والثالث .

(٢) سورة آل عمران ٤٣ وتمامها ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ .
وإنما ذكر هذا الوجه لأنهم ينكرون البعث ، فليس قولهم ﴿ نموت ونحيا ﴾ إقراراً بالبعث بعد الموت ، لأنه يعارض قولهم ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ وقد استشهد المصنف بالآية على أن « الواو » لا تقتضي الترتيب ، وإنما هي لمطلق الجمع كقوله تعالى ﴿ واسجدي واركعي ﴾ ومعلوم أن السجود قبل الركوع .

ب ــ **ومنها أن المعنى** : نموتُ ، ويَحْيَا أولادُنا[1] .

ج ــ **وجوابٌ ثالثٌ** : وهو أن يكون المعنى : نكون مَوَاتاً أي نُطَفاً ، ثم نحيا في الدنيا[2] .

٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ** ﴾ [آية ٤٠] .

والمعنى : عن قليلٍ ، و« مَا » زائدةٌ للتوكيد .

٢٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً** .. ﴾ [آية ٤١] .

والمعنى : فأهلكناهم ، وفرَّقناهم .

والغثاءُ : ما علَا الماءَ من وَرَقِ الشَّجرِ ، والقَمْشِ[3] ، لأنه يتفرَّقُ ، ولا يُنتَفَعُ به .

٢٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** .. ﴾ [آية ٤٤] .

قال أبو عبيدة : أي بعضُها في إِثْرِ بعض[4] .

قال أبو جعفر : وهذا قولُ أكثرِ أهلِ اللغة ، إلَّا الأصمعي فإنه قال : ﴿ **تَتْرَى** ﴾ مِنْ وَاتَرْتُ عليهِ الكُتُبَ ، أي بينها مُهْلة[5] .

---

(١) عبارة البحر أوضح فقد قال : يموت بعض ويولد بعض ، ينقرض قرن ، ويأتي قرن . اهـ. البحر ٤٠٥/٦ .

(٢) هذا الوجه بعيد ، ولعل الوجه الأول هو أرجح الوجوه .

(٣) القَمْشُ : فُتات الأشياء قال في القاموس المحيط : القَمْشُ جمع القُماش ، وهو ما على وجه الأض من فُتَات الأشياء ، حتى يقال لرذالة الناس قماش . اهـ. القاموس مادة قمش .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٩/٢ .

(٥) العبارة هنا غامضة ، وأوضح منها ما جاء في إعراب القرآن للنحاس ٤١٩/٢ : قال الأصمعي : =

و« تَتْرى » الأصلُ فيه من الوَتْرِ ، وهو الفردُ ، فمن قال ﴿ تَتْرًى ﴾[1] بالتنوين ، فالأصلُ عنده « وِتْرًا » ثم أبدل من الواو تاءً كما يُقال : « تاللّهِ » بمعنى : وَاللّهِ .

ومن قرأ ﴿ تَتْرى ﴾ بلا تنوين ، فالمعنى عنده كهذا : إلاَّ أنه جعلها ألف تأنيث .

ويُقال : تِتْرٌ كما يُقال : وِتْرٌ .

والمعنى : أرسلناهم فَرْدًا ، فَرْدًا[2] ، إلاَّ أنه قد رَوَى عليٌّ بن أبي طَلْحةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ قال يقول : يتبعُ بعضُها بعضًا[3] .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ .. ﴾ [آية ٤٤] .

= واترت كُتُبي عليه : أتبعت بعضها بعضاً ، إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مُهْلة . اهـ. قال في تاج العروس : تَرَى يَتْرِي كرَمَى يَرْمِي : أي تراخى في العمل ، فعمل شيئاً بعد شيء ، وأَتْرَى عمل أعمالاً متواترة ، بين كل عملين فترة . اهـ. مادة ترى .

(١) هذه قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ﴿ تترىً ﴾ بالتنوين ، وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٢٨/٢ .

(٢) عبارة القرطبي ١٢٥/١٢ : وقيل هو من الوتر وهو الفرد ، فالمعنى أرسلناهم فرداً فرداً . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٤/١٨ ، وهذا القول أرجح الأقوال في الآية الكريمة وهو الذي ذهب إليه ابن عباس ، والمعنى : أرسلنا رسلنا متتابعين ، متتالين ، يتبع بعضهم بعضاً ، كلما ذهب رسول أعقبه رسول كما قال سبحانه ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ .

قال أبو عبيدة : أي مثَّلْنَا بهم ، ولا يُقال فِي الخير جعلتُه حديثاً[1] .

٣٠ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ..﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ولدتْهُ من غير أبٍ[2] .

قال أبو جعفر : ولم يقل : « آيتَيْنِ » لأنَّ الآية فيهما واحدة[3] .

ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ﴾[4] .

٣١ ــ وقولُه تعالى ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ..﴾ [آية ٥٠] .

---

(١) ﴿ أحاديث ﴾ قال القرطبي ١٢/١٢٥ : جمع أحدوثة ، وهي ما يُتحدث به ، كأعاجيب جمع أعجوبة ، وهي ما يتعجب منه ، قال الأخفش : إنما يقال هذا في الشرِّ ﴿جعلناهم أحاديث﴾ ولا يقال في الخير ، كما يقال : صار فلان حديثاً أي عبرة ومثلاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزَّقناهم كل ممزَّق ﴾ . اهـ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ١٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٩ .

(٣) قال في البحر ٦/٤٠٨ : أي جعلنا قصتهما آية للعالمين ، وهي آية عظمى بمجموعها ، وهي آيات مع التفصيل ، ويحتمل أن يكون حُذِف من الأول « آية » لدلالة الثاني أي جعلنا ابن مريم آية وأمه آية . اهـ. وقال الزجاج ٤/١٤ : إن الآية فيهما واحدة ، لأنها ولدته من غير فحل . وعلى هذا مذهب الفراء : وجعلناها آية للعالمين وابنها ، مثل قوله تعالى ﴿ والله ورسوله أحق أن يُرضوه ﴾ وحَّد الضمير .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٦٢ .

رَوَى إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس في قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ** ﴾ قال : نُبِّئْتُ أنَّها دمشقُ[1].

قال أبو جعفر : وكذا المعروفُ من قراءةِ ابنِ عباس ﴿ **إِلَى رِبْوَةٍ** ﴾ ويُقال : « رَبْوَة » بفتح الرَّاءِ[2] ، ويُقال « رَبَاوَةٌ » بفتح الراء والألف ، وقرأ بها الأشهبُ العُقَيْلي ، ويُقال : « رُبَاوَة » بالألف وضمِّ الرَّاء ، ويُقال « رِبَاوَةٌ » بكسر الراء، ومعناه : المرتفع من كل شيء .

ومعنى الرَّبْوَةِ : ما ارتفعَ من الأرضِ ، يُقال : رَبَا إذا ارتفع وزاد ، ومنه الرِّبَا في البيع[3] .

وقد اختُلِفَ في معنى هذا الحرف :

فقال ابن عباس ماذكرناه .

وكذلك رَوَى يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيِّب

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٦/١٨ وابن كثير ٤٧٠/٥ .

(٢) هذه من القراءات السبع ، قرأ عاصم وابن عمر ﴿ إلى رَبْوَةٍ ﴾ بفتح الراء ، وقرأ الباقون ﴿ رُبْوة ﴾ بالضم ، وانظر السبعة في القراءات ص ٤٤٦ ، وأما قراءة رَبَاوَةً فهي من الشواذ .

(٣) قال أبو عبيدة ٥٩/٢ : الرُّبوة يُضم أولها ويُكسر ، وهي النَّجوة من الأرض ــ أي المرتفع منها ــ ومنه قولهم : فلان في رَبوة من قومه أي في عز وشرف وعدد . اهـ. مجاز القرآن .

﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ قال : دمشقُ(١) .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : بيتُ المقدس(٢) .

وقال كعب الأحبار : بيتُ المقدسِ أقربُ إلى السماء بثمانية عَشَر ميلاً(٤) .

وقال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ : مِصرُ(٤) .

ورَوَى سَالمُ الأفطسُ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ﴾ قال : النشزُ من الأرض(٥) .

وقال الضحَّاكُ : ما ارتفَعَ من الأرض(٧) .

وقد رُوِي عن النبي ﷺ أن الرَّبْوة ههنا : الرَّملةُ(٧) .

فأمَّا ابنُ زيدٍ فقال : إلى رَبْوةٍ من رُبَى مِصْرَ ، قال : وليس الرُّبى إلاَّ بمصر ، والماءُ حين يُرسَلُ تكونُ الرُّبى عليها القُرَى ، ولولا

(١ــ٦) هذه الأقوال أن الربوة دمشق ، أو بيت المقدس ، أو مصر ، أو ما ارتفع من الأرض ، كلها أقول منقولة عن السلف ذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/٥ والطبري ٢٦/١٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ، عن مُرَّة البَهْريِّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الرَّبوة : الرَّملة ، وفي رواية عن أبي هريرة : هي الرملة في فلسطين ، وانظر الدر المنثور ١٠/٥ .

الرُّبى غرقتْ تلك القُرى[1] .

قال أبو جعفر : والصوابُ أن يُقال : إنَّها مكانٌ مرتفعٌ ، ذو استواءٍ ، وماءٍ ظاهر .

٣٢ ــ ثم قال تعالى ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [آية ٥٠] .

قال قتادة : ذاتُ ماءٍ وثمار[2] .

ورَوَى سالمٌ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ مستوية و﴿ **مَعَينٍ** ﴾ ماءٍ ظاهر[3] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ قال : الماءُ الجاري[4] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٦/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٩/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٣٨/١٨ : ذكروا أن قرى مصر كل واحدة منها على ربوة مرتفعة ، لعموم النيل في زيادته جميع أرضها ، فلو لم تكن القُرى على الرُّبى لغرقت . اهـ .

(٢ــ٤) ذكر هذه الآثار الطبري في تفسيره ٢٨/١٨ وصاحب البحر المحيط ٤٠٨/٦ وقال يعني أنه من أجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ١٠/٥ .

قال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/٥ : وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله سبحانه ﴿ وآويناهما إلى رَبوة ذات قرار ومَعِين ﴾ قال المعينُ : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى ﴿ قد جعل ربك تحتك سَرِياً ﴾ وكذا قال الضحاك ، وقتادة ، وهو في بيت المقدس ، فهذا ــ والله أعلم ــ هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأُخرى ، والقرآن يفسِّر بعضه بعضاً . اهـ.

قال أبو جعفر : معنى ﴿ ذات قرارٍ ﴾ في اللغة : يُستَقَرُّ فيها ، والذي قال سعيد بن جبير حَسَنٌ .

و﴿ مَعِينٌ ﴾ فيه ثلاث تقديرات :

إحداهن : أن يكون مفعولاً .

قال أبو إسحاق : هو الماءُ الجاري في العيون[1] .

فالميمُ على هذا زائدةٌ ، كزيادتها في « مبيع » .

وكذلكَ الميمُ زائدةٌ في قول من قال : إنه الماء الذي يُرى بالعين .

٢ ــ وقيل إنه « فعيلٌ » بمعنى « مفعول » .

قال علي بن سليمان[2] : يُقال : مَعَنَ الماءُ إذا جرى وكثر ، فهو معين ، ومَمْعُون ، قال وأنشدني محمد بن يزيد بيتاً ، لم يَحْفَظْ منه إلاَّ قولَه :

« وماءٍ مَمْعُون »

قال ويُقال : معينٌ ، ومُعُن ، كما يُقال : رَغِيفٌ ، ورُغُف .

---

(١) انظر معاني الزجاج ٤/١٥ .

(٢) علي بن سليمان بن الفضل البغدادي المتوفى سنة ٣١٥هـ المشهور بالأخفش الصغير ، أحد أئمة العلم والأدب سمع المبرد ، وثعلب ، وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٣/٢٤٦ .

٣ ـ **والقول الثالث** : حدثناه محمد بن الوليد عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : مَعَن الماءُ يَمْعَن مُعُوناً : جرى وسَهُل ، وأمعَنَ أيضاً وأمعنتُه أنا ، ومياهٌ مُعْنانٌ[1] .

٣٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوْا صَالِحًا ..﴾ [آية ٥١] .

قال أبو إسحق[2] : هذا مُخَاطبةٌ للنبيِّ ﷺ ، ودلَّ الجَمْعُ[3] على أنَّ الرُّسَل كلَّهم كذا أُمِرُوا ، أي كُلُوا منَ الحَلَالِ[4] .

٣٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..﴾ [آية ٥٢] .

المعنى : « ولأنَّ » أيْ ولأَنَّ دينَكم دينٌ واحدٌ ، وهو الإسلامُ فاتَّقُون .

---

(١) قال ابن منظور : ﴿ ذاتِ قرار ومعين ﴾ قال الفراء : ﴿ ذاتِ قرار ﴾ أرض منبسطة ، و ﴿ معين ﴾ الماء الظاهر الجاري ، قال : ولك أن تجعل المعين مفعولاً من العيون ، وأن تجعله فعيلاً من الماعون ، ويكون أصله المعن . اهـ. لسان العرب مادة مَعَن .

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ « إبراهيم بن السَّري » عالم بالنحو واللغة ، له كتاب إعراب القرآن . وانظر الأعلام ٤٠/١ .

(٣) في المخطوطة « الجميع » وهو خطأ ، وصوابه « الجَمْعُ » كما أثبتناه ، وكما ذكره القرطبي ١٢٨/١٢ نقلاً عن الزجاج .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢٣٧/٢ ﴿ يا أيها الرُّسُل ﴾ أراد النبي ﷺ فجمع ، كما يُقال في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفُّوا عنا أذاكم . اهـ. وقال في البحر : ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد في زمانه ، وإنما أتى بصيغة الجمع ، ليعتقد السامع أنَّ أمراً نُودي له جميع الرسل ووصُّوا به ، حقيق أن يُستمسك ويُعمل به . اهـ. البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

٣٥ ــ ثم خبَّر أن قوماً فرَّقوا أديانهم فقال جل وعزَّ : ﴿ فَتَقَطَّعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرَاً .. ﴾ [آية ٥٣] .

قال قتادة : أي كُتباً[1] .

قال الفراء : أي صاروا يهودَ ونصارى[2] .

وقرأ الأعمش : ﴿ فتقطَّعُوا أمرَهُمْ بينَهُمْ زُبَراً ﴾[3] وهو جمع « زُبَرَةٍ » أي قِطَعاً وفِرَقاً .

٣٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[4] ﴾ [آية ٥٣] .

أي معجبون .

٣٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ [آية ٥٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/١٠ وهو تفسير لقوله « زُبُراً » قال ابن زيد : يعني كتباً وضعوها ، وضلالات ألفوها ، قال القرطبي : يعني الأمم افترقوا ، فجعلوا دينهم أدياناً ، بعدما أُمروا بالاجتماع .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٣٧ .

(٣) هذه قراءة الأعمش ، وأبي عمرو ، قال الطبري ١٨/٣٠ قرأته عامة قراء المدينة والعراق « زُبُراً » جمع زبور بمعنى أن القوم تفرقوا في الدين الواحد ، والملة الواحدة ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الذي دان به الفريق الآخر ، وقرأ عامة قرَّاء الشام « زُبَراً » بفتح الباء بمعنى أنهم تفرقوا أمرهم بينهم قِطَعاً كزُبَر الحديد ، فصار بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى .

(٤) الفرح هنا ليس فرح غبطة وسرور ، بل هو فرح أشر وبطر ، ولذلك فسَّره بقوله : معجبُون .

قال قتادة : ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ أي في جهالتهم[1] .

﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ قال مجاهد : حتَّى الموت[2] .

٣٨ ـ ثم قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ .. ﴾ [آية ٥٥ ، ٥٦] .

الخبرُ محذوفٌ ، والمعنى : نسارع لهم به ، وهذا قول أبي إسحق .

ولهشامَ الضرير[3] فيه قولٌ ، وهو أنَّ « ما » هي الخيراتُ ، فصار المعنى : نسارعُ لهم فيه ، بغير حذف : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَانُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ مجازاةٌ لهم وخيرٌ[4] .

وقرأ عبد الرحمن بنُ أبي بَكْرَةَ[5] ﴿ يُسَارِعُ لَهُمْ في

(١،٢) انظر الطبري ٣١/١٨ والدر المنثور ١١/٥ وابن كثير ٤٧٢/٥ .

(٣) هو هشام بن معاوية الضرير المتوفى سنة ٢٠٩هـ كوفي نحوي ، من كتبه « الحدود ، والمختصر ، والقياس » وكلها في النحو ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٨٨/٨ الطبعة الحديثة ، وقد وقع خطأً في اسمه في البحر المحيط فقال : هشام بن معونة الضرير ، والصواب ما أثبتناه كما في الأعلام .

(٤) عبارة الفراء أوضح حيث قال : « ما » في موضع الذي ، وليست بحرف واحد ، وقوله ﴿ نسارع لهم في الخيرات ﴾ يقول : أيحسبون أن ما نُعطيهم في هذه الدنيا ، من الأموال والبنين ، أنَّا جعلناه لهم ثواباً ؟ إنما هو استدراج منَّا لهم . اهـ. معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٢ .

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٩٦هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٤٨/٦ .

الخَيْراتِ ﴾(1) بالياء وكسرِ الراء .

وهـــذا يجوز أن يكـــون على غير حذفٍ ، أي يُسارع لهم الإمدادُ .

ويجوز أن يكون فيه حذفٌ ، ويكون المعنى : يُسارع اللّـهُ لهم به في الخيرات(2) .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِـمْ مُشْفِقُونَ** .. إلى قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **وَالَّذِيـنَ يُؤْتُــونَ مَا آتَــوْا وَقُلُوبُهُــمْ وَجِلَــةٌ** ..﴾ [آية ٥٧ ــ ٦٠] .

قال عبدالـرحمن بن سعيـد الهَمَـدَاني عن عائشة رضي اللـه عنها قالت : « سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن قولـه تعـالى : ﴿ **وَالَّذِيـــنَ يُؤْتُـونَ ما آتَـوْا وَقُلُوبُهُـمْ وَجِلَـةٌ** ﴾ أهـو الرجـــل يَزْني ، أو يسرِقُ ، أو يشربُ الخمر ؟ فقـال : لا يا ابنـةَ الصِدِّيـق ، ولكنـه الرجـل يُصلِّـي ،

---

(١) هذه القراءة شاذة ، وانظر المحتسب ٩٤/٢ والطبري ٣١/١٨ والقرطبي ١٣١/١٢ والبحر المحيط ٤١٠/٦ .

(٢) الآية وردت مورد الـذم والتوبيـخ على سوء الفهـم ، قال قتـادة : مُكِرَ واللهُ بالقــوم في أمــوالهم وأولادهـم ، يا ابـن آدم ، فلا تعـتبر النـاس بأمـوالهم وأولادهـم ، ولكـن اعتبرهـم بالإيمان والعمـل الصالح . اهـ. تفسير ابن كثير ٤٧٣/٥ .

ويصومُ ، ويتصدَّقُ ، ويخاف ألاَّ يُتَقَبَّل منه »[1] .

وَرَوَى ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباسٍ في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا** ﴾ قال : يُعطون ما أَعْطَوْا[2] .

قال أبو جعفر : هكذا رُوي هذا ، وهكذا معنى ﴿ **يُؤْتُون** ﴾ يُعْطُون ، ولكنَّ المعروف من قراءة ابن عباس ﴿ **وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا** ﴾[3] وهي القراءة المرويَّةُ عن النبي ﷺ وعن عائشة .

ومعناها : يعملون ما عملوا ، كما رُوي في الحديث .

٤٠ — **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [آية ٦٠] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٩/٦ والترمذي في سننه رقم ٣١٧٥ والحاكم وصححه بلفظ متقارب ، ولفظ الترمذي : عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ والذين يُؤْتون ما آتَوْا وقلوبهم وجلة ﴾ قالت عائشة : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنتَ الصديق !! ولكنهم الذين يصومون ، ويصلُّون ، ويتصدَّقون ، وهم يخافون ألا يُقبَل منهم » ﴿ أولئك يُسَارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ وانظر الدر المنثور ١١/٥ فقد جمع فيه الروايات التي وردت عن رسول الله ﷺ .

(٢) انظر الطبري ٣١/١٨ وابن كثير ٤٧٣/٥ والدر المنثور ١١/٥ .

(٣) هذه القراءة وردت أيضاً عن الأعمش ، والحسن ، والنخعي ﴿ يأتون ما أَتَوْا ﴾ من الإتيان أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات والأعمال الصالحات ، وقرأ الجمهور ﴿ يُؤْتون ما آتَوا ﴾ أي يعطون ما أعطوا من الصَّدقات ، والزكوات ، وقلوبهم خائفة ألا يتقبل الله منهم ، قال الإمام الفخر : وترتيب هذه الصفات جاء في نهاية الحسن ، لأن الآية الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز ، والثانية على تحصيل الإيمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء في الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات ، مع الوجل والخوف من التقصير ، وهو نهاية مقام الصديقين . اهـ. التفسير الكبير ١٠٧/٢٣ .

قال الفرَّاء : المعنى : من أنهم[1] .

وقال أبو حاتم[2] : المعنى : لأنهم إلى ربِّهم راجعون .

٤١ ــ ثم قال تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾ [آية ٦١] .

قال أبو جعفر : سَارَع ، وأَسْرَع ، بمعنىً واحدٍ .

٤٢ ــ ثم قالَ جلَّ وعَزَّ : ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [آية ٦١] .

فيه ثلاثةُ أقوالٍ :

١ ــ المعنى : وهم إليها سابقون ، كما قال ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[3] أي أوحى إليها ، وأنشد سيبويه :

تَجَانَفُ عن جَوِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي
وَمَا قَصَدتْ من أَهْلِها لِسَوَائِكا[4] .

٢ ــ وقيل : معنى : ﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ : من أجلها ، أي من أجل

(١) أي خائفون من أنهم إلى ربهم راجعون ، وانظر معاني الفراء ٢/٢٣٨ وفي البخاري في كتاب التفسير ٨/٤٤٤ ﴿ قلوبُهم وَجِلةٌ ﴾ خائفين ، قال ابن عباس : يعملون خائفين . اهـ وانظر فتح الباري .

(٢) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني المقرىء اللغوي النحوي وقد تقدمت ترجمته ١/٧٨ .

(٣) سورة الزلزلة آية ٥ .

(٤) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص ٨٩ واستشهد به القرطبي ١٢/١٣٣ وفي المخطوطة « عَنْ جَوٍّ » وفي تهذيب اللغة « عَنْ جُلٍّ » قال الأزهري : سَوَاءُ الشيء : نفسُه ، قال الأعشى : « وما عدلتْ عن أهلها لسوَائِكا » يريد بها نفسك أي وما قصدت غيرك ، وانظر الصحاح للجوهري ٦/٢٣٨٤ .

اكتسابها ، كما تقول : أنا أُكرِمُ فلاناً لك ، أي من أجلك .

٣ ــ **وقيل : لما قال ﴿ وهم لها سابقون ﴾** دلَّ على السَّبْق ، كأنه قال : سبقُهم لها[1] .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا .. ﴾** [آية ٦٣] .

أي في غفلةٍ وغِطَاءٍ ، متحيِّرة .

ويُقال : غَمَره الماءُ إذا غَطَّاه ، ونهرٌ غَمْرٌ يُغطِّي مَنْ دَخَله ، ورجلٌ غُمْرٌ تَغْمُره آراء الناس[2] .

وقيل : غُمْرةٌ لأنها تُغَطِّي الوجه ، ومنه : دخل في غُمار الناسِ[3] .

ــ في قول من قاله ــ معناه : فيما يغطِّيه من الجمع .

وقوله ﴿ مِنْ هَذَا ﴾ فيه قولان :

---

(١) قال القرطبي ١٣٣/١٢ : وقال ابن عباس في معنى ﴿ وهُم لها سابقون ﴾ سبقت لهم من الله السعادة ، فلذلك سارعوا في الخيرات ، وقيل : المعنى : وهم من أجل الخيرات سابقون .

(٢) قال في لسان العرب : رجلٌ غُمْرٌ وغَمْرٌ : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحنِّكه التجارب .

(٣) قال القرطبي : يقال دخل في غُمار الناس وخُمارهم ، أي فيما يُغطِّيه من الجمع ، وقوله تعالى ﴿ بل قلوبهم في غَمْرة ﴾ أي في حيرة وعمى . اهـ. تفسير القرطبي ١٣٤/١٢ .

١ ـ **أحدهما : أن مجاهد قال** : بل قُلوبُهم في عِمَايةٍ من القرآن[1] .

فعلى قول مجاهد ﴿ **هَذَا** ﴾ إشارةٌ إلى القرآن .

وقال قتادة : وصَفَ أهلَ البرِّ فقال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ** ﴾ والَّذينَ .. والَّذِينَ .

ثم وصف أهلَ الكفر فقال ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ..** ﴾ .

فالمعنى على قول قتادة : من هذا البرِّ[2] .

٤٤ ـ **ثم قال تعالى** ﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُوْنِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ** ﴾ [آية ٦٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أن الحَسَنَ[3] قال : ولهم أعمال رَدِيَّة ، لم يعملوها وسيعملونها .

---

(١) الأثر ذكره القرطبي ١٣٤/١٢ قال مجاهد : أي في غطاء وغفلة وعِماية عن القرآن ، ورواه أبو حيان في البحر المحيط ٤١١/٦ فقال : المعنى أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء ﴿من هذا﴾ العمل ، أو من القرآن ، وقال القرطبي ٣٥/١٨ وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطَّاها عن فهم ما أودع الله في كتابه المواعظ والحجج والعِبَر ، وعنى بقوله :﴿من هذا﴾ من القرآن ، وهو قول مجاهد .

(٢) قول مجاهد هو الأظهر ، وقول قتادة ذكره في الدر المنثور ١٢/٥ وهو قول مرجوح .

(٣) إذا أطلق الحسن فيراد به الحسن البصري رحمه الله وهو من كبار المفسرين من التابعين .

قال مجاهد : أي لهم خطايا ، لابدَّ أن يعملوها[1] .

ب ــ **وقال قتادة** : رجع إلى أهل البِرِّ فقال ﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ من دُونِ ذَلِكَ** ﴾ **قال : أي سِوَى ماعَدَّد .**

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُوْنَ﴾** [آية ٦٤] .

قال قتادة : أي يجزعون .

وحكى أهلُ اللغة : جَأَر ، يَجْأَرُ ، إذا رفع صوته[2] .

قال مجاهد والضحَّاك : العذابُ الذي أُخِذوا به : السَّيفُ[3] .

قال مجاهد : يوم بدر .

---

(١) ذكره في الدر ١٢/٥ والطبري ٣٦/٨ قال ابن كثير ٤٧٥/٥ أي قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لتحق عليهم كلمة العذاب . اهـ .

(٢) قال الأزهري : جأرت البقرة جؤاراً رفعت صوتها ، وجأر القوم إلى الله جؤاراً ، وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرعين . اهـ. تهذيب اللغة مادة جأر ، وأصل الجؤار رفع الصوت بالتضرع .

(٣) هذا القول ذكره الطبري ٣٧/١٨ والألوسي ٤٧/١٨ والسيوطي في الدر ٤/٥ ورُوي عن الضحاك قول آخر ، وهو أن المراد بالعذاب « عذاب الجوع » وذلك أنه ﷺ دعا على أهل مكة لما كذَّبوه فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مُضَر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » فابتلاهم الله بالقحط والجوع ، حتى أكلوا العظام ، والميتة ، والكلاب ، والجيف ، وهلك الأموال والأولاد ، والأولى أن العذاب يجمع القولين ، وهو ما أصابهم من الجوع ، والقتل ، والأسر ، والله أعلم .

٤٦ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ .. ﴾ [آية ٦٦] .

قال الضحَّاك : قبل أن تُعَذَّبوا بالقتل .

٤٧ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

قال مجاهد : تستأخرون .

٤٨ ــ ثم قال تعالى ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والحسن ، وأبو مالك : مستكبرينَ بالحَرَم[1] .

قال أبو مالك : لأَمنهم ، والنَّاسُ يُتخَطَّفون حولهم .

قال أبو جعفر : وقيل مستكبرينَ بالقرآن ، أي يحضرهم عند قراءته استكبارٌ .

والقولُ الأوَّلُ أولى .

والمعنى : إنهم يفتخرون بالحَرَمِ ، فيقولون : نحن أهلُ حَرَمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

---

(١) الضمير في « به » إما أن يعود إلى البيت الحرام ، أو إلى القرآن ، والجمهور على الأول ، قال ابن الجوزي : الضمير عائد إلى البيت الحرام ، وهو كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر ، والمعنى : أنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، تقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً ، ونحن أهل بيت الله وولاته . اهـ . زاد المسير ٥/٤٨٢ وقال ابن كثير : الضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهُجْر من الكلام يقولون سحر وشعر .. إلخ .

٤٩ ــ **ثم قال تعالى ﴿ سَامِراً تُهْجُرُوْنَ﴾** [آية ٦٧] .

قال أبو العباس[1] : يقال للجماعة يجتمعون للحديث : سَامِرٌ ، وسُمَّار[2] ، فسَامِرٌ كما تقول : بَاقِرٌ لجماعة البَقَرِ ، وجَامِلٌ لجماعة الجِمَالِ .

أي يجتمعون للسَّمر ، وأكثرُ ما يُستعمل « سَامِرٌ » للذين يَسْمُرُون ليلاً .

قال أبو العباس : وأصلُ هذا من قولهم : « لا أُكلِّمهُ السَّمَر والقَمَر » أي الليلَ والنَّهار .

وقال الثوري : يُقال لظلِّ القمر : السَّمَرُ .

قال أبو إسحق : ومنه السُّمْرةُ في اللَّونِ ، ويُقال له : الفَخْتُ ومنه فاختة[3] .

---

(١) هو الإمام المبرد محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٨٥هـ النحوي اللغوي أبو العباس ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) قال القرطبي ١٢/١٣٧ : ﴿ سامراً ﴾ نصبٌ على الحال ومعناه سُمَّار ، وهم الجماعة يتحدثون بالليل ، مأخوذ من السَّمَر ، وهو ظل القمر ، وكانوا يتحدثون حول الكعبة في ظل القمر ، فهو اسم مفرد بمعنى الجمع ، كالحاضر ، وهم القوم النازلون على الماء ، والباقر جمع البقر ، والجامل جمع الإبل ، ذكورتها وإناثها ، ومنه قوله تعالى ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ﴾ أي أطفالاً ، يقال : قوم سَمْرٌ ، وسُمَّرٌ ، وسَامِرٌ . اهـ. وانظر الصحاح مادة سمر .

(٣) انظر معاني الزجاج ٤/١٨ .

قال أبو جعفر : وفي قوله ﴿ تَهْجُرُوْنَ ﴾ قولان :

١ ــ **قال الحسن** : تهجرون نَبِيِّ ، وكتابي[١] .

٢ ــ **وقال غيرهُ** : ﴿ تَهْجُرُوْنَ ﴾ تَهْذُون ، يُقال هَجَر المريضُ ، يَهْجُرُ ، هُجْراً إذَا هَذَى[٢] .

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ ﴿ تُهْجِرونَ ﴾[٣] بضم التاء وكسر الجيم .

وقال : يَسْمرون برسول الله ﷺ ويقولون الهُجْرَ[٤] .

وقال عكرمة : ﴿ تُهْجِروْنَ ﴾ تُشْرِكُون[٥] .

وقال الحسن : تسبُّون النبي صلى الله عليه وسلم[٦] .

وقال مجاهد : تقولون القول السَّيِّىءَ في القرآن[٧] .

---

(١) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر ١٣/٥ عن الحسن ، وذكره الطبري ٤٠/١٨ عن ابن عباس والسُّدِّي وهو من الهَجْر بمعنى الترك ، وقيل : من الهُجْر وهو الكلام الفاحش البذيء ، من هَجَرَ المريض إذا هَذَى ، والمعنى : تسمرون بذكر القرآن ، والطعن فيه ، وتقولون الكلام الفاحش في النبي عليه السلام .

(٢) في المصباح : هجر المريض في كلامه هَذَى ، والهُجْر بالضم مصدر بمعنى الفُحش . اهـ. المصباح المنير .

(٣) هذه قراءة نافع وهي من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٢٩/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٤٦/٢ .

(٤ـ٧) انظر الآثار في الطبري ٤١/١٨ والبحر المحيط ٤١٣/٦ والقرطبي ١٣٦/١٢ وروح المعاني ٥٠/١٨ .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ ، يُقال : أَهْجَر ، يُهْجِر إذا نَطَقَ بالفُحْش ، وقال الخَنَى ، والإسم منه الهُجْر ، ومعناه أنه تجاوز ، ومنه قيل : الهَاجِرة ، إنما هو تجاوزُ الشَّمسِ ، من المشرقِ إلى المغرب .

وقرأ أبو رجاء « سُمَّاراً »(١) وهو جمع سَامِر ، كما قال الشاعر :

فقالتْ سَبَاكَ اللَّـهُ إنكَ فَاضِحِي
أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والنَّاسَ أَحوالي(٢)

٥٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَرُوا القَوْلَ ..﴾** [آية ٦٨] .

أي القرآن(٣) .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة ، وانظر المحتسب ٢/٩٦ وذكرها ابن عطية في المحرر ١٠/٣٨٠ وهي قراءة سُمَّراً وهي شاذة أيضاً .

(٢) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه صفحة ٣١ من قصيدة مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي

والشاهد فيه لفظ « السُّمَّار » وهم المجتمعون للسَّمر ليلاً ، وفي المخطوطة « أحوالي » بالياء ومعناها حَوَالِيَّ ، وفي الديوان بدون ياء « أحوال » قال السيوطي في همع الهوامع ٣/١٥٨ : ومنها : حَوْلَ ، وحَوَالي ، وحَوْلي ، وحَوَالِيَّ ، وأَحْوَالِي ، وحَوَال ، وأحوال ، واستشهد ببيت امرىء القيس ، وبالحديث : « اللهم حَوَالَيْنَا ولا علينا » .

(٣) ويؤيده قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ وسُمِّي القرآن قولاً ، لأنهم خُوطبوا به ، وأُمروا بتلاوته ، قال في البحر : والقول : هو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ أي أفلم يتفكروا فيما جاء به عن الله ، فيعلموا أنه الكلام المعجز الذي لايمكن معارضته ، فيصُدِّقوا به ، وبمن جاء به ؟! . اهـ . البحر المحيط ٦/٤١٣ .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ :** ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ..** ﴾ [آية ٧١] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيل عن أبي صالح ﴿ **ولـو اتَّبـع الحقُّ** ﴾ قال : اللَّهُ عزَّ وجل[١] .

وقيل : المعنى : بل جاءهم بالقرآن ، ولو اتَّبَعَ القرآنُ أهواءَهُم أي لو نزل بما يحبُّون ، لفسدت السَّمواتُ والأرض ومن فيهنَّ .

٥٢ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [آية ٧١] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادة ﴿ **بِذِكْرِهِمْ** ﴾ قال : بالقرآن .

قال أبو جعفر : والمعنى على قوله : بل آتيناهم بما لهم فيه ذِكرُ ما يوجب الجنَّة لو اتَّبعوه .

---

(١) روى هذا القول السيوطي في الدر المنثور ١٣/٥ وأبو حيان في البحر ٤١٤/٦ والقرطبي ١٤٠/١٢ وقد اختلف المفسرون في تفسير « الحق » على قولين :

الأول : أن المراد به « الله » سبحانه وتعالى ، وهو قول مجاهد ، وأبي صالح ، والسدي ، والمعنى : لو أجابهم الله تعالى إلى ما في أنفسهم من الهوى ، وفَعَل ما يوافق أهواءهم ، لاختلَّ نظام الكون وفسد العالم ، لأن آراءهم متناقضة .

الثاني : أن المراد بالحق « القرآن » وما جاءهم به الرسول عليه السلام ، والمعنى : لو نزَّل القرآنُ بما يحبُّون ، لفسدت السموات والأرض ، ومن فيهن من الإنس والجن ، وسائر المخلوقات ، قال في البحر ٤١٤/٦ والظاهر أنه الحق الذي ذُكر قبل في قوله ﴿ بل جاءهم بالحقِّ ﴾ والمراد به الأمر اليقين الثابت .

وقيل : الذِّكْرُ ههنا : الشَّرفُ .

٥٣ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُـمْ خَرْجَاً فَخَـرَاجُ رَبِّكَ خَيْـــرٌ .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال الحسن : « خَرْجاً » أي أجراً[1] .

قال أبـو حاتم : الخَـرَاجُ : الجُـعْلُ ، والخَـرَاجُ : العَطَـاءُ إن شاء الله ، أو نحو ذلك .

٥٤ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُـــوْنَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُوْنَ ﴾ [آية ٧٤] .

رَوَى علـيُّ بنُ أبي طَلْحـةَ عن ابـنِ عبـاسٍ قال يقـول ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُوْنَ ﴾ عن الحقِّ لعادلون[2] .

قال أبـو جعفـر : والصِّراطُ في اللُّغـةِ : الطريـــقُ المستقيـــمُ ،

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٤٧٨/٣٥ : قال الحسن : خَرْجاً : أجراً ، وقال قتادة : جُعْلاً ، والمعنى : أنت يا محمد لا تسألهم أجرةً على دعـوتك إياهـم إلى الهدى ، بل أنت تحتسِب عنـد الله جزيـل ثوابه ، كما قال سبحانه ﴿ قل لا أسألكم أجراً ﴾ . وانظر أيضاً الـدر المنثـور ١٣/٥ وزاد المسير ٤٨٥/٥ .

(٢) قال في اللسان : نَكَب عن الطريق يَنكب نُكُوباً إذا عدل عنه . اهـ. لسان العرب ، وقال الفـراء ٢٤٠/٢ : ﴿ لَنَاكِبون ﴾ أي لمعرضون عن الدين ، والصراطُ ههنـا هو الديـن ، والأثـر أخرجـه الـطبري ٤٤/١٨ ، وابـن كثير ٤٧٩/٥ قال : نَكَب فلان عن الطريـق إذا زاغ عنها ، والمعنـى : إنهم لعادلون ، جائرون ، منحرفون عن طريق الله ، قال ابن عباس ﴿ لناكبون ﴾ لعادلون ، وقال قتادة : حائرون ، وقال الكلبي : معرضون ، وهذه أقوال متقاربة .

ويُقال : نَكَبَ عنِ الحَقِّ إذا عَدَل عنه .

والمعنى : إنهم عن القصد لعادلون .

٥٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [آية ٧٦] .

﴿ **ولَقَدْ أَخذنَاهُمْ بِالعَذابِ** ﴾ أي بالخوف ، ونَقْصِ الأموال ، والأنفس[1] .

﴿ **فما اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ** ﴾ أي فما خَضَعُوا .

٥٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ** ..﴾ [آية ٧٧] .

قيل : يعني الجوعُ ، وقيل : السَّيفُ .

﴿ **إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾ أي متحيِّرون يائسون من الخير[2] .

٥٧ ــ **قوله تعالى** ﴿ **وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ** ..﴾ [آية ٨٠] .

---

(١) فسَّر المصنف العذاب بالخوف ، ونقص الأموال والأنفس ، وهو قول ابن جريج فقد قال : العذابُ هو الجوعُ والجدبُ ، وقال الضحاك : هو الجوع ، وقيل : هو السبيُ والقتل ، وسبب نزول الآية ما روي أن النبي ﷺ دعا عليهم فأخذهم الله بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب ، فجاء أبو سفيان فقال يا محمد : أنشدك الله والرحمَ ، ألستَ تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين ؟ قال : بلى ، قال : فوالله ما أراك إلا قتلت الآباء بالسيف ، وقتلت الأبناء بالجوع ، فنزلت الآية ، وانظر الطبري ١٨/٤٥ والبحر ٦/٤١٥ والدر المنثور ٥/١٣ .

(٢) الإبلاس : اليأسُ من كل خير ، قال القرطبي ١٢/١٤٣ : ﴿ إذ هم فيه مُبْلِسُون ﴾ أي يائسون متحيِّرون ، لا يدرون ما يصنعون ، كالآيس من الفرج ومن كل خير . اهـ .

قال الفراء : معنى ﴿ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيلِ والنَّهارِ ﴾ : هو خالقُها ، كما تقولُ : لكَ الأجرُ والصِّلةُ[1] .

٥٨ — وقولُه جل وعزَّ ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُوْلُوْنَ للَّهِ ..﴾ [آية ٨٤] .

هذه الآيةُ لا اختلاف فيها[2] ، واللَّتان بعدَها ، يقرؤُهما أبو عَمرو ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾[3] .

وأكثرُ القُرَّاءِ يقرءون ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ .

فمن قرأ ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ جاء بالجواب على اللفظ[4] .

ومن قرأ ﴿ سَيَقُولونَ لِلَّهِ ﴾ جاء به على المعنى ، كما يُقال : لمن هذه الدَّارُ ؟ فيقول : لزيدٍ ، على اللفظِ ،، وصاحبُها زيدٌ على المعنى .

---

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢/٢٤٠ ﴿ وله اختلاف الليل والنهار ﴾ يقول : هو الذي جعلهما مختلفين ، كما تقول في الكلام : لك الأجر والصِّلة ، أي إنك تُؤْجر وتُوصَل . اهـ.

(٢) أي هذه القراءة ﴿ لِلَّهِ ﴾ بدون ألف ، عند جميع القراء ، لأنها جواب الاستفهام ﴿ قل لمن الأرض ﴾ ؟ .

(٣) قال ابن مجاهد : اختلفوا في قوله ﴿ سيقولون لله ﴾ في الآيتين الأخيرتين ، ولم يختلفوا في الأولى ، فقرأ « أبو عمرو » وحده ﴿ سيقولون لله ﴾ في الأولى ، و ﴿ سيقولون الله ﴾ في الأخيرتين ، وقرأ الباقون الثلاثة ﴿ لله ﴾ . وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٤٤٧ .

(٤) قال الفراء : وقراءة أهل البصرة ﴿ الله ﴾ أبين في العربية ، لأنها مردود مفعول ﴿ قل من رب السموات ﴾ مرفوع لا خفض فيه . اهـ. معاني القرآن ٢/٢٤٠ .

وَمَنْ صاحب هذه الدار ؟ فيقول : زيدٌ على اللفظ ، ولزيد فيجزئك عن ذلك .

ويجوز في الأولى ﴿ سَيَقُولونَ اللَّهُ ﴾ في العربية .

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٨٨] .

أي وهو يُجِيرُ[١] من عذابِهِ ، ومن خلْقِهِ ، ولا يُجِيرُ عليه أحدٌ من خلقِهِ .

٦٠ ــ و قوله جلَّ وعز ﴿ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [آية ٨٩] .

معنى ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ فأنَّى تُصْرَفون عن الحقِّ[٢] ؟

٦١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ .. ﴾ [آية ٩١] .

في الكلام حذفٌ ، أي لو كانت معه آلهة ، لا نفرد كلُّ إلهٍ بخلقه .

---

(١) يُجِيرُ : يَمْنع ويحمي من استغاث به ، يقال : أجَرْتُ فلاناً على فلان : إذا أغثته ومنعته منه ، ومعنى الآية : أنه سبحانه يحمي من استجار به ، والتجأ إليه ، ولايُغيث أحد منه أحداً .

(٢) « أنَّى » بمعنى كيف أي كيف تُخدعون وتُصرفون عن طاعته وتوحيده ؟ أو كيف يُخيَّل إليكم أن تشركوا مع الله ما لا يضرُّ ولا يَنْفع ؟ قال في التسهيل : رتب سبحانه في الآيات هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج ، فقال أولاً ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ثم قال ثانياً ﴿ أفلا تتقون ﴾ وذلك أبلغ ، لأن فيه زيادة تخويف ، ثم قال ثالثاً ﴿ فأنى تسحرون ﴾ وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره . اهـ. التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٥٥ .

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي لغالب بعضُهم بعضاً[1] .

٦٢ — وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوْعَدُوْنَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [آية ٩٣ ، ٩٤] .

النِّداءُ معترضٌ .

والمعنى : إمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعدون ، فلا تجعَلْني في القوم الظَّالمينَ .

٦٣ — وقولُه جلَّ وعز : ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ..﴾ [آية ٩٦] .

قال مجاهد وعطاء وقتادة : يعني السَّلامَ ، إذا لقيتَهُ فسلِّم عليهِ[2] .

---

(١) عبارة القرطبي : ﴿ ولَعَلَا بعضهم على بعض ﴾ أي ولغالب وطلب القويُّ الضعيف ، كالعادة بين الملوك ، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية . اهـ. تفسير القرطبي ١٤٦/١٢ والآية برهان على الوحدانية ، وبيانه أن يقال : لو كان مع الله إله آخر ، لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبدَّ كل واحد منهما بملكه ، وطلب غلبة الآخر والعلو عليه ، كما ترى حال ملوك الدنيا وعظمائها ، ولكن لمَّا رأينا جميع المخلوقات ، مرتبطة بعضها ببعض ، حتى كأنَّ العالم كله كتلة واحدة ، علمنا أن مالكه ومدبِّره واحد ، لا إله غيره ، وهذا كما يقول ابن عطية وغيره يسمى برهان « التمانع والتدافع » .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥/١٨ والسيوطي في الدر ١٤/٥ وهو تفسير للتي هي أحسن ، قال الحافظ ابن كثير : أرشده إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يُسيء إليه ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة . اهـ. تفسير ابن كثير ٤٨٥/٥ .

٦٤ ــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَقُـلْ رَبِّ أَعُـوذُ بِكَ مِنْ هَمَـزَاتِ الشَّيَاطِينِ ..﴾** [آية ٩٧] .

أصلُ الهَمْزِ : النَّخْسُ والدَّفعُ ، وقيل : فلانٌ هُمَزَةٌ ، كأنه ينْخُس مَنْ عَابَه ، فهمزُ الشَّيطانِ[1] : مسُّهُ ووسوسَتُه .

٦٥ ــ **وقولُه جلَّ وعـزَّ ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ..﴾** [آية ٩٩] .

يعني المذكورين الَّذينَ لا يؤمنون بالبعث .

﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ولم يقل : ارجعْنِ[2] ، فخاطبَ على ما يُخْبِرِ اللَّهُ جلَّ وعزَّ به عن نفسهِ ، كما قال **﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى ﴾** وفيه معنى التوكيد والتكرير .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ..﴾** [آية ١٠٠] .

---

(١) ﴿ همزات الشياطين ﴾ : الوساوس والنزغات ، جمع هَمْزة ، وهي الدفع والتحريك الشديد ، وهو كالهزِّ والأزِّ ، قال أهل اللغة : الهمزُ : النَّخسُ والدفعُ ، يُقال هَمَزه ، ولَمَزه ، ونَخَسَه دفعه ، وهمزات الشياطين نزغاتها الشاغلة عن ذكر الله .

(٢) لم يقل : ربِّ ارجعني ، وإنما قال ﴿ ربِّ ارجِعون ﴾ بصيغة الجمع ، للتعظيم لجناب الله جل وعلا ، على عادة الملوك والعظماء ، حيث يقول الملك أو السلطان : نحن فلان أمرنا بكذا ، وهذا ما أشار إليه المصنف بقول : « فخاطب على ما يخبر الله به عن نفسه » كما قال الشاعر :

ألا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ … فإن لم أكنْ أهلاً فأنتَ له أهلُ

﴿ كَلاَّ ﴾ رَدْعٌ ، وزَجرٌ ، وتنبيهٌ[1] .

٦٧ — ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية ١٠٠] .

قال أبو عبيدة : أي من أمامهم[2] .

قال مجاهد : البَرْزَخُ : حجابٌ بين الموتِ ، والرجوعِ إلى الدنيا[3] .

قال الضحَّاك : هو ما بين الدنيا والآخرة[4] .

قال أبو جعفر : والعربُ تُسمِّي كلَّ حاجزٍ بين شيئين برزخاً[5] ، كما قال سبحانه ﴿ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾[6] .

---

(١) قال في التسهيل : « كلا » حرف ردع وزجر ، وقيل : إنها للنفي : أي ليس الأمر كما ظننت . اهـ. ومعنى الآية : لا رجوع إلى الدنيا فليرتدع هذا الفاجر عن طلبه ذلك ، فإن طلبه للرجعة لا فائدة فيه ، لأنه ذاهب أدراج الرياح .

(٢) لفظة « وراء » في اللغة : تطلق على الخلف ، وعلى الأمام ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ أي أمامهم ملك ظالم غاشم ، قال في المصباح : « وراء » كلمة مؤنثة ، تكون خَلْفاً ، وتكون قدَّاماً ، فيقال :وراءك برد شديد أي قدامك برد شديد. اهـ. وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢ .

(٣،٤) انظر الآثار في الطبري ٥٣/١٨ وزاد المسير ٤٩٠/٥ والدر المنثور ١٥/٥ .

(٥) البرزخ : الحاجز والمانع ، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، وعالم البرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى وقت البعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ . اهـ. قال القرطبي ١٥٠/١٢ : قال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلاناً فقد صار من أهل الآخرة ، فقال : لم يصِرْ من أهل الآخرة ، ولكنه صار من أهل البرزخ . اهـ.

(٦) سورة الرحمن آية ٢٠ .

٦٨ ـــ وقولُه جلَّ وعــزَّ : ﴿ فَإِذَا نُفِــخَ فِي الصُّوْرِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُــمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [آية ١٠١] .

قال أبو عبيد : هو جمع صُوْرة[1] .

قال أبـو جعفـر : يذهب إلى أن المعنـى : فإذا نَفَـخَ في صُوَرِ النَّاسِ الأرواحَ وهذا غَلَطٌ عند أهل التفسيرِ ، واللُّغةِ .

رَوَى أبو الزعراء[2] عن عبد اللهِ بنِ مسعـود ﴿ فَإِذَا نُفِـخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : في القَرْنِ .

ورَوَى عطيةُ عن أَبـي سعيـد الخدري عن النبـي ﷺ قال : « كيفَ أَنْعمُ وقد التقمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وحَنَـى جَبْهَتَـهُ وأَصْغـى سمعـه ، ينتظـر متـى يُؤْمـر ، قال المسلمـونَ يارسول الله : فمـا نقـول ؟ قال : قولوا حسبُنا اللّهُ ونعم الوكيلُ ، عليه توكّلْنا »[3] .

ولا يعـرفُ أهـلُ اللغـةِ في جمع « صورة » إلاَّ « صُوَرَاً » ولـــو كان جمع صورة ، لكان « ثم نُفِخَ فيها »[4] إلا على بُعْدٍ من الكلام .

---

(١) ذكره في البحر عن بعضهم ، وهو ضعيف كما قال المصنف .

(٢) جاء في تهذيب التهذيب ٦١/٦ : « عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكبير الكوفي ، قال العجلي : ثقة من كبار التابعين وذكره ابن حبان في الثقات .

(٣) الحديث أخرجـه الترمـذي في القيامـة رقـم ٢٤٣١ وقـال : هذا حديث حسن ، ورواه أحمد في المسند ٣٢٦/١ .

(٤) يخطِّئ المصنف من قال إنَّ الصُّور جمع صورة ، ولو كان كذلك لقال تعـالى ﴿ ثم نفـخ فيها ﴾ بينما الآية ﴿ ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وهذا وجه دقيق .

قال أبو جعفر : وهذه الآيةُ مشكلةٌ لأنه قال جلَّ وعزَّ ﴿ **فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ وقال في موضعٍ آخر ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ ؟!

والجواب عن هذا ــ وهو معنى قول عبد الله بن عباس[1] وإن خالف بعضَ لفظِه والمعنى واحد ــ أنه إذا نفخ في الصور أول نفخة ، تقطَّعت الأرحامُ ، وصَعِقَ من في السمواتِ ومن في الأرض ، وشُغِلَ بعضُ الناس عن بعضٍ بأنفسهم ، فعند ذلك لا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون[2] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ في قوله ﴿ **فلا أنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ** ﴾ كما تقول : أنا اليوم كذا ، أي في هذا الوقت ، لا تريد وقتاً بعينِهِ .

٦٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾
[آية ١٠٤] .

---

(١) قال ابن عباس : لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا ، ولايتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا : من أي قبيلة أنت ؟ ولا من أي نسب ؟ ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم . اهـ. القرطبي ١٢/١٥١ .

(٢) قال في التسهيل : فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ؟ فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ، ثم يتساءلون بعد ذلك ، فإن يوم القيامة يوم طويل ، فيه مواقف كثيرة . اهـ. التسهيل ٣/١٢٢ .

رَوَى **أبو الأَحْوص** عن **عبد الله بن مسعود** قال : الكَالِحُ : الذي قد بدتْ أسنانُه ، وتقلَّصتْ شفتهُ ، كالرأسِ المُشَيَّط بالنَّارِ[1] .

٧٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا .. ﴾ [آية ١٠٦] .

قال **مجاهد** : أي التي كُتِبتْ علينا .

٧١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ .. ﴾ [آية ١٠٨] .

يُقال : خسأتُه إذا باعَدْتَه بانتهار[2] .

٧٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي .. ﴾ [آية ١١٠] .

قال **الحسنُ وقتادةُ وأبو عمرو بن العلاء** ــ وهذا معنى ما قالوا ــ السُّخْرِيُّ : بالضَمِّ ما كان من جهةِ السُّخْرةِ ، والسِّخْرِيُّ :

---

(١) الأثر في الطبري ٥٦/١٨ وفي اللسان : كَلَحَ يَكْلَحُ كلوحاً ، والكلوح : تكشُّر في عبوس ، وقال ابن سيده : الكلوح بدوُّ الأسنان عند العبوس . اهـ. وفي الترمذي ٣٠٧/٥ عن النبي ﷺ مرفوعاً ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ قال : تشويه النار ، فتقلَّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته » وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) انظر الصحاح ٤٧/١ .

٧٣ ـ بالكسر ما كان من الهزؤ[1] .

وقولُه جل وعزَّ : ﴿ إنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [آية ١١١] .

أي لأنهم[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : إني جزيتهُم الفوز .

٧٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمَاً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ﴾** [آية ١١٣] .

قال مجاهد : ﴿ فَاسْأَلِ العَادِّين ﴾ الملائكة[3] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٣ ، وروح المعاني للألوسي ١٨/٦٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٥٤ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي عن نافع ﴿ إنهم هم الفائزون ﴾ بكسر الهمزة ، على ابتداء المدح من الله تعالى لهم ، وقرأ الباقون بالفتح ﴿ أنَّهم ﴾ أي لأنهم هم الفائزون ، قال في البحر ٦/٤٢٣ : ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره : جزيتهم الجنة أو رضواني ، وقال الزمخشري : من قرأ بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم ، والظاهر أنه تعليل أي جزيتهم لأنهم . اهـ. وانظر القرطبي ١٢/١٥٥ .

(٣) انظر الآثار كلها في الدر المنثور ٥/١٧ وفي البحر المحيط ٦/٤٢٤ وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ﴿ فاسأل العادين ﴾ أي سَلِ الحُسَّاب الذي يعرفون ذلك فإنا قد نسيناه ، أو فاسأل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا ، الأول قول قتادة ، والثاني قول مجاهد . اهـ. تفسير القرطبي ١٢/١٥٦ .

وقال قتادة : أي الحُسَّابَ .

٧٥ ـ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ .. ﴾** [آية ١١٧] .

قال مجاهد : أي لا بيِّنَةَ له به .

* * *

انتهت سورة المؤمنون

تفسير سورة النور

مدنية وآياتها ٦٤ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور وهي مدنية[1]

١ ـ من ذلك قولــه جلَّ وعــزَّ : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَــا وَفَرَضْنَاهَــا .. ﴾ [آية ١] .

أي هذه سورة[2] .

وقرأ الأعرجُ ومجاهد وقتادة وأبو عَمْرٍو ﴿ وفَرَّضْنَاهَا ﴾[3] .

قال قتادة : أي بيَّناها .

وقال أبو عمرو : أي فصَّلناها .

ومعنـــى ﴿ فَرَضْنَاهــا ﴾ فرضنـــا الحدود التـــي فيها ، أي أوجبناها ، بأن جعلناها فرضاً .

---

(١) قال القرطبي ١٥٨/١٢ : مدينة بالإجماع ، والمقصود من هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر .

(٢) قال الزجاج والفراء والمبرِّد : سورة بالرفع لأنها خبر الابتداء ، لأنها نكرة ، ولا يُبتدأُ بالنكرة في كل موضع ، أي هذه سورة ، وقال القرطبي ١٥٨/١٢ ويحتمل أن تكون مبتدأ ، وما بعدها صفة لها ، أخرجتها عن حدِّ النكرة المحضة ، فحَسُن الابتداء لذلك . اهـ .

(٣) ﴿ وفرضناها ﴾ قُرئ بتخفيف الراء ، وهي قراءة الجمهور ، أي فرضنا ما فيها من الأُحكام عليكم وعلى من بعدكم ، وبالتشديد ﴿ وفرَّضناها ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عامر ، والقراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٤٥٢ والنشر ٣٣٠/٢ والمعنى أنزلنا فيها فرائض شتَّى مختلفة . اهـ. القرطبي ١٥٨/١٢ .

٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَ واحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ .. ﴾ [آية ٢] .

قال أبو جعفر : ليس بين أهل التفسير اختلافٌ ، أنَّ هذا ناسخٌ لقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ** .. ﴾(١) إلى آخر الآية ، ولقوله ﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا** ﴾(٢) .

فكان من زنى من النِّساء ، حُبِستْ حتى تموت ، ومن زنى من الرجال أُوذي .

قال مجاهد : بالسبِّ ، ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ **الزَّانِيةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾(٣) .

واختلفوا في المعنى :

فقال أكثر أهل التفسير : هذا عامٌّ يُراد به خاصٌّ(٤) .

والمعنى : الزانيةُ والزاني من الأبكار ، فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة .

(١، ٢) سورة النساء آية ١٥ ، ١٦ . قال القرطبي : وهذه الآية ناسخة لآية الحبس وآية الأذى ، اللتين في سورة النساء باتفاق . اهـ. الجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٩٦/٤ وهو في تفسير مجاهد ١٤٨/١ .

(٤) يعني أن اللفظ عام يشمل كل زان ، سواء كان محصناً أو غير محصن ، وقد اتفق العلماء أنه يراد به الخاص ، وهو « البكر » غير المتزوج ، رجلاً كان أو امرأة ، وهذا معنى قوله : عام يراد به خاص .

وقـال بعضهـم : هو عامٌّ على كلِّ منْ زنى ، من بِكـرٍ ومحصنٍ[1] ، واحتجَّ بحديث عُبادة[2] ، وبحديث عليٍّ رضي الله عنه ، أنه جَلَد شُرَاحَةَ[3] يوم الخميس ، ورجمها يوم الجمعة ، وقال : جلدتُها بكتاب الله عزَّ وجلَّ ورجمتُها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

٣ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ .. ﴾** [آية ٢] .

قال مجاهدٌ ، وعطاء ، والضحَّاكُ : أي في تعطيل الحدود[5] .

---

(١) هذا رأي أهل الظاهر ، ورأي الجمهور أن حدَّ المحصن « المتزوج » هو الرجم فقط .
قال الحافظ ابن كثير : وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة ــ وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير فزنى بامرأته ــ ورجم النبي ﷺ ماعزاً ، والغامدية ، وكل هؤلاء لم يُنقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدهم قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث الصحاح بالاقتصار على رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، وهذا مذهب جمهور العلماء . اهـ. ابن كثير ٦/٥ .

(٢) حديث عبادة هو ما رواه مسلم والإمام أحمد وأهل السنن الأربعة من قول النبي ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكرُ بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيِّب بالثيب جلد مائة والرجم » وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه منسوخ ، لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامديَّة ، ولم يثبت أنه جمع لهما بين الجلد والرجم .

(٣) « شُرَاحة » كسُراقة امرأة من همدان أقرَّت بالزنى عند علي رضي الله عنه ، وانظر القاموس المحيط مادة شرح .

(٤) فعل علي رضي الله عنه محمول على أنه ظنَّ أنها بكر فجلدها ، ثم أُخبر بأنها متزوجة فرجمها ، فليس فيه حجة لأهل الظاهر .

(٥) الأثر في الطبري ٦٧/١٨ وابن كثير ٦/٦ والدر المنثور ١٨/٥ .

والمعنى على قولهم : لا تَرْحَموهُما فتتركُوا حدَّهما إذا زنيا[1] .

٤ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية ٢] .

رُوي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الطائفةُ : الرجلُ فما فوقه[2] .

ورَوَى ابنُ أبي نَجِيحٍ عن مجاهد قال : الطائفةُ : الرجلُ فما زاد[3] .

وكذا قال الحسن والشَّعبيُّ[4] .

وروى ابنُ عُيينة عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال : الطائفةُ الرجلان فصاعداً[5] .

وقال مالك : الطائفة أربعة[6] .

---

(١) قال الطبري ١٨/٦٨ وقيل : المعنى لا تُخففوا الضَّرب عنهما ، ولكن أوجعوهما ضرباً ، وهو قول الحسن ، وسعيد بن المسيب ، فقد قالا : هو الضرب الشديد . اهـ .

(٢ـ٦) كل هذه الأقوال وردت عن السلف الصالح ، فقد قال مجاهد : الطائفة رجل فما فوقه إلى الألف ، وقال ابن زيد : لا بدَّ من حضور أربعة قياساً على الشهادة في الزنى ، وهو قول مالك ، والليث ، وقال عكرمة وعطاء : لا بدَّ من اثنين ، وقال الزهري : ثلاثة ، لأنه أقلُّ الجمع ، إلخ وانظر البحر المحيط ٦/٤٢٩ والطبري ١٨/٧٠ والألوسي ١٨/٨٣ وفي الدر المنثور نقلاً عن قتادة ٥/١٨ : قال : أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، ليكون ذلك عظة وعبرة ونكالاً لهم . اهـ .

قال أبو إسحاق : لا يجوز أن تكون الطائفةُ واحداً ، لأن معناها معنى الجماعة ، والجماعة لا تكون لأقلَّ من اثنين لأن معنى « طائفة » قطعة ، يُقال : أكلتُ طائفةً من الشَّاةِ أي قطعةً منها[1] .

وقد رَوَى ابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهد في قولِ الله عزَّ وجل ﴿ **وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..** ﴾ أنَّهما كانا رجلين .

قال أبو جعفر : إلاَّ أنَّ الأشبه بمعنى الآية ـ واللَّهُ أعلمُ ـ أن تكون الطائفة ، لأكثر[2] من واحدٍ في هذا الموضع ، لأنه إنما يُراد به الشُّهْرةُ ، وهذا بالجماعة أشبهُ .

٥ ـ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ** ﴾ [آية ٣] .

قال مجاهدٌ والزهريُّ وقتادة : كان في الجاهلية نساءٌ معلومٌ منهنَّ الزِّنى ، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهنَّ ، فنزلت الآية[3]

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٤ .

(٢) في المخطوطة « الأكثرُ » ولعل الصواب : لِأَكْثر .

(٣) في الدر المنثور ١٩/٥ : لما قدم المهاجرون المدينة قدموها وهم بجهد ، إلا قليل منهم ، والمدينة غالية السعر ، شديدة الجهد ، وفي السوق زوانٍ متعالنات من أهل الكتاب ، قد رفعتْ كل امرأة منهن علامةً على بابها ، لتُعرف أنها زانية ، وكنَّ من أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً ، فرغب أناس من مهاجري المسلمين ـ للذي هم فيه من الجهد ـ أن يتزوجوا بعض هؤلاء الزواني فنزلت الآية .

﴿ **الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيةً أَوْ مُشْرِكة** ﴾ وهذا القول الأول .

وقال الحسن : الزاني المجلودُ لاينكح إلاَّ مثلَه .

قال حبيب المعلِّم : فقال رجلٌ لعَمْرو بنِ شُعَيبٍ : إنَّ الحسنَ يقول كذا ، فقال : ما عَجَبُكَ مِنْ هذا ؟ حدثني سعيدُ بن سعيدٍ المَقْبُريُّ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لاينْكحُ الزاني المجلودُ إلاَّ مثلَه »[1] .

وقال إبراهيم النَّخعيُّ نحوه .

ورَوَى سعيدُ بن جُبير عن ابن عباس قال : النكاح ههنا الجِماع[1] .

ورَوَى عليُّ بنُ أبي طلْحَةَ عن ابن عباس قال : الزَّاني من أهل القِبلة ، لا يزني إلاَّ بزانيه من أهل القِبلةِ أو مُشْرِكة .. والزانيةُ من أَهلِ القِبلة ، لا تزني إلاَّ بزانٍ من أهل القَبْلةِ أو مشرك[3] .

---

(١) الحديث رواه أبو داود في النكاح رقم ٢٠٥٢ وإسناده حسن ، وأحمد بن حنبل في المسند ٣٢٤/٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٧/١٢ : مقصد الآية تشنيع الزنى وتبشيع أمره ، وأراد بقوله « لا ينكح » أي لا يطأ ، فيكون النكاح بمعنى الجماع ، والمعنى : الزاني لا يطأ في وقت زناه إلا زانية من المسلمين ، أو من هي أخسُّ منها من المشركات .

(٣) وقال في البحر : قال الزمخشري : وقولهم أراد بالنكاح الوطء ، ليس بقول لأمرين :
أحدهما : أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم يُرد بها إلا معنى العقد . =

قال أبو جعفر : فهذه ثلاثةُ أقوالٍ .

وفي الآية قولٌ رابعٌ كأنَّه أَولَاها .

حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المعروف بالقطَّانِ ، قال حدثنا يحيى ابن عبدالله بنُ بُكيْر ، قال حدثنا اللَّيثُ ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ابن قيس الأنصاري ، عن سعيد بن المسيَّب أنه قال : يزعمون أنَ تلك الآية ﴿ **الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيةً أوْ مُشْرِكَةً ، والزَّانِيةُ لايَنْكِحُها إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ** ﴾ نُسِختْ بالآيات التي بعدها ﴿ **وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإمَائِكُمْ** ﴾[٣] فدخلت الزانيةُ في أَيَامَى المسلمين .

وإنما قلنا « كأنَّ هذا أولى » لأن حديث القاسم عن عبدالله مضطربُ الإسنادِ ، وحديثُ سعيدٍ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يجوز أن يكون رسولُ الله ﷺ قاله قبل نزول الآية النَّاسخة .

= والثاني : فساد المعنى وأداؤه إلى قولك : الزاني لا يزني إلا بزانية ، والزانية لا تزني إلا بزان ، انتهى وماذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج حيث قال : لا يُعرف النكاح في كتابْ الله إلا بمعنى التزويج ، وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزاني وتبشيع أمره ، وأنه محرم على المؤمنين ، قال الزمخشري : ومعنى الآية أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والخُبْثُ ، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء ، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله ، أو في مشركة ، والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لايرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال . اهـ . البحر المحيط ٤٢٩/٦ .

(١) سورة النور آية (٢٣) .

والقولُ الثالثُ : أن يكون النِّكاحُ هو الجماعُ ، زعم أبو إسحاق[1] أنه بعيدٌ ، وأنه لايُعرف في القرآن النكاحُ بمعنى الجماع[2] ، وقولُه تعالى : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ فدلَّ على أنه التزويجُ لأنه لا يُقال في الزنى ، هو محرَّمٌ على المؤمن خاصَّةً .

وقولُ من قال : إنهن نساءٌ معلوماتٌ ، يدلُّ على أن ذلك كان في شيءٍ بعينه ثم زال ، فقد صار قولُ سعيد أَوْلاهَا[3] .

وأيضاً فإن سعيداً قال : يزعمون ، فدلَّ على أنه أخذه عن غيره ، وإنما يأخذه عن الصحابة .

٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آية ٣] .

---

(١) أبو إسحاق هو الإمام الزجاج ، فقد قال في كتابه معاني القرآن ٢٩/٤ « لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على التزويج » . اهـ. وانظر القرطبي أيضاً ١٦٧/١٢ .

(٢) قال القرطبي ١٦٨/١٢ : وليس كما قال ففي القرآن ﴿ حتى تنكح زوجاً غيرَه ﴾ وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى الوطء بقوله « حتى تذوق من عُسَيْلَتِهِ ويذوق عُسَيْلتك » ورجحه الطبري ٧٥/١٨ فقال : وأولى الأقوال أنه عنى بالنكاح الوطء . اهـ .

(٣) هذا يؤيد قول من قال : إن نكاح الزاني أو الزانية جائز ، وأن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ وأنكحوا الأيامَى منكم ﴾ فالزانية من أيامى المسلمين ، وقد روي أن رجلاً زنى بامرأة في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، فجلد كلَّ واحد منهما مائة جلدة ، ثم زوَّج أحدهما من الآخر ، وسئل ابن عباس عمن زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوج بها فقال :« أوله سفاح وآخره نكاح » ومَثَلُ ذلك كمثل رجل سرق من بستان ثمراً ، ثم أتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره ، فما سرق حرام ، وما اشترى حلال . اهـ. وانظر القرطبي ١٧٠/١٢ .

قال ابن عباس : يعني الزِّنَى[1] .

٧ ــ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصِنَاتِ[2] ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ** ..﴾ [آية ٤و٥] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية ثلاثة أحكامٍ على القاذف : منها جَلْدُهُ .

وترك قبولِ شهادتِهِ .

وتفسيقُهُ .

وفيها ثلاثةُ أقوال :

أحدها : قاله الحسنُ ، وشُرَيْحٌ ، وإبراهيمُ : أنَّ الاستثناء من قوله ﴿ **وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ وقالوا : لا تُقبلُ شهادتُه وإن تابَ ، وهذا قول الكوفيِّين[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٧/٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٥ ونسبه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي .

(٢) قال القرطبي ١٧٢/٢١ ذكر الله تعالى في الآية النساء ، من حيث إنهن أهم ، ورميُهنَّ بالفاحشة أشنع ، وأنكى للنفوس ، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى ، والإجماع . اهـ.

(٣) الاستثناء ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ لا يرجع إلى الجلد باتفاق ، واختلف في ردِّ شهادة القاذف ، فالجمهور على قبول شهادته إذا تاب ، وقال الحنفية : لا تقبل شهادته ولو تاب وصار أصلح الصالحين ، لقوله سبحانه ﴿ أبداً ﴾ فإنها تفيد الدوام والاستمرار ، وانظر القرطبي ١٧٩/١٢ .

والقولُ الثـاني : أن يكـون الاستثنـاءُ من قولـه تعـالى ﴿ **وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا** ﴾ أي إلَّا من تاب ، فإنه تقُبل شهادتُه .

وهذا قولُ مسروقٍ ، وعطاءٍ ، ومجاهِدٍ ، وطاووسَ .

ويُرْوَى عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكرة[1] : إنْ تُبْتَ قبلتُ شهادتك ، وهذا قول أهل المدينة .

والقولُ الثالث : يُروى عن الشعبيِّ أنه قال : الاستثناءُ من الأحكام الثلاثة[2] .

فإذا تاب ، وظهرتْ توبتهُ لم يُحدَّ ، وقُبلت شهادتُه ، وزالَ عنه التَّفْسيقُ ، لأنه قد صار ممَّن يُرْضَى منَ الشُّهداء ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾[3] .

(١) « أبو بكرة » هو نُفَيْع بن الحارث ، وكان قد قذف المغيرة بن شعبة ، فأقام عليه عمر الحدَّ ، وفي صحيح البخاري « جلد عمر رضي الله عنه أبا بكرة ، وشِبْلَ بن مَعْبد ، ونافعاً ، بقذف المغيرة ، ثم استتابهم وقال : من تاب قَبِلْتُ شهادته » وانظر روح المعاني ١٨/١٠٢ والبحر المحيط ٦/٤٣٢ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/٧٧ والسيوطي في الدر ٥/٢١ وكان الشعبيُّ يقول : يقبل الله توبته وتردُّون شهادته ؟

(٣) سورة طه آية ٨٢ .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون الاستثناءُ من قوله ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ كما ذكرنا في القول الأول ، ويكون ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع نَصْبٍ ، إلَّا أنه يجبُ أن يزول عنه اسم الفسوق ، فيجبُ قبولُ شهادتِهِ ، ويكون عَدْلاً .

ويجوزُ أن يكون الاستثناء من قوله ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدَاً ﴾ ويكون ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع خفضٍ ، بمعنى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوْا ﴾ ويكون قبولُ شهادتِهِ أَوْكد ، وهو أيضاً متعارفٌ عن عمرَ ، فهو أَوْلى أيضاً لهذا .

ويجوز أن يكون كما رُوي عن الشعبيِّ ، إلَّا أن الفقهاء على خلافه(1) .

وفي الكلام حذفٌ ، المعنى : والذين يرمون المحصنات بالزنى ، ثم حُذف لأنَّ قبلَه ، ذكرُ الزَّانيةِ والزَّانِي .

والفائدةُ في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تَقْبَلوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدَاً ﴾ أنَّ ﴿ أَبَدَاً ﴾ مقدارُ مُدَّة حياةِ الرجل ، ومقدارُ انقضاء قصَّتِه .

فإذا قلت : الكافرُ لا تُقبلُ له شهادةٌ أبداً ، فمعناه مادام كافراً .

---

(1) الحد لا يسقط عمن قذف محصناً عفيفاً باتفاق الفقهاء حتى ولو تاب ، لأن التوبة لا تُسقط عنه الحد ، وإنَّما يسقط عنه الفسق وردُّ الشهادة على خلاف بينهم في ذلك ، وانظر البحر المحيط ٤٣٢/٦ وروح المعاني ١٠٢/١٨ .

وإذا قلت : القاذفُ لا تُقبل له شهادة أبداً : **فمعناه** مادام قاذفاً . وهذا من جهة اللّغةِ ، وكلامُ العرب يؤكِّد قبولَ شهادتِهِ ، وألّا يكون أسوأ حالاً من القاتل[1] .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ .. ﴾** [آية ٦] .

في هذا قولان :

أحدهما : أن المعنى : والذين يقولون لأزواجهم يازواني ، أو يقولُ لها : رأيتُكِ تزنينَ ، وهذا قولُ أهلِ الكوفة .

والقول الآخر : أنه يقول لها : رأيتُكِ تزنينَ لا غيرُ ، وهذا قولُ أهل المدينة .

قال أبو جعفر : والقولُ الأول أَوْلى ، لأنَّ الرَّميَ في قوله **﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ المحصَنَاتِ ﴾** هو أن يقول لها : يازانيةُ ، أو رأيتُكِ تزنينَ ، فيجب أن يكون هذا مثلَه .

---

(١) قال القرطبي ١٢/١٨١ : قال أبو عبيد : الاستثناء يرجع إلى الجمل السابقة ، وليس من نُسِبَ إلى الزنى بأعظم جرماً من مرتكب الزنى ، ثم الزاني إذا تاب قُبلت شهادته ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا قبل الله التوبة من العبد ، كان العباد بالقبول أولى . اهـ.

وقال الزجاج ٤/٣١ : وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر ، فحقُّه إذا تاب وأصلح أن تُقبل شهادته ، وقوله تعالى « أبداً » أي ما دام قاذفاً كما تقول : لا تقبل شهادة الكافر أبداً ، فإن معناه ما دام كافراً . اهـ. وانظر أقوال الفقهاء في الموضوع فإنه نفيس .

٩ ـــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى إبراهيمُ عن عَلْقَمةَ عن عبدالله[1] قال : « كان رجلٌ معنا جالساً ليلةَ جُمُعةٍ ، فقال : إنْ أَحَدُنا وجدَ مع امرأتِهِ رجلاً ، فإن قتَلَه قتلتموهُ ، وإن تكلَّم حدَدتُموه ، وإنْ سكتَ سكتَ على غَيْظٍ ، اللهم احكم[2] ، فأُنزلتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية .

وقال سهلُ بنُ سعْدٍ : جاء عويمر[3] إلى النبي ﷺ في وسط النَّاسِ فسأله ، وذكر الحديث .. وقال في آخره : فطلَّقها ثلاثاً .

وقال عبدالله بن عمر : فرَّق رسولُ اللهِ ﷺ بينهما .

١٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ[4] ﴾ [آية ٧] .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، والمفسِّر الشهير .

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٢١/١ بلفظ « كنا جلوساً عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلاً فقتله .. » إلى آخره .

(٣) هو « عُوَيمر بن أبي أبيض العجلاني » صحابي أخرج الشيخان قصته ، وذكر في الموطأ أنه « عويمر بن أشقر » وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ، وانظر الإصابة ٧٤٦/٤ .

(٤) سبب نزول الآية ما رواه أبو داود عن ابن عباس أن « هلال بن أمية » قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سَحْماء ، فقال النبي ﷺ : « البيِّنة أو حدٌّ في ظهرك » قال يا رسول الله : إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته ينطلق يلتمس البيِّنة ؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « البيِّنة وإلَّا =

وتُقرأُ « وَالْخَامِسَةَ » بمعنى : ويَشهدُ الشَّهادةَ الخامسةَ .

والمعنى : أنَّه لعنةُ اللَّهِ عليه ، وأنشد سيبويه :

فِي فِتْيـةٍ كَسُيـوفِ الهِنْـدِ قَدْ عَلِمـُوا
أنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفى ويَنْتَعِلُ(١) .

١١ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَدْرأُ عَنْهَا العَذَابَ .. ﴾** [آية ٨] .

معنى ﴿ يَدْرأُ ﴾ : يدفع .

وفي معنى العذاب ههنا قولان :

أحدهما : أنَّه الحَبْسُ .

والآخر : أنه الحدُّ(٢) .

= حدٌّ في ظهرك » فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلـنَّ الله في أمري ما يبـرّئ ظهري من الحدّ ، فنزلت الآية وانظر القرطبي ١٨٣/١٢ .

(١) البيت في شواهد سيبويه ص ١٢٤ وهو للأعشى في ديوانه ص ١٤٧ .

(٢) في البحر ٤٣٤/٦ ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أي يدفع عنها العذاب ، والعذاب قال الجمهـور : إنه الحدُّ « حدُّ الزِّنى » وحكى الطبري أن العذاب هو الحبس ، حكاه عن آخرين . اهـ. والقـول الأول هو مذهب الحنفية ، والثاني هو مذهب الشافعية والمالكية قال الألوسي : فإن امتنـع الـزوج عن الملاعنة ، حبسه الحاكم حتى يلاعن أو يكذِّب نفسه فيحدَّ ، وعند الشافعي : إن امتنـع حُدَّ حَدَّ القذف ، وإن امتنعت تحدُّ عنده حدَّ الزنى ، وعندنا تُحبس حتى تلاعن . اهـ. روح المعاني ١٠٨/١٨ .

١٢ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَلَـوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُـمْ وَرَحْمَتُـهُ وَأَنَّ اللَّـهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [آية ١٠] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : ولولا فضلُ اللّهِ عليكم ورحمتُه ، لنالَ الكاذبَ منكم عذابٌ عظيمٌ[١] .

١٣ ــ وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَـةٌ مِنْكُـمْ ..﴾ [آية ١١] .

قال الضحَّاك : هم الذين قالوا لعائشة ما قالوا[٢] .

قال أبو جعفر : يُقال للكذِب : إفكٌ ، وأصلُه من قولهم : أَفَكَهُ يأْفِكُهُ ، إذا صرَفه عن الشيء ، فقيل للكذب إفْكٌ ، لأنه مصروف عن الصِّدق ومقلوبٌ عنه ، ومنه المؤتفكات .

والذين جاءوا بالإفك ــ فيما رُويَ ــ « عبدُاللّهِ بنُ أبيّ »[٣]

---

(١) جواب « لولا » محذوف للتهويل ، وكما قيل : ربَّ مسكوتٍ عنه أبلغ من منطوق ، وقد قدَّره المصنف بما ذُكر ، وقال التبريزي تقديره : لهلكتم ، أو لفَضَحكم ، أو لعاجلكم بالعقوبة ، وقال ابن عطية : تقديره لكشف الزناة بأيسر من هذا ، أو لأخذهم بعقاب من عنده ، ونحو هذا من المعاني . اهـ. البحر المحيط ٤٣٥/٦ وانظر روح المعاني ١١١/١٨ .

(٢) أي رموها بحادثة الإفك وهي الزنى ، وانظر تفصيل القصة في الصحيحين .

(٣) هو « عبد الله بن أُبَيّ بن سلول » رأس الفتنة ، وزعيم المنافقين ، وهو الذي تولى كبر الحديث ، أي معظمه ، وأشاعه وأذاعه ، ورمى أمَّ المؤمنين عائشة بفاحشة الزنى ، حتى نزلت براءتها من السماء رضي الله عنها وأرضاها .

و« مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَة »[1] ، و« حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ » .

ثم قال تعالى ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

[آية ١١] .

فالمخاطبة لعائشة ، وأهلِها ، وصفوانَ[2] .

أي تُؤجرون فيه[3] ، ونزل فيهم القرآن .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[آية ١١] .

روى ابنُ أبي نجيح عن مُجاهد قال : ﴿ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ عبدالله بنُ أبيّ بن سلول .

وروى الزُّهري عن عُروةَ عن عائشة قالت : هو عبدالله بن أبيٍّ .

(١) مسطح بن أثاثة ين عبَّاد القرشي المطلبي ، ابن خالة أبي بكر ، كان ممن خاض في الإفك على عائشة ، فجلده النبي ﷺ فيمن جلد ، توفي سنة ٣٤ وانظر ترجمته في أسد الغابة ١٥٦/٥ .

(٢) هو « صفوان بن المعطَّل السُّلَمي » ثم الذكواني كما في المسند ١٩٤/٦ وهو الذي اتهمت به عائشة الصديقة .

(٣) قال في التسهيل : والخير في ذلك من خمسة وجوه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين . اهـ. التسهيل ١٣١/٣ .

وقرأ **حُميدُ بن قيسٍ ويعقوبُ ﴿ والَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾** بضم الكاف[1] ،

قال يعقوبُ كما تقول : الذي تولَّى عُظْمه .

قال الفراء : هو وجه جيِّدٌ في النحو .

قال أبو جعفر : وخالفه في ذلك الرؤساء من النَّحْويِّين ، قيل لأبي عَمْرو بن العلاء : أتقرأ **﴿ والَّذِي تَوَلَّى كُبْرَهُ ﴾** ؟ فقال : لا ، إنما الكُبْرُ في النَّسب .

قال أبو جعفر : يريد أنه يُقال : الكُبْرُ من ولِدِ فلانٍ لفلان[2] .

١٥ ــ **وقولُه جَّل وعزَّ : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرَاً ..﴾** [آية ١٢] .

---

(١) عبارة الفراء في معانيه ٢٤٧/٢ قال : اجتمع القراء على كسر الكاف ، وقرأ حُميد الأعرج « كُبْره » بالضم ، وهو وجه جيد في النحو ، لأن العرب تقول : فلان تولَّى عُظْم الأمر : يريدون أكثره . اهـ.

أقول : وقد ذكر ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢ هذه القراءة ﴿ والذي تولى كُبره ﴾ بضم الكاف ، وقراءة الجمهور بالكسر .

(٢) قال في لسان العرب ٢٠٩/١١ : قاس الفراء « الكُبْر » على « العُظم » وكلام العرب على غيره ، أخبرني المنذريُّ عن ابن السكِّيت أنه قال : كِبْرُ الشيءِ : مُعْظمه بالكسر ، فأمَّا الكُبْر بالضم ، فهو أكبر ولد الرجل . اهـ .

أي هلاَّ ظنَّ المؤمنون والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً ؟

أي بأهلِ دينهم ، ومن يقوم مقامهم .

ومعنى قوله ﴿ **أَفَضْتُمْ فِيهِ** ﴾ خُضتُم فيه[1] .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** ..﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : أي يرويه بعضُكُم عن بَعْض[2] .

وقرأت عائشةُ وابنُ يَعْمُر : ﴿ **إِذْ تَلِقُوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** ..﴾[3] بكسر اللَّام ، وضمِّ القاف ، يُقال : وَلَق ، يَلِقُ ، إذا أسرع في الكذب وغيره .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً** ..﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : أي ينهاكم .

---

(١) في الصحاح ١٠٩٩/٣ : فاض الخبر يَفيض واستفاض : أي شاع ، وهو حديث مستفيض أي منتشر في الناس ، ولا تقل : مستفاض إلا أن تقول : مستفاض فيه ، وأفاضوا في الحديث : أي اندفعوا فيه . اهـ. الجوهري .

(٢) الأثر في الطبري ٩٨/١٨ وابن كثير ٢٧/٦ والدر المنثور ٣٣/٥ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٠٤/٢ وذكرها الطبري ٩٨/١٨ وفي البحر ٤٣٨/٦ والقرطبي ٢٠٤/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ .

١٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ في الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾** [آية ١٩] .

رَوَى سعيد عن قتادة قال : أَنْ يظهرَ الزِّنى[١] .

١٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ..﴾** [آية ٢٢] .

قل أبو جعفر : فيه قولان

أحدهما : رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباس قال : لايُقسموا أَلاَّ ينفعوا أحداً[٢] .

والآخر : أن المعنى : لا يقصِّروا ، من قولهم ما أَلَوْتُ أن أفعلَ .

قال هشام : ومنه قولُ الشاعر :

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوى رَدَدْتُهُ
نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلي[٣] .

---

(١) قال القرطبي ٢٠٦/١٢ : الفاحشة : الفعل القبيح المفرط في القبح ، وقيل : الفاحشة في هذه الآية : القول السيِّئ . اهـ .

(٢) قال الطبري : يأتل من الألِيَّة وهي القسم بالله والمعنى : ولا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس . الطبري ١٠٢/١٨ والدر المنثور ٣٤/٥ .

(٣) البيت لامرئ القيس من قصيدته التي مطلعها : قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل .. وهو في ديوانه ص ١٨ وفي المنصف لابن جنى ٨٣/٣ والشاهد فيه قوله « غير مؤتلي » أي غير مقصرٍ في نُصحي ، والألوى : الشديد الخصومة .

قال أبو جعفر : القولُ الأوَّلُ أَوْلى ، لأنَّ الزُّهريَ روى عن سعيد بن المسيّب ، وعروةَ ، وعلقمةَ بنِ وقّاص ، وعُبيد اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ قالت : كان أبو بكر يُنفقُ على « مِسْطَحِ بنِ أُثَاثَة » لقرابتِهِ وفقرِهِ ، فقال : « واللَّهِ لا أُنفقُ عليه بعدما قالَ في عائشة ما قال » فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتوا أُوْلِي القُرْبَى** .. ﴾[1] .

قال أبو جعفر : والتقديرُ في العربية : ولا يحلفْ أولُو الفضلِ كراهةَ أن يُؤْتوا ، وعلى قول الكوفيِّين : لأَنْ لا يؤتوا .

ومن قال معناه : ولا يُقصِّرْ[2] ، فالتقديرُ عنده : ولايُقصِّرْ أولو الفضلِ عن أن يُؤتوا .

فإن قيل : ﴿ **أُولُو** ﴾ لجماعةٍ ، وفي الحديث أن المرادَ أبو بكرٍ ؟

فالجوابُ : أنَّ عليَّ بنَ الحَكَم رَوَى عن الضحَّاك قال قال أبو بكرٍ

---

(١) هذا طرف من حديث طويل مشهور هو حديث الإفك ، أخرجه البخاري في التفسير ١٣٢/٦ والترمذي رقم ٣١٨٠ وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر تمام الحديث في الطبري ١٠٢/١٨ والقرطبي ٢٠٧/١٢ وابن كثير ٣٠/٦ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ .

(٢) إلى هذا ذهب الزمخشري في الكشاف ٧٧/٢ فقال : المعنى : لا يحلفوا على ألا يُحسنوا إلى المستحقين للإحسان ، أو لا يُقصِّروا في أن يُحسنوا إليهم ، وإن كانت بينهم شحناء ، لجناية اقترفوها ، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح .. اهـ .

وغيرُه من المسلمين[1] : لانَبَرُّ أحـداً ممَّـن ذكـرَ عَائشَةَ ، فأنـزل اللَّـهُ عزَّ وجـلَّ ﴿ **ولا يَأْتَلِ أولُو الفَضْلِ منكُمْ والسَّعَةِ** ﴾ إلى آخر الآية .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ إنَّ الَّذِيـنَ يَرْمُـونَ المُحْصَنَـاتِ ، الغَافِـلَاتِ ، المُؤْمِنَـاتِ ، لُعِنُـوا فِي الدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ ، وَلَهُـمْ عَذَابٌ عَظِيـمٌ ﴾** [آية ٢٣] .

[رَوَى سفيـانُ عن خُصيـفٍ قال : سألتُ سعيـدَ بنَ جُبَيْـرٍ ، مَنْ قَذَفَ محصنـةً لُعِـنَ في الدنيـا والآخرة ؟] فقـال : هذا خاصٌّ بعائشة[2] .

ورَوَى « سَلَمـةُ بنُ نُبَيْـطٍ »[3] عن الضحـاك قال : هذا في أزواج النبي ﷺ خاصَّة[4] .

قال أبو جعفر : وقولُ ابن عبـاسٍ ، والضحَّـاكِ أولى من القـول الأول ، لأن قوله ﴿ **المحصناتِ** ﴾ يدلُّ على جمع .

---

(١) الأثر عن الضحاك ذكره في الدر المنثور ٣٥/٥ والبحر المحيط ٤٤٠/٦ والألوسي في روح المعاني ١٢٥/١٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة وأثبتناه من الهامش ، وانظر الطبري ١٠٣/١٨ والقرطبي ٢٠٩/١٢ والدر المنثور ٣٥/٥ .

(٣) سَلَمة بن نُبيطٍ تابعيٌّ من الطبقة الخامسة ، وضبطه في تقريب التهذيب ٣١٩/١ بالتصغير « نُبَيْطٍ » وقال هو الأشجعُي ثقةٌ .

(٤) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥/٥ .

وقيل : خُصَّ بهذا أزواجُ النبيِّ ﷺ فقيل لمن قذفهنَّ : ملعونٌ في الدنيا والآخرة ، ومن قذف غيرهنَّ ، قيل له : فاسقٌ ، ولم يُقَلْ له هذ[1] .

٢١ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ..﴾** [آية ٢٥] .

الدِّينُ ههنا : الحسابُ ، والجزاءُ ، كما قال تعالى **﴿ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾**[2] و**﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾** .

٢٢ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، والطَّيِّباتُ للطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبات ..﴾** [آية ٢٦] .

قال سعيدُ بنُ جبير وعطاءٌ ومجاهد : أي الكلماتُ الخبيثاتُ

---

(١) قال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٧٧/٢ وأجاد وأبدع : « ولو قلَّبتَ القرآن كلَّه ، وفتَّشت عما أوعد به العصاة ، لم تر اللَّه عز وجل قد غلَّظ في شيء تغليظه في الإفك ، وما أنزل فيه من الآيات القوارع ، المشحونة بالوعيد الشديد ، والزجر العنيف ، واستفظاع ما أقدم عليه ، ما نزل فيه على طرق مختلفة ، وأساليب متفنَّنة ، كلٌّ واحدٍ منها كافٍ في بابه ، ولو لم يُنزل اللَّهُ إلاَّ هذه الآيات الثلاث ، لكفى بها ، حيث جعل القَذَفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدَّهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا به ، فأوجز في ذلك وأشبع ، وفصَّل وأجمل ، وأكدَّ وكرَّر ، وجاء بما لم يقع في وعيد عبدة الأصنام والأوثان . انتهى .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٦ واستشهاد المصنف بالآية ضعيف ، لأن المراد بالدين هنا : الشرعُ المستقيم وهو ملة إبراهيم كما قال المفسرون ، واستشهاده بالثانية صواب ، لأن المراد بالآية أنه تعالى مالك يوم الجزاء والحساب ، قال في التسهيل ٣٣/١ : الدينُ له خمسةُ معانٍ : الملة ، والعادةُ ، والجزاءُ ، والحسابُ ، والقهرُ .

للخبيثينَ من النَّاس ، والخبيثون من النَّاسِ للخبيثاتِ من القول والخبيثاتِ من النَّاس ..

والطيِّباتُ من الكلام للطيِّبين من الناس ، والطيِّبُوْنَ من النَّاسِ ، للطيِّباتِ من القول ، والطيِّباتِ من الناس(١) .

قال أبو جعفر : وهذا أحسنُ ما قيل في هذه الآية .

والمعنى : الكلماتُ الخبيثاتُ لايقولهنَّ إلاَّ الخبيثونَ والخبيثاتُ من النَّاس ، والكلماتُ الطيِّباتُ لايقولهنَّ إلاَّ الطيِّبونَ والطيِّباتُ من الناس(٢) .

ودلَّ على صحَّةِ هذا القول : ﴿ **أُوْلَـٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا**

---

(١) انظر الطبري ١٠٦/١٨ والتسهيل ١٢٦/٣ والبحر المحيط ٤٤١/٦ وهذا قولُ ابن عباس والضحاك .

(٢) قال في البحر : والظاهر أن « الخبيثات » وصفٌ للنساء ، وكذلك الطيِّباتُ ، والمعنى : النساء الخبيثاتُ للرجال الخبيثين ، ويرجِّحهُ مقابلتهُ بالذكور أي إن الخبيثات من النساء ينزعن للخِباثِ من الرجال ، فيكون قريباً من قوله ﴿ الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ وكذلك الطيبات من النساء للطيِّبين من الرجال ، ويدل على هذا التأويل قول عائشة : ولقد خُلقتُ طيبةً عند طيِّب . اهـ البحر ٤٤١/٦ أقول ما ذكره هنا هو قول ابن زيد ، وهو الأوضح والأظهر وكما قيل في الأمثال : « إن الطيور على أشكالها تقع » وقد ذكر هذا القول أيضاً الحافظ ابن كثير ٣٥/٦ قال : والمعنى : ما كان الله ليجعل عائشة زوجةً لرسول الله ﷺ إلاَّ وهي طيِّبة ، لأنه أطيبُ من كل طيِّبٍ من البشر ، ولو كانت خبيثةً ما صلحت له ، لا شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى ﴿ أولئك مبرَّءون ممَّا يقولون ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان .

يَقُولُونَ ﴾ أي « عائشةُ » و « صَفْوانُ » مبرَّءون مما يقولُ الخبيثون والخبيثاتُ .

وجمِعَ وإن كانا اثنيْن ، كما قال تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾[1] هذا قولُ الفراء في الجمع .

وفي قوله تعالى ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ قولان آخران :

أ ــ **قيل المعنى** : الخبيثاتُ من الكلام ، إنما تُلْصقُ بالخبيثينَ والخبيثاتِ من النَّاسِ ، لا بالطيِّبين والطيِّبات .

ب ــ **وقيل المعنى** : الخبيثونَ من الرجال ، للخبيثات من النساء ، والخبيثاتُ من النِّساء ، للخبيثين من الرجال[2] .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ..﴾** [آية ٢٧] .

قال عبدُاللَّهِ بن عباس : إنما هو حتَّى تستأذنوا .

---

(١) يريد أخوين فما زاد ، والآية في سورة النساء رقم ١١ وانظر توجيه الآية في معاني الفراء ٢/٢٤٩ .

(٢) في إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٣٧ في قوله تعالى ﴿ الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثون للخبيثات ﴾ قد ذكرنا فيه أقوالاً ، فمن أحسن ما قيل فيه أن المعنى : الزُّناةُ للزُّناة . اهـ وهذا المعنى هو الأظهر كما بيَّنا وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين ، وخيرة الأولين والآخرين ، كانت عائشة أم المؤمنين من أطيب الطيبات وأطهر الطاهرات ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال مجاهد : هو التَّنحنُح ، والتَّنخُّمُ[1] .

قال أبو جعفر : الاستئناسُ في اللُّغة : الاستعلامُ ، يُقال : استأنستُ فلم أَرَ أحداً ، كما قال النَّابغةُ :

كَأَنَّ رَحْلَي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
بِذِي الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ[2]

أي على ثور قد فَزِع ، فهو يستعلم ذلك ، ومنه قول الشاعر :

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القَنَّا
صُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ[3]

ومنه قولُه جلَّ وعز ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً ﴾[4] أي علمتم .

ويُبيِّن لك هذا الحديثُ المرفُوع .

---

(١) قال ابن جرير : وقال آخرون معنى الآية : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ، ثم ذكر بسنده قول مجاهد . انظر تفسير الطبري ١١١/١٨ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ص ١٧ ومعنى « مستأنِسٍ وَحَدِ » الثور الوحشي المنفرد ، شبَّه ناقته به في شدة الخوف والفزع ، وانظر الخصائص لابن الجني ٢٦٢/٣ وأمالي ابن الشجري ٢٧١/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٦ .

(٣) البيت للحارث بن حِلِّزة من معلقته المشهورة ، وانظر المصون لأبي أحمد العسكري ص ٩٥ . وذكره في لسان العرب ١٦٤/١ قال : والنبأةُ : الصوت ليس بالشديد . اهـ ومراده أنها شعرت بصوت خفي ففزعت من القنَّاص وقد دنا المساء .

(٤) سورة النساء آية ٦ .

رَوَى أبو بُردةَ عن أبي موسى الأشعريِّ قال : (جئت إلى عمر بن الخطاب أَستأذنُ عليه ، فقلتُ : السَّلامُ عليكم أندخل ؟ ثلاث مرات ، فلم يُؤْذَنْ لي ، فقال : فَهَلاَّ أقمت ؟ فقلتُ إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لِيَستأْذِنِ المرءُ المسلمُ على أخيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ ، فإن أُذِنَ وإلاَّ رَجَعَ » فقال : لتأتينِّي على هذا بمن يشهدُ لك ، أو لتَنَالنَّك مني عقوبةٌ ! فجئتُ إلى « أُبيِّ بن كعبٍ » فجاءَ فشَهد لي)(١) .

قال أبو جعفر : فهذا يبيِّن لك أنَّ معنى ﴿ **حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا** ﴾ حتى تستعلموا : أَيُؤْذَنُ لكم أم لا ؟

٢٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدَاً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ..﴾** [آية ٢٨] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الاستئذان ٦٨/٨ ومسلم في كتاب الآداب ٣٧/٣٣ بلفظ (جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال : السلام عليكم ، هذا عبدُاللهِ بنُ قيسٍ ، فلم يَأْذنْ له ، فقال : السَّلامُ عليكم هذا أبو موسى ، السَّلامُ عليكم هذا الأشعريُّ ، ثم انْصَرف ، فقال : ردُّوا عليَّ ، ردُّوا عليَّ ، فجاء فقال : يا أبا موسى ماردَّك ! كنَّا في شُغْلٍ ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الاستئذان ثلاثٌ ، فإن أُذِنَ لكَ وإلاَّ فارْجِعْ » قال : لتأْتينِّي على هَذَا ببيِّنةٍ ، وإلاَّفَعَلتُ وفَعَلتُ ، فذهب أبو موسى ، فلما أن جاء بالعشيِّ وجدوه ، قال : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجدتَ ؟ قال : نعم « أُبيَّ بن كعب » قال : عدلٌ ، قال ياأبا الطُّفَيْل ما يقول هذا ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكوننَّ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : سبحان الله !! إنما سمعتُ شيئاً فأحببتُ أن أتثبَّتَ) ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجة .

المعنى : حتى يأذن لكم أصحابُها بالدخول ، لأنه لا ينبغي له أن يدخل إلى منزل غيره ـــ وإن علم أنه ليس فيه ـــ حتى يأذن له صاحبُه .

٢٥ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٢٩] .

قال مجاهد : كانت بيوتٌ في طُرُق المدينة ، يجعل النَّاسُ فيها أمتعاتِهم ، فأُحِلَّ لهم أن يدخلوها بغير إذنٍ[١] .

ورَوَى سالمٌ المكيُّ عن محمد بن الحنفيَّة قال : هي بيوتُ الخاناتِ والسُّوقِ[٢] .

وقال الضحاك : هي الخاناتُ[٣] .

وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهازَ ، وإنما هو البيتُ ينظر إليه ، أو الخَرِبة يدخلها لقضاء حاجة ،وكل متاع الدنيا منفعة[٤] .

و قال عطاءٌ : ﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ للخلاء ، والبول[٥] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ١١٤/١٨ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٥ وأبو حيان في البحر ٤٤٦/٦ .

(٢) الخانات : الفنادقُ ، استثنى الله من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكونٍ منها ، نحو الفنادق وهي الخانات ، والرُّبط ، وحوانيت البيَّاعين ، قال في البحر وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن وانظر البحر ٤٤٦/٦ .

(٣ـــ٥) انظر الآثار في الطبري ١١٤/١٨ والقرطبي ٢٢١/١٢ .. قال الفراء ﴿فيها متاعٌ لكم﴾ أي =

وهذه الأقوال متقاربةٌ ، وأبينُها قولُ مجاهد ، لأنه تعالى حَظَر عليهم بَدْءاً أن يدخلوا غير بيوتهم ، ثم أذِنَ لهم إذا كان لهم في بيوت غيرهم متاعٌ ، على جهةِ اكتراءٍ أو نظيره أن يدخلوا .

والذي قاله غيرُ مجاهد جائزٌ في اللغة ، لأنه يُقال لكل منفعةٍ متاعٌ ، ومنه ﴿ **فَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ** ﴾[1] .

٢٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ..** ﴾ [آية ٣٠] .

قال قتادة : أي عمَّا لا يحلُّ لهم[2] .

« مِنْ » ههنا لبيان الجنس .

قال جرير بن عبدالله : « سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظرة الفُجْأةِ فقال : اصْرِفْ بَصَرَكَ »[3] .

= منافع لكم تنتفعون بها وتستظلون بها من الحر والبرد ، قال الفراء : الفندقُ مثل الخان ، وسمعت أعرابياً من قُضاعة يقول : فُنْتُق . اهـ معاني القرآن ٢٤٩/٢ .

(١) عبارة القرطبي : وقال جابر بن زيد : ليس يعني بالمتاع الجهازُ ،ولكنْ ماسواه من الحاجة ، إما منزلٌ ينزله قومٌ من ليلٍ أو نهار ، أو خربةٍ يدخلها لقضاء حاجة ، أو دار ينظر إليها ، فهذا متاعٌ ، وكل منافع الدنيا متاع . اهـ وهذا الكلام أشملُ وأوضحُ وانظر تفسير القرطبي ٢٢١/١٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن ابن زيد ١١٧/١٨ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤٠/٥ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الآداب ١٨١/٦ وأبو داود في النكاح ٦١/٨ والترمذي في الاستئذان رقم ٢٩١٦ وقال : حسن صحيح ، ورواه أحمد في المسند ٣٦١/٤

فأمره ﷺ بصرف بصرهِ ، لأنه إذا لم يصرف بصرَه ، كان تاركاً ما أَمَرَه اللَّهُ جلَّ وعزَّ به ، وكان ناظراً نظرةً ثانيـةً اختيـاراً ، كما قال أبـو سَلَمةَ عن عليّ بنِ أبي طالبٍ عن النبي ﷺ قال : (يا عَلِـيُّ إنَّ لكَ كَنْزاً في الجنَّة ، وإنك ذُو قَرْنَيْهـا[1] ، فلا تُتْبِـع النَّظـرة النَّظْـرة ، فإنَّمـا لكَ الأُولى ، وليستْ لكَ الآخِرة)[2] .

٢٧ ــ وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَلَا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُـنَّ إلاَّ مَا ظَهَــرَ مِنْهَــا .. ﴾ [آية ٣١] .

رَوَى أبــو إسحــقَ عن أبي الأَحْوصِ عن عبــدالله[3] قال : القُرْطُ ، والدُّمْلُجُ ، والسِّوارُ .

٢٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها﴾ .

في هذا اختلافٌ .

رَوَى أبو الأحوص عن عبدالله قال : الثِّيابُ[4] .

---

(١) قوله « ذو قَرْنَيْها » أي طرفَيْ الجنة وجانبيها . اهـ النهاية لابن الأثير ٥١/٤ .

(٢) رواه أبو داود في النكاح ، باب ما يؤمر من غض البصر رقم ٢١٤٩ وليس فيـه لفـظ « وإنك ذو قرنيها » وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في المسند ٣٥٣/٣ .

(٣) إذا أطلق لفظ « عبدالله » فإنه يراد به « عبدالله بن مسعود » رضي اللـه عنـه ، وهـو من كبـار الفقهاء من الصحابة ومـن كبـار المفسريـن ، والقُـرْطُ : ما تتـحلى به المرأة في أذنها ، والدُّمـلجُ : المِعْضَدُ من الحلي ، كذا في لسـان العرب ٢٧٦/٢

(٤) الأثر أخرجه الـطبري في تفسرة ١١٧/١٨ عن ابـن مسعـود قال : الزينـةُ زينتـان : فالظاهـرة منها الثياب ، وما خفي الخلخالان ، والقرطان ، والسواران .

وهذا مذهبُ أبي عُبَيْدٍ .

ورَوَى نافع عن ابن عمر قال : الوجهُ ، والكفَّان[1] .

ورَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن ابن عباس قال : الوجهُ ، والكفُّ[2] .

وبعضُهم يقول عن ابن عباس : الكُحْلُ ، والخِضَاب ، وكذلك قال مجاهدٌ ، وعطاء[3] .

ومعنى الكحلِ والخِضَابِ ، ومعنى الوجهِ والكفِّ ، سواءٌ[5] .

ورَوَتْ أمُّ شبيبٍ عن عائشة قالت : القُلْبُ ، والفَتَخَةُ[5] .

والفَتَخَةُ : الخاتَمُ ، وجمعُها فَتَخٌ ، وفَتَخَاتٌ[6] .

قال أبو جعفر : وهذا قريبٌ من قولِ ابنِ عمرَ ، وابنِ عباس ، وهو أشبهُ بمعنى الآيةِ من الثِّياب ، لأنَّه من جنس الزينة الأُولى .

وأكثرُ الفقهاء عليه ، أَلَا ترى أنَّ المرأة يجب عليها أن تستر في

(١ــ٥) هذه الأقوال منقولة جميعها عن السلف ، وانظر الطبري ١١٨/١٨ وابن كثير ٤٧/٦ والدر المنثور ٤١/٥ .

(٦) قال الجوهري : الفَتَخَةُ بالتحريك : حلقةٌ من فضة لا فصَّ فيها ، فإذا كان فيها فصٌّ فهي الخاتم ، والجمع فَتَخٌ ، وفَتَخَاتٌ . اهـ الصحاح ٤٢٨/١ .

الصَّلاةِ كلَّ موضعٍ منها يراه المرءُ ، وأنَّه لايظهر منها إلاَّ وجْهُهَا وكفَّاها ؟!

والقُلْبُ : السِّوارُ[1] ، قال ذلك يحيى بن سلمان الجُعْفيُّ[2] .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ [آية ٣١] .

يعني النِّساءَ المسلمات[3] .

ولا يجوز أن يُبْدين ذلك للمشركاتِ ، لقوله سبحانه ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [آية ٣١] .

فيه أقوالٌ :

الأول : أنَّ لهنَّ أن يُبْدين ذلكَ لعبيدهنَّ ، وأن يَرَوْا شُعُورهنَّ ، وهذا القولُ معروفٌ من قولِ عائشةَ ، وأمِّ سَلَمة[4] .

---

(١) في المصباح : وقُلْبُ الفضة : بالضمِّ ، سوارٌ غير ملوي . اهـ أي من طاق واحدٍ لا من طاقين .

(٢) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي المقرىء توفي بمصر سنة ٢٣٧ هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : ثقة ، وقال العقيلي : ثقة وله أحاديث مناكير ، وانظر ترجمته في التهذيب ٢٢٧/١١ .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد كما في تفسير ابن كثير ٥٠/٦ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٣/١٢ فقد جاء فيه : ظاهر الآية ﴿ أو ما ملكتْ أيمانهنَّ ﴾ يشمل العبيد والإماء ، والمسلماتِ والكتابيات ، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم =

جَعَلتَا العبدَ بمنزلةِ المَحْرَمِ في هذا ، لأنَّه لا يحلُّ أن يتزوَّج بسيِّدته مادام مملوكاً لها ، كما لايحلُّ ذلك لذوي المحارم .

ويُقوِّي هذا قولُه سبحانه ﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ ملكَتْ أيمانُكُم ، والَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ منكُمْ ﴾[1] ..

والقولُ الثاني : أنه ليس لعَبِيدهنَّ أن يَرَوْا منهنَّ ، إلاَّ ما يرى الأجنبيُّ .

كما رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عبَّاس أنه قال : ولا ينظر عبدُهَا إلى شَعَرِها ، ولا نَحْرِها ، وأمَّا الخلخال فلا ينظُر إليه إلاَّ الزَّوجُ .

وهو مذهب عبدالله بن مسعود ، ومجاهد ، وعطاء ، والشعبي[2] .

ورَوَى أبو مالك عن ابن عبَّاس خلافَ هذا ، قال : يَنْظُر العبدُ إلى شعر مولاته[3] ، ويكون التَّقديرُ على القول الثاني **﴿ أَوْ مَا**

= سلمة رضي الله عنهما ، وقال ابن عباس : لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وقال أشهب : سئل مالك أتُلقي المرأة خِمارَها بين يدي الخِصِيِّ ؟ فقال نعم : إذا كان مملوكاً لها أو لغيرها ، وقال سعيد بن المسيب : لاتغرنكم هذه الآية ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ إنما عنى بها الإماء ، ولم يعن بها العبيدَ ، وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته ، وهو قول مجاهد وعطاء .

(١) سورة النور آية ٥٨ .

(٢)و(٣) انظر الطبري ١٨/٢٠ والدر ٥/٤٢ .

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ غير أولي الإِرْبَة ، أو التابِعينَ غير أولي الإربة ، ثم حُذف كما قال الشاعر :

نَحْـنُ بِمَـا عِنْدَنَـا وأَنْتَ بِمَـا
عِنْـدَكَ رَاضٍ وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ[1]

على أن يزيدَ بن القعقاع وعاصماً قَرَءا ﴿ غَيْرَ أُوْلي الإِرْبَـةِ ﴾[2] بنصب غيرَ ، فعلى هذا يجوز أن يكون الاستثناء منهما جميعاً .

والقولُ الثالث : أن يكون ﴿ أَوْ مَامَلكتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ للإماء خاصَّةً ، قال ذلك سعيد بن المسيّب ، وقيل : الصِّغارُ خاصَّة .

قال أبو جعفر : هذا بعيدٌ في اللغة ، لأن « ما » عامة .

٣١ ـــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ أَو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ﴾ [آية ٣١] .

قال عطاء : هو الذي يَتْبعُك ، وهمُّهُ بطنُه[3] .

رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هو المغَفَّـلُ ، وقيل : الطِّفلُ[4] .

وقال الشعبي : هو الذي لا أَرَبَ له في النساء[5] .

وقال عكرمة : هو العِنِّينُ[6] .

---

(١) تقدم ذكر هذا الشاهد في الجزء الثالث صفحة ٢٢٩ وهو لعمرو بن قيس الخزرجي ، وهو من شواهد سيبويه .
(٢) هذه من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٣٢/٢ والسبعة في القراءات ص ٤٥٥ .
(٣ــ٦) انظر الآثار في الطبري ١٢٢/١٨ وابن كثير ٥١/٦ والدر المنثور ٤٣/٥

وهذه **الأقوال متقاربةٌ** ، وهو الذي لا حاجة له في النساء ، نحو الشيخ الهَرِم ، والخُنْثى ، والمَعْتوهِ ، والطِّفل ، والعِنِّين[1] .

والإِرْبَةُ والأَرَبُ : الحاجةُ، ومنه حديث (وأَيّكُم أَمْلَكُ لِأَرَبه من رسولِ الله ﷺ)[2] ؟ ومن رواه « لإِرْبه » فقد أخطأ ، لأنه يقال : قطَّعتهُ إِرْباً ، إِرْباً ، أي عُضْواً ، عُضْواً[3] .

٣٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ..﴾ [آية ٣١] .

الطِّفْلُ ههنا بمعنى : الأطفال ، يدلُّ على هذا قوله ﴿ **الَّذِينَ لم يَظْهروا عَلَى عَوْراتِ النِّسَاءِ** ﴾ أي لم يُطيقوا ذلك ، كما تقول : ظَهَر فلانٌ على فلانٍ ، أي غَلَبه وقَوِيَ عليه[4] .

---

(١) العِنِّين : بكسر العين هو الذي لايستطيع إتيان النساء .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الصوم ١٣١/٤ ومسلم رقم ١١٠٦ في الصوم أيضا ، ولفظه عن عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ يقبِّلني وهو صائم ، وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه ؟

(٣) في المصباح : الأرب والإربة بالكسر : الحاجة ، والإرب بالكسر يستعمل في الحاجة ، وفي العضو ، والجمعُ آراب مثل حِمْل وأحمال ، وفي الحديث (كان أملَكَكُمْ لإرْبِهِ) أي لنفسه عن الوقوع في الشهوة . اهـ المصباح مادة أرِب . وفي النهاية لابن الأثير ٣٦/١ ومنه حديث عائشة (كان ﷺ أملككم لأربِهِ) أي لحاجته ، تعني أنه كان غالباً لهواه ، وأكثرُ المحدِّثين يروونه بفتح الهمزة والراء ، يعنون الحاجة ، وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء ، تأويلان : أحدهما أنه الحاجةُ ، والثاني أرادت به العضوَ ، وعَنَتْ من الأعضاء الذَّكَر خاصة . اهـ .

(٤) قال القرطبي ٢٣٦/١٢ : ﴿ لم يَظْهروا ﴾ أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهنَّ ، وقيل : لم يبلغوا أن يُطيقوا النِّسَاءَ ، يُقال : ظهرتُ على كذا أي علمتُه ، وظهرتُ على كذا أي قهرته اهـ .

٣٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ..﴾ [آية ٣١] .

قال أبو الجوزاء(١) : كنَّ يضربن بأرجلهنَّ لتبدوَ خلاخيلُهنَّ(٢) .

وقال أبو مالك(٣) : كنَّ يجعلن في أرجلهنَّ خَرَزاً ، ويحرِّكْنَهَا حتى يُسْمعَ الصَّوتُ(٤) .

قال غيرُه : فنُهِينَ عن ذلك ، لأنه يحرِّكُ من الشهوة(٥) .

٣٤ ـ وقولُه جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ..﴾ [آية ٣٢] .

قال الضحاك : هنَّ اللَّواتي لا أزواج لهنَّ(٦) ، يُقال : رجلٌ أيِّمٌ ، وامْرأةٌ أيِّمٌ ، وقد آمَتْ ، تَئِيمُ .

---

(١) أبو الجوزاء : هو (أوس بن عبدالله الرَّبعي) تابعي ثقةٌ توفي سنة ٨٣ هـ وانظر تقريب التهذيب ٨٦/١ وتهذيب التهذيب ٣٨٣/١ .

(٢،٤،٥) انظر الآثار في الطبري ١٤٣/١٨ وابن الجوزي ٣٤/٥ وابن كثير ٥١/٦ .

(٣) أبو مالك : اسمه سعد بن طارق الأشجعي الكوفي ثقة من الطبقة الرابعة . مات في حدود سنة ١٤٠هـ انظر التقريب ٢٨٧/١ .

(٦) قال القرطبي ٢٣٨/١٢ : ﴿ وَلَايَضْرِبنَ بأَرْجُلهَنَّ ﴾ أي لاتضرب المرأة برجلها إذا مشتْ لتُسمعَ صوتَ خلخالها فإسماعُ صوتِ الزينة كإبداء الزينة وأشدُّ ، والغرضُ التستُّر ، وقال الزجاج : وسماعُ هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها . اهـ .

وقرأ الحسن : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عَبِيدِكُمْ ﴾[1] يقال : عَبْدٌ ، وعِبَادٌ ، وعَبِيدٌ .

٣٥ ــ وقولُه تعالى ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [آية ٣٢] .

وكذا قوله ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ ﴾ أي بالنكاح ، لأنه لم يجعل كل زوج مقصوراً على زوجٍ أبداً .

والفقرُ : الحاجةُ إلى الشيء المذكورُ بعَقِبِهِ ، ومثلُه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾[2] أي للفقراء إلى الصَّدقات ، وقد يكون الرجل فقيراً إلى الشيء ، وليس بمسكين .

٣٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرَاً .. ﴾ [آية ٣٣] .

قيل : هذا على الحضِّ والنَّدبِ ، لاعلى الحَتْمِ والوجوبِ[3] ، ولولا الإِذنُ لَمَا علمنا أنَّ ذلك يجوز .

---

(١) في البحر ٤٥١/٦ وهذه قراءة مجاهد والحسن ، وأكثر استعمال العبيد في المماليك .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٦٠ وتمامها ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ﴾ الآية .

(٣) قال ابن جرير ١٢٧/١٨ قال الثوري : إذا أراد العبد من سيِّده أن يكاتبه ، فإن شاء السيد كاتبه ولايجبر على ذلك ، وقال ابن زيد : ليس بواجب عليه أن يكاتبه ، وإنما هذا أمرٌ أَذِنَ اللهُ فيه اهـ .

وكِتَابٌ ، ومُكَاتبةٌ بمعنى واحد ، كما يُقال : قِتَالٌ ، ومُقَاتلةٌ .

٣٧ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا اختلافٌ .

قال الحسن : أي دِينًا وأمانةً[1] .

وقال إبراهيم النَّخعي : أي صِدْقًا ووفاءً[2] .

وقال عبيدة : إن أقاموا الصلاة[3] .

وقال سعيد بن جبير : إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير[4] .

قال أبو جعفر : وأجمعُها قولُ سعيدِ بنِ جُبَيْر ، لأنه إذا أراد بذلك الخير استعمل الوفاء ، كما يستعمل أهلُ الدين والوفاء ، والصدق والأمانةِ ، ومن يقيمُ الصلاةَ ويرى لها حقاً .

وفي الآية قولٌ آخر .

قال مجاهد وعطاء : الخيرُ ههنا : المالُ[5] .

(١ــ٤) هذه الآثار والأقوال كلُّها وردت عن السَّلف ، وأَجْمَعُها ــ كما قال المصنِّفُ ــ قول من ذهب إلى أن الخيرَ يُراد به الدِّينُ والصِّدْقُ ، والأمانةُ والوفاء .. الخ وانظر الطبري ١٢٧/١٨ والقرطبي ٢٤٥/١ .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٩/١٨ وابن الجوزي ٣٧/٦ ورجح الطبري أن المراد بالخير القوة على الاحتراف والاكتساب .

وهـذا بعيـدٌ جداً ، لأنـه كان يجب على هذا أن يقـول : « إن علمتم لهم خيراً » .

وأيضاً فإن العبـد مالٌ لمولاه ، فكيـف يُقـال : إن علـمتم لهم مالاً ؟

وقال أشهبُ : سُئِلَ مالِكٌ عن قوله جلَّ وعزَّ ﴿ إنْ علمتُمْ فِيهِمْ خيْراً ﴾ فقال : إنه ليُقال « الخيرُ » القوَّةُ ، والأداءُ .

قال أبو جعفر : وهـذا قولٌ حسنٌ ، أي قوَّةً على الاحتـرافِ والاكتساب ، ووفاءً بما أوجب نفسه ، وصِدْق لَهْجة ، فأمَّا المالُ وإن كان من الخيرِ ، فليس هو في العبد ، وإنما يكون عنده أوْ لَهُ .

٣٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّـهِ الَّـذِي آتاكُـمْ .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال أبو جعفر : في هذا ثلاثةُ أقوال :

أحدها : أن يكون على الحضِّ والنَّدبِ .

كما رَوَى ابنُ بُرَيدة[1] عن أبيه ، قال : حثَّهم على هذا ..

ويُروى هذا عن عُمَر ، وعثمانَ ، والزبير ، وعن إبراهيم النَّخَعي .

(١) ابن بُريدة تابعي واسمه « عبدالله بن بُريدة بن الحُصَيب » الأسلمي أبو سهل المروزي قاضي مرو ، وأخو سُليمان وكانا توأمين ، قال عنه ابن معين ، وأبو حاتم : ثقة ، توفي سنة ١١٥ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٥٧/٥

ويكون المعنى : وأعطوهم ما يستعينون به على قضاءِ الكتابـةِ ، بدفع إليهم ، أو بإسقاطٍ عنهم[1]

والقولُ الثاني : أن يُسْقِط المكاتِبُ عن مُكاتَبِهِ شيئاً محدوداً .

رُوي عن علـيٍّ بنِ أبي طالبٍ قال : الرُّبُـع ، وكـذا قال مجاهد[2] .

وعن ابن مسعود قال : الثُّلُثُ[3] .

والقولُ الثالث : قاله سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، قال : يضعُ عنـه شيئـاً من كتابته ، ولَم يُحدُّوه[4] .

قال أبو جعفر : قيـل : أَوْلَاهـا القـولُ الأول ، لجلالـةِ من قال به .

وأيضاً : فإنَّ قوله تعـالى ﴿ **وآتُوهُـمْ مِنْ مَالِ اللَّـهِ الَّـذِي آتَاكُـمْ** ﴾ معطـوفٌ على قولـه ﴿ **فَكَاتِبُوهُـمْ** ﴾ فيـجب في العربيـة أن يكون مثلَه على الحضِّ والنَّدب .

---

(١) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكـام القـرآن ٢٥١/١٢ : هذا أمرٌ للسادة بإعـانتهم في مال الكتابة ، إمَّا بأن يعطوهم شيئاً مما في أيديهم أعنـي أيـدي السادة ـــ أو يحطُّوا عنهم شيئـاً من مال الكتابة . اهـ وانظر الطبري ١٢٩/١٨ وابن كثير ٥٦/٦ .

(٢ ـــ ٤) انظـر الآثار في الـطبري ١٣٠/١٨ وزاد المسير ٣٧/٦ وابـن كثير ٥٧/٦ ومعنـى قولـــه « ولم يَحدُّوه » أي لم يحدِّدوا مقداراً معيناً من المال .

وأيضاً فإن قولَ « علـيٍّ » عليه السلام : الرُّبُع ، وقولَ عبدالله : « الثُّلُث » لا يوجب أن يكون ذلك حتماً واجباً ، ويحتمل أن يكون على النَّدب .

٣٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال مجاهد : نزلت في « عبداللهِ بنِ أبيٍّ بنِ سَلُول »[1] أَمَرَ أَمَتَه أن تزني ، فجاءته بِبُرْدٍ ، فأمرها أن تعود إلى الزنى فأبتْ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ ﴾[2] .

ورَوَى أبو سفيان عن جابر وعكرمة عن ابن عباس قال : نزلت في « عبد الله بن أبيٍّ » أكرَهَ أَمَتَه على الزِّنى ، فأنزل الله جل وعز ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ ﴾[3] .

---

(١) « عبدالله بن أبيٍّ بن سلول » هو رئيس المنافقين في عهد النبي ﷺ وهو الذي نزلت فيه الآية الكريمة ﴿ وَلَا تُصَلِّ على أَحَدٍ منهمْ مات أبداً .. ﴾ الآية من سورة التوبة .

(٢) روي عن جابر عن عبدالله أن هذه الآية نزلت في « عبدالله بن أبيٍّ » وكانت له جاريتان إحداهما تسمى « مُعَاذة » والأخرى « مُسَيْكة » وكان يكرههما على الزنى ، ويضربهما عليه ، ابتغاء المال وكسب الولد ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين . اهـ تفسير القرطبي ٢٥٤/١٢ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٣٣/١٨ وأصله في صحيح مسلم من كتاب التفسير ٢٣٢٠/٤ عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبيٍّ بن سلول يقال لها « مُسيكة » وأخرى يقال لها : « أميمة » وكان يكرههما على الزنى ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ ولاتكرهوا فتياتكم .. ﴾ الآية .

ويُسْأَلُ عن قولِهِ جلَّ وعزَّ ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ !!

فالجواب أن المعنى : ولا تُكرهوا فتياتكم على البِغَاءِ البتَّة ..

وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ متعلِّقٌ بقوله سبحانه ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى منكُمْ .. إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾[1] .

ومعنى قوله ﴿ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لتبتغوا أجورهن مما يَكْسَبْنَ .

٤٠ ــ [**وقولُه تعالى** ﴿ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2] [آية ٣٣] .

---

(١) قال المفسرون : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ أي إن أردن التعفُّف عن مقارفة الزِّنى ، وليس هذا للقيد أو الشرط ، وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته ، فالأصلُ في الامة المملوكة أن يُحصِّنها سيِّدُها ويكُفَّها عن القبيح ، أمَّا أن يأمرها بالزنى ويُكرهها عليه ، وتمتنع هي وتريد العفة ، فذلك منتهى الخِسَّة والدناءة منه ، فالآية بيان للواقع ، لا قيد ولا شرط فتنبه والله يرعاك .

قال ابن العربي : وإنما ذكر الله تعالى إرادة التحصن من المرأة ، لأن ذلك هو الذي يصوِّر الإكراه ، فأما إذا كانت هي راغبة في الزنى لم يتصور إكراه . وذهب هذا النظر عن بعض المفسرين ، فقال بعضهم إنه راجع إلى الأيامي ، وقال الزجاج في الكلام تقديم وتأخير أي وأنكحوا الأيامى والصالحين من عبادكم إن أردن تحصناً ، وقال بعضهم : هذا الشرط يُلغى ، ونحو ذلك مما يضعف من الأقوال اهـ . القرطبي ١٢/٢٥٥ .

(٢) سقطت الآية من المخطوطة وإثباتها ضروري لأنها مشروحة .

قال مجاهد : فإن اللَّـهَ للمُكْرَهَـاتِ من بعـد إكراههـن غفـورٌ رحيم[1] .

٤١ ــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ وَلَقَـدْ أَنْزَلْنَـا إِلَيْكُـمْ آيَـاتٍ مُبَيَّنَـاتٍ ..﴾ [آية ٣٤] .

قال قتادة : يعني القرآن ، فيه بيانُ الحلال من الحرام .

ويُقْرَأ « مُبيِّنَاتٍ » بكسر الياء أي بيِّنات هاديات .

٤٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ ..﴾ [آية ٣٥] .

هو تمثيلٌ ، أي بنورِهِ يهتدي أهلُ السَّمواتِ والأرض .

والتقديرُ : اللَّهُ ذو نورِ السَّمواتِ والأرضِ[2] .

والهُدَى يُمَثَّلُ بالنُّور[3] .

٤٣ ــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ مَثَـلُ نُورِهِ كَمِشْكَـاةٍ فيها مِصْبَـاحٌ ..﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبـاس : ﴿ اللَّـهُ نُورُ

(١) قرأ ابن مسعود وجابر ﴿ لهنَّ غفور رحيم ﴾ وهذه القراءة كالتفسير للآية وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ١٠٨/٢ من الشواذ .

(٢) على هذا التقدير يكون في الآية حذف المضاف ، وهذا معروفٌ في العربية .

(٣) كقوله تعالى ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ أي من الضلال إلى الهدى .

السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ﴾ قال : هادي أهل أهـلِ السَّمـواتِ والأَرْض[1] ، كما هُدَاه في قلب المؤمن ، كما يكـاد الـزيتُ الصافي يضيء قبـل أن تمسَّه نارٌ ، فإذا مسَّتـه ازداد ضوءاً على ضوء ، كذا قلبُ المؤمـــنِ ، يعمــــل الهدَى قبل أن يأتيـه العلـمُ ، فإذا جاءه العلمُ، ازداد هدى ، ونـوراً على نور .

كما قال إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله ــ قبـل أن تجيئـه المعرفةُ حين رأى الكوكـب ــ : ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾ من غير أن يُخبره أحـدٌ أنَّ له رَبّاً ، فلمَّا أخبره اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنه ربُّه ، ازدَادَ هَدُىً على هداه[2] .

قال ابن عباس : هذا للمؤمن .

وقال سعيد بن جبير : أي مَثَلُ نور المؤمن[3] .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٨/١٣٥ وإليه ذهب جمهور المفسرين ، قال الطبري : أي هادي من في السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون اهـ .
وانظر-القرطبي ١٢/٢٥٦ والبحر ٦/٤٥٥ وإذا أردت التفصيل ، فارجع لكتابنا صفـوة التفـاسير ٢/٣٤٠ ففيه ما يشفي الغليل .

(٢) في كلام المصنـف نظـر ، فإنَّ إبراهيم عليه السلام ما قال ﴿ هذا ربيّ ﴾ عن شكٍّ في الإلـــه الخالق ــ حاشاه ــ بل قالـه في معـرض المناظـرة للـردِّ على الخصم ، بدليـل قولـه تعـالى بعدهُ ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ وقوله تعالى عنه ﴿ ولقد آتينـا إبـراهيم رشده من قبـلُ وكنَّا به عالمين ﴾ فإبـراهيم عليـه السلام كان على الفطـرة ، وعلى الإيمان والتوحيـد ، منـذ حداثـة سنِّه ، وليس كما قال المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٨/١٣٦ والضمير في قوله تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِ ﴾ عائـد على المؤمـن ، على قول ابن عباس ، وسعيـد بن جبير ، وقيـل : يعـود على اللـه جل وعـلا والمعنـى : مثـلُ نور اللـهَ =

وروَى أبو العالية عن أُبَيٍّ بن كعب أنه قرأ ﴿ **مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ** ﴾[1] .

وقال زيدُ بنُ أَسْلَمَ : ﴿ **مَثَلُ نُوْرِهِ** ﴾ : يعني القرآن[2] .

قال أبو جعفر : ويجوز أن يكون المعنى : مَثَلُ نورِهِ للمؤمن ، ويكون معنى قول ابن عباس للمؤمن .

ويجوز أن يكون معناه : مثلُ نورِ المؤمنِ كمِشْكاةٍ .

قال ابنُ عباس وابنُ عمر : المشكاةُ: هي الكُوَّةُ[3] .

ورَوَى أبيٌّ بن كعب في قوله تعالى ﴿ **لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ** ﴾ أي تصيبُها الشمسُ وقتَ الشروق ، فهي شرقية غربيّة[4] .

= سبحانه في قلب عبده المؤمن ، كمشكاةٍ ــ أي كوَّةٍ وطاقة ــ فيها مصباح ، وانظر الطبري ١٨/١٣٧ والقرطبي ١٢/٢٥٧ والبحر المحيط ٦/٤٥٥ .

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير ، وليست من القراءات المعتد بها وهي قراءة شاذة .

(٢)و(٣) انظر الطبري ١٨/١٣٧ وابن كثير ٦/٦٢.

(٤) قال القرطبي : اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ لا شَرْقِيةٍ وَلَا غربيّةٍ ﴾ فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة : الشرقية التي تصيبها الشمس إذا أشرَقت ، والغربيةُ عكسها ، أي أنها شجرة في صحراء منكشفة من الأرض ، لايواريها عن الشمس شيء ، وهو أجود لزيتها ، فليست خالصة للشمس فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمّى غربية ، بل هي شرقية غربية . اهـ القرطبي ١٢/٢٥٨ .

وقال **عكرمة** : لا تخلو من الشمس وقتِ الشروق والغروب ، وذلك أصفى لدهنها(١) .

ثم قال تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي لصفائه **﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾** تمَّ الكلام .

٤٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ .. ﴾** [آية ٣٥] .

قال الضحَّاكُ : أي الإيمانُ ، والعَمَلُ(٦) .

وقال غيرُه : نورُ السِّراجِ ، على نور الزَّيت والقِنديل(٣) .

وقال أبيُّ بن كعب : مَثَلُه كمثَلِ شَجَرةٍ التفَّتْ بها الشَّجر ، لاتصيبها الشمسُ على حال(٤) ، فهي خضراءُ ناعمةٌ ، فكذا المؤمنُ ، نورٌ على نور ، كلامُه نورٌ ، وعلمُه نورٌ ، ومصيرُه إلى النُّور يوم القيامة(٢) .

وقال السُّدي : نورُ النَّارِ ، ونورُ الزَّيت ، لا يغيِّر واحداً تَغيُّرُ صاحبِهِ ، وكذا نور القرآن ، ونور الإيمان(٦) .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٤٢/١٨ والبحر المحيط ٤٥٧/٦ وابن كثير ٦٣/٥ .

(٤) هذا القول روي أيضاً عن ابن عباس ، قال ابن عطية ٥١٢/١٠ : وهذا قولٌ لايصحُّ عندي عن ابن عباس ، لأن الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها ، وذلك مشاهد في الوجود . اهـ .

(٥ــ٦) انظر الآثار في جامع البيان ١٤٢/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٤٣/٦ والدر المنثور ٤٩/٥ .

٤٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ..﴾ [آية ٣٦] .

والمعنى : كمشْكَاةٍ في بيوتٍ[(١)] .

وقيل المعنى : المصباحُ في بيوتٍ[(٢)] .

وقيل المعنى : يُسبِّح له رجالٌ في بيوتٍ[(٣)] .

قال الحسن : ﴿ في بُيُوتٍ ﴾ أي مساجد ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ أي تُعظَّمَ وتُصَانَ .

وقال عكرمة : هي البيوت كلُّها[(٤)] .

وقال مجاهد : ﴿ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ أي تُبْنَى .

٤٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٣٧] .

(١ــ٣) ذكر هذه الوجوه المفسرون ، ولكنَّ أقوى هذه الوجوه ، أن تكون الآية مستأنفة ، وتكون متعلقة بفعل محذوف ، دلَّ عليه ما بعده ، والمعنى : سبِّحوا ربكم أيها الناس في هذه المناجد ، التي أمر الله تعالى أن تُبنى وتُشاد على اسمه . الخ وهذا ما رجحه أيضاً أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٨/٦ والجلالان السيوطي والمحلي ٢٢٦/٣ وهو الأظهر والأوجه .

(٤) قول الحسن هو الأصحُّ ، وليس كما قال عكرمة ، لأن الله تعالى ذكر من صفتها قوله ﴿ يُسَبِّح له فيها بالغدوِّ والآصالِ رجالٌ ﴾ وهذا لايكون إلا للمساجد بيوت الله .

قال عطاء : أي لاتُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ ، عن حضور الصلاة في جماعة[1] .

وقال سالمٌ : جَازَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بالسُّوقِ ، وقد أغلقُوْا حَوَانيتِهم ، وقاموا ليصَلُّوا في جَمَاعة[2] ، فقال فيهم نَزَلتْ ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ ..** ﴾[3] .

٤٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَخافُون يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيه القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾** [آية ٣٧] .

أي تعرف القلوب الأمر عَياناً ، فتنقلبُ عمَّا كانت عليه من الشكِّ والكفرِ ، ويزدادُ المؤمنون يقيناً ، ويُكْشَفُ عن الأَبْصار غطاؤُها

---

(١) هذا قولُ ابن عباس أيضاً ، وانظر الطبري ١٤٦/١٨ والقرطبي ٢٧٩/١٢ والدر المنثور ٥٢/٥ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٧٩/١٢ والطبري ١٤٦/١٨ عن ابن مسعود وكذلك الحافظ ابن كثير ٧٤/٦ .

(٣) وفي التسهيل : نزلت الآية في أهل الأسواق ، الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة ، تركوا كل شغلٍ وبادروا إليها ، والبيعُ من التجارة ، ولكنه خُصَّ بالذكر تجريداً ، كقوله تعالى ﴿ فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمَّانٌ ﴾ أو أراد بالتجارة الشراء . اهـ التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٧/٣ .

فتنظُـــر(١) ، ومثلُـــه ﴿ **فَكَشَفْنَــا عَنْكَ غِطَــاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَــوْمَ حَدِيدٌ** ﴾(٢) .

٤٨ ــ **ثمَّ مثَّل جلَّ وعزَّ عملَ الكافر ــ بعد المؤمن ــ فقال :**

﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ** .. ﴾ [آية ٣٩] .

قال الفَرَّاء : قِيعَةٌ جمعُ قَاعٍ ، كما يُقال جِيرَة وجَار(٣) .

وقال أبو عبيدة : قِيعَةٌ وقَاعٌ واحدٌ(٤) .

والقَاعُ والقِيعَةُ عند أهل اللغة : ما انبسط من الأرض ، ولم يكن فيه نبتٌ(٥) .

---

(١) هذا القول ذكره الفراء ٢/٢٥٣ فقال : المعنى من كان في دنياه شاكاً ، أبصر ذلك في أمر آخرته ، ومن كان لايشكُّ ازداد قلبُه بَصَراً لأنه لم يره في دنياه ، فذلك تقلبُّها . اهـ وهذا القول وإن كان له وجه لكنه خلاف الظاهر ، فإن الآية تتحدث عن الفزع والهول الذي يكون يوم القيامة ، قال في التسهيل ٣/١٤٧ أي تضطرب فيه القلوب والأبصار من شدة الهول والخوف ، كما قال سبحانه ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ وهو ما ذهب إليه الطبري والقرطبي وصاحب البحر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ يخافون يوماً ﴾ فهو يوم خوف وفزع لايوم معرفة ويقين .

(٢) سورة ق والقرآن المجيد آية رقم ٢٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٤ .

(٤) انظر معاني القرآن لأبي عبيدة ٢/٦٦ .

(٥) قال الأصمعي : يُقال : قَاعٌ ، وقِيعَانٌ ، وقِيعَةٌ ، وقِيَعٌ ، وهو ما استوى من الأرض ، وقال الليث : القاع أرضٌ واسعة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام ، ويجمع القِيعة والقيعان وهو ما استوى من الأرض ، لاحصى فيه ولا حجارة ، ولا ينبت الشجر . اهـ تهذيب اللغة ٣/٣٣ .

٤٩ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً .. ﴾ [آية ٣٩] .

أي العطشان ، والسَّرابُ : ما ارتفع نصفَ النَّهار ، فإذا رُؤِيَ من بُعْدٍ ، ظُنَّ أنه ماءٌ(١) .

٥٠ ـــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ [آية ٣٩] .

أي حتى إذا جاء إلى الموضع الذي فيه السَّرابُ ، لم يجده شيئاً ممَّا قدَّره ، ووجد أرضاً لا ماءَ فيها .

وفي الكلام حذفٌ : فكذلكَ مَثَلُ الكافر ، يتوهَّم أن عمله ينفعهُ ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ﴾ **أي مات ، لم يجد عمله شيئاً ، لأن الله جلَّ وعزَّ قد مَحَقَه ، وأبطله بكفره** ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَه ﴾ أي عند عمله ﴿ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ أي جزاءَه .

فمثَّل جلَّ وعزَّ عمَلَ الكافر بما يُوْجَد ، ثُمَّ مثَّلَه بما يُرَى(٢) فقال :

---

(١) عبارة القرطبي ١٢/٢٨٢ : والسَّرابُ : ما يُرى نصف النهار في اشتداد الحر ، كالماء في المفاوز يلتصق بالأرض ، وسُمِّي سراباً لأنه يسربُ أي يجري كالماء ، فيغترُّ به العطشان قال الشاعر :
فلمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كانتْ عهودُهُمْ كلَمْعِ سَرَابٍ بالفَلا مُتَأَلِّقِ

(٢) في البحر ٦/٤٦٠ : مثَّل للكفرة ولأعمالهم مثلين : أحدهما يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة وأنهم لاينتفعون بها ، والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة .. شبَّه أولاً أعمالهم في اضمحلالها وفقدان ثمرتها ، بسرابٍ في مكانٍ منخفض ، ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه في الوصول إليه ، حتى إذا جاء موضعه الذي تخيَّله فيه لم يجده شيئاً أي فقده ، كذلك الكافر يظن أن عمله نافعه ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة صار وبالاً عليه ، وفي الثاني شبَّه أعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة التي لا يرى معها الإنسان شيئاً . هـ .

٥١ ــ **قال جلَّ وعزَّ :** ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيّ** .. ﴾ [آية ٤٠] .

وهو منسوبٌ إلى اللُّجِّ وهو وسَطُ البحر(١) .

قال أبيُّ بن كعب : الكافرُ كلامُه ظُلْمَةٌ ، وعملُه ظُلْمَةٌ ، ومصيرُه إلى ظلمةٍ(٢) .

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال أبو عبيدة : أي لم يرها ، و﴿ **لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾ أي لا يراها إلاَّ على بعد(٣) .

قال أبو جعفر : وأصحُّ الأقوال في هذا ، أن المعنى : لم يُقارب رؤيتها ، وإذا لم يُقارب رؤيتها ، فلم يرها رؤيةً بعيدة ولا قريبة .

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**

---

(١) في تهذيب اللغة ٤٩٣/١٠ لجَّةُ البحر : حيث لايدرك قعره ، قال الفراء : يقال بحرٌ لُجِيٌّ ، ولِجِّيٌّ بالضمِّ والكسر . اهـ وقال الزمخشري : اللُّجيُّ : العميق الكثير الماء ، منسوب إلى اللُّجُ وهو معظم ماء البحر . اهـ الكشاف ٨٤/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥١/١٨ والقرطبي ٢٨٥/١٢ بلفظ : « الكافر يتقلَّبُ في خمس من الظلمات : كلامُهُ ظُلْمةٌ ، وعملُه ظُلْمة ، ومدخله ظُلْمةٌ ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار ، وبئس المصير » .

(٣) انظر مجاز القرآن ٦٧/٢ قال المبِّردُ : يعني لم يرها إلاَّ من بعد جُهدٍ ، كما تقول : ماكدتُ أراك من الظلمة ، وقد رآه بعد يأس وشدة ، وقيل المعنى قَرُب من الرؤية ولم ير ، كما تقول: كاد النعام يطير . اهـ الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٢ .

وَالأَرْضِ ، وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ..﴾ [آية ٤١] .

حدثنا **الفِرْيابيُّ** ، **قال أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة** ، قال أخبرنا شبابةُ عن وَرْقَاءَ ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ﴿ **كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ الصَّلاةُ للإنسان ، والتسبيحُ لِمَا سوى ذلك من خلقه(١) .

٥٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابَاً ..﴾** [آية ٤٣] .

أي يسوقه ﴿ **ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ** ﴾ أي يجمعُ القِطَعَ المتفرِّقةَ ، حتى تتألَّف ﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً** ﴾ أي بعضَه فوقَ بعضٍ ﴿ **فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** ﴾ .

الوَدْقُ : المَطَرُ ، يُقال : وَدَقَتْ سُرَّتُه تَدِقُ ، وَدْقاً ، وَدِقَةً ، وكلُّ خارجٍ وَادِقٌ كما قال :

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا
وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا(٢)

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٢/١٨ والقرطبي ٢٨٦/١٢ وقال الزمخشري في الكشاف ٨٤/٢ : والصلاةُ : الدعاءُ ولايبعد أن يُلهم اللهُ الطير دعاءه وتسبيحه ، كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لايكاد العقلاء يهتدون إليها . اهـ .

(٢) البيت لعامر بن جُوَيْنٍ الطَّائي ، واستشهد به في الصحاح ١٥٦٣/٤ واللسان مادة ودق ، وهو في المغني ص ٣١٣ والطبري ١٥٣/١٨ والشنتمري ٢٤٠/١ والقرطبي ٢٨٩/١٢ ومجاز القرآن ٦٧/٢ .

و « خِلاَلٌ » جَمْعُ خَلَل ، يُقال : جَبَلٌ ، وجِبَالٌ .

٥٥ ــ **ثم قال جلّ وعز** : ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ..**﴾ [آية ٤٣] .

قيل : **المعنى من جبالِ بَرَدٍ فيها** ، كما تقول : هذا خاتَمٌ في يدي من حديد ، أي هذا خاتَمُ حديدٍ في يدي .

كما يُقال : جبالٌ من طين ، وجبالُ طينٍ .

وقيل : إن المعنى من مقدارِ جبالٍ ، ثم حذف كما تقول : عند فلان جِبَالُ مالٍ .

والأخفشُ يذهب إلى أنَّ « مِنْ » فيهما زائدة[١] أي جبالاً فيها بَرَدٌ .

قال : **وقال بعضهم** : الجبالُ من بردٍ ﴿ **فِيهَا** ﴾ في السَّماء ، وتجعلُ الإنزال منها[٢] .

---

(١) هذا كلام الفراء في معانيه ٢٥٦/٣٢ حيث قال : المعنى : إن الجبال في السماء من بردٍ ، خِلْقَةً مخلوقة ، كما تقولُ في الكلام : الآدميُّ من لحمٍ ودمٍ ، فـ « مِنْ » ههنا تسقط فتقول : الآدمي لحمٌ ودمٌ ، والجبالُ بَرَدٌ . اهـ . وفي القرطبي ٢٨٩/١٢ قال الأخفش : إن « مِنْ » في الجبال ، و « من بَرَدٍ » زائدة في الموضعين ، أي ينزِّل من السماء برداً يكون كالجبال . اهـ .
أقول : وهذا القول هو الأظهر والأشهر .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٩/٤ فقد فصَّل في المعنى ووضَّح .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾** [آية ٤٣] .

أي ضوءُ بَرْقه(١) .

ورَوَى ربيعةُ بن أبيضَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « البَرْقُ : مخاريقُ الملائكة »(٢) .

وقال عبدالله بن عَمْرٍو : هو ما يكون من جبال البَرَد(٣) .

حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثني عبداللّهِ بن أحمد ابن حنبل ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمش ، عن طلحة بن مصرِّف أنه قرأ ﴿ **يَكَادُ سَنَاءُ بُرَقِهِ** ﴾(٤) .

قال أحمد بن يحيى(٥) : وهو جمعُ بُرْقَةٍ .

قال أبو جعفر : البُرْقَةُ : المقدارُ من البَرْق ، والبَرْقَةُ : المرَّة الواحدة ، مِثْل غُرْفةٍ ، وغَرْفَة .

---

(١) قال الطبري ١٨/١٥٤ : السَّنَا مقصورٌ : وهو ضوءُ البرق ، وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٦٨ .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٢٦ : المخاريقُ جمع مِخْراق ، وهو في الأصل ثوبٌ يلَفُّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ، وأراد بالحديث « البرقُ مخاريقُ الملائكة » أنه آلة تَزْجُر به الملائكةُ السحاب وتسوقه ، ويفسِّره حديثُ ابن عباس : « البرقُ سَوْطٌ من نور ، تزجر به الملائكةُ السحاب » اهـ وانظر الطبري ١/١٥٣ .

(٣) انظر البحر المحيط ٦/٤٦٥ والقرطبي ١٢/٢٩٠ وروح المعاني ١٨/١٩١ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة وانظر المحتسب لابن جني ٢/١١٤ .

(٥) احمد بن يحيى : هو الإمام ثعلب ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٢ .

٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ..﴾ [آية ٤٥] .

يُقال لكل شيء من الحيوان ، مميَّزاً كان أو غير مميّز : دابّةٌ(١) .

٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [آية ٤٥] .

ولم يقل « فمنها » ولا « فمنهن » لأنه غلَّبَ ما يُميِّزُ(٢) ، فلمَّا وقعتِ الكِنَايةُ على ما يكونُ لما يُميِّز ، جَاءَ بـ « مَنْ » ولم يأتِ بـ « ما » ألا تَرَى أنه قد خلط في أوَّلِ الكلام ما يُميِّز مع ما لا يُميِّز(٣) ؟!

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) الدابة : كلُّ مادبَّ على وجه الأرض ، من إنسانٍ أو حيوانٍ ، يقال : دبَّ يدِبُّ فهو دابٌّ ، والهاء للمبالغة ، ومنه قوله سبحانه ﴿ وَما من دابةٍ في الأرض إلَّا على اللَّهِ رِزْقُها .. ﴾ وانظر تهذيب اللغة ، واللسان مادة دبَّ .

(٢) هذا ما يسمَّى « باب التغليب » ، حيث يُغلَّب العاقل على غير العاقل ، قال الفراء ٢٥٧/٢ : يُقال كيف قال ﴿ مَنْ يَمْشِي ﴾ وإنما تكون « مَنْ » للناس ، وقد جعلها ههنا للبهائم ؟ قلت لما قال ﴿ خَلقَ كلَّ دابة ﴾ فدخل فيهم الناس كنَّى عنهم فقال ﴿ منهم ﴾ لمخالطتهم الناس ، ثم فسرَّهم بـ « مَنْ » لمَّا كنَّى عنهم كناية الناس خاصة ، ألا ترى أنك تقول : الرجل وأباعِرُهُ مقبلون ، فكأنهم ناسٌ إذا قلت مقبلون .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ وهي تشمل الإنسان والبهائم وسائر الدواب .

قال عطاءٌ : أي مُسْرعين وهـم قريش ، يُقالُ : أذعن إذا جاء مُسْرِعاً طائعاً غير مُكْرَهٍ[1] .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ .. ﴾** [آية ٥٠] .

والمعنى : أم يخافون أن يَحِيفَ عليهم رسولُ الله ﷺ ؟

وقولُه ﴿ أم يَخافُونَ أن يَحيفَ اللَّهُ عليهم ﴾ افتتاحُ كلام[2] ، أَلَا ترى أنَّ قبله **﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾** ولم يقل : ليحكما بينهم ؟!

وهذا كما يُقال : قد أعتقَكَ اللَّهُ وأعتَقْتُكَ ، وما شاءَ اللَّهُ ثمَّ شئتَ .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ .. ﴾** [آية ٥١] .

---

(١) قال أهل اللغة : الإذعانُ : الانقيادُ والخضوعُ يقال : أذعن فلانٌ لفلان : انقاد له ، وخضَع ، وذلَّ وأسرع في الطاعة ، كذا في القاموس المحيط ، قال القرطبي ﴿ مُذْعنينَ ﴾ أي طائعين منقادين ، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق اهـ القرطبي ٢٩٣/١٢ .

(٢) افتتاح كلام : أي افتتح به الكلام للتعظيم قال الفراء في معاني القرآن ٢٥٨/٢ : جعل الحيف ــ الجور ــ منسوباً إلى الله وإلى رسوله ، وإنما المعنى للرسول ، وإنما بُدىء بالله إعظاماً له كما تقول : ماشاء الله وشئت وأنت تريد ما شئتَ . انتهى .

خبرٌ فيه معْنَى الأَمْرِ ، والتَّحْضِيضِ .

أي إِنَّما ينبغي أن يكونُوا كذا[1] .

قُرِىءَ على بكْرِ بن سَهْلٍ ، عن عمْرِو بنِ هشام — وهو البَيْروتيُّ — عن ابنِ أبي كَرِيمَةَ[2] في قول اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ ويَتَّقْهِ ، فَأُولَـئِكَ هُم الفَائِزُونَ** ﴾ [آية ٥٢] .

قال : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ** ﴾ فيوحِّدُه ﴿ **وَرَسُولَهُ** ﴾ فيصدِّقُه ﴿ **وَيَخْشَ اللَّهَ** ﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ **وَيَتَّقْهِ** ﴾ فيما بقي من عمره ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : والفوزُ في اللغة : النَّجاةُ[4] .

---

(١) قال في التسهيل ١٥٢/٣ ومعنى الآية : الواجبُ أن يقول المؤمنون « سمعنا وأطعنا » إذا دُعوا إلى الله ورسوله اهـ .

(٢) هو سليمان بن أبي كريمة روى عنه عمرو بن هشام البيروتي ، ضعفَّه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ، وانظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢٢١/٢ والجرح والتعديل للرازي ١٣٨/٤ .

(٣) ذكرها في البحر ٤٦٨/٦ وفي القرطبي ٢٩٥/١٢ وقال القرطبي : ذُكر أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم لهذه الآية ، وقال : إنها جمعتْ كل ما في التوراة والإنجيل .

(٤) وفي المصباح ١٣٩/٢ : (فَازَ يفوزُ فوْزاً) ظَفِر ونجا . اهـ والفائزُ : من نجا من النَّار ، وأُدخل الجنة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عنِ النَّار وأُدخل الجنَّة فقد فاز ﴾ .

٦٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ، قُلْ لَا تُقْسِمُوا ..﴾ [آية ٥٣] .

﴿ قُلْ لاتُقْسِمُوْا ﴾ تمَّ الكلامُ ، ثم قال ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوْفَةٌ ﴾ أي طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ(١) ، وهذا للمنافقين .

أي لاتحلفوا على الكذب فالطاعة أمثلُ .

ويجوز أن يكون المعنى : لِتَكُنْ منكم طاعةٌ .

٦٣ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ..﴾ [آية ٥٤] .

والمعنى : فإن تتولوا ثم حُذف ، ويدلُّ على أنَّ بعده ﴿ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ ولم يقل : وعليهم(٢) .

والمعنى : فإنما على النبي ﷺ التبليغُ ، وعليكم القبولُ ، وليس عليه أن تقبلوا .

---

(١) في التسهيل ١٥٢/٣ : « طاعةٌ معروفة » مبتدأ وخبرُه محذوفٌ أي طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ وأولى بكم ، أو خبر مبتدأ محذوف أي المطلوب منكم طاعةٌ معروفة ، وقال البقاعي : لاتقدير في الكلام و« طاعة » مبتدأ، خبره « معروفة » وسوَّغ الابتداء بالنكرة العموم أي لاتقسموا فإن الطاعة معروفة منكم أنها باللسان لا بالقلب . وانظر الألوسي ١٩٩/١٨ .

(٢) المراد أن الفعل « تَوَلَّوْا » لو كان ماضياً لقال تعالى « وعليهم » ولكنه مضارع حذفت منه إحدى التاءين ، ولهذا جاء اللفظ « وعليكم ما حُمِّلتم » فدل على أن الفعل مضارع .

٦٤ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥٥] .

جاء باللَّامِ ، لأنَّ معنى « وَعَدَ » و« قَالَ » واحدٌ[١] .

والمعنى : ليجعلنَّهُمْ يَخْلُفون مَنْ قبْلَهم .

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾ وهو الإسلام .

٦٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥٧] .

أي هم في قبضة اللَّهِ جلَّ وعزَّ .

٦٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. ﴾ [آية ٥٨] .

في هذه الآية أقوالٌ :

---

(١) عبارة القرطبي ٢٩٩/١٢ أوضح فقد قال : واللَّامُ في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ جواب قسم مضمر ، لأن الوعد قولٌ ، مجازُها : قال اللهُ للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والله ليستخلفنهم في الأرض ، فيجعلهم ملوكها ، وسكانها . اهـ .

وقال الزمخشري : فإن قلتَ أين القسم المتلقَّى باللَّام والنُّون في ﴿ ليستخلفنَّهم ﴾ ؟ قلتُ : هو محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ليستخلفنَّهم ، أو نُزِّل وعدُ اللهِ في تحقُّقِهِ منزلةَ القَسَم ، فتُلقِّي بما يُتلَقى به القَسَمُ ، كأنه قيل : أقسم الله ليستخلفنَّهم . اهـ الكشاف ٨٦/٢ .

أ ــ رَوَى **ابن جريج عن مجاهد** قال : هم العبيدُ المملوكون[1] .

٢ ــ **ورَوَى اسرائيل عن ليث** عن نافع عن ابن عمر ﴿ **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ الإناثُ[2] .

٣ ــ **ورَوَى سفيان عن أبي حُصين** عن أبي عبدالرحمن قال : هي للنِّساء خاصة[3] .

أي إنَّ سبيلَ الرجالِ أنْ يستأذِنُوا في كلِّ وقتٍ ، والنِّساءُ يستأذِنَّ في هذه الأوقاتِ خاصَّةً .

ولا يجوزُ في اللغة أن يُقال للنِّساءِ « الَّذِينَ » ولو كان للنساء خاصَّةً لقيل « اللَّاتي » أو « اللَّائي » أو ما أشبهَ ذلك ، إلاَّ أن يجتمع مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ ، فيقال « الَّذِينَ » لهم جميعاً .

ورَوَى عَمْروُ بنُ أبي عَمْرٍو ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس : « أنَّ رجلين من أهلِ العراقِ ، سألاه عن قوله عزَّ وجلَّ ﴿ **لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ فقال : إنَّ الله جلَّ وعزَّ سِتِّيرٌ ، يحبُّ السُّتْرةَ ، ولم يكنْ للمسلمينَ يومئذٍ ستورٌ ، ولا حِجالٌ[4] ، فكان ولدُ

(١ــ٣) هذه الآثار كُلُّها مرويَّةٌ عن السلف ، وانظر الطبري ١٦١/١٨ والقرطبي ٣٠٤/١٢ والبحر ٤٧٢/٦ .

(٤) حِجَالٌ : جمعُ حَجَلَة وهي بيتٌ يزيَّنُ بالثياب والأسرَّة والستور كالقبَّة ، وله أزرار كبار . اهـ لسان العرب ١٥٢/١٣ .

الرَّجل ، وخادِمُه ويتيمُه ، ربَّما دخَلَ عليه وهو مع أهلِهِ ، فأمر اللَّهُ جلَّ وعزَّ بالاستئذانِ ، فلَّما بَسَط اللَّهُ الرِّزقَ ، واتَّخذَ النَّاسُ السّتُّورَ والحِجَالَ ، رأوا أن ذلك يغنيهم عن الاستئذان — وفي بعض الروايات — فترك الناس العمل بالآية[1] .

قال الشعبي : ليست بمنسوخةٍ[2] .

وأَوْلَى ما في هذا ، وأصحُّه إسناداً ، ما رواه عبدُالمِلِكِ عن عطاءٍ ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : ثلاثُ آياتٍ تَرَكَ النَّاسُ العملَ بها :

أ — **قولُه ﴿ لِيَسْتَأْذنكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانكُمْ ﴾** .

ب — **وقولُه ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾** .

ويقول فلانٌ : أنا أكرمُ من فلانٍ ، وإنَّما أكرمُهُما أتْقَاهُما .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب رقم ٥١٩٢ قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وانظر الطبري ١٦٢/١٨ ، والقرطبي ٣٠٣/١٢ وأخرجه ابن كثير ٩٠/٦ بلفظ قال ابن عباس : « إن الله ستّيرٌ يحب السِّتر ، كان الناس ليس لهم ستورٌ على أبوابهم ولا حِجَال في بيوتهم ، فربَّما فاجأ الرجلَ خادمُه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله ، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمّى » اهـ .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور ٥٦/٥ وتفسير ابن كثير ٨٩/٦ وتتمته : قلتُ : فإن الناس لايعملون بها ؟ فقال : الله المستعانُ .

قال عطاء : ونسيتُ الثالثة[1] .

قال أبو جعفر : فهذا من ابن عباس على جهة الإنكار ، وهو مفسِّرٌ لما رواه عكرمة ، في روايةِ من قال : « فترك الناسُ العمل بها » .

وقد روى ابن عُيَيْنة عن عُبَيْد اللّهِ بن أبي يزيد عن ابن عباس قال : « إني لآمرُ جاريتي هذه ــ وأومأ إلى جاريةٍ بيضاء قصيرة ــ أن تستأذن عليَّ »[2] .

٦٧ ــ **ثم بيَّنَ المرَّات فقال سبحانه** : ﴿ **مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ** ﴾ لأنه الوقتُ الذي يلبس الناس فيه ثيابهم ، يخرجون من فُرُشِهم[3] . ﴿ **وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ** ﴾ لأنه وقت القائلة[4] .

---

(١) الرواية في الدر المنثور للسيوطي ٥/٥٦ قال ابن عباس رضي الله عنهما : تَرَكَ الناسُ ثلاثَ آياتٍ ، فلم يعملوا بهن : ﴿ يا أيها الذينَ آمنُوا لِيَستَأذنكُمُ الذين ملكتْ أيمانكم .. ﴾ الآية والآيةُ التي في سورة النساء ﴿ وإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أولُوْ القُرْبى .. ﴾ الآية ، والآيةُ التي في سورة الحجرات ﴿ إنَّ أكرَمَكُمْ عند اللّهِ أتقاكُمْ ﴾ أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وانظر تفسير ابن كثير ٦/٨٩ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود برقم ٥١٩١ في باب الاستئذان وهو في الدر المنثور ٥/٥٦ والقرطبي ١٢/٣٠٣ وابن كثير ٦/٨٩ .

(٣) في المخطوطة « فروشهم » وهو خطأ ، لأن جمع الفراش « فُرُشٌ » وانظر المصباح المنير مادة فرش .

(٤) القائلة : القيلولة وهي النوم في الظهيرة منتصف النهار ، ومنه قوله تعالى ﴿ فجاءهم بأسنا بياتاً أوهم قائلون ﴾ .

﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ العِشَاءِ ﴾ **قال الزهري** : وهي التي يسميّها النَّاسُ العَتَمة ، .

قال : فيستأذنون في هذه الأوقاتِ خاصَّةً ، فأمَّا غيرهم فيستأذنوا كل وقت[1] .

٦٨ ــ **ثم قال تعالى** ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ .. ﴾ [آية ٥٨] .

أي أوقاتُ الاستئذان ثلاثُ عورات .

والنَّصبُ[2] بمعنى يستأذنون وقتَ ثلاثِ عورات لكم .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ أي في الدخول بغير إذن .

﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يخدمونكم .

﴿ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي يطوفُ بعضكُم على بَعْضٍ[3] .

٦٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا .. ﴾ [آية ٥٩] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٦٣/١٨ والقرطبي ٣٠٤/١٢ والبحر المحيط ٤٧٢/٦ .

(٢) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وقرأ الجمهور بالرفع ﴿ ثلاثُ عوراتٍ لكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص٤٥٩ قال الفراء في معاني القرآن ٢٩٠/٢ : والرفعُ في العربية أحبُّ إليَّ ، لأن المعنى : هذه الخصالُ وقتُ العوارتِ ليس عليكم ولا غليهم جُناح بعدهن . اهـ .

(٣) يريد أنَّ بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة ، يطوفون عليكم للخدمة ، وتطوفون عليهم للاستخدام . اهـ الكشاف ٨٧/٢ .

قال الزهري : أي يستأذن الرجلُ على أمِّهِ ، وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية[1] .

٧٠ ــ **ثم قال تعالى ﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** [آية ٥٩] .

يعني البالغِين .

٧١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً ..﴾** [آية ٦٠] .

قال أبو جعفر : أبو عُبيدة يذهب إلى أن المعنى : اللَّواتي قَعَدْن عن الولد[2] .

وقال غيرهُ : يُراد بهذا العجوزُ الكبيرةُ ، التي قعدت عن التَصرُّف ، لأنها قد تقعد عن الولد ، وفيها بقيَّة .

قال ربيعةُ : هي التي إذا رأيتَها استَقْذرتَها[3] .

---

(١) روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ « أأستأذن على أمي ؟ قال نعم ، قال إني معها في البيت ؟ قال : استأذنْ عليها ، قال إني خادمها ، أفأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أفتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا ، قال فاستأذن عليها » . أخرجه البيهقي في السنن ، وانظر الدر المنثور ٥٧/٥ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدةٌ ٦٩/٢ فقد قال فيه : القواعدُ : هنَّ اللواتي قد قعدن عن الولد ولا يحضن .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٩/١٢ : القواعد واحدتها قاعدة وهنَّ العُجَّز اللواتي قعدن عن الولد ، والمحيض ، هذا قولُ أكثر العلماء ، وقال ربيعة : هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها .

٧٢ ــ **ثم قال تعالى ﴿ فلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾** [آية ٦٠] .

رَوَى أبو وَائِلٍ[1] **عن عبدِاللَّهِ بن مسعودٍ قال** : يعني الرِّداء .

قال أبو جعفر : والمعروفُ من قراءة عبدالله **﴿ أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيابِهِنَّ ﴾**[2] .

٧٣ ــ **وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيرٌ لَهُن﴾** [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يلبسْنَ الجلبابَ خيرٌ لهنَّ[3] .

٧٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ ..﴾** [آية ٦١] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباريُّ ، قال حدثنا زيد بن أجزم ، قال أنبأنا بِشْرُ بن عمر الزَّهراني ، قال حدثنا إبراهيم بنُ سعيدٍ ، عن صالح بن كيْسان ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان

---

(١) « أبو وائل » اسمه « شقيق بن سلمة الأَسَدَي » الكوفي تابعيٌّ مخضرم ، كان أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود .

(٢) ذكره القرطبي ٣٠٩/١٢ وذكر الطبري ١٦٧/١٨ : أنها قراءةُ أُبيٍّ بن كعب ، وهذه ليست من القراءات السبع ، وهي محمولةٌ على التفسير .

(٣) قال في التسهيل ١٥٥/٣ : أباح الله لهذا الصنف من العجائز ، ما لم يُبح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود : إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء ، وإنما أبيح لهن وضع الثياب ، بشرط ألا يقصدن إظهار الزينة ، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزمه الشابات من الستر . انتهى .

المسلمون يُوْعبون[1] في النفير مع رسول الله ﷺ ، فكانوا يدفعون مفاتحِهم إلى ضَمْنَاهم ويقولون : إن احتجتُمْ فكلوا ، فيقولون : إنما أحلُّوه لنا عن غير طيب نفسٍ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ** ﴾[2] إلى آخر الآية .

قال أبو جعفر : « **يوعبون** » : أي يخرجون بأجمعهم في المغازي .

يُقال : أوعبَ بنو فلانٍ لبني فلان : إذا جاءوهم بأجمعهم ، ويُقال : بيتٌ وَعِيبٌ : إذا كان واسعاً ، يستوعب كلَّ ما وُضع فيه .

والضَّمْنَى : هُمْ الزَّمْنى ، واحدُهم ضَمِنٌ ، مِثْلُ زَمِنٍ .

قال مَعْمَرٌ : سألتُ الزهريَّ عن قوله تعالى ﴿ **ليسَ على الأَعْمَى حَرَجٌ ، ولا عَلَى الأَعْرجِ حَرَجٌ ، ولا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ** .. ﴾ ما بالُ هؤلاء ذُكِرُوا ههنا ؟ فقال : أخبرني عُبَيْد اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ، أنَّ النَّاسَ كانوا إذا خرجوا إلى الغَزْوِ ، دفعوا مفاتِحَهُم إلى الزَّمْنَى ، وأحلُّوا لهم أن يأكلوا ممَّا في بيوتهم ، فكانوا لايفعلون ذلك ،

---

(١) في الصحاح ٢٣٣/١ : أَوْعب القومُ : إذا حشدوا ، وجاءوا موعبين : إذا جمعوا ما استطاعوا من جمع ، فلم يبق في البلد أحد . انتهى .

(٢) انظر الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٥٨/٥ والطبري ١٦٨/١٨ وابن كثير ٩٣/٦ .

وَيَتَوَقَّوْن ويقولون : إنما أطلقوا لنا عن غيرِ طيبِ نفسٍ ، فأنـزل اللـه الآية ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ..** ﴾[(١)] .

قال أبـو جعفـر : فالمعنـى على هذا بيِّـنٌ ، أي ليس عليهم في الأكل شيء[(٢)] .

والقـولُ الآخر : قولُ ابـنِ عبـاس ، حدثنـاه بكـرُ بنُ سهـل ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاويةُ بن صالح ، عن علـيَّ بنِ أبي طلحةَ عن ابن عباس قال : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **جَمِيعَاً أَوْ أَشْتَاتاً** ﴾ وذلك لمَّا أنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَأْكُلُـوا أَمْوَالَكُـمْ بَيْنَكُـمْ بِالبَاطِـلِ** ﴾[(٣)] فقـال المسلمـون : إنَّ اللـهَ عزَّ وجـلَّ قد نهى أن نأكل أموالنـــا بيننـــا بالباطلِ ، والطَّعامُ هو منْ أفضلِ الأموالِ ، فلا يحلُّ لأحـدٍ منَّـا أن يأكل عند أحـدٍ ، فكـفَّ النَّـاسُ عن ذلك ، فأنـزل اللهُ جل وعـز بعـد ذلك ﴿ **لَيْسَ عَلَـى الأَعْمَـى حَرَجٌ وَلَا عَلَـى الأَعْرَجِ حَرَجٌ** ﴾ إلى قولـــه

---

(١) الأثـر أخرجـه ابـن جريـر ١٦٩/١٨ وابـن كثير ٩٣/٦ والسيوطـي في الـدر ٥٨/٥ وعـــزاه إلى عبدالرزَّاق ، وعبد بن حميد ، والبيهقي . وقال الفراء في معـاني القـرآن ٢٩١/٢ : كانت الأنصار يتنزهن عن مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض ، ويقولون : تُبصرُ طيِّبَ الطعام ولا يُبصرهُ ، فنسبقـه إليه ، والمريض يضعف عن الأكل ، والأعرجُ لا يستمكن من القعود ، فينال ما يناله الصحيح ، فكانوا يعزلونهم فنزلت الآية .

(٢) يريد أن في الآية حذفاً والمعنى : ليس على هؤلاء جناح في الأكل من هذه البيوت .

(٣) سورة النساء آية ٢٩ .

﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ وهو الرجلُ يوكِّلُ الرجلَ بضَيْعَتِهِ[1] .

قال أبو جعفر : والذي رخّص الله جلَّ وعز أن يُؤكل من ذلك : الطَّعامُ والتَّمرُ ، وشربُ اللَّبنِ ، وكانوا أيضاً يتَّقُون ويتحرَّجون أن يأكل الرجلُ الطعامَ وحده ، حتى يكون معه غيرُه ، فرخَّص اللهُ لهم ، فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فبيَّن ابنُ عباس في هذا الحديث ، ما الذي رُخِّصَ لهم فيه من الطعام .

وفي غير هذه الرواية عنه : أن الأعمى كان يتحرَّج أن يأكل طعامَ غيرِه لجعله يده في غير موضعه ، وكان الأعرج يتحرَّج لاتّساعه في الموضع ، والمريض لرائحته وما يلحقه ، فأباح الله جلَّ وعز لهم الأكل مع غيرهم .

وهذا معنى رواية صالح عنه .

٧٥ — **فأما قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا من بيوتكم .. ﴾** [آية ٦١] .

فقيل معناه : من بيوت عيالكم .

---

(١) انظر الأثر في الدر المنثور ٥/٥٨ والطبري ١٨/١٦٩ والألوسي ١٨/١٢٨ .
(٢) انظر الطبري ١٨/١٧٠ والقرطبي ١٢/٣١٢ والبحر المحيط ٦/٤٧٤ .

وقيل معناه : من بيوت أولادكم ، لأن أولادهم من كسبهم ، فنسبت بيوتُهم إليهم(١) .

واستدلَّ صاحب هذا القول ، بأنه ذكَرَ الأقرباء بعدُ ، ولم يذكر الأولادَ .

ومعنى « إخوانكم » و« إخوتكم » واحدٌ .

وفي غير رواية معاوية عن ابن عباس ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحهُ ﴾ يعني : العبيدَ .

وقيل : يعني الزَّمْنَى أُبيح لهم ما خزنوه من هذا للغُزَاة .

وقرأ سعيد بن جُبير ﴿ أَوْ مَا مُلّكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ بضم الميم وتشديد اللام(٢) .

وقال مجاهد : كان الرجل يذهب بالأعمى ، وبالأعرج ، وبالمريض إلى بيت أبيه ، أو غيره من الأقرباء ، فيتحرج من ذلك ويقول : هو بيتُ غيره ، فنزلت هذه الآية رخصة .

---

(١) القرطبي ٣١٤/١٢ وابن كثير ٦٣/٦ ويؤيده حديث (أنت ومَالُكَ لأبيكَ) أخرجه أحمد في المسند ١٧٩/٢ .

(٢) ذكرها في البحر ٤٧٤/٦ وروح المعاني ٢١٩/١٨ وليست من القراءات السبع ، وقراءة الجمهور « مَلَكْتُمْ » بالتخفيف .

وقيل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ أي في الغزو[1] ، وكذا الأعرجُ المريضُ .

﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوْتِكِمْ ﴾ .

أي من بيوت أنفسكم ، لأنه قد كان يجوز أن يُحْظَر ذلك ، لأنه قد يكون في بيت الرجل ما ليس له .

وكان يجوز أن يُحْظَر عليه مالُ غيره ، وإن أُذِن له ، فأُبيح ذلكَ لهذا ، إذا أَذِنَ له أحدٌ من هؤلاء .

وذكر فيهم الخاصُّ والعامُّ ، لأن قوله ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾ عامٌّ[2] .

---

(١) هذا قولُ ابن زيدٍ حكاه عنه الطبري في تفسيره ١٨/١٦٩ والقرطبي ١٢/٣١٣ .
قال الحافظ ابن كثير ٦/٤٢ : « اختلف المفسرون في المعنى الذي رُفِع من أجله الحرجُ عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض ههنا ، فقيل : نزلت في الجهاد أي إنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وجعلوا هذه الآية كالتي في سورة الفتح ، فإنها في الجهاد لا محالة ، وكالآية في سورة التوبة ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج ... ﴾ الآية » اهـ .

(٢) قال في التسهيل ٣/١٥٥ : اختلفت في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى ، والأعرج ، والمريض في هذه الآية ، فقيل : هو في الغزو ، أي لا حجر عليهم في تأخرهم عنه ، وقولُه ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول ، كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو ، ولا عليكم حرجٌ في الأكل ، وقيل : الآيةُ كلُّها في معنى الأكل ، فأباح الله للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ، ولم يذكر الابن لأنه دخل في قوله ﴿ من بيوتكم ﴾ لأن بيت ابن الرجل بيتُه لقوله عليه السلام « أنت ومالُك لأبيك » اهـ .

٧٦ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٦١] .

رَوَى عَمْرُ بنُ دينارٍ عن ابن عباس ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً ﴾ قال : المساجد[1] .

﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ يقول : السَّلامُ علينا وعلى عباد الله الصَّالحين .

وقال أبو مالك : إذا دخلتم بيوتاً ليس فيها أحدٌ من المسلمين ، فقولوا : السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللَّه الصَّالِحينَ[2] .

وقال ماهان[3] : إذا دخلتَ بيتاً ليس فيه أحدٌ ، فقلْ : السَّلامُ علينا من ربِّنا .

وقال الحسن : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ليسلِّمْ بعضكُمْ على بعض .

(١ ــ ٢) انظر الآثار في القرطبي ٣١٨/١٢ والطبري ١٧٤/١٨ والبحر المحيط ٤٧٤/٦ قال ابن العربي : القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ، ولا دليل على التخصيص ، فهو عام في كل بيت .

(٣) « ماهان » أبو سالم الحنفي ، الكوفي العابد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كان لايفتر عن التسبيح ، قتله الحجاج سنة ثلاث وثمانين ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥/١٠ وتقريب التهذيب ٢٢٧/٢ .

كما قال تعالى ﴿ **فَتوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] .

قال الضحَّاكُ : فسلِّموا على أهليكم وغيرهم[2] .

قال أبو جعفر : قولُ الحسن في هذا قولٌ صحيحٌ في اللغة ، والمسلمُ من المسلم بمنزلة نفسِهِ ، لأنَّ دينَهُما واحدٌ ، وعلى كل واحدٍ منهما نُصْحُ صاحبِهِ ، وقال الشاعر :

« قد جعلتُ نفسي في الأديم »

يعني الماءَ : لأنَّ الماءَ به العيشُ ، فجعله نَفْسَه ، فكذلك المسلمُ يطمئنُّ إلى المسلم كما يطمئنُّ إلى نفسِهِ .

والأَوْلَى أن يكون لجميع البيوت[3] ، لأن اللفظ عامٌّ ، والمعنى : فلْيحيِّ بعضكُم بعضاً ، تحيَّةً من عند اللَّهِ مباركةً طيِّبةً .

ثم خبَّر أن السَّلام طيِّبٌ مباركٌ فقال ﴿ **تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [آية ٦١] .

٧٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وإِذَا**

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٥٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٧٤/١٨ وابن الجوزي ٦٧/٦ .

(٣) ما رجحه المصنف هنا هو الذي اختاره الطبري ١٧٥/١٨ وقال الطبري ٣١٥/١٢ : والأوجه أن يُقال إنَّ هذا عامٌّ في دخول كل بيت ، فإن كان فيه ساكنٌ مسلمٌ ، يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإن لم يكن فيه ساكنٌ يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإن كان في البيت من ليس بمسلم قال : السلام على من اتَّبع الهدى . اهـ .

كَانُوْا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ..﴾ [آية ٦٢] .

قال سعيد بن جبير : إذا حَزَبَهم أمرٌ من حَرْبٍ أو غيرها ، استأذنوه قبل أن يذهبوا(١) .

وقال مجاهد : هذا في الغَزْوِ ، ويومَ الجُمعةِ(٢) .

وقال قتادة والضحاك : **﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىَ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾** أي على أمر طاعة(٣)

قال أبو جعفر : قولُ سعيدِ بن جُبَيْر أَوْلاَها ، أي إذا احتاج الإمام إلى جَمْعِ المسلمينَ ، لأمرٍ يَحتاج إلى اجتماعهم فيه ، فالإمامُ مخيَّرٌ في الإذنِ لمن رأى الإذنَ له .

فأمَّا إذا انتقضَ وضوءُه يوم الجمعة ، فلا وجه لمُقَامه في المسجد ، ولا معنى لاستئذانه الإمام في ذلك ، لأنه لا يجوز له منعهُ .

٧٨ ـ **وقولُه تعالى ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ..﴾** [آية ٦١] .

قال قتادة : وقد قال سبحانه **﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ**

(١ـ٣) انظر هذه الآثار كلها في الطبري ١٧٦/١٨ والدر المنثور ٦٠/٥ والبحر المحيط ٢٢٣/٦ .

لَهُمْ ﴾[1] فنسختْ هذهِ ــ يعني التي في سورة النُّورِ ــ التي في سورة براءة .

٧٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ..﴾** [آية ٦٣] .

قال مجاهد : قولـوا : يارسول اللـه ، في رفـقٍ ولين ، ولا تقولـوا يا محمد بِتَجَهُّمٍ[2] .

وقال قتادة : أُمِرُوا أن يُفخِّموه ويُشرِّفوه[3] .

ويُـروى عن ابن عبـاس كان يقـول : دعـوةُ الـرسول عليكـم واجبةٌ فاحذروها[4] .

وهذا قول حسنٌ ، لكونِ الكلام متَّصلاً[5] ، لأنَّ الـذي قبلـه

(١) سورة براءة آية رقم ٤٣ وهي في المنافقين خاصة الذين استأذنوا الرسول ﷺ دون حاجة .

(٢ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٧٧/١٨ وتفسير ابن الجوزي ٦٨/٦ وابن كثير ٩٦/٦ .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢٦٢/٢ : أي لاتدعوه بقولكم يا « محمَّدُ » كما يدعو بعضكم بعضاً ، ولكنْ وقِّروه ، وعظِّموه ، فقولوا : يانبيَّ اللَّهِ ، يارسول الله ، يا أبا القاسم . اهـ وهذا رأي جمهور المفسرين ، قال الزمخشري ٨٩/٣ : لاتقولوا : يا محمد ولكنْ يانبيَّ الله ويارسول الله ، مع التوقير والتعظيم ، والصوت المخفوض ، والتواضع . اهـ .

(٥) هذا الرأي الذي رجحه المؤلف قولٌ مرجوحٌ ، ومعناه : دعاؤه عليكم مستجاب فاحذروه ، والآية إنما وردت في بيان مقام الرسول ﷺ والتأدب في حضرته وفي مخاطبته ، قال ابن عطية ٥٥٦/١٠ : ولفظ الآية يدفع هذا المعنى ، لأن الغرض توقير النبيِّ وإجلالُه . اهـ وكذلك قال ابن كثير ٩٦/٦ قال : وهو الظاهر من السياق .

والذي بعده ، نهيٌ عن مخالفته ، أي لا تتعرَّضوا لِمَا يُسخِطُه ، فيدعوَ عليكم فتهلِكُوا ، ولا تجعلوا دعاءَهُ كدعاءِ غيرِه من النَّاسِ .

٨٠ — وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً .. ﴾ [آية ٦٣] .

قال مجاهد : أي خلافاً[١] .

وقيل : حِياداً ، كما تقول : لُذْتُ من فلانٍ أي حُدْتُ عنه .

وقيل : ﴿ لِوَاذاً ﴾ في سُترةٍ ، ولُذْتُ من فلان : تنحَّيْتُ عنه في سُترة[٢] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربةٌ .

وقولُ مجاهدٍ يدلُّ عليه ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

و﴿ لِوَاذٌ ﴾ مصدرُ « لاَوَذَ » فأما « لاَذَ » فمصدرُه لِيَاذٌ[٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٨/١٧٨ والدر المنثور ٥/٦١ .

(٢) قال ابن الجوزي ٦/٩٦ : أي يلوذ هذا بهذا أي يستتر ذا بذا ، وإنما قال ﴿ لوذاً ﴾ لأنها مصدر « لاوذتُ » ولو كان مصدراً لـ « لُذْتُ » لقلتَ : لُذْتُ لياذاً ، كما تقول : قمتُ قياماً ، وكذلك قال ثعلب : وقع البناء على لاوذ لِوَاذاً ، ولو بنى على لاذ ، يلوذ ، لقيل : لياذاً . اهـ

(٣) في القاموس : اللَّوذ بالشيء : الاستتارُ والاحتضانُ به ، كاللِّواذ مثلَّثة . اهـ وفي التفسير أن المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس ، من غير استئذان النبي ﷺ ، يلوذ بعضهم ببعض ، أي يستتر بعضهم ببعض لئلا يظهروا ويُكشفوا ففضحهم الله عز وجل .

وزعم أبوعبيدة أن قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ .

معناه : يخالفون أمره[1] .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ خطأٌ ، على مذهب الخليل وسيبويهِ ، لأنَّ « عَنْ » و « عَلَى » لا يُفعل بهما ذلك ، أي لا يُزادان ، و« عَنْ » في موضعها غيرُ زائدة .

والمعنى : يخالفون بعدَ ما أَمَر ، كما قال الشاعر :

« نَؤُومُ الضُحَّى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ »[2]

وحقيقةُ « عن » ههنا إن شئتَ خلافَهم أن تأمر ، فخِلَافُهم عن أمره ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه ، كذا قالا في قوله جلَّ وعز ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[3] .

انتهت سورة النور

* * *

---

(١) على رأي أبي عُبيدة أنَّ « عن » زائدة ، وعبارتُه كما في مجاز القرآن ٢/٦٩ : مجازُه: يخالفون أمره ، و« عن » زائدة .

(٢) هذا من معلقة امرىء القيس كما في ديوانه ص١٧ وتمامُ البيت :

وَتُضْحِي فَتيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفضُّلِ

واستشهد به على أن المعنى « عن تفضل » أي لم تشدَّ نِطاقاً عليها ، بعد تفضل ، فعن ليست زائدة .

(٣) سورة الكهف آية ٥٠ .

تفسير سورة الفرقان

مكية وآياتها ٧٧ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان وهي مكية[1]

حدثني يموتُ بن المزرّع ، قال : حدثنا أبو حاتم ، قال : حدثنا أبو عُبيدة قال : حدثنا يونس بن حبيب[2] ، قال : سمعتُ أبا عَمْرو بنَ العلاءِ يقول : سألتُ مجاهداً تلخيصَ الآي « المدنيِّ » من « المكِّيِّ » فقال مجاهد : سألتُ ابن عباس ، وذكر الحديث ، وقال فيه « نزلت سورة الفرقان بمكة ، فهي مكِّية .

١ ـ **من ذلك قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ .. ﴾** [آية ١] .

وقرأ عبدُ الله بنُ الزُّبير ﴿ عَلى عِبَادِهِ ﴾[3] .

---

(١) قال في البحر ٤٨٠/٦ : هذه السورة مكية في قول الجمهور ، وقال ابن عباس : إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهَاً آخر ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

(٢) في المخطوطة « يونس بن منبت » وصوابه « يونس بن حبيب » وهو النحوي القارىء كذا في تهذيب الكمال ١٦٣١/٣ وهو أحد تلامذة أبي عمرو بن العلاء .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١١٧/٢ : ووجهُ القراءة : أنه وإن كان إنزالُه على رسول الله ﷺ ، فإنه لمَّا كان عليه السلام موصلاً له إلى العباد ، ومخاطباً به إليهم ، صار كأنه منزَّل عليهم . اهـ . وانظر البحر ٤٨٠/٦ .

﴿ **تَبَارَكَ** ﴾ تَفَاعَلَ من البَرَكة ، وهي حلولُ الخير[1] .

ومنه : فلانٌ مُبارَكٌ ، أي : الخيرُ يحِلُّ بحلولِهِ ، مشتَقٌّ من البَرْك ، والبَرَكة ، وهما المصدرُ .

و ﴿ **الفُرْقَانُ** ﴾ : القرآنُ ، لأنه فَرَقَ بينَ الحقِّ والباطلِ ، والمؤمن والكافر .

و « **النَّذيرُ** » : المخوِّفُ عذابَ اللهِ تبارك وتعالى ، وكلُّ مخوِّفٍ : نذيرٌ ، ومنذِرٌ .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً .. ﴾** [آية ٢] .

أي قدَّر لكل شيءٍ ما يُصْلِحُه ، ويقومُ به .

٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً ، ولَا حَيَاةً ، وَلَا نُشُوراً ﴾** [آية ٣] .

يُقال : أَنْشَرَ اللهُ المَوْتى ، فَنَشَروا[2] .

---

(١) قال الزجاج في معانيه ﴿ تبارك ﴾ تَفَاعل من البركة ، وهي كثرة الخير وزيادتُه ، وقال الخليل : تمجَّد وتعظَّم ، ومنه قول الطرمَّاح :

تباركتَ لامعطٍ لشيءٍ منعتَهَ ... وليس لما أعطيتَ ياربِّ مانِعُ

واختار المصنف كما في إعراب القرآن ٤٥٧/٢ أن المعنى : دام وثبت إنعامه ، لانه من بَرَك الشيء ، إذاثَبتَ ، ومنه برَكَ الجملُ .

(٢) ومنه قوله تعالى﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أي أحياه، وعبارة القرطبي أوضح فقد قال في تفسيره ٣/١٣ : النشورُ : الإحياءُ بعد الموت ، أنشرَ الله الموتى فَنَشَرُوا، ومعنى الآية : أنهم لايُميتونَ أحداً ولايُحيونه .

٤ ــ ثم قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ ..﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿إِفْكٌ﴾ أي كذبٌ[1] .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : اليهودُ[2] .

٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظلماً وَزُوراً ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي كذباً .

قال أبو جعفر : والتقدير فقد جاءوا بظلمٍ وزُورٍ .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوْا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [آية ٥] .

قال مجاهد : أي أحاديثُ الأولين[4] .

قال قتادة : ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي عَشِيّاً[5] .

٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُوْلِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ..﴾ [آية ٧] .

(١ــ٥) انظر الآثار في الطبري ١٨/١٨١ والقرطبي ١٣/٣ والبحر المحيط ٦/٤٨١ وعبارة البحر عن مجاهد ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيه قَوْمٌ آخَرُوْنَ ﴾ : قومٌ من اليهود ألقوا اليه أخبار الأمم .

أيْ أيُّ شيءٍ له آكلاً وماشياً[1] ؟ .

ثم طلبوا أن يكون معه مَلَكٌ شَريكاً فقالوا : ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ ؟ وقد قال عز وجلَّ **﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُوْنَ ﴾**[2]

أي لو أنزلنا مَلَكاً ، لم يكونوا يفهمون عنه حتى يكون رجلاً ، وإذا كان رجلاً ، لم يؤمنوا أيضاً إلاَّ بتأويل .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ١٠] .

رَوَى سُفيانُ عن حَبِيبِ بن أبي ثابتٍ عن خَيْثَمةَ قال :

قيل للنبي ﷺ : « إن شئتَ أن نُعطيكَ خزائنَ الدُّنيا ومفاتِحهَا ، ــ ولم يُعْط ذلك مَنْ قَبْلك ، ولا يُعْطاه أحدٌ بعدك ــ وليس ذلك بناقِصك في الآخرةِ شيئاً !!

(١) عبارة النحاس في إعراب القرآن ١٥٢/٣ قال : والمعنى : أيُّ شيء لهذا الرسول في حال مَشْيه وأَكْله ؟ قال في البحر ٤٨٣/٦ : وهذا استفهام يصحبه استهزاء ، أي كان يجب أن يكون مستغنياً عن الأَكلِ والتعيُّش ، فأنكروا عليه ما هو عادةٌ للرسل كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ .

(٢) الآية من سورة الأنعام رقم ٩ .

وإن شئتَ جمعنا ذلكَ لك في الآخرةِ ، فقال : يُجْمَعُ لي ذلكَ في الآخرة »[1] .

فأنزل اللهُ عز وجل ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً** ﴾ [آية ١٠] .

٩ ـ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً** ﴾ [آية ١٢] .

قيل في معنى هذا قولان :

أحدهما : سمعوا لِمَنْ فيها من المعذَّبين تَغَيُّظاً وزفيراً .

واستشهدَ صاحبُ هذا القولِ بقوله عزَّ وجل : ﴿ **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وشَهِيقٌ** ﴾[2] .

والقولُ الآخرُ : أن المعنى سمعوا لها تغيُّظاً عليهم ، كما قال تعالى ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ** ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الفريابي ، وابنُ أبي شيبة ، وابن مردويه ، كذا في الدر المنثور ٦٣/٥ وهو في البحر ٤٨٤/٦ والقرطبي ٧/١٣ وفي بعض الروايات أنَّ « رضوان » مالك الجنَّة ، جاءه بأمر الله وخيَّره ، فأشار إليه جبريل أن تواضعْ ، فقال له النبيُّ ﷺ : بل أكون عبداً صابراً شكوراً ، فأعطاه الله عز الدنيا والآخرة .

(٢) سورة هود آية رقم ١٠٦ .

(٣) سورة الملك آية رقم ٧ .

والقولُ الثاني أَوْلى ، **لأنه قال** ﴿ سَمِعُوْا لَهَا ﴾ ولم يقل : سمعوا فيها ، ولا منها .

والتقديرُ : سمعوا لها صوتَ تغيُّظ[1] .

١٠ — **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوْرَاً ﴾ [آية ١٣] .

قال مجاهد والضحَّاك : أي هلاكاً .

قال أبو جعفر : يُقال : ماثَبَركَ عن كذَا ؟ أي ما صرَفك عنه[2] ؟

فالمثبورُ : هو المصروفُ عن الخير .

والمعنى : يقولون : واثُبُوراهُ .

ورَوَى عليُّ بنُ زَيْد عن أَنسِ بنِ مالكٍ عن النبي ﷺ أنه قال : « أوَّلُ من يُكْسَى حُلَّةً من جَهنَّم « إبليسُ » فيضَعُها على

(١) ويؤيد هذا القول ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال : « إنَّ العبد لِيُجَرُّ إلى النار ، فتشْهَقُ إليه شَهْقَةَ البغلةِ إلى الشَّعير ، ثم تزفر زفرةً لا يبقى أحد إلاَّ خاف ، وإنَّ الرجلَ من أهلِ النار ، ما بين شحمةِ أُذُنَيْه وبين منكبيهِ مسيرةُ سبعين سنةً ، وإنَّ فيها لأوديةً من قيح ، تُكال ثم تُصَبُّ في فيه » وانظر الدر المنثور ٦٤/٥ .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٢٦٣/٢ : الثبورُ مصدرٌ ، فلذلك قال ﴿ ثبوراً كثيراً ﴾ لأن المصادر لاتجمع ، والعرب تقول : ما ثَبَرَك عن كذا ؟ أي ما صرفك عنه ؟ وكأنهم دعوا بما فعلوا ، كما يقول الرجل : واَنَدامتاه . اهـ .

[جبينه][1] ويسحبُها ، يقول : وَاثُبُورَاهُ وتتبعُهُ ذريته يقولون : وَاثُبوراهُ فيُقال لهم : لا تَدْعُوا اليومَ ثُبوراً واحداً ، وادْعُوا ثُبوراً كثيراً[2] .

١١ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ ..﴾** [آية ١٥] .

وليس في ذلك خيرٌ ، فإنما هو على عملكم ، وعلى ما تفعلون[3] .

١٢ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً ﴾** [آية ١٦] .

قال محمد بن كعب : أي يُسأله[4] ، وهوقول الملائكة صلَّى الله عليهم ﴿ **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ** ﴾ .

---

(١) هكذا في المخطوطة « جبينه » وفي الدر المنثور ٦٤/٥ : «فيضعها على حاجبيه» وكذا في الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير « على حاجبيه » .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٢/٣ ورواه ابنُ أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي ، بسندٍ صحيح ، وانظر الدر المنثور ٦٤/٥ والقرطبي ٨/١٣ .

(٣) عبارة المصنف فيها غموضٌ ، وقد وضَّحها الإمام القرطبي ٩/١٣ فقال : إن قيل : كيف قال ﴿أذلكَ خيرٌ﴾ ولا خير في النَّار ؟ فالجواب أنه ليس من باب أفعل التفضيل وإنما هو كقولك : عنده خير ، وحكى سيبويه عن العرب : الشَّقَاءُ أحبُّ إليكَ أَم السَّعادةُ ؟ وقد علم أنَّ السعادةَ أحبُّ إليه . اهـ .

(٤) أي يُسأله المولى جلَّ وعلا قال في التسهيل : سأله المؤمنون أو الملائكة ، وقيل معناه : واجب الوقوع لأنه حتَّمه . التسهيل ١٦٣/٣ وقال الفراء في معاني القرآن ٢٦٣/٢ : وعدهم الله الجنة فسألوها إيَّاه في الدنيا إذ قالوا ﴿ رَبَّنَا وآتنا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسِلكَ ﴾ أي على ألسنة رسلك .

وقيل : إن ذلك يُراد به قولهم ﴿ لَوْلَا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مَلَكٌ فَيَكُـونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أو يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا .. ﴾ ؟

١٣ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ١٧] .

قال مجاهد : المسيحَ ، وعزيراً ، والملائكة[١] .

١٤ ـــ وقولُه جلَّ وعـز : ﴿ حَتَّى نَسُوْا الذِّكْـرَ وَكَانُـوا قَوْمَـاً بُوراً .. ﴾ [آية ١٨] .

قال مجاهد : أي هالكين[٢] .

قال أبـو جعفـر : يُقـال لِمَـا هَلَك ، أو فَسَدَ ، أو كَسَد : بائرٌ ، ومنـه : بارتِ السُّوقُ ، وبـارتْ الأَيِّـمُ ، و« بورٌ » يقـع للواحـد والجماعة ، على قول أكثر النحويين .

وقال بعضهُم : الواحدُ بائرٌ ، والجمع بورٌ ، كما يُقال : عَائِدٌ ، وعُوْذٌ ، وهَائِدٌ ، وهُوْدٌ[٣] .

١٥ ـــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُوْنَ .. ﴾ [آية ١٩] .

أي بقولكم : إنهم آلهةٌ .

---

(١) و(٢) ذكرهما الطبري ١٨٩/١٨ والقرطبي ١٠/١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٦٥/٥ .

(٣) ومنه قوله تعالى ﴿ وقالوا كونوا هُوْدَاً أو نصارى تهتدوا ﴾ أي يهوداً جمع يهودي .

وحكى الفراء أنه يُقرأ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : فقد كذَّبوكم بقولهم﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُوْنِكَ مِنْ أَوْلِياءَ ﴾ .

١٦ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ[2] صَرْفَاً وَلَا نَصْرَاً ﴾ [آية ١٩] .

قال يونس : الصَّرْفُ : الحيلةُ ، من قولهم : فلانٌ يتصرَّفُ في الأشياء ، أي فما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذابَ ، ولا ينصروها .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ [آية ١٩] .

قال الحسن : الشِّرْكُ[3] .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [آية ٢٠] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٢٦٤/٢ وهذه قراءة أبي حيوة ، وهي رواية عن ابن كثير ، وقُنْبل ﴿ يقولون ﴾ بالياء ، وقرأ الجمهور ﴿تقولون﴾ بالتاء ، وانظر القرطبي ١٢/١٣ والألوسي ٢٥٢/١٨ والبحر المحيط ٤٨٩/٦ .

(٢) ﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُوْنَ ﴾ بالياء قراءة أكثر السبعة ، وقرأ حفص بالخطاب ﴿ فَمَا تستَطِيعُون ﴾ وانظر النشر في القراءات العشر ٣٣٤/٢ والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٦٣/٢ .

(٣) هذا قول ابن عباس أيضاً حيث قال : ومن يشرك منكم ثم مات عليه ، وانظر الطبري ١٩٣/١٨ والقرطبي ١٢/١٣ وقال الألوسي ٢٥٣/١٨ : وتفسير الظلم بالكفر هو المروي عن ابن عباس ، والحسن ، وابن جريج ، والمقام يقتضيه فإن الكلام في الكفر ووعيده من مفتتح السورة .

قال قتادة : ﴿ فتنةً ﴾ : أي بلاءً[1] .

قال أبو جعفر : الفتنةُ في اللُّغةِ : الاختبارُ .

والمعنى : جعلنا الشَّريفَ للوضيع ، والوضيعَ للشريف ، فتنةً .

يُرْوَى أن الشريف كان يريد أن يُسْلِم ، فيمنعه من ذلك ، أنَّ من هو دونه قد أسلم قَبْلَه ، فيقول : أُعَيَّرُ بسبقِهِ إيَّايَ .

وإنَّ بعض الزَّمْنى والفقراء كان يقول : لِمَ لَمْ أكنْ غنياً وصحيحاً فأُسلمُ[2] ؟

ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أتصبرون ﴾ ؟ أي إن صبرتم ، فقد عرفتم أجر الصابرين .

١٩ ـ ثم خبَّر أَنَّ الذينَ لايؤمنون بالآخرة ، يَقْترحون من الآياتِ ما لم يُعْطهُ أحدٌ فقال جلَّ وعزَّ :

﴿ وَقَالَ الَّذِيَن لَا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَةُ أَوْ نَرى

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦٥/٥ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) قال في التسهيل ١٦٥/٣ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ هذا الخطاب لجميع الناس ، لاختلاف أحوالهم ، فالغنيُّ فتنةٌ للفقير ، والصحيحُ فتنةٌ للمريض ، والرسول فتنةٌ لغيره ممن يحسدُه ، ويكفرُ به ، ثم قال ﴿ أَتَصْبِرون ﴾ ؟ تقديره : لننظر هل تصبرون ؟ اهـ واختار الطبري العموم .

﴿رَبَّنَا ، لَقَدِ اسْتَكْبَرُوْا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾[آية ٢١] .

والعُتُوُّ : التَّجاوزُ فيما لا ينبغي(١) .

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ المَلاَئِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾** [آية ٢٢] .

رَوَى عطيَّةُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﴿ حِجْراً مَحْجُوراً ﴾ قال : حَرَاماً محرَّماً(٢) .

قال الضحاك : أي تقول لهم الملائكة : حراماً عليكم مُحَرَّماً ، أن تكون لكم البشرى اليوم ، يعني الكفَّار(٣) .

قال أبو جعفر : والمعنى حراماً عليكم البشرى ، ومن هذا حَجْرُ القاضي إنما هو منعهُ ، ومن هذا حَجْر الإنسان(٤) .

---

(١) قال أبو حيان : ﴿عَتَوا﴾ تجاوزوا الحدَّ في الظلم ، ووصفه بكبير مبالغة في إفراطه أي لم يجسروا على هذا القول العظيم ، إلاّ لأنهم بلغوا غاية الاستكبار ، وأقصى العتو ، قال ابن عباس : ﴿ عَتَوْا ﴾ كفروا أشدَّ الكفر وأفحشوا . اهـ البحر ٤٩١/٦ .

(٢ــ٣) انظر جامع البيان للطبري ٢/١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٨٢/٦ والدر المنثور للسيوطي ٦٦/٥ .

(٤) قال الفراء ٢٦٦/٢ : الحِجْرُ : الحَرَامُ ، كما تقول : حَجَر التاجرُ على غلامه ، وحَجر على أهله . اهـ . وقال سيبويه : هو من حَجَره إذا مَنَعه ، لأن المستعيذ طالبٌ من الله أن يمنع المكروه عنه ، بحيث لا يلحقهُ أذى ، وقال في التسهيل : « لمَّا طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنه لابشرى لهم يوم يرونهم ، وتقول الملائكة للمجرمين : حرام عليكم الجنة أو البشرى » اهـ التسهيل ١٦٦/٣ .

٢١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوْا مِنْ عَمَلٍ .. ﴾ [آية ٢٣] .

قال مجاهد : ﴿ وَقَدِمْنَا ﴾ أي عَمَدْنا[١] .

قال أبو جعفر : وأصلُ هذا أنَّ القادم إلى الموضع يعْمِدُ له ، ويقصِدُ إليه .

٢٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى أبو إسحقَ عن الحارثِ عن علي قال : الهَبَاءُ المنثورُ : شُعاع الشَّمسِ [الذي يدخلُ من الكُوَّةِ[٢] .

قال أبو جعفر : وهباءٌ جمعُ هباءة ، فيقال لما يكونُ من شُعاع الشمسِ][٣] .

وهو شبيهٌ بالغبار : هَبَاءٌ منثورٌ ، ويُقالُ لِمَا يطيرُ من تحت سَنَابكِ الخيل : هباءٌ مُنبثٌّ .

---

(١) الأثر رواه الطبري في تفسيره ١٩/٤ والحافظ ابن كثير ١١١/٦ والفراء ٢٦٦/٢ .
(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٥ وابن كثير ١١١/٦ .
(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٩٤/٢ : والهباءُ : ما يخرج من الكُوَّة مع ضوء الشمس ، شبيه بالغبار ، وفي أمثالهم : أقلُّ من الهباء . اهـ وما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من هامشها .

وأصلُه : مِنْ أَهْبَأَ التُّرابَ إهباءً : إذا أَثَارَه[1] ، كما قيل :

« مَنِيناً كأنَّه أَهْبَاءُ »[2]

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾** [آية ٢٤] .

قال أبو جعفر : القولُ في هذا كالقول في قوله تعالى **﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ ﴾** ؟ .

والفرَّاءُ يذهب إلى أنه ليس في هذا سؤالٌ البتَّةَ[3] .

٢٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾** [آية ٢٤] .

قال قتادة : أي مأوىً ومنزلاً .

قال أبو جعفر: المَقِيلُ في اللغة: هو المُقَامُ[4] وقتَ القيلولة خاصَّةً ، فقيل : إنَّ أهل الجنة ينصرفون إلى نسائهم ، مقدار وقت

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن ٤٦٣/٢ : وليس « هباء » من ذوات الهمزة وإنما هُمِزت لالتقاء الساكنين ، والتصغيرُ هبيٌّ ، والمعنى : لا يُنتفع بِهِ ، أي أبطلناه . اهـ .

(٢) هذا عجز بيت للحارث بن حِلِّزة يصف ناقته ، وتمامُه كما ذكره القرطبي ٢٢/١٣ :

فَتَرى خَلْفَها منَ الرَّجْعِ والوَقْعِ مَنِيناً كأنَّهُ أَهْبَاءُ

أي ترى خلف الناقة من رَجْع قوائمها ، ووقع أخفافِها ، غباراً دقيقاً ، كأنه ذرات ناعمة متطايرة .

(٣) انظر معاني الفراء ٢٦٦/٢ .

(٤) قولُه : هو المُقَامُ وقت القيلولة : يريد الاستراحة وقت الظهيرة ، قال الأزهري القيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم .

نصف النَّهار ، فَيَقِيلُ أهلُ الجَنَّةِ في الجنَّـةَ ، وأهـلُ النَّـار في النَّـار ذلك الوقت[1] .

٢٥ ــ ثم قال جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُزِّلَ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ [آية ٢٥] .

قال قتادة : تنزِلُ ملائكـةُ كلِّ سَمَـاءٍ ، سماءٍ ، فيقـولِ الخلائـق لهم : أفيكم ربُّنا جلَّ وعزَّ ؟ وذكر الحديث[2] .

٢٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

لأنَّ مُلكَ الدنيا زائلٌ .

---

(١) هذا القول حكاه الطبري والقرطبي عن ابن مسعود ، وابـن عبـاس ، وذكـره في الـدرِّ في حديث صححَّه الحاكمُ عن ابن مسعود قال « لاينتصف النَّهارُ من يوم القيامة حتـى يَقيـلَ هؤلاء وهـؤلاء » ثم قرأ الآية ، وانظر الطبري ١٩/٥ والدر المنثور ٦٧/٥ .

(٢) لم أر هذا القول عن قتادة في كتب التـفسير ، وإنما رُوي عن ابـن عبـاس حيث قال : « تتشقـق سماء الدنيا فينـزل أهلُهـا ، وهـم أكثـرُ ممن في الأرض من الجنِّ والإنس ، ثم تنشقُّ السمـاء الثانيـةُ فينزل أهلها ، وهم أكثر ممن في سماء الدنيا ، ثم كذلك حتـى تنشقَّ السمـاءُ السابعـة ، ثم ينـزل الكروبيون وحَمَلةُ العرش » اهـ . كذا في القرطبي ٢٤/١٣ .

وفي الدر المنثور للسيوطي ٦٧/٥ : روى ابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أنـه قرأ ﴿ ويـوم تَشَقَّقُ السَّمـاءُ بالغَمَـامِ ﴾ فقـال : « يجمـعُ اللّـهُ الخلـقَ يوم القيامـةِ في صعيـدٍ واحـدٍ ، الجنُّ ، والإنسَ ، والبهائمَ ، والسباعَ ، والطيرَ ، وجميعَ الخلق ، فتتشقَّقُ السماء الدنيا فينزل أهلُها ، وهم أكثرُ ممن في الأرض من الجن والإنس وجميع الخلق ، فيحيطون بالجن والإنس فيقول أهـل الأرض : أفيكم ربُّنا ؟ فيقولون : لا ، ثم تتشقق السماء الثانية .. وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم ينزل ربُّنا في ظُلَـلٍ من الغمـام وحولـه الكروبيـون ــ أي رؤساء المكلائكـة ــ وحملـةُ العـرش ، لهم زَجَـلٌ بالتسبيح ..» الحديث وانظر تفسير ابن كثير ١١٤/٦ .

٢٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ..﴾** [آية ٢٧] .

قال سعيد بن المسيِّب : كان « عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ » خِدْناً[1] لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ ، فبلغَ أُمَيَّةَ أن عُقْبَةَ [عَزَمَ][2] على أن يُسْلِمَ ، فأتاهُ فقال له : وجهي من وجهكَ حَرَامٌ ، إن لم تكفر بمحمد ﷺ !! ففعل الشقيُّ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴾**[3] .

وقال أبو رجاء : « فلانٌ » هو الشيطانُ ، واحتُجَّ لصاحب هذا القولِ بأنَّ بعدَه **﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْأَنْسَانِ خَذُولاً ﴾** .

والقَوْلُ الأوَّلُ هو الذي عليهِ أهلُ التفسير[4] .

٢٨ ــ **روى عثمان الجَزري**[5] عن مِقْسَم عن ابن عباس أن هذا نزل في « عُقْبة » و« أميَّة » .

---

(١) (الخِدنُ) الحبيبُ ، والصاحبُ ، كذا في لسان العرب لابن منظور مادة خدن .

(٢) في المخطوطة : « إن عُقبة على أن يُسلم » وقد سقط منها كلمة « عَزَمَ » وقد أثبتناها من الروايات المذكورة .

(٣) ذكر هذه القصة المفسرون بروايات متعددة ، وانظر الطبري ١٩/٧ والقرطبي ٢٥/١٣ والدر المنثور ٦٩/٥ .

(٤) هذا هو الراجح أن المراد بقوله ﴿ فلاناً ﴾ « أمية بن خلف » لا الشيطان ، كما في ابن كثير ١١٦/٦ وقد ذكر الطبري « أُبيَّ بن خلف » بدل « أمية بن خلف » وهو الصحيح كما في الدر ٦٩/٥ .

(٥) « عثمان الجَزَري » ويقال له : عثمان المشاهد ، روى عن مِقسم ، كذا في الجرح والتعديل للرازي ١٧٤/٦ وفي المخطوطة « الحَزْري » بالحاء ، وهو تصحيف .

وفي روايـة مِقْسم فأمَّـا « عُقبـة » فكـان في الأُسَارى يوم بدر ، فأمر النبيُّ ﷺ بقتِلهِ ، فقال : أأُقتلُ دونهم ؟ فقـال : نعـم : بكُفـرِكَ وعُتُوِّك ، فقال : مَنْ للصِّبيةِ؟ فقال : النَّارُ ، فقـام علـيٌّ بنُ أبي طالبٍ فقَتَله .

وأمَّا « أُميَّـةُ بنُ خَلَـف » فقتلَـهُ النبـيُّ ﷺ بيـده ، وكان قال : « واللَّهِ لأَقْتُلنَّ محمداً ، فبلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقال : أنـا أقتلُـه إنْ شاءَ اللَّهُ »[1] .

وقـال ابـنُ أبي نجيـح عن مجاهـد : قال « أُميَّـــةُ » لعُقبـــة : أَصَبأْتَ ؟ فقال عقبةُ : إنما صنعتُ طعاماً ، فأبى محمَّدٌ أن يأكلَ منه ، حتَّى أشهْدَ لهُ بالرِّسالةِ[2] .

والـذي قالـه « أبـو رجـاء » ليس بنـــاقض لهذا ، لأن هذا كان

---

(١) ذكر هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٩ وتتمتها : فأفزعه ذلك فوقعتْ في نفسه ، لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ قال قولاً إلاَّ كان حقـاً ، فلمَّا كان يوم أُحـــد خرج مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه ، فيحول رجلٌ من المسلمين بين النبي وبينه ، فلمـا رأى ذلك رسولُ الله ﷺ قال لأصحابـه : خلُّوا عنـه ، فأخـذ الحَرْبـةَ فرماه بها ، فوقـعتْ في ترقوته ، فلـم يخرج منـه كبيـرِ دم ، واحتقـن الـدَّمُ في جوفـه ، فخـار كما يخور الثـور ، فاحتمله أصحابه وهو يخور ، وقالوا : ماهذا ؟ والله ما بك إلاَّ خدش ، فقال : والله لو لم يُصبني إلاَّ بريقه لقتلنـي ، فمـا لبث إلا يومـاً حتـى مات إلى النـار . وأنـزل الله فيـه ﴿ ويـوم يعضُّ الظــالم على يديه ... ﴾ الآية .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٩/٨ والسيوطي في الدر ٥/٦٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر .

بإغواءِ الشيطانِ وتزيينه ، فيجوز أن يكون نُسِبَ إليه على هذا .

٢٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾** [آية ٣٠] .

قال مجاهد وإبراهيم : أي قالوا فيه غيرَ الحقِّ[١] .

قال إبراهيم : ألم تر إلى المريض كيف يَهْجُر ؟ أي يَهْذِي[٢] .

وقيل : ﴿ مَهْجُوراً ﴾ أي متروكاً[٣] .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ..﴾** [آية ٣١] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون **﴿عَدُوّاً﴾** بمعنى أعداء ، ويجوز أن يكونَ لواحدٍ[٤] .

(١ــ٢) انظر الطبري ٩/١٩ وزاد المسير ٨٨/٦ والدر المنثور ٧٠/٥ .

(٣) قال في التسهيل ١٦٧/٣ : ﴿ مَهْجُوْراً ﴾ من الهَجْر بمعنى البعد والترك ، وقيل : من الهُجْرِ بضم الهاء أي قالوا فيه الهُجْر حين قالوا إنه شعرٌ وسحرٌ ، والأول أظهر . اهـ . وقد نبَّه المصنف إلى القولين ، ولكنَّ القول الأوَّل أصحُّ ، لأن المعنى : أنهم جعلوه خلف ظهورهم متروكاً ، فلم يؤمنوا به ، ولم يتأثروا بوعده ووعيده ، وهذا قول مجاهد والنَّخعي .

(٤) عبارة الألوسي ١٤/١٩ : والآية تسلية للرسول ﷺ ، وحملٌ له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء ، والعدوُّ يحتمل أن يكون واحداً وجمعاً أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون من الأباطيل ، جعلنا لكل نبي من الأنبياء أعداء .اهـ وروي عن ابن عباس أنه قال : عدوُّ النبي ﷺ « أبو جهل » لَعَنَهُ اللهُ .

وفي بعض الرواياتِ عن ابن عباس أنه يُرادُ به « أبو جهلٍ » .

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ ..﴾** [آية ٣٢] .

قيل : هذا التَّمامُ .

والمعنى : أنزلناه متفرقاً ، لنثبِّتَ به فؤادك ، كذلك التثبيت ، كما قال جلَّ وعزَّ **﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾**(١) .

لأنه إذا أنزله متفرقاً ، كان فيه جواب ما يسألون في وقته ، فكان في ذلك تثبيتٌ ، فقيل : التمامُ قوله **﴿ كَذَلِكَ ﴾** .

[وقيل : التَّمامُ عند قوله جملةً واحدة](٢) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة ، وهو ضروريٌّ لتوقف صحة المعنى عليه ، وقد أشار إليه الإمام النحاس نفسه ، في كتابه « إعراب القرآن » حيث قال : الكافُ في موضع نصب نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، والمعنى : تثبيتاً كذلك التثبيت ، هذا على أن يكون التمام عند قوله جلَّ وعزَّ ﴿ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ وإن كان التَّمامُ عند ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كان التقدير : ترتيلاً كذلك ، والأَولى أن يكون التمام « جملة واحدة » لأنه إذا وُقِفَ على « كذلكَ » صار المعنى : كالتوراة والإنجيل والزبور ، ولم يتقدَّم لهما ذكرٌ .

قال النحاس : وهذا لمَّا لم يجد المشركون سبيلاً إلى تكذيب النبي ﷺ ببرهانٍ ولا حجة قالوا : ﴿ لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ فسألوا ما الصَّلاحُ في غيرِهِ ، لأن القرآن كان ينزل مفرقاً جواباً عما يسألون ــ وكان ذلك من علامات النبوَّة ــ ولا يسألون عن شيء إلاَّ أُجيبوا عنه ، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وفؤادهم ، ولو نزل جُمْلةً لكان قد سبق الحوادث التي كان ينزل فيها القرآن ، ولو نزل جملةً لثقل ذلك عليهم ، فالصلاح في إنزاله متفرقاً لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ، وفيه ناسخ ومنسوخ . اهـ إعراب القرآن ٤٦٦/٢ .

والمعنى : وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة والإنجيل !! ومعنى هذا : لِمَ أُنزل متفرقاً ؟ فقال جلَّ وعز ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أي أنزلناه متفرقاً لنثبِّتَ به فؤادَكَ .

٣٢ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [آية ٣٢] .

رَوَى مُغيرةُ عن إبراهيمَ قال : أُنزِلَ متفرقاً[١] .

وقال الحسن : كلَّما سُئل النبيُّ ﷺ عن شيءٍ نَزَل جوابُه ، حتى كَمُلَ نزولُه في نحو من عشرين سنة[٢] .

٣٣ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [آية ٣٣] .

قال الضحاك : أي تفصيلاً[٣] .

قال أبو جعفر : في الكلام حذفٌ .

والمعنى : وأحسنَ تَفْسيراً من مَثَلِهم ، ومِثْلُ هذا يُحذَفُ كثيراً .

٣٤ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً .. ﴾ [آية ٣٤] .

في الحديث الشريف (يُحْشَرُ النَّاسُ على ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ :

(١ ـ ٣) انظر الآثار في الطبري ١١/١٩ والقرطبي ٢٩/١٣ والدر المنثور ٧٠/٥ فقد روى السيوطي بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كذلك لنُثَبِّتَ به فؤادك ﴾ قال : كان الله يُنزل على رسوله الآية ، فإذا علمها رسولُ الله ﷺ نزلت آيةٌ أخرى ، ليعلِّمه الكتاب عن ظهر قلبه ، ويُثبِّت به فؤاده ﴿ ولا يأتونك بمثلٍ إلاَّ جئناك بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً ﴾ يقول : أحسن تفصيلاً . اهـ .

رُكْبانـاً ، ومُشَاةً ، وعلَـى وُجُوهِهِـمْ .. قال أنسٌ : قيـل يارسولَ اللَّـهِ : كيـفَ يُحْشرون على وجُوهِهِـمْ ؟ فقـال : إنَّ الـــذي أَمْشَاهــم على أرجُلِهِمْ ، قادرٌ عَلَى أن يُمشيَهم على وجوههم)[1] .

٣٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾ [آية ٣٥] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي عَوْناً وعَضُداً[2] .

٣٦ ــ وقوله تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوْحٍ لَمَّا كَذَّبُوْا الـرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُـــمْ .. ﴾ [آية ٣٧] .

قيل : هذا يوجب أن قوم نوح قد كذَّبوا غير نوح ﷺ ؟

فقيل : من كذَّب نبياً فقد كذَّب جميعَ الأنبياءِ ، لأنَّ الأنبياءَ كلهم يؤمنون باللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وبجميع كُتُبه[3] .

وقيل : هذا كما يُقال : فلانٌ يركب الدوابَّ ، وإن لم يركب إلاَّ واحدةً ، أي يركب هذا الجنس .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء ٥/٢٨٥ رقم ٣١٤٢ ورواه أحمد في المسند ٢/٣٥٤ وأخرجه البخاري ٦/١٣٧ ومسلم ٨/١٣٥ في صفة القيامة ، ولفظ البخاري عن أنس أن رجلاً قال يا نبيَّ اللهِ : يُحشر الكافرُ على وجهه يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ألَيس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة » ؟!
قال قتادة حين بلغه : بَلَى وعزَّةِ ربنا .. وانظر تحفة الأحوذي ٧/١١٠ والقرطبي ١٠/٣٣٣ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١٩/١٣ والدر المنثور ٥/٧٠ وابن كثير ٦/١١٩ .

(٣) قال أبو السعود : وإنما قال ﴿ كَذَّبَوا الرُّسُلَ ﴾ مع أنهم كذَّبوا نوحاً وحده ، لأن تكذيبه تكذيبٌ للجميع ، لاتفاقهم على التوحيد والإسلام . اهـ إرشاد العقل السليم ٤/٩ .

٣٧ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَعَـــادَاً وثَمُــودَ وَأَصْحَــابَ الـــرَّسِّ .. ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : كانوا أصحاب فَلْج(١) باليمامة وآبار .

قال مجاهد : « أصحابُ الرسِّ » كانوا على بئرٍ لهم ، وكان اسمُها الرَّسُّ فنُسبوا إليها(٢) .

قال أبو جعفر : الرسُّ عند أهلِ اللغة : كلُّ بئرٍ غير مطويَّةٍ ، ومنه قول الشاعر :

« تَنَابِلةٍ يَحْفِرونَ الرِّسَاسَا »(٣)

يعني : آبار المعادن :

ويُرْوى أنهم قتلوا نبيَّهم ورسُّوه في بئر ، أي دسُّوه فيها(٤) .

---

(١) في المخطوطة : أصحاب ثلج ، وهو تصحيفٌ ، وصوابه « فَلْج » كما في الدر المنثور ٧١/٥ والبحر المحيط ٤٩٩/٦ فقد قال : قال قتادة : أهل قريةٍ من اليمامة ، يُقال لها : الرسُّ ، والفَلْجُ . اهـ .

(٢) انظر الطبري ١٤/١٩ والدر المنثور ٧١/٥ وابن كثير ١٢٠/٦ .

(٣) هذا شطر بيت للنابغة الجَعْدي وهو في ديوانه ص ٨٢ ومعنى « تنابلة » الرجال القِصَار ، وتمامه :

سَبَقْتَ إلى فَرَطٍ نَاهِلٍ تَنَابِلَةٍ يَحْفِرُوْنَ الرِّسَاسَا

يعني يحفرون آبار المعادن ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٥/٢ والطبري ١٤/١٩ والقرطبي ٣٢/١٣ ، وفي البخاري في كتاب التفسير ١٣٧/٦ : الرَّسُّ : المعدنُ ، جمعُه رِساسٌ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه ابن كثير عن عكرمة ١٢٠/٦ وأخرجه السيوطي في الدر ٧١/٥ من رواية ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أصحاب الرسِّ ، قال : هو صاحب البئر الذي قال لقومه ﴿ ياقوم اتَّبعوا المرسلين ﴾ فرسَّه قومُه ـــ أي دفنوه ـــ في بئرٍ بالأحجار . اهـ .

إلا أن قتادة قال : إن أصحاب الأيكة ، وأصحاب الرسِّ أُمَّتان ، أُرسِلَ إليهم جميعاً « شعيب » ﷺ فَعذِّبتا بعذابَيْن .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾** [آية ٣٨] .

قال قتادة : بَلَغَنا أَنَّ القَرْنَ : سبعونَ سَنَة[1] .

ومعنى ﴿ تَبَّرْنا ﴾ : أهلكنا ، ودمَّرنا .

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

قال قتادة : يعني مدينة قوم لوط[2] .

٤٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً ﴾** [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي حساباً وبَعْثاً[3] .

قيل : ﴿ يَرْجُونَ ﴾ ههنا بمعنى : يخافون .

وقال من ينكر الأضدادَ ﴿ يَرْجُونَ ﴾ على بابه ، أي لايرجون ثواب الآخرة ، فيتَّقوا المعاصي[4] .

---

(١) في المعجم الوسيط : القرنُ من الزمان : مائةُ سنة . اهـ هذا هو المشهور وقيل : ثمانون ، وقيل : سبعون .

(٢) في الطبري ١٦/١٩ : وهي سدوم قرية قوم لوط ﴿ وَمَطَرَ السَّوْءِ ﴾ : الحجارةُ التي أُمطرها الله عليهم فهلكوا بها .

(٣) الأثر في الطبري ١٧/١٩ وابن كثير ١٢١/٦ والبحر المحيط ٥٠٠/٦ قال : كانوا كفرةً لا يؤمنون بالبعث .

(٤) قال ابن الجوزي ٨٩١/٦ ﴿ لايرجون نشوراً ﴾ أي لايخافون بعثاً ، هذا قول المفسرين ، وقال=

٤١ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .. ﴾** [آية ٤٣] .

قال الحسن : لايَهْوى شيئاً إلاَّ اتَّبعه(١) .

وقال غيره : كان أحدهم يعبد الحَجَرَ ، فإذا رأى حجراً أحسن منه ، أخذه وتركَ الأَول(٢) .

قال أبو جعفر : قولُ الحسنِ في هذا قولٌ جامعٌ ، أي يَتَّبع هواه ويُؤْثِرهُ ، فقد صارَ له بمنزلةِ الإِلهِ .

٤٢ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾** [آية ٤٣] .

قيل : حافظاً(٣) .

وقيل : كفيلاً .

٤٣ ـــ **ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾** [آية ٤٤] .

= الزجاج في معانيه ٩٦/٤ : الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف ، وهو عندي الحقُّ ، وإنما المعنى : بل كانوا لا يرجون ثواب مَنْ عمل الخير فركبوا المعاصي . اهـ .

(١) الأثر في تفسير القرطبي ٣٦/١٣ وقد أخرجه ابن أبي شيبة ، وابنُ أبي حاتم عن الحسن ، وانظر الدر المنثور ٧١/٥ .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في ابن كثير ١٢٢/٦ والدر المنثور ٧٣/٥ وروح المعاني ٢٤/١٩ .

(٣) هذا اختيار الطبري ، وابن كثير ، قال الطبري ١٨/١٩ المعنى : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفظاً عليه في أفعاله ، مع عظيم جهله ؟ .

لأن الأنعام تُسبِّح ، وتجتنبُ مضارَّها(1) .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ... ﴾** [آية ٤٥] .

« تَرَى » ههنا في موضع « تَعْلَم »[2] .

ويجوز أن يكون من رؤية العَيْنِ .

قال الحسنُ ، وأبو مالكٍ ، وإبراهيمُ التَّيْميُّ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ .. ﴾ :
هو ما بين طلوع الفجر ، إلى طلوع الشمس[3] .

٤٥ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا .. ﴾** [آية ٤٥] .

---

(١) عبارة التسهيل ١٧٠/٣ : لأن الأنعام ليس لها عقول ، وهؤلاء لهم عقولٌ ضيَّعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها ، وتجتنب ما يضرُّها ، وهؤلاء يتركون أنفعَ الأشياء وهو الثوابُ ، ولا يخافون أضرَّ الأشياءِ ، وهو العقابُ اهـ .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٧٠/٤ حيث قال : يجوز أن يكون من رؤية العين ، والمعنى : ألم تر كيف مدَّ ربُّك الظلَّ ، والأجودُ أن يكون بمعنى : ألم تعلم . اهـ . واختار الألوسي الثاني فقال : ٢٥/١٩ : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ الهمزة للتقرير ، والرؤية بصرية لأنها التي تتعدَّى بـ « إلى » أي ألم تنظر إلى صنع ربك ؟ لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله جلَّ وعلا ، وجُوِّز أن تكون علميَّة أي ألم ينتهِ علمُك إلى أنَّ ربك كيف مدَّ الظلّ ، والأوَّل أولى .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٨/١٩ والقرطبي ٣٦/١٣ وابن كثير ١٢٣/٦ وفي البخاري في كتاب التفسير ١٣٧/٦ ﴿ مدَّ الظِّلَّ ﴾ : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ سَاكِنًا ﴾ : دائماً ﴿ ثم جعلنا الشَّمسَ عليه دليلاً ﴾ عليه دليلاً : طلوع الشمس .

قال الحسن : أي لو شاء لتركه ظلّاً كما هو[1] .

وقال الضحَّاكُ : أي لو شاء لجعل النهارَ كلَّه ظِلّاً[2] .

وقال قتادة : ﴿ **سَاكِناً** ﴾ أي دائماً[3] .

﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً** ﴾ أي تتلوه وتتبعه .

﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾ رَوَى سفيانُ عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد ﴿ يَسِيراً ﴾ أي خفيًّا[4] .

وقال الضحاك : سريعاً[5] .

وقال أبو مالك وإبراهيم التيمي : ﴿ **قَبْضاً يَسِيراً** ﴾ هو ما تقبضه الشمس من الظِّلِّ[6] .

قال أبو جعفر : قولُ مجاهد أولى في العربيَّةِ ، وأشبهُ بالمعنى ، لما نذكره .

وَصَفَ اللهُ جلَّ وعزَّ لطفه وقدرته ، فقال : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** ﴾ أي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع

(١ـ٦) هذه الأقوال كلها وردت عن السَّلف ، كما في الطبري ١٩/١٨ وابن كثير ٦/١٢٣ والدر ٥/٧٢ وقال أبو حيان في البحر ٦/٥٠٣ قال الجمهور : الظلُّ هنا من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، مثل ظل الجنة ظلٌّ ممدودٌ ، لا شمس فيه ولا ظلمة ، وقيل : الظلّ الليلُ وهو يغمر الدنيا كلها ، ومعنى ﴿ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ : لأدامه أبداً ، بمنع طلوع الشمس بعد غيبوبتها ، فلما طلعت الشمس دلَّتْ على زوال الظِّلّ ، وبدا فيه النقصانُ ، فبطلوع الشمس يبدو النقصانُ في الظلّ ، وبغروبها تبدو الزيادةُ في الظلّ ، وكلما علت الشمس نقص الظِّلُّ ، وكلما دنت للغروب زاد اهـ .

الشمس ، كما قال أهلُ التفسير ، وبيَّنتُه لكَ في قوله جلَّ وعزَّ في وصفه الجنة ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُوْدٍ ﴾[1] .

٤٦ ـــ **ثم قال سبحانه ﴿ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ﴾** [آية ٤٥] .

أي دائماً كما في الجنة ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيهِ دَلِيلاً** ﴾ أي تدلُّ عليه ، وعلى معناه ، لأن الشيء[2] يدلُّ على ضِدِّه ، فيدلُّ النُّورُ على الظُّلمةِ ، والحرُّ على البرد .

وقيل : دالَّةٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ .

﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾ أي إذا غابت الشمس ، قُبِضَ الظِلُّ قَبْضاً خفيّاً كلما قُبِض جزءٌ منه ، جُعِلَ مكانَه جزءٌ من الظُّلمةِ ، وليس يزولُ دفعةً واحدةً ، فهذا قولُ مجاهد[3] .

وقولُ أبي مالك ، **وإبراهيم التَّيْمِيِّ** ، **أنَّ المعنى** : ثم قبضنا الظِّلَّ بمجيء الشمس .

ويذهبان إلى أن معنى ﴿ **يَسِيراً** ﴾ **سهلاً علينا** .

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٠ .

(٢) في المخطوطة : « لأن الشمس » يدل على ضِدِّه ، وهو تصحيف وصوابهُ : لأنَّ الشَّيْءَ يدلُّ على ضدِّه .

(٣) قال الطبري ١٩/٢٠ : ويتوجَّهُ لما قاله ابن عباس ومجاهد : لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعةٍ وخفاء ، وقيل : إنما قيل ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾ لأن الظلَّ بعد غروب الشمس ، لايذهب كلُّه دفعةً ، ولا يُقْبِل الظلامُ كلُّه جُملةً ، وإنما يُقبضُ ذلك الظلُّ قبضاً خفياً ، شيئاً بعد شيء ، ويعقب كلَّ جزءٍ يقبضه جزءٌ من الظلام . اهـ .

وقولُ مجاهد أولى ، لأن « ثُمَّ » يدلُّ على أنَّ الثاني بعد الأول وقولُه أيضاً أجمعُ للمعنى .

٤٧ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً .. ﴾ [آية ٤٧] .

أي سِتْراً ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ﴾ أي راحة ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ أي يُنْتَشَرُ فيه[1] .

٤٨ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشْراً[2] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [آية ٤٨] .

أكثر القُرَّاء يقرءون ما كان في معنى الرحمة ، على « الرياح » ، وما كان في معنى العذاب على « الرِّيح » .

ويحتجُّ بعضُهم بحديثٍ ضعيفٍ ، يُروى عن النبي ﷺ ، أنه كان إذا هبَّت الريحُ قال « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً ، ولا تَجْعَلْها رِيحاً »[3] .

(١) عبارة الألوسي ٢٩/١٩ : ينتشر فيه الناس لطلب المعاش كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾

(٢) قراءة نافع بالنون ﴿ نُشْراً ﴾ وقرأ عاصم بالباء ﴿ بُشْراً ﴾ أي تبشّر بالمطر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ ومِنْ آياتِهِ أن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، كما في النشر لابن الجزري ٢٦٩/٢ والسبعة في القراءات ٤٦٥/٢ .

(٣) الحديث ذكره الخطابي في غريب الحديث ٦٧٩/١ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٨/١٠=

قال أبو جعفر : وقيل : إنما وقع هذا هكذا ، لأن ما يأتي بالرحمة ثلاثُ رياح : وهي الصَّبا ، والشِّمالُ ، والجَنُوبُ .

والرابعةُ : « **الدَّبُوْرُ** » ولا تكاد تأتي بمطر .

فقيل لما أتى بالرحمة : « رياحٌ ».

هذا ولا أصلَ للحديث[1] .

ومعنى ﴿ **نُشْرَاً** ﴾ : إحياءً ، أي تأتي بالسحاب الذي فيه المطر ، الذي به حياةُ الخلق ، و﴿ نُشُرَاً ﴾ جمعُ نَشُوْر[2] .

ورُوِي عن عاصم ﴿ **بُشُرَاً** ﴾ جمع بَشِيرة .

وروي عنه ﴿ **بُشْرَاً** ﴾ بحذف الضمة لثقلها ، أو يكون جمع بُشْرة ، كما يقال : بُسْرةٌ ، وبُسْرٌ .

= عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا هاجت ريحٌ استقبلها بوجهه وجثا على رُكبتيه ، ومدَّ يديه وقال « اللهم إن أسألك من خير هذه الريح ، وخير ما أُرسلت به ، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما أُرسلت به ، اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً » قال :رواه الطبراني وفيه«حسين بن قيس»وهو متروك ، وقد وثَّقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ وأخرجه الحافظ في المطالب العليَّة ٢٣٨/٣ وعزاه لأبي يعلي .

(١) قوله « ولا أصل للحديث » هذا غير مسلم وقد ذكرنا تخريجه في الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة وانظر الألوسي ٢٩/١٩ .

(٢) كل هذه القراءات واردة ﴿ نُشُرَاً ﴾ و﴿ نَشْرَاً ﴾ و﴿ بُشْرَاً ﴾ وهي من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات ٤٦٥/٢ لابن مجاهد ٤٦٥/٢ .

وعن محمد اليماني ﴿ بُشْرَى ﴾[1] أي بشارة .

﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمتِهِ ﴾ أي المطر .

٤٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً . لِنُحيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴾ [آية ٤٩] .

قال محمد بن يزيد : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ جمعُ إنْسِيٍّ ، مثل « كُرْسِيٍّ » وكَرَاسِيَّ .

وقال غيره : ﴿ أَنَاسِيَّ ﴾ جمع إنسان ، والأصلُ « أناسين » مثل سَرَاحين ، ثم أبدل من النون ياء[2] .

٥٠ ــ ثم قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا .. ﴾ [آية ٥٠] .

يعني المطر ، أي نسقي أرضاً ، ونتركُ أرضاً .

﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ أي ليفكّروا في نعمِ اللهِ جلَّ وعزَّ ، ويحمدوه[3] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٢٣/٢ قال : وهي قراءة ابن السَّمَيفع فإنه قرأ ﴿ بشرى ﴾ أي مبشِّرة .

(٢) قال في التسهيل ١٧٢/٣ : ﴿ أناسيَّ ﴾ جمع إنسيٍّ ، وقيل : جمعُ إنسان ، والأول أصحُّ . اهـ أقول : هذا مذهب الفراء ، والمبرِّد ، والزجاج كما في الألوسي ٣١/١٩ والقرطبي ٥٦/١٣ ومذهب سيبويه أنه جمع إنسان ، والأصل أناسين مثل بستان وبساتين ، قلبت نونُه ياءً ، وأُدغمت فيما قبلها ، وعليه المفسرون ، وانظر معاني الفراء ٢٦٩/٢ .

(٣) في المخطوطة « ويحمدونه » والصواب ما أثبتناه ، لأنه معطوف على قوله « ليفكّروا » .

﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ وهو أن يقولوا : مُطرنا بنوءِ كذا ، أي بسقوط كوكب كذا ، كما يقول المنجِّمون .
فجعلهم كُفَّاراً بذلك[1] .

٥١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ [آية ٥٢] .

أي بالقرآنَ .

٥٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ .. ﴾ [آية ٥٣] .

أي خَلَطَهما وخلَّاهما ، فهما مختلطان في مرآة العين ، وبينهما حاجزٌ من قدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وفي الحديث (مَرِجَتْ أماناتُهمْ)[2] أي اختلطت .

(١) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه البخاري ٢/٢٧٧ ومسلم رقم ٧١ عن زيد بن خالد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء ــ أي مطر ــ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكواكب ، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب » رواه البخاري .

(٢) في النهاية ٤/٣١٤ « مَرِجتْ عهودُهم » أي اختلطت ، والحديث في باب الفتن خرَّجه النسائي ، وأبو داود ، وأخرجه البخاري تعليقاً ١/٤٦٨ في المساجد ، ولفظه : شبَّك النبي ﷺ أصابعه وقال : كيف أنت يا عبدالله بن عمروٍ إذا بقيتَ في حُثالةٍ قد مرجت عهودهم وأماناتهم .

ويُقال : مَرَجَ السُّلطانُ النَّاسَ أي خلَّاهم ، وأمرجتُ الدابَّـةَ ، ومرجتُها : أي خلَّيْتُها لترعى[1] .

٥٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ .. ﴾** [آية ٥٣] .

أي شديد العذوبة .

﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : الأُجَاجُ : المُرُّ[2] .

قال أبو جعفر : والمعروفُ عند أهل اللغة أن الأُجَاجَ : الشَّديدُ الملوحةِ ، ويُقال : ماءٌ مِلْحٌ ، ولا يُقال : مَالحٌ .

ورُوِي عن طلحة أنه قرأ ﴿ وَهَذَا مَلِحٌ أُجَاجٌ ﴾[3] بفتح الميم ، وكسر اللَّامِ .

٥٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴾** [آية ٥٣] .

---

(١) قال الطبري ٢٣/١٩ : أصلُ المَرْج : الخلطُ ، ثم يقال للتخلية مرج ، لأن الرجل إذا خلى الشيءَ حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مَرَجه ، ومنه حديث (كيف بك يا عبدالله إذا كنت في حُثالةٍ من الناس قد مرجتْ عهودهم وأماناتهم ، وصاروا هكذا ، وشبَّك بين أصابعه) اهـ .

(٢) في الطبري ٢٤/١٩ ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ يقول : وهذا ملحٌ مرٌّ ، يعني بالعذب الفراتِ : مياه الأنهار والأمطار ، وبالملح الأُجاج : مياه البحار ، وقد حجر أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه ، وقال قتادة : الأُجَاج : المرُّ . اهـ .

(٣) ذكره الألوسي ٣٤/١٩ وابن جني في المحتسب ١٢٤/٢ وصاحب البحر ٥٠٧/٦ .

﴿ **بَرْزَخاً** ﴾ أي حاجزاً

﴿ **وَحِجْرَاً محْجُوْرَاً** ﴾ أي مانعاً .

٥٥ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرَاً** .. ﴾ [آية ٥٤] .

يعني بالماء : النُّطفة ، والله عز وجل أعلم .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْرَاً** .. ﴾ [آية ٥٤] . .

قيل : هو الماء الذي خُلِقَ منه أصولُ الحيوانِ .

وقيل : النَّسبُ : البنون ، ينتسوب إليه ، وخَلَق له بناتٍ من جهتهنَّ الأصهارُ[1] .

وقال أبو إسحاق : النَّسبُ الذي ليس بصهرٍ ، من قوله تعالى ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** ... ﴾ إلى قوله ﴿ **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ** ﴾[2] .

والصِّهرُ : من يحلُّ له التزوجِ[3] .

ورَوَى عُمَيْرة مولى ابنِ عباس عن ابن عباس رضي الله عنه ــ وهو قولُ الضحاك ــ قال : « حُرِّم من النَّسَب سبعٌ ، ومن الصِّهْرِ سبعٌ »

---

(١) عبارة الألوسي ٣٦/١٩ : ﴿ فجعلهُ نَسَباً وصِهْرَاً ﴾ أي قَسَمه قسمين ذوي نسب ، أي ذكوراً يُنْسَب إليهم ، وذوات صِهْر أي إناثاً ، يُصاهر بهنَّ ، كقوله تعالى ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٢/٤ .

ثم قرأ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

وقيل : من الصِّهر خمسٌ ﴿ وَأُمَّهَاتُكُم اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ .. إلى وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ ﴾ وهذا لفظ **الضحاك**[1].

وقد اختُلِفَ في الفرق بين « الخَتَن » و « الصِّهْرِ » .

فقال الأصْمعيُّ : **الأَخْتَانُ : كلُّ شيءٍ من قِبَل المرأة .**

مثلُ أَبِي المرأةِ ، وأخيها ، وعَمِّها .

والأصهارُ يجمع هَذَا كلَّه ، يُقال : صاهرَ فلانٌ إلى بني فلان ، وأصهَرَ إليهم .

وقال ابن الأعرابي[1] : الأَخْتَانُ : أبو المرأةِ ، وأخوها ، وعمُّها

والصِّهْرُ : زوجُ ابنةِ الرجل ، وأخوهُ ، وأبوهُ ، وعمُّه[2] .

---

(١) الأثر في الدر المنثور ٥/٧٤ والقرطبي ١٣/٦٠ : وقال الضحاك : الصِّهرُ قرابةُ الرضاع ، قال ابن عطية : وذلك عندي وَهْمٌ أوجبه أن ابن عباس قال : حُرِّم من النسب سبع ، ومن الصِّهْرِ سبع ، ثم ذكر المحصنات ، فقد أشار بما ذكر إلى عِظَمِهِ وهو الصِّهر ، لا أنَّ الرضاع صهرٌ . اهـ .

(٢) ابن الأعرابي : هو أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي إمام في اللغة ، قال ثعلب : لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة ، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان ، وما رأيت بيده كتاباً قط ، انتهى إليه علم اللغة والحفظ ، توفى سنة ٢٣١ هـ وانظر ترجمته في سير النبلاء ١٠/٦٨٨ .

(٣) قال في تهذيب اللغة ٧/٣٠٠ : الخَتَن بفتح الخاء والتَّاء ، رُوي عن ابن الأعرابي والأصمعي قالا : الأَحْماءُ من قِبَلِ الزَّوج ، والأَخْتَانُ من قِبَلِ المرأة ، والصِّهْرُ يجمعهما . اهـ .

وقال محمد بنُ الحسن[1] ـ في روايةِ أبي سليمانَ الجَوْزَجَانِيِّ[2] ـ: **أَخْتَانُ الرجلِ** : أزواجُ بناتِهِ ، وأخواتِه ، وعمَّاتِه ، وخالاتِه ، وكلِّ ذي مَحْرمٍ منه .

وأصهارهُ : كلُّ ذي رحمٍ مَحْرمٍ من زوجته .

قال أبو جعفر : الأَوْلى في هذا ، أنِ يكون القولُ في الأصهار ما قال الأصمعيُّ ، وأن يكون من قِبَلِهِمَا جميعاً ، لأنه يُقال : صَهَرْتُ الشَّيْءَ أي خلطْته ، فكلُّ واحد منهما قد خَلط صاحبه .

والأَوْلَى في الأَخْتَان ما قاله محمدُ بن الحَسَنِ لجهتين :

أحدهما : الحديثُ المرفوعُ ، روى محمدُ بنُ إسحقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِالله بن قُسَيْط عن محمد بن أسامةَ بن زيد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « أمَّا أنتَ ياعليُّ ، فَخَتَني وأبو ولدي ، وأنت منِّي ، وأنا منكَ »[3] فهذا يدلُّ على أنَّ زوْجَ البنتِ خَتَنٌ .

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ إمام في الفقه والأُصول ، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة ، وهو من أنبغ تلامذته ، قال عنه الخطيب البغدادي : هو إمام أهل الرأي ، وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/٨٠ .

(٢) هو موسى بن سليمان الجوزجاني أبو سليمان ، فقيه من فقهاء الأحناف ، أخذ الفقه عن محمد بن الحسن ، وانظر ترجمته في الجواهر المضيئة ٢/١٨٦ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٠٤ ولفظه : « اجتمع جعفر ، وعلي ، وزيد بن حارثة ، =

والجهةُ الأخرى أنه يُقال : خَتَنَه إذا قَطَعه ، فالزَّوجُ قد انقطع عنْ أهله ، وقَطَعَ المرأةَ عن أهلها ، فهو أولى بهذا الاسم .

٥٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿وَكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾** [آية ٥٥] .

قال مجاهدٌ : أي معيناً .

وقال الحسن : أي عوناً للشيطان على اللهِ عز وجل على المعاصي[1] .

٥٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾** [آية ٥٦] .

قال قتادة : أي مبشّراً بالجنة ، ونذيراً من النَّار[2] .

٥٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّه سبيلاً﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : بطاعة الله عزَّ وجلَّ[3] .

= واختلفوا أيهم أحبُّ إلى رسول الله ﷺ فجاءوا إلى الرسول ودخلوا عليه فقالوا : من أحبُّ إليك ؟ قال : فاطمة ، قالوا : نسألك عن الرجال ، قال : أما أنت ياجعفر فأشبهَ خَلْقُك خَلْقي ، وأنت مني وشجرتي ، وأما أنت يا عليُّ فختني وأبو ولدي ، وأما أنت يا زيد فمولاي ، ومني وإليَّ ، وأحب القوم إليَّ » .

(١) عبارة الطبري ١٩/٢٦ : وكان الكافر معيناً للشيطان على ربه ، مظاهراً له على معصيته .

(٢) الأثر عن الحسن أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٤ وابن كثير ٦/١٢٧ وقال في البحر المحيط ٦/٥٠٧ : سلّى نبيّه بذلك ، أي لا تهتمَّ بهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإنما أنت رسولٌ تبشّر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكفرة بالنار ، ولست بمطالبٍ بإيمانهم أجمعين . اهـ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٩/٢٧ والدر المنثور ٥/٧٤ .

٦٠ ــ **وقولُه تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾** [آية ٥٩] .

قال أبو إسحق[١] : أي اسأل عنه ، وقد حكى هذا جماعةٌ من أهل اللغة ، أنَّ « الباء » بمعنى « عَنْ » كما قال جلَّ وعزَّ **﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾**[٢] وقال الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ
إنْ كنتِ جَاهِلَةً بما لم تَعْلَمِي[٣]

قال عليُّ بنُ سليمان[٤] : أهلُ النظر يُنكرون أن تكون الباء بمعنى « عن » لأنَّ في هذا فساد المعاني ، قال : ولكنْ هذا مثلُ قولِ العرب : لو لقيتَ فلاناً لَلَقِيكَ به الأسدُ ، أي لَلقِيَكَ بلقائك إيَّاه الأسدُ .

والمعنى : فاسأل بسؤالك ، على ما تقدَّم .

---

(١) هو الإمام الزجاج وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٣ فقد قال : والمعنى : فاسأل عنه خبيراً .

(٢) سورة المعارج آية ١ والمعنى : سأل سائل عن عذابٍ واقع ، والسائلُ هو « النضر بن الحارث » كما ذكره المفسرون .

(٣) البيت من معلَّقة عنترة ، التي مطلعها : « هل غادر الشعراءُ من متردَّم » وهو في ديوانه ص٢٠٧ تحقيق محمد سعيد مولوي ، وفي شرح المعلقات العشر للزَّوزني ص ٢٤٨ وفي جامع الأحكام للقرطبي ١٣/٦٣ .

(٤) هو المشهور بالأخفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ وقد تقدمت ترجمته .

٦١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً .. ﴾ [آية ٦١] .

قال قتادة : أي نجوماً .

ورَوَى إسماعيلُ بنُ أبي خالد . عن أبي صالح قال : البروجُ : النُّجومُ العِظَامُ .

ورَوَى إسماعيلُ عن يحيى بنِ رافع ، قال : البروجُ : قصورٌ في السَّماء(١) .

قال أبو جعفر : يُقال لكل ما ظهر وتبيَّن : بُرْجٌ ، ومنه قيل : تبَّرجتِ المرأةُ ، وقد بَرَجَ(٢) بَرْجاً إذا ظهر .

٦٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ﴾ [آية ٦١] .

﴿ **سِرَاجاً** ﴾ يعني الشمس .

ويُقرأ ﴿ **سُرُجاً** ﴾(٣) .

---

(١) في تهذيب اللغة ٥٦/١١ : قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ جَعَلَ في السَّمَاءِ بُرُوْجَاً ﴾ البروج : الكواكب العظام ، وكلُّ ظاهرٍ مرتفع فقد بَرَجَ ، وإنما قيل لها البروج لظهورها وبيانها وارتفاعها . اهـ . وقال المفسرون : البروجُ : منازل الكواكب السيَّارة ، سميت بالبروج لأنها تشبه القصور العالية ، وهي للكواكب كالمنازل للسُّكَّان .

(٢) بَرَج بفتح الراء بَرْجاً وبُرُوْجَاً ، قال في المعجم الوسيط ٤٦/١ : بَرَجَ بُرُوْجَاً : ارتفع وظهر . اهـ .

(٣) هذه من القراءات السبع ، قرأ بها حمزةُ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ﴿ سُرُجاً ﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون بالإفراد ، وانظر النشر ٣٣٤/٢ والسبعة في القراءات ص ٤٦٦ .

وقيل : من قرأ هذه القراءة ، فالمعنى عنده : وجعل في البروج سُرُجَاً .

فإن قيل : فقد أعاد ذكر القمر ، وقد قال ﴿ سُرُجاً ﴾ والقمرُ داخلٌ فيها ؟

فالجواب : أنه أُعيد ذكرُ القمر لفضله عليها[1] ، كما قال جلَّ وعز : ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾[2] .

٦٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً .. ﴾** [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أي يَخْلُف هَذَا هذا ، ويَخْلُف هذا هذا[3] .

وقال الحسن : من نسي شيئاً من التذكر والشكر بالنهار ، كانت له في الليل عُتْبى ، ومن نسيَهُ بالليل كانت له في النهار عُتْبَى[4] .

(١) عبارة التسهيل ١٧٥/٣ : ﴿ سراجاً ﴾ يعني الشمس ، وقرئ على الجمع بضم السين والراء ، يعني جميع الأنوار ، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفاً . اهـ .

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٦٨ .

(٣) و(٤) انظر الآثار عن مجاهد والحسن في الطبري ٣١/١٩ وابن كثير ١٣٠/٦ والقرطبي ٦٥/١٢ قال ابن كثير : يخلف كل واحد منهما الآخر ، يتعاقبان إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب ذاك .

وقيل : ﴿ خِلْفَةً ﴾ أي مختلفين كما قال جلَّ وعز ﴿ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال قولُ مجاهد .

والمعنى : كلٌّ واحد منهما يخلُفُ صاحبَه ، مشتقٌّ من الخِلْفِ ، ومنه خَلَفَ فلانٌ فلاناً بخيرٍ ، أو شرٍّ ، ومنه قول زهير :

بها العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً
وأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ منْ كُلِّ مُجْثَمِ[2]

٦٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ..﴾ [آية ٦٣] .

وكلُّ واحدٍ عبدُه ، فنسبهم إليه لاصطفائه إيَّاهم ، كما يُقال : بيتُ اللهِ ، وناقةُ اللهِ[3] .

٦٥ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ الَّذِينَ يَمْشُوْنَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [آية ٦٣] .

---

(١) سورة الجاثية آية (٥) وتمامها ﴿ واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزقٍ ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾ .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٥ والعِينُ : بالكسر جمع عيناء ، والمراد بها بقر الوحش ، سُمّيت بذلك لسعة أعينها ، والآرام جمع رِئْم وهو الظبيُ الأبيض الخالص البياض كما في المصباح ، والأطلاء جمع طلا وهو ولد البقرة ، والمجثم : الموضع الذي يقيم فيه ، ومراده أنه إذا ذهب فوج من بقر الوحش وولد الظباء ، جاء فوج آخر يخلفه .

(٣) الإضافة هنا للتكريم والتشريف كما تُضاف الناقةُ والبيتُ إلى الله تكريماً وتشريفاً .

قال مجاهد : أي بالوقار والسكينة(١) .

وقــال الحسن : علمــاء ، حلمــاء ، إن جُهِــلَ عليهم لم يَجْهلوا(٤) .

٦٦ ــ **ثم قال تعالى ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامَاً ﴾** [آية ٦٣] .

قال مجاهد : أي سَدَاداً(٣) .

قال سيبويه : وزعـم أبـو الخطـاب(٤) أنَّ مِثْلَـهُ قولُك للرجـلِ : سلامـاً ، تريـد تسلُّمـاً منك ، كما قلتَ : براءةً منك ، قال : وزعـم أن هذه الآية ــ فيما زعم ــ مكيَّةٌ .

ولم يُؤمر المسلمون يومئـذٍ أن يُسلِّمـوا على المشركين ، ولكنَّـه على قوله تَسَلُّماً ، ولا خيْرَ بيننا وبينكم ، ولا شرَّ .

٦٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِيـنَ يَبِيتُـونَ لِرَبِّهِـمْ سُجَّــدَاً وَقِيَامَــاً .. ﴾** [آية ٦٤] .

---

(١) (٢) ذكرهما الطبري في تفسيره ٣٣/١٩ وقال ابن جرير : ﴿ هَوْناً ﴾ أي بالحلم والسكينـة والوقار ، غير مستكبرين ولا متجبرين .

(٣) الأثر في الطبري ٣٤/١٩ والقرطبي ٦٩/١٣ فلقد جاء فيه وقال مجاهد : معنى ﴿ سلامـاً ﴾ سَدَاداً ، أي يقول للجاهل كلاماً يدفعه فيه برفق ولين ، ثم قال : والأرجح أن المراد به السَّلامة لا التسليم ، لأن المؤمنين لم يُؤمروا قط بالسَّلام على الكفرة . اهـ . وقد ذكر القرطبي قصة لطيفة في هذا الشأن ، فارجع إليه والله يرعاك .

(٤) أبو الخطاب هو عبدالحميد بن عبدالمجيد الأخفش الأكبر ، كان إماماً في العربية أخذ عنه سيبويه والكسائي وأبو عبيدة . وانظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٧٤/٢ .

يُقال : باتَ : إذا أدركه الليلُ ، نَامَ أو لم ينمْ ، كما قال الشاعر :

فَبِتْنَا قِيَامَاً عندَ رَأْسِ جَوَادِنَا
يُزَاوِلُنَا عَنْ نفسِهِ ونُزَاوِلُهُ[1]

٦٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامَاً ﴾** [آية ٦٥] .

قال أبو عُبيدة : أي هلاكاً ، وأنشد :

وَيَوْمُ النِّسارِ ، وَيَوْمُ الجِفَارِ
كَانَا عَذَاباً ، وكَانَا غَرَامَاً[2]

وقال الفراء : **﴿ كَانَ غَرَامَاً ﴾** أي مُلحّاً ملازماً[3] ، ومنه فلانٌ غريمي أي يلحُّ في الطلب

والغَرَامُ عند أكثرِ أهلِ اللغةِ : أشدُّ العذاب .

قال الأعشى :

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلْمى وهو في ديوانه ص ١٣٢ وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/٧١ .

(٢) البيت للطِّرِمَّاح في ديوانه ص ٥٨٤ وهو في اللسان مادة غرم ، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ص٨٠ ورد البيت بلفظ « كانوا عَذَاباً وكَانُوا غراماً » وصوابه «كانا» كما في اللسان ، ومعجم البلدان ، وهو في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص٩٠ ينسب إليه .

(٣) عبارة الفراء في معاني القرآن ٢/٢٧٢ ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامَاً ﴾ يقول : مُلِحّاً دائماً ، والعرب تقول : إنَّ فلاناً لمغرمٌ بالنِّساءِ ، إذا كان مولَعاً بهنَّ ، وإني بك لَمُغْرمٌ إذا لم تصبر عن الرجل ، ونرى أن الغريم إنما سُمّي غريماً لأنه يطلب حقّه ويلحُّ حتى يقبضه .

إنْ يعـــاقِبْ يكُـــنْ غَرَامَـــاً
وإنْ يُعْـطِ جَزيـلاً فإنَّــه لايُبَـالي[1]

قال محمد بن كعب : طالبهم اللهُ بثمنِ النِّعم ، فلمَّا لم يأتوا به ، غرَّمهم ثَمَنها ، وأدخلهم النار .

٦٩ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ..﴾** [آية ٦٧] .

قال سفيان : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ لم يُنفقوا في غير حقٍّ.
﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ لم يُمسكوا عن حقٍّ[2] .

وأحسنُ ما قيل : ما حدثنا أبو عليٍّ « الحسنُ بن غُلَيبٍ » قال : حدثني عِمْرانُ بنُ أبي عمرانَ ، قال : حدثنا خلَّادُ بن سليمان الحضرميُّ قال : حدثني عمروُ بنُ لبيدٍ ، عن أبي عبدالرحمن الحُبَلِيِّ في قوله جلَّ وعز **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامَاً ﴾** قال :

- من أنفقَ في غير طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فهو الإسرافُ .
- ومن أمسك عن طاعة اللهِ عزَّ وجلَّ فهو الإقتارُ .

---

(١) البيت لأعشى بن قيس وهو في ديوانه صفحة (٩) واستشهد به الطبري ٣٥/١٩ والألوسي ٤٥/١٩ والقرطبي ٧٢/١٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن شهاب كما في الدر المنثور ٧٧/٥ قال : لاينفقه في باطل ، ولا يمنعه من حقٍّ ، وذكره الحافظ ابن كثير ٣٣٨/٣ عن إياس بن معاوية قال : ماجاوزتَ به أمر=

• ومن أنفق في طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو القَوَامُ[1] .

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ أي عَدْلاً[2] .

قال أحمد بن يحيى[3] : يُقال : هذا قِوَامُ الأمرِ ، ومِلاكُه .

وقال بعضُ أهلِ اللُّغةِ : هذا غَلَطٌ ، وإنما يُقال : هذا قَوَامُ الأمرِ[4] ، واحتجَّ بقوله تعالى ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ .

قال أبو جعفر : والصوابُ ما قال أحمدُ بن يحيى ، والمعنيان مختلفان ، فالقَوَامُ بالفتح الاستقامةُ والعدلُ ، كما قال لبيد :

وَاحْبُ المُجَامِلَ بالجزيلِ ، وَصَرْمُهُ
باقٍ إذا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قَوَامُهَا[5]

= اللهِ تعالى فهو سرف ، وقال الحسن البصري : « ليس في النفقة في سبيل الله سرفٌ » . اهـ .

(١) لم أر الأثر بهذا اللفظ ، وإنما روى ابن جرير ٣٧/١٩ عن مجاهد أنه قال : لو أنفقت مثل « أبي قُبَيسٍ » ذهباً في طاعة الله ، ما كان سَرَفاً ، ولو أنفقتَ صاعاً في معصية الله كان سَرَفاً ، وقال ابن عباس : من أنفق مائة ألفٍ في حقٍّ فليس بسَرَف ، ومن أنفق درهماً في غير حقه فهو سَرَف ، وانظر أيضاً ابن كثير ١٣٤/٦ والدر المنثور ٧٧/٥ .

(٢) القَوَام في اللغة : الوَسَطُ والعدلُ ، قال القرطبي : وهذا أدبُ الشرع ألاَّ يفرط الإنسانُ حتى يُضيع حقاً أو عيالاً ، وألاَّ يُضيِّق ويُقتِّرَ حتى يُجيع العيال ، ويُفرط في الشحِّ . اهـ ٧٣/١٣ .

(٣) هو ثعلب إمام الكوفيين ، وقد تقدمت ترجمته ٥٢/١ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٣/٢ وقال ابن جرير الطبري ٣٩/١٩ : القَوَامُ بفتح القاف وهو الشيءُ بين الشيئين ، تقول للمرأة المعتدلة الخَلْق : إنها لَحَسنةُ القَوَام في اعتدالها ، فأما إذا كسرتَ القاف فقلتَ : إنه قِوَام أهله ، فإنه يعني به أنَّ به يقوم أمرهم وشأنهم . اهـ .

(٥) ديوان لبيد ص ٣٠٣ يقول : أعْطِ وأجزل المجاملة لمن يجاملك،ولو كنت تعلم أنه لايودُّك حقيقةً ، ولا تظهر قطيعته بل استبقها .

والقِوامُ بالكسر : ما يدوم عليه الأمر ويستقرُّ .

٧٠ ــ **وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ .. ﴾** [آية ٦٨] .

قال أبو وائل[١] **قال عبدالله بن مسعود** : « سألتُ رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظمُ ؟ فقال : أن تُشْرِكَ باللهِ جلَّ وعلا وهو خلقك !!

قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : أن تَقتل ولَدَكَ من أجل أن يأكل معك ؟ وتزني بحليلة جارك ، ثم قرأ عبدُاللهِ **﴿ وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهَاً آخرَ .. ﴾**[٢] الآية

٧١ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً .. ﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهد : هو وادٍ في جهنم[٣] .

وقال أبو عَمْرٍو الشيبانيُّ[٤] : يقال : لقيَ أَثَامَ ذلك ، أي جزاء ذَلك .

---

(١) أبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدي كوفي ثقة مخضرم ، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة ، انظر ترجمته في التقريب ١/٣٥ .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ١/٣٨٠ والبخاري في التفسير ٦/١٣٨ بلفظ « ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، ثم أن تزني بحليلة جارك » وأخرجه مسلم في الإيمان رقم ٨٦ وأبو داود في الطلاق رقم ٢٣١٠ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ١٩/٤٥ والدر المنثور ٥/٧٨ .

(٤) أبو عمرو الشيباني اسمه « سعيد بن إياس الكوفي » توفي سنة ٩٦ هـ حضر القادسية وهو ابن أربعين سنة ، قال عنه ابن معين :ثقةٌ ، ووثَّقه العجلي أيضاً وابن حبان ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/٤٦٨ .

وقال القَتبيُّ : الأثام : جزاء العقوبة ، وأنشد :

« وَالعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ »(١)

قال أبو جعفر : وأصحُّ ما قيل في هذا ـــ وهو قول الخليل وسيبويه ـــ أن المعنى : يَلْقَ جزاءَ الأَثَامِ ، كما قال سبحانه ﴿ **وَاسْأَلِ القَرْيَة** ﴾(٢) .

وبيَّن جزاء الأَثَام فقال ﴿ **يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامةِ** ﴾ كما بيَّن الشاعر في قوله :

متى تَأْتِنا تُلْمِمْ بِنَا في دِيَارِنَا

تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تأَجَّجا(٣)

قال الضحاك : لمَّا أنزلَ اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ..** ﴾ إلى آخر الآية ، قال المشركون : قد زعم أنه

---

(١) هذا عجزُ بيت لبلعاء بن قيس الكِناني ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨١/٢ والمبرد في الكامل ص٤٤٦ والطبري في جامع البيان ٤٠/١٩ :

جَزَى اللهُ بنَ عُرْوَةَ حِينَ أَمْسَى عَقُوقَاً والعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

وأنشده صاحب اللسان ونسبه إلى شافع الليثي قال القرطبي ٧٦/١٣ : يعني بالآثام : جزاءً وعقوبة .

(٢) سورة يوسف آية ٨٢ .

(٣) البيت لعُبيد الله بن الحُرّ ، كما هو في خزانة الأدب ٩٠/٩ وذكر أنه للحطيئة بلفظ : متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِهِ .... الخ ثم قال في صفحة (٩١) : وعُلم من هذا أن ما أنشده الشارحُ ، مركَّبٌ من بيتين سهواً ، فصدرُه للحطيئة ، وعُجُزه لابن الحرِّ . اهـ .

لاتوبةَ لنا ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **إلَّا مَنْ تَابَ ، وَآمَنَ ، وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً** ﴾ **أي تاب من الشرك ، ودخل في الإسلام .**

ونزل هذا بمكة ، وأنزل الله ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إن اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً** ... ﴾[1] الآية ثم أنزل بالمدينة بعد ثماني سنين ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ** ﴾[2] وهي مُبْهَمةٌ لا مَخْرجَ منها .

٧٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** .. ﴾ [آية ٧٠] .

روى عاصمٌ عن أبي عثمان عن سلمان قال : « يقرأُ المؤمنُ في أول كِتابه السَّيئاتِ ، ويَرَى الحسناتِ دونَ ذلك ، فينظر وجههَ ، وينظر

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٥٣ والأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٦/١٩ والسيوطي في الدر ٧٩/٥ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٩٣ وقد نبَّه المصنف رحمه الله بقوله « وهي مبهمة لا مخرج منها » إلى أنَّ قاتل المؤمن عمداً في خطر ، وأنه لا توبة له ، وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه ، لأن الآية نزلت بعد آية الزمر ، وآية الفرقان ، فتكون ناسخة لهما ، وفي البخاري في كتاب التفسير ١٣٩/٦ عن سعيد بن جبير قال : أمرني عبدالرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ فسألته فقال : لم ينسخها شيء .. الحديث .
وهذا القول مخالفٌ لمذهب الجمهور القائلين بقبول توبة القاتل ، وعدم خلوده في النار ، وانظر الأدلة مفصلة في كتابنا روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ٢٧٦/١ .

أعـلاه ، فإذا هو حسنـاتٌ كلُّـه ، فيقـول ﴿ هَاؤُمُ اقْـرَءُوا كِتَابِيَـهْ ﴾ فأولئكَ الَّذِينَ يُبَدِّلُ اللهُ سيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ[1] .

قال مجاهد والضحاك : أي يبدلهم من الشركِ الإيمانَ[2] .

وقال الحسنُ : قومٌ يقولون : التبديلُ في لآخـرة يومَ القيامـة ، وليس كذلك ، إنما التَّبديـلُ في الدنيـا ، يُبدِّلهُـمُ اللهُ إيمانـاً من الشرك ، وإخلاصاً من الشكِّ ، وإحصاناً من الفجور[3] .

قال أبو إسحق : ليس يُجْعـلُ مكـانَ السيئـةِ حَسَنـةً ، ولكـنْ يُجعل مكان السيِّئةِ التَّوبةُ ، والحسنةُ مع التوبةِ[4] .

(١ـــ ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٤٦/١٩ وابـن كثير ١٣٧/٦ والـدر المنثـور ١٧٩/٥ .

(٤) اختلف المفسرون في تبديل السيئـات إلى حسنـات على رأيين : الأول أن المراد أن تلك السيئـات التي ارتكبوها تنقلب بنفس التوبة النصوح إلى حسنـات ، فضلاً من الله وكرماً ، واستدلوا بحديث مسلم « إني لأعرفُ آخر أهل النار خروجاً من النـار ، وآخـر أهـل الجنـة دخـولاً الجنـة ، يُؤتى برجلٍ فيقول الله : نحُّوا كبار ذنوبه ، وسلوه عن صغارها .. وفيه فيقـال له : فإن لك مكـان كل سيئةٍ حسنة .. » الحديث وهذا ما رجحه ابن كثير والقرطبي .

والرأي الثاني أن السيئة لاتنقلب إلى حسنة ، وإنما يوفقه الله إلى فعل الخير والإحسان ، فينقلـه من الشرك إلى الإيمان ، ومن عمل القبيح إلى طاعة الرحمن ، فيغيّر حاله ، ويُصلح له أمره ، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري حيث قال ٤٧/١٩ : وأولى التأويـلين بالصواب في ذلك ، تأويـل من تأوله بأن الله يبـدّل أعمـالهم في الشرك إلى حسنـات في الإسلام ، بنقلهـم عمـا يسخطـه الله من الأعمال إلى ما يرضى ، وأما القرطبي فقد رجح الأول وقال : ولا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبةُ العبد أن يضع مكان كل سيئةٍ حسنة ، وقـد قال ﷺ « وأَتْبِـع السيِّئـة الحسنـةَ تمحُهـا » ثم ذكر حديث مسلم بطوله ، وكذلك الحافظ ابن كثير جنح إلى ترجيح هذا الرأي فقال : إن تلك =

٧٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾ [آية ٧١] .

أي توبةً مُؤكدةً ، أي إذا عمل صالحاً بعد التوبة ، قيل : تَابَ مَتَاباً ، أي متاباً مُرْضِيَاً مَقْبُولاً .

٧٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ..﴾ [آية ٧٢] .

قال محمد بن الحنفية : يعني الغِناء[1] .

وقال الضحاك : يعني الشرك[2] .

وأصلُ الزور في اللغةِ : الكذبُ ، والشركُ أشدُّ الكذب .

٧٥ ـ وقوله ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامَاً﴾ [آية ٧٢] .

قال الضحاك : باللَّغو أي بالشِّرْكِ[3] .

ورُوي عنه أيضاً : إذا ذكروا النِّكَاحَ كَنَوْا عنه[4] .

وقال الحسن : اللَّغْوُ : المعاصي كلُّها[5] .

= السيئات تنقلب إلى حسنات بالتوبة النصوح ، وماذاك إلاَّ أنه كلَّما تذكَّر ما مضى ندم ، واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، وصحت به الآثار المروية عن السلف رحمهم الله تعالى . اهـ وهذا ما رجحناه في كتابنا صفوة التفاسير ٢٧٠/٢ .

(١ـ٥)انظر هذه الآثار كلها في جامع البيان للطبري ٤٩/١٩ وتفسير ابن كثير ١٤٠/٦ وزاد المسير ١٠٩/٦ والدر المنثور ٨٠/٥ .

وأصلُ اللَّغْوِ في اللُّغةِ : ما ينبغي أن يُلْغَى أي يُطرح[1] .

أي تركوه ، وأكرموا أنفسهم عنه .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا** ﴾ [آية ٧٣] .

أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها ، حتى يكونوا بمنزلة من لايسمع ولا يُبصر[2] .

٧٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** ﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحاك : أي مطيعين لك[3] .

ثم قال ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحاك : أي اجعلنا أئمةً يُقتدى بنا في الخير[4] .

وقال الحسن : أي اجعلنا نقتدي بالمتقين ، الذين قبلنا ، ويَقْتدي بنا مَنْ بعدنا[5] .

---

(١) قال الطبري : واللغوُ : كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، وكلُّ ما يُستقبح كسبٌ الإنسان ، وذكر النكاح باسمه في بعض الأماكن ، وسماع الغِناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكلُّ ذلك يدخل في معنى اللغو : اهـ الطبري ١٩/٥٠ .

(٢) هذا من باب التمثيل أي إنهم إذا سمعوا آيات القرآن لم يكونوا كالصمِّ العمي الذين لايعقلون بل تدبروها بتفكر وإمعان ، وخشية وإيمان ، خلافاً للكفار الذين قال الله عنهم ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ﴾ .

(٣ــ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ١٩/٥٣ والدر المنثور ٥/٨١ وتفسير ابن كثير ٦/١٤٢ .

٧٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ .. ﴾ [آية ٧٧] .

روى ابن أبي نجيح[١] عن مجاهد قال : أيْ ما يفعلُ بكم ربي ، لولا دعاؤه إيَّاكم ، لِتعبدوهُ وتُطيعوهُ ؟!

وهذا أحسنُ ما قيل في الآية ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ .. ﴾[٢].

وأصلُ ﴿ يَعْبَأُ ﴾ من العِبْء ، وهو الثِّقْلُ ، وقولُ الشاعر :

كأنَّ بصَدْرِهِ وبجانِبيْهِ
عَبِيَراً بَاتَ يَعْبأُهُ عَرُوسُ[٣]

أي يجعلُ بعضهَ على بعض .

أيْ أيُّ وزنٍ لكم عند ربكم ، لولا أنه أراد أن يدعوكم إلى طاعته[٤] ؟!

(١) في المخطوطة : ابن نجيح ، وصوابُه ابن أبي نجيح ، وقد تكرر ورود اسمه في هذا الكتاب .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٤٧ .
(٣) البيت لأبي زبيد الطائي يصف أسداً وهو في جامع البيان للطبري ٥٥/١٩ وفي اللسان مادة عبأ فقد رواه هكذا :
كأنَّ بنَحْرِهِ وبمنكِبَيْهِ ... عَبِيَراً باتَ يَعْبَؤُهُ عَرُوسُ
(٤) قال القرطبي ٨٤/١٣ : هذه آية مشكلة تعلَّقت بها الملحدةُ ، يُقال : ما عبأتُ بفلان أي ما باليتُ به ، فكأنه قال لقريش منهم : ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إيَّاه ، وذلك الذي يُعبأ بالبشر من أجله . وقال الطبري : المعنى أيُّ شيء يصنع بكم ربي ، لولا عبادةُ من يعبده=

وقال **القُتبيُّ** : المعنى ما يَعْبأُ بعذابكم ربي ، لولا دعاؤكم غيره ، أي لولا شِرْككُمُ .

٧٩ ــ **ثم قال سبحانه ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾** [آية ٧٧] .

رَوَى مَسْرُوقٌ عن عبدِالله[١] قال : يعني يوم بدر .

وكذلك قال مجاهدٌ ، والضحَّاكُ .

قال أبو إسحاق : أي فسوف يكون التكذيبُ لازماً يلزمكم ، ولا تُعطون التوبة[٢] .

وقال القتبيُّ : أي فسوف يكون العذابُ لزاماً .

وقال أبو عبيدة : ﴿ لِزَامَاً ﴾ أي فَيْصَلاً[٣] .

= منكم ، وطاعة من يطيعه منكم . اهـ ١٩/٥٥

أقول : إن الآية تشير إلى تكريم الله للإنسانية ، فلولا أن الله خلقهم لأمر عظيم ، وهو طاعتهُ وعبادته ، لكانوا كالبهائم في الاعتبار ، ولكنه تعالى كرَّم النوع الإنساني بالعقل والمعرفة ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ ولهذا جاء التكليف للبشر دون سائر المخلوقات .

(١) هو عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، ومراده أن اللِّزامَ هو ما نزل بهم يوم بدرٍ من العذاب ، روى الطبري عن مسروق ١٩/٥٦ قال : خمسٌ قد مضين « الدخان ، واللزام ، والبطشةُ ، والقمر ، والروم » . اهـ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٨ فقد جاء فيه : فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم ، فلا تعطون التوبة ، وتلزمكم العقوبة .

(٣) انظر مجاز القرآن ٢/٨٢ وقال القرطبي ١٣/٨٦ نقلاً عن أبي عبيدة : ﴿ لِزَاماً ﴾ أي جزاءً وهو الفَيْصلُ ، أي فسوف يكون فيصلاً بينكم وبين المؤمنين ، وأنشد لصخر الهُذَلي :

فإمَّا يَنْجُوَا مَن حَتْفِ يَوْمٍ   فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامَا

وقال مسلمُ بن عمَّار : سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ يقرؤها ﴿ **فقد كذَّب الكافرون فسوفَ يكونُ لِزَاماً** ﴾[1] .

وقال أبو زيد[2] : سمعتُ قَعْنَباً يقرأ ﴿ **فَسَوْف يكونُ لَزَامَاً** ﴾ بفتح اللَّام .

قال أبو جعفر : وهذا مصدر « لَزِم » والأَوَّل مصدرُ « لُوزِمَ » .

حدثنا بكرُ بنُ سَهْل ، قال حدثنا أبو صالح ، قال حدثنا معاوية بن صالح ، عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباس ﴿ قُلْ مَا يَعْبأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ يقول : لولا إيمانكُم .

وأخبر الله جلَّ وعزَّ الكفار ، أنه لا حاجة له بهم إذا لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبَّبَ إليهم الإيمان ، كما حبَّبه إلى المؤمنين ﴿ **فسوف يكونُ لِزاماً** ﴾ قال يقول : موتاً[3] .

« **انتهت سورة الفرقان** »

* * *

(١) هذه القراءة من الشواذ وليست من القراءات العشر ، ذكرها الطبري في تفسيره ٥٦/١٩ عن ابن عباس وابن الزبير ، وذكرها ابن جني في كتابه المحتسب ١٢٦/٢ في شواذ القراءات ، قال النحاس في إعراب القرآن ٤٧٨/٢ : وهذه القراءة مخالفة للمصحف ، وينبغي أن تحمل على التفسير . انتهى .

(٢) أبو زيد هو أحد أئمة الأدب واللغة وهو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٥٥/١٩ وابن كثير ١٤٣/٦ والدر المنثور ٨٢/٥ .

تفسير سورة الشعراء

مكية وآياتها ٢٢٧ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء وهي مكية[1]

١ ـ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ طسٓمٓ ﴾ [آية ١] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة قال : « طسٓمٓ » اسم[2] .

٢ ـ وقولُه جلَّ وعز ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِينِ ﴾ [آية ٢] .

لأن القرآن مذكورٌ في التوراة والإِنجيل[3] .

فالمعنى : هذه « تلك آيات الكتاب » .

وقيل ﴿ تِلْكَ ﴾ بمعنى هذه .

٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ [آية ٣] .

---

(١) قال القرطبي في تفسيره ١٣/٨٧ : هي مكية في قول الجمهور ، وقال مقاتل : منها مدنيٌّ ، وهي الآية التي يذكر فيها الشعراء ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوون ﴾ وقوله سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بني إِسْرَائِيلَ ﴾ وقال ابن عباس وقتادة : مكية إلاَّ أربع آيات منها نزلت بالمدينة .

(٢) عبارة القرطبي أوضح فقد نقل في تفسيره ١٣/٨٨ عن قتادة أنه قال : هي اسم من أسماء القرآن أقسم الله به .

(٣) يريد المصنف أن المراد بقوله « تلك » وهي للبعيد ، الإِشارة إلى ذكر القرآن في التوراة والإِنجيل ، فمن أجل ذلك حَسُنَ المجيءُ بلفظ البعيد عن القريب ، قال ابن كثير : والمعنى هذه آيات القرآن المبين ، أي البيِّن الواضح ، الذي يفصل بين الحق والباطل ، والغيِّ والرشاد .

قال مجاهد وقتادة : أي قاتِلٌ[1] .

وقال الضحاك : أي قاتلٌ نفسك عليهم حرصاً[2] .

قال أبو عبيدة : ﴿ بَاخِعٌ ﴾ أي مُهْلِكٌ[3] .

قال أبو جعفر : وأصلُ هذا من بَخَعَه أي أَذَلَّه .

والمعنى : لعلَّك قاتلٌ نفسك لتركهم الإيمان .

٤ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ﴾ [آية ٤] .

أي لو شئنا لاضطررناهم إلى الطاعة بأن نُهلِك كلَّ من عصى[4] .

٥ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [آية ٤] .

في هذا أقوالٌ :

قال مجاهد : ﴿ أعناقهم ﴾ : كبراؤُهم[5] .

---

(١) عبارة أبي عبيدة كما في مجاز القرآن ٢/٨٣ : ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ أي مهلكٌ وقاتل ، قال ذو الرُّمَّة :
أَلاَ أَيُّهـذَا البَاخِـعُ الوجْـدُ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْـه عَنْ يَدَيْـهِ المقـادِرُ

(٢ ـ ٣) انظر الآثار في الطبري ١٩/٥٨ وابن كثير ٦/١٤٤ والدر المنثور ٥/٨٢ .

(٤) عبارة ابن كثير كما في تفسيره ٦/١٤٤ : المعنى : لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ، ولكنَّا لانفعل ذلك ، لأنا لانريد من أحدٍ إلاَّ الإيمان الاختياري .

(٥) الأعناق على قول مجاهد : هم الكبراء من الناس ، وهو على هذا القول مجازٌ لا حقيقة ، قال

وقال أبو زيد والأخفش : ﴿ **أَعْنَاقُهُمْ** ﴾ جماعاتُهم ، يُقال : جاءني عُنُقٌ من النَّاس : أي جماعة .

وقال عيسى بن عمر[1] : ﴿ **خَاضِعِينَ** ﴾ و« خاضعةً » ههنا واحدٌ[2] .

والكسائيُّ يذهبُ إلى أن المعنى : خاضعيها[3] .

قال أبو جعفر : قولُ مجاهد ﴿ **أَعْنَاقُهُمْ** ﴾ كبراؤُهم [معروفٌ] في اللغة ، يُقال : جاءني عُنُقٌ من النَّاس أي رؤساؤهم ، وكذلك يُقال : جاءني عُنُقٌ من الناس أي جماعة ، ولهذا يُقال : على فلانٍ عتْقُ رقبةٍ ، ولا يُقال : عَتْقُ عُنُقٍ لما يقع فيه من الاشتراك .

وقولُ عيسى بن عمر أحسنُ هذه الأقوال ، وهو اختيار أبي العباس[4] .

= الألوسي في تفسيره روح المعاني ٦٠/١٩ : وقيل : المراد بها الرؤساء والمقدَّمون مجازاً ، كما يقال لهم : رؤسٌ وصدور . اهـ وانظر الأثر عن مجاهد في الدر المنثور ٨٣/٥ .

(١) عيسى بن عمر الثقفي ، إمام في النحو والعربية مشهور ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وصنف في النحو الإكمال ، والجامع . انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٢٣٧/٢ .

(٢) مراده أن الضمير ﴿ خاضعين ﴾ عائد إلى أصحاب الرقاب فإذا ذلَّت رقابهم ذلُّوا ، فالإخبارُ عن الرقاب إخبارٌ عن أصحابها ، فيكون ﴿ خاضعين ﴾ و« خاضعة » بمعنى واحد ، إلا أن الأول عاد إلى أهلها ، والثاني عاد إلى نفس الرقاب ، وانظر مجاز أبي عبيدة ٨٣/٢ .

(٣) انظر معاني الفراء ٢٧٧/٢ .

(٤) أبو العباس : كنيةُ المبرِّد ، فهو الذي اختار أن الضمير يجوز أن يعود على الرقاب او على أصحابها .

والمعنى على قوله : فظلُّوا لها خاضعين ، فأخبر عن المضاف إليه ، وجاء بالمضاف مُقْحماً توكيداً ، كما قال الشاعر :

رَأَتْ مَرَّ السِّنيـــنَ أَخَـــذْنَ مِنِّـــي
كَمَا أَخَـــذَ السِّرَارُ منَ الهِـــلَالِ[1]

وكما قال الشاعر :

وتَشْرَقُ بالقَـــوْلِ الَّـــذي قَدْ أَذَعْتَـــهُ
كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَـاةِ مِنَ الـــدَّمِ[2]

قال أبو العباس : ومثلُه : سقطتْ بعضُ أصابعه .

قال : ومثـلُه :

يا تَيْـمُ تَيْـــمَ عَدِيٍّ لا أَبَـــا لَكُـــمُ
لا يُلْقِيَنَّكُـــــمُ في سَوْءَةٍ عُمَـــــرُ

فجاء بـ « تَيْمَ » الأول مُقْحَماً توكيداً .

---

(١) البيت لجرير كما في مجاز القرآن ٨٣/٢ والقرطبي ٩٠/١٣ والشاهد فيه قوله « أَخَذْن مني » فأعاد الضمير على السنين ، ولو أعاده على « مَرّ » لقال أخذ مني .

(٢) البيت للأعشى كما في لسان العرب مادة « شرق » وكما في ديوانه صفحة ١٢١ والشاهد فيه أنه أنّث الفعل ، وهو « شرقت » مع أن فاعله وهو « صدر » مذكّر ، فحقه أن يقول : كما شرق صدر القناة ، ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة جاز تأنيثُه .

(٣) البيت لجرير وهو في ديوانه ص ٢٨٥ وفي خزانة الأدب للبغدادي ٢٩٨/٢ يهجوبه « عمر بن لَجَأٍ التيمي » والشاهد فيه أن « تيم » الأولى مقحمة ، فيجوز حذفها وأن يقول : يا تيم عدي ، كما أن « الأعناق » مقحمة فيجوز أن يُقال : فظلُّوا لها خاضعين ، في غير القرآن .

وأما قولُ الكسائي فخطأٌ عند البصريِّين والفرَّاء .

ومثلُ هذا الحذف لا يقع في شي من الكلام .

٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [آية ٧] .

قال مجاهد : من نباتِ الأرض ، ممَّا يأكل النَّاسُ والأنعامُ[١] .

ورُوي عن الشعبي أنه قال : النَّاسُ من نباتِ الأرض ، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم ، ومن صار إلى النار فهو لئيم[٢] .

والمعنى على قول مجاهد : من كل جنس نافعٍ حسنٍ .

٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ [آية ٨] .

أي لدلالة على الله جلَّ وعزَّ ، وأنه ليس كمثله شيءٌ .

ثم قال ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي قد علم اللهُ أنهم لا يؤمنون ، كما قال سبحانه ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٦٣/١٩ والسيوطي في الدر ٨٣/٥ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٩١/١٣ وابن كثير ١٤٥/٦ والألوسي ٦٢/١٩ فعلى هذا القول يدخل في النبات الإنسانُ لقوله تعالى ﴿ واللهُ أنبتكم من الأرضِ نباتاً ﴾ والجمهور أن المراد به الزروع والثمار ، كما قال الشاعر :

تَأَمَّلْ في نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إلى آثارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ

(٣) سورة الكافرون آية ٢ ــ ٣ .

٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آية ١١] .

أي واتلُ عليهم هذا ..

وبعدَهُ ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِي ولَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [آية ١٢] .

قرأ الأعرجُ ، وطلحةُ ، وعيسى ﴿ وَيَضِيقَ صَدْرِي . وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِي ﴾[2] .

والقراءةُ الأولى أحسنُ ، لأنَّ انطلاقَ اللِّسانِ ليس ممَّا يدخلُ في الخوف ، لأنه قد كان[3] .

١٠ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ [آية ١٣] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : فأرسلْ إلى هارون ليعينني ويؤازرني ، كما تقول : فأرسلْ إليَّ إني لَأُعينُك .

---

(١) الشعراء آية ٦٩ .

(٢) قراءة الجمهور بالرفع ﴿ ويضيقُ .. ولا ينطلقُ ﴾ قال الفراء ويُقرأ بالنصب وهي قراءة الأعرج وطلحة وعيسى ، والوجهُ الرفع . انتهى معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٢ وانظر النشر في القراءات العشر ٣٣٥/٢ .

(٣) قال الفراء ٢٧٨/٢ : والوجهُ الرفعُ ، لأنه أخبر أن صدره يضيق ، والعلَّةُ التي كانت بلسانه فتلك مما لايخاف لأنها قد كانت .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [آية ١٤] .

قال مجاهد وقتادة : يعني قتلَ النَّفس ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ أي بقتلي رجلاً منهم(١) .

١٢ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [آية ١٥] .

﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ وزجر أي انزجر عن هذا الخوف ، وثِقْ بالله .

ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ [آية ١٥] .

يحتمل أن يكون ﴿ مَعَكُمْ ﴾ لموسى وهارون عليهما السلام ، لأن الاثنين جمعٌ ، كما قال تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾(٢) .

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون ، والآيات .

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون ومن أرسل إليهم .

---

(١) أي قتل القبطي الذي حدث من موسى خطأً ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ سورة القصص آية ١٥ .

(٢) سورة النساء آية ١١ وهذا من باب إطلاق الجمع وإرادة المثنَّى ، أي فإن كان للميت اثنان من الإخوة فأكثر ، قال ابن جُزَّي في التسهيل ١٨١/٣ : والخطاب في قوله تعالى ﴿ إنَّا معكُم ﴾ لموسى وهارون ، وفرعون وقومه ، وقيل : لموسى وهارون خاصة ، على معاملة الاثنين معاملة الجماعة ، وذلك على قول من يرى أن أقلَّ الجمع اثنان ، انتهى .

قال أبو جعفر : الأوْل أَولاها ، ليكون المعنى : إنَّا معكم ناصرين ومقوِّين(١) .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ [آية ١٦] .

قال أبو عُبَيْدة : ﴿ **رسولُ** ﴾ بمعنى رسالة ، وأنشد :

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُوْنَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُمْ
بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهم برسُوْلِ(٢)

والتقديرُ على قوله : إنَّا ذَوَا رسالةٍ .

والأخفشُ يذهب إلى أنه واحدٌ يدلُّ على اثنينِ وجَمْعٍ(٣) .

١٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [آية ١٧] .

المعنى : أرسَلَنا لأنْ تُرسِلَ معنا بني إسرائيل .

---

(١) إنما رجَّح المصنِّف هذا ، لأن معيَّة الله بالنصرة والحفظ والتأييد ، لا تكون للكافر ، ويؤيده قوله تعالى في سورة طه ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ فقد ورد بلفظ التثنية وقد قال سيبويه : إن الخطاب لهما ، ولشرفهما وعظمتهما عند الله تعالى عوملا في الخطاب معاملة الجمع ، وانظر روح المعاني للألوسي ٦٦/١٩ وتفسير البحر المحيط ٨/٧ .

(٢) البيت لكُثَيِّر عَزَّة كما في ديوانه ٢٤٣/٢ وفي اللسان مادة رسل والطبري ٦٥/١٩ والقرطبي ٩٣/١٣ وشواهد المغني ص ١٩٨ وهو فيها بلفظ « ما بُحْتُ » بدل « ما فُهْتُ » .

(٣) انظر معاني الأخفش ٦٤٥/٢ وقال في التسهيل ١٨٢/٣ : إن قيل لمَ أفرده فقال « إنَّا رسولُ » وهما اثنان ؟ فالجوابُ من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير : كلُّ واحد منا رسول . الثاني أنهما جُعلا كشخصٍ واحد لاتفاقهما في الشريعة ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث : أن رسول هنا مصدر وصُف به ، فلذلك أُطلق على الواحد والاثنين والجماعة .

١٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدَاً .. ﴾** [آية ١٨] .

أي مولوداً ، فامتنَّ عليه بتربيته إيَّاه صغيراً إلى أن كَبِر .

١٦ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾** [آية ١٨] .

ومن عُمْرِك ، وعَمْرِكَ[١] .

١٧ ـــ **وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال مجاهد : يعني قتلَ النَّفْسِ[٢] .

وقرأ الشعبيُّ : ﴿ وفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ ﴾ بكسر الفاء ، والفتح للأول[٣] ، لأنَّها للمَّرة الواحدة .

والكسرُ بمعنى الهيئة والحال أي فِعْلَتك التي تُعرفُ كما قال :

كأنَّ مِشْيَتَهـــا مِنْ دَارِ جَارَتِهَـــا

مرُّ السَّحَابَـةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَـــلُ[٤]

ويُقال : كان ذلك أيام الرَّدة ، والرِّدَة[٥] .

---

(١) في إعراب القرآن للنحاس ٤٨٤/٢ : « مِنْ عُمُرِكَ » قال : وتُحذف الضمة لثقلها فيقال : مِنْ عُمْرِك ، وحكى سيبويه فتح العين وإسكان الميم ومنه « لَعَمْرُكَ » ولا يستعمل في القسم عنده إلا الفتح لخفته . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٦٦/١٩ وابن كثير ١٤٧/٦ والدر المنثور ٨٣/٥ .

(٣) هذه القراءة من الشواذّ كما في المحتسب لابن جنّي ١٢٧/٢ قال الفراء : ولم يقرأ بها غيره .

(٤) البيت للأعشى « ميمون بن قيس » كما في ديوانه ص ٩١ وكتاب الأفعال للسرقسطي ١٠٠/٣ .

(٥) يريد أنه يجوز في كلمة « الفَعْلة » و« الفِعلة » الفتحُ والكسر ، كما تقول : أيـام الـرَدَّة ، وأيـامُ الرِّدة .

قال أبو جعفر : قال « عليُّ بن سليمان »[1] ــ واختارَ ذلك ــ لأنَّ الارتدادَ لم يكن إلاَّ مرَّةً واحدةً ، والفتحُ أجودُ .

١٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِين ﴾** [آية ١٩] .

في معناه أقوالٌ :

أ ــ **منها أن المعنى : من الكافرين لنعمتي** ، كما قال :

« والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفسِ المُنْعِمِ »[2]

ب ــ **والضحاك يذهب إلى أن المعنى** : وأنت من الكافرين لقتلك القبطي .

قال : فنفى عن نفسه الكفر ، وأخبَرَ أنه فعل ذلك على الجهل[3] .

جـ ــ **وقال الفراء** : المعنى : وأنت من الكافرين السَّاعة[4] .

د ــ **قال السدي** : أي وأنت من الكافرين ، لأنك كنتَ تتَّبِعُنَا على الدِّينِ الذي تعيبُه السَّاعةَ ، فقد كنتَ من الكافرين على قولك[5] .

---

(١) هو المشهور بالأخفش الصغير المتوفي سنة ٣١٥ وقد تقدمت ترجمته .

(٢) هذا عجز بيت لعنترة وهو في ديوانه ص ١٥٢ وصدره :

نُبِّئتُ عَمْراً غير شاكرِ نعمتي والكفرُ مخبثةٌ لنفس المُنْعِمِ

(٣) الأثر في جامع البيان للطبري ٦٧/١٩ وابن كثير ١٤٧/٦ وزاد المسير ١١٩/٦ .

(٤) عبارة الفراء كما في معاني القرآن ٢٧٩/٢ : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي أي لتربيتي إياك . اهـ فقول المصنف « الساعة » هو حكايةٌ لقوله بالمعنى ، وعبارة الفراء « الآنَ » .

(٥) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ٦٦/١٩ والقرطبي ٩٥/١٣ وصاحب البحر ١٠/٧ .

قال أبو جعفر : ومن أحسن ما قيل في معناه ما قاله ابنُ زيدٍ قال : ﴿ **مِنَ الكَافِرِينَ** ﴾ لنعمتِنا ، أي لنعمةِ تربيتي لك(١) .

١٩ ــ **ثم قال عزَّ وجلَّ** ﴿ **قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ [آية ٢٠] .

أي من الجاهلين .

وقال أبو عُبَيْدة(٢) : ﴿ **مِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ أي من النَّاسِينَ ، كما قال سبحانه ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا** ﴾(٣) .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً** .. ﴾ [آية ٢١] .

قال السُّدي : يعني النبوة .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [آية ٢٢] .

---

(١) هذا القول مرويٌّ عن ابن عباس وهو أرجح الأقوال كما في الطبري ١٩/٦٦ حيث قال : وعن ابن عباس ﴿ وأنتَ من الكافرينَ ﴾ يقول : كافراً للنعمة ، إذ لم يكن فرعون يعلم ما الكفر ، ورجحه ابن جرير في جامع البيان ١٩/٦٧ .

(٢) أبو عُبَيْدةَ هو « مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى التَّيميُّ » صاحب كتاب « مجاز القرآن » ولم أر هذا النقل عنه ، وانظر مجاز أبي عبيدة ٢/٨٤ وقد عزاه أيضاً الألوسي له في تفسيره « روح المعاني » ١٩/٦٩ وهو غير موجود في مجاز القرآن ، وأحسنُ الأقوال أن المراد من قول موسى ﴿ وأنَا مِنَ الضَّالين ﴾ أي من المخطئين ، لأنني لم أتعمد قتله ، وإنما أردت تأديبه ، ولا يراد به الضلال عن الهدى ، لأنه رسولٌ من أولي العزم ، والرُّسُلُ معصومون عن الذنوب والمعاصي فكيف بالكفر والإشراك ؟

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٢ وتمامها ﴿ أن تَضِلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأُخرى ﴾ الآية .

في هذه الآية أقوال :

أ ــ **قيل** : ألف الاستفهام محذوفةٌ ، والمعنى : أَوَ تِلكَ نعمةٌ ؟

كما قال :

تَرُوحُ منَ الحَــــيِّ أَمْ تَبْتَكِــــرْ
ومــــاذا يَضُرُّك لو تَنْتَظِــــرْ(١)

وهذا لا يجوز ، لأن الاستفهام إذا حذفت منه الألـفُ زال المعنى ، إلاَّ أن يكون في الكلام « أَمْ » أو ما أشبهها(٢) .

وقيل : المعنى : وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتني وأنا من بني إسرائيل ؟

لأنه يُروى أنه كان ربَّاه على أن يستعبده .

وقيل : وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتَ بني إسرائيل وتركتني ؟

---

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص٧٧ وفيه اختلاف يسير حيث ورد بلفظ (وماذا عليك بأن تنتظر) وانظر القرطبي ٩٦/١٣ .

(١) ذهب الأخفش ٦٤٥/٢ والفراء ٢٧٩/٢ إلى أن الصيغة صيغة استفهام وخرَّجه ابن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهام ، أراد أو تلك نعمةٌ ؟ والمعنى : كيف تمنُّ عليَّ بإحسانك إليَّ ، وقد استعبدتَ قومي ؟ فما تعدُّه نِعمة ما هو إلاَّ نقمة ، قال القرطبي ٩٦/١٣ : ومما يدلُّ على حذف ألف الاستفهام مع عدم وجود « أم » قول الشاعر :

وقولُهـــا والـــرِّكابُ وَاقِفَـــةٌ   تَرَكْتَنـــي هكـــذا وَتَنْطَلِـــقُ ؟

وقال الضحاك : إن الكلام خرج مخرج التبكيت ، والتبكيتُ يكون باستفهام وبغير استفهام ، والمعنى : لو لم تقتل بني إسرائيل لربَّاني أبَوَايَ ، فأيُّ نعمةٍ لك عليَّ ؟ فأنت تمنُّ عَليَّ بما لا يجب أن تمنَّ به . اهـ . وانظر معاني القرآن للزجاج ٨٧/٤ .

وهذا أحسنُ الأقوال ، لأن اللفظ يدل عليه ، أي إنما صارت هذه نعمة لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ، ولو لم تتَّخذهُمْ عبيداً لم تكن نعمة ، فـ « أَنْ » بدلٌ من نعمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لأَنْ عبَّدت بني إسرائيل .

٢٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ** ﴾ [آية ٢٣] .

فأجابه موسى ﷺ بأن أخبره بصفات الله جلَّ وعزَّ ، التي يعجِزُ عنها المخلوقُونَ ﴿ **قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِينَ** ﴾ [آية ٢٤] .

فلم يردَّ فرعونُ هذه الحجة ، بأكثرَ من أن قال : ﴿**قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ** ﴾ ؟ أي ألا تستمعون إلى قوله[1] ؟

فأجابه موسى لأنه المراد ، وزاده في البيان.

﴿ **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ فلم يحتجَّ فرعون عليه بأكثر من أن نَسَبَهُ إلى الجُنونِ ﴿ **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** ﴾ [آية ٢٧] .

أي لمغلوبٌ على عقله ، لأنه يقول قولاً لا يعرفه[2] ، لأنه كان

---

(١) هذا من جهله وسفهه وحماقته ، ولو كان له حجة لذكرها أمام الملأ .

(٢) سأل فرعون اللعين موسى عن حقيقة الله عز وجل ﴿ قال فرعونُ وَمَا ربُّ العَالَمِينَ ﴾ ؟ و «ما» يُسأل بها عن الماهيَّة والحقيقة ، فعدل موسى عن جوابه عن حقيقة اللّهِ ، إلى ذكر آثاره وصفاته ، وهذا يسمى بـ « الأسلوب الحكيم » فكان جوابه له ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهما إن كُنْتُم مُوْقِنِينَ ﴾ أي هو خالق الأكوان ، من سماءٍ وأرض ، وبحارٍ وقفار ، وأشجارٍ =

عنـد قوم فرعـون ، أنَّ الـذي يعرفونـه رباً لهم ، في ذلك الـوقت هو : « فرعـون » وأن الـذي يعرفـونهم أرباباً لآبائهـم الأوَّلين ، ملـوكٌ أُخَـرُ ، كانوا قبل فرعون !!

فزاده موسى في البيان فقال ﴿ رَبُّ الـمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾ [آية ٢٨] .

فتهدَّده فرعون **﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهـاً غَيْـرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُوْنِينَ ﴾** [آية ٢٩] .

فاحتـجَّ موسى عليـه ، وعـليهم بما يشاهدونـــه ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ ؟ [آية ٣٠] .

أي ببرهان قاطعٍ واضحٍ يدلُّ على صدقي(١) .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾** [آية ٣٢] .

= وثمار ، وغير ذلك من المخلوقات البديعة ، فلـم يعجبْـهُ الجواب ، فقـال لأشرافِ قومـه على سبيـل التهكـم والاستهزاء : ﴿ قَالَ لِمَـنْ حَوْلَـه أَلَا تَسْتَمِعُـوْنَ ﴾ ؟ أي لاتسمعـون جوابـه ،وتعجبون من أمره ؟ أسأله عن حقيقة اللّـهِ ، فيجيبنـي عن صفاتـه ، فردَّ عليـه موسى وزاده في الحجَّـةِ والبيـان ﴿ قَالَ رَبُّكُـمْ وربُّ آبَائِكُـمُ الأَوَّلِيـنَ ﴾ أي هو خالقكـم وخالـق من قبلكـم من الأمم ، والخلـق والإيجادُ مظهر الربوبية والعظمة ، فعند ذلك غضـب فرعونُ ونسبه إلى الجنـون ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُوْلَكُم الَّذِي أُرسِلَ إِليكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة ولم يحفـل بسخريتـه واتهامـه له بالجنـون ﴿ قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْـرِبِ وَمَا بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُـم تَعْقِلُـوْنَ ﴾ وهـذا من أبلـغ الحجـج التـي تقصم ظهر الباطل ، لأن طـلـوع الشمس وغروبها آية باهرة لايمكن لأحـدٍ أن يدعيها ، كما قال إبراهيم الخليل للنمرود ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغـرب ﴾ فلمـا أبـلس فرعون توعده بالبطش والتنكيل .

(١) لم يذكر المصنف معنى الآية ونقلناه من تفسير ابن كثير .

يقال : الثُّعبانُ : الكبيرُ من الحيَّات ، وقد قال في موضعٍ آخر ﴿ **تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ** ﴾[1] .

والجَانُّ : الصغيرُ من الحيَّاتِ[2] .

ففي هذا دليلٌ على أن الآية كانت عظيمة ، لأنه وصف عِظَمها ، وأنَّها تهتزُّ اهتِزَازَ الصغيرِ لخفتَّها ، ولا يمنعها عِظَمُها من ذلك ، فهذا أعظمُ في الآية .

٢٤ ـ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [آية ٣٣] .

أي ونزع يده من جيبه ، فإذا هي بيضاءُ للناظرين ، بياضاً نورياً من غير بَرَصٍ .

فردَّ فرعونُ الآية العظيمة ، بنسَبِهِ إيَّاه إلى السِّحْرِ ﴿ **قَالَ لِلْمَلأ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [آية ٣٤] .

ثم تواضع لهم فقال ﴿ **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٠ .

(٢) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٦٠/١٣ : الجانُّ : هي الحيَّةُ الخفيفة ، الصغيرةُ الجسم . اهـ وقال في التسهيل ٢٠٢/٣ : الجانُّ : الحيَّةُ الصغيرةُ وعلى هذا يشكل قولُه تعالى ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ والجواب أنها « ثعبانٌ » في جُرْمِها « جَانٌّ » في سرعة حركتها . اهـ .

روى مجاهد عن ابن عباس قال : يعني الشُّرَطَ[1] .

ويُرْوَى أن السَّحرة كانوا اثنيْ عشر ألفاً .

وأن موسى بُعِثَ والسِّحرُ كثيرٌ ، وأُعْطِيَ الآياتِ العظامَ .

كما بُعث النبيُّ ﷺ والبلاغةُ أكثرُ ما كانت ، فأُعطِي القرآن ، ودُعُوا إلى أن يأتوا بسورةٍ من مثله ، فعجزوا عن ذلك .

قال قتادة : ﴿ **إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ** ﴾ يعني موسى صلى الله عليه وسلم[2] .

٢٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ..** ﴾ [آية ٤٩] .

يُروى أنه أوَّلُ من قَطَعَ ، وصَلَبَ .

﴿ **قَالُوا لَا ضَيْرَ** ﴾ فيما يلحقنا من عذاب الدنيا،مع أملنا للمغفرة .

---

(١) في القاموس المحيط : الشُّرَطُ : طائفةٌ من أعوان الولاة ، الواحد شُرْطي ، وشُرَطي ، كتركي ، وجُهَني ، سمُّوا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها . اهـ والمراد أبعث الشرطة والجند ليأتوك بالسحرة ، ويجمعوهم لك من كل مكان من أطراف البلاد ، وانظر جامع البيان للطبري ٧١/١٩ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٣/١٩ يريد فرعون اللَّعينُ ، أن يلبِّس على الناس الأمر ، بعد أن آمن السحرة وسجدوا لله رب العالمين ، فاتهمهم بالتآمر مع موسى ، وزعم أنه أكبرهم سحراً ، وأعظمهم مكراً .

يُقال : ضَرَرٌ ، وضُرٌّ ، وضَيْرٌ ، وضَوْرَ ، بمعنى واحد ، وأنشد أبو عُبيدة :

فإنَّكَ لا يَضُوْرُكَ بَعْـــــــدَ حَوْلٍ
أَظَبْـــيٌ كَانَ أُمُّكَ أَمْ حِمَـــارُ[1]

﴿ **أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي لأن كنَّا .

قال الفراء : أي أوَّل مؤمني أهلِ زماننا[2] .

قال أبو إسحاق : هذا كلامُ من لم يعرف الرواية ، لأنـه يُروى أنه معه ستمائة ألف وسبعون ألفاً .

وإنما المعنى : أوَّلُ منْ آمن عند ظهور هذه الآية[3] .

٢٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ..** ﴾ [آية ٥٢] .

---

(١) البيت للعامري كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٥ يريد الشاعر أن يقول : إنه لا يضرك أن تكون أمك ظبياً أم حماراً بعد مرور حولٍ على ولادتك . ومعنى الآية ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ أي لايضرُّنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٠ .

(٣) انظر معاني القرآني للزجاج ٤/٩١ فقد ردَّ فيه على الفراء فقال : ولا أحسبه عرف الرواية في التفسير ... الخ والقول الذي ذكره الفراء ، نقلهُ الطبري في تفسيره ١٩/٧٤ عن ابن زيد وما ذكره النحاس عن أبي إسحق هو الأظهر والأوجه ، لأنه لا يصح أن يكون السحرة أول المؤمنين بموسى ، لأن بني إسرائيل كانوا مؤمنين قبلهم ، وقد ذكر القرطبي ١٣/١٠٠ تلك الرواية التي ذكرها أبو إسحاق الزجاج .

يُقال : سَرَى ، وأَسْرى : إذا سار بالليل[1] .

قال مجاهد : خرج موسى ﷺ ليلاً[2] .

قال عَمْرو بنُ مَيْمُونٍ : « قالوا لفرعون إنَّ موسى قد خرج ببني إسرائيلَ ، فقال : لاتكلِّموهم حتى يصيحَ الدِّيكُ ، فلم يَصِحْ ديكُ تلكَ اللَّيلةِ ، فلما أصبح أحضر شاةً فذُبحتْ ، وقال : لايتمُّ سلخُها حتى يحضر خُمس مائةِ ألِفِ فارسٍ من القبطِ فحضروا »[3] .

ورَوَى يونسُ بنُ أبي إسحق عن أبي بُرْدة أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه ، فقال له رسول الله ﷺ : تعهَّدْنا فأْتِنا ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : ناقةٌ أرتحلُها ، وأعنزٌ يحتلبُها أهلي ، فقال رسولُ الله ﷺ : أَعَجَزَ هذا أن يكون مثلَ عجوزِ بني إسرائيل ؟ قالوا : وما عَجُوزُ بني إسرائيل ؟ قال : إنَّ موسى ﷺ لمَّا أراد الخروج ببني إسرائيل ، ضلَّ عن الطريق ، فقال : ما هذا ؟ فقال له علماءُ بني إسرائيل : إنَّ يوسف لما حضره الموتُ ، أخذ علينا موثقاً ألاَّ نخرج إلاَّ بعظامه ، فقال : أين قبرُه ؟ فقالوا : ما يعرفه إلاَّ عجوز بني إسرائيل ، فسألوها فقالت : حتَّى تعطيني حكمي ؟ قال : وما

---

(١) انظر الصحاح للجوهري مادة سرى .

(٢) الأثر في الطبري ١٩/٧٤ والدر المنثور ٥/٨٤ .

(٣) ذكر هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور ٥/٨٥ وقال : أخرجه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون ، وفيها أنهم اجتمعوا إليه ، فاتبَّع بني إسرائيل ، فلما انتهى موسى إلى البحر ، قال له وصيُّه : يا نبيَّ اللّهِ أين أُمرتَ ؟ قال : ههنا في البحر . اهـ .

حكمك ؟ قالت : أن أكون مَعَكَ في الجنة ، فكره ذلك ، فأوحى اللَّهُ جل وعزَّ إليه أَنْ أعطِها ففعل ، فأَتتْ بهم إلى بُحَيْرة ، فقالت : أَنْضِبوا هذا الماء ، فأَنْضَبُوه ، واستخرجوا عظامَ يوسف ﷺ ، فتبيَّنت لهم الطريقُ كضوءِ النهار(١) .

٢٧ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾** [آية ٥٢] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : اتَّبعه فرعونُ في أَلفِ أَلفِ حصانٍ ، سوى الإناثِ ، وكان موسى صلى الله عليه في ستمائةِ أَلفٍ من بني إسرائيل ، فقال فرعون : **﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذمةٌ قَلِيلُونَ ﴾**(٢) .

ورَوَى سُفْيَانُ عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدة عن عبدالله **﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾** قال : ستمائةِ أَلفٍ وسبعون أَلفاً(٣) .

---

(١) هذه من الروايات الإسرائيلية التي لا ينبغي التعويل عليها ، وقد ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور ٨٥/٥ بعضها عن أبي حاتم والحاكم ، من قوله « إنَّ موسى لما أراد الخروج » ونقل عن الحاكم تصحيحه لها ، وفي تصحيحه نظر ، وذكر الحديث بتمامه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥٢/٦ وقال : هذا حديث غريب جداً ، والأَقربُ أنه موقوف . اهـ والحاصل فإنَّ سياق القصة يدل على عدم الصحة ، لما فيها من الغرائب ، إذ كيف يجهل موسى موضع قبر يوسف وتعرفه عجوز ؟ وتشرط عليه العجوز أن يضمن لها دخول الجنة معه حتى تخبره عن مكان القبر ؟ .

(٢) ذكر هذه الروايات الطبري في تفسيره ٧٥/١٩ والقرطبي ١٠٠/١٣ ثم قال : والله أعلم بصحة ذلك ، وإنما اللازم من الآية الذي يُقطع به ، أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم ، من بني إسرائيل ، وأن فرعون تَبِعه بأضعافِ ذلك ، والشِّرذمةُ : الجمعُ القليل المحتَقرُ ، والجمعُ شراذم . اهـ .

(٣) قال الألوسي في روح المعاني ٨٢/١٩ : وكان بنو إسرائيل على ما رُوي عن ابن عباس ستمائة أَلف وسبعين ألفاً ، وأنا أقول : كانوا أقل من عساكر فرعون ، ولا أجزم بعددٍ في كلا الجمعين ، =

وروَى سُفْيَانَ عن أبي إسحــاقَ ، عن الأسود[1] ﴿ وَإِنَّــا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ قال : مُؤْدُون[2] .

قال أبو جعفر : المُؤْدُون : الذيـن معهـم أداةٌ وهـي السلاح ، والسِّلاحُ أداةُ الحرب[3] .

وأبــو عُبَيْــدة يذهب إلى أن « حَاذِريــنَ » و« حَذِريــنَ » و« حَذُرِينَ » ــ بضم الذال ــ بمعنى واحد[4] .

قال أبـــو جعفـــر : وحقيقـــــةُ هذا أن الحاذِرَ هو المستعدُّ ،والحَذِرُ : المتيقِّـظُ كأنَّ ذلكَ فيـه خِلْقَـةً[5] ، ولهذا قال أكثرُ النحويين : لا يتعدَّى « حَذِرٌ » .

= والأخبارُ في ذلك لاتكاد تصح ، وفيها مبالغاتٌ خارجة عن العادة . اهـ .

(١) هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، وهو من كبار التابعين توفي سنة ٧٥ هـ ذكره ابـن حبـان في الثقات ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣٤٢/١ .

(٢) ذكـره الـطبري ٧٧/١٩ عن الأسود ، ونقلـه أيضاً عن ابـن جريج : مؤدون : معَـدُّون في السلاح والكراع .

(٣) في الصحـاح ٢٢٦٥/٦ : آدَاه على كذا : إذا قوَّاه عليـه وأعانـــه ، وآدى الرجـــلُ أيضاً أي قَوِيَ ، من الأداة فهو مؤدٍ بالهمز ، أي شاكٍ في السلاح ، وأما مود بلا همز ، فهـو من أودى أي هلك .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/٢ فقـد قال : يقـال حَذِرٌ ، وحَذُرٌ ، وحاذِرٌ ، وقوم حَذِرون ، وحاذرون . اهـ .

(٥) هذا مذهـب الفـراء والـكسائي فقـد قالا : الحَـذِرُ : من كان الحَـذَر من خِلْقَتـه ، فهـو متيقِّـظٌ منتبه .

وروى حُميد الأعرجُ ، عن أبي عمَّار ، أنه قرأ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾[1] الدَّالُ غير معجمة ، يُقال : جملٌ حَادِرٌ إذا كان غليظاً ممتلياً ، ومنه قول الشاعر :

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مآقِيهِمَا مِنْ أُخُر[2]

٢٨ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [آية ٥٧،٥٨] .

حدَّثنا محمد بن سلمة الأَسْواني ، قال حدثنا محمد بن سنجر ، قال حدثنا عبدالله بن صالح ، قال حدثني ابن لَهيعة ، عن واهبِ بن عبدالله المعافري ، عن عبدالله بن عمروٍ أنه « نيل مصرَ » سيد الأنهار ، سخَّر اللهُ له كلَّ نهرٍ بين المشرق والمغرب وذلَّله له ، فإذا أراد اللَّهُ أن يُجري نيلَ مصر ، أمَرَ كل نهرٍ أن يُمدَّه ، فمدَّته الأنهار بمائها ، وفجرَّ اللهُ له من الأرض عيوناً ، فإذا انتهى جرْيهُ إلى ما أرادَ اللهُ ، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره[3] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٢٨/٢ .

(٢) البيت لامرئ القيس في وصف فرسه كما في ديوانه ص٨٢ وانظر تفسير القرطبي ١٠٢/١٣ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي في تفسيره ١٠٣/١٣ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وفي هذا الخبر أنه لما افتتحت مصر أتى أهلها إلى « عمرو بن العاص » فقالوا : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّة ، لايجري إلاَّ بها ، فقال لهم : وماذاك ؟ فأخبروه أنه لايجري ماؤه إلا بإلقاء فتاة فيه ، فقال لهم : هذا لايكون في الإسلام ، وكتب إلى عمر فأرسل له بطاقة .. الخ القصة المشهورة .

وقـال : في قول اللهِ جلَّ وعــزَّ ﴿ **فَأَخْرَجْنَاهُـمْ مِنْ جَنَّـــاتٍ وعيون . وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كرِيمٍ** ﴾ .

قال : كانت الجنات بحافتيْ هذا النيل من أولـه إلى آخـره ، في الشقّين جميعاً ، من «أُسْوَان» إلى «رشيد» وكان له سبعة خُلُجٍ[1] « خليـجُ الاسكندريـة » و« خليـجُ دميـاط » و« خليــــجُ سَرْدُوْس » و« خليجُ مَنْفٍ » و« خليجُ الفيُّوم » و« خليجُ المنهى » متصلةٌ لاينقطـع منها شيء عن شيء ، وزروعُ ما بين الجبـلين كلِّـه ، من أول مصر إلى آخرهـا ، ما يبلغـهُ الماء ، فكـانت جميع أرضِ مصرَ كلِّهـــا تُرْوَى من ستَّ عشرةِ ذراعاً ، بما قدَّروا ودبَّروا ، من قناطرها وجسورها وخُلُجها .

قال : ﴿ **وَالمَقَامُ الكَرِيمُ** ﴾ المنابرُ ، كان بها ألفُ منبر[2] .

قال أبـو جعفـر : المَقَـام في اللغـة : الموضعُ ، من قولك قامَ يقوم ، وكذلك المقامات واحدها مَقَامة كما قال الشاعر :

---

(١) الخُلُج : جمع خليج وهو كما في المعجم الوسيـط : شَرْمٌ من البحـر ، والنُّهيـرُ ـــ تصغير نَهْـر ـــ يُقتطع من النهر الكبير ، إلى جهة يُنتفع بها . اهـ وقد ذكر المصنف أن للنيل سبعة خُلُج ، ولكنه لم يذكر هنا غير ستة منها ، والـذي سقـط هو خليـج سخـا كما في القرطبـي وفي معجـم البلـدان ٢١٠/٣ ذكر أيضاً أنَّ خلجان مصر سبعة .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي عن ابن عباس ومجاهد ١٠٥/١٣ أن المقام الكريم المنابرُ ، وكانت ألف منبر لألف جبار ، يعظِّمون عليها فرعون ومُلكه ، والأرجـح ما رُوي عن سعيـد بن جبير أنها المساكـنُ الحِسَانُ ، والمنازل العالية ، قال ابـن كثير ١٥٢/٦ تركـوا المنـازل العاليـة ، والبساتين والأنهار ، والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا . اهـ .

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَا
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ[1]

والمَقَامُ أيضاً : المصدر ، والمُقَامُ بالضمّ : الموضعُ من أقام يُقيم ، والمصدرُ أيضاً من أقامَ يُقيم ، إلاَّ أن ابنَ لَهِيعةَ قال : سمعتُ أن « المَقَامَ الكريم » : الفيُّوم .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُشْرِقِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

أكثر أهل التفسير على أن المعنى : وقتَ الشروق[2] .

وأبو عُبيدةَ يذهب إلى أن المعنى : ناحيةَ الشرق[3] .

والأَوَّلُ أولى ، يُقال : أشرقنا : أي دخلنا في الشُّروقِ ، كما يُقال : أصبحنا أي دخلنا في الصباح ، وإنّما يُقال في ذلك : شرَّقنا وغرَّبنا .

٣٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ ﴾ [آية ٦١] .

أي رأى بعضُهم بعضاً .

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص١١٣ وفي القرطبي ١٣/١٠٥ .
(٢) هذا هو الصحيح ، وهو المروي عن السدي وقتادة ، فقد نقل القرطبي ١٣/١٠٥ عن السدي أنه قال : تبعهم فرعونُ حين أشرقت الشمسُ بالشعاع ، وقال قتادة : حين أشرقت الأرضُ بالضياء ، ولو كان المراد جهة الشرق لقال : مُشَرِّقين .
(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٦ قال : مجاز المشرق : مجاز الصبح ، وليس فيه ما ذكره المصنِّف أنه ناحية الشرق .

﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [آية ٦١] .

وقرِىءَ ﴿ لَمُدَّرَكُوْنَ ﴾[1] والمعنى واحدٌ .

أي سيدركنا هذا الجمع الكثيرُ ، ولا طاقةَ لنا به .

٣١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قال كلَّا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [آية ٦٢] .

﴿ كلاَّ ﴾ أي ارتدعوا وانزجروا عن هذا القول :

﴿ إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين ﴾[2] .

٣٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾ [آية ٦٣] .

قال الضحاك : ﴿ كَالطَّودِ العَظِيم ﴾ أي كالجبلِ ، كما قال الأسودُ بن يَعْفُر :

نَزَلُوا بأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ
مَاءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ منْ أَطْوَادِ[3]

جمع طودٍ أي جبل .

---

(١) هذه قراءة الأعرج وعُبيد بن عمير ، بتشديد الدال من « ادَّرك » كما في المحتسب ١٢٩/٢ والقرطبي ١٠٦/١٣ وهي من شواذ القراءات .

(٢) المراد إن اللَّهَ معي بالحفظ والنصرة والتأييد ، وسَيْهديني إلى طريق النجاة .

(٣) البيت للأسود بن يعفر ، وهو في ديوانه ملحق ديوان الأعشى ص ٢٩٦ وفي القرطبي ١٠٧/١٣ ومجاز القرآن ١٠٧/٢ ومعجم البلدان ٢٧٢/١ .

٣٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴾ [آية ٦٤] .

قال الحسنُ : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : أهلكنا .

وقال أبو عبيدة : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : جمعنا ، ومنه ليلةُ المزدلفة .

وقال قتادة : ﴿ أَزْلَفْنَا ﴾ : قرَّبناهم من البحر فأغرقناهم .

قالِ أبو جعفر : وهذه الأقوالُ متقاربة ، لأنه إنما جمعهم للهلاك ، وقولُ قتادة أصحُّها ، ومنه ﴿ وأُزْلِفَتِ الجنَّةُ للمتَّقِين ﴾[١] أي قُرِّبت ومنه :

« مرَّ اللَّيالي زُلَفاً فزَلَفاً »[٢]

ورُوي عن أُبيّ بن كعب أنه قرأ « وأزلقنا »[٣] بالقاف .

٣٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [آية ٦٩] .

أي خبر إبراهيم .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٩٠ .

(٢) هذا صدر بيتٍ للعجاج ، وقد ذكره الطبري ١٩/٨١ بلفظ : « طيَّ اللَّيالي » بدل « مرَّ الليالي » وكذا ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٨٧ ، وتمامه :

طَيَّ اللَّيالي زُلَفاً فزلَفَا ... سَمَاوة الهلالِ حتى احْقَوقَفا

يريد أنه طواه السير في مسيره كما تطوي الليالي الأهلة حتى تنحل .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/١٢٩ وقد ذكر القرطبي ١٣/١٠٧ أنها قراءة أبي عبدالله بن الحارث ، وابن عباس أيضاً على معنى أهلكناهم ، من قولهم أزلقت الناقةُ : إذا أَلْقَتْ ولدها من بطنها .

٣٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **قالوا نَعْبُدُ أصْنَامَاً فنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ** ﴾ [آية ٧١] .

أي مقيمين على عبادتها .

﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ** ﴾ ؟

قال أبو عُبيدة : أي هل يسمعون لكم[1] .

قال أبو حاتم : أي هل يسمعون أصواتكم ؟

وقرأ قتادة ﴿ **هل يُسْمِعُونَكُمْ** ﴾ بضم الياء[2] ، أي هل يُسْمِعونكم أصواتَهم وكَلاَمَهم ؟

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ** ﴾ [آية ٧٧] .

يجوز أن يكون استثناءً ليس من الأول[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : كلُّ ما تعبدونه عدوٌّ لي يوم القيامة إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ .

---

(١) عبارته في مجاز القرآن ٨٧/٢ أي يسمعون دعاءكم ، كما في قوله تعالى ﴿ وإذَا كَالُوهُمْ ﴾ أي كالوا لهم .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب ١٢٩/٢ والقرطبي ١٠٩/١٣ وهي من شواذ القراءات .

(٣) أشار به إلى أن الاستثناء منقطع ، و « إلاَّ » بمعنى « لكنْ » أي لكنْ ربُّ العالمينَ فإنه حبيبٌ لي ، ليس بعدوٌّ ، وأجاز بعضهم أن يكون الاستثناء متصلاً ، فإنهم كانوا يعبدون اللّهَ ، ويعبدون معه الأصنام ، فأعلمهم أنه تبرأ مما يعبدون إلاَّ الله ، وهو قول الزجاج ، وانظر البحر المحيط ٢٤/٧ والقرطبي ١١٠/١٣ .

ومن أصحِّ ما قيل فيه أنَّ المعنى : فإنهم عَدُوٌّ لي لو عبدتُهم يوم القيامة(١) .

٣٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [آية ٧٨] .

وقرأ ابنُ أبي إسحق ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِي ﴾ بإثبات الياء فيها كلِّها(٢) .

وقرأ ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَايَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .

وقال : ليست خطيئةً واحدة .

قال أبو جعفر : والتوحيدُ جيِّدٌ ، على أن تكون خطيئة بمعنى خَطَايا ، كما قُرِىءَ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(٣) .

قال مجاهد : في قوله ﴿ والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خَطِيئَتِي ﴾ .

قال : هو قولُه ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا ﴾(٤) وقولُه ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾(٥) .

---

(١) هذا الذي اختاره النحاس هو رأي الفراء ، وانظر معاني الفرَّاء ٢/٢٨١ والقرطبي ١٣/١١٠ .

(٢) ذكرها صاحب البحر ٧/٢٥ وقال : هي رواية عن نافع بإثبات الياء في « يهديني ، ويسقيني ، ويشفيني » .

(٣) سورة لقمان آية رقم ٢٠ قرأ حمزة ﴿ نعمةً ﴾ بالإفراد وهذه من القراءات السبع وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥١٣ والنشر ٢/٣٤٧ .

(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣ .

(٥) سورة الصافات آية ٨٩ .

وقولُـه حين أراد فرعـونٌ من الفراعنـة أن يأخـذ « سَارَة » قال : هي أختي[1] .

٣٨ ــ **قال مجاهــد في قولــه جلَّ وعــزَّ ﴿ وَاجْعَــلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾** [آية ٨٤] .

قال : الثَّناء الحسَنُ .

ورُوي عن ابن عباس قال : اجتماعُ الأمم عليه[2] .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** [آية ٨٩] .

قال قتادة : أي سليمٍ من الشِّرك .

وقال عروة : لم يلعن شيئاً قطُّ[3] .

---

(١) الأثـر أخرجـه الطبري في تفسيره ٨٥/١٩ وصاحب البحر ٢٥/٧ وكثيرٌ من المفسرين ، وقـال ابن جُزَيٍّ في التسهيّل ١٨٨/٣ قوله تعالى ﴿ أن يَغْفِرَ لِي خطِيئَتِي ﴾ قيل : أراد كذباتِه الثلاثـة الواردة في الحديث ، وهـي قوله في « سارة » زوجتـه : هي أختـي ، وقولـه ﴿ إني سقيم ﴾ وقولـه ﴿ بَلْ فَعَلَـهُ كَبِيرُهُـمْ هَذَا ﴾ الخ ولم يرتض الفخـر الـرازي في التـفسير الكـــبير ١٤٦/٢٤ هذه الأقوال وقال : إن نسبة الكذب إلى إبراهيم غير جائزة ، والأنبياء منزهـون عن الخطايا ، والجواب الصحيـح أن يُحمـل ذلك على ترك الأَوْلى ، وقـد يسمَّـى ذلك خطأً ، فإن من مَلَك جوهـرةً وأمكنه أن يبيعها بألف ألف دينار ، فإن باعها بدينار قيل إنـه أخطـأ ، وتـركُ الأَوْلى على الأنبيـاء جائز ، انتهى من التفسير الكبير وهو كلام نفيس .

(٢) نقل الحافظ ابن كثير عن عكرمة قوله : كل أمةٍ تحبُّهُ وتتولاه ، وهذا معنى اجتماع الأمم عليه .

(٣) قال القرطبي ١١٥/١٣ : وروي عن عروة أنه قال : يا بنيَّ لا تكونوا لعَّانين ، فإن إبراهيم لم يلعن شيئاً قط ، واستشهد بالآية .

٤٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آية ٩٠] .

أي قُرِّبت ، بمعنى : قَرُب دخولُهم إيَّاها .

٤١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [آية ٩٤] .

« كُبْكِبُوا » أي قُلبوا على رءوسِهم .

وقيل : طُرح بعضُهم على بعض ، هذا قولُ أبي عبيدة[1] .

والأصلُ : كُبِّبُوا ، فأُبدل من الباء كافٌ ، استثقالاً للتضعيف .

وقيل : معنى ﴿ فَكُبْكِبُوا ﴾ فَجُمِّعوا ، مشتقٌّ من كَوْكَبِ الشَّيء أي معظمِه ، والجماعةُ من الخيلِ : كَوْكَبٌ ، وكبكبة[2] .

قال قتادة : ﴿ والغَاوُونَ ﴾ الشياطينُ .

وقال السُّدِّيُّ : ﴿ فكُبْكِبُوا ﴾ : أي مشركو العرب ، و ﴿ الغَاوُوْنَ ﴾ : الآلهة ، و﴿ جُنُودُ إبْلِيسَ ﴾ من كان من ذرّيته[3] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٧ .

(٢) أحسن ما قيل في معنى ﴿ كُبْكِبُوا ﴾ ما ذكره الإمام الفخر في التفسير الكبير حيث قال : ٢٤/١٥٢ : قال : الآلهةُ ، وعَبَدتُهم الذين بُرِّزت لهم الجحيم ، ثم قال : والكبكبةُ تكريرُ الكبِّ ، جَعَلَ التكريرَ في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، كأنه إذا أُلقي في جهنم ، ينكبُّ مرَّة بعد مرَّة ، حتى يستقرَّ في قعرها .

(٣) عبارة الطبري ١٩/٨٨ : ﴿ وجُنودُ إبليسَ ﴾ : كلُّ من كان من أتباعه ، سواء كان من ذريته ، أو من ذريَّة آدم ، وهذا المعنى أشمل .

٤٢ ــ **قال أبو جعفر** : ومعنى ﴿ **إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ نعبُدكم كما نعبُدُه .

٤٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَاصَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [آية ١٠١] .

﴿ **حَمِيمٍ** ﴾ أي خاصّ[١] ، ومنه حامَّةُ الرَّجُلِ ، وأصلُ هذا من الحميم ، وهو الماءُ الحارُّ ، ومنه الحَّمامُ ، والحُمَّى .

فحامَّةُ الرجل : الذين يُحْرِقُهم ما أحرقَهُ ، كما يُقال : هم حُزَانتُهم أي يُحْزِنُهُمْ ما يُحْزِنه .

٤٤ ــ **وقرأ يعقوبُ وغيرُه** ﴿ **قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَأَتْبَاعُكَ الأَرْذَلُونَ** ﴾ [آية ١١١] .

وهي قراءةٌ حسنة[٢] ، وهذه الواوُ أكثرُ ما يتبعُها الأسماءُ ، والأفعالُ بعدُ ، و﴿ **أَتْبَاعُ** ﴾ جمع تَبَعٍ ، وتَبَعٌ يكون للواحد ، والجميع ، قال الشاعر :

---

(١) قال صاحب الكشاف ١١٢/٢ : والحميمُ من الاحتمام وهو الاهتمامُ ، وهو الذي يهمُّه ما يهمُّك ، أو من الحَامَّةِ بمعنى الخاصَّةِ ، وهو الصديقُ الخاصُّ . اهـ . وانظر أيضاً الصحاح للجوهري ١٩٠٥/٥ .

(٢) قراءة الجمهور ﴿ أنؤمنُ لكَ واتَّبعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ ؟ بصيغة الماضي ، وأما قراءة الجمع ﴿ وأَتْبَاعُكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ فهي من القراءات العشر كما في النشر ٣٣٥/٢ وقد ذكر الألوسي ١٠٧/١٩ وصاحب البحر ٣١/٧ أنها قراءة الأعمش ، وأبي حيوة ، وطلحة ، ويعقوب ، وعدَّها ابن جني في المحتسب ١٣١/٢ من القراءات الشاذة ، والصحيح أنها من القراءات العشر .

لَهُ تَبَـعٌ قَدْ يَعْلَـمُ النَّـاسُ أَنَّـهُ
عَلَى مَنْ تَدَانى صَيِّـفٌ وَرَبِيـعُ[1]

وقيل : إنما أرادوا أنَّ أتباعَك الحجَّامونَ والحاكةُ .
والصِّنَّاعاتُ ليست بضارَّةٍ في الدين[2] .

ورَوَى عيسى بنُ مَيْمُونَ عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد
وسعيد عن قتادة ﴿ **وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ** ﴾ قال : الحَاكَةُ[3] .

٤٥ ــ وقولُه تعالى ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾
[آية ١١٩] .

المشحونُ : المملوءُ[4] .

٤٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [آية ١٢٨] .

---

(١) استشهد به القرطبي في تفسيره ١٣/١٢٠ دون عزوٍ ، ولم نعثر على قائله .

(٢) هكذا قال الزجاج في معانيه ٤/٩٥ : نسبوهم إلى الحياكة والحِجامة ، والصناعاتُ لاتضرُّ في باب الديانات .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي ١٣/١٢٠ وابن الجوزي ٦/١٣٤ وفي المصباح : حَاكَ الرجلُ الثَّوْبَ حَوْكاً ، والحِياكةُ : الصناعةُ ، فهو حائكٌ ، والجمعُ حَاكَةٌ ، وحَوَكَةٌ ، اهـ فالحاكةُ الذين ينسجون الثياب ، ومرادهم أنهم من أصحاب الحِرَف الدنيئة ، وقال الإمام الفخر ٢٤/١٦٦ : يقال أَرْذَال وأَرَاذِل ، والرَّذَالةُ : الخِسَّةُ ، وإنما استرذلوهم لاتِّضاع نسبهم ، وقلَّة نصيبهم من الدنيا ، وقيل : كانوا من أهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحِجَامة . اهـ .

(٤) قال صاحب الكشاف ٢/١١٣ : والمشحون : المملوء ، يقال : شحنها عليهم خيلاً ورجالاً .اهـ.

قال قتادة والضحاك : الرِّيعُ : الطَّريقُ[1] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ بكلّ فجٍّ[2] .

قال أبو جعفر : والفَجُّ : الطريقُ في الجبل .

وقال جماعةٌ من أهل اللغة : الرِّيعُ : ما ارتفع من الأرض ، جمعُ رِيعَةٍ[3] ، وكم رَيْعُ أرضك ؟ أي كم ارتفاعها ؟

ومعروفٌ في اللغة أن يُقال لما ارتفع من الأرضِ : « رَيْعٌ » وللطريقِ « رِيعٌ » واللهُ أعلمُ بما أراد .

ورَوَى عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ عن مجاهد ﴿ أَتَبْنُوْنَ بكلِّ رِيعٍ آيةً تَعْبَثُوْنَ ﴾ [آية ١٢٨] .

قال : بُرُوْجُ الحَمَامَاتِ[4] .

٤٧ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [آية ١٢٩] .

---

(١) (٢) انظر الآثار في الطبري ٩٤/١٩ وابن الجوزي ١٣٥/٦ والدر المنثور ٩١/٥ .

(٣) قال الطبري ٩٣/١٩ : الرِّيعُ : كلُّ مكان مشرِف من الأرض مرتفع ، ومنه قول ذي الرُّمة :

طِرَاقُ الخوافي مشرقٌ فوق رِيعَةٍ ... نَدَى ليلِهِ في ريشِهِ يترقرقُ

وكذا قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٨/٢ وفي البخاري ١٣٩/٦ الرِّيعُ : الأَيفَاعُ من الأرض ـ أي المرتفع ـ وجمعه رِيَعَةٌ ، وأرياعٌ واحدةُ الرِّيْعة . اهـ .

(٤) الأثر في الطبري ٩٥/١٩ وعبارةُ القرطبي ١٢٣/١٣ : وعن مجاهد : الرِّيعُ : بنيانُ الحمام =

روى ابنُ أبي نَجِيح عن مجاهد ﴿ **مَصَانِعَ** ﴾ قال : قصوراً ، وحصوناً[1] .

وقال سفيان : هي مَصَانِعُ الماءِ[2] .

قال أبو إسحاق : واحدها مَصْنَعٌ ، ومَصْنَعَةٌ[3] .

قال أبو جعفر : والذي قاله مجاهد من أنَّ المَصَانع : القُصورُ والحصونُ معروفٌ في اللغة .

قال أبو عُبَيْدَةَ : يُقال لكل بناءٍ : مصنع ، ومصْنَعَة[4] .

ورَوَى عبداللّهِ بن كثير عن مجاهد ﴿ **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ** ﴾ قال : بالآجُرِّ والطِّين .

وفي بعض القراءات ﴿ **كأنكم تَخْلُدُونَ** ﴾ والمعنيان

= وبروجُه ، بَنَوْه للعبثِ واللَّهو ، ودليلُه ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ أي تلعبون . اهـ وفي الدر المنثور ٩١/٥ عن مجاهد ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ قال : بروج الحمام اهـ .

(١)و(٢) انظر الآثار في الطبري ٩٥/١٩ وابن الجوزي ١٣٦/٦ والدر المنثور ٩١/٥ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٩٤/٤ .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٨/٢ والقرطبي ١٢٤/١٣ ، وما ذكره النحاس أن المراد بالمصانع : القصورُ والحصونُ ، هو ما ذكره الجوهري في الصحاح ١٢٤٦/٣ ورجحه المفسرون ، وقد رُوي هذا عن ابن عباس فقد نقل القرطبي عنه في تفسيره ١٢٣/١٣ ﴿ وتَتَّخذونَ مَصَانِع ﴾ أي منازل قاله الكلبي ، وقيل : حصوناً مشيدة قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومنه قول الشاعر :

تركْنَا دِيَارَهُمْ منهم قِفَاراً وهَدَّمْنَا المَصَانِعَ والبُرُوجَا

متقاربـان ، لأن معنـى ﴿ لَعَلَّكُـمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أنكُـم على رَجـــاءٍ من الخُلودِ[1] .

٤٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [آية ١٣٠] .

قال مجاهد : بالسَّيفِ والسَّوْطِ[2] .

٤٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٣٧] .

قال قتادة : ﴿ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ بالضمِّ : يعيشون كما عاشوا ، أي نحيا ونموتُ كما حَيُوْا وَمَاتُوا[3] .

قال عبدُاللّـهِ بن مسعــود : ﴿ خَلْــقُ الأَوَّلِيـــنَ ﴾ أي اختلاقهم[4] .

---

(١) قراءة ﴿ كأنكم تَخْلُدون ﴾ وُجدت في مصحف « أُبيِّ بن كعب » وتُحمل على التفسير لا على القراءة ، أي كأنكم مخلَّدون في الدنيا لا تموتون ، وهي من القراءات الشاذة كما في حاشية الجمل على الجلالين ٢٨٧/٣ .

(٢) قال القرطبي في تفسيره ١٢٤/١٣ : البطشُ : السَّطْوةُ والأخذُ بالعنف ، وقد بَطَش به يَبْطِش بَطْشاً ، وقال ابن عباس ومجاهد : البَطْشُ : العَسْفُ قتلاً بالسيف ، وضرباً بالسَّوط . اهـ . وقال الإمام الفخر : وصفهم تعالى بثلاثة أمور : اتخاذ الأبنية العالية وهو يدلُّ على السَّرف وحبِّ العلوِّ ، واتخاذ المصانع ــ القصور المشيَّدة والحصون ــ وهو يدل على حب البقاء والخلود ، والجبَّاريَّة وهي تدلُّ على حب التفرد بالعلوِّ ، وكلُّ ذلك يدلُّ على أن حبَّ الدنيا قد استولى عليهم ، بحيث استغرقوا فيه ، حتى خرجوا عن حدِّ العبودية ، وحاموا حول ادِّعاء الربوبية ، وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة .

(٣) (٤) انظر تفسير الطبري ٩٧/١٩ وقال الفراء في معاني القرآن ٢٨١/٢ : « خُلُقُ الأَوَّلين » وقرأ الكسائيّ « خَلْقُ الأَوَّلين » فمن قرأ « خُلُق الأَوَّلين » يقول : هذه عادةُ الأولين ، ومن قرأ « خَلْقُ =

قال أبو جعفر : خَلَقَ الشَّيْءَ واختلَقَه بمعنىً .

٥٠ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ [آية ١٤٨] .

قال الضحاك : أي يركبُ بعضهُ بعضاً(٥)

قال أبو جعفر : وقيل ﴿ هَضِيمٌ ﴾ أي هاضمٌ مَرِيءٌ .

لطيفٌ أوَّلُ ما طَلَعَ .

وقال مجاهد : حين يَطْلَع يقبض عليه فيهضِمُه(٦) .

قال أبو جعفر : أصلُ الهَضْم : انضمامُ الشيء ، ومنه:

« هَضِيمُ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ »(٧)

ومنه : فلانٌ أهضمُ الكَشْحِ أي ضَامِرُهُ ، فيُقال للطَّلع : هضيمٌ ، قبل أن يتفتَّحَ .

ورَوَى إسحاق عن بُريد ﴿ ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ .

= الأوَّلين » يعني اختلاقهم وكذبهُم والعربُ تقول : حدِّثْنا بأحاديث الخَلْق ، وهي الخرافاتُ المفتعلةُ وأشباهُها ، فلذلك اخترتُ الخُلُق .

(١) و(٢) انظر الآثار في الطبري ١٩/١٠٠ وزاد المسير ٦/١٣٨ والدر المنثور ٥/٩٢ .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، والبيت كما في ديوانه ١٢٩ :

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

يقول : جذبتها من شعرها وحنيتُ جانبي رأسها ، فإذا هي ضامرةُ الوسط ، ملأى الساق وهو مكان الخلخال .

قال : منه ما قد أرطب ، ومنه مُذَنِّبٌ[1] .

٥١ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ [آية ١٤٩] .

قال أبو صالح : أي حَاذِقين بنحتِها .

وقال منصور بن المعتمِر : ﴿ فَارِهين ﴾ أي حاذِقين[2] .

وقال الحسن : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ أي آمنين[3] .

وقال عبدالله بن شدَّاد : ﴿ فارِهِينَ ﴾ بألف أي متجبرين .

وقال قتادة : ﴿ فَرِهين ﴾ أي مُعْجَبين[4] .

وقال مجاهد : ﴿ فَرِهِينَ ﴾ أي أَشِرِينَ بَطِرِين[5] .

---

(١) أحسن ما قيل في تفسير الهضيم ما رُوي عن ابن عباس أنه الرطبُ اليانعُ النضيجُ ، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره اثنَيْ عشر قولاً ، ومنها قول ابن عباس ، قال المفسرون : كانت أرض ثمود كثيرة البساتين ، والماء والنخيل ، فذكَّرهم نبيهم صالح بنعم الله الجليلة من إنبات البساتين والجنات ، وتفجير عيون الماء الجاريات ، وإخراج الزروع والثمرات ، ليشكروا ربهم على نعمه الجليلة .

(٢) و(٣) في الآية قراءتان سبعيتان « فارهين » بالألف وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، و« فَرِهين » بغير ألف ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع ، وانظر السبعة في القراءات ص٤٧٢ .

(٤ـ٥) هذه الآثار كلها عن علماء السلف ذكرها الطبري في تفسيره ١٩/١٠٠ والقرطبي ١٣/١٢٩ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٩٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٣٨ وأجمعُها وأظهرها ما روي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بفارهين : أَشِرِينَ بَطِرين ، فقد كانوا يتخذون البيوت المنحوتة في الجبال أَشَرَاً وبَطَراً وعبثاً ، من غير حاجة إلى سكناها ، كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/١٦٥ .

قال أبو جعفر : وهذا أعْرَفُها في اللُّغةِ ، وهو قولُ أبي عَمْرٍو ، وأبي عُبيدةَ ، فكأنَّ الهاءَ مُبْدلةٌ من حاءٍ ، لأنهما من حروفِ الحلْقِ .

وأبو عبيدةَ يذهبُ إلى أنَّ ﴿ **فَارِهِينَ** ﴾ و﴿ **فَرِهِينَ** ﴾ بمعنى واحد[1] .

٥٢ ــ **وقولُه عزَّ وجلَّ** : ﴿ **قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [آية ١٥٣] .

أي من المسحورين[2] ، قاله مجاهد .

وأبو عُبيدة يذهب إلى أن المعنى : إنما أنتَ بشرٌ لك سَحْرٌ ، والسَّحْرُ : الرِّئةُ .

وقيل : ﴿ **مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ أي من المعَلَّلين بالطَّعامِ والشَّرابِ ، كما قال الشاعر :

أَرَانا مُوضِعِينَ لَحَتْمِ غَيْبٍ
وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ وَبِالشَّرابِ[3]

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [آية ١٥٥] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٩/٢ .
(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٢/١٩ والسيوطي في الدر المنثور ٩٢/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
(٣) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص٤٧ : بلفظ « لأمرِ غَيْبٍ » ومعنى « مُوضِعِين » أي سائرين مسرعين « لأمر غيْبٍ » أي الموت ، يريد أننا مسرعون نحو الموت الذي غُيِّب عنا وقتُه ، ونحن نتلهَّى ، ونُخْدَعُ عنه بالطَّعامِ والشراب .

والشِّرْبُ : الحظُّ من الماءِ[1] .

٥٤ ـــ **وقولُـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ..﴾** [آية ١٦٦] .

قال إبراهيمُ بنُ المهاجر ، قال لي مجاهد : كيف يَقْرأ عبدُالله بن مسعود **﴿ وتَذَرُونَ ما خَلَقَ لكمْ ربُّكمْ مِنْ أزواجِكُمْ ﴾** ؟ قلتُ : « وتَذَرُونَ ما أَصْلَحَ لكم ربُّكُمْ منْ أزواجكُم »[2] قال : الفرجُ ، كما قال تعالى **﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾**[3] .

ورَوَى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد ﴿ وتَذَرُونَ مَا خَلَق لكُمْ ربُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجكُمْ ﴾ .

قال : القُبُلُ : الفَرْجُ ، إلى أدبار النِّساء والرجال[4] .

٥٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ بلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾** [آية ١٦٦] .

---

(١) هذا قول الفراء كما في تفسيره معاني القرآن ٢/٢٨٢ قال القرطبي ١٣/١٣١ : الشِّرْبُ : الحظُّ من الماء ، أي لكم شِربُ يومٍ ، ولها شِرْبُ يوم ، فكانت إذا كان يومُ شِربها ، شربتْ ماءَهم كلَّه أول النهار ، وتسقيهم اللَّبن آخر النهار ، وإذا كان يوم شُربهم ، كان لأنفسهم ، ومواشيهم وأرضهم . اهـ .

(٢) هذه القراءةُ تُحمل على أنها تفسير لا على أنها قراءة ، فلا توجد قراءة سبعية أو شاذة بلفظ « ما أصلح » بدل « ما خلق » فتنبه والله يرعاك .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير وعبارة الطبري ١٩/١٠٥ : « تركتم أَقْبَالَ النِّساء ـــ يعني فروجهن ـــ إلى أدبارِ الرجال ، وأدبارِ النساء » قاله مجاهد . اهـ وهي أوضحُ من عبارة المصنف .

يُقال : عَدَا إذا تجاوزَ في الظلم .

٥٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ إنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ ﴾** [آية ١٦٨] .

أي المبغضين الكـارهين ، وقـد قَـلَاه يَقْليـه[١] ، قِلى ، وقَـلَاءً ، كما قال :

عَلَـيْكِ السَّلامُ لا مُلِـلْتِ قَرِيبَـةً
وَمَـالَكِ عنْـدِي إنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ[٢]

٥٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ ﴾** [آية ١٧١] .

قال أبو عبيدة والفرّاءُ : أي الباقين[٣] .

قال أبو جعفر : يُقال للذاهبِ غابِرٌ ، وللباقي غابرٌ كما قال :

لا تَكْسَعِ الشَّوْل بأَغْبارِهـا
إنَّك لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِـجُ[٤]

(١) قَلَاهُ أي أبغضه ومنه قوله تعالى ﴿ ما وَدَّعَكَ ربُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ .

(٢) البيتُ للحارث بن حِلِّزة ، وقد استشهد به القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١٣ والشاهد فيه قوله « قَلَاءُ » يريد مالكِ بغضٌ في نفسي ان ابتعدت عني .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٩/٢ والمراد كما قال الألوسي في روح المعاني ١١٧/١٩ : إلاَّ عجوزاً مقدَّرة في الباقين في العذاب . اهـ .

(٤) البيت للحارث بن حِلِّزة كما في معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٣/١٣ وأستشهد به في اللسان ، والصحاح ١٢٧٦/٣ قال الجوهري : الشوَّل : جمعُ شائلة ، وهي الناقةُ التي خفَّ لبنها ، وارتفع ضرعها ، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، وكَسَعَ النَّاقةَ : ترك في ضرعها بقيةً من اللبن ، وبعده قوله :

واحلبْ لضيفكَ ألبانَها فإنَّ شرَّ اللَّبنِ الوَالِجُ

وكما قال :

فَمَـا وَنَـى محمَّـدٌ مُذْ أَنْ غَفَـر
لَهُ الإلَـهُ ما مَضَى وَمَاغَبَـر[1]

أي وما بقي .

والأغبارُ : بقيَّاتُ الألبان[2] ، والشَّوْلُ : الإبلُ التي قد شَالتْ بأذنابها .

٥٨ ـ **وقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـابُ الأَيْكَـةِ المُرْسَلِيـنَ ﴾** [آية ١٧٦] .

الأَيْكةُ عند أهلِ اللغةِ : الشَّجرُ الملتفُّ ، والجمعُ أَيْكٌ ، ويُروى أنهم كانوا أصحاب شجرٍ ملتفٍّ .

وقـد قيـل : إنَّ الأيكـةَ اسمُ موضعٍ ، ولا يصحُّ ذلك ولا يُعرف[3] .

---

(١) البيتُ للعجَّاج وهو في ديوانه ص١٥ ومجاز القرآن ٨٩/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٣/١٣ والطبري ١٩٨/١١ .

(٢) قال في اللسان مادة « كَسَعَ » : الأغبارُ : بقيَّةُ اللَّبن في الضَّرع ، يقول : لاتُغَزِّرْ إبلَك تطلبُ بذلك قوَّة نسلها ، واحلبها لأضيافك ، فلعلَّ عدوّاً يُغِيرُ عليها فيكون نتاجها له دونك . اهـ من اللسان .

(٣) هذا قول أبي عُبيدة كما في القرطبي ١٣٤/١٣ وأصحاب اللغة والتفسير على خلافه ، فقد قال الطبري : الأيكةُ : الشجر الملتف ، وقال القرطبي : الأَيْكُ : الشجَرُ الملتفُّ الكثير ، الواحدةُ أيكةٌ .

٥٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾** [آية ١٧٧] .

قُرِئَ على أحمد بن شعيب عن عبدالحميد بن محمد قال : حدثنا مخلدٌ قال حدثنا إسرائيلُ عن سِمَاكٍ عن عكرمةَ عن ابن عباس قال : كلُّ الأنبياءِ من بني إسرائيل إلاَّ عَشَرة « نوحٌ ، وصالحٌ ، وهودٌ ، وشعيبٌ ، وإبراهيمُ ، ولوطٌ ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوبُ ، ومحمدٌ » صلى الله عليهم(١) .

وزعم الشَّرقيُّ بنُ قطامي أن شعيباً هو ابن عَيْفا بن نُوَيْب بن مَدْين بن إبراهيم .

وزعم ابن سمعان أن شعيباً بن جَزِيّ بن يَشْجُر بن لاوي بن يعقوبَ بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليهم(٢) .

٦٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾** [آية ١٨٢] .

قال عبدالله بن عباس ومجاهد : ﴿الْقِسْطَاسُ﴾ : العَدْلُ(٣) .

---

(١) يؤيد هذا الأثر قوله تعالى ﴿ اذكروا نعمةَ اللّهِ عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ﴾ الآية فمعظم الأنبياء من بني إسرائيل ، وهم من نسل يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٧٣/١ وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٣٢٥/١ ففيه اختلاف في نسبه ، وانظر تفسير القرطبي ٢٤٨/٧ فقد ذكر الروايتين ، والاختلاف في نسبه عليه السلام .

(٣) المشهور عند أهل اللغة والتفسير أن « القِسْطَاسَ » هو الميزانُ العادلُ ، قال الزمخشري ١١٥/٢ : القِسْطاسُ : هو الميزانُ ، فإن كان من القسط ــ وهو العدلُ جُعلت السينُ مكررة ــ فوزنُه فِعْلَال .اهـ .

٦١ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا تَبْخَسُوْا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [آية ١٨٣] .

أي ولا تَظْلموا ، ومنه قولُ العرب « تحسبُها حَمْقَاءَ وهيَ بَاخِسٌ »[١] .

٦٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَاتَّقُوْا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٨٤] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ الجِبِلَّةُ ﴾ : الخَلِيقةُ .

قال أبو جعفر : يُقال : جُبِلَ فلانٌ على كَذَا أي خُلِقَ .

وقولُه ﴿ جِبِلَّةٌ ﴾ و﴿ جُبُلَّةٌ ﴾ و﴿ جُبْلَةٌ ﴾[٢] .

٦٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفَاً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ [آية ١٨٧] .

رَوَى عليُّ بن الحَكَمِ عن الضَّحَّاكِ ﴿ فأَسْقِطْ علينا كِسْفاً ﴾ قال : جانباً[٣] .

---

(١) هذا من أمثال العرب ، كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩٠/٢ يقال في المثل : « تحسبُها حمقاءَ وهيَ باخِسة » اهـ . والبخسُ في اللغة : النقصُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وشرَوْه بثمنٍ بَخْسٍ ﴾ .

(٢) هذا كلُّه مذكورٌ في اللغة ، وقد وردت بها القراءات ، قال الهروي : الجِبِلَّةُ ، والجِبلُّ ، والجُبُلُّ لغاتٌ ، وهو الجمعُ ذو العدد الكثير من الناس ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولقد أَضَلَّ منكم جِبِلًّا كثيراً ﴾ اهـ ومنه قول الشاعر :

والمَوْتُ أعْظَمُ حَادِثٍ فيما يَمُرُّ على الجِبِلَّة

(٣) الأثر ذكره الطبري عن الضحاك ١٠٩/١٩ وذكر عن ابن عباس : ﴿كِسَفاً﴾ أي قِطَعاً ، وهو =

قال أبو جعفر : ويُقرأُ ﴿ كِسَفاً ﴾ وهو جمعُ كِسْفةٍ ، وهي القطعةُ .

٦٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ .. ﴾ [آية ١٨٩] .

قال عبدالله بن عباس : أصابهم حرٌّ شديدٌ ، فدخلوا البيوت ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا إلى البرِّية لا يسترهم شيءٌ ، فأرسل الله إليهم سحابةً ، فهربوا إليها ليستظلُّوا بها ، ونادَىٰ بعضُهم بعضاً ، فلمَّا اجتمعوا تحتها ، أهلكهم اللَّهُ جلَّ وعزَّ(١).

وقال مجاهد : فلمَّا اجتمعوا تحتها ، صِيحَ بهم فهلكوا .

٦٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [آية ١٩٣] .

يعني جبريل صلَّى الله عليه .

﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي يتلوه ، فيَعِيهِ قلْبُكَ .

= الأصحُ ، لأن الكِسْفَةَ في اللغة القطعةُ ، وجمعها كِسَفٌ كما يقول أهل اللغة ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩١ والصحاح للجوهري ١٤/٢١ .

(١) إنما ذكر المصنف رأي ابن عباس ورأي مجاهد ، لأنه ورد في القرآن أنَّ قوم شعيب أُهلكوا بحرّ السحابة وهي الظُّلَّة ، كما قال سبحانه ﴿ فأخذهم عَذابُ يومِ الظُّلَّة ﴾ وفي سورة هود أهلكوا بصيحة جبريل ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصَّيْحةُ فأصبحُوا في ديارهم جاثمين ﴾ والتحقيق أنهم أهلكوا بالعذابين : الصيَّحة ، والظلَّة ، كما قال الحافظ ابن كثير ، والله أعلم .

٦٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٩٦] .

أي إنَّ إنزاله وذِكْرَه(١) .

٦٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾ [آية ١٩٧] .

وفي قراءة عبدالله(٢) ﴿ أوليسَ لكم آيةً أَنْ يعلمَهُ عُلماءُ بني إِسْرائيلَ ﴾ ؟

قال مجاهد : هو عبدالله بن سلام(٣) .

وقال غيرهُ : هو عبداللَّهِ ، وغيرهُ ممَّنْ أسلَمَ .

٦٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ ﴾ [آية ١٩٨] .

---

(١) عبارة القرطبي ١٣/١٣٨ : « وإنَّ ذكر نزوله لفي كتب الأوَّلين يعني الأنبياء ، وقيل : إن ذكر محمد عليه السلام في كتب الأولين كما قال تعالى ﴿الَّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوباً عندهُمْ في التَّوْراةِ والإنْجيلِ﴾ والزُّبُر : الكُتُب ، الواحد زَبُور ، كرُسُل ورسول » . اهـ من تفسير القرطبي .

(٢) يُراد به ابن مسعود ، ولم نعثر على هذه القراءة ، لا في كتب التفسير ولا القراءات .

(٣) هذا على قول مجاهد من « العام الذي يراد به الخاصُّ » فقد كان عبدالله بن سلام رئيس أحبار اليهود ، وأسلم رضي اله عنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، والتقى به وسمع كلامه ، وقصةُ إسلامه مشهورة في كتب التفسير والسيرة ، والصحيح أن الآية عامة فيمن أسلم منهم .

الأعجمُ : الذي لا يُفصح وإن كان عربياً .

والعجميُّ : الذي أصله من العجم وإن كان فصيحاً[1] .

وقد ذكرنا قوله ﴿ **كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ في قُلُوبِ المُجْرِمينَ** ﴾ في سورة الحج[2] .

٦٩ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾** [آية ٢١٢] .

أي عن استماع الوحي لممنوعون بالرَّجْمِ .

ورَوَى عُرْوةُ عن عائشَةَ قالت : « قلتُ يارسول الله : إن الكُهَّان كانوا يُحدِّثوننا بالشَّيء ، فنجدُهُ كما يقولون ؟ فقال : تلك الكلمةُ يَخْطَفها أحدهُمْ ، فيكذب معها [مائة كذبة][3] » وذكر الحديث .

٧٠ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾** [آية ٢١٤] .

---

(١) ذكره الزجاج في معانيه ١٠٢/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٥/٦ وانظر الصحاح للجوهري ١٩٨١/٥ .

(٢) الآية ليست في سورة الحج ، وصوابه أن يقول في سورة الحجر ، وهي قوله سبحانه ﴿ كذلك نسلكهُ في قلوب المجرمين ﴾ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة سبأ ١٥٣/٦ وفي كتاب الطب ١٧٦/٣ باب الكهانة ، ومسلم رقم ٢٢٢٩ والترمذي رقم ٣٢٢٢ في التفسير ، ولفظ رواية البخاري عن عائشة قالت : سأل أناسٌ النبي ﷺ عن الكُهَّان ، فقال : إنهم ليسوا بشيء فقالوا يارسول الله : إنهم يحدِّثوننا أحياناً بالشيء يكون حقّاً !! قال : تلك الكلمةُ من الحقِّ يخطفها الجنيُّ ، فيقذفها في أُذن وليِّه ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » .

قال عبدُالله بنُ عبَّاسٍ : لمَّــا نزلت صعِـدَ رسولُ الله ﷺ الصَّفا فصاحَ ياصَبَاحَاهُ ، فاجتمعوا إليه من بين رجلٍ يجيء ، وبين رجل يبعث برسول ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكـم أن رجـلاً جاء من هذا الفجِّ ليُغير عليكم أصدَّقتموني ؟ [قالوا نعم ، ما جرَّبنا عليك إلاَّ صدقاً ، قال :][1] فإني نذيرٌ لكم بينَ يَدَيّ عذابٍ شديد .

فقال أبو لهب : ألهذا دعوتّنا ؟ تبّاً لك ، فأنـزل الله جل وعـز : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وتبَّ** ﴾[2] .

ورَوَى هِشَامُ بنُ عُرْوةَ عن أبيهِ عن عائشةَ قالت : لمَّـا نزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية قال : «يا صفِيَّةُ عمَّةَ رسول الله ، يافاطمةُ ابنة محمد ، يابني عبدالمطلب : إني لا أملك لكم من اللهِ شيئاً ، سَلُوني من مالي ما شئتم »[3] .

---

(١) سقطت هذه العبارة من كلام المصنف ، وأثبتناها من صحيح البخاري ١٤٠/٦ ، وهي ضرورية ليتّسق الكلام .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٤٠/٦ وأخرجه الطبري ١٢١/١٩ والحافظ ابن كثير ١٧٦/٦ بلفظ « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ... الخ الحديث .

(٣) انفرد بإخراجه مسلم في كتاب الإيمان ١٣٣/١ وأخرجه البخاري في التفسير ١٤٠/٦ والطبري ١٢٠/١٩ والحافظ ابن كثير ١٧٧/٦ بأوسع من هذا ، وعلى العموم فقد وردت روايات عديدة صحيحة ، أعمُّ وأشمل ، منها رواية أحمد في المسند ٣٦٠/٢ : « لمَّا نزلت هذه الآية ﴿ وأنذِرْ عشيرَتَكَ الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعمَّ وخصَّ فقال : يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني عبد مناف=

٧١ ــ **وقولُــه جلَّ وعــزَّ ﴿ الَّــذِي يَرَاكَ حِيــنَ تَقُــومُ . وَتَقَلُّــبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾** [آية ٢١٨ ــ ٢١٩] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿في السَّاجِدين﴾ في المصلِّين .

قال مجاهد : وكان يرى من خَلْفَه كما يرى من أَمامه(١) .

قال عكرمة : أي قائماً ، وراكعاً ، وساجداً(٢) .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : تقلُّبَه في الظُّهورِ حتى أخرجه نبيًّاً(٣) .

٧٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾** [آية ٢٢٢] .

قال مجاهد : ﴿ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ على كلِّ كذابٍ(٤) .

٧٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾** [آية ٢٢٤] .

قال ابن عباس : الرُّواة(٥) .

= أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمةُ بنت محمد أنقذي نفسك من النار .. » الخ .

(١) قال القرطبي ١٣/١٤٤ وقول مجاهد ثابت في الصحيح ، ولكنه في تأويل الآية بعيد .

(٢ـــ٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٩/١٢٤ وزاد المسير ٦/١٤٨ والدر المنثور ٥/٩٨ .

(٥) ذكره في الدر المنثور منسوباً إلى ابن عباس ٥/٩٩ وذكره الطبري في تفسيره ١٩/١٢٧ وقال : هم رواةُ الشّعر ، وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ١٩/١٤٦ : وعن ابن عباس أن الغاوين هم الرواة الذين يحفظون شعر الشعراء ، ويروونه عنهم مبتهجين .

وقال الضحاك : هما اثنان تَهَاجَيا على عهد رسول الله ﷺ ، أحدهما من الأنصار ، وكان مع كل واحدٍ منهما جماعة ، وهم الغُواةُ أي السفهاء[1] .

وقال عكرمة : هم الذينَ يتَّبعون الشاعر[2] .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهدٍ ﴿ **يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُوْنَ** ﴾ قال : الشياطينُ[3] .

ورَوَى خُصيفٌ عن مجاهد قال : هم الَّذين يتبَّعونَهم ، ويروُوْن شعرهم[4] .

٧٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُوْنَ** ﴾ [آية ٢٢٥] .

قال مجاهد : أي في كلِّ فنٍّ يفتَنُّوْنَ[5] .

قال أبو جعفر : والتقديرُ في اللغة : في كل وادٍ من القول يَهيمون .

قال أبو عبيدة : الهائمُ المخالفُ للقصدِ في كل شيء[6] .

---

(١) عبارة السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٥ : تهاجَى شاعران في الجاهلية ، وكان مع كل واحد منهما فئامٌ ــ أي جماعة ــ من الناس ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعهُمُ الغَاوُوْنَ ﴾ .

(٢ــ٥) انظر جميع هذه الآثار في جامع البيان للطبري ١٢٧/١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ١٥٠/٦ والدر المنوثر للسيوطي ٩٩/٥ .

(٦) انظر مجاز أبي عبيدة ٩١/٢ ولفظه : الهائم : هو المخالف للقصد ، الجائر عن كل حق وخير .

٧٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾** [آية ٢٢٧] .

قال عبدالله بن عباس : يعني عَبَدَالله بن رَوَاحَةَ ، وحَسَّاناً(١) .

وفي غير هذا الحديث لمَّا نزلت هذه الآية قال عبدُالله : قد علم اللهُ جلَّ وعزَّ أنَّا نقولُ الشعر ، وأنزل هذا ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ **﴿ إلاَّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانْتَصَرُوْا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوْا ﴾** أي ناضلوا عن النبي ﷺ وعن المؤمنين من هَجَاهُم(٢) .

---

(١) قال في البحر ٤٩/٧ : « استثنى الله من الشعراء من اتصف بالإيمان ، والعمل الصالح ، والإكثار من ذكر الله ، وكان ذلك أغلبَ عليهم من الشعر ، فإذا نظموا شعراً ، كان في توحيد الله والثناء عليه ، والموعظة ، والزهد ، والآداب الحسنة ، والشعرُ بابٌ من الكلام حسنهُ حسنٌ ، وقبيحُه قبيح ، وقيل المراد بالمستثنيين : حسان ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وكعب ابن زهير ، ومن كان ينافح عن رسول الله ﷺ وقال عليه السلام لكعب : اهجُهم فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ عليهم من النَّبل ، وقال لحسان : اهجهم وروحُ القُدُس معك .. اهـ باختصار .

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/٥ ولفظُه : لما نزلت هذه الآية ﴿والشُّعراءُ يتَّبعهم الغَاوُونَ﴾ جاء عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت وهم يبكون فقالوا يا رسول الله : لقد أنزل اللهُ هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، أهلَكْنا؟ فأنزل الله ﴿ إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً .. ﴾ الآية فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم . اهـ الدر المنثور ، وانظر الطبري ١٢٩/١٩ وتفسير ابن كثير ١٨٦/٦ وروى ابن مردويه والإمام أحمد عن =

٧٦ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [آية ٢٢٧] .

رُوي في الحديث أنه يراد به من بينِ يديْ اللهِ جلَّ وعزَّ ، إلى النار(١) .

« انتهت سورة الشعراء »

* * *

= كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ : إن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه ؟ فقال ﷺ : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نضح النبل .

(١) عبارة القرطبي كما في تفسيره ١٥٣/١٣ ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُوْنَ ﴾ معناه أيَّ مصير يصيرون إليه ، وأيَّ مرجع يرجعون ، لأن مصيرهم إلى النار ، وهو أقبح مصير ، ومرجعهم إلى العقاب . وهو شرُّ مرجع » .

تفسير سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ طَسٓ تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ١] .

﴿ تِلْكَ ﴾ أي هذه[2] ﴿ آياتُ القُرآنِ ﴾ الذي كنتم تُوعدون به .

﴿ وكتَابٍ مُبِينٍ ﴾ أي وآياتُ كتابٍ مبين .

٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [آية ٤] .

قال أبو إسحق[3] : أي جعلنا جزاءهم على الكفر هذا .

وقيل : أي زينَّا لهم الطاعة والإيمان[4] ، لأنهما من أعمال الخَلْقِ .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٥٤/١٣ : سورة النمل مكية كلُّها في قول الجميع ، وهي ثلاث وتسعون آية .

(٢) إنما جاء بأداة البعد « تلك » للإشارة إلى بعد المنزلة في الفضل والشرف ، فتنبَّه إلى أسرار القرآن .

(٣) هو الزجَّاج الإمام النحوي المشهور ، وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٤) لا حاجة إلى هذا التأويل ، أنه تعالى زيَّن لهم الطاعة والإيمان ، فتركوهما ومالوا إلى الكفر والضلال ، فإن الله تعالى هو الفاعل المختار يهدي ويُضلُّ ، فقد يُزيِّن القبيحَ لعباده ابتلاءً وامتحاناً ، كما قال =

٣ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾** [آية ٤] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : فهم يترددون في الضلالة[١] .

٤ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾** [آية ٦] .

أي يُلْقَى عليكَ ، فتَتَلقَّاه .

٥ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾** [آية ٧] .

قال أبو عُبيدة : أي أبصرتُ[٢] .

قال أبو جعفر : ومنه قيل : إنسٌ لأنهم مرئيُّون .

٦ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ .. ﴾** [آية ٧] .

= سبحانه ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ وهذا هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة فقد قال الإمام الطبري في تفسير الآية ﴿ زَيَّنَا لهمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي حبَّبنا لهم قبيح أعمالهم ، وسهَّلنا ذلك عليهم ، وقال ابن كثير : حسنًا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيِّهم فهم يتيهون في ضلالهم ، وقال الألوسي : زينا لهم أعمالهم القبيحة بما ركَّبنا فيهم من الشهوات حتى رأوها حسنة . اهـ اخ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣٢/١٩ دون عزو ، وأخرجه السيوطي في الدر ١٠٢/٥ عن قتادة ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٢/٢ وعبارته ﴿ آنستُ ناراً ﴾ أي أبصرتُ وأحسستُ بها .

قال **أبو عبيدة** : الشِّهابُ : النَّارُ[1] .

قال **أبو إسحق** : يُقال لكل ذي نُوْرٍ : شهابٌ .

قال **أحمد بن يحيى**[2] : أصلُ الشهابِ : عُوْدٌ في أحدِ طرفيهِ جمرةٌ ، والآخرُ لا نار فيه ، والجَذْوَةُ كذلك ، إلاَّ أنها أغلظُ من الشهاب ، وسُمّيت جَذْوَةً لأنها أصلُ الشَّجرة كما هي .

قال **أبو جعفر** : يُقال : قَبَسْتُ النَّارَ ، أقْبِسُها ، قَبْساً ، والاسمُ القَبَسُ[3] .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾** [آية ٧] .

رَوَى عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ قال : كانوا شَاتِينَ[4] ، وكانوا قد أخطأوا الطَّريقَ .

٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾** [آية ٨] .

---

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٩٢ : ﴿ بِشهابٍ قبسٍ ﴾ أي بشعلة نار .

(٢) هو الإمام اللغوي النحوي المشهور ب « ثعلب » وقد تقدمت ترجمته ١/٥٢ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٢/٥٠٨ : والشهابُ كلُّ ذي نور ، نحو الكوكب والعُوْدِ الموقد ، والقَبَسُ : اسمٌ لما يُقتبس من جمرٍ وما أشبهه ، وهو أوضحُ ممَّا هنا .

(٤) « شَاتِينَ » أي كانوا في أيام الشتاء ، في ليلة مظلمة ، باردةٍ مثلجة وقد أضلَّ موسى عليه السلام الطريق ، وأخذ زوجته الطَّلْقُ . اهـ من حاشية الجمل ٣/٢٩٩ .

أي فلمَّا جاءها موسى ، نُوديَ أن بُورك مَنْ في النار ومَنْ حولها .

رَوَى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « النَّارُ نورُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، نادَى موسى ﷺ وهو في النور ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ الملائكةُ »(١) .

وروى موسى بنُ عُبيدة عن محمد بن كعب : النَّارُ نورُ الله جلَّ وعزَّ ، ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ موسى ، والملائكةُ صلى الله عليه وسلم(٢) .

وقيل : ﴿ **مَنْ في النَّار** ﴾ الملائكة الموكَّلُون بها ﴿ **ومن حَوْلَهَا** ﴾ الملائكةُ أيضاً .

والمعنى : يقولون « سبحان اللَّهِ ربّ العالمين » .

---

(١) الأثر أخرجه جرير الطبري ١٣٤/١٩ والقرطبي ١٥٨/١٣ وابن كثير ١٦٠/٦ .

(٢) الأظهر في الآية أن الضمير يعود على موسى والملائكة ، أي بوركتَ يا موسى وبورك من حولك من الملائكة ، وهو ما رجَّحه القرطبي وكثير من المفسرين ، فقد قال القرطبي : والتبريكُ عائدٌ إلى موسى والملائكة أي بُورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حول النار ، وهذا تحيةٌ من الله تعالى لموسى وتكرمةٌ له ، كما حيًّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه ، قال : ﴿ رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ اهـ القرطبي ١٥٨/١٣ وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٦٠/٦ : لمَّا رأى موسى النَّار رأى منظراً هائلاً عظيماً ، حيث انتهى إليها والنَّارُ تضطرم في شجرة خضراء ، لاتزداد النار إلاَّ توقداً ، ولا تزدادُ الشجرةُ إلاَّ خضرةً ونُضْرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، فوقف موسى متعجباً مما رأى ، فنودي أن بورك من في النار أي قُدِّس ، وعن ابن عباس أنه نورُ ربِّ العالمين . اهـ .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ : ولم يرجع .

٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ .. ﴾ [آية ١٠] .

في معناه أقوال :

أ ــ **منها أن في الكلام حذفاً ، والمعنى :** إنِّي لا يخافُ لديَّ المرسلون ، إنَّما يخاف غيرُهم ممَّنْ ظَلَم ﴿ **إِلَّا مَنْ ظَلَمَ** ﴾ ثم تابَ فإنَّه لا يخافُ .

ب ــ **وقيل :** المعنى لا يخاف لديَّ المرسلون ، لكنْ من ظَلَم من المرسلين وغيرهم ، ثم تاب فليس يخاف .

جـ ــ **وقيل :** ﴿ **إِلَّا** ﴾ بمعنى الواو ، وذا ليس بجيِّد في العربية . .

١٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ .. ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : وأَخْرِجْها تَخْرُجْ بيضاءَ[1] .

وروى مقسم عن ابن عباس ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ ﴾ من غير بَرَصٍ .

(١) على هذا التقدير يكون في الكلام حذفٌ أي أدخل يدك في جيبك ثم أخرجْها تَخْرُجْ بيضاء .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : من تسع آياتٍ ، و« في » بمعنى « مِنْ » لقربها منها[١] ، كما تقول : خذْ لي عشراً من الإبل ، فيها فحلان أي منها ، وقال الأصمعيُّ في قول امرئ القيس :

وهلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
ثلاثينَ شَهْراً في ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ

« في » بمعنى « مِنْ » ويجوز أن تكون بمعنى « مع » .

والمعنى : وألقِ عصاك ، وأدخلْ يدك في جيبك ، آيتان من تسع آياتٍ .

والتِّسعُ الآياتِ فيما رُوي : « كونُ العَصَا حيَّةً ، وكونُ يده بيضاءَ من غيرِ سوءٍ ، والجدبُ الَّذي أصابهم في بَوَادِيهِمْ ، ونقصُ الثَّمرات ، والطوفانُ ، والجرادُ ، والقُمَّلُ ، والضَّفادعُ ، والدَّمُ »[٢] .

١٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ .. ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) أي فهما آيتان من ضمن الآيات التسع ، التي أيَّده الله بها ، وعلى الرأي الثاني أن « في » بمعنى « مع » تكون الآيات إحدى عشرة ، والأول أظهرُ وأشهر .

(٢) ذُكرتْ هذه الآياتُ مفصَّلةً في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعونَ بالسنينَ ونقصٍ من الثمراتِ لعلَّهم يذكَّرون ﴾ فهاتان آيتان ثم قال بعد ذلك ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفانَ ، والجرادَ ، والقُمَّلَ ، والضَّفَادعَ ، والدَّمَ ، آياتٍ مفصَّلاتٍ ، فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ فهذه خمسٌ ، ثم « العصا ، واليد » فهذه هي الآيات التسع ، وهو رأي الأكثرين من المفسرين .

تخرج بيضاء إلى فرعون وقومه .

وقيل المعنى : إلى فرعونَ وقومه مبعوثٌ ومرسلٌ ، وهذا قول الفرَّاء[1] .

١٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً .. ﴾** [آية ١٣] .

أي واضحة .

و ﴿ **مُبْصَرَةً** ﴾ أي مبيَّنة[2] .

١٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَحَدُوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمَاً وَعُلُوّاً .. ﴾** [آية ١٤] .

أي تكبُّراً أن يؤمنوا بموسى ﷺ ، وقد جاءهم بالبراهين والآيات[3] .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ .. ﴾** [آية ١٦] .

سبيلُ الولدِ أن يرثَ أباهُ ، فالفائدةُ في هذا أنه من وراثة العلم ، والقيام بأمر الناس ، ومن هذا « العلماءُ ورثةُ الأنبياء »[4] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٨ والقرطبي ١٣/١٦٣ فعلى رأي الفراء هناك إضمار لدلالة الكلام عليه ، أي إنك مبعوثٌ أو مرسلٌ إلى فرعون وقومه .

(٢) المراد أن تلك الآيات كانت واضحة جليَّة بيِّنة ، كأنها لفرط وضوحها ، وإنارتها تُبصر نفسها .

(٣) قال الطبري ١٩/١٤٠ : كذبوا بالآيات التسع ، وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحق اعتداءً وتكبراً . اهـ .

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في العلم رقم ٣٦٤١ والترمذي وابن ماجه ، وتتمته « وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دِيناراً ولا دِرهماً ، وإنَّما ورَّثوا العِلْمَ .. » الخ وانظر كامل الحديث في جامع الأصول ٨/٥ .

ويُروى أنه كان لداود عليه السلام تسعةَ عشرَ ولداً ، فورثه سليمان في النبوَّة والمُلْك دونهم ﴿ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾[1] .

١٦ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ١٦] .

أي من كل شيءٍ يؤتاهُ الأنبياءُ والنَّاسُ .

وهذا على التكثير ، كما يُقال : ما بَقَّيْتُ أحداً حتى كلَّمتُه في أمرِك .

١٧ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [آية ١٧] .

رَوَى مَعْمرٌ عن قتادةَ قال : يُرَدُّ أوَّلُهم على آخرهم[2] .

قال أبو جعفر : أصلُ وَزَعْتُه : كَفَفْتُه ، ومنه لابدَّ للناس من وَزَعةٍ[3] ، ومنه « لَمَا يَزَعُ السلطانُ أكثرُ ممَّا يَزَعُ القرآنُ »[5] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ١٩٢/٦ ﴿ ووَرِثَ سليمانُ داودَ ﴾ أي في المُلْك والنُّبوَّة ، وليس المراد وراثة المال ، فإن الأنبياء لا تُورثُ أموالهم ، كما أخبر ﷺ بقوله « نحن معاشر الأنبياء لانُورث ، ما تركناه صدقةٌ » وقال القرطبي ١٦٤/١٣ في روايته عن الكلبي : كان لداود ﷺ تسعة عشر ولداً ، فورث سليمان من بينهم نبوَّته وملكه ، ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء ، فخصَّ الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٩ وابن كثير ١٩٤/٦ والدر المنثور ١٠٤/٥ .

(٣) وزَعَةٌ أي حكَّامٌ وأمراء ، يكفُّون الناس عن الشرِّ ، جمع وازع ، وهذا من كلام الحسن البصري كما في القرطبي ١٦٨/١٣ .

(٤) هذا مما اشتهر من كلام عثمان رضي الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن » وانظر القرطبي ١٦٨/١٣ .

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس ﴿ فَهُمْ يُوْزَعُونَ ﴾ قال : على كل صنفٍ منهم وَزَعَةٌ ، يردُّ أُولاها على أُخراها لئلا يتقدَّموا في المَسِيرِ ، كما يصنعُ الملوك[1] .

فهذا قولٌ بيِّنٌ ، ومنه : وَزَع فلانٌ فلاناً عن الظُّلمِ : إذا كفَّه عنه ، كما قال النابغة :

عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا
وقلتُ : أَلَمَّا يَصْحُ ؟ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[2]

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ .. ﴾ [آية ١٨] .

يُروى أنه وادٍ كان بالشام[3] ، نملُهُ على قَدْرِ الذُّبَابِ .

وقرأ سليمانُ التَّيميُّ : ﴿ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلوا مَسَاكِنَكُنَّ لايَحْطِمنكُنَّ سُلَيْمانُ بجنودِهِ ﴾[4] .

---

(١) انظر الأثر في تفسير الطبري ١٤٠/١٩ وابن كثير ١٩٤/٦ والدر المنثور ١٠٤/٥ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني كما في ديوانه ص٣٢ وهو في جامع البيان للطبري ١٤٢/١٩ وتفسير القرطبي ١٦٨/١٣ وقد ذكره المصنِّفُ بصيغة المضارع الغائب « أَلَمَّا يَصْحُ » وفي الديوان « ألمَّا أَصْحُ » بصيغة المتكلم . وهو الصواب ، لأنه يعاتب نفسه في حال المشيب فيقول : ألمَّا أُفِقْ ممَّا أنا فيه من الصَّبابةِ والشوق ، والشيبُ كافٌّ عن الجهل ؟

(٣) في المخطوطة « بالشمل » وهو تصحيفٌ ، وصوابُه بالشام ، كما في القرطبي ١٦٩/١٣ وغيره .

(٤) هذه ليست من القراءات السبع وقد ذكرها القرطبي في تفسيره ١٧٠/١٣ وهي قراءة شاذة .

١٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا .. ﴾** [آية ١٩] .

ويُقْـرأُ ﴿ فتبسَّمَ ضَحِكاً مِنْ قَوْلِها ﴾[1] ويُقـــال : كذلك ضَحِكُ الأنبياء[2] .

٢٠ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنَي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ .. ﴾** [آية ١٩] .

قال أهل التفسير : ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ أي أَلهِمْني ، وهـو مأخـوذٌ من الأول ، أي كُفَّنِي عن الأشياء ، إلاَّ عن شكرِ نعمتِكَ ، أي كفَّنـي عمَّا يباعدُ منك .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَىٰ الهُدْهُدَ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قال أبـو مجلـز قال ابـن عبـاس لعبـدالله بن سلام : أريـــدُ أن أسألك عن ثلاثِ مسائلَ ، قال : أتسألني وأنتَ تقرأُ القرآن ؟

قال : نعم ثلاث مرات .

قال : لِمَ تفقَّدَ سليمانُ الهدهدَ دون سائر الطَّيْرِ ؟

---

(١) انظر البحر المحيط ٦٢/٧ وتفسير القرطبي ١٧٥/١٣ وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٣٩/٢ .

(٢) أي إن الأنبياء يتبسَّمون ولا يضحكون بملء الفم ، كما قال القرطبي :التَّبسُّمُ ضحكُ الأنبياء عليهم السلام في غالب الأحيان ، ومن صفة النبي ﷺ أنَّ ضحكَه التَّبَسُّمُ .

قال : احتاجَ إلى الماءِ ولم يعرف عمقه ــ أو قال مسافته ــ وكان الهُدْهُدُ يعرف ذلك دون الطَّيْرِ ، فتفقَّده[١] .

وفي غير هذا عن ابن عباس أنَّ « نافع بن الأَزرق[٢] » قال له : كيف هذا والصبيُّ يَصِيدُه ؟ فقال له ابن عباس : إذا وقع القضاءُ عَميَ البصر[٣] .

وقال عطاء : حدثنا مجاهدٌ عن ابن عباس قال : « كان سليمانُ يجلسُ ، وتُجعل السُّرُرُ بين يديه ، ويأمرُ الإنس فيجلسون عليها ، ثم يأمرُ الجنَّ فيجلسون من ورائهم ، ثم يأمرُ الشياطينَ فيجلسون من ورائهم ، ثم يُظِلُّهم الطَّيْرُ ، وتُقِلُّهم الريحُ مسيرةَ شهرٍ ،

---

(١) لم يذكر المصنف بقية الأسئلة الثلاثة التي سأله عنها ، وقد روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ١٤٣/١٩ والقرطبي ١٧٨/١٣ والسيوطي في الدر بنحو ١٠٤/٥ .

(٢) هذا الرجل من الخوارج كأن يكثر على ابن عباس الأسئلة لكي يحرجه بها ، وكان ابن عباس يجيبه على شبهاته كلها برحابة صدر .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في روايته عن مجاهد ١٧٩/٦ : كان الهدهد مهندساً يدل سليمان على الماء في تخوم الأرض ، ويرى الماء كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ، فإذا دلَّهم عليه أمر سليمان الجانَّ فحفروا له ذلك المكان ، حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان بفلاةٍ من الأرض ، فتفقَّد الطير ليرى الهدهد فلم يره ، فقال : ﴿ ما لِيَ لا أرى الهدهد ﴾ ؟ حدَّث عبدالله بن عباس يوماً بنحو هذا ، وفي القوم رجلٌ من الخوارج ، يقال له : « نافع بن الأزرق » ــ وكان كثير الاعتراض على ابن عباس ــ فقال له : قفْ يا ابن عباس ، غُلبتَ اليومَ ، قال : ولِمَ ؟ قال : إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبيَّ ليضع له الحبَّة في الفخ ويحثو على الفخ الترابَ ، فيجيء الهدهد ليأخذها فيقع في الفخِّ فيصيده الصبيُّ ! فقال له ابن عباس : ويحك ، إذا نزل القَدَرُ ، عميَ البصرُ ، وذهب الحذر . اهـ .

ورواحُها شهرٌ ، فتفقَّد الهدهدَ من الطير فقال ﴿ **لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ [آية ٢١] .

وكان تعذيبُه إيَّاه ، نتفَه وإلقاءَه إيَّاه في الأرض ، لايمتنعُ من نملةٍ ولاهَامَّة .

قال عبدُاللهِ بن شَدَّاد : « كان تعذيبُه إيَّاه أن ينتفه ويُلقيه في الشمس »[1] .

ثم قال جل وعز ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ٢١] .

أي بحجَّةٍ بيِّنةٍ .

٢٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾** [آية ٢٢] .

أي غير وقتٍ بعيد .

والتقديرُ : فمكثَ سليمانُ غيرَ طويلٍ[2] ، من حين سأَل عن الهدهدِ ، حتى جاء الهُدْهدُ ، ﴿ **فَقَال** ﴾ أي فقال الهُدْهدُ حين سأله سليمانُ عن تخلُّفه ﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : ثم جاء فسأله سليمانُ عن غيبته ، ﴿ **فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٤٥/١٩ وهو قول ابن عباس أيضاً ، وأخرجه ابن الجوزي ١٦٤/٦ وابو حيان في البحر المحيط ٦٥/٧ .

(٢) أي مكث سليمان زماناً يسيراً ، ولم يطل انتظاره حتى قدم عليه الهدهد .

ومعنى **أحطتُ بالشيءِ** : علمتُه من جميع جهاته .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾** [آية ٢٢] .

قيل : « سَبَأٌ » اسمُ رجلٍ[١] .

وقيل : هي مدينةٌ قربَ اليمن .

٢٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ .. ﴾** [آية ٢٣] .

قال قتادة : هي امرأةٌ يقال لها « بَلْقِيس » ابنة شراحِيلَ ، وكان أحد أبويها من الجنِّ ، ومؤخَّرُ قدمها كحافر الحمار[٢] .

٢٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾** [آية ٢٣] .

أي من كلِّ شيءٍ يُؤتاهُ مثلُها .

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي سريرٌ كبيرٌ ، عظيمُ الخطر[٣] .

---

(١) أنكر الزجاج أن تكون « سبأ » اسم رجل ، وقال : هي اسم مدينة تُعرف بمأرب اليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرةُ ثلاثة أيام . اهـ معاني الزجاج ١١٥/٤ .

(٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لايُعوَّل عليها ، وقد أنكر جمعٌ من فحول العلماء منهم الإمام الماوردي هذا الأثر ، وهو الحقُّ ، لأنه لا يمكن التزاوج بين جنسين متبايِنَيْن ، فكونُ أحدِ أبويها من الجنِّ بعيدٌ ، أو مستحيل ، وقد قال أبو حيان في البحر المحيط ٦٧/٧ ما نصُّه : قيل : وكانت أمها جنيَّة تسمى ريحانة بنت السكن ، تزوجها أبوها فولدت له بلقيس .. وقد طوَّلوا في قصصها بما لم يثبت في القرآن ولا في الحديث الصحيح ، وأن ما ذكر من الحكايات أشبه شيء بالخرافات . اهـ .

(٣) قال الطبري : العظيم في قدره وعظم خطره ، لا عظمه في الكبر والسعة ، فقد قال ابن عباس : سرير حسن الصنعة من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ اهـ . جامع البيان ١٤٨/١٩ .

٢٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

هي « أن » دخلت عليها « لا » .

والمعنى : لئلا يسجدوا لِلَّهِ .

ويجوز أن يكون « أن » بدلاً من « أعمالهم » .

وقرأ ابن عباس ، وعبدالرحمن السُّلَمي ، والحسنُ ، وأبو جعفر ، وحُميد الأعرج ﴿ **أَلَا يَا اسْجُدُوا لِلَّهِ** ﴾[1] .

والمعنى على هذه القراءة : أَلَا يا هؤلاء اسْجُدُوا للَّهِ ، كما قال الشاعر :

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ والأَقْوَامِ كلِّهم
والصَّالِحينَ على سَمْعَانَ من جَارِ[2]

فالمعنى : ياهؤلاء لعنةُ الله .

---

(١) هي من القراءات السبع كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٨٠/٢ وفي النشر في القراءات العشر للجزري ٣٣٧/٢ قال : وقرئ « أَلَايا » بتخفيف اللام وابتدأ « أُسجدوا » بهمزة مضمومة على الأمر ، بمعنى : ألا ياهؤلاء أو يا أيها الناس اسجدوا . اهـ .

(٢) البيت لسالم بن دارة من قصيدة له مطلعها :
أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسبي … وهل بدارةَ يا للنَّاس من عَارِ
وهو في شواهد سيبويه ص ٩٤ للنفاخ وهو ما أنشده سيبويه كما ذكره القرطبي في تفسيره ١٨٦/١٣ قال سيبويه : « يا » لغير اللعنة ، لأنه لو كان نداءً للَّعنةِ لَنَصَبها ، لأنه يصيرُ منادى مضافاً ، ولكنْ تقديره : ياهؤلاء لعنةُ اللهِ والأقوام على سمعان ، وحكى عن العرب : ألا يا ارحموا ، يريدون ألا يا قوم ارحموا . اهـ .

وعلى هذه القراءة هي سجدةٌ ، وعلى القراءة الأولى ليست بسجدة ، لأن المعنى : وزيَّن لهم الشيطانُ أن لايسجدوا للَّهِ .

والكلامُ على القراءة الأولى مُتَّسِقٌ(١) ، وعلى القراءة الثانية قد اعترض في الكلام شيءٌ ليس(٢) منه .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾** [آية ٢٥] .

رَوَى ابنُ نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الْخَبْءُ ﴾ : ما غاب(٣) .

ورَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ الخبءُ ﴾ : السِّرُّ(٤) .

وقيل : الخبءُ في السموات : المطرُ ، وفي الأرض : النباتُ .

والأولُ أَوْلَى أي ما غاب في السمواتِ والأرض ، ويدلُّ عليه قوله **﴿ وَيَعْلَمُ ما يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾**(٥) .

---

(١) في المخطوطة « متأيب » وهو خطأ ، وصوابهُ كما أثبتناه « متَّسق » كما في القرطبي ١٨٦/١٣ .

(٢) يريد لفظ يا هؤلاء أو يا أيها القوم ، فيكون هذا المحذوف المقدَّر معترضاً في الآية .

(٣) و(٤) انظر الطبري ١٥٠/١٩ والبحر المحيط ٦٩/٧ والدر المنثور ١٠٦/٥ .

(٥) قراءة الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء ﴿ ما تُخفون وما تُعلنون ﴾ وقرأ الباقون بالياء ، وكلتاهما من القراءات السبع كما في النشر ٣٣٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ٤٨١/٢ . وقال في البحر ٦٩/٧ : والخبءُ مصدرٌ أُطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالى من غيوبه . اهـ .

وفي قراءة عبدالله[1] ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ .

٢٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٢٨] .

قيل المعنى : فألقِهْ إليهم ، فانظرْ ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم[2] .

وقيل : إنما أدَّبَهُ بأدب الملوك ، أي فألقِهْ إليهم ، ولا تقفْ منتظراً ، ولكنْ تولَّ ثم ارجِعْ .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا المَلأُ .. ﴾ [آية ٢٩] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : فذهب فألقاه إليهم ، فسمعَهَا تقول : ﴿ يا أيُّها المَلأُ إني أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كَرِيمٌ ﴾ .

قيل : قالت ﴿ كريم ﴾ لكرمِ صاحبِهِ وشرفِهِ .

وقيل : لأنه كان مختوماً .

---

(١) هو ابن مسعود قال الفراء : وصلحت « في » مكان « من » لأنك تقول : لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم ، ثم تحذف أيهما شئت فيكون المعنى قائماً على حاله. اهـ معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢ وقراءة ابن مسعود من القراءات السبع المتواترة .

(٢) هذا قول ابن زيد فقد قال معناه : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تولَّى عنهم منصرفاً إليَّ ، قال الطبري ١٥١/١٩ : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم . اهـ
والراجح أن المراد بقوله ﴿ فتولَّ عنهم ﴾ أي تنحَّ جانباً حتى تسمع حديثهم وجوابهم ، ثم ترجع إليَّ ، وهذا ما اختاره الجمهور .

وقيل : قالت ﴿ **كريم** ﴾ من أجل ما فيه[1] ، وكان فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله سليمان إلى بلقيس :﴿ **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ وكانت كتبُ الأنبياء مختصرة ، واحتذى النَّاسُ عليه : من عبدِ الله .

قال عاصمٌ عن الشعبّي قال : كَتَبَ النبيُّ ﷺ أربعة كتب ، كان يكتب « باسْمِكَ اللَّهُمَّ » فلما نزلت ﴿ **بسم الله مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾[2] كتب بسم الله ، فلما نزلت ﴿ **قل ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ** ﴾[3] كتب « بسم الله الرحمن » فلما نزلت ﴿ **إِنَّهُ من سُلَيْمَان وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[4] كتب « بسم الله الرحمن الرحيم »[5] .

قال عاصم : قلتُ للشعبيِّ : أنا رأيتُ كتابَ النبيِّ ﷺ فيه ﴿ **بِسمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فقال : ذاك الكتابُ الثالث .

---

(١) هذه الأقوال كلُّها مروية عن السلف ، وأحسن ما قيل في ذلك أنها إنما وصفت الكتاب بأنه « كريم » تكريماً لصاحبه وتعظيماً لشأنه ، لما تضمَّن من نصاعة البيان ، ولين القول ، والتلطف في الدعاء ، وحسن الاستعطاف والاستلطاف ، ثم هو مخطوطٌ بيد نبي الله سليمان عليه السلام ، فلهذا قالت « إني أُلقي إليَّ كتابٌ كريم » وهذا اختيار الطبري حيث قال : وصفت الكتاب بالكريم لأنه كان من مَلِكٍ ، فوصفته بالكرم تكريماً لصاحبه ، وهو قول ابن زيد . اهـ الطبري ١٥٣/١٩ .

(٢) سورة هود آية رقم ٤١ .

(٣) سورة الإسراء آية رقم ١١٠ .

(٤) سورة النمل آية رقم ٣٠ .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/٥ وعزاه إلى أبي عبيد في الفضائل عن الحارث العكلي .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَّا تَعْلُوْا عليَّ وَائْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾** [آية ٣١] .

أي أن لا تتكبروا .

ويجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعلـوا علـيَّ ، أي كتب بتـرك العلوِّ[١] .

ويجوز على مذهب الخليـل وسيبويـه أن تكـون « أن » بمعنـى « أي » مفسِّرة كما قال ﴿ **وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا** ﴾[٢] .

ويجوز أن يكون المعنى : إنّي أُلْقِيَ إليَّ أنْ لا تَعْلُوا عليَّ .

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَـةً أَفْسَدُوْهَـا ﴾** [آية ٣٤] .

أي إذا دخلوها عَنْوةً[٣] .

ويُقال لكل مدينةٍ يَجْتمعُ النَّاسُ فيها : قريـةٌ ، من قَرَيْتُ الشَّيَء أي جمعْتُه .

٣٢ ــ **وقولُه جلَّ وعـزَّ : ﴿ وَجَعَلُـوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّـةً وكَـذَلِكَ يَفْعَلُـون ﴾** [آية ٣٤] .

---

(١) قال الطبري ١٥٣/١٩ : عنى بقوله ﴿ أَنْ لَا تَعْلُوا عليَّ ﴾ أي لاتتكبروا ولا تتعاظموا عمَّا دعوتكم إليه ، وفي « أَنْ » وجهان من العربية : إن جُعلت بدلاً من الكتاب كانت رفعاً ، وإن جُعل معنى الكلام : إني أُلقي إليَّ كتابٌ كريم أن لاتعلوا عليَّ كانت نصباً . اهـ .

(٢) سورة ص آية رقم ٦ .

(٣) عَنْوة : بفتح العين قال في تهذيب اللغة ٢١١/٣ : أخذتُه عَنْوةً أي قَسْراً وقهراً .

يجوز أن يكون ﴿ **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ من قولِ الله جلَّ وعزَّ .

ويجوز أن يكون من قولها(١) .

٣٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [آية ٣٥] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : وجَّهَتْ بغلمانٍ عليهم لبسُ الجواري ، وبجوارٍ عليهنَّ لبسُ الغِلْمان (٢) .

ورَوَى يَعْلَى بن مسلمٍ عن سعيدِ بن جُبَيْر قال : أرسلت بِمائَتَيْ وصيفٍ ووصيفة ، وقالت : إن كان نبياً ، فسيعلمُ الذُكور من الإناث ، فأمرهم فتوضؤوا ، فمن توضأ منهم فبدأ بمرفقه قبل كفِّه قال : هو من الإناث ، ومن بدأ بكفِّه قبل مرفقه قال : هو من الذكور(٣) .

قال أبو جعفر : وقيل وجَّهَتْ إليه بلبنةٍ من ذهبٍ في خرقةِ حريرٍ ، فأمر سليمان ﷺ بلبنٍ من ذهب ، فأُلقي تحت الدواب حتى وطأته (٤) .

---

(١) رجَّح الإمام الطبري أنَّ قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ هو من كلام الله عزَّ وجل لا من كلامها ، وعزاه إلى ابن عباس ، والجمهور على أنه من كلامها والمعنى : وهذه عادةُ الملوك وطريقتهُم في كل بلدٍ يدخلونها بطريق القهر والقسر ، يذلّون أهلها ، ويهينون سادتها وأشرافها ، ويخرِّبون الديار ، وانظر البحر ٧٣/٧ .

(٢ ــ ٤) ذكرت هذه الآثار في الطبري ١٥٥/١٩ وفي القرطبي ١٩٦/١٣ وفي الدر المنثور ١٠٦/٥ وذكرت أشياء كثيرة غيرها ، وفيها غرائب ، قال الحافظ ابن كثير ٢٠٠/٦ : ذكر غيرُ واحدٍ من المفسرين من السَّلف وغيرهم ، أنها بعثت إليه بهديَّةٍ عظيمة من ذهبٍ ، وجواهرَ ، ولآلىء ، =

وهذا أشبهُ لقوله ﴿ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾ ؟

ويجوز أن يكون وجَّهتْ بهما جميعاً .

ومعنى قوله تعالى ﴿ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي لايطيقونها ولايثبتون لها .

٣٤ ــ وقولُه عزَّ وجل ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [آية ٣٨] .

قيل : إنما قال سليمان هذا ، لأنهم إذا أسلموا لم يحلَّ له أن يأخذ لهم شيئاً .

وقيل : إنما أراد أن يُظهِر بذلكَ آيةً معجزة .

٣٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ .. ﴾ [آية ٣٩] .

وقرأ أبو رجاء : ﴿ قال عِفْرِيَةٌ ﴾[1] بتحريك الياء .

قال قتادة : هو الداهيةُ .

= وغير ذلك ، وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما : أرسلت جواريَّ في زيِّ الغلمان ، وغلمان في زي الجواري ، وأشياء أخر ، الله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، وقال بعضهم : أرسلت إليه بلبنةٍ من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت بآنيةٍ من ذهب . اهـ .

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٤١/٢ وهي قراءة أبي رجاء ، وعيسى الثقفي ، قال ابن جني : عِفْرِيَةٌ هو العفريتُ ، يُقال : رجلٌ عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ إتباعاً ، إذا كان خبيثاً داهياً ، ويُقال : تَعَفْرتَ الرجلُ : إذا صار عِفريتاً أي خبيثاً . اهـ .

قال أبو جعفر : يُقال للشديد إذا كان معه خُبْثٌ ودهاءٌ : عِفْرٌ ، وعِفْرِيَةٌ ، وعِفْرِيتٌ ، وعُفَارِيَةٌ ، وقيل : عِفْرِيتٌ أي رئيسٌ .

قال وهب : إن العفريتَ اسمه « كوذن »[1] .

وقولُه ﴿ **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ** ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين النَّاس[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : مَقَامٌ ، ومَقَامَة[3] ، للموضع الذي يُقام فيه .

٣٦ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ .. ﴾ [آية ٤٠] .

في معنى هذا أقوال :

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : كان يعرِفُ اسمَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، الَّذي إذا دُعي به أجاب ، وهو « يا ذَا الجَلالِ والإِكرامِ »[4] .

(١) في الطبري ١٩/١٦١ عن وهب بن سليمان : إن العفريت الذي ذكره الله اسمه « كوزن » اهـ أي بالزاي .

(٢) قال في البحر ٧/٧٦ ﴿ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ أي من مجلس الحكم ، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم . اهـ .

(٣) قال الأزهري في تهذيب اللغة ٩/٣٥٧ : أقمتُ بالمكان مُقاماً وإقامةً ، والمَقَام والمُقَامةُ : الموضع الذي تقيم به . اهـ أقول ومنه قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ الذي أحَلَّنا دار المُقَامة من فضله ﴾ أي أسكننا الجنة وجعلها مقراً لنا وسكناً لا نتحوَّل عنها أبداً .

(٤) انظر الأثر في جامع البيان ١٩/١٦٢ وتفسير ابن كثير ٦/٢٠٢ والدر المنثور ٥/١٠٩ .

وقال غيره : اسمه « آصف بن برخيا »[1] وهو من بني إسرائيل ، فهذا قولٌ .

وقيل : إنَّ الذي عنده علم من الكتاب هو « سليمانُ »[2] نفسُه ، لمَّا قال له الجنيُّ ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ من مَقَامِكَ ﴾ وادَّعى شيئاً ــ يبعد أن يكون مثله ــ قال له سليمان : أنا آتيك به في وقتٍ أقرب من هذا بقدرة اللّه جلَّ وعز ، على أن نُهلكه ، وتُعيده موضعنا هذا ، من قبل أن تَطْرِفَ .

وقال إبراهيم النخعي : هو جبريل صلَّى اللهُ عليه وسلم[3] .

---

(١) هذا هو المشهور وهو رأي جمهور المفسرين ، وهو مرويٌّ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، قال في البحر ٧٦/٧ : ﴿ قال الَّذي عندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكتاب ﴾ قيل : هو من الملائكة ، وهو « جبريل » قاله النخعي ، وقيل : مَلَكٌ أيَّد اللهُ به سليمان ، وقيل : هو رجل من الإنس واسمه « آصف بن برخيا » كاتب سليمان وكان صِدِّيقاً عالماً قاله الجمهور ، ومن أغرب الأقوال أنه « سليمان » عليه السلام ، كأنه يقول لنفسه : أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك ، أو يكون خاطب بذلك العفريت ، حكى هذا الزمخشري وغيرُهُ . اهـ .

(٢)و(٣) قال في التسهيل ٢٠٨/٣ : هو « آصف بن برخيا » وكان « رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الأعظم ، وقيل : هو الخضر ، وقيل : هو جبريل ، والأول أشهر ، وقيل : سليمانُ وهذا بعيدٌ .

أقول : القول بأنه سليمان عليه السلام بعيدٌ ، ولا يتفق مع السياق ، لأن سليمان هو السائل فكيف يقول ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ؟ ولو كان هو القائل فعلاً لقال : أنا آتي به الخ وقد رجح الحافظ ابن كثير ٢٠٢/٦ أنه « آصف بن برخيا » وذكر أنه كان صِدِّيقاً يعلم الاسم الأعظم ، الذي إذا دُعي الله به أجاب ، ثم قال : ومن هنا يظهر أن النبي سليمان عليه السلام أراد بإحضار هذا السرير ، إظهار عظمة ما وهبه الله من المُلك ، وما سخر له من الجنود ، الذي لم يعطه أحد قبله ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته . اهـ باختصار.

٣٧ ــ **وفي قوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** [آية ٤٠] .

فيه قولان أيضاً :

١ ــ **رَوَى إسماعيلُ بنُ أبي خالد** عن سعيد بن جبير قال : فرفع طَرْفَهُ ثمَّ ردَّه ، فإذا بالعرش[1] .

٢ ــ **وقال مجاهد** : من قبل مدِّ[2] الطَّرف .

ثم قال مجاهد : كما بيننا وبين الحِيرة ، وهو يومئذٍ بالكوفة في كندة .

واستدلَّ من قال أن قائل هذا « سليمانُ » بقوله ﴿ **قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي** ﴾[3] إلى آخر الآية .

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ١٠٩/٥ وابن كثير ٢٠٢/٦ والمحرر الوجيز ٢٠٩/١١ .

(٢) في المخطوطة « مدى الطَّرف » وعبارة الطبري : وعن مجاهد إذا مدَّ البصر حتَّى يُردَّ الطرف خاسئاً ، وهي أوضح ، وفي رواية عنه : مدَّ بصره .

(٣) ليس في هذا ما يدل على أن سليمان هو القائل ﴿ أنا آتيك به قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طَرْفكَ ﴾ لأن سليمان طلب من يُحضر له العرش ، فتكفَّل له العفريت المارد بإحضاره في مقدار جلوسه للقضاء ، فطلب سليمان ما هو أسرع ، فعند ذلك أحضره له الذي عنده علم الكتاب بلمح البصر ، فقال سليمان ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ﴾ قال ابن عباس : يريد أأشكر الله على هذه النعمة ، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلمَ مني ؟! اهـ من تفسير الطبري .

قال عبدالله بن شَدَّاد : فظهر العرشُ من نَفَقٍ تحتَ الأرضِ[1] .

٣٨ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ نكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُر أَتَهْتَدِيْ .. ﴾** [آية ٤١]

أي غيِّروه .

قيل : جُعل أعلَاه أسفَله ، وأسفلُه أعلاه .

وقال قتادة : **﴿ نكِّروا لها عَرْشَها ﴾** غيِّروه بزيادة أو نقصان[2] .

﴿ نَنْظُر أتهتدي ﴾ قال مجاهد : أي أتعرفه[3] ؟

٣٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾** [آية ٤٢] .

قال قتادة : شبَّهته به ، لأنها خلَّفتْهُ خَلْفها وخرجتْ[4] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ١٩/١٦٦ وزاد المسير ٦/١٧٧ والدر المنثور ٥/١٠٩ .

(٤) لم يقل لها نبيُّ اللهِ سليمان عليه السلام : أَهَذَا عرشك ؟ لئلا يكون ذلك تلقيناً لها ، فيفوت المقصود من الأمر بتنكير العرش ، وإنما قال لها ﴿ أهكذا عرشك ﴾ ؟ أي أمثلَ هذا العرش الذي تَرَيْنه عَرْشُكِ ؟ وقد كانت وافرة العقل والذكاء ، فلم تقل : هُوَ هوَ ، وإنما قالت ﴿ كأَنَّهُ هُوَ ﴾ وإنما شبهته به لأنها خلَّفته في اليمن ، وخرجت مع حاشيتها تريد سليمان ، قال الحافظ ابن كثير : عُرض عليها عرشُها وقد غُيِّر ونُكِّر ، وزيد فيه ونُقص ، فكان فيها ثباتٌ وعقلٌ ، ولبٌّ وحزم ، فلم تجزم على أنه هو لبعد المسافة ، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته ، فقالت ﴿ كأنه هو ﴾ أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء والحزم . اهـ .

٤٠ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾** [آية ٤٢] .

قال مجاهد : يقولُه سليمانُ عليه السلام(١) .

٤١ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** [آية ٤٣] .

قال مجاهد : أي كفْرُها(٢) .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : وصدَّها اعتيادها ما كانت عليه من الكفر ، وبيَّن ذلك بقولِهِ ﴿ **إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾ .

وقال يَعْلَى بنُ مسلم : قرأتُ على سعيد بن جبير ﴿ **إنَّها كانتْ من قومٍ كافرينَ** ﴾ فقال : أَنَّها بالفتح(٣) ، وقال : إنَّما وصفَها ، وليس يستأنفُ .

وفي معناه قولٌ آخر : وهو أن يكون المعنى : وصدَّها عمَّا كانت تعبدُ من دونِ اللَّهِ ، ثم حُذِف « عَنْ » كما تُحذف حروف الخفض ، مع ما يَتَعدى إلى مفعولينِ أحدهما بحرف .

(١ـ٢) انظر الطبري ١٦٧/١٩ وتفسير زاد المسير ١٧٨/٦ .

(٣) قرأ الجمهور ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ بكسر الهمزة وقرأ ابن جبير وابن أبي عبلة بفتحها على التعليل أي لأنها . اهـ البحر المحيط ٧٩/٧ .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ .. ﴾** [آية ٤٤] .

قال مجاهد : هو بُرْكةُ ماءٍ أَلْبسها سليمانُ زُجَاجاً[١] .

وقال قتادة : كان من قوارير خَلْفَهُ ماءٌ[٢] .

﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾[٣] أي ماءً .

وقيل : الصَّرْحُ : القَصْرُ عن أبي عُبيدة كما قال :

تَحْسِبُ أَعلامَهُنَّ الصُّروحَا[٤]

وقيل : الصَّرْحُ : الصَّحْنُ[٥] ، كما نُقِل : هذه صَرْحةُ الدَّارِ ، وقاعتُها بمعنىً .

وحكى أبو عُبيد في الغريب المصنَّف : أن الصَّرح كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفع[٦] ، وأَنَّ الممرَّدَ : الطويلُ .

(١ ــ ٢) انظر جامع البيان للطبري ١٦٩/١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ١٧٩/٦ والدر المنثور ١١١/٥ والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة ، قال تعالى ﴿ قواريرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

(٣) اللُّجة : الماء الوافر الكثير قال في المصباح : لُجَّةُ الماء بالضم : معظمهُ . اهـ .

(٤) البيت لأبي ذُؤيب ، وهو في ديوانه ص٦٥٩ وفي مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٩٥/٢ وتمامه

على طُرُقٍ كنُحُورِ الظِّبَاءِ تَحْسِبُ أعلامَهُنَّ الصُّرُوحَا

وبين رواية أبي عُبيدة ، وبين رواية الديوان اختلافٌ في بعض الألفاظ ، وفي البخاري في كتاب التفسير ٥٠٤/٨ : الصرح : كل ملاطٍ اتخذ من القوارير ، والصُّرحُ : القصرُ وجماعته صروح . اهـ .

(٥) قال القرطبي ٢٠٩/١٣ : وكان الصَّرْح صحناً من زجاج ، تحته ماءٌ وفيه الحيتان ، عمله ليُريها مُلْكاً أعظم من مُلكها .

(٦) يؤيد هذا قوله تعالى عن فرعون ﴿ ياهَامَانُ ابنِ لي صَرْحاً ﴾ أي بناءً عالياً مرتفعاً ،

قال أبو جعفر : أصلُ هذا أنه يُقال لكل ما عُمل عملاً واحداً : صَرْحٌ ، من قولهم : لبَنٌ صَريحٌ ، إذا لم يَشُبْهُ مَاءٌ ، ومن قولهم : صَرَّحَ بالأمرِ ، ومنه عربيٌّ صريح .

وقال الفراء : الصَّرْحُ المُمَرَّدُ : هو الأملسُ ، أُخِذَ من قولِ العرب : شَجَرةٌ مَرْداءُ إذا سَقَط ورقُها عنها(١) .

قال الفراء: وتَمرَّد الرجل : إذا أبطأ خروجُ لحيته بعد إدراكه .

وقال غيره : ومنه رَمْلةٌ مرداءُ إذا كانت لاتُنبِتُ ، ورجلٌ أمْرَدُ .

وقيل : المُمَرَّدُ : المطوَّلُ : ومنه قيل لبعض الحصون : مَارِدٌ(٢) .

٤٣ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آية ٤٥] .

قال مجاهد : أي مؤمنٌ وكافر(٣) ، قال : والخصومة قولهم **﴿ قَالُوا أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾** فهذه الخصومةُ(٤) .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٤/٢ وزاد المسير ١٧٩/٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٠٩/١٣ وروح المعاني ٢٠٨/١٩ وزاد المسير ١٧٩/٦ .

(٣) عبارةُ ابنِ جريرٍ عن مجاهد ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُوْنَ ﴾ : يختلفون ، مؤمنٌ وكافر ، وذلك قول بعضهم : صالح مرسلٌ ، وقولهم : صالحٌ ليس بمرسل . اهـ الطبري ١٧٠/١٩ .

(٤) اختصامهم تفرقهم واختلافهم في أمر صالح ، وذلك ما حكاه الله عز وجل في موطن آخر ﴿ قال الملأُ الَّذين استكبروا من قومه ، للذينَ استضعِفُوا لمن آمَنَ منهم : أتعلمونَ أنَّ صالحاً مرسلٌ من ربه ؟ قالوا إنَّا بما أُرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنَّا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ سورة الأعراف آية ٧٥ .

وقيل : تقول كلُّ فرقةٍ : نحنُ على الحقِّ .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ يٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ .. ﴾** [آية ٤٦] .

قال مجاهد : أي بالعذاب قبل الرحمة(١) .

قال أبو جعفر : وفي الكلامِ حَذْفٌ ، والمعنى ــ والله أعلمُ ــ فاستعجلت الفرقةُ الكافرة بالعذاب ، فقال لهم صالح : لِمَ تستعجلون بالسيِّئةِ قبل الحسنة ؟ .. **﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾** أي هلَّا تستغفرون الله(٢) !! .

٤٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ .. ﴾** [آية ٤٧] .

قال مجاهد : **﴿ اطَّيَّرْنَا ﴾** : أي تَشَاءَمْنَا(٣) .

٤٦ ــ **وقولُه جل وعزَّ ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾** [آية ٤٧] .

قال الضحاك : أي الأمرُ الذي أصابكم عند الله(٤) .

أي الأمرُ للَّهِ ، أصابكم به بما قدَّمتْ أيديكم .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٧١/١٩ وابن الجوزي ١٨٠/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ .

(٢) « لَوْلا » هنا ليست حرف امتناع لوجود ، وإنما هي للتحضيض بمعنى « هَلَّا » كما نبَّه المصنف .

(٣ــ٤) انظر الآثار في جامع البيان ١٧١/١٩ وزاد المسير ١٨١/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ .

وقيل : ما تطيَّرتم به عقوبتُه عند الله تلحقكم[1] .

وقيـل : ﴿ طَائِرُكُـمْ ﴾ ما يطيـرُ لكـم.

﴿ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ أي تُختبرون[2] .

٤٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [آية ٤٨] .

قال جعفر بن سُلَيْمانَ : تلا مالكُ بنُ دينار هذه الآية ، فقال : كم في كلِّ حيٍّ وقبيلةٍ ممَّنْ يُفسِد ؟

وقال عطاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ : بلغني أنهم كانوا يَقْرِضُون الدَّراهمَ[3] .

٤٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) قال ابن عباس ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم ، وعبارة الإمام الفخر ٢٠٣/٢٤ : أي السببُ الذي منه يجييءُ خيركم وشرُّكم عند الله ، وهو قضاؤه وقدَرُه ، إن شاءَ رَزَقكم ، وإن شاء حرمكم . اهـ وهذا أوضح الأقوال ، وأصل الطائر : ما يطير بجناحين كالحمام ، سُمِّي ما يصيبهم من خير وشر ، وسعادة وشقاء طائراً ، لأنه لاشيء أسرع على الإنسان من القضاء المحتوم .

(٢) أي تُمتحنون بأنواع التكاليف ، والأظهر أن المراد بقوله « تفتنون » أي يفتنكم الشيطان ويغويكم بوسوسته وإضلاله ، فلذلك غلبكم الشيطان حتى قلتم ما قلتموه .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١١٣/٥ ومعنى يقرضون الدراهم أي يأخذون منها بعض الشيء ، والآية أعمُّ من ذلك فقد قال الضحاك : كان هؤلاء التسعة عظماء القوم ، وهم الذين عقروا الناقة وتآمروا على قتل صالح عليه السلام .

قال قتادة : تحالفوا على أن يَفتِكُوا بصالحٍ ليلاً ، فمرُّوا يتعانقون(1) ـ أي يسرعون ـ فأرسل الله عليهم صخرةً فأهلكتهم(2) .

قال مجاهد : تقاسَمُوا على أن يأتوا صالحاً ليلاً ، فأُهلِكوا ، وهَلَك قومهُم أجمعون(3) .

٤٩ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلُوطَاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَ ﴾** [آية ٥٤] .

أي واذكر لوطاً ، أو وأرسلنا لوطاً .

ثم قال ﴿ أَتَأْتون الفَاحِشَةَ وأنتُمْ تُبْصِرونَ ﴾ أي وأنتم تُبصرون أي تعلمون أنها فاحشة ، فذلك أعظمُ لذنبكم(4) .

وقيل : يَرَى بعضكُمْ ذلك من بعض ، ولا يكتُمه منه .

---

(١) في الصحاح مادة عنق : والعَنَقُ : ضربٌ من سير الدابة والإبل قال الراجز : ياناقُ سيري عَنقاً فسيحاً .

(٢ـ٣) انظر الآثار في زاد المسير ١٨٢/٦ والدر المنثور ١١٢/٥ والبحر المحيط ٨٥/٧ قال ابن عباس : التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض هم الذي عقروا الناقة وقالوا حين عَقَرُوها : نُبَيِّتُ صالحاً وقومَهُ فنقتلهم ـ أي نقصدهم ليلاً فنقتلهم بغتة ـ ثم نقول لأولياء صالح : ماشهدنا من هذا شيئاً ، وما لنا به علم ، فدمَّرهم الله أجمعين . اهـ ابن كثير ٢٠٩/٦ وعبارة الطبري عن ابن إسحاق ١٧٣/١٩ : قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلمَّ فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً فيما وعدنا من العذاب بعد الثلاث عجَّلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلاً ليبيِّتوه في أهله ، فدفعتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين بالحجارة . اهـ .

(٤) المراد بالبصر : العلم بقبح هذا الصنيع ، وقيل : كانوا يتناكحون أمام أنظار المشاهدين كما تفعل الكلاب والحمير ، فالرؤية إذاً بصرية أي يرى بعضكم بعضاً دون خجل ولا حياء .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ أي عن أدبار الرجالِ والنِّساءِ ، على الاستهزاء بهم[1] .

وقال قتادة : عابُوهم واللَّهِ بغيرِ عَيْبٍ ، فإنَّهم يتطهَّرون من أعمال السُّوءِ[2] .

٥٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** .. ﴾ [آية ٥٩] .

رَوَى الحَكَم بنُ ظُهَيْرٍ عن السُّدِّي وَوَكيعٍ ، وأبوعَاصِم عن سُفيانَ ﴿ **وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ﴾ قالا : أصحابُ محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيِّه[3] ﷺ .

٥١ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ** ﴾ [آية ٥٩] .

وليس فيما يشركون خيرٌ ، فالمعنى أثوابُ اللَّهِ خيرٌ أم ثوابُ ما يُشركون ؟

---

(١) أي يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، كما قال سبحانه ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٠/١ وابن كثير ٤٤٢/٣ والدر المنثور ١٠٠/٣ وعزاه إلى أبي الشيخ ، وعبد بن حميد .

(٣) هذا مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً فقد قال رضي الله عنه : هم أصحاب محمد ﷺ اختارهم الله لنبيه ، فجعلهم أصحابه ووزراءه ، اهـ الطبري ٢/٢٠ واللفظ أشمل وأعمُّ فإنه يعمُّ الملائكة ، والأنبياء ، والصحابة والصالحين ، وقيل : هو خاصٌّ بالرسل لقوله سبحانه ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ .

وجوابٌ آخرُ أجودُ من هذا ، يكون المعنـى : آلخيـرُ في هذا ، أمْ في هذا الذي يشركون به في العبادة ؟ كما قال :

أَتَهْجُـــــوهُ وَلَسْتَ لَهُ بكُـــــفْءٍ
فَشَرُّكُمَـــا لِخَيْرِكُمَـــا الفِـــدَاءُ[1]

وحكى سيبويه : السعادةُ أحبُّ إليكَ أم الشقاءُ[2] ؟

وهو يعلم أن السعادةَ أحبُّ إليه .

والمعنـى : أم ما تُشركـونَ باللهِ خيـرٌ ، أم الَّـــذي يهديكـــم في ظلمات البَّرِ والبحر ، إذا ضَللتم الطريقَ ؟

٥٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُوْنَ ﴾** [آية ٦٠] .

أي يعدلون عن القَصْدِ والحقِّ .

ويجوز أن يكون المعنى : يعدلون بالله جلَّ وعزَّ[3] .

---

(١) البيت لحسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه ، يهجو به أبا سفيان قبل إسلامه ويناضل به عن رسول الله ﷺ .

(٢) أفعل التفضيل هنا على غير بابـه ، لأن الشقـاء ليس فيـه خيـرٌ أصلاً ، وقيـل : هو على بابـه من التفضيل ، خاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم ، فقد كانوا يعتقـدون في عبـادة الأصنـام الخير ، فخاطبهم بما يعتقدون ، والصحيح من الأقوال أن هذا الاستفهام ﴿ آلله خير أمَّا يُشركون ﴾ فيـه تبكيتٌ وتوبيخ لهم ، وتهكُّـمٌ وازراءٌ بعقـولهم ، فمـن المعلـوم أنـه لايُسوَّى بين اللَّـهِ وبين الأوثـان ، فكأنه يقول لهم : هل الإلـه الخالـقُ المبـدعُ الحكيـمُ خيـرٌ ، أم الأصنـام التـي عبدتموهـا ، وهـي لاتسمع ولا تبصر ولا تجيب ؟ .

(٣) أي يجعلون له عديلاً ومثيلاً ، فيسوُّون بين الخالق الرازق ، وبين الوثن الأصمِّ ، ويؤيـد هذا المعنـى =

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ..﴾ [آية ٦٠] .

روى معمرٌ عن قتادة قال : النَّخلُ الحِسَانُ .

قال أبو جعفر : وهو من قولهم : حُدِقَ بِهِ أي أحيط[1] به كما قال :

.... وَقَدْ حَدَقَتْ

بِيَ المَنِيَّـــةُ وَاسْتَبْطَـــأْتُ أَنْصَارِي[2]

٥٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴾ [آية ٦٦] .

ويُقال : بل ادَّرَك أي كَمُلَ ، لأنهم عاينوا الحقائق .

ورَوَى شُعْبَةُ عن أبي جَمْرَةَ عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ بَلَى

= قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ثمَّ الذين كَفَروا بِرَبِّهم يَعْدِلونَ ﴾ أي يشركون معه غيره من الأوثان والأصنام .

(١) قال الطبري ٢٠/٣ ﴿ حَدَائقَ ذاتَ بَهْجةٍ ﴾ الحديقةُ : البستانُ عليه حائط ، والبهجةُ : المنظر الحسن . اهـ وسميت بهجة لأنها تبهج وتسرُّ الناظر ، وتخصيصها بالنخل الحِسان كما قال قتادة قاصرٌ عن الغرض ، فإن الغاية من ذكر البساتين والحدائق ، ما حوت عليه من أنواع الفواكه والثمار ، والخضرة والنضرة ، والمنظر الحسن البهيج ، ولهذا قال مجاهد : هو كلُّ شيء يأكله الناس والأنعام ، من الفواكه والثمار ، والعشب الأخضر . وفي تهذيب اللغة ٣٤/٤ : والحديقةُ : أرضٌ ذات شجر مثمر ، وكل شيء أُحاط بشيءٍ فقد أحدق به . اهـ .

(٢) هذا من شعر الأخطل كما في ديوانه ص٨٣ من قصيدة يمدح فيها يزيد بن معاوية ، وفي لسان العرب ٣٢٠/١١ وهو بتمامه :

المُنْعِمُــونَ بَنُــو حَرْبٍ وقَــدْ حَدَقَتْ بِيَ المَنِيَّـــةُ وَاسْتَبْطَـــأْتُ أَنْصَاري

أَدَّارَكَ ﴾[1] ؟ بفتح الهمزة على الاستفهام ، وبتشديد الدَّالِ ﴿ **عِلْمُهُـمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾ وقال : أي لم يُدرك[2] .

ورَوَى عليُّ بنُ أبي طلْحَةَ عن ابن عباس : أي غابَ[3] .

والمعروفُ من قراءته ﴿ **بَلَى ادَّارَكَ** ﴾ أي تتابع ، يقـولون : تكونُ ولا تكون ، وإلى كذا تكون .

قال أبو جعفر : في « آدَّارَكَ » هذه ألفُ التوقيف : أي أآدَّراك علمهُـم في الدنيـا حقيقـة الآخرة ؟ أي لم يُدرك ، وربما جاء مِثْـلُ هذا بغير ألف استفهام .

وقـرأ ابـن مُحَيْصِنٍ : « بلْ أآدَّرَكَ علمهُـم » وأنكـر هذا أبـو عَمْرو ، قال : لأن « بَلْ » لايقع بعدها إلاَّ إيجابٌ[4] .

قال أبو جعفـر : وهـو جائـزٌ ، على أن يكـون المعنـى : بل لم يُدرك علمُهم ، وبل يُقال لهم هذا[5] .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابـن جنـي ١٤٢/٢ وانظـر جامـع الأحكـام للقرطبي ٢٢٦/١٣ .

(٢ــ٣) انظـر جامـع البيـان للـطبري ٦/٢٠ وزاد المسير ١٨٨/٦ والبحــر المحيــط ٩٢/٧ والـــدر المنثور ١١٤/٥ .

(٤) في قولـه تعـالى ﴿ بل ادَّارك ﴾ ثمانيـة أوجـهٍ من القـراءات كما في المحتسب ١٤٣/٢ بعضهــا من القراءات السبع ، مثل قراءة عاصم ونافع والكسائي ﴿ بل ادَّاركَ ﴾ وقراءة ابن كثير وعطاء ﴿ بلْ أدْرك ﴾ من الإدراك ، والبقيَّةُ من الشوَّاذ .

(٥) قال الإمـام النحـاس في كتابـه إعـراب القـرآن ٥٣١/٢ : وفي معنـى قولـه تعـالى « بل ادَّارك » =

٥٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد : أي أعجلكم[١] .

ورَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ رَدِفَ لكُمْ ﴾ أي اقترب لكم[٢] .

قال أبو جعفر : وهو من رَدِفه إذا اتَّبعَهَ ، وجاء في أَثَره ، وتكونُ اللّام أُدْخلتْ لأن المعنى : اقترب لكم ، ودَنَا لكم ، أو تكونُ متعلقة بمصدر .

٥٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ..﴾ [آية ٨٢] .

أي وجب .

قال الفراء : أي وقع السَّخطُ عليهم[٣] .

٥٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكلِّمُهُمْ ..﴾ [آية ٨٢] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ تَكْلَمُهُمْ ﴾ .

= قولان : أحدهما أن المعنى : بل تكامل علمهم في الآخرة ، لأنهم رأوا كلَّما وعُدوا به معاينةً ، فتكامل علمهم به ، والقول الآخر : أن المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة فقالوا : تكونُ أو لا تكون . اهـ .

(١ــ٢) انظر الآثار في جامع البيان ١٠/٢٠ وزاد المسير ١٨٨/٦ والدر المنثور ١١٤/٥ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٦/٢ .

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بنِ جرير ﴿ تَكْلِمُهُمْ ﴾ وقرأ أُبيٌّ « تُنَبِّئُهُمْ »[(١)] .

قال إبراهيم : تخرج الدَّابةُ من مكة[(٢)] .

ورَوَى أبو الطفيل عن حُذيفة بن اليمان قال : « تخرجُ الدابَّةُ ثلاث خَرَجات : خرجةً بالبوادي ثم تنكمي ، وخرجةً بالقرى يتقاتل فيها الأمراء ، حتى تكثر الدِّماءُ ، وخرجةً من أفضل المساجد وأشرفها وأعظمها ـ حتى ظننا أنه يسمي المسجد الحرام[(٣)] ولم يُسمِّه ـ فيتهارب النَّاسُ ، وتبقى جُميِّعةٌ من المسلمينَ ، فتخرج فتجلو وجوههم ، ثم لاينجو منها هاربٌ ، ولا يلحقها طالب ، وإنها لتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له : أتمتنع بالصَّلاة ؟ فتخطُّه ، وتَخْطِم[(٤)] وجهَ الكافرِ ، وتَجْلو وجهَ المؤمن .

---

(١) قراءة ﴿ تَكْلِمهم ﴾ بكسر اللام بمعنى تجرحهم بأكلها إياهم ، وبالضم « تَكْلُمهم » وقراءة أبيّ بن كعب « تنبِّئهم » كلُّها من شواذ القراءات كما في المحتسب ١٤٤/٢ ، وقراءة الجمهور ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ من الكلام ، أي تخاطبهم مخاطبةً بكلامٍ فصيح صريح ، تقول : يا مؤمن ، ويا كافرُ .

(٢) خروجُ الدابة وتكليمُها النَّاسَ من أشراط الساعة ، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » أهـ .

(٣) روى هذا الأثر الطبري في تفسيره ١٤/٢٠ قريباً منه ، وخروجها قيل من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وذكر أنها هي الجسَّاسة التي وردت في الحديث .

(٤) تخْطِم : قال في اللسان ٧٨/١٥ : الخَطْمُ : الأَثَرُ على الأنف كما يُخْطمُ البعيرُ بالكيّ ، من خطمتُ البعيرَ إذا كويته خطَّاً من الأنف إلى الخدِّ ، وتلك السِّمةُ الخطامُ . اهـ .

٥٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوْا فَهُمْ لَا يَنْطِقُوْنَ ﴾** [آية ٨٥] .

رَوَى عطيَّةُ عن ابنِ عُمَرَ قال : ذلك إذا لم يأمروا بالمعروف ، ولم يَنْهوا عن المنكر(١) .

٥٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾** [آية ٨٧] .

حدثنا أحمد بن محمد البَرَاثِي ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، عن مقاتل بن حيان ،

في قوله تعالى ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ قال : جبرائيلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، ومَلَكُ المَوْتِ(٢) .

وحدثنا الحسين بن عمر الكوفي ، قال : حدثنا هنَّادُ بن السَّرِي قال : حدثنا وَكيعٌ عن شُعْبة عن عُمارة بنِ أبي حَفْصةَ ، عن حُجْر الهَجَري عن سعيد بن جبير في قوله **﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾** قال : هم الشُّهداءُ،هم ثنيَّةُ اللَّهِ(٣) جلَّ وعز ، متقلِّدوا السُّيوفِ حول العرش .

---

(١) ذكر هذا الأثر عن ابن عمر الطبري في تفسيره ١٤/٢٠ عند قوله تعالى : ﴿ وإذا وقعَ القولُ عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرضِ ﴾ وذكره السيوطي أيضاً في الدر المنثور ١١٥/٥ .

(٢) رُوي في التسهيل في علوم التنزيل ٢١٩/٣ أن ملك الموت عليه السلام اسمه عزرائيل .

(٣) أي هم الذين استثناهم الله عز وجل بقوله ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ وقد قيل : هم الشهداء ، =

٦٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [آية ٨٧] .

قال قتادة : أي صاغرين .

٦١ ـ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [آية ٨٨] .

لأنها قد بُسَّتْ وجُمِعتْ(١) .

٦٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ جَاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٨٩] .

قال عبدالله بن مسعود : لا إله إلاَّ اللَّهُ .

وروى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ ﴾ قال : لا إله إلاَّ اللَّهُ ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ وصل إليه

= لأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون ، وهذا قول أبي هريرة وسعيد بن جبير ، واختاره الحافظ ابن كثير والطبري ، حتى قال الطبري ٢٠/٢٠ : إنهم أحياء ، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ . اهـ وقيل : هم الملائكة جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ورُوي ذلك عن مقاتل والسُدِّي ، وقال الضحاك : هم الولدان ، والحور العينُ ، وخزَنَةُ الجنَّةِ ، وحملَةُ العرش ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ وانظر روح المعاني ٣٣/٢٠ .

(١) عبارة الألوسي في روح المعاني ٣٤/٢٠ : وترى الجبال رأي العين ثابتةً في أماكنها لاتتحرك ، والحال أنها تمرُّ في الجو مرَّ السحاب ، التي تسيِّرها الرياح ، سيراً حثيثاً ، وذلك أن الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد ، إذا تحركت نحو جهة لاتكاد تبينُ حركتها . اهـ .

الخير[1] ، ﴿ وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئةِ ﴾ وهـي الشّرك ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النَّارِ ﴾ .

وقـال الحسنُ ومجاهـدٌ وقـيسُ بنُ سعـدٍ ﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ ﴾ بـ « لا إله إلاَّ اللَّهُ » ﴿ ومَنْ جَاءَ بالسيِّئة ﴾ : الشِّرك .

قال أبو جعفر : ولانعلم أحداً من أهل التـفسير قال غير هذا[2] .

٦٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا .. ﴾ [آية ٩٣] .

أي في أنفسكم وغيرها .

« تمت بعونه تعالى سورة النمل »

* * *

(١) يريد أن لفظ « خير » ليس أفعل تفضيل كما قال بعض المفسرين ، وإنما هي مصدر أي فله خيرٌ واصل منها .

(٢) قال في التسهيل ٢١٩/٣ : قيل : إن الحسنة لا إله إلا الله ، واللفظ أعمُّ يشمل كل عمل صالح ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشراً . اهـ .

تفسير سورة القصص

مكية وآياتها ٨٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص وهي مكية (1)

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ طسٓمٓ ﴾ [آية ١] .

قال قتادة : ﴿ طسٓمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن(٢) .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [آية ٢] .

أي المبينُ بركتُهُ وخَيْرُه ، والمُبَيِّن الحقَّ من الباطـل ، والحلالَ من الحَرامِ ، وقَصَصَ الأنبياء صلواتُ اللهِ عليهم ، ونبوَّةَ محمد ﷺ .

ويُقال : أَبَانَ الشَّيءُ ، وَبَانَ ، وأَبَانَ : اتَّضَحَ(٣) .

٣ ــ ثم قال جلَّ وعــزَّ : ﴿ نَتْلُــو عَلَــيْكَ مِنْ نَبَــأِ مُوسَى وَفِرْعَــوْنَ بِالْحَقِّ .. ﴾ [آية ٣] .

النَّبأُ : الخبرُ(٤) .

---

(١) هذه السورة مكية كلها ، وقـال ابـن عبـاس : مكيـة إلاَّ آيـة واحـدة ﴿ إن الـذي فرض عليك القرآن .. ﴾ نزلت بالجحفة وقت الهجرة ، وانظر البحر المحيط ١٠٤/٧ .

(٢) قد تقدم الكلام على الحروف المقطَّعة في أوائل السور ، والمختار ما ذهب إليه المحققون ، أنها للتنبيه على إعجاز القرآن ، والإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز ، في فصاحتـه وأسلوبـه وبيانـه ، مركَّبٌ من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر صفوة التفاسير ١٩/١ .

(٣) جاء في تهذيب اللغة ٤٩٥/١٥ : يُقال : بان الشيءُ وأبان بمعنـى واحـد ، يعنـي اتَّضَح اهـ وفي القرطبي : بَانَ الشيءُ وأبـان : اتَّضح ، وفي المخطوطـة : « أفصح » وهـو تصحيـف وصوابـه ما أثبتناه : اتضح كما في الصحاح وتهذيب اللغة .

(٤) النبأ في اللغة : الخبرُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ قل هو نبأٌ عظيمٌ أنتم عنـه مُعْـرِضُون ﴾ وانظـر لسان العرب ، والصحاح مادة نبأ .

٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ٤] .

قال السُّدِّيُ : أي تَجَبَّر[1] .

٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي فرَّقهم[2] .

قال السُّدِّي : أي فَرَّقهم في الأعمال القذرة[3] .

وقال قتادة : ﴿ شِيَعاً ﴾ أي ذَبَحَ بعضَهم ، واستحيا بعضَهم ، وقَتَلَ بعضَهم[4] .

والشِّيَعُ عند أهل اللُّغةِ : جمعُ شِيعَةٍ ، والشِّيعَةُ : الفِرْقةُ التي بعضُها مساعدٌ لبعضٍ ومُؤَازِرٌ .

٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥] .

يعني بني إسرائيل[5] صلَّى الله عليه ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ أي

---

(١) علا في الأرض : أي تجبرَّ وطغى ، وجاوز الحدَّ في الظلم والطغيان ، والأثر أخرجه ابن جرير ٢٠/٢٨ والسيوطي في الدر ٥/١٢٠ .

(٢ــ ٤) انظر هذه الآثار في الدر ٥/١٢٠ وجامع البيان ٢٠/٢٧ قال ابن جرير : يعني بالشِّيع : الفِرَق أي جعل أهلها ــ بني إسرائيل ــ فِرَقاً متفرقين ، وقال السُّدِّي : يعني بأهلها بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة . اهـ .

(٥) « إسرائيل » هو اسمٌ لنبيٍّ الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، ولذلك قال المصنف : صلَّى الله عليه .

وُلَاةً ﴿ **وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ أي الوارثين فرعونَ ومَلأَهُ .

٧ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ [آية ٦] .

قال قتادة : كان حَازٍ لفرعون ـــ والحَازِي المنجِّمُ[1] ـــ قال له : إنَّه يُولد في هذه السَّنة مولودٌ ، يذهب بملكِكَ ، فأمر فرعونُ بقتلِ الوِلدانِ في تلك السَّنة ، قال : فذلك قولُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَنُرِيَ فِرْعونَ وهَامَانَ وجُنُودَهُما منهمْ ما كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[2] .

٨ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ** .. ﴾ [آية ٧] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قَتَادة قال : قَذَفَ في نفسها[3] .

وقيل : هي رؤيا رأتها .

---

(١) قال في القاموس المحيط ٣١٦/٤ : حَزَا حَزْواً : زَجَر وتكهَّنَ . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٠/٥ والطبري ٢٩/٢٠ وقال النيسابوري في غرائب القرآن ٢٦/٢٠ : والذي كانوا يحذرون منه هو ذهابُ ملكهم ، وهلاكُهُم على يد مولود من بني إسرائيل ، يُروى أنه ذُبح في طلب موسى تسعون ألف وليد . اهـ .

(٣) أي بطريق الإلهام ، وليس وحياً بطريق المَلَك ، لأن الوحي الإلهي خاصٌ بالرجال كما قال سبحانه ﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً﴾ وليس في النساء نبوَّة . ولهذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٣٢/٦ : لمَّا ضاقت به ذرعاً وخافت عليه ، أُلهمت في سِرِّها ، وأُلقي في خُلدها ، ونُفِث في روعها أن تُلقيه في اليمّ اهـ . وهذا هو القول الصحيح .

وقال غيرهُ : بل كان ضماناً من الله عز وجل[١] .

قال أبو جعفر : والوحيُ في اللغة : إعلامٌ في خَفَاءِ ، فلذلك جاز أن يُقال للإلهام وحيٌ ، كما قال تعالى ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ** ﴾[٢] وقال ﴿ **وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ** ﴾[٣] .

والقول الثالث : يدلُّ على صحته قولُه تعالى ﴿ **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ** ﴾ وقوله جل وعز ﴿ **وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ** ﴾ .

واليمُّ : البحرُ .

٩ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ[٤] لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَنَاً ..** ﴾ [آية ٨] .

لمَّا كان التقاطهم إيَّاه يئولُ إلى هذا ، قيل : التقطوه له ، كما يُقال لمن كسب مالَه فأوبقه : إنما كسبَه ليُهلِكَه ، وهذا مذهبُ الخليلِ

---

(١) خلاصة القول أنه قد اختلف في هذا الوحي ، هل كان بالإلهام ؟ أو بالمنام ؟ أو بواسطة كلام المَلَك أخبرها به دون أن تُنبأ ؟ الراجح من الأقوال هو أن الوحي كان بالإلهام ، وهذا ما اختاره الحافظ ابن كثير وجمع من المحققين .

(٢) سورة النحل آية ٦٨ .

(٣) سورة المائدة آية ١١١ .

(٤) اللام في قوله تعالى ﴿ ليكون لهم عَدُوًّا ﴾ هي لام العاقبة ولام الصيرورة، وليست لام التعليل لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرة عين ، ولم يأخذوه ليكون لهم عدواً ، ولكن كان عاقبة ذلك أن صار لهم عدواً كما قال الشاعر :

وللمَنَايَا تُرَبِّي كلُّ مُرْضِعَةٍ ... ودُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيها

وسيبويهِ ، ومن يُرْضَى قولُه من النحويّين ، وهو كثيرٌ في كلام العرب[1] .

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ .. ﴾** [آية ٩] .

هذا تمامُ الكلام ، والدليلُ على ذلكَ أنَّه في قراءة عبدِاللهِ بن مسعودٍ **﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لاتقْتُلوه قُرَّةُ عَيْنٍ لِي ولَكَ ﴾**[2] .

ومعنى **﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ ﴾** قَرَّتْ عينُه ، من القُرِّ وهو البردُ ، أي لم تَسْخُن بالبكاء .

وقيل : قَرَّتْ من قَرَّ في المكان أي لم تبك[3] .

١١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً .. ﴾** [آية ١٠] .

قال أبو جعفر : فيه أربعة أقوال :

---

(١) من ذلك قولهم : ربَّيْتُه ليعصيني ، وعلَّمتُه ليهجوني ، ومنه قول الشاعر :
فلِلْموتِ تَغْذُوْ الوالداتُ سِخَالَها ... كما لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنَى المَسَاكِنُ
فلمَّا كان الشيء يئول إليه ، صحَّ هذا الإطلاق ، وسميت لام العاقبة .

(٢) هذه القراءة ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٣/١٣ وهي محمولة على التفسير لا على أنها قراءة ، فهي ليست من القراءات السبع المعوَّل عليها ، وإن كان المعنى صحيحاً .

(٣) في التهذيب ٢٧٨/٨ : أقرَّ الله عينك أي صادفت ما يُرضيك فتقرّ عينك من النظر إلى غيره .
أقول : أصبحت هذه الكلمة تستعمل بمعنى البهجة والفرحة ، والمسرَّة بما تراه العين ، أي صادفت سروراً ، وسكَّن الله عينك ، بالنَّظر إلى ما تحب .

أ ــ منها ما حدثنا أحمد بن محمد البَرَاثيُّ قال : حدَّثنا عمروُ بنُ الهَيْثَم ، عن يونس بن أبي إسحق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمونٍ ، عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً** ﴾ قال : فَرَغَ من كل شيء في الدنيا ، إلاَّ من ذكر موسى صلى الله عليه وسلم[1] .

قال أبو جعفر : وكذا قال ابنُ عباسٍ ، وأبو عُبيدة ، وأبو عمرانَ الجونيُّ ، والحسنُ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقتادةُ ، والضَّحَّاكُ .

ب ــ **وقال الكسائي** : ﴿ **فَارِغاً** ﴾ أي ناسياً ذاهلاً ، كما يُقال لمن لم تُقْضَ حاجتُه : فَرِغ ، وللميِّت : قد فَرَغَ .

وأنكر الكسائي أن يكون المعنى : فارغاً من كل شيء ، إلاَّ من ذكر موسى ، وليس المعنى عليه .

جـ ــ **وقال الأخفشُ سعيدٌ**[2] : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى**

---

(١) هذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمهور المفسرين ، وذكر القرطبي عن ابن القاسم عن مالك أن المراد ذهاب العقل ، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ، طار عقلها من فرط الجزع والدهش ، ولعله الأظهر ، والأثر أخرجه الطبري ٣٦/٢٠ والسيوطي في الدر ١٢١/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هو الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ واسمه « سعيد بن مَسْعَدة » المجاشعيُّ البلخيُّ ، عالمٌ باللغة والأدب ، أخذ العربية عن سيبويه وصنَّف كتباً منها « تفسير معاني القرآن » وهو الذي زاد في العروض بحر « الخَبَبَ » فأصبحت ستة عشر بحراً ، وقد قرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٥٥/٣ ووفيات الأعيان ٢٠٨/١ .

فَارِغاً ﴾ من الوحي ﴿ **إن كادتْ لتُبْدِي به** ﴾ أي بالوحي .

د ــ **وقال أبو عبيدة** : ﴿ **وَأَصْبَح فؤادُ أمّ مُوْسَى فَارِغاً** ﴾ أي من الحزن ، لمَّا علمتْ أنَّه لم يغرق[1] .

قال أبو جعفر : أصحُّ هذه الأقوالِ الأوَّل ، والذين[2] قالوه أعلمُ بكتاب اللّهِ جلَّ وعزَّ ، وإذا كان فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ، فهو فارغٌ من الوحي ، وقولُهم : قد فرغ الميِّتُ من هذا : أي فرغ مما يجب عليه أن يعمله .

وقولُ : أبي عُبيدة : فارغاً من الغمِّ ، غلطٌ قبيحٌ[3] ، لأن بعده ﴿ **إنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِها** ﴾ .

---

(١) في المخطوطة « والذي قالوه » وصوابه ما أثبتناه « والذين قالوه » ويدل عليه الخبرُ ، وهو قوله : أعلمُ بكتاب الله عز وجل .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩٨ .

(٣) وجهُ تغليطه أنه لو كان فارغاً من الغمِّ والحزن كما قال أبو عبيدة لما احتاجت إلى أن يربط الله على قلبها ، ويرزقها الصبر ، ويكون آخر الآية غير متناسق مع أولها ، كما استبعده في البحر المحيط ، وما ذكره المصنِّفُ أن أصحَّ الأقوال القولُ الأوُلُ ، فيه نظر ، والأظهرُ ــ واللهُ أعلم ــ قول مالك : أنه كناية عن ذهاب العقل ، وهو الذي اختاره أبو حيان في البحر المحيط ٧/١٠٦ حيث قال : والمعنى : صار فارغاً من العقل ، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون ، فدهمها أمرٌ عظيم ، مثلُه لا يثبت معه العقل ، لاسيما عقل امرأة خافت على ولدها ، حتى طرحته في اليمِّ ، رجاء نجاته من الذبح ــ هذا مع الوحي إليها أن الله يردُّه إليها ويجعله رسولاً ــ ومع ذلك طاش عقلها ، وغلب عليها ما يغلب على البشر ، عند مفاجأة الخطب العظيم ، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله . اهـ .

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : كادتْ تقولُ والإبناه[1] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ رَبَطْنا ﴾ : شَدَدْنَا ، وقوَّينا .

قال قتادة : ﴿ **لولا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِها** ﴾ أي ربطنا على قلبها بالإيمان[2] .

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه** .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهدٌ : أي اتَّبعي أَثَرَه[3] .

وقال ابنُ عبَّاسٍ : أي قُصِّي[4] أَثَرَهُ واطْلُبيه .

١٣ ــ **ثم قالَ جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ** .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهد : أي عن بُعدٍ ، ومنه الأجنبيُّ ، قال الشاعر :

فلا تَحْرِمَنِّي نَائِلاً عَنْ جَنَابةٍ
فإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غريبٌ[5]

والمعنى : تبصَّرَتْهُ منْ بعيدٍ لئلاَّ يَفْطَنوا بها .

(١ ــ ٣) هذه الآثار أخرجها الطبري في تفسيره ٢٠/٣٧ والقرطبي ١٣/٢٥٥ وذكر أبو حيان في البحر المحيط ٧/١٠٧ بسنده إلى ابن عباس قال : كادت تصيحُ عند إلقائه في البحر : وإبناه .

(٤) القصُّ في اللغة : تتبُّعُ الأثرِ ، وطلبُ الأثرِ أي اتَّبعي أثَره حتى تعلمي خبرَه ، ومنه قولُه تعالى ﴿فارْتَدَّا عَلَى آثارِهما قَصَصاً ﴾ .

(٥) البيت لعَلْقمةَ بن عَبْدَة ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٩٨ والقرطبي ١٣/٢٥٧ .

وقال أبو عمرو[1] : وقال بعضُ المفسرين : ﴿ فَبَصُرَتْ[2] بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾ أي عن شوقٍ ، قال : وهي لغةٌ لجذام ، يقولون : جَنَبْتُ إلى لقائِكَ أي اشتقتُ .

ثم قال : ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أي لايشعرون أنها أختُه .

١٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ١٢] .

أي من قبل ردِّه إلى أُمِّهِ[3] .

قال قتادة : لم يكن يقبل ثَدْياً ، فقالت أختُه ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ؟

قال السدّيُ : فاسترابوا بها لمَّا قالت لهم ﴿ وهُمْ لهُ نَاصِحُونَ ﴾ فقالت : إنما أردتُ و هم للمَلِكِ ناصحون[4] ، فدلَّتهم

---

(١) أبو عمرو : هو ابن العلاء المازني من كبار علماء اللغة والقراءات ، وقد تقدمت ترجمته ٣٦٢/١

(٢) في المخطوطة : فبعدت به عن جُنُبٍ ، وهو خطأ ، وصوابهُ ما أثبتناه لأنه نصُّ الآية . قال البخاري في كتاب التفسير ١٤١/٦ : ﴿ عن جُنُبٍ ﴾ عن بُعْدٍ ، وعن جنابة واحدٌ ، وعن اجتنابٍ أيضاً اهـ .

(٣) التحريم هنا بمعنى المنع أي منعناه أن يَرْضَعَ ثَدْي امرأةٍ من المُرْضعاتِ غير أمه .

(٤) عبارة الطبري في تفسيره عن السدي ٤٠/٢٠ فقال : لمَّا قالت أختُه ﴿ هل أدُلُّكُمْ على أهلِ بيتٍ يكفلونه لكم وهم له ناصحون ﴾ أخذوها وقالوا : إنك عرفتِ هذا الغَلام ، فدلِّينا على أهله ، فقالت : ماأعرفه ، ولكني إنما قلتُ : وهم للملك ناصحون ، وقال السدي : أرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ثدي واحدة منهن ، فلما جاءت أمه أخذ ثديها . اهـ .

على أُمِّهِ ، فدفعوه إليها لترضعه لهم في حسبانهم .

فذلك قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾ لقوله جلَّ وعزَّ ﴿ **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ** ﴾ .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ..﴾** [آية ١٤] .

قال مجاهد : عن ابن عباس وقتادة ﴿ **لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّه** ﴾ أي ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿ **واستوى** ﴾ بلغ أربعين سنة[1] .

قال أبو جعفر : سيبويه يذهب إلى أن واحد « الأَشُدِّ » شِدَّةٌ .

وقال الكسائي وبعض البصريِّين : الواحدُ شَدٌّ .

وقال أبو عُبيدة : لا واحد لها[2] .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٢/٥ والطبري في جامع البيان ٤٢/٢٠ والألوسي في روح المعاني ٥١/٢٠ ونقل أيضاً من رواية الكلبي عن ابن عباس قال : الأَشُدُّ : مابين الثماني عشرة إلى الثلاثين ، والاستواءُ ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، فإذا زادَ على الأربعينَ أَخَذَ في النُّقصانِ . اهـ ومعنى الآية : ولما بلغ كمال الرُّشْد ، ونهاية القوة ، وكمال العقل ، وهو سنُّ الأربعين ، أعطيناه الفهم ، والتفقه في الدين .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ وفي لسان العرب ٢٢١/٤ :﴿حتى يبلغ أشُدَّه﴾ أي قوته وهو ما بين ثمان عشرة إلى ثلاثين ، وهو واحدٌ جاء على بناء الجمع ، مثل آنُكٍ ، ويقال : هو جمع لا واحد له من لفظه ، وكان سيبويه يقول : واحدُه شِدّة .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمَاً وَعِلْمَاً ..﴾ [آية ١٤] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد في قوله جل وعز [﴿ آتيناه حُكْماً ﴾ قال : فقهاً وعقلاً.

﴿ وَعِلْمَاً ﴾ يعني النبوَّة][1] .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [آية ١٥] .

قال سعيد بن جبير وقتادة : وقتَ الظَّهيرةِ والنَّاسُ نيام[2] .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ ..﴾ [آية ١٥] .

قال أبو مالك : أحدهُما من بني إسرائيل ، والآخر قِبْطِيٌّ[3] .

قال أبو جعفر : فإن قيل : كيف قيل ﴿ هَذَا ﴾ لغائبٍ ؟

(١) ما بين الحاصرتين أثبتناه من هامش المخطوطة ، وفيها تصحيف : « قبل النبوة » وصوابه : يعني النبوة كما في ابن كثير ٣٩٤/٣ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ٤٤/٢٠ والسيوطي في الدر ١٢٢/٥ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٩٤/٣ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير قال الطبري ٤٤/٢٠ : ﴿ هذا من شيعته ﴾ أي هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ أي من القبط من قوم فرعون ، ودخل موسى المدينة ــ بعدما بلغ أشدَّهُ ــ عند القائلة نصف النهار . اهـ .

فالجوابُ: أنَّ المعنى : يقـول الناظرُ إذا نَظَر إليهمـا : هذا من شيعتِهِ ، وهَذاَ من عَدُوِّه[1] .

١٩ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّـذِي مِن عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ** ﴾ [آية ١٥] .

﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي من شِيعَتِهِ** ﴾ يعني الإسرائيلي ﴿ **عَلَى الَّـذِي مِنْ عَدُوِّه** ﴾ يعني القبطي .

﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَى** ﴾ يعني القبطيَّ .

قال مجاهد : ضَرَبَهُ بجُمْعِ كَفِّه[2] .

وكذلك هو في اللغة ، يُقالَ : وَكَزَه : إذا ضربه بِجُمْـعِ كفِّـه في صَدْرِهِ .

وفي قراءة عبدالله[3] ﴿ **فَنَكَـزَهُ مُوسَى** ﴾ والمعنـــى واحـــد ، وكذلك لَكَمَهُ،ولكَزَهُ ، ولَهَزَهُ[4] .

---

(١) الإشارة ﴿ هَذَا من شيعَتِهِ وهَذَا من عَدُوِّه ﴾ واقعةٌ على طريق الحكاية في ذلك الحين ، كأنَّ الرائي لهما يقوله ، لا في اللفظ المحكيِّ لرسول الله ﷺ ، وانظر حاشية الجمل ٣/٣٤٠ .

(٢) الضربُ بجُمْع الكفِّ : هو أن يضربه باليد مجموعةً أصابعُها ، كصفة الملاكم .

(٣) هو عبدالله بن مسعـود ، قرأ﴿ فَنَكَزَهُ مُوسَى ﴾ وقـرأ ﴿ فَلَكَـزَه ﴾ والقراءتـان من القـــراءات الشاذة .

(٤) في حاشية الجمل ٣/٣٤٠ : وَكَزَه ضربه بجُمع كفّه ، والفرقُ بين « الوَكْـزِ » و « اللَّكْـزِ » : أن الأول بجُمْع الكفِّ ، والثاني بأطراف الأصابع ، والنَّكْزُ : كاللَّكـز ، وفي المصبـاح : وَكَـزَه وَكْـزاً ضَرَبه ودَفَعه ، ويُقال ضربه بجُمْع كفّه على ذَقْنِه ، وقـال الـكسائيّ : وَكَـزَهَ : لَكَمَـه وانظـر أيضاً الصحاح للجوهري مادة وكز .

ورَوى معمرٌ عن قَتَــادةَ قال : وَكَــزَه بالــعَصَا ﴿ **فَقَضَى عَلَيْهِ** ﴾ **أي قتله** ﴿ **قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾ فدلَّ هذا أن قتلَه كان خَطَأً ، وأنه لم يُؤمر بقتلٍ ، ولا قتال[١] .

٢٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ [آية ١٧] .

أي معيناً للمجرمين .

قال ابنُ عباس : لم يَسْتَثنِ فابتُلي[٢] .

أي فابتُلي بأن الإسرائيلي كان سبب الإخبار عنه بما صَنَع .

وقال الكسائي : ﴿ **فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ .

فيه معنى الدعاء .

وفي قراءة عبدالله ﴿ **فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾[٣] .

---

(١) لم يُرد موسى عليه السلام قتل القبطي ، وإنما أراد دفع شرِّه عن الإسرائيلي ، وكان القتل خطأً ، لأنَّ اللَّكمةَ باليد في الغالب لاتَقْتل ، ولكن وافقت هذه الوكزةُ الأجلَ المحتومَ ، فكانت القاضية ، وإنما استغفر من قتله ــ مع أن المقتول كافر محاربٌ مباحُ الدم ــ لأنه تخوَّف أن يكون من وراء هذا شرٌّ مستطيرٌ ، عليه وعلى أتباعه ، ثم هو لم يؤمر بقتله،فلهذاندم واستغفر ، وقد حصل ما توقَّعه من تآمرهم على قتله ، كما يدل عليه قوله سبحانه ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ الآية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٤٧/٢٠ عن قتاده ، وذكره القرطبي ٢٦٣/١٣ وعزاه لابن عباس قال : لم يستثن فابتلي من ثاني يوم ، أي لم يقل : إن شاء الله .

(٣) هذه من القراءات الشاذة لأنها مخالفة في الرسم للمصحف الإمام .

٢١ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : أي يترقَّبُ الطَّلبَ ﴿ **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ** ﴾ أي يستغيثُ به من رجلٍ آخر ﴿ **قَالَ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ من أجل أنه كان سبب القتل[1] .

٢٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا .. ﴾ [آية ١٩] .

في معناه قولان :

أ ـ **فمذهبُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ وأبي مالك أنَّ المعنى** : فلَّما أراد موسى أن يبطش بالقبطيِّ ، توهَّم الإسرائيلي أنَّ موسى ﷺ [يريده][2] على أن يبطش به ، لأنه أغْلَظَ له في القول ، فقال الإسرائيلي : ﴿ **يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي** ﴾ فسمع القبطيُّ الكلام ، فذهب فأفْشى على موسى[3] .

---

(١) يقول موسى للإسرائيلي ﴿ إنك لغويٌّ مبين ﴾ لأنك تسبَّبتَ لقتل رجلٍ بالأمس ، وتقاتل اليوم آخر !؟ وانظر جامع البيان ٤٨/٢٠ وزاد المسير ٢١٠/٦ .

(٢) سقطت هذه اللفظة « يريده » من المخطوطة ، وهي ضرورية ليستقيم المعنى .

(٣) هذا هو الرأي الراجح في تفسير الآية ، وهو المتناسق مع سياق الآية ، وذلك أن الإسرائيلي لمَّا رأى موسى مقبلاً ، أخذ يصيح به مستغيثاً لينصره من عَدوِّه ، فقال له موسى ﴿ إنَّكَ لغويٌّ مبينٌ ﴾ أي غاوٍ ضالٌّ بيِّن الغواية ، كثير الشرِّ ، لأنك تَسَبَّبْتَ لي في قتلِ شخصٍ ، وتريد أن =

ب ــ **وقيل المعنى** : فلمَّا أن أراد الإسرائيليُّ ، أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌّ لهما .

ويُروى عن ابنِ نَجِيح : فلَّما أن أراد الإسرائيليُّ أن يبطش بالقبطي ، نهاه موسى عليه السلام ، فَفَرِق الإسرائيلي منه ، فقال : ﴿ **أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي** ﴾ الآية ، فسَعَى به القبطيُّ[1] .

٢٣ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى .. ﴾ [آية ٢٠] .

رَوَى معمرٌ عن قتادَة قال : هو مؤمنُ آل فرعونَ[2]

﴿ قَالَ يا مُوسَى إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .

قال أبو عُبَيْدَةَ : ﴿ **يَأْتَمِرُونَ** ﴾ أي يتشاورون ، وأنشد :

= توقعني اليوم في ورطةٍ أخرى ، قال ذلك له على سبيل العتاب والتأنيب ، ثم عزم على البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخَوَره وجبنه ، أن موسى يريدُه ، لأنه أغلَظَ له الكلام ، فقال ﴿ يا موسى أتريدُ أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴾ ؟ فسمعها القبطيُّ ، فذهب وأخبر فرعون ، فاشتد غضبه على موسى ، وعزم على قتله الخ وهذا رأي ابن عباس واختاره جمع من المفسرين .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٤٩/٢٠ وهو قول مرجوح والراجح ما ذكرناه .

(٢) هذا قول الضحاك كما في الدر المنثور ١٢٣/٥ : فقد قال : هو مؤمنُ آل فرعون ، وهو الذي ذكر في قوله تعالى ﴿ وقال رجلٌ مُؤْمنٌ مِنْ آلِ فِرْعَون يكتُمُ إيمَانَهُ ﴾ وقيل اسمه : سمعان ، أو شمعون .

أَحَارُ بنَ عَمْـــرٍو كَأَنِّـــي خَمِـــرٌ
وَيَعْـدُو عَلَى المَـــرْءِ ما يَأْتَمِـــرْ[1]

قال أبو جعفر : وهذا القولُ غَلَطٌ ، ولـو كان كما قال : لكـان « يتآمرونَ فِيكَ » أي يتشاورون فيك ، أي يستأمر بعضُهم بعضاً[2] .

ومعنى ﴿ **يَأْتَمِرُونَ** ﴾ يَهُمُّونَ ، من قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **وائْتَمِرُوا بينكُمْ بِمَعْرُوفٍ** ﴾[3] وكذلك معنى :

« وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرُ »

كما يقال : من وسَّع حُفْرَةً وَقَعَ فيها[4] .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّه تلقاء مَدْيَنَ** .. ﴾ [آية ٢٢] .

قال أبو عُبيدة : أي نَحوَ مدينَ[5] .

---

(١) البيت ذكره في تهذيب اللغة ٢٩٤/١٥ ونَسَبه للنَّمر بن تَوْلَب ، وذكره أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١٠٠/٢ ونسبه إلى ربيعة النمري ، وقوله : أحارُ مرخَّم « حارث » وذكره في خزانـة الأدب ٣٧٤/١ قال في الصحاح : والخُمارُ : بقية السكر ، وخامرة الـداء : خالطـة ، والائتمار الامتثال ، أي ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد ، وربما كان هلاكه فيه .

(٢) قال الأزهري في التهذيب : يقال ائتمر القوم وتآمروا ، إذا أمر بعضهم بعضاً ، كما يُقال : اقتتل القوم وتقاتلوا ، واختصموا وتخاصموا ، ومعنى ﴿ يأتمرون بكَ ﴾ أي يؤامر بعضُهم بعضاً فيك أي في قتلك ، وهذا أحسنُ من قول القُتَيْبي : إنه بمعنى يهمُّون بك . اهـ تهذيب اللغة ٢٩٥/١٥ وقد غلَّط القُتَيْبيَ أيضاً أبا عُبيدة في استشهاده في البيت ، وقال : كيف يعدو على المرء ما شاورَ فيه والمشاورةُ بركة ؟ وإنما المرادُ يعدو على المرء ما يَهُمُّ به من الشرِّ . اهـ .

(٣) سورة الطلاق آية (٦) .

(٤) في الأمثال : من حفر حفرةً لأخيه وقع فيها .

(٥) انظر مجاز القرآن ١٠١/٢ قال : ولا تنصرف مدين لأنها اسم مؤنثة .

٢٥ ـــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [آية ٢٢] .

قال مجاهد : أي طريقَ مَدْينَ .

قال أبو مالك : فوَجَّه فرعونُ في طلبه ، وقال لهم : اطلبوه في بُنَيَّاتِ الطُّرقِ ، فإن موسى لا يعرفُ الطريقَ ، فجاء مَلَكٌ راكبٌ فرساً ومعه عَنَزَة[1] فقال لموسى : اتَّبعْني ، فاتَّبعَه فهداه إلى الطريق[2] .

٢٦ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ..﴾ [آية ٢٣] .

أي جماعةً[3] .

﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ .

وفي قراءة عبدالله « ودونَهُمُ امرأتانِ حَابِسَتانِ »[4] فسألهما عن حبسهما ، فقالتا : لانقْوى على السَّقي مع النَّاسِ ، حتى يَصْدُرُوا .

---

(١) العَنَزةُ : يعني العَصَا ، قال في المصباح : العَنَزةُ عصا أقصرُ من الرُّمْح ، ولها زُجٌّ من أسفلها أي حربة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٠/٥١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٥١ ومعنى « بُنَيَّات الطريق » الطرق الصغار تتشعَّب من الطرق الكبار ، وفي القرطبي « ثُنيَّات الطَريق » وهو تصحيف .

(٣) الأُمَّةُ في اللغة : الجمعُ الكثير ، وانظر القرطبي ١٣/٢٦٨ والبحر المحيط ٧/١١٣ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، وليست من السبع ، و« حابستان » تفسير لقوله ﴿ تذودان ﴾ فهي محمولة على التفسير ، لا أنها قراءة من القراءات المعتبرة .

ومعنى ﴿ تَذُودَانِ ﴾ ــ فيما رَوَى عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ــ تَحْبِسان[1] .

ورَوَى سفيان بنُ أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ﴿ تَذُودَانِ ﴾ قال : حابستان[2] .

ورَوَى هُشَيْمٌ عن حُصَيْنٍ عن أبي مالك ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ قال : تَحْبسان غنمهما ، حتى يَفْرُغَ النَّاسُ ، فتخلو لهم البئر .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ بيِّنٌ ، يُقال : ذَادَ ، يَذُودُ : [إذا حَبَس][3] .

وذُدْتُ الشيءَ : حبْستُه ، ثم يُحذف المفعولُ ، إمَّا إيهاماً على المخاطب ، وإما استغناءً بعلمه .

---

(١) و(٢) انظر الطبري ٢٠/٥٥ والبحر المحيط ٧/١١٣ : ﴿ تَذُودَانِ ﴾ قال ابن عباس وغيره : تذودان ــ أي تمنعان ــ غنمهما عن الماء خوفاً من السُّقاة الأقوياء اهـ . وقال الطبري ٢٠/٥٥ : أي تحبسان غنمهما يُقال : ذاد عن غنمه وماشيته : إذا أراد شيءٌ منها أن يذهب ، فردَّه ومنَعَه ، يذودها ذَوْداً . اهـ .

(٣) في المخطوطة : « إذا ذهب وجاء » وهو خطأ ، لأن معنى الذَّوْد : المنعُ والحبسُ كما قال أهل اللغة قال في المصباح : وذادَ الراعي إبلَه عن الماء ، يذودُها ، ذَوْداً : مَنَعها ، وكذا في كتب اللغة : الذَّوْدُ : الحبسُ ، والمنعُ ، والكفُّ ، وما أثبتناه هو الصواب كما في إعراب القرآن للنحاس ٢/٥٤٩ .

ومذهبُ **قتادة** : أنهما كانتا تذودان النَّاسَ عن غَنمِهما[1] .

والأوَّلُ أولى لأنَّ بعده ﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ .

ولو كانتا تذودان عن غنمهما النَّاسَ ، لم تُخبرا عن سبب تأخر سقيهما ، إلى أن يَصْدُرَ الرِّعاءُ .

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ؟ أي ما حالُكُما وما أَمْرُكُمَا ؟ **﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ ﴾** .

ومن قرأ بضم الياء[2] ﴿ يُصْدِرَ ﴾ حذف المفعولَ ، أي حتى يُصْدِرُوا غَنَمهم[3] .

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ والفائدةُ في هذا ، أنه لا يَقْدِرُ على السَّقْي لِكَبرِه ، فلذلك خرجنا ونحنُ نساءٌ[4] .

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٥٦/٢٠ وضعَّفه ، ورجَّح القول الأول الذي رجَّحه النحاس وقال : لو كانتا تذودان الناس عن غنمهما ، لأخبرتا عن سبب ذودهما الناس عنها ، لا عن سبب تأخر سقيهما . اهـ .

(٢) القراءتان سبعيتان « يُصْدِرَ » قراءة ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، ومعناها : يُصْدِر الرعاةُ مواشيهم ، وقراءة أبي عمرو ، وابن عامر « يَصْدُرَ » بنصب الياء وضمِّ الدال ، وانظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٩٢/٢ .

(٣) وعلى القراءة الأخرى ﴿ حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ ﴾ يكون المعنى : لانسقي غنمنا حتى يرجع الرعاة وينصرفوا عن الماء .

(٤) قال في البحر ١١٣/٧ : ﴿ وأبونا شيخ كبيرٌ ﴾ فيه اعتذارٌ لموسى عن مباشرتهما السقي=

٢٧ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ .. ﴾** [آية ٢٤] .

روى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن عمر بن الخطاب أنه قال : « لمَّا استقى الرِّعَاءُ غطُّوا على البئر صَخْرةً ، لايُقِلُّها[1] إلا عشرةُ رجالٍ ، فجاء موسى ﷺ فاقتلعها ، وسَقَى ذَنُوْباً واحداً ، لم يحتجْ إلى غيره ، فسقى لهما »[2] .

٢٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾** [آية ٢٤] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباسٍ قال : ما سأل إلاَّ الطَّعامَ[3] .

وقال مجاهد : لم يكن له ما يأكلُ[4] .

= بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لايقدر علي السقي لشيخوخته وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما .

(١) لا يُقلُّها : أي لا يطيق حملَها ، ولا يقدر على رفعِها إلاَّ عَشَرةُ رجال أقوياء ، والذَّنُوبُ : الدَّلْو الكبيرة ، قال في المصباح : الذَّنُوب : الدَّلو العظيمة ولا تسمى ذَنُوبا حتى تكون مملوءة ماءً . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٥ وقال : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه .

(٣ـ٤) قال ابن جرير : قال ابن عباس : « لمَّا هرب موسى من فرعون ، أصابه جوع شديد ، وورد الماء وسقى للمرأتين ، وإنَّ خضرة البقل لتُرى في بطنه من الهُزال ، وما سأل ربَّه إلاَّ الطَّعامَ » اهـ الطبري ٥٩/٢٠ وذكر الحافظ ابن كثير ٢٣٧/٦ بسنده عن ابن عباس قال : سار موسى من مصر إلى مدين ، ليس له طعام إلا البقلُ وورقُ الشجر ، وكان حافياً فما وصل أرضَ مدينَ حتى =

٢٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ .. ﴾** [آية ٢٥] .

المعنى : فذهبتا إلى أبيهما قبل وقتهما ، فخبَّرتاه بخبر موسى وسَقْيِهِ ، فأرسل إحداهما ، فجاءتْ تمْشي على استحياء[1] .

قال عَمرُو بنُ ميمون : قال : تمشي ويدُها على وجهها حياءً ، ليست بِسَلْفَعٍ ، خرَّاجَةٍ ، ولاَّجة[2] .

٣٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾** [آية ٢٥] .

أي قَصَّ عليه خَبَره ، وعرَّفه بقتلِهِ النَّفْسَ وخوْفِهِ **﴿ قَالَ لاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾** لأن « مدينَ » لم تكن في مِلْكةِ فرعون .

٣١ ــ **وقولُه جل وعز : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾** [آية ٢٦] .

رَوَى عَمْرو بنُ مَيْمون عن عمرَ قال : فقال لها من أينَ عرفتِ قوّتَه ، وأَمانَتَه ؟

= سقطتْ نعلُ قدمه ، وجلس في الظلِّ وهو صفوةُ الله من خلقه ــ وإنَّ بطنه لاصقٌ بظهره من الجوع ، وإن خُضرةَ البقل لتُرى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شقّ تمرة . اهـ .

(١) يريد المصنف أن هناك كلاماً محذوفاً يدل عليه سياق القصة .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٠/٦٠ وابن كثير ٦/٢٢٨ والقرطبي ١٣/٢٧٠ ومعنى السَّلفع : المرأة الجسورُ ، الجريئة على الرجال ، قاله الجوهري ، وقال في القاموس : هي الصَّخَّابةُ ، البذيئة ، السيئة الخُلُق اهـ .

قالتْ : أمَّا قُوَّته فإنَّه أَقَلَّ حَجَراً[1] ، لا يحمله إلاَّ عشرةٌ .

وأمَّا أمانتهُ فإنـه لمَّـا جاء معـي مَرَرْتُ بين يديـه ، فقـال لي : كوني خَلْفِي ودُلِّيني على الطَّرِيقِ ، لئلاَّ تَصِفَكِ الرِّيحُ لي[2] .

٣٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ..﴾** [آية ٢٧] .

وفي الحديث أنه أنكحه الصغيرة منهما ، واسمها « طوريا »[3]

ثم قال : **﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾** أي تكون لي أجيراً **﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾** أي فذلك تفضُّلٌ منك **﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾** أي لكَ ما شرطتَ ولـيَ مثلُه **﴿ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾** العُدْوانُ : المجاوزةُ في الظلم .

---

(١) أقلَّ حجراً : أي رفع حجراً كبيراً ، لا يستطيع رفعَهُ واحدٌ من النَّاس .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٠/٦٤ وذكر نحوه ابن كثير عن ابن عباس ٦/٢٢٩ وصاحب البحر المحيط ٧/١١٤ وأخرجه الطبراني من رواية ابن مسعود ، وكذا في الدر المنثور ٥/١٢٦ .

(٣) أشار المصنف إلى الحديث الذي رواه ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال لي رسول الله ﷺ قال لي جبريل يا محمد : إن سألك اليهودُ أيَّ الأجلين قضى موسى ؟ فقل أوفاهما، وإن سألوك أيهما تزوج ؟ فقل الصغرى منهما . اهـ وانظر الدر المنثور للسيوطي ٥/١٢٧ ولم يرد ذكرُ اسمها في الحديث الشريف ، وذكر القرطبي ١٣/٢٧٣ من حديث أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ : إن سئلتَ أي الأجلين قضى موسى ، فقل : خيرهما وأوفاهما ، وإن سُئلت أي المرأتين تزوّج فقل الصغرى ، وهي التي دعته وجاءت خلفه ، اهـ . وفي المخطوطة أن اسمها « طوريا » وفي القرطبي « صفوريا » وهو الأصح كما في تاريخ الطبري .

٣٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وسَارَ بِأَهْلِهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

رَوَى الحَكَمُ بنُ أبانَ عن عكرمةَ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « سألتُ جبريلَ أيَّ الأجلين قضَى موسَى ؟ فقال : أتمَّهُما ، وأكملَهُما »[١] .

ومعنى ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ لعلي أعلمُ لِمَ أُوقِدتْ ؟

﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾

قال قتادة : الجَذْوَةُ : أصلُ الشجرة فيها نار[٢] .

قال أبو جعفر : وكذلكَ الجُذْوةُ ، بضم الجيم ، وكسرها ، وفتحِها ، والجِذْوَةُ : القطعةُ من الخشب الكبيرة ، فيها نارٌ ليس فيها لهبٌ[٣] .

---

(١) الحديث أخرجه البزار ، وابن أبي حاتم ، وصحَّحه الحاكم بسنده إلى ابن عباس « أن رسول الله ﷺ سأل جبريل أيَّ الأجلين قضَى موسى ؟ قال : أتَمهُمَا وأكمَلهُمـا » وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٢٦/٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٠ وذكر رواية أخرى عنه أن « الجَذوة » الشعلةُ من النار ، وقال القرطبي ٢٨١/١٣ : الجَذْوةُ : القِطعةُ من الجمر . وهذا هو المشهور عند علماء اللغة .

(٣) هكذا في المخطوطة : « والجِذْمة » وهو تصحيف وصوابه : الجذوة ، وانظر معاني الزجاج ١٤٢/٤ وعبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٠٢/٢ : ﴿ جَذْوة من نارٍ ﴾ أي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة وجماعُها الجَذا . اهـ .
الحطب ليس فيها لهب ، وهي مثل الجِذْمَةِ من أصل الشجرة وجماعُها الجذا . اهـ . وانظر لسان العرب لابن منظور مادة جذا .

وقال جلَّ وعز ﴿ **في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ من الشَّجَرَة** ﴾ لأنه جلَّ وعزَّ كلَّمه فيها .

٣٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ أُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ ..﴾** [آية ٣٢] .

معنى ﴿ **أُسْلُكْ** ﴾ : أَدْخِلْ .

٣٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ..﴾** [آية ٣٢] .

قال الفراء : الجَنَاحُ ههنا : العَصَا[1] .

ولم يقل هذا أحدٌ من أهل التفسير ، ولا من المتقدمينَ عَلِمتُهُ ، وحكى أكثرُ أهل اللغة أن الجَنَاح : من أسفلِ العضد إلى آخر الإبط ، وربما قيل لليدِ جَنَاحٌ[2] ، ولهذا قال أبو عُبيدة : ﴿ **جَنَاحَكَ** ﴾ أي يدك[3] .

---

(١) عبارة الفراء في تفسيره معاني القرآن ٣٠٦/٢ : ﴿ واضمُمْ إليكَ جَنَاحَكَ ﴾ يريد عصاه في هذا الموضع ، والجنَاحُ في الموضع الآخر : ما بين أسفل العضد ، إلى الرُّسغ وهو الإبطُ . اهـ أقول : والتعريف الأخير هو الصواب في تفسير الآية هنا .

(٢) قال في لسان العرب مادة جنح : وجَنَاحُ الطائر : ما يخفقُ به في الطيران ، وجَنَاحُ الإنسان : يدُه ، ويدا الإنسان جَنَاحاه ، وقوله تعالى : ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾ قال الزجاج : العضد ، ويُقال : اليد كلها جناح ، وجمعُه أجنحة . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤/٢ فقد فسَّر الجَناح باليد .

قال مجاهد : ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ مِنَ الفَرَقِ[1] .

٣٦ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ .. ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد : يعني اليدَ ، والعصا[4] .

والبرهانُ : الحُجَّةُ :

قال ابن عباس : ﴿ جَنَاحَكَ ﴾ يَدَكَ[5] .

وقال أبو زيد : العَضُدُ : هو الجَنَاحُ ، حدثني محمد بن أيوب قال : أنبأنا عبدُاللهِ بنُ سليمان بن الأشعث قال : حدثنا محمدُ بن عامرٍ ، عن أبيه ، عن بشر بن الحُصَين ، عن الزُّبير بن عَدِيٍّ ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ أي أدخلْ يدكَ فضعْها على صدرِكَ حتَّى يذهبَ عنكَ الرُّعْبُ[4] .

قال : فقال ابن عباس : ليس من أحدٍ يَدْخُله رُعْبٌ بعد موسى ، ثم يُدْخِل يدهَ فيضعها على صَدْرِهِ ، إلاَّ ذهب عنه الرُّعب .

٣٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي .. ﴾ [آية ٣٤] .

---

(١) الفَرَقُ في اللغة : الخوفُ والفزعُ ، وفي المصباح : فَرِقَ فَرَقاً من باب تَعِبَ : خاف . اهـ .

(٢ــ٣) انظر الآثار في جامع البيان للطبري ٧٢/٢٠ وابن كثير ٢٤٥/٦ والدر المنثور ١٢٨/٥ .

(٤) الأثر أخرجه القرطبي في تفسيره ٢٨٤/١٣ : أمره الله أن يضمَّ يده إلى صدره فيذهب عنه خوفُ الحية ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، قال فقال ابن عباس : ليس من أحدٍ يَدْخله رعبٌ بعد موسى عليه السلام ، ثم يدخل يده فيضعها على صدره ، إلاَّ ذهب عنه الرعب . اهـ .

الرِّدْءُ : العَوْنُ ، وقد أُرْدَأه ، ورَدَأه : أي أَعَانه[1].

وقولُه تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [آية ٣٥] .

أي سنعينك ونقوِّيك ، وهو تمثيلٌ لأن قوَّة اليد بالعضد[2] ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾ .

قال سعيد بنُ جبير : أي حُجَّةً .

﴿ فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بآيَاتِنَا ﴾

[أي تُمْنَعانِ بآياتنا][3] .

ويجوز أن يكون المعنى : ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا ــ أي بالعصا واليد ــ وما أشبههما .

٣٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ ..﴾ [آية ٣٨] .

روى سعيدُ بنُ جبير عن ابن عباس قال : حتَّى يصير آجُرّاً .

قال قتادة : بلغني أنه أوَّلُ من صنع الآجُرَّ .

---

(١) في القرطبي ٢٨٦/١٣ : يعني أرسله معي معيناً ، مشتقّ من أَرْدَأْتُه أي أعنْتُهُ قال الشاعر :
أَلَــــمْ تَرَ أَنَّ أَصْرَم كانَ رِدْئِي وخَيْــر النَّـــاسِ في قُلٍّ ومَـــالِ

(٢) قال الرازي في التفسير الكبير ٢٥٠/٢٤ : وقوله تعالى ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ أي سنقوِّيك به ، والعضد قِوام اليد ، وبشدتها تشتد ، يُقال في دعاء الخير :
شدَّ اللَّهُ عَضُدك ، وفي ضدِّه : فتَّ اللهُ في عَضُدك . اهـ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير موجود في الأصل ، وأثبتناه من الهامش .

ثم قال تعالى ﴿ **فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً ..**﴾ [آية ٣٨] .

قيل : بُنياناً مرتفعاً(١) .

٣٩ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ ..**﴾ [آية ٤٣] .

أي بَيَانًا(٢) .

٤٠ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ ..** ﴾ [آية ٤٤] .

قال قتادة : هو جبلٌ .

وقولُه ﴿ **وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا** ﴾ أي مقيماً(٣) .

٤١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ..** ﴾ [آية ٤٦] .

---

(١) الصَّرح : القصرُ المنيفُ الرفيع ، وهامان هو وزير فرعون ، وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما ، وجهلهم بالله تعالى ، إذ طمعوا أن يصلوا إلى السماء ، ببناء هذا الصرح الرفيع ، وقد ذكر الطبري وغيره أنه بنى له الصرح ، وصعد عليه ، ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوباً بالدم ، فقال : قتلت إله موسى فكان ذلك فتنة له ولقومه ، ثم دمَّر الله الصرح،وأهلك الظالمين بالغرق .

(٢) بصائر : أي طرائق هدى يُستبصر بها ، جمع بصيرة وهي : الأمرُ البيِّن الواضح ، كأنه لوضوحه وبيانهُ يُبْصَرُ بالعين ، قال الطبري ٧٩/٢٠ : أي ضياءً لبني إسرائيل فيما إليه الحاجة من أمر دينهم . اهـ .

(٣) في المصباح : ثَوَى بالمكان ، وَثَوى فيه ، يَثْوِي ثَوَاءً : أي أقام فيه ، ومنه قوله تعالى ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مَدْينَ ﴾ أي ما كنت مقيماً في أهل مدين .

رَوَى **عبدُالرزَّاقِ** ، عن الثَّوريِّ ، عن الأعمشِ ، عن عليِّ بنِ مُدْرِكٍ ، عن أبي زُرعة بنِ عَمْرو بنِ جرير ، رفع الحديث في قوله جل وعز ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** ﴾ قال : نُودُوا يا أمَّة محمد ، أجبتُكُمْ قبل أن تَدْعُوني ، وأعطيتُكُم قبلَ أن تسألوني ، فذلكَ قولُه ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** ﴾[1] .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ..** ﴾ [آية ٤٦] .

أي لم تشهد قصص الأنبياء ، ولا تُليت عليك ، ولكنَّا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة ، لتنذر قوماً فتُعَرِّفهم هلاكَ من هلكَ ، وفَوْزَ من فاز ، لعلهم يتذكرون .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ..** ﴾ [آية ٤٧] .

أي لولا هذا لم نحتَجْ إلى إرسال الرُّسُلِ ، وتَوَاترِ الاحتجاج[2] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٢٠/٨١ بسنده عن أبي هريرة ، وذكره ابن كثير ٦/٢٥٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٢٩ والمعنى على هذا التفسير : وما كنت بجانب الطور إذ كلَّمنا موسى فنادينا أمتك ، وأخبرناه بما كتبناه لك ولأمتك من الرحمة إلى آخره .. وهذا المعنى بعيد ، لأن الآيات تتحدث عن موسى وبني إسرائيل ، والأظهر أن المعنى : وما كنت يا محمد بجانب جبل الطور ، حين نادينا موسى ليلة المناجاة فكلمناه وأمرناه ، ولكننا نحن الذي أوحينا إليك بخبره وقصته ، ولولا وحينا ما عرفت عنه شيئاً .

(٢) أشار المصنف إلى أن جواب « لولا » محذوفٌ تقديره : لَمَا بعثنا الرسل ، قال القرطبي في تفسيره ١٣/٢٩٣ : وجوابُ « لولا » محذوف أي لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة ، فيقولوا ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً !! لما بعثنا الرسل . اهـ وقال في التسهيل =

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا .. ﴾** [آية ٤٨] .

أي الحجج الظاهرة البيِّنة ، التي كان يجوز أن يحتجُّوا بتأخرها **﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾** يعني من العصا ، وانفلاقِ البحر ، وما أشبه ذلك .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : أَمَرَتْ يهودُ قريشاً أن يسألوا محمداً ﷺ مثلَ ما أُوتي موسى ، فقال اللّهُ جل وعز لمحمد ﷺ قل لهم يقولوا لهم **﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾**[1] ؟

٤٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ..﴾** [آية ٤٨] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال سمعتُ سعيدَ بن

= ٢٣٢/٣ : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾ « لولا » هنا حرفُ امتناع ، و« لولا » الثانية ﴿ فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ ، والمعنى : لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار ، وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً ، فنتَّبع آياتك ، ونكون من المؤمنين . اهـ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٨٣/٢٠ ولفظه : يقول الله لمحمد : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ، وعزاه إلى مجاهد ، وأخرجه ابن كثير ٢٥٢/٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٠/٥ .

جُبير يقول ﴿ قَالُوا سَاحِرانِ تَظَاهَرَا ﴾ قال : موسى وهارون صلى الله عليهما[1] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهدٍ قال : يعنون موسى ، وهارون عليهما السلام[2] .

ورَوَى شُعْبةُ عن أبي حَمْزةَ عن ابن عباس ﴿ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ قال : موسَى ، ومحمدٌ ، صلَّى الله عليهما وسلم[3] .

وكذا رَوَى شعبةُ ، عن أبي جَمْرَة[4] ، عن ابن عباس ، وكذلكَ قال الحسنُ .

وقرأ عكرمةُ ، وعَطَاءٌ الخرساني، وأبو رُزَيْنٍ ﴿ قَالُوْا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾[5] .

(١ـ٣) هذه الآثار كلها أوردها الطبري في تفسيره ٢٠/٨٣ والقرطبي ١٣/٢٩٤ وابن كثير ٦/٢٥٢ وهذه الآثار على قراءة ﴿ سَاحِرَانِ ﴾ بالألف ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، والقراءةُ الثانيةُ بدون ألف ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ ﴾ وهي قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٤٩٥ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٤٢ .

(٤) أبو جَمْرة : هو نصر بن عمران بن عصام ، وقيل : ابن عاصم الضَّبعي البصري، تابعيٌّ ثقة مات سنة ١٢٨ هـ قال عنه أحمد : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن عبدالبر : أجمعوا على أنه ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ١٠/٤٣١ .

(٥) قال القرطبي ١٣/٢٩٤ : قرأ الكوفيون ﴿ قالوا سِحْرانِ ﴾ بغير ألف أي الإنجيل والقرآن ، وقيل : التوراة والفرقان ، وقيل : التوراة والإنجيل ، والباقون قرأوا ﴿ سَاحِرَان ﴾ بألف .

قال عكرمة : يعني كتابَيْن[1] .

وقال أبو رزين : يعني التوراة ، والإنجيل[2] .

وقال الفراء : يعني التوراة ، والقرآن[3] .

واحتجَّ بعضُ من يقرأ هذه القراءةَ بقوله ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ ﴾ .

والمعنى على القراءة الأُولى : هو أهدى من كتابَيْهما .

٤٦ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ وصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾ [آية ٥١] .

أي أتبعنا بعضَه بعضاً[4].

قال مجاهد : يعني لقريش .

(١ــ٢) انظر الطبري ٢٠/٨٥ وابن كثير ٦/٢٥٢ والدر المنثور ٥/١٣٠ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٦ .

(٤) الضميرُ في ﴿ وصَّلْنَا لَهُمْ ﴾ لقريش ، قال ابن زيد : أي وصَّلنا لهم الخبر ، خبرَ الدنيا بخبر الآخرة ، حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها في الدنيا ، بما نُريهم من الآيات والعبر . اهـ .

أقول معنى الآية : لقد تابعنا ووالينا لقريشٍ القرآنَ ، يتبعُ بعضُه بعضاً ، وعداً ووعيداً ، وقِصَصاً وعِبَراً ، ونصائحَ ومواعظَ ، ليتَّعظوا ويتذكَّروا بما فيه .

وقال الطبري في تفسيره ٢٠/٨٧ : وأصلُ ﴿ وَصَّلْنَا ﴾ من وَصْلِ الحِبالِ بعضِها ببعض ، قال الشاعر :

فقلْ لبَنِي مَرْوَانَ ما بَالُ ذِمَّةٍ ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزَالُ يُوَصَّلُ

وقرأ الحسنُ ﴿ وَصَلْنَا ﴾ مخفَّفاً[1] .

ومعنى ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ أنهم وجدوا صفة النبي ﷺ في كتابهم ، من قبل أن يُبعث ، فآمنوا بِهِ ، ثم آمنوا به بعد ما بُعث[2] .

٤٧ ــ ثم قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ أُوْلَـئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا .. ﴾ [آية ٥٤] . .

يجوز أن يكون المعنى : من قبل النبيِّ ﷺ ، وأن يكون من قبلِ القرآن[3] .

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾.
أي يدفعون بعملهم الحَسَنات ، السَّيِّئاتِ التي عملوها .

٤٨ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ .. ﴾ [آية ٥٥] .

أي ما لايجوز ، وما ينبغي أن يُلْغَى .

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع ، وقد ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١٢٥/٧ وقال : هي قراءة الحسن .
(٢) هذا على القول في أن الآية نزلت فيمن آمن من أهل الكتاب ، كما قال قتادة ، وهوالأظهر .
(٣) يريد المصنف أن الضمير في قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قَبْلِهِ ﴾ يحتمل أن يعود على القرآن ، أو النبي عليه السلام ، ولكن عبارته قاصرة عن المقصود ، وكان الأحرى به أن يذكر الآية التي قبلها ، وهي التي أشرنا إليها .

قال مجاهد : هؤلاء قومٌ من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم[1] .

ومعنى ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ قد تاركْنَاكم ، وليس من التحية في شيءٍ ، وهذا كلامٌ متعَارفٌ عند العرب .

٤٩ ــ **وقوله جل وعز ﴿ إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..﴾** [آية ٥٦] .

رَوَى الزُّهرِيُّ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه ، قال : جاء أبو جهلِ بنِ هشام ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبي أميَّةَ بنِ المغيرةِ ، إلى « أبي طالب » في العلَّة التي مات فيها ، وجاء النبيُّ ﷺ فقال : ياعمّ قلْ « لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ » كلمةً أُحَاجُّ لكَ بها عند الله جلَّ وعزَّ ، فقال له أبو جهل : يا أبا طالب أترغب عن دين عبدالمطلب !؟ فكان آخر ما قال لهما : هو على ملَّة عبدالمطلب ، فقال النبي ﷺ : لا أَدَعُ الاستغفار لكَ[2] .

---

(١) قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ٥٥٤/٢ : نزلت كما قال الزهري في النجاشي وأصحابه ، وجَّه اثنى عشر رجلاً إلى النبي ﷺ فجلسوا معه ، وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم ، فآمنوا بالنبي ﷺ ، فلما قاموا من عنده ، تبعهم أبو جهل ومن معه ، فقالوا لهم : خَيَّبكم اللهُ من رَكْبٍ ، وقبَّحكمْ من وَفْدٍ ، لم تلبثوا أن صَدَّقتموه ، ما رأينا ركباً أحمَقَ ، ولا أجهل منكم ، فقالوا ﴿ سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ قال الزجاج ١٤٩/٤ : ليس يريدون بقولهم ههنا ﴿ سلام عليكم ﴾ التحية ، وإنما المعنى : بيننا وبينكم المتاركة والتسلم .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٤١/٦ تفسير سورة القصص ، بلفظ « لمَّا=

فأنزل الله جل وعزَّ ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾[2] .

ونـزل فيـه ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا أَنْ يَسْتَغْفِـرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكـون معنـى ﴿ **مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ أَنْ تهـديَ .

ويجوز أن يكون المعنى : من أحببتَ لقرابته[4] .

ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّـهَ يَهْـدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُـوَ أَعْلَـمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [آية ٥٦] .

= حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ الخ وانظر أسباب النـزول للواحـدي ، والطبري ٩٢/٢٠ والدر المنثور ١٣٤/٥ .

(٢) قال الزجـاج ١٤٩/٤ : أجمع المسلمـون على أن الآية نزلت في أبي طالب ، قال القرطبـي : والصواب أن يُقال : أجمع أكثر المفسرين ، وقال أبـو حيـان في البحـر المحيـط ١٢٦/٧ : وقوله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببتَ ﴾ أي لاتقدر على خلق الهداية فيه ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ وإنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتقيم ﴾ لأن معنى هذه : وإنك لترشد إلى صراط مستقيم ، وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب ، وحديثه مع رسول الله حين مات مشهور . اهـ .

(٣) سورة التوبة آية رقم (١١٣) .

(٤) القولان : ذكرهما ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٢٣٢/٦ .

[أي الله أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، ولله الحكمة التامة][1] .

٥٠ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقَالُوْا إِنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [آية ٥٧] .

قال الضحاك : هذا قول المشركين الذين بمكة[2] .

وقال غيره : قالوا للنبي ﷺ : نحنُ نعلمُ أنَّ ما جئتَ به حقٌّ ، ولكنَّا نكرهُ أن نتَّبعك ، فتُقْصَدَ ، ونُتَخطَّفَ لمخالفتنا النَّاسَ[3] ،

قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً ﴾ [آية ٥٧] .

أي قد كانوا آمنين قبل الإسلام ، فلو أسلَموا لكانوا أَوْكَدَ .

قال قتاده : كان أهلُ الحرم آمنينَ ، يخرج أحدهم ؛ فإذا عُرِضَ له قال : أَنَا من أهل الحرم ، فيُترك ، وغيرهُم يُقْتَلُ ويُسلب[4] .

---

(١) سقط تفسير الآية من الأصل ، وأثبتناه من تفسير ابن كثير ٢٥٥/٦ ، وهو ما بين الحاصرتين .

(٢) في الدر المنثور ١٣٤/٥ : عن ابن عباس أن ناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ إن نتَّبعْك يتخطفنا الناسُ ، فأنزل الله تعالى ﴿ وقالوا إن نتَّبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ الآية .

(٣) قائل هذه الكلمة هو « الحارث بن عامر بن نوفل » كما في الدر المنثور للسيوطي ١٣٤/٥ .

(٤) قال أبو حيان في البحر المحيط ١٢٦/٧ : وقد قطع الله بهذه الآية حجتهم ، إذْ كانوا هم كفارٌ باللّهِ ، عُبَّاد أصنام ، قد أَمِنُوا في حَرَمِهم ، والنَّاسُ في غيره يتقاتلون ، وهم مقيمون في بلدٍ غير ذي زرعٍ ، يجيىءُ إليهم ما يحتاجون من الأقوات ، فكيف إذا آمنوا واهتدوا ؟!

قال مجاهد عن ابن عباس : ﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [آية ٥٧] .

أي ثمرات الأرضين(١) .

٥١ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا .. ﴾ [آية ٥٨] .

البَطَرُ : الطغيانُ بالنِّعمةِ(٢) .

قال أبو إسحق : المعنى : بطرتْ في مَعِيشتِها(٣) .

قال الفراء : أبطرتها مَعِيشَتُها(٤) .

٥٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً .. ﴾ [آية ٥٨] .

قال الفراء : والمعنى أنها خَرِبت ، فلم يُسْكن منها إلا قليلٌ ، والباقي خَرَابٌ(٥) .

---

(١) انظر الطبري ٩٤/٢٠ والدر المنثور للسيوطي ١٣٤/٥ والتفسير الكبير للرازي ٣/٢٥ قال الطبري : أي تُحمل إليه ثمرات كل بلد ، وكذلك قال مجاهد .

(٢) البطر : كفرُ النِّعمة ، وعدمُ شكرها ، واستعمالُها في مساخط الله ، كحال المترفين الجهلاء .

(٣) عبارة الزجاج في كتابه معاني القرآن ١٥٠/٤ ﴿ معيشتها ﴾ منصوبة بإسقاط « في » وعمل الفعل ، وتأويلُه : بطرت في معيشتها .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٨/٢ فقد علل للمعنى الذي اختاره ودلَّل .

(٥) على رأي الفراء يكون الاستثناء راجعاً إلى المساكن ، أي لم يسكن منها إلاَّ القليلُ ، وهو رأي =

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُوْلاً ..﴾ [آية ٥٩] .

أي في أَعْظَمِها[١] ، وأُمُّ القُرَى مكَّةُ .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُو لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾ [آية ٦١] .

يعني به : المؤمنَ ، والكافر .

وقيل : نزلت في النبي ﷺ ، وأبي جَهْلٍ[٢] .

٥٥ ــ **وقوله تعالى** ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [آية ٦١] .

قال مجاهد : أي أهل النار ، أُحْضِروا[٣] .

= الزجاج أيضاً ، وهو قول مرجوح ، والراجحُ أن المعنى : فتلك مساكنهم خاوية مدمَّرة ، لم تُسْكَن من بعد تدميرهم ، إلا زمناً قليلاً ، إذ لا يسكنها إلا المارَّةُ والمسافرون ، يوماً أو بعض يوم ، وهو معنى قول ابن عباس : لم يسكنها إلا المسافر ، أو مارُّ الطريق ، يوماً أو ساعة ، وإنما رجحنا هذا الرأي لأن الاستثناء لو كان من المساكن لجاء النص « إلا قليلٌ » وانظر القرطبي ٣٠١/١٣ .

(١) المراد أن يبعث في أعظم المدن وأكبرها رسولاً يبلغها دعوة الله ، ليقطع الحجج والمعاذير ، وتسمى مكة « أم القرى » لأنها أعظم المدن ، قال تعالى ﴿ لتنذر أُمَّ القُرى ومن حَوْلها﴾ .

(٢) هذا قول مجاهد كما في الطبري وغيره .

(٣) ﴿ مِنَ المُحْضَرين ﴾ أي من أهل النَّار الذين أُحضروها ، ذكره الطبري عن مجاهد والآية عامة تشمل كل مؤمن وكافر ، كما نقله القرطبي عن الثعلبي قال : نزلت في كل كافر ، مُتِّعَ في الدنيا بالعافية والغِنى ، وله في الآخرة النَّارُ ، وفي كلِّ مُؤْمنٍ صَبَرَ على بلاء الدنيا ، ثقةً بوعد الله ، وله في الآخرة الجنة . اهـ القرطبي ٣٠٣/١٣ .

٥٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْــنَ شُرَكَائِــيَ .. ﴾ [آية ٦٢] .

أي ويوم ينادي اللَّـهُ الإنس ﴿ أَيْــنَ شُرَكَــائِيَ ﴾ ؟ أي على قولكم[١] .

٥٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِيـنَ أَغْوَيْنَا ..﴾ [آية ٦٣] .

قال قتادة : ﴿ حَقَّ عَلَيهِمُ القَوْلُ ﴾ يعني : الشياطين[٢] :

وقــال غيره : ﴿ حقَّ عَلَيهِمُ القَــوْلُ ﴾ أي وجــبتْ عليهم الحُجَّةُ فَعُذِّبوا[٣] .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ أي دعوناهم إلى الغَيِّ .

﴿ أغْـوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي أَضْلَلناهم كما ضَلَلْنا .

---

(١) أي ينادي الله المشركين الذين عبدوا غير الله ، والقصدُ من هذا النـداء توبيخهـم وتقريعهُـم بأن معبـوداتهم لم تنفعهـم وقت الشدة ، وقولـه ﴿ أيـن شركائيَ ﴾ ؟ أي على زعمكـم أنهم شركاء مع الله .

(٢) عزاه الطبري والقرطبي إلى قتادة ، ومعنى ﴿ حقَّ عليهم القولُ ﴾ أي حقَّ عليهم العـذاب ، وهـم رؤساء المشركين وكبراؤهم ، وكل داعيـة إلى ضلالـة ، وهـذا أولى من قصره على الشيـاطين كما قالـه قتادة ، وما رجحناه هو اختيار جمهور المفسرين ، فقد قال أبو حيان في البحر المحيط ١٢٨/٧ : هم الشيـاطين وأئمـة الكفـر ، ورؤساء الضلالـة ، وقـال الحافـظ ابــن كثير ٢٦٠/٦ : يعنــي الشياطين والمَرَدَة والدعاة إلى الكفر . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٠٩/٢ .

﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فبرِئ بعضُهم من بعض ، وعاداه ، كما قال تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

٥٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [آية ٦٤] .

أي دعوهم فلم يجيبوهم بحجَّةٍ

﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ جواب « لَوْ » محذوفٌ أي لو أنهم كانوا يهتدون ما دعوهم[2] .

٥٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

رَوَى ابنُ أبي نَجيح عن مجاهد قال : ﴿ الْأَنْبَاءُ ﴾ : الحُجَجُ .

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٦٧ .

(٢) هذا على أن « لو » حرف امتناع حُذف جوابه ، وقدَّر بعضهم المحذوف بأنَّ المعنى : لو كانوا مؤمنين في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة ، وآخرون قدَّروه : لو كانوا يهتدون لحيلة في الآخرة يدفعون بها العذاب لفعلوا ، والأظهر أن « لو » هنا للتمني ، وليست حرف امتناع والمعنى : تمنَّوا حين شاهدوا العذاب لو كانوا مهتدين ، وهذا ما اختاره الطبري ، وابن كثير ، فقد قال الطبري ٢٠/٩٨ ﴿ ورَأَوُا العَذَابَ لو أَنَّهم كانوا يَهْتَدونَ ﴾ أي عاينوا العذاب ، فودُّوا حين رأوا العذاب ، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحقِّ . اهـ ولعلَّ هذا هو الأظهر ، والله أعلم .

﴿ فَهُمْ لا يَتَسَاءلُونَ ﴾ قال : بالأنساب[1] .

٦٠ ـ وقوله جلّ وعز ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .. ﴾ [آية ٦٨] .

هذا التَّمامُ[2] .

أي ويختارُ الرُّسُل .

﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ﴾ [آية ٦٨] .

أي ليس برسلٍ من اختاروه هم .

٦١ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ .. ﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد ﴿ سَرْمَداً ﴾ أي دائماً[3] .

﴿ مَنْ إلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ أي بنَهارٍ تَتعيَّشُون فيه ، ويُصلح ثمارَكم وزَرْعَكُمْ .

---

(١) عزاه الطبري إلى مجاهد ، وقال : عنى بذلك أنهم عميتْ عليهم الحُجةُ ، فلم يَدْرُوا ما يحتَجُّون به . اهـ الطبري ٢٠/٩٨ .

(٢) أي هنا تمام الكلام ، وسببُها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة ، والمعنى أن الله يخلق ما يشاءُ ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، والأولى حمل الآية على العموم أي يختار ما يشاء ويفعل ما يريد ، قال الحافظ ابن كثير ٦/٢٦١ : يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، ليس له في ذلك منازع ولا معقّب . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٠/١٠٣ ولفظه ﴿ سَرْمداً ﴾ أي دائماً لا ينقطع ، وكذلك أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٣٦ .

٦٢ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ..﴾** [آية ٧٣] .

فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى : لتسكُنُوا في اللَّيل ، ولتبتغوا من فضلِهِ بالنَّهار[1] .

والقولُ الآخر : أن يكون المعنى : لتسكنوا فيهما ، وقال « فيه » لأن اللَّيْلَ والنَّهَار ، ضياءٌ ، وظلمةٌ ، كما تقول في المصادر : ذهابُك ومجيئُك يؤذيني .

فيكون المعنى : جعل لكم الزمان لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله .

والقول الأوْلى أعرف في كلام العَرَب ، يأتون بالخبرين ، ثم يجمعون تفسيرهما ، إذا كان السَّامِعُ يعرفُ ذاكَ .

كما روي عن عُبَيْد اللَّهِ بن عبدالله بن عُتبة أنه قال : « ما أحسنَ الحسناتِ في إثْرِ السَّيئات !! وما أقبح السيِّئات في إثْرِ

(١) هذا القول هو الأظهر والأشهر ، ويُسمَّى في علم البديع « اللَّفُّ والنَّشرُ المرتَّب » فقد ذكر تعالى الليلَ والنهار مجموعين ، ثم فصَّل ووضَّح الغاية منهما ، فأعاد السَّكن ــ أي الراحة والهدوء ــ إلى الليل ، فقال ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ وطلب المعيشة والرزق إلى النهار ، فقال ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ فأعاد الأوَّل على الأول ، والثاني على الثاني ، فَسُمِّي لفاً ونشراً مرتباً ، وهذا أسلوب بديع في علوم البلاغة ، وانظر البحر المحيط ١٣٠/٧

الحسنات !! وأحسنُ من ذا ، وأقبحُ من ذا : السيئاتُ في آثار السيئات ، والحسناتُ في آثار الحسنات »[1] .

قال أبو جعفر : فجاء بالتفسير مجملاً ، وهذا فصيحٌ كثير[2] .

٦٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ..﴾** [آية ٧٥] .

قال مجاهد : ﴿ **شَهِيداً** ﴾ أي نبياً[3] .

﴿ **فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ قال : أي حجتكم بما كنتم تقولون وتعملون .

﴿ **فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ** ﴾ أي أنَّ اللَّهَ واحدٌ ، وأنَّ الحقَّ ما جاءت به الأنبياء[4] .

---

(١) لم أر الأثر بهذا اللفظ ، وقد أخرج السيوطي في الدر ٣٥٣/٣ وعزاه إلى الحكيم الترمذي والطبراني عن ابن عباس قال : « لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أحسن إدراكاً ، من حسنةٍ حديثة لسيئةٍ قديمة ، إن الحسنات يُذهبن السيئات » . أقول : ويؤيده قول النبي ﷺ لمعاذ : « وأَتْبع السيئةَ الحسنَةَ تَمْحُها » .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ١٥٣/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ٢٣٨/٦ وجامع البيان للطبري ١٠٤/٢٠ .

(٣) الأثر ذكره القرطبي عن مجاهد ، وكذا أخرجه الطبري عنه ، فقال : المراد بالشهيد : الرسولُ ، ثم قال : والمعنى : أحضرنا من كل جماعة شهيدَهَا ، وهو نبيُّها الذي يشهد عليها . اهـ الطبري ١٠٤/٢٠

(٤) عبارة الزجاج في معانيه أوضح حيث قال ١٥٣/٤ : أي فعلموا أن الحقَّ توحيدُ الله ، وما جاء به أنبياؤه . اهـ .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي لم ينتفعوا بما عبدوا من دون اللّهِ ، بل ضرَّهم[1] .

٦٤ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٧٦] .

قال إبراهيم النخعي : كان ابن عمِّه[2].

٦٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ [آية ٧٦] .

أي تجاوز الحدَّ في معاندة موسى ﷺ والتكذيب به .

٦٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ ﴾ [آية ٧٦] .

روى الأَعْمشُ عن خَيْثمة قال : كانت مفاتِحُهُ من جُلودٍ ، كلُّ مفتاح منها على قَدْر الإصْبع ، لخزانةٍ يحملها ستُّون بغلاً ، إذا ركب[3] .

---

(١) عبارة القرطبي ٣٠٨/١٣ : وذهب عنهم وبطَلَ ، ما كانوا يختلقونه من الكذب على الله تعالى ، من أنَّ معه آلهة تُعبد . اهـ وهي أوضح وأظهر .

(٢) هذا قول قتادة ، وابن جريج ، والكلبي كما في الطبري ١٠٦/٢٠ وروى ابنُ إسحق أن قارون كان عمَّ موسى ، وهو خلافُ المشهور ، قال الطبري : وأكثرُ أهل العلم على ما قاله ابن جُريج ، أن قارون كان ابن عم موسى . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٧/٢٠ وزاد : على ستين بغلاً أغرَّ محجَّل ، وذكره السيوطي أيضاً . في الدر المنثور ١٣٦/٥ وهذا ــ والله أعلم ــ فيه مبالغاتٌ كبيرة ، وهو من أخبار =

وقال مجاهد : كانت من جلود الإبل .

قال أبو صالح : كانت تحملها أربعون بغلاً[1] .

ورَوَى عليٌّ بن الحكم عن الضحاك قال : كانت مفاتيحُ قارون يحملها أربعون رجلاً .

قال ابن عيينة : ﴿ **الْعُصْبَةُ** ﴾ : أربعون رجلاً .

وقال مجاهد : ﴿ **الْعُصْبَةُ** ﴾ : من العشرة إلى الخمسة عشر[2].

قال أبو جعفر : العُصْبةُ في اللغة : الجماعة الذين يتعصَّبُ بعضهم لبعض .

قال أبو عبيدة : ﴿ **لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ** ﴾ تأويلُه أن العُصْبة لتنوء بها ، كما قال :

« وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَة الحُمْرِ »[3]

= أهل الكتاب ، فظاهر الآية يدلُّ على أن المفاتيح من حديد لا من جلود ، يعجز عن حملها العُصبة ــ وهم الجماعة الكثيرة من الرجال ــ ولم يذكر الله الحمير والبغال ، فأمثال هذه الأخبار ممَّا لا ينبغي أن يعوَّل عليها ، لأنها مأخوذة من أخبار أهل الكتاب .

(١) العبارة غير مستقيمة لغوياً ولعل اللفظ « كان يحملها أربعون بغلاً » وعبارة الطبري أوضح فقد قال : وعن أبي صالح قال : كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً . اهـ الطبري ١٠٧/٢٠ .

(٢) قال في لسان العرب : والعُصْبةُ والعِصَابةُ جماعةٌ ما بين العشرة إلى الأربعين وفي التنزيل ﴿ونحن عُصْبة﴾ وكلُّ جماعة من الرجال أو غيرها عُصبةٌ وعِصَابة . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١١٠/٢ واستشهد به الطبري في جامع البيان ١٠٩/٢٠ وهذا=

الضَّياطرة : التُّبّاعُ ، والأُجَراءُ .

قال أبو جعفر : يذهب أبو عُبْيدةَ إلى أن هذا من المقلوب ، وهذا غلطٌ ، والصحيح فيه ما قال أبو زيد ، قال يُقال : نُؤْتُ بالحِمْلِ : إذا نهضتَ به على ثِقَلٍ ، ونَاءَني ، وأَنَاءَني : إذا أثقلني .

قال أبو العباس : سُئل الأصمعيُّ عن قوله « وتَشْقى » قال : نعم ، هي تَشْقى بالرِّجالِ .

٦٧ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾** [آية ٧٦] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الفَرِحِينَ ﴾ : البَطِرينَ ، الذين لايشكرون اللَّهَ جلَّ وعزَّ فيما أعطاهم[1] .

٦٨ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا .. ﴾** [آية ٧٧] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : نصيبُه من الدُّنيا : العمل

= شطر بيت لخداش بن زهير ، وتمامه :

وتَـرْكَبُ خَيْـلاً لا هَوَادَةَ بينها ... وتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ

والشاهد في البيت أنه من باب القلب أي تشقى الضياطرةُ الحمرُ بالرِّماح ، قال في اللسان : الضَّيَاطرةُ العظماءُ من الرجال . اهـ .

(١) هذا قول مجاهد كما في الطبري ١١١/٢٠ ومثله قال ابن عباس ﴿الفرحين﴾ : الأشِرين البَطِرين ، فالمراد بالفَرَح هنا : الفرحُ الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان كما قال المفسرون .

بطاعة الله جلَّ وعزَّ ، الذي يُثاب عليه يوم القيامة[1] .

ورَوَى أَشْعثُ عن الحسن قال : أمسكْ القُـوتَ ، وقـدِّمْ ما فَضَلَ[2] .

ورَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ابْتَغِ الحَلاَلَ[3] .

قال أبو جعفر : قول مجاهدٍ حسنٌ جداً ، لأن نصيبَ الإِنسانِ في الدُّنيا على الحقيقةِ ، هو الذي يُؤَدِّيه إلى الجنَّةِ .

وروى عليُّ بنُ أبي طَلْحـةَ عن ابـن عبـاس ﴿ ولا تَنْس نَصِيبَكَ من الدُّنْيا ﴾ يقول : لاتترك أن تعملَ للَّهِ جلَّ وعزَّ في الدنيا .

وقد قيل : المعنى : ولا تنس شكر نصيبك[4] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ٢٠/١١٢ والقرطبي ١٣/٣١٤ والدر المنثور ٥/١٣٧ وذكر الألوسي عن ابن عباس ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ قال : أن تعمل فيها لآخرتك ، وقال الحسن وقتادة : معناه لا تضيِّع حظَّك من دنياك في تمتُّعك بالحلال ، وطلبك إيَّاه . أقول : هذا المعنى أوفقُ وأظهر ، وهو الذي اختاره الحافظ ابن كثير فقد قال في تفسيره ٦/٢٦٤ : قولُه تعالى ﴿ ولا تَنْس نَصيبكَ من الدنيا ﴾ أي ممَّا أباح الله فيها من المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والمساكن ، والمناكح ، فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حقٍ حقه » أهـ وهذا هو الأظهر ، والله أعلم .

(٤) على هذا التقدير يكون في الكلام حذفٌ وهو حذف المضاف أي لا تنس شكر ربك على نِعَمه التي أنعم بها عليك ، فيكون قد حذف المضافَ وهو الشكر ، وأقام المضاف إليه مقامه وهو النصيب .

٦٩ ــ وقوله جلّ وعزَّ : ﴿ قَالَ إِنَّمـا أُوتِيتُـهُ عَلَــى عِلْـمٍ عِنْــدِي .. ﴾ [آية ٧٨] .

يُروى أن « قارونَ » كان من قُرَّاءِ بني إسرائيلَ للتَّوْراة[1] .

والمعنى : إنما أوتيتُه على علمٍ فيما أُرَى .

فأمَّا ما رُوِيَ أنه كان يعمل الكيمياء ، فلا يصحُّ[2] .

وقيل المعنـى : على علـمٍ بالوجـوه التـي تُكسبُ منها الأمـوال ، وتَرْكَ الشـكر .

وقـال ابـن زيـد : قال ــ أي قارون ــ لولا رضى الله عنـي ، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا .

وهذا أَوْلاها يدل عليه ما بعده[3] .

---

(١) هذه الرواية ذكرها كثير من المفسرين عن علماء السلف ، فقـد ذكرهـا الـطبري والقرطبـي وابـن كثير والسيوطي ، وقد جاء في الدر المنثور ١٢٦/٥ عن قتادة رضي الله عنه قال : كان قارون ابن عم موسى ، وكان قطع البحر معه ، وكان يسمى المنـوَّر لحسن صوتـه بالتـوراة ، ولكـنَّ عدوَّ اللـه نافق كما نافق السَّامريُّ فأهلكه الله ببغيه ، وإنما بغى لكثرة ماله وولده . اهـ .

(٢) يشير المصنف إلى ما ذكره بعض المفسريـن عن الوليـد بن زوران أن قارون كان عالماً بالكيميـاء ، وكان يقلب بعض المعـادن بمهارتـه إلى ذهـب أو فضة ، وهـذا كلـه باطـل فقـد قال الحافـظ ابـن كثير : وقد رُوي عن بعضهم أنه كان يعـاني علـم الكيميـاء ، وهـذا القـول ضعيـف ، لأن علـم الكيمياء في نفسه علم باطل ، لأن قلب الأعيان لا يقدر عليه إلا الله عز وجل . اهـ .

(٣) أي يدل عليه قوله تعالى رداً عليه وتسفيهاً لرأيه ﴿ أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُّ منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ أي فكيف يغتر هذا الجاهل الأحمق بكثرة ماله ؟!

٧٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ ﴾** [آية ٧٨] .

قال مجاهد : هو مثل قوله تعالى ﴿ **يُعْرَفُ المجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ** ﴾[1] .

زُرْقاً ، سودَ الوجوهِ ، لا تسأل عنهم الملائكةُ ، لأنها تعرفهم[2] .

وقال قتادة : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ ﴾ أي يدخلون النَّارَ بغيرِ حساب[3] .

قال محمد بن كعب : ﴿ ولا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمونَ ﴾ أي لا يَسأَلُ الآخرِ لم هَلَكَ الأوَلُ فيعتبرُ[4] .

وقيل : لا يُسأل عنها سؤال استعلام[5] .

(١) سورة الرحمن آية ٤١ والأثر أخرجه الطبري ١١٤/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٧/٥

(٢ــ٤) انظر الآثار في الطبري ١١٤/٢٠ وزاد المسير ٢٤٣/١٧ وتفسير معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٤ .

(٥) هذا قول الحسن البصري ، أي لا يسألهم الله هل فعلتم كذا وكذا ؟ لأنه تعالى عالم بجرائمهم ، وإنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ ، وأما قول قتادة إنهم يدخلون النار بغير حساب فغير مسلَّم ، والصحيح أنهم يُحاسبون على ذنوبهم ويُسألون عنها لقوله سبحانه ﴿ فَوَرَبِّكَ لنسألنَّهم أجمعين عما كانوا يَعْملونَ ﴾ وقول الحسن أرجح الأقوال ، قال في التسهيل ٢٤٢/٣ : وحيثما ورد في القرآن إثباتُ السؤال في الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد فهو على وجه الاستخبار والتعريف . اهـ .

٧١ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ..** ﴾ [آية ٧٩] .

رَوَى عثمانُ بنُ الأَسْودِ عن مجاهدٍ قال : خرج هو وأصحابهُ على براذينَ[١] بيضٍ ، عليها سروجُ أُرْجُوانٍ ، وعليهم المعصْفَرُ .

قال قتادة : خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليها ثيابُ حُمْرةٍ ، منها ألف بغلٍ بيض ، عليها قُطُفٌ حمر[٢] .

٧٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَلَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ** ﴾ [آية ٨٠] .

أي لا يُلقَّى هذه الفعلة وهي القول ﴿ **ثوابُ اللَّهِ خيرٌ لمن آمن وعَمِلَ صَالحاً** ﴾ إلا الصَّابرون[٣] .

٧٣ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ..** ﴾ [آية ٨١] .

قال ابن عباس : خُسِفَ به إلى الأرض السفلى[٤] .

﴿ **فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ** ﴾ أي من فِرقة .

٧٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ**

---

(١) براذين جمع بِرْذَوْن وهو من الخيل غير الأصلي ، والأرجوان في اللغة : الصبغ الأحمر .

(٢) ذكر هذه الآثار عن السلف الطبري في تفسيره ١١٥/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٣٨/٥ والقرطبي ٣١٦/١٣ .

(٣) الضمير في « يُلَقَّاها » عائد على الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدم ، وهي الإيمانُ والعملُ الصالح ، وهذا أرجح مما قاله المصنف ، والله أعلم .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١١٩/٢٠ وابن كثير ٢٦٧/٦ عن ابن عباس ، ولفظه : خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة .

﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّـهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَـنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَـادِهِ وَيَقْدِرُ .. ﴾
[آية ٨٢] .

قولـه : ﴿ وَيْكَـأَنَّ ﴾ قيـل : هي « وَيْكَ أنَّ » و « يْكَ » بمعنى : وَيْلَكَ .

قال أبو جعفر : وهـذا لايصحُّ ، لأنَّ هذه اللَّامَ لا تُحْـذَفُ ، ولو كان هكذا لوَجَبَ أن يُقال : وَيْلَكَ إنَّه ..

ولا يجوز أن يُضمر « إعْلَمْ » وليس ههنا مخاطبةٌ لواحد .

والصحيحُ في هذا ما قال الخليلُ ، وسيبويهِ ، والكِسَائيُّ .

قال الكِسَائيُّ : « وَيْ » ههنا صلةٌ ، وفيها معنى التَّعجبُ .

وقال سيبويه : سألتُ الخليـل عن قوله جلَّ وعـز ﴿ **وَيْكَأَنَّـهُ لَا يُفْلِـحُ الْكَافِـرُونَ** ﴾ وقولِـه ﴿ **وَيْكَـأَنَّ اللَّـهَ** ﴾ فَزَعـم أنها « وَيْ » مفصولةٌ مِنْ « كَأَنَّ »(١) .

والمعنى :وَقَع على أن القوم انتبهوا ، فتكلَّموا على قدر علمهم .

---

(١) قال الزمخشري : « وَيْ » مفصولةٌ عن « كَأَنَّ » وهي كلمةُ تنبيهٍ على الخطأ وتندُّمٍ ، ومعنـاه : إن القوم قد تنبَّهوا على خطئِهم في تمنِّيهم وقولهم ﴿ ياليَتَ لنـا مِثْـلَ ما أُوتِـيَ قَارُوْنُ ﴾ وتَنَدَّمـوا ثم قالـوا ﴿ كأنـه لا يُفلِـحُ الكَافِرُوْنَ ﴾ أي ما أشبـه الحال بأن الكافريـن لاينالون الفلاح !! وهو مذهـب الخليـل وسيبويـه . اهـ الكشاف ١٥١/٢ . ونقـل الـطبري في تفسيره ١٢١/٢٠ عن قتادة أن « ويكأنَّ » كلمة واحدة ومعناها ألم تر أنَّ ، واختار هذا القول الطبري ، والراجح ما قاله الخليلُ ، وسيبويه ، والله أعلم .

أو نُبِّهوا فقيل لهم : أَمَا يشبهُ أن يكون ذَا عندكم هكذا[1] ؟ والله أعلم .

وأما المفسرون فقالوا معناها : ألم تر أنَّ الله .

قالت قتادة : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ المعنى : أَوَ لا تعلم ؟

قال أبو جعفر : وقولُ الخليل موافقٌ لهذا ، وأنشد أهل اللغة :

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُـــنْ لَهُ نَشَبٌ   يُحْبَبْ ومن يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

وقد كُتِبتْ في المصحف مُتَّصلةً ، كأنَّهم لمَّا كَثُر استعمالُهم إيَّاها ، جعلوها مع ما بعدها بمنزلة شيءٍ واحدٍ .

٧٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ﴾ [آية ٨٣] .

روى سفيان عن منصور عن مسلمٍ البَطِين[3] قال : العُلُوُّ :

---

(١) عبارة الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٢/٥٥٩ ﴿ ويكأنَّ الله يبسط الرزق ﴾ قال : أحسنُ ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه والكسائيِّ أن القوم تَنَبَّهوا أو نُبِّهوا فقالوا : وَيْ ، والمتندم من العرب يقول في حال تَنَدُّمِهِ : وَيْ . اهـ وكلامه هذا أوضح مما في المخطوطة هنا .

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نُفَيل ، وهو من شواهد سيبويه ، وانظر الطبري ٢٠/١٢٠ والقرطبي ١٣/٣١٨ .

(٣) هو مسلم بن عِمْرَان البَطِين ، بفتح الباء وكسر الطَّاءِ ، ثقةٌ كوفيٌّ ، من الطبقة السادسة ، انظر تقريب التهذيب لابن حجر ٢/٢٤٦ والإكمال لابن ماكولا ١/٣٣٤ .

التكبُّر بغير الحق ، والفسادُ : أخذُ الأموال بغير الحق(1) .

قال الثوريُّ : ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ : المعاصي(2) .

٧٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [آية ٨٥] .

رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس قال : ﴿ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ : إلى مكة(3) .

وكذلك رَوَى يونسُ بنُ إسحاق عن مجاهد(4) .

ورَوَى سعيد بنُ جبير عن ابن عباس قال : إلى الموتِ(5) .

ورَوَى ابنُ أبي نَجِيح عن مجاهد قال : إلى أن يُحييكَ يوم القيامةِ(6) .

وقال الزهري والحسنُ : « المَعَادُ » يومُ القيامة(7) .

(١ــ٢) انظر الطبري ١٢٢/٢٠ وابن كثير ٢٦٨/٦ والدر المنثور ١٣٩/٥ .

(٣ــ٧) كلُّ هذه الآثار عن السلف قد ذكرها المفسرون ، في الطبري ، والدر ، والبحر ، وغيرها من كتب التفسير ، وأظهر هذه الأقوال وأرجحُها : قولُ ابن عباس ومجاهد أن المراد بالمَعاد رَدُّهُ إلى مكة ظافراً منتصراً أي لرادُّك إلى مكة كما أخرجك منها ، وقد ذكره البخاري في التفسير عن ابن عباس قال : إلى مكة ، ففي الآية بشارة له عليه الصلاة والسلام بفتح مكة بعد أن اضطر إلى الهجرة منها قال القرطبي : ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ بردِّه إلى مكة قاهراً لأعدائه .

وقال في البحر : أراد بقوله ﴿إلى مَعَاد﴾ ردَّه إليها يوم الفتح ــ فتح مكة ــ فكأنَّ الله وَعَده ــ وهو بمكة ــ أنه يهاجر منها ويعود إليها ظافراً ظاهراً . اهـ . وقال الضحاك : لمَّا خرج النبي ﷺ من مكة وبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فجاءه جبريل فقال له : أتشتاق إليها ؟ قال : نعم ، فأنزل الله عليه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا معروفٌ في اللغة ، يُقال : بيني وبينك المَعَادُ ، أي يومُ القيامة ، لأَنَّ النَّاس يعودون فيه أحياءً .

والقولُ الأَوَّلُ حسنٌ كثيرٌ ، واللَّهُ أعلمُ بما أراد .

ويكون المعنى : إنَّ الذي نزَّل عليكَ القرآنَ ــ وما كنتَ ترجو أن يُلقى إليك ــ لرادُّك إلى مَعَادٍ أي إلى وطنك ومعادك يعني مكة ، ويُقال : رجع فلانٌ إلى معاده أي إلى بيته(١) .

٧٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [آية ٨٨] .

قال سفيان : أي إلاَّ ما أُريد بهِ وجْهُهُ(٢) .

قال محمد بن يزيد(٣) حدثني الثوريُّ قال : سألتُ أبا عُبيدة عن قوله تعالى ﴿ **كلُّ شيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ فقال : إلاَّ جَاهَه(٣) ، كما تقول : لفلانٍ وجهٌ في النَّاس أي جاهٌ .

---

(١) ما رجحه الإمام النحاس هنا هو قولُ الأكثرين ، وهو المروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وهو الصحيح .

(٢) الأثر أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة القصص ١٤٧/٦ وهو في الدر المنثور ١٤٠/٥ عن سفيان قال : إلا ما أُريد به وجهُه من الأعمال الصالحة ، وذكره القرطبي ٣٢٢/١٣ عن أبي العالية وسفيان ، وذكره الطبري ١٢٧/٢٠ وقال : واستشهدوا لتأويلهم بقول الشاعر :
أستَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لستُ مُحْصِيَهُ ... رَبُّ العِبادِ إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ

(٣) « محمد بن يزيد » هو الإمام المبرِّد ، أحد أعلام اللغة والأدب ، المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ١٣٧/٧ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١٣ وهو قول غريب .

وقيل : ﴿ **إلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ : أي إلاَّ إيَّاه جلَّ وعزَّ[1] .

وتقول : أكرَمَ اللَّهُ وجهه ، وفلانٌ وجهُ القوم .

وقولُ سفيانَ معروفٌ في اللغة ، أي كلُّ ما فعله العبادُ يَهْلِكُ ، إلاَّ الوجهُ الذي يتوجَّهون بِهِ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ .

« تمت سورة القصص »

* * *

---

(١) هذا هو الصحيح ، وهو قول جمهور المفسرين أن المراد بالوجه هنا ذاته المقدسة العلية ، قال الطبري ١٢٧/٢٠ : أي كل شيء هالكٌ إلا هو ، وقال الحافظ ابن كثير ٢٧٢/٦ : ﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجْهَه ﴾ إخبارٌ بأنه الدائم الباقي ، الحيُّ القيوم ، الذي تموتُ الخلائق ولا يموت كما قال تعالى ﴿ كل من عليها فانٍ . ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ فعبَّر بالوجه عن الذات ، وهكذا قال ههنا ﴿ إلاَّ وجْهَه ﴾ أي إلا إيَّاه .

وقال الفراء في معاني القرآن ٣١٤/٢ ﴿ إلَّا وجهه ﴾ إلاَّ هو ، وكذلك قال الزجَّاج ، والزمخشري ، وقال الألوسي : ﴿ إلاَّ وجْهَه ﴾ أي إلاَّ ذاتُه عز وجل ، والوجه بمعنى الذات مجاز مرسل أطلقَ الجزء وأراد الكل ، وهو مجاز شائع . اهـ وهذا هو الصحيح من الأقوال والله أعلم .

تفسير سورة العنكبوت

مكية وآياتها ٦٩ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت وهي مكية[1]

١ ــ **قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ الٓـمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾** [آية ٢] .

هذا استفهامٌ فيه معنى التقرير والتوبيخ ، أي أحسب النَّاسُ أن يُقْنَع منهم ، بأن يقولوا آمنا فقط ، ولا يُختبروا حتى يُعرف حقيقةَ إيمانِهِمْ وصبرِهم ، وصدقهم وكذبهم ، ويظهر ذلك منهم ، فيُجازوا عليه ؟ وأما الغيبُ فقد علمهُ اللّهُ جلَّ وعزَّ منهم .

ثم قال ﴿ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ﴾ أي على أن يقولوا ، ولأن يقولوا ، وبأن يقولوا آمنَّا .

﴿ وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ .

قال مجاهد وقتادة : أي لا يُبْتلون[2] .

---

(١) قال القرطبي ١٣/٣٢٣ : مكية كلها في قول الحسن ، وعكرمة ، وجابر ، وقال علي رضي الله عنه : نزلت بين مكة والمدينة ــ وهي تسع وستون آية .

(٢) قال ابن جزي في التسهيل ٣/٢٤٥ : نزلت في قوم من المؤمنين ، كانوا بمكة مستضعفين ، وكان كفار مكة يؤذونهم ، ويعذّبونهم على الإسلام ، فضاقتْ صدورهُم بذلك ، فآنَسَهُم اللّهُ بهذه الآية ، وَوَعَظَهم وأخبرهم أن ذلك اختبارٌ ، ليوَطِّنوا أنفسهم على الصبر على الأذى ، والثباتِ على الإيمان ، فأعلمهم اللّهُ تعالى أن تلك سيرتُه في عباده ، يسلِّط الكفَّارَ على المؤمنين ، ليمحِّصهم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب ، ولفظها عام في كل من أصابته فتنة هـ .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [آية ٣] .

أي ابتليناهم .

٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا .. ﴾ [آية ٤] .

قال مجاهد : أي أن يُعْجِزونا .

٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ .. ﴾ [آية ٥] .

قال أبو إسحق : المعنى : من كان يرجو لقاء ثواب[1] الله جلَّ وعزَّ .

٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنَاً .. ﴾ [آية ٨] .

أي ما يَحْسُنُ[2] .

٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا .. ﴾ [آية ٨] .

---

(١) معاني الزجاج ١٦٠/٤ فقد جعله على تقدير حذف المضاف إليه وهو الثواب ، ولا حاجة إلى هذا التقدير ، على مذهب أهل السنة والجماعة ، فإن لقاء الله : مشاهدتُه سبحانه على الوجه اللائق به جلَّ وعلا ، كما في الحديث الصحيح (إنكم سترون ربكم يوم القيامة ..) الحديث .

(٢) عبارة المصنف في إعراب القرآن ٥٦٣/٢ قال أبو إسحق : « حُسْناً » ما يَحْسُن ، ورُويتْ إحساناً ، والمعنى : ووصينا الإنسان بوالديه أن يُحسنَ إليهما إحساناً . اهـ .

قال أبو إسحق : المعنى : وإن جَاهَدَك أَيُّها الإنسانُ والدَاك ، لتشركَ بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما(١) .

٧ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ..﴾** [آية ١٠] .

قال مجاهد : ﴿ **فإذا أُوذِي في الله** ﴾ أي عُذِّب ، خاف من عذاب النَّاس كما يخاف من عذابِ الله جلَّ وعزَّ(٢) .

قال الضحاك : هؤلاء قومٌ قالوا : آمنَّا ، فإذا أُوذي أحدهُمُ أَشْرَكَ(٣) .

ورَوَى ابنُ عُيَيْنةَ عن عَمْرو بنِ دينار عن عكرمة قال : « كان قومٌ بمكةَ قد شهدوا « أنْ لا إله إلاَّ اللهُ » فلما خرج المشركون إلى بدر ، أكرهوهم على الخروج معهم(٤) ، فقُتل بعضُهم فأنزل الله

---

(١) انظر معاني الزجاج ٤/١٦١ وقال القرطبي ١٣/٣٢٨ : نزلت هذه الآيات في « سعد بن أبي وقاص » قال : كنت باراً بأمي ، فأسلمتُ ، فقالت : لتدعنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي فيقال : ياقاتلَ أمه ، فمكثتُ يوماً ويوماً لا تأكل ، فقلت لها يا أمَّاه : والله لو كانت لكِ مائة نَفْس ـــ أي روح ـــ فخرجت نَفْساً نفساً ما تركت ديني هذا ، فإن شئتِ فكلي ، وإن شئتِ فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت ، فنزلت ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي .. ﴾ الآية .

(٢) و(٣) الأثران أخرجهما الطبري في جامع البيان ٢٠/١٣٢ والسيوطي في الدر ٥/١٤٦ والقرطبي ١٣/٣٣٠ في جامع الأحكام .

(٤) ما ذكره المصنف هنا عن عكرمة ، أنهم كانوا مؤمنين أُكرهوا على الخروج ، قولٌ مرجوح ، والصحيح أنهم قوم منافقون أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وهو قول ابن زيد والضحاك ، فقد قال=

جلَّ وعز فيهم ﴿ **إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾[1] فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة ، إلى المسلمين الذين بمكة فخرج مسلمون من مكة فلحقهم المشركون ، فافتتن بعضهم ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ فيهم ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** ﴾ .

قال الشعبي : نزلت فيهم عشرُ آياتٍ من قوله تعالى ﴿ **آلَمَ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوْا ..** ﴾ قال عكرمة : فكتب بها المسلمون الَّذين بالمدينة ، إلى المسلمين الذين كانوا بمكة ، قال رجل من بني ضمرة[2] ـــ كان مريضاً ـــ أخرجوني إلى الرَّوحَ ، فأخرجوه فمات[3] فأنزل الله جلَّ وعزَّ فيه ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وقع أَجْرهُ عَلَى اللهِ ..** ﴾[4] إلى آخر

= كما نقله عنه الطبري ٢٠/١٣٢ : نزلت في ناسٍ من المنافقين كانوا يؤمنون ، فإذا أُوذوا رجعوا إلى الكفر . اهـ أقول : ويؤيده قوله تعالى بعده ﴿ وليعلَمَنَّ الله الذين آمنوا ، وليعلمنَّ المنافقين ﴾ .

(١) سورة النساء آية رقم (٧٩) .

(٢) ذكر ابن جرير في تفسير سورة النساء اسم هذا الرجل وهو « ضَمْرة بن جُنْدب الضَّمْري » وذكر قصته مفصلة فارجع إليها هناك ٥/٢٣٩ .

(٣) المراد بالرَّوح هو الهواء العليل ، يقول لأولاده أخرجوني من مكة . لأَستنشق الهواء ، فإن جبال مكة قد غمَّتني ، فلمَّا وصل إلى التنعيم ، مات رضي الله عنه ففيه نزلت ، وانظر الأثر في الطبري ٢٠/١٣٣ والقرطبي ١٣/٣٣٠ والدر المنثور ٥/١٤٢ .

(٤) سورة النساء آية (١٠٠) .

الآية . وأنزل في المسلمين الذين كانوا افتتنوا ﴿ ثم إنَّ ربَّكَ للَّذينَ عملوا السُّوءَ بجهالةٍ ثم تابوا .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خطَايَاكُمْ ..﴾** [آية ١٢] .

قال الضحاك : هؤلاءِ القادةُ من المشركين[2] .

قال مجاهد : هم مشركوا أهل مكَّةَ ، قالوا لمن آمن منهم : نحنُ وأنتم لا نُبْعثُ[3] ، فاتَّبعونا فإن كان عليكم وزرٌ فهو علينا .

قال أبو جعفر : هذا كما تقول : قَلِّدْنِي هذا إنْ كان فيه وزرٌ ، أي ليس فيه وِزْرٌ .

قال الفراء : وفيه معنى المجازاة[4] ، وأنشد :

فقُلْتُ ادْعِي وادْعُ فإنَّ أَنْدَى
لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادَي دَاعِيَانِ[5]

---

(١) سورة النحل آية (١١٩) .

(٢)و (٣) في المخطوطة « لاتُبعثون » وهذه تحتاج إلى تأويل ، أي نحن لا نُبْعَث ، وأنتم لاتُبْعثون ، وما أثبتناه عن الطبري ٢٠/١٣٤ وهو أصحُّ عربيةً ، ولا يحتاج لتأويل ، وانظر الأثرين في جامع البيان ٢٠/١٣٤ والبحر المحيط ٧/١٤٣ والدر المنثور ٥/١٤٢ .

(٤) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٣١٤ : ﴿ ولنَحْمِلْ خطَايَاكُمْ ﴾ هو أمرٌ فيه تأويلُ الجزاء .

(٥) البيت لمدثار بن شَيْبانَ النَّمْري ، وقبله :

تَقُولُ خَلِيلَتِي لَمَّا اشْتَكَيْنَا ... سَيُدْرِكُنَا بَنُو القَرْمِ الهِجَانِ
فَقُلْتُ : ادْعِي وأَدْعُ فإنَّ أَنْدَى ... لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ =

قال المعنى : ادْعِي ولْأَدْعُ ، أي إن دَعَوْتِ دَعَوْتُ .

٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾ [آية ١٢] .

المعنى : وما هم بحاملين عنهم شيئاً ــ يُخَفِّف ثِقَلَهم .

١٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال أبوُ أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ : « يُؤْتَى بالرجلِ يوم القيامة ، وهو كثير الحسنات ، فلا يزال يُقْتَصُّ منه ، حتى تفنى حَسَنَاتُه [ثُمَّ يُطَالب] ثم يقول اللهُ جلَّ وعزَّ : اقتصُّوا من عَبْدي ، فتقول الملائكة : مابقيَتْ له حَسَنَاتٌ ، فيقول : خذوا من سيِّئاتِ المظلوم ، فاجعلوها عليه » .

قال أُبو أُمامة : ثمَّ تلا رسولُ الله ﷺ ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾(١) .

وقال قتادة في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِم ﴾ .

= والمعنى : ادعى أنتِ ، ولْأَدْعُ وهو من شواهد الطبري ١٣٤/٢٠ والبحرَ المحيط ١٤٣/٧ ومعاني الفراء ٣١٤/٢ والشاهد في الآية أنها على معنى الجزاء أي إن تتبعوا سبيلنا ، نحمِلْ عنكم أوزاركم .

(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم من حديث أبي أمامة الباهلي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٢/٥ وابن كثير في تفسيره ٢٧٧/٦ والقرطبي ٣٣١/١٣ وسقط من الأصل جملة [ثم يطالب] وأثبتناها من هامش المخطوطة .

قال : « مَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كُتِبَ عليهِ وِزْرُهَا ، ووِزْرُ من يعمل بها ، ولا يُنْقِصُ ذلك منها شيئاً »[1] .

قال أبو جعفر : وأهلُ التَّفسيرِ ، على أن معنى الآية كما قال قتادة ، ومثلُه قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾[2] .

١١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [آية ١٤] .

يُقَالُ لِكلِ كثيرٍ مُطِيفٍ بالجميعِ ، من مطرٍ ، أو قتلٍ ، أو موتٍ : طوفانٌ[3] .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ **وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً** .. ﴾ [آية ١٧] .

أي وتنحتون[4] .

(١) هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم رقم ٢٦٧٤ ولفظه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه ، لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثلُ آثام من يتبعه ، لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة النَّحل آية رقم (٢٥) .

(٣) هذا هو تعريفُ الطوفان في اللغة : هو كلُّ ما طاف أي أحاط بالإنسان لكثرتِهِ ، ماءً كان أو غيرَهَ ، وغلب بالعرف على « طوفان نوح » وهو الذي أغرق أهل الأرض ، وهو المشهور عند الإطلاق .

(٤) هذا هو الظاهر أنها من « الخَلْق » وهو الصنعُ والنَّحتُ ، وهو قول مجاهد ، والحسن ، وابن عباس ، فقد قال ابن عباس : ﴿ وتخلقون ﴾ : تنحتون وتصوِّرون ﴿ إفْكاً ﴾ أي أصناماً واختاره ابن جرير ، وقيل : إنه من الاختلاق وهو الكذب أي تختلقون وتقولون الكذب ، وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه .

والمعنى على هذا : إنما تعبدون من دونِ اللهِ أَوْثَاناً ، وأنتم تصنعونها .

وقال مجاهدٌ : ﴿ إِفْكاً ﴾ أي كذباً .

والمعنى على هذا : ويختلقون الكذب .

وقرأ أبو عبد الرحمن[1] ﴿ وتَخَلَّقُوْنَ إِفْكاً ﴾ والمعنى واحد .

١٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قال محمد بن يزيد[2] : المعنى : ولا مَنْ في السَّماءِ ، و« مَنْ » نكرة ، وأنشد غيرُه :

فَمَنْ يَهْجُو رسُوْلَ اللهِ مِنكُمْ
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ[3]

وقال غير أبي العباس المعنى : وما أنتم بمعجزين في الأرض ، ولو كنتم في السَّماء[4] ، وخُوطِبَ النَّاسُ على ما يَعْرِفون ..

وهذا أولى ، والله أعلم .

---

(١) هذه قراءة أبي عبدالرحمن السُّلَمي وزيد بن علي ، وهي من الشواذّ كما في المحتسب لابن جني ١٦٠/٢ .

(٢) هو الإمام المبرِّد وكنيته أبو العباس ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) البيت لحسان بن ثابت يهجو أبا سفيان كما في ديوانه والبحر ١٤٧/٧ والقرطبي ٣٣٧/١٣ واستشهد به الفراء ٣١٥/٢ .

(٤) هذا أظهر الأقوال في تفسير الآية والمعنى : لا تفوتون من عذاب الله ، وليس لكم مهرب في =

١٣ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ، فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

المعنى : فَحَرَّقُوه ، فأنجاهُ اللهُ من النَّار[1] .

ويُروى أنه لم تُحْرِقْ إلاَّ وَثَاقَه[2] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ، وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال الضحاك : إبراهيمُ هَاجَر ، وهو أَوَّلُ من هَاجَرَ .

وقال قتادة : هاجر من كُوثَى[3] إلى الشَّامِ .

١٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٧] .

= الأرض ولا في السماء ، قال القرطبي : المعنى لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله كقوله ﴿ ولو كنتم في بروج منشيدة ﴾ اهـ القرطبي ٣٣٧/١٣ .

(١) في الكلام حذف والتقدير : فألقوه في النار ، فأنجاه الله منها ، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ، كما قال سبحانه ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ .

(٢) الوَثَاقُ : الحبلُ الذي رُبِط به ، وهذا مرويٌّ عن قتادة وكعب .. قال المفسرون : « لما أرادوا إحراق إبراهيم ، جمعوا له حطباً مدة شهر ، حتى كانت المرأة تمرضُ فتنذر إن عُوفيت أن تحمل حزمة حطب لحرق إبراهيم ، ثم جعلوه في حفرة في الأرض ، وأضرموها ناراً ، فكان لها لهبٌ عظيم ، حتى إن الطائر ليمرُّ من فوقها ، فيحترق من شدة حرِّها ووهجها ، ثم أوثقوا إبراهيم بحبل ورموه في النار ، فقال اللهُ للنّار ﴿ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ ولم تحرق النّارُ منه إلا وَثَاقه » اهـ وانظر الطبري ٤٤/١٧ وحاشية الجمل ١٣٥/٣ وصفوة التفاسير ٢٦٨/٢ .

(٣) « كوثى » قرية بسواد العراق في أرض بابل ، وهي القرية التي طرح بها إبراهيم في النار ، كذا في معجم البلدان ٤٨٧/٤ .

رَوَى سفيان عن حُميد بن قَيْسٍ قال : أَمَرَ سعيدُ بن جُبير إنساناً ، أن يسأل عكرمة عن قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيا ﴾ .

فقال عكرمة : أهلُ المِلَلِ كلِّها تَدَّعيه ، وتقول : هو منَّا ، فقال سعيد بن جُبير : صَدَقَ[١] .

وقال قتادة : هو مثلُ قولِهِ تعالى ﴿ **وآتَيْنَاهُ في الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾[٢] .

أي عافيةً وعملاً صالحاً ، وثناءً حسناً وذاك أن أهل كلِّ دينٍ يتولَّونه[٣] .

وقيل : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ في الدُّنْيَا** ﴾ : إن أَكْثَرَ الأنبياءِ من وَلَدِهِ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٤ عن مجاهد أنه أرسل رجلاً يُقال له قاسم إلى عكرمة يسأله .. الخ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٢ وتمامها ﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ .

(٣) أي يزعمون انتسابهم إليه ، وأنه على دينهم ، وقد كذبهم الله تعالى بقوله ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ﴾ .

(٤) هذا قولٌ ضعيف ، لأنه قد ذكر قبله ﴿ وَجَعَلْنَا في ذُرِّيَتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتَابَ ﴾ فعلى هذا التفسير يكون في الآية تكرارٌ ، والأظهر ما قاله مجاهد وقتادة وابن عباس : أن الأجر في الدنيا هو الولدُ الصالح ، والثناءُ العاطر ، والذكرُ الحسن كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ وَاجْعَلْ لي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِين ﴾ أي ذكراً حسناً وثناءً عاطراً .

١٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [آية ٢٨] .

يُرْوَى أنَّهم أوَّلُ من نَزَا على الرِّجال(١) .

١٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

استفهامٌ فيه معنى التوبيخ والتقرير(٢) .

وقوله جل وعز ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ [آية ٢٩] .

قيل : كانوا يتلقَّوْن النَّاس من الطُّرُقِ للفساد .

وقيل : أي تقطعون سَبيلَ الولد(٣) .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

---

(١) اللواطة أول ما ظهرت في قوم لوطٍ ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه ﴿ ما سَبَقَكُمْ بها من أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾ وانظر البحر المحيط ١٤٩/٧ .

(٢) هكذا في المخطوطة « والتقرير » ولعله « والتقريع » كما قال في البحر : استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ وتقريع .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره قوله تعالى ﴿ وَتَقْطَعُوْنَ السَّبِيلَ ﴾ ثلاثة أقوال : الأول : أنهم كانوا قطَّاع الطريق يسلبون أموال الناس قاله ابن زيد . والثاني : كانوا يأخذون الناس من الطرق لقضاء الفاحشة حكاه الطبري وغيره ، الثالث : قطع النسل بالعدول عن النساء إلى الرجال قاله ابن منبه ، ثم قال : ولعل الجميع كان فيهم ، من سلب الأموال ، وعمل الفاحشة في الرجال ، وقطع النسل بالاستغناء عن النساء . اهـ .

قال مجاهد : النَّادي : المجلسُ[1] ، والمنكرُ : فعلُهم بالرِّجالِ .

قال أبو جعفر : المنكرُ في اللغة : يقعُ على القول الفاحش ، وعلى الفعلِ[2] .

حدثنا محمد بنُ إدْريسَ بنِ الأسْودِ ، قال : حدثنا إبراهيمُ بنُ مَرْزوقٍ ، قال : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ بكرٍ ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صَغِيرة[3] ، عن سِمَاكٍ ، عن أبي صالح ــ مَوْلَى أمّ هَانيءٍ[4] ابنةِ أبي طالبٍ ــ رضي الله عنها ــ أنها سألتْ رسولَ الله ﷺ قالت : قلتُ يارسولَ الله : أرأيتَ قولَ اللهِ عزَّ وجل ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** ﴾ ما كان ذلكَ المنكرُ الذي كانوا يأتونه في ناديهم ؟ قال : كانوا يضحكونَ بأهلِ الطريقِ ، ويحذِفُونهم[5] .

---

(١) في المصباح المنير :النادي : مجلس القوم ومتحدثهم ، والنَدِيُّ والمُنْتَدى مثلُه ، ولا يقال له « نادى » إلاَّ والقومُ مجتمعون فيه ، فإذا تفرَّقوا زالت عنه هذه الأسماء . اهـ والأثر أخرجه ابن جرير ١٤٦/٢٠ والسيوطي في الدر ١٤٤/٥ .

(٢) المنكرُ : ضدُّ المعروف ، وهو كلُّ ما استقبحه الشرع وحرَّمه وكرهه ، كذا في لسان العرب مادة نكر .

(٣) حاتم بن أبي صَغِيرة : بفتح الصَّاد وكسر الغَيْن المعجمة ، ثقةٌ من السادسة ، كذا في تقريب التهذيب لابن حجر ١٣٧/١ .

(٤) « أم هانىء » هي أختي علي بن أبي طالب ، واسمها « فاختة » كما في الإصابة ومسند أحمد .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٤٤/٥ والطبري في جامع البيان ١٤٥/٢٠ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ٣٤٢/١٣ بألفاظ متقاربة ، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٨٦/٦ وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند عن أم هانىء قالت : سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : يَخْذِفون أهل الطريق ، ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه . اهـ وانظر مسند الإمام أحمد ٣٤١/٦ .

قال أبو جعفر : فسمَّى الله جلَّ وعزَّ هذا « منكراً » لأنه لا ينبغي للنَّاس أن يتعاشَرُوا به[1] .

وحدثنا أسامةُ بن أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ، عن يزيد بن بُكير ، عن القاسم بن محمد[2] في قوله تعالى ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** ﴾ قال : كانوا يتفاعلون[3] في مجالسهم ، يَفعل بعضُهم على بعضٍ .

قال أبو جعفر : قالها الشيخ بالضَّادِ والطَّاء[4] .

---

(١) أي لا ينبغي أن يفعلوا مثله في مخالطتهم وعِشرتهم ، لأنه مما يُخلّ بالمروءة .

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وانظر الدر المنثور الجزء الخامس صفحة (١٤٤) .

(٣) أتى المصنف رحمه الله بالعبارة كناية ، ولم يذكر اللفظ الصريح فقال : « يتفاعلون » وهذا من الآداب الإسلامية ، أن يكنى الإنسان عن الألفاظ القبيحة ، وأصل العبارة : « كانوا يتضارطون في مجالسهم يضرط بعضهم على بعض » ولهذا قال النحاس : قالها الشيخ يعني « القاسم بن محمد » بالضَّاد والطاء أي باللفظ الصريح ، ومما يؤيد هذا الذي ذكرناه ماجاء عن عائشة قالت : هو « الضراط » وذكره ابن جرير صراحة في تفسيره ١٤٤/٢٠ فقال : اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم ، فقال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجلسهم ، وذكره كذلك القرطبي وصاحب البحر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٤/٥ وقال أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم ولفظه قال القاسم : كانوا يتضارطون في مجالسهم ، يضرط بعضهم على بعض ، والنادي هو المجلسُ .. وروى ابن جرير عن مجاهد قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس . اهـ أقول : هذه جريمةٌ أخرى تنضمُّ إلى قبائحهم وشنائعهم، أي يتعاطون اللواطة أمام أبصار الناظرين ، دون خجلٍ أو حياء ، وهذا منتهى الخِسَّة والقذارة كما نسمع اليوم في بعض البلاد الأوربية من تعاطي الزنى واللواط علناً في أماكن معينة أمام سمع الناس وبصرهم ، وكأن البشر انقلبوا إلى خنازير وحمير ، في هذا العصر المتمدن !!

(٤) أي قالها صراحةً لا كناية « يتضارطون » .

١٩ ــ وقولُه عز وجل ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطَاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا .. ﴾ [آية ٣٢] .

رَوَى أبو نَصْرٍ ، عن عبدالرحمن بن سَمُرة ، قال : قال إبراهيم ﷺ للملائكة : إن كان فيهم مائةٌ يَكْرَهونَ هَذَا أَتُهلكونهم ؟

قالوا : لا .

قال : فإن كان فيهم تسعون ؟ قالوا : لا .

إلى أن بلغ إلى عشرين[1] ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوْطَاً ﴾ قالت الملائكةُ صلَّى الله عليهم ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ قال عبدالرحمن : وكانوا أربعمائة ألف[2] .

٢٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطَاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعَاً .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال قتادة : أي سَاءَ ظَنُّه بقومه ، وضَاقَ ذَرْعُه بضَيْفِهِ[3] .

---

(١) وفي رواية الطبري ١٢/٨٠ فمازال يتنزَّل معهم حتى قال : أفرأيتم إن كان فيها رجلاً واحداً مسلماً أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم عند ذلك « إن فيها لوطاً » قاله على سبيل الإشفاق على لوط .

(٢) أي كان قوم لوط الذين أُهلكوا أربعمائة ألف ، دمَّرهم الله وقَلَب بهم ديارهم ، قال ابن كثير : وذلك أن جبريل اقتلع قراهم من قرار الأرض ، ثم رفعها إلى عنان السماء ، ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، وجعل مكانها بُحَيرةً خبيثة منتنة . اهـ ابن كثير ٦/٢٨٧ .

(٣) في المصباح المنير : وضاق بالأمر ذرعاً : عجز عن احتماله وذرعُ الإنسان طاقته . اهـ .

قال أبو جعفر: يُقال : ضِقْتُ به ذَرْعَاً أي لم أُطِقْه مشتقٌّ من الذِّراع ، لأن القوَّة فيه .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

قال مجاهد : ﴿ آيةً بيِّنةً ﴾ : أي عِبْرةً .

وقال قتادة : هي الحجَارةُ التي أُبْقيتْ(١) .

وقال غيره : يُرْجَمُ بها قومٌ من هذه الأمة .

٢٢ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبَاً ..﴾** [آية ٣٦] .

قال قتادة : أُرسِلَ شعيبٌ ﷺ مرَّتين إلى أُمَّتَيْن : إلى أهلِ مدينَ ، وإلى أصحاب الأيكة(٢) .

---

(١) الأظهر قول ابن عباس : أنها آثار منازلهم الخربة ، كما قال تعالى ﴿ وإنكم تمرُّونَ عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾ ؟

(٢) ذكر هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ١١٠/١٩ والقرطبي ١٣٥/١٣ وإلى هذا القول ذهب بعض المفسرين ، والتحقيق أن أهل مدين وأصحاب الأيكة أمةٌ واحدة ، بُعث إليهم « شعيبٌ » عليه السلام ، لأن قصتهم واحدة ، وقد اشتهروا بتطفيف المكيال والميزان ، وقد أهلكهم الله بالرجفة ، والصيحة والظُلَّة ، وإلى هذا ذهب الحافظ ابن كثير فقد قال رحمه الله ١٦٨/٦ : « أصحاب الأيكةِ » هم أهل مدين على الصحيح ، والأيكةُ شجر ملتفّ وإنما لم يقل في سورة الشعراء ﴿ أخوهم شعيب ﴾ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، فقطع نسبة الأُخُوَّة بينهم ، للمعنى الذي نُسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسباً كما قال هنا ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ ومن الناس من لم يتفطَّن لهذه النكتة ، فظَنَّ أن أصحاب الأيكة غير أهل مدينَ ، وزعم أن شعيباً بعثَهُ اللهُ إلى أمتين ، والصحيحُ أنهم أمة واحدة . اهـ .

٢٣ ـ **وقولُه عزَّ وجل** ﴿ وَعَادَاً وثَمُوْدَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ .. ﴾ [آية ٣٨] .

أي وأهلكنا عاداً ، وثمود [١] .

وقيل : التقديرُ : واذكرْ عاداً وثمودَ .

٢٤ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَكَانُوْا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [آية ٣٨] .

قال مجاهد : أي في الضلالة[٢] .

وقال قتادة : أي معجبين بضلالتهم[٣] .

وقيل : ﴿ وَكَانُوْا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أي قد علموا أنهم مُعَذَّبون[٤] ، وقد فَعَلُوا ما فَعَلُوا .

---

(١) ﴿ وَعَاداً وثمودَ ﴾ منصوب بإضمار فعل دلَّ عليه المقام أي أهلكناهم فإنَّ قوله ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ في معنى أهلكناهم ، أي فكما أهلكنا قبلهم المكذبين « أهل مدين » أهلكنا عاداً وثمود ، وهذا هو الأرجحُ والله أعلم ، وفي المخطوطة « وثموداً » وصوابه : وثمودَ .

(٢ـ٣) انظر الدر ١٤٥/٥ وهذا ما اختاره ابن جرير في تفسيره ١٥٠/٢٠ حيث قال المعنى : وكانوا مستبصرين في ضلالتهم ، معجبين بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال . اهـ أقول : هذا القول ضعيفٌ . والأظهر أنَّ المعنى : إنهم كانوا عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ، ولكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً ، وهو ما رجَّحه القرطبي حيث قال ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ فيه قولان : أحدهما : وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد ، والثاني : كانوا مستبصرين قد عرفوا الحقَّ من الباطل بظهور البراهين ، وهذا القولُ أشبهُ ، لأنه إنما يُقال فلانٌ مستبصرٌ إذا عَرَفَ الشيء على الحقيقة ، قال الفراء : ٣١٧/٢ : كانوا عقلاء ذوي بصائر ، فلم تنفعهم بصائرهم . اهـ جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣٤٤/١٣ .

(٤) في المخطوطة « معذبين » وهو خطأ ، والصواب ما اثبتناه لأنه خبر « أنَّ » .

٢٥ ــ **وقولُه عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً .. ﴾** [آية ٤٠] .

أي حَصَباً وهي الحجارةُ ، وهم قومُ لوطٍ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ هم ثمودُ ، وأهلُ مدين .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ ﴾ قارونُ ، وأصحابُه .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ قومُ نوحٍ ، وفرعونُ وأصحابُه(١) .

٢٦ ــ **ثم أخبر تعالى أنه لم يظلمهم في ذلك فقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾** [آية ٤٠] .

٢٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً .. ﴾** [آية ٤١] .

قال قتادة : هذا مثلٌ ضَرَبه اللهُ عزَّ وجلَّ ، أي إنه لا ينفع لضعفِه ، كما أنَّ بيتَ العنكبوتِ لاينفعُ ولا يَقِي(٢) .

---

(١) في الكشاف ١٥٨/٢ : الحاصبُ لقوم لوط ، وهي ريح عاصف فيها حصباء ــ أي حجارة ــ والصيحةُ لَمَدْيَن وثمود ، والخسفُ لقارون ، والغرقُ لقوم نوحٍ وفرعون . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٥٣/٢٠ والسيوطي في الدر ١٤٥/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وهو مثلٌ في غاية الوضوح والجلاء ، مثّل به للكفار في عبادتهم الأصنام واعتقادهم بنفعها ، بالعنكبوت التي تجتهد لتبنِيَ لها بيتاً ، وأمرُها في غاية الوهن والضعف . قال الفراء ٣١٧/٢ : هو مثلٌ ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة ، لا تنفعه ولا تضرُّه ، كما أنَّ بيت العنكبوت ، لايقيها حراً ولا برداً . اهـ .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٤١] .

﴿ **لَوْ** ﴾ متعلقةٌ بقوله ﴿ **مَثَلُ الَّذينَ اتَّخذوا من دونِ اللهِ أَوْلياءَ كَمَثَلِ العنكَبُوتِ** ﴾ لو كانوا يعلمون أن أولياءهم لا يُغْنون عنهم شيئاً ، وأنَّ هذا مَثَلُهم[١] .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ..﴾** [آية ٤٥] .

رَوَى يونس عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : « مَن لم تَنْهَهُ صَلَاتُه عن الفَحْشَاءِ والمُنْكرِ لم يَزْدَد بِهَا من اللهِ إلاَّ بُعْداً »[٢] .

ورَوَى عليُّ بن طلحة عن ابن عباس قال : في الصلاة منتهىً ، ومزدجرٌ عن المعاصي[٣] .

---

(١) قال في البحر ١٥٢/٧ : ﴿ لو كانُوا يعلمون ﴾ ليس مرتبطاً بقوله ﴿ وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ ﴾ لأن كل أحدٍ يعلم ذلك ، وإنما المعنى : لو كانوا يعلمون أن أمر دينهم ، بالغٌ من الوهنِ هذه الغاية ، وأن هذا مَثَلُهم ، لأقلعوا عنه ، وما اتخذوا الأصنام آلهة . اهـ . وهذا أوضح ممَّا ذكره المصنف .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم مرفوعاً ، والصحيح فيه أنه موقوف من قول الصحابي ، كما ذكره الحافظ ابن كثير ، وفي إسناده مقال ، قال ابن عطية سمعت أبي يقول : إذا نظرنا إلى المعنى فغير جائز أن يُقال : إنَّ نفس صلاة العاصي تُبعِدُه من الله ، حتى كأنها معصية ، وإنما المعنى : أنها لا تؤثِّر في تقريبه من اللهِ ، بل تتركه على حاله ومعاصيه ، من الفحشاءِ والمنكر والبعد ، وقيل لابن مسعود : إن فلاناً كثير الصلاة ، فقال : إنَّها لاتنفع إلاَّ من أطاعها ، وبالجملة فإن مرتكب المعاصي لا قيمة لصلاته إذا لم تكفَّه عن محارم الله اهـ . القرطبي ٣٤٨/١٣ .

(٣) ذكر هذا الأثر عن ابن عباس الطبري في تفسيره ١٥٥/٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ١٤٥/٥=

قال أبو جعفر : قيل معنى هذا : إنَّ العبد مادام في الصلاة ، فليس في فحشاء ، ولا منكر[1] .

٣٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ** ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى سفيانُ عن ابنِ مسعودٍ ، ورَوَى عن سَلْمانَ ، وسعيد بن جُبيرٍ ، عن ابن عباس في قوله جلَّ وعز ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ** ﴾ قالوا : ذكرُ اللهِ إيَّاكم ، أكبرُ من ذكرِكُمْ إيَّاه[2] .

زاد ابنُ عبَّاسٍ : إذا ذكرتموه بعد قوله « إيَّاكم »[3] .

= وأخرج عن أبي العالية قال : الصلاة فيها ثلاث خلالٍ : الإخلاصُ ، والخشيةُ ، وذكرُ اللهِ ، فكلُّ صلاةٍ ليس فيها هذه الخِلالُ فليست بصلاة .

(١) هذا قول « أبي عون الأنصاري » وهو ما اختاره ابن جرير في تخريج معنى الحديث ورجحه في تفسيره اهـ وفي ترجيحه نظرٌ ، والأولى أن يقال : إن الصلاة من شأنها إذا أُدِّيت على الوجه الكامل من فروضها ، وسننها ، وخشوعها ، وآدابها ، والتدبر لما يتلوه فيها من آيات الذكر الحكيم ، من شأنها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكيف لا تنهى ؟ونحن نرى أن من لبس ثوباً فاخراً ، فإنه يتجنَّب مباشرة القاذورات ، فمن لبس لباس التقوى كيف لايتجنب الفواحش ؟ ويؤيد هذا المعنى ما رواه أحمد في المسند قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلاناً يصلي بالليل ، فإذا أصبح سرق ، قال سينهاه ما يقول » اهـ . مسند أحمد ٤٤٧/٢ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ، وابن كثير ، والسيوطي في الدر ولفظه ١٤٦/٥ : قال ابن عباس : « ولذكرُ اللهِ لعباده إذا ذكروه ، أكبرُ من ذكرهم إياه » اهـ .

(٣) مراد المصنف أن ابن عباس قال : ذكرُ الله إيَّاكم إذا ذكرتموه ، أكبرُ من ذكركم إيَّاه ، فزاد ابن عباس على الرواية السابقة جملة « إذا ذكرتموه » بعد كلمة « إيَّاكم » وما قاله ابن عباس هو قول مجاهد وعكرمة ، ورجحه ابن جرير الطبري ، وهو قول وجيهٌ مقبول ، والأظهر منه ما قاله بعض=

٣١ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ [آية ٤٦] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : من قاتَلَك ، ولم يُعْطِكَ الجزيةَ ، فقاتِلْهُ بالسَّيفِ[١] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هي منسوخة[٢] ، نَسَخَها ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ ولا مجادلةَ أشدُّ من السَّيف

قال أبو جعفر : قولُ قتادَة أولى بالصواب لأنَّ السورة مكيَّةٌ

= المفسرين أن المعنى : ولذكرُ الله أكبر من كل شيءٍ في الدنيا ، وهو أن يتذكر العبدُ عظمةَ الله وجلالَهُ ، وعلّو شأنه ، ويذكره في صلاته وبيعه وشرائه ، وسائر أمور حياته ، فيفزع من عقابه ، ولا يغفل عنه في جميع شئونه ، فهذا أعظم القربات ، ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ وهذا اختيار ابن عطية ، كما في المحرر الوجيز ٤٠٠/١١ .

(١) قال القرطبي ٣٥٠/١٣ : اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ ولاتجادلوا أهلَ الكتابِ ﴾ فقال مجاهد : هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل ، والتنبيه على حججه وآياته ، رجاء إجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ، وقوله ﴿ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي ظلموكم ، وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق . اهـ .

(٢) قول قتادة إنها منسوخة فيه نظر ، وما قاله مجاهد أظهر وأوضح وقد قال الطبري ٢/٢١ : « وأولى الأقوال بالصواب قول من قال ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ أي امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب ، ثم قال : ولا يجوز أن يُحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل . اهـ وقال القرطبي : قول مجاهد حسنٌ ، لأن أحكام الله عز وجل لايُقال إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر ، أو حُجَّةٍ من معقول ، واختار هذا القول ابن العربي . اهـ فما رجحه الإمام النحاس من القول بالنسخ غير سليم والله أعلم .

وإنما أُمِرَ بالقتال بعد الهجرة ، وأُمِرَ بأخذ الجزية بعد ذلك بمدةٍ طويلة ، وأيضاً فإنه قال ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

٣٢ ــ **وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّـذِي أُنْـزِلَ إِلَيْنَـا وَأُنْـزِلَ إِلَيْكُمْ .. ﴾** [آية ٤٦] .

رَوَى سُفْيانُ عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ قال : « كان قومٌ من اليهودِ يَجْلسون مع المسلمينَ فيحدِّثونهم ، فأخبروا بذلك النبيَّ ﷺ فقال لهم : لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم ﴿ **وقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ** ﴾[1] إلى آخر الآية » .

٣٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ .. ﴾** [آية ٤٨] .

وكذا صفتُه صلَّى الله عليه وسلم في التَّوْراة[2] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ١٣٦/٩ وكتاب التفسير ٢٥/٦ ولفظه : عن أبي هريرة قال : « كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لاتُصدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تكذِّبوهم ﴿ وقولوا آمنا باللهِ وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم .. ﴾ الآية .

(٢) أي هو ﷺ أميٌّ لايقرأ ولا يكتُب ، كما قال سبحانه ﴿ الَّذِين يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجدُوْنَهُ مَكْتوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ .. ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٧ .

ثم قال تعالى ﴿ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [آية ٤٨] .

قال مجاهد : قريشٌ[١] .

٣٤ ـ ثم قال جلّ وعز : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ .. ﴾ [آية ٤٩] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ـ قال الحسن : بل القرآنُ آياتٌ بيناتٌ في صُدُورِ المؤمنين[٢] .

ب ـ وقال قتادة : بل النبيُّ ﷺ آيةٌ بيِّنة ، كذا قرأ قتادة « في صُدُوْرِ الَّذِينَ أُوْتُوْا العِلْمَ ، من أهل الكتاب»[٣] .

جـ ـ وقال الضحاك : كانت صفةُ النبي ﷺ أنه لايكتب بيمينِهِ ، ولا يتلو كتاباً ، فذلك آيةٌ بيِّنةٌ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدُرِّ ١٤٨/٥ قال مجاهدٌ : هم كفَّارُ قريش ، وقال قتادة : هم أهل الكتاب ، وانظر البحر ١٥٥/٧ . وقول مجاهد أظهر ، وهو اختيار الطبري ٥/٢١ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٦/٢١ ثم رجح قول قتادة فقال : ﴿ بل هو آياتٌ بيِّناتٌ ﴾ أي بل محمد آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، يجدونه مكتوباً في كتبهم بهذه الصفة ، أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب . اهـ أقول : ما ذكره الحسن هو الأظهر ، لأن الحديث عن القرآن ، وحفظته من أمة محمد ﷺ وهو اختيار الحافظ ابن كثير ٢٩٦/٦ .

(٣) هذه القراءةُ محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة واردة عن المعصوم ﷺ .

(٤) عبارة القرطبي ٥/٢١ : وقال الضحاك : كان نبيُّ الله لا يقرأ ولا يكتب ، وكذلك جعل الله نعته =

٣٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٥١] .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ عن عَمْرو بنِ دينار عن يحيى بن جعدة قال : « أُتِيَ النبيُّ ﷺ بِكَتِفٍ فيها كتابٌ ، فقال : كَفَى بقومٍ حُمْقاً أو ضلالةً ، أن يرغبوا عن نبيِّهم إلى نبيٍّ غيره ، أو إلى كتابٍ غير كتابهم » فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ .. ﴾[1] الآية .

٣٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوْا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [آية ٥٦] .

قال سعيدُ بن جبير : إذا أُمرتم بالمعاصي فاهْرُبوا[2] .

وقال عطاء : إذا رأيتم المعاصي فاهْرُبوا[3] .

= في التوراة والإنجيل ، أنه نبيٌّ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم .

(١) الحديث أخرجه الدارمي في مسنده ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن يحيى بن جَعْدة ، ولفظه : « جاء ناس من المسلمين بكتف ، قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله ﷺ كفى بقوم حُمْقاً أو ضلالةً ، أن يرغبوا عما جاء به نبيُّهم إليهم ، إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » فنزلت ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ ﴾ الآية ، وانظر روح المعاني ٦/٢١ والدر ١٤٨/٥ والقرطبي ٣٥٥/١٣ وقال القرطبي : وفي مثله قال ﷺ : « لو كان موسى بن عِمْرانَ حيّاً ، لَمَا وسِعَهُ إلاَّ اتِّبَاعِي » .

(٢) و(٣) انظر الدر المنثور ١٤٩/٥ والطبري ٩/٢١ قال ابن جرير : والمعنى : لم تضقْ عليكم الأرضُ ، فتقيموا بموضعٍ لا يحلُّ لكم المُقَام فيه ، ولكنْ إذا عُمِلَ بمكان منها بمعاصي اللهِ ، فلم تقدروا على تغييره ، فاهربوا منه . اهـ .

وقال مجاهد : هاجِرُوا واعتزلوا الأَوْثانَ[1] .

قال أبو جعفر : القولانِ يرجعان إلى شيءٍ واحد ، فقولُ مجاهدٍ أنهم أُمروا بالهجرة ، ومجانبةِ أصحاب الأوْثَانِ ، وقال العلماء : كذلك إذا لم يقدرْ أن يأمرَ بالمعروفِ ، وينهى عن المنكر ، خَرَجَ وكان حكمُهُ حكمَ أولئك .

وقيل : أي إنَّ أرض الجنَّة واسعة فاعبدوني حتى أعطيكموها[2] .

٣٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً .. ﴾ [آية ٥٨] .

أي لنُنْزِلَنَّهم .

ومعنى ﴿ لَنُثْوِيَنَّهم ﴾[3] : لنُعْطِيَنَّهم منازلَ يَثْوُونَ فيها ، يُقال : ثَوَى : إذا أَقَامَ .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١ط/٩ والسيوطي في الدر ١٤٩/٥ عن مجاهد بلفظ « هَاجِرُوا وجَاهِدوا » وقال في البحر ١٥٧/٧ : أكثر المفسرين أن الآية نزلت فيمن كان مقيماً بمكة ، أُمروا بالهجرة عنها إلى المدينة المنورة ، أي جانِبُوا أهلَ الشِّرْكِ ، واطلبوا أهلَ الإيمان . اهـ .

(٢) ذكر هذا القول الألوسي ، والقرطبي ، والبحر المحيط وفي تفسير الألوسي ١٠/٢١ ذكر أنه قول الجُبَّائي ، فقال : إن الآية وعدٌ من الله عزَّ وجل بإدخال الجنة ، لمن أخلص له سبحانه العبادة ، قال : وفسر الأرض بأرض الجنة ، والمعوَّل عليه أنها أرض الدنيا . اهـ أقول : الجُبَّائي هو محمد بن عبدالوهاب الجبائي المولود سنة ٢٣٥ وله كتاب التفسير ، وهو من علماء المعتزلة ولذلك لم يذكر المفسرون اسمه توفي سنة ٣٠٣ وانظر الأنساب للمسعاني ١٨٦/٣ .

(٣) هذا التفسير على قراءة من قرأ بالثاء ﴿ لَنُثْوِيَنَّهم ﴾ وهي قراءة الأعمش . وحمزة والكسائي ذكرها =

٣٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : الطيرُ والبهائمُ لا تحمل رزقها .

ورَوَى الحُمَيْديُّ عن سُفْيانَ : ﴿ لَا تَحْمِلُ ﴾ لا تُخَبِّئُ ، قال : وليس شيٌ يَدَّخِرُ إلاَّ الإنسانُ ، والنَّملةُ ، والفأرةُ(١) .

قال أبو جعفر : ﴿ دَابَّة ﴾ تقع لكل الحيوان ، ممَّا يَعْقِل ولا يَعْقِلُ ، إلاَّ أنَّ معناه ههنا : الخُصُوصُ ، أي وكم من دابَّةٍ عاجزةٍ ، اللهُ يرزقُها وإيَّاكم .

= القرطبي ٣٥٩/١٣ وهي من القراءات السبع كما في النشر ٣٤٤/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٠٢ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٤٩/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) الأثر ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٥٨/٧ والألوسي في روح المعاني ١١/٢١ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٦٠/١٣ ونسبه إلى ابن عباس فقال : قال ابن عباس : الدوابُّ هو كل مادبَّ من الحيوان ، فكلُّه لايحملُ رزقه و لا يدَّخر إلا ابنَ آدم ، والنمل ، والفأر . اهـ وسفيان الذي ذكره المصنّف هو « سفيانُ بن عُيَيْنة » وليس سفيان الثوري .

وقد أورد الحافظ ابن كثير حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال لابن عمر « كيف بك يا ابن عمر إذا بقيتَ في قوم يخبئون رزق سنتهم ، بِضَعْفِ اليقين » !! وأشار القرطبي إلى ضعفه ، قال القرطبي ٣٦٠/١٣ : وهذا ضعيف يضعفه أنه عليه السلام كان يدَّخر لأهله قوتَ سنتهم ، اتفق البخاري عليه ومسلم ، وكان الصحابة يفعلون ذلك ، وهم القدوة وأهل اليقين ، والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين .

٣٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ .. ﴾ [آية ٦٤] .

قال مجاهد : لا موت فيها[١] .

وقال قتادة : الحَيَوانُ : الحياةُ[٢] .

قال أبو جعفر : يُقال : حَيَوانٌ ، وحَياةٌ ، وحِيٌّ ، كما قال :

« وقد تَرَى إذِ الحَيَاةُ حِيُّ »[٣]

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوْا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [آية ٦٥] .

أي فإذَا أصابتهم شدَّة ، دعَوا الله وحده ، وتركوا ما يعبدون من دونه .

وقوله جلَّ وعز ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [آية ٦٥] .

أي يدعون معه غيره[٤] .

(١ــ٢) الحيوان في الآية هنا بمعنى الحياة الباقية الدائمة ، التي لاموت فيها ولازوال ولا كدر ، كما قال مجاهد ، وقتادة ، وانظر الدر المنثور ١٤٩/٥ .

(٣) هذا شطر من الرَّجَز للعجاج وتمامه :

وقد تَرَى إذِ الحياةُ حِيُّ وإذْ زمانُ النَّاس دَغْفليُّ

وهو في ديوانه ص٦٧ واللسان ، ومجاز القرآن ١١٧/٢ والقرطبي ٣٦٢/١٣ وشواهد المغني ص ١٨ .

(٤) قال الطبري ١٣/٢١ : المعنى : إذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الغرق، =

٤١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٦٦] .

﴿ وَلِيَتَمَتَّعُوا ﴾ على التهديد ، وكسرِ اللام(١) .

٤٢ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا .. ﴾ [آية ٦٩] .

أي لَنزِيدنَّهم هُدَىً .

٤٣ ــ ثم أخبرنا جلَّ وعز أنه يَنْصُرهم فقال ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آية ٦٩] .

تمت سورة العنكبوت

* * *

= والهلاك فيه ، أخلصوا للَّهِ التوحيد عند الشدة التي نزلت بهم ، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، فلما خلَّصهم وسلَّمهم ممَّا كانوا فيه فصاروا إلى البر ، إذا هم يجعلون مع الله شريكاً ، ويدعون الأوثان معه أرباباً . اهـ .

(١) قوله بكسر الّلام «وَلِيَتَمَتَّعُوا» يريد أن اللَّامَ لامُ « كَيْ » أي يشركون كي يتمتعوا بهذه الدنيا الفانية ويتلذذوا بنعيمها العاجل ، وعبارة المصنف في كتابه إعراب القرآن أوضحُ وأصرح فقد قال ما نصّه : اللام لامُ كَيْ ، ويجوز أن تكون لام أمر ، لأن أصل لام الأمر الكسرُ ، إلا أنه أمرٌ فيه معنى التهديد ، ومن قرأ « وَلْيَتمتعُوا» بإسكان اللام لم يجعلها لام كيْ ، لأن لام « كيْ » لايجوز إسكانها . اهـ إعراب القرآن للنحاس ٥٧٤/٢ وقال القرطبي : المعني : ليكون ثمرةُ شركهم أن يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا ، وقيل : هما لام أمر معناه التهديد والوعيد ، أي اكفروا بما أعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ، ويؤيده قراءة نافع وحمزة « ولْيتمتعوا » بجزم اللام . اهـ .

تفسير سورة الروم

مكية وآياتها ٦٠ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم وهي مكية[1]

١ ـ من ذلك قوله جلّ وعز : ﴿ آلـمّ . غُلِبَتِ الـرُّومُ فِي أَدْنَـى الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢] .

قال مجاهد : هي الجزيرةُ كانت أقرب أرض الروم إلى فارس[2] .

حدثنا محمدُ بنُ سَلَمة الأَسْوانُّي ، قال حدثنا محمد بن سنجر ، قال حدثنا معاوية بن عمرو ، قال حدثنا أبو إسحق الفزاريُّ ، عن سفيان الثوريّ ، عن حبيبِ بنِ أبي عَمْرة ، عن سَعيد بن جُبَيْر ، عن

---

(١) قال في البحر ١٦٠/٧ : هذه السورة مكية بلا خلاف . وقال ابن الجوزي ٢٨٦/٦ : مكية كلها بإجماعهم .

(٢) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون ، أنه كان بين فارس والروم حربٌ ، وكان المشركون يودُّون أن تَغْلِبَ فارسُ الرومَ ، لأن فارس كانوا مجوساً ، والمسلمونَ يودُّون غَلَبَةَ الرُّوم على فَارسَ ، لأَنَّ الرومَ أهلُ كتابٍ ، وأهلُ الكتاب أقربُ إلى المسلمين من المجوس ، فلما انتصر المجوسُ على الروم ، حزن المسلمون وتأثروا ، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين : إنكم أهل كتاب ، والرُوم أهل كتابٍ ، وقد ظهر إخوانُنا على إخوانكم ، فَلَنَظهرنَّ عليكم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا يقرُّ الله أعينكم ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ آلـمّ غُلِبَت الرُّوْمُ في أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهْم سَيَغْلِبُوْنَ ﴾ أي هُزِم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس ، وهم من بعد انهزامهم سيغلبون الفرس وينتصرون عليهم ، وكان ذلك من الآيات البينات ، الشاهدة بصحة النبوة ، لأنها من علم الغيب الذي لايعلمه إلا الله . وانظر الطبري ١٨/٢١ والقرطبي ١٢/١٤ .

ابنِ عباس في قولِ الله جلَّ وعزَّ ﴿ **آلمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ** ﴾ قال : كان المشركون يحبُّون أن تظهـرَ « فارسُ » على « الـرُّومِ » لأنهم أهـلُ أوثـان ، وكان المسلمـون يحبـون أن تظهـر « الـرُّومُ » على « فارسَ » لأنهم أهـلُ الكتـاب ، فذُكـر لأبي بكـر ، فذكـره أبـو بكـرٍ لرسول الله ﷺ فقـال رسولُ الله ﷺ : أَمَـا إنهم سيغلبـون ، قال : فذكـره أبـو بكـرٍ لهم ، فقالوا[1] : اجعل بيننا وبينكَ أجـلاً ، فإن ظهرنـا كان لنـا كذا وكـذا ، وإن ظهـرتم كان لكـم كذا وكـذا ، فجعـل أجـلاً خمس سنين ، فلـم يظهروا ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقـال : [ألا جعلتَهـا إلى دون ؟ ــ أراه قال : دون العشر[2] ــ] قال سعيد : والبِضع ما دون العشر .

ثم ظهـرت الـروم بعـد ذلك ، فذلك قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **آلـمٓ . غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرض..** ﴾ إلى قولـه ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْـرَحُ الْمُؤْمِنـونَ بِنَصْرِ اللهِ** ﴾[3] .

قال الشعبي : وكان القمـار ذلك الـوقت حلالاً ، قال وقـال النبـي ﷺ لأبي بكـر : كم الـبِضْعُ ؟ قال : ما بين الثـلاث إلى التسع[4] .

---

(١) في المخطوطة « فقال » وصوابُه « فقالوا » بصيغة الجمع ، لأنه راجع إلى المشركين .

(٢) العبـارة في المخطوطـة قلِقـةٌ غير واضحـة ، حيث جاء فيها : [فذُكِـرَ للنبـي ﷺ فقـال : ألا جعلته ، قال : أيه ؟ قال : دون العشر] وتصحيحها ما أثبتنـاه من تفسير ابـن كثير ٣٠٤/٦ وهي رواية أحمد في المسند .

(٣) الأثر أخرجه أحمد في المسنـد ٢٧٦/١ وذكـره السيوطـي ، في الـدر المنثور ١٥٠/٥ وابـن كثير ٣٠٤/٦ والقرطبي ١٢/١٤ .

(٤) المشهـور أن النبـي ﷺ قال لأبي بكـر : البِضعُ ما بين الثـلاث إلى التسع ،وعلى ذلك تُحمل =

وقرأ عبدالله بن عمر ﴿ **غَلَبَتِ الرُّومُ** ﴾ بفتح الغَيْن والّلام ، وقال : غَلَبَتْ على أدنى ريف[1] .

قال أبو جعفر : المعنى على قراءة من قرأ ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ الرومُ من بعد غَلَبهم أي من بعد أن غُلِبوا سَيَغْلِبون .

ومن قرأ ﴿ **سَيُغْلَبونَ** ﴾ فالمعنى عنده : وفارسُ من بعد غَلَبهم ، أي من بعد أن غَلَبُوا ، سَيُغْلبون .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز** ﴿ **فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾ [آية ٤] .

البضعُ عند قتادَةَ : أكثرُ من الثَّلاثِ ، ودونَ العَشْرِ[2] .

وعند الأخفش والفراء : مادُونَ العَشْر .

وعند أبي عُبيدة : ما بين ثلاثٍ وخمس[3] .

= الروايات كما في الطبري والقرطبي ، فقد جاء في تفسير الطبري ١٧/٢١ أن النبي عليه السلام قال لأبي بكر : هلاَّ احتَطْتَ ؟ فإن البضع مابين الثلاث إلى التِّسع . اهـ .

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ١٦١/٧ قال قرأ ابن عمر والحسن : ﴿ غَلَبتِ الرُّومُ ﴾ مبنياً للفاعل ، والجمهورُ مبنياً للمفعول ، وقال الطبري : عامَّةُ قرَّاءِ الأمصار ﴿ غُلِبتِ الرُّومُ ﴾ بضم الغين بمعنى أن فارسَ غلبت الرومَ ، وقرأ ابن عمر ﴿غَلَبتِ الرومُ﴾ فقيل : على أي شيء غلبوا ؟ قال : على ريف الشام اهـ .

(٢) هذا هو المشهور عند علماء اللغة والتفسير ، قال في الصحاح : البضعُ بالكسر من الثلاثة إلى التسعة .

(٣) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١١٩/٢ : والبِضعُ ما بين ثلاث سنين وخمس سنين . اهـ وهو خلاف المشهور عند علماء اللغة .

وحَكَى **أبو زيد**[1] : بَضْعٌ وهو مشتقٌّ من قولهم بضَّعَه إذا قَطَّعه ، ومنه : بَضْعَةٌ من لحم ، ومنه : هو يملك بُضْعَ المرأةِ ، إنما هو كنايةٌ عن عُضْوِها .

وفي رواية ابنِ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباس ﴿ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ قال يقول : في طَرَفِ الشَّامِ[2] .

قال أبو جعفر : التقدير في أدنى الأرض من فارسَ .

٣ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ .. ﴾** [آية ٤] .

قال محمد بن يزيد[3] : إذا قلتَ **﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ و ﴿ مِنْ بعدُ ﴾** فمعناه من قبلِ ما تعلمُ ، ومن بعدِ ما تَعْلَم ، ومن قبلِ كلِّ شيءٍ ، ومن بعد كلِّ شيء[4] .

قال أبو جعفر : المعنى للَّهِ القضاءُ بالغَلَبة ، من قبل الغَلَبةِ ، ومن بعدِهَا .

---

(١) أبو زيد هو « سعيد بن أوس بن ثابت » من أئمة علماء اللغة والأدب توفى سنة ٢١٥ هـ وانظر كتاب « نوادر اللغة » ووفيات الأعيان ٢٠٧/١ .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٢١/٢١ وقال ﴿ أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ أي أقرب الأرض ، من الدنوّ والقرب أي في أقرب الأرض من فارس ، فترك ذكر « فارس » استغناءً بدلالة الظاهر عليه . اهـ .

(٣) هو الإمام المبرِّد أبو العباس إمام العربية في زمانه المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وتقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٤) كلمة ﴿ قبلُ ﴾ و ﴿ بعد ﴾ ظرفان بُنِيا على الضمِّ ، لأنهما في معنى الإضافة ، أي من قبلِ كونهم مغلوبين ، ومن بعد كونهم غالبين ، وإنما بنيا على الضمِّ لأنهما أشبَها الحروف ، وأشبَها المنادَى المفرد ، كذا في القرطبي ٧/١٤ وقال ابن كثير ٣١٠/٦ : أي من قبل ذلك ومن بعده ، فبني على الضمّ ، لمَّا قُطِع المضافُ وهو قوله ﴿ قبلُ ﴾ عن الإضافة ونُوِيت . اهـ .

٤ ـ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ..﴾ [آية ٤] .

أي يفرحون بنصر اللهِ الرُّومَ ، لأنهم أهلُ كتابٍ ، على فارسَ وهم مجوسٌ ، ويفرحون بالآية العظيمة ، التي لا يعلمها إلاَّ اللهُ جلَّ وعزَّ ، لأنه خبَّرهم بما سيكون[1] .

٥ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [آية ٧] .

قال عكرمةُ وإبراهيم : أي يعلمون أمر معايشهم ، ومصلحةَ دنياهم[2] .

(١) هذه إحدى معجزات القرآن ، الشاهدة بصدق النبوة ، لأنها إخبار عن الغيب ، فقد أخبر عليه السلام بأنها ستقع حرب ثانية بين فارس والروم ، وينتصر فيها الروم على الفرس ، في سنوات قلائل ، وحدث كما أخبر عليه السلام ، فدلَّ على أنه نبيٌّ مرسل من عند الله ، مؤيد بالآيات البيّنات ، وقد صادف ذلك اليوم انتصار المؤمنين ببدر ، قال ابن عباس : كان يوم بدر هزيمة عَبدَة الأوثان ، وعبدة النيران .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/٢٢ عن عكرمة قال : يعلمون معايشهم ومايصلحهم ، وذكر رواية أخرى عن ابنَ عباس قال : يعرفون عمران الدنيا : متى يحصدون ، ومتى يغرسون ، وكيف يغرسون وكيف يبنون . اهـ وقوله تعالى ﴿ ظَاهِراً من الحياة الدنيا ﴾ يفيد ان للدنيا ظاهراً وباطناً ، فظاهرها ما يعرفه الجهال ، من التمتع بزخارفها والتنعُّم بملاذّها ، وباطنها وحقيقتُها أنها معبرٌ وممرٌّ للآخرة ، يتزود منها بالطاعة ، والأعمال الصالحة ، ولهذا قال ابن عباس : يعني بالآية الكفار ، يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جُهَّالٌ .

٦ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بَالْحقِّ﴾** [آية ٨] .

أي إلاَّ لإقامةِ الحقِّ[١] .

٧ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ وعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ..﴾** [آية ٩] .

﴿ وَأَثَارُوا الأَرْضَ ﴾ أي حرثوها وزرعوها ، وليس بمكة حَرْثٌ ولا زرع[٢] .

وقال تعالى ﴿ تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾[٣] .

٨ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ ..﴾** [آية ١٠] .

وقرأ الأعمش : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءُ ﴾ برفع السُّوءِ .

---

(١) قال الفراء ٣٢٢/٢ : ﴿ إلا بالحقِّ ﴾ يعني الثواب والعقاب . اهـ وقيل : إن الله هو الحقُّ ، وللحقِّ خَلَقها ، وهو الدلالة على الخالق جلَّ وعلا ، وقدرته ، ووحدانيته ، فإنه سبحانه لم يخلق الكون عبثاً ، وإنما خلقه لحكمة جليلة ، ليثبت العدل في الأرض ، ويجزي كل نفس بما تسعى .

(٢) يريد المصنف أن ينبِّه إلى أن الآية في الأمم السابقين ، حرثوا الأراضي وزرعوها ، وبنو البنايات وشادوها ، فلم تغن عنهم شيئاً ، لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث ، فلْيعتبر هؤلاء بما حلَّ بمن سبقهم من المكذبين ، الذين عمروا هذه الدنيا .

(٣) سورة البقرة آية ٧١ .

قال أبو جعفر : السُّوءُ : أشدُّ الشرِّ ، والسُّوءَى أي الفُعْلى منه[1] .

وقيل : ﴿ **السُّوءَى** ﴾ ههنا : النَّارُ ، كما أن الحُسْنى : الجنَّةُ .

ومعنى ﴿ **أَسَاءُوا** ﴾ ههنا : أشركوا[2] ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿ **أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ** ﴾ .

قال الكسائي : أي لأن كذَّبوا بآيات الله[3] .

٩ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يَكْتَئِبون[4] .

ورَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال : الإِبْلَاسُ : الفَضِيحةُ .

---

(١) قال القرطبي ١٠/١٤ : السُّوَءَى فُعْلَى من السُّوْءِ تأنيث الأسوء وهو الأقبح ، كالحُسْنى تأنيث الأحسن . اهـ .

(٢) معني الآية الكريمة ﴿ ثمَّ كانَ عَاقِبَةَ الَّذينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ ﴾ أي ثم كان عاقبةُ المشركين المكذبين ، العقوبةُ التي هي أسوءُ العقوبات ، وهي نار جهنم ، لأجل أنهم كذَّبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا . اهـ صفوة التفاسير ٤٧٣/٢ .

(٣) عبارة النحاس في إعراب القرآن ٥٨٢/٢ : من نَصَبَ ﴿ عاقبةَ ﴾ جعلها خبر كان المقدم ، و﴿ السُّوءى ﴾ اسم كان ، و﴿ أن كذَّبوا ﴾ في موضع نصب ، والمعنى لأن كذبوا . اهـ .

(٤) في الطبري ٢٦/٢١ : ﴿ يبلس المجرمون ﴾ أي ييأس المجرمون ، ويكتئبون ويتندَّمون . اهـ .

قال أبو جعفر : يُقال : أَبْلَسَ الرجلُ : إذا تحيَّر ، وحَزِن ، وانقطعت حجَّتُه فلم يهتد لها ، ويئس من الخير ، كما قال :

« قَالَ نَعَمْ أعرِفُه وَأَبْلَسَا »(١)

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ﴾** [آية ١٥] .

قال مجاهد : ﴿ يُحْبَرونَ ﴾ أي يُنَعَّمون .

قال أبو جعفر : حقيقتُه أنهم تَتبيَّنُ عليهم أثرُ النِّعمةِ .

من ذلك الحَبْرُ(٢) ، وعلى أَسْنَانِهِ حَبْرةٌ .

ورَوَى الأوزاعيُّ عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ **﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾** قال : السَّماعُ في الجنَّة(٣) .

---

(١) هذا عجز بيتٍ من الرجز للعجَّاج ، وهو في ديوانه ص ٣١ ومعاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢ والطبري ٢٦/٢١ وتمامه :

يَاصَاحِ هلْ تَعْرِفُ رَسْمَاً مُكْرِسَاً قالَ نَعَمْ أعرفُهُ وأَبْلَسَاَ

قال القرطبي : والمعروف في اللغة : أبلس الرجل : إذا سكت وانقطعت حجته ، وقريبٌ منه ، تحيَّر . اهـ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح ٦٢٠/٢ : الحَبْرُ : الحبورُ وهو السُّرور ، يُقال : حَبَره يَحْبُرُهُ بالضمّ ، حَبْرَاً وحَبْرَةً قال تعالى ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ أي يُنَعَّمُون وَيُكَرَّمُونَ

(٣) يُراد بالسَّمَاع هنا سماعُ الغناءِ ، وآلات اللهو والطرب ، كما قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ قال : شُغِلُوا بافتضاضِ الأبكار ، وسماع الأوتار ، عن أهاليهم من أهلِ النَّار ، وقد صرح الطبري به فقال : يتلذذون بالسماع والغناء وقال القرطبي : قال الأوزاعي : إذا أخذ أهل الجنة في السَّماع ، لم تبق شجرةٌ في الجنة إلاَّ ردَّدَت الغناء =

١١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [آية ١٧] .

قال ابن عباس : الصَّلواتُ الخمسُ في كتاب الله جلَّ وعزَّ ، وتلا الآية ﴿ **فَسُبْحانَ اللهِ حَينَ تُمْسُونَ** ﴾ قال : المغربُ والعِشَاءُ ﴿ **وَحينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ قال : الفجرُ ﴿ **وَعَشِيًّا** ﴾ العصرُ ﴿ **وَحِينَ تُظْهِرُون** ﴾ الظُّهرُ[1] .

= بالتسبيح والتقديس ، ورُوي إن في الجنة لَأَشجاراً عليها أجراسٌ من فضة ، فإذا أراد أهل الجنة السَّماعَ ، بعثَ اللهُ ريحاً من تحت العرشِ ، فتحرِّكُ تلك الأجراسَ بأصواتٍ لو سمعها أهل الدنيا لماتُوا طرباً » القرطبي ١٢/١٤ .

(١) هذا ما رجحه الطبري وبعض المفسرين ، أن المراد بالتسبيح هنا الصلاة وأن الآية تشير إلى الصلوات الخمس المفروضة ، فقد قال الطبري عند تفسير هذه الآية ٢٨/٢١ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تمْسونَ وحينَ تُصْبِحُونَ ﴾ سبّحوا الله أيها الناسُ أي صلُّوا لربكم ﴿ حين تُمْسُونَ ﴾ وذلك صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تُصْبِحون ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿ وعشيًّا ﴾ أي سبّحوه أيضاً عشيًّا وذلك صلاةُ العصر ﴿ وحين تُظهرون ﴾ صلاة الظهر ، وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الصلوات الخمس ، هل هي في القرآن ؟ قال : نعم ، وقيل له : أين ؟ فقرأ الآية ﴿ فسبحان الله .. ﴾ الآية وهذا الذي ذكره النحاس ولم يذكر قولاً غيره .

وذكر غيره من المفسرين أن هذه الآية تعليمٌ من الله لعباده ، أن يسبِّحوه في هذه الأوقات ، في المساء ، والصباح ، والظهيرة ، وأن يُكثروا من تسبيحه ، وتحميده ، وتهليله ، حتى يبقى القلب متصلاً بالله ، لايغفل عن ربه ، ولا ينشغل عن ذكره ، كما قال سبحانه ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ وعلى هذا جمهور المفسرين ، وهذا هو ظاهر الآية الكريمة ، وهو ما رجحه الحافظ بن كثير حيث قال ما نصُّه : هذا تسبيحٌ منه تعالى لنفسه المقدسة ، وإرشادٌ لعباده إلى تسبيحه وتحميده ، في هذه الأوقات المتعاقبة ، الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، عند المساء وهو إقبالُ الليل بظلامه ، وعند الصباح وهو إسفار النهار عن ضيائه ، وعشياً وهو شدة الظلام ، وحين تظهرون وهو قوة الضياء . اهـ ٣١٤/٦ .

١٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ، وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [آية ١٩] .

في معناه أقوالٌ :

قال عبدالله بن مسعود : أي يُخرج النُّطفةَ من الرجل ، والرجل من النطفة[1] .

قال الضحَّاك : وكذلك البيضةُ .

وقال سلمان[2] : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن[3] ، وكذلك قال الحسن .

وقيل : يميت الحيَّ ، ويُحْيي الميِّتَ .

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

---

(١) قال الطبري ٢١/٣٠ : وقال عبداله بن مسعود : النطفة ماء الرجل ميتة وهو حيٌّ ، ويُخرج الرجل منها حياً وهي ميتة . اهـ .

(٢) سلمان هو « سلمان الفارسي » رضي الله عنه الصحابي المشهور وانظر القرطبي ٥٦/٤ .

(٣) على هذا القول نكون قد حملنا الآية على المجاز ، فنكون قد شبهنا المؤمن بالحيِّ ، والكافر بالميت بطريق الاستعارة ، وهو لطائفةٍ من المفسرين ، والأَوْلى أن نحمل الآية على العموم ، كما هو مذهب المحقِّقين من علماء التفسير ، فيكون المعنى : يخرج الدجاجة وهي حيَّة من البيضة وهي ميتة ، وبالعكس ، ويخرج الحيوان من النطفةِ ، والنطفةَ من الحيوانِ ، والنباتَ من الحبِّ ، والحبَّ من النبات ، والنَّواةَ من النخلةِ ، والنَّخْلةَ من النَّواةِ ، والمؤمن من الكافرِ ، والكافرَ من المؤمنِ .. الخ وهذا اختيارُ الحافظ ابن كثير ٤٣٨/٣ وجمع من المفسرين .

أي كما يُحْيي الأرضَ بالنبات[1] .

١٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ .. ﴾ [آية ٢٠] .

المعنى : أن خلق أصلَكُمْ ، وهو « آدم » عليه السلام ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[2] .

ويجوز أن يكون الماء مخلوقاً من تراب[3] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا .. ﴾ [آية ٢١] .

فيه قولان :

أحدهما : أن حواءَ خُلقت من آدمَ[4] .

والآخر : أن المعنى : خلق لكم مِنْ جنسكم أزواجاً ، لأن الإنسان

---

(١) أي كما يخرج اللهُ النباتَ من الأرض ، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة ، ففيه تشبيه يسمى في علم البلاغة « التشبيه التمثيلي » لأنه تشبيه حالة بحالة .

(٢) المراد اسألْ أهلَ القرية ، فكذلك المراد هنا : خَلَق أباكم آدم من تراب ، الذي هو أصلكم ، لأن ذرية آدم لم يُخلقوا من تراب ، فيكون الكلام فيه حذف وتقدير .

(٣) على هذا القول يكون المراد بالماء ماء الرجل ، فإن هذا الماء « النطفة » يتكون بالجسم ، وهو خلاصة الأغذية ، والمأكولات والمشروبات التي يتناولها الإنسان ، وهي من التراب ، فيصح أن نقول إن الإنسان خُلق من التراب بهذا التقدير .

(٤) هذا قول قتادة كما في الدر المنثور ١٥٤/٥ والقرطبي ١٧/١٤ .

بجنسه آنسُ ، وإليه أسكنُ[1] ، ومِثْلُه قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[2] .

في معناه القولان جميعاً .

أي جعل من جنسها زوجها ، ودلَّ هذا على الجنسين جميعاً ، ويكون الضمير في قوله تعالى ﴿ **جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ يعودُ على الجنسين ، والضميرُ في قوله ﴿ **يُشْرِكُونَ** ﴾ يعود على الجنسين لأنهما جماعة[3] .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) هذا القولُ أظهرُ وأرجح ، وإليه ذهب الأكثرون ، لأن الآية امتنانٌ على البشر ﴿ أَنْ خَلَقَ لكمْ من أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ وليست لآدم فحسب ، ثم الصيغةُ جاءت بلفظ الجمع لكم و﴿ أزواجاً ﴾ أي زوجات ، ومعنى الآية : ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته ، أن خلق لكم أيها النَّاسُ من صنفكم ومن جنسكم نساءً آدميات مثلكم ، ولم يجعلهن من جنس آخر ، فمتى كان التزاوج من الجنس كان بينهما التآلف والتفاهم ، قال ابن كثير : ولو أنه تعالى جعل الإناث من جنسٍ آخر ، من جانٍ أو حيوان ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل النَّفْرةُ ، وذلك من تمام رحمته ببني آدم . اهـ مختصر ابن كثير ٥٢/٣ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٨٩) ومعنى ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْها ﴾ أي لتستريح نفسه وتستأنس بصحبتها .

(٣) يريد في كلِ جنسٍ من الذكور والإناث أعدادٌ كبيرة من الخلق ، ولهذا جاء بصيغة الجمع في آخر الآية ﴿ فتعالى اللهُ عمَّا يشركون ﴾ أي تمجَّد وتقدَّس عما يجعله البشر من الشركاء له سبحانه وتعالى .

قال مجاهد : المودَّةُ : الجماعُ ، والرَّحْمةُ : الولدُ[1] .

وقيل : المودَّةُ والرحمةُ : عَطْفُ قلوبِ بعضهم على بعض .

والمعنى : ومن آياته التي تدلُّ على وحدانيته ، وأنه لا شريكَ له ولا نظير .

١٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ [آية ٢٢] .

﴿ **لِلْعَالَمِينَ** ﴾ **أي للجنّ والإنس** .

وحُكِي ﴿ **لِلْعَالِمِينَ** ﴾ وهو حسنٌ[2] .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعز** : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً** .. ﴾ [آية ٢٤] .

والمعنى : ويريكم البرقَ من آياتِه ، وعُطفت جملةٌ على جملةٍ .

ويجوز أن يكون المعنى : ومن آياتِه آيةٌ يريكمْ بها البرقَ ، كما قال الشاعر :

---

(١) حكاه في الدر المنثور ١٥٤/٥ عن الحسن البصري ، والأرجح القول الثاني أي جعل بين الأزواج والزوجات محبة وشفقة ، وهو قول ابن عباس ، وأما الجماع والولد فهو نتيجة طبيعية للزواج ، والآية وردت في معرض الامتنان في تلاقي الجنسين على المحبة والشفقة والوئام ، ولهذا قال ابن عباس : المودَّةُ : حبُّ الرجل امرأته ، والرحمةُ : رحمتُه إياها أن يصيبها بسوءٍ .

(٢) ﴿ لِلْعَالِمِينَ ﴾ بكسر اللام جمع عَالِم، وهي قراءة حفص عن عاصم ، وقرأ الباقون ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ بنصب اللَّام ، وكلا القراءتين من السبع ، وانظر السبعة في القراءات ٥٠٧/٢ .

وَمَـــا الدَّهْـــرُ إلاَّ تَارَتَـــانِ فمنهما
أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ[1]

والخوفُ للمسافر ، والطمعُ للمقيم[2] .

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنْ تَقُـــومَ السَّمَـــاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ .. ﴾ [آية ٢٥] .

أي أن تَدُومَا قائمتين[3] .

١٩ ــ وقـولُه جلَّ وعـــز : ﴿ وَلَـــهُ مَنْ فِي السَّمَـــوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [آية ٢٦] .

وهذا أيضاً من آياته ، وحُذف لأن في الكلام دليلاً عليه .

والقانتُ : القائمُ بالطاعة[4] .

والقيام ههنا : الانقيادُ للّهِ جلَّ وعزَّ على ما حبَّ العبادُأو كرهوا.

(١) البيت لتميم بن أبي مقبل كما في شواهد سيبويه ص ٧٦ وخزانة الأدب ٣٠٨/٢ وهو في معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢ قال : كأنه أراد : فمنها ساعةً أموتُها ، وساعة أعيشها ، وكذلك هنا : ومن آياته آيةٌ للبرق ، وآية لكذا . اهـ .

(٢) هذا قول قتادة كما في الطبري والبحر ، وقال الضحاك : خوفاً من الصواعق ، وطمعاً في المطر ، وهذا ما رجحه ابن كثير حيث قال : تارة تخافون مما يحدث بعده ، من أمطار مزعجة أو صواعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال بعده ﴿ وينزّل من السَّمَاء ماءً ﴾ اهـ .

(٣) المراد أن تستمسك السموات بقدرته بدون عمد ، وأن تثبت الأرضُ بتدبيره ، فلا تتقلب بأهلها ، وانظر البحر المحيط ١٦٨/٧ .

(٤) القنوتُ كما قال أهل اللغة : الطاعةُ والانقياد ، ومواظبة العبادة والطاعة ، قال ابن عباس ﴿ كلٌّ=

٢٠ ــ **وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ..﴾** [آية ٢٧] .

في معناه ثلاثةُ أقوال :

أ ــ في رواية صالح عن ابن عباس ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ وهو أهونُ على المخلوق[1] ، لأنه ابتدأ خلقه من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، والإعادةُ بأن يقول له ﴿ **كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ فذلك أهونُ على المخلوق .

ب ــ **وقال مجاهد** : الإعادةُ أهونُ عليه من البَدْأَةِ ، وكلٌّ عليهِ هيِّنٌ .

والمعنى على هذا : وهو أهونُ عليه عندكم ، وفيما تعرفون ، على التمثيل ، وبَعْدَه ﴿ **وَلَه المَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ .

= لَهُ قَانِتُونَ ﴾ مطيعون ، وفي البحر ١٦٩/٧ : ﴿ قانتون ﴾ مطيعون أي في تصريفه ، لايمتنع عليه شيءٌ يريد فعله بهم ، من حياةٍ وموتٍ ، وصحةٍ ومرضٍ فهي طاعة الإرادة ، لا طاعةُ العبادة .

(١) على هذا القول يعود الضمير ﴿ وهو أهونُ عليه ﴾ على الإنسان ، وهذا تقريبٌ لفهم السامع ، فإن من صنع صنعة أول مرة ، كانت أسهل عليه في المرة الثانية ، والله تعالى خاطب العباد بما يعقلون ، فإذا كانت الإعادةُ أسهل من الابتداء في نظركم وتقديركم ، فإن من قدر على البدء والإنشاء ، كانت الإعادة عليه أسهل وأهون ، وأما بالنسبة إلى الله فالكل عليه يسير ، وليس هناك « هيّن » و « أهون » ويكون المعنى : هو عليه هيّن كما قال مجاهد .

جـ ـــ وقـال قتـادة : ﴿ وَهُـوَ أَهْـوَنُ عَلَيْـهِ ﴾ أي هيِّـنٌ[١] ، وهذا قولٌ حسنٌ ، ومنه : اللهُ أكبر أي كبير ، ومنه قول الشاعر :

لَعَمْــرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّــي لَأَوْجَــلُ
عَلَـى أَيِّنَــا تَعْــدُو المَنِيَّـــةُ أَوَّلُ[٢]

وقول الآخر :

إِنَّ الَّـذِي سَمَكَ السَّمَـــاءَ بنى لَنَا
بَيْتَــاً دَعَائِمُــهُ أعزُّ وأَطْـــوَلُ[٣].

ورَوَى معمـرٌ عن قتـادة قال : في قراءة عبـــدالله بن مسعـــود ﴿ وهو هيِّنٌ عليه ﴾[٤] .

---

(١) أفعل التفضيل على هذا القول ﴿ أَهْـوَنُ ﴾ ليس على بابـه ، أي لا يُراد به التفضيـل ، بل يراد به الصفة ، والمعنى : وهو هيِّن عليه سبحانه ، وقد استشـهـد على ذلك القرطبـي في تفسيره ببضعـة أبيات ، وكذلك الإمام الطبري ، ومنها ما ذكره النحاس في هذه الآية من الأبيات التي استشهـد بها .

(٢) البيتُ لمعنِ بن أوسٍ المُزَني ، كما في ذيل الأمالي (٢١٨) وخزانـة الأدب ٥٠٥/٣ واستشـهـد به المصنف على أن قوله (لَأَوْجَـلُ) أي لوجـلٌ ، بمعنـى : خائـفٌ ، فهـي صفـة وليست بأفعـل تفضيل ، ومثلها ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي هيِّـنٌ عليه ، فالصيغـة وإن كانت صيغـة « أفعـل » التي للتفضيل ، إلا أنه لا تفضيل هنا وإنما هو لمجرد الوصف دون التفضيل .

(٣) البيت للفرزدق كما في ديوانه ص ٧١٤ وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢١/٢ والشاهد فيه أن أعزُّ وأطول ليس أفعل تفضيل ومعناه عزيزة طويلة .

(٤) ذكر هذه القراءة ابـن الجوزي في تفسيره ٢٩٨/٦ وذكـر أنها قراءة أبيٍّ بن كعب ، وهـي ليست من القراءات السبع ، بل هي شاذةٌ لمخالفتها للمصحف الإمام .

٢١ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٧] .

رَوَى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

وقيل : يعني : لا إلهَ إلاَّ اللهُ(١) .

وحقيقتُه في اللغة : وله الوصف الأعلى(٢) .

٢٢ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ .. ﴾ [آية ٢٨] .

قال قتادة : هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ عز وجل للمشركين ، فقال ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ أي هل يرضى أحدكم ، أن يكون مملوكُه في مالِهِ ونفسِهِ مثلَه ، فإذا لم ترضوا بهذا ، فكيف جعلتم للّهِ جلَّ وعزَّ شريكاً(٣) ؟ .

---

(١) حكاه الطبري عن ابن عباس ٣٨/٢١ وهو قول مجاهد وقتادة أيضاً ، فقد قال قتادة : مَثَلُهُ : أنه لا إله إلا هو ، ولا معبود غيره ، وقيل : المعنى : له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه من صفات الجلال والكمال .

(٢) أي الوصف الأعلى من صفات الكمال ، الذي يصفه به أهلُ السموات والأرض .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٣٨/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٥/٥ عن قتادة ، ولفظه : «هذا مَثَلٌ ضربَه اللهُ لمن عَدَل به شيئاً من خَلْقه ، يقول : أكان أحدٌ منكم مُشاركاً مملوكَه في مالِهِ ونفسِهِ ، وفِراشه وزوجته ؟ فكذلك لا يرضى اللهُ تعالى أن يُعْدَلَ بِهِ أحدٌ من خلقِهِ » . اهـ .
وقال في البحر ١٧٠/٧ : المعنى : ليس أحد منكم يرضى أن يَشْرَكه عبدُه في ماله وزوجته ، =

قال أبو جعفر : هذا قولٌ حسن ، أي هل يرضى أحدُكم أن يجعل مملوكَهُ مثلَ نفسه ؟ أي مثل شريكه الحرِّ ، الذي لايقطع أمراً دونه ؟ كما قال تعالى ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] أي لايَعِبْ بعضُكم بَعْضاً .

وكذا قوله تعالى ﴿ **كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ وكما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً** ﴾[2] وكما قال تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[3] .

وقيل : كما يُخاف من قِبَلِكُمْ إنفاقها .

= وما يختصُّ به حتى يكون مثلَه ، فكيف ترضون شريكاً لله ، وهو ربُّ الأرباب ، ومالك الأحرار والعبيد ؟

(١) سورة الحجرات آية (١١) ومراد المصنِّف أن لفظ النفس ، قد يُطلق ويراد به الغير ، كما قال تعالى هنا ﴿ كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي كما يخاف الإنسان من شريكه الحرِّ أن يقاسمه مالَهُ ، واستشهد على ذلك بعدة آيات كريمة .

(٢) سورة النور آية (٨) والمعنى : ظنَّ المؤمنون الخير ببعضهم البعض .

(٣) سورة البقرة آية ٥٤ وأحسن ما قيل في تفسير الآية ما قاله العلامة القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن فقد قال ١٤/٢٣ : « هذه الآية أصلٌ في الشركة بين المخلوقين ، لافتقار بعضهم إلى بعض ، ونفيها عن الله سبحانه ، وذلك أنه لمَّا قال ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِن شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الآية ، فيجب أن يقولوا : ليس عبيدنا شركاءنا فيما رُزقْنا ! فيقال لهم : فكيف يتصوَّر أن تُنزِّهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم ، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي ؟ فهذا حكمٌ فاسد ، وقِلَّةُ نَظَر ، وعَمَى قلب !! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السَّادة ، والخلقُ كلُّهم عبيدٌ للّهِ ، فيبطل أن يكون شيٌ من العالم ، شريكاً لله تعالى في شيءٍ من أفعاله ، فلم يبق إلاَّ أنه واحد ، يستحيل أن يكون له شريك ، إذِ الشركةُ تقتضي المعاونة ، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضِنا بعضاً ، بالمالِ والعمل ، والقديمُ الأزلي منزَّهٌ عن ذلك عزَّ وجل . اهـ .

أي فأنتم لا تجعلون مماليكَكُمْ مِثلَكَم ، وأنتم كلُّكم أرقَّاءُ للَّهِ جلَّ وعزَّ ، فكيفَ تجعلونَ للَّهِ جلَّ وعز شريكاً ، وليس كمثله شيء ؟

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا .. ﴾** [آية ٣٠] .

الفِطْرَةُ : ابتداءُ الخَلْقِ ومنه : ﴿ **فَاطِرُ السَّمَواتِ** ﴾ ومنه : فَطَرَ نابُ البَعِير[١] ، ومنه : فطرتُ البئرَ أي ابتدأتُ حفرها[٢] .

أي ابتدأ خَلْقهم ، على أنَّهم يعلمون أنَّ لهم خالقاً ومُدبِّراً .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُوْلَدُ على الفِطرة ، حتَّى يكونَ أبَواهُ هما اللَّذان يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانِهِ »[٣] .

---

(١) هذا التعريف من جهة اللغة قال في المصباح مادة (فطر) : فطرَ اللهُ الخَلْقَ : خَلَقهم ، والإسم الفِطرةُ بالكسر ﴿ فِطرة اللَّهِ التي فطر الناس عليها ﴾ وفَطَر نابُ البعير : إذا شقَّ اللحم ، وطلع النَّابُ . اهـ .

(٢) قال في لسان العرب مادة فطر : والفطرةُ : الابتداء والاختراع ، وفي التنزيل العزيز ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم أكنْ أدري ما معنى ﴿ فاطر السمواتِ والأرض ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها أي ابتدأتُ حفرها . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٤٣/٦ ولفظهُ (ما من مولودٍ إلاَّ يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه ، أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه ، كما تُنْتَج البهيمة بهيمةً جمعاء ، هل تُحِسُّونَ فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللهِ التي فطر الناس عليها لاتبديلَ لخلقِ اللهِ ﴾ الآية . اهـ ورواه مسلم في القدر ٥٣/٨ وأحمد في المسند ٤٣٥/٣ بنحوه .

قال الأوزاعيُّ وحمَّادُ بن سَلَمة : هذا مِثْلُ قولِهِ تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾[1] .

والمعنى على هذا : كلُّ مولودٍ يُولد على العهد الذي أُخذ عليه[2] .

وفي الحديث : « أخرجهم أمثالَ الذَّرِّ ، فأخذ عليهم العهدَ » فكلُّ مولودٍ يُولد على ذلك العهد ، وإن نسب عبادته إلى غير اللهِ جل وعزَّ ، أو ووصفه بغير صفته ، حتى يكون أبواه يعلِّمانه اليهودية والنصرانية .

وقيل : على الخِلقة التي تعرفونها ، لا تُميِّزُ شيئاً[3] .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

(٢) أراد به العهد الذي أخذه اللهُ على ذرية آدم ، حين أخرجهم من صلبه في صورة الذرِّ ، وأقرُّوا له بالربوبية ، ثم أعادهم إلى صلب آدم ، فإلى ذلك يشير المصنف رحمه الله .

(٣) قال في البحر ١٧٢/٧ : ورجَّح الحُذَّاق أنها القابليَّةُ التي في الطفل ، للنظر في مصنوعات الله ، والاستدلال بها على موجده ، فيؤمن به ، ويَتَّبِع شرائعه ، لكنْ قد تعرِضُ له عوارض تصرفه عن ذلك ، كتهويد أبويه له ، وتنصيرهما ، وإغواء شياطينِ الإنس والجنِّ ، وإلى هذا ذهب ابن عطية والقرطبي ، فقد قال القرطبي في تفسيره وقال شَيخنا أبو العباس : إن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلةً لقبول الحق ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية على تلك الأهلية ، أدركت الحقَّ ودينَ الإسلام ، وقد دلَّ على صحَّةِ هذا المعنى الحديثُ الشريف (كما تُنتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعَاءَ ، هل تُحِسُّونَ فيها من جَدْعَاءَ ؟) يعني أن البهيمة تَلِدُ ولدها كامَلَ الخِلقة ، بريئاً من العيوب ، فلو تُرِكَ على أصل تلك الخِلقة ، لبقي كاملاً ، لكن يُتصرَّف فيه ، فيجُدع أنفُه ، وتشقُّ أذنُه ، ويُوْسَم وجهُه ، فتطرأ عليه الآفات والنقائص . اهـ .

وقال **عبدالله بن المبارك** : هذا لمن يكون مسلماً .

يذهب إلى أنه مخصوصٌ .

وقال **محمد بن الحسن** : هذا من قبل أن تنزل الفرائض ، ويُؤمر بالجهادِ .

قال أبو جعفر : وأولاها القولُ الأول ، وهو قولُ أهل السُنَّة ، وهو موافقٌ لِلُّغةِ :

ولا يجوز أن يكون منسوخاً لأنه خبرٌ ، ولا يكون خاصاً ، وإنما أشكل معنى الحديث ، لأنهم تأولوا « الفطرةَ » على الإسلام ، وإنما هي ابتداءُ الخلق .

٢٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آية ٣١] .

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ أي راجعين إليه بالطاعة[1] .

والمعنى : فأقيموا وجوهكم مُنيبينَ إليه[2] .

---

(١) الإنابة : الرجوعُ إلى الله بالتوبة والإخلاص ، يُقال : أنابَ الرجلُ إذا تاب من ذنبه واستغفر ، ومنه قوله تعالى ﴿ تبصرةً وذِكرى لكلِّ عبدٍ منيب ﴾ .

(٢) قال ابن جرير ٤٢/٢١ : ﴿ مُنِيبينَ إليهِ ﴾ منصوبٌ على الحال وهو متعلق بقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ لأنّ الخطاب للنبيِّ وأمَّته ، والمعنى : أقيموا وجوهكم أيها المؤمنون على الدين الحقِّ ، حال كونكم منيبين إلى ربكم ، وهذا ما ذهب إليه الفرَّاء ٣٢٥/٢ والزجَّاجُ ١٨٥/٤ وحكاهُ النَّحاسُ أيضاً في إعراب القرآن ٥٨٩/٢ .

ومعنى ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [آية ٣٢] .

كلٌّ يقولُ إنيِّ على الهُدَى .

٢٥ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ..** ﴾ [آية ٣٣] .

أي لم يلتجئوا إلاَّ إليه ، وتركوا ما كانوا يعبدون من دونه[1] .

٢٦ ـ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [آية ٣٤] .

فخرج من الإخبار إلى المخاطبة[2] ، وهذا على التهديد والوعيد ، كما قال جلَّ وعز ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[3] .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ١٧٣/٧ : الضرُّ : الشدة من فقرٍ ، أو مرضٍ ، أو قحط أو غير ذلك ، ومعنى ﴿ دعوا ربهم ﴾ أي أفردوه بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضّرّ ، وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لايكشف الضرَّ إلا الله تعالى . اهـ وقال القرطبي : اي استغاثوا به تعالى في كشف ما نزل بهم ، مقبلين عليه وحده دون الأصنام ، لعلمهم أنه لا فرج عندها .

(٢) هذا ما يُسمَّى في علم البديع بالالتفات ، ففي الآية التفاتٌ من صيغة الغَيْبةِ إلى الخِطَابِ ، لأن الحديث كان عن المشركين بصيغة الغائب ، ثم جاء ﴿ فتمتَّعوا ﴾ بصيغة الخطاب ، زيادةً في التوبيخ والعتاب ، والآية كما قال الإمام النحاس ، واردةٌ بطريق الوعيد والتهديد .

(٣) سورة الكهف آية رقم (١٨) وليس المراد التخيير بين الإيمان والكفر ، وإنما هو للتهديد والوعيد .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

رَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن ابنِ عبَّاسٍ قال : « كلُّ سُلطانٍ في القرآن فهو عذرٌ وحُجَّة »(١) .

قال أبو جعفر : **المعنى** : أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه عُذْرٌ ، أو حجَّةٌ ، أو برهانٌ ، يدلُّهم على الشرك ؟

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا .. ﴾** [آية ٣٦] .

أي نعمةً فرحوا بها .

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي وإن تُصِبْهم مصيبةٌ .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ .. ﴾** [آية ٣٨] .

---

(١) فسَّر ابن عباس السلطان بالحجة ، وقال قتادة والربيع : السلطانُ : الكتابُ ، وقد جمع المصنِّفُ بين القولين فقال : أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه عذرٌ أو حجة الخ ورجَّح ابن جرير أنه الكتاب ، ورجَّح ابن كثير أنه الحجة والبرهان ــ وهو الأظهر ــ فقال : ينكر تعالى على المشركين ما اختلقوه من عبادة الأوثان ، بلا دليل ولا حجة ولا برهان ، فيقول ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيهِمْ سُلْطَاناً ﴾ أي حجة ﴿ فهو يَتَكَلَّمُ ﴾ أي ينطق ﴿ بما كَانُوا بِهِ يُشْرِكونَ ﴾ ؟ وهذا استفهام إنكار ، أي لم يكن شيءٌ من ذلك . اهـ وانظر تفسير ابن كثير ٣٢٤/٦ .

قال قتادةُ : إذا لم تُعْطِ ذَا قرابتك ، وتَمْشي إليهِ برجلَيْكَ، فقد قَطَعْتَهُ[1] .

٣٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبَاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ ..﴾** [آية ٣٩] .

قال مجاهد وابن عباس : هو الرجل يُهْدِي إلى الرجل الهديَّة ، فيطلبُ ما هو أفضلُ منها ، فليس له أجرٌ ، ولا عليه إثمٌ[2] .

قال عكرمة : الربا رِبَوَان : فرباً حلالٌ ، ورباً حرامٌ ، **فأمَّا** الحلالُ فأن يُعطِي الرجلُ الآخر شيئاً ليُعطِيَه أكثرَ منه ، **فلا يربُوْا** عندَ اللهِ ، والحرامُ في النسيئة[3] .

---

(١) لم أر هذا الأثر فيما بين يديَّ من كتب التفسير ، ولم يذكره غير الإمام النحاس ، والذي ذكره القرطبي في تفسيره ٣٥/١٤ : ﴿ فآتِ ذا القُرْبى حقه ﴾ قال : الخطابُ للنبي وأمته ، بدليل قوله ﴿ ذَلِكَ خَيرٌ لِلَّذينَ يُريدونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ وخيرُ الصدَّقةِ ما كان على القريب ، وفيها صلةُ الرحم ، وقد قال مجاهد وقتادة : صلةُ الرحم فرضٌ من الله عز وجل ، حتى قال مجاهد : لاتُقبلُ صدقةٌ من أحدٍ ورحِمهُ محتاجةٌ . اهـ وكذا ذكره النحاس في كتابه إعراب القرآن ٥٩١/٢ .

(٢) الأثر في الطبري ٤٦/٢١ وفي الدر المنثور ١٥٦/٥ وابن كثير ٣٢٤/٦ فقد قال في تفسيره عند هذه الآية : أي من أعطى عطيَّة يريد أن يَرُدَّ الناس عليه أكثر مما أهدى لهم ، فهذا لا ثواب له عند الله ، وبهذا فسَّره ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعكرمة ، وهذا الصنيع مباحٌ وإن كان لا ثواب فيه . اهـ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر ١٥٦/٥ عن ابن عباس ، والقرطبي ٣٦/١٤ عن عكرمة ، والمراد بربا النسيئة أي الربا المعروف الذي يكون بسبب الأجل ، كأن يقرضه ألفاً إلى سنةٍ بزيادة مائة فيها فهذا ربا النسيئة وهو حرام باتفاق .

وقال إبراهيم[1]: كان هذا في الجاهلية ، يعطي الرجل ذا قرابته المالَ ، ليكثر عنده ، فلا يربو عند الله .

٣١ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾** [آية ٣٩] .

قال ابن عباس : ﴿ مِنْ زَكَاةٍ ﴾ أي من صدقة[2] .

ثم قال ﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ أي الذين يجدون أضعاف ذلك ، أي ذَوُو الإِضْعاف ، كما تقول : رجلٌ مُقْوٍ أي ذو قوَّة[3] .

٣٢ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ..﴾** [آية ٤١] .

قال مجاهد : ﴿ فِي الْبَرِّ ﴾ قتلُ ابنُ آدم أخاه **﴿ وَالْبَحْرِ ﴾** أخذُ السفينةِ غَصْباً[4] .

---

(١) المراد به إبراهيم النخعي رحمه الله ، ذكره القرطبي فقال وقال النخعي : نزلت في قوم يعطون قراباتهم ليزيدوا في أموالهم على سبيل النفع . اهـ .

(٢) إنما فسرها ابن عباس بالصدقة لأن السورة مكية ، والزكاة إنما فرضت بعد الهجرة ، فتنبه والله يرعاك .

(٣) قال في لسان العرب مادة قوى : فرسٌ مُقْوٍ : قويٌّ ، ورجلٌ مُقْوٍ : ذو دابة قوِّية ، وأقوى الرجلُ فهو مُقْوٍ : إذا كانت دابته قويَّةً ، وكذا قال في الصحاح : أقوى : إذا كانت دابته قوية .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٧/٥ ولفظه : عن مجاهد قال : فسادُ البرِّ : قتلُ ابن آدم أخاه ، وفسادُ البحر : أخذ الملِكِ السُّفُن غصباً . اهـ وكذا ذكره ابن كثير ٣٢٦/٦ وأبو حيان في البحر ١٧٦/٧ وهذا تمثيلٌ للفساد لا حصرٌ له .

وقال عكرمةُ وقتادة : البَرُّ : البَوَادي ، والبحرُ : القُرَى[1] .

قال قتادة : والفسادُ : الشِّرْكُ .

قال أبو جعفر : والتقديرُ على هذا : وفي مواضع البحر ، أي التي على البحر .

وأحسن ما قيل في هذه الآية ــ واللهُ أعلم ــ قولُ ابن عباس حدثنا بكرُ بن سهل ، قال حدثنا عبدُ اللهِ بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلْحةَ عن ابنِ عباس ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحرِ** ﴾ .

يقول : نقصانُ البركةِ بأعمالِ العبادِ ، كي يتوبوا .

والمعنى على هذا : ظهر الجدبُ في البرِّ والبحر ، بذنوب الناس[2] .

---

(١) الأثر عن عكرمة وقتادة ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٦/٥ فقال : وقال عكرمة : البرُّ : الفيافي التي ليس فيها شيء ، والبحرُ : القرى ، وعن عكرمة أيضاً أنه سُئل عن قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البرِّ والبحر ﴾ قالوا : البرُّ قد عرفناه فما بالُ البحر ؟ قال : إن العرب تسمي الأمصار البحر اهـ . وذكره أيضاً ابن جرير وابن كثير ، وعزاه إلى عكرمة وابن عباس والضحاك .

(٢) عبارة النحاس في إعراب القرآن ٥٩٢/٢ : في معنى الآية قولان :

أحدهما : ظهر الجدبُ في البرِّ ــ أي في البوادي وقُراها ــ وفي البحر أي في مدن البحر مثلُ قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي ظهر قلَّةُ الغيث ، وغلاء السعر ، بما كسبت أيدي الناس من المعاصي ، لنذيقهم عقاب بعضِ الذين عملوا .

والقول الآخر : أن معنى ﴿ ظهر الفسادُ ﴾ ظهرت المعاصي ، من قطع السبيل ، والظلم ، =

٣٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

أي اجعل قَصْدك إلى الدِّين القَيِّم ، من قَبل أن يأتي يومُ القيامة ، فلا ينفعُ نفساً إيمانُها ، لم تكن آمنتْ مِنْ قبلُ .

ومعنى ﴿ يَصَّدَّعُونَ ﴾ يتفرَّقُون(١) ، فريقاً في الجنة ، وفريقاً في السَّعير .

٣٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [آية ٤٤] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ : في القبر(٢) .

= فهذا هو الفسادُ على الحقيقة ، والأوَّلُ مجازٌ ، وعلى الجواب الثاني يكون في الكلام حذفٌ واختصار ، دلَّ عليه ما بعده ، والمعنى : ظهرت المعاصي في البر والبحر ، فحبس الله عنهم الغيث ، وأغلى سعرهم ، ليذيقهم عقاب بعض ما عملوا . اهـ .

وقال في التسهيل ٢٦٨/٣ : قيل البرُّ : البلاد البعيدة من البحر ، والبحرُ : البلادُ التي على ساحل البحر ، وقيل : البرُّ : اللِّسانُ ، والبحرُ : القلبُ ، وهذا ضعيف ، والصحيحُ أن البرَّ والبحر معروفان ، فظهورُ الفساد في البرِّ : بالقحط ، والفتن ، وشبه ذلك ، وظهور الفساد في البحر : بالغرق ، وقلة الصيد ، وكساد التجارات ، والكل بسبب الكفر والعصيان اهـ .

(١) قوله ﴿ يَصَّدَّعُوْنَ ﴾ أصلُها يتصدَّعون أي يتفرقون ، قال الجوهري : تصدَّع القوم : تفرقوا ، ومنه الصُّداعُ وجع الرأس . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٥٢/٢١ والسيوطي في الدُّر ١٥٧/٥ وصاحب البحر ١٧٧/٧ حيث =

قال أبو جعفر : معنى ﴿ يَمْهَدُونَ ﴾ في اللغة : يوطِّئون لأنفسهم بعملِ الخير ، من المهادِ ، وهو الفراشُ .

٣٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفَاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. ﴾ [آية ٤٨] .

﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسَفَاً ﴾ جمعُ كِسْفَةٍ وهي القطعةُ :

﴿ فَترى الوَدْقَ ﴾ قال مجاهد : أي القطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ أي من بين السَّحاب[1] .

٣٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [آية ٤٩] .

في تكرير ﴿ قَبْلِ ﴾ ههنا ثلاثةُ أقوال :

أ ــ قال الأخفشُ سعيد : هذا على التوكيد ، وأكثرُ النَّحْويِّين على هذا القول .

= قال : وعن مجاهد قال : هو التمهيدُ للقبر . اهـ

أقول : وهذا التخصيص لا وجه له ، إذ أنهم بعملهم الصالح ، يمهِّدُون الطريق لأنفسهم في القبر ، وعلى الصراط ، وعند الميزان ، وفي الجنة ، فالأولى كما قال القرطبي ﴿ فلأنفسهم يمهدون ﴾ أي يوطِّئون لأنفسهم في الآخرة فراشاً ، ومسكناً وقراراً بالعمل الصالح . اهـ .

(١) في هذه الآية دليلٌ واضحٌ على أن المطر ينزل من السحاب ، وهذا ما يقوله علماء الطبيعة ، أن السحب هي التي تحمل معها الماء ، فلا تعارض بين العلم والدين ، لأن كل ما علاك فأظلَّك فهو سماءٌ ، كما يقول علماء اللغة ، واقرأ قوله سبحانه ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُون ﴾ ؟ .

ب ـ **وقال قُطْرب** : أي وإن كانوا من قبل التنزيل، من قبل المطر[1] .

جـ ـ **والقولُ الثالثُ عندي أحسنُها ، وهو أن يكون المعنى** : من قبل السَّحاب ، أي : من قبل رؤية السَّحاب ، ليائسين ، وقد تقدَّم ذكرُ السَّحاب[2] .

٣٧ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا .. ﴾** [آية ٥٠] .

﴿ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ أي المطر الذي هو من رحمةِ اللهِ **﴿ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ﴾** .

---

(١) في المخطوطة سقطت لفظة « المطر » وقد أثبتناها من القرطبي ٤٤/١٤ حيث قال رحمه الله : وقال قُطرب : إن « قبل » الأولى للإنزال ، والثانية للمطر ، أي وإن كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر . اهـ .

(٢) تقدم ذكر السحاب في الآية قبلها في قوله سبحانه ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ والأَوْلَى أن يُقال : إن الآية تدلُّ على سُرْعةِ تقلُّبِ قلوب البشر من الإبلاس ـ أي القنوط ـ إلى الاستبشار والسرور ، فإن قوله ﴿ من قَبْلِ أن يُنزَّلَ ﴾ يحتمل المدة الطويلة في الزمن بأيام أو شهور ، فجاء قوله تعالى ﴿ من قبله ﴾ متصلاً بنزول المطر ، فهو تأكيد مقيَّد للزمن ، وهذا ما رجحه ابن عطية ، وأما قول قطرب فقد ردَّه العلاَّمة أبو حيان وقال : وعلى تقديره يصبح المعنى : وإن كانوا من قبل إنزال المطر من قبل المطر ، قال : وهذا تركيبٌ لا يسوغ في كلام فصيح ، فضلاً عن القرآن ، واختار أبو حيان أن يكون التكرارُ لمجرَّد التأكيد ، لرفع المجاز فقط ، وانظر البحر المحيط ١٧٩/٧ .

وقرأ محمد اليماني : ﴿ كَيْفَ تُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[1] .

والمعنى على قراءته : كيف تُحْيِي الرَّحْمةُ الأرضَ ، أو الآثارُ .

و﴿ يُحْيِي ﴾ بالياء ، أي يُحْيِي الله ، أو المطرُ[1] ، أو الأَثَرُ ، فيمن قرأ هكذا .

٣٨ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً ، لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرونَ ﴾ [آية ٥١] .

قال النحويون : ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي فرأَوْا النَّباتَ مصفَرّاً ، وحقيقتهُ فرأوا الأَثَرَ مُصْفَرّاً ﴿ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ ﴾ أي لَيَظلُّنَّ ، هذا قولُ الخليل .

قال أبو جعفر : وهذا يقع في حروف المجازاة[2] .

---

(١) قراءة ﴿ تُحْيِي ﴾ بالتَّاء ، من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٦٥/٢ ، وهي قراءة الجحدري ، وأبي حيوة ، والضمير على هذه القراءة يعود على ﴿ الرحمة ﴾ وأمَّا قراءة ﴿ أَثَر ﴾ وقراءة ﴿ آثار ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ فكلاهما من القراءات السبع ، والمرادُ بالنَّظر هنا : نظر التفكر والاستبصار ، والاستدلال ، ليستدل الناظر على أن ما ينشأ عن آثار نعمة اللهِ بالمطر ، من خضرةِ الأشجارِ ، وتفتّح الأزهار ، وخروج الثِّمار ، وكيف أن الله جعل الأرض تنبت بعد أن كانت هامدة جامدة ، قادرٌ على إحياء الموتى بعد فنائهم ، ولهذا أعقبها بقوله ﴿ إنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى ﴾ فهذا هو الغرض من النظر .

(٢) المجازاة يعني الجزاء ، والأصل أن يأتي جواب الشرط مضارعاً : ولئن أرسلنا ريحاً .. ليظلُّنَّ ، ولكن حَسُن وقوع الماضي في موضع المستقبل ، لما في الكلام من معنى المجازاة ، والمجازاة لا تكون إلاَّ بالمستقبل وانظر القرطبي ٤٥/١٤ .

٣٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَاتُسْمِعُ الصُمَّ الدُّعَاءَ ، إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [آية ٥٢] .

أي إنهم بمنزلة المَوْتى ، والصُّمِّ ، لأنهم لا يَقْبلون ، لمعاندتهم[1] .

٤٠ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي ما تُسْمِع إلاَّ من كان قابلاً ، غير معاند .

٤١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مَنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [آية ٥٤] .

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ أي من المنيّ .

أي خلقكم في حال ضعف .

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ أي الشباب .

---

(١) هذا تشبيهٌ وتمثيلٌ لحال الكفار ، بالموتى الذين لايسمعون ولا ينتفعون شبَّههم بالموتى ، وبالصُمّ والعُمْي ، ولهذا قال المصنّف : أي إنهم بمنزلة الموتى ، قال الطبري : إنما هذا مَثَلٌ ، ومعنى الآية : إنك يا محمد لا تُسمع الأموات ، ولا تُسمع من كان في أذنيه صَمَمٌ تلك المواعظ المؤثرة ، ولو أنَّ أصمَّ ولّى عنك مدبراً ، ثم ناديته لم يسمع ، فكذلك الكافر لايسمع ولا ينتفع بما يسمع ، قال في البحر : أخبرنا تعالى عنهم أنهم موتى القلوب ، أو شُبِّهوا بالموتى وإن كانوا أحياءً ، صِحاح الأبصار ، لأنهم إذا تليت عليهم آيات القرآن ، لا تعيه آذانهم ، فكانت حالُهم لانتفاء جدوى السَّماع ، كحال الموتى . اهـ البحر ٩٦/٧ .

٤٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَالَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ .. ﴾** [آية ٥٥] .

أي يحلفون ما لبثوا في القبور ، إلاَّ ساعةً واحدة[1] .

٤٣ ــ **ثم قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾** [آية ٥٥] .

أي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا .

يُقال : أُفِكَ الرَّجُل : إذا صُرِفَ عن الصِّدقِ والخير ، وأرضٌ مأفوكةٌ : ممنوعةٌ من المطر .

٤٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ ، لَقَدْلَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ .. ﴾** [آية ٥٦] .

قيل : المعنى : في خبر كتاب اللهِ[2] ، أنكم لبثتم في قبوركم إلى يوم القيامة .

وقيل : في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ .

---

(١) المرادُ بالساعة هنا الساعة الزمنّية ، كقوله سبحانه ﴿ لم يَلْبَثُوا إلاَّ عَشيَّةً أو ضُحَاهَا ﴾ وقوله ﴿ كأن لم يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً من نَهَارٍ ﴾ والآية الكريمة فيها ما يسمى « الجناس التام » لأن قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ ﴾ يُراد بالسَّاعة القيامةُ ، وقولُه تعالى ﴿ ما لَبِثُوْا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ أي مدَّةً يَسيرةً من الزَّمَنِ ، فاللفظُ واحدٌ ، والمعنى مختلفٌ ، وهو من المحسنَّاتِ البديعية .

(٢) أي على حذف مضاف كما في قوله سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي أهل القرية ، ولا حاجة إلى هذا التقدير ، لأن المراد من قوله ﴿ في كتابِ اللهِ ﴾ أي في علم اللهِ ، أو في اللوح المحفوظ كما قال المفسرون ، فإن الله قد سجَّل فيه أرزاق العباد ، وآجالهم ، وأعمالهم ، وكلَّ ما كان ويكون ، إلى يوم القيامة .

والمعنى : وقال الذين أوتوا العلمَ في كتابِ الله[1] : لقد لبثتم إلى يوم البَعْثِ .

٤٥ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾** [آية ٦٠] .

﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ أي لايستفزنَّك **﴿ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾** أي الشاكُّون .

« انتهت سورة الروم »

* * *

(١) ما ذكره المصنف مرويٌّ عن قتادةَ ، وفي نسبته إليه نظر ، فقد قال أبو حيان في البحر المحيط ١٨٠/٧ ما نصُّه : وقال قتادة : هو على التقديم والتأخير تقديره : أوتوا العلم في كتاب الله والإيمانَ لقد لبثتم ، وعلى هذا تكون « في » بمعنى الباء ، أي العلم بكتاب الله قال : ولعل هذا القول لايصح عن قتادة ، فإن فيه تفكيكاً للنظم ، لا يسوغ في كلامٍ غير فصيح ، فكيف يسوغ في كلام الله ؟ وقتادة كان موصوفاً بعلم العربية ، فلا يصدر عنه مثل هذا القول . اهـ من البحر المحيط .

تفسير سورة لقمان

مكية وآياتها ٣٤ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان وهي مكية

قال عبدُ الله بنُ عبّاسٍ هي مكيّةٌ ، إلاَّ ثلاث آيات منها ، فإنهنَّ نزلْنَ بالمدينة ، وهنَّ قولُه جلَّ وعزَّ :

﴿ **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ** .. ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث[1] .

١ ـ **من ذلك قولُه عزَّ وجلَّ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى سعيدُ بنُ جُبير عن أبي الصَّهباء البكريِّ[2] قال : سُئِل عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ عن قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ .

فقال : الغِنَاءُ ، واللهِ الَّذي لا إلهَ إلاَّ هو ، يردِّدُها ثلاث مراتٍ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٥٨/٥ عن ابن عباس أن السورة مكية إلا الآيات الثلاث .

(٢) هو صهيب أبو الصهباء البكري البصري مولى ابن عباس ، قال أبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، له ذكر في صحيح مسلم ، وضعفه النسائي ، وانظر التهذيب ٤٣٩/٤ .

(٣) هذا تفسير مأثور ، لصحابي جليل ، من أعلمِ الصحابة بكتابِ الله بعد ابن عباس ، وهو « عبدالله بن مسعود » فقد سئل عن المراد من « لهو الحديث » فقال : واللهِ الذي لا إله إلا =

وبغير هذا الإسناد عنه : « والغِناءُ يُنْبِتُ في القلب النفاقَ »[1] .

ورَوَى سعيدُ بن جبير عن ابن عباس قال : الرجلُ يشتري الجارية المغنيَّة ، تُغَنِّيه ليلاً أو نهاراً[2] .

ورُوي عن ابن عمر هو : الغِنَاءُ[3] .

وكذلك قال عكرمةُ ، وميمونُ بن مِهْرَانَ ، ومكحولٌ[4] .

ورَوَى عليُّ بن الحَكَم عن الضحَّاك ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ ﴾ قال : الشِّرْكُ[5] .

= هو ، واللهِ الذي لا إله إلا هو ، يحلف بالله ، وأعاد الجملة ثلاث مرات : « إنما هو الغناءُ والمزاميرُ » وكفى بهذا دليلاً واضحاً على حرمة استماع الغناء ، ومزامير الشيطان ، وانظر الطبري ٦٢/٢١ وابن كثير ٣٢٣/٦ والدر المنثور ١٥٩/٥ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٥ ولفظُه : « الغناء يُنبتُ النفاق في القلب ، كما يُنبت الماءُ الزَّرعَ ، وَالذِّكْرُ يُنبت الإيمانَ في القلب ، كما يُنبت الماء الزرع » .

(٢) قال ابن عباس : أنزلت هذه الآية في « النضر بن الحارث » اشترى قينةً ــ أي جارية مغنيَّة ــ فكان لا يسمع بأحدٍ يريد الإسلام ، إلاَّ انطلق به إلى قَيْنَتِه ، فيقول لها : أطعميهِ ، واسقيهِ ، وغنيّه ، ثم يقول له : هذا خيرٌ لك مما يدعوكَ إليه محمدٌ ، من الصلاة ، والصيام ، وأن تقاتل بين يديه حتى تُقتل ، ففيه نزلت هذه الآية ﴿ ومن النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث لِيُضِلَّ عن سَبِيلِ اللهِ ﴾ وانظر الدر المنثور ١٥٩/٥ .

(٣ــ٤) هذه الأقوال عن السلف ذكرها الطبري في تفسيره ٦٣/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٥ وابن كثير في تفسيره ٣٣٤/٦ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ٦٣/٢١ وهو قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، كما جاء في تفسير ابن كثير ٣٣٤/٦ واختار ابن جرير أن لهو الحديث : كلُّ كلامٍ يصدُّ عن آيات الله واتّباع سبيله . اهـ .

ورَوَى جويبرٌ[١] عنـه قال : الغِنـاءُ مَهْلكـةٌ للمـالِ ، مَسخَطـةٌ للربِّ ، مَقْسَاةٌ للقلبِ[٢] .

وسُئل القاسمُ بن محمد عنه فقال : الغِناء باطلٌ ، والباطـلُ في النار[٣] .

قال أبو جعفر : وأبيـنُ ما قيـل في الآية ما رواه عبدالكـريم عن مجاهد قال : الغِناءُ ، وكلُّ لعبٍ : لَهْوٌ .

قال أبو جعفـر : فالمعنـى : ما يُلهيـه من الغنـاء ، وغيـرِه ، مما يُلْهِي[٤] .

وقد قال معمرٌ :بَلَغني أن هذه الآية ، نزلت في رجلٍ من بنـي عَدِيٍّ ، يعنـي « النَّضر بن الحارث » كان يشتـري الكـتب التـي فيها أخبـار فارسَ والـرُّوم [ويقـول : محمـدٌ يُحدِّثكـم عن عادٍ وثمود ، وأنـا

(١) قال في تقريب التهذيب ١/١٢٤ : جابر أو جويبر العبدي ، مقبولٌ من الثالثة .

(٢) ذكـره الألـوسي في تفسيره روح المعـاني ٢١/٦٨ عن الضحـاك بلفـظ « الغنـاء منْفـدةٌ للمـال ، مَسْخَطة للرب ، مفْسدة للقلب » .

(٣) ذكره القرطبي ١٤/٥٢ وروى عن مجاهد : إن لهو الحديث في الآية الاستماع إلى الغنـاء وإلى مثلـه من الباطل .

(٤) هذا هو الصحيح أن « لهو الحديث » هو الغناء ، وكلُّ ما يُلهي عن طاعة الله . والمراد بالغِناء كما قال القرطبي الغناء المعتاد ، الذي يُحرِّك النفوس ، ويبعثها على الهوى والغزل والمجون ، أما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفـرح ، كالعـرس والعيـد ، وعنـد التنشيـط على الأعمـال الشاقة ، كما كان في حفر الخندق . اهـ القرطبي ١٤/٥٤ .

أحدثكم عن فارسَ والرُّوم][1] ويستهزىء بالقرآن إذا سَمِعه[2] .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا .. ﴾** [آية ٦] .

أي لِيُضِلَّ غيره ، وإذا أضلَّ غيرَه ، فقد ضَلَّ .

وَ « لِيَضِلَّ » هو ، أي يئول أمرُه إلى هذا ، كما قال **﴿ رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ[3] ﴾**

٣ ــ **وقولُه جل وعز ﴿ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا .. ﴾** [آية ٧] .

قال مجاهد : ﴿ وَقْرًا ﴾ أي ثقلاً[4] .

٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. ﴾** [آية ١٠] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من هامش المخطوطة .

(٢) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٤ : وتأولها قوم على الأحاديث التي يتلهّى بها أهل الباطل واللَّعب ، فقد قيل : إن الآية نزلت في « النضر بن الحارث » لأنه اشترى كتب الأعاجم « رستم » و« اسفنديار » فكان يجلس بمكة ، فإذا قالت قريش : إن محمداً قال كذا ، ضحك منه ، وحدَّثهم بأحاديث مُلوكِ الفرس ، ويقول : حديثي هذا أحسن من حديث محمد ، حكاه الفراء والكلبي وغيرهما . اهـ .

(٣) قرأ الكوفيون ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ بضمِّ الياء أي لِيُضِلُّوا عبادك ، والباقون بفتح الياء أي لِيَضِلُّوا هم عن طريقك المستقيم ، والآية التي استشهد بها المصنف في سورة يونس رقم (٨٨) .

(٤) قال في المصباح مادة « وقر » : وقَرتِ الأُذُن وَقْراً ، من بَابَيْ تَعِبَ ، وَوَعد : ثَقُل سمعُها . اهـ وقال في البحر ١٨٤/٧ والمعنى : كأن فيهما صَمَماً يَصُدُّه عن السَّماع .

يجوز أن تكون ﴿ تَرَوْنَها ﴾ بمعنى ترونها بغير عمد[1] .

ويجوز أن تكون نعتاً ، على قولِ مَنْ قال : هيَ بعَمَدٍ ولكنْ لا يَرَوْنَها .

قال أبو جعفر : والقولان يرجعانِ إلى معنى واحد ، لأن من قال إنها بعَمَدٍ ، إنَّما يريد بالعَمَد قدرةَ اللهِ جلَّ وعزَّ ، التي يُمسك بها السَّمَواتِ والأرض[2] .

٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ .. ﴾ [آية ١٠] .

أي جبالاً ثابتة ، وقد رَسَا : أي ثَبتَ .

﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ أي كراهةَ أنْ تميدَ بكم .

يُقال : مادَ يَمِيد ، إذا اشتَدَّتْ حركتهُ[3] .

---

(١) هذا هو الراجح وهو قول قتادة والحسن كما في الطبري ، أن السماء قائمة بقدرة الله بغير دعائم ترتكز عليها حال كونكم تشاهدونها كذلك ، وهذا معنى قول الحسن : ليس لها دعائم ، وانظر الطبري ٢١/٦٥ .

(٢) قال الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٢/٦٠٠ : يجوز أن يكون ﴿ تَرَوْنَها ﴾ في موضع خفض على النعت لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ أي بغير عَمَد مرئية ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحالِ ، وسمعتُ عليَّ بن سليمان يقول : الأَوْلى أن يكون مستأنفاً ، ويكون ﴿بغير عَمَدٍ﴾ التامُ ، أي ولا عَمَدَ ثمَّ اهـ .

(٣) في المخطوطة « وقد مَادَ » وهو تصحيف ، وصوابهُ يُقالُ : مَادَ يَميدُ . الخ .

٦ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ، فَأَرُونِي ماذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [آية ١١] .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ﴾ يعني مَا ذُكِرَ مِنْ خلقِ السَّمواتِ وغيرِها[١] .

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي ممَّا تعبدونه .

٧ ـ ثم أَعْلَمَ أنَّهم في ضلالٍ فقال سبحانه ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٢] [آية ١١] .

٨ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ .. ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى سُليمانُ بنُ بلالٍ ، عن يَحْيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : كان لقمانُ من سُودان مصرَ[٣] .

---

(١) أطلق المصدر وأراد به اسم المفعول ، أي هذه مخلوقاتُ الله ، فأروني يا معشر المشركين أيَّ شيء خلقته آلهتكم التي عبدتموها من دون الله ؟ وهو سؤال استنكارٍ وتوبيخ على جهة التهكُّم والسخرية بهم وبآلهتهم المزعومة .

(٢) قال القرطبي ٥٨/١٤ : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ ﴾ الخَلْقُ : بمعنى المخلوق أي هذا الذي ذكرتُه ، ممَّا تُعَاينونه خَلْقُ الله مخلوقُ الله ، وقد خلقها من غير شريك ، فأروني يا معاشر المشركين ماذا خلقت الأصنام ؟ بل الظالمون أي المشركون في ضلال مبين أي خسرانٍ ظاهر . اهـ .

(٣) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٦٧/٢١ وروى بطريق آخر أن رجلاً أسود جاء إلى ابن المسيَّب يسأله ، فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلالٌ ، ومهجّع مولى عمر ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبياً . اهـ .

وقـــال غيـــرُه : كان في وقت دَاوُدَ النبـــيِّ صلى الله عليـــه وسلَّم[1] .

قال وهبُ بنُ منبِّهٍ : قرأتُ من حكمتــهِ أرجَــحَ من عشرةِ آلاف باب[2] .

قال مجاهد : الحكمة التي أوتِيها : العقـلُ ، والفقـهُ ، والصَّوابُ في الكلام من غير نبوَّة[3] .

قال زيدُ بن أسلم : الحكمةُ : العقـلُ في ديـن اللهِ عز وجـل ، ويُقال : إن ابنه اسمه ثاران[4] .

٩ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيـمٌ ﴾** [آية ١٣] .

قال الأصمعيُّ : الظُّلمُ : وَضْعُ الشيءِ في غيرِ موضعه .

(١ ــ ٤) انظر الآثار في الطبري ٦٧/٢١ والدر ١٦١/٥ ورأيُ الجمهور أن « لقمان » كان حكيماً ولم يكن نبياً لقوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ ولم يقل : آتيناه النبوة ، وهـذا القـولُ ذهب إليه من السلف مجاهد ، والثوري ، وقتادة ، وابن المسيب ، وغيرهم .

قال الحافـظ ابـن كثير ٣٣٦/٦ : اختلـف السلـف في « لقمـان » هل كان نبيـاً ، أم عبـداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون أنه ليس بنبي . اهـ .

وقال في البحر ١٨٦/٧ : والأكثرون على أنه لم يكن نبياً . اهـ وقال القرطبي ٥٩/١٤ : وعلى هذا جمهور أهل التأويل ، أنه كان ولياً ولم يكن نبياً ، وروى من حديث ابـن عمـر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لم يكنْ لقمانُ نبياً ، ولكنْ كان عبـداً كثير التفكـر ، حسنَ اليـقين ، أحبَّ الله تعالى فأحبَّه اللهُ ، فمنَّ عليه بالحكمة » اهـ وانظر الدر المنثور ١٦١/٥ .

قال أبو جعفر : المشركُ نَسَبَ نعمةَ اللهِ جلَّ وعزَّ إلى غيره ، لأن الله جلَّ وعزَّ الرَّازِقُ ، والمحيي ، والمميتُ ، وقال : هو ظالمٌ لنفسه[1] .

١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ..** ﴾ [آية ١٤] .

وقرأ عيسى ﴿ **وَهَنَاً عَلَى وَهَنٍ** ﴾[2] .

قال الضحاك : الوهْنُ : الضَّعْفُ .

وكذلك هو في اللُّغةِ : يُقال : وَهَنَ يَهِنُ ، وَوَهَن يَوْهَنُ ، وَوَهِنَ يَهِنُ ، مثلُ وَرِمَ يَرِم : إذا ضَعُفَ ، يعني ضَعْفَ الحَمْلِ ، وضَعْفَ الطَّلْقِ ، وضَعْفَ النِّفاسِ[3] .

---

(١) أي إنما كان المشرك ظالماً لنفسه ، لأنه جحد نعمة الله فعرَّض نفسه للعذاب ، ومن سوَّى بين الخالق والمخلوق ، وبين الإِله والصنم ، فهو ــ بلا شك ــ أحمقُ النَّاس ، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة ، وحريٌّ به أن يوصف بالظلم ، ويُجعل في عداد البهائم .
رُوي أنه لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوْا ولم يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس هو كما تظنُّون ، إنما هو كما قال لقمانُ لابنه : ﴿ يَابُنَيَّ لاتُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أخرجه البخاري في التفسير ١٤٣/٦ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٦٧/٢ قال في البحر ١٨٧/٧ : قرأ عيسى الثقفي وأبو عَمرو ﴿ حَمَلَتهُ أمُّه وَهَنَاً عَلَى وَهَن ﴾ بفتح الهاء فيهما ، وقرأ الجمهور بسكون الهاء . اهـ .

(٣) قال الطبري ٦٩/٢١ : ﴿ وَهْنَاً عَلَى وَهْنٍ ﴾ أي ضعفاً على ضعف ، وشدَّة على شدَّة ، قال مجاهد : وهنُ الولد على وهن الوالدة وضعفها . اهـ .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [آية ١٤] .

﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أي فطامُه في عامين .

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ على التقديم والتأخير[1] ، والمعنى : ووصيَّنا الإنسانَ أنْ اشكرْ لي ولوالديك .

١٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْس لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [آية ١٥] .

يُرْوَى أنها نزلت في « سعدِ بن أبي وقَّاص »[2] .

---

(١) يريد المصنف أن قوله ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنَاً على وهْنٍ وفِصَالُه في عَامَيْنِ ﴾ من المقدَّم لفظاً والمؤخَّر معنى ، والأصل في التركيب : ووصَّيْنَا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك ، حملته أُمُّهُ وهناً .. الخ وإنما قدَّمه لبيان أهميَّة حقّ الأم ، حيث قاست الشدائد والأهوال من الحمل ، والنفاس ، والرضاع والتربية الخ وهذا القول الذي ذَكره المصنف هو قول الزجاج ، وقد ضعَّفه في كتابه إعراب القرآن فقال ما نصُّه ٦٠٣/٢ : وزعم أبو إسحاق في كتابه أنَّ « أَنْ » في موضع نصب ، وأن المعنى : ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك ، وهذا القول على مذهب سيبويه بعيدٌ ، ولم يذكر أبو إسحاق ــ فيما علمتُ ــ غيره ، وأجودُ منه أن تكون «أَنْ» مفسِّره والمعنى : قلنا له اشكر لي ولوالديك . اهـ وهذا هو الأصحُّ والأرجح .

(٢) روى الحافظ ابن كثير في سبب نزول هذه الآية عن (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه قال : (كنتُ رجلاً براً بأمي ، فلما أسلمتُ قالت ياسعد : ما هذا الذي أراك قد أحدثتَ ؟ لتَدَعنَّ دينك هذا ، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموتَ ، فتُعَيَّر بي فيقال : ياقاتل أُمِّهِ ، فقلتُ : لا تفعلي ياأمَّه ، فإني لا أدعُ ديني هذا أبداً ، فمكثت يوماً وليلةً لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً وليلةً أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمّه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفْساً نفْساً ما تركتُ ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي ، فنزلت الآية) .

١٣ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ [آية ١٥] .

أي مُصَاحَبَاً معروفاً ، يُقال : صاحبتُه مُصاحَبَةً ، ومُصَاحَباً ، و﴿ مَعْرُوفاً ﴾ أي ما يَحْسُن .

١٤ ــ ثم رجع إلى الإخبار عن لقمان فقال ﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ .. ﴾ [آية ١٦] .

وهذا على التمثيل[١] ، كما قال سبحانه ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَهُ ﴾[٢] .

قال سفيانُ : بلغني أنها الصَّخرةُ التي عليها الأَرَضُون.

ورُوِي أن ابن[٣] لقمان سأله عن حبَّةٍ وقعتْ في مَقْلِ[٤] البحر ــ أي في مَغَاصِهِ ــ فأجابه بهذا .

---

(١) الغرضُ من الآية التمثيل كما قال المصنف رحمه الله ، والضمير في ﴿ إنَّها ﴾ ضمير القصة ، والمعنى : إن الخطيئة والمعصية مهما كانت صغيرة ، حتى ولو كانت وزن حبة الخردل في الصِّغَرِ ، وكانت في أخفى مكانٍ وأبعدِه ، كجوف الصخرة الصمَّاء، أو أعلى مكان في السماء ، يعلمها الله ويجازي عليها .

(٢) سورة الزلزلة آية (٧) .

(٣) سقط من المخطوطة لفظ (ابن) وقد اثبتناها من تفسير القرطبي وعبارته ٦٧/١٤ : ويدل عليه قولُ ابن لقمان لأبيه : يا أبتِ إن عملتُ الخطيئة حيث لا يراني أحد ، كيف يعلمها الله ؟ فأجابه الخ .

(٤) قال في القاموس : المَقْلُ : الغَمْسُ والغوصُ في الماء . اهـ .

قال أبو مالك : ﴿ يَأْتِ بِهَا اللهُ ﴾ أي يعلمُها اللهُ(١) .

١٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [آية ١٦] .

قال أبو العالية : أي لطيفٌ باستخراجها ، خبيرٌ بمكانها .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ١٨] .

وقرأ الجَحْدريُّ : ﴿ ولا تُصْعِرْ ﴾ ويُقْرَأُ ﴿ ولا تُصَاعِر ﴾(٢) .

قال الحسنُ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ ، في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ : الإعراضُ عن النَّاسِ(٣) .

قال قتادة : لا تتكبَّر فتُعْرِضُ(٤) .

وقال إبراهيم : هو التَشَدُّقُ(٥) .

---

(١) قال في البحر ١٨٧/٧ : ﴿ يأتِ بها اللَّهُ ﴾ يوم القيامة فيحاسب عليها ، وقال ابن كثير : أي أحضرها اللهُ يوم القيامة وجازى عليها كما قال سبحانه ﴿ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ وهذا أظهر .

(٢) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥١٣ قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٤٦/٢ : اختلفوا في قوله تعالى ﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾ فقرأ ابن كثير ، وأبو جعفر ، وعاصم ، بتشديد العين من غير ألف ، وقرأ الباقون بتخفيفها وألِف بعدها . اهـ .

(٣) و (٤) أخرجهما الطبري في تفسيره ٧٥/٢١ عن ابن عباس قال : لا تُعْرِضْ بوجهك عن النَّاس تكبُّراً .

(٥) أي التشدُّق في الكلام ، والمتشدِّق الذي يلوي شِدْقه ــ وهو جانب الفم ــ عندما يتكلم للتفصُّح ، واستهزاءً بالناس ، قال القرطبي ٧٠/١٤ وقيل : هو أن تلوي شِدْقك إذا ذُكر الرجلُ عندك كأنك تحتقره . اهـ وما ذُكر عن ابن عباس أولى وأظهر .

قال أبو الجوزاء : يقول بوجهه هكذا ، ازدراءً بالنَّاس .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من الصَّعَرِ ، وهو داءٌ يأخذُ الإبلَ ، تَلْوي منها أعناقَها ، فقيل هذا للمتكبِّر ، لأنه يلوي عنقه تكبُّراً(١) .

و﴿ **تُصَعِّرْ** ﴾ على التكثير و﴿ **تُصْعِرْ** ﴾ تُلزمُ نفسك بهذا ، لأنه يفعلُه ولَا دَاءَ به .

و﴿ **تُصَاعِرْ** ﴾ أي تُعارِضْ بوجهك .

١٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً** .. ﴾ [آية ١٨] .

أي متبختراً ، متكبِّراً .

١٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ** .. ﴾ [آية ١٩] .

﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ أي يكون متوسِّطاً .

رَوَى **حَيْوةُ بن شُرَيْحٍ** عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيب ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ قال : من(٢) السُّرعةِ .

---

(١) عبارة الطبري ٧٤/٢١ : وأصلُ الصَّعَر داءٌ يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تلفت أعناقها عن رءوسها ، فيُشَبَّه به الرجلُ المتكبِّرُ على النَّاس ، ومنه قول الشاعر :

وكنَّا إذَا الجبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا له من مَيْلِهِ فتَقَوَّمَا

(٢) سقطت من المخطوطة « من » وأثبتناها من تفسير الطبري ، قال ابن جرير ٧٦/٢١ . نهاه عن =

ثم قال : ﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ [آية ١٩] .

أي انقُصْ منه ، وقد غضَّ بَصَرَه ، ومنه فلانٌ يَغُضُّ من النَّاس .

١٩ ـ ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ ﴾ [آية ١٩] .

أي أقبحُها ، ومنه : أتانا بوجهٍ مُنْكَرٍ[١] .

٢٠ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ يعني الشمسَ ، والقمر ، والنُّجومَ .

﴿ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ من البحارِ ، والدَّوابِّ ، وغيرِها .

٢١ ـ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ﴾ [آية ٢٠] .

وقرأ ابن عباس : ﴿ وَأَسْبَغَ عليكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً ﴾ على التوحيد[٢]

وقال هو ومجاهد : هيَ الإسلامُ .

= السرعة ، وذكر الأثر عن يزيد بن أبي حبيب وقال : من السرعة ، ومعنى الآية ﴿ وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ ﴾ أي توسَّطْ في مِشْيتك ، واعتدِلْ فيها بين الإسراع والبطء .

(١) قال الطبري ٢١/٧٧ : أي إن أقبحَ أو أشرَّ الأصوات لَصوتُ الحمير ، وذلك نظير قولهم إذا رأوا وجهاً قبيحاً أو منظراً شنيعاً : ما أنكرَ وجهَ فلانٍ ، وما أنكرَ منظرَه ؟!

(٢) قوله على التوحيد أي بلفظ الإفراد لا الجمع ، قال القرطبي ١٤/٧٣ : ﴿ وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ =

ويجوز أن تكون « نِعْمَةٌ » بمعنى نِعَمٍ ، كما قال سبحانه ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[1] .

٢٢ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى .. ﴾ [آية ٢٢] .

رَوَى سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عباس ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ قال : لا إله إلاَّ اللهُ[2] .

٢٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ..﴾ [آية ٢٧] .

في رواية أبِي عَمْرِو بنِ العَلَاء عن مجاهد عن ابن عباس قال : « قالت اليهودُ للنبيِّ ﷺ : بَلَغنا أنك تقولُ ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ

= نِعَمَهُ ﴾ أي أكملها وأتمها ، والنِّعَم جمعُ نعمة كسِدْرة وسِدَر ، وهي قراءة نافع ، وحفص ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ نعمةً ﴾ على الإفراد ، وهي قراءة ابن عباس . اهـ وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥١٣ .

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤ والشاهد أن لفظ النعمة يُراد بها الجمع أي نِعَمه المتكاثرة العديدة ، والمراد بالظاهرة : المرئيةُ كنعمة البصر ، والسمع ، والصحة ، والإسلام ، والباطنة : الخفيَّة كالقلب ، والعقل ، والفهم ، والمعرفة ، وما أشبه ذلك .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٧٩/٢١ والقرطبي ٧٤/١٤ والآية كما قال الطبري من باب التمثيل ، فشبهت حال من استسلم وانقاد لأمر الله ، بحال من تمسَّك بحبل متين ، وتدلَّى من شاهق جبل ، فاحتاط لنفسه باستمساكه بأوثق عروة ، وقال الرازي : أوثق العُرى جانب الله ، لأن كل ما عداه هالك منقطع . اهـ .

الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فهذا لنا أو لغيرنا ؟ فقال ﷺ : للجميع ، فقالوا أَما علمتَ أنَّ الله أعطى موسى التَّوراةَ ، وخلَّفها فينا ومَعَنا ؟ فقال النبي ﷺ : التوراةُ وما فيها من الأنباءِ في علم الله جلَّ وعزَّ قليلٌ ، فأنزل الله ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ إلى تمام ثلاث آيات[1] .

قال أبو جعفر : فقد تبيَّن أنَّ الكلمات ههنا يُراد بها العلمُ وحقائقُ الأشياء ، لأنه عَلِمَ قبل أن يخلق الخلق ما هو خالقٌ في السموات والأرض من شيء ، وعَلِم ما فيه من مثاقيل الذَّرِّ ، وعَلِم الأجناس كلَّها وما فيها من شَعَرةٍ وعُضوٍ ، وما في الشجرة من ورقة ، وما فيها من ضروب الخلق ، وما يتصرّف فيه من ضروب الطعم واللَّون ، فلو سمَّي كلَّ دابة وحدَّها ، وسمَّى أجزائها على ما يعلم من قليلها وكثيرها ، وما تحوَّلت عليه في الأحوال ، وما زاد فيها في كل زمان ، وبيَّن كل شجرة وحدَّها ، وما تفرَّعتْ عليه ، وقدَّر ما ييبسُ من ذلك في كل زمان ، ثم

---

(١) ذكر هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ٨١/٢١ والسيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٥ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٤ قال القرطبي : لمَّا احتجَّ على المشركين بما احتجَّ ، بيَّن أن معاني كلامه سبحانه لا تَنْفدُ ، وأنها لا نهاية لها ، فلو أنَّ الأشجارَ كانت أقلاماً ، والبحار كانت مداداً ، فكُتب بها عجائب صنع الله ، الدالة على قدرته ووحدانيته ، لم تنفد تلك العجائب ، والمخلوقُ لابدَّ له من نهاية ، فإذا نُفيتِ النهايةُ عن مقدوراتِهِ ، فهو نفيُ النهاية عمَّا يقدَّر في المستقبل على إيجاده ، فأمَّا حصره الوجود وعدَّه ، فلا بدَّ من تناهيه ، والقديمُ لا نهاية له على التحقيق ، والغرضُ الإعلام بكثرة معاني كلمات الله ، وإنما قرَّب على أفهام البشر ، بما يتَناهَى ، لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة ، اهـ .

كتب البيان عن كل واحدٍ منها ، على ما أحاط الله عز وجل منها ، ثم كان البحر مداداً لذلك البيان ، الذي بيَّن الله عز وجل تلك الأشياء ، يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر ، لكان البيانُ عن تلك الأشياء أكثر .

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بصِيرٌ** ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : إنما يقولُ « كنْ فيكون » القليلُ والكثير[1] .

٢٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ :** ﴿ **فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ..** ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد : فمنهم مقتصدٌ في القول ، وهو كافرٌ[2] .

وقيل : ﴿ **مُقْتَصِدٌ** ﴾ أي مقتصدٌ في فعله .

خبرٌ أنَّ منهم من لا يُشْرِكُ .

٢٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ :** ﴿ **وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُوْرٍ** ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد وقتادة : الخَتَّارُ : الغَدُورُ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢١/٨٢ وقال المعنى : ما خلقكم أيها النَّاسُ ولا بعثكم على الله ، إلاَّ كخلق نفسٍ واحدة وبعثِها ، وذلك أنه تعالى لايتعذَّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع منه شيء شاءه . اهـ .

(٢ ــ ٣) انظر جامع البيان للطبري ٢١/٨٥ والدر المنثور للسيوطي ٥/١٦٩ وقولُ مجاهد ذهب إليه بعض المفسرين ، كالزمخشري ، والأرجح كما قال الرازي : المقتصدُ : المتوسِّطُ بين السابق بالخيرات ، والظالم لنفسه ، ويؤيده قول الحسن : ﴿مقتصد﴾ مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة ، وفي الآية حذفٌ تقديره : فمنهم مقتصدٌ ، ومنهم جاحد ، ودلَّ عليه قوله سبحانه ﴿ وما يجحد =

قال أبو جعفر : الخَتْرُ في كلام العرب : أقبحُ الغَدْرِ[1] .

٢٧ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ** ﴾ [آية ٣٣] .

قال مجاهد والضحاك : ﴿ **الغَرُورُ** ﴾ : الشَّيْطانُ .

٢٨ ـ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ** .. ﴾ [آية ٣٤] .

رُوي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « مفاتح الغيب خمسة[2] .. » وقد ذكرنا هذا بإسناده في سورة الأنعام ، في قوله تعالى ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ** .. ﴾ الآية .

انتهت سورة لقمان

* * *

= بآياتنا إلاَّ كلُّ ختَّار كفور ﴾ وقال ابن عباس : المقتصدُ الموفي بما عاهد عليه الله في البحر . اهـ .

(١) قال في اللسان : الخترُ شبيهٌ بالغدرِ والخديعة ، وقيل : هو الخديعة بعينها ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه .و« ختَّار » للمبالغة . اهـ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/٨٨ والسيوطي في الدر ٥/١٦٩ وفي الحديث الصحيح « مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله .. وتلا الآية إن الله عنده علم الساعة .. » الخ أخرجه البخاري .

تفسير سُورَة السجْدة

مَكية وآيَاتها ٣٠ آيــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة وهي مكية[1]

قال عبدالله بن عباس : إلاَّ ثلاث آيات نزلْنَ بالمدينة[1] ، في رجلين من قريشٍ[2] ، وهنَّ : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ..** ﴾ ؟ إلى آخر الآيات الثلاث .

١ ــ **من ذلك قولُه جلَّ وعز : ﴿ آلم . تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾** [آية ٢] .

المعنى : هذا تنزيلُ الكتاب[3] .

وقيل : المعنى ﴿ **آلم** ﴾ من تنزيل الكتاب .

---

(١) هذا قول الكلبي ، ومقاتل ، وقال غيرهما : إلاَّ خمسَ آياتٍ من قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله ﴿ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ وانظر جامع الأحكام للقرطبي ٨٤/١٤ .

(٢) قال ابن عباس وعطاء : نزلت الآية في « عليّ بن أبي طالبٍ » و« الوليد بن عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ » كان بينهما منازعةٌ ومخاصمة ، فقال له الوليد : أنا أبسطُ منك لساناً ، وأحَدُّ سِناناً ، وأردُّ منك للكتيبةِ ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه : اسكتْ فإنكَ فاسقٌ ، فنزلت الآية ، وروى أنها نزلت في عليّ وعُقبة بن أبي مُعيط ، وعلى هذا القول تكون الآية مكية ، كما قال ابن عطية ، لأن عُقبة لم يكن بالمدينة ، وإنما قُتل بعد رجوعه من بدرٍ في طريق مكة . وانظر تفسير ابن الجوزي ٣٤٠/٦ والدر المنثور ١٧٨/٥ والقرطبي ١٠٥/١٤ .

(٣) على هذا التقدير الذي ذكره المصنف ، تكون الجملة خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : هذا المتلوُّ تنزيلُ الكتاب .

ويجوز أن يكون المعنى : تنزيلُ الكتابِ لا شكَّ فيه(١) .

وقد بينَّا معنى ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في سورة البقرة .

٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ .. ﴾ [آية ٣] .

أي بل(٢) أيقولون افتراه ؟

٣ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي يقضي القضاء في السماء ، ثم يُنزلُه إلى الأَرْض .

٤ ــ وقوله جل وعز ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ ﴾ [آية ٥] .

قال أبو جعفر : هذه الآيةُ مشكلةٌ ، وقد قال في موضعٍ آخَرَ ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(٣) .

ولأهل التفسير فيها أقوال :

أ ــ من ذلك ما حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ ، قال : حدثنا عبدالله بن

---

(١) ذكر المصنف في كتابه إعراب القرآن ٦٠٩/٢ هذا الوجه من الإعراب ﴿ تنزيلُ ﴾ مبتدأ ،والخبر جملة ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ .

(٢) هذه تسمى « أم » المنقطعة ، وهي انتقال من حديث إلى حديث ، وتقدَّر بـ (بل) وألف الاستفهام ولهذا قال المصنف أي بل أيقولون ؟ ومعنى الآية : بل أيقول كفار مكة اختلق محمد القرآن ، وافتراه من تلقاء نفسه ؟ ليس الأمر كما يدَّعون .

(٣) سورة المعارج آية ٤ .

صالح ، قال : حدثنا معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ بن أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباس ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : هذا في الدنيا ، وقولُه جلَّ وعز ﴿ **في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال فهذا يومُ القيامة ، جَعَلَهُ الله عز وجل على الكفار ، مقدارَ خمسين ألف سنة[١] .

ب ــ **وحدثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام قال** : حدثنا أبو داود سُليمانُ بن داودَ .

قال حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ قال : أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمرٌ عن ابن أبي نجيح عن وهبِ بن منبّه ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : ما بين أسفل الأرضِ إلى العرش[٢] .

جـ ــ **قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وفي ذلك قال** : الدنيا من أولها

---

(١) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٢١/٩٢ وهو مرويٌّ عن عكرمة وقتادة أيضاً ، كما في القرطبي والدر المنثور ، أن اليوم الذي هو كألف سنة من أيام الدنيا ، النزولُ خمسمائة سنة ، والصعودُ خمسمائة سنة ، فذلك ألفٌ ، قال ابن عباس : مسيرةُ ما بين السماء والأرض خمسُمائةِ عامٍ ، وأما اليومُ الذي هو كخمسين ألف سنة ، فذلك يوم القيامة ، وهذا لهَوْله وشدته يكون بهذا المقدار على الكافر ، وأما المؤمن فيخفُّ عليه ذلك اليوم حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة كما ورد في الحديث الصحيح .

(٢) هذا الأثر عن وهب بن منبه ذكره القرطبي ١٤/٨٩ وهو قول غريب لأن سياق الآية في سورة المعارج يدلُّ على أنه يوم القيامة ﴿ تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ والرُّوحُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وليست الآية لبيان البعد ما بين العَرْش والأرض .

إلى آخرها خمسون ألف سنة ، لا يَدْرِي أحدٌ كمْ مَضَى منها ، ولا كمْ بَقِيَ[1] ؟

قال أبو جعفر : وقيل : يومُ القيامة أيامٌ ، فمنه ما مقدارُه ألـفُ سنة ، ومنه ما مقدارُه خمسون ألف سنة[2] .

قال أبو جعفر : يومٌ في اللغة بمعنـى وقتٍ ، فالمعنـى على هذا : تعرجُ الملائكـةُ والـرُّوحُ إليـه ، في وقتٍ مقـدارُهُ ألـفَ سنـة ، وفي وقت آخـر أكثر من ذاك ، وعروجـاً أكثر من ذاكَ ، مقـدارُه خمسون ألف سنة .

٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .. ﴾** [آية ٧] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أتقنه[3] .

---

(١) هذا الأثر عن مجاهد لم أعثر عليه في كتب التفسير ، ولعله غير صحيح عنه ، لأنه لا يعلم مقدار مدة الدنيا إلا الله الخبير .

(٢) يمكن الجمع بين الآيتين بأن القيامة فيها مواقف ومواطن ، فيها خمسون موقفاً كل موقف ألـف سنة ، فيكون طول يوم القيامة خمسين ألف سنة ، كما ذهب إليـه بعض المفسرين ، وانظر فتح الرحمن فيما يلتبس في القرآن ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري صفحة ٤٥١ .

(٣) ذكره الطبري ٢١/٩٤ وعبارته : وعن مجاهد : أتقن كلَّ شيءٍ خَلَقه ، وهو الذي اختاره ابن جرير حيث قال : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه : أحكم وأتقن ، وقال أبو حيان في البحر ٧/١٩٩ : والآية أبلغ في الامتنان لأنه إذا قال ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ كان أبلغ من « أحسنَ خلقَ كلِّ شيء » لأنه قد يحسنُ الخَلْقُ ، ولا يكون الشيء في نفسه حَسَناً ، فإذا قال : أحسَنَ كلَّ شيءٍ ، اقتضى أن كلَّ شيءٍ خَلَقَه حسنٌ ، بمعنى أنه وضع كل شيء في موضعه ، ولهذا قال ابن عباس : ليست القردة بحسنة ولكنها متقنةٌ محكمة .اهـ .

قال : وهو مثلُ قوله تعالى ﴿ **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** ﴾[1] .

أي لم يَخْلق الإنسانَ على خَلْقِ البَهيمةِ ، ولا خَلَقَ البَهيمةَ على خَلْقِ الإنسان .

وقيل : أي لم يعجزْهُ .

وأحسنُ ما قيل في هذا ، ما رواه خُصَيفٌ عن عكرمة ، عن ابنِ عباس في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ **أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ قال : أحسنَ في خَلْقِهِ ، جَعَلَ الكلبَ في خَلْقِهِ حَسَناً[2] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا : أَحْسَنَ في فعلِهِ ، كما تقولُ : أَحْسَنَ فلانٌ في قَطْعِ اللِصِّ .

٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ** ﴾ [آية ٨] .

﴿ **السُّلَالَةُ** ﴾ للقليلِ ممَّا يَنْسَلُّ[3] ، و(المَهِينُ) : الضَّعيفُ .

---

(١) سورة طه آية ٥٠ .

(٢) قال بعض العلماء : لو تصورت مثلاً أن للفيل مثل رأس الجمل ، وأن للأرنب مثل رأس الأسد ، وأن للإنسان مثل رأس الحمار ، لوجدتَ في ذلك تناقضاً ونقصاً كبيراً ، وعدم انسجام ، ولكنَّك إذا علمتَ أن طول عنق الجمل ، وشقَّ شفته ، ليسهل تناوله الكلأ عليه أثناء السَّير ، وأن الفيل لولا خرطومه الطويل ، لما استطاع أن يبرك بجسمه الكبير لتناول طعامه وشرابه ، لو علمت كل هذا لقلت : تبارك الله أحسنُ الخالقين ، الذي أتقن كل شيء .

(٣) السُّلالة : الخلاصةُ مشتقةٌ من السَّلِّ وهو استخراج الشيء من الشيء ، برفقٍ ولين ، تقول : =

٧ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [آية ١٠] .

ورُوي عن الحَسَنِ أنه قَرَأ ﴿ صَلَلْنا ﴾ بفتح اللَّام[١] ، ورَوَى بعضُهم بكسر اللَّام .

قال مجاهد : ﴿ ضَلَلْنا ﴾ أي أُهْلِكنا[٢] .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ ضَلَلْنا ﴾ صِرْنَا تُراباً وعظاماً فلم نتبيَّن ، وهو يرجع إلى قول مجاهد .

ومعنى « صَلَلْنا » بفتح اللَّام : أَنتَنَّا وتَغَيَّرنا ، وتغيَّرتْ صورُنا ، يقال : صَلَّ اللَّحمُ ، وأَصَلَّ : إذا أنتَنَ وتَغَيَّر .

ويجوز أن يكون من الصَّلَّةِ ، وهي الأرضُ اليابسةُ ، ولا يُعرف صَلِلْنا بكسر اللَّام[٣] .

= سَلَلْتُ الشعر من العجين ، قال أمية بن أبي الصلت :

خَلَقَ البريَّةَ من سُلالةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السُّلالةِ كُلُّها ستَعُودُ

(١) أي قرأها بالصَّاد المهملة ، مفتوحة اللَّام أو مكسورتها ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٧٣/٢ وقراءة الجمهور بالضَّاد ﴿ ضَلَلْنا ﴾ .

(٢) قال القرطبي ٩١/١٤ : هذا قول منكري البعث ، ومعناه : هلكنا وبطلنا ، وصرنا تراباً ، وأصلُه من قول العرب : ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ إذا ذَهَبَ ، والعربُ تقول للشيء غلب عليه غيرُه حتى خَفِيَ فيه أثره : قد ضلَّ . اهـ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٦١١/٢ : ولا يُعرف في اللغة « صَلِلْنا » ولكن يُعرف « صَلَلْنا » يُقال : صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ ، وخَمَّ وأَخَمَّ : إذا أنتن . اهـ وكذلك قال الفراء في معاني القرآن =

٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً .. ﴾ [آية ١٢] .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ المجرمونَ ناكِسُوا رءوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ لرأيتَ ما تعتبرُ به اعتباراً شديداً[١] .

والمعنى : يقولون ربَّنا ، ثم حَذَف القول أيضاً .

٩ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا .. ﴾ [آية ١٣] .

أي لو شئنا لأريناهم آيةً تضطرهم إلى الإيمان[٢] ، كما قال تعالى ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[٣] .

١٠ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادة : أي بذنوبهم[٤] .

= ٣٣١/٢ : وذُكر عن الحسن أنه قرأ « أئذا صَلِلْنا » بالصَّاد وكسر اللَّام ، ولستُ أعرفها ، ولو كانت « صَلَلْنا » بفتح اللَّام لكانت صواباً ، ولكني لا أعرفها بالكسر . اهـ .

(١) قال أبو السعود : وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوفٌ تقديره : لرأيتَ أمراً فظيعاً لا يُقادرُ قدرُه ، من هَوْلِهِ وفظاعته . اهـ إرشاد العقل السليم ١٩٧/٤ .

(٢) أي لو شئنا هداية جميع الخلق لفعلنا ، ولكنَّ ذلك ينافي حكمتنا ، لأنَّا نريد منهم الإيمان بطريق الاختيار ، لا بطريق الإكراه والإجبار .

(٣) سورة الشعراء آية رقم (٤) .

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير عن قتادة ٩٩/٢١ وابن الجوزي ٣٣٧/٦ ومعنى ﴿ ولكن حقَّ القولُ =

١١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ﴾ [آية ١٦] .

رَوَى قتادة عن أنس قال : يَتَيَقَّظون بين العِشاء والعَتَمة[1] ، فيُصَلُّون .

وقال عطاء : لا ينامون قبل العِشاء حتى يُصَلُّوها[2] .

وقال الحسن ومجاهد : يصلُّون في جوف الليل .

= مني ﴾ أي ثبت ووجب قولي بعذاب المجرمين بسبب ذنوبهم ، ولهذا قال بعده ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم بلقاء الله .. والآية ردٌّ على « الجبريّة » الذين قالوا الخلقُ مجبورون على أعمالهم ، ولا إرادة لهم ولا اختيار ، والإنسان كالريشة في مهبّ الهواء .

وردٌّ أيضاً على « القدريّة » المنكرين للقدر ، الذين يقولون : الخلق خالقون لأفعالهم ، وليس هناك قضاءٌ ولا قدر . قال القرطبي ١٤/٩٧ : ومذهب أهل السنة هو الاقتصادُ في الاعتقاد ، وهو مذهبٌ بين مذهبي « المجبِّرة » و« القدريّة » وخيرُ الأمور أوساطها ، وذلك أن أهل الحق قالوا : نحن نفرّق بين الاضطرار والاختيار ، وهو أنّا ندرك تفرقةً بين حركة الارتعاش ، الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ، ولا مقرونةٍ بقدرته ، وبين حركة الاختيار ، إذا حرَّك يده حركةً إرادية ، ومن لا يفرّق بين الحركتين : حركة الارتعاش وحركة الاختيار ، فهو معتوهٌ في عقله ، ومختلٌّ في حسّه ، وخارجٌ من حزب العقلاء ، وهذا هو الحقُّ المبين ،وهو طريقٌ بين الإفراط والتفريط ، وبهذا الاعتبار سمَّى أهل النظر هذه المنزلة بين المنزلتين كسباً ، وأخذوها من الكتاب العزيز ﴿ لَهَا مَاكَسَبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ اهـ .

(١) قال في المصباح : العَتَمةُ من الليل بعد غيبوبة الشفق إلى آخر الثلث الأوّل . اهـ .

(٢) ذكر الطبري بسنده عن عطاء قال هي العَتَمة ــ يعني العِشاء ــ وروى أيضاً عن أنس وقتادة : كانوا يتطوّعون فيما بين المغرب والعشاء . اهـ . وانظر الطبري ٢١/١٠٠ .

وكذلك قال مالكٌ والأوزاعيُّ .

وهذا القولُ أشبهُها لجهتين :

إحداهما : أنَّ أبا وائل رَوَى عن معاذ بنِ جبل قال قال ليَ النبيُّ ﷺ : أَلَا أدلُّكَ على أعمالِ الخير ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ ، والصَّدقةُ تطفيءُ الخطيئةَ ، كما يُطفيءُ الماءُ النَّارَ ، وصلاةُ الرجل في جوف الليل ، ثم تلا ﴿ **تَتجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ** ﴾ حتى ﴿ **يَعْمَلُونَ** ﴾[1] .

والجهة الأخرى أنه جلَّ وعزَّ قال ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ .

حدثنا محمدُ بنُ أحمد يُعرف بالجَرِيجِيِّ[2] ، قال : حدثنا محمد بن عبدالرحمن السُّلَميُّ ، قال : حدثنا عمروُ بنُ عبدالوهاب ، قال : حدثنا أبو أسامةَ عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن

---

(١) في المخطوطة « حتى يعملوا » والواجبُ إثباتُ النون على الحكاية ، لأنه أراد أن يقول : ثم تلا الآية إلى آخرها حتى قوله تعالى ﴿ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ والحديث أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٧٤٩ عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، فقلت يارسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار ، فقال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : (ألا أدلك على أبواب الخير ...) الحديث قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر تمام الحديث في تحفة الأحوذي ٣٦٣/٧ .

(٢) قولُه الجَرِيجِيُّ : بفتح الجيم وكسر الراء ، نسبة إلى بلدة من نواحي مَرْو ، على شاطيء النهر ، وانظر الأنساب للسمعاني ٢٦٢/٣ .

النبي ﷺ كان يقرأ ﴿ مِنْ قُرَّاتِ أَعْيُنٍ ﴾[1] فهذه بصلاة الليل أشبَهُ ، لأنهم جُوْزُوا على ما أَخْفَوْا بما خَفِي[2] .

رَوَى أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال ربُّكم : (أَعْدَدْتُ لعبادِي الصَّالحينَ ، ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذنٌ سَمِعتْ ، وَلَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشر ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُونَ** ﴾[3] .

١٢ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً .. ﴾ ؟
[آية ١٨] .

رَوَى أبو عمرِو بنِ العَلَاءِ ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : نزلتْ في رجلين من قريش ، إلى تمام الآيات الثلاث[4] .

---

(١) ﴿ قُرَّة أَعْيِن ﴾ أي كرامة وبهجة ، ومسرَّة تَقَرُّبها أعينهم ، وأما قراءة ﴿ قُرَّات أَعْيُن ﴾ فجمع قُرَّة وليست سبعية ، بل هي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٧٤/٢ وقد قرأ بها « أبو هريرة » و« أبو الدرداء » و «ابن مسعود» لإضافتها إلى جمع ، وانظر القرطبي ١٠٣/١٤ .

(٢) هذا وجهٌ وجيهٌ في دقة الاستدلال ، فإنهم لمَّا قاموا لعبادة المولى سبحانه في ظلمة الليل ، لا يراهم أحدٌ ، وأخفوا صلاتهم عن الناس ، أكرمهم الله تعالى فأخفى جزاءهم بحيث لا يعلمه أحد ، ولو كان المقصود بها صلاة المغرب أو العشاء لكانت معلنةً ظاهرة .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة السجدة ١٤٥/٦ ومسلم في كتاب الجنة ١٤٣/٨ والترمذي في تفسير سورة لقمان رقم ٣١٩٧ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي بعض الروايات بعد قوله « ولا خطر على قلب بشر » بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه » قال الحافظ ابن حجر ٥١٥/٨ أي دَعْ ما أطلعكم الله عليه ، فإنه سهلٌ في جنب ما ادُّخر لهم . اهـ وقولُه في الحديث (اقرءوا إن شئتم) من كلام أبي هريرة كما ذكره المحدِّثون .

(٤) قوله إلى تمام الآيات الثلاث أي إلى نهاية قوله تعالى ﴿ الذي كنتم به تكذبون ﴾ .

وقال ابنُ أبي ليلى : نزلت في علي بن أبي طالب صلوات الله عليه[١] ، ورجلٍ من قريش .

وقيل : نزلت في « عليّ » عليه السلام و« الوليد بن عُقبة بن أبي معيط »[٢] .

فشهد اللهُ جلَّ وعزَّ لعلي بن أبي طالب بالإيمان ، وأنه في الجنة ،

١٣ ــ **فقال جل وعز ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾** [آية ١٩] .

وجاء على الجمع ، لأن الاثنين جماعة ، ويكون لجميع المؤمنين ، وإن كان سبب النزول مخصوصاً ، لإبهام « مَنْ »[٣] .

---

(١) هذه الصيغة خاصة بالأنبياء والمرسلين ، والأولى أن يقال : عليٌّ رضي الله عنه ، أما الرجل من قريش فقيل هو « عُقبة بن أبي معيط » كما في ابن كثير ٣٧٠/٦ والدر المنثور ١٧٨/٥ وقيل في ابنه « الوليد بن عُقبة بن أبي معيط » كما ذكره المصنف في الرواية الثانية .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٠٧/٢١ والقرطبي ١٠٥/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٥ قال ابن جرير : نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب ، والوليد بن عُقبة بن أبي معيط ، كان بين الوليد وبين عليّ كلامٌ ــ أي نزاع وخصام ــ فقال الوليد بن عقبة : أنا أَبْسَطُ منكَ لساناً ، وأحدُّ منك سِنَاناً ، وأردُّ منك للكتيبة، فقال له عليٌّ : اسكتْ فإنك فاسقٌ ، فأنزل الله فيهما قوله : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ إلى قوله ﴿ كنتم به تُكذِّبون ﴾ اهـ .

(٣) يريد المصنف أن « مَنْ » في قوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً ﴾ للعموم ، لأنها لا تفيد شخصاً بعينه ، والأصلُ في الآية أن يُقال : لا يستويان بالتثنية ، ولكنه جاء بصيغة الجمع ، لإفادة الشمول ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾ [آية ٢١] .

رَوَى أبو الضُّحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود ﴿ ولنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال يوم بدر.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لعلَّ مَنْ بقيَ منهم يتوب[1] .

وَرَوَى إسرائيلُ عن أبي إسحقَ عن أبي الأَحْوصِ وأبي عُبَيْدَة[2] عن عبدالله ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال : سِنُونَ أصابتْ قوماً قبلكم[3] .

ورَوَى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ قال : الحُدودُ[4] .

---

(١) إنما فسَّره بذلك ، لأن من قُتل من المشركين في بدر ، كيف يرجع ويتوب ؟ وهذا الأثر ذكره الطبري ١٠٩/٢١ والسيوطي في الدر ١٧٨/٥ والألوسي في روح المعاني ١٣٤/٢١ قال الطبري بسنده عن ابن مسعود هو : القتلُ يوم بدر ، وعن الحسن بن علي : القتل بالسيف صبراً .

(٢) في المخطوطة « أبو عُبَدة » وهو تصحيفٌ ، وصابهُ « أبو عُبَيْدة » عن عبدالله ، والمراد بـ « عبدالله » ابن مسعود ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٤٤٨/٢ : أبو عُبيدة بن عبدالله بن مسعود ، مشهورٌ بكنيته ، كوفيٌّ ثقة من كبار الثالثة . اهـ .

(٣) ذكره الطبري عن النخعي ١١٠/٢١ والمراد بالسِّنين : القحطُ ، والجدبُ ، الذي أصاب المشركين .

(٤) هذا قول آخر عن ابن عباس مرجوح ، ذكره الطبري عنه ١٠٩/٢١ وابن كثير ٣٧٠/٦ ويعني بذلك إقامة الحدود عليهم ، وهي عقوبات من الله تعالى للعصاة المجرمين ، والقول الثاني وهو الأرجحُ والأصحُ ، أن المراد بالعذاب الأدنى : مصائب الدنيا ، وأسقامُها وآفاتها ، وما يحلُّ بأهلها من عذاب عاجل ، من البلايا والمحن ، كما ذكره الحافظ ابن كثير .

وقال عَلْقمةُ ، والحَسَنُ ، وأبو العَاليةِ ، والضَّحاكُ قالوا : المصيباتُ في الدنيا .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : القتلُ ، والجوعُ لقريشٍ في الدنيا[1]

﴿ **دُوْنَ العَذَابِ الأَكْبَرِ** ﴾ يوم القيامةِ في الآخرة .

ورَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال ﴿ **العَذَابُ الأَدْنَى** ﴾ عذابُ القبر[2] ، وعذابُ الدنيا .

ورَوَى الأعمش عن مجاهد قال : المصيباتُ[3] .

وهذه الأقوالُ ليست بمتناقضة ، وهي ترجع إلى أن معنى ﴿ **الأَدْنَى** ﴾ ما كان قبل يوم القيامة .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢١/١١٠ والألوسي ٢١/١٣٤ والقرطبي ١٤/١٠٧ قال المفسرون : أصابهم القحطُ والجدبُ سبع سنين ، حتى أكلوا فيها الجِيَف ، والكلابَ ، والعظام .

(٢) ذكر هذا الأثر كثير من المفسرين ، أن المراد به عذاب القبر ، وفيه نظرٌ ، لأن الله تعالى قال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴾ وإذا عُذِّب الكافر في قبره ، فلن يرجع إلى الحياة ليتوب ، قال ابن جزي في التسهيل ٣/٢٨٤ : قيل المراد بعذاب الدنيا : الجوعُ ومصائب الدنيا ، وقيل : القتلُ يوم بدر ، وقيل : عذاب القبر ، وهذا بعيد لقوله ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ .

(٣) أخرجه مسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٩٩ عن أُبَيِّ بن كعب ، فقد فسر العذاب الأدني بمصائب الدنيا وآية الروم ، والدخان وهذه الآثار كلها وردت عن السلف ، وأصحها ما قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسنُ البصري : إنها البلايا والمحن ، والنكبات والأمراض والأسقام ، والقتل والجوع ، وسائر المصائب ، التي يصيبهم الله بها في الدنيا .

١٥ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ [آية ٢٣] .

قيل : الهاءُ للكتاب ، واسمُ موسى ﷺ مضمرٌ .

والمعنى : الهاءُ لموسى ، وحَذَف الكتابَ ، لأنه تقدَّم ذكرُهُ ، وهذا أَوْلى .

والمعنى : فلا تكنْ في شكٍّ من تَلقِّي موسَى الكتابَ بالقبول ، ومخاطبةُ النبيِّ ﷺ مخاطبةٌ لجميع الناس .

ويجوز أن يكون المعنى : قل لهذا الشاكِّ[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : فلا تكن في شكٍّ من تلقّي هذا الخبر بالقبول .

قال قتادة : معنى ذلك : فلا تكنْ في شكٍّ من أنَّك لقيتَه ؛ أو تلقاه ليلة أُسْرِي به[2] .

---

(١) أي فلا تشكَّ أيها السامع من لقاء موسَى الكتابَ أي تلقِّيه التوراة .

(٢) ذكره الطبري ١١٢/٢١ والقرطبي ١٠٨/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٥ وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً ، وقد حكاه عنه القرطبي فقال : المعنى فلا تكن يا محمد في شكٍّ من لقاء موسى ، وقد لقيه ليلة الإسراء ، قاله ابن عباس .
وعلى هذا الرأي يكون الضمير في قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ عائداً إلى « موسى » أي وجعلنا موسى هدىً لبني إسرائيل كما فسَّره به قتادة ، وهو خلاف الظاهر ، والأرجح أن معنى الآية : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتابَ ﴾ أي أعطينا موسى التوراة ﴿ فلا تكنْ في مِرْيةٍ من لِقَائِه ﴾ أي فلا تكن يا محمد في شكٍّ من تلقي القرآن كما تلقى موسى التوراة ،

واختار هذا القولَ بعضُ أهلِ العِلم ، لأنَّ ابنَ عباسٍ رَوَى عن النَّبي ﷺ أنه قال : (أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي موسَى بنَ عمرانَ رجلاً آدَمَ ، طُوالاً ، جَعْدَاً ، كأنه من رجال شنوءة ..)[1] الحديث .

فالتقديرُ على هذا ﴿ **فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ** ﴾ أنه قد رأى موسى ، ليلةَ أُسْرِيَ به[2] .

وتأوّل ﴿ **وَجَعَلْنَاهُ** ﴾ بمعنى وجعلنا موسى ﴿ **هُدًى** ﴾ أي رشاداً ﴿ **لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ يرشدون باتّباعه ، ويصيبون الحقَّ بالاقتداء به .

وقد رَوَى سعيدٌ عن قتادة ﴿ **وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ قال : جعل اللهُ موسى هدىً لبني إسرائيل .

والمقصودُ من الآية تقريرُ رسالته عليه السلام ، وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحي سماوي ، وهو اختيار جمهور المفسرين ، البيضاوي ، وأبي السعود ، إلخ وتكون الضمائر متناسقة ، ويؤيده قوله سبحانه ﴿ وإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرءونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ وانظر الكشاف ١٧٨/٢ والفخر الرازي ١٨٦/٢٥ .

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٠٧/٦ ومسلم في الإيمان رقم ١٦٨ والترمذي في التفسير رقم ٣٨٢٩ وأخرجه أحمد في المسند ٢٨٢/٢ وذكره السيوطي في الدر ١٧٨/٥ وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي أيضاً .

(٢) قصة رؤية الرسول ﷺ لموسى عليه السلام وردت في الصحاح ، في أحاديث « الإسراء والمعراج » ولكنْ كونُ المرادِ من الآية لقاءُ الرسول بموسى ، قولٌ مرجوحٌ كما بيّنّا ، لأن في إعادة الضمير على موسى في قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدَى ﴾ أي وجعلنا موسى هُدَى ، تكلُّفٌ ظاهرٌ ، فتنبه .

١٦ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ نَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ .. ﴾** [آية ٢٦] .

أي أَوَلَمْ نُبيِّنْ لهم(١) .

١٧ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ .. ﴾** [آية ٢٧] .

قال مجاهد : هي الأرضُ التي لا تُنبتُ(٢) .

قال الضحاك : هي الأرض التي لا نبات بها(٣) .

قال أبو جعفر : الجُرُزُ في اللُّغة : الأرضُ اليابسة ، المحتاجة إلى الماء ، التي ليس فيها نباتٌ ، كأنها أُكَلتْ ما فيها ، ومنه قيل : رجلٌ جَرُوزٌ إذا كان أَكُولاً(٤) .

---

(١) قرأ الجمهور بالياء ﴿ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ وقرأ السلمي وقتادة عن يعقوب ﴿ نَهْدِ لَهُمْ ﴾ بالنون ، قال النحاس في إعراب القرآن ٦١٦/٢ : وقراءة النون قراءة بيِّنة ، والقراءة الأُولى بالياء فيها إشكالٌ ، لأن الفعل لا يخلو من فاعل ، فأين الفاعلُ لـ « يَهْدِ » ؟ قال الفراء : « كم » في موضع رفع بـ « يَهْدِ » كأنك قلت : أو لم تهدهم القرونُ الهالكة ، وهذا نقضٌ لأُصول النحويين في قولهم : إن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، وقيل : المعنى : أو لم يهد اللَّهُ لهم ، فيكون معنى الياء والنون واحداً . اهـ .

(٢) و(٣) هذا قول عكرمة وقتادة والسدي وابن زيد فإنهم قالوا : الأرض الجرز : التي لا نبات فيها وأنظر الآثار في الطبري ١١٥/٢١ وابن كثير ٣٧٣/٦ والدر المنثور ١٧٩/٥ .

(٤) قال في المصباح المنير : وأرض جرز بضمَّتين : قد انقطع الماء عنها ، فهي يابسة ، لا نبات فيها . اهـ وفي لسان العرب مادة « جرز » : الجَرُوزُ : وإنسانٌ جَروزٌ إذا كان أكولاً ، والجَرُوزُ : الذي إذا أكل لم يترك على المائدة شيئاً . اهـ .

١٨ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [آية ٢٨] .

قال مجاهد : هو يوم القيامة[(١)] .

وقال قتادة : الفَتْحُ : القضاءُ[(٢)] .

وقال الفرَّاء والقُتَبيُّ : فتح مكة[(٣)] .

قال أبو جعفر : والقولُ الأول أوْلى لقوله تعالى **﴿ قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمَانُهُمْ .. ﴾** [آية ٢٩] .

وسُمِّي « فتحاً » لأنَّ اللّهَ جل وعزَّ ، يفتح فيه على المؤمنين[(٤)] .

(١ــ٣) انظر الآثار في الطبري ٢١/١١٦ وتفسير القرطبي ١٤/١١١ ومعاني الفراء ٢/٣٣٣ وفي الدر المنثور ٥/١٧٩ وأرجح الأقوال قول قتادة ومجاهد ، وأما قول الفراء فضعيف ، وقد ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٦ بقوله : ويقال : أراد فتح مكة ، وقال الحافظ ابن كثير ٦/٣٧٥ ومن زعم أن المراد به «فتح مكة» فقد أبعد النجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن الرسول قد قبل إسلام الطلقاء ، وكانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قَبِل إسلامَهم لقوله سبحانه ﴿ قل يومَ الفَتْحِ لا يَنْفعُ الَّذِينَ كَفَروا إيمانُهُمْ ولَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ وإنما المراد الفتحُ الذي هو القضاءُ والفصلُ . اهـ .

(٤) قال البيضاوي : يومُ الفتح هو يوم القيامة ، فإنه يوم نصر المؤمنين على الكافرين ، والفصلِ بينهم . اهـ . وقال ابن قتيبة : الفتحُ : القضاءُ ، لأن القضاء فصلٌ للأمور ، وفتحٌ لما أشكل منها ، وسُمِّي يومُ القيامة يومَ الفتح ، لأنَّ اللّهَ يقضي فيه بين عباده ، وقال أعرابي لآخَرَ يُنازعه : بيني وبينك الفتَّاحُ ، يعني الحاكم . اهـ تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٦ .

أو لأنَّ القضاء فيه ، كما قال تعالى ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ** ﴾[1] أي اقْضِ .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُوْنَ ﴾** [آية ٣٠] .

ثم نسخ هذا بالأمر بالقتال[2] .

انتهت سورة السجدة

* * *

(١) سورة الأعراف آية ٨٩ .

(٢) هذا إنما كان بمكة قبل أن يؤمر الرسول ﷺ بقتالهم ، ولهذا قال ابن عباس : نسختها آيةُ السيف ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

تفسير سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحزاب وهي مدنية

قال ابن عباس : وهي مدنيَّةٌ[1] .

١ ـــ **من ذلك قولُه جلَّ وعز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ الله ، وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ والمُنافِقِينَ .. ﴾** [آية ١] .

معناه : اثبتْ على تقوى اللهِ[2] ، كما قال سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا** ﴾[3] .

٢ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمَاً حَكِيمَاً** ﴾ [آية ١] .

أي ﴿ **عَلِيمَاً** ﴾ بما يكونُ قبلَ أن يكون ﴿ **حَكِيماً** ﴾ فيما يخلقهُ قبل أن يخلقه[4] .

---

(١) قال القرطبي : مدنية في قول جميعهم ، نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ وطعنهم فيه ، وفي مناكحته وغيرها . اهـ تفسير القرطبي ١١٣/١٤ .

(٢) في البحر ٢١٠/٧ : الأمر بالتقوى ﴿ اتَّقِ اللهَ ﴾ للمتلبِّس بها ، أمرٌ بالديمومة عليها ، والازدياد منها . اهـ أي دم على التَّقوى وزِدْ منها ، وعلى هذا جمهورُ المفسرين .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٣٦) ومعنى ﴿ آمَنُوْا آمِنُوْا ﴾ أي يا أيها المؤمنون اثبتوا على الإيمان .

(٤) قال أبو حيان : ﴿ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ عليماً بالصواب من الخطأ ، والمصلحة من المفسدة ، (حكيماً) لا يضع الأشياء إلاَّ مواضعها ، مقرونةً بالحكمة ، وسبب نزول الآيات أن أبا سفيان وجماعة من قريش قدموا المدينة في الموادعة ـــ أي الصلح ـــ الذي كان بينهم وبينه عليه السلام ، فقالوا يا محمد : ارفضْ ذكر آلهتنا ، وقل أنها تشفعُ وتنفعُ ، ونَدَعُك وربَّك ، فشقَّ ذلك على النبيِّ وعلى المؤمنين ، وهمُّوا بقتلهم ، فنزلت الآيات . اهـ البحر المحيط ٢١٠/٧ .

٣ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ .. ﴾** [آية ٤] .

قال أبو جعفر : في معنى هذا ونزولِهِ ثلاثة أقوالٍ :

أ ـ **فمن ذلكَ ما حدَّثَنا أحمد بن محمَّدِ بنِ نافعٍ** ، قال: حدثنا سَلَمةُ ، قال : حدثنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمرٌ ، قال : قال قتادة : « كان رجلٌ لا يسمع شيئاً إلاَّ وَعَاهُ ، فقال النَّاسُ : ما يَعِي هذا ، إلاَّ أنَّ له قلبين ، فكان يسمَّى « ذا القَلْبَيْن » فقال الله عز وجل **﴿ مَا جَعَل اللهُ لرجلٍ من قلبين ﴾**[1] .

قال معمرٌ : وقال الحسنُ : « كان رجلٌ يقول إن نفساً تأمرني بكذا ، ونفساً تأمرني بكذا ، فقال اللهُ جلَّ وعز **﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ ﴾**[2] .

وروى أبو هلالٍ عن عبدالله بن بُرَيْدةَ قال : كان في الجاهلية رجلٌ يُقالُ له : ذُو قلبَيْن ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ **﴿ ما جَعَلَ اللَّهُ لرجلٍ من قَلْبينِ في جوفه ﴾** .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح ، عن مجاهد قال قال رجلٌ من بني فهر : « إنَّ في جوفي قلبين ، أعقلُ بكل واحدٍ منهما ، أفضل من عقل محمد ﷺ » وكَذَبَ[3] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوالُ ترجع إلى معنى واحد ، وهو أنَّ

(١ـ٢) ذكرهما القرطبي ١١٦/١٤ والسيوطي في الدر ١٨٠/٥ وأبو حيان في البحر ٢١١/٧ .
(٣) انظر الطبري ١١٨/٢١ والبحر المحيط ٢١١/٧ والدر المنثور ١٨٠/٥ .

الآية نزلت في رجلٍ بعينه ، ويُقال : إن الرجل « عبدالله بنُ خَطل »[1] .

ب ــ **والقولُ الثاني** : قولٌ ضعيفٌ لا يصحُّ في اللغة ، وهو من منْقطعات الزهريِّ ، رواه مَعْمرٌ عنه ، في قوله جلَّ وعز ﴿ **مَا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ قال : بَلَغنا أنَّ ذلك في شأن « زيد بن حارثةَ » ضُرِبَ له مثلاً ، يقول : ليس ابنُ رجلٍ آخر ابنَكَ[2] .

جـ ــ **والقول الثالث**: أصحُّها وأعلاها إسناداً ، وهو جيد الإسناد ، قُرِئ على محمد بن عمرو بن خالد عن أبيه قال : حدثنا زهير بن معاوية قال : حدثنا قابوس بن أبي ظبيان أنَّ أباه حدَّثه قال : قلنا لابن عباس أرأيتَ قولَ اللّٰهِ جلَّ وعزَّ ﴿ **مَا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي**

---

(١) جمهور المفسرين على أن اسم الرجل « جميل بن معمر الفِهْرِي » الجُمَحِي ، كما قال السهيلي وغيرهُ ، وفيه يقول الشاعر :

وكَيْفَ ثَوائي بالمدينةِ بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَراً منها جميلُ بنُ مَعْمَرِ

قال القرطبي ١٤/١١٦ : نزلت في جميل بن معمر الفهري ، وكان رجلاً حافظاً لما يسمع ، فقالت قريش : ما يحفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان ، وكان يقول : لي قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد ، فلما هُزم المشركون يوم بدر ، ومعهم جميل بن معمر ، رآه أبو سفيان وهو معلّق إحدى نعليه في يده ، والأخرى في رجله ، فقال أبو سفيان : ما حالُ الناس ؟ قال انهزموا ، قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ، قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلي ، فعرفوا أنه ليس له قلبان .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/١٩ وهو كما قال المصنف ضعيف ردَّه المفسرون ، وهو محمولٌ على التمثيل أي كما لا يكون لرجل قلبان ، كذلك لا يكون ولدٌ واحد لرجلين . وانظر القرطبي ١٤/١١٧ .

جَوْفِهِ ﴾ ما عنـي بذلك ؟ قال : كان نبـيُّ اللـهِ يوماً يصلي ، فخَطَـر خَطْرةً[1] ، فقال المنافقون الذين يصلُّون معه : أَلَا ترون أنَّ له قلبين قلباً معكم ، وقلباً معهم !؟ فأنزل الله جل وعزَّ **﴿ مَا جَعَـلَ اللهُ لِرَجُـلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾**[2] .

قال أبو جعفر : وهذا أولى الأقوال في الآية لما قلنا[3] .

والمعنى : ما جعل الله لرجلٍ قلبـاً يحبُّ به ، وقلباً يُبْـغِضُ به ، وقلباً يُؤمنُ بِهِ ، وقلباً يكفُرُ به .

٤ ــ **ثم قَرَن بهذا ما كان المشركون يُطلِّقون به ، ممَّا لا يكون فقــال : ﴿ وَمَا جَعَـلَ أَزْوَاجَكُـمُ اللَّاتِي تُظَاهِـرُون مِنْهُـنَّ أُمَّهَاتِكُــمْ .. ﴾** [آية ٤] .

---

(١) أي سها عليه السلام في صلاته سَهْوةً خفيفةً بسبب ما خَطَر له ، قال الأزهري : يُقال : خطر ببالي كذا ، إذا وقع ذلك في بالك وهمَّك ، والخاطِرُ : ما يخطر في القلب ، من تدبيرٍ أو أمرٍ . اهـ تهذيب اللغة ٢٢٥/٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٧/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨١/٥ ورواه الترمذي في كتاب التفسير بهذا اللفظ رقم ٣١٩٩ من تفسير سورة الأحزاب ، وقال : هذا حديث حسن .

(٣) هذا ما رجحه المصنف ، واختار كثير من المفسرين أنها نزلت في رجلٍ من قريش هو « جميل بن معمر الفهري » الذي كان لدهائه يسمى ذا القلبين ، قال الحافظ ابن كثير ٣٧٧/٦ : وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجلٍ من قريش كان يُقال له « ذو القلبين » وأنه كان يزعم أن له قلبين ، كلٌّ منهما بعقلٍ وافرٍ ، فأنزل الله هذه الآية ردّاً عليه ، هكذا روى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، واختاره ابن جرير . اهـ أقول : وهذا هو الأشهر والأظهر ، وهو قول جمهور المفسرين .

وهو لفظٌ مشتقٌّ من الظَّهر[1] .

وقَرأ الحسنُ ﴿ تَظَاهَرُونَ ﴾[2] وأنكر هذه القراءة أبو عَمْرِو بنِ العلاء ، وقال : إنما يكون هذا من المعاونة .

قال أبو جعفر : وليس يمتنع شيءٌ من هذا ، لاتِّفاقِ اللفظين ، ويدلُّ على صحته الظِّهارُ .

٥ ـ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ .. ﴾** [آية ٤] .

أي ما جعل من تبنَّيتُموهُ واتَّخذتُموه ولداً[3] ، بمنزلة الولد في الميراث .

قال مجاهد : نزل هذا في « زيد بن حارثة »[4] .

---

(١) لفظ الظهار مشتقٌّ من الظهر ، يقال : ظاهر من امرأته : إذا حرَّمها على نفسه ، قال في المصباح : ظاهَرَ من امرأته ظِهاراً ، مثل قاتل قتالاً : إذا قال لها : أنتِ عليَّ كظهر أمي ، أي ركوبُكِ للنكاح حرامٌ عليَّ ، كما تحرم عليَّ أمي ، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية . اهـ .

(٢) كلا القراءتين « تُظَاهِرونَ » و« تَظَاهَرون » من القراءات السبع ، فالأولى قراءةُ عاصم بضم التاء وكسر الهاء ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح التاء والهاء ، وهناك قراءة ثالثة ﴿ تَظَّاهَرُوْنَ ﴾ بتشديد الظاء وهي قراءة ابن عامر ، وانظر النشر ٣٤٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ٥١٩/٢ .

(٣) أدعياؤكم : جمع دعيٍّ ، وهو الولد المتبنَّي من أولاد الغير ، قال في اللسان : والدَّعيُّ المنسوبُ إلى غير أبيه . اهـ .

(٤) قال القرطبي ١١٨/١٤ : أجمع أهل التفسير على أن هذا نزل في زيد بن حارثة . اهـ .

أقول : روى البخاري في كتاب التفسير ١٤٥/٦ ومسلم رقم ٢٤٢٥ والترمذي رقم ٣٢٠٧ عن عبدالله بن عمر أنَّ « زيد بن حارثة » مولى رسول الله ﷺ ماكنا ندعوه إلاَّ « زيد بن =

٦ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [آية ٤] .

أي هو شيءٌ تقولونه على التشبيهِ ، وليس بحقيقة .

﴿ واللهُ يَقُولُ الحَقَّ ﴾ أي لا يجعل غيرَ الوَلِدِ وَلداً .

﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي سبيلَ الحقِّ[1] .

٧ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أُدْعُوْهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ .. ﴾ [آية ٥] .

رَوَى سَالِمٌ عن ابن عمر قال : ما كنا ندعو « زيدَ بن حارثة » إلاَّ « زيدَ بن محمد » حتى نزلت ﴿ أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾[2] .

ثم قال جل وعز ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي أعدل[3] .

٨ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ .. ﴾ [آية ٥] .

= محمد » حتى نزل القرآن ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله ﴾ اهـ . صحيح البخاري .

(١) أي يرشد إلى طريق الحق ، أو طريق الشرع والإيمان ، والغرض من الآية التنبيهُ على بطلان مزاعم الجاهلية ، فكما لا يكون للإنسان الواحد قلبان ، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة بالظهار أمًّا ، ولا الولد المُتَبنَّى إبناً ، لأن الأمَّ الحقيقية هي التي ولدته ، والابن الحقيقي هو الذي وُلِد من صلب الرجل ، فكيف يجعلون الزوجات أمهات ؟ والأدعياء أبناء ؟!

(٢) تقدم تخريج الحديث في الصفحات السابقة حاشية رقم ٤ .

(٣) قال ابن جرير ١٢٠/٢١ : أي دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله ، وأصدقُ وأصوبُ من دعائكم إياهم لغير الله . اهـ .

أي فقولوا يا أخي في الدين[1].

﴿ ومواليكم ﴾ أي بنو عمكم ، أو أولياؤكم في الدين[2] .

٩ ـ ثم قال جل وعزّ ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ .. ﴾ [آية ٥] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ـ قال مجاهد : ﴿ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ قبل النَّهي في هذا ، وفي غيره[3] .

﴿ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ بعد النَّهي ، في هذا ، وفي غيره .

ب ـ وقيل : ﴿ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ أن يقول له : يا بُنَيَّ في المخاطبة على غير تَبَنٍّ[4] .

---

(١) يريد بقوله : يا أخي ، أخوَّة الإسلام ، لا أخوة النسب ، قال ابن كثير ٣٧١/٦ : أمر تعالى بردِّ أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عُرفوا ، فإن لم يُعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، عوضاً عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « أنت أخونا ومولانا » اهـ .

(٢) في المصباح : المَوْلَى : الناصرُ ، وابن العم ، والحليف ، والعتيق ، والوَلاءُ : النُّصرةُ . اهـ ومعنى الآية : إذا لم تعرفوا أبا الشخص وأردتم خطابه فقولوا له : يا ابن عمي ، أو يامولاي يعني الولاية في الدين .

(٣) قال في البحر ٢١٢/٧ : وهذا ضعيفٌ لا يوصف بالخطأ ما كان قبل النهي ، وإنما هو فيما سبق إليه اللسانُ على سبيل الغَلَط . اهـ .

(٤) أي يقول له : يا بنيّ على سبيل الشفقة والحنان ، أو يقول الولد للرجل : يا أبتِ على سبيل التوقير والتعظيم ، فهذا لا حرج فيه .

جـ ــ **وقال قتادة** : هو أن تنسب الرجلَ إلى غير أبيهِ ، وأنت ترى أنه أبوه(١) .

وهذا أَوْلاَهَا وأبينُها .

١٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ منْ أَنْفُسِهِم .. ﴾** [آية ٦] .

رَوَى جابرٌ عن النبي ﷺ قال : (أنا أَوْلى بالمؤمنينَ من أنفسِهِمْ ، فأيُّما رجلٍ ماتَ وترك ديناً فإليَّ ، وإن ترك مالاً فلورثته)(٢) .

وحقيقةُ معنى الآية ــ واللهُ جلَّ وعزَّ أعلمُ ــ أن النبي ﷺ إذا أمر بشيءٍ ، أو نهى عنه ، ثم خالفتْه النَّفْسُ ، كان أمرُ النبيِّ ﷺ ونهيُه أولى بالاتِّباعِ من النَّاس(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢١/١٢١ والقرطبي ١٤/١٢٠ قال القرطبي : لو نَسَبه إنسانٌ إلى أبيه من التبنِّي ، فإن كان على جهة الخطأ ، وهو أن يسبق لسانُهُ إلى ذلك ، من غير قصدٍ ، فلا إثم ولا مؤاخذة ، وكذلك لو دَعَوْتَ رجلاً إلى غير أبيه ، وأنت ترى أنه أبوه ، فليس عليك بأسٌ ، قاله قتادة ، وفي الحديث الصحيح (من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٦/١٤٥ بلفظ (ما من مؤمنٍ إلاَّ أنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأيما مؤمنٍ هلك وترك مالاً فلْيرثه عصبتُه من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضَيَاعاً فليأتني فأنا مولاه) ورواه مسلم في الفرائض رقم ١٦١٩ وأحمد في مسنده ٢/٣٣٤ بنحوه .

(٣) قال في البحر ٧/٢١٢ : وأطلق ولم يقيِّد في قوله تعالى ﴿ أولى بالمؤمنين ﴾ أي في كل شيء =

١١ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** .. ﴾ [آية ٦] .

أي هنَّ في الحرمة ، بمنزلة الأُمَّهاتِ في الإجلال ، ولا يُتزوَّجن بعده صلَّى الله عليه وسلم[١] .

ورُوي أنه إنما فعل هذا ، لأنهن أزواجُه في الجنة .

١٢ ــ **ثم قال جل وعزَّ :** ﴿ **وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً** .. ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد : أي إلاَّ أن تُوْصوا لمن حالفتموه ، من المهاجرين والأنصار . وكان رسولُ اللهِ آخى بين المهاجرين ، فكانوا يتوارثون حتى هذا ، وأبيحت لهم الوصيَّة ، وهذا قولٌ بيِّنٌ ، لأنه بعيدٌ أن يُقال للمشرك : وليٌّ .

وقال ابن الحنفيَّة[٢] ، والحسنُ ، وعطاءٌ في قوله تعالى :

= فيجب أن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم ، وحكمُه أنفذُ عليهم من حكمها ، وحقوقه آثر ، إلى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه . اهـ .

(١) قال القرطبي ١٤/١٢٣ : شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين ، أي في وجوب التعظيم والمبَّرة ، والإجلال ، وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهنَّ بخلاف الأمهات . اهـ .

(٢) ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم بن الحنفيْة ، ثقة ، عالم توفي بعد الثمانين . اهـ تقريب التهذيب ٢/١٢٩ .

﴿ **إلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً** ﴾ أن يوصي لذي قرابته من المشركين .

قال الحسن : هو وليُّك في النَّسَب ، وليس بوليِّكَ في الدِّين[1] .

١٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً** ﴾ [آية ٦] .

قال قتادة : أي مكتوباً عند اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، لا يرث كافرٌ مسلماً[2] .

قال أبو جعفر : **يجوز أن يكون المعنى** : حلَّ ذلك في الكتاب أي في القرآن .

ويجوز أن يكون ذلك قوله ﴿ **وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** ﴾ .

١٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ..** ﴾ [آية ٧] .

---

(١) عبارة الطبري ١٢٤/٢١ : وعن ابن الحنفية قال : يوصي لقرابته من أهل الشرك اهـ .
وقال القرطبي ١٢٦/١٤ قال محمد بن الحنفية : نزلت في إجازة الوصية لليهودي والنصراني ، أي يفعل هذا مع الوليِّ والقريب ، وإن كان كافراً ، فالمشرك وليٌّ في النسب ، لا في الدين ، فيوصي له بوصية . اهـ .

(٢) أي كان حكم التوارث بين ذوي الأرحام ، مكتوباً مسطَّراً في الكتاب العزيز ، لا يُبدَّل ولا يُغيَّر ، وهَذا القول أظهر وأوضح .

قال مجاهد : هذا في ظهر آدم صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال قتادة : أخذنا ميثاقَهم أن يُصدِّق بعضُهم بَعْضاً[2] .

١٥ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ .. ﴾** [آية ٨] .

أي ليسأل الصادقين من الرسل ، توبيخاً لمن كذَّبهم ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[3] ؟ .

وقيل : ليسأل الصادقين عن صدقهم ، هل كان للَّهِ جلَّ وعز[4] .

وقيل : ليثابوا عليه .

١٦ ـــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ .. ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهد : جاءهم أبو سفيان ، وعُيَيْنةُ بنُ بدرٍ ، وبنو قُريظة ، وهم الأحزاب[5] .

---

(١)و(٢) ذكرهما الطبري ٢١/١٢٥ والقرطبي ١٤/١٢٧ والسيوطي في الدر ٥/١٨٣ .

(٣) سورة المائدة آية رقم (١١٦) وهذا السؤال لعيسى بن مريم في أرض المحشر ، يسأله تعالى توبيخاً لمن اتخذه إلهاً وعَبَده من دونِ اللَّهِ ، فالحكمةُ من سؤال الرسل ، مع علمه تعالى أنهم صادقون ، تبكيتُ من أُرسلوا إليهم .

(٤) أي هل كان عملُهم للّه جلَّ وعلا ، أم كان لأغراض دنيوية ؟ والقول الأوَّل أظهر .

(٥) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/١٨٧ عن مجاهد أي حين التقت على حربكم قريشٌ ، بقيادة =

١٧ ـ **ثم قال جلّ وعز** ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ..** ﴾ [آية ٩] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : هي الصَّبا ، كفَأَتْ قُدورَهُمْ ، ونزعتْ فَسَاطِيطَهم ، حتى أظعنتهم[1] .

ورَوَى ابن عباس عن النبي ﷺ (نُصِرتُ بالصَّبَا ، وأُهْلِكَت عَادٌ بالدَّبورِ)[2]

ثم قال جل وعزّ ﴿ **وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ..** ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : الملائكةُ ، ولم تقاتل يومئذٍ « يوم الأحزاب »[3] .

١٨ ـ **وقوله جلّ وعز** : ﴿ **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ..** ﴾ [آية ١٠] .

قال محمد بن إسحق : الذين جاءوهم من فوقهم « بنو قريظة »

= أبي سفيان ، وقبيلة غطفان بقيادة عُيينة بن بدر ، ويهود بني قريظة ، وعددهم يزيد على اثنى عشر ألف ، وهم الأحزاب الذين تحزّبوا على حرب المسلمين ، وغزوهم في المدينة المنورة ، وتسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة الخندق .

(١) قال في المصباح : ظَعَنَ ظَعْنَاً : ارتحل ، ويتعدّى بالهمزة وبالحرف فيقال : أَظْعَنْتُهُ وظعنت به . اهـ والمراد أن الريح لشدتها أطفأت نيرانهم ، وقلبت قدورهم ، وجفانهم ، وهدّت خيامهم ، وسفت التراب في وجوههم ، حتى اضطروا للارتحال ، وترك القتال .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ٤١/٢ ومسلم في باب ريح الصَّبا والدبور ٢٧/٣ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٥ ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في غزوة من الغزوات إلا في غزوة بدر ، وأما بقية المعارك والغزوات فكانت تنزل لتثبيت المؤمنين .

والذين جاءوهم من أسفَل منهم « قريشٌ » و« غَطَفان »[1] .

١٩ ــ **ثم قال جلَّ وعــز** : ﴿ **وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَــغَتِ القُلُـــوبُ الحَنَاجِرَ** .. ﴾ [آية ١٠] .

رَوَى حماد بن زيــد عن أيــوب عن عكرمــة قال : بَلَــغَ فَزَعُها[2] .

وقال قتادة : شَخَصتْ عن مَواضعها ، فلولا أن الحُلُــوق ضاقتْ عنها لخرجتْ[3] .

وقيل : كادتْ تبلغُ .

قال أبو جعفر : وأحسنُ هذه الأقوالِ القولُ الأول ، أي بلغ وجيفُها من شدَّة الفزع الحلوقَ ، فكأنها بلغتِ الحلوقَ بالوجيب[4] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعزَّ** ﴿ **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾ [آية ١١] .

---

(١) انظر كامل القصة في تفسير ابن كثير ٦/٣٨٥ والغرض من الآية تصوير الواقعة ، وكأنها رأي عين ، فقد أحاط المشركون بالمسلمين ، إحاطة السِّوار بالمعصم ، فحاصروهم من جهة المشرق ، والمغرب ، وأتوهم من فوق الوادي ، ومن أسفل الوادي ، وشدَّدُوا عليهم الخناق ، وأعانهم يهود بني قريظة ، فنقضوا العهد مع الرسول ، وانضموا إلى المشركين ، فاشتد الخوف ، وعظم الكرب .

(٢) هذا تمثيل لشدة الرعب والفزع الذي دهاهم ، حتى كأن أحدهم قد وصل قلبه إلى حنجرته من شدة الهول والفزع .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢١/١٣١ والقرطبي ١٤/١٤٥ والدر المنثور ٥/١٨٧ .

(٤) قال في المصباح المنير : وجَبَ القلبُ وجيباً : رَجَف ، ووَجف وَجِيفاً : اضطرب . اهـ .

قال مجاهد : أي مُحِّصوا[1] .

ثم قال ﴿ **وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾ أي أُزعِجوا وحُرِّكوا[2] .

٢١ ـ ثم قال جل وعز ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة : قال قومٌ من المنافقين : وَعَدنا محمدٌ أن نفتح قصورَ الشَّامِ وفارسَ ، وأحدُنَا لا يقدِرُ أن يُجَاوزَ رَحْله ﴿ **ما وَعَدنا اللهُ ورسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٢/٢١ والسيوطي في الدر ١٨٧/٥ قال الطبري : مُحِّص القوم وعُرف المؤمن من المنافق ، وقال القرطبي ١٤٦/١٤ : كان هذا الابتلاءُ بالخوفِ والقتال ، والجوع والحصر والنزال ، واختُبِر المؤمنون ليتبيَّن المخلصُ من المنافق . اهـ .

(٢) التعبير بلفظ « زُلزلوا » يدلُّ على ضخامة الأمر ، وفداحة الهول ، أي حُرِّكوا تحريكاً عنيفاً ، من شدة ما دهاهم ، حتى لكأن الأرض تتزلزل ، وتضطرب تحت أقدامهم ، وأصل الزلزلة : شدة التحريك .

(٣) قال المفسرون : لمَّا حفر المسلمون الخندق ، عرضت لهم صخرة عظيمة لم يستطيعوا تحطيمها ، فأخبروا رسول الله ﷺ فجاء وأخذ المعول وضربها الضربة الأولى فكسر ثلثها ، وبرقت منها بارقة فقال : الله أكبر هذه كنوز كسرى ، ثم ضربها الضربة الثانية ، وبرقت لها بارقة ، فبشَّرهم بكنوز قيصر ، فعل ذلك ثلاث مرات حتى كسرت فقال « معتب بن قشير » وأصحابه من المنافقين ، وكانوا قريباً من سبعين رجلاً : يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ونحن لايقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط لقضاء حاجته من شدة الخوف ، ما هذا إلاَّ وعدُ غرورٍ ، يغرُّنا به محمدٌ ، فذلك قوله تعالى ﴿ وإذْ يَقُولُ المنافقونَ والذينَ في قلوبهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ ورسُولُه إلاَّ غُروراً ﴾ .

٢٢ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا .. ﴾ [آية ١٣] .

وقَرَأَ أبو عبدالرحمن والأعرجُ ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بضم الميم[١] .

قال أبو جعفر : المَقَامُ بالفتح : الموضعُ الذي يُقام فيه ، والمصدرُ من قام يقوم .

والمُقَامُ بالضمِّ : بمعنى الإقامة والموضع ، من أقام هو ، وأقامه غيرُه .

٢٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال ابن اسحق : هو « أوسُ بن قَيْظِيّ » الذي قال : إن بيوتنا عورة ، عن ملأٍ من قومه[٢] .

وقَرَأَ يحيى بن يعمر ، وأبو رجاء ﴿ عَوِرَةٌ ﴾ بكسر الواو[٣] .

---

(١) هذه من القراءات السبع قال ابن الجزري في كتابه النشر ٣٤٨/٢ : اختلفوا في ﴿ لا مُقَامَ لكم ﴾ فروى حفص بضم الميم ، وقرأ الباقون بفتحها . اهـ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٣٥/٢١ والقرطبي ١٤٨/١٤ وابن كثير ٣٩٠/٦ ومعنى قوله « عن ملإٍ من قومه » أي قاله بالنيابة عن قومه ، يقول ما يتردَّد بين جماعته وعشيرته .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ١٧٦/٢ .

يُقال : أَعْورَ المنزلُ إذا ضاع ، أو لم يكن له ما يستُره ، أو سَقَط جدارُه[1] .

فالمعنى : إنَّ بيوتَنا ضائعةٌ متهتِّكةٌ ، ليس لها من يحفظها ، فأعلمَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ أنَّها ليستْ كذلك ، وأن العدوَّ لا يصلُ إليها ، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ يحفظها .

قال مجاهد : أي نخافُ أن تُسرق[2] .

ويُقال للمرأة : عورةٌ ، فيجوز أن يكون المعنى : إن بيوتنا ذاتُ عورةٍ ، فأكذبَهُمُ اللَّهُ جل وعزَّ .

قال قتادة : قال قومٌ من المنافقين : إن بيوتنا عورةٌ ، وإنَّا نخاف على أهلينا ، فأرسل النبي ﷺ إليها فلم يوجد فيها أحد[3] .

ويجوز أن يكون ﴿ عَوْرَةٌ ﴾ مُسَكَّناً من عَوِرَة[4] .

---

(١) أصل العَوْرة : الخَلَلُ في البناء ونحوه ، قال الهروي : كل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة ، تقول العرب : دارُ فلان عورة إذا لم تكن حصينةً ، وقد أعوَر الفارسُ : إذا بدا فيه خلل للضرب والطعن ، وقال الجوهري : العورةُ كلُّ خَلَلٍ يتخوَّف منه في ثغر أو حرب . اهـ الصحاح مادة عور .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢١/١٣٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٨٨ ، ومراد المنافقين أن بيوتهم خالية من السكان ، ليس فيها أحد يحرسها، وهم يخافون عليها من السُّرَّاق .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١٣٦ ولفظه : إن بيوتنا مما يلي العدوَّ ، وإنا نخاف على السُّراق ، فبعث النبي فلم يجد بها عدواً . اهـ .

(٤) يريد المصنف أنه قد يطلق المصدر ، ويُراد به اسم الفاعل ، مثل قولهم : رجلٌ عَدْلٌ أي عادل .

٢٤ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ إِنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً ﴾ [آية ١٣] .

أي عن نصرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم[١] .

٢٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا .. ﴾ [آية ١٤] .

قال الحسن : ﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ أي من نواحيها[٢] .

قال غيره : نواحي البيوت[٣] .

﴿ ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا ﴾ أي لقصدوها وجاءوها .

قال الحسن : الفتنةُ ههنا : الشِّرْكُ .

وقُرِئ : ﴿ لَآتَوْهَا ﴾[٤] .

---

(١) قال القرطبي ١٤/١٤٩ : أي ما يريدون إلا الهرب من القتل ، أو من الدِّين ، وقال الألوسي ٢١/١٦١ : أي ما يريدون بالاستئذان إلاَّ هرباً من القتال ونصرة المؤمنين ، وقيل : فراراً من الدِّين .

(٢) في المصباح المنير (أقطارها) جمع قُطر بالضمّ : الجانب والناحية ، مثل قُفل وأقفال .

(٣) الأظهر أن المراد بقوله ﴿ ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ﴾ أي لو دخل الأعداء على هؤلاء المنافقين من نواحي المدينة وجوانبها ، وهو قول المفسرين ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن حيث قال : من أقطار البيوت ، أو المدينة ..

(٤) قرأ عاصم ، والكسائي ، وحمزة وأبو عمرو ﴿ لآتوها ﴾ ممدودة ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ لَأَتَوْها ﴾ بدون مدٍّ من أتيتُ . والقراءتان سبعيتان كما في السبعة ص ٥٢٠ وعلى قراءة القصر (لأتوها) أي لجاءوها ، وعلى قراءة المدِّ (لآتَوْهَا) أي لأعطوها من أنفسهم ، طائعين مختارين غير مكرهين .

قال الحسن : أي لأعطَوْها من أنفسهم .

قال غيره : كما رُوي في الذين عُذِّبُوا ، أنهم أَعْطَوْا ما سُئِلوا في النبي ﷺ إلاَّ بلالاً[1] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إلاَّ يَسِيراً ﴾ [آية ١٤] .

قال القُتبي : أي بالمدينة[2] .

٢٧ ــ وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِذَاً لَا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد والربيع بن خُيْثَم في قوله ﴿ وَإِذَاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَليلاً ﴾ : ما بينهم وبين الأجل[3] .

٢٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا .. ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) ذكره القرطبي ١٤٩/١٤ فقال : اختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة المدِّ ، وقد جاء في الحديث إن أصحاب النبي ﷺ كانوا يُعَذبون في اللّهِ ، ويُسألون الشرك ، فكلٌّ أعطي ما سألوه إلاَّ بلالاً قال : وفيه دليلٌ على قراءة المدِّ (لآتَوْهَا) بمعنى لأعطَوها ، من الإعطاء . اهـ .

(٢) هذا قول السدي ، والحسن ، وإليه ذهب الفراء في معانيه ٣٣٧/٢ قال : أي لم يكونوا يلبثون بالمدينة إلا قليلاً حتى يهلكوا ، قال القرطبي ١٥٠/١٤ : وأكثر المفسرين على أن المراد : وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلاَّ قليلاً ، ولأجابوا بالشرك مسرعين . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٣٩٠/٦ : ومعنى الآية : أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر ، لكفروا سريعاً ، وهم لا يحافظون على الإيمان ، ولا يستمسكون به ، مع أدنى خوف وفزع ، هكذا فسرها قتادةُ ، وابنُ زيد ، وابن جرير . اهـ .

(٣) أخبر تعالى أن فرارهم لا يؤخِّر آجالهم ، ولا يطيل أعمارهم ، فلن يعيشوا أكثر من عمرهم المقدَّر .

قال قتادة : هم قومٌ من المنافقين قالوا : ما أصحابُ محمَّدٍ عندنا إلاَّ أَكَلَةُ رأسٍ[1] ، ولن يُطِيقُوا أَبَا سفيانَ وأصْحَابَه ، فهَلُمَّ إلينا[2] !!

٢٩ ــ **ثم قال جل وعز** ﴿ **وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [آية ١٨] .

أي إلاَّ تعذيراً[3] .

٣٠ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** ﴿ **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ..** ﴾ [آية ١٩] .

أي ﴿ **أَشِحَّةً عَلَيكُمْ** ﴾ بالنفقة على فقرائكم ، ومساكينكم[4] .

﴿ **فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ** ﴾ أي بالغوا في الاحتجاج عليكم .

---

(١) قوله إلا أَكلةُ رأسٍ أي هم قليل يشبعهم رأس واحد ، جمع آكل .

(٢) ذكره الطبري ٢١/١٣٩ وفي البحر ٧/٢٢٠ والألوسي ٢١/١٦٣ ومعنى : هلمَّ إلينا أي أقبلُوا إلينا .

(٣) أي لايحضرون القتال إلاَّ زماناً قليلاً ، لدفع اللَّوم عنهم ، قال في المصباح عذرتُه عُذْراً : رفعتُ عنه اللَّومَ ، واعتذر عن فعله : أظهر عذره ، واعتذر إليَّ : طلب قبول معذرته . اه المصباح المنير مادة عذر .

(٤) قال في التسهيل ٣/٣٩٣ : أَشحَّةً جمع شحيح ، معناه يشحُّون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل : يشحُّون بأموالهم . اهـ وقال الطبري ٢١/١٤٠ : وصف الله المنافقين بالشحِّ والبخل ، فهم كما وصفهم الله به ، أشحةً على المؤمنين بالغنيمة والخير ، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المؤمنين . اهـ .

وقال **قتادة** : سلقوكم بطلب الغنيمة[1] .

وهذا قولٌ حسنٌ ، لأن بعده ﴿ **أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ** ﴾ .

وعن **ابن عباس** : استقبلوكم بالأذى .

وقال **يزيدُ بن رومانَ** : سَلَقُوكم بما تحبُّون نفاقاً منهم[2] .

يُقال : خطيبٌ مِسْلَاقٌ ، وسَلَّاقٌ أي بليغ .

٣١ ـ **ثم قال جل وعزَّ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَـئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا .. ﴾** [آية ١٩] .

أي أشحةً على الغنيمة.

﴿ **أولئكَ لم يُؤْمنوا** ﴾ وإن كانوا قد أظهروا الإيمان ، فإن اعتقادهم غير ذلك .

٣٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ .. ﴾** [آية ٢٠] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ١٨٩/٥ ولفظُه : سَلَّطوا ألسنتهم بطلب الغنيمة ، يقولون أعطونا أعطونا ، فإنا قد شهدنا الحرب معكم ، ولستم أحقَّ بها منَّا ، فأمَّا عند البأس ، فأجبنُ قوم وأخذلهم للحق . اهـ وانظر الطبري ١٤١/٢١ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٤١/٢١ وما ذُكر عن ابن عباس أن المراد به الإيذاء بالكلام هو الأظهر والمعنى : إذا ذهب الخوف عنهم وانجلت المعركة ، آذوكم بالكلام بألسنةٍ سليطة ، يقولون : نحن الذين قاتلنا ، وبنا انتصرتم ، ، وكسرتم العدوَّ وقهرتموه ، ويطالبونكم بالنصيب الأوفر من الغنيمة ، وكانوا قبل ذلك راضين من الغنيمة بالإياب ، وهذا الأوفقُ بجوِّ الآية ، وهو اختيار الطبري ، والله أعلم .

أي يحسبون الأحزاب لم يذهبوا لجبنهم .

﴿ وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ ﴾ : المعنى : إنهم لفَزَعهم ورُعبِهِمْ إذا جاء من يقاتلهم ، ودُّوا أنهم بادون في الأعراب[1] .

وقَرَأ طلحةُ بنُ مصَرِّف : ﴿ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بُدًّا فِي الأَعْرَابِ ﴾[2] .

والمعنى واحدٌ : ، وهو جمع بادٍ ، كما يقال : غازٍ ، وغُزًّى .

٣٣ ــ **ثم خبَّر تعالى بما يقول المؤمنون فقال : ﴿ وَلَمَّا رأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

وقيل : الذي وعدهم في قوله **﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ**

---

(١) قال الطبري ١٤٢/٢١ : أي يتمنوا من الخوف والجبن ، أنهم غُيَّبٌ عنكم في البادية مع الأعراب ، خوفاً من القتل ، يستخبرون عن أخباركم بالبادية ، هل هلك محمد وأصحابه ؟ اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ١٧٧/٢ ولفظهُ : ومن ذلك قراءة ابن عباس « بُدًّى في الأعراب » شديدة الدَّال منوَّنة ، جمع بادٍ ، ونظيره قوله سبحانه ﴿ أو كانوا غُزًّى ﴾ جمع غازٍ . اهـ .

ومعنى الآية الكريمة : يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم ، أن الأحزاب ــ وهم كفار قريش ومن تحزَّب معهم ــ بعد انهزامهم من المعركة ، لم ينصرفوا عن المدينة ، وهم قد انصرفوا فعلاً ، وإنْ يرجعْ إليهم الكفارُ كرَّةً ثانيةً للقتال ، يتمنوا لشدة حزعهم وجبنهم ، أن يكونوا في البادية مع الأعراب ، حَذَراً من القتل ، يسألون الناس عن أخبار المسلمين يقولون : أهلك المؤمنون ؟ أغلبَ أبو سفيان ؟ ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة . اهـ .

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ ﴾[1] كذا قال قتادة .

وقال يزيدُ بن رومان : الأحزابُ : قريشٌ ، وغَطَفانُ[2] .

٣٤ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

يقال : صَدَقْتُ العهدَ : أي وفَّيتُه .

٣٥ ـ ثم قال جل وعزَّ ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلوا تَبْدِيلاً ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى سعيدُ بن مسروق عن مجاهد قال : ﴿نَحْبَهُ﴾ : عَهْده[3] .
ورَوَى خُصيف عن عكرمةَ عن ابن عباس ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قضى نحبه ﴾ :
قال : مات على ما عاهد عليه ﴿ومنهم من يَنْتَظِرُ﴾ ذلك[4] .

---

(١) الآية من سورة البقرة رقم (٢١٤) وهذا الأثر أخرجه الطبري ١٤٤/٢١ عن قتادة ، والسيوطي في الدر ١٩٠/٥ وهو قول ابن عباس أيضاً كما ذكره الطبري والسيوطي قال الطبري ١٤٤/٢١ : إن الله قال لهم في سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ ﴾ إلى قوله ﴿ ألاَ إنَّ نصرَ اللَّهِ قريبٌ ﴾ فلمَّا مسَّهم البلاء ، حيث رابطوا الأحزاب في الخندق ، تأول المؤمنون ذلك ، ولم يزدهم ذلك إلاَّ إيماناً وتسليماً أي صبراً على البلاء ، وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً بتحقيق ما وعدهم الله ورسوله به . اهـ .

(٢) الأحزاب : هم الذين تحزَّبوا على حرب المسلمين وهم قريش ، وغطفان ، وبنو قريظة ، وأوباش العرب ، وسائر كفار الجزيرة العربية ، ولهذا سميت الوقعة « غزوة الأحزاب » .

(٣)و(٤) انظر الآثار في الطبري ١٤٦/٢١ وابن كثير ٣٩٥/٦ والدر المنثور ١٩١/٥ .

قال أبو جعفر : حَكَى أهل اللغة أن النَّحْبَ : العَهْدُ ، والنَّفسُ ، والخطرُ العظيم[1] .

وأشهرُها أن النَّحْبَ : العهدُ ، كما قال مجاهد .

ويُصحِّحُهُ أنه يُروى أن قوماً جعلوا على أنفسهم ، إنْ لاقَوْا العدُوَّ ، أن يَصْدُقُوا القِتالَ ، حتى يُقْتَلوا[2] ، أو يفتحَ اللَّهُ جلَّ وعز عليهم .

فالمعنى : فمنهم من قضى أجَلَه ، وسُمِّي الأجلُ عهداً ، لأنه على العهد كان ، أو قَضَى عهده .

---

(١) في المصباح : نَحَب نَحْباً من باب قَتَل : نذر ، وقَضَى نَحْبَه : مات ، أو قُتل في سبيل الله ، وأصلهُ الوفاءُ بالنَّذر ، وفي التنزيل ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ اهـ . وفي اللسان مادة نَحَبَ : والنَّحْبُ : النَّذرُ ، تقول منه : نحبتُ أَنحُب بالضمّ ، والنَّحْبُ : الخطرُ العظيمُ ، والنَّحْبُ : النَّفسُ ، والموتُ ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت . اهـ .

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٤٧/٢١ عن أنس بن مالك قال : غاب عمي « أنسُ بن النضر » عن قتال يوم بدر ، فقال : غِبْتُ عن قتال رسول الله ﷺ المشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً ليريَنَّ اللهُ ما أصنع ؟ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ـــ أي انهزموا ـــ فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـــ يعني المسلمين ـــ فمشى بسيفه ، فلقيه « سعدُ بنُ معاذ » فقال : أي سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، قال أنسُ بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بضعٌ وثمانون جراحة ، بين ضرب بسيفٍ ، وطعنةٍ برمحٍ ، ورميةٍ بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ـــ أي رءوس أصابعه ـــ قال أنسٌ : فكنا نتحدث أن هذه الآية ﴿ مِنَ المُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ نزلت فيه وفي أصحابه . اهـ .

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [آية ٢٣] .

أي وما بدَّلوا دينهم تبديلاً .

٣٦ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا .. ﴾** [آية ٢٥] .

قال مجاهد : أبا سفيان وأصحابَه[1] .

٣٧ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ .. ﴾** [آية ٢٦] .

أي أعانوهم من أهل الكتاب .

قال مجاهد : بني قُريظة[2] .

﴿ من صَيَاصِيهِمْ ﴾ من قصورهم .

ورَوَى ابنُ عُيينة عن عمروِ بن دينار عن عكرمة ﴿ من صَيَاصِيهِمْ ﴾ من حصونهم[3] .

قال أبو جعفر : والقصورُ قد يُتحصنُ بها ، وأصلُ الصِّيصِيَة[4] .

---

(١) هذا كان قبل إسلامه رضي الله عنه ، فقد كان أحد كبار زعماء قريش ، وكان قائد جيوشهم في كثير من الغزوات ، ثم أسلم عام فتح مكة .

(٢) قال الطبري ٢١/١٥٠ : عَنى بذلك « بني قريظة » وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ .

(٣) ما قاله عكرمة أن المراد بالصياصي الحصونُ ، أظهر مما قاله مجاهد، لأن المراد أنه تعالى أنزلهم من حصونهم التي كانوا يتحصنون بها .

(٤) في تاج العروس : الصَّياصي : جمع صِيصِيَة ، وهو الحصنُ ، وكذا في القاموس واللسان .

في اللغة : ما يُمْتنعُ بِهِ ، ومنه قيل لقرون البقر : صياصي ، ومنه قوله :

« كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ »[1]

يُقال : جذَّ اللَّهُ صيصتَه : أي أصلَهُ .

٣٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا .. ﴾ [آية ٢٧] .

قال الحسن : فارس والروم[2] .

وقال قتادة : مكة[3] .

وقال ابن اسحق : خيبر[4] .

قال أبو جعفر : وهذه كلُّها قد أورثها اللهُ جلَّ وعز المسلمين .

إلا أنَّ الأشبه بالمعنى أن تكون « خيبر »[5] واللهُ أعلم .

---

(١) هذا عجز بيتٍ لدُريد بن الصِّمّة ، وتمامُه :
فَجِئْتُ إليْهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُ … كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ
والبيت في لسان العرب ٥٢/٧ والصحاح ١٠٤٤/٣ ورسالة دريد بن الصمة ، حياته ، شعره ص ٣٦ لمناحي القثامي .

(٢)(٣)(٤) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها الطبري في تفسيره ١٥٥/٢١ وصاحب البحر ٢٢٥/٧ والسيوطي في الدُّر ١٩٣/٥ واختار الطبري أنها : جميعُ البلاد التي فتحها المسلمون فقال : أخبر تعالى أنه أورث المؤمنين أرض بني قريظة ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم يطئوها يومئذٍ ، وذلك كلُّه داخلٌ في قوله ﴿ وأرضاً لم تطئوها ﴾ . اهـ .

(٥) إنما اختار الإمام النحاس أنها « خيبر » لأن الآية في يهود بني قريظة ، فبشرهم تعالى أنهم سيملكون أرضاً أخرى لليهود ، ولم يسكنوها قبل ذلك اليوم ، وخيبر كانت مقرَّ اليهود .

رَوَى ابن عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِوِ بنِ دينارٍ ، عن عكرمة ، في قوله تعالى ﴿ وَأَرْضاً لم تَطَئُوهَا ﴾ قال : ما يُفتح على المسلمين إلى يوم القيامة(١) .

٣٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة ، ومَعْمَرٌ عن عروة عن عائشة قالت : لمَّا أُمِرَ النبيُّ ﷺ بتخيير أزواجِهِ، بدأ بي فقال : « إني ذاكرٌ لكِ أمراً ، ولا عليكِ أن لا تَعْجلي فيه حتى تستأمري أبويْكِ »(٢) قالت : وقد علم أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه ، ثم تلا ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا** .. ﴾ فقلت : أوَ في هذا استأمرُ أبويَّ ؟ فإنِّي أختار الله جلَّ وعز ورسوله والدَّار الآخرة(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦١/١٤ واختاره أبو حيان في البحر المحيط ٢٢٥/٧ حيث قال ﴿ وأرضاً لم تطئوها ﴾ وعدٌ صادق في فتح البلاد ، كالعراق ، والشام ، واليمن ، ومكة ، وسائر فتوح المسلمين . اهـ .

(٢) في المخطوطة « أبا بكر » وصوابُه ما أثبتناه « أبويك » كما في رواية البخاري والترمذي ، ويدلُّ عليه قولها : وقد علم أن أبويَّ .. » الحديث .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير من سورة الأحزاب ١٤٧/٦ ورواه الترمذي في التفسير أيضاً ٦٥/٩ من تحفة الأحوذي وقال : حديث حسن صحيح ، وانظر الروايات كاملة في تفسير ابن كثير ٤٠٢/٦ والدر المنثور ١٩٤/٥ وتفسير القرطبي ١٦٣/١٤ .

قال يونس في حديثه : وفعلَ أزواجُه كما فعلتْ ، فلم يكن ذلك طلاقاً ، لأن رسول الله ﷺ خيرَّهُنَّ فاخترنه(١) .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ..﴾ [آية ٣٠] .

فرَّق أبو عَمْرٍو(٢) بين ﴿ **يُضَعَّفْ** ﴾ و﴿ **يُضَاعَفْ** ﴾ قال : يُضاعَفُ للمِرار الكثيرة ، ويُضعَّفُ مرتين ، وقرأ ﴿ **يُضَعَّفْ** ﴾ لهذا(٣) .

وقال أبو عَبيدة : ﴿ **يُضَاعَفْ لهَا العَذَابُ** ﴾ : يُجعل ثلاثة أعذبة(٤) .

---

(١) قال القرطبي ١٧٠/١٤ : اختلف العلماء في كيفية تخيير النبيّ ﷺ ازواجه على قولين :
الأول : أنه خيَّرهن في البقاء على الزوجية أو الطلاق ، فاخترن البقاء ، وهو قول عائشة ومجاهد وعكرمة .
الثاني : إنما خيَّرهنَّ بين الدنيا فيفارقهن ، وبين الآخرة فيمسكهنَّ ، ولم يخبرهن في الطلاق ، وهذا قول الحسن وقتادة . والقول الأول أصح لقول عائشة لما سئلت عن الرجل يخيِّر امرأته : قد خيَّرنا رسول الله ﷺ أفكان طلاقاً ؟ ولحديث عائشة « لاتعجلي حتى تستأمري أبويك » ومعلوم أنه لم يرد الاستئمار في اختيار الدنيا وزينتها على الآخرة . اهـ .

(٢) « أبو عمرٍو » هو أبو عمرو بن العلاء ، اسمه زبّان بن عمار التميمي ، من أئمة اللغة والأدب توفي سنة ١٥٤ هـ وانظر ترجمته في الأعلام ٧٢/٣ .

(٣) في المخطوطة « هذا » وتصويبُه « لهذا » كما في القرطبي ١٧٥/١٤ .

(٤) قال في اللسان : العذابُ : النَّكالُ والعقوبة ، وكسَّره الزجَّاج على أعذبة فقال في قوله تعالى ﴿ يُضَاعفْ لها العذابُ ضِعْفين ﴾ قال أبو عبيدة : ثلاثة أعذبة . اهـ وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٦/٢ فقد قال ما نصُّه : ﴿ يُضَاعَفْ لها العَذَابُ ضِعْفَينْ ﴾ أي يُجعل لها العذاب =

قال أبو جعفر : التفريقُ الذي جاء به « أبو عَمْـرٍو » لا يعرفه أحـدٌ من أهـلِ اللُّغــةِ ــ عَلِمْتُــهُ ــ والمعنــى في ﴿ **يُضاعَــفْ** ﴾ و﴿ **يُضَعَّفْ** ﴾ واحدٌ أي يُجعـل ضعـفين أي مثـلين ، كما تقـول : إن دفعتَ إليَّ درهماً دفعتُ إليك ضِعْفيـه أي مثليـه يعنـي درهمين ، ويـدلُّ على هذا ﴿ **نُؤْتِها أجرهــا مرَّتَيْــن** ﴾ فلا يكــون العــذابُ أكثر من الأجر[1] .

وقـال في موضع آخـر ﴿ رَبَّنَـا آتِهِـمْ ضِعْفَيْـنِ مِنَ العَـذَابِ ﴾[2] أي مثلين .

وَرَوَى مَعْمرٌ عن قَتَادة ﴿ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ .

قال : عذابُ الدنيا ، وعذابُ الآخرة[3] .

= ثلاثـة أعذبـة ، لأن ضعـف الشيء مثلـه ، وضعفـيْ الشيء مثـلا الشيء . اهــ . وقـال القرطبـي ١٧٥/١٤ : والضعفُ في كلام العرب : المِثْلُ إلى ما زاد ، وليس بمقصور على مثلين ، يُقال : هذا ضعف هذا أي مثله ، وهذا ضعفـاه أي مثـلاه ، فالضعـف في الأصل زيـادة غير محصورة ، قال الله تعالى ﴿ فأولئك لهم جزاء الضِّعْف ﴾ ولم يرد مثلاً ولا مثلين ، هذا قول الأزهري . اهـ .

(١) قال ابن عطية : معناه : يكون العذابُ عذابيْنِ أي يُضاف إلى عذاب سائر النـاس عذاب آخر مثله ، وقال أبو عُبيدة : يضاف إليه عذابان مثله فيكون ثلاثة أعذبة ، وضعَّفـه الطبري ، وكـون الأجر مرتين ، يفسد قول أبي عبيدة ، لأن العـذاب في الفـاحشة بإزاء الأجـر في الطاعـة . اهــ . المحرر الوجيز ٥٥/١٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٨ .

(٣) وهكـذا قال زيـد بن أسلـم وسعيـد بن جبير قال : يُجعـل عذابهن ضعـفين ، ويُجعــل على من قذفَهُـنَّ الحدُّ ضعـفين ، كما في الـدر المنثور ١٩٥/٥ والجمهـور على أن مضاعفـة العــذاب في الآخرة .

٤١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُوْلِهِ** .. ﴾ [آية ٣١] .

ومعناه : من يُطِعْ .

قال قتادة : كلُّ قنوتٍ في القرآن طاعةٌ(١) .

وقال : ﴿ **وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقَاً كَرِيمَاً** ﴾ : الجنَّة(٢) .

٤٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** .. ﴾ [آية ٣٢] .

يقال : خَضَع في قوله : إذا لَانَ ولم يُبيِّنْ .

ويُبيِّنُه قولُه تعالى ﴿ **وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفَاً** ﴾ أي بيِّناً ظاهراً .

قال قتادة والسُّدي : ﴿ **فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ أي شكٌّ ونفاق(٣) .

قال عكرمة : هو شهوةُ الزنى(٤) .

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦٦/٣ من حديث مرفوع : كل حرف يُذكر فيه القنوتُ من القرآن ، فهو طاعةٌ لله . اهـ قال في اللسان : القنوتُ الخشوعُ ، والقِيامُ بالطاعةُ قال ابن سيده : القنوتُ الطاعة هذا هو الأصل ومنه قوله تعالى ﴿ كُلٌّ لَه قَانِتُوْنَ ﴾ اهـ .

(٢ــ٤) هذه الآثار كلُّها وردت عن السلف ، وذكرها الطبري في تفسيره ٣/٢٢ وصاحب الدر المنثور ١٩٦/٥ والقرطبي ١٧٧/١٤ قال القرطبي : ﴿ مرض ﴾ أي شك ونفاق ، قاله قتادة والسدي ، وقيل : تشوُّف لفجور وهو الفسق ، ولغزل ، قاله عكرمة ، وهذا أصوب ، وليس للنفاق مدخل في هذه الآية . اهـ .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقِـرْنَ فِي بُيُوتِكُـنَّ وَلَا تَبَرَّجْـنَ تَبَـرُّجَ الجَاهِلِيَّـة الأُولَى .. ﴾** [آية ٣٣] .

هو منْ وَقَر ، يَقِـرُ ، وَقَـاراً في المكـان : إذا ثبتَ فيـه[١] ، وفيـه قولٌ آخر :

قال محمد بن يزيد[٢] : هو من قَرَرْتُ في المكـان أقِـرُّ ، والأصلُ واقْرَرْن ، جاء على لغـة من قال في « مَسِسْتُ » مِسْتُ ، حُذفت الـراء الأولى ، وأُلقِيتْ حركتُها[٣] على القاف ، فصار ﴿ **وَقِرْنَ** ﴾ .

قال : ومَنْ قرأ ﴿ **وَقَرْنَ** ﴾ فقد لَحَن[٤] .

قال أبـو جعفـر : يجوز أن يكـون ﴿**وَقَرْنَ**﴾ من قَرَرْتُ به عينـاً أَقَرُّ ، فيكون المعنى : واقْرَرْنَ به عيناً في بيوتكنَّ[٥] .

---

(١) هذه على قراءة الكسر ﴿ وَقِرْنَ ﴾ وهي قراءة الأعـمش ، وحمزة ، والكسائي ، وقـرأ أهـل المدينـة ونافـع ، وعاصـم ﴿ وَقَرْنَ ﴾ بفتـح القـاف . وكـلاهما من القـراءات السبـع ، وانظـر السبعـة في القراءات لابن مجاهد ٥٢١/٢ والنشر في القراءات العشر ٣٤٨/٢ .

(٢) محمـد بن يزيـد هو النحـوي الشهير المعـروف بالمبّـرد ، المتـوفى سنـة ٢٨٥ وقـد تقـدمت ترجمتـه ٥٥/١ .

(٣) في المخطوطة « حركاتها » وصوابهُ « حركتها » كما في إعراب القرآن للنحاس وتفسير القرطبي .

(٤) القرآن يحكم على اللغـة ، ولا تحكـم اللغـةُ على القـرآن ، فإذا وردت القـراءة عن المعصوم بطريـق التواتر ، فكيف يُقال إنها لحنٌ ؟ وهذه قراءة صحيحة متواتـرة ثبـتت عن رسول اللـه ، فلا يقـال إنها لحن ، وسامح الله أهل اللغـة يقبلـون قول الأعـراب الأجـلاف ، ويعـتبرون كلامهـم حجـة في اللغة ، ويرفضـون القراءات المتواترة التي جاءت عن المعصوم الذي لاينطق عن الهوى ؟!

(٥) هـذا بعيدٌ والراجح ما عليه المفسـرون من أن المعنى : إلْزَمْنَ بيوتكن ولا تخرجن لغير حاجـة ، فهـو =

٤٤ ـــ ثم قال جلَّ وعـــز ﴿ وَلَا تَبَرَّجْــنَ تَبَــرُّجَ الجَاهِلِيَّــةِ الأُولَــى ﴾ [آية ٣٣] .

رَوَى عليُّ بن أحمر عن عكرمــة عن ابــن عبــاس قال : ﴿ الجاهليةُ الأُولى ﴾ ما بين إدريسَ ونوح صلى الله عليهما[١] .

ورَوَى عبد الله بن عَمْرٍو عن عبدالكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : ستكون جاهليةٌ أخرى[٢] .

ورَوَى هُشَيم عن زكريــا عن الشعبــي قال : ﴿ الجاهليـــةُ الأُولى ﴾ ما بين عيسى ومحمد صلَّى الله عليهما .

ـ من القرار في المكان قال في الصحاح : والقرار في المكان : الاستقرارُ فيه ، تقول قَرِرْتُ بالمكان أَقَرُّ قراراً ، بالكسر وبالفتح . اهـ .

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٥ والطبري في تفسيره ٤/٢٢ في قصة طويلة وذكره الحافظ ابن كثير ٤٠٦/٦ عن ابن عباس قال : كانت بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة . وفي البحر ٢٣٠/٧ و﴿ الجاهلية الأُولى ﴾ هي القديمة التي يُقال لها : الجاهلية الجهلاء ، وهي الزمان الذي وُلد فيه إبراهيم ، كانت المرأة تجمع بين زوج وعشيق ، وتلبس الدرع من اللؤلؤ ، فتمشي وسط الطريق ، تعرض نفسها على الرجال .

(٢) قال عمر لابن عباس : هل كانت الجاهلية إلا واحدة ؟ فقال ابن عباس : وهل كانت الأُولى إلاَّ ولها آخرة ؟ فقال عمر : للَّهِ درُّك يا ابن عباس . اهـ من البحر المحيط ٢٣١/٧ وفي التفسير الكبير للرازي ٢٠٨/٢٥ : وقوله تعالى ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأُولى ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : أن المراد من كان في زمن نوح ، والجاهلية الأخرى من كان بعده .
وثانيهما : أن هذه ليست أولى تقتضي أخرى ، بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل : أين الأكاسرة الجبابرة الأُلى ؟ .

قال مجاهد : كان النِّساءُ يتمشَّيْن بين الرجال ، فذلك التبرُّجُ(١) .

وقال ابن أبي نجيح : هو التَّبخْتُر .

قال أبو جعفر : التبرُّج في اللغة : هو إظهار الزينة ، وما تُستدعى به الشهوة ، وكان هذا ظاهراً بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ، وكان ثَمَّ بَغَايَا يُقْصدن(٢) .

— **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ .. ﴾** [آية ٣٣] .

قال عطية : حدَّثني أبو سعيدٍ الخُدريُّ ، قال : حدَّثتني أمُّ سَلَمةَ ، قالت : نزلت هذه الآية في بيت ، وكنتُ جالسةً على الباب ، فقلتُ يارسولَ اللهِ : ألستُ من أهل البيتِ ؟ قال : إنَّكِ إلى خَيْرٍ ، وأنتِ منْ أَزْواجِ النبي ﷺ ، وكان في البيت « النبيُّ ، وعليٌّ ، وفاطمةُ ، والحسنُ ، والحسينُ » صلوات الله عليهم(٣) .

ذكره ابن كثير عن مجاهد قال : كانت المرأة تخرج تمشي بين يديْ الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية . اهـ .

قال الطبري ٤/٢٢ : التبرج هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها للرجال ، وهي الجاهلية التي قبل الإسلام . اهـ .

هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٧/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٥ ورواه الترمذي من حديث عطاء بن أبي رباح عن عمر بن سلمة ٣٢٨/٥ وقال : حديث غريب ، وأخرجه =

٤٦ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال قتادة : أي القرآن ، والسُنَّة .

وروَى محمدُ بن عَمْرٍو عن أبي سلمة عن أم سلمة قالت : قلتُ يارسولَ اللَّهِ : أَرَى اللَّهَ جلَّ وعزَّ يذكرُ الرِّجالَ ، ولا يذكرُ النِّساءَ !! فنزلت ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ .. ﴾[1] .

٤٧ ـ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ..[2] ﴾ [آية ٣٥] .

= أحمد في المسند ٢٩٢/٦ وفي بعض الروايات : عن أم سَلَمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، وفي البيت سبعةٌ : « جبرائيلُ ، وميكائيلُ ، وعليّ ، وفاطمةٌ ، والحسنُ ، والحسينُ ، وأنا على باب البيت ... » الحديث وقال القرطبي ١٨٢/١٤ : اختلف أهل العلم في « أهل البيت » من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس : هم زوجاتهُ خاصَّةً ، لقوله تعالى « واذكرن ما يُتلى في بيوتكنَّ » وقالت فرقة منهم الكلبي : هم « عليٌّ وفاطمة ، والحسن ، والحسين » خاصة ، واحتجوا بقوله تعالى ﴿ليذهب عنكم الرجس .. ويطهرّكم ﴾ ولو كان للنساء خاصة لكان « عنكنَّ ، ويطهركنَّ » والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال : « ويطهركم » لأن رسول الله وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلّب المذكّر .اهـ .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢١١ عن أم عمارة الأنصارية وأحمد في المسند ٣٠٥/٦ والطبري ١٠/٢٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٠/٥ .

(٢) في المخطوطة « والحَافِظَاتِها » ذكرت الهاء متصلة بالآية ، وفيها إيهام أنها قراءة وليست بقراءة ، إنما هي متضمنة للمعنى ، ولهذا قال في البحر ٢٣٢/٧ : وحُذِف من ﴿ الحافظات ﴾ و﴿ الذاكرات ﴾ المفعولُ ، لدلالة ما تقدم ، والتقدير : والحافظاتها والذاكراته . اهـ .

أي والحافِظَاتِها ، ونظيرُه :

وكُمْتــاً مُدَمَّـــاةً كَأَنَّ مُتُونَهــــا

ـ جَرَى فَوقَها وَاسْتَشْعَرتْ ـ لَوْنُ مُذَهبِ[1]

وروَى سيبويه « لونَ مُذْهَبٍ » بالنَّصب ، وإنما يجوز الرفع على حذف الهاء ، كأنه قال : فاستَشْعرتْهُ فيمن رفع « لوناً » .

٤٨ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرَاً .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : لمَّا خطبَ النبي ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ ـ وهي ابنةُ عمَّتِه ـ وهو يريدها لزيد ، ظنَّت أنه يريدها لنفسه ، فلمَّا علمت أنه يريدها لزيدٍ ، أَبَتْ وامتنعتْ ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لمؤْمِنٍ ولاَ مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللهُ ورسولُهُ أمْراً أن يَكُون لَهُمُ الخِيرَةُ من أَمْرِهِمْ ﴾ فأطاعتْ وسلَّمتْ[2] .

(١) البيت للشاعر طُفيل الغَنوي ، وهو في ديوانه ص ٢٣ وفي شواهد سيبويه ص ٦٩ والمقتضب للمبرد ٧٥/٤ والعيني ٢٤/٣ وابن يعيش ٧٨/١ يصف خيلاً وأن ألوانها كمتٌ مشوبة بحمرة ، كأن عليها شعار الذهب ، والشِّعارُ : ما يلي الجسدَ من الثياب .

(٢) ذكرَ هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٢٠١/٥ والقرطبي ١٨٦/١٤ وابن كثير ٤١٧/٦ بسنده عن ابن عباس ولفظُه قال : إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه « زيد بن حارثة » فدخل على « زينب بنت جحش الأسدية » فخطبها ، فقالت : لستُ بناكحته ، فقال رسول الله ﷺ : بل فانكحيه ، قالت : يارسول الله أؤامر في نفسي ـ أي دعني حتى أرى رأيي فيه ـ فبينا هما يتحادثان ، أنزل الله هذه الآية على رسوله ﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً .. ﴾ الآية قالت : قد رضيتَهُ لي يارسول الله مَنْكَحاً ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا أعصي رسول الله ، قد أنكحتُه نفسي » .. وأخرجه ابن جرير وابن مردويه .

٤٩ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** .. ﴾ [آية ٣٧] .

قال قتادة : هو « زيد بن حارثة » أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق ، ثم قال ﴿ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** .. ﴾

رَوَى ثابتٌ عن أنسٍ قال : « جاء زيدٌ يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ فقال له ﴿ **أَمْسِكْ عليكَ زَوجَكَ واتَّقِ اللَّهَ** ﴾ فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** .. ﴾ إلى آخر الآية .

قال : ولو كَتَمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه شيئاً من القرآن لكَتَمها »(١) .

قال قتادة : جاء زيدٌ فقال يارسول الله : إني أشكو إليك لسان زَيْنبَ ، وإنّي أريد أن أطلِّقها ، فقال له ﴿ **أَمْسِكْ عليكَ**

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢١٢ وقال : حديث صحيح ، وبعضه في البخاري ، وذكره ابن جرير في تفسيره ١٣/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/٥ وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت : لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿ وإذْ تقولُ للذي أَنْعَمَ اللَّهُ عليه .. ﴾ الآية وإن رسول الله لمَّا تزوَّجها قالوا : تزوَّج حليلةَ ابنهِ ، فأنزل الله ﴿ ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ... ﴾ الآية .

زَوْجَك واتَّقِ اللَّهَ ﴾ وكان النبي ﷺ يحبُّ أن يُطلِّقها زيدٌ ، فكَره أن يقول له : طلِّقْها ، فيسمعَ النَّاسُ بذلك(١) .

---

(١) كانت زينب رضي الله عنها ذات شرفٍ وحسب وجمال ، وكانت ترى لها فضلاً على زيد لأنها من أشراف قريش ، وهو كان عبداً مملوكاً أعتقه الرسول ثم تبنَّاه ، فلذلك كانت تتكبَّر عليه ، وتشمخ بأنفها على زيد ، فكان يأتي النبي ﷺ شاكياً ، ويطلب منه أن يأذن له بطلاقها ، فيقول له الرسول ﴿ أمسكْ عليك زوجَكَ واتَّقِ الله ﴾ أمَّا ما ذكره بعض المستشرقين من أن الرسول رأى زينب وأحبَّها وهويَها ، وأراد أن يطلقها ليتزوج الرسول بها .. إلى آخر تلك الفرية المزعومة ، فباطلٌ لا يُعوَّل عليه ، وكما قال العلاَّمة أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ٥٣١/٣ : « قد بينا في غير موضع « عصمة الأنبياء » صلوات الله عليهم من الذنوب ، وحققنا القول فيما نُسب إليهم من ذلك ، فإن أخبارهم مرويَّة ، وأحاديثهم منقولة : بزيادات تولاَّها أحدُ رجلين : إما غبيٌّ عن مقدارهم ، وإما بِدْعيٌّ لا رأي له في برِّهم ووقارهم ، فيدسُّ تحت المقال المطلق الدَّواهي ، ولا يُراعِي الأدلة والنَّواهي ، وقد قال الله تعالى ﴿ نحن نقصُّ عليك أحسن القصص ﴾ أي أصدقه على أحد التأويلات ، وهي كثيرة بينَّاها في أمالي أنوار الفجر ، فهذا محمد ﷺ ما عصى قطُّ ربَّه ، لا في حال الجاهلية ولا بعدها ، تكرمةً من الله وتفضُّلاً وجلالاً ، فلم يقع قطُّ لا في ذنب صغير — حاشا لله — ولا كبير ، ولا وقع في أمرٍ يتعلق به لأجله نقص ولا تعيير ، وهذه الروايات كلُّها ساقطة الأسانيد — وذكر تلك الروايات المفتراة — ثم قال : وإنما الصحيح منها ما رُوي عن عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً من الوحي شيئاً لكتم هذه الآية ﴿ وإذ تقولُ للذي أنعمَ الله عليه ﴾ يعني بالإسلام ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ يعني بالعتق ﴿ أمسكْ عليكَ زوجَك واتَّقِ اللَّهَ .. ﴾ إلى آخر الآية ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ وإن رسول الله لمَّا تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ﴾ وكان رسولُ الله تبناه وهو صغير ، فلبث حتى صار رجلاً يقال له : زيدُ بن محمد ، فأنزل الله ﴿ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. ﴾ قال القاضي : وما وراء هذه الروايات غير معتبر ، فأمَّا قولهم : إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه وأحبَّها فباطلٌ وبهتان ، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه ويلحظها في كل ساعة ولاتقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ؟ وكيف يتجدد له هوى لم يكن ؟ حاشا لذلك القلب

قال أبو جعفر : أي فيفتتنوا .

وسُئل عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام ، عن هذه الآية فقال : أَعْلَمَ اللَّهُ جلَّ وعز النبي ﷺ أنَّ زيداً سَيُطلِّق زينب ثم يتزوجها النبيُّ ﷺ بعده .

أي فقد أعلمتُك أنه يُطلِّقُها ، قبل أن يُطلِّقها[1] .

٥٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَاً زَوَّجْنَاكَهَا .. ﴾** [آية ٣٧] .

قال الخليل : معنى « الوَطَرِ » : كلُّ حاجةٍ يُهْتَمُّ بها ، فإذا قَضَاها قيل : قَضَى وَطَرَه ، وأَرَبَه .

٥١ ــ **ثم خبَّر جلَّ وعزَّ بالعلَّة التي من أجلها كان من أمرِ زيدٍ ما كان فقال : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَاً ﴾** [آية ٣٧] .

أي زوَّجناكَ زينب ، وكانت امرأة « زيد » وأنت متبنٍّ له ، لئلا

المطهَّر من هذه العلاقة الفاسدة . اهـ .

أقول : انظر صفوة التفاسير ٥٢٧/٢ ففيه ردٌّ مفصل لتلك الفرية المكذوبة .

(١) قول علي بن الحسين ذكره الطبري في تفسيره ١٣/٢٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٣٤/٧ بأوضح مما ذكره الإمام النحاس حيث قال : أعلم اللهُ نبيَّه أن زينب ستكون من أزواجه بعد أن يطلقها زيد ، فلما شكى زيدٌ خلُقها وأنها لاتطيعه ، وأعلمه بأنه يريد طلاقها ، قال له ﷺ : ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ على طريق الأدب والوصية ، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه له . اهـ .

يُتوهَّم أن « تحريمَ التبنّي » كتحريمِ الولادةِ ، كما كانت الجاهلية تقول[1] .

٥٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ .. ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : أي فيما أحلَّ اللهُ له[2] .

قال أبو جعفر : وفيه معنى المدح ، كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾[3] .

٥٣ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [آية ٣٨] .

أي لا يُؤاخذون بما لم يُحَرَّم عليهم[4] .

---

(١) كان العرب في الجاهلية ، يعطون الولد من التبني حكمَ الولد الصلبيِّ ، في جميع الأمور ، في الميراث ، والنكاح ، والحجاب ، وسائر الأحكام ، فأبطل الله سبحانه حكم التبنّي ، وأمر بردِّ نسب الأبناء إلى الآباء ، وزوَّج رسوله ﷺ بزينب زوجة ولده من التبنّي ، ليُبطل أحكام الجاهلية بالقول والعمل .

(٢) قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٢٢/٢٦ : ﴿ فيمَا فَرَض الله له ﴾ أي فيما قسَمَ اللهُ له وقدَّر ، من قولهم : فرض له في الديوان كذا ، وقال قتادة : أي فيما أحلَّه له ، وقال الحسن : فيما خصَّه به من صحَّة النكاح بلا صَدَاق ، وقال الضحاك :فيما أحله له من الزيادة على أربع .

(٣) سورة التوبة آية ٩١ .

(٤) قال ابن كثير ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبلُ ﴾ أي هذا حكم الله في الأنبياء قبله ، لم يكن يأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج ، وهذا ردٌّ على من توهّم من المنافقين نقصاً في تزوجه امرأة زيدٍ مولاه ومتبناه . اهـ .

٥٤ ــ **وقوله جلّ وعز** ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [آية ٣٩] .

يجوز أن يكون بمعنى « مُحَاسب » كما تقول : أَكيلٌ ، وشريبٌ .

ويجوز أن يكون بمعنى « مُحْسِب » أي كافٍ ، يُقال : أحسَبَني الشيءُ : كَفَاني .

٥٥ ــ **وقولُه جل وعزَّ** : ﴿ مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال علي بن الحسين عليه السلام : نزلت في « زيد بن حارثة » .

قال أبو جعفر : أي ليس هو أباهم بالولادة ، وإن كان كذلك في التَّبجيل والتعظيم[١] .

---

(١) قال الإمام القرطبي ١٤/١٩٦ : لما تزوَّج النبي ﷺ زينب قال الناس : تزوَّج امرأة ابنه ، فنزلت الآية ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ﴾ أي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلتُه ، ولكنَّه أبو أُمَّتِه في التبجيل والتعظيم ، فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم ، وأعلم أن محمداً لم يكن أبا أحدٍ من الرجال المعاصرين له ، ولم يقصد أنه ليس له ولد ، فقد وُلد له ذكور ، إبراهيم ، والقاسم ، والطيب ، والطَّاهر . اهـ .

وقال ابن كثير : نُهي أن يُقال بعد هذا « زيد بن محمد » أي لم يكن أباه ، وإن كان قد تبناه ، فإنه صلوات الله عليه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر من خديجة فماتوا صغاراً ، وولد له إبراهيم من « مارية القبطية » فمات أيضاً رضيعاً ، وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة » اهـ .

٥٦ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي آخرهم .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ خَاتَمَ ﴾ بفتح التَّاء فمعناه عنده : آخرهم . ومن قرأ بالكسر ﴿ خَاتِمَ ﴾ فمعناه عندهم أنه خَتَمهم[1] .

قال قتادة : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ : [آية ٤٢] .

صلاة الصبح ، والعصر[2] .

٥٧ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال الحسن : سألت بنو إسرائيل موسى صلى الله عليه : أيصلِّي ربُّك ؟ فكأنه أعظم ذلك ، فأوحى الله جلَّ وعزّ إليه « إن صلاتي أنَّ رحمتي تَسبِقُ غضبي »[3] .

---

(١) هما قراءتان سبعيتان ، قرأ عاصم بفتح التاء ﴿ وخاتَم النبيّين ﴾ وقرأ الباقون بكسرها ، وانظر النشر ٣٤٨/٢ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٧/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٠٥/٥ وقال القرطبي : أي أشْغِلُوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتحميد ، قال مجاهد : وهذه كلمات يقولهنَّ الطاهر ، والمحدث ، والجنب ، وقيل المراد : صلوا بكرة وأصيلاً . اهـ .

(٣) الأثر لم يخرجه إلا السيوطي في الدر المنثور ٢٠٦/٥ ولفظه : إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام : هل يصلِّي ربُّك ؟ فكأن ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام ، فأوحى الله إليه ، أخبرهم أني أصلي ، وأن صلاتي أن رحمتي سبقت غضبي » .

والأصيلُ : العشيُّ .

قال الفراء : معنى ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ هو الذي يغفر لكم ، وتستغفر لكم ملائكتُه[1] .

٥٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [آية ٤٤] .

هو كما قال : **﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾**[2] .

أي تحيتهم في الجنة سلامٌ[3] .

٥٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [آية ٤٥] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٤٥/٢ . وقال الحافظ ابن كثير ٤٢٨/٦ : والآية تهييجٌ إلى الذِّكر ، أي إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، والصلاةُ من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله الرحمةُ ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله سبحانه عن ملائكة العرش ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا .. ﴾ الآية .

(٢) سورة الرعد آية رقم (٢٣) .

(٣) أعاد النحاس الضمير على الملائكة أي تُسلِّم عليهم الملائكة ، واستشهد بالآية الكريمة في سورة الرعد ، والأظهر أن الضمير يعود على الله عزَّ وجل ، لأن قبله ﴿ هو الذي يصلي عليكم ﴾ ثم قال ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ فالضمائر متناسقة ، أي تحيتهم يوم يلقون ربهم ، السَّلامُ من الملك العلَّام كما قال سبحانه ﴿ سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم ﴾ وهذا ما اختاره الحافظ ابن كثير ٤٢٩/٦ وجمعٌ من المحققين .

﴿ **شَاهِداً** ﴾ أي شاهداً بالإبلاغ .

﴿ **وَمُبَشِّرَاً** ﴾ بالجنة .

﴿ **وَنَذِيراً** ﴾ من النار .

وَدَاعِياً إلى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ أي بأمره .

﴿ **وَسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾ أي وذا سراجٍ وهو القرآن[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : ومبيِّناً وتالياً .

حدثنا محمد بن إبراهيم الرازي قال : حدثنا عبدالرحمن بن صالح الأَزْديُّ[2] قال : حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربيُّ ، عن شيبان النحوي ، قال : حدثنا قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لمَّا نزلت ﴿ **يا أيُّها النَبِيُّ إنَّا أرسلنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ، وَدَاعِياً إلَى اللَّهِ بإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾ دعا رسول اللَّهِ عليًّا ، ومعاذاً فقال : انطلقا فيسِّرا ولا تُعَسِّرا[3] ، فإنه قد نزل عليَّ الليلةَ آية ﴿ **إِنَّا أَرسَلْنَاكَ**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٦/٤٣١ ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق ، كالشمس في إشراقها وإضاءتها ، لايجحدها إلا معاند . اهـ .

(٢) في المخطوطة : الأذري وهو تصحيف وصوابه الأزديُّ كما في تفسير ابن كثير ٦/٤٣١ .

(٣) يوجد جملة في النصِّ النبوي قد سقطت من المخطوطة وهي « فبشِّرا ولا تُنَفِّرا » ولفظ الحديث كما في تفسير ابن كثير ٦/٤٣٠ : لمَّا نزلت الآية وقد كان أمر علياً ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن فقال لهما « انطلقا فبشِّرا ولا تُنفِّرا ، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا » إنه قد أُنزل عليّ ﴿ يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ..﴾ الآية ، أخرجه ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس ، كذا في الدر المنثور ٥/٢٠٦ .

شَاهِداً ومُبَشِّرًا ونَذِيراً ﴾ من النار ﴿ **ودَاعِياً إلى اللَّــهِ** ﴾ قال : شهادة أن لا إله إلاَّ الله ﴿ **بإذْنِهِ** ﴾ بأمره ﴿ **وسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾ قال : بالقرآن[١] .

٦٠ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ .. ﴾** [آية ٤٨] .

قال مجاهد ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ أي أعرضْ عنهم[٢] .

٦١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا .. ﴾** [آية ٤٩] .

قال حَبِيبُ بنُ أبِي ثابت : سُئل علي بن الحسين عليه السلام ، عن رجلٍ قال لامرأته : إن تزوجّتُكِ فأنتِ طالقٌ ، فقال : ليس بشيء ،

---

(١) على هذا القول لا بدَّ من تأويله كما قال الزجّاج أي ذا سراج منير أي كتاب نيِّر ، والأظهرُ أن هذا وصفٌ للرسول لا للقرآن ، أي أنت يا محمد كالسِّراج الوهَّاج ، الذي يضيء للإنسانية طريق الرشاد ، قال في الكشاف ١٩١/٢ : ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ جَلَى به الله ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون ، كما يُجْلى ظلامُ الليل بالسراج المنير ، أو أمدَّ الله بنور نبوّته نورَ البصائر ، كما يُمَدُّ بنور السِّراج نورُ الأبصار . اهـ وإلى هذا الرأي جنح الحافظ ابن كثير ، وعدد من المحققين .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٠٧/٥ وابن جرير الطبري في جامع البيان ١٩/٢٢ .

ذَكَر اللَّهُ جلَّ وعز النكاح قبل الطلاق ، فقال : ﴿ **إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ** ﴾[1] .

٦٢ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **فَمَتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً** ﴾ [آية ٤٩] .

قال سعيد بن المسيّب : هي منسوخةٌ بالتي في البقرة ، يعني قوله جلَّ وعز ﴿ **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً** .. ﴾[2] أي فلم يذكر المتعة[3] .

٦٣ ـ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَبيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** .. ﴾ [آية ٥٠] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٠٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٠٣/١٤ وهو قول ابن عباس وجماعة من السلف ، قال الحافظ ابن كثير ٤٣١/٦ : وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعليُّ بن الحسين « زين العابدين » وجماعةٌ من السلف بهذه الآية ، على أن الطلاق لايقع ، إلاَّ إذا تقدمه نكاحٌ ، لأن الله تعالى قال ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ فعقَّب النِّكاحَ بالطَّلاقِ ، فدلَّ على أنه لايصحُّ ولا يقع قبله ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلى صحَةِ الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال « إن تزوجتُ فلانة فهي طالقٌ » فعندهما متى تزوجها طلقت منه . اهـ أقول : انظر روائع البيان ٢٩٠/٢ ففيه تفصيل للمسألة شافٍ ، والله يرعاك .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧) .

(٣) الأثر في الطبري ٢٠/٢٢ وفي الدر المنثور ٢٠٧/٥ وهذا قول قتادة وبعض علماء السلف ، ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس قال : إن كان سمَّى لها صداقاً فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمَّى لها صداقاً أمتعها على قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل . اهـ تفسير ابن كثير ٤٣٢/٦ .

قال مجاهد : أي صَدَاقَهُنَّ .

وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت : خطبني رسولُ الله ﷺ فاعتذرتُ منه فعذرني[1] ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا النبيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ** ﴾ ولم أكنْ هاجرتُ ، إنما كنتُ من الطُّلقاء ، فكنتُ لا أَحِلُّ له[2] .

٦٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ** .. ﴾ [آية ٥٠] .

قال علي بن الحسين رضي الله عنه وعُروةُ ، والشعبيُّ ، هي : « أُمُّ شَرِيكٍ »[3] .

وقال الزهري وعكرمة ومحمد بن كعب هي : « ميمونةُ ابنةُ الحارث » وهبتْ نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) ورد في بعض الروايات أنها قالت يارسول الله : لأنت أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري ، وأنا امرأة ذاتُ صبْيانٍ ، وحقُّ الزوج عظيم ، فأخشى أن أضيِّع حقه ، فهذا هو الاعتذار الذي اعتذرت به للرسول ﷺ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٣٢١٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلاَّ من هذا الوجه ، ومعنى الطلقاء : الذين أطلق الرسول ﷺ سراحهم يوم فتح مكة ، ومنَّ عليهم بقوله (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ولم يقتلهم .

(٣) « أمُّ شَرِيكٍ » بفتح الشّين بنت جابر الأسدية ، صحابيةٌ جليلة ، واسمها « غَزِيَّةُ » أو « غُزَيْلَةُ » كما في تقريب التهذيب ٦٢٢/٢ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٦/٨ .

(٤) اللواتي وهبن أنفسهن للرسول ﷺ أربعٌ : « ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة ، وأمّ =

قال الزهري : ووهبت « سودةُ » يومَها لعائشة .

وقرأ الحسنُ ﴿ أَنْ وَهَبَتْ ﴾[1] .

وقرأ الأعمش : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً وَهَبَتْ ﴾ .

وكسرُ « إِنْ » أجمعُ للمعاني ، لأنه قيل : إنهنَّ نساءٌ ، وإذا فُتِح كان المعنى على واحدةٍ بعينها ، لأنَّ الفتحَ على البدل من امرأة ، وبمعنى لِأَنْ .

وقال مجاهد : لم تهبْ نَفْسَها[2] .

فعلى هذا القول لا تكون « إِنْ » إلاَّ مكسورة .

وقيل : ومعنى ﴿ وَهَبَتْ نَفْسَهَا ﴾ إن تُزُوِّجتْ بلا صَدَاق[3] .

= شريك بنت جابر الأسدية ، وخولةُ بنت حكيم » كذا في تفسير القرطبي ٢٠٨/١٤ قال القرطبي : وروى البخاري عن عائشة أنها قالت : « كانت خولةُ بنتُ حكيم من اللائي وهبن أنفسهنَّ لرسول الله ﷺ » قال : فدلَّ على أنهن كنَّ غير واحدة . اهـ .

(١) هذه قراءة أبيّ بن كعب ، وسلاّم ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٨٢/٢ قال ابن جني : وتقديره لِأَنْ وهبت نفسها أي أنها تحلُّ من أجل أنَّها وهبت نفسها له . اهـ .

(٢) غرضه أنه لم يكن عند النبي ﷺ امرأةٌ بطريق الهبة ، وإن كان الله سبحانه قد أباحه له ، ويدلُّ له ما روى عن ابن عباس ، أنه قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلاَّ بعقد نكاح ، أو ملك يمين . وانظر القرطبي ٢٠٨/١٤ .

(٣) هذه من خصائص النبي ﷺ ، أن الله عز وجلَّ أباح له نكاح من وهبت نفسها له ، بدون مهر ، توسعةً عليه ﷺ وتكرمةً من الله تعالى له ، ليتفرغ لتبليغ الدعوة ، ولا يحل لغيره من المسلمين أن يتزوج بطريق الهبة ، ومن غير مهر لقوله سبحانه ﴿ خالصةً لك من دون المؤمنين ﴾ .

وقيل : هو أن تجعل الهبة صَدَاقاً ، وأَنَّ هذا لا يحلُّ لأحدٍ بعد النبي ﷺ .

قال أبو جعفر : والقول الأوَّلُ أَوْلى[1] ، لأن معنى الهبة في اللغة : دفعُ شيءٍ بلا عَوَض .

٦٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ .. ﴾** [آية ٥٠] .

أي قد علمنا ما في ذلك من الصَّلاح[2] ، وهذه كلمةٌ مستعملةٌ يُقال : أنا أعلم مالَكَ في ذا .

ورَوَى زيادُ بنُ عبدالله عن أُبَيِّ بن كعب في قوله تعالى ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ في أَزْوَاجِهِمْ ﴾ قال : مَثْنَى ، وثُلاثَ ، ورُبَاع[3] .

وقال قتادة : فُرض عليهم أن لا نكاح إلاَّ بوليٍّ ، وشاهديْ

---

(١) أي أن تتزوج بدون مهر ، لأن هذا هو معنى الهبة في اللغة .

(٢) هذه جملة اعتراضية لبيان الغاية من هذا التشريع ، والمعنى : قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين ، من نفقةٍ ، ومهرٍ ، وشهودٍ في العقد ، وعدم تجاوز أربع من النساء ، حسب الحكمة الإلهية ، وأما أنت يا محمد فقد خصصناك بخصائص لم تكن لأمّتك تيسيراً عليك .

(٣) الأثر أخرجه الحافظ ابن كثير ٤٣٦/٦ بمعناه فقال : في حصرهم في أربع نسوة حرائر ، وما شاءوا من الإماء . اهـ .

عدلٍ ، وصَدَاقٍ ، وأن لا يتزوَّج الرجلُ أكثر من أربع[1] .

٦٦ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ .. ﴾**[2] [آية ٥٠] .

متعلقٌ بقوله ﴿ **إنّا أحلَلْنا لكَ أَزْواجَكَ اللَّاتي آتَيْتَهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ** ﴾ .

٦٧ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ..**[3] ﴾ [آية ٥١] .

رَوَى هِشامِ بن عُرْوةَ ، عن أبيه عن عائشة ، في قوله تعالى

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٩/٥ وهو قول ابن عباس ومجاهد ، والحسن البصري ، وهذا بالنسبة لعامة المسلمين ، وأما الرسول ﷺ فله خصوصيات خصَّه الله تعالى بها : من الزواج بأكثر من أربع ، ومن الزواج بطريق الهبة ، وبدون عقدٍ وشهود ، كما هو الحال في تزويجه بزينب ، كما قال سبحانه ﴿ فلمَّا قضى زيدٌ منها وَطَراً زوَّجْناكهَا .. ﴾ الآية وغير ذلك من الخصائص التي أكرمه الله بها .

(٢) عبارة الطبري ٢٤/٢٢ : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ أي أحللنا لك يا محمد أزواجك ، اللواتي ذُكِرْنَ في هذه الآية ، لكيلا يكون عليك إثم وضيقٌ ، في نكاح هؤلاء الأصناف التي أبحتُ لك نكاحهن . اهـ .

(٣) قال ابن عباس : معنى الآية : تطلّق من تشاء من زوجاتك ، وتمسكُ من تشاءُ منهن ، وقال مجاهد والضحاك : « تقسم لمن شئت ، وتؤخر عنك من شئتَ ، وتقلّل لمن شئت ، وتكثر لمن شئت ، لا حرج عليك في ذلك » كذا في البحر ٢٤٧/٧ .

﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ قال : هذا في الواهباتِ أنفسَهُنَّ[1] .

قال الشعبي : هنَّ الواهباتُ أنفسهنَّ ، تزوَّج رسولُ اللهِ منهنَّ ، وترك منهنَّ[2] .

وقال الزهريُّ : ما علمنا أن رسول الله ﷺ أرجأ أحداً من أزواجِهِ ، بل آواهُنَّ كُلَّهنَّ[3] .

وقال قتادة : أُطْلِقَ لرسولِ الله ﷺ أن يَقْسِم بينهنَّ ، كيف شاء ، ولَمْ يَقْسم بينهنَّ إلاَّ بالقسط[4] .

حدثنا أحمدُ بنُ محمد بن نافع ، حدثنا سَلَمة ، حدثنا عبدالرزاق ، أنبأنا مَعْمرٌ عن منصورٍ عن أبي رُزَيْنٍ قال : « المُرْجَآتُ : ميمونة ، وسودةُ ، وصفيَّةُ ، وجويريةُ ، وأمُّ حبيبةَ » وكانت عائشةُ ، وحفصةُ ، وأمُّ سلَمَة ، وزينبُ ، سواءً في قَسْمِ النبيِّ ﷺ ، يساوي بينهنَّ في القَسْمُ »[5] .

(١ـ٤) هذه الآثار عن الشعبي ، والزهري ، وقتادة ، ذكرها القرطبي في تفسيره ٢١٥/١٤ وكذلك الطبري ٢٥/٢٢ قال الطبري : فجعله الله في حلٍّ من ذلك ، أن يَدَع من يشاء منهن ، ويأتي من يشاء ، بغير قَسْم ، وكان نبيُّ الله ﷺ يقسم .

(٥) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٥/٢٢ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١٤ ثم قال القرطبي : وأصحُ ما قيل في الآية التوسعةُ على النبي ﷺ في ترك القَسْم ، فكان لايجب عليه القَسْم بين زوجاته ، وهذا هو الذي ثبت في الصحيح كما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغارُ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أَوَ تَهبُ المرأة نفسها لرجل ؟ فلمَّا أنزل الله عز وجل ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ، ومن ابتغيتَ ممن عزلتَ ﴾ قلت : ما أرى ربَّك إلاّ يسارع في هواك » . اهـ صحيح البخاري ٥٢٥/٨ من فتح الباري .

وقال مجاهد : هو أن يعتزلهنَّ بلا طلاقٍ(١) .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة ، وأبي رُزين ، ومجاهد ، يرجع إلى معنى واحد ، أن ذلكَ في القَسْمِ .

وقد رَوَى منصور عن أبي رُزين أن رسول الله ﷺ أراد أن يُخلِّيَ اللواتي أرجأهنَّ ، فقلْن له : اقسِمْ لنا كيف شئتَ ، واتركنا على حالنا ، فتركهنَّ(٢) .

وقال قتادة : في قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** ﴾ [آية ٥١] .

إذا علِمْنَ أنَّ ذلك من اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، قَرَّتْ أعينهُنَّ ، ولم يَحْزَنَّ ، ورَضِينَ(٣) .

---

(١) أي يترك القسمة لهنَّ ، من غير أن يطلقهنَّ ، كما يدلُّ عليه روايةُ رُزَين ، وكما في قصة « سودة » رضي الله عنها ، فإنها لمَّا خشيت أن يطلَّقها النبي ﷺ وهبت يومها لعائشة ، وقالت : لا تطلِّقني حتى أُحشر في زمرة نسائك ، كما ذكره صاحب البحر ٢٤٣/٧ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٢٢ والقرطبي ٢١٥/١٤ ولفظه : قال أبو رزين : كان رسول الله ﷺ قد هَمَّ بطلاق بعض نسائه ، فقلن له : اقسم لنا ما شئتَ . اهـ وكذا في الدر المنثور ٢١١/٥ .

(٣) الأثر أخرجه القرطبي ٢١٦/١٤ .. عن قتادة بأوسع من هذا ، وقال الحافظ ابن كثير ٤٣٧/٦ : والمعنى : إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القَسْم ، فإن شئتَ قسمتَ ، وإن شئتَ لم تقسم ، لا جُناح عليك في ذلك ، ثم قسمت لهنَّ اختياراً ، لا على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك ، واستبشرن به ، وحملن جميلك في قسمك لهن ، وتسويتك بينهن ، وإنصافك وعدلك فيهن .

٦٨ ـــ **وقولُه جل وعزَّ : ﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ..﴾** [آية ٥٢] .

في هذه الآية أقوالٌ :

أ ـــ **فمنها ما رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن عائشة قالت** : ما مات رسولُ الله ﷺ حتَّى أُحِلَّ له النِّساءُ(٤) .

ب ـــ **وقال الحسن** : لما خَيَّر النبي ﷺ أزواجَهُ فاخْترنَهُ ، شكرَ اللهُ جلَّ وعزَّ لهنَّ ذلك ، فحرَّم على النبي ﷺ أن يتزوَّج غيرهنَّ ، أي فامتحنه بذلك كما امتحنهنَّ(١) .

جـ ـــ **وقال عليُّ بنُ الحسين** : قد كان له أن يتزوَّج(٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣٢١٦ وقال : حديث حسن ، وانظر تحفة الأحوزي ٧٩/٩ وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلاّ ذات محرم . اهـ ابن كثير ٤٣٨/٦ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٨/٢٢ عن قتادة ولفظه : لمَّا خيَّرهنَّ الرسول فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، قصره اللهُ عليهنَّ فقال ﴿ لا يحلُّ لك النساءُ من بعدُ .. ﴾ وهنَّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله ، وقال الحافظ ابن كثير ٤٣٨/٦ : ذكر غير واحدٍ من العلماء ـــ كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ـــ أن هذه الآية نزلت مجازاةً لأزواج النبي ﷺ ورضىً عنهنَّ ، على حسن صنيعهنَّ ، في اختيارهن اللّهَ ورسوله ، فلما اخترن رسولَ الله ﷺ كان جزاؤهنَّ أن قصره عليهنَّ ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ، ونسخ حكم هذه الآية ، وأباحَ له التزوج ، ولكنْ لم يقع منه بعد ذلك تزوج ، لتكون المِنَّةُ للرسول ﷺ عليهنَّ . اهـ .

(٣) هذا الأثر ممَّا يؤيد رأي الجمهور بالقول بالنسخ ، فإنه ﷺ ما توفي حتى أحلَّ الله له النساء ، أن يتزوج منهن ما شاء ، كما روت عائشة في الحديث الذي رواه الترمذي ٣٣٢/٥ « ما مات رسولُ اله ﷺ حتى أحلَّ اللهُ له النساء » .

قال أبو جعفر : هذه الثلاثة الأقوالِ غيرُ متناقضة .

تقول عائشة : ما ماتَ رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ لهُ النِّساءُ ، إسنادُه جيِّد ، ويُتأوَّل على أنه ناسخٌ للحظر ، ويُحتجُّ به في أنَّ السُّنَّة تنسخُ القرآن ، كما قالَ جلَّ وعزَّ ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرِبِينَ** ﴾[1] وقال النبي ﷺ : (لا وصيَّةَ لوارثٍ)[2] .

ومذهب الضحاك أن الناسخ لها قوله ﴿ **تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَ وتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ..** ﴾

وهذا لا يصحُّ ، لأنَّ بعده ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ** ﴾ .

وقولُ علي بن الحسين عليه السلام ،يجوز أن يكون يرجع إلى قول عائشة وإن كان قد أنكر قول الحسن ، فإن الحسن لم يذكر أن الآية منسوخة فيجوز أن يكون أنكره من هذه الجهة ، وتكون الآية عنده منسوخة .

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٠) وتمامها ﴿ كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً .. ﴾ الآية .

(٢) يريد المصنف رحمه الله أن الحديث الشريف قد نسخ حكم الآية الكريمة ، التي أباحت الوصيَّة للوالدين ، فالناسخ هو السنة المطهرة وهو قوله ﷺ : « إن الله أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه ، ألا لا وصية لوارث » والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٨٧/٤ وأبو داود والترمذي .

وعَوَّضَ اللهُ جلَّ وعزَّ نساءَ النبي ﷺ من ذلك ، أن جعلهنَّ أزواجَه في الجنة .

وفي الآية غيرُ هذا ، قال زيادُ بنُ عبدالله ، سألتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ عن قول الله جلَّ وعز ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** ﴾ فقلت : أكان يحِلُّ لهُ أن يتزوَّج ؟ فقال : نعم ، ما بأسٌ بذلك ، قال الله جل وعزَّ ﴿ **إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً** ﴾ ثم قال جل وعزَّ ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** ﴾ أي لا يحلُّ لك الأُمَّهات ، ولا الأخواتُ ، ولا البناتُ ، فهذا قولٌ آخر[1] .

أي لا يحلُّ لك النِّساءُ مِن بعدِ مَنْ أحللنا ، إلاَّ ما ملكتْ يمينك .

وقال مجاهدٌ ، وسعيدُ بن جبير ، وعطاءُ ، والحَكَمُ قولاً آخر .

قالوا ﴿ **لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** ﴾ أي لا يحل لك اليهودياتُ ، ولا النصرانيات[2] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٢/٢٩ ولفظه عن زياد قال : قلت لأُبيّ بن كعب : أرأيتَ لو أنَّ أزواج النبي ﷺ تُوفِّينَ ، أمَا كان له أن يتزوَّج ؟ فقال : وما يُحرِّم عليه ذلك ؟ .. الحديث ، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢١١ .

(٢) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٤٤ والطبري ٢٢/٣٠ والقرطبي ١٤/٢٢٢ .

قال مجاهد : أي لا يحلُّ أن تتزوج كافرة فتكون أمَّاً للمؤمنين ، ولو أعجبك حسنُها ، إلاَّ ما ملكت يمينك ، فإنَّ له أن يَتَسَرَّى بها[1] .

٦٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٥٣] .

قال أنسُ بنُ مالكٍ : أنا أعلمُ النَّاسِ . بهذه الآيةِ ، لمَّا تزوَّج النبيُّ ﷺ « زينبَ ابنةَ جحشٍ » أمرني أن أدعوَ كلَّ من لقيتُ ، ودَعَا النبيُّ ﷺ ، فجعل اللهُ جلَّ وعزَّ في الطَّعامِ البركةَ ، فأُكِلَ قومٌ وانصرفوا ، وبقيتْ طائفةٌ ،وكانت « زينبُ » في البيت ، فدخل النبي ﷺ وخرج وهم جلوسٌ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾** إلى آخر الآية ، فضرب رسول الله ﷺ الحجاب ، وانصرفوا[2] .

---

(١) أظهر ما قيل في معنى الآية ما ذكره الطبري ٣٢/٢٢ حيث قال : وإنما نُهي ﷺ بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاقٍ أراد به استبدال غيرها بها ، لإعجابه حسن المستبدلة بها ، إذْ كان اللهُ قد جعلهن أمهات المؤمنين ، وخيرَّهن بين الحياة الدنيا والآخرة ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فمنع من فراقهن بطلاق ، فأما نكاح غيرهن ، فلم يمنع منه ، بل أحلَّ الله له ذلك على ما بيَّن في كتابه . اهـ .

(٢) هذه القصة مذكورة في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي مفصَّلة ، ومن أجمع الروايات ما أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك قال : « تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله ، قال : فصنعت أمي « أمُّ سُليم » حَيْساً فجعلته في تور ــ أي طعاماً من تمر ودقيق وسمن =

قال مجاهدٌ في قوله تعالى ﴿ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ [آية ٥٣] .

غير متحيِّنينَ نُضْجَهُ.

﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ قال : بعد الأكل(١) .

وقولُه جلَّ وعز ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [آية ٥٣] .

= ووضعته في إناء من نحاس ــ فقالت يا أنس : إذهب بهذا إلى النبي ﷺ فقل له : بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل يارسول الله !! قال : فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : إن أمي تقرئك السلام وتقول إن هذا لك منا قليل ، فقال : ضَعْه ، ثم قال : اذهب فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيتَ ، وسمَّى رجالاً ، قال : فدعوتُ من سمَّى ومن لقيتُ ، قال قلتُ لأنس : عددَ كم كانوا ؟ قال زهاء ثلاثمائة ، قال وقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس هاتِ بالتَّور ، قال : فدخلوا حتى امتلأت الصُّفَّةُ والحجرة فقال رسول الله ﷺ ليتحلق عشرةٌ عشرة ، وليأكل كلُّ إنسانٍ مما يليه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، : قال : فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلُّهم ، قال فقال لي يا أنس ارفع ، قال : فرفعتُ فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعت ؟ قال : وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله جالس وزوجتهُ مولِّيةٌ وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله ﷺ فخرج ﷺ فسلَّم على نسائه ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثَقُلوا عليه ، فابتدروا الباب فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله ﷺ فأرخى الستر ودخل وأنا جالسٌ في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليَّ وأُنزلت هذه الآيات ، فخرج رسول الله ﷺ فقرأهنَّ على الناس ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي .. ﴾ الآية قال أنس : أنا أحدثُ الناس عهداً بهذه الآيات ، وحجبن نساء النبي ﷺ » انظر تحفة الأحوذي ٨٣/٩ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٦/٢٢ عن مجاهد ، قال الطبري ومعناه : ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناساً من بعضكم لبعض .

فكان لا يحلُّ لأحدٍ أن يسألهنَّ طعاماً ولا غيره ، ولا ينظر إليهنَّ ، متنقِّبَاتٍ ولا غيرَ متنقِّباتٍ ، إلاَّ من وراء حجاب[1] .

وكانت عائشةُ إذا طافتْ بالبيتِ سُتِرت[2] .

وفي الحديث لمَّا ماتتْ زينبُ قال عمرُ : لايخرج في جنازتها إلاَّ ذو محرم منها .. فوُصِفَ لهُ النَّعْشُ ، فاستحسنَه وأمَرَ به ، وقال : اخرجوا فصلُّوا على أمِّكُمْ[3] .

قال أنسٌ : كنتُ أدخلُ على أزواج النبيِّ ﷺ ، فلمَّا نزلت هذه الآية ، جئتُ لِأَدخلَ فقال ليَ النبيُّ ﷺ : وَرَاءَك يا بُنَيَّ[4] .

---

(١) قال القرطبي ٢٢٧/١٤ : وفي الآية دليل على أن الله سبحانه أذن بسؤالهن من وراء حجاب ، في حاجة تعرض ، أو مسألة يستفتين فيها ، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أُصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة ، بدنُها وصوتها ، فلا يجوز كشفُ ذلك إلاَّ لحاجة كالشهادة عليها ، أو داءٍ يكون ببدنها ، أو سؤالها عما تعيَّن عندها ، ولا ينبغي لأحدٍ أن يشق بنفسه ، في الخلوة مع من لا تحلُّ له ، فإن مجانبة ذلك أحصنُ لنفسه ، وأتم لعصمته . اهـ .

(٢) هذا يدل على وجوب استتار المرأة عن الأجانب ، فإذا كانت عائشة وهي أم المؤمنين لا تنكشف على أحد حتى في الطواف فكيف بغيرها ؟

(٣) ذكر هذه الرواية الإمام القرطبي في تفسيره ٢٣٠/١٤ قال : لمَّا ماتت زينب بنت جحش ، قال عمر : لايشهد جنازتها إلا ذو محرمٍ منها ــ مراعاةً للحجاب الذي نزل بسببها ــ فدلَّته أسماء بنتُ عُميس على سترها في النعش ، وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة ، فاستحسنه رضي الله عنه ، وأذن للمسلمين بالخروج للصلاة عليها .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان ، وفيه : فجئت لأدخل فقال النبي ﷺ : على مكانِك يابنيَّ ، إنه قد حدث بعدك أمرٌ ، لا تدخل علينا إلاَّ بإذن . اهـ وانظر الدر المنثور ٢١٣/٥ .

٧٠ ــ وقولُه عزَّ وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً .. ﴾ [آية ٥٣] .

قال قتادة : قال رجلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ : إنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ تزوجتُ فلانةً .

قال معمرٌ : قال هذا « طلحة » لعائشة[١] .

٧١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ في آبائِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَائِهِنَّ ، وَلَا إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ ، وَلَانِسَائِهِنَّ ، وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ..﴾ [آية ٥٥] .

يعني في الاستئذان .

وقيل : معنى ﴿ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ ولا أهل دينهِنَّ .

وقد قيل : بل هو لجميع النساء ، أي اللَّواتي من جنسهن[٢] .

---

(١) يريد أن قائل هذه العبارة « طلحة بن عُبَيْد الله » قال : لو توفي رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة كما نقله عنه مقاتل ، والصحيح أن القائل رجلٌ من المنافقين وليس هو طلحة ، كما رُوي ، فقد قال الإمام القرطبي نقلاً عن ابن عطية : وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيدالله ، فقد قال شيخنا الإمام أبو العباس : وقد حُكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة ، وحاشاهم عن مثله ، والكذب فيمن نقله ، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال . اهـ القرطبي ٢٢٩/١٤ .

(٢) هذا قول أكثر السلف أن المراد بقوله ﴿ أو نسائهنَّ ﴾ المسلمات ، فلا يجوز للمسلمة أن تُبدي زينتها أمام الكافرة المشركة ، بل ينبغي أن تحتجب منها كما تحتجب من الرجال ، ولهذا قال ابن =

وقيل : ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ من النِّساء خاصة .

وقيل : عامٌّ إذا لم تُعْرَفْ رِيبَةٌ[1] .

٧٢ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ إنَّ اللّهَ وملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ .. ﴾ [آية ٥٦] .

قال أبو مسعود الأنصاري : أَتَانَا رسولُ الله ﷺ في مجلسِ « سَعْدِ بن عُبَادة » فقال لهُ بَشيرُ بنُ سَعْدٍ : أَمَرنا اللهُ جلَّ وعزَّ أن نُصَلِّي عليكَ يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ حتى تمنَّينا أنه لم يسأله ، ثم قال النبي ﷺ : قولوا : « اللهُمَّ صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، [كما صَلَّيْتَ على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد][2] ، كما باركتَ على إبراهيم ، في العالمين ،

= عباس : « لايحل للمسلمة أن تراها يهوديةٌ أو نصرانية ، لئلا تصِفها لزوجها » ، وقال بعض العلماء : ﴿ أو نسائهنَّ ﴾ المراد العموم أي جميع النساء ، وهذا ما رجحه ابن العربي ، وأمَّا ما ورد عن السلف فمحمولٌ على الاستحباب عنده وهذا أيسر وأرفق ، وإنما قال : ﴿ نسائهن ﴾ ولم يقل أو النساء للإتباع ، وانظر أحكام القرآن لابن العربي ١٣٦٠/٣ .

(١) أي إذا لم يعرف العبدُ بالتهمة ، ولم يشكَّ الإنسان في عفته ونزاهته ، وتخصيصهُ بالنساء المملوكات مذهب أبي حنفة ، وقد استدل بقول سعيد بن المسيب : لاتغرنكم آية النور ، فإنها في الإماء خاصة ، وقال الشافعي : هي عامة تشمل العبيد والإماء ، فيجوز للمرأة أن تنكشف أمام عبدها لضرورة الخدمة .

(٢) في المخطوطة سَقْطٌ وهو الآتي (كما صليتَ على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد) وقد صوَّباه من تفسير ابن كثير ٤٥٨/٦ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٤٠٥) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وانظر كامل الروايات في تفسير الحافظ ابن كثير ، فقد أورد جميع الروايات المتواترة في كيفية الصلاة عليه ﷺ .

إنك حميدٌ مجيد » والسَّلامُ كما علمتم[1] .

ورَوَى المسعوديُّ عن عون بن عبدالله ، عن أبي فاختة ، عن الأسود ، عن عبدالله[2] أنه قال : إذا صلَّيتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعلَّ اللَّهَ يعرض ذلك عليه ؟! قالوا : فعلِّمْنَا ، قال قولوا :

• اللهَّم اجعلْ صَلَواتِكَ ورحمَتَكَ وبركاتِكَ ، على سيِّدِ المرسلين[3] ، وإمامِ المتَّقينَ ، وخاتَمِ النَّبيِّينَ محمَّدٍ عبدِكَ ورسُولِكَ ، إمامِ الخيرِ ، وقائدِ الخيرِ ، ورسولِ الرَّحمة ، .

• اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون ،

• اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميدٌ مجيدٌ .

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره ١٤/٢٣٢ : هذه الآية شرَّف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته ، وذكر منزلته منه ، وطهَّر بها مقامه ، والصلاةُ من الله رحمتهُ ورضوانُه ، ومن الملائكة الدعاءُ والاستغفار ، ومن الأمة الدعاءُ والتعظيم لأمره ، ثم قال : وعلمهم في التحيات كيفية السلام عليه « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

(٢) إذا أطلق « عبدالله » فالمراد به « عبدالله بن مسعود »رضي الله عنه الصحابي المشهور .

(٣) في المخطوطة « سيد المسلمين » وهو تصحيفُ وصوابه « سيد المرسلين » كما في تفسير القرطبي ١٤/٢٣٤ والدر المنثور ٥/٢١٩ .

• اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد[1] » .

٧٣ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .. ﴾** [آية ٥٧] .

قيل : المعنى : يؤذون أولياء الله[2] .

ورَوَى همَّام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال الله عز وجل :

(شَتَمني عبدي ، ولم يكن له أن يَشْتُمني .

وكذَّبني ولم يكن ينبغي له أن يُكذِّبني .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة برقم ٩٠٦ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢١٩/٥ ولفظه : « إذا صليتم على رسول الله ، فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعلَّ ذلك يُعرض عليه ، قال فقالوا له : فعلِّمْنا ، قال قولوا : اللهمَّ اجعل صلاتَك ، ورحمتَك ، وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ..» الحديث وعزاه السيوطي إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه عن ابن مسعود .

(٢) قال أبو حيان في البحر ٢٤٩/٧ : لا يتصوَّر الأذى حقيقةً في حقِّ الله تعالى ، فقيل هو على حذف مضاف أي يؤذون أولياء الله . اهـ وليس هذا بشيء كما قال الألوسي ، والأولى أن يحمل اللفظ على فعل ما يكرهه اللهُ ورسولُه ، ليعمَّ الإيذاء الحقيقي في حقِّ الرسول ، والمجازي في حقه تعالى ، فإيذاء الله بالكفر ، ونسبة الصاحبة والولد له ، ووصفُه بما لا يليق به جلَّ وعلا كقول اليهود ﴿ يدُ اللهِ مغلولةٌ ﴾ وقول النصارى ﴿ المسيحُ ابنُ اللهِ ﴾ وإيذاء الرسول بالتكذيب برسالته ، والطعن في شريعته ، والاستهزاء بدعوته ، والانتقاص لقدره الشريف .. الخ .

فأما شتمُهُ إيَّايَ فقولُه : إني اتَّخذتُ ولداً ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ .

وأما تكذيبُهُ إيَّايَ ، فإنه زعم أن لن يُبْعث)[1] .

يعني بعد الموت .

٧٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا ﴾** [آية ٥٨] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : يقعون في المؤمنين والمؤمنات ، بغير ما عملوا[2] .

٧٥ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ .. ﴾** [آية ٥٩] .

قال أبو مالكٍ والحسنُ : كان النِّساءُ يخرجن بالليل في حاجاتهن ، فيؤذيهنَّ المنافقون ويتوهَّمُونَ أنهنَّ إماءٌ ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم (٣١٩٣) وهو من الأحاديث القدسية ، ونصُّه كما في البخاري « يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ، ويكذبني وما ينبغي له ، أما شتمه فقوله : إن لي ولداً ، وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كما بدأني » فتح الباري ٢٨٧/٦ وفي رواية أخرى له « وأما شتمه إيَّايَ فقولُه : اتَّخذَ اللّهُ ولداً ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ ، لم ألدْ ولم أولد ، ولم يكنْ لي كفواً أحد » . وأخرجه النسائي في الجنائز ٩١/٤ وأحمد في المسند ٣١٧/٢ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٥/٢٢ وقال الحافظ ابن كثير ٤٧٠/٦ : أي ينسبون إليهم ما هم براء منه ، لم يعلموه ، ولم يفعلوه . اهـ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

قال الحسن : ذلك أدنى أن يُعْرَفَ أنهنَّ حرائرُ فلا يُؤْذينَ[2] .

قال الحسن : تغطِّي نصف وجهها .

وكان عمر إذا رأى أَمَةً قد تَقَنَّعَتْ عَلَاها بالدِّرةِ[3] .

قال محمَّدُ بنُ سيرينَ : سألتُ عَبِيدةَ[4] عن قوله تعالى ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ فقال : تُغَطِّي حاجبها بالرِّداء ، ثم تردُّه على أنفها ، حتَّى تغطي رأسها ووجها وإحدى عينيْها[5] .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٢/٦ : رُوي عن السُدِّي أن الفُسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل ، فإذا رأوا المرأة عليها قِناعٌ تركوها ، وقالوا : هذه حُرَّةٌ ، وإذا رأوها بغير قناع ، قالوا : أمةٌ فآذوها ، فأنزل الله آية الحجاب .

(٢) هذا قول جمهور المفسرين أن المراد بالآية أن تميَّز الحرَّة من الأَمة ، قال ابن كثير ٤٧١/٦ : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ أي إذا فعلن ذلك عُرفن أنهن حرائر ، لَسْنَ بإماءٍ ولا عواهر . اهـ وذهب أبو حيان في البحر ٢٥٠/٧ إلى أن الحجاب عام للحرائر والإماء ، قال : والفتنةُ بالإماء أكثرُ ، لكثرةِ تصرفهن ، فيحتاج إخراجهن من عموم النِّساء إلى دليلٍ واضح ، ومعنى قوله تعالى ﴿ ذلك أدنى أن يُعْرفنَ ﴾ قال : يعرفن لتسترهنَّ بالعفة ، فلا يتعرض لهن بالمكروه ، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والاحتشام ، لم يقدم عليها ، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها . اهـ وهو فهمٌ للآية ثاقب يدلُّ على بعد النظر ، فتدبره فإنه نفيسٌ .

(٣) ما فعله عمر رضي الله عنه هو من قبيل « السياسة الشرعية » فلا ينبغي للأَمة أن تلبس لباس الحرة .

(٤) هو « عَبِيدة بن عَمْرٍو السَّلماني » تابعي كبير ، ثقةٌ ثبتٌ ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ : توفي قبل سنة سبعين على الصحيح .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٤٦/٢٢ والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الملحفة ، قال القرطبي :=

قال مجاهد : يتجَلْبَبْنَ[1] حتى يُعرفْنَ ، فلا يُؤْذينَ بالقول .

٧٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ** .. ﴾ [آية ٦٠] .

قال قتادة : كان ناسٌ من المنافقين أرادوا أن يُظهِروا نفاقهم ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ **لئنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْمُرْجِفُونَ في الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ** ﴾ أي لَنُحَرِّشَنَّك عليهم[2] .

وقال **مالك بن دينار** : سألتُ عكرمة عن قوله ﴿ **وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** ﴾ فقال : الزِّنى[3] ، وكذلك شهرُ بنُ حوشب .

= الصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن ، وروى الطبري عن ابن سيرين عن عَبيدة السلماني أنه لما سئل عن الآية ، أخرج ملحفة فغطى رأسه ووجهه إلا عيناً واحدة ، وانظر جامع البيان .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٢٢/٥ ومعنى « يتجلْبَبْن » أي يلبسن الجلباب الشرعي وهو العباءة التي تستر سائر الجسد ، كما قاله المفسرون ، وأهلُ اللغة ، قال ابن كثير : وقال مجاهد : يتجلببن فيعلم أنهن حرائر ، فلا يعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة . اهـ ابن كثير ٤٧١/٦ . وقال ابنُ عباس : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة ، أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويُبدين عيناً واحدة . اهـ .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري في تفسيره ٤٨/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٢/٥ ونصُّه : قال قتادة : الإرجافُ : الكذبُ الذي كان يذيعه أهل النفاق ، ويقولون : قد أتاكم عَدَدٌ وعُدَّة ، وذُكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يُظهروا ما في قلوبهم من النفاق ، فأوعدهم الله بهذه الآية إلى قوله تعالى ﴿ لنغرينَّكَ بهم ﴾ أي لنحملنَّك عليهم ولنحرشنك بهم فلما أوعدهم كتموا ذلك وأسرُّوه ، وقال الطبري ﴿ لنغرينَّك بهم ﴾ لنسلطنَّك عليهم ولنحرشنَّك بهم . اهـ يُقال أغراه به : حثَّه وسلَّطه عليه .

(٣) عبارة الدر ٢٢٢/٥ : ﴿ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ ﴾ قال : أصحاب الفواحش ، وفي رواية الزناة .

وقال **طاووس** : نزلت هذه الآية في أمر النساء[1] .

وقال **سَلَمةُ بن كُهيل** : نزلت في أصحاب الفواحش .

٧٧ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ﴾** [آية ٦٠] .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ وهم قليل .

ويجوز أن يكون المعنى : إلاَّ وقتاً قليلاً[2] .

٧٨ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾** [آية ٦٩] .

حدَّثنا محمدُ بنُ إدريسَ ، قال : حدثنا إبراهيمُ بن مرزوقٍ ، قال : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادة ، قال : حدثنا عوفٌ عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة في هذه الآية **﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾** قال : قال رسولُ الله ﷺ (إنَّ موسى ﷺ كان رجلاً حيِّياً سِتِّيراً ، لا يكاد يُرى من جِلْدِهِ شيءٌ ، استحياءً منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، وقالوا : ما يستترُ هذا التَسَتُّرَ

---

(١) أي نزلت في أمر الفسّاق الذين يتتبعون النساء ، كما تشير الرواية الثانية عن سلمة أنها نزلت في أصحاب الفواحش ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٥٠ : وظاهر العطف في الآية التغايرُ بالشخص ، فيكون المعنى : لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقةُ عن فجورهم ، والمرجفون عمَّا يقولون من أخبار السوء ، ويشيعونه ﴿ لنغرِيَنَّكَ ﴾ أي لنسلطنَّك عليهم . اهـ .
أقول : وهو الأظهر : لأن الواو تقتضي المغايرة ، والله أعلم .

إلاَّ من عيبٍ بجِلِده ، إمَّا بَرَصٌ ، وإمَّـا أُدْرَةٌ[1] ، وإمَّـا آفـةٌ ، وإنَّ اللـه عزَّ وجـل أراد أن يُبرِّئـه ممَّـا قالـوا ، وإنَّ موسى خلا يومـاً وَحْده ، فوضع ثوبه على حَجَـر ، ثم اغتسل ، فلمَّـا فرغ من غُسْلِـه ، أقبـل إلى ثوبـه ليأخـذه ، وإنَّ الحجـر عَدَا بثوبـه ، فأخـذ موسى عَصَاهُ وطلبَ الحَجَر ، وجعل يقول : ثوبي حَجَرُ ، ثوبي حَجَـرُ ، حتـى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل ، فرأوه عُرْياناً كأحسن الرجـال خَلْقـاً ، فبَـرأوه ممَّـا قالـوا له ، وإنَّ الحَجـر قام ، فأخـذ ثوبـه فلبسَهُ ، قال : فطَفِـقَ بالحجر ضرباً ، قال : فواللَّهِ إنَّ في الحجر لنَدَباً من أثـرِ ضَرْبِـهِ ثلاثـاً ، أو أربعاً ، أو خمساً[2] .

ورَوَى سفيـانُ بنُ حُسينٍ ، عن الحَكَـم ، عن سعيـد بن جُبير ، عن ابن عباس عن عليٍّ عليـه السلام في قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ **لا تكونُـوا كَالَّذِيـنَ آذَوْا مُوسَى فَبَـرَّأَهُ اللَّـهُ مِمَّـا قَالُـوا** ﴾ قال : صَعِـدِ موسى وهارونُ صلَّى الله عليهما وسلـم إلى الجبـل ، فمـات هارونُ عليـه السلام ، فقالت بنو إسرائيل لموسى : أنتَ قتلْتَه ، كان ألينَ لنـا منكَ ، وأشدَّ حُبَّاً !! فأوذي في ذلك ، فأمر اللهُ جلَّ وعزَّ الملائكـة فحَمَلَتْـه ،

---

(١) أُدْرَةٌ : في المصباح المنير « الأُدْرَةُ » وزن غُرْفة : انتفاخُ الخصْيةِ . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الغسل ١/٧٨ ومسلم برقم ٣٣٩ في كتاب الفضائل ولفظهُ « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراةً ، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنـا إلاَّ أنـه آدر ، فذهب يومـاً يغتسل فوضع ثوبـه على حجر ، ففر الحجر بثوبه .. » الحديث .

فمرُّوا به على مجالسِ بني إسرائيل ، فتكلمتِ الملائكةُ بموته ، حتى علمتْ بنو إسرائيل أنه مَات ، فدفنوه فلم يُعلم موضعَ قبره إلاَّ الرَّخَمُ ، فإن الله قد جعله أصمَّ أبكم[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : لا تُؤْذوا محمداً ﷺ كما آذى قومُ موسى موسى ، فبرَّأه الله ممَّا قالوا ، مما رموه به من الأمرين جميعاً .

﴿ وكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ أي كلَّمه تكليماً[2] .

٧٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَولاً سَدِيدَاً ﴾ [آية ٧٠] .

قال مجاهد : ﴿ **وَقُولُوا قَولاً سَدِيدَاً** ﴾ أي سَدَاداً[3] .

وقال الحسن : أي صِدْقاً[4] .

٨٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَواتِ وَالأَرْضِ

---

(١) هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصححه عن علي بن أبي طالب ، كما في الدر المنثور ٥/٢٢٣ وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/٥٢ وابن كثير ٦/٤٧٥ والقرطبي ١٤/٢٥١ ثم قال : والصحيحُ الأول ، ويحتمل أنهم فعلوا كل ذلك فبرَّأه اللَّهُ من جميع ذلك .

(٢) هذا أحد الأقوال لبيان بعض وجاهته عليه السلام عند الله ، حيث كلَّمه ربُّه ، بدون وساطة جبريل ، قال الحسن : كان مستجاب الدعوة ما سأل شيئاً إلا أُعطي ، إلاَّ الرؤية في الدنيا ، وقال القرطبي : ﴿ وجيهاً ﴾ : أي عظيماً ، والوجيه عند العرب : العظيم القدر ، الرفيع المنزلة .

(٣و٤) ذكر الأثرين الطبري في تفسيره ٢٢/٥٣ وقال المعنى: قولوا قولاً قاصداً غير جائر ، حقاً غير باطل . اهـ .

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا .. ﴾ [آية ٧١] .

في هذه الآية أقوال :

أ ــ **منها أن المعنى** : على أهل السموات[١] .

ويكون معنى ﴿ **عَرَضْنَا** ﴾ أظهرنا ، كما تقول : عرضتُ المتاع .

ويكون ﴿ **فَأَبَيْنَ** ﴾ على لفظ الأول ، لأنهم لم يحملوها كلهم ، ويكون المعنى : فأبوا أن يقبلوها[٢] .

﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ** ﴾ أي تكلَّفها ، وكلُّهم قد كُلِّفها .

ب ــ **وقيل** : لمَّا حضرت آدم ﷺ الوفاةُ ، أُمِرَ أن يَعْرِض الأمانةَ على الخَلْقِ ، فعرضها فلم يقبَلْهَا إلاَّ بنوه[٣] .

ج ــ **وقول ثالث هو الذي عليه أهل التفسير :**

---

(١) أي فيه مجاز بالحذف أي على الملائكة الذين هم أهل السموات ، فهو على حذف مضاف ، قال الألوسي : وليس بشيء ، يريد أنهُ قول ضعيف .

(٢) ذكر هذا القول الفخر الرازي في تفسيره ٢٥/٢٣٥ فقال : ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ لم يكن إباؤُهنَّ كإباء إبليس في قوله تعالى ﴿ أبى أن يكون من الساجدين ﴾ من وجهين :
أحدهما : أن هناك السجود كان فرضاً ، وههنا الأمانة كانت عَرْضاً .
وثانيهما : أن الإباء كان هناك استكباراً ، وههنا استصغاراً ، استصغرن أنفسهن ، بدليل قوله (وأشفقن منها) .

(٣) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٥٤ وهو قول مرجوح .

حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ ، قال : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قوله تعالى ﴿ **إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ** ﴾ قال : الأمانةُ : الفرائضُ ، عَرَضها اللّهُ على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ ، إن أدَّوْها أثابهم ، وإن ضيَّعوها عَذَّبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصيةٍ ، ولكنْ تعظيماً لدين اللهِ جلَّ وعزَّ ، ألاَّ يقوموا به ، ثم عرضها على آدم فقَبِلها بما فيها وهو قوله تعالى ﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جُهولاً** ﴾ غِرّاً[1] بأمرِ اللّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال مجاهد : عَرَض اللّهُ الثواب والعقاب ، على السَّمواتِ والأرضِ والجبال ، فأبيْنَ ذلكَ ، وأشفقْنَ منه ، وقيل لآدمَ فقبِلَه ، فما أقام في الجنة إلاَّ ساعتين[3] .

وقال سعيد بنُ جُبَيرٍ : عُرِضت الفرائض على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ ، فأشفقن منها وامتنعن ، وقَبِلَها آدم صلى اللّه عليه وسلم[4] .

---

(١) في المصباح المنير : « غِرٌّ » بالكسر أي جاهل بالأمور ، غافل عنها .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٥٤/٢٢ وابن كثير ٤٧٩/٦ والقرطبي ٢٥٥/١٤ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٢٥/٥ والطبري في جامع البيان ٥٤/٢٢ والألوسي في تفسيره روح المعاني ٩٨/٢٢ .

(٤) قال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٩٨/٢٢ : « وذهب كثير إلى أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، وأنا لا أميلُ إلى هذا القول ، وإن كان آدمُ أوَّل أفراد الجنس ، ومبدأ سلسلتها ، لقوله =

وقال عبدالله بن عمر : عُرض على آدم الثوابُ والعقاب[1].

وقال الضحَّاك : الأمانةُ : الطَّاعةُ ، عُرِضتْ على السموات والأرض والجبال ، إن خالفْنَها عُذِّبن ، فأبيْنَ ، وحملها الإنسانُ[2] .

وقال قتادة : عُرضت الفرائضُ على الخلق ، فأَبيْـن إلاَّ آدم صلى الله عليه وسلم[3] .

= بعده ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ فإنه يبعد غاية البعد ، وصفُ صفيِّ اللَّهِ بنصِّ قوله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ﴾ بمزيد الظلم والجهل ، وقولُ بعضهم كان ظلوماً جهولاً بزعم الملائكة قولٌ باردٌ ، اللهمَّ إلا على القول بإرادة الجنس كما في قوله سبحانه ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ و﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ فإن أكثر أفراد الإنسان في غاية الظلم ، ونهاية الجهل . اهـ بشيء من الاختصار .

(١ـ٣) هذه الآثار والتي سبقتها كلها رُويت عن السلف الصالح ، وذكرها المفسرون كالطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والألوسي ، وغيرهم ، وقد ذكر ابن جزي في تفسيره « التسهيل لعلوم التنزيل » ٣/٣١٦ كلاماً نفيساً جيداً حول الآية الكريمة فقال : الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات ، وترك المعاصي ، وقيل : هي الأمانةُ في الأموال ، وقيل : غسلُ الجنابة ، والصحيح العموم في التكاليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون الله سبحانه خَلَق لها إدراكاً فعُرضت عليها الأمانة حقيقة ، فأشفقت منها وامتنعت من حملها .

والثاني : أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنَّها من الثِّقل بحيثُ لو عُرضتْ على السمواتِ والأرض والجبال ، لأبيْنَ من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضربٌ من المجاز كقولك : عرضتُ الحمل العظيم على الدابة ، فأبتْ أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله . اهـ وقال أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٥٣ : « لما أرشد المؤمنين إلى ما أرشدَ من ترك الأذى ، واتّقاء الله ، وسداد القول ، ورتَّب على الطاعة ما رتَّب ، بيَّن سبحانه أن ما كُلِّفه الإنسانُ أمر عظيم =

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال وهي أقوال الأئمة من أهل التفسير ، تُتأوَّل على معنَيَيْنِ :

أحدهما : أن الله جلَّ وعزَّ جعل في هذه الأشياء ما تُميِّز به ، ثم عرض عليها الفرائض ، والطاعة ، والمعصية .

والمعنى الآخر : أن الله جلَّ وعزَّ ائتمن ابن آدم على الطاعة ، وائتمنَ هذه الأشياءَ على الطَّاعةِ والخضوع ، فخبَّرنا أن هذه الأشياء لم تحتمل الأمانةَ ، أي لم تَخُنْها ، يُقال : حملَ الأمانةَ ، واحتملها ، أي خانَها ، وحَمَل إثمها .

= فقال ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ﴾ تعظيماً لأمر التكليف .

والأمانةُ الظاهر أنها كلُّ ما يُؤتمن عليه من أمرٍ ونهي ، وشأنِ دينٍ ودنيا ، والشرعُ كلُّه أمانة ، وهذا قول الجمهور ، ولذلك قال « أُبيُّ بنُ كعبٍ » من الأمانة أن المرأة أؤتمنت على فرجها ، وقال أبو الدرداء : غسلُ الجنابة أمانة ، والظاهر أنّه عَرَض الأمانةَ على هذه المخلوقات العظام ــ وهي الأوامرُ والنَّواهي ــ فتُثاب إن أحسنتْ ــ وتُعاقب إن أساءت ، فأبت وأشفقت ، ويكون ذلك بإدراكٍ خلَقَه الله فيها ، وهذا غير مستحيل ، إذ قد سبَّح الحصى في كفه عليه السلام ، وحنَّ الجذع إليه ، وكلمته الذراع ، فيكون هذا العرضُ والإباء حقيقة ، قال ابن عباس : أُعطيت الجمادات فهماً وتمييزاً فخيُرتْ في الحمل فأبت تعظيماً للأمر .. وقال الزمخشري : إن ما كُلِّفه الإنسانُ بلغ من عِظَمه وثِقَل محمله ، أنه عُرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام ، وأقواه ، وأشدّه ، أن يتحمله ويستقلَّ به فأبى حمله ، وحملها الإنسانُ على ضعفهِ ورخاوة قوته ، ونحو هذا كثير في لسان العرب ، وما جاء القرآن إلا على أساليبهم وطرقهم كما قالوا للمتردّد : ما لي أراك تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى ؟ انتهى .

وقيل المعنى : وحملها الإنسانُ ولم يقم بها ، فحُذِف لعلم المخاطَبِ بذلك فقال جلَّ وعزّ ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾[1] وقال ﴿ **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾[2] .

﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ** ﴾ أي خانها وحمل إثمها .

قال الحسن : ﴿ **وحَمَلَها الإنْسَانُ** ﴾ أي الكافر والمنافق .

قال أبو جعفر : وقول الحسن يدلُّ على التأويل الثاني ، ويدلُّ عليه أيضاً قوله ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمَنَافِقَاتِ والمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ ، وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ .

« تمت بعونه تعالى سورة الأحزاب »

* * *

(١) سورة فُصِّلت آية (١١) .
(٢) سورة البقرة (٧٤) .

تفسير سورة سبأ

مكية وآياتها ٥٤ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبأ وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ ..[2] ﴾ [آية ١] .

وهو قوله جل وعزَّ ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] .

ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [آية ١] .

رَوَى معمرٌ عن قتادةَ قال : حكيمٌ في أمره ، خبيرٌ بخلقه[4] .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٢] .

---

(١) قال القرطبي ٢٥٨/١٤ : السورة مكية في قول الجميع ، إلا آية واحدة اختلف فيها ، وهي قوله تعالى ﴿ويرى الذين أوتوا العلم .. ﴾ وهي أربع وخمسون آية .

(٢) أي هو جلَّ وعلا المحمودُ في الآخرة ، كما أنه المحمودُ في الدنيا ، وهو المالكُ للآخرة ، كما أنَّه المالكُ للأُولى . اهـ تفسير القرطبي ٢٥٩/١٤ .

(٣) سورة يونس آية رقم (١٠) .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٥٩/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٢٦/٥ .

أي ما يدخل فيها من قَطْرٍ وغيره ، وما يخرج منها من نباتٍ وغيره[1] .

﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾

من عَرَج يعرُج إذا صَعِد[2] .

٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ .. ﴾ [آية ٣] .

أي بلى وربيِّ عالِمِ الغيب ، لتأتينَّكُم[3] .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٣] .

رَوَى أبو يحيى عن مجاهد عن ابن عباس : ﴿ لَا يَعْزُبُ ﴾ لا يغيب[4] .

---

(١) هذه الآية تفصيلٌ لبعض معلوماته جلَّ وعلا أي يعلم ما يدخل في جوف الأرض من المطر ، والأموات ، والكنوز ، والدفائن ، وما يخرج من الأرض من الزروع ، والنبات ، والعيون ، والآبار . اهـ من الصفوة ٢/٥٤٥ .

(٢) العروج : الصعود أي وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد وغيرها اهـ من القرطبي ١٤/٢٥٩ .

(٣) قال في البحر ٧/٢٥٧ : سبب نزولها أن أبا سفيان قال لكفار مكة : إن محمداً يتوعَّدنا بالعذاب بعد أن نموت ، ويُخوّفنا بالبعث ، واللاَّتِ والعُزَّى لا تأتينا الساعةُ أبداً ولا نُبْعَثُ ، فقال اللهُ تعالى : قل لهم يا محمد بلى وربِّي لتبعثن . اهـ .

(٤) قال البخاري في كتاب التفسير ٦/١٥٢ قال مجاهد : ﴿ لايعزب ﴾ لا يغيب .

وقرأ « يحيى بنُ وثّاب » : ﴿ لَا يَعْزِبُ ﴾[1] وهي لغة معروفة ، يقال عَزَبَ يَعْزُبُ ويَعْزِبُ : إذا بَعُدَ وغَابَ[2] .

٥ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [آية ٥] .

قال قتادة : ظنُّوا أنهم يُعْجِزونَ اللَّهَ جلَّ وعز ، ولنْ يُعْجِزوه[3] .

قال أبو جعفر : يُقَالُ : عَاجَزَهُ ، وأعجَزَه : إذا غالَبه وسَبَقَه ، ومن قرأ ﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾[4] أراد مثبِّطين المؤمنين ، كذا قاله ابن الزبير .

٦ ــ وقال قتادة في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [آية ٧] .

---

(١) هذه قراءة الكسائي وهي من القراءات السبع قال في حاشية الجمل ٣/٤٥٩ : ﴿ لا يَعْزُبُ ﴾ بضم الزَّاي في قراءة الجمهور ، وقرأ الكسائي بكسرها . اهـ وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٢٧ .

(٢) في المصباح : عَزَبَ الشيءُ من بَابَيْ قتل ، وضَرَب : غابَ وخفيَ . اهـ قال الحافظ ابن كثير ٦/٤٨٣ : قال مجاهد وقتادة ﴿ لايَعْزُبُ عنه ﴾ لا يغيب عنه ، أي الجميعُ مندرجٌ تحت علمه ، فلا يخفى عليه منه شيء ، فالعظام وإن تلاشت ، وتفرَّقت ، وتمزقت ، فهو عالمٌ أين ذهبت ، وأين تفرَّقتْ ، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة ، وهو بكل شيء عليم . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/٢٢٦ وعبارة الألوسي : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي مسابقين ، يحسبون أنهم يفوتوننا ، قاله قتادة .

(٤) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٢٧ .

أي إذا أكلتكُـمُ الأرضُ ، وصِرْتم عظامـاً ورُفَاتـاً :

﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [أي ستحيون وتُبعثون][1] ؟ .

٧ ــ **ثم أعلَمهـم أنَّ الـذي خَلَـق السَّمـواتِ والأرضَ ، يقـدِرُ على ذلك ، وعلى أن يُعجِّلَ لهم العقوبةَ فقال :**

﴿ أَفَلَـمْ يَرَوْا إِلَـى مَا بَيْـنَ أَيْدِيهِـمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ مِنَ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِـمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِـطْ عَلَيْهِـمْ كِسَفَـاً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ ؟ [آية ٩] .

أي قطعةً[2] .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [آية ٩] .

قال قتادة : أي تائب[3] .

٨ ــ **وقولـه جلَّ وعـز ﴿ وَلَقَـدْ آتَيْنَـا دَاوُدَ مِنَّـا فَضْلاً يَا جِبَـالُ أَوِّبِـي مَعَهُ .. ﴾** [آية ١٠] .

---

(١) سقط تفسيرها من الأصل وأثبتناه من تفسير الطبري ٦٢/٢٢ .

(٢) هذا تفسير « كِسْفَة » بالإفراد ، والأَوْلى أن يقـول : قِطَعـاً ، ليكـون مطابقـاً للجمـع ، كما قالـه المفسرون ، ففي الطبري : أو نسقط عليهم السماء قِطَعـاً ، وفي القامـوس : الكِسْفَـةُ بالـكسر : القطعـةُ من الشيء ، والجمـعُ كِسَفٌ ، وكِسْفٌ ، وجمع الجمـع أكْسَافٌ . اهـ وفي المخطوطـة ﴿ أولم يَرَوْا ﴾ والنصُّ القرآني ﴿ أفلم يروا ﴾ كما أثبتناه .

(٣) قال القرطبي ﴿ منيب ﴾ أي تائبٍ رجـاع إلى اللـه بقلبـه ، وخصَّ المنيبُ بالذِّكـرِ لأنـه المنتفـع بالفكرة في حجج الله وآياته . اهـ القرطبي ٢٦٤/١٤ .

﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ** ﴾ أي قلنا[1] .

قال سعيدُ بن جُبَيْرٍ ومجاهدٌ ، وقتادةُ ، والضحَّاكُ ، وأبو مَيْسَرة[2] ﴿ **أَوِّبِي** ﴾ : أي سبِّحي[3] .

وقرأ الحسنُ ، وابنُ أبي إسحق ﴿ **أُوبِي مَعَهُ** ﴾[4] .

والمعروف : في اللغة أنه يُقال : آبَ يَئُوبُ : إذا رجعَ وعادَ ، فيكون معنى﴿ **أُوْبِي** ﴾ أي عودي معه في التَّسْبِيح .

و ﴿ **أَوِّبِي** ﴾ في كلام العرب على معنَيَيْن .

أحدهما : على التكثير[5] من « أُوْبِي » فيكون معنى ﴿ **أَوِّبِي** ﴾ على هذا : رَجِّعي معه في التَّسْبيح .

---

(١) أي هو على إضمار القول أي قلنا ياجبال أُوِّبي معه ، وانظر البحر ٢٦٢/٧ .

(٢) (أبو مَيْسرة) هو عَمْرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ، ثقةٌ عابدٌ مخضرم ، مات سنة ٦٣ هـ ، كذا في تقريب التهذيب ٧٢/٢ .

(٣) ذكره الطبري ٩٥/٢٢ وفي الدر ٢٢٥/٥ وفي البحر ٢٦٢/٧ وعبارته ﴿ أَوِّبي مَعَهُ ﴾ أي سبِّحي معه إذا سَبَّح أي يسبّح هو وتُرجِّعُ معه التسبيح أي تردّده بالذكر ، وضُعِّف الفعلُ للمبالغة قاله ابن عطية ، والظاهر أن التضعيف للتعدية إذ أصله آب وهو لازمٌ بمعنى رجع ، فعُدِّي بالتضعيف إذ شرحوه بقولهم : رجِّعي معه التسبيح . اهـ .

(٤) هذه القراءة ليست من السبع ، والمعنى على هذه القراءة (أُوْبِي) بضم الهمزة وسكون الواو : أمرٌ من آب ، يئوبُ ، إذا رجع أي ارجعي معه بالتسبيح ، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٤٦٢/٣ والبحر ٢٦٣/٧ .

(٥) أي ضُعِّف الفعلُ بالتَّشديد من أجل إرادة التكثير ، قال ابن عطية : وضُعِّف الفعل للمبالغة .

(**الثـاني**)[1] ويُقـال : أَوَّبَ إذا سَار نهاراً[2] ، فيكـونُ معنـى ﴿ **أَوِّبِي** ﴾ على هذا : سيري معه .

٩ ـ **وقولهَ جل وعز** : ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ ..** ﴾ [آية ١٠] .

قال قتادة : أَلَانَ اللّهُ جلَّ وعزَّ له الحديدَ ، فكـان يعملـه بغيـرِ نارٍ[3] .

وقال الأعمش : أُلِينَ له الحديدُ ، حتى صار مثل الخيوط[4] .

١٠ ـ **ثم قال جل وعزَّ** ﴿ **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ..** ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي دُرُوعاً سابغاتٍ[5] .

---

(١) سقط من المخطوطة لفظ الثاني ، وهو من مستلزمات قوله : على معنَيَيْن .

(٢) قال القرطبي : وقيل : المعنى : سيري معه حيث شاء ، من التأويب الذي هو سير النهار ، قال ابن مقبل :

لَحِقْنَا بحيٍّ أَوَّبُوا السَّيْرَ بَعْدَما ... دَفَعْنَا شُعَاعَ الشَّمسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٢/٦٦ وابن كثير ٦/٤٨٥ وفي الدر ٥/٢٢٧ ولفظه : قال قتادة : لَيَّن الله له الحديد ، فكان يسرد حلقاته بيده ، يعمل به كما يعمل بالطين ، من غير أن يُدخله النار ، ولا يضربه بمطرقة ، وكان داود أول من صنع الدروع . اهـ .

(٤) الأثر ذكره ابن كثير ٦/٤٨٥ وعزاه إلى الحسن البصري ، وقتاده ، والأعمش ، ولفظه « كان لايحتاج أن يدخله ناراً ، ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط » اهـ .

(٥) هذا صفة لموصوف محذوف أي دروعاً سابغات أي تامات واسعات قال في البحر ٧/٢٥٥ : السابغاتُ : الدروعُ ، وأصلُه الوصف بالسبوغ ، وهو التَّمامُ والكمالُ ، وغَلَب على الدِّرع =

قال أبو جعفر : يُقال : سَبَغ الثوبُ والدِّرعُ وغيرهما : إذا غطَّى كلَّ ما هو عليه ، وفَضَل منه .

ثم قال : ﴿ **وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** .. ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : السَّرْدُ : المسمارُ الذي في حَلَق الدِّرع .

قال أبو جعفر : وقال ابن زيد : ﴿ **السَّرْدُ** ﴾ : الحَلَقُ[١] .

والسَّردُ في اللغة : كلُّ ما عُمل مُتَّسقاً متتابعاً ، يقربُ ، بعضُه من بعض[٢] ، ومنه سَرْدُ الكلام .

قال سيبويه : ومنه رجل سَرَنْدِيٌّ أي جريء ، قال : لأنه يمضي قُدُماً[٣] .

قال أبو جعفر : ومنه قيل للذي يصنع الدروع : زَرَّادٌ ، وسَرَّادٌ .

= كالأبطح ، قال الشاعر :

عليهَا أسودٌ ضاريَاتٌ لَبُوسُهُمْ ... سَوَابِغُ بيضٌ لا يُخَرِّقُهَا النَّبْلُ

(١) في المصباح : الحَلْقةُ بالسكون كحلْقة الباب ، والجمع « حَلَقٌ » بفتحتين على غير قياس . اهـ .

(٢) في البحر ٧/٢٥٥ : السَّرْدُ : إتباعُ الشيءِ بالشيءِ من جنسِهِ ، ويقال للدرع : مسرودةٌ ، لأنه تُوبع فيها الحَلَق بالحَلَق ، ويقال لصانع ذلك : سَرَّادٌ ، وزرَّادٌ . اهـ وفي اللسان : السَّرْدُ في اللغة : تَقْدِمةُ شيءٍ إلى شيء ، تأتي به متَّسقاً بعضُه في إثر بعضٍ متتابعاً ، وسَرْدُ الدرع : نسجُها وهو تداخل الحَلَق بعضها ببعض . اهـ لسان العرب مادة سرد .

(٣) ذكره ابن منظور في لسان العرب عن سيبويه مادة سرد .

فالمعنى ــ وهو قول مجاهد ــ وقدِّر المساميرَ في حَلَق الـدِّرع ، حتى تكون بمقدار لا يغلظ المسمارُ وتضيق الحَلَقة ، فتـفصم الحلقـة ، ولا توسِّعْ الحلقة وتُصَغِرّ المسمارَ وتُدِقَّهُ ، فتسلسُ الحلقة[1] .

١١ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ .. ﴾** [آية ١٢] .

قال قتادة : أَسَالَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ له عيناً من نحاس[2] .

أي حتى سالتْ وظهرتْ ، فكان يستعملها فيما يريد .

قال الأعمش : سُيِّلت له كما يُسيَّل الماءُ[3] .

وقيل : لم يَذُبِ النُّحاسُ لأحدٍ قبله .

١٢ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ .. ﴾** [آية ١٣] .

رَوَى أبو هلالٍ عن قتادة قال : ﴿ مَحَارِيبَ ﴾ : مساجد ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٢/٦٨ عن مجاهد ، وابن كثير أيضاً ٦/٤٨٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٢٧ .

(٢) روى هذا الأثر ابن كثير في تفسيره ٦/٤٨٧ وعزاه إلى ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم وغير واحد قالوا : القِطْرُ النُّحاس ، وكذلك ذكر الطبري .

(٣) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٤/٢٧٠ ثم قال : والظاهر أنه تعالى جعل النحاس لسليمان في معدنه ، عيناً تسيل كعيون المياه ، دلالةً على نبوته ، وقال الخليل : القطر : النحاس المذاب . اهـ قرطبي وفي الكشاف ٢/٢٠٠ : أراد بعين القطر معدن النحاس ، ولكنه أسالة ــ كما ألان الحديد لداود ــ فنبع كما ينبع الماء من العين ، فلذلك سماه عين القطر . اهـ .

وكذلك قال الضحاك[1] .

قال مجاهد : المحاريبُ دون القصور .

والمحاريبُ في اللغة : كلُّ موضعٍ مُشْرِفٍ ، أو شريف[2] .

ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وتماثيلَ ﴾ قال الضحاك : أي صُوَراً[3] .

قال مجاهد : ﴿ تماثيل ﴾ أي من نحاس[4] .

١٣ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ .. ﴾ [آية ١٣] .

قال مجاهد : ﴿ الجوابي ﴾ : حياضُ الإبل[5] .

قال أبو جعفر : الجابيةُ في اللغة : الحوضُ الذي يُجْبَى فيه الشيءُ أيْ يُجمعُ .

ومنه قول الأعشى :

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٤٨٧/٦ والألوسي في روح المعاني ١١٨/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ .

(٢) عبارة القرطبي ٢٧١/١٤ : المحراب في اللغة : كلُّ موضع مرتفع ، وقيل للذي يُصلَّى فيه : محرابٌ ، لأنه يجب أن يرفع ويُعظَّم ، وقال أبو عبيدة : المحراب أشرف بيوت الدار . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٠/٢٢ .

(٤ــ٥) انظر هذه الآثار في الطبري ٧١/٢٢ والدر المنثور ٢٢٨/٥ وقال البخاري في التفسير ١٥٢/٦ : قال ابن عباس : كالجَوَابِ كالجَوْبةِ من الأرض .

نَفَى الذَمَّ عن آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ
كَجَابِيةِ الشَّيْخِ العِرَاقي تَفْهَقُ[1]

ويُروى : كجابية السَّيْحِ[2] .

قال مجاهد : ﴿ رَاسِيَاتٍ ﴾ أي عِظام[3] .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ راسِياتٍ ﴾ : تُفْرَغُ إفرَاغاً ، ولا تُحمل[4] .

وقال قتادة : ﴿ رَاسِياتٍ ﴾ : أي ثابتات[5] .

١٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرَاً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) البيت للأعشى « ميمون بن قيس » وهو في ديوانه ص ١٢١ والشاهد فيه لفظ « الجابية » وهي الحوض الواسع الكبير ، ومعنى « تَفْهَقُ » أي تفيض من الامتلاء ، واستشهد به الطبري في جامع البيان ٧١/٢٢ . وهو في القرطبي ٢٧٥/١٤ والبحر المحيط ٢٥٥/٧ بلفظ « كجابية السَّيح العراقي تفهق » .

(٢) السَّيْحُ : بالسِّين والحاء المهملتين ، وهو ما يفيض من الماء ويسيح ، وقد ذكر هذه الرواية المبرد في كتابه الكامل ٤/١ بعد أن ذكر الأولى قال : ومعناه النهر الذي يجري على جابيته ، فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمدُّه . اهـ وانظر أيضاً القرطبي ٢٧٥/١٤ والألوسي ١١٩/٢٢ .

(٣ــ٥) هذه الآثارُ عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري في جامع البيان ٧٢/٢٢ والقرطبي في الجامع للأحكام ٢٧٦/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ ولا تعارض بينها فهي كبيرة ضخمة ، ثابتة ، لاتحمل لثقلها وضخامتها ، وقد جمعها ابن كثير في تفسيره فقال : ثابتات في أماكنها ، لاتتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها . اهـ قال ابن العربي : وَكَذلك كانت قدور « عبدالله بن جدعان » يُصعد إليها في الجاهلية بسُلَّم . اهـ من القرطبي ٢٧٦/١٤ .

قال عطاء بن يسار : صعد رسولُ اللَّهِ ﷺ يوماً المنبر ، فتلا ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوِدَ شُكْرَاً** ﴾ فقال :

« ثلاثٌ من أوتيهنَّ فقد أوتي مثل ما أُوتي آل داود :

- العدلُ في الغضبِ والرِّضَى .
- والقَصْدُ في الفَقْرِ والغِنَى .
- وخَشْيَةُ اللَّهِ جلَّ وعز في السرِّ والعَلَانيةِ »[1] .

قال مجاهد : « لمَّا قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرَاً** ﴾ قال داود لسليمانَ صلى الله عليهما : إنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ قد ذكر الشكر ، فاكفني صلاة النهار ، أَكْفِكَ صلاةَ اللَّيل !! قال : لا أقدِرُ ..

قال فاكفني ــ قال الفَارَيابيُّ[2] أُراه قال ــ: إلى صلاة الظهر ، قال : نعم ، فكَفَاهُ »[3] .

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأخرجه ابن مردويه من حديث حفصة مرفوعاً ، وانظر الدر المنثور ٢٢٩/٥ والقرطبي ٢٧٦/١٤ ، وفي الدُر ، ورد بلفظ « وذكرُ اللَّهِ في السرِّ والعلانية » .

(٢) قال السمعاني في الأنساب ١٢٨/١٠ : (الفَارَيَابيِّ) بفتح الفاء والراء نسبة إلى الفَارَياب ــ مدينةٌ مشهورة بخراسان كما في معجم البلدان ــ والمنسوب إليها « محمد بن يوسف الفَارَيابي » صاحب سفيان الثوري . اهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي في تفسيره ٢٧٦/١٤ ولم يعزه ، وذكره الألوسي في روح المعاني ١٢٠/٢٢ من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ وقال : أخرجه الفاريابي ، وابنُ أبي حاتم .

وقال الزُّهريُّ : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا** ﴾ أي قولوا : الحمدُ للّهِ[1] .

ورُوي عن عبدالله بن عباس قال : شكراً على ما أنعم به عليكم .

١٥ — **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ** .. ﴾ [آية ١٤] .

قال عبدالله بن مسعود : أقام حولاً حتى أكلت الأَرَضَةُ[2] عصاه فسقط ، فعُلِم أنه قد مات[3] .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : « المِنْسَأة » العَصَا[4] .

(١) « الحمد للّهِ » طرف من الشكر ، والشكر أعمُّ من ذلك ، ولهذا قال القرطبي : ظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان ، دون الاقتصار على عمل اللسان ، فالشكر بالأفعال عملُ الأركان ، والشكر بالأقوال عمل اللسان . اهـ .

(٢) الأَرَضة : قال الجوهري بالتحريك « أَرَضة » : دويبةٌ تأكل الخشب . اهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي عن ابن مسعود ٢٧٨/١٤ قال : وكان سليمان سأل الله تعالى ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة ، والسبب أن الجن كانت تدعي علم الغيب ، فلما مات سليمان وخفي الأمر عليهم ﴿ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ .

(٤) قال الزجاج ٢٤٧/٤ : المنسأة : العَصَا ، سميت منسأة لأنه يُنسأ بها أي يُطرد بها ويُزجر ، قال الفراء : أهل الحجاز : لا يهمزون المنسأة ، وتميم وفصحاءُ قيس يهمزونها . اهـ زاد المسير ٤٤١/٦ وفي اللسان : نسأتُ البعير أي زجرتُه ليزداد سيرهُ قال الشاعر :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لا أَبَاكَ ضَرَبْتَهُ ... بِمِنْسَأَةٍ قَدْ جَرَّ حَبْلُكَ أَحْبُلاً

قال أبو جعفر : قيل للعَصَا مِنْسأةٌ : لأنه يُؤخَّر بها الشيءُ ، ويُساق بها ، قال طَرَفة :

أَمُـونٍ كَأَلْـوَاحِ الإِرَانِ نَسأْتُهَـا
على لاَحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْـرُ بُرْجُـدِ[1]

١٦ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا في العَذَابِ المُهِينِ** ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : كانت الجنُّ تُخبرُ الإنسَ أنهم يعلمون الغيب ، فلمَّا مات سليمانُ ﷺ ، ولم تعلم به الجنُّ ، تبيَّنتِ الجنُّ للإنسِ أنهم لا يعلمون الغيب[2] .

وهذا أحسنُ ما قيل في الآية .

---

(١) البيت لطَرَفة بن العبد من معلقته المشهورة « لخولةَ أطلالٌ .. » وهو في ديوانه ص ٣٥ وقد ورد فيه « نَصَأْتُها » بالصاد ومعناه : زجرتها ، ومعنى « أَمُونٍ » مأمونة العثار ، و« الإِرَان » التابوتُ العظيم ، و« اللَّاحبُ » الطريق الواضح ، و« البُرْجُدُ » الثوب المخطط ، والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٤٥/٢ يقول : إن هذه الناقة في شدتها وقوة جسمها كأنها تابوت عظيم ، فيه خطوط متنوعة ، تسير بقوة ونشاط في طريق واضح .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ٧٥/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٣٠/٥ ولفظه : عن قتاده قال « كانت الجنُّ تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان عليه السلام ، فمات فلبثَ سنةً على عصاه ، وهم لا يشعرون بموته ، وهم مسخَّرون ، يعملون دائبين تلك السنة ، فلما خرَّ تبيَّنت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ، ما لبثوا يعملون له حولاً بعد موته » اهـ .

والمعنى : تبيَّن أمرُ الجنِّ[1] .

ويدلُّ على صحته الحديثُ المرفوع .

رَوَى إبراهيم بن طَهْمَانَ ، عن عَطَاءٍ عن السائب[2] ، عن سعيد بنِ جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كان سليمانُ نبيُّ اللَّهِ ، إذا صلَّى رأى شجرة نابتةً بين يديه ، فيسألها ما اسمُك ؟ فإن كانت لغرسٍ غُرِستْ ، وإن كانت لدواءٍ كُتِبَتْ ، فبينما هو يصلي ذات يومٍ ، إذا شجرةٌ نابتةٌ بين يديه ، فقال : ما اسمك ؟ فقالت : الخرنوبُ قال لأيِّ شيءٍ أنت ؟ قالت : لخرابِ أهلِ هذا البيت ، قال : اللهم عَمِّ على الجنّ موتي ، حتى يعلم الإنسُ أن الجنَّ لا يعلمون الغيب ، فَنَحتَها عَصًا ، فتوكَّأَ عليها حَوْلاً لا يعلمون ، فسقطت ، فعلمت الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمونَ الغيب ، فنظروا مقدار ذلك ، فوجدوه سَنَةً ، فشكرتِ الجنُّ للأَرَضَةِ »[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤١/٦ : ﴿ تَبيَّنت الجِنُّ ﴾ أي : ظهرت وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ، ولو علموا ما عمِلوا مسخرين وهو ميت ، وهم يظنونه حياً ، وقيل ﴿ تبيَّنت الجنُّ ﴾ أي علمت الجنُّ ، لأنها كانت تتوهم باستراقها السمع ، أنها تعلم الغيب ، فعلمت حينئذٍ خطأها في ظنها . اهـ .

(٢) وقع تصحيف في اسم الراوي ، فقد ورد في المخطوطة « عطاء بن السائب » وصوابه « عطاء عن السائب » وعطاء هذا هو « عطاء بن أبي مسلم الخراساني » وليس « عطاء بن السائب » وقد قال الحافظ ابن كثير ٤٩٠/٧ : وعطاء بن أبي مسلم الخراساني » له غرابات ، وفي بعض حديثه نكارة وذكر الحديث وقال : ــ في رفعه غرابة ونكارة .

(٣) الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٥ وزاد نسبته إلى البزار ، وابن جرير وابن أبي =

قال قتادة : وفي مصحف عبدالله بن مسعود : ﴿ تَبَيَّنتِ الإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانَ الجِنُّ يَعْلَمُونَ الغيبَ مَالَبِثُوا في العَذَابِ المُهِينِ ﴾[1] .

ومن قرأ ﴿ تُبُيِّنَتِ الجِنُّ ﴾[2] أراد تبيَّنت الإنسُ الجنَّ .

١٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ .. ﴾ [آية ١٥] .

يُروى أنَّ « سَبَأً » اسمُ رجلٍ ، فيكونُ على هذا اسماً للقبيلةِ ، فيمن لم يَصْرِفْ[3] .

وقيل : هو اسم موضع .

= حاتم ، والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٧٨/١٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٢٦٦/٧ والحافظ ابن كثير ٤٨٩/٦ وقال : وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر ، وفي رفعه غرابة ونكارة ، والأقرب أن يكون موقوفاً . اهـ .

(١) هذه القراءة شاذة كما في المحتسب لابن جني ١٨٨/٢ وهي محمولة على أنها تفسير ، كما قال القرطبي ٢٨١/١٤ : وهذه القراءة من ابن عباس على جهة التفسير . اهـ .

(٢) بالبناء للمجهول ، وهي قراءة ابن عباس ويعقوب ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٥٠/٢ .

(٣) هذه من القراءات السبع وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ لِسَبَأَ ﴾ بغير صرف ، جعله اسماً للقبيلة ، وهو اختيار أبي عُبيد ، كذا في القرطبي ٢٨٣/١٤ وقال في التسهيل ٣٢٣/٣ : « سبأ » قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر لأنه ورد في الحديث ، وكانت مساكنهم بين الشام واليمن . اهـ .

ثم قال تعالى ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾.

أي جنَّةٌ عن اليمين ، وجنَّةٌ عن اليسار . [آية ١٥] .

١٨ ـــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [آية ١٥] .

والمعنى : هذه بلدةٌ طيِّبةٌ ، واللَّهُ ربٌّ غفورٌ[١] .

١٩ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ .. ﴾ [آية ١٦] .

أي فأعرضوا عن أمرِ اللَّهِ جلَّ وعز وشكرِه ، فأرسلنا عليهم سيل العَرِمِ .

قال عطاء : العَرِمُ : اسمُ الوادي[٢] .

وقيل : هو الجُرَذُ الَّذِي أُرسِلَ عليهم[٣] .

---

(١) يريد المصنف أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذه بلدةٌ طيبة . فحذف المبتدأ وأبقى الخبر ، ومثله (وربٌّ غفورٌ) أي ربكم الذي أنعم عليكم ربٌّ غفور .

(٢) الأثر مرويٌّ عن قتادة ، والضحاك ، ومقاتل ، كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٤٥/٦ والقرطبي ٢٨٥/١٤ والدر ٢٣٣/٥ ولفظه قال قتادة : ذُكر لنا أن العَرِم وادي سبأ ، كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتَّى ، فلما تركوا أمر الله غرقهم الله به . اهـ .

(٣) حكاه الزجاج في معانيه ٢٤٨/٤ أن العرم اسم الجُرَذ الذي نقب السدَّ ، فنسب السيل إليه لأنه بسببه ، وذكره القرطبي ٢٨٥/١٤ وابن الجوزي في تفسيره ٤٤٥/٦ والطبري ٨٠/٢٢ وعزاه إلى قتادة ، واختار ابن جرير أنه اسمٌ للسدِّ الذي كان بالوادي ، وأنَّ الله خرَّب عليهم السَّدَّ الذي كان يحبس عليهم السيول ، لمَّا كفروا النعمة .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طَلْحــةَ عن ابــنِ عبــاس (العَــرِمُ) : الشَّديدُ[1] .

وقيل : هو المطرُ العَرِمُ أي الشديد .

وقال قتادة : أرسل اللهِ عليهم جُرَذاً ، فهدم عَرِمَهم ، يريدُ بالعَرِمِ : السِّكْرَ[2] ، قال : فغرَّق جنَّاتِهم ، وخرَّبَ أرضَهم عقوبةً لهم .

وهذا أعرف ما قيل في معنى ﴿ العَرِم ﴾ .

يُقال : للسِّكْرِ : عَرْمَةٌ ، وجمعه عَرِمٌ ، سُمِّي بذلك لشدَّته ،

ومنه قيل : فلان عَارِم[3] ، قال الشاعر :

قال الشاعر :

« إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا »[4]

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه في الدر المنثور ٥/٢٣٣ وابن الجوزي ٦/٤٤٥ والقرطبي ١٤/٢٨٦ وفي الصفوة ٢/٥٥٠ : فأعرضوا عن طاعة الله وشكره ، فأرسلنا عليهم السيل المدمِّر المخرِّب ، الذي لايُطاق لشدته وكثرته ، فغرَّق بساتينهم وزروعهم ، وخرَّب أرضهم وديارهم » وقول ابن عباس أرجح الأقوال ، والله أعلم .

(٢) في المصباح : السِّكْرُ بالكسر : ما يُسدُّ به ، والعَرِم : قيل جمع عَرمة ، مثل كَلِم وكَلِمة ، وهو السَدُّ ، وقيل : السيْلُ الذي لا يُطاق دفعه ، ومنه قوله تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ ﴾ اهـ المصباح المنير .

(٣) في الصحاح : وصبيٌّ عارِمٌ : أي شَرِسٌ ، والعَرِمُ : العارِمُ . اهـ الجوهري .

(٤) هذا شطر بيت ينسب إلى النابغة الجعدي ، وتمامُه كما في الجمهرة ٣/٢٠٥ .

من سَبَأَ السَّاكِنينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ من دُونِ سَيْلها العَرِمَا =

٢٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ .. ﴾ [آية ١٦] .

الأُكُلُ : الثَّمَرُ .

قال أبو مالك ومجاهد وقتادة والضحاك : الخَمْطُ : الأَرَاك[1] ، وكذا قال الخليل .

قال أبو عُبيدة : الخَمْطُ : كلُّ شجرةٍ فيها مَرَارةٌ ، ذاتُ شوكٍ[2] .

وقال القتبيُّ في أدب الكاتب : يُقال للحامضة خَمْطَةٌ ، ويُقال : الخَمْطةُ التي أخذت شيئاً من الريح ، وأنشد :

= وقد اختلفوا في عزو هذا البيت ، فبعضهم نسبه إلى النابغة ، وبعضهم إلى أمية بن أبي الصلت ، وهو في ديوانه ص ٤٠٩ والسمط ص ١٨ والقرطبي ٢٨٣/١٤ وذكره المبرد في الكامل وابن منظور في اللسان ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١٤٧/٢ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨١/٢٢ عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن زيد ، كلهم قالوا : الخَمْطُ : الأَرَاك ، قال الطبري : جعل مكان بساتينهم من الفواكه والثمار ، بساتين من جَنَى ثَمرِ الأَرَاكِ ، والأَرَاكُ : هو الخَمْطُ . اهـ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٥ والقرطبي ٢٨٦/١٤ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/٢ وما قاله أبو عُبيدة هو الأشبهُ بالصواب ، قال الزجاج ٢٤٩/٤ : الخمطُ : كل نبتٍ فيه مرارة لايمكن أكله ، وفي الصفوة ٥٥٠/٢ : أبدلهم الله بتلك البساتين الغناء ، بساتين قاحلة جرداء ، ذات أكل مرٍ بشع ، وشيء من الأشجار التي لاينتفع بثمرها كشجر الأثل والسدر .

عُقَارٌ كَمَاءِ النِّيءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ
وَلَا خَلَّةٍ يَكْوِي الشُّرُوبَ شِهَابُهَا[1]

٢١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُورَ ﴾ [آية ١٧] .

قال طاووس : هو المناقشةُ في الحساب ، من نُوقش عُذِّب[2] .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن لك صِحَّةَ هذا ، ما رواه أيُّوبُ ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عائشة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : (من حُوسِبَ عُذِّب ، قالت : قلت فإنَّ الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابَاً يَسِيرَاً ﴾ فقال : إنَّما ذاكِ العَرْضُ ، ولكنْ من نُوقِشَ الحسَابَ عُذِّبَ[3] .

---

(١) البيت لأبي ذؤيب كما في اللسان ، والشاعر يصف الخمر بأنها ليست بِمُرَّةٍ ، وليس فيها حموضة تشبه الخلّ ، بل هي لذيذة تطرب الندامى ، وهي في لون اللحم النيء .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ٢٨٨/١٤ وابن كثير ٤٩٦/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٣/٥ والمراد بالمناقشة : الاستقصاء في الحساب ، بحيث لا تُترك منه صغيرة ولا كبيرة إلاَّ ويحاسب عليها ، وعبارته : وقال طاووس : هو المناقشةُ في الحساب ، ومن نُوقش الحساب عُذِّب ، وهو الكافر لا يغُفر له . اهـ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٧/٦ والبخاري في صحيحه ٢٠٨/٦ ولفظه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : (ليس أحد يُحاسب إلاَّ هلك ، قالت قلتُ يارسول الله : جعلني اللهُ فداءك ، أليس يقول الله عز وجل ﴿ فأمَّا من أُوتي كتابَهُ بيمينهِ فسوف يُحاسب حساباً =

قال **أبو جعفر** : المعنى أن المؤمن يُكفَّر عنه سيِّئاتُه ، والكافرُ يُحبطُ عملُه ويُجازى ، كما قال جلَّ وعز ﴿ **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1] .

٢٢ ــ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً** .. ﴾ [آية ١٨] . .

قال **الحسن** : بين اليمن والشام ، قال : ﴿ **الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ : الشَّامُ[2] .

قال **قتادة**: ﴿ **قُرًى ظَاهِرَةً** ﴾ على الطريق متَّصلة[3] .

وقال **مجاهد** : يَرِدُون كلَّ يومٍ على مَاءٍ .

٢٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ** ﴾ [آية ١٨] .

قال **قتادة** : يَغْدون ويَقِيلون في قرية ، ويروحون[4] ويبيتون في

= يسيراً ﴾ ؟ قال : ذاكِ العرضُ ، ومن نُوقش الحساب هَلَكَ) وأخرجه مسلم في صحيحه بمثله ١٦٤/٨ والترمذي في سننه ٢٥٦/٩ من تحفة الأحوذي .

(١) سورة محمد آية رقم (١) وتمامها ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٨٣/٢٢ والقرطبي ٢٨٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٨/٦ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٣٤/٥ وفي التسهيل ٣٢٥/٣ : وهذه الآية وما بعدها ، وصفُ حال سبأ ، قبل مجيء السيل وهلاك جنَّاتهم ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ﴿ ظاهرة ﴾ يظهر بعضها من بعض ، لاتصالها . اهـ .

(٤) في المخطوطة « ويرحلون » وصوابه « ويروحون » كما في القرطبي ٢٨٩/١٤ وزاد المسير ٤٤٨/٦ وهو الأنسب .

قرية ، يسيرون غير خائفين ، ولا جِياع ، ولا ظِمَاءٍ ، وإنْ كانت المرأةُ لتَمُرُّ وعلى رأسها مِكْتلُها ، فلا ترجعُ إلاَّ وهو ملآن ثَمراً ، من غير اجتناءٍ .

قال : فبَطِروا النِّعمة ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[1]

[آية ١٩] .

٢٤ ــ **قال الله جل وعز : ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ .. ﴾**

[آية ١٩] .

وقرأ عبدالله بن عباس وابنُ الحنفية[2] ﴿ رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[3] .

قال ابنُ عباس : شَكَوْا ربَّهُمْ جَلَّ وعزَّ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة والحسن ٨٤/٢٢ وأبو حيان في البحر ٢٧٢/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٤/٥ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٨/٦ « وكانت القرى متواصلة ، ينظر بعضها إلى بعض ، وكانوا يَغْدون فيقيلون في قرية ، ويروحُونَ فيبيتون في قريةٍ ، قاله الحسن وقتادة ، وقوله تعالى ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِين ﴾ أي قلنا لهم : سيروا فيها ليلاً ونهاراً ، آمنين من مخاوف السفر ، من جوع أو عطش ، أو سَبُع ، أو تعب ، وكانوا يسيرون أربعة أشهر في أمان ، فبطروا النعمة وملُّوها ، كما ملَّ بنو إسرائيل المنَّ والسَّلْوى » اهـ .

(٢) ابن الحنفية : هو محمد بن أبي طالب « أبو القاسم » بن الحنفية ، المدني ، ثقة عالم من الثانية ، مات بعد الثمانين . اهـ تقريب التهذيب ١٩٢/٢ سمي ابن الحنفية لأن أمَّه من بني حنيفة ، كما ذكره ابن حجر في التهذيب ٣٥٤/٩ .

(٣) هذه القراءة ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٥٠/٢ وهي قراءة يعقوب .

وقرأ يحيى بن يَعْمُر ، وعيسى : ﴿ رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[1] .

وقرأ سعيدُ بنُ أبي الحسن ـ أخو الحسين ـ : ﴿ رَبَّنَا بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[2] .

والقراءةُ الأولى أَبْيَنُ ، وأهلُ التفسيرِ يقولون : بَطِرُوا النِّعمةَ ، وأخبرَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، أنه عاقَبَهُمْ على ذلك ، إلاَّ أنه يجوز أن يكونوا قالوا هذا ، بَعْدَما باعَدَ اللهُ جلَّ وعزَّ بين أسفارهم ، أو يكونوا لبطرِهم استبعدوا القريب[3] .

وكانت العربُ تضربُ بهم المَثَل فتقول : « تَفَرَّقوا أَيْدِيَ سَبَأٍ »[4] و« أَيادِيَ سَبَأٍ » أي مذاهب سَبَأٍ وطُرُقَها .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، كما في كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٢٩ .

(٢) عدَّها ابن جني في المحتسب ١٨٩/٢ من القراءات الشاذة .

(٣) قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٢٧٢/٧ « ولما طالت بهم مدة النعمة ، بطروا وملُّوا العافية ، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ ، كما فعلت بنو إسرائيل ، وقالوا : لو كان جَنَى ثمارها أبعدَ ، لكان أشهى وأغلى قيمة ، فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ، ليركبوا الرواحل فيها ، ويتزودوا الأزواد ، فقالوا ﴿ رَبَّنا باعِدْ بينَ أسفارِنا ﴾ اهـ . أقول : الآية وردت على سبيل الحكاية عنهم ، أنهم سئموا العيش الهنيء ، وملُّوا الدَّعَة والراحة ، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى .

(٤) في المثل « ذهبوا أيدي سبأ » « وتفرقوا أيادي سبأ » أي تفرقوا في طرقٍ شتَّى ، وفي اللسان مادة سبأ ضربت العرب بهم المَثَل في الفرقة ، لأنه لمَّا أذهب الله عنهم جنتهم ، وغرَّق مكانهم ، تبدَّدوا في البلاد ، ومنه قول كثيِّر عزَّة :

أَيادِي سَبَا ياعَزُّ ما كُنْتُ بَعدكُمْ ... فَلَمْ يَحْلُ للعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْزِلُ

٢٥ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ ظَنُّهُ ..[١] ﴾ [آية ٢٠] .

وهي قراءةُ الهَجْهَاجِ[٢] .

ويجوز ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إبليسُ ظَنَّهُ ﴾ في ظَنِّه[٣] .

رُوِي عن ابن عباس أنه قال : قال إبليسُ : خُلقتُ من نارٍ ، وخُلِق آدمُ صلى الله عليه من طينٍ ، ضعيفاً ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيتَهُ إلاَّ قَلِيلاً ﴾[٤] .

ويُروى أنه قال : قد أغويتُ آدمَ على موضعِهِ وعلمِهِ ، فأنا على وَلَده أقدرُ ، فصدَّقَ ظنَّه .

ويُبيِّن هذا قولُه تعالى ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[٥] وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) بفتح السين من إبليس ، والفاعلُ ظنُّه ، أي صَدَقَ ظنُّ إبليسَ فيهم ، عدَّها ابن جني من القراءات الشاذَّة ، وانظر المحتسب ١٩١/٢ .

(٢) قوله قراءة أبي الهجهاج هكذا في المخطوطة وإعراب القرآن للنحاس والمحتسب لابن جني ١٩١/٢ وفي روح المعاني والبحر المحيط « أبو الجَهْجَاهِ » الأعرابي من فصحاء العرب ، وانظر البحر ٢٧٣/٧ .

(٣) عبارة ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٠/٦ : صَدَق عليهم في ظنه بهم . اهـ .

(٤) الأثر ذكره في الدر المنثور ٢٣٤/٥ والقرطبي في تفسيره ٢٩٣/١٤ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم (١٧) .

المُخْلَصِينَ ﴾[1] فإنما قال هذا ظَنّاً ، فصَدَق ظَنُّه[2] .

ومن قرأ ﴿ صَدَّق ﴾[3] صيَّر الظنَّ مفعولاً .

ومن رفع الظنَّ ، ونصَب إبليسَ ، أراد : ولقد صَدَق ظنُّ إبليس حين اتَّبعوه . .

٢٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ .. ﴾** [آية ٢١] .

أي من حجة .

﴿ إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ ﴾ أي ما امتحناهم به ، إلاَّ لنعلم من يؤمنُ بالآخرة ، علم شهادة[4] ، فأمَّا علمُ الغيب ، فاللهُ جلَّ وعزَّ عالمٌ به ، قبل أن يكون .

---

(١) سورة ص آية رقم (٨٢ ــ ٨٣) .

(٢) عبارة الطبري أوضح فقد قال : إن إبليس قد صَدَق على الكفار في ظنه ، وصَدَق عليهم ظَنُّه ، حين قال ﴿ ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومِنْ خَلْفِهِمْ .. ﴾ وحين قال ﴿ ولأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ .. ﴾ الآية ، قال ذلك عدوُّ اللهِ ظناً منه أن يفعل ذلك ، لا علماً ، فصار ذلك حقاً باتباعهم إيَّاه . اهـ وقال ابن الجوزي ٦/٤٥٠ : حقَّق ما ظنَّه فيهم بما فعل بهم ، قال الحسنُ : واللّهِ ما ضرَبَهم بعصا ، ولا قهرهم على شيء ، إلا أنه دعاهم إلى الأماني والغرور ، فأطاعوه . اه .

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ صَدَّق ﴾ بتشديد الدال ، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿ صَدَق ﴾ محققاً كما ذكره ابن الجزري في النشر ٢/٣٥٠ وابن مجاهد في السبعة ٢/٥٢٩ والقراءتان من القراءات السبع .

(٤) المراد أنه تعالى يكشف للناس ويُظهر لهم علمه كشف ظهور ، وإلا فإن الله سبحانه يعلم ما كان وما يكون ، ولا حاجة إلى ابتلائهم ليعلم تعالى حالهم ، ولهذا قال المفسرون ﴿ إلا لنعلم ﴾ علم ظهورٍ وشهادة ، لا علم غيب وخفاء .

٢٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [آية ٢٢] .

قال أبو عُبيدة ﴿ من ظهير ﴾ أي من معين[١] .

٢٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ .. ﴾ [آية ٢٣] .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ لمن أُذِنَ له أن يَشْفع[٢] .

وأن يكون للمشفوع .

والأوَّلُ أبينُ ، لقوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وقرأ ابنُ عباس ﴿ حتَّى إذَا فَزَّعَ عن قُلُوبِهِمْ ﴾[٣] أي فَزَّع

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٤٧/٢ .

(٢) يجوز أن يكون الضمير عائداً إلى الشافع أو إلى المشفوع له ، والمعنى على الأول أعني « الشافع » : « ولاتنفع شفاعة أحدٍ من الشفعاء ، إلاَّ لمن أذن له الرحمن بالشفاعة » ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه ﴾ ؟

أي لا تنفع شفاعة مَلَكٍ ، ولا نبيّ ، ولا وليّ ، حتى يأذن الله له في الشفاعة ، وهذا ما اختاره المصنف والجمهور .

والمعنى على الثاني : أي لا تنفع شفاعة أحد من الشفعاء إلا فيمن أذن لهم الرحمن بالشفاعة له ، ويكون وفيه ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ .

(٣) هذه من القراءات السبع ، قال ابن مجاهد في السبعة ٥٣٠/٢ : قرأ ابن عامر ﴿ حتَّى إذا فَزَّع ﴾ مفتوحة الفاء والزاي ، وقرأ الباقون ﴿ فُزِّعَ ﴾ بضم الفاء وكسر الزاي ، وانظر أيضاً النشر ٣٥١/٢ .

اللَّهُ عزَّ وجل عن قلوبهم ، يُقال : فزَّعتُه : أزلتُ عنه الفَزَعَ[1] .

والمعـــروفُ من قراءة الحسن : ﴿ حتـــــى إذا فُرِّغَ عن قُلُوبِهِمْ ﴾[2] أي فُرِّغ منها الفَزَعُ .

قال عكرمة : سمعتُ أبا هريرة يقـولُ : إنَّ نبـيَّ الله ﷺ قال : « إذَا قَضَى اللَّهُ الأمْرَ في السَّماء ، ضَرَبتِ الملائكةُ بأجنـحتها خُضْعَاناً للَّهِ جلَّ وعزَّ ، فيُسْمَعُ كالسِّلْسِلةِ على الصَّفْوان[3] ، فيقولون : مَاذَا قال ربُّكمْ ؟

فيقـال للـذي قال : الحقَّ ، وهـو العليُّ الكبيـــرُ .. » وذكـــر وذكر الحديث[4] .

وقال عبدالله بن مسعود : « تسمع الملائكةُ في السماء للوحـي

(١) معنى ﴿ حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم ﴾ أي حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلـوب الشفعـاء ، من الملائكة والأنبياء .

(٢) قراءة الحسن ﴿ فُرِّغ عن قلوبهم ﴾ بالراء غير المعجمة وبالغين المعجمة من القراءات الشاذة وقـد ذكرها ابن جني في المحتسب ١٩٢/٢ من الشواذ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٥٢/٦ .

(٣) الصفوان : الحجر الأملس .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٥٢/٦ من حديث أبي هريرة ، وتمامه « فيسمعها مسترق السمع ، ومسترقُ السـمع هكـذا بعضُه فوق بعض ، فيسمـع الكلمـة فيلـقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهـن ، فيكـذب معهـا مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ، فيُصدَّق بتلك الكلمـة التـي سمع من السمـاء » وأخرجـه الترمـذي رقـم ٣٢٢٣ وقـال الترمـذي : هذا حديث حسن صحيـح ، وأخرجه أبو داود ، وابن ماجه بنحوه ، وانظر تحفة الأحوذي ٩٠/٩ والدر المنثور ٢٣٦/٥ .

صوتاً ، كصوت الفولاذ على الصَّفا ، فيخِرُّون على جباهِهِمْ ، فإذا جُلِّي عنهم ، قالوا للرُّسل : ماذا قَالَ ربُّكم ؟ فيقولون : الحقَّ ، الحقّ »[1] .

وقال **قتادة** : لمَّا كانتَ الفترة بين عيسى ومحمد صلَّى الله عليهما وسلم فنزل الوحي ، خرَّت الملائكةُ سُجَّداً ﴿ **حتى إذا فُزِّع عَنْ قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي جُلِّي.

﴿ **قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ﴾ ؟ قالوا : الحقَّ[2] .

٢٩ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [آية ٢٤] .

المعنى : وإنا لَعَلى هُدَى أو في ضلالٍ مبين ، أو إيَّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين .. ثم حُذف .

وهذا على حُسْنِ المخاطبة والتقرير ، أي قد ظهرتِ البراهينُ ، وتبيَّن الحقُّ ، كما يُقال : قد علمتَ أيُّنا الكَاذِبُ[3] ؟ .

---

(١) الحديث عن ابن مسعود أخرجه أبو داود في سننه رقم (٤٧٣٨) وأورده السيوطي في الدر ٢٣٦/٥ وزاد نسبته لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٤٥٢/٦ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٢٣٦/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٣/٦ والقرطبي في تفسيره ٢٩٧/١٤ ولفظُه : « كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترةُ خمسمائة وخمسين سنة ، لا يجيء فيها الرسل ، فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كلَّم الله جبريل بالرسالة ، فلما سمعت الملائكة الكلام ، ظنوا أنها الساعة قد قامت ، فصعقوا مما سمعوا » اهـ .

(٣) هذا أسلوبٌ « استدراج المخاطب » والتعريضُ فيه أبلغ من التصريح ، إذ فيه ملاطفةٌ وتنزُّلٌ في المجادلة مع الخصم ، إلى غاية الإنصاف ، كما تقول للرجل تكذِّبه : والله إنَّ أحدنا لكاذبٌ ،=

قال قتادة : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ أي يقضي بيننا[1] .

٣٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ .. ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي إلى النَّاس جميعاً[2] .

وقال النبي ﷺ : (أُرْسِلتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ)[3] .

٣١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .. ﴾ [آية ٣١] .

قال أبو إسحق[4] : يعني الكتبَ المتقدِّمة ، وهم كفَّارُ العربِ[5] .

= وأنت واثق من صدقك وكذبه ، فقد كذَّبته تكذيباً غير مكشوف ، وهو أبلغ من التصريح ، الذي يثير حفيظته ، وانظر البحر المحيط ٢٧٥/٧ فقد أبدع في هذا وأجاد .

(١) في المصباح المنير ١١٤/٢ : فَتح الحاكمُ بين النَّاس فتحاً : قَضى ، فهو فَاتِحٌ ، وفتَّاحٌ للمبالغة . اهـ والأثر في الطبري ٩٥/٢٢ .

(٢) الأثر أخرجه في الدر المنثور ٢٣٧/٥ ، وهذا التفسير مجمعٌ عليه ، ويدلُّ له قوله تعالى ﴿ قل يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رسُولُ اللَّهِ إليكُمْ جَمِيعَاً ﴾ وقوله ﴿ ليكون للعَالمين نَذِيرَاً ﴾ وفي الكلام تقديمٌ وتأخير ، التقدير : وما أرسلناك إلاَّ للنَّاسِ كافةً أي عامَّة قال ابن عطية و« كافَّةً » حالٌ من الناس قُدِّمت للاهتمام ، وانظر التسهيل ٣٢٨/٣ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ٣٧٠/١ ولفظه : « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي : كان كلُّ نبي يُبعث إلى قومة خاصَّةً ، وبُعثتُ إلى كلِّ أحمر وأسود .. » الحديث وأخرجه أحمد في المسند ٣٠١/١ .

(٤) « أبو إسحق » كنية الإمام الزجاج ، النحوي ، اللغوي ، المفسِّر ، أقدم أصحاب المبرد ، وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٥) في البحر ٢٨٢/٧ : يُروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن محمد ﷺ فأخبروهم أنَّهم=

٣٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

روى معمرٌ عن قتادة : أي بل مكرُكُمْ باللَّيل والنَّهار[1] .

وقرأ سعيد بن جبير ﴿ بل مَكَرُّ اللَّيلِ والنَّهارِ ﴾ من الكرور[2] .

وقرأراشدٌ ــ وهو الذي كان ينظر في المصاحف وقتَ الحجَّاج ــ ﴿ بَلْ مَكَرَّ اللَّيلِ والنَّهارِ ﴾[3] .

والمعنى : وقتَ مَكَرِّ الليل والنَّهار .

٣٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [آية ٣٤] .

أي رؤساها ، ومتكبِّروها ، وقادتُها[4] .

= يجدون صفته في كتبهم ، فأغضبهم ذلك ، وقرنوا إلى القرآن الكفرَ بكتبِ اللّٰهِ ، والمشهورُ أن ﴿ الذي بين يديه ﴾ التوراة والإنجيل ، وما تقدم من الكتب ، وهو مروي عن ابن جريج . اهـ .

(١) المكرُ أصله في كلام العرب : الاحتيالُ والخديعة ، يقال رجلٌ ماكرٌ ومكَّارٌ ، وأُضيفَ المكرُ إلى الليل والنهار لأنه ظرف له ، أي مكركم بنا في الليل والنهار ، هو الذي صدَّنا عن الإيمان ، ودلَّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه ، بالليل والنهار وانظر البحر ٢٨٣/٧ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٩٣/٢ أي مرُّ الليل والنهار علينا جعلنا غافلين ، وهو بعيد ، والصحيح أنها من المكرِ ، لا من الكرور .

(٣) هذه القراءة بالتشديد والنَّصب « مَكَرَّ » هي من القراءات الشاذة كما ذكرها في المحتسب ١٩٣/٢ .

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة قال « هم جبابرتهم ، ورءوسهم ، وأشرافهم ، وقادتُهم في الشرّ » كذا في الدر المنثور ٢٣٨/٥ .

أقول : المترفون هم : أهل الغنى والتنعم في الدنيا ، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصدُ بالآية تسليةُ النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له ﷺ .

٣٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى .. ﴾ [آية ٣٧] .

المعنى : وما أموالكم بالتي تقرِّبُكم ، ولا أولادكم بالَّذين يقرِّبُونكم ، ثم حذف[1] .

٣٥ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي جزاء الضِّعفِ[2] الذي أعلمناكموه ، وهو قوله تعالى ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[3] .

٣٦ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .. ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) أي حُذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، واستشهد له الفرَّاءُ بقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ ، والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون ، وأنتَ بما عندك راض ، فحذف الأول لدلالة الثاني وانظر الفراء ٣٦٣/٢ ومعنى « الزلفى » القُرْبى قال في المصباح : الزُّلفةُ والزُّلفي : القُربة أي ليست أموالكم ولا أولادكم تقرِّبكم عند الله قربى ، إنما يقربكم العمل الصالح .

(٢) لا يراد بالضعف في الآية مثل الشيء ، إنما يراد أن له الجزاء المضاعف أي تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٠ .

رَوَى المنهال عن سعيـــد بن جبير قال : في غير سرِف ، ولا تقتير[1] .

أي فاللَّهُ جلَّ وعزَّ يُخلِفُه بالثَّواب[2] .

٣٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ .. ﴾** [آية ٤٤] .

أي لم يكونوا أهل كتاب ، ولم يُبعث إليهم نبيٌّ قبل محمد صلى الله عليه وسلم[3] .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ .. ﴾** [آية ٤٥] .

(١) ذكره الطبري ١٠١/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٣٨/٥ .

(٢) الإخلاف قد يكون بالبدل أو بالثواب والمعنى : ما أنفقتموه في طاعة الله ، فالله يخلفه عليكم ، إما عاجلاً أو آجلاً ، في الدنيا أو الآخرة .

(٣) عبارة الطبري ــ وعزاه إلى قتادة ــ : ما أنزل الله على العرب ، كتاباً قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبياً ، قبل محمد ﷺ الطبري ١٠٣/٢٢ .

قال قتادة : أي كذَّب الَّذِينَ قبلَ هؤلاءِ ، وما بَلَغ هؤلاءِ معشارَ ما أُوتي أولئكَ ، كانوا أَجْلَدَ ، وأَقْوَى ، وقد أُهْلِكُوا[1] .

قال أبو جعفر : ﴿ **مِعْشَارَ** ﴾ بمعنى عُشْرٍ[2] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ** ﴾[3] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ..** ﴾ [آية ٤٦] .

قال قتادة : أي واحدةٌ أعظكم بها ، أن تقوموا للّهِ ، وهذا وعظُهم .

والمعنى : على قول قتادة : ﴿ **إِنَّمَا أَعِظُكُم** ﴾ بخصلةٍ واحدة ، ثم بيَّنها فقال : ﴿ **أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنَى ، وَفُرَادَى** ﴾[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠٣/٢٢ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٥ ومعنى الآية : كذَّب قبل كفار مكة ، أقوامٌ كانوا أشدَّ من هؤلاء بطشاً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، وأوسع عيشاً ، فأهلكناهم كعاد وثمود .

(٢) في البحر : المِعْشار مِفْعال من العَشْر ، ولم يُبْنَ على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيرُه ، وغيرُ المرباع ، ومعناهما : العُشْرُ ، والرُّبْع ، وقال قوم : المِعْشَارُ : عُشْر العُشر ، فيكون جزءاً من مائة .

(٣) سورة الأحقاف آية رقم (٢٦) .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ١٠٤/٢٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٥/٦ ولفظه : إن الخصلة التي أعظكم بها ، قيامكم وتشميركم لطلب الحق ، وليس بالقيام على الأقدام ، ومعنى ﴿ مثنى وفرادى ﴾ أي يجتمع اثنان فيتناظران في أمر محمد ﷺ أو يتفكر الرجل وحده . اهـ وقال ابن =

وقال مجاهد : ﴿ بِوَاحِدَةٍ ﴾ بطاعةِ الله جلَّ وعز : وقيل : بتوحيده[1] .

والمعنى على هذا : لأَنْ تقومُوا لِلَّهِ مثْنَى وفُرَادى ، ثم تَتَفكَّرُوا ما بِصَاحِبكُمْ مِن جِنَّة .

أي يقوم أحدكم وحده ، ويشاور غيره فيقول : هل علمتَ أن هذا الرجل كَذَبَ قطُّ ، أو سَحَرَ ، أو كَهَنَ ، أو شَعَر ، ثم تتفكروا بعد ذلكَ ، فإنه يُعْلَمُ أنَّ ما جاء به من عند الله جلَّ وعزَّ[2] .

ويُقال : إنَّ من تَحَيَّر في أمرٍ ، ثم شَاوَر فيه ، ثم فكَّر بعد ذلك ، تبيَّن له الحقُّ واعتبر .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٤٧] .

= كثير : معناه أن تقوموا قياماً خالصاً لله ، من غير هوى ولا عصبيَّة ، فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضاً . اهـ .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١٠٤/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٤٠/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٥/٦ والقرطبي ٣١١/١٤ .

(٢) معنى الآية دقيق ، ويحتاج إلى توضيح ، ومعناها كما ذكره المفسرون : إنما أنصحكم أيها الناس بخصلةٍ واحدة هي أن تقوموا اثنين اثنين ، للمناظرة في الأمر ، وطلب التحقيق ، وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن ، واستجماع الفكرة ، ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ ، فتعلموا أنه ما به جنون ، لأنه جاء بالحق الواضح ، وأقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ، وأنه بلغ في الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيدلكم ذلك على أنه ليس بمجنون ، ولا بمفترٍ على الله .

أي ما سألتكم من أجرٍ على تأدية الرسالة ، ودعائكم إلى القبول ، فهو لكم .

٤١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [آية ٤٨] .

﴿ يَقْذِفُ بالحقِّ ﴾ أي يأتي به[١] .

قال قتادة : ﴿ بالْحَقِّ ﴾ : أي بالقرآن[٢] .

٤٢ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ جَاءَ الحَقُّ ومَا يُبْدِىءُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [آية ٤٩] .

أيْ وأيُّ شيءٍ يُبْدِىءُ البَاطِلُ[٣] ؟

ويجوز أن تكون « ما » نافية .

---

(١) أصل القذف : الرميُ بالحصى أو بالسهم أو بالكلام ، ويستعار لمعنى الإلقاء والإتيان ، فالمعنى : يلقي الحقَّ إلى أنبيائه ورسله ، أو يرمي الباطلَ بالحقِّ فيذهبه ، وهو قول ابن عباس .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ٣١٣/١٤ وابن جرير ١٠٦/٢٢ وقال في البحر : أي يُبيِّن الحجة ويظهرها .

(٣) على هذا التفسير تكون « ما » استفهامية ، أي ماذا يُبدىء الباطل ، وماذا يُعيد ؟ وعلى القول الثاني يكون المعنى : ذهب الباطل وتلاشى بحيثُ لا يبقىٰ له إبداء ولا إعادة ، وهو مثلٌ يُضرب للهلاك والضياع كأنه يقول : ذهب الباطل بمجيء الحق ، فلم يبق منه بقية ، قال الزمخشري : إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداءٌ ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : فلان لايبدي ولايعيدُ ، مثلاً في الهلاك .

قال قتادة : ﴿ البَاطِلُ ﴾ : الشيطانُ ، ما يخلقُ أحـــدا ولا يبعثُهُ[1] .

٤٣ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ .. ﴾ [آية ٥١] .

قال الضحاك : هذا في الدنيا[2] .

قال سعيد بن جبير : يُخسف بهم بالبيداء ، فلا يَسْلَم منهم إلاَّ رجلٌ واحدٌ ، يُخَبِّرُ النَّاسَ بخبرِ أصحابه[3] .

قال قتادة : هذا في الدنيا ، إذا رأوا بأسَ اللَّهِ جلَّ وعز[4] .

وقال الحسن : هذا إذا خرجوا من قبورهم[5] .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٢/١٠٦ والقرطبي ١٤/٣١٣ وذكره الحافظ ابن كثير ٦/٥١٤ ولم يرتضه حيث قال : وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هنا « إبليس » أي إنه لا يخلق أحداً ولا يُعيده ، ولا يقدر على ذلك ، وهذا ــ وإن كان حقاً ــ ولكن ليس هو المراد ههنا ، والله أعلم .

(٢ــ٥) ذكر هذه الآثار عن السلف المفسرون « الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وصاحب الدر المنثور » وغيرهم وأصح ما قيل فيها ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦/٥١٥ قال المعنى : ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة ، فلا مفرَّ لهم ولا وزر ولا ملجأً ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي لم يكونوا يُمْنعون من الهرب ، بل أُخذوا من أول وهلة .. ثم قال بعد أن ذكر أقوال السلف : والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، اهـ . وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط ٧/٢٩٢ حيث قال : والظاهر أن قوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا ﴾ أنه وقت البعث ، وقيام الساعة ، وكثيراً ما جاء في القرآن ﴿ ولو ترى إذ وُقفوا على النار ﴾ ﴿ ولو ترى إذِ المجرمون ناكسوا رءوسهم ﴾ وكل ذلك يوم القيامة . اهـ .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ .

والمعنى على القول الأول :

إذا فزعوا في الدنيا حين نزل بهم الموتُ ، أو غيرهُ ، من بأسِ اللَّهِ ، كما قال جل وعزَّ ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا** .. ﴾[1] .

والمعنى على قول الحسن : إذا فزعوا حين خروجهم من قبورهم ، فلا فوتَ يَصِلُونَ إليهِ ، ولا مَلْجأٌ ولا مَهْرَبَ .

كما قال قتادة ﴿ **ولاتَ حينَ مَنَاصٍ** ﴾[2] .

٤٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ [آية ٥١] .

أي قريبٍ على اللَّهِ جلَّ وعز ، أي لأنهم حيث كانوا فهم من اللَّهِ قريبٌ ، لا يَبْعُدونَ عنه .

وقيل : ولو ترى الكفَّارَ إذْ فزعوا يوم القيامةِ ، من مكانٍ قريب

---

(١) سورة المؤمن آية رقم (٨٤ ــ ٨٥) .

(٢) قول الحسن يشير إلى فزعهم من صيحة النشور ، حين يخرجون فزعين من القبور ، وهو أقرب من قول السدي وابن زيد إنه يوم بدر ، ومعنى ﴿ فَلَافَوْتَ ﴾ أي لايمكنهم أن يفوتونا ، لأنه لا مخلص لهم ولا مهرب ، واستشهد قتادة بالآية ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي وليس الحينُ حينَ فرارٍ ، ومهرب ونجاة .

أي من جهنَّم[١] ، فأُخِذُوا فقذِفوا فيها .

٤٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾** [آية ٥٢] .

قال مجاهد : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ أي باللَّهِ جل وعزَّ[٢] .

[**وقال قتادة**][٣] : أي بمحمدٍ صلَّى الله عليه وسلم .

﴿ وَأَنَّى لَهُمْ التَّنَاوُشُ من مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٥٢] .

قال الحسن وأبو مالك : أي التوبة[٤] .

---

(١) المكان القريب : هو من الموقف إلى النار ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها ، وكل شيء بالنسبة إلى اللَّه قريب ، سواء كان من الدنيا ، أو من القبر ، أو من المحشر ، فالكل عليه سبحانه سهلٌ يسير ، قال في البحر : ووصفُ المكانِ بالقرب ، من حيث قدرةُ اللهِ عليهم ، فحيثما كانوا فإنه تعالى قريب . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/٢٢ والقرطبي ٣١٥/١٤ والسيوطي في الدر المنثور ٢٤٣/٥ وابن الجوزي ٤٦٩/٦ .

(٣) سقط من المخطوطة « وقال قتادة » وقد أثبتناه من كتب التفسير ، لأنه قول آخر غير قول مجاهد فتنبه ، وقول قتادة إنه الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ذكره ابن الجوزي ٤٦٩/٦ والقرطبي ٣١٥/١٤ والألوسي ١٥٨/٢٢ .

(٤) حكاه المفسرون قال الطبري ١١٠/٢٢ ﴿ وأنَّى لهمُ التَّنَاوُشُ ﴾ أي وأين لهم التوبة والرجعة ، والتوبةُ المقبولة إنما كانت في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة ؟! وقال في البحر : مثَّل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد ، كما يتناوله الآخر من قريب ، وهو تمثيل لطلبهم ما لايكون ، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت . اهـ البحر ٢٩٣/٧ .

قال مجاهد : ﴿ التَّنَاوُشُ ﴾ : التَّناول[1] .

قال قتادة : ﴿ التَّنَاوُشُ ﴾ : تناولُ التَّوبةِ[2] .

قال أبو جعفر : هذا أبينُها ، يُقال : ناشَ يَنُوشُ : إذا تناول ، وأنشد النحويون :

« فهي تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا »[3]

ويُقال : تَنَاوشَ القَوْمُ : إذا تناولَ بعضُهم بعضاً ، ولم يَقْرُبُوا كلَّ القرب[4] .

والمعنى : ومن أين لهم تناول التوبةِ من مكانٍ بعيدٍ ؟ أي يبعدُ منه تقبُّل التوبة .

(١ ـ ٢) قول مجاهد وقتادة موافق لقول أهل اللغة ، ففي المصباح : نَاشَه نوشاً : تَناوَله ، والتناوش : التناولُ ، يُهمز ولا يُهمز . اهـ وقال الجوهري : التناؤش بالهمز : التأخر والتباعد . اهـ .

(٣) هذا صدرُ بيت لغيلان بن حُريث ، كما في اللسان ، مادة « نَوَش » وتمامُه :

فهيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا ... نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلَا

يريد أن الإبل عالية الأجسام ، طوال الأعناق ، وأنها تتناول الماء من الأعلى ، وهو يُعينها على قطع الفَلَوات .

(٤) انظر اللسان مادة « نَوَش » فقد قال : تناوَشَ القومُ في القتال : إذا تناول بعضهم بعضاً بالرماح ولم يتدانَوْا كلَّ التَّداني ، وفي حديث قيس بن عاصم : كنت أناوشهم وأهاوشهم في الجاهلية ، قال الزجاج : التناوشُ بغير همز : التناول والمعنى : وكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم وكان قريباً منهم ، كيف يتناولونه وقد بَعُد عنهم » يعني الإيمان بالله كان قريباً في الحياة فضيّعوه .

وقرأ الكوفيون ﴿ التَّنَاؤُشُ ﴾ بالهمز ، وأنكره بعض أهل اللغة ،

قال : لأن « النَّأْشَ » البعدُ ، فكيف يكون : وأنَّى لهم البعد من مكان بعيد[1] ؟

قال أبو جعفر : وهو يُجوِّزُ أن تُهمزَ الواوُ لانضمامها ، ويكون بمعنى الأول[2] .

ورَوَى أبو إسحق عن التيمي عن ابن عباس ﴿ وأنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ .

قال : الردُّ ، سألوه وليس بحين ردٍّ[3] .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ما بين الآخرة والدنيا[4] .

---

(١) ﴿ التَّناوشُ ﴾ و﴿ التَّناؤُشُ ﴾ كلاهما من القراءات السبعة ، قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم ﴿ التناوش ﴾ غير مهموز ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿ التناؤش ﴾ بالهمز ، قال الفراء : من هَمَز جعله من نأشتُ ، ومن لم يهمز جعله من نُشْتُ ، وهما متقاربان . اهـ وانظر معاني الفراء ٢/٣٦٥ .

(٢) قال الزجاج ٤/٢٥٩ : من هَمَز « التناؤش » فلأن واوَ التَّنَاوُش مضمومةٌ ، وكلُّ واوٍ مضمومةٍ ضمَّتُها لازمة ، إن شئتَ أبدلتَ منها همزة ، وإن شئتَ لم تُبدل . اهـ معاني الزجاج .

(٣) الردُّ : الرجوع إلى الدنيا ، وهذا الأثر ذكره ابن جرير الطبري ٢٢/١١٠ وابن كثير ٦/٥١٦ ولفظه : وعن ابن عباس : طلبوا الرجعة إلى الدنيا ، والتوبة مما هم فيه ، وليس بحين رجعةٍ ولا توبة .

(٤) معنى قول مجاهد : من أين لهم تناول الإيمان ، وهم الآن في الآخرة ؟ ومحل الإيمان في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد ؟ فذلك مطلبٌ مستبعد .

قال أبو جعفر : هذا يرجع إلى الأول .

٤٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾** [آية ٥٣] .

أي قد كفروا بمحمد ﷺ في الدنيا ، حين لاينفعهم إيمانهم .

﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ .

قال قتادة : أي بالظنّ ، قال يقولون : لابعث ، ولا جنة ، ولا نار[1] .

قال مجاهد : ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾.

قولهم : هو ساحرٌ ، وهو كاهنٌ ، وهو شاعرٌ[2] .

٤٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ .. ﴾** [آية ٥٤] .

(١ــ٢) ذكرهما ابن جرير الطبري ١١١/٢٢ والسيوطي في الدر ٢٤٢/٥ والقرطبي ٣١٧/١٤ ثم قال : والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرفه عن يقين : هو يقذفُ بالغيب ، على جهة التمثيل ، لمن يرجم ولا يصيب . اهـ

قال الحسنُ : وحيل بينهم وبين الإيمان لمَّا رأوا العذاب ، يعني : قبول الإيمان[1] .

قال مجاهد : حيل بينهم وبين زهرة الدنيا ولذَّتها ، وأموالِهم وأولادهم[2] .

﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ قال مجاهد : أي بالكفار قبلهم .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ فأخبَرَ جلَّ وعزَّ أنه يُعذِّب على الشكِّ[3] .

« انتهت سورة سبأ »

* * *

(١ ـ ٢) ذكرهما الطبري عن الحسن ومجاهد ، واختار قول الحسن أنه حيل بينهم وبين الإيمان ، وهو الأظهر والله أعلم . اهـ .

(٣) أي يعذب على الشك في أمر الله والدين ، قال قتادة : إياكم والشكَّ والريبة ، فإن من مات على شكٍّ بعث عليه ، ومن مات على يقين بُعث عليه . اهـ الدر المنثور ٥/٢٤٢ .

تفسير سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاطر وهي مكية

١ ــ **من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴾** [آية ١] .

قال ابن عباس : ما كنتُ أدري ما ﴿ فاطرُ ﴾ حتَّى اختصم إليَّ أعرابِيَّانِ في بئرٍ ، فقالَ أحدُهُما : أَنَا فَطَرْتها أي ابتدأْتُها[1] .

٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .. ﴾** [آية ١] .

الرسل منهم : « جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، ومَلَكُ الموتِ » صلى الله عليهم[2] .

وقوله تعالى ﴿ **أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ أي أصحاب أجنحة : اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، في كل جانب[3] .

---

(١) هذا الأثر عن ابن عباس مشهور ، أخرجه القرطبي ٣١٩/١٤ وابن كثير ٥١٩/٦ والسيوطي في الدر ٢٤٤/٥ وهذا من حبر الأمة ، إشارة إلى أن القرآن لا ينبغي أن يُفسَّر إلاَّ بمقتضى أساليب العرب ، فمن لم يعرف الأسلوب البياني العربي ، لا يجوز له أن يقتحم هذا الميدان .

(٢) هؤلاء المذكورون « جبريل ، ميكائيل ، إسرافيل ، ملك الموت » هم سادة الملائكة وعظماؤهم ، وهم الرسلُ بين الله عز وجل وأنبيائه ، ومكانتهُم بين الملائكة ، كمكانة أولي العزم بين الأنبياء والمرسلين .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ٥١٩/٦ : ﴿ جَاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُوْلي أَجْنِحَةٍ ﴾=

٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ .. ﴾ [آية ١] .

أي يزيد في خلق الملائكة ما يشاء[١] .

وقال الزهري : ﴿ يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : حُسْنُ الصَّوْتِ[٢] .

والأَوَّلُ أَوْلَى .

٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا .. ﴾ [آية ٢] .

= أي جعلهم رسلاً بينه وبين أنبيائه ، أصحاب أجنحةٍ يطيرون بها ليبلّغوا ما أُمروا به سريعاً ، منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ليلة الإسراء ، وله ستمائة جناح ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، ولهذا قال تعالى ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ أي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء .

(١) هذا قول ابن عباس وعليه جمهور المفسرين ، أن المراد بالآية يزيد في خلق الملائكة كيف يشاء ، من ضخامة الأجسام وتفاوت الأشكال ، وتعدد الأجنحة ، وقوة الطيران والسرعة الخ . قال أبو حيان : « وإنما جعلهم أولي أجنحة ، لأنه لما جعلهم رسلاً جعل لهم أجنحة ، ليكون أسرع لنفاذ الأمر ، وسرعة إنفاذ القضاء ، فإن المسافة بين السماء والأرض ، لا تُقطع بالأقدام إلاَّ في سنين ، فجُعِلتْ لهم الأجنحةُ ، حتى ينالوا المكان البعيد في الوقت القريب ، كالطير » . اهـ البحر المحيط ٧/٢٩٩ .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، عن الزهري وابن جريج ، ورواه عن الزهري البخاريُ في الأدب ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وحسن الصوت لونٌ من ألوان الزيادَة في الخلق . وهو قول مرجوح ، والأظهر ما قاله ابن عباس .

أي ما يأتي به اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، من الغيثِ ، والرزقِ ، فلا يقـدرُ أحدٌ على ردِّهِ .

وقال قتادة : ﴿ **مِنْ رَحْمَةٍ** ﴾ من خيـرٍ ، فلا يقـدر أحـدٌ على حَبْسِهِ[1] .

٥ ــ **وقوله تعالى :** ﴿ **لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [آية ٣] .

أي فمـن أيـن تُصرفـونَ عن التَّوحيـدِ ، والإيمانِ بالبـعثِ ، بعـد البراهين والآيات ؟

٦ ــ **وقولـه جلَّ وعـز :** ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُـمُ الحَيَـاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُـمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ** ﴾ [آية ٥] .

رَوى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ **الغَرُورُ** ﴾ : الشيطانُ[2] .

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/٢٤٤ والطبري ٢٢/١١٥ وهـذا القـول هو ما اختـاره جمهـور المفسرين ، والمعنى : ما يفتـح اللـه من خزائـن رحمتـه ، من نعمةٍ ، وصحةٍ ، وأمنٍ ، وعلـمٍ ، وحكمةٍ ، ورزقٍ وغير ذلك من صنوف الخير والنعماء ، فلا يقـدر أحـد على إمساكـه ، ويؤيـده الحديث الصحيح « اللهم لا مانع لما أعطيتَ ، ولا معطي لما منعت .. »

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٢٢/١١٧ وابـن كثير أيضاً ، وذكـره في الـدر ٥/٢٤٥ وهـو رأي جمهـور المفسريـن ، أن ﴿الغَرُورَ﴾ بفتـح الـغين : الشيطـان قالـوا : والمعنـى : لا يخدعنَّكم الشيطانُ بوساوسه ، فيمنِّيكم بالأماني ، ويطمعكم في رحمة الله .. الخ ويدل عليه قولـه بعده ﴿ إن الشيطان لكم عَدُوٌّ .. ﴾ .

وروى شعبةُ عن سِمَاكِ بن حَرْب : ﴿ الغُـرُورُ ﴾ بضمّ الغَيْن[1] .

فقيل : إن هذا لايجوز ، لأنه إنما يُقال : غرَّه غرّاً ، ولا يكاد يأتي المصدر على « فُعُولٍ » فيما يتعدى إلاَّ شاذّاً .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون « غُرُور » جمع غارٍّ[2] ، أو جمع غِرٍّ ، أو يُشبَّه بقولهم : نَهَكَه المرضُ نُهُوكاً ، ولَزِمَه لُزُوماً .

٧ — **وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا .. ﴾** [آية ٨] .

الجوابُ محذوفٌ لعلم السَّامع ، فيجوز أن يكون المعنى : أفمن زُيِّن له سوءُ عملِهِ كمنْ هداهُ اللهُ جلَّ وعزَّ[3] ؟ ويكون يدلُّ على هذا المحذوف ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ .

---

(١) هذه قراءة أبي حيوة وأبي السَّمَّاك ، كما في روح المعاني ١٦٨/٢٢ وليست من القراءات السبع ، والغُرورُ معناه : الباطلُ ، أي لا يغرنكم الباطلُ ، وهو ما يغتر به الإنسان من متاع الدنيا .

(٢) هذا قول الزجاج ٢٦٣/٤ كما نقله عنه في لسان العرب حيث قال « الغَـرُورُ : ما غرَّك من إنسانٍ وشيطان وغيرهما ، وبه فسرت الآيةِ قال الزجاج : ويجوز الغُـرُورُ بضم الغين وهو الأباطيل ، ويجوز أن يكون الغُرور جمع غارٍّ كشاهد وشهود . اهـ اللسان مادة غرر .

(٣) هذا القول ذكره المفسرون : القرطبي ، والألوسي ، وابن الجوزي وغيرهم ، قال في زاد المسير ٤٧٥/٦ في الآية وجهان ذكرهما الزجاج :

أحدهما : أن الجواب محذوف والمعنى : أفمن زُيِّن له سوء عمله كمن هَدَاه الله ؟ .

والثاني : أن المعنى : أفمن زُيِّن له سوءُ عملِهِ فأَضلَّه اللّهُ ، ذهبتْ نفسك عليهم حسراتٍ ؟ =

ويجوز أن يكون المعنى : أفمن زُيِّنَ له سوءُ عملِهِ ذهبتْ نفسُكَ عليه ؟

ويكون يدلُّ عليه ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ .

٨ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعَاً .. ﴾ [آية ١٠] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : من كان يريدُ العزَّة بعبادة الأوثان(٢) .

قال الفرَّاء : من كان يريد علم العِزَّة(٣) .

ثم قال ﴿ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعَاً ﴾ أي فالله عز وجل يعز من يشاء بطاعته .

= أقول : مما يرجح القول الأول ، أن المحذوف هنا ، ذُكر في موطن آخر ، كقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كمنْ زُيِّنَ لهُ سُوْءُ عَمَلِهِ ﴾ ؟ وقوله ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أنَّ مَا أُنْزِلَ إليكَ من رَبِّكَ الحَقُّ كمنْ هُوَ أعْمَى ﴾ ؟ وقوله ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتَاً فأَحْيَيْنَاهُ .. إلى قوله : كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمَات .. ﴾ ؟ وأما القول الثاني فقد رجحه الكسائي والفراء ، وانظر معاني الفراء ٣٦٧/٢ وأما قوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ فهو تسلية للنبي عليه السلام عن حزنه لعدم إيمانهم .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١١٩/٢٢ وفي البحر ٣٠٣/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٧/٦ وابن كثير ٥٢٣/٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٦٧/٢ ولفظه : من كان يريد علم العزة ولمن هي ؟ فإنها لله جميعاً أي كل وجهٍ من العزة فلله . اهـ وهو تأويلٌ بعيد .

وقال **قتادة** : فلْيتعَزَّزْ بطاعة اللَّهِ جلَّ وعزَّ[1] .

قال أبو جعفر : وأَوْلاها الأَوَّل ، لأنَّ الآياتِ التي قبلها ، وُبِّخ فيها المشركون بعبادة الأَوْثان ، فكان أولى بهذه أن تكون من جنس الحثِّ على فراقِ ذلك أيضاً .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ .. ﴾** [آية ١٠] .

في معناه ثلاثةُ أقوالٍ :

أ ــ من ذلك ما حدثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ : قال : حدَّثَنَا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح عن عليٍّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله **﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾** قال : الكلامُ الطيِّبُ : ذكرُ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، و**﴿ العَمَلُ الصَّالحُ ﴾** : أداءُ فرائضه .

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٢/١٢٠ وابن كثير ٦/٥٢٣ وفي البحر ٧/٣٠٣ وهذا الوجه هو الأرجح والمعنى : من كان يريد العزة ، فبالله فليتعزَّز ، وبطاعته فليعتصم ، فإن العزة بيده وحده ، ومن اعتزَّ بغير الله ذلَّ ، كما قال الشاعر :

ليكنْ بِرَبِّكَ كُلُّ عِزِّكَ يَسْتَقِرُّ ويَثْبُتُ ... فَإِذَا اعْتَزَزْتَ بِمَنْ يَمُوتُ فإن عزَّكَ ميِّتُ

وهذا القول هو الذي رجحه الطبري والقرطبي ، وقول مجاهد قريب منه ، لأن معناه : من كان يريد العزة بعبادته للأوثان ، فإنها جمادات لاتنفع ولا تضر ، فليترك الاعتزاز بها وليعتزَّ بالقويّ العزيز ، فهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة ، ولا عزَّة إلاَّ للهِ ولأوليائه ﴿ ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمؤْمنينَ ﴾ .

فمن ذكَرَ اللَّهَ سبحانه في أداءِ فرائضه ، حمَلَ عملُه ذِكْرَ اللّـهِ ، فَصعِدَ إلى اللّهِ سبحانه .

ومن ذَكَر اللَّهَ ، ولم يُؤدّ فرائِضهُ ، رُدَّ كلامُه على عمله ، فكـان أولى به[1] .

قال أبـو جعفـر : وكـذلك قال الحسنُ ، وسعيـــدُ بن جُبير ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والضحَّاكُ ، قالوا : العملُ الصَّالحُ يرفـعُ الكـلامَ الطيِّب[2] .

قال الحسن : فإذا كان كلامٌ طيِّبٌ ، وعمـلٌ سيّءٌ ، رُدَّ القـولُ على العمل ، فكان عملُك أَوْلَى بكَ من قولِكَ[3] .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٢١/٢٢ عن ابن عباس ، وذكره في البحر ٣٠٣/٧ والحافظ ابن كثير ٥٢٤/٦ وفي الدر ٢٤٥/٥ عن أبي هريرة موقوفاً وقال أخرجه ابن مردويه والديلمي . ومعنى قوله « فكان أَوْلى به » أي كان عمله السيىءُ أولى بكلامه ، فيحبط قوله وعمله وهـذا معنى قول الحسن البصري : يعرض القول على الفعـل ، فإن وافـق القـول الفعـلَ قُبِـل ، وإن خالفـه رُدَّ . وانظر البحر المحيط ٣٠٣/٧ .

(٢) عبارة الطبري في تفسيره ١٢١/٢٢ : وقال الحسن وقتادة : لا يقبـلُ اللهُ قولاً إلاَّ بعمـلٍ ، من قالَ وأحسنَ العملَ ، قَبِلَ اللهُ منه . اهـ .

(٣) انظر تفصيل الأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ٤٧٨/٦ وفي البحر المحيط لأبي حيـان ٣٠٣/٧ فيه تحقيقٌ علميٌّ نفيس ، فقد نقل أبو حيان عن ابن عطية فيما حُكي عن ابن عباس قال : « وهذا قولٌ يردُّه معتقد أهل السنة ، ولا يصحُّ عن ابن عبـاس ، والحقُّ أن المؤدي لفرائضه ، إذا ذكر الله ، وقال كلاماً طيِّباً ، فإنه مكتوبٌ له متقبَّلٌ ، وله حسناتُه وعليه سيئاته ، والله يتقبل من كل من اتَّقى الشرك . اهـ أقول : ويؤيده قول الله جل ثناؤه ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ .

ب ــ وقال شهر بنُ حَوْشَب : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ : القرآنُ : ﴿ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ القرآنُ .

جـ ــ وَرَوَى معمرٌ عن قتادة قال : والعملُ الصالحُ يرفعهُ اللَّهُ عزَّ وجل[1] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة ليس ببعيدٍ في المعنى ، لأن الله عزَّ وجل يرفع الأعمال .

وقولُ شَهْرِ بن حَوْشَبٍ معناه : أن العمَلَ الصَّالح ، لا ينفعك إلاَّ مع التوحيد ، فكأنَّ التوحيدَ يرفعه .

إلاَّ أن القول الأوَلَ أوْلاَهَا وأصحَّها لعلوِّ من قال بِهِ ، وأنه في العربية أَوْلى ، لأن القُرَّاءَ على رفع العمل ، ولو كان المعنى : والعملُ الصالحُ يرفعُه اللَّهُ[2] ، أو والعملُ الصالح يرفعه الكلمُ الطيِّبُ ، لكان الاختيارُ نصبَ العَمَل ، ولا نعلم أحداً قرأه منصوباً ، إلاَّ شيئاً رُوِيَ عن عيسى بن عمرَ أنه قال : قرأه أناسٌ ﴿ والعمَلَ الصالحَ يرفعهُ ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ، والقرطبي ، وصاحب البحر المحيط ، وغيرهم من المفسرين .

(٢) سقط من المخطوطة لفظ « الله » والصواب إثباتها لضرورة تمام الكلام .

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٣٠٤/٧ والألوسي في روح المعاني ١٧٥/٢٢ وليست من القراءات المعتبرة وإنما هي من الشواذ ، وقد رجح ابن عطية أن الضمير يعود على الله أي يرفعه الله ، بمعنى يقبله . وانظر المحرر الوجيز ٢٢٢/١٢ .

١٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [آية ١٠] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة ﴿ يَبورُ ﴾ قال : يفسد(١) .

قال أبو جعفر : وقد بيَّن الله جلَّ وعزَّ هذا المكر في قوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ .. ﴾(٢) .

ورَوَى قيسٌ عن منصور عن مجاهد ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَـئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ قال : الرِّياءُ(٣) .

١١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ .. ﴾ [آية ١١] .

في معنى هذه الآية أقوال :

أ ــ فمن أحسنِها وأشبهِهَا بظاهر التنزيل ، قولُ الضحَّاك

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٢٤٦/٥ والمشهور في اللغة أن البوار هو الهلاك والبطلان قال في المصباح : بار الشيء يبور : هَلَكَ ، وبار الشيء بواراً ، كسد ،وقال القرطبي : بَارَ ، يبورُ إذا هلك وبطل ، وبارت السوقُ : كَسَدَتْ اهـ القرطبي ٣٣٢/١٤ .

(٢) سورة الأنفال آية (٣٠) والآية تحكي المؤامرة التي دبَّرها أشراف قريش في دار الندوة لقتل النبي عليه السلام .

(٣) الأثر في زاد المسير ٤٧٩/٦ وفي الدر ٢٤٦/٥ وابن كثير ٥٢٤/٦ والقرطبي ٣٣٢/١٤ والأولى العموم والمعنى : والذين يحتالون بطريق المكر والخديعة لإطفاء نور الله ، ويدبرون المؤامرات ، ويكيدون للإسلام والمسلمين ، لهم في الآخرة عذاب شديد ، ومكرهم هالك باطل ، وقد حقق الله ذلك إذ أخرجهم من مكة ، وقتل صناديدهم ورءوس الفتنة فيهم ، وهزمهم في بدر والأحزاب وحنين الخ وهو اختيار الحافظ ابن كثير ٥٢٤/٦ .

قال : « مَنْ قضيتُ له أن يُعمَّر حتى يدركه الهَرمُ ، أو يُعمَّر دونَ ذلك فكلٌّ ذلكَ بقضاءٍ ، وكلٌّ في كتاب »[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ** ﴾ أي هَرِمٍ ، وفلانٌ معمَّرٌ أي كبيرٌ ﴿ **وَلَا يُنْقَصُ** ﴾ آخر ﴿ **مِنْ عُمُرِهِ** ﴾ من عمر الهرم ، إلا بقضاءٍ من اللَّهِ عز وجل .

ب ــ **وروَى عَطَاءُ بنُ السَّائِبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَير ، عن ابن عباس في قوله جل وعزَّ ﴿ وَمَا[2] يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ في كِتَابٍ .. ﴾** .

قال : يُكتب عمُرُهُ كَذَا وكذا سَنَةً ، وكذا وكذا شهراً ، وكَذَا وكَذَا يوماً ، ثم يكتب نَقَص من عُمُره يومٌ ، ونَقَص من عُمُره شهرٌ ، ونَقَص من عمره سنةٌ ، في كتابٍ آخر ، إلى أن يستوفي أجلَه ، فيموت[3] .

---

(١) ذكره الطبري ٢٢/١٢٢ عن ابن عباس وأبي معاذ ، وكذا ذكره في الدر ٥/٢٤٦ والمعنى : ما يطول عمر أحدٍ من الخلق فيصبح هرماً ، ولا ينقص من عمر أحد فيموت وهو صغير أو شاب ، إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ ، وهذا أرجح الأقوال .

(٢) في المخطوطة (ولا يُعَمَّرُ) وهو خطأ ، وصوابه ما أثبتناه ﴿ وما يُعمَّرُ ﴾ كما هو النصُّ القرآني الكريم .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر ٥/٢٤٧ بمعناه ، وذكره الألوسي في روح المعاني ٢٢/١٧٧ وقال : والمراد ينقص عمره ما يمرُّ منه وينقضي ، مثلاً يكتب عمره مائة سنة ، ثم يكتب تحته مَضَى يومٌ ، مَضَى يومان ، وهكذا حتى يأتي على آخره ، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس ، وابن جبير ، والسدي ، وفي معناه قال الشاعر :

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا ... مَضَى نَفَسٌ منها انْتَقَصْتَ بِهِ جُزْءاً

جـ ـــ **قال سعيد بن جبير** : فيما مَضَى من عُمُرِهِ فهو النقصانُ ، وما يُستقبل فهو الذي يُعمَّرُ[1] .

د ـــ **ورَوَى الزُّهريُّ عن سعيد بن المسيَّب عن كعب الأحبار أنه قال** : « لمَّا طُعِن عمرُ بنُ الخطَّاب ، لو دَعَا اللَّهَ لزاد في أَجَلِهِ ، فأنكر ذلك عليه المسلمون ، وقالوا : إنَّ اللهَ عزَّ وجل يقول ﴿ **فإذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[2] فقال : وإنَّ اللَّهَ تعالى يقول ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتَابٍ** ﴾[3] .

---

(١) الأثر في زاد المسير ٤٨٠/٦ والدر المنثور ٢٤٧/٥ والقرطبي ٣٣٣/١٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ٣٤ .

(٣) هذا الأثر ذكره الألوسي في روح المعاني ١٧٧/٢٢ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٠٤/٧ قال ابن عطية : وهو قولٌ ضعيفٌ مردودٌ ، يقتضي القول بالأجلين كما ذهبت إليه المعتزلة . اهـ وزبدة القول في هذا الموضوع ، أن العمر محدود لا يزيد ولا ينقص ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لايَسْتَأْخِرونَ سَاعَةً ولَايَسْتَقْدِمُوْنَ ﴾ وكما ثبت في صحيح مسلم أن أم حبيبة ـــ زوج النبي ﷺ ـــ دعت الله عز وجل فقالت : « اللهُّم أَمْتِعْني بزوجي النبي ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها النبي ﷺ : قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبة ، وأيامٍ معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يُعجِّل شيئاً قبل حِلِّه ـــ أي قبل حينه وأجله ـــ أو يُؤخِّر شيئاً عن حِلِّه ولو كنتِ سألتِ اللهَ أن يُعيذكِ من عذابٍ في النار ، أو عذابٍ في القبر ، كان خيراً وأفضل » فهذا نصٌّ صريح على أن العمر محدودٌ ، لايزيد ولا ينقُص ، وما ورد من التأخير في الأجل بسبب صلة الرحم كما في سنن النسائي (من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أجله ، فلْيصِلْ رَحِمهَ) فهو محمولٌ على البركة ، في العمر ، وبالذرية الصالحة ، كما روى الحافظ ابن كثير ٥٢٦/٦ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا ذلك عند رسول الله ﷺ فقال : إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يُرْزَقها العبدُ ، فيدعون له من بعده ، فيلحقه دعاؤهم =

هـ ــ **قال الزُّهريُّ** : نَرَى أنـه يُؤَخَّـر ما لم يحضُرِ الأَجَلُ ، فإذا حَضَرَ الأَجَلُ لم يُزَدْ في العُمُر ، ولم يقع تأخيرٌ .

قال أبو جعفر : وقيل في معنى الآية : إنه يكون أَنْ يُحكم أنَّ عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع ، وتسعون إن عَصَى ، فأيُّهما بَلَغَ فهو في كتاب .

﴿ **إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ أي إحصاءُ طويـلِ الأعمـارِ وقصيرها لا يتعذَّر عليه .

١٢ ــ **وقولـه جلَّ وعـز** : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ** .. ﴾ [آية ١٢] .

قال أبو عُبيدة : الفُرَاتُ : أعـذبُ العُذوبـة ، والأُجَاجُ : أملـح الملوحة(١) .

١٣ ــ **ثم قال جلَّ وعـز** : ﴿ **وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمَاً طَرِيَّاً وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا** .. ﴾ [آية ١٢] .

الحِليـةُ : اللؤلـؤُ والمرجـانُ ، كما قال تعـالى ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا**

= في قبره ، فذلك زيادة العمر » وهناك قول آخر ، وهو أن ما يجري فيه التغيير بالزيادة والنقص ، إنما هو في صحف الملائكة ، فيكتب عندهم مثلاً أن عمر فلان ستين سنة ، ولكنه سيصل رحمه فيعيش ثمانين سنة ، فهذا الذي تكون فيه الزيادة ، أما العلم الأزلي فلا يتبدل ولا يتغير ، والله أعلم .

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٣/٢ .

﴿ اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرج من المِلح[1] .

قال أبو جعفر : وهذا كثيرٌ في كلام العرب ، لأن البحرين مختلطان ، فجاز أن يُقال : يخرج منهما ، وإنما يخرج من أحدهما ، على قولِ بعض أهل اللغة[2] .

١٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾** [آية ١٢] .

قال قتادة : أي تجري الفُلْكُ مقبلةً ، ومدبرة[3] .

قال أبو جعفر : مَخَرتِ السَّفينةُ تَمْخُرُ ، وتَمْخَرُ ، مَخْراً ، ومُخُوراً : إذا خرقتِ الماء[4] .

١٥ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾** [آية ١٣] .

---

(١) هذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لتوضيح الفارق الكبير بين المؤمن والكافر ، والبرِّ والفاجر ، فكما لا يتساوى البحران : العذب ، والملح ، فكذلك لا يتساوى المؤمن مع الكافر ، وقد زاد تعالى في بيان نفع البحر المالح ، بأنه يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، والحلية التي يتحلى بها الإنسان ، بخلاف الكافر فإنه ضارٌّ مضرٌّ .

(٢) إنما قال ﴿ يخرج منهما ﴾ مع أن الحلية تستخرج من البحر المالح ، لأن في البحر الملح عيونٌ عذبة تمتزج بالملح ، فبهذا الاعتبار عبَّر بالتثنية .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٤/٢٢ وهذا تفسير لمعنى قوله تعالى ﴿ مواخِرَ فيه ﴾ فإن المخر معناه الشقُّ والجريان .

(٤) في اللسان : مَخَرت السفينةُ : جَرَتْ تشقُّ الماءَ مع صوتٍ ، فهي ما خِرَةٌ ، وفي التنزيل : ﴿ وتَرَى الفُلْكَ فيه مَوَاخِرَ ﴾ يعني : جواريَ . اهـ .

رَوَى خُصَيــفٌ ، عن عكرمــةَ ، عن ابــنِ عبَّــاسٍ قال : (القِطْمِيرُ) : القِشْرةُ التي على النَّــواةِ أي بينها وبين التَّمــرةِ ، و « الفَتيلُ » : الذي في شقِّ النواة ، قال « والنَّقيرُ » الحبَّةُ التي في وسط النَّواة(١) .

١٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [آية ١٤] .

أي يتبرَّءونَ منهم ، ومن عبــادتهم إيَّاهــم ، ويوبِّخونهــم على ذلك .

ثم قال تعالى ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ وهو اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، خبيرٌ بما يكون ، لا يعلمه غيرُهُ(٢) .

---

(١) هذا هو المشهور عند علماء التفسير وعلماء اللغة ، فقد نقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة وغيرهم ، أن القطمير هو : اللِّفافة التي تكون على نَوَاة التَّمْرةِ ، وكذلك قال الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وغيرهم ، وهو الأشهر ، وفي لسان العرب : القِطِميرُ : القشرةُ الدقيقة التي على النواة ، بين النواة والتمرة قاله في الصحاح ، وفي الفتوحات الإلهية ٣/٤٩٠ : في النواة أربعةُ أشياءَ ، يُضربُ بها المثلُ في القِلَّة : « الفتيلُ » وهو ما في شقِّ النواة ، و« القطميرُ » وهو اللُّفافة ، و« النَّقيرُ » وهو ما في ظهرها ، و« الثُّفْرُوقُ » وهو ما بين القمع والنواة . اهـ انظر القرطبي ١٤/٣٢٦ والبحر ٧/٣٠٥ واستشهد بقول الشاعر :

وَأَبُوكَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ مُتَورِّكاً ... مَا يَمْلِكُ المِسْكِينُ من قِطْمِير

(٢) عبارة ابن الجوزي ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أي عالمٍ بالأشياء ، يعني نفسه عز وجل ، والمعنى : لا أخبرَ منه عز وجلَّ وقال الخازن في الآية : يعني اللهُ بذلك نفسَه ، أي لاينبئك أحدٌ مثلي ، لأني عالمٌ بالأشياء وغيري لا يعلمها . اهـ حاشية الجمل ٣/٤٩٠ .

١٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .. ﴾ [آية ١٨] .

رَوَى سِمَاكٌ عن عكرمة عن ابن عباس قال : لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب أحد[١] .

١٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال مجاهد : ﴿ إِلَى حِمْلِها ﴾ : أي إلى الذنوب[٢] .

قال أبو جعفر : المعنى : وإن تدعُ نفسٌ قد أثقلته[٣] الذنوب ﴿ إلى حِمْلِهَا ﴾ ــ وهو ذنوبها ــ لا يُحمل من حِمْلِها ، وهو ذنوبُها شيءٌ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري ١٢٧/٢٢ وهو في الدر المنثور٢٤٨/٥ وفي البحر ٣٠٦/٧ قال : والمعنى : لاتحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفسٍ أخرى ، ولا تُعاقبُ بذنب غيرها ، كما يفعل جبابرة الدنيا من أخذ الجار بالجار ، والقريب بالقريب . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٢٧/٢٢ وأصلُ الحِمْل : ما يُحمل على الظهر من ثقيل المتاع ، شُبِّهت الذنوبُ بالحِمْل ، لأنها تُثقلُ كاهلَ الإنسان ، ثم استعير اللفظ للمعاني من المعاصي والآثام .

(٣) قوله « قد أثقلته » ولم يقل : قد أثقلتها ، لأنه أراد بالنفس : الشخص ، قال في المصباح : النفس أنثى إن أريد بها الروحُ ، وإن أُريد الشخص فذكرٌ ، وجمعُ النفس أنفسٌ ونفوسٌ . اهـ .

(٤) في الآية ردٌّ على السفهاء المضلِّين الذين قالوا للمؤمنين ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ فأخبر تعالى أنه لايحمِلُ شخصٌ عن قريبة ، أو حبيبه ، شيئاً من الأوزار ، حتى ولو كان المدعو أقرب الناس إليه ، وأحبَّهم لديه ، فالآية بيانٌ وتكميلٌ لمعنى قوله تعالى ﴿ وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

﴿ **وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** ﴾ أي ولو كان الذي تدعوه إلى ذلك ، أباً ، أو إبناً ، أو ما أشبههما[1] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ ﴾** [آية ٢٠] .

قال قتادة : أي كما لايستوي الأعمى والبصيرُ ، لايستوي المؤمن والكافر[2] .

وقال غيره : المعنى : وما يستوي الأعمى عن الحقِّ وهو الكافرُ ، ولا البصيرُ بالهدى وهو المؤمن ﴿ **وَلَا الظُّلُمَاتُ** ﴾ وهي الضلالات ﴿ **وَلَا النُّورُ** ﴾ وهو الهدى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ ﴾ .

---

(١) قال الفُضَيلُ بنُ عياضٍ : تلقى المرأة ولدها يوم القيامة فتقول له : ياولدي ، ألم يكن بطني لكَ وعاءً ؟ ألم يكن ثدي لكَ سِقاءً ؟ ألم يكن حِجْري لك وِطَاء ؟ فيقول : بلى يا أماه ، فتقول : يابُني قد أثقلتني ذنوبي ، فاحملْ عني منها ذنباً واحداً ، فيقول : إليك عني يا أمَّاه ، فإني بذنبي عنك لمشغول . اهـ القرطبي ٣٣٨/١٤ .

(٢) هذا على قول قتادة من باب التشبيه والتمثيل ، فقد مثَّل للكافر بالأعمى ، وللمؤمن بالبصير ، والمعنى : كما لايتساوى الأعمى مع البصير ، كذلك لايتساوى المؤمن مع الكافر ، ولا العالم مع الجاهل ، فهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ أفمنْ يَعْلَمُ أنما أُنْزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ ؟ .

قال أبو عبيدة : ﴿ الحَرُورُ ﴾ في هذا الموضع ، إنما يكون بالنَّهارِ مع الشمس[1] .

وقيل : يعني الجنَّةَ ، والنَّارَ[2] .

وقيل : لا يستوي من كان في ظلٍّ من الحقِّ[3] ، ومن كان في الحَرُورِ .

وقال الفراء : (الحَرُورُ) : الحَرُّ الدائم ليلاً أو نهاراً ، والسَّمُومُ بالنَّهار خاصَّةً[4] .

وقال رؤبةُ بن العجَّاج : ﴿ الحَرُورُ ﴾ باللَّيْلِ خاصة ، والسَّمُومُ بالنَّهار[5] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٥٤/٢ ومراده أنه لايسمى « حَرُوراً » إلا إذا كان الحرُّ مع الشمس بالنهار .

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيط عن بعض المفسرين ٣٠٨/٧ .

(٣) هذا القول محمولٌ على المجاز أي لايستوي ظلُّ الحق ، وسَمومُ الباطل ، وهو وجهٌ لبعض المفسرين ، ذكره في اللسان، وحكاه الزجاج في معانيه ٢٦٨/٤ على أنه وجهٌ في التفسير . وهو قريب من قول مجاهد إنه ظلُّ الجنة ، وحَرُور النَّار ، فالمؤمن بإيمانه كمن هو في ظلٍ وراحة ، والكافر بكفره كمن هو في حرٍّ وتعب ، وانظر غرائب القرآن للنيسابوري ٧٤/٢٢ .

(٤) حكاه الطبري عن الفراء ١٢٨/٢٢ والقرطبي ٣٣٩/١٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٣/٦ ولفظه : وقال الفراء : الحَرُورُ بمنزلة السَّمومِ وهي الرِّياحُ الحارة ، والحَرُورُ تكون بالنهار وبالليل ، والسَّمومُ لا تكونُ إلاَّ بالنَّهار . اهـ ورجح الطبري قول أبي عُبيدة وقال : هو أشبه ، لأن الظلَّ إنما يكون في يومِ شمس .

(٥) الأثر أخرجه ابن الجوزي في تفسيره ٤٨٣/٦ وهو في البحر ٣٠٨/٧ وقال ابن عطية : ليس كما =

قال أبو جعفر : وقولُ أبي عُبيدة أشبهُ ، لأن الظِلَّ إنما يُستعمل في اليومِ الشَّمسِ[1] .

٢٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ .. ﴾** [آية ٢٢] .

أي العقلاء والجُهَّالُ[2] .

والمراد بالأحياء : الأحياءُ القلوبِ بالإيمانِ والمعرفةِ .

والأموات : الأمواتُ القلوبِ بغلبة الكفر عليها ، حتى صارت لا تعرف الهُدى من الضلال[3] .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾** [آية ٢٤] .

أي سَلَف فيها نبيٌّ .

= قال رؤبة ، وإنما الأمر كما حكى الفراء وغيرُه أن الحرور في حرِّ الليل وحرِّ النهار ، والسموم يختص بالنهار ، قال أبو حيان : ولا يُردُّ على رؤبة لأنه منه تؤخذ اللغة ، فقد أخبر عن لغة قومه . اهـ من البحر ٣٠٨/٧ .

(١) ما اختاره النحاس هو ما رجحه الطبري ، وهو الأشهر عند علماء اللغة ، وقال في إعراب القرآن ٦٩٤/٢ : « وهذا أصح القولين ، لأن الحَرُور فَعُول من الحرّ ، وفيه معنى التكثير أي الحرّ المؤذي » انتهى كلام النحاس .

(٢) هذا قول ابن قتيبة كما في القرطبي ٣٤٠/١٤ .

(٣) عبارة الطبري كما في تفسيره ١٢٨/٢٢ : وما يستوى الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله ، ومعرفة تنزيل الله ، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان ، والكافر والكفر .

٢٢ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾** [آية ٢٧] .

قال الضحاك : أي ألوانٌ مختلفةٌ أي أبيضُ ، وأحمرُ ، وأسودُ ، قال : والجُدَدُ : الطَّرائقُ(١) .

قال أبو جعفر : قال أبو عُبيدة : الغربيبُ : الشديدُ السَّواد(٢) .

٢٣ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ .. ﴾** [آية ٢٨] .

قال الضحاك : أي ومن النَّاس الأبيضُ ، والأحمرُ ، والأسودُ(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ١٣٢/٢٢ والجُدَدُ : جمع جُدَّة ، وهي الطرائقُ المختلفةُ الألوان ، قال الجوهريُّ : الجُدَّةُ : الخُطَّةُ التي في ظهر الحمار تخالف لونَه ، والجُدَّة : الطريقةُ والجمع جُدَدٌ . اهـ صحاح .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٤/٢ وقال القرطبي ٣٤٢/١٤ : الغريبُ الشديدُ السواد ، ففي الكلام تقديمٌ وتأخير ، والمعنى : ومن الجبال سودٌ غرابيب ، والعربُ تقول للشديد السوَّاد الذي لونُه كلونِ الغُراب : أسودُ غربيب . اهـ .

(٣) الآية الكريمة وردت في سياق الحثِّ والتحريض ، على النظر في عجائب صنع الله تعالى ، وآثار قدرته ، ليصل الإنسان منها إلى معرفة عظمة الله وجلاله ، ويؤدي به العلم إلى خشيته سبحانه ، ولهذا ختمت بقوله ﴿ إنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ وفيها لفتةٌ رائعةٌ عجيبة ، إذ هي وردت في معرض الحديث عن « العلوم الكونية » بدءاً من إنزال الماء من السماء ، ثم بإخراج النبات والثمرات المختلفات الألوان ، ثم بألوان الجبال ، ففي ألوان الصخور شبهٌ عجيب بألوان=

٢٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .. ﴾ [آية ٢٨] .

أي العلماءُ بقدرته على ما يشاءُ ، فمن علمَ ذلك أيْقن بمعاقبته على المعصية ، فخافه .

كما رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

قال : الذينَ يعلمونَ أنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1] .

وفي الحديث (كَفَى بخَشْيةِ اللَّهِ عِلْماً ، وبالغِرَّة بهِ جهلاً)[2] .

= الثمار وتنوعها وتعددها ، فإن البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف ، فأبيضُ لا يشبهُ أبيض ، وأحمرُ لا يشبه أحمر ، وإن اشتركا في أصل اللون ، واللفتة في الآية الكريمة إلى ألوان الصخور وتنوعها داخل اللَّون الواحد ، تهزُّ القلب هزاً ، إلى عظمة الخالق المبدع ، وتوقظ في الإنسان حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر والالتفات ، حتى لتجد الجبل الواحد ذا ألوانٍ عجيبة ، وفيه عروق تشبه المرجان ، ولا سيما في صخور الرخام ، ثم ألوان الناس ـ وهي لاتقف عند حدّ وكذلك ألوان الدواب والأنعام ، والطيور الجميلة الأشكال ، ذات الألوان والأصباغ العجيبة ، كلها معروضة للأنظار في هذا الكتاب الكوني الرائع ، الجميل الصفحات ، العجيب في التكوين والتلوين .

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٣٢/٢٢ والقرطبي ٢٤٣/١٤ وابن الجوزي ٤٨٦/٦ وابن كثير ٥٣١/٦ قال الحافظ ابن كثير والمعنى : إنما يخشى الله حقَّ خشيته العلماءُ العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير ، الموصوف بصفات الكمال أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشيةُ له أعظم وأكثر . اهـ .

(٢) الحديث أثرٌ من كلام « عبدالله بن مسعود » ويسمى بالحديث الموقوف ويسمى أيضاً بالأثر ، =

٢٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فمنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، ومنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، ومِنهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٣٢] . .

قيل : إنَّ النَّاجِيَ هو المقتصدُ ، والسَّابقُ ، وأن قولَه تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ للمقتصدِ والسَّابِقِ ، هذا مذهبُ ابنِ عبَّاسٍ ، ومجاهدٍ ، وعكرمةَ ، والحسنِ ، وقتادةَ(١) .

رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عن عَمْرِو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ﴿ فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ قال : كافرٌ(٢) .

= والمرادُ بـ « الغِرَّة » أي الاغترار بحلمه ، وبعظيم رحمته ، وذكرهُ القرطبي ٣٤٢/١٤ والسيوطي في الدرِّ المنثور ٢٥٠/٥ ولفظه : وأخرج أحمد في الزهد عن ابن مسعود قال « كفى بخشية الله علماً ، وكفى باغترار المرء جهلاً » اهـ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣٤/٢٢ وابن الجوزي ٤٨٨/٦ وابن كثير ٥٣٢/٦ وهذا القول هو قول أكثر المفسرين ، أن الأُصناف الثلاثة « الظالم ، والمقتصد ، والسابق » كلهم مسلمون من أمةِ محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ فالظالم لنفسه من هذه الأمة على ما فيه من عوج وتقصير ، قال الحافظ ابن كثير : والصحيح أن الظالم لنفسه ــ وهو المفرِّط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ــ هو من هذه الأمة للأحاديث والآثار التي وردت في ذلك ، منها ما أخرجه أحمد في المسند أن النبي ﷺ تلا الآية ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا .. ﴾ الآية ثم قال : أما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحاسبون حساباً يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون ﴿ الحمدُ للهِ الذي أذهب عنا الحَزَن .. ﴾ الآية انظر مسند أحمد ١٩٨/٥ .

(٢) هذا القول رواية ثانية عن ابن عباس ، ذكرها الطبري ، وابن كثير ، والسيوطي في الدر ، وهو قولٌ مرجوح والأول أرجح .

وعن ابن عباس قال : ﴿ الكِتَابُ ﴾ : كلُّ كتابٍ أُنْزِل .

وعنه : كلُّهم أمةُ محمد ﷺ من رواية ابن أبي طلحة عنه ، وهذا أولى ما قيل فيها[1] .

ورَوَى الثوريُّ عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..** ﴾ إلى آخر الآية .

قال : هذا مِثْلُ قولِهِ جل وعزّ ﴿ **فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَة . وَأَصْحَاب المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ** ﴾[2] .

قال : فنجَتْ فرقتانِ[3] .

قال مجاهد : ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ أصحاب المشأمة

---

(١) هذا هو الأشهر والأظهر وهو الذي اختاره الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين قال ابن جزي في التسهيل ١٥٨/٣ : وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ فالظالم لنفسه : العاصي ، والسابق : التقي ، والمقتصد : بينهما . اهـ .

(٢) سورة الواقعة آية ٨ ــ ١٠ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٥/٢٢ وابن كثير ٥٣٣/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٢/٥ وهذا مرويٌّ عن عكرمة وقتادة والضحاك ، فقد قالوا : نجت فرقتان وهلكت الثالثة ، وجعلوا الضمير في قوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُوْنَها ﴾ يعود على « المقتصِد » و« السَّابِق » لا على الظالم ، قالوا : وبعيدٌ أن يكون الظالم ممن يصطفيه الله عز وجل .. الخ وانظر تفصيل الأقوال في القرطبي ٣٤٦/١٤ .

﴿ **وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ السابقون من النَّاسِ كلهم[1] .

وقال عكرمة : ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ كما قال ﴿ **فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** ﴾[2] .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ المنافق .

قال قتادة : ﴿ **الكتابُ** ﴾ : شهادةُ أن لا إله إلا اللَّهُ[3] .

وقيل : إن الفِرَقَ الثلاث ناجية ، قال ذلك عمرُ ، وأبو الدرداء ، وإبراهيم النَّخَعي ، وكعب الأحبار[4] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٣٥/٢٢ وابن كثير ٥٣٣/٦ وعزاه إلى الحسن البصري أيضاً وعبارة الطبري : وقال الحسن : أما الظالم لنفسه فإنه المنافق ، سقط هذا ــ أي في النار ــ وأما المقتصد والسابق فهما صاحبا الجنة . اهـ .

(٢) قال عكرمة : الظالم لنفسه في النار ، والمقتصدُ والسابقُ بالخيراتِ في الجنة ، حكاه عنه الطبري وابن كثير .

(٣) هذا الأثر عن قتادة حكاه الطبري ١٣٥/٢٢ عنه وهو قول غريب ، لأن تفسير الكتاب بالشهادة مستبعد ، إلاَّ إن قصد به كتاب الأعمال ، وهذا خلاف الظاهر ، لأن المفسرين اختلفوا في تفسير الكتاب على قولين : أحدهما أن المراد به الجنس أي الكتب التي أنزلها الله ، وهذا اختيار الطبري فإنه قال : إن الله أورث أمة محمد كل كتاب أنزله قبل القرآن بمعنى أنهم يؤمنون بكل الكتب السماوية ويعملون بها لأن هذا معنى الإرث ، والثاني أن المراد به القرآن العظيم وهو قول الأكثرين وهو الأرجح ، فقول قتادة بعيدٌ عن هذين القولين ، وانظر الطبري ١٣٥/٢٢ ــ ١٣٦ .

(٤) هذا أرجح الأقوال ويؤيده ما روي عن عمر رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال : « سابقُنا سابقٌ ، ومقتصدُنا ناجٍ ، وظالِمُنا مغفورٌ له » وهو حديثٌ موقوف ولم يثبت المرفوعُ ، وقد ذكره في الدر ٢٥٢/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٨٩/٦ وهذا هو الأصح تكريماً لهذه الأمة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

وقال عثمان : هم أهلُ باديتنا ، يعني الظالم لنفسه[1] .

قال عمر : سابقُنا سابقٌ ، ومقتصِدُنَا ناجٍ ، وظالِمُنَا مغفورٌ له[2] .

وقال أبو الدرداء : السَّابقُ يدخل الجنة بغير حساب ، و(المقتصِدُ) يُحاسبُ حساباً يسيراً ، و(الظَّالمُ لنفسه) يُؤخذ منه ثمَّ يَنْجو ، فذلك قوله جل وعزَّ ﴿ **وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ** ﴾[3] .

وقال كعب : هذه الأمَّةُ على ثلاثِ فِرَقٍ ، كلُّها في الجنة ، ثم تلا ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** .. ﴾ إلى قوله ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** .. ﴾ فقال : دَخَلوها وربِّ الكعبة[4] .

وبعد هذا للكفار .

---

(١) الأثر مرويٌّ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كما في الدر المنثور ٢٥٦/٥ فقد أخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه أنه قال : « ألا إن سابقنا أهلُ جهاد ، ألا وإنَّ مقتصدنا ناجٍ أهلُ حَضَرِنا ، ألا وإنَّ ظالمنا أهلُ بَدْونا » . اهـ .

(٢) هذا الأثر موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يثبت رفعه ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٩ : رواه سعيد بن منصور ، عن فرج بن فضالة ، فذكره موقوفاً ، وذكره السيوطي في الدر مرفوعاً ، والصحيح أنه موقوف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٣٧/٢٢ وابن كثير ٥٣٤/٦ والدر المنثور ٢٥١/٥ .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري عن كعب ١٣٤/٢٢ أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات ، كلُّهم في الجنة ، قال : ألم تر أن الله عز وجل قال ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين

٢٦ ـــ وهـو قولُه جلَّ وعزّ : ﴿ وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا لَهُـمْ نَارُ جَهَنَّـمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا .. ﴾ [آية ٣٦] .

قال محمد بن يزيد[1] : الرِّجالُ أربعةٌ : جوادٌ ، وبخيلٌ ، ومسرفٌ ، ومقتصدٌ .

فالجوادُ : الذي وجَّه[2] نصيبَ آخرتِهِ ، ونصيبَ دنياه ، جميعاً إلى آخرته .

والبخيلُ : الذي لايُعْطي واحدةً منهما حقاً .

والمسرفُ : الذي يجمعهُما للدنيا .

والمقتصدُ : الذي يُلْحِقُ بكلّ واحدةٍ نصيبَها ، أي عملهُ قصدٌ ليس بمجتهد[3] .

اصطفينا من عبادنا .. ﴾ ؟ وبعدها قال عن الكفار ﴿ والذين كفروا لهم نارُ جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا .. ﴾ قال كعب : فهؤلاء أهل النار . اهـ .

أقول : ويتلخص من الأقوال التي تقدمت ، أن قول الجمهور هو الأصح والأرجح ، وهو أن الجميع من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة ، إما برحمة أرحم الراحمين ، أو بشفاعة سيد المرسلين ، ولا يُخلَّد أحد منهم في نار جهنم لأن الخلود للكفار وهؤلاء مؤمنون موحِّدون ، وغاية ما في الأمر أنهم من العصاة وقد قال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم : « إنَّ لكل نبيّ دعوةً مستجابةً ، وقد تعجَّل كل نبيّ دعوته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي ، فهي نائلة ـــ إن شاء الله ـــ مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً » . رواه أحمد ٤٢٦/٢ .

(١) هو الإمام المبرِّد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٢) في المخطوطة « توجَّه نصيبَ » وصوابه : وجَّه نصيبَ بحذف التاء ليستقيم المعنى .

(٣) لم أر هذا القول لأحدٍ من المفسرين ، ومعناه صحيحٌ ، ولكنه لا تعلق له بهذه الآية ، ولعلَّ الأقرب أن يكون متعلقاً بالآية السابقة ، فيكون وجهاً من وجوه « السابق » و« المقتصد » .

قال أبو إسحق[1] : معنى ﴿ أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ﴾ : أي الهمَّ بالمعيشةِ ، والخوفَ من العَذابِ ، وتوقُّع الموت[2] .

وكلُّ ما قاله قد جاء في التفسير ، فهو عامٌّ لجميع الحُزْن .

والمُقَامةُ والمَقَامُ واحدٌ ، والنَّصَبُ : التَّعبُ .

واللُّغُوبُ : الإعياءُ ، واللَّغُوبُ بفتح اللَّام : ما يُلْغَبُ منه .

وقرأ الحسنُ : ﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾[3] .

والمعنى على قراءته : لا يُقْضى عليهم الموتُ ، ولا يموتون .

٢٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ .. ﴾ [آية ٣٧] .

---

(١) هذه كنيةُ الإمام الزجاج ، النحوي اللغوي وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٢) الحَزَنُ بالفتح والحُزْنُ واحد ، وهو كل ما يُحْزِنُ الإنسَانَ ويكدِّر صفْوَه ، من خوف المرض ، والفقرِ ، والموتِ ، وأهوال الآخرة وغير ذلك ، وقد اختلف المفسرون في معنى الحَزَن ، فقال بعضهُم : هو خوفهم من الموت ، وقال آخرون : خوفهم من هموم الدنيا ، وقال بعضهم : خوفهم من عذاب النار ، وقيل من أهوال القيامة ، إلى غير ذلك ، والصحيح العموم في ذلك كما ذهب إليه الطبري ، قال الحافظ ابن كثير ٥٣٧/٦ : « الحَزَن » هو الخوفُ من المحذور والمعنى أراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره ، من هموم الدنيا والآخرة ، وأزاحه عنا ، ثم أورد الحديث الشريف عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «ليس على أهل «لا إله إلا الله» وحشة في الموت ، ولا في قبورهم ، ولا في النشور ، وكأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون ﴿ الحمد لله الذي أذهبَ عنَّا الحَزَن إنَّ ربَّنا لغفور شكور ﴾ رواه الطبراني .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠١/٢ .

قال أبو هريرة وابن عباس : ستِّينَ سنةٍ[1] .

وعنه أيضاً : أربعين .

وهذا أشبهُ ، لأن في الأربعينَ تناهي العقل[2] ، وما قبل ذلك وما بعده ، منتَقَصٌ عنه ، واللهُ جلَّ وعزَّ أعلم .

وقال الحسن أيضاً : أربعين ، ويُقال : إن ابن سبع عشرة داخلٌ فيها .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾ [آية ٣٧] .

قال ابن زيد : النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم[3] .

---

(١) هذا توبيخ لهم وإقامة حجةٍ عليهم ، والمعنى : أو لم نمهلكم في الدنيا زمناً مديداً يتذكر فيه من أراد منكم التبصُّر والتفكر ؟ والمراد بالعمر هنا ستون سنة كما ذهب إليه ابن عباس وأبو هريرة لحديث (أعذَرَ اللهُ إلى امرىءٍ أخَّرَ أجلَه حتَّى بلغ ستين سنة) أخرجه البخاري وترجم له بقوله « باب من بلغ ستين سنة فقد أُعذر إليه في العمر وذكر الآية » قال ابن كثير : وهذا هو الصحيح في مقدار العمر .

(٢) هذا القول حكاه الطبري عن ابن عباس ومجاهد ومسروق ورجَّحه ١٤١/٢٢ وحكاه أيضاً القرطبي وابن كثير ، ولهذا القول وجهٌ صحيح ، والحجة له قوله تعالى ﴿ حتى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة .. ﴾ الآية ، ويبقى القول الأول هو الأصح والأرجح ، للحديث الصحيح المتقدم « أعذر الله .. » ومعناه بلغ به أقصى العذر .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٤٢/٢٢ وابن كثير ٥٤٢/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٣١٦/٧ وابن الجوزي ٤٩٤/٦ وهذا القول مرويٌّ عن قتادة وابن زيد ، وهو الأظهر لقوله تعالى ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى ﴾ فقد احتج الله عليهم بالعمر والرسل ، والمراد بالآية جاءكم الرسول المنذر وهو محمد ﷺ ، قال الحافظ ابن كثير : وما روي عن قتادة أن النذير هو رسول الله ﷺ هو الصحيح وهو اختيار ابن جرير ، وهو الأظهر . اهـ انظر ابن كثير ٥٤٢/٦ .

وقيل : يعني الشَّيْبُ[1] .

والأول أكثرُ ، والمعنى على الثاني : حتى شبتم ، وهو قول ابن عباس .

٢٨ ـ وقوله جل وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [آية ٣٩] .

أي تخلُفُون من كان قبلَكُم ، وتعتبرون بما نَزَل بهم .

٢٩ ـ ثم قال جل وعزَّ ﴿ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ .. ﴾ [آية ٣٩] .

أي جزاءُ كفرهِ[2] .

﴿وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً .. ﴾ [آية ٣٩] .

المَقْتُ : أشدُّ الإبغاض[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٤٢/٢٢ عن ابن زيد وهو مروي عن ابن عباس ، وعكرمة ،وقتادة ، وسفيان وغيرهم قالوا : النذيرُ هو الشيبُ ، لأنه ينذر بالموت وانتهاء الحياة كما قال الشاعر :

فقلتُ لَهَا المَشيبُ نذيرُ عُمْري ولستُ مُسَوِّداً وجهَ النَّذيرِ

والقول الأول هو الأُرجح وهو قول جمهور المفسرين وانظر تفسير ابن كثير ٥٤٢/٦ .

(٢) أي هو على حَذْف مضاف والمَعنى : عليه عقوبة وجزاءٌ كفره ، حُذف منه المضاف فأصبح ﴿ فعليهِ كفرُه ﴾ ويُسمَّى المجازَ المرسل كقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي أهل القرية .

(٣) قال في المصباح المنير : مَقَتَه مَقْتاً من باب قَتَل : أبغضَه أشدَّ البغض عن أمرٍ قبيح . اهـ .

٣٠ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُـمْ شُرَكَاءَكُـمُ الَّذِيـنَ تَدْعُــونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..[1] ﴾ [آية ٤٠] .

المعنى عند سيبويه : أخبروني[2] عن الذين تدعـون من دون اللـه على التوقيف .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعـز ﴿ أَرُونِـي مَاذَا خَلَقُـوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُــمْ شِـرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ .. ﴾ ؟ [آية٤٠] .

أي أعبدتموهـم لأنهم خلقـوا من الأرض شيئـاً ؟ أم لهم شركـة في خلق السموات ؟

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً ﴾ بالشركة ﴿ فَهُمْ عَلَـى بَيِّنَـةٍ مِنْـهُ ﴾ أي على بيِّناتٍ[3] منه ؟

٣٢ ــ وقولــه جلَّ وعــزَّ : ﴿ إِنَّ اللَّــهَ يُمْسِكُ السَّمَــوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا .. ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) في المخطوطة ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ﴾ وما أثبتناه هو : النصُّ القرآن الكريم .

(٢) يريـد المصنـف أن معنـى ﴿ أرأيتم ﴾ أخبروني ، فليس المراد منها النظــر ، بل المراد الإخبـــار والإعلام ، والمراد من الآية التقريعُ والتوبيخُ لمن عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء مع اللـه جلَّ وعـلا ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٥/٦ : المعنـى : أخبروني عن الذيـن عبـدتم من دون الله ، واتخذتموهـم شركاء بزعمكـم ، بأيِّ شيءٍ أوجبتم لهم الشركـة في العبـادة ؟ أبشيءٍ خلقـــوه من الأرض ؟ أم شاركوا خالق السمواتِ في خلقها ؟ اهـ .

(٣) المراد بالبّينة : البصيرةُ ، والحُجَّة ، والبرهانُ على صدِق الدَّعوى ، قال الألـوسي : وهـو ضربٌ من التهكم ، وقرأ نافـع ، وابـن عامـر ، ويعقـوب ﴿ بينـات ﴾ بالجمـع ، وابـن كثير وعـاصم وحمزة بالإفراد ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٣٥ .

المعنى : عند البصريين : كراهة أن تزولا[1] ، كما قال سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٣٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ** .. ﴾ [آية ٤١] .

يجوز أن يكون المعنى : لِزَوالهما يوم القيامة[2] .

ويجوز أن يُقال هذا وإن لم تزولا ، و« إِنْ » بمعنى « ما » وهو يشبه قوله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً** ﴾[3] .

قال أبو جعفر : وفي الآية سؤال ، يُقال : هذا موضعُ قدرةٍ ،

---

(١) يشير المصنف إلى أن قوله تعالى ﴿ أَنْ تَزُولا ﴾ منصوبٌ على أنه مفعولٌ لأجله أي كراهة زوالهما أو لئلا تزولا ، وأجاز الزجاج أن يكون في محل نصب مفعول به ، لأنَّ ﴿ يُمْسِكُ ﴾ بمعنى : يمنع ، أي يمنع زوال السموات والأرض .

(٢) هذا قولٌ حكاه بعض المفسرين ، أن المراد زوالهُما يوم القيامة ، عند طيِّ السَّماءِ ، وتبديل الأرضِ ، ونسفِ الجبال ، وهو وجهٌ ضعيف ليس بالقوي ، لأن الآية وردت على سبيل الفرض والتقدير أي ولو فرضنا زوالهما لم يمسكهما أحد ، ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة « وَلَوْ زَالَتَا » وهو الوجه الثاني الذي نبَّه إليه المصنف كما سنبيِّنُه إن شاء الله

(٣) هذا هو الوجه الصحيح في الآية كما ذهب إليه جمهور المفسرين ، أن الآية واردة على سبيل الفرض والتقدير ، والمعنى : إن الله تعالى بقدرته يُمسكُ السمواتِ والأرض من الزوال أو السقوط كما قال سبحانه ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ على الأَرض إلاَّ بإذْنِهِ ﴾ ولئن زالتا عن أماكنهما ــ فرضاً وتقديراً ــ لا يستطيع أحد كائناً من كان على إمساكهما ، فهما قائمتان بقدرة الله الواحد الأحد ، و« إن » نافية بمعنى « ما » قال الفراء : أي لو زالتا ما أمسكهما أحد ، قال وهو مثل قوله ﴿ ولئنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ اهـ وانظر القرطبي ٣٥٦/١٤ .

فكيف قال ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[1] ؟ .

فالجواب : أنهم لمَّا قالوا ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَداً ﴾ كادت الجبالُ تزولُ ، وكادتِ السَّمواتُ يَنْفطِرْن ، وكادت الأرضُ تخِرُّ ، لِعظَم ماقالوا ، فأسكنها اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، وأخَّرَ عِقَابَهم ، وحَلُم عنهم ، فذلك قوله سبحانه ﴿ إِنَّه كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [آية ٤١] .

٣٤ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ .. ﴾** [آية ٤٢] .

معنى ﴿ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ من اليَهودِ والنَّصَارى .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ .. ﴾** [آية ٤٣] .

﴿ **وَمَكْرَ السَّيِّءِ** ﴾[2] قيل : أي ومكْرَ الكفرِ .

---

(١) نبَّه المصنف إلى شبهةٍ قد تردُ ، وهي كيف ختم الآية بقوله ﴿ إنهَ كان حليماً غفوراً ﴾ والسياق أن يقال : إنه كان «قوياً قديراً» أو علياً كبيراً ؟ فأجاب بأن الآية تدل على أنَّ السموات كادت تنشقّ ، والأرض كادت تهدّ ، من شناعة كفر الكافرين ، كما قال سبحانه ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ﴾ ومع هذا القول الشنيع الذي تندك له السموات والأرض ، فإن الله كان حليماً بالعباد ، لا يعجلُ لهم العقوبة مع استحقاقهم للعذاب .

(٢) هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأصلُ فيها : المكرُ السيِّءُ ، قال الفراء في معاني القرآن٢/٣٧١ : أُضيف المكرُ إلى السيِّء ، وهو كقوله تعالى ﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِين﴾ ويؤيده قراءة عبدالله ﴿ وَمَكْراً سَيِّئاً ﴾ اهـ وللمفسرين في ﴿ ومَكْرَ السِّيء ﴾ قولان : أحدهما : أنه=

ثم قال تعالى ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ** ﴾ أي ولا ينزل مكروهُ المكْرِ السيِّءِ إلاَّ بأهله ، أي بالَّذِين يمكرونه[1] .

٣٦ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِين** .. ﴾ ؟ [آية ٤٣] .

أي فهل ينتظرون إلاَّ سُنَّة الأوَّلين[2] في العذاب حين كفروا ؟

٣٧ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ** ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ** .. ﴾ [آية ٤٥] .

قال أبو عبيدة : يعني النَّاسَ خاصَّة[3] .

وعن عبد الله بن مسعود ما يدلُّ على أنه يعني النَّاسَ وغيرهم .

= الشركُ ، قال ابن عباس : لاينزل عاقبةُ الشرك إلّا بمن أشرك واختاره الطبري .

والثاني : أنه المكرُ والخديعةُ برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، وهو الأظهر والأشهر .

(١) قال ابن جزي : والمعنى : لا يُحيط وبالُ المكرِ السيِّءِ إلاَّ بمن مَكَره ودبَّره ، وقال كعبٌ لابن عباس : إنَّ في التوراة « مَنْ حَفَر حُفْرةً لأخيهِ وقع فيها » فقال ابن عباس : وأنا أجد هذا في كتاب الله تعالى ، قال أين ؟ قال في قوله تعالى ﴿ ولايَحِيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهلِهِ ﴾ اهـ التسهيل ٣٤٨/٣ .

(٢) السُّنَّة : الطريقة والعادة ، والمعنى : هل ينتظرون إلاَّ عادة الله وسنتَّه في الأمم المتقدمة من إهلاكهم وتعذيبهم ؟ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٥٤/٢ وإلى هذا ذهب الأخفش والحسين بن الفضل ، قالوا : أراد بالدابة الناس وحدهم ، وانظر القرطبي ٣٦١/١٤ .

قال : كاد الجُعَلُ[1] يُعذَّبُ بذنبِ بني آدم[2] ، ثم تلا ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**[3] .. ﴾ الآية .

قال قتادة : قد فُعِلَ ذلكَ في أيَّامِ نوحٍ صلى اللـه عليـه وسلم[4] .

وقولُه تعالى ﴿ **عَلَى ظَهْرِها**[5] ﴾ [آية ٤٥] .

قيل : قد عُرِف أن المعنى على ظهر الأرض .

قال أبو جعفر : والأجودُ أن يكونَ الإضمارُ يعودُ على ما جَرَى

---

(١) الجُعَلُ : قال في المصباح : وزان عمر : الحرباء ، وجمعه جُعْلان .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وابن المنذر ، والحاكم ، وصحَّحه عن ابن مسعود ، ولفظه « إنْ كاد الجُعَلُ ليُعذَّب في جُحره من ذنب ابن آدم ، ثم قرأ الآية ﴿ ولو يُؤاخذُ اللَّهُ النَّاسَ .. ﴾ الآية ، وانظر الدر المنثور ٥/٢٥٦ .

(٣) قال القرطبي : والقول الأول أظهر أن المراد به جميع الحيوان مما دبَّ أو درج كما قال ابن مسعود لأنه عن صحابي كبير . اهـ .

(٤) مراده أن الله أغرق كلَّ من على وجه الأرض ، من إنسان وحيوان ، في زمن نوح عليه السلام ، ولم ينج من الغرق إلاَّ من ركب مع نوح في السفينة ، كما قال سبحانه ﴿ فاحملْ فيها من كلٍّ زوجين اثنين ﴾ الآية فدلَّ على أن الطوفان كان عاماً ، شمل الإنسان والحيوان .

(٥) سقطت من المخطوطة وأثبتناها من كتابه إعراب القرآن ، وعبارتُه هناك ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ يعود على الأرض وقد تقدَّم ذكرها .

ذكرهُ[1] ، في قولِهِ سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ .

٣٨ ــ وقولُه جل وعز : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [آية ٤٥] .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي أجلُ عقابهم[2] .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ أي بصيراً بما يستحقُّ كلُّ فريقٍ منهم .

* * *

« إنتهت سورة فاطر »

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٥٤٦/٦ : والمعنى : لو آخذهم اللهُ بجميع ذنوبهم ، لأهلكَ جميعَ أهلِ الأرض ، وما يملكونه من دوابٍّ ، وأرزاق . اهـ .

(٢) هذا كما يقول علماء اللغة : من باب « الحذف والإيجاز » والمرادُ : أجلُ عقابهم ، وعبارة الطبري كما في تفسيره ١٤٧/٢٢ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجلُ عقابهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ مَنْ الذي يستحقُّ أن يُعاقب منهم ، ومن الذي يستوجب الكرامة ، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً ، ومن كان فيها به مشركاً ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يعزُبُ عنه علمُ شيءٍ من أمرهم . اهـ .

تفسير سورة يس

مكية وآياتها ٨٣ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس وهي مكيّة[1]

١ ـــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ يٓسٓ . وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ ﴾ [آية ٢] .

وقرأ عيسى[2] ﴿ يَاسِينَ ﴾ بفتح النون .

رَوَى سفيان عن أبي بكرٍ الهُذلي عن الحسين ﴿ يٓسٓ ﴾ قال : افتتاح القرآن[3] .

ورَوَى هُشَيمٌ ، عن حُصَيْن ، عن الحَسَنِ قال : ﴿ يٓسٓ ﴾ قال : يا إنسان[4] ، وكذلك قال الضحاك .

---

(١) هي مكية بإجماع وهي ثلاث وثمانون آية ، واستثنى بعض العلماء من السورة قوله تعالى ﴿ إنا نحن نُحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فقال : إنها مدنية لأنها نزلت في « بني سلمة » من الأنصار ، حين أرادوا أن يتركوا ديارهم ، وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ ، وتسمى هذه السورة قلب القرآن ، فقد روى الترمذي عن أنس مرفوعاً (إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن يسٓ) .

(٢) هو « عيسى بن عمر » مقرئ الكوفة المتوفى سنة ١٥٦هـ وانظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ٦١٢/١ . وهذه القراءة بفتح النون ﴿ يسنَ ﴾ من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٠٣/٢ .

(٣) يعني أن « يسٓ » من الحروف المقطَّعة التي تبتدئ بها أوائل السوار ، للتنبيه على إعجاز القرآن .

(٤) ذكر هذا الأثر القرطبي ٤/١٥ وابن كثير ٥٤٨/٦ وفي الدر المنثور ٢٥٨/٥ .

وقال عكرمةُ : هو قسمٌ[1] .

وقال مجاهد : من فواتح كلامِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال قتادة : هو اسمٌ للسورة[3] .

وقراءةُ عيسى تحتمل أن تكون اسماً للسورة ، ونُصِبَ بإضمارِ فعْلٍ[4] .

ويجوز أن يكون الفتح لالتقاء الساكنَيْنِ .

قال سيبويه : وقد قرأ بعضُهم ﴿ **يَسَنَ . والقرآنَ** ﴾[5] و﴿ **قَ . والقرآنَ** ﴾ يعني بنصبهما جميعاً .

قال : فمن قال هذا ، فكأنه جعله اسماً أعجميًّا ، ثم قال : اذكر ياسينَ .

---

(١) هذا القول مروي عن كعب أيضاً كما في القرطبي ١٥/٥ فقد قال كعب « يسٓ » قسَم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام قال يا محمد : إنك لمن المرسلين ، قال النقاش : لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلَّا له عليه السلام ، وفيه من تمجيده وتعظيمه ما فيه ، وحكى القشيري عن ابن عباس قال : قالت كفار قريش لست مرسلاً ، وما أرسلك الله إلينا ، فأقسم الله بالقرآن المحكم أن محمداً من المرسلين .

(٢ـ ٣) الأثر عن مجاهد ، وقتادة أخرجهما الطبري ١٤٨/٢٢ وابن الجوزي ٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٨/٥ .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٧٧/٤ على معنى أتلُ يسنَ قال : والتسكين أجود لأنها حروف هجاء .

(٥) هذه قراءة عيسى بن عمر الكوفي كما تقدم ، وعدَّها ابن جني في المحتسب من القراءات الشاذة ٢٠٣/٢ وكذلك قراءة الضم ﴿ يٓسنُ ﴾ وقراءة الجمهور ﴿ يٓسنْ ﴾ بإظهار النون .

قال أبو جعفر : هذا يدلُّ على أن مذهب « سيبويهِ » في « يسٓ » أنه اسمُ السورة ، كما قال قتادة[1] .

قال سيبويه : ويجوز أن يكون ﴿ يسٓ ﴾ و﴿ صاد ﴾ اسمين غير متمكنين ، فيُلزما الفتحَ ، كما أُلزِمت الأسماءُ غيرُ المتمكِّنةِ الحركاتِ ، نحو « كَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وحَيْثُ ، وأَمْسِ »[2] .

٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [آية ٣و٤] .

خبرٌ بعد خبر[3] .

ويجوز أن يكون ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ من صلة

---

(١) قول قتادة أنه اسم للسورة تقدَّم ، والأثر ذكره الطبري في تفسيره ١٤٨/٢٢ .

(٢) قال القرطبي ٣/١٥ : سبيلُ حروف الهجاء أن يوقف عليها ، وذكر سيبويه النصب ، وجعله من جهتين :
إحداهما : أن يكون مفعولاً ، ولا يصرفه لأنه عنده اسم أعجمي ، بمنزلة « هابيل » والتقدير اذكر ياسين .
وقوله الآخر : أن يكون مبنياً على الفتح ، مثل : كيفَ ، وأينَ . اهـ .

(٣) أي جملة ﴿ على صراط مستقيم ﴾ خبرٌ ثان بعد الخبر الأول ، وهو قوله : ﴿ إنك لمن المرسلين ﴾ الذي هو المقسم عليه واختاره الزجاج ٢٧٧/٤ قال النيسابوري في غرائب القرآن ٦/٢٣ : كثيراً ما يستعمل القسم ، بعد إفحام الخصم الألدِّ ، كيلا يقول إنك قد أفحمتني بقوة جدالك ، وأنت في نفسك خبيرٌ بضعف مقالك ، وأيضاً الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمر عظيم ، والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الإصغاء عليه ، وكانت العرب يتحرزون من الأيمانِ الفاجرة ، ويقولون : إنها تدع الديار بلاقع . اهـ .

المرسلين ، أي لمن المرسلين على استقامةٍ من الحقِّ .

٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [آية ٥] .

أي الذي أُوحي إليك ، تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ .

والنصبُ لأنه مصدرٌ[1] .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ لِتُنْـذِرَ قَوْمَاً مَا أُنْـذِرَ آبَاؤُهُـمْ فَهُـمْ غَافِلُـونَ ﴾ [آية ٦] .

قال قتـادة : قال قومٌ : لِتُنْذِرَ قومـاً ما أَتى آباءَهُـمْ قبـلَكَ من نذير .

وقال قوم : لِتُنذِرَ قَوْماً مثلَ ما أُنِذرَ آباؤُهُمْ[2] .

قال أبو جعفر :إِ المعنى على القول الثاني : لتنذر قوماً بما أُنـذر

---

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ﴿تنزيلُ العزيزِ الرَّحيمِ﴾ بالرفع ، وقرأ ابـن عامـر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿ تنزيلَ العزيز ﴾ نصباً ، وكلاهما من السبع ، فقراءة الرفع على أنه خبرٌ لمبتدإٍ محذوف ، تقديره : هذا القرآن تنزيل العزيز الـرحيم ، وقـراءة الـنصب على المدح ، أو على المصدرية ، أي نزل تنزيل ، وانظر روح المعاني ٢٢/٢١٢ .

(٢) الأثـر في الـطبري ٢٢/١٥٠ و ﴿ ما ﴾ على قول قتـادة نافيـة ، والمعنى : لتنـذر قومـاً لم يُرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم ، وعلى القول الثاني « ما » اسم موصول بمعنى الـذي ، والمعنـى : لتنذر قوماً مثل الذي أُنذره آباؤهم ، والقول الأول أرجح ، وهو اختيار الأكثرين من المفسرين لقوله تعالى : ﴿ فهم غافلون ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم ، ويؤيد هذا الوجه قوله تعـالى : ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ وقوله تعـالى ﴿ لتنـذر قومـاً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ أي لم يأتهم نبي ، ولهذا اشتهروا بأنهم أهل الفترة .

آباؤهم ، كما قال سبحانه ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ﴾[1] .

٥ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾** [آية ٧] .

أي وجَبَ القولُ عليهم بكفرهم ، بأنَّ لهم النَّارَ[2] .

وقيل : عقوبةً على كفرهم .

٦ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً .. ﴾** [آية ٨] .

في معنى هذا أقوالٌ :

قال الضحاك : منعْنَاهم من النفقةِ في سبيل الله[3] ، كما قال تعالى ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ** ﴾[4] .

وقيل : هذا في يوم القيامة ، إذا دخلوا النَّارَ .

---

(١) لم يوضح المصنِّف وجه التمثيل في الآية التي استشهد بها ولو أكملها لوضح المعنى وهي قوله تعالى ﴿ فإن أعرضو فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ويكون معنى الآية لتنذر قوماً مثل ما أنذر آباؤهم ، فيتمُّ وجه الاستدلال .

(٢) المراد بالقول ما وعد الله به إبليس وأتباعه ، من مَلْءِ جهنم بهم ، وهو قوله تعالى ﴿ لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ فهو وعيد مقطوع للكفرة المجرمين .

(٣) عزاه صاحب الدر المنثور إلى الضحاك ٢٥٩/٥ والطبري إلى ابن عباس ١٥١/٢٢ وقال : يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير ، وهو كقول الله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك .. ﴾ الآية ، وكذا نقله عن ابن عباس الحافظ ابن كثير ٥٤٩/٦ .

(٤) سورة الإسراء آية ٢٩ .

والماضي بمعنى المستقبل[1] ، أو لأنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ أخبر به .

أو على إضمار « إِذَا كَانَ »[2] .

وقيل : جعلنا بمعنى وصفنا أنهم كذا[3] .

وقد حَكَى سيبويه أنَّ « جَعَلَ » تأتي في كلام العرب على هذا المعنى ، وهو أحدُ أقواله في قولِهم : جَعَلتَ متَاعَك بعضَه فوقَ بعض ، وقولِهِ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً** .. ﴾[4] .

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير عن الماوردي ٧/٧ وهو محمول على أن اللفظ ورد على حقيقته ، وأنه سيُفعل بهم ذلك في جهنم ، من وضع الأغلال والسلاسل في أعناقهم غداً في النار كقوله تعالى ﴿ إِذِ الأَغلالُ في أعناقهم والسلاسل ﴾ وأخبر عنه بلفظ الماضي « إنا جعلنا » لأنه أمر مقطوع مؤكد كقوله سبحانه ﴿ أتى أمر الله ﴾ .

(٢) توضيحه أن المعنى : إذا كان يوم القيامة ، جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان ..

(٣) هذا القول بعيد ، وخلاصة القول في الآية ما ذهب إليه الجمهور ، أنه من باب « التمثيل والتصوير » شبَّههم بمن جُعل في عنقه غلٌّ ، يمنعه من الالتفات ، وغُطِّي على بصره ، فصار كالأعمى لا يُبصر ، وهذا ما اختاره ابن كثير ، وأبو السعود ، وابن جُزيٍّ ، قال في تفسير الجلالين : وهذا تمثيل ، والمراد أنهم لا يُذعنون للإيمان ، ولا يخفضون رءوسهم له . اهـ.ومما يرجح هذا الرأي قوله تعالى قبلها ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ وقوله بعدها ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قال القرطبي وعزاه إلى ابن سلَّام وأبي عُبيدة : إنه مثلٌ ضربه الله تعالى لهم ، في امتناعهم من الهدي ، كامتناع المغلول ، وهذا كما يقال : فلان حمار ، أي لا يبصر الهدى ، وكما قال « لهم عن الرشد أغلال وأقياد » . اهـ.القرطبي ٨/١٥ وانظر تفسير ابن كثير ٥٤٩/٦ .

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٤٣ .

٧ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ [آية ٨] .

والمعنى : فأيديهم إلى الأذقان ، ولم يَجْرِ للأيدي ذِكرٌ ، لأنَّ المعنى قد عُرِفَ ، كما قال :

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهَاً
أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهمَا يَلِينِي

أَأَلْخَيرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ
أَمِ الشَّرُّ الَّذِي لا يَأْتَلِينِي[1]

وفي قراءة عبدِ اللهِ بن مسعود ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالاً ﴾[2] .

ثم قال تعالى ﴿ فَهُمْ مُقْمَحُونَ[3] ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي رافعوا رءوسِهِم ، وأيديهم على أفواههم[4] .

---

(١) البيتان لسُحَيم بن وثيل الرياحي ، وهما من شواهد الفراء في معاني القرآن ٢٧٣/٢ والطبري ١٥١/٢٢ وقد أوردهما الزجاج في معانيه ٢٧٩/٤ وعزاهما إلى المثقب العبدي ، والشاهد فيه أنه ذكر الخير في قوله « أريدُ الخير » ولم يذكر الشرَّ ، لعلمه من السياق ، ودلالة الكلام عليه .

(٢) هذه القراءة شاذة ، وهي محمولة على التفسير ، وليست من القراءات السبع المعتمدة ، ولا يقرأ بما خالف المصحف كما نبه على ذلك الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٧١٠/٢ .

(٣) قال أهل اللغة : الإقماحُ : رفع الرأس ، وغضُّ البصر ، يُقال : أُقمَح البعير إذا رفع رأسه عند الحوض ، وامتنع من الشُّرب ، وانظر القاموس المحيط ، مادة قمح .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ١٥١/٢٢ وابن كثير ٥٥٠/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥٩/٥ .

وقال **الفراء** : هو الرافع رأسَهُ ، الغاضُّ بَصَرَه[1] .

وقال **أبو عُبيدة** : هو الذي يُجْذَبُ ، وهو رافعٌ رأسه[2] .

قال **أبو جعفر** : المعروف في اللغة : أن « المُقْمح » الرافعُ رأسَه لمكروهٍ ، ومنه قيل لِكَانُوْنيْنِ[3] : « شَهْرَا قِمَاحٍ » لأن الإبل إذا وردت فيهما الماءَ ، رفعتْ رؤوسَها من البَرْدِ ، ومنه قوله :

وَنَحنُ عَلَى جَوانِبِها قُعُوْدٌ
نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ القِمَاحِ[4]

٨ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا .. ﴾** [آية ٩] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٣ .

(٢) عبارة أبي عُبيدة كما في مجاز القرآن ٢/١٥٧ : المُقْمح والمُقْنع واحدٌ ، تفسيره أي يَجْذب الذَّقْن حتى يصيرَ في الصَّدْر ، ثم يرفع رأسه ، قال بشر الأسدي :

ونحن على جوانبها قُعُودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِمَاحِ

أي كالإبل ترفع رأسها وتغمض عينيها بعد أن تشرب من الماء .

(٣) هما شهرا « كانون الأول » و « كانون الثاني » الأول نهاية العام الميلادي ، والثاني بداية العام الميلادي أعني ـــ ميلاد السيد المسيح ـــ وهما أشد شهور الشتاء برداً ، قال في القاموس : الكانون : شهران في قلب الشتاء . اهـ. وفي تاج العروس : شهران في قلب الشتاء ، الأول ، والآخر ، رومية ، وهما عند العرب : الهَّراران ، والهَبَّاران وهما شهرا قِماح ، بكسر الأول وضمّه . اهـ.

(٤) البيت لبشر بن أبي خَازِم الأسدي ، يصف سفينة ، وانظر مجاز القرآن ٢/١٥٧ وتفسير الطبري ١٥/٨ .

قال أبو جعفر : السَّدُّ ، والسُّدُّ : الجبلُ ، والمعنى أعميناهم[1] ، كما قال :

وَمِنَ الحَوَادِثِ ـــ لا أَبَالَكِ ـــ أَنَّنِي
ضُرِبَتْ عَلَيَّ الأرضُ بالأَسْدَادِ[2]
لَا أَهْتَدِي فِيهَا لِمَوْضِعِ تَلْعَةٍ
بينَ العُذَيْبِ وَبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ

قال عكرمة : كلُّ ما كان من صنعةِ اللَّهِ عز وجل فهو سَدٌّ ، وما كان من صنعة المخلوقين فهو سُدٌّ[3] .

وقال ابنُ أبي إسحق : كلُّ ما لا يُرى فهو سَدٌّ ، وما رُئِيَ فهو سُدٌّ .

ويُروى أنهم أرادوا النبيَّ ﷺ بسوءٍ ، فأحال الله جلَّ وعزَّ

---

(١) في الآية استعارة تمثيلية ، فقد شُبهت حال الكفار في امتناعهم من الهدى والإيمان ، بشخص غُلَّت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال ، فأصبح رأسه مرفوعاً ، لا يستطيع خفضاً له ولا التفاتاً ، وبمن سُدَّت الطُّرق في وجهه ، فلم يهتد لمقصوده ، وعلى هذا أكثر المفسرين .

(٢) البيتان للأسود بن يَعْفُر النَّهْشَلي كما في المفضليات ص ٢١٦ وقد ذكره في لسان العرب مادة « سَدَد » على أن جمع الأسداد سُدّ ، واستشهد به الأزهري في تهذيب اللغة ٢٧٨/١٢ وقال معناه : سُدَّت عليَّ الطُّرق ، وعَمِيَتْ عليَّ مذاهبي ، قال : وواحد الأُسداد سُدٌّ . اهـ.

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٢٨٠/٤ وفي لسان العرب سَدَد قال : وحكى الزجاج ما كان مسدوداً خِلْقَةً فهو « سُدٌّ » وما كان من عمل الناس فهو « سَدٌّ » وعلى ذلك وجَّه قراءة من قرأ ﴿ حتى إذا بلغ بين السَّدَّين ﴾ بالفتح والضم . اهـ.

بينهم وبينه ، أي فصاروا كأنَّ بينهم وبينه سَدًّاً ، وكأنَّ في أعناقهم أغلالاً ، كذا قال عكرمة ، ونزلت في أبي جهلٍ[1] .

٩ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [آية ٩] .

التَّغْشيةُ : التَّغطيةُ ، ورُوي عن ابن عباس ، وعمرَ بن عبد العزيز ﴿ فَأَعْشَيْنَاهُمْ ﴾ بالعين غير مُعجمة[2] ، كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[3] .

١٠ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ .. ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٢/٢٢ بسنده عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن وأفعلن ، فنزلت ﴿ إنا جعلنا .. ﴾ الآية فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو ؟ لا يبصره ، وذكره القرطبي في تفسيره ٧/١٥ ورواه ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٧ عن مقاتل قال : حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليدمغنَّه ، فجاءه وهو يصلي فرفع حجراً فيبست يده ، والتصق الحجر بيده ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر ، فقام رجل منهم فأخذ الحجر ، فلما دنا من رسول الله ﷺ طمس الله على بصره فلم يره ، فنزلت ، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٣٩ رواه ابن أبي إسحاق في السيرة ورواه أبو نُعيم في الدلائل بنحوه .

أقول : وأصله في البخاري ٧٢٤/٨ قال ابن عباس : قال أبو جهل : « لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة ، لأطأنَّ على عنقه .. » الحديث ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٢٥٨/٥ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٠٤/٢ وهي من عَشِي يَعْشَى إذا ضعف بصره .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٣٦ والمعنى : ومن يَتَعَامَ ويُعرض عن عبادة ربه وطاعته ، نُهيء له شيطاناً ونسلِّطه عليه ، فهو صاحبٌ ملازم .

رَوَى سِمَاكٌ عن عكرمة عن ابن عباس : « كانت الأنصار بعيدةً من المسجد ، فقالوا : نأخذُ أمكنةً تقربُ من المسجد ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ فقالوا : نثبتُ مكاننا[1] .

وقال مسروق : مَا منْ رَجلٍ يَخطُو خُطْوةً إلاَّ كتب اللَّهُ له حسنةً أو سيِّئةً[2] .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ آثَارَهُمْ ﴾ : خُطَاهم[3] .

وقال سعيدُ بن جُبير : ﴿ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ أعمالهم ، و﴿ آثَارَهُمْ ﴾ ما سَنُّوا بعدهم[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٤/٢٢ من رواية ابن عباس بهذا اللفظ ، وذكره ابن كثير ، والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٠/٥ وقد جاءت روايته في صحيح مسلم ٤٦٢/١ من حديث جابر بن عبد الله ولفظه قال : « خَلَتِ البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سَلِمَةَ أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سَلِمة : دياركم تكتبْ آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم » ـــ أي الزموا دياركم يكتب لكم ثواب المشي إلى المسجد والرجوع منه ـــ وفي بعض الروايات في مسلم : « فقالوا : ما كان يسرُّنا أنا كنَّا تحوَّلنا » . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه عبد بن حميد عن مسروق بلفظه وانظر الدر المنثور ٢٦٠/٥ وهذا يدل على أن آثار الخطى تكتب سواء كانت للمسجد أو غيره .

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٥٥/٢٢ والقرطبي ١٢/١٥ وهذا قول الحسن البصري أيضاً وفي الطبري قال الحسن : « وآثارهم » خطاهم ، وقال قتادة : لو كان مُغْفِلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم ، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار .

(٤) هذا قول ابن عباس أيضاً واختاره الفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج كما في زاد المسير ٩/٧ ويؤيده=

١١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [آية ١٣] .

قال **عكرمة** : هي أنطاكيةُ(١) .

قال **أبو جعفر** : يُقال : عندي ضُرُوبٌ من هذا ، أي أمثالٌ(٢) .

فالمعنى على هذا : ومثِّلْ لهم مَثَلاً أي اذكر لهم مثلاً ﴿ **أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ** ﴾ على البدلِ ، أي اذكرْ أصحابَ القرية .

والمعنى : واذكر خبرَ أصحابَ القريةِ إذْ جاءَها المرسلون .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** .. ﴾ [آية ١٤] .

= حديث مسلم « من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها .. » الحديث .

(١) هذا قول الأكثرين من المفسرين أنها « أنطاكية » بأرض الروم ، واستشكل الحافظ ابن كثير هذا القول لأن أهل أنطاكية قد آمنوا ، وأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة ، أو تكون أنطاكية مدينة أخرى غير هذه المعروفة المشهورة .

(٢) مراد المصنف أن معنى « اضربْ » مثِّل أي مثِّل لهم مثلاً من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال ، وهذه الأشياء على ضرب واحد على مثال واحد ، ومعنى الآية : اذكر لقومك هذه القصة العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل .

قال قتادة : أَرْسَلَ إليهم عيسى ﷺ ، اثــنين من الحواريِّين ، فكذَّبوهما[1] .

وقــال كعبٌ ووهبٌ : أرسل اللــه جلَّ وعــزَّ إلى « أنطيخس »[2] الفرعون بأنطاكيـة ــ وكان يعبـد الأصنـام ــ اثـنين ، ثم عزَّزَ بثالث .

قال الفراء : الثالثُ أُرسل قبل الإثنين ، وفي التـلاوة كأنـه أُرسل بعدهما ،

قال : ومعنى ﴿ **فَعزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾ : فعزَّزنا بتعليم الثالث[3] .

---

(1) ذكره الطبري ١٥٥/٢٢ وفي البحر ٣٢٦/٧ وفي زاد المسير ١١/٧ وهذا القـول المروي عن قتـادة هو أحد قولين للمفسرين ، واختاره صاحب الجلالين ، والكشاف ، وهو قول مرجوح . والقـول الثاني : أنهم رسل الله أرسلهم الله إلى أهـل القريـة ، وهـذا قول ابـن عبـاس ، وكـعب الأحبـار ، ووهب بن منبه ، وهو الأظهر والأرجح للآتي :

أولاً : إن ظاهر القـرآن يدل على أنهم رسل الله عز وجـل لقولـه ﴿إذْ أرسلنـا﴾ وقولـه ﴿فعزَّزنـا بثالث﴾ وقولهم ﴿إنا إليكم مرسلـون﴾ وقـولهم ﴿ربنـا يعلـم إنـا إليكـم لمرسلـون﴾ ولـو كانـوا من الحواريين لقالـوا : إنـا رسل عيسى إليكـم ، فإسنـاد الرسالـة إلى الله يدل على أنهم رسل من عنـد الله .

ثانيـاً : قول المشركين لهم « ما أنتم إلا بشر مثلنــا » فإن هذا إنما يقــال لمن ادعــى أن الله أرسله ، وهذا القول هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير ، وأبو حيان في البحـر المحيـط ، وصاحـب التسهيل ، وهو قول جمهور المفسرين .

(2) بالنون والخاء ، وفي الطبري ١٥٦/٢٢ أن اسمه « ابطيحس بن ابطيحس » بالباء والحاء .

(3) عبارة الفراء في معاني القرآن ٣٧٣/٢ : والثالـث قد كان أُرسل قبل الإثنين فكُذِّب ، وقـد تراه في التنزيل كأنه بعدهما ، وإنما معنى قوله ﴿ فَعَزَّزنا بثالث ﴾ بالثالث الذي قبلهما ، وكلامـه كما قال المصنف ليس بظاهر .

قال : وفي قراءة ابن مسعود : « فعزَّزنا بالثَّالثِ »[1] وأهل وأهلُ التفسير على خلاف قوله ، وقَوْلُهُ ليسَ بالبيِّن ، والله أعلم.

قال الحسن ومجاهد : ﴿ **فَعَزَّزْنَا** ﴾ فشدَّدنا[2] .

قال الفراء : وقرأ عاصمٌ ﴿ **فَعَزَزْنَا** ﴾ خفيفة[3] ، قال : وهو مثل : شَدَدْنا ، وشدَّدنا .

قال أبو جعفر : والمعروفُ في اللغة أن معنى « عَزَزْنا » غلبْنَا وقهَرْنَا ، والمستقبل « يَفْعُل »[4] بالضم .

١٣ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا[5] بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ .. ﴾** [آية ١٨] .

---

(١) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٣٢٧/٧ وهي ليست من القراءات السبع .

(٢) عزَّزه : قوَّاه وشدَّ من أزره ، وفي المصباح المنير : تعزَّز : تقوَّى ، وعزَّزته بآخر : قوَّيته بالتثقيل ، وبالتخفيف ، من باب قتل . اهـ.

(٣) هذه قراءة عاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه ، وقرأ الباقون بالتشديد . اهـ. السبعة في القراءات ٥٣٩/٢ .

(٤) مراد المصنف أن « عززنا » بالتخفيف مضارعه يعزُزُ مثل قَتَل يَقتُل ، وأما قراءة التشديد فالمضارع يُعَزِّزُ مثل : قتَّل يُقَتِّلُ .

(٥) التطيُّر : التشاؤم ، وأصله مأخوذ من الطير ، إذا طار إلى جهة اليسار ، تشاءَم العرب به ، قال في المصباح : تطيَّر من الشيء ، واطيَّر منه ، والاسم الطِّيَرة وزن عِنَبة وهي التشاؤم ، وكانت العرب إذا أرادت المضيَّ لمهمٍّ ، مرَّت بمجاثم الطير وأثارَتْها هل تمضي أو ترجع ، فنهى الشارع عن ذلك . اهـ.

قال قتادة : أي ما أصابنا من شرٍّ فهو بكم[١] .

ثم قال تعالى ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ أي لنقتلنّكم رجماً[٢] .

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ [آية ١٩] .

رُوي عن مجاهد عن ابن عباس قال ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي الأرزاقُ والأقدارُ تتبعكُمْ[٣] .

قال أبو جعفر : ومن هذا قوله جل وعزَّ ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[٤] أي ما يَطِيرُ له من الخيرِ والشرِّ ، فهو لازمٌ له في عنقه ، على التمثيل[٥] .

---

(١) عبارة الطبري ١٥٧/٢٢ : قال قتادة ﴿ إِنَّا تَطَيَّرنا بكم ﴾ أي تشاءمنا بكم ، إن أصابنا شرٌّ فإنما هو من أجلكم . اهـ.

(٢) أي بالحجارة وهو قول قتادة ، وقال مجاهد : ﴿لنرجمنكم﴾ بالشتم أي لنشتمنَّكم ، والراجح الأول وانظر ابن كثير ٥٥٥/٦ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٥٧/٢٢ والقرطبي ١٦/١٥ وهو قول لبعض المفسرين ، والأظهر أن معنى ﴿ طَائِركم معكم ﴾ أي ليس شؤمكم بسببنا ، وإنما شؤمكم من أفعالكم ، بكفركم ، وعصيانكم ، وسوء أعمالكم ، وهذا ما رجحه جمهور المفسرين ، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عباس قال : شؤمكم معكم .

(٤) سورة الإسراء آية رقم ١٣ .

(٥) قوله على التمثيل أي : إنَّ الآية واردة بأسلوب التمثيل ، فإن الإنسان مرهون بعمله ، مجزيٌّ عليه ، وعمله ملازم له ملازمة القلادة للعنق ، لا ينفك عنه أبداً ، فالطائر هنا تمثيلٌ للعمل الذي اكتسبه الإنسان .

ثم قال تعالى : ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ قال قتادة : أي أإنْ ذُكِّرتم تطيَّرتم[1] ؟

وقَرَأ أبو رَزِين[2] ﴿ أَأَنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾[3] .

والمعنى على قراءته : ألِأَنْ ذُكِّرتم باللَّهِ ، أو بالعذابِ ، تَطَيَّرْتُمْ ؟

وقرأ عيسى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾[4] .

وقرأ الحسنُ : ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ وفسَّره : حيثُ ذُكِّرتُمْ طائرُكُم معكُمْ[5] .

١٥ ــ وقولـه جل وعز ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : هو « حَبِيبُ النَّجارُ »[6] .

---

(١) هذا شرط حُذف منه الجواب للدلالة عليه ، والتقدير : أإنْ ذُكِّرتم ونُصِحتم تشاءمتم وكفرتم ؟

(٢) أبو رَزِين العُقَيلي صحابي مشهور ، واسمه لقيط بن صَبِرة بكسر الباء وفتح الصاد ، ويُقال : لقيط بن عامر العقيلي ، وانظر ترجمته في أسد الغابة ٥٢٢/٤ وتقريب التهذيب لابن حجر ١٣٨/٢ .

(٣) حكى الفراء أن هذه القراءة قراءة أبي رزين ٣٧٢/٢ وعلى هذه القراءة تكون للتعليل أي لأجل أن ذكِّرتم كفرتم ؟ .

(٤ــ ٥) القراءتان عن الحسن ، وعيسى ، كلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٠ .

(٦) هذا هو المشهور الذي عليه جمهور المفسرين ، أن اسمه « حبيب النجار » كان رجلاً برًّا تقياً ،=

قال قتادة : كان يعبدُ اللَّـهَ جلَّ وعزَّ في غارٍ ، فلمَّا سمع بخبرِ المرسلين [جاء يسعى ، فقال للمرسلين : أتطلبون على ما جئتم به أجراً ؟ قالوا : لا ، ما أجرُنا إلاَّ على الله ، فقال يا قوم اتَّبِعُوا المرسلين][1] إلى قوله ﴿ **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ** ﴾ يقول هذا للمرسلين .

وقال كعبٌ ووهبٌ : قال هذا لقومه[2] .

قال قتادة : فرَجَمَه قومُه فقال : اللهمَّ اهدِ قومي ـــ أحسبه قال ـــ فإنهم لايعلمون ، فلم يَزَالوا يرجمونه حتى أَقْعَصُوه[3] ، فأدخلهُ

= وكان يسكن في أقصى المدينة ، فلما سمع بخبر الرسل ، جاء مسرعاً إلى قومه لينصحهم في عدم التعرض لرسل الله بالأذى ، قال الإمام القرطبي ١٥/١٨ : « كان حبيب مجذوماً ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضُرَّه ، فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل ودعوه إلى الله ، قال : هل من آية ؟ قالوا : نعم ، نحن ندعو ربنا القادر فيفرّج عنك ما بك ، فقال : إن هذا لعجيب ، إني أدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرُّج عني فلم تستطع ، فكيف يُفرِّجه ربكم في غداة واحدة ؟ قالوا : ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه لا تنفع شيئاً ولا تضر ، فآمن ودعوا ربهم ، فكشف الله ما به ، فلما همَّ قومه بقتل الرسل جاءهم مسرعاً وقال ما قصَّه القرآن . اهـ.

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبي ١٥/١٨ وبه تتم فائدة الكلام .

(٢) ظاهر الآية أن الخطاب كان لقومه أي اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي ، وقال ابن مسعود : خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم ، ومعنى ﴿ فاسمعون ﴾ أي فاشهدوا لي بالإيمان وكونوا شهوداً لي يوم القيامة .

(٣) أقعصوه : أي قتلوه قتلاً سريعاً قال في اللسان : القَعْصُ : القتل المعجَّلُ ، يُقال : مات فلان قَعْصاً : إذ أصابته ضربةٌ أو رميةٌ فمات مكانه ، وقعصتُه ، وأقعصتُه إذ قتلته قتلاً . اهـ اللسان لابن منظور .

اللهُ جلَّ وعزَّ الجنة ، ولم يُنْظِرِ اللَّهُ قومَه حتَّى أهلكهم[1] .

قال كعبٌ ووهبٌ : وثَبُوا عليه وَثْبَةَ رجلٍ واحدٍ ، فقتلوه ، فإذا هم خامدون[2] .

١٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٢٦] .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ** ﴾ قال : قيل له وَجَبَتْ لكَ الجَنَّةُ[3] .

١٧ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾** [آية ٢٩] .

وقرأ أبو جعفر[4] ﴿ إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ .

والمعنى على قراءته : إن وقعتْ عقوبَتُهُمْ إلاَّ صيحةٌ واحدةٌ ،

---

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ١٦١/٢٢ وابن كثير ٥٥٧/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦١/٥/٥ قال القرطبي : وقال قتادة : أدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق . اهـ.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق عن ابن عباس ، وكعب ، ووهب ، كما ذكره ابن كثير ٥٥٧/٦ والطبري ١٦١/٢٢ والقرطبي ١٩/١٥ ومعنى ﴿ خامدون ﴾ ميِّتون لا حراك لهم ، تشبيهاً لهم بالرَّماد الخامد ، وقال قتادة : هلكى ، والمعنى متقارب .

(٣) ذكر هذا الأثر الطبري ١٦٢/٢٢ والقرطبي ١٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٢/٥ وإنما نَحَى مجاهد هذا المنحى ، لأن دخول الجنة إنما يُستحق بعد الموت . اهـ.

(٤) « أبو جعفر » هو أبو جعفر بن القعقاع أحد القراء المشهورين ، وعدَّها ابن جنى في المحتسب ٢٠٦/٢ من القراءات الشاذة ، وعلى هذه القراءة تكون « كان » تامة .

﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[1] أي ساكنون بمنزلة الرَّمادِ الخامد .

١٨ ـ وقوله جل وعزَّ ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية ٣٠] .

وفي حَرْف أُبَيٍّ[2] ﴿ يا حَسْرَةَ العِبَادِ ﴾ أي هذا موضعُ حُضورِ الحَسْرةِ[3] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ الحَسْرةِ في اللُّغَةِ : أن يَلْحقَ الإنْسانَ من النَّدمِ ما يصيرُ بِهِ حَسِيراً[4] .

١٩ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٣١] .

---

(١) قال في المصباح : خَمَدت النار من باب قَعَد : هَمَدت ، فلم يبق منها شيء ، وخمد الرجل : مات ، أو أغمي عليه .

(٢) قوله « وفي حرفِ أبيٍّ » أي وفي مصحف أبيٍّ بن كعب ﴿ يا حسرة العباد ﴾ على الإضافة ، وهي قراءة الضحاك ومجاهد أيضاً ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ٢٠٨/٢ من الشواذ .

(٣) الحسرة معناها : التفجُّع ، والحُزن ، والأسى ، ونداء الحسرة إنما هو من باب الاستعارة ، لغرض التهويل والتعظيم ، كأنه يقول : يا حسرةً احضري فهذا وقتُك ؛ فإن هؤلاء الكفرة المكذبين ، أحقَّاء بأن يتحسَّر عليهم المتحسرون ، قال الحافظ ابن كثير : ومعنى الآية : يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، كيف كذبوا رسل الله ؟ وخالفوا أمر الله ؟ وقال ابن عباس معناه : يا ويل العباد . اهـ.

(٤) قال في اللسان : حَسِرَ يحْسَرُ حَسَراناً فهو حَسِيرٌ ، وحَسْران : إذا اشتدت ندامته على أمر فاته ، والحسرة : أشدُّ الندم ، حتى يبقى النَّادم كالحسير من الدوابِّ ، الذي لا منفعة فيه . اهـ. لسان العرب مادة حسر .

قال سيبويه : هو بدلٌ من « كَمْ » أي ألم يروا أنَّ القُرونَ التي أهلكناهم ، أنَّهم لا يَرْجعون ؟!

قال محمد بن يزيد[1] : هذا لايصحُّ ولا يجوز ، ومعنى ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا** ﴾ ؟ ألم يعلموا[2] ؟ لأنهم إنما أُخبِـرُوا بهذا ، و﴿ **كَمْ** ﴾ نصبٌ بـ ﴿ **أهلكنا** ﴾ .

والمعنى : ألم يعلموا كم أهلكنا قبلهم من القرون ؟ أي بأنهم إليهم لا يرجعون ، أي بالاستئصال .

قال : والدليلُ على هذا أنها في قراءة عبدالله بن مسعود ﴿ مَنْ[3] **أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴾ .

وقرأ الحسن : ﴿ **إِنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾[4] .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ [آية ٣١] .

---

(١) هو الإمام المبرّد أبو العباس البصري أحد أعلام اللغة المتوفى سنة ٢٨٥ وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) الرؤية هنا ليست بصرية ، وإنما هي قلبية ، بمعنى العلم ، والمعنى : ألم يعلم هؤلاء المكذبون من كفار مكة ، كم أهلكنا من الأمم قبلهم بعذاب الاستئصال ؟ أهلكناهم بحيث لا رجوع لهم إليهم ، ليعتبروا ويتعظوا ؟ .

(٣) ذكرها الطبري ٢٣/٣ فقال : وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود ﴿ ألم يروا مَن أهلكنا ﴾ ؟ وذكرها القرطبي ١٥/٢٤ وليست من القراءات السبع ، بل هي شاذة ، فتنبَّه والله يرعاك .

(٤) قراءة الكسر ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ذكرها الطبري ٢٣/٣ والقرطبي ١٥/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير = ٧/١٥ .

« إنْ » بمعنى « ما » و « لَمَّا » بمعنى « إلاَّ »[1] .

وحكى النحويُّون : باللَّهِ لَمَّا قمتَ ، بمعنى إلاَّ .

وفي حرفِ أبيٍّ بنِ كعبٍ[2] ﴿ وَإِنْ منهُمْ إلاَّ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ .

٢١ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا .. ﴾ [آية ٣٣] .

أي وعلامةٌ تدلُّ على قدرةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وإحيائِهِ الموتى ، الأَرضُ الميتةُ أَحْيَيْنَاهَا[3] .

٢٢ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ [آية ٣٥] .

---

(١) هذه على قراءة التشديد ﴿ لمَّا ﴾ والمعنى : وما كلٌّ إلا جميع لدينا محضرون ، وهي قراءة عاصم وحمزة ، وقرأ بالتخفيف الباقون « لَمَا » فتكون « إنْ » مخفَّفة من « إنَّ » الثقيلة ، واللامُ لامُ التأكيد ، دخلت على « ما » المزيدة ، وانظر التسهيل ٣/٣٥٥ .

(٢) أي وفي مصحف أبيٍّ بن كعب ، وانظر القرطبي ١٥/٢٥ وهذه القراءة ليست من السبع ، بل هي شاذة .

(٣) الأرض الميتة : هي الأرض اليابسة الهامدة التي لا نبات فيها ولا زرع ، شبهت بالميِّت ليُبسها وجفافها ، وإحياؤها بالمطر ، فإذا أنزل الله عليها الماء ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، قال القرطبي : نبَّههم تعالى بهذه الآية على إحياء الموتى ، وذكَّرهم على توحيده ، وكمال قدرته ، بالأرض الميتة أحياها بالنبات ، وإخراج الحب منها ، فمن الحب يأكلون ، وبه يتغذَّون . اهـ.

رُوِيَ عن ابن عباس : أي ولم تعمله أيديهم[1] .

وتُقرأ ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بمعنى : والذي عملت أيديهم[2] .

٢٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي الأصناف من الثمرات ، والحيوان ، وغيرهما .

٢٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [آية ٣٧] .

يُقال : سلختُ الشيءَ من الشيء : أي أزلتهُ منه ، وخلَّصتُه حتى لم يبقَ منه شيءٌ ﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ أي داخلون في الإظلام[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير عن ابن عباس وقتادة ٥٦١/٦ وذكره القرطبي ٢٥/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٥ و « ما » على هذا القول نافية ، أي ولم تعمله أيدي الناس ، ولا يقدرون على خلقه ، وإنما هو من رحمة الله بهم ، وهذا القول هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير .

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ٥٤٠/٢ و « ما » هنا اسم موصول بمعنى الذي ، قال السيوطي في إعجاز القرآن ص ٤٠٨ : أي ليأكلوا من ثمره ، ومما عملت أيديهم بالحرث ، والزراعة ، والغِراسة ، واختاره الطبري ، وهو الأظهر ، فالثمر من خلق الله ، وفيه آثار من كدِّ البشر .

(٣) هذه صورة بديعة من صور الجمال الفني في تعبير القرآن ، فالليل والنهار كأنهما جسد وعورة سُتِرا بلباس من الأنوار ، فإذا نُزع الثوب وأُزيل ، بدت ظلمة الليل الحالك ، كعورة الجسد =

٢٥ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾** [آية ٣٨] .

قيل المعنى : إلى موضع قرارها ، كما جاء في الحديث : (تذهبُ فتسجدُ بين يديْ ربِّها جلَّ وعزَّ ، ثم تستأذنُ بالرجوع ، فيُؤْذَنُ لها ..)(١) .

آي وآيةٌ لهم الشمسُ تجري لمستقرٍّ لها .

ويجوز أن تكون مبتدأةً ، و﴿ **لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** ﴾ الخبرُ ، أي لأَجَلٍ لها .

ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ لاَ مُسْتَقَرَّ لَهَا ﴾(٢) أي جارية ، لا تثبتُ في موضعٍ واحدٍ .

ورَوَى الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : (سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله جلَّ وعزَّ

= المكشوف ، وهكذا الأرض تتزين بالنهار بأبهى الحلل ، ثم يُنزع الستار ، ويُسلخ النهار ، فإذا بالظلام يلفُّ الكون بشبح مخيف ، وهذه هي الصورة الرائعة في أسلوب القرآن ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ فما أروعه وأبدعه من تصوير وبيان !!

(١) الحديث أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وانظر تخريجه في الصفحة التالية .

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي ١٩/٧ والقرطبي ٢٨/١٥ وفي البحر المحيط ٣٣٦/٧ وذكر أنها قراءة ابن مسعود وعطاء وعكرمة ، وهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢١٢/٢ وعلى هذه القراءة يكون المعنى : إن الشمس تجري لا قرار لها ، ولا وقوف ، فهي جارية أبداً إلى يوم القيامة .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ قال : مستقرُّها تحت العرش)[1] .

وقيل : إلى أبعدِ منازِلها في الغروبِ ، ثم ترجعُ ولا تجاوزُهُ .

٢٦ ـ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ [آية ٣٩] .

أي وآيةٌ لهم القمرُ[2] .

ويجوز أن يكون مبتدأً ، والخبرُ ﴿ **قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ** ﴾ والتقديرُ :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٥٤/٦ ومسلم ١٣٩/١ والترمذي ١٥٥/٢ وقال : حديث حسن صحيح ، ولفظ البخاري : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذرٍّ : أتدري أين تغربُ الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وزاد البخاري في بعض الروايات « ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ويقال : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها » وفي رواية الترمذي « وكأنها قد قيل لها : اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها » . اهـ.

أقول : وسجود الشمس تحت العرش حقيقة ، نؤمن بها ولا نعرف كيفيتها ، فإن كل شيء في الكون يسجد لعظمة الله وكبريائه كما قال سبحانه ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب .. ﴾ الآية .

(٢) هذا على قراءة الرفع « والقمرُ » وهي من القراءات السبع ، قرأ بها ابن كثير ونافع وأبوعمرو كما في النشر ٣٥٣/٢ وعلى قراءة النصب « والقمرَ » وهي قراءة حمزة وعاصم والكسائي يكون منصوباً على الاشتغال أي قدرنا القمر منازل . اهـ.

قدَّرنــاه ذا منــازِلَ ، كما قال سبحانــه ﴿ وَإِذَا كَالُوهُــم ﴾[1] أي كالوا لهم .

٢٧ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ القَدِيمِ ﴾ [آية ٣٩] .

قال قتادة : أي كالعِذْقِ اليابسِ المنحني ، من النَّخلة[2] .

قال أبو جعفر : الَّذي قاله قتادة ، هو الذي حكاه أهلُ اللغة ،

والعِذْقُ بكسر العينِ : هو الكِباسةُ والقِنْوُ ، وأهلُ مصرَ

---

(١) سورة المطففين آية رقم ٣ ، واستشهاده بالآية إنما يصحُّ على الوجه الثاني ، فقد قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ٧٢١/٢ : فإن قيل : القمرُ ليس هو المنازل ، فكيف قال ﴿ قدَّرناه منازل ﴾ ؟ ففي هذا جوابان : أحدهما : أن تقديره قدَّرناه ذا منازل مثل «واسأل القرية» والتقدير الآخر قدَّرنا له منازل ، ثم حذف اللام .. إلخ. فيكون استشهاده بالآية وجهاً .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٧/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٥ وهو قول ابن عباس ومجاهد ، والعُرجون من الانعراج وهو الانعطاف ، وهو عود عذق النخلة الذي فيه عناقيد الرطب ، ومعنى الآية ﴿ حتى صار كالعرجون القديم ﴾ أي حتى صار كغصن النخل اليابس ، وهو عنقود التمر حين يجفُّ ، ويصفرُّ ، ويتقوَّس ، قال الطبري : وإنما شبهه جلَّ ثناؤه بالعرجون القديم ــ وهو اليابس ــ لأن ذلك من العِذق ، لا يكاد يوجد إلا متقوِّساً منحنياً ، إذا قدم ويبس ، ولا يكاد يوجد مستوياً معتدلاً ، كأغصان سائر الأشجار ، فكذلك القمر في آخر الشهر ، قبل استسراره ــ اختفائه ــ صار في انحنائه وتقوسه مثل ذلك العرجون . اهـ.

أقول : شُبِّه القمر بالعرجون من ثلاثة أوجه : الدقة ، والانحناء ، والصفرة ، فالقمر إذا انتهى في النقصان في آخر الشهر ، صار دقيقاً ، رفيعاً ، منحنياً ، مصفراً ، ثم يختفي بعد ذلك ، ليظهر مرة أخرى من جهة المغرب ، علامةً على دخول الشهر الجديد ، فسبحان من صوَّره ، ونوَّره ، وكوَّره ، وجعل له ثمانية وعشرين منزلاً ، ذلك تقدير العزيز العليم !!

يسمُّونه الإسباطة ، وإذا جفَّ شُبِّه به القمرُ ، في آخرِ الشهرِ وأوَّله .

والعَذْقُ بفتح العين : النَّخْلَةُ[1] .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

قال الضحاك : أي لاتجيءُ الشمسُ ، فيغلبُ ضوؤُها ضوءَ القمر ، ولا يَطْلُعُ القمرُ ، فيخالط ضَوْءُه ضوءَ الشمس **﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾** قال : أي لايزول من قبلِ أن يجيءَ النهار[2] .

٢٩ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[3] ﴾** [آية ٤٠] .

---

(١) في الصحاح ١٥٢٢/٣ : العَذْقُ بالفتح : النخلة بحملها ، والعِذْقُ بالكسر : الكُباسة ، وعذقتُ النخلة : قطعتُ سعفها . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري ٨/٢٣ وابن كثير ٥٦٥/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٤/٥ وعبارته : لا يعلو هذا ضوء هذا ، ولا هذا على هذا . اهـ. وفي التفسير الكبير للفخر الرازي ٧٣/٢٥ : والآية إشارة إلى أن كل شيء من الأشياء المذكورة خُلق على وفق الحكمة ، فالشمس لم يكن لها سرعة الحركة ، بحيث تدرك القمر ، وإلَّا لكان في شهر واحد صيف وشتاء ، فلا تدرك الثمار ، وحركة الشمس كل يوم درجة ، وقد خلق الله في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة ، وهي الدورة اليومية ، وبهذه الدورة لا يسبق كوكب كوكباً أصلاً ، وفي قوله ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ إشارة إلى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة ، وفي قوله ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ إشارة إلى حركتها اليومية ، التي بها تعود من المشرق إلى المشرق مرة أخرى في يوم وليلة . اهـ.

(٣) سبحان الله ما أعظم قدرة الله ، وما أبدع صنعه !! إن الشمس تدور حول نفسها ، وكان المعتقد السائد أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها ، وجاء العصر الحديث ــ عصر العلم والاكتشاف ــ ليكشف لنا صدق ما قرره القرآن ، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، أن =

كلٌّ من سار سَيْراً فيه انبِساطٌ فهو سابحٌ[1] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ [آية ٤١] .

= الشمس ليست مستقرة في مكانها ، إنما هي تجري وتسير ، تجري فعلاً في اتجاه واحد في هذا الفضاء الهائل ، بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية ، والله الخبير بها وبجريانها يقول : إنها تجري لمستقر لها ، هذا المستقر الذي تنتهي إليه ، لا يعلمه إلا هو جل وعلا ، خالق السموات ومبدع الكائنات .

وحين يتصور الفكر البشري ، أن حجم هذه الشمس يبلغ حوالي مليون ضعف لحجم الكرة الأرضية ، وأن هذه الكتلة الهائلة المشتعلة ، تتحرك وتجري في الفضاء ، لا يسندها شيء ، يدرك الإنسان عظمة القدرة التي تمسك هذا الكون ، وتصرِّفه عن حكمة ، وقوة ، وعلم ، والمسافات بين النجوم والكواكب ، مسافات هائلة ، يكاد يضيق عن تصورها الخيال ، فالمسافة بين أرضنا وبين الشمس تقدَّر بنحو ٩٣ مليون ميل ، والقمر يبعد عن الأرض ٢٤٠ ألف ميل ، وهذه المسافة ــ على بعدها ــ ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى البعد ما بين المجموعة الشمسية ، وأقرب نجم من نجوم السماء إلينا ، وهي تقدر بـ ٤ سنوات ضوئية ، بسرعة الضوء ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة ، أي فإن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو « مائة وأربعة مليون مليون ميل » .

وقد قدَّر الله خالق هذا الكون ، أن تتحرك هذه الكواكب وتدور ، دون أن يصطدم نجم بنجم ، أو يخرج عن مداره الذي حدَّده الله له ، ليحفظه بقدرته من التصادم والتصدع ، حتى يأتي الأجل المعلوم بخراب العالم ، فتتناثر النجوم ، ويُجمع بين الشمس والقمر ، وتتشقق السموات ، وتندكُّ الجبال ، وتتفجر البحار ، وتنتهي حياة البشرية عن سطح هذا الكوكب الأرضي ، فسبحان القاهر القادر القائل ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فَلَك يسبحون ﴾ !! انظر تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب .

(١) معنى ﴿ يسبحون ﴾ يدورون ويجرون ، وهو مستعار من السَّبح بمعنى العَوْم في الماء ، شُبِّهت الكواكب في دورانها بالسَّابح يسبحُ في الماء ، والتنوين في ﴿ كُلٌّ ﴾ تنوين عوض عن الإضافة ، أي كلٌّ من الشمس ، والقمر ، والنجوم تدور في فلك السماء ، وفي الآية دلالة ظاهرة على أن =

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أنَّ المعنى : وآيةٌ لأهل مكة ، أنا حملنا ذريَّاتِ القرون الماضية ، في الفُلْك المشحون[1] .

٣١ ــ **وقوله جلَّ وعز** ﴿ **وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ﴾ [آية ٤٢] .

قال ابن عباس ، وأبو مالك ، وأبو صالح ، والحسن : يعني السُّفنَ[2] .

وقال عبدالله بن شدَّاد بن الهاد ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة : يعني الإبل[3] .

= جميع الكواكب تحت السموات بما فيها الشمس والقمر ، لأن الله تعالى أخبر أنها تدور وتجري ، ولو كانت داخل السماء ، لكان هناك شقٌّ وخرقٌ لها أثناء سيرها ودورانها ، وقد ذكر القرطبي عن الحسن البصري أنه قال : الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض ، غير ملتصقة بشيء ، ولو كانت ملتصقة ما جرت .. والغرضُ من الآية بيان قدرة الله في تسيير هذا الكون ، بنظام دقيق ، فالشمس لها مدار ، والقمر له مدار ، وكل كوكب من الكواكب له مدار ، لا يتجاوز في جريانه أو دورانه ، ولا يطغى أحدهما على الآخر ، ولو حدث شيء من هذا لخرب العالم .

(١) قال الطبري ٢٣/٩ : الفُلك هي السفينة ، والمشحون المملوء الموقر ، والمعنى : علامة على قدرتنا أننا حملنا من نُجِيَّ من ولد آدم ، في سفينة نوح عليه السلام . اهـ.

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٠ وابن الجوزي ٧/٢٢ وابن كثير ٦/٥٦٦ ولفظه : قال ابن عباس تدرون ما معنى ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ ؟ قلنا : لا ، قال : هي السفن ، جُعلت من بعد سفينة نوح على مثلها ، وذكر ابن كثير عنه قولاً آخر أنها الإبل .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٢٣/١٠ والقرطبي ١٥/٣٥ والدر المنثور ٥/٢٦٤ وللمفسرين في هذه الآية قولان : الأول أنها السفن ، خلق الله لهم من مثل سفينة نوح ما يركبون ، واختاره المصنف ، وهو الأظهر لقوله بعده ﴿وإن نشأ نُغرِقْهُم﴾ والثاني أنه الإبل فإنها سفن البر ، يحملون عليها ويركبونها مثل السفن المركوبة في البحر ، والعرب تسمي الإبل سفن الصحراء .

قال أبو جعفر : والإبلُ ، والدوابُّ في البرِّ ، بمنزلةِ السُّفنِ في البحرِ ، إلاَّ أنَّ الأوَّلَ أشبهُ بتأويل ذلكَ ، لدَلالة قوله ﴿ **وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ** ﴾ وإنما الغرقُ في الماء(١) .

٣٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ** ﴾ [آية ٤٣] .

قال قتادة : أي فلا مغيثَ لهم(٢) .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ** .. ﴾ [آية ٤٥] .

قال قتادة : أي ما بين أيديكم من الوقائع ، فيمن كان قَبْلَكم ، ﴿ **وَمَا خَلْفَكُمْ** ﴾ قال : من الآخرة(٣) .

---

(١) هذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال في تفسيره ٢٣/١١ : وأشبهُ القولين بتأويل الآية قول من قال : عنى بذلك السفن ، وذلك لدلالة قوله تعالى ﴿ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ﴾ وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء ، ولا غرق في البر . اهـ.

(٢) قول قتادةذكره الطبري ٢٣/١١ والقرطبي ١٥/٣٥ وفي الدر المنثور ٥/٢٦٥ و « صريخ » بمعنى مُصْرِخ أي لا مغيث ولا مجير قال في المصباح المنير : صَرَخَ صُرَاخاً فهو صارخ وصريخ إذا صاح ، واستصرختُه أي استغثتُ به فأغاثني ، فهو صريخ أي مغيث . اهـ.

(٣) ذكره في البحر المحيط عن قتادة ومقاتل ٧/٣٤٠ والقرطبي ١٥/٣٦ وابن الجوزي ٧/٢٣ وتوضيح قول قتادة أنه إذا قيل للمشركين احذروا سخط الله وغضبه ، واعتبروا بما حلَّ بالأمم السابقين قبلكم من العذاب ، واحذروا ما وراءكم من عذاب الآخرة ، أعرضوا واستكبروا ولم يلتفتوا إلى ذلك النصح والتذكير .

والمعنى على قول الحَكَم بنُ عُتَيْبَةَ[١] ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ من الدنيا أي مثلَ ما أصابَ عاداً وثموداً ﴿ **وَمَا خَلْفَكُمْ** ﴾ الآخرة .

وعلى قول مجاهد ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ من ذنوبكم . وما لم تعملوه[٢] .

وعلى قول ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** ﴾ الآخرةَ ﴿ **وَمَا خَلْفَكُمْ** ﴾ الدنيا ، وكذلك قالا في قول الله جلَّ وعز ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ** ﴾[٣] .

والتقديرُ في العربية : وإذا قيل لهم اتَّقُوا ما بين أيديكم ، وما خلفَكُمْ ، أعرَضُوا .

---

(١) الحَكَم بن عُتَيبة : هو أبو محمد الكندي الكوفي ، ثقة ثبت فقيه من الخامسة توفي سنة ١١٣هـ وانظر تقريب التهذيب ١٩٢/١ .

(٢) قال الطبري ١٢/٢٣ : وقول مجاهد « ما مضى من ذنوبهم » قريب المعنى من قول قتادة ، لأن معناه : اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم ، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد ، فذلك تخويف لهم بعد تخويف . اهـ.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧ وعبارته كما في تفسير ابن كثير ٣٩٠/٣ وعن ابن عباس : ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ أشكّكهم في آخرتهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ أرغبهم في دنياهم . اهـ.

أقول : هذا أحد الوجوه في تفسير الآية ، واختار الطبري أن المعنى : لآتينهم من جميع وجوه الحق ، والباطل ، فأصدُّهم عن الحقِّ ، وأحسِّن لهم الباطل ، قال ابن عباس : ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم . اهـ.

ودلَّ على هذا الحذف[1] ، قوله تعالى ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

٣٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ .. ﴾ [آية ٤٧] .

قال الحسن : هم اليهودُ[2] .

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ .. ﴾ [آية ٤٧] .

يقولون هذا على التهزُّؤ[3] .

٣٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [آية ٤٩] .

---

(١) حذفُ ما دل عليه اللفظ كثير في العرب ، وهو من أساليب البلاغة ، فإن قوله تعالى ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ أغنى عن ذكر الجواب ، وهو « أعرضوا » أي عن النصح والتذكير ..

(٢) ذكره القرطبي ٣٦/١٥ ولفظه : قال الحسن : يعني اليهود ، أُمروا بإطعام الفقراء . اهـ. وذكره في البحر أيضاً ٣٤٠/٧ قال : واللفظ أعمُّ فإنه في كل كافر بخيل يضنُّ بماله على الفقراء والمساكين ، ورُوي أنها نزلت في العاص بن وائل ، كان إذا سأله المسكين قال : اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك ، ويقول : قد منعه الله أفأطعمه أنا ؟ وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٥١٧/٣ .

(٣) أي كانوا يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء : أننفق أموالنا على هؤلاء المساكين ، لا والله لا نفعل ، أيفقرهم الله ونطعمهم نحن ؟

وفي حرفِ أُبَيٍّ ﴿ وهم يَخْتَصِمُونَ ﴾[1] والمعنى واحدٌ .

ويُقرأُ ﴿ يَخْصِمُونَ ﴾[2] أي يَخصم بعضُهم بعضاً .

ويجوز أن يكون معناه : وهم يَخْصِمون عند أنفسهم بالحجَّةِ ، من آمن بالسَّاعة[3] .

٣٧ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آية ٥٠] .

أي لا يُمْهَلونَ حتَّى يُوَصُّوا .

﴿ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي يموتون مكانهم[4] .

---

(١) هذه القراءة قراءة أبي بن كعب على الأصل ، فإن ﴿ يخِصِّمُون ﴾ أصلها يختصمون ، أدغمت التاء في الصاد ، وحركت بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين .

(٢) هذه قراءة حمزة والأعمش بإسكان الخاء وتخفيف الصاد وانظر النشر ٣٥٤/٢ .

(٣) هذا المعنى بعيد ـــ والله أعلم ـــ وإنما المعنى كما هو الظاهر والمتبادر ، أن الصيحة تأخذهم بغتة ، وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم ، ويتشاجرون ، وهذا ما أيده الحديث الصحيح (ولتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه ..) الحديث ، وقد اختاره الحافظ ابن كثير .

(٤) قوله ﴿ فلا يستطيعون توصيةً ﴾ أي لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم ، لشدة الفزع والهول ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ أي لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر ، وهذه النفخة هي نفخة الفزع ، وهي التي أشارت إليها آية النمل ﴿ونُفخ في الصُّور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ثم تليها نفخة الصَّعق ـــ أي نفخة الموت ـــ وهي التي أشارت إليها آية الزمر ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض .. ﴾ ثم بعد ذلك تكون نفخة البعث والنشور وهي التي أشارت إليها الآية هنا ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ واختار الطبري ، وابن كثير ، أن عدد النفخات ثلاث ، وحقَّق القرطبي أنهما اثنتان لا ثالث لهما ، وانظر تفسيره ٢٤٠/١٣ .

ويجوز أن يكون المعنى : ولا يرجعون إلى أهلهم قولاً .

٣٨ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ .. ﴾ [آية ٥١] .

قال أبو عُبَيْدَةَ : هو جمع صُورَة[١] .

يذهب إلى أن المعنى : ونُفخ في الأجسام ، واحتجَّ بقول الشاعر :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ[٢]

قال أبو جعفر : الذي قاله أبو عُبيدة ، لا يعرفهُ أهلُ التفسير ، ولا أهلُ اللغةِ .

والحديثُ على أنه الصُّورُ الذي يَنْفُخ فيه إسرافيلُ صلى الله عليه[٣] .

وأهلُ اللغة على أنَّ جمع « صُوْرة » صُوَرٌ .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ وهذا القول شاذ وضعيف ، وقد نسب إلى قتادة أنه قال : نفخ في الصُّوَر والأرواح ، جمع صورة كما ذكره القرطبي عنه ٤٠/١٥ ولكن المفسرين على خلافه ، والصحيح ما قاله المصنف .

(٢) البيت لجرير كما في ديوانه صفحة ٢٧٠ طبعة دار بيروت .

(٣) الصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين أن الصور هو قرن من نور ، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ، يشبه البوق ولكنه عظيم جداً للحديث الصحيح « كيف أنعم وقد التقم صاحب الصور القرن وأصغى بسمعه ينتظر الأمر . » الحديث .

وسيبويه وغيره يذهب إلى أن سُورَ المدينة ليس بجمع سورة[1] .

٣٩ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [آية ٥١] .

أي القبور ، يُقال للقبر : جَدَثٌ ، وجَدَفٌ[2] .

﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ قال أبو عبيدة : أي يُسرعون[3] .

٤٠ ـ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا .. ﴾ [آية ٥٢] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مرقدنا ﴾[4] .

---

(١) قال في المصباح : سُورُ المدينة : البناء المحيط بها ، والجمع أسوار ، مثل ثور وأثوار . اهـ.

(٢) الأجداث : جمع جدث وهو القبر ، كفرَس وأفراس ، وهذه لغة تهامة ، وأما أهل نجد فيقولون : جَدَف بالفاء ، وانظر المصباح المنير ، وتفسير الطبري ١٥/٢٣ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ قال : والذئب يَعْسِل ويَنْسِل . اهـ. وقال القرطبي ٤٠/١٥ يقال : عَسَل الذئب ونَسَل ، يَعْسِل ويَنْسِل من باب ضرب ، وهو الإسراع في المشي ، فالمعنى : يخرجون مسرعين ، كقوله تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً ﴾ .

(٤) هذه من القراءات الشاذة وهي كما قال ابن الأنباري محمولة على التفسير ، قال ابن جني ٢١٤/٢ : ومن ذلك قراءة أُبي بن كعب « مَن هَبَّنا من مَرْقدنا » قال : وقد أثبت أبو حاتم عن ابن مسعود « مَن أهبَّنا » بالهمزة ، وهي أقيسُ ، يُقال : هبَّ من نومه أي انتبه ، وأهبَبْتُه أنا أي أنبهتُه ، فأمَّا هبَّني أي أيقظني ، فلم أرَ لها في اللغة أصلاً ، ولعلَّها لغة قليلة . اهـ. المحتسب ٢١٤/٢ .

قال أُبَيُّ بنُ كعبٍ : ينامون نومةً قبل البعث [فيجدون لذلك راحةً فيقولون : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا][1] .

قال الأعمش[2] : بلغني أنه يُكَفُّ عنهم العذابُ بين النفختين ، فإذا نُفخ في الصور قالوا : مَنْ بعثنا من مرقدنا ؟[3] .

قال مجاهد وقتادة : هذا قولُ الكفار ، فقال لهم المؤمنون ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[4] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من الدر المنثور للسيوطي ٢٦٦/٥ لكمال المعنى ، وفي التسهيل لعلوم التنزيل ٣٦٠/٣ : قال أُبيٌّ بن كعب ومجاهد : إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر إلخ . قال ابن عطية : هذا غير صحيح الإسناد ، وإنما الوجه في معنى قولهم ﴿ من مرقدنا ﴾ أنها استعارة وتشبيه يعني : أن قبورهم شبّهت بالمضاجع ، لكونهم فيها على هيئة الرقاد ، وإن لم يكن رقاد في الحقيقة . اهـ.

(٢) الأعمش : هو « سليمان بن مِهْران الأُسدي الكوفي » أبو محمد ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءة توفي سنة ١٤٧هـ وانظر تقريب التهذيب ٣٣١/١ .

(٣) هذا الأثر نُسب إلى ابن عباس أيضاً كما في روح المعاني ٣٢/٢٣ أن العذاب يُرفع عنهم بين النفختين فيرقدون ، فإذا بُعثوا بالنفخة الثانية ، وشاهدوا الأهوال ، قالوا ذلك .. وقد ردَّ أبو حيان في البحر المحيط هذا القول ٣٤٠/٧ ، وقال : إنه غير صحيح الإسناد ، واختار أن المرقد استعارة عن مضجع الميت .

أقول : وهو الأظهر ، فإنه لا راحة للكفار في القبر ، ولا نوم لهم ولا هدوء ، لأن العذاب مستمر عليهم لا ينقطع لقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿ النار يُعرضون عليها غُدُواً وعَشِياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ﴾ والمراد بالنار هنا نار القبر لا نار الجحيم ، بدليل العطف عليه بقوله ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ اللهم نجنا من عذاب القبر .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري ١٦/٢٣ والقرطبي ٤٢/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٦/٥ ولفظه : عن قتادة قال : أوَّلُ الآية للكفار ، وآخرها للمسلمين ، قال الكفار ﴿ يا ويلنا من بعثنا من =

وقيل :هذا من قولِ الملائكةِ لهم[1] .

وقيل : التَّمامُ عند قوله ﴿ **هَذَا** ﴾[2] .

والمعنى : الَّذِي وعَدَ الرحمنُ حقٌ .

٤١ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ في شُغُل فَاكِهُونَ ﴾ [آية ٥٥] .

يُقال : فلانٌ فَاكِهٌ أي ذو فاكهةٍ ، وتَامِرٌ أي ذو تمرٍ ، كما قال الشاعر :

أَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ انَّكَ
لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ[3]

= مرقدنا ﴾ ؟ وقال المسلمون ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ وعن مجاهد إذا صيح بأهل القبور يقول الكافر : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ فيقول المؤمن إلى جنبه : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . اهـ. وهذا ما رجحه الطبري وابن كثير وهو أصح الأقوال .

(١) هذا قول آخر ذكره المفسرون ، وهو منقول عن الحسن البصري ، كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦/٧ .

(٢) هذا قول حكاه الزجاج ٢٩١/٤ ، وهو قول غريب خلاف الظاهر ولهذا قال : والمفسرون على القول الأول ، وهو قول أهل اللغة ، والمعنى على قوله : من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ فيكون لفظ الإشارة « هذا » صفة للمرقد ، ثم يبتدىء ﴿ ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ أي حق ، وهو تمحُّلٌ ظاهر .

(٣) هذا البيت للحطيئة وهو في ديوانه ص ١٦٨ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٤/٢ وانظر الطبري ١٩/٢٣ والشاهد فيه قوله : لابنٌ ، وتامرٌ أي ذو لبن ، وذو تمر ، كما يقال : فلان لاحمٌ ، وشاحم .

رَوَى ابنُ أبي طَلْحةَ عن ابن عباس ﴿ فَاكِهِينَ ﴾ : فرحين[1] .

وفي بعض التفاسير : ناعمين[2] .

فأمَّا ﴿ فَكِهُونَ ﴾ فقال الفراء : معناه كمعنى فاكِهين ، كما يُقال : حَذِرٌ ، وحَاذِرٌ ، وهذا أَوْلاَهَا[3] .

وقال أبو زيد[4] : يُقال رجلٌ فَكِهٌ : إذا كان طيِّبَ النَّفسِ ضَحُوكاً .

وقال أبو عُبَيْدَةَ : يُقال : هو فكِهٌ بالطعام ، أو بالفاكهة ، أو بأعراض النَّاس[5] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٩/٢٣ وابن كثير ٥٦٨/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٨/٧ .

(٢) هذا قول أبي مالك ، ومقاتل ، كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨/٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٠/٢ وعلى هذا القول ، لا فرق في اللغة بين اللفظين ﴿ فاكهين ﴾ و ﴿ فكهين ﴾ فمعناهما واحد ، كما يقال : فلان حاذر وحذر ، كما قال سبحانه في المطففين ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ وقد قرأ بها أبو جعفر ، وحفص .

قال الزمخشري : الفاكه والفَكِه : المتنعم والمتلذذ ، ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به ، وكذلك الفكاهة وهي المزاحة . اهـ. الكشاف ٢٩٠/٣ .

(٤) أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، من أئمة اللغة والأدب صاحب كتاب الأنوار المتوفى ٢١٥هـ وقد تقدمت ترجمته ٢٥٣/٣ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٣/٢ واستشهد على ذلك بقول الخنساء :

فَكِهَةٌ على حِينِ العَشَاءِ إذا ... حَضَرَ الشِّتَاءُ وعَزَّتِ الجُزُرُ

وقال قتادة : ﴿ فَكِهُونَ ﴾ : مُعْجَبون[1] .

٤٢ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾** [آية ٥٦] .

﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظِلٍّ .

ويجوز أن يكون جمعَ ظُلَّةٍ ، فأمَّا « ظُلَلٌ » فهو جمع ظُلَّةٍ لا غيرُ[2] .

قال ابن عباس وقتادة : ﴿ الْأَرَائِكُ ﴾ : السُّرُر في الحِجَالِ[3] .

وقيل : الفُرُش في الحِجَالِ .

---

(١) الأثر في الدر المنثور ٢٦٦/٥ وهو قول مجاهد والحسن ، كما ذكره الطبري ١٩/٢٣ وانظر زاد المسير ٢٨/٧ وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن أهل الجنة لا يأكلون عن جوع ، وإنما عن لذة ، كما قال سبحانه ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ وأما شُغلهم فقد قال ابن عباس : شَغَلهم فضُّ الأبكار ، وسماع الأوتار ، عن أهاليهم من أهل النار ، لا يتذكرونهم لئلا يتنغَّصوا .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : الظِّلُّ معروف والجمع ظلال ، وهو إنما يكون من ضوء شعاع الشمس ، وظل ظليل أي دائم الظل ، والظُّلَّة بالضم السحابة تظل . اهـ.

أقول والمقصود من الآية الكريمة الإخبار عن أهل الجنة أنهم في سرور وحبور ، وأنهم مع أزواجهم في ظلال الجنان الوارفة ، حيث لا شمس ولا زمهرير ، متكئين على السرر المزينة بالذهب والفضة وأنواع الحرير .

(٣) الحِجَال : جمع حَجَلَة وهو بيت للعروس يزين بالثياب ، والأَسِرَّة ، والستور ، قال في اللسان : والحَجَلة مثل القُبَّة ، وحجلة العروس معروفة ، وهي بيت يُستر بالثياب والأسِرَّة . اهـ

وقيل : هي الفُرُش أيـن كانت ، وهـذا معـروفٌ في كلام العرب ، قال ذو الرُّمَّة .

خُدُوْدَاً جَفَتْ في السَّيْرِ حَتَّى كأنَّما
يُبَاشِرْنَ بِالمَعْزَاءِ مَسَّ الأَرائِكِ[1] .

٤٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴾ [آية ٥٧] .

قال أبو عُبيدة : أي ما يتمنَّون ، يُقال : ادَّعِ عَلَيَّ ما شئت ، أي تَمَنَّ[2] .

قال أبو جعفر : هو مأخوذٌ من الدُّعاءِ بالشيءِ ، أي كلَّما دَعَوْا بشيءٍ أُعْطوه[3] .

٤٤ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) انظر ديوان ذي الرمة ص ٥٠٩ والمعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة ، والأرائك : السُّرر ، واحدتها أريكة يقول : إنهم من شدة النوم ، يرون الأرض الصلبة ذات الحجارة ، مثل الفرش على الأسرَّة .

(٢) انظر معاني القرآن لأبي عبيدة ١٦٤/٢ والقرطبي ٤٥/١٥ .

(٣) هذا اختيار الزجاج في معانيه ١٩٢/٤ وهو في زاد المسير ٢٨/٧ والمعنى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم دون تأخير ، ويمكن الجمع بين القولين أنهم ينالون كل ما يطلبون ويشتهون لقوله تعالى ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ﴾ وفي الدر المنثور عن أبي أمامة رضي الله عنه قال « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجيء إليه الإبريق فيقع في يده ، فيشرب فيعود إلى مكانه » . اهـ. الدر المنثور ٢٦٦/٥ .

قال الفراء : أي لهم ذلك سلامٌ أي مُسَلَّم[1] .

قال أبو إسحاق[2] : ﴿ **سلامٌ** ﴾ بدلٌ من ﴿ **مَا** ﴾ أي ولهم أن يُسلِّم اللَّهُ جلَّ وعزَّ عليهم ، وذلكَ غايةُ أمنيَّتِهم[3] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ **سَلَاماً** ﴾[4] .

قال أبو إسحاق : ﴿ **قَوْلاً** ﴾ أي يقول اللَّهُ ذلكَ السَّلامَ قولاً .

قال الفراء : **يجوز أن يكون المعنى** : ولهم ما يَدَّعُونَ قولاً ، كما تقول : عِدَةً[5] .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٣٨٠ ﴿ سلام قولاً ﴾ من رفع قال : ذلك لهم سلام قولاً أي ما يدَّعون هو لهم مسلَّم خالص . اهـ.

(٢) أبو إسحاق هو الزجاج وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٣) ما ذهب إليه الزجاج يؤيده حديث جرير البجلي أن رسول الله ﷺ قال « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ، ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم » رواه الثعلبي والقشيري ، قال القرطبي : ومعناه ثابت في صحيح مسلم .

(٤) هي قراءة أُبي بن كعب ، وابن مسعود ، والجحدري كما في زاد المسير ٧/٢٩ والمحتسب ٢/٢١٥ وهي من الشواذ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣٨١ وعبارته : ونصبُ القول إن شئت على أن يخرج من السلام ، كأنك قلت : قاله قولاً ، وإن شئت جعلته نصباً من قوله ﴿ ولهم ما يدَّعون ﴾ قولاً ، كقولك : عِدَةً من الله . اهـ.

٤٥ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [آية ٥٩] .

أي انفرِزُوا عن المؤمنين ، يُقـال : مِزْتُـه فانماز ، وامتـاز ، وميَّزتـهُ فتميَّز(١) .

٤٦ ـــ وقولـه جلَّ وعـز ﴿ أَلَـمْ أَعْهَـدْ إِلَيْكُـمْ يَا بَنِـي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُـدُوا الشَّيْطَانَ .. ﴾ [آية ٦٠] .

أي ألم أتقدَّمْ إليكم وأُوصِيكُم(٢) ؟! .

٤٧ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً .. ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : أي خَلْقاً(٣) .

قال أبو جعفر : فيه سبعةُ أوجُهٍ ، قُرِىء منها بخمسة .

فأما الخمسة التي قُرِىء بها فهي ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً ﴾

---

(١) قال الجوهري : مِزْتُ الشيء أميزُه مَيْزاً : عزلته وفرزته ، وكذلك ميَّزته تمييزاً فانماز وامتاز كله بمعنى واحد . اهـ.
قال في البحر ٣٤٣/٧ : ﴿ وامتازوا اليوم ﴾ أي انفردوا عن المؤمنين ، لأن المحشر جَمَعَ البرَّ والفاجر ، فأُمر المجرمون بأن يكونوا على حِدَةٍ من المؤمنين . اهـ. وقال القرطبي ٤٦/١٥ : يُقال لهم هذا عند الوقوف للسؤال أي اخرجوا من جملتهم .

(٢) العهد ههنا بمعنى الوصية أي ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل ؟ والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يُغويه ويزينه .

(٣) الأثر ذكره القرطبي ٤٧/١٥ والطبري ٢٣/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٧/٥ قال في اللسان : الجِبْلَة ، والجُبْلَة ، والجِبِلُّ ، والجِبِلَّةُ : الأمَّة من الخلق ، والجماعة من الناس ، وفي التنزيل ﴿ ولقد أضَلَّ منك جِبِلّاً كثيراً ﴾ أي خلقاً كثيراً . اهـ. لسان العرب مادة جبل .

و﴿ جِبْلاً ﴾ و﴿ جُبُلّاً ﴾ و﴿ جُبْلَاً ﴾ و﴿ جَبْلاً ﴾ .

وأما **الإثنان** اللّذان لم يُقْرأْ بهما فـ « جُبَلاً » و« جِبَلاً »[1] .

٤٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ .. ﴾**
[آية ٦٥] .

وفي قراءة عبدالله بن مسعود : ﴿ اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ وَلِتُكَلِّمَنَا أَيْدِيهِمْ ﴾[2] .

في الكلام حذفٌ على هذه القراءة ، كما قال تعالى **﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوْقِنِينَ ﴾**[3] .

---

(١) كل هذه الألفاظ من حيث اللغة صحيحة ، كما ذكره ابن منظور والجوهري وغيرهما من علماء اللغة ، وأما من حيث القراءات فمنها ما هو من القراءات السبع ، ومنها ما هو شاذ ، كما نبَّه عليه في المحتسب ٢/٢١٦ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢/٢١٦ وقد ذكر أنها قراءة طلحة عن أبيه عن جدِّه ، قال ابن جنّي : الكلام محمول على محذوف أي نختم على أفواههم ، ولِتُكلِّمنا أيديهم ، ولتشهد أرجلهم ، كقولك : أحسنت إليك ولشكرك أحسنت إليك ، كما قال الشاعر : أحببتُها ولعيني كان حُبِّيها . اهـ. المحتسب .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٧٥ والشاهد في الآية ﴿ وليكون من الموقنين ﴾وأمّا الختم وتكلُّم الأيدي والأرجل ، الذي ورد في الآية ، فقد وضحته السنة النبوية المطهرة ، كما ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون ممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربَّه ، يقول : يا ربِّ ألم تُجِرْني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، فيقول : فإني لا أُجيزُ على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : =

٤٩ ـ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ .. ﴾ [آية ٦٦] .

قال الحسنُ : أي لتركناهُمْ عُمْياً يتردَّدُون[1] .

قال أبو جعفر : المطموسُ ، والطَّميسُ عند أهل اللغةِ : الأَعْمى الذي ليس في عينيهِ شَقٌّ .

﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ أي ليجوزوا .

قال مجاهد : ﴿ الصِّرَاطُ ﴾ : الطَّرِيقُ[2] ، ثم قال تعالى ﴿ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ أي فمن أين يُبصِرون ؟ .

= كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً !! قال : فيُختم على فيه ، ويقال لأركانه انطقي ــ أي لأعضائه وجوارحه ــ قال : فتنطق بأعماله ، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً فعنكنَّ كنتُ أناضل) .

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٥٧٣/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢٦٨/٥ والقرطبي ٤٩/١٥ وهو قول الحسن والسدي ، وعليه أكثر المفسرين أن المراد من الطمس : هو العمى حقيقة ، أي لو أردنا لأعميناهم ، فكيف يبصرون حينئذ الطريق ، إذا أرادوا المشي ؟ وقيل : المراد عمى البصيرة أي أعميناهم عن الهدى فيكون الكلام بطريق الاستعارة .

(٢) اتفق علماء السلف على أن المراد بالصِّرَاط الطريق ، ولكنَّهم اختلفوا هل يراد بن الطريق الحسيِّ أم المجازي ؟ فذهب ابن عباس وابن زيد إلى أن المراد به طريق الهدى والحقِّ ، فيكون المعنى : لو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الحق ، وذهب الحسن والسُّدّي ومجاهد إلى أن المراد به الطريق المحسوس ، والمعنى : لو نشاء لأعميناهم ، فلا يبصرون طريقاً إلى تصرفهم في أسفارهم ومنازلهم ، وهو الظاهر ، وعليه الأكثرون ، لأن حقيقة الطمس إذهابُ نور البصر ، وهذا ما رجحه الطبري ٢٥/٢٣ .

٥٠ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال **الحسن** : أي لأقعدناهم[١] .

وعن **ابن عباس قال** : أي لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم[٢] .

قال **أبو جعفر** : المَكَانُ والمَكَانةُ واحدٌ[٣] .

٥١ ــ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [آية ٦٨] .

قال **قتادةُ** : هو الهَرَمُ ، يتغيرَّ سمعُهُ ، وبَصَرُه ، وقوَّتُه كما رأيتَ[٤] .

---

(١) الأثر ذكره في البحر ٣٤٤/٧ عن الحسن وقتادة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٣/٧ والقرطبي ٥٠/١٥ ولفظُه : المسخُ : تبديل الخلقة وقلبها حجراً ، أو جماداً ، أوبهيمة ، قال الحسن : أي لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم . اهـ. وفي البحر : والظاهر أن المسخ حقيقة ، وهو تبديل صورهم بصور شنيعة ، وقد قال ابن عباس : لو نشاء لمسخناهم قردةً وخنازير . اهـ.

(٢) هذه رواية أخرى عن ابن عباس حكاها الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والرواية الأولى عنه أظهر وأشهر .

(٣) قال الراغب في المفردات : المكان عند أهل اللغة : الموضع الحاوي للشيء ، ويُقال : مكان ومكانة ومنه ﴿ اعملوا على مكانتكم ﴾ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ٢٦/٢٣ والقرطبي ٥١/١٥ والمعنى : من نطل عمره ننكس خلقه ، فنجعل =

٥٢ ــ **وقولُه جلّ وعزّ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ .. ﴾** [آية ٦٩] .

أي ما ينبغي أن يقوله[١] .

قال أبو إسحاق : ليس هذا يوجب أن يكون النبيُّ ﷺ لم يتمثَّلْ بيتَ شعرٍ ، ولكنَّهُ يوجبُ أنه ﷺ ليس بشاعرٍ ، وأن القرآن لا يُشبِهُ الشِّعْرَ .

قال قتادة : بلغني أن عائشة قالت : لم يتمثل النبي ﷺ بيتَ شِعر ، إلاَّ بيت طرفة :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بَالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فقال : ويأتيك من لم تُزَوِّد بالأخبار .

فقال أبو بكر : ليس هو كذلك يارسول الله !!

فقال : إنِّي لا أُحسِنُ الشِّعرَ ، ولا ينبغي لي[٢] .

= مكان القوة الضعف ، وبدل الشباب الهرم ، فنرده إلى أرذل العمر كما قال سبحانه : ﴿ ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ .

(١) أي ما يليق له ، وما يصلح له أن يحدث الشعر من تلقاء نفسه ، لأن الشعر له أوزان وبحور ، والنبي عليه السلام لا يعرف هذه الأوزان ، وإصابته الوزن أحياناً لا توجب أنه يعلم الشعر ، فالذي نفاه الله عن نبيه ﷺ هو العلم بالشعر وأصنافه ، أو بحوره وقوافيه .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٦/٣١ من حديث عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا =

٥٣ ـ وقوله جلّ وعز : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٧٠] .

= استراب الخبر ، تمثّل فيه ببيت طرفة « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٨/٥ من رواية قتادة رضي الله عنه ولفظه : قال بلغني أنه قيل لعائشة هل كان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، يجعل آخره أوّله ، وأوله آخره ، ويقول : ويأتيك من لم تزود بالأخبار .. » إلخ. وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية ﴿ وما ينبغي له ﴾ أي وما هو في طبعه ، ولا تقتضيه جبلّته ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولهذا ورد أنه عليه السلام كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم ، بل إن أنشده زَحَّفه ، فقد تمثل بهذا البيت « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً » فقال أبو بكر : يا رسول الله إنما قال الشاعر : « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً » أشهد أنك رسول الله ، يقول الله تعالى ﴿ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ وثبت في الصحيحين أنه عليه السلام تمثّل يوم حفر الخندق بأبيات ابن رواحة ، ولكن تَبَعاً لقول أصحابه ، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّينا

فأنزلنْ سكينةً عَلَيْنا ... وَثَبِّت الأقدامَ إن لاقينا

إن الأُولى قد بَغَوْا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينا

ويرفع صوته بقوله « أَبَيْنا » ويمدُّها .

وكذلك ثبت أنه قال يوم حُنين ، وهو راكبُ البغلة ، يتقدّم بها في نحور العدوّ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أَنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر ، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه . ثم قال : وكلُّ هذا لا ينافي كونه ﷺ ما عُلِّم شعراً ، ولا ينبغي له ، وإنما علَّمه الله القرآن العظيم ، الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ وقد كانت سجيّته ﷺ تأبى صناعة الشعر ، طبعاً وشرعاً ، كما روى أبو داود من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قيحاً ، خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً » . اهـ. تفسير ابن كثير ٥٧٦/٦ . وقال الإمام القرطبي في تفسيره ٥٢/١٥ ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ : الآية ردٌّ على الكفار في قولهم إنه شاعر ، وإن القرآن شعر ، وكذلك كان رسول الله ﷺ =

﴿ حَيًّا ﴾ قيل : عاقلاً[١] .

وقيل : مؤمناً .

وقال قتادة : حيُّ القلب[٢] .

= لايقول الشعر ولايزنه ، وإصابته الوزن أحياناً لا يوجب أنه يعلم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أُصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعراً ولا في معناه ، وقد قال الزجاج في قوله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ أي ما جعلناه شاعراً ، وهذا لا يمنع أن يُنشد شيئاً من الشعر ، ومن قال قولاً موزوناً ، لا يقصد به إلى شعر ، فليس بشعر ، وإنما وافق الشعر ، والذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام ، إنما هو العلم بالشعر وأصنافه ، وأعاريضه وقوافيه .. » انتهى بشيء من الإيجاز وانظر معاني الزجاج ٢٩٤/٤ .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٤٥/٧ : وزعمهم في الرسول أنه شاعر مكابرة ، وإيهام للجاهل بالشعر ، وأين هو من الشعر ، والشعر إنما هو كلام موزون مقفًّى ، يدلُّ على معنى تنتخبه الشعراء من كثرة التخييل ، وتزويق الكلام ، وغير ذلك ، مما يتورع المتديِّن عن إنشاده ، فضلاً عن إنشائه ، وكان عليه السلام لايقول الشعر ، وإذا أنشد بيتاً أحرز المعنى دون وزنه ، وربما أنشد البيت متزناً في النادر ، كما أنشد بيت ابن رواحة :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

ولا يدل إجراء البيت على لسانه متزناً أنه يعلم الشعر .. انتهى باختصار ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٣٦٢/٣ ففيه كلام نفيس .

(١) هذا قول الضحاك كما في القرطبي ٥٥/١٥ وزاد المسير ٣٧/٧ قال الزجاج : من كان يعقل ما يُخاطب به فهو الحيُّ ، فإن الكافر كالميت في عدم الانتفاع من النذير ، وعبارة الطبري ٢٧/٢٣ : لينذر من كان حيَّ القلب ، يعقل ما يُقال له ، ويفهم ما يُبيَّن له ، غير ميّت القلب بليد . اهـ.

(٢) ذكره الطبري ٢٨/٢٣ وابن كثير ٥٧٨/٦ ولفظه : إنما ينتفع بنذارته من كان حيَّ القلب ، مستنير البصيرة ، كما قاله قتادة . اهـ.

٥٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً .. ﴾ [آية ٧١] .

العربُ تستعمل اليد في موضع القوة[١] ، واللَّهُ أعلمُ بما أراد .

٥٥ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [آية ٧١] .

أي ضَابطُون[٢] ، لأن المقصود ههنا التَّذْليلُ ، وأنشد سيبويه :

أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ السِّلَاحَ وَلَا
أَمْلِكُ رَأْسَ البَعِير إِنْ نَفَرَا[٣]

٥٦ ــ وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ، وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ [آية ٧٥] .

---

(١) قال ابن قتيبة : يجوز أن يكون المعنى : مما عَمِلناه بقوتنا وقدرتنا ، وفي اليد القدرة والقوة على العمل ، فتستعار اليد فتوضع موضعها . وقال بعض المفسرين : ذكرُ الأيدي ههنا يدل على انفراده بما خلق ، والمعنى : لم يشاركنا أحد في إنشائنا ، وإذا قال أحدنا : عملتُ هذا بيدي ، دل على انفراده بعمله ، وقال أبو سليمان الدمشقي : المعنى : مما أوجدناه بقدرتنا وقوتنا ، وهذا إجماع . اهـ. من تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٣٨/٧ .

(٢) عبارة الطبري كما في تفسيره ٢٨/٢٣ : أي فهم مصرِّفون لها كيف شاء بالقهر والضبط . اهـ. وفي ابن كثير ٥٧٨/٦ : وقال قتادة ﴿ فهم لها مالكون ﴾ مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ، ولو شاء لأقامه وساقه ، وكذا لو كان القطار مائة بعير ، لسار الجميع بسير صغير . اهـ.

(٣) البيت للربيع بن منيع الفَزَاري ، وقد سُئل عن حاله بعد بلوغه سن الشيخوخة ، وقد استشهد به الألوسي في روح المعاني ٥٠/٢٣ وذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٤٧/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٨/٧ .

أي أنهم يعبدونهم ويقومون بنصرتهم ، فهم لهم بمنزلة الجند[1] .

قال قتادة : يغضبون لهم في الدنيا[2] .

وهذا بيِّنٌ حسنٌ .

وقيل : تفسيرُ هذا ما رُوي في الحديث (أنه يُمثَّل لكلِ قومٍ ما كانوا يعبدون من دونِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، فيتَّبعونه إلى النار ، فهم لهم جند محضرون إلى النار)[3] .

٥٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾** [آية ٧٧] .

رَوَى هُشَيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : أخذ

---

(١) أي هؤلاء المشركون كالجند والخدّام للأصنام ، يذبُّون عنهم ، ويكافحون من أحلهم ، وهم لا ينفعونهم أيَّ نفع .

(٢) ذكره القرطبي ١٥/٥٧ وابن الجوزي في تفسيره ٧/٣٩ ولفظه : وقال قتادة : المشركون جند للأصنام ، يغضبون لها في الدنيا ، وهي لا تسوق لهم خيراً ، ولا تدفع عنهم شراً . اهـ. واختاره ابن جرير .

(٣) أشار المصنف رحمه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد في المسند ٢/٢٧٥ (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتَّبع من كان يعبدُ الشمس الشمسَ ، ومن كان يعبد القمر القمرَ ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ..) الحديث .

« العاصُ بنُ وائِلِ » عظماً حائلاً[١] ففتَّهُ ، فقال يا محمد : أيُحيي اللهُ هذا بعْدَ ذَا ؟ فقال : نعم ، يميتك اللهُ ثم يبعثك ، ثم يدخلك نار جهنم[٢] ، فأنزل الله عزَّ وجل ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ..** ﴾ ؟ إلى آخر السورة .

قال مجاهد وقتادة : نزلت في « أُبيِّ بنِ خَلَفٍ »[٣] .

قال أبو جعفر : يُقال : رمَّ العظمُ ، فهو رميمٌ ، ورُمَامٌ[٤] .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ [آية ٨٠] .

---

(١) حائلاً أي متغيراً من طول الزمن قال في المعجم الوسيط مادة حول : أحالت الدار تغيَّرت ، وأتت عليها أحوال ، أي سنون . اهـ .

(٢) ذكره في الدر المنثور ٢٦٩/٥ وابن كثير ٥٨٠/٦ والطبري ٣٠/٢٣ من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وهو أحد أقوال ثلاثة في سبب نزول الآية .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير ٥٧٩/٦ عن السدي ومجاهد وقتادة قال : جاء « أُبيّ بن خلف » إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم ، وهو يُفتّته ، ويُذرّيه في الهواء وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال : نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ، ثم يحشرك إلى النار ، فنزلت هذه الآيات ، قال في البحر ٣٤٨/٧ وهذا القول أصحها .

(٤) قال في المصباح : الرميم مثل الرِّمة : العظام البالية ، ورَمَّ العظمُ من باب ضَرَب : إذا بلي . اهـ .

هو المَرْخُ ، والعَفَارُ ، تستعمل الأعرابُ منه الزُّنود[1] .

٥٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى .. ﴾** [آية ٨١] .

كما قال سبحانه **﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾**[2] .

و**﴿ بَلَى ﴾** تأتي بعد النفي ، ولا يجوز أن يُؤْتَى بـ « نَعَمْ » لو قال لك قائل : أَمَا قام زيدٌ ؟ فقلتَ : نعم ، انقلب المعنى ، فصار نعم ما قام ، فإذا قلتَ : بَلَى ، صَحَّ المعنى[3] .

---

(١) الزَّنْد : الذي يُقدح به النار ، قال في اللسان : والجمع أَزْنُدٌ ، وأزناد ، وزُنودٌ . اهـ . والمَرْخ والعَفَار شجرتان فيهما نار ، يُستقدح بهما الزناد ، وفي أمثال العرب : « في كل الشجر نار ، واستمجد المَرْخُ والعَفَار » أي كثرت فيهما النار ، قال الإمام القرطبي ٥٩/١٥ ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾ نبَّه تعالى بهذه الآية على وحدانيته ، ودلَّ على كمال قدرته في إحياء الموتى ، بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود النديّ الرطب ، فالشجر الأخضر من الماء ، والماء بارد رطب ضدُّ النار وهما لا يجتمعان ، فأخرج الله منه النار ، فهو القادر على إخراج الضدِّ من الضد ، وهو على كل شيء قدير . اهـ.

أقول : وما أبدع قول الشاعر :

جَمْعُ النَّقِيضَيْنِ مِنْ أَسْرَارِ قُدْرَتِهِ ... هَذَا السَّحَابُ بِهِ مَاءٌ بِهِ نَارُ

(٢) سورة غافر آية رقم ٥٧ .

(٣) توضيح الأمر أن لفظة « تعم » تفيد التصديق ، سواء كان المخبر عنه نفياً أو إيجاباً ، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ قال : لوقالوا نعم لكفروا ، لأن المعنى يصبح نعم لستَ ربنا ، بخلاف « بلى » فإنها حرف جواب وتختص بالنفي وتفيد إبطاله فيصبح المعنى بلى أنت ربنا ، فتنبه له فإنه دقيق .

وهي عند الكوفيِّين « بَلْ » زيدت عليها الياءُ ، لأنَّ « بَلْ » عندهم إيجابٌ بعد نفي ، فاختيرتْ لهذا ، وزيدت عليها الياءُ ، لتدل على هذا المعنى ، وتخرج من النَّسق .

٦٠ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** [آية ٨٣] .

أي تنزيهاً للذي بيده مُلْكُ كلِّ شيء وخزائنهُ ، فهو يقدرُ على إحياءِ الموتى وما يريد .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي تُردُّون وتصيرون بعد مماتكم .

« تمت سورة يسۤ »

* * *

تفسير سورة الصّافات

مَكية وآياتها ١٨٢ آيــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصافات وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّاً . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ﴾ [آية ١ ــ ٣] .

رَوَى مسروق عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ ، وعكرمةُ عن ابن عباس قالا في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّاً . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ﴾ هذه كلُّها الملائكةُ[2] .

قال أبو جعفر : ﴿ الصَّافَّاتُ ﴾ جمع صافَّةٍ ، كأنه جماعةٌ

(١) أخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت سورة الصافات بمكة . اهـ. وانظر الدر المنثور ٢٧٠/٥ . وقال القرطبي : مكية في قول الجميع .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧١/٥ وابن كثير ٣/٧ وهذا هو القول الراجح الذي عليه جمهور المفسرين ، واختاره الطبري ٣٤/٢٣ وابن كثير ٣/٧ أنه قسم بالملائكة الأبرار الأطهار ، التي تصفُّ لربها في السماء ، للعبادة والذكر ، وتزجر السحاب فتسوقه إلى حيث شاء الله ، وتتلو آيات الذكر الحكيم ، المنزل على سيد المرسلين ، مع التسبيح والتقديس ، والتحميد والتمجيد ، أقسم تعالى بهذه الأنواع من الملائكة ، تنبيهاً على جلالة قدرهم ، وكثرة طاعتهم وعبادتهم ، فهم مع رفعة قدرهم وعظيم شأنهم ، لا ينفكُّون عن عبادة الله ، يصطفون للعبادة كاصطفاف المؤمنين في الصلاة ، مع الخشوع والخضوع ، وقيل : هي الطير لقوله تعالى ﴿ ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ والأول أرجح ، ومما يدل على أن المراد بهم الملائكة قوله تعالى ﴿ وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون ﴾ وانظر صفوة التفاسير ٢٨/٣٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٧ وتفسير الفخر الرازي ١١٤/٢٦ .

صافَّةٌ ، أي مصطفَّةٌ تذكُرُ اللهَ جلَّ وعزَّ ، وتُسبِّحهُ(١) .

﴿ والزَّاجِرَاتِ ﴾ جمعُ زاجرة ، أي التي تزجرُ السحـاب ، على ما مَضَى(٢) .

وقال قتادة : ﴿ الزاجراتُ ﴾ : كلُّ ما زُجِـر عنـه(٣) ، كأنـه يريد ذوات الزَّجر .

ويجوزُ أن تكون ﴿ الزَّاجِـرَاتُ ﴾ : كلُّ ما يزجُـر عن معـاصي اللهِ جلَّ وعز ، وأن تكون ﴿ التَّالِيَـاتُ ﴾ كلُّ ما يتلـو ذكـر اللـهِ جلَّ وعزَّ وكُتُبِه(٦) .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعـز : ﴿ رَبُّ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾ [آية ٥] .

رَوَى أبـو ظبيـان عن ابـن عبـاس قال : للشَّمسِ كلَّ يومٍ

(١) قال القرطبي : الصفُّ : ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة ، والصافات جمعُ الجمـع ، يُقال : جماعة صافة ، ثم يُجمع على صافَّات . اهـ. القرطبي ٦٢/١٥ .

(٢) أي أنها من صفات الملائكة ، فهي التي تسوق السحـاب إلى حيث شاء الله بأمـره جل وعـلا ، وهو الأظهر .

(٣) عبارة الطبري ٣٤/٢٣ وقال قتادة : ما زجـر عنـه القرآن ، ثم قال ابـن جريـر : والـذي هو أولى بتأويل الآية عندما قاله مجاهد أنهم الملائكة ، لأن الله تعالى ابتدأ القسم بنـوع من الملائكـة وهـم الصافون بإجماع ، فلأن يكون ما بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه . اهـ.

(٤) هذا هو القـول الآخر لبـعض المفسريـن وهـو مروي عن قتـادة ، والجمهـور على أن هذه الأقسام كلها في الملائكة ، وهو الأظهر والأرجح كما نقلنا عن الطبري ، وابن كثير .

مشرقٌ ، وكلَّ يوم مغرِبٌ ، فتلكَ المشارقُ والمغاربُ[1] .

وللصَّيْفِ مَشْرقٌ ومغربٌ ، ولِلْشتاءِ مَشْرقٌ ومَغْرِب ، فذلك قوله جلَّ وعز ﴿ رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ ﴾[2] .

٣ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ ﴾ [آية ٦] .

على البدلِ ، و ﴿ بِزِينَةِ الكَوَاكِبَ ﴾[3] قال أبو حاتم : أعني الكواكبَ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٣/٣٥ والفخر الرازي ٢٦/١١٨ والقرطبي ١٥/٦٣ ولفظه ﴿ وربُّ المَشَارِقِ ﴾ : أي مالك مطالع الشمس ، وقال ابن عباس : للشمس كل يوم مشرق ومغرب ، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس (٣٦٥) ثلاثمائة وخمسة وستين كوَّة في مطلعها ، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع في كل يوم في كوَّة منها ، وتغيب في كوَّة ، فلذلك قال ﴿ ورب المشارق ﴾ . اهـ.

أقول : وإنما لم يذكر المغارب ، اكتفاء بذكر المشارق ، ولدلالة الكلام عليه ، وإنما جمع المشارق في هذه الآية ، لأنه أراد مشارق الشمس ومغاربها ، فلها ــ كما قال ابن عباس والسدي ــ كل يوم مشرق ومغرب ، ويحتمل أن يكون الجمع باعتبار إرادة الشمس ، والقمر ، وسائر النجوم والكواكب ، فلكل مشرق ومغرب . قال الحافظ ابن كثير ٧/٤ ومعنى الآية أنه تعالى هو المالك المتصرف في الخلق ، بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات ، تبدو من المشرق ، وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه ، وقد صرح بذلك في مكان آخر في قوله تعالى ﴿ فلا أُقسم برب المشارق والمغارب إنَّا لقادرون ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ رَبُّ المشرقين ورب المغربين ﴾ يعني في الشتاء والصيف ، للشمس والقمر . اهـ.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ١٧ .

(٣) في هذه الآية قراءتان ، قرأ حمزة وحفص عن عاصم بالتنوين ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بكسر الباء ،=

قال أبو جعفر : وأجودُ ممَّا قالَ أن يكون بمعنى : بأن زيَّنا الكواكبَ فيها ،

ويجوزُ ﴿ **بِزِينَةٍ الكَوَاكِبُ** ﴾[١] بمعنى : بأن زيَّنتها الكواكبُ ، أو بمعنى : هي الكواكبُ .

٤ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ** ﴾ [آية ٧] .

أي وحفظناها حفظاً[٢] من كلِّ شيطانٍ مارد .

٥ ــ **وقولُه جل وعز** : ﴿ **لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى** .. ﴾ [آية ٨] .

يعني الملائكة[٣] .

قال أبو حاتم[٤] : أي لئلا يسمعوا ، ثم حُذِف « أَنْ » فرُفِعَ

= فعلى هذه القراءة تكون خفضاً على البدل أي زيناها بالكواكب ، وقرأ عاصم بالتنوين في « زينةٍ » ونصب الكواكب أي زيناها بزينة أعني الكواكب ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٥٤٦ .

(١) لم ترد هذه في القراءات السبع ، وإنما هي قراءة شاذة ، قرأ بها زيد بن علي كما في روح المعاني للألوسي ٢٣/٦٨ والقراءات لا تصح إلا بما يثبت عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح .

(٢) على هذا الوجه الذي ذكره المصنف تكون الآية مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره وحفظناها حفظاً ، ويصح وجه آخر هو أن تكون مفعولاً لأجله « وحفظاً » أي لحفظها من الشياطين زيناها بالكواكب .

(٣) سميت الملائكة بالملأ الأعلى ، لأنهم يسكنون في العالم العلوي ، في السموات التي هي جهة العلو .

(٤) أبو حاتم هو الإمام « سهل بن محمد السجستاني » النحوي اللغوي المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ وانظر معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ .

الفعلُ[1] ، كما قال الشاعر :

أَلَا أَيُّهـا اللَّائِمـي احْضُرُ الوَغَـى
وأنْ أشْهَدْ اللَّذَّاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدِي[2]

٦ ـ ثم قال جل وعز ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً .. ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهد : ﴿ **وَيُقْذَفُونَ** ﴾ أي يُرْمون ﴿ **دُحُوراً** ﴾ أي مطرودين[3] .

وقال قتادة : ﴿ **دحوراً** ﴾ أي رمياً في النَّارِ .

قال أبو جعفر : يُقال : دَحَره إذا طرده وبَاعَده ، دُحُوراً ، ودَحْراً .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٧/٣٥٣ : وقول من قال إن الأصل : لأن لا يسمَّعوا فحُذفت « اللام » و « أنْ » فارتفع الفعل قول متعسف ، يُصان كلام الله عنه ، واختار أنه كلام مبتدأ منقطع ، حكاية لما عليه حال المسترقة للسمع ، وأنهم لا يقدرون أن يستمعوا أو يسمعوا ، وهم مقذوفون بالشهب ، ميعدون عن ذلك ، إلا من أُمهل حتى خطف الخطفة ، فعندها تعاجله الملائكة ، باتباع الشهاب الثاقب . اهـ.

(٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٣٢ وهو من شواهد سيبويه ٣/٩٩ بلفظ « ألا أيها الزاجري » بدل اللائمي والمعنى : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أُقتل ، ما أنت مخلِّدي إن قبلتُ نصيحتك ، والشاهد فيه رفع « أحضرُ » لحذف الناصب وأصله أن أحضر ، فلما سقط « أن » ارتفع الفعل ، وانظر مجالس ثعلب ١/٣١٧ وأمالي بن الشجري ١/٨٣ .

(٣) قول مجاهد ذكره الطبري ٢٣/٣٩ وكذلك ذكر قول قتادة ولفظه : وقال قتادة « دحوراً » قذفاً بالشهب كما ذكره ابن الجوزي ٧/٤٧ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٧٤ ومعنى الآية : أي يرجمون بالكواكب طرداً وإبعاداً وإهانة . اهـ.

ويُرْوَى عن أبي عبدالرحمن[1] **أنه قرأ ﴿ دَحُوراً ﴾** بفتح الدَّالِ ، والمصادرُ على « فَعُوْلٍ » قليلةٌ .

وقال بعض النحويين : ليس بمصدرٍ ، ولكنَّه بمعنى بما يَدْحَرهم[2] ، ولو كان على ما قال لكان « بِدَحُوْرٍ »[3] أي بمباعد .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهد وقتادة : أي دائم[4] .

---

(١) هو « عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وقد عدَّ ابن جني في المحتسب ٢١٩/٢ هذه القراءة من القراءات الشاذة .

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣٨٣/٢ ولفظه : من ضمَّها « دحوراً » جعلها مصدراً ، ومن فتحها جعلها اسماً كأنه قال : يقذفون بداحرٍ ، وبما يدحرُ ، ولست أشتهيها ، لأنها على هذا الوجه تحتاج إلى الباء كما تقول : يُقذفون بالحجارة ، ولا تقول : يُقذفون الحجارة ، وهو جائز ، كما قال الشاعر :

نغالي اللحمَ للأضياف نيئاً ونُرخصهُ إذا نَضِجَ القُدُور

أي نغالي باللحم . اهـ.

(٣) قال القرطبي ٥/١٥ : وقرأ السُّلَمي ، ويعقوب الحضرمي ﴿ دُحُوراً ﴾ بفتح الدال ، ويكون مصدراً أي ويُقذفون بما يدحرهم ، أي بِدَحُورٍ ، ثم حذف الباء ، والكوفيون يستعملون هذا كثيراً ، وأنشدوا :

تَمرُّونَ الدِّيَارَ ولَمْ تَعُوجُوا كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذاً حَرَامُ

أي تمرُّون بالديار ، فحذف الباء منه ، فصار منصوباً بنزل الخافض .

(٤) الأثر أخرجه القرطبي ٦٦/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧/٧ وذكر أنه قول ابن عباس وعكرمة أيضاً .

٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [آية ١٠] .

يُقال : خَطِف[1] الشيءَ إذا أخذه بسرعة ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ .

قال الحسنُ ، ومجاهدٌ ، وقتادةُ ، وأبو مِجْلز : ﴿ ثَاقِبٌ ﴾ أي مضيءٌ[2] .

قال أبو جعفر : وهذا مشهورٌ في اللغة ، كما قال :

« وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا »[3]

٩ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا .. ﴾ ؟ [آية ١١] .

---

(١) خَطِفَ بكسر الخاء يَخْطَفُ من باب تَعِب : استلبه بسرعة ، كذا في المصباح ، قال الجوهري : وفيه لغة أخرى بالفتح « خَطَفَ ، يَخْطِفُ » وهي قليلة رديئة ، لا تكاد تُعرف . اهـ. الصحاح مادة خطف .

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/٤١ والقرطبي ١٥/٦٧ وفي روح المعاني ٢٣/٧١ وهو مروي عن الضحاك أيضاً قال الألوسي : ﴿ ثاقب ﴾ مضيءٌ ، كما قال الحسن وقتادة ، كأنه ثقب الجوَّ بضوئه ، وروي عن يزيد الرقاشي أنه قال : يثقبُ الشيطان ، فذُكر ذلك لأبي مجلز فقال : ليس ذاكَ ، ولكن ثقوبه ضوءُه ، ورُوي عن السدي أن الثاقب المحرق . اهـ.
أقول : ويمكن الجمع بين القولين أن الله يبعث على الشيطان شهاباً مضيئاً نافذاً بضوئه ، فيحرقه .

(٣) هذا شطر بيت للأعشى ميمون بن قيس ، وتمامه كما في ديوانه ص ٦١ :
وُجِدْتَ إذا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ ... وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا

قال مجاهد والضحاك : يعني السَّمواتِ والأرضَ ، والبِحَارَ[1] .

قال أبو جعفر : يجب أن يكون داخلاً في هذا ، الملائكةُ ، وغيرُها مع السمواتِ ، والأرض ، والبحارِ ، لأن « مَنْ » لايقعُ لما لا يعقل مفرداً[2] .

١٠ ـــ **ثم قال جلَّ وعز** : ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ** ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهد : أي لازم[3] .

وقال قتادة : أي لازق[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤١/٢٣ عن مجاهد بلفظ « السموات ، والأرض ، والجبال » وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٢/٥/٥ وقيل : من الأمم السابقة التي كانت قبلهم ، فقد كانوا أشد من أهل مكة وأعتى ، والأول أرجح لقوله تعالى ﴿ لَخَلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ .

(٢) هذا القول هو الصحيح وهو الأرجح الذي اختاره الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين ، فقد قال الطبري ٤١/٢٣ المعنى : استفتِ يا محمد هؤلاء المشركين ، وسلهم أهم أشدُّ خلقاً ؟ أي أخلقُهم أشدُّ ؟ أم خلق من عددنا من الملائكة ، والشياطين ، والسموات ، والأرض ؟ وقال ابن كثير ٥/٧ المعنى : سلْ هؤلاء المنكرين للبعث ، أيما أشدُّ خلقاً ؟ هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة ، والشياطين ، والمخلوقات العجيبة ؟ . اهـ. وقد نبَّه المصنف إلى وجه الترجيح ، بأن الآية وردت بصيغة « مَنْ » في قوله ﴿ أم من خَلَقنا ﴾ وهي موضوعة للعقلاء ، فلو لم تدخل الملائكة والجنُّ ، وعجائب الخلق ، لما صحَّ إطلاق « مَن » عليها .

(٣ ـــ ٤) انظر في القرطبي قول مجاهد وقتادة ٦٩/١٥ وذكرهما ابن كثير ٥/٧ والطبري ٤٣/٢٣ ومعنى قول قتادة « لَازِبٌ » : لازقٌ أي أنه يلزق باليد ، وروي عن ابن عباس أنه : اللَّزج ، وانظر الطبري ٤٣/٢٣ .

والفرَّاءُ يذهب إلى أن الياء ، بدلٌ من الميم ، وحُكي أنه يُقال « لَاتِبٌ »[1] بمعناه ، وقال النابغة :

فَلَا تَحْسَبُونَ الخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ
وَلَا تَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ[2]

١١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة : بل عجبتَ من الكتابِ ، والوحي ، ويَسْخَرُونَ مِمَّا جئتَ بهِ[3] .

وقيل المعنى : بل عجبتَ من إنكارهم البعثَ[4] .

وأنكر شريحٌ أن تُقرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ بضمِّ التَّاءِ ، وقال : إنَّ اللَّهَ لَا يعجبُ ، إنما يعجبُ من لا يَعْلَمُ[5] .

---

(١) قال الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٤/٢ : اللازب : اللَّاصق ، وقيسٌ تقول : طينٌ لاتِبٌ ، وأنشدني بعضهم « وغَشّيّ مع الإشراق في الجَوْفِ لَاتِبٌ » والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازبٍ ، ولازمٍ، يُبدلون الباء ميماً لتقارب المخرج . اهـ.

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤٢/٢٣ وهو في اللسان مادة لزب ، واستشهد به الطبري والقرطبي في تفسيريهما .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٤٤/٢٣ والدر المنثور ٢٧٢/٥ وتفسير ابن كثير ٦/٧ .

(٤) توضيح معنى الآية : بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث والنشور ، مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة ، وأنت موقن مصدِّق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول ويهزءون .

(٥) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ٧٠/١٥ ولفظه : وقال شريح القاضي : إن الله لا يعجب من شيء ، إنما يعجبُ من لا يعلم ، قال الأعمش : فذكرته لإبراهيم فقال : إن شريحاً كان يعجبه =

قال أبو جعفر : وهذا الذي قاله لايلزمُ ، وبضمِّ التَّاءِ قرأ « عليُّ بن أبي طالبٍ »[1] و « ابنُ مسعودٍ » و « ابنُ عباسٍ » .

ومعنى التعجب في اللغة : أن يُنكرَ الشيءُ ويَقِلَّ ، فيُتَعجَّبُ منه[2] ، فاللَّهُ جلَّ وعزَّ العالـمُ بالأشياء ، وبما يكون ، ولكنْ لا يقع التعجب إلاَّ بعد الكون .

فهو منه جلَّ وعلا ، خلافُه من الآدميِّين ، لأنه قد علمه قبلُ وبعدُ ، وهو يُشبه علم الشهادة ، كما قال سبحانه ﴿ **لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ** ﴾[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : قلْ بلْ عجبتُ[4] .

= رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح ، وكان يقرؤها عبد الله ﴿ بل عَجِبْتُ ﴾ . اهـ. وذكره الفراء في معاني القرآن ٣٨٤/٢ قال الزجاج : وإنكار هذه القراءة غلط ، لأن العجب من الله خلاف العجب من الآدميين ، وهذا كقوله تعالى ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ وقوله ﴿ سَخِرَ الله منهم ﴾ . اهـ. انظر زاد المسير ٥٠/٧ .

(١) في هذه الآية قراءتان سبعيتان ، وردتا عن رسول الله ﷺ ، فقد قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم وابن عامر ﴿ بل عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ بل عجبْتُ ﴾ بضم التاء ، وانظر النشر ٣٥٦/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٧ .

(٢) قال في اللسان : العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك ، لقلة اعتياده ، قال ابن الأعرابي : العجبُ النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد ، كقوله تعالى ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئِنَّا لفي خَلْق جديد ﴾ ؟ الخطاب للنبي ﷺ أي هذا موضع عجب ، حيث أنكروا البعث ، وقد تبين لهم من خلق السموات والأرض ما دلهم على البعث بعد الموت . اهـ.

(٣) الآية في سورة الكهف رقم ١٢ وتمامها ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ أي لنظهر للناس علمنا .

(٤) هذا قول « علي بن سليمان » واستحسنه النحاس في كتابه إعراب القرآن ٧٤١/٢ وقال : لأن =

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي يسخرون(١) .

وقال مجاهد : أي يسخرون ويستهزئون(٢) .

وقيل : ﴿ يَسْتسخِرُونَ ﴾ يستدعون السِّخْرِيَّ(٣) من غيرهم ،

= النبي ﷺ مخاطب بالقرآن . وقال في التسهيل ٣٦٨/٣ : وقُرئ « عجبتُ » بضم التاء ، وأشكلَ ذلك على بعضهم ، وقال : إن التعجب مستحيل على الله ، فتأولوه على أنه على حال يتعجب منها الناس ، وقيل : تقديره قل يا محمد عجبتُ .. ثم قال : وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ (عجب ربك من شاب ليس له صَبْوةٌ) وإنما جعلوه مستحيلاً على الله ، لأنهم قالوا : إن التعجب استعظام خفي سببه ، والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب ، بل هو لمجرد الاستعظام ، فعلى هذا لا يستحيل على الله . اهـ.

(١ــ ٢) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٤٤/٢٣ ولفظه عن قتادة ﴿ يستسخرون ﴾ يسخرون منها ويستهزئون ، فعلى هذا يكون « سَخِر » و « استسخر » بمعنى واحد ، قال أبو عبيدة : يستسخرون ، ويسخرون ، سواء ، قال ابن قتيبة : يُقال : سَخِر ، واستسخر ، كما يقال : قرَّ ، واستقرَّ ، ويجوز أن يكون المعنى : يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من رسول الله ﷺ . اهـ. نقلاً عن زاد المسير ٥١/٧ . وذهب بعضهم إلى أن معنى ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء ، وهو ما اختاره الزمخشري في الكشاف ، ونقله الألوسي . وأبو حيان في البحر ، ولعله انتزعه من قولهم : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، والله أعلم .

(٣) قوله « يستدعون السِّخريَّ » أي يطلب بعضهم من بعض أن يسخر منها ، لأن السين والتاء للطلب ، والحاصل أنهم لا تفيد معهم البراهين القطعية ، ولا المقدمات لوعظية ، ولا المعجزات الساطعة الدالة على صدق القرآن ، وقد روي في سبب نزول الآية أن رجلاً من المشركين يُدعى « رُكانة » لقيه الرسول عليه السلام في أحد جبال مكة ، يرعى غنماً له ، وكان من أقوى الناس وأشجعهم ، لا يقدر أحد على مصارعته ، فقال له الرسول : يا رُكانة أرأيت إن صرعتك ــ أي غلبتك بالمصارعة ــ أتؤمن بي ؟ قال : نعم ، فصرعه ﷺ ، فقال ركانة : أعِدْ ، فصرعه ثانية ، =

وهو قول مجاهد وقتادة .

ونظيرهُ من كلام العرب : « قَرَّ ، واسْتَقَرَّ » و« عَجِبَ ، واسْتَعْجَبَ » بمعنًى واحدٍ .

وقرأ أهل الكوفة ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴾[1] أي نافرة .

وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ نَعَمْ وأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [آية ١٨] .

المعنى : قل نعم تُبعثون ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ قال قتادة : أي صاغرون[2] .

١٣ ــ ثم أخبر أن ذلكَ يكون زَجْرةً واحدة فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي قد حَيُوا ينْظرون[3] .

= ثم ثالثة ، ثم عرض عليه بعض المعجزات من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ ، ودعى شجرة فأقبلت تمشي نحوه عليه السلام ، فلم يؤمن بل عدَّ ذلك سحراً ، وجاء إلى أهل مكة فأخبرهم بالخبر ، وقال لهم : ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فإنه يغلبهم بسحره ، فنزلت فيه وفي أضرابه ، وانظر البحر ٣٥٥/٧ وروح المعاني ٧٧/٢٣ .

(١) الآية من سورة المدثر رقم ٥٠ وبالفتح « مُسْتَنفَرَة » قرأ نافع وابن عامر ، وقرأ الباقون بالكسر « مُسْتَنْفِرَة » وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٠ .

(٢) استبعد المشركون البعث فجاءهم الجواب ﴿ قل نعم وأنتم داخرون ﴾ أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم ، وأنتم أذلاء صاغرون كلكم .

(٣) الزجرة : الصيحة من قولهم : زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها ، والمراد بها النفخة الثانية في الصور وهي نفخة الإحياء كما قال سبحانه ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وانظر الصحاح للجوهري .

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [آية ٢٠] .

قال قتادة : أي يومَ يَدِينُ اللّهُ جلَّ وعزَّ العبادَ بأعمالهم(١) .

١٥ ــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [آية ٢١] .

أي يُقال لهم : نعم هذا يومُ الفصلِ ، أي يوم الفصلِ بين المحسن والمسيء(٢)

وقال أبو عُبيدة : ﴿ يَوْمُ الفَصْلِ ﴾ يومُ القضاءِ(٣) .

١٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ احْشُروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . منْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ ﴾ [آية ٢٣] .

(١) يوم الدين معناه : يوم الحساب والجزاء ، لأن الله تعالى يحاسب العباد على أعمالهم ، مأخوذ من دان يدين : إذا جازاه ، وفي الحديث « كما تدينُ تُدان » وقد أخرج الأثر عن قتادة والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٢/٥ والطبري ٤٦/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٢/٧ .

(٢) أشار المصنف إلى أن هذا ليس من قول الكفار ، وإنما هو من قول الملائكة ، أو المؤمنين لهم ، فالكفار يقولون : يا ويلنا هذا يوم الدين ، فتقول لهم الملائكة : نعم هذا يوم الجزاء ، والفصل بين العباد ، وقد نبَّه على ذلك صاحب الجلالين وابن الجوزي فقال : ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾ أي قال الكفار هذا يوم الحساب والجزاء ، فتقول لهم الملائكة ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أي يوم القضاء الذي يُفصل فيه بين المحسن والمسيء . اهـ.

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٨/٢ .

أي يُقال هذا[1] .

قال عبدُاللَّهِ بنُ عبَّاسٍ ، والنُّعمانُ بنُ بشير عن عمر : ﴿ **وَأَزْوَاجَهُمْ** ﴾ أي وأشباههم[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : زَوَّجْتُ الناقةَ بالنَّاقةِ أي قرنتهما ، ومنه قيل للرجل : زوجٌ ، وللمرأةِ زوجٌ .

ويُقال : هديتُه الطَّريق أي دللتُه عليه[3] .

١٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ :** ﴿ **مَا لَكُمْ لَاتَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ** ﴾ ؟ أي لا يدفعُ بعضكم عن بعض ﴿ **بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ قال : أي مستسلمون في العذاب[4] .

---

(١) هذا من قول الله عز وجل للملائكة ــ كما نبَّه عليه المفسرون ــ أي يقول الله يوم القيامة للملائكة : اجمعوا الظالمين وأشباههم من العُصاة المجرمين ، فدلُّوهم إلى طريق جهنم .

(٢) ليس المراد بالأزواج هنا الزوجات ، بل المراد الأشباه والأمثال ، وعبارة الطبري ٤٦/٢٣ : عن ابن عباس : نظراءهم ومن أشبههم من الظلمة . اهـ. وقال القرطبي : الزاني مع الزاني ، وشارب الخمر مع شارب الخمر ، والسارق مع السارق . اهـ.

(٣) الهداية هنا في الآية خرجت مخرج السخرية والتهكم ، أي سوقوهم إلى النار ، وأرشدوهم إلى طريق الجحيم ، فهي بمعنى الدلالة كقوله سبحانه ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى .. ﴾ .

(٤) هذا الأثر عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ وذكره القرطبي ٧٤/١٥ ومعنى المستسلم : المنقاد الذليل الذي لا حيلة له ، والآية وردت بطريق التهكم والتوبيخ للكفرة المجرمين ، وردًّا على أبي جهل حين قال يوم بدر ﴿ نحن جميعٌ منتصر ﴾ .

١٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ :** ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ** ﴾ [آية ٢٨] .

رَرَوى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هذا قولُ الكفار للشَّياطينِ(١) .

ورَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : هذا قولُ الإنس للجنِّ ، قالوا لهم ﴿ **إنكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ** ﴾ أي من طريق الجنة ، تُثَبِّطوننا عنها وتصدُّوننا(٢) .

وقيل : هذا قول التابعين للمتَّبعين(٣) .

قال أبو جعفر : وهذا يشبه قوله تعالى ﴿ **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ** ﴾(٤) .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٨/٧ وفي الدر المنثور ٢٧٣/٥ وفي زاد المسير ٥٤/٧ ولم يعزه لمجاهد .

(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ والطبري ٤٩/٢٣ ولفظه : وقال قتادة : قالت الإنس للجن : إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الخير فتنهونا عنه ، وتبطِّئوننا عنه .

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر ٣٥٧/٧ ونسبه إلى مجاهد ، وابن زيد ، وهو الأظهر والأرجح ، أنه من قول الضعفاء ، للرؤساء الكبراء ، ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنَّا مؤمنين ﴾ وقد اختار هذا القول الحافظ ابن كثير ، والقرطبي ، وصاحب تفسير الجلالين .

(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس « ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » سورة الأعراف آية رقم ١٧ أي آتيهم من كل جهة من الجهات الأربع ، لأصدَّهم عن دينك ، وأزيِّن لهم الباطل ، وأصرفهم عن الحق .

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قال : أشبِّهُ عليهم أمر دينهم[1] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ معنى ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ — واللَّهُ أعلمُ — إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات[2] ، وهي جهةُ الدين فتشكِّكُونَنَا فيه .

وقد قيل هذا في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[3] وهو معروفٌ في كلامِ العربِ ، واللَّهُ أعلم بما أراد ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسير سورة الأعراف ١٣٦/٨ ولفظه : قال ابن عباس ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ﴾ يقول أشككهم في آخرتهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿ وعن أيمانهم ﴾ أشبّه عليهم أمر دينهم .. إلخ.

(٢) اليمين في كلام العرب تطلق على الجارحة ، وتستعار للجهة والناحية ، فيقال : جاءه عن يمينه ، أي من الجهة التي يحبُّها ويرغب فيها ، وتستعار كذلك للقوة والقدرة ، قال الطبري ٤٩/٢٣ ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي من قبل الدِّين والحق ، فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، وهذا قول قتادة ، ثم قال : واليمين في كلام العرب : القوة والقدرة . اهـ.

وقال ابن جُزيّ في التسهيل ٣٧٠/٣ : واليمين هنا يحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن يراد بها طريق الخير والصواب ، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين ، كما أن العبارة عن الشر بالشمال ، والمعنى : قالوا لهم : إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير ، فتصدُّوننا عنه .

والثاني : أن يُراد به القوة ، والمعنى : إنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم ، فتأمروننا بالكفر ، وتمنعونا عن الإيمان .

والثالث : أن يراد به اليمين التي يُحلف بها والمعنى : إنكم كنتم تحلفون لنا أنكم على الحق ، فنصدِّقكم ونتبعكم . اهـ.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٦٧ وقد قال الطبري عن هذه الآية ٢٨/٢٤ : وقال بعض أهل العربية في قوله تعالى ﴿ والسماء مطويات بيمينه ﴾ أي في قدرته نحو قوله تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ =

قال الشاعر :

« تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ »[1]

فردُّوا عليهم بأنهم كانوا ضالين ، فقالوا : ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ .

قال السُّدِّيّ : أي من حجة[2] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ﴾** أي ضالين **﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾** أي كلنا في العذاب **﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾** [آية ٣٢] .

أي بالوسوسة والاستدعاء .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

أي عن توحيد الله جلَّ وعز .

= أي وما كانت لكم عليه قدرة التملك ، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله ﴿ قبضته ﴾ نحو قولك : هذا في يدك ، وفي قبضتك .. إلخ. ثم قال : والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه تشهد على بطول ــ أي بطلان ــ هذا القول . اهـ.

(١) هذا شطر بيت للشماخ يمدحه عَرَابة الأوسي وتمامه :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ

والبيت من شواهد الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٥/٢ على أن اليمين تطلق على القدرة والقوة ، وذكره الطبري وعزى التفسير إلى الضحاك وابن عباس كما عزاه الحافظ ابن كثير .

(٢) ذكره الطبري عن السدي ٥٠/٢٣ قال : ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ قال : الحجة . اهـ. والأظهر أن المراد بالسلطان هنا القهر ، أي كان لنا عليكم من قوة نقهركم بها على اتباعنا .

٢١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [آية ٤٥] .

قال قتادة : أي خمرٍ جارية(١) ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ ﴾ قال الحسنُ : خمرُ الجنَّةِ أشدُّ بياضاً من اللَّبَن(٢) .

٢٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [آية ٤٧] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ لا فَيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : لا فيها وَجَعُ بَطْنٍ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ : لا تَذْهَبُ عقولُهُمْ(٣) .

ورَوَى معمرٌ عن قتادة ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تُصدَّعُ رءوسُهُم ، ولا تَذْهَبُ عُقولُهُمْ(٤) .

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : يقول : ليس فيها صُداعٌ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تذهبُ عقولهم(٥) .

---

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٥٢/٢٣ فقال ﴿ وكأس من مَعِين ﴾ قال قتادة : كأس من خمر جارية ، والمعين هي : الجارية ، وقال الضحاك : كُل كأس في القرآن فهو خمر . اهـ. قال الراغب في المفردات : الكأسُ : الإناء بما فيه من الشراب ، ويسمى الشراب كأساً فيقال : شربتُ كأساً ، وكأسٌ طيبة يعني بها الشراب قال تعالى ﴿ وكأس من معين ﴾ . اهـ. المفردات ص ٤٤٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٦/٧ والألوسي في روح المعاني ٨٧/٢٣ والقرطبي ٧٨/١٥ .

(٣ــ ٥) هذه الآثار كلها وردت عن السلف في قوله تعالى ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ وجماعها أن المعنى : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صُداع ﴿ ولا عنها يُنزفون ﴾ أي لا يسكرون بشربها كما =

قال سعيد بنُ جبير : ﴿ لَا يُنْزَفُونَ ﴾ لا تنزف عقولهم ، قال : والغَوْلُ : الأذى المكروه[1] .

قال أبو جعفر : وهذا أجمعُها وأولاَها ، يُقال : غالتْهُ غَوْلٌ أي ذهبت به ذاهبة[2] ، وقد غَالَه الشَّرابُ واغتاله ، أي ذهب بعقله أو آذاه[3] ، ومنه « اغتالَ فلانٌ فلاناً » ومنه « قَتَله قتلَ غِيلَةٍ » انقلبت الواوُ ياءً لانكسار ما قبلها . وأصل « نُزِفَ » نُقِص ، والمعنى : لا يلحقهُم نُقْصَانٌ بسكرٍ ولا غيرِهِ ، فَنَفى اللهُ جلَّ وعزَّ عنهم السُّكْر ، لما فيه من الباطل والسَّفه .

= تفعل خمر الدنيا ، قال الحافظ ابن كثير ١٠/٧ : نزَّه الله خمر الآخرة عن الآفاق التي في خمر الدنيا ، من صُداع الرس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، فخمر الجنة طعمها طيِّب كريحها ، وطيبُ الطعم دليل على طيب الريح ، قال الضحاك عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السُّكْرُ ، والصُّداع ، والقيءُ ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال . اهـ. واختار الطبري بعدما أورد الآثار ، أن معنى الغول في كلام العرب هو ما غال الإنسان فذهب به ، فهو يعمّ جميع هذه الأشياء ، من صداع الرأس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، والأذى والمكروه في الجسم والعقل ، والإثم الذي يلحق شاربها ، فكل ذلك قد نفاه الله عن خمر الجنة .. إلخ. وهو الأظهر والله أعلم .

(١) ذكره الطبري ٥٤/٢٣ وفي زاد المسير ٥٧/٧ وابن كثير ١٣/٧ ثم قال : والصحيح قول مجاهد أن الغول وجع البطن . اهـ.

(٢) هذا الذي قال المصنف هو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري ، واختار العموم في معنى الغول ، واستدل بقول الشاعر :

وَمَا زَالتِ الكَأْسُ تَغْتَالُنَا وتَذْهَبُ بالأوَّلِ الأوَّلِ

(٣) قال في المصباح : غَالَه غَوْلاً من باب قال : أهلكه ، وكلُّ ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول .

وجملتُه النُّقصانُ ، ويُقرأ ﴿ وَلَاهُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ﴾[1] وفي معناه قولان :

أ ــ أعرفُهما أنه يقال : أَنْزَفَ الرجلُ إذا نفِد شرابه والمعنى أنزفَ شرابُه[2] .

ب ــ والقول الآخر أنه حُكي أنه يُقال : أنزفَ الرجل إذَا سَكِر[3] ، وأنشد أبو عُبيدةَ للأُبَيْرِد :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ
لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا[4]

فأمَّا نُزِفَ الرجلُ : إذا ذهبَ عَقْلُه من السُّكْرِ ، فمعروفٌ مَسْموعٌ من العرب[5] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿ يُنْزِفُون ﴾ بكسر الزاي من أَنْزَفَ بمعنى سَكِر ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ يُنْزَفُون ﴾ بنصب الزاي وكلاهما من القراءات السبع .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ : فمن فتح فالمعنى : لا تذهب عقوهم بشربها ، من نُزِف الرجل فهو منزوف ، ومن كسر ففيه وجهان : أحدهما أنه يُقال : أنزفَ الرجل : إذا فنيت خَمْرُه ، وأنزف : إذا ذهب عقله . اهـ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٧٤٨/٢ : القراءة الأولى ﴿ يُنْزَفُون ﴾ أبين وأصح في المعنى ، لأن معناها عند جلة أهل التفسير : لا تذهب عقولهم ، فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصُّداع والسُّكر . اهـ .

(٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٩/٢ وهو للأبيرد الرياحي ، ذكره في الصحاح واللسان مادة « نَزَف » وفي الأغاني ٩/١٢ وذكره الطبري في تفسيره ٥٥/٢٣ عن الأبيرد ، وهو في القرطبي ٧٩/١٥ منسوبي إلى الحطيئة .

(٥) قال في اللسان : نُزِف الرجل فهو منزوف ونزيف أي سَكِرَ فذهب عقله . اهـ . مادة نزف .

٢٣ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾** [آية ٤٨] .

قال قتادة : قَصَرْن طَرْفَهنَّ على أَزْواجهن(١) .

وَرَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال : [قَصَرْنَ : أطرافَهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم](٢) .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا يَغَرْنَ على أزواجهنَّ(٣) .

قال أبو جعفر : والقولُ الأَوَّلُ هو المعروف ، وأصلُه من قصرتُه أي حبستُه .

وقوله تعالى ﴿ عِينٌ ﴾ قال مجاهد : أي حِسانُ العيون .

وقال السدي : ﴿ عِينٌ ﴾ أي عِظامُ الأَعين .

وحكى أهل اللغة أنه يُقال : رجلٌ أعينُ ، وامرأة عَيْنَاءُ أي واسع

(١ــ ٢) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٥٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٥ وابن كثير ١١/٧ ولفظه : ﴿ وعندهم قاصرات الطَّرْف ﴾ : أي عفيفات ، لا ينظرْنَ إلى غير أزواجهنَّ . وما بين الحاصرتين أثبتناه من هامش المخطوطة .

(٣) هذا القول عن مجاهد قول ضعيف ، لأن غيرة المرأة على زوجها مما يُمدح ويُستحسن ، لأنها من فرط حبِّها له تغارُ عليه ، ولهذا ردَّه المصنِّف ، وذكر أن القول الأول هو المعروف والمشهور ، لأن معنى القصر في اللغة : الحبسُ ، أي قد حَبَسْنَ نظرهُنَّ ، فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ، وقد رُوي عن ابن زيد أنه قال : إن المرأة لتقول لزوجها : « وعزَّةِ ربي ما أرى في الجنة أحسنَ منك ، الحمد لله الذي جعلني زوجاً لك ، وجعلك زوجاً لي » وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٥٨/٧ .

العين[1].

٢٤ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [آية ٤٩] .

قال قتادة : أي لم تمرُّ به الأيدي ، يُشبِهْنَ بياضَه[2] .

يعني قتادة : الذي داخل القِشر .

قال أبو جعفر : يُقال : كَنَنْتُ الشَّيءَ : أي صُنْتُهُ[3] ، والعربُ تُشبِّه المرأة ببيضةِ النَّعامةِ[4] ، كما قال الشاعر :

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ[5]

---

(١) قال في اللسان مادة « عين » : يُقال إنه أعينُ : إذا كان ضخم العين واسعها ، والأنثى عيناء ، والجمع منها عِينٌ ، وامرأة عيناء : واسعة العين . اهـ. وقال الطبري ٥٦/٢٣ : ويعني بالعِين : النُّجْل العيون عظامها ، وهي جمع عيناء ، والعيناء : المرأة الواسعة العين عظيمتها ، وهي أحسن ما تكون من العيون . وقال في البحر ٣٦٠/٧ : والعِين جمع عيناء ، وهي الواسعة العين في جمال . اهـ. هذا القول يجمع قول مجاهد والسُّدي وقد قال الزجاج : ﴿ عِينٌ ﴾ كبار العيون حسانها ، وواحدتهن عيناء . اهـ.

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي ٥٧/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٧ ومعنى : لم تمرُّ به الأيدي أي لم تمسَّه الأيدي .

(٣) في المصباح : كننتُ الشيء أكُنُّه من باب قَتَل : سترتُه في كِنِّه وهو السُّترة ، وأكننته : أخفيته .

(٤) قال الطبري : وأولى الأقوال عندي قول من قال : شبَّههن في بياضهن ، وأنهن لم يمسَهُنَّ قبل أزواجهن إنسٌ ولا جان ، ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة الملبَّسة المخَّ ، قبل أن تمسهنَّ يدٌ أو شيءٌ غيرها ، وذلك لا شك هو المكنون ، فأمَّا القشرة العليا فإن الطائر يمسُّها ، والأيدي تباشرها ، والعُشُّ يلقاها ، والعرب تقول لكل مَصُونٍ : مكنون ، لؤلؤاً كان ، أو بيضاً ، أو متاعاً . اهـ.

(٥) البيت من معلقة امرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٦ يتغزَّل بفتاة ، والبِكْرُ : الشيء الذي لم =

٢٥ ــ ثم قال عز وجل : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [آية ٥٠] .

يعني أهلَ الجنة .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [آية ٥١] .

قال عطاء الخراساني : هذان رجلان أخوان ، تصدَّق أحدهما بمالِهِ فعيَّره أخوه ، وقال له ما قصَّ اللَّهُ جلَّ وعزَّ(١) .

= يُسبق مثله ، والمُقَانَاة : الخَلْطُ بين شيئين ، شبَّهها في صفاء اللون ، بدُرَّة فريدة ، تضمنتها صَدَفة بيضاء ، شابت بياضها صفرة ، والعرب تشبِّه المرأة الحسناء في بياضها ، وحسن لونها ببيضة النَّعامة ، وهو أحسن ألوان النساء ، لأن بياضها يكون مُشْرَباً بصُفرة ، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٩١/٦ والبحر المحيط ٣٦٠/٧ وفي ديوان امرئ القيس « غير المحلل » بالألف واللام .

(١) ذكره الطبري ٥٩/٢٣ وابن كثير ١٥/٧ والفخر الرازي ١٣٩/٢٦ في قصة طويلة خلاصتها : أنه كان رجلان شريكين ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار ، فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى بألف دينار أرضاً ، وابتنى فيها بألِف داراً ، ثم تزوج بالألف الثالثة ، واشترى بالباقي خدماً ومتاعاً ، ودعا شريكه ليطلعه على ما نال من عز وشرف ، وما هو فيه من بهجة وسرور ، ومُلك وجاه ، فلما رجع العبد الصالح ، أخذ ما عنده من مال فتصدق به لوجه الله ، وقال : اللهم إن فلاناً اشترى بماله داراً ، وزوجة ، وخدماً ، ومتاعاً ، ليسعد بها في الدنيا ، وأنا أشتري منك داراً في الجنة وخدماً وحوراً فاجعلها ذخراً لي عندك في الآخرة ، ثم عمد إلى ماله فأنفقه على الفقراء والمساكين ، فلقيه شريكه الكافر فقال : ما فعلت بمالك ؟ قال : قدَّمته لآخرتي ، واشتريت به داراً ، وبستاناً ، وخدماً ، وزوجة في الجنة ، فقال له الكافر مؤنباً وموبِّخاً ﴿ أئنك لمن المُصَدِّقين . أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمِدينون ﴾ ؟ أي هل سنُبعث ونُحاسب ونُجازى على أعمالنا بعد أن نصبح تراباً ورفاتاً ؟ فإذا كان يوم القيامة ، اطَّلع المؤمن على الكافر ، فرآه في

وقد رُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك له صاحبٌ مؤمن ، قال له هذا[1]

قال مجاهد : ﴿ قَرِينٌ ﴾ أي شيطان[2] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [آية ٥٢] .

المعنى : يقول أئنك لمن المصدِّقين بأنَّا مدينون ؟ ثم كُسِرتْ « إنَّ » لمجيء اللَّام[3] .

قال مجاهد : ﴿ مَدِينُونَ ﴾ أي مُحاسبون[4] .

﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ أي قال الذي في الجنة : هل أنتم مُشرفون ؟ ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ ﴾ أي فأشرف فرأى قرينه ﴿ فِي سَوَاءِ

= وسط الجحيم ، فقال له ما حكاه القرآن الكريم من تمام الخبر ، وانظر الطبري ، وابن كثير ، والدر المنثور ، ففيها تفصيل للقصة كامل .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٥٩/٣ عن ابن عباس وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/٥ عن السدي بمعناه .

(٢) هذا الأثر عن قتادة ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٩/٧ وابن كثير ١٢/٧ ورُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صديق مؤمن في الدنيا ، ثم قال ابن كثير : ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس للإنسان ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ أئنَّا لمدينون ﴾ والأصل فيها : أئنك لمن المصدقين بأننا مدينون ؟ بفتح همزة إن .

(٤) هذا قول قتادة والسدي أيضاً كما في الطبري ٦٠/٢٣ وابن كثير ١٣/٧ وقال ابن عباس ﴿ لمدينون ﴾ أي لمجزيون بأعمالنا ، يُقال : دنته بما صنع أي جازيته قال في المصباح : دِنتُه أَدِينُه : جازيته . اهـ.

الجَحِيمِ ﴾ أي في وسطها[1] .

قال الذي في الجنة ﴿ **تَاللَّـهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾** أي تهلكني .

وفي قراءة عبدالله « لَتُغْوِينِ »[2] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : أي لمن المُحْضَرين في النار[3] .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَفَمَا نَحْن بِمَيِّتينَ . إلاَّ مَوْتَتَنا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ؟ إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾** [آية ٦٠] .

قال قتادة : هذا آخر كلامه[4] ، ثم قال جلَّ وعز ﴿ **لِمِثْلِ**

---

(١) قال القرطبي ٨٣/١٥ : أي في وسط النار . وقال الألوسي ٩٢/٢٦ : سُمِّي الــوَسَط سواءً لاستواء المسافة منه إلى الجوانب .

(٢) هذه القراءة ليست من السبع بل من الشواذ ، والمراد بعبد الله « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه .

(٣) أي لمن المحضرين معك في النار ، وهذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٦٢/٢٣ وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ .

(٤) أي آخر كلام المؤمن ، يقوله لرفقائه في الجنة ، تحدثاً بنعمة الله عليه ، والأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٣ والقرطبي ٨٤/١٥ واختار في التسهيل ٣٦/٣ أن هذه الآية من كلام الله تعالى ، لأن الذي بعدها من كلامه سبحانه ، فيكون الكلام متصلاً ، وينتهي كلام المؤمن عند قوله ﴿ أفما نحن بميِّتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ ؟ يقوله توبيخاً للكافر ، لإنكاره البعث ، ثم يأتي =

هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾ .

٢٩ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً .. ؟ ﴾ [آية ٦٢] .

أذلكَ خيرٌ نُزُلاً ، ونَزْلاً : أي رزقاً ، والنُّزُل أيضاً : الرَّيْعُ والفضل[1] .

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهد : قال أبو جهل : ما نعرف الزَّقُّومَ إلاَّ التَّمْر بالزُّبْد ، فنتَزقَّم[2] .

وقال قتادة : فُتِنُوا بهذا ، فقالوا : كيف يكون في النَّارِ شجرة ، والنَّار تأكل الشجر ؟ فقال الله عز وجل **﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي**

= كلام الله مبتدأ ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ وهو وجه وجيه ، وقد ذكره الألوسي في تفسيره .

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٧٠ : النُّزُل والنَّزَل واحد وهو الفضل ، يقال : والنُّزل أي الضيافة ، وقال الليث : النُّزل ما يُهَيَّأ للضيف إذا نزل . اهـ. التهذيب مادة نزل .

أقول : ومعنى الآية : أنعيم الجنة خير ضيافة وعطاء ، أم شجرة الزقوم التي هي في جهنم ؟ أيهما أفضل نُزل الأبرار أم نزل الفجار ؟

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/٦٣ وابن كثير ٧/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٧٧ ولفظه كما في الطبري : قال أبو جهل لما نزلت ﴿ إنَّ شجرة الزقوم ﴾ تعرفونها في كلام العرب ؟ أنا آتيكم بها ، ثم دعا جارية فقال لها : ائتيني بتمر وزبد ، فقال : دونكم تزقَّموا ، فهذا الذي يخوِّفكم به محمد !! يقول ذلك تهكماً وسخرية .

أَصْلِ الجَحِيمِ ﴾ أي غذاؤها من النَّار ، ومنها خُلِقَتْ[1] .

٣٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [آية ٦٥] .

﴿ طَلْعُهَا ﴾ أي ثَمرُها كأنَّه أولُ ما يَطْلَع[2] منها ، ثم قال : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[3] .

قال أبو العباس[4] : يُقالُ : لم تُرَ الشَّياطينُ ، فكيفَ وقعَ التشبيه بها ؟

وهل يجوز أن يُقال : كأنَّ زيداً فلانٌ ، وفلانٌ لا يُعْرَفُ[5] ؟

---

(١) ذكره الطبري وابن كثير ١٦/٧ ولفظه : قال قتادة : ذُكرت شجرة الزقوم ، فافتتن بها أهل الضلالة ، وقال : صاحبكم يُنبئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله الآية ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ . اهـ.

أقول : إنما صارت فتنة للظالمين ، بسبب أن الكفار لما سمعوا هذه الآية قال : كيف يُعقل أن تنبت الشجرة في جهنم ، مع أن النار تحرق الشجر ؟ فنزلت الآية توضح أن خالق النار لا يعجزه شيء أصلاً .

(٢) طلعها : المراد بالطلع الثمر ، سمي طلعاً لطلوعه ، قال في المصباح : الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمراً . اهـ.

(٣) قال ابن كثير ١٧/٧ : وإنما شبَّهها برءوس الشياطين ، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ، لأنه استقرَّ في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر . اهـ.

(٤) أبو العباس : هو الإمام المبرِّد ، النحوي ، اللغوي ، الشهير ، المتوفى سنة ٢٥٨هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٥) يحكي المبرِّد ما يقوله بعض الملاحدة في الطعن بهذا التشبيه ﴿ كأنه رءوس الشياطين ﴾ بأنه تشبيه بما يُجهل ولا يُعرف ، ليردَّ عليه ، وحاصل القول في هذا التشبيه أنه لا يشترط في المشبَّه به أن يكون معروفاً مرئياً ، بل يكفي كونه مركوزاً في الذهن والخيال ، فإنه قد استقرَّ في النفوس =

فالجوابُ : أن المقصود هو ما وقع عليه التَّعارُف من المعاني ، فإذا قيل : فلانٌ شيطانٌ ، فقد عُلِم أن المعنى : فلانٌ قبيحٌ خبيثٌ ، ومنه قولهم : تَشَيْطَنَ : إذا تَخبَّثَ ، كما قال الشاعر :

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي
وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ [(١)]

ولم تُرَ الغولُ قطُّ ، ولا أنيابُها ، ولكنَّ العرب إذا قَبَّحت المؤنَّث شبَّهته بالغول ، وإذا قبَّحت المذكَّر شبَّهته بالشيطان[(٢)] ، فهذا جوابٌ صحيح بيِّنٌ .

وقد قيل هو نَبْتٌ باليمن قبيحُ المنظر ، شُبِّهتْ بهُ ، يقالُ له : الأَسْتَنْ[(٣)] ، والشَّيْطَانُ ، وليس ذلك بمعروفٍ عند العرب .

= قبحُ الشياطين ، وإن لم تشاهد ، والعرب تشبِّه قبيحَ الصورة بالشياطين ، فيقولون : وجهُهُ كوجه الشيطان ، ورأسُه كرأس الغول ، كما تشبِّه جميل الصورة بالمَلَك فيقولون : هذا وجه ملك ، وعليه قوله تعالى ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ لأنه ارتسم في خيالهم صورة المَلَك بأحسن صورة ، وصورة الشيطان بأقبح صورة ، وهذا ما يسمى « بالتشبيه التخييلي » .

(١) البيت لامرىء القيس كما في ديوانه ص ٣٣ و « المشرفيُّ » السيف الصارم ، وأراد بالمسنونة السهام المحدَّدة ، وشبَّهها بأنياب الأغوال تشنيعاً لها ، ومبالغة في وصفها بما يُفزع ، وقد استشهد به الألوسي في روح المعاني ٢٣/٩٥ وصاحب مجمع البيان ٢٣/٦٢ وابن منظور في اللسان ، مادة غول .

(٢) قال الزجاج ٤/٣٠٧ : الشاعر لم ير الغول ولا أنيابها ، ولكنَّ التمثيل بما يُستقبح أبلغ في باب المذكَّر أن يُمثَّل بالشياطين ، وفي باب المؤنث أن يُشبَّه بالغول . اهـ. وانظر أيضاً زاد المسير لابن الجوزي ٧/٦٣ .

(٣) ذكره الزمخشري في تفسيره ٣/٣٠٢ فقال : وقيل إنه شجر « الأَسْتِين » وهو شجر خشن منتن مرٌّ ، منكر الصورة يسمى ثَمَرُهُ « رءوس الشياطين » وقال أبو حيان في البحر ٧/٣٦٣ : وشبَّه =

قال أبو جعفر : وقيل الشياطينُ : ضروبٌ من الحِيَّاتِ قِباحٌ[1] .

٣١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾** [آية ٦٧] .

قال قتادة : أي مزاجاً[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : شُبْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ أي خَلَطْتُه به[3] .

فقيل : يُراد به ههنا شربُ الحميم .

٣٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾** [آية ٧٠] .

= طلعها يثمر شجرة معروفة ، يُقال لثمرها رءوس الشياطين ، وهي بناحية اليمن يقال لها الأَسْتَنُ ، ذكرها النابغة بقوله : « تَحِيدُ من أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ » فعلى هذا القول يكون تشبيهاً بما هو معروف عند العرب .

أقول : وهذا خلاف الظاهر المتبادر .

(١) ذكره الطبري ٦٤/٢٣ والقرطبي ٨٧/١٥ والألوسي ٩٦/٢٣ وهو منسوب إلى الزجاج والفراء .

(٢) ذكره الطبري ٦٥/٢٣ ولفظه قال قتادة : ﴿ شوباً من حميم ﴾ مزاجاً من حميم ، قال القرطبي ٨٧/١٥ : الشَّوب : الخَلْط ، يقال : شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء ، يشوبهما شوباً ، والحميم : الماء الحار ليكون أشنع ، قال الله تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميماً فقطَّعَ أمعاءَهم ﴾ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٠/٢ : تقول العرب كل شيء خلطته بغيره فهو مشوب ، وقال ابن قتيبة المعنى : إن لهم لخلطاً من الماء الحار يشربونه عليها . اهـ. وانظر زاد المسير ٦٤/٧ .

معنى ﴿ أَلْفَوْا ﴾ : وجدوا[1] .

قال مجاهد : ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ كهيئة الهَرْولة ، وقال قتادة : يُسْرِعون[2] .

وقيل : كأنهم يُزْعَجون من الإسراع[3] .

٣٣ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [آية ٧٥] .

قيل : بمسألتِهِ هلاكَ قومه[4] ، فقال ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿ وألفيا سيِّدها لدى الباب ﴾ أي وجدا سيدها .

(٢) قول قتادة ومجاهد ذكرهما الطبري ٢٣/٦٦ والقرطبي ١٥/٨٨ قال الفراء : الإهراع : الإسراع برعدة ، وقال أبو عبيدة ﴿ يُهرعون ﴾ يُستحثون من خلفهم ، ونحوه قال المبرد : المُعرع : المستحث ، يقال : جاء فلان يُهرع إلى النار إذا استحثه البرد إليها . وانظر القرطبي ١٥/٨٨ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٤/٣٠٧ وحكاه القرطبي في تفسيره ، يقال : هرِعَ وأُهرع : إذا استُحِث وأُزعج . اهـ.

(٤) هذا ما رجحه الطبري ٢٣/٦٧ واختار غيره من المفسرين أن النداء هنا بمعنى الاستغاثة ، وقد تضمَّن نداؤه ثلاثة أمور :

١ ـ الدعاء على قومه بالهلاك .

٢ ـ سؤاله النجاة من الغرق .

٣ ـ طلبه النصرة على المجرمين .

كما أخبر تعالى عنه في سورة القمر ﴿ فدعا ربه أنِّي مغلوب فانتصر ﴾ وقد أجاب الله دعاءه في هذه الأمور كلها ، أبلغ استجابة ، ولهذا قال : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبون ﴾ أي فلنعم المجيبون له نحن ، وجاء اللفظ بصيغة الجمع للعظمة والكبرياء ، وهذا القول أرجح ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر .

الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾(1) .

وقيل : المعنى دعا بأن تُنَجِّيَهُ من الغَرَق ﴿ **وَنجَّيناه وأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمَ** ﴾(2) أي من الغرق .

٣٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعْلَنَا ذُرِّيَتَهُ هُمُ البَاقِينَ ﴾ [آية ٧٦] .

رَوَى سعيد عن قتادة : النَّاسُ كلُّهم من ذُرِّيَّة نوحٍ صلَّى الله عليه وسلم(3) .

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ [آية ٧٨] .

قال مجاهد وقتادة : أي ثناءً(4) .

وقال محمد بنُ يزيدَ(5) : المعنى : وتركنا عليه في الآخرين ،

---

(١) سورة نوح آية رقم ٢٦ .

(٢) إنما سُمي الطوفان « كَرْباً » لأنه كان شديداً هائلاً ، طغى عل كل شيء ، حتى علا قمم الجبال ، والكربُ في اللغة : البلاء ، والشدة ، والحزن ، والغمُّ الذي يأخذ بالنفس ، كما في لسان العرب .

(٣) هذا قول الجمهور ، ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة كما في البحر ٣٦٤/٧ وقال في التسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٥/٣ : أهلُ الأرض كلهم من ذرية نوح ، لأنه لما غرق الناس في الطوفان ، ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة « سام ، حام ، ويافث » . اهـ.

أقول : ولهذا يسمي علماء التاريخ نوحاً أبا البشر الثاني .

(٤) قال في الدر المنثور ٢٧٨/٥ وعن قتادة : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرة ، وعن ابن عباس : تركنا عليه الثناء الحسن إلى آخر الدهر .

(٥) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ وعلى قوله يكون الكلام وارداً على الحكاية أي تركنا عليه هذا الكلام بعينه ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ .

يقال : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ ﴾ أي تركنا عليه هذه الكلمة باقية[1] .

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾** [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي على منهاجه وسُنَّته[2] .

وقال قتادة : على دينه[3] .

قال أبو جعفر : المعنى : وإنَّ من شيعة نوحٍ .

قال الفراء : المعنى : وإن من شيعةِ محمد صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) هذا قول المبرد ، والفراء ، والزجاج ، واختاره الألوسي في روح المعاني ، وجمهور المفسرين على ما ذهب إليه مجاهد وقتادة وابن عباس أن المعنى : أبقينا عليه ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة ، فلا يُذكر إلا بالإجلال والتعظيم ، وانظر الطبري ٦٨/٢٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٩/٢٣ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وكذلك ذكره القرطبي ، وصاحب البحر ، والألوسي ، قال الطبري المعنى : وإن من أشياع نوح ، على منهاجه وملَّته ، لإبراهيم خليل الرحمن . اهـ. وقال في اللسان : الشيعة : أتباع الرجل وأنصاره ، وكلُّ قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة ، وقوله تعالى ﴿ وإنَّ من شيعته لإبراهيم ﴾ أي من شيعة نوح ومن أهل ملته . اهـ. اللسان .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٦٩/٢٣ والقرطبي ٩١/١٥ وهو مروي عن ابن عباس والسدي وهو قريب من الأول .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢ فقد جعل الهاء في « شيعته » عائدة إلى محمد عليه السلام ، وقال : وإن كان إبراهيم سابقاً له ، فإنه مثل قوله تعالى ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذرِّيتهم ﴾ أي ذرية من هم منه ، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم . اهـ. والجمهور على أن الضمير في « شيعته » عائد إلى نوح عليه السلام ، لأنه هو المذكور سابقاً ، وقلَّما يقال للمتقدم هو شيعة للمتأخر ، وانظر تفسير الألوسي ١٠٠/٢٣ .

والأوَّل أشبهُ ، لأن ذكر نوحٍ قد تقدَّم .

٣٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي سليمٍ من الشِّرك[1] .

وقال عروةُ بن الزبير : لم يَلْعنْ شيئاً قطُّ[2] ، فقال الله جلَّ وعز ﴿ **إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال قتادة : أي أكذباً[3] ؟ .

٣٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [آية ٨٧] .

رَوَى سعيد عن قتادةَ قال : أي فما ظنكم برب العالمين ، وقد

(١ ــ ٢) انظر الأثرين في الطبري ٧٠/٢٣ وابن الجوزي ٦٧/٧ وابن كثير ٢٠/٧ والقرطبي ٩١/١٥ والأولى التعميم أي سالم من جميع الآفات والنقائض ، سالم من الشرك ، والشكّ ، وسائر العيوب ، من الغلّ ، والحسد ، والكبر ، والمكر ، والخبث ونحوها ، قلب نقيٌّ طاهر ، لم تدنّسه مغريات الحياة .. إلخ. وما ذُكر عن قتادة وعروة فإنما هو تخصيص بدون مخصص ، فيكون ما ذكرناه من العموم أولى وأظهر ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر المحيط .

(٣) الإفك في اللغة : الكذبُ والباطل قال في المصباح : أَفَكَ يأفِكُ من باب ضرب ، إفكاً : بالكسر : كَذَب ، فهو أفَّاك وأَفُوك . اهـ. ومعنى الآية : أتعبدون آلهةً من دون الله من أجل الإفك والكذب والزور ؟ وقُدِّم المفعول لأجله على المفعول به ، للتقبيح والتشنيع ، والأصل : أتريدون آله من دون الله إفكاً ؟ قال المبرد : والإفك أسوءُ الكذب ، وهو الذي لا يثبت ويضطرب .

عبدتم غيره ، إذا لقيتموه[1] ؟

٤٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ [آية ٨٨] .

في معناه ثلاثةُ أقوالٍ :

قال الحسن : أي تفكَّر فيما يعملُ إذا كلَّفوه الخروج[2] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : فنظَرَ فيما نَجَمَ له من الرأيِ ، أي فيما طَلَعَ له ، يُقال : نَجَم القَرْنُ والنَّبْتُ إذا طَلَعَا .

أي فكَّر فعلم أنه لا بدَّ لكل حيٍّ من أن يسقم ، فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٣ والقرطبي ٩٢/١٥ وابن كثير ٢٠/٧ ولفظه : قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم ، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ . اهـ.

(٢) الأثر عن الحسن البصري أخرجه ابن كثير ٢٠/٧ ولفظه : قال : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، فأرادوه على الخروج معهم ، فاضطجع على ظهره ﴿ فقال إني سقيم ﴾ وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، وقال قتادة : العرب تقول لمن تفكَّر : نظر في النجوم ، أي إنه نظر في السماء ، متفكراً فيما يلهيهم به . اهـ.

أقول : لما وبَّخ قومه على عبادة الأوثان ، أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تضرُّ ولا تنفع ، ولا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها ، فأراد أن يخلو بها حتى يُحطِّمها ، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلى العيد ، فنظر في السماء ــ على عادة قومه حيث كانوا منجِّمين ــ وأوهمهم أن النجوم التي يعتقدون بها ، تشير إلى أنه سيمرض غداً ، فقال إني سقيم أي سأمرض إن خرجتُ معكم ، وهذا منه عليه السلام ليس بكذب ، وإنما هو من المعاريض الجائزة لمقصد شرعي كما روي « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » أو أراد أنه سقيم القلب من عبادتهم للأوثان والأصنام ، وانظر ابن كثير ففيه كلام نفيس .

قال الخليل : يُقال للرجل إذا فكَّر في الشيء كيف يدبِّرهُ : نظر في النجوم .

وكذلك قال أبو العباس[1] في معنى هذه الآية .

والقولُ الثاني : أن يكون المعنى : فنظر فيما نَجَم من الأشياءِ ، فعلم أنَّ لها خالِقاً ومدبِّراً ، وأنها تتغيَّرُ ، وعلمَ أنَّ ذلك يلْحقُهُ فقالَ : إني سقيمٌ[2] .

والقول الثالث : ما رواه سعيدٌ عن قتادة أن سعيد بن المسيَّب قال : نظر إلى نجم ، فقال : إني سقيمٌ ، فكايد عن دينه[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول ، فعمِلَ ما يعلمون من

---

(١) هو الإمام المبرد ، وقد حكى هذا القول عن الخليل والمبرد الإمام القرطبي في تفسيره ٩٢/١٥ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذكرناه .

(٢) هذا القول ذكره الألوسي في تفسيره ١٠١/٢٣ وبسطه بعض البسط فقال ﴿ فنظر نظرة في النجوم ﴾ أي فتأمل نوعاً من التأمل في أحوالها ، على طراز تأمل الكاملين في خلق السموات والأرض ، إذ هو اللائق به عليه السلام ، لكنه أوهمهم أنه تفكر في أحوالها ، وفي الأوضاع التي تدل بزعمهم على الحوادث ، ليرتِّب عليه ما يتوصل به إلى غرضه النبيل ، وهذا من معاريض الأفعال ، نظير ما وقع في قصة يوسف عليه السلام ، من تفتيش أوعية إخوته قبل وعاء شقيقه ، نفياً للتهمة . اهـ بإيجاز .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٧١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٩/٥ وابن كثير ٢١/٧ بلفظ « كابَدَ » ومعناه تحمَّل المشقة والشدة دفاعاً عن دينه ، وأما عبارة « كايد » كما في الطبري ، فصحيحة أيضاً ، أي صنع ما يكيد به الأعداء من أجل نصرة دينه .

النظر في النجوم ، واستدلالهم بها[1] .

قال سعيدُ بن جُبَيْر والضحَّاك : ﴿ **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ أي مطْعُونٌ ، وكانوا يهربون من الطَّاعون[2] قال اللّهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ** ﴾ .

٤١ ـــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ [آية ٩١] .

أي مالَ وعَدَل[3] ، ومنه الرَّواغُ ، ثم قال ﴿ **أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ ؟

---

(١) أقول : هذا القول الذي ذكره المصنف عن ابن المسيب هو أرجح الأقوال وأقواها ، وهو الذي رجحه جمهور المفسرين ، الألوسي ، وأبو حيان ، والقرطبي ، وابن كثير ، وهو ظاهر الآية الكريمة أنها نجوم السماء ، فقد أتاهم عليه السلام من حيث يعتقدون ، وأوهمهم بأنه استدل بأمارة في علم النجوم ، أنه سيسقم ويشارف على المرض ، ولذلك تركوه وخرجوا إلى عيدهم ، فصنع ما صنع بالأصنام ، لينبههم إلى ضلالهم . قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٣٧٧ : في تأويل قوله تعالى ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ ثلاثة أقوال :

الأول : أنها كانت تأخذه الحمَّى في وقت معلوم ، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم منها .

والثاني : أن قومه كانوا منجمين ، فأوهمهم أنه استدل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف عن الخروج معهم .

والثالث : أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكَّر فيما ينجم من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير عن الضحاك ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال : طعين وكانوا يفرُّون من المطعون ، وانظر الدر المنثور ٥/٢٧٩ وابن كثير ٧/٢١ .

(٣) قال في المصباح : راغ الطريق : مال ، وراغ فلان إلى كذا : مال إليه سراً . اهـ. وقال القرطبي ١٥/٩٤ : راغ ، يروغ، رَوْغاً ، وروغاناً : إذا مال . قال الشاعر :

تعجباً .

أي فقرَّب إليها الطَّعام ، فقال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟ فلمَّا لم يرها تأكُلُ ، قال : أَلاَ تنطقون ؟ .

وقال أبو مالك : جاء إلى آلهتهم ، وكانوا قد جعلوا بين أيديها طعاماً ، فلمَّا لم تُكَلِّمْه[1] قال ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ** ﴾ فأخذ فأساً فضرب به حافَّتَيْها ، ثم علَّقه في عُنُقِ أكبرها .

٤٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَاً بِالْيَمِينِ ﴾ [آية ٩٣] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون معنى ﴿ **باليَمِينِ** ﴾ : بالقوَّة ، كما تقدَّم[2] .

ويجوز أن يريد اليدَ[3] .

= يُعطِيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حَلاَوَةً   وَيَرُوغُ عَنْكَ كما يَرُوغُ الثّعلب

اهـ .

(١) عرض الأكل على الأصنام ، واستفهامها عن النطق ﴿ ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون ﴾ ؟ إنما هو وارد على سبيل السخرية والهزء ، لكونها جمادات لا تأكل ، ولا تتكلم ، فهي منحطة عن عابديها إذ هم يأكلون وينطقون ، وإنما وضعوا عندها الطعام لتصيبه بركة أصنامهم على زعمهم .

(٢) في قوله تعالى ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي عن طريق القوة والغلبة ، على أحد وجوه التفسير ، قال ابن جرير ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ قال ابن عباس : جعل يضرب آلهتهم باليمين ، وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى القوة والقدرة ، أي فراغ عليهم ضرباً بالقوة والقدرة . اهـ.الطبري ٢٣/٧٣ .

(٣) هذا قول الضحاك والربيع بن أنس أنه أخذ يكسرها باليد اليمنى ، لأنها أقوى والضرب بها أشد .

وقيل : بيمينه حين قال ﴿ وتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أصْنَامَكُمْ ﴾[1] .

٤٣ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [آية ٩٤] .

قال قتادة : أي يمشون[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : زَفَّ النَّعَامُ يَزِفُّ : إذا أَسْرَع ، وذلكَ في أول عَدْوِهِ .

ويُقرأ ﴿ يُزِفُّونَ ﴾[3] بضم الياء ، وأكثرُ أهلِ اللغةِ لا يعرفُهُ .

وقد يجوز أن يكون « أَزَفَّ » صَادَفَ الزَّفِيفَ ، فيكونُ هذا منه[4] .

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي عن الماوردي ، وذكره الطبري ولم ينسبه لقائله ، وإنما قال : تأول بعضهم اليمين بالحلف ، والمعنى : جعل يضربهن باليمين التي حلف بها . اهـ. وانظر الطبري ٧٣/٢٣ .

(٢) الأثر عن قتادة مروي عن السدي أيضاً كما في الطبري ٢٧/٢٣ والقرطبي ٩٥/١٥ وهو خلاف المشهور عند أهل اللغة ، فإنهم يقولون : زفَّ الرجل إذا أسرع في مشيه ، مع تقارب الخطى ، قال في المصباح : زفَّ الرجل يزفُّ من باب ضَرَب : أسرع ، والاسم الزَّفيفُ ، وقال في اللسان : الزَّفيف : سرعة المشي مع تقارب خطو ، وقيل : هو أول عَدْو النَّعام ، وقال اللحياني : الزفيفُ : الإسراع ومقاربة الخطو ، زفَّ ، يَزِفُّ ، زفيفاً ، وقال الزجاج : يزفُّون يُسرعون ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عَدْوها . اهـ. اللسان مادة زفف .

(٣) هذه قراءة حمزة كما في النشر في القراءات العشر ٣٥٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٨ من أَزَفَّ يُزِفُّ أي دخل في الزفيف ، وهو الإسراع أي بادروا مسرعين نحوه ، وقرأ الباقون بفتح الياء « يَزِفُّون » قال الفراء : وقراءة الضم كأنها من أزففتُ ، ولم نسمعها إلَّا زففت ، ولها في اللغة وجه .

(٤) قال الأصمعي : أَزْفَفتُ الإبل أي حملتها على أن تزِفَّ ، فالمعنى على قراءة الضم أي يحملونهم =

وحكَى الكسائي أنه قُرِىءَ ﴿ يَزِفُونَ ﴾[1] بتخفيف الفاء ، وأكثرُ أهل اللغة لا يعرفه أيضاً .

وحَكَى بعضهم أنه قال : وَزَفَ ، يَزِفُ : إذا أسرعَ .

٤٤ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٩٦] .

قال أبو عبيد[2] : أي وما تعملون منه الأصنامَ وتنحتونه ، وهو الخشبُ والحجارةُ وغيرهما[3] .

قال قتادة : وما تعملون بأيديكم .

ويجوز أن يكون « ما » نفياً ، أي وما تعملونه ، ولكنَّ اللَّهَ خالقهُ .

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي وعَمَلكم[4] .

= على التزفيف . اهـ. وقال الفراء : لعل هذه القراءة من قول العرب : قد أطردْتُ الرجلَ أي صيَّرته طريداً ، وطَرَدْتُه إذا أنت قلت له : اذهب عنّا ، قال : وأنشدني المفضَّل :

« فأمسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا » أي صار إلى حال الذلّ والقهر . اهـ.

(١) هذه القراءة ﴿ يَزِفُونَ ﴾ بالتخفيف من الشواذ ، وهي قراءة « عبد الله بن يزيد » كما في المحتسب ٢٢١/٢ كأنها من وَزَفَ يَزِف قال الكسائي : لا أعرفها ، وكذلك قال الفراء : لا أعرفها أيضاً ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وانظر معاني القرآن للفراء ٣٨٩/٢ .

(٢) أبو عبيد : هو القاسم بن سلاَّم الخزاعي اللغوي ، المحدّث ، الفقيه ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ له غريب القرآن ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١٥/٨ .

(٣) على هذا القول تكون « ما » اسم موصول ، بمعنى « الذي » أي خلقكم وخلق الخشب والحجارة التي تعملون منها الأصنام .

(٤) هذا القول على أن « ما » مصدرية والمعنى : والله خلقكم وخَلَق عملكم ، وهذا من مذهب أهل =

ويجوز أن يكون استفهاماً فيه معنى التوبيخ(١) .

٤٥ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [آية ٩٨] .

﴿ الأَسْفَلِينَ ﴾ الأذلِّين حُجَّةً .

قال قتادة : ما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم(٢) .

٤٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [آية ٩٩] .

هاجر إلى الأرض المقدَّسَة(٣) .

= السنة ، أن الأفعال خلقٌ لله عز وجل ، واكتسابٌ للعباد ، وفيه إبطال مذهب القَدَرية والجبرية ، كما في القرطبي ، وقد ذكر ابن جرير الوجهين فقال في تفسيره جامع البيان ٧٥/٢٣ : في قوله تعالى ﴿ وما تعملون ﴾ وجهان :

الأول : أن تكون « ما » بمعنى المصدر ، فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم .

والآخر : أن تكون بمعنى « الذي » فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس . اهـ.

(١) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٧/٧ كما ذكر قول من قل إن « ما » نافية ، ولكنه رحمه الله ردَّهما وبيَّن أن هذه الأقوال خارجة عن طريق البلاغة ، والمعنى على القول بأنها للاستفهام الإنكاري : أي وأيُّ شيء تعملون في عبادتكم لأصنام تنحتونها بأيديكم ؟!

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٧٥/٢٣ والمراد أنه عليه السلام لمَّا قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بالإحراق بالنار ، لئلا يظهر أمام الناس عجزهم ، فلم يناظرهم بعد تلك الحادثة حتى أهلكهم الله .

(٣) هي أرض الشام على رأي الأكثرين ، قال القرطبي ٩٧/١٥ قال مقاتل : هو أول من هاجر من الخلق إلى أرض الشام ، مع لوط وسارة ، وقيل : إلى أرض مصر ، وهو بعيد . اهـ.

٤٧ ـ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى .. ؟﴾ [آية ١٠٢] .

قال مجاهد : ﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي العملَ ، أي شبَّ[1] .

وقال غيره : بلغ ثلاثَ عشْرَةَ سنةٍ[2] .

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟﴾ [آية ١٠٢] .

أي إني أرى في المنام أني سأذبحك[3] .

أي أُمِرتُ بهذا في المنام ، وجُعِل علامةً ، إذا رأيتُ ذلكَ أن أذبحك .

---

(١) قال القرطبي ٩٩/١٥ : أي لما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله . اهـ. وقول المصنف : أي شبَّ هو قول مجاهد ، وقال ابن عباس : أي بلغ العمل وأدرك عمل إبراهيم ، والقولان متقاربان ، لأن المعنى : أنه لمَّا ترعرع وشبَّ ، وبلغ السنَّ الذي يمكنه مساعدة أبيه في عمله .

(٢) هذا قول ابن السائب ، كما في تفسير ابن الجوزي ٧٢/٧ وهو ما رجحه الفراء حيث قال : كان إسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة . اهـ.

(٣) أي بأمر من الله تعالى ، ويدل عليه قوله ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ ورؤيا الأنبياء وحيٌ كاليقظة ، وإنما ذكر له الرؤيا اختباراً لصبره ، وليوطِّن نفسه على ملاقاة هذا البلاء ، إذ المفاجأة بالأمر أصعب على النفس ، قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٧ : وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره ، وجَلَده ، وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه . اهـ. وقال في التسهيل ٣٧٩/٣ : إن قيل : لمَ شاوره في أمرٍ هو عليه حتمٌ من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، ولكنْ ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ، ويوطِّن نفسه على الصبر ، فأجابه بأحسن الجواب ؟

ويُقرأ ﴿ مَاذَا تُرِي ﴾[1] ؟ من الصَّبْرِ .

قال أبو إسحق[2] : لم يقل هذا أحدٌ غيرُهُ .

وإنما قال العلماء المعنى : ماذا تُشيرُ ؟

وقد رُوي في الذبيح أحاديث عن جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وقال بعضُ أهل العلم : الدليلُ على أنه إسماعيل ، أن أسماعيل كان بمكة ، وكان الذَّبحُ بمنى[4] .

---

(١) قوله وقرىء ﴿ ماذَا تُرِي ﴾ بضم التاء وكسر الراء ، من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، كما في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٨ ومعناها : ماذا تريني من صبرك ؟ وقرأ الباقون بفتح التاء والراء ، أي ما رأيك في الأمر ؟

(٢) يريد به الإمام الزجاج . وهو يردُّ على الفراء في قوله : ماذا تريني من صبرك أو جزعك ؟ على قراءة الضم فقد جعل هذا القول من قول الفراء فقط ولم يقل به أحد غيره . وأما غير الفراء فقد قالوا المعنى : ماذا تُشير ؟ وانظر معاني القرآن للفراء ٣٩٠/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٧٦٢/٢ .

(٣) أي إن السلف اختلفوا في الذبيح هل هو « إسحاق » أم « إسماعيل » ولكل واحد دليل على ما ذهب إليه ، فذهب ابن مسعود وقتادة وعكرمة والسدي إلى أنه « إسحاق » وأورد ابن جرير في تفسيره عنهم بعض الأحاديث والآثار ، وذهب ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، ومحمد القرظي ، والحسن ، ومجاهد إلى أنه « إسماعيل » واستدلوا بظاهر هذه الآيات ، وبقوله عليه السلام (أنا ابن الذبيحين) وبقول الأعرابي للرسول : (يا ابن الذبيحين) فتبسَّم عليه السلام ، ويعني بالذبيحين : إسماعيل عليه السلام ، ووالد النبي « عبد الله » حين نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أولاده ، فخرجت القرعة على عبد الله ، فمنعه أخواله وقالوا له : افدِ ابنك بمائة من الإبل ، والجمهور على أن الذبيح إسماعيل ، كما سنذكر الأدلة عليه واضحة إن شاء الله .

(٤) هذا أحد الوجوه التي ترجح أن الذبيح كان « إسماعيل » عليه السلام ، ولا يقوى على ردِّه ما نقل =

وهذا لا يلزم ، رُوي عن ابن عباس أنه قال : كان الذَّبحُ بالشَّامِ .

وقال عُبيدُ بنُ عُمَيْرٍ : كان بالشام ، وإن كان مجاهد قد قال : كان بمنى .

وقال بعضهم : في القرآن ما يدلُّ على أنه إسماعيلُ صلَّى الله عليه وسلم ، قال الله جل وعز ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ** ﴾(١) فدلَّ بهذا على أن إسحاق سيعيش ، حتى يُولد له(٢) ، فكيف يُؤْمَرُ بذبحه ؟

= عن ابن عباس أن الذبح كان بالشام ، فإن الصحيح أنه كان بمكة ، وعرض إبليس لإبراهيم بصورة شيخ ناصح ، ليصدَّه عن تنفيذ أمر الله ، فحصبه بحصيات عند الجمرات ، وصار ذلك تشريعاً لرمي الجمار ، ولا شك أن الجمرات إنما هي بمنى وليست بالشام .

(١) سورة هود آية رقم ٧١ .

(٢) تكاد تكون الآية من الأدلة الصريحة القاطعة على أن الذبيح « إسماعيل » لا « إسحاق » أن الله تعالى بعد أن ذكر تلك الحادثة العجيبة « حادثة الذبح » وما جرى من امتثال إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل لأمر الله ، واستسلامهما لحكمه في قوله سبحانه ﴿ فلما أسلما وتلَّه للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدَّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ وذكر أمر الابتلاء والفداء بقوله ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ﴾ بعد سرد جميع أحداث القصة على أكمل وجه ، قال بعدها ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسنٌ وظالم لنفسه مبين ﴾ فالبشارة بإسحاق إنما جاءت بعد « حادثة الذبح » تكريماً للخليل إبراهيم ، على صبره على تنفيذ أمر الله ، ولولا أن الله تعالى منع السكِّين من أن تفري الأوداج ، لتمَّ الأمر وذُبح الوليد ، ولكنَّ الله علم صدقه ففداه بكبش عظيم ، وأكرمه بولد آخر هو الذي بشره به بقوله ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ .

وأمرٌ آخر وهو أن الله تعالى ذكر في سورة هود البشارة لسارة بغلامٍ يكون من نسله يعقوب =

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً لا يثبتُ حُجَّةً ، لأنه يجوز أن يُؤمر بذبحه ، وقد علم أنه يولدُ له ، لأنه يجوز أن يُحييه اللَّهُ جلَّ وعزَّ بعد ذلك .

٤٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [آية ١٠٣] .

= ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ فكيف يؤمر بذبح إسحاق وهو في ريعان الصبا ، قبل إنجاز الوعد في ولادة يعقوب ؟ ولنفسح المجال للحافظ ابن كثير فقد أجاد في تحقيق هذا الموضوع وأفاد ، فقال تغمده الله بالرحمة والرضوان : وقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ، فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد ولإبراهيم ست وثمانون سنة ، ووُلد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم ابنه وحيده وبِكْرَه ، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً ــ إسحاق ــ ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنصِّ كتابهم ، وإنما أقحموا « إسحاق » لأنه أبوهم ، و « إسماعيل » أبو العرب فحسدوهم ، وحرفوا وحيدك ــ بمعنى ليس عندك غيره ــ وهذا تحريف وتأويل باطل ، فإنه لا يقال « وحيد » إلا لمن ليس له غيره ..

ثم قال : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح إسحاق ، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظنُّ ذلك تُلُقِّي إلا عن أحبار أهل الكتاب ، وأُخذ ذلك مسلَّماً من غير حُجة ، وهذا كتاب الله ، شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ وقال تعالى ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ أي يولد لهما في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته عَقِبٌ ونسلٌ ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً ؟ ورُوي عن ابن عباس أنه قال : المفديُّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود ، وهذا مروي عن مجاهد ، والشعبي ، والحسن البصري ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وسعيد بن جبير ، كلهم قالوا إن الذبيح إسماعيل » . اهـ. تفسير ابن كثير ٢٣/٧ بشيء من الإيجاز .

قال مجاهد : أي سلَّمَا لأمرِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ(١) .

قال أبو جعفر : وفي حرف عبدالله بن مسعود ﴿ فَلَمَّا سَلَّمَا ﴾(٢) .

يُقالُ : سلَّم ، إذا أعطى بيده ورضي .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ أي صَرَعه ، وهما جبينان ، بينهما الجبهةُ(٣) .

وجواب « لمَّا » عند البصريِّينَ محذوفٌ ، كأنه قال : سَعِدَ .

والواوُ عند الكوفيِّين زائدةٌ ، كأنه قال : نَادَيناهُ(٤) .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آية ١٠٧] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٩/٢٣ عن مجاهد والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٠/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والمعنى : استسلما لأمر الله ، وانقادا لحكمه وأطاعا .

(٢) ذكرها في المحتسب ٢٢٢/٢ وهي من القراءات الشاذة ، قال ابن جني : ومعنى ﴿ أسلما ﴾ فوَّضا وأطاعا ، وأما « سلَّما » فمن التسليم ، أي سلما أنفسهما لما أُمرا به ، ولم يُخالفا . اهـ .

(٣) في المصباح : الجبين : ناحية الجبهة ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما ، فتكون الجبهة بين جبينين . اهـ. وقال ابن قتيبة « وتلَّه للجبين » أي صرعه على جبينه ، فصار أحد جبينيه على الأرض ، وهما جبينان ، والجبهة بينهما ، والناسُ لا يكادون يفرِّقون بين الجبين والجبهة . اهـ. وانظر زاد المسير ٧٦/٧ .

(٤) جواب « لمَّا » محذوف عند البصريين تقديره : فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها « تلَّه للجبين » والواو زائدة ، وقال بعضهم : جوابها ناديناه والواو زائدة ، وهذا قول الفراء ، ولكن الإمام النحاس في كتابه « إعراب القرآن » ٧٦٣/٢ يقول : والواو من حروف المعاني فلا يجوز أن تزاد ، ويرجح أن الجواب محذوف .

الذِّبْحُ : المذبوحُ ، والذَّبْحُ المصدرُ[1] .

رَوَى ورقاءُ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كبيرٌ ، مُتقَبَّلٌ[2] .

قال أبو جعفر : ﴿ **عظيمٌ** ﴾ في اللغة : يكونُ للكبير[3] ، والشريف .

وأهل التفسير على أنه ههنا للشريف ، أي المتقبَّل . .

٥٠ ــ **وقولُه جل وعزَّ** : ﴿ **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ** ﴾ [آية ١١٥] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادَةَ قال : من فرعونَ[4] .

٥١ ــ **ثم قال جل وعزَّ** : ﴿ **وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ** ﴾ [آية ١١٦] .

ولم يقل : ونصرناهما ، لأن الإثنين في الأصلِ جمعٌ .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٣٩٠ : الذِّبح : الكبش ، وكلُّ ما أعددته للذَّبح فهو ذِبْح . اهـ.

(٢) ذكر الطبري عن مجاهد ٢٣/٨٦ : أن المراد بالذبح العظيم الكبش العظيم السمين ، وأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً ، كما روى أنه الفداء المتقبَّل ، الذي عظم قدره لأنه متقبَّل .

(٣) في المخطوطة للكثير ، وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه للكبير ، كما في القرطبي ١٥/١٠٧ لأن المراد به ضخامة الجثة .

(٤) المراد إنجاؤهم من بطش فرعون وطغيانه ، فإنه كان يذبِّح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم ، وهذا الذي نُقل عن قتادة ذكره الطبري ٢٣/٩٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٨٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٧٩ .

ويجوز أن يكون ، كما يُخبر عن الواحد بفعل الجماعة[1] .

وقيل : المعنى : ونصرنا موسى ، وهارون عليهما السلام ، وقومَهما ، على فرعون وقومه ، وهذا هو الصوابُ ، لأن قبله ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ .

٥٢ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ ﴾ [آية ١١٧] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : التَّوْراةَ[2] .

قال : ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾ : الإسلامَ[3] .

٥٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ [آية ١٢٣] .

---

(١) قال القرطبي ١١٤/١٥ : قال الفراء : ﴿ ونصرناهم ﴾ الضمير لموسى وهارون وحدهما ، وهذا على أن الاثنين جمع ، دليله قوله ﴿ وآتيناهما ﴾ و ﴿ هديناهما ﴾ وقيل : الضمير لموسى وهارون وقومهما ، وهذا هو الصواب لأن قبله ﴿ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ . أهـ. وهذا هو الذي رجحه الإمام النحاس .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ٩١/٢٣ وفي الدر المنثور ٢٨٥/٥ وإنما وصف تعالى التوراة بأنها الكتاب المستبين لأن فيها الهدى والنور والضياء كما قال سبحانه ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ والصراط المستقيم هو دين الإسلام ، لأنه دين جميع الأنبياء والمرسلين لقوله سبحانه ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا .. ﴾ الآية . ولأن الدين عند الله واحد وإن اختلفت الشرائع والمذاهب كما قال تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » وكما أخبر جل ثناؤه ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. ﴾ الآية .

(٣) هذا من تتمة الأثر الذي ورد عن قتادة ، كما في الطبري ٩١/٢٣ والدر المنثور ٢٨٥/٥ .

قيل : إلْيَاسُ : هو إدريسُ[1] .

وقيل : هو من ولد هارون ، صلَّى اللـه عليهمـا وسلـم ، واللـهُ جلَّ وعزَّ أعلمُ .

٥٤ ــ وقوله جلَّ وعـز ﴿ أَتَدْعُـونَ بَعْـلاً وَتَـذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِيـنَ ﴾ [آية ١٢٥] .

قال مجاهد : ﴿ أتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ أي[2] رباً .

وقال الضحاك : هو صنمٌ لهم يُسمَّى بَعْلاً[3] .

قال ابن زيد : كانوا ببعلبكَّ[4] .

وسُئل ابـن عبـاس عن هذا فسكَتَ ، فسمـع رجـلاً ينشُدُ ضالَّةً ، فقال له آخر : أنا بعلُها أي ربُّها ، فقال ابن عبـاس للسائـل :

---

(١) نُسب هذا القـول إلى قتـادة ، وابـن مسعـود ، أن « إليـاس » هو إدريس عليـه السلام كما ذكـره الطبري ٩١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧٩/٧ والصحيح الـذي عليـه أكثر المفسرين أن « إليـاس » من نسل نبـي الله هارون عليـه السلام ، وأنـه غير إدريس ، قال أبو حيان في البحـر ٣٧٢/٧ : « وذُكِـر عن ابـن مسعـود تفسير « إليـاس » بأنـه إدريس ، ولعله لا يصحُّ عنه ، لأن « إدريس » كان قبل نوح ، كما هو معلوم في التاريخ المنقول .. وفي سورة الأنعام ذكر تعالى إلياس وأنه من ذرية إبراهيم ﴿ ومن ذريتـه داود وسليمـان ﴾ إلى قولـه « وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين » فذكر في جملـة هذه الذريـة « إليـاس » وقـال الطبري ٩١/٢٣ : هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن هارون » انتهى وهو الصحيح .

(٢ــ ٤) هذه الآثار عن التابعين ذكرهـا الـطبري ٩٢/٢٣ وأبـو حيـان في البحـر ٣٧٣/٧ وابـن كثير ٣٢/٧ قال وقد روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ بعلاً ﴾ يعني : رباً ، وقال الضحـاك : هو صنـم كانوا يعبدونه ، وقال ابن زيد : هو اسم صنم ، كان يعبده أهـل مدينـة يُقـال لها : « بعلـبك » غربيَّ دمشق . اهـ.

هذا مِثْلُ قوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ أي ربَّاً[1] .

وحكى ابنُ إسحاقَ أنَّ ﴿ بَعْلاً ﴾ امرأةٌ كانوا يعبدونها[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : هذا بعلُ الدَّار : أي ربُّهَا[3] .

فالمعنى : أتَدعون رَبَّاً اختلقتُموه ، وتَذَرونَ أحسنَ الخَالِقين ؟

وأصلُ هذا أنه يُقال لكل ما عَلَا وارْتَفع : بَعْلٌ ، ومنه قيل : بَعْلُ المرأةِ ، ومنه قيل لِمَا شَرِبَ بماءِ السَّماءِ : بَعْلٌ[4] .

٥٥ ـــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [آية ١٢٧] .

قال قتادة : أي في العذاب[5] .

---

(١) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٨٠/٧ ولفظها : قال الضحاك : كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف ، فبينا هو جالس إذ مرَّ أعرابي قد ضلَّت ناقتُه ، وهو يقول : من وجد ناقةً أنا بعلها ؟ فتبعه الصبيان يصيحون يا زوج الناقة ، يا زوج الناقة ، فدعاه ابن عباس فقال : ويحك ما عنيت بقولك : أنا بعلها ؟ قال : أنا ربُّهَا ، فقال ابن عباس : صدق الله ﴿ أتدعون بعلاً ﴾ : أي رباً . اهـ.

(٢) ذكره ابن كثير ٣٢/٧ والقرطبي ١١٧/١٥ وغيرهما .

(٣) ذُكر أن ابن عباس سمع رجلاً من أهل اليمن ، يسومُ ناقةً بمنى فقال : مَنْ بعلُ هذه ؟ أي من ربُّها ؟ ذكره القرطبي ١١٧/١٥ .

(٤) في لسان العرب : البعل : كل شجر أو زرع لا يُسقى ، والبعل من النَّخل ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء ، وقيل : هو ما اكتفى بماء السماء . اهـ. وانظر اللسان ، والمصباح المنير مادة (بعل) .

(٥) لفظ الإحضار إذا أُطلق ، فإنه إنما يستعمل في الشر ، ولهذا فسَّره قتادة بقوله في العذاب ، وعلى ذلك جرى المفسرون ، قال الطبري : لمحضرون في عذاب الله ، وقال ابن كثير : لمحضرون للعذاب يوم الحساب . اهـ.

وقوله جلَّ وعز : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ﴾ [آية ١٣٠] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ ﴾ ففي قراءته قولان :

أحدهما : أن يكون ﴿ إِلْيَاسِينَ ﴾ و « إِلْيَاسَ » واحدٌ ، كما يُقال : سِينَاءُ ، وسِينِينَ(١) .

والثاني : ويجوز أن يكون جَمَعه مع أهل دينه ، كما يُقال : مَهَالبةٌ(٢) .

٥٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [آية ١٤٠] .

أي هَرَب(٣) .

قال طاووس : لمَّا ركب السفينةَ ركدتْ ، فقالوا : إن فيها

---

(١) الجمهور على أن ﴿ الياسين ﴾ اسمٌ لنبي الله « إلياس » عليه السلام ، فيقال له : إلياس ، ويُقال له « إلياسين » قال ابن جني : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً ، فياسين ، وإلياس ، وإلياسين ، شيء واحد . اهـ. وانظر القرطبي ١١٨/١٥ وهذا اختيار الإمام الطبري في جامع البيان ٩٥/٢٣ .

(٢) هذا على القول الآخر بأن « إل » بمعنى « آل » أي سلام على ياسين وعموم آله وأتباعه ، وهذا قول أبي عُبيدة ، فكأنه جُمِعَ جَمْعَ المذكر السالم ، لأنه أراد هو وأهل بيته ، كما يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء ، فتقول : رأيت المهالبة تريد بن المهلَّب ، والمسامعة تريد بني مسمع .

(٣) هذا قول الزجاج قال في المصباح : أَبَقَ العبدُ من باب ضرب : إذا هرب من سيِّده . اهـ.

رجلاً مشئوماً ، فقارعوه فوقعت القرعةُ عليه ثلاث مراتٍ ، فرمَوْا به ، فالتقمه الحوتُ[1] .

٥٧ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ** ﴾ [آية ١٤١] .

قال مجاهد : ﴿ **فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ** ﴾ أي من المَسْهُومينَ[2] .

قال أبو جعفر : أصلُ أدحضتُه : أزلقتُه .

وقال ابن عُيَيْنة : أي من المقمورين[3] .

٥٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴾ [آية ١٤٢] .

قال قتادة : أي مسيءٌ[4] .

---

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في تفسيره ٨٩/٧ وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢٨٧/٥ ومعنى « ركدت » أي وقفت عن السير في وسط البحر ، وفي الدر أنهم لما اقترعوا ليلقوا أحدهم خرجت القرعة على يونس ، فقالوا : ما كنا لنفعل بك هذا ــ تكريماً له ــ ثم اقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاثاً ، فرمى بنفسه فالتقمه الحوت ، فأوحى الله إلى الحوت أن خذْه ولا تخدشْ له لحماً ، ولا تكْسِر له عظماً ، فإني لم أجعله لك طعاماً ، بل جعلتُ بطنك له وعاء ، فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة .

(٢) أي المغلوبين قال الفراء : يُقال : أدحض الله حجَّتك ، ودحضت حجته ، وأصله من الزَّلَق . اهـ. قال في البحر ٣٧٥/٧ : ﴿ فساهم فكان من المدحضين ﴾ أي من المغلوبين ، وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر في الاقتراع .

(٣) قال في المصباح : قامرتُه قماراً فقمرته : غلبته في القمار . اهـ. ورُوي عن ابن عباس : من المقروعين أي المغلوبين بالقرعة وهو أظهر .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٣ عن قتادة قال : المسيء في صنعه ، وعن مجاهد وابن زيد « مليم » مذنب .

قال أبو جعفر : يُقال : ألاَمَ الرجلُ : إذا جاء بما يُلامُ عليه(١) .

٥٩ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [آية ١٤٤] .

رَوَى أبو رَزِين عن ابن عباس ﴿ من الْمُسَبِّحِينَ ﴾ قال : من المصلِّين(٢) .

ثم قال ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [آية ١٤٤] .

قال مجاهد : أي في بطن الحوت(٣) .

٦٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [آية ١٤٥] .

قال يعقوب بنُ إسحاق(٤) : قال الفراء : ﴿ العَرَاءُ ﴾ :

---

(١) هذا قول أهل اللغة ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٤/٢ : تقول العرب : ألامَ فلان في أمره ، وذلك إذا أتى أمراً يُلام عليه ، قال لبيد : « سَفَهاً عَذَلْتِ وَلُمْتِ غَيْرَ مَلُومِ » . اهـ. وقال الزمخشري : « مُليم » داخل في الملامة ، يُقال : ربَّ لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحقُّ منه باللوم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٠١/٢٣ وفي زاد المسير ٨٧/٧ وهو قول سعيد بن جبير والسدي ، وقال مجاهد ﴿ من المسبحين ﴾ من العابدين .

(٣) أي عقوبة له ، وقال قتادة : لصار بطن الحوت قبراً له ، إلى يوم القيامة . اهـ. الطبري ١٠١/٢٣ .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم « أبو عوانة » الاسفراييني ، محدث حافظ من أعلام فقهاء الشافعية توفي سنة ٣١٦هـ له كتاب : المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٦٨/١ وتذكرة الحفاظ ٧٧٩/٣ ووفيات الأعيان ٤٠٧/٢ .

المكـانُ الخالي[1] ، ومنـه قولُ اللـهِ جلَّ وعـزَّ ﴿ **فَنَبَذْنـاهُ بِالعَـرَاءِ وَهُـوَ سَقِيمٌ** ﴾ .

قال وقال أبـو عُبيـدة : العَـرَاءُ : وجـهُ الأرضِ ، وأنشد لرجـلٍ من خزاعة :

رَفَّعْتُ رِجْـلاً لا أَخَـافُ عِثَارهَـا
وَنَبَـذْتُ بالبَلَـدِ العَـرَاءِ ثِيَابِـي[2]

٦١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ** ﴾ [آية ١٤٦] .

رَوَى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن ابن مسعودٍ قال : هي القرعُ[3] .

وقال مجاهد : هي كلُّ شجرة على وجه الأرض لا ساق لها[4] .

---

(١) ذكره عنه القرطبي ١٢٩/١٥ ولم أره في معاني القرآن للفراء ، وإنما ذكـره أهـل اللغـة ، قال أبـو عُبيدة : العراءُ : الواسع من الأرض ، ووجه الأرض ، وقال في التسهيل ٣٨٢/٣ : العراء : الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظلَّ ، وقيل : يعني السـاحل ــ أي ساحل البحر ــ .

(٢) انظـر مجاز القـرآن لأبي عُبيـدة ١٧٥/٢ والقرطبـي ١٢٩/١٥ ولسان العـرب لابـن منظـور مادة عَرَى ، ولم ينسبه في اللسان ، وقد استشهد به الطبري أيضاً ١٠١/٢٣ ولم يذكر قائله .

(٣) هذا الأثر عن ابن مسعود ذكره الطبري ١٠٢/٢٣ وهـو مروي عن ابـن عبـاس ، وعليـه جمهـور المفسرين ، قال ابن جزي في التسهيـل ٣٨٣/٣ : واليقـطين : القـرعُ ، وإنما خصَّه الله به لأنـه يجمع برد الظلّ ، ولين اللَّمس ، وكبر الورق ، وأن الذباب لا يقربه ، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمـل الذبـاب ، وقيـل : اليقـطين كلُّ شجـرة لا ساق لها كالبقـول ، والقـرع ، والبطيخ ، والأول أشهر .

(٤) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٢/٢٣ وذكر قولاً آخـر عنـه أنـه القـرع وهـو قول الضحاك والسُّدي ، وهو الأشهر عند المفسرين ، وما ذكره الإمـام النحـاس ، هو قول الزجـاج ، وأبي عُبيدة ، وغيرهم من علماء اللغة .

قال أبو جعفر : هذا الذي قاله مجاهدٌ ، هو الذي تعرفه العربُ ، يقعُ للقَرْع ، والحَنْظَل ، والبطِّيخ ، والكل ما لم يكن على ساقٍ ، وكأن اشتقاقَه من قَطَنَ بالمكانِ : أي أقامَ به ، وأنشدَ سيبويه :

« قَوَاطِناً مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِي »[1]

٦٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [آية ١٤٧] .

قال أبو جعفر : في معنى « أَوْ » أربعةُ أقوالٍ :

١ ــ قال أبو عُبيدة والفرَّاءُ : هي بمعنى : بَلْ[2] .

وهذا خطأٌ عند أكثرِ النحويين الحُذَّاقِ ، ولو كان كما قَالَا لكان : وأرسلناه إلى أكثرَ من مائةِ ألفٍ ، واستغنى عن « أَوْ » .[3]

(١) هذا من شواهد سيبويه ٢٦/١ في باب ما لا يجوز حذفه إلَّا في الشعر ، واستشهد بما أنشده العجاج :

ورَبِّ هَذَا البَلَــدِ المحَرَّمِ قَوَاطِنــاً مكــةَ من وُرْقِ الحَمِــي

وهو من بحر الرجز الذي يسمى « حمار الشعراء » والمراد بالحَمِي الحَمام ، وانظر ديوان العجاج ص ٢٩٥ واللسان مادة حمم .

(٢) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٧٥/٢ : (أو يزيدون) « أو » ههنا ليس بشك ، وهي هنا بمعنى « بل يزيدون » وقال الفراء في معاني القرآن ٣٩٣/٢ : « أو » ههنا في معنى « بل » مع صحته في العربية .

(٣) « أو » في أصلها تفيد التشكك والتردُّد كما تقول : الخطيب الذي سمعنا كلامه بالأمس مصري =

٢ ـــ **وقال القُتْبِيُّ**[1] : « أو » بمعنى الواو .

وهذا أيضاً خطأٌ ، لأنَّ فيه بُطْلانَ المَعَانِي[2] .

٣ ـــ **وقيل** : « أو » للإباحة[3] .

٤ ـــ **وقال محمد بنُ يزيدَ**[4] : « أَوْ » على بابها ، والمعنى :

= أو شامي ، ولمّا كان هذا لا يصح على الخالق جل وعلا ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، فقد تأولها المفسرون على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها بمعنى « بل » أي بل يزيدون ، وهذا مروي عن ابن عباس ، كما حكاه الطبري ، وإليه ذهب الفراء ، وأبو عبيدة .

الثاني : أنها بمعنى « الواو » والمعنى : وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وهذا قول ابن قتيبة .

الثالث : أنها على أصلها للتردد والشكِّ بالنسبة لرؤية الناظر ، على معنى أن من رآهم شكَّ في عددهم فقال هم مائة ألف أو يزيدون ، وهذا قول المبرِّد ، كما حكاه القرطبي عنه قال : المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر ، فالشك إنما هو من البشر ، لا من الخالق العليم ، وانظر تحقيق البحث في التفسير الكبير للرازي ١٦٦/٢٦ .

(١) القتبيُّ : هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب (مشكل القرآن) المتوفى سنة ٢٧٦هـ وانظر الأعلام ٢٨٠/٤ واستدل بقراءة جعفر بن محمد (وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون) بالواو ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ٢٢٦/٢ من القراءات الشاذة .

(٢) إنما قال المصنف « وفيه بطلان المعاني » لأن « الواو » لمطلق الجمع ، و « أو » للشك أو التخيير كما تقول : « استفتِ الحسن أو الحسين » فلو جعلنا الواو مكان « أو » لضاعت تلك المعاني التي دلت عليها الألفاظ .

(٣) مثل قولهم : اشتر هذا أو هذا ، ومعنى الآية على هذا القول : قولوا إنهم مائة ألف ، أو قولوا إنهم أكثر من ذلك .

(٤) هو الإمام المبرد كما تقدم ٥٥/١ وهذا القول هو الذي رجحه المصنف ، وضعَّف القول الأول والثاني ، وفي كلامه نظر ، لأن حبر الأمة « عبد الله بن عباس » هو الذي فسَّرها بمعنى « بل يزيدون » وكفى به جلالة وقدراً ، والفراء ، وأبو عُبيدة من كبار علماء العربية قالوا : إنها صحيحة من حيث اللغة ، والله أعلم .

أرسلناه إلى جماعةٍ لو رأيتموهم لقلتم : مائةُ ألِف ، أو أكثرُ .

ورُوي عن ابن عباس : قال أُرْسِل إلى مائةِ ألـف وثلاثين ألفاً[1] .

قال أبو مالك : أقام في بطن الحوت أربعين يوماً[2] .

قال ابن طاووس : أنبتَ الله عليه شجرةً من يقطين وهي « الدُّبَّاءُ » فكانت تُظِلُّهُ من الشمس ، ويأكل منها ، فلما سقطتْ بكى عليها ، فأوحى اللهُ جلَّ وعز إليه : أتحزنُ على شجرةٍ ، ولا تحزنُ على مائة ألِف أو يزيدون ؟ تابوا فلم أُهْلِكهم[3] .

قال سعيدُ بن جُبير : أرسل اللهُ جل وعزَّ على الشجرة الأَرَضَةَ ، فقطَّعَتْ أصولهَا ، فحزِن عليها ، وذكر الحديث

قال مجاهد : كانت الرسالة قبل أن يلتقمه الحوتُ[4] .

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩١/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٩٠/٧ .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير أقوالاً للسلف ، في مقدار مكث يونس في بطن الحوت ، فقيل : ثلاثة أيام ، وقيل سبعة ، وقيل أربعين ، وقيل : التقمه ضحىً ، ونَبَذه قبل غروب الشمس ، ثم قال : والله أعلم بمقدار ذلك . اهـ.

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٨٨/٧ عن ابن مسعود قال : كان نبيّ الله يستظل بها ويصيب منها ، فيبست فبكى عليها ، فأوحى الله إليه : أتبكي على شجرة إن يبست ، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردتَ أن تهلكهم ؟ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٠/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٨/١٥ كما ذكر رواية سعيد بن جبير مفصَّلة .

(٤) هذا هو الصحيح من أقوال المفسرين أن رسالة يونس عليه السلام كانت قبل أن يبتلعه الحوت ، لأنه عندما دعى قومه إلى الله لم يؤمنوا ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغضباً لأنهم كذَّبوه ، =

قال أبو جعفر : حدثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بن عَرَفَةَ ، قال : حدثنا العباسُ بنُ محمد ، قال : حدثنا أبو النعمان محمدُ بن الفضل ، قال : حدثنا أبو هلالٍ ، قال : حدثنا شهرُ بنُ حَوْشَبَ عن ابن عباس ، قال : إنما كانت رسالةُ يونسَ ﷺ بعد ما نَبَذَهُ الحوتُ ، وتلا هذه الآية ﴿ **وإنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** .. ﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾ قال : كانت الرسالة بعد ذلك[1] .

٦٣ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ [آية ١٤٨] .

رَوَى معْمَرٌ عن قَتادة قال : إلى الموتِ[2] .

= فقاده الغضب إلى شاطىء البحر ، وحدث له ما حدث ، ثم رده الله إلى قومه بعدما آمنوا .. وانظر تحقيق البحث في البحر المحيط ٣٧٦/٧ وفي روح المعاني ١٤٧/٢٣ .

(١) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري١٠٥/٢٣وابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩١/٥ وهو قول مرجوح ، والراجح الذي عليه أكثر المفسرين ما ذهب إليه مجاهد ، والحسن ، وقتادة أن الله بعثه إلى أهل « نينوى » قبل أن يلتقمه الحوت ، ثم غاب عنهم ، ثم رجع إليهم بعدما آمنوا ، والدليل على أنه بلَّغهم الرسالة قبل ذلك قوله تعالى ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخِزْي في الحياة الدنيا .. ﴾ الآية . فقد نسب القوم إليه ، وأخبر أنهم نفعهم الإيمان بعد غيبة نبيهم عنهم ، فكشف الله عنهم العذاب ، ولو لم تبلغهم الدعوة ما استحقوا العقاب ، قال الألوسي ١٤٧/٢٣ : والإرسال على ما أخرج غير واحد عن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، هو الإرسال الأول الذي كان قبل أن يلتقمه الحوت ، فالعطف في قوله ﴿ وأرسلناه ﴾ على سبيل البيان لدلالته على ابتداء الحال وانتهائه ، واعترض بينهما بقصته اعتناء بها لغرابتها .

(٢) يعني إلى انتهاء آجالهم بالموت ، فلم يُهْلَكوا بالعذاب لأنهم آمنوا ، وهذا الأثر ذكره الطبري ١٠٥/٢٣ والألوسي ١٤٨/٢٣ .

٦٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ ﴾ [آية ١٤٩] .

أي فاسألهم سؤال توبيخ(١) .

ورُوي عن جماعةٍ من القراء أنهم قرءوا ﴿ اصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ ﴾ بوصل الألف ، وأنكر أبو حاتم(٢) هذه القراءة(٣) .

قال أبو جعفر : وهي جائزةٌ ، على أن يكون مردوداً على القول ، وعلى أنه قد يكون التوبيخ بغير ألف استفهام(٤) .

٦٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ . فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) إنما كان السؤال هنا للتوبيخ ، لأنه تعالى ذكره بعده تقريع المشركين بقوله ﴿ ما لكم كيف تحكمون ؟ أفلا تذكَّرون ﴾ ؟ .

(٢) أبو حاتم هو الإمام النحوي اللغوي سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ روى عن أبي عبيدة والأصمعي ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد ، وانظر معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ .

(٣) هذه القراءة التي أنكرها أبو حاتم من القراءات السبع ، وهي قراءة أبي جعفر ، ورواية عن نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٩ والعشر لابن الجزري ٣٦٠/٢ قال أبو حيان في البحر المحيط ٣٧٧/٧ : قرأ الجمهور (أصطفى) ؟ بهمزة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد ، وقرأ نافع بوصل الألف ﴿ وإنهم لكاذبون . اصطفى البنات ﴾ وهو من كلام الكفار ، حكى الله شنيع قولهم ، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا : ولَدَ الله ، حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله ، والله تعالى اختارهم على التبيين . اهـ.

أقول : لا يعتد بإنكار أبي حاتم طالما هي من القراءات السبع .

(٦) هذا هو قول الفراء كما في كتابه معاني القرآن ٣٩٤/٢ حيث قال ﴿ اصْطَفَى البنات على البنين ﴾ ؟ استفهام وفيه توبيخ لهم ، وقد تُطرح ألف الاستفهام من التوبيخ ، ومثله قوله تعالى ﴿ أذهبتم طيباتكم ﴾ يستفهم بها ولا يستفهم ، ومعناهما جميعاً واحد . اهـ.

صَادِقِينَ ﴾ [آية ١٥٧] .

قال السُدِّي : ﴿ **سُلْطَانٌ** ﴾ أي حُجَّة ﴿ **فَائْتُوا بِكِتَابِكُـمْ** ﴾ قال : بحُجَّتكم أن كتاباً جاءكم بهذا[1] .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعـز :** ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَـهُ وَبَيْـنَ الجِنَّـةِ نَسَبَـاً** .. ﴾ [آية ١٥٨] .

قال الفراء : ﴿ **الجِنَّةُ** ﴾ ههنا : الملائكةُ ، أي قالوا : الملائكةُ بناتُ اللَّهِ[2] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : قالوا : يعني كفَّارَ قريش ــ الملائكةُ . بناتُ اللَّهِ ، فقال أبو بكرٍ : فَمَنْ أُمَّهاتُهنَّ ؟ قالوا : مُخَدَّراتُ الجنِّ[3] .

ورَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : قالوا صَاهَرَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ الجنَّ ،

---

(١) السلطان في اللغة : الحجة والبرهان ، وهو قول السدي ، وقتادة ، وعلماء السلف كما رواه الطبري وغيره ، ومعنى الآية : هل لكم حجة واضحة ، وبرهان بيِّن ، على صحة ما تقولون ، بأن الملائكة بنات الله ؟ إن كان لكم حجة ، فائتوا بهذا الكتاب ، الذي يشهد بصحة دعواكم فيما تزعمون ، والغرض تعجيزهم ، لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به .

(٢) لم يجزم الفراء في تفسير ﴿ الجِنَّة ﴾ بالملائكة ، وإنما أورده بلفظ الحكاية : يُقال الجِنَّة ههنا الملائكة أي جعلوا بينه وبين خلقه نسباً ، كما في معاني القرآن ٢/٣٩٤ وهذا التفسير خلاف الظاهر المشهور كما سنبينه إن شاء الله .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/١٠٨ والقرطبي ١٥/١٣٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٢ ومعنى « مخَدَّارات الجنِّ » جمع مخدَّرة وهي التي لزمت الخِدر أي دخلت في الستر والخباء ، لتستتر عن الأنظار ، وانظر اللسان .

فوَلدتِ الملائكة[1] .

ورَوَى جويبرٌ عن الضحاك في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً .. ﴾ قال : قالوا : إبليسُ أخو الرحمنِ جلَّ وعزَّ[2] .

٦٧ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [آية ١٥٨] .

أي ولقد علمتِ الجِنَّةُ ، أن الذين قالوا هذا ، لمحضرونَ العذابَ ، كذا قال السُّدِيُّ ، وهو صحيحٌ ، وكذا كلُّ ما في السورة من محضرين[3] .

---

(١) هذا قول اليهود لعنهم الله ، كما ذكره القرطبي عن قتادة ، والكلبي ، ومقاتل ، قال : قالت اليهود لعنهم الله : إن الله صاهر الجنَّ ، فكانت الملائكة من بنيهم . اهـ.

(٢) هذه أيضاً رواية العوفي عن ابن عباس كما حكاها الطبري ٢٣/١٠٨ وابن كثير ٧/٣٧ حيث قال في قوله تعالى ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نسباً ﴾ قال ابن عباس : زعم أعداء الله ، أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوَان ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . اهـ.

أقول : وهذا القول يدل على أن المراد بالجنة الشياطين لا الملائكة ، وهو الصحيح لأنه هو المشهور من لفظة « الجِنَّة » وهو المعروف من اللغة كما قال سبحانه ﴿ من الجِنَّة والناس ﴾ ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ولقد عَلمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ أي في العذاب ، وهذا واضح على أن المراد بهم الجن ، وهو ما رجحه أبو حيان والألوسي .

(١) لفظ « المُحْضَر » إذا أطلق فإنه يوحي بالعقوبة والعذاب ، لأنه يدل على أن صاحبه مجرم ، سيق للعقاب ، وقد سبق ذكره في هذه السورة ﴿ ولولا نعمةُ ربي لكنتُ من المحضرين ﴾ أي من المحضرين للعذاب ، وهو ما رجحه الطبري ، قال الثعلبي : تكرر الإحضار في هذه السورة ولم يرد به إلا العذاب .

وقال **مجاهد** : ﴿ **لَمُحْضَرُونَ** ﴾ الحِسَابَ[1] ، يعني الجِنَّ .

٦٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ** ﴾ [آية ١٦٢] .

أي ما أنتم به مضلِّين .

﴿ **إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ** ﴾ .

قال ابن عباس : أي لا تُضِلُّون إلاَّ مَنْ سَبقَ في قَضَائي أنه يَضِلُّ[2] .

قال الحسن وإبراهيم ، ومحمد بن كعب ، والضحاك : هذا معنى قوله ﴿ **مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ** ﴾ أي لن تَفْتِنُوا إلاَّ من قَضَيْتُ عليهِ بذلك[3] .

(١) هذا القول مبني على تفسير الجن بالملائكة كما قاله مجاهد لاستتارهم عن الأنظار ، ولهذا فسَّره هنا بالحساب .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس ١٠٩/٢٣ وهذا هو المشهور الراجح عند المفسرين ، أن المراد ﴿ بفاتنين ﴾ أي مضلِّين ، والمعنى : لا تُضلُّون من عبادي ، ولا تقدرون على إغواء أحد ، إلَّا بقضاء الله ، وقال النحاس في إعراب القرآن ٧٧٥/٢ : أهل التفسير مجمعون ــ فيما علمتُه ــ على أن المعنى : ما أنتم بمضلين أحداً ، إلَّامن قدَّر الله جلَّ وعز عليه أن يضلَّ ، ففي هذه الآية ردٌّ على القدرية ــ يعني المنكرين للقدر ــ من كتاب الله جل وعز ، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يَصِلون إلى إضلال أحدٍ ، إلَّا من كتب الله جل وعز عليه أنه لا يهتدي ، ولو علم الله أنه يهتدي لحال بينه وبينهم . اهـ.

(٣) انظر هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٠٩/٢٣ والقرطبي ١٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٩٣/٥ .

٦٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَما منّا إلاّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [آية ١٦٤] .

قال الشعبيُّ : جاء جبرئيل أو مَلَكٌ إلى النبي ﷺ فقال : تقوم أدنى من ثُلُثَي الليل ، ونصفَه ، وثُلثَه ؟ إن الملائكة لتصلّي وتسبِّحُ ، ما في السماء مَلَك فارغٌ[١] .

٧٠ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ ﴾ [آية ١٦٦] .

قال مجاهد وقتادة : هذا من قول الملائكة[٢] .

٧١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَإنَّ كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ١٦٨] .

رُوي عن الضحاك[٣] **قال** : هذا قول مشركي مكة ، فلما جاءهم ذكر الأولين ، وعلمُ الآخرين ، كفروا به فسوف يعلمون[٤] .

---

(١) لم أر هذا الأثر بلفظه إلا في القرطبي ١٣٨/١٥ وقد ورد ما يؤيده في الأحاديث الصحيحة من أنّ الملائكة مستغرقون في عبادة الله ، يصفون صفوفهم في الصلاة ، ويُسبِّحون الله ، منها ما رواه مسلم (ألا تصفون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها ؟ يُتمُّون الصفوف الأُوَل ، ويتراصُّون في الصف) ومن حديث (أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه مَلَك قائم أو راكع أو ساجد) ثم تلا ﴿ وإنا لنحن الصافون .. وإنا لنحن المسبِّحون ﴾ رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند ١٧٣/٥ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١١٢/٢٣ وابن كثير ٣٩/٧ والدر المنثور ٢٩٤/٥ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الطبري ، والقرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ١١٣/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/٥ .

قال أبو إسحق : كان كفار قريش يقولون : لو جاءنا ذكرٌ كما جاء غيرنا من الأولين ، لأخلصنا العبادة للّهِ عز وجل ، فلما جاءهم كفروا به ، فسوف يعلمون مغَبَّةَ كفرهم ، وما ينزل بهم من العذاب ، والانتقام منهم ، في الدنيا والآخرة[1] .

٧٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾** [آية ١٧١] .

أي سبق منا القولُ لرسلنا ، إنهم لهم المنصورون ، أي مضى بهذا منا القضاءُ والحكم .

قال الفراء : أي سبقت لهم السعادة ، وهي في قراءة عبدالله **﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَى عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾**[2] .

وقيل : أراد بالكلمة قوله عز وجل **﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾**[3] .

٧٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾** [آية ١٧٧] .

أي نزل بهم العذاب ، ومعنى **﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾** أي بدارهم ،

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٦/٤ .

(٢) انظر معاني الفراء ٣٩٥/٢ وهذه القراءة ليست من السبع ، بل هي شاذة ، قال الفراء . و « على » تصلح في موضع اللام .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢١ .

والسَّاحةُ في اللغة : فناء الدار الواسع .

﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي فبئس صباحُ الذين أنذروا بالعذاب ، وفيه إضمارٌ ، أي فساء الصَّباحُ صُباحهم . وفي الحديث (اللهُ أكبرُ ، خربتْ خيبرُ ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قومٍ ، فساء صباح المنذرين)[1] .

٧٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ . والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾** [آية ١٨٠ ــ ١٨٢] .

نزَّه سبحانه نفسه عما أضاف إليه المشركون من الصاحبة والولد ﴿ رَبِّ العِزَّة ﴾ على البدل ، ويجوز النصبُ على المدح ، والرفعُ بمعنى هو ربُّ العزة .

وسئل رسول الله ﷺ عن معنى « سبحان الله ، فقال : هو تنزيه اللهِ عن كلِّ سوءٍ » .

* * *

« تمت سورة الصافات »

(١) الحديث أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة خيبر ١٦٧/٥ ومسلم في الجهاد برقم ١٣٦٥ وأحمد في المسند ٢٨/٤ .

تفسير سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص وهي مكية[1]

١ ـــ **من ذلك قولُه جلَّ وعز ﴿ صٓ ﴾ .**

بإسكان الدَّالِ ، لأنَّها من حروف التهجِّي ، وتُقرأ صَاد .

والأجودُ عند سيبويه فيها الإسكـانُ ، ولا تُعْـرَبُ ، لأن حكمهـا الوقوفُ عليها ، فهىَ مثلُ حروفِ الهجاءِ ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ المٓرٓ ﴾ .

و ﴿ صٓ ﴾ إذا جعلتَهُ اسماً للسورة لم يَنْصرِف .

قال مجاهد : هو فاتحة السورة .

[**وقال قتادة** : هو اسم من أسماء الرحمن[2] .

وقال محمد بن كعب : هو مفتـاح أسماء الله تعـالى « صمـد » و« صادق الوعد »[3]] .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٤٢/١٥ : مكية في قول الجميع ، وهي ست وثمانون آية .

(٢) يوجد سقط في المخطوطة وهي ما بين الحاصرتين ، وقد أثبتناه عن الإمام النحاس ، من كتابه إعراب القرآن ، والله أعلم .

(٣) انظر هذه الآثار عن السلف في الطبري ١١٧/٢٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٩٧/٧ والدر المنثور للسيوطي ٢٩٦/٥ والراجح من الأقوال ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه كلام الرحمن جل وعلا ، أنزله على نبيٍّ أميٍّ ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وأنه مركبٌ ومنظومٌ من أمثال هذه الحروف ، ومع ذلك فقد عجز بلغاؤهم ، وفصحاؤهم ، وعباقـرتهم عن

ورُوي أن الضحاك قال : ﴿ صَادْ ﴾ : صدقَ اللَّهُ .

وقراءةُ الحسن : ﴿ صَادِ ﴾ بكسر الدَّالِ[1] ، معناهـا : صَادِ القرآن بعملِكَ .

يُقالُ : صَادَيْتُه أي قَابَلْتُه ، وهذا مشهورٌ عند أهل اللغة .

ويجوز أن يكون كُسِرَ لالتقاء السَّاكِنَيْنِ.

والفتح من ثلاثِ جهات :

أ ــ قيل منها أن يكون قَسَماً : اللَّهَ لأفعلنَّ .

ب ــ ومنها أن يكون بمعنى : اتلُ صَادَ والقرآن .

جـ ــ ومنها أن يكون فُتِحَ لالتقاء الساكِنَيْن[2] .

= مضاهاته ، والإتيان بمثل آياته المعجزات ، قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى ﴿ آلـم ﴾ من سورة البقرة : « وإنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركَّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقد قرره الزمخشري في تفسيره « الكشاف » ونصره أتَّم نصر ، وإليه ذهب الإمام ابن تيمية ، ثم قال : ولهذا فكل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن مثل ﴿ آلم ذلك الكتاب ﴾ ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ « المص . كتاب أنزل إليك » . اهـ.

(1) ذكر ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٠ قراءة الكسر « صَادِ » والفتح « صادَ » وبيَّن أنها من الشواذ .

(2) قال في المحتسب ٢/٢٣٠ : المأثور عن الحسن أنه إنما كان يكسر الدَّال من « صَادِ » لأنه عنده أمر من المصاداة أي عارض عملك بالقرآن ، وقد يجوز أن من فتح الدال جعل « صَادَ » عَلَماً للسورة ، فلم يصرفه ، فالفتحة على هذا فتحة إعراب ، وبفتح الدال قرأ الثقفي ، قال ومعناه : صادَ محمد قلوب الخلق ، واستمالها حتى آمنوا به وأَحبُّوه . اهـ.

والقراءةُ بكسر الدَّال والتنوين ، لحنٌ عند أكثر النحويين(١) ، وإن كان ابنُ أبي إسحاق من كبراء لنحويِّينَ ، إلاَّ أنَّ بعض النحويِّينَ قد أجازها ، على أن تُخْفَضَ على القَسَم ، أجاز ذلك سيبويه .

٢ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾** [آية ١] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، ومِسْعَرٌ عن أبي حُصَينٍ ، في قول الله جلَّ وعزَّ ﴿ **وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** ﴾ أي ذي الشَّرَفَ(٢) .

وهذا مِثْلُ قولِهِ جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(٣) .

وقيل : معنى ﴿ ذِي الذِّكْرِ ﴾ فيهِ ذِكْرُ الأممِ ، وغيرهم(٤) .

---

(١) قال القرطبي ١٤٣/١٥ : وقرأ ابن أبي إسحاق « صادٍ » بكسر الدال والتنوين ، على أن يكون مخفوضاً ، على حذف حرف القسم ، وهذا بعيد ، وإن كان سيبويه قد أجاز مثله .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في تفسير الطبري ١١٨/٢٣ وتفسير ابن الجوزي ٩٨/٧ وقال القرطبي ١٤٤/١٥ : وهو قول الضحاك أيضاً ثم قال : ومعنى ذي الشرف أنَّ من آمن به ، كان شرفاً له في الدارين ، كما قال سبحانه ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، وأيضاً القرآن شريف في نفسه لإعجازه ، واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٤٤ .

(٤) هذا القول غريب وقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٣/٧ فقال : وقيل : ذي الذكر للأمم ، والقصص والغيوب والشرائع . اهـ. والأقرب منه أن الذكر بمعنى الموعظة والتذكير ، أي فيه تذكيركم وهدايتكم ، وهو قول قتادة ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين قول ابن عباس وقتادة ، فإنه كتاب شريف، مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، ذكر لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . اهـ.

فأما جواب القسم فقيل : إنه في قوله ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** ﴾[1] وهذا بعيدٌ جداً ، لأنه قد اعترضتْ أقاصيصُ وأخبار .

وقيل : الجوابُ في قوله تعالى ﴿ **كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ** ﴾ .

والمعنى : لَكَمْ أهلكنا ، وحُذفت اللّامُ كما قال تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ وهو مذهبُ الفراء[2] .

وقيل : الجواب ﴿ **إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ** ﴾[3] .

وقيل : الجوابُ محذوفٌ ، أي ما الأمرُ كما يقول هؤلاء الكفَّارُ .

ودلَّ على هذا قولُه تعالى ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ**

---

(١) هذه الآية في آخر السورة ، بعد ثلاث وستين آية ، فكيف تكون جواباً ؟ ولهذا استبعده المصنف ، كما استبعده الفراء في معاني القرآن ٣٩٧/٢ فقال : وذلك كلام قد تأخر تأخراً كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية ، وقال ابن الأنباري : هذا قبيح ، لأن الكلام قد طال كثيراً فيما بين القسم وجوابه .

(٢) عبارة الفراء ٣٩٧/٢ ﴿ والقرآن ﴾ يمين اعترضه كلام ، فصار جوابها جواباً للمعترض ولها ، فكأنه أراد ﴿ والقرآن ذي الذكر لَكَمْ أهلكنا ﴾ فلما اعترض قوله ﴿ بل الذين كفروا في عزَّة وشقاقٍ ﴾ صارت « كم » جواباً للعزة ولليمين ، ومثله ﴿ والشمس وضُحاها ﴾ اعترضه ﴿ ونفسٍ وما سوَّاها ﴾ فصارت ﴿ قد أفلح ﴾ . اهـ .

(٣) حكاه الأخفش عن بعضهم ، كما ذكره القرطبي عنه في تفسيره ١٤٤/١٥ وهو قول مرجوح ، وقال ابن الأنباري : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما ، وكثرت الآيات والقصص ، وانظر معاني الأخفش ٦٧٠/٢ .

وَشِقَاقٍ ﴾ وهو مذهب قتادة[1] .

وهو أولى الأقوال ، لأنَّ « بَلْ » قد حلَّت محلَّ الجواب ، فاستغنى بها عنه .

٣ ــ **ثم خبَّر اللَّهُ جلَّ وعزَّ بعنادهم وانحرافهم عن الحقِّ فقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾**[2] [آية ٢] .

أي خلاف .

٤ ــ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾** [آية ٣] .

و ﴿ **كَمْ** ﴾ للتكثير في كلام العرب[3] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَنَادَوْا ﴾** أي بالتوبة والاستغاثة **﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾** [آية ٣] .

رَوَى أبو إسحاق ، عن التميميِّ ، عن ابن عباس ﴿وَلَاتَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩٩/٧ والقرطبي ١٤٤/١٥ وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره ١١٩/٢٣ فقال : والصواب عندي ما قاله قتادة ، لأن « بل » دلت على التكذيب فمعنى الكلام : ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم في عزة وشقاق .

(٢) قال ابن الجوزي ٩٩/٧ : العزَّة : الحميَّة والتكبر عن الحق ، والشقاق : الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ ، وقال القرطبي « شقاق » خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا في شق وذاك في شق . اهـ.

(٣) « كَمْ » في لسان العرب تفيد التكثير ، قال الطبري ١٢٠/٢٣ : والمعنى : كثيراً أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش ، الذين كذبوا رسولنا محمداً ﷺ .

حِينَ مَنَاصٍ ﴾ : قال : ليس حين نَزْوٍ ، ولا فرار[1] .

وقال عكرمة : ليس حين انقلاب[2] .

وقال قتادة : نادوا حين لا حينَ نداء[3] .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربةٌ ، أي ليس حين نداءٍ مُنجي .

والمعنى : ليس حين فَوْتٍ ، وأصلُه من نَاصَ يَنُوصُ : إذا تأخَّر[4] ، وبَاصَ يَبُوصُ : تقدَّم كما قال الشاعر :

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ
فَتَقْصِرُ عنها تَارَةً وتَبُوصُ[5]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٢١/٢٣ والقرطبي ١٤٥/١٥ عن ابن عباس ، ومعنى قوله « نَزْوٍ » أي جَرْيٍ وركض ، كقوله تعالى ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أُترِفتم فيه ﴾ .

(٢) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة٣٩٦/٥ ومعناه قريب من قول ابن عباس .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٢١/٢٣ وابن كثير ٤٤/٧ والألوسي ١٦٣/٢٣ ولفظه وقال الحسن وقتادة : رفعوا أصواتهم بالتوبة حين عاينوا العذاب لينجوا منه ، وليس الحينُ حينَ فوات ونجاة . اهـ.

(٤) في اللسان : نَاصَ يَنُوصُ مَنَاصاً : نجا وفي التنزيل ﴿ وَلَاتَ حين مَنَاص ﴾ أي وقت طلب ومُغاث ، وقيل معناه أي استغاثوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب ، والنَّوصُ : الفِرار ، والمناصُ : المهربُ . اهـ.

(٥) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ١٧٧ وهو من شواهد الفراء ٣٩٧/٢ وقد ذكره بلفظ « خطوة » بدل « تارة » وانظر الطبري ١٢٠/٢٣ ومختار الشعر الجاهلي ١٢٧/١ وزاد المسير ١٠١/٧ واللسان ، والصحاح . قال ابن جُزي في التسهيل ١٧٩/٣ معنى الآية : ليس الحين الذي دَعَوا فيه حين مفرٍّ ونجاة ، و « لات » بمعنى ليس ، وأصلها « لا » النافية زيدت عليها علامة التأنيث ، كما زيدت في « رُبَّت » و « ثُمَّت » . اهـ.

٦ ـــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [آية ٥] .

عُجَابٌ ، وعَجِيبٌ ، بمعنىً واحد[١] ، كما تقول : طويلٌ ، وطُوَالٌ ، وكذلك ﴿ عُجَّابٌ ﴾ قرأ به أبو عبدالرحمن[٢] .

٧ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى سفيانُ ، عن إبراهيمَ بنِ مُهَاجر ، عن مجاهد ﴿ وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ ﴾ قال : هو « عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ »[٣] ﴿ أَنِ

---

(١) قال اللغويون : العُجَاب ، والعجيب ، والعُجَّاب ، بمعنى واحد ، كما تقول : كبير ، وكُبَار ، وكُبَّار ، كما نُقل عن أبي عبيدة والفراء ، وغيرهما ، واستشهدوا بقوله ﴿ ومكروا مكراً كُبَّاراً ﴾ أي كبيراً ، وفرَّق الخليل بين عجيب ، وعُجَاب ، فقال : العجيب : العجب ، والعُجَاب : الذي قد تجاوز حد العجب . وانظر القرطبي ١٥/١٥٠ .

(٢) يراد به « أبو عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وهذه القراءة ﴿ لَشَيء عُجَّاب ﴾ من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٠ وهي لغة أزد شنوءة كما في القرطبي .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ، ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/١٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٦ ومعنى الملأ في اللغة : أشراف القوم ، الذين يملأون العين هيبةً وإجلالاً ، و « عقبة بن أبي معيط » هو قائل هذه المقالة ، للنَّفر من مشيخة قريش .

وسبب نزول هذه الآيات ما ذكره الطبري ٢٣/١٢٧ والحافظ ابن كثير ٧/٤٦ من رواية السدي أن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم « أبو جهل » و « العاص بن وائل » و « الأسود بن عبد يغوث » في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فلنكلمه في محمد ، فلينصفنا منه ، فليكفَّ عن شتم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه الذي يعبده ، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ ـــ يعنون أبا طالب ـــ فيكون منا إليه شيء ، فتعيرنا العرب فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمُّه تناولوه .

امْشُوا ﴾ « أَنْ » تفسيرٌ .

ويجوز أن يكون معناه : بأن امشُوا ، واصبِرُوا على آلهتكم ، فخبَّر اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، بإقامتهم على الكفر .

٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلَاقٌ ﴾ [آية ٧] .

رَوَى ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد : وعليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ، قالا : ﴿ فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾ في النصرانية[1] .

= قال : فبعثوا رجلاً منهم يقال له « المطَّلب » فاستأذن لهم على « أبي طالب » فقال : هؤلاء مشيخة قومهم وسَرَواتهم ــ أي رؤساؤهم وكبراؤهم ــ يستأذنون عليك ، قال : أَدْخِلهم ، فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنْصِفْنا من ابن أخيك ، فَمُرْه فليكفَّ عن شتم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه ، قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم ، وقد سألوك النَّصَف ــ أي العَدْل والإنصاف ــ أن تكفَّ عن شتم آلهتهم ، ويدعوك وإلهَكَ ، قال : يا عم ، أوَلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلامَ تدعوهم يا ابن أخي ؟ قال : أدعوهم إلى كلمة واحدة ، تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم !! فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيكَ لنعطينَّكها وعشرة أمثالها ؟ قال : تقولون : « لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلما غير هذه ، قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضاباً وقالوا : والله لنشتمنَّك وإلهك الذي أمرك بهذا ، فذلك قوله تعالى ﴿ وانطلق الملأ منهم .. ﴾ الآية .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١٢٦/٢٣ وابن كثير ٤٧/٧ وهو مروي عن السدي ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومقاتل ، ومراد المشركين أن يقولوا : لو كان القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى ، وقال مجاهد وقتادة وابن زيد يعنون بالملة الآخرة دين قريش .

وقال **محمد بن كعب** : يعنون ملّة عيسى صلّى الله عليه وسلّم[1] .

وروى **ابنُ أبي نجيح عن مجاهد** ﴿ **فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ** ﴾ قال : ملّةُ قريش[2] .

وقال **قتادة** : ﴿ **فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ** ﴾ أي ملّتنا التي نحنُ عليها[3] .

٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ** ﴾ [آية ٩] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ ، لذكره هذا بعدما تقدَّم ، وفيها قولان :

أحدهما : أنها متَّصلة بقوله ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ** ﴾ أي إنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ له خزائنُ السَّموات والأرض وملكُهما ، فيرسلُ من يشاءُ .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٦/٢٣ والدر المنثور ٢٩٧/٥ وزاد المسير ١٠٣/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١٢٧/٢٣ وابن كثير ٤٧/٧ والقرطبي ١٥٢/١٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٧/٢٣ وهو كقول مجاهد من حيث المعنى يقولون : ما سمعنا به في ديننا هذا ولا في زماننا قطُّ ، وأرجح الأقوال قول ابن عباس أنهم يعنون ﴿ بالملَّة الآخرة ﴾ دين النصرانية ، لأنه آخر الأديان السماوية قبل الإسلام ، فهم يحتجون بالملل والشرائع السابقة ، والمعنى على هذا القول واضح ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بمثل هذا القول في ملة النصرانية التي هي آخر الملل ، فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، فكيف يزعم محمد أن الله واحد ؟ ولو كان كما قال لأخبرتنا به النصارى . اهـ. وانظر صفوة التفاسير ٥١/٣ .

والقولُ الآخر : أنه لمَّا ذكر عِنادَهُمْ ، وكفرَهم ، وصبرَهَم على آلهتهم ، كان المعنى : أم عندهم خزائن رحمة ربِّك ، فيحظروها على مَنْ يُريدون ؟ أم لهم مُلْكُ السَّمواتِ والأرض وما بينهما ؟ فقرَّرهم بهذا[1] .

١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَمْ لَهُم مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴾** [آية ١٠] .

أي إن كانوا صادقين فليرتقوا في أبواب السَّموات[2] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ الأسبابُ ﴾ : أبوابُ السَّموات[3] ، وقال زهير :

---

(١) توضيحاً للمعنى ننقل كلام محمد بن جزي الغرناطي في تفسيره « التسهيل لعلوم التنزيل » ففيه توضيح وبيان ، فقد قال رحمه الله ٣/٣٩٢ : هذه الآية ردٌّ على المشركين ، فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة ، والمعنى : إنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله ، حتى يُعطوا النبوة من شاءوا ، ويمنعوا من شاءوا ، بل يُعطيها الله لمن يشاء ، ثم وصف نفسه بالعزيز الوهَّاب ، لأن العزيز ــ أي القاهر الذي لا يُغالب ــ يفعل ما يشاء ، والوهَّاب ينعم على من يشاء ، فلا حجة لهم فيما أنكروا ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض ﴾ وهذا أيضاً ردٌّ عليهم والمعنى : أن لهم المُلك ، فيتصرَّفون فيه كيف شاءوا ؟ بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء . اهـ.

(٢) هذا تهكُّم بهم واستهزاء أي إن كان لهم شيء من ملك السموات والأرض ، فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء ، وليدبِّروا شئون الكون ؟ وكفى به سخرية وتهكماً !!

(٣) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٢٣/١٢٩ والقرطبي ١٥/١٥٣ وأصل السبب عند العرب : كلُّ ما تسبَّب به إلى الوصول للمطلوب ، من حبل ، أو وسيلة ، أو رحم ، أو قرابة ، أو طريق ، أو محجة ، وغير ذلك ، أفاده الطبري .

« وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّم »(١)

وقيل : ﴿ **الأسبابُ** ﴾ : الجِبَالُ(٢) ، أي فليرتقوا في السماء ، حتى يأتوا بآية .

وحَكَى أهلُ اللغةِ أنهُ يقال للدَّيِّنِ الفَاضِلِ : ارتقى أسباب السموات(٣) ، كما يُقال : قد بلغ السَّماءَ ، على التمثيل .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ [آية ١١] .

أي هم جندٌ لهؤلاء الآلهة ﴿ **مَهْزُومٌ** ﴾ أي مقموعٌ ذليل ، أي قد انقطعت حجتهم ، لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا : هذا لنا(٤) .

ويُقال : تَهَزَّمتِ القريةُ : إذا انكسرتْ ، وهزمتُ الجيشَ :

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص ٣٠ وتمامه :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... ولو رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

يقول : من اتقى الموتَ لقيه ولو صعد إلى السماء .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ أي بحبل ، والمراد بهذا الأمر التوبيخ والتعجيز .

(٣) أي نال أسمى الغايات والمراتب الرفيعة ومنه قول الشاعر : « بلغنا السماء مَجْدُنا وعَلَاؤُنا » وهذا القول هو ما حكاه أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١٧٧/٢ .

(٤) هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتأنيس ، يقول تعالى لنبيه : هؤلاء الفجرة ما هم إلَّا جندٌ من الكفار ، تحزَّبوا على رسل الله ، وهم عما قليل سيُهزمون ويولون الأدبار ، فلا تبال ولا تكترث بشأنهم ، فإني أهزم جمعهم ، وأسلب عزمهم ، قال قتادة : وعد الله أنه سيهزمهم وهم بمكة ، فجاء تأويلها يوم بدر .

كسرتُهُ ، ثم قال ﴿ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ قال مجاهد : أي من الأمم الخالية[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى أنهم حِزْبٌ من الأحزاب ، الذين تحزَّبوا على أنبيائهم .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، وَعَادٌ ، وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادةَ في قوله تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ قال : كانت له أوتادٌ ، وأَرْسانٌ ، وملاعبُ ، يُلعب بها بين يديه[2] .

قال أبو جعفر : وقيل كان يَجْعل الإنسانَ بين أربعة أوتادٍ ، ثم يقتله[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٢٣/١٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٧ وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٠٦ وهذا القول خلاف الظاهر ، فإن الله تعالى ذكر في الآية بطش فرعون ، وطغيانه ، وجبروته ، ولم يذكر ما كان يتلهَّى به ويتسلى من أنواع الملاعب المحبَّبة إلى نفسه .

(٣) هذا القول حكاه ابن جرير عن السدي والربيع بن أنس ٢٣/١٣١ وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن البصري ، كما في تفسير ابن الجوزي ٧/١٠٥ ولفظه : كان يُعذِّب الناس بأربعة أوتاد ، يشدهم فيها ، ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشدخه . اهـ.

أقول : وهذا القول هو المناسب لظاهر الآية ، فإن الله تعالى وصفه في آيات كثيرة بالعلوِّ ، والجبروت ، والاعتداء على حرمات الناس ، كما قال سبحانه عنه ﴿ إن فرعون عَلَا في الأرض ﴾ وقال : ﴿ إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ .

وقال الضحاك : ﴿ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ ذو البناء المحْكَمِ[1] ، كما قال :

« فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ »[2]

١٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ ، أُوَلئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادة : كان أصحابُ الأيكةِ أصحابَ شَجَرٍ ، أكثرُهُ من الدَّوْمِ[3] .

١٤ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي من رجوعٍ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣١/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٥/٧ والقرطبي في الجامع ١٥٤/١٥ واختارة ابن قتيبة قال : والعرب تقول : هم في عزٍّ ثابت الأوتاد ، يريدون أنه دائم شديد . اهـ.

(٢) البيت للأسود بن يَعْفُر وتمامُه :

وَلَقَدْ غَنَوْا فيها بأنْعَمِ عيشةٍ في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

والبيت في غريب القرآن ٣٧٧ وفي البحر ٣٦٧/٧ وفي المفضليات ٢١٧ ومعنى « غَنَوْا » أقاموا وسكنوا .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير ١٣١/٢٣ قال في المعجم الوسيط ٣٠٥/١ : وشجر الدَّوْم شجر عظام ، من الفصيلة النخلية ، وله ثمار في غلظ التفاحة . اهـ.

(٤) انظر الطبري ١٣٣/٢٣ والقرطبي ١٥٦/١٥ وهذا القول محكي عن ابن عباس أيضاً كما في القرطبي .

وقال **قتادة** : أي ما لها من مثنويَّة[1] .

وأبو **عُبيدة** يذهبُ إلى أن معنى ﴿ مِنْ فَوَاقٍ ﴾ بفتح الفاء : من رَاحةٍ ، و﴿ مِنْ فُوَاقٍ ﴾ بضم الفاء : من انتظار[2] .

وقال **غيرُه** : هما لغتان بمعنىً[3] .

وقال **السدي** : ما لهم بعدها إفاقةٌ ، ولا رجوعٌ إلى الدنيا[4] .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من قولهم « فُوَاق النَّاقةِ » وهو ما بين الحلبتين .

المعنى : أنها لا تلبثهم حتى يموتوا ، ولا يحتاج فيها إلى رجوع ، وأفاق من مرضه ، رجع إلى الصحَّةِ والراحة ، وإلى هذا ذهب أبو

---

(١) الأثر أخرجه القرطبي ١٥/١٥٦ وفي روح المعاني ٢٣/١٧٢ ومعنى « مثنوية » أي أنها صيحة واحدة ، لا تثنّى ولا تكرَّر .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٧٩ فقد قال : من فَتحها « فَوَاق » قال معناها ما لها من راحة ، ومن ضمها « فُوَاق » جعلها من فُواق الناقة ، وهو ما بين الحلبتين ، يريد ما لها من انتظار . اهـ.

(٣) هذا مذهب الجوهري وبعض علماء اللغة قالوا : الضمُّ والفتحُ بمعنى واحد ، كما يُقال : قُصَاص الشَّعر ، وقَصَاص الشَّعر ، قال الجوهري : الفُواقُ والفَوَاق : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تُحلب ثم تترك سُويعة ، يرضعها الفصيلُ لتَدُرَّ ، ثم تحلب . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٢٣/١٣٣ وتلخص من هذا ، أن للمفسرين ثلاثة أقوال :

الأول : ﴿ ما لها من فَوَاق ﴾ أي أنها صيحةٌ واحدة لا ثانية لها ، وهو قول قتادة .

الثاني : ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فُوَاق الناقة ، وهو ما بين حَلْبتيْ اللبن ، وهذا على قراءة الضم .

الثالث : ما لها من رجوع ولا عودة إلى الدنيا ، وهو قول مجاهد ، وابن عباس .

عبيدة في قوله : مالها من راحة[1] .

١٥ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِلَّ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ﴾ [آية ١٦] .

قال سعيد بنُ جبير : ﴿ **قِطَّنَا** ﴾ أي نصيبنا من الجنة[2] .

وقال الحسن : أي عقوبتنا[3] .

وقال مجاهد : أي عذابنا[4] .

وقال قتادة : أي نصيبنا من العذاب[5] .

وقال عطاء الخراساني : أي قضاءنا أي حسابنا[6] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٠ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٧٩ وحاشية الجمل على الجلالين ٣/٥٦٤ ففيه بحث موسَّع .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٣٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٧ ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره ابن الجوزي ٧/١٠٩ قال الحافظ ابن كثير ٧/٤٩ : وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . اهـ.

(٣ــ ٥) هذه الآثار الواردة عن الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ذكرها الطبري في جامع البيان ٢٣/١٣٤ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٧ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٧ وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ٢٣/١٧٣ : أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية ، ربَّنا عجِّل لنا قِسْطَنا ، ونصيبنا من العذاب ، الذي تُوعِدنا به ، ولا تؤخِّره إلى يوم الحساب .

(٦) قول عطاء ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٠٩ ثم قال : وقال الزجاج : القِطُّ النصيبُ ، وأصله : الصحيفة يُكتب للإنسان فيها شيء يصل إليه ، واشتقاقه : من قَطَطْتُ أي قطعت ، فالنصيب هو القطعة من الشيء ، ثم في هذا للمفسرين قولان :

أحدهما : أنهم سألوه نصيبهم من الجنة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : سألوه نصيبهم من العذاب ، قاله قتادة . وعلى جميع الأقوال إنما سألوا ذلك استهزاءً لتكذيبهم بالقيامة . اهـ.

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من قولهم : قَطَطْتُ الشيءَ أي قطَعْتُه ،

فالمعنى : عجِّلْ لنا نصيبنا أي ما قُطع لنا .

ويجوز أن يكون المعنى : عجِّلْ لنا ما يكفينا ، من قولهم : قَطْني من هذا أي يكفيني .

ويُروى أنهم قالوا هذا لمَّا أنزل اللَّهُ جلَّ وعز ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .. ﴾ استهزاءً ، وهذا كما قال :

« ... يُعْطِي القُطُوطَ ويَأْفِقُ »(١) .

يعني الكتب بالجوائز .

ويدلُّ على هذا قولُه تعالى ﴿ إصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [آية ١٧] .

١٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [آية ١٧] .

= أقول : القول الثاني هو الأرجح وهو قول جمهور المفسرين ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ فقد صرح بأنهم سألوا تعجيل حظهم من العذاب ، ولم يسألوا نصيبهم من الجنة ، وأيضاً قول السفهاء ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ يدل دلالة واضحة على أنهم سألوا العذاب والله أعلم .

(١) هذه قطعة من بيت شعر للأعشى ميمون بن قيس ، وهو في ديوانه ص ٣٣ وتمامه :

وَلا المَلِكُ النُّعْمَانُ يومَ لقيتُهُ ... بِنِعْمَتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويأفِقُ

أراد القطوط كتب الجوائز ، ويأفق أي يُصلح ، والبيت من شواهد أبي عبيدة ١٧٩/٢ وانظر الطبري ١٣٤/٢٣ .

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ ومجاهدٌ وقتادةُ : أي ذَا القُوَّة في طاعةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[1] .

قال أبو جعفر : الأَيْدُ ، والآدُ ، في اللغة : القوَّةُ[2] ، وأَيَّـدهُ : قوَّاه ، فَانْآدَ ، كما قال :

« لَمْ يَكُ يَنْآدُ فأَمْسَى انْآدَا »[3]

ثم قال تعالى ﴿ **إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ قال مجاهد : أي راجع عن الذنوب[4] .

وقال قتادة : أي مطيع[5] .

قال أبو جعفر : يُقال : آبَ ، يؤوبُ ، فهو آيبٌ : إذا

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٣٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وغيرهما .

(٢) قال الراغب في غريب القرآن مادة « أيد » : الآيْدُ : القوة الشديدة ، قال تعالى ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ أي يُكثر تأييده ، ويُقال : إدْته ، أئيدُهُ ، أيْداً ، نحو بعتُه أبيعه بَيْعاً ، وأيَّدْتُه على التكثير قال عز وجل ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾ من الأيد أي القوة الشديدة . اهـ. وقال القرطبي ١٥٨/١٥ : ﴿ ذا الأيدِ ﴾ أي ذا القوة في العبادة ، كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، وذلك أشد الصوم وأفضله ، وكان يصلي نصف الليل ، وكان لا يفرُّ إذا لاقى العدو ، وكان قوياً في الدعاء إلى الله تعالى ، ويُقال : الأيْدُ والآدُ كما تقول : العَيْبُ والعَابُ ، ومنه رجلٌ أَيِّدٌ أي قويٌّ . اهـ. وفي البخاري كتاب التفسير ١٥٥/٦ قال ابن عباس : الأيْدُ : القوة في العبادة .

(٣) هذا شطرٌ من الرجز للعجاج ، وتمام البيت كما في لسان العرب ٧٥/٣ :

مِنْ أنْ تبدَّلْتُ بآدِي آدَا لم يكُ ينآدُ فأمْسَى انآدا

يقال : انآد العود ينآدُ : إذا انثنى واعوجَّ ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٥٨/١٥ .

(٤ـ ٥) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٥ والطبري ١٣٧/٢٣ .

رَجَع ، وأَوَّابٌ : على التكثير[1] .

١٧ ـــ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ ﴾** [آية ١٨] .

إشراقُ الشمس : ضوءُها وصفاؤها[2] .

١٨ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾** [آية ١٩] .

يجوز أن يكون المعنى : كلٌّ للَّهِ جلَّ وعزَّ أوَّابٌ ، يعني داودَ ، والجبالَ ، والطيرَ .

ويجوز أن يكون المعنى في ﴿ كلٌّ ﴾ للجبالِ ، والطير ، أي تُرَجِّع مع داودَ التسبيح[3] .

١٩ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾** [آية ٢٠] .

---

(١) قال الطبري : والمعنى : إن داود كان رجَّاعاً عما يكرهه الله إلى ما يرضيه والأوابٌ : هو من قولهم آب الرجل إلى هله : إذا رجع . اهـ.

(٢) قال الراغب في غريب القرآن : شَرَقَتِ الشمس : طَلَعت ، وأشرقت أضاءت ، ومعنى ﴿ العَشِيّ والإشراق ﴾ أي وقت العشي ـــ وهو من زوال الشمس إلى الصباح ـــ والإشراق : أي وقت الإشراق وهو عند طلوع الشمس . اهـ.

(٣) هذا القول هو الأظهر والأرجح ، وهو قول الجمهور أن الضمير يعود إلى داود ، والمعنى : كلٌّ من الجبال والطير رجَّاع إلى طاعته وأمره ، مسبِّحٌ لأجل تسبيحه ، وأما القول الأول فهو قول السدي ، قال الحافظ ابن كثير : كانت الطير تسبِّح بتسبيحه ، وتُرجِّع بترجيعه ، إذا مرَّ به الطير وهو سابحٌ في الهواء ، فسمعه وهو يترنَّم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتُسبِّح معه ، وتجيبه الجبال الشامخات ، تُرجِّع معه ، وتسبِّح تبعاً له . اهـ.ابن كثير ٤٩/٧ .

قال مجاهد : لم يكن في الأرض سلطانٌ أعزُّ من سلطانِهِ[1] .

قال السُدّي : كان يحرسه في كل ليلةٍ أربعةُ آلافٍ[2] .

وقيل : ﴿ **شَدَدْنَا مُلْكَهُ** ﴾ بأنَّ الوحي كان يأتيه ، وهذا عن ابن عباس[3] .

وقد رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس : أن رجلين اختصما إلى « دَاودَ » فقال المستعدِي : إن هذا اغتصبني بقراً ، فجحَدَهُ الآخر ، فأوحى اللهُ إلى « داود » أن يقتل الذي استعَدَى عليهِ ، فأرسلَ داود إلى الرجل إن اللَّه قد أوحى إليَّ أن أقتلك ، فقال الرجل : أتقتلني بغير بيِّنةٍ ؟ فقال : لا يُرَدُّ أمرُ اللهِ فيكَ ، فلَّما عرف الرجلُ أنه قاتلهُ قال : واللَّهِ ما أُخِذْتُ بهذا الذنبِ ، ولكنّي كنتُ اغْتَلتُ والدَ هذا فقتَلْتُه ، فأمر به « داودُ » فقُتِلَ ، فاشتدَّت هيبةُ بني إسرائيل عند ذلك له ،

(١) الأثر ذكره الحافظ ابن كثير عن مجاهد ٧/٥٠ والقرطبي ١٥/١٦٢ وعزاه إلى ابن عباس ، ومعنى ﴿ شددنا ملكه ﴾ أي قوَّينا ملكه وثبتناه ، بالهيبة والنصرة ، وكثرة الجنود ، والتمكين له في الأرض ، حتى كان ملكه وطيداً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٣٨ وابن كثير ٧/٥٠ عن السدي ، وضعَّف هذا القول القاضي ابن العربي ، ورجَّح أن شدَّ ملكه ، إنما كان بالتأييد من الله له ، والنصر ، وقال : لا ينفع الجيشُ الكثير ، التفافه على غير منصور وغير معان . اهـ. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/١٦١ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس يؤيده ما ذهب إليه الأكثرون من تثبيت دعائم ملكه بالنبوة والرسالة ، والعون والتأييد ، لا بكثرة الرجال فحسب ، بل للهيبة التي جعلها الله له في قلوب الناس ، وهو خلاصة ما ذكرناه عن ابن العربي رحمه الله .

وهو قولُ اللهِ عز وجل ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾[1] .

٢٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ ﴾ [آية ٢٠] .

قال أبو العالية : أي المعرفة بكتاب اللّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال السُدِّي : النبوَّة[3] .

وقال مجاهد : هو عدلُه[4] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ [آية ٢٠] .

قال الحسن : أي الفهمَ في القضاء[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٩/٥ وابن كثير ٥٠/٧ وذكر السيوطي أنه من رواية ابن أبي حاتم ، وعبد بن حُميد .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ١٦٢/١٥ وابن كثير ٥١/٧ وعزاه إلى قتادة .

(٣ ــ ٤) الأثران ذكرهما الطبري ١٣٩/٢٣ وابن كثير ٥١/٧ وابن الجوزي ١١/٧ والراجح أن المراد بالحكمة ما يشمل هذه الأمور ، من النبوة ، والفهم ، وسداد الرأي ، والإصابة في القضاء ، وآراء السلف في هذه المسألة متقاربة ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ١١١/٧ : في قوله تعالى ﴿ وآتيناه الحِكمة ﴾ فيها أربعة أقوال :

أحدها : أنها الفهم ، كما قال ابن عباس والحسن ، وابن زيد .

والثاني : أنها الصواب ، قاله مجاهد .

والثالث : النبوة ، قاله السدي .

والرابع : أنها السنة ، قاله قتادة . اهـ.

(٥) هذا أحد أقوال أربعة في معنى قوله تعالى ﴿ وفَصْلَ الخِطَاب ﴾ وهو مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، كما في تفسير ابن كثير ٥١/٧ والطبري ١٣٩/٢٣ حيث ذكر عن مجاهد أن ﴿ فَصْل الخطاب ﴾ : إصابة القضاء وفهمه .

وقال أبو عبدالرحمن وقتادة : أي وفَصْل القضاء[1] .

وقال شُرَيْح والشعبيُّ وكعبٌ : الشهودُ والأيمانُ[2] .

وكذلك روى الحَكَم عن مجاهد .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ما قال أُنْفِذ .

وقال الشعبي : ﴿ **فصلُ الخِطَابِ** ﴾ : أمَّا بعدُ[3] .

قال أبو جعفر : الخطابُ في اللغةِ ، والمخاطبةُ ، واحدٌ .

فالمعنى على حقيقةِ اللغة : أنه يَفْصِلُ أي يقطع المخاطبة ، بالحكم الذي آتاه اللَّهُ إيَّاه ، ويقطع أيضاً فصلها في الشهودِ والأيمان .

وقيل ﴿ **وَفَصْلَ الخِطَابِ** ﴾ : البيانُ الفاصلُ بين الحقِّ والباطل[4] .

---

(١) هذا هو القول الثاني ، وقد ذكره القرطبي ، والطبري ، وابن كثير ، وهو قريب من الأول .

(٢) هذا هو القول الثالث ، والمراد به تكليف المدَّعي بالبيِّنة وهي شاهدان ، أو يمين المدَّعي عليه ، قال ابن الجوزي في تفسيره ١١٢/٧ وهو قول حسن ، لأن الخصومة إنما تُفْصَل بهذا ، وقال ابن كثير ٥١/٧ : وهو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل ، وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة .

(٣) هذا هو القول الرابع في تفسير الآية ، ذكره الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، فقد قيل : إن أول من تكلم بهذه العبارة « أما بعد » هو داود عليه السلام ، واختار ابن جرير الطبري العموم فقال في جامع البيان ١٤١/٢٣ : والصواب أن يعمَّ الخير فيقال : أُوتي داود فصل الخطاب في القضاء ، والمحاورة ، والخطب . اهـ .

(٤) هذا قول الزمخشري في تفسيره ٣٢١/٣ وذكره في التسهيل ٢٩٥/٣ والمعنى على هذا القول : ﴿ وفَصْلَ الخطاب ﴾ أي البيِّن من الكلام الذي يفهمه من يُخاطب به ، ويفصل به بين الحق=

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ ﴾ [آية ٢١] .

تسوَّروا أي عَلَوْا ، والمحرابُ كلُّ مكان مرتفع .

وقيـل : محرابٌ للـذي يُصَلَّـى إليـه على التمثيـل ، أي هو أرفـعُ موضعٍ في المسجد[١] .

و« خَصْمٌ » يقعُ للواحد ، والاثنين ، والجميع بلفـظٍ واحـدٍ على معنى « ذو خصْمٍ »[٢] .

ولا اختلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به ههنا مَلَكان[٣] .

= والباطل ، وقد اختار هذا القول ابن عطية ، وجعله من قوله تعـالى ﴿ إنـه لقـول فصل . ومـا هو بالهزل ﴾ . اهـ.

(١) قال الراغب في غريب القرآن ص ١١٢ : ومحراب المسجـد سُمِّـي بذلك لأنـه موضع محاربـة الشيطـان والهوى ، وقيـل : الأصل فيـه أن محراب البـيت : صدرُ المجلس ، ثم اتُّخـذ المساجـد فسُمِّي صدره به تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكأن هذا أصح قال تعالى ﴿ يعملـون له ما يشاء من محاريب وتماثيل .. ﴾ . اهـ.

(٢) قال الزجاج ٣٢٥/٤ : إنما قال ﴿ الخَصْمِ ﴾ بلفظ الواحد ، وقال ﴿ تسوَّروا المحراب ﴾ بلفـظ الجماعـة ، لأن قولك « خَصْمٌ » يصلـح للواحـد ، والاثـنين ، والجماعـة ، والذَّكـر ، والأنثى ، تقول : هذا خصمٌ ، وهما خصمٌ ، وهـم خصم ، إنما يصلـح لجميـع ذلك لأنـه مصدر . اهــ. وانظر زاد المسير ١١٧/٧ .

(٣) قال ابن جُزَيّ في التسهيل ٣٩٥/٣ : واتفق النـاس على أن هؤلاء الخصم كانـوا ملائكـة ، ورُوي أنهما جبريل ، وميكائيل ، بعثهما الله ليضربَ بهمـا المثـل في نازلـة ــ أي حادثـة ــ وقـع هو في مثلهـا ، وقـال ابـن الجوزي ١١٨/٧ : كانـا ملكَيْـن ، وهما جبريـل وميكائيـل أتيـاه لينبهاه على التوبة ، وإنما قال ﴿ تسوَّروا ﴾ وهما اثنان ، لأن معنى الجمع ضمُّ شيء إلى شيء ، والاثنـان فمـا فوقهما جماعة . اهـ.

٢٣ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : دخلا عليه ليلاً في غير وقت الخصومة ، فلذلك قال : ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ .

وقيل : فزع منهما ، لدخولهما من غير الباب ، الذي كان منه المدخل[1] .

٢٤ ـ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ .. ﴾ [آية ٢٢] .

على جهة المسألة[2] كما تقول : رجلٌ يقول لامرأته كَذَا ما يجب عليه ؟

٢٥ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [آية ٢٢] .

﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي بالعدل ﴿ ولا تُشْطِطْ ﴾ أي ولا تَجُرْ ،

(١) قال في التسهيل : وإنما فزع داود منهم ، لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ، ودخلوا من غير الباب ، وقيل : إن ذلك كان ليلاً . اهـ.

(٢) مراد المصنف رحمه الله أن قوله تعالى ﴿ خصمانِ بغى بعضنا على بعض ﴾ أي جئنا نسألك عن هذه المسألة المتنازع فيها ، نحن خصمان اختلفنا في هذه القضية .. إلخ.

يُقال : أشطَّ يُشِطُّ إذا جار ، وشطَّ يَشِطُّ إذا بَعُدَ[1] .

وقد قُرِىء ﴿ **وَلَا تَشْطُطْ** ﴾[2] أي لا تبعد في الحكم ، كما قال الشاعر :

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُهَا ابْنَةَ مَخْرَمِ[3]

واهْدِنَا إلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي إلى قصدِ السَّبِيلِ .

وقال تعالى ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** ﴾ بغير « إلى » والعربُ تحذف حرف الخفضِ مما يتعدّى إلى مفعولين كما قال الشاعر :

ومنَّا الَّذِي اختيرَ الرجالَ سَمَاحَةً
وبِرّاً إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[4]

وقيل : معنى ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ** ﴾ أعلمنا الصراطَ ، ومعنى

---

(١) قال في المصباح : شطَّتِ الدار : بَعُدت ، وشطَّ في حكمه شَططاً : جار وظلم ، وأشطَّ في الحكم بالألف لغة فيه . اهـ.

(٢) هذه قراءة أبي رجاء وقتادة ﴿ ولا تَشْطُطْ ﴾ وهي من القراءات الشاذة ، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب ٢/٢٣١ .

(٣) البيت من معلقة عنترة ، وانظر الديوان والمعلقات السبع للزوزني ص ١٢٦ والمحتسب لابن جني ٢/٢٣١ وقد ورد فيه بلفظ « عَسِراً عليَّ طِلَابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ » وفي المخطوطة « مَحْرمِ » بالحاء المهملة ، وصوابه ما أثبتناه .

(٤) البيت للفرزدق كما في ديوانه ٥١٦ وفي خزانة الأدب ٩/١٢٤ وفي المقتضب للمبرد ٤/٣٣٠ والشاهد فيه نصب : « الرجالَ » حيث نُصب بنزع الخافض ، والأصل : اختير من الرجال ، وهذا كما قال الشاعر « تَمُرُّونَ الدِّيَارَ ولم تَعُوجُوا » أي تمرُّون بالديار ، فنصب بنزع الخافض .

﴿ اهدِنا إلى الصِّرَاطِ ﴾ أرشدنا إلى الصراط[1] .

٢٦ ــ ثم قال عز وجل ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ .. ﴾ [آية ٢٣] .

قال وهبٌ : ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي ﴾ أي على ديني[2] ﴿ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ والعربُ تَكْنِي عن المرأة : بالنَّعْجَةِ ، والشَّاةِ ، كما قال الشاعر :

فَرَميْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عنْ شَاتِهِ
فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[3]

وفي قراءة ابنِ مسعود : ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي كانَ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى ﴾[4] .

---

(١) قال في المصباح مادة هدى : هديتُه الطريقَ ، أَهْدِيه ، هدايةً ، هذه لغة الحجاز ، ولغة غيرهم يتعدَّى بالحرف ، فيُقال : هديته للطريق ، وهديتُه إلى الطريق ، والهدى البيانُ ، واهتدى إلى الطريق ، وهداه الله إلى الإيمان هدى . اهـ مصباح .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن وهب بن منبه ١٤٣/٢٣ وقصد بقوله ﴿ أَخِي ﴾ أخوَّة الدين لا النسب ، أو أخوَّة الصداقة والألفة .

(٣) البيت للأعشي كما في ديوانه ص ١٥٠ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨١/٢ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٣/١٥ والألوسي في روح البيان ١٨٠/٢٣ والشاهد فيه أنه كنَّى عن زوجة الرجل بالشاة ، يريد أنه نظر إليها في غفلة من زوجها ، فأسرها بجماله ، ووقع حبُّها له في سويداء قلبها .

(٤) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات السبع ، وذكرُ الأنثى جاء على سبيل التأكيد ، كما يُقال : هو رجلٌ ذكر ، ومعلوم أن الرجل لا يكون إلَّا ذكراً ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٥ .

و « كان » ههنا مثل قوله ﴿ وكان اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[1]

فأما قوله « أنثى » فقيل : هو على جهة التوكيد .

وقيل : لمَّا كان يُقال : هذه مائةُ نعجةٍ ، وإن كان فيها من الذكور شيءٌ يسير ، جاز أن يُقال : أنثى ، ليُعلم أنه لا ذكر فيها[2] .

٢٧ ــ ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ [آية ٢٣] .

قد جاءت أخبارٌ وقِصصٌ في أمر « داودَ » ﷺ و« أُوْرِيَا » وأكثرُهَا لا يصحُّ ، ولا يتّصلُ إسناده ، ولا ينبغي أن يُجترأ على مثلها ، إلاَّ بعد المعرفة بصحتها[3] .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٤٠٣ : ربَّما أدخلت العرب « كان » على الخبر الدائم الذي لا ينقطع مثل قوله تعالى ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ فهذا دائم ، ومثله « وكان الله غفوراً رحيماً » . اهـ.

(٢) هذا لدفع التوهم في التجوز ، فإن قولنا مائة شاة ، يحتمل أن يوجد بينها ذكور ، فدفعاً لهذا قال : أنثى ، ومثله قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر » .

(٣) خبط بعض المفسرين خبط عشواء ، في إيراد أخبار وآثار ، من القصص الإسرائيلية ، ما كان ينبغي لهم أن يوردوها في كتب التفسير ، وإليها يشير المصنف رحمه الله بقوله « ولا ينبغي أن يُجترأ على مثلها » وهذه الروايات والأخبار ، مستقاة من قصص أهل الكتاب ، من غير تمحيص ولا تحقيق ، وهي مما تتعارض مع « عصمة الأنبياء » التي اتفق المسلمون عليها ، من هذه الأخبار الباطلة ما حكاه بعضهم : « أن داود عليه السلام كان في معبده ذات يوم ، فوقعت عليه حمامة ، فأراد أن يأخذها ، فطارت إلى كوَّة المحراب ، فذهب ليأخذها فطارت ، فاطَّلع من الكوَّة ، فرأى امرأة تغتسل ، فعجب من حسنها ، فحانت منها التفاتة فرأت ظلَّه ، فنقضت شعرها فغطَّى بدنها ، فزاده ذلك إعجاباً بها ، فسأل عنها فقيل : هذا امرأة « أُوريَا » وزوجها غائب في إحدى الغزوات ، فأرسل إلى رئيس الجيش ، أن يحمِّله الراية ويجعله في المقدمة ، حتى =

= يُقتل ، فلما قُتل زوجها ، وانقضت عدتها ، تزوجها داود ، فهي أم ابنه سليمان ، وكان عند داود تسعة وتسعون امرأة غيرها ، فعتب الله عليه فأرسل إليه الملكَيْن بصورة خصمين .. » إلى آخر القصة .

وهذه القصة من الأساطير والأوهام ، التي ينبغي أن تُنزَّه عنها ساحة الرسل الكرام ، فداود عليه السلام من عظماء أنبياء بني إسرائيل ، فكيف ينسب إليه مثل هذا الفعل المشين ، الذي يتورع عنه العامة من الخلق ، فضلاً عن نبي معصوم كريم !!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٥١/٧ : « قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، فالأَوْلى أن يُقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يُرَدَّ علمُها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حقٌّ ، وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضاً » . اهـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ١١٥/٧ بعد أن ذكر القصة من رواية وهب بن منبه والسدي : « وذكر جماعة من المفسرين أن داود لمَّا نظر إلى المرأة سأل عنها ، وبعث زوجها إلى الغزو مرة بعد مرة ، إلى أن قُتل فتزوجها .. قال : وهذا لا يصحُّ من طريق النقل ، ولا يجوز من حيث المعنى ، لأن الأنبياء منزَّهون عنه » .

وقال القاضي عياض في الشفاء : وأما قصة داود عليه السلام ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطَّره الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيَّروا ، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينصَّ الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ، وإلى نفي هذه الأخبار ذهب « أحمد بن نصر » و « أبو تمام » وغيرهما من المحققين ، وقال الداودي : ليس في قصة « داود » و « أوريا » خبرٌ يثبت ، ولا يُظنُّ بنبي محبة قتل مسلم » .

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل ٣٠٨/٢ : « وما قيل إنه أرسل « أوريا » إلى الجهاد مراراً ، وأمر أن يُقدَّم حتى قتل ، فتزوجها داود ، هُراء وافتراء ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : من حدَّث بحديث داود — على ما يرويه القُصَّاص — جلدته مائة وستين جلدة » يريد أنه يضاعف له العقوبة لانتهاك حرمة النبي داود ، ثماني جلدة للقذف ، وثمانين للافتراء والبهتان .

وقال الإمام الخازن في تفسيره لباب التأويل ٤٩/٦ : « اعلم أن من خصَّه الله بنبوته ، وأكرمه برسالته ، وشرَّفه على كثير من خلقه ، وائتمنه على وحيه ، وجعله واسطةً بينه وبين خلقه ، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نُسب إلى آحاد الناس ، لاستنكف أن يُحدَّث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء ، والصفوة الأمناك ذلك ؟! » . =

وأصحُّ ما رُوي في ذلك ما رواه مسروقٌ عن عبدالله بن مسعود قال : « ما زادَ دَاوُدُ ﷺ على أن قال ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ أي انْزِل لي عنها » .

وَروَى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ما زَادَ داودُ على أن قال ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ أي تحوَّلْ لي عنها ، وضُمَّها

= وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٩٣/٧ : « ونعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ، ضرورة أنّا لو جوَّزنا عليهم شيئاً من ذلك ، بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء ممَّا يذكرون أن الله أوحى به إليهم ، فما حكى تعالى في كتابه ، يُمرُّ على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القُصَّاص مما فيه غضٌّ لمنصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر :

ونؤثـرُ حكـمَ العقـلِ في كلِّ شبهةٍ ... إذا آثـرَ الأخبَـارَ جُلَّاسُ قُصَّاصِ »

أقول : والصحيح في موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون ، من أهل الرأي والنظر ، أن داود عليه السلام كان يخصِّص بعض وقته لتصريف شئون المُلْكِ ، وللفصل في الخصومات بين الناس ، ويخصص بعض الوقت والأيام ، للخلوة والعبادة ، وترتيل الزبور تمجيداً للرحمن ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة ، لم يأذن لأحد بالدخول عليه حتى يخرج هو إلى الناس ، وبينا هو في محرابه يتعبد ربه ، في يوم خلوته ، إذ فُوجِئَ بشخصين يتسوران المحراب ، الذي يتعبد فيه ، ففزع منهما وأضمر في نفسه أن يبطش بهما ، فبادرا يطمئنانه أنهما خصمان اختلفا في أمرٍ بينهما مهم ، وبدأ أحدهما فعرض خصومته ــ كما قصَّها القرآن الكريم في آياته البينات ــ والقضية كما عرضها أحد الخصمين ، تحمل في طياتها ظلماً صارخاً مثيراً ، لا يحتمل الجدل ، ومن ثَمَّ اندفع داود عليه السلام يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة ، ولم يوجه للخصم الآخر سؤالاً ، ولم يستفسر منه عن حقيقة الأمر وجليته ، بل أصدر حكمه بقوله ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه إلى ضرورة تثبت القاضي في حكمه ، وألا يحكم إلا بعد سماعه للخصم الآخر ، والله أعلم .

إليّ »[1] .

قال أبو جعفر : فهذا أجلُّ ما رُوي في هذا .

والمعنى عليه : أن داود عليه السلام سأل « أُورِيًّا » أن يُطلِّق له امرأته ، كما يسأل الرجلُ الرجلَ أن يبيعه جاريته ، فنبَّههُ اللهُ جلَّ وعزَّ على ذلك وعاتَبَه ، لمَّا كان نبياً ، وكان له تسع وتسعون ، أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا ، وبالتزيُّد منها[2] ، فأما غيرُ هذا فلا ينبغي الاجتراءُ عليه .

ومعنى ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ إنزلْ لي عنها ، واجعلني كافِلَها .

قال الضحاك : ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ أي قهرني[3] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ **وَعَازَّنِي** ﴾[4] .

---

(١) ذكر هذه الرواية الطبري في جامع البيان ٢٣/١٤٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١١٦ وليس فيها تلك الفرية .

(٢) على هذا القول إنما عوتب على أمر جائز ، كان ينبغي أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ، ومتانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب به غيرهم ، كما قيل « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

(٣) قول الضحاك هذا ذكره الطبري ٢٣/١٤٤ وهو مروي عن قتادة أيضاً والمراد أنه قهره وغلبه في الكلام ، قال في لسان العرب : عزَّه يُعزُّه عَزًّا : قهره وغلَبَه ، وفي التنزيل « وعزَّني في الخطاب » أي غلبني في الاحتجاج .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، وهي قراءة ابن مسعود ، وهي من باب المفاعلة بمعنى غالبني ، وانظر زاد المسير ٧/١٢٠ والقرطبي ١٥/١٧٥ وكذلك قراءة ﴿ وعَزَني ﴾ بالتخفيف من القراءات الشاذة . كما في المحتسب ٢/٢٣٢ .

قال أبو جعفر : يُقال : عازّه اي غالبه ، وعزه اي علبه .

قال الحسن : أي قَهَرهُ في المحاورة .

قال أبو جعفر : ومنه قولهم « من عزَّ بزَّ »[1] .

ومنه قول زهير :

« فَعَزَّتْه يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ »[2]

٢٨ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ لَقَـدْ ظَلَـمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ .. ﴾** [آية ٢٤] .

المعنى : بسؤاله نعجتَكَ كما قال تعالى **﴿ لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ ﴾**[3] .

ومعنى ﴿ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ أي مضمومةً إلى نعاجه .

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ ﴾ .

---

(١) هذا من أمثال العرب ، ومعنى ﴿ من عزَّ بزَّ ﴾ أي من غلب سلب ، والاسم العزة ، وهي من القوة والغلبة كما قال الشاعر :

قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فَبَاتَتْ   تُجاذبُه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

(٢) هذا شطر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٣٠ :

قَلِيلاً عَلَفْنَاهُ فأُكمِلَ صُنْعُهُ   فَتَمَّ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وكَاهِلُهُ

(٣) سورة فصلت آية رقم ٤٩ والشاهد فيها حذف الضمير في قوله ﴿ من دعاء الخير ﴾ أي من دعائه الخير ، كما حذف من الآية هنا ﴿ بسؤال نعجتك ﴾ أي بسؤاله نعجتك .

أي الشركاء ، والخليط : الشريكُ[1] .

٢٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ [آية ٢٤] .

أي أيقن[2] .

وقرأ قتادة ﴿ أَنَّمَا فَتَنَاهُ ﴾ بتخفيف النون ، يعني المَلَكَيْنِ[3] ، وقال : معناه : صَمَدَا له .

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً ﴾ قال أبو الأحوص والحسنُ : خرَّ ساجداً[4] .

وقال مجاهد : سجد أربعين يوماً ، من قبل أن يسأل ربَّه

---

(١) قال في اللسان مادة « خلط » : الخلطاء : الشركاء ، الذين لا يتميز ملك كل واحد منهما ، من ملك صاحبه إلا بالقسمة ، والخليطُ : المخالطُ ، وهو الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه . اهـ.

(٢) الظنُّ في اللغة : يأتي بمعنى الشك وبمعنى اليقين ، تقول : أظن الأمر كذا إذا كنت شاكاً قال في المصباح : الظن خلاف اليقين قاله الأزهري وغيره ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ . اهـ.

(٣) قراءة التخفيف من القراءات الشاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢٣٢/٢ قال : ومعنى « فَتَنَاه » أي اختبراه ، فخبَّراه بما ركبه من التماسه امرأة صاحبه ، وهما المَلَكان الخصمان . اهـ.

(٤) قد يُعبَّر عن السجود بالركوع فقوله تعالى ﴿ وخرَّ راكعاً ﴾ أي خرَّ ساجداً ، قال الشاعر :

فَخَرَّ على وَجْهِهِ راكعاً وتابَ إلى اللهِ من كل ذنب

قال ابن العربي : لا خلاف بين العلماء ، أن المراد بالركوع ههنا السجود ، فإن السجود هو الميل ، والركوع هو الانحناء ، وأحدُهما يدخل في الآخر . اهـ.

شيئاً[1] .

قال سفيان : يُروى أنه أقام أربعين يوماً ، لا يرفع رأسه ، إلاَّ لصلاةٍ ، أو حاجةٍ ، لابدَّ منها[2] .

قال قتادة : ﴿ **وَأَنَابَ** ﴾ أي تابَ[3] .

٣٠ ـ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ [آية ٢٥] .

قال الضحاك : ﴿ **لَزُلْفَى** ﴾ أي منزلةً رفيعة[4] .

قال أبو جعفر : الزُّلفى في اللغة : القُربةُ ، ومنه قولُه تعالى ﴿ **وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ** ﴾[5] ومنه قوله :

مَرَّ اللَّيالِي زُلَفاً فَزُلَفَا
سَمَاوَةَ الهِلالِ حتَّى احْقَوقفا[6]

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٠٣/٥ والألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ .

(٢) الأثر ذكره الألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ والقرطبي في جامع الأحكام ١٨٥/١٥ وابن الجوزي في تفسيره ١٢٣/٧ .

(٣) عبارة الطبري « وأناب » أي رجع إلى رضى ربه ، وتاب من خطيئته . اهـ. ومعنى الإنابة في اللغة الرجوع .

(٤) الزلفى في اللغة : القرب والتقدم قال في المصباح : الزُّلفة والزُّلفى : القربة ، وأزلفه قرَّبه ، ومنه مزدلفة لاقترابها إلى عرفات . اهـ.

(٥) سورة الشعراء آية رقم ٦٤ ومعنى الآية : قرَّبنا هناك فرعون وأتباعه ، حتى دخلوا البحر .

(٦) البيت للعجاج بن رؤبة كما في ديوانه ٤٩٦ ويريد بقوله « زُلَفاً فزُلفاً » يعني منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة ومعنى « احقوقف » أي اعوجَّ ، وذكره ابن منظور في اللسان ، مادة زلف .

أي ساعةً تقرب من أُخرى .

ثم قال ﴿ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال الضحاك : أي وحُسنَ مرجعٍ[1] .

٣١ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

يُقال : إنه من هذا جاز أن يُقال خلفاء[2] .

٣٢ ــ وقوله جل وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ [آية ٢٦] .

﴿ بِمَا نَسُوا يومَ الحِسَابِ ﴾ أي تركوا العمل له ، وكانوا ناسين له ، هذا مذهب السدي[3] .

وقال عكرمة : هذا من التقديم والتأخير ، أي لهم يوَم الحسابِ

---

(١) المآب في اللغة : المرجعُ ، والمنقلبُ ، والمصير ، قال في اللسان مادة « أَوَب » : الأَوْبُ : الرجوع ، آب إلى الشيء : رجع ، وآبَ الغائب يئوبُ إذا رجع ، وفي التنزيل ﴿ وحُسْنَ مآبَ ﴾ أي حسن المرجع الذي يصير إليه في الآخرة ، وكلُّ شيء رجع إلى مكانه فقد آب . اهـ. اللسان .

(٢) يعني المصنف بأن إطلاق لفظ « الخلفاء » على من يتولى شئون المسلمين ، لعله جاء من هذه الآية ﴿ خليفةً في الأرض ﴾ فيجوز إطلاق لفظة « خليفة » على السلطان ، ومنه سمي الخلفاء الراشدون .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٢٤/٧ وابن كثير في تفسيره ٥٤/٧ .

عذابٌ شديد ﴿ بِمَا نَسُوا ﴾ أي بما تركوا أمرَ اللَّهِ عز وجل ، والقضاءَ بالعدل[1] .

٣٣ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴾ [آية ٢٧] .

أي لمَّا قالوا : إنه لا حسابَ ، ولا جنةَ ، ولا نار ، قيل لهم هذا[2] .

ثم قال جل وعز : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [آية ٢٧] .

فأخبرَ أنه يُعذِّبهم على ذلك .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٣/١٥٢ والألوسي في روح المعاني ٢٣/١٨٧ وذكر الحافظ ابن كثير ٧/٥٤ عند هذه الآية هذه القصة : أن الوليد بن عبد الملك سأل إبراهيم أبا زرعة ، فقال له : أيحاسب الخليفة ؟ فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن ، وفقهتَ ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قلْ في أمان ، قلت : يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أم داود ؟ إن الله عز وجل ، جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعَّده في كتابه فقال : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .. ﴾ الآية .

وقصد بقوله « قرأت الكتاب الأول » أي قرأت التوراة ، قال البخاري في التاريخ الكبير ١/٢٨٧ : إبراهيم أبو زرعة وكان من مسلمة أهل الكتاب ، يُعدُّ في الشاميين . اهـ .

(٢) غرض المصنف أن قوله تعالى ﴿ ذلك ظنُّ الذينَ كفروا ﴾ وردت بأسلوب التقريع والتهكم بالكفار ، لإنكارهم البعث ، والحشر ، والحساب ، فهم من حيث أنكروا المعاد ، ظانُّون أن خلق السموات والأرض ، إنَّما هو عبثٌ ، وليس فيه حكمة ، فلذلك قرَّعهم سبحانه ووبَّخهم ، وبيَّن سخافة عقولهم ، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم .

٣٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [آية ٢٩] .

على إضمار هذا[١] .

ثم قال تعالى ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ أي ليفكروا في عواقب ما يكون منه[٢] ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ أي العقول[٣] .

٣٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [آية ٣٠] .

فيه سبعة أقوال :

أ ــ قال ابن المسيب : ﴿ الأَوَّابُ ﴾ : الذي يُذنِبُ ثم يتوبُ ، ثم يُذنبُ ثم يتوب[٤] .

ب ــ وقال سعيد بن جبير : ﴿ الأَوَّابُ ﴾ : المسبِّح[٥] .

جـ ــ وقال قتادة : المطيعُ[٦] .

---

(١) قال في البحر ٣٩٥/٧ : ﴿ كتابٌ أنزلناه ﴾ ارتفع على إضمار مبتدأ ، أي هذا كتاب مبارك أنزلناه .

(٢) أي ليتدبروا آياته البينات ، وما فيها من الإشراقات والأنوار ، وما يُستقى منها من الحِكَم والأحكام ..

(٣) قال القرطبي ١٩٢/١٥ : ﴿ أولو الألباب ﴾ أي أصحاب العقول ، واحدها لبٌّ ، وقد يُجمع على أَلُبّ ، كما جُمع بُؤسٌ على أبؤس . اهـ. قال في المصباح : اللُّبُّ العقل ، والجمع ألبابٌ ، مثل قُفْلٍ ، وأقفال ، ولبُّ كل شيء خالصُهُ ، ومثلُه لُبَابه . اهـ.

(٤ ــ ٦) هذه الآثار كلُّها وردت عن السلف ، كما في تفسير الطبري ١٥٣/٢٣ وابن الجوزي ١٢٧/٧ والقرطبي ١٥٩/١٥ قال ابن الجوزي : وفي « الأوَّاب » أقوالٌ ، أليقُها بهذا المكان : =

د ـ وقال **عُبيدُ بنُ عُمَيْرٍ** : الذي يذكر ذنبه في الخلاءِ ، فيستغفرُ منه[1] .

هـ ـ **وقيل** : الرَّاحمُ[2] .

و ـ **وقيل** : التائب[3] .

ز ـ **وقال أهل اللغة** : الرجَّاع الذي يرجعُ إلى التَّوبةِ[4] .

٣٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد : ﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ من الخيل : التي ترفع إحدى يديها ، وتقف على ثلاث[5] .

وقال الفراء : الصَّافِنُ : القائم[6] .

= أنه رجَّاع بالتوبة إلى الله تعالى ، مما يقع منه من السَّهْو والغفلةِ . اهـ. وقال ابن كثير ٥٥/٧ : الأوَّاب : هو كثير الطاعة ، والعبادة ، والإنابة إلى الله عز وجل .

(١ ـ ٤) هذه الآثار لا تعارض بينها ، وقد ذكرت جميعها في كتب التفسير ، وتكاد تكون راجعة إلى المعنى الجامع ، الذي قاله أهل اللغة ، كما في اللسان مادة « أُوَبَ » قال : أوَّابٌ : كثيرُ الرجوع إلى الله عز وجل من ذنبه ، والأَوْبةُ : الرجوعُ كالتوبة ، والأوَّابُ : التائب ، قال أبو بكر : في الأوَّاب سبعةُ أقوال : الراحمُ ، والتائب ، والمسبِّح ، والمطيع .. إلخ.

(٥) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ٥٦/٧ ولفظه قال مجاهد : « الصَّافنات » هي التي تقف على ثلاث ، وطَرَف حافرِ الرابعةِ ، والجيادُ : السِّراع ، وكذا قال غير واحد من السلف . اهـ.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ وهذا القول الذي ذهب إليه الفراء ورجحه النحاس ، هو قول ابن قتيبة ، كما حكاه في زاد المسير ١٢٧/٧ قال ابن قتيبة : الصافنُ في كلام العرب : الواقف =

وهذا المعروفُ في كلامِ العرب .

قال مجاهد : الجيادُ : السِّرَاعُ[1] .

٣٧ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي** .. ﴾ [آية ٣٢] .

قال الفراء : الخيرُ في كلام العرب ، والخيلُ واحدٌ[2] .

قال أبو جعفر : في الحديث الشريف (الخيلُ في نَواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ)[3] .

فكأنها سميت خيراً لهذا .

وفي الحديث (لمَّا وفد زيد الخيلِ على النبيِّ ﷺ فقال له : أنت زيدُ الخيرِ)[4] .

= من الخيل وغيرها ، قال الفراء : على هذا رأيتُ العربَ ، وأشعارهم تدلُّ على أنه القيامُ خاصة . اهـ.

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره : فأما الجيادُ فهي السِّراع في الجري . اهـ. زاد المسير ١٢٨/٧ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ .

(٣) الحديث أخرجه الدارمي في الجهاد ، وأحمد في المسند ٣٩/٣ ولفظُه « الخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وورد في البخاري بصيغة « الخيرُ معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » وفي الأسلوب النبوي الشريف نفحة من نفحات الجمال ، بين لفظ « الخيل » و « الخير » وهذا ما يسمى عند علماء البيان الجناس غير التام .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦٢/٢ في ترجمة « زيد الخيل » : زيد الخيل بن مهلهل ، وفد في سنة تسع وسمَّاه النبي ﷺ « زيد الخير » ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكبٌ حتى أناخ ، فقال يا رسول الله : إني أتيتُك من مسيرة تسع =

وهو « زيد بن مُهَلْهَل » الشاعر .

قال الفراء : **المعنى** : إني آثرتُ حبَّ الخير[1] .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى : إني أحببتُ حبَّ الخير حبّاً ، فألْهاني عن ذكرِ ربِّي[2] .

قال قتادة : عن صلاة العصر[3] .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾ [آية ٣٢] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى حتى توارث الشَّمسُ[4] ، وأنه قد عُرِف معنى الضمير ، كما قال :

= أسألك عن خصلتين فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا زيد الخيل ، قال : بل أنت زيد الخير .. » الحديث ، وكان شاعراً ، خطيباً ، شجاعاً ، كريماً ، يكنى أبا مكنف . اهـ.

(١) ضمَّن « أحببتُ » معنى « آثرتُ » ولهذا عُدِّي بـ « عن » والمعنى : إني آثرتُ حبَّ الخيل على ذكر ربي ، أو حتى شغلني عن ذكر ربِّي ، وهكذا فسَّره الزجاج ٤/٣٣٠ وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٥ .

(٢) ذكره القرطبي ١٥/١٩٤ وقال : هذا على تقدير مصدر ، أُضيف إلى المفعول : أي أحببت الخير حباً فألهاني .. إلخ.

(٣) هذا قول جمهور المفسرين ، سلفاً وخلفاً ، قالوا : الصلاة التي فاتته هي صلاة العصر ، وانظر ابن كثير ٧/٥٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٧/١٢٩ .

(٤) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكر العشيِّ يقتضيها ، والمعنى : حتى غابت الشمس ، قال القرطبي ١٥/١٩٥ : يعني الشمس ، وهي كناية عن غير مذكور ، كقوله تعالى ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي على ظهر الأرض ، وتقول العرب : هاجت باردة أي هاجت الريح باردة . اهـ.

عَلَى مِثْلِهـا أَمْضِي إِذَا قالَ صَاحِبِـي
أَلَا لَيْتَنِـي أَفْـدِيكَ مِنْهَـا وأَفْتَـــدِي[1]

أي منها ، يعني من الفَلَاة ، ولم يَجْرِ لها ذكر .

قال أبو إسحق : لما قال : ﴿ **بالعَشِيّ** ﴾ كان المعنى بعد زوال الشمس ، فجيء بالضمير على هذا[2] .

ورَوَى أبـو اسحقَ عن الحارث ، عن علـيٍّ رضي اللـه عنـه ، قال : « الصَّلَاةُ التي فرَّط فيها سليمان صلاةُ العصرِ »[3] .

وقيل : حتى توارتْ بالحجاب ، يعني الخيل .

ورَوَى سعيدُ بن مسروق عن عكرمة قال : كانت الخيـلُ التـي شُغل بها سليمانُ ، عشرين ألف فرسٍ ، فَقَطَّعها[4] .

---

(١) البيت لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة « لخولة أطلالٌ ببرقَة ثَهْمَدِ » كما في ديوانه ص ٤٢ .

(٢) هذا القـول هو الأظهـر والأشهـر ، أن الضمير في قولـه ﴿ حتـى توارت بالحجـاب ﴾ يعـود إلى الشمس ،لأنه يُفهمِمن السياق ، كما في قوله تعالى ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ ولم يتقدم للنـار ذكر ، وهذا الذي ذكره المصنف ، قول الزجاج في معانيه ٣٣١/٤ وقد وضَّحه القرطبي فقـال : وقال الزجاج : إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء ، أو دليل الذكر ، وقد جرى ههنا الدليـل وهو ذكر « العشي » وهو ما بعد الزوال . اهـ.

(٣) هذا الأثر عن علي رضي الله عنه ، ذكره الطبري ١٥٥/٢٣ والسيوطـي في الـدر المنثور ٣٠٩/٥ وقال ابن كثير ٥٦/٧ : « ذكر غير واحد من السـلف والمفسرين ، أنه اشتغـل بعرضهـا ، حتـى فاتُه وقت صلاة العصر » . اهـ. وهذا القول أنكره بعض المفسرين وقالوا : تفـويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان ، وإنما شغلته عن ذكر مخصوص ، كان قد اعتاده ويدلُّ عليه قولـه تعـالى « عن ذكر ربِّي » وانظر التسهيل ٤٠١/٢ والفخر الرازي ٢٠٥/٢٦ وصفوة التفاسير ٥٩/٣ .

(٤) هذا قول لبعض المفسرين أن الضمير في قوله تعالى ﴿ حتى توارت بالحجـاب ﴾ يعـود إلى الخيـل =

٣٩ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحَاً بالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾ [آية ٣٣] .

قال الحسن : في قوله تعالى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحَاً بالسُّوقِ والأَعْنَاقِ ﴾ فَقَطَّع أَسْوُقَها وأعْنَاقها[١] ، فأبْدَله اللهُ جلَّ وعزَّ مكانَها خيراً منها[٢] .

وقيل : معنى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً ﴾ : أقبلَ يمسحُهَا بيده ، من غير قتلٍ ، كما رَوَى ابنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : يقول : جعل يمسحُ أعرافَ الخيلِ ، وعراقيبَهَا ، حُبَّاً لَهَا[٣] .

= لا إلى الشمس ، واختاره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٦/٧ حيث قال : والظاهر أن الضمير في « تَوَارَت » عائد على الصافنات ـــ يعني الخيل ـــ أي دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب ، أو توارت في السباق حتى حجبت عن النظر . اهـ.

(١) قيل : كانت عشرين فرساً ذكره الطبري ، وقيل : كانت عشرين ألفاً ، قال ابن كثير وهذا أشبه ، والأثر الذي ذكره المصنف ، رواه أبو حاتم عن إبراهيم التيمي .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/٢٣ وابن الجوزي ١٣١/٧ وابن كثير ٥٧/٧ ولفظ الطبري : وقال الحسن البصري : « قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي ، آخر ما عليك ، فكسف عراقيبها بضرب أعناقها » وهذا قول قتادة أيضاً ، وقال السدي : ضرب سوقها وأعناقها . اهـ.

(٣) هذا القول عن ابن عباس ذكره الطبري ١٥٦/٢٣ وهو رواية أخرى عنه ، واختاره ابن جرير ورجحه ، وقال ما نصه : « وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن ـــ إن شاء ـــ ليعذِّب حيواناً بالعَرْقَبة ـــ أي قطع الركبة والساق ـــ ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته ، بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بذلك . اهـ.

قال الحافظ ابن كثير ٥٧/٧ بعد أن ذكر رواية ابن جرير : « وهذا الذي رجَّح ابن جرير فيه نظر ، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضباً لله عز وجل ، بسبب =

ومن قال : قَتَلَهَا ، فذلك على أنـه ذكاةٌ ، أو أنـه أُبيـح ذلك ، كما رُوي عن عبدالله بنِ عمر ، أنه أعجبَهُ غلامٌ فأعتقه[1] .

٤٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـانَ وَأَلْقَيْنَـا عَلَى كُرْسِيِّـهِ جَسَدَاً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [آية ٣٤] .

قد رُويتْ في ذلك أخبارٌ :

أ ــ **منها** أن شيطاناً غَلَبَ على ملكه أيَّاماً[2] .

= أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى ، عوَّضه الله ما هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رُخاء حيث أصاب ، غدوُّها شهر ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخيرٌ من الخيل . اهـ.

وقال ابن الجوزي في تفسيره ١٣٢/٧ : والمفسرون على القول الأول ، وقد اعترضوا على القول الثاني وقالوا : أيُّ مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة ، وبين مسح أعرافها حباً لها ؟! قال : ولا أعلم قوله « حباً لها » يثبت عن ابن عباس ، وحملوا قول مجاهد « مسحاً بيده » أي تولَّى ضرب أعناقها بنفسه . اهـ.

أقول : وقد انتصر الإمام الفخر الرازي لما ذهب إليه الطبري من أن المراد المسح باليد ، وأنه مسح سوقها وأعناقها إكراماً منه لها ، لأنها آلة الجهاد ، واستبعد رواية الجمهور القائلين بالذبح ، والعقر من ستة وجوه ، فانظر إليها في تفسيره الكبير ٢٠٥/٢٦ ولكن يمكن أن يقال : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقرباً إلى الله ، ولعل كسف العراقيب ليتأتى ذبحها بسهولة ، وأما ما قيل : إنه أتلفها حيث شغلته عن عبادة الله ، فهو قول باطل لا ينبغي أن يُلتفت إليه ، وحاشا نبي الله أن يُتلف مالاً محترماً ، لمجرد أنه شُغل به عن عبادة الله ، وله طريق إلى الانتفاع به بما يُرضي الله ، والله أعلم .

(١) هذا من سيرة السلف الصالح ، أنهم إذا استحسنوا شيئاً وأحبُّوه ، تصدقوا به ، عملاً بقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ الآية .

(٢) هذا القول من الأخبار الإسرائيلية التي لا ينبغي التعويل عليها ، لمخالفتها العقل والنقل ، فإن الله عز وجل لم يجعل للشيطان سلطاناً على عبادة المؤمنين ، حيث قال ﴿ إن عبادي لَيْسَ لك عليهم =

ب ــ ومنها أن الشَّياطينَ قتلتْ ابنَه ، خوفاً من أن يملكهم بعده ، وألقَتْهُ على كرسيِّه ، واللهُ أعلمُ بما كان من ذلك[1] .

والكلامُ يوجب أنه أُزيل ملكه ، فجلس آخرُ على كرسيِّه[2] .

٤١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [آية ٣٥] .

أي أعطني فضيلةً ومنزلة كما قال إبراهيم ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

= سلطان إلا من اتَّبعك من الغَاوِين ﴾ فكيف يجعل له سلطاناً على الأنبياء والمرسلين ؟! وما أشار إليه المصنف هو رواية واهية ، ذكرها بعض المفسرين في كتبهم ، وتتلخص في أن نبي الله سليمان عليه السلام كان له زوجة تسمى « جرادة » وكانت أحبَّ نسائه إليه ، وكان له خاتم فيه اسم الله ، هو خاتم ملكه ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه توقيراً لاسم الله تعالى ، ولم يأتمن أحداً من الناس غيرها ، وأعطاها يوماً خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي الخاتم ، فأعطته إياه ، فجاء حتى جلس على كرسي سليمان ، يأمر وينهى ، والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك ، فسألها أن تعطيه الخاتم ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، فخرج من القصر تائهاً ، ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً ، فأنكر الناس أحكامه ، وألقى الشيطان الخاتم في البحر ، فابتلعته سمكة ، فبينا هو يوماً على شطِّ نهر ، وجد سمكة فأخذها ، فشقَّ بطنها فوجد خاتمه ، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه .. إلى آخر ما هنالك من روايات واهية لا يوثق بها لأنها من أباطيل أهل الكتاب ، قال الحافظ ابن كثير ــ بعد أن أورد بعض تلك الآثار ــ : ولهذا كان في هذا السياق منكرات ، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير عن الشعبي ١٣٥/٧ وهي كسابقتها ضعيفة غير صحيحة .

(٢) ليس لدينا نص صريح قاطع ، يدل على زوال ملك سليمان ، كما قال المصنف .

تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾(1) ؟

٤٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾** [آية ٣٦] .

قال قتادة : الرُّخاء : اللّيِّنةُ(2) .

قال الحسن : الرُّخـــاءُ : ليست بعاصفـــةٍ ، ولا هيِّنـــةٍ ، بين ذلك(3) .

ورَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعـــالى ﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ : قال : مطيعةً حيث أراد(4) .

حَكَى الأصمعيُّ : أصابَ الصَّواب ، فأخطأ الجواب .

أي أراد الصَّوابَ ، وحقيقتُه في اللغة أنه بمعنـــى قَصَد ، من قولهم : أَصبْتَ ، أي قصدتَ فلم تُخْطِىء(5) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

(٢) مأخوذ من الرخاوة وهي اللين ، وانظر الأثـــر في تفسير الـــطبري ٢٣/١٦٠ وابـــن الجوزي ٧/١٤٠ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٦٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٤ .

(٤) الأثـر ذكـره الـطبري ٢٣/١٦١ وأبـو حيـان في البحـر ٧/٣٩٨ وابن الجوري ٧/١٤٠ قال في التسهيـل ٣/٦٥ : فإن قيـل : كيـف قال هنـا ﴿ رُخـــاء ﴾ أي ليِّنـــة ، وقـــال في الأنبيـــاء ﴿ عاصفة ﴾ وهـي الشديـدة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسهـا لينـة طيبـة ، وكانت تسرع في جريها كالعاصف ، فجمعت الوصفين .

(٥) هذا قول الزجاج أيضاً ٤/٣٣٣ أنَّ ﴿ أَصَابَ ﴾ بمعنى أراد ، قال في البحـر ٧/٣٩٨ : أصاب أي « أراد » لغة حمير ، وأنشد الثعلبي :

أَصَابَ الكَـــلَامَ فلـــم يَسْتَطِـــعْ   فَأَخْطَـــا الجَـــوابَ لَدَى المِـــفْصَلِ

٤٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [آية ٣٧] .

أي مَنْ يبني له المحاريب والتماثيل ، ومن يغوص في البحر ، فيخرِجُ الحِلْيَةَ[1] .

وقوله جل وعز : ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : أي في الأغلال[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : صَفَدْتُ الرجلَ إذا شَدَدتَه ، وأصفدتُه : أعطيتُه[3] .

٤٤ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) قال المفسرون : إن سليمان هو أول من استخرج الدُّرَّ ، كانت الشياطين يغوصون أعماق البحار ، فيستخرجون له ، قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره هذه الآية ﴿ والشياطين كل بنَّاء وغوَّاص ﴾ أي منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب ، وتماثيل ، وجفان ، كالجواب ، وقدورٍ راسيات ، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ، التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار ، يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر ، والأشياء النفيسة التي لا توجد إلَّا فيها .

(٢) الأثر ذكره القرطبي عن قتادة ٢٠٦/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٤/٥ عنه قال : مردةُ الشياطين في الأغلال ، وهذا قول أهل اللغة أيضاً قالوا : الأصفاد : السلاسل والأغلال ، واحدها صَفَد ، قال الشاعر :

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبَايَا ... وأُبْنَا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

(٣) قال في اللسان مادة « صفد » : صَفَدتُ الرجل فهو مصفود أي شددته وقيَّدته بالحديد ، وأصفدتُه إصفاداً ، أي أعطيته مالاً ، أو وهبت له شيئاً . اهـ.

قال الحسن والضحاك : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ : المُلْكُ ، فأَعْطِ وامْنَعْ[1] .

وقال قتادة : هؤلاء الشياطينُ ، فاحبسْ من شئتَ ، وسرِّحْ من شئتَ[2] .

وعن ابن عباس : كان له ثلاثُمائةِ امرأةٍ ، وتسعُمائةِ سُرِّيةٍ ، هذا عطاؤنا[3] .

قال أبو جعفر : وأولاها الأولُ ، لأن الأول مشتملٌ على كلِّ ما أُعطي ، وهو عقيب تلك الأشياءِ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٦٢/٢٣ والقرطبي ٢٠٦/١٥ قال : والإشارة بهذا إلى الملك ، أي هذا المُلْكُ عطاؤنا ، فأعطِ من شئت ، وامنع من شئت ، لا حساب عليك ، قاله الحسن والضحاك . اهـ.

أقول : وهو أصحُّ الأقوال في معنى الآية ، قال أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ : ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ إشارة لما أعطاه الله تعالى من المُلكِ الضخم ، وتسخير الريح ، والإنس ، والجنِّ ، والطير ، وأمره بأن يمنَّ على من يشاء ، ويمسك عمن يشاء ، أعلمه تعالى قدر النعمة ، ثم أباح له التصرف فيها بمشيئته ، وهو تعالى يعلم أنه لا يتصرف إلا بطاعة الله . اهـ. وهو اختيار ابن كثير .

(٢) هذا الأثر عن قتادة أخرجه أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ والطبري في جامع البيان ١٦٢/٢٣ وابن الجوزي ١٤١/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/٢٣ عن ابن عباس ، والقرطبي ٢٠٦/١٥ وهو قول ضعيف ، يكاد لا يصحُّ عن ابن عباس ، وقد ذكر الغرناطي في التسهيل ٤٠٤/٣ أن القول الأول أحسن ، وهو قول ابن عباس ، وقال في البحر ٣٩٩/٧ : روي عن ابن عباس أن قوله تعالى ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ : إشارة إلى ما وُهِبَه من النساء ، وأقدره عليهن من جماعهن ، ولعله لا يصح عن ابن عباس ، لأنه لم يجر هنا ذكر النساء ، ولا ما أُوتي من القدرة على ذلك . اهـ.

ورَوَى سفيانُ عن أبيهِ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس ﴿ **فَامْنُنْ** ﴾ أي أعطِ ، ﴿ **أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ : أي أمسِكْ فليس عليك حساب[1] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ **بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ : أي بغير حَرَجٍ .

وقال الحسن : ليس أحدٌ ينعم عليه بنعمةٍ ، إلاَّ وهو يُحاسب عليها ، إلاَّ سليمان ، ثم قرأ ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا** ﴾ أي بغير تقتير[2] .

ويجوز أن يكون بمعنى : لا يُحاسب عليه[3] .

٤٥ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي حسنُ مصيرٍ[4] .

٤٦ ــ **ثم قال جل وعزَّ** ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ ، أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) هذا القول عن ابن عباس يرجح ما ذهبنا إليه أن المراد بالعطاء الملك لا النساء ، وقد ذكره في الدر المنثور ٣١٥/٥ وعزاه إلى مجاهد والحسن البصري .

(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣١٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤١/٧ .

(٣) هذا قول عكرمة كما في الدر المنثور ٣١٥/٥ : قال : ما أعطيْتَ أو أمسكْتَ ، فليس عليك فيه حساب . اهـ.

(٤) هذا تفسير للمآب ، والمآب في اللغة العربية معناه : المرجعُ والمصير ، وأما « الزُّلفى » فمعناها القربة والكرامة ، ومعنى الآية : إن له عندنا لمكانة رفيعة في الدنيا ، وحسنَ مرجع في الآخرة .

ويُروى عن الحسنِ ، والجُحْدرِي ، وأبي جعفر ﴿ بِنَصَبٍ ﴾[1] بفتح النون والصَّاد ، وهما عند أكثر أهل اللغة بمعنى واحد ، كما يُقال : حُزْنٌ ، وَحَزَنٍ ، إلاَّ أن القتبيَّ حكى أنَّ أبا عُبيدة قال : النُّصْبُ : الشَرُّ ، والنَّصَبُ : الإعياء[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : أَنْصَبَه ، يُنْصِبهُ : إذا عذَّبه وآذاه ، ومنه :

« كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ »[3]

قال أبو جعفر : وأحسنُ ما قيل في معنى ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ما رواه يوسفُ بنُ مهران عن ابن عباس قال :

« لمَّا أصابَ أيُّوبَ ﷺ البلاءُ ، أخذ إبليسُ تابوتاً ، وقعد على

---

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات :
الأولى : « نُصْب » بضم النون وإسكان الصَّاد ، وهي قراءة الجمهور ، حفص ، وعاصم ، وأبو بكر .
الثانية : «نَصَب » بفتح النون والصاد ، وهي قراءة يعقوب ، والجحدري .
الثالثة : « نُصُب » بضم النون والصاد ، وهي قراءة أبي جعفر ، وانظر النشر في القراءات العشر ٣٦٢/٢ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٤/٢ فقد فرَّق بينهما من حيث اللغة .

(٣) هذا شطر بيت للنابغة وتمامه كما في ديوانه ص ٤٠ وهو مطلع القصيدة :
كِلينِي لهمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٤/٢ واللسان مادة نصب ، والطبري ١٦٥/٢٣ .

الطريق يداوي النَّاسَ ، فجاءته امرأة أيوب ، فقالت : أتُداوي رجلاً ، به عِلَّةُ كَذَا ، وكَذَا ؟ فقال : نعم بشرطٍ واحد ، على أنيِّ إذا شَفَيْتُه قال لي : أنتَ شفيتَنِي ، لا أريدُ منه أجراً غيرَ هذا .

فجاءت امرأةُ أيُّوبَ إلى أيُّوبَ فأخبرتْهُ ، فقال لها : ذاكِ الشيطانُ ، واللَّهِ لئن بَرْأَتُ لأضربنَّكِ مائةً ، فلما بَرَأَ ، أخذ شِمْرَاخاً[1] فيه مائة ، فضَرَبَها به ضَرْبةً »[2] .

قال أبو جعفر : فمعنى النُّصْبِ على هذا ، هو ما ألقاه إليه ، أي يكون شيئاً وسوس به .

---

(١) الشِّمْراخ : هو عنقود النخيل وهو بمنزلة العنقود في العنب قال في اللسان : الشِّمْراخ والشُّمروخ : العِثْكالِ ـــ أي العنقود ـــ الذي عليه البُسْر ، وأصله في العِذق وجمعه شماريخ .

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ١٤٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٦/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢١٢/١٥ وهي من الإسرائيليات الباطلة .

أقول : وقد رويت آثار كثيرة هي من الأخبار الإسرائيلية ، ضربنا صفحاً عنها ، لأنها لا تناسب مناصب الأنبياء ، الذين نزههم الله ، وعصمهم عن كل ما يشين ، منها أنه أصيب بالجذام ، وأنه مرض حتى تساقط لحمه .. إلخ. قال ابن العربي القاضي فيما نقله عنه القرطبي : ولن يصحَّ عن أيوب في أمره ، إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين : الأولى قوله تعالى ﴿ وأيُّوب إذ نادى ربَّه أني مسَّني الضرُّ ﴾ والثانية في « ص » ﴿ أنّي مسَّنِي الشَّيطان بنُصبٍ وعذاب ﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصحَّ عنه أنه ذكره بحرف واحد ، إلا قوله « بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رِجْلٌ من جراد من ذهب .. » الحديث . وإذ لم يصح عنه فيه قرآن وسُنَّة إلا ما ذكرناه ، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره ؟ أم على أي لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء ، فأعرضْ عن سطورها بصَرَك ، واصْمُمْ عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلَّا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً » . اهـ. نقلاً عن القرطبي ٢١٠/١٥ .

فأمَّا قولُ من قال : إنَّ « النُّصْبَ » ما أصابَه في بَدَنه ، و« العَذَابُ » ما أصابَهُ في مالِهِ ، فبعيدٌ[1] .

قال مجاهدٌ عن ابن عباس : ضَرَبَها بالأَسَلِ[2] .

قال قتادةُ : أخذ عُودًا ، فيه تسعةٌ وتسعون عوداً ، وهو تمامُ المائة ، فَضَرَبها به[3] .

قال مجاهدٌ : هذا له خاصٌّ[4] .

وقال عطاءٌ : هذا لجميعِ النَّاسِ[5] .

قال أبو جعفر : البيِّنُ من هذا أنه خاصٌّ[6] ، لأنه قال

---

(١) قال في تهذيب اللغة : الأسل : نبات له أغصان كثيرة دقيقة ، لا ورق له . اهـ.

(٢) هذا القول مروي عن السدي ، نقله عنه صاحب البحر ٤٠٠/٧ والراجح أن المراد بالنُّصب التعب والمشقة ، وبالعذاب المرض الذي كان يقاسي فيه أنواع الوصب .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٦٩/٢٣ ولفظه قال : « كانت امرأته قد عرضت له بأمر ، وأرادها إبليس على شيء ، فحلف نبي الله لئن شفاه الله ، ليجلدنَّها مائة جلدة ، فأُمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيباً ، والأصل تكملة المائة ، فضربها ضربة واحدة ، فبرَّت يمينه ، وخفَّف الله عن امرأته ، والله رحيم » .

(٤ ـ ٥) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٣١٧/٥ قال ابن الجوزي ١٤٤/٧ : وهل ذلك خاصٌّ له ، أو هو عام ؟ فيه قولان : أحدهما أنه عام ، وبه قال ابن عباس وعطاء ، والثاني أنه خاص لأيوب قاله مجاهد ، وقد اختلف العلماء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط ، فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة ، فقال مالك : لا يبرُّ ، وبه قال أصحابنا ـ يعني الحنابلة ـ وقال أبو حنيفة والشافعي : إذا أصابه بالضربة الواحدة كل واحد منها فقد برَّ ، واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام . اهـ. نقلاً عن زاد المسير .

(٦) ما ذهب إليه المصنف هو الأرجح ، أن ذلك خصوصية لأيوب عليه السلام ، قال المفسرون : =

﴿ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ فأسقطَ عنه الحِنْثَ ، وقال اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ ومن جُلِدَ بشمراخٍ فيه مائةٌ ، فإنما جُلِدَ جَلدةً واحدةً .

٤٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ، وإِسْحَقَ ، وَيَعْقُوبَ ، أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طَلْحَة ، عن ابن عباس ﴿ أُولِي الأَيْدِي ﴾ قال : القوَّةُ ، والعبادةُ ﴿ وَالأَبْصَار ﴾ قال : الفقهُ في دينِ اللّهِ جل وعزّ[1] .

قال أبو جعفر : واحدُ « الأَيْدِي » يدٌ ، واليدُ تقعُ للقُوَّةِ .

وفي قراءة عبدالله بن مسعود : ﴿ أُولِي الأَيْد ﴾ بلا ياءٍ[2] .

= جازاها الله بحسن صبرها على زوجها ، أن أفتاه يضربها بحزمة قضبان ، فجمع لها مائة عود ، فضربها بها ضربة واحدة ، فسهَّل الأمر عليها لتقواها ، ومما يدل على الخصوصية أنه لو جمع في الحدِّ ــ في الزنى أو القذف ــ للمضروب بين الجلدات ، فجلده دفعة واحدة لا يجزئ ، والله أعلم .

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٨ قال الطبري : وذكر الأيدي مَثَلٌ ، وذلك لأن باليد البطش ، وبالبطش تعرف قوة القوي ، وعنى بالبصر بصرَ القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء . اهـ.

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٣ قال الفراء في معاني القرآن ٢/٤٠٦ : وفي قراءة عبد الله ﴿ أولي الأيد ﴾ وفيها وجهان : أحدهما أنه أراد الأيدي فحذف الياء وهو صواب مثل الجوار ، والمناد ، والثاني أن يكون من القوة والتأييد . اهـ.

وهذا بيِّنٌ من قولهم : أيَّدَهُ إذا قوَّاه[1] .

٤٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [آية ٤٦] .

قال قتادة : أي يُذَكِّرون بالآخرة ، وبطاعةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ بيِّنٌ ، أي إنهم يُزهِّدون في الدنيا ، ويُرغِّبون في الآخرة ، وكذا الأنبياءُ صلَّى الله عليهم وسلم .

وقال الضحاك : أي بخوفِ الآخرة[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : أنهم يَذْكُرونَ الآخرةَ ، ويَرْغَبُون فيها ، ويَزْهَدُونَ في الدنيا .

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ وقوله لمحمد ﷺ ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ وقال الطبري ٢٣/١٧١ : وقراءة عبد الله « أولي الأيد » يحتمل أن يكون ذلك من التأييد ، وأن يكون بمعنى « الأيدي » ولكنه أسقط منه الياء ، كما في قوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادي المنادِ ﴾ بحذف الياء . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٣/١٧١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٤٧ قال ابن جرير والمعنى : أنهم كانوا يذكّرون الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، وهكذا قال قتادة : كانوا يدعون إلى الآخرة ، وإلى الله . اهـ.

(٣) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر ٧/٤٠٢ وعزاه إلى مجاهد ، حيث قال ما نصُّه « خلص لهم ذكرهم الدار الآخرة ، وخوفهم لها ، والعمل بحسب ذلك » . اهـ.
أقول : وأولى الأقوال ما رُوي عن عطاء ، ومجاهد ، والسدي : أن المعنى أخلصناهم بذكر الآخرة ، فليس لهم ذكر غيرها ، وليس لهم همٌّ إلا العمل لها ، زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ، وفيما عند الله ، وهذا ما رجحه المصنف ، وهو أظهر الأقوال ، وانظر تفسير ابن كثير ٧/٦٧ والبحر المحيط ٧/٤٠٢ .

وهذا القولُ ظاهرُ معنى الكلمة .

وقد يكون من صفتهم أيضاً الترغيبُ في الآخرة .

وهذان التأويلان على قراءةِ من قرأ بالتنوين[1] .

ومن أضاف قال معناه : أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة .

هذا قول ابن زيد[2] .

والمعنى على هذا القول : أنهم يُذكِّرون بالآخرة ، ويُرغِّبونَ فيها ، ويُزهِّدون في الدنيا .

وفي القراءة بالإضافة قولٌ آخر ، وهو قول مجاهد ، يكون المعنى : إنَّا أخلصناهمْ بأن ذَكَرنا الجنَّة لهم[3] .

٤٩ ـ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ ﴾ [آية ٤٧] .

---

(١) أشار المصنف إلى أن هناك قراءتان : القراءة الأولى ﴿ بخالصةٍ ذكرى الدَّار ﴾ بالتنوين وهي قراءة الجمهور ، والقراءة الثانية بالإضافة ﴿ بخالصةِ ذكرى الدار ﴾ وبها قرأ نافع وحده ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ٢/٥٥٤ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٧١ وأبو حيان في البحر المحيط ٧/٤٠٢ وابن كثير ٧/٦٧ ولفظه : وقال ابن زيد « جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة » . اهـ.وقال الطبري : « بخالصة ذكرى الدار » أي بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ، قاله ابن زيد : قال : والدار هي الجنة ، وقرأ ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُواً في الأرض ولا فساداً ﴾ . اهـ.

(٣) أي ذكرنا لهم الجنة فجدُّوا واجتهدوا في طلبها والعمل لها ، فكانوا بحق عباداً لله ، وقد ذكر هذا المعنى الطبري .

أي هم مصطفَونَ من الذُّنوبِ ، والأدناسِ[1] .

٥٠ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيارِ ﴾ [آية ٤٨] .

قال الأشعري : قيل « ذو الكِفْلِ » لأنه كفل بعمل رجلٍ صالح ، كان يصلِّي في كل يومٍ مائةَ صلاةٍ ، فأثنى اللَّهُ جلَّ وعزَّ عليه بحسن كفالته ، ولم يكن نبيّاً[2] .

وقيل : كَفَلَ لبعضِ الملوك بالجنة ، وكتب له كتاباً بذلك[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي عند تفسيره هذه الآية ١٤٧/٧ ﴿ وإنهم عندنا لمن المُصطفين الأخيار ﴾ أي من الذين اتخذهم الله صفوة ، فصفّاهم من الأدناس ﴿ الأخيار ﴾ الذين اختارهم له . اهـ. وهو أوضح مما قاله المصنف .

(٢) الأثر أخرجه ابن كثير ٣٥٩/٥ والطبري ٧٥/١٧ قال الحافظ ابن كثير : وأما « ذو الكفل » فالظاهر من السياق أنه ما قُرن مع الأنبياء ، إلّا وهو نبي ، وقال آخرون : إنما كان رجلاً صالحاً ، وكان ملكاً عادلاً ، وحكماً مقسطاً ، وتوقّف ابن جرير في ذلك » . اهـ.

أقول : الصحيح أنه من الأنبياء ، من أنبياء بني إسرائيل ، فإن ذكره في جملة الأنبياء ، الذين أثنى الله عليهم ذلك الثناء العاطر ، واختارهم من بين سائر الخلق ، وذكر أنهم من الصفوة الأخيار ، دليل على نبوته ، وهذا مذهب الجمهور ، والله أعلم .

(٣) هذا الأثر ذكره القرطبي في تفسيره عن كعب ٣٢٨/١١ ولفظه : « كان في بني إسرائيل ملك كافر ، فمرَّ ببلاده رجل صالح ، فقال : والله لا أخرج من هذه البلاد حتى أعرض على هذا الملِك الإسلام ، فعرض عليه ، فقال : ما جزائي ؟ قال : الجنة ـــ ووصفها له ـــ قال : من يتكفّل لي بذلك ؟ قال : أنا ، فأسلم الملك وتخلى عن المملكة ، وأقبل على طاعة ربه حتى مات ، فدُفن في قبره ، فأصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر ، وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بنور أبيض : إن الله قد غفر لي ، وأدخلني الجنة ، ووفى عن كفالة فلان ، فسُمِّيَ ذا الكفل اهـ.

والكِفْلُ في اللغة : النَّصيبُ ، والحظُّ .

٥١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [آية ٤٩] .

﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ أي شرفٌ ، وذكر حَسَنٌ في الدنيا(١) .

ثم قال ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسنَ مَآبٍ ﴾ أي لهم مع الذِّكرِ الحسنِ في الدنيا ، حسنُ مرجعٍ في الآخرة .

٥٢ ــ ثم بيَّن ذلك فقال ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَاب ﴾ [آية ٥٠] .

أي أبوابها(٢) .

٥٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [آية ٥٢] .

رَوَى سعيد عن قتادة قال : قَصرْنَ طرفهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يُردن غيرهم(٣) .

قال أبو جعفر : وأنشد أهلُ اللُّغةِ :

---

(١) قوله تعالى ﴿ هذا ذكر ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة ، من ذكر أخبار الأنبياء ، وكأن قوله ﴿ هذا ذكر ﴾ ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر فقال ﴿ وإن للمتقين .. ﴾ كما يُتم المؤلف باباً ، ثم يقول : فهذا باب ، ثم يشرع في آخر .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٨/٢ : إنما رُفعت الأبواب لأن المعنى : مفتَّحةً لهم أبوابها ، والعرب تجعل الألف واللام خَلفاً من الإضافة ، فيقولون : مررت على رجل حسن العين ، قبيح الأنف ، والمعنى : حسنةٌ عينه ، قبيح أنفه . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٧/٧ والطبري في جامع البيان ١٧٤/٢٣ والقرطبي في=

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْـوِلٌ
مِنَ الذَّرِّفَــوْقَ الإِتْبِ مِنهَـــا لَأَثَّرا(١)

الإِتْبُ : الجلدُ(٢) .

ثم قال تعالى ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ .

قال قتادة على سِنٍّ واحدةٍ(٣) .

قال مجاهد : أي أمثالٌ(٤) .

وَحَكَى السُّدِّيُ : متواخياتٌ ، لايتعادَيْنَ ، ولا يتغايَرْنَ(٤) .

٥٤ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [آية ٥٤] .

أي انقطاع .

= الجامع لأحكام القرآن ١٥/٨٠ والمعنى أنهن متحببات إلى أزواجهن ، قد قصرن نظرهن عليهم ، ولا تطمح أعينهن إلى غيرهم ، تعففاً وحسن صحبة .

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٦٨ ، وانظر تهذيب الأزهري ٨/٣٥٩ ، ولسان العرب مادة قصر ، واستشهد به القرطبي ١٥/٢٢٠ والمُحْوِلُ : الذي أتى عليه الحول ، وهو كناية عن الصغير ، يقول : لو مرت ذرة صغيرة على ثوبها لأثرت في جلدها لنعومتها ورقة بشرتها .

(٢) أصل الإتب في اللغة : ثوب رقيق له جيب ، وليس له كمَّان ، ويسميه العرب : البَقِيرة ، كذا في اللسان ، والقاموس .

(٣ ــ ٤) ذكرهما الطبري ٢٣/١٧٥ وأبو حيان في البحر ٧/٤٠٥ قال : ﴿ أتراب ﴾ أمثال على سنٍّ واحدة ، قال الزجاج ٤/٣٣٨ : والأتراب : اللواتي أسنانهن واحدة ، وهنَّ في غاية الشباب والحسن . اهـ.

(٥) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٧٥ عن السدي ولفظه : ﴿ أتراب ﴾ مستويات ، متواخيات ، لا يتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرن ، ولا يتحاسدن . اهـ.ومراده أنهن على أكرم الخصال ، ليس فيهن بغضاء ، ولا عداوة ، ولا حسد .

قال **السدي** : كلَّما أُخذ منه شيءٌ ، عاد مثلُه[1] .

٥٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾** [آية ٥٧] .

يجوز أن يكون المعنى : هذا حميمٌ وغسَّاقٌ ، فلْيذُوقوه .

ويجوز أن يكون المعنى : هذا فلْيذوقوه ، منه حميم ، ومنه غسَّاقٌ[2] ، كما قال الشاعر :

لَهَـا مَتَـاعٌ وأَعْـوَانٌ غَدَوْنَ لَهَـا
قِتْبٌ ، وَغَرْبٌ إِذَا مَا أُفْرِغَ انْسَحَقَا[3]

قال قتادة : كنا نُحَدَّثُ أن الغَسَّاق : ما يسيلُ من بين الجلدِ ، واللحم[4] .

قال الفراء : ــ وهو مذهب الضحاك ــ قيل : الغسَّاقُ شيءٌ

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٧٥/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٨/٧ قال القرطبي ٢٢٠/١٥ والآية دليل على أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع كما قال تعالى ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وقال : ﴿ أكلها دائم وظلُّها ﴾ .

(٢) وضَّحه الفراء في معاني القرآن ٤١٠/٢ فقال : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : هذا حميم وغسَّاق فليذوقوه ، وإن شئت جعلت الحميم مستأنفاً ، وجعلت الكلام قبله مكتفياً ، كأنك قلت : هذا فليذوقوه ، ثم قلت منه حميم ، ومنه غساق .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص ٣٩ يصف الناقة التي يُستقى عليها الماء ، والغَرْبُ : الدَّلْو العظيمة ، والقِتبُ بالكسر : أداة السقي ، وقد استشهد به القرطبي في تفسيره ٢٢١/١٥ .

(٤) انظر الطبري ١٧٧/٢٣ وابن الجوزي ١٥٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٨/٥ .

باردٌ ، يُحرق . كما يُحْرِقُ الحميمُ[1] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أولىٰ ، لأنه يُقال : غَسَقَتْ عينُهُ : إذَا سالتْ .

وقال ابن زيد : الحميمُ : دموعُ أعينهم ، يُجْمعُ في حياضِ النَّارِ ، يُسْقَوْنَه[2] .

والغسَّاقُ : الصَّديدُ الذي يخرجُ من جلودهم .

والاختيار على ذلك ﴿ **غسَّاقٌ** ﴾ حتَّى يكون مثل سَيَّال[3] .

٥٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [آية ٥٨] .

---

(١) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/٤١٠ بلفظه ثم قال : ويُقال إنه ما يغسِق ، ويسيل من صديدهم وجلودهم . اهـ.

أقول : قول قتادة أقرب وأظهر ، وهو أشبه باللغة ، قال في لسان العرب : غَسَقَ الجُرْحُ غَسْقاً : أي سال منه ماء أصفر ، قال الشاعر :

إذَا مَا تَذَكَّرْتُ الحَيَاةَ وطِيبَهَا … إلَيَّ جَرَى دَمْعٌ من اللَّيلِ غَاسِقُ

فمعنى الغاسق : السائل ، وهو كما قال محمد بن كعب : عصارة أهل النار ، وما يسيل من جلودهم ، من الصَّديد والدم ، وهو ما رجحه الطبري ٢٣/١٧٧ .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٧٦ والقرطبي ١٥/٢٢٢ عن ابن زيد ، وهو خلاف ما اشتهر عند المفسرين أن الحميم هو : الماء الحارُّ الذي تناهى حرُّه ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميماً فقطَّع أمعاءهُم ﴾ وقوله ﴿ يَطُوفون بينها وبين حميم آن ﴾ أي قد بلغ أقصى غاية الحرارة .

(٣) نبَّه المصنف على أن قراءة ﴿ غَسَّاق ﴾ بالتشديد هي القراءة المختارة ، وهي قراءة الجمهور ، لتكون بمعنى سيَّال لغةً ووزناً ، وقراءة التخفيف ﴿ غَسَاق ﴾ قراءة نافع ، وابن كثير ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥ .

وقرأ مجاهد ، وأبو عمروٍ بن العلاء ﴿ **وَأُخَرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾[1] .

وأنكرَ أبـو عَمْـروٍ ﴿ **آخَـرُ** ﴾ لقولـه ﴿ **أَزْوَاجٌ** ﴾ أي لا يُخبر عن واحدٍ بجماعة .

وأنكـر عاصمٌ الجحـدريُّ ﴿ **وَأُخَـرُ** ﴾ قال : ولـو كانت ﴿ **وأُخَرُ** ﴾ **لكان من شكلها** .

قال أبو جعفر : كِلَا الرَّدَّيْن لايلزمُ ، لأنه إذا قرأ ﴿ **وأُخَرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾ جاز أن يكون المعنى : وأُخَرُ من شكل ما ذكرنا .

وأُخَرُ من شكل الحميم .

وأُخَرُ من شَكْلِ الغَسَّاق .

وأن يكون المعنى : وأُخَرُ من شكل الجميع .

ومن قرأ ﴿ **وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾ فقراءتُه حسنةٌ[2] ، لأن المعنى للفعل ، وإذا كان المعنى للفعل ، خُبِّر عن الواحد باثنين ، وجماعة ، كما تقول :

---

(١) قرأ أبو عمرو وحده ﴿ وأُخَرُ ﴾ بالجمع ، وقرأ بقية القراء ﴿ وآخَرُ ﴾ بالإفراد والمدّ ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٦١ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥ .

(٢) القراءتان سبعيتان كما أسلفنا ، وقراءة الجمهور ﴿ وآخَرُ ﴾ تفيد أن لهم عذاباً من حميم وغساق ، وعذاباً آخر سوى الحميم والغساق ﴿ من شكله ﴾ أي من نحوه ومثله ، من الزمهرير ، والسَّموم ، وأكل الزقوم ، وغير ذلك .

عذابُ فلانٍ ضربان ، وعذابهُ ضُرُوبٌ شتَّى[1] .

ويجوز أن يكون ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ لحميم ، وغسَّاقٍ ، وآخَر[2] .

قال قتادة ﴿ مِنْ شَكْلِهِ ﴾ : من نَحْوِه[3] .

قال يعقوبُ : الشَّكْلُ : المِثْلُ ، والشِّكْلُ : الدَّلُّ[4] .

قال عبدُاللهِ بن مسعود : ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ : الزَّمهريرُ[5] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، قال : حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفراني ، قال : حدثنا إسماعيلُ بن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ قال : ألوانٌ من العذاب[6] .

---

(١) هذا ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن ٢/٤١١ حيث قال : إذا كان الاسم فعلاً ، جاز أن يُنعت بالاثنين ، والجمع ، كقولك في الكلام : عذابُ فلان ضروبٌ شتى ، وضربان مختلفان ، وهذا بيِّنٌ ، ومن قرأ ﴿ وأُخَرُ ﴾ كأنه ظنَّ أن الأزواج ، لا تكون من نعتِ الواحد . اهـ.

(٢) يعني يكون لفظ الجمع « أزواج » مطابقاً للموصوف الذي هو جمع ، وهو الحميم ، والغساق ، وللعذاب الآخر ، فتكو قد تطابقت الصفة مع الموصوف ، كما يشترط علماء النحو ، وعلى ذلك خرجه المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٧٩ وهو قول ابن عباس وابن زيد قال : والشَّكْل : الشبيه .

(٤) قال في المصباح : الشَّكْلُ : المِثْل ، يقال : هذا شكل هذا ، والجمع شكول ، وأشكال ، والشِّكْلُ : الذي يشاكل غيره في طبعه ووصفه ويشابهه ، وامرأةٌ ذات شِكْل أي دلُّ . اهـ. أي دلال ، وهو حُسن الحديث ، وحسن الملاعبة ، والممازحة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود ٢٣/١٧٨ والقرطبي كذلك ١٥/٢٢٣ .

(٦) انظر الطبري ٢٣/١٧٩ والقرطبي ١٥/٢٢٣ قال ﴿ أزواج ﴾ أي أصناف وألوان من العذاب ، قال في التسهيل ٢/٤٠٨ : والأزواج معناه الأصناف أي أصناف من العذاب .

٥٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ [آية ٥٩] .

﴿ هَذَا فَوْجٌ ﴾ أي جماعةٌ وفرقة ﴿ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ﴾ أي شيءٌ بعد شيءٍ ﴿ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ .

[﴿ لاَ مَرْحَباً ﴾ بمعنى : لا أصبتَ رَحْباً أي سعةً ، بمعنى لا اتَّسعتْ منازلُهم في النار][1] .

الفرَّاءُ يذهب إلى أنَّ الكلام معترض ، وأن المعنى : قالوا لا مرحباً بهم[2] .

٥٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ﴾ [آية ٦١] .

قال عبدالله بن مسعود : يعني الحيَّاتِ والأفاعي[3] .

---

(١) ما بين المعترضيْن تفسير للآية ، وقد سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من إعراب القرآن للنحاس ، ومن تفسير القرطبي .

(٢) يريد المصنف أن في الآية جملة اعتراضية وهي قوله « لا مرحباً بهم » والأصل أن الكلام متصل في الآية وهو ﴿ هذا فوج مقتحم معكم إنهم صالوا النار ﴾ فاعترضت جملة ﴿ لا مرحباً بهم ﴾ من قول أهل النار ، وهو كقوله تعالى ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وانظر معاني الفراء ٤١١/٢ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود ٣١٨/٥ والقرطبي ٢٢٤/١٥ وفي البحر المحيط ٤٠٧/٧ ولفظه : الضعف : حيات وعقارب ، والظاهر من الآية العموم ، أي طلب زيادة العذاب ومضاعفته لهم ، فقد دعا الأتباع أن يضاعف الله العذاب للرؤساء ، لأنهم كانوا سبب ضلالهم ، فهو كما في الآية ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ والضعف في اللغة : زيادة المثل .

٥٩ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ . اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّاً ﴾ [آية ٦٢ ، ٦٣] .

ويُقرأ ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ ﴾ ؟ على الاستفهام .

وفي القراءة الأولى قولان :

أحدهما : وهو قول الفراء : أنها على التوبيخ والتعجُّبِ ، قال : والعربُ تأتي بالاستفهام في التوبيخ والتعجب ، ولا تأتي به[٢] .

والقـول الآخر : وهو قولُ أبي حاتم[٣] أن المعنى : وقالوا مالنا لا نرى رجالاً اتَّخَذْنَاهم سِخْرياً ؟ يجعله نعتاً للرجال[٤] .

---

(١) في الآية قراءتـان سبعيتـان : الأولى قراءة حمزة والكسائي ﴿ اتَّخذناهم ﴾ بألف موصولة على الخبر . والثانية قراءة الجمهور « ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر » ﴿ أتَّخذناهم ﴾ بقطع الألف على الاستفهام .

وعلى القراءة الثانية يقول المشركون وهم في جهنم : ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعدهم من الأشرار ؟ يعنون بهم المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عباس : يقول أبو جهل وأمثاله : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أولئك في الفردوس ! واعجبا لأبي جهل مسكين أسلم ابنه عكرمة ، وابنته جويرية ، وأسلم أخوه ، وأمه ، وكفر هو ؟! وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٥٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١١/٢ ولفظه : وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ، فهو يجوز بالاستفهام وطرحه . اهـ.

(٣) هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ أخذ عنه المبرد وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٤) المعنى على رأي السجستاني والإمام النحاس : ما لنا لا نرى رجالاً أشراراً ، جعلناهم سخرية واستهزاء في الدنيا ، فيكون في محل نصب صفة لـ ﴿ رجالاً ﴾ قال ابن الأنباري : وهذا خطأ لأن النعت لا يكون ماضياً ، ولا مستقبلاً . اهـ.

ومعنى « سُخْرِي » و« سِخْري » عند أكثرِ أهلِ اللغةِ واحدٌ ، إلاَّ أبا عَمْروٍ[1] ، فإنه زعم أن ﴿ سِخْرِيًّا ﴾ يسخرون منهم ، و﴿ سُخْرِيًّا ﴾ يُسخِّرونهم ويستذلُّونهم[2] .

٦٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴾ [آية ٦٣] .

رَوَى ليثٌ عن مجاهد ﴿ وَقَالُوا مَالَنَا لاَنَرَى رِجَالاً ﴾ قال : قال أبو جهلٍ والوليدُ بنُ المغيرة ﴿ مَالَنَا لاَنَرَى رِجَالاً ﴾ ؟ قال : قالوا : أين سلمانُ ؟ أينَ خَبَّابٌ ؟ أينَ بلالٌ ؟ أين عمَّارٌ[3] ؟ .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِياً ﴾ فأخطأنا ، أمرهم في النَّارِ فزاغتْ أبصارُنَا عنهم[4] ؟ .

---

(١) أبو عمروٍ هو : « أبو عمرو بن العلاء المازني » النحوي ، من كبار علماء اللغة ، والقراءات المتوفى سنة ١٥٤هـ وانظر تقريب التهذيب ٢/٤٥٤ .

(٢) قال في التهذيب : « سُخْرِيًّا » من السُّخرة و « سِخْرياً » من الهزء ، وهو قول ابن سلَّام . اهـ.
أقول : وإليه ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٧ وقد جاء التفريق في القرآن الكريم بين الضم والكسر ، فقال سبحانه في سورة المؤمنون ﴿ فاتَّخذتموهم سِخْرياً حتى أنسَوْكم ذكري ﴾ بالكسر بمعنى السخرية والاستهزاء ، وفي سورة الزخرف ﴿ ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سُخْرياً ﴾ بالضم بمعنى التسخير والخدمة ، وبعضهم يرى أن الضم والكسر بمعنى واحد ، لا فرق بينهما ، كما ذكره الإمام النحاس هنا .

(٣) انظر الطبري ٢٣/١٨١ وابن كثير ٧/٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٩ كلهم عن مجاهد .

(٤) الأثر ذكره القرطبي عن مجاهد ١٥/٢٢٤ ولفظه : وقال مجاهد : اتخذناهم سخرياً في الدنيا ، أم زاغت عنهم أبصارنا فلم تعلم مكانهم ؟ . اهـ. فعلى هذا القول تكون « أو » للتسوية والمعادلة ، وهذا ما اختاره أبو جعفر النحاس .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ حسنٌ ، لأنَّ « أَمْ » للتَّسوية ، فصار المعنى على قوله : أأخطأنا ، أم لم نُخطِئْ .

وقيل : هي بمعنى « بَلْ »(١) .

والقراءةُ بوصلِ الألِف ، بيِّنةٌ حسنةٌ .

٦١ ــ **وقوله جل وعزَّ** : ﴿ **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ** ﴾ [آية ٦٨] .

قال مجاهد : يعني القرآن(٢) .

٦٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالمَلَأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ [آية ٦٩] .

قال الحسن : يعني الملائكةَ(٣) ، اختصموا ــ كما أخبر تعالى عنهم بقوله ــ ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ**

---

(١) ذكر هذا الوجه من التأويل المفسرون ، فقال القرطبي ١٥/٢٢٥ : إذا قرئت بالاستفهام كانت « أم » للتسوية ، وإذا قرئت بغير الاستفهام فهي بمعنى « بل » ويصبح المعنى : بل زاغت عنهم الأبصار ، وقال الطبري ٢٣/١٨٢ : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجّه معنى قوله ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ إلى معنى : بل زاغت عنهم . اهـ .

(٢) قول مجاهد ذكره الطبري ٢٣/١٨٣ والقرطبي ١٥/٢٢٦ ولفظه : وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : يعني : القرآن الذي أنبئكم به ، خبر جليل ، عظيم المنفعة ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ واختار بعضهم العموم من الحساب والثواب ، والعقاب ، والإيمان بالوحدانية والرسالة ، وأن هذه الأمور من الأخبار العظيمة ، التي لا يعرض عن مثلها إلا غافل شديد الغفلة .

(٣) هذا هو الصحيح الراجح من أقوال المفسرين أن المراد بالملأ الأعلى : الملائكة الأبرار الأطهار .

طِينٍ ﴾ .

أي حين خلق آدم عليه السلام بيده[1] .

قال أبو جعفر : وفي الحديث (يختصمون في الكفّارات : وهي إسباغُ الوضوءِ في المكارهِ ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ)[2] .

قال أبو جعفر : المَلأُ في اللغة : الأشرافُ والأفاضلُ ، كأنهم مليئون بما يُسند إليهم[3] .

وقد قيل : يجوز أن يكون يعني بالملأ الأعلى ههنا : الملائكةُ ، ﴿ **إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ يعني قريشاً ، لأن منهم من قال : الملائكةُ بناتُ

(١) المقصود من الآية الاحتجاج على كفار قريش بأن ما جاء به الرسول ﷺ دليل واضح على نبوته ، فإن علم أخبار السماء ، لا يعرفه أحد من البشر ، إلا أن يكون رسولاً يُوحى إليه من عند الله ، فعلمه صلوات الله عليه بأحوال أهل النار ، وابتداء خلق آدم ، وغير ذلك من أخبار العالم العلوي ، لم يكن إلا بوحي من عند الله عز وجل له ، وهذا أكبر برهان على صدق رسالته ، وصحة القرآن ، فلولا الوحي الإلهي لم يكن لمعرفة ذلك سبيل ، والإشارة إلى اختصام الملائكة في قصة آدم هي قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .. ﴾ الآية .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٣٢٣٣ وأحمد في المسند ٢٤٣/٥ (أتاني ربي في أحسن صورة ــ أي في المنام ــ فوضع يده بين كتفيَّ ، حتى وجدتُ بردها بين ثدييَّ ، ثم قال يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم يختصمون في الكفارات ..) الحديث .

(٣) الملأ في اللغة : هم أشراف القوم ووجهاؤهم الذين يُرجع إلى قولهم ، سمُّوا ملأ لأنهم يملاون العين رواء ، والنفوس جلالة وبهاء ، وانظر روح المعاني للألوسي ٢٢١/٢٣ ولسان العرب لابن منظور .

اللهِ جلَّ وعز ، فأعلم الله جلَّ وعزَّ النبيَّ ﷺ ذلك ، وأعلمه أنهم عبادهُ ، وأنهم ﴿ لَايَسْتَكبِرُون عن عبادِتهِ ولا يَسْتَحسِرون ﴾[1] .

وقيل : يجوز أن يُراد بالملأ الأعلى ههنا : أشرافُ قريشٍ ، إذ يختصمون فيما بينهم ، فيوحي اللهُ عز وجل إلى النبي ﷺ بذلك ، واللهُ أعلمُ بما أرادَ[2] .

وأولى ما قيل فيه ، ما قاله ابن عباس والسُدّي وقتادة : أنَّ الملأ الأعلى ههنا الملائكةُ ، اختصموا في أمر آدم عليه السلام حين خُلق ، فقالوا : لا تجعلْ في الأرض خليفة ؟[3]

٦٣ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إنْ يُوحَى إِلَيَّ إلاَّ أَنَّمَا أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٩ وما ذكره المصنف وجه من وجوه التفسير ، ولكنه ضعيف ، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٩/٧ وابن جزي في التسهيل ٤١٠/٣ فقال : والضمير في ﴿ يختصمون ﴾ للملأ الأعلى ، وقيل : للكفار أي يختصمون في الملأ الأعلى ـ يعني الملائكة ـ فيقول بعضهم : هم بنات الله ، ويقول آخرون : هم آلهة تُعبد ، وهذا بعيد . اهـ.

(٢) هذا القول أضعف من سابقه ، وقد ذكره القرطبي ٢٢٧/١٥ أن المراد اختصام قريش فيما بينهم سراً ، فأطلع الله نبيه محمد ﷺ على ذلك .. إلخ.

أقول : الصحيح رأي الجمهور ، وهو قول قتادة ، وابن عباس ، والسدي ، واختاره الحافظ ابن كثير حيث قال ٧١/٧ : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ إذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم ، وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجَّته ربه في تفضيله عليه . اهـ.

(٣) هكذا وردت في المخطوطة ، والنص القرآني ﴿ قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؟ البقرة آية رقم ٣٠ .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ إنذارُ .

وأن يكون المعنى : إلاَّ بأنما أنا نذيرٌ مبين(١) .

٦٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُـمْ أَجْمَعُـونَ . إلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحاك قال ابن عباس : كان إبليسُ من أشرافِ الملائكة ، وكان خازنَ الجِنَانِ ، وكان أميناً على السَّماءِ الدنيا والأرضِ ومن فيهما ، فأعجبته نفسُه ، ورأى أنَّ له فَضلاً على الملائكة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ إلاَّ اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، فلما أمر الله جلَّ وعزَّ المَلائكة بالسجود لآدم ، امتنع وظهر تكبُّره(٢) .

---

(١) هذا توجيه الفراء في معاني القرآن ٢/٤١١ حيث قال : إن شئت جعلت « أنما » في موضع رفع ، كأنك قلت : ما يُوحى إليَّ إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يُوحى إليَّ إلا لأني نذير ونبي . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١/٢٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١/٥٠ وفي هذا الأثر نظر ، فإن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما هو من الجن ، وإليه ذهب المحقِّقون من المفسرين ، وقد ذكرنا في كتابنا « صفوة التفاسير » ١/٥٢ خمسة أدلة على أنه لم يكن من الملائكة ، نجملها في الآتي :

١ ــ الملائكة منزهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ وإبليس قد عصى أمر الله تعالى عمداً وجهاراً ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ .

٢ ــ الملائكة خُلقت من نور ، وإبليس خلق من نار ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فالطبيعة في الخلق مختلفة .

٣ ــ الملائكة لا تزاوج بينهم ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فليس لهم نسل وذرية بخلاف الشياطين ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌّ ﴾ . =

٦٥ ـــ وقوله جلّ وعزّ ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [آية ٧٨] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ : إلى اليوم الذي يُدان فيه الناسُ بأعمالهم(١) .

قال أهل التفسير : ﴿ رَجِيمٌ ﴾ أي ملعونٌ ، والمعنى : مرجومٌ باللعنة .

٦٦ ـــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [آية ٨١] .

ومعناه إلى يوم الوقت المعلوم ، الذي لا يعلمُهُ إلاَّ اللَّهُ جلَّ وعز .

= ٤ـــ النص الصريح القاطع أن إبليس من الجن وذلك في سورة الكهف ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ .

٥ـــ قول الحسن البصري وهو من كبار المفسرين من التابعين : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وبهذه الأدلة تنجلي غياهب الشك ، والتردد في أمر إبليس اللعين ، وتطمئن النفوس إلى أنه كان من الجنّ المتمردين ، وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير حيث قال ٧٢/٧ : سجد الملائكة إلا إبليس ، ولم يكن منهم جنساً ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته ، فاستنكف عن السجود لآدم ، وخاصم ربه فيه . اهـ .

(١) الدين في اللغة : الجزاء والحساب ، والمراد بيوم الدين في الآية يوم القيامة ، لأنه اليوم الذي يُجازى فيه كل إنسان على ما قدَّم ، وفي الحديث (كما تدين تُدان) .

٦٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٨٥] .

ويُقرأ بنصبِ الأول[1] .

وحَكى الفراء أنه يجوز الخفضُ في الأول[2] .

قال أبو جعفر : رفعُه على ثلاثةِ معانٍ :

أ ــ رُوِي عن ابن عباس : فأنا الحقُّ[3] .

ب ــ وَرَوَى أَبَانُ بنُ تَغْلِبَ عن الحَكَم عن مجاهد قال : فالحقُّ مني ، وأقولُ الحقَّ[4] .

جـ ــ والقول الثالث : على مذهب سيبويه والفراء بمعنى : فالحقُّ لأملأنَّ جهنم ، بمعنى فالحقُّ أن أملأَ جهنَّمَ .

وكذا يقول سيبويه في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

(١ــ ٢) قراءة النصب ﴿ فالحقَّ والحقَّ أقول ﴾ هي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم وحمزة ﴿ فالحقُّ والحقَّ أقول ﴾ بالضمِّ في الأول ، والفتح في الثانية ، وكلاهما من القراءات السبع ، كما ذكره ابن مجاهد في السبعة ص ٥٥٧ ، وابن الجزري في النشر ٣٦٢/٢ وأما قراءة الجر في الأول ﴿ فالحقِّ ﴾ فليست من القراءات السبع ، وانظر معاني الفراء ٤١٢/٢ .

(٣ــ ٤) الأثران ذكرهما الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ١٨٧/٢٣ ، قال : وفي قراءة الرفع وجهان :

أحدهما : رفعُه بضمير تقديره : أنا الحقُّ ، وأقولُ الحقَّ .

والثاني : أنه مرفوع بتأويل الفعل ﴿ لأملأنَّ ﴾ وتقديره : الحقُّ أن أملأ جهنم منك . اهـ.

رَأَوا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ ﴾[1] .

والنصبُ بمعنى : فالحقَّ قلتُ ، وأقولُ الحقَّ .

وقد قال أبو حاتم[2] : المعنى : فالحقَّ لأملأنَّ ، أي فحقاً لأملأنَّ .

وقال قولاً آخر وهو أن المعنى : فأقول الحقَّ ، والحقَّ لأملأنَّ .

والأَوْلى في النصب القولُ الأوَّل ، وهو مذهبُ أبي عُبَيدة[3] .

والخفضُ بمعنى القَسَم ، حَذَفَ الواوَ ، ويكونُ الحقُّ للَّهِ جلَّ وعز .

وقد أجاز سيبويه : اللَّهِ لأفعلنَّ ، إلاَّ أنَّ هذا أحسنُ من ذاكَ ، إلاَّ أن الفاء ههنا تكون بدلاً من الواو[4] ، كما تكون بدلاً من الواو في قوله :

فمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ
فأَلْهَيْتُها عن ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[5]

(١) سورة يوسف آية رقم ٣٥ ووجه الشاهد في الآية أن فاعل ﴿ بَدَا ﴾ جملة ﴿ ليسجُنَنَّهُ ﴾ أي بدا لهم سجنُه حتى حين .

(٢) أبو حاتم : هو الإمام اللغوي « سهل السجستاني » المتوفى سنة ٢٥٥ وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٧/٢ .

(٤) أراد المصنف أن الفاء في قوله ﴿ فالحقِّ والحقَّ أقول ﴾ تكون للقسم كالواو ، واستشهد ببيت الشعر .

(٥) البيت من معلقة امرىء القيس المشهورة « قِفَا نَبْكِ » وانظر ديوانه ص ١٤ وشواهد المغني ٤٠٢/١ .

٦٨ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [آية ٨٦] .

قال ابن زيد : أي لا أتخرَّصُ ، وأتكلَّفُ ما لم يأمرني اللَّهُ جلَّ وعزَّ به[١] .

٦٩ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [آية ٨٨] .

أي ولتعلمنَّ أنَّ القرآنَ ، وما أُوعدتم فيه ، حقٌّ .

وروَى معمر عن قتادة ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ قال : بعد الموت[٢] .

وقال السُدّي : يوم بدر .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ١٨٨/٢٣ ومعنى التكلف : التصنع بما ليس عند الإنسان قال في غرائب القرآن ١٠٨/٢٣ : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي الذين ينتحلون ما ليس عندهم . ولا دليل لهم على وجوده ، بل العقل الصريح يشهد بصحة ما أقول ، فإني أدعوكم إلى الإقرار بالله أولاً ، ثم إلى تنزيهه عما لا يليق به ثانياً ، ثم إلى وصفه بنعوت الجمال والجلال ، ومن جملة ذلك التوحيد ونفيُ الأنداد والأضداد ، ثم الشفقة على خلق الله ، ثم أدعو إلى الإقرار بالبعث والقيامة ، فهذه هي الأصول التي تشهد بحسنها العقول . اهـ.

(٢) هذا أسلوب من أساليب الوعيد والتهديد ، أي لتعلمنَّ صدق القرآن ، وصحَّة ما جئتكم به ، بعد الموت ، أو في القيامة ، حيث ينكشف الغطاء وتظهر الحقائق ، وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول : « يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين » والآثار التي وردت عن قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، ذكرها الطبري وغيره . والله أعلم .

وقال ابن زيد : يوم القيامة .

والحينُ مُبْهمٌ[1] ، فهو مطْلَقٌ يقعُ لكلِّ وقتٍ علموه فيه .

* * *

« تمت بعونه تعالى سورة صٓ »

(١) قال أهل اللغة : الحينُ : المدة من الزمن ، طالت أو قصرت ، فقد تقع على الساعة ، واليوم ، والعام ، والسنين الطويلة ، قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ وقال : ﴿ تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ﴾ وقال : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ .

تفسير سورة الزمر

مكية وآياتها ٧٥ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزمر وهي مكية[1]

قال وهبُ بنُ منبِّه : « من أحبَّ أن يَعْرِفَ قضاءَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ في خلْقِه ، فليقرأ سورة الغُرَفِ »[2] .

قال مجاهد عن ابن عباس : هي مكيةٌ إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها ، فإنهنَّ نزلْنَ بالمدينةِ ، في « وحشيٍّ » قاتِلِ حمزة ، صلواتُ اللَّهِ على حمزة[3] . أسلمَ ودخلَ المدينة ، فكان النبيُّ ﷺ لا يُطيق أن ينظر إليه[4] ، فتوهَّم أن اللَّه جلَّ وعزَّ لم يقبلْ إيمانَهُ ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ

(١) تسمى سورة الغرف لقوله تعالى ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غُرَف من فوقها غُرَف مبنية ﴾ وتسمى سورة الزمر لقوله سبحانه ﴿ وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً ﴾ جمع زمرة وهي الطائفة ، وانظر حاشية الجمل ٥٨٨/٣ .

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٥ وفي الفتوحات الإلهية على الجلالين ٥٨٨/٣ ومراده أن هذه السورة الكريمة ، قد تناولت صورة بديعة عن الخلق والتكوين ، والإحكام والتدبير ، فيما خلق الله وقدَّر ، وكل شيء بقدر معلوم ، ونظام فائق ، ولذلك كان ﷺ فيما يرويه الترمذي عن عائشة أنه كان لا ينام حتى يقرأ الزمر ، وبني إسرائيل .

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٣٢/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٢/٥ وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنه قال : أنزلت سورة الزمر بمكة ، ولم يستثن ، فهي إذاً مكية كلها باتفاق إلا ثلاث آيات على رأي من أخذ بقول مجاهد .

(٤) الثابت في السيرة النبوية أن وحشياً لمَّا أسلم ، أمره عليه السلام أن يغيِّب عنه وجهه ، لئلا يتذكر ﷺ مقتل عمِّه حمزة ، وهذا لا يستدعي الشك في إيمان وحشي ، فإن الإسلام يجُبُّ ما قبله .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .. ﴾ إلى آخر الثلاث الآيات .

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعز : ﴿ تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ [آية ١] .

يجوز أن يكون المعنى : تنزيلُ الكتاب من عند الله[1] .

وأن يكون المعنى : هذا تنزيلُ الكتاب[2] .

٢ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ .. ﴾ [آية ٢] .

أي بما حقَّ في الكتب من إنزاله عليك[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : ألزمك إيَّاهُ ، بحقِّه عليك ، وعلى خلقِهِ .

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ فقد قال فيه ﴿ تنزيل ﴾ مرفوعة من جهتين : على الابتداء ، والخبر ﴿ من الله ﴾ أي نزل من عند الله ، ويجوز أن يكون : هذا تنزيل للكتاب . اهـ. وكذلك قال الفراء ٤١٤/٢ .

(٢) على هذا التقدير يكون ﴿ تنزيل ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف ، كقوله تعالى ﴿ سورة أنزلناها ﴾ أي هذه سورة ، وقد ذكر الوجهين ابن جرير ١٩٠/٢٣ والألوسي ٢٣٣/٢٣ ورجَّح الوجه الأول .

(٣) هذا الوجه من التفسير غير واضح ، والراجح أن المراد : أنزلناه ملتبساً بالحقّ ، والصِّدق ، والصواب ، على معنى أن كلَّ ما أودعناه فيه ، من التوحيد ، والنبوة ، والحشر ، والمعاد ، وأنواع التكاليف ، فهو حق مصدق . قال ابن عطية : متضمناً الحق فيه ، وفي أحكامه ، وأخباره ، وكل ما جاء به ، من تشريع وتكليف .

وقيل المعنى : يأمرُ بالعدلِ ، والحقِّ[1] .

٣ ـ **ثم قال تعالى ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾** [آية ٢] .

أي لا تعبدْ معهُ غيرَه .

وحكى الفراءُ ﴿ لَهُ الدِّينُ ﴾ برفع الدِّين[2] .

وهو خطأٌ من ثلاثة جهات :

إحداها : أن بعده ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدينُ الخَالِصُ** ﴾ فهو يغني عن هذا .

وأيضاً : فلم يُقرأْ به[3] .

وأيضاً : فإنه يجعل ﴿ **مُخْلِصاً** ﴾ التمامَ ، والتَّمامُ عند رأسِ الآيةِ أَوْلى .

٤ ـ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ .. ﴾** [آية ٣] .

أي يُعْبَدُ وحدَه ، لأنَّ من الناس من له دينٌ ، ولا يُخلصهُ للَّهِ

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٢٣/١٩٠ حيث قال : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل . ومن ذلك الحق والعدل : أن تعبد الله مخلصاً له الدين ، لأن الدين له لا للأوثان . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٤ فقد جعله وجهاً من وجوه اللغة صواباً ، ومعلوم أن القرآن العظيم لا تجوز القراءة به حسب اللغة ، إنما يُقرأ بالوجوه التي وردت عن المعصوم ﷺ حسب القراءات المتواترة ، فتنبه لهذا رعاك الله .

(٣) هذه قراءة ابن أبي عبلة ، وهي من القراءات الشاذة ﴿ له الدينُ ﴾ بالرفع ، وانظر تخريجها في معاني الفراء ٢/٤١٤ وروح البيان للألوسي ٢٣/٢٣٤ .

جلَّ وعزَّ[1] .

ورَوَى معمرٌ عن قَتَادَة ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ قال : « لا إله إلاَّ اللَّهُ »[2] .

٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُوْنَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى .. ﴾** [آية ٣] .

قال قتادة : أي منزلة[3] .

وقال الضحاك : أي إلاَّ ليشفعوا لنا[4] .

قال أبو جعفر : وفي قراءة ابن مسعود ، وابنِ عباسٍ ، ومجاهد **﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٧/٧٤ : أي لا يُقبل من العمل ، إلا ما أخلص فيه العامل ، لله وحده لا شريك له . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٩٠ وابن كثير ٧/٧٤ عن قتادة قال : هي شهادة « أن لا إله إلا الله » ولا شك أن الشهادة أصل في الإيمان ، ولكن لا يراد بالآية هنا هذا الذي قاله قتادة ، وإنما يراد بإخلاص الدين : إخلاص العمل والعبادة لله جل وعلا ، كما عليه جمهور المفسرين ، فإن الله لا يقبل من العمل ، إلا ما كان خالصاً لوجه الله ، ولهذا قال ابن الجوزي ﴿ الدين الخالص ﴾ أي الخالص من الشرك ، ومن كلّ شائبة وكدر ، وكذلك قال الطبري : لله العبادة والطاعة ، خالصة لا شرك لأحد معه فيها ، وانظر القرطبي ، والألوسي .

(٣ ــ ٤) ذكر الأثرين الطبري ٢٣/١٩١ والقرطبي ١٥/٢٣٣ وابن كثير ٧/٧٥ وقد جمع ابن كثير بين القولين فقال : وقال قتادة والسدي وابن زيد : ﴿ إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفى ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقرِّبونا عنده منزلة . اهـ.

اللَّهِ زُلْفَى ﴾[1] .

وفي حرف أُبيٍّ : ﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُكُمْ إلاَّ ليقرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[2] .

قال أبو جعفر : والحكايةُ في هذا بيِّنةٌ .

٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَ صْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .. ﴾ [آية ٤] .

واتصالُ هذا بالأول ، يدلُّ على أن هؤلاء ممن اتَّخذ من دون اللهِ أولياء[3] .

و﴿ اصْطَفَى ﴾ : اختار .

٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٥] .

(١ ــ ٢) قراءة ابن مسعود ، ومجاهد بزيادة ﴿ قالوا ﴾ وقراءة أُبيٍّ بن كعب « ما نعبدكم » بصيغة المخاطب لا الغائب من القراءات الشاذة ،ليستا من القراءات المعتبرة عند القراء ، وهي محمولة على المعنى ، فكأنها تفسير وتوضيح لمعنى الآيات الكريمة ، ولا يُقرأ إلَّا بالثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٣) ومما يدل على إشراكهم ، زعمهم أن الملائكة بنات الله ، وقولهم في تلبيتهم : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » وظاهراً أن عبادة الأصنام شرك وضلالة ، والآية وردت على سبيل « الفرض والتقدير » ولهذا قال الحافظ ابن كثير ٧/٧٥ ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً .. ﴾ هذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما القصد تجهيلهم فيما ادَّعوه وزعموه ، كما قال تعالى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لَدُنَّا ﴾ وكل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل . اهـ.

قال قتادة : أي يلقي هذا على هذا ، وهذا على هذا[1] .

قال أبو جعفر : أصلُ التكوير في اللغة : اللَّفُّ ، والجمعُ[2] ، ومنه كَوْرُ العِمَامةِ ، ومنه ﴿ **إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ .

٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ..** ﴾ [آية ٦] .

﴿ **ثُمَّ** ﴾ ههنا تدلُّ على أن الإخبار الثاني ، بعد الأول[3] .

وقال قتادة : ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ حوَّاء ، خلقها من ضِلَعٍ من أضلاعه[4] .

وقيل : يكون خلْقُه الزَّوجَ ، مردوداً على واحِدٍ ، أي على نفسٍ

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٩٣/٢٣ بلفظ : يُغشِّي هذا هذا ، ويُغَشِّي هذا هذا ، وكذا في الدر المنثور ٣٢٢/٥ .

(٢) قال في المصباح : كوَّرتُ الشيء : إذا لففته على جهة الاستدارة ، وكَارَ العمامة : أدارها على رأسه ، وكلُّ دورٍ كور . اهـ. والآية بطريق الاستعارة أي يلفُّ الليل على النهار ، فيستره بظلامه ، فينقص النهار ويزيد الليل ، ويلفّ النهار على الليل ، فيطول النهار وينقص الليل ، فكأنما يلفه عليه لفَّ اللباس على اللابس ، أو كتكوير العمامة كَوْراً بعد كَوْر .

(٣) أراد المصنف أن يردَّ على شبهة وهي : أن حواء مخلوقة قبل بني آدم ، فكيف قال تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ و « ثمَّ » تفيد الترتيب مع التراخي ؟ فأجاب أن « ثمَّ » هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمن ، وجواب آخر أن العطف إنما هو على « واحدة » لا على « خَلَقَكُمْ » أي من نفسٍ واحدة ثم خلق منها حواء .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٩٤/٢٣ ويؤيده الحديث الصحيح (استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ..) وهو اختيار علماء السلف ، وقيل : المراد من قوله « ثم جعل منها » أي من جنسها ، فحواء مخلوقة من جنس آدم لا من نفسه . والأول أصح .

وحدها ، ثم جَعَل منها زوجها .

٨ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. ﴾** [آية ٦] .

أي أصناف .

قال مجاهد : من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين[١] .

قال قتادة : هي مثلُ التي في الأنعام[٢] .

٩ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾** [آية ٦] .

قال مجاهد والضحاك : نطفةً ، ثم علقة ، ثم مضغةً ، حتى يتمَّ الخلقُ[٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٩٤ ولفظه : « من الإبل ، والبقر ، والضأن ، والمعز » وذكره القرطبي ١٥/٢٣٥ عن قتادة ثم قال : أخبر تعالى عن الأزواج بالنزول ، لأنها تكوَّنت بالنبات ، والنباتُ بالماء المنزل ، وهذا يسمى « التدريج » ومثله قوله تعالى ﴿ قد أنزلنا عليكم لباساً ﴾ وقيل : ﴿ أنزل ﴾ بمعنى جعل ، وخلق ، أو المعنى : خلق لكم بالأمر النازل من عنده سبحانه . اهـ.

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين .. ﴾ وقوله :﴿ ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٩٥ وابن الجوزي ٧/١٦٣ وقول مجاهد والضحاك أن المراد بقوله ﴿ خلقاً من بعد خلق ﴾ وهو تكوّن الإنسان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم العظم واللحم ، ثم نبات الشعر ، هو الصحيح وهو قول الجمهور ، وقال ابن زيد : خلقاً في بطن الأم ، من بعد خلقه في ظهر آدم .

ثم قال تعالى ﴿ في ظُلَمَاتٍ ثلاثٍ ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : في ظلمة الرحم ، وفي ظلمة المشيمة ، وفي ظلمة البطن[1] .

وقيل : في الصُّلبِ ، ثم في الرَّحِمِ ، ثم في البطنِ ، وهذا مذهبُ أبي عُبيدة ، والأَوَّلُ أصحُّ[2] .

١٠ ـ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ تكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَايَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي يرضى الشكرَ لكم ، ودلَّ ﴿ **تَشْكُرُوا** ﴾ على الشكر[3] .

١١ ـ **وقولُهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبَاً إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ٨] .

رَوَى سعيدٌ عن قَتادةَ قال : مخلصاً[4] .

(١ ـ ٢) الظلمات الثلاث : وهي « البطن ، والرحم ، والمشيمة » وهذا هو الصحيح الراجح ، كما قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وأما قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨٨/٢ : ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ : في أصلاب الرجال ، ثم في الرحم ، ثم في البطن ، فإنه قول مرجوح كما نبَّه عليه المصنف ، لأن الله تعالى قال ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ فالظلمات الثلاث في بطون الأمهات ، لا في أصلاب الرجال .

(٣) وضَّح الإمام ابن جرير هذا المعنى في تفسيره ١٩٨/٢٣ فقال : كنَّى عن الشكر ولم يُذكر ، وإنما ذكر الفعل الدَّال عليه ، وذلك نظير قوله تعالى ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ﴾ بمعنى : فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً . اهـ.

(٤) المراد مخلصاً في دعائه وتضرعه ، أي لا يدعو لكشف الضرِّ إلا الله ، والمراد بالإنسان هنا =

قال أبو جعفر : يُقال : أنابَ : إذا رجَعَ ، وتَابَ .

١٢ ــ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .. ﴾** [آية ٨] .

أي أعطاهُ وأباحه ، وكان أبو عمروِ بنِ العلاءِ يُنْشِدُ :

هُنَالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ ــ يُخْوِلُوا

وإن يُسْأَلُوا يُعْطُوا ، وإن يَيْسِرُوا يُغْلُوا[١]

ثم قال : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوْ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [آية ٨] .

أي نسي الذي كان يدعو اللَّه جلَّ وعزَّ به ، من قبلُ[٢] .

ويجوز أن يكون المعنى : نسيَ اللَّهَ[٣] الذي كان يدعوه ، كما

= الكافر ، بدليل قوله بعده ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾ والغرض من الآية أمران : العتاب ، وإقامة الحجة على الإنسان ، فالعتاب على الكفر ، وترك عبادة الله ، وإقامة الحجة على الإنسان ، بدعائه الله في الشدائد ، ونسيانه بعد الفرج .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ص ١١٢ واستشهد به الطبري ٢٣/١٩٩ والقرطبي ١٥/٢٣٧ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٨ وغرض الشاعر أنهم كرماء ، إذ طُلب منهم العطاء ، بذلوا بسخاء ، وإذا قامروا بالميسر ، يأخذون سمان الإبل فيقامرون عليها ، وروي « يُسْتخبلوا » وهي بمعناه .

(٢) أي نسي الضر الذي كان يدعو ربه لكشفه ، وتمرَّد وطغى ، وعلى هذا تكون « ما » بمعنى الذي .

(٣) هذا القول ذكره المفسرون : القرطبي ، والطبري ، وأبو حيان ، وابن الجوزي ، فتكون ﴿ ما ﴾ بمعنى « مَنْ » قال ابن الجوزي ٧/١٦٥ فيه ثلاثة أقوال :
أحدها : نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه . =

قال تعالى ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ .

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾ معنى التهديد[1] .

١٣ ــ وقولُه جل وعز ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ .. ﴾ [آية ٨] .

قال السدي : الأندادُ من الرجالِ ، يطيعهم في المعاصي[2] .

وقيل : عَبَدَ الأوثانَ .

وهذا أولى بالصواب ، لأن ذلك في سياق عتاب الله عز وجل إياهم ، على عبادتها[3] .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً .. ﴾ [آية ٩] .

= الثاني : نسي الدعاء الذي كان يتضرَّع به إلى الله تعالى .
الثالث : نسي الله الذي كان يتضرَّع إليه .
قال الزجاج ٣٤٦/٤ وقد تدل ﴿ ما ﴾ على الله عز وجل كقوله تعالى ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ . اهـ.

(١) هذا الأمر ﴿ تمتع ﴾ خرج عن ظاهره ، فأصبح للتهديد ، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية ، قليلاً من الزمن فمصيرك إلى نار جهنم .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيرة ٢٠٠/٢٣ والألوسي في روح المعاني ٢٤٥/٢٣ ونسبه إلى قتادة .

(٣) ما رجحه المصنف هو ما اختاره الطبري فقد قال ٢٠٠/٢٣ : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عَنَى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أنداداً ، لأن ذلك في سياق العتاب لهم على عبادتها .

أي مُصَلٍّ ، والقنوتُ : الطاعةُ[1] .

قال الحسنُ وقتادة : ﴿ **آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ ساعاتِه ، أوَّلَه ، وأوسَطه ، وآخِرَهُ[2] .

قال أبو جعفر : قال الأخفش : قراءةُ من قرأ ﴿ **أَمَنْ هُوَ** ﴾[3] ؟ بالتخفيفِ ، ضعيفةٌ في العربيةِ ، لأن ألفَ الاستفهامِ لا يُعتَمدُ على ما قبلها .

قال أبو جعفر : الذي قاله الأخفشُ حَسَنٌ ، يدلُّ عليه أن الذي في سورة النمل لم يُقرأ إلاَّ مُثَقَّلاً ، ومعنى كلامه : أن الكلامَ معتمدٌ على ما قبله ، ليس له خبرٌ ، وإنما دلَّ عليه ما قبله ، لأنه قال جلَّ وعز ﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ .

---

(١) قال في اللسان : القنوتُ : الخشوع والقيام بالطاعة ، وقيل : القيام ، ومنه حديث جابر « سئل النبي ﷺ : أيُّ الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت » يريد طول القيام ، ويردُ بمعانٍ متعددة ، كالطاعة ، والخشوع ، والصلاة ، والدعاء ، والقيام ، فيصرف لما يحتمله اللفظ .

(٢) هي من القراءات السبع ، قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وحمزة ، وقرأ الباقون بالتشديد ﴿ أمَّن هو قانت ﴾ وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٦٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٦٧ وروح المعاني للألوسي ٢٣/٢٤٦ .

(٣) تكررت « أمَّن » بالتشديد في سورة النمل في قوله تعالى ﴿ أمَّن خلق السموات والأرض ﴾ وقوله ﴿ أمَّن جعل الأرض قراراً ﴾ وقوله ﴿ أمَّن يُجيبُ المضطر إذا دعاه ﴾ ؟ .. إلخ. وكلها بالتشديد ، وأصلها « أم من » فأدغمت الميم بالميم للتماثل ، فصارت ميماً مشدَّدة ﴿ أمَّن ﴾ ولم يرد عن القُرَّاء في سورة النمل أن أحداً قرأ بالتخفيف ، بل الجميع اتفقوا على قراءتها بالتشديد . وهذا ما نبَّه عليه المصنف .

فحذَفَ الخبرَ لأن المعنى : أمَّنْ هو مطيعٌ كهذا[1] ؟ .

أو أَمَّنْ هو مطيعٌ ، أفضلُ أمْ هَذَا ؟ .

وهذا موضعُ ﴿ أَمْ ﴾ التي بمعنى « بَلْ » كما قال :

أَفَتِـــلْكَ أَمْ وَحْشِيَّـــةٌ مَسْبُوعَـــةٌ
خَذَلَتْ وَهَادِيَـــةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَـــا[2]

وقوله :

أذلك أم جَأْبٌ يُطَـــارِدُ آتُنـــاً
حَمَلْـنَ فَأَدْنَـى حَمْلِهِـــنَّ دُرُوْصُ[3]

ومن قرأ بالتخفيف ، فالخبرُ أيضاً عنده محذوفٌ ، وهو شيءٌ غامضٌ في العربية ، لا يأنسُ به إلاَّ من دَربَ بها ، كما قال :

فَأُقْسِمُ لَوْشَيْءٌ أتانَـــا رَسُوْلُـــهُ
سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[4]

---

(١) قد يُحذف الجواب إذا دلَّ الكلام عليه ، والمعنى : أمَّن هو مطيع ، عابد في ساعات الليل ، يتعبَّد ربه في صلاته ، ساجداً وقائماً ، خيرٌ أم ذلك الكافر ، الذي جعل لله أنداداً ؟

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، في ديوانه ص ٣٠٧ من قصيدته : عَفَتِ الدِّيارُ .. إلخ. يقول : أفتلك الأتان تشبه ناقتي أم وحشية ؟

(٣) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٠٨ بلفظ : أذلك أم جَوْنٌ .. إلخ. واستشهد به ابن منظور في اللسان ، والأزهري في تهذيب اللغة مادة (درص) والشاهد فيه أن « أم » جاءت بمعنى « بل » يقول : أذلك الذكر من النعام يشبه ناقتي ، أم هذا الحمار من حمر الوحش ؟ .

(٤) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٢٤٢ بلفظ : أَجِدَّك لو شيء أتانا .. إلخ. وهو من شواهد النحويين كما في خزانة البغدادي ٨٤/١٠ وابن يعيش ٧/٩ والشاهد : أن الجواب فيه محذوف ، قال الفراء في معاني القرآن ٤١٧/٢ بعد استشهاده بالبيت المذكور إن معناه : لو أتانا رسول غيرك لدفعناه ، فعُلِم المعنى ولم يظهر ، بدليل قوله « مَدْفعاً » . اهـ. والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده وهو قوله : =

أي لدفعناه ، فعلى هذا يقعُ الحذفُ .

وقيل : هو نداءٌ أي يا من هو قائم آناءَ اللَّيل[1] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز ﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾** [آية ٩] .

قرأ سعيد بن جُبير ﴿ يَحْـذَرُ عَذَابَ الآخِرَةِ ﴾[2] والمعنى واحدٌ .

١٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾** [آية ٩] .

أي كما لا يستوي العالم والجاهلُ ، كذا لا يستوي المطيعُ والعاصي .

وقيل : ﴿ **الَّذِينَ يَعْلَمُونَ** ﴾ ما هم في الطاعة ، وما عليهم في المعصية[3] .

= إذاً لَرَدَدْنَاهُ ولَوْ طَالَ مُكْثُهُ لَدَينا وَلكِنَّا بحُبِّك وُلَّعاً

قال البغدادي في خزانة الأدب ١٠/٨٤ وعذرهم في تقدير الجواب ، أن البيت الثاني ساقط من أكثر الروايات . اهـ.

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٤١٦ : فسَّرها الذين قرءوا بها فقالوا : يا مَنْ هو قانت ، وهو وجه حسن ، والعرب تدعو بألف كما تدعو بياء ، فيقول : يا زيد أقبلْ ، وأزيدُ أقبل . اهـ. وقال الطبري : وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ، إنك من أهل الجنة . اهـ. ٢٣/٢٠١ .

(٢) هذه قراءة شاذة وهي محمولة على التفسير وانظر زاد المسير ٧/١٦٧ .

(٣) هذا هو الظاهر من الآية الكريمة عدم التساوي بين العالم والجاهل ، والمطيع والعاصي ، والمراد بالعلم هنا ما أدّى إلى معرفة الله ، والنجاة من عذابه ، لا مطلق العلم ، والمعنى الثاني ذكره =

ثم قال ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي العقول .

ولبُّ كلِّ شيءٍ خالصُه[1] .

١٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ .. ﴾ [آية ١٠] .

قيل : الحسنةُ : الجنَّةُ[2] .

وقيل المعنى : لهم حسنةٌ في الدنيا ، أي ثناءٌ حسن ، وطمأنينةٌ بِمَا لَهُمْ[3] .

وقوله جلَّ وعز ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ [آية ١٠] .

قال مجاهد : أي فَهَاجِرُوا ، واعتزِلوا الأوْثانَ[4] .

= الطبري ٢٠٣/٢٣ فقال : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم وما عليهم في معصيته ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخبطون في عشواء ؟

(١) في المصباح : لبُّ النخلة : قلبُها ، ولبُّ الجوز : ما في جوفه ، ولبُّ كل شيء خالصه ، واللبُّ : العقل .

(٢) هذا رأي أكثر المفسرين أن المراد بالحسنة الجنَّة ، قال القشيري : المراد بالحسنة : الثواب في الجنة ، وقيل : هي الصحَّة ، والعافية في الدنيا ، والظفر والغنيمة ، والأول أصحُّ ، لأن الكافر قد نال نِعَم الدنيا . اهـ.

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٠٣/٢٣ ولم يعزه لأحد من السلف ، وروى عن السدي أن الحسنة : الصحَّة ، والعافية .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٣/٢٣ عن مجاهد ، وكذا السيوطي في الدر المنثور ٣٢٣/٥ ، والآية حضٌّ على الهجرة ، وأمر بالصبر على المكاره ، نُصْرة لدين الله !

١٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [آية ١٥] .

على الوعيد ، وهذا قبل الأمر بالقتال(١) .

١٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾ [آية ١٥] .

أي خسروا أنفسهم بالتخليد في النَّار ، وأهليهم بأنهم لم يدخلوا الجنة ، فيكون لهم أهلُونَ .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : ليس أحدٌ إلَّا وقد أعدَّ اللهُ له أهلاً في الجنة ، إن أطاعه(٢) .

٢٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [آية ١٦] .

أي ذلك الذي وُصفَ من العذاب .

٢١ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا .. ﴾ [آية ١٧] .

---

(١) يريد المصنف رحمه الله أن الآية على الوعيد والتهديد ، قبل نزول آيات القتال ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب .. ﴾ الآية ، فهي كقوله تعالى ﴿ افعلُوا ما شئتم ﴾ لا يراد بها الإباحة ، إنما هي على الوعيد والتهديد .

(٢) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٤ وعزاه إلى ابن عباس أيضاً ، وذكره ابن الجوزي ٧/١٩٩ بنحوه حيث قال : خسروا الحور العين اللواتي أُعددن لهم في الجنة لو أطاعوا الله . اهـ.

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : الطَّاغوتُ : الشَّاطينُ[١] .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنَّا هذا في سورة البقرة[٢] .

٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .. ﴾ [آية ١٨] .

في معنى هذا قولان :

القول الأول : قال الضحاك : ﴿ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ ﴾ القرآن ، و ﴿ أَحْسَنَهُ ﴾ ما أمر الله جلَّ وعزَّ به الأنبياء ، من طاعته فيتَّبعونه[٣] .

---

(١) الأثر ذكره في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وفي زاد المسير ١٧٠/٧ والقرطبي ٢٤٣/١٥ قال الأخفش في معاني القرآن ٦٧١/٢ : الطاغوت في معنى الجماعة ، قال تعالى ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوتُ ﴾ وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً . اهـ.

أقول : ومعنى الطاغوت في اللغة : البالغ غاية الطغيان والجبروت ، كالرحموت والعظموت ، والمراد به الشيطان ، ووُصفَ به للمبالغة قال في التهذيب : وتاؤها زائدة ، ويذكَّر ويؤنث ، والاسم الطغيان .

(٢) في قوله تعالى ﴿ الله وليُّ الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النُّور إلى الظلمات .. ﴾ البقرة آية رقم ٢٥٧ .

(٣) هذا الأثر عن الضحاك ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وابن الجوزي ١٧٠/٧ ونسبه إلى الجمهور ، والأظهر أن المراد بالقول العموم ، أي يستمعون الحديث والكلام ، فيأخذون أحسن ما فيه ، قال ابن عباس : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح ، فيتحدَّث بالحسن ، ويتكفُّ عن القبيح ، فلا يتحدث به ، وهذا ما رجَّحه الطبري ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن جزي في التسهيل ، والقصد من الآية الثناء على هؤلاء بنفوذ بصائرهم ، ونظرهم السديد ، وأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك ، فإذا سمعوا قولاً تبصَّروه وعملوا بما فيه ، وأحسن الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي رسوله الكريم ﷺ .

والقول الآخر : أنهم يستمعون القرآن وغيرَه ، فيتّبعونَ القرآنَ .

قال أبو جعفر : القـولُ الأوّلُ حسنٌ ، والمعنـى : أنهم إذا سمعـوا بالعقوبـة والعفـو ، عَفَـوْا ، ورأوا أنَّ العفْـوَ أفضلُ ، وإن كانت العقوبـةُ لهم .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنْتَ تنقـذ من فِي النَّارِ ﴾** ؟ [آية ١٩] .

يُقال : كيف جيء باستفهامين ، وقد أجمعَ أهلُ العربيةِ ، أنـه لا يجوزُ استفهامانِ في اسمٍ وخبرِهِ ؟

ففي هذا جوابان :

أحدهما : أن العرب إذا طال الكلامُ ، كرَّرتْ توكيداً ، وكـذلك قال سيبويه في قول الله جلَّ وعز : ﴿ **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ، وَكُنْتُـمْ تُرَابَاً وَعِظَامَاً ، أَنَّكُمْ مُخْرَجُوْنَ** ﴾(١) ؟

المعنى على هذا : أفمـن حقَّ عليـه كلمـةُ العـذاب ، أفـأنت تنقذه ؟

والكلامُ شرطٌ وجوابُه ، وجيء بالاستفهـام ، ليـدلَّ على التوقيـف والتقرير(٢) .

---

(١) سورة « المؤمنون » آية رقم ٣٥ والشاهد في الآية تكرير لفظ « أنكم » .

(٢) قال الحوفي : وجيء بألف الاستفهام ﴿ أفأنت تنقذ ﴾ ؟ لمَّا طال الكلام توكيداً ، ولولا طولـه لم يجز الإتيان بها ، لأنه لا يصلح بالعربية ، أن يؤتى بألـف الاستفهـام في الاسم ، وألـف أخـرى في الجزاء ، ومعنى الكلام : أفأنت تنقذه ؟ . اهـ. نقلاً عن البحر المحيط ٧/٤٢١ .

قال الفراء : المعنى : أفأنتَ تُنقذ من حَقَّتْ عليهِ كلمةُ العذاب[1] ؟

قال أبو جعفر : وهذا والأول واحدٌ .

والجواب الآخر : أنَّ في الكلام حذفاً .

والمعنى : أفمن حقَّ عليه كلمةُ العذابِ يتخلَّصُ ، أو ينجو[2] ؟ .

ثم حذفَ الجوابَ ، وكان ما بعده مستأنفاً .

والمعنى : أفمن سبقَ في علمِ اللّهِ جلَّ وعزَّ ، أنه يدخل النَّارَ ، ينجو أو يتخلَّصُ ؟

٢٤ ــ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ .. ﴾** [آية ٢١] .

يُروى أنَّ كل ماءٍ في الأرض ، فأصلُه من السَّماءِ[3] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٨ فقد وضح المسألة وأتى بشواهد كثيرة .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤/٣٥٠ قال ابن الجوزي ٧/١٧١ : ويجوز أن يكون في الكلام محذوف ، تقديره : أفمن حقَّ عليه كلمه العذاب ، فيتخلص منه أو ينجو ، أفأنت تنقذه ؟ . اهـ. وقد رجح ابن جزي في التسهيل ٣/٤٢٠ القول الأول فقال : والقول الثاني أن يكون التقدير : أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب ، تتأسَّف عليه ، فحذف الخبر ، ثم استأنف قوله ﴿ أفأنت تنقذُ من في النار ﴾ ؟ والأول أرجح لعدم الإضمار .

(٣) هذا قول الشعبي حكاه عنه الطبري ٢٣/٢٠٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٤ وروي مثله عن ابن عباس حيث قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيِّره ، فمن سرَّه أن يعود الملح عذباً فليصعِّده . اهـ. ابن كثير ٧/٨٣ .

وقد يجوزُ أن يكون إنزالُه إيَّاه ، خَلْقَه له ، وتكوينَه بأمره[1] .

وقوله تعالى ﴿ **فَسَلَكَهُ** ﴾ أي فأدخله فجعله ﴿ **يَنَابِيعَ** ﴾ جمعُ يَنْبُوعٍ « يَفْعُول » من نَبَعَ ، يَنْبَعُ .

﴿ **ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعَاً مُخْتَلِفَاً أَلْوَانُهُ** ﴾ أي أخضرَ ، وأسودَ ، وأصفرَ ، وأبيض[2] .

﴿ **ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرَّاً** ﴾ أي يَجِفُّ .

قال الأصمعيُّ : يُقال للنَّبْت إذا تمَّ جَفَافُه ، قد هاجَ ، يَهِيج ، هَيْجاً[3] .

﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامَاً** ﴾ أي رُفاتاً[4] .

٢٥ ـ **ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) ذكر بعض المفسرين أن كل ماء نزل من السماء ، فأصله من الأرض ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ فالمطر ينزل من السحاب ، والسحاب يتكون من مياه الأرض بواسطة الأبخرة المتصاعدة ، فيكون على هذا القول إنزاله بمعنى خلقه وتكوينه كما نبَّه المصنف عليه ، وانظر الدر المنثور ٣٢٤/٥ .

(٢) وفسَّر الإمام ابن جرير الطبري قوله ﴿ مختلفاً ألوانه ﴾ قال : يعني أنواعاً مختلفة من بين حنطة ، وشعير ، وسمسم ، وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة . اهـ. والأولى أن يُقال : مختلفة الألوان والأصناف لتشمل الكل .

(٣) قال الجوهري : هاج النبت هياجاً إذا يبس ، وفي اللسان وتاج العروس : هاجت الأرض هيجاً وهيجاناً : يبس بقلها . اهـ.

(٤) في القرطبي ٢٤٦/١٥ ﴿ حُطَاماً ﴾ أي فُتاتاً مكسَّراً ، من تحطَّم العود إذا تفتت من اليُبس . اهـ.

أي يفكّرون ، فيذكرون أنَّ هذا دالّ على توحيد اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وقدرته[1] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْأَسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُوْرٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٢٢] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : أفمن شرحَ اللَّهُ صدرَه فاهتدى ، كمن طَبَعَ على قلبه ، فلم يهتدِ ؟!

وفي الحديث قال أصحابُ رسول الله ﷺ : (أو ينشرحُ القلبُ ؟ قال : نعم ، إذا أدخل اللَّهُ فيه النُّورَ ، انشرحَ وانفسحَ ، قالوا : فهلْ لذلكَ من علامةٍ ؟ قال : نعم !!

- التَّجافي عن دار الغرور .
- والإنابةُ إلى دار الخلود .

---

(١) هذه الآية دليل على القدرة والوحدانية ، كما نبَّه المصنف ، وفيها تمثيل رائع للحياة الدنيا ، ومن على ظهرها من الخلائق ، مهما طال عمر الإنسان ، فلا بد له من النهاية ، حتى يصير مصفرَّ اللون ، متحطِّم الأركان ، متكسراً كالزرع بعد نُضرته ، ثم يأتيه الموت في نهاية المطاف ، وكذلك حال الدنيا بما فيها من بَهْرج ومتاع ، يتغير النبت الأخضر فيصفرُّ ، ثم يَزْوي ، وييبس ، فيكون حطاماً ، كذلك الدنيا بعد بهجتها ، قال ابن كثير ٨٣/٧ : هكذا الدنيا تكون خَضِرة ، نضِرة ، حسناء ، ثم تعود عجوزاً شوهاء ، وكذلك الشاب يعود شيخاً هَرِماً ، كبيراً ضعيفاً ، وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا ، بما يُنزل الله من السماء من ماء ، ويُنبت به زروعاً وثماراً ، ثم يعود بعد ذلك حطاماً . اهـ.

• والإعدادُ للموتِ قبلَ [لقاءِ] الموت)[1] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز** ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُوَلـئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : معنى ﴿ **مِن** ﴾ و« عَنْ » ههنا واحدٌ[2] .

قال أبو جعفر : وليس هذا بشيءٍ ، فمعنى ﴿ **مِنْ** ﴾ إذا تُليتْ عليهم آياته قَسُوْا ، كما قال تعالى ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ** ﴾[3] .

وإذا قال « عَنْ » فمعناه : قستْ قلوبُهم ، وجَفَتْ عن قبولِ ذكرِ الله[4] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والحكيم الترمذي في نوادر الأُصول ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٥/٥ ورواه الطبري ٢٧/٨ من طريقين عن عبد الله بن مسعود ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » : رواه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود ، وفيه « أبو فروة » فيه كلام ، ورواه ابن كثير في تفسيره ، مرسلاً ، متصلاً ٣٢٧/٣ ثم قال : وهذه طرق متصلة ومرسلة يشد بعضها بعضاً .

(٢) هذا مذهب الفراء في معاني القرآن ٤١٨/٢ قال : ﴿ من ذكر الله ﴾ و « عن ذكر الله » كلّ صوابٌ ، تقول : اتَّخمتُ من طعام أكلته ، وعن طعام أكلتُه ، سواء في المعنى . اهـ. وكذلك قال الطبري ٢٠٩/٢٣ ﴿ من ذكر الله ﴾ بمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت ﴿ من ﴾ مكان « عن » . اهـ. والأولى ما ذكره صاحب البحر ٤٢٠/٧ أن الكلام على حذف مضاف ﴿ من ذكر الله ﴾ أي من أجل ذكره أي إذا ذُكر الله عندهم قست قلوبهم ، وإليه ذهب المصنف .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٥ .

(٤) وضح المعنى المراد من الآية الإمام الفخر الرازي بأبدع الكلام فقال رحمه الله : فإن قيل إنَّ ذكر الله سبب لحصول النور ، والهداية ، وزيادة الاطمئنان كما قال سبحانه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن ـ

٢٨ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً .. ﴾ [آية ٢٣] .

رَوَى الشعبيُّ عن عَوْنِ بنِ عبدِاللهِ قال : قالوا يارسولَ اللَّهِ : حَدِّثْنا !! فنزلت ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ ﴾(١) .

قال قتادة : ﴿ مُتَشَابِهاً ﴾ أي لا يختلف(٢) .

قال أبو جعفر : والمعنى : أنه يُشبِهُ بعضُه بَعْضاً في الحكمةِ والحقِّ ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ .

٢٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَثَانِيَ .. ﴾ [آية ٢٣] .

= القلوب ﴾ فكيف جعله في هذه الآية سبباً لحصول قسوة القلب ؟ والجواب أن نقول : إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر ، كدرة العنصر ، بعيدةً عن الروحانيات ، شديدة الميل إلى الطبائع البهيمية ، والأخلاق الذميمة ، فإن سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة ، كنور الشمس يسوِّد وجه الإنسان ويُبيِّض ثوبه ، وحرارة الشمس تلينُ الشمعَ ، وتجمِّد الملح ، فلا يبعد أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية في النفوس الطاهرة الروحانية ، ويوجب القسوة والظلمة في النفوس الخبيثة الشيطانية ، وما ذاك إلا لاختلاف جواهر النفوس » . اهـ. التفسير الكبير ٢٦/٢٦٦ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٢٣/٢١١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٥/٢٤٨ .

(٢) أحسن ما قيل في معنى ﴿ متشابهاً ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنه : أنه يشبه بعضه بعضاً ، ويصدِّق بعضه بعضاً ، ولا يختلف شيء منه ، أي ليس فيه تناقض ولا اختلاف ، تتشابه آياته في الفصاحة والبيان ، والتناسق والأحكام ، كما ذكره المصنف .

قال قتادة : ﴿ مَثَانِيَ ﴾ : ثَنَّاه اللَّهُ عز وجلَّ[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : ما تُثَنَّى فيه القصصُ ، والثوابُ ، والعقابُ[2] .

وقيل : المثاني : كلُّ سورةٍ ، فيها أقلُّ من مائة آية ، أي تثنَّى في الصلاة[3] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي تقشعرُّ من الآياتِ التي يُذكر فيها العذابُ ، ثم تلينُ إلى الآياتِ التي تُذكرُ فيها الرَّحمةُ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢١٠/٢٣ ولفظه : ثنى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود ، وانظر الدر المنثور ٣٢٥/٥ .

(٢) قال القرطبي ٢٤٩/١٥ : ﴿ مَثَانِيَ ﴾ تثنَّى فيه القصص ، والمواعظ ، والأحكام ، وثني للتلاوة فلا يملُّ ، وفي التسهيل ٤٢١/٣ : ﴿ مثاني ﴾ جمع مثنى أي تثنى فيه القصص تكرَّر ، ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء ، لأنه يُثنى فيه على الله . اهـ. وفي الجواهر الحسان للثعالبي ٥٤/٤ : ﴿ متشابهاً مثاني ﴾ معنى ﴿ متشابهاً ﴾ أي مستوياً لا تناقض فيه ولا تدافع ، بل يشبه بعضه بعضاً في رصف اللفظ ، ووثاقة البراهين ، وشرف المعاني ، إذ هي اليقين في العقائد في الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وشرعه ﴿ ومثاني ﴾ معناه موضع تثنية للقصص ، والأقضية ، والمواعظ ، تُثنى فيه ولا تُملُّ مع ذلك ، ولا يَعْرِض لها ما يعرض للحديث المعاد . اهـ.

(٣) هذا قول بعض القراء ، فقد قسموا سور القرآن إلى ثلاثة أقسام : طوال ، ومثاني ، ومفصَّل ، فهناك السبع الطوال ما زادت على مائة آية وهي (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، التوبة) وهناك السور القصار كسورة النصر وسورة الكوثر ، وهي في الأجزاء الأخيرة ، وهناك المثاني ، وهي دون الطوال .

٣١ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامِةِ .. ﴾ ؟ [آية ٢٤] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : أفمن يتَّقي بوجهه سوءِ العذاب ، كمن يدخل الجنة[1] ؟

قال مجاهد : يخرُّ على وجهه في العذاب يوم القيامة[2] .

قال أبو جعفر : ويُروى أنه يُلقى في النَّارِ مغلولاً ، فلا يقدرُ أن يتَّقِي النَّارَ إلاَّ بوجْهِهِ[3] .

٣٢ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيَّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي غير ذي لَبْسٍ[4] .

قال أبو جعفر : **المعنى** : أنه مستقيمٌ ، لا يُخالف بعضُه

---

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣٥٢/٤ وذكره ابن الجوزي ١٧٨/٧ وقال الأخفش في معانيه ٦٧١/٢ : وهذا لم يظهر له خبر في اللفظ ، ولكنه في المعنى : أفمن يتقي بوجهه أفضل ، أم من لا يتقي ؟ . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٢١١/٢٣ والقرطبي ٢٥١/١٥ والدر المنثور ٣٢٦/٥ .

(٣) هذا المعنى ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٨/٧ وهو مروي عن ابن عباس كما في الدر المنثور ٣٢٦/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢١٢/٢٣ والبحر المحيط ٤٢٤/٧ والدر المنثور ٣٢٦/٥ ومعنى : العِوَج : الإعوجاج أي أنه كتاب مستقيم ، بريءٌ من التناقض والاختلاف ، وإنما قال ﴿ غير ذي عِوَج ﴾ ولم يقل غير معوَّج ، لأنه أبلغ في النفي ، كأنه قال : ليس فيه شيء من العِوَج أصلاً .

بعضاً ، لأن الشَّيْءَ المعوَّجَ مختلفٌ .

وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ : ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ : غير مخلوق[1] .

٣٣ ــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال قتادة : هو الكافرُ ، والشركاءُ : هم الشياطينُ .

قال : ﴿ وَرَجُلاً سَلَماً ﴾ هو المؤمنُ ، يعملُ للَّهِ وحده[2] .

قال مجاهد والضحاك : هذا مثلٌ للحقِّ والباطلِ ، والشركاءُ : هم الأوثانُ[3] .

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس ١٧٩/٧ وذكره في البحر ٤٢٤/٧ ونسبه إلى السدي ، وكذا في القرطبي ٢٥٢/١٥ ثم قال : أحسن ما قيل فيه قول الضحاك ﴿ غير ذي عِوَج ﴾ أي غير مختلف .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢١٤/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ قال المفسرون : هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر يعبد آلهة شتى ، والمؤمن يعبد إلهاً واحداً ، وقد ضرب الله مثلاً للكافر بعبد مملوك ، اشترك فيه عدة أشخاص ، سيئو الأخلاق ، مختلفو الطبائع ، متخاصمون ، متنازعون ، فهو لا يقدر أن يرضي واحداً منهم ، كلٌّ منهم يريد أن يقضي حاجته على وجه التمام والكمال فلا يزال هذا العبد في عناء وتعب ، ولوم كل واحد من هؤلاء المالكين ، وعبد مملوك لسيد واحد ، فهو يخدمه بإخلاص ويتفانى في خدمته ، فهل يستوي هذا وهذا في حسن الحال ، وراحة البال ؟ وهو مثل في غاية الحسن في تقبيح الشرك ، وتحسين التوحيد .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ والطبري ٢١٤/٢٣ وقال مجاهد : هو مثل آلهة الباطل ، وإله الحق .

قال الفراء : ﴿ **متشاكسون** ﴾ : مختلفون[1] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **رَجُلاً سَالِماً** ﴾ أخرجه على الفعل ، ومن قرأ ﴿ **سَلَماً** ﴾ جعله مصدراً فمعناه : ذا سَلَمٍ[2] .

٣٤ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ [آية ٣١] .

أي يُخاصم المظلومُ الظَّالمَ ، والمؤمنُ الكافرَ .

قال ابن عمر : ما كنا ندري فيم نختصمُ ، حتَّى وقعتِ الفتنةُ فقلنا : هُوَ ذا[3] .

وفي الحديث : أنَّ الزبير قال يارسولِ الله : (أنختصمُ يوم القيامة ، بعدما كان بيننا ؟ قال : نعم ، حتى يُؤدَّى إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه ، قال : إنَّ الأمرَ إذاً لشديدٌ)[4] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٤١٩/٢ قال الفراء : وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فجعل الذي فيه شركاء هو الذي يعبد الآلهة المختلفة .

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ رَجُلاً سَالماً ﴾ بالألف ، وقرأ الباقون ﴿ سَلَماً ﴾ وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٥٦٢ .

(٣) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٧ : ولفظه : (نزلت هذه الآية وما ندري ما تفسيرها ؟ وما نرى أنها نزلت إلا فينا ، وفي أهل الكتاب ، حتى قُتل عثمان ، ووقعت الفتنة بين علي ومعاوية ، فعرفت أنها نزلت فينا) . اهـ. وذكرهالقرطبي في جامع الأُحكام ٢٥٤/١٥ : قلنا : كيف نختصم ، ونبينا واحد ، وديننا واحد ؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ، فعرفت أنها فينا نزلت . والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢/٢٤ وابن كثير ٨٧/٧ والقرطبي ٢٥٤/١٥ وفي الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

٣٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾** [آية ٣٣] .

حدثنا بكرُ بنُ سهل قال : حدثنا أبو صالح عن معاويةَ بنِ صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾** يقول : جاء بـ « لا إلهَ إلاَّ الله »[١] **﴿ وَصَدَّق بِهِ ﴾** يعني برسول الله ﷺ **﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾** يقول : اتقوا الشرك[٢] .

وروَى ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن منصورٍ قال : قلتُ لمجاهد : يا أبا الحَجَّاج[٣] ، ما معنى قوله تعالى **﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾** ؟ [آية ٣٣] .

قال : الذي جاء بالقرآنِ ، وصدَّقَ به[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٩٠/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ والطبري ٤/٢٤ ورجَّح الطبري العموم ، فقال : والصواب من القول أن الله تعالى عنى بالصدق ، كلَّ من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله ، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ ، وأن يراد بالصدق أيضاً القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدِّق به المؤمنون من جميع خلق الله . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٥/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٣) هذه كنية الإمام مجاهد بن جبر ، وهو أبو الحجاج المخزومي المكي المقري ، من كبار المفسرين من التابعين توفي سنة ١٠٠هـ قال العجلي : تابعي ثقة ، وقال الذهبي : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وانظر التهذيب ٤٤/١٠ .

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري ٤/٢٤ ولفظه : عن مجاهد قال : هم أهل القرآن ، يجيئون به يوم القيامة يقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه . اهـ. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

قال أبو جعفر : وهذا يشبهُ القولَ الأوَّلَ ، وهو قولُ أكثرِ أهلَ اللغة .

ويدلُّ على صحَّته ، أن عبدالله بن مسعود قرأ ﴿ والَّذينَ جاءوا بالصِّدقِ وصَدَّقُوا به ، أولئك هم المتَّقُونَ ﴾[1] .

فـ ﴿ الَّذِي ﴾ ههنا ، و ﴿ الَّذِينَ ﴾ واحدٌ .

وقال الحسن : هو المؤمنُ ، جاء بالصدق يوم القيامة ، وصدَّق به في الدنيا[2] .

وبعضُ أهل اللغة يقول : حُذف من ﴿ **الَّذِينَ** ﴾ النُّونُ ، لطولِ الاسم[3] .

وبعضهم يقول : ﴿ الَّذِي ﴾ بمعنى : الَّذينَ[4] .

---

(1) هذه قراءة على التفسير ، وليست من القراءات السبع ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٦/١٥ وقال : هي على التفسير ، وذكرها الطبري ٤/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ فهي قراءة شاذة .

(٢) هذا القول قريب من قول مجاهد ، وقد اختاره الطبري ، وابن كثير ، ويدلُّ على العموم قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٩٠/٧ : وهذا القول يشمل كلَّ المؤمنين ، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به ، والرسول أولى الناس بالدخول في هذه الآية ، فإنه جاء بالصدق وصدَّق المرسلين . اهـ.

(٣) قال أبو حيان في البحر ٤٢٨/٧ : هذا القول ليس بصحيح ، إذ لو أُريد به الذين وحذفت منه النون ، لكان الضمير مجموعاً أي يأتي بلفظ « جاءوا » بالجمع .

(٤) هذا قول البصريين حكاه عنهم ابن جرير وغيره ، قال ويدل عليه قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ بصيغة الجمع ، وانظر الطبري ٤/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ .

وبعضهم يقول : ﴿ الَّذِي ﴾ واحدٌ يؤدِّي عن معنى الجماعة .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ أصحُّها ، يكون ﴿ الَّذِي ﴾ مِثلَ « مَنْ » لأنه لا يُقصد قصْدُه ، وحقيقتُه أن المعنى : والقبيلُ الذي جاء بالصِّدقِ ، وصدَّقَ به[1] .

وقد قيل في الآية غيرُ هذا

قال قتادة وأبو العالية : الذي جاء بالصِّدقِ النبيُّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه[2] .

وقيل : النبيُّ ﷺ ، وعليٌّ عليه السلام[3] .

حدثنا عليُّ بن سعيد ، قال : حدثنا الحسينُ بنُ نَصْرٍ ، حدَّثني أبي ، قال : حدثنا عمر بن سعيد ، عن ليثٍ ، عن مجاهد ﴿ **والَّذِي جَاءَ بالصِّدْق** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ عليُّ بن أبي

---

(١) ما ذكره المصنف ورجَّحه ، هو اختيار الأخفش ، فقد جاء في معانيه ٦٧٢/٢ : ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ ثم قال ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ فجعل ﴿ الذي ﴾ في معنى جماعة ، بمنزلة « مَنْ » . اهـ. وهو أيضاً اختيار ابن عطية ، وأبي حيان في البحر المحيط ٤٢٨/٧ فقد جاء فيه ﴿ والذي ﴾ جنس ، كأنه قال : والفريق الذي جاء بالصدق ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والطبري ٣/٢٤ والقرطبي ٢٥٦/١٥ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

(٣) الأثر ذكره القرطبي ٢٥٦/١٥ وعزاه إلى مجاهد ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ هذا القول من كلام أبي هريرة وقال : أخرجه ابن مردويه .

طالب عليه السلام[1] .

ونظيرُ الَّـذي جاء بالصِّدقِ ، في أنـه واحـدٌ يؤدي عن جماعـة ، قوله .

وإنَّ الَّـــذِي حَانَتْ بِفَلْـــجٍ دِمَاؤُهُـــمْ
هُمُ القَـوْمُ كُلُّ القَـوْمِ يَا أُمَّ خَالِـــدِ[2]

وحَذَفَ النونَ ، وقولُه :

أَبَنِـــي كُلَـــيْبٍ إنَّ عَمَـــيَّ اللَّـــذَا
قَتَـــلا المُلُـــوكَ وفَكَّـــكا الأَغْلَالَا[3]

٣٦ ــ وقوله عزَّ وجل : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُوْنَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

هذا يدلُّ على النَّصر ، وأكثـرُ الكوفـيِّين يقـرأ ﴿ **بكـافِ**

---

(١) هذا القول كسابقه ، أن المراد به النبي ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وقد أخرج هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١٥ .

(٢) البيت للأشهب بن رُميلة ، وهو في لسان العرب ، وتاج العروس ، والصحاح مادة « فلـج » وقد استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٩٠/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٣/٧ وأبو حيان في البحر ٤٢٨/٧ وهو في شواهد المغني ص ١٧٤ والخزانة ٥٠٧/٢ .

(٣) البيت للأخطل التغلبي كما في ديوانه ص ٣٨٧ وذكره ابن جني في المحتسب ١٨٥/١ وشواهد سيبويه ص ١٢٦ وفي الدرر ، والشاهد فيه حذف النون من لفظ « اللَّذان » حيث قال : « اللَّذا » ونظير هذا حذف النون من قول الشاعر « إن الذي حانت » في الشعر السابق ، وحذف النون في الآية ﴿ والذي جاء بالصِّدق ﴾ .

عِبَادَهُ ﴾[1] .

والتوحيدُ أحسنُ ، لأنه يُروى أنه يُراد به النبيُّ ﷺ ، ويدلُّ عليه ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : الأوثانُ[2] .

قال قتادة : أخذها خالد بن الوليد فأساً ، فجاء إلى « العُزَّى » ليكسرها فقال له قيِّمُها : إنَّ سَبَلَهَا لا يُطاق ، فخَفْ منها ، فجاء حتى كسر أنْفَها[3] .

ويُروى أنهم قالوا للنبي ﷺ : لئن لم تنتهِ عن سبِّها ، لنأمرنَّها فلتخبلنَّك[4] .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف ، بالجمع ﴿ عِبَادَهُ ﴾ وقرأ الباقون ﴿ بكافٍ عبده ﴾ على الإفراد ، والقراءتان من السبع ، كما في النشر ٣٦٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٢ وإنما كانت قراءة الإفراد ﴿ عَبْدَه ﴾ أحسن كما قال المصنف لقوله تعالى ﴿ ويُخَوِّفُونك ﴾ الخطاب فيها للنبي ﷺ ، فتتَّسق الجملة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٤ وقال : ويخوِّفك المشركون يا محمد بالأوثان ، والآلهة أن تصيبك بسوء ، وقال ابن كثير ٩١/٧ : يعني المشركين يخوِّفون الرسول ، ويتوعَّدونه بأصنامهم وآلهتهم ، ونسب الطبري هذا القول إلى قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، قال الفراء : وهذا مثل قول الكفار لشعيب ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٤ والقرطبي ٢٥٨/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ ومعنى « إن سَبَلها » أي وعيدها لا يُطاق ، قال في اللسان : وقد نَشَرَ سَبَلَتَه : إذا جاء يتوعد .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ٢٥٨/١٥ قال : إنهم خوَّفوا النبي ﷺ مضرَّة الأوثان ، فقالوا : أتسبُّ آلهتنا ؟ لئن لم تكفَّ عن ذكرها ، لتخبلنك أو تصيبك بسوء ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

قال مجاهد : نزلت هذه الآية حين قرأ النبيُّ ﷺ سورة النَّجمِ عند باب الكعبة .

٣٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ آية ٣٩ ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على ناحيتكم[1] .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ صحيح .

والمعنى : على ناحيتكم التي اخترتموها ، وتمكَّنتْ عندكم .

﴿ إنّي عَامِلٌ ﴾ المعنى : إني عاملٌ على ناحيتي ، ثم حذف[2] .

٣٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

رَوَى جعفرُ بنُ أبي المغيرةِ ، عن سعيد بنِ جُبَيْرٍ قال : تُجْمَعُ أرواحُ الأحياءِ ، وأرواحُ الأموات ، فتعارَفُ بينهما ما شاءَ اللَّهُ ، فيمسكُ التي قضى عليها الموتَ ، ويرسلُ الأخرى إلى أجسادها[3] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٨/٢٤ وهو وعيد وتهديد ، قال ابن كثير ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على طريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد .

(٢) إنما حذف الجار والمجرور ، لدلالة اللفظ عليه ، أي إني عامل على طريقتي ومذهبي ، من الدعوة إلى الله ، وإظهار دينه ، ويسمى هذا في البلاغة حذف إيجاز ، بشرط أن يدلَّ الكلام عليه .

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ٩/٢٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٦٠/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٦/٧ ورفعه إلى ابن عباس .

قال الفراء : المعنى ﴿ **وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾ عند انقضاء أجلها ، قال : وقد يكون « تَوَفَّاها » نوْمها[1] .

قال أبو جعفر : وقيل : المعنى : اللَّهُ يتوفى الأنفس حين موتها ، بإزالة أَنْفُسِها وتمييزِها ، ثُمَّ أُضْمِر للثاني فعلٌ ، لأنه مخالفٌ للأول .

فالمعنى : ويتوفَّى التي لم تمت في منامها ، بإزالة تمييزها فقط ، لأن النائم يتنَفَّسُ[2] .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى ﴿ **يتوفَّى** ﴾ و « يَسْتوفي »[3] واحدٌ ، إذا انقضى الشيء ، كما يُقال : تَبَيَّنْتُ ،

---

(1) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٢٠ ولفظه ، والمعنى فيه : يتوفَّى الأنفس حين موتها ، ويتوفَّى التي لم تمت في منامها ، عند انقضاء أجلها ، ويُقال : إن توفِّيها : نومها ، وهو أحبُّ الوجهين إليَّ . اهـ.

(2) قال في التسهيل ٣/٤٢٥ : « هذه الآية عظة واعتبار ، ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما وفاة كاملة حقيقية ، وهي الموت ، والآخر وفاة النوم ، لأن النائم كالميِّت في كونه لا يبصر ولا يسمع ، ومنه قوله تعالى ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ وتقدير الآية : ويتوفَّى الأنفس التي لم تمت في منامها ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت ، فلا يردُّها إلى الدنيا ، ويرسل الأنفس النائمة ، فيرُدُّها إلى الدنيا ، والأجل المسمى : أجل الموت » . اهـ.

(3) مراد المصنف أن آية ﴿ الله يتوفى ﴾ ليس بقبض الروح عند الموت فقط ، بل يكون بمعنى استيفاء الشيء على وجه التمام والكمال .. والمعنى : الله يعطي النفوس عمرها ، كاملاً مستوفياً ، فالتي حكم عليها بالموت ، يَقْبضها ولا يردُّها ، والتي لم ينته أجلها ، يَقْبضها في النوم ثم يردُّها ، عند اليقظة ، حتى تستوفي كامل أجلها ، فيقبضها عند ذلك ، ووجه المشابهة أن النائم كالميت ، فالنوم هو الوفاة الصغرى ، والموت : هو الوفاة الكبرى .

واستَبَنْتُ ، وتيقَّنَ ، واستيقنَ ، فالميِّتُ والنائم في هذا واحدٌ ، ويدلُّ عليه قوله ﴿ **فَيُمْسِكُ الَّتي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ، ويُرْسِلُ الأُخْرَى إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ .

٣٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَايَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [آية ٤٣] .

قال قتادة : قالوا إنما عبدناها حتَّى تشفَعَ لنا[١] .

ثم قال جل وعز : ﴿ **أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [آية ٤٣] .

قال سيبويه : هذا باب الواو ، إذا دخلت عليها ألفُ الاستفهام ، وذلك قولُك : أفلانٌ عند فلان ؟ فيقول : أهو ممَّنْ يكونُ عند فلان ؟

قال أبو العباس[٢] : هذا على الاسترشاد ، أو على الإنكار ، وما جاء منه في القرآن فمعناه الإنكار[٣] ، والتقريرُ ، ووقوعُ الشيء .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠/٢٤ وهو أن المراد بها ، شفاعة الآلهة من الأصنام ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٧ وقال ابن جزي في التسهيل ٤٢٦/٣ : الشفعاء : هم الأصنام ، وغيرها لقولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ وقال القرطبي ٢٦٣/١٥ : المعنى : لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء ، قل لهم يا محمد : أتتخذونهم شفعاء ، وإن كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة ولا يعقلون لأنها جمادات » . ؟! .

(٢) هو الإمام المبرِّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٣) أي هو استفهام يراد به الإنكار ، والمعنى : أيشفعون لهم ، وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟!

٤٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً .. ﴾ [آية ٤٤] .

كما قال تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[١] .

٤١ ـ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قَتَادةَ قال : ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ : استكبرتْ ، وكَفَرتْ[٢] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال : انقبضَتْ[٣] .

قال أبو جعفر : يُقال : اشمأزَّ من كذا : إذا نَفَر منه[٤] .

ويُروى أنهم كانوا إذا سمعوا من يقول : « لا إله إلا اللَّه وحده » نفروا ، وقالوا : لم تُذْكر آلهتُنا[٥] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/١٠ ولفظه : قال قتادة : ﴿ اشمأزت ﴾ أي نفرت قلوبهم ، واستكبرت . وذكره في الدر المنثور ٣٣٠/٥ والقرطبي ٢٦٤/١٥ عن قتادة قال : نفرتْ ، واستكبرت ، وكفرت . اهـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٤/١٠ وابن كثير ٩٣/٧ والدر المنثور ٣٣٠/٥ ، وهذا القول عن مجاهد أظهر وهو قول المبرِّد ، لأن معنى الاشمئزاز : النفور والانقباض ، والمعنى : انقبضت قلوبهم من شدة الكراهة ، فهم يكرهون توحيد الله ، ويحبون الإشراك .

(٤) في المعجم الوسيط : شَمَزَت نفسه : نفرت من الشيء تكرهه ، واشمأزَّ بالأمر : ضاقَ به ونفر منه كراهةً . اهـ .

(٥) هذا مثل قوله تعالى في سورة الصافات ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ .

٤٢ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [آية ٤٧] .

يُروى أنهم عملوا أعمالاً ، توهَّموا أنها تنفعهم ، فلم تنفعهم ، لأنهم كانوا مشركين(١) .

٤٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا .. ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهد : ﴿ خَوَّلْنَاهُ ﴾ : أعطيناه .

قال أبو جعفر : يُقال : خوَّلتُه كذا أي أعطيتُه إيَّاهُ ، تفضلاً من غير جزاء(٢) .

٤٤ ـ وقوله جل وعز ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوْتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهد : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ أي على شرفٍ(٣) .

وقال قتادة : أي على خيرٍ عندي(٤) .

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ وقريب منه قول السدي : ظنوا أن أعمالهم حسنات ، تنجيهم من عذاب الله ، فبدت لهم سيئات ، لأنهم كانوا مشركين .

(٢) في المعجم الوسيط : خوَّله الشيء : أعطاه إياه متفضلاً . اهـ.

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ .

(٤) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ قال : أي على خير عِلِمَهُ الله عندي . وذكره الطبري ١٢/٢٤ والقرطبي ٢٦٦/١٥ وفي المخطوطة « على خُبْر عندي » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه من أقوال المفسرين ، وتأوله المصنِّف بأن المعنى على علم بالكسب ، وهو =

قال أبو جعفر : المعنى : إن لي علماً بالكسب ، إما بتجارةٍ ، أو غيرها[1] ، فقد علمتُ أني أُوْتَى هذا .

ومن أحسن ما قيل فيه : أن المعنى : قد علمتُ إذا أوتيتُ هذا في الدنيا ، أنَّ لي عند اللَّهِ منزلةً ، فردَّ اللَّه جلَّ وعزَّ ذا عليه ، فقال : ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ** .. ﴾[2] الآية .

فعرَّف اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، أنه ليس يُعْطِي المالَ كلَّ من له منزلة .

٤٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ .. ﴾** [آية ٤٩] .

أي بل العطِيَّةُ فتنةٌ[3] ، يُمتحنُ بها العبدُ ، ليظهر منه أيشكر أم يكفر ؟

= صحيح من حيث المعنى ، ولكنه ليس قول قتادة ، وإنما قول قتادة : على خير علمه الله عندي ، والله أعلم .

(١) هذا الوجه من التفسير ذكره ابن جزي في التسهيل ٤٢٧/٣ حيث قال : والآية تحتمل وجهين : أحدهما ــ وهو الأظهر ــ أن يريد على علم مني بالمنافع والمكاسب ، والآخر على علم الله باستحقاقي لذلك . اهـ.

(٢) سورة القصص آية رقم ٧٨ .

(٣) أعاد الضمير هنا بالتأنيث ﴿ بل هي فتنة ﴾ لأن المراد بها النعمة أو العطية ، كما قال المصنف ، وقبل ذلك أتى بالضمير مذكراً ﴿ إنما أوتيته على علم ﴾ لأنه أراد به الإنعام ، وهو مذكَّر ، قال الفراء في معانيه ٤٢٠/٢ : خرجت هي بالتأنيث لتأنيث الفتنة ، ولو قيل : ﴿ بل هو فتنة ﴾ لكان صواباً ، ومثله كثير في القرآن . اهـ.

٤٦ ــ وقوله جل وعزّ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى مجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ قال : نزلت في « وحشي » قاتل حمزة ، على حمزَة السَّلامُ ، إلى تمام ثلاث آيات ، وكان النبيُّ ﷺ لا يُطيق أن ينظر إليه ، فظنَّ أن اللَّهَ جلَّ وعزَّ لم يقبل منه إسلامه ، فنزلت هذه الآيات الثلاث[1] .

ورَوَى إبراهيم التيميُّ عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[2] .

وقال : نزلت في قاتل حمزة وذويه ، كذا قال .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره من رواية عطاء بن يسار ٢٤/١٤ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ عن ابن عباس قال : « بعث رسول الله ﷺ إلى « وحشي بن حرب » قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه يا محمد : كيف تدعوني وأنت تزعم أنَّ من قَتَل ، أو أشرك ، أو زنى ، يلْقَ أثاماً ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ؟ وأنا صنعت ذلك ، فهل تجد لي من رخصة ؟ فأنزل الله ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ فقال وحشي : هذا شرط شديد ، فلعلِّي لا أقدر على هذا ؟! فأنزل الله ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقال : وحشي : هذا بعد مشيئته فلا أدري أيغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟ فأنزل الله ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. ﴾ الآية فقال وحشي : هذا نعم ، فأسلم » وذكره القرطبي بنحوه في تفسيره ٢٦٨/١٥ .

(٢) هذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع المعتدِّ بها ، بل هي محمولة على التفسير ، كما نبَّه على ذلك أهل التفسير والقراءات ، والإمام النحاس في إعراب القرآن ٨٢٤/٢ .

قال أبو جعفر : وكذلك يُرْوَى أنه في مصحفِ ابنِ مسعود .

ومعنى ﴿ لا تَقْنَطُوا ﴾ : لا تيأسوا .

قال قتادة : ﴿ وأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ أي أقبلوا واعملُوا له[1] .

٤٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً .. ﴾ [آية ٥٥] .

وكلُّه حسنٌ ، ففي هذا أقوال :

أ ــ منها أنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ ، قد أباح الانتصارَ ــ بعد الظُّلْمِ ــ والعَفْوَ ، والعفوُ أحسنُ[2] .

ب ــ ومنها أن اللَّهَ جلَّ وعزَّ ، قد أخبر عن قومٍ أنهم أطاعوا ، وعن قوم أنهم عَصَوْا ، فأمر أن نتَّبِعَ الطَّاعةَ .

جـ ــ ومنها أنه الناسخ[3] .

د ــ ومنها أن يكون المعنى : الحسنُ مِمَّا أُنزل إليكم[4] .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٤/١٧ عن قتادة والسدي ، وكذلك صاحب الدر .

(٢) هذا قول لبعض المفسرين في توجيه الآية ، أن الله أباح الانتصار للمظلوم من الظالم فقال ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ وذكر بعده أن العفو أفضل فقال ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ سورة الشورى .

(٣) هذا القول محمول على أن المفاضلة من حيث النفع والمصلحة ، كقوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو نُنْسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ الآية .

(٤) لعل هذا القول أظهر الأقوال ، وهو أن المراد اتباع القرآن ، الذي أنزل إلينا ، وما تضمنه من =

و ﴿ بَغْتَةً ﴾ فُجاءةً .

٤٨ ــ وقوله جل وعز ﴿ أَنْ تَقُولَ نفسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٥٦] .

المعنى : افعلوا هذا خوفَ أن تقول نفسٌ ، وكراهة أن تقول نفسٌ ياحسرتا[١] .

والحسرةُ : الندامةُ ، أي يلحق الإنسانَ ما يصير معه حسيراً ، أي معيباً ، وحرفُ النداء يدلُّ على أنه شيءٌ لازمٌ ، أي يا حسرةُ هذا وقتُكِ ، وهذا مذهب سيبويه[٢] .

قال مجاهد : ﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ أي في أمر الله[٣] .

قال أبو جعفر : **المعنى** : في جنب أمرِ اللَّهِ ، على التمثيل[٤] .

= الهداية والإرشاد ، والمعنى : اتَّبعوا القرآن ، فإنه أحسن الكلام ، وأحسن البيان ، وفي التمسك به سعادة الإنسان ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض ، لأنه حسنٌ كله ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(١) أشار المصنف إلى أن الجملة في موضع نصب مفعول لأجله تقديره : كراهة أن تقول نفس .

(٢) نداء الحسرة لا يتأتى ، وهو من أساليب العرب في التشخيص ، فإنهم يصوِّرون الحسرة بصورة شخص ، وينادونه ليحضر لإنقاذه ، والألف في ﴿ حسرتا ﴾ بدل ياء الإضافة ، والمعنى كما قال سيبويه : يا حسرتي احضري فهذا وقتك ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٩٢/٧ .

(٣) ﴿ في جنب الله ﴾ أصله من الجنب بمعنى الجانب ، ثم استعير للأمر والحق ، أي يا حسرتا على ما فرطت في حقِّ الله ، وفي أمر طاعته ، وانظر الطبري ١٩/٢٤ .

(٤) قال الراغب : أصل الجنب الجارحة ، ثم يستعار للناحية والجهة ، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح كاليمين ، والشمال ، والمراد هنا : الجهة مجازاً ، أي في جنب طاعة الله ، أو في حقه =

أي على الطريق الذي يؤدي إلى الحقِّ ، وهو الإيمانُ .

٤٩ ـ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾** [آية ٥٩] .

﴿ **بَلَى** ﴾ في كلام العرب ، إنما يقع بعد النفي ، وليس في الكلام نفيٌ ، ولكنْ فيه معناه ، لأن معنى ﴿ **لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي** ﴾ : ما هداني اللهُ[1] .

ورَوَى الرَّبِيعُ بنُ أنسٍ ، عن أمِّ سَلَمة ، أن النبيَّ ﷺ قرأ ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكِ آياتِي ، فَكَذَّبْتِ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتِ ، وَكُنْتِ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾[2] .

وقراءةُ الأعمش ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْهُ آيَاتِي ﴾ وهذا يدلُّ على التذكير .

= تعالى . اهـ. قال الألوسي : وهذا كقول البريري من شعراء الحماسة :

أَمَا تَتَقِينَ اللهَ في جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

(١) لا يشترط في « بلى » أن يتقدم قبلها النفيُ صريحاً ، بل يكفي ما يدل عليه معنى النفي ، فإن قوله ﴿ لو أن الله هداني ﴾ معناه : ما هداني الله ، قال الزجاج ٣٥٩/٤ ﴿ بلى ﴾ جواب النفي ، وليس في الكلام لفظ النفي ، ولكن معناه : وكأن هذا القائل قال . ما هُديت ، فقيل : بلى قد بُيِّن لك طريق الهدى ، فلو أردت أن تؤمن لأمكنك ذلك . اهـ.

(٢) قال الواحدي : القراءة المشهورة على التذكير ﴿ بلى قد جاءتكَ ﴾ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى ، فخوطب المذكر . اهـ. وقراءة التأنيث ﴿ قد جاءتكِ ﴾ جائزة لغة ، ولكنها ليست من القراءات السبع ، لأن النفس تؤنث ، فجاز مجيئها على التأنيث ، قال أبو عبيد : لو صحَّ هذا عن النبي ﷺ لكان حجة ، ولكنه ليس بمسند . اهـ. التفسير الكبير للرازي ٧/٢٧ .

والرَّبيعُ بنُ أنسٍ لم يلحق « أمَّ سَلَمة » إلاَّ أن القراءة جائزةٌ ، لأنَّ النفس تقع للمذكَّرِ والمؤنث .

وقد أنكرَ هذه القراءةَ بعضهُم ، وقال : يجبُ إذا كَسَرَ التَّاءَ أن يقول : وكنتِ من الكوافر ، أو من الكافرات[1] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزمُ ، أَلَا ترى أن قبلَهُ ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ** ﴾ ثم قال ﴿ **وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴾ ولم يقل : من السَّواخر ، ولا منَ السَّاخِرَاتِ !!

والتقديرُ في العربية على كسر التاء : واستكبرتِ ، وكنتِ من الجميع الساخرين ، أو من النَّاسِ السَّاخرينَ ، أو من القومِ السَّاخرين ، و« قومٌ » يقع للرجالِ والنساء ، إذا اجتمعوا ، وللرجال مفردين ، كما قال [الشاعر] :

وَمَا أَدْرِي وَسَوفَ إِخَالُ أَدْرِي
أَقَومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[2]

(١) قال الإمام ابن جرير ٢١/٢٤ : قرأه القراء في جميع الأمصار على التذكير ، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع القراء عليها ، وقد رُوي بالكسر على وجه الخطاب للنفس ، كأنه قال : أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله ، بلى قد جاءتك أيتها النفس آياتي فكذَّبتِ بها . اهـ.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدة له مطلعها « عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاءُ » وهو في ديوانه ص ٧٣ وفي شواهد المغني للسيوطي ١٣٠/١ وفي أمالي ابن الشجري ٢٣٨/١ .

٥٠ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ .. ﴾ [آية ٦١] .

أي بنجائهم من النَّارِ .

ويُقرأ ﴿ بِمَفَازَاتِهِمْ ﴾[١] والتوحيدُ أجوَدُ[٢] ، لأن مفازة بمعنى الفوز .

٥١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [آية ٦٣] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال ﴿ مقاليد ﴾ : أي مفاتيح[٣] .

قال أبو جعفر : ومعنى له مفاتح السمواتِ والأرض ، هو خالقُ ما فيهما ، ومفتاح بابه بيده عز وجل ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) هذه من القراءات السبع ، قرأ حمزة ، والكسائي ، بالجمع ﴿ بمفازاتهم ﴾ وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ﴿ بمفازتهم ﴾ بالإفراد ، وانظر النشر ٣٦٣/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٣ .

(٢) إنما كانت قراءة الإفراد ﴿ بمفازتهم ﴾ أجود وهي قراءة الجمهور ، لأنها جاءت مصدراً بمعنى الفوز ، والتقدير : وينجِّيهم الله بسبب سعادتهم ، وفوزهم برضوان الله ، قال ابن كثير ١٠٢/٧ : أي ينجِّيهم بما سبق لهم من السعادة ، والفوز عند الله . اهـ.

(٣) الأثر في الطبري ٢٣/٢٤ قال الأزهري في تهذيب اللغة : ﴿ له مقاليد ﴾ أي مفاتيح السموات والأرض ، والإقليد : المفتاح بلغة أهل اليمن ، وقال الليث : المِقْلَاد : الخزانة ، والمقاليد : الخزائن . اهـ. وكذلك قال الجوهري : الإقليد : المفتاح ، والمِقْلد : مفتاح ، كالمِنْجل ، والجمع المقاليد . اهـ. والمعنى : أن بيده جل وعلا مفاتيح خزائن كل الأشياء في السموات والأرض ، لا يملك أمرها ، ولا يتصرَّف فيها غيره ، لأنه مالك الملك .

بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ أي من زَعَم أن غيره خلق شيئاً من هذا ، فقد خَسِر وكَفَر[1] .

٥٢ ــ ثم أخبر أنه إنما ينبغي أن يُعْبد وحدَه ، فقال بعد البراهين :

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾ ؟ [آية ٦٤] .

أي أفغيرَ اللّـهِ أعبدُ في أمركم[2] ؟ .

هذا قولُ سيبويه .

٥٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .. ﴾ [آية ٦٧] .

قال أبو جعفر : أبو عُبيدةَ يذهبُ إلى أن المعنى : وما عرفوا اللَّهَ حقَّ معرفته[3] .

وفي معناه قولٌ آخر ، وهو أن يكون التقديرُ : وما قدروا نِعَم

---

(١) قال ابن كثير ١٠٢/٧ : ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي بحججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ حيث خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

(٢) قال القرطبي ٢٧٦/١٥ : دَعَوْا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وقالوا : هو دين آبائك ، فنزلت . ومعنى الآية : قل يا محمد أتأمرونني أن أعبد غير الله ، بعد سطوع الآيات ، والدلائل على وحدانيته ، يا أيها الجاهلون ؟

(٣) هذا القول ذكره أبو عبيدة في كتابه « مجاز القرآن » ٢٠٠/١ وله وجه عند علماء التفسير ، فقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٩/٧ فقال ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته ، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وساووا بينه وبين الخشب والحجر في العبادة . اهـ.

اللهِ[1] ، ثم حُذِفَ ، كما قال سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٥٤ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال الضحاك : هذا كله في يمينه[2] .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ **والأرضُ جَمِيعَاً قبضتُه يوم القيامة** ﴾ أي يملكها ، كما تقول : هذا في قبضتي[3] .

قال محمد بن يزيد : معنى ﴿ **بيمينه** ﴾ بقوَّته ، وأنشد :

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ[4]

أي بالقوة .

---

(١) على هذا القول يكون من باب « المجاز المرسل » بتقدير حذف المضاف كما في قوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٢٦/٢٤ وروى عن ابن عباس قوله : إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه ، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه ، وليس في شماله شيء ، وقال الحسن : كأنها جوزة بقضِّها وقضيضها .

(٣) حمل الإمام أبو جعفر النحاس الآية على المعنى المجازي ، أي هي في ملكه وتصرفه ، والتخصيص بيوم القيامة لأنه ليس له تعالى في ذلك اليوم منازع ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ وقال ابن كثير ١٠٤/٧ : والطريق في هذه الآية وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت ، من غير تكييف ولا تحريف . اهـ.
أقول : ومذهب السلف أصح وأقوم وأسلم .

(٤) البيت للشماخ كما في ديوانه ٣٣٦ وفي المحتسب لابن جني ٢٣٤/٢ وأسرار البلاغة للجرجاني ص ٤٠٤ .

٥٥ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَنُفِخَ في الصُّورِ .. ﴾** [آية ٦٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الصُّورِ ، فقال : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه[1] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادَة في قوله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : في صُوَرِ النَّاس أجمعين[2] .

قال أبو جعفر : هذا ليس بمعروف ، والمستعملُ في جمع صُورةٍ صُوَرٌ ، ولم يقرأ أحدٌ « وَنُفِخَ في الصُّوَرِ »[3] .

٥٦ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٦٨] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٤ وقال الترمذي : حديث حسن ، والدارمي في الرقاق ، وأحمد في المسند ١٢٦/٢ بلفظ « أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الصور فقال : قَرْنٌ يُنْفخ فيه » وانظر الدر المنثور ٣٣٧/٥ .

(٢) حكاه الطبري في تفسير سورة الأنعام بصيغة التضعيف فقال ٢٤١/٧ : وقيل : الصُّور في هذا الموضع جمع صورة ، ينفخ فيها روحها فتحيا .. ثم قال : والصواب أن الصور قرنٌ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ..

(٣) ما قاله المصنف هو الصحيح ، أن الصُّوْرَ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ، ولو كان المراد به النفخ في صُوَر بني آدم حتى تعود لهم الروح لقال : ونُفِخ في الصُّوَر ، ولم يأت في اللغة العربية صُور جمع صُوَر ، وقراءة قتادة وزيد بن علي ﴿ ونفخ في الصُّوَر ﴾ من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٥٩/٢ .

رَوَى سعيدٌ عن قَتادةَ ﴿ **فَصَعِقَ** ﴾ : فمات[1] .

ورَوَى عاصمٌ عن عيسى المدني قال : سمعتُ علـــــيَّ بن حسين ، يسأل كعب الأحبار ، عن قوله تعالى ﴿ **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ فقال كعبٌ : « جبرائيل » و« ميكائيل » و« اسرافيل » مَلَكُ الموت ، وحَمَلَةُ العرش ، ثم يميتُهم اللهُ بعدُ[2] .

ورَوَى محمدُ بنُ إسحقَ ، عن يَزيدَ الرَّقَاشِي[3] ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ قال : (جبرائيل ، وميكائيل ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٢٩ وهذا الذي رُوي عن قتادة ، متفقٌ مع اللغة ، فإن الصَّعق معناه : الموت ، قال في المصباح : صَعِقَ صَعْقاً من باب تَعِبَ : مات ، وصَعِقَ : غُشي عليه لصوت سَمِعَه ، والصعقة الأولى : النفخة . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٢٩ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٥ ونسبه إلى السُّدي ، ولم يُذكر في الروايتين حملة العرش ، وإنما اقتصر فيهما على « جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت » .

(٣) يزيد الرَّقاشي : هو يزيد بن أبان الرَّقاشي ، أبو عمرو البصري ، زاهد واعظ ، ولكنه ضعيف ، متروك الحديث ، قال ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣١٠/١١ . وذكره الطبري عن أنس عن النبي ﷺ قال : « قرأ رسول الله ﷺ ﴿ ونفخ في الصور .. ﴾ الآية فقيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، فإذا قبض أرواح الخلائق . قال : يا مَلَك الموت من بقي ؟ ــ وهو أعلم ــ قال يقول : سبحانك تباركت ربِّي ذا الجلال والإكرام : بقي جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، قال : يا مَلك الموت خذ نفس ميكائيل ، فيقع كالطود العظيم .. » الحديث ، الطبري ٢٤/٢٩ .

وحملةُ العرش ، ومَلَكُ الموت ، وإسرافيل)[1] .

وفي هذا الحديث : أن آخرهم موتاً جبرائيلُ ﷺ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ : هم الشهداءُ ، متقلِّدي السُّيوفِ عند العرشِ .

قال أبو جعفر : وهذا ليس بناقضٍ للأول .

وقد رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ : (يُنْفخ في الصُّور ، فأكون أول من قَامَ ، فإذا موسى ﷺ ، فلا أدري أقامَ قبلي ، أم هو ممن استثنى الله)[2] .

٥٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [آية ٦٨] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : (إنَّ بين النفختَيْنِ أربعين)[3] ..

---

(١) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس مرفوعاً كما في الدر المنثور ٣٣٧/٥ وذكره

(٢) الأثر عن سعيد بن جبير أخرجه أبو يعلى ، والدارقطني ، والحاكم ، وصحّحه عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « هم الشهداء مقلَّدون بأسيافهم ، حول عرشه ، تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر ، بنجائب من ياقوت .. » الحديث ، وانظر الدر المنثور ٣٣٦/٥ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الخصومات ١٥٨/٣ ومسلم رقم ٢٣٧٣ والترمذي رقم ٣٢٤٥ عن أبي هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق المدينة « والذي اصطفى موسى على البشر » فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، وقال : أتقول هذا وفينا رسول الله ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : يُنفخ في الصور فأكون أول من يرفع رأسه .. » إلى تمام الحديث .

قال الحسن : لا أدري ، أهي أربعون سنة ، أم أربعون شهراً ، أم أربعون ليلةً ، أم أربعون ساعة[1] ؟ .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** .. ﴾ [آية ٦٩] .

يُبيِّنُ هذا ، الحديثُ المرفوعُ عن النبي ﷺ ، من طُرقٍ كثيرةٍ صحاحٍ[2] : (تنظرون إلى الله جلَّ وعزَّ ، لا تُضَامون في رؤيته) .

وهو يُروى على أربعة أوجه « لا تُضَامُونَ » و« لا تُضَارُونَ » ولا « تُضَارُّونَ » و« لا تُضَامُّون » .

فمعنى (تُضَامُونَ) : لا يلحقكم ضيمٌ ، كما يلحق في الدنيا في النظر إلى الملوك .

و (لا تُضَارُونَ) : لا يلحقكم ضيرٌ .

و (لا تُضَامُّون) : لا ينضمّ بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه .

---

(١) حديث « إن بين النفختين أربعين » أخرجه البخاري ١٥٨/٦ ومسلم رقم ٢٩٥٥ وتتمته قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون عاماً ؟ قال : أَبَيْتُ .. » الحديث ، وانظر جامع الأصول ٤٢١/١٠ .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه البخاري ٣٥٨/١٣ ومسلم برقم ١٨٣ والنسائي ١١٢/٨ بلفظ (إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر ليلة البدر ، لا تضامُّون في رؤيته ..) الحديث ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٤٤٧/١٠ والروايات المتعددة فيه ، وفي رواية للبخاري (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟) .

و(لا تُضَارُّون) : لا يخالف بعضكم بعضاً ، يُقال : ضاررتُه مضارَّة وضِرَاراً : أي خالفتُه[1] .

٥٩ ـ وقوله جل وعز ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوْهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [آية ٧٣] .

الكوفيون يذهبون إلى أن الواو زائدة[2] .

وهذا خطأ عند البصريِّين ، لأن الواو تفيدُ معنى العطف ، ولا يجوز أن تُزاد .

---

(١) خلاصة القول أن لفظة « تُضَامُّون » وردت في الصحيح بالتشديد ، والتخفيف ، كما وردت لفظة « تُضَارُّون » وردت كذلك بالتشديد والتخفيف .

(٢) على هذا القول يكون الجواب محذوفاً أي حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها سَعِدوا ، قال القرطبي ٢٨٥/١٥ : وحذف الجواب بليغ في كلام العرب ، كما قال امرؤ القيس : « فلو أنها نفس تموت جميعةً » أي لكان أروح .

أقول : وأحسن ما قيل في هذه الآية ، أن الواو ليست زائدة ، وإنما هي واو الحال ، بتقدير « قد » أي جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ جنات عدن مفتَّحةً لهم الأبواب ﴾ وهذا من الله سبحانه زيادة لهم في الإكرام والاحترام ، كأن خزنة الجنة فتحوا أبوابها ، ووقفوا منتظرين لهم ، كما يفتح الخدم باب المنزل للضيف المدعو للضيافة قبل قدومه ، ويقفون بانتظاره تكريماً وإجلالاً ، بخلاف أهل النار فإنهم تُفتح لهم أبواب جهنم بغتةً وفجأة ، زيادة في الإفزاع والتهويل ، وجهنم تشبه السجون ، والجنة تشبه القصور ، وقد عرف الناس أن أبواب السجون لا تزال مغلقة ، حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يُسجنون فيها ، فتفتح لهم ليدخلوها ، فإذا دخلوها أُغلقت عليهم ، فهذا هو السر والحكمة في عدم ذكر الواو في خبر جهنم ، وذكرها في خبر الجنة ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ اللهم افتح علينا فتوح العارفين ، وعرفنا أسرار كتابك يا رب العالمين .

قال محمد بن يزيد[1] : المعنى : حتى إذا جاءوها ، وفُتحت أبوابُها ، سَعِدُوا .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُم طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾** [آية ٧٣] .

قال أبو إسحاق[2] : المعنى : طبتم فادخلوها خالدين دخلوا ، وحُذِف هذا لعلمِ السامع .

وقيل : معنى ﴿ طِبْتِمْ ﴾ طبتم في الدنيا[3] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (يغتسلون من نهرٍ في الجنة ويشربون منه ، فلا يبقى في أجوافهم خَبَثٌ ولا غلٌّ إلاَّ خرج)[4] .

---

(١) هو الإمام المبرِّد إمام العربية ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٣) هذا القول هو الأظهر أي طبتم من دنس المعاصي والآثام ، وهو قول مجاهد ، والجملة في موضع التعليل ، كأنه يقول : كنتم طيبين في الدنيا ، فادخلوا الجنة خالدين ، قال ابن كثير : أي طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم ، فطاب جزاؤكم . اهـ.

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٣٥ وذكره ابن الجوزي عن علي بنحوه ، حيث قال ٧/٢٠١ : « إنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة ، وجدوا عند بابها شجرة ، يخرج من تحت ساقها عينان ، فيشربون من إحداهما ، فلا يبقى في بطونهم أذى ، ولا قذى إلَّا خرج ، ويغتسلون من الأخرى فلا تغبرُّ جلودهم ، ولا تشعث أشعارهم أبداً ، وتقول لهم الملائكة ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

٦١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ .. ﴾ [آية ٧٤] .

قال قتادة : يعني أرضَ الجنة[٢] .

٦٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [آية ٧٥] .

فختم بالحمد ، كما بدأ به[٣] .

* * *

« انتهت سورة الزمر »

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٧/٢٤ والقرطبي ٢٨٧/١٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٤٣/٧ وهذا قول أكثر المفسرين ، لقوله تعالى بعده ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ وقيل : إنها أرض الدنيا ، قال أبو حيان : وهو بعيد .

(٢) أي بدأ القرآن بالحمد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وختم هنا بالحمد ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

تفسير سورة غافر

مكية وآياتها ٨٥ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر وهي مكية[1]

١ ـ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ . تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ حمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن[2] .

وقيل : معنى ﴿ حمٓ ﴾ : حُمَّ الأَمْرُ[3] .

وفي روايةِ عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ قال : ﴿ الـرٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ نونْ ﴾ حروف الرَّحمنِ جَلَّ وعزَّ ، مقطَّعة[4] .

(١) السورة مكية باتفاق ، قال في البحر ٤٤٦/٧ : الحواميم سبعٌ مكيات بإجماع . اهـ.وتسمى سورة المؤمن ، وغافر ، وسورة الطَّول .

(٢) الأثر في الطبري ٣٩/٢٤ والقرطبي ٢٨٩/١٥ وزاد المسير ٢٠٦/٧ .

(٣) حكاه الزجاج عن بعض المفسرين كما في تفسير ابن الجوزي ٢٠٦/٧ ، ورُوي عن الضحاك والكسائي : معناه قُضِي ما هو كائن .

(٤) الحاء : افتتاح اسم الله جل وعلا « حميد ، وحليم ، وحكيم » والميم : افتتاح اسمه « مجيد ، ومنّان » وهذا ذكره القرطبي ٢٨٩/١٥ عن عطاء الخراساني ، وهو أيضاً من رواية عكرمة عن ابن عباس ، والأظهر ما عليه أهل التحقيق ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر الجزء الأول ص ٧٧ من هذا التفسير .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿ حَامِيمَ تَنْزِيلَ ﴾[1] والمعنى على قراءته : أتْلُ حاميمَ ، ولم يصرفه لأنه جعله اسماً للسُّورةِ .

ويجوز أن يكون فُتِحَ لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ .

والمعنى : هذا تنزيل الكتابِ ، من اللهِ العزيزِ العليمِ .

٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [آية ٣] .

ويجوز أن يكون التَّوْبُ جمع توبة ، كما قال :

« فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهُبُّ سَاعَا »[2] .

ويجوز أن يكونَ التَّوْبُ : بمعنى : التوبة[3] .

٣ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ شَدِيدُ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [آية ٣] .

---

(١) ذكرها ابن الجوزي ٢٠٩/٧ والقرطبي ٢٩٠/١٥ والبحر المحيط ٤٤٦/٧ وليست من القراءات السبع .

(٢) هذا شطر بيت للقُطَامي ، وهو في ديوانه ص ٣٤ من قصيدة مطلعها : قفي قبل التفرق يا ضُبَاعا .. وتمامه :

وكُنَّا كالحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهُبُّ سَاعَا

وفي تفسير الألوسي ٤٢/٢٤ : ﴿ التَّوبُ ﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ، كالأوب بمعنى الرجوع ، ويحتمل أن يكون اسم جمع لتوبةٍ ، كتمرٍ ، وتمرةٍ . اهـ.

(٣) هذا هو الأظهر قال الراغب : التَّوب ترك الذنب على أجمل الوجوه . والندم على ما فرط منه ، والعزم على ترك المعاودة . اهـ.

روى ابنُ أبي نجيح ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ قال : ذي الغِنَى[1] .

وروى سعيدٌ عن قَتادة قال : ذي النِّعمةِ[2] .

قال أبو جعفر : الطَّوْلُ في اللُّغةِ : الفضلُ ، والاقتدارُ ، يُقال : لفلانٍ على فُلَانٍ طَوْلٌ ، واللَّهمَّ طُلْ علينا برحمتك .

وروى علي بن أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ذِي الطَّوْل ﴾ قال : ذي السَّعَة والغِنَى[3] .

٤ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [آية ٤] .

قال قتادة : أي فلا يَغْرُرْك إقبالُهم وإدبارُهم ، وتصرُّفهم في أسفارهم[4] .

قال أبو جعفر : مثلُه قوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[5] .

(١ ـــ٣) هذه الآثار كلها ذكرها الطبري ٢٤/٤١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٥ والقرطبي ١٥/٢٩١ قال ابن جرير ﴿ ذي الطَّول ﴾ أي ذي الفضل والنعم ، المبسوطة على من شاء من خلقه ، ثم ذكر الآثار . وقال الراغب في المفردات : الطَّول : خُصَّ به الفَضل والمنُّ . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٤/٤٢ وهو في الدر المنثور ٥/٣٤٦ والمخاطب في الآية مكلَّف عاقل ، أي لا تغترَّ أيها العاقل ، بما هم فيه من التصرف والتقلب في هذه الدنيا ، بالأسفار والتجارات ، والمساكن والمزارع ، والبسطة والغنى ، فإنما هو متاع قليل ، وظل زائل ، ونعيم فانٍ ، والآية تسلية للنبي عليه السلام ، ووعيد وتهديد للكفرة المجرمين .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٩٦ .

والمعنى : لا يغرنَّك سلامتُهم ، وأَناةُ اللهِ لهم ، فإن عاقِبَتهم مذمومةٌ ، ومصيرَهُمْ إلى النَّارِ .

٥ ـــ ثم بيَّن أن ذلك كان سبيلَ من قَبْلَهُم فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ .. ﴾ [آية ٥] .

وهم : ثمود ، وعادٌ ، وقومُ لوط ، ومن كان مثلهم .

٦ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ .. ﴾ [آية ٥] .

روى معمرٌ عن قَتادة قال : ليأخذوه فيقتلوه(١) .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن هذا قوله تعالى ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ أي أهلكتُهم ، ويُقالُ : للأسير : أَخِيذٌ(٢) .

٧ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [آية ٦] .

أي بقوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٤٢ والألوسي ٢٤/٤٤ وأبو حيان في البحر ٧/٤٤٩ وهو قول لابن عباس ، والمراد بالأخذ هنا : الإهلاك والقتل ، أي حرصت أمة على قتل نبيها ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فأخذتهم فكيف كان عقابِ ﴾ أي فأهلكتهم ودمرتهم ، فكيف كان عقابي لهم ؟

(٢) قال في المصباح : أخذته مثل أسرته وزناً ومعنى ، فهو أخيذٌ أي أسير ، فعيل بمعنى مفعول . اهـ.

(٣) سورة السجدة آية رقم ١٣ .

قال قتادة : حقَّ عليهم العذابُ بكفرهم(١) .

٨ ـ ثم أخبر أنَّ الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً ، فَاغْفِرِ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ ﴾ [آية ٧] .

روى معمر عن قتادة : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ قال : تابوا من الشرك ، واتَّبعوا طاعَتَك(٢) .

٩ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ .. ﴾ [آية ٨] .

يُروى أن عمرَ بن الخطاب قال لكعب الأحبار : ما جَنَّاتُ عَدْنٍ ؟ قال : قصورٌ من ذَهَبٍ في الجنَّةِ ، يدخلُها النَّبيُّون ، والصِّدِّيقون ، والشهداءُ ، وأئمةُ العَدْلِ(٣) .

قال أبو جعفر : العَدْنُ في اللُّغة : الإقامةُ ، وقد عَدَنَ

(١ ـ ٢) ذكرهما الطبري عن قتادة ٢٤/٤٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٧ ، والأولى أن تكون الآية على العموم ، أي تابوا من الذنوب مطلقاً ، وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتَّبعوا سبيل الحق والهدى والرَّشاد .

(٣) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٧ والقرطبي في جامع الأحكام ١٥/٢٩٥ قال الطبري ٢٤/٤٥ : ومعنى ﴿ جنات عدن ﴾ أي بساتين إقامة ، من يدخلها لا يخرج منها .

بالمكان : أقام به[1] .

١٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ .. ﴾** [آية ٩] .

﴿ وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ قال قتادة : أي العذابَ **﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾** قال : العذاب[2] .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إذْ تُدْعُونَ إلَى الإيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾** [آية ١٠] .

في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ ، وقد بيَّنهُ أهلُ التفسير[3] .

قال الحسن : يُعْطَون كتابَهُمْ ، فإذا نظروا في سيئاتهم ، مَقَتُوا أنفسَهم ، فيُنَادون : لَمَقْتُ اللهِ إيَّاكُم في الدنيا ، إذْ تُدْعون إلى الإيمان

---

(١) قال في المصباح المنير : عَدَنَ بالمكان عَدْناً ، وعُدُوناً : أقام ، ومنه ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٤/٤٦ والقرطبي ١٥/٢٩٦ ولفظه ﴿ وقهم السيئات ﴾ قال قتادة : أي وقهم ما يسوءهم ، وقيل : قهم عذاب السيئات . اهـ. ومراد المصنف أنه تكرر في الآية لفظ ﴿ السيئات ﴾ والمراد به العذاب ، كما قال سبحانه ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

(٣) توضيحه كما ذكره المفسرون : أن الكفار لما أُدخلوا النار ، ورأوا أعمالهم القبيحة ، مَقَتوا أنفسهم ــ أي أبغضوها أشد البغض ــ فنادتهم الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع : لمَقْتُ الله إياكم في الدنيا على جرائمكم الشنيعة ، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم ، بعد أن شاهدتهم العذاب !! والكلام كما نبه المصنف فيه تقديم وتأخير ، وأصل الكلام : لمقتُ الله لكم في الدنيا ، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ، أكبر من مقتكم لأنفسكم اليوم ، والله أعلم .

فتكفرون ، أكبرُ من مقتِكُم أنفسَكم اليومَ[1] .

وقال مجاهد : : إذا عاينوا أعمالهم السيِّئة ، مَقَتُوا أنفسَهم ، فنُودوا : لمَقْتُ اللهِ لكم إذْ تُدعون إلى الإيمانِ ، أكبرُ من مقتكم أنفسكم ، إذْ عاينتم النَّارَ[2] .

١٢ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ .. ﴾ [آية ١١] .

روى أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص[3] ، عن ابن مسعود قال : هي مثل قوله تعالى **﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾**[4] .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا في **﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ﴾** خلقتنا أمواتاً ، أي نُطَفاً ، ثم أَحْيَيْتَنَا ، ثمَّ أمتَّنا ، ثم أَحْيَيْتَنَا للبعث[5] .

---

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٩٧/١٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٦/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٤/٥ .

(٣) أبو الأحوص هو : عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قتله الخوارج أيام الحجاج ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨ وأولها ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ الآية . وهذه الرواية عن ابن مسعود هي قول الجمهور ، وقد رُويت عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، كما ذكره الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، قالوا : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ، ثم أحياهم الله ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان ، وموتتان . اهـ .

(٥) هذا القول محكي عن السدي كما رواه عنه المفسرون ، وقريب منه قول ابن زيد : خلقهم من ظهر =

وقيل : إحدى الحياتَيْنِ ، وإحدى المَوْتَتَيْنِ : الإحياءُ في القبرِ ، ثم الموتُ ، وأنهم لم يعنوا حياتهم في الآخرة(٦) .

١٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾** [آية ١٤] .

أي كذَّبتم ﴿ **وإنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا** ﴾ أي تصدِّقوا .

١٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. ﴾** [آية ١٥] .

رَوى عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : النبوَّةُ(١) .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : الوحيُ(٢) .

وروى معمرٌ عن قتادَة ﴿ يلقي الرُّوحَ ﴾ قال : الوحيُ ،

= آدم ، حيث أخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، قال الحافظ ابن كثير ١٢٣/٧ : وهذان القولان عن السدي ، وابن زيد ، ضعيفان ، لأنه يلزمهما ثلاث إحياءات ، وثلاث إماتات ، والصحيح قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومن تابعهما . اهـ.

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥٠/٢٤ عن السدي ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٠/٧ عن ابن عباس .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٩٩/١٥ وابن الجوزي ٢١٠/٧ والطبري ٤٩/٢٤ وجمعهما القرطبي فقال : أي الوحي ، والنبوة ، وسمَّى ذلك روحاً ، لأن الناس يحيون به من موت الكفر ، كما تحيا الأبدان بالأرواح . اهـ.

والرحمةُ[1] .

قال أبو جعفر : يلقي الوحيَ على من يختصُّ من عباده ، وسُمِّي الوحيُ روحاً ، لأنَّ النَّاسَ يَحْيَوْنَ به ، أي يهتدون ، والمهتدي حيٌّ ، والضالُّ ميِّتٌ ، على التمثيل ، ومنه يُقال لمن لم يَفْقَه : إنما أنتَ مَيِّتٌ ، وقال الله تعالى ﴿ **فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾[2] .

١٥ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ** .. ﴾ [آية ١٦] .

أي لينذرَ الَّذي يُوحَى إليه .

ويجوز أن يكون المعنى : لينذر اللهُ يومَ التَّلاقِ[3] .

قال قتادة : أي يوم يتلاقى أهلُ السَّماءِ ، وأهلُ الأرض ، ويلتقي الأولون والآخرون[4] .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٤٩ وفي الدر المنثور ٥/٣٤٨ وزاد المسير ٧/٢١٠ قال الحافظ ابن كثير : وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يُنَزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ وكقوله ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ .

(٢) سورة الروم آية رقم ٥٢ وتمامها ﴿ فإنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصُّمَّ الدعاء إذا ولَّوْا مدبرين ﴾ .

(٣) القول الأول هو الأظهر ، أي ليخوِّف الرسول الموحَى إليه عذاب يوم عصيب ، هو يوم القيامة ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والألوسي ، والقول بأن الضمير عائد إلى الله قول مرجوح ، والله أعلم . •

(٤) الأثر أخرجه الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، وغيرهم ، وقيل : يلتقي فيه الظالم والمظلوم ، على صعيد واحد .

﴿ **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ** ﴾ **قال قتادة** : أي لا يسترهم جبلٌ ، ولا شيء[1] .

١٦ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ** ﴾ [آية ١٦] .

أي يقال هذا[2] .

روى أبو وائلٍ[3] ، **عن عبد اللهِ بنِ مسعودٍ قال** : (يُحْشَرُ النَّاسُ على أرضٍ بيضاءَ ، مثلِ الفِضَّةِ ، لم يُعصَ اللهُ جلَّ وعز عليها قطُّ ، فأوَّلُ ما يُقَال : ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ ثم أوَّلُ ما يُنظر من الخصومات في الدِّمَاءِ ، فيُحضر القاتلُ والمقتول ، فيقولُ : سَلْ هذا لِمَ قَتَلَنِي ؟ فإن قال : قتلتُه لتكون العِزَّةُ لفلانٍ ، قيل للمقتولِ : اقتُلْه كما قتَلَكَ ، وكذلك إن قَتَل جماعةً ، أُذِيقَ القتلَ ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥١/٢٤ قال ابن كثير ١٢٥/٧ أي هم ظاهرون بادون ، لا شيء يكنُّهم ، ولا يظللهم ، ولا يسترهم . اهـ.وقال القرطبي ٣٠٠/١٥ : لا يسترهم شيء لأن الأرض يومئذ قاع صفصف﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ . اهـ.

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ مفعول لفعل محذوف ، أي يُقال لمن الملك اليوم ؟ وذلك عند فناء الخلق ، قال الحسن : هو تعالى السائل ، وهو المجيب ، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه ، فيجيب نفسه سبحانه بقوله ﴿ لله الواحد القهار ﴾ انظر القرطبي ٣٠٠/١٥ .

(٣) أبو وائل هو : شقيق بن سلمة الأسدي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة لا يسأل عن مثله ، مات سنة ٨٢هـ وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٦١/٤ .

كما أذاقهم في الدنيا ، قال ﴿ **لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾)[1] .

١٧ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ** .. ﴾ [آية ١٨] .

قال مجاهد وقتادة : أي القيامة[2] .

قال الكسائي : يُقال : أَزِفَ الشيءُ يَأْزَفُ : أي [دَنَا ، وَاقْتَرَبَ][3] .

قال أبو جعفر : قيل للقيامةِ الآزفةُ : لقربها ، وإن بَعُدت عن النَّاسِ ، ومنه يُقال : أُزِفَ رَحِيلُ فلانٍ .

١٨ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ** .. ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : شَخَصتْ من صدورهم فَنَشِبَتْ في حُلوقهم ، فلم

---

(١) أخرج هذا الأثر القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٠/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٥ ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٢) هذا قول الجمهور أن الآزفة اسم من أسماء القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال سبحانه ﴿ أَزِفَتِ الآزفة ﴾ أي قربت القيامة ، وقال قطرب : ﴿ الآزفة ﴾ يوم حضور المنية ، وهو قول مرجوح .

(٣) سقط من المخطوطة هذه الجملة [دنا واقترب] وهي ضرورية ، لأنها من تمام الكلام ، وهي شرح لكلمة أزف ، وقد وضحَّ الإمام النحاس معنى ﴿ الآزفة ﴾ وسبب التسمية بعده .

تخرجْ ، ولم ترجعْ[1] .

وقال غيره : تزحْزَحتْ قلوبُهم من الفَزَع ، فلم تخرج فيستريحوا ، ولم تَرْجِع[2] .

ثم قال تعالى : ﴿ **كَاظِمِينَ** ﴾ : أي مغتاظين ، ولا شيءَ يُزِيلُ غيظَهُمْ ، يُقال : كَظَمَ البعيرُ بجِرَّته[3] : إذا ردَّدها في حلقه ، وكَظَمَ غيظَه : إذا حَبَسَه .

١٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [آية ١٨] .

أي ليس لهم شفيع مُطَاعٌ .

قال الحسن : استكْثِروا من الأصدقاءِ المؤمنينَ ، فإن الرجلَ منهم يَشْفَعُ في قريبه ، وصديقه ، فإذا رأى الكفَّارُ ذلكَ قالوا ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾[4] .

٢٠ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [آية ١٩] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٢/٢٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠٢/١٥ .

(٢) هذا على التمثيل ، أي تكاد قلوبهم لشدة الخوف والجزع تبلغ الحناجر ، وهي مكان الحلقوم .

(٣) في الصحاح ٢٠٢٢/٥ كظم غيظه كظماً : اجترعه ، وكظم البعير كظوماً : إذا أمسك عن الجرَّة ــ يعني الاجترار ــ فهو كاظم . اهـ.

(٤) الآية من سورة الشعراء رقم ١٠١ والأثر أخرجه الطبري ٨٩/١٩ عن قتادة بنحوه ، ونصُّه : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع . اهـ.

قال ابن عباس : هو الرجلُ ينظر إلى المرأةِ ، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بَصَرَه ، فإذا رأى منهم غفلةً تدسَّسَ ، فإذا نَظَروا إليه غضَّ بصرَه ، وقد عَلِمَ اللهُ جلَّ وعزَّ منه أنَّ بِوُدِّهِ أن لو نظر إلى عورتها(١) .

وقال جريرُ بنُ عبدِ اللهِ : (سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظر الفُجَاءَةِ ، فأمرني أن أغضَّ بصري)(٢) .

٢١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وآثاراً فِي الأَرْضِ .. ﴾** [آية ٢١] .

قال مجاهد : هو مشيُهم وتأثيرُهم في الأرض(٣) .

٢٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾** [آية ٢٣] .

﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ أي بالعلامات التي تدلُّ على رسالته ، نحو

---

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٢١٣/٧ والقرطبي ٣٠٣/١٥ وفي الدر المنثور ٣٤٩/٥ وذكره ابن كثير ١٢٧/٧ عن ابن عباس ولفظه : « هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمرُّ به المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غضَّ ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غضَّ ، وقد اطَّلع الله من قلبه ، أنَّه ودَّ لو اطّلع على فرجها » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢١٥٩ في الآداب ، وأبو داود في كتاب النكاح رقم ٢١٤٨ والترمذي في الأدب رقم ٢٧٧٧ وأحمد في المسند ٣٥٨/٤ ولفظه : (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجَاءَة ، فأمرني أن أصرف بصري) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ١٢٧/٧ : أي أثروا في الأرض من البنايات ، والمعالم ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، المكذبون برسالتك ، كما قال تعالى ﴿ وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ممَّا عمروها ﴾ ومع هذه القوة العظيمة أخذهم الله بذنوبهم . اهـ .

العصا ، وما أشبَهَها .

﴿ وسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾أي : وحجَّةٍ مبيِّنة .

٢٣ ــ **ثم أعلمَ جلَّ وعز أنهم رَدُّوا الآيَاتِ** ، التي يعجِزُ عنها المخلوقـون ، بأنْ قالوا : سَاحرٌ كذَّاب ﴿ **فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[آية ٢٤] .

٢٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَـاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ** .. ﴾ [آية ٢٥] .

روى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هذا بعد القتلِ الأَوَّل[1] .

٢٥ ــ **ومعنـى** : ﴿ **إنِّـي أَخـافُ أنْ يُبَـدِّلَ دِينَكُـمْ أَوْ أَنْ يُظْهِـرَ فِي الأَرْضِ الفَسَاد** ﴾ [آية ٢٦] .

قال أبـو جعفـر : أخـافُ أن يكـون أحـدُ الأمريـنِ : إمَّـا أن يُذهبَ دينكم البتَّة ، وإمَّا أن يستميلَ فيفسد عليكم ويحاربكم !! .

ويُقـرأُ ﴿ **وأَنْ يُظْهِـرَ فِي الأَرْضِ الـفَسَاد** ﴾[2] أي أخـاف

---

(١) الأثـر أخرجـه السيوطـي في الـدر المنثور ٣٥٠/٥ عن قتـادة ، والقرطبي في جامـع الأحكـام ٣٠٥/١٥ والطبري ٥٦/٢٤ وابـن الجوزي ١٢٨/٧ قال : « وهـذا أمـر ثانٍ من فرعـون ، بقتـل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجـود موسى ، وأمَّـا الأمـر الثـاني فلإذلال هذا الشعب وإهانته ، وتقليل عدده ، ولكي يتشاءمـوا بموسى عليـه السلام كما أخبر عنهم القـرآن ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ !

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ وأن يُظْهِـر ﴾ بغير ألـف قبـل الـواو ، وقـرأ عاصـم ، وحمزة ، والكسـائيُ ﴿ أو أن يُظْهر ﴾ بألف قبـل الـواو ، وكـلاهما من القـراءات السبـع ، وانظـر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٥/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٩ .

الأمرين جميعاً .

٢٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ .. ﴾** [آية ٢٨] .

يجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ ، يكتمُ إيمانه من آلِ فرعونَ ، على التقديم والتأخير .

ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجل مؤمنٌ من آلِ فرعون ، يكتم إيمانه ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ** ﴾[1] ؟ أي لأن يقول .

﴿ **وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ** ﴾ أي لا يضرُّكم منه شيء .

٢٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .. ﴾** [آية ٢٨] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، لأنَّ كلَّ ما وَعَدَ بِهِ نبيٌّ كَانَ[2] ، فهذا موضع « كلٍّ » ؟ .

---

(١) القول الأول ضعيف ، والثاني هو الأظهر ، فإن قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ صفة لـ « مؤمن » والمعنى وقال رجل مؤمن من جماعة فرعون ، يُخفي إيمانه عن قومه : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ .. إلخ. وقد كان هذا الرجل « قبطياً » ولم يكن إسرائيلياً ، وهو قول السدي ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وأبو حيان في البحر المحيط ، لأنه لم يكن لأحدٍ من بني إسرائيل ، أن يتجاسر عند فرعون ، بمثل ما تكلم به هذا الرجل ، قال ابن كثير ١٢٩/٧ : ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يُعاجل له بالعقوبة ، لأنه منهم . اهـ.

(٢) هذا من الأسلوب الحكيم في المداراة ، ودفع سَفَه السفهاء ، فإنه أراد أن يتظاهر أمام فرعون ، بعدم الوثوق بكل ما جاء به موسى ، فقال ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ ليهضمه بعض حقه ، ويريهم أنه مجرد ناصح أمين لهم .

ففيها أجوبة :

أ ـــ منها أن « بعضاً » بمعنـــى « كلٌ » وهـــذا مذهب أبي عُبيـــدة ، وأنشد :

« أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا »[1]

وهذا قول مرغوبٌ عنه ، لأنَّ فيه بطلانَ البَيَانِ .

ب ـــ قال أبو إسحاق : في هذا إلزامُ الحُجَّةُ للمناظِرِ[2] ، أن يُقال : أرأيتَ إن أصابك بعضُ ما أَعِدُك ، أليسَ فيهِ هلاكُكَ ؟ .

فالمعنـى : إن لم يصبكـم إلَّا بعضُ ما وعـدكم موسى ، هلكتُـمْ ، قال : ومثلُه قولُ الشاعر :

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّـــي بَعْضَ حَاجَتِـــهِ
وَقَـدْ يَكُـونُ مَعِ المُسْتَعْجِـلِ الزَّلَـلُ[3]

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته وهو في ديوانه ص ٣١٣ بلفظ : « أو يعتلق بعض النفوس حِمامها » وتمامه :

تَرَّاكُ أمكنـــةٍ إذا لَمْ أرْضَهـــا أو يرتبـــطْ بعضَ النفـــوسِ حِمَامهـــا

وهو في مجاز القرآن ٢/٢٠٥ والقرطبي ١٥/٣٠٧ والبحر المحيط ٧/٤٦١ واستشهد به ابن منظور في لسان العرب ٧/١١٩ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٤/٣٧٢ قال : إنما ذكر البعض ليوجب له الكل ، لأن البعض هو الكل ، قال الألوسي في روح المعاني ٢٤/٦٤ وذهب الزجاج إلى أن « بعض » في الآية ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ على ظاهره ، والمراد إلزام الحُجَّة ..إلخ. والأظهر أنه إنما قال ﴿ بعض ﴾ ولم يقل « كل » مع أن الذي يصيبهم هو كل ما وعدهم به موسى عليه السلام ، ليلاطفهم في الكلام ، ويبعد عن نفسه التعصُّب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، رجاء إجابتهم للحق .

(٣) البيت لعُمير بن شُيَيم القَطامي كما في ديوانه ص ٢٥ وهو في البحر ٧/٤٦١ والقرطبي ١٥/٣٠٧ ـــ

أي أقلُّ أحوالِ المتأنّي ، أن يُدْرِكَ بعضَ حاجتِهِ .

جـ ــ **وقيل** : ليس في قوله ﴿ **يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** ﴾ نفيٌ للكل(١) .

د ــ **وقيل** : الأنبيـاء صلى الله عليهم يدعـون على قومهـم ، فيقولـون : اللهـم اخسف بهم ، اللهمَّ أهلكهم ، في أنواعٍ من الدُّعـاءِ ، فيصيبُهـم بعضُ ذلك .

هـ ــ **وفي الآية جوابٌ خامس** : وهو أن موسى ﷺ وَعَدَهم بعـذاب الدنيا معجَّلاً إن كفروا ، وبعذاب الآخرة ، وإنما يلحقُهـم في الدنيـا ما وعدَهُم به فيها ، وعذابُ الآخرة مؤخَّرٌ ، فعلى هذا يصيبهم بعضُ الَّذي يعِدهُمْ(٢) .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَهْـدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ [آية ٢٨] .

= وروح المعاني ٦٤/٢٤ وقد ورد في القرطبي والبحر المحيط وروح المعاني أنـه « عمـرو القطامـي » وهو خطأ وصوابه أنه « عمير بن شييم القطامي » .

(١) هذا قول أبي عبيدة أن المراد بالبعض الكل كما حكاه عنه الألوسي وصاحب البحـر ، والمعنـى على قوله : يصبكم كل الذي يعدكم به .

(٢) هذا القول ذكره ابـن الجوزي في زاد المسير ٢١٨/٧ وحكـاه عن الماوردي ، واختـاره ابـن كثير ، وغيره من المفسريـن ، قالـوا : إن موسى وعدهـم إن كفـروا بعـذاب الدنيـا ، وبعـذاب الآخرة ، فالمعنى يصبكم العـذاب العاجـل ، وهـو بعض ما يعـدكم من العـذاب ، ويصيرون بعـد ذلك إلى النار .

أي كافر[1] .

وقال قتادة : أي أسرف على نفسه بالشِّرْكِ[2] .

وقال السدي : وهو صاحبُ الدَّمِ[3] .

٢٩ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ فِرْعَونُ ما أُرِيكُمْ إلَّا مَا أَرَى ، ومَا أَهْدِيكُمْ إلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾** [آية ٢٩] .

رُوي عن معاذِ بنِ جَبَلٍ أنه قرأ ﴿ سَبِيلَ الرَّشَّادِ ﴾ بتشديد الشِّينِ[4] ، وقال : سبيلُ اللهِ جلَّ وعزَّ .

قال أبو جعفر : وهذا عند أكثر أهل اللغة العربية لحنٌ ، لأنه

---

(١) هذا قول قتادة كما حكاه الطبري في تفسيره ٥٩/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٩/٧ وهو تفسير للفظ ﴿ مسرف ﴾ أي أسرف في كفره وضلاله .

(٢) سبق تخريج الأثر عن قتادة في الطبري ، وتفسير ابن الجوزي .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٥٩/٢٤ وابن الجوزي ٢١٩/٧ وعزاه إلى مجاهد ، وهو في البحر المحيط ٤٦١/٧ .

أقول : وهذا القول أظهر ، والمعنى : إن الله لا يهدي من كان مسرفاً في القتل وسفك الدماء ، كذاب في ادعاء الربوبية .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٤١/٢ قال : وهي من قولهم : رَشِدَ يَرْشَدُ ، كعَلَّام من عَلِم يَعْلَم ، أو من رَشِدَ يَرْشُد ، كعبَّاد ، من عَبَدَ يَعبُد ، وليس من أَرْشَدَ يرشِدُ ، لأن فعَّالاً المأخوذ من أفعل لم يأت إلا في أحرف محفوظة ، ذكرها ابن جني . اهـ. وفي البحر ٤٦٢/٧ : وقال أبو حاتم : كان معاذ بن جبل يفسِّرها ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشَّاد ﴾ أي سبيل الله ، واستبعد ابن عطية هذه القراءة عن معاذ ، فقال : ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه تفسيرها بذلك ، وهل كان فرعون إلا يدَّعي أنه إله ، فكيف يقول : وما أهديكم إلا سبيل الله ؟ وانظر تفصيل البحث في روح المعاني ٦٦/٢٤ .

إنما يُقَال : أَرْشَدَ يُرْشِدُ ، ولا يكون « فَعَّـالٌ » من « أَفْعَـلَ » إنما يكـون من الثلاثي ، وإن أردتَ التكثير من الرباعي ، قلتَ : « مِفْعَالٌ »[1] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكـون ﴿ رَشَّادٌ ﴾ بمعنـى يُرْشِدُ ، لا على أنه مشتقٌّ منه ، ولكن كما يُقـال : لأَّآلٌ من اللُّؤْلـؤِ ، فهـو بمعنـاه ، وليس جارياً عليه .

ويجوز أن يكـــون رَشَّادٌ من رَشَد ، يَرْشُدُ أي صاحب رشاد ، كما قال :

« كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ »[2]

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ [آية ٣٠] .

قال قتادة : هم قومُ نوحٍ ، وعادٍ ، وثمود[3] .

---

(١) صيغة المبالغة من الفعل الثلاثي تأتي على وزن « فعَّال » ومن الرباعي تأتي على وزن « مفعال » كما وضَّح المصنف ، تقول : ضَرَبَ فهو ضرَّاب ، وسفك فهو سفَّاك ، وأكرم فهو مكرام .. إلخ.

(٢) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث ، وهو في ديوانه ص ٤٠ وكتاب سيبويه ٢٠٧/٢ ومطلع القصيدة :

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

والشاهد فيه « ناصب » بمعنى متعب ، وفعله أنصب ، فهو من الوصف الذي لم يجر على فعله ، وجاء على معنى ذي نصب .

(٣) قال الطبري ٥٩/٢٤ : ﴿ مثل يوم الأحزاب ﴾ الذين تحزَّبوا على رسل الله « نوح ، وهود ، وصالح » فأهلكهم الله بتجرئهم عليهم . اهـ. وقال القرطبي ٣١٠/١٥ : يعني أيام العذاب التي عُذِّب فيها المتحزبون على الأنبياء .

٣١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ الضحاك : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِّ ﴾ بتشديد الدال[١] .

قال أهل العربية : هذا لحنٌ ، لأنه من ندَّ ، يَنِدُّ : إذا مَرَّ على وجهه هارباً ، كما قال الشاعر :

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
نَوَادِيَهَا أَسْعَى بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ[٢]

قال : ولا معنى لهذا في القيامة .

قال أبو جعفر : هذا غلَطٌ ، والقراءةُ به حسنةٌ ، رَوَى صفوانُ بن عَمْرٍو ، عن عبد الله بن خالد ، قال : (يظهر للنَّاسِ يومَ القيامَةِ

= أقول : ومما يؤيد قول قتادة قوله تعالى بعدها ﴿ مثل دأب قوم نوح ، وعاد ، وثمود ﴾ فهو توضيح وبيان للأحزاب .

(١) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٤٣/٢ وذكر أنها قراءة ابن عباس ، والضحاك ، والكلبي ، وعلى هذه القراءة يكون ﴿ التنادّ ﴾ من ندَّ يندُّ إذا هرب ، وعلى القراءة المشهورة وهي قراءة الجمهور يكون مصدر تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضاً ، والمصدر « التنادي » حذفت منه الياء مراعاة لرءوس الآيات ، وسمي يوم القيامة « يوم التناد » لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة ، أو يتصايحون بالويل والثبور ، أو لتنادي أهل الجنة وأهل النار ، كما قال سبحانه ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار .. ﴾ الآية .

(٢) البيت لطرفة بن العبد كما في ديوانه ص ٥٣ وقد ورد فيه (أمشي) بدل أسعى ، وفي اللسان مادة ندى والقرطبي ٣١١/١٥ .

عُنُقٌ من نَارٍ ، فيولُّون هاربين منها ، حتى تُحيط بهم ، فإذا أحاطت بهم ، قالوا : أين المفرُّ ؟ ثم أخذُوا في البكاء حتى تنفد الدموع ، فيكون دماً ، ثم تَشخصُ أبصارُ الكفار ، فذلك قوله تعالى ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾)[1] .

ويُروى : أنه إذا أُمِر بهم إلى النَّار ، وَلَّوْا هاربين منها[2] .

ولو لم يكن في الاحتجاج بالقراءة إلَّا قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ** ﴾[3] لكفَى .

فأما معنى التخفيف : فقال قتادة في قوله ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ** ﴾ .

قال : يوم يُنَادَى كلُّ قومٍ بأعمالهم ، ويُنَادِي أهلُ الجنةِ أهلَ النَّارِ[4] .

وقال عبد الله بن خالد : (إذا حُشِر الناسُ يوم القيامة ، نادى

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٤٣ والرواية التي ذكرها المصنف ، هي في تفسير الطبري ٢٤/٦١ والدر المنثور ٥/٣٥٠ وتفسير القرطبي ١٥/٣١١ .

(٢) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٢٠ .

(٣) هذه الآية مما يؤيد وجه القراءة بالتشديد ﴿ يوم التناد ﴾ أي يوم الهرب ، فإن قوله تعالى ﴿ يوم تُولُّون مدبرين ﴾ كأنه توضيح وتفسير ، لهول ذلك اليوم العصيب .

(٤) كما ورد في سورة الأعراف ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً .. ﴾ الآية وكذلك أهل النار ينادون أهل الجنة مستغيثين بهم ، كما قال سبحانه : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء .. ﴾ فلهذا سمي يوم التناد .

بعضهم بعضاً ، حتى يظهر لهم عُنُقٌ من النار ، فيولُّون هاربين) .

٣٢ ــ **ثم قال تعالى :** ﴿ **مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ** .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال قتادة : أي من ناصر[١] .

٣٣ ــ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ**[٢] .. ﴾ [آية ٣٤] .

أي من قبل موسى ﴿ **بِالبَيِّنَاتِ** ﴾ أي بالآياتِ المعجزات .

﴿ **فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً** ﴾ [آية ٣٤] .

أي ظننتم أن الحجة لا تقام عليكم بعده ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾ أي مثل هذا الضلال ، يضلُّ الله من هو مسرفٌ مرتاب[٣] . .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٤ وفي البحر ٤٦٤/٧ ولفظه : وقال قتادة : ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي مانع يمنعكم منها أو ناصر ، وكذلك في تفسير الألوسي ٦٧/٢٤ وابن كثير ١٣٣/٧ .

(٢) الخطاب لآل فرعون ، وهم الأقباط ، والمراد بيوسف هو « يوسف الصِّديق بن يعقوب » عليهما السلام ، وليس كما زعم البعض أنه رسول آخر يسمى « يوسف » أُرسل إلى القبط ، وقد نصَّ جمهور المفسرين على أنه « يوسف بن يعقوب » وانظر الطبري ٦٣/٢٤ وتفسير ابن الجوزي ٢٢١/٧ .

(٣) قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ﴿ مسرف ﴾ أي مشرك ﴿ مرتاب ﴾ شاك في وحدانية الله تعالى . اهـ .

٣٤ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ .. ﴾ [آية ٣٥] .

على البدل مِنْ ﴿ مَنْ ﴾[1] .

ومعنى ﴿ كَبُرَ مَقْتاً ﴾ : كَبُرَ الجِدالُ مقتاً[2] .

٣٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[3] ﴾ [آية ٣٥] .

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[4] .

ومعنى هذه القراءة كمعنى الأولى ، كما يُقال : أنا أُكلِّمُ فلاناً ، يومَ كلِّ جمعة ، وكلَّ يومِ جمعةٍ .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٤/٤ فهو تفسير للمسرف المرتاب ، في قوله تعالى ﴿ يُضِلُّ الله من هو مسرف مرتاب ﴾ فيكون ﴿ الذين يجادلون ﴾ بدلاً منه ، والمعنى ﴿ كذلك يُضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ وهم الذين يجادلون في آيات الله ، فالذين منصوب على البدل . قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : هم الذين يجادلون ، أو على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿ كَبُرَ مقتاً ﴾ . اهـ.

(٢) المقتُ : شدة البغض ، كما قاله أهل اللغة .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو ، وقرأها بالتنوين ﴿ كل قلبٍ متكبرٍ ﴾ وقرأ الباقون بالإضافة ﴿ يطبع على كلِّ قلبِ متكبرٍ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٧٠ والنشر في القراءات العشر ٣٦٥/٢ .

(٤) قراءة ابن مسعود بتقديم القلب ﴿ على قلب كل متكبر جبار ﴾ ليست من القراءات السبع ، وانظر الطبري ٦٤/٢٤ .

فأما التنوينُ فإنه يُقال : قلبٌ متكبِّرٌ ، أي صاحبُه متكبِّرٌ .

٣٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ فِرْعَونُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً .. ﴾** [آية ٣٦] .

أي قصراً ، وكل بناءٍ عظيم صَرْحٌ[1] .

﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي الأبواب[2] .

والسببُ في اللغة : ما يؤدِّي إلى الشيء ، فالمعنى : لعلِّي أبلغُ ما يؤدِّي إلى السَّمواتِ .

٣٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عِنِ السَّبِيلِ .. ﴾** [آية ٣٧] .

ويُقرأ ﴿ وصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ وهو اختيار أبي عُبيدٍ[3] .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ٣٨١/١ : الصَّرح : القصر ، وكل بناء عال : صرحٌ ، والجمع : الصُّروح . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٦٥/٢٤ وذكر عن ابن عباس أنها منزل السماء ، ثم قال : وقد بيَّنا فيما مضى قبل أن السبب هو : كلُّ ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يُطلب ، من حبلٍ ، وسُلَّم ، وطريق ، وغير ذلك . اهـ.

(٣) هو القاسم بن سلَّام الخزاعي ، من كبار علماء الحديث والأدب ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ وله غريب الحديث ، وغريب القرآن ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٥٤/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨ .

ورُوي عن ابن أبي إسحاق ﴿ وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وأحسنها ﴿ وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[2] .

وقولُ أبي عُبيد في اختياره ليس بشيء ، لأن من قَرَأهُ بالضمِّ ، فالمعنى عنده ــ على ما ذكر أبو حاتم ــ : وصَدَّهُ الشَّيْطَانُ عن السَّبيلِ ، كما قال ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[3] المستقيمة .

٣٨ ــ **ثم قال جلا وعزَّ** : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [آية ٣٧] .

قال مجاهد وقتادة : أي في خَسَار[4] .

قال أبو جعفر : من هذا قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، بالبناء على المعلوم ﴿ وصَدَّ عن السبيل ﴾ أي وصد فرعون عن سبيل الله ، والقراءة الأولى بالبناء على المجهول ﴿ وصُدَّ عن السبيل ﴾ قراءة حمزة ، وعاصم ، والكسائي ، وكلاهما من القراءات السبع ، والمعنى : صدَّه الشيطان عن طريق الهدى والحق ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٧١ والنشر ٣٦٥/٢ .

(٢) سورة محمد ﷺ آية رقم ١ وتمامها ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم ﴾ .

(٣) سورة النمل آية رقم ٢٤ .

(٤) أخرج هذا الأثر الطبري ٦٦/٢٤ وذكر نحوه عن ابن عباس قال ﴿ في تباب ﴾ أي في خسران ، وقال القرطبي ٣١٥/١٥ : في خسران وضلال ، وقال في البحر ٤٦٦/٧ : التباب : الخسران ، خسر ملكه في الدنيا فيها بالغرق ، وفي الآخرة بخلود النار . اهـ. قال الجوهري : التَّباب : الخسران والهلاك تقول : تبَّت يداه تبًّا أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً . اهـ. الصحاح مادة تبب .

وقوله ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾[١] .

٣٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال **قتادة** : يعني شِركاً[٢] .

٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ .. ﴾ [آية ٤١] .

قال **مجاهد** : إلى الإيمان بالله عز وجل[٣] .

٤١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ [آية ٤٣] .

قال **مجاهد** : يعني الأوثان[٤] .

---

(١) سورة هود آية رقم ١٠١ والمعنى : ما زادوهم غير تخسير ، وتدمير ، وهلاك ، كما قاله الطبري .

(٢) تفسير السيئة بالشرك ذكره الطبري ٢٤/٦٧ عن قتادة ، وهو خلاف الظاهر ، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور أن السيئة هي المعصية أيًّا كانت ، لأن الله تعالى قال ﴿ فلا يُجزى إلَّا مثلها ﴾ ولا مثل للإشراك بالله فالآية على العموم ، أي من عمل في الدنيا سيئة فلا يعاقب في الآخرة إلا بمقدارها ، دون زيادة ، وهذا ما رجحه الطبري والجمهور .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٢٤/٦٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٥١ وهو الراجح لأن الإيمان سبب النجاة .

(٤) الأثر في الطبري ٢٤/٦٩ والدر المنثور ٥/٣٥١ والمعنى أن ما تدعونني إليه من الأصنام ليس له استجابة دعوة أصلاً .

قال أبو جعفر : قال الخليل : معنى ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ، وقد جرم الشيءُ : أي حقَّ وأنشدَ :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً
جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[1]

قال أبو جعفر : فأمَّا دخول « لا » على « جَرَمَ » فلتدلَّ على أنه جواب لكلامٍ ، وأنه ليس مستأنفاً .

فالمعنى : وجب بطلانُ ما تدعونني إليه ، أي ليس له استجابةُ دعوةٍ تنفعُ .

٤٢ ـ **وقوله** : ﴿ **وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** ﴾ [آية ٤٣] .

قال عبد الله بن مسعود : هم السفَّاكون للدِّماءِ ، وكذلك قال

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضُّريبة ، كما في لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري وهو في معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٤ قال الفراء : (لا جرم) ، هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة « لا بد » و « لا محالة » كثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً . اهـ. وقال في اللسان ﴿ لا جرم ﴾ أي لا بدَّ ولا محالة ، وقيل : معناه حقاً ، واستشهد بالبيت : ولقد طعنتُ .. إلخ. ثم قال : أي حقَّت لها الغضب ، وقيل معناه : كسبتها الغضب ، قال سيبويه : فأما قوله تعالى ﴿ لا جرم أنَّ لهم النار ﴾ فمعناها لقد حقَّ أن لهم النار ، وقول المفسرين معناها حقاً أن لهم النار ، يدلك أنها بمنزلة هذا الفعل ، والعرب تقول : لا جرم لآتينك ، فتراها بمنزلة اليمين ، وكذلك فسرها المفسرون : حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون ، وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب . اهـ. اللسان مادة جرم .

عطاءٌ ، ومجاهد(١) .

٤٣ ــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا** .. ﴾ [آية ٤٥] .

قال قتادة : كان رجلاً من القبط ، فنجّاه الله مع بني إسرائيل(٢) .

٤٤ ــ **وقوله جل وعز :** ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** .. ﴾ [آية ٤٦] .

يقال : كيف يعرضون عليها غدواً وعشياً وهم من أهلها ؟ .

فالجواب عن هذا ما قاله عبد الله بن مسعود ، قال : أرواحُ آل فرعونَ في أجواف طيرٍ سود ، تُعرضُ كلَّ يومٍ على النار مرتين ، يقال : هذه داركم(٣) .

---

(١) فسر ابن مسعود ومجاهد ﴿ المسرفين ﴾ هنا بالسفاكين للدماء بدون حق ، وفسره قتادة بأنهم المشركون فإن الإشراك إسراف في الضلالة ، وعن عكرمة أنهم الجبارون المتكبرون ، والعموم أولى كما ذهب إليه الطبري .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥١/٥ وهو الصحيح أنه كان من القبط ، من جماعة فرعون ، ولم يكن من بني إسرائيل ، كما ذهب إليه البعض ، ومما يدل على أنه من الأقباط : قوله تعالى فيما تقدم ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ فالنصُّ صريح في أنه لم يكن إسرائيلياً ، وقد ردَّ ابن جرير على من زعم أنه إسرائيلي ، بالحجة والبرهان .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن السدي ٧١/٢٤ ولفظه : « قال بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود ، تُعرض على النار غدواً وعشياً حتى تقوم الساعة » وذكره ابن كثير عن ابن مسعود ١٣٧/٧ بلفظ « إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود ، تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها » وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٨/٧ عن ابن مسعود .

وروى شعبةُ عن يعلى بن عطاء قال : سمعتُ ميمون بنَ ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح يُنادي : أصبحنا والحمدُ للهِ ، وعُرِض آلُ فرعون على النار ، وإذا أمسى نادى : أمسينا والحمدُ للهِ ، وعُرض آل فرعون على النَّار ، فلا يسمع أبا هريرةَ أحدٌ ، إلَّا تعوَّذَ باللهِ من النَّارِ[١] .

وقال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ قال : من أيام الدنيا[٢] .

قال الفراء : ليس في القيامة غدوٌّ ولا عشيٌّ ، ولكنْ مقدارُ ذلك[٣] .

قال أبو جعفر : التفسير على خلاف ما قال الفراء ، وذلك أن التفسير ، على أنَّ هذا العرض ، إنما هو في أيَّام الدنيا[٤] .

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي هريرة ، وذكره القرطبي ١٥/٣١٩ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٥٢ بنحوه أن أبا هريرة كان له صرختان في كل يوم غدوة وعشية ، كان يقول أول النهار : « ذهب الليل وجاء النهار ، وعُرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أحد صوته ، إلا استعاذ بالله من النار .. » . اهـ.

(٢) الأثر في تفسير الطبري ٢٤/٧٢ والقرطبي ١٥/٣١٩ والدر المنثور ٥/٣٥٢ ولفظه قال : « ما كانت الدنيا تُعرض أرواحهم » أي ما دامت الدنيا باقية فإن أرواحهم تعرض للعذاب .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٩ .

(٤) ما ذهب إليه الفراء ، أن الغدوَّ والعشي في الآخرة ، قول ضعيف ، والصحيح ما ذهب إليه المصنف أنه في البرزخ ، وهو قول أكثر المفسرين ، إذ ليس في الآخرة إلا العذاب الدائم ، ولا يُراد بالنار نار الآخرة ، إنما هي نار البرزخ «عذاب القبر» بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ ويوم تقوم =

والمعنى أيضاً : بيِّنٌ أنه على ذلك ، لأنَّه قال جلَّ وعز ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا** ﴾ ثم دلَّ على أن هذا قبل يوم القيامة ، بقوله ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ فدلَّ على أنَّ الأوَّلَ ، بمنزلة عذاب القبر .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [آية ٥١] .

قال معمرٌ عن قتادة : الملائكةُ[(١)] .

قال أبو جعفر : واحدهم شاهدٌ ، كما يُقالُ : صاحبٌ ، وأصْحَابٌ .

ويجوز أن يكون : جمع شهيد ، كشريف ، وأشراف .

= الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وهذه الآية من أدلة أهل السنة على عذاب القبر ، كما قال الحافظ ابن كثير ١٣٦/٧ : وهذه الآية أصل كبير ، في استدلال أهل السنة ، على عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ فالآية دلت على عذاب الكفار في البرزخ .. إلخ. وكذلك قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٧ : وهذه الآية تدل على عذاب القبر . اهـ.

أقول : ومما يؤكد ذلك ويؤيده ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وانظر كلام الحافظ ابن كثير في هذا الموضوع ، ففيه شفاء الغليل .

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧٥/٢٤ عن مجاهد أيضاً ، واختار العموم أن الأشهاد هم الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وهكذا ذكر القرطبي ٣٢٢/١٥ وهو الأولى والأظهر ، وهو مروي عن زيد بن أسلم .

٤٦ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ إنْ فِي صُدُورِهِمْ إلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ .. ﴾ [آية ٥٦] .

مثل قوله ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾(١) المعنى : ما هم ببالغي إرادتهم فيه ، لأن الكِبْرَ شيءٌ قَدْ أَتَوْه ، فهذا لا يُشْكِل .

وقد قيل : الكِبْرُ هَهنا : العلوُّ على النبيِّ ﷺ ، وذلك إرادتُهم ولم يبلغوه ، فأمَّا إرادتُهم في الأول : فالجدال في آيات الله جلَّ وعز ، حتى يُبطلوها ، ولم يبلغوا ذلك .

وقيل : إنما يُراد بذا « اليهودُ » تكبَّروا ، وتوقَّفوا ، وقالوا حتى يخرج الدجَّالُ ، ونكون معه ، فأعلَمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أن هذه الفرقة من اليهود ، لا تلحق الدجَّال(٢) ، واستشهد صاحبُ هذا القول بقوله ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾(٣) .

---

(١) أي هو على حذف مضاف لأن الكبر حاصل فيهم ، ويصبح المعنى : ما هم بواصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله .

(٢) هذا مروي عن أبي العالية ، أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عنه بسند صحيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٥ والشوكاني في فتح القدير ٤٩٩/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٢٥/١٥ قال والمعنى : إن تَعَظَّمُوا عن اتباع محمد ـــ يعني اليهود ـــ وقالوا إنَّ الدَّجَّال سيخرج عن قريب ، فيردُّ الملك إلينا ، وتسير معه الأنهار ، فذلك كبر لا يبلغونه ، فنزلت فيهم الآية ، قاله أبو العالية وغيره . اهـ.

(٣) أي فاستعذ بالله من فتنة الدجال ، على قول من قال : إن الآية نزلت في اليهود ، وعلى القول الآخر من شرِّ الكفار .

٤٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

رَوى يُسَيْعُ الكِنْدِيُّ(١) عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : الدعاءُ هو العبادةُ ، وتلا رسول الله ﷺ ﴿ وقال رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٢) .

قال أبو عُبيدة : ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ : صاغرين(٣) .

٤٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلَ يَسْحَبُونَ ﴾ [آية ٧١] .

وقُرِىءَ ﴿ وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ ﴾(٤) .

---

(١) يُسَيْع الكِندي هو « يُسيع بن معدان الحضرمي » الكندي الكوفي ، ويقال فيه « أُسيع » ثقة روى عن علي ، والنعمان بن بشير ، وثَّقه النسائي ، وابن حبان ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٨٠/١١ والجرح والتعديل للرازي ٣١٣/٩ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٧ وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الصلاة رقم ١٤٧٩ وابن ماجه رقم ٣٨٢٨ والحاكم وصححه .

(٣) بهذا فسره المفسرون قال الطبري ١١٦/١٤ ﴿ داخرون ﴾ صاغرون ، يقال : دَخَرَ يَدْخَرُ دُخُوراً : إذا ذَلَّ وخضع ، وكذلك أهل اللغة ، قال الجوهري : الدُّخور : الصَّغار والذل ، يقال : دخر الرجل ، فهو داخر ، أي ذل . اهـ .

(٤) قراءة الجمهور بالضم ﴿ والسَّلاسلُ ﴾ فعلى هذا تكون عطفاً على الأغلال ، والمعنى حين تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم ، ويُسحبون بها ، وأما قراءة الفتح ﴿ والسلاسلَ يَسْحَبون ﴾ فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٤٤/٢ والمعنى : الأغلال في أعناقهم ، وهم يسحبون =

وفي قراءة أبيٍّ ﴿ بِالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ ﴾ .

وأجازَ الفراء : ﴿ وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ والسَّلَاسلَ يَسْحَبُونَ ﴾ فالمعنى عنده : يسحبونَ السَّلاسلَ ، وهي قراءة ابن عباس ، قال : وذلك أشدُّ عليهم ، يُكلَّفون أن يَسْحَبُوهَا ولا يُطِيقونَ[2] .

ومَنْ قَرَأَ ﴿ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ فالتَّمامُ عنده ﴿ والسَّلَاسِلُ ﴾ ثم ابتدأ فقال ﴿ يُسْحَبُونَ فِي الحَمِيمِ ﴾ .

قال الفرَّاء : والسَّلاسِلِ بالخفضِ[3] ، محمولٌ على المعنى ، لأن المعنى : أعناقُهم في الأغلالِ والسَّلاسِلِ ، كما حُمِلَ على المعنى قوله :

= سلاسلهم في جهنم ، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، وقراءة أبيٍّ ﴿ بالسلاسل ﴾ ليست أيضاً من القراءات السبع .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٢٥ .

(٢) انظر الطبري ٢٤/٨٤ والقرطبي ١٥/٣٣٢ وتفسير ابن الجوزي ٧/٢٣٦ وهي قراءة شاذة كما بينا .

(٣) قراءة الجر ﴿ والسلاسلِ ﴾ ليست من القراءات الواردة ، وإنما هي جائزة لغة ، فهي محمولة على المعنى ، أي أعناقهم في الأغلال والسلاسل ، والأصل في القراءات الوارد عن رسول الله ﷺ ، وقد ردَّ ابن الأنباري قراءة الخفض ، فقال : والخفض على هذا المعنى ، غير جائز ، لأنك إذا قلت : زيد في الدار ، لم يحسن أن تُضمر « في » فتقول : زيد الدار ، ولكن الخفض جائز على معنى : إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل . اهـ. القرطبي ١٥/٣٣٢ .

قَدْ سَالَـمَ الحَيَّــاتُ مِنْــهُ القَدَمَــا

الأُفْعُـوَانَ والشُّجَــاعَ الشَّجْعَمَــا(١)

٤٩ ـــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد : أي تُوقد بهم النار(٢) .

قال أبو جعفر : يُقـال : سَجَـرْتُ الشَّيْءَ : أي ملأتُـه ، ومنـه ﴿ **وَالبَحْرِ المَسْجُورِ** ﴾(٣) .

فالمعنى على هذا : تُمـلأُ بِهِمُ النَّـارُ ، وقــال الشاعــر يصفُ وَعْلاً :

إِذَا شَاءَ طَالَــــعَ مَسْجُــــــورَةً

تَرَى حَوْلَهَــا النَّبْــعَ والسَّاسَمَــا(٤)

---

(١) البيت من أرجوزة لأبي حيان الفَقْعسي ، استشهد به الفراء في معاني القرآن ٣/١١ ولسان العرب مادة شجع ، ومعنى « الشجاع » الحية و « الشجعما » الضخم ، وانظر الطبري ٢٤/٨٤ والقرطبي ١٥/٣٣٢ .

(٢) الأثر ذكره في البحر ٧/٤٧٤ عن مجاهد قال : ﴿ يُسجرون ﴾ يُطرحون فيها ، فيكونوا وقودا لها ، وكذلك في الطبري ٢٤/٨٤ .

(٣) سورة الطور آية رقم ٦ والمعنى : والبحر الموقد ناراً ، ومعنى السجر : الإيقاد ، فما ذهب إليه مجاهد أظهر ، قال في لسان العرب (والبحر المسجور) جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم ، وكان علي يقول : المسجور بالنار ، وأما من قال إنه بمعنى المملوء فقد قال ابن سيده في قوله تعالى ﴿ وإذا البحار سُجِّرت ﴾ من قال ملئت فلا وجه له ، إلا أن تكون ملئت ناراً . اهـ. لسان العرب .

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في اللسان مادة (سسم) وقد أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن =

أي عيناً مملوءةً .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ .. ﴾** [آية ٧٥] .

بيَّن هَذَا بقوله سبحانه ﴿ **فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ** ﴾[(١)] .

٥١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾** [آية ٧٥] .

قال مجاهد : أي تبطرون وتأشرون[(٢)] .

٥٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾** [آية ٧٩] .

أي الإبل[(٣)] .

قال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي

= ٣٣٣/١٥ بلفظ « النبع والسمسما » ولم يعزه وهو تصحيف ، وما أثبتناه من المخطوطة هو الصحيح ، كما في لسان العرب .

(١) سورة غافر آية رقم ٨٣ والمراد بالفرح في الآية : فرح البطر ، والاستكبار عن الخضوع للحق .

(٢) الأثر في الطبري ٨٥/٢٤ والبحر المحيط ٤٧٥/٧ والقرطبي ٣٣٣/١٥ عن مجاهد ، قال الطبري : والمرح : هو الأشر والبطر . اهـ. ومنه قوله تعالى ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ فهو فرح الفخر والخيلاء ، لا فرح السرور بالنعمة ، والشكر عليها .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٨/٤ قال : الأنعام ههنا الإبل ، واختار الطبري العموم ، فقال : هي الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيل . قال في البحر ٤٧٨/٧ ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم ، وقول من خصَّها بالإبل وهو الزجاج .

صُدُورِكُمْ ﴾ : الرحلةُ من بلدٍ إلى بلد[1] .

وقال مجاهد : أيَّ حاجةٍ كانت[2] .

٥٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ .. ﴾ [آية ٨٣] .

أي رضوا به .

قال مجاهد : قالوا : نحنُ أعلمُ منكم ، لن نُبْعثَ ، ولن نَحْيا بعد المَوتِ[3] .

قال مجاهد : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [آية ٨٣] .

أي ما جاءت به الرسلُ الحقُّ[4] .

(١ ــ ٢) الأثران عن مجاهد وقتادة أخرجهما الطبري ٨٧/٢٤ والشوكاني في فتح القدير ٥٠٧/٤ وقول مجاهد أظهر ، فإن المراد من الآية : بلوغ الأسفار الطويلة ، وحمل الأثقال إلى البلاد الشاسعة ، وقضاء فريضة الحج ، والغزو ، وغير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٤ والقرطبي ٣٣٦/١٥ وابن الجوزي ٢٣٨/٧ ، وما ذُكر عن مجاهد هو من بعض ضلالهم ، فقد اعتقد السفهاء أن عندهم علماً يستغنون به عن علم الأنبياء ، وزعموا أن علومهم العقلية أعلى من علوم الرسل ، فلذلك استكبروا عن اتباعهم .

(٤) أي نزل بالكفار عقاب استهزائهم ، بما جاءهم به الرسل الكرام ، فإن ما جاء به الرسل هو الهدى والحق .

٥٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ .. ﴾ [آية ٨٥] .

قال قتادة : أي إنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ، فلم ينفعهم إيمانهم .

٥٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ ﴾ [آية ٨٥] .

وقد كانوا قبلَ ذَلكَ خاسرين ، لأنه تبيَّن خسرانهم ، بأن لحقهم العذابُ ، ولم يُقبل إيمانُهم .

* * *

« انتهت سورة غافر »

تفسير سورة فصّلت

مكيّة وآياتها ٥٤ آيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فصّلت وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

الخبرُ عند البصريِّن[1] ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [آية ٣] .

وقال بعض الكوفيِّن : هَذَا كِتَابٌ .

﴿ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ : أي أنزلت متفرقةً .

وقال الحسن : فصِّلَت بالوعيد[2] .

وقال مجاهد : ﴿ فُصِّلَتْ ﴾ : فُسِّرَتْ[3] .

وقال قتادة : بُيِّن حلالُها وحرامُها ، والطاعةُ والمعصيةُ[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٩/٤ ونقله في البحر ٤٨٣/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٠/٧ وهو مذهب البصريين ، وقول الأخفش ، وعلى قولهم يكون المبتدأ قوله تعالى ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ والخبر ﴿ كتاب فصِّلت آياته ﴾ وسوَّغ الابتداء به وهو نكرة ﴿ تنزيل ﴾ وصفه بقوله ﴿ من الرحمن الرحيم ﴾ وعند الكوفيين ، هو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذا تنزيل ، وهذا كتاب ، وانظر القرطبي ٣٣٧/١٥ .

(٢ ــ ٤) الآثار عن الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ذكرت كلها في البحر المحيط ٤٨٣/٧ وفي تفسير القرطبي ٣٣٧/١٥ وفتح القدير للشوكاني ٥٠٥/٤ وأجمع هذه الأقوال أن معنى ﴿ فُصِّلت آياته ﴾ أي بُيِّنت معانيه ، ووُضِّحت أُحكامه ، بطريق القصص ، والمواعظ ، والأحكام . والأمثال ، والوعد ، والوعيد ، فهو في غاية البيان والكمال .

٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٣] .

﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾ أي في حال الاجتماع .

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي لمن يعلم العربية .

﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ نعتٌ للقرآن[١] .

٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي في أغطيةٍ[٢] ، أي ليست تَعِي ما تقولُ .

والوَقْرُ : الصَّمَمُ[٣] .

٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [آية ٥] .

﴿ حِجَابٌ ﴾ أي حاجزٌ .

---

(١) أشار المصنف رحمه الله إلى أن ﴿ قرآناً عربياً ﴾ منصوب على الحال ، أي حال كونه قرآناً عربياً ، واضحاً جلياً ، مبشراً لهم ومنذراً ، فيكون ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ صفة للقرآن ، وقوله : « لمن يعلم العربية » تفسير لقوله تعالى ﴿ لقوم يعلمون ﴾ وهو الأصحُّ من الأقوال كما قال الطبري : لقوم يعلمون اللسان العربي ، وقال الشوكاني : أي يعلمون معانيه ويفهمونها ، وهم أهل اللسان العربي . اهـ. قال القرطبي : والسورة نزلت تقريعاً وتوبيخاً لقريش في بيان إعجاز القرآن .

(٢) « أكنَّة » جمع كنان وهو الغطاء ، قال في المصباح : الكنان : الغطاء وزناً ومعنى ، والجمع أكنة مثل أغطية . اهـ.

(٣) أصل الوقر : الثقل يقال : وقرت الأذن وقراً : ثقل سمعها ، والمعنى : في آذاننا ثقلٌ وصمم يمنعنا من فهم ما تقول .

وهو يزيد على معنى ﴿ **قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ** ﴾ لأن معنى ﴿ **قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ** ﴾ أي ليس نجيبُكَ إلى شيءٍ ممَّا تدعونا إليه[1] .

ثم قال ﴿ **فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾ أي فاعمل في هلاكنا ، فإنَّا عاملون على مثل ذلك[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : فاعمل بدينك ، فإننا عاملون بديننا .

٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ..** ﴾ [آية ٧] .

قيل : أي لا يؤمنون[3] .

(١) الآية وردت بطريق الاستعارة ، فقد كانت حواسهم سليمة « القلوب ، والأسماع ، والأبصار » ليس عليها شيء مما يقولون من الأغطية والحُجب ، ولكنهم لتعاميهم عن الحق ، واستثقالهم لكلام الرحمن ، كأن قلوبهم مغطاة في غلاف ، وكأن أسماعهم بها صمم ، وكأن بينهم وبين الرسول حجاب ، فهم لا يفهمون ما يُتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم ، قال الشوكاني في فتح القدير ٥٠٦/٤ : وهذه تمثيلات لنبوِّ قلوبهم عن إدراك الحق ، ومجِّ أسماعهم له ، وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله ﷺ .

(٢) هذا قول الكلبي كما حكاه القرطبي والشوكاني عنه ٥٠٦/٤ والقول الثاني هو الأظهر والأرجح أي اعمل على طريقتك ونحن على طريقتنا ، لا نتابعك ولا نسالمك ، واستمرَّ على دينك فإنا مستمرون على ديننا ، وهو اختيار ابن كثير .

(٣) هذا القول منسوب إلى ابن عباس كما حكاه الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، فالمراد عنده تزكية النفس من الشرك ، لا زكاة المال ، قال الطبري ٩٢/٢٤ قال ابن عباس « هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله » فالمراد بالزكاة زكاة الأنفس وتطهيرها » ، والأكثرون على أن المراد بها الزكاة الشرعية وهو قول قتادة ، قال الحافظ ابن كثير ١٥٧/٧ : « وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم ، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير ، وفيه نظر ، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة ، وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يُقال : إن أصل ـــ

وقال **قتادة** : الزكاةُ فطرةُ الإسلام ، فمن أدَّاها بَرِئَ ونَجَا ، ومن لم يؤدِّها هَلَكَ .

٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾** [آية ٨] .

قال مجاهد : أي غير محسوبٍ .

قال أبو جعفر : يُقالُ : مَنَنْتُ الشيءَ فهو مَمْنُونٌ ، ومنينٌ ، إذا قطعته ، كما قال :

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ والوَقْـ
ـعِ مَنِيناً كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ[1]

يعني بالمنينِ : الغبارُ المنقطعُ ، الضعيفُ .

ويجوز أن يكون الممنون : يُمَنُّ بِهِ .

٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾** [آية ٩] .

= الزكاة « الصدقة » كان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تعالى ﴿ وآتوا حقَّه يوم حصاده ﴾ فأما الزكاة ذات المقادير ، فإنما بُيِّن أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعاً بين القولين » . اهـ. وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٩/٤ .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته التي مطلعها « آذنتنا ببينها أسماءُ » انظر المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٣٦ و « أهباء » بفتح الهمزة جمع هبوة وهي الغبار ، وروي بالكسر على المصدرية « إهباء » .

روى سفيان ، عن أبي سعيدَ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وابن أبي ذيب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن عبد الله بن سَلَام[1] قالا — وهذا معنى قولهما — ابتدأ الله جلَّ وعز بخلقِ الأرضين يوم الأحد ، فخلق سبع أرضينَ في يومِ الأحدِ ، ويوم الاثنين .

ثم ﴿ **جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ أرسَى الجبالَ ، وشقَّ الأنهارَ ، وغرسَ الأشجارَ ، وجعل المنافع في يومين ، يوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء .

﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ فخلقها سبعَ سمواتٍ في يوم الخميس ، ويوم الجمعة .

قال ابن عباس : ولذلك سميت « يوم الجمعة » لأنه اجتمع فيها الخلقُ[2] .

---

(١) هو رئيس أحبار اليهود ، أسلم رضي الله عنه عند هجرته ﷺ للمدينة وكان اسمه في الجاهلية « الحصين » فسمَّاه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله . وفيه نزل ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم .. ﴾ وهو الذي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كما في صحيح البخاري عن سعد قال : (ما سمعت رسول الله يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام) ، انظر ترجمته في أسد الغابة ٢٦٤/٣ .

(٢) هذا الأثر أخرجه أبو الشيخ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦١/٥ وفيه تفصيل لقوله تعالى ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ ففصَّل هنا ما أجمله هناك ، فذكر أنه خلق الأرض أولاً في يومين لأنها كالأساس ، والأساس يُبدأ به أولاً ، ثم بعده بالسقف فخلق السماء ثانياً في يومين ، وهي تمام أربعة أيام ، ثم دَحَا الأرض فأرسى فيها الجبال ، وشقَّ الأنهار ، وأخرج الزروع والثمار في يومين ، فتمَّ خلق السموات والأرض في ستة =

قال عبد الله بن سلام : قضاهـنَّ سبـع سمواتٍ في آخـر ساعـةٍ من يوم الجمعة ، ثم خَلَق فيها آدم على عَجَـل[1] ، وهـي الساعـةُ التـي تقومُ فيها القيامةُ .

قال أبو جعفـر : معنـى ﴿ **وَبَـارَكَ فِيهَـا** ﴾ على قولهمـا : شقُّ أنهارها ، وغرسَ أشجارَهَا .

وقيل : معنى ﴿ **بَارَكَ فِيهَا** ﴾ : أكثرَ فيها من الأقواتِ[2] .

وقيل : معناه كما يُقال : باركتُ عليه أي قلتُ بورك فيك .

٨ ــ **قال عكرمة** : **في قوله تعالى** : ﴿ **وقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ [آية ١٠] .

جعل اليماني باليمن ، والسَّابريَّ بسابور[3] .

= أيام ، ولو شاء لخلقهن بلمح البصر ، ولكنـه تعـالى أراد أن يعلِّـم العبـاد الحلـم والأنـاة ، وهـذا ملخص قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وعلماء السلف .

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ خُلِقَ الإنسان من عَجَل سأريكم آياتي فلا تستعجلـون ﴾ والمراد بالإنسان آدم عليه السلام .

(٢) قال ابن كثير ١٠١/٤ ﴿ وبارك فيها ﴾ أي جعلها مباركة ، قابلة للخير والبذر والغراس ﴿ وقـدَّر فيها أقواتها ﴾ وهو ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق والبقاع التي تغرس وتـزرع ، يعنـي يوم الثلاثـاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة . اهـ.

(٣) « سَابُـور » بلـدة بفـارس ، بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً ، تنسب إلى سابـور أحـد الأكاسرة ، كذا في معجـم البلـدان ١٦٧/٣ وهـذا الأثـر عن عكرمـة ذكـره الـطبري ٩٦/٢٤ والقرطبي ٣٤٢/١٥ وهو قول الضحـاك ، ونصُّه قال عكرمـة ، والضحـاك : معنـى ﴿ قدَّر فيها أقواتها ﴾ أي أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعايشهم من التجارات ، والأشجـار والمنافـع ، فجعـل في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ، ليعيش بعضهـم من بعض بالتجارة والأسفار من بلـد إلى بلـد . اهـ. وهذا ما اختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وصاحب البحر المحيط .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : جعل فيها ما يُتَعَايَشُ به ، ويُتَّجرُ فيه .

وقيل : ﴿ **أَقْوَاتَهَا** ﴾ ما يُتقوَّت ويُؤْكَلُ .

وقول ابن عباس ، وابن سلام يحتمل المعنيين ، واللهُ أعلم .

٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ** ﴾ [آية ١٠] .

المعنى : في تتمة أربعة أيام[١] .

﴿ **سَوَاءً** ﴾ أي استوت استواءً .

وقال الفراء : هو متعلق بقوله ﴿ **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ سواءً[٢] .

وقرأ الحسن : ﴿ **سَوَاءٍ** ﴾[٣] بالخفض ، أي في أربعة أيامٍ ، مستويةٍ ، تامةٍ .

وبالإسناد الأول عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **لِلسَّائِلِينَ** ﴾ قال : مَنْ سألك فقال لك : في كَمْ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرض ؟ فقلْ

---

(١) هذا قول الزجاج كما في البحر ٤٨٥/٧ قال : وهذا كما تقول : بنيتُ جدار بيتي في يوم ، وأكملتُ جميعه في يومين أي بالأول ، وقال الطبري ٩٧/٢٤ : لما ورد في الخبر أنه تعالى فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها ، من الأشجار ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب ، في أربعة أيام ، أولهن يوم الأحد ، وآخرهن يوم الأربعاء . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

(٣) قرأ الجمهور ﴿ سواءً ﴾ بالنصب على الحال ، وقرأ أبو جعفر بالرفع ، أي هي سواءٌ ، وقرأ الحسن ويعقوب بالجر نعتاً لأربعة أيام ، وانظر النشر ٣٦٦/٢ والبحر ٤٨٦/٧ .

له : في هذا[1] .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا القول : جواباً للسَّائلينَ .

وفيه قول آخر : وهو أن المعنى : وقدَّرَ فيها أقواتها للسائلين أي للمحتاجين ، أي لمن سأل ، لأن الناس يسألون أقواتهم ، وهذا مذهب ابن زيد[2] ، قال : قدَّر ذلك على قَدْرِ مسائلهم ، علم ذلك .

١٠ ــ **وقوله عز وجل** : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ..** ﴾ [آية ١١] .

دلَّ على أن خلق السَّماء بعد خلقِ الأرضِ ، وقد قال في موضعٍ آخر ﴿ **والأرضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾ ؟ .

ففي هذا أجوبة :

رَوى هارونُ بنُ عَنْتَرَةَ ، عن أبيه[3] ، عن ابن عباس قال : خلق اللهُ الأرضَ أوَّلَ ، ثم خَلَقَ السَّماء ، ثم دَحَا الأرضَ والماءَ بعد

---

(١) هذا قول قتادة والسدي كما ذكره ابن كثير والطبري ٢٤/٩٧ قال الطبري ﴿ سواءً للسائلين ﴾ أي لمن سأل عن مبلغ الأجل ، الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة ، وقدر فيها الأقوات ، وجده كما أخبر الله أربعة أيام ، لا يزدن على ذلك ولا ينقصن . اهـ.

(٢) قول ابن زيد ذكره الطبري ٢٤/٩٧ وابن كثير ٧/١٥٥ وصاحب البحر المحيط ٧/٤٨٦ وقول ابن عباس والسدي أظهر ، لأن السؤال للسائلين عن مقدار الخلق ، لا للطالبين للقوت والرزق .

(٣) هارون بن عنترة وكنيته « أبو عمرو » بن عبد الرحمن الشيباني بن أبي وكيع الكوفي توفي سنة ١٤٢هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، قال أحمد بن معين ثقة ، وانظر تهذيب التهذيب ١١/٩ .

ذلك ، قال : « دَحَا » أي بسط[1] .

وقيل : **المعنى** : ثم أخبـرُكم بهذا ، كما قال جلَّ وعـزَّ ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وهو في القرآن كثير[2] .

وقيل : ﴿ **ثمَّ** ﴾ ههنا بمعنى الواو ، وهذا لا يصحُّ ولا يجوز .

والجوابان حسنان جيِّدان .

١١ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [آية ١١] .

في هذا أجوبة :

(١) أشار المصنف إلى الجمع بين تعارض النصوص في الظاهر ، فإن قوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها .. ﴾ ثم قال ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ يدلُّ على أن الأرض خُلقت بعد السماء ، وفي سورة السجدة ﴿ قُلْ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين .. ﴾ وبعد أن فصَّل خلق الأرض قال ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهذا يدلُّ على أن السماء خلقت بعد الأرض ، فظاهر النصوص التعارض ، وقد أشكل هذا على بعض التابعين ، حتى سأل ابن عباس كما في صحيح البخاري ٦/١٥٩ فأزال له الإشكال بقوله : خلق الله الأرض في يومين ، ثم خلق السماء في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض فأخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين ، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين . ثم قال للسائل : فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله عز وجل » . اهـ. وخلاصة القول أن الأرض خلقت قبل السماء ثم دحيت بعد خلقها . وانظر تفسير ابن كثير ٧/١٥٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٠ .

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ليست « ثم » للتراخي الزماني ، بل هي لترتيب الأخبار ، فكأنه قال : خلقت كذا ثم أخبركم بهذا ، وله شواهد كثيرة في القرآن الكريم .

أ ــ منها أن اللّه جل وعزَّ ، جعل فيهما ما يُميزان ، ويُجيبان عما قيل لهما .

ب ــ **وقال محمد بن يزيد** : هذا إخبارٌ عن الهيئة ، أي صارتا في هيئة من قال ، أي هو كما قال : « امتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي »[1] .

أي حسبي ، أي صار في هيئة من يقول .

وقيل : أخبرنا اللّهُ عز وجل بما نعرفُ ، من سرعة الإجابة ، وقد علمنا أنه ليس شيء أسرعَ ، من أن يُقَالَ للإنسان : افْعَلْ ، فيقولُ : قد فعلتُ .

فأخبر اللّهُ جلَّ وعزَّ ، عن إجابة السموات والأرض ، إلى أمره جلَّ وعزَّ .

فأمَّا قوله تعالى ﴿ **طَائِعِينَ** ﴾ ولم يقل : « طائعات » فقال فيه الفراء معناه : أتينا بمن فينا طائِعِينَ[2] .

---

(١) من المعلوم أن الحوض لا يتكلم وإنما هو من باب التمثيل كأنه بلسان الحال يقول : قد امتلأت فكفاني ، وهذا قول بعض المفسرين ، وهو مثل قول بعضهم : قال الحائط للمسمار لم تشقني ؟ قال : سل من يدقُّني ، وذهب البعض إلى أن الله خلق للسموات والأرض قدرة على الكلام ، فقالتا على الحقيقة ﴿ أتينا طائعين ﴾ وهذا غير مستحيل على قدرة الله جل وعلا .

(٢) عبارة الفراء في معاني القرآن ١٣/٣ : لم يقل « طائعتين » ولا « طائعاتٍ » لأنه ذُهِبَ به إلى السموات ومن فيهنَّ ، وقد يجوز أن تقولا ــ وإن كانتا اثنتين ــ أتينا طائعين ، فيكونان كالرجال لما تكلَّمتا . اهـ.

قال أبو جعفر : الأحسن في هذا ــ وهو مذهبُ جلَّة النحويِّين ــ أنه جل وعز ، لمَّا أخبر عنها بأفعال ما يَعْقِلُ ، جاء فيها بما يكون لمن يعقل ، كما في قوله تعالى ﴿ والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1] .

فأما الكسائي فأجاز في كل شيء ، أن يُجمع بالواو والنون ، والياء والنون ، وهذا لا يُعرَّجُ عليه .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ [آية ١٢] .

﴿ فَقَضَاهُنَّ ﴾ أي أحكمهنَّ ، كما قال الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا
دَاوُدُ ، أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[2]

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا .. ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٤ والشاهد فيها أن الكواكب ، والشمس ، والقمر ، لا عقل لها ، ولمَّا أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة ، والسجود ، وهما من أفعال من يعقل ، أخبر عنها بخبر من يعقل فقال ﴿ ساجدين ﴾ قال القرطبي : والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته . اهـ .

(٢) البيت لابن أبي ذؤيب الهُذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٩/١ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٤٣/٢ وذكره القرطبي ٣٤٥/١٥ والطبري ٦٧/٢٢ والشاهد « قضاهما » أي فرغ من عملهما ، والصَّنَعُ بفتحتين : الحاذق ، أي كأنهما من صنع داود عليه السلام أو من صنع تُبَّع ملك اليمن العظيم .

رَوى ابن أبي نجيح[1] عن مجاهد قال : ما أَمَرَ ، وما أراده[2] .

وروى سعيدٌ عن قتادة قال : خلقَ شمسَها ، وقمرَها ، ونجومَها ، وأفلاكَها[3] .

قال أبو جعفر : القولان متقاربان ، وكأنَّ المعنى — والله أعلم — وأوحى في كلِّ سماءٍ إلى الملائكة ، بما أراد من أمْرِهَا .

١٤ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً .. ﴾ [آية ١٢] .

أي وحفظناها حفظاً[4] من الشياطين بالكواكب .

والمعنى : أئنكم لتكفرون بمن هذه قدرتُه ، وتجعلون له أمثالاً

---

(١) « ابن أبي نجيح » هو عبد الله بن يسار مولى ابن عمر كما في تقريب التهذيب ٥٢٩/٢ وقال الرازي في الجرح والتعديل ٢٠٣/٥ : عبد الله بن أبي نجيح ، واسم أبي نجيح يسار ، مولى الأخنس الثقفي ، قال يحيى بن معين : ابن أبي نجيح ثقة ، وقال أبو زرعة : « عبد الله بن أبي نجيح » مكيٌّ ثقة . اهـ. من كتاب الجرح والتعديل للرازي .

(٢) عبارة الطبري ٩٩/٢٤ وعن مجاهد ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ قال : ما أمر الله به وأراده ، وبنحوه في تفسير ابن الجوزي ٢٤٦/٧ .

(٣) الطبري ٩٩/٢٤ والقرطبي ٣٤٥/١٥ وذكر أنه قول السدي أيضاً وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ولفظه قال قتادة والسدي : خلق فيها شمسها ، وقمرها ، ونجومها ، وأفلاكها ، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار ، وجبال البرد ، والثلوج . اهـ. وفي التسهيل : أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور .

(٤) قوله ﴿ وحِفْظاً ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : وحفظناها حفظاً كما أشار المصنف ، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله أي من أجل الحفظ من الشياطين ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٢١/٤ .

ممَّا تنحتون بأيديكم[1] ؟

١٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ .. ﴾ [آية ١٣] .

أي فإن أعرضوا عن التوحيد ، وما جئتَ به ﴿ فَقُلْ أَنْذَرتكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ ﴾ أي أنذرتكم أن ينزل بكم عذابٌ ، كما نَزَلَ بهم .

﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني من جاء قبلهم ، كما قال تعالى ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[2] .

ثم قال ﴿ ومِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى : ومن بعد كونهم[3] .

---

(١) الآيات سيقت للتوبيخ والتشنيع على المشركين ، الذين جحدوا وحدانيته رب العالمين ، وأشركوا معه غيره من الأوثان والأصنام ، وكأنها تقول : كيف تكفرون بمن أوجد العالم ، علويَّه وسفليَّه ، وهو الإله العليُّ الشأن ، الذي خلق الكون بما فيه من شموس وأقمار ، وبحار وأنهار ، وسموات وأرضين ، وزيَّن السماء بالنجوم الزاهرة ، فكيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة التي لا تسمع ولا تنفع ، شركاء مع الله في الإلهية والمعبودية ؟ أفليس لكم عقول تدركون بها فساد هذا الرأي ؟!

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣ .

(٣) الضمير على القول الأول ﴿ من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ يعود على المشركين ، أي إن الرسل جاءوهم في الزمن المتقدم ، والزمن المتأخر ، ولم تنقطع رسالة المرسلين ، لا في السابق ولا في اللاحق ، قال ابن عطية : المعنى : إن الرسل جاءوهم في الزمان المتقدم ، واتصلت إنذاراتهم إلى زمن عاد وثمود حتى قامت الحجة عليهم ﴿ من بين أيديهم ﴾ ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك قوله ﴿ ومن خلفهم ﴾ . اهـ. وهذا هو الأظهر وهو قول ابن عباس واختيار ابن جرير الطبري .

والقول الآخر : أن يكون الضمير يعودُ على الرُّسُل[1] .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً .. ﴾ [آية ١٦] .

روى ابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال : شديدة السَّموم[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : باردة[3] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أبينُ ، وكذا قال عطاء ، لأن ﴿ صَرْصَراً ﴾ مأخوذ من صِرٍّ ، والصِّرُّ في كلام العرب : البردُ ، كما قال الشاعر :

لَهَا غُدُرٌ كَقُرُونِ النِّسَا
ءِ رُكِّبْنَ فِي يَوْمِ رِيحٍ وَصِرّْ[4]

وليس القولان بمتناقضَيْنِ ، لأنه يُروى أنها كانت ريحاً باردة ،

---

(١) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ١٣/٣ حيث قال : الهاء والميم في قوله ﴿ خلفهم ﴾ للرسل أي أتت الرسل آباءهم ، من كان قبلهم ، وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل . اهـ.

(٢ ــ ٣) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري في تفسيره ١٠٢/٢٤ والقرطبي ٣٤٧/١٥ قال ابن كثير ١٥٨/٧ : والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية ، شديدة البرد ، ذات صوت مزعج . اهـ. وقال الفراء في معاني القرآن ١٣/٣ : كانت باردة ، تحرق كما تحرق النار .

(٤) البيت لامرىء القيس كما في ديوانه ص ٨١ و « غُدُر » جمع غديرة ، وهي ذؤابة الشعر ، أو شعر بالناصية ، وقد جاء في المخطوطة « غُدَرٌ » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، وكذلك في القرطبي ٣٤٧/١٥ والشاعر يصف فرسه بأن لها ذوائب فيها شعرات كثيرة منتشرة ، ذاهبة هنا وهناك ، كأن الريح لعب بها في يوم بارد .

تُحرق كما تُحرق النار .

وقــد قال أبــو عبيــدة : ﴿ **صَرْصَرٌ** ﴾ شديــدةُ الصَّوتِ عاصف[1] .

وقد رُوي عن مجاهد : شديدة الشؤم[2] .

١٧ ــ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ..** ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : أي مشائيم .

وقال قتادة : مشئوماتٍ ، نَكِدات[3] .

١٨ ــ **وقوله جل وعز :** ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ..** ﴾ [آية ١٧] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٦/٢ واستشهد بقول ابن ميادة :

أَشَاقَكَ الْمَنْزِلُ وَالْمَحْضَرُ   أَوْدَتْ بِهِ رَيْدَانَةٌ صَرْصَرُ

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد كما في الدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٥ وهذا القول في الحقيقة تفسير لقوله « نحساتٍ » وليس تفسيراً لـ « صرصر » فلم يرد في لغة العرب أن « صرصراً » بمعنى المشئوم وإنما قال أهل اللغة : ريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ أي شديدة البرد ، وقيل : شدَّة الصوت كذا في اللسان ، وقال الأزهري (ريح صرصر) أي شديدة البرد جداً ، وريح صِرٌّ أي فيها تصويت وحركة .. إلخ. ولعل الفهم التبس على الراوي عن مجاهد ، ففهم من كلامه في تفسير قوله ﴿ في أيام نحسات ﴾ أي مشئومات شديدة الشؤم ، أن هذا تفسير لقوله « صرصر » والله أعلم .

(٣) قول مجاهد وقتادة ذكرهما أهل التفسير ، ومؤداهما واحد ، أنها أيام مشئومات غير مباركات ويؤيده قوله تعالى ﴿ في يوم نحس مستمر ﴾ من النحس وهو ضدُّ السعد ، استمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه اتصل عذابهم الأخروي بالعذاب الدنيوي كما قال الحافظ ابن كثير ١٠٢/٤ .

روى عليٌّ بن أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ قال : بيَّنّا هم[1] .

قال أبو جعفر : بيَّنّا لهم الخيرَ ، والشرَّ ، قال سبحانه ﴿ إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ . إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً ﴾[2] وكما قال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[3] .

قال علي بن أبي طالب : الخيرُ ، والشرُّ .

و ﴿ الهُونُ ﴾ : الهَوانُ[4] .

١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إلَى النَّارِ فَهُمْ يُوْزَعُونَ ﴾ [آية ١٩] .

قال أبو الأحوص[5] وأبو رُزينٍ ، ومجاهدٌ ، وقتادةُ : أي يُحبس أوَّلُهم على آخرهم[6] .

---

(١) هذه هداية دلالة وبيان ، لا هداية إرشاد للإيمان ، فهي كما قال ابن عباس ﴿ فهديناهم ﴾ أي دللناهم وبينا لهم طريق الخير والشر ، ولو كانت هداية إيمان لما كفروا بالرحمن قال في التسهيل ٢٢/٤ ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ أي بيَّنا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد . اهـ.

(٢) سورة الدهر آية رقم ٣ .

(٣) سورة البلد آية رقم ١٠ .

(٤) قال في الصحاح : الهَوْن : السكينة والوقار ، والهُونُ بالضم : الهوانُ والذلُّ ، وأهانه : استخف به ، والاسم الهَوَان . اهـ.

(٥) أبو الأحوص : هو « عوف بن مالك الجُشمي » كوفي ثقة من الطبقة الثالثة ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٩٠/٢ وتهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

(٦) الطبري ١٠٦/٢٤ والقرطبي ٣٥٠/١٥ قال الفراء في معاني القرآن ١٥/٣ : « يُوزَعون » من وَزَعتُ ومعنى وزعتُه : حبستُه وكففته ، وجاء في التفسير : يُحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار . اهـ. وكذلك قال ابن كثير : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

قال أبو الأحوص : فإذا تكاملت العِدَّةُ ، بُدِئ بالأكابر فالأكابر جُرْماً .

قال أبو جعفر : يُقال : وَزَعَه ، يَزِعُه ، وَيَزَعُه : إذا كفَّه ، ومنه « لَمَا يَزَعُ السُّلطانُ ، أكثر مما يَزَعُ القرآن »[1] ومنه « لَا بُدَّ للنَّاسِ من وَزَعَةٍ »[2] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إذَا مَا جَاءُوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ، وأَبْصَارُهُم ، وجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

قال الفراء : الجِلْدُ ههنا ــ واللهُ أعلمُ ــ الذَّكَرُ ، كُنِّي عنه[3] ، كما قال تعالى ﴿ **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ** ﴾ والغائطُ : الصَّحْرَاءُ .

قال أبو جعفر : وقال غيرُهُ : هو الجِلْدُ بعينِهِ .

وروى أبو الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يجادل المنافقُ عِند الميزان ، ويَدْفع الحقَّ ، ويدَّعِي الباطلَ ، فيختَمُ على فيه ، ثم

---

(١) هذا مما اشتهر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من كلامه : « إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » أي يكفُّ ويمنع .

(٢) هذا من الأقوال المأثورة عن الحسن البصري ، فقد قال : « لا بد للناس من وازع » أي سلطان يكفُّهم ، ذكره الجوهري في الصحاح .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/١٦ ونقله الطبري عن بعضهم واستبعده ، لأنه خلاف المشهور الأغلب ، وانظر جامع البيان ٢٤/١٠٦ .

تُستَنْطَقُ جوارحُهُ ، فتشهد عليه ، ثم يُطْلَق عنه فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً ، إنما كُنتُ أجادلُ عنكنَّ[1] .

٢١ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ .. ﴾ [آية ٢١] .

هذا تمامُ الكلام .

٢٢ ــ ثم قال : ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [آية ٢١] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ قال : تَتَّقُونَ[2] .

---

(١) هذا الاثر عن ابن مسعود ورد في حديث أخرجه مسلم عن أنس بن مالك ٢٢٨٠/٤ ولفظه : (قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرونممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول يا ربِّ : ألم تُجِرْني من الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيُختم على فيه فيقال لأركانه ــ يعني جوارحه ــ انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْداً لكُنَّ سُحْقاً ، فعنكنَّ كنتُ أناضلُ) أي أدافع وأجادل . وفي حديث أبي هريرة برواية مسلم أيضاً : « ثم يُقال : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ ؟ فيُختم على فيه ، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليُعذر من نفسه ، وذلك المنافق الذي سخط الله عليه » وانظر القرطبي ٣٥٠/١٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٨/٢٤ والقرطبي ٣٥٢/١٥ قال : و ﴿ تستترون ﴾ أي تستخفون في قول أكثر العلماء ، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم ، حذراً من شهادة الجوارح عليكم . اهـ. قال البيضاوي ومعنى الآية : كنتم تستترون عن الناس مخافة الفضيحة ، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استخفيتم منها . اهـ.

قال أبو جعفر : المعنى : وما كنتم تستترون ، من أن يشهدَ عليكم سمعكُمْ .

قال عبد الله بن مسعودٍ : كنتُ مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثقفيٌّ وقرشيَّان ، كثيرٌ شحمُ بطونهم ، قليلٌ فقهُ قلوبهم ، فتحدثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أترى اللهُ يسمعُ ما نقولُ ؟ فقال الآخرانِ : يسمعنا إذا جهرنا ، ولا يسمعنا إذا خافتنا ، وقال الآخر : إن كان يسمعنا إذا جهرنا ، فهو يسمعنا إذا خافتنا[(١)].

٢٣ ـ فأنزل الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ، وَلَا أَبْصَارُكُمْ ، وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [آية ٢٢ إلى ٢٤] .

وروى بهزُ بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ قال : (تُدْعَونَ يوم القيامة ، مُفَدَّمةً أفواهُكُمْ

(١) الحديث من رواية ابن مسعود أخرجه البخاري ١٦١/٦ ومسلم ١٢١/٨ والترمذي ٣٥٠/٥ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٣٨١/١ وأورده الطبري ١٠٩/٢٤ والواحدي في أسباب النزول ص ٢١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وابن الجوزي ٢٥٠/٧ وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس قال : كان الكفار يقولون : إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ، ولكنه يعلم ما يظهر ، فنزلت الآية .

بِفِدَام[1] ، فأوَّل مَا يُبِينُ عن الإنسان ، فخذُه وكفُّهُ)[2] .

٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آية ٢٣] .

أي حين ظننتم أنه لا يسمعكم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال الله (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ..)[3] ومعنى ﴿ أرداكم ﴾ : أهلككُمْ[4] .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) قال في الوسيط : الفِدَام ما يوضع على الفم سِدَاداً له ، وكذلك في لسان العرب مادة (فَدَمَ) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٧/٤ بلفظ (تأتون يوم القيامة ، وعلى أفواهكم الفِدَام ، وأوّل ما يُعرب عن أحدكم فخذه ..) الحديث ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في البعث ، عن معاوية بن حَيدة ، وفيه زيادة (وأول ما يُعرب عن أحدكم فخذُه ، وكفُّه) وتلا رسول الله ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٤٨/٩ ولفظه (أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ..) الحديث ، وأخرجه مسلم في التوبة رقم ٢٦٧٥ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٨٨ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٢١٠/٣ .

(٤) قال أهل اللغة ﴿ أَرْدَاكُم ﴾ أي أهلككم ، من الرَّدى بمعنى الهلاك ، وانظر اللسان ، والصحاح ، والمصباح .

والنَّارُ مثوى لهم صبروا أو لم يصبروا ؟ ففي هذا جوابان :

أحدهما أن المعنى : فإن يصبروا في الدنيا ، على أعمال أهل النار ، كما قال سبحانه ﴿ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾[1] فالنَّارُ مثوىً لهم ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا** ﴾ في النَّارِ .

وقيل : ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعتِبُوا** ﴾ في الدنيا ، وهم مقيمون على كفرهم .

والجوابُ الآخرُ : فإن يصبروا في النَّار أو يجزعوا ، فالنَّارُ مثوىً لهم[2] ، ويكون قوله ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا** ﴾ يدلُّ على الجَزَعِ ، لأن المُسْتَعْتِبَ جَزِعٌ .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ..** ﴾ [آية ٢٥] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٥ وتمامها ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار ﴾ ؟!

(٢) في الكلام حذف تقديره : فإن يصبروا أو لا يصبروا ، فالنار مثوى لهم ، كقوله تعالى ﴿ اصْبِروا أو لا تَصْبِروا سواءٌ عَلَيكم ﴾ والأسلوب ورد مَورد التهكُّم ، ومعنى الآية : إن يصبروا على العذاب ــ ولا يُنتج الصبر لهم فَرَجاً وخلاصاً ــ فالنار مسكنهم ومنزلهم ، لا محيص لهم عنها ولا محيد ، وإن يطلبوا إرضاء الله فما هم من المقبولين المرضيِّ عنهم ، قال القرطبي : العُتْبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب ، تقول : استعتبته فأعتَبَني أي استرضيته فأرضاني ، ومنه قول النابغة :

فإنْ أَكُ مَظْلُوماً فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ ... وإنْ تكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

قال مجاهد : يعني الشياطين[1] .

قال أبو جعفر : معنى قيَّضْتُ له كذا : سبَّبْتُه له ، من حيثُ لا يحتسبُ .

٢٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** .. ﴾ [آية ٢٥] .

أي ما يعملونه من المعاصي ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ : وما عزموا على أن يعملوه .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ** .. ﴾ [آية ٢٦] .

وقرأ عيسى ، وابن أبي إسحاق ﴿ **والْغُوا** ﴾ بضم الغين[2] .

حكى الكسائي : لَغَا يَلْغُو ، وعلى هذا ﴿ **وَالْغُوا فِيهِ** ﴾ .

وحَكَى : لغا يَلْغَى ، ولَغِيَ يَلْغَى ، والمصدرُ على هذا مقصورٌ .

روى داودُ بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١١/٢٤ والقرطبي ٣٥٤/١٥ والدر المنثور ٣٦٢/٥ عن مجاهد ، و ﴿ قرناء ﴾ جمع قرين ، وهو الصاحب الملازم ، والمراد بهم قرناء السوء ، من الجن والإنس قال النقاش أي هيأنا لهم شياطين ، وسلطنا عليهم قرناء ، يزينون لهم المعاصي ، وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ، ومن الإنس أيضاً . اهـ. القرطبي ٣٥٤/١٥ .

(٢) عدَّها أبو الفتح ابن جني في المحتسب ٢٤٦/٢ من القراءات الشاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ والْغَوْا فيه ﴾ بسكون الواو ، قال ابن جني : اللغْوُ : اختلاط القول في تداخله ، يُقال : لَغَا يَلْغُو فهو لَاغٍ ، ومنه حديث (من قال في الجمعة صَهْ فقد لغا) . اهـ. وقراءة الجمهور من لَغِيَ ، يَلْغَى ، أو لَغَوْتُ ، ألْغُو ، والْغَى ، أفاده الهروي ، أي فيجيء الأمر « الْغَوْا » بالسكون .

كان النبي ﷺ بمكة إذا قرأ رفع صوته ، فتطردُ قريشٌ عنه النَّاسَ ، ويقولون :﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ وإذا خافتَ بقراءته لم يُسمع من يريد ، فأنزل الله جل وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ، وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾(١) .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ قال : بالمكَاءِ ، والتصفيق ، والتخليطِ على رسول الله ﷺ إذا قرأ ، كانت قريش تفعله(٢) .

قال أبو جعفر : اللَّغوُ في اللغة : ما لا يُعْرَفُ له حقيقة ، ولا يحصل معناه ، فمعنى ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ : أي عارضوه باللَّغْوِ(٣) .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ .. ﴾ [آية ٢٨] .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١١٠ والأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري بنحوه ١١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ بلفظه ، وروى أيضاً عن ابن عباس ﴿ والْغَوْا فيه ﴾ قال بالتصفير ، والتخليط عليه في المنطق .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١١٢/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٦/١٥ .

(٣) أحسن ما قيل في تفسير الآية قول الضحاك : أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول ، وارفعوا أصواتكم بالصياح ، حتى لا يسمعه أحد .

أقول : وهذا مما يدلُّ بوضوح على تأثير القرآن الكريم على نفوس المشركين ، فكانوا يتوقَّوْن هذا التأثير في نفوس المستمعين ، بإحداث الضجيج والصفير ، ورفع الأصوات عند تلاوة القرآن ، فذمَّهم الله على هذا الصنيع ، وتوعَّدهم بالعذاب الشديد بقوله ﴿ فلنذيقنَّ الذين كفروا عذاباً شديداً ، ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون ﴾ .

المعنى : ذلك العذابُ الشديدُ ، جزاءُ أعداءِ اللهِ ، ثم بيَّن الجزاء فقال : ﴿ **النَّارُ لهم فيها دَارُ الخُلْدِ** ﴾ .

والنَّـارُ هي دارُ الخُلْـدِ ، والعـربُ تفعـل هذا على التوكيـد[1] كما قال :

أَخُــو رَغَائِبَ يُعْطِيهَــا وَيُسْأَلُهَــا
يَأْبَـى الظُّلَامَـةَ مِنْـهُ النَّوْفَـلُ الزُّفَـرُ[2]

وهُـوَ هُوَ ، كما يُقَـال لك : في هذا المنـزل دارٌ واسعـةٌ ، وهــو الدَّارُ .

ولا يجوز عنـد الكوفيين ، حتـى يُخالـفَ لفـظُ الثـاني لفـظَ الأول ، لا تقول على قولهم : في هَذَا المنزلِ منزلٌ حسنٌ ، على أن الثاني الأول ، وهو عند البصريين كلُّه جيِّدٌ .

وفي قراءة عبد الله بن مسعـود ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْـدَاءِ اللهِ النَّـارُ دَارُ الخُلْدِ ﴾[3] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٨٥/٤ أنها جاءت على التوكيد ، قال : النار هي الـدار ، ولكنـه كما تقول : لك في هذه الدار دار السرور ، وأنت تعني الدار بعينها . اهـ. وكذلك قال الفراء ١٧/٣ هي النار بعينها اختلف لفظاهما .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، من مرثيتـه في أخيـه لأمـه وهـو في ديوانـه ص ٢٧٦ التـي مطلعهـا « هاج الفؤاد على عرفانه الذكر » . وذكره في خزانـة الأدب ١٨٥/١ وفي الأصمعيـات ص ٨٩ وجمهـرة أشعار العرب ، واستشهد به ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٣/٧ .

(٣) هذه من القـراءات الشـاذة ذكرهـا الـطبري ١١٣/٢٤ وذكرهـا القرطبـي ونسبها إلى ابـن عبـــاس ٣٥٦/١٥ قال : وترجم بالدار عن النار . اهـ. أي النار هي دار الخلد .
أقول : ليست هذه القراءة من القراءات السبع المشهورة بل هي شاذة .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا .. ﴾** [آية ٢٩] .

قال حَبَّةُ العُرَنِـيُّ ، وعُقْبَـةُ الفَـزَارِيُّ سُئـل علـيٌّ بن أبي طالب عليـه السلام عن قولـه جلَّ وعـز **﴿ أَرِنا اللَّذَيْـنِ أَضَلَّانا مِنَ الجِـنِّ والإِنْسِ ﴾** فقال : هما إبليسُ الأبالسة ، وابنُ آدَمَ الَّـذي قَتَـلَ أخـاهُ ، وكذلكَ رُوِي عن ابن مسعودٍ ، وابن عباس[1] .

٣١ ــ **وقولـه جل وعـز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَـا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُـوا .. ﴾** [آية ٣٠] .

قال مجاهد وإبراهيمُ : قالوا « لا إله إلَّا اللهُ » ثم استقاموا .

رُوِي عن أبي بكـر الصِّدِّيـق أنـه قال لهم : ما معنـى **﴿ ثم استقاموا ﴾** ؟ فقالوا : لم يعصُوا الله ، فقال : لقـد صعَّبتُـم الأمـرَ ، إنما هو استقاموا ، على ألَّا يُشركوا باللهِ شيئاً[2] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٣/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي ٣٥٧/١٥ قال القرطبي : ويشهـد لهذا القول الحديث المرفوع « ما من مسلم يُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفـلٌ من ذنبـه ، لأنه أول من سنَّ القتل » أخرجه الترمذي . وقال الفراء في معاني القرآن ١٨/٣ يقال : إن الذي أضلهم من الجن إبليس ، ومن الإنس قابيـل الـذي قتـل أخـاه ، فهـو أول من سنَّ الضلالـة من الإنس .

(٢) الأثر في الطبري ١١٤/٢٤ وابـن كثير ١٦٤/٧ ولفظـه قال : لقـد حملتموهـا على غير المحمـل ، قالـوا ربنـا الله ثم استقامـوا ، فلـم يلتفتـوا إلى إلـه غيره ، وذكـره القرطبـي ٣٥٨/١٥ وفي البحر ٤٩٦/٧ قال الصدِّيق : استقاموا على التوحيد ولم يضطرب إيمانهم . اهـ.

وقال مجاهد وإبراهيم : ﴿ ثمَّ استقاموا ﴾ : لم يُشركوا[1] .

وقال الزهري : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه **﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾** على طاعةِ اللهِ عزَّ وجل ، ولم يَروغُوا رَوَغانَ الثَّعْلَبِ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قال : على طاعةِ الله[3] .

قال أبو جعفر في الحديث عن النبي ﷺ : (استقيموا ولَنْ تُحْصُوا)[4] أي استقيموا على أمر الله وطاعتِهِ .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا .. ﴾ [آية ٣٠] .

قال مجاهد : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم المَلَائِكَةُ ﴾ عند الموت ، أن لا تخافوا ولا تحزنوا[5] .

(١ ــ ٣) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة في كتب التفسير ، الطبري ١١٥/٢٤ وابن كثير ١٦٥/٧ والبحر المحيط ٤٩٦/٧ وأجمعها أن المراد : استقاموا على شريعة الله ودينه ، في عقيدتهم وسلوكهم ، وأخلاقهم ، وأفعالهم ، وأقوالهم ، فكانوا مؤمنين حقاً ، مسلمين صدقاً ، وهذا ما اختاره الإمام القرطبي ، وهو الأظهر والأرجح ، والله أعلم .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٧٤ في الطهارة ، وأحمد في المسند ٢٨٢/٥ ولفظه (استقيموا ولن تُحصوا ــ أي لن تطيقوا بلوغ الكمال ــ واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) ، ورواه مالك في الموطأ في كتاب الطهارة من حديث ثوبان رقم ٣٦ .

(٥) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ١١٦/٢٤ وابن كثير ١٦٥/٧ والقرطبي ٣٥٨/١٥ وهو قول السدي ، وابن عباس ، وابن أسلم ، وقال قتادة ومقاتل : تتنزل عليهم الملائكة عند قيامهم من =

رَوَى سفيانُ عن زيدِ بنِ أسلَمَ قال : لا تخافوا ما أمامكم من العذاب ، ولا تحزنوا على ما خلفَكُمْ من عيالكم ، وضيعتكم ، فقد خُلِفتُمْ فيها بخير .

وفي قراءة ابن مسعود : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ لاَ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُونَ ﴾[1] .

قال زيدُ بنُ أسلم : يُقال لهم هذا عند الموت[2] .

٣٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً .. ﴾** [آية ٣٣] .

في معناه ثلاثة أقوال :

فمذهب الحسن : أنها عامةٌ لجميع المؤمنين[3] .

= قبورهم ، وروي عن زيد بن أسلم أن الملائكة يبشرونه عند موته ، وفي قبره ، وحين يُبعث ، قال ابن كثير : وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً ، وهذا كما جاء في حديث البراء (إن الملائكة تقول لروح المؤمن عند الاحتضار : اخرجي أيتها الروح الطيبة ، في الجسد الطيب ، الذي كنت تعمرينه ، أخرجي إلى رَوْح وريحان ، وربٍّ غير غضبان) . اهـ.

(١) قراءة ابن مسعود (لا تخافوا ولا تحزنوا) بإسقاط « أن » على الحكاية أي تتنزل عليهم الملائكة قائلين لا تخافوا .. إلخ. وهذه القراءة ليستْ من السبع ، وقد ذكرها الطبري ١١٦/٢٤ وفي البحر ٤٩٦/٧ والفراء في معاني القرآن ١٨/٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١٦/٢٤ والدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٥ .

(٣) قول الحسن أن الآية عامة في كل من دعا إلى الله ، من أحسن الأقوال وأرجحها ، لأن لفظ ﴿ ممن دعا إلى الله ﴾ يدل على العموم ، قال الحافظ ابن كثير ١٦٨/٧ :وهذه الآية عامة في كل من دعا إلى خير ، وهو في نفسه مهتد ، ورسول الله ﷺ ــ بلا شك ــ أولى الناس بذلك ، كما قال السدي ، ومحمد بن سيرين . اهـ. وهذا القول رجحه الجمهور .

وروى هشيمٌ عن عوف عن ابن سيرين في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ ﴾ قال : ذلك النبيُّ ﷺ ، أي دعا إلى توحيد الله[1] .

وقال محمد بنُ نافع قالت عائشة : نزلت في المؤذِّنين[2] **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾** .

وقال أبو الزَّاهرية[3] : قالت عائشة : إني لأرجو أن يكون المؤذنون هم الذين قال الله فيهم **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾** .

٣٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ .. ﴾** [آية ٣٤] .

﴿ لا ﴾ زائدة[4] للتوكيد .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/١١٨ وعزاه إلى السدي ، وابن زيد ، وذكره القرطبي ١٥/٣٦٠ وابن كثير ٧/١٦٨ .

(٢) قول عائشة إن الآية نزلت في المؤذِّنين قول مرجوح ، ذكره ابن كثير ٧/١٦٨ والقرطبي ١٥/٣٦٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٦٤ ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿ ومن أحسن قولاً .. ﴾ ولعلها ذهبت إلى هذا لِمَا بلغها ما روي في صحيح مسلم (المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) قال ابن كثير : والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وغيرهم .

(٣) أبو الزاهرية هو « حُدير بن كُريب الحضرمي » ثقة صدوق ، من الطبقة الثالثة توفي سنة ١٢٩ كذا في تهذيب التهذيب ٢/٢١٨ .

(٤) مراده « لا » الثانية ، وهذا قول الفراء كما ذكره القرطبي ١٥/٣٦١ عنه ، قال الفراء : « لا »=

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال عطاء ومجاهد : تقول إذا لقيتَهُ : سَلَامٌ عليكم .

ويُروى عن ابن عباس في قوله ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال : هما الرجلانِ متقاولان ، فيقولُ أحدُهُما لصاحبه : يا صاحبَ كذا وكذا ، فيقول له الآخر : إن كنتَ صادقاً عليَّ ، فغفَرَ اللهُ لي ، وإن كنت كاذباً ، فغفرَ اللهُ لك(١) .

وحدثنا بكرُ بن سهل ، قال حدثنا أبو صالح ، عن معاوية عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباسٍ ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال :

« أمر اللهُ جلَّ وعزَّ المؤمنين بالصبرِ عند الغضبِ ، والحلم والعفو عند الإساءةِ ، فإذا فعلُوا ذلكَ ، عصمهُم اللهُ من الشيطانِ ، وخَضَعَ لهم عدوُّهم كأنه ولي حميمٌ »(٢) .

= صلة أي ولا تستوي الحسنة والسيئة ، وأنشد :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... والطَّيِّبَانِ أَبُو بكرٍ وَلَا عُمَرُ

أراد أبو بكر وعمر . اهـ.

(١) رواه ابن المنذر عن أنس كما في الدر المنثور ٥/٣٦٥ وذكره القرطبي عن ابن عباس ١٥/٣٦١ وقد دعت الآية إلى الدفع بالتي هي أحسن ومثاله : رجل أساء إليك فالحسنة أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/١١٩ والقرطبي ١٥/٣٦٢ والبحر المحيط ٧/٤٩٨ وهو قول بديع فيه نور من مشكاة النبوة .

٣٦ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾** [آية ٣٥] .

قال يقول : الَّذينَ أعدَّ اللهُ لهم الجنَّةَ .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة ﴿ كأنه وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ قال : قريب[1] .

٣٧ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾** [آية ٣٥] .

أي وما يُلَقَّى هذه الفعلة ، إلا الذين يكظمون الغيظ ، **﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾** أي من الخير .

ورَوى مَعْمرٌ عن قتادة قال : الحظُّ العظيمُ : الجنَّةُ[2] .

٣٨ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ .. ﴾** [آية ٣٦] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٩/٢٤ قال الحافظ ابن كثير ١٦٩/٧ ﴿ كأنه ولي حميم ﴾ أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك ، قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك، ومحبتك، والحنوِّ عليك ، حتى يصير كأنه ولي حميم لك أي قريب إليك من الشفقة . اهـ. قال ابن عطية : دخلت « كأن » المفيدة للتشبيه ، لأن العدو لا يعود ولياً حميماً بالإحسان ، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٢٠/٢٤ والألوسي ١٢٤/٢٤ والبحر المحيط ٤٩٨/٧ وعبارته : ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة ، وقال الشوكاني ٥١٦/٤ (ذو حظ عظيم) قال قتادة : الحظ العظيم الجنة أي ما يُلقَّاها إلا من وجبت له الجنة .

أي إن عَرَضَ لك الشَّيطانُ ليصدَّكَ عن الحِلْم ، فاستَعِذ باللهِ منه ، واحْلَمْ(١) .

٣٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، واسْجُدُوا للهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ .. ﴾ [آية ٣٧] .

أي ومن علاماته ، التي تدلُّ على قدرته ، ووحدانيته ﴿ **اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والقمرُ ، لا تسجدُوا للشَّمْسِ ولا للقمرِ واسجُدُوا للهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ** ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى : واسجدوا لله الذي خلق الليلَ والنَّهارَ ، والشمس والقمر(٢) .

ويجوز أن يكون المضمر يعود على الشمس والقمر ، لأن الاثنين جميعٌ .

---

(١) قوله ﴿ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ ﴾ أصل النَّزغ : النَّخْسُ ثم استعير للإغراء بالفساد قال في اللسان : والنزغ الكلام الذي يُغْري بين الناس ، يقال : نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وأغوى ، والمراد بالآية وساوسه ونخسه في القلب بما يسوِّل للإنسان من المعاصي . اهـ. والمعنى على هذا : إن وسوس إليك الشيطان بترك الدفع بالتي هي أحسن ، وأراد أن يحملك على البطش والانتقام ، فاستعذ بالله من كيده وشره .

(٢) الأظهر ــ والله أعلم ــ أن الضمير في قوله تعالى ﴿ خلقهنَّ ﴾ يعود على الشمس والقمر ، والليل والنهار ، لا على الشمس والقمر فقط ، فإنه بعيد ، وهذا ما رجحه الفراء حيث قال في معانيه ١٨/٣ : ﴿ خلقهن ﴾ أي خلق الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وتأنيثهن في قوله « خلقهن » لأن كل ذكر من غير الناس ، فهو في جمعه مؤنث . اهـ.

ويجوز أن يكون يعود على معنى الآيات .

٤٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي فإن استكبروا عن أن يوحِّدوا الله ، ويتَّبعُوكَ ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي فالملائكةُ الَّذِينَ عند ربِّكَ ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ أي لا يَمَلُّونَ .

٤١ ــ ثم زادهم في الدلالة فقال جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً .. ﴾ [آية ٣٩] .

قال قتادة : أي غبراء ، متهشِّمة[1] .

٤٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [آية ٣٩] .

قال مجاهد : ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ أي بالنَّباتِ .

قال أبو جعفر : يُقال : اهتزَّ الإنسانُ أي تحرَّكَ ، ومنه قوله :

(١) الأثر في الطبري ١٢٢/٢٤ وابن الجوزي ٢٦٠/٧/٧ قال القرطبي ٣٦٥/١٥ : ﴿ إنك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي يابسة مجدبة ، وقال ابن كثير ١٧١/٧ : ﴿ خاشعة ﴾ أي هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة قال في البحر المحيط ٤٩٩/٧ : استعير الخشوع لها والتذلل لما ظهر بها من القحط ، وعدم النبات ، وسوء العيش عنها ، بخلاف أن تكون معشبة ، وفيها أشجار مزهرة ومثمرة ، فذلك هو حياتها . اهـ.

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى

إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئٍ السَّوْءِ مَطْمَعاً[1]

ثم قال : ﴿ وَرَبَتْ ﴾ قال مجاهد : أي ارتفعت ، لتنبتَ[2] .

قال أبو جعفر : قرأ أبو جعفر « يَزيد بن القَعْقَاع » وخالد ﴿ وَرَبَأَتْ ﴾ معناه : عَظُمت ، من الرَّبيئةِ[3] .

٤٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال مجاهد : المكاءُ وما ذُكر معه[4] .

وقال قتادة : الإلحادُ : التكذيبُ[5] .

قال أبو جعفر : أصلُ الإلحاد العدولُ عن الشيء ، والميلُ عنه ، ومنه اللَّحدُ لأنه جانب القبر .

(١) البيت ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٥ والقائل متمم بن نويرة اليربوعي يرثي أخاه مالكاً ، وانظر العقد الفريد ٢٦٣/٣ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٩٢ ، وفيها (أغر) بدل (تراه) .

(٢) عبارة مجاهد كما في الطبري ١٢٢/٢٤ (وربَتْ) قال : ارتفعت قبل أن تنبت ، وقال ابن كثير : أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤٧/٢ وقراءة الجمهور ﴿ وَرَبَتْ ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ ويُراد بالمكاء : الصفير ، كقوله تعالى ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ .

(٥) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ والبحر المحيط ٥٠٠/٧ ورُوي عن ابن عباس أن الإلحاد : وضع الكلام على غير مواضعه .

فمعنى ألحد في آيات الله : مالَ عن الحقِّ فيها أي جعلها على غير معناها[1] .

٤٤ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..** ﴾ [آية ٤٠] .

﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ** ﴾ أبو جهل بن هشام ﴿ **خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ عمَّارُ بن ياسر[2] .

ثم قال ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** ﴾ : وقد بيِّن جل وعزَّ ذلك .

قال مجاهد : هذا على الوعيد[3] .

٤٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ..** ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) ما ذكره المصنف عن الإلحاد في الآيات يتفق مع قول أهل التفسير ، فقد قال البيضاوي ﴿ يُلحدون في آياتنا ﴾ أي يميلون عن الاستقامة في آياتنا ، بالطعن والتحريف ، والتأويل الباطل ، واللغو فيها . اهـ. الفتوحات الإلهية ٤/٤٥ .

(٢) هذا قول عكرمة كما في تفسير ابن الجوزي ٧/٢٦١ وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٦٦ فقال ما نصه : أخرج ابن عساكر عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ أفمن يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ ؟ نزلت في عمَّار بن ياسر وفي أبي جهل . اهـ.

أقول : والأظهر أن الآية على العموم والمعنى : هل من يُطرح في جهنم وهو الكافر أفضل أم من يكون في الجنة آمناً من عذاب الله وهو المؤمن ؟ وهو اختيار الطبري وابن كثير .

(٣) هذا هو الصحيح أن قوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ ليس أمراً على الإباحة أن يعمل الإنسان ما يشاء ، بل هو تهديد ووعيد ، كما تقول لخادمك : اعمل ما شئت فسترى العاقبة ، وهذا معنى قول الطبري : هذا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر ، وقال الزجاج : لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد . اهـ. تفسير الشوكاني ٤/٥١٩ .

قال قتادة : أي بالقرآن[1] .

قال أبو جعفر : وفي الخبر قولان :

أحدهما : أن المعنى : إنَّ الذين كفروا بالذِّكر لمَّا جاءهم ، أولئك يُنادون من مكانٍ بعيد .

والقولُ الآخر : أن الخبر محذوفٌ ، أي : هلكُوا .

وهذا القولُ الاختيارُ عند النحويِّين جميعاً ، فيما علمتُ[2] .

وقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ : أي قاهرٌ لا يقدِرُ أحدٌ أن يأتي بِمِثْلِهِ .

٤٦ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .. ﴾ [آية ٤٢] .

في معناه أقوال :

أ ــ فمن أحسنها أن المعنى : لا يأتيه الشيطانُ من بين يديه ،

---

(١) الطبري ١٢٤/٢٤ وابن كثير ١٧١/٧ والمعنى : كفروا بالقرآن ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وهذا باتفاق المفسرين .

(٢) هذا هو الأصح والأرجح عند المفسرين أن الخبر محذوف لتهويل الأمر ، كأنه قيل : إن الذين كذبوا بالقرآن ، حين جاءهم به محمد من عند الله ، سيجازون بكفرهم جزاءً لا يكاد يُوصف ، لشدة بشاعته وفظاعته ، وهذا رأي أكثر المفسرين ، واختار صاحب البحر المحيط ٥٠٠/٧ أن الخبر مذكور وهو ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ﴾ حُذف منه العائد ، والأول أظهر وأشهر .

فينتقص منه ، ولا من خلفه فيزيد فيه .

قال مجاهد : ﴿ **الباطلُ** ﴾ : الشَّيْطان(١) .

وقال الحسن : حفظ اللهُ القرآنَ من الشيطان ، فلا يقدر أن يزيد فيه ، ولا ينقص منه ، قال الحسن ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(٢) .

وَرَوى مَعْمرٌ عن قَتَادَة في قوله تعالى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ قال : لا يقدِرُ الشيطانُ أن يُبطِلَ منه حقًّا ، ولا يُحقَّ فيه باطلاً(٣) .

قال أبو جعفر : معنى « يُحقُّ فيه باطلاً » يزيد فيه باطلاً ، فيصير حقاً ، فهذا قولٌ .

ب ـــ **وقيل** : معنى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ : لا يُبطله كتابٌ قبله ، ولا يأتي بعده كتابٌ فيبطله ، وهذا قولُ الفَرَّاءِ ، أي لا

---

(١) الأثر أخرجه الطبري وعزاه إلى قتادة ٢٤/١٢٥ وابن الجوزي عن مجاهد ٧/٢٦٢ والقرطبي ١٥/٣٦٧ .

(٢) هذا قول مجاهد وقتادة ، كما في الدر المنثور ٥/٣٦٧ وزاد المسير ٧/٣٦٢ .

(٣) سورة الحجر آية رقم ٩ والأثر أخرجه الطبري ٢٤/١٢٥ والشوكاني ٤/٥١٩ قال ابن كثير ٧/١٧١ : أي ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين . اهـ. وهذا القول أظهر ، فإن هذا القرآن لا يتطرَّق إليه الباطل من جهة من الجهات ، ولا مجال للطعن فيه ، قال في البحر : وهذا تمثيل أي لا يجد الطعن سبيلاً إليه ، من جهة من الجهات ، وأما ما ظهر من بعض الحمقى ، من الطعن فيه ـــ على زعمهم ـــ ومن تأويل بعضهم له كالباطنية ، فقد ردَّ عليهم علماء الإسلام ، وأظهروا حماقاتهم . اهـ. البحر ٧/٥١٠ .

يوجد فيه باطلٌ من إحدى الجهتين(١) .

جـ ــ **وقيل** : معنى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ** ﴾ : من قبل أن يتمَّ نزولُه ﴿ **وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ من بعد تمام نزوله(٢) .

ويكون أيضاً ﴿ **مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ بعد نزوله كله ﴿ **وَمِنْ خَلْفِهِ** ﴾ قبل تمامه(٣) .

د ــ **وقيل** : **المعنى** : لا يأتيه الباطلُ قبلَ أن ينزِلَ ، لأن الأنبياء وقد بشَّرت به ، فلم يقدر الشَّيطانُ على أن يَدْحَضَ ذلكَ ، ولا من خلفِهِ بعد أن أُنْزِلَ(٤) .

هـ ــ **وقيل** : معنى ﴿ **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ على التكثير ، أي لا يأتيه الباطلُ البَتَّة(٥) .

٤٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ..** ﴾ [آية ٤٣] .

قال أبو صالح(٦) : أي من الأذى(٧) .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٩/٣ .

(٢ ــ ٥) هذه الأقوال التي ذكرها المصنِّف ، كلها وجوه تحتملها الآية الكريمة ، في تفسير قوله تعالى ﴿ من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ولكن أظهرها ما ذكرناه عن المفسرين وما قاله الإمام الطبري أن المعنى : لا يستطيع ذو باطل بكيده تغيير القرآن ، وتبديل شيء من معانيه ــ وهو الإتيان من بين يديه ــ ولا إلحاق ما ليس منه فيه ــ وهو الإتيان من خلفه ــ .

(٦) « أبو صالح » هو مولى أُما هانئ اسمه « باذام » ويقال « باذان » تابعي شهير ، قال ابن الأثير في أسد الغابة ١٧٠/٦ : أورده الحسن بن سفيان في الصحابة ، وأورد له حديثاً قال فيه أخرجه =

وقوله تعالى ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي لمن آمن بك .

﴿ وذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي لمن كذَّبك .

٤٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ** .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي بُيِّنَتْ[١] .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا أنَّ التفصيلَ لا يكون إلَّا للعرب ، وهم أصحابُ البيان .

٤٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** ﴾ ؟ [آية ٤٤] .

قال سعيدُ بنُ جبير : أي أقرآنٌ أعجميٌّ ، ونبيٌّ عربيٌّ[٢] ؟

قال قتادة : أي لو جعلنا القرآن أعجمياً ، لأنكروا ذلك ،

= أبو نعيم وأبو موسى .. إلخ. قال ابن حجر في الإصابة ٢٢٣/٧ : أبو صالح مولى أم هانئ تابعي شهير ، وهِمَ بعض الرواة فذكره في الصحابة . اهـ. وانظر تهذيب التهذيب ٤١٦/١ .

(٧) قال في التسهيل ٢٦/٤ : المعنى ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا كما قال المتقدمون لرسلهم ، فالمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسي بهم .

(١) عبارة القرطبي ٣٦٨/١٥ : ﴿ لولا فُصِّلت آياتُه ﴾ أي بُيِّنت بلغتنا ، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبيَّن تعالى أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز ، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً ، وإذا عجزوا عن معارضته كان من أدل الدليل على أنه من عند الله . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٤ عن سعيد بن جبير وابن كثير ١٧٢/٧ والاستفهام هنا للإنكار أي كيف يكون النبي عربياً وينزل عليه قرآن أعجمي ؟!

وقالوا : أعربٌ مخاطبونَ بالعَجَميَّةِ ؟ فكان ذلك أشدَّ لتكذيبهم[1] .

وقرأ ابن عباس ، والحسنُ ، وأبو الأسود : ﴿ أَعْجَمِيٌّ ﴾ بغير استفهام ، والعين ساكنةٌ[2] .

والمعنى على هذه القراءة : لولا فُصِّلتْ آياته ، فكان منها أعجميٌّ تفهمه العَجَمُ ، وعربيٌّ تفهمه العربُ ؟ .

ويكون ﴿ أَعْجَمِيٌّ ﴾ بدلاً من ﴿ آيَاتِهِ ﴾ .

وحُكي أنه قُرِئ ﴿ أَعَجَمِيٌّ ﴾ ؟ على أن الأصلَ عَجَمِيٌّ ، دخلت عليه ألف الاستفهام .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ١٧٢/٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدي وغيرهم ، وذكره ابن الجوزي ٢٦٣/٧ ولم يذكر قائله ، وذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٢/٧ .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المحتسب من الشواذ ٢٤٧/٢ وانظر الطبري ١٢٧/٢٤ والقرطبي ٣٦٩/١٥ وابن كثير ١٧٢/٧ .

أقول : والقول الأول أظهر وأشهر ، فإنهم لم يقترحوا أن ينزل القرآن بلغة العجم ، وإنما أنكروا أن ينزل القرآن بلسان أعجمي على نبي عربي ، أو ينزل عليهم بلسان لا يعرفونه ولا يتقنونه والآية وردت مورد الفرض ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً ﴾ قال الفخر الرازي ١٣٣/٢٧ : نقلوا في سبب النزول أن الكفار لأجل التعنت قالوا : لولا نزل القرآن بلغة العجم ؟ فنزلت .. ثم قال : والحقُّ عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد ، فقد حكى الله عنهم ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنَّة مما تدعونا إليه ﴾ وهذا الكلام متعلق به ، والتقدير : إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم ، لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي ، إلى القوم العرب .. إلخ.

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[١] : الأعجميُّ : الذي لا يُفصح ، كان من العرب أو من العجم ، والعجميُّ : الذي ليس من العرب ، كان فَصِيحاً ، أو غير فصيحٍ .

قال أبو جعفر : والقراءةُ الأخرى بعيدةٌ ، لأنَّهم قد أجمعوا على قوله : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا** ﴾! .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** .. ﴾ [آية ٤٤] .

﴿ **وَقْرٌ** ﴾ : أي صممٌ على التمثيل[٢] ، وهو عليهم عَمًى .

قال قتادة : القرآنُ[٣] .

وقيل : الوقرُ عليهم عمىً[٤] .

---

(١) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ وانظر كتابه معاني القرآن ٣٨٩/٤ .

(٢) أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم ، وعلى عينيه غشاوة ، لا يبصر بسببها الأشياء ، فهم كالصمِّ العمي ، فالآية وردت مورد التمثيل .

(٣) الأثر في الطبري ١٢٨/٢٤ عن قتادة قال : عَمُوا وصَمُّوا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، قال ابن كثير ١٧٢/٧ : ﴿ وهو عليهم عَمَى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ، وقال صاحب البحر المحيط ٥٠٢/٧ : أخبر تعالى أن القرآن عليهم عَمَى ، يمنعهم من إبصار حكمته ، والنظر في معانيه ، والتقرير لآياته .

(٤) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٣/٧ عن بعضهم وهو بعيد ، فإن الضمير يعود على القرآن لا على الوقر ، والقول الأول هو الأظهر ويؤيده قوله تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ .

وقرأ ابن عباس ، ومعاوية ، وعمرُو بن العاص ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِيَ ﴾ على أنه فعل ماضٍ .

وحُكِي ﴿ وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ ﴾[(١)] .

٥١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٤٤] .

حَكَى أهلُ اللغةِ أنه يُقالُ للذي يَفْهم : أنت تسمع من قريب ويُقال للذي لا يَفْهمُ : أنتَ تُنَادَى من مكانٍ بعيد .

أي كأنه يُنَادَى ، من موضع بعيد منه ، فهو لا يسمع النِّداء ، ولا يفهمُهُ[(٢)] .

ومذهب الضحاك : أنهم يُنادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم ، من مكانٍ بعيد ، ليكون ذلك أشدَّ عليهم في الفضيحة والتوبيخ[(٣)] .

٥٢ ــ ومعنى قوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٥] .

---

(١) قراءة « عَمٍ » و « عَمِي » ذكرها المفسرون : الطبري ٢٤/١٢٨ وفي البحر المحيط ٧/٥٠٢ والفراء في معاني القرآن ٣/٢٠ ولكنها ليست من القراءات السبع ، قال الطبري : والصواب من القراءة عندنا ما عليه قرَّاء الأمصار ﴿ وهو عليهم عمىً ﴾ .

(٢) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/٢٠ وفي البحر المحيط ٧/٥٠٣ ونقل عن علي ومجاهد أنه استعارة لقلة فهمهم ، شبَّههم بالرجل يُنادى من بُعْدٍ ، فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه ، وهو قول أهل اللغة . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/١٢٩ والقرطبي ١٥/٣٧٠ وفي البحر المحيط ٧/٥٠٣ ولفظه : قال الضحاك : ينادون لكفرهم وقبح أعمالهم ، بأقبح أسمائهم من بُعْدٍ ، حتى يسمع ذلك أهل الموقف ، فيعظم السمعة عليهم ويحل المصاب . اهـ.

أنهم قد أُخِّروا إلى مدَّةٍ يعلمها اللهُ ، وأنه لا يعاجِلُهُمْ بالهَلاَكِ .

٥٣ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا .. ﴾** [آية ٤٧] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حين تَطْلُع[١] .

وقال غيره : هي الطَّلعة تخرج من قشرها[٢] .

قال أبو جعفر : القول الأول أعمُّ ، أي وما تخرج من ثمرةٍ من غلافِها ، الذي كانت فيه ، وذلك أوَّل ما تطلعُ ، وغلافُ كل شيءٍ : كُمُّه .

٥٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي .. ﴾** [آية ٤٧] .

أي على زعمكم[٣] .

﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ ﴾ هذا من قول الآلِهةِ ، أي أعْلَمْنَاكَ[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١ وفي الدر المنثور ٣٦٧/٥ والمراد منه أن الثمار عندما تخرج من غلافها ووعائها ، فهذا معنى خروجها من أكمامها .

(٢) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وقول مجاهد أظهر كما ذكر المصنف ، وهو قول أبي عبيدة أيضاً من علماء اللغة ، فقد قال : أكمامها أوعيتها وهو ما كانت فيه الثمرة واحدها كِمٌّ ، وكُمَّة ، ذكره الرازي في التفسير الكبير ١٣٦/٢٧ وهو ما رجحه الإمام النحاس والطبري .

(٣) هذا فيه تقريع وتهكم بهم ، أي أين شركائي الذي زعمتم أنهم آلهة معي ؟ ادعوهم لينقذوكم !!

(٤) ما ذكره المصنف أنه قول الآلهة هو قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وهو خلاف الظاهر فإن الضمائر متناسقة من البداية إلى النهاية ، فالخطاب مع المشركين ، والجواب أتى منهم ، والمعنى : يقول المشركون ﴿ آذنَّاك ﴾ أي أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ، ما منا من يشهد بأن لك =

يُقال : آذنتُه فَأَذِنِ ، أي أعلمتُه فعَلِمَ ، والأصلُ في هذا من الأُذُنِ ، أي أوقعتُه في أُذُنِهِ ، ومنه :

« آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ »(1)

ومنه قوله جل وعز ﴿ وِمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾(2) أي اعملوا ما شئتم ، ثم اعتذِرُوا منه ، فإنه يعذُرُكم ، ويقبلُ ما تُعْلِمونه بِهِ . ومنه الأذان ، إنما هو إعلامٌ بالصَّلاةِ .

ثم قال تعالى ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ أي ما منَّا من شهد أنَّ لك شريكاً .

٥٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾** [آية ٤٧] .

﴿ وَظَنُّوا ﴾ أي وأيقنوا(3) .

٥٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْرِ ، وإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾** [آية ٤٩] .

= شريكاً ، أعلنوا إيمانهم وتوحيدهم وتبرءوا من الأصنام في وقت لا ينفع فيه الإيمان ، وهذا ما رجحه الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين .

(1) هذا شطر بيت للحارث بن حلزة من معلَّقته ، وتمامه :

آذنتنا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

ذكره القرطبي ٣٧١/١٥ وفي البحر المحيط ٥٠٤/٧ واللسان مادة (أذن) .

(2) سورة التوبة آية رقم ٦١ .

(3) «ظنَّ» تأتي بمعنى الشك، وبمعنى اليقين كما في هذه الآية ، وكما في قوله تعالى ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ أي أيقنت ، فتنبه له فإنه دقيق .

أي لا يَمَلُّ من أن يصيبَهُ الخَيْر .

وفي قراءة عبد الله ﴿ مِنْ دُعَاءٍ بالخَيْرِ ﴾[1] .

﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي إن مسَّه شيءٌ يسيرٌ من الشَّرِّ ، يَئِسَ وقَنِطَ .

٥٧ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً .. ﴾ [آية ٥٠] .

قال مجاهد : أي بعملي ، وأنا حقيقٌ بهذا[2] .

وهذا يُراد به الكافر[3] ، ألا تَرَى أنَّ بعدَهُ ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ ؟ .

وقوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ أي على قولك .

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٤/٧ وهي ليست من القراءات السبع ، فتنبه والله يرعاك .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٣/٢٥ والشوكاني ٥٢٢/٤ قال : المعنى : هذا شيء أستحقه على الله ، لرضاه بعملي ، ظنَّ أن تلك النعمة وصلت إليه باستحقاقه لها ، ولم يعلم أن الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد .

(٣) هذا قول السدي كما في الطبري ٢/٢٥ وفتح القدير ٥٢٢٥/٤ قال في التسهيل : ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ﴾ أي لا يملُّ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ، نزلت الآية في « الوليد بن المغيرة » وقيل : في غيره من الكفار ، واللفظ أعم من ذلك . اهـ. وقال الشوكاني : الإنسان هنا يراد به الكافر ، وهو قول السدي ، فقيل هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : أمية بن خلف ، والأولى حمل الآية على العموم ، باعتبار الغالب ، فلا يُنافيه خروج خُلَّص العباد . اهـ. فتح القدير ٥٢٢/٤ .

٥٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. ﴾ [آية ٥١] .

أي تباعَدَ ، ولم يَدْعُنا .

وقرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع »[١] ﴿ أَعْرَضَ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ ﴾ الألف قبل الهمزة .

فيجوز أن يكون معناه من « نَاءَ » : إذا نهض .

ويجوز أن يكون على قلب الهمز بمعنى الأول .

٥٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وإذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [آية ٥١] .

أي كبير .

يقال : له دعاءٌ عريض وطويلٌ ، بمعنًى واحد .

٦٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ .. ﴾ [آية ٥٣] .

أي في آفاق الدنيا ، وتقلُّب أحوالها ﴿ وفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ مثل ذلك[٢] .

---

(١) هذه رواية ابن ذكوان عن ابن عامر ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٧ .

(٢) قال القرطبي : المراد ما في أنفسهم من لطائف الصنعة ، وبديع الحكمة ، حتى سبيل الغائط والبول ، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد ، ويتميز ذلك من مكانين ، ومن بديع =

قال مجاهد : ﴿ في الآفَاقِ ﴾ فتحُ القُـرى ﴿ وفي أنفسهـم ﴾ فتح مكة(١) .

٦١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [آية ٥٣] .

= صنع الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ، ينظر بهما من الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرِّق بهما بين الأصوات المختلفة ، وغير ذلك من بديع حكمة الله !!

(١) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٢٥/٥ واختاره ، وذكره ابن كثير عن مجاهد والحسن والسدي ١٧٥/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٧/٧ والرازي في التفسير الكبير ١٣٩/٢٧ ورجح الرازي القول الأول وهو قول ابن زيد ، ونحن ننقل طرفاً منه لحسن عرضه ، وجمال تصويره ، فقد قال الإمام الفخر ، في الآية قولان :

الأول : أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية ، وآيات الليل والنهار ، والأضواء والظلمات ، وعالم العناصر الأربعة ، وآيات العالم العلوي والسفلي ، وآيات المواليد الثلاثة ، وقد أكثر الله منها في القرآن . وقوله تعالى ﴿ وفي أنفسهم ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام ، وحدوث الأعضاء العجيبة ، والتركيبات الغريبة ، كما قال سبحانه ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ يعني نُريهم من هذه الدلائل ، مرة بعد أخرى ، حتى تزول عن قلوبهم الشبهات ، ويؤمنوا بوجود الإله القادر الحكيم .

الثاني : أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة ، وبآيات الأنفس فتح مكة لقوله تعالى ﴿ سنريهم ﴾ يسين الاستقبال لأنه يقتضي أنه ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن ، وسيطلعهم عليها بعد ذلك .

والقول الأول أرجح ، لأن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء ، إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء ، مما لا نهاية لها ، فهو يطلعهم على تركيب تلك العجائب ، زماناً فزماناً ، ومثاله بنية الإنسان ، شاهدها كل أحد ، إلا أن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذه البدن كثيرة ، وأكثر الناس لا يعرفونها ، فكلما ازداد الإنسان وقوفاً على تلك العجائب ازداد إيماناً ومعرفة .

المعنى : أولم يكفهم بربِّك ، أي أولم يكفهمْ ربُّكَ ، بما دلَّهم به على توحيد الله جل وعز ، ممَّا فيه كفايةٌ لهم ، لأنه على كلِّ شيءٍ شهيدٌ[1] ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أنه له على كل شيءٍ شاهد ، بأنه مُحْدِثٌ ، وإذا شهده جَازَى عليه .

٦٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ .. ﴾** [آية ٥٤] .

أي في شكٍّ .

وقرأ الحسن : ﴿ فِي مُرْيَةٍ ﴾[2] .

﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ أي قد أحاط بعلم الغيب ، والشهادة جلَّ وعزَّ .

* * *

« انتهت سورة السجدة »

---

(١) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٨/٧ قال والمعنى : أولم يكفهم شهادة ربك . اهـ. وتوضيحاً للمعنى نقول : أولم يكفهم برهاناً على صدقك يا محمد ، أن ربك شاهد على كل شيء ، لا تخفى عليه خافية ، وأنه شاهد لك بصدق دعوى النبوة ؟

(٢) هذه قراءة السلمي والحسن ﴿ في مُرْية ﴾ بضم الميم ، كما في البحر المحيط ٥٠٩/٧ قال في الصحاح : والمِرْية : الشك ، وقد تضم ، وقرئ بهما . اهـ.

تفسير سورة الشورى

مكية وآياتها ٥٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ [آية ١] .

وفي قراءة ابن مسعود ، وابن عبَّاس ﴿ حمٓ . سقٓ ﴾[2] .

قال ابن عباس : وكان عليٌّ عليه السلام ، يعرفُ الفتنَ بها[3] .

وروى مَعْمَر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ قال : اسمٌ من أسماء القرآن .

---

(١) السورة تسمى « سورة الشورى » في المشهور وتسمى « سورة حمٓ عسٓقٓ » وآياتها ثلاث وخمسون آية ، وهي مكية كما قال المصنفُ .

(٢) هذه القراءة بحذف « عين » من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٤٩ عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود ، وذكرها الطبري عن ابن عباس ٢٥/٦ .

(٣) ذكر ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية حديثاً عجيباً غريباً ، خلاصته أن رجلاً سأل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى ﴿ حمٓ عسٓقٓ ﴾ فأعرض عنه ، فكرَّر عليه السؤال ثلاثاً ، وابن عباس يعرض عنه ، وكان في مجلسه « حذيفة بن اليمان » فقال حذيفة : أنا أعرف لم كرهها ؟ نزلتْ في رجل من أهل بيته ، يُقال له « عبد الإله » يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق ، تُبنى عليه مدينتان ، يشقُّ النهر بينهما شقاً ــ إشارة إلى مدينة بغداد ــ ثم يخسف الله بها في آخر الزمان .. فـ ﴿ عسٓقٓ ﴾ يعنى عزيمة من الله ، وفتنة ، وقضاء سيكون ، واقع بهاتين المدينتين .. إلخ. وذكره ابن كثير ٧/١٧٧ وقال : حديث غريب منكر . اهـ. والصحيح أن هذه الحروف المقطعة وأمثالها للتنبيه على إعجاز القرآن لا لبيان الفتن والكوارث .

٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوْحِي إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آية ٣] .

المعنـى : يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ، كذلك الوحي الذي تقدَّم ، أو كحروف المعجم .

وقيل : إنه لم ينزل كتابٌ إلَّا وفيه ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ .

فالمعنى على هذا : كذلك الذي أُنْزل من هذه السورة .

وهذا مذهب الفراء[١] .

قال : ويُقرأ ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[٢] .

قال أبو جعفر : يجوزُ على هذه القراءة ، أن يكون هذا التمام ، ثم ابتدأ فقال : ﴿ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ على أن العزيز الحكيم خبرٌ ، أو صفةٌ ، والخبرُ ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ .

وكذلك يكون على قراءة من قرأ ﴿ نُوْحِي ﴾ بالنون ، ويجوز على قراءة من قرأ ﴿ يُوْحَى ﴾ أن يكون المعنى : يوحي اللهُ ، وأنشد سيبويه :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢١/٣ ولفظه : كذلك أوحيتُ إلى كل نبيٍّ ، كما أوحيتُ إلى محمد ﷺ .

(٢) قراءة « يُوحَى » بالبناء للمجهول قراءة ابن كثير وحده بفتح الحاء ، وقرأ الباقون بكسر الحاء ﴿ يُوحِي ﴾ وكلاهما من السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٠ .

لِيُــبْكَ يَزِيــدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَـــةٍ

وَأَشْعَثُ مِمَّـنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِـــحُ[1]

فقال : لِيُبْكَ يزيـدُ ، ثم بيَّـنَ من ينبغـي أن يبكيَـهُ ، فالمعنـى : يبكيه ضَارِعٌ .

٣ ــ **وقوله جل وعـز : ﴿ تَكَـادُ السَّمَـوَاتُ يَنْفَطِـرْنَ[2] مِنْ فَوْقِهِـنَّ .. ﴾** [آية ٥] .

أي يَنْشَقِقْنَ من أعلاهنَّ ، عقوبةً .

وقال قتادة : لجلالِةِ اللهِ ، وعظمتِهِ[3] .

قال أبو جعفر : وقيل : أي من فوق الأمم المخالفة[4] .

---

(١) البيت من شواهد سيبويه ص ٧٦ الشاهد الخامس والأربعون ، وذكـر أنـه للحـارث بن نَهيك ، والصحيح أنه لنهشل بن حَري كما في خزانـة الأدب ١٥٢/١ وروي فيـه الشطـر الثـاني « ومختبـطٌ ممَّا تُطِيحُ الطوائح » وانظر معجم الشواهد العربية ٨٣/١ وكذلك هو في كتاب سيبويه .

(٢) هذه من القـراءات السبـع ، وهـي قراءة أبي عمـرٍو ، عن عاصـم ﴿ يَنْفَطِـــرْنَ ﴾ بالنـــون من الانفطار ، وقرأ الباقون﴿ يتَفَطَّرْنَ ﴾أي يتشقَّقْنَ ، وانظر السبعـة لابـن مجاهـد ص ٥٨٠ والنـشر ٣٦٧/٢ .

(٣) الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧/٢٥ وابن كثير ١٧٩/٧ وابن الجوزي ٢٧٢/٧ وهـذا القـول قول ابن عباس ، والضحاك ، والسدي كما في ابن كثير ، وهو الأرجح لقوله تعالى قبلـه ﴿ وهـو العلي العظيم ﴾ والمعنى : تكاد السمواتُ يتشقَّقْن من عظمة الله وجلاله ، ومن رفيع شأنه وسلطانه .

(٤) هذا قول الأخفش الصغير « علي بن سليمان » أن الضمير ﴿ من فوقهن ﴾ راجـع إلى الكفـار ، قال الشوكاني : وهذا بعيد جداً ، وذكره في البحر ٥٠٨/٧ .

ويُقرأ : ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾[1] أي من عظمة مَنْ فَوْقَهنَّ[2] .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ والمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٥] .

وفي الأرض المؤمن ، والكافر[3] !!

فروى مَعْمرٌ عن قتادَة قال : ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ من المؤمنين[4] .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن هذا قوله جل وعلا ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[5] وقال في الكفار ﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ ، والمَلاَئِكَةِ ، والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[6] .

(١) هذه قراءة الجمهور — كما أسلفنا — وكان ينبغي أن تقدم على القراءة الأولى ﴿ ينفطرن ﴾ لأنها الأصل ، وأما بالتون فهي قراءة أبي عمرو ، وانظر النشر ٢/٣٧٦ .

(٢) هذا هو الصحيح من الأقوال أي يتفطّرن من عظمة الله ، ويكون في الآية حذف ، تقديره : من عظمة الخالق الذي فوقهن .

(٣) هذا تنبيه من المصنف للرد على إشكال يحدث ، وهو : كيف يستغفرون لمن في الأرض ، وفيها المؤمن والكافر ؟ وقد أجاب أنه من قبيل العامّ ، الذي يُراد به الخاص ، أي يستغفرون للمؤمنين الذين هم في الأرض ، كما في سورة المؤمن التي استشهد بها .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٧/٥٠٨ .

(٥) سورة المؤمن آية رقم ٧ وأولها : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٦ فالكفار ليس لهم من الملائكة استغفار ، بل لهم اللعنة وسوء الدار ، وبهذا جمع المصنف بين الآيتين .

٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ، وتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ .. ﴾ [آية ٧] .

روى أشْعَثُ عن الحسن قال : ﴿ أُمَّ القُرَى ﴾ : مكَّةُ .

قال أبو جعفر : وإنما قيل لها « أمُّ القُرى » لأنها أوَّل ما عُظِّم من خَلْقِ اللهِ عزَّ وجل[1] . أو لأنها أول ما وُضع ، كما قال جل وعز ﴿ إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ .. ﴾[2] .

وفي الحديث : (إنَّ الأَرْضَ منها دُحِيَتْ)[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى : لتنذر أهل أمِّ القرى[4] ، وتنذر من حَوْلَها .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥/٨ والبحر المحيط ٥٠٩/٧ وإنما سميت « أم القرى » لأنها أصل البلاد ، وأشرف جميع البلاد ، فهي كالأم لسائر المدن والبلدان ، والعرب تسمي أصل كل شيء أمه ، حتى يقولون : هذه من أمهات القصائد ، وهذه أم الكتب ، وانظر التفسير الكبير للرازي ١٤٧/٢٧ ففيه كلام نفيس .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٦ والمراد بالآية إن أول بيت بُني للعبادة ، لا لسكنى الناس ، فالمسجد الحرام أول المساجد على وجه الأرض .

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه الطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن عبد الله بن عمرو ، ولفظه (خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة وكانت الأرض تحته كأنها حشفة ، فدُحيت الأرض من تحته) وانظر الدر المنثور ٥٢/٢ والطبري ٨/٤ .

(٤) البلدة لا تُنذَر ، إنما ينذر أهلُها ، فهو على حذف مضاف ، أي لتنذر أهل مكة ، ويدل عليه العطفُ ﴿ ومَن حولها ﴾ يعني وتنذر من حولها من الناس .

﴿ **وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ** ﴾ أي يوم يُبْعثُ الناسُ جميعاً[1] .

المعنى : وتنذرهم بيوم القيامة ، ثم حُذف المفعول والباء ، كما قال تعالى ﴿ **لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ** .. ﴾[2] .

٦ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً** .. ﴾ [آية ١١] .

﴿ **جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً** ﴾ أي إناثاً ﴿ **وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً ، يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** ﴾ .

قال مجاهد : نَسْلاً من بعد نَسْلٍ ، من النَّاس ، والأنعام[3] .

قال قتادة : ﴿ **يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** ﴾ : يُعيِّشكم فيه[4] .

قال أبو جعفر : المعنى أنَّه لمَّا قال ﴿ **جَعَلَ** ﴾ دلَّ على الجَعْلِ ، كما يُقال : من كذب كان شرًّا له .

أي يخلقكم ويُكثِّركم في الجَعْلِ .

---

(١) سمِّي يوم الجمع ، لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين ، وأهل السموات والأرضين ، وهو يوم القيامة .

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢ .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١١/٢٥ وابن كثير ١٨٢/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٢٧/٤ ومعنى الآية : أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساء من الآدميات ، وخلق لكم كذلك من الأنعام أصنافاً ذكوراً وإناثاً ، نسلاً بعد نسل ، وجيلاً بعد جيل .

(٤) الطبري ١٢/٢٥ والدر المنثور ٣/٦ وزاد المسير ٢٧٦/٧ وعزاه إلى مقاتل ، والمعنى على هذا القول كما وضحه الطبري : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها فيما خلق لكم من أنواع الأنعام .

وقال الفراء : ﴿ فِيهِ ﴾ : بمعنى به[1] ، والله أعلم .

وقال القتبيّ[2] : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ في الزَّوج .

قال أبو جعفر : كأنَّ المعنى عنده : يخلقكم في بطونِ الإناث ، ويكون ﴿ فيه ﴾ في الرَّحِم ، وهذا خطأ ؛ لأن الرَّحِم مؤنثةٌ ، ولم يَجْرِ لها ذِكْرٌ[3] .

٧ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [آية ١١] .

الكاف زائدة للتوكيد ، وأنشدَ سيبويه :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢/٣ وهذا على القول بأن المراد بقوله ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ يُعيِّشكم بما خلق لكم ، فكان سياق الآية أن يقال « يذرؤكم به » بدل « يذرؤكم فيه » وقد أجاب الفراء بأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، كما قال سبحانه ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي نصرناه على القوم .

(٢) هو ابن قتيبة « عبد الله بن مسلم » صاحب كتاب « تأويل مشكل القرآن » والمشهور بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

(٣) هذا القول فيه بعدٌ كما نبه المصنف بقوله « وهذا خطأ » لأن الضمير حينئذ يعود على غير مذكور ، والصحيح في معنى الآية أن المعنى : يخلقكم الله ويكثركم ، شيئاً بعد شيء بسببه بالتوالد ، ولولا أنه خلق الذكر والأنثى ، لَما كان هناك تناسل ولا توالد ، وهذا خلاصة قول مجاهد ، وهو ما اختاره في البحر ، والزمخشري ، والقرطبي ، والحافظ ابن كثير كما في تفسيره ١٨٢/٧ حيث قال ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة ، ذكوراً وإناثاً ، خلقاً بعد خلق ، وجيلاً بعد جيل ، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام .

« وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَينِ »[1] .

٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .. ﴾** [آية ١٢] .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : المقاليد : المفاتيح[٢] .

قال أبو جعفر : والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن .

يقال للمفتاح : إقْلِيدٌ ، وجمعُه على غير قياسٍ ، كمحاسنَ ، والواحدُ حُسْنٌ .

٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال أبو العالية : الذي وصَّى به نوحاً : الإخلاص لله ،

(١) هذا من شواهد سيبويه على زيادة الكاف للتأكيد ، أجرى الكاف مجرى « مثل » فأدخل عليها كافاً ثانية ، أي كمثل إثفائها ، وهذا الشطر من قصيدة لخطام المجاشعي من مشطور الرجز وأولها « حيٌّ ديار الحيِّ بين السهبين » وانظر شواهد سيبويه ٣١٣/١ والصاليات : الأثافي التي توضع عليها القدور ، يقول : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافي ، ومعنى الآية : ليس مثل الله شيء ، والعرب تقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مثلي لا يُقال له هذا .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣/٢٥ والقرطبي ٢٧٤/١٥ وقال السدي : ﴿ مقاليد ﴾ : خزائن ، قال النحاس : ومن ملك الخزائن ملك المفاتيح . قال في المصباح : والإقليد : المفتاح لغة يمانية ، وقيل : معرب ، والمقاليد : الخزائن اهـ.

وعبادتُه لا شريك له[1] .

وقال مجاهد : وصَّى نوحاً ، ووصَّاكَ ، ووصَّى الأنبياء كلهم ، ديناً واحداً[2] .

وقال الحَكَمُ : جاء نوحٌ بالشريعة بتحريم الأمهاتِ ، والبناتِ ، والأخواتِ[3] .

وقال قتادة : جاء نوحٌ بالشريعة ، بتحليل الحلال ، وتحريم الحرام[4] .

قال أبو جعفر : قول أبي العالية : ومجاهد ، بيِّنٌ ، لأنَّ الإسلامَ والإخلاصَ ، دينُ جميع الأنبياء ، والشَّرائِعُ مختلفةٌ[5] .

(١ ــ ٤) هذة الآثار عن أبي العالية ، ومجاهد ، وقتادة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١٢/٧ والسيوطي في الدر ٤/٦ والقرطبي ١١/١٦ والطبري ١٥/٢٥ والراجح من هذة الأقوال قول مجاهد وعبارته في تفسيره ٥٧٤/٢ : وأوصاك به يا محمد ، وأنبياءه كلهم بالإسلام ، ديناً واحداً ، وهو اختيار ابن كثير ، فقد قال : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً ﴾ الدين الذي جاءت به الرسل كلهم ، هو : عبادة الله وحده ، لا شريك له ، كا قال سبحانه ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وفي الحديث.(نحن معاشر الأنبياء أولاد علّات ديننا واحد ﴾ أي القدر المشترك بينهم ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم . اهـ.

(٥) مما يدل على أن المراد بالدين في الآية ، الإيمان بالله وتوحيده ، وطاعته وعبادته ، أن هذا مما لا يختلف في جميع الأديان ، أما الحلال والحرام ، فيختلف من أمة لأمة ، كا قال سبحانه ﴿ لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾ فالدين واحد ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ والشرائع مختلفة ، فقول مجاهد هو الصواب ، والله أعلم .

١٠ ــ **قوله جل وعز : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ، ومُوسَى ، وعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال أبو العالية : ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ أي لا تتعادوا ، وكونوا إخواناً[١] .

قال قتادة : فأخبرَ أن الهَلَكَة في التفرق ، وأنَّ الأُلفة في الاجتماع[٢] .

١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال قتادة : أَكْبَرُوا واشتدَّ عليهم شهادة « أن لا إلهَ إلا الله وحده » وضاق بها إبليسُ وجنودُه ، فأبى الله جلَّ وعزَّ إلَّا أن يَنْصُرها ويُفْلِجها ، ويُظهرها على من ناوأها[٣] .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥/٢٥ وذكره ابن كثير ١٨٣/٧ فقال : وصى الله تعالى جميع الأنبياء ، بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ١٥/٢٥ وأخرجه ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، ولفظه كما في الدر ٤/٦ : قال قتادة : « اعلموا أن الفرقة هلكة ، وأن الجماعة ثقة » فالمراد بالتفرق : الاختلاف والتنازع في أصول الدين فإنه مهلكة ، وأما الاختلاف في الفروع ، فهذا تيسير من الله ورحمة ، وللقاضي أبي بكر بن العربي كلام نفيس في هذا الموضوع انظره في القرطبي ١٠/١٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥/٢٥ والقرطبي ١١/١٦ والدر المنثور ٤/٦ ومعنى الآية : عظم وشق على المشركين ، ما تدعوهم إليه يا محمد ، من كلمة التوحيد ، وترك عبادة الأوثان ، وهو =

١٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [آية ١٣] .

قال أبو العالية : يُخَلِّصه من الشِّرك ، ولا يكون الاجتباءُ إِلَّا من الشِّرْكِ[١] .

وقال مجاهد : ﴿ يَجْتَبِي ﴾ : يُخَلِّصُ[٢] .

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

المعنى : وما تفرَّقوا إِلَّا من أجل البغي ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ القرآنُ ، والدَّلَالَاتُ ، على صِحَّةِ نُبوَّةِ محمدٍ عليه السلام[٣] .

= خلاصة قول الطبري ، وابن كثير ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ .

(١ ــ ٢) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر ٤/٦ وجاء في تفسير مجاهد ٥٧٤/٢ : يستخلص لنفسه من يشاء والعبارة أظهر مما في المخطوطة : يخلِّص ، والله أعلم . قال القرطبي ١٢/١٦ ﴿ يجتبي إليه ﴾ أي يختار ، والاجتباء الاختيار ، أي يختار للتوحيد من يشاء ﴿ ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي يستخلص لدينه من رجع إليه ، وقال ابن كثير ١٨٣/٧ : أي هو الذي يُقدِّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد . اهـ. وهذا يؤيد أن الاجتباء ليس هنا للنبوة ، وإنما للهداية والإيمان .

(٣) الضمير في قوله تعالى ﴿ وما تفرقوا ﴾ اختلف المفسرون فيه ، فروي عن ابن عباس أن المراد به قريش ، وهو ظاهر كلام المصنف وصنيعه ، لأنه فسر العلم بالقرآن ، الدالّ على صحة نبوته عليه السلام ، والراجح أن المراد به أهل الأديان المختلفة من اليهود ، والنصارى والمشركين ، =

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال مجاهد : أُخِّروا إلى يوم القيامة[١] .

١٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .. ﴾ [آية ١٥] .

مؤَخَّرٌ يُنْوَى به التَّقْديمُ .

والمعنى : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، فلذلك فادْعُ واستقمْ كما أُمرتَ .

﴿ **فَلِذَلِكَ** ﴾ أي فإلى ذلك ، أي فإلى إقامةِ الدِّينِ[٢] ، كما قال :

= وغيرهم ، وهو قول لابن عباس أيضاً ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وما تفرق الذين أوتُوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيِّنة ﴾ فالمشركون قالوا : لم خُصَّ محمد بالنبوة دوننا ؟ واليهود والنصارى حسدوه ، فأنكروا رسالته ، والجميع ظلموا وبغوا طلباً للرياسة ، فلم يكن تفرقهم لقصورالبيان ، بل للبغي والعدوان .

(١) قول مجاهد تفسير للأجل المسمى في الآية ، والمراد بالكلمة وعده تعالى بتأخير العقاب ، إلى يوم الحساب ، كما قال سبحانه ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ وهو قول جمهورالمفسرين .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٩٦/٤ رجحه المصنف ، وهو أن اللام في قوله ﴿ فلذلك ﴾ بمعنى « إلى » ويصبح المعنى : فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله ، ووصى به أنبياءه ورسله ، فادع الناس ، واستقم على شريعة الله ، ولا تبال بمن ناوءك وعاداك ، وهو اختيار الطبري ، وابن =

« أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ »(١)

أي أوحى إليها .

١٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ .. ﴾** [آية ١٦] .

قال مجاهد : أي من بعد ما أسلم النَّاسُ .

قال : وهؤلاء قومٌ توهَّموا أنَّ الجاهليَّة تعودُ .

وقال قتادة : الَّذين حاجُوا في اللهِ من بعد ما استُجِيبَ له : اليهودُ والنَّصارى ، قالوا : نبيُّنا قبلَ نبيِّكم ، ودينُنا قبلَ دينكم ، ونحنُ

= كثير ، وقوله « مؤخر يُنوى به التقديم » يريد أن المعنى : استقم يا محمد كما أمرك الله ، وادع إلى الدين الحق الذي وصَّاك به ، ووصى به المرسلين ، فالاستقامة أولا ثم الدعوة ثانياً . وذهب آخرون إلى أن اللام للتعليل ، وهي باقية على حالها ، والمعنى : فلأجل ذلك التفرق والاختلاف ، الذي حدث لأهل الكتاب ، أمرناك يا محمد أن تلزم النهج القويم ، وهو الاستقامة على دين الله ، والدعوة إلى الائتلاف ، وعدم الاختلاف والاتفاق على الملة الحنيفية ، وعدم اتباع أهوائهم المختلفة الباطلة .. إلخ. واختارة الألوسي ، وابن جزي ، والرازي ، ولعل هذا القول أوضح ، وهو ما رجحناه في صفوة التفاسير ، وانظر التفسير الكبير للرازي ١٥٨/٢٧ .

(١) هذا عجز بيت للعجاج من قصيدته التي مطلعها :

الحمدُ للهِ الذي استَقَلَّتِ ... بإذْنِهِ السماءُ واطْمأنَّتِ

وتمام شطر الرجز :

بإذْنِهِ الأَرْضُ ومَا أَقَلَّتِ ... وَحَى لَهَا القَرَارُ فَاسْتَقَرَّتِ

وانظر ديوان العجاج ص ٢٦٦ وتهذيب اللغة ٢٩٦/٥ والمعنى : أوحى الله إليها أن استقرِّي فاستقرت .

خيرٌ منكم(١) .

١٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ اللهُ الَّذي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ ﴾ [آية ١٧] .

قال قتادة : الميزانُ : العَدْلُ(٢) .

١٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [آية ١٧] .

﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ ﴾ أي البعثَ قريبٌ(٣) .

أو لعلَّ مجيءَ السَّاعَةِ قريبٌ .

١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ .. ﴾ [آية ١٨] .

أي يقولون متى تكون ؟ على وجه التكذيب بها(٤) .

(١ ــ ٢) هذة الآثار عن مجاهد ، وقتادة ، ذكرها الطبري ٢٥/١٩ والقرطبي ١٦/١٤ وفي البحر ٧/٥١٣ قال الألوسي ٢٥/٢٥ : قال ابن عباس ومجاهد ، نزلت في طائفة من بني إسرائيل همت برد الناس عن الإسلام وإضلالهم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، فديننا أفضل من دينكم ، ونحن أولى منكم ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أي من بعدما استجاب الناس لله ، ودخلوا في دينه ﴿ حجتهم داحضة ﴾ أي باطلة زائلة . اهـ.

(٣) أشار المصنف إلى أنه جاء لفظ « قريب » بالتذكير ولم يقل قريبة ، لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، لأنها كالوقت ، وهذا قول الزجاج ، ويكون المعنى : لعل البعث قريب ، أو على تقدير حذف مضاف أي لعل مجيء الساعة قريب . اهـ. وانظر البحر المحيط ٧/٥١٣ والقرطبي ١٦/١٥ والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/٣٣ .

(٤) أي يطلبون تعجيلها استهزاءً بها ، وسخرية وتعجيزاً للمؤمنين ، كقوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع ﴾ وقوله ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده .. ﴾ الآية .

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ أي خائفون ، لأنهم قد أيقنوا بكونها .

﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي يجادلون فيها[1] ، ليشكِّكوا المؤمنين .

﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ لأنهم لو أفكروا[2] ، لعلموا أن الذي أنشأهم ، وخلقهم أوَّل مرَّةٍ ، قادرٌ على أن يبعثهم[3] .

٢٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

الحَرْثُ[4] : العملُ ، ومنه قول عبد الله بن عمر : « احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »[5] ومنه

(١) ﴿ يمارون ﴾ من المراء وهو المجادلة ، قال في المصباح : ماريتُه ، أُمَاريه مِرَاء ومُمَارَاةً إذا جادلته ، وكذلك هو في الصحاح للجوهري .

(٢) في القاموس : الفكر . إعمال النظر في الشيء ، يقال : فكَّر فيه ، وأفكر ، وفكر ، وتفكر . اهـ. ومراد المصنف لو تفكروا لعلموا . إلخ.

(٣) عبارة القرطبي ١٦/١٦ : لو تفكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من تراب ، ثم من نطفة ، إلى أن بلغو ما بلغوا ، قادر على أن يبعثهم ، وهي أوضح .

(٤) الحرث هنا يراد به : العمل ، والسعيُ ، قال ابن قتيبة ﴿ حرث الآخرة ﴾ أي عمل الآخرة يقال : فلان يحرث للدنيا أي يعمل لها ويجمع المال ، فالمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة نضاعف له الحسنات . اهـ. انظر تفسير ابن الجوزي ٢٨١/٧ .

(٥) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره بهذا اللفظ ١٨/١٦ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد اشتهر بلفظ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً .. » إلخ. وأخرج له البيهقي في السنن بلفظ =

سُمِّي الرجل حارثاً .

والمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ **نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ** ﴾ أي : نوفِّقْهُ ونضاعف له الحسنات .

وقوله جلَّ وعز ﴿ **وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ..** ﴾ [آية ٢٠] :

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ـ **منها أن المعنى** : نؤته منها ما نريد ، كما قال سبحانه ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ..** ﴾[1] .

ب ـ **ومنها أن يكون المعنى** : ندفع عنه من آفات الدنيا[2] .

والقول الثالث أن المعنى : من كان يفعل الخير ، ليُثْنى عليه ، تركناه وذلك ، ولم يكن له في الآخرة نصيبٌ[3] .

= (اعمل عمل امرىء يظنُّ أن لن يموت أبداً ، واحذر فعل امرىء يخشى أن يموت غداً) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز لضعفه ، وانظر فيض القدير ٢/١٢ .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٨ وغرض المصنف من الاستشهاد بالآية أن يقول إن قوله تعالى ﴿ نؤته منها ﴾ مقيد بالمشيئة ، وليس مطلقاً ، وهذا قول لابن عباس ، وقتادة ، أن الآية مقيدة وليست مطلقة ، كما حكاه عنهما الطبري ، وقال في التسهيل ٣٤/٤ : نؤته منها ما قُدِّر وقُسِم له . اهـ.

(٢) هذا المعنى بعيد ، ولم أره في مشاهير كتب المفسرين ، لأن الله تعالى يقول ﴿ نؤته منها ﴾ أي نعطه ما قسمناه له منها من الرزق .

(٣) هذا قول لبعض المفسرين ، ويشهد له ما رواه أحمد ، والحاكم وصحَّحه (بشِّر هذه الأمة بالسَّناء والرفعة ، والنصر والتمكين في الأرض ، ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن عمل منهم عمل =

٢١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

أي من جزاء ما كسبوا وهو العذاب(١) ، وهو واقعٌ بهم .

٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى .. ﴾ [آية ٢٣] .

في معناها أربعة أقوال :

١ ــ رَوَى قَزَعَة بن سُوَيْد ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : قُلْ لا أسألكم على ما أتيتكم به أجراً ، إلَّا أن تتودَّدوا لله ، وتتقرَّبوا إليه بطاعته(٢) .

وروى منصور وعوف عن الحسن ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

= الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب) وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية قول ابن عباس : من كان يؤثر دنياه على آخرته ، لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلا النار ، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئاً ، إلا رزقاً فُرِغ منه وقسم له وهو قول قتادة أيضاً ، وانظر الطبري ٢١/٢٥ والدر ٥/٦ والشوكاني ٥٣٦/٤ .

(١) يريد أنه على حذف مضاف أي من عذاب ما كسبوا ، وهو في الطبري ٢٢/٢٥: ﴿ مشفقين مما كسبوا ﴾ أي خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي وعذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لا محالة . اهـ. وكذلك قال ابن كثير .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ٢٥/٢٥ والقرطبي ٢٢/١٦ وقريب منه قول الحسن : هو التقرب إلى الله ، والتودُّد إليه بالعمل الصالح ، وقد ورد في المخطوطة « إلا أن تواذُّوا وتقربوا إليه بطاعته » وفيه تصحيف ونقص ، وصوابه ما أثبتناه « إلا أن تتودَّدوا لله عز وجل وتقربوا إليه بطاعته » كما في الطبري ، والقرطبي ، والله واعلم .

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال : تتودَّدون إلى الله جل وعز ، وتتقرَّبون منه بطاعته[1] ، فهذا قولٌ .

٢ ــ **وقال الشعبي ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقتادةُ** : المعنى : قل لا أسألكم عليه أجراً ، إلَّا أن تَوَدُّوني لقرابتي منكم ، فتحفظوني ولا تكذِّبوني[2] .

قال عكرمة : وكانت قريشٌ تَصِلُ أرحامَها ، فلما بُعِثَ النبيُّ ﷺ قَطَعَتْهُ ، فقال : صِلُوني كما كنتم تفعلون[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : قل لا أسألكم عليه أجراً ، لكنْ أذكِّرُكُمْ قرابتي ، على أنه استثناء ليس من الأول[4] ، فهذان قولان .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٢٦ والقرطبي ١٦/٢٢ والسيوطي في الدر ٦/٧ وهو كالقول الأول ، ولهذا عدهما المصنف قولاً واحداً .

(٢) هذا قول الجمهور وهو أقوى الأقوال وأظهرها . والمعنى : لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً ، إلا أن تودُّوني لأجل القرابة ، التي بيني وبينكم ، ولا تؤذوني ، فالمقصد من الآية استعطاف قريش ، فإنه لم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة ، وهذا رأي ابن عباس واختيار الطبري ، وابن كثير .

(٣) الأثر ذكره الطبري بنحوه ٢٥/٢٤ والقرطبي ١٦/٢١ وفي المخطوطة « قطعت » وصوابه ما أثبتناه كما في القرطبي .

(٤) يعني أنه استثناء منقطع ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه فيصبح المعنى : لا أسألكم أجراً على نصحكم وهدايتكم ولكني أذكِّركم قرابتي ، كما قدَّره المصنف رحمه الله .

٣ ــ **وقال الضحاك** : هذه الآيةُ منسوخةٌ ، نَسَخَهَا قوله جل وعز ﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ** ﴾[1] فالَّذي سُئِلوه ، أن يَوَدُّوه بقرابته ، ثم ردَّه الله إلى ما كان عليه الأنبياء ، كما قال نوحٌ ، وهودٌ ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾[2] . فهذه ثلاثة أقوال .

٤ ــ **وروى قيسٌ عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال** : لَمَّا نزلت ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ قالوا يا رسول الله : من هؤلاء الذين نَوَدُّهم ؟

قال : عليٌّ ، وفاطمةُ ، وولدُها[3] .

---

(١) قول الضحاك ذكره الشوكاني ٥٣٧/٤ والقرطبي ٢٢/١٦ وهذا القول ليس بقوي ، لأن مودة آل البيت ومحبتهم واجبة شرعاً وديناً لم تُنسخ ، وقد قال ﷺ « أهلُ بَيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي » رواه مسلم وأحمد وفي الحديث الصحيح « إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي » أخرجه الترمذي .

(٢) نص الآية ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ سورة الأنعام آية رقم ٩١ وهذه الآية من أمر الله لنبيه ﷺ أمر أن يقولها للمشركين ، وليست من قول نوح أو هود ، وأما قول نوح وهود فقد ورد في سورة الشعراء ونص الآية ﴿ وما أسألكم من أجر إن أجري إلّا على رب العالمين ﴾ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف كما في الدر ٧/٦ وذكره الحافظ ابن كثير وضعفه واستبعده ، لأن الآية مكية وزواج عليٍّ بالسيدة فاطمة كان بعد الهجرة ، فكيف يقول الرسول ﷺ « فاطمة وولدُها » ولم يكن لها عند نزول الآية ذرية ولا أولاد ؟ ونحن ننقل كلام الحافظ ابن كثير في هذا الأثر فإنه نفيس فقد قال في تفسيره ١٨٩/٧ بعد ذكر الرواية : « وهذا إسناد ضعيف ، فيه مبهم لا يُعرف ، عن شيخ شيعي متخرِّق=

٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً .. ﴾ [آية ٢٣] .

الاقترافُ : الاكتسابُ ، وهو مأخوذٌ من قولهم : رجلٌ قَرِفَةٌ(١) إذا كان محتالاً .

٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ، فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ .. ﴾ [آية ٢٤] .

قال قتادة : أي إن شاء أنساك ما علَّمك(٢) .

وقيل : المعنى : إن يشأ يُزِلْ تمييزَكَ ، فاشكُرْهُ إذْ لم يَفْعَلْ(٣) .

= ــ يعني أحمق يختلق الكـذب ــ وهـو « حسين الأشقـر » ولا يُقبل خبره في هذا المحل ، وذكر نزول هذه الآية في المدينـة بعيـد ، فإنها مكيـة ولم يكـن لفاطمـة إذ ذاك أولاد بالكليـة ، فإنها لم تتزوج بعليٍّ إلا بعد بدر ، من السنة الثانية من الهجرة .. ثم قال : والحقُّ تفسير الآية بما فسَّرها به الإمام حبر الأمـة ، وتـرجمان القـرآن « عبـد الله بن عبـاس » كما رواه عنـه البخـاري : « إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » ولا تُنكر الوصاة بأهل البيـت ، والإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهـم ، فإنهم من ذريـة طاهـرة ، من أشرف بيت وجـد على وجـه الأرض ، فخـراً وحسبـاً ونسباً .. اهـ. ابن كثير ١٨٩/٧ .

(١) قال في تاج العروس : رجلٌ قُرَفَةٌ كتُؤدة إذا كان مكتسباً ، وقَرَف الذنب وغيره واقترفـه : اكتسبـه ، واقترف الذنب : أتاه وفعله ، ولهذا يقال : الاعتراف يزيل الاقتراف . اهـ. التاج مادة قرف .

(٢) الاثر أخرجه الطبري ٢٧/٢٥ عن قتـادة ولفظـه : إن يشـإِ الله أنساك ما قد أتـاك ، وذكـره ابـن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ .

(٣) هذا المعنى ذكره الألوسي في روح المعـاني ٣٥/٢٥ وعزاه إلى السمرقـنـدي ، قال : والمعنـى : إن يشأ يختم على قلبك ، كما فُعِل بهم ، فهو تسلية له عليه الصلاة والسلام ، وتذكير لإحسانه إليـه ، =

وقيل : معنى ﴿ فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ : إن يشأِ اللهُ يَرْبِط على قلبك ، بالصبر على أذاهم[1] . وقولُهم : ﴿ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ تمَّ الكلام .

٢٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ ويَمْحُ[2] اللهُ البَاطِلَ ، ويُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

أي يمحو اللهُ الشِّرْكَ ويُزِيلُه .

= وإكرامه له ﷺ ليشكر ربه سبحانه ، ويترحم على من خُتم على قلبه ، فاستحق غضب ربه .. إلخ .

(١) الأثر ذكره في البحر عن مجاهد ٥١٧/٧ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ وقال : هو قول مقاتل ، والزجاج .

أقول : هذا قول بعيد ، لأن الآية وردت مورد التهديد ، فالصواب فيها ما قاله قتادة ، والسدي ، وجمهور المفسرين ، في أن الآية رد على المشركين في زعمهم أن محمداً ﷺ افترى هذا القرآن ، يقول : لو افتريتَ على الله الكذبَ ، كما يزعم هؤلاء المجرمون ، لختمنا على قلبك ، فأنسيناك هذا القرآن ، وسلبناه من صدرك ، ولكنك لم تفتر على الله كذباً ، ولهذا أيّدناك وسددناك قال ابن كثير المعنى : لو افتريت عليه كذباً كما يزعم الجاهلون ، لطبع الله على قلبك ، وسلبك ما كان آتاك من القرآن ، كقوله تعالى ﴿ ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وهكذا قال أبو السعود .

(٢) قال الطبري ٢٧/٢٥ : ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ في موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حذفت منه الواو في المصحف ، كما حذفت من قوله ﴿ سندع الزبانية ﴾ ومن قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ وليس بجزم على العطف على ﴿ يختم ﴾ وبمثله قال الفراء في معانيه ٢٣/٣ والجمهور من المفسرين .

وقوله جلّ وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

في الحديث أن عبد الله بن مسعود سُئل عن رجل زنى بامرأة ، أيجوز له أن يتزوَّجها ؟ فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١) .

٢٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع نصبٍ ، بمعنى : ويستجيب لِلَّذِينَ آمنوا ، كما قال سبحانه ﴿ وَإِذَا كَالُوهُم ﴾ أي كالوا لهم ، يُقال : استجبتُه بمعنى أجبتُهُ ، وأنشد الأصمعي :

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ(٢)

ويجوز أن يكون في موضع رفع(٣) ، ويكون ﴿ وَيَسْتَجِيبُ

(١) استدل ابن مسعود على جواز التزوج بالمرأة التى زنى بها ، بالعموم في الآية الكريمة ، حيث تناولت جميع أنواع المعاصي والموبقات ، وانظر الطبري ٢٥/٢٨ ومعاني القرآن ٢/٢٣ .

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته لأخيه ، رواها القالي في أماليه ، وأورده الطبري في تفسيره ٤/٢١٥ والمحرر الوجيز ٣/٤٦٧ .

(٣) هذا قول للفراء كما في معاني القرآن ٣/٢٤ حيث قال : ويجوز أن يكون ﴿ الذين ﴾ في موضع رفع ، أي الذين آمنوا يستجيبون لله .. إلخ.

الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بمعنى يُجيب الذين آمنوا ، كما قال عز وجل ﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي** ﴾[1] .

قال محمد بن يزيد : حقيقته : فليستدعوا الإجابة ، هكذا حقيقةُ معنى « استفعل »[2] .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ** .. ﴾ [آية ٢٧] .

روى سعيد عن قتادة قال : خيرُ الرِّزقِ ما لا يُطغي ، ولا يُلْهي[3] .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا** .. ﴾ [آية ٢٨] .

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦ وتمامها ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .

(٢) هذا قول للمبرد كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٢٦/١٦ ومعناه : يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم ، فاستفعل على هذا على بابه من الطلب ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ أي يطلب الإجابة ، والقول الأول أنَّ ﴿ يستجيب ﴾ بمعنى يجيب أظهر ، وأصله : ويستجيب لهم ، حذفت منه اللام ، لقوله تعالى ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ، ويزيدهم من فضله .

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري ٣٠/٢٦ وابن كثير ١٩٣/٧ ولفظه : قال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ، وذكر حديث (إنما أخاف عليك ما يخرج الله من زهرة الحياة الدنيا ..) الحديث الذي رواه الشيخان ، وانظر الدر ٨/٦ .

قال مجاهد : ﴿ **مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا** ﴾ أي يئسوا .

قال أبو جعفر : يُقال : قَنَطَ ، يَقْنِطُ ، وقَنِطَ يَقْنَطُ : إذا اشتدَّ يأسه منَ الشيءِ[1] .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ** .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال الفراء : أراد بثَّ في الأرضِ ، دون السَّماءِ ، كما قال سبحانه ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ** ﴾ وإنما يخرجُ من المِلْحِ[2] .

قال أبو جعفر : هذا غَلَطٌ .

روى ورقاءُ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ **وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ** ﴾ قال : النَّاسُ ، والملائكةُ[3] .

---

(١) في المصباح مادة قنط : القُنُوط بالضم : الإياس من رحمة الله تعالى ، وقَنَط يَقْنِط من بابي ضَرَب ، وتَعِب وهو قانِط وقَنُوط ، وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قَعَدَ ــ قَنَطَ يَقْنُطُ ــ ويُعَدَّى بالهمزة . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٤/٣ وعبارته : وما بثَّ في الأرض دون السماء ، بذلك جاء في التفسير ، ومثلُه مما ثُنِّي ومعناه واحد ﴿ يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ وإنما يخرج من الملح دونَ العَذْب » . اهـ.

(٣) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٣١/٢٦ وفي البحر ٥١٨/٧ والشوكاني ٥٣٨/٤ قال الحافظ ابن كثير ١٩٤/٧ : ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ هذا يشمل الملائكة ، والجن ، والإنس ، وسائر الحيوانات ، على اختلاف ألوانهم ، وأشكالهم ، ولغاتهم . اهـ. وقال الإمام الفخر في التفسير =

وهذا **قولٌ حسنٌ** ، يُقال لكل حَيٍّ : دَابَّةٌ ، من دَبَّ ، فهو دَابٌّ(١) ، والهاءُ للمبالغة ، كما يقال : رَاوِيةٌ ، وعَلَّامَةٌ .

ثم قال جل وعز ﴿ **وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ** ﴾ أي على إحيائهم(٢) ﴿ **إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ** ﴾ .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾ [آية ٣٠] .

يُقال : قد تكون المصيبةُ بغير هذا ، ففيه أجوبةٌ :

= الكبير ١٧١/٧ : فإن قيل: كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة ؟ قلنا فيه وجوه :
الأول : قد يُضاف الفعل إلى جماعة ، ويكون فاعله واحداً ، كما يُقال : بنو فلان فعلوا كذا ، وإنما فعله واحد منهم .
الثاني : أن الدبيب هو الحركة ، والملائكة لهم حركة .
الثالث : لا يبعد أن يُقال : إنه تعالى خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات ، يمشون مشي الأناسيِّ على الأرض . اهـ.
وانظر محاسن التأويل للقاسمي ٢٤٥/١٤ ففيه بحث نفيس .

(١) المراد بالدابة المعنى اللغوي لا العرفي ، ففي اللغة كل شيء يدب ويتحرك ، فهو دابة قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وفي الأمثال « أكذبُ من دبَّ ودَرَج » أي أكذب الأحياء والأموات ، وقال الشاعر :
زعمتني شيخاً ولَسْتُ بشيخٍ ... إنَّما الشيخ من يَدِبُّ دبيباً

(٢) هذا تفسير للآية باللازم ، فإن « الجمع » يستدعي الإحياء ويستلزمه ، والأَوْلى كما قال المفسرون ، أن المراد به جمع الخلائق في القيامة ، للحساب والجزاء ، قال الطبري ٣١/٢٥ : وهو على جمع خلقه بالحشر يوم القيامة قادر ، وقال ابن كثير ١٩٤/٧ : أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق .. إلخ.

أ ـ **روى معمر عن قتادة عن الحسن في قوله تعالى** ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ قال : الحدود[1] .

فالمعنى في هذا : إنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ جعل الحدود ، بما يُعْمَلُ من المعاصي[2] .

ب ـ **وقيل** : ﴿ **ما** ﴾ ههنا بمعنى « الذي » وهو حسنٌ .

والدليل على هذا ، أنَّ أهل المدينة قرءوا ﴿ **بما** ﴾ بغير فاءٍ[3] .

فالمعنى على هذا : والَّذي كان أصابكم ، بذنوبٍ عملتموها .

جـ ـ **وروى سفيان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال قال**

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٣٣ والدر المنثور ٦/١٠ والقرطبي ٦/٣٠ والبحرالمحيط ٧/٥١٩ .

(٢) مراد الحسن البصري كما وضحه الطبري ٢٥/٣٢ أن ما عُوقب به المسلم في الدنيا من عقوبة ، بحدٍّ استوجبه على ذنب ، فبما عمله من معصية الله ، ويعفو عن كثير فلا يوجب عليكم فيها حداً . اهـ. والحدود شرعت للطهارة ، لتكون كفَّارة لما اقترف الإنسان من الذنوب والآثام ، حتى لا يعاقب في الآخرة ، والمراد بالمصيبة : ما يصيب الإنسان في ماله ، وولده ، وبدنه ، من أنواع المصائب ، ويؤيده حديث (ما يصيب المؤمن من نَصَبٍ ، ولا وَصَبٍ ، ولا همٌّ ، ولا حَزَن ، إلا كفَّر الله عنه بها من خطاياه) البخاري كتاب المرض ٦/١٤٨ .

(٣) يريد المصنف ﴿ ما ﴾ التي في قوله ﴿ فبما كسبت ايديكم ﴾ أي فبسبب الذي كسبته أيديكم ، واستدلَّ بقراءة نافع ، وابن عامر ـ وهي قراءه سبعية ـ بحذف الفاء ﴿ وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨١ .

رسول الله ﷺ : (مَا مِنْ خَدْشِ عُودٍ ، وَلَا عَثْـــــــرَةِ قَدَمٍ ، وَلَا اخْتِــلَاجِ عِرْقٍ ، إِلَّا بذنبٍ ، ومــا يعفــو اللهُ عنــه أكثــرُ) ، ثم تلا ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾[1] .

قال أبو جعفر : فالمعنـــى على هذا : ومـــا أصابكـــم من مصيبةٍ ، مقصودٌ بها العقوبةُ ، فبما كسبتْ أيديكم .

قال أبو جعفر : وفي الآية قول رابع ، وهو : أن كل مصيبةٍ تصيبُ ، فإنما هي من أجـــل ذنب ، إمَّـــا أن يكـــون الإنسانُ عَمِلَه ، وإمـــا أن يكـــون تنـــبيهاً له ، لئـــلَّا يَعْمله ، وإمَّـــا أن يكون امتحانـاً له ، ليعتبر والـداه ، فقـــد صارتْ كلُّ مصيبـــةٍ على هذا من أجـل الذنـــوب ، وصارت القـــراءةُ بالفـــاء أحسنَ ، لأنـــه شرطٌ وجوابُه[2] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، بلفظ : ﴿ والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ، ولا اختلاج عرق .. ﴾ الحديث . وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، عن الحسن البصري مرفوعاً ١٩٥/٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد أنه من رواية ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن قتادة مرفوعاً ، وانظر تفسير القرطبي ٣١/١٦ .

(٢) هذا القول مروي عن عكرمة ، نقله عنه القرطبي ٣١/١٦ . قال عكرمة : « ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب ، لم يكن الله ليغفره له إلا بها ، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلَّا بها .. » ثم روى أن رجلاً قال لموسى : سلِ الله لي في حاجة يقضيها لي ، هو أعلم بها ، ففعل موسى ، فلمَّا نزل إذا هو بالرجل قد مزَّق السَّبع لحمه ، وقتله ، فقال موسى : ما بال هذا يا ربِّ ؟ فقال الله تبارك وتعالى سألني درجة ، علمت أنه لا يبلغها بعمله ، فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة . اهـ.

٣١ ـ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كالأَعْلَامِ ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد : الجواري : السُّفُنُ ، والأعلامُ : الجبالُ(١) .

٣٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

أي سواكن .

٣٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ يُوْبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [آية ٣٤] .

قال مجاهد : ﴿ يُوْبِقْهُنَّ ﴾ يُهْلِكْهُنَّ(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال : أَوْبَقَتْهُ ذنوبُهُ : أي أهلَكَتْهُ .

قال قتادة : ﴿ أَوْ يُوْبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ يهلك من فيهن بذنوبهم(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥/٣٣ والدر المنثور ٦/١٠ وهذا قول الحسن ، والسدي ، والضحاك ، وقد اتفق عليه المفسرون .

(٢) قال في المصباح : وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقاً : هَلَكَ ، ويتعدى بالهمزة فيقال : أوبَقْتُه ، والموبقاتُ : المعاصي لأنهن مهلكات . اهـ. والأثر أخرجه الطبري ٢٥/٣٤ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٠ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٠ ولفظه قال قتادة : ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ قال : بذنوب أهلها . فعنى قول قتادة الكلام فيه حذف ، أي يوبق أهلهن بما كسبوا من الذنوب =

قال **أبو جعفر** : تقديره مثل ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[1] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ ، والفَوَاحِشَ .. ﴾ [آية ٣٧] .

رُوي عن ابن عباس : ﴿ كَبَائِرُ الإثْمِ ﴾ : الشِّرْكُ[2] .

ويُقرأ ﴿ كَبِيرَ الإثْمِ ﴾[3] .

قال **الحسن** : الكبائرُ : كلُّ ما وَعَدَ اللهُ جلَّ وعزَّ عليه النَّارَ[4] .

وقيل : الكبائرُ : كلُّ ما وَعَدَ اللهُ عليهِ النَّارَ ، وأجمع المسلمون على أنَّه من الكبائر !! فقد أجمعوا على أنَّ الخمر من الكبائر .

= فهو مثل ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية ، وإنما احتيج إلى التقدير ، لأن الكسب لا يُنسب إلى السفن ، وإنما ينسب لأهلها وركَّابها .

(١) سورة يوسف آية رقم ٨٢ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٣٥/١٦ عن ابن عباس، والألوسي ٤٦/٢٥ والفراء في معانيه ٢٥/٣ ولفظه : وفُسِّر عن ابن عباس أن كبير الإثم هو الشرك ، فهذا موافق لمن قرأ ﴿ كبير الإثم ﴾ ــ بالتوحيد ــ يعني بالإفراد ، وقال الفخر الرازي ١٧٦/٢٧ : وهو عندي بعيد ، لأن شرط الإيمان مذكور أولاً ، وهو يغني عن عدم الشرك . اهـ.

(٣) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وقرأ الجمهور بصيغة الجمع ﴿ كبائر الإثم ﴾ وانظر السبع لابن مجاهد ص ٥٨١ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٥ عن الحسن ، وسعيد بن جبير قالا : كل ذنب نسبه الله إلى النار ؛ فهو من الكبائر .

حدثنا بكرُ بنُ سهلٍ ، قال حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ** ﴾ : « الإِشراكُ ، واليأسُ من رَوْحِ اللهِ ، والأَمْنُ لِمَكْرِ اللهِ »[١] .

ومنها عقوق الوالدين ، وقتلُ النفس التي حرَّم اللهُ ، وقذفُ المحصناتِ ، وأكلُ مالِ اليتيم ، والفِرارُ من الزَّحفِ ، وأكلُ الرِّبا ، والسِّحْرُ[٢] ، والزنى ، واليمينُ الغموسُ الفاجرةُ ، والغلولُ ، ومنعُ الزكاة المفروضة ، وشهادةُ الزُّور ، وكتمانُ الشهادة ، وشربُ الخمر ، وتركُ الصلاة متعمداً ، أو شيءٍ مما افترض اللهُ ، ونقضُ العهدِ ، وقطيعةُ الرَّحم .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٥/٤٠ وروى عنه بسنده أنه سئل عن الكبائر أسبعٌ هي ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب ، وروى أيضاً عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس : كم الكبائر ؟ أسبعٌ هي ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . اهـ.

(٢) أشار المصنف بذكر هذه الذنوب إلى ما أخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال (اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) وهذه أمهات الكبائر ، وليست هي كل الكبائر ، قال القرطبي ٣٥/١٦ : ﴿ والفواحش ﴾ داخلة في الكبائر ، ولكنها تكون أفحش وأشنع ، كالقتل بالنسبة إلى الجرح ، والزنى بالنسبة إلى المراودة ، وقيل : الفواحش والكبائر بمعنى واحد ، أي يجتنبون المعاصي ، لأنها كبائر وفواحش . اهـ.

٣٥ ـ وقولـه جل وعز : ﴿ وأَمْرُهُـمْ شُورَى بَيْنَهُـمْ ، ومِمَّـا رَزَقْنَاهُـمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي يتشاورون(١) .

٣٦ ـ وقولـه جل وعـز : ﴿ والَّذيـنَ إذَا أَصَابَهُـمُ البَغْـيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [آية ٣٩] .

روى منصور عن إبـراهيم : كانـوا يكرهـون أن يُذِلُّـوا أنفسهم ، فيجترئ عليهم الفُسَّاقُ(٢) .

٣٧ ـ ثم قال جل وعـز : ﴿ وَجَـزَاءُ سَيِّئَـةٍ سَيِّئَـةٌ مِثْلُهَـا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال ابن أبي نجيـح : إذا قال : أَخْـزَاه اللهُ ، قال له : أَخْـزَاهُ اللهُ .

---

(١) قال ابن قتيبه ﴿ وأمرهم شورى ﴾ أي يتشاورون فيه بينهم ، وهكـذا قال الطبري ٢٥/٣٧ : إذا حَزَبهم أمر تشاوروا بينهم . وقال الزجاج ٤/٤٠١ أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه ، وقال الرازي ٢٧/١٧٧ : كان إذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا . فأثنى الله عليهم . وعن الحسن البصري : ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمورهم . اهـ. التفسر الكبير .

(٢) هذا الأثر رواه عبد بن حميد ، عن منصور ، عن إبراهيم النخعي ، كما في الدر المنثور ٦/١٠ وغرض الآية الثناء عليهم بأنهم يأبون الذلّ ، فإذا بغى عليهم باغ ، ردُّوا عن أنفسهم العدوان ، إظهاراً لعزة المؤمن ، وردعاً للظالم المعتدي ، قال الطبري ٢٥/٣٧ في روايته عن السدي : ينتصرون ممن بغى عليهم ، من غير أن يعتدوا ، واختار هذا القول .

قال أبو جعفر : الأُولَى سيِّئةٌ في اللفظِ والمعنى ، والثانيةُ سَيِّئةٌ في اللفظ ، وليست في المعنى سيِّئةً ، ولا الذي عملها مسيءٌ ، وسُمِّيتْ سيِّئةً لازدواجِ الكلامِ ، ليُعلَمَ أنها جزاءٌ على الأُولى[1] .

٣٨ ـــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَـئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾** [آية ٤١] .

قال قتادة : هذا في القصاصِ ، فأمَّا من ظَلَمك ، فلا يحلُّ لك أن تظلِمه[2] .

قال الحسن : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ هذا إذا لم يكن ظلمُه لا يَصْلُح[3] .

أي هذا فيما أباح الله الانتصارَ منه .

---

(١) توضيح هذا المعنى : أن دفع الأذى والعدوان لا يسمَّى سيئة ، بل هو إحسان ، لأن كفَّ الظالم عن ظلمه ، ومقابلة الجناية بما يماثلها دفع للعدوان ، ولكنها لما كانت في مقابلة السيئة ـــ وهي تسوء من تقع عليه ـــ سميت سيئة ، مشابهة لها في اللفظ ، دون المعنى ، وهذا ما يسمى في علم البلاغة « المشاكلة » وهي الاتفاق في اللفظ ، مع الاختلاف في المعنى ، كما قال الشاعر :

قالوا اقترحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طبخَهُ   قلتُ اطبخُوا لي جُبَّةً وقَميصاً

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٣/٧ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٠/١٦ .

(٣) أشار الحسن البصري إلى أن دفع الإساءة يجب أن يكون فيما أذن الله به ، فلا يجوز إذا كذب عليك إنسان أن تكذب على لسانه ، وإذا قذفه بالزنى لا يجوز أن يقذفه بالزنى ، وإذا سرق منه أن يسرق هو منه ، وإنما يجوز في المباح ، والله أعلم .

وقد روى يونس عن الحسن في قوله ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ قال : إذا لُعِنَ لَعَنَ ، وإذا سُبَّ سَبَّ[1] ، ما لم يكن حَدًّا ، أو كلمةً لا تصلُحْ .

٣٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ .. ﴾ [آية ٤٥] .

أي ينظرون إلى النَّارِ[2] .

قال مجاهد : ﴿ خَفِيٍّ ﴾ أي ذليل[3] .

قال أبو جعفر : وقيل : ينظرون بقلوبهم ، لأنهم يُحْشَرون عُمياً[4] .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٨/٢٥ والقرطبي ٤٠/١٦ عن مجاهد ، والسدي ، قال الطبري في روايته عن السدي : « إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها ، من غير أن تعتدي ، وقال مجاهد : إذا قال : أخزاه الله ، أو لعنه الله يقول مثله ، ولا يقابل القذف بقذف ، ولا الكذب بالكذب . اهـ.

(٢) لم يسبق ذكر النار في الآية ولكنه مفهوم من السياق ، لأن ما قبله يدل عليه.وهو قوله تعالى ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٥ وهو قول ابن عباس ، وذكره ابن كثير ٢٠١/٧ عن مجاهد .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٢/٤ وذكره الفراء في معاني القرآن ٢٦/٣ قال : نظروا إلى النار بقلوبهم ، ولم يروها بأعينهم ، لأنهم يحشرون عمياً ، والأظهر ما قاله مجاهد وابن عباس أنهم ينظرون بطرف ذابل ذليل ، وأظهر منه ما روي عن قتادة أن المعنى : أنهم يسارقون النظر إلى النار .

٤٠ ــ **وقول جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾** [آية ٤٥] .

قال قتادة : خسروا أهليهم الَّذين في الجنة ، أُعِدُّوا لهم لو أطاعوا(١) .

وقيل : لمَّا كان المؤمنون ، يُلْحقُ بهم أهلُوهم في الجنة ، وكان الكفَّار لا يجتمعون معهم في خيرٍ ، كانوا قد خسروهم ، قال الله تعالى **﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾**(٢) .

٤١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾** [آية ٤٧] .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مَحْرزٍ ، و **﴿ مِنْ نَكِيرٍ ﴾** من ناصر(٣) .

وقيل : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مَخْلصٍ من عذاب الله . .

﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ أي لا تقدرون أن تنكروا الذنوب ،

---

(١) قال ابن كثير ٢٠١/٧ : فرق بينهم وبين أصحابهم ، وأحبابهم ، وأهاليهم ، وقراباتهم ، فخسروهم . اهـ .

(٢) تفضلاً منه تعالى ، يُلحق بهم أبناءهم ، وذريتهم ، وإن لم يعلموا بعملهم ﴿ ذرياتهم ﴾ قراءة ابن عامر ، والجمهور ﴿ ذريتهم ﴾ وكلا القراءتين سبعية .

(٣) ﴿ ملجأ ﴾ أي مكان وحصن تلجأون إليه ، و ﴿ نكير ﴾ أي ناصر ينصركم من عذاب الله ، قاله مجاهد كما في الطبري ٤٣/٢٥ .

التي توقفون عليها[1] .

٤٢ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإِنَاثاً ، ويَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾** [آية ٥٠] .

قال عبيدة ، وأبو مالك ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك ـ والمقصود لفظُ عَبِيدة[2] ـ أي : يهبُ لمن يشاء ذكوراً يولَدون له ، ولا يُولَد له إناث ، ويَهَبُ لمن يشاء إناثاً يولدون له ، ولا يُوْلَد له ذكرٌ **﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإِنَاثاً ﴾** يُولَد له ذكورٌ ، ويُولَد له إناثٌ .

قال عَبيدة : ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ لا يُولد له[3] .

قال أبو جعفر : يقال لكل اثنين مقترنَيْن : زوجان ، كلُّ واحدٍ منهما زوجٌ .. من ذلك الرجلُ والمرأةُ ، والخُفَّانِ ، والنَّعلان ، فمعنى **﴿ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإِنَاثاً ﴾** : يقرنهم ، أي يقرن لهم[4] ، كما قال

---

(١) فسر المصنف ﴿ نكير ﴾ بمعنى الإنكار أي لا تقدرون على إنكار شيء من الذنوب ، واختاره في البحر ٥٢٥/٧ وما ذهب إليه هو قول الزجاج في معانيه ٤٠٢/٤ .

(٢) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ : « عبيدة بن عمرو السلماني » أبو عمرو ، تابعي كبير مخضرم ، ثقة ، ثبت ، مات سنة ٧٢هـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ، والسدي ، وانظر جامع البيان ٤٤/٢٥ .

(٤) ليس معنى ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ أنه يزوج الذكر بالأنثى ، وإنما معنى الآية أنه تعالى يجعلهم إن شاء من النوعين ، فيجمع للإنسان بين البنين والبنات ، وهذا معنى قول المصنف : يقرن لهم ، أي يجمع لهم بين الذكور والإناث ، قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاماً ، ثم تلد=

﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[1] .

ويُقـال : زوَّجتُ إبلي صغيرَهـا وكبِيرَهَـا ،أي قرنتُ صغيرَهَـا مع كبيرها .

ويُقال : رجلٌ عقيمٌ : لا يولدُ له ، وامرأةٌ عقيم : لا تلدُ ، وريحٌ عقيم[2] : لا تأتي بمطرٍ ولا خير .

٤٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوْحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾** [آية ٥١] .

في المعنى قولان :

أ ــ فالذي عليه أهلُ التفسير ، ما قاله مجاهد ، قال : ﴿ **إِلَّا وَحْياً** ﴾ أن يَنْفُثَ في قلبه[3] .

= جارية ، ثم تلد غلاماً وهكذا . قال العتيبي : التزويج ههنا : هو الجمع بين البنين والبنات ، تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار . قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام ، فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور ، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد ﷺ جمع الله له بين الذكور والإناث ، ويحيى كان عقيماً ، قال في التسهيل : والظاهر أن الآيه على العموم .

(١) سورة يس آية رقم ٣٩ وتتمة الآية ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ والشاهد في الآية ﴿ قدرناه منازل ﴾ أي قدرنا له منازل .

(٢) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي الرياح المدمرة ، التى لا خير فيها ولا بركة ، لأنها لا تلقح سحاباً ولا شجراً .

(٣) هذا مثل ما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال (إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب) .

﴿ **أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ كما كلَّم موسَى صلى الله عليه وسلم[1]﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ كما أرسلَ جبريلَ عليه السلام إلى النبي ﷺ ، وإلى أشباهه .

والقول الآخر : أن معنى ﴿ **إِلَّا وَحْياً** ﴾ كما أُوحي إلى الأنبياء صلى الله عليهم بإرسال جبريل صلى الله عليه ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ كما كلَّم موسى ﷺ ﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ إلى الناس عامةً[2] .

ويُقرأ ﴿ **أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيوحِي بِإِذْنِه** ﴾[3] وهذا في موضع الحال ، أي الذي يقوم مقام الكلام ما ذُكر .

ويجوز أن يكون مقطوعاً من الأول .

---

(١) هذا خصوصية لنبي الله الكريم « موسى بن عمران » فقد كلمه الله بلا واسطة ، كما قال سبحانه ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ولهذا سمي « موسى الكليم » ولما سأل الرؤية بعد التكليم حجب عنها ، قال ابن كثير ٢٠٤/٧ وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله (ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً ـ أي مواجهة دون حجاب ولا رسول ـ فقال يا عبد :تمنَّ عليَّ ..) الحديث ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، لا في الدار الدنيا اهـ.

(٢) القول الأول هو الأظهر والأشهر وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن كثير ، والألوسي .. قال ابن كثير ٢٠٤/٧ ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة ، على الأنبياء عليهم السلام .. إلخ. وهو مذهب الجمهور .

(٣) قراءة الرفع ﴿ أو يرسلُ رسولاً فيوحي ﴾ بالرفع في كل من ﴿ يرسل ﴾ و ﴿ يوحي ﴾ هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وهي من القرءات السبع ، على تقدير أو هو يرسل ، ويوحي ، وقرأ الجمهور بالنصب ﴿ أو يرسلَ رسولاً فيوحي ﴾ عطف على ﴿ وحياً ﴾ قال الفراء : والنصب أجود . وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٢ .

٤٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا .. ﴾ [آية ٥٢] .

قال ابن عباس : النُّبُوَّةُ[١] .

قال أبو جعفر : أي وكذلك أوحينا إليك ، ما تحيا به النفوسُ ، أي ما تهتدي به .

وقال قتادة والحَسَنُ : ﴿ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ أي رحمةً من عندنا[٢] .

٤٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ٥٢] .

أي بما أوحينا إليك[٣] .

وقال مُعَلَّى[٤] : سمعتُ حَوْشَباً يقرأ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُهْدَى إِلَى

---

(١) الأثر أخرجه في البحر عن ابن عباس ٥٢٧/٧ والقرطبي ٥٤/١٦ ونقل ابن الجوزي ٢٩٨/٧ عن ابن عباس ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ أنه القرآن ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر من المفسرين ، قال القرطبي ٥٥/١٦ : قال الضحاك : هو القرآن ، وهو قول مالك بن دينار ، وسماه روحاً ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، وجعله من أمره بمعنى أنزله كما يشاء من النظم المعجز ، والتأليف العجيب ، وكان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب ، كما أن الغيث ربيع الأرض . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٤٦/٢٥ والقرطبي ٥٤/١٦ وابن الجوزي ٢٩٨/٧ والبحر المحيط ٥٢٧/٧ .

(٣) الهداية هنا بمعنى : الدلالة والإرشاد ، أي وإنك يا محمد لترشد وتدل ، بما أوحاه إليك ، إلى دين قيِّم مستقيم ، هو الإسلام .

(٤) هو مُعَلَّى بن أسد العَمِّي ، أبو الهيثم البصري ، الحافظ ، قال العجلي : ثقة كيِّس ، وذكره ابن =

﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وفي قراءة أُبَيٍّ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يُقْرَأ به ، لأنه مخالفٌ للسَّواد ، وإنما يُحْملُ ما كان مثلُه ، على أنه من قائلِهِ ، على جهة التفسير ، كما قال سفيان في قوله جل وعزَّ : ﴿ وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي لتدعو .

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال : لكُلِّ قَوْمٍ هادٍ[3] .

* * *

« انتهت سورة الشورى »

= حبان في الثقات ، توفي سنة ٢١٨هـ وانظر ترجمته في التهذيب ١٠/٢٣٦ و « حوشب » هو حوشب بن مسلم الثقفي من كبار أصحاب الحسن ، ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣/٦٦ .

(١) هذه قراءة عاصم الجحدري ، وحوشب ﴿ وإنك لتُهْدى ﴾ بالبناء للمجهول ، أي وأنك يا محمد ليهديك الله إلى طريق الهدى والإيمان ، وقراءة الجمهور ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ أي وإنك لتهدي بذلك النور ، من شاء الله هدايته ، وقد ذُكرت القراءة الأولى في البحر المحيط ٧/٥٢٨ والقرطبي ١٦/٦٠ وروح المعاني ٢٥/٦٠ .

(٢) قراءة أُبيٍّ محمولة على جهة التفسير كما قال المصنف ، وليست من القراءات السبع ، ومراده بمخالفة السواد أنها قراءة غير القراء المشهورين المعتمدين ، وهم القراء السبعة ، ولهذا لا يُعوَّل على هذه القراءة ، وانظر القرطبي ١٦/٦٠ .

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حُميد عن قتادة ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٦/١٣ قال ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ قال الله تعالى ﴿ ولكل قوم هادٍ ﴾ قال : داع يدعو إلى الله تعالى ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٥/٤٧ والقرطبي ١٦/٦٠ والمراد أن كل أمة من أمم الأرض ، قد بعث الله لها داعياً يرشدها إلى الله .

تفسير سورة الزخرف

مَكية وآياتها ٨٩ آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف وهي مكية

١ ـ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ . وَالكِتَابِ المُبِينِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

أي أبان الهُدَى من الضَّلالةِ ، والحقَّ مِن الباطِلِ .

ويكون ﴿ المبينُ ﴾ : البَيِّنُ(١) .

٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٣] .

أي بيَّنَّاه(٢) .

---

(١) سُمِّي القرآن بالمبين بمعنى البيِّن الواضح الجلي ، المظهر طريق الهدى من طريق الضلال ، قال في المصباح : بانَ الأمرُ فهو بيِّنٌ ، وأبانَ ، واستبان ، وتبيَّن كلها بمعنى الوضوح والانكشاف . اهـ مادة بان .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤/٤٠٤ والأوْلَى ما قاله الطبري ٢٥/٤٧ وابن كثير ٧/٢٠٥ ﴿ إنَّا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ أي أنزلناه بلسان العرب ، فصيحاً واضحاً ، وهو قول السدي ، وسعيد ابن جبير ، وقال مجاهد ﴿ إنَّا جعلناه ﴾ أي قلناه ، وإنما فسَّر السلف الآية بهذا ، لئلا يوهم أن القرآن مخلوق ، فقد رَوَى في الدر المنثور ٦/١٣ عن طاووس قال : جاء رجل ابن عباس فقال : يا ابن عباس : أخبرني عن القرآن : أكلام الله أم خلقٌ من خلق الله ؟ قال : بل كلام الله ، أوَما سمعت الله يقول ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ﴾ ؟ فقال الرجل : أفرأيت قوله ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ ؟ قال : كتبه الله في اللوح المحفوظ بالعربية ، أما سمعت الله يقول ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ؟!

٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [آية ٤] .

روى مَعْمَرٌ عن قَتَادَة قال : ﴿ فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴾ قال : في أصل الكتاب ، وجملته عندنا[1] .

قال أبو جعفر : ونظير هذا على قول قتادة ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[2] .

وقيل : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴾ : يعني ما قُدِّرَ من الخير والشرِّ[3] ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ : لقاهر ، لا يقدر أحدٌ أن يدفعه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ : مُحْكَمٌ .

٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾ [آية ٥] .

رَوى إسماعيلُ عن أبي صالح ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ ؟

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٨/٢٥ والدر المنثور ١٣/٦ وبهذا القول قال الزجاج ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي في أصل الكتاب ، وأصل كل شيء : أمُّه ، والقرآن مثبتٌ عند الله في اللوح المحفوظ . اهـ. زاد المسير ٣٠٢/٧ وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .

(٢) سورة البروج آية رقم ٢٢ .

(٣) هذا قول ابن جريج كما في القرطبي ٦٢/١٦ فقد قال : (وإنه) أي أعمال الخلق ، من إيمانٍ وكفر ، وطاعة ومعصية .. إلخ. والقول الأول بأن الضمير يعود على القرآن ، أظهر وأشبه والمعنى : وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ ، عندنا لرفيع الشأن ، عظيم القدر ، ذو حكمة بالغة ، ومكانة فائقة ، محكم بريء من اللبس والزيغ ، وانظر ابن كثير ٢٠٥/٧ .

قال : العذابُ[1] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : أتُكَذِّبُونَ بالقرآنِ ، ولا تُعَاقبونَ[2] ؟

قال أبو جعفر : المعنى على هذين القولين : أفنضرب عنكم ذكر العذاب .

ومذهب قتادة أن المعنى : أفنهملكم ، ولا نأمركم ، ولا ننهاكم[3] ؟

قال أبو جعفر : يقال : ضربت عنه ، وأضربتُ أي تركته .

ثم قال جلَّ وعز ﴿ صَفْحاً ﴾ أي إعراضاً .

يجوز أن يكون المعنى : أفنصفح عنكم صفحاً[4] ، كما يُقال : هو يَدَعُه تركاً .

---

(1) ذكره الطبري ٢٥/٤٩ وابن الجوزي ٧/٣٠٣ ونسبه إلى مجاهد والسدي ، وهو قول مرجوح ، والراجح قول قتادة وابن زيد ، والمعنى : أفنمسك عن إنزال القرآن ونعرض عنكم من أجل أنكم لا تؤمنون ؟

(2) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٤٩ والقرطبي ١٦/٦٢ والبحر المحيط ٨/٦ وعبارته : ألّا نعاقبكم بالتكذيب ، وعبارة الطبري : تكذِّبون بالقرآن ثم لا تُعَاقبون عليه ؟ وكذلك هو في الدر المنثور ٦/١٣ .

(3) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٦/٦٢ ولفظه وقال قتادة : أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم ؟ وبنحوه قال السدي : أفنترككم سُدى فلا نأمركم ولا ننهاكم ؟ وذكره في البحر ، والطبري بنحوه .

(4) على هذا التأويل يكون إعراب ﴿ صَفْحاً ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق ، لفعل محذوف من غير فعله أي أفنصفح عنكم الذكر صفحاً ، لأن معنى ﴿ أفنضرب ﴾ أفنصفح ونعفو ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أفنضرب عنكم الذكر صافِحين ، كما يُقال : جاء فلانٌ مَشْياً .

ومعنى صفحتُ عنه : أعرضت عنه أي ولَّيْتُه صفحةَ عُنُقي ، قال الشاعر :

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إلَّا بَخِيلَةً
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ(١)

٥ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ** ﴾ [آية ٥] .

قال قتادة : أي مشركين(٢) .

قال أبو جعفر : المعنى لأَن كنتم ، إذا فتحتَ ﴿ **أَنْ** ﴾ وبذلك قرأ الحسن ، وأبو عمرٍو ، وابن كثير .

وقرأ أهل المدينة ، وأهلُ الكوفةِ بالكسر ، وهو عند قوم من

---

(١) البيت لكُثَيِّر عزَّة وقد ذكره في غريب القرآن ص ٣٩٥ وتاج العروس ولسان العرب مادة صفح بلفظ « إلَّا بخيلةٍ » بدل « بخيلةً » وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٣/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٢/٧ والبحر المحيط ٦/٨ بلفظ « بخيلة » والشاعر يصف امرأة أعرضت عنه وصدَّت ، فهي بخيلة بالوصال والكلام .

(٢) الطبري ٤٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٠٣/٧ والقرطبي ٦٣/١٦ وخلاصة المعنى : أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم بالقرآن ، من أجل أنكم مسرفون في الكفر والعصيان ؟ لا ، بل نذكّركم ، ونعظكم حتى لا تبقى لكم حجة .

أهل اللغة لحنٌ ، منهم أبو حاتم(١) ، وإنما صار عندهم لحناً(٢) ، لأنهم إنما وُبِّخُوا على شيءٍ قد ثبت وكان ، فهذا موضع « أَنْ » مفتوحة ، كما قال سبحانه ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى . **أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى** ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا عند الخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والفُرَّاء جيِّدٌ .

قال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله — يعني الفرزدق — :

أَتَغْضَبُ إنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا
جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لَقَتْلِ ابنِ خَازِمِ(٣)

فقال : هي « إنْ » مكسورة ، لأنه قبيح أن يُفصل بين « أَنْ » والفعل .

قال أبو جعفر : وهذا شيءٌ قد مَضَى .

---

(١) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، المقرئ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أخذ عنه المبرِّد ، وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ١/٩١ .

(٢) لا يقال : إن كسر الهمزة في قوله تعالى ﴿ إن كنتم قوماً مسرفين ﴾ لحنٌ ، لأنها قراءة من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة ، ونافع ، والكسائي ، وقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ أن كنتم ﴾ فكلاهما قراءة واردة عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح ، وطالما لها وجهٌ في اللغة ، فلا يُقال عنها : إنها لحن ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٤ .

(٣) البيت من شواهد المغني ١/٨٦ وفي جامع البيان للطبري ٢٥/٥٠ ومعاني القرآن للفراء ٣/٢٧ وقد ورد فيه وفي الطبري البيت بلفظ « أتجزع » وفي الطبري « ابن حازم » وصوابه بمعجمتين « ابن خازم » .

قال أبو إسحاق[1] : وهذا يكون بمعنى الحال ، إذا كان في الكلام معنى التوبيخ والتقرير ، أي أهذه حالك ؟[2].

قال أبو جعفر : فَعَلى هذا قولُه ﴿ إنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾[3] .

٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فأهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً ، وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي سنة الأولين[4] .

قال قتادة : أي عقوبة الأولين .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ أي طُرُقاً[5] .

٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [آية ١٢] .

أي الأصناف كلَّها[6] .

---

(١) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٢) أي يحمل على هذا المعنى ، أي على وجه الاستقبال كما قال الزجاج ٤٠٥/٤ من كسرها فعلى معنى الاستقبال ، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر ؟

(٣ ــ ٤) انظر الآثار في الطبري ٥١/٢٥ والقرطبي ٦٤/١٦ والبحر المحيط ٦/٨ .

(٥) في المصباح : السبيلُ : الطريقُ ، يذكَّر ويؤنث ، والجمع على التذكير : سُبُل . اهـ. ومما جاء مؤنثاً قوله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ ومما ورد مذكَّراً قوله تعالى ﴿ وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً ﴾ .

(٦) هذا قول سعيد بن جبير كما في القرطبي ٦٥/١٦ وقال الحسن : الشتاء والصيف ، والليل والنهار ، والسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والجنة والنار .. إلخ. والأولى أن يُقال : خلق =

٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [آية ١٢] .

قال مجاهد : الأباعرُ ، والخيلُ ، والبغالُ ، والحميرُ[١] .

٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [آية ١٤] .

أي على ظهور هذا الجنس[٢] .

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي تقولوا : الحَمدُ للهِ .

كما روى أبو إسحاق ، عن عليِّ بن ربيعة قال : رأيتُ عليَّ بن أبي طالب صلوات الله عليه[٣] جعل رِجْلَهُ في الرِّكاب ، فقال ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾ فلما استوى راكباً قال ﴿ الحمدُ لله ﴾ ثم قال ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ اللَّهُمَّ لا إله إلا

= جميع الأصناف من الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وغير ذلك ، فإنه عام يشمل الجميع ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٠٧/٧ .

(١) هذا تفسير للأنعام ، والأباعر جمع بعير ، يقال في جمعه أباعر ، وأبعرة ، وبُعْران ، كذا في المصباح ، والبعير يطلق على الذكر وعلى الأنثى ، والجمل على الذكر فقط ، والناقة على الأنثى فقط ، قال الطبري : الأنعام هي البهائم .

(٢) لم يقل : لتستووا على ظهورها ، وإنما قال ﴿ على ظهوره ﴾ لأن الضمير عائد على « ما » كأنه قال : على ظهور ما تركبون . اهـ. البحر المحيط ٧/٨ .

(٣) لا ينبغي أن يُقال عن عليٍّ « صلوات الله عليه » لأن هذا خاص بالأنبياء ، وإنما يُقال : رضي الله عنه ، كما يُقال لسائر الصحابة الكرام .

أنتَ ، قد عملتُ سوءً ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت » ثم قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كفِعْلِي[1] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : من ركبَ ولم يقل : ﴿ سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنَّا له مُقْرِنين ﴾ قال له الشيطانُ : تغنَّهْ ، فإن لم يُحسن ، قال له : تَمَنَّهْ[2] .

قال قتادة : ﴿ مُقْرِنِينَ ﴾ أي في القوة[3] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٩٧/١ وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٧/٧ وزاد فيه (ثم ضحك ، فقلت له : من أيِّ شيءٍ ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيتُ رسول الله ﷺ صنعَ كما صنعت ثم ضحك ، فقلتُ : ممَّ ضحكتَ يا رسول الله ؟ فقال : يعجبُ الربُّ من عبده إذا قال : ربِّ اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوبَ غيري) وذكر الحديث بكماله في الدر المنثور ١٤/٦ وزاد أنه أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام عن مجاهد ٦٨/١٦ ومعنى « تغنَّهْ » أي غنِّ ، ومعنى « تمنَّه » أي اكذب ، يريد أن يشغله عن ذكر الله ، بالغناء تارة ، وبأحاديث الكذب مرة أخرى ، ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما تغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام . قال القرطبي : علَّمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب ، وعرَّفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن ، وهو قوله تعالى ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ﴾ فكم من راكب دابة عثرت به فألقته على وجهه ، أو طاح من ظهرها فهلك ، وكم من سفينة غرقت ، فلما كان الركوب مباشرة سبب من أسباب التلف ، أُمرَ ألا ينسى ذكر الله ، بقلبه ولسانه ، حتى يكون مستعداً للقاء الله .. . اهـ. بشيء من الاختصار .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٥٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٤/٦ ولفظه ﴿ وما كنا له مقرنين ﴾ لا في الأيدي ، ولا في القوة ، أي ما كنا نقدر عليه ، لولا تسهيل الله .

قال أبو جعفر : حَكَى أهـلُ اللُّغَـةِ أنـه يُقـال : أقـرنَ له : إذا أطاقه ، وأنشدوا :

رَكِبْتُـمْ صَعْبَتِـي أَشَرَاً وَحَيْنـاً
وَلَسْتُمْ لِلْصِّعَـابِ بِمُقْرِنِينَـا[١]

وحقيقـةُ : أقْـرَنْتُ له : صرتُ له قِرْناً ، يُقـال : هو قِرْنُـه في القتال ، وهو على قَرْنِهِ ، أي مثله في السنِّ[٢] .

١٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ [آية ١٤] .

أي إنَّا لمبعوثون[٣] .

١١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءً إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ١٥] .

---

(١) البيت للكميت استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٢/٢ على أن معنى مقرن : ضابط ومطيق ، وذكره القرطبي ٦٦/١٦ بلفظ « أشراً وحَيْفاً » أي بطراً وجوراً ومعنى « حَيْناً » أي هلاكاً كما في اللسان ، وأورد العجز دون الصدر ابن حجر في فتح الباري ٤٣٧/٨ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : أقرن له : أي أطاقه وقَوِيَ عليه ، قال الله تعالى ﴿ وما كنَّا له مقرنين ﴾ أي مطيقين ، وفي المصباح أقرنتُ الشيء إقراناً : أطقته وقويتُ عليه ، وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد ، كما حكاه ابن كثير ٢٠٧/٧ قال « مقرنين » أي مطيقين ، قال المفسرون : وما كنا قادرين ولا مطيقين لركوبه لولا تسخيره تعالى لنا .

(٣) عبارة الطبري أوضح حيث قال ٥٥/٢٥ ﴿ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ أي : وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون .

قال قتادة : ﴿ جُزْءً ﴾ : أي عِدْلاً[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على قولهم أنهم عبدوا الملائكة ، فجعلوا لله جلَّ وعزَّ شِبْهاً ومِثْلاً .

وقال عطاء : ﴿ جُزْءً ﴾ : أي نصيباً وشِرْكاً[4] .

قال أبو جعفر : وهذا أبينُ كما يُقال : هذا جزءُ فلانٍ ، وقيل لهم هذا ، لأنهم جعلوا الملائكة بناتِ الله ، هذا قول مجاهد .

ومعنى ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ : قالوا هذا ووصفوه[5] .

١٢ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [آية ١٨] .

(١) الطبري عن قتادة ٢٥/٥٦ والقرطبي ١٦/٦٩ والبحر المحيط ٨/٨ ولفظه وقال قتادة : « جُزْءً » أي نِدًّا وذلك هو الأصنام .

(٢) الطبري ٢٥/٥٥ وعزاه إلى مجاهد والسدي ولفظه : جعلوا لله وَلَداً وبناتٍ من الملائكة ، واختاره الطبري ورجحه ابن كثير لقوله تعالى بعده ﴿ أم اتخذ مما يَخلق بنات ﴾ ؟ قال ابن كثير ٧/٢٠٩ : وكذلك جعل المشركون له من قسميْ البنات والبنين ، أخسَّهما وأردأهما وهو البنات كما قال سبحانه ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ ؟ وقال ههنا ﴿ أم اتخذ ممَّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ ؟ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ، ثم ذكر تعالى تمام الإنكار فقال : ﴿ وإذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ . اهـ. فما رجحه المصنف من قول عطاء ومجاهد هو الأظهر والله أعلم .

(٣) أي وصفوه بصفات المخلوقين ، فزعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال ابن عباس : يعني النِّساءَ ، جُعِل زِيُّهُنَّ غيرُ زِيِّ الرِجال(1) .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِليةِ يجعلون لله جلَّ وعزَّ نصيباً ؟ .

ويجوز أن يكون : في موضع رفع(2) .

١٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : قلَّ ما تكلَّمتِ امرأةٌ ولها حُجَّةٌ ، إلَّا جعلتها عليها(3) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٥٧ والقرطبي ١٦/٧١ عن ابن عباس ، وقال الحافظ ابن كثير ٧/٢١٠ ﴿ أو من ينشأ في الحلية ﴾ أي المرأة ناقصة يكمَّل نقصها بلبس الحليِّ ، منذ تكون طفلة ، وإذا خاصمت فلا عبارة لها ، بل هي عاجزة عييَّة ، أو من تكون هكذا تنسب إلى جناب الله عز وجل ؟ فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنى ، فيكمَّل نقص ظاهرها بلبس الحلي ، وما في معناه :

وما الحَلْيُ إلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إذَا الحُسْنُ قَصَّرا
وَأَمَّا إذَا كَانَ الجَمَالُ مُوَفَّراً ... كَحُسْنِكَ ، لَمْ يَحْتَجْ إلَى أَنْ يُزَوَّرا

(٢) هذا قول الفراء كما في معانيه ٣/٢٩ قال : فإن شئت جعلتَ « مَنْ » في موضع رفع على الاستئناف ، وإن شئت نصبتَها على إضمار فعل « يجعلون » . اهـ.

أقول : على الرفع يكون الكلام على الابتداء ، والخبر مضمرٌ تقديره : أو من كان على هذه الحالة يستحقُّ العبادة ؟ وعلى النصب يكون التقدير : وجعلوا لله من يُنشَّأ في الحلية .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٥/٥٧ والقرطبي ١٦/٧٢ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٥ .

١٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً .. ﴾ [آية ١٩] .

﴿ جَعَلُوا ﴾ هنا بمعنى : وصَفُوا ، وهذا من وجوه « جَعَلَ » التي ذكرها الخليل ، وسيبويه ، كما تقول : جعلتُ فلاناً أعلمَ النَّاسِ أي وصفته بهذا[١] .

١٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [آية ٢٠] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، وقد تكلَّم فيها العلماءُ .

أ ـ فمن أحسن ما قالوا أنَّ قوله عز وجل ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ مردودٌ إلى قوله ﴿ وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً ﴾ .

فالمعنى : إن الله جلَّ وعز لم يَرُدَّ عليهم قولهم ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ وإنما المعنى : ما لهم بقولهم : الملائكةُ بناتُ اللهِ من علمٍ ، وما بعده يدلُّ على أن المعنى على هذا ، لأن بعده ﴿ أَمْ

(١) هذا قول الزجاج كما قال في لسان العرب ﴿ وجعلوا الملائكة ﴾ قال الزجاج : الجعلُ هنا بمعنى القول ، والحكم على الشيء ، كما تقول : قد جعلتُ زيداً أعلمَ النَّاس أي قد وصفتُه بذلك وحكمتُ به . اهـ. وانظر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٦/٧ ومعاني الزجاج ٤٠٧/٤ .

آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه هذا[1] ؟

ب ـــ **وفي الآية قول آخر** ، وهو أنَّ معنى ﴿ **مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ** ﴾ مَا لهم عذرٌ في هذا ، لأنهم رأوا أن ذلك عذرٌ لهم ، فردَّ اللهُ ذلك عليهم[2] ، فالردُّ محمولٌ على المعنى ، وقوله ﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً** ﴾[3] .

١٦ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ .. ﴾
[آية ٢٢] .

---

(١) توضيح هذا أن الله تعالى حكى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة :
الأول : أنهم نسبوا إلى الله النسل والذرية .
الثاني : أنهم نسبوا إليه ـــ تقدست أسماؤه ـــ البنات دون البنين .
الثالث : أنهم حكموا على الملائكة الأبرار الأطهار أنهم إناث ، دون دليل ولا برهان .
فكذَّبهم القرآن ورد عليهم ذلك السفه والبهتان فقال ﴿ أشهدوا خلقهم ستُكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ ؟ ثم زادوا في الضلال والجهل ، فزعموا أن ذلك برضى الله ، فقالوا على سبيل السخرية والاستهزاء كما حكاه القرآن ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي ما عبدنا هؤلاء الملائكة ولا تلك الأوثان ، ولما كانت عبادتنا واقعة بمشيئة الله فهو راض بها .. إلخ. فردَّ الله عليهم بقوله ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم لا يخرصون ﴾ أي ليس عندهم حجة ولا برهان ، بهذا الزعم الكاذب ، وإنما هم يكذبون على الله ، ويتقوَّلون عليه . اهـ.

(٢) احتج المشركون بحجة واهية ، وهي أنهم قالوا : إنما عبدنا الملائكة واتخذناهم إناثاً ، برضى الله عز وجل ، ولو لم يكن الله راضياً عن عبادتها ، لعجَّل لنا العقوبة .. إلخ. فجعلوا إمهال الله ، وإحسانه إليهم ، وهم يعبدون غيره ، دليلاً على رضاه ، فردَّ الله عليهم بقوله ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ الآية .

(٣) أي هذه الآية أيضاً تدل على الردِّ فإن قوله تعالى ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ سخريةٌ بهم ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بما يزعمون ، فليس لهم إذاً مستند من عقل أو نقل .

وقرأ **مجاهد** ، وعمر بن عبد العزيز ﴿ **عَلَى إِمَّةٍ** ﴾[1] .

قال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد .

قال أبو جعفر : المعروفُ في اللغة ، أن « الإِمَّة » بالكسر : الطريقة من الدين والمذهب ، كما قال :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً
وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ[2]

والأُمَّةُ : السُّنَّةُ والمِلَّةُ[3] ، وقد يكون لها غير هذا المعنى ، وقد تكون الإِمَّةُ بمعنى المُلْكِ ، والتَّمام كما قال :

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والإِمَّـةِ وَارَتْهُمُوا هُنَاكَ القُبُورُ[4]

(١) هذا خلاف لغوي في كسر الهمزة وضمِّها في (أمة) قال الشوكاني ٥٥١/٤ : قرأ الجمهور ﴿ أُمة ﴾ بضم الهمزة ، وقرأ مجاهد وقتادة بكسرها .

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٥٠ وهو في الصحاح ، واللسان مادة « أمم » وفي الدر المنثور ١٥/٦ وتفسير القرطبي ٧٥/١٦ وفتح القدير ٥٥١/٤ للشوكاني .

(٣) قال الجوهري : والأُمَّة الجماعة ، والطريقة والدين يقال : فلان لا أُمَّة له ، أي لا دين ولا نِحْلة له ، وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أُمَّةٍ ﴾ أي خير أهل دين ، والإِمَّة بالكسر : النعمة ، وهي لغة في الأُمَّة ، وهي الطريقة والدين . اهـ. من الصحاح .

(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص ٨٩ وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ٣٠/٣ واللسان مادة (أمم) والطبري ٦٠/٢٥ والقرطبي ٧٤/١٦ والشوكاني ٥٥٢/٤ قال الفراء : وكأنَّ « الإِمَّة » الطريقة من أممتُ القوم ، فإن العرب تقول : ما أحسنَ إِمَّته ، وعِمته ، وجلسته — أي إمامته — والإِمَّة أيضاً الملكُ والنعيمُ ، وذكر البيت .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ على مِلَّةٍ[1] .

١٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [آية ٢٢] .

يجوز أن يكون خبراً بعد خبر[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : مهتدون على آثارهم .

١٨ ــ ثم أخبر جلَّ وعزَّ أن الأنبياء قبله قد قيل لهم مثل هذا فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ، إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [آية ٢٣] .

ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ[3] .. ﴾ ؟ [آية ٢٤] .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٦٠ عن مجاهد وبنحوه في الدر المنثور ٦/١٥ والمراد : إنا وجدنا آباءنا على دين وملة ونحن ماشون على طريقتهم ، مهتدون بآثارهم ، قال القرطبي ﴿ وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ أي نهتدي بهم ، وفي الآية الأخرى ﴿ وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ أي نقتدي بهم ، والمعنى واحد ، وفي الآية دليل على إبطال التقليد ، لذمهم على تقليد آبائهم ، وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ .

(٢) أي الجملة كلها في موضع رفع ، خبر ثاني ، والخبر الأول جملة ﴿ وجدنا آباءنا على أمة ﴾ وعلى التقدير الثاني ، يكون الجار والمجرور متعلقاً بقوله ﴿ مهتدون ﴾ كما قدَّره المصنف .

(٣) القراءة التي أوردها المصنف ﴿ قل أولو جئتكم .. ﴾ على الأمر ، هي قراءة نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وقرأ ابن عامر ، وحفص ، عن عاصم ﴿ قال أولو جئتكم ﴾ بالألف على الخبر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وانظر النشر ٢/٣٦٩ .

المعنى : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، أقمتُمْ على ما كان عليه آباؤكم[1] ؟

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾** [آية ٢٦] .

وفي قراءة ﴿ إنَّنِي بَرِيءٌ ﴾[2] .

وَحَكَى الفراء أنَّ قوماً يكتبون الهمزة في كل موضعٍ ألِفاً[3] .

فعلى هذا يُقرأ ﴿ بَرِيءٌ ﴾ وإن كان في السَّواد بالألف ، ومن قرأ ﴿ بَرَاءٌ ﴾ قال في الاثنين ، والجميع ، بَرَاءٌ أيضاً ، بمعنى ذَوي بَرَاءٍ .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٨/٤ وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٩/٧ قال ومعنى الكلام : قل أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ، وإن جئتكم بأهدى منه ؟ فردُّوا على الأنبياء فقالوا ﴿ إنا بما أُرسلتم به كافرون ﴾ قال ابن الجوزي : وفي هذه الآية إبطال القول بالتقليد . اهـ.
أقول : المعنى على قراءة ﴿ قال أولو جئتكم ﴾ أي قال كل نبي لقومه ، حين أنذرهم عذاب الله ، أتقتدون بآبائكم ، ولو جئتكم بدين أهدى وأرشد مما كانوا عليه ؟ وهذا تسفيه لهم وتجهيل ، حيث يقلدون آباءهم تقليداً أعمى دون نظر في الدليل ، وبذلك أقام عليهم النبي الحجة الدامغة .

(٢) ذكره الطبري ٦٢/٢٥ أن هذه القراءة قراءة عبد الله يعني ابن مسعود ، وذكر في البحر المحيط ١١/٨ أنها قراءة الأعمش ، وهي لغة نجد .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠/٣ وهو على قوله مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع ، فلا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنث ، قال في الصحاح : تبرأت من كذا وأنا منه بَرَاء ، وخلاء ، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل . اهـ.

٢٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾** [آية ٢٧] .

قال قتادة : أي خلقني[1] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون استثناء من الأوَّل .

ويجوز أن يكون « إِلَّا » بمعنى « لَكِنْ »[2] .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾** [آية ٢٨] .

قال مجاهد : ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً ﴾ : لا إلهَ إلا اللهُ[3] .

وقال قتادة : التوحيدُ ، والإخلاصُ في عَقِبِهِ[4] .

---

(١) الأثر في الطبري ٦٣/٢٥ والقرطبي ٧٦/١٦ .

(٢) يريد المصنف أن الاستثناء في الآية ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ استثناء منقطع بمعنى « لكنْ » والتقدير : إنني بريءٌ مما تعبدون ، لكن ربِّي الذي خلقني وأنشأني ، فهو الذي أعبده ، وهو الذي يرشدني ويهديني إلى الدين الحق ، والطريق المستقيم ، وهذا على أنهم ما كانوا يعبدون إلا الأوثان ، ويصحُّ أن يكون الاستثناء متصلاً إن كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه الأوثان ، والأظهر أنه منقطع لأن قوم إبراهيم ، ما كانوا يعرفون الله حتى يعبدوه ، وإنما كانوا عبدة الكواكب والأصنام .

(٣ ــ ٤) انظر الآثار في الطبري ٦٣/٢٥ وابن كثير ، والبحر المحيط عن مجاهد قال : الكلمة هي « لا إله إلا الله » وشهادة أن لا إله إلا الله ، لم يزل في ذريته من يقولها من بعده . اهـ. ونقله في البحر المحيط ١٢/٨ عن قتادة ومجاهد والسدي قال : الكلمة « لا إله إلا الله » وإن لم يجرِ لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها ، وقال ابن كثير ٢١٢/٧ : أي هذه الكلمة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي « لا إله إلا الله » أي جعلها دائمة في ذريته ، يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وروي نحوه عن ابن عباس . اهـ.

وقال مجاهد : في وَلَدِهِ[1] .

قال قتادة : لا يزالُ من وَلَدِ إبراهيم ﷺ ، مَنْ يَعْبدُ الله جلَّ وعزَّ ، إلى يوم القيامة[2] .

وقوله جلَّ وعز ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى دينك ودينِ إبراهيم صلى الله عليهما ، إذ كانوا من وَلَده .

٢٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [آية ٣١] .

قال ابن عباس : القريتان : « مكَّةُ » و « الطائفُ »[3] .

(١ ـ ٢) راجع التعليق السابق .

(٣) اتفق المفسرون على أن المراد من القريتين « مكة » و « الطائف » وهذا أمر لا خلاف فيه ، إنما الخلاف فيمَن قصدهم المشركون من العظماء ، والراجح ما قاله قتادة أنه « الوليد بن المغيرة المخزومي » من مكة لأنه كان سيداً عظيماً من سادة مكة ، و « عروة بن مسعود الثقفي » من عظماء أهل الطائف ، وعلى هذا القول أكثر المفسرين ، وهو الذي رجحه المصنف .

أقول : استبعدت قريش أن ينزل القرآن على محمد ، وهو فقير يتيم ، واقترحوا أن ينزل على أحد العظماء ، في مكة أو الطائف ، من ذوي الثروة والجاه ، ظناً منهم أن العظيم هو الذي يكون له مال وجاه ، وفاتهم أن العظمة الحقيقية هي عظمة النفس ، وصفاء الروح ، ورجاحة العقل ، ومن أعظم نفساً ، وأسمى روحاً ، وأرجح عقلاً ، من محمد بن عبد الله ، الذي فاق جميع الخلق في هذه المزايا ، صلوات الله وسلامه عليه ؟ ولهذا جاءهم الردُّ المفحم ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فإذا كان أمر المعيشة وهو تافه حقير ، لم يتركه الله لأهوائهم ومشتهياتهم، فكيف يترك لهم أمر النبوة والرسالة ، وهو أمر عظيم خطير ؟ فالآية تسفيه لعقولهم وتجهيل ، إذ من غير المعقول أن يتولى الله أمر المعيشة فيقسمها بين عباده بنفسه ، ويترك أمر الرسالة والنبوة لأهوائهم الفاسدة ؟

قال قتادة : الرجلان : « أبو مسعود الثقفي » واسمه عُرْوةُ بن مسعود ، من أهل الطائف ، و « الوليد بنُ المغيرة بن عبد الله المخزومي » من أهل مكة .

قال مجاهد : الرجلان « عُتبةُ بن ربيعةَ » من أهل مكة ، وأبو مسعود الثقفي واسمه « عُمير بن عَمْرِو بنِ مسعود » .

قال أبو جعفر : رُوي هذا عن جماعةٍ ثقاتٍ ، منهم « ابن جريج » و « ابن أبي نجيح » .

وروى ذلك عن قتادة الثقات أيضاً ، إلا أنَّ قول قتادة أشبَهُ بالصَّواب ، لأن مَعْمراً رَوى عنه أنه قال : قال الوليد بن المغيرة : لو كان ما يقول محمَّدٌ حقًّا ، أُنزِل عليَّ ، أو على أبي مسعود الثقفي[1] !!

فخبَّر قتادة بسبب نزول الآية[2] .

(١) مما يؤيد أنه « الوليد بن المغيرة » أن المشركين كانوا يقولون عنه « ريحانة قريش » وهو الذي كان صدراً مقدَّماً فيهم ، يرجعون إلى رأيه ، ويستشيرونه في كثير مما أشكل عليهم ، وكان موسعاً عليه في أمر العيش والرزق ، وفيه نزل ﴿ ذرني ومن خلقتُ وحيداً . وجعلتُ له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً .. ﴾ إلى قوله تقدست أسماؤه ﴿ إنه فكَّر وقدَّر . فقتل كيف قدَّر . ثم قُتل كيف قدَّر .. ﴾ الآيات .

(٢) إنما كان قول قتادة أرجح وأظهر ، لأنه تأيَّد بسبب النزول ، فقد روى المفسرون أن الوليد بن المغيرة كان يقول : « لو كان ما يقول محمد حقاً ، لنزل هذا القرآن عليَّ ، أو على عروة بن مسعود » .. إلخ. ذكره في البحر المحيط ١٣/٨ فهذا يرجح ما ذهب إليه المصنف .

قال أبو العباس[1] : التقدير في العربية : على رجلٍ من رَجُلَيْنِ من القريتين .

قال أبو جعفر : حقيقةُ التقدير في العربية : على رجلٍ من رجلَيْ القريتين ، كما قال سبحانه ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[2] .

٢٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا** .. ﴾ [آية ٣٢] .

أي كما قسمنا بينهم الأرزاق ، وفضَّلنا بعضهم على بعض ، كذلك فضلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء بالرسالة .

٢٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا** .. ﴾ [آية ٣٢] .

أي ليكون بعضهم لبعض خَوَلاً[3] ، و « سُخْرِي » و « سِخْرِي » واحدٌ[4] .

---

(١) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) في الآية مجازٌ بالحذف أي على رجل من رجليْ القريتين ، فحذف المضاف « رَجُلَيْ » فصار اللفظ ﴿ على رجل من القريتين ﴾ أي على رجل عظيم كبير ، في إحدى القريتين : مكة ، أو الطائف ، واستشهد المصنف بالآية ﴿ واسألِ القرية ﴾ أي أهل القرية ففيها حذف المضاف .

(٣) خَوَلاً أي خدماً قال في المصباح : والخَوَلُ مثل الخَدَم والحَشَم وزناً ومعنى . اهـ .

(٤) يُقال في اللغة « سِخْرِياً » و « سُخْرِياً » بكسر السين وضمها ، كذا في المصباح المنير ، قال في البحر ٨/١٣ : وهو من التسخير بمعنى الاستخدام وليس من السخرية بمعنى الهزء . اهـ. والمراد من الآية أن يكون كل واحد مسخَّراً للآخر ، يخدم بعضهم بعضاً ، لينتظم أمر الحياة ، ولو كان الناس كلهم أغنياء لتعطلت مصالح العباد ، فسبحان المدبِّر الحكيم .

ثم أخبر جل وعز أن ما عنده من الرحمة خيرٌ فقال ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ الحسنُ : ﴿ تَجْمَعُونَ ﴾ بالتَّاء[1] .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [آية ٣٣] .

في معنى الآية قولان :

قال الحسن وقتادة : لولا أن يكفر النَّاسُ جميعاً ، لفعلنا هذا[2] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا القول : لولا أن يميل الناس إلى الدنيا فيكفروا ، لأعطينا الكافر هذا ، لهوانِ الدنيا على الله عز وجل .

والقول الآخرُ ــ قاله الكسائي ــ قال : المعنى : لولا إرادتنا

(١) قراءة الجمهور بالياء ﴿ خيرٌ مما يجمعون ﴾ ولم أعثر على قراءة الحسن ، فيما ذكره القرَّاء والمفسرون .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٩٨ وفي البحر المحيط ٨/١٤ وابن كثير ٧/٢١٣ وذكر أنه قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، وذكره القرطبي ١٦/٨٤ ولفظه : قال الحسن : لولا أن يكفر الناس جميعاً ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة ، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه ، لهوان الدنيا عند الله عز وجل ، قال : وعلى هذا أكثر المفسرين ابن عباس ، والسدي ، وقتادة وغيرهم . اهـ.

أن يكون في الكفار غنيٌّ وفقير ، وفي المسلمين مثل ذلك ، لأعطينا الكفَّار من الدنيا هذا ، لهَوانِهَا على الله جل وعز[1] .

قال الفراء : يجوز أن يكون معنى ﴿ **لِبُيُوتِهِمْ** ﴾ على بيوتهم .

قال أبو جعفر : روى سفيانُ عن إسماعيل عن الشَّعبيِّ ﴿ **سُقُفاً مِن فِضَّةٍ** ﴾ قال : جُزُوعاً ، ﴿ **وَمَعَارِجَ** ﴾ قال : دَرَجاً[3] ﴿ **عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** ﴾ قال : يَصْعَدون .

---

(١) هذا القول ضعيف ، وهو قول لبعض علماء اللغة ، لم يذكره المفسرون ، والراجح القول الأوّل ، وهو ما قاله الجمهور ، لأن الآية وردت في معرض بيان حقارة الدنيا ، وهوانها على الله عز وجل ، ومعنى الآية كما ذكره المفسرون : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة ﴾ أي لولا أن يرغب الناس في الكفر ، ويجتمعوا عليه ، إذا رأوا الكافر في سعةٍ من العيش والرزق ، ويصيروا أمة واحدة في الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾ أي لخصصنا هذه الدنيا بالكفار ، ونعّمناهم فيها ، فجعلنا لهم القصور الفخمة ، المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش ، سقفها وأبوابها وسررها من الفضة والذهب ، وجعلنا لهم مصاعد ، وسلالم يرتقون ويصعدون عليها ، من الذهب والفضة ، ثم قال ﴿ ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً ﴾ أي جعلنا للكفار الأسرَّة المزخرفة بالذهب وأنواع الياقوت وكذلك الأبواب ﴿ وإن كلُّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي وليس كل هذا النعيم إلا شيء قليل حقير بالنسبة إلى ما أعدَّه الله للمتقين الأبرار ، ولكنه تعالى رحيم بالعباد ، فلذلك أغنى بعض الكفار وأفقر بعضهم ، خشية أن يفتن المؤمنون إذا رأوا الكفار في هذا النعيم الكبير ، والرفاهية والسعادة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٣١ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المعارج هي الدرج ، واحدها مِعْرَاج وهو السُّلَّم ، والجميع معارج ومعاريج ، قال ابن عباس : المعارج درج يصعدون عليها إلى الغرف ، قال الشاعر : يا ربُّ ربَّ البيتِ ذي المعارج . اهـ. من الطبري ٢٥/٧٠ .

وقرأ جماعة : ﴿ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ ﴾[1]وأنكر هذه القراءة بعضُ أهلُ اللغة ، وقال : لو كان كذا لقال « عليه » .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأنه يجوز أن يكون « عليها » للدَّرج[2] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً ﴾ [آية ٣٤] .

أي من فضة ، ﴿ وَسُرُراً ﴾ أي من فضة ﴿ وَزُخْرُفاً ﴾ .

روى شعبةُ عن الحَكَم عن مُجَاهد قال : « كنتُ لا أدري ما معنى ﴿ وزخرفاً ﴾ حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ وَذَهَباً ﴾ »[3] !!

قال أبو جعفر : في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى : وجعلنا لهم زخرفاً أي غِنىً .

---

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ سَقْفاً ﴾ بالإفراد ، وقرأ الجمهور ﴿ سُقُفاً ﴾ بالجمع ، وكلا القراءتين سبعية ، ولا يعتدُّ بإنكار أهل اللغة لها ، طالما ثبتت القراءة عن رسول الله ﷺ ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٥ .

(٢) هذا هو الظاهر أن المراد بقوله ﴿ عليها يظهرون ﴾ أي على المصاعد والدرج ، يرتقون ويصعدون ، يقال : ظهرتُ على البيت ، أي علوته ، وارتقيت سطحه . اهـ. القرطبي ٨٥/١٦ .

(٣) لم ترد هذه في القراءات ــ حتى ولا في الشاذة ــ وهي محمولة على التفسير ، لأن جمهور المفسرين قالوا : الزُّخرف : الذهب ، قال الطبري ٧١/٢٥ : ﴿ وزخرفاً ﴾ أي ولجعلنا مع ذلك زخرفاً وهو الذهب . اهـ.

والآخر : أنَّ المعنـى : مِنْ فضةٍ ، ومـن زخـــرفٍ ، ثم حذف « مِنْ » ونصبَ[1] .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾** [آية ٣٦] .

روى سعيد عن قتادة قال : ﴿ يَعْشُ ﴾ : يُعْرِضْ[2] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ يَعْشُ ﴾ : تُظْلِمْ عينُه[3] .

وروى عكرمة عن ابن عباس : يَعْمَى[4] .

قال أبو جعفر : يجبُ على قولِ ابن عباس ، أن تكـون القـراءة **﴿ وَمَنْ يَعْشَ ﴾** بفتح الشين[5] .

---

(١) هذا الوجه أظهر وهو المختار ، قال في البحر المحيط ١٥/٨ : ويجوز أن يكون الأصل : جعلنا لهم سُقُفاً من فضة وزخرفٍ ، أي بعضها من فضةٍ ، وبعضُها من ذهب ، فنُصِب عَطْفاً على محلِّ ﴿ من فضة ﴾ قال : والزخرف : الذهب هنا . اهـ.

(٢ ــ ٤) كل هذه الآثار وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون ، الطبري ٣١٥/٢٥ والقرطبي ٩٠/١٦ وابن الجوزي ٣١٥/٧ وقد جمع ابن كثير هذه الأقوال فقال في تفسير الآية ﴿ ومن يعْشُ عن ذكر الرحمن ﴾ أي يتعامى ويتغافل ويُعرض ، نقيِّض له من الشياطين من يُضلُّه ، قال : والعَشَى في العين : ضعفُ بصرها ، والمراد ههنا عَشَى البصيرة . اهـ. قال الزمخشري ٤٢٠/٣ يَعْشَ بفتح الشين : إذا حصلت الآفة في عينيه ، ويعشو بضم الشين : إذا نظر نظرة الأعشى ، وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عَمِيَ وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم : يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، وهو عبارة عن الغفلة وإهمال النظر . اهـ.

(٥) هذه قراءة يحيى بن سلام كما في البحر المحيط ١٥/٨ وانظر زاد المسير ٣١٥/٧ والقرطبي ٨٩/١٦ وذكر أنها قراءة ابن عباس وعكرمة .

وأما قول قتادة ﴿ يَعْشُ ﴾ يُعْرِضْ ، وهو قول الفراء[1] ، فغيرُ معروفٍ في اللغةِ ، إنما يُقال : عَشَا يَعْشُو : إذا مشى ببصرٍ ضعيف[2] ، قال الحطيئة :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ[3]

ونظير هذا : عَرَج الرجلُ يَعْرُجُ ، أي مشى مِشْيَةَ الأَعْرَجِ . وعَرَجَ يَعْرَجُ : صَارَ أَعْرَجَ .

وأصحُّ ما في هذا قولُ أبي عُبيدة[4] ، قال الله جل وعزَّ

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٢/٣ ولفظه : ﴿ ومن يَعْشُ ﴾ يريد ومن يُعرضْ عنه ، ومن قرأها ﴿ ومن يَعْشَ ﴾ يريد : يَعْمَ عنه . اهـ.

(٢) هذا قول الخليل فقد قال : العَشْوُ : هو النظر ببصر ضعيف ، وفي المصباح : عَشِيَ يَعْشَى من باب تعب : ضَعُفَ بصرُه ، فهو أعْشَى والمرأةُ عشواء ، وفي الصحاح : العشا مقصورٌ مصدر الأعشى ، وهو الذي لا يبصر بالليل ويُبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وأعشاه الله فعشِيَ عَشىً ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء . اهـ.

(٣) ديوان الحُطيئة ص ١٦١ وشواهد سيبويه ص ٨٠ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٤/٢ واللسان والصحاح ، وخزانة الأدب للبغدادي ٩٠/٩ وقد ورد فيه وفي تفسير الطبري ٧٢/٢٥ بلفظ :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

قال البغدادي في الخزانة ٩٠/٩ : وما أنشده الشارح مركَّبٌ من بيتين سهواً ، فصدره للحطيئة ، وعجزه لابن الحرّ . اهـ.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ٢٠٤/٢ ولفظه ﴿ ومن يَعْشُ ﴾ تُظلم عينُه عنه ، كأنَّ عليها غِشاوة .

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي .. ﴾[1] .

وفي الحديث : أن سعيد بن المسيَّب ذهبت إحدى عينيه ، وكان يَعْشُو بالأخرى ، أي يُبصر بها بَصَراً ضعيفاً[2] .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [آية ٣٦] .

قيل : جَزاءً على ما فعل[3] .

وقال سعيد الجُرَيْرِيُّ[4] في قوله تعالى ﴿ **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً** ﴾ قال : بلغنا أنَّ الكافر إذا خرج من قبره ، سَفَع شيطانٌ بيده ، فلا يزال معه ، حتى يدخله الله عز وجل النَّارَ ، فذلك قوله جل وعز ﴿ **قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ ويُوكِّل بالمؤمن مَلَك فلا يزال معه ، حتى يقضي الله بين الخلق ، أو يصير إلى

---

(١) سورة الكهف آية رقم ١٠١ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٥/٧ باللفظ نفسه ، وكذلك ذكره ابن الأثير في النهاية ٢٤٣/٣ .

(٣) هذا تعليل لتسليط الشيطان ، وليس بتفسير لقوله ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ وقد أوضح هذا أبو حيان في البحر المحيط ١٦/٨ فقال : أي يُيَسِّر له الرحمن شيطاناً ويُعدُّه له ، وهذا عقاب على الكفر بالختم ، وعدم الفلاح كقوله تعالى ﴿ وقَيَّضنا لهم قرناء .. ﴾ الآية .

(٧) هو سعيد بن إياس الجُرَيْرِيّ بضم الجيم قال في تقريب التهذيب ٢٩١/١ هو أبو مسعود البصريّ ، ثقة من الخامسة اختلط قبل موته بثلاث سنين ، ومات سنة ١٤٤هـ .

أقول : ذكر اسمه مصحَّفاً « سعيد الجزري » في الدر المنثور للسيوطي ، وصوابه ما ذكره ابن حجر .

ما شاء الله(1) .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [آية ٣٧] .

أي وإن الشياطين ليصدُّون الكافر عن السبيل .

﴿ ويَحْسَبُونَ ﴾ أي ويحسب(2) الكُفَّار أنهم مهتدون .

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءَانَا ﴾(3) قال : الكافر وقرينه جميعاً .

قال أبو جعفر : ويُقْرأ ﴿ حَتى إذا جاءَنا ﴾(4) يُراد به الكافر في الظاهر ، والمعنى لهما جميعاً ، لأنه قد عُرِف ذلك بما بعده ، كما قال :

---

(1) الحديث أخرجه ابن المنذر ، وعبد الرزاق ، وابن جرير في جامع البيان ٧٤/٢٥ وذكره بلفظ السيوطي في الدر المنثور ١٧/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ ومعنى سفع شيطان بيده أي أمسك وأخذ بيده ، وانظر الصحاح مادة سفع .

(2) ورد في المخطوطة ﴿ ويحسبون ﴾ أي ويحسبون الكفَّار ، وهو خطأ من الناسخ لأن الفعل تقدم على الفاعل فيقال : ويحسب الكفار ، إلا على لغة رديئة بجمع الفعل إذا تقدم على الفاعل ، وهي لغة « أكلوني البراغيث » .

(3 ــ 4) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، بالتثنية ﴿ جاءآنا ﴾ وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص بالإفراد ﴿ جَاءَنا ﴾ وكلا القراءتين من السبع ، كما في النشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٨٦ والبحر المحيط ١٦/٨ .

وَعَيْـــــنٌ لَهَـــــا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مَآقِيهِمَـــــا مِنْ أُخَـــرْ[1]

٣١ ــ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْـنَكَ بُعْـدَ المَشْرِقَيْـنِ ﴾ [آية ٣٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه يراد « مشرق الشتاء » و « مشرق الصيف »[2] .

والآخر : أنه يُراد المشرقُ والمغرب[3] ، فجاء على كلام العرب ، لأنهم إذا اجتمع الشيئان في معنى ، غُلِّب أحدُهما ، كما قال الشاعر :

---

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ١٦٦ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ وهو في المنصف لابن جني ٨١/١ وأمالي ابن الشجري ١٢٢/١ والشاهد فيه أنه قال « وعينٌ » وأراد بها العينين ، ولهذا ثنّى « مآقيهما » .

(٢) هذا قول مقاتل ، وابن المسيب ، حكاهما عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٦/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٥٦/٤ والقول ضعيف .

(٣) هذا القول هو الأصح والأرجح ، وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، والألوسي ، وغيرهم .. فالآية وردت على التغليب ، قال الفراء في معاني القرآن ٣٣/٣ : ﴿ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾ أراد المشرق والمغرب فقال : المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ، لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : القمران للشمس والقمر ، والعُمران لأبي بكر وعمر ، والبصرتان للكوفة والبصرة . اهـ. وهكذا ذكر الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، أن الآية من باب التغليب ، قال الحافظ ابن كثير ٢١٥/٧ : والمراد بالمشرقين هنا هو : ما بين المشرق والمغرب ، وإنما استعمل ههنا تغليباً ، كما يُقال : القمران ، والعمران ، والأبوان . اهـ.

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ
لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[1]

وأنشد أبو عُبيدة بيت جرير :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ
وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ[2]

وأنشد سيبويه :

« قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي »[3]

يريد « عبد الله » و « مُصْعَباً » ابنيْ الزبير ، وإنما « أبو خُبيب » عبدُ الله .

---

(١) البيت للفرزدق كما في ديوانه ص ٥١٩ ورواه المبرد في الكامل ١/١٤٣ والطبري ٢٥/٧٤ والقرطبي ١٦/٩١ ومعاني القرآن للفراء ٣/٣٣ وتفسير ابن الجوزي ٧/٣١٦ .

(٢) في المخطوطة : « ما كان رسول الله يرضى فعلهم » والرواية بهذا الشكل خطأ ، وصوابه ما أثبتناه بتقديم « يرضى » لوزن الشعر ، فإنه من بحر البسيط ، والبيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٠١ وقد ورد بلفظ « دينهم » بدل « فِعْلهم » وكذا ورد في جنى الجنتين للمحبي ص ٧٥ وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٦/٩١ وعجزُه : والعُمَران أبو بكر ولا عمر وهو بهذا اللفظ من باب التغليب ، لأنه قصد بالعُمَرَين : أبا بكر ، وعمر ، وأما على رواية المصنف ، فليس فيه تغليب ، والله أعلم .

(٣) هذا شطر من بيت لحُمَيد بن مالك الأرقط ، وتمامه « ليس الإمام بالشحيح المُلْحِد » ومعنى : قَدْني : حَسْبي ، وأراد بالخُبَيْبَيْن « عبد الله بن الزبير » لأنه كان يُكنى « أبَا خُبَيْبٍ » وأخاه « مصعب بن الزبير » فأورده على التغليب ، وانظر شواهد المغني ١/٤٨٧ والقرطبي ١٦/٩١ .

وفي **الحديث** أن أصحاب الجمل ، قالوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام : أعْطِنَا سُنَّةَ العُمَرَيْنِ ، يعنون : أبا بكر ، وعمر .

٣٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾** [آية ٣٩] .

المعنى : إن الله عز وجل حَرَمَ أهل النَّارِ ، هذا المقدار من الفرح ، وهو التأسِّي ، وهو أن ذا البلاء ، إذا رأى من قد سَاوَاه في المصيبة ، سَكَّن ذلك من حزنه[1] ، كما قالت الخنساء :

فَلَوْلَا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
أُعَزِّي النَّفْسَ مِنْهُ بِالتَّأَسِّي[2]

---

(١) قال في التسهيل ٥١/٤ : « هذا كلام يُقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ، ولا يجدون راحة التأسي ، التي يجدها المكروب في الدنيا ، إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه . اهـ.وكذا قال الألوسي في روح المعاني ٨٤/٢٥ .

(٢) البيتان للخنساء واسمها « تماضر بنت عمرو بن الحارث » وقد غلب عليها لقب الخنساء تشبيهاً بها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها ، والأبيات في رثاء أخيها صخر الذي قتل يوم كلاب سنة ٦١٥م من قصيدة ذكرت في ديوانها ص ٨٤ وقبل هذين البيتين قولها :

يذكِّرني طلوعُ الشمس صخراً   وأذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي ..

والشاهد في الأبيات أنها تعزّي نفسها بكثرة المصابين والمفجوعين الذين يبكون على إخوانهم ، ففي التعزية تسليةٌ .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [آية ٤١] .

قال قتادة : ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النِّقْمةُ ، وليس نبيٌّ إلَّا قد رأى النِّقْمةَ في أُمَّتِهِ ، إلا محمداً ﷺ ، ولكنه أُرِيَ ما ينزل بأُمَّتِه من بعده ، فما رُؤِيَ بعد ذلك ضاحكاً مُنبسطاً[1] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ [آية ٤٢] .

قيل : المعنى : الذي وعدناهم ، ووعدناك عليهم من النَّصر[2] .

وقيل : الذي وعدناهم يرجع إلى قوله تعالى ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري عن قتادة ٢٥/٧٥ وابن كثير ٧/٢١٦ وفي المخطوطة « أرى النقمة » وصوابها : رأى النقمة كما في الطبري ٢٥/٧٥ وكذلك ورد في المخطوطة « ضاحكاً مستنشطاً » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه في الدر المنثور للسيوطي ٦/١٨ ولفظه « فما رُؤي ﷺ ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عز وجل » وانظر تفسير ابن كثير ٧/٢١٦ .

(٢) هذا هو الأظهر في معنى الآية الكريمة ، فالله عز وجل قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ، والانتقام له من أعدائه ، وقد حقَّق له ذلك ، حيث فتح له البلاد ، وخضعت له رقاب العباد ، قال ابن عباس : قد أراه الله ذلك يوم بدر وقال ابن كثير ٧/٢١٥ : المعنى : لا بدَّ أن ننتقم منهم ونعاقبهم ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ، حتى أقرَّ عينه من أعدائه ، وحكَّمه في نواصيهم ، هذا معنى قول السُّدِّي ، واختاره ابن جرير . اهـ.

رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] أي الذي وعدنا المتقين ، من النَّصْرِ ، وقد نُصِروا[2] .

٣٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آية ٤٣] .

قال قتادة : أي بالقرآن ﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال : على الإسلام .

﴿ وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : القرآنُ[3] .

وروى محمد بن يوسف عن سفيان ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : شرفٌ لك ولقومك[4] .

٣٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [آية ٤٤] .

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣٥ .

(٢) هذا القول مرجوح ، لأن الضمير في الآية يعود على المشركين المكذبين لرسول الله عليه السلام ، لا على المؤمنين ، وهذا ما اختاره ابن جرير حيث قال ٧٦/٢٥ : وهذا في سياق خبر الله عن المشركين ، فلأن يكون ذلك تهديداً لهم ، أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يَجْرِ له ذكراً . اهـ. وقال في البحر المحيط ١٨/٨ : أو نرينك العذاب الذي وعدناهم ، النازل بهم كيوم بدر « فإنَّا عليهم مقتدرون » أي هم في قبضتنا لا يفوتوننا ، وهذا قول الجمهور . اهـ.

(٣) الأثر في الطبري ٧٦/٢٥ والقرطبي ٩٤/١٦ وابن كثير ٢١٦/٧ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٧٦/٢٥ قال « وإنه لذكرٌ لك ولقومك » أي وإن هذا القرآن الذي أمرناك أن تستمسك به ، لشرف لك ولقومك من قريش . اهـ. وهذا قول جمهور المفسرين .

قال الفراء : أي وسوف تسألون عن الشكر عليه(١) .

٣٧ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ [آية ٤٥] .

قال أبو جعفر : هذه آية مشكلةٌ ، وفي معناها قولان :

روى أبو عَوَانَةَ ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : لقيَ الرُّسُلَ صلى الله عليهم ليلة أُسْرِيَ به .

فهذا قول ، ومعناه : أنه سيُسرى بك ، وتَلْقَى الرُّسُلَ فاسألهم(٢) .

والقول الآخر : وهو قول « محمد بن يزيد »(٣) وجماعةٍ من العلماء ، أن في هذا المعنى التوقيف والتقرير ، والتوبيخ ، والمعنى :

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٣٤ فقد قال والمعنى : وإنه لشرفٌ لك ولقومك ، وسوف تسألون عن الشكر عليه . اهـ. وقال القرطبي ١٦/٩٣ : يعني القرآن شرفٌ لك ، ولقومك من قريش ، إذ نزل بلغتهم ، وعلى رجلٍ منهم ، نظيره ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، فالقرآن نزل بلسان قريش ، وإيَّاهم خاطب ، فاحتاج أهل اللغات كلهم إلى لسانهم ، كل من آمن بذلك ، فصاروا عيالاً عليهم ، فشُرِّفوا بذلك على سائر أهل اللغات . اهـ.

(٢) ذكر هذا القول الطبري ٢٥/٧٨ وعزاه إلى ابن زيد وقال : إن الرسل جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس ، فأمَّهم وصلَّى بهم ، فقال الله له : سَلْهم ، فكان أشدَّ إيماناً بالله ، ويقيناً بما جاءه من الله أن يسألهم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩ عن سعيد بن جبير ، والألوسي في روح المعاني ٢٥/٨٦ .

(٣) هو الإمام المبرد رحمه الله من أجلَّة علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

واسأل أُمَمَ من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا[1] كما قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ القَرْيَةَ** ﴾ أي سلْ من عَبَد الملائكة ، أو قال إن الله ثالث ثلاثة ، أو عَبَدَ غير اللهِ جلَّ وعزَّ ، هل وَجَد هذا في شيءٍ من كتب الأنبياء ، مما أنزل الله عليهم ؟ فإنه لا يجد في كتاب نبيٍّ ، أن الله أمر أن يُعبد غيرُه ، ففي هذا معنى التقرير ، والتوبيخ ، والتوقيف ، على أنهم قد كفروا ، وفعلوا ما لم يأمر الله به ، ونظيرُه قوله تعالى ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[2] .

ويصحِّحُ هذا القول ، أن عليَّ بن الحكم ، روى عن الضَّحَّاكِ قال : وهي في قراءة عبد الله ﴿ **وَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾ قال : يعني أهل الكتاب[3] .

رَوى سفيانُ عن ابنِ أبي نجيح عن مجاهد قال في قراءة عبد

---

(١) على رأي الإمام المبرد ، تكون الآية مما حُذف فيه المضاف ﴿ واسأل من أرسلنا ﴾ أي اسأل أمم من أرسلنا .. إلخ. وهذا قول الفراء كما في معانيه ٣٤/٣ ولفظه : كيف أُمر أن يسأل رسلاً قد مَضَوا ؟ ففيه وجهان :

أحدهما : أن يسأل أهل التوراة والإنجيل ، فإنه إنما يخبرونه عن كتب الرسل ، التي جاءوا بها ، فكأنه سأل الأنبياء .

والثاني : قال بعضهم : إنه سَيُسْرَى بك يا محمد ، فتلقى الأنبياء ، فسلهم عن ذلك .. إلخ. ورجَّح الطبري ٧٨/٢٥ القول الأول ، وهو الأظهر .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٣ .

(٣) هذه القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود ، محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة ، وانظر ما قاله الحافظ ابن كثير ٢١٧/٧ .

الله ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنَا ﴾ فهذه قراءة مفسِّرة[1] .

وقال قتادة : أي سَلْ أهل الكتاب ، أأَمَر الله إلَّا بالتوحيد ، والإخلاص[2] ؟

وزعم ابن قتيبة أن التقدير : واسأل من أرسلنا إليه من قبلِك رسلاً من رسلنا ، فحذَفَ « إليه » لأن في الكلام دلالةً عليه ، وحذف « رسلاً » لأن ﴿ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ يدل عليه ، وزعم أن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد المشركون[3] .

٣٨ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ** ﴾ [آية ٤٩] .

يُقال : كيف قالوا له ﴿ **أَيُّهَا السَّاحِرُ** ﴾ وقد قالوا ﴿ **إِنَّنَا**

---

(١) الطبري ٢٥/٧٧ وابن كثير ٧/٢١٧ ولفظه : « قال مجاهد : وفي قراءة ابن مسعود ﴿ واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسلَنا ﴾ وهكذا حكاه قتادة ، والضحاك ، والسدي ، عن ابن مسعود ، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، والله أعلم .

(٢) الأثر ذكره الطبري بنحوه عن قتادة ٢٥/٧٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٩ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣١٩ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي ١٦/٩٦ ولفظه : وقيل المعنى : واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، فحذف المضاف ، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته .. ثم قال : وسببُ هذا الأمر بالسؤال ، أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ : إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك ، فأمره الله بسؤال الأنبياء ، على جهة التوقيف ، لا لأنه كان في شك . اهـ.

لَمُهْتَدُونَ ﴾ فيما يُستقبل[1] ؟

قيل : إنهم لمَّا قالوا له هذا ــ قبل أن يدعوه ــ عرفوه فنادوه به .

وقيل : كانوا يسمُّون العلماءَ سَحَرَة ، فالمعنى : يا أيُّها العالم[4] .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ** ﴾ مِنْ أنَّا إنْ آمَنَّا ، كَشَفَ عنا العَذَابَ[2] .

قال أبو جعفر : ويدلُّ على صحَّة هذا الجواب ، قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ** ﴾ أي ينقضونَ العهد .

وروى سعيد عن قتادة ﴿ **إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ** ﴾ قال :

---

(1) توضيحه أن كلامهم هذا ظاهره التناقض ، فإن قولهم ﴿ يا أيها الساحر ﴾ يقتضي أنهم لا يصدِّقونه في دعوى الرسالة ، بل يكذِّبونه ، وقولهم ﴿ ادْعُ لنا ربَّك ﴾ يدلُّ على الإيمان والتصديق ، بدليل قولهم ﴿ إنَّنا لمهتدون ﴾ والجواب من ثلاثة وجوه :

الأول : أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم أرادوا بقولهم ﴿ يا أيها الساحر ﴾ : يا أيها العالم ، وكان الساحر عندهم معظَّماً ، وهو قول ابن عباس واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر المفسرين ، قال ابن كثير ٧/٢١٧ : « وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر عندهم مذموماً ، فليس هذا على سبيل الانتقاص منهم ، وإنما هو تعظيم في زعمهم » . اهـ.

والثالث : أن هذا اسم ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم به ، فخاطبوه بما تعودوا مخاطبته به ، من غير اعتقاد معناه ، وهو قول الزجاج ٤/٤١٤ .

(2) يدل على صحة قول مجاهد ما جاء في سورة الأعراف ﴿ ولما وقع عليهم الرجزُ ، قالوا يا موسى ادْعُ لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عَنَّا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل ﴾ فمرادهم ــ بما عهد عندك ــ أي بما أوصاك وأخبرك به ، من كشف العذاب عنا إن آمنا .

يَغْدِرون[1] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؟**
[آية ٥١] .

قال الأخفش : في الكلام حذفٌ ، والمعنى : أفلا تُبصرون ؟ أم تبصرون ؟ كما قال :

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ
وَبَيْنَ النَّقَا هَلْ أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ[2]

أي أنت أحسنُ أمْ أُمُّ سالِم ؟

قال أبو زيد[3] : العربُ تزيد ، والمعنى : أنا خيرٌ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢/٨٠ السيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ والأولى ما ذكره القرطبي ٩٨/١٦ أن المعنى : إذا هم ينقضون العهد ، الذي جعلوه على أنفسهم ، لأن معنى النكث في اللُّغةِ : النقضُ .

(٢) البيت لذي الرُّمَّة وهو في ديوانه ٧٦٧/٢ واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٩٩/١٦ وهو في شواهد سيبويه ص ١٤٢ ومعنى الوعساء : الرملة الليِّنة ، و « النقا » الكثيب من الرمل ، وجُلاجل : اسم مكان .

(٣) « أبو زيد » هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد كبار أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ وهو من ثقات اللغويين ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال : سمعتُ الثِّقة ، عنَى أبا زيد ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٤) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ أما أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ فعلى رأي أبي زيد تكون « أم » زائدة أي تأخير منه .

وقيل المعنى : أَبَلْ[1] ؟

قال أبو جعفر : وأحسنُ ما قيل في هذه الآية ــ قولُ الخليل وسيبويه ــ أنَّ المعنى : أفلا تبصرون ، أم أنتم بُصَرَاءُ ؟ ويكون ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ بمعنى أم أنتم خيرٌ[2] ؟ لأنهم لو قالوا له : أنتَ خيرٌ ، كانوا عنده بصراء .

٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [آية ٥٢] .

والمهين : القليلُ من المهانة[3] .

---

(١) هذا قول أبي عبيدة كما في كتابه مجاز القرآن ٢٠٤/٢ قال : مجازها : بل أنا خيرٌ من هذا .. إلخ. وعلى هذا مشى أكثر المفسرين ، على أن « أم » ليست حرف عطف ، وإنما هي منقطعة بمعنى « بل » وانظر جامع الأحكام ٩٩/١٦ .

(٢) هذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال في جامع البيان ٨١/٢٥ : « وقد اختلف في معنى « أم » في هذا الموضع فقال بعضهم معناها : بل أنا خير ، وقالوا ذلك خبرٌ لا استفهام ، وهو قول السدي ، وقال بعضهم : هو من الاستفهام وفي الكلام محذوف تقديره : آأنا خير من هذا الذي هو مهين ؟ أم هو ؟ ثم ترك ذكر « أم هو » لما في الكلام من الدليل عليه ، قال : وهذا أولى التأويلات . اهـ. جامع البيان ٨٢/٢٥ .

(٣) في الصحاح مادة (مَهَنَ) : امتَهَنْتُ الشَّيءَ : ابتذلْتُهُ ، وأَمْهَنْتُهُ : أضعفتُه ، ورجلٌ مَهِينٌ : أي حقير . اهـ. وقال النحاس في إعراب القرآن ٩٤/٣ : وفي معنى ﴿ مهين ﴾ قولان : قيل معناه : الذي يَمْتَهِنُ نفسه في حاجاته ، ومعاشه ، ليس له من يكفيه . وقال الكسائي : المهينُ : الضعيفُ الذليلُ ، وقد مَهُنَ مهانةً ، وهذا أولاهما بالصواب .

روى سعيدٌ عن قتادة : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ قال : عَيِيٌّ[1] .

وقيل : إنما هذا للُّثْغَةِ الَّتي كانتْ به .

٤١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ[2] مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي فهلَّا أُلقي عليه أساورة من عند الله ، تدلُّ على أنه رسول[3] ؟!

و ﴿ أَسَاوِرَةٌ ﴾ جمع إسوارٍ ، وفي قراءة أُبيّ وعبد الله ﴿ لَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِيرُ ﴾[4] وهو بمعنى الأوّل .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٢/٢٥ وابن كثير ٢١٨/٧ والدر المنثور ١٩/٦ قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذي قاله فرعون ــ لعنه الله ــ كذبٌ واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعينٍ كافرةٍ شقيَّة ، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة ، والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب ، وقوله ﴿ ولا يكاد يُبين ﴾ افتراء أيضاً ، فإنه وإن كان قد أصابَ لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سألَ الله عز وجل أن يُحلَّ عقدة لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله دعاءه ﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ . اهـ باختصار .

(٢) « أَسْوِرَةٌ » و « أَسَاوِرَةٌ » من القراءات السبع ، والمصنف مشى على قراءة الأكثرين ، قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٥٨٧ : « كلهم قرأ « أَسَاوِرَةٌ » بالألف ، إلّا عاصماً في رواية حفص ، فإنه قرأ « أَسْوِرَةً » بغير ألف ، وكذا ذكر ابن الجزري في النشر ٣٦٩/٢ .

(٣) قال مجاهد : كانوا إذا سوَّدوا رجلاً عليهم سوَّروه بسوارين ، وطوَّقوه بطوق ذهب علامة على سيادته ، فلذلك قال فرعون ما قال .

(٤) قراءة ﴿ أساوير ﴾ ليست من القراءات السبع ، إنما ذكرها بعض المفسرين ، الألوسي في روح المعاني ٩١/٢٥ وغيره فهي شاذة .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ قال قتادة : أي متتابعين[1] .

وقال مجاهد : أي يمشون معه معاً[2] .

قال أبو جعفر : فاقترحوا هذا ، بعدما جاءهم ما يدلُّ على نبوَّته .

٤٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [آية ٥٤] .

أي استفزَّهم[3] .

٤٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٥٥] .

قال مجاهد وقتادة : أي أغضبونا[4] .

(١ ــ ٢) ذكرهما الطبري ٨٣/٢٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٢/٧ والأظهر قول مجاهد وقد رجحه ابن كثير فقال : أي جاءوا يكتنفونه خدمةً له ، ويشهدون بتصديقه .

(٣) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٣٥/٣ والأظهر أن المعنى استجهل قومه ، واستخف عقولهم كما ذكره القرطبيّ وابن كثير .

(٤) هذا قول جمهور المفسرين أن معنى « آسفونا » أغضبونا ، روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : « فلما آسفونا » أي غاظونا وأغضبونا ، وروى ابن كثير ٢١٩/٧ عن الضحاك أنه قال : أغضبونا ، قال وهكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد القرظي ، وقتادة ، والسدي . اهـ. وانظر الطبري ٨٤/٢٥ .

٤٤ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ** ﴾ [آية ٥٦] .

قال لاحقُ بن حُمَيد : أي جعلناهم سلفاً لمن عمل بعملهم ، ومَثَلاً لمن لم يعمَل بعملهم(١) .

وقال مجاهد : هم قوم فرعونَ ، سلفٌ لكفار أمة محمد ﷺ ، قال : ﴿ **وَمَثَلاً** ﴾ أي عبرة(٢) .

وقال قتادة : ﴿ **سلفاً** ﴾ إلى النار ﴿ **وَمَثَلاً** ﴾ أي عظة(٣) .

قُرِئَ على أبي قاسم ، قريب « أحمد بن مَنيع » عن أبي كامل الجحدري عن عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي مجلز ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ** ﴾ قال : سلفاً لمن عمل بمثل عملهم ، ومثلاً لمن لم يعمل بمثل عملهم(٤) .

(١ ــ ٤) هذه الآثار كلها وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون الطبري ٨٥/٢٥ والقرطبي ١٠٢/١٦ وابن كثير ٢١٨/٧ وأصل السَّلف : المتقدِّم من كل شيء ، ومنه قولهم « جَعَلكَ الله خيرَ خَلَفٍ لخير سَلِفٍ » قال في المصباح المنير : سَلَف من باب قَعَد : مضى وانقضى ، فهو سالفٌ ، والجمع سَلَف ، ثم جُمع السَّلَفُ على أسلاف مثل سببٍ وأسباب . اهـ. وعلى هذا المعنى اللغوي يكون قول مجاهد وقتادة أرجح الأقوال كما نبَّه المصنف والمعنى « وجعلناهم سَلَفاً » أي جعلنا قوم فرعون سلفاً لكفار قريش ، يتقدمونهم إلى النار ، ويتبعهم هؤلاء الفجار فيلحقوتهم على آثارهم ، لأنهم اقتدوا بهم في الضلال ﴿ وَمَثَلاً للآخرينَ ﴾ أي وجعلناهم عظة وعبرةً لمن يأتي بعدهم ، وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن جرير الطبري ٨٥/٢٥ حيث قال : والمعنى : جعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون ، مقدِّمة يتقدمون إلى النار ، كفارَ قومك من قريش ، وكفَّارُ قومك لهم بالأثر ، وجعلناهم عبرةً وعظة ، يتعظ بهم من بعدهم من الأمم . اهـ. وكذلك قال الفخر الرازي ٢٢٠/٢٧ : أي جعلناهم متقدمين ليتَّعظ بهم الآخرون أي جعلناهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام ، وعظة لمن بقي بعدهم ، وآية وعبرة . اهـ. فما رجحه المصنف هو الصحيح .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، وأصلُ السَّلَفِ في اللغة : ما تقدَّم ، ومنه تسلَّفْتُ من فلان ، وأبينُها قولُ قتادة ، أي جعلناهم متقدِّمين في الهلاك ، وعظةً لمن يأتي بعدهم .

ويُقرأ ﴿ سُلُفاً ﴾ جمعُ سَلِيف[1] .

وقرأ حميد الأعرج فيما رُوي عنه ﴿ سُلَفاً ﴾[2] جمع سُلْفَةٍ أي فرقةٍ متقدمة .

وأبينها وأكثرها فتحُ السِّين واللَّام ، كما يُقال : فلانٌ يحبُّ السَّلَف .

٤٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال مجاهد : قالوا ما ذكر محمد « عيسى » صلى الله عليهما إلَّا لننزله منزلته من النَّصارى[3] .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ جمع سليف بمعنى فريق .

(٢) هذه القراءة بضم السين وفتح اللام ﴿ سُلَفاً ﴾ جمع سُلفة بمعنى الأمة والجماعة من الناس ، وليست قراءة سبعية ، وانظر روح المعاني ٢٥/٩٢ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن مجاهد ٢٥/٨٥ ولفظه قال « قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى » ، وكذلك ذكره القرطبي ١٦/١٠٢ وهو قول ابن عباس أيضاً كما نقله عنه الطبري قال : يعني قريشاً لما نزلت ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّم ﴾ قالت له قريش : فما ابنُ مريم ؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم رباً !! فأنزل الله ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ . اهـ.

وقال قتادة : لما أُنزل على النبي ﷺ ذكرُ عيسى غاظ ذلك قُريشاً ، وقالوا : لم ذكرتَ عيسى ؟ وقالوا : ما ذكره إلَّا لنستعمل فيه ما استعملتِ النَّصارى في عيسى ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً** ﴾[1] .

وقيل : نَزَل هذا في « ابن الزَّبعري » لمَّا أنزل الله تعالى ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾[2] قال : فالنصارى تعبد المسيح ؟؟ قال جل وعزَّ ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً** ﴾ أي قد علموا أنه لا يُراد بهذا المسيحُ ، وإنما يُراد بها الأصنام التي كانوا يعبدونها[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٦/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ والشوكاني في الفتح ٥٦١/٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٩٨ .

(٣) ذكر هذه القصة المفسرون ، ابن كثير ٢٢٠/٧ وابن الجوزي ٣٩٢/٧ والقرطبي ١٠٣/١٦ وخلاصتها أن رسول الله ﷺ جلس ذات يوم مع أشراف قريش في المسجد الحرام ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له « النضر بن الحارث » فأسكته رسولُ الله وأفحمه ، وتلا عليهم ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ فضجَّت قريشٌ وقالو : شتم محمدٌ آلهتنا ، فقال ابن الزبعري يا محمد : أهذا خاصٌ بنا أم بكلِّ من عُبد من دون الله ؟ قال : بل لكلِّ من عُبد من دون الله !! فقال : قد خصمتُك وربِّ الكعبة : ألست تزعم أن الملائكة عبادٌ صالحون ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد المسيح بن مريم ، فإذا كان هؤلاء جميعاً في النار ، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ، فضحك المشركون وضجُّوا وارتفعت أصواتهم ، وظنوا أنهم غلبوا الرسول فأنزل الله ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ وأنزل الله ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ قال القرطبي ١٠٣/١٦ : ولو تأمل ابن الزبعري الآية ما اعترض عليها لأنه قال « إنكم وما تعبدون » ولم يقل =

٤٦ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [آية ٥٨] .

روى سفيان ، وشعبةُ عن عاصم ، عن أبي رزين عن ابن عباس ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قال : يَضِجُّونَ[١] .

ويُقرأ ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ بضم الصَّاد[٢] قال النَّخعي : أي يُعرضون .

وقال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد[٣] .

= ﴿ ومن تعبدون ﴾ وإنما أراد الأصنام ونحوها ، مما لا يعقل ، ولم يرد المسيح ولا الملائكة ، وإن كانوا معبودين ، وهذا قال تعالى ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ أي مجادلون بالباطل . اهـ.

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(٢) هذه قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائي بضم الصَّاد وهي سبعية ، وقرأ الباقون بكسر الصاد ﴿ يَصِدُّون ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٢٤/٧ .

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٤/٧ أن هذا قول الزجاج قال : ومعناهما جميعاً : يضجون ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ : من كسر الصَّاد فمعناه : يضجُّون ، ومن ضمَّه فمعناه يَعْدِلون ـــ يريد يعرضون ـــ وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٢١٥٢٧ : ﴿ إذا قومك منه يَصِدُّون ﴾ أي إذا قريش من هذا المثل ، يرتفع لهم ضجيج وجَلَبةٌ ، فرحاً وجدلاً وضحكاً ، بسبب ما رأوا من إسكات رسول الله ، فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع ، أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج ، وقالوا لرسول الله ﷺ : آلهتنا عندك ليست خيراً من عيسى ، فإذا كان عيسى من حصب جهنم ، كان أمر آلهتنا أهون . اهـ.

أقول : ما سكت رسول الله ﷺ عجزاً عن الجواب ، وإنما سكت انتظاراً للوحي ، وقد نزل عليه قوله تعالى ﴿ إنَّ الذين سبقت لهم مِنَّا الحُسنى أولئك عنها مُبعَدون ﴾ فكانت الحجة الدامغة لرسول الله على المشركين .

وأنكر بعض أهل اللغة الضمَّ ، وقال : لو كانت « يَصُدُّون » لكانت « عنه » ولم تكن « منه » .

وقال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأن معنى يصُدُّون منه أي من أجله .

٤٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ .. ﴾ [آية ٥٨] .

قال قتادة : [« أم هو » يعنون محمداً ﷺ][1] وفي قراءة « أُبَيٍّ »[2] ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ .

٤٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً .. ﴾ [آية ٥٨] .

المعنى على تفسير قتادة : إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم ، أن يُنْزِلوك منزلة المسيح[3] .

وعلى القول الآخر : إنهم قد علموا أنه لا يُراد بقوله جل وعز

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ١٠٤/١٦ وبه يستقيم الكلام ، قال القرطبي : والقراءة تقوِّي قول قتادة .

(٢) المراد به « أُبيُّ بن كعب » رضي الله عنه ، وهو أقرأ الصحابة لكتاب الله ، كما صحَّ بذلك الحديث الشريف ، ونقل القرطبي في تفسيره أن هذه القراءة ﴿ خيرٌ أم هذا ﴾ هي قراءة ابن مسعود ، وهي ليست من القراءات السبع .

(٣) هذا القول مرجوح بل ضعيف ، لأن الآية تتحدث عن المسيح عيسى بن مريم ﴿ ولما ضُرِب ابن مريم مثلاً .. ﴾ الآية ولا تتحدث عن محمد رسول الله ﷺ ، فالصحيح قول الجمهور أن المراد به عيسى عليه السلام ، وقصة ابن الزبعري تؤيد هذا ، فالقول الذي قال عنه المصنف « وعلى القول الآخر » هو الصحيح ، والله أعلم .

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ المسيحُ عليه السلام ، وإنما يُراد به الأصنامُ ، واللُّغةُ تدلُّ على هذا ، لأن « ما » لما لا يعقل ، فقد عُلِمَ أن معنى ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ لا يكون للمسيح .

وهذا أصحُّ ما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[1] .

٤٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [آية ٥٨] .

قال سفيان حدثني رجلٌ ، أنها نزلت في ابن الزِّبَعْرَى[2]

٥٠ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آية ٥٩] .

يكون المعنى على قول من قال : إن الآية نزلت في ابن الزِّبَعْرَى : إن[3] المسيحُ إلَّا عبدٌ أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبني

---

(١) انظر سبب النزول ص ٢٣٠ للواحدي ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٢/٥ والقرطبي ٣٤٣/١١ .

(٢) هو « عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمي » من زعماء المشركين ، الذي زعم أنه غلب رسول الله بالحجة حين نزلت الآية الكريمة ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم﴾ فقال للرسول: خصمتك ورب الكعبة .. إلخ. وانظر القرطبي ١٠٣/١٦ .

(٣) « إنْ » هنا نافية بمعنى « ما » أي ما المسيح إلَّا عبدٌ ، لأنها اقترنت بـ« إلَّا » فتفيد معنى الحصر .

إسرائيل ، أي جعلناه عظةً لهم ، أي ذا عظة أي يعظهم[١] .

ويجوز أن يكون معنى ﴿ مَثَلاً ﴾ : أنه بشرٌ مثلهم ، فُضِّل عليهم .

ويجوز أن يكون المعنى على قول قتادة وعلى الآخر أيضاً : إنْ محمدٌ إلّا عبدٌ أنعمنا عليه[٢] ، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ، والكلامُ في « مَثَلٍ » كالكلام فيه .

٥١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾** [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يعمرونها كما تعمرونها ، بدلاً منكم[٣] .

---

(١) الأولى أن يُفسّر ﴿ وجعلناه مثلاً ﴾ أي آيةً وعبرة ، كما قال ابن الجوزي ، وكما فسره القرطبي حيث قال ١٦/١٠٤ : المعنى : أنعمنا عليه بالنبوة ، وجعلناه آية وعبرة ، يُستدلُّ بها على قدرة الله تعالى ، حيث خُلق من أم بغير أب » وقال الرازي ٢٧/٢٢٢ : أي صيَّرناه عبرةً عجيبة ، كالمَثَل السائر ، حيث خلقناه من غير أب ، كما خلقنا آدم وشرَّفناه بالنبوة . اهـ. وما ذكره المصنف أنه بمعنى يَعِظُهم ، ففيه نظر .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره ١٦/١٠٤ فقال : وقيل : المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ ، والأول أظهر .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٢٥/٨٩ والقرطبي ١٦/١٠٥ وابن الجوزي ٧/٣٢٥ وعلى تفسير مجاهد تكون « مِنْ » في قوله ﴿ منكم ﴾ بمعنى بدل أي بدلكم ، وحروف الجرِّ يحلُّ بعضها محلَّ بعض ، وينوب بعضها عن بعض كما قال الشاعر :

جَارِيَةٌ لَم تَأْكُلِ المُرَقَّقَا ... وَلَمْ تَذُقْ مِنَ البَقُولِ الفُسْتُقَا

أي بدل البقول كذا في المغني ص ٢٥٠ . قال الأزهري : و « مَنْ » قد تكون للبدل كقوله تعالى ﴿ لجعلنا منكم ﴾ يريد بدلاً منكم . اهـ.

وقال **قتادة** : أي ملائكة يخلف بعضهم بعضاً[1] .

٥٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا .. ﴾** [آية ٦١] .

روى سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ قال : نزول عيسى[2] .

وكذلك روى سِمَاكٌ[3] عن عكرمة عن ابن عباس .

وكذلك قال مجاهد وأبو مالك .

وقد رُوي عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قَرءَا ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٩/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ وابن كثير ٢٢٢/٧ وذكر أنه قول ابن عباس وقتادة ، ورجح الطبري قول مجاهد فقال ٨٩/٢٥ : والمعنى : ولو نشاء أهلكناكم ، فأفنينا جميعكم ، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة ، يخلفونكم فيها يعبدونني !!

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٠/٢٥ وابن الجوزي ٣٢٥/٧ وابن كثير ٢٢٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠/٦ .

(٣) « سِمَاك » بكسر أوله وتخفيف الميم قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٣٢/١ : هو سِمَاك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي ، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة من الرابعة توفي سنة ١٢٣هـ .

(٤) ذكر هذه القراءة الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والشوكاني ، وغيرهم ، ولم أرها في القراءات السبع ، قال الطبري ٩١/٢٥ : « والصواب من القراءة في ذلك : الكسرُ في العين لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه ، وقد ذُكر أنها في قراءة أُبيٍّ « وإنه لَذِكرٌ للساعة » فذلك مصحِّحٌ قراءة الذين قرءوا بكسر العين ﴿ وإنَّه لعِلمٌ للساعةِ ﴾ . اهـ.

قال الخليل : العَلَمُ والعلامَةُ واحدٌ .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ **لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾ : يُعْلَم بنزول عيسى ﷺ ، أن السَّاعة قد قَرُبَتْ .

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : (لينزلنَّ ابن مريم حَكَماً عَدْلاً ، فليكسرنَّ الصليبَ ، وليقتلنَّ الخنزير ..)[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : وإن محمداً ﷺ لَعَلَمٌ لِلسَّاعة ، لأنه خاتم النبيِّين[2] ، قال الله جل وعز ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ .

ثم قال تعالى ﴿ **فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ : أي فلا تشكُّوا[3] .

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٣٥/١ وابن ماجه ٤٠١/٢ ولفظ مسلم (والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حَكَماً مقسطاً ..) الحديث . ولفظ ابن ماجه (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام حَكَماً مقسطاً ، وإماماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) . اهـ. سنن ابن ماجه رقم ٤١٢٩ الجزء الثاني ص ٤٠١ من طبعة الأعظمي .

(٢) هذا القول ضعيف ، والجمهور على أن الضمير يعود على « عيسى » عليه السلام أي وإن عيسى علامة على قرب الساعة قال الطبري ٩٠/٢٥ : والمعنى أن ظهور عيسى عَلَم يُعلم به مجيء الساعة ، لأن ظهوره من أشراطها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا .. إلخ. وقال الحافظ ابن كثير ٢٢٣/٧ « وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً » وهذا قول جمهور المفسرين .

(٣) الامتراء في اللغة : الشكُّ ، قال في المصباح المنير : امترى في أمره : شكَّ ، والاسم : المِرْية بالكسر . اهـ.

٥٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ .. ﴾ [آية ٦٣] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال : تبديلُ التَّوراة[1] .

٥٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [آية ٦٧] .

قال مجاهد : أصحابُ المعاصي متعادُونَ يومَ القيامةِ[2] .

وقال الحارث : سُئل عليُّ بنُ أبي طالب عن قوله جل وعزَّ ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فقال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، ماتَ أحدُ المؤمنينَ فبُشِّرَ بالجنَّةِ ، فقال : اللهم لا تُضِلَّ خليلي ، حتى يُبَشَّرَ بما بُشِّرْتُ بهِ ، وتَرْضَى عنه كما رَضِيتَ

---

(١) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٢٥/٩٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٢٦ والقرطبي ١٦/١٠٨ وإليه جنح الزجاج ، حيث قال : المعنى : ولأُبيِّن لكم في الإنجيل بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة ، وذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٠٥ إلى أن « بعض » في قوله تعالى ﴿ ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ بمعنى الكل ، واستشهد عليه ببيت من الشعر للبيد « أو يَعْتَلِقْ بعضَ النفوسِ حِمَامُهَا » وضعَّف هذا القول الطبري ٢٥/٩٢ وقال : وقد كان بينهم اختلافٌ كثير ، في أسباب دينهم ودنياهم ، فقال لهم : أبيِّن لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون أمر دنياهم ، ورجحه ابن كثير ٧/٢٢٤ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٩٤ والقرطبي ١٦/١٠٩ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٢١ قال الحافظ ابن كثير ٧/٢٢٤ : أي كلُّ صحابةٍ وصداقةٍ لغير الله ، فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ، إلَّا ما كان لله عزَّ وجل ، فإنه دائم بدوامه . اهـ.

عني ، فلمَّا مات جُمع بينهما ، فقال له : جَزَاك الله من خليلٍ ، ومن أخٍ وصاحبٍ خيراً ، فنعم الخليلُ كنتَ .

والكافران يقولُ أحدهما لصاحبه : بئس الخليلُ ، والصاحبُ كنتَ ، ثم قرأ ﴿ **الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[1] .

وقال مجاهد : قال ابن عباس : أَحِبَّ للهِ ، وأَبْغِضْ للهِ ، ووَالِ للهِ ، وعادِ للهِ ، فإنه إنما يُنَالُ ما عندَ اللهِ بهذا ، ولن يَنْفَعَ أحدٌ كثرةُ صَوْمِهِ ، وصلاتِهِ ، وحجِّه ، حتى يكون هكذا ، وقد صار النَّاسُ اليوم يُحبُّون ويبغضون للدنيا ، ولن ينفع ذلكَ أهلَهُ ، ثم قرأ ﴿ **الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[2] .

٥٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾
[آية ٧٠] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث علي بن أبي طالب ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٥/٩٤ وابن كثير ٧/٢٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٢١ . وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حُميد ، وابن مردويه عن عليٍّ رضي الله عنه .

(٢) الأثر أخرج بعضه ابن جرير ٢٥/٩٤ وابن كثير ٧/٢٢٤ . ومما يؤيد هذا الأثر عن ابن عباس ، ما جاء في الحديث الصحيح (من أحبَّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان) أخرجه أبو داود عن أبي أمامة ، وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لو أنَّ رجلين تحابَّا في الله ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، لجمع الله بينهما يوم القيامة ، يقول : هذا الذي أحببته فيَّ) وانظر تفسير ابن كثير ٧/٢٢٥ .

قال يحيى بنُ أبي كثير سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ قال : (اللَّــذةُ : والسَّمَــاعُ بما شَـاءَ اللهُ من ذكــره)[1] .

قال قتادة : ﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ : تُنَعَّمُونَ[2] .

٥٦ ــ ثم قال جل وعــز : ﴿ يُطَــافُ عَلَيْهِــمْ بِصِحَــافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ .. ﴾ [آية ٧١] .

روى سعيـد عن قتـادة قال : الأكـوابُ دون الأباريـق ، قال : وَبَلَغَنِـي أنها مدوَّرةٌ ، وكـذلك هي عنـد أهـلِ اللُّغـةِ ، إلَّا أنَّهـا لا آذَانَ لها ، ولا عُرَى[3] .

٥٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [آية ٧٥] .

---

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في سورة الروم ٢١/٢٨ وقال : هو التلذُّذ بالسمـاع ، والغنـاء ، فهـم في اللذيـذ من الأراييـح ، والعيش الهنـيِّ ، فيمـا يُسرُّون به ، ويُغْبطـون عليــه ، والحبرة : السرور والغبطة .

(٢) الأثـر في الـطبري ٢٥/٢٨ والقرطبـي ١١١/١٦ والشوكاني ٥٦٣/٤ قال : والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور ، الناشئَين عن الكرامة ، والنعمة . اهـ.

(٣) الأكواب جمع كوبٍ ، وهو إناء مستدير لا عُروة له ، قال الفـراء : الكـوبُ : الكـوزُ المستدير الرأس الـذي لا أذن له ، وكـذا قال في لسان العـرب ، وإنما كانت بغير عُرى ، ليشرب الشارب من أين شاء ، قال القرطبـي ١١١/١٦ : ولم يذكـر تعـالى الأطعمـة والأشربـة في قولـه ﴿ يُطَـافُ عليهم بصحاف من ذهـب وأكواب ﴾ لأنه يُعلـم أنـه لا معنـى للطـواف بالصِّحـاف والأكـواب عليهم ، من غير أن يكون فيها شيء . اهـ.

مأخوذٌ من الفَتْرَةِ ، والفُتُورِ ، والفترِ[1] .

والمُبْلِسُ : المتحيِّرُ ، الَّذي قد يَئِسَ من الخَيْرِ[2] .

٥٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [آية ٧٧] .

قال مجاهد : ما كنا ندري ما معنى **﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ﴾** حتى وجدنا في قراءة عبد الله **﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِ ﴾**[3] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : يُنَادُونَ مالِكاً أربعينَ سنةً ، فيجيبُهم بعدها **﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾** ثم يُنَادون ربَّ العزة **﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾** فيسكت عنهم مثل عُمُرِ الدنيا ، ثم يقول : **﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾** قال : فليس بعدها

---

(١) في الصحاح ٧٧٢/٢ : الفترةُ : الإنكسار والضعفُ ، يُقال : فتر الحرُّ ، فتوراً ، وطرفٌ فاترٌ إذا لم يكن حديداً .

(٢) قال في المصباح : أبلس الرجل إبلاساً : سكت ، وأَبْلَس : أيِسَ ، والإبلاس : اليأسُ ، ومنه ﴿ فإذا هم مُبْلِسون ﴾ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٥٧/٢ و « مال » ترخيم « مالك » خازن النار ، قال في الألفية :

تَرْخِيماً احْذِفْ آخِرَ المُنَادَى ... كَيَاسُعَا فِيمَنْ دَعَا سُعَادَا

والأثر عن مجاهد ذكره القرطبي ١١٧/١٦ ولفظه : كنا لا ندري بالزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله : بيتٌ من ذهب ، وكنا لا ندري ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ حتى وجدناه في قراءة عبد الله ﴿ ونادوا يا مَالِ ﴾ على الترخيم . اهـ.

إلَّا صياحٌ كصياح الحمير ، أوَّله زفيرٌ ، وآخرهُ شهيقٌ[1] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ** ﴾ [آية ٧٩] .

قال مجاهد : أي أم أجمعوا على كيدٍ أو شرٍّ ، فإنَّا نَكيدهم[2] .

قال الفراء : أي أم أُحكموا أمراً يُنجيهم من عذابنا على قولهم ، فإنا نُعذِّبهم[3] .

قال أبو جعفر : يقـال : أَبْـرَمَ الأَمْرَ : إذا بالـغ في إحكامـه ، وأبرم الفَاتِلُ : إذا أحكَمَ الفَتْلَ ، وهـو الفَتْـلُ الثـاني ، والأول سَحِيـلٌ كما قال :

« مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ »[4]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٣٠/٧ والسيوطي في الـدر المنثور ٢٣/٦ بنحـوه ، قال ابـن كثير ٢٢٧/٧ في روايتـه عن البخـاري ١٦٣/٦ : عن صفـوان بن يعلى عن أبيـه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ ونَـادوا يا مالك ليـقض علينـا ربك ﴾ . اهـ. قال ابـن كثير : أي ليقبضْ أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فلما سألـوا أن يموتـوا أجـابهم مالك ﴿ قال إنكـم ماكثون ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال : إنكم ماكثون . اهـ.

أقول : ليكون ذلك لهم أخزى وأذل .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٠/٢٥ وابن كثير ٢٢٧/٧ والقرطبي ١١٨/١٦ وهو أظهر الأقـوال ، والمعنى : أم أحكـم هؤلاء الفجـار أمرهـم للكيـد برسول الله ؟ فإنـا محكمـون أمرنـا في تدميرهـم وإهلاكهم .

(٣) معـاني القـرآن للفـراء ٣٨/٣ قال أبـو عبيـدة في مجاز القـرآن ٢٠٦/٢ ﴿ أم أبرمـوا ﴾ : أم أحكموا ، والإبرام الإحكام .

(٤) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٤ :

يَمِينـاً لَنِعْـمَ السَّيِّـدَانِ وُجِدْتُمَـا   عَلَـى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيـلٍ ومُبْـرَمِ =

ومنه : رجل بَرَمٌ : إذا كان لا يدخل في الميسر ، أو كان ضيِّق الخُلُق لا يجتمع مع النَّاسِ[1] ، كما قال الشاعر :

وَلَا بَرِماً تُهْدَى النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ
إذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا[2]

و « بُرْمَة » من هذا ، سُمِّيت به ، للإلحاح عليها بالإيقاد[3] .

٦٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ إنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾ [آية ٨١] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **قال مجاهد** : أي قل إن كان للرحمن ولد ــ في قولكم ــ فأنا أوَّلُ من عَبَده ، ووحَّده ، وكذَّبكُمْ[4] .

= والمبرم الذي فُتل خيطاه حتى صار خيطاً واحداً ، والسَّحيلُ : خيطٌ واحد لم يضم إليه آخر ، ولم يفتل بعد .

(١) قال الجوهري : البَرَمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، والجمع أبرام ، وفي المثل : « أَبَرَماً قَرُوناً » ؟ أي هو بَرَم ، ويأكل مع ذلك تمرتين ، تمرتين . اهـ. الصحاح ، وقال الأزهري : والبَرَمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، ويأكل معهم من لحمه . اهـ. تهذيب اللغة .

(٢) البيت لمتمِّم بن نويرة اليربوعي ، ذكره الجوهري في الصحاح ، وابن منظور في لسان العرب ، مادة برم ، وفي المخطوطة ورد بلفظ « وَلَا بَرِمٍ » وصوابه ما أثبتناه كما في الصِّحاح ، واللسان .

(٣) البُرْمةُ : قِدْرٌ من حجارة ، وجمعها بُرَمٌ ، وفي حديث جابر (لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتكم ، ولا تخبزنَّ عجينكم حتى آتي) .

(٤) ذكر هذا الأثر الطبري في جامع البيان ١٠١/٢٥ ورجحه على بقية الأقوال ، وذكره القرطبي ١١٩/١٦ وابن كثير ٢٢٩/٧ .

ب ـ وقال **الحسن** : يقول : ما كان للرحمن ولد[1] .

جـ ـ **وقيل** : هو من عَبِدَ أي أَنِفَ كما قال :

« وأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بَدَارِمِ »[2]

قال أبو جعفر : أحسنها قول مجاهد[3] ، لأنَّ « إنْ » يبعد أن تكون ههنا بمعنى « ما » لأن ذلك لا يكاد يستعملُ إلَّا وبعد « إنْ » إلَّا .

وأيضاً فإن بعدها ألفاً ، وأكثر ما يُقال ، إذا أَنِفَ الإنسانُ وغضِبَ ، وأنكر الشيء : عَبِدَ فهو عَبِدٌ[4] ، كما يُقال : حَذِرَ ، فهو حَذِرٌ .

---

(١) قولُ الحسن ذكره المفسرون : الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وغيرهم ، وعلى هذا القول تكون « إنْ » نافية بمعنى « ما » أي : قل ما كان للرحمن ولدٌ البتَّة .. إلخ. وقد ضعَّفه المصنف لأن من شروط « إنْ » النافية أن يأتي بعدها « إلا » كقوله تعالى ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي ما عليك إلا البلاغ ، وكقوله ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أي ما كانت إلا صيحة واحدة .

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق ، وهو في اللسان والصحاح مادة عبد ، ومجاز القرآن ٢/٢٠٦ وغريب القرآن ص ٤٠١ والبحر المحيط ٨/٢٨ والقرطبي ١٦/١٢٠ وتمامه :

أولـئك قومٌ إنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ ... وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْباً بِدَارِمِ

(٣) هذا ما اختاره الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال القرطبي ١٦/١١٩ ومعنى الآية : إن ثبت لله ولدٌ فإنا أول من يعبد ولده ، ولكن يستحيل أن يكون له ولد ، وهو كما تقول لمن تناظره : إن ثبت ما قلت بالدليل فإنا أول من يعتقده ، وهذا مبالغة في الاستبعاد . اهـ. وكذلك قال الحافظ ابن كثير ٧/٢٢٧ .

(٤) يريد المصنف أنه لو كان المراد من قوله ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي الآنفين عن عبادة الولد ، لكان ينبغي أن يكون اللفظ ﴿ فأنا أول العَبِدين ﴾ بغير ألف ، لأن عَبِدَ بمعنى أنف ، يأتي اسم الفاعل منه ﴿ عَبِدٌ ﴾ لذلك كان القول ضعيفاً .

وقول مجاهد بيِّنٌ أي إن كان للرحمن ولدٌ ــ على زعمكم وقولكم ــ كما قال تعالى ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾[1] ؟ فأنا أوَّلُ من خالفكم ووحَّد الله جل وعز .

ومعنى ﴿ العابِدِينَ ﴾ كمعنى الموحِّدين ، لأنه لا يقال عابدٌ ، إلَّا لموحِّدٍ .

٦١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَـهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ ﴾ [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي يُعبد في السَّماء ، وفي الأرض[2] .

ورُوِي عن عمر ، وأُبَيٍّ ، وابن مسعود ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اللهُ وَفِي الأَرْضِ اللهُ ﴾[3] .

---

(١) الآية في سورة القصص رقم ٦٢ وتمامها ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ أي أين من جعلتموهم شركائي بزعمكم ؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠٤/٢٥ والقرطبي ١٢١/١٦ ولفظه : أي هو المستحقُّ للعبادة في السماء والأرض ، قال ابن الجوزي ٣٣٣/٧ فالإله على قول قتادة معناه : المعبود أي الله معبود في السماء ، ومعبود في الأرض ، وهو اختيار الأكثرين .

(٣) هذا القول ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٢١/١٦ وردَّه فقد قال : ورُوي أنه قرأ عمر ، وابن مسعود وغيرهما ﴿ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ﴾ قال : وهذا خلافُ المصحف . اهـ. وذكره ابن الجوزي ٣٣٣/٧ . وهذا القول محمول على أنه تفسير لا قراءة ، كما قال الحافظ ابن كثير ٢٢٩/٧ : ﴿ وهو الله في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ أي هو إلهُ مَنْ في السماء ، وإله مَنْ في الأرض ، يعبدُه أهلهما ، وكلهم خاضعون له ، أذلاء بين يديه ، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ أي هو المدعو « الله » في السموات والأرض . اهـ.

٦٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ .. ﴾ [آية ٨٦] .

قال قتادة : المسيحُ ، وعُزيرٌ ، قد عُبِدَا من دون اللهِ ، ولهما شفاعة[1] .

وقال مجاهد : لا يشفعُ المسيحُ ، وعُزَيْرٌ ، والملائكةُ ، إلَّا لمن شهد بالحقِّ ، قال : « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ »[2] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادةَ أبينُ ، وقولُ مجاهد على أنه استثناء ليس من الأول[3] .

٦٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٨٨] .

(١ ــ ٢) الأثران في الطبري ٢٥/١٠٥ والقرطبي ١٦/١٢٢ وتفسير ابن الجوزي ٧/٣٣٤ ، ورجح الطبري العموم في تفسيره ، فقد قال في جامع البيان ٢٥/١٠٤ والمعنى : ولا يملك الذين يعبدهم المشركون ــ عيسى وعزير والملائكة ــ الشفاعة عند الله لأحدٍ ، إلَّا لمن شهد بالحقِّ ، فوحَّد الله وأطاعه ، وهم يعلمون حقيقة توحيده .. إلخ. وهكذا قال القرطبي ١٦/١٢٢ : أراد بالذين يدعون من دونه « عيسى وعزيراً والملائكة » والمعنى : لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق ، وآمن على علم وبصيرة : وشهادة الحقِّ : « لا إله إلا الله » . اهـ.

(٣) يريد المصنف أن الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا من شهد بالحق ﴾ استثناء منقطعٌ ، بمعنى « لَكِنْ » والمعنى : لكنْ من شهد بالحقِّ فإنه تنفع شهادته ، وتُقبل عند الله ، ذلك لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، وهذا أمارة المستثنى المنقطع .

وسنبيِّنُ معنى ﴿ وَقِيلِهِ[1] يا رَبِّ ﴾ في الإعراب إن شاء الله[2] .

٦٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٨٩] .

قال قتادة : في قوله ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ قيل له هذا ، ثم نُسخ بالأمر بالقتال[3] .

* * *

« انتهى تفسير سورة الزخرف »

---

(١) قوله ﴿ وقِيله يا رب ﴾ القيلُ : بمعنى القول أي وقولُ محمد يا رب إنَّ قومي هؤلاء قومٌ معاندون مكابرون ، لا يسمعون النصح ، ولا يُصدِّقون بالرسالة ، قال قتادة : هذا قول نبيكم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

(٢) ذكر الإمام النحاس في إعراب القرآن ١٠٤/٣ أن الضمير في ﴿ قيله ﴾ عائد على النبي ﷺ ، وفيها قراءتان : النصبُ ﴿ وقِيلَهُ ﴾ على أنه معطوف على الجملة قبله ، والمعنى : أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرَّهم ونجواهُم ، وقيلَه ؟ والثاني على أن معناه : وعنده علم الساعة ، وعلمُ قيلِهِ ، وقراءة الجر قراءة عاصم وحمزة ، وانظر الطبري ١٠٦/٢٥ وزاد المسير ٣٣٤/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٢٤/٦ قال : نُسِخَ الصَّفْحُ ، والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٤/١٦ ولفظه : قال قتادة : أُمر بالصفح عنهم ، ثم أُمِرَ بقتاهم ، فصار الصفح منسوخاً بالسيف ، ونحوه عن ابن عباس ، ثم قال : وقيل : هي محكمة لم تُنسخ . اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٠/٨ : ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي أعرضْ عنهم وتاركهم ﴿ وقل سلامٌ ﴾ أي الأمر سلام ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وعيدٌ لهم وتهديد وموادعة ، وهي منسوخة بآية السيف . اهـ.

تفسير سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان وهي مكية[1]

١ ــ قوله جل وعز : ﴿ حٰمٓ . وَالكِتَابِ المُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [آية ١ ــ ٣] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ : ليلة القدر[2] .

قال أبو جعفر : في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أ ــ فمن أصحِّها ما رواه حمَّادُ بنُ زيد ، عن أيوبَ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس قال : « أُنزل القرآنُ في ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا جملةً واحدة ، ثم نَزَل به جبرائيل في عشرين سنة »[3] وهذا إسنادٌ لا يُدْفع .

---

(١) هي مكية باتفاق كما قال القرطبي ١٢٥/١٦ وسميت سورة الدخان ، لذكر آية الدخان فيها في قوله تقدست أسماؤه ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ .

(٢) الجمهور على أن الليلة المباركة هي « ليلة القدر » لقوله تعالى هنا ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ وقال هناك ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ فتكون الليلة المباركة هي ليلة القدر ، لأن القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً ، وهذه الليلة المباركة من شهر رمضان لقوله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .. ﴾ الآية . قال القرطبي ١٢٦/١٦ : والليلة المباركة ليلة القدر ، ويقال : ليلة النصف من شعبان ووصفها بالبركة لما يُنزل الله فيها على عباده من البركات ، والخيرات ، والثواب ، وقال عكرمة : الليلة المباركة ههنا ليلة النصف من شعبان ، قال : والأول أصح .

(٣) الأثر أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس كذا في الدر المنثور ١٥/٦ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٦/٧ والطبري ٢٥٨/٢٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٢/٨ بنحوه ، قال : وهو قول

ب ــ **وقيل المعنى** : إنا أنزلناه قرآناً في تفضيل ليلة القَدْرِ[1] .

وهو قوله تعالى ﴿ **لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ فهذان قولان .

جـ ــ **وقيل المعنى** : إنَّا ابتدأنا إنزاله في ليلة القَدْر[2] ، كما تقول : أنَا أخرجُ إلى مكَّةَ غداً ، أي أنا ابتدئُ الخروجَ .

٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾ [آية ٤ و ٥] .

في معناه قولان متقاربان :

قال ابن عباس : يُحْكِمُ اللهُ جلَّ وعزَّ أمرَ الدنيا إلى قابل ، في ليلة القدر ، ما كان من حياةٍ ، أو موتٍ ، أو رزقٍ[3] .

= قتادة وابن زيد والحسن ، وهذا أصح الأقوال ، قال ابن العربي : وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ ثم عين زمانه بقوله ﴿ في ليلة مباركة ﴾ فمن زعم أنها في غيره ، فقد أعظم الفرية على الله . اهـ. القرطبي ١٣٢٧/١٦ .

(١) لم أر هذا القول الذي ذكره المصنف لأحد من المفسرين ، وهو قول غريب .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في جامع الأحكام ١٢٦/١٦ وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/٤ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥/٦ ، وذكره ابن كثير ٢٣٢/٧ وقال : أي في ليلة القدر يُفْصل من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبة أمرُ السَّنَة ، وما يكون فيها من الآجال ، والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها ، وهكذا رُوي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف . اهـ.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة : نحواً من هذا ، إلَّا أن مجاهداً قال : إلَّا الشَّقَاء ، والسَّعادة ، فإنهما لا يتغيَّران[1] .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ .

والمعنى عليه : أنه تُؤْمَر ــ ليلة القدر ــ الملائكة بما يكون من القَطْرِ ، والرِّزْق ، والحياةِ ، والموتِ ، إلى قابل[2] .

ومعنى « يُفْرَقُ » و « يُؤْمَر » واحدٌ ، كأنه قال : يُؤْمَرُ كلُّ أمرٍ حكيم ، أمراً من عندنا .

والقول الآخر : أنها ليلة النِّصف من شعبانَ ، يُبرمُ فيها أمرُ السَّنَةِ ، ويُنسخُ الأحياءُ من الأمواتِ ، ويُكْتب الحاجُّ ، فلا يُزاد فيهم ، ولا يُنْقصُ منهم أحدٌ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١٠٩ والقرطبي ١٦/١٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٥ .

(٢) هذا قول الجمهور كما بيَّنَّا ، والمعنى: في ليلة القدر يُفصل ويُبيَّن كل أمرٍ قدَّره الله محكم ، من أرزاق العباد ، وآجالهم ، وسائر أحوالهم ، فلا يُبدَّل ولا يُغيَّر ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق ، وينكِحُ النساء ، وقد وقع اسمه في الموتى » .

(٣) هذا قول عكرمة ولكنه ضعيف لا يُعوَّل عليه ، كما قال المحققون من المفسرين ، قال ابن كثير ٧/٢٣٢ « ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان ــ كما رُوي عن عكرمة ــ فقد أبعد النُّجعة ، فإن نصَّ القرآن أنها في رمضان ، والحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (تُقْطع الآجال من شعبان إلى شعبان ، حتى إن الرجل لينكِحُ ويُولَدُ له ، وقد أُخرج اسمه في الموتى) فهو حديث مرسل ، ومثله لا يُعارض به النصوص . اهـ.

وقال غيره : ﴿ يُفْرَقُ ﴾ : يُقْضَى ، ويُفَصَّل في تلك الليلة ، إلى مثلها من السنة الأخرى .

و ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بمعنى محكم .

وقيل : إن معنى ﴿ يُفْرَقُ ﴾ : يُفْصَلُ ، أي يُفْصَلُ بين المؤمنِ ، والكافرِ ، والمنافقِ ، فيقال للملائكة هذا ، ويعرفونه .

٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ [آية ١٠] .

رَوى إسرائيلُ عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : « آيةُ الدخان لم تمضِ بعدُ وستكونُ ، يأتي دخانٌ يصيب المؤمنين الزُّكامَ ، ويَنْقَدُّ الكافرُ »(١) .

وروى الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : « جلس رجلٌ فقال : إنَّ الدخان لم يكنْ ، وإنما يكون يوم القيامة ، يأخذ المؤمنين منه مثلُ الزُّكام ، ويشتدُّ على الكافرين والمنافقين ، فدخلنا على عبد الله بن مسعود وهو مُتَّكِيءٌ ، فحكينا له ما قال ، فقامَ فجلس مغضَبَاً وقال : إذا سئل أحدكم عمَّا لا يعلم فليقل : لا علمَ لي به ، فإن الله جلَّ وعزَّ يقول لنبيِّه ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا

(١) هكذا في المخطوطة « يَنْقَدُّ » والقدُّ : الشقُّ ، يُقال : قددته فانقدَّ ، كذا في المصباح المنير والمراد أن الكافر يأخذه الدخان حتى ينشقَّ جوفُه ، وهذا الأثر عن علي أخرجه ابن أبي حاتم وعبدُ بن حميد ، ولفظه « إن الدخان لم يمض بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، وينفخُ الكافر حتى ينقدَّ » وانظر الدر المنثور ٢٩/٦ .

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ وسأخبركم عن الدخان .. إن قريشاً استعصتْ[1] على رسول الله ﷺ وكفرتْ ، فدعا الله جل وعزَّ عليها أن يُجوِّعَها ، فأصابهَا جوعٌ شديد ، حتى كان الرجلُ يَرَى بينَ السَّماءِ والأرضِ دُخاناً ، من الجوع والحرِّ ، فقالت قريش ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ فكشفه الله عنهم فعادوا ، ثم بطش بهم البطشةَ الكبرى يومَ بدرٍ ، ولو كان الدخانُ يوم القيامةِ ، ما كُشِفَ عنهم »[2] .

٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [آية ١٥] .

---

(١) في المخطوطة « استصعبت » وهو تصحيف ، وصوابه « استعصت » كما في رواية البخاري ١٦٤/٦ : (إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ..) الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٦٤/٦ من حديث مسروق عن عبد الله بن مسعود ، وأخرجه أحمد في المسند وأبو نعيم ، والبيهقي ، وذكره الطبري ١١٢/٢٥ وابن كثير ٢٣٢/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨/٦ والخلاصة فإن للمفسرين رأيين في هذه الآية الكريمة :

الأول : أن الدخان قد حدث ومضى ، في عهد النبي ﷺ حين دعا على قريش فقال : اللهم اشدُدْ وطأتك على مضَرٍ ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ، وكان الواحد منهم يرى بين السماء والأرض دخاناً منتشراً من شدة الجوع ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، واستدل ابن مسعود بحديث (خمسٌ قد مضينَ : الدخانُ ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام) .

والثاني : أن الدخان لم يأت بعد ، وهو من علامات الساعة ، وسيكون قُبيل القيامة ، يُصيب المؤمن منه مثل الزكام ، ويُنضجُ رأس الكافر ، والمنافق ، وهو قول ابن عباس ، وعلي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، والحسن البصري ، واختاره الحافظ ابن كثير ٢٣٣/٧ ورجحه لما رواه مسلم في صحيحه (لا تقوم الساعة حتى تَروا عشر آياتٍ : طلوعَ الشمس من مغربها ، =

يجوز أن يكون المعنى : إنكم عائدون في المعاصي .

ويجوز أن يكون بمعنى : مَيِّتين[1] .

٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ [آية ١٦] .

قال أُبيٌّ بن كعب ، وابن مسعود في ﴿ البطشة الكبرى ﴾ : إنها يوم بدر[2] .

وروى عوف ، وقتادة ، عن الحسن ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى ﴾ قال : يوم القيامة[3] .

= والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، والدجّال ..) إلخ. الحديث ، ثم أورد الحافظ ابن كثير حديثاً مسنداً عن ابن عباس وقال : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ــ حبر الأمة وترجمان القرآن ــ وهكذا قول من وافقه من الصحابة ، والتابعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح ، والحسان التي أوردناها مما فيه مقتنع ، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . اهـ. ورجح الطبري قول ابن مسعود ، وكذلك العلامة أبو السعود ، والله أعلم .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤١/٧ : ﴿ إنكم عائدون ﴾ فيه قولان :
أحدهما : إنكم عائدون إلى الشرك ، قاله ابن مسعود .
والثاني : إلى عذاب الله قاله قتادة ، وكذلك روى الطبري ، وابن كثير . وقول المصنف يجوز أن يكون بمعنى ميّتين ، معناه : تموتون ثم ترجعون إلينا للحساب ، والعذاب ، وقول ابن مسعود أظهر ، قال الرازي ٢٤٤/٢٧ : المقصود التنبيه على أنهم لا يُوفون بعهدهم ، يتضرعون إلى الله وقت الشدة ، فإذا زال الخوف عادوا إلى الكفر .

(٢ ــ ٣) القولان في الطبري ١١٧/٢٥ والقرطبي ١٣٤/١٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٤٢/٧ ، ورجح =

٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [آية ١٧] .

روى سعيد عن قتادة قال : ابتليناهم[١] .

قال ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ : يعني موسى ﷺ .

قال ﴿ وأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ : أن لا تَعْتُوا[٢] .

قال : وقوله ﴿ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي بعذرٍ[٣] مُبين .

٧ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ [آية ٢٠] .

= ابن كثير ٢٣٧/٧ القول الثاني ، فقال : والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً ، وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : قال ابن مسعود ﴿ البطشة الكبرى ﴾ يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة ، وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٤٤/٢٧ : وقول ابن عباس أصح ، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف به هذا الوصف العظيم ، ولمَّا وصف بالكُبرى وجب أن يكون أعظم أنواع البطش وذلك في القيامة .

(١) هذا قول ابن عباس والجمهور ، والمعنى : عاملناهم معاملة المختبر ، ببعثة موسى إليهم ، ليظهر المطيع من العاصي ، والبرُّ من الفاجر .

(٢) أي لا تستكبروا وتتجبَّروا ، وفي المصباح : عَتَا عُتُوًّا من باب قَعَد : استكبر ، فهو عاتٍ ، وعتا الشيخ عِتياً : أسنَّ وكبِرَ . اهـ.

(٣) في المخطوطة [بعدلٍ مبين] وهو خطأ ، لأنه لا معنى له هنا ، والصواب ما أثبتناه (بعذرٍ مبين) وهو قول قتادة كما نقله عنه الطبري ١١٩/٢٥ والقرطبي ١٣٥/١٦ والشوكاني ٥٧٤/٤ قال الشوكاني : أي بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها . اهـ.

قال قتادة : بالحجارة .

قال الفراء : الرَّجْم ههنا : القتلُ[1] .

وروى إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في ﴿ وإنّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ قال : أن يقولوا : ساحرٌ ، أو كاهنٌ ، أو شاعرٌ[2] .

٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [آية ٢١] .

أي دعوني كَفَافاً ، لا لي ، ولا عَلَيَّ[3] .

٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ [آية ٢٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والقرطبي ١٣٥/١٦ قال ابن كثير : قال ابن عباس هو الرجم باللسان ، وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم بالحجارة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠/٣ فقد جاء فيه : الرجم ههنا : القتلُ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩/٦ وعلى هذا يكون المراد بالرجم : الرجم بالقول ، وهو قول ابن عباس ، كما حكاه عنه الطبري .

(٤) هذا قول مقاتل كما في جامع الأحكام للقرطبي ١٣٥/١٦ ، والأظهر أن المعنى : وإن لم يصدِّقوا برسالتي فاتركوني ، وخلُّوا سبيلي ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .

روى عكرمة عن ابن عباس قال ﴿ رَهْواً ﴾ : طريقاً[٤] .

وروى عليُّ بن الحكم عن الضحاك قال : سهلاً[٢] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً ﴾ : أي ساكناً ، لا تأمُرْهُ أن يرجع إلى ما كان عليه ، حتى يحصُلَ فيه آخرُهُمْ[٣] .

ورُوِي عن مجاهد أنه قال : ﴿ رَهْواً ﴾ : أي يابساً[٤] .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، ويُقال للساكن : رَهْوٌ ، كما قال الشاعر :

والخَيْلُ تَمْرعْ رَهْـواً فِي أَعِنَّتِهَا
كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ[٥]

(١ ــ ٤) هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٢١/٢٥ والقرطبي ١٣٧/١٦ والدر المنثور ٢٩/٦ وأظهرها ما قاله ابن جرير ١٢١/٢٥ إن المعنى : إذا قطعتَ البحر أنتَ وأصحابُك ، فاتركه ساكناً ، على حاله التي كان عليها حين دخلته ، قال : وذلك أن الرهو في كلام العرب : السُّكون . اهـ. قال قتادة : أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه لمَّا قطعه حتى يلتئم ، وخاف أن يتبعه فرعون ، فقيل له : لم هذا ؟ إنهم جند مغرقون في البحر ، لأنهم إذا رأوه ساكناً على حالته دخلوا فيه ، فيطبقه الله عليهم . اهـ. البحر المحيط ٣٦/٨ .

(٥) البيت للنابغة الذبياني ، وقد ورد في ديوانه ص ٢٣ بلفظ :

« وَالخَيْلُ تَمْـزَعُ غَرْباً فِي أَعِنَّتِهَا كالطَّيْرِ تَنْجُو من الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ »

ولم يرد فيه لفظ « رهو » الذي هو الشاهد في البيت ، و « تَمْـزَع » تُسرع في سيرها ، والغربُ : الحدَّة والنشاط ، وقد ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٣٧/١٦ والألوسي في روح المعاني ١٢٢/٢٥ والشوكاني في فتح القدير ٥٧٤/٤ بلفظ رهواً قال الجوهري في الصحاح : رَهَا =

ويُقال : جاء القوم رَهْواً على نَظْمٍ واحدٍ .

١٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾** [آية ٢٥ و ٢٦] .

قال الفراء : يُقال : المنازلُ الحسنةُ ، ويقال : المنابرُ(١) .

١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾** [آية ٢٩] .

رَوى المسيَّبُ بنُ رافع عن علي عليه السلام أنه قال : « يبكي على المؤمن ، البابُ الذي يَصْعَد منه عملُه ، ومُصَلَّاهُ من الأرض »(٢) .

وَرَوى سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ قال : « للمؤمنِ بابٌ يصعد منه عَملُه ، ويَنزِل منه رزقُه ، فإذا ماتَ بكى عليه ، وبكى عليه

= البحرُ : أي سكن ، وجاءت الخيل رَهْواً أي برفق وسكينة ، والرَّهو : السير السهل . اهـ. وكذا في اللسان .

(١) معاني القرآن للفراء ٤١/٣ وذكره الطبري ١٢٣/٢٥ وعزاه إلى مجاهد وابن جبير ، قال : المنابر ، والقول الأول أظهر ، وهو اختيار الجمهور ، قال ابن كثير ٢٣٨/٧ : ﴿ ومقام كريم ﴾ : هي المساكن الأنيقة ، والأماكن الحسنة . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٥/٧ وابن كثير ٢٤٠/٧ وأورد آثاراً كثيرة عن بكاء الأرض ، منها ما رُوي عن مجاهد أنه قال : « ما مات مؤمن إلَّا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً ، فقيل له : أَوَتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجبُ ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دَوِيٌّ كدوي النحل ؟

الموضعُ الذي كان يُصَلِّي عليه ، ولم يكن في آل فرعونَ خيرٌ ، ولا كان لهم عملٌ صالحٌ يصعد ، قال الله تعالى ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ** .. ﴾[1] .

وقيل : المعنى : فما بكى عليهم أهلُ السماءِ ، وأهلُ الأرضِ ، كما قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : العربُ إذا عَظَّمتْ هَلَاكَ إنسانٍ قالتْ : بكتْ عليهِ السَّمَاءُ ، وأظلمت[3] له الشَّمسُ ، على التمثيل كما قال :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في التفسير ٥/٣٥٤ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً ، ولفظُه (ما من مسلم إلَّا وله في السماء بابان : باب يصعد فيه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكيا عليه ، وتلا ﷺ هذه الآية) وأخرجه الطبري ٢٥/١٢٥ عن ابن عباس ، وابن كثير ٧/٢٤٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٠ .

(٢) أي اسأل أهل القرية ، فهو على حذف مضاف ، وقد جعل المصنف الآية من هذا القبيل على رأي المفسرين ، وحكاه القرطبي ١٦/١٤٠ ورجَّح أنه على الحقيقة فقال : وقيل في الكلام إضمارٌ أي ما بكى عليهم أهلُ السماءِ والأرض كقوله ﴿ واسأل القرية ﴾ بل سُرُّوا بهلاكهم ، قاله الحسن ، ثم قال : والقول الأول أظهر ، أن السماء تبكي عليه ، وكذلك الأرض ، إذ لا استحالة في ذلك ، وإذا كانت السموات والأرض تُسبح ، وتسمع ، وتتكلم ، فكذلك تبكي كما جاء به الخبر . اهـ.

(٣) في المخطوطة : وأظلَّت له الشمس ، وهو خطأ وصوابه « وأظلمت » كما استشهد عليه ببيت الشعر « ليست بكاسفة .. » إلخ. قال ابن الجوزي ٧/٣٤٥ : إن العرب إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم قال : أظلمت له الشمس ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة . اهـ.

وَالشَّمْسُ طَالِعَـةً لَيْسَتْ بِكَاسِفَـةٍ ·

تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْـلِ وَالقَمَـرَا[(1)]

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ : أي مؤخَّرِينَ .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ العَـذَابِ المُهِيـنِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ ﴾ [آية ٣١] .

قال قتادة : كان يُذَبِّح أبناءَهُمْ ، ويَسْتحِيي نساءَهُمْ[(2)] .

١٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُـمْ عَلَى عِلْـمٍ عَلَى العَالَمِيـنَ ﴾ [آية ٣٢] .

قال قتادة : على عَالَمِي أهلِ زمانِهم[(3)] .

---

(١) البيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٣٥ يرثي أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » وذكره في البحر المحيط ٣٦/٨ والقرطبي ١٤٠/١٦ وابن الجوزي ٣٤٦/٧ ، والصحاح ، واللسان ، وفيه ما يسميه علماء البيان بالتعقيد اللفظي ، ومراده أن الشمس حال كونها طالعة ، ليست بكاسفة نجوم الليل والقمرا ، تبكي عليك ، فقدَّم « تبكي عليك » فأوهم أن « نجوم الليل » فاعل تبكي ، بينما هي منصوبة باسم الفاعل « كاسفة » أي ليست كاسفة نجوم الليل والقمرا ، وهي تبكي عليك ، فافهمه فإنه أسلوب دقيق المعنى .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٢/١٦ وهو رأي جمهور المفسرين ، وقد جاء مفسَّراً في قوله تعالى في البقرة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، يُذبِّحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم .. ﴾ آية رقم ٤٩ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المراد عالمي زمانهم ، بدليل قوله تعالى عن هذه الأمة المحمدية ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس .. ﴾ قال الطبري ١٢٧/٢٥ : « أي على عالمي أهل زمانهم يومئذٍ ، وذلك زمان موسى عليه السلام ، ولكل زمان عالم » . اهـ. وهكذا قال ابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وغيرهم من المفسرين .

١٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٣٣] .

قال قتادة : أنجاهم من عدوّهم ، وأقطعهم البحرَ ، وأنزل عليهم المنَّ ، والسَّلْوى[1] .

قال أبو جعفر : فالبلاءُ ههنا النعمةُ على هذا القول ، كما قال الشاعر :

« فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو »[2]

وقد يكون البلاء ههنا:العذابُ ضدُّ النعمة أي لحقهم البلاءُ لمَّا كفروا بآيات الله[3] .

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري ١٢٧/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٣/١٦ والراجح العموم أن المراد بالآيات هنا المعجزات ، والحجج ، والبراهين ، وخوارق العادات وسائر الآيات الباهرة مثل فلق البحر ، وتظليل الغمام .. إلخ. وهو ما اختاره الطبري ، وغيره من المفسرين .

(٢) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى ، كما في ديوانه ص ١٠٩ وصدره :

« رَأَى اللهُ بِالإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو »

أي صنع لهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده ، وعلى هذا يكون البلاء بالنعمة هنا ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، ومعنى الآية ﴿ مَا فيه بلاء مُبين ﴾ أي ما فيه نعمة ظاهرة كما قال تعالى ﴿ وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ .

(٣) هذا قول آخر ذكره الفراء في كتابه معاني القرآن ٤٢/٣ حيث قال : « بلاء مبين » يريد نعم بيّنة ، منها إنجاؤهم من آل فرعون ، وتظليلهم بالغمام ، وإنزال المنّ والسلوى عليهم .. إلخ. وقد قيل : إن البلاء عذاب ، وكل صوابٌ . اهـ. واختار الطبري العموم وأن الله ابتلاهم بالرخاء والشدة ، وبالخير والشر ، امتحاناً وابتلاءً ، وهو اختيار ابن كثير أيضاً ، وهو الأرجح .

١٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ [آية ٣٥] .

« إن هؤلاء » يعني قريشاً « إن هي » بمعنى ما هي ، والمُنْشَرون : المبعوثون ، أنشرَ اللهُ الموتى فنشروا[١] ، كما قال الشاعر :

يَا آلَ بَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً
يَا آلَ بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ ؟[٢]

١٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آية ٣٦] .

الفرَّاء يذهب إلى أن قوله ﴿ فَأْتُوا ﴾ مخاطبةٌ للنبي ﷺ وحده على ما تستعمله العرب في مخاطبة الجليل[٣] .

---

(١) في المصباح : نَشَرَ الموتى نشوراً : أحياهم ، ويتعدى بالألف فيقال : أنشرهم الله ، ونشرتِ الأرض : حييت وأنبتت . اهـ.

(٢) البيت من شواهد سيبويه ص ٨٧ وهو لمهلهل بن ربيعة ، وانظر شرح سيبويه للأعلم ٣١٨/١ والخصائص لابن جني ٢٢٩/٣ وخزانة الأدب للبغدادي ٣٠٠/١ ، والشاهد فيه قوله « أنشِرُوا لي » أي أحْيوا لي .

(٣) يريد المصنف أن قوله ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ على جهة التعظيم ، كما يُخاطب الملوك والعظماء بلفظ الجمع وانظر معاني القرآن للفراء ٤٢/٣ واستدل الفراء بقوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ ﴾ وقال بعض المفسرين : الخطاب للرسول والمؤمنين على وجه التعجيز ، أي إن كنتم صادقين فأحيوا لنا آباءنا ليخبرونا بصدق ما تقولون !! وهذا هو الأظهر ، والله أعلم .

١٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ .. ﴾ [آية ٣٧] .

قالت عائشةُ: كان تُبَّعٌ[1] رجلاً صالحاً ، فذمَّ الله قومَه ، ولم يذممْهُ .

وقال سعيد بنُ جبير : سأل ابنُ عباس كَعْباً : كيف ذكر اللهُ جل وعز قومَ تُبَّعٍ ، ولم يذكر تُبَّعاً ؟ فقال : كان تُبَّعٌ مَلِكاً من الملوكِ ، وكان قومُه كُهَّاناً ، وكان معهم قومٌ من أهل الكتاب ، فكان قومُه يكذبون على أهل الكتاب عنده ، فقال لهم جميعاً : قرِّبوا قرباناً ، فقرَّبوا فتُقُبِّل قربانُ أهلِ الكتاب ، ولم يُتقبَّلْ قربانُ قومِهِ ، فأسلم ، فلذلك ذكر اللهُ قومَهُ ، ولم يذكره[2] .

---

(١) هو تُبَّع الحميري أحد ملوك ــ سبأ ــ اليمن ، ذكره الطبري ١٢٨/٢٥ وابن كثير ٢٤٢/٧ والقرطبي ١٤٥/١٦ وغيرهم من المفسرين ، وقد ذكر أنه كان ملكاً مؤمناً وقومه كفار ، وروى الطبري بسنده عن عائشة « لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً » .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ بأوسع من هذا ، وذكر الحافظ ابن كثير ٢٤٢/٧ روايات عديدة مطوَّلة ، عن تُبَّع وقومه ، وكذلك القرطبي ، وابن الجوزي ، ثم قال ابن كثير : وقوم تُبَّع ــ وهم سبأ ــ كانوا عرباً من قحطان ، وقد كانت حِمْيَر كلَّما مَلَكَ فيهم رجل سمَّوه « تُبَّعاً » كما يُقال « كسرى » لمن مَلَكَ الفرس ، و « قيصر » لمن مَلَكَ الروم .. إلخ. وكأن تُبَّع ــ والله أعلم ــ كان كافراً ثم أسلم ، وتابع دين الكليم موسى ، على يَدَيْ من كان من أحبار اليهود ، في ذلك الزمان على الحق ، قبل بعثة المسيح عليه السلام ، وحجَّ البيتَ ، وكساه الوصائل من الحرير ، وعظَّمه وأكرمه ، ثم عاد إلى اليمن . اهـ.

١٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بالحَقِّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٣٩] .

﴿ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ أي إِلَّا لإقامةِ الحقِّ[١] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾** [آية ٤١] .

المَوْلَى : الوَلِيُّ ، والنَّاصِرُ ، كما قال الشاعر :

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
مَوْلَى المَخَافَةِ ، خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا[٢]

وفي الحديث عن النبي ﷺ : (مَنْ كنتُ مَوْلَاهُ ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)[٣] .

---

(١) جعل المصنف الباء في قوله تعالى ﴿ إلا بالحق ﴾ للسببية والتعليل ، أي ما خلقناهما إلا بسبب الحقِّ ، ولإقامة الحقِّ ، وهو اختيار الطبري ، وقيل : الباء للملابسة والمعنى : ما خلقناهما إلا ملتبسين بالحق ، وهو ما رجحه الألوسي في روح المعاني .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص ٣١١ يصف بقرة فقدت ولدها ، في فلاة واسعة ، وانظر الصحاح للجوهري واللسان مادة ولي .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/٤ والترمذي في المناقب رقم ٣٧١٤ وسنده صحيح ، وانظر فيض القدير للمناوي ٢١٧/٦ ومعنى الحديث : من كنتُ وليَّه وناصرَه ، فعليٌّ وليُّه وناصره ، خصَّه ﷺ بالثناء لمزيد علمه ، ودقيق فهمه واستنباطه ، وحسن سيرته ، وصفاء سريرته ، ورسوخ قدمه في الدين ، ولا يلزم من هذا تفضيله على أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، بل هو بيان لفضله وعلمه ، وقد رواه البزّار ، وزاد فيه قوله عليه السلام (اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وأحِبَّ من أحبَّه ، وأبغضْ من أبغضَه ، وانصرْ من نصَرَه ، واخذل من خَذَله) .

في معناه ثلاثة أقوالٍ :

أحدها : أن يكون المعنى : من كنتُ أتولَّاهُ فعليٌّ يتولَّاه .

والقول الثاني : من كان يتولَّاني تولَّاه .

والقول الثالث : أنه يُروى أن أسامةَ بن زيدٍ قال لعليٍّ عليه السلام : لستَ مولايَ إنما مولايَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال عليه السلام : (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه)[1] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ** ﴾ [آية ٤٤] .

قال شعبة : سمعتُ سليمنَ عن مجاهد قال : كان ابن عباس جالساً وفي يده مِحْجَنٌ ، والناسُ يطوفون بالبيت ، فقال رسول الله ﷺ : (يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، فلو أنَّ قطرةً من الزقُّوم قَطَرتْ على أهلِ الدنيا ، لَأَمَرَّتْ عليهم عَيْشَهم ، فكيف بمن طعامُهُ الزقُّومُ ؟)[2] .

---

(١) ذكر هذه الرواية الإمام المناوي في فيض القدير على شرح الجامع الصغير ٢١٨/٦ ، وذكرها ابن الأثير في النهاية عند ذكره الحديث (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه) فقال : الوليُّ : الناصر ، وقد تكرر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على معانٍ كثيرة منها : السيد ، والمنعم ، والمعتِق ، والناصر ، وابن العم ، والحليف ، وكلُّ من وَلِيَ أمراً فهو مولاه ووليُّه ، ثم قال : وسبب الحديث أن أسامة قال لعلي : لستَ مولايَ .. الحديث ، قال الهروي : أي من أحبني وتولَّاني فليتولَّه . اهـ.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه بلفظ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح . اهـ. تحفة الأحوذي ٣٠٧/٧ ورواه أيضاً ابن ماجه برقم ٤٣٨٠ في باب صفة النار ، وذكره الطبري عن مجاهد عن ابن عباس ١٣١/٢٥ وابن كثير ١٧/٧ .

قال أبو الدرداء : ﴿ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾ : طعامُ الفاجر[1] .

٢١ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ . كَغَلْيِ الحَمِيمِ ﴾ [آية ٤٥] .

روى سعيد بن جبير ، وأبو ظبيانَ عن ابن عباسٍ قال : المُهْلُ : دُرْدِيُّ الزيتِ[2] .

ثم قال ﴿ تَغْلِي فِي البُطُونِ ﴾[3] يعني الشجرة .

ومن قال ﴿ يَغْلِي ﴾ : جعله للطَّعام ، والزَّقُّومِ .

وقال الفراء وأبو حاتم : من قال ﴿ يَغْلِي ﴾ جاز أن يجعله للمُهْلِ[4] .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢/٦ ولفظه كما في الدر « كان أبو الدرداء يقرىء رجلاً ﴿ إنَّ شجرة الزَّقوم طعامُ الأثيم ﴾ فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم ، فلمَّا رأى أبو الدرداء أنه لا يفهم قال ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الفاجر ﴾ وأخرجه ابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، وهذا محمول على التفسير ، وليس بقراءة .

(٢) درديُّ الزَّيْتِ : أي عَكَرُ الزيت ورديئه ، وهو ما يبقى من الحُثالة في آخره ، قال في اللسان : ودرديُّ الزيت : ما يبقى في أسفله ، وأصله ما يركُدُ في أسفل كل مائع . اهـ. والأثر ذكره الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ .

(٣) في الآية قراءتان سبعيتان ، فقد قرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، وحمزة « تغلي » بالتاء ، وقرأ ابن كثير وحفص « يغلي » بالياء ، وقد نبَّه المصنف على معنى كل قراءة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧١/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٤٣/٣ قال : « يَغْلِي » إن شئت جعلتها للطعام ، أو للمُهْلِ .

قال أبو جعفر : وهذا غَلَطٌ ، لأن المُهْلَ ليس هو الذي يغلي في البطون ، وإنما شُبِّهَ به ما يَغْلِي .

والحميم : الماءُ الحارُّ ، كما قال :

« فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ »[1]

الكِبَاءُ : البخورُ ، يُقال : كَبَّبتُ العودَ أي بَخَّرْتُه ، والكِبَا مقصورٌ : الكُنَاسَةُ[2] .

٢٢ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾** [آية ٤٧] .

أي يقول للملائكة : خذُوه فاعْتِلوه[3] .

قال مجاهد : أي فادفعُوهُ .

---

(١) هذا شطر بيت أنشده شمر للمرقِّش كما في لسان العرب ، وتهذيب اللغة مادة « حمم » وتمامه :

كُلُّ عِشَاءٍ لَهَا مِقْطَرة ذَاتُ كِبَاءٍ مُعَدٌّ وحَمِيم

قال الأزهري : الحميمُ عند ابن الأعرابي من الأضداد ، يكون الماء البارد ، ويكون الماء الحار ، قال الشاعر :

وَسَاغَ لِي الشَّرابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أَكَادُ أُغَصُّ بالمَاءِ الحَمِيمِ

(٢) في المخطوطة « فيها كِبَا » وصوابه « كِبَاءٌ » قال في القاموس : الكِباءُ كَكِسَاءٍ : عودُ البخور ، وبالقصر كَإلى : الكناسةُ .

(٣) الخطاب للملائكة كما قال المفسرون أي يقال للزبانية : خذوا هذا الفاجر اللئيم ، فسوقوه وجرُّوه بعنف ، إلى وسط الجحيم .

قال أبو جعفر : يُقال : عَتَلَهُ ، يَعْتُلُهُ ، ويَعْتِلُهُ : إذا جَرَّه بعنفٍ ، وشِدَّة[1] .

قال قتادة : ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ إلى وسطِ الجحيم .

٢٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [آية ٤٩] .

وقرأ الحسن بنُ عليٍّ عليهما السَّلام ﴿ ذُقْ أَنَّكَ ﴾ بفتح الهمزة[2] ، وهي قراءة الكسائي ، والمعنى عليها : ذُقْ لأنك كنتَ تقولُ هذا ، والمعنى : على قولك .

قال قتادة : أنزل اللهُ عز وجل في « أبي جهلٍ » الآية ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ فقال : أيوعدني محمدٌ ، وما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم ؟ فأنزل الله ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

---

(١) قال الأزهري : عتلتُه ، أعتِلُه ، وأعتُلُه : إذا دفعتَه دفعاً عنيفاً ، وهما لغتان فصيحتان ، وقد قُرِئ بهما ، وقوله تعالى ﴿ خذوه فاعْتِلُوه ﴾ أي خذوه فاقصفوه كما يُقصفُ الحطبُ ، رواه الأعمش عن مجاهد . اهـ. تهذيب اللغة وفي كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ : اختلفوا في كسر التاء وضمها من قوله ﴿ فاعتِلُوه ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ فَاعْتُلُوه ﴾ برفع التاء ، وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ﴿ فاعْتِلوه ﴾ بكسر التاء ، وكذا في النشر في القراءات العشر ٢/٣٧١ .

(٢) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢/٣٧١ : ﴿ ذُقْ إنك ﴾ قرأ الكسائي بفتح الهمزة ، وقرأ الباقون بكسرها . اهـ.

أقول : فكل من القراءتين سبعية ، أمَّا على قراءة الفتح فيكون للتعليل . ذق لأنك أنت العزيز الكريم ، وعلى كلا القراءتين فالغرض التهكم والتوبيخ .

الكَرِيمُ ﴾ وأنزل فيه ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[1] .

٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [آية ٥١] .

قال الكسائي : المقامُ : المكانُ ، والمُقَامُ : الإقامة[2] ، كما قال :

« عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا »[3]

ومعنى ﴿أمين﴾ أي من العلل والأحزان .

قال قتادة : « أمين » من الشيطان والأنصاب ، والأحزان[4] .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [آية ٥٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣٤/٢٥ وابن كثير ٢٤٧/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ عن قتادة ، وقال : أخرجه عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وقال في البحر المحيط ٤٠/٨ : وهذا على سبيل التهكم والهزء لمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه .

(٢) قال الجوهري : المَقَامُ والمُقَامُ ، قد يكون كل منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، تقول : أقام بالمكان إقامةً ، والمُقامة بالضم : الإقامة ، وبالفتح : المجلسُ ، والجماعة من الناس . اهـ. الصحاح .

(٣) هذا شطر بيت للبيد من أول معلقته ، وهو في ديوانه ص ٢٩٧ وتمامه :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

وذكره الجوهري في الصحاح مادة « قوم » والقرطبي في جامع الأحكام ١٥٢/١٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ ويجمع الأقوال ما قاله الشوكاني ٥٧٩/٤ : ﴿ في مقام أمين ﴾ يأمن صاحبه من جميع المخاوف ، وكذا قال ابن كثير ٢٤٦/٧ : قد أمنوا من الموت ، والخروج ، ومن كل هَمٍّ ، وحَزَن ، وجزع ، وتعب ، ونصب ، ومن الشيطان وكيده ، وسائر الآفات والمصائب . اهـ.

قال عكرمة : الاستبرقُ : غليظُ الدِّيباج(١) .

قال أبو إسحاق(٢) : الاستبرقُ مأخوذٌ من البريقِ ، وهو الذي يُجعل على الكعبة ، والسندسُ الرقيقُ منه .

٢٦ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ [آية ٥٤] .

قال مجاهد : أي أنكحناهم(٣) .

قال قتادة : وفي قراءة عبد الله ﴿ **كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِعِيسٍ عِينٍ** ﴾(٤) ومعناه : البِيضُ ، يُقال : جَملٌ أَعْيَسُ ، إذا كان أبيضَ يَضْرِبُ إلى الشُّقْرَةِ(٥) .

٢٧ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ** ﴾ [آية ٥٥] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ١٣٦/٢٥ والقرطبي ١٥٢/١٦ قال الطبري : والمعنى : يلبس هؤلاء المتقون في الجنات ﴿ من سُنْدسٍ ﴾ وهو ما رقَّ من الديباج ﴿ واستبرقٍ ﴾ وهو ما غَلُظ من الديباج . اهـ.

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٣٦/٢٥ قال : والمعنى : كما أكرمناهم بإدخال الجنات ، وإلباسهم فيها السندس والاستبرق ، كذلك أكرمناهم فزوجناهم حوراً من النساء ، وهنَّ النقيَّات البياض ، العظيمات العيون . اهـ.

(٤) هذه القراءة عن ابن مسعود من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٦١/٢ وذكرها الطبري ١٣٦/٢٥ في جامع البيان ، والفراء في معاني القرآن ٤٤/٢ قال : والعَيْسَاءُ : البيضاءُ ، والحوراء كذلك .

(٥) قال الجوهري : العِيسُ بالكسر : الإبل البيضُ يخالط بياضَها شيءٌ من الشقرة ، واحدها أعيسُ ، والأنثى عيساء ، وكذلك في المصباح .

قال **قتادة** : آمنين من الموتِ ، والوَصَبِ ، والشيطانِ(١) .

وقال غيره : آمنين من انقطاع ذلك(٢) ، ومن غائلةِ أَذَاهُ ، ومكروهِهِ ، وليس كفاكهة الدنيا التي لها غائلةٌ ، وتَنْفَدُ .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ، وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [آية ٥٦] .

المعنى : لا يذوقون فيها الموتَ البَتَّةَ ، ثم قال ﴿ **إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى** ﴾ استثناءٌ ليس من الأوَّلِ ، وأنشد سيبويه :

مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فِي تَفَرُّقِ فَالِجٍ
فَلَبُونُهُ جَرِبَتْ مَعاً وَأَغَدَّتِ(٣)

ثم استثنى ما ليس من الأول فقال :

إِلَّا كَنَاشِرَةَ التِي ضَيَّعْتُمُ
كَالغُصْنِ فِي غُلَوَائِهِ المُتَنَبِّتِ

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٧/٢٥ والقرطبي ١٣٤/١٦ والشوكاني ٥٧٩/٤ .

(٢) هذا ما اختاره ابن كثير ٢٤٧/٧ حيث قال : ﴿ آمنين ﴾ أي وهم آمنون من انقطاعه ، وامتناعه ، بل يحضر لهم كلَّما أرادوا . اهـ. والأولى أنه على العموم ، أي آمنين من التخم ، والأمراض ، والآفات ، والأكدار ، ومن انقطاع النعيم في الجنة .

(٣) البيتان للشاعر (عنز بن دَجَاجة المازني) وهما من شواهد سيبويه ص ٧٣ وقد ورد فيه البيت الأول بلفظ « من كان أشرك في تفرق فالج » .. إلخ. وانظر كتاب سيبويه شرح قنبر ٣٢٨/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٥٤/١٦ والشاهد فيه « إِلَّا كَنَاشِرَة » فالاستثناء فيه منقطع بمعنى لكنْ ، فالشاعر يدعو على بني مازن الذين تسبَّبوا في هجر فالج لوطنه ، ويستثني منهم « ناشرة » لأنه لم يرض بصنيعهم . اهـ. والآية على هذا الرأي معناها : لا يذوقون في الجنة الموت أبداً ، لكنْ الموتةُ الأُولى قد ذاقوها في الدنيا .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [آية ٥٧] .

قال الفراء : أي فعل ذلك تفضلاً(١) .

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ [آية ٥٩] .

أي منتظرون .

* * *

« انتهت سورة الدخان »

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٤/٣ وعلى قوله ﴿ فضلاً ﴾ جعله مفعولاً لفعل محذوف تقديره : فعل ذلك بهم تفضلًا منه عليهم ، وقيل : منصوب على أنه مفعول مطلق ، أي تفضل عليهم تفضلاً ، كما في حاشية الجمل على الجلالين .

تفسير سورة الجاثية

مكية وآياتها ٧٣ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية وهي مكية

١ ـ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ٣] .

والمعنى : إنَّ في خلق السمواتِ والأرضِ[1] .

ودلَّ عليه قوله ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾ [آية ٤] .

وكلُّ ما فيه الرُّوحُ ، فهو دابَّةٌ[2] .

٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٥] .

---

(١) على هذا أكثر المفسرين ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ٤٢/٨ : احْتُمل أن يراد بقوله ﴿ إن في السموات والأرض ﴾ أي في خلق السموات كقوله ﴿ وفي خلقكم ﴾ والظاهر أنه لا يُراد التخصيص بالخلق ، بل في السَّموات والأرض على الإطلاق والعموم ، أي في أي شيء نظرتَ منهما من خَلْقٍ ، ومن غيره ، من تسخير وتنوير ، لآيات للمؤمنين . اهـ.

(٢) قال في المصباح : كلُّ حيوان في الأرض دابة ، قال تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ وتخصيص الفرس ، والبغل ، بالدابة ، عُرْفٌ طارئ . اهـ.

قال قتادة : إن شاء جعلها رحمةً ، وإن شاء جعلها عذاباً[1] .

٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [آية ٦] .

أي بعد قرآن اللهِ[2] ، كما قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ القَرْيَةَ** ﴾ .

٤ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾ [آية ٧] .

الأَفَّاكُ : الكذَّابُ[3] .

٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** .. ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤١/٢٥ وعزاه في الدر المنثور ٣٤/٦ إلى ابن جريج .
أقول : هذا نوع من أنواع تصريف الرياح أن يجعلها الله رحمةً على قوم ، وعذاباً وهلاكاً لآخرين ، والأولى التعميم ، كما قال ابن كثير ﴿ وتصريف الرياح ﴾ : أي جنوباً ، وشمالاً ، بحرية ، وبريَّة ، منها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح الأشجار ، ومنها ما هو غذاءٌ للأرواح ، ومنها ما هو عقيم . اهـ. وفي الحديث (نُصرتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبور) .

(٢) قال في البحر المحيط ٤٩/٨ ﴿ بعد اللهِ .. ﴾ الآية فيها تقريع وتوبيخ وتهديد ، والمراد بقوله ﴿ بعد الله ﴾ أي بعد حديث الله ، وهو كتابه وكلامه كقوله تعالى ﴿ الله نزَّل أحسن الحديث ﴾ وقوله ﴿ فبأيِّ حديث بعده يؤمنون ﴾ أي بعد حديث الله وكلامه ؟ فالآية على حذف مضاف .

(٣) في الصحاح : الإفك : الكذبُ ، ورجلٌ أفَّاك أي كذَّاب . اهـ. والصيغة تدل على المبالغة لأنها على صيغة فعَّال ، وهي من أوزان المبالغة كما قال ابن مالك :
« فَعَّالٌ أَوْ مِفْعَالٌ أَوْ فَعُولُ   فِي كَثْرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلُ »
قال المفسرون : نزلت الآية في « النضر بن الحارث » كان يشتري أحاديث العجم ، ويشغل بها الناسَ عن استماع القرآن ، والآية عامة في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة .

روى إسرائيل عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال : منه النُّورُ ، ومنه الشمسُ ، ومنه القمر[1] .

ويُقرأ ﴿ جَمِيعاً مِنَّةً ﴾[2] بمعنى مَنَّ به مِنَّةً .

ويُقرأ ﴿ مِنَّةٌ ﴾[3] بمعنى : ذلكَ مِنَّةٌ .

ويجوز ﴿ مَنُّهُ ﴾[4] على أنه مصدر ، كما قال تعالى **﴿ صُنْعَ اللهِ ﴾[5]** .

٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ .. ﴾** [آية ١٤] .

قال مجاهد : أي لا يبالون نِعَمَ اللهِ[6] ، أي لا يعلمون أنه أنعم

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤/٦ عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري عنه ١٤٣/٣٥ فقال : « كلُّ شيءٍ هو من الله ، لا ينازعه فيه المنازعون » وقال ابن كثير : الكواكبُ ، والجبالُ ، والبحارُ ، والأنهارُ ، وجميع ما تنفقون به ، الجميع من فضله ، وإحسانه ، وامتنانه . اهـ.

(٢ ـ ٤) هذه الوجوه من القراءات ﴿ مِنَّةً ، أو مِنَّةٌ ، أو مَنُّهُ ﴾ كلُّها قراءات شاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢٦٢/٢ وليس فيها شيء من القراءات السبع ، ومعلوم أنه لا يُقرأ بالشاذّ ، وإنما تُذكر لبيان الوجوه التي تحتملها الآية فقط .

(٥) سورة النمل آية رقم ٨٨ وتمامها ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾ .

(٦) الطبري عن مجاهد ١٤٤/٢٥ في قوله ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ قال : لا يُبالون نِعَمَ الله ، أو نقم الله ، وابن الجوزي ٣٥٨/٧ .

أقول : إذا فُسِّرت « أيام الله » بنعمه فالرجاء على أصله ، وإذا فسرت بالنقم والعقوبات ،=

بها عليهم ، كما قال تعالى ﴿ **وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ**[1] ﴾ .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : لا يرجون البعث ، أي لا يؤمنون به .

وقال قتادة : هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾[2] .

٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [آية ١٨] .

روى سعيد عن قتادة قال : الشريعةُ : الفرائضُ ، والحدُودُ ، والأَمرُ ، والنهيُ[3] .

قال أبو جعفر : الشَّريعةُ في اللغة : المذهبُ ، والمِلَّةُ ، ومنه شَرَعَ فلانٌ في كذا ، ومنه [الشَّارعُ لأنه طريق إلى المقصد ، فالشريعة

= فالرجاء بمعنى الخوف أي لا يخافون عقاب الله ، والأظهر كما قال النحاس أن المراد ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ أي لا يرجون لقاءه ، ولا يؤمنون بالبعث والنشور .

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٥ وتمامها ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرهم بأيام الله ﴾ .

(٢) هذا رأي الأكثرين أن الآية منسوخة ، قال ابن كثير ٢٥١/٧ : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا .. ﴾ الآية أي يصفحوا عنهم ، ويحملوا الأذى منهم ، وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أُمروا أن يصبروا على أذى المشركين ، وأهل الكتاب ، تأليفاً لقلوبهم ، ثم لمَّا أصرُّوا على العناد ، شرع الله للمؤمنين الجلادَ والجهاد . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤٧/٢٥ والقرطبي ١٦٣/١٦ والدر المنثور ٣٥/٦ .

ما شرع اللهُ لعباده من الدِّينِ ، والجمع : الشرائع][1] أي المذاهب .

٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

أي هذا القرآن[2] .

٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** [آية ٢١] .

﴿ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي : كسبوا السيئات[3] ، ومنه **﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾**[4] ومنه الجوارح[5] أي الكواسب .

١٠ ــ **وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾** [آية ٢١] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سطر كامل سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبي ، لأنه ينقل كثيراً عن الإمام النحاس .

(٢) الإشارة ﴿ هذا ﴾ تعود على القرآن ، كما قال الطبري : هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ، بصائر للناس ، يبصرون به الحق من الباطل . اهـ.

(٣) في الصحاح : جَرَح واجترح ، أي اكتسب ، والجوارحُ من السِّباع والطير : ذواتُ الصَّيْدِ ، وجوارح الإنسان : أعضاؤه التي يكتسب بها . اهـ.

(٣) الآية من سورة الأنعام رقم ٦٠ وأولها ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ويعلمُ ما جرحتم بالنهار ﴾ أي ما اكتسبتموه وفعلتموه .

(٤) يشير المصنف إلى آية المائدة ﴿ وما علَّمتم من الجوارح مكَلِّبين تُعلِّمونهن مما علمكم الله ﴾ وهي كما قال ابن عباس : الكلابُ ، والصقور المعلَّمة .

قال مجاهد : المؤمن يموتُ مؤمناً ، ويُبْعثُ مؤمناً ، والكافرُ يموتُ كافراً ، ويُبْعَث كافراً[1] .

ويُقرأ : ﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[2] .

وقرأ الأعمش : ﴿ سَوَاءٍ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : القراءة الأُولى أحسنُ من جهة المعنى على قول مجاهد ، وهي أيضاً أجودُ عند النحويين من جهة الإعراب .

وقراءة الأعمش على البدل ، وعند الفراء بمعنى الظَّرف[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٤٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥/٦ والقرطبي ١٦٦/١٦ .

(٢) قراءة النصب ﴿ سَوَاءً محياهم ﴾ هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وحفص ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، بالرفع ﴿ سواءٌ محياهم ﴾ وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٧٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٩٥ .

(٣) قراءة الجر ﴿ سواءٍ محياهم ومماتهم ﴾ ذكرها في البحر المحيط ٤٧/٨ وليست من القراءات السبع ، فهي جائزة لغة لا تلاوة .

(٤) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ٤٧/٣ قال في التسهيل ٧٠/٤ : وهذه الجملة داخلة فيما أنكره الله مما ظنه الكفار ، وقيل : هي كلام مستأنف ، أي : إن محيا المؤمنين ومماتهم سواء ، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء ، لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها . اهـ.

أقول : هذا هو الظاهر والصحيح ، كما نبه ابن جُزي ومعنى الآية على قوله : هل يظن الكفار الفجّار ، الذين اكتسبوا المعاصي والآثام ، أن نجعلهم كالمؤمنين الأبرار ، ونساوي بينهم في المحيا والممات ؟ لا يمكن أبداً المساواة بين الأبرار والفجار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كقوله سبحانه ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ .. ﴾** [آية ٢٣] .

قال سعيد بن جبير : كان أحدهم يعبدُ الحَجَر ، فإذا رأى أحسنَ منه ، قال : هذا أحسنُ من هذا ، فعَبَدَه[١] .

وقال الحسن وقتادة في قوله ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ قال : المنافقُ إذا هَوِيَ شيئاً رَكِبَهُ[٢] .

ثم قال : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [آية ٢٣] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ قد عَلِمَه عنده[٣] .

(١) الأثر في الطبري ٢٥/١٥٠ والقرطبي ١٦/١٦٧ والبحر المحيط ٨/٤٨ .

(٢) قال في البحر المحيط ٨/٤٨ : كانوا يعبدون ما يَهْوَوْن من الحجارة ، قال قتادة : لا يَهْوى شيئاً إلّا ركبه لا يخاف الله ، فلهذا يقال : « الهَوَى إلَهٌ معبودٌ » وقد كان أحدهم يهوى الحجر فيعبده ، ثم يرى غيره فيهواه ، فيلقي الأول ويعبد الثاني ، والآية وإن نزلت في هوى الكفر ، فهي متناولة جميع هوى النفس الأمّارة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والحسن البصري ، كما نقله القرطبي ١٦/١٦٦ أن الكافر اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه ، ولهذا قال ابن عباس : ما ذكر الله الهوى إلّا ذمّه .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٢٥/١٥١ والضمير على هذا القول ، يرجع إلى الله تعالى ، أي أضلّه الله في سابق علمه ، وهو اختيار الطبري حيث قال : أي خذله الله عن محجة الطريق في سابق علمه ، على علم منه تعالى بأنه لا يهتدي .
والقول الثاني أن الضمير يعود على العابد أي وأضلّ الله ذلك الشقي حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به ، فهو أشد قبحاً وشناعة ، ممن يضلُّ عن جهلٍ ، وهذا القول أظهر .

وقيل : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ أنه لا ينفعه ، ولا يضرُّه .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .. ﴾ [آية ٢٤] .

يُقال : هم لا يُقِرُّون بالبعث ، فما معنى ﴿ نَمُوتُ ونَحْيَا ﴾ ؟

ففيه ثلاثة أجوبة :

١ ــ منها أن المعنى : يموتُ بعضُنَا ، ويحيا بعضٌ[1] .

٢ ــ ومنها أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وأن المعنى : نحيا ، ونموتُ[2] .

٣ ــ والجواب الثالث : أن معنى ﴿ نَمُوتُ ﴾ نُخْلَقُ مَوَاتاً ، ثم نحيا في الدنيا .

وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ :

(١) هذا القول هو أرجح الأقوال وأظهرها ، وهو اختيار الأكثرين والمعنى : قال المشركون : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، ولا آخرة ، ولا بعث ، ولا نشور ، قال ابن كثير ٢٥٣/٧ : هذا قول الدهرية من الكفار ، يريدون ما ثَمَّ إلَّا هذه الدار ، يموت قومٌ ، ويعيش آخرون ، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد . اهـ.

(٢) هذا القول بناء على أن الواو لمطلق الجمع ولا تفيد ترتيباً ، وقد ذكره الطبري ١٥١/٢٥ فقال : ويحتمل أن يكون المعنى : نحيا ونموت ، على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، وهذا تفعله العرب في « الواو » خاصة كما يقال : قمتُ وقعدتُ بمعنى : قعدت وقمت . اهـ.

قال مجاهد : أي الزَّمانُ أي مرُّ السنينَ ، والأيَّامِ[1] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ (لا تسبُّوا الدَّهرَ ، فإنَّ الله هو الدَّهْرُ)[2] .

في معناه ثلاثة أقوال :

١ ــ **منها أن المعنى** : لا تسبُّوا خَلْقاً من خلق اللهِ ، فيما لا ذنب له فيه « فإن الله هو الدَّهرُ » أي خالقُ الدَّهرِ[3] ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٢ ــ **وقيل** : لما كانوا يقولون فعلَ اللهُ بالزمان ، فإنه قد فعل بنا كذا ، وكان اللهُ جلَّ وعزَّ هو القاضي بتلك الأشياء ، قال لهم : لا تسبُّوا فاعل

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٣/٢٥ والقرطبي ١٧٠/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥/٦ قال الطبري : أي ما يُفنينا إلا مرُّ الليالي والأيام ، وطول العمر ، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربٌّ ، يُفنيهم ويُهلكهم . اهـ.

(٢) الحديث رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ١٧٦٣/٤ وأحمد في المسند ٢٩٩/٥ وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٦٦/٦ بلفظ (يؤذيني ابنُ آدمَ يسبُّ الدَّهر ، وأنا الدَّهْرُ ، بيدي الأمْرُ ، أُقلِّب اللَّيلَ والنَّهارَ) .

(٣) أحسن ما قيل في معنى الحديث ، ما قاله الشافعي وأبو عُبيدة : كانت العرب في جاهليتها ، إذا أصابهم شدةٌ ، أو بلاءٌ ، أو نكبة ، قالوا : يا خيبة الدَّهرِ ، فيُسندون تلكَ الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبُّوا الله عز وجل ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهي عن سبِّ الدهر بهذا الاعتبار ، قال ابن كثير : هذا أحسن ما قيل في تفسير الحديث .

الأشياء ، فإن الدهر ليس يفعلها[1] .

٣ ــ وقد رُوي (فإنَّ اللهَ هو الدَّهْرَ) والمعنى عليه : لا تسبُّوا الدَّهرَ ، فإن الله مقيمٌ الدَّهْرَ ، أي مقيمٌ أبداً لا يزالُ[2] .

وقد رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال : قولهم لا نُبْعَث[3] .

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا .. ﴾ [آية ٢٨] .

في معناه قولان :

رَوى ورقاءُ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وابنُ عيينةَ عن ابن جُريج ، عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾

---

(١) هذا القول هو خلاصة قول الشافعي رحمه الله كما ذكرناه ، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن النبي ﷺ (إن الله تعالى قال : لا يقولنَّ أحدكم يا خيبةَ الدهر ، فإني أنا الدهر ، أُقلِّبُ ليله ونهاره ، وإذا شئتُ قبضتُهما) الطبري ١٥٣/٢٥ .

(٢) هذا القول غريب وبعيد ، والصحيح ما ذكرناه ، فإنهم كانوا يضيفون الأمور إلى الدهر ، والله هو الفاعل لهذه الأمور ، فيرجع السبُّ إليه سبحانه ، وانظر القرطبي في جامع الأحكام ١٧١/١٦ ففيه كلام نفيس .

(٣) مراده : ما لهم بأمر البعث والنشور ، والجزاء والمعاد ، علمٌ يقيني ، ولا مستند من عقل أو نقل ، بل هو مجرد ظنون وأوهام ، يقولونه تخرصاً من غير دليل ولا برهان ، وهو خلاصة قول ابن جرير الطبري رحمه الله .

قال : مُسْتَوْفِزِينَ عَلى الرُّكبِ[1] .

قال مجاهد ـ في رواية ابن أبي نجيح ـ الأُمَّةُ ههنا : الواحدُ[2] .

قال سفيان بن أبي عُيينة : ولا يكون المستوفز إلّا على ركبتيه ، وأطراف أصابعه[3] .

قال الضحاك : ﴿ جَاثِيَةً ﴾ : عند الحساب[4] .

فهذا قولٌ .

وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ قال : أهلُ كلِّ دينٍ ، وجاثية : مجتمعة[5] .

قال أبو جعفر : قد يُقال لما اجتمع من التراب : جُثْوَةٌ ، فأحسِبُ الفراء أخذه من هذا ، قال الشاعر :

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا
صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ[6]

(١ ـ ٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٥٤/٢٥ والقرطبي ١٧٤/١٦ والبحر المحيط ٥٠/٨ قال أبو حيان : ﴿ جاثية ﴾ أي باركة على الركب ، مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف . اهـ. وكلُّ الأقوال التي ذكرها المصنف متقاربة ، ولهذا عدَّها المصنف قولاً واحداً .

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٨/٣ قال : ﴿ وترى كل أمةٍ جاثية ﴾ يريد أهل دين « جاثية » يقول مجتمعة للحسلاب ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يقول : إلى حسابها ، وهو من قوله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ . اهـ.

(٦) البيت لطرفة بن العبد ، يصف قبرين ، كما في ديوانه ص ٤٨ وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ١٧٤/١٦ وفي البحر المحيط ٥٠/٨ وقد ورد في الديوان الشطر الثاني بلفظ « صَفَائِحُ صُمٌّ من صَفِيحٍ مُنَضَّدِ » .

والقول الأول أعرفُ ، وأشهرُ .

١٤ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن كتابها ما فُرض عليها ، من حلال وحرام[١] .

والقول الآخر : أن كتابَها ما كتبت الملائكةُ عليها[٢] .

وهذا أوْلى ، لأنَّ بعده ما يدلُّ عليه .

١٥ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ ، إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٩] .

﴿ يَنْطِقُ ﴾ أي يُبيِّنُ .

أي تنظرون فتذكرون ما عملتم[٣] .

---

(١) هذا قول الماوردي كما في تفسير ابن الجوزي ٣٦٤/٧ قال : كتابُها الذي أُنزل على رسوله ، وهو قول مرجوح .

(٢) هذا قول الأكثرين أن المراد به صحائف أعمالها التي سجلتها الحفظة عليها ، قال الطبري : تُدعى إلى كتابها الذي أَمْلَتْ على حفظتها ، وقال ابن كثير : يعني كتاب أعمالها . اهـ. ويؤيده قوله تعالى ﴿ ووُضِع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ فهي صريحة في كتاب الأعمال ، والله أعلم .

(٣) المراد بقوله ﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾ أي يشهد عليكم بما عملتم ، ففيه استعارة تصريحية ، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة ، لأن شهادة الكتاب ببيانه ، أقوى من شهادة الإنسان بلسانه ، وأعمالهم القبيحة لوضوحها كأنها تنطق بإجرامهم .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى ما تكتبُهُ الملائكةُ ، وتنسخُه من أعمال بني آدم(١) .

والقول الآخر : رواه سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : فَرَغَ اللهُ جَلَّ وعزَّ مما هو كَائِنٌ ، فتنسخُ الملائكةُ ما يُعمل يوماً بيومٍ ، من اللوح المحفوظ ، فيقابَلُ به ما يعمله الإنسان ، لا يزيد على ذلكَ ، ولا يَنْقص .

قال : فقيل لابن عباسٍ : ما توهَّمنا إلَّا إنهم يكتبونه بعدما يُعْمَل !! فقال : أنتم قومٌ عربٌ ، واللهُ جلَّ وعزَّ يقول ﴿ **إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ** ﴾ ولا يكون الاستنساخُ إلَّا منْ نسخةٍ(٢) .

١٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ ﴾** [آية ٣١] .

---

(١) هذا القول أظهر وهو اختيار الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال الحافظ ابن كثير ٧/٢٥٦ : أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

(٢) ذكر هذ الأثر الطبري ٢٥/١٥٦ وابن كثير ٧/٢٥٦ والقرطبي ١٦/١٢٥ وابن الجوزي ٧/٣٦٥ وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصلٍ ، وأكثرُ المفسرين على أن المراد بالاستنساخ ، أمرُ اللهِ للملائكة بتدوين أعمال العباد ، كما قال عليٌّ رضي الله عنه : إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء ، يكتبون فيه أعمال بني آدم ، وقرأ ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ وهو الأظهر ، والله أعلم .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : فيقال لهم[1] : ألم تكنْ آياتي تُتْلى عليكم ؟

١٧ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا .. ﴾ [آية ٣٤] .

روى معمر عن قتادة قال : فاليوم نترككُم ، كما تركتم لقاء يومكم هذا .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : فاليوم نترككم في النَّار ، كما تركتم العملَ ليومكم هذا[2] !!

١٨ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آية ٣٧] .

الكبرياء : العَظمة .

* * *

« انتهت سورة الجاثية »

(١) أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، والمحذوف من الآية هو جواب ﴿ أمَّا ﴾ أي وأما الكفار فيقال لهم : ألم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله ؟

(٢) هذا قول ابن عباس كما حكاه عنه الطبري وغيره حيث قال ٢٥/١٥٨ : أي وقيل لهؤلاء الكفرة اليوم نترككم في عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا .. وإنما فسَّر النسيان بالترك لأن الله تعالى لا يضل ولا ينسى ، والآية فيها استعارة تمثيلية ، مثَّل تركهم في العذاب ، بمن حُبس في مكان منفرد مظلم ، ثم نسيه السجَّان من الطعام والشراب ، حتى هَلَك ، والمراد نعاملكم معاملة الناسي فنترككم في عذاب جهنم .

تفسير سورة الأحقاف
مكية وآياتها ٣٥ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحقاف وهي مكية

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ .. ﴾ [آية ٣] .

أي إلَّا لإقامة الحق[1] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ٣] .

أي أعرضوا بعدما تبيَّن لهم الحقُّ من خلق الله عز وجل .

٢ ــ ثم احتج عليهم فيما يعبدون فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ .. ﴾ [آية ٤] .

المعنى : ما تدعونه إلهاً من دون الله .

﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟ ﴾[2] .

---

(١) الباء على هذا القول بمعنى لام التعليل ، أي ما خلقنا السموات والأرض إلا لإقامة الحق ، والعدل بين العباد ، وقال بعض المفسرين إنه استثناء مفرَّغ أي إلَّا خلقاً ملتبساً بالحق ، حسب الحكمة الإلهية لإيجاد العالَم .

(٢) هذا أسلوب إفحام وتعجيز وسخرية بعقول المشركين ، فإن هذه الأصنام حجارة صمَّاء لا تخلق شيئاً ، ولا تبدي ولا تعيد ، فكأنه يقول لهم : أخبروني وأرشدوني أيَّ شيء خلقوا من الأرض حتى جعلتموها شركاء مع الله ؟ ففيه تهجين لعقولهم كقوله تعالى ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ .

أي في خلق السموات .

﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ أي بكتاب فيه برهان على ما قلتم .

﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ .

قال مجاهد : أحد يأثر علماً[١] .

وقال الحسن : شيء يُثار أو يُستخرج[٢] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ أَثَارَة ﴾ : بقيَّة[٣] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربةٌ ، لأن البقيَّة هوَ شيءٌ يؤثر ، ومعروف في اللغة[٤] أن يُقال : سَمِنَتِ النَّاقةُ على أَثَارةٍ أي على بقيَّةٍ من سِمَنٍ .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٦/٣ وابن كثير ٧/٢٥٨ وزاد المسير ٧/٣٦٩ ، وروى عن ابن عباس أن معنى « أثارةٍ من علمٍ » أي بيِّنة من الأمر حكاه عنه الطبري وابن كثير ، واختار الطبري أن المعنى : بقية من علم .

(٢) حكاه الطبري ٢٦/٣ عن الحسن البصري ، وابن كثير ٧/٢٥٩ وابن الجوزي ٧/٣٦٩ ولفظه : الأثارةُ : الشيء يثيره مستخرجه ، قاله الحسن ، وهو قول مرجوح .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢١٢ .

(٤) قال الهروي : الأثارة والأثر : البقيَّة ، يُقال : ما ثمَّ عينٌ ولا أثر ، والأثارة : مصدر كالسماحة والشجاعة ، وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية ، وقال الألوسي : ﴿ أو أثارةٍ من علمٍ ﴾ أي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين ، شاهدة باستحقاقهم العبادة .

ويُقرأ ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ ﴾[1] .

روى أبو سَلَمَة عن ابن عباس ﴿ أَوْ أَثَـرَةٍ مِنْ عِلْـمٍ ﴾ قال : الخطُّ[2] .

حدثنا محمد بن أحمد ــ يُعرفُ بالجُرَيْجِـي ــ حدثنـا بُنْـدَار ، أنبأنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري ، عن صفـوانَ بنِ سُليـمٍ ، عن أم سَلَمةَ ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال : الخطُّ[3] .

---

(١) هذه القراءة رُويت عن الأعمش ﴿ أو أَثَرة ﴾ وهـي ليست من السبع ، بل هي قراءة شاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢/٢٦٤ .

(٢) الحديث أخرجـه أحمد في المسنـد ١/٢٢٦ وابـن أبي حاتم ، والـطبراني عن ابـن عبـاس مرفوعـاً ، وانظر الدر المنثور ٦/٣٧ .

(٣) جامع الأحكـام للقرطبـي ١٦/١٧٩ وروى السيوطـي في الـدر المنثـور أحـاديث متعـددة في هذا الباب ، والمراد بالخطّ : الخطُّ من التراب ــ أي الضرب بالرمل ــ قال ابن عباس : وذلك شيءٌ كانت العرب تفعله وتتكهـن به وتزجـر ، وفي الحديث الـذي رواه مسلم وأحمد عن معاوية بن الحكم (.. قلت يا رسول الله : ومنا رجال يخطُّون ، قال : « كان نبيٌّ يخطُّ فمن وافـق خطَّـه فذاكَ ») صحيح مسلم ٤/١٧٤٩ ومسند أحمد ٥/٤٤٧ ، وقد اختلف العلماء في معناه ، والصحيـح أن معناه من وافق خطُّه خطَّ ذلك النبيِّ فهو مباح له ، ولكنْ لا طريق لنا إلى العلـم اليقينـي بموافقـة خطه ، فلا يُباح لنا فعله إلا بيـقين الموافقـة ، وليـس لنـا يقين بها ، وهـذا خلاصة رأي القـاضي عياض رحمه الله ، وإنما لم يقل رسول الله ﷺ هو حرام ، لئلا يتوهم متوهم أن النصَّ يدخل فيـه ذاك النبي الذي كان يخطُّ ، فراعى النبـيُّ عليـه السلام حرمـة ذلك النبـي ، مع بيـان الحكـم في حقنـا ، والحديث إشارة إلى علـم الرمـل ، وهـو منسوخ في شريعتنـــا ، لأن الشرع منـــع من التخرص ، والتكهن ، وادعاء معرفة الغيب ، وانظر ما قاله الخطابي في القرطبي ١٦/١٨٠ وكـذا النهاية لابن الأثير ٢/٤٧ .

وروى **سعيدٌ عن قتادة** ﴿ **أَوْ أَثَـرَةٍ مِنْ عِلْـمٍ** ﴾ قال : خاصة من علمٍ(١) .

قال أبو جعفر : يُقال لفلانٍ عنـدي أَثَـرَةٌ ، أو أُثْـرَةٌ : أي شيءٌ أخصُّه به ، ومنه آثَرْتُ فُلَاناً على فُلَانٍ .

ويجوز أن يكـون ﴿ **أَثَـرَةٌ** ﴾ خبراً عن بعض الأنبيـــاء صلى الله عليهم ، من أَثَرْتُ الحَدِيثَ ، وذا قولُ أبي عُبَيْدَةَ(٢) .

٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ** .. ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي تقولونه(٣) .

٤ ــ **وقولـه جل وعـز** : ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعـاً مِنَ الـرُّسُلِ وَمَـــا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** .. ﴾ [آية ٩] .

قال مجاهـــد في قولـــه تعـــالى ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعــــاً مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ : أي أَوَّلَ مَنْ أُرْسِلَ(٤) .

---

(١) في المخطوطة [خاصاً من علـم] وهـو تصحيـف ، وصوابـه خاصة من علـم ، كما في الـــطبري ٢/٢٦ وابن الجوزي ٣٦٩/٧ وابن كثير ٢٥٩/٧ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٢/٢ .

(٣) الأثر في الطبري ٥/٢٦ والقرطبي ١٨٤/١٦ والإفاضة : الخوضُ في الشيء والاندفاع ، والمعنـى : هو تعالى أعلم بما تخوضون في القرآن ، وتقدحون به ، من قولكم : هو شعر ، هو سحر ، هو كهانة ، وغير ذلك من وجوه الطعن .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٨/٦ وعزاه الطبري إلى ابن عباس قال : ﴿ ما كنت بدعـاً من الـرسل ﴾ أي لستُ أوَّل رسول أُرسل إلى النـاس ، بل كان قبلي رسل ، وقـــال =

وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ وقد قال في موضعٍ آخر ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] .

فالجواب في هذا : أنــه ليس من ذاك ، وإنما المعنــى ـــ واللهُ أعلم ـــ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ، من جَدْبٍ أو غيره[2] .

= ابن كثير ٧/٢٦٠ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة المعنى : ما أنا بأول رسول ، ولم يحكِ ابـــن جرير ، ولا ابنُ أبي حاتم غير ذلك .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢ .

(٢) أراد المصنف أن يدفع الإشكال الذي ربما يخطر على البال ، وهو كيف نوفق بين قوله تعالى ﴿ وما أدري ما يُفْعل بي ولا بكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ؟ فقد أخبره تعالى بمغفرة ذنوبه ، وبدخوله الجنة مع المؤمنين ، فكيف يقول ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾ ؟ والجواب فيه أربعة أقوال للمفسرين ، وأظهرها أن المراد ما يحدث له ولأصحابه من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة ، كأنه يقول : لا أدري بما يقضي الله عليَّ وعليكم ، فإن مقادير الله مغيَّبة ، وهذا قول الحسن البصري ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، قال الطبري ٧/٢٦ : والمراد من الآية أنه عليه السلام لا يدري إلَامَ يصير أمره ، وأمرهم في الدنيا ، أيصير أمره معهم أن يقتلوه ، أو يخرجوه من بينهم ، أو يؤمنوا به فيتبعوه .. إلخ. قال الحسن : أما في الآخرة فمعاذالله ، قد علم أنه في الجنة حين أخذ الله ميثاقه في الرسل ، ولكن قال : وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدنيا ، هل أُخرج كما أُخرجت الأنبياء من قبلي ؟ أو أُقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ وهل أمتي المكذبة ؟ أو أمتي المصدِّقة ؟ أم أمتي المرمية بالحجارة ؟ أو المخسوف بها ، ثم أُوحي إليه فأخبره الله ما يصنع الله به ، وما يصنع بأمته .. قال الطبري : وأولاها بالصواب ما قاله الحسن البصري ، وقال ابن كثير ٧/٢٦٠ : وهذا القول الذي عوَّل عليه ابن جرير ، لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يئول إليه أمره ، وأمر مشركي قريش إلى ماذا ؟ أيؤمنون أم يكفرون ، فيعذبون فيُستأصلون بكفرهم ؟ . اهـ.

أقول : وهذا هو الحق الذي تطمئن له النفس .

ويُبيِّـن هذا أنـه يُرْوَى أن النبـيَّ ﷺ رأى رؤيـا سَرَّتْ أصحابَـهُ ، فاستبطـأوا تأويلَهـا ، فأنـزلَ اللهُ جلَّ وعـزَّ ﴿ **وَمَـا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** ﴾ .

٥ ــ **وقولـه جل وعـز** : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُـمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُـمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَـى مِثْلِـهِ ، فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُـمْ** .. ﴾ [آية ١٠] .

قيل : في الكلام حذفٌ لعلم السَّامع به .

والمعنى : أرأيتم إن كان من عنـد الله ، وشهـد شاهـدٌ من بنـي إسرائيل ، ممَّنْ تثقون به ، وتقفـون على صدقـه وعلمـه ، على ما شهـد النبي ﷺ ، وكفرتم به ، أليس قد غرَّرتم ، وأتيتم أمراً قبيحـاً ، واجتـرأتم عليه[١] ؟!

فأمـا الشاهـد من بنـي إسرائيـل فقيـل : إنـه « عبـدُ الله بنُ سَلَام » .

رَوَى مَالِكٌ عن أبِي النَّضْرِ ، عن عامـر بن سعـد بن أبي وقـاص عن أبيـه قال : « ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقـول لأحـدٍ يمشي

(١) عبارة ابن جرير في التسهيل ٤/٧٥ : ومعنى الآية : أرأيتم إن كان القرآن من عنـد الله ، وكفـرتم به ألستم ظالمين ؟ ثم حُذف قوله : « ألستم ظالمين » وهو الجواب لأنه دل عليه قوله تعالى ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

على وجه الأرض : إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سَلَام ، وفيه نَزَلَتْ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾)[1] .

وقال الحسنُ ، ومجاهدٌ ، والضحَّاكُ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ : عبدُ الله بن سَلَام[2] .

قال أبو جعفر : وفي الآية قولان آخران :

أ ــ قال مسروق : ليس هو « عبد الله بن سَلَام » لأن السورة مَكيَّةٌ ، والمعنى لموسى ﷺ والتوراةِ ، وأهلِ الكتاب ، أنزلَ اللهُ جلَّ وعز التوراة على موسى ، فآمن بها أهلُ الكتاب ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ مخاطبةٌ

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٤٦/٥ ومسلم في فضائل الصحابة ١٦٠/٧ ورواه النسائي أيضاً وابن جرير ، وابن مردويه ، عن سعد بن أبي وقاص بهذا اللفظ ، وانظر السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وروح المعاني للألوسي ٣/٢٦ .

(٢) هذا قول الجمهور ، والسورة وإن كانت مكية إلا أن هذه الآية مدنية على رأي بعض المفسرين ، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك ، أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عبد الله كان بالمدينة بالاتفاق ، فتكون الآية مدنية ، ومما يدلُّ على أن إسلامه كان في المدينة بعد الهجرة ، ما أخرجه أحمد في المسند ٤٥١/٥ من حديث زُرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة خرجتُ أنظر فيمن ينظر ، فلمَّا رأيت وجهه عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّاب ، فكان أول شيء سمعته منه يقول « يا أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام ، وصلُّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وفي بعض الروايات « فلما نظرتُ إلى وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فقلت يا محمد : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي .. » ثم أسلم بعد إخباره ﷺ له عنها .

لقريش ، قال ﴿ **وَسَبَقُونَا إِلَيْهِ** ﴾ يعني أهل الكتاب(١) .

ب ــ **رَوَى ابنُ عَوْنٍ ، عن الشعبيِّ ، في قوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ** ﴾ قال : هو رجلٌ من أهل الكتاب ، وليس بعبد الله بن سلام ، لأن السورة مكيَّةٌ ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام ، قبل وفاة النبي ﷺ بعامين(٢) .

قال أبو جعفر : هذا الاعتراضُ لا يلزم ، وسُئل « محمدُ بن سيرين » عن هذا بعينه فقال : كانت الآية تنزل فيقال لهم : أَلْحِقُوهَا في سورة كذا ، وكذا(٣) .

قال أبو جعفر : فهذا جوابٌ عن ذاك .

ويجوز أن تكون الآية نزلت بمكة ، ويكون المعنى : أرأيتم إن كان من عند الله ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أتؤمنون ؟

وقال الحسن : نزل هذا بمكة فآمن عبد الله بن سَلَام

(١ ــ ٢) ذكرهما الطبري في جامع البيان ٩/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٥٧/٨ .

(٣) هذا هو الصحيح أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام كما قاله الجمهور ، والآية مدنية جاءت ضمن هذه السورة المكية ، فقد كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالآية أو الآيات ، فيقول له : إن الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا في سورة كذا ، فتكون الآية مدنية في ثنايا سورة مكية ، وهذا هو القول الراجح ، وهو ما ذهب إليه المصنف ، والله أعلم .

بالمدينة[1] .

٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ١١] .

قال مسروق : هم أهل الكتاب[2] .

وقال الحسن : أَسْلَمُ ، وغِفَارٌ ، فقالت قريش : لو كان خيراً ما سبقونا إليه[3] .

٧ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آية ١٢] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وعلى قول الحسن تكون الآية من الآيات التي تضمنت غيباً ظهر مصداقُه في الوجود ، فقد أخبر القرآن الكريم بشهادة عبد الله بن سلام قبل وقوعها ، ثم وقعت كما أخبر ، وكان ابن سلام يقول : نزلتْ فيَّ آيات من كتاب الله عز وجل ، نزل فيَّ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن .. ﴾ ونزل فيَّ ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومَنْ عنده علم الكتاب ﴾ وانظر ترجمته وأخباره في أُسْد الغابة لابن الأثير ٢٦٤/٣ .

(٢) أي اليهود والنصارى هم الذين قالوا ذلك ، وهو أحد أقوال ذكرها المفسرون ، وانظر الدر المنثور ٣٧٦/٦ .

(٣) هذا قول ابن السائب والكلبي والزجاج ، كما في البحر المحيط ٥٩/٨ وإليه ذهب الفراء فقد قال في معاني القرآن ٥١/٣ : لمَّا أسلمت مُزينة ، وجهينة ، وأسلمُ ، وغفار ، قالت بنو عامر وغطفان : لو كان هذا خيراً ، ما سَبَقَنا إليه رُعَاة البَهْمِ . اهـ. ورجَّح ابن جُزي في التسهيل ٧٥/٤ أن هذه مقالة رؤساء قريش وأكابرهم ، وذلك لمَّا أسلم الضعفاء كبلال ، وعمار ، وصهيب قال أولئك المتكبرون : لو كان الإسلام خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء ، قال ابن كثير : يعنون بلالاً ، وعماراً ، وصهيباً ، وخبَّاباً ، وأمثالهم من المستضعفين والعبيد والإماء .

فيه جوابان :

أحدهما : أن المعنى : مصدِّقٌ له أي لكتاب موسى ﷺ ، ثم حُذِفَ ، لأن قبله ﴿ **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً** ﴾[1] .

و ﴿ **عربياً** ﴾ حال ، و ﴿ **لساناً** ﴾ توطئة للحال أي توكيدٌ ، كما يُقَالُ : جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً ، ويُقوِّي هذا أنه في قراءة عبد الله ﴿ **وَهَذا كتابٌ مصدِّقٌ [لما بين يديه]**[2] **لِسَاناً عَرَبِيًّا** ﴾ .

والجواب الآخر : أن يكون ﴿ **لساناً** ﴾ مفعولًا ، يُراد به النبيُّ ﷺ[3] ، ويكون المعنى : ذا لسانٍ عربي .

ثم قال ﴿ لِتُنْذِرَ[4] **الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) على هذا القول يكون معنى الآية : وهذا القرآن كتاب عظيم الشأن ، مصدِّق للتوراة والإنجيل قبله ، بلسان عربي فصيح ، فكيف ينكرونه ، وهو أفصح بياناً ، وأظهر برهاناً ، وأبلغ إعجازاً !! ومعنى قوله ﴿ إماماً ﴾ أي يُهتدى به ، وهذا رأي الأكثرين .

(٢) المراد به عبد الله بن مسعود ، وهذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع ، فهي محمولة على التفسير .

(٣) هذا قول مرجوح ذكره القرطبي ١٩١/١٦ وابن جزي في التسهيل ٧٦/٤ وذكر أن هذا القول اختيار ابن عطية ، والمعنى على هذا القول : وهذا كتابٌ صدَّقَ ذا لسان عربي ، أي صدَّق محمداً . وعبارة القرطبي في جامع الأحكام : وقيل : إن ﴿ لساناً ﴾ مفعول ، والمراد به النبي ﷺ أي وهذا كتاب مصدِّق للنبي ﷺ لأنه معجزته ، والتقدير : مصدِّق ذا لسان عربي ، فاللسان منصوب بمصدِّق وهو النبي عليه السلام . اهـ. والقول الأول أظهر وأرجح لعدم التكلف ، ويصح أن يكون منصوباً بنزع الخافض والمعنى : وهذا كتاب مصدِّقٌ بلسان عربي .

(٤) هذه القراءة ﴿ لِتُنْذر ﴾ بالتاء قراءة نافع ، وابن عامر ، وقرأ الباقون ﴿ لِيُنذر ﴾ بالياء وهي قراءة الجمهور ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦ .

يجوز أن يكون المعنى : وهو بُشرى .

وأن يكون المعنى : وتُبَشِّرُ المحسنين بُشْرَى[1] .

٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آية ١٣] .

قد بينا معنى ﴿ **ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ فيما تقدَّم[2] .

٩ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً** ﴾ [آية ١٥] .

﴿ **إِحْسَاناً** ﴾ : أي يحسن إليهما إحساناً[3] .

١٠ ــ **ثم قال تعالى** : ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً** ﴾ [آية ١٥] .

ويُقرأ ﴿ **كَرْهاً** ﴾ بفتح الكاف وهو عند بعض العربية لحنٌ ، لأنه يُفَرِّقُ بينهما .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : الكُرْهُ : المشقَّةُ .

والفرَّاء وجماعةٌ من أهل العربية ، يذهبون إلى أن الكَرْهَ بفتح

---

(١) ذكر القولين الطبري في جامع البيان ١٤/٢٦ فقال : وفي ﴿ وبُشرى للمحسنين ﴾ وجهان من الإعراب : الرفع على العطف على الكتاب بمعنى : وهذا كتاب مصدِّق وبُشرى ، والنصب على معنى : لينذر الذين ظلموا ويُبشِّر ، فإذا جُعل مكان يُبشر ﴿ وبُشرى ﴾ أو « وبشارة » نصبت ، كما تقول : أتيتُك لأزورك ، وكرامةً لك . اهـ. وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٥١/٣ .

(٢) انظر ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

(٣) ﴿ إحساناً ﴾ منصوب على المصدر بفعل محذوف تقديره : أمرناه أن يحسن إليهما إحساناً ، وإلى هذا نحى صاحب الجلالين .

الكاف : القهرُ ، والغَصْبُ(١) ، فعلى هذا القول يكون لحناً .

وقال الكسائي : الكَرْهُ ، والكُرْهُ ، بمعنىً واحدٍ ، وكذلك هو عند البصريينَ جميعاً ، لا أعلمُ بينهم اختلافاً ، لأن الكَرْهَ : المصْدَرُ ، والكُرْهُ : اسم بمعناه(٢) .

١١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .. ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : سألتُ ابنَ عباس عن قوله تعالى **﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾** فقال : بضعاً وثلاثين سنة(٣) .

قال مجاهد : ثلاثاً وثلاثين(٤) .

---

(١) في الصحاح : الكُره بالضمِّ : المشقَّة يقال : قمتُ على كُرهٍ أي على مشقة ، وأقامني فلان على كَرْه بالفتح إذا أكرهك عليه ، قاله الفراء ، وكان الكسائي يقول : الكَرْه ، والكُرْه لغتان ، وأكرهته على كذا : حملته عليه كرهاً . اهـ.

أقول : هذا هو المشهور ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كَرْهاً .. ﴾ أي بطريق القهر والإكراه .

(٢) قال في اللسان مادة كره : أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَره والكُره لغتان ، فبأيٍّ لغة وقع فجائز ، إلا عند الفراء ، فإنه زعم أن الكُره ما أكرهتَ نفسك عليه ، والكَرْه : ما أكرهك غيرك عليه ، تقول : جئتك كُرْهاً ، وأدخلتني كَرهاً ، وقال ابن البرِّي : يدل على صحة قول الفراء قوله سبحانه ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كُرْه لكم ﴾ وقال سبحانه ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وَكَرْهاً ﴾ فيصير الكَرْه بالفتح فعل المضطر ، والكُره بالضم فعل المختار . اهـ. بإيجاز .

(٣ ــ ٤) ذكرهما الطبري ٢٦/١٦ قال : وهو الأشبه ممن قال إنه بلوغ الحلم ، لأن المرء لا يبلغ في =

قال أبو جعفر : وقيل : الأَشُدُّ : ثماني عشرةَ سنــةً .

والأوّل أشبـهُ ، لاتّساق الكـلام ، ألا تَرَى أن بعـده ﴿ وَبَلَــغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ؟

وأيضاً فإن البالـغ ثلاثـاً وثـلاثين سنـــة أولى بهذا الاسم لأنـــه أكمل .

١٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ .. ﴾** [آية ١٥] .

رَوى أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكـر بن عيـاش في قوله تعالى ﴿ أَوْزِعْنِـي أَنْ أَشْكُـرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَـمْتَ عَلَـيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ قال : هو أبـو بكـر الصدِّيـق[1] ، فلـم يكفـر له أبٌ ، ولا

= حال حُلْمه كمال قواه ، ونهاية شدتـه .. وهكـذا قال الفـراء في معـاني القـرآن ٥٢/٣ أنـه الأشبـه بالصواب ، لأن الأربـعين أقـرب في النَّسَق إلى ثلاث وثـلاثين . اهـ. وقـال الحسن : ﴿ وبلــغ أشدَّه ﴾ هو بلوغ الأربعين لقوله تعـالى بعـده ﴿ وبلـغ أربـعين سنـة ﴾ أي تناهـى عقلـه وكمـل فهمه ، ورجحه ابن كثير .

(١) هذا قول ابن عباس وعلي ، ذكره الفراء ٥٣/٣ والقرطبي عن علي في جامع الأحكـام ١٩٤/١٦ قال علي : « هذه الآية نزلـت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أسلم أبواه جميعـاً ، ولم يجتمـع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره » ووالده أبو قحافة « عثمان بن عامر » وأمه أم الخير اسمهـا « سلمى بنت صخر » وذكر هذا القول الطبري في جامـع البيـان ١٧/٢٦ قال : وذُكـر أن هذه الآية نزلت في أبي بكـر الصديـق رضي الله عنـه . وقـال الحسن البـصري : الآية على العمـوم أي تشمل كل مؤمن شكر الله وبرَّ والديه ، واختاره صاحب البحر المحيط ٦١/٨ وهو الأظهـر ، والله أعلم .

أُمَّ ، قال : ﴿ وَأَوْزِعْنِي ﴾ : أَلْهِمْنِي[1] .

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي .. ﴾ [آية ١٧] .

قال الفراء : ﴿ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ : أي قَذَراً لكما ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾[2] !!

روى سعيدٌ عن قتادة قال : « هذا عبدُ سَوْءٍ ، نَعَتَهُ اللهُ جلَّ وعزَّ ، قَالَ لِوَالِدَيْهُ : أَتَعِدَانِني أَنْ أُبْعَثَ »[3] !!

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٠] .

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿ أَأَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ

---

(١) قال في المصباح المنير مادة وزع : أوزعه الله الشكر : ألهمه . اهـ . وكذا هو في الصحاح ، ولسان العرب .

(٢) معاني القرآن للفراء ٥٣/٣ ولفظه : ذكر أن القائل « عبد الرحمن بن أبي بكر » قال هذا القول قبل أن يسلم ﴿ أفٍّ لكما ﴾ أي قذراً لكما .

(٣) الطبري عن قتادة ١٩/٢٦ قال : أتعدانني أن أبعث بعد الموت ، قال : وهو نَعتَ عبد سوء ، عاقاً لوالديه فاجراً ، وكذلك قال الحسن : هو الكافر الفاجر ، العاقُّ لوالديه ، المكذِّب بالبعث . اهـ. فالآية على هذا القول عامة ، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر كما زعم البعض ، فقد أنكرت عائشة أم المؤمنين أن تكون نزلت في أخيها عبد الرحمن ، قال الزجاج : كيف يُقال نزلت في عبد الرحمن ، والله عز وجل يقول ﴿ أولئك الذين حقَّ عليهم القول ﴾ أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان ، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين ، فالصحيح أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه . اهـ. القرطبي ١٩٧/١٦ .

الدُّنْيَا ﴾[1] ؟ بالاستفهام .

قال أبو جعفر : العرب تقرر ، وتوبخ بالاستفهام وغير الاستفهام[2] .

ويُروى أن عمر رضي الله عنه رأى جابر بن عبد الله ومعه إنسانٌ يحمل شيئاً ، فقال : ما هذا ؟ فقال : لحمٌ اشتريتُه بدرهم ، فقال : أكلَّما قام أحدكم اشترى لحماً بدرهم ، واللهِ لو شئتُ أن أكون أطيَبَكم طعاماً ، وألينكمْ ثوباً ، لفعلْتُ ، ولكنَّ الله يقول : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ ؟ فأنا أترك طيِّباتي[3] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : الهُونُ : الهَوَانُ .

١٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** .. ﴾ [آية ٢١] .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨ وقرأ الجمهور ﴿ أذهبتم طيباتكم ﴾ على الخبر للتوبيخ ، وانظر زاد المسير ٣٨٢/٧ .

(٢) قال الطبري ٢١/٢٦ : العرب تستفهم بالتوبيخ ، وتترك الاستفهام به ، فتقول : أذهبتَ ففعلت كذا وكذا ؟ وذهبتَ ففعلتَ ، وفعَلْت !! وأعجب القراءتين إليَّ ترك الاستفهام ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ولأنه أفصح اللغتين . اهـ.

(٣) روى هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٧ والطبري في جامع الأحكام ٢٠٢/١٦ وذكر عن عمر رضي الله عنه أخباراً عجيبة ، في زهده في الدنيا ، وتركه للذائذ الحياة ، يستحسن الرجوع إليها ، لنرى في أيِّ تَرَف تعيش نحن ؟

قال قتادة : كانت عادٌ أحياء من اليمن ، منازلهم عند الرمال والدَّكَّاواتِ[1] .

قال أبو جعفر : الحِقْفُ عند أهل اللُّغة : الرَّمْلُ المنحني ، وجمعُه : حِقَفَةٌ ، وأَحْقَافٌ[2] ، وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ مرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ ، أي منحنٍ متثنٍّ[3] .

١٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا .. ﴾** [آية ٢٣] .

معنى ﴿ **لِتَأْفِكَنَا** ﴾ لتصرفنا[4] .

١٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا .. ﴾** [آية ٢٤] .

---

(١) في القاموس المحيط : الدَّكَّاوات : جمع الدكَّاء ، وهي الرابية من الطِّين ، ليست بالغليظة ، والتي لا سنام لها ، والدكَّة : ما استوى من الرمل جمع دِكاك . اهـ. القاموس مادة دكَّ .

(٢) قال في اللسان مادة حقف : الحِقْفُ من الرمل المعوجُّ وجمعه أحقاف ، وحقوف ، وحِقاف وحِقَفة ، ومنه قيل لما اعوجَّ : محقوقف ، وقال الجوهري : الحِقف : المعوَّج من الرمل والجمع حقاف ، وأحقاف ، والأحقاف : ديار عاد .

(٣) ذكره ابن الأثير في كتابه النهاية ٤١٣/١ قال « فإذا ظبي حاقف » أي نائم قد انحنى في نومه ، وفي لسان العرب لابن منظور : وظبي حاقف : فيه قولان : أحدهما أن معناه صار في حِقْف ، والآخر أنه رَبَض ، واحقوقَفَ ظهره ، قال الأزهري : الظبي الحاقف يكون رابضاً في حقف من الرمل ، أو منطوياً كالحقف ، وفي الحديث أنه ﷺ « مرَّ هو وأصحابه وهم محرمون بظبي حاقف في ظل شجرة » وهو الذي نام ، وانحنى وانثنى في نومه . اهـ.

(٤) في المصباح : أفكْتُه : صرفتُه ، وكل أمرٍ صُرِفَ عن وجهه فقد أُفك ، والإفك بالكسر : الكذب . اهـ. ومعنى الآية ﴿ أجئتنا لتأفكنا ﴾ أي أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالإفك ، وقال الضحاك : من الإفك بمعنى الصرف .

أي فلما رأوا الذي أُوْعِدوا ، كسَحَـابٍ عارضٍ ، قد اعتـرض ، فيه عذابٌ ، ولم يعلموا أن فيه عذاباً ، قالوا : هذا عارضٌ ممطِرُنا .

رَوى طاووسٌ عن ابن عبـاس قال « كان لعـادٍ وادٍ ، إذا جاء المطـر أو الغيـمُ من ناحيتـه كان غيثـاً ، فأرسل الله عليهم العـذاب من ناحيته ، فلمَّا وعدهـم هودٌ ﷺ بالعـذاب ، ورأوا العـارضَ ، قالـوا : ﴿ **هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَـا** ﴾ قال لهم هود عليـه السلام ﴿ **بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُـمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَـا عَذَابٌ أَلِيـمٌ** ﴾ فقالـوا : كذبتَ ، كذبتَ » فقال الله جل وعزَّ ﴿ **فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ** .. ﴾[1] .

١٩ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِي مَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيـهِ ، وَجَعَلْنَـا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً** .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال قتادة : أنبأنا اللهُ أنه قد مكَّنهم في شيء ، لم يمكنَّا فيه[2] .

---

(١) الأثر ذكره السيوطي في الـدر المنثـور ٤٣/٦ بنحـوه ، قال ابـن الجوزي في زاد المسير ٣٨٤/٧ : العارضُ : السحاب الذي يعرض من ناحية السماء ، وكان المطـر قد حُبس عن عاد ، فساق الله إليهم سحابة سوداء ، فلما رأوها فرحوا واستبشروا ، وقالـوا : ﴿ هذا عارض ممطرنـا ﴾ فقـال لهم هود ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ فنشأت الريح من تلك السحابـة ، وكانت الريح تحتمل الظعينة ـــ أي المرأة ـــ فترفعهـا حتـى تُرى كأنها جرادة ، فأصبحـوا وقـد هلكـوا ، وروى البخاري ١٦٧/٦ عن ابن عباس : عارضٌ ، قال : السحاب .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٦ عن ابن عبـاس قال : فيمـا لم نمكنكـم فيـه ، وكان عاد أشدَّ قوة ، وأكثر أولاداً ، وأطول أعماراً . اهـ.

قال **أبو جعفر** : فـ « إنْ » على هذا القول بمعنى « ما »[1] .

وقد **قيل** : إنها زائدةٌ ، والأول أولى ، لأنـه لا يُعـرف زيادتُهـا إلّا في النفي ، وفي الإيجاب « أَنْ » بالفتح .

٢٠ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ** .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال زِرُّ بن حُبَيْشٍ : كانوا تسعةَ نَفَرٍ[2] .

٢١ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** .. ﴾ [آية ٣٥] .

قال قتادة : هم أربعة « نوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسى ، وعيسى » صلى الله عليهم .

---

(١) هذا قول الفراء كما في معانيه ٥٦/٣ حيث قال : مكَّناهم في الذي مكنكم فيه ، و « إن » بمنزلة « ما » في الجحد ـــ أي في النفي ـــ وهذا هو قول الأكثرين ، وإنما لم يؤت بـ « ما » فيقال : ولقد مكنَّاهم في مَا مَا مكناكم فيه ، دفعاً لثقل التكرار ، وقد ضعَّف أبو حيان في البحر المحيط قول من قال : إنها شرطية ، أو زائدة فقال ٦٥/٨ : و « إن » نافية ، والمعنى : في الذي ما مكناكم فيه ، من القوة ، والغِنى ، والبسط في الأجسام ، والأموال ، ولم يكن النفي بلفظ « ما » كراهةً لتكرير اللفظ ، وإن اختلف المعنى ، وقيل : إنها شرطية محذوفة الجواب والتقدير : إن مكناكم فيه طغيتم ، وقيل « إن » زائدة بعد « ما » الموصولة تشبيهاً بما النافية أي مكناهم في مثل الذي مكناكم فيه .. ثم قال : وكونها نافية هو الوجه ، لأن القرآن دلَّ عليه ﴿ كانوا أكثر منهم وأشد قوة ﴾ وهو أبلغ في التوبيخ . اهـ. البحر المحيط .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن زر ٣١/٢٦ قال : كانوا تسعة نفر ، وروى عن ابن عباس : كانوا سبعة نفر ، وذكره ابن كثير ٢٧١/٧ عن ابن مسعود قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلمَّا سمعوه قالوا : أنصتوا ، وكانوا تسعة ، أحدهم زوبعة ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة . قال ابن قتيبة : والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال مجاهد وعطاء الخراساني : أولو العزم من الرسل خمسةٌ : نوحٌ ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمَّدٌ صلى الله عليهم[1] .

٢٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ بَلَاغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

أي ذلك بلاغ .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿ بَلَاغاً ﴾[2] وقرأ أبو مجلز **﴿ بَلِّغْ ﴾** على الأمر .

٢٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ؟ ﴾** [آية ٣٥] .

أي فهل يُهْلك مع رحمة الله ، وتفضُّله ، إلَّا القومُ الفاسقون[3] ؟

* * *

« تم تفسير سورة الأحقاف »

---

(١) هذا هو الصحيح أن الرسل من أولي العزم خمسة (نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد) وقد ذكروا في سورة الأحزاب ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح .. ﴾ الآية .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٦٨/٢ وكذلك قراءة أبي مجلز ﴿ بَلِّغ ﴾ شاذة ، كما نبَّه على ذلك ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات .

(٣) « هل » استفهام يراد به النفي أي لا يهلك إلا القوم الخارجون عن طاعة الله عز وجل كما قاله الطبري ، وابن كثير ، وتفسير الجلالين والآية وعيدٌ وإنذار .

تفسير سورة محمد ﷺ

مدنية وآياتها ٣٨ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد وهي مدنية

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾ [آية ١] .

روى أبو يحيى عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله .. ﴾ قال : أهلُ مكَّة[1] .

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ قال : الأنصارُ[2] .

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ قال : أمرهم[3] .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أبطلها[4] ، كما

(١ ــ ٣) هذه الآثار عن ابن عباس ذكرها الطبري ٢٦/٣٩ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٤٦ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦/٢٢٣ وهو قول مجاهد أيضاً قال : هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله ، وصدُّوا المؤمنين عن دين الله ، وهو الإسلام ، بنهيهم عن الدخول فيه ، وروى عن ابن عباس قال : هم المطعمون ببدر ، وهم اثنا عشر رجلاً . اهـ. القرطبي ، واللفظ عام يشمل كل من كفر ، وصدَّ الناس عن سبيل الله ، كما في البحر المحيط ٨/٧٣ .

(٤) يؤيده قوله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ قال في المصباح المنير : الأصل في الضلال الغيبة ، ومنه قيل للحيوان الضائع : ضالَّة ، بالهاء للذكر والأنثى ، ويقال لغير الحيوان : ضائع ، ولقطة ، وضلَّ البعير : غابَ وخفي موضعه ، وضلَّ الطريق : زلَّ عنه فلم يهتد إليه . اهـ.

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾[1] والمعنى : لم نُثِبْهم على ما عملوا لِكُفْرِهِمْ .

ومعنى ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ : غطَّى عليها ، ولم يؤاخذهم بما عملوا وقت كفرهم[2] .

٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [آية ٣] .

المعنى : كذلك يُبَيِّنُ اللهُ أمرَ الحسناتِ والسيِّئَاتِ[3] .

ومعنى : ضربتُ له مَثَلاً : بيَّنتُ له ضرباً من الأمثال ، أي نوعاً منها[4] .

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٠ قال الفراء : ضلَّ الماء في اللبن ، وضل الشيء في الشيء : إذا أخفاه وغلب عليه ، ومعنى الآية : إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً كالأرض . اهـ. معاني القرآن للفراء ٢/٣٣١ .

(٢) المراد بتكفير سيئاتهم أنه تعالى أزال ومحا عنهم ما مضى من الذنوب والأوزار ، والتكفيرُ في اللغة : التغطية والستر كما في المصباح .

(٣) عبارة ابن كثير ٧/٢٨٩ : ﴿ كذلك يَضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي يُبيِّن لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم .

(٤) المِثل بمعنى الشبيه والنظير ، تقول : هذا مِثل هذا أي نظيره وشبيهه ، قال ابن جني : قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت من جماعة شأنهم ألّا يفعلوا كذا ، إذا كان له فيه أشباه وأضراب ، والمثل بفتحتين والمثيل بمعنى الشِّبه ، من مَاثَلَه ، مُماثلة ، إذا شابهه ، وقد استعمل الناس المثال بمعنى الوصف والصورة ، فقالوا : مثالُه أي وصفه وصورته ، قال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي صفتها وصورتها . اهـ. المصباح المنير .

٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [آية ٤] .

أي فاقتلوهم ، وذُكرت الرِّقابُ لأن القتل أكثرُ ما يقعُ بها[١] .

٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ[٢] ﴾ [آية ٤] .

قال سعيد بن جبير : لا ينبغي أن يقع أسرٌ ، حتى يُثْخَن بالقتل في العدوِّ[٣] ، كما قال جل وعز ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾[٤] .

---

(١) هذا قول الزجاج ﴿ فَضَرْب الرِّقاب ﴾ أي فاضربوا الرقاب ضرباً ، وخصَّ الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها ، وقال القرطبي ٢٢٦/١٦ : ولم يقل : فاقتلوهم ، لأن في العبارة بضرب الرقاب من الغِلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل ، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حزُّ العُنق وإطارة العضوِ الذي هو رأس البدن وأوجَهُ أعضائه . اهـ.

(٢) الوَثَاق : اسم لما يُربط به من حبل وغيره ، والمراد به هنا الأسر ، وإنما أمرهم بشدِّ الوثاق لئلا يُفلتوا .

(٣) ذكره القرطبي ٢٢٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ ولفظه : قال سعيد بن جبير ﴿ فشُدُّوا الوثاق ﴾ أي لا تأسروهم ولا تُفادوهم حت تُثخنوهم بالسَّيف ، أي تُكثروا فيهم القتل والجراحات . اهـ. والإثخان في اللغة : الإكثار من القتل أو الجراح ، قال في المصباح : أثخن إثخاناً : إذا سار إلى العدوِّ وأوسعهم قتلاً ، وأثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٦٧ .

٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فَدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [آية ٤] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية اختلاف .

قال ابن جريج : كان عطاء يكره قتل الأسير صبراً ، لقول الله جل وعز ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ ، وإِمَّا فِدَاءً ﴾ وقال : امنُنْ ، أو فَادِ ، ولا تقتل[1] .

وقال قتادة : الآيةُ منسوخةٌ ، نَسَخَهَا قوله تعالى ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهم في الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ .. ﴾[2] .

وَرَوى شعبةُ عن الحَكَم قال : سألني مغيرةُ عن آيةٍ غامضةٍ منسوخة ، وهي قوله تعالى ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ .

---

(١) ذكره القرطبي عن عطاء ٢٢٧/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٧/٦ وهذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن عطاء ، وهو قول الحسن البصري ، قال أشعث : كان الحسن يكره قتل الأسير ويتلو « فإمَّا مناً بعدُ وإما فداءً » وكان يقول : ليس للإمام إذا حصل الأسير في يديه أن يقتله ، لكنه بالخيار في ثلاثة منازل : إمَّا أن يُمنَّ ، أو يفادي ، أو يسترق . اهـ. القرطبي ٢٢٨/١٦ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٠/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٢٧/١٦ قال : وهو قول قتادة ومجاهد ، أنه إذا أُسر المشرك ، لم يَجُزْ أن يُمَنَّ عليه ، ولا أن يُفادى به فيردَّ إلى المشركين ، ولا يُفادى إلا بالمرأة لأنها لا تقتل ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، لئلا يعودوا حرباً على المسلمين .

وقال **الضحاك** : هي ناسخة ، نَسَخَتْ قوله تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾[1] .

قال أبو جعفر : البيِّنُ في الآية أنها ليست بمنسوخة ولا ناسخة ، وإنما هذا إباحةٌ ، وكذلك القتلُ ، لأن النبيَّ ﷺ قد قَتَل ، وفَادَى ، وذكر القتلَ في آية أخرى ، وهو ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ فاجتزأ بذلك[2] .

٦ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [آية ٤] .

قال قتادة : أي حتَّى يُسلِم أهلُ الشِّرْكِ ، فسمَّاهم حِرْباً[3] .

قال سعيد بن جبير ومجاهدٌ في قوله تعالى ﴿ **حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ : حتى ينزِلَ عيسى بن مريمَ فيكسرَ الصليبَ ،

---

(١) الأثر في القرطبي ٢٢٧/١٦ والطبري ٤١/٢٦ والدر المنثور ٤٧/٦ وعلى هذا القول تكون الآية ناسخةً لحكم القتل ، الذي ورد في سورة التوبة ، وهو قول مرجوح ، لأن سورة التوبة من أواخر ما نزل ، فلا تنسخها الآيات في سورة محمد ﷺ .

(٢) هذا هو الأرجح والأظهر من الأقوال ، كما نبَّه المصنف رحمه الله ، فالآيةمحكمةٌ وليست بمنسوخة ، والإمام مخيَّر بين القتل ، والأسر ، والمنِّ ، والفداء ، لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا ذلك كله ، فقتل النبي عليه السلام « عقبة بن أبي مُعَيط » يوم بدر صبراً ، وفادى سائر أسارى بدر ، ومنَّ على سبي هوازن ، وهذا مذهب مالك والشافعي وهو قول عن ابن عباس ، على ما فيه الصلاح للمسلمين ، وهو اختيار الطبري .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٤٣/٢٦ وابن كثير عن قتادة ٢٩١/٧ واستدل قتادة بقوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ .

ويَقْتُلَ الخنزيرَ ، وتزولَ الأديانُ ، إلَّا دين الإسلام ، وتكون المِلَّةُ واحدة[1] .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ في الآية ، أي حتى يضع أهلُ الحرب أوزارهم ، فيُسلموا أو يُسالموا[2] .

وقيل : يعني بالأوزار ههنا السِّلاحُ كما قال الشاعر :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا
رِمَاحاً طِوَالاً ، وخَيْلاً ذُكُوراً[3]

والمعنى على هذا : فشدُّوا الوَثَاقَ حتى تضع الحربُ أوزارها ، فإما منًّا بعد وإمَّا فِدَاءً[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٦ وابن كثير عن مجاهد ٢٩٠/٧ قال الحافظ ابن كثير : وكأنه أخذه من قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ ، حتى يقاتل آخرهم الدجال » . اهـ.

أقول : ونزول عيسى بن مريم إنما يكون عند خروج الدجَّال ، وهو من علامات الساعة الكبرى ، وعند نزول عيسى يدخل الناس جميعاً في الإسلام ، ويعمُّ الرخاء ، ويكثر المال ، كما ثبت في الصحيحين .

(٢) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٥٧/٣ ﴿ حتى تضع الحربُ أوزارها ﴾ أي آثامها وشركها ، حتى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسالم .

(٣) البيت للأعشى كما في ديوانه ص ٩٩ وغريب القرآن ص ٤٠٩ والقرطبي ٢٢٩/١٦ والبحر المحيط ٧٤/٨ وفي الصحاح واللسان مادة وزر .

(٤) قال الطبري : معنى الآية : اضربوا رقابهم حتى تضع الحرب آثامها ، وأثقال أهلها المشركين ، بأن يتوبوا إلى الله من شركهم ، وفي الصفوة ٢٠٧/٣ : حتى تنقضي الحرب وتنتهي بوضع آلاتها=

٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُو بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ .. ﴾ [آية ٤] .

أي ليمحِّص المؤمنين ، ويمحق الكافرين[(١)] .

٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [آية ٤] .

ويُقرأ ﴿ قَتَلُوا ﴾ و ﴿ قُتِّلُوا ﴾ و ﴿ قُتِلُوا ﴾[(٢)] .

٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم . وَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [آية ٦] .

في معناه ثلاثة أقوال : .

قال مجاهد : عرَّفهم بيوتها ، ومساكِنَها ، وقَسَمَهم منها ، فلا

= وأثقالها ، بين المسلمين ، والمناوئين للإسلام ، وذلك بعزة المسلمين ، واندحار المشركين ، والله أعلم .

(١) الأظهر أن معنى قوله تعالى ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أي ولكنه تعالى أمركم بجهادهم ، ليختبر إيمانكم وثباتكم ، فيظهر حال المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم .. وهو اختيار الطبري والجمهور .

(٢) قراءة ﴿ قَتَلوا ﴾ قراءة الجحدري وأبي حيوة ، والمراد : والذين قَتَلوا المشركين ، وقراءة ﴿ قُتِّلوا ﴾ بالتشديد قراءة الحسن ، وكلتا القراءتين ليست من القراءات السبع ، قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٧٤/٢ : اختلفوا في قوله ﴿ والذين قاتلوا ﴾ فقرأ البصريان وحفص ﴿ قُتِلُوا ﴾ بضم التاء وكسر القاف من غير ألف ، وقرأ الباقون بفتح القاف وألف بينهما ﴿ والذين قاتلوا ﴾ وكذلك قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٦٠٠ وانظر أيضاً الطبري ٤٣/٢٦ والقرطبي ٢٣٠/١٦ .

يَغْلطُ أحدٌ منهم ، فيدخل إلى موضعِ غيره ، ولا يحتاج أن يَسْتَدِلَّ[1] .

وقال سَلَمةُ بن كُهَيل : ﴿ **عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ : عرَّفهم طُرُقها ، فهذا قولٌ .

وقيل : ﴿ **عَرَّفها** ﴾ : طيَّبها[2] .

وقيل : ﴿ **عَرَّفها** ﴾ : رفعها[3] .

قال أبو جعفر : القولُ الأول ـــ وإن كان بعض أهل اللغة قد أنكره ، وقال : لو كان كذا لقال : عرَّفهم بها ـــ أحسنُ الأقوال وأصحُّها ، ولا يَلزم هذا الردُّ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٤٤/٢٦ وابن الجوزي ٣٩٨/٧ والبحر المحيط ٧٥/٨ وابن كثير ٢٩٢/٧ والقرطبي ٢٣١/١٦ وهذا هو قول الجمهور ، واختاره الفراء ، وأبو عبيدة ، وهو الأظهر والأرجح ، ويؤيده ما رواه البخاري في صحيحه ١٣٨/٨ إذا خلص المؤمنون من النار ، حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصُّون مظالمَ كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا ، أُذِن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة ، أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا » قال ابن كثير في روايته عن مجاهد ٢٩٢/٧ : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، لا يخطئونها ، كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا ، لا يستدلُّون عليها أحداً . اهـ .

(٢) هذا القول رواه عطاء عن ابن عباس كما في ابن الجوزي ٣٩٨/٧ والقرطبي ٢٣١/١٦ قال : أي طيَّبها لهم بأنواع الملاذّ ، من العَرْف وهو الرائحة الطيبة ، وطعامٌ معرَّفٌ أي مطيَّب ، تقول العرب : عرَّفتُ القِدْر إذا طيبتها بالملح والأبزار . اهـ. القرطبي .

(٥) ذكره في البحر عن بعض أهل اللغة ٧٦/٨ قال : شرَّفها لهم ورفعها وعلَّاها ، وهذا من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها . اهـ. البحر المحيط .

والمعنى : بيَّنها لهم فتبيَّنوها .

والقول الثاني : ليس بممتنع ، لأنه يُقال : طعامٌ معرَّفٌ أي مطيَّبٌ .

والقولُ الثالث : مأخوذ من العُرْفِ ، لارتفاعه .

وقيل : أي عرَّف المكلَّفينَ من عباده بأنَّها لهم[1] .

١٠ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ ، وأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾** [آية ٨] .

أي ممن ينبغي أن يُقال لهم : أتعسَهُمُ اللهُ[2] ، أي لا جَبَرهم ، وهذا يُدعى به على العَاثِرِ .

وقال ثعلب : التَّعْسُ : الشرُّ ، قال : وقيل : هو البُعْدُ ، وانتكس : قُلِبَ أمرُهُ وأُفْسِدَ .

وقال ابن السكِّيت : التَّعْسُ : أن يَخِرَّ على رأسه ، قال

---

(١) ذكر نحوه القرطبي ١٦/٢٣١ قال : عرفَّ أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها . اهـ.
أقول : القول الأول هو الأظهر وهو قول الجمهور ، والله أعلم .

(٢) ﴿ فَتَعْساً لَهُمْ ﴾ نصب على المصدر على وجه الدعاء ، كأنه قال : فأتعسهم الله ، وأضلَّ أعمالهم ، قال الفراء في معاني القرآن ٣/٥٨ لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي ، ألا ترى أن « أضلَّ » فعلٌ ، والتَّعْسَ اسمٌ ، لأنه في معنى أَتْعَسَهُمْ . اهـ.

والتَّعْسُ أيضاً : الهلاكُ[1] .

١١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [آية ١٠] .

قال مجاهد : وللكافرين التدميرُ وعيداً من اللهِ[2] .

وقال غيره : فقُتل منهم من قُتل بالسيف .

١٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ، وأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [آية ١١] .

قال قتادة : أي وليُّ الذين آمنوا[3] .

---

(١) قال في الصحاح : التَّعْسُ : الهلاكُ ، وأصلُه الكبُّ ، وهو ضدُّ الانتعاش ، وتَعَسَ ، يَتْعَسُ ، تَعْساً يقال : تَعْساً لفلان أي أَلْزَمَهُ الله هلاكاً . اهـ. مادة تعس ، وفي المصباح : التَّعْسُ أن يخرّ لوجهه ، والنَّكْسُ أن لا يستقلَّ بعد سقطته ، وهي أشدُّ من الأولى ، وقال الطبري : ﴿ فتعساً لهم ﴾ أي فخِزياً لهم ، وشقاءً ، وبلاءً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٤٦/٢٦ ولفظه : ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ قال مجاهد : مثلُ ما دُمِّرت به القرون الأولى ، وعيدٌ من الله لهم . وقال القرطبي ٢٣٤/١٦ : ﴿ دمَّر الله عليهم ﴾ أي أهلكهم واستأصلهم ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ أي أمثال هذه الفعلة يعني التدمير ، وقال الزجاج والطبري : الهاء تعود على العاقبة ، أي وللكافرين من قريش أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة . اهـ. القرطبي . ولفظ ﴿ دمَّر عليهم ﴾ أبلغ من دمرهم ، لأن معناها أن الله أهلكهم إهلاكاً فظيعاً ، مع أموالهم ، ودورهم ، وأولادهم ، وأطبق عليهم الهلاك إطباقاً ، حتى شمل الدمار الكل .

(٣) هذا قول الفراء وأبي عبيدة ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وصاحب البحر المحيط ، ويؤيده ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ أي ناصرهم وسندهم .

قال أبو جعفر : وفي قراءة عبد الله كذلك[1] ، وقال الشاعر :

فَغَـدَتْ كِلَا الفَرْجَيْـنِ تَحْسِبُ أَنَّـهُ
مَوْلَـى المَخَافَـةِ خَلْفُهَـا وَأَمَامُهَــا[2]

أي وليُّ المخافة .

وروى سِمَاكٌ عن عكرمةَ ، عن ابـن عبـاس ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال : لا مولى لهم غيرُه[3] .

قال قتــادة : نزلت هذه الآيةُ يوم أُحُــدٍ ، والنبــيُّ ﷺ في الشِّعب ، وقد أُثخن في المسلمين بالقتـل والجراح ، فصاح المشركـون : يومٌ بيـوم بدر ، لنـا العُـزَّى ، ولا عُزَّى لكـم ، فأنـــزل الله جلَّ وعـــزَّ **﴿ والَّذِيـنَ قُتِلُوا فِي سَبِيـلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُـمْ .. ﴾** إلى قولـه **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾** .

فقال لهم النبـيُّ ﷺ قولـوا : (اللهُ مَوْلَانـا ، ولا مولى لكـم ،

---

(١) قراءة ابـن مسعـود ﴿ ذلك بأن الله ولـيُّ الذيـن آمنـوا ﴾ ذكرهـا الـطبري ٤٧/٢٦ والقرطبــي ٢٣٤/١٦ والفراء في معاني القرآن ٥٩/٣ ، وليست من القراءات السبع .

(٢) البيت من معلقة لبيد بن ربيعـة كما في ديوانـه ص ٣١١ في وصف بقـرة ، والفـرج : الـواسع من الأرض ، وقد تقدم هذا الشاهد في سورة الدخان ، وانظر اللسان ، والصحاح مادة ولي ، وجامع الأحكام للقرطبي ٢٣٤/١٦ .

(٧) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

وقتلانا أحياءٌ يُرزقونَ في الجنَّةِ ، وقتلاكُم في النَّارِ)[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : اللهُ وليُّ الَّذينَ آمنوا في الهدايةِ ، والنُّصْرةِ[2] .

فلمَّا أخبر بولايته المؤمنين ، وخذلانه الكافرين ، أعلمَ بما أعدَّه للمؤمنين والكافرين ، فقال : ﴿ **إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ أي منزل لهم .

﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ** ﴾ [آية ١٤] .

١٣ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ** ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند بأوسع من هذا ٤٦٣/١ ولفظه : (.. فجاء أبو سفيان فقال : اعلُ هُبَل ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : الله أعلى وأجلّ ، فقال أبو سفيان : لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم ، فقال رسول الله قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم ..) الحديث ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٩٧/٢ والبيهقي في دلائل النبوة .

(٢) أي هو هاديهم وناصرهم ، يتعهدهم ويتولَّى شؤونهم ، ويدفع عنهم أذى المشركين ، فالوليُّ بمعنى الناصر والمعين .

(٣) في المصباح : ثوى بالمكان أقام به فهو ثاوٍ ، قال تعالى ﴿ وما كنتَ ثاوياً في أهل مدين ﴾ والمثْوَى : المنزل ، والجمع المثاوي ، وقال الطبري ٤٧/٢٦ : ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي ونار جهنم مسكن لهم ومأوى ، إليها يصيرون من بعد مماتهم .

قال قتادة : يعني أهل مكة ، قال : فلا ناصر لهم[1] .

١٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : هو محمد ﷺ .

﴿ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ قال : هم مشركو العرب[2] .

ثم قال ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ على معنى « مَنْ »[3] .

١٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيرِ آسِنٍ .. ﴾ [آية ١٥] .

ولم يأت بالمماثل .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٨/٢٦ عن قتادة قال : قريته مكة ، وروى الطبري بسنده عن ابن عباس (أنَّ نبي الله ﷺ لما خرج من مكة التفت إليها فقال : أنتِ أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأنتِ أحب بلاد الله إليَّ ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك) فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ وانظر الدر المنثور ٤٨/٦/٦ والقرطبي ٢٣٥/١٦ وابن كثير ٢٩٤/٧ .

(٢) الأثر في الدر المنثور ٤٩/٦ والبحر المحيط ٧٨/٨ وذكره الطبري ٤٨/٢٦ واختار أن الآية على العموم ، في كل مهتدٍ وضالٍّ ، فليس المستنير بنور القرآن ، كالذي يتخبط في ظلمات الجهل والضلالة .

(٣) يريد المصنف أن الضمير في « واتَّبعوا » جاء بالجمع حملاً على المعنى ، لأن « مَنْ » من صنيع العموم ولو جاء على اللفظ لقال : واتَّبع هواه ، وقال قبله ﴿ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ حملاً على اللفظ ، فالأول محمول على اللفظ ، والثاني على المعنى .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **منها أن مَثَلاً** بمعنى : « صفة » قال ذلك النَّضْرُ بنُ شُميل ، والفرَّاء[1] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قرأ ﴿ أَمْثَالُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ ، ويكون على هذا « مَثَلٌ » على معنى « مِثْلٍ » ويكون فيه خلاف معناه ، كما أن في « عِدْلٍ » خلاف معنى « عَدْل » .

ب ــ **وقيل المعنى** : مَثَلُ الجنة التي وُعد المتقون ، فيما تعرفون في الدنيا ، جَنَّةٌ فيها أَنْهَارٌ[3] .

جـ ــ **والقول الثالث** : أن المعنى على التوبيخ والتقرير ، أي مثل الجنة التي وُعِد المتقون ، كمن هو خالد في النار ؟ أي مثل المطيع عندكم كمثل العاصي[4] ؟

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٦٠ والمعنى على قول الفراء : صفة الجنة العجيبة الشأن .. إلخ.

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٧٠ عن علي ، وابن عباس ، وعدَّها من القراءات الشاذة ، وكذلك ذكرها الفراء ٣/٦٠ .

(٣) على هذا التقدير يكون قوله تعالى ﴿ فيها أنهار ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره .. مَثَلُ الجنة جنة فيها أنهار .

(٤) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٣/٦٠ قال : كأنه أراد : أَمَّنْ كان في هذا النعيم ، كمن هو خالد في النار ؟ وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٢٦/٥٠ قال : المعنى : أَمَّن هو في هذه =

وروى معمر عن قتادة ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ قال : غير منتن[1] .

قال قتادة : الآسِنُ : المتغيِّرُ ، الآجِنُ[2] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أصحُّ ، لأنه يُقال : أَسَنَ الماءُ يَأْسَنُ ويَأْسُنُ فهو آسِنٌ وأَسِنٌ : إذا أنتن فلم يقدر أحد على شربه ، وأَجِنَ يَأْجَنُ وَهو آجنٌ : إذا تغيَّر ، وإن كان شُرِبَ على كُرْهٍ .

١٦ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [آية ١٥] .

يُقال : شرابٌ لذيذٌ ، ولَذٌّ[4] .

= الجنة التي صفتُها ما وصفنا ، كمن هو خالد في النار ؟! قال ذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ، وقال ابن كثير ٢٩٧/٧ : أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة ، كمن هو خالد في النار ؟ ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدَّركات !؟

(١) الأثر في الطبري ٤٩/٢٦ والدر المنثور ٤٩/٦ وابن كثير ٢٩٥/٧ قال : والعرب تقول : أَسِنَ الماء إذا تغيَّر ريحُه .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٠/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢١٥/٢ : الآسنُ : المتغيِّرُ الريح .

(٣) قال في اللسان : الآسنُ من الماء مثلُ الآجن ، وهو ما تغيَّرت ريحه ، وفي التهذيب : أَسَنَ الماءُ أَسْناً وأُسُوناً وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه ، وقال الجوهري : أَسِنَ الرجل إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة ، فغُشي عليه . اهـ.

(٤) قال الجوهري : اللَّذَّة واحدة اللَّذات ، وشراب لَذٌّ ، ولذيذ بمعنى ، واستلذَّه : عدَّه لذيذاً . اهـ. الصحاح . وفي المصباح : لذَّ الشيء يَلَذُّ : صار شهياً فهو لذٌّ ولذيذ . اهـ. قال الزمخشري : (لَذَّةٍ) تأنيث لَذٍّ وهو اللذيذ أو وصفٌ بمصدر ، وقال ابن قتيبة : (لَذَّةٍ) أي لذيذة يقال : =

﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ أي ليس كعسل الدنيا ، الذي فيه الشَّمعُ وغيرُهُ[1] .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي ولهم مغفرةٌ من ربهم[2] .

ثم قال تعالى ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : قد تقدَّم القول فيها .

وفيه قولٌ آخر ، وهو أن المعنى : أَمَّنْ يُخَلَّد في الجَنَّةِ ، وفي هذا النعيم المذكورِ ، كمن هو خالدٌ في النار ؟ ثم حُذِفَ هذا ، لعلم السَّامع ، كما قال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾[3] .

= شراب لِذاذٌ إذا كان طيباً . وقال الزجاج : أي ذاتُ لذَّة ، طعمها طيب كلونها . ومعنى الآية : أن في الجنة أنهار جاريات من خمر لذيذة الطعم ، يتلذذ بها الشاربون ، ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة .

(١) قوله ﴿ من عسل مُصَفًّى ﴾ : أي من عسل ليس فيه عكر ، ولا كدر ، كعسل أهل الدنيا قال ابن كثير : وفي حديث مرفوع (لم يخرج من بطون النحل) .

(٢) المعنى : ولهم فوق ذلك النعيم « الحسيّ » نعيم « روحي » وهو المغفرة من الله مع الرحمة والرضوان ، وفي الصحيح (أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٩ وقد حذف من الآية الجواب لدلالة الكلام عليه والتقدير : أم من هو مطيع عابد ، في ساعات الليل ، يتعبد ربه في صلاته ساجداً ، وقائماً ، كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟ وخلاصته : ليس المؤمن كالكافر ، ولا المطيع كالعاصي .

وإن كان قد قيل إن المعنى : يا من هو قانتٌ .

١٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٦] .

قال قتادة : هم المنافقون[١] .

١٨ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ، قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً ﴾** [آية ١٦] .

أي إذا سمعوا النبيَّ ﷺ يخطب ، ثم خرجوا ، قالوا للمسلمين استهزاءً ﴿ **مَاذَا قَالَ آنِفاً** ﴾ ؟ أي لم نلتفت إلى ما قال .

والمعنى : ماذا قال السَّاعةَ ، أي في أقرب الأوقات إلينا ؟ من قولهم : استأنفتُ الشيءَ ، وروضةٌ أُنُفٌ : لم تُرْعَ[٢] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٥١/٢٦ والدر المنثور ٤٩/٦ وابن كثير ٢٩٧/٧ قال : وهذا خبرٌ عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئاً ، فإذا خرجوا من عنده قالوا للصحابة ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ ؟ أي الساعة ، لا يعقلون ما يُقال ، ولا يكترثون له . اهـ.

(٢) قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٨٦/٤ : ﴿ آنفاً ﴾ : معناه : الساعة الماضية قريباً ، وأصله من استأنفتُ الشيء إذا ابتدأته ، يقولونه سفهاً وجهلاً ، لأنهم كانوا وقت كلامه ﷺ معرضين عنه . اهـ. قال الزجاج ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ أي ماذا قال الساعة ، ومنه روضةٌ أُنُفٌ أي لم تُرْعَ ، فالمعنى : ماذا قال في أول وقت يقرب منا ؟ وعن غلام ثعلب ﴿ آنفاً ﴾ : مُذْ ساعة . اهـ. زاد المسير لابن الجوزي ٤٠٢/٧ .

١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [آية ١٧] .

المعنى : زادهُمُ اللهُ هدى(١) ، فيكون الضمير يعود على قوله ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم قولُ النبيِّ هُدىً(٢) .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم استهزاءُ المنافقينَ هُدىً(٣) .

ثم قال تعالى ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ : أي ألهمهم(٤) .

ويجوز أن يكون المعنى : ثواب تقواهم(٥) .

---

(١) هذا في مقابلة قوله تعالى ﴿ أولئك الذين طَبَع الله على قلوبهم ﴾ ثم قال ﴿ والذين اهتدوا زادهم هُدى ﴾ أي زادهم الله إيماناً فوق إيمانهم ، ويقيناً فوق يقينهم ، وهذا قول الجمهور .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٣/٧ عن الزجاج ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧٩/٨ بصيغة التضعيف : وقيل .

(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٦١/٣ ونقله القرطبي عنه ٢٣٩/١٦ وابن الجوزي ٤٠٣/٧ وهو قول مرجوح ، والراجح القول الأول ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير والجمهور ، قال الطبري ﴿ زادهم هدى ﴾ أي زادهم الله إيماناً إلى إيمانهم .. إلخ.

(٤) هذا هو الأرجح « وآتاهم تقواهم » أي ألهمهم رشدهم حتى ثبتوا على دين الله ، وقال في البحر : أي أعطاهم التقوى أي جعلهم متقين .

(٥) هذا قول السدي حكاه عنه القرطبي ٢٣٩/١٦ مع أقوال أخرى ، وهو قول للفراء في معاني القرآن ٦١/٣ .

٢٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً[1] فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا .. ﴾ [آية ١٨] .

أي فهل ينتظرون إلَّا أن تأتيهم الساعة فَجْأَةً ؟

﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[2] .

قال الفراء : أي علامتها ، الواحد شرطٌ[3] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ ؟ [آية ١٨] .

قال قتادة : أي فأنَّى لهم أن يتذكَّروا[4] ؟

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : فمن أين لهم منفعةُ الذِّكرى ، إذا جاءت الساعةُ ، وانقطعت التوبة[9] ؟

---

(١) قال في المصباح : بغته بغتاً : فاجأ ، وجاء بغتة أي فجأة على غِرَّة . اهـ. والمراد أن تأتيهم الساعة دون سابق إنذار .

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢١٥ ولم أره للفراء في كتابه المعاني ، والأشراط في اللغة : الأمارات والعلامات .

(٣) قال في المصباح : الشَّرَطُ بفتحتين : العلامةُ ، والجمع أشراط ، مثل سَبَبٍ وأسباب ، ومنه أشراط الساعة ، وجمع الشرط شروط ، مثل فَلْس وفلوس . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٦/٥٣ وابن الجوزي ٧/٤٠٤ ولفظ الطبري عنه : أنى لهم أن يتذكَّروا أو يتوبوا ، إذا جاءتهم الساعة ؟

(٥) هذا قول الفراء في معانيه ، وقال ابن جزي في التسهيل ٤/٨٧ : ﴿ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ : أي كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟ فلا يقدرون على عمل ، ولا تنفعهم التوبة ، والمراد به الاستبعاد . اهـ. وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ أي ليس ينفعه تذكُّرُهُ، ولا توبته ، أو ندامته لفواتِ الأوان .

٢٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَاعلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاستَغفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ .. ﴾ [آية ١٩] .

والمخاطبة للنبيِّ ﷺ مخاطبةٌ لأمَّته(١) .

أي اثبتُوا على هذا .

٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال قتادة : كل سورة فيها ذكر القتالِ فهي محكمة(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه آية مشكلةٌ ، وفي قراءة عبد الله ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدِثَةٌ ﴾(٣) .

والمعنى واحد ، أي لم يقع عليها النسخ ، وذُكر فيها القتال .

---

(١) المراد من الآية ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ مع أنه ﷺ عالم ذلك ، هو الثبات عليها والدوام ، والخطاب له ولأمته أي اثبت يا محمد وأتباعك على التوحيد والإخلاص لربك .. إلخ. وكثيراً ما يخاطب الرسول ويراد به هو وأمته كقوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ ولهذا جاءت بصيغة الجمع ، والله أعلم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٦/٥٤ والقرطبي ١٦/٢٤٣ ولفظه : « كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة ، وهي أشدُّ القرآن على المنافقين ، والمراد بأنها آية محكمة أي لا يدخل إليها النسخ فحكمها ثابت إلى قيام الساعة .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع ، بل هي من القراءات الشاذة ، ومعنى « محدثة » أي مُحدثة النزول ، وانظر القرطبي ١٦/٢٤٣ والطبري ٢٦/٥٤ .

وإنما كان المسلمون يقولون هذا ، لأنهم كانوا يأنسون بنزول الوحي[1] .

﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي ريبٌ وشكٌّ ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي نظر مغتاظين مغمومين ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ وإنما كانوا يكرهون ذكر القتال ، لأنهم إذا تأخروا عنه تَبَيَّن نفاقُهم ، فخافوا القتل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ على التهديد[2] .

وحقيقته : وَلِيَهم المكروهُ ، أي أولى لهم المكروهُ ، والعربُ تقول

(١) كان المسلمون وهم بمكة يتشوقون للجهاد ويتمنون أن تنزل آياتٌ تأذن بقتال أعداء الله ، شوقاً إلى الجهاد وحرصاً على ثوابه ، فكانوا يقولون : ﴿ لولا أنزلت سورة ﴾ أي هلَّا أنزلت سورة فيها الإذن بالجهاد ، لتقرَّ أعيننا من قتال المشركين ؟ فلما نزلت آيات القتال ــ وهي آيات محكمة ــ ظهرت خفايا نفوس المنافقين ، فأظهروا الامتعاض من فزعهم ، ورعبهم ، وجبنهم من لقاء الأعداء .

(٢) قال الجوهري « أَوْلَى لك » تهدُّدٌ ووعيد ، قال الأصمعي : معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به ، قال ثعلب : ولم يقل أحد في « أَوْلَى » أحسن مما قال الأصمعي ... وقال ابن قتيبة : هذا وعيد وتهديد ، تقول للرجل إذا أردتَ به سوء ففاتك : أولى لك . اهـ. وانظر زاد المسير ٤٠٦/٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٤٥٧/٣ ﴿ فأولى لهم ﴾ وعيد بمعنى فويل لهم ، وهو أفعل من الولي وهو القرب ، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه . اهـ.

لكل من قارب الهلكة ثم أفلت : « أَوْلَى لَكَ » أي كِدْتَ تهلِكُ .

كما رُوِي أن أعرابياً كان يوالي رمي الصيد ، فيفلت منه ، فيقول : أَوْلَى لك ، ثم رمى صيداً فقاربه ، ثم أفلتَ منه ، فقال :

فَلَوْ كَانَ « أَوْلَى » يُطْعِمُ القَوْمَ صِدْتُهُمْ
وَلَكِنَّ « أَوْلَى » تَتْرُكُ النَّاسَ جُوَّعاً[1]

٢٤ ــ **ثم قال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾** [آية ٢١] .

قال قتادة : أي طاعةُ الله ، وقولٌ بالمعروف في حقائق الأمور[2] .

أي سمعٌ وطاعة خيرٌ لهم .

وقال الخليل وسيبويه : أي طاعة وقولٌ معروفٌ أَمْثَلُ[3] .

---

(١) استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ ولم أعثر على قائله فيما بين يدي من دواوين الشعر ، ومراد الشاعر أن كلمة « أولى » لو كانت تطعم أحداً من القوم لصاد الأرانب والغزلان ، ولكنَّ هذه الكلمة تترك الناس جياعاً خمص البطون ، وهو معنى بديع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٦/٢٦ ولفظه : طاعة الله ، وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم .

(٣) هذا هو الأوضح والأظهر ، وهو أن الآية ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ مستأنفة وليست من كلام المنافقين ، فهي مبتدأ حذف منه الخبر ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة كأنه قال : طاعة صادقة مخلصة ، وقول جميل طيب ، خير لهم وأفضل وأحسن ، وهذا قول مجاهد وإليه ذهب الخليل وسيبويه ، وهذا قول الأكثرين .

وفي المعنى قول آخرُ : وهو أنه حَكَى ما كانوا يقولون ، قبل نزولِ القتال ، وقبل الفرضِ[1] .

فالمعنى على هذا : يقولون : منَّا طاعةٌ وقولٌ معروف .

ويدل على صحة هذا القول ﴿ **فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ** ﴾ .

قال مجاهد : أي جدَّ الأمرُ[2] .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا : فإذا جدَّ الأمرُ بفرض القتال ، كرهوا ذلك ، ثم حُذف .

٢٥ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ** ﴾ [آية ٢١] .

قال قتادة : فلو صدقوا اللهَ في الإيمان ، والجهاد[3] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [آية ٢٢] .

---

(١) هذا القول ذكره الطبري ٢٦/٥٥ وهذا على أنه من كلام المنافقين أي يقولون قبل نزول فريضة القتال وقبل وجوبه : طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر ، وجدَّ الجدُّ كرهوه وشقَّ عليهم .. وهذا القول مرجوح ، والقول الأول هو الراجح كما في البحر المحيط ، والقرطبي ، والألوسي ، وغيرها .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٦/٥٥ والمعنى : فإذا جدَّ الجدُّ ، وفُرِض القتال ، كرهوا ذلك وتقاعسوا ، كما قدره المصنف .

(٣) هذه الجملة جواب الشرط ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ والمعنى : فإذا صار وقت الجد ، فلو أخلصوا نيَّاتهم ، وجاهدوا بإخلاص ويقين ، لكان ذلك خيراً لهم ، من التقاعس والعصيان .

قال بكرُ بن عبد الله المزنيُّ : هؤلاء الحَرُوريَّةُ[1] .

قال محمد بن كعب : أي فهل عسيتم إن توليتم الأمور ، أن يقتل بعضكم بعضاً ، كقتلِ قريش بني هاشم ، وكقتل بني هاشم قريشاً[2] .

وفي المعنى قولٌ آخر : وهو فهل تريدون ، إن توليتم عن النبي ﷺ ، وكفرتم بما جاءكم به ، على أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه ، من الكفر ، فتفسدوا في الأرض بالكفر ، وتقطِّعوا أرحامكم ، بأن تئدوا بناتكم[3] ؟

وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٠٧ والقرطبي ١٦/٢٤٥ والمراد بالحرورية : الخوارج ، وفي هذا القول بُعْدٌ ، وما قاله أبو حيان في البحر المحيط ٨/٨٢ هو الأظهر ، قال : ﴿ فهل عسيتم ﴾ التفاتٌ للذين في قلوبهم مرض ، أقبلَ بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ ، وتوقيفهم على سوء صنيعهم . اهـ.

(٢) هذا قول الكلبي ، وقال قتادة : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ، ألم يسفكوا الدم الحرام ، وقطعوا الأرحام ، وعصوا الرحمن ؟! يشير إلى ما جرى من القتال بعد زمان الرسول ﷺ . اهـ. نقلاً عن البحر المحيط ٨/٨٢ .

(٣) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٠٧ عن بعض المفسرين ، واختاره الطبري في جامع البيان ٢٦/٥٦ وذكره القرطبي ١٦/٢٤٥ واختار ابن كثير ٧/٣٠٠ أن المراد : فهل عسيتم إن توليتم عن الجهاد ونكلتم عنه .. إلخ. لأن الآيات قبلها في الجهاد .

تُوُلِّيتُمْ ﴾(1) أي وُلِّي عليكم .

٢٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ [آية ٢٥] .

قال قتادة : هؤلاء أهل الكتاب ، عندهم صفة محمد ﷺ ، فأنكروها وكفروا ، من بعد ما تبيَّن لهم الهُدَى(2) .

وقال الضحاك : هم أهلُ النِّفاقِ(3) .

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ قال قتادة : أي زيَّن لهم .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ .

المعنى : وأملى اللهُ لهم ، أي مدَّ الله لهم في آجالهم ، مَلَاوةً(4)

---

(١) هذه القراءة ﴿ إن توليتم ﴾ بضم التاء والواو ، وكسر اللام ، من القراءات العشر ، كما ذكره ابن الجزري في النشر ٣٧٤/٢ وقال : هي رواية رويس ، والباقون قرءوا بفتح التاء والواو ﴿ إن توليتم ﴾ من التولي بمعنى الإعراض ، وبالضم من الولاية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٨/٢٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦٦/٦ ولفظه : « قال هم أعداء الله أهل الكتاب ، يعرفون نَعْتَ محمد ﷺ وأصحابه عنده ، ويجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل ثم يكفرون به » .

(٣) هذا قول ابن عباس ، والسدي ، وابن زيد أيضاً ، وهو الأظهر والأرجح ، لأن لفظه (ارتدوا) تدل على أنهم دخلوا في الإسلام ثم رجعوا عنه ، وهذه خاصة بالمنافقين ، والسورة معظمها في الحديث عن المنافقين ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(٤) مَلَاوة : أي زمناً وحيناً من الدهر ، قال الجوهري : يُقال : أقمتُ عنده ملاوة من الدهر أي حيناً وبرهة . اهـ الصحاح .

من الدهر ، كما قال تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

وقرأ مجاهد : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأُمْلِي لَهُمْ ﴾[1] .

وهذه قراءةٌ حسنةٌ ، والمعنى : وأنا أُمْلِي لهم .

وَحَكَى الفراء أنه قُرِئ ﴿ وَأُمْلِيَ لَهُمْ ﴾[2] وهي قراءة شيبة ، وأبي عمرو .

٢٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

[أي في التضافر على عداوة محمد ﷺ][3] .

وقال سفيان : يعني الفرائض[4] .

قال قتادة : هم المنافقون[5] .

---

(١) هذه القراءة ليست من السبع ، إنما هي من الشواذ ، ذكرها الفراء في معانيه ٦٣/٣ وابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٢/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٣/٣ فقد ذكر القراءتين ﴿ وأُملي لهم ﴾ مرسلة الياء ، و ﴿ أُمْلِيَ لهم ﴾ بالبناء للمجهول .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، ومن إعراب القرآن للنحاس .

(٤) هذا تفسير لقوله ﴿ كَرِهوا ما نزّل الله ﴾ يعني كرهوا ما فرضه الله ، وشرعه لعباده ، ولم أره في أقوال المفسرين .

(٥) هذا القول هو الأظهر كما قاله الألوسي في روح المعاني ٧٥/٢٦ ومعنى الآية : ذلك الارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله ــ وهم بنو قريظة وبنو النضير من اليهود ــ =

٢٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ(١) ﴾ [آية ٢٩] .

أي عداوتهم .. أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام .

٣٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ .. ﴾ [آية ٣٠] .

أي لعرَّفناكهم ، يُقال : قد أريتُك كذا أي عَرَّفتكَهُ .

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي بعلامتهم .

٣١ ـ ثم قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ .. ﴾ [آية ٣٠] .

أي فحواه ، ومعناه ، كما قال الشاعر :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً
وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً(٢)

= الذين كرهوا نزول القرآن ، سنطيعكم في بعض الأمر ، أي في بعض أموركم وأحوالكم ، وهو ما حكاه القرآن الكريم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم .. ﴾ الآية ، وهو اختيار أبي حيان في البحر المحيط ٨٣/٨ .

(١) في المصباح : الأضغان جمع ضِغْنٍ وهو الحقد ، مثل حِمْل وأحمال ، وقال الجوهري : الضِّغْن ، والضَّغينة : الحقدُ ، وتَضاغَنَ القومُ : انطوَوْا على الأحقاد . اهـ.

(٢) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفَزَاري ، وقَبْلَه ـ كما في الصحاح ـ مادة لَحَنَ :

وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْناً
مَنْطِقٌ رَائِعٌ وتَلْحَنُ أَحْيَاناً ، وخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً =

أي ما لم يُصَرَّح بهِ ، وما عُرِفَ بالمعنى ، ونحوِ الكلامِ .

وقولهم : لحنَ فلانٌ في هذا : إنَّما معنـاه : أخَـذَ في ناحيـةٍ غير الصَّواب .

٣١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ واللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [آية ٣٥] .

قال مجاهد : لن يُنْقِصَكم(١) .

قال أبو جعفر : من هذا حديثُ النبي ﷺ (من فاتَتْهُ صلاةُ العصرِ ، فكأنَّما وُتِرَ أهلَهُ)(٢) .

٣٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ [آية ٣٧] .

= يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره ، وتُعرِّض في حديثها ، فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٣/١٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٧١/٨ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٦٤/٢٦ وقال ابن عباس : ﴿ ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم ﴾ أي لن يظلمكم أجور أعمالكم ، قال ابن قتيبة : أي لن يُنْقِصكم ولن يظلمكم ، يُقال : وتَرْتني حقِّي : أي بخستني حقِّي ، والمراد لن يُنقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في المواقيت ١٤٥/١ ومسلم في المساجد ٤٣٥/١ بلفظ (الذي تفوتُه صلاةُ العصر ، كأنّما وُتر أهلَه وماله) .

﴿ فَيُحْفِكُمْ ﴾ أي يُجْهدكم ، ومنه حَفِيَتِ الدَّابةُ[1] .

﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ قيل : أي عداوتكم .

وقال **الضحاك** : غِشَّ قلوبكم ، إذا سُئِلْتُم أموالَكُمْ[2] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ .. ﴾ [آية ٣٨] .

قال **قتادة** : أي إن تتولوا عن طاعة الله[3] .

ثم قال : ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [آية ٣٨] .

قال **مجاهد** : من شاء .

---

(١) قال الفراء ﴿ فيُحْفكم ﴾ أي يُجهدكم ، أحفيتُ الرجل : أجهدته ، وقال ابن قتيبة : ﴿ يُحْفِكم ﴾ يلحُّ عليكم بما يوجبه من أموالكم ، يُقال : أحفاني بالمسألة وألحف : إذا ألحَّ . اهـ. وانظر زاد المسير ٤١٤/٧ والبحر المحيط ٨٦/٨ .

(٢) الأظهر في معنى الآية ﴿ تبخلوا ويُخرج أضغانكم ﴾ أي تبخلوا عن الإنفاق ، ويُخرج الله ما في قلوبكم من البخل وكراهية الإنفاق ، وذلك لأن الإنسان جُبِل على محبة المال وادِّخاره ، ومن نُوزع في حبيبه ، ظهرت سرائره ، فمن رحمته تعالى بالعباد : عدم التشديد عليهم في التكليف ، فلذلك لم يأمرهم بإنفاق جميع أموالهم ، وانظر الطبري ٦٥/٢٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ وابن كثير ٣٠٦/٧ وابن الجوزي ٤١٥/٧ وهو الأظهر في معنى التولي .

وروى العلاءُ عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : (قالـــوا يا رسول الله : مَنْ هؤلاءِ الذينَ إن تولَّيْنَا استُبْدِلُوا ، ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ فضَرَبَ بيده على فخِذِ سَلْمَان رضي الله عنه ، فقال : هم قومُ هذا ، لو كان الدِّينُ بالثريَّا لتناوله رجالٌ من الفُرْسِ)[1] .

* * *

« تمت سورة محمد ﷺ »

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي ٣٥٨/٥ وقال : هذا حديث غريب في إسناده مقال ، وأخرجه ابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدلائل ، ورواه ابن جرير ٦٦/٢٦ والحافظ ابن كثير ٣٠٦/٧ وانظر الدر المنثور ٦٧/٦ وروح المعاني للألوسي ٨٢/٢٦ والقرطبي ٢٥٨/١٦ .

تفسير سورة الفتح

مدنية وآياتها ٢٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح وهي مدنية

مدنيةٌ في رواية مجاهد عن ابن عباس(١) .

وروى الزُّهريُّ ، عن عُروَةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ، ومروانَ قالا : « نزلت سورةُ الفتح بين مكة والمدينة ، كلُّها في شأن الحديبية »(٢) .

١ ـ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً** ﴾ [آية ١] .

روى قتادةُ عن أنس قال : نزلت ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** .. ﴾ بعد رجوع النبيِّ ﷺ من الحديبية ، فقال رسول الله ﷺ : لقد نزلت عليَّ آيةٌ

(١) هذا قول الجمهور ، قال القرطبي ١٦/٢٥٩ : سورة الفتح مدنية بإجماع ، نزلت بين مكة والمدنية في شأن الحديبية ، وقال الحافظ ابن كثير ٧/٣٠٧ : نزلت هذه السورة الكريمة ، لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة ، من سنة ستٍّ من الهجرة ، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ، ليقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلى ذلك على تكرُّهٍ من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نحر هديه ورجع أنزل الله عز وجل عليه هذه السورة الكريمة .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الدلائل ، عن المسور بن مخرمة ، وانظر الدر المنثور ٦/٧٦ والقرطبي ١٦/٢٥٩ ولفظه : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها .

أحبُّ إليَّ من جميع الدنيا ثم تَلَاها ، فقال رجلٌ من المسلمين : هنيئاً مريئاً ، هذا لكَ يا رسولَ الله ، فماذا لنا ؟ فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ قال : قضينا لك قضاءً بيِّناً[2] .

قال سفيان : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ أي ما كان في الجاهلية ، ﴿ **وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ قال : ما كان في الإسلام ، ممَّا لم تعمله بعد[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب « غزوة الحديبية » ١٦٠/٥ ومسلم في كتاب الجهاد « صلح الحديبية » ١٧٦/٥ ورواه أحمد في المسند ١٩٧/٣ وذكره المفسرون ، الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير وغيرهم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٨/٢٦ عن مجاهد ، والسيوطي في الدر المنثور ٦٩/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤١٩/٧ والقرطبي ٢٦٠/١٦ وروي عن البراء رضي الله عنه أنه قال : تعدُّون أنتم الفتح « فتح مكة » وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدُّ الفتح « بيعة الرضوان » يوم الحديبية ، كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بماء فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا ، ثم صبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا » أخرجه البخاري في المغازي ١٥٦/٥ وكان ذلك من المعجزات الباهرة لرسول الله ﷺ .

(٣) أخرجه عبد حُميد عن سفيان ، وانظر الدر المنثور ٧٠/٦ قال ابن كثير : وهذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره ، وفيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ، وهو في جميع أموره على الطاعة ، والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة . ابن كثير ٣١٠/٧ .

قال أبو جعفر : في قوله جلَّ وعز ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ ثلاثة أقوال متقاربة :

أ ـــ منها ما تقدم أنه فتح الحديبية[1] ، والحديبيةُ بئرٌ سُمِّي المكان باسمها .

قال أبو جعفر : ولا أعرف أحداً من أهل اللغة يُشدِّدُ الياءَ منها ، وكان في فتحها أعظمُ الآياتِ ، لأنَّ النبي ﷺ فيما رُوِيَ وَرَدَ على هذه البئر ، وقد نُزِف ماؤها ، فتمضمض ﷺ وَتَفَل فيها ، فأقبل الماءُ ، حتى شرب كلٌّ من كان معه ، ولم يكن بينهم إلَّا تَرَامٍ ، حتى كان الفتح »[2] هذا قولٌ .

---

(1) هذا أظهر الأقوال وأشهرها ، وإليه جنح عدد من المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير ، ويدلُّ عليه حديث البراء بن عازب المتقدم الذي رواه البخاري (تعدُّون الفتح فتح مكة ، ونحن نعدُّ الفتح يوم الحديبية) وذلك لما ترتب على صلح الحديبية من آثار عظيمة ، وفوائد جسيمة ، من بيعة الرضوان ، ودخول كثير في الإسلام ، قال الزهري : لم يكن فتح أعظم من فتح الحديبية ، اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم ، وتمكن الإسلام من قلوبهم ، وأُسلم في ثلاث سنين خلق كثير ،وكثر بهم سوادالإسلام . اهـ. وروي أنها لما نزلت قال بعض الناس : ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون !! فبلغ ذلك الرسول فقال : بل هو أعظم الفتوح ، وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالرَّاح ـــ أي الرجوع ـــ ورغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا .. وانظر الدر المنثور ٦٨/٦ .

(2) الحديث أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ ، وقد تقدم آنفاً ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٠٧/٧ ومعاني القرآن للفراء ٦٤/٣ .

ب ــ وقيل المعنى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ باجتناب الكبائر ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ الصغائر(١) .

جـ ــ وقيل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً ﴾ بالهداية إلى الإسلام(٢) .

فهذه الأقوال متقاربة ، وقول مجاهدٍ يجمعها ، لأنَّ فتح الحديبية قضاءٌ من قضاء الله ، وهدايةٌ من هدايته ، يهدي بها من شاء ، وكذلك اجتنابُ الكبائر .

وقد روي عن ابن عباس ، ما يقوِّيه ، قال : ما كنتُ أدري ما معنى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ حتى قالت لي ابنة مشرح : فَتَحَ اللَّهُ بيني وبينك(٣) .

وقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ ﴾(٤) .

---

(١) هذا قول غريب لم أره لأحد من المفسرين ، لأن الفتح إنما يكون فيما فيه جهاد وغزو ، أو يكون بطريق الصلح ، كما قال أهل اللغة ، فتفسيره باجتناب الكبائر ، قولٌ لا يتفق مع اللغة ، ولا مع الآثار التي ذكرها المفسرون ، والله أعلم .

(٢) هذا قول مرجوح نُقل عن بعض المفسرين ، منهم مقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٢٣/٧ والصحيح أن المراد به « فتح مكة » أو « صلح الحديبية » لأن السورة نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية ، فإن كان يراد به « فتح مكة » فيكون ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين ، بقرب فتحها ، وجيء به بلفظ الماضي « إنا فتحنا » لتحقق الوقوع كما في قوله سبحانه ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ فكل ما أخبر عنه الباري جل وعلا لا بدَّ وأن يحصل ، وإن كان يراد به « صلح الحديبية » فلما كان له من العاقبة المحمودة ، والنتائج الحسنة التي ترتبت على هذا الصلح .

(٣) في المصباح : فتح الحاكم بين الناس فتحاً : قضى ، والفاتح والفتَّاح : الحاكم والقاضي .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ وتتمة الآية ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ أي الحاكمين .

٢ ـ وقد تكلم العلماء في قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [آية ٢] .

فقال أبو حاتم : المعنى : لِيَغْفِرَنَّ لَكَ اللهُ[1] .

وقال أبو الحسن بن كيسان[2] : لا يجوز أن تكون إلَّا « لامَ كَيْ » قال : قال الله جل وعزَّ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ فأمر الله أن يستغفره إذا كان الفتح ، ووَعدهُ بالمغفرة فكان قولُه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ﴾ متعلقاً بذاك[3] .

وقيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ممّا

---

(١) خطَّأ العلماء « أبا حاتم السجستاني » في هذا القول ، لأنه على رأيه تكون اللام في « ليغفر » لام القسم أي ليغفرنَّ لك الله ، وهذا لا يصحُّ ، لأنَّ لام القسم لا تُكسر ، ولا يُنصب بها الفعلُ ، قال القرطبي ٢٦٢/١٦ : ولو جاز هذا الجازَ : لِيَقُومَ زيدٌ ، بتأويل ليقومنَّ زيدٌ ، وهذا لا يصحُّ في لغة العرب .

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم « أبو الحسن » المعروف بابن كيسان ، من كبار علماء العربية ، أخذ عن المبرِّد وثعلب ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٣) هذا القول عن ابن كيسان هو قول ثعلب ، وهو المشهور من أقوال المفسرين ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٣/٧ قال ثعلب : ﴿ ليغفر لكَ الله ﴾ اللَّام لامُ « كي » والمعنى : لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح ، فلما انضمَّ إلى المغفرة شيء حادث ، حَسنُ معنى « كيْ » وغلط من قال : ليس الفتح سبب المغفرة . اهـ.

كان .. أي ممَّا كان مقدَّماً ومؤخراً[1] ، وقد وقع ذلك كلُّهُ .

وقيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كلُّه للمستقبل ، أي لتقع المغفرة في الاستقبال ، فيما يكون من الذنوب أولاً وآخراً[2] .

٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾** [آية ٢ و ٣] .

أي نصراً ذا عِزٍّ ، لا ذُلَّ معه[3] .

٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ .. ﴾** [آية ٤] .

---

(١) هذا قول مجاهد كما في القرطبي ٢٦٢/١٦ قال : ﴿ ما تقدم من ذنبك ﴾ قبل الرسالة ﴿ وما تأخر ﴾ بعدها ، وحكى ابن الجوزي عن ابن عباس أنه قال ﴿ ما تقدَّم ﴾ في الجاهلية ﴿ وما تأخَّر ﴾ أي ما لم تعمله ، وهذا على سبيل التأكيد كما تقول : فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه . اهـ. زاد المسير ٤٢٣/٧ وهو قول حسن ، وبه قال سفيان الثوري ، واختاره الواحدي .

(٢) على هذا القول يكون المراد من الآية : ليغفر الله لك جميع ما تفعله في المستقبل ، بسبب جهادك ، وصبرك ، وكفاحك ، وتحملك الأذى في سبيل الله ، وهو قول لبعض المفسرين ، ذكره القرطبي ٢٦٣/١٦ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في تفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٧ وقال القرطبي في جامع الأحكام نقلاً عن صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علَّةً للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل ذلك عِلَّةً للمغفرة ، ولكن لما عدَّد من الأمور الأربعة ، وهي : المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال : يسرنا لك فتح مكة ، ونصرناك على عدوك ، لنجمع لك عز الدارين . اهـ. جامع الأحكام ٢٦٢/١٦ .

﴿ السَّكِينَةُ ﴾ : أي السكونُ والطمأنينةُ .

٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾** [آية ٤] .

أي كلُّ ما فيها يدلُّ على أنَّ له خالقاً ، وأنه واحدٌ(١) .

٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾** [آية ٥] .

أي فَتَحَ لك بالإسلام والهداية بهذا(٢) .

ويدلُّ عليه أيضاً قوله سبحانه ﴿ ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ

(١) هذا قول مرجوح ، فإن كل ما في هذا الكون ناطق بعظمة الله ، شاهد على وحدانيته ، والآية وردت لغير هذا المعنى ، فقد قال ابن عباس : جنوده « الملائكة ، والجن ، والشياطين ، والإنس » قال الحافظ ابن كثير ٣١١/٧ : « ولو أرسل الله عليهم ملكاً واحداً ، لأباد خضراءهم ، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة . وقال ابن الجوزي ٤٢٥/٧ : يريد أن جميع أهل السموات والأرض جنود وملك له ، لو أراد نصرة نبيه بغيركم لفعل ، ولكنه اختاركم لذلك فاشكروه . اهـ .

(٢) الآية متعلقة بما قبلها ، وقد قدَّره ابن جرير الطبري بأنالمعنى : فتحنا لك فتحاً مبيناً ، لتشكر ربك ، وتحمده على ذلك ، فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وليحمد المؤمنون ربهم ، ويشكروه على إنعامه ، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقدَّره الألوسي في روح المعاني ٩٤/٢٦ بأن المراد من كون جنود السموات والأرض له جلَّ وعلا معنى التصرف والتدبير ، فكأنه قال : دبَّر سبحانه ما دبَّر من تسليط المؤمنين ، ليعرفوا نعمة الله ويشكروها ، فيدخلهم الجنة بجهادهم وقتالهم .

وَالْمُنَافِقَاتِ ، والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ الظَّانِينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾
[آية ٦] .

لأنهم ظنُّوا أنَّ النبيَّ ﷺ لا يرجع ﴿ **عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ** ﴾ أي الهلاك .

ويُقرأ : السُّوْءُ[١] ، والفرقُ بينهما أن « السَّوْءَ » الشيءُ بعينه ، والسُّوْءُ : الفعلُ[٢] .

٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾** [آية ٨] .

قال قتادة : أي شاهداً على أمتك ﴿ **ومبشراً** ﴾ المحسن منهم ﴿ **ونذيراً** ﴾ المسيءَ[٣] .

قال أبو جعفر : هذا قولٌ حسنٌ ، وهذه حالٌ مقدَّرة[٤] .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ دائرةُ السُّوءِ ﴾ بضم السين ، وقرأ الباقون ﴿ دائرةُ السَّوءِ ﴾ بالفتح ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٠٣ .

(٢) قال الجوهري : ساءَهُ يسوءُهُ سَوْءاً بالفتح : نقيضُ سرَّه ، والاسم السُّوءُ ، وقرئ ﴿ عليهم دائرةُ السُّوءِ ﴾ أي الهزيمة والشرِّ ، ومن فَتَح فهو من المَسَاءَة ، وتقول : هذا رجلُ السَّوء ، ولا يُقال : هذا رجل السُّوء بالضم . اهـ. الصحاح .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٧٤/٢٦ ، والقرطبي ٢٦٦/١٦ والألوسي ٩٥/٢٦ ولفظه وقال قتادة ﴿ شاهداً ﴾ على أمتك ، وشاهداً على الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قد بلَّغوا ﴿ ومبشراً ﴾ بالثواب على الطاعة ﴿ ونذيراً ﴾ بالعذاب على المعصية . اهـ.

(٤) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ﴾ في محل نصب على الحال ، أي أرسلناك حال كونك شاهداً على أمتك .. إلخ.

حكى **سيبويه** : مررتُ برجلٍ معه صقرٌ ، صائداً به غداً .

فالمعنى : إنَّا أرسلناك مقدِّرينَ لشهادتك يوم القيامة ، وعلى هذا تقول : رأيت عَمْرواً قائماً غَداً .

٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ ، وتُوَقِّرُوهُ ، وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾** [آية ٩] .

روى شعبةُ عن أبي بشرٍ عن عكرمة في قوله تعالى ﴿ **وَتُعَزِّرُوهُ** ﴾ قال : وتقاتلوا معه بالسيف[1] .

قال قتادة : وتنصروه[2] .

وقرأ جويبر : أي وتفخِّموه[3] .

وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ ﴿ وتَعْزُرُوهُ ﴾[4] .

وأصله في اللغة من التبجيل ، والتَّطْهِيرِ ، ومنه « التعزيرُ » الذي هو دون الحدِّ[5] .

(١ ــ ٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها الطبري ٧٥/٢٦ والدر المنثور ٧١/٦ والقرطبي ٢٦٦/١٦ قال الطبري : « وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ، ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية ، بالنصرة ، والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة ، والتعظيم ، والإجلال » . اهـ.

(٤) هذه القراءة شاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٥/٢ .

(٥) قال في الصحاح : التعزيرُ : التعظيم ، والتوقير ، والتعزير أيضاً : التأديب ، ومنه سمي الضرب دون الحدِّ تعزيراً . اهـ.

وقرأ محمد اليماني ﴿ وَتُعَزِّزُوهُ ﴾[1] بزاءين معجمتين ، يقال : عزَّزَه : أي جعله عزيزاً وقوَّاه ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

ويجوز أن يكون ﴿ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ ﴾ للهِ جلَّ وعزَّ وحدَهُ ، ويجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم[2] .

٩ ــ فأمَّا قوله تعالى : ﴿ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً ﴾ [آية ٩] .

فلا يجوز أن تكون إلا لله جل وعز[3] .

لأنه ليس يخلو من أن يكون معناه كما قال جويبر : وتُصَلُّوا له .

أو يكون معناه : وتُعظِّموه وتُنَزِّهوه .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة أيضاً كما في المحتسب ٢/٢٧٥ قال الألوسي في روح المعاني ٢٦/٩٦ : وقرأ ابن عباس ومحمد اليماني ﴿ وتعززه ﴾ بزائين من العزة ، أي تجعلوه عزيزاً ، وذلك بالنسبة إليه سبحانه بجعل دينه ورسوله عزيزاً .

(٢) قال بعض المفسرين : الضمائر في قوله ﴿ وتُعزروه وتُوقِّروه وتُسبِّحوه ﴾ كلها لله تعالى ، فعلى هذا يكون تأويل الآية ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ أي تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه الشريك والولد ، واختار هذا القول القشيري ، والراجح قول الضحاك أن الضمير في قوله ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ عائد على النبي ﷺ ، وهنا وقف تام ثم تبتدئ ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبحوا الله ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، فيكون بعض الكلام راجعاً إلى الله سبحانه ، وبعضه إلى الرسول عليه السلام .

(٣) هذا هو الصحيح أن الضمير في قوله تعالى ﴿ وتسبحوه ﴾ لا يجوز أن يكون إلا لله ، أي وتنزهوا الله كما قال الطبري ٢٦/٧٦ ﴿ وتسبحوه ﴾ من ذكر الله وحده ، دون الرسول .

١٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي عقدكَ عليهم البيعة ، عقدٌ للهِ جلَّ وعزَّ(١) .

١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي يدُ اللهِ في الثَّواب(٢) .

وقيل : في الوفاء(٣) .

وقيل : في المِنَّةِ عليهم بالهداية(٤) .

---

(١) قال القرطبي : بيَّن تعالى أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة الله ، كما قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان .

(٢ ــ ٤) هذه الأقوال ذكرها القرطبي ٢٦٧/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٧/٧ ولفظه : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ فيه أربعة أقوال :

أحدها : يد الله في الوفاء فوق أيديهم .

والثاني : يد الله في الثواب فوق أيديهم .

والثالث : يد الله عليهم في المنة بالهداية ، فوق أيديهم بالطاعة .

والرابع : قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ، ذكره ابن جرير ، وابن كيسان . اهـ. تفسير ابن الجوزي .

وذكر الطبري في جامع البيان ٧٤/٢٦ فقال : « في قوله ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وجهان من التأويل :

أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ .

والثاني : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو . اهـ.

﴿ **فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ في الطاعة .

﴿ **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** ﴾ يُقال : نكثَ إذا نقض ما اعتقده .

١٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا .. ﴾** [آية ١١] .

قال مجاهد : هم أعرابُ المدينة ، وجُهينة ومُزَيْنةُ(١) .

ثم قال تعالى ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ أي ليس لنا من يحفظ أموالنا ، ويقومُ بأهالينا .

١٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ .. ﴾** [آية ١٥] .

قال مجاهد : دعاهم النبيُّ ﷺ إلى الخروج إلى مكَّة ، فأَبوا ، وقالوا : كيف نخرج معه إلى قومٍ جاءوا إليه فقتلوا أصحابه ؟ فلمَّا خرج النبي ﷺ وأخذ قوماً على غفلة ، ووجَّه بهم ، قالوا ﴿ **ذَرُونَا**

---

(١) قال الألوسي ٢٦/٩٧ : والمخلَّفون من الاعراب هم « جُهينة ، ومزينة ، وغفار ، وأشجع » استنفرهم رسول الله حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية ، ولم يكن الإيمان تمكَّن من قلوبهم فقعدوا عن النبي ﷺ وتخلفوا ، وقالوا : لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة ، ففضحهم الله تعالى في هذه الآية ، وأعلم رسوله بقولهم قبل أن يصل إليهم ، فكان الأمر كذلك . اهـ.

نَتَّبِعْكُمْ ﴾[1] .

١٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ .. ﴾ [آية ١٥] .

وهو على قول ابن زيد[2] ، قوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا ﴾[3] .

١٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [آية ١٦] .

روى سفيانُ عن شعبة عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير ، قال سفيان ــ أراه عن ابن عباس ــ ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال : هوازنُ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٧/٢٦ عن مجاهد ، والقرطبي ٢٦٨/١٦ والدر المنثور ٧٢/٦ قال السيوطي : وهم أعراب المدينة استنفرهم لخروجه إلى مكة ، فقالوا : نذهب معه إلى قوم جاءوا فقتلوا أصحابه فنقتلهم ، فاعتلُّوا له بالشغل ، فأقبل معتمراً فأخذ أصحابه أناساً من الحرم غافلين ، فأرسلهم النبي ، فذلك الإظفار ببطن مكة ، ووُعد ﷺ وهو بالحديبية بمغانم خيبر ، فقال المخلَّفون ﴿ ذَرونا نتَّبعكم ﴾ وهي المغانم التي قال الله فيها ﴿ إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ﴾ . اهـ.

(٢) ذكره في البحر المحيط عن ابن زيد ٩٣/٨ ثم قال : وهذا لا يصح ، لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله ﷺ من تبوك في آخر عمره ، وهذه السورة نزلت يوم الحديبية .

(٣) الآية التي استشهد بها المصنف من سورة التوبة رقم ٨٣ .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري ٨٣/٢٦ وعزاه إلى سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وذكره ابن الجوزي ٤٣١/٧ قال : إنهم « هوازن ، وغطفان » وذلك يوم حنين ، وكذلك في البحر المحيط ٩٤/٨ قال : هم هوازن ، ومن حارب الرسول في حنين ، وهو قول عكرمة ، وابن جبير ، والمشهور عن ابن عباس أنهم : الفرس .

وقال عطاء : هم فارس[١] .

وقال الحسن : فارسُ والرُّومُ[٢] .

ومن أصح ما قيل فيه : أنهم « بنو حنيفة »[٣] الذين قوتلوا في الرِّدَّة ، وكان هذا ممَّا يدلُّ على صحَّةِ خلافةِ أبي بكر رضي الله عنه من القرآن[٤] .

ويدلُّك على ذلك قوله تعالى ﴿ **تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ** ﴾ فليس هذا ممن تؤخذ منهم الجزية[٥] .

(١ ـ ٢) الآثار أخرجها الطبري ٨٢/٢٦ وابن الجوزي ٤٣١/٧ والقرطبي ٢٧٢/١٦ قال : وهو قول ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وابن أبي ليلى .

(٣) هذا قول مقاتل ، والزهري كما في القرطبي ٢٧٢/١٦ قالا : هم بنو حنيفة ، أهل اليمامة ، أصحاب مسيلمة الكذَّاب ، قال رافع بن خديج : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية ﴿ أولي بأس شديد ﴾ فلا نعلم من هم ، حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة ، فعلمنا أنهم هم ، وذكره في الدر المنثور ٧٣/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٧ وأبو حيان في البحر المحيط ٩٤/٨ .

(٤) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٢/١٦ ما نصُّه : « في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة ، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم ، وأما قول عكرمة وقتادة : إن ذلك في هوازن ، وغطَفَان يوم حنين فلا ، لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام ، لأنه قال : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ فدلَّ على أن الداعي غير النبي ﷺ ، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما » . اهـ.

(٥) قال في البحر المحيط ٩٤/٨ : « والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تأخذ منهم الجزية ، إذ لم يُذكر هنا إلا القتال ، أو الإسلام » . اهـ.

أقول : وهو استنباط دقيق .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [آية ١٦] .

أي كما توليتم مع النبي ﷺ .

١٧ ــ قال عثمان بنُ المغيرةِ : سألتُ الحسن عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [آية ١٧] .

فقال : هذا في الجهاد[1] .

١٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال جويبر : بايعوا على أن لا يَفِرُّوا[2] .

(١) هذا رأي الجمهور أن الآية نزلت في بيان الأعذار في ترك الجهاد ، فمنها العمى ، والعرج ، والمرض الشديد ، ومعنى الآية : ليس على هؤلاء إثم ولا ذنب في ترك الخروج للجهاد ، روى الطبراني بسند حسن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (كنت أكتبُ لرسول الله ﷺ وإني لواضع القلم على أذني ، إذْ أُمر بالقتال ، إذ جاء أعمى فقال : كيف بي وأنا ذاهبُ البصر ؟ فنزلت ﴿ ليس على الأعمى حرج .. ﴾ الآية . قال : هذا في الجهاد ، ليس عليهم من جهاد ، إذا لم يطيقوا) الدر المنثور ٧٣/٦ .

(٢) هذا قول أنهم بايعوا على ألَّا يفرُّوا من المعركة ، والمشهور القول الثاني ، أنهم بايعوا على الموت ، فقد أخرج البخاري عن « سلمة بن الأكوع » رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قيل : على أي شيء كنتم تبايعون ؟ قال : على الموت » الدر المنثور ٧٤/٦ .

وقال **قتادة** : كانوا ألفاً وأربعمائة ، وكانت الشجرة سمرة[1] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾** [آية ١٨] .

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإخلاص .

﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال قتادة : الصبرُ ، والوقار[2] .

﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ قال ابنُ أبي لَيْلَى : خيبر[3] .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ .. ﴾** [آية ٢٠] .

قوله ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ قال مجاهد : يعني خيبر[4] .

---

(١) السمرة : شجر الطلح ، ورواية قتادة أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، رواها البخاري في تفسير سورة الفتح ١٧٠/٦ عن جابر قال : « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة » وروي في الصحيح أيضاً أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة ، والجمع بينهما كما قال البيهقي أن جابراً رضي الله عنه كان في القديم يقول : كانوا خمس عشرة مائة ، ثم ذكر الوَهْمَ فقال : أربع عشرة مائة » وانظر ابن كثير ٣١٣/٧ .

(٢) السكينة : السكون والطمأنينة حتى بايعوا رسول الله ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفرُّوا ، وأن يقاتلوا حتى الموت .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٨٨/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٧٤/٦ وقيل : إن المراد بالفتح القريب « فتح مكة » لأنها كانت بعد سنين من الصلح ، والأول أشهر ، فتح خيبر كان بعد عودته من الحديبية ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٩٦/٤ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ وابن كثير ٣٢٢/٧ وروى الطبري عن ابن عباس أن المراد بقوله تعالى ﴿ فَعَجَّل لكم هذه ﴾ يعني صلح الحديبية ، ورجَّح قول مجاهد ، وهو الأظهر والأشهر .

ثم قال تعالى ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ : لأنهم خلَّفوا عيالاتهم فَزِعِينَ عليهم ، فمنع الله منهم ، وكفَّ أيدي النَّاسِ عنهم[1] .

٢١ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ، قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾ [آية ٢١] .

روى شعبة عن سِمَاكٍ الحنفي قال : سمعتُ ابن عباس يقول في قوله تعالى ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ : هي الفتوحُ التي فُتحت لكم[2] .

وقال ابن أبي ليلى : هي فارس والروم[3] .

وقال مجاهد : هو ما يكون بعدُ إلى يوم القيامة[4] .

وقال قتادة : هو فتح مكة[5] .

---

(١) هذا القول هو قول قتادة أن المعنى : كفَّ أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي ﷺ إلى الحديبية وخيبر ، وقال بعضهم : المراد به المشركون أهل مكة ، كفَّ أيديهم عنكم بالصلح ، واختار الطبري القول الأول ، وجمع ابن كثير بينهما فقال : ﴿ وكفَّ أيدي الناس عنكم ﴾ أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كفَّ أيدي الناس عن الذين خلفتموهم وراء أظهركم من عيالكم وحريمكم » ابن كثير ٣٢٢/٧ .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي عن ابن عباس ٢٧٩/١٦ وهو قول الحسن ، ومقاتل ، وقيل : فتح خيبر ، وقيل : فتح مكة ، وهو قول قتادة ، واختاره الطبري في جامع البيان ٩٢/٢٦ وقال : وهذا أشبه بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ، لأنه لا يقال لقوم لم يقدروا على مدينة إلا إذا كانوا قد راموها ، وهي مكة التي قد عالجها ورامها المسلمون .

(٣ ـ ٥) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ٩٠/٢٦ وأبو حيان في البحر المحيط =

٢٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُم الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوا الأَدبَارَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ﴾ [آية ٢٢] .

قال قتادة : كفار قريش[١] .

قال أبو جعفر : ولو قاتلكم من لم يقاتلكم منهم لانهزموا ، لأن في سنة الله نصرَ أوليائه[٢] .

قال قتادة : يعني في قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ﴾ ولا يجدون لهم ولياً ولا نصيراً من الله جلَّ وعزَّ .

٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ .. ﴾ [آية ٢٤] .

= ٩٧/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣١/٧ وغيرهم ، قال في البحر المحيط ٩٧/٨ « قال ابن عباس والحسن ومقاتل : بلاد الفرس والروم وما فتحه المسلمون ، وقال الضحاك وابن زيد : خيبر ، وقال قتادة والحسن : مكة ، وهذا القول يتَّسق معه المعنى ويتأيد ، وفي قوله ﴿ لم تَقْدِروا عليها ﴾ دلالة على تقدم محاولة لها ، وفوات درك المطلوب في الحال ، كما كان في مكة » . اهـ. وما اختاره صاحب البحر هو الأظهر وهو ما رجحه الإمام الجليل ابن جرير رحمه الله .

(١) قال ابن الجوزي ٤٣٧/٧ : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا ﴾ هذا خطاب لأهل الحديبية ، والذين كفروا : مشركو قريش ، والمعنى : لو قاتلوكم يوم الحديبية ، لَوَلَّوا الأدبار ، لما في قلوبهم من الرعب ، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً لأن الله خذلهم . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٧/٧ قال : لو قاتلك من لم يقاتلكم لنصرت عليه ، لأن سنة الله النصرة لأوليائه .

كفَّ أيديَ المشركينَ عمَّن خلَّفه المؤمنون ، حين خرجوا إلى الحديبية[1] .

قال قتادة في قوله تعالى ﴿ **وَكَفَّ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ** ﴾ « تَطَلَّعَ رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له : « زُنَيْم »[2] فرماه المشركون بسهمٍ ، فقتلوه ، فبعث النبي ﷺ خيلاً ، فأخذوا اثنيْ عَشَر فارساً ، فأتوا بهم النبي ﷺ ، فقال لهم : ألكم عهدٌ أو ذِمَّةٌ ؟ قالوا : لا ، فأطلقهم »[3] فأنزل الله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ** .. ﴾ .

قال قتادة : يعني الحديبية[4] .

---

(١) هذا قول قتادة كما ذكره الطبري وغيره ، وقد تقدَّم .

(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٩٤/٢٦ وذكر أن اسم الرجل « زُهَيم » وهو تصحيف وصوابه « زنيم » وقد ذكره الحافظ ابن كثير ٣٢٥/٧ عن قتادة بلفظ « ابن زنيم » والرواية أخرجها عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٧٥/٦ وانظر الإصابة لابن حجر ٥٧٠/٢ فقد ذكر أنه « زنيم » وأن له صحبة ، ولكنه غير معروف النسب .

(٣) الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٧٦/٦ وتفسير ابن كثير ٣٢٥/٧ وروى أحمد في المسند ١٢٢/٣ عن أنس بن مالك قال : « لما كان يوم الحديبية ، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح ، يريدون غِرَّة رسول الله ﷺ ، فدعا عليهم فأُخذوا ، فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآية ﴿ وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم .. ﴾ الآية » .

(٤) هذا قول قتادة وأنس بن مالك أن بطن مكة يراد به الحديبية ، قال الفراء ٦٧/٣ ﴿ وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم .. ﴾ الآية هذا لأهل خيبر ، وقال الطبري ٩٣/٢٦ : يعني كفَّ أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ بالحديبية ليصيبوا منهم ، فبعث رسول الله فأتي بهم أسرى فخلَّى سبيلهم .

٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ .. ﴾ [آية ٢٥] .

قال قتادة : ﴿ وَالْهَدْيَ مَعكوفاً ﴾ : محبوساً(١) .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [آية ٢٥] .

﴿ أَنْ تَطَئُوهُمْ ﴾ أي تقتلوهم ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ ﴾ أي عيبٌ .

يقول المشركون : قتلُوا أهلَ دينهم ، ولو فعلتم لأدخلهم اللّٰه في رحمته(٢) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ والقرطبي ٢٨٣/١٦ قال الجوهري : عكفه أي حبسه ووقَفه ، ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى أن جواب « لولا » محذوف لقوله تعالى ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم .. ﴾ الآية وقدّره : ولو فعلتم لأدخلهم الله في رحمته ، وفسَّر المعرةَ بالعيب ، وفسَّره الجوهري بالإثم ــ وهو قول ابن زيد ــ قال ابن الجوزي ٤٤٠/٧ : ومعنى الآية : لولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، بالقتل ، وتُوقعوا بهم ولا تعرفونهم ، فيصيبكم منهم إثمٌ أو عيب ، لأدخلتكم من عامكم هذا .. » .. إلخ. وقال في البحر المحيط ٩٨/٨ : كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين ، غير متميزين عنهم ، ولا معروفي الأماكن ، فقال تعالى : لولا كراهة أن تُهلكوا أناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين ، وأنتم غير عارفين لهم ، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة ، ما كفَّ أيديكم عنهم ، وحُذِف جواب « لولا » لدلالة الكلام عليه . اهـ.

٢٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [آية ٢٥] .

قال مجاهد : ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالسِّباء ، والقتل .

٢٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال علي بن أبي طالب وابن عمر ، وأبو هريرة : ﴿ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ : لا إله إلا الله[1] .

٢٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [آية ٢٦] .

أي أن الله اختارهم لدينه[2] .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ .. ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : رأى النبي ﷺ كأنه قد دخل مكة هو وأصحابه

---

(١) هذا قول الجمهور أن المراد بكلمة التقوى « لا إله إلا الله » وسميت كلمة التقوى لأن الإنسان بها يتقي عذاب الله ، وقيل : هي الإخلاص ، والأول أرجح وهو قول الأكثرين ، قال في البحر المحيط ٩٩/٨ : وكلمة التقوى (لا إله إلا الله) رُوي ذلك عن النبي ﷺ وبه قال عليٌّ ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعمر بن ميمون وقتادة .

(٢) قال القرطبي ٢٨٩/١٦ : ومعنى الآية : وكانوا أحقَّ بها من كفار مكة ، لأن الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه ﷺ .

محلِّقين[1] .

وقال قتادة : هي رؤيا رآها النبيُّ ﷺ بالحديبية ، كأنهم دخلوا مكة محلِّقينَ رءوسهم ومُقَصِّرينَ، فاستَبْطَأوا الرؤيا ، ثم دخلوا بعد ذلك[2] .

فأمَّا قوله تعالى ﴿ إنْ شَاءَ اللهُ ﴾ ففيه أقوال :

أ ــ **منها إنَّ المعنى** : إن شئتُ دخلتم آمنين .

ب ــ **وقيل** : هو حكايةٌ لما قيل للنبي ﷺ .

جـ ــ **وقيل** : **خُوطب العبادُ على ما يجب أن يقولوه** ، كما قال تعالى **﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ .. ﴾**[3] .

د ــ **وقيل** : الاستثناء لمن مات منهم ، أو قُتِلَ[4] .

(١ ــ ٢) قول مجاهد ، وقتادة ذكرهما الطبري ٢٦/١٠٧ والقرطبي ١٦/٢٩٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٨٠ ولفظه قال مجاهد : أُري رسول الله ﷺ أنه يدخل هو وأصحابه مكة آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين ، فلما كان بالحديبية ونحر الهدي ، قال له أصحابه : أين رؤياك يا رسول الله ؟ فأنزل لله عز وجل ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين .. ﴾ الآية إلى قوله ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ ففتحوا خيبر ، ثم اعتمر بعد ذلك ، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة . اهـ.

(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٣ .

(٤) ذكر المصنف هنا أربعة أقوال للمفسرين ، وذكر ابن الجوزي ٧/٤٤٣ أن فيها ستة أقوال ، والراجح من هذه الأقوال أن قوله تعالى ﴿ إن شاء الله ﴾ للتأكيد ، وليست للشك ، فكأنه تعالى يقول : لتدخلن المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى ، آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين ،=

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : رجعوا من الحديبية ، ثم فتح الله عليهم خيبر[1] .

٣١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ، يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال سعيد بن جبير : ذلكَ أثرُ الطُّهُور ، وثَرَى الأرضِ[2] .

وقال عكرمة : هو أثرُ التراب[3] .

= فـ « إن » بمعنى « إذا » كما في الدعاء المأثور عند زيارة القبور ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ أي إذا شاء الله ، وهذا ما اختاره بعض المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير حيث قال : هذا لتحقيق الخبر وتوكيده ، وليس هذا من الاستثناء في شيء . اهـ. ابن كثير ٣٣٧/٧ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٠٨/٢٦ والقرطبي ٢٩١/١٦ وفي البحر المحيط ١٠١/٨ ولفظه : وقال كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو « بيعة الرضوان » وقال مجاهد ، وابن إسحاق ، هو فتح الحديبية ، وقال ابن زيد : خيبر ، وضعَّف قول من قال إنه (فتح مكة) لأن فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول وأصحابه مكة ، بل كان بعد ذلك . اهـ.
أقول : قوله تعالى ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ أي فجعل قبل ذلك فتحاً عاجلاً لكم ، فالمراد به ما كان قبل فتح مكة ، وهو « فتح خيبر » الذي حدث بعد عودته ﷺ من صلح الحديبية ، والله أعلم .

(١ ــ ٣) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري ١١٠/٢٦ وابن الجوزي ٤٤٦/٨ والقرطبي ٢٩٣/١٦ والبحر المحيط ١٠٢/٨ والسيوطي في الدر المنثور ٨٢/٦ وهي تتلخص في =

قال ابنُ وهب : أخبرني مالكٌ في قوله تعالى ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ** ﴾ قال : هو ما يتعلَّق بالجبهةِ من تراب الأرض ، فهذا قولٌ[1] .

وقال مجاهد : إنما هو الخشوعُ والتواضع ، وليس للمنافق هذا[2] .

وقال الحسن : بياضٌ يكون في الوجه يوم القيامة[3] .

وقال عطية : موضع الجبهة يوم القيامة أشدُّ بياضاً من سائر الوجه[4] .

وقال الضحاك : هذا يوم القيامة ، تبدو صلاتُهُمْ على

= قولين : إما أن تكون هذه السِّيما ، والعلامة ، في الدنيا ، وإما أن تكون في الآخرة ، فمن قال إنها في الدنيا كابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة فسره بما يتفق مع أحوال الدنيا ، فقال ابن عباس : هو السمت الحسن أي المظهر الحسن ، والصفة الحسنة ، وقال مجاهد : هو الخشوع ، والتواضع ، قال منصور : سألت مجاهداً عن قوله تعالى ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ أهو أثر يكون بين عيني الرجل ؟ قال : لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز ، وهو أقسى قلباً من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع ، والذين قالوا في الآخرة ، فسروه بما يتفق مع الآخرة كالحسن البصري فقد قال : هو بياض يكون في الوجه يوم القيامة ، وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر ، ويشهد لهذا ما ورد في الصحيح (قالوا كيف تعرف إخوانك يا رسول الله ؟ قال : إنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء) أي تشرق وجوههم وأيديهم بالنور يوم القيامة ، والله أعلم .

(١ ـ ٤) راجع التعليق السابق .

وجوههم[7] .

وقال شِمْرُ بنُ عطية : هو تهيُّجُ الوجه وصفرتُه من سهر الليل[2] .

وقال قتادة : نُعتوا بالصلاة ، أي يُعرفون بالصلاة[3] .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ .. ﴾ [آية ٢٩] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ يعني نعتُهم **﴿ في التوراة والإنجيل ﴾** أي مكتوب فيهما[4] .

وقال قتادة : فيما تقدَّم مَثَلُهم في التوراة ، ولهم مَثَلٌ آخر في الإنجيل وهو **﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَه ﴾**[5] .

قال الضحاك : هما مَثَلان ، فالأول في التوراة ، والثاني في الإنجيل[6] .

وقال مجاهد : هما مَثَلٌ واحدٌ ، والتَّمامُ على قول مجاهد **﴿ فِي الإِنْجِيلِ ﴾**[7] .

(١ ــ ٣) راجع التعليق السابق .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٧/٧ : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ أي صفتهم ، والمعنى أن صفة محمد ﷺ وأصحابه في التوراة هكذا . اهـ. يعني ذلك وصفُهم في التوراة : الشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين ، وكثرة الصلاة والسجود ، هكذا وصفهم الله تعالى في التوراة . اهـ.

(٥ ــ ٧) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون ، فقد روى ابن الجوزي ٤٤٨/٧ عن مجاهد قال : =

٣٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

﴿ كَزَرْعٍ ﴾ أي هم كَزَرْعٍ .

﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ روى حُميد عن أنس قال : نَباتُهُ ، فُرُوخُه[1] .

قال أبو عبيدة : يقال : أشطأَ الزَّرْعُ : إذا خرجت فِرَاخُهُ[2] .

قال الفراء : الحَبَّةُ تُخْرِجُ العَشْرَ ، والسَّبْعَ ، والثَّماني ، من السنبل[3] .

= مثلهم في التوراة والإنجيل واحد ، وقال القرطبي ٢٩٤/١٦ قال مجاهد : هو مثل واحد ، يعني أن هذه صفتهم في التوراة والإنجيل ، قال : فلا يوقف على « التوراة » على هذا القول ، وإنما الوقف على قوله ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ﴾ ثم يبتدئ بقوله ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ أي وهم كزرع أخرج فراخه وأولاده . اهـ. وعلى قول الضحاك ، وقتادة ، وابن عباس أنها مثلان ، فالمتقدِّم مثلهم في التوراة ، وأما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ . إلى آخر المثل ، فالوقف على هذا القول يكون عند قوله تعالى ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ ويكون الابتداء من قوله ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه .. ﴾ الآية وهذا ما رجحه الطبري، وكثير من المفسرين ، قال أبو حيان في البحر المحيط ١٠٢/٨ : وقال ابن عباس : هما مثلان فيوقف على ذلك ﴿ في التوراة ﴾ و ﴿ كزرع ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم كزرع ، أو هم كزرع ، وانظر الطبري ١١٣/٢٦ .

(١) الطبري عن أنس ١١٣/٢٦ قال: قرأ أنس بن مالك ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ قال : تدرون ما شطأه ؟ قال : نباته .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٦٩/٣ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ .

قال مجاهد : أي شدَّده ، وأعانه[1] .

وقال الضحاك : هم أصحاب النبي ﷺ ، كانوا قليلاً فكثروا ، وضعفاءَ فقَوُوا[2] .

٣٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

جمع ساقٍ ﴿ **يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ** ﴾ تمثيلٌ[3] ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ قال قتادة : أي ليغيظ محمدٌ ﷺ وأصحابُه الكفَّارَ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٦/١١٤ عن مجاهد ، والقرطبي ١٦/٢٩٥ وابن الجوزي ٧/٤٤٨ .

(٢) قال الضحاك : هذا مثل في غاية البيان ، فالزرع محمد ﷺ ، والشطأُ أصحابه ، كانوا قليلاً فكثروا ، وضعفاء فقووا ، وانظر البحر المحيط ٨/١٠٢ والقرطبي ١٦/٢٩٥ .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٦/٢٩٥ : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ يعني أنهم يكونون قليلاً ، ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعوة إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً ، فيقوى حالاً بعد حال ، حتى يغلظ نباتُه ، وأفراخه ، فكان هذا من أصحِّ مثل ، وأقوى بيان . اهـ.

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٤٩ : إنما كثَّرهم وقوَّاهم ليغيظ بهم الكفار ، وقال مالك بن أنس : من أصبح وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ، فقد أصابته هذه الآية ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله : لا آمن على الرافضة أن يكونوا قد ضارعوا الكفار ، لأن الله تعالى يقول : ليغيظ بهم الكافر . اهـ. وقال الحافظ ابن كثير ٧/٣٤٣ : ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله القول بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ، قال: لأنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك ، والأحاديث في فضائل الصحابة ، والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة جداً ، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . اهـ. ابن كثير .

٣٥ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [آية ٢٩] .

يجون أن تكون « مِنْ » ههنا لبيان الجنس[١] ، كما قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾ .

ويجوز أن تكون للتبعيض أي وعدَ اللهُ الذين ثبتوا على الإيمان منهم ، مغفراً وأجراً عظيماً .

آخر السورة ، والحمد لله وحده[٢]

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

« انتهت سورة الفتح »

(١) هذا قول الزجاج ، وهو الأظهر والأشهر ، أي وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس ، أي من جنس الصحابة ، مغفرةً وأجراً عظيماً ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن عطية .. قال القرطبي ١٦/٢٩٥ : « وليست « مِنْ » في قوله منهم للتبعيض ، لقومٍ من الصحابة دون قوم ، ولكنها عامةً للجنس ، كما يُقال : أنفق صدقتك من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس . اهـ. والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢) إلى نهاية سورة الفتح تنتهي المخطوطة التي بين أيدينا ، وهي المخطوطة الوحيدة كما أسلفنا ، وبذلك ينتهي الكتاب ، ولا ندري هل أكمل المصنِّف تفسير بقية السور ، أم أنه اكتفى بهذا القدر من الكتاب العزيز ؟ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (**المحقق**) .

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة » عام ١٤٠٩هـ من هجرة خير الأنام

تم بعونه تعالى الكتاب

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحّاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى